اوراق ٤٩٩ سطر ٤٣
T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KÜTÜPHANESİ
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 44/4

النصف الثاني من الجزء الثاني
في تفسير ابن عادل

٥٤

RAĞIP P.
Ka. Nu.
54

353 X 240
(274 X 163)
43 486
893 408

RAĞIP P.
Ka. Nu.
54

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سورة انزلناها وفرضناها الاية قراءة العامة سورة بالرفع وفيه وجهان
احدهما ان يكون مبتدا والجملة بعدها صفة لها وذلك هو المسوغ للابتدا بالنكرة وفي الخبر وجهان احدهما انه الجملة من قوله
الزانية والزاني والى هذا نحا ابن عطية فانه قال ويجوز ان يكون مبتدا والخبر الزانية والزاني وما بعد ذلك والمعنى السورة
المنزلة والمفروضة كذا وكذا اذ السورة عبارة عن ايات مسرودة لها بدا وختم والثاني ان الخبر محذوف اي فيما يتلى
عليكم سورة او فيما انزلنا سورة والوجه الثاني من الوجهين الاولين ان يكون خبر المبتدا مضمرا اي هذه سورة وقال
ابو البقا سورة بالرفع على تقدير هذه سورة او فيما يتلى عليك سورة فلا يكون سورة مبتدا لانها نكرة وهذه عبارة مشكلة
على ظاهرها كيف يقول لا تكون مبتدا مع تقديره فيما يتلى عليك سورة وكيف يعلل المنع بانها نكرة مع تقديره لخبرها
جارا متقدما عليها وهو مسوغ للابتدا بالنكرة وقرا الحسن بن عبد العزيز وعيسى الثقفي وعيسى الكوفي ومجاهد وابو
حيوة وطلحة بن مصرف في اخرين سورة بالنصب وفيها اوجه احدها انها منصوبة بفعل مقدر غير مفسر بما بعده تقديره
اتل سورة او اقرا سورة والثاني انها منصوبة بفعل مضمر يفسره ما بعده والمسئلة من الاشتغال تقديره انزلنا سورة
انزلناها والفرق بين الوجهين ان الجملة بعد سورة في محل نصب على الاول ولا محل لها على الثاني الثالث انها منصوبة على
الاغراء اي دونك سورة قاله الزمخشري ورده ابو حيان بانه لا يجوز حذف اداة الاغراء واستشكل ابو حيان ايضا
على وجه الاشتغال جواز الابتدا بالنكرة من غير مسوغ ومعنى ذلك انه ما من موضع يجوز النصب على الاشتغال الا
ويجوز الرفع على الابتدا وهنا لو رفعت سورة بالابتدا لم يجز اذ لا مسوغ فلا يقال رجلا ضربته لامتناع رجل ضربته ثم
اجاب بانه ان اعتقد حذف وصف جاز اي سورة معظمة او موضحة انزلناها فيجوز ذلك الرابع انها منصوبة على الحال
من ها في انزلناها والحال من المكني يجوز ان يتقدم عليه قاله الفرا وعلى هذا فالضمير في انزلناها ليس عايدا على سورة
بل على الاحكام كانه قيل انزلنا الاحكام سورة من سور القران فهذه الاحكام ثابتة بالقران بخلاف غيرها فانه قد يثبت
بالسنة وتقدم معنى الانزال قوله تعالى وفرضناها قرا ابن كثير وابو عمرو بالتشديد والباقون بالتخفيف فالتشديد
اما للمبالغة في الايجاب وتوكيده واما لتكثير المفروض عليهم واما لتكثير الشي المفروض والتخفيف بمعنى اوجبناها
وجعلناها مقطوعا بها وقيل الزمناكم العمل بها وقيل قدرنا ما فيها من الحدود والفرض التقدير قال الله تعالى فنصف
ما فرضتم اي قدرتم ان الذي فرض عليك القران ثم ان السورة لا يمكن فرضها لانها قد دخلت في الوجود وتحصيل الحاصل
محال فوجب ان يكون المراد فرضنا ما بين فيها من الاحكام ثم قال وانزلنا فيها ايات بينات واضحات لعلكم تذكرون
تتعظون واراد بالايات ما ذكر في السورة من الاحكام والحدود ودلايل التوحيد وقرئ تذكرون بتشديد الذال
وتخفيفها وتقدم معنى لعل في سورة البقرة قال القاضي لعل بمعنى كي فان قيل الانزال يكون من صعود الى نزول
وهذا يدل على انه تعالى في وجهة فالجواب ان جبريل كان يحفظها من اللوح ثم ينزلها على النبي صلى الله
عليه وسلم فقيل انزلناها توسعا وقيل ان الله تعالى انزلها من ام الكتاب الى السما الدنيا دفعة واحدة ثم انزلها بعد
ذلك على لسان جبريل عليه السلام وقيل معنى انزلناها اعطيناها الرسول كما يقول العبد اذا كلم سيده رفعت اليه
حاجتي كذلك يكون من السيد الى العبد الانزال قال الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قوله تعالى
الزانية والزاني في رفعهما وجهان مذهب سيبويه انه مبتدا وخبره محذوف اي فيما يتلى عليكم حكم الزانية ثم بين
ذلك بقوله فاجلدوا الى اخره والثاني وهو مذهب الاخفش وغيره انه مبتدا والخبر جملة الامر ودخلت الفا لشبه
المبتدا بالشرط ولكون الالف واللام بمعنى الذي تقديره من زنا فاجلدوه او الذي زنت والذي زنا فاجلدوهما وتقدم
الكلام على هذه المسئلة في قوله واللذان ياتيانها منكم فاذوهما وعند قوله والسارق والسارقة فاغنى عن اعادته
وقرا عيسى الثقفي ويحيى بن يعمر وعمرو بن فايد وابو جعفر وابو شيبة ورويس بالنصب على الاشتغال قال الزمخشري وهو احسن
من سورة انزلناها لاجل الامر وقرئ والزان بلا يا ومعنى فاجلدوا فاضربوا كل واحد منهما مائة جلدة يقال جلده اذا
ضرب جلده كما يقال راسه وبطنه اذا ضرب راسه وبطنه وذكر بلفظ الجلد لئلا يبرح ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم
قوله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة رحمة ورقة قرا العامة هنا وفي الحديد بسكون همزة رافة وابن كثير بفتحها وقرا
ابن جريج وتروى ايضا عن ابن كثير وعاصم راافة بالف بعد الهمزة بزنة سحابة وكلها مصادر لراف به يروف وتقدم معناه
واشهر المصادر الاول ونقل ابو البقا فيها لغة رابعة وهي ابدال الهمزة الفا وهذا ظاهر وقرا العامة تاخذكم بالتا
مراعاة للفظ وعلي بن ابي طالب والسلمي ومجاهد باليا من تحت لان التانيث مجازي وللفصل بالمفعول والجار وبهما يتعلق
بتاخذكم او بمحذوف على سبيل البيان ولا يتعلق برافة لان المصدر لا يتقدم عليه معموله وفي دين الله يتعلق بالفعل
قبله ايضا وهذه الجملة دالة على جواب الشرط بعدها او هي الجواب عند بعضهم فصل الزنا حرام وهو من الكباير لان
الله تعالى قرنه بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون وقال ولا تقربوا الزنا وقال عليه السلام يا معشر الناس اتقوا
الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الاخرة اما التي في الدنيا فيذهب البها ويورث الفقر وينقص العمر

واما اللاتي في الاخرة فسخط الله وسوء الحساب وعذاب النار قال بعض العلما في حد الزنا انه عبارة عن ايلاج فرج في فرج مشتهى
طبعا محرم قطعا واختلف العلما في اللواط هل يسمى زنا ام لا فقيل نعم لقوله عليه السلام اذا اتى الرجل الرجل فهما زانيان
ولدخوله في حد الزنا المتقدم وقيل لا يسمى زنا لانه في العرف لا يسمى زانيا ولو حلف لا يزني فلاط لم يحنث ولان الصحابة
اختلفوا في حكم اللواط وكانوا عالمين باللغة واما الحديث فمحمول على الاثم بدليل قوله عليه السلام اذا اتت المراة المراة
فهما زانيتان وقوله عليه السلام اليدان تزنيان والعينان تزنيان واما دخوله في مسمى الفرج لما فيه من الانفراج
فبعيد لان العينين والفم منفرجان ولا يسميان فرجا وسمي النجم نجما للظهور وما سموا كل ظاهر نجما وسموا الجنين جنينا
لاستتاره وما سموا كل مستتر جنينا واختلفوا في حد اللوطي فقيل حد الزنا ان كان محصنا رجم وان كان غير محصن جلد وغرب
وقيل يقتل الفاعل والمفعول مطلقا واختلفوا في كيفية قتله فقيل تضرب رقبته كالمرتد لقوله عليه السلام من عمل عمل
قوم لوط فاقتلوه وقيل يرجم بالحجارة وقيل يهدم عليه جدار وقيل يرمى من شاهق لان الله تعالى عذب قوم لوط بكل
ذلك وقيل يعزر الفاعل واما المفعول فعليه القتل ان قلنا يقتل الفاعل وان قلنا على الفاعل حد الزنا فعلى المفعول جلد
مائة وتغريب عام محصنا كان او غير محصن وقيل ان كانت امراة محصنة فعليها الرجم **فصل** واجمعت الامة
على حرمة اتيان البهيمة واختلفوا في حده فقيل حد الزنا وقيل يقتل مطلقا لقوله عليه السلام من اتى بهيمة
فاقتلوه واقتلوها معه وقيل التعزير وهو الصحيح واما السحاق واتيان الميتة والاستمنا باليد فلا يشرع فيه الا
التعزير **فصل** تقدم الكلام في حد الزنا في سورة النسا واما اثباته فلا يحصل الا بالاقرار او بالبينة اما الاقرار
فقال الشافعي يثبت بالاقرار مرة واحدة لقصة العسيف وقال ابو حنيفة واحمد لا بد من الاقرار اربع مرات لقصة
ماعز ولقوله عليه السلام انك شهدت على نفسك اربع مرات ولو كانت المرة الواحدة مثل الاربع في ايجاب الحد
لكان هذا الكلام لغوا ولقول ابي بكر رضي الله عنه لماعز بعد اقراره الثالثة لو اقررت الرابعة لرجمك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال بريدة الاسلمي كنا معشر اصحاب محمد نقول لو لم يقر ماعز اربع مرات ما رجمه رسول
الله وايضا فكما لا يقبل في الشهادة على الزنا الا اربع شهادات فكذا في الاقرار وكان الزنا لا يثبت الا باربع شهادات
في اللعان فلا يثبت الا باقرار اربع مرات واما البينة فاجمعوا على انه لا بد من اربع شهادات لقوله تعالى فاستشهدوا
عليهن اربعة منكم **فصل** قال بعض العلما لا خلاف انه يجب على القاضي ان يمتنع عن القضا بعلم نفسه كما اذا ادعى
رجل على اخر حقا واقام عليه بينة والقاضي يعلم انه قد ابراه او ادعى انه قتل اباه وقت كذا وقد راه القاضي حيا بعد
ذلك او ادعى نكاح امراة وقد سمعه القاضي طلقها لا يجوز ان يقضي به ولو اقام عليه شهودا وهل يجوز له ان يقضي
بعلم نفسه مثل ان ادعى عليه الفا وقد راه القاضي اقرضه او سمع المدعى عليه يقر به فقال ابو يوسف ومحمد والمزني
يجوز له ان يقضي بعلمه لانه لما جاز ان يحكم بشهادة الشهود وهي انما تفيد الظن فلان يجوز بما هو منه على علم اولى
قال الشافعي اقضي بعلمي وهو اقوى من شاهدين او شاهد وامراتين وهو اقوى من شاهد ويمين وبشاهد ويمين
وهو اقوى من النكول ورد اليمين وقيل لا يحكم بعلمه لان انتفا التهمة شرط في القضا ولم يوجد هذا في الاموال
فاما العقوبات فان كانت العقوبة من حقوق العباد كالقصاص وحد القذف فهو مثل المال ان قلنا لا يقضي فهنا
اولى والا فقولان والفرق بينهما ان حقوق الله تعالى مبنية على المساهلة والمسامحة ولا فرق على القولين ان حصل
العلم للقاضي في بلد ولايته وزمان ولايته او في غيره وقال ابو حنيفة ان حصل له العلم في بلد ولايته وفي زمان
ولايته له ان يقضي بعلمه والا فلا **فصل** لا يقيم الحد الا الامام او نائبه وللسيد ان يقيم الحد على رقيقه
لقوله عليه السلام اذا زنت امة احدكم فليجلدها وقيل بل يرفعه الى الامام ويجلد المحصن مع ثيابه ولا يجرد ولكن ينبغي
ان يكون بحيث يصل الم الضرب اليه واما المراة فلا يجوز تجريدها بل تربط عليها ثيابها حتى لا تنكشف ويلي ذلك منها
امراة ويضرب بسوط لا جديد يجرح ولا خلق لا يولم ولا يمد ولا يربط بل يترك حتى يتقي بيديه ويضرب الرجل قائما
والمراة جالسة ويفرق السياط على اعضائه ولا يجمعها في موضع واحد ويتقي المهالك كالوجه والبطن والفرج قال
الشافعي يضرب على الراس وقال ابو حنيفة لا يضرب على الراس **فصل** ولا يقام الحد على الحامل حتى تضع ولدها
ويستغني عنها لحديث الجهنية واما المريض فان كان يرجى زوال مرضه اخر حتى يبرا ان كان على الحد جلدا وان كان
رجما اقيم عليه الحد لان المقصود قتله وان كان مرضه لا يرجى زواله لم يضرب بالسياط بل يضرب بضغث فيه عيدان
بعدد ما يجب عليه لقصة ايوب عليه السلام وادلة جميع ما تقدم مذكورة في كتب الفقه **فصل** لو فرق
السياط تفريقا لا يحصل به التنكيل مثل ان ضرب كل يوم سوطا او سوطين لم يحتسب وان ضرب كل يوم عشرين واكثر
حسب **فصل** ولا يقام الحد في وقت اعتدال الهوى فان كان في وقت شدة حر او برد نظرنا ان كان الحد رجما
اقيم عليه كما يقام في المرض لان المقصود قتله وقيل ان كان الرجم ثبت باقراره اخر الى اعتدال الهوى وزوال
المرض ان كان يرجى زواله لانه ربما رجع عن اقراره في خلال الرجم وقد اثر الرجم في جسمه فيعين شدة الحر والبرد

والمرض على اهلاكه وان ثبت بالبينة لا يوخر لانه لا يسقط وان كان الحد جلدا لم يوخر اقامته في شدة الحر والبرد كما يجب
فصل معنى قوله ولا تاخذكم بهما رافة قال مجاهد وعكرمة وعطا وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي لا تاخذكم بهما رافة
فتعطلوا الحدود ولا تقيموها وقيل ولا تاخذكم رافة فتخففوا ولكن اوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن
قال الزهري يجتهد في حد الزنا والفرية ويخفف في حد الشرب وقال قتادة يخفف في الشرب والفرية ويجتهد في الزنا
ومعنى في دين الله اي في حكم الله روي ان عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له
ابنه ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله فقال يا بني ان الله لم يامرني بقتلها وقد ضربت فاوجعت **فصل** اذا ثبت الزنا
باقراره فمتى رجع ترك وقع به بعض الحد او لم يقع به لان ماعزا لما مسته الحجارة هرب فقال عليه السلام هلا تركتموه
وقيل لا يقبل رجوعه ويحفر للمراة الى صدرها ولا يحفر للرجل واذا مات في الحد غسل وكفن وصلي عليه ودفن في مقابر
المسلمين قوله تعالى ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر معناه ان المومن لا تاخذه الرافة اذا جا امر الله قوله تعالى
وليشهد عذابهما اي وليحضر عذابهما حد هما اذا اقيم عليهما طايفة نفر من المومنين قال النخعي ومجاهد اقله رجل
واحد لقوله تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا وقال عطا وعكرمة اثنان لقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم
طايفة وكل ثلاثة فرقة والخارج عن الثلاثة واحد او اثنان والاحتياط يوجب الاخذ بالاكثر وقال الزهري وقتادة
ثلاثة فصاعدا لان الطايفة هي الفرقة التي تكون حافة حول الشي وهذه الصورة اقل ما لا بد في حصولها الثلاثة وقال
ابن عباس انها اربعة عدد شهود الزنا وهو قول ابن مالك وابن زيد وقال الحسن البصري عشرة لانها العدد الكامل
واعلم ان قوله وليشهد امر فظاهره للوجوب لكن الفقها قالوا يستحب حضور الجمع والمقصود من اعلان اقامة الحد
لما فيه من الردع ورفع التهمة وقيل اراد بالطايفة الشهود يجب حضورهم ليعلم بقاوهم على الشهادة وقال
الشافعي ومالك يجوز للامام ان يحضر رجمه وان لا يحضر وكذا الشهود لا يلزمهم الحضور وقال ابو حنيفة ان ثبت
بالبينة وجب على الشهود ان يبدوا بالرمي ثم الامام ثم الناس وان ثبت بالاقرار بدا الامام ثم الناس واحتج الشافعي
بان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم يحضر رجمهما واما التسمية عذابا فانه يدل على انه عقوبة ويجوز
ان يسمى عذابا لانه يمنع المعاودة كما يسمى نكالا لذلك قوله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا
زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين قرا ابو البرهشم وحرم مبنيا للفاعل مشددا وزيد بن علي حرم بزنة كرم
واختلفوا في معنى الاية وحكمها فقال مجاهد وعطا بن ابي رباح وقتادة والزهري والشعبي ورواية العوفي عن ابن عباس
قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقرا لا مال لهم ولا عشاير وبالمدينة نسا بغايا يكرين انفسهن وهن يومئذ اخصب اهل
المدينة فرغب ناس من فقرا المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه
الاية وحرم على المومنين ان يتزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات وقال عكرمة نزلت في نسا بمكة والمدينة منهن
تسع لهن رايات كرايات البيطار معروفة بها منهن ام مهزول جارية السايب بن ابي السايب المخزومي وكان الرجل ينكح
الزانية في الجاهلية يتخذها ماكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة فاستاذن رجل من المسلمين نبي الله صلى
الله عليه وسلم في نكاح ام مهزول واشترطت له ان تنفق عليه فانزل الله هذه الاية قوله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية
او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك ظاهره خبر ولبس الامر كذلك لان الزاني قد ينكح المومنة العفيفة والزانية
قد ينكحها المومن العفيف وايضا فقوله وحرم ذلك على المومنين ليس كذلك لان المومن يحل له التزوج بالمراة الزانية
فالجواب من وجوه احدها وهو احسنها ما قاله القفال ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الاعم الاغلب
لان الفاسق الخبيث الذي من شانه الزنا لا يرغب في نكاح المراة الصالحة وانما يرغب في نكاح فاسقة مثله او في مشركة
والفاسقة لا يرغب في نكاحها الرجل الصالح بل ينفر عنها وانما يرغب فيمن هو من جنسها من الفسقة والمشركين فهذا
على الاعم الاغلب كما يقال لا يفعل الخير الا الرجل التقي وقد يفعل الخير من ليس بتقي فكذا ههنا واما قوله وحرم ذلك على
المومنين فالجواب من وجهين الاول ان نكاح المومن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها محرم عليه
لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء المقالة فيه والغيبة ومجالسة الخطائين فيها
التعرض لاقتراف الاثام فكيف بمزاوجة الزواني والفجار والثاني ان صرف الرغبة بالكلية الى الزواني وترك الرغبة
في الصالحات محرم على المومنين لان قوله الزاني لا ينكح الا زانية معناه ان الزاني لا يرغب الا في زانية فهذا محرم على
المومنين ولا يلزم من حرمة هذا الحصر حرمة التزوج بالزانية فهذا هو المعتمد في تفسير الاية الوجه الثاني ان الالف
واللام في قوله الزاني وفي قوله المومنين وان كان للعموم ظاهرا لكنه مخصوص بالاقوام الذين نزلت فيهم كما قدمناه
انفا الوجه الثالث ان قوله الزاني لا ينكح الا زانية وان كان خبرا في الظاهر لكن المراد منه النهي والمعنى كل من كان
زانيا فلا ينبغي ان ينكح الا زانية وحرم ذلك على المومنين هكذا كان الحكم في ابتدا الاسلام وعلى الوجه ذكروا فيه
احد سوالين ذلك الحكم باق الى الان حتى يحرم على الزاني والزانية التزوج بالعفيفة والعفيف وبالعكس وهذا

ابي بكر وعمر وعلي وابن مسعود ثم في هؤلاء من يسوي بين الابتداء والدوام فيقول كما لا يحل للمؤمن ان يتزوج بالزانية فكذلك لا يحل له اذا زنت تحته ان يقيم عليها ومنهم من يفصل لان في جملة ما يمنع من التزويج ما لا يمنع من دوام النكاح كالاحرام والعدة والقول الثاني ان هذا الحكم صار منسوخا واختلفوا في ناسخه فقال الجبائي ان ناسخه هو الاجماع وعن سعيد بن المسيب انه منسوخ بعموم قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وانكحوا الايامى منكم قال المحققون هذان الوجهان ضعيفان اما قول الجبائي فلانه ثبت في اصول الفقه ان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به وايضا فالاجماع الحاصل عقيب الخلاف لا يكون حجة والاجماع في هذه المسئلة مسبوق بمخالفة ابي بكر وعمر وعلي فكيف يصح واما قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء فلا يصلح ان يكون ناسخا لانه لا بد من ان يشترط فيه ان لا يكون هناك مانع من النكاح من سبب او نسب او غيرهما ولقائل ان يقول لا يدخل فيه تزوج الزانية من المؤمنين كما لا يدخل فيه تزويجها من الاخ وابن الاخ وان للزنا تاثيرا في الفرقة ما ليس لغيره الا ترى انه اذا قذفها يفرق بينهما بالفرقة على بعض الوجوه ولا يجب مثل ذلك في سائر ما يوجب الحد ولان الزنا يورث العار ويورث في الفراش فساد ويخالف غيره واحتج من ادعى النسخ بان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امراتي لا ترد يد لامس قال طلقها قال اني احبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية فامسكها اذن وروي ان عمر ابن الخطاب ضرب رجلا وامراة في زنا وحرص ان يجمع بينهما فابى الغلام وبان ابن عباس سئل عن رجل زنا بامراة فهل له ان يتزوجها فاجازه ابن عباس وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال الوجه الرابع ان يحمل النكاح على الوطء والمعنى ان الزاني لا يطاوعه على الزنا الا زانية او مشركة وكذا الزانية وحرم ذلك على المؤمنين اي وحرم الزنا على المؤمنين وهذا تاويل ابي مسلم وهو قول سعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم ورواية الوالبي عن ابن عباس قال الزجاج وهذا التاويل فاسد من وجهين الاول انه ما ورد النكاح في كتاب الله الا بمعنى التزويج ولم يرد البتة بمعنى الوطء الثاني ان ذلك يخرج الكلام عن الفائدة لانا لو قلنا المراد ان الزاني لا يطا الا الزانية فالاشكال عائد لان الانرى الزاني قد يطا العفيفة حتى يتزوج بها ولو قلنا المراد ان الزاني لا يطا الا الزانية حين يكون وطيه زنا فهذا الكلام لا فائدة فيه فان قيل اي فرق بين قوله الزاني لا ينكح الا زانية وبين قوله الزانية لا ينكحها الا زان فالجواب ان الكلام الاول يدل على ان الزاني لا في نكاح الزانية بخلاف الزانية فقد ترغب في نكاح غير الزاني فلا جرم بين ذلك بالكلام الثاني فان قيل لما قدم الزانية على الزاني في اول السورة وههنا بالعكس فالجواب سبقت تلك الاية لعقوبتهما على جنايتهما فالمراة هي المادة في الزنا واما هنا فمسوقة لذكر النكاح والرجل الاصل فيه لانه هو الراغب الطالب قوله تعالى والذين يرمون المحصنات الاية هي كقوله الزانية والزاني فاجلدوا ويعود فيه ما تقدم بحاله وقوله المحصنات فيه وجهان احدهما ان المراد به النساء فقط وانما خصهن بالذكر لان قذفهن اشنع والثاني ان المراد بهن النساء والرجال وعلى هذا فيقال كيف غلب المؤنث على المذكر والجواب انه صفة لشيء محذوف يعم الرجال والنساء اي الانفس المحصنات وهو بعيد او نقول هو معطوف محذوف لفهم المعنى وللاجماع على ان حكمهم حكمهن اي والمحصنين قوله تعالى باربعة شهداء العامة على اضافة اسم العدد للمعدود وقرا ابو زرعة وعبد الله بن مسلم بالتنوين في العدد واستفصح الناس هذه القراءة حتى تجاوز بعضهم الحد كابن جني ففضلها على قراءة العامة قال لان المعدود متى كان صفة فالاجود الاتباع دون الاضافة تقول عندي ثلاثة ضاربون ويضعف ثلاثة ضاربين وهذا غلط لان الصفة التي جرت مجرى الاسماء تعطى حكمها فيضاف اليها العدد وشهداء من ذلك فانه كثر حذف موصوفه قال تعالى من كل امة بشهيد واستشهدوا شهيدين وتقول عندي ثلاثة اعبد وكل ذلك صفة في الاصل ونقل ابن عطية عن سيبويه انه لا يجيز تنوين العدد الا في شعر كما نقله عنه انما قال سيبويه ذلك في الاسماء نحو ثلاثة رجال واما الصفات ففيها التفصيل المتقدم وفي شهداء على هذه القراءة ثلاثة اوجه احدها انه تمييز وهذا فاسد لان من ثلاثة الى عشرة يضاف لمميزه ليس الا وغير ذلك ضرورة الثاني انه حال وهو ضعيف ايضا لمجيئها من النكرة من غير مخصص الثالث انها مجرورة نعتا لاربعة ولم تنصرف لالف التانيث

فصل ظاهر الاية لا يدل على الشيء الذي به رموا المحصنات وذكر الرمي لا يدل على الزنا اذ قد يرميها بسرقة او شرب خمر بل لا بد من قرينة دالة على التعيين واتفق العلماء على ان المراد الرمي بالزنا وفي دلالة الاية عليه وجوه الاول تقدم ذكر الزنا والثاني انه تعالى ذكر المحصنات وهن العفائف فدل ذلك على ان المراد رميها بضد العفاف الثالث قوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء يعني على صحة ما رموا به وكون الشهود اربعة من شروط الزنا الرابع الاجماع على انه لا يجب الحد بالرمي بغير الزنا فوجب ان يكون المراد هو الرمي بالزنا

فصل شروط الاحصان خمسة الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والعفة من الزنا حتى ان من زنا مرة اول بلوغه ثم تاب وحسنت حالته مدة عمره فقذفه قاذف لا حد عليه فان اقر المقذوف على نفسه بالزنا او اقام القاذف اربعة من الشهود على زناه سقط الحد عن القاذف لان الحد وجب للفرية وقد ثبت صدقه

فصل والفاظ القذف صريح وكناية وتعريض فالصريح ان يقول يا زانية او زنيت او زنا قبلك او دبرك فان قال زنا بدنك فقيل كناية لان حقيقة الزنا من الفرج والصحيح انه صريح لان الفعل يصدر بكل البدن والفرج آلة والكناية ان يقول يا فاسقة يا فاجرة يا خبيثة يا مؤاجرة يا ابن الحرام او لا ترد يد لامس فلا يكون قذفا الا بالنية وكذا لو قال العربي يا نبطي او بالعكس فان اراد القذف فهو قذف لام المقول له والا فلا فان قال عنيت نبطي الدار او اللسان وادعت ام المقول له ارادة القذف فالقول قوله مع يمينه والتعريض ليس بقذف وان نواه كقوله يا ابن الحلال اما انا فما زنيت وليست امي بزانية لان الاصل براءة الذمة فلا يجب بالشك والحد يدرا بالشبهات وقال مالك يجب فيه الحد وقال احمد واسحق هو قذف في حال الغضب دون الرضا

فصل اذا قذف شخصا واحدا مرارا فان اراد بالكل زنية واحدة وجب حد واحد فان قال الثاني بعد ما حد للاول عزر للثاني وان قذفه بزنائين مختلفين كقوله زنيت بزيد ثم قال زنيت بعمرو فقيل يتعدد اعتبارا باللفظ ولانه حق ادمي فلا يتداخل كالديون والصحيح انه يتداخل لانهما حدان من جنس واحد فتداخل كحدود الزنا ولو قذف زوجته مرارا فالصحيح انه يكتفي بلعان واحد سواء قلنا بتعدد الحد اولا وان قذف جماعة بكلمة واحدة فقيل حد واحد لان هلال بن امية قذف امراته بشريك بن سحماء فقال عليه السلام البينة او حد في ظهرك فلم يوجب على هلال الا حدا واحدا مع انه قذف زوجته بشريك وقيل لكل واحد حد وان كان بكلمات فلكل واحد حد

فصل اذا قذف الصبي او المجنون امراته او اجنبية فلا حد عليه ولا لعان لا في الحال ولا بعد البلوغ لقوله عليه السلام رفع القلم عن ثلاث ولكن يعزران للتاديب ان كان لهما تمييز والاخرس ان فهمت اشارته او كتابته وقذف بالاشارة او بالكتابة لزمه الحد وكذلك يصح لعانه بالاشارة والكتابة واما العبد اذا قذف الحر فقيل يلزمه نصف الحد وقيل الحد كله واما الكافر اذا قذف المسلم فعليه الحد لدخوله في عموم الاية وان كان المقذوف غير محصن لم يجب الحد بل يوجب التعزير الا ان يكون المقذوف معترفا بما قذف به فلا حد هناك ولا تعزير قوله تعالى ثم لم ياتوا باربعة شهداء اي يشهدون على زناهن فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون قوله واولئك هم الفاسقون يجوز ان تكون هذه جملة مستانفة وهو الاظهر وجوز ابو البقاء فيها ان تكون حالا وقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم اعلم ان في هذا الاستثناء خلافا هل يعود لما تقدمه من الجمل ام الى الجملة الاخيرة فقط وتكلم عليها من النحاة ابن مالك والمهابادي فاختار ابن مالك عوده الى الجملة المتقدمة والمهابادي الى الاخيرة وقال الزمخشري رد شهادة القاذف معلق عند ابي حنيفة رحمه الله باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته فاذا استوفي لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعي رحمه الله تتعلق شهادته بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان يرجع عنه عاد مقبول الشهادة عقيب وكلاهما متمسك بالاية فابو حنيفة رحمه الله جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التابيد وكانوا مردودي الشهادة عنده في ابدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله واولئك هم الفاسقون كلاما مستانفا غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية والا الذين تابوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله فان الله غفور رحيم والشافعي رحمه الله جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الاية الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية انتهى واعلم ان الاعراب متوقف على ذكر الحكم ومحل المستثنى فيه ثلاثة اوجه احدها انه منصوب على اصل الاستثناء والثاني انه مجرور بدلا من الضمير في لهم وقد اوضح الزمخشري ذلك بقوله وحق المستثنى عنده اي الشافعي ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الاية ونظمها ان تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين قال ابو حيان وليس ظاهر الاية يقتضي عود الاستثناء الى الجمل الثلاث بل الظاهر هو ما يعضده كلام العرب وهو الرجوع الى الجملة التي تليها والوجه الثالث انه مرفوع بالابتداء وخبره الجملة من قوله فان الله غفور رحيم واعترض بخلوها من رابط واجيب بانه محذوف اي غفور لهم واختلفوا ايضا في هذا الاستثناء هل هو متصل او منقطع والثاني ضعيف جدا

فصل الاقرار بالزنا يثبت بشهادة رجلين بخلاف فعل الزنا لان الفعل يعسر الاطلاع عليه وقيل لا يثبت الا باربعة كفعل الزنا

فصل اذا شهدوا على فعل الزنا يجب ان يذكروا الزاني والمزني بها لانه قد يراه على جارية ابنه فيظن انه زنا ويجب ان يشهدوا انا راينا ذكره يدخل في فرجها دخول الميل في المكحلة فلو شهدوا مطلقا انه زنا لم يثبت بخلاف ما لو قذف انسانا وقال زنيت يجب الحد ولا يستفسر ولو اقر على نفسه بالزنا فقيل يجب ان يستفسر كالشهود وقيل لا يجب كما في القذف

فصل لا فرق بين ان يجيء الشهود

مجتمعين او متفرقين، وقال ابو حنيفة اذا شهدوا متفرقين لا يثبت وعليهم حد القذف، وجه الاول ان الاتيان باربعة
شهدا قدر مشترك بين الاتيان بهم مجتمعين ومتفرقين وايضا فكل حكم ثبت بشهادة الشهود اذا جاؤا مجتمعين ثبت
اذا جاؤا متفرقين كسائر الاحكام بل هذا اولى لان مجيهم متفرقين ابعد من التهمة ومن تلقين بعضهم من بعض وكذلك
اذا وقعت ريبة للقاضي في شهادة الشهود فرقهم، وايضا فانه لا يشترط ان يشهدوا معا في حالة واحدة بل اذا اجتمعوا
عند القاضي تقدم واحد بعد واحد ويشهد، وكذا اذا اجتمعوا على بابه يدخل واحد بعد واحد، واحتج ابو حنيفة بان
الشاهد الواحد لما شهد فقد قذفه ولم يات باربعة من الشهدا فيجب عليه الحد للاية اقصى ما في الباب انهم عبروا
عن القذف بلفظ الشهادة وذلك لا عبرة به لانه يودي الى اسقاط حد القذف راسا لان كل قاذف يمكن ان يقذف
بلفظ الشهادة ويتوسل بذلك الى اسقاط الحد عن نفسه ويحصل مقصوده وايضا فلان المغيرة بن شعبة شهد
عليه بالزنا اربعة عند عمر بن الخطاب ابو بكرة وشبل بن معبد ونافع ونفيع قال زياد وقال رايتهم رايت استا تنبو
ونفسا يعلو ورجلان على عاتقه كاذني حمار ولا ادري ما وراء ذلك فجلد عمر الثلاثة ولم يسال هل معهم شاهد اخر
فلو قبل بعد ذلك شهادة غيرهم لتوقف اذا الحد عليه **فصل** لو شهد على الزنا اقل من اربعة لم يثبت وهل يجب
حد القذف على الشهود فقيل يجب عليهم حد القذف لما تقدم اتفا، وقيل لا يجب لانهم جاؤا مجي الشهود ولانا لو حددنا
لانسد باب الشهادة على الزنا لان كل احد لا يامن ان لا يوافقه صاحبه فيلزمه الحد **فصل** لو اتى القاذف باربعة
فساق فشهدوا على المقذوف بالزنا، قال ابو حنيفة يسقط الحد عن القاذف ولا يجب الحد على الشهود، وقال الشافعي
في احد قوليه يحدون، واحتج ابو حنيفة بانه اتى باربعة شهدا فلا يلزمه الحد والفاسق من اهل الشهادة فقد
وجدت شرايط الشهادة الا انه لم تقبل شهادتهم للتهمة، واحتج الشافعي بانهم ليسوا من اهل الشهادة **قوله تعالى
فاجلدوهم ثمانين جلدة** وهذا خطاب للامام او لمن ملك او لرجل صالح اذا فقد الامام ويخص من هذا العموم صور الاول
الوالد اذا قذف ولده او ولد ولده وان سفل لا يجب عليه الحد كما لا يجب عليه القصاص بقتله، الثانية القاذف
اذا كان عبدا فالواجب جلد اربعين، وكذا المكاتب وام الولد ومن بعضه حر فقيل كالرقيق وقيل بالحساب، الثالثة
من قذف رقيقه او من زنت قديما ثم تابت وهي محصنة ولا يجب الحد بقذفهما **فصل** قالوا اشد الضرب في الحدود
ضرب حد الزنا ثم ضرب حد الخمر ثم ضرب القاذف لان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض
قال مالك والشافعي حد القذف يورث وكذلك اذا كان الواجب بقذفه التعزير يورث عنه، وقيل لا يورث الا ان
يطالب المقذوف قبل موته، فان قذف بعد موته ثبت لوارثه طلب الحد، وعند ابي حنيفة الحد لا يورث ويسقط بالموت
حجة الشافعي انه حق ادمي وجب ان يورث لقوله عليه السلام من مات عن حق فلورثته، وحجة ابي حنيفة لو كان يورث
لورثه الزوج والزوجة ولانه حق ليس فيه معنى المال فلا يورث كالوكالة والمضاربة واجيب بانا لا نسلم ان الزوج والزوجة
لا يرثانه وان سلم فالفرق بينهما ان الزوجية تنقطع بالموت ولان المقصود من الحد دفع العار عن النسب وذلك لا يلحق
الزوج والزوجة **فصل** اذا قذف انسانا بين يدي الحاكم او قذف امراته برجل بعينه والرجل غايب فعلى الحاكم
ان يبعث الى المقذوف ويخبره بان فلانا قذفك وثبت لك حد القذف عليه كما لو ثبت له مال على اخر وهو لا يعلم به
عليه اعلامه ولهذا بعث النبي صلى الله عليه وسلم انيسا ليخبرها ان فلانا قذفها بابنه ولم يبعثه ليتفحص عن زناها وليس
للامام اذا رمي رجل بزنا ان يبعث اليه يساله **قوله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا** قال اكثر الصحابة والتابعين
اذا تاب قبلت شهادته وهو قول الشافعي وقال ابو حنيفة واصحابه والثوري والحسن بن صالح لا تقبل شهادة المحدود
في القذف اذا تاب وادلة المذهبين مذكورة في كتب الفقه وههنا مبنية على الاستثنا هل يرجع الى الجملة الاخيرة
او الى كل الجمل المتقدمة فلذلك اختلف العلما في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثنا فذهب
قوم الى ان القاذف ترد شهادته بنفس القذف واذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته قبلت شهادته سوا
تاب بعد اقامة الحد عليه او قبله لقوله تعالى الا الذين تابوا وقالوا الاستثنا راجع الى الشهادة والى الفسق فبعد
التوبة تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروى ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطا
وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري وبه قال مالك
والشافعي لما روي ان عمر بن الخطاب ضرب الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة ثم قال فيهم من اكذب نفسه قبلت
شهادته فاكذب شبل ونافع انفسهما فكان تقبل شهادتهما، وذهب قوم الى ان شهادة المحدود في القذف لا تقبل ابدا
وان تاب وقالوا الاستثنا يرجع الى قوله واوليك هم الفاسقون وهو قول النخعي وشريح واصحاب الراي وقالوا بنفس
القذف ترد شهادته ما لم يحد، قال الشافعي هو قبل ان يحد شر منه حين يحد لان الحدود كفارات فكيف تردون
شهادته في احسن حالته وتقبلونها في شر حالته، وذهب الشعبي الى ان حد القذف يسقط بالتوبة وقالوا الاستثنا
يرجع الى الكل وعامة العلما على انه لا يسقط بالتوبة الا ان يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولا

يسقط بالتوبة **فان قيل** اذا قبلتم شهادته بعد التوبة فما معنى قوله ابدا، قيل معناه لا تقبل شهادته ابدا ما دام مصرا على قذفه
لان ابد كل انسان على ما يليق بحاله كما يقال لا تقبل شهادة الكافر ابدا يراد ما دام كافرا **فصل** اختلفوا في كيفية التوبة
بعد القذف فقيل التوبة منه اكذابه نفسه بان يقول كذبت فلا اعود الى مثله، وقيل لا يقول كذبت لانه ربما يكون
صادقا فيكون قوله كذبت كذبا والكذب معصية واتيان المعصية لا يكون توبة عن معصية اخرى بل يقول القذف
باطل ندمت على ما قلت ورجعت عنه ولا اعود اليه ولا بد من مضي مدة عليه بعد التوبة تحسن حالته فيها حتى تقبل
شهادته وقدر تلك المدة سنة حتى تمر عليه الفصول الاربعة التي تتغير فيها الاحوال والطباع كاجل العنين وقد علق
الشرع احكاما بالسنة من الزكاة والجزية وغيرهما وهذا معنى قوله واصلحوا ثم قال فان الله غفور رحيم اي يقبل التوبة
قوله تعالى والذين يرمون ازواجهم الاية لما ذكر احكام قذف الاجنبيات عقبه باحكام قذف الزوجات، قال ابن عباس
لما نزل قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا قال عاصم بن عدي الانصاري ان دخل الرجل منا
بيته فراى رجلا على بطن امراته فان جا باربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وان قتله
قتل به، وان قال وجدت فلانا مع تلك المراة ضرب وان سكت سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له
عويمر وله امراة يقال لها خولة بنت قيس فاتى عويمر عاصما فقال له لقد رايت شريك بن سحما على بطن امراتي خولة فاسترجع
عاصم واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما اسرع ما ابتليت بهذا في اهل بيتي فقال رسول الله
وما ذاك فقال اخبرني عويمر ابن عمي انه راى شريك بن سحما على بطن امراته خولة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بهم جميعا فقال لعويمر اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها فقال يا رسول الله تالله لقد رايت شريكا على بطنها
واني ما قربتها منذ اربعة اشهر وانها حبلى من غيري فقال لها رسول الله اتقي الله ولا تخبري الا بما صنعت فقالت
يا رسول الله ان عويمر رجل غيور وانه راى شريكا يطيل النظر ويتحدث فحملته الغيرة على ما قال فانزل الله هذه
الاية فامر رسول الله بان يوذن الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم وقل اشهد بالله ان خولة لزانية
واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية اشهد اني رايت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة اشهد
بالله انها حبلى من غيري واني لمن الصادقين، ثم قال في الرابعة قل اشهد بالله انها زانية واني ما قربتها منذ اربعة
اشهر واني لمن الصادقين، ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين ثم قال اقعد
وقال لخولة قومي فقامت وقالت اشهد بالله ما انا بزانية وان زوجي لمن الكاذبين، وقالت في الثانية اشهد
بالله ما راى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين، وقالت في الثالثة اشهد بالله ما انا حبلى منه وانه لمن الكاذبين وقالت
في الرابعة اشهد بالله انه ما راني على فاحشة قط وانه من الكاذبين، وقالت في الخامسة غضب الله على خولة ان كان
عويمر من الصادقين في قوله ففرق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما، وفي رواية عكرمة عن ابن عباس ان هلال
بن امية قذف امراته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحما فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة والا حد في ظهرك
فقال يا رسول الله اذا راى احدنا على امراته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة
والا حد في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لمن الصادقين ولينزلن الله ما يبري ظهري من الحد فنزل
جبريل عليه السلام فانزل عليه والذين يرمون ازواجهم فقرا حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليهما فجا هلال فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعلم ان
احدكما كاذب فهل منكما تايب ثم قامت فشهدت فلما كان عند الخامسة وقفوها وقالوا انها موجبة قال ابن عباس
فتلكات ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا افضح قومي ساير اليوم فمضت وقال النبي صلى الله عليه وسلم ابصروها
فان جاءت به اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحما فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لولا ما مضى من كتاب الله عز وجل لكان لي ولها شان، وفي رواية عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت والذين
يرمون المحصنات الاية قال سعد بن عبادة لو اتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي ان اهيجه حتى اتي باربعة
شهدا فوالله ما كنت لاتي باربعة شهدا حتى يفرغ من حاجته ويذهب وان قلت ما رايت ان في ظهري لثمانين
جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه
فانه رجل غيور ما تزوج امراة قط الا بكرا ولا طلق امراة له فاجترا رجل منا ان يتزوجها قال سعد يا رسول الله
بابي انت وامي والله اني لاعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك فقال عليه السلام فان الله يابى الا ذلك
فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جا ابن عم له يقال له هلال بن امية من حديقة له
وهو احد الثلاثة الذين تاب الله عليهم فراى رجلا مع امراته يزني بها فامسك حتى اصبح فلما اصبح غدا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع اصحابه فقال يا رسول الله اني جيت اهلي عشا فوجدت رجلا مع
امراتي رايت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به وثقل عليه حتى عرف ذلك

وشهد فقال هلال والله يا رسول الله اني لارى الكراهة في وجهك مما اتيتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا
واني لارجو ان يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا
بما قال سعد يجلد هلال وتبطل شهادته فانهم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يامر بضربه
اذ انزل عليه الوحي فامسك اصحابه عن كلامه حين عرفوا ان الوحي قد نزل حتى فرغ فانزل الله والذين يرمون
ازواجهم الى اخر الايات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر يا هلال فان الله قد جعل لك فرجا فقال
قد كنت ارجو ذلك من الله عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها فجاءت فكذبت هلالا فقال
عليه السلام ان احدكما كاذب فهل منكما تائب وامر بالملاعنة وشهد هلال اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين
فقال عليه السلام له عند الخامسة اتق الله يا هلال فان عذاب الدنيا اهون من عذاب الاخرة فقال والله
لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله وشهد الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدي فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ثم قال لها عند
الخامسة ووقفها اتقي الله فانها الخامسة الموجبة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس فتلكأت ساعة وهمت
بالاعتراف ثم قالت والله لا افضح قومي فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه فجاءت به غلاما اورق على الشبه
المكروه وكان بعد اميرا بمصر ولا يدرى من ابوه **فصل** اذا رمى الرجل امرأته بالزنا يجب عليه الحد ان كانت
محصنة والتعزير ان لم تكن محصنة كما في رمي الاجنبي الا ان قذف الاجنبي لا يسقط الحد عن القاذف الا باقرار
المقذوف او ببينة اربعة يشهدوا على الزنا وفي قذف الزوجة يسقط الحد عنه باحد هذين الامرين وباللعان
وانما اعتبر الشارع اللعان في الزوجات دون الاجنبيات لانه لا معرة عليه في زنا الاجنبية والاولى له
ستره واما في الزوجة فيلحقه العار والنسب الفاسد فلا يمكنه الصبر عليه **فصل** اذا قذف زوجته
ونكل عن اللعان لزمه حد القذف فاذا لاعن ونكلت عن اللعان لزمها حد الزنا وقال ابو حنيفة يحبس
الناكل منهما حتى يلاعن حجة القول الاول قوله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء
فاجلدوهم ثمانين جلدة ثم عطف عليه حكم الازواج فقال والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا
انفسهم الاية فكما ان مقتضى قذف الاجنبيات الاتيان بالشهود او الجلد فكذا موجب قذف الزوجات الاتيان باللعان او الحد
وايضا قوله ويدرأ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات والالف واللام في العذاب للمعهود السابق وهو الحد ولانه ليس
للعموم لانه لم يجب عليها جميع انواع العذاب ومما يدل على بطلان الحبس في حق المرأة ان تقول ان كان الرجل صادقا
فحدوني وان كان كاذبا فخلوني وليس حبسي في كتاب الله وسنة رسوله ولا الاجماع ولا القياس واحتج ابو حنيفة بان
المرأة ما فعلت سوى انها تركت اللعان وهذا الترك ليس بينة على الزنا ولا اقرارا منها به فوجب ان لا يجوز رجمها لقوله
عليه السلام لا يحل دم امرئ مسلم الحديث واذا لم يجب الرجم اذا كانت محصنة لم يجب الجلد في غير المحصن لانه لا قائل بالفرق
وايضا فالنكول ليس بصريح الاقرار فلم يجز اثبات الحد به كاللفظ المحتمل للزنا ولغيره **فصل** من صح يمينه صح لعانه
فيجري اللعان بين الرقيقين والذميين والمحدودين وكذا اذا كان احدهما رقيقا او كان الزوج مسلما والمرأة ذمية
فصل اللعان شهادة فوجب ان لا يصح الا من اهل الشهادة وانما قلنا اللعان شهادة لقوله تعالى ولم يكن لهم
شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات فسمى اللعان شهادة كقوله واستشهدوا شهيدين ولان النبي
صلى الله عليه وسلم امرهما باللعان بلفظ الشهادة ولم يقتصر على لفظ اليمين واذا ثبت ان اللعان شهادة وجب
ان لا يقبل من المحدودين في القذف لقوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واذا ثبت ذلك في المحدود ثبت في العبد والكافر
اما الاجماع على انهما ليسا من اهل الشهادة او لانه لا قائل بالفرق والجواب ان اللعان ليس شهادة في الحقيقة بل هو
يمين مخصوصة لانه لا يجوز ان يشهد الانسان لنفسه ولانه لو كان شهادة لكانت المرأة تأتي بثمان شهادات
لانها على النصف من الرجل ولانه يصح من الاعمى والفاسق ولا يجوز شهادتهما فان قيل الفاسق والفاسقة قد يتوبان
قلنا وكذلك العبد قد يعتق فيجوز شهادته **فصل** قال عثمان البتي اذا تلاعن الزوجان لم تقع الفرقة لان اللعان
ليس بصريح ولا كناية عن الفرقة فلا يفيد الفرقة كسائر الاقوال التي لا اشعار لها بالفرقة ولان اكثر ما فيه ان يكون
الزوج صادقا في قوله وهذا لا يوجب تحريما الا ترى انه لو قامت البينة عليها لم يوجب ذلك تحريما فاذا كان كاذبا
والمرأة صادقة فاولى ان لا يوجب تحريما وايضا لو تلاعنا فيما بينهما لم يوجب الفرقة فكذا عند الحاكم وايضا
فاللعان قائم مقام الشهود في قذف الاجنبيات فكما لا فائدة في احضار الشهود هناك الا اسقاط الحد فكذا اللعان
لا تاثير له الا اسقاط الحد وايضا فلو اكذب الزوج نفسه في قذفها … لم يوجب ذلك فرقة فكذا اذا لاعن

لان اللعان قائم مقام الحد واما انه فرق النبي صلى الله عليه وسلم في قصة العجلاني وكان قد طلقها ثلاثا بعد اللعان فلذلك
فرق بينهما وقال اصحاب الراي لا تقع الفرقة بفراغهما من اللعان حتى يفرق الحاكم بينهما لما روى سهل بن سعد في قصة
العجلاني مضت السنة في المتلاعنين ان يفرق بينهما ولان في قصة عويمر انهما لما فرغا قال كذبت عليها ان امسكتها
هي طالق ثلاثا فطلقها ثلاثا قبل ان يامرها ولو وقعت الفرقة باللعان لبطل قوله كذبت عليها ان امسكتها لان امساكها
غير ممكن ولان اللعان شهادة لا يثبت حكمه الا عند الحاكم فوجب ان لا يوجب الفرقة الا بحكم الحاكم وقال مالك
والليث وزفر اذا فرغا من اللعان وقعت الفرقة وان لم يفرق الحاكم بينهما لانهما لو تراضيا على البقاء على النكاح لم يخليا
بل فرق بينهما فدل على ان اللعان قد اوجب الفرقة وقال الشافعي اذا اكمل الزوج الشهادة فقد زال فراش امرأته ولا
تحل له ابدا لقوله تعالى ويدرأ عنها العذاب الاية فدل هذا على انه لا تاثير للعان المرأة الا في دفع العذاب عن نفسها
وان كل ما يجب باللعان من الاحكام فقد وقع بلعان الزوج ولان لعان الزوج مستقل بنفي الولد فوجب ان يكون
الاعتبار بقوله في الالحاق لا بقولها **فصل** في كيفية اللعان وهو مذكور في الاية صريحا قال العلماء يقام الرجل
حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة حتى تشهد والرجل قاعد ويامر الامام من يضع يده على فيه عند الانتهاء الى اللعنة
والغضب ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ويكون اللعان عند الحاكم قال كان بمكة كان بين المقام والركن وان كان بالمدينة
عند المنبر وببيت المقدس في مسجده وفي المواضع المعظمة ولعان المشرك واما في الزمان فيوم الجمعة بعد العصر ولا
بد من حضور جماعة واقلهم اربعة **فصل** معنى الاية والذين يرمون ازواجهم اي يقذفون نساءهم ولم يكن لهم
شهداء يشهدون على صحة ما قالوا الا انفسهم اي غير انفسهم بشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين **قوله
تعالى ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم** في رفع انفسهم وجهان احدهما انه بدل من شهداء ولم يذكر الزمخشري في غضون
كلامه غيره والثاني انه نعت له على ان الا بمعنى غير قال ابو البقاء ولو قرئ بالنصب لجاز على ان يكون خبر كان او منصوبا
على الاستثناء وانما كان الرفع هنا اقوى لان الا هنا صفة للنكرة كما ذكرنا في سورة الانبياء قال شهاب الدين وعلى قراءة الرفع
يحتمل ان تكون كان ناقصة وخبرها الجار وان تكون تامة اي ولم يوجد لهم شهداء وقرأ العامة يكن بالياء من تحت وهو
الفصيح لانه اذا اسند الفعل الى ما بعد الا على سبيل التفريغ وجب عند بعضهم التذكير في الفعل نحو ما قام الا هند ولا يجوز
ما قامت الا في ضرورة كقوله وما بقيت الا الضلوع الجراشع او في شذوذ كقراءة الحسن لا ترى الا مساكنهم وقرئ ولم
تكن بالتاء من فوق وقد عرف ما فيه **قوله تعالى فشهادة احدهم** في رفعها ثلاثة اوجه احدها ان يكون مبتدأ وخبره
مقدر التقدير اي فعليهم شهادة او مؤخر اي فشهادة احدهم كافية او واجبة الثاني ان يكون خبر مبتدأ مضمر اي
فالواجب شهادة احدهم الثالث ان يكون فاعلا بفعل مقدر اي فيكفي والمصدر هنا مضاف للفاعل وقرأ العامة
اربع شهادات بالنصب على المصدر والعامل فيه شهادة فالناصب للمصدر مصدر مثله كما تقدم في قوله فان جهنم
جزاؤكم جزاء موفورا وقرأ الاخوان وحفص برفع اربع على انها خبر المبتدأ وهو قوله فشهادة ويتخرج على القراءتين تعلق الجار في قوله
بالله فعلى قراءة النصب يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها ان يتعلق بشهادات لانه اقرب اليه والثاني انه متعلق بقوله
فشهادة اي فشهادة احدهم بالله ولا يضر الفصل باربع لانها معمولة للمصدر فليست اجنبية الثالث ان المسألة من
باب التنازع فان كلا من شهادة وشهادات يطلبه من حيث المعنى وتكون المسألة من اعمال الثاني للحذف من الاول
وهو مختار البصريين وعلى قراءة الرفع يتعين تعلقه بشهادات اذ لو علقت بشهادة لزم الفصل بين المصدر ومعموله
بالخبر ولا يجوز لانه اجنبي ولم يختلف في اربع الثانية وهي قوله ان تشهد اربع شهادات انها منصوبة للتصريح بالعامل
فيها وهو الفعل **قوله تعالى والخامسة** اتفق السبعة على رفع الخامسة الاولى واختلفوا في الثانية فنصبها حفص ونصبهما
معا الحسن والسلمي وطلحة والاعمش فالرفع على الابتداء وما بعده من ان وما في خبرها الخبر واما نصب الاولى فعلى قراءة
من نصب اربع شهادات يكون النصب للعطف على المنصوب قبلها وعلى قراءة من رفع يكون النصب بفعل مقدر اي ويشهد
الخامسة واما نصب الثانية فعطف على ما قبلها من المنصوب وهو اربع شهادات والنصب هنا اقوى منه في الاولى لقوة
النصب فيما قبلها كما تقدم تقريره ولذلك لم يختلف فيه واما ان وما في خبرها فعلى قراءة الرفع تكون في محل رفع خبرا
للمبتدأ كما تقدم وعلى قراءة النصب يكون على اسقاط الخافض ويتعلق الخافض بذلك الناصب للخامسة اي ويشهد الخامسة
بان لعنة الله وبان غضب الله وجوز ابو البقاء ان يكون بدلا من الخامسة **قوله تعالى ان لعنة عليه** قرأ العامة بتشديد
ان في الموضعين وقرأ نافع بتخفيفها في الموضعين الا انه يقرأ غضب الله بجعل غضب فعلا ماضيا والجلالة فاعله
كذا نقل ابو حيان عنه التخفيف في الاولى ايضا ولم ينقله غيره فعلى قراءته يكون اسمها ضمير الشان في الموضعين
ولعنة الله مبتدأ وعليه خبرها والجملة خبر ان وفي الثانية يكون غضب الله جملة فعلية في محل خبر ان ايضا ولكنه
يقال يلزم منكم احد امرين وهو اما عدم الفصل بين المخففة وبين الفعل الواقع خبرا واما وقوع الطلب خبرا في هذا
الباب وهو ممتنع تقرير ذلك ان خبر المخففة متى كان فعلا متصرفا غير مقرون بقد وجب الفصل بينهما بما تقدم في

سورة المائدة فان اجيب بانه دعا اعتراض بان الدعا طلب وقد نصوا على ان الجملة الطلبية لا تقع خبرا الا حتى تاولوا قوله
ان الرياضة لا تنصبك للسبب، وقوله ان الذين قتلتم امس سيدهم لا تحسبوا الحق ليلهم عن ليلكم ناما على اضمار
القول ومثله ان بورك من في النار، وقراءة الحسن وابو رجاء وقتادة والسلمي وعيسى بتخفيف ان وغضب الله بالرفع
على الابتداء والجار بعده خبره والجملة خبر ان، وقال ابن عطية وان الخفيفة على قراءة الرفع في قوله ان غضب قد
وليها الفعل قال ابو علي واهل العربية يستقبحون ان يليها الفعل الا ان يفصل بينها وبينه بشي نحو قوله علم ان سيكون
افلا يرون الا يرجع، فاما قوله وان ليس للانسان فذلك لعلة تمكن ليس في الافعال، واما قوله ان بورك من في النار
فبورك في معنى الدعا فلم يجي دخول الفاصل لئلا تفسد المعنى فظاهر هذا ان غضب ليس دعا بل هو خبر عن غضب
الله عليها والظاهر انه دعا كما ان بورك كذلك وليس المعنى على الاخبار فيهما فاعتراض ابي علي وابي محمد ليس بمرضي قوله
تعالى ولولا فضل الله جواب لولا محذوف اي لهلكتم او لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ورفع عنكم الحد باللعان
وان الله تواب يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة حكيم فيما فرض من الحدود قوله تعالى ان الذين جاءو بالافك
عصبة منكم الاية في خبر ان وجهان، احدهما انه عصبة ومنكم صفته قال ابو البقا وبه افاد الخبر، والثاني ان
الخبر الجملة من قوله لا تحسبوه ويكون عصبة بدلا من فاعل جاءو، قال ابن عطية التقدير ان فعل الذين وهذا
انسق في المعنى واكثر فائدة من ان يكون عصبة خبر ان كذا اورده عنه ابو حيان غير معترض عليه والاعتراض عليه
واضح من حيث انه اوقع خبر ان جملة طلبية وقد تقدم انه لا يجوز وان ورد منه شي اول كالبيتين المتقدم مبين
وتقدير ابن عطية على الافك لئلا تخلو الجملة من رابط يربطها بالمبتدا وفي قول غيره يجوز ان يعود على الافك او على القذف
او على المصدر المفهوم من جاءو او على ما نال المسلمين من الغم فصل سبب نزول هذه الاية ما روى الزهري
عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن ابي وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود كلهم رووا عن
عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه
قالت فاقرع بيننا في غزوة غزاها قبل بني المصطلق فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول
اية الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة
قافلين نزل منزلا ثم اذن بالرحيل فقمت حين اذنوا ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي
فلمست صدري فاذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت والتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط
الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون اني فيه لخفتي وكان النساء اذ ذاك خفافا
لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما ياكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت
جارية حديثة السن فظنوا اني في الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم
وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت انهم سيفقدوني ويعودون في طلبي فبينا
انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش يتبع امتعة الناس يحمله الى
المنزل الاخر لئلا يذهب شي فلما راني عرفني وكان راني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطئ على
يديها فقمت اليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدني الناس
حتى نزلوا وماج الناس في ذكري فبينا الناس كذلك اذ هجمت عليهم فتكلم القوم وخاضوا في حديثي قالت فهلك من هلك
وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله بن ابي بن سلول قال عروة لم يسم من اهل الافك الا حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة
وحمنة بنت جحش في اناس اخرين لا علم لي بهم غير انهم عصبة كما قال الله عز وجل، قال عروة وكانت عائشة تكره ان يسب عندها
حسان وتقول انه هو الذي قال، فان ابي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء، قالت عائشة وقدم رسول الله المدينة
ولم ار منه عليه السلام من اللطف الذي كنت اعرف منه والناس يفيضون في قول اصحاب الافك ولا اشعر بشي من ذلك
فاشتكيت حين قدمت شهرا وهو يريبني في وجعي اني لا ارى من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه
حين اشتكي انما يدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك يريبني ولا اشعر بالشر
حتى خرجت حين نقهت فخرجت مع ام مسطح قبل المناصع وكانت متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف
قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول في البرية قبل الغائط فكنا نتاذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا قالت فانطلقت
انا وام مسطح وهي بنت ابي رهم بن المطلب بن عبد مناف وامها ابنة صخر بن عامر خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه
وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت
اي هنتاه اولم تسمعي ما قال فقلت وما قال فاخبرتني بقول اهل الافك وقالت اشهد بالله انك من المومنات الغافلات
فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له ائذن لي
ان اتي ابوي قالت واريد ان استيقن الخبر من قبلهما قالت فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامي يا امتاه

ماذا يتحدث الناس فقالت يا بنية هوني عليك فوالله لقل ما كانت امراة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا كثرن عليها
فقالت سبحان الله او لقد تحدث الناس بهذا فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم فدخل علي ابي وانا
ابكي فقال لامي ما يبكيها قالت لم تكن علمت ما قيل فيها فاقبل يبكي قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي
طالب واسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسالهما ويستشيرهما في فراق اهله فقال اسامة يا رسول الله هم اهلك
ولا نعلم الا خيرا واما علي فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بريرة فقال اي بريرة هل رايت من شي يريبك قالت له بريرة والذي بعثك بالحق نبيا ما رايت عليها امرا قط
اغمصه اكثر من انها جارية حديثة السن تنام على عجين اهلها فياتي الداجن فياكله قالت فقام نبي الله خطيبا على المنبر
فقال يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ اذاه في اهلي يعني عبد الله بن ابي فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا
ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي فقام سعد بن معاذ اخو بني عبد الاشهل فقال
انا يا رسول الله اعذرك فان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا الخزرج فامرتنا فعلناه فقام سعد
ابن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن اخذته الحمية وكانت ام حسان بنت عمه من فخذه فقال لسعد
ابن معاذ كذبت لعمر الله لا تقدر على قتله فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن معاذ كذبت
لعمر الله لنقتلنه وانك لمنافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى
الله عليه وسلم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا قالت فبكيت يومي ذلك كله وليلتي لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم فاصبح
ابواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى اني لاظن ان البكاء فالق كبدي فبينا ابواي جالسان عندي وانا ابكي فاستاذنت
علي امراة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فبينا نحن على ذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فسلم
ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شاني بشي فتشهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد يا عائشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت الممت
بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما احس منه قطرة فقلت لابي اجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال
فقال والله لا ادري ما اقول لرسول الله فقلت لامي اجيبي رسول الله فقالت اني والله لا ادري ما اقول لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت وانا جارية حديثة السن لا اقرا من القران كثيرا اني والله لقد علمت انكم قد سمعتم هذا الحديث
حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم اني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم اني منه
بريئة لتصدقني فوالله لا اجد لي ولكم مثلا الا ابا يوسف حين قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم
تحولت واضطجعت على فراشي وانا اعلم والله يعلم اني حينئذ بريئة وان الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت اظن ان الله
منزل في شاني وحيا يتلى ولشاني في نفسي كان احقر من ان يتكلم الله في بامر ولكن كنت ارجو ان يرى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها فوالله ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه ولا خرج من
اهل البيت احد حتى انزل الله على نبيه فاخذه ما كان ياخذه من البرحاء عند الوحي حتى انه ليتحدر عنه العرق مثل الجمان
في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي انزل عليه قالت   عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك وكان
اول كلمة تكلم بها ان قال يا عائشة اما والله فقد براك الله قالت فقالت لي امي قومي اليه فقلت والله لا اقوم اليه
فاني لا احمد الا الله قالت وانزل الله ان الذين جاءو بالافك عصبة منكم العشر ايات فقال ابو بكر والله لا انفق على
مسطح بعدها وكان ينفق عليه لقرابته منه فانزل الله ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور رحيم
فلما سمع ابو بكر قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم قال ابو بكر والله اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى النفقة
على مسطح وقال والله لا انزعها منه ابدا قالت فلما نزل عذري قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك
وتلا القران فلما نزل ضرب عبد الله بن ابي ومسطحا وحسان وحمنة الحد فصل الافك ابلغ ما يكون من الكذب
والافتراء وهو اسوا الكذب وسمي افكا لكونه مصروفا عن الحق من قولهم افك الشي اذا قلبه عن وجهه وقيل هو البهتان
واجمع المسلمون على ان المراد ما افك به على عائشة وانما وصف الله ذلك الكذب بكونه افكا لان المعروف من حال
عائشة خلافه وذلك من وجوه، الاول ان كونها زوجة المعصوم يمنع ذلك لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم
ويستعطفوهم فيجب ان لا يكون معهم ما ينفر عنهم وكون زوجة الانسان مسافحة من اعظم المنفرات فان قيل
كيف جاز ان تكون امراة الرسول كافرة كامراة نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة وايضا فلو لم يجز لكان الرسول
اعرف الناس بامتناعه ولو عرف ذلك لما ضاق ولم سال عائشة عن كيفية الواقعة فالجواب عن الاول
ان الكفر ليس من المنفرات بخلاف الفجور فانه من المنفرات، والجواب عن الثاني انه عليه السلام كثيرا ما يكون
يضيق قلبه من اقوال الكفار مع علمه بفساد ذلك كما قال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فهذا

سورة المائدة فان اجيب بانه دعاء اعتراض فان الدعاء طلب وقد نصوا على ان الجملة الطلبية لا تقع خبرا الا حتى تاولوا قوله
ان الرياضة لا تنصبك للشيب وقوله ان الذين قتلتم امس سيدهم لا تحسبوا الليل ليلهم عن ليلكم ناما على اضمار
القول ومثله ان بورك من في النار وقرأ الحسن وابو رجاء وقتادة والسلمي وعيسى بتخفيف ان وغضب الله بالرفع
على الابتداء والجار بعده خبره والجملة خبر ان وقال ابن عطية وان الخفيفة على قراءة الرفع في قوله ان غضب قد
وليها الفعل قال ابو علي واهل العربية يستقبحون ان يليها الفعل الا ان يفصل بينها وبينه بشيء نحو قوله علم ان سيكون
افلا يرون ان لا يرجع فاما قوله وان ليس للانسان فذلك لعلة تمكن ليس في الافعال واما قوله ان بورك من في النار
فبورك في معنى الدعاء فلم يجئ دخول الفاصل لئلا تفسد المعنى فظاهر هذا ان غضب ليس دعاء بل هو خبر عن غضب
الله عليها والظاهر انه دعاء كما ان بورك كذلك وليس المعنى على الاخبار فيهما فاعتراض ابي علي وابي محمد ليس بمرضي قوله
تعالى ولولا فضل الله جواب لولا محذوف اي لهلكتم او لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ورفع عنكم الحد باللعان
وان الله تواب يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة حكيم فيما فرض من الحدود قوله تعالى ان الذين جاؤا بالافك
عصبة منكم الاية في خبر ان وجهان احدهما انه عصبة ومنكم صفته قال ابو البقاء وبه افاد الخبر والثاني ان
الخبر الجملة من قوله لا تحسبوه ويكون عصبة بدلا من فاعل جاؤا قال ابن عطية التقدير ان فعل الذين وهذا
انسق في المعنى واكثر فائدة من ان يكون عصبة خبر ان كذا اورده عنه ابو حيان غير معترض عليه والاعتراض عليه
واضح من حيث انه اوقع خبر ان جملة طلبية وقد تقدم انه لا يجوز وان ورد منه شيء اول كالبيتين المتقدمين
وتقدير ابن عطية على الافك لئلا تخلو الجملة من رابط يربطها بالمبتدأ وفي قول غيره يجوز ان يعود على الافك او على القذف
او على المصدر المفهوم من جاؤا او على ما نال المسلمين من الغم فصل سبب نزول هذه الاية ما روى الزهري
عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن ابي وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود كلهم رووا عن
عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه
قالت فاقرع بيننا في غزوة غزاها قبل بني المصطلق فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول
اية الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل دنونا من المدينة
قافلين نزل منزلا ثم اذن بالرحيل فقمت حين اذنوا ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي
فلمست صدري فاذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت والتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط
الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون اني فيه لخفتي وكان النساء اذ ذاك خفافا
لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما ياكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت
جارية حديثة السن فظنوا اني في الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم
وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت انهم سيفقدوني ويعودون في طلبي فبينا
انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش يتتبع امتعة الناس يحمله الى
المنزل الاخر لئلا يذهب شيء فلما راني عرفني وكان راني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطئ على
يديها فقمت اليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدني الناس
حتى نزلوا وماج الناس في ذكري فبينا الناس كذلك اذ هجمت عليهم فتكلم القوم وخاضوا في حديثي قالت فهلك من هلك
وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله بن ابي بن سلول قال عروة لم يسم من اهل الافك الا حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة
وحمنة بنت جحش في اناس اخرين لا علم لي بهم غير انهم عصبة كما قال الله عز وجل قال عروة وكانت عايشة تكره ان يسب عندها
حسان وتقول انه هو الذي قال فان ابي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء قالت عايشة وقدم رسول الله المدينة
ولم ار منه عليه السلام من اللطف الذي كنت اعرف منه والناس يفيضون في قول اصحاب الافك ولا اشعر بشيء من ذلك
فاشتكيت حين قدمت شهرا وهو يريبني في وجعي اني لا ارى من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه
حين اشتكي انما يدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك يريبني ولا اشعر بالشر
حتى خرجت حين نقهت فخرجت مع ام مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف
قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول في البرية قبل الغائط فكنا نتاذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا قالت فانطلقت
انا وام مسطح وهي بنت ابي رهم بن المطلب بن عبد مناف وامها ابنة صخر بن عامر خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه
وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت
اي هنتاه او لم تسمعي ما قال فقلت وما قال فاخبرتني بقول اهل الافك وقالت اشهد بالله انك من المومنات الغافلات
فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له ائذن لي
ان اتي ابوي قالت واريد ان استيقن الخبر من قبلهما قالت فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامي يا امتاه

ماذا يتحدث الناس قالت يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امراة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا كثرن عليها
فقالت سبحان الله او لقد تحدث الناس بهذا فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم فدخل علي ابي وانا
ابكي فقال لامي ما يبكيها قالت لم تكن علمت ما قيل فيها فاقبل يبكي قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي
طالب واسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستاملهما ويستشيرهما في فراق اهله فقال اسامة يا رسول الله هم اهلك
ولا نعلم الا خيرا واما علي فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بريرة فقال اي بريرة هل رايت من شيء يريبك قالت له بريرة والذي بعثك بالحق نبيا ما رايت عليها امرا قط
اغمصه اكثر من انها جارية حديثة السن تنام على عجين اهلها فياتي الداجن فياكله قالت فقام نبي الله خطيبا على المنبر
فقال يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ اذاه في اهلي يعني عبد الله بن ابي فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا
ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي فقام سعد بن معاذ اخو بني عبد الاشهل فقال
انا يا رسول الله اعذرك فان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا الخزرج امرتنا ففعلنا امرك فقام سعد
ابن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن اخذته الحمية وكانت ام حسان بنت عمه من فخذه فقال لسعد
ابن معاذ كذبت لعمر الله لا تقدر على قتله فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت
لعمر الله لنقتلنه وانك لمنافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى
الله عليه وسلم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا قالت فبكيت يومي ذلك كله وليلتي لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم فاصبح
ابواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى اني لاظن ان البكاء فالق كبدي فبينا ابواي جالسان عندي وانا ابكي فاستاذنت
علي امراة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فبينا نحن على ذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فسلم
ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل في ما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شاني بشيء فتشهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد يا عايشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت الممت
بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما احس منه قطرة فقلت لابي اجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال
فقال والله لا ادري ما اقول لرسول الله فقلت لامي اجيبي رسول الله فقالت امي والله لا ادري ما اقول لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت وانا جارية حديثة السن لا اقرا من القران كثيرا اني والله لقد علمت انكم قد سمعتم هذا الحديث
حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم اني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم اني منه
بريئة لتصدقني فوالله لا اجد لي ولكم مثلا الا ابا يوسف حين قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم
تحولت واضطجعت على فراشي وانا اعلم والله يعلم اني حينئذ بريئة وان الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت اظن ان الله
منزل في شاني وحيا يتلى ولشاني في نفسي كان احقر من ان يتكلم الله في بامر ولكن كنت ارجو ان يرى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها فوالله ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه ولا خرج من
اهل البيت احد حتى انزل الله على نبيه فاخذه ما كان ياخذه من البرحاء عند الوحي حتى انه ليتحدر عنه العرق مثل الجمان
في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي انزل عليه قالت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك وكان
اول كلمة تكلم بها ان قال يا عايشة اما والله قد براك الله قالت فقالت لي امي قومي اليه فقلت والله لا اقوم اليه
فاني لا احمد الا الله قالت وانزل الله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر ايات فقال ابو بكر والله لا انفق على
مسطح بعدها وكان ينفق عليه لقرابته منه فانزل الله ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور رحيم
فلما سمع ابو بكر قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم قال ابو بكر والله اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى النفقة
على مسطح وقال والله لا انزعها منه ابدا قالت فلما نزل عذري قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك
وتلا القران فلما نزل ضرب عبد الله بن ابي ومسطح وحسان وحمنة الحد فصل الافك ابلغ ما يكون من الكذب
والافتراء وهو اسوا الكذب وسمي افكا لكونه مصروفا عن الحق من قولهم افك الشيء اذا قلبه عن وجهه فقيل هو البهتان
واجمع المسلمون على ان المراد ما افك به على عايشة وانما وصف الله ذلك الكذب بكونه افكا لان المعروف من حال
عايشة خلاف ذلك من وجوه الاول ان كونها زوجة المعصوم يمنع ذلك لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم
ويستعطفوهم فيجب ان لا يكون معهم ما ينفر عنهم وكون زوجة الانسان مسافحة من اعظم المنفرات فان قيل
كيف جاز ان تكون امراة الرسول كافرة كامراة نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة وايضا فلو لم يجز لكان الرسول
اعرف الناس بامتناعه ولو عرف ذلك لما ضاق قلبه ولما سال عايشة عن كيفية الواقعة فالجواب عن الاول
ان الكفر ليس من المنفرات بخلاف الفجور فانه من المنفرات والجواب عن الثاني انه عليه السلام كثيرا ما كان
يضيق قلبه من اقوال الكفار مع علمه بفساد ذلك كما قال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فكان

بن ذلك الثاني ان المعروف من عايشة قبل تلك الواقعة انما هو الصون والبعد عن مقدمات الفجور ومن كان كذلك
كان اللائق احسان الظن به الثالث ان القاذفين كانوا من المنافقين واتباعهم وكلام المفتري ضرب من الهذيان
فلمجموع هذه كان ذلك القول معلوم الفساد قبل نزول الوحي **فصل** العصبة قيل الجماعة من العشرة الى الاربعين
وكذلك العصابة وهم عبد الله بن ابي راس المنافقين وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة
بنت جحش ومن ساعدهم **قوله تعالى كبره** العامة على كسر الكاف وضمها في قراءة الحسن والزهري وابو رجاء وابو
البرهسم وابن ابي عبلة ومجاهد وعمرة بنت عبد الرحمن ورويت ايضا عن ابي عمرو والكسائي فقيل هما لغتان في مصدر كبر
الشيء اي عظم لكن غلب في الاستعمال ان المضموم في السن والمكان يقال هو كبر القوم بالضم اي اكبرهم سنا او مكانة
وفي الحديث في قصة محيصة وحويصة الكبر الكبر وقيل بالضم معظم الافك وبالكسر البداءة به وقيل بالكسر الاثم
قوله تعالى منكم معناه ان الذين اتوا بالكذب في امر عايشة جماعة منكم ايها المؤمنون لان عبد الله كان من جملة من حكم
له بالايمان ظاهرا **قوله تعالى لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم** هذا شرح حال المقذوف وليس خطاب مع القاذفين
فان قيل هذا مشكل من وجهين احدهما انه لم يتقدم ذكرهم والثاني ان المقذوف من هم عايشة وصفوان فكيف
يحمل عليهما صيغة الجمع في قوله لا تحسبوه شرا لكم **فالجواب** عن الاول انه تقدم ذكرهم في قوله منكم وعن الثاني
ان المراد من لفظ الجمع كل من تاذى بذلك الكذب ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم تاذى بذلك وكذلك ابو بكر
ومن يتصل به **فان قيل** فمن اي جهة يصير خيرا لهم مع انه مضرة **فالجواب** لوجوه احدها انهم صبروا
على ذلك الغم طلبا لمرضات الله فاستوجبوا به الثواب وهذه طريقة المؤمنين وثانيها لولا اظهارهم الافك
كان يجوز ان يبقى الهم كامنا في صدور البعض وعند الاظهار انكشف كذب القوم وثالثها صار خيرا لهم لما فيه
من شرفهم وبيان فضلهم من حيث نزلت ثماني عشرة اية كل واحدة منها مستقلة ببراءة عايشة وشهد الله بكذب
القاذفين ونسبهم الى الافك واوجب عليهم اللعن والذم وهذا غاية الشرف والفضل ورابعها صيرورتها
بحال تعلق الكفر بقذفها فان الله لما نص عن كون تلك الواقعة افكا وبالغ في شرحه فكل من شك فيه كان
كافرا قطعا وهذه درجة عالية وقال بعضهم قوله تعالى لا تحسبوه شرا لكم خطاب مع القاذفين وجعله الله
خيرا لهم من حيث كان هذا الذكر عقوبة معجلة كالكفارة ومن حيث تاب بعضهم عنده وهذا القول ضعيف
لان الله تعالى خاطبهم بالكاف ولما وصف اهل الافك خاطبهم بالهاء بقوله لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم
ومعلوم ان نفس ما اكتسبوه لا يكون عقوبة فالمراد لهم جزاء ما اكتسبوه من العقاب في الاخرة والمذمة في
الدنيا والمعنى ان قدر العقاب يكون مثل قدر الخوض **قوله تعالى والذي تولى كبره** اي الذي قام باشاعة هذا
الحديث وهو عبد الله بن ابي بن سلول والعذاب العظيم هو النار في الاخرة روي عن عايشة في حديث الافك
قالت ثم ركبت واخذ صفوان بالزمام فمررنا بملاء من المنافقين وكانت عادتهم ان ينزلوا منتبذين من الناس
فقال عبد الله بن ابي رئيسهم من هذه قالوا عايشة قال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امراة نبيكم باتت مع رجل
حتى اصبحت ثم جاء يقودها وشرع في ذلك ايضا حسان بن ثابت ومسطح وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله
فهم الذين تولوا كبره والاقرب انه عبد الله بن ابي فانه كان منافقا يطلب ما يقدح في الرسول قال مسروق
دخلت على عايشة وعندها حسان بن ثابت ينشد شعرا يشبب بابيات له وقال

حصان رزان ما تزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت له عايشة لكنك لست كذلك قال مسروق
فقلت لها لم تاذنين له ان يدخل عليك وقد قال الله تعالى والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم فقالت واي عذاب
اشد من العمى وروي ان عايشة ذكرت حسان وقالت ارجو له الجنة فقيل اليس هو الذي تولى كبره فقالت اذا
سمعت شعره في مدح الرسول رجوت له الجنة وقال عليه السلام ان الله يؤيد حسان بروح القدس في شعره
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالذين رموا عايشة فجلدوا الحد جميعا **فصل** المراد من اضافة الكبر
اليه انه كان مبتديا بذلك القول فلا جرم حصل له من العقاب ما حصل لكل من قال ذلك لقوله عليه السلام من
سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وقال ابو مسلم سبب تلك الاضافة شدة الرغبة
في اشاعة تلك الفاحشة **قوله تعالى لولا اذ سمعتموه** لولا هذه تحضيضية اي هلا وذلك كثير في اللغة اذا كان يليه
الفعل كقوله لولا اخرتني وقوله فلولا كانت فاما اذا ولي الاسم فليس كذلك كقوله لولا انتم لكنا مؤمنين ولولا فضل
الله عليكم واذ منصوب بظن والتقدير لولا ظن المؤمنون بانفسهم اذ سمعتموه وفي هذا الكلام التفات قال
الزمخشري فان قلت هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير
الى الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا
يصدق احد قالة في اخيه وان لا يظن بالمسلمين الاخيار ثم قوله ولم عدل عن الخطاب يعني في قوله وقالوا فانه كان

الاصل وقلتم فعدل عن هذا الخطاب الى الغيبة في وقالوا وقوله وعن الضمير يعني ان الاصل كان ظننتم فعدل عن ضمير
الخطاب الى لفظ المؤمنين **فصل** المعنى هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم باخوانهم خيرا وقال الحسن
باهل دينهم لان المؤمنين كنفس واحدة كقوله ولا تقتلوا انفسكم فسلموا على انفسكم المعنى بامثالكم المؤمنين وقيل جعل
المؤمنين كالنفس الواحدة فيما يجري عليها من الامور فاذا جرى على احدهم مكروه فكانه جرى على جميعهم كما قال عليه السلام
مثل المسلمين في تواصلهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا وجع بعضه وجع كله بالسهر والحمى وقال عليه السلام المؤمنون
كالبنيان يشد بعضه بعضا وقوله **هذا افك مبين** اي كذب بين **لولا جاؤوا عليه باربعة شهداء** اي على ما زعموا
يشهدون على معاينتهم ما رموها به **فاذ لم ياتوا بالشهداء** ولم يقيموا البينة على ما قالوه **فاولئك عند الله** اي في حكمه
هم الكاذبون فان قيل كيف يصيرون عند الله كاذبين اذا لم ياتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء اتى
بالشهداء او لم يات **فالجواب** معناه كذبوهم بامر الله وقيل هذا في حق عايشة خاصة فانهم كانوا عند الله كاذبين
وقيل المعنى في حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف اذا لم يات بالشهود فانه يجب زجره
فلما شابه الكاذب في الزجر اطلق عليه انه كاذب مجازا **قوله فاذ لم ياتوا** اذ منصوب بالكاذبين في قوله فاولئك
عند الله هم الكاذبون وهذا الكلام في قوة شرط وجزاء **قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة
لمسكم فيما افضتم فيه** من الافك **عذاب عظيم** وهذا زجر ولولا ههنا لامتناع الشيء لوجود غيره ويقال افاض في
الحديث واندفع وخاض والمعنى ولولا اني قضيت ان الفضل عليكم في الدنيا بالنعم التي من جملتها الامهال وان ارحم
عليكم في الاخرة بالعفو لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك وقيل المعنى ولولا فضل الله عليكم
لمسكم العذاب في الدنيا والاخرة معا فيكون فيه تقديم وتاخير وهذا الفضل هو حكم الله لمن تاب وقال ابن
عباس المراد بالعذاب العظيم اي عذاب لا انقطاع له يعني في الاخرة لانه ذكر عذاب الدنيا من قبل فقال والذي
تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقد اصابه فانه جلد وحد **قوله تعالى اذ تلقونه** اذ منصوب بمسكم او بافضتم
وقرا العامة تلقونه والاصل تتلقونه بحذف احدى التاءين كتنزل ونحوه ومعناه يتلقاه بعضكم من بعض قال
الكلبي وذلك ان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقيا قال الزجاج يلقيه بعضهم الى بعض والبزي
على اصله في انه يشدد التاء وصلا وتقدم تحقيقه في البقرة نحو ولا تيمموا وهو هنا اي سهل لان ما قبله حرف لين بخلافه
هناك وابو عمرو والكسائي وحمزة على اصولهم في ادغام الذال في التاء وقرا ابي تتلقونه بتاءين وتقدم انها الاصل وقرا
ابن السميفع في رواية عنه تلقونه بضم التاء وسكون اللام وضم القاف مضارع القى القاء وقرا هو في رواية اخرى
تلقونه بفتح التاء وسكون اللام وفتح القاف مضارع لقي وقرا ابن عباس وعايشة وعيسى وابن يعمر وزيد بن علي
بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف من ولق الرجل اذا كذب قال ابن سيده جاؤوا بالمتعدي شاهدا على غير المتعدي
وعندي انه اراد تلقون فيه فحذف الحرف ووصل الفعل للضمير يعني انهم جاؤوا بتلقونه وهو متعد مفسرا بتكذبون
وهو غير متعد ثم حمله على ما ذكر وقال الطبري وغيره ان هذه اللفظة ماخوذة من الولق وهو الاسراع بالشيء بعد
الشيء كعدد في اثر عدد وكلام في اثر كلام يقال ولق في سيره اي اسرع واشد جاءت به عنس من الشام تلق
وقال ابو البقاء اي يسرعون فيه واصله من الولق وهو الجنون وقرا زيد بن اسلم وابو جعفر تالقونه بفتح التاء
وهمزة ساكنة ولام مكسورة وقاف مضمومة من الالق وهو الكذب وقرا يعقوب يتلقونه بكسر التاء من فوق
بعدها ياء ساكنة ولام مفتوحة وقاف مضمومة وهو مضارع ولق بكسر اللام كما قالوا يجل مضارع وجل وقوله **بافواهكم**
كقوله يقولون بافواههم وقد تقدم **فصل** اعلم ان الله تعالى وصفهم بارتكاب ثلاثة اثام وعلق مس العذاب
العظيم بها احدها تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك
حتى شاع واشتهر ولم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه فكانهم سعوا في اشاعة الفاحشة وذلك من العظائم وثانيها
انهم كانوا يتكلمون بما لا علم لهم به وذلك يدل على انه لا يجوز الاخبار الا مع العلم ونظيره ولا تقف ما ليس لك به
علم وثالثها انهم كانوا يستصغرون ذلك وهو عظيمة من العظائم وتدل الاية على ان القذف من الكبائر لقوله
وهو عند الله عظيم وتدل على ان الواجب على المكلف في كل محرم ان يستعظم الاقدام عليه وتنبه بقوله وتحسبونه هينا
على ان عمل المعصية لا يختلف بظن فاعله وحسبانه بل ربما كان ذلك موكدا لعظمه **فان قيل** ما معنى قوله بافواهكم
والقول لا يكون الا بالفم **فالجواب** معناه ان الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه باللسان وهذا
الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم من غير ان يحصل في القلب علم به كقوله يقولون بافواههم ما ليس في
قلوبهم **قوله تعالى ولولا اذ سمعتموه قلتم** كقوله ولولا اذ سمعتموه ظن ولكن لا التفات فيه قال الزمخشري
فان قلت كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم بالظرف قلت للظروف شان ليس لغيرها لانها لا ينفك عنها ما يقع فيها
فلذلك اتسع فيها قال ابو حيان وهذا يوهم اختصاص ذلك بالظروف وهو جار في المفعول به تقول لولا

زيد اضربت ولولا عمرو اقتلت، وقال الزمخشري ايضا فان قلت اي فائدة في تقديم الظرف حتى اوقع فاصلا، قلت الفائدة
فيه بيان انه كان الواجب عليهم ان يحترزوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب
تقديمه، قال فان قلت ما معنى يكون والكلام بدونه متلبث لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا قلت معناه ينبغي ويصح اي
ما ينبغي وما يصح كقوله ما يكون لي ان اقول **فصل** قوله لولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك
هذا اللفظ معناه التعجب **هذا بهتان عظيم** اي كذب عظيم يبهت ويتحير من عظمته، روي ان ام ايوب قالت لابي
ايوب الانصاري اما بلغك ما يقول الناس في عائشة فقال ابو ايوب سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الاية على ٥
وفق قوله **قوله تعالى يعظكم الله ان تعودوا الاية** وهذا من باب الزواجر اي يعظكم الله بهذه المواعظ التي
بها تعرفون عظم هذا الذنب وان فيه الحد والنكال في الدنيا والعذاب في الاخرة لكي لا تعودوا الى مثل هذا
الفعل ابدا **قوله تعالى ان تعودوا** فيه ثلاثة اوجه، احدها انه مفعول من اجله اي يعظكم كراهة ان تعودوا او الثاني
انه على حذف في اي في ان تعودوا نحو وعظت فلانا في كذا فتركه، الثالث انه ضمن معنى فعل يتعدى بعن ثم حذفت
اي يزجركم بالوعظ عن العود وعلى هذين القولين يجيء القولان في محل ان بعد نزع الخافض، قال ابن عباس يحرم
الله عليكم، وقال مجاهد ينهاكم الله ان تعودوا **لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الايات** في الامر والنهي
والله عليم بامر عائشة وصفوان **حكيم** ببراءتهما، واعلم ان العليم الحكيم هو الذي لا يامر الا بما ينبغي ولا يهمل جزاء
المستحقين فلهذا ذكرهما بين الصفتين وخصهما بالذكر **فصل** استدلت المعتزلة بقوله ان كنتم مؤمنين على
ان ترك القذف من الايمان لان المعلق على الشرط عدم عند عدم الشرط، واجيبوا بان هذا معارض بقوله ان الذين
جاؤوا بالافك عصبة منكم اي ايها المؤمنون فدل ذلك على ان القذف لا يوجب الخروج عن الايمان واذا ثبت
التعارض حملنا هذه الاية على التهييج في الاتعاظ والانزجار **فصل** قالت المعتزلة دلت هذه الاية على انه تعالى
اراد من جميع من وعظه مجانبة مثل ذلك في المستقبل وان كان فيهم من لا يطيع فمن هذا الوجه يدل على انه
يريد منهم كلهم الطاعة وان عصوا ولان قوله يعظكم الله ان تعودوا اي لكي لا تعودوا لمثله وذلك يدل على الارادة
وتقدم الجواب عنه مرارا **فان قيل** هل يجوز ان يسمى الله واعظا لقوله تعالى يعظكم الله فالاظهر انه لا يجوز ان يسمى الله
معلما لقوله الرحمن علم القران **قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة الاية** لما بين ما على اهل الافك وعلى
من سمع منه وما ينبغي ان يتمسكوا به من اداب الدين اتبعه بقوله ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة
ليعلموا ان من احب ذلك فقد شارك في هذا الاثم كما شاركه فيه من فعله، والاشاعة الانتشار يقال في هذا العقار
سهم شائع اذا كان في الجميع ولم يكن منفصلا وشاع الحديث اذا ظهر في العامة، والمعنى ان الذين يحبون
ان يظهر ويذيع الزنا **في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة** يعني عبد الله بن ابي واصحابه المنافقين
والعذاب في الدنيا الحد وفي الاخرة النار وظاهر الاية يتناول كل من كان بهذه الصفة والاية انما نزلت
في قذف عائشة لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم قال **والله يعلم وانتم لا تعلمون** وهذا احسن
الموقع في هذا الموضع لان محبة القلب كامنة ونحن لا نعلمها الا بالامارات واما الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه
وهذا نهاية في الزجر لان من احب اشاعة الفاحشة وان بالغ في اخفاء تلك المحبة فهو يعلم ان الله يعلم ذلك
منه ويعلم قدر الجزاء عليه وهذه الاية تدل على ان العزم على الذنب العظيم ذنب وان ارادة الفسق فسق لانه
تعالى علق الوعيد بمحبة اشاعة الفاحشة **فصل** قالت المعتزلة ان الله بالغ في ذم من احب اشاعة الفاحشة
فلو كان تعالى هو الخالق لافعال العباد لما كان مشيع الفاحشة الا هو فكان يجب ان لا يستحق الذم على اشاعة الفاحشة
الا هو لانه هو الذي فعل تلك الاشاعة وغيره لم يفعل شيئا وتقدم الكلام على نظيره **قوله تعالى ولولا فضل الله** ٥
عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم جواب لولا محذوف اي لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحا
وحسان وحمنة ويجوز ان يكون الخطاب عاما، وقيل جوابه في قوله ما زكى منكم من احد، وقيل جوابه لكانت
الفاحشة تشيع فتعظم المضرة وهو قول ابي مسلم والاقرب ان جوابه محذوف لان قوله من بعد ولولا فضل
الله عليكم ورحمته ما زكى منكم كالمنفصل من الاول فلا يكون جوابا للاول خصوصا وقع بين الكلامين كلام اخر **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان الاية قرئ خطوات بضم الطاء وسكونها والخطوات جمع خطوة وهو
من خطا الرجل يخطو خطوا فاذا اردت الواحدة قلت خطوة مفتوحة الاول والمراد بذلك السيرة والمعنى
لا تتبعوا اثار الشيطان ولا تسلكوا مسالكه في اشاعة الفاحشة والله تعالى وان خص بذلك المؤمنين
فهو نهي لكل المكلفين لان قوله ومن يتبع **خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء** منع لكل المكلفين من ذلك
والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه **قوله فانه يامر** في هذه الهاء ثلاثة
اوجه، احدها انها ضمير الشان وبه بدا ابو البقاء، والثاني انها ضمير الشيطان وهذان الوجهان انما

يجوزان

يجوزان على راي من لا يشترط عود الضمير على اسم الشرط من جملة الجزاء، والثالث انه عائد على من الشرطية **قوله تعالى ما زكى**
العامة على تخفيف الكاف يقال زكا يزكو وفي الفه الامالة وعدمها، وقرا الاعمش وابو محيصن وابو جعفر بالتشديد فيها
وكتبت الفه ياء وهو شاذ لانه من ذوات الواو كغزا وانما حمل على لغة من امال او على كتابة المشدد فعلى قراءة
التخفيف يكون من احد فاعلا وعلى قراءة التشديد يكون مفعولا، ومن مزيدة على كلا التقديرين والفاعل
هو الله تعالى **فصل** قال مقاتل ما زكا ما صلح، وقال ابن قتيبة ما طهر، وقيل من بلغ في الطاعة لله مبلغ الرضا
يقال زكا الزرع فاذا بلغ المؤمن في الصلاح في الدين ما يرضاه تعالى سمي زكا فلا يقال زكى الا اذا وجد زاكيا
كما لا يقال لمن ترك الهدى هداه الله مطلقا بل يقال هداه الله فلم يهتد ودلت الاية على السواد وكذا التزكية
تحصيل الزكا في المحل، والمعتزلة حملوه هنا على فعل الالطاف او على الحكم بكون العبد زكيا وهو خلاف الظاهر ولان
الله تعالى قال ولكن الله يزكي من يشاء علق التزكية على الفضل والرحمة وخلق الالطاف واجبا فلا يكون معلقا بالفضل
والرحمة، واما الحكم بكونه زاكيا فذلك واجب لانه لولا الحكم به لكان كذبا والكذب على الله محال فكيف يجوز تعليقه
بالمشيئة **فصل** قال ابن عباس في رواية عطا هذا خطاب للذين خاضوا في الافك ومعناه ما طهر من هذا الذنب
ولا صلح امره بعد الذي فعل اي ما قبل منكم توبة **احد ابدا ولكن الله يزكي** يطهر **من يشاء** من الذنب بالرحمة والمغفرة
والله سميع عليم اي يسمع اقوالكم في القذف واقوالكم في البراءة وعليم بما في قلوبكم من محبة اشاعة الفاحشة
او من كراهتها واذا كان كذلك وجب الاحتراز عن معصيته **قوله تعالى ولا ياتل اولو الفضل منكم الاية** يجوز ان
يكون ياتل يفتعل من الالية وهي الحلف كقوله، والت حلفة لم تحلل، ونص الزمخشري هذا بقراءة الحسن ولا يتال
من الالية كقوله، من قال على الله يكذبه، ويجوز ان يكون من الوت اي قصرت كقوله تعالى لا يالونكم خبالا، قال
وما المرء ما دامت حشاشة نفسه، بمدرك اطراف الخطوب ولا ال، وقال ابو البقاء وقرئ ولا يتال على يتفعل ايضا ومنه
قال ابن اوس حلفة ليردني، الى نسوة كانهن مفايد **قوله تعالى ان يؤتوا** هو على اسقاط الجار وتقديره على القول الاول
ولا ياتل اولو الفضل على ان لا يحسنوا، وعلى الثاني ولا يقصر اولو الفضل في ان يحسنوا، وقرا ابو حيوة وابو البرهسم
وابن قطيب تؤتوا بتاء الخطاب وهو التفات موافق لقوله **الا تحبون** وقرا الحسن وسفيان بن الحسين **ولتعفوا ولتصفحوا** ٥
بالخطاب وهو موافق لما بعده **فصل** المشهور ان معنى الاية لا يحلف اولو الفضل فيكون افتعال من الالية، قاله ابو مسلم
وهذا ضعيف لوجهين، احدهما ان ظاهر الاية على هذا التاويل يقتضي المنع من الحلف على الاعطاء وهم ارادوا المنع على ترك
الاعطاء فهذا المتاول قد اقام النفي مكان الايجاب وجعل المنهي عنه مامورا به، الثاني انه قل ما يوجد في الكلام
افتعلت مكان افعلت وانما يوجد مكان فعلت وهنا اليت من الالية افعلت فلا يقال افتعلت من الزمت
التزمت ومن اعطيت اعتطيت ثم قال في ياتل اصله ياتلي ذهبت الياء للجزم لانه نهي وهو من قولك ما الوت
فلانا نصحا ولم ال في امري جهدا كسبت واكتسبت وصنعت واصطنعت وهذا التاويل مروي عن ابي عبيدة قال
ابن الخطيب وهذا هو الصحيح دون الاول، واجاب الزجاج عن الاول بان لا تحذف في اليمين كثيرا قال الله تعالى
ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا، وقال امرؤ القيس، فقلت يمين الله ابرح قاعدا، اي لا ابرح واجابوا
عن السؤال الثاني ان جميع المفسرين الذين كانوا قبل ابي مسلم فسروا اللفظ باليمين وقول واحد منهم حجة في
اللغة فكيف الكل ويعضده قراءة الحسن ولا يتال **فصل** قال المفسرون معناه ولا يحلف اولو الفضل منكم
والسعة اي اولو الغنى يعني ابا بكر الصديق **ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله** يعني مسطحا
وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة ابي بكر الصديق حلف ابو بكر لا ينفق عليه **وليعفوا وليصفحوا** عنهم خوضهم
في امر عائشة **الا تحبون** قال بلى انا احب **ان يغفر الله** لي ورجع الى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه وقال
والله لا انزعها منه ابدا، وقال ابن عباس والضحاك اقسم ناس من الصحابة فيهم ابو بكر ان لا يتصدقوا على رجل
تكلم بشيء من الافك ولا ينفعوهم فانزل الله هذه الاية **فصل** اجمع المفسرون على ان المراد من قوله اولوا
الفضل ابو بكر وهذا يدل على انه كان افضل الناس بعد الرسول لان الفضل المذكور في الاية اما في الدنيا واما في
الدين والاول باطل لانه تعالى ذكره في معرض المدح له والمدح من الله بالدنيا غير جائز ولانه لو جاز ذلك لكان قوله
والسعة تكريرا فتعين ان يكون المراد منه الفضل في الدين فلو كان غيره مساويا له في الدرجة في الدين لم
يكن هو صاحب الفضل لان المساوي لا يكون فاضلا فلما اثبت الله له الفضل غير مقيد بشخص دون شخص وجب
ان يكون افضل الخلق ترك العمل به في حق الرسول عليه السلام فيبقى معمولا به في حق الغير، واجمعت الامة
على ان الافضل اما ابو بكر او علي فاذا تبين انه ليس المراد عليا تعينت الاية في ابي بكر وانما قلنا ليس المراد عليا
لان ما قبل الاية وما بعدها يتعلق بابنة ابي بكر ولانه تعالى وصفه بانه من اهل السعة وان عليا رضي الله
عنه لم يكن من اولي السعة في الدنيا في ذلك الوقت فثبت ان المراد منه ابو بكر قطعا **فصل** اجمعوا على

ان مسطحا كان من البدريين وصح عنه عليه السلام انه قال لعل الله نظر الى اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت
لكم فكيف صدرت الكبيرة منه بعد ان كان بدريا والجواب انه لا يجوز ان يكون المراد منه افعلوا ما شئتم
من المعاصي فيما مر بها لانا نعلم بالضرورة ان التكليف كان باقيا عليهم ولو حملناه على ذلك لافضى الى زوال التكليف
عنهم ولو كان كذلك لما جاز ان يحد مسطح على ما فعل فوجب حمله على احد امرين الاول انه تعالى علم توبة اهل بدر
فقال افعلوا ما شئتم من النوافل من قليل او كثير فقد غفرت لكم واعطيتكم الدرجات العالية في الجنة والثاني
ان يكون المراد انهم يوافون بالطاعة فكانه تعالى قال قد غفرت لكم لعلمي بانكم تموتون على التوبة والانابة
فذكر حالهم في الوقت واراد العاقبة **فصل** دلت الاية على ان الايمان على الامتناع من الخير غير جائز
وانما يجوز اذا حصلت داعية صارفة عنه **فصل** مذهب الجمهور ان من حلف على يمين فراى غيرها خيرا
منها انه ينبغي له ان ياتي الذي هو خير ثم يكفر عن يمينه وقال بعضهم انه ياتي بالذي هو خير وذلك كفارته
لان الله تعالى امر ابا بكر بالحنث ولم يوجب عليه كفارة ولقوله عليه السلام من حلف على يمين فراى غيرها
خيرا منها فليات الذي هو خير وذلك كفارته واحتج الجمهور بقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان
فكفارته وقوله ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم وقوله لايوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا فاضرب به
ولا تحنث وقد علمنا ان الحنث كان خيرا من تركه ولو كان الحنث فيها كفارتها لما امر بضربها بل كان يحنث بلا
كفارة وقال عليه السلام من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه واما
قولهم ان الله تعالى لم يذكر الكفارة في قصة ابي بكر فان حكمها كان معلوما عندهم واما قوله عليه السلام وليات
الذي هو خير وذلك كفارته فمعناه تكفير الذنب لا انه الكفارة المذكورة في الكتاب **فصل** روي عن عائشة انها قالت
فضلت على ازواج النبي بعشر خصال تزوج رسول الله بي بكرا دون غيري وابواي مهاجران وجاء جبريل بصورتي
وامره ان يتزوج بي وكنت اغتسل معه في اناء وجبريل ينزل عليه وانا معه في لحاف وتزوج بي في شوال
وبنى بي في ذلك الشهر وقبض بين سحري ونحري وانزل الله عذري من السماء ودفن في بيتي وكل ذلك لم يساو
فيه غيري قال بعضهم لقد برا الله اربعة باربعة برا يوسف وشهد شاهد من اهلها وبرا موسى من قول
اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرا مريم بانطاق ولدها وبرا عائشة بهذه الايات في كتابه المتلو على وجه
الدهر قوله تعالى **ان الذين يرمون المحصنات الغافلات** عن الفواحش **المؤمنات** والغافلة عن الفاحشة
اي لا يقع في مثلها وكانت عائشة كذلك فقال بعضهم الصيغة عامة فيدخل فيه قذفة عائشة وغيرها
وقيل المراد قذفة عائشة قالت عائشة رميت وانا غافلة وانما بلغني بعد ذلك فبينا رسول الله عندي اذ
اوحي اليه قال ابشري وقرا ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات وقيل الجملة ازواج رسول
الله وانهن لشرفهن خصصن بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واحتج هؤلاء بامور الاول ان قاذف سائر
المحصنات تقبل توبته لقوله في اول السورة والذين يرمون المحصنات الى قوله الا الذين تابوا واما القاذف
في هذه الاية فانه لا تقبل توبته لقوله تعالى لعنوا في الدنيا والاخرة ولم يذكر استثناء وايضا فهذه صفة المنافقين
في قوله ملعونين اينما ثقفوا الثاني ان قاذف سائر المحصنات لا يكفر والقاذف في هذه الاية كافر لقوله يوم
تشهد عليهم السنتهم وايديهم وذلك صفة الكفار والمنافقين لقوله ويوم يحشر اعداء الله الى النار الايات
الثالث انه قال ولهم عذاب عظيم والعذاب العظيم هو عذاب الكفر فدل على ان عذاب هذا القاذف عقاب
الكفر وعقاب سائر المحصنات لا يكون عقاب الكفر وروي ان ابن عباس كان بالبصرة يوم عرفة وكان
يسال عن تفسير القران فسئل عن تفسير هذه الاية فقال من اذنب ذنبا ثم تاب قبلت توبته الا من خاض
في امر عائشة واجاب الاولون بان الوعيد المذكور في هذه الاية لا بد وان يكون مشروطا بعدم التوبة
لان الذنب سواء كان كفرا او فسقا فاذا تاب عنه صار مغفورا وقيل هذه الاية نزلت في مشركي مكة حين
كان بينهم وبين رسول الله عهد فكانت المراة اذا خرجت الى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من اهل مكة
وقالوا انها خرجت لتفجر فنزلت فيهم قوله تعالى **يوم تشهد** ناصبه الاستقرار الذي تعلق به لهم وقيل
ناصبه عذاب ورد بانه مصدر موصوف واجيب بان الظرف يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وقرا الاخوان
يشهد بالياء من تحت لان التانيث مجازي وقد وقع الفصل والباقون بالتاء مراعاة للفظ قوله تعالى **يومئذ**
التنوين في اذ عوض من الجملة تقديره يوم يشهد وقد تقدم خلاف الاخفش فيه وقرا زيد بن علي
يوفيهم مخففا من اوفى وقرا العامة بنصب الحق نعتا لدينهم وابو حيوة وابو روق ومجاهد وهي قراءة
ابن مسعود برفعه نعتا لله تعالى **فصل** يوم تشهد عليهم السنتهم قال المفسرون هذا قبل ان يختم
على افواههم وايديهم وارجلهم يروى انه يختم على الافواه فتتكلم الايدي والارجل بما عملت في الدنيا

وقيل

وقيل تشهد السنة بعضهم على بعض وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم الواجب
وقيل حسابهم العدل **ويعلمون ان الله هو الحق المبين** يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا وانما سمى الله
بالحق لان عبادته هي الحق دون عبادة غيره وقيل سمي بالحق ومعناه الموجود لان نقيضه الباطل وهو
المعدوم ومعنى المبين المظهر قوله تعالى **الخبيثات للخبيثين الاية** قال اكثر المفسرين الخبيثات من القول
والكلام للخبيثين من الناس **والخبيثون** من الناس **للخبيثات** من القول **والطيبات** من القول **للطيبين** من الناس
والطيبون من الناس **للطيبات** من القول والمعنى ان الخبيث من القول لا يليق الا بالخبيث من الناس والطيب
لا يليق الا بالطيب فعائشة رضي الله عنها لا يليق بها الخبيثات من القول لانها طيبة فيضاف اليها طيبات
الكلام من الثناء الحسن وما يليق بها وقال الزجاج معناه لا يتكلم بالخبيثات الا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم
بالطيبات الا الطيب من الرجال والنساء وهذا ذم للذين قذفوا عائشة ومدح للذين براوها بالطهارة وقال
ابو زيد معناه الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء امثال
عبد الله بن ابي والشاكين في الدين والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال
للطيبات من النساء يريد عائشة طيبها الله لرسوله الطيب صلى الله عليه وسلم **اولئك مبرءون** يعني عائشة وصفوان
ذكرهما بلفظ الجمع كقوله فان كان له اخوة اي اخوان وقيل اولئك مبرءون يعني الطيبين والطيبات منزهون **مما
يقولون** وقيل الرمي تعلق بالنبي عليه السلام وبعائشة وصفوان فبرا الله كل واحد منهم وقيل المراد كل ازواج
الرسول براهن الله تعالى من هذا الافك ثم قال **لهم مغفرة** يعني براءة من الله وقيل العفو عن الذنوب والرزق
الكريم الجنة **قوله تعالى لهم مغفرة** يجوز ان تكون جملة مستانفة وان تكون في محل رفع خبرا ثانيا ويجوز ان يكون
لهم خبر اولئك ومغفرة فاعله **قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الاية** لما ذكر حكم الرمي والقذف
ذكر ما يليق به لان اهل الافك انما توصلوا الى بهتانهم لوجود الخلوة فصارت كانها طريق التهمة فاوجب الله تعالى
ان لا يدخل المرء بيت غيره الا بعد الاستئذان والسلام لان الدخول على غير هذا الوجه يوقع التهمة وفي ذلك
من المضرة ما لا خفاء به **قوله تعالى تستانسوا** يجوز ان يكون من الاستئناس لان الطارق يستوحش انه هل يؤذن
له اولا فيزال استيحاشه وهو رديف الاستئذان فوضع موضعه وقيل من الايناس وهو الابصار اي حتى
تستكشفوا الحال وفسره ابن عباس حتى تستاذنوا وليست قراءة وما ينقل عنه انه قال تستانسوا خطا من
الكاتب انما هو تستاذنوا فاشي مفترى عليه وضعفه بعضهم قال هذا يقتضي الطعن في القران الذي نقل بالتواتر
ويقتضي صحة القران الذي لم ينقل بالتواتر وفتح هذين البابين تطرق الشك الى كل القران وانه باطل وروي عن
الحسن البصري انه قال في الكلام تقديم وتاخير والمعنى حتى تسلموا على اهلها وتستانسوا وهذا ايضا خلاف الظاهر
وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا او تستاذنوا وهو ايضا خلاف الظاهر واعلم ان هذا نظير ما تقدم في الوعد اعلم بيايس
الذين امنوا في تقدم القول فيه والاستيناس الاستعلام والاستكشاف من انس الشيء اذا ابصره كقوله اني
انست نارا والمعنى حتى تستعلموا الحال هل يراد دخولكم قال كان رجلي وقد زال النهار بنا يوم الخليل على مسنا انس وحه
وقيل هو من الانس بكسر الهمزة اي يتعرف هل فيها انسي ام لا وحكى الطبري انه بمعنى وتؤنسوا انفسكم قال ابن
عطية وتصريف الفعل ياتي ان يكون من انس **فصل** قال الخليل الاستئناس الاستبصار من قوله انست نارا اي
ابصرت وقيل هو ان يتكلم بتسبيحة او بتكبيرة او بتنحنح يؤذن اهل البيت وجملة حكم الاية انه لا يدخل بيت
الغير الا بعد السلام فيقول سلام عليكم ادخل وروى ابن عمر ان رجلا استاذن عليه فقال ادخل فقال ابن
عمر لا فامر بعضهم الرجل ان يسلم فسلم فاذن له وقيل ان وقع بصره على انسان قدم السلام والا قدم الاستئذان
ان يهجم على ما لا يحل له ان ينظر اليه من عورة او على ما لا يحب القوم ان يعرفه من الاحوال **فصل** عدد الاستئذان
ثلاثا لما روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستئذان ثلاث الاولى يستنصتون والثانية
يستصلحون والثالثة يستاذنون او يردون وعن ابي سعيد الخدري قال كنت جالسا في مجلس الانصار فجاء
ابو موسى فزعا فقلنا له ما افزعك فقال امرني عمر ان اتيه فاتيته فاستاذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت
فقال ما منعك ان تاتيني فقلت قد جئت فاستاذنت ثلاثا فلم يؤذن لي وقد قال عليه السلام اذا استاذن
احدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع فقال لتاتيني على هذا بالبينة او لاعاقبنك فقال ابو سعيد لا يقوم معك
الا اصغر القوم قال فقام ابو سعيد فشهد له وفي بعض الروايات ان عمر قال لابي موسى لم اتهمك ولكن خشيت
ان يتقول الناس على رسول الله وعن قتادة الاستئذان ثلاثة الاول ليسمع الحي والثاني ليتهيئوا والثالث ان شاءوا
اذنوا وان شاءوا ردوا وهذا من محاسن الاداب لانه في اول كرة ربما منعهم بعض الاشغال من الاذن وفي الثانية
ربما كان هناك ما يمنع فاذا لم يجب في الثالثة يستدل بعدم الاذن على مانع ويجب ان يكون بين كل واحدة

والاخرى وقت ما، فاما قرع الباب بعنف والصياح بصاحب الدار فذلك حرام لانه ايذاء وكذا قصة بني اسد وما نزل فيها
من قوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون **فصل** في كيفية الوقوف على الباب روى ابو سعيد
قال استاذن رجل على رسول الله وهو مستقبل الباب فقال عليه السلام لا تستاذن وانت مستقبل الباب
وروى انه عليه السلام كان اذا اتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكنه من ركنه الايمن او الايسر
فيقول السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها يومئذ ستور **فصل** كلمة حتى للغاية والحكم بعد الغاية
يكون بخلاف ما قبلها فقوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا يقتضي جواز الدخول بعد الاستئذان
وان لم يكن من صاحب البيت اذن والجواب ان الله تعالى جعل الغاية الاستيناس ولا يحصل الا بعد الاذن
وايضا فانا علمنا بالنص ان الحكمة في الاستئذان ان لا يدخل الانسان على غيره بغير اذنه فان ذلك مما يسوءه وهذا
المقصود لا يحصل الا بعد الاذن وايضا قوله فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم فمنع الدخول
الا مع الاذن فدل على ان الاذن شرط في اباحة الدخول في الاية الاولى واذا ثبت هذا فنقول لا بد من الاذن
او ما يقوم مقامه لقوله عليه السلام اذا دعي احدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن وقال بعضهم ان من
جرت العادة له باباحة الدخول فهو غير محتاج الى الاستئذان واعلم ان ظاهر الاية يقتضي قبول الاذن مطلقا
سواء كان الآذن صبيا او امراة او عبدا او ذميا فانه لا يعتبر في هذا الاذن صفات الشهادة وكذلك قبول
اخبار هؤلاء في الهدايا ونحوها **فصل** في يستاذن على المحارم لما روى ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال
استاذن على اختي فقال عليه السلام نعم اتحب ان تراها عريانة وسال رجل حذيفة استاذن على اختي فقال ان
لم تستاذن عليها رايت ما يسوءك ولعموم قوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا الا ان ترك الاستئذان
على المحارم وان كان غير جائز ايسر لجواز النظر الى شعرها وصدرها وساقها ونحوه **فصل** اذا اطلع انسان في دار
انسان بغير اذنه ففقا عينه فهي هدر لقوله عليه السلام من اطلع في دار قوم بغير اذنهم ففقؤوا عينه
فقد هدرت عينه وقال ابو بكر الرازي هذا الخبر ورد على خلاف قياس الاصول فانه لا خلاف انه لو دخل
داره بغير اذنه ففقا عينه كان ضامنا وكان عليه القصاص ان كان عامدا والارش ان كان مخطئا والداخل
قد اطلع وزاد على الاطلاع فظاهر الحديث مخالف لما حصل عليه الاتفاق فان صح فمعناه من اطلع في دار قوم النظر
ونظر الى حرمهم فمنع فلم يمتنع فذهبت عينه في حال الممانعة فهي هدر فاما اذا لم يكن الا النظر ولم يقع فيه
ممانعة ولا نهي ثم جاء انسان ففقا عينه فهذا جان يلزمه حكم جنايته لظاهر قوله تعالى العين بالعين الى قوله
والجروح قصاص واجيب بان التمسك بقوله العين بالعين ضعيف لانا اجمعنا على ان هذا النص مشروط
بما اذا لم تكن العين مستحقة فانه لو كانت مستحقة لم يلزمه القصاص فلم قلت ان من اطلع في دار انسان لم
تكن عينه مستحقة واما قوله انه لو دخل لم يجز فقء عينه فكذا اذا نظر فالفرق بينهما انه اذا دخل علم القوم
بدخوله عليهم فاحترزوا عنه وتستروا فاما اذا نظر فقد لا يكونوا عالمين بذلك فيطلع منهم على ما لا يجوز
الاطلاع عليه فلا يبعد في حكمة الشرع ان يبالغ هنا في الزجر حسما لهذه المفسدة وايضا فرد حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم بهذا القدر من الكلام غير جائز **فصل** اذا عرض امر في دار من حريق او هجوم سارق
او ظهور منكر فهل يجب الاستئذان فقيل كل ذلك مستثنى بالدليل واما السلام فهو من سنة المسلمين التي
امروا بها وهو تحية اهل الجنة ومجلبة للمودة وناف للحقد والضغائن قال عليه السلام لما خلق الله آدم ونفخ
فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله باذن الله فقال له الله يرحمك ربك يا آدم اذهب الى هؤلاء الملائكة
وملأ منهم جلوس فقال السلام عليكم فلما فعل ذلك رجع الى ربه قال هذه تحيتك وتحية ذريتك وعن علي بن
ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق المسلم على المسلم ست يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا
دعاه وينصح له بالغيب ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات وعن ابن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سركم ان يسل الغل من صدوركم فافشوا السلام بينكم **قوله تعالى ذلكم**
خير لكم اي ان فعل ذلك خير لكم واولى بكم من الهجوم بغير اذن **لعلكم تذكرون** اي لتذكروا هذا التاديب فتمسكوا
به **فان لم تجدوا فيها** في البيوت **احدا** ياذن لكم في دخولها **فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم** لجواز ان يكون هناك
احوال مكتومة **وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا** وذلك انه كما يكون الدخول قد يكرهه صاحب الدار فكذا الوقوف
على الباب قد يكرهه فلا جرم كان الاولى له ان يرجع **هو ازكى لكم** اي الرجوع هو اطهر واصلح لكم قال قتادة اذا
لم يؤذن له فلا يقعد على الباب فان للناس حاجات واذا حضر فلم يستاذن وقعد على الباب منتظرا جاز كان ابن
عباس ياتي الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب حتى يخرج ولا يستاذن فيخرج الرجل ويقول يا ابن عم رسول
الله لو اخبرتني فيقول هكذا امرنا ان نطلب العلم واذا وقف فلا ينظر من شق الباب اذا كان الباب

مردود ١٥٥

[illegible]وذا لما روي ان رجلا اطلع على النبي صلى الله عليه وسلم من ستر الحجرة وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم مدرى فقال لو
علمت ان هذا ينظرني حتى آتيه لطعنت بالمدرى في عينه وهل جعل الاستئذان الا من اجل البصر **قوله تعالى والله بما**
تعملون عليم اي من الدخول بالاذن وغير الاذن ولما ذكر الله تعالى حكم الدور المسكونة ذكر بعده حكم الدور التي هي
غير مسكونة فقال **ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة** قال المفسرون لما نزلت اية الاستئذان قالوا
كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام وعلى ظهر الطريق ليس فيها ساكن فانزل الله عز وجل ليس عليكم جناح
ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة اي بغير استئذان **فيها متاع لكم** اي منفعة لكم قال محمد بن الحنفية انها الخانات
والرباطات وحوانيت البياعين وقال ابن زيد هي بيوت التجار وحوانيتهم التي بالاسواق يدخلها للبيع والشرا
وهو المنفعة قال ابراهيم النخعي ليس على حوانيت السوق اذن وكان ابن سيرين اذا جا الى حانوت السوق يقول
السلام عليكم ادخل ثم يلج وقال عطا هي البيوت الخربة والمتاع هو قضا الحاجة فيها من البول والغائط وقيل
هي جميع البيوت التي لا ساكن لها وقيل هي الحمامات وروي ان ابا بكر قال يا رسول الله ان الله قد انزل عليك
اية في الاستئذان وانا نختلف في تجاراتنا الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت هذه الاية والاصح انه لا يمتنع دخول
الجميع تحت الاية لان الاستئذان انما جاء لئلا يطلع على عورة فان لم يخف ذلك فله الدخول لانه ماذون فيه عرفا
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وهذا وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من اهل الريبة **قوله تعالى**
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم الاية الغض اطباق الجفن بحيث يمنع الرؤية قال
فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا ومن في من ابصارهم اربعة اوجه احدها انها للتبعيض لانه يعفى عن الناظر
اول نظرة تقع من غير قصد والثاني لبيان الجنس قاله ابو البقا وفيه نظر من حيث انه لم يتقدم مبهم يكون
مفسرا بمن الثالث انها لابتدا الغاية قاله ابن عطية الرابع قال الاخفش انها مزيدة **فصل** قال الاكثرون
المراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل **فان قيل** كيف دخلت من في غض البصر دون حفظ الفرج **فالجواب**
ان ذلك دليل على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وكذا الجوار
المستعرضات واما امر الفروج فضيق وقيل معنى يغضوا من ابصارهم اي ينقصوا من نظرهم بالبصر اذا لم يكن
من عمله فهو مغضوض وعلى هذا من ليست زائدة ولا هي للتبعيض بل هي صلة للغض يقال غضضت من فلان
اذا انقصت منه **فصل** العورات تنقسم اربعة اقسام عورة الرجل مع الرجل وعورة المراة مع المراة وعورة
المراة مع الرجل وعورة الرجل مع المراة **اما** الرجل مع الرجل فيجوز له ان ينظر الى جميع بدنه الا العورة وهي ما بين
السرة والركبة ليستا بعورة وعند ابي حنيفة الركبة عورة وقال مالك الفخذ ليس بعورة وهو مردود بقوله
عليه السلام غط فخذك فانها من العورة وقوله لعلي لا تبرز فخذك ولا تنظر الى فخذ حي ولا ميت فان كان امرد لم
يحل النظر الى وجهه ولا الى شي من سائر بدنه بشهوة ولا يجوز للرجل مضاجعة الرجل وان كان كل واحد منهما في جانب
من الفراش لقوله عليه السلام لا يفضي الرجل الى الرجل في فراش واحد ولا تفضي المراة الى المراة في ثوب واحد
وتكره معانقة الرجل للرجل وتقبيله الا الولد شفقة لما روى انس قال قال رجل يا رسول الله الرجل منا يلقى اخاه
او صديقه اينحني له قال لا قال ايلتزمه ويقبله قال لا قال افيأخذ بيده فيصافحه قال نعم ونهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن المعاكمة والمكامعة ونهى معانقة الرجل للرجل وتقبيله **واما** عورة المراة مع المراة فما ذكرنا
سوا والذمية هل يجوز لها النظر الى بدن المسلمة فقيل هي كالمسلمة مع المسلمة والصحيح انه لا يجوز لها النظر لانها
اجنبية في الدين لقول الله تعالى او نسائهن وليست الذمية من نسائنا **واما** عورة المراة مع الرجل فاما ان
تكون اجنبية او ذات محرم او مستمتعة فان كانت اجنبية فاما ان تكون حرة او امة فان كانت حرة فجميع بدنها
عورة الا الوجه والكفين لانها تحتاج الى ابراز الوجه للبيع والشرا والى اخراج الكف للاخذ والعطا والمراد
الكف الى الكوع واعلم ان النظر الى وجهها ينقسم ثلاثة اقسام اما ان لا يكون فيه غرض ولا فتنة واما ان يكون
فيه غرض ولا فتنة واما ان يكون لشهوة فان كان لغير غرض فلا يجوز النظر الى وجهها فان وقع بصره عليها
بغتة غض بصره لقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا وقيل يجوز مرة واحدة اذا لم يكن فتنة وبه قال ابو حنيفة
ولا يجوز تكرار النظر لقوله عليه السلام لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الاخيرة وقال جابر سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاة فامرني ان اصرف بصري فان كان فيه غرض ولا فتنة وهو انواع
احدها ان يريد نكاح امراة فينظر الى وجهها وكفيها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي ساله
ان يتزوج امراة من الانصار انظر اليها فان في اعين الانصار شيئا وقال عليه السلام اذا خطب احدكم
المراة فلا جناح عليه ان ينظر اليها اذا كان انما ينظر اليها للخطبة وقال المغيرة بن شعبة خطبت امراة فقال
عليه السلام نظرت اليها فقلت لا قال فانظر فانه احرى ان يؤدم بينكما وذلك يدل على جواز النظر بشهوة الى

الوجه والكفين اذا اراد ان يتزوجها ولقوله تعالى لا تحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن لا يعجبه الا بعد رؤية وجوههن • وثانيها اذا اراد شراء جارية فله ان ينظر منها الى ما ليس بعورة • وثالثها عند المبايعة ينظر الى وجهها متاملا حتى يعرفها عند الحاجة • ورابعها ينظر اليها عند تحمل الشهادة ولا ينظر الى غير الوجه • فان كان النظر لشهوة فهو محرم لقوله عليه السلام العينان تزنيان • واما النظر الى بدن الاجنبية فلا يجوز الا في صور احدها يجوز للطبيب الامين ان ينظر للمعالجة والختان ينظر الى فرج المختون للضرورة • وثانيها ان يتعمد النظر الى فرج الزانيين ليشهد على الزنا وكذلك ينظر الى فرجها ليشهد على الولادة والى ثدي المرضعة ليشهد على الرضاع • وقال بعض العلماء لا يجوز للرجل ان يقصد النظر في هذه المواضع لان الزنا مندوب الى ستره وفي الولادة والرضاع تقبل شهادة النساء فلا حاجة الى نظر الرجال • وثالثها لو وقعت في غرق او حرق فله ان ينظر الى بدنها ليخلصها فان كانت الاجنبية امة فقيل عورتها ما بين السرة والركبة • وقيل عورتها ما لا يبين في المهنة فخرج منها عنقها وساعدها ونحرها • ولا يجوز لمسها ولا لها لمسه بحال لان اللمس اقوى من النظر لان الانزال باللمس يفطر الصائم وبالنظر لا يفطر

فصل فان كانت المراة ذات محرم بنسب او رضاع فعورتها مع الرجل المحرم كعورة الرجل مع الرجل وقيل عورتها ما لا يبدو عند المهنة وهو قول ابي حنيفة وسياتي بقية التفاصيل ان شاء الله تعالى في تفسير الاية

فصل فان كانت المراة مستمتعة كالزوجة والامة التي تحل وطئها فيجوز للزوج والسيد ان ينظر الى جميع بدنها حتى الفرج الا انه يكره النظر الى الفرج وكذا الى فرج نفسه لانه يروى انه يورث الطمس • وقيل لا يجوز النظر الى فرجها ولا فرق بين ان تكون الامة قنة او مدبرة او ام ولد او مرهونة • فان كانت مجوسية او مرتدة او وثنية او مشتركة بينه وبين غيره او مزوجة او مكاتبة فهي كالاجنبية لقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا زوج احدكم جاريته عبده او اجيره فعورتها معه ما بين السرة والركبة

فصل فاما عورة الرجل مع المراة فلا يجوز لها قصد النظر عند خوف الفتنة ولا تكرير النظر الى وجهه لما روت ام سلمة انها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة اذ اقبل ابن ام مكتوم فقال احتجبا منه فقالت يا رسول الله اليس هو اعمى لا يبصرنا فقال عليه السلام افعمياوان انتما الستما تبصرانه • وان كان محرما لها فعورته ما بين السرة والركبة • وان كان زوجها او سيدها الذي له وطئها فلها ان تنظر الى جميع بدنه غير انه يكره النظر الى الفرج كهو معها

فصل ولا يجوز للرجل ان يجلس عاريا في بيت خال وله ما يستر عورته لانه عليه السلام سئل عنه فقال الله احق ان يستحيا منه • وقال عليه السلام اياكم والتعري فان معكم من لا يفارقكم الا عند الغائط وحين يفضي الرجل الى اهله قوله تعالى ويحفظوا فروجهم اي عما لا يحل • وقال ابو العالية كل ما في القران من حفظ الفرج فهو عن الزنا والحرام الا في هذا الموضع فانه اراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه وهذا ضعيف لانه تخصيص من غير دليل والذي يقتضيه الظاهر حفظ الفروج عن سائر ما حرم عليها من الزنا والمس والنظر قوله تعالى ذلك ازكى لهم اي غض البصر وحفظ الفروج ازكى لهم اي خير لهم واطهر ان الله خبير بما يصنعون عليم بما يفعلون قوله تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن والكلام فيه كما تقدم وقدم غض البصر على حفظ الفرج لان النظر بريد الزنا والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراز منه قوله تعالى ولا يبدين زينتهن اي لا يظهرن زينتهن لغير محرم • والمراد بالزينة الخفية وهما زينتان خفية وظاهرة فالخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط والقلائد فلا يجوز لها اظهارها ولا للاجنبي النظر اليها • والمراد من الزينة موضع الزينة • وقيل المراد بالزينة محاسن الخلق التي خلقها الله وما يزين به الانسان من فضل لباس لان كثيرا من النساء ينفردن بخلقهن من سائر ما يعد زينة فاذا حملناه على الخلقة وفينا العموم حقه ولا يمنع دخول ما عدا الخلقة فيه ولان قوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن يدل على ان المراد من الزينة ما يعم الخلقة وغيرها فكانه تعالى منعهن من اظهار محاسن خلقهن موجبا سترها بالخمار قوله تعالى الا ما ظهر منها اما الذين حملوا الزينة على الخلقة فقال القفال معنى الاية الا ما يظهره الانسان في العادة وذلك من النساء الوجه والكفان ومن الرجال الوجه واليدين والرجلين فرخص لهم في كشف ما لا يستغنى عن كشفه وادت الضرورة الى اظهاره وامرتم بستر ما لا ضرورة في كشفه ولما كان ظهور الوجه والكفين ضرورة لا جرم اتفقوا على انهما ليسا بعورة • واما القدم فليس ظهوره ضروري فلا جرم اختلفوا فيه هل هو من العورة ام لا والصحيح انه عورة • وفي صوتها وجهان اصحهما انه ليس بعورة لان نساء النبي عليه السلام كن يروين الاخبار للرجال • واما الذين حملوا الزينة على ما عدا الخلقة قالوا انه تعالى انما ذكر الزينة لانه لا خلاف في انه يحل النظر اليها حال انفصالها عن اعضاء المراة فلما حرم الله النظر اليها حال اتصالها ببدن المراة كان ذلك مبالغة في حرمة النظر الى اعضاء المراة وعلى هذا القول يحل النظر الى زينة وجهها من الوسمة والغمرة وزينة بدنها من الخضاب والخواتيم والثياب لان سترها فيه حرج لان المراة لا بد لها من مزاولة الاشياء بيدها والحاجة

الى كشف وجهها للشهادة والمحاكمة والنكاح • قال سعيد بن جبير والضحاك والاوزاعي الزينة الظاهرة التي استثنى الله هي الوجه والكفان • وقال ابن مسعود هي الثياب لقوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد • وقال الحسن الوجه والثياب وقال الحسن بن عباس الكحل والخاتم فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الاجنبي النظر اليها اذا لم يخف فتنة وشهوة فان خاف شيئا منها غض البصر

فصل واتفقوا على تخصيص قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها بالحرائر دون الاماء والمعنى فيه ظاهر لان الامة مال فلا بد من الاحتياط في بيعها وشرائها وذلك لا يمكن الا بالنظر اليها على الاستقصاء قوله تعالى وليضربن ضمن يضربن معنى يلقين فلذلك عداه بعلى • وقرا ابو عمرو في رواية بكسر لام الامر • وقرا طلحة بخمرهن بسكون الميم وتسكين فعل في الجميع اولى من تسكين المفرد وكسر الجيم من جيوبهن ابن كثير والاخوان وابن ذكوان • والخمر جمع خمار وفي القلة يجمع على اخمرة قال امرؤ القيس • وترى الشجر في ريقه كرؤوس قطعت فيها الخمر • والجيب ما في طوق القميص يبدو منه بعض الجسد

فصل قال المفسرون ان نساء الجاهلية كن يسدلن خمرهن من خلفهن وان جيوبهن كانت من قدام وكان ينكشف نحورهن وقلائدهن فامرن ان يضربن مقانعهن على الجيوب ليغطي بذلك اعناقهن ونحورهن • قالت عائشة رحم الله نساء المهاجرات الاول لما انزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها قوله تعالى ولا يبدين زينتهن يعني الزينة الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للاجانب وهو ما عدا الوجه والكفين الا لبعولتهن قال ابن عباس ومقاتل يعني لا يضعن الجلباب والخمار الا لازواجهن او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن فيجوز لهؤلاء ان ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظروا الى ما بين السرة والركبة الا الزوج فانه له ان ينظر الى جميعها على ما تقدم وهؤلاء محارم فان قيل ايحل لذي المحرم في المملوكة والكافرة ما لا يحل له في المؤمنة فالجواب اذا ملك المراة من محارمه فله ان ينظر منها الى بطنها وظهرها لا على وجه الشهوة فان قيل فما القول في العم والخال فالجواب ان الظاهر انهما كسائر المحارم في جواز النظر وهو قول الحسن البصري قال لان الاية لم يذكر فيها الرضاع وهو كالنسب وقال في سورة الاحزاب لا جناح عليهن في ابائهن الاية ولم يذكر فيها البعولة وقد ذكره هنا • وقال الشعبي انما لم يذكرهما الله لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك والمعنى ان سائر القرابات تشترك مع الاب والابن في المحرمية الا العم والخال وابناهما واذا راها الاب وصفها لابنه وليس بمحرم وهذا من الدلالات البليغة في وجوب الاحتياط عليهن في التستر

فصل والسبب في اباحة نظر هؤلاء الى زينة المراة هو الحاجة الى مداخلتهن ومخالطتهن واحتياج المراة الى صحبتهم في الاسفار في النزول والركوب قوله تعالى او نسائهن قال اكثر المفسرين المراد اللاتي على دينهن قال ابن عباس ليس للمسلمة ان تتجرد بين نساء اهل الذمة ولا تبدي للكافرة الا ما تبدي للاجانب الا ان تكون امة لها وكتب عمر الى ابي عبيدة ان يمنع نساء اهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات • وقيل المراد بنسائهن جميع النساء وهذا هو الاولى وقول السلف محمول على الاستحباب قوله تعالى او ما ملكت ايمانهن وهذا يشمل العبيد والاماء واختلفوا في ذلك فقال قوم عبد المراة محرم لها يجوز له الدخول عليها اذا كان عفيفا وان ينظر الى بدن مولاته الا ما بين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القران وهو مروي عن عائشة وام سلمة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ راسها فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وعن مجاهد كن امهات المؤمنين لا يحتجبن عن مكاتبهن ما بقي عليه درهم وكانت عائشة تمتشط والعبد ينظر اليها • وقال ابن مسعود والحسن وابن سيرين وسعيد لا ينظر العبد الى شعر مولاته وهو قول ابي حنيفة وقال ابن جريج المراد من الاية الاماء دون العبيد وان قوله او نسائهن او ما ملكت ايمانهن انه لا يحل لامراة مسلمة ان تتجرد بين يدي امراة مشركة الا ان تكون تلك المشركة امة لها قوله تعالى او التابعين غير اولي الاربة من الرجال قرا ابن عامر وابو بكر غير نصبا وفيها وجهان • احدهما انه استثناء وقيل على القطع لان التابعين معرفة وغير نكرة والثاني انه حال والباقون غير بالجر نعتا او بدلا او بيانا • والاربة الحاجة وتقدم اشتقاقها في طه قوله تعالى من الرجال حال من اولي

فصل المراد بالتابعين غير اولي الاربة قال مجاهد وعكرمة والشعبي هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم الا ذلك ولا حاجة لهم في النساء • وعن ابن عباس انه الاحمق العنين • وقال الحسن هو الذي لا ينتشر ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن • وقال سعيد بن جبير المعتوه • وقال عكرمة المجبوب • وقيل هو المخنث • وقال مقاتل هو الشيخ الهم والعنين والخصي والمجبوب ونحوه • واعلم ان الخصي والمجبوب ومن يشاكلهما قد لا يكون له اربة في نفس الجماع ويكون له اربة قوية فيما عداه من التمتع وذلك يمنع من ان يكون هو المراد فيجب ان يحمل المراد على من لا اربة له في سائر وجوه التمتع لما روت عائشة قالت كان رجل مخنث يدخل على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يعدونه من غير اولي الاربة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند

بعض نسائه وهو ينعت امراة فقال انها اذا اقبلت اقبلت باربع واذا ادبرت ادبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لا ارى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن هذا عليكن فحجبوه، وفي رواية عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة ان النبي صلى
الله عليه وسلم دخل عليها وعندها مخنث فاقبل على اخي ام سلمة فقال يا عبد الله ان فتح الله غدا الطائف دللتك
على بنت غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان فقال عليه السلام لا يدخلن عليكم هذا فاباح رسول الله دخول
المخنث عليهن فلما علموا انه يعرف احوال النساء واوصافهن علم انه من اولي الاربة فحجبه، وفي الخصي والمجبوب ثلاثة
اوجه احدها استباحة الزينة الباطنة، والثاني تحريمها، والثالث تحريمها على الخصي دون المجبوب قوله تعالى
او الطفل الذين لم يظهروا تقدم في الحج ان الطفل يطلق على المثنى والمجموع فلذلك وصف بالجمع وقيل لما قصد به
الجنس روعي فيه الجمع كقولهم اهلك الناس الدينار الاحمر والدرهم البيض، وعورات جمع عورة وهو ما يريد الانسان
ستره من بدنه وغلب في السوءتين والعامة على عورات بسكون الواو وهي لغة عامة العرب سكنوها تخفيفا
لحرف العلة، وقرا ابن عامر في رواية عورات بفتح العين ونقل ابن خالويه انها قراءة ابن ابي اسحاق والاعمش
وهي لغة هذيل بن مدركة، قال الفراء انشدني بعضهم اخو بيضات رائح متاوب، رفيق بمسح المنكبين سبوح
وجعلها ابن مجاهد لحنا وخطا يعني من طريق الرواة والا فهي لغة ثابتة فصل الظهور على الشيء يكون بمعنى العلم
به كقوله تعالى انهم ان يظهروا عليكم اي يشعروا بكم ويكون بمعنى الغلبة عليه كقوله فاصبحوا ظاهرين فلهذا قال
مجاهد وابن قتيبة معناه لم يطلعوا على عورات النساء ولم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر، وقال الفراء والزجاج لم
يبلغوا ان يطيقوا اتيان النساء، وقيل لم يبلغوا حد الشهوة فصل فاما المراهق فيلزم المراة ان تستتر منه ما بين سرتها
وركبتها وفي لزوم ستر ما عداه وجهان، الاول لا يلزم لان القلم غير جار عليه، والثاني يلزم كالرجل لانه مشتهى والمراة
قد تشتهيه واسم الطفل شامل له الى ان يحتلم، واما الشيخ فان بقيت له شهوة فهو كالشاب وان لم يبق له شهوة
ففيه وجهان، احدهما ان الزينة الباطنة معه مباحة والعورة معه ما بين السرة والركبة، والثاني ان جميع البدن
معه عورة الا الزينة الظاهرة وههنا اخر الصور التي استثناها الله تعالى والرضاع كالنسب قوله تعالى ولا يضربن
بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قال ابن عباس وقتادة كانت المراة تمر بالناس وتضرب برجلها ليسمع قعقعة
خلخالها فنهين عن ذلك لان الذي يغلب عليه شهوة النساء اذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعية له زائدة الى
مشاهدتهن وعلل تعالى ذلك بقوله ليعلم ما يخفين من زينتهن، وفي الاية فوايد الاولى لما نهى عن استماع الصوت
الدال على وجود الزينة فلان يدل على المنع من اظهار الزينة اولى، الثانية ان المراة منهية عن رفع صوتها بالكلام
بحيث يسمع ذلك الاجانب اذا كان صوتها اقرب الى الفتنة من صوت خلخالها ولذلك كرهوا اذان النساء لانه يحتاج
فيه الى رفع الصوت والمراة منهية عنه، الثالثة تدل على تحريم النظر الى وجهها بشهوة لان ذلك اقرب الى الفتنة قوله
تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون قال ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا
والاخرة وقيل توبوا من التقصير الواقع منكم في امره ونهيه، وقيل راجعوا طاعة الله فيما امركم ونهاكم من الاداب
المذكورة في هذه السورة قوله ايها المؤمنون العامة على فتح الهاء واثبات الف بعد الهاء وهي ها التي للتنبيه، وقرا
ابن عامر هنا وفي الزخرف يا ايها الساحر وفي الرحمن ايه الثقلان بضم الهاء وصلا فاذا وقف سكن ووجهها انه لما حذفت
الالف لالتقاء الساكنين استخف الفتحة على حرف خفي فضمت الهاء اتباعا وقد رسمت هذه المواضع الثلاثة
دون الف فوقف ابو عمرو والكسائي بالالف والباقون بدونها اتباعا للرسم ولموافقة الخط اللفظ وثبت في غير
هذه المواضع حملا لها على الاصل نحو يا ايها الناس يا ايها الذين امنوا وبالجملة فالرسم سنة متبعة قوله تعالى وانكحوا
الايامى منكم لما امر تعالى بغض الابصار وحفظ الفروج بين بعده ان الذي امر به انما هو فيما لا يحل ثم ذكر بعد
ذلك طريق الحل فقال وانكحوا الايامى جمع ايم زنة فيعل يقال منه ام يئيم كباع يبيع، قال الشاعر،
كل امرئ سيئيم منه العرس او ما يئيم، وقياس جمعه ايايم كسيد وسيايد، والايامى فيه وجهان اظهرهما من كلام سيبويه
انه جمع على فعالى غير مقلوب وكذلك يتامى، وقيل ان الاصل ايايم ويتايم فقلبا والايم من لا زوج له ذكرا
كان او انثى، قال النضر بن شميل الايم في كلام العرب كل ذكر لا انثى معه وكل انثى لا ذكر معها وهو قول ابن عباس في رواية
الضحاك يقول زوجوا اياماكم بعضكم من بعض وخصه ابو بكر الخفاف بمن فقدت زوجها فاطلاقه على البكر مجاز وقال
الزمخشري تايمهما اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين وانشد، فان تنكحي انكح وان تتايمي، وان كنت افتى منكم اتايم،
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة والكرم والقرم، العيمة بالمهملة
شدة شهوة اللبن وبالمعجمة شدة شهوة العطش والايمة طول العطش والكرم شدة شهوة الاكل والقرم شدة شهوة
اللحم ومنكم حال وكذا من عبادكم فصل قوله وانكحوا امر وظاهر الامر للوجوب فدل على ان الولي يجب عليه تزويج
موليته واذا ثبت هذا وجب ان لا يجوز النكاح الا بولي لان كل ما وجب على الولي حكم فانه لا يصح من المولية اولان

المولية لو فعلت ذلك لفوتت على المولى تمكنه من اداء الواجب وانه غير جائز ولم يطابق قوله عليه السلام اذا اتاكم
من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض قال ابو بكر الرازي هذه الاية وان اقتضت
الايجاب الا انه اجمع السلف على انه لم يرد الايجاب ويدل عليه امور احدها انه لو كان ذلك واجبا لنقل عن النبي
صلى الله عليه وسلم وعن السلف مستفيضا لعموم الحاجة اليه فلما علمنا ان ساير الاعصار كانت فيهم ايامى من الرجال
والنساء ولم ينكر ذلك ثبت انه لم يرد الايجاب، وثانيها اجمعنا على ان الايم الثيب لو ابت التزويج لم يكن للولي
اجبارها عليه، وثالثها اتفاق الكل على انه لا يجب على السيد تزويج امته وعبده وهو معطوف على الايامى فدل
على انه غير واجب في الجميع بل ندب في الجميع، ورابعها ان اسم الايامى يشمل الرجال والنساء وهو في الرجال ما اريد
به الاولياء دون غيرهم كذلك في النساء والجواب ان جميع ما ذكرناه تخصيصات تطرقت الى الاية والعام بعد التخصيص
حجة فوجب اذا التمست المراة الايم من الولي التزويج وجب وحينئذ ينتظم الكلام فصل قال الشافعي الاية تقتضي جواز
تزويج البكر البالغة بدون رضاها لان الاية والحديث يدلان على امر الولي بتزويجها ولولا قيام الدلالة على انه
لا تزوج الثيب الكبيرة بغير رضاها لكان جايزا له تزويجها ايضا لعموم الاية فصل النكاح في الناس قسمان الاول
من تتوق نفسه للنكاح فيستحب له ان ينكح ان وجد اهبته سواء كان مقبلا على العبادة او لم يكن ولكن لا يجب
وان لم يجد اهبته يكسر شهوته بالصوم لقوله عليه السلام يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه
اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فليصم فان الصوم له وجاء، الثاني من لا تتوق نفسه الى النكاح فان
كان لعلة من كبر او مرض او عجز فيكره له لانه يلتزم ما لا يمكنه القيام به وكذلك اذا كان لا يقدر على النفقة
وان لم يكن به عجز وكان قادرا على القيام بحقه لم يكره له النكاح لكن الافضل ان يتخلى للعبادة لان الله تعالى مدح يحيى
بكونه حصورا والحصور الذي لا ياتي النساء مع القدرة عليهن ولا يقال هو الذي لا ياتي النساء للعجز لان مدح
الانسان بما يكون عيبا غير جائز واذا كان مدحا في حق يحيى وجب ان يشرع في حقنا لقوله تعالى فبهداهم اقتده
ولا يحمل الهدى على الاصول لان التقليد فيها غير جائز فوجب حمله على الفروع، وقال عليه السلام اعلموا ان خير اعمالكم
الصلاة، وقال عليه السلام افضل اعمال امتي قراءة القران، وقال ابو حنيفة النكاح افضل لقوله عليه السلام
احب المباحات الى الله النكاح ولان النكاح يتضمن صون النفس عن الزنا فيكون دفعا للضرر عن النفس والنافلة
جلب نفع ودفع الضرر اولى من جلب النفع واجيب بان تحمل الاحب على الاصلح في الدنيا لئلا يقع التناقض بين كونه
احب وبين كونه مباحا والمباح ما يستوي طرفاه في الثواب والعقاب والمندوب ما ترجح وجوده على عدمه فيكون العبادة
افضل وبقية المباحث مذكورة في كتب الفقه قوله منكم اي زوجوا ايها المؤمنون من لا زوج له من احرار رجالكم
ونسائكم، وقيل اراد بالحرية الاسلام وقوله والصالحين من عبادكم وامائكم ظاهره يقتضي الامر بتزويج هذين
الفريقين اذا كانوا صالحين وخص الصالحين بالذكر ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين منهم هم
الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في المودة فكانوا مظنة للتوصية والاهتمام بهم ومن ليس
بصالح فحاله على العكس من ذلك، وقيل اراد بالصلاح لامر النكاح حتى يقوم العبد بما يلزمه وتقوم الامة بما يلزم
للزوج، وقيل اراد بالصلاح ان لا تكون صغيرة لا تحتاج الى النكاح فصل ظاهر الاية يدل على ان العبد لا يتزوج
بنفسه وانما يتولى تزويجه مولاه لكن ثبت بالدليل انه اذا امره بان يتزوج جاز ان يتولى تزويج نفسه فيكون
تولية باذنه بمنزلة تولي السيد فاما الاماء فالولي يتولى تزويجهن خصوصا على قول من لا يجوز النكاح الا بولي
فصل الولي شرط في صحة النكاح لقوله عليه السلام لا نكاح الا بولي، وقال عليه السلام ايما امراة نكحت بغير اذن
وليها فنكاحها باطل ثلاثا فان اصابها فلها المهر بما استحل من فرجها فان اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له قوله تعالى
ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله الاصح ان هذا ليس وعدا باغناء من يتزوج بل المعنى لا تنظروا الى فقر من
يخطب اليكم او فقر من تريدون تزويجها ففي فضل الله ما يغنيهم والمال غاد ورائح وليس في الفقر ما يمنع من
الرغبة في النكاح فهذا معنى صحيح وليس فيه ان الكلام قصد به وعد الغنا حتى لا يجوز ان يقع فيه خلف وروي
ان قدماء الصحابة ما يدل على ان ذلك وعد فروي عن ابي بكر قال اطيعوا الله فيما امركم به من النكاح ينجز لكم ما
وعدكم من الغنى وعن عمر وابن عباس مثله وشكى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحاجة فقال عليك بالباءة
وقال طلحة بن مصرف تزوجوا فانه اوسع لكم في رزقكم واوسع في اخلاقكم ويزيد الله في مروتكم فان قيل فنحن نرى
من كان غنيا فتزوج فيصير فقيرا فالجواب من وجوه احدها ان هذا الوعد مشروط بالمشية في قوله وان
خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والمطلق يحمل على المقيد، وثانيها ان اللفظ وان كان عاما الا
انه يختص ببعض المذكورين دون البعض وهو في الايامى الاحرار الذين يملكون فليستغنوا بما يملكون وثالثها
المراد بالمغنى العفاف فيكون الغنى هنا معناه الاستغنا بالنكاح عن الوقوع في الزنا فصل استدل بعضهم

بهذه الاية على ان العبد والامة يملكان لان ذلك راجع الى كل من تقدم فاقتضى ان العبد قد يكون فقيرا او غنيا وذلك
يدل على الملك فثبت انهما يملكان والمفسرون تاولوه على الاحرار خاصة فقالوا هو راجع الى الايامى وان فسرنا
الغنى بالعفاف سقط استدلالهم وقوله والله واسع عليم اى يوسع عليهم من افضاله عليم بمقاديرما يصلحهم
من الافضال والرزق قوله تعالى وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا لما ذكر تزويج الحراير والاما ذكر حال
من يعجز عن ذلك فقال وليستعفف اى وليجتهد فى العفة كان المستعفف طالب من نفسه العفاف وقوله لا يجدون
نكاحا اى لا يتمكنون من الوصول اليه يقال لا يجد المرا الشى اذا لم يتمكن منه قال تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين
ويقال هو غير واجد للما وان كان موجودا اذا لم يمكنه ان يشتريه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من
المال فبين تعالى ان من لا يتمكن من ذلك فليطلب التعفف ولينتظر ان يغنيه الله من فضله ثم يصل الى بغيته
من النكاح فان قيل افليس ملك اليمين يقوم مقام نفس النكاح قلنا لكن من لم يجد المهر والنفقة فبان لا يجد
ثمن الجارية اولى قوله تعالى والذين يبتغون الكتاب الاية لما بعث السيد على تزويج الصالحين من العبيد والاما
مع الرق رغبهم فى ان يكاتبوهم اذا طلبوا ذلك ليصيروا احرارا فيتصرفون فى انفسهم كالاحرار فقال والذين
يبتغون الكتاب يجوز فى الذين الرفع على الابتدا والخبر الجملة المقترنة بالفا لما تضمنه المبتدا من معنى الشرط
ويجوز نصبه بفعل مقدر على الاشتغال كقولك زيدا فاضربه وهو ارجح لمكان الامر والكتاب والكتابة كالعتاب
والعتابة وفى اشتقاق لفظ الكتابة وجوه احدها ان اصل الكلمة من الكتب وهو الضم والجمع ومنه سميت
الكتابة لانها تضم النجوم بعضها الى بعض وتضم ماله الى ماله وثانيها ماخوذ من الكتاب ومعناه كتبت لك على
نفسى ان تعتق اذا وفيت بمال وكتبت لى على نفسك ان تفى لى بذلك او كتبت عليك الوفا بالمال وكتبت على العتق
قاله الازهرى وثالثها سمى بذلك لما يقع فيه من التاجيل بالمال المعقود عليه لانه لا يجوز ان يقع على مال هو
فى يد العبد حين يكاتب لان ذلك مال لسيده اكتسبه فى حال ما كانت يد السيد غير مقبوضة عن كسبه فلا
يجوز لهذا المعنى ان يقع هذا العقد حالا بل يقع موجلا ليكون متمكنا من الاكتساب ثم من اداب الشريعة ان يكتب
على من عليه الموجل كتاب فلهذا المعنى سمى هذا العقد كتابا لما فيه من الاجل قال تعالى لكل اجل كتاب فصل قال
بعض العلما الكتابة ان تقول لمملوكه كاتبتك على كذا وتسمى مالا معلوما يوديه فى نجمين او اكثر وتبين عدد النجوم
وما يودى فى كل نجم وتقول اذا اديت ذلك المال فانت حر ثم يعتق وقال مالك وابو حنيفة واصحابه لا حاجة
الى ذلك لان قوله تعالى وكاتبوهم ليس فيه شرط فتصح الكتابة بدون هذا الشرط واذا صحت الكتابة وجب
ان يعتق بالادا للاجماع واحتج الاولون بان الكتابة ليست عقد معاوضة محضة لان ما فى يد العبد ملك
للسيد والانسان لا يبيع ملكه بملكه بل قوله كاتبتك كناية فى العتق فلا بد فيه من لفظ التعليق او نيته
فصل لا يجوز الكتابة الحالة لان العبد ليس له ملك يوديه فى الحال واذا عقدت حالة توجهت المطالبة عليه
فى الحال فاذا عجز عن الادا لم تحصل مقصود العقد كما لو اسلم فى شى لم يوجد عند المحل لا يصح بخلاف ما لو اسلم
الى معسر فانه يجوز لانه يتصور ان يكون له ملك فى الباطن فالعجز لا يتحقق وقال ابو حنيفة يجوز لقوله تعالى
فكاتبوهم وهو مطلق يتناول الكتابة الحالة والموجلة وايضا فمال الكتابة بدل عن الرقبة فهو بمنزلة اثمان السلع
المبيعة فيجوز حالة وايضا فاجمعوا على جواز العتق معلقا على مال حال فالكتابة مثله لانه بدل عن العتق فى الحالين
الا ان فى احدهما العتق معلق على شرط الادا وفى الاخر معجل فوجب ان لا يختلف حكمهما فصل لا يجوز الكتابة
على اقل من نجمين لانه يروى عن على وعثمان وابن عمر روى ان عثمان غضب على عبده فقال لاضيقن عليك ولاكاتبنك
على نجمين ولو جاز على اقل من ذلك لكاتبه على الاقل لان التضييق فيه اشد وانما شرطنا التنجيم لانه عقد ارفاق
ومن شرط الارفاق التنجيم ليتيسر عليهم الادا وقال ابو حنيفة يجوز الكتابة على نجم واحد لان ظاهر قوله كاتبوهم
ليس فيه تقييد فصل يشترط ان يكون المكاتب بالغا عاقلا فان كان صبيا او مجنونا لم تصح كتابته لقوله تعالى
والذين يبتغون الكتاب والابتغا لا يتصور من الصبى والمجنون وقال ابو حنيفة يجوز كتابة الصبى ويقبل عنه
المولى فصل ويشترط ان يكون السيد مكلفا مطلقا فان كان صبيا او محجورا عليه لسفه لم تصح كتابته كما لا
يصح بيعه لان قوله فكاتبوهم خطاب فلا يتناول غير المكلف وقال ابو حنيفة تصح كتابة الصبى باذن الولى
فصل اختلفوا فى قوله تعالى فكاتبوهم هل هو امر ايجاب فيجب على السيد ان يكاتب مملوكه اذا ساله ذلك
بقيمته او اكثر اذا علم فيه خيرا فان ساله بدون قيمته لم يلزمه وهذا قول ابن دينار وعطا واليه ذهب
داود بن على ومحمد بن جرير لظاهر الاية وايضا فلان سبب نزولها انها نزلت فى غلام لحويطب بن عبد العزى
يقال له صبيح سال مولاه ان يكاتبه فابى عليه فنزلت الاية فكاتبه على مائة دينار ووهب له منها عشرين
دينارا وروى ان عمر امر انسا بان يكاتب سيرين ابا محمد بن سيرين فابى فرفع عليه الدرة وضربه وقال

فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وحلف عليه ليكاتبنه ولو لم يكن واجبا لكان ضربه بالدرة ظلما ولم ينكر عليه احد من
الصحابة فجرى ذلك مجرى الاجماع وقال اكثر الفقها انه امر استحباب وهو ظاهر قول ابن عباس والحسن والشعبى واليه
ذهب مالك وابو حنيفة والشافعى والثورى واحمد لقوله عليه السلام لا يحل مال امرى مسلم الا عن طيب نفس منه ولانه
لا فرق بين ان يطلب الكتابة او يطلب بيعه ممن يعتقه فى الكفارة فكما لا يجب ذلك فكذا الكتابة فان قيل كيف يصح ان
يبيع ماله بماله فالجواب اذا ورد الشرع به جاز كما اذا علق عتقه على مال يكسبه فيوديه او يودى عنه صار
سببا لعتقه فان قيل هل يستفيد العبد بعقد الكتابة مالا يملكه لولا الكتابة فالجواب نعم لانه لو دفع اليه
الزكاة قبل الكتابة لم تحل له اخذها واذا صار مكاتبا حل له اخذها سوا ادى فعتق او عجز فعاد الى الرق واستفاد ايضا
ان الكتابة تبعثه على الاجتهاد فى الكسب ولولاها لم يكن ليفعل ذلك ويستفيد المولى الثواب لانه اذا باعه فلا ثواب
واذا كاتبه فالولا له فورد الشرع بجواز الكتابة لهذه الفوايد قوله تعالى ان علمتم فيهم خيرا قال عليه السلام ان علمتم
لهم حرفة ولا تدعوهم كلا على الناس وقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثورى وقال عطا والحسن ومجاهد
والضحاك الخير المال لقوله تعالى ان ترك خيرا اى مالا قال عطا بلغنى ذلك عن ابن عباس ويروى ان عبد السلمان الفارسى
قال له كاتبنى قال الك مال قال لا قال تريد ان تطعمنى اوساخ الناس ولم يكاتبه قال الزجاج لو اراد به المال لقال
ان علمتم لهم خيرا وايضا فلان العبد لا مال له بل المال للسيد وقال ابراهيم النخعى وابن زيد وعبيدة صدقا وامانة
وقال طاوس وعمرو بن دينار مالا وامانة وقال الحسن صلاحا فى الدين قال الشافعى واظهر معانى الخير فى العبد
الاكتساب مع الامانة واحب ان لا يمتنع من الكتابة اذا كان هكذا لان مقصود الكتابة قلما يحصل الا بهما فانه
ينبغى ان يكون كسوبا يحصل المال ويكون امينا يصرفه فى نجومه ولا يضيعه قوله تعالى واتوهم من مال الله الذى اتاكم
قيل هذا خطاب للموالى يجب على المولى ان يحط عن مكاتبه من مال الكتابة شيا وهو قول عثمان وعلى والزبير وجماعة وبه
قال الشافعى وهولا اختلفوا فى قدره فقيل يحط عنه ربع مال الكتابة وهو قول على ورواه بعضهم عن على مرفوعا وعن
ابن عباس يحط الثلث وقيل ليس له حد بل يختلف بكثرة المال وقلته وهو قول الشافعى لان ابن عمر كاتب غلاما له
على خمسة وثلاثين الف درهم فوضع من اخر كتابته خمسة الاف درهم وقيل يحط عنه قدرا تحصل الاستعانة به
قال سعيد بن جبير كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيا من اول نجومه مخافة ان يعجز فترجع اليه صدقته ووضع
من اخر كتابته ما احب وكاتب عمر عبدا فجاءه بنجمه فقال اذهب فاستعن على ادا مال الكتابة فقال المكاتب لو تركته الى اخر
نجم فقال انى اخاف ان لا ادرك ذلك وقيل هو امر استحباب لقوله عليه السلام المكاتب عبد ما بقى عليه درهم
وقوله عليه السلام ايما عبد كاتب على مائة فاداها الا عشرة فهو عبد ولو كان الحط واجبا سقط عنه بقدره وايضا
فلو كان الايتا واجبا لكان وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا له ومسقطا له وذلك محال لتنافى الاسقاط
والايجاب وايضا فلو كان الحط واجبا لما احتاج الى ان يضع عنه بل كان يسقط القدر المستحق كمن له على انسان دين
ثم لذلك الاخر على الاول مثله فانه يصير قصاصا وايضا فلو كان واجبا لكان قدره لا يخلو اما ان يكون معلوما او مجهولا
فان كان معلوما وجب ان تكون الكتابة بثلاثة ارباع المال على قول من يجعله الربع فيعتق اذا ادى ثلاثة الاف
اذا كان العقد على اربعة الاف وذلك باطل لان النبى عليه السلام جعله شرطا فلا يعتق باداء البعض لقوله عليه السلام المكاتب عبد
ما بقى عليه درهم وان كان مجهولا صارت الكتابة مجهولة لان الباقى بعد الحط مجهول فلا يصح كما لو كاتب عبده على الف
درهم الا شيا وقال قوم المراد بقوله واتوهم اى سهمهم الذى جعله الله لهم من الصدقات المفروضات بقوله
وفى الرقاب وهو قول الحسن وزيد بن اسلم ورواية عطا عن ابن عباس وعلى هذا الخطاب لغير السادة لانهم اجمعوا
على انه لا يجوز للسيد ان يدفع زكاته الى مكاتبه وقال الكلبى وعكرمة وابراهيم هو خطاب لجميع الناس وحث على معونة
المكاتب لقوله عليه السلام من اعان مكاتبا فى فك رقبته اظله الله فى ظل عرشه فصل اذا مات المكاتب قبل
ادا النجوم فقيل يموت رقيقا وترتفع الكتابة سوا ترك مالا او لم يترك كما لو تلف المبيع قبل القبض يرتفع البيع وهو
قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهرى وقتادة واليه ذهب الشافعى واحمد وقيل
ان ترك وفا بما بقى عليه من الكتابة كان حرا وان كان فيه فضل فالزيادة لاولاده الاحرار وهو قول عطا وطاوس والنخعى
والحسن وبه قال مالك والثورى واصحاب الراى فصل ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق باداء المال لان عتقه معلق
بالادا وقد وجد ويتبعه الاولاد والاكساب كما فى الكتابة الصحيحة ولا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن ادا
النجوم ولا تبطل بموت المولى ويعتق بالابرا من النجوم والكتابة الفاسدة يملك المولى فسخها قبل ادا المال حتى لو ادى المال
بعد الفسخ لا يعتق وتبطل بموت المولى ولا يعتق بالابرا من النجوم واذا عتق باداء المال لا يثبت التراجع فى الكتابة
الصحيحة ويثبت فى الكتابة الفاسدة فيرجع المولى عليه بقيمة رقبته وهو يرجع على المولى بما دفع اليه ان كان
مالا قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغا الاية لما بين ما يلزم من تزويج العبيد والاما وكاتبهم اتبع ذلك

بالمنع من اكراه الاما على البغا. اعلم ان العرب تقول للمملوك فتى وللمملوكة فتاة قال تعالى فلما جاوزا قال لفتاه وقال تراود فتاها وقال مما ملكت ايمانكم من فتياتكم. وقال عليه السلام ليقل احدكم فتاى وفتاتى ولا يقل عبدى وامتى. والبغا الزنا مصدر بغت المراة تبغى بغاء اى زنت وهو مختص بزنا النسا فصل قال المفسرون نزلت فى عبد الله بن ابى المنافق كانت له ست جوارى معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغا وضرب عليهن ضرائب ياخذها وكذلك كانوا يفعلون فى الجاهلية يواجرون امائهم فلما جا الاسلام قالت معاذة لمسيكة ان هذا الامر الذى نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يكن خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا فقد ان لنا ان ندعه فشكتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية. وروى انه جات احدى الجاريتين يوما ببرد وجات الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لا نفعل وقد جا الاسلام وحرم الزنا فاتتا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا اليه فانزل الله عز وجل هذه الاية. وروى ان عبد الله بن ابى اسر رجلا فاراد الاسير جارية عبد الله وكانت الجارية مسلمة فامتنعت الجارية لاسلامها واكرهها سيدها على ذلك رجاء ان تحمل من الاسير فيطلب فداء ولده فنزلت الاية. وروى ابو صالح عن ابن عباس قال جاء عبد الله بن ابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جارية من اجمل النسا تسمى معاذة وقال يا رسول الله هذه لايتام فلان افلا نامرها بالزنا فيصيبون من منافعها فقال عليه السلام لا فاعاد الكلام فنزلت الاية فصل الاكراه انما يحصل بالتخويف بما يقتضى تلف النفس ومعنى قوله ان اردن تحصنا اى اذا اردن وليس معناه الشرط لانه لا يجوز اكراههن على الزنا ان لم يردن تحصنا كقوله عز وجل وانتم الاعلون ان كنتم مومنين. وقيل انما شرط ارادة التحصن لان الاكراه انما يكون عند ارادة التحصن فان لم يرد التحصن بغت طوعا لانه متى لم توجد ارادة التحصن لم تكن كارهة للزنا وكونها غير كارهة للزنا يمنع اكراهها فامتنع الاكراه لامتناعه فى نفسه وقيل هذا الشرط لا مفهوم له لانه خرج مخرج الغالب لان الغالب ان الاكراه لا يحصل الا عند ارادة التحصن كما ان الخلع يجوز فى غير حالة الشقاق ولكن لما كان الغالب وقوع الخلع فى حالة الشقاق لا جرم لم يكن لقوله فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ومنه قوله تعالى واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا والقصر لا يختص بحال الخوف ولكنه اخرجه على الغالب فكذا ههنا وقال بعض العلما فى الاية تقديم وتاخير تقديره وانكحوا الايامى منكم ان اردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا اى لتطلبوا من اموال الدنيا يريد من كسبهن وبيع اولادهن. والتحصن التعفف قوله تعالى ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اى غفور رحيم للمكرهات والوزر على المكره وكان الحسن اذا قرا هذه الاية قال لهن والله لهن والله وقال ابن الخطيب فيه وجهان. احدهما غفور لهن لان الاكراه يزيل الاثم والعقوبة عن المكره فيما فعل. والثانى فان الله غفور رحيم بالمكره بشرط التوبة وهذا ضعيف لانه يحتاج الى الاضمار والاول لا يحتاج اليه وفى هذا نظر لانه لا بد من ضمير يعود على اسم الشرط عند الجمهور كما تقدم تحقيقه فى البقرة قوله فان الله جملة وقعت جوابا للشرط والعائد على اسم الشرط محذوف تقديره غفور لهم وقدره الزمخشرى فى احد تقديراته وابن عطية وابو البقا فان الله غفور لهن اى للمكرهات فعريت جملة الجزاء عن رابط يربطها باسم الشرط ولا يقال ان الرابط هو الضمير المقدر الذى هو فاعل المصدر اذ التقدير من بعد اكراههم لهن فليكتف بهذا الرابط المقدر لانهم لم يعدوا ذلك من الروابط تقول هند عجبت من ضربها زيدا فلهذا جايز ولو قلت هند عجبت من ضرب زيد اى من ضربها لم يجز لخلوها من الروابط وان كان مقدرا ولما قدر الزمخشرى لهن سوال القفال قال قلت لا حاجة الى تعلق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكره غير اثمة قلت لعل الاكراه غير ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل او بما يخاف منه التلف او فوات عضو حتى يسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذى تعذر فيه فتكون اثمة قوله تعالى ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات الاية لما ذكر الاحكام وصف القران بصفات ثلاث. احدها قوله ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات اى مفصلات. وقرا حمزة والكساى وابن عامر مبينات بكسر اليا اى انها تبين للناس الحلال والحرام كقوله تعالى بلسان عربى مبين وتقدم الكلام فى مبينات كسرا وفتحا. وثانيها قوله ومثلا من الذين خلوا من قبلكم. قال الضحاك يريد بالمثل ما فى التورية والانجيل من اقامة الحدود فانزل فى القران مثله. وقال مقاتل قوله ومثلا اى شبها من حالهم بحالكم فى تكذيب الرسل يعنى بينا لكم ما احللنا بهم من العقاب لتمردهم على الله فجعلنا ذلك مثلا لكم وهذا تخويف لهم فقوله ومثلا عطف على ايات اى وانزلنا مثلا من امثال الذين من قبلكم. وثالثها قوله وموعظة للمتقين قوله تعالى الله نور السموات والارض الاية هذه جملة من مبتدا وخبر اما على حذف مضاف اى ذو نور السموات والمراد بالنور عدله ويويد هذا قوله مثل نوره واضاف النور لهذين الظرفين اما دلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضى له السموات والارض. واما لارادة اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به. ويجوز انه بالغ فى العبارة على سبيل المدح كقولهم فلان شمس البلاد وقمرها. قال النابغة. فانك شمس والملوك كواكب.

اذا طلعت لم يبد منهن كوكب. وقال فى القبايل لخالد بن يزيد. ويجوز ان يكون المصدر واقعا موقع اسم الفاعل اى منور السموات ويويد هذا الوجه قراة امير المومنين وزيد بن على وابى جعفر وعبد العزيز المكى نور فعلا ماضيا وفاعله ضمير البارى تعالى السموات مفعوله وكسره نصب والارض فالنصب نسق عليه وفسره الحسن فقال الله منور السموات فصل قال ابن عباس هادى اهل السموات والارض. وقال ابى فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون. وقال الضحاك منور السموات والارض. وقال ابى بن كعب والحسن وابو العالية مزين السموات والارض زين السما بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبيا والعلما والمومنين. وقيل بالنبات والاشجار وقيل معناه الانوار كلها منه كما يقال فلان رحمة اى منه الرحمة وقد يذكر مثل هذا اللفظ على طريق المدح كقول القايل

اذا سار عبد الله من مرو ليلة. فقد سار منها نورها وجمالها

قوله تعالى مثل نوره كمشكاة مبتدا وخبر وهذه الجملة ايضاح وتفسير لما قبلها فلا محل لها وثم مضاف محذوف اى كمثل مشكاة. قال الزمخشرى اى صفة نوره العجيبة الشان فى الاضاة كمشكاة اى كصفة مشكاة. واختلفوا فى الضمير فى نوره فقيل هو لله تعالى اى مثل نور الله عز وجل فى قلب المومن وهو النور الذى يهتدى به كما قال فهو على نور من ربه وكان ابن مسعود يقرا مثل نوره فى قلب المومن وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل نوره الذى اعطى المومن وعلى هذا المراد بالنور الايمان والايات البينات وقيل يعود على المومنين او المومن او من امن به والمراد بالنور الايمان والقران لقوله تعالى قد جاكم من الله نور وكتاب مبين وقال سعيد بن جبير والضحاك الضمير يعود على محمد صلى الله عليه وسلم ولم يتقدم لهذه الاشيا ذكر. واما عوده على المومنين فى قراة ابى ففيه اشكال من حيث الافراد. قال مكى يوقف على الارض فى هذه الاقوال الثلاثة. وقيل اراد بالنور الطاعة سمى طاعة الله نورا واضاف هذه الانوار الى نفسه تفضيلا فصل واختلفوا فى هذا التشبيه قيل هو تشبيه مركب اى انه قصد فيه تشبيه جملة بجملة من غير نظر الى مقابلة جز بجز بل قصد تشبيه هداه واتقانه صنعته فى كل مخلوق على الجملة بهذه الجملة من النور الذى تتخذونه وهو ابلغ صفات النور عندكم او تشبيه غير مركب اى قصد مقابلة جز بجز وبترتب الكلام فيه بحسب الاقوال فى الضمير فى نوره والمشكوة الكوة غير النافذة وهل هى عربية ام حبشية معربة خلاف. وقال مجاهد القنديل. وقيل هى الحديدة او الرصاصة التى يوضع فيها الذبال وهو الفتيل ويكون فى جوف الزجاجة. وقيل هى العمود الذى يوضع على راسه المصباح. وقيل ما يعلق فيه القنديل من الحديدة. واما المشكوة الدورى عن الكساى لتقدم الكسر وان وجد فاصل ورسمت بالواو كالزكوة والصلوة والمصباح السراج الضخم واصله من الضوء ومنه الصبح والزجاجة واحدة الزجاج وهو جوهر معروف وفيه ثلاث لغات فالضم لغة الحجاز وبها قرا العامة والفتح والكسر لغة قيس وبالفتح قرا ابن ابى عبلة ونصر بن عاصم فى رواية ابن مجاهد وبالكسر قرا نصر بن عاصم فى رواية عنه وابو رجا وكذلك الخلاف فى قوله الزجاجة والجملة من قوله فيها مصباح صفة لمشكوة ويجوز ان يكون الجار وحده هو الوصف ومصباح مرتفع به فاعلا قوله تعالى درى قرا ابو عمرو والكساى بكسر الدال ويا بعدها همزة. وقرا حمزة وابو بكر عن عاصم بضم الدال ويا بعدها همزة والباقون بضم الدال وتشديد اليا من غير همز وهذه الثلاثة فى السبع. وقرا زيد بن على والضحاك وقتادة بفتح الدال وتشديد اليا وقرا الزهرى بكسرها وتشديد اليا وقرا ابان بن عثمن وابن المسيب وابو رجا وقتادة ايضا درى بفتح الدال ويا بعدها همزة فاما الاولى فقراة واضحة لانه بنا كثير يوجد فى الاسما نحو سكين وفى الصفات نحو سكير. واما القراة الثانية فهى من الدر بمعنى الدفع اى يدفع بعضها بعضا او يدفع ضوءها خفاها قيل ولم يوجد شى وزنه فعيل الا مريقا للعصفر وسرية على قولنا انها من السر وروايته ابدال من احدى المضعفات بالواو وعممت فيها فعيل ومريخا للذى فى داخل القرن اليابس ويقال بكسر الميم ايضا وعلية ودرية ايضا فى قول. وقال بعضهم وزن درى فى هذه القراة فعول كسبوح قدوس فاستثقل توالى الضم فنقل الى الكسر وهذا منقول ايضا فى سرية وذرية. واما القراة الثالثة فتحتمل وجهين احدهما ان تكون اصلها الهمزة كقراة حمزة الا انه ابدل من الهمز يا وادغم فيتحد معنى القراتين. ويحتمل ان تكون نسبة الى الدر لصفايها وظهور اشراقها كما قالوا اعيانى نفول من عتو وان كان الكوكب اكثر ضوءا من الدر لكنه يفضل الكواكب بضيائه كما يفضل الدر ساير الحب. واما قراة تشديد اليا مع فتح الدال وكسرها فالذى يظهر انه منسوب الى الدر والفتح والكسر فى الدال من باب تغييرات النسب واما فتح الدال مع المد والهمز ففيها اشكال قال ابو الفتح وهو بنا عزيز لم يحفظ منه الا السكينة بفتح الفا وتشديد العين. قال شهاب الدين وقد حكى الاخفش فعلية السكينة والوقار وكوكب درى من درايه قوله تعالى توقد قرا ابن كثير وابو عمرو توقد بزنة تفعل فعلا ماضيا فيه ضمير فاعله يعود على المصباح ولا يعود على كوكب لفساد المعنى والاخوان وابو بكر توقد بضم التا من فوق وفتح القاف مضارع اوقد وهو مبنى للمفعول والقايم مقام الفاعل ضمير يعود على زجاجة فاستتر فى الفعل وباقى السبعة كذلك الا انه باليا من تحت والضمير المستتر يعود

على المصباح وقرا الحسن والسلمي وابن محيصن ورويت عن عاصم من طريق المفضل كذلك الا انه ضم الدال جعله مضارع توقد والاصل تتوقد بتائين فحذف احديهما كيتذكر والضمير ايضا للزجاجة وقرا عبد الله وقد فعلا ماضيا بوزن تفعل مشددا اى المصباح وقرا الحسن وسلام ايضا يوقد بالياء من تحت وضم الدال مضارع يوقد والاصل يتوقد بياء من تحت وتاء من فوق فحذف التاء من فوق وهذا شاذ اذ لم يتوال مثلان ولم يبق فى اللفظ ما يدل على المحذوف بخلاف تنزل وتذكر وبابه فان فيه تائين والباقى يدل على ما فقد وقد يتمحل لصحته وجه من القياس وهو انهم قد حملوا اعد وتعد ويعد على نعد فى حذف الواو لوقوعها بين ياء وكسرة فلذلك حملوا يتوقد بالياء والتاء على تتوقد بتائين وان لم يكن الاستثقال موجودا فى الياء والتاء قوله تعالى من شجرة من لابتداء الغاية وثم مضاف محذوف اى من زيت شجرة وزيتونة فيها قولان اشهرهما انها بدل من شجرة والثانى انها عطف بيان وهذا مذهب الكوفيين وتبعهم ابو علي وتقدم هذا فى قوله من ماء صديد قوله تعالى لا شرقية صفة لشجرة ودخلت لا لتنفيذ النفى وقرا الضحاك بالرفع على اضمار مبتدا اى لا هى شرقية والجملة ايضا فى محل جر نعتا لشجرة قوله تعالى يكاد هذه الجملة ايضا نعت لشجرة قوله تعالى ولو لم تمسسه نار جوابها محذوف اى لاضاءت لدلالة ما تقدم عليه والجملة حالية وتقدم تحرير هذا فى قوله ردوا السائل ولو جاء على فرس وانها لاستقصاء الاحوال حتى فى هذه الحال وقرا ابن عباس والحسن يمسسه بالياء لان التانيث مجازى ولانه قد فصل بالمفعول ايضا

فصل فى كيفية هذا التمثيل قال جمهور المتكلمين معناه ان هداية الله قد بلغت فى الظهور والجلاء الى اقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكاة التى يكون فيها زجاجة صافية وفى الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية فى الصفاء فان قيل لم شبهه بذلك مع ان ضوء الشمس اعظم منه فالجواب انه تعالى اراد ان يصف الضوء الكامل الذى يلوح وسط الظلمة لان الغالب على اوهام الخلق وخيالاتهم انما هو الشبهات التى هى كالظلمات وهذا المقصود لا يحصل من ضوء الشمس لان ضوءها اذا ظهر امتلا العالم من النور الخالص واذا غاب امتلا العالم من الظلمة الخالصة فلا جرم كان هذا المثل اليق واوفق

فصل اعلم ان الامور التى اعتبرها الله تعالى فى هذا المثل توجب كمال الضوء فاولها ان المصباح اذا لم يكن فى المشكاة تفرقت اشعته اما اذا وضع فى المشكاة اجتمعت اشعته فكانت اشد انارة ويحقق ذلك ان المصباح ينعكس شعاعه من بعض جوانب الزجاجة الى البعض لما فى الزجاجة من الصفاء والشفافة فيزداد بسبب ذلك الضوء والنور والذى يحقق ذلك ان شعاع الشمس اذا وقع على الزجاجة الصافية تضاعف الضوء الظاهر حتى انه يظهر فيما يقابله مثل ذلك الضوء فاذا انعكست تلك الاشعة من كل جانب من جوانب الزجاجة الى الجانب الاخر كثرت الانوار والاضواء وبلغت النهاية وثانيها ان ضوء المصباح يختلف بحسب اختلاف ما يتقد فيه فاذا كان الدهن صافيا خالصا كان حاله بخلاف حاله اذا كان كدرا وليس فى الادهان التى توقد ما يظهر فيه من الصفاء مثل الذى يظهر فى الزيت فربما يبلغ فى الصفاء والرقة مبلغ الماء مع زيادة بياض فيه وشعاع يتردد فى اجزائه وثالثها ان الزيت يختلف باختلاف شجرته فاذا كانت لا شرقية ولا غربية بمعنى انها كانت بارزة للشمس فى كل حالاتها فيكون زيتونها اشد نضجا فكان زيته اكثر صفاء لان زيادة تاثير الشمس يؤثر فى ذلك فاذا اجتمعت هذه الامور وتعاونت صار ذلك الضوء خالصا كاملا فيصلح ان يجعل مثلا لهداية الله تعالى

فصل قال بعضهم هذه الاية من المقلوب والتقدير مثل نوره كمصباح فى مشكوة لان المشبه به هو الذى يكون معدنا للنور ومنبعا له وذلك هو المصباح لا المشكاة

فصل قال مجاهد المشكاة القنديل والمعنى كمصباح فى مشكاة المصباح فى زجاجة يعنى القنديل قال الزجاج انما ذكر الزجاجة لان النور وضوء النهار فيها ابين من كل شىء وضوءه يزيد فى الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال الزجاجة كانها كوكب درى والدرى الدفع لان الكواكب تدفع الشياطين من السماء وشبهه حالة الدفع لانه يكون فى تلك الحالة اضوء وانور وقيل درى اى طالع يقال درا النجم اذا طلع وارتفع ويقال هو من درا الكوكب اذا اندفع منقضا فيضاعف ضوءه فى ذلك الوقت ويقال درا علينا فلان اى طلع وظهر وقيل الدرى اى ضخم مضىء ودرارى النجوم عظامها وقيل الكوكب الدرى واحد من الكواكب الخمسة العظام وهى زحل والمريخ والمشترى والزهرة وعطارد وقيل الكواكب المضيئة كالزهرة والمشترى والثوابت التى فى العظم الاول فان قيل لم شبهه بالكوكب ولم يشبهه بالشمس والقمر فالجواب لان الشمس والقمر يلحقهما الخسوف والكواكب لا يلحقها الخسوف توقد يعنى المصباح اى اتقد ويقال توقدت النار اى اتقدت يعنى نار الزجاجة لان الزجاجة لا توقد هذا على قراءة من ضم التاء وفتح القاف واما على قراءة الاخرين فتوقد يعنى المصباح من شجرة مباركة من زيت شجرة مباركة فحذف المضاف بدليل قوله يكاد زيتها يضىء واراد بالشجرة المباركة الزيتونة وهى كثيرة البركة والنفع لان الزيت يسرج به وهو اضوء واصفى الادهان وهو ادام وفاكهة ولا يحتاج فى استخراجه الى اعصار بل كل احد يستخرجه وقيل اول شجرة نبتت بعد الطوفان وبارك فيها سبعون نبيا منهم الخليل وجاء فى الحديث انه مصحة من الباسور

وهى

وهى شجرة تورق من اعلاها الى اسفلها وقال عليه السلام كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة وقيل المراد زيتون الشام لانه فى الارض المباركة فلهذا جعل الله هذه الشجرة بانها لا شرقية ولا غربية واستدلوا على ذلك بوجوه احدها ان الشام وسط الدنيا فلا توصف شجرها بانها شرقية او غربية وهذا ضعيف لان من قال الارض كرة لم يثبت للمشرق والمغرب موضعين معينين بل لكل بلد مشرق ومغرب على حدة لان المثل مضروب لكل من يعرف وقد لا يوجد فى غير الشام كوجوده فيه وثانيها قال الحسن لانها من شجر الجنة اذ لو كانت من شجر الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية وهذا ايضا ضعيف لانه تعالى انما ضرب المثل بما شاهدوه وهم ما شاهدوا شجر الجنة وثالثها انها شجرة يلتف بها ورقها التفافا شديدا فلا تصله الشمس سواء كانت الشمس شرقية او غربية وليس فى الشجر ما يورق غصنه من اوله الى اخره مثل الزيتون والرمان وهذا ايضا ضعيف لان الغرض صفاء الزيت وذلك لا يحصل الا بكمال نضج الزيتون وذلك انما يحصل فى العادة بوصول اثر الشمس اليه لا بعدم وصوله ورابعها قال ابن عباس المراد الشجرة التى تبرز على جبل عال او صحراء واسعة فتطلع الشمس عليها حالة الطلوع والغروب وهذا قول جبير وقتادة وقال الفراء والزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها ولكنها شرقية وغربية كما يقال فلان لا يسافر ولا يقيم اذا كان لا يسافر ولا يقيم ابدا تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتاخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوء كما يقال فلان ليس باسود ولا ابيض يريد ليس باسود خالص ولا بابيض خالص بل اجتمع فيه الامران وهذا الرمان ليس بحلو ولا حامض اى اجتمع فيه الحلاوة والحموضة وهذا هو المختار لان الشجرة اذا كانت كذلك كان زيتها فى نهاية الصفاء وحينئذ يكون مقصود التمثيل اتم وقيل المراد بالمشكوة صدر محمد والزجاجة قلب محمد والمصباح ما فى قلب محمد من الدين توقد من شجرة مباركة يعنى واتبع ملة ابراهيم والشجرة ابراهيم ثم وصف ابراهيم بقوله لا شرقية ولا غربية اى لا يصلى قبل المشرق ولا قبل المغرب كاليهود والنصارى بل كان عليه السلام يصلى الى الكعبة ثم قال يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار لان الزيت اذا كان خالصا صافيا ثم راى من بعيد يرى كان له شعاعا فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوء كذلك قال ابن عباس يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد نورا على نور وهدى على هدى وقال الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحى قال عبد الله بن رواحة لو لم يكن فيه ايات مبينة كانت تنبيك بالخبر وقال محمد بن كعب القرظى المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم سماه الله مصباحا كما سماه سراجا فقال وسراجا منيرا توقد من شجرة مباركة وهى ابراهيم عليه السلام وسماه مباركا لان اكثر الانبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية اى لم يكن ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلى قبل المغرب والنصارى قبل المشرق يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار يكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل ان يوحى اليه نور على نور نبى من نسل نبى نور محمد على نور ابراهيم قوله تعالى نور على نور خبر مبتدا مضمر اى ذلك نور وعلى نور صفة لنور والمعنى ان القران نور من الله عز وجل لخلقه مع ما اقام لهم من الدلائل والاعلام قبل نزول القران فازدادوا بذلك نورا على نور يهدى الله لنوره من يشاء قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة وقيل القران قال ابى المؤمن يتقلب فى خمسة انوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور واستدل اهل السنة بهذه الاية على صحة مذهبهم فقالوا انه تعالى بعد ان بين ان هذه الدلائل التى بلغت فى الظهور والوضوح الى هذا الحد الذى لا يمكن الزيادة عليه قال يهدى الله لنوره من يشاء اى بايضاح هذه الادلة من يشاء اى وضوح هذه الدلائل لا يكفى ولا ينفع ما لم يخلق الله الايمان قوله تعالى ويضرب الله الامثال للناس اى للمكلفين تقريبا لافهامهم وتسهيلا لنيل الادراك والله بكل شىء عليم وهذا كالوعيد لمن لا يعتبر ولا يتفكر فى امثاله ولا ينظر فى ادلته فيعرف وضوحها وبعدها عن الشبهات قالت المعتزلة قوله تعالى ويضرب الله الامثال للناس ذكره فى معرض النعمة وانما يكون نعمة عظيمة لو امكنهم الانتفاع به وتقدم جوابه قوله تعالى فى بيوت اذن الله ان ترفع الاية الباء من بيوتهم تضم وتكسر لغة واعلم ان قوله فى بيوت يقتضى محذوفا يكون فيها وذكروا فيها ستة اوجه احدها ان قوله فى بيوت صفة لمشكوة اى كمشكاة فى بيوت اى فى بيت من بيوت الله الثانى انه صفة لمصباح وهذا اختيار اكثر المحققين واعترض عليه ابو مسلم بحجة الاصفهانى من وجهين الاول ان المقصود من ذكر المصباح المثل وكون المصباح فى بيت اذن الله لا يزيد فى هذا المقصود لان ذلك لا يزيد المصباح انارة واضاءة والثانى الذى تقدم ذكره فيه وجوه تقتضى كونه واحدا كقوله كمشكاة وقوله فيها مصباح وقوله فى زجاجة وقوله كانها كوكب درى ولفظ البيوت جمع ولا يصح كون هذا الواحد فى كل البيوت واجيب عن الاول ان المصباح الموضوع فى الزجاجة الصافية اذا كان فى المساجد كان اعظم واضخم فكان اضوا فكان التمثيل به اتم واكمل وعن الثانى انه لما كان القصد بالمثل هذا الذى له هذا الوصف فيدخل تحته كل مشكاة فيها مصباح فى زجاجة تتوقد من الزيت فتكون الفائدة فى ذلك ان ضوءه يظهر فى هذه البيوت بالليالى عند الحاجة الى عبادة الله تعالى كقولك الذى يصلح لخدمتى رجل يرجع الى علم وقناعة يلزم بيته لكان وان ذكر بلفظ الواحد

فالمراد النوع فكذا ههنا الوجه الثالث انه صفة لزجاجة الرابع انه يتعلق بتوقد اى توقد فى بيوت والبيوت هى المساجد قال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال المساجد بيوت الله فى الارض وهى تضئ لاهل السما كما تضئ النجوم لاهل الارض وعلى هذه الاقوال الاربعة لا يوقف على عليم الوجه الخامس انه متعلق بمحذوف كقوله فى تسع ايات اى سبحوه فى بيوت السادس انه متعلق بيسبح اى يسبح رجال فى بيوت وفيها تكرير للتوكيد كقوله ففى الجنة خالدين فيها وعلى هذين القولين فيوقف على عليم قوله اذن الله فى محل جر صفة لبيوت وان ترفع على حذف الجار اى فى ان ترفع ولا يجوز تعلق فى بيوت بقوله ويذكر لانه عطف على ما فى حيز ان وما يتقدم عليها فصل قال اكثر المفسرين المراد بالبيوت ههنا المساجد وقال عكرمة هى البيوت كلها والاول اولى لان فى البيوت ما لا يوصف بان الله اذن ان ترفع وايضا فان الله تعالى وصفها بالذكر والتسبيح والصلاة وذلك لا يليق الا بالمساجد ثم القائلون بانها المساجد قال بعضهم انها اربع مساجد لم يبنها الا نبى الكعبة بناها ابراهيم واسماعيل فجعلاها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة بناه النبى عليه السلام ومسجد قبا اسس على التقوى بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الحسن ان ذلك بيت المقدس يسرج فيه عشرة الاف قنديل وهذا التخصيص بغير دليل وقال ابن عباس المراد جميع المساجد كما تقدم قوله تعالى ان ترفع قال مجاهد تبنى كقوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وهو مروى عن ابن عباس وقال الحسن والزجاج تعظم وتطهر عن الانجاس ولغو الافعال وقيل مجموع الامرين ويذكر فيها اسمه قال ابن عباس يتلى فيها كتابه وقيل عام فى كل ذكر قوله تعالى يسبح له فيها قرا ابن عامر وابو بكر بفتح البا مبنيا للمفعول والقايم مقام الفاعل احد المجرورات الثلاث والاولى منها بذلك الاول لاحتياج العامل الى مرفوعه فالذى يليه اولى ورجال على هذه القراة مرفوع على احد وجهين اما بفعل مقدر لتقدم اسناد الفعل اليه وكانه جواب سوال مقدر كانه قيل من يسبحه فقيل يسبحه رجال وعليه فى احد الوجهين قول الشاعر ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوايح كانه قيل من يبكيه فقيل يبكيه ضارع الا ان فى اقتياس هذا خلافا منهم من جوزه وقال عليه ضربت هند زيدا اى ضربها زيد ومنهم من منعه والوجه الثانى فى البيت ان يزيد منادى حذف منه حرف النداء اى يا يزيد وهو ضعيف جدا الثانى ان رجال خبر مبتدا محذوف اى المسبحة رجال وعلى هذه القراة يوقف على الاصال وباقى السبعة بكسر البا مبنيا للفاعل والفاعل رجال فلا يوقف على الاصال وقرا ابن وثاب وابو حيوة تسبح بالتا من فوق وكسر البا لان جمع التكسير يعامل معاملة المونث فى بعض الاحكام وهذا منها وقرا ابو جعفر كذلك الا انه فتح البا وخرجها الزمخشرى على اسناد الفعل الى الغدو والاصال على زيادة البا كقولهم صيد عليه يومان اى وحشهما وخرجها غيره على ان القايم مقام الفاعل ضمير التسبيحة اى تسبح التسبيحة على المجاز المسوغ لاسناده الى الوقتين كما خرجوا قراة ابى جعفر ايضا ليجزى قوما اى ليجزى الجزا قوما بل هذا اولى من اية الجاثية اذ ليس هنا مفعول صريح فصل اختلفوا فى هذا التسبيح فالاكثرون حملوه على الصلاة المفروضة وهولا منهم من حمله على صلاة الصبح والعصر فقال كانتا واجبتين فى ابتدا الحال ثم زيد فيهما وقال عليه السلام من صلى صلاة البردين دخل الجنة وقيل اراد الصلوات المفروضة فالتى تودى بالغداة صلاة الفجر والتى تودى بالاصال صلاة الظهر والعصر والعشاين لان اسم الاصيل يجمعها والاصال جمع اصيل وهو العشى وانما وحد الغدو لانه مصدر فى الاصل لا يجمع والاصيل اسم يجمع قال الزمخشرى بالغدو اى باوقات الغدو وقيل صلاة الضحى قال عليه السلام من مشى الى صلاة مكتوبة وهو متطهر فاجره كاجر الحاج المحرم ومن مشى الى تسبيح الضحى لا ينصبه الا اياه فاجره كاجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة لا لغو بينهما كتاب فى عليين وقال ابن عباس ان صلاة الضحى لفى كتاب الله يود بهذه الاية وقيل المراد منه تنزيه الله تعالى عما لا يليق به فى ذاته وفعله لانه قد عطف على ذلك الصلاة والزكوة فقال عن ذكر الله واقام الصلاة وايتا الزكاة وهذا الوجه اظهر وقرى بالغدو والايصال وهو الدخول فى الاصل قوله تعالى لا تلهيهم فى محل رفع صفة لرجال خص الرجال بالذكر فى هذه المساجد لانه ليس على النسا جمعة ولا جماعة فى المسجد لا تلهيهم تشغلهم تجارة قيل خص التجارة بالذكر لانها اعظم ما يشتغل به الانسان عن الصلاة والطاعات قال الحسن اما والله انهم كانوا يتجرون ولكن اذا جاتهم فرايض الله لم يلههم عنها شى فقاموا بالصلاة والزكاة فان قيل البيع داخل فى التجارة فلم اعاد البيع فالجواب من وجوه الاول ان التجارة جنس يدخل تحته انواع الشرا والبيع وانما خص البيع لان الالتها به اعظم لكون الربح الحاصل من البيع معين ناجز والربح الحاصل من الشرا مشكوك مستقبل الثانى ان البيع تبديل العرض بالنقدين والشرا بالعكس والرغبة فى تبديل النقد اكثر من العكس الثالث قال الفرا التجارة لاهل الجلب يقال تجر فلان فى كذا اذا اجلبه من غير بلده والبيع ما باعه على يديه الرابع اراد بالتجارة الشرا وان كان اسم التجارة يقع على البيع والشرا جميعا لانه ذكر البيع بعده كقوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا يعنى الشرا قوله تعالى عن ذكر الله عن حضور المساجد لاقامة الصلوات فان قيل فما معنى قوله واقام

الصلاة فالجواب قال ابن عباس المراد باقام الصلاة اقامتها لمواقيتها لان من اخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمى الصلاة ويجوز ان يكون الصلاة تفسير الذكر الله فهم يذكرون قبل الصلاة قال الزجاج وانما حذفت الها لانه يقال اقمت الصلاة اقامة وكان الاصل اقواما ولكن قلبت الواو الفا فاجتمعت الفان فحذف احدهما لالتقا الساكنين فبقى اقمت الصلاة اقاما فادخلت الها عوضا عن المحذوف وقامت الاضافة ههنا فى التعريض مقام الها المحذوفة وهذا اجماع من النحويين فصل الصلوات المفروضة لما روى سالم عن ابن عمر انه كان فى السوق فاقيمت الصلاة فقام الناس واغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الاية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وقوله وايتا الزكاة يريد المفروضة قال ابن عباس اذا حضر وقت ادا الزكاة لم يحبسوها وروى عن ابن عباس ايضا المراد من الزكاة طاعة الله والاخلاص وهذا ضعيف لانه تعالى علق الزكاة بالايتا وهذا لا يحتمل الا ما يعطى من حقوق المال قوله تعالى يخافون يوما يجوز ان يكون نعتا ثانيا لرجال وان يكون حالا من مفعول تلهيهم ويوما مفعول به لا ظرف على الاظهر وتتقلب صفة ليوما قوله تعالى تتقلب فيه القلوب والابصار تتقلب القلوب عما كانت عليه فى الدنيا من الشرك والكفر وتنفتح الابصار من الاغطية بعد ان كانت مطبوعة عليها لا تبصر وكلهم انقلبوا من الشك الى اليقين كقوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقوله لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاك فبصرك اليوم حديد وقيل تتقلب القلوب تطمع فى النجاة وتخشى الهلاك وتتقلب الابصار من اى ناحية يوخذ بهم من ناحية اليمين ام ناحية الشمال ومن اى ناحية يعطون كتابهم امن قبل اليمين ام من قبل الشمال والمعتزلة لا يرضون بهذا التاويل لانهم قالوا ان اهل الثواب لا خوف عليهم البتة واهل العقاب لا يرجون العفو وقيل ان القلوب تزول من اماكنها فتبلغ الحناجر والابصار تصير زرقا وقيل تقلب البصر شخوصه من هول الامر وشدته وقال الجبائى تقلب القلوب والابصار تغير هيئاتها بسبب ما ينالها من العذاب قال ويجوز ان يريد به تقلبها على جمر جهنم كقوله ونقلب افيدتهم وابصارهم كما لم يومنوا به اول مرة قوله تعالى ليجزيهم يجوز تعليقه بيسبح اى يسبحون لاجل الجزا ويجوز تعلقه بمحذوف اى فعلوا ذلك ليجزيهم وظاهر كلام الزمخشرى انه من باب الاعمال فانه قال والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ويكون على اعمال الثانى لحذف من الاول وقوله احسن ما عملوا اى ثواب احسن او احسن جزا ما عملوا وما مصدرية بمعنى الذى او نكرة فصل المراد بالاحسن الحسنات اجمع وهى الطاعات فرضها ونفلها قال مقاتل انما ذكر الاحسن لانه لا يجازيهم على مساوى اعمالهم بل يغفرها لهم وقيل يجزيهم جزا احسن ما عملوا على الواحد عشرا الى سبعماية ثم قال ويزيدهم من فضله اى ما لم يستحقوه باعمالهم فان قيل هذا يدل على ان لفعل الطاعة اثرا فى استحقاق الثواب لانه تعالى ميز الجزا عن الفضل وانتم لا تقولون بذلك فان عندكم العبد لا يستحق على ربه شيئا قلنا نحن نثبت الاستحقاق بالوعد فذلك القدر هو الذى يستحق والزايد عليه هو الفضل ثم قال والله يرزق من يشا بغير حساب وذلك تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة احسانه فكانه تعالى لما وصفهم بالجد والاجتهاد فى الطاعة وانهم مع ذلك فى غاية الخوف فالحق سبحانه يعطيهم الثواب العظيم على طاعاتهم ويزيدهم الفضل الذى لا حد له فى مقابلة خوفهم قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة الاية لما بين حال المومن انه فى الدنيا يكون فى النور وبسببه يكون متمسكا بالعمل الصالح ثم بين انه فى الاخرة يكون فايزا بالنعيم المقيم والثواب العظيم اتبع ذلك ببيان ان الكافر يكون فى الاخرة فى اشد الحسرات وفى الدنيا فى اعظم انواع الظلمات وضرب لكل واحد منهما مثلا اما المثل الدال على حسرته فى الاخرة فقوله والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة قال الازهرى السراب ما يترايا للعين وقت الضحى فى الفلوات شبيها بالما الجارى وليس بما ولكن الذى ينظر اليه من بعيد يظنه ما جاريا يقال سرب الما يسرب سروبا اذا جرى فهو سارب وقيل السراب ما يترايا للانسان فى القفر فى شدة الحر مما يشبه الما وقيل ما يتكاثف من قعور القيعان قال الشاعر فلما كففنا الحرب كانت عهودكم كلمع سراب فى الفلا متالق يضرب به المثل لمن يظن بشى خيرا فيخلف ظنه وقيل هو الشعاع الذى يرى نصف النهار فى شدة الحر فى البرارى يخيل للناظر انه الما السارب اى الجارى فاذا قرب منه انفش فلم ير شيئا والال ما ارتفع من الارض وهو شعاع يرى بين السما والارض بالغدوات شبه الملاة يرفع الشخوص يرى فيها الصغير كبيرا والقصير طويلا والرقراق يكون بالعشايا وهو ما يترقرق من السراب اى جا وذهب قوله بقيعة فيه وجهان احدهما انه متعلق بمحذوف على انه صفة لسراب والثانى انه ظرف والعامل فيه الاستقرار العامل فى كاف التشبيه والقيعة بمعنى القاع وهو المنبسط من الارض وتقدم فى طه وقيل بل هى جمعه كجار وجيرة قاله الفرا وقرا مسلمة بن محارب بتا ممطوطة وروى عنه بتا شكل الها ويقف عليها بالها وفيها اوجه احدها ان تكون بمعنى قيعة كالعامة وانما اشبع الفتحة فتولد منها الف كقولهم مخرنبق لينباع قاله صاحب اللوامح والثانى انه جمع قيعة وانما وقف عليها بالها ذهابا به مذهب لغة طى فى قولهم الاخوة

والاخوات ودفن البنات من المكرمات اى والاخوات والبنات والمكرمات وهذه القراءة تويد ان قيعة جمع قاع الثالث قال الزمخشرى وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة فظاهر هذا انه جعل هذا بناء مستقلا ليس جمعا ولا اشباعا قوله تعالى يحسبه الظمآن جملة فى محل الجر صفة لسراب ايضا وحسن ذلك لتقدم الجار على الجملة هذا ان جعلنا الجار صفة والضماير المرفوعة فى جاءه وفى لم يجده وفى وجد والضماير فى عنده وفى وفاه وفى حسابه كلها ترجع الى الظمآن لان المراد به الكافر المذكور اولا وهذا قول الزمخشرى وهو حسن وقيل الضميران فى جاءه ووجد عايدان على الظمآن والباقية عايدة على الكافر وانما افرد الضمير على هذا وان تقدمه جمع وهو قوله والذين كفروا حملا على المعنى اذ المعنى كل واحد من الكفار والاول اولى لاتساق الضماير وقرأ ابو جعفر وروى عن نافع الظمان بالقا حركة الهمزة على الميم فصل قال الزجاج قد تخفف همزته وهو الشديد العطش ثم وجه التشبيه ان الذى ياتى به الكافر ان كان من افعال البر فهو لا يستحق عليه ثوابا مع انه يعتقد ان له ثوابا عليه وان كان من افعال الاثم فهو يستحق عليه العقاب مع انه يعتقد انه ثوابا فكيف كان فهو يعتقد ان له ثوابا عند الله تعالى فاذا وافا عرصة القيمة ولم يجد الثواب بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى غمه فيشبه حاله حال الظمآن الذى تشتد حاجته الى السراب وتعلق قلبه به ويرجو به النجاة ويقوى طمعه فاذا جاءه وايس مما كان يرجوه عظم ذلك عليه قال مجاهد السراب عمل الكافر واتيانه اياه موته ومفارقة الدنيا فان قيل قوله حتى اذا جاءه يدل على كونه شيئا وقوله لم يجده شيئا مناقض له فالجواب من وجوه الاول لم يجده شيئا نافعا كما يقال فلان ما عمل شيئا وان كان قد اجتهد الثانى اذا جاءه اى جاء موضع السراب لم يجد السراب لان السراب يرى من بعيد بسبب الكثافة كانه ضباب وهبا فاذا قرب منه رق وانتشر وصار كالهوا قوله تعالى ووجد الله عنده اى وجد عقاب الله عنده الذى توعد به الكافر وقيل وجد الله عنده اى عند عمله اى وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله فوفاه حسابه اى جزاء عمله قيل نزلت فى عتبة ابن ربيعة بن امية كان قد تعبد ولبس المسوح والتمس الدين فى الجاهلية ثم كفر فى الاسلام قوله تعالى والله سريع الحساب لانه تعالى عالم بجميع المعلومات فلا يشق عليه الحساب وقال بعض المتكلمين معناه لا يشغله محاسبة احد عن اخر كنحن ولو كان يتكلم بالة كما تقول المشبهة قوله تعالى او كظلمات هذا مثل اخر ضربه الله تعالى لاعمال الكفار وفى هذا العطف اوجه احدها انه نسق على كسراب على حذف مضاف واحد تقديره او كذى ظلمات ودل على هذا المضاف قوله اذا اخرج يده لم يكد يراها فالكناية تعود الى المضاف المحذوف وهو قول ابى على الثانى انه على حذف مضافين تقديره او كاعمال ذى ظلمات فيقدر ذى ليصح عود الضمير اليه فى قوله اذا اخرج يده ويقدر اعمال ليصح تشبيه اعمال الكفار باعمال صاحب الظلمة اذ لا معنى لتشبيه العمل بصاحب الظلمة الثالث انه لا حاجة الى حذف البتة والمعنى انه شبه اعمال الكفار فى حيلولتها بين القلب وما يهتدى به بالظلمة واما الضميران فى اخرج يده فيعودان على محذوف دل عليه المعنى اى اذا اخرج يده من فيها واو هنا للتنويع لا للشك وقيل بل هى للتخيير اى شبهوا اعمالهم بهذا او بهذا وقرا سفيان بن حسين او كظلمات بفتح الواو جعلها عاطفة دخلت عليها همزة الاستفهام التى معناه التقرير وقد تقدم مثله فى قوله او امن اهل القرى قوله تعالى فى بحر لجى فى بحر صفة لظلمات فيتعلق بمحذوف واللجى منسوب الى اللج وهو معظم البحر قاله الزمخشرى وقال غيره منسوب الى اللجة بالتاء وهى ايضا معظمه فاللجى هو العميق الكثير الماء قوله تعالى يغشاه موج صفة اخرى لبحر هذا اذا اعدنا الضمير فى يغشاه على بحر وهو الظاهر وان قدرنا مضافا محذوفا اى او كذى ظلمات كما فعل بعضهم كان الضمير فى يغشاه عايدا عليه وكانت الجملة حالا منه لتخصيصه بالاضافة او صفة له قوله تعالى من فوقه موج يجوز ان تكون هذه جملة من مبتدأ وخبر صفة لموج الاول ويجوز ان يجعل الوصف الجار والمجرور فقط وموج فاعل به لاعتماده على الموصوف قوله تعالى من فوقه سحاب فيه الوجهان المذكوران قبله من كون الجملة صفة لموج الثانى او الجار فقط قوله تعالى ظلمات قرأ العامة بالرفع وفيه وجهان اجودهما ان يكون خبر مبتدأ مضمر تقديره هذه او تلك ظلمات الثانى ان تكون ظلمات مبتدأ والجملة من قوله بعضها فوق بعض خبره ذكره الحوفى وفيه نظر لانه لا مسوغ للابتداء بهذه النكرة اللهم الا ان يقال انها موصوفة تقديرا اى ظلمات كثيرة متكاثفة كقولهم السمن منوان بدرهم وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر الا ان البزى روى عنه حينئذ حذف التنوين من سحاب فقرأ البزى عنه سحاب ظلمات باضافة سحاب لظلمات وروى قنبل عنه التنوين فى سحاب كالجماعة مع جره لظلمات فاما رواية البزى فقال ابو البقا جعل الموج المتراكم بمنزلة السحاب واما رواية قنبل فانه جعل الظلمات بدلا من ظلمات الاولى قوله تعالى بعضها فوق بعض جملة من مبتدأ وخبر فى موضع رفع او جر على حسب القراءتين فى ظلمات قبلها لانها صفة لها وجوز الحوفى على قراءة رفع ظلمات فى بعضها ان يكون بدلا من ظلمات ورد عليه من حيث المعنى اذ المعنى على الاخبار بانها ظلمات وان بعض تلك الظلمات فوق بعض وصفها بالتراكم لا ان المعنى ان بعض تلك الظلمات فوق بعض من غير اخبار بان تلك الظلمات السابقة ظلمات متراكمة وفيه نظر اذ لا فرق بين

قولك بعض الظلمات فوق بعض وبين قولك الظلمات بعضها فوق بعض وان تخيل ذلك فى بادى الراى قوله تعالى اذا اخرج يده لم يكد يراها تقدم الكلام فى كاد وان بعضهم زعم ان نفيها اثبات واثباتها نفى وتقدمت ادلة ذلك فى البقرة وقال الزمخشرى هنا لم يكد يراها مبالغة فى لم يرها اى لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها ومنه قول ذى الرمة اذا غير النأى المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح اى يقرب من البراح فما له يبرح وقال ابو البقا اختلف الناس فى تاويل هذا الكلام ومنشأ الاختلاف فيه ان موضع كاد اذا نفيت وقوع الفعل واكثر المفسرين على ان المعنى انه لا يرى يده فعلى هذا فى التقدير ثلاثة اوجه احدها ان التقدير لم يرها ولم يكد ذكره جماعة من النحويين وهذا خطأ لان قوله لم يرها جزم بنفى الروية وقوله لم يكد اذا اخرجها على مقتضى الباب كان التقدير ولم يكد يراها كما هو مصرح به فى الاية فان اراد هذا القائل انه لم يكد يراها وانه راها بعد جهد تناقض لانه نفى الروية ثم اثبتها وان كان معنى لم يكد يراها لم يرها البتة على خلاف الاكثر فى هذا الباب فينبغى ان يحمل عليه من غير ان يقدر لم يرها والوجه الثانى ان كاد زايدة وهو بعيد الثالث ان كاد خرجت هنا على معنى قارب والمعنى لم يقارب رويتها اذا لم يقاربها باعدها وعليه جاء قول ذى الرمة فى البيت المتقدم اى لم يقارب البراح ومن هنا حكى عن ذى الرمة انه لما روجع فى هذا البيت قال لم اجد بدل لم يكد والمعنى الثانى انه راها بعد جهد والتشبيه على هذا صحيح لانه مع شدة الظلمة اذا احد نظره الى يده وقربها من عينيه راها انتهى اما الوجه وهو ما ذكره انه قول الاكثرين انه يكون نفيها اثباتا فقد تقدم انه غير صحيح وليس هو قول الاكثر وانما غرهم فى ذلك اية البقرة وما انشد بعضهم وهو احجية هذا العصر ما هى لفظة البيتين وما ذكره من زيادة كاد فهو قول ابى بكر وغيره ولكنه مردود عندهم واما ما ذكره من المعنى الثانى وهو انه راها بعد جهد فهو مذهب الفراء والمبرد والعجب كيف يعدل عن المعنى الذى اشار اليه الزمخشرى وهو المبالغة فى نفى الروية وقال ابن عطية ما معناه اذا كان الفعل بعد كاد منفيا دل على ثبوته نحو كاد زيد لا يقوم او مثبتا دل على نفيه نحو كاد زيد يقوم ويقول كاد النعام يطير فهذا يقتضى نفى الطيران عنه فاذا قلت كاد النعام ان لا يطير وجب الطيران له واذا تقدم النفى على كاد احتمل ان يكون موجبا وان يكون منفيا يقول المفلوج لا يكاد يسكن فهذا يتضمن نفى السكون ويقول رجل منصرف لا يكاد يسكن فهذا تضمن ايجاب السكون بعد جهد فصل اعلم ان الله تعالى بين ان اعمال الكفار ان كانت حسنة فمثلها السراب وان كانت قبيحة فهى الظلمات وفيه وجه اخر وهو ان اعمالهم اما كسراب بقيعة وذلك فى الاخرة واما كظلمات فى بحر وذلك فى الدنيا وقيل ان الاية الاولى فى ذكر اعمالهم وانهم لا يحصلون منها على شئ والاية الثانية فى ذكر عقايدهم فانها تشبه الظلمات كما قال يخرجهم من الظلمات الى النور اى من الكفر الى الايمان يدل عليه قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فصل واما تقدير المثل فهو ان البحر اللجى يكون قعره مظلما جدا بسبب غمور الماء فاذا ترادفت عليه الامواج ازدادت الظلمة فاذا كانت فوق الامواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى فالواقع فى قعر هذا البحر اللجى يكون فى نهاية شدة الظلمة ولما كانت العادة فى اليد انها اقرب ما يراه وابعد ما يظن انه لا يراها فقال تعالى اذا اخرج يده لم يكد يراها فبين سبحانه بهذا بلوغ تلك الظلمة التى هى اقصى النهايات ثم شبه الكافر فى اعتقاده وهو ضد المومن فى قوله تعالى نور على نور وفى قوله يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ولهذا قال ابى بن كعب الكافر يتقلب فى خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات الى النار وفى كيفية هذا التشبيه وجوه الاول قال الحسن ان الله تعالى ذكر ثلاثة انواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب كذا الكافر له ظلمات ثلاث ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل الثانى قال ابن عباس شبه قلبه وسمعه وبصره بهذه الظلمات الثلاث الثالث ان الكافر لا يدرى ولا يدرى انه لا يدرى ويعتقد انه يدرى فهذه المراتب الثلاث شبه تلك الظلمات الثلاث الرابع قلب مظلم فى صدر مظلم فى جسد مظلم الخامس ان هذه الظلمات متراكمة فكذا الكافر لشدة اصراره على كفره قد تراكمت عليه الضلالات حتى لو ذكر عنده اظهر الدلايل لم يفهمه قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينا وايمانا فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا ايمان له ولا يهديه احد قال اهل السنة انه تعالى لما وصف هداية المومن بانها فى نهاية الجلاء والظهور عقبها بان قال يهدى الله لنوره من يشاء ولما وصف اضلاله الكافر بانها فى نهاية الظلمة عقبه بقوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور والمراد من ذلك ان يعرف الانسان ان ظهور الدلايل لا يفيد الايمان وظلمة الطريق لا تمنع منه فان الكل مربوط بخلق الله وهدايته وتكوينه قال القاضى قوله ومن لم يجعل الله له نورا اى فى الدنيا بالالطاف فما له من نور اى لا يهتدى فيتحير وتقدم الكلام عليه قوله تعالى الم تر ان الله يسبح له من فى السموات والارض الاية لما وصف انوار قلوب المومنين وظلمات قلوب الجاهلين اتبع ذلك بدلايل التوحيد

والمعنى لم تعلم لان التسبيح لا يرى بالبصر بل يعلم بالقلب وهذا استفهام والمراد به التقرير والبيان . قال ابن الخطيب اما ان
يكون المراد من هذا التسبيح دلالة تخلق هذه الاشيا على كونه تعالى منزها عن النقايص موصوفا بنعوت الجلال
او يكون المراد منه في حق البعض الدلالة على التنزيه وفي حق الباقين النطق باللسان والاول اقرب لان القسم الثاني
متعذر لان في الارض من لا يكون مكلفا لا يسبح بهذا المعنى والمكلفون منهم من لا يسبح ايضا بهذا المعنى كالكفار
واما القسم الثاني وهو ان يقال ان من في السموات وهم الملايكة يسبحون باللسان . واما الذين في الارض فمنهم
من يسبح على سبيل الدلالة فهذا يقتضي استعمال اللفظ الواحد في الحقيقة والمجاز معا وهو غير جايز فلم يبق الا القسم
الاول وهو ان هذه الاشيا مشتركة في ان اجسامها وصفاتها دالة على تنزيه الله تعالى وقدرته والاهيته
وتوحيده وعدله فسمى ذلك تنزيها توسعا فان قيل فالتسبيح بهذا المعنى حاصل لجميع المخلوقات فما وجه تخصيصه
ههنا بالعقلا . قلنا لان خلقة العقلا اشد دلالة على وجود الصانع سبحانه لان العجايب والغرايب في خلقهم اكثر
وهي العقل والنطق والفهم . قوله تعالى والطير قرا العامة والطير صافات نصبا فالرفع عطف على من
والنصب على الحال . وقرا الاعرج والطير نصبا على المفعول معه وصافات حالا ايضا . وقرا الحسن وخارجه
عن نافع والطير صافات برفعهما على الابتدا والخبر ومفعول صافات محذوف اي اجنحتها قوله تعالى كل قد علم
صلاته في هذه الضماير اقوال . احدها انها عايدة على كل اي كل قد علم هو صلاة نفسه وتسبيحها وهذا اولى لتوافق
الضماير . الثاني ان الضمير في علم عايد على الله تعالى وفي صلاته وتسبيحه عايد على كل ويدل على قوله والله عليم بما
تفعلون . الثالث بالعكس اي علم كل صلاة الله وتسبيحه اي اللذين امر بهما وبان يفعلا كاضافة الخلق الى الخالق وعلى
هذا فقوله والله عليم استيناف ورجح ابو البقا ان لا يكون الفاعل ضمير كل قال لان القراة برفع كل على الابتدا فيرجع
ضمير الفاعل اليه ولو كان فيه ضمير اسم الله لكان الاولى نصب كل لان الفعل الذي بعدها قد نصب ما هو من
سببها فيصير كقولك زيدا ضرب عمرو غلامه فتنصب زيدا بفعل دل عليه ما بعده وهو اقوى من الرفع والاخر
جايز . قال شهاب الدين وليس كما ذكر من ترجيح النصب على الرفع في هذه الصورة ولا في هذه السورة بل نص النحويون
على ان مثل هذه الصورة يرجح رفعها بالابتدا على نصبها على الاشتغال لانه لم يكن ثم قرينة من القراين التي جعلوها
مرجحة للنصب والنصب يحوج الى اضمار والرفع لا يحوج اليه فكان ارجح وقرات فرقة علم صلوته وتسبيحه بالرفع
وبنا الفعل للمفعول الذي لم يسم فاعله ذكرها ابو حاتم فصل وجه اتصال هذا بما قبله انه تعالى لما ذكر ان اهل
السموات والارض يسبحون ذكر ان المستقرين في الهوى الذي هو بين السما والارض وهم الطير يسبحون وذلك
ان اعظام الجرم الثقيل القوة التي بها يقوى على الوقوف في جو السما صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط
من اعظم الدلايل على قدرة الصانع المدبر سبحانه وجعل طيرانها سجودا منها له سبحانه وذلك يويد ان المراد من
التسبيح دلالة هذه الامور على التنزيه لا النطق اللساني . وقال ابو ثابت كنت جالسا عند ابي جعفر الباقر فقال لي اتدري
ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قال فانهن يقدسن ربهن ويسالنه قوت يومهن
واستبعد المتكلمون ذلك فقالوا الطير لو كانت عارفة بالله لكانت كالعقلا الذين يفهمون كلامنا واشارتنا
لكنها ليست كذلك فانا نعلم بالضرورة بانها اشد نقصانا من الصبي الذي لا يعرف هذه الامور فبان يمتنع
ذلك فيها اولى واذا ثبت انها لا تعرف الله استحال كونها مسبحة له بالنطق فثبت انها لا تسبح الله الا بلسان الحال
كما تقدم . قال بعض العلما انا نشاهد من الطيور وساير الحيوانات اعمالا لطيفة يعجز عنها اكثر العقلا واذا كان كذلك
فلم لا يجوز ان يلهمها معرفته ودعاه وتسبيحه وبيان انه سبحانه الهمها الاعمال اللطيفة وجوه . احدها ان الدبة
يرى بالحجارة ويا خذ العصا ويرمي الانسان حتى يتوهم انه مات فيتركه وربما عاود ليشمه ويتجسس لنفسه وتصعد
الشجر اخف صعود ويهشم الجوز بين كفيه تعريضا بالواحدة وصدمة بالاخرى ثم ينفخ فيه فيذر قشره ويتغذى
به . ويحكى عن الفار في سرقته امورا عجيبة . وثانيها امر النحل وما لها من الرياسة والبيوت المسدسة التي لا يتمكن
من بنايها افاضل المهندسين . وثالثها انتقال الكراكي من طرف الى اطراف العالم الى الطرف الاخر طلبا لما يوافقها
من الاهوية . ويقال من خواص الخيل ان كل واحد يعرف صوت الفرس الذي قاتله وقتاما والفهد اذا اسقى
او شرب من الدوا المعروف بخانق الفهد عمد الى زبل الانسان لياكله . والتماسيح تفتح افواهها لطاير يقع عليها يقال
له القطقاط وينظف ما بين اسنانها وعلى راس ذلك الطاير كالشوكة فاذا هم التمساح بالتقام ذلك الطير تاذى
من تلك الشوكة فيفتح فاه فيخرج ذلك الطاير والسلحفاة تتناول بعد اكل الحية صعترا جبليا ثم تعود من ذلك
وحكى بعض الثقات المجربين للصيد انه شاهد الحبارى تقاتل الافعى وتنهزم عنه الى بقلة تتناول منها ثم تعود
ولا تزال كذلك وكان ذلك الشخص قاعدا في كن وكانت البقلة قريبة من مسكنه فلما اشتغل الحبارى الى منبتها فلم
يجدها واخذ يدور حول منبتها دورانا متتابعا حتى خر ميتا فعلم الشخص انه يعالج باكلها من اللسعة وتلك البقلة

بين الجزر البرى . وابن عرس يستظهر في الجبة باكل السذاب فان النكهة السذابية تنفر عنها الافعى والكلاب اذا دودت
بطونها اكلت سنبل القمح . واذا جرحت اللقالق بعضها بعضا داوت الجراحة بالصعتر الجبلي . والقنافذ تحس بالشمال
والجنوب قبل الهبوب فتغير المدخل الى حجرها وكان رجل بالقسطنطينية قد اثرى بسبب انه ينذر بالرياح قبل هبوبها
وينتفع الناس بانذاره وكان السبب فيه قنفذ في داره يفعل الصنيع المذكور فيستدل به . والخطاف صناع في
اتخاذ العش من الطين وقطع الخشب فان اعوزه الطين ابتل وتمرغ في التراب لتحمل جناحاه قدرا من الطين واذا فرخ
بالغ في تعهد الفراخ وتاخذ ذرقها بمنقارها وترميها من العش . واذا دنا الصايد من مكان فراخ القبجة ظهرت له
القبجة وقربت مطمعة له ليتبعها ثم تذهب الى جانب اخر سوى جانب الفراخ . وناقر الخشب قلما يقع على الارض بل على
الشجر ينقر الموضع يعلم ان فيه دودا . والغرانيق تصعد في الجو عند الطيران فان حجب بعضها عن بعض سحاب او ضباب
احدثت عن اجنحتها خفيقا مسموعا يتبع به بعضهم بعضا واذا باتت على جبل فانها تضع روسها تحت اجنحتها الا القايد فانه
ينام مكشوف الراس فيسرع انتباهه واذا سمع جرسا صاح . وحال النمل في الذهاب الى مواضعها على خط مستقيم يحفظ بعضها
بعضا امر عجيب واذا كشف عن بيوتها الساتر الذي كان يسترها وكان تحته بيض لها فان كل نملة تاخذ بيضة في فمها وتذهب
في اسرع وقت والاستقصا في هذا الباب مذكور في كتاب طبايع الحيوان والمقصود من ذلك ان الفضلا من العقلا يعجزون
عن امثال هذه الحيل واذا كان كذلك فلم لا يجوز ان يقال انها تسبح الله وتثني عليه وان كانت غير عارفة بساير الامور التي يعرفها
الناس ويويد هذا قوله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم ثم قال والله عليم بما يفعلون قرا الجمهور بالياء من تحت على المبالغة
في وصف قدرة الله تعالى وعلمه بخلقه . وقرا عيسى والحسن بالتاء من فوق ففيه المعنى المذكور وزيادة الوعيد والتخويف
من الله تعالى وفي مصحف ابي وابن مسعود والله بصير بما تفعلون قوله تعالى ولله ملك السموات والارض تنبيه على
ان الكل منه لان كل ما سواه ممكن ومحدث والممكن والمحدث لا توجد الا عند الانتها الى القديم الواجب ويدخل في هذا جميع
الاجرام والاعراض وافعال العباد واحوالهم وخواطرهم وقوله والى الله المصير وهذا دليل على المعاد وانه لا بد من مصير
الكل اليه قوله تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا الاية هذه الروية بصرية والازجا السوق قليلا قليلا ومنه البضاعة المزجاة
التي يزجيها كل احد والازجا السير في الابل الرفق حتى تسير سياسيا قوله تعالى بينه انما دخلت بين على مفرد وهي انما تدخل
على مثنى فما فوقه لانه اما ان يراد بالسحاب الجنس فعاد الضمير عليه على حكمه واما ان يراد حذف مضاف اي بين قطعه
فان كل قطعة سحابة . قال ابن عطية بين منفرد والسحاب لان مفهوم السحاب مقتضى ان بينه ثم جاء ورش عن نافع لا يهمز
يولف وقالون عن نافع والباقون يهمزون يولف قوله تعالى ثم يجعله ركاما اي متراكما يركب بعضها على البعض وتتكاثف
والعرب تقول ان الله تعالى اذا جعل السحاب ركاما بالريح عصر بعضه بعضا فخرج الودق منه ومن ذلك قوله تعالى وانزلنا
من المعصرات ما ثجاجا ومن ذلك قول حسان بن ثابت : كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة ارخاهما للمفصل . وروى المفصل
بكسر الميم وفتح الصاد فالمفصل احد المفاصل والفصل اللسان . وروى بالقاف اراد حسان الخمر والما الذي مزجت
اي من عصير العنب وهذه من عصير السحاب نقله ابن عطية . وقال اهل الطبايع ان تكون السحاب والمطر والثلج
والبرد والطل والصقيع في اكثر الامر يكون من تكاثف البخار وفي الاقل من تكاثف الهوا . اما الاول فالبخار الصاعد ان كان
قليلا وكان في الهوا من الحرارة ما يحلل ذلك البخار فحينئذ يتحلل وينقلب هوا وان كان البخار كثيرا ولم يكن في الهوى من الحرارة
ما يحلله فتلك الابخرة المتصاعدة اما ان تبلغ في صعودها الى الطبقة الباردة من الهوى او لا تبلغ فان بلغت فاما
ان يكون البرد قويا او لا يكون فان لم يكن هناك قويا تكاثف ذلك البخار بذلك القدر من البرد واجتمع وتقاطر فالبخار
المجتمع هو السحاب والمتقاطر هو المطر والديمة والوابل انما يكون من امثال هذه الغيوم . وان كان البرد شديدا فلا
يخلو اما ان يصل البرد الى الاجزا البخارية قبل اجتماعها وانحلالها حبات كبارا وبعد صيرورتها كذلك فان كان على الوجه
الاول نزل ثلجا وان كان على الوجه الثاني نزل بردا . فان لم تبلغ الابخرة الى الطبقة الباردة فاما ان تكون كثيرة
او قليلة فان كانت كثيرة فقد تنعقد سحابا ماطرا وقد لا تنعقد . اما الاول فلاسباب خمسة . احدها اذا امتنع هبوب
الرياح عن تصاعد تلك الابخرة . وثانيها ان تكون الرياح ايا بها الى الاجتماع بسبب وقوف جبال قدام الريح
وثالثها ان يكون هناك رياح متصادمة فتعود الابخرة جبينة . ورابعها ان يعرض للبخار المتقدم وقوف لثقله وبطو حركته
فيلتصق به ساير الاجزا الكثيرة المدد . وخامسها لشدة برد الهوى القريب من الارض وقد نشاهد البخار يصعد في
بعض الجبال صعودا يسيرا حتى كانه مكبة موضوعة على وهدة ويكون الناظر اليها فوق تلك الغمامة والذين يكونون
تحت الغمامة يمطرون والذين يكونون فوقها يكونون في الشمس فان كانت الابخرة القليلة الارتفاع قليلة
لطيفة فاذا ضربها برد الليل وكثفها فانها تصير ما محسوسا ينزل نزولا منقرا فلا يحس به الا عند اجتماع شي يعتد به
فان لم يجمد كان طلا وان جمد كان صقيعا ونسبة الصقيع الى الطل نسبة الثلج الى المطر . والجواب انا دللنا على حدوث
الاجسام وتوسلنا بذلك الى كونه قادرا مختارا يمكنه ايجاد الاجسام فلا يقطع بما ذكروه وايضا فهب ان الامر

كما ذكرتم ولكن الاجسام بالاتفاق ممكنة من ذواتها فلا بد لها من مؤثر ثم انها متماثلة فاختصاص كل واحد منها بصفته
المعينة من الصعود والهبوط واللطافة والكثافة والحرارة والبرودة لا بد له من مخصص فاذا كان هو سبحانه خالقا
لتلك الطبايع فتلك الطبايع في هذه الاحوال لا بد لها من سبب وخالق السبب خالق المسبب فكان سبحانه
هو الذي يزجي سحابا لانه هو الذي خلق تلك الطبايع المحركة لتلك الابخرة من باطن الارض الى جو الهوى ثم تلك
الابخرة ترادفت في صعودها والتصق بعضها بالبعض فهو سبحانه هو الذي جعلها ركاما فعلى جميع التقديرات
توجه الاستدلال بهذه الاشيا على القدرة والحكمة قوله تعالى فترى الودق يخرج من خلاله تقدم الخلاف في
خلال هل هو مفرد كحجاب ام جمع كجبال جمع جبل ويؤيد الاول قراءة ابن مسعود والضحاك وتروى عن ابن عمر وايضا
من خلله بالافراد وقرا عاصم والاعرج ويترك على المبالغة والجمهور على التخفيف والودق قيل هو المطر ضعيفا كان
او شديدا قال فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها وقيل هو البرق وانشد
اثرن عجاجة وخرجن منها خروج الودق من خلل السحاب والودق في الاصل مصدر يقال ودق السحاب يدق
ودقا ويخرج حال لان الروية بصرية قوله تعالى من السما من جبال فيها من برد من الاولى لابتدا الغاية اتفاقا
لان ابتدا الانزال من السما واما الثانية ففيها ثلاثة اوجه احدها انها لابتدا الغاية ايضا فهي ومجرورها
بدل من الاولى باعادة العامل والتقدير وينزل من جبال السما اي من جبال فيها فهو بدل اشتمال الثاني انها
للتبعيض قاله الزمخشري وابن عطية لان جنس تلك الجبال من جنس الودق فعلى هذا هي ومجرورها في موضع مفعول
الانزال كانه قال وينزل بعض جبال الثالث انها زايدة اي ينزل من السما جبالا وقال الحوفي من جبال بدل من
الاولى ثم قال وهي للتبعيض ورده ابو حيان بانه لا يستقيم البدلية الا بتوافقهما معنى لو قلت خرجت من بغداد
من الكرخ لم تكن الاولى والثانية الا لابتدا الغاية واما الثالثة ففيها اربعة اوجه الثلاثة المتقدمة والرابع
انها لبيان الجنس قاله الحوفي والزمخشري فيكون التقدير على قولهما وينزل من السما بعض جبال التي هو البرد فالمنزل
برد لان بعض البرد برد ومفعول ينزل برد من جبال كما تقدم تقريره وقال الزمخشري او الاوليان للابتدا والثانية
للتبعيض يعني ان الخلاف بدل من الاولى كما تقدم تقريره وحينئذ يكون مفعول ينزل هو الثالثة مع مجرورها التقدير
وينزل بعض برد من السما من جبالها واذا قيل بان الثانية والثالثة زايدتان فهل مجرورهما في محل نصب والثاني
بدل من الاول والتقدير وينزل من السما جبالا بردا فيكون بدل كل من كل او بعض من كل والثاني في محل نصب
مفعولا لينزل والثالث في محل رفع على الابتدا وخبره الجار قبله خلافا للاول قول الاخفش والثاني قول الفرا
ويكون الجملة على قول الفرا صفة لجبال محكوم على موضعها بالجر اعتبارا باللفظ او بالنصب اعتبارا بالمحل ويجوز ان يكون
فيها وحده هو الوصف ويكون من برد فاعلا به لاعتماده اي تستقر فيها برد وقال الزجاج معناه وينزل من السما
من جبال برد فيها كما تقول هذا خاتم في يدي من حديد اي خاتم من حديد في يدي وانما جئت في هذا وفي الاية
بمن لما فرقت ولانك اذا قلت هذا خاتم من حديد وخاتم حديد كان المعنى واحدا انتهى فيكون من برد في موضع جر
صفة لجبال كما كان من حديد صفة لخاتم ويكون مفعول ينزل من جبال او يلزم من كون الجبال بردا ان يكون المنزل
بردا وقال ابو البقا والوجه الثاني ان التقدير شيئا من جبال فحذف الموصوف واكتفى بالصفة وهذا الوجه
هو الصحيح لان قوله فيها من برد يحوجك الى مفعول يعود الضمير اليه فيكون تقديره وينزل من جبال السما جبالا
فيها برد وفي ذلك زيادة حذف وتقدير مستغنى عنه وفي كلامه نظر لان الضمير له شي يعود عليه وهو السما
فلا حاجة الى تقدير شي اخر لانه مستغنى عنه وليس ثم مانع يمنع من عوده على السما وقوله اخرا وتقديره
مستغنى عنه ينافي قوله وهذا الوجه هو الصحيح والضمير في به يجوز ان يعود على البرد وهو الظاهر ويجوز
ان يعود على الودق والبرد معا جريا بالضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل فيصيب بذلك وقد تقدم نظيره
فصل قال ابن عباس اخبر الله ان في السما جبالا من برد ثم ينزل منها ما شا وهو قول اكثر المفسرين وقيل
المراد بالسما هو الغيم المرتفع سمي بذلك لسموه وارتفاعه وانه تعالى انزل من الغيم الذي هو سما البرد واراد
بقوله من جبال السحاب العظام لانها اذا عظمت شبهت بالجبال كما يقال فلان يملك جبالا من مال ووصف
بذلك توسعا وذهبوا الى ان البرد ما جامد خلقه الله في السحاب ثم انزل الى الارض وقال بعضهم انما سمي
ذلك الغيم جبالا لانه سبحانه خلقها من البرد وكل جسم شديد متحجر فهو من الجبال ومنه قوله تعالى خلقكم والجبلة
الاولين قال المفسرون والاول اولى لان السما اسم لهذا الجسم المخصوص فتسمية السحاب سما بالاشتقاق
مجاز وكما يصح ان يجعل الما في السحاب ثم ينزله بردا فقد يصح في القدرة جعل هذين الامرين في السما فلا وجه
لترك الظاهر قوله تعالى فيصيب به من يشاء اي بالبرد من يشا فيهلك زرعه وامواله ويصرفه عمن يشاء اي
يصرف ضرره عمن يشا بان لا يسقطه عليه قوله تعالى يكاد سنا برقه العامة على قصر سنا وهو الضو وهو من

ذوات

ذوات الواو يقال سنا يسنو سنا اي اضا يضي قال امرؤ القيس يضي سناه او مصابيح راهب والسنا بالمد الرفعة قال
وسن كسنيق سناء وسنما وقرا ابن وثاب سنا برقه بالمد وبضم البا من برقه وفتح الرا وروي عنه ضم الرا ايضا
فاما قراءة المد فانه شبه المحسوس من البرق لارتفاعه في الهوى بغير المحسوس من الانسان فاما برقه فجمع برقة
وهو المقدار من البرق كغرفة وغرف ولقمة ولقم واما ضم الرا فاتباع كظلمات بضم اللام اتباعا لضم الظا وان
كان اصلها السكون وقرا العامة ايضا يذهب بفتح اليا والها وابو جعفر بضم اليا وكسر الها من اذهب وقد خطا هذه
القراءة الاخفش وابو حاتم قالا لان البا تعاقب الهمزة وليس ردهما بصواب لانها تتخرج على ما خرج ما قرئ به في المتواتر
تنبت بالدهن من ان البا مزيدة او ان المفعول محذوف والبا بمعنى من تقديره يذهب النور من الابصار كقوله
شرب النزيف ببرد ماء الحشرج فصل المعنى يكاد ضوء برق السحاب يذهب بالابصار من شدة ضوئه واعلم ان البرق
الذي صفته كذلك لا بد وان يكون نارا عظيمة خالصة والنار ضد الما والبرد فظهوره يقتضي ظهور الضد من الضد
وذلك لا يمكن الا بقدرة قادر حكيم ثم قال يقلب الله الليل والنهار يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما يأتي بالليل ويذهب
بالنهار ويأتي بالنهار ويذهب بالليل قال عليه السلام قال الله تعالى يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر
بيدي الامر اقلب الليل والنهار وقيل المراد ولوج احدهما في الاخر وقيل المراد تغير احوالهما في الحر والبرد وغيرهما
ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار اي ان في الذي ذكرت من هذه الاشيا لعبرة لاولي البصائر اي دلالة لاهل العقول
على قدرة الله وتوحيده قوله تعالى والله خلق كل دابة من ما الاية لما استدل اولا باحوال السما والارض وثانيها
بالاثار العلوية استدل ثالثا باحوال الحيوانات قال ابن عطية قرا حمزة والكسائي والله خالق كل دابة على الاضافة
فان قيل لم قال والله خلق كل دابة من ما مع ان كثيرا من الحيوانات لم تخلق من الما كالملايكة خلقوا من النور وهم اعظم
الحيوانات عددا وكذلك الجن وهم مخلوقون من النار وخلق ادم من التراب لقوله خلقه من تراب وخلق عيسى
من الريح لقوله فنفخنا فيها من روحنا ونرى كثيرا من الحيوانات يتولد لا عن نطفة فالجواب من وجوه
احسنها ما قاله القفال ان من ما صلة كل دابة وليس هو من صلة خلق والمعنى ان كل دابة متولدة من الما فهي مخلوقة
لله تعالى وثانيها ان اصل جميع المخلوقات الما على ما روي اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فصارت ما
ثم من ذلك الما خلق الهوى والنار والنور والمقصود من هذه الاية بيان اصل الخلقة وكان اصل الخلقة الما فلهذا
ذكره الله تعالى وثالثها المراد من الدابة التي تدب على وجه الارض ومسكنهم هنالك فتخرج الملايكة والجن ولما
كان الغالب من هذه الحيوانات كونهم مخلوقين من الما اما لانها متولدة من النطفة واما لانها لا تعيش الا بالما
لا جرم اطلق عليه لفظ الكل تنزيلا للغالب منزلة الكل وقيل الجار في قوله من ما متعلق بخلق اي خلق من ما كل دابة
ومن لابتدا الغاية ويرد على هذا السوال المتقدم فان قيل لم نكر الما في قوله من ما وعرفه في قوله من الما كل شي حي
فالجواب جا هنا منكرا لان المعنى خلق كل دابة من نوع من الما مختصا بتلك الدابة وعرفه في قوله من الما
كل شي حي لان المقصود هناك كونهم مخلوقين من هذا الجنس وههنا بيان ان ذلك الجنس ينقسم الى انواع كثيرة
قوله تعالى فمنهم من يمشي انما اطلق من على غير العاقل لاختلاطه بالعاقل في المفصل بمن وهو كل دابة وكان التعبير
بمن اولى لتوافق اللفظ وقيل لما وصفهم بما يوصف به العقلا وهو المشي اطلق عليها من وفيه نظر لان هذه
الصفة ليست خاصة بالعقلا بخلاف قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق وقوله اسرب القطا هل من يعير جناحه
البيت وقد تقدم خلاف القرا في خلق كل دابة في سورة ابراهيم واستعير المشي للزحف على البطن كما استعير
المشفر للشفة وبالعكس كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان ما يمشي له امر فان قيل لم حصر
القسمة في هذه الثلاثة انواع من المشي وقد نجد من يمشي على اكثر من اربع كالعناكب والعقارب والرتيلا
والحيوان الذي له اربعة واربعون رجلا فالجواب هذا القسم الذي لم يذكر كالنادر فكان ملحقا بالعدم
وايضا قال النقاش انه اكتفى بذكر ما يمشي على اربع عن ذكر ما يمشي على اكثر لان جميع الحيوان انما اعتماده على اربع
وهي قوام مشيه وكثرة الارجل لبعض الحيوان زيادة في الخلقة لا يحتاج ذلك الحيوان في مشيه الى جميعها قال
ابن عطية والظاهر ان تلك الارجل الكثيرة ليست هي باطلا بل هي محتاج اليها في تنقل الحيوان وهي كلها تتحرك
في تصرفه وجواب اخر وهو ان قوله تعالى يخلق الله ما يشا كالتنبيه على ساير الاقسام وفي مصحف ابي بن كعب
ومنهم من يمشي على اكثر فعم بهذه الزيادة جميع الحيوان ولكنه قران لم يثبت بالاجماع قوله تعالى يخلق الله ما
يشا ان الله على كل شي قدير لانه القادر على الكل والعالم بالكل فهو المطلع على احوال هذه الحيوانات فاي عقل يقف
عليها واي خاطر يصل الى ذرة من اسرارها بل هو الذي يخلق ما يشا كما يشا ولا يمنعه منه مانع قوله تعالى لقد
انزلنا ايات مبينات والاولى حمله على كل الادلة والعبر والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم وتقدم الكلام
في نظاير هذه الاية بين اهل السنة والمعتزلة قوله تعالى ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا الاية

لما ذكره لا بل التوحيد اتبعه بذم قوم اعترفوا بالذنب بالسنتهم ولكنهم لم يقبلوه بقلوبهم قال مقاتل نزلت هذه الاية
في بشر المنافق وكان قد خاصم يهوديا في ارض فقال اليهودي نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق نتحاكم
الى كعب بن الاشرف فان محمدا يحيف علينا فانزل الله هذه الاية وقد مضت قصتهما في سورة النسا وقال
الضحاك نزلت في المغيرة بن وايل كان بينه وبين علي بن ابي طالب ارض تقاسموها فوقع الى علي ما لا يصيبه الما
الا بمشقة فقال المغيرة بعني ارضك فباعها اياه وتقابضا فقيل للمغيرة اخذت سبخة لا ينالها الما فقال لعلي اقبض
ارضك فانما اشتريتها ان رضيتها ولم ارضها فقال علي بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها وعرفت حالها لا اقبلها
منك ودعاه الى ان يخاصمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة اما محمد فلا اتيه ولا احاكم اليه
فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي فنزلت الاية قال الحسن نزلت هذه في المنافقين الذين كانوا يظهرون
الايمان ويسرون الكفر **فصل** المعنى ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا يعني المنافقين يقولونه **ثم**
يتولى يعرض عن طاعة الله ورسوله **فريق منهم من بعد ذلك** اي من بعد قولهم امنا ويدعوا الى غير حكم الله ثم قال
وما اولئك بالمؤمنين فان قيل انه تعالى حكى عن كلهم انهم يقولون امنا ثم حكى عن فريق منهم التولي فكيف يصح ان
يقول في جميعهم وما اولئك بالمؤمنين راجع الى الذين تولوا الا الى الجملة الاولى وايضا فلو رجع الى الاولى لصح ويكون
معنى قوله ثم يتولى فريق منهم اي يرجع هذا الفريق الى الباقين فيظهر بعضهم لبعض الرجوع كما اظهروه ثم بين تعالى
انهم **اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون** وهذا ترك للرضا بحكم الرسول لقوله تعالى
وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين منقادين لحكمه اي اذا كان الحق لهم على غيرهم اسرعوا الى حكمه ليقينهم انه
كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم ايضا بالحق وهذا يدل على انهم انما يرضون متى عرفوا الحق لغيرهم او شكوا فاما
اذا عرفوه لانفسهم عدلوا عن الاعراض وسارعوا الى الحكم واذعنوا ببذل الرضا **قوله ليحكم** افرد الضمير وقد
تقدمه اثنان وثمَّ الله ورسوله لان حكم رسوله هو حكمه قال الزمخشري كقولك اعجبني زيد
وكرمه اي كرم زيد ومنه * ومنهل من الفلا في اوسطه * غلسته قبل القطا وفرطه * اي قبل فرط القطا يعني قبل
تقدم القطا وقرا ابو جعفر الجحدري وخالد بن الياس والحسن ليُحكَم بينهم هنا والتي بعدها مبنيا للمفعول
والظرف قايم مقام الفاعل **قوله اذا فريق** اذا هي الفجائية وهي جواب اذا الشرطية اولا وهذا احد الادلة على
منع ان يعمل في اذا الشرطية جوابها فان ما بعد الفجائية لا يعمل فيما قبلها كذا ذكره ابو حيان وتقدم تحرير هذا
وجواب الجمهور عنه **قوله اليه** يجوز تعلقه بياتوا لان اتى وجا قد جا معديين بالى ويجوز ان يتعلق بمذعنين
لانه بمعنى مسرعين في الطاعة وصححه الزمخشري قال لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص ومذعنين
حال والاذعان الانقياد يقال اذعن فلان لفلان اي انقاد له وقال الزجاج الاذعان الاسراع مع
الطاعة **قوله تعالى امرتابوا ام يخافون** ام فيهما منقطعة تتقدر عند الجمهور ببل التي للاضراب وهمزة الاستفهام
تقديره بل ارتابوا بل ايخافون ومعنى الاستفهام هنا التقرير والتوقيف ويبالغ به تارة في الذم كقوله *
الست من القوم الذين تعاهدوا * على اللوم والفحشا في سالف الدهر * وتارة في المدح كقول جرير *
الستم خير من ركب المطايا * واندى العالمين بطون راح * **وان يحيف** مفعول الخوف والحيف الميل والجور
في القضا يقال حاف في قضيته اي مال **فصل** افي قلوبهم مرض نفاق ام ارتابوا شكوا وهو استفهام ذم وتوبيخ
اي هم كذلك **ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله** اي يظلم **بل اولئك هم الظالمون** لانفسهم باعراضهم عن
الحق قال الحسن بن ابي الحسن من دعا خصمه الى حكم من حكام المسلمين فلم يجب فهو ظالم **فان قيل** اذا خافوا
ان يحيف الله عليهم ورسوله فقد ارتابوا في الدين واذا ارتابوا ففي قلوبهم مرض فالكل واحد فاي فايدة في
التعديد **فالجواب** قوله افي قلوبهم مرض اشارة الى النفاق وقوله ام ارتابوا اشارة الى انهم بلغوا الى حب
الدنيا الى حيث يتركون الدين بسببه **فان قيل** هذه الثلاثة متغايرة ولكنها متلازمة فكيف ادخل عليها كلمة
ام **فالجواب** الاقرب انه تعالى نبههم على كل واحد من هذه الاوصاف فكان في قلوبهم مرض وهو النفاق
وكان فيها شك وارتياب وكانوا يخافون الحيف من الرسول وكل واحد من ذلك كفر ونفاق ثم بين تعالى بقوله
بل اولئك هم الظالمون بطلان ما هم عليه لان الظلم يتناول كل معصية كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم
قوله تعالى انما كان قول المؤمنين العامة على نصب قول خبر الكان والاسم ان المصدرية وما بعدها وقرا امير
المؤمنين والحسن وابن ابي اسحق برفعه على انه الاسم وان وما في حيزها الخبر وهي عندهم مرجوحة لانه متى
اجتمع معرفتان فالاولى جعل الاعرف الاسم وان كان سيبويه خير في ذلك بين كل معرفتين وان لم يعرف
هذه التفرقة وتقدم تحقيق هذا في ال عمران **فصل** انما كان قول المؤمنين اذا **دعوا الى الله** اي الى كتاب
الله **ورسوله ليحكم بينهم** وهذا ليس على طريق الخبر ولكنه تعليم ادب الشرع بمعنى ان المؤمنين ينبغي ان

يكونوا هكذا ان **يقولوا سمعنا واطعنا** اي سمعنا الدعا واطعنا بالاجابة **واولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله**
قال ابن عباس فيما ساه وسره **ويخش الله** فيما صدر عنه من الذنوب في الماضي **ويتقه** فيما بقي من عمره **فاولئك**
هم الفايزون الناجون **قوله تعالى ويتقه** القراء فيه بالنسبة الى القاف على مرتبتين الاول تسكين القاف
ولم يقرا بها الا حفص والباقون بكسرها واما بالنسبة الى ها الكناية فانهم فيها على خمس مراتب الاولى تحريكها
مفصولة قولا واحدا وبها قرا ورش وابن ذكوان وخلف وابن كثير والكسائي الثانية تسكينها قولا واحدا
قرا ابو عمرو وابو بكر عن عاصم الثالثة تسكين الها او وصلها بيا وبها قرا خلاد الرابعة تحريكها من غير صلة
وبها قرا قالون وحفص الخامسة تحريكها موصولة او مقصورة وبها قرا هشام فاما اسكان الها وقصرها واشباعها
فقد مر تحقيقه مستوفى واما تسكين القاف فانهم حملوا المنفصل على المتصل وذلك انهم يسكنون عين
فعل فيقولون كبد وكتف وصبر في كبد وكتف وصبر لانها كلمة واحدة ثم اجرى ما اشبه ذلك من المنفصل مجرى
المتصل فان يتقه صار منه تقه بمنزلة كتف فسكن كما يسكن ومنه * قالت سليمى اشتر لنا سويقا *
بسكون الرا كما سكن الاخر * فبات منتصبا وما تكردسا * وقول الاخر * عجبت لمولود وليس له اب *
وذي ولد لم يلده ابوان * يريد منتصبا ولم يلده وتقدم في اول البقرة تحرير هذا الضابط في قوله فهي كالحجارة
وثم هو ونحوها وقال مكي كان يجب على من سكن القاف ان يضم الها لان ها الكناية اذا سكن ما قبلها ولم يكن
الساكن يا ضمت نحو منه وعنه ولكن لما كان سكون القاف عارضا لم يعتد به وابقى الها على كسرها التي كانت عليها مع
كسر القاف عارضا لم يعتد به وابقى الها على كسرتها التي كانت عليها مع كسر القاف ولم يصلها بيا لان اليا المحذوفة
قبل الها مقدرة منوية فبقي الحذف الذي في اليا قبل الها على اصله وقال الفارسي الكسرة في الها لالتقا الساكنين وليست
الكسرة التي قبل الصلة وذلك ان ها الكناية ساكنة في قرايته ولما اجرى تقه مجرى كتف وسكن القاف التقى ساكنان
ولما التقيا اضطر الى تحريك احدهما فاما ان تحرك الاول او الثاني لا سبيل الى تحريك الاول لانه يعود الى ما فر منه وهو
ثقل فعل فحرك ثانيهما باصل التقا الساكنين فلذلك كسر الها وبوئد قوله لم يلده ابوان وذلك ان اصله لم يلده بكسر
اللام وسكون الدال للجزم ثم لما سكن اللام التقى ساكنان فلو حرك الاول لعاد الى ما فر منه فحرك ثانيهما وهو الدال وحركها
بالفتح وان كان على خلاف اصل التقا الساكنين مراعاة لفتحة اليا وقد رد ابو القسم بن فيرة قول الفارسي وقال
لا يصح قوله ان كسر الها لالتقا الساكنين لان حفصا لم يسكن الها في قرايته قط وقد رد ابو عبد الله شارح قصيدته
هذا الرد وقال وعجبت من نفيه الاشكال عنه في ارجه وفالقه واذ قراه في ارجه وفالقه احتمل ان يكون يتقه
عنده قبل سكون القاف كذلك وربما ترجح ذلك بما ثبت عن عاصم من قرايته اياه بسكون الها مع كسر القاف
قال شهاب الدين لم يعن الشاطبي بانه لم يسكن الها فقط الها من حيث هي هي وانما عنى ها يتقه خاصة وكان
الشاطبي ايضا يعترض التوجيه الذي تقدم عن مكي ويقول تعليله حذف الصلة بان اليا المحذوفة قبل الها مقدرة
منوية فبقي في حذف الصلة بعد الها على اصله غير مستقيم من قبل انه قرا يوده وشبهه بالصلة ولو كان يعتبر
ما قاله من تقدير اليا قبل الها لم يصلها قال ابو عبد الله هو وان قرا يوده وشبهه بالصلة فانه قرا يرضه بغير
صلة فالحق مكي يتقه بيرضه وجعله مما خرج فيه عن نظايره لاتباع الاثر والجمع بين اللغتين وترجح ذلك عنده
لان اللفظ عليه ولما كانت القاف في حكم المكسورة بدليل كسر الها بعدها صار كانه يتقه بكسر القاف والها من غير
صلة كقراة قالون وهشام في احد وجهيه فعلته بما علل به قراتهما والشاطبي يرجح عنده حمله على الاكثر مما قرا
به لا على ما قل وندر فاقتضى تعليله بما ذكر **قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم** في جهد ايمانهم وجهان احدهما انه
منصوب على المصدر بدلا من اللفظ بفعله اذ اصل اقسم بالله جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل
وقدم المصدر موضوعا موضعه مضافا الى المفعول كضرب الرقاب قاله الزمخشري والثاني انه حال تقديره
مجتهدين في ايمانهم كقولهم افعل ذلك جهدك وطاقتك وقد خلط الزمخشري الوجهين فجعلهما وجها واحدا فقال
بعد ما تقدم عنه وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قيل جاهدين ايمانهم وتقدم الكلام على جهد ايمانهم في المايدة
فصل قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اينما كنت نكن معك لين خرجت خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا فقال الله تعالى **قل**
لا تقسموا لا تحلفوا وههنا تم الكلام ولو كان قسمهم لما يجب لم يجز النهي عنه لان من حلف على القيام بالبر والواجب
لا يجوز ان ينهى عنه فثبت ان قسمهم كان لنفاقهم وكان باطنهم خلاف ظاهرهم ومن نوى الغدر لا الوفا فقسمه
قبيح **قوله تعالى طاعة معروفة** في رفعها ثلاثة اوجه احدها انه خبر مبتدا مضمر تقديره امرنا طاعة والمطلوب
طاعة الثاني انها مبتدا والخبر محذوف اي امثل واولى وقد تقدم ان الجرمي كان في الاصل مصدرا بدلا من اللفظ
بفعله وجب حذف مبتداه كقوله صبر جميل ولا يبرز الا اضطرارا كقوله *

فقالت على اسم الله امرك طاعة وان كنت قد كلفت ما لم اعود على خلاف فى ذلك والثالث ان يكون فاعله بفعل
محذوف اى ولتكن طاعة ولتوجد طاعة واستضعف ذلك بان الفعل لا يحذف الا اذا تقدم مشعر به
كقوله يسبح له فيها بالغدو والاصال فى قراءة من بناه للمفعول اى يسبحه رجال او يجاب به نفى كقولك بلى
زيد لمن قال لم يقم احد او استفهام كقوله الا هل اتى ام الحويرث مرسل بلى خالد ان لم تعقه العوايق وقرا
زيد بن على واليزيدى طاعة بنصبها بفعل مضمر وهو الاصل قال ابو البقاء ولو قرى بالنصب لكان جايزا فى
العربية وذلك على المصدر اى اطيعوا طاعة وقولوا قولا وقد دل عليه قوله بعدها قل اطيعوا الله قال
شهاب الدين قوله ولو قرى بالنصب لكان جايزا فقد تقدم النقل لقراءته واما قوله وقولوا قولا فكانه سبق
لسانه الى اية القتال وهى فاولى لهم طاعة وقول معروف ولكن النصب هناك ممتنع او بعيد فصل
المعنى هذه طاعة بالقول باللسان دون الاعتقاد وهى معروفة اى امر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون
ما لا تفعلون قاله مجاهد وقيل طاعة معروفة بنية خالصة افضل وامثل من يمين باللسان لا يوافقها
الفعل وقال مقاتل بن سليمان ليكن منكم طاعة معروفة هذا على قراءة الرفع واما على قراءة النصب فالمعنى
اطيعوا الله طاعة والله خبير بما تعملون اى لا يخفى عليه شى من اسراركم فانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم
ثم قال واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا اى عن طاعة الله ورسوله فانما عليه اى على الرسول ما حمل كلف وامر
به من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم من الاجابة والطاعة وقرا نافع فى رواية فانما عليه ما حمل بفتح
الحاء والتخفيف اى فعليه اثم ما حمل من المعصية وان تطيعوه تهتدوا اى تصيبوا الحق وان عصيتموه فما على
الرسول الا البلاغ المبين والبلاغ بمعنى التبليغ والمبين الواضح قوله تعالى فان تولوا يجوز ان يكون ماضيا
ويكون الواو ضمير الغايبين ويكون فى الكلام التفات من الخطاب الى الغيبة وحسن الالتفات هنا كون لم
يواجههم بالتولى والاعراض وان يكون مضارعا حذفت احدى تاءيه والاصل تتولوا ويرجح هذا قراءة البزى
بتشديد التاء فان تولوا وان كان بعضهم يستضعفها للجمع بين ساكنين على غير حده ويرجحه ايضا الخطاب
فى قوله وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا ودعوى الالتفات من الغيبة الى الخطاب ثانيا بعيد قوله تعالى
وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات الاية تقدم النظم بلغ ايها الرسول واطيعوا ايها المؤمنون فقد
وعد الله الذين امنوا منكم اى الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ان يستخلفهم فى الارض فيجعلهم الخلفا
والغالبين والمالكين كما استخلف عليها من قبلهم فى زمن داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما وانه يمكن
لهم دينهم وتمكينه ذلك بان يؤيدهم بالنصر والاعزاز ويبدلهم من بعد خوفهم من العدو امنا بان ينصرهم
عليهم فيقتلونهم ويامنوا بذلك شرهم قال ابو العالية مكث النبى صلى الله عليه وسلم بعد الوحى بمكة عشر
سنين مع اصحابه وامروا بالصبر على اذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خايفين ثم امروا بالهجرة الى
المدينة وامروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق احد منهم سلاحه فقال رجل منهم ما ياتى علينا يوم نامن فيه
ونضع السلاح فانزل الله هذه الاية وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم ادخل اللام
لجواب اليمين المضمرة يعنى والله ليستخلفنهم فى الارض ليورثنهم ارض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها
وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم قال قتادة داود وسليمان وغيرهما من الانبياء وقيل كما استخلف الذين من
قبلهم يعنى بنى اسرائيل حيث اهلك الجبابرة بمصر والشام واورثهم ارضهم وديارهم روى عدى بن حاتم قال
بينا انا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ اتاه رجل فشكى اليه الفاقة ثم اتاه اخر فشكى اليه قطع السبيل فقال
يا عدى هل رايت الحيرة قلت لم ارها وقد انبيت عنها قال فان طالت بك حياة فلترين الظعينة ترتحل من
الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف احدا الا الله قلت فيما بينى وبين نفسى فاين دعار طيى الذين قد سعروا البلاد
ولين طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى بن هرمز ولين طالت بك حياة لترين الرجل يخرج من مكة ملء كفه
من ذهب او فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد احدا يقبله وليلقين الله احدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه
ترجمان يترجم له وليقولن الم ابعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى فيقول الم اعطك مالا وافضل عليك فيقول
بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى الا جهنم قال عدى سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق التمرة فان لم يجد تمرة فبكلمة طيبة قال عدى فرايت الظعينة ترتحل من
الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله تعالى وكنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز ولين طالت بكم حياة لترون
ما قال النبى صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه قوله تعالى ليستخلفنهم فيه وجهان احدهما هو جواب
قسم مضمر اى اقسم ليستخلفنهم ويكون مفعول الوعد محذوفا وتقديره وعدهم الاستخلاف لدلالة قوله
ليستخلفنهم عليه والثانى ان يجرى وعد مجرى القسم لتحققه فلذلك اجيب بما يجاب به القسم قوله تعالى كما

استخلف اى استخلافا كاستخلافهم والعامة على بنا استخلف للفاعل وابو بكر بناه للمفعول فالموصول منصوب على الاول
ومرفوع على الثانى قوله تعالى وليبدلنهم قرا ابن كثير وابو بكر وليبدلنهم بسكون الباء وتخفيف الدال من ابدل وتقدم
توجيههما فى الكهف فى قوله ان يبدلهما ربهما قوله تعالى يعبدوننى فيه سبعة اوجه احدها انه مستانف اى
جواب لسوال مقدر كانه قيل ما بالهم يستخلفون ويؤمنون فقيل يعبدوننى الثانى انه خبر مبتدا مضمر اى هم يعبدوننى
والجملة ايضا استينافية تقتضى المدح الثالث انه حال من مفعول وعد الله الرابع انه حال من مفعول ليستخلفنهم
الخامس ان يكون حالا من فاعله السادس ان يكون حالا من مفعول ليبدلنهم السابع ان يكون حالا من فاعله
قوله تعالى لا يشركون يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا من فاعل يعبدوننى موحدين وان يكون بدلا من
الجملة التى قبلها الواقعة حالا وتقدم ما فيها فصل دل قوله وعد الله على انه تعالى متكلم لان الوعد نوع من انواع
الكلام والموصوف بالنوع موصوف بالجنس ولانه تعالى ملك مطاع والملك المطاع لا بد وان يكون بحيث يمكنه وعد
اوليايه ووعيد اعدايه فثبت انه سبحانه متكلم فصل ودلت الاية على انه سبحانه يعلم الاشيا قبل وقوعها خلافا
لهشام بن الحكم فانه قال لا يعلمها قبل وقوعها ووجه الاستدلال انه تعالى اخبر عن وقوع شى فى المستقبل اخبارا على
التفصيل وقد وقع المخبر مطابقا للخبر ومثل هذا الخبر لا يصح الا مع العلم فصل ودلت الاية على انه تعالى حى قادر على جميع
الممكنات لقوله ليستخلفنهم فى الارض وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا وقد فعل
كل ذلك وصدور هذه الاشيا لا يصح الا من القادر على كل المقدورات فصل ودلت الاية على انه سبحانه هو المستحق
للعبادة لانه قال يعبدوننى وقالت المعتزلة الاية تدل على ان فعل الله تعالى معلل بالغرض لان المعنى لكى يعبدوننى
وقالوا ايضا الاية تدل على انه سبحانه يريد العبادة من الكل لان من فعل فعلا لغرض فلا بد وان يكون مريدا
لذلك الغرض فصل ودلت الاية على انه سبحانه منزه عن الشريك لقوله لا يشركون بى شيا وذلك يدل على نفى
الاله الثانى وعلى انه لا يجوز عبادة غير الله سبحانه وتعالى فصل ودلت الاية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
لانه اخبر عن الغيب بقوله ليستخلفنهم فى الارض وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم
امنا وقد وجد هذا المخبر موافقا للخبر ومثل هذا الخبر معجز والمعجز دليل الصدق فدل على صدق محمد عليه السلام
فصل دلت الاية على ان العمل الصالح خارج عن مسمى الايمان خلافا للمعتزلة لانه عطف العمل الصالح على الايمان
والمعطوف خارج عن المعطوف عليه فصل دلت الاية على امامة الايمة الاربعة لانه تعالى وعد الذين امنوا
وعملوا الصالحات من الحاضرين فى زمان محمد عليه السلام بقوله منكم بانه يستخلفهم فى الارض كما استخلف الذين
من قبلهم وان يمكن لهم دينهم المرضى وان يبدلهم بعد الخوف امنا ومعلوم ان المراد بهذا الوعد بعد الرسول
هولا لان استخلاف غيره لا يكون الا بعده ومعلوم ان لا نبى بعده لانه خاتم الانبيا فاذن المراد بهذا الاستخلاف
طريقة الامامة ومعلوم ان بعد الرسول لم يحصل هذا الاستخلاف الا فى ايام ابى بكر وعمر وعثمان لان فى ايامهم
كانت الفتوح العظيمة وحصل التمكين وظهر الدين والامن ولم يحصل ذلك فى ايام على كرم الله وجهه لانه لم
يتفرغ لجهاد الكفار لاشتغاله بمحاربة من خالفه من اهل الصلاة فثبت بهذا دلالة الاية على صحة خلافة هولا فان قيل
الاية متروكة الظاهر لانها تقتضى حصول الخلافة لكل من امن وعمل صالحا ولم يكن الامر كذلك تركنا عنه ولكن لم
لا يجوز ان يكون المراد من قوله ليستخلفنهم هو انه تعالى اسكنهم فى الارض ومكنهم من التصرف لان المراد خلفا
الله ويدل عليه قوله كما استخلف الذين من قبلهم واستخلاف من كان قبلهم لم يكن بطريق الامامة فوجب ان يكون
الامر فى حقهم ايضا كذلك تركنا عنه لكن ههنا ما يدل على انه لا يجوز حمله على خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم لان
من مذهبكم انه عليه السلام لم يستخلف احدا وروى عن على رضى الله عنه انه قال انزلتكم كما نزل نبى الله فعبر
عنه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كقوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر وقال فى حق على رضى الله عنه الذين يقيمون
الصلاة ويوتون الزكاة وهم راكعون تركنا عنه ولكن نحمله على الايمة الاثنى عشر والجواب عن الاول ان كلمة من
للتبعيض بقوله منكم يدل على ان المراد من هذا الخطاب بعضهم وعن الثانى ان الاستخلاف بالمعنى الذى ذكرتموه
حاصل لجميع الخلق والمذكور ههنا فى معرض البشارة فلا بد وان يكون مغايرا له واما قوله تعالى كما استخلف الذين
من قبلهم فالذين كانوا قبلهم قد كانوا خلفا تارة بسبب النبوة وتارة بسبب الملك فالخلافة حاصلة فى الصورتين
وعن الثالث انه وان كان من مذهبنا انه عليه السلام لم يستخلف احدا بالتعيين ولكن قد استخلف بذكر الوصف
والامر والاختيار فلا يمتنع فى هولا انه تعالى استخلفهم وان الرسول استخلفهم وعلى هذا الوجه قالوا فى ابى بكر رضى
الله عنه خليفة رسول الله والذى قيل انه عليه السلام لم يرد به على وجه التعيين واذا قيل استخلف فالمراد
على طريقة الوصف والامر وعن الرابع ان حمل لفظ الجمع على الواحد مجاز وهو خلاف الاصل وعن الخامس انه باطل
لوجهين احدهما قوله تعالى منكم يدل على ان هذا الخطاب كان مع الحاضرين وهولا الايمة ما كانوا حاضرين الثانى

انه تعالى وعدهم القوة والشوكة والبقاء في العالم ولم يوجد ذلك فيهم فثبت بهذا صحة امامة الائمة الاربعة وبطل قول الرافضة الطاعنين على ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وبطلان قول الخوارج والطاعنين على عثمان وعلي قوله تعالى ومن كفر بعد ذلك اراد كفر النعمة ولم يرد الكفر بالله تعالى فاولئك هم الفاسقون العاصون لله عز وجل قال المفسرون اول من كفر بهذه النعمة وجحدها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم وادخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا روى حميد بن هلال قال قال عبد الله بن سلام في عثمان ان الملائكة لم تزل محيطة بمدينتكم هذه منذ قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اليوم فوالله لئن قتلتموه لتذهبون ثم لا تعودون ابدا فوالله لا يقتله رجل منكم الا لقي الله اجذم لا يد له وان سيف الله لم يزل مغمودا عنكم والله لئن قتلتموه ليسلنه الله عز وجل ثم لا يغمده عنكم اما قال ابدا واما قال الى يوم القيامة فما قتل نبي قط الا قتل به سبعون الفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون الفا وروى عن ابن الجعد قال اخبرني حماد هو ابن اسلمة عن ابن دينار عن سعيد بن جهمان عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال امسك خلافة ابي بكر سنتين وخلافة عمر عشرا وعثمان اثنتي عشرة وعلي ست قال علي قلت لحماد سفينة القائل لسعيد امسك قال نعم قوله تعالى واقيموا الصلاة فيه وجهان احدهما انه معطوف على اطيعوا الله والرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه قاله الزمخشري قال شهاب الدين وقوله لان حق المعطوف الى اخره لا يظهر علة للحكم الذي ادعاه والثاني ان قوله واقيموا من باب الالتفات من الغيبة الى الخطاب في قوله قبل ذلك منكم ثم قال واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون اي افعلوها على رجاء الرحمة قوله تعالى لا تحسبن قرا العامة لا تحسبن بتاء الخطاب والفاعل ضمير المخاطب اي لا تحسبن ايها المخاطب ويمتنع او يبعد جعله الرسول عليه السلام لان مثل هذا الحسبان لا يتصور منه حتى ينهى عنه وقرا حمزة وابن عامر لا يحسبن بياء الغيبة وهي قراءة حسنة واضحة فان الفاعل فيها مضمر يعود على ما دل السياق عليه اي لا يحسبن حاسب او احد واما على الرسول لتقدم ذكره ولكنه ضعيف للمعنى المتقدم خلافا لمن لحن قارئ هذه القراءة كابي حاتم وابي جعفر والفراء قال النحاس ما علمت احدا من اهل العربية بصريا ولا كوفيا الا وهو يلحن قراءة حمزة فمنهم من يقول هي لحن لانه لم يات الا بمفعول واحد ليحسبن وقال الفراء هو ضعيف واجازه على حذف المفعول الثاني لتقدير لا يحسبن الذين كفروا انفسهم معجزين قال شهاب الدين وسبب تلحينهم هذه القراءة انهم اعتقدوا ان الذين فاعل ولم يكن في اللفظ الا مفعول واحد وهو معجزين فلذلك قالوا ما قالوا والجواب عن ذلك من وجوه احدها ان الفاعل مضمر يعود على ما تقدم او على ما يفهم من السياق كما سبق تحريره الثاني ان المفعول الاول محذوف تقديره لا يحسبن الذين كفروا انفسهم معجزين الا ان حذف احد المفعولين ضعيف عند البصريين ومنه قول عنترة ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم اي لا تظني غيره واقعا ولما نحا الزمخشري الى هذا الوجه قال وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث فقدر المفعول الاول ضميرا متصلا قال ابو حيان وقد رددنا هذا التخريج في اواخر آل عمران في قوله لا يحسبن الذين يفرحون بما اوتوا في قراءة من قرا بالغيبة وجعل الفاعل الذين يفرحون وملخصه ان هذا ليس من الضمائر التي يفسرها ما بعدها فلا ينعقد لا يحسبنهم اذ لا يجوز ظنه زيد قائما على رفع زيد بظنه وقد تقدم رد هذا الرد في الموضع المذكور الثالث ان المفعولين هما قوله معجزين في الارض قاله الكوفيون ولما نحا اليه الزمخشري قال والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جدا قال شهاب الدين قيل هو خطا لان الظاهر تعلق في الارض بمعجزين فجعله مفعولا ثانيا كالتهيئة للعمل والقطع عنه وهو نظير ظننت قائما في الدار قوله تعالى وماواهم النار فيه ثلاثة اوجه احدها ان هذه الجملة عطف على الجملة التي قبلها من غير تاويل ولا اضمار وهو مذهب سيبويه اعني عطف الجمل بعضها على بعض وان اختلفت انواعها خبرا وطلبا وانشاء وقد تقدم تحقيقه في اول الكتاب الثاني انها معطوفة عليها ولكن بتاويل جملة النهي بجملة خبرية والتقدير الذين كفروا لا يفوتون الله وماواهم النار قاله الزمخشري كانه يرى تناسب الجمل شرطا في العطف هذا ظاهر حاله الثالث انها معطوفة على جملة مقدرة قال الجرجاني لا يحتمل ان يكون وماواهم متصلا بقوله لا يحسبن ذاك نهي وهذا ايجاب فهو اذن معطوف بالواو على مضمر قبله تقديره لا يحسبن الذين كفروا معجزين في الارض بل هم مقهورون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم الاية قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فراى عمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل نزلت في اسماء

بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها فانزل الله يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم اللام للامر الذين ملكت ايمانكم يعني العبيد والاماء قال القاضي هذا الخطاب وان كان ظاهره للرجال فالمراد به الرجال والنساء لان التذكير يغلب على التانيث قال ابن الخطيب والاولى عندي ان الحكم ثابت في النساء بقياس جلي لان النساء في باب العورة اشد حالا من الرجال فهو كتحريم الضرب فالقياس على حرمة التافيف وقال ابن عباس هي في الرجال والنساء يستاذنون على كل حال في الليل والنهار واختلف العلماء في هذا الامر فقيل للندب وقيل للوجوب قوله تعالى والذين لم يبلغوا الحلم منكم اي من الاحرار و[illegible] المراد الاطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء بل الذين عرفوا امر النساء ولكن لم يبلغوا واتفقوا على ان الاحتلام بلوغ واختلفوا في بلوغ خمس عشرة سنة اذا لم يوجد احتلام فقال ابو حنيفة لا يكون بالغا حتى يبلغ ثماني عشرة سنة ويستكملها الغلام والجارية تستكمل سبع عشرة سنة وقال الشافعي وابو يوسف ومحمد في الغلام والجارية خمس عشرة سنة اذا لم يحتلم لما روى ابن عمر انه عرض على النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وهو ابن اربع عشرة سنة فلم يجزه وعرض عليه يوم الخندق وله خمس عشرة سنة فاجازه قال ابو بكر الرازي هذا الخبر مضطرب لان احدا كان في سنة ثلاث والخندق في سنة خمس فكيف يكون بينهما سنة ثم مع ذلك فان الاجازة في القتال لا تعلق لها بالبلوغ فقد لا يؤذن للبالغ لضعفه ويؤذن لغير البالغ لقوته ولطاقته لحمل السلاح ولذلك لم يسأله النبي عليه السلام عن الاحتلام والسن واختلفوا في الانبات هل يكون بلوغا فاصحاب الراي لم يجعلوه بلوغا لقوله عليه السلام وعن الصبي حتى يحتلم وقال الشافعي هو بلوغ لان النبي عليه السلام امر بقتل من انبت من بني قريظة قال الرازي الانبات يدل على القوة البدنية فالامر بالقتل لذلك لا للبلوغ

فصل قال ابو بكر الرازي دلت هذه الاية على ان من لم يبلغ وقد عقل يؤمر بفعل الشرائع وينهى عن ارتكاب القبائح فان الله تعالى امرهم بالاستئذان في هذه الاوقات وقال عليه السلام مروهم بالصلاة وهم ابناء سبع واضربوهم على تركها وهم ابناء عشر وقال ابن عمر يعلم الصبي الصلاة اذا عرف يمينه من شماله وقال ابن مسعود اذا بلغ الصبي عشر سنين كتبت له حسناته ولا تكتب عليه سيئاته حتى يحتلم وانما يؤمر بذلك تمرينا ليعتاده ويسهل عليه بعد البلوغ

فصل قال الاخفش الحلم من حلم الرجل ومن الحلم حلم بضم اللام يحلم بكسر اللام قوله ثلاث مرات فيه وجهان احدهما انه منصوب على الظرف الزماني اي ثلاث اوقات ثم فسر تلك الاوقات بقوله من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ومن بعد صلاة العشاء والثاني انه منصوب على المصدرية اي ثلاثة استئذانات ورجح ابو حيان هذا فقال والظاهر من قوله ثلاث مرات ثلاثة استئذانات لانك اذا قلت ضربت ثلاث مرات قال شهاب الدين مسلم ان الظاهر كذا ولكن الظاهر هنا متروك للقرينة المذكورة وهي التفسير بثلاثة الاوقات المذكورة وقرا الحسن وابو عمرو في رواية الحلم بسكون العين وهي تميمية قوله تعالى من قبل صلاة فيه ثلاثة اوجه احدها انه بدل من قوله ثلاث فيكون في محل نصب الثاني انه بدل من عورات فيكون في محل جر الثالث انه خبر مبتدا مضمر اي هي من قبل اي تلك المرات فيكون في محل رفع وقوله وحين تضعون عطف على محل من قبل صلاة الفجر قوله تعالى من الظهيرة فيه ثلاثة اوجه احدها ان من لبيان الجنس اي حين ذلك الذي هو الظهيرة الثاني انها بمعنى في اي تضعونها في الظهيرة الثالث انها بمعنى اللام اي من اجل حر الظهيرة وقوله ومن بعد صلاة العشاء عطف على ما قبله والظهيرة شدة الحر وهو انتصاف النهار قوله تعالى ثلاث عورات قرا الاخوان وابو بكر ثلاث نصبا والباقون رفعا فالاولى تحتمل ثلاثة اوجه اظهرها انها بدل من قوله ثلاث مرات قال ابن عطية انما يصح البدل بتقدير اوقات ثلاث عورات فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وكذا قدره الحوفي والزمخشري وابو البقاء ويحتمل انه جعل نفس ثلاث المرات نفس ثلاث العورات مبالغة فلا يحتاج الى حذف مضاف وعلى هذا الوجه اعني وجه البدل لا يجوز الوقف على ما قبل ثلاث عورات لانه بدل منه وتابع له ولا يوقف على المتبوع دون تابعه الثاني ان ثلاث عورات بدل من الاوقات المذكورة قاله ابو البقاء يعني قوله من قبل صلاة الفجر وما عطف عليه ويكون بدلا على المحل فلذلك نصب الثالث ان ينتصب باضمار فعل وقدره ابو البقاء اعني واحسن من هذا التقدير اتقوا او احذروا ثلاث واما الثانية فثلاث خبر مبتدا محذوف تقديره هن ثلاث عورات وقدره ابو البقاء مع حذف مضاف فقال اي هي اوقات ثلاث عورات فحذف المبتدا والمضاف وقال شهاب الدين وقد لا يحتاج اليه على جعل العورات نفس الاوقات مبالغة وهو المفهوم من كلام الزمخشري وان كان قد قدر مضافا كما تقدم عنه قال الزمخشري وسمى كل واحد من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنه اعور الفارس واعور المكان والاعور المختل العين فهذا منه يؤذن بعدم تقدير اوقات مضاف لعورات بخلاف كلامه اولا فتوخذ من مجموع كلاميه وجهان وعلى

قراءة الرفع وعلى الوجهين قبلها في تخريج قراءة النصب يوقف على ما قبل ثلاث عورات لانها ليست تابعة لما قبلها وقرأ الاعمش
عورات بفتح الواو وهي لغة هذيل وبني تميم يفتحون عين فعلات واوا او ياء وانشد
اخو بيضات رائح متاوب ❊ رفيق بمسح المنكبين سبوح **فصل** المعنى ليستاذنوا في ثلاث اوقات من قبل صلاة
الفجر ووقت القيلولة ومن بعد صلاة العشاء وخص هذه الاوقات لانها ساعات الخلوة ووضع الثياب
فربما يبدو من الانسان ما لا يحب ان يراه احد من العبيد والصبيان فامرهم بالاستيذان في هذه الاوقات
فاما غيرهم فيستاذنون جميع الاوقات وسميت هذه الاوقات عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه
فتبدو عورته **فصل** قال بعضهم ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
وتسلموا على اهلها يدل على ان الاستيذان واجب في كل حال فنسخ بهذه الاية في غير هذه الاحوال الثلاثة قال
ابن عباس لم يكن للقوم ستور ولا حجاب وكان الخدم والولائد يدخلون فربما يرون منهم ما لا يحبون فامروا
بالاستيذان وقد بسط الله الرزق واتخذ الناس الستور فراى ان ذلك اغنى عن الاستيذان وقال
اخرون الاية الاولى اريد بها المكلف لانه خطاب لمن امن والمراد بهذه الاية غير المكلف لا يدخل في بعض الاحوال
الا باذن وفي بعضها بغير اذن ولا وجه للنسخ **فان قيل** قوله الذين ملكت ايمانكم يدخل فيه من بلغ فالنسخ
لازم **فالجواب** ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا لا يدخل تحته
العبيد والاماء فلا يجب النسخ قال ابو عبيد لم يطرح احد من العلماء الى ان الامر بالاستيذان منسوخ
وروى عطاء عن ابن عباس انه قال ثلاث ايات من كتاب الله تركهن الناس ولا ارى احدا يعمل بهن قال عطاء حفظت
ايتين ونسيت واحدة وقرأ هذه الاية وقوله يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وقد ذكر سعيد بن
جبير ان الاية الثالثة قوله واذا حضر القسمة اولوا القربى الاية وسيل الشعبي عن قوله ليستاذنكم
الذين ملكت ايمانكم امنسوخة هي قال لا والله قيل له ان الناس لا يعملون بها قال الله المستعان وقال
سعيد بن جبير في هذه الاية ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما يتهاون به الناس **قوله تعالى**
ليس عليكم هذه الجملة يجوز ان يكون لها محل من الاعراب وهو الرفع نعتا لثلاث عورات في قراءة من رفعها كانه قيل
هن ثلاث عورات مخصوصة بعدم الاستيذان وان لا يكون لها محل بل هي كلام مقرر للامر بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة
وذلك في قراءة من نصب ثلاث عورات **قوله تعالى بعدهن** قال ابو البقاء التقدير بعد استيذانهم فيهن ثم حذف حرف الجر
والفاعل فبقي بعد استيذانهم ثم حذف المصدر يعني بالفاعل الضمير المضاف اليه الاستيذان فانه فاعل معنوي بالمصدر
وهذا غير ظاهر بل الذي يظهر ان المعنى ليس عليكم جناح ولا عليهم اي العبيد والاماء والصبيان جناح في عدم الاستيذان
بعد هذه الاوقات المذكورة ولا حاجة الى التقدير الذي ذكره **قوله تعالى طوافون** خبر مبتدا مضمر تقديره هم طوافون
وعليكم متعلق به **قوله تعالى على بعض** وتكون هذه الجملة بدلا مما قبلها ويجوز ان تكون مؤكدة مبينة يعني انها افادت
افادة الجملة التي قبلها فكانت بدلا او مؤكدة ورد ابو حيان هذا بانه كون مخصوص فلا يجوز حذفه والجواب عنه
ان الممتنع الحذف اذا لم يدل عليه دليل وقصد اقامة الجار والمجرور مقامه وهنا عليه دليل ولم يقصد اقامة الجار
مقامه ولذلك قال الزمخشري خبره على بعض على معنى طائف على بعض وحذف لدلالة طوافون عليه الثاني ان يرتفع
بدلا من طوافون قاله ابن عطية قال ابو حيان ولا يصح ان قدر الضمير غيبة لتقدير المبتدا هم لانه يصير التقدير
هم يطوف بعضكم على بعض وهو لا يصح فان جعلت التقدير انتم يطوف بعضكم على بعض فيدفعه ان قوله عليكم يدل
على انهم هم المطوف عليهم وانتم طوافون يدل على انهم طائفون فتعارضا قال شهاب الدين يختار ان التقدير انتم
ولا يلزم محذور وقوله فيدفعه الى اخره لا تعارض فيه لان المعنى كل منكم ومن عبيدكم طائف على صاحبه وان كان طواف
احد النوعين غير طواف الاخر لان المراد الظهور على احوال الشخص ويكون بعضكم بدلا من طوافون وعلى بعض بدلا
من عليكم باعادة العامل فابدلت مرفوعا من مرفوع ومجرورا من مجرور ونظيره قوله
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ❊ ببعض ابت عيدانه ان تكسرا فبعضه بدل من النبع المنصوب وببعض بدل من
المجرور بالباء الثالث انه مرفوع بفعل مقدر اي يطوف بعضكم على بعض حذف لدلالة طوافون عليه قاله الزمخشري
وقرأ ابن ابي عبلة طوافين بالنصب على الحال من ضمير عليهم **فصل** المعنى ليس عليكم ولا عليهم يعني العبيد والاماء
والصبيان جناح في الدخول عليكم بغير استيذان بعدهن اي بعد هذه الاوقات الثلاثة طوافون عليكم اي
العبيد والخدم يطوفون عليكم يترددون ويدخلون ويخرجون في اشغالهم بغير اذن بعضكم على بعض **فان**
قيل هل يقتضي ذلك اباحة كشف العورة لهم **فالجواب** لا وانما اباح تعالى ذلك من حيث كانت العادة
لا تكشف العورة في غير تلك الاوقات فمتى كشف عورته مع ظن دخول الخادم فذلك محرم عليها فان كان
الخادم مكلفا حرم عليه الدخول اذا ظن ان هناك كشف عورة **فان قيل** اليس في الناس من جوز للبالغ من

المماليك ان ينظر الى شعر مولاته **فالجواب** من جوز ذلك فالشعر عنده ليس بعورة في حق المالك كما هو في حق
الرحم اذ العورة تنقسم اقساما وتختلف بالاضافات **فصل** هذه الاباحة مقصورة على الخدم دون غيرهم
وقوله ليس عليكم جناح هذا الحكم مختص بالصغار دون البالغين لقوله بعد ذلك واذا بلغ الاطفال منكم الحلم
فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم **قوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم** اي الاحتلام يريد الاحرار الذين
بلغوا فليستاذنوا اي يستاذنون في جميع الاوقات في الدخول عليكم **كما استاذن الذين من قبلهم** من الاحرار الكبار
وقيل يعني الذين كانوا مع ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام **كذلك يبين الله لكم اياته** دلالاته وقيل احكامه **والله**
عليم بامور خلقه **حكيم** بما دبر لهم قال سعيد بن المسيب يستاذن الرجل على امه فانما انزلت هذه الاية في ذلك
وسيل حذيفة ايستاذن الرجل على والدته قال نعم ان لم تفعل رايت منها ما تكره **قوله تعالى والقواعد من**
النساء القواعد جمع قاعد من غير تاء تانيث ومعناه القواعد عن النكاح او عن الحيض او عن الاستمتاع او عن الحبل
او عن الجميع ولولا تخصيصهن بذلك لوجبت التاء نحو ضاربة وقاعدة من القعود المعروف وقوله من النساء وما
بعده بيان لهن والقواعد مبتدا ومن النساء حال واللاتي صفة للقواعد لا للنساء وقوله فليس عليهن الجملة خبر
المبتدا وانما دخلت الفاء لان المبتدا موصوف بموصول لو كان ذلك الموصول مبتدا لجاز دخولها في خبره ولذلك منعت
ان يكون اللاتي صفة للنساء اذ لا يبقى مسوغ لدخول الفاء في خبر المبتدا وقال ابو البقاء دخلت الفاء في المبتدا
من معنى الشرط لان الالف واللام بمعنى الذي وهو مذهب الاخفش وتقدم تحقيقه في المائدة ولكن هنا ما يمنع
عن ذلك وهو وصف المبتدا الموصول المذكور وغير متبرجات حال من عليهن والتبرج الظهور من البرج وهو البناء
الظاهر والتبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء والتبرج اظهار ما يجب اخفاؤه بان
تكشف المراة للرجال باظهار زينتها واظهار محاسنها وبزينة متعلق به **قوله تعالى وان يستعففن** مبتدا بتاويل استعفافهن
وخير خبره **فصل** قال المفسرون القواعد هن اللواتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر ولا يطمع لهن في الازواج
والاولى ان لا يعتبر قعودهن عن الحيض لان ذلك لا ينقطع والرغبة فيهن باقية والمراد قعودهن عن الازواج ولا
يكون ذلك الا عند بلوغهن الى حيث لا يرغب فيهن الرجال لكبرهن قال ابن قتيبة سميت المراة قاعدا اذا كبرت
لانها تكثر القعود وقال ربيعة هن العجز اللواتي اذا راهن الرجال استقذرهن فاما من كانت فيها بقية من جمال
وهي محل الشهوة فلا تدخل في هذه الاية فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن عند الرجال يعني يضعن بعض ثيابهن
وهي الجلباب والرداء الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار فاما الخمار فلا يجوز وضعه لما فيه من كشف
العورة وقرا عبد الله بن مسعود وابي بن كعب ان يضعن من ثيابهن وروي عن ابن عباس انه قرا ان يضعن
جلابيبهن وعن السدي عن شيوخه ان يضعن خمرهن عن رؤوسهن وانما خصهن بذلك لان التهمة مرتفعة عنهن
وقد بلغن هذا المبلغ فلو غلب على ظنهن خلاف ذلك لم يحل لهن وضع الثياب ولذلك قال وان يستعففن خير
لهن وانما جعل ذلك افضل لانه ابعد عن المظنة يلزمهن ان لا يضعن ذلك كما يلزم الشابة والله سميع عليم **قوله تعالى**
ليس على الاعمى حرج الاية قال ابن عباس لما انزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل تحرج
المسلمون عن مواكلة المرضى والزمنى والعمي والعرج وقالوا الطعام افضل الاموال وقد نهانا الله عز وجل عن اكل
المال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام
والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفي الطعام فانزل الله هذه الاية وعلى هذا التاويل تكون على بمعنى في اي ليس
في الاعمى اي ليس عليكم في مواكلة الاعمى والاعرج والمريض حرج وقال سعيد بن جبير والضحاك وغيرهما كان العرجان
والعميان والمرضى يتنزهون عن مواكلة الاصحاء لان الناس يتقذرون منهم ويكرهون مواكلتهم ويقول الاعمى ربما
اكل اكثر ويقول الاعرج ربما اخذ مكان اثنين فنزلت هذه الاية وقال مجاهد نزلت هذه الاية ترخيصا لهؤلاء في
الاكل من بيوت من سمى الله في هذه الاية لان هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل لطلب العلم فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم
ذهب بهم الى بيوت ابائهم وامهاتهم او بعض من سمى الله عز وجل في هذه الاية فكان اهل الزمانة يتحرجون من ذلك
الطعام ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره فانزل الله هذه الاية وقال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا
غزوا خلفوا زمناهم ويدفعون اليهم مفاتيح ابوابهم ويقولون قد احللنا لكم ان تاكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون
من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب فانزل الله هذه الاية رخصة لهم وقال الحسن نزلت الاية رخصة لهؤلاء
في التخلف عن الجهاد وقال تم الكلام عند قوله ولا على المريض حرج **وقوله تعالى ولا على انفسكم** كلام منقطع عما قبله وقيل
لما نزل قوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل لاحد منا ان ياكل عند احد فانزل الله عز وجل ولا على انفسكم
ان تاكلوا من بيوتكم اي لا حرج عليكم ان تاكلوا من بيوتكم **فان قيل** فاي فائدة في اباحة اكل الانسان طعامه في بيته
فالجواب قيل اراد من اموال عيالكم وازواجكم وبيت المراة كبيت الزوج وقال ابن قتيبة اراد من بيوت

اولادكم نسب بيوت الاولاد الى الاباء كقوله عليه السلام انت ومالك لابيك **فصل** دلت هذه الاية بظاهرها على اباحة الاكل
من هذه المواضع بغير استيذان وهو منقول عن قتادة وانكره الجمهور ثم اختلفوا فقيل كان ذلك في صدر الاسلام فنسخ
بقوله عليه السلام لا يحل مال امرء مسلم الا عن طيب نفس منه ويدل على هذا النسخ قوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي
الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وكان في ازواج الرسول من لهن الاباء والاخوات فعم بالنهي عن دخول
بيوتهن الا بالاذن في الاكل **فان قيل** انما اذن الله تعالى في هذه الاية لان المسلمين لم يكونوا يمنعون قراباتهم هؤلاء
من ان ياكلوا في بيوتهم حضروا او غابوا فجاز ان يرخص في ذلك **فالجواب** لو كان الامر كذلك لم يكن لتخصيص هؤلاء
الاقارب بالذكر معنى لان غيرهم كهم في ذلك وقال ابو مسلم المراد من هؤلاء الاقارب اذا لم يكونوا مؤمنين لانه تعالى
نهى من قبل عن مخالطتهم بقوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ثم انه تعالى اباح في
هذه الاية ما حظره هناك قال ويدل عليه ان في هذه السورة امر بالتسليم على اهل البيوت فقال حتى تستأنسوا وتسلموا
على اهلها وفي بيوت هؤلاء المذكورين لم يامر بذلك بل امر ان يسلموا على انفسهم فالمقصود من هذه الاية اثبات الاباحة
في الجملة لا اثبات الاباحة في جميع الاوقات وقيل لما علم بالعادة ان هؤلاء القوم تطيب نفوسهم باكل من يدخل عليهم والعادة
كالاذن فيجوز ان يقال خصهم الله بالذكر لان هذه العادة في الاصل توجد منهم ولذلك ضم اليها الصديق ولما علمنا
ان هذه الاباحة انما حصلت لاجل حصول الرضا فيها فلا حاجة الى النسخ **قوله تعالى او بيوت اباءكم او بيوت امهاتكم او بيوت
اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه** قال
ابن عباس يعني بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا باس عليه ان ياكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته
ولا يحمل ولا يدخر وملك المفتاح كونه في يده وحفظه قال المفضل المفتاح واحدها مفتح بفتح الميم وواحد المفاتيح مفتح
بالكسر وقال الضحاك يعني من بيوت عبيدكم ومماليككم لان السيد يملك منزل عبده والمفاتيح الخزائن لقوله
وعنده مفاتح الغيب ويجوز ان يكون الذي يفتح به وقال عكرمة اذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا باس ان يطعم
الشيء اليسير وقال السدي الرجل يولي طعامه غيره يقوم عليه فلا باس ان ياكل منه وقيل او ما ملكتم مفاتحه ما خزنتموه
عندكم قال مجاهد وقتادة من بيوت انفسكم مما اخزنتم وملكتم **قوله تعالى او ما ملكتم مفاتحه** العامة على فتح الميم
واللام مخففة وابن جبير ملكتم بضم الميم وكسر اللام مشددة اي ملككم غيركم والعامة على مفاتحه دون ياء جمع مفتح
وابن جبير مفاتيحه بالياء بعد التاء جمع مفتاح وجوز ابو البقاء ان يكون جمع مفتح بالكسر وهو الالة وهو ان يكون جمع
مفتح بالفتح وهو المصدر بمعنى الفتح والاول اقيس وقرا ابو عمرو في رواية هرون عنه مفتاحه بالافراد وهي قراءة
قتادة **قوله تعالى او صديقكم** العامة على فتح الصاد وحميد الخزاز روي كسرها اتباعا لكسرة الدال والصديق يقع
للواحد والجمع كالخليط والقطين وشبههما **فصل** الصديق الذي صدقك في المودة قال ابن عباس نزلت في الحارث
بن عمرو خرج غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على اهله فلما رجع وجده مجهودا فسأله عن
حاله فقال تحرجت من اكل طعامك بغير اذنك فانزل الله هذه الاية وكان الحسن وقتادة يريان دخول الرجل بيت صديقه
والتحرم بطعامه من غير استيذان منه في الاكل بهذه الاية والمعنى ليس عليكم جناح ان تاكلوا من منازل هؤلاء اذا دخلتموها
وان لم تحضروا من غير ان تزودوا وتحملوا وحكي عن الحسن دخل داره واذا حلقة من اصدقائه وقد اخرجوا سلالا من
تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة مكبوب عليها ياكلون فتهلل اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم
يعني كبراء الصحابة وعن ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين لان اهل جهنم لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء والامهات
بل قالوا ما لنا من شافعين ولا صديق حميم وحكي ان اخا الربيع بن خثيم دخل منزله في حال غيبته فانبسط الى جاريته
حتى قدمت اليه ما اكل فلما قدم اخبرته بذلك فالسرور لذلك وقال ان صدقت فانت حرة **فصل** احتج ابو حنيفة
بهذه الاية على ان من سرق من ذي رحم محرم انه لا يقطع لان الله تعالى اباح لهم الاكل من بيوتهم ودخولها
بغير اذنهم فلا يكون ماله محرزا منهم **فان قيل** فيلزم ان لا يقطع اذا سرق من مال صديقه **فالجواب**
من اراد سرقة ماله لا يكون صديقا له **قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا** قال الاكثرون
نزلت في بني ليث بن عمرو وحي من كنانة كان الرجل منهم لا ياكل وحده ويمكث يوما حتى يجد ضيفا ياكل معه فان لم
يجد من يواكله لم ياكل شيئا وربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل
الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل هذا قول قتادة وابن جريج وقال
عطاء الخراساني عن ابن عباس كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول
والله اني لاجنح اي اتحرج ان اكل معك وانت غني وانا فقير فنزلت هذه الاية وقال عكرمة وابو صالح نزلت
في قوم من الانصار كانوا لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم في ان ياكلوا كيف شاؤوا جميعا
مجتمعين او اشتاتا متفرقين وقال الكلبي كانوا اذا اجتمعوا لياكلوا طعاما عزلوا للاعمى طعاما على حدة

وكذلك للزمن والمريض فبين الله لهم ان ذلك غير واجب **قوله تعالى جميعا** حال من فاعل تاكلوا واشتاتا عطف عليه وهو
جمع شت وشتى وشتان تثنية قال المفضل قيل الشت مصدر بمعنى التفرق ثم يوصف به ويجمع **قوله تعالى فاذا
دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم** اي ليسلم بعضكم على بعض جعل نفس المسلمين كالنفس الواحدة كقوله تعالى ولا
تقتلوا انفسكم قال ابن عباس فان لم يكن احد على نفسه ليقل السلام علينا من قبل ربنا قال جابر وطاوس والزهري
وقتادة والضحاك وعمرو بن دينار اذا دخل الرجل بيت نفسه يسلم على اهله ومن في بيته قال قتادة اذا دخلت
بيتك فسلم على اهلك فهم احق من سلمت عليهم واذا دخلت بيتا لا احد فيه فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
حدثنا ان الملائكة ترد عليه وعن ابن عباس في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال اذا دخلت المسجد
فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قال القفال وان كان في البيت اهل الذمة فليقل السلام على من اتبع
الهدى **قوله تعالى تحية** منصوب على المصدر من معنى فسلموا فهو من باب قعدت جلوسا وتقدم وزن التحية ومن
عند الله يجوز ان يتعلق بمحذوف صفة لتحية وان يتعلق بنفس تحية اي التحية صادرة من جهة الله ومن لابتداء
الغاية مجازا الا انه يعكر على الوصف تاخر الصفة الصريحة عن المؤولة وتقدم ما فيه **فصل تحية من عند الله** اي
مما امركم الله به قال ابن عباس من قال السلام عليكم معناه اسم الله عليكم **مباركة طيبة** قال ابن عباس حسنة
جميلة وقال الضحاك معنى البركة فيه تضعيف الثواب **كذلك يبين الله لكم الايات** اي يفصل الله شرايعه **لعلكم
تعقلون** عن الله امره ونهيه قال انس وقفت على راس النبي صلى الله عليه وسلم اصب الماء على يديه فرفع راسه
وقال الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بابي انت وامي يا رسول الله قال من لقيت من امتي فسلم عليهم يطل
عمرك واذا دخلت بيتا فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الاوابين **قوله تعالى انما المؤمنون
الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه** اي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم **على امر جامع** يجمعهم من حرب حضرت
او صلاة جمعة او عيد او جماعة او تشاور في امر نزل فقوله امر جامع من الاسناد المجازي لانه لما كان سببا في جمعهم
نسب الفعل اليه مجازا وقرا اليماني على امر جميع فيحتمل ان يكون صيغة مبالغة بمعنى مجمع وان لا يكون والجملة
الشرطية من قوله واذا كانوا وجوابها عطف على الصلة من قوله امنوا والامر الجامع هو الذي يعم ضرره او نفعه
والمراد به الخطب الجليل الذي لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ارباب التجارب والاراء ليستعين بتجاربهم
فمفارقة احدهم في هذه الحالة مما يشق على قلبه **فصل** قال الكلبي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض في خطبته
بالمنافقين ويعيبهم فينظر المنافقون يمينا وشمالا فاذا لم يرهم احد انسلوا وخرجوا ولم يصلوا وان ابصرهم
احد ثبتوا وصلوا خوفا فنزلت هذه الاية فكان المؤمن بعد نزول هذه الاية لا يخرج لحاجته حتى يستاذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المنافقون يخرجون بغير اذن **فصل** قال العلماء كل امر اجتمع عليه المسلمون
مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا باذن وهذا اذا لم يكن سبب يمنعه من المقام فان حدث سبب
يمنعه من المقام بان يكونوا في المسجد فتحيض منهم امراة او يجنب رجل او يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستيذان
فصل قال الجبائي دلت الاية على ان استيذانهم الرسول من ايمانهم ولولا ذلك لجاز ان يكونوا كاملي الايمان **والجواب**
هذا بناء على ان كلمة انما للحصر وايضا فالمنافقون انما تركوا الاستيذان استخفافا وذلك كفر **قوله تعالى ان الذين
يستاذنونك** تعظيما لك ورعاية للادب **اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله** اي يعملون بموجب الايمان
ومقتضاه قال الضحاك ومقاتل المراد عمر بن الخطاب وذلك انه استاذن في غزوة تبوك في الرجوع الى اهله
فاذن له وقال انطلق فوالله ما انت بمنافق يريد ان يسمع المنافقين ذلك الكلام فلما سمعوا ذلك قالوا ما بال محمد
اذا استاذنه اصحابه اذن لهم واذا استاذناه ابى فوالله ما نراه يعدل قال ابن عباس ان عمر استاذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في العمرة فاذن له ثم قال يا ابا حفص لا تنسنا في صالح دعائك **قوله لبعض شانهم** لتعليل
اي لاجل بعض حاجتهم واظهر العامة الضاد عند الشين وادغمها ابو عمرو فيها لما بينهما من التقارب لان الضاد من
اقصى حافة اللسان والشين من وسطه وقد استضعف جماعة من النحويين هذه الرواية واستبعدوها
عن ابي عمرو وراس الصناعة من حيث ان الضاد اقوى من الشين ولا يدغم الاقوى في الاضعف واساء الزمخشري
على راويها السوسي وقد اجاب الناس عنه فقابل وجه الادغام ان الشين اشد استطالة من الضاد وفيها
تفش ليس في الضاد فقد صارت الضاد انقص منها وادغام الانقص في الازيد جائز قال ويؤيد هذا ان سيبويه
حكى عن بعض العرب اطجع في اضطجع واذا جاز ادغامها في الطاء فادغامها في الشين اولى والخصم لا يسلم جميع ما
ذكر ومستند المنع واضح **فصل** فاذا استاذنوك لبعض شانهم امورهم فاذن لمن شئت منهم بالانصراف
اي ان شئت فاذن وان شئت فلا تاذن واستغفر لهم الله وهذا تنبيه على ان الاولى ان لا يستاذنوا وان اذن
لان الاستغفار يكون عن ذنب ويحتمل ان يكون امره بالاستغفار لهم عن مقابلة على تمسكهم باذن الله تعالى

فى الاستيذان **فصل** قال مجاهد قوله فاذن لمن شيت منهم نسخت هذه الاية وقال قتادة نسخت هذه الاية
بقوله لم اذنت لهم والاية تدل على انه تعالى فوض الى رسول الله بعض امر الدين ليجتهد فيه رايه **قوله تعالى**
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال سعيد بن جبير وجماعة كثيرة معناه لا تنادونه باسمه
فتقولون يا محمد ولا بكنيته فتقولون يا ابا القاسم بل نادوه وخاطبوه بالتوقير يا رسول الله يا نبى الله وعلى هذا
يكون المصدر مضافا للمفعول وقال المبرد والقفال لا تجعلوا دعاءه اياكم كدعاء بعضكم لبعض فتتباطؤن عنه
كما يتباطا بعضكم عن بعض اذا دعاه لامر بل يجب عليكم المبادرة لامره ويؤيده قوله فليحذر الذين يخالفون
عن امره وعلى هذا يكون المصدر مضافا للفاعل وقال ابن عباس احذروا دعاء الرسول عليكم اذا اسخطتموه فان
دعاءه موجبة ليس كدعاء غيره وروى عنه ايضا لا ترفعوا اصواتكم فى دعائه وهو المراد من قوله ان الذين
يغضون اصواتهم عند رسول الله وقراءة المبرد اقرب الى نظم الاية وقرا الحسن نبيكم بتقديم النون على الباء
المكسورة بعدها ياء مشددة مخفوضة مكان بينكم الظرف فى قراءة العامة وفيها ثلاثة اوجه احدها انه بدل
من الرسول الثانى انه عطف بيان له لان النبى باضافته الى المخاطبين صار اشهر من الرسول الثالث انه نعت
لا يقال انه لا يجوز لان هذا كما قررتم اعرف والنعت لا يكون اعرف من المنعوت بل اما اقل او مساوى لان الرسول
صار علما بالغلبة على محمد صلى الله عليه وسلم فقد تساويا تعريفا **قوله تعالى قد يعلم الله** قد تدل على التعليل مع
المضارع الا فى افعال الله فتدل على التحقيق كهذه الاية وقد ردها بعضهم الى التعليل لكن الى متعلق العلم يعنى ان
الفاعلين لذلك قليل فالتعليل ليس فى العلم بل فى متعلقه **قوله تعالى لواذا** فيه وجهان احدهما انه منصوب
على المصدر من معنى الفعل الاول اذ التقدير يتسللون منكم تسللا او يلاوذون لواذا والثانى انه مصدر
فى موضع الحال اى ملاوذين واللواذ مصدر لاوذ وانما صحت الواو وان انكسر ما قبلها ولم تقلب ياء كما قلبت
فى قيام وصيام لانها صحت فى الفعل نحو لاوذ فلو اعلت فى الفعل اعلت فى المصدر نحو القيام والصيام لقلبها الفا
فى قام وصام واما مصدر لاذ بكذا يلوذ به فمعتل نحو لاذ لياذا مثل صام صياما وقام قياما واللواذ الملاوذة
التستر يقال لاوذ فلان بكذا اذا استتر به واللوذ ما يطيف بالجبل وقيل اللواذ الروغان من شىء الى شىء فى
خفية ووجه المفاعلة ان كلا منهم يلوذ بصاحبه فالمشاركة موجودة وقرا زيد بن قطيب لواذا بفتح اللام
وهى محتملة لوجهين احدهما ان يكون مصدر لاذ ثلاثيا فيكون مثل طاف طوافا والثانى ان يكون مصدر لاوذ
الا انه فتحت الفاء اتباعا لفتحة العين وهو تعليل ضعيف يصلح لمثل هذه القراءة **فصل** المعنى قال المفسرون
ان المنافقين كانوا يخرجون متسترين بالناس من غير استيذان حتى لا يروا قال ابن عباس كان المنافقون
يثقل عليهم المقام فى المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض اصحابه فيخرجون
من المسجد فى استتار وقال مجاهد يتسللون من الصف فى القتال وقيل كان هذا فى حفر الخندق ينصرفون
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين وقيل يعرضون عن الله وعن كتابه وعن ذكره وعن نبيه **قوله تعالى**
فليحذر الذين فيه وجهان اشهرهما وهو الذى لا يعرف النحاة غيره ان الموصول هو الفاعل وان تصيبهم مفعوله
اى فليحذر المخالفون عن امره اصابتهم فتنة والثانى ان فاعل فليحذر ضمير مستتر والموصول مفعول به ورد
هذا بوجوه منها ان الاضمار خلاف الاصل وفيه نظر لان هذا الاضمار فى قوة المنطوق به فلا يقال هو خلاف
الاصل انما الاضمار خلاف الاصل فيما كان حذفا نحو واسيل القرية ومنها ان هذا الضمير لا مرجع له اى ليس له
شىء يعود عليه فبطل ان يكون الفاعل ضميرا مستترا واجيب بان الذى يعود عليه الضمير هو الموصول الاول
اى فليحذر المتسللون المخالفين عن امره فيكونون قد امروا بالحذر منهم اى امروا باجتنابهم كما يؤمر
باجتناب الفساق ورد هذا بوجهين احدهما ان الضمير مفرد والذى يعود عليه جمع ففاتت المطابقة التى
هى شرط فى تفسير الضماير الثانى ان المتسللين هم المخالفون فلو امروا بالحذر عن الذين يخالفون لكانوا
قد امروا بالحذر عن انفسهم وهو لا يجوز لانه لا يمكن ان يؤمروا بالحذر عن انفسهم ويمكن ان يجاب
عن الاول بان الضمير وان كان مفردا انما عاد على جمع باعتبار ان المعنى فليحذر هو اى من ذكر قبل لذلك حكى
سيبويه ضربنى وضربت قومك اى ضربنى من ثم ومن ذكر وهى مسئلة معروفة فى النحو او يكون التقدير
فليحذر كل واحد من المتسللين وعن الثانى بانه يجوز ان يؤمر الانسان بالحذر عن نفسه مجازا يعنى انه
لا يطاوعها على شهواتها وما تسوله له من السوء كانه قيل فليحذر المخالفين انفسهم فلا يطيعوها فيما تامرهم
به ولهذا يقال امر نفسه ونهاها وامرته نفسه باعتبار المجاز ومنها انه يصير قوله ان تصيبهم فتنة
او يصيبهم عذاب اليم مفلتا ضايعا لان يحذر يتعدى لواحد وقد اخذه على زعمكم وهو الذين يخالفون
ولا يتعدى الى اثنين حتى يقولوا ان ان تصيبهم فتنة فى محل مفعوله الثانى فيبقى ضايعا وفيه نظر لانه لا ليس

ضباعة لانه مفعول من اجله واعترض على هذا بانه لم يستكمل شروط النصب لاختلاف الفاعل لان فاعل الحذر غير فاعل
الاصابة وهو ضعيف لان حذف حرف الجر يطرد مع ان وان فتقول مسلم شروط النصب غير موجودة وهو مجرور
باللام تقديرا وانما حذفت مع ان لطولها بالصلة ويخالفون يتعدى بنفسه نحو خالفت امر زيد وبالى نحو خالفت
الى كذا فكيف تعدى هذا بحرف المجاوزة وفيه اوجه احدها انه ضمن معنى صد واعرض اى صد عن امره واعرض
عنه مخالفة والثانى قال ابن عطية معناه يقع خلافهم بعد امره كما يقول كان المطر عن ريح كذا وعن لما عدا الشىء
الثالث انها مزيدة اى يخالفون امره واليه نحا الاخفش وابو عبيدة والزيادة خلاف الاصل وقرى يخلفون بالتشديد
ومفعوله محذوف اى يخلفون انفسهم **فصل** المعنى فليحذر الذين يخالفون اى يعرضون عن امره او يخالفون امره
وينصرفون عنه بغير اذنه **ان تصيبهم فتنة** اى لئلا تصيبهم فتنة قال مجاهد بلاء فى الدنيا **او يصيبهم عذاب**
اليم وجيع فى الاخرة والضمير فى امره يرجع الى الرسول وقال ابو بكر الرازى الاظهر انه لله تعالى لانه يليه **فصل** الاية
تدل على ان الامر للوجوب لان تارك المامور مخالف للامر يستحق العقاب ولا معنى للوجوب الا ذلك **قوله تعالى الا ان**
لله ما فى السموات والارض اى ملكا وعبيدا وهذا تنبيه على كمال قدرته تعالى عليهما وعلى ما بينهما وفيهما **قوله تعالى قد**
يعلم ما انتم عليه قال الزمخشرى ادخل قد ليوكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ويرجع توكيد العلم الى
توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما فى خروجها الى معنى التكثير فى نحو قوله
قال يمس مهجور الفناء ربما اقام به بعد الوفود وفود ونحو من ذلك قول زهير اخى ثقة لا يهلك الخمر ماله
ولكنه قد يهلك المال نايله قال ابو حيان وكون قد اذا دخلت على المضارع افادت التكثير قول بعض النحاة وليس بصحيح
وانما التكثير مفهوم من السياق والصحيح ان رب لتقليل الشىء او لتقليل نظيره وان فهم تكثير فمن السياق لا منها **قوله تعالى**
ويوم يرجعون فى يوم وجهان احدهما انه مفعول به لا ظرف لعطفه على قوله ما انتم عليه اى يعلم الذى انتم عليه من
جميع احوالكم ويعلم يوم يرجعون كقوله ان الله عنده علم الساعة وقوله لا يجليها لوقتها الا هو والثانى انه ظرف لشىء محذوف
قال ابن عطية ويجوز ان يكون التقدير والعلم الظاهر لكم او نحو هذا يوم فيكون النصب على الظرف انتهى وقرا العامة
يرجعون مبنيا للمفعول وابو عمرو فى اخرين مبنيا للفاعل وعلى كلتى القراءتين فيجوز وجهان احدهما ان يكون فى الكلام التفات
من الخطاب فى قوله ما انتم عليه الى الغيبة فى قوله يرجعون والثانى ما انتم عليه خطاب عام لكل احد والضمير فى يرجعون
للمنافقين خاصة فلا التفات حينئذ **فصل** المعنى يعلم ما انتم عليه من الايمان والنفاق وقد صله ويوم يرجعون
اليه يعنى يوم البعث **فينبئهم بما عملوا** من الخير والشر **والله بكل شىء عليم** روى عن عايشة قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور وروى الثعلبى عن ابى امامة
عن ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النور اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مومن فيما مضى
وفيما بقى

وهى سبع وسبعون اية وثمان مائة واثنان وسبعون كلمة وعدد حروفها ثلاثة الاف وسبع مائة وثمانون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده الاية اعلم انه تعالى تكلم فى هذه السورة فى التوحيد
والنبوة واحوال القيامة ثم ختمها بذكر العباد المخلصين المومنين قال الزجاج تبارك تفاعل من البركة والبركة
كثرة الخير وزيادته وفيه معنيان احدهما تزايد خيره وتكاثره قال ابن عباس معناه جا بكل بركة قال تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها والثانى قال الضحاك تعظم الذى نزل الفرقان اى القران على عبده وقيل الكلمة تدل على البقاء وهو
ماخوذ من بروك البعير ومن بروك الطير على الماء وسميت البركة بركة لثبوت الماء فيها والمعنى انه سبحانه باق فى ذاته
ازلا وابدا ممتنع التغير وباق فى صفاته ممتنع التبدل **فان قيل** كلمة الذى موضوعة فى اللغة للاشارة الى الشىء عند
محاولة تعريفه بقضية معلومة واذا كان كذلك فالقوم ما كانوا عالمين بانه سبحانه الذى نزل الفرقان مجرا **فالجواب**
انه لما ظهر الدليل على كونه من عند الله فلقوة الدليل وظهوره اجراه سبحانه مجرى المعلوم **فصل** وصف القران بالفرقان
لانه فرق بين الحق والباطل فى نبوة محمد عليه السلام وبين الحلال والحرام او لانه فرق فى النزول كقوله وقرانا فرقناه
لتقراه على الناس على مكث وهذا اقرب لانه قال نزل الفرقان على عبده لفظة نزل تدل على التفريق ولفظة انزل تدل على
الجمع ولهذا قال فى سورة ال عمران نزل عليك الكتاب وانزل التوراة والانجيل والمراد بالعبد ههنا محمد صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى ليكون اللام متعلقة بنزل وفى اسم يكون ثلاثة اوجه احدها انه ضمير يعود على الذى نزل اى ليكون
الذى نزل الفرقان نذيرا الثانى انه يعود على الفرقان وهو القران اى ليكون الفرقان نذيرا اضاف الانذار كما اضاف

الهداية في قوله ان هذا القرآن يهدي وهذا بعيد لان المنذر والنذير من صفات الفاعل للتخويف ووصف القرآن به
به مجاز وحمل الكلام على الحقيقة اولى . الثالث انه يعود على عبده اى ليكون عبده محمد صلى الله عليه وسلم نذيرا وهذا احسن
الوجوه معنى وصناعة لقربه مما يعود عليه والضمير يعود على الاقرب مذكور وللعالمين متعلق بنذيرا وانما قدم لاجل الفوا
ودعوى افادة الاختصاص بعيدة لعدم تاتيها هنا ورجح ابو حيان عوده على الذي قال لانه العمدة المسند اليه
الفعل وهو من وصفه تعالى كقوله انا كنا منذرين ونذيرا الظاهر فيه انه بمعنى منذر وجوز وان يكون مصدرا
بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار ومنه فكيف كان عذابي ونذر فان قيل قوله تبارك يدل على كثرة الخير والبركة
فالمذكور عقيبه لا بد وان يكون سببا لكثرة الخير والمنافع والانذار موجب الغم والخوف فكيف يليق ذكره بهذا
الموضع فالجواب ان الانذار يجري مجرى تاديب الوالد كما انه كانت المبالغة في تاديب الولد اكثر كان رجوع
الخلق الى الله اكثر وكانت السعادة الاخروية اتم واكثر وهذا كالتنبيه على انه لا التفات الى المنافع العاجلة لانه
تعالى لما وصف نفسه بانه معطي الخيرات الكثيرة لم يذكر الا منافع الدين ولم يذكر منافع الدنيا البتة قوله تعالى
الذي له ملك يجوز في الذي الرفع نعتا للذي الاول او بيانا او بدلا او خبر المبتدا محذوف او النصب على المدح وما
بعد بدل من تمام الصلة فليس اجنبيا فلا يضر الفصل به بين الموصول الاول والثاني اذا جعلنا الثاني تابعا له
فصل الذي له ملك السموات والارض اشارة الى احتياج هذه المخلوقات اليه سبحانه حال حدوثها وانه هو
المتصرف فيها كيف يشاء ولم يتخذ ولدا اي هو الفرد ابدا ولا يصح ان يكون غيره معبودا ووارثا للملك عنه وهذا
رد على النصارى ولم يكن له شريك في الملك اي هو المنفرد بالالهية واذا عرف العبد ذلك انقطع رجاؤه عن كل
ما سواه ولم يشتغل الا برحمته واحسانه وفيه رد على الثنوية والقائلين بعبادة النجوم والاوثان قوله تعالى
وخلق كل شيء الخلق هنا عبارة عن الاحداث والتهيئة لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت حتى يجيء قوله فقدره تقديرا
مفيدا اذا حملنا خلق كل شيء على معناه الاصلي من التقدير لصار الكلام وقدر كل شيء فصل خلق كل شيء يدل على انه تعالى
خلق الاعمال من وجهين الاول ان قوله كل شيء يتناول جميع الاشياء ومن جملتها افعال العباد . والثاني انه تعالى نفى
الشريك فكان قايلا قال ههنا اقوام معترفون بنفي الشركة والانداد ومع ذلك يقولون تخلق افعال انفسهم فذكر
الله تعالى هذه الاية ردا عليهم . قال القاضي الاية لا تدل عليه لوجوه احدها انه تعالى صرح بكون العبد خالقا
فقال واذ تخلق من الطين كهيئة الطير وقال فتبارك الله احسن الخالقين وتمدح بانه قدره تقديرا ولا يجوز
ان يريد به الا الحسن والحكمة دون غيره فظاهر الاية لا يدل الا على التقدير لان الخلق عبارة عن التقدير فلا
يتناول الا ما يظهر فيه التقدير وهو الاجسام لا الاعراض والجواب ان قوله واذ تخلق وقوله احسن الخالقين
معارض بقوله الله خالق كل شيء وبقوله هل من خالق غير الله وقولهم لا يجوز التمدح بخلق الفساد فالجواب
لم لا يجوز ان يتمدح به من حيث نفاذ القدرة قوله تعالى واتخذوا يجوز ان يعود الضمير على الكفار الذين تضمنهم
لفظ العالمين وان يعود على من ادعى ان لله شريكا وولدا لدلالة قوله ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
وان يعود على المنذرين لدلالة نذيرا عليهم قوله تعالى لا يخلقون صفة لآلهة وغلب العقلاء على غيرهم لان الكفار
كانوا يعبدون العقلاء كعزير والمسيح والملائكة وغيرهم كالكواكب والاصنام . ومعنى لا يخلقون لا يقدرون على
التقدير والخلق توصف به العباد قال زهير ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري . ويقال
خلقت الاديم اى قدرته هذا اذا اريد بالخلق التقدير فانه اريد به الايجاد فلا يوصف به غير الباري تعالى وقد تقدم
وقيل معنى يختلقون كقوله وتخلقون افكا فصل لما وصف نفسه بصفات الجلال والعزة والعلو اردفه بتزييف
مذهب عبدة الاوثان من وجوه . منها انها ليست خالقة للاشياء والاله يجب ان يكون قادرا على الخلق والايجاد
ومنها انها مخلوقة والمخلوق محتاج والاله يجب ان يكون غنيا . ومنها انها لا تملك لانفسها ضرا ولا نفعا ومن
كان كذلك لا يملك موتا ولا حياة ولا نشورا اى لا يقدر على الاحياء والاماتة لا في زمن التكليف ولا في زمن المجازاة
ومن كان كذلك كيف يسمى الها وكيف يستحق العبادة فصل احتج اهل السنة بقوله لا يخلقون شيئا على ان فعل
العبد مخلوق لله تعالى لانه عاب هؤلاء الكفار من حيث عبدوا ما لا يخلق شيئا وذلك يدل على ان من خلق يستحق ان
يعبد فلو كان العبد خالقا لكان معبودا الها . واجاب الكعبي بانا لا نطلق اسم الخالق الا على الله تعالى وقال بعض
اصحابنا في الخلق انه الاحداث لا بعلاج وفكر وتعب ولا يكون ذلك الا لله تعالى ثم قال قد قال الله تعالى الهم ارجل يمشون
بها في وصف الاصنام افيدل ذلك على ان كل من له رجل يستحق ان يعبد فاذا قالوا لا قيل فكذلك ما ذكرتم وقد قال
تعالى فتبارك الله احسن الخالقين هذا كله كلام للكعبي والجواب قوله لا نطلق اسم الخالق على العبد قلنا بل
يجب ذلك لان الخالق في اللغة هو المقدر والتقدير يرجع الى الظن والحسبان فوجب ان يكون اسم الخالق حقيقة
في العبد مجازا في الله فكيف يمكنهم منع اطلاق لفظ الخالق على العبد . واما قوله تعالى الهم ارجل يمشون بها فالعيب

انما يقع عليهم فلا جرم ان من تحقق العجز في حقه من بعض الوجوه لم يحسن عبادته . فاما قوله فتبارك الله احسن الخالقين
فتقدم الكلام عليه . واعلم ان في استدلال اهل السنة بالاية نظر لاحتمال ان العيب انما حصل بمجموع الامرين وهو
كونهم ليسوا خالقين وكونهم مخلوقين والعبد وان كان خالقا الا انه مخلوق فلا يلزم ان يكون العبد الها معبودا
فصل دلت الاية على البعث لانه تعالى ذكر النشور ومعناه ان المعبود يجب ان يكون قادرا على ايصال الثواب الى
المطيعين والعقاب الى العصاة فمن لا يكون كذلك يجب ان لا يصلح للالهية قوله تعالى وقال الذين كفروا ان هذا الا
افك افتراه الاية لما تكلم اولا في التوحيد . وثانيها في الرد على عبدة الاوثان تكلم ههنا في مسئلة النبوة وحكى شبه
الكفار في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فالشبهة الاولى قوله وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه
عليه قوم آخرون . قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث هو الذي قال هذا القول واعانه عليه قوم آخرون
يعني عامر مولى حويطب بن عبد العزى ويسار غلام عامر بن الحضرمي وجبير مولى عامر هؤلاء الثلاثة كانوا من اهل
الكتاب وكانوا يقرؤون التوراة فلما اسلموا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعهدهم فمن اجل ذلك قال النضر ما قال
وقال الحسن عبيد بن الحضرمي الحبشي الكاهن . وقيل جبير ويسار وعداس عبيدا كانوا بمكة من اهل الكتاب فزعم
المشركون ان محمدا يأخذ منهم قوله افتراه الهاء تعود على افك وقال ابو البقاء الهاء تعود على عبده في اول السورة . قال
شهاب الدين ولا اظنه الا غلطا وكانه اراد ان يقول الضمير المرفوع في افتراه فغلط . والافتراء الاختلاق والافترا
افتعال من فريت يقال فريت الاديم قوله تعالى ظلما فيه اوجه . احدها انه مفعول به لان جاء يتعدى بنفسه وكذلك
اتى . والثاني انه على اسقاط الخافض اي جاؤا بظلم قاله الزجاج . الثالث انه في موضع الحال فيجيء فيه ما في قولك جاء
زيد عدلا قال الزمخشري فقد جاؤا ظلما وزورا اى كفروا ظلما وكذبا كقوله لقد جئتم شيئا ادا فانتصب بوقوع المجيء
اما كونه ظلما فلانهم نسبوا هذا الفعل القبيح الى من كان مبرأ عنه فقد وضعوا الشيء في غير موضعه وذلك هو الظلم
واما كونه زورا فلانهم كذبوا قال مسلم الظلم تكذيبهم الرسول . الشبهة الثانية قوله تعالى وقالوا اساطير الاولين
اكتتبها الاية يجوز في اكتتبها ثلاثة اوجه . احدها ان تكون حالا من اساطير والعامل فيها معنى التنبيه او الاشارة
المقدرة قال اساطير خبر مبتدا محذوف تقديره هذه اساطير الاولين مكتتبة . والثاني ان تكون في موضع خبر ثان
لهذه . الثالث ان يكون اساطير مبتدا واكتتبها خبره والاكتتاب هنا يجوز ان يكون بمعنى امر بكتابتها كافتصد
واحتجم اذا امر بذلك . ويجوز ان يكون بمعنى كتبها وهو من جملة افترائهم عليه لانه كان اميا لا يقرا ولا يكتب ويكون
كقولهم استكبه واصطبه اي والافتعال مشعر بالتكلف ويجوز ان يكون من كتب بمعنى جمع من الكتب وهو الجمع لا من
الكتابة بالقلم . وقرا طلحة اكتتبها مبنيا للمفعول قال الزمخشري والمعنى اكتتبها له كاتب لانه كان اميا لا يكتب بيده
ثم حذفت اللام فافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي
هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان منصوبا بارزا وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى . قال
ابو حيان ولا يصح ذلك على مذهب جمهور البصريين لان اكتتبها له كاتب وصل الفعل فيه لمفعولين احدهما مسرح وهو
ضمير الاساطير والاخر مقيد وهو ضميره عليه السلام ثم اتسع في الفعل فحذف حرف الجر فصار اكتتبها اياه كاتب فاذا
بني هذا للمفعول انما ينوب عن الفاعل المفعول المسرح لفظا وتقديرا لا المسرح لفظا المقيد تقديرا فعلى هذا كان
يكون التركيب اكتتبه لا اكتتبها وعلى هذا الذي قلناه جاء السماع قال الفرزدق . ومنا الذي اختير الرجال سماحة
وجودا اذا هب الرياح الزعازع . ولو جاء على ما قعده الزمخشري لجاء التركيب ومنا الذي اختيره الرجال لان اختير
تعدى الى الرجال باسقاط حرف الجر اذ تقديره اختير من الرجال وهو اعتراض حسن بالنسبة الى مذهب الجمهور ولكن
الزمخشري قد لا يلتزمه ويوافق الاخفش والكوفيين واذا كان الاخفش وهم يجيزون نيابة المسرح لفظا وتقديرا ويقيمون
المجرور بالحرف مع وجوده فهذا اولى والظاهر ان الجملة من قوله اكتتبها فهي تملى من تتمة قول الكفار وعن الحسن انها
من كلام الباري تعالى وكان حق الكلام على هذا ان يقرا اكتتبها بهمزة مقطوعة مفتوحة للاستفهام كقوله افترى
على الله كذبا ام به جنة ويمكن ان يعتذر عنه انه حذف الهمزة للعلم بها كقوله تعالى وتلك نعمة تمنها علي وقول الآخر
افرح ان ارزا الكرام وان اورث ذودا شصايصا نبلا . يريد اوتلك واافرح فحذف لدلالة الحال وحقه ان يقف
على الاولين . قال الزمخشري كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال امليت عليه فهو يكتتبها قلت فيه وجهان
احدهما اراد اكتتابها وطلبه فهي تملى عليه او كتبت له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتاب يتحفظها لان صورة
الالقا على الكاتب . وقرا عيسى وطلحة تتلى بالتاء من فوق من التلاوة وبكرة واصيلا ظرفان للاملاء والياء في
تملى بدل من الكلام كقوله فليملل وقد تقدم فصل المعنى ان هذا القرآن ليس من الله انما هو مما سطره الاولون
كاحاديث رستم واسفنديار جمع اسطار واسطورة كاحدوثة استنسخها محمد من اهل الكتاب فهي تملى عليه اي
تقرا عليه ليحفظها لانه لا يكتبها بكرة واصيلا غدوة وعشيا قوله تعالى قل انزله الذي يعلم السر الاية وهذا جواب

عن شبهتهم وذلك انه عليه السلام تحداهم بالمعارضة واظهر عجزهم عنها ولو كان عليه السلام اتى بالقران من عند نفسه
او استعان باحد لكان من الواجب عليهم ايضا ان يستعينوا باحد فياتوا بمثل هذا القران فلما عجزوا عنه ثبت انه وحي
الله وكلامه فلهذا قال قل انزله يعني القران الذي يعلم السر اي الغيب في السموات والارض لان القادر على تركيب الفاظ
القران لا بد وان يكون عالما بكل المعلومات ظاهرها وخفيها ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ثم قال
انه كان غفورا رحيما فذكر الغفور في هذا الموضع لوجهين احدهما قال ابو مسلم انه لما انزله لاجل الانذار وجب ان يكون
غفورا رحيما غير مستعجل بالعقوبة الثاني انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العقاب صبا ولكن صرفه
عنهم كونه غفورا رحيما يمهل ولا يعاجل الشبهة الثالثة قوله تعالى وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام الاية
ما استفهامية مبتداة والجار بعدها خبره وياكل جملة حالية وبها تتم فائدة الاخبار كقوله فما لهم عن التذكرة معرضين
وقد تقدم في النساء ان لام الجر كتبت مفصولة من مجرورها وهو خارج عن قياس الخط والعامل في الحال الاستقرار
العامل في الجار او نفس الجار ذكره ابو البقا قوله تعالى فيكون العامة على نصبه وفيه وجهان احدهما نصب على
جواب التحضيض والثاني قال ابو البقا فيكون منصوب على جواب الاستفهام وفيه نظر لان ما بعد الفا لا يترتب
على الاستفهام وشرط النصب ان ينعقد منهما شرط وجزاء وقرى فيكون بالرفع وهو معطوف على انزل وجاز
عطفه على الماضي لان المراد بالماضي المستقبل اذ التقدير لولا ينزل قوله تعالى او يلقى او يكون معطوفان على انزل
لما تقدم من كونه بمعنى ينزل ولا يجوز ان يعطفا على فيكون المنصوب في الجواب لانهما مندرجان في التحضيض في حكم
الواقع بعد لولا وليس المعنى على انهما جواب للتحضيض فيعطفان على جوابه وقرا الاعمش وقتادة او يكون له بالياء
من تحت لان تانيث الجنة مجازي قوله تعالى ياكل منها الجملة في موضع الرفع صفة لجنة وقرا الاخوان ناكل بنون
الجمع والباقون بالياء من تحت اي الرسول قوله تعالى وقال الظالمون وضع الظاهر موضع المضمر اذ الاصل وقالوا
قال الزمخشري واراد بالظالمين اياهم باعيانهم قال ابو حيان وقوله ليس تركيبا سايغا بل التركيب العربي ان
يقول اراد ايهم باعيانهم فصل وهذه الشبهة التي ذكروها في غاية الركاكة فقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام كما ناكل
نحن ويمشي في الاسواق يلتمس المعاش كما نلتمس فمن اين له الفضل علينا وكيف يمتاز عنا بالنبوة وهو مثلنا في هذه
الامور وقالوا لولا انزل اليه ملك هلا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا يصدقه ويشهد له ويرد كل من خالفه
او يلقى اليه كنز من السما فينفقه ولا يحتاج الى تردد لطلب المعاش وكانوا يقولون له لست انت بملك لانك تاكل والملك
لا ياكل ولست بملك لان الملك لا يتسوق وانت تتسوق وتتبذل وما قالوه فاسد لان اكله الطعام لكونه ادميا ومشيه
في الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفة له وقالوا او يكون له جنة ياكل منها والمعنى ان لم يكن له كنز فلا اقل من ان يكون
كواحد من الدهاقين فيكون له بستان ياكل منه وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا اي خدعا وقيل مصروفا
عن الحق وتقدمت هذه القصة في اخر بني اسرايل ثم اجابهم الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله انظر كيف ضربوا لك
الامثال يعني الاشباه فضلوا عن الحق فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى ومخرجا عن الضلالة وبيان وجه الجواب
كانه تعالى قال انظر كيف اشتغل القوم بضرب هذه الامثال التي لا فايدة فيها لاجل انهم ضلوا وارادوا القدح في
نبوتك لم يجدوا الى القدح فيه سبيلا البتة اذ الطعن عليه انما يكون بما يقدح في المعجزات التي ادعاها لا بهذا
الجنس من القول قوله تعالى تبارك الذي ان شا جعل لك خيرا من ذلك الاية وهذا هو الجواب الثاني عن تلك الشبهة
اي تبارك الذي ان شا جعل لك خيرا من ذلك قالوا وافضل من الكنز والبستان الذي ذكروا اي انه قادر على ان يعطي
الرسول كلما ذكروه ولكنه تعالى يعطي عباده بحسب المصالح او على وفق المشية ولا اعتراض لاحد عليه في شي من افعاله
قال ابن عباس خيرا من ذلك اي مما عيروك بفقد الجنة الواحدة سبحانه وهو قادر على ان يعطيك جنات كثيرة وقال
في رواية عكرمة خيرا من ذلك اي من المشي في الاسواق وابتغا المعاش وقوله ان شا معناه انه تعالى قادر على ذلك
لا انه شاك لان الشك لا يجوز على الله وقيل ان ههنا بمعنى قد اي قد جعلنا لك في الاخرة جنات ومساكن وانما ادخل
ان تنبيها للعباد على انه لا ينال ذلك الا برحمته وانه معلق على محض مشيته وليس لاحد من العباد حق على الله لا في الدنيا
ولا في الاخرة قوله جنات يجوز ان يكون بدلا من خيرا وان يكون عطف بيان لذلك الخير عند من يجوزه في النكرات
وان يكون منصوبا باضمار اعني وتجري من تحتها الانهار صفة قوله ويجعل لك قرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر برفع
يجعل والباقون بادغام لام يجعل في لام لك واما الرفع ففيه وجهان احدهما انه مستانف والثاني انه معطوف
على جواب الشرط قال الزمخشري لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله
وان اتاه خليل يوم مسيلة يقول لا غايب مالي ولا حرم قال الزمخشري وليس هذا مذهب سيبويه بل مذهبه
ان الجواب محذوف وان هذا المضارع منوي به التقديم ومذهب المبرد والكوفيين انه جواب على حذف الفا
ومذهب اخرين انه جواب لا على حذفها بل لما كان الشرط ماضيا ضعف تاثيره فارتفع قال الزمخشري في قوله

على هذين المذهبين ثم قال ابو حيان وهذا التركيب جايز فصيح وزعم بعض اصحابنا انه لا يجي الا في ضرورة واما القراءة
الثانية فتحتمل وجهين احدهما ان سكون اللام للجزم عطفا على محل جعل لانه جواب الشرط والثاني انه مرفوع وانما سكن
لاجل الادغام قاله الزمخشري وغيره وفيه نظر من حيث ان من جملة من قرا بذلك وهو نافع والاخوان وحفص ليس من
اصولهم الادغام حتى يدعى لهم في هذا المكان نعم ابو عمرو اصله الادغام وهو يقرا هنا بسكون اللام فيحتمل ذلك على قراءتهم
وهذا من محاسن علم النحو والقرات معا وقال الواحدي وبين القراءتين فرق في المعنى فمن جزم فالمعنى ان شا يجعل لك قصورا
في الدنيا ولا يحسن الوقف على الانهار ومن رفع حسن الوقف على الانهار واستانف ويجعل لك قصورا في الاخرة وقرا ابن
سليمان وطلحة بن سليمان ويجعل بالنصب وذلك باضمار ان على جواب الشرط واستضعفها ابن جني ومثل هذه القراءة
قال يهلك ابو قابوس يهلك ربيع الناس والبلد الحرام وناخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام بالتثلية
في ناخذ فصل القصور جماعة القصر وهو المسكن الرفيع قال المفسرون القصر هي البيوت المشيدة والعرب
تسمي كل بيت مشيد قصرا ويحتمل ان يكون لكل جنة قصر فيكون مسكنا ومتنزها ويجوز ان تكون القصور مجموعة
وقال مجاهد ان شا جعل لك جنات في الاخرة وقصورا في الدنيا روي انه عليه السلام قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحا
مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما وقال ثلاثا او نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك ودعوتك
واذا شبعت حمدتك وشكرتك وروت عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شيت لسارت معي جبال
الذهب جاني ملك فقال ان ربك يقرا عليك السلام ويقول ان شيت نبيا عبدا وان شيت نبيا ملكا فنظرت الى
جبريل عليه السلام فاشار الي ان ضع نفسك فقلت نبيا عبدا قالت وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك
لا ياكل متكيا ويقول اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وعن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه
وسلم جالس وجبريل عليه السلام معه فقال جبريل هذا ملك قد نزل من السما استاذن ربك في زيارتك فلم
يلبث الا قليلا حتى جا الملك وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله يخيرك ان يعطيك مفاتيح كل شي لم يعط احدا قبلك
ولا يعطيه احدا بعدك من غير ان ينقصك مما ادخر شيا فقال عليه السلام بل يجمعهما لي جميعا في الاخرة فنزل تبارك الذي
ان شا الاية قوله تعالى بل كذبوا بالساعة اي بالقيامة لا يرجون ثوابا ولا عقابا فلا يتكلفوا النظر والفكر ولهذا لا ينتفعون
بما يورد عليهم من الدلايل واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا قال ابو مسلم اعتدنا اي جعلناها عتيدا ومعدا لهم
والسعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن انه اسم من اسما جهنم فصل احتج اهل السنة على ان الجنة مخلوقة
بقوله تعالى اعدت للمتقين وعلى ان النار التي هي دار العقاب مخلوقة بهذه الاية قال الجبائي يحتمل في قوله واعتدنا
ان المراد منه نار الدنيا وبها يعذب الكفار والفساق في قبورهم ويحتمل نار الاخرة ويكون المعنى واعتدنا اي سنعدها
كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار وهذا جواب ساقط لان المراد من السعير اما نار الدنيا او نار الاخرة فان كان الاول
فاما ان يكون المراد انه تعالى يعذبهم في الدنيا بنار الدنيا او يعذبهم في الاخرة بنار الدنيا والاول باطل لانه تعالى ما عذبهم
بالنار في الدنيا والثاني ايضا باطل لانه لم يقل احد من الامة انه تعالى يعذب الكفرة في الاخرة بنيران الدنيا فثبت
ان المراد نار الاخرة وانها معدة واما حمل الاية على ان الله سيجعلها معدة فترك للظاهر من غير دليل قوله اذا راتهم
هذه الجملة الشرطية في موضع نصب صفة لسعيرا لانه مونث قوله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا فان قيل التغيظ
لا يسمع فالجواب من ثلاثة اوجه احدها انه على حذف مضاف اي صوت تغيظها والثاني انه على حذف
تقديره سمعوا وراوا تغيظا وزفيرا فيرجع كل واحد الى ما يليق به اي راوا تغيظا وسمعوا زفيرا والثالث ان يضمن
سمعوا معنى يشمل الشييين اي ادركوا تغيظا وزفيرا وهذان الوجهان منقولان من قوله
ورايت زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا ومن قوله فعلفتها تبنا وما باردا اي ومعتقلا رمحا وسقيتها ما
او يضمن متقلدا معنى متسلحا وعلفتها معنى اطعمتها تبنا وما باردا فصل معنى اذا راتهم من مكان بعيد قال الكلبي
والسدي من مسيرة عام وقيل من مسيرة ماية سنة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كذب علي
متعمدا فليتبوا بين عيني جهنم مقعدا قالوا وهل لها من عينين قال نعم الم تسمع قول الله عز وجل اذا راتهم من مكان
بعيد وقيل اذا راتهم زبانيتها قال الجبائي ان الله تعالى ذكر النار واراد الخزنة الموكلين بتعذيب اهل النار لان
الروية تصح منهم ولا تصح من النار فهو كقوله واسيل القرية واراد اهلها قوله تعالى واذا القوا منها مكانا ضيقا
مكانا منصوب على الظرف ومنها في محل نصب على الحال من مكانا لانه في الاصل صفة له وقرا ابن كثير ضيقا بالتخفيف
ومقرنين حال من مفعول القوا وثبورا مفعول به فيقولون يا ثبوراه ويجوز ان يكون مصدرا من معنى دعوا وقيل
منصوب بفعل من لفظه مقدر تقديره ثبرنا ثبورا وقرا معاذ بن جبل مقرنون بالواو ووجهها ان تكون بدلا من
مفعول القوا وقرا عمرو بن محمد ثبورا بفتح الثا والمصادر التي على فعول بالفتح قليلة جدا وينبغي ان يضم هذا اليها
وهي مذكورة في البقرة عند قوله وقودها الناس فصل قال ابن عباس تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج في

الزج وهو منقول ايضا عن ابن عمر وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم ليستكرهون في النار
كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون تحطهم الداخلون فيزدحمون في تلك
الابواب قال الزمخشري الكرب مع الضيق كما ان الفرج مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات
والارض وقوله مقرنين اي مصفدين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم في الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين
في السلاسل كل كافر مع شيطان فعند ما يشاهدوا هذا العذاب دعوا بالويل والثبور قال ابن عباس يقولون
ويلا وقال الضحاك هلاكا فيقولون واثبوراه هذا حينك وزمانك فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا
وادعوا ثبورا كثيرا اي هلاككم اكثر من ان تدعوا مرة واحدة فادعوا ادعية كثيرة قال الكلبي نزل هذا كله
في ابي جهل والكفار الذين ذكروا تلك الشبهات قوله تعالى اذلك خير ام جنة الخلد الاية لما وصف العقاب المعد
للمكذبين بالساعة اتبعه بما يؤكد الحسرة والندامة فقال اذلك خير فان قيل كيف يقال العذاب خير ام جنة
الخلد وهل يجوز ان يقول العاقل السكر احلى ام الصبر فالجواب هذا يحسن في معرض التقريع كما اذا اعطى
السيد عبده مالا فتمرد وابى واستكبر فضربه ويقول هذا خير ام ذلك فصل قال ابو مسلم جنة الخلد هي التي
لا ينقطع نعيمها والخلد والخلود سواء كالشكر والشكور قال تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فان قيل الجنة اسم
لدار مخلدة فاي فائدة في قوله جنة الخلد فالجواب الاضافة قد تكون للتمييز وقد تكون لبيان صفة
الكمال كقوله تعالى الله الخالق البارئ وهذا من هذا الباب فصل احتج المعتزلة بهذه الاية على اثبات
الاستحقاق من وجهين الاول ان اسم الجزاء لا يتناول الا المستحق فاما الموعود بمحض التفضل فلا يسمى جزاء
والثاني لو كان المراد بالجزاء ما صيرتم اليه بمجرد الوعد فلا يبقى بين قوله جزاء وبين قوله مصيرا تفاوت فيصير
ذلك تكريرا من غير فائدة والجواب انه لا نزاع في كونه جزاء انما النزاع في ان كونه جزاء ثبت بالوعد
او بالاستحقاق وليس في الاية ما يدل على التعيين فان قيل الجنة ستصير للمتقين جزاء ومصيرا لكنها بعد ما صارت
كذلك فلم قال الله كانت لهم جزاء ومصيرا فالجواب من وجهين الاول ان ما وعد فهو في تحققه كانه
قد كان والثاني انه قد كان مكتوبا في اللوح المحفوظ قبل ان يخلقهم الله بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم
قوله تعالى لهم فيها ما يشاؤن هو نظير قوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم وفيها ما تشتهيه الانفس فان قيل اهل الدرجات
النازلة اذا شاهدوا اهل الدرجات العالية لا بد وان يريدوها فاذا سألوها ربهم فان اعطاها لم يبق بين
الناقص والكامل تفاوت في الدرجة وان لم يعطها قدح ذلك في قوله لهم فيها ما يشاؤن وايضا فالاب اذا كان
ولده في دركات النيران واشد العذاب فلو اشتهى ان يخلصه الله تعالى من ذلك العذاب فان فعل قدح
ذلك في ان عذاب الكافر مخلد وان لم يفعل قدح ذلك في قوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم وفي قوله لهم فيها ما يشاؤن
خالدين فالجواب ان الله تعالى يزيل هذا الخاطر عن قلوب اهل الجنة ويشتغلون بما هم فيه من اللذات
عن الالتفات الى حال غيرهم قوله تعالى خالدين منصوب على الحال اما من فاعل يشاؤن واما من فاعل لهم لوقوعه
خبرا او العائد على ما محذوف اي لهم فيها الذي يشاؤنه حال كونهم خالدين قوله كان على ربك في اسم كان وجهان
احدهما انه ضمير ما يشاؤن ذكره ابو البقاء والثاني ان يعود على الوعد المفهوم من قوله وعد المتقون وسبق
على المجاز اي يسئل علي وفي بك امرا او يسأله من وعد به فصل قوله كان على ربك وعدا مسئولا يدل على ان الجنة
حصلت بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق كما تقدم وقوله مسئولا اي مطلوبا قيل ان المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا
فقالوا ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك وقال محمد بن كعب القرظي الملائكة سألوا ربهم للمؤمنين بقولهم
ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وقيل ان المكلفين سألوه بلسان الحال لانهم لما تحملوا المشقة الشديدة
في طاعة الله كان ذلك قائما مقام السؤال قال المتنبي وفي النفس حاجات وفيك فطانة
سكوتي كلام عندها وخطاب وقيل وعدا مسئولا اي واجبا وان لم يسأل قاله الفراء وقيل مسئولا اي من حقه ان
يكون مسئولا لانه حق واجب اما بحكم الاستحقاق على قول المعتزلة او بحكم الوعد على قول اهل السنة قوله تعالى
ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله الاية قرأ ابن عامر نحشرهم فنقول بالنون فيهما وابن كثير وحفص
بالياء من تحت فيهما والباقون بالنون في الاول وبالياء في الثاني وهن واضحات وقرأ الاعرج نحشرهم بكسر
الشين في جميع القرآن قال ابن عطية هي قليلة في الاستعمال قوية في القياس لان يفعل بكسر العين في المتعدي
اقيس من يفعل بضم العين وقال ابو الفضل الرازي وهو القياس في الافعال الثلاثية المتعدية لان يفعل
بضم العين قد يكون من اللازم الذي هو فعل بضمها في الماضي قال ابو حيان وليس كما ذكر بل فعل المتعدي
الصحيح جميع حروفه اذا لم يكن للمبالغة ولا حلقي عين ولا لام فانه جاء على يفعل ويفعل كثيرا فان شهر احد
الاستعمالين اتبع والا فالخيار حتى ان بعض اصحابنا خير فيهما سمعا للكلمة او لم يسمعها قال شهاب الدين الذي

خبر في ذلك هو ابن عصفور فيجيز ان يقول زيد يفعل بكسر العين ويضرب بكسر الراء مع سماع الضم في الاول والكسر في الثاني
وسبقه الى ذلك ابن درستويه الا ان النحاة على خلافه قوله وما يعبدون عطف على مفعول نحشرهم ويضعف نصبه
على المعية وغلب غير العاقل عليه فاتى بما دون من فصل ظاهر قوله وما يعبدون انها الاصنام لان ما لما لا يعقل
وظاهر قوله فيقول أانتم اضللتم انه من عبد من الاحياء كالملائكة والمسيح وعزير لان الاضلال وجد منهم فلهذا اختلفوا
فقال مجاهد اراد الملائكة والجن والمسيح وعزير وقال عكرمة والضحاك والكلبي يعني الاصنام فقيل لهم كيف خاطب
الله تعالى الجماد فاجابوا بوجهين احدهما انه تعالى يخلق الحياة فيها ويخاطبها والثاني ان يكون ذلك بالكلام النفساني
لا بالقول اللساني بل بلسان الحال كما ذكر بعضهم في تسبيح الموات وكلام الايدي والارجل وكما قيل سل الارض من شق انهارك
وغرس اشجارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وقال الاكثرون المراد الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام
قالوا ويتأكد هذا القول بقوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون فان قيل
لفظة ما لا تستعمل في العقلاء فالجواب من وجهين الاول لا نسلم ان كلمة ما لا تستعمل لمن لا يعقل لانهم قالوا من
لمن لا يعقل في قوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع الثاني انه
اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم وقال تعالى والسماء وما بناها ولا انتم عابدون ما اعبد وهذا لا يستقيم
الا على احد هذين الوجهين فصل قالت المعتزلة هذه الاية تدل على القائلين بان الله يضل عباده في الحقيقة لانه
لو كان الامر كذلك لكان الجواب الصحيح ان يقولوا الهنا ههنا قسم ثالث غير ما هو الحق وهو انك اضللتهم وايضا هم
حتى نسوا الذكر وهذا تصريح بان ضلالهم انما حصل لاجل ما فعل الله بهم وهو انه تعالى متعهم واباءهم بنعيم الدنيا
قلنا لو كان الامر كذلك لكان يلزم ان يصير الله محجوجا في يد اولئك المعبودين ومعلوم انه ليس الغرض ذلك بل ذلك
الغرض ان يصير الكافر محجوجا مفحما ملوما واجاب اهل السنة بان القدرة على الضلال ان لم تصلح للاهتداء والاضلال
فمن الله تعالى وان صلحت له لم يترجح اقتدارها للضلال على اقتدارها على الاهتداء الا لمرجح من الله تعالى وعند ذلك
يزول السؤال واما ظاهر هذه الاية وان كان لهم لكنه معارض بسائر الظواهر المطابقة لقولنا قوله هؤلاء
يجوز ان يكون نعتا لعبادي او بدلا او بيانا قوله تعالى ضلوا السبيل على حذف حرف الجر وهو عن كما صرح به في
قوله يضل عن سبيله ثم اتسع فيه فحذف نحو هدى فانه يتعدى بالى وقد يحذف اتساعا وضل مطاوع اضل
فان قيل انه تعالى كان عالما بالازل بحال المسئول عنه فما فائدة هذا السؤال فالجواب هذا سؤال تقريع للمشركين
كما قيل لعيسى انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فان قيل ما فائدة انتم وهم وهلا قيل اضللتم
عبادي هؤلاء ام ضلوا السبيل فالجواب هذا سؤال عن الفاعل فلا بد من ذكره حتى يعلم انه المسئول عنه وقوله
انتم اضللتم ام هم ضلوا انما قدم الاسم على الفعل لما تقدم في قوله انت قلت للناس قوله تعالى ينبغي العامة
على بنائه للفاعل وابو عيسى الاسود القارئ ينبغى مبنيا للمفعول قال ابن خالويه زعم سيبويه ان ينبغي لغة قوله
تعالى ان نتخذ فاعل ينبغي او مفعول قائم مقام الفاعل في قراءة الاسود وقرأ العامة نتخذ مبنيا للفاعل ومن اولياء
مفعوله وزيدت فيه من ويجوز ان يكون مفعولا اول على ان اتخذ متعدية لاثنين ويجوز ان لا تكون المتعدية
لاثنين بل لواحد فعلى هذا من دونك متعلق بالاتخاذ او بمحذوف على انه حال من اولياء وقرأ ابو الدرداء وزيد بن ثابت
وابو رجاء والحسن وابو جعفر في اخرين نتخذ مبنيا للمفعول وفيه اوجه احدها انها المتعدية لاثنين فالاول هم
ضمير المتكلمين والثاني قوله من اولياء ومن للتبعيض اي ما كان ينبغي ان نتخذ بعض اولياء قاله الزمخشري الثاني
ان من اولياء هو المفعول الثاني ايضا الا ان من مزيدة في المفعول الثاني وهذا مردود بان من لا تزاد في المفعول الثاني انما
تزاد في الاول قال ابن عطية ويضعف هذه القراءة دخول من في قوله من اولياء اعترض بذلك سعيد بن جبير وغيره
قال الزجاج اخطأ من قرأ بفتح الخاء وضم النون لان من انما تدخل في هذا الباب في الاسماء اذا كانت مفعولة اولا ولا تدخل على مفعول الحال
تقول ما اتخذت من احد وليا ولا يجوز ما اتخذت احدا من ولي الثالث ان يكون من اولياء في موضع الحال
قاله ابن جني الا انه قال ودخلت من زيادة لمكان النفي المتقدم كقولك ما اتخذت زيدا من وكيل فظاهر هذا
انه جعل الجار والمجرور في موضع الحال وحينئذ يستحيل ان تكون من مزيدة ولكنه يريد ان هذا المجرور هو الحال
نفسه ومن مزيدة فيه الا انه لا يحفظ زيادة من في الحال وان كانت منفية وانما حفظ زيادة الباء فيها على
خلاف في ذلك فان قيل هذه القراءة غير جائزة لانهم لا مدخل لهم في ان يتخذهم غيرهم اولياء قلنا المراد انا
لا نصلح لذلك فكيف ندعوهم الى عبادتنا وقرأ الحجاج نتخذ من دونك فبلغ عاصما فقال سمعت المدح
او ما علم ان فيها من فصل اجابوا بقوله سبحانك وفيه وجوه احدها انه تعجب منهم تعجبوا مما قيل لهم لانهم
ملائكة والانبياء معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وجنوده وثانيها انهم نطقوا
بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده وثالثها قصدوا

بالتسبيح تنزيها عن الانداد سواء كان المسيح وثنا او نبيا او ملكا وثانيها قصد والتنزيه ان يكون مقصوده من
هذا السؤال استفادة علم او ابراء من كان بريا من الجرم بل انما سال ليقرعها للكفار وتوبيخا لهم قوله ما كان ينبغي
لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ومعناه اذا كان لا يرى ان نتخذ من دونك وليا فكيف ندعوا غيرنا الى ذلك
اى ما كان لنا ان نامرهم بعبادتنا ونحن نعبدك وقيل ما كان ينبغي لنا ان يكون امثالا للشياطين وقيل ما كان
لنا ان نتخذ من دون رضاك من اولياء اى انا لما علمنا انك لا ترضى بهذا ما فعلنا فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه وقيل قالت الملائكة انا وهم عبيدك ولا ينبغي لعبيدك ان يتخذوا من دون اذنك وليا ولا حبيبا
فضلا عن ان يتخذ عبدا الها وقيل قالت الاصنام انا لا يصح منا ان نكون من العابدين فكيف يمكننا ادعاء انا
من المعبودين قوله تعالى ولكن متعتهم لما تضمن كلامهم انا لم نضلهم ولم نحملهم على الضلال حسن هذا الاستدراك
وهو ان ذكروا سببه اى انعمت عليهم وتفضلت فجعلوا ذلك ذريعة الى ضلالهم عكس القضية والمعنى متعتهم وآباءهم
في الدنيا بطول العمر والصحة والنعمة حتى نسوا الذكر تركوا الموعظة والايمان بالقران وقيل تركوا ذكرك وغفلوا
عنه قوله تعالى وكانوا قوما بورا اى هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان وبورا يجوز فيه وجهان احدهما انه جمع
بائر كعائذ وعوذ والثاني انه مصدر في الاصل فيستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث وهو
من البوار وهو الهلاك وقيل من الفساد وهي لغة الازد يقولون بارت بضاعته اى فسدت وامر بائر
اى فاسد وهذا معنى قولهم كسدت البضاعة وقال الحسن هو من قولهم ارض بور اى لا نبات بها وهذا يرجع الى معنى
الهلاك والفساد قوله تعالى فقد كذبوكم هذا خطاب مع المشركين اى كذبكم المعبودون في قولكم انهم الهة
وانهم اضلوكم وقيل خطاب للمؤمنين في الدنيا اى فقد كذبوكم ايها المؤمنون الكفار بما تقولونه من التوحيد
في الدنيا وهو معنى قوله بما تقولون وهذه الجملة من كلام الله تعالى اتفاقا على اضمار القول والالتفات قال
الزمخشري هذه المفاجات بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول
ونحوها قوله عز وجل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا
نذير وقول القائل قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا انتهى يريد ان الاصل في الاية
الكريمة فقلنا قد كذبوكم وفي البيت فقلنا قد جئنا وقرا ابو حيوة وقيل في رواية ابن ابي الصلت عنه بالياء
من تحت فقد كذبكم الاية بما يقولون سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ الى اخره وقيل المعنى فقد كذبكم ايها
المؤمنون الكفار بما يقولون من الافترا عليكم قوله تعالى فما يستطيعون اى انتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل
الصرف التوبة وقيل الحيلة وقرا الباقون بيا الغيبة والمراد الالهة التي كانوا يعبدونها من عاقل وغيره ولذلك غلب
العاقل واتى بواو الضمير والمعنى فما تستطيع الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب وان يحتالوا لكم قوله ومن يظلم منكم
نذقه قرا العامة نذقه بنون العظمة وقرئ بالياء وفي الفاعل وجهان اظهرهما انه الله تعالى لدلالة قراءة العامة
على ذلك والثاني انه ضمير الظلم المفهوم من الفعل وفيه تجوز باسناد اذاقة العذاب الى سببها وهو الظلم
والمعنى ومن يشرك منكم نذقه عذابا كبيرا فصل تمسك المعتزلة بهذه الاية في القطع بوعيد اهل الكبائر
قالوا ثبت ان كلمة من في معرض الشرط للعموم وثبت ان الكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم
لقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون فثبت بهذه الاية ان الفاسق لا يعفى عنه بل يعذب لا محالة والجواب
انا لا نسلم ان كلمة من في معرض الشرط للعموم والكلام فيه مذكور في اصول الفقه سلمنا انه للعموم لكن قطعا
ام ظاهرا ودعوى القطع ممنوعة فانا نرى في العرف العام والاستعمال المشهور استعمال صيغ العموم مع ارادة
الاكثر ولان المراد اقوام معينون ويدل عليه قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون ثم ان كثيرا من الذين كفروا قد امنوا فلا دافع ان يقال قولنا الذين كفروا وان كان يفيد العموم لكن
المراد منه اما الغالب او المراد منه اقوام مخصوصون وعلى التقدير فثبت ان استعمال الفاظ العموم في الاغلب
عرف ظاهر واذا كان كذلك كانت دلالة هذه الصيغ على العموم دلالة ظاهرة لا قاطعة وذلك لا ينفي تجويز العفو
سلمنا دلالته قطعا لكن اجمعنا على ان قوله ومن يظلم منكم مشروط بان لا يزيل ذلك الظلم بتوبة او بطاعة هي
اعظم من ذلك الظلم فيرجع حاصل الامر الى ان قوله يظلم منكم مشروط بان لا يعاجل ما يزيله وعند هذا فنقول
هذا مسلم لكن لم قلتم انه لم يوجد ما يزيله فان العفو عندنا احد الامور الثلاثة التي تزيله وذلك هو اول المسالة
سلمنا دلالته على ما قال ولكنه معارض بايات الوعد كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات
الفردوس نزلا فان قيل ايات الوعيد اولى لان السارق يقطع على سبيل التنكيل واذا ثبت انه مستحق للعقاب
ثبت ان استحقاق الثواب محبط لما بينا ان الجمع بين الاستحقاقين محال قلنا لا نسلم ان السارق يقطع على سبيل
التنكيل نزلنا عن هذه المقامات ولكن قوله تعالى ومن يظلم منكم خطاب مع قوم مخصوصين معينين فهب انه لا يعفو

عنهم فلم قلت انه لا يعفو عن غيرهم قوله تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الاية هو جواب عن قولهم ما لهذا
الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق اى هذه عادة مستمرة من الله تعالى في كل رسله فلا وجه لهذا الطعن قوله
تعالى الا انهم لياكلون حق الكلام ان يقال الا انهم بفتح الالف لانه متوسط والمكسورة لا تليق الا بالابتداء فلهذا
ذكروا في هذه الجملة ثلاثة اوجه احدها انها في محل نصب صفة لمفعول محذوف فقدره الزجاج والزمخشري وما ارسلنا
قبلك احدا من المرسلين الا اكلين وماشين وانما حذف لان في قوله من المرسلين دليلا عليه نظيره قوله تعالى وما
منا الا له مقام معلوم بمعنى ما منا احد وقدره ابن عطية رجالا او رسلا والضمير في انهم وما بعده عائد على معنى
المقدرة واكتفي بقوله من المرسلين عنه كقوله وان منكم الا واردها اى الا من يردها فعلى قول الزجاج الموصوف محذوف
وعلى قول الفراء الموصول هو المحذوف ولا يجوز حذف الموصول وتبقية الصلة عند البصريين الا في مواضع تقدم التنبيه
عليها في البقرة الثالث ان الجملة محلها النصب على الحال واليه ذهب ابن الانباري قال التقدير الا وانهم يعني انها حالية
فقدر معها الواو وبيانا للحالية فكسر بعد استيناف ورد بكون ما بعد الا صفة لما قبلها وخرجه ابو البقاء ايضا والعامة
على كسر ان لوجود اللام في خبرها ولكون الجملة حالا على الراجح قال ابو البقاء وقيل لو لم تكن اللام لكن الجملة حالية اذ المعنى الا
وانهم وقيل المعنى الا قيل انهم وقرئ انهم بالفتح على زيادة اللام وان مصدرية التقدير الا انهم اى ما جعلناهم رسلا الى
الناس الا لكونهم مثلهم وقرا العامة يمشون خفيفة وامير المؤمنين علي بن ابي طالب وعبد الله مشددا مبنيا للمفعول
اى تمشيهم حوائجهم او الناس وقرا عبد الرحمن يمشون بالتشديد مبنيا للفاعل وهي بمعنى يمشون قال الشاعر
قال الزمخشري ومشى باعضاد المباه وابتغي قلائص منها صعبة وركوب قال الزمخشري ولو قرئ يمشون لكان اوجه
لولا الرواية يعني بالتشديد قال شهاب الدين فقد قرا بها السلمي ولله الحمد فصل روى الضحاك عن ابن عباس قال
لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق انزل الله عز وجل هذه الاية
يعني ما انا الا رسول وما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا ياكلون الطعام ويمشون في الاسواق كما قال في موضع اخر ما يقال
لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اى بلية فالغني فتنة للفقير يقول الفقير ما لي لم اكن مثله
والصحيح فتنة للمريض والشريف فتنة للوضيع قال ابن عباس اى جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم
وترون من خلافهم وتتبعون الهدى وقال الكلبي والزجاج والفراء نزلت في رؤسا المشركين وفقرا الصحابة فاذا راى
الشريف الوضيع قد اسلم قبله انف ان يسلم واقام على كفره لئلا يكون للوضيع السابقة والفضل عليه ويدل عليه قوله
تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقيل هذا عام في جميع الناس روى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ويل
للعالم من الجاهل وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان وويل للمالك من المملوك وويل للشديد من
الضعيف وللضعيف من الشديد بعضهم لبعض فتنة وقرا هذه الاية وروى عن ابن عباس والحسن هذا في اصحاب
البلاء والعافية وفي الخلق والخلق وفي العقل والعلم وفي الرزق وفي الاجل وقيل هذا احتجاج عليهم في تخصيص محمد بالرسالة
مع مساواته لهم في البشرية وصفاتها فالمرسلون يتاذون ايضا من الرسل اليهم بانواع الاذى على ما قال ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا والمرسل اليهم يتاذون ايضا من الرسل بحسب الحسد
وصيرورته مكلفا بالخدمة وبذل النفس والمال بعد ان كان رئيسا مخدوما والاولى حمل الاية على الكل لان بين الجميع
قدرا مشتركا قال عليه السلام اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والجسم فلينظر الى من دونه في المال والجسم
قوله تعالى اتصبرون وكان ربك بصيرا اتصبرون المعادل محذوف اى ام لا تصبرون وهذه الجملة استفهام والمراد
منه التقرير فان موقعه بعد الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا بمعنى انها معلقة لما
فيها من معنى فعل القلب فتكون منصوبة المحل على اسقاط الخافض والمعنى اتصبرون على البلاء فقد علمتم ما وعد
الصابرين وكان ربك بصيرا اى عالم بمن يصبر وبمن لا يصبر فيجازي كلا منهم بما يستحقه من ثواب وعقاب قوله
تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا الاية هذه هي الشبهة الرابعة لمنكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحاصلها لم
تنزل الملائكة حتى يشهدوا ان محمدا محق في دعواه او نرى ربنا حتى يخبرنا بانه ارسله الينا فصل قال الفراء قوله
تعالى الذين لا يرجون لقاءنا اى لا يخافون لقاءنا فوضع الرجا موضع الخوف لغة تهامية اذا كان معه جحد ومنه قوله
ما لكم لا ترجون لله وقارا اى لا تخافون عظمة قال القاضي لا وجه لذلك لان الكلام متى امكن حمله على الحقيقة لم يجز
حمله على المجاز والمعلوم من حال عباد الاصنام انهم كانوا لا يخافون العقاب لتكذيبهم بالعقاب فلذلك لا يرجون الثواب
لمثل ذلك فقوله لا يرجون لقاءنا محمول على الحقيقة وقوله انهم لا يرجون لقاءنا وعدنا على الطاعة من الثواب والجنة
ومعلوم ان من لا يرجو ذلك لا يخاف العقاب ايضا فالخوف تابع للرجا فصل دلت ظاهر الاية على جواز الرؤية
لان اللقاء جنس تحته انواع احد انواعه الرؤية والاخر الاتصال والمماسة وهما هنا باطلان فدل على جواز الرؤية
لان الراى يصل برؤيته الى حقيقة المرئي فسمى الرؤية لقاء وقالت المعتزلة تفسير اللقا برؤية البصر جهل باللغة

لانه يقال في الدعاء لقاك الله الخير ويقول القائل ليتني القى الامير وان رآه من بعيد اذا حجب عنه ويقال في الضرير لقي
الامير اذا اذن له ولم يحجب وقد يلقاه في الظلماء ولا يراه بل المراد من اللقاء هنا المصير الى حكمه حيث لا حكم في يوم
لا تملك نفس لنفس شيئا لا انه رؤية البصر. قال ابن الخطيب وهذا الكلام ضعيف لان اللفظ الموضوع لمعنى مشترك
بين معاني كثيرة يطلق على كل واحد من تلك المعاني فيصح قوله لقاك الله الخير ويصح قول الاعمى لقيت الامير ويصح من
البصير لغيبته بمعنى ما وصلت اليه واذا ثبت هذا فقوله وقال الذين لا يرجون لقاءنا مذكور في معرض الذم لهم
فوجب ان يكون رجاء اللقاء حاصلا ومسمى اللقاء مشترك بين الوصول المكاني وبين الوصول بالرؤية وقد بطل الاول
فتعين الثاني وقولهم المراد من اللقاء الوصول الى حكمه صرف للفظ عن ظاهره بغير دليل فيثبت دلالة الآية على صحة
الرؤية بل على وجوبها بل على انكار الرؤية ليس الا من دين الكفار **فصل** **لولا انزل** اي هلا انزل **علينا الملائكة** فيخبرونا
ان محمدا صادق **او نرى ربنا** فيخبرنا بذلك **لقد استكبروا في انفسهم** اي تعظموا في انفسهم بهذه المقالة. قال الكلبي
ومقاتل نزلت الآية في ابي جهل والوليد واصحابهما المنكرين للنبوة والبعث **قوله تعالى عتوا** مصدر وقد صحح هنا
وهو الاكثر واعل في مريم في عتيا لمناسبة ذكرت هناك وثم تواخي رؤوس الفواصل **فصل** قال مجاهد عتوا طغوا
وقال مقاتل عتوا غلوا في القول والعتو اشد الكفر وافحش الظلم وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به وقوله
في انفسهم لانهم اضمروا الاستكبار في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم الا كبر وعتوا تجاوزوا الحد في الظلم
فصل وهذا جواب عن شبهتهم وبيانه من وجوه. احدها ان القرآن لما ظهر كونه معجزا فقد تمت دلالة نبوة محمد عليه
السلام فبعد ذلك يكون اقتراح امثال هذه الآيات لا يكون الا محض التعنت والاستكبار. وثانيها ان نزول الملائكة
لو حصل لكان ايضا من جملة المعجزات فلا يدل على الصدق لخصوص كونه نزول الملك بل لعموم كونه معجزا فيكون قبول
ذلك المعجز ورد المعجز الآخر ترجيحا لاحد المثلين على الآخر من غير مزية فايدة ومرجح وهو محض الاستكبار والتعنت
وثالثها انهم يتقدرون نزول الملائكة او يرون الرب ويسألونه عن صدق محمد عليه السلام وهو سبحانه يقول نعم هو رسولي
فذلك لا يزيد في التصديق على اظهار المعجز على يد محمد عليه السلام لانا بينا ان المعجزة تقوم مقام التصديق بالقول
اذ لا فرق وقد ادعى النبوة بين ان يقول اللهم ان كنت صادقا فاحيي هذا الميت فيحييه الله تعالى والعادة لم تجر
بمثله وبين ان يقول له صدقت واذا كان التصديق بالقول والتصديق الحاصل بالمعجز سيان في كونه تصديقا
للمدعي كان تعيين احدهما محض استكبار وتعنت. ورابعها يمكن ان يكون المراد ان الله تعالى قال لو علمت انهم ما
ذكروا هذا السؤال لاجل الاستكبار والعتو الشديد لاعطيتهم مقترحاتهم ولكني علمت انهم ذكروا هذا الاقتراح لاجل
الاستكبار والتعنت فلو اعطيتهم مقترحاتهم لما انتفعوا به فلا جرم لا اعطيهم ذلك. وخامسها لعلهم سمعوا من اهل
الكتاب ان الله لا يرى وانه تعالى لا ينزل الملائكة في الدنيا على عوام الخلق ثم انهم علقوا ايمانهم على ذلك على سبيل
الاستهزاء **فصل** استدل المعتزلة بهذه الآية على عدم الرؤية لان رؤيته لو كانت جائزة لما كان سؤالها عتوا
واستكبارا فالجواب قوله لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا ليس الا لاجل سؤال الرؤية واستعظم في آية اخرى
قولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة فثبت ان الاستكبار والعتو هاهنا انما حصل لاجل سؤال
الرؤية وتقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة ونقول هاهنا انا بينا ان قوله وقال الذين لا يرجون لقاءنا يدل
على الرؤية واما الاستكبار والعتو فلا يدل ذلك على ان الرؤية مستحيلة لان من طلب شيئا محالا لا يقال انه
عتا واستكبر الا ترى قولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة لم يثبت لهم بطلب هذا المحال عتوا واستكبارا بل قال انكم قوم تجهلون
ومما يدل على ذلك ان موسى عليه السلام قال رب ارني انظر اليك ما وصفه الله بالاستكبار والعتو لانه عليه
السلام طلب الرؤية شوقا وهؤلاء لما طلبوها امتحانا وتعنتا لا جرم وصفهم بذلك **قوله تعالى يوم يرون** فيه
اوجه. احدها انه منصوب باضمار فعل يدل عليه قوله لا بشرى اي يمنعون البشرى يوم يرون. الثاني انه
منصوب باذكر فيكون مفعولا به. الثالث انه منصوب بيعذبون مقدرا ولا يجوز ان يعمل فيه نفس البشرى
لوجهين احدهما انها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله. والثاني انها منفية بلا وما بعد لا لا يعمل فيما قبلها **قوله
تعالى لا بشرى** هذه الجملة معمولة لقول مضمر اي يرون الملائكة يقولون لا بشرى فالقول حال من الملائكة
وهو نظير التقدير في قوله والملائكة يدخلون الى قوله سلام عليكم. قال ابو حيان واحتمل بشرى ان يكون
مبنيا مع لا واحتمل ان يكون في نية التنوين منصوب اللفظ ومنع من الصرف للتأنيث اللازم فان كان مبنيا
مع لا احتمل ان يكون يومئذ خبرا وللمجرمين خبر بعد خبر او نعتا لبشرى او متعلقا بما تعلق به الخبر وان يكون
يومئذ صفة لبشرى او متعلقا بما تعلق به الخبر وان يكون يومئذ صفة لبشرى والخبر للمجرمين ويجي خلاف
سيبويه والاخفش هل الخبر لنفس لا او الخبر للمبتدأ الذي هو مجموع لا وما بني معها وان كان في نية التنوين وهو
معرب جاز ان يكون يومئذ وللمجرمين خبرين وجاز ان يكون يومئذ خبرا وللمجرمين صفة والخبر اذا كان

لا اسم ليس مبنيا النفي لا باجماع. قال شهاب الدين قوله واحتمل ان يكون في نية التنوين الى آخره لا يتاتى الا على قول ابي اسحق
وهو انه يرى ان اسم لا النافية للجنس معرب وانما حذف التنوين لكثرة الاستعمال ويستدل عليه بالرجوع
اليه في الضرورة وينشد: الا رجلا جزاه الله خيرا. ويتاوله البصريون على اضمار الا ترونني رجلا وكان يمكن الشيخ
ان يجعله معربا كما ادعى بطريق اخرى وهي ان يجعل بشرى عاملة في يومئذ او في للمجرمين فيصير من قبيل المطول والمطول
معرب لكنه لم يلم بذلك وسياتي شيء من هذا في كلام ابي البقاء رحمه الله تعالى ويجوز ان يكون بشرى معربا منصوبا
بطريق اخرى وهي ان تكون منصوبة بفعل مقدر اي لا يبشرون بشرى كقوله تعالى لا مرحبا بهم لا اهلا ولا سهلا
الا ان كلام الشيخ لا يمكن تنزيله على هذا القول جاز ان يكون يومئذ وللمجرمين خبرين فقد حكم ان لها خبرا واذا جعلها
منصوبة بفعل مقدر لا تكون للاجنبية خبرا لانها داخلة على ذلك الفعل المقدر وهذا موضع حسن **قوله تعالى يومئذ للمجرمين** قد
تقدم في يومئذ اوجه وجوز ابو البقاء يكون منصوبا ببشرى قال اذا قدرت انها منونة غير مبنية مع لا ويكون الخبر
للمجرمين وجوز ايضا هو والزمخشري ان يكون يومئذ تكريرا ليوم ورده ابو حيان سواء اريد بالتكرير التوكيد اللفظي
ام اريد به البدل قال لان يوم منصوب بما تقدم ذكره من اذكر او من يعدمون البشرى وما بعد لا العاملة في الاسم
لا يعمل فيه ما قبلها وعلى تقدير ما ذكراه يكون العامل فيه ما قبل لا ومارده ليس بظاهر لان الجملة المنفية معمولة
للقول المضمر الواقع حالا من الملائكة والملائكة معمولة ليرون ويرون معمول ليوم خفضا بالاضافة فلا وما في
حيزها من تتمة الظرف الاول من حيث انها معمولة لبعض ما في حيزه فليست باجنبية ولا مانعة من ان يعمل ما
قبلها فيما بعدها والعجب له كيف تخيل هذا وغفل عما تقدم فانه واضح مع التأمل وللمجرمين من موضع الظاهر موضع
المضمر شهادة عليهم بذلك والضمير في يقولون يجوز عوده للكفار وللملائكة **وحجرا** من المصادر الملتزم اضمار ناصبها
ولا يتصرف فيه نحو معاذ الله ومعدل وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو وهجوم نازلة ونحو ذلك
يضعونها موضع الاستعاذة. قال سيبويه ويقول الرجل للرجل اتفعل كذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان
المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه لا يلحقه وكان المعنى اسال الله ان يمنعه منعا ويحجره حجرا والعامة على كسر الحاء
والضحاك والحسن وابو رجاء على ضمها وهو لغة فيه قال الزمخشري ومجيئه على فعل او فعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه
بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشد لبعض الرجاز: قالت وفيها حيدة وذعر ... عوذ بربي منكم وحجر. وهذا الذي
ينشده الزمخشري يقتضي تصرف حجرا وقد تقدم نص سيبويه على انه يلتزم النصب وحكى ابو البقاء فيه لغة ثالثة وهي
الفتح قال وقد قرئ بها فعلى هذا كمل فيه ثلاث لغات مثلثة **ومحجورا** صفة مؤكدة للمعنى كقولهم ذيل ذائل وموت مائت
والحجر العقل لانه يمنع صاحبه **فصل** يوم يرون الملائكة عند الموت قاله ابن عباس وقال الباقون يريد يوم
القيامة لا بشرى يومئذ للكافرين قالت المعتزلة الآية تدل على القطع بوعيد الفساق وعدم العفو لان قوله
لا بشرى للمجرمين نكرة في سياق النفي فيعم جميع انواع البشرى في جميع الاوقات بدليل من اراد تكذيب هذه
القضية قال له بشرى في الوقت الفلاني فلما كان ثبوت البشرى في وقت من الاوقات يذكر لتكذيب هذه
القضية علمنا ان قوله لا بشرى يقتضي نفي جميع البشرى في كل الاوقات وشفاعة الرسول من اعظم البشرى
توجب ان لا يثبت ذلك لاحد من المجرمين والكلام على التمسك بصيغ العموم **فصل** اختلفوا في القائلين حجرا محجورا
فقال ابن جريج كانت العرب اذا نزلت بهم شدة وراوا ما يكرهون قالوا حجرا محجورا فهم يقولونه اذا عاينوا الملائكة
قال مجاهد يعني عوذا معاذا فيستعيذون من الملائكة. وقال ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما ان يدخل
الجنة الا من قال لا اله الا الله. قال مقاتل اذا خرج الكفار من قبورهم قالت لهم الملائكة حجرا محجورا اي حرام محرم
عليكم ان تكون لكم البشرى **قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل** اي وعمدنا الى عملهم **قوله تعالى فجعلناه هباء
منثورا** الهباء والهبوة التراب الدقيق قاله ابن عرفة. قال الجوهري يقال فيه هبا يهبو اذا ارتفع واهبيته
انا اهباء. وقال الخليل والزجاج هو مثل الغبار الداخل في الكوة يتراءى مع ضوء الشمس فلا يمس بالايدي ولا يرى
في الظل وهو قول الحسن وعكرمة. وقيل الهباء ما تطاير من شرر النار اذا اضرمت والواحدة هباءة على حد
تمر وتمرة. ومنثورا اي مفرقا نثرت الشيء فرقته والنثرة لنجوم متفرقة. والنثر الكلام غير المنظوم على المقابلة
بالشعر قال ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر
وقال مقاتل هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير وفائدة الوصف به ان الهباء تراه منتظما مع الضوء
فاذا حركته تفرق فجيء بهذه الصفة لتفيد ذلك. وقال الزمخشري او مفعول ثالث لجعلناه اي فجعلناه جامعا
لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين اي جامعين للمسخ والخسء. قال ابو حيان وخالف ابن
درستويه فخالف النحويين في منعه ان يكون لكان خبران وازيد وقياس قوله في جعل ان يمنع ان يكون
لها خبر ثالث. قال شهاب الدين مقصوده ان كلام الزمخشري مردود قياسا على ما منعه ابن درستويه من

نعد بد خبر كان قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا اى من هولا المشركين المستكبرين واحسن مقيلا موضع قايلة وفى
افعل هنا قولان احدهما انها على بابها من التفضيل والمعنى ان المؤمنين خير فى الاخرة مستقرا من مستقر الكفار واحسن
مقيلا من مقيلهم لو فرض ان يكون لهم ذلك او على انهم خير فى الاخرة منهم فى الدنيا والثانى ان يكون لمجرد الوصف من
غير مفاضلة فصل قال المفسرون يعنى ان اهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة الا قدر النهار من اوله الى قدر القايلة
حتى يسكنوا مساكنهم من الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل اهل الجنة فى الجنة واهل النار
فى النار وقرا ثم ان مقيلهم لالى الجحيم وهكذا كان يقرا وقال ابن عباس فى هذه الاية الحساب ذلك اليوم فى اوله وقال
قوم حين قالوا الى منازلهم قال الازهرى القيلولة والمقيل الاستراحة نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم لان
الله تعالى قال واحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها وروى ان يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر
الى غروب الشمس قوله تعالى ويوم تشقق العامل فى يوم اما اذكروا اما ينفرد الله بالملك يوم تشقق لدلالة قوله الملك
يومئذ الحق للرحمن وقرا الكوفيون وابو عمرو هنا وفى ق تشقق بالتخفيف والباقون بالتشديد وتما واصحاب حذف
الاولون تا المضارعة او تا التفعل على خلاف فى ذلك والباقون ادغموا تا التفعل فى الشين لما بينهما من المقاربة
ونما كتظاهرون وتظاهرون حذفا وادغاما وقد مضى فى البقرة قوله تعالى بالغمام فى هذه البا ثلاثة اوجه احدها
على السببية اى بسبب الغمام يعنى بسبب طلوعه منها ونحوه السما منفطر به كانه الذى تنشق به السما الثانى انها للحال
اى ملتبسة بالغمام الثالث انها بمعنى عن اى عن الغمام كقوله يوم تشقق الارض عنهم والباء وعن يتعاقبان تقول
رميت عن القوس وبالقوس قوله تعالى ونزل الملائكة فيها اثنتا عشرة قراة ثنتان فى المتواتر وتسع فى الشاذ فقرا
ابن كثير من السبعة وننزل بنون مضمومة ثم اخرى ساكنة وزا خفيفة مكسورة مضارع انزل والملائكة بالنصب
مفعول به وكان من حق المصدر ان يجى بعد هذه القراة على انزال وقال ابو على لما كان انزل ونزل يجريان مجرى واحد
اجرى مصدر احدهما عن مصدر الاخر وانشد وقد تطويت انطوا الحضب لان تطويت وانطويت بمعنى ومثله وتبتل
اليه تبتيلا اى تبتلا وقرا الباقون من السبعة ونزل بضم النون وكسر الزاى المشددة وفتح اللام ماضيا مبنيا
للمفعول الملائكة بالرفع لقيامه مقام الفاعل وهى موافقة لمصدرها وقرا ابن مسعود وابو رجا ونزل بالتشديد ماضيا
مبنيا للفاعل وهو الله تعالى الملائكة مفعول به وعنه ايضا وانزل مبنيا للفاعل عداه بالتضعيف مرة وبالهمزة اخرى ٥
والاعتذار عن مجى مصدره على التفعيل كالاعتذار عن ابن كثير وعنه ايضا وانزل مبنيا للمفعول وقرا هارون عن ابى
عمرو وتنزل الملائكة بالتا من فوق وتشديد الزاى ورفع اللام مضارعا مبنيا للفاعل الملائكة بالرفع مضارع نزل بالتشديد
وعلى هذه القراة فالمفعول محذوف اى وتنزل الملائكة بما امرت ان تنزل به وقرا الخفاف عنه وجناح بن حبيش ونزل مخففا
مبنيا للفاعل الملائكة بالرفع وخارجة عن ابى عمرو ايضا وابو معاذ ونزل بضم النون وتشديد الزاى ونصب الملائكة
والاصل وننزل بنونين حذفت احديهما وقرا ابو عمرو وابن كثير فى رواية عنهما بهذا الاصل وننزل بنونين وتشديد
الزاى وقرا ابى وتنزلت بالتشديد مبنيا للمفعول وتنزلت بزيادة تاى اوله وتا التانيث فيهما وقرا ابو عمرو وفى طريقة الخفاف
عنه ونزل بضم النون وكسر الزاى خفيفة مبنيا للمفعول قال صاحب اللوامح فان صحت هذه القراة فانه حذف
منها المضاف واقيم المضاف اليه مقامه تقديره ونزل نزول الملائكة فحذف النزول ونقل اعرابه الى الملائكة بمعنى
نزل نازل الملائكة لان المصدر يجى بمعنى الاسم وهذا مما يجى على مذهب سيبويه ترتيب بنا اللازم للمفعول به لان الفعل
يدل على مصدره قال شهاب الدين وهذا تمحل كبير دعت اليه ضرورة الصناعة وقال ابن جنى وهذا غير معروف
لان نزل لا يتعدى الى مفعولين فيبنى هنا للملائكة ووجهه ان يكون مثل زكم الرجل وجن فانه لا يقال الا ازكمه واجنه
الله وهذا باب سماع لا قياس ونظير هذه القراة ما تقدم فى سورة الكهف فى قراة من قرا فلا نقوم لهم يوم القيامة
وزنا بنصب وزن من حيث تعديه القاصر وتقدم ما فيها فصل الغمام هو الابيض الرقيق مثل الضباب ولم يكن
الا لبنى اسرايل فى تيههم والالف واللام فى الغمام ليس للعموم بل للعهد وهو ما ذكره فى قوله الا ان ياتيهم الله فى ظلل من
الغمام قال ابن عباس تشقق سما الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر ممن فى الارض من الجن والانس ثم تشقق السما الثانية
فينزل اهلها وهم اكثر ممن فى السما الدنيا ومن الجن والانس ثم كذلك حتى تشقق السما السابعة واهل كل سما يزيدون
على اهل السما التى قبلها ثم تنزل الكروبيون ثم حملة العرش فان قيل ثبت بالقياس ان نسبة الارض الى سما الدنيا كحلقة
فى فلاة فكيف بالقياس الى الكرسى والعرش فملايكة هذه المواضع باسرها كيف تتسع الارض لكل هولا فالجواب
قال بعض المفسرين ان الملائكة يكونون فى الغمام والغمام يكون مقر الملائكة قوله تعالى الملك يومئذ فيه اوجه احدها
ان يكون الملك مبتدا والخبر الحق ويومئذ متعلق وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف على انه صفة للحق الثانى ان الخبر
يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن على ما تقدم الثالث ان الخبر للرحمن ويومئذ متعلق بالملك والحق نعت للملك
قيل ويجوز نصب الحق باضمار اعنى فصل المعنى ان الملك الذى هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة قال ابن

عباس

عباس يريد ان يوم القيامة لا ملك يقضى غيره ومعنى وصفه بكونه حقا انه لا يزول ولا يتغير فان قيل مثل هذا الملك لم يكن
قط الا للرحمن فما الفايدة فى قوله يومئذ فالجواب لان فى ذلك اليوم لا مالك له سواه لا فى الصورة ولا فى المعنى
فتخضع له الملوك وتعنو له الوجوه وتذل له الجبابرة بخلاف ساير الايام وكان يوما على الكافرين عسيرا جا فى
الحديث انه يهون يوم القيامة على المومن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها فى الدنيا قوله تعالى
ويوم يعض الظالم يوم معمول لمحذوف او معطوف على يوم تشقق ويعض مضارع عض ووزنه فعل بكسر العين
بدليل قولهم عضضت اعض وحكى الكسائى فتحها فى الماضى فعلى هذا يقال اعض بالكسر فى المضارع والعض هنا كناية
عن شدة الندم ومثله حرق نابه قال ابى الضيم والنعمان يحرق نابه عليه فافضى والسيوف معاقله وهذه
الكناية ابلغ من تصريح المكنى عنه فصل الى الظالم يحتمل العهد والجنس على خلاف فى ذلك فالقايلون بالعهد
اختلفوا على قولين الاول قال ابن عباس اراد بالظالم عقبة بن ابى معيط بن امية بن عبد شمس كان لا يقدم
من سفر الا صنع طعاما ودعا اليه جيرته واشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبى صلى الله عليه وسلم ويعجبه
حديثه فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس ودعا الرسول فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما انا باكل طعامك حتى تشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله فقال عقبة اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله فاكل الرسول من طعامه وكان عقبة صديقا لابى بن خلف فلما اتى ابى بن خلف قال له يا عقبة
صبات قال لا والله ما صبات ولكن دخل على رجل فابى ان ياكل طعامى الا ان اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتى
ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما انا بالذى ارضى منك ابدا الا ان تاتيه وتبصق فى وجهه وتطا على عنقه
ففعل ذلك عقبة فقال عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوتك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا
واما ابى بن خلف فقتله النبى صلى الله عليه وسلم بيده يوم احد قال الضحاك لما بزق عقبة فى وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه فى وجهه فاحترق خداه فكان اثر ذلك فيه حتى الموت وقال الشعبى كان عقبة
ابن ابى معيط خليل امية بن خلف فاسلم عقبة فقال امية وجهى من وجهك حرام ان تابعت محمدا فكفر وارتد فانزل
الله عز وجل ويوم يعض الظالم على يديه يعنى عقبة يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا اى ليتنى اتبعت محمدا
فاتخذت معه سبيلا الى الهدى وقرا ابو عمرو يا ليتنى اتخذت بفتح اليا والاخرون باسكانها الثانى قالت الرافضة
الظالم هو رجل بعينه وان المسلمين عرفوا اسمه وكتموه وجعلوا فلانا بدلا من اسمه وذكروا فاضلين من
اصحاب الرسول ومن حمل الالف واللام على العموم لانها اذا دخلت على الاسم المفرد افادت العموم بالقرينة وهو
ان ترتيب الحكم على الوصف مشعر بعلية الوصف فدل على ان المؤثر فى العض على اليدين كونه ظالما فيعم الحكم
عليه وهذا القول اولى من التخصيص بصورة واحدة ونزوله فى واقعة خاصة لا ينافى العموم بل تدخل فيه تلك
الصورة وغيرها والمقصود من الاية زجر الكل عن الظلم وذلك لا يحصل الا بالعموم فصل قال الضحاك ياكل يديه
الى المرفق ثم تنبت ولا يزال هكذا كلما اكلها نبتت وقال المحققون هذه اللفظة للتحسر والغم يقال عض انامله
وعض على يديه قوله تعالى يقول هذه الجملة حال من فاعل يعض وجملة التمنى بعد القول محكية به وتقدم الكلام
فى مباشرة يا الليت فى النسا قوله تعالى يا ويلتا قرا الحسن يا ويلتى بكسر التا ويا صريحة بعدها وهى الاصل
وقرا الدورى بالامالة قال ابو على وترك الامالة احسن لان اصل هذه اللفظة اليا فبدلت الكسرة فتحة واليا
الفا فرارا من اليا فمن امال رجع الى الذى منه فر اولا وهذا منقوض بنحو باع فان اصله اليا ومع ذلك اما لوه
امالوا يا حسرتا على ما فرطت ويا اسفى وتما كان يا ويلتى فى كون الفها عن يا وفلان كناية عن علم من يعقل وهو منصرف
وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة عن من يعقل من الاناث والفلان والفلانة بالالف واللام عن
غير العاقل وتختص فل وفلة بالندا الا فى ضرورة كقوله فى لجة امسك فلانا عن فل وليس فل مرخما من فلان خلافا
للفرا وزعم ابو حيان ان ابن عصفور وابن مالك وابن العلج وهموا فى جعلهم فل كناية عن علم من يعقل كفلان
ولام فل وفلان فيها وجهان احدهما انها واو والثانى انها يا فصل تقدم الكلام فى يا ويلتا فى هود ليتنى لم
اتخذ فلانا خليلا يعنى ابى بن خلف لقد اضلنى عن الذكر عن الايمان والقران بعد اذ جاءنى يعنى الذكر مع الرسول
وكان الشيطان وهو كل متمرد عات من الجن والانس وكل من صد عن سبيل الله فهو شيطان وقيل اشار الى خليله
وقيل اراد ابليس فانه الذى حمله على ان صار خليلا لذلك المضل ومخالفة الرسول ثم خذله وهو معنى قوله للانسان
خذولا اى تاركا يتركه ويتبرا منه عند نزول البلا والعذاب وقوله وكان الشيطان يحتمل ان تكون هذه الجملة
من مقول الظالم فتكون منصوبة المحل بالقول وان تكون من مقول البارى تعالى فلا محل لها لاستينافها قوله
تعالى وقال الرسول يا رب ان قومى اتخذوا هذا القران مهجورا قال اكثر المفسرين ان هذا القول وقع من
الرسول وقال ابو مسلم بل المراد ان الرسول يقوله فى الاخرة كقوله فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا

من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والاول اولى لان قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين تسلية للرسول ولا يليق ذلك الا اذا وقع ذلك منه ومهجورا مفعول ثان لاتخذوا او حال من الهجر بفتح الهاء وهو الترك والبعاد جعلوه متروكا كالبعيد لم يؤمنوا به ولم يقبلوه واعرضوا عن استماعه وقيل هو من الهجر بالضم اي مهجورا فيه ثم حذف الجار ويدل له قوله مستكبرين به سامرا تهجرون وهجرهم فيه قولهم فيه انه شعر وسحر واساطير الاولين وكذب وهجر اي هذيان قال عليه السلام من تعلم القرآن وعلق مصحفا ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وجعل الزمخشري مفعولا هنا مصدرا بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول قال شهاب الدين وهو غير منقاس ضبطه اهل اللغة في الفاظ فلا يتعدى الى المنقول قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا الاية ذكر ذلك تسلية للرسول وان له اسوة بسائر الرسل فليصبر على ما يلقاه من قومه كما صبر اولوا العزم من الرسل وكفى بربك هاديا ونصيرا قال المفسرون الباء زائدة بمعنى كفى ربك هاديا ونصيرا منصوبان على الحال وقيل على التمييز هاديا الى مصالح الدين والدنيا ونصيرا على الاعداء فصل احتج اهل السنة بهذه الاية على انه تعالى خالق الخير والشر لان قوله جعلنا لكل نبي عدوا يدل على ان تلك العداوة من جعل الله تعالى وتلك العداوة كفر قال الجبائي المراد من الجعل التبيين لانه تعالى لما بين انهم اعداء فقد جعل انهم اعداء كما اذا بين الرجل ان فلانا لص فقد جعله لصا وكما يقال في الحاكم انه عدل فلانا وفسق فلانا وجرحه وقال الكعبي انه تعالى لما امر بعداوة الكفار وعداوتهم للكفار يقتضي عداوتهم لهم فلهذا جاز ان يقول وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين لانه سبحانه هو الذي حمله ودعاه الى ما استعقب تلك العداوة وقال ابو مسلم يحتمل في العدو انه البعيد الغريب اذ المفاجاة المتباعد كما ان النصرة قرب من المظاهرة وقد باعد الله بين المؤمنين والكافرين والجواب عن الاول ان التبيين لا يسمى البتة جعلا لان من بين لغيره وجود الصانع وقدمه لا يقال انه جعل الصانع وجعل قدمه والجواب عن الثاني ان الذي امر الله تعالى به له تاثير في وقوع العداوة في قلوبهم او ليس له فيه تاثير فان كان الاول فقد تم الكلام لان عداوتهم للرسول كفر فاذا امر الله الرسول بما له تاثير في تلك العداوة فقد امر بما له تاثير في وقوع الكفر وان لم يكن له فيه تاثير البتة كان منقطعا عنه بالكلية فيمتنع اسناده اليه وهذا هو الجواب عن قول ابي مسلم فان قيل قوله عليه السلام يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا في المعنى كقول نوح عليه السلام رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا فكان المقصود من هذا انزال العذاب وكذا هنا فكيف هذا مع وصفه الله بالرحمة في قوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فالجواب ان نوحا عليه السلام لما ذكر ذلك دعا عليهم واما محمد عليه السلام لما ذكر هذا ما دعا عليهم بل انتظر فلما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كان ذلك كالامر له بالصبر على ذلك وعلى ترك الدعاء عليهم فافترقا فان قيل قوله جعلنا صيغة التعظيم والعظيم اذا ذكر نفسه في معرض التعظيم وذكر انه يعطي فلا بد وان تكون تلك العطية عظيمة كقوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وقوله انا اعطيناك فكيف يليق بهذه الصيغة ان تكون تلك العطية هي العداوة التي هي منشأ الضرر في الدين والدنيا فالجواب خلق العدو سبب لازدياد المشقة التي هي موجبة لمزيد الثواب قوله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن الاية هذه شبهة خامسة لمنكري النبوة كان اهل مكة قالوا تزعم انك رسول من عند الله فهلا تاتينا بالقرآن جملة كما اتي بالتوراة جملة وكما اتي عيسى بالانجيل جملة وداود بالزبور قال ابن جريج بين اوله الى اخره في ثنتين او ثلاث وعشرين سنة وجملة حال من القرآن اذ هي في معنى مجتمعا قوله تعالى كذلك الكاف اما مرفوعة المحل اي الامر كذلك ولنثبت علة لمحذوف اي لنثبت فعلنا ذلك واما منصوبة على الحال اي انزل مثل ذلك او على النعت لمصدر محذوف ولنثبت متعلق بذلك الفعل المحذوف وقال ابو حاتم هي جواب قسم وهذا قول مرجوح نحا اليه الاخفش وجعل منه ولتصغى وقد تقدم في الانعام وقرا عبد الله ليثبت بالياء اي الله تعالى فصل هذا جواب عن شبهتهم وبيانه من وجوه احدها انه عليه السلام لم يكن من اهل القراءة والكتابة فلو نزل ذلك عليه جملة واحدة كان لا يضبط ولجاز عليه فيه الخطا والغلط وثانيها ان من كان الكتاب عنده فربما اعتمد على الكتاب وتساهل في الحفظ فالله تعالى ما اعطاه الكتاب جملة واحدة بل كان ينزل عليه وظيفة ليكون حفظه له اكمل فيكون ابعد عن المساهلة وقلة التحصيل وثالثها انه تعالى لو انزل الكتاب جملة واحدة لنزلت الشرائع دفعة على الخلق فكان يثقل عليهم ذلك فلما نزل مفرقا منجما نزلت التكاليف ورابعها انه لما شاهد الاعجاز فيه مع كونه منجما ثبت كونه معجزا فانه لو كان ذلك مقدور البشر لوجب ان ياتوا بمثله منجما مفرقا ولما عجزوا عن معارضته بنجومه المفرقة فعن معارضة الكل اولى وخامسها ان

القرآن نزل بحسب اسئلتهم ووقائعهم فكانوا يزدادون بصيرة وكان ينضم الى الفصاحة الاخبار عن الغيوب وسادسها ان السفارة بين الله وبين انبيائه وتبليغ كلامه الى الخلق منصب عظيم فيحتمل ان يقال انه تعالى لو انزل القرآن على محمد دفعة واحدة لبطل المنصب على جبريل عليه السلام فلما انزله مفرقا منجما بقي ذلك المنصب العالي عليه فلذلك جعله الله تعالى منجما فصل قوله كذلك يحتمل ان يكون من تمام كلام المشركين اي جملة واحدة كذلك اي كالتوراة والانجيل ويحتمل ان يكون من كلام الله تعالى ذكره جوابا لهم اي كذلك انزلناه مفرقا فان قيل كذلك اشارة الى شيء تقدمه والذي تقدمه هو انزاله جملة فكيف فسره بكذلك انزلناه مفرقا فالجواب ان الاشارة الى الانزال المفرق لا الى الجملة قوله تعالى ورتلناه ترتيلا الترتيل التفريق ومجيء الكلمة بعد الاخرى بسكوت يسير بعد قطع النفس ومنه ثغر رتل ومرتل اي مفلج الاسنان بين اسنانه فرج يسيرة قال الزمخشري ورتلنا هنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر والا تدافعا يعني ان نزل بالتشديد يقتضي بالاصالة التنجيم والتفريق فلو لم نجعل بمعنى انزل الذي لا يقتضي ذلك التدافع مع قوله جملة لان الجملة تنافي التفريق وهذا بناء منه على معتقده وهو ان التضعيف يدل على التفريق وقد نص على ذلك في مواضع من الكشاف في سورة البقرة وال عمران واخر الاسراء وحكى هناك عن ابن عباس ما يقوي ظاهره صحة قوله فصل ورتلناه ترتيلا قال ابن عباس بيناه بيانا والترتيل التبيين في ترسل وتثبت وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال مجاهد بعضه في اثر بعض وقال النخعي والحسن وقتادة فرقناه تفريقا اية بعد اية قوله تعالى ولا ياتونك بمثل عن المشركين بمثل يضربونه في ابطال امرك الا جئناك بالحق الذي يدفع ما جاءوا به من المثل ويبطله كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق فسمى ما يوردون من الشبه مثلا وسمى ما يدفع به الشبه حقا قوله تعالى الا جئناك بالحق هذا الاستثناء مفرغ والجملة في محل نصب على الحال اي لا ياتونك بمثل الا في حال ايتائنا اياك كذا والمعنى ولا ياتونك بسؤال عجيب الا جئناك بالامر الحق واحسن تفسيرا اي بيانا وتفصيلا وتفسيرا تمييز والمفضل عليه محذوف تفسيرا من مثلهم والتفسير تفعيل من الفسر وهو الكشف عما قد غطي ثم ذكر مآل هؤلاء المشركين فقال الذين يحشرون على وجوههم يساقون ويجرون الى جهنم وروي انهم يمشون في الاخرة مقلوبين وجوههم على القفا وارجلهم الى فوق ثم قال عليه السلام ان الذي امشاهم على ارجلهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم والاول اولى لانه ورد ايضا قوله تعالى الذين يحشرون يجوز رفعه خبر مبتدا محذوف اي هم الذين ويجوز نصبه على الذم ويجوز ان يرتفع بالابتداء وخبره الجملة من قوله اولئك شر مكانا ويجوز ان يكون اولئك بدلا او بيانا للموصول وشر مكانا خبر الموصول فصل اولئك شر مكانا منزلا ومصيرا من اهل الجنة واضل سبيلا اخطأ طريقا وههنا سؤال كما تقدم في قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ولما تكلم في التوحيد ونفي الانداد واثبات النبوة واحوال القيامة شرع في ذكر القصص على الطريقة المعلومة قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب الاية لما قال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وذكر ذلك في معرض التسلية له ذكر جماعة من الانبياء وعرفه تكذيب اممهم والمعنى لست باول من ارسلنا فكذب فقد اتينا موسى الكتاب وقوينا عضده باخيه هارون فان قيل كون هارون وزيرا كالمنافي لكونه شريكا بل يجب ان يقال انه لما صار خرج عن كونه وزيرا فالجواب لا منافاة بين الصفتين لانه لا يمتنع ان يشركه في النبوة ويكون وزيرا وظهيرا او معينا له ولا وجه لقول من قال في قوله فقلنا اذهبا انه خطاب لموسى عليه السلام وحده بل يجري مجرى قوله اذهبا الى فرعون انه طغى قوله تعالى هرون بدلا او بيانا او منصوب على القطع ووزيرا مفعول ثان وقيل حال والمفعول الثاني قوله معه قال الزجاج الوزير في اللغة الذي يرجع اليه ويعمل برايه والوزر ما يعتصم به ومنه كلا لا وزر اي لا منجا ولا ملجا قال القاضي ولذلك لا يوصف تعالى بانه له وزير قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا يعني القبط قوله تعالى فدمرناهم العامة على فدمرناهم فعلا ماضيا معطوفا على محذوف اي فذهبا فكذبوهما فدمرناهم تدميرا اي اهلكناهم اهلاكا وقرا علي كرم الله وجهه فدمرا امرا لموسى وهارون وعنه ايضا ولكنه مؤكد بالنون الشديدة وعنه ايضا فدمرا بهم بزيادة باء الجر بعد فعل الامر وتثنية القراءة قبلها في الخط ونقل عنه الزمخشري فدمرتهم بتاء المتكلم فان قيل الفاء للتعقيب والاهلاك لم يحصل عقيب بعث موسى وهارون اليهما بل بعد مدة مديدة فالجواب فاء التعقيب محمولة هنا على الحكم بالاهلاك لا على الوقوع وقيل انه تعالى اراد اختصار القصة فذكر المقصود منها اولها واخرها والمراد الزام الحجة ببعث الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم واعلم ان قوله كذبوا باياتنا ان حملنا تكذيب الايات على تكذيب الايات الالهية فلا اشكال وان حملناه على تكذيب النبوة فاللفظ وان كان للماضي فالمراد به المستقبل قوله تعالى وقوم نوح الاية يجوز ان يكون قوم منصوبا عطفا على مفعول فدمرناهم ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مضمر يفسره قوله اغرقناهم ويرجح

عن استعلام جملة فعلية قبله هذا اذا قلنا ان لما ظرف زمان وأما اذا قلنا انها حرف وجوب لوجوب فلا يتاتى ذلك لان
اغرقناهم حينئذ جواب لما وجوابها لا يفسر ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مقدر لا على سبيل الاشتغال اى اذكر قوم
نوح **فصل** انما قال كذبوا الرسل اما لانهم كانوا من البراهمة المنكرين لكل الرسل او لان تكذيبهم لواحد تكذيب
للجميع لان من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل وقوله اغرقناهم قال الكلبي امطرنا عليهم السما اربعين
يوما واخرج ما في الارض ايضا في تلك الاربعين فصارت الارض بحرا واحدا **وجعلناهم** اى جعلنا اغراقهم وقصتهم للناس
اية للظالمين اى لكل من سلك سبيلهم **واعتدنا للظالمين** في الآخرة **عذابا اليما قوله تعالى وعادا وثمود واصحاب
الرس الاية** وعادا فيه ثلاثة اوجه ان يكون معطوفا على قوم نوح وان يكون معطوفا على مفعول جعلناهم وان يكون
معطوفا على محل للظالمين لانه في قوة وعدنا الظالمين بعذاب **قوله تعالى واصحاب الرس** فيه وجهان احدهما من عطف
المغاير وهو الظاهر والثاني انه من عطف بعض الصفات على بعض والمراد باصحاب الرس ثمود لان الرس البئر التي لم
تطو عن ابي عبيدة وثمود اصحاب آبار وقيل الرس نهر بالمشرق وكانت قرى اصحاب الرس على شاطئ النهر فبعث الله اليهم
نبيا من اولاد يهودا بن يعقوب فكذبوه فلبث فيهم زمانا فشكى الى الله منهم فحفروا بئرا وارسلوه فيها وقالوا نرجو ان
ترضى عنا الهتنا وكانوا عامة يومهم يسمعون انين نبيهم وهو يقول سيدي ترى ضيق مكاني وشدة كربي وضعف
ركني وقلة حيلتي فعجل قبض روحي حتى مات فارسل الله عليهم ريحا عاصفة شديدة الحر وصارت الارض من تحتهم حجر كبريت
يتوقد واظلتهم سحابة سوداء فذابت ابدانهم كما يذوب الرصاص ويقال انهم اناس عبدة اصنام قتلوا نبيهم ورسوه
في بئر اى دسوه فيها وقال قتادة والكلبي الرس بئر بفلج اليمامة قتلوا نبيهم وهو حنظلة بن صفوان وقيل هم بقية
ثمود قوم صالح وهم اصحاب البئر التي ذكر الله تعالى في قوله وبئر معطلة وقصر مشيد وقال كعب ومقاتل والسدي
الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار ورسوه في بئر وهم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة يس وقيل هم اصحاب الاخدود
والرس هو الاخدود الذي حفروه وقال عكرمة هم قوم رسوا نبيهم في بئر وقيل الرس المعدن وجمعه رساس وروي
عن علي رضي الله عنه انهم قوم كانوا يعبدون شجرة الصنوبر وسموا اصحاب الرس لانهم رسوا نبيهم في الارض وروى
ابن جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله بعث نبيا الى اهل قرية فلم يؤمن به من اهل القرية احد الا عبد اسود ثم انهم
حفروا للرسول بئرا والقوه فيها ثم اطبقوا عليها حجرا ضخما وكان ذلك الرجل الاسود يحتطب ويشتري له طعاما وشرابا
ويرفع الصخرة ويدليه اليه فكان ذلك ما شاء الله فاحتطب يوما فلما اراد ان يحملها وجد نوما فاضطجع وضرب الله على
اذنه سبع سنين ثم ذهب واحتمل حزمته واشترى طعاما وشرابا وذهب الى الحفرة فلم يجد احدا وكان قومه قد
استخرجوه فامنوا به وصدقوه وكان ذلك النبي يسالهم عن الاسود ويقول لهم انه اول من يدخل الجنة **قوله تعالى
وقرونا** اى واهلكنا قرونا كثيرا بين عاد واصحاب الرس والقرون جمع قرن قال علي رضي الله عنه القرن اربعون سنة
وهو قول النخعي وقيل مائة وعشرون سنة وقيل غير ذلك وتقدم الكلام عليه في سورة سبحان عند قوله وكم اهلكنا
من القرون من بعد نوح **قوله تعالى بين ذلك** ذلك اشارة الى من تقدم ذكره وثم جماعات فلذلك حسن
دخول بين عليه وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك
كيت وكيت اى ذلك المحسوب او المعدود **قوله وكلا** يجوز نصبه بفعل يفسره ما بعده اى وحذرنا او ذكرنا لانها
في معنى ضربنا له الامثال ويجوز ان يكون معطوفا على ما تقدم وضربنا بيان لسبب اهلاكهم واما كلا الثانية
فمفعول مقدم **فصل** ضربنا له الامثال اى الاشباه في اقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم الا بعد الانذار وقيل
بينا لهم واوضحنا عللهم فلما كذبوا تبرناهم تتبيرا اهلكناهم اهلاكا وقال الاخفش كسرناهم تكسيرا قال الزجاج
كل شيء كسرته وفتتته فقد تبرته **قوله تعالى ولقد اتوا على القرية التي امطرت الاية** اراد بالقرية قريات لوط وكانت
خمس قرى فاهلك الله منها اربعا وبقيت واحدة وهي صغر كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث يعني ان قريشا مروا
مرارا كثيرا الى الشام على تلك القرية التي امطرت مطر السوء اى اهلكت بالحجارة من السماء افلم يكونوا يرونها في مرورهم
فينظرون الى آثار عذاب الله ونكاله فيعتبروا ويتذكروا **قوله مطر السوء** فيه ثلاثة اوجه احدها انه مصدر
على حذف الزوائد اى امطارا السوء الثاني انه مفعول ثان اذ المعنى اعطيناها واوليناها مطر السوء الثالث انه نعت
مصدر محذوف اى امطارا مثل مطر السوء وقرا زيد بن علي مطرت ثلاثيا مبنيا للمفعول ومطر متعد قال
[illegible] بواديه بعد المحل ممطور وقرا ابو السماك مطر السوء بضم السين وتقدم الكلام على السوء والسوء في براءة
قوله اتوا على القرية انما عدي اتى بعلى لانه ضمن معنى مر **قوله بل كانوا لا يرجون نشورا** في هذا الرجاء ثلاثة
اوجه اقواها ما قاله القاضي وهو انه محمول على حقيقة الرجاء لان الانسان لا يتحمل متاعب التكليف الا لرجاء
ثواب الاخرة فاذا لم يؤمنوا بالاخرة لم يرجوا ثوابها فلا يتحمل تلك المشاق وثانيها معناه لا يتوقعون نشورا
فوضع الرجاء موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن وثالثها معناه لا يخافون على اللغة التهامية

هو ضعيف **قوله تعالى واذا راوك الاية** لما بين مبالغة المشركين في انكار نبوته بايراد الشبهات بين بعد ذلك انهم
اذا راوا الرسول اتخذوه هزوا ولم يقتصروا على ترك الايمان به بل زادوا عليه بالاستهزاء والاستخفاف ويقول بعضهم
لبعض اهذا الذي بعث الله رسولا **قوله ان يتخذونك** ان الاولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
بينهما وهذا مفعول ثان وعمل ان يكون التقدير موضع هزوا ان يكون مهزوا بك وهذه الجملة المنفية تحتمل وجهين احدهما
انها جواب اذا الشرطية واختصت اذا بان جوابها متى كان منفيا بما او ان او لا يحتاج الى الفا بخلاف غيرها من ادوات
الشرط فعلى هذا يكون قوله اهذا الذي في محل نصب بالقول المضمر وذلك القول المضمر في محل نصب على الحال اى ان
يتخذونك قائلين ذلك والثاني انها جملة معترضة بين اذا وجوابها وجوابها هو ذلك القول المضمر المحكي به اهذا الذي
والتقدير واذا راوك قالوا اهذا الذي بعث فاعترض بجملة النفي ومفعول بعث محذوف هو عائد الموصول اى بعثه
ورسولا على بابه من كونه صفة فينتصب على الحال وقيل هو مصدر بمعنى رسالة فيكون على حذف مضاف اى ذا رسول
بمعنى ذا رسالة او يجعل نفس المصدر مبالغة او بمعنى مرسل وهو تكلف **قوله ان كاد ليضلنا** تقدم نظيره في سبحان
قوله لولا ان صبرنا جوابها محذوف اى لاضلنا عن الهتنا قال الزمخشري ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى
لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق **فصل** قال المفسرون ان ابا جهل كان اذا مر باصحابه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال مستهزئا اهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد قد كاد ليضلنا اى قد قارب ان يضلنا عن
الهتنا لولا ان صبرنا عليها اى لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا طريقا
واعلم ان الله تعالى اخبر عن المشركين انهم متى راوا الرسول عليه السلام اتوا بنوعين من الافعال احدهما
الاستهزاء فيقولون اهذا الذي بعث الله رسولا وذلك جهل عظيم لان الاستهزاء اما ان يكون بصورته او بحقيقته
والاول باطل لانه عليه السلام كان احسن منهم وبتقدير انه لم يكن كذلك لكنه عليه السلام ما كان يدعي
التمييز عنهم بالصورة بل بالحجة والثاني باطل لانه عليه السلام ادعى التمييز عنهم بظهور المعجز عليه دونهم وانهم
ما قدروا على القدح في حجته ففي الحقيقة هم الذين يستحقون ان يهزا بهم ثم انهم لوقاحتهم قلبوا القضية واستهزؤا
بالرسول وذلك يدل على ان المبطل لا يستولي الا السفاهة والوقاحة والنوع الثاني قولهم ان كاد ليضلنا عن الهتنا
لولا ان صبرنا عليها فسموا ذلك ضلالا وذلك يدل على انهم كانوا مبالغين في تعظيم الهتهم ويدل على جده واجتهاده
في صرفهم عن عبادة الاوثان فلهذا قالوا ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها وذلك يدل على انهم كانوا
مقرين بالحجة ولم يكن في ايديهم الا مجرد الوقاحة **فصل** من اضل جملة استفهامية معلقة ليعلمون فهي سادة
مسد مفعوليها ان كانت على بابها ومسد واحد ان كانت بمعنى عرف ويجوز في من ان تكون موصولة واضل خبر مبتدا
مضمر هو العائد على من تقديره من هو اضل فاما حذف للاستطالة بالتمييز كقولهم ما انا بالذي قائل لك سوءا وهذا ظاهر
ان كانت متعدية لواحد وان كانت متعدية لاثنين فيحتاج الى تقدير ثان ولا حاجة اليه **فصل** لما وصفوه بالاضلال
في قولهم ان كاد ليضلنا بين تعالى انه سيظهر لهم من المضل ومن الضال عند مشاهدة العذاب الذي لا مخلص لهم منه
فقال وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا وهذا وعيد شديد على التعامي والاعراض عن الاستدلال
والنظر **قوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه الاية** ارايت كلمة تصلح للاعلام والسؤال وههنا تعجب ممن هذا
وصفه ونعته وقوله من اتخذ الهه هواه مفعولا الاتخاذ من غير تقديم ولا تاخير لاستوائهما في التعريف
وقال الزمخشري فان قلت لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها قلت ما هو الا تقديم المفعول الثاني على الاول
للعناية به كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق قال ابو حيان وادعا القلب يعني ان التقدير ليس
بجيد لانه من ضرائر الاشعار قال شهاب الدين قد تقدم فيه ثلاثة مذاهب على ان هذا ليس من القلب المذكور في
شيء انما هو تقديم وتاخير فقط وقرا ابن هرمز الاهة هواه على وزن فعالة والهة بمعنى المالوه والها للمبالغة كعلامة
ونسابة والاهة مفعول ثان قدم لكونه نكرة ولذلك صرف وقيل الهة هي الشمس ورد هذا بانه كان ينبغي ان يمنع
من الصرف للعلمية والتانيث واجيب بان هذا يدخل عليه ال كثيرا فلما نزعت منها صارت نكرة جارية مجرى الاوصاف
ويقال الاهة بضم الهمزة ايضا اسما للشمس وقرا بعض المدنيين الهة هواه جمع اله وهو ايضا مفعول مقدم
وجمع باعتبار الانواع فقد كان الرجل يعبد الهة شتى ومعمولا ارايت الاول من والثاني الجملة الاستفهامية **فصل**
قال ابن عباس الهوى اله يعبد وقال سعيد بن جبير كان الرجل من المشركين يعبد الحجر فاذا راى حجرا احسن منه
طرح الاول واخذ الاخر وعبده افانت تكون عليه وكيلا اى حافظا تحفظه عن اتباع هواه اى لست كذلك ونظيره
لست عليهم بمسيطر وما انت عليهم بجبار لا اكراه في الدين قال الكلبي نسختها اية القتال ام تحسب ان اكثرهم
يسمعون او يعقلون يسمعون ما تقول سماع طالب الافهام او يعقلون ما يعاينون من الحجج والاعلام وام هنا
منقطعة بمعنى بل ان هم الا كالانعام في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم تدبرهم وتفكرهم بل هم اضل سبيلا لان البهائم

يهتدي لمراعيها ومشاربها وتنقاد لأربابها التي تتعهدها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وقلوب الأنعام كما أنها خالية
عن العلم وعن الاعتقاد الفاسد وهؤلاء قلوبهم خالية عن العلم وملأى من الاعتقاد الباطل وعدم علم الأنعام
لا يضر بأحد وجهل هؤلاء منشأ للضرر العظيم لأنهم يصدون الناس عن سبيل الله والبهائم لا تستحق عقابا على عدم العلم
وهؤلاء يستحقون على عدم العلم أعظم العقاب وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم
ولأن الأنعام تسجد وتسبح لله وهؤلاء الكفار لا يفعلون قال قيل لم قال أم تحسب أن أكثرهم فحكم بذلك على الأكثر
دون الكل فالجواب لأنه كان فيهم من يعرف الله ويعقل الحق إلا أنه ترك الإسلام لحب الرياسة لا للجهل قال قيل
إنه تعالى لما نفى عنهم السمع والعقل فكيف ذمهم على الإعراض عن الدين وكيف بعث الرسول إليهم فإن من شرط التكليف
العقل فالجواب ليس المراد أنهم لا يعقلون بل المراد أنهم لم ينتفعوا بذلك العقل فهو كقول الرجل لغيره إذا لم
يفهم إنما أنت أعمى وأصم قوله تعالى ألم تر إلى ربك كيف مد الظل الآية لما بين جهل المعرضين عن دلائل التوحيد
وبين فساد طريقهم ذكر أنواعا من الدلائل الدالة على وجود الصانع فأولها الاستدلال بحال الظل في زيادته ونقصانه
وتغير أحواله قوله ألم تر فيه وجهان أحدهما أنه من رؤية العين والثاني أنه من رؤية القلب يعني العلم فإن حملناه
على رؤية العين فالمعنى ألم تر إلى الظل كيف مده ربك وإن حملناه على العلم وهو اختيار الزجاج فالمعنى ألم تعلم وهذا
أولى لأن الظل إذا جعلناه من المبصرات فتأثير قدرة الله في تمديده غير مرئي بالاتفاق ولكنه معلوم من حيث إن
كل متغير فله مؤثر فحمل هذا اللفظ على رؤية القلب أولى من هذا الوجه وهذا الخطاب وإن كان ظاهره للرسول فهو عام
في المعنى لأن المقصود بيان نعم الله تعالى بالظل وجميع المكلفين مشتركون في تنبيههم لهذه النعمة وكيف منصوبة
بمد وهي معلقة لترى من موضع النصب وقد تقدم القول في الرؤية فصل الظل عبارة عن عدم الضوء مما شأنه
أن يضيء وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ساكنا أي دائما ثابتا لا يزول ولا تذهبه الشمس قال أبو عبيدة الظل ما نسخته الشمس
وهو بالغداة والفيء ما نسخ الشمس وهو بعد الزوال سمي فيئا لأنه فاء من جانب المغرب إلى جانب المشرق ثم جعلنا الشمس عليه
دليلا أي على الظل دليلا ومعنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور ما عرفت الظلمة والأشياء تعرف
بأضدادها قال الزمخشري فإن قلت ثم في هذين الموضعين كيف موقعها قلت موقعها لبيان تفاضل الأمور الثلاث كأن
الثاني أعظم من الأول والثالث أعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بينهما في الوقت قوله ثم قبضناه
يعني الظل إلينا قبضا يسيرا بالشمس التي تأتي عليه والقبض جمع المنبسط من الشيء معناه أن الظل يعم جميع الأرض قبل طلوع
الشمس فإذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزءا فجزءا قبضا يسيرا أي خفيا وقيل المراد من قبضها يسيرا قبضها عند قيام الساعة
وذلك بقبض أسبابها وهي الأجرام التي تلقي الظلال وقوله يسيرا كقوله حشر علينا يسير قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل
لباسا الآية هذا هو النوع الثاني شبه الليل من حيث يستر الكل ويغطي باللباس الساتر للبدن ونبه على ما لنا فيه من النفع بقوله
والنوم سباتا والسبات هو الراحة أي راحة لأبدانكم وقطعا لعملكم وأصل السبت القطع والنائم مسبوت لأنه انقطع عمله
وحركته قال أبو مسلم السبات الراحة ومنه يوم السبت لما جرت به العادة من الاستراحة فيه ويقال للعليل إذا استراح
من تعب العلة مسبوت وقال الزمخشري السبات الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة قال وهذا كقوله وهو الذي
يتوفاكم بالليل وإنما قلنا تفسيره بالموت أولى من تفسيره بالراحة لأن النشور في مقابلته وجعل النهار نشورا قال أبو مسلم
هو بمعنى الانتشار والحركة كما سمى تعالى نوم الإنسان وفاة فقال يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كذلك
وفرق بين القيام من النوم والقيام من الموت في التسمية بالنشور قوله تعالى وهو الذي أرسل الرياح نشرا الآية
هذا هو النوع الثالث وقد تقدم الكلام على تفسيرها في الأعراف بين يدي رحمته يعني المطر وأنزلنا من السماء ماء طهورا
قال الزمخشري فإن قلت إنزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالإحياء والسقي يؤذن بأن الطهارة شرط في صحة ذلك
كما تقول حملني الأمير على فرس جواد لأصيد عليه الوحش قلت لما كان سقي الأناسي من جملة ما أنزل له الماء وصف بالطهارة إكراما
لهم وتتميما للمنة عليهم وطهور يجوز أن يكون صفة مبالغة منقولا من طاهر كقوله تعالى شرابا طهورا وقال
إلى رجح الأكفال غيد من الظبا عذاب الثنايا ريقهن طهور وأن يكون اسما لما يتطهر به كالسحور لما يتسحر به والفطور لما
يفطر به قال عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أراد به المطهر فالماء مطهر لأنه يطهر الإنسان من الحدث
والنجاسة كما قال في آية أخرى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فثبت أن التطهير مختص بالماء وذهب أصحاب الرأي
إلى أن الطهور هو الطاهر حتى جوزوا إزالة النجاسة بالمائعات كالخل وماء الورد والمرق ولو جاز إزالة النجاسة بها لجاز
رفع الحدث بها وقال عليه السلام التراب طهور المسلم ولو لم يجد الماء عشر حجج ولو كان معنى الطهور هو الطاهر لكان
معناه التراب طاهر المسلم وحينئذ لا ينتظم الكلام وكذا قوله عليه السلام طهور إناء أحدكم إذا ولغ الكلب فيه أن يغسل
سبعا ولو كان الطهور هو الطاهر لكان معناه طاهر إناء أحدكم وحينئذ لا ينتظم الكلام ويجوز أن يكون مصدرا بالقبول
والولوغ قوله لنحيي به فيه وجهان أظهرهما أنه متعلق بالإنزال والثاني وهو صعب أنه متعلق بطهور وصف

بلدة

بلدة ميتا وهي صفة للمذكر لأنها بمعنى البلد قوله ونسقيه العامة على ضم النون وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية عنهما
وأبو حيوة وابن أبي عبلة بفتحها وقد تقدم أنه قرئ بذلك في النحل والمؤمنين وتقدم الكلام على ذلك قوله مما خلقنا يجوز
أن يتعلق من بنسقيه وهي لابتداء الغاية ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنها حال من أنعاما ونكرت الأنعام والأناسي قال
الزمخشري لأن عليه الناس وجلهم مجتمعون بالأودية والأنهار فيهم غنية عن سقي الماء وأعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم
إلا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه قوله وأناسي فيه وجهان أحدهما وهو مذهب سيبويه أنه جمع إنسان والأصل
أناسين فأبدلت النون ياء وأدغمت فيها الياء قبلها نحو ظربان وظرابي والثاني وهو قول الفراء والمبرد والزجاج أنه جمع
إنسي وفيه نظر لأن فعالي إنما يكون جمعا لما فيه ياء مشددة لا تدل على نسب نحو كرسي وكراسي فلو أريد بكرسي النسب
لم يجز جمعه على كراسي ويبعد أن يقال إن الياء في إنسي ليست للنسب وكان حقه أن يجمع على أناسية نحو مهالبة في
المهلبي وأزارقة في الأزرقي وقرأ يحيى بن الحارث الذماري والكسائي في رواية وأناسي بتخفيف الياء قال الزمخشري
بحذف ياء أفاعيل كقولك أناعم في أناعيم قال الزمخشري فإن قلت لم قدم إحياء الأرض وسقي الأنعام على سقي الأناسي
قلت لأن حياة الأناسي بحياة أرضهم وحياة أنعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم ولأنهم إذا ظفروا بسقيا أرضهم وسقي
أنعامهم لم يعدموا سقياهم قال قيل لم خص الإنسان والأنعام هاهنا بالذكر دون الطير والوحش مع بعد في طلب
الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الأنعام لأن حوائج الأناسي وما فيهم متعلقة بها فكان الإنعام عليهم بسقي أنعامهم
كالإنعام عليهم بسقيهم وقال أناسي كثيرا ولم يقل كثيرين لأنه قد جاء فعيل مفردا ويراد به الكثرة كقوله وقرونا
بين ذلك كثيرا وحسن أولئك رفيقا قوله تعالى ولقد صرفناه في هذه الهاء ثلاثة أوجه أحدها قال الجمهور إنها ترجع
إلى المطر ثم هؤلاء قال بعضهم المعنى صرفنا نزول الماء من وابل وطل وجود ورذاذ وغير ذلك وقال بعضهم صرفناه
أي أجريناه في الأنهار حتى انتفعوا بالشرب وبالزراعات وأنواع المعاش به وقال آخرون معناه أنه تعالى ينزله
في مكان دون مكان في عام ثم في العام الثاني يقع بخلاف ما وقع في العام الأول قال ابن عباس ما عام بأكثر مطرا من
عام ولكن الله يصرفه في الأرض ثم قرأ هذه الآية وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من عام
بأمطر من عام ولكن إذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم فإذا عصوا جميعا صرف الله ذلك إلى الفيافي الثاني
قال أبو مسلم الضمير راجع إلى المطر والسحاب والأظلال وسائر ما ذكره الله من الأدلة الثالث أي هذا القول صرفناه
بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي أنزلت على الرسل وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال المطر ليتفكروا ويستدلوا
به على الصانع وقرأ عكرمة صرفناه بتخفيف الراء وقيل التصريف راجع إلى الريح ليذكروا ويتفكروا في قدرة الله تعالى
فأبى أكثر الناس إلا كفورا جحودا أو كفرانا ثم هؤلاء أنهم إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا روى زيد بن خالد الجهني قال
صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال
هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بالكوكب وأما من قال
مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب فصل قال الجبائي قوله ليذكروا يدل على أنه تعالى يريد من الكل أن
يذكروا ويشكروا ولو أراد منهم أن يكفروا ويعرضوا لما صح ذلك وذلك يبطل قول من قال إن الله يريد الكفر ممن يكفر
قال ودل قوله فأبى أكثر الناس إلا كفورا على قدرتهم على فعل هذا التذكر إذ لو لم يقدروا لما جاز أن يقال أبوا أن
يفعلوه كما لا يقال في الزمن أبى أن يسعى وقال الكعبي قوله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا حجة على من زعم أن
القرآن وبال على الكافرين وأنه لم يرد بإنزاله أن يؤمنوا لأن قوله ليذكروا عام في الكل وقوله تعالى أكثر الناس يقتضي
أن يكون هذا الأكثر داخلا في ذلك العام لأنه لا يجوز أن يقال أنزلناه على قريش ليؤمنوا فأبى أكثر بني تميم إلا كفورا
والجواب قد تقدم مرارا قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا رسولا ينذرهم والمراد من ذلك تعظيم
النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه أحدها أنه تعالى بين أنه مع القدرة على بعثه نذيرا ورسولا في كل قرية
خصه بالرسالة وفضله بها على الكل ولذلك أتبعه بقوله فلا تطع الكافرين أي لا توافقهم وثانيها المراد
ولو شئنا لخففنا عنك أعباء الرسالة إلى كل العالمين ولبعثنا في كل قرية نذيرا ولكنا قصرنا الأمر عليك وأجللناك
وفضلناك على سائر الرسل فقابل هذا الإجلال بالتشدد في الدين وثالثها أن الآية تقتضي مزج اللطف
بالعنف لأنها تدل على القدرة على أن يبعث في كل قرية نذيرا مثل محمد وأنه لا حاجة بالحضرة الإلهية إلى محمد
البتة وقوله ولو شئنا يدل على أنه تعالى لا يفعل ذلك والمعنى بعثناك إلى القرى كلها وحملناك ثقل نذارة جميعها
لتستوجب بصبرك عليه ما أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة فلا تطع الكافرين فيما يدعونك
إليه من موافقتهم وهذا يدل على أن النهي عن الشيء لا يقتضي كون المنهي عنه مشتغلا به قوله وجاهدهم به
أي بالقرآن أو بترك الطاعة المدلول عليه بقوله فلا تطع أو بما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا
من كونه نذير كافة القرى أو بالسيف والأقرب الأول لأن السورة مكية والأمر بالقتال ورد بعد الهجرة

برهان فالمراد بذل الجهد فى الجهاد بالدعاء جهادا كبيرا اشد بدا قوله تعالى وهو الذى مرج البحرين الاية هذا النوع الرابع
فى مرج قولان احدهما بمعنى خلط ومزج ومنه مرج الامر اى اختلط قاله ابن عرفة وقيل مرج اجرى وامرج
لغة فيه قيل مرج لغة الحجاز وامرج لغة نجد وفى كلام بعض الفصحاء بحران احدهما بالاخر ممروج
وما العذب منهما بالاجاج ممزوج وقيل ارسلهما فى مجاريهما وخلاهما كما يرسل الخيل فى المرج قاله ابن عباس
واصل المرج الخلط والارسال يقال مرجت الدابة وامرجتها اذا ارسلتها فى المرعى وخليتها تذهب حيث تشاء
قوله هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج هذه الجملة لا محل لها لانها مستأنفة جواب لسؤال مقدر كان قائلا قال
كيف مرجهما فقيل هذا عذب وهذا ملح ويجوز على ضعف ان تكون حالية والفرات المبالغ فى الحلاوة والتاء فيه
اصلية لام الكلمة ووزنه فعال وبعض العرب يقف عليها هاء وهذا كما تقدم فى التابوت ويقال سمى الماء الحلو
فراتا لانه يفرت العطش اى يشقه ويقطعه والاجاج المبالغ فى الملوحة وقيل فى الحرارة وقيل فى المرارة وهذا
من احسن المقابلة حيث قال تعالى عذب فرات وملح اجاج وانشد بعضهم
فلا والله لا انفك ابكى الى ان نلتقى شعثا عراتا اخى ان مرت اجاج عينى على جدث حوى العذب الفراتا
ما احسن ما كنى عن دمعه بالاجاج وعن المبكى عليه بالعذب الفرات وكان سبب انشاد هذين البيتين
ان بعضهم لحن قائلهما عن انا كيف يقف على تا التانيث المنونة بالالف فقيل له انها لغة مستفيضة يجعلون
التاء كغيرها فيبدلون تنوينها بعد الالف حكى عن العرب اكلت تمرا تا وزيتا تا وطلحة وقيبة عن الكسائى ملح
بفتح الميم وكسر اللام وكذا فى سورة فاطر وهو مقصور من مالح كقولهم بردى بارد قال وصلنا باردا وماما لح
لغة شاذة وقال ابو حاتم هذه قراءة منكرة قوله بينهما برزخا يجوز ان يكون الظرف متعلقا بالجعل وان يتعلق بمحذوف
على انه حال من برزخا اى حاجزا يقدرته لئلا يختلط احدهما بالاخر وحجرا محجورا عطف على برزخا فان قلت حجرا محجورا
ما معناه قلت هى الكلمة التى يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهى هنا واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين
يقول لصاحبه حجرا محجورا كانه يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان وهى من احسن الاستعارات
فعلى ما قاله يكون منصوبا بقول مضمر فان قيل لا وجود للبحر العذب فكيف ذكره الله تعالى هنا لا يقال هذا
مدفوع من وجهين احدهما ان المراد منه الاودية العظام كالنيل وجيحون الثانى لعله حصل فى البحار موضع
يكون احد جانبيه عذبا والاخر ملحا لانا نقول اما الاول فضعيف لان هذه الاودية ليس فيها ملح والبحار ليس فيها
ما عذب فلم تحصل البتة موضع التعجب واما الثانى فضعيف لان موضع الاستدلال لا بد وان يكون معلوما
واما بمحض التجويز فلا يحسن الاستدلال فالجواب انا نقول المراد من البحر العذب هذه الاودية ومن البحر
الاجاج البحار الكبار وجعل بينهما برزخا اى حائلا من الارض ووجه الاستدلال ههنا ان العذوبة والملوحة ان
كانت بسبب طبيعة الارض واما فلا بد من الاستواء والم يكن كذلك فلا بد من قادر حكيم يخص كل واحد من
الاجسام بصفة خاصة ويمكن الجواب بطريق اخر وهو انا رأينا نيل مصر داخلا فى بحر الملح ابيض لونه مغاير للون بحر الملح ولا
يختلط به ويؤخذ منه ويشرب قوله تعالى وهو الذى خلق من الماء بشرا الاية هذا نوع خامس وفى هذا الماء قولان
احدهما انه النطفة والثانى انه الماء الذى تسقى به الارض فتتولد منه الاغذية وتتولد من الاغذية النطفة
كما تقدم فى قوله وجعلنا من الماء كل شئ حى قوله من الماء يجوز ان يتعلق بخلق وان يتعلق بمحذوف حالا ومن لابتداء
الغاية او للتبعيض قوله فجعله نسبا وصهرا اى جعله ذا نسب وصهر قال الخليل لا يقال لاهل بيت المراة الا اصهار
ولا لاهل بيت الرجل الا اختان قال ومن العرب من يطلق الاصهار على الجميع وهذا هو الغالب وقيل النسب ما لا
يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه والنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها والصحيح ان النسب من القرابة
والصهر الخلطة التى تشبه القرابة وهو النسب المحرم للنكاح وقد تقدم ان الله تعالى حرم بالنسب سبعا وبالسبب سبعا
فى قوله عز وجل حرمت عليكم امهاتكم وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة نوعين من البشر الذكر والانثى
قوله تعالى ويعبدون من دون الله الاية لما ذكر دلايل التوحيد عاد الى تهجين سيرتهم فقال ويعبدون اى هؤلاء
المشركين ما لا ينفعهم ان عبدوه ولا يضرهم ان تركوه وكان الكافر على ربه ظهيرا اى معينا للشيطان على ربه بالمعاصى
قال الزجاج يعاون الشيطان على معصية الله لان عبادتهم الاصنام معاونة للشيطان فان قيل كيف يصح فى
الكافر ان يكون معاونا للشيطان على ربه بالعداوة فالجواب انه تعالى ذكر نفسه واراد رسوله فقال
ان الذين يؤذون الله وقيل معناه وكان الكافر على ربه هينا ذليلا كما يقول الرجل لمن يستهين به جعلنى
ظهريا اى جعلنى هينا ويقال ظهرت به اذا جعلته خلف ظهرك كقوله واتخذتموه وراءكم ظهريا قاله ابو مسلم
وقياس العربية ان يقال مظهور اى مستخف به متروك وراء الظهر فقيل فيه ظهير بمعنى مظهور ومعناه هينا
على الله ان يكفر الكافر فهو تعالى مستهين بكفره والمراد بالكافر قيل ابو جهل لان الاية نزلت فيه والاولى حمله

على العموم لان خصوص السبب لا يقدح فى عموم اللفظ قيل ويجوز ان يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كالصديق
والخليط فعلى هذا يكون المراد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور الله قال تعالى واخوانهم يمدونهم فى الغى
قوله على ربه يجوز ان يتعلق بظهيرا وهو الظاهر وان يتعلق بمحذوف على انه خبر كان وظهيرا حال والظهير المعاون قوله
وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا اى منذرا ووجه تعلقه بما تقدم ان الكفار يطلبون العون على الله ورسوله والله
تعالى بعث رسوله لنفعهم لانه بعثه ليبشرهم على الطاعة وينذرهم على المعصية فيستحقوا الثواب ويحترزوا عن العقاب
فلا جهل اعظم من جهل من استفرغ جهده فى ايذاء شخص استفرغ جهده فى اصلاح مهماته دينا ودنيا ولا يسئلهم البتة على
ذلك اجرا قوله الا من شاء فيه وجهان احدهما هو منقطع اى لكن من يشاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل والثانى انه
متصل على حذف مضاف يعنى الا اجر من اى الا اجر الحاصل على دعايه الى الايمان وقبوله لانه تعالى ياجرنى على ذلك حكاه ابو حيان
وفيه نظر لانه لم يسند السؤال المنفى فى الظاهر الى الله تعالى انما اسنده الى المخاطبين فكيف يصح هذا التقدير فصل المعنى
ما اسئلكم على تبليغ الوحى من اجر فيقولوا انما يطلب محمد اموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه وقوله الا من شاء ان يتخذ الى
ربه سبيلا بانفاق ماله فى سبيله فعل ذلك والمعنى لا اسئلكم لنفسى اجرا ولكن لا امنع من انفاق المال فى طلب مرضات
الله واتخاذ السبيل الى جنته قوله تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت لما بين ان الكفار يتظاهرون على ايذايه وامره
ان لا يطلب منهم اجرا امره بان يتوكل عليه فى دفع جميع المضار وفى جلب جميع المنافع وانما قال على الحى الذى لا يموت لان
من توكل على الحى الذى يموت فاذا مات المتوكل عليه صار المتوكل ضايعا واما الله تعالى فهو حى لا يموت فلا يضيع المتوكل عليه
وسبح بحمده وقيل المراد بالتسبيح الصلاة وقيل قل سبحان الله والحمد لله وكفى به بذنوب عباده خبيرا عالما وهذه كلمة يراد
بها المبالغة يقال كفى بالعلم جمالا وكفى بالادب مالا وهو بمعنى حسبك اى لا تحتاج معه الى غيره لانه تعالى خبير باحوالهم
قادر على مكافاتهم وهذا وعيد شديد قوله تعالى الذى خلق السموات والارض الاية لما امر الرسول صلى الله عليه وسلم
بان يتوكل عليه وصف نفسه بامور منها انه حى لا يموت وانه عالم بجميع المعلومات فقوله وكفى بذنوب عباده خبيرا
ومنها انه قادر على كل الممكنات وهو قوله تعالى الذى خلق السموات والارض وهذا متصل بقوله الحى الذى لا يموت لانه
سبحانه وتعالى لما كان خالقا للسموات والارض ولكل ما بينهما ثبت انه القادر على جميع المنافع ودفع المضار وان النعم
كلها من جهته لا يجوز التوكل الا عليه والذى خلق يجوز ان يكون مبتدا والرحمن خبره وان يكون خبر مبتدا مقدر اى هو الذى
خلق وان يكون منصوبا بفعل مضمر وان يكون صفة للحى فقط قوله فى ستة ايام سؤال وهو ان الايام عبارة عن حركة
الشمس فى السموات فقبل السموات لا ايام فكيف قال خلقها فى ستة ايام فالجواب فى مدة مقدارها هذه المدة لا يقال
الشئ الذى يتقدر بمقدار محدود ويقبل الزيادة والنقصان والتجزية لا يكون عدما محضا بل لا بد وان يكون موجودا فيلزم
من وجود مدة قبل وجود العالم وذلك يقتضى قدم الزمان لانا نقول هذا معارض بنفس الزمان لان المدة المتوهمة
المحتملة لعشرة ايام لا تمتلى بخمسة ايام والمدة المتوهمة المحتملة لخمسة ايام لا تحتمل عشرة ايام فيلزم ان يكون للمدة مدة اخرى
فلما لم يلزم ما قلتموه وعلى هذا القول لعل الله تعالى خلق المدة اولا ثم خلق السموات والارض فيها بمقدار ستة ايام وقيل فى
ستة ايام من ايام الاخرة كل يوم مقداره الف سنة وهو بعيد لان التعريف لا بد وان يكون بامر معلوم لا بامر مجهول
فان قيل لم قدر الخلق والايجاد بهذا التقدير فالجواب على قول اهل السنة المشية والمقدرة كافية للتخصيص وقالت
المعتزلة لا بد من حكمة وهو ان التخصيص بهذا المقدار اصلح وهذا بعيد لوجهين الاول ان حصول تلك الحكمة اما ان
يكون واجبا لذاته او جايزا فان كان واجبا وجب ان لا يتغير فيكون حاصلا فى كل الازمنة فلا يصلح ان يكون سببا لزمان
معين وان كان جايزا افتقر حصول تلك الحكمة فى ذلك الوقت الى مخصص اخر ولزم التسلسل الثانى ان التفاوت بان
واحد لا يصل اليه عقل المكلف فحصول ذلك التفاوت لما لم يكن مشعورا به كيف يقدح فى حصول المصالح واعلم انه
يجب على المكلف على كل قول ان يقطع الطمع على امثال هذه الاسوله فانه بحر لا ساحل له كتقدير ملايكة النار بتسعة عشر
وحملة العرش بثمانية والمشهور باثنى عشر والسموات بالسبع وعدد الصلوات ومقادير النصب فى الزكوات وكذا
الحدود والكفارات فالاقرار بكل ما قاله تبارك وتعالى حق هو الدين والواجب ترك البحث عن هذه الاشيا وقد نص
الله تعالى على ذلك فى قوله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم
مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب ايضا فى انه لم
يخلقها فى لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه انما خلقها فى ستة ايام وهو يقدر ان يخلقها
فى لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل ثم خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين قوله ثم استوى على العرش
لا يجوز حمله على الاستيلاء والقدرة لان اوصاف الله تعالى لم تزل فلا يصح دخول ثم فيه ولا على الاستقرار لانه يقتضى
التغير الذى هو دليل الحدوث ويقتضى التركيب وكل ذلك على الله محال بل المراد منه خلق العرش ورفعه فان قيل

يلزم ان يكون خلق العرش بعد خلق السموات وليس كذلك لقوله تعالى وكان عرشه على الماء فالجواب كلمة ثم ما دخلت على خلق
العرش بل على رفعه على السموات قوله الرحمن قرأ العامة بالرفع وفيه اوجه احدها انه خبر الذي خلق او خبر مبتدأ مضمر
اى هو الرحمن ولهذا اجاز الزجاج وغيره الوقف على العرش ثم يبتدئ الرحمن الذي لا ينبغي السجود والتعظيم الا له او يكون
بدلا من الضمير في استوى او يكون مبتدأ وخبره الجملة من قوله فاسئل على رأي الاخفش كقوله وقائلة خولان فانكح فتاتهم
او يكون صفة للذي خلق والذي خلق صفة للحي فقط لئلا يفصل بين النعت ومنعوته باجنبي قوله فاسئل به في الباء قولان احدهما
هي على بابها وهي متعلقة بالسؤال والمراد بالخبير الله تعالى ويكون من التجريد كقولك رأيت به اسدا والمعنى فاسئل الله الخبير بالاشياء
قال الزمخشري او فاسأل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به اسدا او برؤيته انتهى قال الكلبي فاسأل به خبيرا به فقوله به يعود الى
ما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش والباء من صلة الخبير وذلك الخبير هو الله تعالى لانه لا دليل في العقل
على كيفية خلق السموات والارض ولا يعلمها احد الا الله تعالى فخبيرا مفعول سل على هذا او منصوب على الحال المؤكدة واستضعفه
ابو البقاء قال ويضعف ان يكون خبيرا حالا من فاعل اسأل لان الخبير لا يسأل الا على جهة التوكيد كقوله وهو الحق مصدقا
ثم قال ويجوز ان يكون حالا من الرحمن اذا رفعته باستوى والثاني ان تكون الباء بمعنى عن اما مطلقا واما مع السؤال
خاصة كهذه الآية الكريمة وكقول علقمة بن عبيدة فان تسألوني بالنساء فانني خبير بادواء النساء طبيب والضمير في الله تعالى
وخبيرا من صفات الملك وهو جبريل صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما ان ذلك الخبير هو جبريل وانما قدم
لرؤس الآي وحسن النظم وهذا قول الزجاج والاخفش ويجوز على هذا ان يكون خبيرا من صفات جبريل ان يكون الباء على
بابها وهي متعلقة بخبيرا كما تقدم اى فاسأل الخبير به وقال ابن جرير الباء به صلة والمعنى فاسئله خبيرا وخبيرا نصب
على الحال وقيل قوله يجري مجرى القسم كقوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والله تعالى اعلم قوله تعالى واذا
قيل لهم اسجدوا للرحمن الآية قال اكثر المفسرين الرحمن اسم من اسماء الله تعالى مكتوب في الكتب المتقدمة والعرب
ما عرفوه قال مقاتل ان ابا جهل قال ان الذي يقول شعر فقال صلى الله عليه وسلم الشعر غير هذا ان هذا الا كلام الرحمن
فقال ابو جهل بخ بخ لعمري والله انه لكلام الرحمن الذي باليمامة هو يعلمك فقال صلى الله عليه وسلم الرحمن الذي هو اله
السماء ومن عنده يأتيني الوحي فقال يا آل غالب من يعذرني من محمد يزعم ان الله واحد وهو يقول الله يعلمني والرحمن
الستم تعلمون انهما الهان قال القاضي والاقرب ان مراده انكار الله عز وجل لا الاسم لان هذه اللفظة عربية
وهم كانوا يعلمون انها تفيد المبالغة في الانعام ثم ان قلنا انهم كانوا منكرين لله كان قولهم وما الرحمن سؤال عن الحقيقة
كقول فرعون وما رب العالمين وان قلنا انهم كانوا مقرين بالله لكنهم جهلوا كونه تعالى مسمى بهذا الاسم كان قولهم وما
الرحمن سؤال عن هذا الاسم قوله انسجد لما تأمرنا قرأ الاخوان يأمرنا بياء الغيبة يعنون محمدا كان بعضهم قال
لبعض انسجد لما يأمرنا محمد او يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو والباقون بالخطاب يعني لما تأمرنا انت يا محمد وما
يجوز ان يكون بمعنى الذي والعائد محذوف لانه متصل لانه امر يتعدى الى الثاني باسقاط الحرف ولا حاجة الى التدريج
الذي ذكره ابو البقاء وهو ان الاصل لما تأمرنا بالسجود له ثم بسجوده ثم تأمرناه ثم تأمرنا كذا قدره ثم قال هذا على
مذهب ابي الحسن واما على سيبويه ويجوز ان تكون موصوفة والكلام في عائدها موصوفة كهي موصولة ويجوز ان تكون
مصدرية وتكون اللام للعلة اى انسجد من اجل امرك وعلى هذا يكون المسجود له محذوفا اى انسجد للرحمن لما تأمرنا
وعلى هذا لا تكون ما واقعة على العالم وفي الوجهين الاولين تحتمل ذلك وهو المتبادر للفهم قوله وزادهم نفورا هو
القائل لهم اسجدوا للرحمن نفورا عن الدين والايمان ومن حقه ان يكون باعثا على الفعل والقبول قال الضحاك
سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان بن مظعون وعمرو بن عبيدة رضي الله عنهم ولما رأى
المشركون يسجدون تباعدوا الى ناحية المسجد مستهزئين فهذا هو المراد من قوله وزادهم نفورا اي فزادهم
سجودهم نفورا قوله تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا الآية لما حكى مزيد نفور الكفار عن السجود وذكروا ما
لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود والعبادة للرحمن فقال تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا تقدم القول
في تبارك قال الحسن ومجاهد وقتادة ورواية عن ابن عباس البروج هي النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها
لان اشتقاق البرج من التبرج وهو الظهور وقال عطية العوفي البروج هي القصور العالية لانها هذه الكواكب
كالمنازل لسكانها وهذا اولى لقوله تعالى وجعل فيها اى في البروج فان قيل لم لا يجوز ان يكون قوله فيها راجعا
الى السماء دون البروج فالجواب لان البروج اقرب فعود الضمير اليها اولى وروى عطاء عن ابن عباس هي
البروج الاثنى عشر قوله وجعل فيها سراجا قرأ الجمهور بالافراد والمراد به الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا
ويؤيده ايضا ذكر القمر بعده والاخوان سرجا بضمتين جمعا نحو حمر في حمار وجمع باعتبار الكواكب النيرات وانما
ذكر القمر تشريفا له كقوله تعالى وجبريل وميكال بعد انتظامهما في الملائكة وقرأ الاعمش والنخعي وابن وثاب
كذلك الا انه بسكون الراء تخفيفا والحسن والاعمش والنخعي وعاصم في رواية عصمة وقمرا بضمة وسكون وهو

جح

جمع قمر كالحمر في حمار والمعنى وذا الباء قمر منيرا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ثم التفت الى المضاف بعد حذفه
فوصفه تمييزا ولو لم يعتبره لقال منيرة ونظير مراعاته بعد حذفه قول حسان يسقون من ورد البريص عليهم
بردى يصفق بالرحيق السلسل الاصل ماء بردى فحذفه ثم راعاه في قوله يصفق بالياء من تحت ولو لم يكن ذلك لقال
تصفق بالتاء من فوق على ان بيت حسان يحتمل ان يكون كقوله ولا ارض ابقل ابقالها مع ان ابن كيسان يجيزه سعة
وقال بعضهم لا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة
الآية في خلفة وجهان احدهما انه مفعول ثان والثاني انه حال بحسب القولين في جعل وخلفة يجوز ان يكون
مصدرا من خلفه يخلفه اذا جاء مكانه وان يكون اسم هيئة منه كالركبة وان يكون من الاختلاف كقوله رحمة
الله تعالى عليه ولها بالماطرون اذا اكل النمل الذي جمعا خلفة حتى اذا ارتبعت سكنت من جلق بيعا
في بيوت وسط سكرة حولها الزيتون قد ينعا ومنه قول زهير بها العين والارآم يمشين خلفة وافرد خلفة
قال ابو البقاء لان المعنى يخلف احدهما الآخر فلا يتحقق هذا الا منهما قال ابن عباس رضي الله عنهما جعل كل واحد
منهما يخلف صاحبه فيما يحتاج ان يعمل فيه فمن فرط في عمل في احدهما قضاه في الآخر جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضي
الله عنه فقال فاتتني الصلاة الليلة فقال ادرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله جعل الليل والنهار خلفة وقال
مجاهد وقتادة والكسائي يقال لكل شيئين اختلفا هما خلفان فقوله خلفة اى مختلفين هذا اسود وهذا ابيض
وهذا طويل وهذا قصير والاول اقرب قوله لمن اراد ان يذكر قرأ العامة بالتشديد وقرأ حمزة بالتخفيف وعن ابي
ابن كعب يتذكر والمعنى لينظر الناظر في اختلافهما فيعلم انه لا بد في انتقالهما من حال الى حال من ناقل ومغير
فيتعظ واراد شكورا قال مجاهد اى شكر نعمة ربه فيهما والشكور بالضم مصدر شكر شكورا بمعنى الشكر وبالفتح
صيغة مبالغة قوله وعباد الرحمن الذين يمشون عباد الرحمن رفع بالابتداء وفي خبره وجهان احدهما الجملة
الاخيرة في آخر السورة اولئك يجزون وبه بدأ الزمخشري والذين يمشون وما بعده صفة للمبتدأ والثاني ان
الخبر يمشون والعامة على عباد واليماني عباد بضم العين وتشديد الباء جمع عابد والحسن عبد بضمتين والعامة
يمشون بالتخفيف مبنيا للفاعل واليماني والسلمي بالتشديد مبنيا للمفعول فصل هذه الاضافة للتخصيص
والتفضيل والا فالخلق كلهم عباد الله قوله هونا اما نعت مصدر اى مشيا هونا واما حال اى هينين والهون اللين
والرفق اى يمشون بالسكينة والوقار متواضعين ولا يضربون باقدامهم اشرا وبطرا ولا يتبخترون خيلاء وقال
الحسن علماء حلماء وقال محمد بن الحنفية اصحاب وقار وعفة لا يسفهون وان سفه عليهم حلموا واذا خاطبهم الجاهلون
يعني السفهاء بما يكرهونه قالوا سلاما قال مقاتل قولا يسلمون فيه من الاثم وقيل المعنى لا نجاهلكم وقيل المراد
حلمهم في مقابلة الجهل وقال الاصم قالوا سلاما اى سلام توديع لا تحية كقول ابراهيم عليه السلام لابيه سلام
عليك قال الكلبي وابو العالية نسختها آية القتال قوله سلاما يجوز ان ينتصب على المفعول به اى قالوا هذا
اللفظ قال الزمخشري اى قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الاذى والمراد سلامهم من السفه كقوله
الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وزعم سيبويه ان المراد بالسلام السلامة لا التسليم لان المؤمنين
لم يؤمروا قط بالتسليم على الكفرة وانما امروا بالمسالمة ثم نسخ ذلك ولم يذكر سيبويه في كتابه نسخا الا في هذه
الآية قوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما لما ذكر وصفهم بالنهار من وجهين احدهما ترك الايذاء
بقوله يمشون على الارض هونا والثاني تحمل الاذى بقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما شرح صفتهم
في الليل قال الزجاج كل من ادركه الليل قيل بات وان لم ينم كما يقال بات فلان قلقا والمعنى يبيتون لربهم سجدا
على وجوههم وقياما على اقدامهم قال ابن عباس من صلى بعد العشاء ركعتين فقد بات ساجدا وقائما وروي
عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن
صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة قوله سجدا خبر يبيتون ويضعف ان تكون تامة اى دخلوا في البيات
وسجدا حال ولربهم متعلق بسجدا وقدم السجود على القيام وان كان بعده في الفعل لاتفاق الفواصل وسجدا
جمع ساجد كضرب في ضارب وقرأ ابو البرهسم سجودا بزنة قعود وبيت هي اللغة الفاشية وازد السراة
وبجيلة يقولون ابات وهي لغة العوام اليوم قوله تعالى والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب
جهنم قال ابن عباس يقولون في سجودهم وقيامهم هذا القول قوله غراما اى لازما دائما وعن الحسن
كل غريم يفارق غريمه الا غريم جهنم وانشد لبشر بن ابي حازم ويوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما
وقول الاعشى ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي فغراما بمعنى لازم وقيل خسرانا ملحا
لازما ومنه الغريم لالحاحه والزامه ويقال فلان مغرم بالنساء اذا كان مولعا بهن وسأل ابن عباس
نافع بن الازرق عن الغرام فقال هو الوجع قوله تعالى انها ساءت مستقرا ومقاما يجوز ان يكون ساءت

بمعنى احزنت فتكون منصرفة ناصبة المفعول وهو هنا محذوف اى انها تبغى جهنم احزنت اصحابها ومستقرا يجوز
ان يكون تمييزا وان يكون حالا ويجوز ان يكون ساءت بمعنى بيست فتعطى حكمها ويكون المخصوص بالذم محذوفا
وفى ساءت ضمير مبهم مفسره مستقرا ومستقرا يتعين ان يكون تمييزا اى ساءت هى فهى مخصوص وهو الرابط
بين هذه الجملة وبين ما وقعت خبرا عنه وهو انها كذا قدره ابو حيان وقال ابو البقاء ومستقرا تمييز وساءت بمعنى
بيس **قال قيل** يلزم من هذا اشكال وذلك انه يلزم تانيث فعل الفاعل المذكر من غير مسوغ لذلك قال الفاعل
فى ساءت على هذا يكون ضميرا عايدا على ما بعده وهو مستقرا ومقاما وهما مذكران فمن اين جا التانيث **والجواب**
ان المستقر عبارة عن جهنم فلذلك جاز فعله ومثله قوله اوحرة عيطل ثبجا مجفرة
دعايم الزور نعمت زورق البلد ومستقرا ومقاما قيل مترادفان وعطف احدهما على الاخر لاختلاف لفظيهما
وقيل بل هما مختلفا المعنى فالمستقر للعصاة فانهم يخرجون والمقام للكفار فانهم مخلدون **قال قيل** انهم سالوا
الله ان يصرف عنهم عذاب جهنم لعلتين احديهما ان عذابها كان غراما والثانية انها ساءت مستقرا ومقاما
فما الفرق بين الوجهين **فالجواب** قال المتكلمون عقاب الكافر يجب ان يكون مضرة خالصة عن
شوايب النفع دايمة فقوله ان عذابها كان غراما اشارة الى كونه مضرة خالصة عن شوايب النفع وقوله
انها ساءت مستقرا ومقاما اشارة الى كونه دايما تحصلت المغايرة وقرات فرقة مقاما بفتح الميم اى مكان
قيام وقرات العامة بالضم وهى المطابقة للمعنى اى مكان اقامة وثوى وقوله انها ساءت مستقرا يحتمل ان يكون
من كلامهم فتكون منصوبة المحل بالقول وان يكون من كلام الله تعالى **قوله تعالى والذين اذا انفقوا لم**
يسرفوا ولم يقتروا قرا الكوفيون بفتح اليا وضم التاء من يقتروا وابن كثير وابو عمرو بالفتح والكسر ونافع وابن
عامر بالضم والكسر من اقتر وعليه وعلى المقتر قدره ورد عليه بان الاصمعى وغيره حكوا اقتر بمعنى ضيق وقرا
العلا بن سيابة واليزيدى بضم اليا وفتح القاف وكسر التاء مشددة من قتر بمعنى ضيق وكلها لغات والقتر
والاقتار والتقتير التضييق الذى هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد فى النفقة **فصل** المراد
من الاية القصد بين الغلو والتقصير كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
وسال ابن الورد بعض العلما ما البنا الذى لا سرف فيه قال ما سترك عن الشمس واكنك من المطر وقال
له ما الطعام الذى لا سرف فيه فقال ما سد الجوعة وقال له فى اللباس ما ستر عورتك وادفاك من البرد
وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك الاسراف فى النفقة فى معصية الله تعالى والاقتار منع حق
الله تعالى قال مجاهد لو انفق الرجل مثل قبيس ذهبا فى طاعة الله لم يكن سرفا وانشدوا
ذهاب المال فى حمد واجر ذهاب لا يقال له ذهاب وقيل السرف مجاوزة الحد فى التنعم والتوسع وان كان من حلال لانه
يودى الى الخيلا وكسر قلوب الفقرا **قوله تعالى وكان بين ذلك قواما** فى اسم كان وجهان اشهرهما انه ضمير يعود على الانفاق
المفهوم من قوله انفقوا اى وكان انفاقهم مستويا قصدا لا اسرافا ولا تقتيرا وفى خبرها وجهان احدهما هو قواما
وبين ذلك اما معمول له واما بكان عند من يرى اعمالها فى الظرف واما المحذوف على انه حال من قواما ويجوز ان
يكون بين ذلك قواما خبرين لكان عند من يرى ذلك وتم الجمهور خلافا لابن درستويه والثانى ان الخبر بين
ذلك وقواما حال مؤكدة والثانى من الوجهين الاولين ان يكون اسمها بين ذلك وبنى لاضافته الى غير
متمكن وقواما خبرها قاله الفرا قال الزمخشرى وهو من جهة الاعراب لا باس به ولكنه من جهة المعنى ليس بقوى
لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس فى الخبر الذى هو معتمد الفايدة فايدة قال شهاب
الدين وهو يشبه قولك كان سيد الجارية مالكها قال ثعلب القوام بالفتح العدل والاستقامة وبالكسر ما يدوم
عليه الامر ويستقر وقال الزمخشرى القوام العدل بين الشيين لاستقامة الطرفين واعتدالهما وبالكسر
ما يقام به الشى لا يفضل عنه ولا ينقص وقرا حسان بن عبد الرحمن قواما بكسر القاف فقيل هما بمعنى وقيل
بالكسر اسم ما يقام به الشى وقيل بمعنى سدادا وملاكا **قوله تعالى والذين لا يدعون الاية** قال ابن عباس ان
ناسا من اهل الشرك كانوا قد قتلوا واكثروا وزنوا فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذى تقول وتدعو
اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملناه كفارة فنزلت هذه الاية ونزل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله وروى ان رجلا قال يا رسول الله اى الذنب اكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال
ثم اى قال ثم ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال ثم اى قال ان تزانى حليلة جارك فانزل الله تصديقها
هذه الاية **قال قيل** ان الله تعالى ذكر ان من صفات عباد الرحمن الاحتراز عن الشرك والقتل والزنا فلو كان
الترتيب بالعكس كان اولى **فالجواب** ان الموصوف بتلك الصفات السالفة قد يكون متمسكا بالشرك
تدينا ويقتل الموودة تدينا ويزنى تدينا فبين تعالى ان المرء لا يصير بتلك الخصال وحدها من عباد

الرحمن حتى يجتنب هذه الكباير واجاب الحسن فقال المقصود من ذلك التنبيه على الفرق بين سيرة المسلمين وسيرة الكفار
كانه قال وعباد الرحمن هم الذين لا يدعون مع الله الها اخر وانتم تدعون ولا يقتلون وانتم تقتلون الموودة ولا يزنون
وانتم تزنون **قوله تعالى الا بالحق** يجوز ان تتعلق البا بنفس يقتلون اى لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بسبب
الحق وان تتعلق بمحذوف على انها صفة للمصدر اى قتلا ملتبسا بالحق او على انها حال اى الا ملتبسين بالحق **قال قيل**
من حل قتله لا يدخل فى النفس المحرمة فكيف يصح هذا الاستثنا **فالجواب** ان المقتضى لحرمة القتل قايم ابدا
وجواز القتل انما ثبت بمعارض فقوله حرم الله اشارة الى المقتضى وقوله الا بالحق اشارة الى المعارض والسبب المبيح
للقتل هو الردة والزنا بعد الاحصان وقتل النفس المحرمة **قوله تعالى ومن يفعل ذلك** هذه اشارة الى جميع ما تقدم لانه
بمعنى ما ذكر فلذلك وحد **قوله يلق** قراءة العامة بجزمه على جزا الشرط بحذف الالف وقرا عبد الله وابو رجا
يلقى باثباتها كقوله فلا تنسى على احد القولين وكقراءة لا تخف دركا ولا تخشى فى احد القولين ايضا وذلك بان
يقدر علامة الجزم حذف الضمة المقدرة وقرا بعضهم يلق بضم اليا وفتح اللام وتشديد القاف من لقاه
كذا والاثام مفعول على قراءة الجمهور ومفعول ثان على قراءة هولا والاثام العقوبة قال
جزى الله ابن عروة حيث امسى عقوقا والعقوق له اثام اى عقوبة وقيل هو الاثم نفسه اى يلق جزا اثم قاله
ابو مسلم والاثام والاثم واحد والمراد هنا جزا الاثام فاطلق اسم الشى على جزايه وقال الحسن الاثام اسم
من اسما جهنم وقال مجاهد اسم واد فى جهنم وقيل بير فيها وقرا ابن مسعود اياما جمع يوم يعنى شدايد
والعرب تعبر عن ذلك بالايام يقال ذو ايام لليوم العصيب **قوله تعالى يضاعف** قرا ابن مسعود عامر وابو
بكر برفع يضاعف ويخلد على احد وجهين اما الحال واما على الاستيناف والباقون بالجزم فيهما بدلا من يلق بدل
اشتمال ومثله قوله متى تاتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا فابدل من الشرط كما ابدل هنا
من الجزا وابن كثير وابن عامر على ما تقدم لهما فى البقرة من القصر والتضعيف فى العين ولم يذكر ابو حيان ابن
عامر مع ابن كثير وذكره مع الجماعة فى قراءتهم وقرا ابو جعفر وشيبة نضعف بالنون مضمومة وتشديد العين
العذاب نصبا على المفعول به وطلحة يضاعف مبنيا للفاعل اى الله العذاب نصبا وطلحة بن سليمان وتخلد بتا
الخطاب على الالتفات وابو حيوة ويخلد مشددا مبنيا للمفعول وروى عن ابى عمرو كذلك الا انه بالتخفيف **ومهانا**
حال وهو اسم مفعول من اهانه يهينه اى اذله واذاقه الهوان **فصل** قال القاضى بين الله تعالى المضاعفة
والزيادة يكون حالها فى الزيادة كحال الاصل فقوله ويخلد فيه اى ويخلد فى ذلك التضعيف وذلك انما حصل بسبب
العقاب على المعاصى فوجب ان يكون عقاب هذه المعاصى فى حق الكافر دايما واذا كان كذلك وجب ان يكون فى حق
المومن كذلك لان حاله فيما يستحق به لا يتغير سوا فعل مع غيره او منفردا **والجواب** لم لا يجوز ان يكون للاتيان
بالشى مع غيره اثر فى مزيد القبح الا ترى ان الشيين قد يكون كل واحد منهما فى نفسه حسنا وان كان الجميع قبيحا
وقد يكون كل واحد منهما قبيحا والجمع بينهما اقبح وسبب تضعيف العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصى مع الشرك
فيعذب على الشرك وعلى المعاصى فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وهذا يدل على ان الكفار مخاطبون
بفروع الاسلام **قوله تعالى الا من تاب** فيه وجهان احدهما وهو الذى لم يعرف الناس غيره انه استثنا متصل
لانه من الجنس والثانى انه منقطع قال ابو حيان ولا يظهر يعنى الاتصال لان المستثنى منه محكوم عليه بانه
يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفا التضعيف انتفا العذاب غير المضعف فالاولى عندى ان يكون استثنا
منقطعا اى لكن من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات واذا كان كذلك فلا يلقى عذابا
البتة قال شهاب الدين والظاهر قول الجمهور واما ما قاله فلا يلزم اذ المقصود الاخبار بان من فعل كذا فانه يحل به
ما ذكر الا ان يتوب واما اصابة اصل العذاب وعدمها فلا تعرض فى الاية له واعلم ان البحث الذى ذكره ابو
حيان ذكره ايضا ابن الخطيب فقال دلت الاية على ان التوبة مقبولة والاستثنا لا يدل على ذلك لانه
ثبت انه يضاعف له العذاب ضعفين فيكفى لصحة الاستثنا ان لا يضاعف للتايب العذاب ضعفين
وانما يدل عليه قوله فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات **فصل** نقل عن ابن عباس انه قال توبة
القاتل لا تقبل وزعم ان هذه الاية منسوخة بقوله تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا وقالوا نزلت الغليظة
بعد اللينة بمدة يسيرة وعن الضحاك ومقاتل بثمان سنين وتقدم فى سورة النسا **قال قيل** العمل الصالح
يدخل فيه التوبة والايمان فذكرهما قبل العمل الصالح حشوا **فالجواب** افردهما بالذكر لعلو شانهما
ولما كان لا بد معهما من ساير الاعمال لا جرم ذكر عقيبهما العمل الصالح **قوله تعالى فاولئك يبدل الله سياتهم**
حسنات قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة التبديل انما يكون فى الدنيا فيبدل الله تعالى قبايح
اعمالهم فى الشرك بمحاسن الاعمال فى الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المومنين قتل المشركين وبالزنا

اخصانا وعلة وقيل يبدل الله سيئاتهم التي عملوها في الاسلام حسنات قال الزجاج السيئة بعينها لا تصير حسنة
فالتاويل ان السيئة تمحى بالتوبة وتكتب الحسنة مع التوبة والكافر يحبط الله عمله وتثبت عليه السيئات
قوله تعالى سيئاتهم هو المفعول الثاني للتبديل وهو المقيد بحرف الجر وانما حذف لفهم المعنى وحسنات هو
الاول المسرح وهو الماخوذ والمجرور بالبا هو المتروك وقد صرح بهذا في قوله تعالى بدلنا لهم بجنتيهم
جنتين وقال تضحك مني اخت ذات النحيين ابدلك الله بلون لونين سواد وجه وبياض عينين
وتقدم تحقيق هذا في البقرة عند قوله ومن يبدل نعمة الله قوله تعالى ومن تاب وعمل صالحا الاية قال
بعض العلماء هذا في التوبة عن غير ما سبق ذكره في الاية الاولى من القتل والزنا اي تاب من الشرك وادى
الفرايض ممن لم يقتل ولم يزن فانه يتوب الى الله ليعود اليه بعد الموت متابا حسنا يفضل على غيره ممن قتل
وزنا فالتوبة الاولى وهي قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثاني رجوع الى الله للجزا والمكافاة وقيل
هذه التوبة ايضا عن جميع السيئات ومعناه من اراد التوبة وعزم عليها فليتب لوجه الله فقوله يتوب
الى الله خبر بمعنى الامر اي ليتب الى الله وقيل معناه وليعلم ان توبته ومصيره الى الله قوله تعالى والذين
لا يشهدون الزور في الزور وجهان احدهما انه مفعول به اي لا يحضرون الزور وفسر بالصنم واللهو
وقال اكثر المفسرين يعني الشرك والثاني انه مصدر والمراد شهادة الزور بحذف المضاف واقام المضاف
اليه مقامه قاله علي بن ابي طالب وقال ابن جريج الكذب وقال مجاهد اعياد المشركين وقيل النوح وقال
قتادة لا يساعدون اهل الباطل على باطلهم وكل هذه الوجوه محتملة واصل الزور تحسين الشي ووصفه بخلاف
صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم انه حق قوله تعالى واذا مروا باللغو اي باهله قال مقاتل اذا سمعوا من الكفار
الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقال الحسن والكلبي اللغو المعاصي كلها
مما يجب ان يلغى ويترك مروا كراما مسرعين معرضين يقال تكرم فلان عما يشينه اذا تنزه واكرم نفسه عنها
قوله تعالى والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا النفي متسلط على القيد وهو الصمم والعمى
اي انهم يخرون عليها لكن لا على هاتين الصفتين قال الزمخشري فقوله لم يخروا عليها ليس بنفي للخرور وانما
هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى انهم اذا ذكروا بها
خروا عليها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على الذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية
ويبصرون بعيون واعية كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين للحرص
الشديد على استماعها وهم كالصم والعميان حيث لا يفهمونها ولا يبصرون ما فيها وفيه تعريض بالمنافقين
قوله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا يجوز ان تكون من لابتدا الغاية اي هب
لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح وان تكون للبيان قاله الزمخشري وجعله من التجريد
اي هب لنا قرة اعين من ازواجنا كقولك رايت منك اسدا وقرا ابو عمرو والاخوان وابو بكر ذريتنا
بالتوحيد والباقون بالجمع سلامة وقرا ابو هريرة وابو الدردا وابن مسعود قرات بالجمع وقال الزمخشري انما هنا
باعين صيغة القلة دون عيون صيغة الكثرة ابدا بان عيون المتقين قليلة بالنسبة الى عيون غيرهم ورده
ابو حيان بان اعينا يطلق على العشرة فما دونها وعيون المتقين كثيرة فوق العشرة وهذا لا يحمل عليه لانه انما
اراد القلة بالنسبة الى كثرة غيرهم ولم يرد قدرا مخصوصا فصل اراد وا قرة اعين في الدين لا في الدنيا
من المال والجمال قال الزجاج يقال اقر الله عينك اي صادف فوادك ما تحبه وقال المفضل في قرة العين
ثلاثة اقوال احدها برد دمعها وهي التي تكون مع السرور ودمعة الحزن حارة الثاني فرحها لانه يكون
مع ذهاب الحزن والوجع الثالث حصول الرضى قوله تعالى واجعلنا للمتقين اماما في اماما وجهان احدهما
انه مفرد وجابه مفردا ارادة للجنس وحسنه كونه راس فاصلة قاله الفرا قال اماما ولم يقل ايمة كما
قال للاثنين انا رسول رب العالمين وقيل اراد ايمة كقوله فانهم عدو لي والمراد اجعل كل واحد منا اماما
كما قال نخرجكم طفلا واماما لاتحادهم واتفاق كلمتهم واما لانه مصدر في الاصل كصيام وقيام الثاني انه
جمع امم كحال وحلال او جمع امامة كقلادة وقلاد قال القفال وعندي ان الامام اذا ذهب به مذهب
الاسم وحد كانه قيل اجعلنا حجة للمتقين ومثله البينة يقال هولا بينة فلان فصل قال الحسن
نقتدي بالمتقين ويقتدي بنا المتقون وقال ابن عباس اجعلنا ايمة هداة كما قال وجعلنا هم
ايمة يهدون ولا تجعلنا ايمة ضلالة كقوله تعالى وجعلناهم ايمة يدعون الى النار وقيل هذا
من المقلوب اي واجعل المتقين اماما واجعلنا موتمين مقتدين بهم قاله مجاهد فصل قيل نزلت
الاية في العشرة المبشرين بالجنة قال بعضهم هذه الاية تدل على وجوب طلب الرياسة في الدين

والرهبة

والرهبة فيها قال ابراهيم عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الاخرين واحتج اهل السنة بهذه الاية على ان
افعال العبد مخلوق لله تعالى لان الامامة في الدين لا تكون الا بالعلم والعمل والعلم والعمل انما يكون بجعل الله وخلقه
قال القاضي المراد من هذا السوال الالطاف التي اذا اكثرت صاروا مختارين لهذه الاشيا فيصيرون ايمة والجواب
ان تلك الالطاف مفعولة لا محالة فيكون سوالها عبثا واعلم انه تعالى لما بين صفات المتقين المخلصين بين
بعده احسانه اليهم وهو قوله اولئك يجزون الغرفة اي يثابون الغرفة وهي الدرجة العالية والغرفة
مفعول ثان ليجزون والغرفة كل بنا مرتفع عال والجمع غرف قوله بما صبروا عليه ثم حذف بالتدريج والبا
للسببية كما تقدم وقيل للبدل كقوله فليت لي بهم قوما ولا حاجة الى ذلك وذكر الصبر ولم يذكر المصبور
عنه ليعم جميع انواع المشاق ولا وجه لقول من يقول المراد الصبر على الفقر خاصة قوله ويلقون فيها قرا
الاخوان وابو بكر بفتح اليا وسكون اللام من لقي يلقى والباقون بضمها وفتح اللام وتشديد القاف على تاديه للمفعول
كقوله ولقاهم نضرة وسرورا والتحية الدعا بالتعمير اي يقال احياك الله وقيل الملك والسلام يمكن ان يكون من الله
كقوله سلام قولا من رب رحيم ويمكن ان يكون من الملائكة لقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم ويمكن ان يكون من بعضهم على بعض قوله تعالى خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما اي موضع
قرار واقامة وهذا في مقابلة قوله سات مستقرا ومقاما اي ما اسوا ذلك واحسن هذا قوله تعالى قل ما
يعبوا بكم ربي قال مجاهد وابن زيد اي ما يصنع وما يفعل بكم وقال ابو عبيدة يقال ما عبات به شيا اي لم اعد
وجوده وعدمه سوا وقال الزجاج معناه لا وزن لكم عندي والعبو في اللغة الثقل وقال ابو عمرو بن العلا
ما يبالي بكم ويقال ما عبات بك اي ما اهتممت ولا اكترثت ويقال عبات الجيش وعباته اي هياته واعددته
قوله تعالى لولا دعاوكم جوابها محذوف لدلالة ما تقدم اي لولا دعاوكم ما عبا بكم ولا اكترث وما يجوز ان
تكون نافية وهو الظاهر وقيل استفهامية بمعنى النفي ولا حاجة الى التجوز في شي يصح ان يكون حقيقة بنفسه ودعاوكم
يجوز ان يكون مضافا للفاعل اي لولا تضرعكم اليه ويجوز ان يكون مضافا للمفعول اي لولا دعاوه اياكم الى الهدى
فصل في معنى هذا الدعا وجوه الاول لولا دعاوكم اياه في الشدايد كما قال فاذا ركبوا في الفلك دعوا
الله مخلصين له الدين الثاني لولا شكركم له على احسانه لقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم الثالث
لولا عبادتكم الرابع لولا ايمانكم وقيل المعنى ما خلقتكم ولي اليكم حاجة الا ان تسالوني فاعطيكم وتستغفروني
فاغفر لكم وقيل المعنى قل ما يعبا بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم اياه يعني انه خلقكم لعبادته كما قال وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقيل معناه ما يبالي بمغفرتكم ربي لولا دعاوكم معه
الهة او ما يفعل الله بعذابكم لولا شركم كما قال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم قوله فقد كذبتم
ايها الكافرون يخاطب اهل مكة يعني ان الله دعاكم بالرسول الى توحيده وعبادته فقد كذبتم الرسول ولم
تجيبوه وقرئ فقد كذب الكافرون قوله تعالى فسوف يكون لزاما اي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم وهذا عقاب
الاخرة ونظيره ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي ان احسن الى من يطيعني وقد عصيت فسوف
ترى ما احل بك بسبب عصيانك قوله لزاما قرئ بالفتح يعني اللزوم كالثبات والثبوت قال ابن عباس موتا
وقال ابو عبيدة هلاكا وقال ابن زيد قتالا والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى
يجازى بعمله وقال ابن جريج عذابا دايما لازما وهلاكا مفنيا يلحق بعضكم ببعض قال ابن مسعود وابي بن
كعب ومجاهد ومقاتل هو يوم بدر قتل منهم سبعون واتصل بهم عذاب الاخرة لازما لهم قال عبد الله بن مسعود خمس قد مضين
الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام فسوف يكون لزاما روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفرقان بعثه الله يوم القيامة وهو يومن ان الساعة اتية لا ريب فيها
وان الله يبعث من في القبور ودخل الجنة بغير حساب

سورة الشعرا

الا قوله والشعرا يتبعهم الغاوون الى اخرها فانها مدنية وهي مايتان وسبع وعشرون اية والف
ومايتان وسبع وتسعون كلمة وخمسة الاف وخمسماية واثنان وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى طسم تلك ايات الكتاب المبين اظهر حمزة نون سين قبل الميم لانه ناوي الوقف والادغام مثله واجب
والباقون يدغمون وتقدم اعراب الحروف المقطعة وفي مصحف عبد الله طس م مقطوعة من بعضها قيل وهي
قراة ابي جعفر يعنون انه يقف على كل حرف وقفة يميز بها كل حرف والا لم يتصور ان يلفظ بها على صورتها في هذا

الرسو. وقرا عيسى وتروى عن نافع بكسر الميم هنا وفي القصص على البناء امال الطا الاخوان وابو بكر وقد تقدم روى
عكرمة عن ابن عباس قال طسم عجزت العلماء عن علم تفسيرها وروى علي بن ابي طلحة الوالبي عن ابن عباس انه قسم
وهو من اسماء الله تعالى وقال قتادة اسم من اسماء القران وقال مجاهد اسم للسورة وقال محمد بن كعب القرظي
اقسم بطوله وسنايه وملكه تلك ايات اي هذه الايات ايات الكتاب المبين قوله لعلك باخع نفسك قرا قتادة
باخع نفسك على الاضافة والمعنى قاتل نفسك الا يكونوا مومنين اي ان لم يومنوا وذلك حين كذبه اهل مكة
فشق عليه ذلك وكان يحرص على ايمانهم فانزل الله هذه الاية وهذا تسلية للرسول اي لا تبالغ في الحزن والاسف
فصبره وعزاه وعرفه ان غمه وحزنه لا ينفع كما ان وجود الكتاب ووضوحه لا ينفع قوله تعالى ان نشا
ننزل العامة على نون العظمة فيهما وروى عن ابي عمرو فيهما اي ان يشا الله ينزل وان اصلها ان تدخل على المشكوك
او المحقق المبهم زمانه والاية من هذا الثاني قوله تعالى فظلت عطف على ينزل فهو في محل جزم ويجوز ان يكون
مستانفا غير معطوف على الجزاء ويويد الاول قراة طلحة فتظلل بالمضارع مفكوكا قوله تعالى خاضعين فيه
وجهان احدهما انه خبر عن اعناقهم واستشكل جمعه جمع سلامة لانه مختص بالعقلا واجيب عنه باوجه
احدها ان المراد بالاعناق الروسا كما قيل لهم وجوه وصدور وقال في محفل من نواصي الخيل مشهود الثاني انه على
حذف مضاف اي فظل اصحاب الاعناق ثم حذف وبقي الخبر على ما كان عليه قبل حذف المخبر عنه مراعاة للمحذوف
وتقدم ذلك قريبا عند قراة وقمرا منيرا الثالث انه لما اضيف الى العقلا اكتسب منهم هذا الحكم كما يكتسب
التانيث بالاضافة لمونث في قوله كما شرقت صدر القناة من الدم الرابع ان الاعناق جمع عنق من الناس وهم
الجماعة فليس المراد الجارحة البتة ومنه قوله ان العراق واهله عنق اليك فهيت هيتا وهذا قريب من
معنى الاول الا ان هذا القايل يطلق الاعناق على جماعة الناس مطلقا روسا كانوا او غيرهم الخامس قال الزمخشري
اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله كقولهم ذهبت
اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور قال شهاب الدين وفي التنظير بقوله ذهبت اهل اليمامة نظر لان اهل ليس مقحما البتة لانه
المقصود بالحكم واما التانيث فلاكتسابه التانيث السادس انها عوملت معاملة العقلا لما اسند اليهم ما يكون فعل
العقلا كقوله ساجدين وطايعين في يوسف والسجدة وقيل انما قال خاضعين لموافقة روس الاي والثاني انه
منصوب على الحال من الضمير في اعناقهم قاله الكسائي وضعفه ابو البقا قال لان خاضعين يكون جاريا على غير
فاعل ظلت فيفتقر الى ابراز ضمير الفاعل فكان يجب ان يكون خاضعين هم قال شهاب الدين ولم يجر خاضعين في
اللفظ والمعنى الا على من هو له وهو الضمير في اعناقهم والمسالة التي قالها هي ان يجري الوصف على غير من هو له في
اللفظ دون المعنى وكيف يلزم ما الزمه به على انه لو كان كذلك لم يلزم ما قاله لان الكسائي والكوفيين لا يوجبون ابراز
الضمير في هذه المسالة اذا امن اللبس فهو يلتزم ما الزمه به ولو ضعفه بمجي الحال من المضاف اليه لكان اقرب
على انه لا يضعف لان المضاف جزء من المضاف اليه كقوله ما في صدورهم من غل اخوانا قوله تعالى وما ياتيهم من ذكر
وعظ وتذكير من الرحمن محدث اي محدث انزاله فهو محدث في التنزيل قال الكلبي كلما نزل شي من القران بعد شي فهو احدث
من الاول وقوله الا كانوا جملة حالية وتقدم تحقيق هذا وما قبله في اول الانبيا ومعنى معرضين اي عن الايمان
به قوله تعالى فقد كذبوا اي بالغوا النهاية في رد ايات الله فسياتيهم اي فسوف ياتيهم انبا اخبار وعواقب ما كانوا
به يستهزون وذلك اما عند نزول العذاب عليهم في الدنيا او عند المعاينة في الاخرة كقوله تعالى ولتعلمن نباه
بعد حين قوله تعالى اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج اي صنف والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد
في بابه يقال وجه كريم اذا كان مرضيا في حسنه وجماله وكتاب كريم اذا كان مرضيا في فوايده ومعانيه والنبات
الكريم هو المرضي في منافعه مما ياكل الناس والانعام يقال نخلة كريمة اذا طاب حملها وناقة كريمة اذا اكثر لبنها
قال الشعبي الناس مثل نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لييم قوله كم انبتنا كم للتكثير وهي
خبرية وهي منصوبة بما بعدها على المفعول به اي كثيرا من الازواج انبتنا ومن كل زوج تمييز وجوز ابو البقا ان يكون
حالا ولا معنى له قال الزمخشري فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل انبتنا فيها من كل زوج كريم قلت قد دل
كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط قوله تعالى ان في ذلك الذي
ذكرت لاية دلالة على وجودي وتوحيدي وكمال قدرتي وقوله للمومنين كقوله هدى للمتقين لانهم المنتفعون بذلك
وما كان اكثرهم مومنين مصدقين اي سبق علمي فيهم ان اكثرهم لا يومنون وقال سيبويه كان هنا صلة مجازه
وما اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وانما قدم ذكر العزيز على ذكر الرحيم لانه لو لم يقدمه لكان ربما
قيل انه رحيم لعجزه عن عقوبتهم فازال هذا الوهم بذكر العزيز وهو الغالب القاهر ومع ذلك فانه رحيم بعباده
فان الرحمة اذا كانت عن القدرة الكاملة كانت اعظم وقعا فان قيل حين ذكر الازواج دل عليها بكلمتي الكثرة

والاحاطة

والاحاطة وكان لا يحصيها الا عالم الغيب فكيف قال ان في ذلك لاية وهلا قال لايات فالجواب من وجهين احدهما
ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال ان في ذلك الانبات لاية والثاني ان يراد ان في كل واحد
من تلك الازواج لاية قوله تعالى واذ نادى ربك موسى الاية العامل في اذ نادى مضمر فقدره الزجاج اتل
وقدره غيره اذكر واختلف في الندا الذي سمعه موسى عليه السلام من الله تعالى فقيل هو الكلام القديم فكما
ان ذاته تعالى لا تشبه ساير الذوات مع ان الدليل دل على انها معلومة ومرية فكذا كلامه منزه عن مشابهة
الحرف والصوت مع انه مسموع وقيل كان نداء من جنس الحروف والاصوات وقالت المعتزلة كان ذلك الندا
حروفا واصواتا علم به موسى من قبل الله تعالى فصار معجزا علم به موسى ان الله تعالى خاطبه فلم يحتج مع ذلك
الى واسطة قوله تعالى ان ايت القوم الظالمين يجوز ان تكون مفسرة وان تكون مصدرية اي بان قوله
قوم فرعون بدلا او عطف بيان للقوم الظالمين وقال ابو البقا انه معمول يتقون على قراة من قرا تتقون
بالخطاب وفتح النون كما سياتي ويجوز على هذه القراة ان يكون منادى قوله تعالى الا يتقون العامة على اليا في
يتقون وفتح النون والمراد قوم فرعون والمفعول محذوف اي يتقون عقابي والتقدير يا قوم فرعون وقرا
بعضهم يتقون باليا من تحت وكسر النون وفيها تخريجان احدهما ان يتقون مضارع ومفعوله يا المتكلم اجتزي
عنها بالكسرة والثاني جوزه الزمخشري ان يكون للندا واتقون فعل امر كقوله الا يا اسجدوا اي يا قوم
اتقون او يا ناس اتقون وسياتي تحقيق مثل هذا في السورة تحتها وهذا تخريج بعيد وفي هذه الجملة وجهان احدهما
انها مستانفة لا محل لها من الاعراب وجوز الزمخشري ان يكون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين
لله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال وخطاه ابو حيان من وجهين احدهما انه يلزم منه الفصل بين الحال
وعاملها باجنبي منهما فانه اعرب قوم فرعون عطف بيان للقوم الظالمين والثاني انه على تقدير تسليم ذلك
لا يجوز ايضا لان ما بعد الهمزة لا يعمل فيه ما قبلها قال وقولك جيت امسرعا ان جعلت مسرعا معمولا لجيت
لم يجز فان اضمرت عاملا جاز والظاهر ان الا للعرض وقال الزمخشري انها لا النافية دخلت عليها همزة الانكار
وقيل هي للتنبيه فصل نادى ربك موسى حين راى الشجرة والنار ان ايت القوم الظالمين يعني الذين
ظلموا انفسهم بالكفر والمعصية فحكم عليهم بالظلم من وجهين الاول ظلموا انفسهم بكفرهم والثاني ظلمهم
بني اسرايل باستعبادهم وسومهم سو العذاب عطف قوم فرعون على القوم الظالمين فهما يدلان لفظا على معنى
واحد الا يتقون اي الا يصرفون عن انفسهم عقوبة الله بطاعته ومن قرا يتقون بالخطاب فعلى الالتفات
اليهم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كمن يشكو من جناية والجاني حاضر فاذا اندفع في الشكاية
وحمي غضبه قطع بانه يخاطب صاحبه واقبل على الجاني يوبخه ويعنفه ويقول له الم تتق الله الم تستحي من الناس فان
قيل ما الفايدة في هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة والملتفت اليهم غايبون لا يشعرون
قلت اجرى ذلك في تكليم الرسل اليهم مجرى اجرايه بحضرتهم والقايه الى مسامعهم لانه مبلغه وله فيه لطف وحث
على زيادة التقوى وكم من اية نزلت في الكافرين وفيها نصيب للمومنين تدبرا لها واعتبارا بموردها قوله تعالى
قال رب اني اخاف ان يكذبون لما امر موسى عليه السلام بالذهاب الى قوم فرعون طلب موسى عليه السلام
ان يبعث معه هارون عليه السلام ثم ذكر الامور الداعية الى ذلك السوال فقوله ان يكذبون مفعول
اخاف اي اخاف تكذيبهم اياي قوله تعالى ويضيق صدري ولا ينطلق الجمهور على الرفع وفيه وجهان
احدهما انه مستانف اخبر بذلك والثاني انه معطوف على خبر ان وقرا زيد بن علي وطلحة وعيسى والاعمش
بالنصب فيهما والاعرج بنصب الاول ورفع الثاني فالنصب عطف على صلة ان فتكون الافعال الثلاثة
يكذبون ويضيق ولا ينطلق داخلة في حيز الخوف قال الزمخشري والفرق بينهما اي الرفع والنصب ان
الرفع فيه يفيد ان فيه ثلاث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب
على ان خوفه متعلق بهذه الثلاثة فان قلت في النصب تعليق الخوف بالامور الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق
اللسان وحقيقة الخوف انما تلحق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا على ما كان فكيف جاز تعليق
الخوف به قلت قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زايدة
على ما كان به على ان تلك الحبسة التي كانت به زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة فان قلت
اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعنى اني خايف ضيق الصدر غير منطلق اللسان قلت يجوز ان يكون
هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز ان يريد القدر اليسير الذي بقي قوله فارسل اي فارسل جبريل او الملك
وحذف المفعول به اي ليوازرني ويظاهرني على تبليغ الرسالة قيل ان الله تعالى ارسل موسى قال السدي
ان موسى عليه السلام سار باهله الى مصر والتقى بهارون وهو لا يعرفه فقال انا موسى فتعارفا وامره

ان يطلق معه الى فرعون لاداء الرسالة. وقيل ارسل جبريل اليه كما يرسل الى الانبيا عليهم السلام فلما كان متعينا
لهذا الامر حذف ذكر المرسل لكونه معلوما قوله تعالى ولهم علي ذنب اى دعوى ذنب وهو قتله للقبطي اى لهم علي ذنب
في زعمهم فاخاف ان يقتلون اى يقتلوني فقال الله تعالى كلا اى لن يقتلوك قوله تعالى فاذهبا عطف على ما دل عليه
حرف الردع من الفعل كانه قيل ارتدع عما تظن فاذهب انت واخوك بآياتنا انا معكم مستمعون سامعون ما يقولون
قال معكم بلفظة الجمع وهما اثنان اجراء لهما مجرى الجماعة. وقيل اراد معكما ومع بني اسرائيل نسمع ما يجيبكم فرعون فاتيا
فرعون فقولا انا رسول رب العالمين انما افرد رسولا اما لانه مصدر بمعنى رسالة والمصدر يوحد ومن مجي رسول
بمعنى رسالة قوله. لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول اى برسالة واما لانهما ذوو شريعة
واحدة فنزلا منزلة رسول. واما لان المعنى كل واحد منا رسول واما لانه من وضع الواحد موضع التثنية لتلازمهما
فصارا كالشيئين المتلازمين كالعينين واليدين وحيث لم يقصد هذه المعاني طابق في قوله انا رسولا ربك وقال
ابو عبيدة يجوز ان يكون الرسول بمعنى الاثنين والجمع تقول العرب هذا رسولي ووكيلي وهذان رسولي ووكيلي وهؤلاء
رسولي ووكيلي كما قال وهم لكم عدو قوله تعالى ان ارسل يجوز ان تكون مفسرة لرسول اذا قيل انه بمعنى الرسالة
شرحا للرسالة بهذا او بيانا لها به ويجوز ان تكون المصدرية اى رسول بكذا والمراد من هذا الارسال التخلية والاطلاق
كقولك ارسل البازي قوله تعالى الم نربك فينا وليدا اعلم ان في الكلام حذفا وهو انهما اتياه وقالا ما امر الله به
فعند ذلك قال فرعون ما قال. روي انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يوذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا
انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ايذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى فعدد
عليه نعمه اولا ثم اساءة موسى اليه اما النعم فهي قوله الم نربك فينا وليدا والوليد الصبي لقرب عهده من الولادة
وقيل الغلام تسمية له بما كان عليه ووليدا حال من مفعول وهو فعيل بمعنى مفعول قوله ولبثت فينا من عمرك
سنين قرا ابو عمرو في رواية بسكون ميم عمرك تخفيفا لفعل ومن عمرك حال من سنين قيل لبث عندهم ثلاثين سنة
وقيل وكز القبطي وهو ابن اثنى عشر سنة قوله وفعلت فعلتك قرا الشعبي فعلتك بالكسر على الهيئة لانها نوع من القتل
وهي الوكزة وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا. قال ابن عباس اى وانت من الكافرين لنعمتي اى وانت اذ ذاك ممن
يكفرهم الساعة وقد افترى عليه او جهل امره لانه كان يعاشرهم بالتقية فان الكفر غير جائز على الانبيا قبل النبوة
وان يكون مستانفا ومعناه وانت ممن عادته كفران النعم ومن كانت هذه حاله لم يستبعد منه قتل خواص وكل
نعمه. وقيل من الكافرين بفرعون والهيته او من الذين يكفرون في دينهم فقد كانت لهم الهة يعبدونها بدليل قوله
ويذرك والهتك قوله تعالى قال فعلتها اذا وانا من الضالين اذن هنا حرف جواب فقط قال الزمخشري انها جواب
وجزا معا قال فان قلت اذن حرف جواب وجزا معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزا قلت قول فرعون
وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله كان نعمته
كانت عنده جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزا. قال ابو حيان وهذا مذهب سيبويه يعني انها للجزا والجواب معا قال
ولكن شراح الكتاب فهموا انه قد يتخلف عن الجزا والجواب معنى لا زمها فصل اعلم ان فرعون عدد عليه نعما
من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل اجناده وعظم ذلك بقوله وفعلت فعلتك التي
فعلت ولما ذكر فرعون التربية وذكر القتل وكانت تربيته معلومة ما انكرها موسى عليه السلام وقد تقرر في
العقول ان الرسول الى الغير اذا كان معه معجز وحجة لم يتغير حاله بان يكون المرسل اليه انعم عليه او لم ينعم فصار
قول فرعون غير موثر فالاعراض عنه اولى ولكن اجاب عن القتل بما لا شي ابلغ منه في الجواب فقال فعلتها اذن
وانا من الضالين اى من الجاهلين اى لم ياتني من عند الله شي او من الجاهلين بان ذلك يودي الى قتله لانه وكزه
تاديبا ومثل ذلك ربما حسن. وقيل من المخطئين فبين انه فعله على وجه لا يجوز المواخذة به فيعد كافرا للنعمة
قوله تعالى ففررت منكم لما خفتكم العامة على تشديد الميم لما وهي التي هي حرف وجوب عند سيبويه او بمعنى حين
عند الفارسي وروي عن حمزة بكسر اللام وتخفيف الميم اى لتخوفي منكم وما مصدرية وهذه القراءة تشبه قراءته
في آل عمران لما آتيتكم وقد تقدمت مستوفاة. قال الزمخشري انما جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في
تمنها وعبدت لان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملايه المؤتمرين بقتله لقوله ان الملا
يأتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان والتعبيد فمنه وحده فصل المعنى اني فعلت ذلك الفعل وانا ذاهل عن
كونه مهلكا وكان مني في حكم السهو فلم استحق التخويف الذي يوجب الفرار ومع ذلك فررت منكم لما خفتكم عند
قولكم ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فتبين بذلك ان لا نعمة له عليه في الفعلة بل بان يكون مسيا فيه اقرب
فصل وقد ورد هذا الفرار على اربعة اوجه الاول بمعنى الهرب كهذه الاية ومثله قل لن ينفعكم الفرار ان
فررتم من الموت. الثاني بمعنى الكراهية قال تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه اى تكرهونه. الثالث بمعنى

اشتغال

اشتغال المرء بنفسه. قال تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه اى لا يلتفت اليهم لاشتغاله بنفسه. الرابع بمعنى التباعد
قال تعالى فلم يزدهم دعاي الا فرارا اى تباعدا ثم بين نعم الله عليه بعد الفرار فكانه قال اساتم واحسن الله الي بان
وهب لي حكما قرا عيسى حكما بضم الكاف اتباعا. والمراد بالحكم العلم قاله مقاتل وقيل النبوة والاول اقرب لان المعطوف
غير المعطوف عليه والنبوة مفهومة من قوله وجعلني من المرسلين قوله تعالى وتلك نعمة فيه وجهان. احدهما
انه خبر على سبيل التهكم اى ان كان ثم نعمة فليست الا لانك جعلت قومي عبيدا لك. وقيل حرف استفهام محذوف
لفهم المعنى اى اوتلك وهذا مذهب الاخفش وجعل من ذلك افرح ان ارزا الكرام. وقد تقدم هذا مشبعا في
النساء عند قوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وفي غيره. قال الزمخشري فان قلت تلك اشارة الى ماذا وان
اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها قوله تعالى ان عبدت فيه اوجه. احدها انها في محل رفع عطف
بيان لتلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع. الثاني انها في محل نصب مفعولا من اجله. الثالث
انها بدل من نعمة. الرابع انها بدل من هاء تمنها. الخامس انها مجرورة بباء مقدرة اى بان عبدت. السادس انها خبر
مبتدا مضمر اى هي ان عبدت. السابع انها منصوبة باضمار اعني والجملة من تمنها صفة لنعمة وتمن يتعدى بالبا
فقيل هي محذوفة اى تمن بها. وقيل ضمن تمن معنى تذكر ويقال عبدت الرجل واعبدته وتعبدته واستعبدته
اذا اتخذته عبدا فصل اختلفوا في تاويل ان عبدت فحملها بعضهم على الاقرار وبعضهم على الانكار فعلى كلا القولين
فهو جواب لقوله الم نربك فينا وليدا فمن قال هو اقرار قال عدها موسى نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل
ساير غلمان بني اسرائيل ولم يستعبده كما استعبد بني اسرائيل اى بلى وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل وتركتني
فلم تستعبدني ومن قال هو انكار قال قوله وتلك نعمة هو على طريق الاستفهام كقوله فهم الخالدون وقال الشاعر
تروح من الحي ام تبتكر وماذا يضرك لو تنتظر اى اتروح من الحي. وقال عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة
لم انس يوم الرحيل وقفتها وطرفها في دموعها غرق وقولها والركاب واقفة تتركني هكذا وتنطلق اى
اتتركني تقول تمن علي ان ربيتني وتنسى جنايتك على بني اسرائيل بالاستعباد والمعاملة القبيحة او يريد كيف تمن
علي بالتربية وقد استعبدت قومي ومن اهين قومه ذل فتعبدك بني اسرائيل قد احبط احسانك الي. وقال الحسن
استعبدت بني اسرائيل واخذت اموالهم وانفقت منها علي فلا نعمة لك بالتربية. وقيل ان الذي رباني هم الذين
استعبدتهم فلا نعمة لك علي لان التربية كانت من قبل امي ومن قومي ليس لك الا مجرد الاسم وهذا انما يعد انعاما
وقيل معناه تمن علي بالتربية وانت لولا استعبادك بني اسرائيل وقتلك اولادهم لما دفعت الي حتى ربيتني وكفلني
فانه كان لي من اهلي من يربيني ويكفلني ولم يلقوني في اليم فاي نعمة لك علي. وقيل معناه انك تدعي ان بني اسرائيل عبيدك
ولا منة للمولى على العبد في تربيته قوله تعالى وما رب العالمين انما اتى بما دون من لانها يسال بها عن طلب الماهية
كقولك ما العنقا ولما كان جواب هذا السؤال لا يمكن عدل موسى عليه السلام الى جواب ممكن فاجاب بصفاته
تعالى وخص تلك الصفات لانه لا يشاركه فيها احد وفيه ابطال لدعواه انه اله. وقيل جهل السؤال فاتى بما
دون من وليس بشي وقيل انما سال عن الصفات ذكره ابو البقا وليس بشي لان اهل البيان نصوا على انها يطلب
بها الماهيات وقد جاء من في قوله فمن ربكما يا موسى فصل اعلم ان فرعون لم يقل وما رب العالمين الا وقد
دعاه موسى الى طاعة رب العالمين ويدل على ذلك قوله تعالى فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين فلا
بد من انهما قالا ذلك حين دخلا عليه فعند ذلك قال فرعون وما رب العالمين يقول اى شي رب العالمين الذي
تزعم انك رسوله يستوصفه الهه الذي ارسله اليه وهو سوال عن جنس الشي والله منزه عن الجنسية فاجابه
موسى عليه السلام بذكر افعاله التي تعجز الخلق عن الاتيان بمثلها فقال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم
موقنين انه خلقها قال اهل المعاني كما توقنون هذه الاشيا التي تعاينونها فايقنوا انه اله الخلق هو الله عز وجل قوله
تعالى وما بينهما عاد ضمير التثنية على جمعين اعتبارا بالجنسين كما فعل ذلك في قوله. بين رماحي مالك ونهشل ولما
ذكر موسى عليه السلام هذا الجواب الحق تحير فرعون في جواب موسى فقال لمن حوله من اشراف قومه قال ابن عباس كانوا
خمسماية الا تستمعون على سبيل التعجب من جواب موسى يعني انا اطلب منه الماهية وهو يجيبني بالفاعلية. وقيل
استبعد جواب موسى وقال الا تستمعون لانهم كانوا يعتقدون ان الهتهم ملوكهم فزاد ثم موسى بيانا فقال ربكم
ورب آبائكم الاولين فعدل عن التعريف بخالقية السموات والارض الى التعريف بكونه تعالى خالقنا ولابائنا
وذلك لانه يمكن ان يعتقد ان السموات والارضين واجبة لذواتها فهي غنية عن الخالق ولا يمكن ان يعتقد
في نفسه وفي ابائه واجداده كونهم واجبين لذواتهم لان المشاهدة دلت على انهم وجدوا بعد العدم وعدموا
بعد الوجود وما كان كذلك استحال ان يكون واجبا لذاته واستحال وجوده الا بالموثر فكان التعريف بهذا
الاثر اظهر فلهذا عدل موسى عليه السلام اليه فقال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني ان المقصود

من سؤال طلب الماهية والحقيقة والتعريف بهذه الآثار الخارجية لا يفيد البتة تلك الخصوصية فهذا الذي يدعي الرسالة
مجنون لا يفهم السؤال فضلا عن ان يجيب عنه فقال موسى عليه السلام رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون
فعدل الى طريق ثالث اوضح من الثاني وذلك انه اراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار واراد بالمغرب غروب
الشمس وزوالها والامر ظاهر لان التدبير المستمر على الوجه العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر وهذا بعينه طريقة
ابراهيم عليه السلام مع نمرود فانه استدل اولا بالاحياء والاماتة وهو الذي ذكره موسى عليه السلام بقوله ربكم
ورب آبائكم الاولين فاجابه نمرود انا احيي واميت فقال ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب
فبهت الذي كفر وهو الذي ذكره موسى عليه السلام بقوله رب المشرق والمغرب واما قوله ان كنتم تعقلون فكأنه
عليه السلام قال ان كنت من العقلاء عرفت انه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرت لانك طلبت مني تعريف حقيقته
ولا يمكن تعريف حقيقته بنفس حقيقته ولا باجزاء حقيقته فلم يبق الا ان اعرف حقيقته وقد عرفت حقيقته
بآثار حقيقته فمن كان عاقلا يقطع بانه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرته وحقيقته غير معقولة للبشر فيستحيل من
موسى عليه السلام ان يذكر ما يعرف الحقيقة الا ان عدم العلم بتلك الخصوصية لا يقدح في صحة الرسالة فلما
انقطع فرعون عن الجواب ولزمته الحجة تكبر عن الحق وعدل الى التخويف و قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك
من المسجونين المحبوسين قال الكلبي كان سجنه اشد من القتل لانه كان يأخذ الرجل في مكان وحده فرد لا يسمع ولا يبصر
فيه شيئا يهوي به في الارض وقال لاجعلنك من المسجونين ولم يقل لاسجننك وهو اخص منه لان فيه مبالغة ليست
في ذاك او معناه لاجعلنك ممن عرفت حاله في سجوني فعند ذلك ذكر موسى كلاما مجملا ليتعلق قلبه به فيعدل عن وعيده
فقال اولو جئتك بشيء مبين اي هل يحسن ان يذكر هذا مع اقتداري على ان آتيك بدليلين يدلان على وجود الله وعلى
اني رسوله فعند ذلك قال فأت به ان كنت من الصادقين وانما قال موسى ذلك لان من اخلاق الناس السكون الى
الانصاف والاجابة الى الحق بعد البيان فقال فرعون فأت به فانا لن نسجنك حينئذ ان كنت من الصادقين قال
قيل كيف قطع الكلام بما لا تعلق له بالاول وهو قوله اولو جئتك بشيء مبين اي باية بينة والمعجزة لا تدل على الله لدلالة
سائر ما تقدم فالجواب بل يدل على ما اراد ان يظهره من انقلاب العصا حية على الله وعلى توحيده وعلى انه صادق في
ادعاء الرسالة فالذي ختم به كلامه اقوى من كل ما تقدم والواو في قوله اولو جئتك واو الحال دخلت عليها همزة
الاستفهام والمعنى اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي جائيا بالمعجزة وقال الحوفي هي واو العطف وتقدم تحرير
هذا عند قوله اولو كان اباؤهم في البقرة وغالب الجمل هنا تقدم اعرابها قوله تعالى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين
ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين واعلم ان قوله اولو جئتك بشيء مبين يدل على ان الله تعالى عرفه قبل القاء العصا
بانها تصير ثعبانا روي انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون تقول يا موسى
مرني بما شئت ويقول فرعون اسألك بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فعادت عصا قال قيل كيف قال
ثعبان مبين وفي اية اخرى فاذا هي حية تسعى وفي اية ثالثة كأنها جان والجان مائل الى الصغر والثعبان الى الكبر
فالجواب ان الحية اسم الجنس ثم لكبرها صارت ثعبانا وشبهها بالجان لخفتها وسرعتها فصح الكلامان ويحتمل
انه شبهها بالشيطان لقوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم ويحتمل انها كانت صغيرة كالجان ثم
عظمت فصارت ثعبانا ثم ان موسى عليه السلام لما اراه اية العصا قال فرعون هل غيرها قال نعم فاراه يده
ثم ادخلها جيبه ثم اخرجها فاذا هي بيضاء يضيء الوادي من شدة بياضها من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس فعند
هذا اراد فرعون تعمية هذه الحجة على قومه فذكر امورا احدها قال لهم ان هذا لساحر عليم وكان زمانهم زمان
السحرة فاوهمهم ان هذا اكبر من السحرة وثانيها قال يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وهذا موجب للتنفير عنه
لئلا يقبلوا قوله والمعنى يفرق جمعكم بما يلقيه من العداوة بينكم ومفارقة الوطن اصعب الامور وهذا نهاية
ما يفعله المضل المنفر عن الحق وثالثها قوله فماذا تأمرون اي ما رأيكم فيه فاظهر لهم من نفسه انه متبع لرأيكم
ومثل هذا موجب جذب القلوب وانصرافها عن العدو قوله حوله حال من الملأ ومعمول القول قوله ان هذا لساحر
عليم وقيل صلة للملأ فانه بمعنى الذي وقيل الموصول محذوف وهما قولان للكوفيين قال الزمخشري فان قلت
قوله تعالى للملأ حوله فما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب
اللفظي ما تقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي هو النصب على الحال قوله تعالى ارجه واخاه لما قال لهم فرعون تلك
الكلمات اتفقوا على جواب واحد وهو قولهم ارجه قرئ ارجه وارجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان
يقال ارجأته وارجيته اذا اخرته والمعنى اخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة ظنا منهم بانهم اذا اكثروا
وقيل احبسه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم اشاروا عليه بانفاذ حاشرين يجمعون السحرة
ظنا منهم بانهم اذا اكثروا غلبوه وكشفوا حاله وعارضوا قوله ان هذا لساحر عليم بقولهم بكل سحار عليم فجاؤا

بكلمة الاحاطة وبصيغة المبالغة ليطيبوا قلبه قوله تعالى فجمع السحرة لميقات يوم معلوم اليوم المعلوم يوم الزينة قال ابن
عباس وافق ذلك يوم السبت في اول يوم من السنة وهو يوم النيروز وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقت لهم
موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى قوله تعالى وقيل للناس هل انتم مجتمعون
والمعنى انهم بعثوا على الحضور ليشاهدوا ما يكون من الجانبين ولمن تكون الغلبة وكان موسى عليه السلام يطلب ذلك ليظهر
حجته عليهم عند الخلق العظيم قوله تعالى لعلنا نتبع السحرة اي نرجو ان تكون الغلبة لهم ان كانوا هم الغالبين لموسى وقيل
انما قالوا ذلك على طريق الاستهزاء وارادوا بالسحرة موسى وهارون وقومهما فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا
نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين فابتدءوا بطلب الجزاء وهو اما المال واما الجاه فبذل لهم ذلك واكده بقوله وانكم
اذا لمن المقربين لانها نهاية مطلوبهم البذل ورفع المنزلة قوله تعالى قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اعلم انهم لما اجتمعوا
كان لا بد من ابتداء موسى او ابتدائهم ثم انهم تواضعوا فقدموه على انفسهم وقالوا اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين
فلما تواضعوا له تواضع هو ايضا لهم فقدمهم على نفسه وقال القوا ما انتم ملقون قال قيل كيف جاز لموسى ان يامر السحرة
بالقاء الحبال والعصي وذلك سحر وتلبيس وكفر والامر بمثله لا يجوز فالجواب ليس ذلك بامر لان مراد موسى عليه السلام
ان يؤمنوا به ولا يقدموا على ما يجري مجرى المقابلة واذا ثبت ذلك وجب تأويل صيغة الامر وفيه وجوه احدها ان ذلك
الامر كان مشروطا والتقدير القوا ما انتم ملقون ان كنتم محقين كقوله فأتوا بسورة من مثله اي ان كنتم قادرين وثانيها
لما تعين ذلك طريقا الى كشف الشبهة صار جائزا وثالثها ان هذا ليس بامر بل هو تهديد اي ان فعلتم ذلك اتينا بما يبطله
كقول القائل لئن رميتني لافعلن ولاصنعن ثم يفوق له السهم فيقول له ارم فيكون ذلك منه تهديدا ورابعها انهم لما تواضعوا
وقدموه على انفسهم قدمهم على نفسه رجاء ان يصير تواضعه سببا لقبول الحق ولقد حصل ببركة ذلك التواضع ذلك المطلوب
قوله تعالى فالقوا حبالهم وعصيهم روي عن ابن عباس قال كانت الحبال مطلية بالزيبق والعصي مجوفة مملوءة من الزيبق
فلما حميت اشتدت حركتها فصارت كانها حيات تدب من كل جانب من الارض قوله تعالى بعزة فرعون يجوز ان يكون قسما
وجوابه انا لنحن الغالبون ويجوز ان يتعلق بمحذوف اي نغلب بسبب عزته يدل عليه ما بعده ولا يجوز ان يتعلق بالغالبون
لان ما في خبر ان لا يتقدم عليها قوله تعالى فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون تقدم خلاف القراء في تلقف وقال
ابن عطية هنا وقرأ البزي وابن فليح بشد التاء وفتح اللام بكلمة تلقف وبشد القاف ويلزم على هذه القراءة اذا ابتدأ ان تجلب
همزة الوصل وهمزة الوصل لا تدخل على الافعال المضارعة كما لا تدخل على اسماء الفاعلين قال ابو حيان كانه يخيل اليه انه لا يمكن الابتداء
بالكلمة الا باجتلاب همزة الوصل وهذا ليس بلازم كثيرا ما يكون الوصل مخالفا للوقف والوقف مخالفا للوصل ومن له دربة
في القراءات عرف ذلك قال شهاب الدين يريد قوله فاذا هي تلقف قال البزي بتشديد التاء الاصل تتلقف بتائين
فادغم فاذا وقف على هي وابتدأ بتلقف فحقه ان يفك ولا يدغم لئلا يبتدأ بساكن وهو غير ممكن وقول ابن عطية ويلزم
على هذه القراءة الى اخره تضعيف للقراءة لما ذكره من ان همزة الوصل لا تدخل على الفعل المضارع ولا يمكن الابتداء بساكن
فمن ثم ضعف وجواب الشيخ بمنع الملازمة الا انه كان ينبغي ان يبدل لفظة الوقف بالابتداء لانه هو الذي وقع الكلام فيه
عني الابتداء قوله تعالى فالقي قال الزمخشري فان قلت فاعل الالقاء ما هو لو صرح به قلت هو الله عز وجل ثم قال ولك ان لا تقدر
فاعلا لان القي بمعنى خروا وسقطوا قال ابو حيان وهذا ليس بشيء لانه لا يبنى الفعل للمفعول الا وله فاعل ينوب المفعول
به عنه اما انه لا يقدر له فاعل فقوله ذاهب عن الصواب فصل تقدم الكلام على نظير هذه الاية واعلم ان السحرة لما
شاهدوا امرا خارجا عن حد السحر لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الى الارض ساجدين وقالوا آمنا برب العالمين قوله تعالى
رب موسى وهارون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا عزله ومعنى اضافته اليهما
في ذلك المقام انه الذي دعا موسى وهرون عليهما السلام قوله تعالى آمنتم له قبل ان آذن لكم الايات لما آمنوا باجمعهم
لم يأمن فرعون ان يقول قومه ان هؤلاء السحرة على كثرتهم وبصيرتهم لم يؤمنوا الا عن معرفة بصحة امر موسى عليه
السلام فيسلكون طريقهم فلبس على القوم وبالغ في التنفير عن موسى من وجوه احدها قوله قبل ان آذن لكم والمعنى
ان مسارعتكم الى الايمان به دالة على ميلكم اليه فتطرق التهمة اليهم فلعلهم قصروا في السحر حيالة وثانيها قوله انه
لكبيركم الذي علمكم السحر وهذا تصريح بما رمز به اولا وتعريض منه بانهم فعلوا ذلك عن مواطأة بينهم وبين موسى وقصروا
في السحر ليظهروا امر موسى والا ففي قوة السحرة ان يفعلوا مثل ما فعل وهذه شبهة قوية في تنفير من قبل وثالثها قوله
فلسوف تعلمون وهو وعيد وتهديد شديد ورابعها قوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين
وهذا الوعيد المفصل وليس في الاهلاك اقوى منه ثم انهم اجابوا عن هذه الكلمات من وجهين الاول قوله تعالى لا ضير
انا الى ربنا منقلبون الضير والضرر واحد وليس المراد ان ذلك ان وقع وانما عنوا بالاضافة الى ما عرفوه من دار
الجزاء والجواب الثاني قوله تعالى انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا وهو اشارة منهم الى الكفر والسحر وغيرهما والطمع
في هذا الموضع يحتمل اليقين كقول ابراهيم عليه السلام والذي اطمع ويحتمل الظن لان المرء لا يعلم ما سيختاره من بعد

قوله تعالى ان كنا قرأ العامة بفتح ان اي لان كنا بينوا العذر بالايمان. وقرأ ابان بن تغلب وابو معاذ بكسر الهمزة وفيه وجهان
احدهما انها شرطية والجواب محذوف لفهم المعنى او متقدم عند من يجيزه نظيره قول القائل ان كنت عملت لي فوفني حقي يقوله
لمن يؤخر جعله. والثاني انها المخففة من الثقيلة واستغنى عن اللام الفارقة لارشاد المعنى الى الثبوت دون النفي
كقوله وان مالك كانت كرام المعادن. وفي الحديث ان كان رسول الله يحب العسل اي ليحبه والمعنى على الاول
لان كنا اول المؤمنين من الجماعة الذين حضروا ذلك الموقف او يكون المراد من السحرة خاصة او من رعية
فرعون او من اهل زمانهم قوله تعالى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي قرئ اسر بقطع الهمزة ووصلها لما ظهر من
امر موسى عليه السلام ما شاهدوه امره الله ان يخرج بني اسرائيل لما كان في المعلوم من تدبير الله في تخليصه من القوم
وتمليكه بلادهم واموالهم ولم يأمن وقد جرت تلك الغلبة الظاهرة ان يقع من فرعون ببني اسرائيل ما يؤدي
الى الاستئصال فلذلك امره الله تعالى ان يسري ببني اسرائيل وهم الذين امنوا وكانوا من قوم موسى عليه
السلام واعلم ان في الكلام حذفا وهو انه اسرى بهم كما امره الله تعالى ثم ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان
لنا في هذه الليلة عيدا ثم استعاروا منهم حليهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جانب البحر فلما سمع
فرعون ذلك ارسل في المدائن حاشرين يحشرون الناس يعني الشرط ليجمعوا السحرة وقيل ليجمعوا له الجيش روي
انه كان له الف مدينة واثنا عشر الف قرية وحاشرين مفعول لارسل ثم انه قوى نفسه ونفس قومه بان وصف
قوم موسى بالذم ووصف قوم نفسه بالمدح اما وصف قوم موسى عليه السلام بالذم فقال ان هؤلاء لشرذمة
معمول القول مضمرا اي فقال ان هؤلاء وهذا القول يجوز ان يكون حالا اي ارسلهم قائلا ذلك ويجوز ان يكون مفسرا
لارسل والشرذمة الطائفة من الناس وقيل كل بقية من شيء خسيس يقال له شرذمة ويقال ثوب شراذم اي
اخلاق قال جاء الشتاء وقميصي اخلاق. شراذم يضحك منه الخلاق. وانشد ابو عبيد في شراذم النعال وجمع الشرذمة
شراذم فذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع
السلامة الذي هو جمع القلة. ويجوز ان يريد بالقلة الذلة لا قلة العدد اي انهم لقلتهم لا يبالى بهم قال ابن
عباس كان الشرذمة الذين قللهم فرعون ستمائة الف مقاتل لا شاب فيهم دون عشرين سنة ولا شيخ يوفي على الستين
سوى الحشم وفرعون يقللهم لكثرة من معه وهذا الوصف قد استعمل في الكثير عند الاضافة الى ما هو اكثر منه
فروي ان فرعون خرج على فرس ادهم حصان وفي عسكره على لون فرسه ثمانمائة الف قوله تعالى وانهم لنا
لغائظون يقال غاظه واغاظه وغيظه اذا اغضبه والغيظ الغضب. والمعنى انهم يفعلون افعالا تغيظنا
واختلفوا في تلك الافعال فقيل اخذهم الحلي وغيره. وقيل خروجهم عن عبوديته. وقيل مخالفتهم له في الدين
وقيل لانهم لم يتخذوا فرعون الها. واما وصف قومه فهو قوله وانا لجميع حذرون قرأ الكوفيون وابن ذكوان
حاذرون بالالف والباقون حذرون بدونها فقال ابو عبيدة هما بمعنى واحد يقال رجل حذر وحذر وحاذر
والحاذر ما عرض له ذلك. وقيل الحذر المتسلح الذي له شوكة سلاح وانشد سيبويه في اعمال حذر على انه مثال
مبالغة محول من حاذر قوله حذر امورا لا تضير وآمن ما ليس منجيه من الاقدار وزعم بعضهم ان سيبويه لما سأله
ان يحفظ شيئا في اعمال فعل صنع له هذا البيت فعيب على سيبويه كيف يأخذ الشواهد الموضوعة وهذا غلط فان
هذا الشخص قد اقر على نفسه بالكذب فلا يقدح قوله في سيبويه والذي ادعى انه صنع البيت هو الاخفش
وحذر يتعدى بنفسه قال تعالى يحذر الآخرة. وقال العباس بن مرداس. واني حاذر اعني سلاحي.
الى اوصال ذيال صنيع. وقرأ ابن السميفع وابن ابي عمار حادرون بالدال المهملة من قولهم عين حدرة
اي عظيمة كقوله. وعين لها حدرة بدرة. والمعنى عظيما وقيل الحادر القوي الممتلئ وحكي رجل حادر اي ممتلئ غيظا
ورجل حادر اي احمق كانه ممتلئ من الحمق قال. احب الغلام السوء من اجل امه. وابغضه من بغضها وهو حادر.
ويقال ابصار رجل حادر اذا كان يغيظ مبالغة في حادر من هذا المعنى فصار يقال حذر وحذر وحاذر بالذال
المعجمة والمهملة والمعنى مختلف واعلم ان الصفة اذا كانت جارية على الفعل وهو اسم الفاعل واسم المفعول
كالضارب والمضروب افادت الحدوث واذا لم يكن كذلك وهي المشبهة ذهب الى معنى انا قوم من عادتنا الحذر
واستعمال الحذر ومن قرأ حادرون بالدال المهملة فكانه ذهب الى نفي الحذر اصلا لان الحادر هو السمين
فاراد انا قوم اقوياء اشداء واراد انا شاكون في السلاح والغرض من هذه التقادير ان لا يتوهم اهل المدائن
انه منكسر من قوم موسى او خائف منهم قوله تعالى فاخرجناهم اي خلقنا في قلوبهم داعية الخروج فاستلزمت
الداعية الفعل فكان الفعل مضافا الى الله تعالى لا محالة وقوله من جنات وعيون وكنوز اي اخرجناهم من بساتينهم
التي فيها عيون الماء وكنوز الذهب والفضة قال مجاهد سماها كنوزا لانه لم يعط حق الله منها وما لم يعط حق الله منه فهو
كنز وان كان ظاهرا قوله تعالى ومقام قرأ العامة بفتح الميم وهو مكان القيام وقتادة والاعرج بضمها وهو مكان

الاقامة. والمراد بالكريم الحسن قال المفسرون هي مجالس الامراء والرؤساء التي كانت تحفها الاتباع. وقيل المواضع
التي كانوا يتنعمون فيها قوله كذلك فيه ثلاثة اوجه. قال الزمخشري يحتمل ثلاثة اوجه النصب على اخرجناهم مثل ذلك
الاخراج الذي وصفنا والجر على انه وصف لمقام اي ومقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر
لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك قال ابو حيان فالوجه الاول لا يسوغ لانه يؤول الى تشبيه الشيء بنفسه وكذلك
الوجه الثاني لان المقام الذي كان لهم هو المقام الكريم فلا يشبه الشيء بنفسه. قال شهاب الدين وليس
في ذلك تشبيه الشيء بنفسه لان المراد في الاول اخرجناهم اخراجا مثل الاخراج المعروف المشهور وكذلك الثاني
قوله تعالى واورثناها عطف على فاخرجناهم اي واورثناها بهلاكهم بني اسرائيل وذلك ان الله تعالى رد بني اسرائيل
الى مصر بعد ما اغرق فرعون وقومه واعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال والمساكن قوله تعالى
فاتبعوهم قرأ العامة بقطع الهمزة من اتبعه اي الحقه وقرأ الحسن والحارث الذماري بوصلها وتشديد
التاء وهي بمعنى اللحاق وقوله مشرقين اي داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت كاصبح
وامسى اي دخل في هذين الوقتين وقيل داخلين نحو المشرق كانجد واتهم ومشرقين منصوب على الحال والظاهر
انه من الفاعل وقيل مشرقين بمعنى مضيئين. وفي التفسير ان بني اسرائيل كانوا في نور والقبط في ظلمة فعلى هذا
يكون مشرقين حالا من المفعول. قال شهاب الدين وعندي انه يجوز ان يكون حالا من الفاعل والمفعول اذا جعلنا
مشرقين داخلين في وقت الشروق او في مكان المشرق لان كلا من الفريقين كان داخلا في ذلك الزمان
او في ذلك المكان قوله تعالى فلما تراءى الجمعان اي تقابلا وراى بعضهم بعضا قرأ العامة تراءى بتحقيق الهمزة
وابن وثاب والاعمش من غير همز بل بتكون الهمزة مخففة بين بين لا بالابدال المحض لئلا يجتمع ثلاث الفات
الاولى الزائدة بعد الراء والثانية المبدلة من الهمزة والثالثة لام الكلمة لكن الثالثة لا تثبت وصلا لحذفها
لالتقاء الساكنين ثم اختلف القراء في امالة هذا الحرف فنقول هذا الحرف اما ان توقف عليه او لا فان وقف عليه
فحمزة يميل الفه الاخيرة ومن ضرورة امالتها امالة فتحة الهمزة المسهلة لانه اذا وقف على مثل هذه سهلها على مقتضى
مذهبه واما الالف الاولى اتباعا لامالة فتحة الهمزة ومن ضرورة امالتها امالة فتحة الراء قبلها وهذا هو الامالة
لامالة وغيره من القراء لا يميل شيئا من ذلك وقياس مذهب الكسائي ان يميل الالف الاخيرة وفتحة الهمزة قبلها
وكذا نقله ابن الباذش عنه وعن حمزة وان وصل فان الالف الاخيرة تذهب لالتقاء الساكنين وتذهب امالة
فتحة الهمزة وتبقى امالة الالف الزائدة وامالة فتحة الراء قبلها عنده اعتدادا بالالف المحذوفة وعند ذلك يقال
حذف السبب وبقي المسبب لان امالة الالف الاولى انما كان لامالة الالف الاخيرة كما تقدم تقريره وقد ذهبت
الاخيرة فكان ينبغي ان لا تمال الاولى لذهاب المقتضي لذلك ولكنه راعى المحذوف وجعله في قوة المنطوق ولذلك
نعى عليه ابو حاتم فقال وقراءة هذا الحرف بالامالة محال وقد تقدم في الانعام عند رأى القمر ورأى الشمس ما يشبه
هذا العمل قوله تعالى لمدركون العامة على سكون الدال اسم مفعول من ادرك اي لملحقون. وقرأ الاعرج
وابن عبيد بفتح الدال مشددة وكسر الراء قال الزمخشري المعنى متتابعون في الهلاك على ايديهم ومنه بيت
الحماسة. ابعد بني امي الذين تتابعوا. ارجي الحياة ام من الموت اجزع. يعني ان ادرك على افتعل لازم بمعنى فني
واضمحل يقال ادرك الشيء يدرك فهو مدرك اي فني تتابعا ولذلك كسرت الراء وممن نص على كسرها ابو
الفضل الرازي قال وقد يكون ادرك على افتعل بمعنى افعل متعديا ولو كانت القراءة من هذا الوجه فتح
الراء ولم يبلغني عنهما يعني عن الاعرج وعبيد الا الكسر فصل المعنى فلما تراءى الجمعان اي رأى كل فريق
صاحبه وقرئ فلما تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون وقالوا يا موسى اوذينا من قبل ان تأتينا
كانوا يذبحون ابناءنا ومن بعد ما جئتنا يدركوننا في هذه الساعة فيقتلوننا ولا طاقة لنا بهم فعند ذلك
قال موسى ثقة بوعد الله اياه كلا وذلك كالمنع مما توهموه اي لن يدركونا ان معي ربي سيهدين يدلني على طريق
النجاة قوله تعالى فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر لما قال موسى ان معي ربي سيهدين بين تعالى كيف هداه ونجاه
واهلك اعداءه فقال واوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق ولا بد بينها من جملة محذوفة اي فضرب فانفلق
وزعم ابن عصفور ان المحذوف انما هو ضرب وفاء انفلق وان الفاء الموجودة هي فاء فضرب فابقي من كل ما يدل على المحذوف
ابقى الفاء من فضرب ليدل على ضرب وابقى انفلق ليدل على الفاء المتصلة به قوله تعالى فكان كل فرق اختلف القراء في ترقيق
راء فرق فروي عن ورش الترقيق لاجل القاف وقرئ فلق باللام بدل الراء الموافقة فانفلق والطود الجبل العظيم المتطاول
في السماء فصل قال ابن جريج لما انتهى موسى الى البحر هاجت الريح والبحر ترمي بموج كالجبال فقال يوشع يا مكلم الله اين
امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا فقال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وجاز البحر ما يواري حافر دابته الماء وقال
الذي يكتم ايمانه يا مكلم الله اين امرت قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه ثم اقحمه البحر فارتسب

فى الماء وصنع القوم مثل ذلك فلم يقدر وانجعل موسى لا يدرى كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه
فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وهذا معجز عظيم من وجوه احدها ان تفرق ذلك الماء
معجز وثانيها ان اجتماع ذلك الماء فوق كل فرق منه حتى صار كالجبل معجز ايضا وثالثها انه ثبت فى الخبر انه تعالى ارسل
على فرعون وقومه من الرياح والظلمة ما حيرهم فاحتبسوا القدر الذى تكامل معه عدد بنى اسرائيل فى هذا معجز رابع
وخامسها ان جعل الله تعالى تلك المسالك حتى قرب آل فرعون فطمعوا ان يتخلصوا من البحر كما تخلص موسى عليه
السلام فهو معجز خامس **قوله تعالى وازلفنا** اى قربنا من النجاة **وثم** ظرف مكان للبعيد **والاخرين** ثم موسى واصحابه وقرأ
الحسن وابو حيوة وزلفنا ثلاثيا وقال ابو عبيدة ازلفنا جمعنا ومنه ليلة المزدلفة اى ليلة الجمع وفى القصة ان
جبريل كان بين بنى اسرائيل وقوم فرعون وكان يسوق بنى اسرائيل يقول ليلحق آخركم باولكم ويستقبل القبط ويقول
رويدكم ليلحق آخركم وقرأ ابى وابن عباس وعبد الله بن الحارث بالقاف اى ازللنا والمراد بالاخرين فى هذه القراءة
فرعون وقومه والمعنى جعلنا طريقهم فى البحر زلقا على خلاف ما جعله لبنى اسرائيل فلم يزلقهم فيه **قوله تعالى وانجينا
موسى ومن معه اجمعين** والمعنى انه تعالى جعل البحر يبسا فى حق موسى حتى خرجوا عنه واغرق فرعون ومن معه لانه لما
تكامل دخولهم البحر انطبق الماء عليهم فغرقوا **قوله تعالى ان فى ذلك لآية** اى ان الذى حدث فى البحر آية عجيبة من
الآيات العظام الدالة على قدرة الله تعالى لان احدا من البشر لا يقدر عليه وعلى حكمته وكون وقوعه مصلحة فى
الدين والدنيا وعلى صدق موسى لكونه معجزة له وعلى التحذير عن مخالفة امر الله ورسوله وفيه تسلية للنبى عليه
السلام لانه قد يغتم بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات عليه فنبهه الله تعالى بهذا الذكر على ان له اسوة بموسى وغيره
ثم قال **وما كان اكثرهم مؤمنين** اى من اهل مصر قيل لم يكن آمن من اهل مصر الا آسية امرأة فرعون وحزقيل المؤمن ومريم
بنت ناموسا التى دلت على عظام يوسف عليه السلام **وان ربك لهو العزيز** فى الانتقام من اعدائه **الرحيم** بعباده لانه
تعالى افاض عليهم اصناف نعمه وكان قادرا على ان يهلكهم فدل على كمال رحمته وسعة جوده وفضله **قوله تعالى واتل
عليهم نبأ ابراهيم الآيات** اعلم انه تعالى ذكر فى اول السورة شدة حزن محمد عليه السلام ثم ذكر قصة موسى ليعرف
محمد ان مثل تلك المحنة كانت حاصلة لموسى ثم ذكر عقيبها قصة ابراهيم ليعرف محمد ان حزن ابراهيم بهذا السبب
كان اشد من حزنه **قوله تعالى اذ قال** العامل فى اذ نبأ او اتل قاله الحوفى وهذا لا يتأتى الا على كون اذ مفعولا به وقيل
اذ بدل من نبأ بدل اشتمال وهو يؤول الى ان العامل فيه اتل بالتأويل المذكور **قوله وقومه** الهاء تعود على ابراهيم
لانه المحدث عنه وقيل تعود على ابيه لانه اقرب مذكور اى قال لابيه وقوم ابيه ويؤيده اى اراك وقومك حيث
اضاف القوم اليه **قوله تعالى ما تعبدون** اى شىء تعبدون وهو يعلم انهم عبدة الاصنام ولكنه سألهم ليريهم
ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول الرقيق جمال
وليس بمال **قوله نعبد اصناما** انما اتى الجواب بالتصريح فى الفعل ليعطفوا عليه قولهم فنظل افتخارا بذلك
وابتهاجا والا فكان قولهم اصناما كافيا كقوله تعالى قل العفو قالوا خيرا **قوله تعالى فنظل لها عاكفين**
العكوف الاقامة على الشىء قال بعض العلماء انما قالوا فنظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل يقال ظل
يفعل كذا اذا فعل بالنهار فقال ابراهيم عليه السلام منبها على فساد مذهبهم **هل يسمعونكم** لا بد من محذوف
اى يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فعلى الاول متعدية لواحد اتفاقا وعلى الثانى هى متعدية لاثنين
قامت الجملة المقدرة مقام الثانى وهو قول الفارسى وعند غيره الجملة المقدرة حال وتقدم تحقيق القولين
وقرأ قتادة ويحيى بن يعمر بضم الياء وكسر الميم والمفعول الثانى محذوف اى يسمعونكم الجواب **قوله اذ تدعون**
منصوب بما قبله وما بعده ماضيان معنى وان كانا مستقبلين لفظا لعمل الاول فى اذ ولعمل اذ فى الثانى وقال
بعضهم اذ هنا بمعنى اذا وقال الزمخشرى انه على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال التى كنتم
تدعونها فيها هل سمعوكم اذا اسمعوا وهل ابلغ فى التبكيت وقد تقدم انه قرئ بادغام ذال اذ واظهارها فى
التاء وقال ابن عطية ويجوز فيه قياس مذكر ونحوه ولم يقرأ به احد والقياس ان يكون اللفظ به اذ دعون
والذى منع من هذا اللفظ اتصال الدال الاصلية فى الفعل فكثرت المتماثلات يعنى فيكون اللفظ بدال مشددة
مهملة ثم بدال ساكنة مهملة ايضا قال ابو حيان وهذا لا يجوز لان هذا الابدال انما هو فى تاء الافتعال بعد
الذال والدال والزاى نحو ادهن وادكر وازدجر وبعد جيم شذوذا نحو اجدمعوا فى اجتمعوا وفى تاء الضمير
بعد الدال والزاى نحو فزد فى فزت وجلد فى جلدت وتاء تولج قالوا فيها دولج وتاء المضارعة ليس شيئا مما ذكر وقوله والذى
منع الى آخره يقتضى جوازه لو لم يوجد ما ذكر فعلى مقتضى قوله يجوز ان يقول فى اذ تخرج اذ خرج ولا يقول ذلك احد
بل يقولون اتخرج فيدغمون الذال فى التاء **فصل** تقرير هذه الحجة التى ذكرها ابراهيم عليه السلام ان من عبد
غيره لا بد ان يلتجئ اليه فى المسألة ليعرف مراده او يسمع دعاءه ثم يستجيب له فى بذل منفعة او دفع مضرة فقال

لهم اذا كان الذى تعبدونه لا يسمع دعاءكم حتى يعرف مقصودكم ولو عرف ذلك لما صح ان يبذل النفع او يدفع الضرر
فكيف تعبدون ما هذا صفته فعند هذه الحجة الباهرة لم يجدوا ما يدفعون به حجته الا التقليد **فقالوا بل وجدنا
آباءنا كذلك يفعلون** وهذا من اقوى الدلائل على فساد التقليد ووجوب التمسك بالاستدلال اذ لو قلبنا الامر فمدحنا
التقليد وذممنا الاستدلال لكان ذلك مدحا للطريقة الكفار التى ذمها الله وذما للطريقة ابراهيم التى مدحها الله
قوله كذلك منصوب بيفعلون اى يفعلون مثل فعلنا ويفعلون فى محل نصب مفعولا ثانيا لوجدنا **قوله تعالى
افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون** اراد به ان الباطل لا يتغير بان يكون قديما او حديثا ولا بان يكون
فى فاعليه كثرة او قلة **قوله تعالى فانهم عدو لى** اللغة الغالبة افراد عدو وتذكيره قال تعالى هم العدو وانما فعل
به ذلك تشبيها بالمصادر نحو الولوع والقبول وقد يقال اعداء وعدوة وقوله عدو لى على اصله من غير تقدير مضاف
ولا قلب لان العدو والصديق يجيئان فى معنى الوحدة والكثرة قال الشاعر • وقوم على ذوى مبرة اراهم عدوا وكانوا صديقا •
وتقدم الكلام فى نظيره عند قوله انا رسول وقيل المعنى فانهم عدو لى لو عبدتهم يوم القيامة كقوله سيكفرون بعبادتهم
ويكونون عليهم ضدا وقيل الاصنام لا تعادى لانها جماد فالتقدير فان عبادهم عدو لى **فان قيل** فلم لم يقل ان من يعبد
الاصنام عدو لى ليكون الكلام حقيقة **فالجواب** لان الذى تقدم ذكره هو ما عبدوه دون العابدين وقيل بل فى الكلام
قلب تقديره فانى عدو لهم وهذان مرجوحان لا تستقامة الكلام بدونهما **فان قيل** لم قال فانهم عدو لى ولم يقل فانها
عدو لكم **فالجواب** انه عليه السلام صور المسألة فى نفسه بمعنى انى فكرت فى امرى فرأيت عبادتى لها عبادة للعدو
فاجتنبتها واراهم انها نصيحة نصح بها نفسه فاذا تفكروا قالوا ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه فيكون ذلك ادعى الى
القبول **قوله تعالى الا رب العالمين** فيه وجهان احدهما انه منقطع اى لكن رب العالمين ليس بعدو لى وقال الجرجانى
فيه تقديم وتأخير اى افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون الا رب العالمين فانهم عدو لى والا بمعنى
دون وسوى والثانى انه متصل وهو قول الزجاج لانهم كانوا يعبدون الله والاصنام فقال ابراهيم كل من تعبدون
اعداء لى الا رب العالمين وقال الحسن بن الفضل معناه الا من عبد رب العالمين وقيل معناه فانهم غير معبود لى الا رب
العالمين ثم وصف معبوده وهو **قوله الذى خلقنى** يجوز فيه اوجه النصب على النعت لرب العالمين او البدل او عطف البيان
او على اضمار اعنى والرفع على خبر مبتدأ مضمر اى هو الذى خلقنى او على الابتداء و**فهو يهدين** جملة اسمية فى محل رفع خبرا له
قاله الحوفى ودخلت الفاء لتضمنه المبتدأ معنى الشرط وهذا مردود لان الموصول معين ليس عاما ولان الصلة
لا يمكن فيها التجدد فلم يشبه الشرط وتابع ابو البقاء الحوفى ولكنه لم يتعرض للفاء فان عنى ما عناه الحوفى فقد تقدم ما
فيه وان لم يعنه فيكون تابعا للاخفش فى تجويزه زيادة الفاء فى الخبر مطلقا نحو زيد فاضربه وقد تقدم تحريره واعلم
ان ابراهيم عليه السلام لما استثنى رب العالمين وصفه بما يستحق العبادة لاجله باوصاف احدها قوله الذى خلقنى
فهو يهدين وذلك لان الله تعالى اثنى على نفسه بهذين الامرين فى قوله الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى وقال
خلقنى بلفظ الماضى لان خلق الذات لا يتجدد فى الدنيا بل لما وقع بقى الى الامر المعلوم وقال فهو يهدين بلفظ المستقبل
لان الهداية مما تتكرر كل حين واوان سواء كانت تلك الهداية من المنافع الدنيوية بتمييز المنافع عن المضار او من
المنافع الدينية بتمييز الحق عن الباطل والخير عن الشر **قوله والذى هو يطعمنى ويسقين** يجوز ان يكون مبتدأ
وخبره محذوف وكذلك ما بعده ويجوز ان يكونوا اوصافا للذى خلقنى ودخول الواو جائز وقد تقدم تحقيقه فى
اول البقرة كقوله • الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم • واثبت ابن ابى اسحاق ويروى عن عاصم
ايضا ياء المتكلم فى يسقين ويشفين ويحيين **فصل** المعنى يرزقنى ويغذونى بالطعام والشراب ونبه بذكر
الطعام والشراب على ما عداهما **قوله واذا مرضت فهو يشفين** اضاف المرض الى نفسه وان كان المرض والشفاء
كله من الله استعمالا لحسن الادب كما قال الخضر فاردت ان اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما واجاب
ابن الخطيب باجوبة اخر منها ان اكثر اسباب المرض تحدث بتفريط الانسان فى مطاعمه ومشاربه وغير ذلك
ومن ثم قال الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم قالوا التخم ومنها ان الشفاء محبوب وهو من اصول النعم
والمرض مكروه وليس من النعم وكان مقصود ابراهيم عليه السلام تعديد النعم ولما لم يكن المرض من النعم
لا جرم لم يضفه الى الله فان نقضته بالاماتة فالجواب ان الموت ليس بضرر لان شرط كونه ضررا وقوع الاحساس
به وحال حصول الموت لا يحصل الاحساس به وانما الضرر فى مقدماته وذلك هو عين المرض ولان الارواح
اذا كملت فى العلوم والاخلاق كان بقاؤها فى هذه الاجساد عين الضرر وخلاصها عنها عين السعادة بخلاف
المرض **قوله والذى يميتنى ثم يحيين** والمراد منه الاماتة فى الدنيا والتخلص عن آفاتها والمراد من الاحياء المجازاة
ولذلك ادخل ثم ههنا للتراخى اى يميتنى فى الدنيا ويحيينى فى الآخرة **قوله تعالى والذى اطمع ان يغفر لى
خطيئتى يوم الدين** قرأ العامة خطيئتى بالافراد والحسن خطاياى جمع تكسير **فان قيل** لم قال والذى اطمع والطمع

عبارة عن الظن والرجاء وهو عليه السلام كان قاطعا بذلك **فالجواب** هذا الكلام لا يستقيم على مذهب اهل السنة
حيث قالوا لا يجب على الله لاحد شي وانه يحسن منه كل شي ولا اعتراض لاحد عليه في فعله واجاب الجبائي عنه من
وجهين الاول ان قوله والذي اطمع ان يغفر لي اراد به ساير المؤمنين لانهم الذين يطمعون ولا يقطعون به
والثاني المراد من الطمع اليقين وهو المروي عن الحسن واجاب الزمخشري بانه انما ذكره على هذا الوجه
تعليما لامته كيفية الدعا قال ابن الخطيب وهذه وجوه ضعيفة اما الاول فان الله تعالى حكى الثنا اولا
والمدح ثانيا من اول المدح الى اخر الدعا كلام ابراهيم عليه السلام فجعل الشي الواحد وهو كقوله والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين كلام غيره مما يبطل نظم الكلام ويفسده واما قوله ان الطمع هو اليقين على خلاف
اللغة واما الثالث وهو ان المراد تعليم الامة فباطل ايضا لان حاصله يرجع الى انه كذب على نفسه لغرض تعليم
الامة وانه باطل ايضا **قال قيل** لم اسند الى نفسه الخطيئة مع ان الانبيا منزهون عن الخطايا **فالجواب**
من وجوه احدها قال مجاهد هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هذه اختي وزاد الحسن
قوله للكواكب هذا ربي قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لان نسبة الكذب اليه غير جايز وثانيها انه ذكره على
سبيل التواضع وهضم النفس قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لانه ان كان صادقا في هذا التواضع فقد
لزم الاشكال وان كان كاذبا فيه فحينئذ يرجع حاصل الجواب الى الحاق المعصية به وهو منزه عن المعصية
وثالثها وهو الجواب الصحيح ان يحمل ذلك على ترك الاولى وقد يسمى ذلك خطا فان ملك جوهرة امكنه ان يبيعها بالف الف
دينار فباعها بدينار قيل انه اخطا وترك الاولى على ان الانبيا جايز **قال قيل** ما فايدة قوله يغفر لي **فالجواب** من وجوه
الاول ان الاب اذا عفى عن ولده والسيد عن عبده والزوج عن زوجته فانما يكون ذلك طلبا للثواب او لحسن
الثنا والمحمدة او دفعا للالم الحاصل من الرقة الجنسية واذا كان كذلك لم يكن عفوه لا رعاية جانب نفسه اما
لتحصيل ما ينبغي او لدفع ما لا ينبغي واما الاله سبحانه فانه كامل لذاته فيستحيل ان تحدث له صفات كمال لم تكن او يزول
عنه نقصان كان واذا كان كذلك لم يكن عفوه الا رعاية لجانب المعفو عنه فقوله يغفر لي معناه ان غفرانه لي ولاجلي
لا لاجل امر عايد اليه طلبه البتة وثانيها كانه قال خلقتني لا لي فانك حين خلقتني لم اكن موجودا فاذا اعفوت كان ذلك العفو
لاجلي فلما خلقتني اولا مع اني كنت محتاجا الى ذلك الخلق فلان تغفر لي والعفو عني حال ما اكون في اشد الحاجة الى العفو
والمغفرة كان اولى وثالثها ان ابراهيم كان من شدة استغراقه في المعرفة شديد الفرار عن الوسايط ولذلك لما قال له
جبريل الك حاجة قال اما اليك فلا فهاهنا قال اطمع ان يغفر لي خطيئتي اي بمجرد عبوديتي واحتياجي اليك تغفر لي خطيئتي
لا ان تغفرها بواسطة شفاعة شافع **قال قيل** لم علق غفران الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر في الدنيا **فالجواب**
لان اثرها يظهر يوم الدين وهو الان خفي لا يعلم **قوله تعالى رب هب لي حكما والحقني بالصالحين** لما حكى عن ابراهيم عليه
السلام ثناه على الله تعالى ذكر بعد ذلك دعاه ومسالته وذلك تنبيه على ان تقديم الثنا على الدعا من المهمات **قال**
قيل لم لم يقتصر ابراهيم على الثنا ولا سيما يروى عنه انه قال حسبي من سوالي علمه بحالي **فالجواب** عنه انه عليه السلام
انما ذكر ذلك حين اشتغاله بدعوة الخلق الى الحق لانه قال فانهم عدو لي الا رب العالمين ثم ذكر الثنا ثم ذكر الدعا لما ان
الشارع لا بد له من تعليم الشرع فاما حين خلا بنفسه ولم يكن غرضه تعليم الشرع اقتصر على قوله حسبي من سوالي علمه
بحالي واعلم ان قوله رب هب لي حكما والحقني بالصالحين اجابه الله تعالى بقوله وانه في الاخرة لمن الصالحين والمراد بالحكم
ادراك الحق لان النبوة كانت حاصلة له وتحصيل الحاصل محال وهذا قول مقاتل وقال ابن عباس معرفة حدود الله واحكامه
وقال الكلبي النبوة والحقني بالصالحين من قبلي من النبيين في المنزلة والدرجة **قوله تعالى واجعل لي لسان صدق في الاخرين**
اي ثنا حسنا وذكرا جميلا وقبولا عاما في الامم التي تجي بعدي قال ابن عباس اعطاه الله بقوله وتركنا عليه في الاخرين
فاهل الاديان يتولونه ويثنون عليه قال العيني وضع اللسان موضع القول على الاستعارة لان القول يكون به وقيل
المراد منه ان يجعل في ذريته في اخر الزمان من يكون داعيا الى الله تعالى وذلك هو محمد عليه السلام فالمراد من قوله
واجعل لي لسان صدق في الاخرين بعثة محمد صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى واجعلني من ورثة جنة النعيم** من ورثة اما
ان يكون مفعولا ثانيا او مستقرا او كاينا من ورثة واما ان يكون صفة لمحذوف وهو المفعول الثاني اي وارثا من ورثة
واعلم انه لما طلب سعادة الدنيا طلب بعدها سعادة الاخرة وهي جنة النعيم وشبهها بما يورث لانه الذي يغتنم في
الدنيا فشبه غنيمة الاخرة بغنيمة الدنيا **قوله تعالى واغفر لابي انه كان من الضالين** لما فرغ من طلب السوالات
الدنيوية والاخروية لنفسه طلبها لاشد الناس التصاقا به وهو الابوه وفيه وجهان الاول ان المغفرة مشروطة
بالاسلام وطلب المشروط متضمن لطلب الشرط فقوله واغفر لابي كانه دعا له بالاسلام الثاني ان اباه وعده
بالاسلام لقوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فدعا له قبل ان يتبين له انه عدو
لله كما سبق في سورة التوبة وقيل ان اباه قال له انه على دينه باطنا وعلى دين نمرود ظاهرا تقية وخوفا فدعا له

لاعتقاده

لاعتقاده ان الامر كذلك فلما تبين له خلاف ذلك تبرا منه ولذلك قال في دعايه انه كان من الضالين فلولا اعتقاده
فيه الحق في الحال لبين ضلاله لما قال ذلك **قوله تعالى ولا تخزني يوم يبعثون** قال الزمخشري الاخزا من الخزي وهو الهوان
ومن الخزاية وهو الحيا وهذه الاية تدل على انه لا يجب على الله شي كما تقدم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم
الدين **قال قيل** لم قال اولا واجعلني من ورثة جنة النعيم كان كافيا عن قوله ولا تخزني يوم يبعثون وايضا فقد
قال الله تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين فما كان نصيب الكفار فقط كيف يخافه المعصوم **فالجواب**
ان حسنات الابرار سيئات المقربين فكذا درجات الابرار خزي المقربين وخزي كل واحد بما يليق به قال الزمخشري
في يبعثون ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين **قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون** يوم لا ينفع بدل من يوم
قبله وجعل ابن عطية هذا من كلام الله تعالى الى اخر الايات مع اعرابه يوم لا ينفع بدلا من يوم يبعثون ورد ابو
حيان بان العامل في البدل هو العامل في المبدل منه او اخر مثله مقدر وعلى كلا هذين القولين لا يصح لاختلاف المتكلمين
واعلم ان الله تعالى قد اكرمه بهذا الوصف حيث قال وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم **قوله تعالى**
الا من اتى الله فيه اوجه احدها انه منقطع اي لكن من اتى الله بقلب سليم فانه ينفعه ذلك وقال الزمخشري
ولا بد لك مع ذلك من تقدير مضاف وهو الحال المراد بها السلامة وليست من جنس المال والبنين حتى يؤول
المعنى الى ان البنين والمال لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثنا معنى قال ابو حيان
ولا ضرورة تدعو الى حذف المضاف كما ذكر قال شهاب الدين انما قدر المضاف ليتوهم دخول المستثنى في المستثنى منه لانه
متى لم يتوهم ذلك لم يقع الاستثنا ولهذا منعوا صهلت الخيل الا الابل الا بتاويل الثاني انه مفعول به لقوله لا ينفع اي لا ينفع
المال والبنون الا هذا الشخص فانه ينفعه ماله المصروف في وجوه البر وبنوه الصلحا لانه علمهم واحسن اليهم الثالث
انه بدل من المفعول المحذوف او مستثنى منه اذ التقدير لا ينفع مال ولا بنون احدا من الناس الا من كانت هذه صفته
والمستثنى منه يحذف كقوله ولم يتبح الاجفن سيف ومئزرا اي ولم يتبح بشي الرابع انه بدل من فاعل ينفع فيكون
مرفوعا قال ابو البقا وغلب من يعقل فيكون التقدير الا مال من او بنو من فانه ينفع نفسه وغيره بالشفاعة قال
شهاب الدين وابو البقا خلط وجها بوجه وذلك انه اذا اردنا ان نجعله بدلا من فاعل ينفع قلنا فيه طريقان احديهما
طريقة التغليب اي غلبنا البنين على المال فاستثني من البنين فكانه قيل لا ينفع البنون الا من اتى من البنين بقلب
سليم فانه ينفع نفسه بصلاحه وغيره بالشفاعة والطريقة الثانية ان يقدر مضافا محذوفا قبل من اي الا مال
من او بنو من فصارت الاوجه خمسة ووجه الزمخشري اتصال الاستثنا بوجهين احدهما الا حال من اتى الله
بقلب سليم وهو من قوله تحية بينهم ضرب وجيع وما ثوابه الا السيف ومثاله ان يقال هل لزيد مال وبنون
فيقال ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة قلبه بدلا عن ذلك والثاني قال
وان شيت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله لان
غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه **فصل** وفي السليم ثلاثة اوجه قال ابن الخطيب
اصحها ان المراد منه سلامة النفس عن الجهل والاخلاق الرذيلة وقيل السليم الخالص من الشرك والشك فاما الذنوب
فليس يسلم منها احد وهذا قول اكثر المفسرين وقال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المومن لان
قلب الكافر والمنافق مريض قال الله تعالى في قلوبهم مرض وقيل السليم هو اللديغ من خشية الله وقيل السليم هو الذي
سلم واسلم وسالم واستسلم **قوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين** اي ان الجنة تكون قريبة من موقف السعدا ينظرون اليها
ويفرحون بانهم المحشورون اليها **وبرزت الجحيم للغاوين** اي اظهرت وقرا مالك بن دينار وبرزت بفتح الرا والبا خفيفة
مبنيا للفاعل مسندا للجحيم فلذلك رفع والمراد بالغاوين الكافرون **وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله هل**
ينصرونكم بمنعونكم من العذاب ينصرهم او ينفعون انفسهم بانتصارهم **قوله تعالى فكبكبوا** اي القوا وقلب بعضهم
على بعض قال الزمخشري الكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى
وقال ابن عطية نحوا منه قال وهو الصحيح لان تكرير الفعل بين نحو صر وصرصر وهذا هو مذهب الزجاج وفي مثل
هذا البنا ثلاثة مذاهب احدها هذا والثاني وهو مذهب البصريين ان الحروف كلها اصول والثالث وهو قول
الكوفيين ان الثالث مبدل من مثل الثاني فاصل كبكب كبب بثلاث باات ومثله لملم وكفكف هذا اذا صح المعنى بسقوط
الثالث فاما اذا لم يصح المعنى بسقوطه كانت كلها اصولا من غير خلاف نحو سمسم وخمخم والواو في كبكبوا قيل للاصنام اجرا
لها مجرى العقلا وقيل للعابدين لها **فصل** قال ابن عباس جمعوا وقال مجاهد دهوروا وقال مقاتل قذفوا وقال
الزجاج طرح بعضهم على بعض وقال العيني الغوا على روسهم والغاوون يعني الشياطين قاله قتادة ومقاتل
وقال الكلبي كفرة الجن **وجنود ابليس اجمعون** اتباعه من الجن والانس وقيل ذريته **قوله تعالى وهم فيها يختصمون**
جملة حالية معترضة بين القول ومعموله ومعموله الجملة القسمية **قوله تعالى ان كنا لفي** مذهب البصريين ان ان مخففة

واللام فارقة ومذهب الكوفيين ان ان نافية واللام بمعنى الا فصل المعنى قال الغاوون للشياطين والمعبودين وهم
يختصمون مع المعبودين ويجادل بعضهم بعضا تالله ان كنا لفي ضلال مبين يذكرون ذلك حين يرون صورها على وجه الاعتراف
والخطا العظيم على وجه الندامة لا على وجه المخاطبة لانها جماد لا تخاطب وايضا فلا ذنب لها بان عبدها غيرها ومما يدل
على ان ذلك ليس بخطاب لها في الحقيقة قولهم وما اضلنا الا المجرمون قوله تعالى اذ نسويكم اذ منصوب اما بمبين واما بمحذوف
اي ضللنا في وقت تسويتنا لكم بالله في العبادة ويجوز على ضعف ان يكون معمولا والمعنى عليه الا ان ضعفه صناعي وهو
ان المصدر الموصوف لا يعمل بعد وصفه فصل نسويكم نعدلكم برب العالمين فنعبدكم وما اضلنا دعانا الى الضلال الا
المجرمون قال مقاتل يعني الشياطين وقال الكلبي الا اولونا الذين اقتدينا بهم قوله تعالى فما لنا من شافعين اي يشفع لنا
كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين والمؤمنين ولا صديق وهو الصادق في المودة بشرط الدين قال جابر
ابن عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه في
الجحيم فيقول الله تعالى اخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم قال الحسن استكثروا
من الاصدقاء المؤمنين فان لهم شفاعة يوم القيامة والحميم القريب من قولهم حامة فلان اي خاصته وقال الزمخشري
الحميم من الاحتمام وهو الاهتمام او من الحامة وهي الخاصة وهو الصديق الخالص والنفي هنا يحتمل نفي الصديق من اصله
او نفي صفته فقط فهو من باب على لاحب لا يهتدى بمناره والصديق يحتمل ان يكون مفردا وان يكون مستعملا للجمع كما
يستعمل العدو له فيقال هم صديق وهم عدو وقد تقدم وانما جمع الشافعين ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة
وقلة الصديق قوله تعالى فلو ان لنا كرة لو يجوز ان تكون المشربة بمعنى التمني فلا جواب لها على المشهور ويكون نصب فنكون
جوابا للتمني الذي افهمته لو ويجوز ان تكون على بابها وجوابها محذوف اي لو وجدنا شفعاء واصدقاء او لعملنا صالحا وعلى هذا
فنصب الفعل بان مضمرة عطفا على كرة اي لو ان لنا كرة فكونا كقولها للبس عباءة وتقر عيني فصل قال الجبائي قولهم فنكون
من المؤمنين ليس بخبر عن ايمانهم لكنه خبر عن عزمهم لانه لو كان خبرا عن ايمانهم لوجب ان يكون صدقا لان الكذب لا يقع من
اهل الاخرة وقد اخبر الله تعالى بخلاف ذلك في قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد تقدم في سورة الانعام بيان فساد
هذا الكلام قوله تعالى ان في ذلك لاية اي فيما ذكره من قصة ابراهيم لاية لمن يريد ان يستدل بذلك ثم قال وما كان
اكثرهم مؤمنين حمله اكثر المفسرين على من تكذيب قومه وان ربك لهو العزيز الرحيم اي انه قادر على تعجيل
الانتقام لكنه رحيم بالامهال لكي يؤمنوا قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين الايات لما قص على محمد صلى الله عليه
وسلم خبر موسى وابراهيم عليهما السلام تسلية له مما يلقاه من قومه قص عليه ايضا نبا نوح فقد كان نباه اعظم من نبا
غيره لانه دعاهم الف سنة الا خمسين عاما ومع ذلك كذبه قومه قوله كذبت انما انث فعل القوم لانه مؤنث بدليل
تصغير القوم على قويمة وقيل لان القوم بمعنى امة ولما كانت احاده عقلاء ذكورا واناثا عاد الضمير عليه باعتبار
تغليب الذكور فقيل لهم اخوهم وحكى عنهم انهم كذبوا المرسلين لوجهين احدهما انهم وان كذبوا نوحا لكن تكذيبه
في المعنى يتضمن تكذيب غيره لان طريقه معرفة الرسل لا تختلف من حيث المعنى لان كل واحد من المرسلين جاء بما جاء به
الاخر فلذلك حكى عنهم انهم كذبوا المرسلين وثانيهما ان قوم نوح كذبوا جميع رسل الله اما لانهم كانوا من الزنادقة او من
البراهمة قوله اخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم فهو اخوهم في النسب لا في
الدين الا تتقون اي عقاب الله فحذف مفعول تتقون اني لكم رسول امين اي على الوحي وكان مشهورا فيهم بالامانة
كمحمد صلى الله عليه وسلم في قريش فكانه قال كنت امينا من قبل فكيف تتهموني اليوم ثم قال فاتقوا الله بطاعته
وعبادته واطيعون فيما امرتكم به من الايمان والتوحيد وما اسألكم عليه من اجر اي على ما انا فيه من ادعاء الرسالة
لئلا يظن به انه دعاهم رغبة في الدنيا ثم قال فاتقوا الله واطيعون فان قيل فلم ذكر الامر بالتقوى فالجواب
لانه في الاول اراد الا تتقون مخالفتي وانا رسول الله وفي الثاني الا تتقون مخالفتي ولست اخذ منكم اجرا فهو في المعنى
مختلف ولا تكرار فيه وقد يقول الرجل لغيره الا تتقي الله في عقوقي وقد ربيتك صغيرا الا تتقي الله وقد علمتك
كثيرا وانما قدم الامر بتقوى الله على الامر بطاعته لان تقوى الله علة لطاعته فقدم العلة على المعلول قوله تعالى
انؤمن لك واتبعك الارذلون واتبعك جملة حالية من كاف لك قال الزمخشري والواو للحال وحقها ان يضمر
بعدها قد وقرا ابن مسعود وابن عباس وابو حيوة واتباعك مرفوعا جمع تابع كصاحب واصحاب او تبيع
كشريف واشراف او تبع كبرم وابرام وفي رفعه وجهان احدهما انه مبتدا والارذلون خبره والجملة حالية
ايضا والثاني انه عطف على الضمير المرفوع في نؤمن وحسن ذلك الفصل بالجار والارذلون صفة وقرا اليماني
واتباعك بالجر عطفا على الكاف في لك وهو ضعيف او ممنوع عند البصريين وعلى هذا فيرتفع الارذلون على خبر
ابتدا مضمر اي هم الارذلون وقد تقدم مادة الارذل في هود فصل الرذالة الخسة والذلة وانما استرذلوهم
لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الخسيسة كالحياكة والحجامة وعلى

الشبهة في غاية الركاكة لان نوحا عليه السلام بعث الى الخلق كافة فلا يختلف الحال بسبب الفقر والغنى وشرف المكاسب
وخستها فاجابهم نوح عنه بالجواب الحق وهو قوله وما علمي بما كانوا يعملون اي ما اعلم اعمالهم وصنائعهم وليس علي
من دناءة مكاسبهم واحوالهم شيء انما كلفت ان ادعوهم الى الله ولي منهم ظاهر امرهم قوله وما علمي يجوز في ما وجهان
الظاهر منهما انها استفهامية في محل رفع بالابتداء وعلمي خبرها والباء متعلقة به والثاني انها نافية والباء متعلقة بعلمي
ايضا قاله الحوفي وتحتاج الى اضمار خبر ليصير الكلام به جملة قوله تعالى ان حسابهم الا على ربي ومعناه لا يعتبر الا
الظاهر من امرهم دون ما يخفى قوله لو تشعرون جوابها محذوف ومفعول يشعرون ايضا والمعنى لو تشعرون
تعلمون ذلك ما عبتموهم بصنائعهم قال الزجاج الصناعات لا تضر في الديانات وقيل معناه اني لم اعلم
ان الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم وقرا الاعرج وابو زرعة لو يشعرون بالغيبة وهو التفات
ولا يحسن عوده على المؤمنين قوله تعالى وما انا بطارد المؤمنين وذلك كالدلالة على ان القوم سالوه ابعادهم
فبين ان الدين يمنعه عن طردهم وقد امنوا به وبين ان الغرض من تحمل الرسالة كونه نذيرا فقال ان انا الا نذير
مبين اي اني اخوف من كذبني ولم يقبل مني فمن قبل فهو القريب ومن رد فهو البعيد فلما اجابهم بهذا الجواب لم يكن منهم
الا التهديد فقالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال مقاتل والكلبي من المقتولين بالحجارة وقال
الضحاك من المشتومين فعند ذلك حصل الياس لنوح من فلاحهم وقال رب ان قومي كذبون وليس الغرض منه اخبار
الله تعالى بالتكذيب لعلمه بانه عالم الغيب والشهادة ولكنه اراد لا ادعوك عليهم لما اذوني وانما ادعوك لاجلك
ولاجل دينك ولانهم كذبوك في وحيك ورسالتك فافتح بيني وبينهم فتحا اي فاحكم بيني وبينهم وفتحا يجوز ان يكون
مفعولا به بمعنى المفتوح وان يكون مصدرا مؤكدا والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق والمراد
انزال العقوبة عليهم لقوله عقيبه ونجني ولولا ان المراد انزال العقوبة لما كان لذكر النجاة بعده معنى قوله تعالى
ونجني المنجى منه محذوف لفهم المعنى اي مما يحل بقومي ومن معي من المؤمنين بيان لقوله من معي قوله تعالى فانجيناه ومن معه
في الفلك المشحون قال الزمخشري الفلك السفينة واحدها فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد
بوزن قفل والجمع بوزن اسد والمشحون المملوء الموقر يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا والشحناء العداوة لانها تملا الصدر
احنا والفلك هنا مفرد بدليل وصفه بالمفرد وقد تقدم الكلام عليه في البقرة فصل دلت الاية على ان الذين
نجوا معه كان فيهم كثرة وان الفلك امتلا بهم وبمصاحبهم من الحيوانات ثم انه تعالى بعد ان نجاهم اغرق الباقين
فقال ثم اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى
كذبت عاد المرسلين الايات الكلام في فاتحة هذه القصة كالكلام في فاتحة قصة نوح وقوله تعبثون جملة حالية
من فاعل تبنون والريع بكسر الراء وفتحها جمع ريعة وهو في اللغة المكان المرتفع قال ذو الرمة رحمه الله تعالى
طراف الهوادي مشرف فوق ريعة ندى ليله في ريشه يترقرق وقال ابو عبيدة هو الطريق وانشد للمسيب
ابن علس يصف ظعنا في الال يخفضها ويرفعها ريع يلوح كانه سحل والريع بالفتح ما يحصل من الخراج فصل
قال الوالبي عن ابن عباس الريع كل شرف وقال الضحاك ومقاتل بكل طريق وهو رواية العوفي عن ابن عباس وعن
مجاهد قال هو الفج بين جبلين وعنه ايضا انه المنظر والاية العلم قال ابن عباس كانوا يبنون بكل ريع علما
يعبثون فيه بمن يمر في الطريق الى هود عليه السلام وقيل كانوا يبنون الاماكن المرتفعة ليعرف بذلك غناهم
تفاخرا فنهوا عنه ونسبوا الى العبث وقال سعيد بن جبير ومجاهد هي بروج الحمام لانهم كانوا يلعبون بالحمام قوله تعالى
وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون قال مجاهد قصورا مشيدة وقال قتادة والكلبي هي الحصون وقال قتادة
ماجل الما يعني الحياض واحدها مصنعة لعلكم تخلدون العامة على تخفيفه مبنيا للفاعل وقتادة بالتشديد مبنيا
للمفعول ومنه قول امرئ القيس وهل ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال ولعل هنا على بابها وقيل
للتعليل ويؤيده قراءة عبد الله كي تخلدون وقيل للاستفهام قاله زيد بن علي وبه قال الكوفيون وقيل معناه التشبيه
اي كانكم تخلدون ويؤيده ما في حرف ابي كانكم تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا وقرئ كانكم خالدون ولم يعلم من
نص عليها انها تكون للتشبيه والمعنى فانكم تبقون فيها خالدين قوله تعالى واذا بطشتم اي واذا اردتم وانما احتجنا
الى تقدير الارادة لئلا يتحد الشرط والجزاء جبارين حال واعلم ان اتخاذ الابنية العالية تدل على حب الدنيا واتخاذ
المصانع يدل على حب البقاء والجبارية تدل على حب التفرد بالعلو وهذه صفات الالهية وهي ممتنعة الحصول
للعبد ولما ذكر هود هذه الاشياء قال فاتقوا الله واطيعون زيادة في دعائهم الى الاخرة وزجرا لهم عن حب الدنيا
والاشتغال بالسرف والتجبر ثم وصل هذا الوعظ بما يؤكد القبول بان نبههم على نعم الله تعالى عليهم فقال
واتقوا الذي امدكم بما تعلمون اي اعطاكم من الخير ما تعلمون ثم فصل ذلك الاعطا فقال امدكم بانعام وبنين
وجنات وعيون اي بساتين وانهار اني اخاف عليكم قال ابن عباس ان عصيتموني عذاب يوم عظيم قوله

امدكم بانعام فيه وجهان احدهما ان الجملة الثانية بيان للاولى وتفسير لها والثاني بانعام بدل من قوله بما تعلمون
باعادة العامل كقوله اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم قال ابو حيان والاكثرون لا يجعلون هذا بدلا وانما
يجعلونه تكريرا وانما يجعلون بدلا باعادة العامل اذا كان حرف جر من غير اعادة متعلقه نحو مررت بزيد باخيك
ولا يقولون مررت بزيد مررت باخيك على البدل قوله تعالى ام لم تكن من الواعظين معادل لقوله اوعظت
وانما اتى بالمعادل كذا دون قوله ام لم تعظ لتواخي الفواصل وابدله الزمخشري معنا فقال وبينهما فرق لان
المعنى سواء علينا هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشرته فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه
من قولك ام لم تعظ وقرأ العامة اوعظت باظهار الظاء قبل التاء وروي عن ابي عمرو والكسائي وعاصم وبها قرأ
الاعمش وابن محيصن بالادغام وهي ضعيفة لان الظاء اقوى ولا يدغم الاقوى في الاضعف على انه قد جاء من هذا
في القرآن العزيز اشياء متواترة يجب قبولها نحو زحزح عن ولئن بسطت فصل لما وعظهم ورغبهم وخوفهم اجابوا
بقولهم سواء علينا اي مستو عندنا اوعظت ام لم تكن من الواعظين اظهروا قلة اكتراثهم بكلامه ثم قالوا ان
هذا الا خلق الاولين قرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بفتح الخاء وسكون اللام اي اختلاق الاولين وكذبهم كقوله وتخلقون
افكا والباقون بضمتين فقيل معناهما الاختلاق وهو الكذب وكذا قرأ ابن مسعود وقيل عادة الاولين من قبلنا
حياة وموت هو خلق الاولين وعادتهم وروى الاصمعي عن نافع وبها قرأ ابو قلابة ضم الخاء وسكون اللام وهي
تخفيف المضمومة ثم قالوا وما نحن بمعذبين اظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكار المعاد
فعند هذا بين الله تعالى انه اهلكهم وقد سبق بيان كيفية الهلاك قوله تعالى كذبت ثمود المرسلين تقدم
نظيره وقوله اتتركون فيما هاهنا اي اتظنون انكم تتركون في دياركم آمنين وتطمعون في انه لا دار للمجازاة وقوله
فيما هاهنا اي في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره قوله في جنات بدل من فيما هاهنا باعادة العامل
فصل بعد ما اجمل كما في القصة قبلها وما موصوله وظرف المكان صلتها قوله ونخل يجوز ان يكون من باب ذكر الخاص
بعد العام لان الجنات تشمل النخل ويجوز ان يكون تكريرا للشيء الواحد بلفظ آخر فانهم يطلقون الجنة ولا يريدون
الا النخل قال الزهير كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا وسحقا جمع سحوق ولا يوصف به الا النخل
وقيل المراد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل والطلع الكفرى وهو عنقود التمر
قبل خروجه من الكم وقال الزمخشري الطلع هو الذي يطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو
والقنو هو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه والهضيم قال ابن عباس هو اللطيف ومنه قولهم كشح هضيم وروى
عطية عنه يانع نضيج وقال عكرمة اللين وقيل المراكب قال الضحاك ومقاتل قد ركب بعضه بعضا حتى هضم بعضه
بعضا اي كسره وقال اهل المعاني هو المنضم بعضه الى بعض في وعائه قبل ان يظهر قال الازهري الهضيم هو الداخل
بعضه في بعض من النضج والنعامة وقيل هضيم اي هاضم يهضم الطعام وكل هذا للطافته قوله وتنحتون
العامة على الخطاب وكسر الحاء والحسن وعيسى وابو حيوة بفتحها وعن الحسن ايضا تنحاتون بالف الاشباع وعنه وعن
ابي حيوة تنحتون من نحت وتقدم ذلك كله في الاعراف قوله فرهين قرأ الكوفيون وابن ذكوان فارهين بالالف
كما قرأ حاذرون بها والباقون فرهين بدون الف كما قرأ احذرون بدونها والفراهة النشاط والقوة وقيل الحذق يقال
دابة فارهة ولا يقال فارهة وقد فره يفره فراهة وفارهين حال من الناحتين فصل من قرأ فرهين قال ابن عباس
اشرين بطرين وقال عكرمة ناعمين وقال مجاهد شرهين وقال قتادة معجبين بصنيعكم وقال السدي متجبرين
وقال الاخفش فرحين والعرب تعاقب بين الحاء والهاء مثل مدحته ومدهته وقال الضحاك كيسين فاتقوا الله واطيعون
ولا تطيعوا امر المسرفين قال ابن عباس المشركين وقال مقاتل هم التسعة الذين عقروا الناقة وهم الذين يفسدون
في الارض بالمعاصي ولا يصلحون اي ولا يطيعون الله فيما امرهم به فان قيل ما فائدة قوله ولا يصلحون مع قوله يفسدون
في الارض فالجواب ان فسادهم خالص ليس معه شيء من الصلاح كما يكون حال المفسد بن مخلوطة ببعض الصلاح ثم
ان القوم اجابوه بقولهم انما انت من المسحرين من السحر وعين اي ممن سحر مرة بعد مرة وروى ابو صالح عن ابن
عباس اي من المخلوقين من المعللين بالطعام والشراب يريد انك تاكل الطعام والشراب اي لست بملك بل انت بشر
مثلنا والمعنى من المسحرين اي ممن له سحر وكل دابة تاكل فلها سحر والسحر اعلا البطن وعن الفراء المسحر من له جوف
ارادوا انك تاكل الطعام والشراب ما انت الا بشر مثلنا فكيف تكون نبيا فات باية على صحة ما تقول ان كنت من الصادقين
انك رسول الله الينا فقال صالح هذه ناقة الله لها شرب يجوز ان يكون الوصف وحده الجار وهو قوله لها وشرب
فاعل به لاعتماده ويجوز ان يكون لها شرب صفة للناقة وقرأ ابن ابي عبلة شرب بالضم فيهما والشرب بالكسر
النصيب من الماء كالسقي وبالضم المصدر فصل روي انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من الصخرة فتلد سقبا
فتفكر صالح فقال له جبريل عليه السلام صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم

وحصل

وحصل لها سقب مثلها في العظم ثم قال لهم صالح هذه ناقة لها شرب حظ ونصيب من الماء ولكم شرب يوم معلوم قال
قتادة كانت يوم شربها تشرب ماءهم كله وشربهم اليوم الذي لا تشرب فيه ولا تمسوها بسوء بعقر او ضرب او غيرهما
فياخذكم عذاب يوم عظيم روي ان مسطعا الجاها الى مضيق فرماها بسهم فسقطت ثم ضربها قدار فعقروها
فاصبحوا نادمين قال قيل لم اخذهم العذاب وقد ندموا فالجواب ان ندمهم كان عند معاينة العذاب حين
لا ينفع الندم وقيل لم يكن ندمهم ندم الخائف من العقاب العاجل فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما
كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذبت قوم لوط المرسلين الايات قوله تعالى من
العالمين يحتمل عوده الى الاتي اي انتم من جملة العالمين مخصوصون بهذه الصفة وهي اتيان الذكران
ويحتمل عوده الى المأتي اي انتم اخترتم الذكران من العالمين لا الاناث منهم قوله تعالى من ازواجكم يصلح ان يكون
تبيينا وان يكون للتبعيض ويراد بها العضو المباح منهن وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم بل انتم قوم
عادون معتدون مجاوزون الحلال الى الحرام والعادي المتعدي في ظلمه والمعنى اترتكبون هذه المعصية على عظمها
بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين اي من جملة ما اخرجناه من بلدنا
ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوأ الاحوال قوله لعملكم كقوله اني لكما لمن الناصحين وقد تقدم وقيل
من القالين صفة لخبر محذوف وهذا الجار متعلق بأي قال لعملكم من القالين المبغضين والقلى البغض كانه
بغض يقلي الفؤاد والكبد وقوله من القالين ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء ابلغ من
قولك فلان عالم ويجوز ان يراد من الكاملين في قلاكم والقالي المبغض يقال قلاه يقليه قلى وقلاء ومنه شاهده
قال ويرمينني بالطرف اي انت مذنب ويقلينني لكن اياك لا اقلي وقوله والله ما فارقتكم عن قلى لكم
ولكن ما يقضى فسوف يكون واسم المفعول منه مقلي والاصل مقلوي فادغم كمرمي قال ولست بمقلي الخلال ولا
اي لا تبغضني غيري ولا ابغضه وغلط بعضهم فجعل ذلك من قولهم قلي اللحم اي شواه فكانه قال اكبد بالبغض ووجه
الغلط ان هذا من ذوات الياء وقيل من ذوات الواو يقال قلا اللحم يقلوه قلوا فهو قال كغاز ومقلو كما تقدم ثم
دعا فقال رب نجني واهلي مما يعملون من العمل الخبيث قال الله تعالى فنجيناه واهله من عقوبة عملهم الا عجوزا غابرة
وان لم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم فالجواب معناه الا عجوزا مقدرا غبورها قيل انها هلكت مع من خرج من
القرية بما امطر من الحجارة ثم دمرنا الاخرين اي اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين والمخصوص بالذم محذوف
اي مطرهم قال وهب بن منبه الكبريت والنار ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
فصل قال القاضي عبد الجبار في تفسير قوله وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم دليل على بطلان الجبر من وجوه
الاول انه لا يقال تذرون الا مع القدرة على خلافه ولذلك لا يقال للمرء لم تذر الصعود الى السماء كما يقال لم تذر من
الخروج الثاني انه قال ما خلق لكم ولو كان الفعل لله تعالى لكان الذي خلقه لهم ما خلقه فيهم والوجه لا ما لم يفعلوه
الثالث قوله تعالى بل انتم قوم عادون فان كان تعالى خلق فيهم ما كانوا يعملون فكيف ينسبون الى انهم تعدوا وهل
يقال للاسود انك متعدي في لونك واجيب بان حاصل هذه الوجوه ترجع الى ان العبد لو لم يكن موجدا لافعال نفسه
لما توجه المدح والذم والامر والنهي عليه في قصة ابراهيم وموسى ونوح وسائر القصص فكيف خص هذه القصة
بهذه الوجوه دون سائر القصص واذا ثبت ان هذه الوجوه هي ذلك الوجه المشهور فالجواب عنها ما هو الجواب
المشهور ان الاول ان الله تعالى لما علم وقوع هذه الاشياء فعدمها محال لان عدمها يستلزم انقلاب العلم جهلا وهو محال
والمفضي الى المحال محال وان كان عدمها محالا كان التكليف بالترك تكليفا بالمحال الثاني ان القادر لما كان قادرا على الضد بن
امتنع ان يرجح احد المقدورين على الاخر لا لمرجح والمرجح هو الداعي والارادة وذلك المرجح محدث فله مؤثر وذلك
المؤثر ان كان هو العبد لزم التسلسل وهو محال وان كان هو الله تعالى فذاك الجبر على قولك فثبت بهذين البرهانين القاطعين
سقوط ما قاله قوله تعالى كذب اصحاب الايكة المرسلين قرأ نافع وابن كثير وابن عامر ليكة بلام واحدة وفتح التاء جعلوه اسما
غير معرف بال مضافا اليه اصحاب هنا وفي ص خاصة والباقون الايكة معرفا بال موافقة لما اجمع عليه في الحجر وفي ق وقد
اضطربت اقوال الناس في القراءة الاولى وتجرأ بعضهم على قارئها ووجهها على ما قال ابو عبيد ان ليكة اسم للقرية التي كانوا فيها
والايكة اسم للبلد كله قال ابو عبيد لا احب مفارقة الخط في شيء من القرآن الا ما يخرج من كلام العرب وهذا ليس بخارج
من كلامها مع صحة المعنى في هذه الحروف وذلك انا وجدنا في بعض التفاسير الفرق بين ليكة والايكة فقيل ليكة هو اسم
للقرية التي كانوا فيها والايكة البلاد كلها فصار الفرق بينهما شبيها بما بين مكة وبكة ورأيتهن مع هذا في الذي يقال
انه الامام مصحف عثمان مفترقا فوجدت الذي في الحجر والذي في ق الايكة ووجدت التي في الشعراء والتي في ص ليكة
ثم اجتمعت عليها مصاحف الامصار بعد فلا نعلمها اختلف فيها وقرأ اهل المدينة على هذا اللفظ الذي قصصنا يعني بغير
الف ولام ولا اجراء انتهى ما قاله ابو عبيد قال ابو شامة بعد نقله كلام ابي عبيد هذه عبارته وليست سديدة فان اللام

موجودة في ليكة وصوابه بغير الف وتمرة. قال شهاب الدين بل هي سديدة فانه يعني بغير الف ولام معرفة لا مطلق لام في لفظ
وقد تعقبوا قول ابي عبيد وانكروا عليه فقال ابو جعفر اجمع القرا على خفض التي في الحجر وق فيجب ان يرد ما اختلف فيه الى ما اتفق
عليه اذا كان المعنى واحدا فاما ما حكاه ابو عبيد من ليكة اسم القرية وان الايكة اسم للبلد كله فشي لا يثبت ولا يعرف
من قاله ولو عرف لكان فيه نظر لان اهل العلم جميعا من المفسرين والعالمين بكلام العرب على خلافه ولا نعلم خلافا بين اهل
اللغة ان الايكة الشجر الملتف. فاما احتجاج بعض من احتج لقراة من قرا في هذين الموضعين بالفتح لانه في السواد ليكة فلا حجة
فيه والقول فيه ان اصله الايكة ثم خففت الهمزة فالقيت حركتها على اللام فسقطت واستغنت عن الف الوصل لان اللام قد
تحركت فلا يجوز على هذا الا الخفض كما تقول مررت بالاحمر على تحقيق الهمزة ثم تخففها فتقول بلحمر فان شئت كتبته في الخط على ما
كتبته اولا وان شئت كتبته بالحذف ولم يجز الا الخفض فلذلك لا يجوز في الايكة الا الخفض. قال سيبويه واعلم ان كل ما لم
ينصرف اذا دخلته الالف واللام او اضفته انصرف ولا نعلم احدا خالف سيبويه في هذا. وقال المبرد في كتاب الخط
كتبوا في بعض المواضع كذب اصحاب ليكة بغير الف لان الالف تذهب في الوصل ولذلك غلط القارى بالفتح فتوهم ان ليكة
اسم شي وان اللام اصل فقرا اصحاب ليكة. وقال الفرا نرى والله اعلم انها كتبت في هذين الموضعين بترك الهمز فسقطت الالف
لتحريك اللام. قال مكي تعقب ابن قتيبة على ابي عبيد فاختار الايكة بالالف والهمز والخفض وقال انما كتبت بغير الف
على تخفيف الهمز قال وقد اجمع الناس على ذلك يعني في الحجر وق فوجب ان يلحق ما في الشعراوص بما اجمعوا عليه فما اجمعوا
عليه شاهد لما اختلفوا فيه. وقال ابو اسحق القراة بجر ليكة وانت تريد الايكة اجود من ان تجعلها ليكة وتفتحها لانها
لا تنصرف لان ليكة لا تعرف وانما هي ايكه للواحد وايك للجمع مثل اجمه واجم والايك الشجر الملتف فاجود القراة فيها الكسر
واسقاط الهمزة لموافقة المصحف ولا اعلمه الا قد قرى به. وقال الفارسي قول من قال ليكة بفتح التا مشكل لانه فتح مع
لحاق اللام الكلمة وهذا في الامتناع كقول من قال مررت بلحمر فيفتح الاخير مع لحاق لام المعرفة وانما كتبت ليكة على تخفيف
الهمز والفتح لا يصح في العربية لانه فتح حرف الاعراب في موضع الجر مع لام المعرفة فهو على قياس قول من قال مررت
بلحمر ويبعد ان يفتح نافع ذلك مع ما قال عنه ورش يعني ان ورشا نقل عن نافع نقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها حيث وجد
بشروط مذكورة ومن جملة ذلك ما في سورة الحجر وق من لفظ الايكة فقرا على قاعدته في السورتين بنقل الحركة وطرح الهمزة
وخفض التا فلذلك ينبغي ان يكون الحكم في هذين الموضعين ايضا. وقال الزمخشري قرى اصحاب الايكة بالهمز وتخفيفها
وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرا بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط المصحف وانما
كتبت على حكم لفظ اللافظ كما يكتب اصحاب لان ولاول على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في ساير القران على
الاصل والقصة واحدة على ان ليكة اسم لا يعرف. وروى ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم
وهو شجر المقل يعني ان مادة ل ى ك مفقودة في لسان العرب كذا قال الثقات ممن تتبع ذلك قال وهذا كما نصوا على ان
الخاء والذال المعجمتين لم يجامعا الجيم في لغة العرب ولذلك لم يذكرها صاحب الصحاح مع ذكره التفرقة المتقدمة عن
ابي عبيد ولو كانت موجودة في اللغة لذكرها مع ذكره التفرقة المتقدمة لشدة الاحتياج اليها. وقال الزجاج ايضا اهل
المدينة يفتحون على ما جا في التفسير ان اسم المدينة التي كان فيها شعيب ليكة. قال ابو علي لو صح هذا فلم اجمع القرا على الهمز
في قوله وان كان اصحاب الايكة في الحجر والايكة التي ذكرت ههنا هي الايكة التي ذكرت هناك وقد قال ابن عباس الايكة
الغيضة ولم يفسرها بالمدينة ولا البلد. قال شهاب الدين وهولا كلهم كانوا زعموا ان هولا الايمة الاثبات انما اخذوا هذه
القراة من خط المصاحف دون افواه الرجال وكيف يظن بمثل اسن القرا واعلاهم اسنادا والاخذ القران عن جملة من
الصحابة ابي الدردا وعثمان بن عفان وغيرهما وبمثل امام مكة شرفها الله تعالى وبمثل امام المدينة وكيف ينكر على ابي عبيد
قوله او يتهم في نقله ومن حفظ حجة على من لم يحفظ والتواتر قطعي فلا يعارض بالظني. واما اختلاف القراة مع اتحاد القصة
فلا يضر ذلك عبر عنها تارة بالقرية خاصة وتارة بالمصر الجامع للقرى كلها الشامل هو لها. واما تفسير ابن عباس فلا ينافي
ذلك لانه عبر عنها بما كثر فيها قوله تعالى اذ قال لهم شعيب ولم يقل اخوهم لانه لم يكن من اصحاب الايكة في النسب فلما ذكر مدين
قال اخاهم لانه كان منهم وكان الله تعالى بعثه الى قومه اهل مدين والى اصحاب الايكة. قال ابن كثير ومن زعم من المفسرين
كقتادة وغيرهم ان اصحاب الايكة امة اخرى غير اهل مدين فقول ضعيف وانما عمدتهم شيئان. احدهما انه قال كذب
اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب ولم يقل اخوهم كما قال والى مدين اخاهم شعيبا. والثاني انه ذكر عذابهم يوم
الظلة وذكر في اوليك الرجفة والصيحة. والجواب عن الاول انه لم يذكر الاخوة بعد قوله اصحاب الايكة لانه وصفهم
بعبادة الايكة ولا يناسب ذكر الاخوة ههنا ولما نسبهم الى القبيلة ساغ ذكر شعيب بانه اخوهم. واما احتجاجهم بيوم
الظلة فان كان دليلا على انهم امة اخرى فليكن تعداد الرجفة والصيحة دليلا على انهما امتان ولا يقوله احد وايضا فقد
ذكر الله عز وجل عن اهل الايكة من المذمة ما ذكره عن اهل مدين من التطفيف في المكيال والميزان فدل على انهم امة
واحدة اهلكوا بانواع من العذاب وذكر في كل موضع ما يناسب ذلك الخطاب فاجتمعوا تحت الظلة ورجفت بهم

الارض من تحتهم وجاتهم صيحة من السما. قوله تعالى اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين الناقصين لحقوق الناس بالكيل والوزن واعلم
ان الكيل على ثلاثة اضرب واف وطفيف وزايد فامر بالواجب الذي هو الايفا بقوله اوفوا الكيل ونهى عن المحرم الذي هو
التطفيف بقوله ولا تكونوا من المخسرين ولم يذكر الزايد لانه ان فعله فقد احسن وان لم يفعله فلا اثم عليه ثم لما امر
بالايفا بين كيف يفعل فقال وزنوا بالقسطاس المستقيم قرى بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون
ولا تبخسوا الناس اشياءهم يقال بخسه حقه اذا نقصه اياه وهذا عام في كل حق ولا تعثوا في الارض مفسدين وقد تقدم
قوله تعالى والجبلة العامة على كسر الجيم والبا وشد اللام وابو حصين والاعمش والحسن بضمهما وشد اللام والسلمي بفتح الجيم
او كسرها مع سكون اللام وهذه لغات في هذا الحرف ومعناه الخلق المتحد الغليظ ماخوذ من الجبل قال الشاعر
والموت اعظم حادث ﴿ مما يمر على الجبله ﴾ وقال الهروي الجبل والجبل لغات وهو الجمع الكثير العدد من الناس. وقيل الجبلة من قولهم
جبل على كذا اي خلق وطبع عليه وسياتي في يس ان شا الله تعالى تمام الكلام على ذلك عند قوله جبلا كثيرا والمراد بالجبلة الاولين
الامم المتقدمين اي المتفرد بخلقهم وخلق من تقدمهم قوله تعالى قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا
جا في قصة هود ما انت بغير واو وههنا بالواو فقال الزمخشري اذا دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مخالف للرسالة
عند المسحرين التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه
مسحرا ثم قرره بكونه بشرا ثم قالوا وان نظنك لمن الكاذبين ومعناه ظاهر ثم ان شعيبا عليه السلام كان يتوعدهم
بالعذاب ان لم يومنوا فقالوا فاسقط علينا كسفا من السما وقد تقدم الكلام في كسفا واشتقاقه في الاسرا
وانما طلبوا ذلك لاستبعادهم وقوعه فقال شعيب ربي اعلم بما تعملون اي من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم
باعمالكم وليس العذاب الي وما علي الا الدعوة فلم يدع عليهم بل فوض الامر الى الله تعالى قوله تعالى فكذبوه فاخذهم
عذاب يوم الظلة وذلك انه اخذهم حر شديد فكانوا يدخلون الاسراب فيجدونها اشد حرا فخرجوا فاظلتهم سحابة
وهي الظلة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا. فان قيل لم لا يجوز ان يقال ان العذاب النازل بعاد وثمود
وقوم لوط وغيرهم ما كان بسبب كفرهم بل بسبب تاثيرات الكواكب واتصالاتها على ما اتفق عليه المنجمون واذا قام
هذا الاحتمال لم تحصل الاعتبار بهذه القصص لان الاعتبار انما تحصل اذا علمنا ان نزول العذاب كان بسبب كفرهم
وايضا فيحتمل ان ينزل العذاب محنة للمكلفين كما قال ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقد ابتلي المومنون
بالبلا العظيم في مواضع كثيرة واذا كان كذلك لم يدل نزول البلا بهم على كونهم مبطلين فالجواب هذا سوال باطل
لانه يقال ما الاتصالات التي اوجبت نجاة بني اسرايل من البحر واغرقت فرعون وقومه في ساعة واحدة واما الاتصالات
التي اوجبت حمل الطير والجراد والقمل والضفادع والدم على القبط دون بني اسرايل ثم معهم في بلد واحد واما الاتصالات
التي نجت لوطا ومن معه واهلكت قومه وهم قريب منهم واما الاتصالات التي اوجبت حمل الطير الابابيل حجارة من
سجيل رمت بها اصحاب الفيل دون غيرهم واما الاتصالات التي فرقت البحر اثني عشر فرقا بعدد اسباط بني اسرايل
وقلبت العصا حية تسعى ونتقت الجبل فوق بني اسرايل كانه ظلة واخرجت الناقة من الحجر واطفات نار ابراهيم وكل ذلك
ثابت بالتواتر لا يمكن انكاره وايضا فان الله تعالى انزل هذه القصص على محمد عليه السلام تسلية له وازالة للحزن عن قلبه
فلما اخبر الله تعالى محمدا انه هو الذي انزل العذاب عليهم جزا على كفرهم علم ان الامر كذلك وحينئذ حصل له التسلي قوله تعالى وانه
لتنزيل رب العالمين الها تعود على القران وان لم يجر له ذكر للعلم به وتنزيل بمعنى منزل او على حذف مضاف اي ذو تنزيل
وقوله نزل قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وحفص نزل مخففا والروح الامين مرفوعان على اسناد الفعل للروح والامين
نعته والمراد به جبريل وباقي السبعة بالتشديد مبنيا للفاعل وهو الله تعالى الروح الامين منصوبان على المفعول به
والامين صفته ايضا وقرى نزل مشددا مبنيا للمفعول والروح الامين مرفوعان على ما لم يسم فاعله وبه اما متعلق
بنزل او بمحذوف على انه حال قوله تعالى على قلبك لتكون قال ابو حيان الظاهر تعلق على قلبك ولتكون بنزل ولم يذكر
ما يقابل هذا الظاهر واكثر ما يتخيل انه يجوز انه يتعلقا بتنزيل اي وانه لتنزيل رب العالمين على قلبك لتكون ولكن
فيه ضعف من حيث الفصل بين المصدر ومعموله بجملة نزل به الروح وقد يجاب عنه بوجهين احدهما ان هذه
الجملة اعتراضية وفيها تاكيد وتشديد فليست باجنبية والثاني الاغتفار في الظرف وعديله وعلى هذا فلا يبعد
ان يجي في المسالة باب الاعمال فان كلا من تنزيل ونزل يطلب هذين الجارين فصل لما ذكر قصص الانبيا لمحمد
عليه السلام اتبعه بما يدل على نبوته فقال وانه لتنزيل رب العالمين لانه لفصاحته معجز فيكون من رب العالمين
وايضا فلانه اخبار عن الامم الماضية من غير تعلم البتة وذلك لا يكون الا بوحي من الله تعالى وايضا فقوله
وانه لفي زبر الاولين موكد لما ذكرنا لان ذكر هذه القصص على ما هي في زبر الاولين من غير تفاوت اصلا مع انه
لم يشتغل بالتعلم والاستفادة دليل على انه ليس الا من عند الله نزل به الروح الامين على قلبك يا محمد اي حفظك
وفهمك اياه واثبته في قلبك كي لا تنساه كقوله سنقريك فلا تنسى لتكون من المنذرين المخوفين وسمي جبريل روحا لانه

على من الروح وقيل لانه نجاة الخلق فى باب الدين فهو كالروح الذى يستتبع الحياة وقيل لانه روح كله لا كالناس الذين فى ابدانهم روح وسماه امينا لانه مؤتمن على ما يؤديه للانبياء عليهم السلام **فصل** روى ان جبريل عليه السلام نزل على آدم عليه السلام اثنى عشر مرة وعلى ادريس اربع مرات وعلى نوح خمسين مرة وعلى ابراهيم اثنين واربعين مرة وعلى موسى اربعمائة مرة وعلى عيسى عشر مرات وعلى محمد عليه السلام اربعة وعشرين الف مرة **فصل** فان قيل لم قال على قلبك وهو انما انزل عليه **فالجواب** ليؤكد ان ذلك المنزل محفوظ والمرسل متمكن من قلبه لا يجوز عليه التغير ولان القلب هو المخاطب فى الحقيقة لانه موضع التمييز والاختيار واما سائر الاعضاء فمسخرة له ويدل على ذلك القران والحديث والمعقول اما القران فقوله تعالى نزله على قلبك نزل به الروح الامين على قلبك وهو ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب واستحقاق الجزاء ليس الا على ما فى القلب قال تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى فى القلب لقوله تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله وحصل ما فى الصدور وحكى عن اهل النار قوله لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير والعقل فى القلب والسمع منفذ اليه وقال ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا والسمع والبصر لا يستفاد منهما الا ما يؤديانه الى القلب وقال يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ولم يخص الاعين الا بما تضمر القلوب الى غير ذلك من الايات واما الحديث فقوله عليه السلام الا وان فى الجسد مضغة اذا اصلحت صلح الجسد كله واذا افسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب واما المعقول فان القلب اذا غشى عليه فاذا قطع سائر الاعضاء لم يحصل به الشعور واذا افاق القلب شعر بجميع ما نزل بالاعضاء من الافات فان القلب منبع المشيئات الباعثة على الافعال الصادرة عن سائر الاعضاء **قوله تعالى بلسان** يجوز ان يتعلق بالمنذرين اى ليكون من الذين انذروا بهذا اللسان العربى وهم هود وصالح وشعيب واسماعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يتعلق بنزل اى نزل باللسان العربى لتنذر به لانه لو نزل بالاعجمى لقالوا لو لم نزل علينا ما لا نفهمه وجوز ابو البقاء ان يكون بدلا من به باعادة العامل قال اى نزل بلسان عربى اى برسالة او بلغة قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه **قوله تعالى وانه لفى زبر الاولين** اى وان القران وقيل وان محمدا او نعته لفى زبر الاولين اى كتب الاولين وقيل المراد وجود التخويف لان ذكر هذه الاشياء باسرها قد تقدم وفيه التفات اذ لو جرى على ما تقدم لقيل وانك لفى زبر وقرا الاعمش زبر بسكون الباء وهى مخففة من المشهورة **قوله تعالى اولم يكن لهم اية** قرا ابن عامر تكن بالتاء من فوق اية بالرفع فاما قراءة ابن عامر فيكون يحتمل ان تكون تامة وان تكون ناقصة فان كانت تامة جاز ان يكون لهم متعلقا بها واية فاعلا بها **وان يعلمه** اما بدل من اية واما خبر مبتدأ مضمر اى اولم تحدث لهم علامة علم علماء بنى اسرائيل وان كانت ناقصة جاز فيها اربعة اوجه احدها ان يكون اسمها مضمرا فيها بمعنى القصة واية ان يعلمه جملة قدم فيها الخبر واقعة موقع خبر يكن الثانى ان يكون اسمها ضمير القصة ايضا ولهم خبر مقدم واية مبتدأ مؤخر والجملة خبر يكن وان يعلمه اما بدل من اية واما خبر مبتدأ مضمر اى هى ان يعلمه الثالث ان يكون لهم خبر يكن مقدما على اسمها واية اسمها وان يعلمه على الوجهين المتقدمين البدلية وخبر ابتداء مضمر الرابع ان يكون اية اسمها وان يعلمه خبرها وقد اعترض هذا بانه يلزم جعل الاسم نكرة والخبر معرفة وقد نص بعضهم على انه ضرورة كقوله ولا يك موقف منك الوداعا وقوله يكون مزاجها عسل وماء وقد اعتذر عن ذلك بان اية قد تخصصت بقوله لهم فانها حال منها والحال صفة وبان تعريف الخبر ضعيف لعمومه وهو اعتذار باطل ولا ضرورة تدعو الى هذا التخريج بل التخريج ما تقدم واما قراءة الباقين فواضحة جدا فاية خبر مقدم وان يعلمه اسمها مؤخر ولهم متعلق باية حالا من اية واما قراءة ابن عباس فكقراءة لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وكقول لبيد

فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هى عردت اقدامها

انما التانيث الاسم لتانيث واما لانه بمعنى المؤنث الا ترى ان ان يعلمه فى قوة المعرفة والا ان قالوا فى قوة مقالتهم واقدامها باقدامها وقرا الجحدرى ان تعلمه بالتاء من فوق شبه البنين بجمع التكسير فى تغير واحده صورة فعامل فعله المسند اليه معاملة فعله فى لحاق علامة التانيث وهذا كقوله قالت بنو عامر خالوا بنى اسد يا بؤس للجهل ضرارا لاقوام وكتبوا فى الرسم الكريم علمؤا بواو بين الميم والالف قيل وهو على لغة من يميل الالف نحو الواو وهذا كما فعل فى الصلوة والزكوة **فصل** المعنى اولم يكن لهؤلاء المنكرين علم بنى اسرائيل علامة ودلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان العلماء الذين كانوا يخبرون بوجود ذكره فى كتبهم كعبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة واسد واسيد قال ابن عباس بعث اهل مكة الى اليهود بالمدينة فسالوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا لزمانه وانا لنجد فى التوراة نعته وصفته فكان ذلك اية على صدقه **قوله تعالى ولو نزلناه على بعض الاعجمين** قال صاحب التحرير الاعجمين جمع اعجمى بالتخفيف ولولا هذا التقدير لم يجز ان يجمع جمع سلامة قال شهاب الدين وكان سبب منع جمعه انه من باب افعل فعلاء كاحمر حمراء فالبصريون لا يجيزون جمعه جمع سلامة الا ضرورة كقوله حلائل اسودين واحمرينا فلذلك قدره منسوبا مخففا الياء وقد جعله ابن عطية جمع اعجم وكذلك قال

الاعجمون جمع اعجم وهو الذى لا يفصح وان كان عربى النسب يقال له اعجم وذلك يقال للحيوانات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار واسند الطبرى عن عبد الله بن مطيع انه كان واقفا بعرفة وتحته جمل فقال جملى هذا اعجم ولو انه انزل عليه ما كانوا يؤمنون والعجمى هو الذى نسبته فى العجم وان كان افصح الناس وقال الزمخشرى الاعجم الذى لا يفصح وفى لسانه عجمة او استعجام والاعجمى مثله الا ان فيه زيادة ياء النسب كما قالوا الاشعرون اى الاشعريون واحدهم اشعرى ولا يجوز ان يكون جمع اعجم لان مؤنثه عجماء ومثل هذا الاعجم جمع التصحيح قال شهاب الدين وفيما قاله ابن عطية نظر واما الزمخشرى فليس فى كلامه انه جمع اعجم مخففا او غير مخفف وان كان ظاهره انه جمع اعجم من غير تخفيف ولكن الذى قاله ابن عطية تبع فيه الفراء فانه قال الاعجمين جمع اعجم او اعجمى على حذف ياء النسب كما قال الاشعرين وواحدهم اشعرى وانشد الكميت

ولو جهزت قافية شرودا لقد دخلت بيوت الاشعرينا

لكن الفراء لا يتصوره ذلك فانه من الكوفيين وقد تقدم عنهم انهم يجيزون جمع افعل فعلاء وقرا الحسن وابن مقسم الاعجميين بياء النسب وهى مؤيدة لتخفيف منه فى قراءة العامة **فصل** ولو نزلنا يعنى القران على رجل ليس بعربى اللسان فقراه عليهم بغير لغة العرب ما كانوا به مؤمنين وقالوا ما نفقه قولك وجعلوه عذرا لجحودهم ونظيره ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته وقيل معناه ولو نزلناه على رجل ليس من العرب لما امنوا به انفة من اتباعه **قوله تعالى كذلك سلكناه** اى مثل ذلك او الامر كذلك والضمير فى سلكناه عائد على القران وهو الظاهر اى سلكناه فى قلوب المجرمين كما سلكناه فى قلوب المؤمنين ومع ذلك لم ينجع فيهم وقال ابن عباس والحسن ومجاهد ادخلنا الشرك والتكذيب فى قلوب المجرمين وهذه الاية تدل على ان الكل بقضاء الله وخلقه قال الزمخشرى اراد به انه صار ذلك التكذيب متمكنا فى قلوبهم اشد التمكن فصار ذلك كالشئ الجبلى والجواب انه اما ان يكون قد فعل الله تعالى فيهم ما يقتضى الترجيح ام لا فان كان الاول فقد ذكرنا فى سورة الانعام ان الترجيح لا يتحقق ما لم ينته الى حد الوجوب وحينئذ يحصل المقصود وان لم يفعل فيهم ما يقتضى الترجيح البتة امتنع قوله كذلك سلكناه **قوله تعالى لا يؤمنون به** فى الجملة وجهان احدهما الاستئناف على جهة البيان والايضاح لما قبله والثانى انها حال من الضمير فى سلكناه اى سلكناه غير مؤمن به ويجوز ان يكون حالا من المجرمين لان المضاف جزء من المضاف اليه **حتى يروا العذاب الاليم** يعنى عند الموت **قوله تعالى فياتيهم** وفيقولوا عطف على يروا وقرا العامة بالياء من تحت والحسن وعيسى بالتاء من فوق انث ضمير العذاب لانه فى معنى العقوبة وقال الزمخشرى انث على ان الفاعل ضمير الساعة قال الزمخشرى فان قلت ما معنى التعقيب فى قوله فياتيهم قلت ليس المعنى التعقيب فى الوجود بل المعنى ترتبها فى الشدة كانه قيل لا يؤمنون بالقران حتى تكون رؤيتهم العذاب اشد منها ومثال ذلك ان تقول ان اسات مقتك الصالحون فانك لا تقصد ان مقت الله بعد مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسئ وقرا الحسن بغتة بفتح الغين **فصل** المعنى ياتيهم العذاب بغتة اى فجاة وهم لا يشعرون به فى الدنيا **فيقولوا هل نحن منظرون** اى لنؤمن ونصدق يتمنون الرجعة والنظرة وانما يقولون ذلك استرواحا عند تعذر الخلاص لانهم يعلمون فى الاخرة ان لا ملجا لهم قال مقاتل لما اوعدهم النبى صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب قال الله تعالى **افبعذابنا يستعجلون** قوله تعالى **افرايت** تقدم تخفيفه وقد تنازع افرايت وجاءهم فى قوله ما كانوا يمتعون فان اعملت الثانى وهو جاءهم رفعت به ما كانوا فاعلا به ومفعول ارايت الاول ضميره ولكنه حذف والمفعول الثانى هو الجملة الاستفهامية فى قوله ما اغنى عنهم ولا بد من رابط بين هذه الجملة وبين المفعول الاول المحذوف وهو مقدر تقديره افرايت ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم تمتعهم حين حل الموعود به ودل على ذلك قوة الكلام وان اعملت الاول نصبت به ما كانوا يوعدون واضمرت فى جاءهم ضميره فاعلا به والجملة الاستفهامية مفعول ثان ايضا والعائد مقدر على ما تقرر فى الوجه قبله والشرط معترض وجوابه محذوف وهذا كله مفهوم مما تقدم فى سورة الانعام وانما ذكرناه هنا لانه تقدير عسر يحتاج الى تامل وهذا كله انما يتاتى على قولنا ان ما استفهامية ولا يضر تفسيرهم لها بالنفى فان الاستفهام قد يرد بمعنى النفى واما اذا جعلناها نافية حرفا كما قاله ابو البقاء فلا يتاتى ذلك لان مفعول ارايت الثانى لا يكون الا جملة استفهامية كما تقرر **فصل** افرايت ان **متعناهم سنين** كثيرة فى الدنيا يعنى كفار مكة ولم نهلكهم **ثم جاءهم ما كانوا يوعدون** يعنى العذاب **ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون** فى تلك السنين اى انهم وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا اتاهم العذاب لم يغن طول التمتع عنهم شيئا ويكون كانهم لم يكونوا فى نعيم قط **قوله تعالى الا لها منذرون** يجوز ان تكون الجملة صفة لقرية وان تكون حالا منها وسوغ ذلك سبق النفى وقال الزمخشرى فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها فى قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما فى قوله سبعة وثامنهم كلبهم قال ابو حيان ولو قدرنا لها منذرون جملة لم يجز ان تجئ صفة بعد الا ومذهب الجمهور انه لا تجئ الصفة بعد الا معتمدة على اداة الاستثناء نحو ما جاءنى احد الا راكب واذا سمع مثل هذا خرجوه على البدل اى الا رجل راكب ويدل على صحة هذا المذهب ان العرب

تقول ما مررت باحد الا قايما ولا يحفظ عنهم الا قايم يعني بالجر فلو كانت الجملة صفة بعد الا لسمع الجر في هذا وايضا فلو
كانت الجملة صفة للنكرة لجاز ان تقع صفة المعرفة بعد الا يعني ما مررت بزيد الا العاقل ثم قال فان كانت الصفة
غير معتمدة على الاداة جات الصفة بعد الا نحو ما جاني احد الا زيد خير من عمرو والتقدير ما جاني احد خير من عمرو الا
زيد واما كون الواو تزاد لتاكيد وصل الصفة بالموصوف فغير معهود في عبارة النحويين لو قلت جاني رجل وعاقل اي
رجل عاقل لم يجز وانما تدخل الواو في الصفات جوازا اذا عطف بعضها على بعض وتغاير مدلولها نحو مررت بزيد
الشجاع والشاعر واما وثامنهم كلبهم فتقدم الكلام عليه ❊ قال شهاب الدين اما كون الصفة لا تقع بعد الا معتمدة
قال الزمخشري مختار غير هذا فانها مسئلة خلافية واما كونه لم يقل الا قايما بالنصب دون قايم بالجر فذلك على احد
الجايزين وليس فيه دليل على المنع من نسبه ❊ واما قوله فغير معهود في كلام النحويين فممنوع هذا ابن جني نص عليه
في بعض كتبه واما الزامه انها لو كانت الجملة صفة بعد الا للنكرة لجاز ان تقع صفة المعرفة بعد الا فغير لازم لان
ذلك مختص بكون الصفة جملة واذا كانت جملة تعذر كونها صفة للمعرفة وانما اختص ذلك بكون الصفة جملة لانها
لتاكيد وصل الصفة والتاكيد لايق بالجمل واما قوله لو قلت جاني رجل وعاقل لم يجز فمسلم ولكن انما امتنع ذلك
في الصفة المفردة لئلا يلتبس الجاي اثنان رجل واخر عاقل بخلاف كونها جملة فان اللبس منتف وقد تقدم شبعة
وثامنهم قوله تعالى ذكرى يجوز فيها اوجه ❊ احدها انها مفعول من اجله واذا كانت مفعولا من اجله ففي العامل فيها وجهان
احدهما منذرون على ان المعنى منذرون لاجل الموعظة والتذكرة ❊ الثاني اهلكنا قال الزمخشري والمعنى وما اهلكنا
من اهل قرية ظالمين الا بعد ما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل
عصيانهم ثم قال وهذا الوجه عليه المعول قال ابو حيان وهذا لا معول عليه فان مذهب الجمهور ان ما قبل الا لا يعمل
فيما بعدها الا ان يكون مستثنى او مستثنى منه او تابعا له غير معتمد على الاداة نحو ما مررت باحد الا زيد خير من عمرو والمفعول
له ليس واحدا من هذه ويتخرج مذهبه على مذهب الكسائي والاخفش وان كانا لم ينصا على المفعول له بخصوصيته
❊ قال شهاب الدين والجواب ما تقدم قبل ذلك من انه يختار مذهب الاخفش ❊ الثاني من الاوجه الاول انها في
محل رفع خبر المبتدا المحذوف اي هذه ذكرى وتكون الجملة اعتراضية ❊ الثالث انها صفة لمنذرون اما على المبالغة
واما على الحذف اي منذرون ذوو ذكرى او على وقوع المصدر موقع اسم الفاعل اي منذرون مذكرون وتقدم
نظيره ❊ الرابع انها في محل نصب على الحال اي مذكرين او ذوي ذكرى او جعلوا نفس الذكرى مبالغة ❊ الخامس انها منصوبة
على المصدر المؤكد وفي العامل فيها حينيذ وجهان احدهما لفظ منذرون لانه من معناها فهما كقعدت جلوسا والثاني
انه محذوف من لفظها اي يذكرون ذكرى وذلك المحذوف صفة لمنذرون قوله تعالى وما كنا ظالمين في تعذيبهم
حيث قدمنا الحجة عليهم واعذرنا اليهم او وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين قوله تعالى وما تنزلت به الشياطين
العامة على الياء ورفع النون وهو جمع تكسير ❊ وقرا الحسن البصري وابن السميفع والاعمش بالواو مكان الياء والنون
مفتوحة اجراه مجرى جمع السلامة وهذه القراة قد ردها جمع كبير من النحويين ❊ قال الفرا غلط الشيخ ظن انها
النون التي على هجا ين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن
وصاحبه يعني محمد بن السميفع مع انا نعلم انهما لم يقرا الا وقد سمعا فيه ❊ وقال النحاس هو غلط عند جميع
النحويين ❊ وقال المهدوي هو غير جايز في العربية ❊ وقال ابو حاتم هي غلط منه او عليه وقد اثبت هذه القراة
جماعة من اهل العلم ودفعوا عنها الغلط قال القاري بها من العلم بمكان مكين واجابوا عنها باجوبة صالحة فقال النضر
ابن شميل قال يونس بن حبيب سمعت اعرابيا يقول دخلت بساتين من ورايها بساتون فقلت ما اشبه هذا بقراة
الحسن وخرجها بعضهم على انها جمع شياط بالتشديد مثال مبالغة مثل ضراب وقتال على ان يكون مشتقا من شاط
يشيط اي احرق ثم جمع جمع سلامة مع تخفيف اليا فوزنه فعالون مخففا من فعالين بتشديد العين ويدل على ذلك
انهما وغيرهما قرؤا بذلك اعني بتشديد اليا وهذا منقول عن مورج السدوسي ووجهها اخرون بان اخره لما كان يشبه
يبرين وفلسطين اجري اعرابه ويبرون وفلسطون وتقدم القول في ذلك في البقرة والهاء في به تعود على القران وجاءت
هذه الجملة الثلاثة منفية مرتبة نفي اولا تنزيل الشياطين به لان النفي في الغالب يكون في الممكن وان كان الامكان هنا
منتفيا ثم نفي ثانيا ابتغاء ذلك اي ولو فرض الامكان لم يكونوا اهلا له ثم نفي ثالثا نفي الاستطاعة والقدرة ثم ذكر
علة ذلك وهي انعزالهم عن السماع من الملا الاعلى لانهم يرجمون بالشهب لو تسمعوا فصل لما احتج على صدق محمد
عليه السلام بكون القران تنزيل رب العالمين لوقوعه في الفصاحة القصوى ولاشتماله على قصص المتقدمين
من غير تفاوت مع انه عليه السلام لم يتعلم من احد وكان الكفار يقولون هذا من القا الجن والشياطين كساير
ما ينزل به على الكهنة فاجاب الله تعالى لا يتسهل للشياطين لانهم معزولون عن استماع كلام اهل السما يرجمهم بالشهب
قال قيل العلم بكون الشياطين ممنوعين عن ذلك لا يحصل الا بخبر الصادق فاذا اثبتنا كون محمد عليه السلام صادقا

بفصاحة القران واخباره عن الغيب ولا يثبت كون الفصاحة والاخبار عن الغيب معجزا الا اذا ثبت كون الشياطين ممنوعين عن ذلك
فلزم الدور فالجواب لا نسلم ان العلم بكون الشياطين ممنوعين عن ذلك لا يستفاد الا من قول النبي صلى الله عليه وسلم
لانا نعلم بالضرورة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يلعن الشياطين ويامر الناس بلعنهم فلو كان ذلك انما حصل من القا
الشياطين لكان الكفار اولى بان يحصل لهم مثل هذا العلم فيجب ان يكون افتدار الكفار على مثله اولى ولما لم يكن كذلك علمنا ان
الشياطين ممنوعون لانهم معزولون عن تعرف الغيوب ثم انه تعالى لما ذكر هذا الجواب خاطب الرسول عليه السلام فقال
فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين قال ابن عباس يحذر به غيره يقول انت اكرم الخلق علي ولو اتخذت الها غيري
لعذبتك وقوله فتكون منصوب في جواب النهي قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين روى عبد الله بن عباس عن علي بن
ابي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الاية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا علي ان الله امرني ان انذر عشيرتي
الاقربين وضقت بذلك ذرعا وعرفت اني متى اناديهم بهذا الامر ارى منهم ما اكره فصمت عليها حتى جاني جبريل فقال يا محمد الا تفعل
ما تؤمر يعذبك ربك فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملا لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى ابلغهم
ما امرت به ففعلت ما امرني به ثم دعوتهم له وهم يوميذ اربعون رجلا يزيدون رجلا او ينقصونه فيهم اعمامه ابو طالب
وحمزة والعباس وابو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت فجيت به فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه
وسلم جذبة من اللحم فشقها باسنانه ثم القاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فاكل القوم حتى ما لهم بشي حاجة وايم الله
ان كان الرجل الواحد منهم لياكل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجيتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله
ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره ابو لهب فقال سحركم صاحبكم
فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد يا علي ان هذا الرجل قد سبقني الى ما سمعت من القول فتفرق القوم
قبل ان اكلمهم فعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس
فاكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني قد جيتكم بخير الدنيا والاخرة وقد امرني
الله ان ادعوكم اليه فايكم يوازرني على امري ويكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاحجم القوم عنها جميعا فقلت وانا
احدثهم سنا انا يا نبي الله اكون وزيرك عليه فاخذ برقبتي ثم قال ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له
واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع لعلي وتطيع ❊ وعن ابن عباس قال لما نزلت وانذر
عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه
فقال ارايتم ان اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم
بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت تبت يدا ابي لهب قوله تعالى واخفض
جناحك لمن اتبعك من المومنين واعلم ان الطاير اذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض
الجناح كناية عن التواضع ولين الجانب قوله تعالى فان عصوك في هذه الواو وجهان احدهما انها ضمير الكفار اي امرك
بالتوحيد ❊ والثاني انها ضمير المومنين اي فان عصاك المومنون في فروع الاسلام وبعض الاحكام بعد تصديقك
والايمان برسالتك وهذا في غاية البعد فقل اني بري مما تعملون من الكفر وعبادة غير الله فصل قال الجبائي هذا
يدل على انه عليه السلام كان بريا من معاصيهم وذلك يوجب ان الله تعالى بري من عملهم كالرسول والا كان مخالفا
لله كما لو رضي عن شخص قال الله راض عنه واذا كان تعالى بريا من عملهم فلا يكون فاعلا له والجواب انه تعالى بري من
المعاصي بمعنى انه ما امر بها بل نهى عنها فاما بمعنى انه لا يريدها فلا نسلم بدليل انه علم وقوعها وكل ما كان معلوم الوقوع
فهو واجب الوقوع والا لانقلب علمه جهلا وهو محال والمفضي الى المحال محال وعلم ما هو واجب الوقوع لا يراد عدم وقوعه
فثبت قولنا قوله وتوكل قرا نافع وابن عامر بالفا والباقون بالواو فاما قراة الفا فانه جعل فيها ما بعد الفا كالجزء لما قبلها
مترتبا عليه وقراة الواو لمجرد عطف جملة على اخرى ❊ والتوكل عبارة عن تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه
وضره ثم قال على العزيز الرحيم ليكفيك كيد الاعدا بعزته وينصرك عليهم برحمته قوله تعالى الذي يراك يجوز ان
يكون مرفوع المحل خبر المبتدا المحذوف او منصوبة على المدح او مجرورة على النعت او البدل او البيان قال اكثر المفسرين
معناه يراك حين تقوم الى صلاتك ❊ وقال مجاهد يراك اينما كنت وقيل حين تقوم لدعايهم قوله تعالى وتقلبك
عطف على مفعول يراك اي ويرى تقلبك وهذه قراة العامة وقرا جناح بن حبيش بالياء من تحت مضمومة وكسر
اللام ورفع البا جعله فعلا مضارع قلب بالتشديد وعطفه على المضارع قبله وهو يراك اي الذي يقلبك
فصل معنى تقلبه اي تقلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك قاله عكرمة وعطية
عن ابن عباس في الساجدين اي في المصلين ❊ وقال مقاتل والكلبي اي مع المصلين في الجماعة اي يراك حين تقوم
وحدك للصلاة ويراك اذا صليت مع المصلين جماعة ❊ وقال مجاهد يرى تقلب بصرك في المصلين فانه كان يبصر
من خلفه كما يبصر من امامه قال عليه السلام والله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم واني لاراكم من وراء ظهري وقال

الحسن تقلبك فى الساجدين اى تصرفك وذهابك ومجيئك فى اصحابك المؤمنين وقال سعيد بن جبير يعنى وتصرفك فى
احوالك كما كانت الانبيا من قبلك والساجدون هم الانبيا وقال عطا عن ابن عباس اراد وتقلبك فى اصلاب الانبيا
من نبى الى نبى حتى اخرجك فى هذه الامة انه هو السميع العليم السميع لما تقوله العليم بما تنوى به قوله تعالى هل انبئكم
الاية اعاد الشبهة المتقدمة واجاب عنها من وجهين الاول قوله تنزل على كل افاك اثيم كما تقدم من ان الكفار يدعون
الى طاعة الشيطان ومحمد يدعوا الى لعن الشيطان والبراءة منه والثانى قوله يلقون السمع واكثرهم كاذبون ومعناه
انهم كانوا يقيسون حال النبى صلى الله عليه وسلم على حال الكهنة فكانه قيل ان كان الامر على ما ذكرتم فكما ان الغالب على سائر
الكهنة الكذب فيجب ان يكون حال الرسول كذلك فلما لم يظهر فى اخبار الرسول عن المغيبات الا الصدق علمنا ان حاله خلاف
حال الكهنة قوله على من متعلق بتنزل بعده وانما قدم لان له صدر الكلام وهو معلق لما قبله من فعل التنبيه لانه
بمعنى العلم ويجوز ان تكون هنا متعدية لاثنين فتسد الجملة المشتملة على الاستفهام مسد الثانى لان الاول ضمير المخاطب
وان تكون متعدية لثلاثة فتسد مسد اثنين وقرا البزى على من تنزل الشياطين تنزل بتشديد التاءين من تنزل
الموضعين والاصل تتنزل بتاءين فادغم والادغام فى الثانى سهل لتحرك ما قبل المدغم وفى الاول صعوبة لسكون
ما قبله وهو نون من وتقدم تحقيق هذا فى البقرة عند قوله ولا تيمموا الخبيث قوله يلقون يجوز ان يعود الضمير على
الشياطين فيجوز ان تكون الجملة من يلقون حالا وان تكون مستانفة ومعنى القائهم السمع انصاتهم الى الملا الاعلى
ليسترقوا شيئا او يلقون الشى المسموع الى الكهنة ويجوز ان يعود على كل افاك اثيم من حيث انه جمع فى المعنى فتكون الجملة
اما مستانفة واما صفة لكل افاك ومعنى الالقا ما تقدم وقال ابو حيان حال عود الضمير على الشياطين وبعد ما ذكر المعنيين
المتقدمين فى القا السمع قال فعلى معنى الانصات يكون يلقون استيناف اخبار وعلى القا المسموع الى الكهنة يحتمل
الاستيناف واحتمل الحال من الشياطين اى ينزل على كل افاك اثيم ملقين ما سمعوا انتهى وفى تخصيصه الاستيناف
بالمعنى الاول وتجويزه الوجهين فى المعنى الثانى نظر لان جواز الوجهين جار فى المعنيين فيحتاج فى ذلك الى دليل فان
قيل كيف قال واكثرهم كاذبون بعد ما حكم عليهم ان كل واحد منهم افاك فالجواب ان الافاكين هم الذين يكثرون
الكذب لا انهم الذين لا ينطقون الا بالكذب فاراد ان هولا الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى واكثرهم مفتر
عليه قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون قد تقدم ان نافعا يقرا بتخفيف التاء ساكنة وفتح الباقى سورة الاعراف
عند قوله لا يتبعوكم والفرق بين المخفف والمثقل وسكن الحسن العين ورويت عن ابى عمرو وليست ببعيد فى عينه
كينصركم وبابه وروى هرون عن بعضهم نصب العين وهى غلط والقول بان الفتحة للاتباع خطا والعامة
على رفع الشعراء بالابتدا والجملة بعده الخبر وقرا عيسى بالنصب على الاشتغال فصل لما قال الكفار لم لا يجوز ان
يقال الشياطين تنزل بالقران على محمد كما انهم ينزلون بالكهانة على الكهنة وعلى الشعراء بالشعر ثم انه تعالى فرق
بين محمد عليه السلام وبين الكهنة ذكر هنا ما يدل على الفرق بينه وبين الشعراء بان الشعراء يتبعهم الغاوون
وهم الضالون ثم بين ان ذلك لا يمكن القول به لامرين الاول انهم فى كل واد يهيمون والمراد منه الطرق المختلفة
كقولك انا فى واد وانت فى واد وذلك بانهم يمدحون الشى بعد ان ذموه وبالعكس وقد يعظموه وبعد ما يستحقروه
وبالعكس وذلك يدل على انهم لا يطلبون بشعرهم الحق والصدق بخلاف امر محمد عليه السلام فانه من اول امره
الى اخره بقى على طريق واحد وهو الدعوة الى الله والترغيب فى الاخرة والاعراض عن الدنيا والثانى انهم يقولون
ما لا يفعلون وذلك ايضا من علامات الغواية فانهم يرغبون فى الجود ويرغبون عنه وينفرون عن البخل ويصرون
عليه ويقدحون فى الناس بادنى شى صدر عنهم وعن واحد من اسلافهم ثم انهم لا يرتكبون الا الفواحش وذلك يدل
على الغواية والضلالة واما محمد عليه السلام فانه بدا بنفسه ولا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين ثم
بالاقرب فالاقرب فقال وانذر عشيرتك الاقربين وكل ذلك خلاف طريقة الشعرا فظهر بهذا البيان ان حال
محمد عليه السلام لم يشبه حال الشعرا قوله تعالى يهيمون يجوز ان تكون هذه الجملة خبر ان وهذا هو الظاهر
لانه محط الفائدة وفى كل واد متعلق به ويجوز ان يكون فى كل واد هو الخبر ويهيمون حال من الضمير فى الخبر
والعامل ما تعلق به هذا الخبر او نفس الجار كما تقدم فى نظيره ويجوز ان تكون الجملة خبرا بعد خبر عند من يرى
تعدد الخبر مطلقا وهذا من باب الاستعارة البليغة والتمثيل الرائع شبه جولانهم فى افانين القول وطرائق
المدح والذم والتشبيب وانواع الشعر بهيم الهائم فى كل وجه وطريق وقيل اراد بكل واد على كل حرف من حروف الهجا يصوغون
القوافى والهائم الذى يخبط فى سيره ولا يقصد موضعا معينا هام على وجهه اى ذهب والهائم على العاشق من ذلك والهيمان
العطشان والهيام داء ياخذ الابل من العطش وجمل اهيم وناقة هيما والجمع فيهما هيم قال تعالى شرب الهيم والهيام
من الرمل اليابس كانهم تخيلوا معنى العطش فصل قال المفسرون اراد شعرا الكفار كانوا يهجون رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر مقاتل اسمائهم فقال منهم عبد الله بن الزبعرى السهمى وهبيرة بن ابى وهب المخزومى ومسافع بن

عبد مناف وابو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى وامية بن ابى الصلت الثقفى تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول كما قال محمد وقالوا الشعر
واجتمع اليهم غواة من قومهم يستمعون اشعارهم حين يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ويروون عنهم ذلك فذلك
قوله يتبعهم الغاوون وهم الرواة الذين يروون هجا المسلمين وقال قتادة هم الشياطين ثم انه تعالى لما وصف شعرا الكفار
بهذه الاوصاف استثنى شعرا المسلمين الذين كانوا يجيبون شعرا الجاهلية ويهجون الكفار وينافحون عن النبى صلى الله عليه
وسلم واصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات روى عن
كعب بن مالك انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله قد انزل فى الشعرا ما انزل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان المؤمن
يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكانما ترمونهم به نضح النبل وفى رواية قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده
هو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل فان معك روح القدس معك واعلم ان الله تعالى وصفهم باربعة الاول
الايمان وهو قوله الا الذين امنوا وثانيها العمل الصالح وهو قوله وعملوا الصالحات وثالثها ان يكون شعرهم فى التوحيد والنبوة
ودعوة الخلق وذكروا الله كثيرا ورابعها ان لا يذكروا هجوا الا على سبيل الانتصار ممن يهجوهم وهو قوله وانتصروا من بعد
ما ظلموا قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر
حكمة وقالت عايشة الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح وقال الشعبى كان ابو بكر يقول الشعر
وكان عمر يقول الشعر وكان على اشعر الثلاثة وروى عن ابن عباس انه كان ينشد الشعر فى المسجد ويستنشد فيه
وقوله وذكروا الله كثيرا اى لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله وانتصروا من بعد ما ظلموا اى انتصروا من المشركين لانهم بدوا
من الهجا ثم اوعد شعرا المشركين فقال وسيعلم الذين ظلموا اشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اى منقلب
ينقلبون اى مرجع يرجعون بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم والسعير قوله اى منقلب منصوب على المصدر والناصب
له ينقلبون وقدم لتضمنه معنى الاستفهام وهو معلق لسيعلم سادا مسد مفعوليها وقال ابو البقا اى منقلب صفة
لمصدر محذوف اى ينقلبون انقلابا اى منقلب ولا يعمل فيه سيعلم لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وهذا مردود
بان الواقعة صفة لا تكون استفهامية وكذلك الاستفهامية لا تكون صفة لشى بل كل منهما قسم براسه واى تنقسم الى
اقسام كثيرة وهى الشرطية والاستفهامية والموصولة والصفة والموصوفة عند الاخفش خاصة والمناداة نحو يا
هذا والموصولة لندا ما فيه ال يا ايها الرجل عند غير الاخفش والاخفش يجعلها فى الندا موصولة وقرا ابن عباس والحسن
اى منفلت ينفلتون بالفا والتاء من فوق من الانفلات روى الثعلبى فى تفسيره عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال اعطيت السورة التى يذكر فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى واعطيت
فواتح القران وخواتيم السورة التى يذكر فيها البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل نافلة وعن انس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اعطانى السبع مكان التورية واعطانى الطواسين مكان الزبور وفضلنى
بالحواميم والمفصل ما قراهن نبى قبلى وعن ابى امامة عن ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الشعرا كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم وبعدد
من كذب بعيسى وصدق بمحمد

سورة النمل

وهى ثلاث وتسعون اية والف ومائة وتسع واربعون كلمة واربعة الاف وسبع مائة وتسعة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن
الرحيم قوله تعالى طس تلك ايات القران وكتاب مبين تلك اشارة الى ايات السورة اى هذه ايات القران قوله وكتاب العامة
على جره عطفا على القران وهل المراد به نفس القران فيكون من عطف بعض الصفات على بعض والمدلول واحد او اللوح
المحفوظ او نفس السورة وقيل القران والكتاب علمان للمنزل على نبينا صلى الله عليه وسلم فهما كالعباس وعباس يعنى
فتكون ال فيهما للمح الصفة وهذا خطا اذ لو كانا علمين لما وصفا بالنكرة وقد وصف قران بها فى قوله تلك ايات الكتاب
وقران فى الحجر ووصف بها كتاب كما فى هذه الاية الكريمة والذى يقال انه نكر هنا لافادة التفخيم كقوله فى مقعد صدق
وقرا ابن ابى عبلة وكتاب مبين برفعهما عطفا على ايات المخبر بها عن تلك فان قيل كيف صح ان يشار لاثنين احدهما مؤنث
والاخر مذكر باسم الاشارة للمؤنث ولو قلت تلك هند وزيد لم يجز فالجواب من ثلاثة اوجه احدها ان
المراد بالكتاب هو الايات لان الكتاب عبارة عن ايات مجموعة فلما كانا شيا واحدا صحت الاشارة اليهما باشارة الواحد
المؤنث الثانى انه على حذف مضاف اى وايات كتاب مبين الثالث انه لما ولى المؤنث ما يصح الاشارة به اليه اكتفى
به وحسن ولو اولى المذكر لم يحسن الا تراك تقول جاءتنى هند وزيد ولو حذفت هندا او اخرتها لم يجز تانيث الفعل
قوله تعالى هدى وبشرى يجوز فيهما اوجه احدها ان يكونا منصوبين على المصدر بفعل مقدر من لفظهما اى يهدى

هدى وبشرى بشرى. الثاني أن يكونا في موضع الحال من آيات والعامل فيهما ما في تلك من معنى الإشارة. الثالث أن يكونا في موضع الحال من القرآن وفيه ضعف من حيث كونه مضافا إليه. الرابع أن يكون حالا من كتاب في قراءة من رفعه ويضعف في رواه من جره لما تقدم من كونه في حكم المضاف إليه لعطفه عليه. الخامس أنهما حالان من الضمير المستتر في مبين سواء رفعته أم جررته. السادس أن يكونا بدلين من آيات. السابع أن يكونا خبرا بعد خبر. الثامن أن يكونا خبري ابتداء مضمر أي هي هدى وبشرى للمؤمنين **فصل** المراد يهديهم إلى الجنة ويبشرهم كقوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما ولهذا اختص به المؤمنين. وقيل المراد بالهدى الدلالة وإنما خصصه بالمؤمنين لأنه ذكر مع الهدى البشرى والبشرى إنما تكون للمؤمنين أو لأنهم تمسكوا به كقوله إنما أنت منذر من يخشاها أو لأنه يزيد في هداهم كقوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى **قوله تعالى الذين يقيمون الصلوة** يجوز أن يكون مجرور المحل نعتا للمؤمنين أو بدلا أو بيانا أو منصوبة على المدح أو مرفوعة على تقدير مبتدأ أي هم الذين والمراد بها الصلوات الخمس وكذا القول في الزكوة فإنها هي الواجبة لأن التعريف بالألف واللام يقتضي ذلك وإقامة الصلاة أن يؤدي بشرائطها والزكاة يوضعها في مواضعها **قوله تعالى وهم بالآخرة هم يوقنون** الثاني تكرير للأول على سبيل التوكيد اللفظي وفهم الزمخشري منه الحصر أي لا يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء المتصفون بهذه الصفات ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق وبالآخرة متعلق بيوقنون ولا يضر الفصل بينهما بالتوكيد وهذه الجملة تحتمل أن تكون معطوفة على الصلة داخلة في خبر الموصول وحينئذ يكون قد غاير بين الصلتين يعني وهو أنه لما كان إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مما يتكرر ويتجدد أتى بالصلتين جملة فعلية فقال يقيمون ويؤتون ولما كان الإيقان بالآخرة أمرا ثابتا مطلوبا دوامه أتى بالصلة جملة اسمية مكررا فيها المسند إليه مقدما فيها الموقن به الدال على الاختصاص ليدل على الثبات والاستقرار وجاء خبر المبتدأ في هذه الجملة فعلا مضارعا دلالة على أن ذلك متجدد كل وقت غير منقطع ويحتمل أن تكون مستأنفة غير داخلة في خبر الموصول. قال الزمخشري ويحتمل أن تتم الصلة عنده أي عند قوله وهم قال وتكون الجملة اعتراضية يريد أن الصلة تمت عند الزكاة فيجوز في ذلك وإلا فكيف يصح إذا أخذ بانتظام كلامه أن الصلة تمت عند قوله وهم وتسميته هذا اعتراضا يعني من حيث المعنى وسياق الكلام وإلا فالاعتراض في الاصطلاح إنما يكون بين متلازمين من مبتدأ وخبر وشرط وجزاء وقسم وجواب وتابع ومتبوع وصلة وموصول وليس هنا شيء من ذلك **فإن قيل** إن المؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة لا بد وأن يكونوا متيقنين بالآخرة فما وجه ذكره مرة أخرى **فالجواب** من وجهين. الأول أن الذي تستفاد منه طرق النجاة هو معرفة المبدأ ومعرفة المعاد والعمل الصالح و[illegible] الطاعة بالنفس والطاعة بالمال فقوله الذين يؤمنون بالغيب وهو إشارة إلى معرفة المبدأ وقوله الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة إشارة إلى الطاعة بالنفس والمال وقوله وبالآخرة هم يوقنون إشارة إلى علم المعاد فكأنه تعالى جعل معرفة المبدأ طرفا أولا ومعرفة المعاد طرفا أخيرا وجعل الطاعة بالنفس والمال متوسطا بينهما. الثاني أن المؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة منهم من هو جازم بالحشر والنشر ومنهم من يكون شاكا فيه إلا أنه يأتي بهذه الطاعات احتياطا فيقول إن كنت مصيبا فيها فقد فزت بالسعادة وإن كنت مخطئا فيها لم يفتني إلا خيرات قليلة في هذه المدة اليسيرة فمن أتى بالصلاة والزكاة على هذا الوجه لم يكن في الحقيقة مهتديا بالقرآن وأما من كان جازما بالآخرة كان مهتديا به فلهذا ذكر هذا القيد **قوله تعالى إن الذين لا يؤمنون بالآخرة الآية** لما بين ما للمؤمنين من البشرى أتبعه ما للكفار من سوء العذاب فقال إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم القبيحة حتى رأوها حسنة **فهم يعمهون** يترددون فيها متحيرين **فإن قيل** كيف أسند تزيين أعمالهم إلى ذاته مع أنه أسنده إلى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم **فالجواب** أما أهل السنة فأجروا الآية على ظاهرها لأن الإنسان لا يفعل شيئا البتة إلا إذا دعاه الداعي إلى الفعل والمعقول من الداعي هو العلم والاعتقاد أو الظن بكون الفعل مشتملا على منفعة وهذا الداعي لا بد وأن يكون من فعل الله تعالى لوجهين. الأول أنه لو كان لافتقر فيه إلى داع آخر ولزم التسلسل وهو محال. الثاني أن العلم إما أن يكون ضروريا أو كسبيا فإن كان ضروريا فلا بد من تصورين والمتصور يمتنع أن يكون مكتسبا لأن المكتسب إن كان شاعرا له فهو متصور به وتحصيل الحاصل وإن لم يكن متصورا كان غافلا عنه والغافل عن الشيء يمتنع أن يكون طالبا له **فإن قيل** إنه مشعور به من وجه قلنا فالمشعور به غير ما هو مشعور به فيعود التقسيم المتقدم في كل واحد من هذين الوجهين وإذا ثبت أن التصور غير مكتسب البتة والعلم الضروري هو الذي يكون واحد من تصوريه كافيا في حصول التصديق والتصور غير كسبية فهي مستلزمة التصديق فإذن متى حصلت التصورات البديهية كان التصديق بها بديهيا وليس كسبيا ثم إن التصديقات البديهية إن كانت مستلزمة التصديقات النظرية لم تكن التصديقات النظرية كسبية لأن لازم الضروري ضروري وإن لم تكن مستلزمة لها

لم يكن تلك الأشياء التي فرضناها علوما نظرية لذلك بل هي اعتقادات تقليدية لأنه لا معنى لاعتقاد المقلد إلا اعتقاد تحسيني يفعله ابتداء من غير أن يكون له موجب فثبت بهذا أن العلوم بأسرها ضرورية فالإنسان مضطر في صورة مختار فثبت أن الله تعالى هو الذي زين لكل عامل عمله. والمراد من التزيين هو الذي يخلق في قلبه العلم بما فيه من المضار والآفات فثبت بهذه الدلائل العقلية القاطعة وجواب إجراء هذه الآية على ظاهرها. وأما المعتزلة فتأولوها بوجوه: أحدها أن المراد زينا لهم أمر الدين وما يلزمهم أن يتمسكوا به وزيناه بأن بينا حسنه وما لهم فيه من الثواب لأن التزيين من الله للعمل ليس إلا وصفه بأنه حسن واجب وحميد العاقبة وهو المراد من قوله وحبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وقوله فهم يعمهون يدل على ذلك أي المراد فهم يعدلون وينحرفون عما زينا من أعمالهم. وثانيها أنه تعالى لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق جعلوا إنعام الله عليهم بذلك ذريعة إلى اتباع شهواتهم وعدم الانقياد لما يلزمهم من التكاليف فكأنه تعالى زين بذلك أعمالهم ولذلك أشارت الملائكة عليهم السلام بقولهم بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى نسوا الذكر. وثالثها أن إمهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فأسند إليه. والجواب عن الأول أن قوله تعالى زينا لهم أعمالهم صيغة عموم فوجب أن يكون الله تعالى قد زين لهم كل أعمالهم حسنا كان العمل أو قبيحا. وعن الثاني أن الله تعالى لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق فهل لهذه الأمور تأثير في ترجيح فاعلية المعصية على تركها أثر أو ليس لها أثر فيه فإن كان الأول فقد دللنا على أن الترجيح متى حصل فلا بد وأن ينتهي إلى حد الوجوب والاستلزام وحينئذ يحصل الغرض وإن لم يكن فيه أثر صارت هذه الأشياء بالنسبة إلى أعمالهم كصرير الباب ونعيق الغراب بالنسبة إلى أعمالهم وذلك يمنع من إسناد فعلهم إليها وهذا بعينه هو الجواب عن التأويل الثالث الذي ذكروه **قوله تعالى أولئك لهم سوء العذاب** أي القتل والأسر يوم بدر وقيل المراد مطلق العذاب سواء كان في الدنيا أو في الآخرة وسوء العذاب شدته **قوله هم الأخسرون** في أفعل قولان أظهرهما أنها على بابها من التفضيل وذلك بالنسبة إلى الكفار من حيث اختلاف الزمان والمكان يعني أنهم أكثر خسرانا في الآخرة منهم في الدنيا أي أن خسرانهم في الآخرة أكثر من خسرانهم في الدنيا. وقال جماعة منهم الكرماني هي هنا للمبالغة لا للشركة لأن المؤمن لا خسران له في الآخرة البتة وقد تقدم جواب ذلك وهو أن الخسران راجع إلى شيء واحد باعتبار اختلاف زمانه ومكانه. وقال ابن عطية الأخسرون جمع أخسر لأن أفعل صفة لا يجمع إلا أن يضاف فتقوى رتبته في الأسماء وفي هذا نظر. قال أبو حيان ولا نظر في أنه يجمع جمع سلامة وجمع تكسير إذا كان بأل بل لا يجوز فيه إلا ذلك إذا كان قبله ما يطابقه في الجمعية تقول الزيدون هم الأفضلون والأفاضل والهندات هن الفضليات والفضل. وأما قوله لا يجمع إلا أن يضاف فلا يتعين إذ ذاك جمعه بل إذا أضيف إلى نكرة لا يجوز جمعه وإن أضيف إلى معرفة جاز فيه الجمع والإفراد **قوله تعالى وإنك لتلقى** لقي مخففا يتعدى لواحد وبالتضعيف يتعدى لاثنين فأقيم أولهما هنا مقام الفاعل والثاني القرآن وقول من قال إن أصله تلقن بالنون تفسير معنى فلا يتعلق به متعلق بأن النون أبدلت حرف علة **فصل** المعنى لتؤتاه وتلقنه من عند أي حكيم وأي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية تمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من القصص كأنه قال على أثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى. **فإن قيل** الحكمة إما أن تكون نفس العلم وإما أن يكون العلم داخلا فيها فبعد ذكر الحكمة لم ذكر العلم **فالجواب** أن الحكمة هي العلم بالأمور العملية فقط والعلم أعم منه لأن العلم قد يكون عمليا وقد يكون نظريا والعلوم النظرية أشرف من العلوم العملية فذكر الحكمة المشتملة على العلوم العملية ثم ذكر العليم وهو البالغ في كمال العلم من جهات ثلاثة وحدتها وعموم تعلقها بكل المعلومات وبقاؤها مصونة عن كل التغيرات وما حصلت هذه الكمالات الثلاثة إلا في علمه سبحانه **قوله تعالى إذ قال موسى لأهله الآية** يجوز أن يكون إذ منصوبا بإضمار اذكر أو بعليم مقدما لو لا عليه لعليم أو بعليم وفيه ضعف لتقييد الصفة بهذا الظرف **قوله** إذ قال موسى لأهله في مسيره من مدين إلى مصر قيل إنه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته ابنة شعيب عليه السلام وقد كنى الله عنها بالأهل فتبع ذلك ورود الخطاب بلفظ الجمع وهو قوله **امكثوا إني آنست** أبصرت نارا وذلك أنهما كانا يسيران ليلا وقد اشتبه الطريق عليهما والوقت وقت برد وفي مثل هذا تقوى النفس بمشاهدة نار من بعد لما يرجى فيها من زوال الحيرة في أمر الطريق ومن الانتفاع به للاصطلاء فلذلك بشرها فقال **إني آنست نارا سآتيكم منها بخبر** والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لأنه كان قد ضله ثم في الكلام حذف ثم إنه لما أبصر النار توجه إليها وقال سآتيكم منها بخبر تعرف به الطريق **قوله تعالى أو آتيكم بشهاب قبس** قرأ الكوفيون بتنوين شهاب على أن قبس بدلا من شهاب أو صفة له لأنه بمعنى مقبوس كالقبض والنقض والباقون بالإضافة على البيان لأن الشهاب يكون قبسا وغيره والشهاب الشعلة والقبس القطعة منها تكون في عود وفي غير عود وأو على بابها من التنويع والطاء في يصطلون من تاء الافتعال لأنه من صلي بالنار **فإن قيل** قال هاهنا سآتيكم منها بخبر وفي موضع آخر لعلي آتيكم منها بخبر وبينهما كالمنافاة لأن أحدهما ترج والآخر تيقن **فالجواب** قد يقول الراجي إذا قوي رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة **فإن قيل** كيف جاء

بسبب التشويف عدم لاهله انه باتيهم به وان ابطا او كانت المسافة بعيدة واذ خلا وبين الامرين المفعول به
بين الرجا على انه لم يظفر بهذين المقصودين ظفر باحدهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة منه بعادة الله
تعالى لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده لعلكم تصطلون تستدفئون من البرد قوله نودي في القائم مقام
الفاعل ثلاثة اوجه احدها انه ضمير موسى وهو الظاهر وفي ان حينئذ ثلاثة اوجه احدها انها المفسرة لتقدم ما هو
بمعنى القول والثاني انها الناصبة للمضارع ولكن وصلت هنا بالماضي وتقدم تحقيق ذلك وذلك على اسقاط الخافض
اي نودي موسى بان بورك الثالث انها المخففة واسمها ضمير الشان وبورك خبرها ولم يحتج هنا الى فاصل لانه دعا
وقد تقدم نحوه في النور في قوله ان غضب في قراة فعلا ماضيا قال الزمخشري فان قلت هل يجوز ان تكون المخففة
من الثقيلة والتقدير بانه بورك والضمير ضمير الشان والقصة قلت لا لانه لا بد من قد فان قلت فعلى اضمارها
قلت لا يصح لانها علامة ولا تحذف انتهى فمنع ان تكون مخففة لما ذكر وهذا بنا منه على ان بورك خبر لا دعا اما اذا قلنا
انه دعا كما تقدم في النور فلا حاجة الى الفاصل كما تقدم وقد تقدم فيه استشكال وهو ان الطلب لا يقع خبرا في هذا الباب
فكيف وقع هذا خبرا الا ان المخففة وهو دعا الثاني من الاوجه الاول ان القائم مقام الفاعل نفس ان بورك
على حذف حرف الجر اي بان بورك وان حينئذ اما ناصبة في الاصل واما مخففة الثالث انه ضمير المصدر المفهوم
من الفعل اي نودي النداء ثم فسر بما بعده ومثله ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه قوله من في النار من قام
مقام الفاعل لبورك وبارك يتعدى بنفسه وان لك بني للمفعول يقال باركك الله وبارك عليك وبارك فيك وبارك
لك وقال الشاعر فبوركت مولودا وبوركت ناشيا وبوركت عند الشيب اذ انت اشيب وقال عبد الله بن الزبير
فبورك في بنيك وفي بنيهم اذا ذكروا ونحن لك الفداء وقال اخر فبورك في الميت الغريب كما
بورك نبع الرمان والزيتون والمراد بمن اما الباري تعالى وهو على حذف مضاف اي من قدرته وسلطانه في
النار وقيل المراد بمن غير العقلا وهو النور والامكنة التي حولها فالاول مروي عن ابن عباس وروى مجاهد عنه
انه قال معناه بوركت النار وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ايضا قال سمعت ابيا يقرا ان بوركت النار ومن
حولها ومن قد تاتي بمعنى ما كقوله ومنهم من يمشي على بطنه وما قد تكون صلة في الكلام كقوله جند ما هنالك ومعناه
بورك من في النار وفيمن حولها وهم الملايكة وموسى عليهم السلام وقال الزمخشري بورك من في النار بورك من في مكان
النار ومن حولها مكانها ومكانها هي البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المذكورة في قوله تعالى من شاطي الواد
الايمن في البقعة المباركة ويدل عليه قراءة ابي تباركت الارض ومن حولها قوله وسبحان الله فيه اوجه احدها
انه من تتمة النداء اي نودي بالبركة وتنزيه رب العزة اي نودي بمجموع الامرين الثاني انه من كلام الله تعالى
مخاطبا لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام وهو على هذا اعتراض بين اثنا القصة الثالث ان معناه وبورك من
سبح الله يعني انه حذف من وصلتها وابقى معمولا الصلة اذ التقدير بورك من في النار ومن حولها ومن قال سبحان الله
وسبحان في الحقيقة ليس معمولا لقال بل الفعل من لفظه وذلك الفعل هو المنصوب بالقول فصل روي عن ابن
عباس وسعيد بن جبير والحسن في قوله بورك من في النار يعني قدس من في النار وهو الله عنى به نفسه على معنى
انه نادى موسى منها واسمعه كلامه من جهتها كما روي انه مكتوب في التورية جا الله من سينا واشرف من
ساعير واستعلا من جبال فاران فمجيه من سينا بعثته موسى منها ومن ساعير بعثته المسيح ومن جبال
فاران بعثته المصطفى منها وفاران مكة وهل كان ذلك نوره عز وجل قال سعيد بن جبير كانت النار بعينها والنار
احدى حجب الله تعالى كما جاء في الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه والسبب
الذي لاجله بوركت البقعة وبورك من فيها وحولها حدوث هذا الامر العظيم فيها وهو تكليم الله موسى
وجعله رسولا واظهار المعجزات عليه ولهذا جعل الله ارض الشام موسومة بالبركات في قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا
فيها وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث الانبيا عليهم السلام ومهبط الوحي وكفاتهم احيا وامواتا ولما نزه نفسه وهو المنزه
من كل سو وعيب تعرف الى موسى بصفاته قوله تعالى يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم في اسم ان وجهان اظهرهما انه ضمير الشان
وانا الله مبتدا وخبره والعزيز الحكيم صفتان لله والثاني انه ضمير راجع الى ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان
لانا والعزيز الحكيم صفتان للبيان قاله الزمخشري قال ابو حيان واذا حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول فلا يجوز ان
يعود الضمير على ذلك المحذوف اذ قد غير الفعل عن بنايه له وعزم على ان لا يكون محدثا عنه فعود الضمير اليه مما ينافي
ذلك اذ يصير معتنى به قال شهاب الدين وفيه نظر لانه قد يلتفت اليه وقد تقدم ذلك في البقرة عند قوله فمن
عفي له ثم قال واداء اليه فقيل الى الذي عفي وهو ولي الدم على ما تقدم تحريره ولين سلم ذلك فالزمخشري لم يقل انه عايد
على ذلك الفاعل انما قال راجع الى ما دل عليه ما قبله يعني من السياق وقال ابو البقا ويجوز ان يكون ضمير رب
اي انا الرب انا الله فيكون انا فصلا او توكيدا او خبرا ان والله بدل منه وقيل الها في قوله انه عماد وليست

بكناية قال قيل هذا النداء قد يجوز ان يكون من عند غير الله فكيف علم موسى انه من الله فالجواب لاهل السنة فيه طريقان
الاول انه سمع الكلام المنزه عن مشابهة كلام المخلوقين فعلم بالضرورة انه صفة الله الثاني قول ايمة ما ورا النهر وهو
انه عليه السلام سمع الصوت من الشجرة فنقول انما عرف ان ذلك من الله تعالى لامور احدها ان النداء اذا حصل في النار
او الشجرة علم انه من قبل الله تعالى لان احدا منا لا يقدر عليه وهذا ضعيف لاحتمال ان الشيطان دخل في النار والشجرة ثم
نادى والثاني يجوز في نفس النداء ان يكون قد بلغ في العظم مبلغا لا يكون الا معجزا وهو ايضا ضعيف لانا لا نعرف مقادير
قوى الملايكة والشياطين فلا قدر الا ويجوز صدوره منهم وثالثها انه قد يقترن به معجز دل على ذلك وقيل ان النار
كانت مشتعلة في شجرة خضرا لم تحترق فصار ذلك كالمعجزة وهذا ايضا في غاية الضعف والبعد لانه كيف تنادي
النار والشجرة وتقول يا موسى اني انا ربك او اني انا الله رب العالمين قوله تعالى والق عطف على ما قبله من الجملة الاسمية
الخبرية وقد تقدم ان سيبويه لا يشترط تناسب الجمل وانه يجيز جا زيد ومن ابوك وتقدمت ادلته اول البقرة وقال
الزمخشري فان قلت علام عطف قوله والق عصاك قلت على قوله بورك لان المعنى نودي ان بورك وقيل له الق عصاك
والدليل على ذلك قوله وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه ان حج واعتمر
وان شيت ان حج وان اعتمر قال ابو حيان وقوله انه معطوف على بورك مناف للتقدير وقيل له الق عصاك لان هذه
جملة معطوفة على بورك وليس جزوها الذي هو معمول وقيل معطوفا على بورك وانما احتاج الى التقدير وقيل له الق لتكون
جملة خبرية مناسبة للجملة الخبرية التي عطفت عليها كانه يرى في العطف تناسب الجمل المتعاطفة والصحيح انه لا يشترط ذلك
ثم ذكر مذهب سيبويه قوله فلما راها تهتز تتحرك كانها جان وهي الحية الصغيرة سميت جانا لانها تستتر عن الناس وقرا الحسن
على لغة من يهرب من التقا الساكنين فيقول شابة ودابة ولى مدبرا هرب من الخوف ولم يعقب لم يرجع يقال عقب
فلان اذا رجع وكل راجع معقب وقال قتادة ولم يلتفت فقال الله يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون
يريد اذا امنتهم لا يخافون وقيل المراد اني اذا امرتهم باظهار معجزاته لا يخافوا فيما يتعلق باظهار ذلك والا فالمرسل
قد يخاف لا محالة لان الخوف الذي هو شرط الايمان لا يفارقهم قال النبي صلى الله عليه وسلم انا اخشاكم لله قوله
تهتز جملة حالية من هاء راها لان الروية بصرية وقوله كانها جان يجوز ان تكون حالا ثانية وان تكون حالا من
ضمير تهتز فتكون حالا متداخلة وقوله ولم يعقب يجوز ان تكون عطفا على ولى وان تكون حالا اخرى والمعنى ولم
يرجع على عقبه كقوله فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا بدلوا يوم الكريهة منزلا قوله تعالى الا من ظلم فيه وجهان
احدهما انه استثنا منقطع لان المرسلين معصومون من المعاصي وهذا هو الظاهر الصحيح والمعنى لكن من ظلم من ساير
الناس فانه يخاف فان تاب وبدل حسنا بعد سو فاني غفور رحيم والثاني انه متصل وللمفسرين فيه عبارات قال الحسن
ان موسى ظلم بقتل القبطي ثم تاب فقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وقال ابن جريج قال الله لموسى اخفتك لقتلك النفس
وقال معنى الاية لا يخيف الله الانبيا الا بذنب يصيبه احدهم فان اصابه اخافه حتى يتوب وقيل محمول على ما يصدر
من الانبيا من ترك الافضل وقال بعض النحويين الا هنا بمعنى ولا يعني لا يخاف لدي المرسلون ولا المذنبون التايبون
كقوله تعالى ليلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعني ولا الذين ظلموا وعن الفرا انه متصل لكن من جملة محذوفة
تقديره وانما يخاف غيرهم الا من ظلم ورده النحاس بانه لو جاز هذا لجاز لا اضرب القوم الا زيدا اي وانما اضرب غيرهم
الا زيدا وهذا ضد البيان والمجي بما لا يعرف معناه وقدره الزمخشري بلكن وهي علامة على انه منقطع وذكر كلاما
طويلا فعلى الانقطاع يكون منصوبا فقط على لغة الحجاز وعلى لغة تميم يجوز فيه النصب والرفع على البدل من الفاعل
قبله واما على الاتصال فيه الوجهان على اللغتين ويكون الاختيار البدل لان الكلام غير موجب وقرا ابو جعفر وزيد
بن اسلم الا بفتح الهمزة وتخفيف اللام جعلاها حرف تنبيه ومن شرطية وجوابها فاني غفور والعامة على تنوين حسنا
ومحمد بن عيسى الاصبهاني غير منون جعلها فعلى مصدرا كرجعى فمنعها الصرف لالف التانيث وابن مقسم بضم الحاء والسين
منونا ومجاهد وابو حيوة وروي عن ابن عمرو بفتحهما وتقدم تحقيق القراتين في البقرة قوله تعالى تخرج الظاهر
انه جواب لقوله ادخل اي ان ادخلها تخرج على هذه الصفة وقيل في الكلام حذف تقديره وادخل يدك تدخل واخرجها
تخرج فحذف من الثاني ما اثبته في الاول ومن الاول ما اثبته في الثاني وهذا تقدير لا حاجة اليه قوله تعالى بيضا
حال من فاعل تخرج ومن غير سو يجوز ان تكون حالا اخرى او من الضمير في بيضا او صفة لبيضا والمراد بالجيب جيب
القميص قال المفسرون كانت عليه مدرعة من صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده في جيبه واخرجها فاذا هي تبرق
مثل البرق قوله تعالى في تسع فيه اوجه احدها انه حال ثالثة قاله ابو البقا يعني من فاعل تخرج اي انه في تسع ايات
كذا قدره الثاني انها متعلقة بمحذوف اي اذهب في تسع وقد تقدم اختيار الزمخشري لذلك عند ذكر البسملة
ونظرهم بقول الاخر فقلت الى الطعام فقال منهم وقولهم بالرفا والبنين وجعل هذا التقدير اعرب واحسن الثالث
ان يتعلق بقوله والق عصاك وادخل قال الزمخشري ويجوز ان يكون المعنى والق عصاك وادخل يدك في تسع ايات

اى فى جملة تسع ايات وللقايل ان يقول كانت الايات احدى عشرة منها اثنتان اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان من مزارعهم انتهى وعلى هذا تكون فى
بمعنى مع اى هذه اية مع تسع ايات انت مرسل بهن الى فرعون وقومه لان اليد والعصا جنسية خارجتان من التسع
وكذا فعل ابن عطية اعنى انه جعل فى تسع متصلا بالق وادخل الا انه جعل اليد والعصا من جملة التسع وقال
تقديره يمهد لك ذلك ويبسر فى تسع وجعل الزجاج ان فى بمعنى من قال كما يقول خذلى من الابل عشرا فيها فحلان
اى منها فحلان قوله تعالى الى فرعون هذا متعلق بما تعلق به فى تسع اذا لم يجعله حالا قال جعلناه حالا علقناه بمحذوف
فقدره ابو البقاء مرسلا الى فرعون وفيه نظر لانه كون مقيد وسبقه الى هذا التقدير الزجاج وكانهما ارادا التفسير
المعنى دون الاعراب وجوز ابو البقا ايضا ان تكون صفة لايات وقدره واصلة الى فرعون وفيه ما تقدم قوله تعالى
مبصرة حال ونسب الابصار اليها مجازا لان بها يبصر وقيل بل هى من ابصر المنقولة بالهمزة من بصر اى انها تبصر غيرها
لما فيها من الظهور ولكنه مجاز اخر غير الاول وقيل هو بمعنى مفعول نحو ماء دافق اى مدفوق وقرا على بن الحسين وقتادة
بفتح الميم والصاد اى على وزن ارض مسبعة ذات سباع ونصبها على الحال ايضا وجعلها ابو البقا فى هذه القراة مفعولا
من اجله وقد تقدم ذلك ومعنى مبصرة بينة واضحة قالوا هذا سحر مبين ظاهر قوله تعالى وجحدوا بها اى انكروا الايات
ولم يقروا انها من عند الله قوله تعالى واستيقنتها انفسهم يجوز ان تكون هذه الجملة معطوفة على الجملة قبلها ويجوز
ان تكون حالا من فاعل جحدوا وهو ابلغ فى الذم واستفعل هنا بمعنى تفعل نحو استعظم واستكبر والمعنى انهم علموا
انها من عند الله وقايدة ذكر الانفس انهم جحدوها بالسنتهم واستيقنوها فى قلوبهم وضمايرهم والاستيقان
ابلغ من الايقان قوله تعالى ظلما وعلوا يجوز ان يكونا فى موضع الحال اى ظالمين عالين وان يكونا مفعولا من
اجلهما اى الحامل على ذلك الظلم والعلو وقرا عبد الله وابن وثاب والاعمش وطلحة وعليا بكسر العين واللام وقلب
الواو ياء وتقدم تحقيقه فى عتيا فى مريم وروى عن الاعمش وابن وثاب ضم العين كما فى عتيا وقرى وعلوا
بالغين معجمة وهو قريب من هذا المعنى واى ظلم اخس من ظلم من استيقن انها ايات بينة من عند الله ثم كابر بتسميتها
سحرا بينا والعلو الترفع على الايمان والشرك وعدم الايمان بما جاء به موسى كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فانظر كيف
كان عاقبة المفسدين قوله تعالى كيف كان عاقبة كيف خبر مقدم وعاقبة اسمها والجملة فى محل نصب على اسقاط الخافض
لانها معلقة لانظر بمعنى تفكر قوله تعالى ولقد اتينا داود وسليمان علما الاية والمراد بالعلم اى علم القضاء ومنطق الطير
والدواب وتسبيح الجبال والمعنى طايفة من العلم او علما سنيا عزيزا قوله وقالا قال الزمخشرى فان قلت اليس هذا
موضع الفاء دون الواو وكقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر قلت بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان ما قالاه بعض
ما احدث فيهما ايتا العلم وشى من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف التحميد كانه قال ولقد اتيناهما علما فعملا به وعلماه
وعرفاه حق معرفته وقالا الحمد لله انتهى وانما نكر علما لتعظيماله اى علما سنيا او دلالة على التبعيض لانه قليل جدا
بالنسبة الى علمه فضل المعنى وقالا الحمد لله الذى فضلنا بالنبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن والانس
على كثير من عباده المومنين ولم يفضلوا انفسهم على الكل وذلك يدل على احسن التواضع قوله تعالى وورث سليمان
داود قال الحسن المال لان النبوة عطية مبتداة لا تورث وقال غيره بل النبوة والعلم والملك دون ساير اولاده
ولو تامل الحسن لعلم ان المال لا يورث من الانبيا لقوله عليه السلام نحن معاشر الانبيا لا نورث ما تركنا صدقة وايضا
فان المال اذا ورثه الولد فهو ايضا عطية مبتداة من الله تعالى ولذلك يرثه الولد اذا كان مومنا ولا يرث اذا
كان كافرا او قاتلا ولا كذلك النبوة لان النبوة لا تكون سببا للنبوة الولد وكان لداود تسعة عشر ابنا واعطى
سليمان ما اعطى داود من الملك وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا
من داود واقضى منه وكان داود اشد تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله وقال يا ايها الناس
علمنا منطق الطير يعنى سمى صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه كما يفهم من كلام الناس روى عن كعب قال
صاح ورشان عند سليمان عليه السلام فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا
للخراب وصاحت فاختة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاحت طاوس
فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال اتدرون ما يقول
قالوا لا قال فانه يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاحت طيطوى فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال
فانه يقول كل حى ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول
قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول سبحان ربى الاعلى ملء
سمايه وارضه وصاح قمرى فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول سبحان ربى الاعلى قال والغراب
يدعو على العشار والحداة تقول كل شى هالك الا وجه الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن

الدنيا

الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربى القدوس رب الملايكة والروح والبازى يقول سبحان ربى وبحمده وعن مكحول صاح دراج
عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى قوله تعالى واوتينا من كل شى يوتى الانبيا
والملوك قال ابن عباس من امر الدنيا والاخرة وقال مقاتل يعنى النبوة والملك وتسخير الجن والشياطين والريح ان هذا لهو
الفضل المبين والمراد بقوله اوتينا من كل شى كثرة ما اوتى لان كثرة المشاركة سبب لجواز الاستعارة فلا جرم يطلق لفظ الكل على الكثير
كقوله واوتيت من كل شى وقوله ان هذا لهو الفضل المبين اى الزيادة الظاهرة على ما اعطى غيرنا روى ان سليمان اعطى ملك
مشارق الارض ومغاربها فملك سبعماية وستة اشهر ملك جميع اهل الدنيا من الجن والانس والدواب والطير والسباع واعطى
على ذلك منطق كل شى وفى زمانه صنعت الصنايع العجيبة فقوله ان هذا لهو الفضل المبين كقوله الحمد لله الذى فضلنا والقصد
منه الشكر والمحمدة كما قال عليه السلام انا سيد ولد ادم ولا فخر فان قيل كيف قال علمنا واوتينا وهو كلام المتكبر فالجواب
من وجهين الاول ان يريد نفسه واباه والثانى ان هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا قوله تعالى
وحشر لسليمان وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فى مسيره فقوله من الجن وما بعده بيان لجنوده فيتعلق
بمحذوف ويجوز ان يكون هذا الجار حالا فيتعلق بمحذوف ايضا قوله فهم يوزعون اى يمنعون ويكفون والوزع الكف
والحبس يقال وزعه يزعه فهو وازع وموزوع وقال عثمان رضى الله عنه ما يزع السلطان اكثر مما يزع القران وعن قوله
لا بد للقاضى من وزعة وقال الشاعر ومن لم يزعه لبه وحياوه فليس له من شيب فوديه وازع وقوله اوزعنى ان اشكر
بمعنى الهمنى من هذا لان تحقيقه اجعلنى يحبث ازع نفسى عن الكفر فقوله فهم يوزعون معناه يحبسون وهذا لا يكون الا
اذا كان فى كل قبيل منها وازع متسلط على من يرده ويكفه قال قتادة كان على كل صنف من جنوده وزعة ترد اولاها على اخراها
لئلا يتقدموا فى المسير والوازع الحابس والنقيب وقال مقاتل يوزعون يساقون وقال السدى يوقفون وقيل يجمعون
قوله تعالى حتى اذا اتوا فى المعنى حتى وجهان احدهما هو يوزعون لانه مضمن معنى فهم يسيرون ممنوعا بعضهم من مفارقة
بعض حتى اذا والثانى انه محذوف اى فساروا حتى وتقدم الكلام فى حتى الداخلة على اذا هل هى حرف ابتدا او حرف جر قوله على
وادى متعلق باتوا وانما عدى بعلى لان الواقع كذا لانهم كانوا محمولين على الريح فهم مستعلون وقيل هو من قولهم اتيت عليه
اى استقصيته الى اخره والمعنى انهم قطعوا الوادى كله وبلغوا اخره ووقف القرا كلهم على واد دون ياء اتباعا للرسم ولانها
محذوفة لفظا لالتقاء الساكنين فى الوصل ولانها قد حذفت حيث لم تحذف لالتقاء الساكنين نحو جابوا الصخرة بالواد فحذفها
وقفا وقد عهد حذفها دون التقاء الساكنين فحذفها عند التقاء الساكنين بالوصل وقد زال فعادت اللام واعتذروا عن
مخالفة الرسم بقوة الاصل والنمل اسم جنس معروف واحده نملة ويقال نملة ونمل بضم النون وسكون الميم ونمله
ونمل بضمهما ونمله بالفتح والضم بوزن سمرة ونمل بوزن رجل واشتقاقه من التنمل لكثرة حركته ومنه قيل للواشى المنمل
يقال انمل بين القوم ينمل اى وشى ونم لكثرة تردده وحركته فى ذلك قال ولست بذى نيرب فيهم ولا منمش منهم منمل
ويقال ايضا نمل ينمل فهو نمل ونمال وتنمل القوم تفرقوا للجمع تفرق النمل وفى المثل اجمع من نملة والنملة ايضا قرحة تخرج
فى الجنب تشبيها بها فى الهيئة والنملة ايضا شق فى الحافر ومنه فرس منمول القوايم والانملة طرف الاصبع من ذلك لدقتها
وسرعة حركتها والجمع انامل فصل قال كعب كان سليمان اذا سار بعسكره حملته الريح تهوى بهم فسار من اصطخر الى اليمن
ومر على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبى الله صلى الله عليه وسلم فى اخر الزمان طوبى
لمن امن به وطوبى لمن اتبعه وراى حول البيت اصناما تعبد من دون الله فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت فاوحى
الله الى البيت ما يبكيك قال يا رب ابكانى ان هذا نبى من انبيايك وقوم من اوليايك مروا على فلم يهبطوا ولم يصلوا
عندى والاصنام تعبد حولى من دونك فاوحى الله اليه لا تبك فانى سوف املاك وجوها سجدا وانزل فيك قرانا جديدا
وابعث منك فى اخر الزمان احب انبيايى الى واجعل فيك عمارا من خلقى يعبدوننى وافرض على عبادى فريضة يزفون
اليك زفيف النسور الى اوكارها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها واطهرك من الاوثان
وعبدة الشيطان ثم مضى سليمان حتى مضى بوادى السدير من الطايف فاتى على وادى النمل هكذا قال كعب انه واد
بالطايف وقال مقاتل انه واد بالشام كثير النمل وقيل واد كان يسكنه الجن واوليك النمل مراكبهم قوله تعالى قالت
نملة هذه النملة هنا مونثة حقيقة بدليل لحاق علامة التانيث فعلها لان نملة تطلق على الذكر وعلى الانثى فاذا اريد
تمييز ذلك قيل نملة ذكر ونملة انثى نحو حمامة ويمامة وحكى الزمخشرى عن ابى حنيفة رحمه الله انه وقف على قتادة
وهو يقول سلونى فامر من ساله عن نملة سليمان هل كانت ذكرا او انثى فلم يجب فقيل لابى حنيفة فى ذلك فقال
كانت انثى واستدل بلحاق العلامة قال الزمخشرى وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة فى وقوعها على المذكر
والمونث فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهى انتهى وقد رد هذا ابو حيان فقال لحاق
التاء فى قالت لا يدل على ان النملة مونثة بل يصح ان يقال فى المذكر قالت نملة لان نملة وان كانت بالتا هو مما لا يتميز
فيه المذكر من المونث وما كان كذلك كاليمامة والقملة مما بينه فى الجمع وبين واحده تا التانيث من الحيوان

فانه عبر عنه اخبار المونث ولا يدل كونه تخبر عنه اخبار المونث على انه ذكرا وانثى لان التا دخلت فيه للفرق لا للدلالة على
التانيث الحقيقي بل دالة على الواحد من هذا الجنس قال وكان قتادة بصيرا بالعربية وكونه افحم يدل على معرفته
باللسان اذ علم ان النملة تخبر عنها اخبار المونث وان كانت تنطلق على الانثى والذكر اذ لا يتميز فيه احد هذين
ولحاق العلامة لا يدل فلا يعلم التذكير والتانيث الا بوحي من الله قال وانما استنباط تانيثه من كتاب الله بقالت ولو
كانت ذكرا لقيل قال فكلام النحاة على خلافه وانه لا تخبر عنه الا اخبار المونث سوا كان ذكرا ام انثى قال واما التشبيه
الزمخشري النملة بالحمامة والشاة فبينهما قدر مشترك يتميز فيهما المذكر من المونث فيمكن ان يقول حمامة ذكر
وحمامة انثى فيميزه بالصفة واما تميزه بهو وهي فانه لا يجوز ان يقول هو الحمامة ولا هو الشاة واما النملة
والقملة فلا يتميز فيه المذكر من المونث ولا يجوز في الاخبار الا التانيث وحكمه حكم المونث بالتا من الحيوان نحو
المراة او غير العاقل كالدابة الا ان وقع فصل بين الفعل وبين ما اسند اليه من ذلك فيجوز ان تلحق العلامة
وان لا يلحقها على ما تقرر في علم العربية قال شهاب الدين اما ما ذكره ففيه نظر من حيث ان التانيث اما لفظي
او معنوي واللفظي لا يعتبر في لحاق العلامة البتة بدليل انه لا يجوز قامت ربعة وانت تعني رجلا وكذلك لا يجوز
قامت طلحة ولا حمزة على مذكر فتعين ان يكون اللحاق انما هو للتانيث المعنوي وانما يعتبر لفظ التانيث والتذكير
في باب العدد على معنى خاص ايضا وهو انا ننظر الى ما عاملت العرب ذلك اللفظ به من تذكير او تانيث من غير نظر
الى مدلوله فنقول له هذا الاعتبار وتحقيقه هنا يخرجنا عن المقصود وانما ننبهك هنا على القدر المحتاج اليه واما
قوله واما النملة والقملة فلا تتميز يعني لا يتوصل لمعرفة الذكر منهما ولا الانثى بخلاف الحمامة والشاة فان الاطلاع على
ذلك ممكن فهو ايضا ممنوع قد يمكن الاطلاع على ذلك وان الاطلاع على ذكورية الحمامة والشاة اسهل من الاطلاع على
ذكورية النملة والقملة ومنعه ايضا ان يقال هو الشاة وهو الحمامة ممنوع وقرا الحسن وطلحة ومعمر بن سليمان
النمل ونملة بضم الميم وفتح النون بزنة رجل وسمرة وسليمان التيمي بضمتين فيهما وتقدم ان ذلك لغات في الواحد
والجمع قوله لا يحطمنكم فيه وجهان احدهما انه نهي والثاني انه جواب للامر واذا كان نهيا ففيه وجهان احدهما
انه مستانف لا تعلق له بما قبله من حيث الاعراب وانما هو نهي للجنود في اللفظ وفي المعنى للنمل اي لا يكونوا بحيث
لا يحطمونكم كقولهم لا ارينك ههنا والثاني انه بدل من جملة الامر قبله وهي ادخلوا وقد تعرض الزمخشري لذلك
فقال فان قلت لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل ان يكون جوابا للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوز ان يكون
نهيا بدلا من الامر لانه في معنى لا يكونوا حيث انتم فيحطمنكم على طريقة لا ارينك ههنا اراد لا يحطمنكم جنود
سليمان فجاء بما هو ابلغ ونحوه عجبت لنفسي ومن اشفاقها قال ابو حيان اما تخريجه على انه جواب الامر فلا يكون
ذلك الا على قراءة الاعمش فانه مجزوم مع انه يحتمل ان يكون استينافا نهي يعني ان الاعمش قرا لا يحطمكم بجزم الميم
دون نون توكيد قال واما مع وجود نون التوكيد فلا يجوز ذلك الا ان كان في شعر واذا لم يجز ذلك في جواب
الشرط الا في الشعر فاحرى ان لا يجوز في جواب الامر الا في الشعر وكونه جواب الامر متنازع فيه على ما قرر في علم
النحو ومثال مجي النون في جواب الشرط قول الشاعر نبتم نبات الخيزراني في الثرى حديثا متى ما ياتك الخير ينفعا
وقول الاخر فمهما تشا منه فزارة يعطكم ومهما تشا منه فزارة تمنعا قال سيبويه وهو قليل في الشعر شبهوه بالنهي
حيث كان مجزوما غير واجب قال واما تخريجه على البدل فلا يجوز لان مدلول لا يحطمنكم مخالف لمدلول ادخلوا واما
قوله لانه بمعنى لا يكونوا حيث انتم فيحطمكم فتفسير معنى لا اعراب والبدل من صفة الالفاظ نعم لو كان اللفظ
القراني لا يكونوا بحيث لا يحطمنكم لتخيل فيه البدل لان الامر بدخول المساكن نهي عن كونهم بظاهر الارض واما
قوله انه اراد لا يحطمنكم جنود سليمان الى اخره فيسوغ زيادة الاسما وهي لا تجوز بل الظاهر اسناد الحكم
الى جنوده وهو على حذف مضاف اي خيل سليمان وجنوده او نحو ذلك مما يصح تقديره انتهى اما منعه كونه جواب
الامر من اجل النون فقد سبقه اليه ابو البقا فقال وهو ضعيف لان جواب الشرط لا يوكد بالنون في الاختيار
واما منعه البدل بما ذكر فلا نسلم تغاير المدلول بالنسبة لما يؤول اليه المعنى واما قوله فيسوغ زيادة الاسما
لم يسوغ ذلك وانما فسر المعنى وعلى تقدير ذلك فقد قيل به سابقا وجا الخطاب في قولها ادخلوا كخطاب العقلا
لما عوملوا معاملتهم وقرا ابي ادخلن مساكنكن لا يحطمنكن بالنون الخفيفة جابه على الاصل وقرا شهر بن حوشب
مسكنكم بالافراد وقرا الحسن وابو رجا وقتادة وعيسى الهمداني بضم اليا وفتح الحا وتشديد الطا والنون
مضارع حطمه بالتشديد وقرا الحسن ايضا وقرا فتح اليا وتشديد الطا مع سكون الحا وكسرها والاصل
لا يحتطمنكم فادغم واسكان الحا مشكل تقدم نظيره في لا يهدي ونحوه وقرا ابن ابي اسحاق ويعقوب وابو
عمرو في رواية بسكون نون التوكيد والحطم الكسر يقال منه حطمته حطما ثم استعمل لكل كسر متناه والحطام
ما تكسر يبسا وغلب على الاشيا التافهة والحطمة السائق السريع كانه يحطم الابل قال

قد لفها الليل بسواق حطم ليس براعي ابل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم والحطمة من دركات النار ورجل حطمة
للاكول تشبيها لبطنه بالنار كقوله كانما في جوفه تنور وقوله وهم لا يشعرون جملة حالية فصل قال
الثعلبي كانت تلك النملة ذات جناحين فنادت يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم ولم تقل ادخلن لانها لما جعل لهم
قولا كالادميين خوطبوا بخطاب الادميين لا يحطمنكم لا يكسرنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فسمع
سليمان قولها وكان لا يتكلم خلق الا حملت الريح ذلك فالقته في مسامع سليمان قال قيل كيف يتصور
الحطم من سليمان وجنوده وكانت الريح تحمل سليمان وجنوده على بساط بين السما والارض قيل كانت جنوده ركبانا
وفيهم مشاة على الارض تطوى بهم وقيل يحتمل ان يكون هذا قبل تسخير الله الريح لسليمان قال المفسرون علم
النمل ان سليمان نبي ليس فيه جبرية وظلم ومعنى الاية انكم لو لم تدخلوا مساكنكم وطئوكم ولم يشعروا بكم وروي
ان سليمان لما بلغ وادي النمل حبس جنده حتى دخل النمل بيوتهم قال اهل المعاني في كلام هذه النملة انواع من
البلاغة نادت ونبهت وسمت وامرت ونصت وحذرت وخصت وعمت واشارت واعذرت
فوجه نادت يا ونبهت ها وسمت النمل وامرت ادخلوا ونصت مساكنكم وحذرت لا يحطمنكم وخصت سليمان
وعمت وجنوده واشارت وهم واعذرت لا يشعرون قوله ضاحكا قيل هي حال مؤكدة لانها مفهومة من تبسم وقيل
بل هي حال مقدرة فان التبسم ابتدا الضحك وقيل لما كان التبسم قد يكون للغضب ومنه تبسم تبسم
الغضبان اتى ضاحكا مبينا له قال عنترة لما رآني قد قصدت اريده ابدى نواجذه لغير تبسم وتبسم يغل
بمعنى تبسم المجرد قال ويبسم عن المى كان منورا تخلل حر الرمل دعص له ندى وقال بعض المولدين
كانما يبسم عن لولو منضد او برد او اقاح وقرا ابن السميفع ضحكا مقصورا وفيه ثلاثة اوجه احدها انه
مصدر موكد لمعنى تبسم لانه بمعناه والثاني انه في موضع الحال فهو في المعنى الذي قبله الثالث انه اسم
فاعل كفرح وذلك ان فعله على فعل بكسر العين وهو لازم فهو كفرح وبطر قوله ان اشكر مفعول ثان لاوزعني لان
معناه الهمني وقيل معناه اجعلني ازع شكر نعمتك اي اكفه وامنعه حتى لا ينفلت مني فلا ازال شاكرا وتفسير الزجاج
له بامنعني ان اكفر نعمتك من باب تفسير المعنى باللازم فصل قال الزجاج اكثر ضحك الانبيا التبسم وقوله ضاحكا
اي متبسما وقيل كان اوله التبسم واخره الضحك قال مقاتل كان ضحك سليمان من قول النملة تعجبا لان الانسان
اذا راى ما لا عهد له به تعجب وضحك وانما ضحك لامرين احدهما اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة
جنوده وعلى شهرة حاله وحالهم في التقوى وهو قولها وهم لا يشعرون والثاني سروره بما اتاه الله ما لم يوت
احدا من سمعه كلام النملة واحاطته بمعناه ثم حمد سليمان ربه على ما انعم عليه فقال رب اوزعني الهمني
ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وهذا
يدل على ان دخول الجنة برحمته وفضله لا باستحقاق العبد والمعنى ادخلني في جملتهم واثبت اسمي في اسمائهم واحشرني
في زمرتهم قال ابن عباس يريد مع ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين قال قيل
درجات الانبيا افضل من درجات الاوليا والصالحين فما السبب في ان الانبيا يطلبون جعلهم من الصالحين وقال
ابراهيم توفني مسلما والحقني بالصالحين فالجواب الصالح الكامل هو الذي لا يعصي الله ولا يهم بمعصيته
وهذه درجة عالية قوله تعالى وتفقد الطير الاية تفقد الطير طلبها وبحث عنها والتفقد طلب ما فقد من الطير
واختلفوا فيما يتفقده لاجله فقيل لانه اخل بالنوبة التي كان ينوبها وقيل لان هندسة الما كانت اليه وكان يرى
الما تحت الارض كما يرى في الزجاجة وكان يعرف قربه وبعده في عمق الارض قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس
هذا قال له نافع بن الازرق يا وصاف انظر ما تقول ان الصبي منا يضع الفخ ويحثو عليه التراب فيجي الهدهد
ولا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه فقال له ابن عباس ويحك اذا نزل القضا والقدر ذهب اللب وعمي البصر
وهذا القول فيه نظر لان الجن اعرف بالارض من الهدهد فانهم سكانها وقيل لانه كان يظله من الشمس قوله
ما لي لا ارى الهدهد هذا استفهام توقيف ولا حاجة الى ادعا القلب وان الاصل ما للهدهد لا اراه اذ المعنى
قوي دونه والهدهد معروف وتصغيره على هديهد وهو القياس وزعم بعض النحويين انه يقلب بالتصغير
الفا فيقال هداهد وانشد كهداهد كسر الرماة جناحه يدعو بقارعة الطريق هديلا كما قالوا دوابة
وشوابة في دويبة وشويبة ورده بعضهم بان الهداهد الحمام الكثير الترجيع الصوت تزعم العرب ان جارحا
في زمن الطوفان اختطف فرخ حمامة تسمى الهديل قالوا فكل حمامة تبكي فانما تبكي على الهديل قوله ام كان هذه ام المنقطعة وتقدم
الكلام فيها وقال ابن عطية قوله ما لي لا ارى الهدهد مقصد الكلام الهدهد غاب ولكنه اخذ اللازم عن مغيبه وهو ان لا يراه
فاستفهم على جهة التوقف عن اللازم وهذا ضرب من الايجاز والاستفهام الذي في قوله ما لي ناب مناب الالف التي تحتاجها
ام قال ابو حيان فظاهر كلامه ان ام متصلة وان الاستفهام الذي في قوله ما لي ناب مناب الف الاستفهام فمعناه اغاب

عني الآن فلم اره حال التفقد ام كان ممن غاب قبل ولم اشعر بغيبته قال شهاب الدين ولا يظن بابي محمد ذلك فانه لا يجهل ان
شرط المتصلة تقدم همزة الاستفهام او التسوية لا مطلق الاستفهام قوله عذابا اي تعذيبا فهو اسم مصدر او مصدر
على حذف الزوائد كانبتكم من الارض نباتا قد كتبوا او لا اذبحنه بزيادة الف بين لام الف والذال ولا يجوز ان يقرأ بها
وهذا كما تقدم انهم كتبوا ولا اوضعوا خلالكم بزيادة الف بين لام الف والواو قوله او لياتيني قرأ ابن كثير بنون التوكيد
المشددة وبعدها نون الوقاية وهذا هو الاصل واتبع مع ذلك رسم مصحفه والباقون بنون مشددة فقط والاظهر
انها نون التوكيد الشديدة فوصل بكسرها الياء المتكلم وقيل بل هي نون التوكيد الخفيفة ادغمت في نون الوقاية وليس
بشيء لمخالفة الفعلين قبله وعيسى بن عمر بنون مشددة مفتوحة لم يصلها بالياء فصل قال المفسرون معنى الآية ما
للهدهد لا اراه تقول العرب مالي ارى كئيبا فقال مالي لا ارى الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم ادركه الشك
في غيبته فقال ام كان من الغائبين يعني اكان من الغائبين والميم صلة وقيل ام بمعنى بل ثم اوعد على غيبته فقال لاعذبنه
عذابا شديدا فقيل بنتف ريشه ووضعه لهوام الارض وقيل بحبسه في القفص وقيل بان يفرق بينه وبين الفه وقيل
بحبسه مع ضده او لاذبحنه او لياتيني بسلطان مبين حجة ظاهرة قوله فمكث قرأ عاصم بفتح الكاف والباقون بضمها
وهما لغتان الا ان الفتح اشهر ولذلك جاءت الصفة على مكث دون مكيث واعتذر عنه بان فاعلا قد جاء الفعل بالضم نحو
حمض فهو حامض وخثر فهو خاثر وفره فهو فاره قوله غير بعيد يجوز ان يكون صفة للمصدر اي مكثا غير بعيد وللزمان
اي زمانا غير بعيد وللمكان اي مكانا غير بعيد والظاهر ان الضمير في مكث الهدهد وقيل لسليمان عليه السلام فقال
احطت بما لم تحط به والاحاطة العلم بالشيء من جميع جهاته يقول علمت ما لم تعلموا او بلغت ما لم تبلغه انت ولا جنودك
قوله من سبأ قرأ البزي وابو عمرو بفتح الهمزة جعلاه اسما للقبيلة او البقعة فمنعاه من الصرف للعلمية والتانيث
وعليه قوله من سبأ الحاضرين مأرب اذ يبنون من دون سيله العرما وقرأ قنبل بسكون الهمزة كانه نوى الوقف
واجرى الوصل مجراه والباقون بالجر والتنوين جعلوه اسما للحي او المكان وعليه قوله الواردون وتيم في ذرى سبإ
قد عض اعناقهم جلد الجواميس وهذا الخلاف جار بعينه في سورة سبأ وفي قوله من سبإ بنبإ فيه من البديع التجانس وهو
تجنيس التصريف وهو عبارة عن انفراد كل كلمة من الكلمتين عن الاخرى بحرف كهذه الآية ومثله يفرحون في الارض بغير
الحق وبما كنتم تمرحون وفي الحديث الخيل معقود بنواصيها الخير وقال اخر لله ما صنعت بنا تلك المعاجر والمحاجر
وقال الزمخشري وقوله من سبإ بنبإ من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق
باللفظ بشرط ان يجيء مطبوعا او بصنعة عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء هنا زائدا على الصحة
فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبإ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء اصح لما في النبإ من الزيادة التي يطابقها
وصف الحال يريد بالزيادة ان النبأ اخص من الخبر لانه لا يقال الا فيما له شأن من الاخبار فانه يطلق على ما له شأن
وعلى ما لا شأن له فكل نبإ خبر من غير عكس وبعضهم يعبر عن نحو من سبإ بنبإ في علم البديع بالترديد قاله صاحب
التحبير وقال غيره ان الترديد عبارة عن رد اعجاز البيوت على صدورها او رد كلمة من النصف الاول الى النصف الثاني
فمثال الاول قوله سريع الى ابن العم يلطم وجهه وليس الى داعي الخنا بسريع ومثال الثاني قوله
والليالي اذا نأيتم طوال والليالي اذا دنوتم قصار وقرأ ابن كثير في رواية من سبأ مقصورا منونا وعنه ايضا من
سبأ بسكون الباء وفتح الهمزة جعله على فعل ومنعه من الصرف لما تقدم وعن الاعمش من سباء بهمزة مكسورة غير
منونة وفيها اشكال اذ لا وجه للبناء والذي يظهر ان تنوينها لابد وان يقلب ميما وصلا ضرورة مثلا فانه للبناء فسمعها
الراوي فظن انه كسر من غير تنوين وروي عن ابي عمرو من سبا بالالف صريحة كقولهم تفرقوا ايدي سبا وكذلك
قرئ بنبا بالف خاصة وينبغي ان يكون القارئ واحدا وسبأ في الاصل اسم رجل من قحطان واسمه عبد شمس بن
يشجب بن يعرب بن قحطان وسبأ لقب له وانما لقب به لانه اول من سبأ قوله تعالى اني وجدت امرأة تملكهم لما قال
الهدهد لسليمان وجئتك من سبإ بنبإ يقين قال سليمان وما ذاك فقال اني وجدت امرأة تملكهم وكان اسمها بلقيس
بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن من نسل يعرب بن قحطان وكان ملكا عظيم الشان وكان يقول لملوك
الاطراف ليس احد منكم كفوا لي وابى ان يتزوج فيهم فزوجوه امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس
ولم يكن له ولد غيرها وفي الحديث ان احد ابوي بلقيس كان جنيا وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير
في تملكهم راجع الى سبأ فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان اريد المدينة فمعناه تملك اهلها قال عليه السلام لما
بلغه ان اهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى لن يفلح قوم ولوا امرهم امرأة قوله واوتيت من كل شيء يجوز ان يكون
معطوفا على تملكهم وجاز عطف الماضي على المضارع لان المضارع بمعناه اي ملكتهم ويجوز ان يكون في محل نصب على
الحال من مرفوع تملكهم وقد معها مضمرة عند من يرى ذلك وقوله من كل شيء عام مخصوص بالعقل لانها لم تؤت
ما اوتيه سليمان قوله تعالى ولها عرش يجوز ان تكون هذه جملة مستقلة بنفسها سيقت للاخبار بها وان تكون

معطوفة على اوتيت وان تكون حالا من مرفوع اوتيت والاحسن ان يجعل الحال الجار وعرش مرفوع به وبعضهم يقف على عرش
ويبتدئ عظيم على انه خبر مقدم وجدها مبتدأ وبعضهم يقف على عرش ويقطعه عن نعته قال الزمخشري ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد
امر عظيم ان وجدتها فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي مسخ كتاب الله قال شهاب الدين النوكى
الحمقى جمع انوك وهذا الذي ذكره من امر الوقف نقله الداني عن نافع وقررة وابو بكر بن الانباري ورفعه الى نحو
اهل العلم فلا ينبغي ان يقال نوكى القصاص وخرجه الداني على ان يكون عظيم مبتدأ ووجدتها الخبر وهذا خطأ كيف
يبتدئ بنكرة من غير مسوغ ويخبر عنها بجملة لا رابط بينها وبينه والاعراب ما قاله الزمخشري من ان عظيما صفة
لمحذوف خبرا مقدما ووجدتها مبتدأ مؤخر مقدر معه حرف مصدري اي امر عظيم وجداني اياها وقومها غير
عابدي الله قوله وجدتها هي التي بمعنى لقيت واصبت فيتعدى لواحد فيكون يسجدون حالا من مفعولها وما
عطف عليه فان قيل كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان وايضا فكيف سوى بين
عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم فالجواب عن الاول يجوز ان يستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم
لها ذلك العرش ويجوز ان يكون لسليمان مع جلالته مثله كما قد يكون لبعض الامراء شيء لا يكون مثله للسلطان وعن الثاني
انه وصف عرشها بالعظم بالنسبة الى عروش ابناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيما له بالنسبة الى
سائر ما خلق من السموات والارض قال المفسرون العرش السرير الضخم كان مضروبا من الذهب مكللا بالدر والياقوت
الاحمر والزبرجد الاخضر وقوائمه من الياقوت والزمرد وعليه سبعة ابواب على كل بيت باب مغلق قال ابن
عباس كان عرشها ثلاثين ذراعا في ثلاثين ذراعا وطوله في السماء ثلاثون ذراعا واعلم ان قوله الله لا اله الا هو رب
العرش العظيم ان قلنا انه من كلام الهدهد فالهدهد قد استدرك على نفسه واستقل عرشها بالنسبة الى عظمة عرش
الله وان قلنا انه من كلام الله تعالى فالله رد عليه استعظامه لعرشها فصل طعنت الملاحدة في هذه القصة من
وجوه احدها ان هذه الآيات اشتملت على ان النملة والهدهد تكلما بكلام لا يصدر ذلك الا من العقلاء وذلك يجر الى
السفسطة فانا لو جوزنا ذلك لما امنا من النملة التي نشاهدها في زماننا هذا ان تكون اعلم بالهندسة من
اقليدس وبالنحو من سيبويه وكذا القول في القملة والصبيان ولجوزنا ان يكون فيهم الانبياء والمعجزات والتكاليف
ومعلوم ان من جوزه كان الى الجنون اقرب وثانيها ان سليمان عليه السلام كان بالشام فكيف طار الهدهد
في تلك اللحظة اللطيفة من الشام الى اليمن ثم رجع اليه وثالثها كيف خفي على سليمان عليه السلام تلك المملكة
العظيمة مع ان الجن والانس كانوا في طاعته وانه عليه السلام كان ملك الدنيا كلها وكان تحت طاعة بلقيس حال
طيران الهدهد الا مسيرة ثلاثة ايام ورابعها من اين حصل للهدهد انكار سجودهم للشمس واضافته للشيطان وتزيينه
والجواب عن الاول ان ذلك الاحتمال قائم في اول العقل وانما يدفع ذلك بالاجماع وعن البواقي ان الايمان بافتقار العالم
الى القادر المختار يزيل هذه الشكوك فصل قالت المعتزلة قوله يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان
اعمالهم يدل على ان فعل العبد من جهته لانه تعالى اضاف ذلك الى الشيطان بعد اضافته اليهم واورده مورد الذم
وبين انهم لا يهتدون والجواب من وجوه احدها ان هذا قول الهدهد فلا يكون حجة وثانيها انه متروك
الظاهر فانه قال فصدهم عن السبيل وعندكم الشيطان ما صد الكافر عن السبيل اذ لو صده الشيطان
عن السبيل لكان معذورا ممنوعا فيسقط عنه التكليف فلم يبق الا التمسك بالمدح والذم وجوابه قد تقدم
قوله الا يسجدوا قرأ الكسائي بتخفيف الا والباقون بتشديدها فاما قراءة الكسائي فالا فيها تنبيه واستفتاح
ويا بعدها حرف نداء او تنبيه ايضا على ما سيأتي واسجدوا فعل امر فكان حق الخط على هذه القراءة ان يكون
يا اسجدوا ولكن الصحابة اسقطوا الف يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطا لما سقطا لفظا وخطا واختلفا
تقديرا واختلف النحويون في يا هذه هل هي حرف تنبيه او للنداء والمنادى محذوف تقديره يا هؤلاء اسجدوا وقد
تقدم ذلك عند قوله في سورة النساء يا ليتني والمرجح ان يكون للتنبيه لئلا يؤدي الى حذف كثير من غير بقاء
ما يدل على المحذوف الا ترى ان جملة النداء حذفت فلو ادعيت حذف المنادى كثر الحذف ولم يبق معمول يدل
على عامله بخلاف ما اذا جعلتها للتنبيه ولكن عارضنا هنا ان قبلها حرف تنبيه اخر وهو الا وقد اعتذر عن ذلك
بانه جمع بينهما تاكيدا واذا كانوا قد جمعوا بين حرفين عاملين للتاكيد كقوله فاصبحن لا يسألنني عن بما به
فغير العاملين اولى وايضا فقد جمعوا بين حرفين عاملين متحدي اللفظ والمعنى كقوله فلا والله لا يلفى لما بي
ولا للما بهم ابدا دواء فهذا اولى وقد كثر مباشرة يا الفعل الامر وقبلها الا التي للاستفتاح كقوله
الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي ثلاث تحيات وان لم تكلمي وقوله الا يا اسلمي يا دارمي على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر
وقوله الا يا اسلمي ذات الدماليج والعقد وذات الثنايا الغر والفاحم الجعد وقوله
الا يا اسلمي يا هند هند بني بكر وان كان حيانا عدا اخر الدهر وقوله الا يا اسقياني قبل خيل ابي بكر

فقالت الا يا اسمع اعظك بخطبة • وقوله • الا يا اسقياني قبل غارة سنجال • وقوله • لعل منايانا قربن ولا ندري
فقلت سمعنا فانطقي واصيبي • وقد جاء ذلك وان لم يكن قبلها الا كقوله • يا دار هند يا اسلمي ثم اسلمي
بسمسم او عن يمين سمسم • فعلم ان قراءة الكسائي قوية لكثرة دورها في لغتهم وقد سمع ذلك في النثر سمع بعضهم
يقول الا يا ارحموني الا يا تصدقوا علينا • واما قوله • يا لعنة الله والاقوام كلهم • والصالحين على سمعان من جار
فيحتمل ان يكون يا للنداء والمنادى محذوف وان يكون للتنبيه وهو الارجح لما مر • واعلم ان الوقف عند الكسائي
والخطب فيها سهل واما قراءة الباقين فتحتاج الى امعان نظر وفيها اوجه كثيرة • احدها ان الا اصلها ان لا فان ناصبة للفعل
بعدها ولذلك سقطت نون الرفع ولا بعدها حرف نفي وان وما بعدها في موضع مفعول يهتدون على اسقاط الخافض
اي الى ان لا يسجدوا ولا مزيدة كهي في لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا • الثاني انه
بدل من اعمالهم وما بينهما اعتراض تقديره وزين لهم الشيطان عدم السجود لله • الثالث انه بدل من السبيل
على زيادة لا ايضا والتقدير فصدهم عن السجود لله • الرابع ان لا يسجدوا مفعولا له وفي متعلقه وجهان احدهما
انه زين اي زين لهم لاجل ان لا يسجدوا • والثاني انه متعلق بصدهم اي صدهم لاجل ان يسجدوا وفي لا حينئذ وجهان
احدهما انها ليست مزيدة بل باقية على معناها من النفي • والثاني انها مزيدة والمعنى وزين لهم لاجل توقعه سجودهم
او لاجل خوفه من سجودهم وعدم الزيادة اظهر • الخامس انه خبر مبتدا مضمر وهذا المبتدا اما ان يقدر ضميرا
عائدا على السبيل التقدير هو ان لا يسجدوا فتكون لا مزيدة على ما تقدم ليصح المعنى وعلى الاوجه الاربعة المتقدمة
لا يجوز الوقف على يهتدون لان ما بعده اما معمول له او لما قبله من زين وصد او بدل مما قبله ايضا من اعمالهم
او من السبيل على ما قرر بخلاف الوجه الخامس فانه مبني على مبتدا مضمر وان كان ذلك الضمير مفسرا بما سبق
قبله وقد كتبت الا موصولة غير مفصولة فلم تكتب ان منفصلة من لا فمن ثم امتنع ان يوقف لهؤلاء في الابتلاء
والامتحان على ان وحدها لاتصالها بلا في الكتابة بل يوقف لهم على الا بجملتها كذا قال القراء والنحويون متى سئلوا عن
مثل ذلك وقفوا لاجل البيان على كل كلمة على حدتها لضرورة البيان وكونها كتبت متصلة بلا غير مانع من ذلك ثم
قول القراء كتبت متصلة فيه تجوز وتسامح لان حقيقة هذا ان يثبتوا صورة نون ويصلونها بلا فيكتبونها انلا ولكن
لما ادغمت فيما بعدها لفظا وذهب لفظها الى لفظ ما بعدها قالوا ذلك تسامحا وقد رتب ابو اسحق على القراءتين
حكما وهو وجوب سجود التلاوة وعدمه فاوجبه مع قراءة الكسائي وكانه لاجل الامر به ولم يوجبه في قراءة الباقين
لعدم وجود الامر فيها الا ان الزمخشري لم يرتضه منه فانه قال فان قلت اسجدة التلاوة واجبة في القراءتين
جميعا او في واحدة منهما قلت هي واجبة فيهما وان احدى القراءتين امر بالسجود والاخرى ذم للتارك وما ذكره
الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه • قال شهاب الدين وكان الزجاج
اخذ بظاهر الامر وظاهره الوجوب وهذا لو خلينا والاية لكان السجود واجبا ولكن دلت السنة على استحبابه على وجه
على انا نقول هذا مبني على نظر اخر وهو ان هذا الامر من كلام الله تعالى او من كلام الهدهد محكيا عنه فان كان من
كلام الله تعالى فيقال يقتضي الوجوب الا ان يجي دليل يصرفه عن ظاهره وان كان من كلام الهدهد وهو الظاهر
ففي انتهاضه دليلا نظر وهذا الذي ذكره ليس بشيء لان المراد بالسجود هاهنا عبادة الله لا عبادة الشمس
وعبادة الله واجبة وليس المراد من الاية سجود التلاوة وان كانت التلاوة في زمن سليمان عليه السلام ولم يكن ثم
قران • وقرا الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزة هاء مع تشديد لا وتخفيفها وكذا هي في مصحف عبد الله وقرا عبد الله
تسجدون بتاء الخطاب ونون الرفع وقرى كذلك بالياء من تحت فمن اثبت نون الرفع فالا بالتشديد او التخفيف
للتحضيض وقد تكون المخففة للعرض ايضا نحو الا تنزل عندنا فتحدث وفي حرف عبد الله ايضا الا هل تسجدون
بالخطاب قوله الذي يخرج الخبء يجوز ان يكون مجرور المحل نعتا لله او بدلا منه او بيانا ومنصوبه على المدح ومرفوعه
على خبر ابتدا مضمر • والخبء مصدر خبات الشيء اخبوه خبأ اي سترته ثم اطلق على الشيء المخبوء ونحوه هذا خلق الله قال
المفسرون الخبء في السموات المطر وفي الارض النبات والخابية من هذا الا انهم التزموا فيها ترك الهمزة كالبرية
والذرية عند بعضهم وقيل الخبء الغيب اي يعلم غيب السموات والارض • وقرا ابي وعيسى الخب بنقل حركة الهمزة
الى الباء وحذف الهمزة فيصير نحو رايت الاب • وقرا عبد الله وعكرمة ومالك بن دينار الخبا بالف صريحة
ووجهها انه ابدل الهمزة الفا فلزم تحريك الباء وذلك على لغة من يقف من العرب بابدال الهمزة حرفا يجانس
حركتها فتقول هذا الخبو ورايت الخبا ومررت بالخبي ثم اجرى الوصل مجرى الوقف • وقيل انه لما نقل حركة الهمزة
الى الساكن قبلها لم يحذفها بل تركها فسكنت بعد فتحة فدبرت بحركة ما قبلها وهي لغة ثابتة يقولون المراة
والكماة بالف مكان الهمزة بهذه الطريقة وقد طعن ابو حاتم على هذه القراءة وقال لا يجوز في العربية لانه ان
حذف الهمزة التي حركتها على الباء فقال الخب وان حولها قال الخبي بسكون الباء وياء بعدها قال المبرد كان

ابو حاتم دون اصحابه في النحو لم يلحق بهم الا انه اذا خرج من بلدهم لم يلق اعلم منه قوله في السموات فيه وجهان احدهما انه
متعلق بالخبء اي المخبوء في السموات • والثاني انه متعلق بيخرج على ان معنى في بمعنى من اي يخرجه من السموات ومن وفي يتعاقبان
تقول العرب لاستخرجن العلم فيكم اي منكم قاله الفراء وقرا عبد الله يخرج الخبء من السموات قوله تعالى ما تخفون قرا الكسائي وحفص
بالتاء من فوق فيهما والباقون بالياء من تحت فالخطاب ظاهر على قراءة الكسائي لان ما قبله امر لهم بالسجود وخطاب لهم به
والقراءة على قراءة الباقين غير حفص ظاهرة ايضا لتقدم الضمائر الغائبة في قوله لهم واعمالهم وصدهم وفهم • واما قراءة حفص
فتاويلها انه خرج الى خطاب الحاضرين بعد ان اتم قصة اهل سبا ويجوز ان يكون التفاتا على انه نزل الغائب منزلة الحاضر
فخاطبه ملتفتا اليه • وقال ابن عطية القراءة بياء الغيبة تعطي ان الاية من كلام الهدهد وبتاء الخطاب تعطي انها من خطاب
الله لامة محمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم ان الظاهر انه من كلام الهدهد مطلقا وكذلك الخلاف في قوله الله لا اله الا
هو هل هو من كلام الهدهد استدراكا منه لما وصف عرش بلقيس بالعظم او من كلام الله تعالى ردا عليه في وصفه عرشها
والعامة على جر العظيم تبعا للجلالة وابن محيصن بالرفع وهو يحتمل وجهين ان يكون نعتا للرب وان يكون مقطوعا عن تبعية
العرش الى الرفع باضمار مبتدا **فصل** دل قوله يخرج الخبء في السموات والارض على كمال القدرة وسمي المخبو بالمصدر ليتناول
جميع الارزاق والاموال ودل قوله ويعلم ما تخفون وما تعلنون على كمال العلم واذا كان قادرا على كل المقدورات عالما بكل
المعلومات وجب ان يكون الها واما الشمس فليست كذلك فلا تكون الها واذا لم يكن الها لم يستحق العبادة فان قيل ان ابراهيم
وموسى عليهما السلام قدما دلالة الانفس على دلالة الافاق فقال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت ثم قال ان الله ياتي
بالشمس من المشرق وموسى عليه السلام قال ربكم ورب ابائكم الاولين ثم قال رب المشرق والمغرب وهاهنا قدم خبء السموات
على خبء الارض فجوابه ان ابراهيم وموسى ناظرا من ادعى الالهية البشر فابتدا بابطال الالهية البشر ثم انتقل الى الالهية السماء
وهاهنا الكلام مع من ادعى الالهية الشمس لقوله رايتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فلا جرم ابتدا بذكر السماويات
ثم بالارضيات قوله تعالى اصدقت ام كنت الجملة الاستفهامية في محل نصب بننظر لانها معلقة لها وام هنا متصلة وقوله
ام كنت من الكاذبين ابلغ من قوله ام كذبت قال كان هو الاصل لان المعنى من الذين اتصفوا وانخرطوا في سلك الكاذبين
وقوله سننظر من النظر الذي هو التامل قوله تعالى هذا يجوز ان يكون صفة لكتابي او بدلا منه او بيانا له • قال المفسرون
ان سليمان عليه السلام كتب كتابا فيه من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من
اتبع الهدى اما بعد ان لا تعلوا علي واتوني مسلمين • قال ابن جريج لم يزد سليمان على ما قصه الله في كتابه ثم ختمه بخاتمه ثم قال
للهدهد اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم قوله فالقه قرا ابو عمرو وحمزة وابو بكر باسكان الهاء وقالون بكسرها فقط من غير صلة
بلا خلاف عنه وهشام عنه وجهان القصر والصلة والباقون بالصلة بلا خلاف وتقدم توجيه ذلك في آل عمران والنساء
وغيرهما عند يؤده اليك ونوله ما تولى • وقرا مسلم بن جندب بضم الهاء موصولة بواو فالقهو اليهم وقد تقدم ان الضم
الاصل وقال اليهم على لفظ الجمع لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس والمعنى فالقه الى الذين هذا دينهم قوله ثم تول
عنهم زعم ابو علي وغيره ان في الكلام تقديما وتاخيرا وان الاصل فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم ولا حاجة الى هذا لان المعنى بدونه
صحيح اي قف قريبا منهم لتنظر ماذا يكون قوله تعالى ماذا يرجعون ان جعلنا انظر بمعنى تامل وتفكر كانت ما استفهامية وفيها
حينئذ وجهان • احدهما ان تجعل مع ذا بمنزلة اسم واحد وتكون مفعولة بيرجعون تقديره اي شيء يرجعون • والثاني
ان تجعل ما مبتدا وذا بمعنى الذي ويرجعون صلتها وعائدها محذوف تقديره اي شيء الذي يرجعونه وهذا الموصول هو
خبر ما الاستفهامية وعلى التقديرين فالجملة الاستفهامية معلقة لانظر فمحلها النصب على اسقاط الخافض اي انظر في كذا
وفكر فيه وان جعلناه بمعنى انتظر من قوله انظرونا نقتبس من نوركم كانت ماذا بمعنى الذي ويرجعون صلة والعائد
مقدر كما تقرر وهذا الموصول مفعول به اي انتظر الذي يرجعون • وقال ابو حيان وماذا ان كان معنى انظر معنى التامل
بالفكر كان انظر معلقا وماذا ان يكون كله استفهاما في موضع نصب واما ان يكون ما استفهاما وذا موصولة بمعنى الذي
فعلى الاول يكون يرجعون خبرا عن ماذا وعلى الثاني يكون ذا هو الخبر ويرجعون صلة انتهى وهذا غلط اما من الكاتب واما
من غيره وذلك ان قوله فعلى الاول يعني به ان ماذا كله استفهام في موضع نصب يمنع قوله يرجعون خبر عن ماذا كيف
يكون خبرا عنه وهو منصوب به كما تقرر وقد صرح هو بانه منصوب بما بعده ولا يعمل فيه ما قبله وهذا نظير ما تقدم
في اخر السورة قبلها في قوله وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون في كون اسم الاستفهام معمولا لما بعده وهو معلق
لما قبله فكما حكمت على الجملة من ينقلبون وما اشتملت عليه من اسم الاستفهام المعمول لها بالنصب على سبيل التعليق كذلك
تحكم على يرجعون فكيف يقول انها خبر قوله انه من سليمان وانه العامة على كسر الهمزتين على الاستئناف جوابا لسؤال
قومها كانهم قالوا ممن الكتاب وما فيه فاجابتهم بالجوابين • وقرا عبد الله فانه من سليمان بزيادة واو عاطفة
انه من سليمان على قوله اني القي الي • وقرا عكرمة وابن ابي عبلة بفتح الهمزتين صرح بذلك الزمخشري وغيره
ولم يذكر ابو البقاء الا الكسر في انه من سليمان وكانه سكت عن الثانية لانها معطوفة على الاولى وفي تخريج الفتح

فيهما اوجه احدها انه بدل من كتاب بدل اشتمال او بدل كل من كل كانه قيل القى الى انه من سليمان وانه كذا وكذا وهذا هو الاصح والثانى انه مرفوع بكريم ذكره ابو البقا الثالث انه على اسقاط حرف العلة قال الزمخشرى ويجوز ان يريد لانه من سليمان ولانه كانها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقال مكى واجاز الفرا الفتح فيهما فى الكلام كانه لم يطلع على انها قراءة وقرا عكرمة ان من سليمان وان بسم الله بسكون النون فيهما وفيهما وجهان اظهرهما انهما ان المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول والثانى انها المخففة واسمها محذوف وهذا لا تتمشى على اصول البصريين لان اسمها لا يكون الا ضمير شان وضمير الشان لا يفسر الا بجملة مصرح بجزئيها

فصل قال المفسرون اخذ الهدهد الكتاب واتى به الى بلقيس كانت بارض يقال لها مارب من صنعا فرمى بالكتاب اليها فاخذته بلقيس كانت قارية فلما رات الخاتم ارعدت وخضعت لان ملك سليمان كان فى خاتمه وعرفت ان الذى ارسل الكتاب اعظم ملكا لطاعة الطير وهيبة الخاتم فقرات الكتاب وتاخر الهدهد غير بعيد فقعدت على سرير ملكها وجمعت الملا من قومها وقالت لهم انى القى الى كتاب كريم قال عطا والضحاك سمته كريما لانه كان مختوما وروى ابن عباس اى شريف لشرف صاحبه وقيل سمته كريما لانه مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم ثم بينت ممن الكتاب فقالت انه من سليمان وبينت المكتوب فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم **فان قيل** قدم سليمان اسمه على قوله بسم الله الرحمن الرحيم فالجواب حاشاه من ذلك بل ابتدا الكتاب ببسم الله الرحمن الرحيم وانما كتب اسمه عنوانا بعد ختمه لان بلقيس انما عرفت كونه من سليمان بقراءة عنوانه كما هو المعهود ولذلك قالت انه بسم الله الرحمن الرحيم اى ان الكتاب فالتقديم واقع فى حكاية الحال واعلم ان قوله بسم الله الرحمن الرحيم مشتمل على اثبات الصانع سبحانه واثبات كونه عالما قادرا جبارا مريدا حكيما رحيما

فصل وقد استنبط الشيخ الامام العالم شرف الدين محمد بن سعيد الشهير بالبوصيرى من اسرار البسملة ما ابطل به مذهب النصارى فقال بلغنى ان بعض النصارى انتصر لدينه وانتزع من البسملة الشريفة دليلا على تقوية اعتقاده فى المسيح وصحة يقينه فقلب حروفها ونكر معروفها وفرق مالوفها وقدم فيها واخر وفكر وقدر فقتل كيف قدر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال قد انتظم من البسملة المسيح ابن الله محررا وظن ان ذلك سرا فى قلب البسملة مضمرا وعلى جبين الكتاب الغر مسطرا فنظرت الى ما عزاه الى البسملة واستخرجه من حروفها المستعملة والمهملة فاذا هو لا ما المسيح ابن الله محررا فاسقط فى يديه ونكص على عقبيه وقامت حجته من لسانه عليه ثم عاد الى رسوله نجران الذى صح له نطقه وثبت عنده منها حكمه الم المسيح ابن الله محررا فقلت ورسل الله كلهم الم وانبياؤه فاى خصوصية لربك بالنبوة واى رتبة زدته بها على النبوة فقال اردت بالالم اثبات ما انكرته من الصلب وتبعيته عنه من الم الطعن والضرب وقد شهدت به كتب الله المنزلة وشافهتك به حروف البسملة فقلت وهل شهدت لك بالتنقيص ورحت منها بالخيب فداح المقبض وحيث رضيت البسملة بيننا وبينك حكما وجوزت منها الحكم ما عليك وحكما فلتبصرن البسملة الاخيار منا على الاشرار ولتفضلن اصحاب الجنة على اصحاب النار وحيث كان مقصودك من ذكر الالم الافصاح عما اردته من الصلب والطعن والضرب والثلب وسقته من الخل الممزوج بالمر اد بيس الشراب فخذ الجواب عنه والله الموفق للصواب اما دعواك النبوة فقد قالت لك البسملة بلسان حالها لا ما المسيح ابن الله محرر والحقيقة بفوها الحلم ربح وراس مال الحملة الايمان الحلم راس ماله الايمان لبئس براس احل ما حرم الله المسلم له نبى حرم الراح المسلم حرم الراح لنبيه سلم بالله من يحرم الراح لله نبى مسلم حرم الراح المسلم للرحمانية راح لا مرحمة للنيام ابنا السحرة رحم خر مسلما اناب الى الله انما الله رب للمسيح راحم وزعمت انه ربك فقالت حرم من لا رب له الا المسيح وقالت ايضا النحر لا مم لها المسيح رب وقلت انه حمل الله فقالت اسمى لله ابن المحرر حملا وقالت ما اسلم الرب حمله لينحر وقالت الا يحرس الرب حمله من الم وقلت انه لم الم فقالت المجبر من ربه حل الالم وقالت سل حمر ما ارتهم بحل الالم وقالت حرم حمار ينسب لله الالم وقلت انه طعن بالحربة مسمرا فقالت من راى المسيح لم يحربه وقالت ان ربا حال المسمرة للحليم وقالت احال الربنا الحليم سمره وقالت احال الرب الحى من سمره وقلت انه اله تحلل وتحرم فقالت ابن سليل رحم لا اله محرم وقالت سل ابن مريم احل له الحرام وقالت المحلل لما حرمه رب الناس وانه قلت انه رسول صدقتك وقالت ايل ارسل الرحمة من بلحم ونرحمة ايل اسم من اسما الله تعالى بلسان كنهم ونرحمة بلحم بيت لحم الذى ولد فيه المسيح وقلت انه ركب الحمار فقالت سلم ان الرب لا تحمله حمار وقالت للناس رب لم تحمله حمار وباهيتها بتسميتك التى لفقتها الفلاسفة للاساقفة فقالت لم نرا احبار الملة المسيح وقالت احبار الملة محل مرسلين وقالت ما حرر الا بالمسيح الا بانه وقلت ان النصارى لا تمسهم النار فقالت حر لهيب النار لام المسيح وكرهت الاسلام فقالت للاسلام تحرما احلا نميره الاسلام تحر خلال مسهم حلا الاسلام محرم بايمان وقالت من حرم الاسلام لا رح له وقالت ان المسلم لحرى بالرحمة وقالت ما برح الله راحم المسلمين وقالت ان ملة الاسلام لحرم رحيب وقالت لا راحة لمحارب المسلمين وقالت الاسلام حرم لا راى لمحاربه وقالت المسلم جرب للنار الحامية وقالت حن المسلم الى رحمة الرب وقالت الاحبار رحمة للمسلمين وقالت المحراب راحة للمسلمين ونعمت قيام الدين بالسيف فقالت ام الحسام لنبى الرحمة واثبت البسملة على نفسها فقالت البسملة لا رحم الراحمين وقالت الحربيا الحرما تسل فانظر الى البسملة فلاحت لك بارقة من انوارها وحلت لك عقدة من ازرارها اسرارها تخبران من ورا رجلها خبولا ولبونا ومن دون ظلها سبولا وعيونا واما بسملتك فلو كانت على اصل ثابت اولم تغرس من الكفر على اخبث المنابت لهززت اليك بجذعها واسقطت على طيبا اصلها خبر فرعها لكنى وجدتها خبيثة وثمرة لا يسوغها القديمة ولا الحديثة الفاظها تصم الاسماع ومعانيها تخل عقود الاجماع والنظر فيها يصدى الافهام والعقول ويعلم كل عايب ما يقول ولذلك ضربت عن ذكرها صفحا وعددت الاعراض عنها غنيمة وربحا فكفرها قايم قاعد والمعترف بها سوا والجاحد والثلاثة الالهة فيها يوصفون بالواحد واما بسملة المسلمين فان الله اودعها من العلوم والحكم ما فضلهم به على ساير الامم واعلم ان منها لغات اختصرت وبين المجامع مواضعها غابت او حضرت وقد استعملت بعضها فى بعض المواضع لا بين حكمها واجتبى رسمها وصرفتها للمستلين وصارت كعبة فضلها للقابلين وتارة توافق حروفها فى العدد العادة وتارة يقضى على الغات الوصل بالزيادة وما اخطات واحدة منها صوابا ولا عيبت جوابا ولا خرجت عن حدها كذابا ولا حسابا ولا تحسبنى استحسنت كلمتك الباردة فنسجت على منوالها وقابلت الواحدة منها بعشر امثالها وما كان ذلك الهذيان مما يجاب لولا ما يداخلك من التيه والاعجاب فتظن انك جيت بشى عجاب او حكمة كلمتك الله بها وحيا او من ورا حجاب وتقول لاخوانك الذين يمدونك فى الغى ويحسبون انك على شى قد افحمت بمسالتى المسلمين واسكت بكلمتى فضلا المتكلمين فتذر قومك فى طغيانهم وتغريهم على افساد ايمانهم ولا انت ممن يجرى بمحاكاة كفرك قلمى ولا احرك به لسانى ولا افغر به فمى وقد انبئتك بما يبغيك فيبهتك ويسمعك ما يصمك عن الاجابة ويصمتك على اسلوب رايته فى كتب انبيايك وتفسير علمايك لتعلم به ان هذه البسملة مستنبع لساير العلوم والفنون ومستودع لجوهر سرها المكنون الا ترى ان البسملة اذا احصلت جملتها كان عدده سبعماية وستة وثمانين

ب س م ا ل ل ه ا ل ر ح م ن ا ل ر ح ي م

٢ ٦٠ ٤٠ ١ ٣٠ ٣٠ ٥ ١ ٣٠ ٢٠٠ ٨ ٤٠ ٥٠ ١ ٣٠ ٢٠٠ ٨ ١٠ ٤٠

واذا قلت ان مثل عيسى كادم وافق جملها سبعماية وستة وثمانين وان باهيتها بتسميتك التى ترعد من كفرها الفرايص وتجوزنا البهتان ما لا يجوز على الله من النقايص ردت عليه وقالت لبئس لله من شريك جملها سبعماية وستة وثمانين بحساب الالف التى بعد لام الجلالة وقالت ولا اشرك بربى احدا سبع ماية وستة وثمانين وقالت ما العلوم الفلسفة اتوا رهدا ابة سبع ماية وستة وثمانين وقالت يهدى الله لنوره من يشا سبعماية وستة وثمانين باسقاط الف الجلالة ولو استشهدت ببسملتك لشهدت نبيا بالحق عليك وشكت الى الله والى الناس ما نسبت من الافك والبهتان اذ الفاظها وحاكى الكفر لبئس كافرنا فى المعقول والمنقول وثنا فرسم الاب والابن وروح القدس اله واحد وباطنها يقول ما سبح الابنور والاله القدوس واحد ونقول بسملوا بالقران وحدوا الله بلا احسد فهى كافرة الظاهر مومنة الباطن كسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونظرت فى محصلها من العدد فاذا جملة سبعماية وستة وتسعون وكذلك ما عطفته عليها من الكلام وهو وبيس الاسم الفسوق بعد الايمان يوافق للمعنى مطابق للعدد سبعماية وستة وتسعون وكذلك قولك لا بسملة تحكى كبسملة المسلمين سبعماية وستة وتسعون وقد اجابتك البسملة بما لم تحط به خبرا وجاءتك بما لم تستطع عليه صبرا على الاسلوب الذى تضمنته كتب شريعتكم فانى رايت فى انجيلك وقد سالت بنوا اسرايل المسيح ان يريهم اية ليومنوا به وهو فى بيت القدس فقال يهدمون هذا الهيكل وانا اقيمه فى ثلاثة ايام فقالوا بيت بنى فى خمسة واربعين سنة تقيمه فى ثلاثة ايام وعلله فى الانجيل انه اشار الى الهيكل نفسه الذى هو هيكل ادم وجمله خمسة واربعون وفى هذا ارد عليهم لبئس هذا موضعه ورايت فى التورية فى البشارة باسمعيل بعد قوله واكثره وانميه ماد ماد ومعناه جدا جدا بل اشار بها الى اسم محمد صلى الله عليه وسلم بطريق الجمل اذ هو اثنان وتسعون فى الموضعين وفى قصة يعقوب اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى فقالوا له اعلم اسرايل الله احد فطابت نفسه وعلم ان بنيه الاثنى عشر سبطا يعبدون الله وحده لانهم عدلوا عن قولهم الله واحد الى قولهم الله احد اذ جملها ثلاثة عشر وفى اشارة الى ان الاثنا عشر سبطا يعبدون الله الواحد وفيه ان المصلى اذا دخل فى الصلاة يكون على راسه طيلسان يسمى صيصيت وفى طرفه خمس خيوط وثمان عقد ليجتمع له من جمل صيصيت وهو سبعماية وثلاثة عشر فريضة ليذكروا بها ما كتب الله عليهم من الفرايض والتزموا بها ولنرجع الى الاعراب والتفسير

قوله ان لا تعلوا فيه اوجه احدها ان ان مفسرة كما تقدم فى احد الاوجه فى ان قبلها فى قراءة عكرمة ولم يذكر الزمخشرى غيره وهو وجه حسن لما فى ذلك من المشاكلة وفى عطف الامر عليه وهو قوله واتونى الثانى انها مصدرية فى محل رفع بدلا من كتاب كانه قيل القى الى ان لا تعلوا على الثالث انها فى موضع رفع على خبر ابتدا مضمر اى هو ان لا تعلوا الرابع انها على اسقاط الخافض اى بان لا تعلوا فيجى فى موضعها القولان المشهوران والظاهر ان لا فى هذه الاوجه الثلاثة للنهى وقد تقدم ان ان المصدرية توصل بالمنصرف مطلقا وقال ابو حيان وان يجى قوله ان لا تعلوا فى موضع رفع على البدل من كتاب وقيل فى موضع نصب على بان لا تعلوا او على هذين التقديرين تكون

ان ناصبة للفعل فظاهر هذا انها نافية اذ لا يتصور ان تكون ناهية بعد ان الناصبة للمضارع ويؤيد هذا ما حكاه عن
الزمخشري فانه قال وقال الزمخشري وان في ان لا تعلوا مفسرة قال فعلى هذا تكون لا في لا تعلوا للنهي وهو حسن
لمشاكلة عطف الامر عليه فقوله فعلى هذا الى اخره صريح بانها على غير هذا يعني الوجهين المتقدمين ليست للنهي فيهما
ثم القول بانها للنفي لا يظهر اذ يصير المعنى على الاخبار منه عليه السلام بانهم لا يعلون عليه وليس هذا مقصودا وانما
المقصود النهي عن ذلك وقرا ابن عباس والعقيلي تغلوا بالغين المعجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد **فصل**
قال ابن عباس لا تتكبروا علي وقيل لا تتعظموا ولا ترتفعوا علي اي لا تمتنعوا من الاجابة فان ترك العلو والتكبر
والاتيان مسلمين مؤمنين طائعين قيل هو من الاسلام وقيل من الاستسلام **فان قيل** النهي عن الاستعلاء والامر
بالانقياد اقامة الدلالة على كونه رسولا حقا يدل على الاكتفاء بالتقليد **فالجواب** معاذ الله ان يكون هناك
تقليد وذلك لان رسول سليمان الى بلقيس الهدهد ورسالة الهدهد معجز والمعجز يدل على وجود الصانع وصفاته
ويدل على صدق المدعي للرسالة فلما كانت تلك الرسالة دلالة تامة على التوحيد والنبوة لا جرم لم يذكر في الكتاب
دليلا اخر **قوله تعالى يا ايها الملا افتوني في امري** اشيروا علي فيما عرض علي واجيبوني فيما اشاور كم والفتوى هي الجواب
في الحادثة استعيرت على طريق الاستعارة من الفتى في السن اي اجيبوني في الامر الفتي وقصدت بذلك استطلاع
ارائهم وتطييب قلوبهم **ما كنت قاطعة** قاضية **امرا حتى تشهدون** تحضرون **قالوا** مجيبين لها **نحن اولوا قوة** في
القتال **واولوا باس شديد** في الحرب وهذا تعريض منهم بالقتال ان امرتهم بذلك ثم **قالوا والامر اليك** في القتال
وتركه **قوله تعالى ماذا تامرين** ماذا هو المفعول الثاني لتامرين والاول محذوف تقديره تامريننا والاستفهام
معلق للنظر ولا يخفى حكمه مما تقدم قبله والمعنى فانظري من الراي ماذا تامرين نجد بنا لامرك طائعين قالت مجيبة
لهم عن التعريض بالقتال **ان الملوك اذا دخلوا قرية** بالقهر **افسدوها** خربوها **وجعلوا اعزة اهلها اذلة** فذكرت
لهم عاقبة الحرب وحذرتهم مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم **قوله تعالى وكذلك يفعلون** اي مثل ذلك الفعل
يفعلون وهل هذه الجملة من كلامها وهو الظاهر فتكون منصوبة بالقول او من كلام الله تعالى فهي استئنافية
لا محل لها من الاعراب وهي معترضة بين قوليها **قوله تعالى واني مرسلة اليهم بهدية** الهدية ما بعث على جهة الاكرام
وهي اسم المهدي فيحتمل ان يكون اسما صريحا ويحتمل ان يكون في الاصل مصدرا اطلق على اسم المفعول وليست
مصدرا قياسيا لان الفعل منه اهدى رباعيا فقياس مصدره اهداء **فصل** اعلم ان بلقيس كانت امراة لبيبة
قد سيست وساست فقالت للملا من قومها اني مرسلة اليهم اي لسليمان وقومه بهدية اصانعه بها على ملكي
واختبره بها املك ام نبي فان يكن ملكا قبل الهدية وانصرف وان يكن نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا ان
نتبعه على دينه فذلك قولها فناظرة بم يرجع المرسلون وهذا الكلام يدل على انها لم تثق بالقبول وجوزت الرد
وارادت ان ينكشف لها غرض سليمان **قوله تعالى فناظرة** عطف على مرسلة **وبم** متعلق **بيرجع** وقدم لحق الجواب في
جعلها متعلقة بناظرة وهذا لا يستقيم لان اسم الاستفهام له صدر الكلام وبم يرجع متعلق لناظرة **قوله تعالى
فلما جاء سليمان** اي فلما جاء الرسول اضمره لدلالة قولها مرسلة فانه يستلزم رسولا والمراد به الجنس لا حقيقة
رسول واحد بدليل خطابه لهم بالجمع في قوله اتمدونني الى اخره ولذلك قرا عبد الله فلما جاءوا وقرا فارجعوا
اليهم اعتبارا بالاصل المشار اليه **قوله اتمدونني** استفهام انكار وقرا حمزة بادغام نون الرفع في نون الوقاية
واما الياء فانه يحذفها وقفا ويثبتها وصلا على قاعدته في الزوائد والباقون بنونين على الاصل واما الياء
فان نافعا وابا عمرو وحمزة يثبتونها وصلا ويحذفونها وقفا وابن كثير يثبتها في الحالين والباقون يحذفونها
في الحالين وروي عن نافع انه يقرا بنون واحدة فتكملت ثلاث قراءات كما في تامروني اعبد قال الزمخشري
ما الفرق بين قولك اتمدونني بمال وانا اغنى منكم وبين ان يقوله بالفاء قلت اذا قلته بالواو فقد جعلت
مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفي عليه حالي
وانما اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كاني اقول انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله
فما اتاني الله انتهى وفي هذا الفرق نظر اذ لا يفهم ذلك بمجرد الواو والفاء ثم انه لم يجب عن السؤال الاول وهو
انه لم عدل عن قوله وانا اغنى منكم الى قوله فما اتاني الله وجوابه انه اسند اغناه الى الله اظهارا للنعمة عليه فاظهر
بهذا الكلام قلة الاكتراث بذلك المال **قوله تعالى بل انتم** اضراب انتقال قال الزمخشري فان قلت لما انكر عليهم
الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضي الا
ما يهدى اليهم من حظوظ الدنيا التي لا يعرفون غيرها والهدية يجوز اضافتها الى المهدي والى المهدى اليه وهي
هنا محتملة للامرين قال ابو حيان وهي هنا مضافة للمهدى اليه وهذا هو الظاهر ويجوز ان تكون مضافة
الى المهدي اي بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها **تفرحون** فرح افتخار قال شهاب الدين كيف يجعل

الاول هو الظاهر ولم يفعل ان سليمان صلى الله عليه وسلم ارسل اليهم هدية في هذه الحالة حتى يضيفها اليهم بل الذي ينبغي
اضافتها الى المهدي ومعنى الاية بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم اهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها تفرحون باهداء بعضكم
لبعض واما انا فلا افرح بها وليست الدنيا كذلك حاجتي لان الله تعالى قد مكنني فيها واعطاني منها ما لم يعط احدا ومع ذلك
اكرمني بالدين والنبوة **قوله تعالى ارجع** الظاهر ان الضمير يعود على الرسول وتقدمت قراءة عبد الله ارجعوا وقيل يعود على
الهدهد **فلناتينهم بجنود** وهذا جواب قسم مقدر وكذلك قوله ولنخرجنهم **قوله تعالى لا قبل** صفة لجنود اي لا طاقة
وحقيقته لا مقابلة والضمير في بها عائد على جنود لانه جمع تكسير فيجري مجرى المؤنثة الواحدة كقوله لهم الرجال
واعتضادها وقرا عبد الله بهم على الاصل ولنخرجنهم منها اي من بلادهم وارض سبا **اذلة** والذل ان يذهب عنهم ما كان
عندهم من العز والملك **قوله تعالى وهم صاغرون** حال ثانية والظاهر انها مؤكدة لان اذلة يغني عنها **فان قيل** قوله
فلناتينهم ولنخرجنهم قسم فلا بد ان يقع **فالجواب** انه معلق على شرط حذف لفهم المعنى اي ان لم ياتوني مسلمين
والصغار ان يقعوا في اسر واستعباد **فصل** قال ابن عباس لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان قالت
قد عرفت هذا والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى سليمان اني قادمة بملوك قومي حتى انظر ما امرك
وما تدعو اليه من دينك ثم اذنت بالرحيل الى سليمان فلما قربت منه على فرسخ فراى سليمان رهجا قريبا فقال ما هذا
قالوا بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان قال ابن عباس وكان بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فاقبل سليمان حينئذ على
جنوده فقال **يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين** قال ابن عباس طائعين واختلفوا في السبب الذي
لاجله امر سليمان باحضار عرشها فقال اكثرهم لان سليمان علم انها ان اسلمت يحرم عليه مالها فاراد ان ياخذ سريرها
قبل ان يحرم عليه اخذه باسلامها وقيل ليريها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه في معجزة ياتي بها في عرشها وقال
قتادة لانه اعجبه صنعته لما وصفه الهدهد فاحب ان يراه وقال ابن زيد اراد ان يامر بتنكيرها وتغييرها فيختبر
بذلك عقلها ويؤيد ذلك قوله تعالى نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي **قوله تعالى قال عفريت** العامة على كسر العين وسكون
الياء بعدها تاء مجبوذة وقرا ابو حيوة بفتح العين وابو رجاء وابو السمال ورويت عن ابي بكر الصديق عفرية بياء مفتوحة
بعدها تاء التانيث المنقلبة هاء وانشدوا على ذلك قول ذي الرمة كانه كوكب في اثر عفرية مصوب في سواد الليل منقضب
وقرات طائفة عفر بحذف الياء والتاء فهذه اربع قراءات قد قرئ بهن وفيه لغات اخر يقال عفريت وعفارية وطي وتميم يقولون
عفرى بالف التانيث كذكرى واشتقاقه من العفر وهو القوة والعفريت من الجن المارد الخبيث ويقال عفريت
نفريت وهو اتباع كشيطان ليطان وحسن بسن ويستعار للعارم من الانس لاشتهار هذه الاستعارة ووصف في الاية
بكونه من الجن تمييزا له وقال ابن قتيبة العفريت الموثق الخلق وعفرية الديك والجاري للشعر الذي على راسها وعفر
للقوي ورجل عفر يشدد بالراء للمبالغة مثل شمر قيل ان الشياطين اقوى من الجن والمردة اقوى من الشياطين
وان العفريت اقوى منهما قال بعض المفسرين العفريت من الرجال الخبيث المنكر وقال ابن عباس العفريت الداهية
وقال الربيع الغليظ وقال الفراء القوي الشديد **قوله تعالى انا اتيك به** يجوز ان يكون فعلا مضارعا فوزنه افعل نحو
اضرب والاصل ااتيك بهمزتين فابدلت الثانية الفا وان يكون اسم فاعل ووزنه فاعل والالف زائدة والهمزة اصلية
عكس الاول واما الحمزة اتيك في الموضعين من هذه السورة بخلاف عن خلاد **فصل** قوله **قبل ان تقوم من مقامك**
اي مجلسك الذي تقضي فيه قال ابن عباس كان له كل غداة مجلس يقضي فيه الى انتصاف النهار **واني عليه** على حمله **لقوي
امين** به على ما فيه من الجواهر فقال سليمان اريد اسرع من هذا **فقال الذي عنده علم من الكتاب** فقيل هو جبريل عليه
السلام وقيل ملك من الملائكة ايد الله به نبيه سليمان عليه السلام وقال اكثر المفسرين هو اصف بن برخيا وكان
وزير سليمان وكان يعلم اسم الله الاعظم اذا دعا به اجيب وقيل بل هو سليمان نفسه والمخاطب هو العفريت الذي كلمه
واراد سليمان اظهار معجزة فتحداهم اولا ثم بين للعفريت انه يتاتى له من سرعة الاتيان بالعرش ما لا يتهيا للعفريت
قال محمد بن المنكدر ان سليمان قال له عالم من بني اسرائيل اتاه الله علما وفهما انا اتيك به **قبل ان يرتد اليك طرفك** قال
سليمان هات قال انت النبي ابن النبي وليس احد اوجه عند الله منك فان دعوت الله وطلبت اليه كان عندك قال
صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت وضعف السهيلي ذلك بانه لا يصح من سياق الكلام قال ابن الخطيب وهذا
القول اقرب لوجوه الاول ان لفظة الذي موضوعة في اللغة للاشارة الى شخص معين عند محاولة تعريفه بقضية
معلومة والشخص المعروف بان عنده علم من الكتاب هو سليمان عليه السلام فوجب انصرافه اليه اقصى ما في الباب
ان يقال كان اصف كذلك لكنا نقول ان سليمان كان اعرف بالكتاب منه لانه هو النبي فكان صرف اللفظ الى سليمان
اولى الثاني ان احضار العرش في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية فلو حصلت لاصف دون سليمان لاقتضى
ذلك قصور حال سليمان في اعين الخلق الثالث ان سليمان قال هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر فظاهره
يقتضي ان يكون ذلك المعجز قد اظهره الله تعالى بدعاء سليمان **فصل** واختلفوا في الكتاب فقيل هو اللوح المحفوظ

والذي عنده علم من الكتاب جبرئيل عليه السلام وقيل كاتب سليمان او كاتب بعض الانبياء وفي الجملة ان ذلك مدح وان لهذا الوصف
تاثيرا في نقل ذلك العرش ولذلك قيل انه اسم الله الاعظم وان عنده وقعت الاجابة من الله تعالى في اسرع الاوقات
قوله تعالى قبل ان يرتد اليك طرفك فيه وجهان احدهما انه الجفن عبر به عن سرعة الامر كما تقول لصاحبك افعل
ذلك في لحظة وهذا قول مجاهد وقال الزمخشري هو تحريكك اجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر الثاني انه
بمعنى المطروف اي الشيء الذي تنظره والاول هو الظاهر لان الطرف قد وصف بالارسال في قوله
وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر رايت الذي لا كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر
فصل قال سعيد بن جبير من قبل ان يرتد اي من قبل ان يرجع اليك اقصى من ترى وهو ان يصل اليك من كان
على مد بصرك وقال مجاهد يعني ادامة النظر حتى يرتد الطرف خاسيا وقال وهب تمد عينيك فلا ينتهي طرفك الى مداه
حتى امثله بين يديك فان قيل هذا يقتضي اما القول بالطفرة وحصول الجسم الواحد دفعة في مكانين فالجواب
ان المهندسين قالوا كرة الشمس مثل كرة الارض مائة واربعة وستين مرة ثم ان زمان طلوعها زمان تصير فاذا قسمنا
زمان طلوع تمام القرص على زمان البعد الذي بين الشام واليمن كانت تلك اللمحة كبيرة فلما ثبت عقلا امكان وجود هذه
الحركة السريعة وثبت انه تعالى قادر على كل الممكنات زال السوال قوله تعالى فلما راه يعني سليمان العرش مستقرا عنده محمولا
اليه من مارب الى الشام في قدر ارتداد الطرف فمستقرا حال لان الروية بصرية وعنده معمول له لا يقال اذا وقع الظرف
حالا وجب حذف متعلقه فكيف ذكر هنا لان الاستقرار هنا ليس هو ذلك الحصول المطلق بل المراد به هنا الثابت الذي
لا يتقلقل قاله ابو البقاء وقد جعله ابن عطية هو العامل في الظرف الذي كان يجب حذفه فقال وظهر العامل في
الظرف من قوله مستقرا وهذا هو المقدر ابدا مع كل ظرف وجاء هنا مظهرا وليس في كتاب الله مثله وما قاله ابو البقا احسن
على انه قد ظهر العامل المطلق في قوله فانت الذي يحبوحه الهول كاين وتقدم ذلك محققا في اول الفاتحة قوله الشكر
متعلق ليبلوني وام متصلة وكذلك قوله ننظر اتهتدي ام تكون قوله ومن شكر ومن كفر يحتمل ان تكون من الشرطية
او موصولة مضمنة معنى الشرط فلذلك دخلت الفاء في الخبر والظاهر ان جواب الشرط الثاني او خبر الموصول قوله
فان ربي غني كريم ولا بد حينئذ من ضمير يعود على من تقديره غني عن شكره وقيل الجواب محذوف تقديره فانما كفره
عليه لدلالة مقابله وهو قوله فانما يشكر لنفسه فصل تقدم معنى الابتلاء وقوله اشكر نعمته ام اكفرها فلا اشكرها
ومن شكر فانما يشكر لنفسه اي يعود نفع شكره اليه وهو ان يستوجب به تمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة
الموجودة وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم بالافضال على من يكفر نعمه قوله نكروا لها عرشها
اي غيروا لها سريرها الى حال تنكره اذا راته وذلك انه اذا ترك على حاله عرفته لا محالة واذا غير دلت معرفتها به على فضل
عقل قوله ننظر العامة على جزمه جوابا للامر قبله وابو حيوة بالرفع جعله استينافا فصل روي انه جعل اسفله اعلاه واعلاه
اسفله وجعل مكان الجوهر الاحمر اخضر ومكان الاخضر احمر ننظر اتهتدي الى عرشها فتعرفه ام تكون من الجاهلين الذين لا يهتدون
اليه وقيل نعرف به نبوة سليمان ولذلك قال ام تكون من الذين لا يهتدون وذلك كالرمز لا يليق الا بطريقة الدلالة
فكانه عليه السلام احب ان ينظر انعرف به نبوته حيث صار منتقلا من المكان البعيد الى هناك وذلك يدل على كمال
قدرة الله تعالى وعلى صدق سليمان عليه السلام وتعرف بذلك ايضا فضل عقلها لانه روي انه القي اليه نقصان عقلها
لكيلا يتزوجها كما ذكر وهب ومحمد بن كعب وغيرهما ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمان فتفشي اليه اسرار الجن
وذلك ان امها كانت جنية واذا ولدت له ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فاساوا الثنا عليها
ليزهدوه فيها وقالوا ان في عقلها شيئا وان رجليها كحافر الحمار وانها شعرا الساقين فاراد سليمان ان يختبر عقلها بتنكير عرشها
وينظر الى قدميها ببنا الصرح قوله اهكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة ففصل بحرف الجر بين حرف
التنبيه واسم الاشارة والاصل اكهذا اي امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا ولا يجوز ذلك في غير الكاف لو قلت ابهذا
مررت والهذا فعلت لم يجز ان تفصل بحرف الجر بين ها وذا فتقول اهابذا مررت واهالذا فعلت قوله تعالى قالت كانه
هو قال مقاتل عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها وقال عكرمة كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من ان تكذب
ولم تقل لا خوفا من التكذيب قالت كانه هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث توقفت في محل التوقف قيل لها فانه عرشك
فما اغنى عنك اغلاق الابواب عليه وكانت قد اغلقت عليه الابواب واخذت مفاتيحها قوله تعالى واوتينا العلم
من قبلها فيه وجهان احدهما انه من كلام بلقيس فالضمير في قبلها راجع للمعجزة والحالة الدال عليها السياق والمعنى واوتينا
العلم بنبوة سليمان من قبل ظهور هذه المعجزة او من قبل هذه الحالة وذلك لما رات قبل ذلك من امر الهدهد ورد
الهدية والرسل من قبلها من قبل الاية في العرش وكنا مسلمين منقادين طائعين لامر سليمان والثاني انه من كلام
سليمان واتباعه فالضمير في قبلها عائد على بلقيس فكان سليمان وقومه قالوا انها قد اصابت في جوابها وهي عاقلة
وقد رزقت الاسلام عطفوا على ذلك قولهم واوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشا من قبل هذه المرة مثل علمها وغرضهم

من ذلك شكر الله تعالى في التخصيص بمزيد التقدم في الاسلام قاله مجاهد قوله تعالى وصدها ما كانت تعبد في فاعل صد
ثلاثة اوجه احدها ضمير الباري والثاني ضمير سليمان اي منعها ما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس وعلى هذا فما كانت
تعبد منصوب على اسقاط الخافض اي وصدها الله او سليمان عن ما كانت تعبد من دون الله قاله الزمخشري مجوزا له
وفيه نظر من حيث ان حذف الخافض ضرورة كقوله تمرون الديار ولم تعوجوا كذا قاله ابو حيان وقد تقدم ابيات كثيرة
من هذا النوع الثالث ان الفاعل هو ما كانت اي صدها ما كانت تعبد عن الاسلام اي صدها عبادة الشمس والظاهر
ان الجملة من قوله واوتينا وقيل هي حال من قوله ام تكون من الذين وقد مضمرة وهذا بعيد جدا وقيل هو مستانف
اخبار من الله تعالى بذلك قوله تعالى انها كانت من قوم كافرين يعبدون الشمس والعامة على كسر انها استينافا وتعليلا
وقرا سعيد بن جبير وابو حيوة بالفتح وفيها وجهان احدهما انها بدل من ما كانت تعبد اي وصدها انها كانت والثاني
انها على اسقاط حرف العلة اي لانها فهي قريبة من قراءة العامة قوله تعالى قيل لها ادخلي الصرح تقدم الخلاف في الظرف
الواقع بعد دخل هل هو منصوب على الظرف وشذ ذلك مع دخل خاصة كما قاله سيبويه او مفعول به كهدمت البيت
كما قاله الاخفش والصرح القصر او صحن الدار او بلاط متخذ من زجاج واصله من التصريح وهو الكشف وكذب
صراح اي ظاهر مكشوف ولوم صراح والصريح مقابل الكناية لظهوره واستتار ضده وقيل الصريح الخالص من قولهم
لبن صريح بين الصراحة والصروحة وقال الراغب الصرح بيت عال مزوق سمي بذلك اعتبارا لكونه صرحا عن الشوب
اي خالصا قوله تعالى ساقيها العامة على الف صريحة وقيل روي همزها عن ابن كثير وضعفها ابو علي وكذلك قنبل
في جمع ساق في ص وفي الفتح بهمز واوه وقرا بالسوق والاعناق فاستوى على سوقه بهمزة مكان الواو وعنه وجه اخر
السووق وسؤوقه بزيادة واو بعد الهمزة وروي عنه انه كان يهمز مفرد في قوله يكشف عن ساق فاما همزة
الواو ففيها اوجه احدها ان الواو الساكنة المضموم ما قبلها يقلبها بعض العرب همزة وتقدم تحقيق هذا اول البقرة
عند يوقنون وانشد عليه احب الموقدين الي موسى وكان ابو حية النميري يهمز كل واو في القران هذا وضعها الثاني
ان ساقا على فعل كاسد يجمع على فعل بضم العين كاسد والواو المضمومة تقلب همزة نحو وجوه ووقتت ثم بعد الهمز
سكنت الثالث ان المفرد مع همزة كما سياتي تقريره فجاء جمعه عليه واما سووق بالواو بعد الهمزة فان ساقا جمع
على سووق بواو فهمزت الاولى لانضمامها وهذه الرواية غريبة عن قنبل واما ساقيها فوجه الهمز احد اوجه اما لغة
من يقلب الالف همزة وعليه لغة العجاج في العالم والخاتم وانشد وخندف هامة هذا العالم وسياتي تقريره
في متشابه ان شاء الله تعالى وتقدم طرف منه في الفاتحة واما على التشبيه براس وكاس كما قالوا حلات السويق حملا
على حلاته عن الما اي طردته واما حملا للمفرد والمثنى على جمعهما وقد تقرر في جمعهما الهمز فصل لما حكى تعالى اقامتها
على الكفر مع الدلايل المتقدمة ذكر ان سليمان اظهر امرا اخر دعاها الى الاسلام فامر الشياطين فبنوا صرحا اي قصرا
من زجاج كانه الما بياضا واجرى تحته الما والقى فيه كل شيء من دواب البحر من السمك والضفادع وغيرها ثم وضع
سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس وقيل اتخذ صحنا من قوارير وجعل تحتها تماثيل من
الحيتان والضفادع فكان الواحد اذا راه ظنه ما فلما جلس على السرير دعا بلقيس فلما جات قيل لها ادخلي الصرح فلما
راته حسبته لجة وهي معظم الما وكشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمان فقيل كان المقصود من بنا الصرح تهويل
المجلس وتعظيمه وحصل كشف الساق على سبيل التبع وقيل ان سليمان اراد ان ينظر الى ساقيها من غير ان يسالها كشفها
لما قالت الشياطين له ان رجلها كحافر الحمار وهي شعرا الساقين فنظر سليمان فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها كانت
شعرا الساقين فلما راى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداها انه صرح ممرد اي مملس ومنه الامرد لملاسة
وجهه من الشعر ورملة مرداء لا تنبت شيئا والمارد من الشياطين من تعرى من
الخير وتجرد منه ومارد حصن معروف وفي امثال الزباء تمرد مارد وعز الابلق قالته في حصنين امتنع فتحهما
عليها والقوارير جمع قارورة وهي الزجاج الشفاف ومن قوارير صفة ثانية قوله تعالى قالت رب اني ظلمت
نفسي قال مقاتل لما رات السرير والصرح علمت ان ملك سليمان من الله فقالت رب اني ظلمت نفسي بعبادة غيرك
واسلمت مع سليمان لله رب العالمين اخلصت له التوحيد وقيل انها لما بلغت الصرح وظنته لجة قالت في نفسها
ان سليمان يريد ان يغرقني وكان القتل اهون من هذا فقولها ظلمت نفسي تعني ذلك الظن واختلفوا هل تزوجها
سليمان ام لا وانه تزوجها في هذه الحالة ومن قبل ان يكشف عن ساقيها والاظهر من كلام الناس انه تزوجها روي
عن ابن عباس انها لما اسلمت قال لها اختاري من قومك من يتزوجك فقالت مثلي لا ينكح الرجال مع سلطاني فقال
النكاح من الاسلام فقالت ان كان كذلك فزوجني تبع ملك همدان فزوجها اياه ثم ردهما الى اليمن وروي ان الملك
وصل الى سليمان وهو ابن ثلاثة عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة قوله مع سليمان متعلق بمحذوف
على انه حال ولا يتعلق باسلمت لان اسلامه سابق اسلامها بزمان وهو وجه لطيف وقال ابن عطية ومع ظرف

مبني على الفتح وأما إذا أسكنت العين فلا خلاف أنه حرف وقد تقدم القول في ذلك. وقال مكي هنا نحوا من قول ابن عطية
قوله تعالى ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا الآية قوله أن اعبدوا الله أي وحدوه ويجوز في أن أن تكون مفسرة
وأن تكون مصدرية أي بأن اعبدوا فيجيء في محلها القولان قوله تعالى فإذا هم فريقان تقدم الكلام في إذا الفجائية
والمراد بالفريقين قوم صالح وأنهم انقسموا فريقين مؤمن وكافر وقد صرح بذلك في الأعراف في قوله قال الذين
استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن وجعل الزمخشري الفريق الواحد صالحا وحده والآخر جميع قومه وحمله على ذلك
العطف بالفاء فإنه يؤذن أنه بمجرد إرساله صاروا فريقين ولا يصير قومه فريقين إلا بعد زمان ولو قليلا ويختصمون
صفة لفريقان على المعنى كقوله هذان خصمان اختصموا وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا واختير هنا مراعاة الجمع
لكونها فاصلة قوله يا قوم لم تستعجلون أي قال لهم صالح يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالبلاء والعقوبة أي إن الله
قد مكنكم من التوصل إلى رحمته وثوابه فلماذا تعدلون عنه إلى استعجال عذابه وقيل إنهم كانوا يقولون إن العقوبة
التي يعدها صالح إن وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا حينئذ يقبل الله توبتنا ويدفع العذاب عنا فخاطبهم
صالح على حسب اعتقادهم فقال هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب فإن استعجال الخير أولى من استعجال الشر ووصف
العذاب بأنه سيئة مجازا إما لأن العقاب من لوازمه أو لأنه يشبهه في كونه مكروها وأما وصف الرحمة بأنها حسنة
فقيل حقيقة وقيل مجاز ثم إن صالحا عليه السلام لما قرر هذا الكلام الحق أجابوه بكلام فاسد فقالوا اطيرنا بك أي
تشاءمنا بك لأن الذي يصيبنا من شدة وقحط فهو بشؤمك وشؤم من معك وقلنا تطيرنا بك وهو الأصل وأدغم وتقدم
تقريره وقال الزمخشري كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فإن مر سانحا تيمن وإن مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر
إلى الطائر استعير لما كان الخير والشر وهو قدر الله وقسمته فأجاب صالح عليه السلام بقوله طائركم عند الله أي السبب
الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قضاؤه وقدره وهو مكتوب عليكم سمي طائرا لسرعة صعوده إلى السماء
قيل إنما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل لأنه أمسك عنهم المطر في ذلك الوقت وقحطوا قوله تعالى تفتنون جاء بالخطاب
مراعاة لتقدم الضمير ولو روعي ما بعده لقيل يفتنون بالغيبة وهو جائز ولكنه مرجوح وتقول أنت رجل
تفعل وتفعل بالياء والتاء ونحن قوم نقرأ ونقرأون والمراد من هذا الكلام أن صالحا عليه السلام بين بهذا الكلام
جهلهم بقوله بل أنتم قوم تفتنون فيحتمل أن غيركم دعاكم إلى هذا القول ويحتمل أن المراد أن الشيطان يفتنكم
بوسوسته وقال ابن عباس تختبرون بالخير والشر كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال محمد بن كعب تعذبون
قوله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يعني مدينة ثمود والأكثر أن تمييز العدد بهذا مجرور بمن كقوله أربعة
من الطير وفي المسألة مذاهب أحدها أنه لا يجوز إلا في قليل الثاني أنه يجوز ولكن لا ينقاس الثالث التفصيل
بين أن يكون للقلة كرهط ونفر فيجوز أو للكثرة فقط أو لها وللقلة فلا يجوز نحو تسعة قوم ونص سيبويه على امتناع
ثلاثة غنم قال الزمخشري وإنما جاز تمييز التسعة بالرهط لأنه في معنى الجمع كأنه قيل تسعة أنفس قال أبو حيان
وتقدير غيره تسعة رجال هو الأولى لأنه من حيث أضاف إلى نفس كان ينبغي أن يقول تسع أنفس على تأنيث
النفس إذ الفصيح فيها التأنيث ألا تراهم عدوا من الشذوذ قول الشاعر ثلاثة أنفس وثلاث ذود قال شهاب
الدين وإنما أراد تفسير المعنى وقال ابن الخطيب والأقرب أن يكون المراد تسعة جمع إذ الظاهر من الرهط الجماعة لا الواحد
ثم يحتمل أنهم كانوا قبائل ويحتمل أنهم دخلوا تحت العدد لاختلاف صفاتهم وأحوالهم لا لاختلاف النسب قوله يفسدون
يجوز أن يكون نعتا للمعدود أو للعدد فيكون في موضع جر أو رفع قوله تعالى ولا يصلحون قيل مؤكد للأول وقيل ليس
مؤكدا لأن بعض المفسدين قد يصلح في وقت ما فأخبر عن هؤلاء بانتفاء توهم ذلك وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة
وهم غواة قوم صالح ورأسهم قدار بن سالف وهو عاقر الناقة قوله تعالى قالوا تقاسموا يجوز في تقاسموا أن يكون
أمرا أي قال بعضهم لبعض احلفوا على كذا ويجوز أن يكون فعلا ماضيا وحينئذ يجوز أن يكون مفسرا لقالوا كأنه
قيل ما قالوا فقيل تقاسموا ويجوز أن يكون حالا على إضمار قد أي قالوا ذلك متقاسمين وإليه ذهب الزمخشري
فإنه قال يحتمل أن يكون أمرا وخبرا في محل الحال بإضمار قد قال أبو حيان أما قوله وخبرا فلا يصح لأن الخبر أحد قسمي
الكلام لأنه ينقسم إلى الخبر والإنشاء وجميع معانيه إذا حققت راجعة إلى هذين القسمين قال شهاب الدين
ولا أدري عدم الصحة مماذا لأنه جعل الماضي خبرا لاحتماله الصدق والكذب مقابلا للأمر الذي لا يحتملهما أما كون
الكلام لا ينقسم إلا إلى خبر وإنشاء وأن معانيه إذا حققت ترجع إليهما فأي مدخل لهذا في الرد على الزمخشري ثم قال
أبو حيان والتقييد بالحال ليس إلا من باب نسبة التقييد لا من نسبة الكلام التي هي الإسناد فإذا أطلق عليها
الخبر كان ذلك على تقدير أنها لو لم تكن صلة لجاز أن تستعمل خبرا وهذا فيه غموض قال شهاب الدين مسلم أن الجملة متى أتت
حالا أو صلة لا يقال لها خبرية بمعنى أنها تستقل بإفادة الإسناد لأنها سيقت مساق القيد في الحال ومساق جزء
كلمة في الصلة وكان ينبغي أن يذكر أيضا الجملة الواقعة صفة فإن الحكم فيها كذلك ثم قال وأما إضمار قد فلا يحتاج

اليه

إليه لكثرة وقوع الماضي حالا دون قد وقد ذكره بعض النحاة مع غلبتها قال شهاب الدين الزمخشري مشى مع الجمهور فإن مذهبهم
أنه لا بد من قد ظاهرة أو مضمرة لتقربه من الحال وقرأ ابن أبي ليلى تقسموا دون ألف مع تشديد السين والتقاسم
والتقسم كالتظاهر والتظهر قوله بالله إن جعلت تقاسموا أمرا تعلق به الجار قولا واحدا وإن جعلته ماضيا احتمل أن
يتعلق به وأن يكون داخلا تحت المقول والمقول هو لنبيتنه فعلى هذا يكون مع ما بعده داخلا تحت المقول قوله تعالى
لنبيتنه قرأ الأخوان بتاء الخطاب المضمومة وضم التاء والباقون بنون المتكلم وفتح التاء ثم لنقولن قراءة الأخوين
بتاء الخطاب المفتوحة وضم اللام والباقون بنون المتكلم وفتح اللام ومجاهد وابن وثاب والأعمش كقراءة الأخوين
إلا أنه بياء الغيبة في الفعلين وحميد بن قيس كهذه القراءة في الأول وكقراءة غير الأخوين من السبعة في الثاني
فأما قراءة الأخوين فإن جعلنا تقاسموا فعل أمر فالخطاب واضح رجوعا بآخر الكلام إلى أوله وإن جعلناه ماضيا فالخطاب
على حكاية خطاب بعضهم لبعض بذلك وأما قراءة بقية السبعة فإن جعلناه ماضيا أو أمرا فالأمر فيها واضح وهو حكاية
إخبارهم عن أنفسهم وأما قراءة الغيبة فيهما فظاهرة على أن يكون تقاسموا ماضيا رجوعا بآخر الكلام إلى أوله في الغيبة
وإن جعلناه أمرا كان لنبيتنه جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل كيف تقاسموا فقيل لنبيتنه وأما غيبة الأول والتكلم
في الثاني فتعليله مأخوذ مما تقدم في تعليل القراءتين وقال الزمخشري وقرئ لنبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع التاء
والنون يصح فيه الوجهان يعني يصح في تقاسموا أن يكون أمرا وأن يكون خبرا قال ومع الياء لا يصح إلا أن يكون خبرا قال
شهاب الدين وليس كذلك لما تقدم من أنه يكون أمرا وتكون الغيبة فيما بعده جوابا لسؤال مقدر وقد تابع الزمخشري
أبو البقاء على ذلك فقال تقاسموا فيه وجهان أحدهما هو أمر أي أمر بعضهم بذلك بعضا فعلى هذا يجوز في
لنبيتنه النون تقديره قولوا لنبيتنه والتاء على خطاب الآمر المأمور ولا يجوز الياء والثاني هو فعل ماض وعلى هذا
يجوز الأوجه الثلاثة يعني بالأوجه النون والتاء والياء قال وهو على هذا تفسير أي وتقاسموا على كونه ماضيا مفسر
لنفس قالوا وقد سبقهما إلى ذلك مكي رحمه الله وتقدم توجيه ذلك ولله الحمد وتنزيل هذه الأوجه بعضها على بعض مما
يصعب استخراجه من كلام القوم وتقدم الكلام في مهلك أهله في الكهف فصل من جعل أمرا فموضع تقاسموا جزم على الأمر
أي احلفوا ومن جعله فعلا ماضيا فمحله نصب أي تحالفوا وتوافقوا لنبيتنه لنقتلنه بياتا أي ليلا وأهله أي قومه الذين
أسلموا معه ثم لنقولن لوليه أي لولي دمه ما شهدنا أي ما حضرنا مهلك أهله إهلاكهم ولا ندري من قتله ومن فتح الميم
فمعناه هلاك أهله وإنا لصادقون في قولنا ما شهدنا ذلك قوله تعالى ومكروا مكرا غدروا غدرا حين قصدوا
تبييت صالح والفتك به ومكرنا مكرا جازيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم وهم لا يشعرون فشبه إهلاكهم من حيث
لا يشعرون بمكر الماكر على سبيل الاستعارة وقيل إن الله تعالى أخبر صالحا بمكرهم فتحرز عنهم فذاك مكر الله في حقهم قوله تعالى
فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم قرأ الكوفيون بفتح أنا والباقون بالكسر فالفتح من أوجه أحدها أن يكون
على حذف حرف الجر أي لأنا دمرناهم وكان تامة وعاقبة فاعلها وكيف حال الثاني أن يكون بدلا من عاقبة أي كيف
كان تدميرنا إياهم ويجوز مع هذا معنى كيف حدث الثالث أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هي أنا دمرناهم أي العاقبة
تدميرنا إياهم ويجوز مع هذه الأوجه الثلاثة أن تكون كان ناقصة وتجعل كيف خبرها فتصير الأوجه ستة ثلاثة
مع تمام كان وثلاثة مع نقصانها وتزيد مع الناقصة وجها آخر وهو أن تجعل عاقبة اسمها وأنا دمرناهم بدل من عاقبة
وتجعل مبتدأ مضمر خبرها وكيف حال فهذه سبعة أوجه والثامن أن تكون كان زائدة وعاقبة مبتدأ وخبره كيف
وأنا دمرناهم بدل من عاقبة أو خبر مبتدأ مضمر وفيه تعسف التاسع أنها على حذف الجار أيضا إلا أنه الباء أي بأنا
دمرناهم ذكره أبو البقاء العاشر أنها بدل من كيف وهذا وهم من قائله لأن المبدل من اسم الاستفهام يلزم معه
إعادة حرف الاستفهام نحو كم مالك أعشرون أم ثلاثون وقال مكي ويجوز في الكلام نصب عاقبة ويجعل أنا دمرناهم
اسم كان انتهى بل كان هذا هو الأرجح كما كان النصب في قوله فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ونحوه أرجح لما تقدم
من شبهه بالمضمر لتأويله بالمصدر وتقدم تحقيق هذا وقرأ أبي أن دمرناهم وهي أن المصدرية التي يجوز أن تنصب
المضارع والكلام فيها كالكلام على أنا دمرناهم وأما قراءة الباقين فعلى الاستئناف وهو تفسير للعاقبة وكان يجوز
فيها التمام والنقصان والزيادة وكيف وما في خبرها في محل نصب على إسقاط الخافض لأنه معلق للنظر وأجمعين
تأكيد للمعطوف والمعطوف عليه فصل قال ابن عباس أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه
فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم
وقال مقاتل نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضا ليأتوا دار صالح فجثم عليهم الجبل فأهلكهم وأهلك الله قومهم
بالصيحة قوله فتلك بيوتهم خاوية العامة على نصب خاوية حالا والعامل فيها معنى اسم الإشارة وقرأ عيسى خاوية
بالرفع إما على خبر تلك وبيوتهم بدل من تلك وإما خبر ثان وبيوتهم خبر أول وإما على خبر مبتدأ محذوف أي هي
خاوية وهذا إضمار مستغنى عنه وبما ظلموا متعلق بخاوية أي بسبب ظلمهم وخاوية أي خالية بما ظلموا أنظلهم

وكفرهم ان في ذلك لآية لعبرة لقوم يعلمون قدرتنا وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون قيل كان الناجون منهم اربعة آلاف

قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه الآية لوطا اما منصوب عطفا على صالحا اي وارسلنا لوطا واما عطفا على الذين آمنوا اي وانجينا لوطا واما باذكر مضمرة واذ قال بدل اشتمال من لوطا وتقدم نظيره في مريم وغيرها أتأتون الفاحشة استفهام على وجه الانكار والتوبيخ بمثل هذا اللفظ ابلغ والفاحشة الفعلة القبيحة قوله تعالى وانتم تبصرون جملة حالية من فاعل تأتون او من الفاحشة والعائد محذوف اي وانتم تبصرونها لستم عميا عنها جاهلين بها وهو اشنع وقيل المعنى يرى بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم قال قيل اذا صرتم تبصرون بالعلم ثم قال بل انتم قوم تجهلون فكيف يكون علما جهلا فالجواب تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها قوله شهوة مفعول من اجله او في موضع الحال وقد تقدم قوله تعالى فما كان جواب قومه خبر مقدم والا ان قالوا في موضع الاسم وقرأ الحسن وابن ابي اسحق برفعه اسما والا ان قالوا خبرا وهو ضعيف لما تقدم تقريره وتقدم قرأنا قدرناها التشديد او تخفيفا والمخصوص بالذم محذوف في قوله فساء مطر المنذرين اي مطرهم فصل لما بين تعالى جهلهم بين انهم اجابوا بما لا يصلح ان يكون جوابا فقال وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون اي يتطهرون من هذا الصنع الفاحش وقيل قالوا ذلك على وجه الهزء فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها قضينا وجعلناها بتقديرنا من الغابرين اي الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا وهو الحجارة فساء فبئس مطر المنذرين قوله تعالى قل الحمد لله الآية العامة على كسر لام قل لالتقاء الساكنين وابو السماك بفتحها تخفيفا وكذا في قوله قل الحمد لله سيريكم آياته وسلام مبتدأ سوغ الابتداء به كونه دعاء فصل المعنى الحمد لله على هلاكهم وهذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية وسلام على عباده الذين اصطفى بان ارسلهم ونجاهم وقيل هذا الكلام مبتدأ فانه تعالى لما ذكر احوال الانبياء عليهم السلام وكان محمد عليه السلام كالمخالف لمن قبله في العذاب لان عذاب الاستيصال مرتفع عن قومه امره الله تعالى بان يشكر ربه على ما خصه به من هذه النعم وبان يسلم على الانبياء الذين صبروا على مشاق الرسالة قوله تعالى وسلام على عباده الذين اصطفى قال مقاتل هم الانبياء والمرسلون بدليل قوله تعالى وسلام على المرسلين وقال ابن عباس في رواية ابي مالك هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي هم امة محمد وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين قوله تعالى اما امّا هذه متصلة عاطفة لاستكمال شروطها والتقدير ايهما خير وخيرا اما تفضيل على زعم الكفار والزام الخصم او صفة لا تفضيل فيها وما في اما بمعنى الذي وقيل مصدرية وذلك على حذف مضاف من الاول اي اتوحيد الله خير ام شرككم وقرأ ابو عمرو وعاصم اما يشركون بالغيبة حملا على ما قبله من قوله وامطرنا عليهم وما بعده من قوله بل اكثرهم والباقون على الخطاب وهو التفات للكفار بعد خطاب نبيه عليه السلام وهذا تبكيت للمشركين بحالهم لانهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء الا لزيادة خير ومنفعة فقيل لهم هذا الكلام تنبيها لهم على نهاية ضلالهم وجهلهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم قوله تعالى امن خلق امّ هذه منقطعة لعدم تقدم همزة استفهام ولا تسوية ومن خلق مبتدأ وخبره محذوف فقدره الزمخشري خير اما يشركون فقدر ما اثبته في الاستفهام الاول وهو حسن وقدره ابن عطية يكفر بنعمته ويشرك به ونحو هذا من المعنى وقال ابو الفضل الرازي لا بد من اضمار جملة معادلة وصار ذلك المضمر كالمنطوق لدلالة الفحوى عليه وتقدير تلك الجملة امن خلق السموات والارض كمن لم يخلق وكذلك اخواتها وقد اظهر في غير هذه المواضع ما اضمر فيها كقوله افمن يخلق كمن لا يخلق قال ابو حيان وتسمية هذا المقدر جملة ان اراد انها جملة من جهة الالفاظ فصحيح وان اراد الجملة المصطلح عليها في النحو فليس بصحيح بل هو مضمر من قبيل المفرد وقرأ الاعمش امن بتخفيف الميم جعلها من الموصولة داخلة عليها همزة الاستفهام وفيها وجهان احدهما ان تكون مبتدأ والخبر محذوف وتقديره ما تقدم من الاوجه قاله ابو حيان والثاني انها بدل من الله كانه قيل امن خلق السموات والارض خير اما يشركون ولم يذكر الزمخشري غيره ويكون قد فصل بين البدل والمبدل منه بالخبر وبالمعطوف على المبدل منه وهو نظير قولك ازيد خير ام عمرو واخوك على ان يكون اخوك بدلا من ازيد وفي جواز مثل هذا نظر قوله تعالى فانبتنا هذا التفات من الغيبة الى التكلم لتأكد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان انبات الحدائق المختلفة الالوان والطعوم مع سقيها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده ولذلك رشحه بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها فان الانسان يقول انا الذي القي البذر في الارض واسقيها الماء واسعى في تشميسها وفاعل السبب فاعل المسبب فاذن انا المنبت للشجرة فلما كان هذا الاحتمال قائما لا جرم ازال الله تعالى هذا الاحتمال فرجع من لفظ الغيبة الى لفظ التكلم والحدائق جمع حديقة وهي البستان وقيل القطعة من الارض ذات الماء قال الراغب سميت بذلك تشبيها بحدقة العين في الهيئة وحصول الماء فيه وقال غيره سميت بذلك لاحداق الجدران بها وليس بشيء لانها يطلق عليها ذلك مع عدم الجدران ووقف القراء على ذات من ذات بهجة بالتاء مجبوذة والكسائي بالهاء لانها تاء تانيث وقد ذات

انه بمعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لان حسن الناظر يبتهج به وقرأ ابن ابي عبلة ذوات بهجة بالجمع وفتح هاء بهجة قوله تعالى ما كان لكم ان تنبتوا اسم كان ولكم خبر مقدم والجملة المنفية يجوز ان تكون صفة لحدائق وان تكون حالا لتخصصها بالصفة قوله أإله مع الله استفهام بمعنى الانكار هل معبود سواه اعانه على صنعه بل ليس معه اله وقرئ أإلها مع الله اي اتدعون او تشركون بل هم قوم يعني كفار مكة يعدلون يشركون اي يعدلون بالله سواه وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر ونظير هذه الآية اول سورة الانعام قوله تعالى امن جعل الارض قرارا قال الزمخشري امن وما بعده بدل من امن خلق وحكمها حكمه ومعنى قرارا تمهيدا باهلها فانها لو كانت متحركة لما استقر احد بالسكنى على الارض قوله خلالها يجوز ان يكون ظرفا لجعل بمعنى خلق المتعدية لواحد وان يكون في محل المفعول الثاني على انها بمعنى صير وخلالها وسطها انهارا واعلم ان المياه المنبعثة في الارض اربعة الاول مياه العيون السيالة قال ابن الخطيب وهي تنبعث من ابخرة كثيرة المادة قوية الاندفاع تفجر الارض بقوة الثاني ما العيون الراكدة وهي تحدث من ابخرة بلغت قوتها الى وجه الارض ولم يبلغ من قوتها وكثرة مادتها ان تطرد الثالث ما القنى والانهار وهي متولدة من ابخرة ناقصة القوة عن ان تشق الارض فاذا ازيل عن وجهها ثقل التراب صادف حينئذ لتلك الابخرة منفذا تندفع اليه بادنى حركة الرابع مياه الآبار وهي منبعثة كمياه الانهار الا انه لم يحصل لها سبيل الى موضع تسيل اليه ونسبة القنى الى الآبار نسبة العيون السيالة الى العيون الراكدة قوله وجعل لها رواسي وهي الجبال ثوابت قوله بين البحرين يجوز فيه ما جاز في خلالها والحاجز الفاصل بينهما حجزا اي منع وفصل والمراد بالبحرين العذب والملح أإله مع الله قرئ أإله بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية وادخال الف بينهما تخفيفا وتسهيلا وهذا كله معروف من اول هذا الكتاب بل اكثرهم لا يعلمون توحيد ربهم قوله امن يجيب المضطر اذا دعاه المضطر اسم مفعول ماخوذ من اضطر ولا يستعمل الا مبنيا للمفعول وانما كرر اجعل هنا ولم يشرك بين المعمولات في عامل واحد لان كل واحد من هذه منه مستقلة فابرزها في جملة مستقلة بنفسها قال الزمخشري الضرورة الحالة المحوجة الى الالتجاء والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطران قال قيل هذا يعم المضطرين وكم من مضطر يدعو فلا يجاب فالجواب انه ثبت في اصول الفقه ان المفرد المعرف لا يفيد العموم وانما يفيد الماهية فقط فانه تعالى وعد بالاستجابة ولم يذكر انه يستجيب في الحال قوله ويكشف السوء كالتفسير للاستجابة فانه لا يقدر احد على كشف ما دفع اليه من فقر الى غنى ومرض الى صحة الا القادر الذي لا يعجز والقاهر الذي لا ينازع ويجعلكم خلفاء الارض اي يورثكم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن واراد بالخلافة الملك والتسليط قوله قليلا ما يذكرون قرأ ابو عمرو وهشام يذكرون بالغيبة والباقون بالخطاب وتما واصحنان وابو حيوة تتذكرون بتاءين قوله امن يهديكم في ظلمات البر والبحر يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات في الارض اذا سافرتم بالليل في البر والبحر ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وهي المطر وتقدم الكلام في نشرا في الاعراف أإله مع الله تعالى الله عما يشركون قوله تعالى امن يبدأ الخلق ثم يعيده لما عدد نعم الدنيا اتبع ذلك بنعم الآخرة وهي لا تتم الا بالاعادة بعد الابتداء والابلاغ الى حد التكليف فقد تضمن الكلام كل نعم الدنيا والآخرة وهي لا تتم الا بالارزاق فلذلك قال ومن يرزقكم من السماء والارض من السماء المطر ومن الارض النبات أإله مع الله قل هاتوا برهانكم حجتكم على قولكم ان مع الله الها آخر ان كنتم صادقين ولا برهان لكم فاذن انتم مبطلون قال قيل كيف قيل لهم امن يبدأ الخلق ثم يعيده وهم ينكرون الاعادة فالجواب كانوا معترفين بالابتداء ودلالة الابتداء على الاعادة دلالة ظاهرة قوية فلما كان الكلام مقرونا بالدلالة الظاهرة صاروا كانهم لم يبق لهم عذر في الانكار قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله لما بين انه مختص بالقدرة بين انه المختص بعلم الغيب واذا ثبت ذلك ثبت انه الاله المعبود وفي هذا الاستثناء اوجه احدها انه فاعل يعلم ومن مفعوله والغيب بدل من من في السموات اي لا يعلم غيب من في السموات والارض الا الله اي الاشياء الغائبة التي تحدث في العالم وهو وجه غريب ذكره ابو حيان الثاني انه مستثنى متصل من من ولكن لا بد من الجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة على هذا الوجه وبيانه ان الظرفية المستفادة من من في حقيقة بالنسبة الى غير الله تعالى ومجاز بالنسبة الى الله تعالى بمعنى ان علمه في السموات والارض فيندرج من في السموات والارض بهذا الاعتبار وهو مجاز وغيره من مخلوقاته في السموات والارض حقيقة فبذلك الاندراج المؤول استثني من من ورد الزمخشري هذا بانه جمع بين الحقيقة والمجاز واوجب ان يكون منقطعا فقال فان قلت لم رفع اسم الله والله يتعالى ان يكون ممن في السموات والارض قلت جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كان احدا لم يذكر ومنه قوله عشية ما تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم وقولهم ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانني اخوانكم الا اخوانه فان قلت ما الداعي الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي قلت دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان

كان الله ممن في السموات والارض هم يعلمون الغيب يعني ان علمهم في استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معـ
في البيت ان كانت اليعافير انيسها فقد انيسها انيس بنا للقول بخلوها من الانيس قال فان قلت هلا زعمت ان الله ممن
في السموات والارض كما يقول المتكلمون ان الله في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها فكان ذاته فيها حتى
لا يحمل على مذهب بني تميم قلت يأبى ذلك ان كونه في السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة
المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيح على ان قولك من في السموات والارض وجمعك بينه وبينهم
في اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته الا ترى كيف قال عليه السلام
لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت فقد رجح الانقطاع واعتذر عن ارتكاب مذهب التميميين
بما ذكر واكثر العلماء انه لا يجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة وقد قال به الشافعي فصل نزلت هذه الاية
في المشركين حيث سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة وما يشعرون صفة لاهل السماء والارض
نفى ان يكون لهم علم بالغيب وذكر في جملة الغيب متى البعث بقوله ايان يبعثون وايان بمعنى متى البعث بقوله
ايان يبعثون وايان بمعنى متى وهي كلمة مركبة من اي والان وهي الوقت وقرئ ايان بكسر الهمزة قرأها السلمي
وهي لغة قومه بني سليم وهي منصوبة بيبعثون ومعلقة ليشعرون فهي وما بعدها في محل نصب باسقاط البا
اي ما يشعرون بكذا قوله ادرك قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ادرك كاكرم والباقون من السبعة ادارك
بهمزة وصل وتشديد الدال المفتوحة بعدها الف والاصل تدارك وبه قرأ ابي فاريد ادغام التاء في الدال
فابدلت دالا وسكنت فتعذر الابتداء بها لسكونها فاجتلبت همزة الوصل فصار ادارك كما ترى وتقدم
تحقيق هذا في قوله فاداراتم فيها وقراءة ابن كثير قيل تحتمل ان يكون افعل فيها بمعنى تفاعل فتتحد القراءتان
وقيل ادرك بمعنى بلغ وانتهى وقرأ سليمان وعطاء ابنا يسار بل ادرك بفتح لام وتشديد الدال دون الف
بعدها وتخريجها ان الاصل ادرك على وزن افتعل فابدلت تاء الافتعال دالا لوقوعها بعد الدال قال ابو حيان
فصار فيه قلب الثاني للاول لاجل الادغام كقولهم اثرد واصله اثترد من الثرد انتهى قال شهاب الدين ليس
هذا مما قلب فيه الثاني للاول لاجل الادغام كما تردى اثرد لان تاء الافتعال تبدل دالا بعد احرف منها الدال
نحو ادان في افتعل من الدين فالابدال لاجل كون الدال فاء للادغام فليس مثل اثرد في شيء فتأمله فانه حسن فلما
ادغمت الدال في الدال دخلت همزة الاستفهام فسقطت همزة الوصل فصار اللفظ أأدرك بهمزة قطع مفتوحة
ثم نقلت حركة هذه الهمزة الى لام بل فصار اللفظ بل ادرك وقرأ ابو رجاء وشيبة والاعمش والاعرج وابن عباس
ويروى عن عاصم كذلك الا انه بكسر لام بل على اصل التقاء الساكنين فانهم لم يأتوا بهمزة استفهام وقرأ عبد
الله وابن عباس والحسن وابن محيصن أادرك بهمزة ثم الف بعدها واصلها همزتان ابدلت ثانيتهما الفا تخفيفا
وانكرها ابو عمرو وقد تقدم اول البقرة انه قرئ أأنذرتهم بالف صريحة فلهذه بها اسوة وقال ابو حاتم لا يجوز
الاستفهام بعد بل لان بل ايجاب والاستفهام في هذا الموضع انكار بمعنى لم يكن كقوله تعالى اشهدوا خلقهم اي لم يشهدوا
فلا يصح وقوعهما معا للتنافي الذي بين الايجاب والانكار قال شهاب الدين وقد منع هذا النظر لان بل للاضراب
الانتقالي فقد اضرب عن الكلام الاول واخذ في استفهام ثان وكيف انكر هذا والنحويون يقدرون ام المنقطعة
ببل والهمزة وعجبت من الشيخ يعني ابا حيان كيف قال هنا وقد اجاز بعض المتأخرين الاستفهام بعد بل وشبهه
بقول القائل اخبرني اكلت بل اما شربت على ترك الكلام الاول والاخذ في الثاني انتهى فتخصيصه ببعض المتأخرين
يؤذن بان المتقدمين وبعض المتأخرين يمنعونه وليس كذلك لما حكيت عنهم في ام المنقطعة وقرأ ابن مسعود
بل أأدرك بتحقيق الهمزتين وقرأ ورش في رواية بل ادرك بالنقل وقرأ ابن عباس ايضا بلى ادرك بحرف الايجاب
اخت نعم وبلى ادارك بالف بين همزتين وقرأ ابي ومجاهد ام بدل بل وهي مخالفة للسواد قوله في الاخرة فيه
وجهان احدهما ان في على بابها وادرك وان كان ماضيا لفظا فهو مستقبل معنى لانه كائن قطعا كقوله اتى امر الله وعلى
هذا ففي يتعلق بادرك والثاني ان في بمعنى البا اي بالاخرة وعلى هذا فيتعلق بنفس علمهم كقولك علمي بزيد كذا واما
قراءة من قرأ بلى فقال الزمخشري لما جاء بلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله
ادرك علمهم في الاخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم ثم قال واما قراءة أادرك على الاستفهام فمعناه
بلى يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور وقت كونها لان العلم
بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن ثم قال فان قلت ما معنى هذه الاضرابات الثلاثة قلت ما هي الا تنزيل
لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك
ومرية انتهى فان قيل عمي يتعدى بعن يقول عمي فلان عن كذا فلم عدي بمن في قوله منها عمون فالجواب
انه جعل الاخرة مبدأ عماهم ومنشأه فصل المعنى بل على قراءة ابن كثير ادرك اي بلغ ولحق كما يقول ادركه علمي اذا لحقه

البلغة يريد ما جهلوا في الدنيا وسقط علمه عنهم علموه في الاخرة وقال مجاهد يدرك علمهم في الاخرة حين عاينوها ما شكوا وعموا
عنه في الدنيا كقوله بل هم في شك منها اي هم اليوم في شك من الساعة وعلى قراءة ادارك اي تتابع علمهم في الاخرة انها كائنة وهم في
شك في وقتها وقيل استفهام معناه هل تدارك وتتابع بذلك في الاخرة ام لم يتتابع وضل وغاب علمهم به فلم يبلغوه ولم يدركوه
لان في الاستفهام ضربا من الجحد وقال علي بن عيسى بل ههنا لو ادركوا في الدنيا ما ادركوا في الاخرة لم يشكوا بل هم منها عمون
جمع عم وهو الاعمى القلب قوله تعالى وقال الذين كفروا يعني مشركي مكة ابدا تقدم الكلام في الاستفهامين اذا اجتمعا في سورة
الرعد والعامل في اذا محذوف يدل عليه لمخرجون تقديره نبعث ونخرج ولا يجوز ان يعمل فيها مخرجون لثلاثة موانع الاستفهام
وان ولام الابتداء وفي لام الابتداء في خبر ان خلاف وذكر الزمخشري هنا عبارة حلوة فقال لان بين يدي عمل اسم الفاعل
فيه عقابا وهي همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وواحد منها كافية فكيف اذا اجتمعن وقال ايضا فان قلت لم قدم
في هذه الاية هذا على نحن واباؤنا وفي اية اخرى قدم نحن واباؤنا على هذا قلت التقديم دليل على ان المقدم هو المعنى المعتمد
بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الايتين دل على اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي الاخرى على اتخاذ المبعوث
بذلك الصدد واباؤنا عطف على اسم كان وقام الفصل بالخبر مقام الفصل بالتوكيد قوله تعالى انا لمخرجون من قبورنا احياء
لقد وعدنا هذا نحن واباؤنا من قبل اي من قبل محمد وليس لذلك بشيء ان هذا ما هذا الا اساطير الاولين احاديثهم واكاذيبهم
التي كتبوها قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين فان قيل لم لم يقل كيف كان عاقبة المجرمين فالجواب
ان تأنيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان اخر امرهم فان قيل لم لم يقل عاقبة الكافرين فالجواب ان بهذا ليحصل التخويف
لكل العصاة ثم انه تعالى صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يناله من الكفار فقال ولا تحزن عليهم على تكذيبهم اياك
ولا تكن في ضيق مما يمكرون نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة والضيق الحرج يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا
بالفتح والكسر ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ذكروا ذلك على سبيل السخرية فاجاب الله تعالى بقوله عسى ان
يكون ردف قوله تعالى ردف لكم فيه اوجه اظهرها ان ردف ضمن معنى فعل يتعدى باللام اي دنا وقرب وازف وبهذا
فسره ابن عباس وبعض الذي فاعل به وقد عدي بمن ايضا على تضمنه معنى دنا قال فلما ردفنا من عمير وصحبه
تولوا سراعا والمنية تعنق اي دنونا من عمير والثاني ان مفعوله محذوف واللام للعلة اي ردف الخلق لاجلكم ولشؤمكم
الثالث ان اللام مزيدة في المفعول تأكيدا كزيادتها في قوله اخذنا للكلاكل فارتمينا وكزيادتها في قوله لربهم يرهبون
وكزيادة الباء في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم وعلى هذه الاوجه الوقف على تستعجلون الرابع ان فاعل ردف ضمير الوعد
اي ردف الوعد اي قرب ودنا مقتضاه ولكم خبر مقدم وبعض مبتدأ مؤخر والوقف على هذا على ردف وهذا فيه تفكيك
للكلام والخامس ان الفعل محمول على مصدره اي الرادفة لكم وبعض على تقدير زائدة بعض يعني حتى ينطبق الخبر والمخبر
عنه وهذا اضعف مما قبله وقرأ الاعرج ردف بفتح الدال وهي لغة والكسر اشهر بعض الذي تستعجلون من العذاب
فحل بهم ذلك يوم بدر قوله تعالى وان ربك لذو فضل على الناس قال مقاتل على اهل مكة حيث لم يعجل عليهم العذاب والفضل
الافضال ومعناه انه متفضل وهذه الاية تبطل قول من قال انه لا نعمة لله على الكفار قوله لا يشكرون يجوز ان يكون
مفعوله محذوفا اي لا يشكرون نعمه ويجوز ان لا يقدر بمعنى لا يعترفون بنعمه فعبر عن انتفاء معرفتهم بالنعمة بانتفاء
ما يترتب على معرفتها وهو الشكر قوله تعالى وان ربك ليعلم ما تكن العامة على ضم تاء المضارعة من اكن قال تعالى او اكننتم
وابن محيصن وابن السميفع وحميد بفتحها وضم الكاف يقال كننته واكننته بمعنى اخفيت وسترت قوله تعالى وما
من غائبة في هذه التاء قولان احدهما انها للمبالغة كراوية وعلامة وقولهم ويل للشاعر من رواية السوء كانه تعالى
قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله والثاني انها كالتاء الداخلة على المصادر نحو العاقبة والعافية
قال الزمخشري ونظيرها الذبيحة والنطيحة والرمية في انها اسماء غير صفات الا في كتاب مبين اي في اللوح المحفوظ
والمبين الظاهر المبين لمن ينظر فيه من الملائكة قوله تعالى ان هذا القران الاية لما تمم الكلام في اثبات المبدأ والمعاد
ذكر بعده ما يتعلق بالنبوة ولما كانت العمدة الكبرى في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هي القران لا جرم بين
الله تعالى اولا كونه معجزة من وجوه احدها ان الاقاصيص المذكورة في القران موافقة لما كان في التورية
والانجيل مع العلم بانه عليه السلام كان اميا ولم يخالط العلماء ولم يشتغل بالاستفادة والتعلم فاذن لا يكون ذلك
الا من قبل الله تعالى واراد ما اختلفوا فيه وتباينوا وقيل ما حرم على بعضهم وقيل اخبار الانبياء وثانيها قوله وانه
لهدى ورحمة للمؤمنين وذلك لانا تأملنا في القران فوجدنا فيه من الدلائل العقلية على التوحيد والحشر والنشر
والنبوة وشرح صفات الله ما لم نجد في كتاب من الكتب ووجدناه مبرأ عن التناقض والتهافت فكان هدى
ورحمة من هذه الوجوه ووجدنا القوى البشرية قاصرة عن جمع كتاب على هذا الوجه فعلمنا انه ليس الا من عند
الله تعالى فكان القران معجزا من هذه الجهة وثالثها انه لهدى ورحمة للمؤمنين لبلوغه في الفصاحة الى حيث عجزوا
عن معارضته وذلك معجزة قوله تعالى بحكمه العامة على ضم الحاء وسكون الكاف وجناح بن حبيش بكسرها وفتح الكاف

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بابن الصدر

جمع حكمة اى تقضى بين المختلفين فى الدين يوم القيامة بحكمة الحق وهو العزيز المنيع فلا يرد له امر العليم باحوالهم فلا يخفى
عليه شى قال قيل القضا والحكم شى واحد فقوله يقضى بحكمه كقوله يقضى بقضايه ويحكم بحكمه فالجواب معنى قوله
بحكمه اى بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضى الا بالعدل او اراد بحكمه على القراة بكسر الحا قوله تعالى فتوكل على الله انك على الحق
المبين اى البين انك لا تسمع الموتى يعنى الكفار وانما حسن جعله سببا للامر بالتوكل لان الانسان ما دام يطمع فى احد
شى فانه لا يقوى قلبه على اظهار مخالفته فالله تعالى قطع طمع محمد عليه السلام بان بين انهم كالموتى وكالصم والعمى
فلا يسمعون ولا يفهمون ولا يبصرون ولا يلتفتون الى شى من الدلايل وهذا سبب لقوة قلبه عليه السلام على اظهار
الدين كما ينبغى قوله تعالى ولا تسمع الصم الدعا قرا ابن كثير لا يسمع باليا مفتوحة وفتح الميم الصم رفع وكذلك فى سورة
الروم وقرا الباقون بالتا وضمها وكسر الميم الصم نصب اذا ولوا مدبرين معرضين قال قيل ما معنى قوله ولوا مدبرين
واذا كانوا صما لا يسمعون سوا ولوا او لم يولوا قيل ذكره تاكيدا ومبالغة وقيل الاصم اذا كان حاضرا قد يسمع برفع
الصوت ويفهم بالاشارة فاذا ولى مدبرا لم يسمع ولم يفهم قال قتادة الاصم اذا ولى مدبرا ثم ناديته لم يسمع كذلك
الكافر لا يسمع ما يدعا اليه من الايمان والمعنى انهم لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كالميت الذى لا سبيل الى سماعه والاصم
الذى لا يسمع قوله تعالى وما انت بهادى العمى العامة على هادى مضافا الى العمى وحمزة تهدى فعلا مضارعا والعمى نصب
على المفعول به وكذلك التى فى الروم ويحيى بن الحارث وابو حيوة بهاد منونا العمى منصوب به وهو الاصل واتفق القرا
على ان يقفوا على هادى فى هذه السورة باليا لانها رسمت فى المصحف ثابتة واختلفوا فى الروم فوقف الاخوان
عليها باليا ايضا كهذه اما حمزة فلانه يقروها تهدى فعلا مضارعا فوقفها ثابتة قال الكسائى من قرا تهدى
لزمه ان يقف باليا وانما لزمه ذلك لان الفعل لا يدخله تنوين فى الوصل يحذف له اليا والواو ولكن يلزم حمزة
مخالفة الرسم دون القياس واما الكسائى فانه يقرا بهادى اسم فاعل كالجماعة فاثباته لليا بالحمل على هادى فى هذه
السورة وفيه مخالفة الرسم السلفى قوله عن ضلالتهم فيه وجهان احدهما انه متعلق بتهدى وعدى بعن لتضمنه
معنى تصرفهم والثانى انه متعلق بالعمى لانك تقول عمى عن كذا ذكره ابو البقا فصل المعنى ما انت بمرشد من اعماه الله عن
الهدى واعمى قلبه عن الايمان ان يسمع ما تسمع الا من يومن باياتنا الا من يصدق بالقران انه من الله فهم مسلمون
مخلصون لله فى قراة من اسلم وجهه لله يعنى سالما لله خالصا لله قوله تعالى واذا وقع القول عليهم اى مضمون القول
واطلق المصدر على المفعول اى المقول ومعنى وقع القول عليهم وجب العذاب عليهم وقال قتادة اذا غضب الله عليهم
اخرجنا لهم دابة من الارض قوله تعالى تكلمهم العامة على التشديد وفيه وجهان اظهرهما انه من الكلام والحديث
ويويده قراة ابى تنبيهم وقراة يحيى بن سلام تحدثهم وثانيهما تفسير ان لها والثانى تجرحهم ويويده قراة ابن عباس
وابن جبير ومجاهد وابى زرعة والجحدرى تكلمهم بفتح التا وسكون الكاف وضم اللام من الكلم وهو الجرح وقد قرى
تجرحهم وجاى الحديث انها تسم الكافر قوله تعالى ان الناس قرا الكوفيون بفتح ان والباقون بالكسر فاما الفتح فعلى
تقدير البا اى بان الناس ويدل عليه التصريح بها فى قراة عبد الله بان الناس ثم هذه البا تحتمل ان تكون معدية وان
تكون سببية وعلى التقديرين يجوز ان يكون تكلمهم بمعنييه من الحديث والجرح اى تحدثهم بان الناس او بسبب
ان الناس او تجرحهم بان الناس اى تسمهم بهذا اللفظ او تسمهم بسبب انتفا الايمان واما الكسر فعلى الاستيناف ثم هو
يحتمل ان يكون من كلام الله تعالى وهو الظاهر وان يكون من كلام الدابة فيعكر عليه باياتنا ويجاب عنه باختصاصها
صح اضافة الايات اليها كقول اتباع الملوك دوابنا وخيلنا وهى لملكهم واما على حذف مضاف اى بايات ربنا وتكلمهم ان
كان من الحديث فيجوز ان يكون اما لاجرا تكلمهم مجرى يقول لهم واما على اضمار القول اى فيقول كذا وهذا القول تفسير لتكلمهم
فصل قال السدى تكلمهم ببطلان الاديان سوى دين الاسلام وقيل تقول للواحد هذا مومن وهذا كافر
وقيل كلامها ما قال ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون تخبر الناس ان اهل مكة لم يومنوا بالقران والبعث قال ابن عمر
وذلك حين لا يومر بمعروف ولا ينهى عن منكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من
مغربها والدجال والدخان والدابة وخاصة احدكم وامر العامة وقال عليه السلام ان اول الايات خروجا طلوع الشمس
من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى فايهما ما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها وقال عليه السلام يكون
للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية يعنى
مكة ثم تكمن زمانا طويلا ثم تخرج خرجة اخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعنى مكة
ثم بينا الناس يوما فى اعظم المساجد على الله حرمة واكرمها على الله عز وجل يعنى المسجد الحرام لم يرعهم الا وهى فى
ناحية المسجد تدنو وتربو قال الراوى ما بين الركن الاسود الى باب بنى مخزوم عن يمين الخارج فى وسط من ذلك
فارفض الناس عنها وثبت لها عصابة عرفوا انهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض راسها من التراب فمرت بهم
فجلت عن وجوههم حتى تركتها كانها الكواكب الدرية ثم ولت فى الارض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى ان

الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتاتيه من خلفه فتقول يا فلان الان تصلى فيقبل عليها بوجهه فتسمه فى وجهه فيتجاور
الناس فى ديارهم ويصطحبون فى اسفارهم ويشتركون فى الاموال يعرف الكافر من المومن فيقال للمومن يا مومن
وللكافر يا كافر وقال عليه السلام تخرج الدابة ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المومن بالعصا وتخطم
انف الكافر بالخاتم حتى ان اهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مومن وهذا يا كافر وروى عن على قال ليس بدابة لها
ذنب ولكن لها لحية كانه يشير الى انه رجل والاكثرون على انها دابة لما روى ابن جريج عن ابى الزبير انه وصف الدابة
فقال راسها راس الثور وعينها عين الخنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر
وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوايمها قوايم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا معها عصى موسى وخاتم
سليمان وذكر باقى الحديث وروى حذيفة بن اليمان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يا رسول
الله من اين تخرج قال من اعظم المساجد حرمة على الله بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض
تحتهم وينشق الصفا مما يلى المشعر وتخرج الدابة من الصفا اول ما يبدو منها راسها ملمعة ذات وبر وريش لن يدركها
طالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مومنا وكافرا اما المومن فتترك وجهه كانه كوكب درى وتكتب بين عينيه مومن
واما الكافر فتكتب بين عينيه نكتة سودا وتكتب بين عينيه كافر وروى عن ابن عباس انه قرع الصفا بعصاه وهو
محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاى هذه وروى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال بيس الشعب شعب
جياد مرتين او ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين
وقال وهب وجهها وجه الرجل وساير خلقها خلق الطير فتخبر من راها ان اهل مكة كانوا بمحمد والقران لا يوقنون قوله
ويوم نحشر من كل امة فوجا اى من كل قرن جماعة ومن كل امة يجوز ان يكون متعلقا بالحشر ومن لابتدا الغاية وان يتعلق
بمحذوف على انه حال من فوجا لانه يجوز ان يكون صفة له فى الاصل والفوج الجماعة كالقوم وقيدهم الراغب فقال
الجماعة المارة المسرعة وكان هذا هو الاصل ثم اطلق وان لم يكن مرور ولا اسراع والجمع افواج وفووج ممن يكذب
صفة له ومن فى من كل تبعيضية وفى ممن يكذب تبيينية قوله تعالى فهم يوزعون اى يحبس اولهم على اخرهم حتى
يجتمعوا ثم يساقون الى النار حتى اذا جاوا يوم القيامة قال لهم الله اكذبتم باياتى ولم تحيطوا بها علما ولم تعرفوها
حق معرفتها والواو فى ولم تحيطوا يجوز ان تكون العاطفة وان تكون الحالية وعلما تمييز قوله اماذا ام هنا
منقطعة وتقدم حكمها وماذا يجوز ان تكون برمته استفهاما منصوبا بتعملون الواقع خبرا عن كنتم وان تكون
ما استفهامية مبتدا وذا موصول خبره والصلة كنتم تعملون وقرا ابو حيوة اما بتخفيف الميم جعل همزة الاستفهام
داخلة على اسمه تاكيدا كقوله اهل راوا بوادى القفف ذى الاكم فصل اماذا كنتم تعملون حين لم تتفكروا
فيها كانه قال ما لم تشتغلوا بذلك العمل المهم فاى شى كنتم تعملون بعد ذلك ثم قال ووقع القول عليهم اى وجب
العذاب الموعود عليهم بما ظلموا اى بسبب ظلمهم وتكذيبهم بايات الله ويضعف جعل ما بمعنى الذى فهم لا ينطقون
قال قتادة كيف ينطقون ولا حجة لهم نظيره قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون وقيل لا ينطقون
لان افواههم مختومة ثم انه تعالى لما خوفهم باحوال القيامة ذكر كلاما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر
وعلى النبوة مبالغة فى الارشاد الى الايمان والمنع من الكفر فقال الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار
مبصرا مضيا يبصر فيه قوله ليسكنوا فيه قيل فيه حذف من الاول ما اثبت نظيره فى الثانى ومن الثانى ما اثبت
نظيره فى الاول فالتقدير جعلنا الليل مظلما ليسكنوا فيه والنهار مبصرا لينتصروا فيه فحذف مظلما لدلالة مبصرا
ولينتصروا لدلالة ليسكنوا وقوله مبصرا كقوله اية النهار مبصرة وتقدم تحقيقه فى الاسرا وقال الزمخشرى
فان قلت ما للتقابل لم يراع فى قوله ليسكنوا ومبصرا حيث كان احدهما علة والاخر حالا قلت هو مراعى من حيث
المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف به لانه لو قال والنهار لتنتصروا فيه واجاب غيره بان السكون فى
الليل هو المقصود لانه وسيلة الى جلب المنافع الدينية والدنيوية ان فى ذلك لايات لقوم يومنون يصدقون
فيعتبرون وخص المومنين بالذكر وان كانت الادلة للكل لان المومنين هم المنتفعون كقوله هدى للمتقين
قوله تعالى ويوم ينفخ فى الصور هذه العلامة الثانية لقيام القيامة والصور قرن ينفخ فيه اسرافيل فاذا
سمع الناس ذلك الصوت يصيحون ثم يموتون وهذا قول الاكثرين وقال الحسن الصور هو الصور واول بعضهم
كلامه ان الارواح تجتمع فى القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الارواح الى الاجساد فتحيى الاجساد قوله تعالى ففزع
من فى السموات ومن فى الارض قال ففزع بلفظ الماضى ولم يقل فيفزع لتحققه كقوله وثبوته وانه كاين لا محالة
لان الفعل الماضى يدل على وجود الفعل كقوله اتى امر الله والمعنى يلقى عليهم الفزع الى ان يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل
فى الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين قوله تعالى الا من شا الله قال
الامين يثبت الله قلبه من الملايكة قالوا وهم جبريل وميكايل واسرافيل وملك الموت وجاى الحديث انهم الشهدا

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد ... عفي عنه
وكفى ...

يتقلدون اسيافهم حول العرش • قال سعيد بن جبير وعطاء عن ابن عباس الشهداء لانهم احياء عند ربهم وعن الضحاك ثم
رضوان والحور وخزنة النار وحملة العرش وكل اتوه اى الذين احيوا بعد الموت قوله اتوه قرا حمزة وحفص اتوه
فعلا ماضيا ومفعوله الهاء والباقون اتوه اسم فاعل مضافا للهاء وهذا حمل على معنى كل وهى مضافة تقديرا اى وكلهم
وقرا قتادة اتاه ماضيا مسندا الضمير كل على اللفظ ثم حمل على معناها فقرا داخرين والحسن والاعرج دخرين
بغير الف اى صاغرين قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة هذه العلامة الثالثة لقيام القيامة وهو
قوله تعالى ويوم نسير الجبال جامدة قايمة واقفة وتحسبها جامدة هذه الجملة حالية من فاعل ترى او من مفعوله
لان الرؤية بصرية قوله وهى تمر الجملة حالية ايضا وهكذا الاجرام العظيمة تراها واقفة وهى مارة قال
النابغة الجعدى يصف جيشا كثيفا بارعن مثل الطود تحسب انهم • وقوف لحاج والركاب تمهلج • ومر
السحاب مصدر تشبيهى قوله صنع الله مصدر موكد لمضمون الجملة السابقة عاملة مضمر اى صنع الله ذلك
صنعا ثم اضيف بعد حذف عامله وجعله الزمخشرى موكدا للعامل فى يوم ينفخ فى الصور وقدره ويوم ينفخ
وكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المسيئين فى كلام طويل جريا على مذهبه • وقيل منصوب على
الاغراء اى انظروا صنع الله وعليكم به • والاتقان الاتيان بالشى على اكمل حالاته وهو من قولهم تقن ارضه اذا ساق
اليها الماء الخاثر بالطين لتصلح للزراعة وارض تقنة والتقن يفاد ذلك بها والتقن ايضا ما رمى به فى الغدير من ذلك
او الارض ومعنى اتقن كل شى اى احكمه انه خبير بما يفعلون قرا ابن كثير وابو عمرو وهشام بالغيبة جريا على قوله وكل
اتوه والباقون بالخطاب جريا على قوله وترى لان المراد النبى صلى الله عليه وسلم وامته قوله من جاء بالحسنة فله خير
منها فى خير وجهان • احدهما انها للتفضيل باعتبار زعمهم او على حذف مضاف اى خير من قدرها واستحقاقها فمنها
فى محل نصب وان لا تكون للتفضيل فيكون منها فى موضع رفع صفة لها قوله تعالى وهم من فزع يومئذ قرا
اهل الكوفة من فزع بالتنوين يومئذ بفتح الميم وقرا الاخوان بالاضافة لانه اعم فانه يقتضى الامن من جميع
فزع ذلك اليوم وبالتنوين كانه فزع دون فزع ويفتح اهل المدينة الميم من يومئذ وتقدم فى هود فتح يوم
وجره واذ مضافة للجملة حذفت وعوض عنها التنوين والاحسن ان يقدر يومئذ ترى الجبال وقيل يومئذ ينفخ
فى الصور والاول اولى لقرب ما قدر منه فصل لما تكلم فى علامات القيامة شرح بعد ذلك احوال المكلفين
بعد قيام القيامة والمكلف اما ان يكون مطيعا او عاصيا اما المطيع فهو الذى جاء بالحسنة وهى كلمة الاخلاص قال
ابو معشر كان ابراهيم يحلف ما يستثنى ان الحسنة لا اله الا الله • وقيل كل طاعة فله خير منها قال ابن عباس يعنى له من تلك الحسنة
خير يوم القيامة وهو الامن من العذاب اما ان يكون له شى خير من الايمان فلا فانه ليس شى خير من قول لا اله الا
الله • وقيل خير منها يعنى رضوان الله تعالى قال تعالى ورضوان من الله اكبر • وقال محمد بن كعب وعبد الرحمن بن زيد
خير منها يعنى الاضعاف اعطاه الله بالواحدة عشرا فصاعدا وهو حسن لان للاضعاف خصايص • وقيل لان الثواب
خير من العمل لان الثواب دايم والعمل منقض ولان العمل فعل العبد والثواب فعل الله وهم من فزع يومئذ
امنون اى امنون من كل فزع فان قيل اليس قال فى اول الاية ففزع من فى السموات ومن فى الارض فكيف نفى
الفزع ههنا فالجواب ان الفزع الاول هو ما لا يخلو عنه احد عند الاحساس بشدة تقع او هول يفجا وان
كان المحسن يامن وصول ذلك الضرر اليه واما الثانى فهو الخوف من العذاب واما من قرا من فزع بالتنوين
فهو يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العذاب واما ما يلحق الانسان من الرعب عند مشاهدته فلا
ينفك منه احد فان قيل الحسنة لفظة مفردة معرفة وقد ثبت انها لا تفيد العموم بل يكفى فى تحققها حصول
فرد من افرادها واذا كان كذلك فلنحملها على اكمل الحسنات شانا واعلاها درجة وهو الايمان ولهذا قال
ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة وهذا يوجب القطع بانه لا يعاقب اهل الايمان فالجواب ذلك الخير هو ان لا
يكون عقابه مخلدا • وامن يتعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى فامنوا مكر الله قوله تعالى ومن جاء بالسيئة يعنى
الاشراك فكبت وجوههم فى النار يجوز ان يكون ذكر الوجوه ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين
يقال كبيت الرجل اذا القيته على وجهه فاكب وانكب قوله هل تجزون على اضمار القول وهذا القول حال مما
قبله اى كبت وجوههم مقولا لهم ذلك القول قوله تعالى انما امرت اى قل يا محمد انما امرت اى امرت ان اخص
الله وحده بالعبادة ثم انه تعالى وصف نفسه بامرين احدهما انه رب هذه البلدة والمراد مكة وانما خصها
من بين ساير البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واكرمها عليه واشار اليها اشارة تعظيم لها
دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه قوله الذى حرمها هذه قراءة الجمهور صفة للرب وابن مسعود وابن
عباس التى صفة للبلدة والسياق انما هو للرب لا للبلدة فلذلك كانت العامة واضحة والمعنى جعلها الله حرما
امنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يصطاد صيدها ولا يختلا خلاها وله كل شى خلقا وملكا وانما

ذكر ذلك لان العرب كانوا معترفين بكون مكة محرمة وعلموا ان تلك الفضيلة ليست من الاصنام بل من الله فكانه
قال لما علمت وعلمتم انه سبحانه هو المتولى لهذه النعم وجب على ان اخصه بالعبادة وامرت ان اكون من المسلمين
لله قوله تعالى وان اتلو القران العامة على اثبات الواو بعد اللام وفيها تاويلان • اظهرهما انه من التلاوة وهى
القراءة ومابعده يلايمه • والثانى من التلو وهو الاتباع كقوله واتبع ما يوحى اليك وقرا عبد الله وان اتل
امر له عليه السلام فانه يجوز ان يكون المفسرة وان تكون المصدرية وصلت بالامر وتقدم ما فيه فصل
المعنى وامرت ان اتلو القران ولقد قام بذلك صلوات الله عليه وسلامه اتم قيام فمن اهتدى فيما تقدم من
المسايل وهى التوحيد والحشر والنبوة فانما يهتدى لنفسه اى منفعة اهتدايه راجعة اليه ومن ضل عن الايمان
فاخطا طريق الهدى فقل انما انا من المنذرين المخوفين فليس على الا البلاغ نسختها اية القتال قوله ومن ضل
يجوز ان يكون الجواب قوله فقل انما ولا بد من حذف عايد على اسم الشرط اى من المنذرين له لما تقدم فى البقرة وان
يكون الجواب محذوفا اى فوباله عليه قوله تعالى وقل الحمد لله على ما اعطانى من نعمة العلم والحكمة والنبوة
او على ما وفقنى من القيام باداء الرسالة والانذار سيريكم اياته القاهرة فتعرفونها يوم بدر من القتل والسبى وضرب
الملايكة وجوههم وادبارهم نظيره قوله تعالى ساريكم اياتى فلا تستعجلون • وقال مجاهد سيريكم اياته فى السماء والارض
وفى انفسكم كما قال سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم فتعرفونها اى تعرفون الايات والدلالات وما ربك
بغافل عما يعملون قرى بالتاء والياء وهذا وعيد لهم بالجزاء على اعمالهم • روى ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وابرهيم
عليهم السلام وهو يخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

الا قوله عز وجل الذين اتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغى الجاهلين وفيها اية نزلت بين مكة والمدينة وهى قوله ان سورة القصص
الذى فرض عليك القران لرادك الى معاد • وهى ثمان وثمانون اية والف واربعماية واحدى واربعون كلمة وخمسة
الاف وثمانماية حرفا • ولقايل ان يقول لم سميت سورة موسى لاشتمالها على قصة موسى فقط من حين ولادته الى
ان اهلك الله فرعون وخسف بقارون كما سميت سورة نوح وسورة يوسف لاشتمالهما على قصتيهما ولا يقال
سميت بذلك لذكر القصص فيها فى قوله فلما جاءه وقص عليه القصص لان سورة يوسف فيها ذكر القصص من نبى
الاولى نحن نقص عليك احسن القصص والثانية قوله لقد كان فى قصصهم فكانت سورة يوسف اولى بهذا
الاسم وايضا فكانت سورة هود اولى بهذا الاسم لانه ذكر فيها قصص سبعة انبياء وهذه ليس فيها الا قصة
واحدة فكان ينبغى العكس وان تسمى سورة هود سورة القصص وهذه سورة موسى بسم الله الرحمن الرحيم قوله
تعالى نتلو عليك يجوز ان يكون مفعول نتلو محذوفا دلت عليه صفته وهى من نبا موسى تقديره نتلو عليك شيئا
من نبا موسى ويجوز ان تكون من مزيدة على راى الاخفش اى نتلو عليك نبا موسى قوله بالحق يجوز ان يكون حالا من
فاعل نتلو او من مفعوله اى نتلو عليك بعض خبرهما ملتبسين او ملتبسا بالحق او متعلق بنفس نتلو بمعنى نتلوه
بسبب الحق والقوم متعلق بفعل التلاوة اى لاجل هولاء و يؤمنون بصدق قول وخصهم بالذكر لانهم قبلوا وانتفعوا
قوله ان فرعون هذا هو المتلو يجى به فى جملة مستانفة موكدة وقرى فرعون بضم الفاء وكسرها والكسر احسن
وهو الفسطاس علا فى الارض استكبر وتجبر وجعل اهلها شيعا فرقا اصنافا فى الخدمة والتسخير يتبعونه على ما يريد
ويطيعونه قوله يستضعف يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها انه مستانف بيان لحال الاهل الذين جعلهم فرقا
واصنافا • الثانى انه حال من فاعل جعل اى جعلهم كذا حال كونه مستضعفا طايفة منهم الثالث انه صفة لطايفة
قوله تعالى يذبح يجوز فيه الثلاثة الاوجه الاستيناف تفسيرا ليستضعف او الحال من فاعله او صفة
ثانية لطايفة والعامة على التشديد فى يذبح للتكثير وابو حيوة وابن محيصن يذبح مفتوح الياء والباء مقطوع
ذبح مخففا فصل المراد بالطايفة بنو اسرايل ثم فسر الاستضعاف فقال يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم
سمى هذا استضعافا لانهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن انفسهم انه كان من المفسدين وذكروا فى سبب
ذبح الابناء وجوها قيل ان كاهنا قال له يولد مولود فى بنى اسرايل فى ليلة كذا يذهب ملكه على يده فولد تلك
الليلة اثنى عشر غلاما فقتلهم وبقى هذا العذاب فى بنى اسرايل سنين كثيرة • قال وهب قتل القبط فى طلب
موسى تسعين الفا من بنى اسرايل • وقال السدى ان فرعون راى فى منامه ان نارا اقبلت من بيت المقدس
الى مصر فاحرقت القبط دون بنى اسرايل فسال عن رؤياه فقيل له يخرج من هذا البلد من بنى اسرايل رجل يكون

هلاك ملكه مصر على يده فامر بقتل الذكور وقيل ان الانبيا الذين كانوا قبل موسى عليه السلام بشروا بمجيه فسمع فرعون
ذلك فامر بذبح ابنا بني اسرايل قوله تعالى ونريد ان نمن فيه وجهان اظهرهما انه عطف على قوله ان فرعون عطف
فعلية على اسمية لان كليهما تفسير للنبا والثاني انها حال من فاعل يستضعف وفيه ضعف من حيث الصناعة
ومن حيث المعنى اما الصناعة فلكونه مضارعا مثبتا فحقه ان يتجرد من الواو واضمار مبتدا قبله اي ونحن نريد كقوله
نجوت وارهنهم مالكا وهذا تكلف لا حاجة اليه واما المعنى فكيف يجتمع استضعاف فرعون وارادة المنة من الله لانه
متى من الله عليهم تعذر استضعاف فرعون اياهم وقد اجيب عن ذلك بانه لما كانت المنة بخلاصهم من فرعون
سريعة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم قوله تعالى ونجعلهم ايمة دعاة الى الخير وقال
قتادة ولاة وملوكا لقوله تعالى وجعلكم ملوكا وقيل يقتدى بهم في الخير ونجعلهم الوارثين يعني لملك فرعون
وقومه يخلفونه في مساكنهم قوله تعالى ونمكن العامة على ذلك من غير لام علة والاعمش ولنمكن بلام العلة ومتعلقها
محذوف اي ولنمكن فعلنا ذلك والمعنى نوطي لهم في ارض مصر والشام ونجعلها لهم مكانا يستقرون فيه وينفذ
امرهم ونطلق ايديهم يقال مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه ووطاه ومهده قوله تعالى ونري فرعون
وهامان وجنودهما قرا الاخوان ويرى بفتح اليا والرا مضارع راى مسندا الى فرعون وما عطف عليه فلذلك
رفعوا والباقون بضم النون وكسر الرا مضارع ارى فلذلك نصب فرعون وما عطف عليه مفعولا اول وما
كانوا هو الثاني ومنهم متعلق بفعل الرؤية او الاراة لا بيحذرون لان ما بعد الموصول لا يعمل فيما قبله ولا ضرورة
بنا الى ان نقول اتسع فيه والحذر هو التوقي من الضرر والمعنى ما كانوا خايفين منه قوله تعالى ان ارضعيه
يجوز ان تكون المفسرة والمصدرية وقرا عمر بن عبد العزيز وعمرو بن عبد الواحد بكسر النون على التقا الساكنين
كانه حذف همزة القطع على غير قياس فالتقى ساكنان فكسر اولهما فصل واوحينا الى ام موسى وحي الهام لا وحي نبوة
قال قتادة قذفنا في قلبها   بنت لاوي بن يعقوب ان ارضعيه قيل ارضعته ثمانية اشهر وقيل اربعة
اشهر وقيل ثلاثة اشهر كانت ترضعه في حجرها وهو لا يبكي ولا يتحرك فاذا خفت عليه يعني من الذبح فالقيه في اليم
واليم البحر والمراد هنا النيل ولا تخافي ولا تحزني قيل لا تخافي عليه من الغرق وقيل من الضيعة ولا تحزني على فراقه
انا رادوه اليك لتكوني انت المرضعة وجاعلوه من المرسلين الى اهل مصر والشام قال المفسرون انها لما خافت
عليه من الذبح وضعته في تابوت والقته في النيل ليلا قاله ابن كثير وقيل انها ربطت التابوت في حبل وكانت
دارها على حافة النيل فكانت ترضعه فاذا خشيت من احد وضعته في ذلك التابوت وارسلته في البحر وامسكت
طرف الحبل عندها فاذا ذهبوا استرجعته اليها وكان لفرعون قوابل معهم رجال يطوفون على الحوامل فمن وضعت
ذكرا ذبحوه فارسلت ام موسى التابوت يوما وذهلت عن ربطه فذهب مع النيل قال ابن عباس وغيره وكان
لفرعون يوميذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان بها برص شديد فقال له الاطبا
ايها الملك انها لا تبرا الا من قبل البحر يوخذ منه شبه الانس فيوخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرا من ذلك
وذلك يوم كذا وساعة كذا وشهر كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون في مجلس له كان على شفير
النيل ومعه اسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق
وهي امراة فرعون وقيل كانت من بني اسرايل من سبط موسى وقيل كانت عمته حكاه السهيلي واقبلت بنت فرعون في
جواريها حتى جلست على شاطي النيل اذ اقبل النيل بتابوت تضرب به الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون ايتوني به
فابتدروه بالسفن من كل جانب فوضعوه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فنظرت اسية فرات نورا في
جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هو صبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه فالقى الله
محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرات فقال الغواة من قوم فرعون
انا نظن ان هذا هو الذي نحذر منه رمي في البحر فرقا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته امراة فرعون
فترك قتله وقوله فالتقطه ال فرعون اي جواريه قوله ليكون في اللام الوجهان المشهوران العلية المجازية
بمعنى ان ذلك لما كان نتيجة فعلهم وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله او الصيرورة وقوله
وحزنا قرا العامة بفتح الحا والزاي وهي لغة قريش والاخوان بضم وسكون وهما لغتان بمعنى واحد كالعدم
والعدم ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطيين العامة على الهمز ماخوذ من الخطا ضد الصواب وقرى
بيا دون همز فاحتمل ان يكون كالاول ولكن خفف وان يكون من خطا يخطو اي تجاوز الصواب قوله قرة
عين لي ولك فيه وجهان اظهرهما انه خبر مبتدا مضمر اي هو قرة عين والثاني وهو بعيد جدا ان يكون
مبتدا والخبر لا تقتلوه وكان هذا القايل حقه ان يذكر فيقول لا تقتلوها الا انه لما كان المراد مذكرا ساغ
ذلك والعامة من القرا والمفسرين واهل العلم يقفون على ذلك ونقل ابن الانباري بسنده الى ابن عباس

عنه انه وقف على لا اي هو قرة عين لي فقط ولك اي لبس هو لك قرة عين ثم يبتدى بقوله تقتلوه وهذا لا ينبغي ان يصح
عنه وكيف يبقى تقتلوه من غير نون رفع ولا مقتضى لحذفها ولذلك قال الفرا هو لحن قوله عسى ان ينفعنا او نتخذه
ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون اما انا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو قال يوميذ هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها فقال لاسية سميه قالت سميته
موسى لانا وجدناه في الما والشجر فمو هو الما وسا هو الشجر فذلك قوله فالتقطه ال فرعون والالتقاط هو وجود
الشي من غير طلب قوله تعالى وهم لا يشعرون جملة حالية وهل هي من كلام الباري تعالى وهو الظاهر او من كلام
امراة فرعون كانها لما رات ملاه اشاروا بقتله قالت له كذا اي افعل انت ما اقول لك وقومك لا يشعرون انا التقطناه
قاله الكلبي وجعل الزمخشري الجملة من قوله وقالت امراة فرعون معطوفة على فالتقطه والجملة من قوله ان فرعون
وهامان الى خاطيين معترضا بين المتعاطفين وجعل متعلق الشعور من جنس الجملة المعترضة اي لا يشعرون
انهم على خطا في التقاطه او ان هلاكهم على يديه قال ابو حيان ومتى امكن حمل الكلام على ظاهره من غير فصل
كان احسن قوله تعالى واصبح فواد ام موسى فارغا قال الحسن فارغا من كل هم الا هم موسى وقال مسلم فراغ
الفواد هو الخوف والاشفاق كقوله وافيدتهم هوا وقال الزمخشري فارغا صفرا من العقل والمعنى انها حين
سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والخوف وقال الحسن ومحمد بن اسحق فارغا من الوحي
الذي اوحينا اليها ان القيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك فجاها الشيطان وقال لها كرهت ان
يقتل فرعون ولدك فيكون لك اجره وثوابه وتوليت انت قتله فالقيتيه في البحر واغرقتيه ولما اتاها خبر
موسى انه وقع في يد فرعون فانساها عظيم البلا ما كان من عهد الله اليها وقال ابو عبيدة فارغا من الحزن
لعلمها بانه لا يقتل اعتمادا على تكفل الله بمصلحته قال ابن قتيبة وهذا من العجايب كيف يكون فوادها فارغا
من الحزن والله تعالى يقول لولا ان ربطنا على قلبها وهل يربط الا على قلب الجازع المحزون ويمكن ان يجاب عنه
بانه لا يمتنع انها لشدة ثقتها بوعد الله جاز عندها اظهار عدم الحزن وانفت بها وان اظهرت ذلك فانه ليسلم
لاجل ذلك الوعد الا انه كان في المعلوم ان الاظهار يغتفر بربط الله على قلبها قال المعربون فارغا خبر اصبح اي فارغا
من العقل او من الصبر او من الحزن وهو ابعدها ويرده قراات تخالفه فقرا فضالة والحسن فزعا بالزاي من الفزع
وابن عباس قرعا بالقاف وكسر الرا وسكونها من قرع راسه اذا انحسر شعره والمعنى خلا من كل شي وانحسر عنه كل شي
الا ذكر موسى وقيل الساكن الرا مصدر لقرع يقرع اي اصيب وقرى فرغا بكسر الفا وسكون الرا والغين معجمة اي هدرا
كقوله فان تك قتلى قد اصيبت نفوسهم فلن يذهبوا فرغا بقتل حبال وقرا الخليل فرغا بضم
الفا والرا واعجام الغين من هذا المعنى ومنه قولهم دماوهم بينهم فرغ اي هدر قوله تعالى ان كادت لتبدي ان اما
مخففة واما نافية واللام اما فارقة واما بمعنى الا والهاء في به مزيدة في المفعول اي لتبديه وقيل ليست زايدة
بل سببية والمفعول محذوف اي لتبدي القول بسبب موسى او بسبب الوحي فالها يجوز ان تكون راجعة الى موسى
ان كادت لتبدي به اي انه ابنها من شدة وجدها وقال عكرمة عن ابن عباس كادت تقول وابناه حين رات
الموج يرفع التابوت ويضعه وقال الكلبي كادت تظهر انه ابنها حين سمعت الناس يقولون انه ابن فرعون وقال
السدي لما اخذ من الما كادت تقول هو ابني فعصمها الله وقال بعضهم الها عايدة الى الوحي اي كادت تبدي بالوحي
الذي اوحى الله اليها انه يرده عليها قوله لولا ان ربطنا جوابها محذوف اي لابدت كقوله وهم بها لولا ان راى برهان
ربه والمعنى لولا ان ربطنا على قلبها بالعصمة والصبر والتثبيت ولتكون من المومنين متعلق بربطنا والمعنى لتكون
من المومنين المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك فصل وقالت لاخته قصيه اي قصي اثر
موسى لعلك تتبعي اثره حتى تعلمي خبره وكانت اخته لابيه وامه واسمها مريم قوله تعالى فبصرت به اي ابصرته
وقرا قتادة بصرت بفتح الصاد وعيسى بكسرها قال المبرد ابصرته وبصرت به بمعنى وتقدم معناه في طه وعن
جنب في موضع الحال اما من الفاعل اي بصرت به مستخفية كاينة عن جنب واما من المجرور اي بعيدا منها وقرا
العامة جنب بضمتين وهو صفة لمحذوف اي من مكان بعيد وقال ابو عمرو بن العلا اي عن شوق وهي لغة
جذام يقولون جنبت اليك اي اشتقت وقرا قتادة والحسن والاعرج وزيد بن علي بفتح الجيم وسكون النون
وعن قتادة ايضا بفتحهما وعن الحسن جنب بالضم والسكون وعن سالم عن جانب وكلها بمعنى واحد ومثله الجنابة
والجنابة قوله تعالى وهم لا يشعرون جملة حالية ومتعلق الشعور محذوف اي انها تقصه وانه سيكون لهم
عدوا وحزنا او انها اخته او انها ترقبه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع قيل يجوز ان يكون جمع مرضع وهي
المراة وقيل جمع مرضع بفتح الميم والضاد ثم جوزوا فيه ان يكون مكانا اي مكان الارضاع وهو الثدي
وان يكون مصدرا اي الارضاعات اي انواعها ومن قبل اي من قبل قصها اثره او من قبل مجي اخت موسى

ومن قبل ولادته في حكمنا وقضائنا والمراد من التحريم المنع لان التحريم بالنهي تعبد وذلك لا يصح فلا بد من فعل
سواه فيحتمل انه تعالى غير طبعه عن لبن سائر النسا فلذلك لم يرتضع او احدث في لبنهن طعما ينفر عنه طبعه
او وضع في لبن امه لذة تعود بها فكان يكره لبن غيرها **فصل** قال ابن عباس ان امراة فرعون كان همها
من الدنيا ان تجد له مرضعة فكلما اتوه بمرضعة لم ياخذ ثديها فذلك قوله عز وجل وحرمنا عليه المراضع
فلما رات اخت موسى التي ارسلتها امه في طلبه ذلك قالت هل ادلكم **على اهل بيت يكفلونه** اي يرضعونه
ويضمونه وهي امراة قد قتل ولدها فاحب شي اليها ان تجد صغيرا ترضعه **قوله تعالى وهم له ناصحون**
لكم الظاهر انه ضمير موسى وقيل لفرعون قال ابن جريج والسدي لما قالت اخت موسى وهم له ناصحون استنكروا
حالها وتفرسوا انها قرابته فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فتخلصت منهم وهذا يسمى عند اهل
البيان الكلام الموجه ومثله لما سئل بعضهم وكان بين اقوام بعضهم يحب عليا دون غيره وبعضهم ابا بكر
وبعضهم عمر وبعضهم عثمان فقيل له ايهم احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من كانت ابنته تحته
وقيل لما تفرسوا انها قرابته قالت انما قلت هذا رغبة في سرور الملك واتصالنا به وقيل لما قالت هل ادلكم
على اهل بيت قالوا لها من قالت امي قالوا ولامك ابن قالت نعم هارون وكان هارون ولد في سنة لا يقتل
فيها قالوا صدقت فاتينا بها فانطلقت الى امه فاخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلما وجد الصبي ريح امه
قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلا جنباه ريا والنصح اخلاص العمل من شائبة الفساد **قوله تعالى فرددناه**
الى امه كي تقر عينها برد موسى اليها **ولا تحزن** عطف على تقر ودمعة الفرح قارة ودمعة الترح حارة قال ابو
تمام فاما عيون العاشقين فاسخنت واما عيون الشامتين فقرت وتقدم تحقيق هذا في مريم **ولتعلم**
ان وعد الله حق برده اليها وقد كانت عالمة بذلك ولكن ليس الخبر كالمعاين فتحققت وجود الموعود **ولكن**
اكثرهم لا يعلمون ان الله وعدها رده اليها قال الضحاك لما قبل ثديها قال هامان انك لامه قالت لا قال
فما بالك قبل ثديك من بين النسوة قالت ايها الملك اني امراة طيبة الريح حلوة اللبن فما شم ريحي صبي الا
اقبل على ثديي قالوا صدقت فلم يبق احد من ال فرعون الا اهدى اليها واتحفها بالذهب والجواهر **قوله**
تعالى ولما بلغ اشده تقدم الكلام عليه **واستوى** اي بلغ اربعين سنة قال ابن عباس وقيل استوى
انتهى شبابه **اتيناه حكما وعلما** اي الفقه والعقل والعلم في الدين تعلم موسى وحكم قبل ان يبعث نبيا **وكذلك**
نجزي المحسنين وهذا يدل على انه ليس المراد بالحكم النبوة لانه جعل ايتاه الحكم والعلم مجازاة على احسانه
والنبوة لا تكون جزاء على العمل **قوله تعالى ودخل المدينة** اي ودخل موسى المدينة قال السدي مدينة
منف من ارض مصر وقال مقاتل قرية تدعى حانين على راس فرسخين من مصر وقيل عين شمس **قوله تعالى**
على حين غفلة في موضع الحال اما من الفاعل اي كائنا على حين غفلة اي مستخفيا واما من المفعول وقرا
ابو طالب القارسي على حين بفتح النون وتكلف ابو حيان تخريجها على انه حمل المصدر على الفعل في انه اذا اضيف
الظرف اليه جاز بناؤه على الفتح كقوله على حين عاتبت المشيب على الصبى **ومن اهلها** صفة لغفلة اي صادرة
من اهلها **فصل** اختلفوا في السبب الذي لاجله دخل موسى على حين غفلة من اهلها فقال السدي ان
موسى كان يسمى ابن فرعون فكان يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ملابسه فركب فرعون يوما
وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب في اثره فادركه القيل بارض منف فدخلها نصف
النهار وليس في طرقها احد فذلك على حين غفلة من اهلها وقال ابن اسحق كان لموسى شيعة من بني اسرائيل
يستمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق فارق فرعون وقومه وخالفهم في دينهم حتى ذكر
ذلك منه واخافوه واخافهم فكان لا يدخل قرية الا خائفا مستخفيا وقال ابن زيد ان موسى ضرب راس
فرعون ونتف لحيته فاراد فرعون قتله فقالت امراته انه صغير نجي بجمرة فاخذها فطرحها في فيه فبها
عقد لسانه فقال فرعون لا اقتله ولكن اخرجوه عن الدار والبلد فاخرج ولم يدخل عليهم حتى كبر فدخل
على حين غفلة **قوله يقتتلان** صفة لرجلين وقال ابن عطية حال منهما وسيبويه وان كان جوزها من
النكرة مطلقا الا ان الاكثر يشترطون فيها ما يسوغ الابتدا بها وقرا نعيم بن ميسرة يقتلان بالادغام
نقل فتحة التا الاولى الى القاف وادغم **قوله هذا من شيعته** مبتدا وخبر في موضع الصفة لرجلين او الحال
من الضمير في يقتتلان وهو بعيد لعدم انتقالها وقوله هذا وهذا على حكاية الحال الماضية فكانهما
حاضران اي اذا نظر الناظر اليهما قال هذا من شيعته وهذا من عدوه وقال المبرد العرب تشير بهذا الى
الغائب وانشد لجرير هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم الي قطينا **فصل** هذا من شيعته
من بني اسرائيل وهذا من عدوه من القبط قال مقاتل كانا كافرين الا ان احدهما من القبط والاخر من بني

اسرائيل

اسرائيل وهذا من عدوه من القبط لقول موسى عليه السلام له انك لغوي مبين والمشهور ان الاسرائيلي كان مسلما قيل انه
السامري والقبطي طباخ فرعون قال سعيد بن جبير عن ابن عباس لما بلغ موسى اشده لم يكن احد من ال فرعون
يخلص الى احد من بني اسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرائيل قد عزوا بمكان موسى لانهم كانوا يعلمون
انه منهم **قوله فاستغاثه** هذه قراة العامة من الغوث اي طلب غوثه ونصره وقرا سيبويه وابن مقسم
والزعفراني بالعين المهملة والنون من الاعانة قال ابن عطية هي تصحيف وقال ابن جبارة صاحب
الكامل الاختيار قراة ابن مقسم لان الاعانة اولى في هذا الباب قال شهاب الدين نسبة التصحيف الى هولا
غير محمودة كان ان تعالى الهذلي في اختيار الشاذ غير محمود **قوله فوكزه** اي دفعه بجميع كفه والفرق بين الوكز
واللكز ان الاول بجميع الكف والثاني باطراف الاصابع وقيل بالعكس وقيل اللكز في الصدر والوكز في الظهر
والنكز كاللكز قال يا ايها الجاهل ذو التنزي لا توعدني حية بالنكز وقرا ابن مسعود فلكزه وفنكزه باللام والنون
قوله فقضى اي موسى او الله تعالى او ضمير الفاعل الفعل اي الوكز فقضى عليه اي اماته وقتله وفرغ من امره وكل شي
فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه فقتله موسى ولم يكن قصده القتل فدفنه في الرمل **قال هذا من**
عمل الشيطان انه عدو مضل مبين فقوله هذا اشارة الى القتل الصادر منه ومن عمل الشيطان انه من وسوسته
وتسويله **فصل** احتج بهذه الاية من طعن في عصمة الانبيا من وجوه احدها ان ذلك القبطي اما ان يكون مستحق
القتل او لم يكن كذلك فان استحق القتل فلم قال هذا من عمل الشيطان ولم قال ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وقال
في سورة اخرى فعلتها اذا وانا من الظالمين وان لم يستحق القتل كان قتله معصية وذنبا وثانيها ان قوله وهذا
من عدوه يدل على انه كان كافرا حربيا فكان دمه مباحا فلم استغفر عنه والاستغفار من الفعل المباح غير
جائز لانه يوهم في المباح كونه حراما وثالثها ان الوكز لا يقصد به القتل ظاهرا فكان ذلك قتل خطا فلم استغفر منه
والجواب عن الاول لم لا يجوز ان يقال انه لكفره مباح الدم واما قوله هذا من عمل الشيطان ففيه وجوه الاول
ان الله تعالى وان اباح قتل الكفار الا انه كان الاولى تاخير قتلهم الى زمان اخر فلما قتل فقد ترك ذلك المندوب
وهو قوله هذا من عمل الشيطان الثاني ان قوله هذا اشارة الى عمل المقتول لا الى عمل نفسه يعني انه من حزب
الشيطان وجنده يقال فلان من عمل الشيطان اي من احزابه واما قوله رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فعلى
قول ادم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا والمراد احد وجهين اما على سبيل الانقطاع الى الله والاعتراف
بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب قط او من حيث حرم نفسه الثواب بترك المندوب
واما قوله فاغفر لي اي فاغفر لي ترك هذا المندوب وفيه وجه اخر وهو ان يكون المراد رب اني ظلمت نفسي حيث
قتلت هذا الملعون فان فرعون لو عرف ذلك لقتلني به فاغفر لي فاستره علي ولا توصل خبره الى فرعون فغفر
له اي ستره عن الوصول الى فرعون ويدل على هذا قوله رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين فلو كانت
اعانة المومن هنا سببا للمعصية لما قال ذلك واما قوله فعلتها اذا وانا من الضالين فلم يقل اني صرت
به ضالا بل اعترف انه كان ضالا اي متحيرا لا يدري ما يجب عليه واما قوله ان كان كافرا حربيا فلم
استغفر من قتله قلنا كون الكافر مباح الدم امر يختلف باختلاف الشرائع فلعل قتلهم كان حراما في ذلك
الوقت او ان كان مباحا لكن الاولى تركه على ما قررناه واما قوله كان قتل خطا قلنا لا نسلم فلعل الرجل كان
ضعيفا وموسى عليه السلام كان في نهاية الشدة فوكزه كان قاتلا قطعا ثم ان سلمنا ولكنه عليه السلام كان يمكنه
ان يخلص الاسرائيلي من يده بدون الوكز الذي كان الاولى تركه فلهذا اقدم على الاستغفار على انا وان سلمنا دلالة هذه الاية
على صدور المعصية لكنا بينا انه لا دلالة البتة فيه لانه لم يكن رسولا في ذلك الوقت فيكون ذلك قبل النبوة وذلك
لا نزاع فيه **فصل** قالت المعتزلة الاية تدل على بطلان قول من نسب المعاصي الى الله لانه عليه السلام قال هذا
من عمل الشيطان فلو كانت بخلق الله لكانت من الله لا من الشيطان وهو كقول يوسف بعد ان نزغ الشيطان بيني
وبين اخوتي وقول فتى موسى وما انسانيه الا الشيطان وقوله تعالى لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة
وتقدم الكلام على ذلك **قوله بما انعمت** يجوز في البا ان تكون والجواب لانو بن مقدرا وتفسيره **فلن اكون**
قال القفال كانه اقسم بما انعم الله عليه ان لا يظاهر مجرما اي بنعمتك علي ويجوز ان تكون متعلقة بمحذوف ومعناها
السببية اي اعصمني بسبب ما انعمت به علي ويترتب عليه قوله فلن اكون ظهيرا وما مصدرية او بمعنى الذي
والعايد محذوف وقوله فلن نفي على حقيقته وهذا يدل على انه قال لما انعمت علي بهذا الانعام فاني لا اكون
معاونا لاحد من المجرمين بل اكون معاونا للمسلمين وهذا يدل على ان ما اقدم عليه من اعانة الاسرائيلي على القبطي
كان طاعة لا معصية لنزل الكلام منزلة قولك انك لما انعمت علي بنو بني من تلك المعصية وقال الكسائي والفرا
انه خبر ومعناه الدعا وان لن واقعة موقع لا كانه قال ولا تجعلني ظهيرا قال الفرا وفي حرف عبد الله ولا تجعلني ظهيرا

وقال الشاعر: لن تزالوا كذلكم ثم لا زلت لهم خالداً خلود الجبال. قال شهاب الدين وليس في الآية والبيت دلالة على
وقوع لن موقع لا لظهور النفي فيهما من غير تقييد دعا **فصل** قال ابن عباس بما انعمت علي بالمغفرة فلن اكون
ظهيراً عوناً للمجرمين اي للكافرين وهذا يدل على ان الاسرائيلي الذي اعانه موسى كان كافراً وهو قول مقاتل
وقال قتادة لن اعين بعدها على خطيئة قال ابن عباس لم يستثن فابتلي به في اليوم الثاني وهذا ضعيف
لانه في اليوم الثاني ترك الاعانة وانما خاف منه ذلك الغد وقال **ان تريد الا ان تكون جباراً** الا انه
لم يقع منه **قوله تعالى فاصبح في المدينة** التي قتل فيها القبطي **خائفاً** الظاهر انه خبر اصبح وفي المدينة مفعول
به ويجوز ان يكون حالاً والخبر في المدينة ويضعف تمام اصبح اي دخل في الصباح **قوله تعالى يترقب** يجوز ان
يكون خبراً ثانياً وان يكون حالاً ثانية وان يكون بدلاً من الحال الاولى او الخبر الاول وحالاً من الضمير في خائفاً
فتكون متداخلة ومفعول يترقب محذوف اي يترقب المكروه او الفرج او الخبر هل وصل لفرعون ام لا **قوله فاذا الذي**
اذا فجائية والذي مبتدأ وخبره اما اذا فيستصرخه حال واما يستصرخه فاذا فضلة على بابها وبالامس معرب
لانه متى دخلت عليه ال او اضيف اعرب ومتى عري منهما فحاله معروف الحجاز يبنونه والتميميون يمنعونه الصرف
كقوله لقد رايت عجباً مذ امسا على انه قد بني مع ال نادراً كقوله واني حبست اليوم والامس قبله
الى الشمس حتى كادت الشمس تغرب يروى بكسر السين **قوله تعالى قال له موسى** الضمير قيل للاسرائيلي لانه كان
سبباً في الفتنة الاولى وقيل للقبطي وذلك ان موسى لما اصبح خائفاً من قتل القبطي يترقب ينتظر سوءاً والترقب
انتظار المكروه قال الكلبي ينتظر متى يؤخذ به **فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه** يستغيثه ويصيح به من
بعد قال ابن عباس اتى فرعون فقيل له ان بني اسرائيل قتلوا منا رجلاً فخذ لنا بحقنا فقال ابغوا لي قاتله ومن يشهد
عليه فلا سبيل الى ان يقضي بغير بينة فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل
فرعونياً فاستغاثه على الفرعوني فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطي فقال موسى للاسرائيلي
انك لغوي مبين اي ظاهر الغواية قال اهل اللغة الغوي يجوز ان يكون فعيلاً بمعنى مفعل اي انك لمغوي فاني وقعت
بالامس فيما وقعت فيه بسببك ويجوز ان يكون بمعنى الغاوي فانك قتلت رجلاً بالامس فقتلته بسببك وتقاتل اليوم
آخر وتستغيثني عليه وقيل انما قال موسى للفرعوني انك لغوي مبين بظلمك والاكثرون على الاول **قوله تعالى
فلما ان اراد ان يبطش** الظاهر ان الضمير لموسى وقيل للاسرائيلي والعدو هو القبطي والضمير في قال يا موسى للاسرائيلي
كانه توهم من موسى مخاشنة ثم قال ذلك وهذا ايضاً خبره وكان مشكوكاً في قاتله وان تطرد زيادتها في موضعين
احدهما بعد لما كهذه والثاني قبل لو مسبوقة بقسم كقوله اما والله لو كنت حراً فاقسم ان لو التقينا
وانتم لكان لنا يوم من الشر مظلم والعامة على يبطش بالكسر وضمها ابو جعفر وقيل ان القائل يا موسى هو القبطي وكان
قد عرف القصة من الاسرائيلي قال ابن الخطيب وهذا هو الظاهر لقوله فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما
قال يا موسى فهذا القول منه لا من غيره وايضاً فقوله ان تريد الا ان تكون جباراً في الارض لا يليق الا بقول الكافر
والجبار هو الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم ولا ينظر في العواقب وقيل المعظم **وما تريد ان تكون من
المصلحين** قال المفسرون فلما سمع القبطي قول الاسرائيلي علم ان موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني فانطلق الى فرعون
فاخبره بذلك وامر فرعون بقتل موسى قال ابن عباس ارسل فرعون الذباحين لقتل موسى فاخذوا الطريق الاعظم **قوله
وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى** يجوز ارتفاعه وصفاً لرجل وانتصابه حالاً عنه لانه قد تخصص بالوصف بقوله من
اقصى المدينة فان جعلت من اقصى متعلقاً بجاء فيسعى صفة ليس الا وهذا بناء على مذهب الجمهور وقد تقدم ان
سيبويه يجيز ذلك من غير شرط وفي آية يس قدم من اقصى على رجل لانه لم يكن من اقصاها وانما جاء منه وهنا وصفه
بانه من اقصاها وهما رجلان مختلفان وقضيتان مختلفتان **قوله يأتمرون** اي يتوامرون بمعنى يتشاورون
كقول النمر بن تولب: اري الناس قد احدثوا شيمة، وفي كل حادثة مؤتمر، وعن ابن قتيبة يأمر بعضهم بعضاً
اخذ من قوله تعالى وأتمروا بينكم بمعروف **قوله فاخرج** اي من المدينة **اني لك من الناصحين** في الامر بالخروج
فقوله لك يجوز ان يتعلق بما يدل الناصحين عليه اي ناصح لك من الناصحين او بنفس الناصحين للاتساع في الظرف
او على جهة البيان اي اعني لك فخرج منها موسى خائفاً يترقب هدايته وغوث الله اياه **قال رب نجني من القوم الظالمين**
اي الكافرين وهذا يدل على ان قتله لذلك القبطي لم يكن ذنباً والا لكان هو الظالم وما كانوا ظالمين له بسبب
طلبهم له ليقتلوه قصاصاً **قوله تعالى ولما توجه تلقاء مدين** اي قصد نحوها ماضياً اليها يقال داره تلقاء دار فلان
اذا كانت تحاذيها واصله من اللقاء قال الزجاج اي سلك الطريق الذي يلقاء مدين فيها قال ابن عباس خرج
وما قصد مدين ولكنه سلم نفسه الى الله ومشى من غير معرفة فاوصله الله الى مدين وقيل وقع في نفسه ان
بينهم وبينه قرابة لانهم من ولد مدين بن ابراهيم وكان من بني اسرائيل سميت البلدة باسمه فخرج ولم يكن له

علم بالطريق بل اعتمد على فعل الله وقيل جاءه جبريل عليه السلام وعلمه الطريق قال ابن اسحق خرج من مصر الى مدين خائفاً
بلا زاد ولا ظهر وبينهما مسيرة ثمانية ايام ولم يكن له طعام الا ورق الشجر **قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل** اي
قصد الطريق الى مدين **قوله تعالى ولما ورد ماء مدين** وهو الماء الذي يستقون منه وهو بير وورده مجيئه والوصول
اليه **وجد عليه** اي على شفيره **امة** جماعة كثيفة العدد من الناس مختلفين **يسقون** مواشيهم **ووجد من
دونهم** اي سوى الجماعة وقيل في مكان اسفل من مكانهم **قوله تعالى امراتين تذودان** فتذودان صفة لامراتين
لا مفعول ثان لان وجد بمعنى لقي والذود الطرد والدفع قال فقام يذود الناس عنها بالسيف وقيل حبس ومفعوله
محذوف اي يذودان الناس عن غنمهما او غنمهما عن مزاحمة الناس وقال الزمخشري لم يترك المفعول غير مذكور
في يسقون وتذودان ولا نسقي قلت لان الغرض هو الفعل لا المفعول وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء
المقصود منه السقي لا المسقي **فصل** واختلفوا في السبب المقتضي لذلك الحبس فقال الزجاج لئلا تختلط اغنامهما
باغنامهم وقيل لئلا تختلطن بالرجال وقيل كانتا تذودان عن وجوههما نظر الناظرين لتسترهما وقيل يذودان
الناس عن غنمهما وقال الفراء تحبسانها لان لا تتفرق وتسترب وقيل تذودان اي معهما قطيع من الغنم والقطيع من
الغنم يسمى ذوداً وكذلك قطيع البقر وقطيع الابل قال عليه السلام ليس فيما دون خمس ذود صدقة وقال الشاعر
ثلاثة انفس وثلاث ذود، لقد جار الزمان على عيالي **قوله تعالى ما خطبكما** تقدم في طه وقال الزمخشري هنا وحقيقته
ما خطبكما اي ما مطلوبكما من الذياد سمي المخطوب خطباً كما سمي المشئون شأناً في قولك ما شأنك تقول شأنت شأنه اي قصدت
قصده وقال ابن عطية السؤال بالخطب انما هو في مصاب او مضطهد او من يشفق عليه او يأتي بمنكر من الامر
وقرأ شمر خطبكما بالكسر اي من زوجكما ام لم تستغنيان ولم يسق زوجكما وهي شاذة جداً **قوله تعالى حتى يصدر الرعاء**
قرأ ابو عمرو وابن عامر وابو جعفر بفتح الياء وضم الدال من صدر يصدر وهو قاصر اي حتى يرجع الرعاء اي يرجعون
بمواشيهم والباقون بضم الياء وكسر الدال مضارع اصدر معدى بالهمزة والمفعول محذوف اي يصدرون
مواشيهم والعامة على كسر الراء من الرعاء وهو جمع تكسير غير مقيس لان فاعلاً الوصف المعتل اللام كقاض قياسه
فعلة نحو قضاة ورماة وقال الزمخشري واما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام وليس كما ذكر لما ذكرناه وقرأ ابو
عمرو في رواية بفتح الراء قال ابو الفضل هو مصدر اقيم مقام الصفة فلذلك استوى فيه الواحد والجمع او على
حذف مضاف وقرئ بضمها وهو اسم جمع كرجال وثناء وقرأ ابن مصرف لا نسقي بضم النون من اسقى وتقدم الفرق
بين سقى واسقى في النحل والمعنى لا نسقي حتى يرجع الرعاء عن الماء والرعاء جمع راع مثل تاجر وتجار اي نحن امراتان لا نطيق
ان نزاحم الرجال فاذا اصدروا سقينا مواشينا ما افضلت مواشيهم في الحوض **وابونا شيخ كبير** لا يقدر ان يسقي مواشيه
ولذلك احتجنا نحن الى سقي الغنم **فصل** قال مجاهد والضحاك والسدي والحسن ابوهما هو شعيب النبي صلى
الله عليه وسلم وانه عاش عمراً طويلاً بعد هلاك قومه حتى ادركه موسى عليه السلام وتزوج بابنته وقال
وهب وسعيد بن جبير هو يثرون بن اخي شعيب وكان شعيب قد مات قبل ذلك بعد ما كف بصره فدفن
بين المقام وزمزم وقيل رجل ممن آمن بشعيب قالوا فلما سمع قولهما رحمهما فاقتلع صخرة من راس بئر اخرى كانت
بقربهما لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس وقال ابن اسحق ان موسى زاحم القوم ونحاهم عن راس البئر فسقى غنم
المرأتين وروي ان القوم لما رجعوا باغنامهم غطوا راس البئر بحجر لا يرفعه الا عشرة نفر فجاء موسى فرفع الحجر وحده
وسقى غنمهما ويقال انه نزع ذنوباً واحداً ودعى فيه بالبركة فروي منه جميع الغنم **قوله تعالى فسقى لهما** مفعوله
محذوف اي غنمهما لاجلهما **ثم تولى الى الظل** اي الى ظل سمرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع قال الضحاك
لبث سبعة ايام ولم يذق طعاماً الا بقل الارض **قوله تعالى لما انزلت** متعلق بفقير قال الزمخشري عدى فقير
باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب ويحتمل اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة من
الظالمين يعني ان افتقر يتعدى بمن فاما ان يجعله من باب التضمين واما ان متعلقه محذوف وانزلت
قيل ماض على اصله ويعني بالخير ما تقدم من خير الدين وقيل بمعنى المستقبل قال اهل اللغة اللام بمعنى الى يقال
فقير له وفقير اليه **فان قيل** كيف ساغ لنبي الله شعيب ان يرضى بان يسقي بناته الماشية **فالجواب**
ان الناس اختلفوا فيه هل هو شعيب او غيره كما تقدم وان سلمنا انه شعيب لكن لا مفسدة فيه لان الدين
لا يأباه واحوال اهل البادية غير احوال اهل الحضر لا سيما اذا كانت الحالة حالة ضرورة **فصل** قال ابن
عباس سال الله تعالى فلقة خبز يقيم بها صلبه قال الباقر لقد قالها وانه لمحتاج الى شق تمرة وقال سعيد
ابن جبير عن ابن عباس لقد قال موسى رب اني لما انزلت الي من خير فقير وهو اكرم خلقه عليه ولقد افتقر الى
شق تمرة قيل انما قال ذلك في نفسه مع ربه وهو اللائق بموسى عليه السلام فلما رجعتا الى ابيهما سريعاً
قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلاً صالحاً رحيماً فسقى لنا اغنامنا فقال

لاحديها اذهبي فادعيه لي **قوله تعالى تجانه احداهما** قرا ابن محيصن تجانه حديهما بحذف الهمزة تخفيفا على غير قياس
كقولهم يا با فلان وقوله يا با المغيرة رب امر معضل فرجته بالمكر مني والدها وويلمه اي ويل لامه قال
ويلمها خالة لو انها صدقت وتمشي حال وعلى استحيا حال اخرى اما من جات واما من تمشي **فصل** قال عمر بن
الخطاب ليست بسلفع من النسا خراجة ولاجة ولكن جات مستترة وضعت كرد رعها على وجهها استحيا **قالت**
ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا صرحت بهذا لئلا يوهم كلامها ريبة وهذا من تمام حيائها وصيانتها
وقيل ما شيئه على بعد مايلة عن الرجال وقال عبد العزيز بن ابي حازم على اجلال له ومنهم من يقف على قوله
تمشي ثم يبتدي على استحيا قالت ان ابي يدعوك يعني انها على الاستحيا قالت هذا القول لان الكريم اذا دعاه غيره
الى الضيافة يستحيي لا سيما المراة قال ابن اسحق اسم الكبرى صفورا والصغرى ليا وقال غيره صفورا وصفيرا
وقال الضحاك صافورا قال الاكثرون التي جات الى موسى الكبرى وقال الكلبي الصغرى قال ابن الخطيب وفي الاية
اشكالات احدها كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يعمل بقول امراة وان يمشي معها وهي اجنبية فان ذلك يورث
التهمة العظيمة وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم وثانيها انه سقى اغنامها تقربا الى الله تعالى فكيف
يليق به اخذ الاجرة عليه وذلك غير جايز في الشريعة وثالثها انه عرف فقرهن وفقر ابيهن وانه عليه السلام كان في نهاية
القوة بحيث يمكنه الكسب باقل سعي فكيف يليق بمروته طلب الاجرة على ذلك القدر من الشيخ الفقير والمراة الفقيرة
ورابعها كيف يليق بالنبي شعيب عليه السلام ان يبعث ابنته الشابة الى رجل شاب قبل العلم بكون الرجل عفيفا او فاسقا
والجواب عن الاول اما العمل بقول امراة فان الخبر يقبل لو احد حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثى وهي ما كانت الا مخبرة
عن ابيها واما المشي مع المراة فلا باس به مع الاحتياط والتورع وعن الثاني ان المراة لما قالت ذلك فموسى عليه
السلام ما ذهب اليهم طلبا للاجرة بل للتبرك بذلك الشيخ لما روي انه لما دخل على شعيب اذا هو بالعشا مهيا فقال
اجلس يا شاب فتعش فقال موسى اعوذ بالله فقال شعيب ولم ذلك الست بجايع فقال بلى ولكن اخاف ان يكون هذا
عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نطلب على عمل من اعمال الاخرة عوضا من الدنيا وفي رواية لا نبيع ديننا بالدنيا
ولا ناخذ بالمعروف ثمنا فقال شعيب لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة ابائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس
موسى فاكل وايضا فليس يمكن ان الجوع قد بلغ الى حيث ما كان يطيق تحمله فقبل ذلك اضطرارا وهو الجواب عن الثالث
فان الضرورات تبيح المحظورات وعن الرابع لعله عليه السلام كان قد علم بالوحي طهارتها وبراتها فكان يعتمد عليها
فصل قال عمر بن الخطاب فقام يمشي والجارية امامه فهبت الريح فوصفت ردفها فكره موسى ان يرى ذلك منها
فقال موسى عليه السلام اني من عنصر ابراهيم فكوني خلفي حتى لا ترفع الريح ثيابك فارى ما لا يحل وفي رواية كوني خلفي
ودليني على الطريق برمي الحصا لان صوت المراة عورة **فان قيل** لم خص موسى عليه السلام ان يكون ذلك اجرة له عن عمله
ولم يكره مع الخضر ذلك حين قال لو شيت لاتخذت عليه اجرا **فالجواب** ان اخذ الاجرة على الصدقة لا يجوز واما
الاستيجار ابتدا فغير مكروه **قوله تعالى فلما جاه وقص عليه القصص** مصدر كالعلل سمي به المقصوص قال الضحاك قال
له من انت يا عبد الله قال انا موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وذكر له جميع امره من لدن ولادته
وامر القوابل والمراضع والقذف في اليم وقتل القبطي وانهم يطلبونه فيقتلونه فقال شعيب عليه السلام **لا تخف**
نجوت من القوم الظالمين اي لا سلطان له بارضنا **فان قيل** ان المفسرين قالوا ان فرعون يوم ركب خلف موسى ركب
في الف الف وستماية الف والملك الذي هذا شانه كيف يعقل ان لا يكون في ملكه قرية على بعد ثمانية ايام من
دار مملكته **فالجواب** هذا وان كان نادرا الا انه ليس بمحال **قوله تعالى قالت احداهما يا ابت استاجره** اتخذه
اجيرا يرعى غنامنا **ان خير من استاجرت القوي الامين** اي خير من استعملت من قوي على العمل وادى الامانة
وانما جعل خير من استاجرت اسما والقوي الامين خبرا مع ان العكس اولى لان العناية سبب للتقديم **فان قيل**
القوة والامانة لا يكفيان في حصول المقصود ما لم ينضم اليهما الفطنة والكفاية فلم اهمل امر الكفاية **فالجواب**
انها اخلال في الامانة قال ابن مسعود افرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف وابو بكر وعمر فقال
لها ابوها وما علمك بقوته وامانته فقالت اما قوته فانه رفع حجرا من راس البير لا يرفعه الا عشرة وقيل الا اربعون
واما امانته فانه قال لي امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك قال شعيب عند ذلك **اني اريد ان انكحك احدى**
ابنتي هاتين قال اكثر المفسرين انه زوجه الصغرى منهما وهي التي ذهبت لطلب موسى واسمها صفوره **قوله**
تعالى ان انكحك احدى روي عن ابي عمرو انكحك حدى بحذف همزة احدى وهي تشبه قراة ابن محيصن تجانه
حديهما وتقدم التشديد في نون هاتين في سورة النسا **قوله تعالى على ان تاجرني** في محل نصب على الحال اما من
الفاعل او من المفعول اي مشروطا علي او عليك ذلك وتاجرني مضارع اجرته كنت له اجيرا ومفعوله الثاني محذوف
اي تاجرني نفسك وثماني حجج ظرف له ونقل ابو حيان عن الزمخشري انها هي المفعول الثاني قال شهاب الدين

الزمخشري لم يجعلها مفعولا ثانيا على هذا الوجه وانما جعلها مفعولا ثانيا على وجه اخر واما على هذا الوجه فلم يجعلها غير ظرف
وهذا نصه ليتبين لك قال تاجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرف او من
اجرته اذا اثبته ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم اجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه رعية
ثماني حجج فنقل الشيخ عنه الوجه الاول من المعنيين المذكورين في تاجرني فقط وحكى عنه انه اعرب ثماني حجج
مفعولا به وكيف يستقيم ذلك او يتجه وانظر الى الزمخشري كيف قدر مضافا ليصح المعنى به اي رعي ثماني حجج لان العمل هو
الذي يتعلق به الاثابة لا نفس الزمان فكيف توجه الاجارة على الزمان **قوله تعالى فمن عندك** يجوز ان يكون في محل
رفع خبر المبتدا المحذوف تقديره فهي من عندك او نصب اي فقد زدتها وتفضلت بها من عندك **فصل** معنى الاية
اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تكون اجيرا لي ثماني سنين قال الفرا اي تجعل ثوابي من تزويجها ان ترعى
غنمي ثماني حجج تقول العرب اجرك الله يا جرك اي اثابك والحجج السنون واحدها حجة فان اتممت عشرا اي عشر
سنين فمن عندك اي ذلك تفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك واعلم ان هذا اللفظ وان كان على الترديد فلا
شبهة انه عند التزويج عين ولا شبهة في ان العقد وقع على اقل الاجلين والزيادة كالتبرع ودلت الاية على ان
العمل قد يكون مهرا كالمال وعلى ان الحاق الزيادة بالثمن والمثمن جايز ولكنه شرع من قبلنا ودلت ايضا على انه يجوز
ان يشرط للولي وعلى ان عقد النكاح لا تفسده الشروط التي يوجبها العقد واستدل بعض الحنفية بهذه الاية على
صحة بيع هذين العبدين او الثوبين وفيه نظر لانها لم اضاته لا معاقد ودلت الاية ايضا على صحة الاجارة بالطعمة
والكسوة كما جرت به العادة ويويده قوله عليه السلام ان موسى اجر نفسه ثماني سنين او عشرة على عفة فرجه
وطعام بطنه وهو مذهب الحنابلة قاله ابن **فصل** قال النووي في التحرير الاجارة بكسر الهمزة هو المشهور
وحكى الرافعي ان الحارحكى في الشامل ايضا ضم الهمزة قال اهل اللغة واصل الاجر الثواب يقال اجرت فلانا عن عمله كذا
اي اثبته والله ياجر العبد اي يثيبه والمستاجر يثيب الماجور عوضا عن بذل المنافع وقال الواحدي قال المبرد يقال
اجرت داري ومملوكي غير ممدود واجرت ممدود قال المبرد والاول اكثر **قوله تعالى وما اريد ان اشق عليك** اي الزام
تمام العشر وان اشق مفعول اريد وحقيقته قولهم شق عليه اي شق ظنه نصفين فتارة يقول اطيق وتارة لا اطيق
وهو من احسن مجاز **قوله تعالى ستجدني ان شا الله من الصالحين** قال عمر اي في حسن الصحبة والوفا ولين
الجانب وقيل اراد الصلاح على العموم وانما قال ان شا الله لا نطلق فالجواب هذا مما تختلف بالشرايع **قوله ذلك**
مبتدا والاشارة به الى ما تعاقدا عليه والظرف خبره واضيفت بين لمفرد لتكررها عطفا بالواو ولو قلت المال
بين زيد فعمرو لم يجز فاما قوله بين الدخول فحومل فكان الاصمعي يابا هاو يروي وحومل بالواو والصحيح بالفا
واول البيت على الدخول وحومل بان كل منهما مشتمل على اماكن نحو قولك داري بين مصر لانه يريد به المكان الجامع
والاصل ذلك بيننا ففرق بالعطف **قوله تعالى ايما الاجلين** اي شرطية وجوابها فلا عدوان علي وفي ما هذه
قولان اشهرهما انها زايدة كزيادتها في اخواتها من ادوات الشرط والثاني انها نكرة والاجلين بدل منها وقرا الحسن
وابو عمرو في رواية ايما بتخفيف اليا كقوله تنظرت نسرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره
وقرا عبد الله اي الاجلين ما قضيت باقحام ما بين الاجلين وقضيت قال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين موقعا
زيادة ما في القراتين قلت وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام اي زايدة في شياعها وفي الشاذة تاكيدا للقضا
كانه قال اي الاجلين صممت على قضايه وجردت عزيمتي له وقرا ابو حيوة وابن قطيب عدوان قال الزمخشري
فان قلت تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو اقصرهما وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعلق
العدوان بهما جميعا قلت معناه كما ان طولبت بالزيادة على العشر لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثماني
اراد بذلك تقرير امر الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السوا اما هذا واما هذا ويكون اختيار الاقل
والزايد موكولا الى رايه من غير ان يكون لاحد عليه اجبار ثم قال وقيل معناه فلا اكون متعديا وهو في معنى
العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة قال ابو حيان وجوابه الاول فيه تكثير قال شهاب الدين
كانه اعجبه الثاني والثاني لم يرتضه الزمخشري لانه ليس جوابا في الحقيقة فان السوال باق ايضا وكذلك نقله
عن غيره وقال المبرد وقد علم انه لا عدوان عليه في اتمامهما ولكن جمعهما ليجعل الاول كالاتم في الوفا **فصل**
قال المفسرون المعنى اي الاجلين قضيت اتممت وفرغت منه الثمان او العشر فلا عدوان علي بان اطالب
باكثر **والله على ما نقول وكيل** قال ابن عباس ومقاتل شهيد فيما بيني وبينك وقيل حفيظ ولما استعمل الوكيل
بمعنى الشاهد عدي بعلى قال سعيد بن جبير سالني يهودي من اهل الحيرة اي الاجلين قضى موسى قلت لا ادري
حتى اقدم على حبر العرب فاساله فقدمت فسالت ابن عباس فقال قضى اكثرهما واطيبهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا قال فعل وروي عن ابي ذر مرفوعا اذا سيلت اي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وابرهما

واذا سئلت اى المراتين تزوج موسى فقل الصغرى منهما وهى التى جاءت فقالت يا ابة استاجره فتزوج صغراهما وقضى اوفاهما وقا
وهب انكحه الكبرى ولما تعاقدا العقد بينهما امر شعيب ابنته ان تعطى موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه واختلفوا
فى تلك العصا فقال عكرمة خرج بها ادم من الجنة فاخذها جبريل بعد موت ادم فكانت معه حتى لقى بها موسى ليلا فدفعها
اليه وقيل كانت من اس الجنة حملها ادم من الجنة فتوارثها الانبيا وكان لا ياخذها غير نبى الا اكلته فصارت من
ادم الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب وكانت عصى الانبيا وحده فاعطاها موسى وقال السدى كانت
تلك العصا استودعها اياه ملك فى صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فدخلت فاخذت العصا فاتته بها
فلما راها شعيب قال لها ردى هذه العصا واتيه بغيرها فدخلت فالقتها وارادت ان تاخذ غيرها فلا يقع فى
يدها الا هى حتى فعلت ذلك ثلاث مرات فاعطاها موسى فاخرجها موسى معه ثم ان الشيخ ندم وقال كانت وديعة
فذهب فى اثره فطلب ان يرد العصا فابا موسى ان يعطيه وقال هى عصاى فرضيا ان يجعلا بينهما اول رجل يلقاهما
فلقيهما ملك فى صورة رجل فحكم ان تطرح العصا فمن حملها فهى له فطرح موسى العصا فعالجها الشيخ ليأخذها فلم يطقها فاخذ
موسى بيده فرفعها فتركها له الشيخ وقيل ان شعيب قال لموسى ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى فدخل فاخذ
عصا هبط ادم من الجنة بها ولم تزل الانبيا يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فعرفها فقال
خذ غيرها فما وقع فى يده الا هى سبع مرات فعلم ان له شانا وروى عن ابن عباس قال كان فى دار هرون بن اخى
شعيب بيت لا يدخله الا هرون وابنته التى تزوجها موسى عليه السلام وانها تكنسه وتنظفه وكان فى ذلك
البيت ثلاثة عشر عصا وكان لهرون احد عشر رجلا ولدا فكلما ادرك منهم ولد امره بدخول البيت واخراج عصا
من تلك العصى فان اخرج عصا علم انه نبى فدخله موسى واخذ عصا وخرج بها فلما علمت المراة بذلك انطلقت الى
ابيها واخبرته بذلك   ثم ان موسى لما اتم الاجل وسلم شعيب ابنته اليه قال مجاهد لما قضى موسى
الاجل مكث بعد ذلك عند صهره عشرا اخرى فاقام عنده عشرين سنة ثم استاذنه فى العود الى مصر فاذن له
فخرج باهله الى جانب الطور انس اى ابصر من جانب الطور نارا وكان فى البرية فى ليلة مظلمة شديدة البرد واخذ امراته
الطلق فقال لاهله امكثوا انى انست نارا لعلى اتيكم منها بخبر عن الطريق لانه كان قد اخطا الطريق قوله تعالى او جذوة
قرا حمزة بضم الجيم وعاصم بالفتح والباقون بالكسر وهى لغات فى العود الذى فى راسه نار هذا هو المشهور قال السلمى
حمى حب هذى النار حب خليلتى ۞ وحب الغوانى فهو دون الحاجب ۞ وبدلت بعد المسك والبان شقوة ۞
دخان الجذا فى راس اشمط شاحب ۞ وقيده بعضهم فقال ۞ فى راسه نار من غير لهب ۞ قال ابن مقبل ۞
باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ۞ جزل الجذا غير خوار ولا دعر الخوار الذى يتقصف والدعر الذى فيه لهب وقد ورد ما
يقتضى وجود اللهب فيه ۞ قال الشاعر ۞ والقى على قبس من النار جذوة ۞ شديدا عليها حميها والتهابها ۞ وقيل
الجذوة العود الغليظ سوا كان فى راسه نار او لم يكن وليس المراد هنا الا ما فى راسه نار قوله تعالى من النار صفة
لجذوة ولا يجوز تعلقها باتيكم كما تعلق به منها لان هذه النار ليست النار المذكورة والعرب اذا تقدمت نكرة وارادت
اعادتها اعادتها مضمرة او معرفة بال العهدية وقد جمع الامران هنا لعلكم تصطلون تستدفئون قوله تعالى
من شاطئ من لابتدا الغاية والايمن صفة للشاطئ او للوادى والايمن من اليمن وهو البركة او من اليمين العادل
لليسار من العضوين ومعناه على هذا بالنسبة الى موسى اى الذى يلى يمينك دون يسارك والشاطئ صفة الوادى والنهر
اى حافته وطرفه وكذلك الشط والسيف والساحل كلها بمعنى وجمع الشاطئ اشطا قاله الراغب وشاطات فلانا
ماشيته على الشاطئ قوله تعالى فى البقعة متعلق بنودى او بمحذوف على انه حال من الشاطئ وقرا العامة بضم البا
وهى اللغة الغالبة وقرا مسلمة والاشهب العقيلى بفتحها وهى لغة حكاها ابو زيد قال سمعتهم يقولون هذه
بقعة طيبة ووصف البقعة بكونها مباركة لانه حصل فيها ابتدا الرسالة وتكليم الله تعالى اياه قوله تعالى من
الشجرة هذا بدل من شاطئ باعادة العامل وهو بدل اشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن
يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة قوله تعالى ان يا موسى هى المفسرة وجوز فيها ان تكون هى المخففة واسمها ضمير
الشان وجملة الندا مفسرة له وفيه بعد قوله تعالى انى انا الله العامة على الكسر على اضمار القول او على تضمين الندا
معناه وقرى بالفتح وفيه اشكال لانه ان جعلت ان تفسيرية وجب كسر انى للاستيناف المفسر للندا بما ذا كا
وان جعلتها مخففة لزم تقديرانى بمصدر والمصدر مفرد وضمير الشان لا يفسر بمفرد والذى ينبغى ان تخرج
عليه هذه القراة ان تكون ان تفسيرية وانى معمولة لفعل مضمر تقديره ان يا موسى اعلم انى انا الله واعلم
انه تعالى قال فى سورة النمل نودى ان بورك من فى النار ومن حولها وقال ههنا نودى انى انا الله رب
العالمين وقال فى سورة طه نودى انى انا ربك ولا منافاة بين هذه الاشيا فهو تعالى ذكر الكل الا انه تعالى
حكى فى كل سورة بعض ما اشتمل عليه بعض ذلك الندا قوله تعالى وان الق عصاك تقدم الكلام وقوله

واسلك

واسلك يدك فى جيبك تخرج بيضا من غير سو فقد عبر عن هذا المعنى بثلاث عبارات احدها هذه وثانيها واضمم يدك الى جناحك
وثالثها وادخل يدك فى جيبك قوله تعالى من الرهب متعلق باحد اربعة اشيا اما بولى واما بمدبرا واما باضمم ويظهر هذا الثالثة
اذا فسرنا الرهب بالكم واما بمحذوف اى من الرهب وقرا الحفص بفتح الرا واسكان الها والاخوان وابن عامر وابو
بكر بالضم والاسكان والباقون بفتحتين والحسن وعيسى والجحدرى وقتادة بضمتين وكلها لغات بمعنى الخوف وقيل
هو بفتحتين الكم بلغة حمير وحنيفة قال الزمخشرى هو من بدع التفاسير قال وليت شعرى كيف صحته فى اللغة وهل
سمع من الثقات الاثبات التى ترتضى عربيتهم ثم ليت شعرى كيف موقعه فى الاية وكيف تطبيقه المفصل لساير
كلمات التنزيل على ان موسى صلوات الله عليه ليلة المناجاة ما كان عليه الا زرمانقة من صوف لا كمى لها الزرمانقة
المدرعة قال ابو حيان هذا مروى عن الاصمعى وهو ثقة سمعتهم يقولون اعطنى ما فى رهبك اى كمك واما قوله
كيف موقعه فقالوا معناه اخرج يدك من كمك قال شهاب الدين كيف يستقيم هذا التفسير يفسرون اضمم
بمعنى اخرج وقال الزمخشرى فان قلت قد جعل الجناح وهو اليد فى الموضعين مضموما وفى الاخر مضموما اليه وذلك
قوله واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد
اليمنى وبالجناح المضموم اليه هو اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح فصل قال الزمخشرى
فى قوله واضمم اليك جناحك من الرهب معنيان احدهما ان موسى عليه السلام لما قلب الله له العصا حية فزع
واضطرب واتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشى فقيل له ان اتقاك بيدك فيه غضاضة عند الاعدا فاذا القيتها
وقد انقلبت حية فادخل يدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضا ليحصل الامران اجتناب ما منه غضاضة عليك
واظهار معجزة اخرى والمراد بالجناح اليد لان يد الانسان بمنزلة جناح الطاير واذا ادخل يده اليمنى تحت عضد اليسرى
فقد ضم جناحه اليه الثانى ان يريد بضم جناحه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية لا يضطرب
ولا يرهب استعارة من فعل الطاير لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومعنى
قوله من الرهب اى من اجل الرهب اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك
على احد التفسيرين واحد وانما خولف بين العبارتين وكرر المعنى لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض فى احدهما
خروج اليد بيضا وفى الثانى اخفا الرهب وقال البغوى المعنى اذا هالك امر يدك وما ترى من شعاعها فادخلها
فى جيبك تعد الى حالها الاولى والجناح اليد كلها وقيل العضد وقال عطا عن ابن عباس امره الله ان يضم
يده الى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية وقال ما من خايف بعد موسى الا اذا وضع
يده على صدره زال خوفه وقال مجاهد كل من فزع فضم جناحيه اليه ذهب عنه الفزع وقيل المراد من
ضم الجناح السكون اى سكن روعك واحفظ عليك جاشك لان من شان الخايف ان يضطرب قلبه
ويرتعد بدنه ومثله قوله واخفض لهما جناح الذل يريد الرفق وقوله واخفض جناحك لمن اتبعك اى ارفق
بهم والن جانبك لهم وقال الفرا اراد بالجناح العصا معناه واضمم اليك عصاك قوله تعالى فذانك تقدم قراة
التخفيف والتثقيل فى النسا وقرا ابن مسعود وعيسى وشبل وابو نوفل بيا بعد نون مكسورة وهى لغة هذيل وقيل
تميم وروى شبل عن ابن كثير بيا بعد نون مفتوحة وهذا على لغة من يفتح نون التثنية كقوله ۞ ۞
على احوذيين استقلت عشية ۞ فما هى الا لمحة وتغيب ۞ واليا بدل من احدى النونين كتظنيت وقرا عبد الله
بتشديد النون ويا بعدها ونسبت لهذيل قال المهدوى بل لغتهم تخفيفها وكان الكسرة هنا اشباع كقراة هشام افيدة من
الناس وذانك اشارة الى العصا واليد وهما مؤنثتان وانما ذكر ما اشير به اليهما لتذكير خبرهما وهو برهانان كما انه
قد يؤنث لتانيث خبره كقراة ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا فيمن انث ونصب فتنتهم وكذا قوله
وقد خاب من كانت سريرته الغدر وتقدم ايضاح هذا فى الانعام والبرهان تقدم اشتقاقه وهو الحجة وقال
الزمخشرى هنا فان قلت لم سميت الحجة برهانا قلت لبياضها وانارتها من قولهم للمراة البيضا برهرهة بتكرير
العين واللام والدليل على زيادة النون قولهم ابره الرجل اذا جا بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط
وهو الزيت لانارته قوله تعالى الى فرعون متعلق بمحذوف فقدره ابو البقا مرسلا الى فرعون وغيره اذهب
الى فرعون وهذا المقدر ينبغى ان يكون حالا من برهانان اى مرسلا بهما الى فرعون والعامل فى هذه الحال ما فى
اسم الاشارة قوله تعالى قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون اعلم انه تعالى لما قال فذانك
برهانان من ربك الى فرعون وملايه انهم كانوا قوما فاسقين تضمن ذلك ان يذهب موسى بهذين البرهانين
الى فرعون وقومه فعند ذلك طلب من يقوى قلبه فقال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخى
هرون هو افصح منى لسانا لانه كان فى لسانه حبسة اما فى اصل الخلقة واما لانه وضع الجمرة فى فيه عندما
ما نتف لحية فرعون قوله تعالى هو افصح الفصاحة لغة الخلوص ومنه فصح اللبن وافصح فهو مفصح وفصيح اى خلص

بن الرغوة ومنه قولهم وتحت الرغوة اللبن الفصيح • ومنه فصح الرجل جادت لغته وافصح تكلم بالعربية • وقيل بالعكس
وقيل الفصيح الذي ينطق والاعجم الذي لا ينطق ومن هذا استعير افصح الصبح اي بدا ضوؤه • وافصح النصراني دنا
فصحه بكسر الفاء وهو عيد لهم • واما في اصطلاح اهل البيان فهو خلوص الكلمة من تنافر الحروف كقوله •
يرعى الهعخع • ومن الغرابة قوله • ومرسنا مسرجا • ومن مخالفة القياس اللغوي كقوله الحمد لله العلي الاجلل وخلوص
الكلام من ضعف التأليف كقوله جزى ربه عني عدي بن حاتم • ومن تنافر الكلمات كقوله وقبر حرب بمكان قفر •
وليس قرب قبر حرب قبر • ومن التعقيد وهو اما اخلال نظم الكلام فلا يدري كيف يتوصل الى معناه كقوله •
وما مثله في الناس الا مملكا ابو امه حي ابوه يقاربه • واما عدم انتقال الذهن من المعنى الاول الى المعنى الثاني
الذي هو لازمه والمراد به ظاهرا كقوله سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا • وتسكب عيناي الدموع لتجمدا •
وخلوص المتكلم من النطق بجميع ذلك فصارت الفصاحة يوصف بها ثلاثة اشياء الكلمة والكلام والمتكلم بخلاف
البلاغة فانه لا يوصف بها الا الاخيران وهذا ليس موضع ايضاحه وانما ذكرناه تنبيها على اصله • ولسانا تمييز قوله
ردا منصوب على الحال والردء العون وهو فعل بمعنى مفعول كالدفء بمعنى المدفو به • وردأته على عدوه اعنته عليه
وردأت الحائط دعمته بخشبة لئلا يسقط • وقال النحاس يقال ردأته وارديته • وقال سلامة بن جندل •
وردئ كل ابيض مشرفي • شحيذ الحد ابيض ذي فلول • وقال اخر المرء تال اصرم كان ردئ • وخير الناس في قل ومال
وقرأ نافع بغير همز ردا بالنقل وابو جعفر كذلك الا انه لم ينونه كانه اجرى الوصل مجرى الوقف ونافع ليس من قاعدته
النقل في كلمة الا هنا • وقيل ليس فيه نقل وانما هو من اردى على كذا اي زاد قال •
واسمر خطيا كان كعوبه • نوى القسب قد اردى ذراعا على العشر قوله تعالى يصدقني قرأ حمزة وعاصم بالرفع
على الاستيناف او الصفة لردا او الحال من ها ارسله او من الضمير في ردا والباقون بالجزم جوابا للامر وزيد بن علي
وابي يصدقوني اي فرعون وملاه • قال ابن خالويه هذا شاهد لمن جزم لانه لو كان رفعا لقال يصدقونني
يعني بنونين وهذا سهو من ابن خالويه لانه متى اجتمعت نون الرفع مع نون الوقاية جازت اوجه • احدها الحذف
فهذا يجوز ان يكون مرفوعا وحذف نونه فمن رفع القاف فالتقدير ردا يصدقني ومن جزم كان على معنى الجزاء يعني
ان ارسلته صدقني ونظيره فهب لي من لدنك وليا يرثني • وروى السدي عن بعض شيوخه ردا كيما يصدقني
والتصديق لهرون في قول الجميع • وقال مقاتل لكي يصدقني فرعون اني اخاف ان يكذبون يعني فرعون وقومه
قال ابن الخطيب ليس الغرض بتصديق هرون ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى وانما هو ان يلخص
بلسانه الفصيح وجوه الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل به الكفار فهذا هو التصديق المفيد الا ترى الى قوله
واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله وفائدة الفصاحة انما تظهر فيما ذكرناه لا في مجرد قوله صدقت • فصل
قال السدي نبيان وايتان اقوى من نبي واحد واية واحدة قال القاضي والذي قاله من جهة العادة اقوى
فاما من حيث الدلالة فلا فرق بين معجز ومعجزين قوله تعالى عضدك العامة على فتح العين وضم الضاد •
والحسن وزيد بن علي بضمهما وعن الحسن وسكون وعيسى بفتحهما وبعضهم بفتح العين وكسر الضاد وفيه لغة سادسة
فتح العين وسكون الضاد وهذا كناية عن التقوية له باخيه وكان هرون يومئذ بمصر قوله تعالى ونجعل
لكما سلطانا اي حجة وبرهانا فلا يصلون اليكما قال قيل بين الله تعالى ان السلطان هو بالايات فكيف لا يصلون
اليهما لاجل الايات وليس فرعون قد وصل الى صلب السحرة وان كانت هذه الايات ظاهرة • فالجواب
ان الاية التي هي قلب العصا حية كانها معجزة فهي ايضا تمنع من وصول ضرر فرعون الى موسى وهرون لانهم علموا انه متى
القاها صارت حية عظيمة وان اراد ارسالها عليهم اهلكتهم زجرهم ذلك عن الاقدام عليهما فصارت مانعة من الوصول
اليهما قوله تعالى باياتنا يجوز فيه اوجه ان يتعلق بنجعل او بيصلون او بمحذوف اي اذهبا او على البيان فيتعلق
بمحذوف ايضا او بالغالبون على ان ال ليست موصولة او موصولة واتسع فيه ما لا يتسع في غيره او قسم
وجوابه متقدم وهو فلا يصلون او من لغو القسم قاله الزمخشري ورد عليه ابو حيان بان جواب القسم
لا يدخله الفاء عند الجمهور ويريد بلغو القسم ان جوابه محذوف اي وحق اياتنا لتغلبن ثم قال انتما ومن اتبعكما
الغالبون اي لكما ولاتباعكما الغلبة قوله تعالى فلما جاءهم موسى باياتنا بينات واضحات وقد تقدم كيفية اطلاق
لفظ الايات وهو جمع على العصا واليد في سورة طه قالوا ما هذا الا سحر مفترى مختلق ثم ضموا اليه ما يدل
على جهلهم وهو قولهم وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين اي ما حدثنا بهذا الذي تدعونا اليه قوله تعالى وقال
موسى هذه قراءة العامة باثبات واو العطف وابن كثير حذفها وكل وافق مصحفه فانها ثابتة في المصاحف غير
مصحف مكة واثباتها وحذفها واضحان وهو الذي في تسمية اهل البيان الوصل والفصل ربي اعلم بمن جاء
بالهدى من عنده بالمحق من المبطل قوله تعالى ومن تكون قرأ العامة تكون بالتاء وله خبرها وعاقبة

اسمها ويجوز ان يكون اسمها ضمير القصة والتأنيث لاجل ذلك وله عاقبة الدار جملة في موضع الخبر وقرئ بالياء من تحت
على ان تكون عاقبة اسمها والتذكير للفصل ولانه تأنيث مجازي ويجوز ان يكون اسمها ضمير الشأن والجملة خبر كما تقدم ويجوز
ان تكون تامة وفيها ضمير يرجع الى من والجملة في موضع الحال ويجوز ان تكون ناقصة واسمها ضمير والجملة خبرها ومعنى
من تكون له عاقبة الدار اي العقبى المحمودة في الدار الاخرة لقوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن والمراد من
الدار الدنيا وعاقبتها وعقباها ان تختم للعبد بالرحمة والرضوان انه لا يفلح الظالمون اي الكافرون قوله تعالى وقال
فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري فتضمن كلامه نفي الالهية عن غيره واثبات الالهية لنفسه فاوقد لي يا هامان
على الطين فاطبخ لي الاجر قيل انه اول من اتخذ الاجر وبنى به فاجعل لي صرحا قصرا عاليا • وقيل منارة • واختلفوا في ذلك
فقيل انه بناه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان احد من الخلق وانه صعد ورمى بسهم وان السهم عاد اليه ملطخا بالدم
وبعث الله جبريل عليه السلام فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع • وقيل انه لم يبن الصرح لانه يبعد في العقل انهم
بصعود الصرح يقربون من السماء مع علمهم بان من علا اعلى الجبال الشاهقة يرى السماء كما كان يراها وهو في قرار
الارض ومن شك في ذلك خرج عن حد العقل وهكذا القول في انه رمى السهم الى السماء وان من حاول ذلك كان من
الخائبين ولا يليق بالعقل وانما قال ذلك على سبيل التهكم قوله تعالى لعلي اطلع الى اله موسى انظر اليه والطلوع والاطلاع
واحد يقال طلع الجبل واطلع واحد واني لاظنه يعني موسى من الكاذبين في زعمه ان للارض والخلق الها غيري وانه
رسوله واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق واعلم ان الاستكبار بالحق انما هو لله تعالى وهو المتكبر في الحقيقة
قال عليه السلام فيما حكاه عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما القيته في النار وكل مستكبر
سواه فاستكباره بغير الحق قوله تعالى بغير الحق حال اي استكبروا متلبسين بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون
قرأ نافع والاخوان ويعقوب يرجعون مبنيا للفاعل والباقون للمفعول قوله تعالى فاخذناه وجنوده فنبذناهم
في اليم وهذا من الكلام المفخم الذي يدل على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم
وان كانوا الجم الغفير بحصيات اخذهن اخذ في كفه وطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله تعالى وجعلنا فيها رواسي شامخات
وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه وليس الغرض منها الا تصوير ان كل مقدور وان عظم فهو حقير بالنسبة الى قدرته فانظر كيف كان
عاقبة الظالمين قوله تعالى وجعلناهم ائمة اي صيرناهم وقال الزمخشري دعوناهم كانه فر من نسبة ذلك الى الله تعالى اعني
التصيير لانه لا يوافق مذهبه ويدعون صفة لائمة • وقال الجبائي وجعلناهم اي بينا ذلك من حالهم وسميناهم به
ومنه قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا • وقال ابو مسلم معنى الامامة التقدم فلما عجل الله لهم العذاب
صاروا متقدمين لمن وراءهم من الكافرين ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر والمعاصي قال
احد لا يدعو الى النار البتة وانما جعلهم الله ائمة في هذا الباب لانهم بلغوا في هذا الباب الى اقصى النهايات ومن كان
كذلك استحق ان يكون اماما يقتدى به في ذلك الباب قوله تعالى ويوم القيامة لا ينصرون لا يمنعون من العذاب
كما تنصر الائمة الدعاة الى الجنة واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة خزيا وطردا قوله ويوم القيامة فيه اوجه احدها
ان يتعلق بالمقبوحين على ان ال ليست موصولة او موصولة واتسع فيه وان يتعلق بمحذوف يفسره المقبوحين
كانه قيل وقبحوا يوم القيامة نحو لعملكم من القالين او يعطف على موضع في الدنيا اي واتبعناهم لعنة يوم القيامة
او معطوفة على لعنة على حذف مضاف اي ولعنة يوم القيامة • والوجه الثاني اظهرها والمقبوح المطرود قبحه الله
طرده قال • الا قبح الله البراجم كلها • وجدع يربوعا وعفر دارما • وسمي ضد الحسن قبيحا لان العين تنبو عنه فكانها
تطرده يقال قبح قباحة • وقيل من المقبوحين من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجوه قاله ابن
عباس يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا • قال الليث قبحه الله اي نحاه من كل خير والقبيح ايضا عظم الساعد مما يلي النصف
منه الى المرفق • وقال ابو عبيدة من المقبوحين من المهلكين قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا
القرون الاولى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم • والمراد بالكتاب التوراة بين تعالى انه الذي يجب التمسك به
ما جاء به موسى ووصفه بانه بصائر للناس من حيث يستبصر به في باب الدين قوله تعالى بصائر يجوز ان يكون
مفعولا وان يكون حالا اما على حذف مضاف اي ذا بصائر او على المبالغة وهدى من حيث يستدل به ومن حيث
ان التمسك به يفوز بطلبته من الثواب ووصفه بانه رحمة لانه من نعم الله على من تعبد به • روى ابو سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اهلك الله قرنا من القرون بعذاب من السماء ولا من الارض
منذ انزل التوراة غير اهل القرية التي مسخها الله قردة • وقوله لعلهم يتذكرون بما فيه من المواعظ والبصائر
قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي قال قتادة والسدي وما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي فيكون من حذف
الموصوف واقامة صفته مقامه وان يكون من اضافة الموصوف لصفته وهو مذهب الكوفيين ومثله

بقلة الجماعة سجدا بالجامع قوله تعالى إذ قضينا إلى موسى الأمر اي عهدنا اليه واحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون وقومه والمعنى وما كنت الحاضر المكان الذي اوحينا فيه الى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات فان قيل لما قال وما كنت بجانب الغربي ثبت انه لم يك شاهدا لان الشاهد لا بد وان يكون حاضرا فما الفائدة في اعادة قوله وما كنت من الشاهدين فالجواب قال ابن عباس التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت ما شهدت تلك الوقائع فانه يجوز ان يكون هناك ولا يشهد ولا يرى قوله تعالى ولكنا انشأنا قرونا وجه الاستدراك ان المعنى وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاره انه فاذا هذا الاستدراك هو شبيه بالاستدراكين بعده قاله الزمخشري وهذا تنبيه على المعجزة كانه قال ان في اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا مشاهدة ولا تعلم من اهله دلالة ظاهرة على نبوتك كقوله اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى وما كنت ثاويا اي مقيما يقال ثوى يثوي ثواء وثويا فهو ثاو ومثوى قال ذو الرمة ‹ لقد كان في حول ثواء ثويته تقضي لبانات ويسأم سائم › وقال ‹ طال الثواء على رسول المنزل › وقال العجاج ‹ فباب حيث يدخل الثوى › يعني الضيف المقيم قوله تعالى تتلو يجوز ان يكون حالا من الضمير في ثاويا وان يكون خبرا ثانيا وان يكون هو الخبر وثاويا حال وجعله الفراء منقطعا مما قبله اي مستأنفا كانه قيل وها انت تتلو على امتك وفيه بعد فصل المعنى ولكنا انشأنا قرونا خلقنا امما من بعد موسى فتطاول عليهم العمر اي طالت عليهم المهلة فنسوا عهد الله وتركوا امره وذلك ان الله عهد الى موسى وقومه عهودا في محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها وما كنت مقيما في اهل مدين كمقام موسى وشعيب فيهم تتلو عليهم آياتنا تذكرهم بالوعد والوعيد وقال مقاتل يقول لم تشهد اهل مدين فتقرأ على اهل مكة خبرهم ولكنا كنا مرسلين في كل زمان رسولا يعني ارسلناك رسولا وانزلنا عليك كتابا فيه هذه الاخبار فتتلوها عليهم ولولا ذلك ما علمتها ولم تخبرهم بها وما كنت بجانب الطور بناحية الجبل الذي كلم الله عليه موسى اذ نادينا اي نادينا موسى خذ الكتاب بقوة وقال ابن عباس اذ نادينا امتك في اصلاب آبائهم يا امة محمد اجبتكم قبل ان تدعوني واعطيتكم قبل ان تسألوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني قال وانما قال ذلك حين اختار موسى سبعين رجلا لميقات ربه وقال وهب لما ذكر الله لموسى فضل امة محمد قال موسى يا رب ارني محمدا قال انك لن تصل الى ذلك وان شئت ناديت امته واسمعتك صوتهم قال بلى يا رب قال الله يا امة محمد قوله تعالى ولكن رحمة من ربك اي ارسلناك رحمة واعلمناك بذلك رحمة او ولكن رحمناك رحمة بارسالك والوحي اليك واطلاعك على الاخبار الغائبة عنك وقرأ عيسى بن عمر رحمة بالرفع اي انت رحمة قوله تعالى ما اتاهم من نذير في موضع الصفة لقوما والمعنى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك يعني اهل مكة لعلهم يتذكرون قوله تعالى ولولا ان تصيبهم ان وما في خبرها في موضع رفع بالابتداء اي ولولا اصابتهم المصيبة وجوابها محذوف فقدره الزجاج ما ارسلنا اليهم رسلا يعني ان الحامل على ارسال الرسل ازاحة عللهم بهذا القول فهو كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقدره ابن عطية لعاجلناهم ولا معنى لهذا فيقولوا عطف على تصيبهم ولولا الثانية تحضيض وقد تتبع جوابه فلذلك نصب باضمار ان قال الزمخشري فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة كانها سبب للارسال ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب للارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اخترت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقين ببطلان دينهم لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا بل انما يقولون اذا نالهم العقاب وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وهو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا يعني كفار مكة لولا هلا اوتي محمد مثل ما اوتي موسى من الآيات كاليد البيضاء والعصا وفلق البحر وتظليل الغمام وانفجار الحجر بالماء والمن والسلوى وكلام الله وغيرها وقيل مثل ما اوتي موسى كتابا جملة واحدة قال الله عز وجل اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل واختلفوا في الضمير في قوله اولم يكفروا فقيل هم اليهود بما اوتي موسى مع تلك الآيات الباهرة وقيل ان الذين اقترحوا هذا هم كفار مكة والذين كفروا بموسى هم الذين كانوا في زمن موسى الا انه جعله كالشيء الواحد لانهم في الكفر والتعنت كالشيء الواحد وقال الكلبي ان مشركي مكة بعثوا رهطا الى يهود المدينة يسألونهم عن محمد وشأنه فقالوا انا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط واخبروهم بقول اليهود قالوا انه كان ساحرا كما ان محمدا ساحر فقال تعالى في حقهم اولم يكفروا بما

اوتي موسى من قبل وقال الحسن كان للعرب اصل في ايام موسى عليه السلام فمعناه على هذا اولم يكفر آباؤهم وقالوا موسى وهرون ساحران وقال قتادة اولم يكفر اليهود في عصر محمد بما اوتي موسى من قبل من البشارة بعيسى ومحمد فقالوا ساحران وقيل ان كفار قريش كانوا منكرين لجميع النبوات ثم انهم لما طلبوا من الرسول معجزات موسى عليه السلام قال الله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى وهو قولهم ساحران تظاهرا قوله تعالى من قبل اما ان يتعلق بيكفروا وباوتي اي من قبل ظهورك قوله تعالى ساحران قرأ الكوفيون سحران اي هما اي القرآن والتوراة او موسى وهرون وذلك على المبالغة جعلوهما نفس السحر او على حذف مضاف اي ذوا سحرين ولو صح هذا لكان ينبغي ان يفرد سحر ولكنه ثني تنبيها على التنويع وقيل المراد موسى ومحمد عليهما السلام او التوراة والانجيل والباقون ساحران اي موسى وهرون او موسى ومحمد كما تقدم قوله تظاهرا العامة على تخفيف الظاء فعلا ماضيا صفة لسحران او ساحران اي تعاونا وقرأ الحسن ويحيى بن الحارث الذماري وابو حيوة والزبيدي بتشديدها وقد لحنهم الناس قال ابن خالويه تشديده لحن لانه فعل ماض وانما يشدد في المضارع وقال الهذلي لا معنى له وقال ابو الفضل لا اعرف وجهه وهذا عجيب من هؤلاء وقد حذفت نون الرفع في مواضع حتى في الفصيح كقوله عليه السلام لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ولا فرق بين كونها بعد واو او الف او ياء فهذا اصله يتظاهران فادغم وحذفت نونه تخفيفا وقرأ الاعمش وطلحة وكذا في مصحف عبد الله اظاهرا بهمزة وصل وشد الظاء واصله تظاهرا كقراءة العامة فلما اريد الادغام سكن الاول فاجتلبت همزة الوصل واختار ابو عبيد من القراءة بالالف لان الظاهر بالناس وافعالهم اشبه منها بالكتب المراد الكتابين لكن لما كان كل واحد من الكتابين يقوي الآخر لم يبعد ان يقال على سبيل المجاز تعاونا كما يقال تظاهرت الاخبار قوله تعالى وقالوا انا بكل كافرون اي بما انزل على محمد وموسى وسائر الانبياء وهذا الكلام لا يليق الا بالمشركين لا باليهود ثم قال لهم يا محمد فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما يعني من التوراة والقرآن وهذا يؤيد قراءة سحران او من كان بهما على حذف مضاف وهو يؤيد قراءة ساحران اتبعه وهذا تنبيه على عجزهم عن الاتيان بمثله قوله اتبعه جواب للامر وهو فأتوا وقرأ زيد بن علي اتبعه بالرفع استئنافا اي فانا اتبعه قوله تعالى فان لم يستجيبوا لك استجاب بمعنى اجاب قال ابن عباس يريد فان لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج وقال مقاتل فان لم يمكنهم ان يأتوا بكتاب افضل منهما وهذا اشبه بالآية قال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين فعلي الاستجابة في الآية وبينه في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب حيث عدي بغير لام قلت هذا الفعل يتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه واما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف وقد تقدم تقرير هذا في البقرة وان استجاب بمعنى اجاب والبيت الذي انشده هو ‹ وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب › والناس ينشدونه على تعديه بنفسه قال قيل الاستجابة تقتضي دعاء فاين الدعاء ههنا قيل فأتوا بكتاب امر والامر دعاء الى الفعل ثم قال فاعلم انما يتبعون اهواءهم اي صاروا ملزمين طريقة ولم يبق شيء الا اتباع الهوى ثم زيف طريقتهم بقوله ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى وهذا من اعظم الدلائل على فساد التقليد وانه لا بد من الحجة والاستدلال ان الله لا يهدي القوم الظالمين قوله تعالى ولقد وصلنا لهم القول العامة على تشديد وصلنا اما من الوصل ضد القطع اي تابعنا بعضه ببعض قال الفراء انزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضا واصله من وصل الحبل قال ‹ فقل لبني مروان ما بال ذمتي بحبل ضعيف لا يزال موصل › واما جعلناه اوصالا اي انواعا من المعاني قاله مجاهد وقرأ الحسن بتخفيف الصاد وهو قريب مما تقدم قال ابن عباس وصلنا بينا لكفار مكة بما في القرآن من اخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقال ابن زيد وصلنا لهم القول خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا لعلهم يتذكرون ثم لما اقام الدلالة على النبوة اكد ذلك بقوله الذين آتيناهم الكتاب قوله تعالى الذين آتيناهم مبتدأ وهم مبتدأ ثان ويؤمنون خبره والجملة خبر الاول وبه متعلق بيؤمنون وقد يعكر على الزمخشري وغيره من اهل البيان حيث قالوا التقديم يفيد الاختصاص وهنا لا يتأتى ذلك لانهم لو خصوا ايمانهم بهذا الكتاب فقط لزم كفرهم بما عداه وهو عكس المراد وقد ابدى اهل البيان هذا في قوله آمنا به وعليه توكلنا فقالوا قدم به لاوهم الاختصاص بالايمان بالله وحده دون ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهذا بعينه جار هنا والجواب ان الايمان بغيره معلوم فانصب الغرض الى الايمان بهذا فصل الذين آتيناهم الكتاب من قبله اي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القرآن هم به يؤمنون قال قتادة نزلت في مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقال مقاتل هم اصحاب السفينة الذين قدموا من الحبشة اربعين رجلا من اهل الانجيل وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن جبير قدموا مع جعفر من الحبشة على النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا يا نبي الله ان لنا اموالا فان اذنت لنا انصرفنا فجئنا باموالنا فواسينا المسلمين بها فاذن لهم فانصرفوا فاتوا باموالهم فواسوا بها المسلمين فنزلت فيهم الذين آتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون وعن ابن عباس قال نزلت في ثمانين من اهل الكتاب اربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام وقال رفاعة نزلت في عشرة انا احدهم وصفهم الله فقال واذا يتلى عليهم يعني القرآن قالوا آمنا به انه الحق من ربنا

انا كنا من قبله مسلمين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اي كنا من قبل القرآن
مسلمين مخلصين لله التوحيد مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبي حق قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين
لايمانهم بالكتاب الاول وبالكتاب الاخر وقيل لايمانهم بالانبياء الذين كانوا قبل محمد عليه السلام ومرة بايمانهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل لما امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم شتمهم المشركون فصفحوا عنهم فلهم اجران
اجر على الصفح واجر على الايمان وقوله بما صبروا اي على دينهم قال مجاهد نزلت في قوم من اهل الكتاب اسلموا فاوذوا قوله
تعالى ويدرؤن بالحسنة السيئة اي بالطاعة المعصية المتقدمة قال ابن عباس يدفعون بشهادة ان لا اله الا
الله الشرك وقال مقاتل يدفعون ما سمعوا من الاذى والشتم من المشركين بالصفح والعفو ومما رزقناهم ينفقون
في الطاعة قوله تعالى واذا سمعوا اللغو وهو القبيح من القول اعرضوا عنه وذلك ان المشركين كانوا يسبون مؤمني
اهل الكتاب ويقولون تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لنا ديننا
ولكم دينكم سلام عليكم ليس المراد سلام التحية ولكنه سلام التارك ومعناه سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم والقبيح ونظيره
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ثم اكد ذلك بقوله تعالى حاكيا عنهم لا نبتغي الجاهلين اي دين الجاهلين اي لا نحب
دينكم الذي انتم عليه وقيل لا نريد ان نكون من اهل الجهل والسفه قيل نسخ ذلك بالامر بالقتال وهو بعيد لان
ترك المسافهة مندوب وان كان القتال والله اعلم قوله تعالى انك لا تهدي من احببت اي احببت هدايته وقيل
احببته لقرابته قال المفسرون نزلت في ابي طالب قال له النبي صلى الله عليه وسلم قل لا اله الا الله اشهد لك
بها يوم القيامة قال لولا ان تعيرني قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله هذه
الاية فصل قال في هذه الاية انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وقال في اية اخرى وانك
لتهدي الى صراط مستقيم ولا تنافي بينهما فان الذي اثبته واضافه اليه الدعوة والذي نفى عنه هداية التوفيق
وشرح الصدر وهو نور يقذف في القلب فيحيى به القلب كما قال سبحانه اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا
يمشي به في الناس فصل احتج اهل السنة بهذه الاية في مسئلة الهدى والضلال فقالوا قوله انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشاء يقتضي ان تكون الهداية في الموضعين بمعنى واحد لانه لو كان المراد من الهداية في قوله انك
لا تهدي شيئا وفي قوله ولكن الله يهدي من يشاء شيئا اخر لاختل النظم ثم اما ان يكون المراد من الهداية بيان الادلة
والدعوة الى الجنة او خلق المعرفة على سبيل الالجاء وخلق المعرفة في القلوب لا على سبيل الالجاء لا جائز ان يكون المراد
منه الهداية التي نفى الله عمومها وكذا القول في الهداية بمعنى الدعوة الى الجنة واما الهداية بمعنى تعريف طريق الجنة
فهي ايضا غير مرادة لانه تعالى علق هذه الهداية على المشيئة فمن وجب عليه اداء عشرة دنانير لا يقول اعطي عشرة دنانير
ان شئت واما الهداية بمعنى الالجاء والقسر فغير جائز لان ذلك عندهم قبيح من الله تعالى في حق المكلف وفعل القبيح
مستلزم للجهل او الحاجة وهما محالان ومستلزم المحال محال فذلك محال من الله والمحال لا يجوز تعليقه على المشيئة
ولما بطلت الاقسام لم يبق الا ان المراد انه تعالى خص البعض بخلق الهداية والمعرفة ومنع البعض منها لا يسال
عما يفعل واذا اورد الكلام على هذا الوجه سقط ما اورده القاضي عذرا عن ذلك قوله تعالى وهو اعلم بالمهتدين
اي انه المختص بعلم الغيب فيعلم من يهتدي ومن لا يهتدي ثم انه تعالى حكى عنهم شبهة اخرى متعلقة باحوال الدنيا
وهي قولهم ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا قال المبرد الخطف الانتزاع بسرعة نزلت في الحارث بن نوفل
ابن عبد مناف قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذي تقوله حق ولكنا ان اتبعناك على دينك خفنا ان
تخرجنا العرب من ارضنا مكة فاجاب الله عنه من وجوه الاول قوله اولم نمكن لهم حرما امنا اي اعطاكم مسكنا
لا خوف لكم فيه اما لان العرب كانوا يحترمون الحرم ولم يتعرضوا لسكانه فانه يروى ان العرب خارج الحرم
كانوا لا يتعرضون لسكان الحرم قوله نتخطف العامة على الجزم جوابا للشرط والمنقري بالرفع على حذف الفاء كقوله
من يفعل الحسنات الله يشكرها وكقراءة يدرككم بالرفع او على التقديم وهو مذهب سيبويه قوله تعالى اولم نمكن
لهم حرما قال ابو البقاء عداه بنفسه لانه بمعنى جعل وقد صرح به في قوله اولم يروا انا جعلنا حرما ومكن متعد بنفسه
من غير ان يضمن معنى جعل كقوله مكناهم وتقدم تحقيقه في الانعام وامنا قيل بمعنى مؤمن اي يؤمن من دخله وقيل
هو على حذف مضاف اي امنا اهله وقيل فاعل بمعنى النسب اي ذا امن قوله يجبى قرا نافع بتاء التانيث مراعاة للفظ
ثمرات والباقون بالياء للفصل ولان تانيثه مجازي والجملة صفة لحرما ايضا وقرا العامة ثمرات بفتحتين وابان بضمتين
جمع ثمر وبعضهم بفتح وسكون قوله رزقا ان جعلته مصدرا جاز انتصابه على المصدر المؤكد لان معنى يجبى اليه يرزقهم
وان ينتصب على المفعول له والعامل محذوف اي يسوقه اليه رزقا وان يكون في موضع الحال من ثمرات
لتخصيصها بالاضافة كما ينتصب على النكرة المخصصة وان جعلته اسما للمرزوق انتصب على الحال من ثمرات
ومعنى يجبى اليه يجلب ويجمع يقال جبيت الماء في الحوض اي جمعته قال مقاتل يحمل الى الحرم ثمرات كل شيء رزقا

من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يقوله حق قوله تعالى وكم اهلكنا من قرية اي من اهل قرية بطرت معيشتها واما
ينتصب بطرت بمعنى كفرت او خسرت او على التمييز او على التشبيه بالمفعول به وهو قريب من سفه نفسه قال
عطاء عاشوا في البطر فاكلوا رزقه وعبدوا غيره قوله تعالى فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا قال
ابن عباس لم يسكنها الا المسافرون ومار الطريق يوما او ساعة معناه لم تسكن من بعدهم الا سكونا يسيرا
قليلا وقيل لم يعمر منها الا اقلها واكثرها خراب فقوله لم تسكن جملة حالية والعامل فيها معنى تلك ويجوز ان تكون
خبرا ثانيا والا قليلا اي الا سكنى قليلا او الا زمانا قليلا او الا مكانا قليلا وكنا نحن الوارثين كقوله انا نحن نرث
الارض ومن عليها قوله تعالى وما كان ربك مهلك القرى بظلم يعني القرى الكافرة اهلها حتى يبعث في امها رسولا
اي في اكبرها واعظمها رسولا ينذرهم وخص الاعظم ببعثة الرسول فيها لان الرسول يبعث الى الاشراف والاشراف
يسكنون المدائن والمواضع التي هي ام ما حولها وهذا بيان لقطع عذرهم لان عدم البعثة يجري مجرى العذر للقوم فوجب
ان لا يجوز اهلاكهم الا بعد البعثة وقوله يتلو عليهم اياتنا اي يؤدي ويبلغ قال مقاتل يخبرهم الرسول ان العذاب
نازل بهم ان لم يؤمنوا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون مشركون اي اهلكهم بظلمهم واهل مكة ليسوا كذلك
فان بعضهم قد امن وبعضهم قد علم الله منهم انهم وان لم يؤمنوا لكنه يخرج من نسلهم من يؤمن قوله تعالى
وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا اي فهو متاع وقرئ فمتاعا الحياة بنصب متاعا على المصدر اي يتمتعون
متاعا والحياة نصب على الظرف والمعنى يتمتعون بها ايام حياتكم ثم هي الى الفناء والانقضاء وما عند الله خير وابقى وهذا
جواب عن شبهتهم فانهم قالوا تركنا الدين لئلا تفوتنا الدنيا فبين الله تعالى ان ذلك خطأ عظيم من وجهين الاول
ان المنافع هناك اعظم والثاني انها خالصة عن الشوائب ومنافع الدنيا مشوبة بالمضار بل المضار فيها اكثر واما انها ابقى
فلانها دائمة غير منقطعة ومتى قوبل المتناهي بغير المتناهي كان عدما فظهر بهذا ان منافع الدنيا لا نسبة لها الى
منافع الاخرة فلا جرم نبه على ذلك تعالى افلا تعقلون يعني ان من لا يرجح منافع الاخرة على منافع الدنيا كانه يكون خارجا
عن حد العقل ورحم الله الشافعي حيث قال من وصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين
بطاعة الله تعالى لان اعقل الناس من اعطى القليل واخذ الكثير وما هم الا المشتغلين بالطاعة فكانه رحمه
الله انما اخذه من هذه الاية وقرا ابو عمرو افلا يعقلون بالياء من تحت التفاتا والباقون بالخطاب جريا
على ما تقدم قوله تعالى افمن وعدناه قرا طلحة امن وعدناه بغير فاء وعدا حسنا يعني الجنة فهو لاقيه مصيبه
ومدركه وصائر اليه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ويزول عن قريب ثم هو يوم القيامة من المحضرين النار
وقرا الكسائي وقالون ثم هو بسكون الهاء اجراء لثم مجرى الواو والفاء والباقون بالضم على الاصل وتخصيص لفظ المحضرين
بالذين احضروا للعذاب امر عرف من القران قال تعالى لكنت من المحضرين فانهم لمحضرون وفي اللفظ اشعار
به لان الاحضار يشعر بالتكليف والالزام وذلك لا يليق بمجالس اللذة وانما يليق بمجالس الضرر والمكاره قوله
تعالى ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون في الدنيا انهم شركاي وتزعمون انها تشفع
فتخلصكم من هذا الذي نزل بكم وتزعمون مفعولاه محذوفان اي تزعمون شركاه قال الذين حق عليهم القول
اي وجب عليهم العذاب وهم رؤس الضلالة وقيل الشياطين قوله تعالى هؤلاء الذين اغوينا فيه وجهان
احدهما ان هؤلاء مبتدا والذين اغوينا صفته والعائد محذوف اي اغويناهم والخبر اغويناهم وكما غوينا
نعت لمصدر محذوف وذلك المصدر مطاوع لهذا الفعل اي فغووا غيا كما غوينا قاله الزمخشري وهذا الوجه
منعه ابو علي قال لانه ليس في الخبر زيادة فائدة على ما في صفته قال قلت قد وصل بقوله كما غوينا وفيه
زيادة قلت الزيادة في الظرف لا تصيره اصلا في الجملة لان الظروف صلات ثم اعرب هو هؤلاء مبتدا
والذين اغوينا اغويناهم خبره واغويناهم مستانف واجاب ابو البقاء وغيره عن الاول بان الظرف قد يلزم
كقولك زيد عمرو في داره فصل المعنى هؤلاء الذين دعوناهم الى الغي وهم الاتباع اغويناهم كما غوينا
اضللناهم كما ضللنا تبرانا اليك منهم قوله ما كانوا ايانا يعبدون ايانا مفعول يعبدون قدم لاجل الفاصلة
وفي ما وجهان احدهما انها نافية اي تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا والثانية مصدرية ولا بد من
تقدير حرف جر اي تبرانا من ما كانوا اي من عبادتهم ايانا وفيه بعد قوله تعالى وقيل ادعوا شركاكم اي
وقيل للكفار ادعوا شركاكم اي الاصنام لتخلصكم من العذاب فدعوهم فلم يستجيبوا لهم لم يجيبوهم
والاقرب ان هذا على سبيل التقريع لانهم يعلمون انه لا فائدة في دعائهم لهم قوله تعالى لو انهم كانوا جوابها
محذوف اي لما راوا العذاب او لدعوه قال الضحاك ومقاتل يعني المتبوع والتابع يرون العذاب ولو انهم كانوا يهتدون لـ
لوجه من وجوه الحيل لدفعوا به العذاب وقيل قد الهم ان يهتدوا وانهم كانوا يهتدون اذا راوا العذاب ويؤكد
ذلك قوله لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم قال ابن الخطيب وعندي ان الجواب غير محذوف وفي تقديره

وجوه احدها ان الله تعالى لما خاطبهم بقوله ادعوا شركاءكم فهنا يشتد الخوف عليهم ولما صاروا من شدة الخوف لا يبصرون
شيئا لا جرم ما رأوا العذاب وثانيها انه تعالى لما ذكر عن الشركاء وهم الاصنام الذين لا يجيبون الذين دعوهم قال
في حقهم ورأوا العذاب لو انهم كانوا مشاهدين العذاب وكانوا من الاحياء لاهتدوا ولكنها ليست كذلك فلا جرم
ما رأت العذاب قال قيل قوله ورأوا العذاب لا يليق الا بالعقلاء فكيف يصح عوده للاصنام قلنا هذا كقوله فدعوهم
فلم يستجيبوا لهم وانما ورد ذلك على حسب اعتقاد القوم فكذا ههنا وثالثها ان يكون المراد من الرؤية رؤية القلب
اي والكفار علموا حقيقة هذا العذاب في الدنيا لو كانوا يهتدون قال وهذه الوجوه عندي خير من الوجوه المبنية
على ان جواب لو محذوف فان ذلك تفكيك نظم الاية قوله تعالى ويوم يناديهم اي يسأل الله الكفار ماذا اجبتم
المرسلين فعميت العامة على تخفيفها وقرأ الاعمش وجناح بن حبيش بضم العين وتشديد الميم وتقدمت القراءتان
للسبعة في هود والمعنى خفيت واشتبهت عليهم الانباء وهي الاخبار والاعذار وقال مجاهد الحجج يومئذ فلا يكون
لهم عذر ولا حجة فهم لا يتساءلون لا يجيبون وقال قتادة لا يحتجون وقيل يسكتون لا يسأل بعضهم بعضا وقرأ
طلحة لا يتساءلون بتشديد السين على ادغام التاء في السين كقراءة تساءلون به والارحام فصل قال القاضي
هذه الاية تدل على بطلان قول الجبرية لان فعلهم لو كان خلقا من الله وجب وقوعه بالقدرة والارادة لما عميت
عليهم الانباء ولقالوا انما كذبنا الرسل من جهة خلقك فينا تكذيبهم والقدرة الموجبة لذلك فكانت حجتهم على
الله تعالى ظاهرة وكذلك القول فيما تقدم لان الشيطان كان له ان يقول انما اغويت لخلقك في الغواية والجواب
ان علم الله بعدم الايمان مع وجود الايمان متنافيان لذاتهما فمع العلم بعدم الايمان اذا امرنا بادخال الايمان في
الوجود فقد امرنا بالجمع بين الضدين واعلم ان القاضي لا يترك آية من الايات المشتملة على المدح والذم والعقاب
الا ويعيد استدلاله بها فكما ان وجه استدلاله في الكل هذا الحرف فكذا وجه جوابنا حرف واحد وهو ما ذكرنا قوله تعالى
فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين لما بين حال المعذبين اتبعه بذكر من يتوب منهم
في الدنيا ترغيبا في التوبة وزجرا عن الثبات على الكفر وفي عسى وجوه احدها انه من الكرام تحقيق والله اكرم
الاكرمين وثانيها ان المراد ترجي التائب وطمعه كأنه قال فليطمع في الفلاح وثالثها عسى ان يكونوا كذلك اذا داموا
على التوبة والايمان لجواز ان لا يدوموا قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار نزلت هذه الاية جوابا للمشركين
حين قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني الوليد بن المغيرة او عروة بن مسعود الثقفي
اخبر الله تعالى انه لا يبعث الرسل باختيارهم قوله ما كان لهم الخيرة فيه اوجه احدها ان ما نافية فالوقف
على يختار والثاني ما مصدرية اي يختار اختيارهم والمصدر واقع موقع المفعول به اي مختارهم الثالث ان يكون
بمعنى الذي والعائد محذوف اي ما كان لهم الخيرة فيه كقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور اي
منه وجوز ابن عطية ان تكون كان تامة ولهم الخيرة جملة مستأنفة قال ويتجه عندي ان تكون ما مفعولة
اذا قدرنا كان التامة اي ان الله يختار كل كائن ولهم الخيرة مستأنف معناه تعديد النعم عليهم في اختيار
الله لهم لو قبلوا وجعل بعضهم في كان ضمير الشأن وانشد امن سمية دمع العين تذريف
لو كان ذا منك قبل اليوم معروف ولو قال ذا اسمها الغال معروفا وابن عطية منع ذلك في الاية قال لان
تفسير الامر والشأن لا يكون بجملة فيها محذوف كانه يريد ان الجار متعلق بمحذوف وضمير الشأن لا يفسر
الا بجملة مصرح بجزئيها الا ان في هذا نظرا ان اراده لان هذا الجار قائم مقام الخبر ولا اظن احدا يمنع هو
السلطان في البلد ومن هند في الدار والخيرة من التخير كالطيرة من التطير فيستعملان استعمال المصدر
وقال الزمخشري ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة لله في
افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه قال شهاب الدين لم يزل الناس
يقولون ان الوقف على يختار والابتداء بما على انها نافية هو مذهب اهل السنة ونقل ذلك عن جماعة
كابي جعفر وغيره وان كونها موصولة متصلة بيختار غير موقوف عليه مذهب المعتزلة وهذا الزمخشري
قد قرر كونها نافية وحصل غرضه في كلامه وهو موافق لكلام اهل السنة ظاهرا وان كان لا يريده وهذا
الطبري من كبار اهل السنة منع ان تكون نافية قال لئلا يكون المعنى انه لم يكن لهم الخيرة فيما مضى وهي لهم
فيما يستقبل وايضا فلم يتقدم نفي وهذا الذي قاله ابن جرير مروي عن ابن عباس وقال بعضهم ويختار
لهم ما يشاء من الرسل فما على هذا واقعة على العقلاء فصل ان قيل ما للاثبات فمعناه ويختار الله ما كان
لهم الخيرة اي يختار ما هو الاصلح والخير وان قيل ما للنفي اي ليس اليهم الاختيار او ليس لهم ان يختاروا على الله
كقوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم قال منزها
نفسه سبحان الله وتعالى عما يشركون اي ان الخلق والاعزاز والاذلال مفوض اليه ليس لاحد فيه شركة

ومنار تمة

ومنار تمة ثم اكد ذلك بانه يعلم ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يعلنون من مطاعنهم فيه
وقولهم هلا اختير غيره في النبوة ولما بين علمه بما هو عليه من الغل والحسد والسفاهة قال وهو الله لا اله الا هو
له الحمد في الاولى والاخرة وهذا تنبيه على كونه قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات منزها عن النقائص والآفات
له الحمد في الاولى والاخرة وهذا ظاهر على مذهب اهل السنة لان الثواب غير واجب عليه بل يعطيه فضلا واحسانا
وله الحمد في الاولى والاخرة ويؤكده قول اهل الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا
وعده واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وله الحكم فصل القضاء بين الخلق قال ابن عباس حكم لاهل
طاعته بالمغفرة ولاهل المعصية بالشقاء واليه ترجعون اي الى حكمه وقضائه قوله تعالى قل ارأيتم ان جعل الله
عليكم الليل سرمدا الاية لما بين بقوله وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون
فصل عقيب ذلك ببعض ما يجب ان يحمد عليه مما لا يقدر عليه سواه فقال قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل
سرمدا نبه على ذلك كون الليل والنهار نعمتان متعاقبتان على الزمان ووجهه ان المرء في الدنيا مضطر الى ان
يتعب لتحصيل ما يحتاج اليه ولا يتم ذلك الا براحة وسكون بالليل ولا بد منهما والحالة هذه فاما في الجنة فلا
نصب ولا تعب ولا حاجة بهم الى الليل ولذلك يدوم لهم ايضا اللذات فبين بذلك ان القادر على ذلك ليس الا الله
فقال قل ارأيتم اخبروني يا اهل مكة ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما الى يوم القيامة لا نهار معه من اله غير
الله يأتيكم بضياء بنهار تطلبون فيه المعيشة افلا تسمعون سماع فهم وقبول قوله ارأيتم وجعلتنا زعا في الليل
واعمل الثاني ومفعول ارأيتم هي جملة الاستفهام بعده والعائد منها على الليل محذوف تقديره بضياء بعده وجواب
الشرط محذوف وتقدم تحريره في الانعام وسرمدا مفعول ثان ان كان الجعل تصييرا او حالا ان كان خلقا وانشاء
والسرمد الدائم الذي لا ينقطع قال طرفة لعمرك ما امري علي بغمة نهاري ولا ليلي علي بسرمد والظاهر ان ميمه
اصلية ووزنه فعلل كجعفر وقيل هي زائدة واشتقاقه من السرد وهو تتابع الشيء على الشيء ومنه قولهم في الاشهر
الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد الا ان زيادة الميم وسطا وآخرا لا تنقاس نحو دلامص وزرقم من الدلاص والزرقة قوله الى
يوم متعلق بجعل او بسرمدا او بمحذوف على انه صفة لسرمدا وانما قال افلا تسمعون افلا تبصرون لان الغرض من ذلك
الانتفاع بما يسمعون ويبصرون من جهة التدبر فلما لم ينتفعوا انزلوا منزلة من لا يسمع ولا يبصر قال المفسرون افلا
تسمعون سماع فهم افلا تبصرون ما انتم عليه من الخطأ والضلال قال الزمخشري فان قيل هلا قيل بنهار تتصرفون
فيه كما قيل بليل تسكنون فيه قلنا ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق بها متكاثرة ليس التصرف في المعاش
وحده والظلام ليس بتلك المنزلة وانما قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من درك
منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يدرك من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون
ونحوه قوله لتسكنوا فيه اي في الليل ولتبتغوا من فضله اي في النهار وهو من باب اللف والنشر ومنه
كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي وقوله لعلكم تشكرون اي نعم الله وقيل اراد
الشكر على المنفعتين معا واعلم انه وان كان السكون في النهار ممكنا الا ان الاليق بكل واحد منهما ما ذكره الله تعالى
فلهذا خصه به وقوله ويوم يناديهم كرر ذلك النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ قوله ونزعنا اخرجنا
من كل امة شهيدا يعني رسولهم الذي ارسل اليهم كما قال فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد اي يشهد عليهم بانهم
بلغوا القوم الدلائل واوضحوها لهم ليعلم ان التقصير منهم فيزيد ذلك في غمهم وقيل المراد الشهداء الذين
يشهدون على الناس ويدخل في جملتهم الانبياء فقلنا هاتوا برهانكم حجتكم بان معي شريكا فعلموا حينئذ ان
الحق التوحيد لله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الباطل والكذب قوله تعالى ان قارون كان من قوم موسى الاية
قال المفسرون كان ابن عمه لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقال
ابن اسحق كان قارون عم موسى كان اخا عمران وهما ابنا يصهر ولم يكن في بني اسرائيل اقرأ للتوراة من قارون ولكنه
نافق كما نافق السامري وكان يسمى النور لحسن صورته وعن ابن عباس انه كان ابن خالته فبغى عليهم قيل كان عاملا
لفرعون على بني اسرائيل وكان يبغي عليهم ويظلمهم وقال قتادة بغى عليهم بكثرة المال وقال الضحاك بغى عليهم بالشرك
وقال القفال طلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت يده وقال ابن عباس تكبر عليهم وتجبر وقال الكلبي حسده
لهرون على الحبورة روي ان موسى عليه السلام لما قطع الله له البحر واغرق فرعون جعل الحبورة لهرون فحصلت
له النبوة والحبورة وكان له القربان والمذبح وكان لموسى الرسالة فوجد قارون لذلك في نفسه وقال
يا موسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست في شيء لا اصبر انا على هذا فقال موسى والله ما صنعت ذلك
لهرون بل جعله الله له فقال قارون له فوالله لا اصدقك ابدا حتى تأتيني بآية يعرف بها ان جعل ذلك
لهرون قال فامر موسى رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل رجل منهم بعصاه فجاؤوا بها فالقاها موسى عليه السلام

فى قبة له وكان ذلك بامر الله ودعا موسى ربه ان يريهم بيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم فاصبحت عصى هرون
تهتز لها ورق وكانت من شجر اللوز فقال لقارون الا ترى ما صنع الله لهرون فقال والله ما هذا باعجب مما يصنع
من السحر فاعتزل قارون ومعه ناس كثير وولى هرون الحبورة والمذبح والقربان وكانت بنو اسرائيل ياتون
بهداياهم الى هرون فيضعها فى المذبح وتنزل نار من السما تاكلها واعتزل قارون باتباعه وكان كثير المال
والتبع من بنى اسرائيل فما كان ياتى الى موسى ولا يجالسه • وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان قارون كان من
السبعين المختارة الذين سمعوا كلام الله **قوله تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه** ما موصولة بمعنى
الذى صلتها ان وما فى خبرها ولهذا كسرت ونقل الاخفش الصغير عن الكوفيين منع الوصل بان وكان يستقبح
ذلك عنهم يعنى لوجوده فى القران • والمفاتح جمع مفتح بفتح الميم وهو الذى تفتح به الباب قاله قتادة ومجاهد
وجماعة وقيل مفاتحه خزائنه كقوله وعنده مفاتح الغيب اى خزائنه **قوله لتنوء بالعصبة** فيه وجهان • احدهما
ان البا للتعدية كالهمزة ولا قلب فى الكلام والمعنى لتنئ المفاتح العصبة الاقويا كما تقول اجاته وجيت به واذهبته
وذهبت به ومعنى ناء بكذا نهض به بثقل قال • تنوء باخراها فلا با قيامها • وتمشى عن قرب فتبهر • وقال ابو زيد
نوت بالحمل اى نهضت به قال • اذا وجدنا خلفا بيس الخلف • عبدا اذا ناء بالحمل وقف • وفسره الزمخشرى بالاثقال
قال يقال ناء به الحمل حتى اثقله واماله وعليه ينطبق المعنى اى لتثقل المفاتح العصبة • والثانى قال ابو عبيدة
ان فى الكلام قلبا والاصل لتنوء العصبة بالمفاتح اى لتنهض بها كقولهم عرضت الناقة على الحوض وتقدم الكلام
فى القلب وان فيه ثلاثة مذاهب • وقرا بديل بن ميسرة لينوء بالياء من تحت والتذكير لانه راعى المضاف
المحذوف اذ التقدير حملها او ثقلها • وقيل الضمير فى مفاتحه لقارون فاكتسب المضاف من المضاف اليه التذكير
كقولهم ذهبت اهل اليمامة قاله الزمخشرى يعنى كما اكتسب هذا التذكير • والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها
قال مجاهد ما بين العشرة الى الاربعين لقول اخوة يوسف ونحن عصبة وكانوا عشرة لان يوسف واخاه لم
يكونا معهم • وقيل اربعون رجلا وقيل سبعون روى عن ابن عباس كان يحمل مفاتحه اربعون رجلا وقيل سبعون
اقوى ما يكون من الرجال • وروى جرير عن منصور عن خيثمة قال وجدت فى الانجيل ان مفاتح خزائن قارون
وقر ستين بغلا ما يزيد مفتاح منها على اصبع لكل مفتاح منها كنز وطعن بعضهم فى هذا القول من وجهين الاول
ان مال الرجل الواحد لا يبلغ هذا المبلغ ولو انا قدرنا بلدة مملوءة من الذهب والجواهر لكان لها اعداد قليلة
من المفاتيح فاى حاجة الى تكثير هذه المفاتيح • الثانى ان الكنوز هى الاموال المدخرة فى الارض فلا يجوز ان يكون
لها مفاتيح • واجيب عن الاول بان المال اذا كان من جنس النقد جاز ان يبلغ فى الكثرة الى هذا الحد وايضا
ان قولهم تلك المفاتح بلغت ستين حملا ليس مذكورا فى القران فلا نقبل هذه الرواية وعن الثانى ان الكنز
وان كان من جهة العرف ما قالوا فقد يقع على المال المجموع فى المواضع التى عليها اغلاق وحمل ابن عباس والحسن
المفاتيح على نفس المال وهذا ابين قال ابن عباس كانت خزائنه يحملها اربعون رجلا اقويا • وقال ابو مسلم
المراد بالمفاتح العلم والاحاطة كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو والمراد آتيناه من الكنوز
ما ان علم بها واختلاف اصنافها ما يتعب القائمين ان يحفظوها **قوله اذ قال** فيه اوجه ان يكون معمولا لتنوء
قاله الزمخشرى او لبغى قاله ابن عطية ورد بما ابو حيان بان المعنى ليس على التقييد بهذا الوقت او لآتيناه قاله
ابو البقا ورده ابو حيان بان الايتا لم يكن ذلك الوقت او لمحذوف فقدره ابو البقا بغى عليهم وهذا ينبغى
ان يرد بما رد به قول ابن عطية وقدره الطبرى اذكر وقدره ابو حيان اظهر الفرح وهو مناسب واعلم انه
كان فى قومه من وعظه بامور • احدها قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وقرى الفارحين حكاها
عيسى الحجازى والمراد لا يلحقه من البطر والتمسك بالدنيا ما يلهيه عن امر الاخرة • قال بعضهم انه لا يفرح
بالدنيا الا من رضى بها واطمان اليها فاما من يعلم انه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح وما احسن قول
المتنبى • اشد الغم عندى فى سرور • تيقن عنه صاحبه انتقالا • وقال لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما آتاكم • قال ابن عباس كان فرحه ذلك شركا لانه ما كان يخاف معه عقوبة الله تعالى • وثانيها **قوله
وابتغ فيما آتاك** يجوز ان يتعلق فيما آتاك بابتغ وان يتعلق بمحذوف على انه حال اى متقلبا فيما آتاك وما
مصدرية او بمعنى الذى والمراد ان يصرف المال الى ما يؤديه الى الجنة والظاهر انه كان مقرا بالآخرة • وثالثها
قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا قال مجاهد وابن زيد لا تترك ان تعمل فى الدنيا للآخرة • وقال السدى
بالصدقة وصلة الرحم • وقال على لا تنس صحتك وقوة شبابك وغناك ان تطلب بها الآخرة • قال عليه
السلام لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك
وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك **قوله** واحسن كما احسن الله اليك • اى كاحسانه اليك اى احسن بطاعة

الله كما احسن اليك بنعمته • وقيل احسن الى الناس كما احسن الله اليك • واعلم انه لما امره بالاحسان بالمال امره
بالاحسان مطلقا ويدخل فيه الاعانة بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن اللقا **قوله** ولا تبغ الفساد فى الارض
ولا تطلب الفساد فى الارض وكل من عصى الله فقد طلب الفساد فى الارض • وقيل المراد ما كان من الظلم والبغى
فى الارض يجوز ان يتعلق بتبغ او بالفساد او بمحذوف على انه حال وهو بعيد ثم قال ان الله لا يحب المفسدين
قيل ان هذا القائل هو موسى عليه السلام وقيل بل مؤمنو قومه **قوله** على علم حال من مرفوع اوتيته وقوله عندى
اما ظرف لاوتيته واما صفة للعلم **فصل** قال قارون انما اوتيته على علم عندى اى على فضل وخير علمه الله عندى
فرآنى اهلا لذلك ففضلنى بهذا المال عليكم كما فضلنى لغيره • وقال سعيد بن المسيب والضحاك كان موسى عليه
السلام يعلم علم الكيميا فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوفنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما
قارون حتى اضاف علمهما الى علمه وكان ذلك سبب امواله • وقيل على علم عندى بالتصرف فى التجارات والزراعات
وانواع المكاسب ثم اجاب الله عن كلامه بقوله اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون الكافرة من هو اشد
منه قوة واكثر جمعا للاموال واكثر جماعة وعددا فقوله اولم يعلم يجوز ان يكون هذا اثباتا لعلمه بان الله قد
اهلك قبله من القرون من هو اقوى منه واغنى لانه قراه فى التوراة واخبر به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ
كانه قيل اولم تعلم فى جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز ان يكون نفيا لعلمه بذلك
لانه لما قال اوتيته على علم عندى فتصلف بالعلم وتعظم به قيل اعنده مثل ذلك العلم الذى ادعاه ورأى
نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقى به نفسه والمعنى انه تعالى اذا اراد اهلاكه
لم ينفعه ذلك ولا ما يزيد عليه اضعافا **قوله** من هو اشد • من موصولة او نكرة موصوفة وهو فى موضع المفعول
باهلك ومن قبله متعلق به ومن القرون يجوز فيه ذلك ويجوز ان يكون حالا من من هو اشد **قوله** ولا يسأل عن
قراءة العامة على البنا للمفعول وبالياء من تحت ورفع المجرمون وقرا ابو جعفر ولا تسأل بالتاء من فوق والجزم وابن
سيرين وابو العالية كذلك الا انه مبنى للفاعل وهو المخاطب • قال ابن اسحق لا يجوز ذلك حتى ينصب المجرمين قال
صاحب اللوامح هذا هو الظاهر الا انه لم يبلغنى فيه • فان تركاه مرفوعا فيحتمل وجهين • احدهما ان يكون المجرمون
خبر مبتدا محذوف اى هم المجرمون • والثانى ان يكون بدلا من الهاء والميم فى ذنوبهم لانهما مرفوعان المحل يعنى ان
ذنوبا مصدر مضاف لفاعله فان محل المجرمون على الاصل كما تقدم فى قراءة مثلا ما بعوضة بجر بعوضة وكان قد خرجها
على ان الاصل يضرب مثل بعوضة وهذا التعسف كثير ولا ينبغى ان يقرأ ابن سيرين وابو العالية الا المجرمون بالنصب
فقط وانما ترك نقلها لظهوره **قوله** ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون قال قتادة يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال
وقال مجاهد يعنى لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم • وقال الحسن لا يسألون سؤال استعلام وانما
يسألون سؤال تقريع وتوبيخ • وقيل المراد ان الله تعالى اذا عاقب المجرمين فلا حاجة به الى ان يسألهم عن كيفية
ذنوبهم وكميتها لانه تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة الى السؤال **فان قيل** كيف الجمع بينه وبين قوله فوربك
لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون **فالجواب** حمل ذلك على وقتين كما قررناه • وقال ابو مسلم السؤال قد يكون
للمحاسبة وقد يكون للتقريع والتوبيخ وقد يكون للاستعتاب واليق الوجوه بهذه الآية الاستعتاب لقوله ثم لا يؤذن
للذين كفروا ولا هم يستعتبون هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون **قوله تعالى فى زينته** اما متعلق بخرج
واما بمحذوف على انه حال من فاعل خرج **فصل** دلت الآية على انه خرج باظهر زينته واكملها وليس فى القران الا
هذا القدر والناس ذكروا وجوها مختلفة والاولى ترك هذه التقديرات لانها متعارضة ثم ان الناس لما راوه
على تلك الزينة قال من كان منهم يرغب فى الدنيا **يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون انه لذو حظ عظيم** من المال وهو
الراغبون يحتمل ان يكونوا من الكفار وان يكونوا من المسلمين الذين يحبون الدنيا واما الذين اوتوا العلم
وهم اهل الدين قال ابن عباس يعنى الاحبار من بنى اسرائيل وقال مقاتل اوتوا العلم بما وعد الله فى الآخرة فقالوا
للذين تمنوا **ويلكم ثواب الله خير** من هذه النعم اى ما عند الله من الجزاء والثواب خير **لمن آمن** وصدق بتوحيد الله
وعمل صالحا لان الثواب منافع عظيمة خالصة عن شوائب المضار دائمة وهذه النعم على الضد فى هذه الصفات
قوله ويلكم منصوب بمحذوف اى الزمكم الله ويلكم • قال الزمخشرى ويلك اصله الدعا بالهلاك ثم استعمل فى
الزجر والردع والبعث على ترك ما يضر **قوله ولا يلقاها** اى هذه الخصلة وهى الزهد فى الدنيا والرغبة فيما عند
الله • وقيل الضمير يعود الى ما دل عليه قوله آمن وعمل صالحا يعنى هذه الاعمال لا يؤتاها الا الصابرون وقال
الزجاج ولا يلقى هذه الكلمة وهى قولهم ثواب الله خير الا الصابرون على اداء الطاعات والاحتراز عن المحرمات
وعلى الرضى بقضاء الله فى كل ما قسم من المنافع والمضار **قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض** المشهور كسرها
الكناية فى به وبداره لاجل كسر ما قبلها • وقرئ بضمها وقد تقدم انها الاصل وهى لغة الحجاز **فصل** قيل لما امر

وبطر وعتا فخسف الله به وبداره الارض جزاء على عتوه وبطره والفاء دالة على ذلك لان الفاء تشعر بالعلية ❁ وقيل ان قارون كان يؤذي نبي الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم وعن كل الف شاة على شاة فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى يريد ان يأخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا فمرنا بما شئت فقال ائتوا بفلانة البغي فنجعل لها جعلا حتى تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو اسرائيل ورفضوه فدعوها فجعل لها قارون طستا من ذهب مملوا ذهبا وقال لها اني امولك واخلطك بنسائي على ان تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم اتى الى موسى فقال ان بني اسرائيل ينتظرون خروجك فتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم في براح من الارض فقام فيهم فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنا وليست له امرأة جلدناه مائة ومن زنا وله امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال بنو اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة انا فعلت بك كما يقول هؤلاء وناشدها بالذي فلق البحر وانزل التوراة ان تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا ولم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وهو لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاوحى الله الى موسى ما افظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي لو دعوني مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله ثم ان قارون يخسف به كل يوم قامة ❁ قال القاضي اذا اهلك بالخسف فسواء نزل عن ظاهر الارض الى الارض السابعة او دون ذلك وان كان لا يمتنع على وجه المبالغة في الزجر ❁ واما قولهم انه تعالى قال لو استغاثوا بي لاغثتهم فان صح حمل على استغاثة مقرونة بالتوبة فاما وهو ثابت على ما هو عليه فمع انه تعالى هو الذي حكم بذلك الخسف لان موسى ما فعله الا عن اذن فبعيد وقولهم انهم يتجلجلون في الارض فبعيد لانه لا بد له من نهاية وكذا القول فيما ذكر من عدد القامات والذي عندي في امثال هذه الحكايات انها قليلة الفائدة لانها من باب اخبار الآحاد فلا تفيد اليقين وليست المسئلة عملية حتى يكتفى فيها بالظن ثم انها في اكثر الامر متعارضة مضطربة فالاولى طرحها والاكتفاء بما دل عليه نص القرآن وتفويض سائر التفاصيل الى عالم الغيب **قوله تعالى من فئة** يجوز ان يكون اسم كان ان كانت ناقصة وله الخبر وان يكون فاعله ان كانت تامة وينصرونه صفة لفئة فيحكم على موضعها بالجر لفظا وبالرفع معنى لان من مزيدة فيها ثم قال **وما كان من المنتصرين** اي الممتنعين مما نزل به من الخسف يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه فامتنع **قوله تعالى واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس** اي صار اولئك الذين تمنوا ما رزق من المال والزينة يتندمون على ذلك التمني والعرب تعبر عن الصيرورة باصبح وامسى واضحى وبات والمعنى صار ذلك زاجرا لهم عن حب الدنيا ومخالفة موسى وداعيا الى الرضا بقضاء الله وقسمته **قوله تعالى ويكأن الله** وي كأنه فيه مذاهب منها ان وي كلمة برأسها وهي اسم فعل معناه اعجب اي انا والكاف للتعليل وان وما في خبرها مجرورة بها اي اعجب لانه لا يفلح الكافرون وسمع كأنه لا يعلم غفر الله له وقياس هذا القول ان يوقف على وي وحدها وقد فعل ذلك الكسائي الا انه ينقل عنه انه يعتقد في الكلمة ان اصلها ويلك كما سيأتي وهذا ثان وفقه وانشد سيبويه ❁ وي كأن من يكن له نشب يحبب ❁ ومن يفتقر يعش عيش ضر ❁ الثاني قال بعضهم كأن هنا للتشبيه الا انه ذهب منها معناه وصارت للخبر واليقين وانشد ❁ كأنني حين امسي لا يكلمني ❁ متيم يشتهي ما ليس موجودا ❁ وهذا ايضا يناسبه الوقف على وي ❁ الثالث ان ويك كلمة برأسها والكاف حرف خطاب وان معمولة لمحذوف اي اعلم انه لا يفلح قاله الاخفش وعليه قوله ❁ الا ويك المسرة لا تدوم ولا يبقى على البؤس النعيم ❁ وقال عنترة ❁ ولقد شفى نفسي وابرأ سقمها ❁ قول الفوارس ويك عنتر اقدم ❁ وحقه ان يقف على ويك وقد فعله ابو عمرو بن العلاء ❁ الرابع ان اصلها ويلك فحذف واليه ذهب الكسائي ويونس وابو حاتم فحذف اللام وانما جاز هذا الحذف لكثرتها في الكلام وجعل ان مفتوحة بفعل مضارع مضمر كأنه قال ويلك اعلم وحقهم ان يقفوا على الكاف كما فعل ابو عمرو ومن قال بهذا استشهد بالبيتين المتقدمين فانه يحتمل ان يكون الاصل فيهما ويلك فحذف ولم يرسم في القرآن الا ويكأن ويكأنه متصلة في الموضعين فعامة القراء اتبعوا الرسم والكسائي وقف على وي وابو عمرو على ويك وهذا كله في وقف الاختبار دون الاختيار كما تقدم ❁ الخامس ان ويكأن كلها كلمة مستقلة بسيطة ومعناها الم تر وربما نقل ذلك عن ابن عباس ونقل الكسائي والفراء

انها بمعنى اما ترى الى صنع الله قال الفراء هي كلمة تقرير وذكر انه من سمع اعرابية تقول لزوجها اين ابنك فقال ويكأنه وراء البيت يعني انه اما وراء البيت وحكى ابن قتيبة انها بمعنى رحمة لك في لغة حمير **قوله تعالى لولا ان من الله** قرأ الاعمش لولا من بحذف ان وهي مرادة لان لولا هذه لا يليها الا المبتدأ وعنه من برفع النون وجر الجلالة وهي واضحة **قوله لخسف** قرأ حفص لخسف مبنيا للفاعل اي الله تعالى والباقون ببنائه للمفعول وبنا هو القائم مقام الفاعل وعبد الله وطلحة لانخسف بنا اي المكان وقيل بنا هو القائم مقام الفاعل كقولك انقطع بنا وهي عبارة رديئة وقيل الفاعل ضمير المصدر اي لانخسف الانخساف وهي عجيبة ايضا وعن عبد الله لتخسف بنا من فوق وتشديد السين مبنيا للمفعول وبنا قائم مقامه **فصل** ويكأن كلمة مستعملة عند التنبيه للخطأ واظهار التندم فلما قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ثم شاهدوا الخسف تنبهوا لخطائهم ثم قالوا كأنه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته وحكمته لا لكرامته عليه ويضيق على من يشاء لا لهوان من يضيق عليه بل لحكمته وقضائه ابتلاء وفتنة ❁ قال سيبويه سألت الخليل عن هذا الحرف فقال وي مفصولة من كأن وان القوم تنبهوا وقالوا متندمين على ما سلف منهم **قوله تعالى تلك الدار** مبتدأ وصفته ونجعلها هو الخبر ويجوز ان تكون الدار هو الخبر ونجعلها خبرا اخر او حالا والاول احسن وهذا تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا كرر لا ليفيد ان كلا منهما مستقل في بابه لا مجموعهما **والعاقبة للمتقين قوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها** لما بين ان الدار الآخرة ليست الا للمتقين بين بعد ذلك ما يحصل لهم فقال من جاء بالحسنة فله خير منها والمعنى انهم يزادون على ثوابهم وقوله **ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون** وظاهره انهم لا يزادون على ما يستحقون فقوله فلا يجزى الذين من اقامة الظاهر مقام المضمر تشنيعا عليهم وقوله الا ما كانوا اي الا مثل ما كانوا قال الزمخشري انما كرر ذكر السيئات لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين وهذا من فضله العظيم انه لا يجزي بالسيئة الا مثلها ويجزي الحسنة بعشر امثالها **فان قيل** قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها كرر ذكر الاحسان واكتفى في ذكر الاساءة بمرة واحدة وفي هذه الآية كرر الاساءة واكتفى في ذكر الاحسان بمرة واحدة **فالجواب** ان هذا المقام مقام ترغيب في الدار الآخرة فكانت المبالغة في النهي عن المعصية مبالغة في الدعوة الى الآخرة واما الآية الاخرى فهي شرح حالهم فكانت المبالغة في ذكر محاسنهم اولى **فان قيل** كيف قال لا يجزى السيئة الا مثلها مع ان المتكلم بكلمة الكفر اذا مات في الحال عذب ابد الآباد **فالجواب** لانه كان على عزم انه لو عاش ابدا لقال ذلك فعومل بمقتضى عزمه **قوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن** قال ابو علي فرض عليك احكامه وفرائضه **لرادك** بعد الموت **الى معاد** وتنكير المعاد لتعظيمه كأنه قال معاد واي معاد اي ليس لغيرك من البشر مثله وقيل المراد به مكة وترداده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في ذلك اليوم معاد له شان عظيم لاستيلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام واذلال حزب الكفر والسورة مكية فكان الله تعالى وعده وهو بمكة حين اوذي وهو في غلبة من اهلها انه يهاجر منها ويعيده اليها ظاهرا ظافرا وقال مقاتل انه صلى الله عليه وسلم خرج من الغار وسار في غير الطريق مخافة الطلب فلما رجع الى الطريق نزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة واشتاق اليها وذكر مولده ومولد ابيه فنزل جبريل فقال اتشتاق الى بلدك ومولدك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال له جبريل ان الله يقول ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد يعني مكة ظاهرا عليهم قال المحققون وهذا احد ما يدل على نبوته لانه اخبر عن الغيب ووقع ما اخبر به فيكون معجزا **قوله تعالى من جاء بالهدى** منصوب بمضمر اي يعلم او باعلم ان جعلناها بمعنى عالم واعملناها اعماله ووجه تعلقه بما قبله ان الله تعالى لما وعد رسوله صلى الله عليه وسلم الرد الى معاد قال قل للمشركين ربي اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في المعاد والاعزاز بالاعادة الى مكة ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العذاب في معادهم **قوله** وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب ❁ اي يوحى اليك القرآن الا رحمة من ربك قال الفراء هذا استثناء منقطع اي لكن رحمة من ربك فاعطاك القرآن وقيل متصل قال الزمخشري هذا كلام محمول على المعنى كأنه قيل وما القي اليك الكتاب الا رحمة من ربك فيكون استثناء من الاحوال او من المفعول له فلا تكونن ظهيرا للكافرين اي معينا لهم على دينهم ❁ قال مقاتل وذلك حين دعي الى دين ابائه فذكره الله نعمه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه **قوله** ولا يصدنك عن ايات الله ❁ قرأ العامة بفتح الياء وضم الصاد من صده يصده وقرئ بضم الياء وكسر الصاد من اصده بمعنى صده حكاها ابو زيد عن كلب قال ❁ اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم ❁ صدود السواقي عن انوف الحوائم ❁ واصل يصدنك يصدوننك ففعل فيه ما فعل في ليقولن وما تحبسه والمعنى لا تلتفت الى هؤلاء ولا تركن الى قولهم فيصدوك عن اتباع ايات الله يعني القرآن بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك اي الى دين ربك والى معرفته وتوحيده ولا تكونن من

المشركين ✱ قال ابن عباس الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به اهل دينه اى لا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم
ولا تدع مع الله الها اخر وهذا وان كان واجبا على الكل الا انه تعالى خاطبه به خصوصا لاجل التعليم فان قيل الرسول
كان معلوما منه انه لا يفعل شيئا من ذلك البتة فما فائدة ذلك النهي فالجواب ان الخطاب وان كان معه
لكن المراد غيره ويجوز ان يكون المعنى لا تعتمد على غير الله ولا تتخذ غيره وكيلا في امورك فان من وثق بغير الله فكانه
لم يكمل طريقه في التوحيد ثم بين انه لا اله الا هو فاتخذه وكيلا فلا يجوز اتخاذ اله سواه اى لا نافع ولا ضار ولا
معطي ولا مانع الا هو رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا فلا يجوز اتخاذ اله سواه قوله تعالى كل شيء هالك
الا وجهه من جعل شيئا يطلق على البارى وهو الصحيح قال هذا استثناء متصل والمراد بالوجه الذات وانما جرى على
عادة العرب في التعبير بالاشرف عن الجملة ومن لم يطلقه عليه جعله متصلا ايضا وجعل الوجه ما عمل لاجله
او الجاه الذي بين الناس او يجعله منقطعا اى لكن هو تعالى لم يهلك فصل استدل المعتزلة على ان الجنة والنار
غير مخلوقتين بان هذه الاية تقتضي فناء الكل فلو كانتا مخلوقتين لكان هذا ايناقض قوله تعالى في صفة الجنة اعدت
للمتقين وفي صفة النار وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين ثم اما ان تحمل قوله كل شيء هالك على الاكثر كقوله
واوتيت من كل شيء او تحمل على الفنا القليل كقوله اكلها دائم على ان فناءهما لما كان قليلا بالنسبة الى زمان بقائهما لاجرم
اطلق لفظ الدوام عليهما قوله تعالى واليه ترجعون في الاخرة والعامة على بنائه للمفعول وعيسى على بنائه للفاعل روى
الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا طسم القصص لم يبق ملك في السموات
والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان مصدقا ان كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

سورة العنكبوت

الا عشر ايات من اولها الى قوله تعالى وليعلمن المنافقين قال الشعبي فانها نزلت وهي
وستون اية وتسع ... ن كلمة واربعة الاف ومائة وخمسة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم الم احسب
الناس ان يتركوا الاية نزلت في منكري الحشر يقولون لا فائدة في التكاليف فانها مشاق في الحال ولا فائدة لها في
المال ولا مرجع بعد الهلاك والزوال فلما بين الله تعالى انهم اليه يرجعون في اخر السورة قبلها بين ان
الامر ليس على ما حسبوه بل حسن التكليف لانه يهذب الشكور ويعذب الكفور فقال احسب الناس ان يتركوا غير
مكلفين من غير عمل يرجعون به الى ربهم ولنذكر كلاما كليا في حكمة افتتاح هذه السورة بحروف التهجي
افتتاح السور بالحروف اعلم ان الحكيم اذا خاطب من يكون غافلا او من يكون مشغول البال بشغل يقدم
على الكلام المقصود شيئا غيره ليلتفت المخاطب ويقبل بقلبه عليه ثم يشرع في المقصود واعلم ان ذلك المتقدم على
المقصود قد يكون كلاما مفهوما كقول القائل يا زيد ويا زيد والا يا زيد وقد يكون المقدم صوتا غير مفهوم كمن يصفر خلف
انسان ليلتفت اليه وقد يكون ذلك الصوت بغير الفم كتصفيق الانسان بيديه ليقبل السامع عليه ثم ان توقع
الغفلة كلما كان اتم والكلام المقصود كان اهم كان المقدم على الكلام المقصود اكثر ولهذا ينادى القريب بالهمزة فيقال
ازيد والبعيد بيا فيقال يا زيد والغافل ينبه اولا فيقال الا يا زيد واذا فقول النبي صلى الله عليه وسلم وان كان يقظان
الجنان لكنه انسان يشغله شان عن شان فحسن من الحكيم ان يقدم على الكلام المقصود حروفا هي كالمنبهات وتلك الحروف
اذا لم يفهم معناها تكون اتم في افادة المقصود الذي هو التنبيه من تقديم الحروف المفهومة المعنى لان الحروف اذا
كانت مفهومة المعنى وذكرت لاقبال السامع على المتكلم لكي يسمع ما بعد ذلك فربما يظن السامع انه كل المقصود ولا كلام له
بعد ذلك فيقطع اما اذا اسمع صوتا بلا معنى فانه يقبل عليه ولا يقطع نظره عنه ما لم
يسمع غيره لجزمه بان ما سمعه اذن تقديم الحروف التي لا يفهم معناها على الكلام المقصود فيه حكمة
بالغة فان قيل ما الحكمة في اختصاص بعض السور بهذه الحروف فالجواب قال ابن الخطيب عقل البشر يعجز عن ادراك
الاشياء الكلية على تفاصيلها لكن نذكر ما يوفقنا الله له فنقول كل سورة في في اوائلها ذكر الكتاب
او التنزيل او القران كقوله تعالى الم ذلك الكتاب الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب المص كتاب انزل
يس والقران ق والقران الم تنزيل الكتاب حم والكتاب الم احسب الناس الم غلبت الروم والحكمة في افتتاح السور التي
فيها القران والتنزيل والكتاب بالحروف هي ان القران عظيم والانزال له ثقل كما قال تعالى انا سنلقي عليك قولا
ثقيلا فلذلك قدم عليها تنبيه يوجب ثبات المخاطب لاستماعه لا يقال كل السورة قران واستماعها استماع للقران
سواء كان فيها ذكر الكتاب او التنزيل او القران او لم يكن فيجب ان يكون في اول كل سورة منبه وايضا فقد وردت سور
فيها ذكر الانزال والكتاب وليس فيها حروف كقوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب سورة انزلناها تبارك

تبارك الذي نزل الفرقان انا انزلناه في ليلة القدر لانا نقول جوابا عن الاول لا ريب في ان اول كل سورة من القران لكن
السورة التي فيها ذكر القران والكتاب مع انها من القران فيها تنبيه على كل القران فان قوله تعالى طه ما انزلنا عليك
القران لتشقى مع انها بعض القران ذكر فيها جميع القران فيصير مثاله مثال كتاب يرد من ملك على مملوكه فيه شغل ما
وكتاب اخر يرد منه عليه فيه انا كتبنا اليك كتابا فيه اوامرنا فامتثله فلا شك ان هذا الكتاب الاخر اكثر ثقلا من الاول
وعن الثاني ان قوله الحمد لله وتبارك الذي تسبيحات مقصودة وتسبيح الله لا يغفل عنه العبد فلا يحتاج الى منبه
بخلاف الاوامر والنواهي واما ذكر الكتاب فيها فلبيان وصف عظمة من له التسبيح وسورة انزلناها قد بينا انها
بعض من القران فيها ذكر انزالها وفي السورة التي ذكرناها جميع القران فهو اعظم واثقل ✱ واما قوله انا انزلناه
فليس وارد على مشغول القلب بشيء غيره بدليل انه ذكر الكناية فيها وهي ترجع الى مذكور سابق او معلوم عند النبي صلى
الله عليه وسلم فكان منتبها له فلم ينبه واعلم ان التنبيه قد حصل في القران بغير الحروف التي لا يفهم معناها كقوله
تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقوله يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم لانها اشياء هائلة
عظيمة فان تقوى الله حق تقاته امر عظيم فقدم عليها النداء الذي يكون للعبد الغافل عنها ✱ واما هذه السورة
افتتحت بالحروف وليس فيها الا ابتداء بالكتاب والقران وذلك لان ثقل القران هو ما فيه من التكاليف والمعاد
وهذه السورة فيها ذكر جميع التكاليف حيث قال احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا يعني لا يتركون بمجرد
ذلك بل لا بد وان يؤمنوا بانواع التكاليف ففيها المعنى الذي في السورة التي ذكر فيها القران المشتمل على الاوامر
والنواهي فان قيل فهذا المعنى ورد في سورة التوبة وهو قوله ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ولم يقدم عليه حروف التهجي فالجواب ان هذا ابتداء كلام وهذا وقع الاستفهام بالهمزة فقال احسب وذلك
وسط كلام بدليل وقوع الاستفهام بام والتنبيه يكون في اول الكلام لا في اثنائه ✱ واما الم غلبت الروم فيجي في
موضعه ان شاء الله تعالى قوله تعالى ان يتركوا سد مسد مفعولي حسب عند الجمهور ومسد احدهما عند الاخفش
قوله تعالى ان يقولوا فيه اوجه ✱ احدها انه بدل من ان يتركوا ابدل مصدر مؤولا من مثله ✱ والثاني انها على
اسقاط الخافض وهو الباء واللام اى بان يقولوا او لان يقولوا ✱ قال ابن عطية وابو البقاء واذا قدرت الباء كان
حالا ✱ قال ابن عطية والمعنى في الباء واللام مختلف وذلك انه في الباء كما تقول تركت زيدا بحاله وهي في اللام
بمعنى من اجل اى احسبوا ان ايمانهم علة للترك انتهى وهذا تفسير معنى ولو فسر الاعراب لقال احسبوا تهم الترك
لاجل تلفظهم بالايمان ✱ وقال الزمخشري فان قلت فاين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان
قلت هو في قوله ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم
امنا فالترك اول مفعولي حسب ولقولهم امنا هو الخبر ✱ واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذي
هو بمعنى التصيير كقوله ✱ فتركته جزر السباع ينشنه ✱ الا ترى انك قبل المجيء بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير
مفتونين لقولهم امنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام ✱ فان قلت ان يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين
قلت يصح ان يقع خبر مبتدا قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتاديب وقد كان التاديب والمخافة
في قولك خرجت للشر وضربته تاديبا تعليلين وتقول ايضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتاديب
فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدا او خبرا ✱ قال ابو حيان وهذا الكلام فيه اضطراب ذكر اولا تقديره غير مفتونين
تتمة يعني انه حال لانه سبك ذلك من قوله وهم لا يفتنون وهي جملة حالية ثم ذكر ان يتركوا هنا من الترك الذي
هو تصيير ولا يصح لان مفعول صير الثاني لا يستقيم ان يكون لقولهم اذ يصير التقدير ان يصيروا لقولهم وهم
لا يفتنون وهذا كلام لا يصح ✱ واما ما مثله من البيت فانه يصح ان يكون جزر السباع مفعولا ثانيا لترك بمعنى صير بخلاف
ما قدر في الاية ✱ واما ما تقديره تركهم غير مفتونين لقولهم على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فلا يصح اذا كان تركهم بمعنى
تصييرهم وكان غير مفتونين حالا اذ لا ينعقد من تركهم بمعنى تصييرهم ولقولهم مبتدا وخبر لاحتياج تركهم بمعنى تصييرهم
الى مفعول ثان لان غير مفتونين عنده حال لا مفعول ثان ✱ واما قوله فان قلت ان يقولوا الى اخره فيحتاج الى فصل وذلك
ان قوله ان يقولوا هو علة تركهم فليس كذلك لانه لو كان علة له لكان به متعلقا كما يتعلق بالفعل ولكنه علة للخبر المحذوف
الذي هو مستقر او كائن والخبر غير المبتدا ولو كان لقولهم علة للترك لكان من تمامه فكان يحتاج الى خبر ✱ واما قوله كما تقول
خروجه لمخافة الشر فلمخافة ليس علة للخروج بل للخبر المحذوف الذي هو مستقر او كائن انتهى ✱ قال شهاب
الدين واجاب الشيخ بان الزمخشري انما نظر الى جانب المعنى وكلامه عليه صحيح ✱ واما قوله ليس علة للخروج ونحو ذلك
يعني في اللفظ واما في المعنى فهو علة له قطعا ولولا خوف الخروج فات المقصود فصل معنى الاية احسب الناس
ان يتركوا بغير اختبار ولا ابتلاء ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون لا يبتلون في اموالهم وانفسهم كلا لنختبرنهم ليتبين
المخلص من المنافق والصادق من الكاذب ✱ واختلفوا في سبب نزول هذه الاية قال الشعبي نزلت في ناس كانوا بمكة

ثم ارتدوا الى الاسلام فكتب اليهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يقبل منكم اقرار باللسان حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم
المشركون فقاتلوهم فقتل بعضهم ونجا بعضهم فانزل الله هاتين الآيتين. وقال ابن عباس نزلت في الذين آمنوا بمكة
وكانوا يعذبون سلمة بن هشام وعياش بن ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم. وقال مقاتل نزلت في مهجع
بن عبد الله مولى عمر كان اول قتيل من المسلمين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من
يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع ابواه وامرأته فانزل الله فيه هذه الآية. وقيل وهم لا يفتنون بالاوامر والنواهي
وذلك ان الله تعالى امرهم في الابتداء بمجرد الايمان ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة وسائر الشرائع فشق على بعض فانزل الله
هذه الآية ثم عزاهم فقال ولقد فتنا الذين من قبلهم يعني الانبياء والمؤمنين فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل
وابتلي بنو اسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب **قوله تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا** العامة على فتح اليا مضارع علم
المتعدية لواحد كذا قالوا وفيه اشكال تقدم وهو انها اذا تعدت لمفعول كانت بمعنى عرف وهذا المعنى لا يجوز اسناده
الى الباري تعالى لانه يستدعي سبق جهل ولانه متعلق بالذات فقط دون ما هي عليه من الاحوال. وقرأ علي وجعفر بن محمد
بضم اليا مضارع اعلم ويحتمل ان يكون من علم بمعنى عرف فلما جيء بهمزة النقل كسبتها مفعولا آخر فحذف ثم هذا المفعول
يحتمل ان يكون هو الاول اي ليعلمن الله الناس الصادقين وليعلمهم الكاذبين اي بشهرة يعرف بها هؤلاء من هؤلاء وان
يكون الثاني اي ليعلمن هؤلاء منازلهم وهؤلاء منازلهم في الآخرة ويحتمل ان يكون من العلامة وهي السمة فلا تتعدى الا
لواحد اي ليجعلن لهم علامة يعرفون بها. وقرأ الزهري الاولى كالمشهورة والثانية كالشاذة **فصل** المعنى فليعلمن
الله الذين صدقوا في قولهم آمنا وليعلمن الكاذبين. قال المفسرون ظاهر الآية يدل على تجدد العلم والله تعالى عالم بهم
قبل الاختبار ومعنى الآية فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه. وقال مقاتل فليرين الله. وقيل
ليميزن الله كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب. وقال ابن الخطيب الآية محمولة على ظاهرها وذلك ان علم الله صفة
يظهر فيها كل ما هو واقع كما هو واقع فقبل التكليف كان الله تعالى يعلم ان زيدا مثلا سيطيع وعمرا سيعصي ثم وقت التكليف
والاتيان يعلم انه مطيع والآخر عاص وبعد الاتيان يعلم انه اطاع والآخر عصى ولا يتغير علمه في شيء من الاحوال
وانما المتغير المعلوم ومثال ذلك في الحسيات ان المرآة الصافية الصقيلة اذا علقت في موضع وقوبل بوجهها جهة
ثم عبر عليها زيد لابسا ثوبا ابيض يظهر فيها زيد في ثوب ابيض واذا عبر عليها عمرو في ثوب اصفر يظهر فيها كذلك فهل يقع في ذهن
احد ان المرآة في كونها حديدة تغيرت او يقع له انها تبدلت او انها في صفائها اختلفت او تخطر بباله انها عن
مكانها انتقلت لا يقع لاحد شيء من هذه الاشياء ويقطع بان المتغير انما هو الخارجات فعلم الله من هذا المثال بل اعلى من هذا
المثال فان المراد بمكنة المتغير وعلم الله غير ممكن التغيير فقوله فليعلمن الله الذين صدقوا يعني يعلم من علم الله انه يأتي
بالطاعة فيعلم انه مطيع بذلك العلم وليعلمن الكاذبين يعني من قال انا مؤمن وكان كاذبا فيفرض العبادات عليه
يظهر منه ذلك ويعلم. وفي قوله الذين صدقوا بصيغة الفعل وفي قوله الكاذبين فائدة مع ان الاختلاف في اللفظ
ادل على الفصاحة وهي ان اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضي
لا يدل عليه كما يقال فلان شرب الخمر وفلان شارب الخمر وفلان نفذ امره وفلان نافذ الامر
لا يفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ ويفهم من اسم الفاعل ذلك اذا ثبت هذا فنقول وقت نزول الآية كانت
الحكاية عن قوم قريب العهد بالاسلام في اوائل ايجاب التكاليف وعن قوم قديمين في الكفر مستمرين فيه فقال في حق
المؤمنين الذين صدقوا بصيغة الفعل اي وجد منهم الصدق وقال في حق الذين كفروا الكاذبين بالصيغة المفهمة
للثبات والدوام ولهذا قال يوم ينفع الصادقين صدقهم بلفظ اسم الفاعل لان في اليوم المذكور يكون الصدق قد
رسخ في المؤمن وهو اليوم الآخر **قوله تعالى** ام حسب الذين يعملون السيئات. ام هذه منقطعة فتقدر ببل والهمزة
عند الجمهور والاضراب انتقال لا ابطال. وقال ابن عطية ام معادلة للالف في قوله احسب وكأنه عز وجل قرر
الفريقين قرر المؤمنين على انهم لا يفتنون وقرر الكافرين انهم يسبقون نقمات الله. قال ابو حيان ليست معادلة
اذ لو كانت كذلك لكانت متصلة ولا جائز ان تكون متصلة لفقد شرطين احدهما ان ما بعدها ليس مفردا او لا ما في قوته
والثاني انه لم يكن هنا ما يجاب به من احد شيئين او اشيا. وجوز الزمخشري في حسب هذه ان تتعدى لاثنين وجعل
ان وما في خبرها سد مسدهما كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة وان تتعدى لواحد على انها مضمنة معنى قدر الا ان
التضمين لا ينقاس **قوله تعالى** ساء ما يحكمون يجوز ان يكون ساء بمعنى بئس فيكون ما اما موصولة بمعنى الذي ويحكمون
صلتها وهي فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف اي حكمهم ويجوز ان يكون ما تمييزا ويحكمون صفتها والفاعل مضمر
مفسرة ما والمخصوص ايضا محذوف ويجوز ان تكون ما مصدرية وهو قول ابن كيسان فعلى هذا يكون التمييز محذوفا
والمصدر المؤول مخصوص بالذم اي ساء حكما حكمهم وقد تقدم حكم ما اذا اتصلت ببئس مشبعا في البقرة ويجوز ان
يكون ساء بمعنى قبح فيجوز في ما ان تكون مصدرية وبمعنى الذي ونكرة موصوفة وهي يحكمون دون حكموا اما للتنبيه

على ان هذا بدل منهم واما لو فوقعه موقع الماضي لاجل المفاصلة **فصل** لما بين حسن التكليف بقوله احسب الناس ان يتركوا بين
ان من كلف بشيء ولم يأت به يعذب وان لم يعذب في الحال فسيعذب في الاستقبال ولا يفوت الله شيء في الحال ولا في
المآل فقوله ام حسب الذين يعملون السيئات يعني الشرك ان يسبقونا اي يعجزونا ويفوتونا فلا نقدر على الانتقام منهم
ساء ما يحكمون بئس ما حكموا حين ظنوا ذلك **قوله تعالى** من كان يرجو يجوز ان يكون من شرطية وان تكون موصولة
ودخلت الفا لشبهها بالشرطية **فان قيل** المعلق بالشرط عدم عند عدم الشرط فمن لا يرجو لقاء الله لا يكون اجل الله آتيا له
وهذا باطل لان اجل الله آت لا محالة من غير تقييد بشرط **فالجواب** ان قوله فان اجل الله لآت ليس بجواب بل الجواب
محذوف اي فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا كما قد صرح به. وقال ابن الخطيب المراد من ذكر اتيان
الاجل وعد المطيع بما بعده من الثواب اي من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لآت يثاب الله اي يثاب على طاعته ومن
لا يرجو لقاء الله فلا يكون اجل الله آتيا له على وجه الثواب **فصل** قال ابن عباس ومقاتل من كان يخشى البعث
والحساب والرجا بمعنى الخوف. وقال سعيد بن جبير من كان يطمع في ثواب الله فان اجل الله يعني ما وعد الله من
الثواب والعقاب. وقال مقاتل يعني ان يوم القيامة لكائن والمعنى ان من يخشى الله ويأمله فليستعد له وليعمل
لذلك اليوم كقوله فمن كان يرجو لقاء ربه الآية كما تقدم وهو السميع العليم ولم يذكر صفة غيرهما لانه سبق القول
في قوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وسبق الفعل بقوله وهم لا يفتنون وبقوله فليعلمن الله الذين
صدقوا وقوله ام حسب الذين يعملون السيئات ولا شك ان القول يدرك بالسمع والعمل منه ما يدرك بالبصر ومنه
ما لا يدرك به والعلم يشملها فقال وهو السميع العليم اي يسمع ما قالوه ويعلم من صدق فيما قال ومن كذب
او عليم بما يعمل فيثيب ويعاقب **قوله تعالى** ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه اي له ثوابه والجهاد هو الصبر على الشدة
ويكون ذلك في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس **فان قيل** هذه الآية تدل على ان الجزاء على العمل واجب فان قوله فانما
يجاهد لنفسه يفهم منه ان من جاهد ربح بجهاده ما لولاه لما ربح **فالجواب** هو كذلك ولكن بحكم الوعد لا بالاستحقاق
فان قيل قوله فانما يقتضي الحصر فيكون جهاد المرء لنفسه فقط فيكون جهاد المرء لا ينتفع به غيره وليس كذلك فان
من جاهد ينتفع به هو ومن يريد نفعه حتى ان الوالد والولد ببركة المجاهد وجهاده ينتفعون به **فالجواب**
ان ذلك نفع له فان انتفاع الولد انتفاع للاب والحصر هنا معناه ان جهاده لا يصل الى الله منه نفع ويدل عليه قوله ان
الله لغني عن العالمين اي عن اعمالهم وعباداتهم **قوله تعالى** والذين آمنوا يجوز ان يكون مرفوعا بالابتداء والخبر
جملة القسم المحذوفة وجوابها اي والله لنكفرن ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مضمر على الاشتغال اي ولنخلص الذين
آمنوا من سيئاتهم والتكفير اذهاب السيئة بالحسنة والمعنى لنذهبن سيئاتهم حتى يصير بمنزلة من لم يعمل **فان
قيل** قوله فلنكفرن لهم سيئاتهم **فالجواب** ما من مكلف الا وله سيئة اما غير الانبيا فظاهر واما الانبيا فلان
ترك الافضل منهم كالسيئة من غيرهم ولهذا قال تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم **قوله تعالى** احسن الذي كانوا
قيل على حذف مضاف اي ثواب والمراد باحسن هنا مجرد الوصف قيل لئلا يلزم ان يكون جزاؤهم بالحسن مسكوتا
عنه وهذا ليس بشيء لانه من باب الاولى اذا جازاهم بالاحسن جازاهم بما دونه فهو من التنبيه على الادنى بالاعلى
قال المفسرون معناه يجزيهم باحسن اعمالهم وهو الطاعة وقيل نعطيهم اكثر مما عملوا واحسن كما قال من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها **قوله تعالى** ووصينا الانسان بوالديه الآية لما بين حسن التكاليف وبين ثواب المطيع وحرض
المكلف على الطاعة ذكر ما يمنع المكلف من اتباعه فقال ان الانسان ان انقاد لاحد ينبغي ان ينقاد لابويه ومع هذا
لو امراه بالمعصية لا يجوز **قوله تعالى حسنا** فيه اوجه احدها انه نعت مصدر محذوف اي ايصاء حسنا اما على المبالغة
جعل نفس الحسن واما على حذف مضاف اي ذا حسن. الثاني انه مفعول به قال ابن عطية وفي ذلك تجوز والاصل
ووصينا الانسان بالحسن في فعله مع والديه ونظير هذا قول الشاعر: عجبت من دهماء اذ تشكونا
ومن ابي دهماء اذ يوصينا ... خيرا بها كأننا جافونا. ومثله قول الحطيئة: وصيت من برة قلبا حرا
بالكلب خيرا والحماة شرا. وعلى هذا فيكون الاصل ووصيناه بحسن في بر والديه ثم جر الوالدين بالبا فانتصب حسنا
وكذلك البيان والباقي الآية والتبيين في هذه الحالة للظرفية. الثالث ان بوالديه هو المفعول الثاني فنصب حسنا
باضمار فعل اي يحسن حسنا فيكون مصدرا مؤكدا كذا قيل وفيه نظر لان عامل المؤكد لا يحذف. الرابع انه مفعول
به على التضمين اي الزمناه حسنا. الخامس انه على اسقاط الخافض اي بحسن وعبر صاحب التحرير عن ذلك بالقطع. السادس
ان بعض الكوفيين قدره ووصينا الانسان ان يفعل بوالديه حسنا وفيه حذف ان وصلتها وابقاء معمولها ولا
يجوز عند البصريين. السابع ان التقدير ووصيناه بايتاء والديه حسنا وفيه حذف المصدر وابقاء معموله ولا
يجوز. الثامن انه منصوب انتصاب زيدا في قولك لمن رأيته متهيئا للضرب زيدا اي اضرب زيدا والتقدير هنا
اولهما حسنا او افعل بهما حسنا قاله الزمخشري. وقرأ عيسى والجحدري حسنا بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل

وقد تقدم ذلك في اوائل البقرة وقرأ احسانا من قوله تعالى وبالوالدين احسانا **فصل** معنى حسنا اي برا بهما وعطفا عليهما
والمعنى ووصينا الانسان ان يفعل بوالديه ما يحسن نزلت هذه الاية والتي في سورة لقمن والاحقاف في سعد بن ابي
وقاص وهو سعد بن مالك ابو اسحق الزهري وامه حمنة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس لما اسلم وكان من السابقين
الاولين وكان بارا بامه قالت امه ما هذا الدين الذي احدثت والله لا اكل ولا اشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت
فتعير بذلك ابد الدهر ويقال يا قاتل امه ثم انها مكثت يوما وليلة لم تاكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت قد جهدت ثم مكثت يوما
اخر لم تاكل ولم تشرب فجاء سعد اليها وقال يا اماه لو كانت مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني فكلي وان شئت فلا
تاكلي فلما ايست منه اكلت وشربت فانزل الله هذه الاية وامره بالبر بوالديه والاحسان اليهما. واعلم انه انما امر
بالاحسان للوالدين لانهما سبب وجود الولد بالولادة وسبب بقائه بالتربية المعتادة والله تعالى سبب له في
الحقيقة بالارادة وسبب بقائه بالاعادة للسعادة فهو اولى بان يحسن العبد حاله معه **قوله تعالى** وان جاهداك
لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما. قال عليه السلام لا طاعة لمخلوق في معصية الله ثم اوعد بالمصير اليه فقال
الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون اخبركم بصالح اعمالكم وسيئها فاجازيكم عليها كانه تعالى يقول لا تظنوا اني غائب
عنكم وابا وكم حاضرون تتوافقون الحاضرين في الحال اعتمادا على غيبتي وعدم علمي بمخالفتكم اباي فاني حاضر معكم
اعلم ما تعملون ولا انسى فانبئكم بجميعه **قوله تعالى** والذين امنوا. يجوز فيه الرفع على الابتدا او النصب على الاشتغال
وقوله لندخلنهم في الصالحين اي نجعلهم منهم وندخلهم في اعدادهم كما تقول الفقيه داخل في العلماء والمعنى نجعلهم
من جملة الصالحين وهم الانبياء والاولياء. وقيل في مدخل الصالحين وهو الجنة **فان قيل** ما الفائدة في اعادة الذين
امنوا وعملوا الصالحات **فالجواب** انه ذكر الذين امنوا وعملوا الصالحات اولا لبيان حال المهتدي وثانيا لبيان حال
الهادي لانه قال اولا لنكفرن عنهم سيئاتهم وقال ثانيا لندخلنهم في الصالحين والصالحون هم الهداة لانها مرتبة
الانبياء ولهذا قال ابراهيم عليه السلام الحقني بالصالحين **قوله تعالى** ومن الناس من يقول امنا بالله. المكلفون
ثلاثة اقسام مومن ظاهر بحسن اعتقاده وكافر مجاهر بكفره وعناده ومذبذب بينهما يظهر الايمان بلسانه ويضمر
الكفر بالله تعالى لما بين القسمين الاولين بقوله فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وبين احوالهما
بقوله ام حسب الذين يعملون السيئات الى قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات بين القسم الثالث وهو المنافق
فقال ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله. اصابه بلاء من الناس افتتن وجعل فتنة الناس كعذاب
الله اي جعل اذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الاخرة اي جزع من اذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما يطيع
الله من يخاف عذابه. قال السدي وابن زيد هذا في المنافق اذا اوذي في الله رجع عن الدين وكفر. واعلم انه قال
فتنة الناس ولم يقل عذاب الناس لان فعل العبد ابتلاء من الله وفتنة سلط بعض الناس على من اظهر كلمة الايمان ليوذيه
فيتبين منزلته كما جعل التكاليف ابتلاء وامتحانا وهذا اشارة الى ان الصبر على البلية الصادرة من الانسان كالصبر
على العبادات **فان قيل** هذا يقتضي منع المومن من اظهار كلمة الكفر بالاكراه لان من اظهر كلمة الكفر بالاكراه احترز عن التعذيب
العاجل يكون قد جعل فتنة الناس كعذاب الله **فالجواب** ليس كذلك لان من اكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان لم يجعل
فتنة الناس كعذاب الله لان عذاب الله يوجب ترك ما يعذب عليه ظاهرا وباطنا بل في باطنه الايمان **قوله تعالى** ولئن
جاء نصر من ربك. اي فتح ودولة للمومنين ليقولن يعني هولاء المنافقين للمومنين انا كنا معكم على عدوكم وقال ولئن
جاء نصر من ربك ولم يقل ولئن جاءكم ولئن جاءكم النصر لو جاءهم ما كانوا يقولون انا معكم وهذا يقتضي ان يكونوا قائلين
انا معكم اذا جاء النصر لكن النصر لا يجي الا للمومنين كما قال تعالى وكان حقا علينا نصر المومنين ولان غلبة الكافر على
المسلم ليس بنصر لان النصر ما يكون عاقبته سليمة بدليل ان احد الجيشين اذا انهزم في الحال ثم كر المهزوم كرة
اخرى وهزموا الغالبين لا يطلق اسم النصر الا على من كان له العاقبة فكذلك المسلم وان كسر في الحال فالعاقبة
للمتقين والنصر لهم في الحقيقة **فان قيل** قال ولئن جاء نصر من ربك ولم يقل من الله مع ان ما تقدم كله بذكر
الله كقوله اوذي في الله وقوله كعذاب الله فما الحكمة في ذلك **فالجواب** لان الرب اسم مدلوله الخاص به
الشفقة والرحمة وعند العذاب ذكر اللفظ الدال على العظمة **قوله تعالى** ليقولن. العامة على ضم اللام اسند
الفعل لضمير جماعة حملا على معنى من بعد ان حمل على لفظها ونقل ابو معاذ النحوي انه قرا ليقولن بالفتح جريا
على مراعاة لفظها ايضا وقراءة العامة احسن لقوله انا كنا **فصل** المعنى ان المنافقين لما قالوا انا معكم اي على
عدوكم وكنا مسلمين وانما اكرهنا حتى قلنا ما قلنا فكذبهم الله وقال اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين
من الايمان والنفاق ولما بين انه اعلم بما في قلوب العالمين بين انه يعلم المومن المحق وان لم يتكلم والمنافق
وان لم يتكلم فقال وليعلمن الله الذين امنوا صدقوا فثبتوا على الاسلام عند البلاء وليعلم المنافقين
بترك الاسلام عند البلاء وتقدم الكلام على نظير ذلك قال عكرمة عن ابن عباس نزلت في الذين اخرجهم المشركون

في بدر وهم الذين نزلت فيهم ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم. وقال مجاهد نزلت في اناس كانوا يومنون بالسنتهم
فاذا اصابهم بلاء من الناس او مصيبة في انفسهم افتتنوا. وقال قتادة نزلت في القوم الذين ردهم المشركون الى مكة
قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا. قال مجاهد هذا قول كفار مكة لمن امن منهم وذلك ان الكافر
يقول للمومن نصبر في الذل وعلى الابتلاء اي شيء ولم لا تدفع عن نفسك الذل والعذاب بموافقتنا فيجيبه المومن بان
يقول خوفا من عذاب الله على خطيئة مذهبكم فقالوا لا خطيئة فيه وان كان فيه خطيئة فعلينا **قوله تعالى** ولنحمل
امر في معنى الخبر. قال الزمخشري هو في معنى قول من يريد اجتماع امرين في الوجود فيقول ليكن منك العطاء وليكن
مني الدعاء فقوله ولنحمل اي ليكن منا الحمل وليس هو في الحقيقة امر طلب وايجاب. وقرا الحسن وعيسى بكسر لام الامر
وهو لغة الحجاز قال الزمخشري وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن امن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى
كان ذلك فانا نتحمل. قال ابو حيان هذا تركيب عجمي من جهة ادخال حرف الشرط وهي جامدة واستعمالها من غير اسم
ولا خبر وايلائها كان. وقرا العامة خطاياكم جمع تكسير وداود بن ابي هند من خطيئاتهم جمع سلامة وعنه ايضا
خطيئتهم بالتوحيد والمراد الجنس وهذا اشبه بقراءة واحاطت به خطيئته وخطيئاته وعنه ايضا خطيئتهم بفتح الطاء
وكسر الياء يعني بكسر الهمزة الغريبة من الياء لاجل تسهيلها بين بين ومن شي هو مفعول بحاملين ومن خطاياهم حال
منه لانه تقدم عليه انتصب حالا **فصل** معنى الاية اتبعوا سبيلنا اي ديننا وملة ابائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله
تصيبكم وهو قولهم ولنحمل خطاياكم نظير هذه القضية فليلقه اليم بالساحل ثم كذبهم الله تعالى فقال وما هم
بحاملين من خطاياهم من شي انهم لكاذبون فيما قالوا **فان قيل** قال وما هم بحاملين من خطاياهم من شي وقال بعد وليحملن
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فنفى الحمل اولا واثبت الحمل ثانيا فكيف الجمع بينهما **فالجواب** ان قول القائل حمل فلان عن
فلان يريد ان حمل فلان خف فاذا لم يخف حمله فلا يكون قد حمل عنه شيئا فقوله وما هم بحاملين من خطاياهم
يعني لا يرفعون عنهم خطيئة بل يحملون اوزار انفسهم واوزارا بسبب اضلالهم كقوله عليه السلام من سن سنة
سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من وزره شي والمعنى وليحملن اوزار اعمالهم التي عملوها بانفسهم
واثقالا مع اثقالهم اي اوزارا مثل اوزار من اضلوا مع اوزارهم كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار
الذين يضلونهم بغير علم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون سوال توبيخ وتقريع وذلك الافترا يحتمل ثلاثة
وجه. احدها قولهم ولنحمل خطاياكم كان لاعتقادهم ان لا خطيئة في الكفر ثم يوم القيامة يظهر لهم خلاف ذلك
فيسالون عن ذلك الافترا. وثانيها ان قولهم ولنحمل خطاياكم كان لاعتقادهم ان لا حشر فاذا جاء يوم القيامة ظهر خلاف
ذلك فيسالون ويقال لهم اما قلتم ان لا حشر. وثالثها انهم لما قالوا نحمل خطاياكم يوم القيامة يقال لهم فاحملوا
خطاياهم فلا يحملون ويسالون فيقال لهم فلم افتريتم **قوله تعالى** ولقد ارسلنا نوحا الى قومه الاية. لما بين
التكليف وذكر اقسام المكلفين ووعد المومن الصادق بالثواب العظيم واوعد الكافر والمنافق بالعذاب الاليم
وكانه قال هذا التكليف ليس مختصا بالنبي واصحابه وامته حتى يبعث عليهم بل قبله كان كذلك كما قال تعالى ولقد
فتنا الذين من قبلهم فذكر من الذين كلفوا قبله نوح عليه السلام وقومه وابراهيم عليه السلام وغيرهما
قوله تعالى الف سنة. منصوب على الظرف الا خمسين عاما منصوب على الاستثناء وفي وقوع الاستثناء من اسماء
العدد خلاف ولما نعين عنه جواب عن هذه الاية وقد روعيت هنا نكتة لطيفة وهو انه غاير بين تمييزي العدد
فقال في الاول سنة وفي الثاني عاما لئلا يثقل اللفظ ثم انه خص لفظ العام بالخمسين ايذانا بان نبي الله صلى الله عليه
وسلم لما استراح منهم بقي في حسن والعرب تعبر عن الخصب بالعام وعن الجدب بالسنة **فصل** قال بعضهم
ان الاستثناء في العدد تكلم بالباقي فاذا قال القائل لفلان علي عشرة الا ثلاثة فكانه قال علي سبعة اذا علم
هذا فقوله الف سنة الا خمسين عاما كقوله تسعمائة وخمسين سنة فما الفائدة في العدول عن هذه العبارة
الى غيرها فقال الزمخشري فيه فائدتان. احدهما ان الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب
فان من قال عاش فلان الف سنة يمكن ان يتوهم انه يقول الف سنة تقريبا لا تحقيقا فاذا قال الا شهرا
او الا سنة يزول ذلك التوهم ويفهم منه التحقيق. الفائدة الثانية هي ان ذكر لبث نوح عليه السلام في قومه
كان ليبين ان الله صبر اكثر فالنبي عليه السلام اولى بالصبر مع قصر مدته **قوله تعالى** فاخذهم الطوفان فغرقوا
وهم ظالمون. قال ابن عباس مشركون وفيه اشارة الى ان الله لا يعذب على مجرد وجود الظلم ولا يعذب من ظلم وتاب
بان الظلم وجد منه وانما يعذب على الاصرار على الظلم لقوله وهم ظالمون يعني اهلكهم وهم متلبسون بالظلم
قوله تعالى فانجيناه واصحاب السفينة. يعني من الغرق وجعلناها يعني السفينة اية اي عبرة للعالمين. وفي كونها
اية وجوه. احدها كانت باقية على الجودي مدة مديدة. وثانيها ان نوحا امر باخذ قومه معه ورفع قدر من الزاد
والبحر العظيم لا يتوقع احد بقطعه ثم ان الماء غيض قبل نفاد الزاد ولولا ذلك لما حصل النجاة فهو بفضل الله لا بمجرد

السفينة وثانيها ان الله سلم السفينة من الرياح المزعجة والحيوان المؤذية ولولا ذلك لما حصلت النجاة وقيها
انما في جعلناه راجعة الى الواقعة او الى النجاة او العقوبة بالغرق **فصل** قال ابن عباس بعث نوح لاربعين
سنة وبقي في قومه يدعوهم الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا
وكان عمره الفا وخمسين سنة وروى عن ابن عباس انه بعث وهو ابن اربعمائة وثمانين سنة وعاش بعد
الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة فان كان هذا محفوظا عن ابن عباس فيضاف الى لبثه في قومه وهو تسعمائة
وخمسون سنة فيكون قد عاش الف سنة وسبعمائة وثمانون سنة واما قبره عليه السلام فروى ابن
جرير والازرقي عن عبد الله مرسلا ان قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام وقيل ببلدة بالبقاع يعرف اليوم
بكرك نوح وهناك جامع قد بني بسبب ذلك والاول اقوى واثبت **قوله تعالى** وابراهيم اي وارسلنا ابراهيم
والعامة على نصبه عطفا على نوحا او باضمار اذكر او عطفا على ها انجيناه والنخعي وابو جعفر وابو حنيفة وابراهيم
رفعا على الابتداء والخبر مقدر اي ومن المرسلين ابراهيم وقوله اذ قال بدل من ابراهيم بدل اشتمال فان قلنا
هو ظرف ارسلنا اي ارسلنا ابراهيم اذ قال لقومه ففيه اشكال لان قوله لقومه اعبدوا الله دعوة والارسال
يكون قبل الدعوة فكيف يفهم من قوله وارسلنا ابراهيم حين قال لقومه مع انه يكون مرسلا قبل ذلك
فالجواب هذا كقول القائل وقفت للامير اذ خرج من الدار وقد يكون الوقوف قبل الخروج لكن لما كان
الوقوف ممتدا الى ذلك الوقت صح ذلك **فصل** معنى اعبدوا الله واتقوه واطيعوا الله وخافوه وقيل
اعبدوا الله اشارة الى الاتيان بالواجبات واتقوه اشارة الى الامتناع عن المحرمات ذلكم خير لكم ان كنتم
تعلمون اي عبادة الله وتقواه خير لان خلاف عبادة الله تعطيل وخلاف تقواه شرك وكلاهما شر انما تعبدون
من دون الله اوثانا اصناما فلا تستحق العبادة لكونها اصناما منحوتة لا شرف لها **قوله** وتخلقون افكا
العامة على فتح التاء وسكون الخاء ورفع اللام مضارع خلق وافكا بكسر الهمزة وسكون الفاء اي وتختلقون كذبا
او تتخذون اصناما وعلي بن ابي طالب وزيد بن علي والسلمي وقتادة بفتح الخاء واللام مشددة وهو مضارع
تخلق والاصل تتخلقون بتاءين فحذفت احديهما كتنزل ونحوه وروى عن زيد بن علي ايضا تخلقون بضم التاء
وتشديد اللام مكسورة مضارع خلق مضعفا وقرا ابن الزبير وفضيل بن زرقان افكا بفتح الهمزة وكسر
الفاء وهو مصدر كالكذب معنى ووزنا وجوز الزمخشري في الافك بالكسر والسكون وجهين احدهما ان يكون مخففا
من الافك بالفتح والكسر كالكذب واللعب واصلهما الكذب واللعب وان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا
قال شهاب الدين وتقديره مضافا فاقبل افك مع جعله له صفة غير محتاج اليه وانما كان يحتاج اليه لو جعله
مصدرا **قوله تعالى** ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا لا يقدرون ان يرزقوكم وهذا
اشارة الى عدم المنفعة في الحال والمال **قوله** رزقا يجوز ان يكون منصوبا على المصدر وناصبه لا يملكون لانه
في معناه وعلى اصول الكوفيين يجوز ان يكون الاصل لا يملكون ان يرزقوكم رزقا فان يرزقوكم هو مفعول
يملكون ويجوز ان يكون بمعنى المرزوق فينتصب مفعولا به فابتغوا فاطلبوا عند الله الرزق وهذا اشارة
الى استحقاق عبوديته لذاته **فان قيل** قال لا يملكون لكم رزقا فنكر الرزق وقال فابتغوا عند الله الرزق فعرفه
فما الفائدة قال الزمخشري نكره في معرض النفي اي لا رزق عندهم اصلا وعرفه عند الاثبات عند الله تعالى
اي كل الرزق عنده فاطلبوه منه وفيه وجه اخر وهو ان الرزق من الله معروف بقوله وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها والرزق من الاوثان غير معلوم فقال لا يملكون رزقا لعدم حصول العلم به وقال
فابتغوا عند الله الرزق اي الموعود به ثم قال فاعبدوه واشكروا له اعبدوه لكونه مستحقا للعبادة لذاته واشكروا له لكونه
سابق النعم الى الخلق واليه ترجعون اي اعبدوه لكونه مرجاه منه يتوقع الخير لا من غيره **قوله تعالى** وان يكذبوا فقد كذب
امم من قبلكم في المخاطب بهذه الاية وجهان الاول انه قوم ابرهيم لان القصة لابرهيم فكان ابرهيم قال لقومه ان يكذبوا
فقد كذب امم من قبلكم واذا ثبت بما على من التبليغ فان الرسول ليس عليه الا البلاغ والبيان **فان قيل** ان ابراهيم
لم يسبقه الا قوم نوح وهم امة واحدة **فالجواب** ان قبل نوح ايضا كان اقوام كقوم ادريس وقوم شيث وادم وايضا
قال نوحا عاش اكثر من الف سنة وكان القرن يموت ويجي اولاده والاباء يوصون الابناء بالامتناع عن الاتباع
فكفى بقوم نوح امما الثاني ان الاية خطاب مع قوم محمد صلى الله عليه وسلم لان هذه القصص اكثرها المقصود
منه تذكير قومه بحال من مضى حتى يمتنعوا من التكذيب ويرتدعوا خوفا من التعذيب فقال في اثنا حكايتهم
يا قوم ان تكذبوا فقد كذب قبلكم اقوام هلكوا فان كذبتم فاني اخاف عليكم ان يقع بكم ما وقع بغيركم وهذه
الاية تدل على انه لا يجوز تاخير البيان عن وقت الحاجة لان الرسول اذا ابلغ شيئا ولم يبينه فلم يات بالبلاغ
المبين **قوله تعالى** اولم يروا كيف قرا الاخوان وابو بكر بالخطاب على خطاب ابرهيم لقومه بذلك والباقون

بالغيبة ردا على الامم المكذبة **قوله تعالى** كيف يبدئ العامة على ضم الياء من ابدا والزبيري وثوبي وابو عمرو بخلاف عنه يبدأ
مضارع وقد صرح بما يبينه هنا حيث قال كيف بدا الخلق وقرا الزهري كيف بدا الخلق بالف صريحة وهو تخفيف
على غير قياس وقياسه بين بين وهو في المشهور كقوله فارعي فزاره لا هناك المرتع **فصل** المعنى اولم يروا كيف
يخلقهم الله ابتداء نطفة ثم علقة ثم مضغة **فان قيل** متى راى الانسان بدا الخلق حتى يقال اولم يروا كيف يبدئ الله
الخلق **فالجواب** ان المراد بالرؤية العلم الواضح الذي كالرؤية والعاقل يعلم ان البدا من الله لان الخلق الاول
لا يكون من مخلوق والا لما كان الخلق الاول خلقا اول فهو من الله هذا ان قلنا ان المراد اثبات نفس الخلق وان قلنا
ان المراد بالبدا خلق الادمي اولا وبالاعادة خلقا ثانيا فنقول العاقل لا يخفى عليه ان الخالق نفسه ليس الا
حكيم يصور الاولاد في الارحام ويخلقه من نطفة في غاية الاتقان والاحكام فذلك الذي خلق اولا معلوم ظاهر
فاطلق على ذلك العلم لفظ الرؤية وقال اولم يروا اي يعلموا ولم يعلموا علما ظاهرا واضحا كيف يبدا الله الخلق وهو
من هذا هو من ماء وتراب يجمعه فكذلك يجمع اجزاءه من التراب وينفخ فيه روحه بل هو اسهل بالنسبة اليكم فان من
نحت حجارة حتى صارت اصناما ثم كسرها وفرقها فان وضعه شيئا يحتاج شيء في هذه النوبة اسهل لان الحجارة منحوتة
معلومة مواضعها **فان قيل** علق الرؤية بالكيفية لا بالخلق ولم يقل ولم يروا ان الله خلق او بدا الخلق والكيفية
غير معلومة **فالجواب** هذا القدر من الكيفية معلوم وهو انه خلقه ولم يك شيئا مذكورا وانه خلقه من نطفة
هي من غذا هو من ماء وتراب وهذا القدر كاف في حصول العلم بامكان الاعادة **فان قيل** قال ثم يعيده ان ذلك على الله
يسير ايرز اسمه مرة اخرى ولم يقل ان ذلك عليه يسير كما قال ثم يعيده من غير ابراز **فالجواب** انه مع اقامة
البرهان على انه يسير اكده باظهار اسمه فانه يوجب المعرفة ايضا بكون ذلك يسيرا فان الانسان اذا سمع لفظ الله
وفهم معناه انه الحي القادر بقدرة كاملة لا يعجزه شيء محيط بذرات كل جسم نافذ الارادة يقطع بجواز الاعادة **قوله
تعالى** قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق اي انظروا الى ديارهم واثارهم كيف بدا خلقهم **فان قيل** اظهر اسم
الله في الاية الاولى عند البدا فقال كيف يبدئ الله واضمره عند الاعادة وههنا اضمره عند البدء وابرزه
عند الاعادة فقال ثم الله ينشئ **فالجواب** انه في الاية الاولى لم يسبق ذكر الله بفعل حتى يسند اليه البدا
فقال كيف يبدا الله الخلق ثم يعيده كقولك ضرب زيد عمرا ثم ضرب بكرا ولا يحتاج الى اظهار اسم زيد اكتفا
بالاول وفي الثانية كان ذكر البدا مسندا الى الله فاكتفي به ولم يبرزه واما اظهاره عند الانشاء ثانيا فقال ثم
الله ينشئ مع انه كان يكفي ان يقول ثم ينشئ النشاة الاخرة لحكمة بالغة وهي ان مع اقامة البرهان على امكان
الاعادة اظهر اسمه حتى يفهم المسمى به صفات كماله ونعوت جلاله فيقطع بجواز الاعادة فقال ثم الله مظهر ليقع
في ذهن الانسان من اسمه كمال قدرته وشمول علمه ونفوذ ارادته فيعترف بوقوع بدئه وجواز اعادته **فان
قيل** فلم لم يقل ثم الله يعيده بعين ما ذكرت من الحكمة فنقول لوجهين احدهما ان الله كان مظهرا مبرزا بقرب
في قوله يبدا الله الخلق لم يكن بينهما الا لفظ الخلق واما هنا فلم يذكر غير البدا فاظهره وثانيهما ان الدليل
هنا تم على جواز الاعادة لان الدليل منحصر في الافاق وفي الانفس كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي
انفسهم ففي الاية الاولى اشار الى الدليل الحاصل من الافاق بقوله سيروا في الارض وعندها تم الدليلان فاكد
باظهار اسمه واما الدليل الاول فاكده بالدليل الثاني فلم يقل ثم الله يعيده **فان قيل** قال في الاولى اولم يروا
كيف يبدئ الله الخلق بلفظ المستقبل وههنا قال فانظروا كيف بدا بلفظ الماضي فما الحكمة **فالجواب**
ان الدليل الاول هو الدليل النفسي الموجب فانظروا الى الاشيا المخلوقة فيحصل لكم العلم بان الله بدا خلقا
ويحصل من هذا القدر بانه ينشئ **فان قيل** قال في هذه الاية ان الله على كل شيء قدير وقال في الاولى ان ذلك
على الله يسير فما فائدته **فالجواب** فيه فائدتان احدهما ان الدليل الاول هو الدليل النفسي وهو وان كان
موجبا للعلم التام ولكن عند انضمام الدليل الافاقي اليه تحصل العلم التام لانه بالنظر في نفسه علم حاجته الى
غيره ووجوده منه فتم علمه بان كل شيء من الله فقال عند تمام الدليل ان الله على كل شيء قدير وقال عند الدليل
الواحد ان ذلك وهو الاعادة على الله يسير الفائدة الثانية ان العلم الاول تم وان كان الثاني اعم وكون
الاعم يسيرا على الفاعل اتم من كونه مقدورا له بدليل قولك لمن يحمل غاية ما انه قادر عليه ولا يقول انه سهل على
فاذا سئلت عن حمله عشرة امنا يقول ذلك سهل يسير فيقول كان التقدير ان لم يحصل لكم العلم التام بان هذه
الامور عند الله سهل يسير فتيسروا في الارض ليعلموا انه مقدور ونفس كونه مقدورا كاف في امكان الاعادة
قوله تعالى ثم الله ينشئ النشاة قرا ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد هنا والنجم والواقعة والباقون بالقصر مع
سكون الشين وهما لغتان كالرافة والرافة وانتصابهما على المصدر المحذوف الزوائد والاصل الانشاء او على
حذف العامل اي ينشئ فتنشئون النشاة وهي موسومة بالالف وهو يقوي قراءة المد والمعنى ثم الله الذي

خلقها بعينها نشأة ثانية بعد الموت فلم لم يتحد عليه احد انها مبدء بالابتداء عليه النشأة وهما معيد اذ قوله ثم يعيده
ثم الله ينشئ النشأة الآخرة من اخبار الله تعالى فليس الاول داخلا في خبر الرؤية ولا الثاني في خبر النظر ان الله على كل شيء
قدير **قوله تعالى** يعذب من يشاء ويرحم من يشاء • قدم التعذيب في الذكر على الرحمة مع ان رحمته سابقة كما قال
عليه السلام عنه تعالى سبقت رحمتي غضبي لان السابق ذكر الكفار فذكر العذاب لسبق ذكر مستحقه بحكم الابعاد
وعقبه بالرحمة فذكر الرحمة وقع تبعا لئلا يكون العذاب مذكورا وحده وهذا يحقق قوله عليه السلام عنه
سبقت رحمتي غضبي وذلك ان الله تعالى حيث كان المقصود ذكر العذاب لم يخصه بالذكر بل ذكر الرحمة معه
فان قيل ان كان ذكر هذه الاية لتخويف العاصي وتفريح المؤمن فلو قال يعذب الكافر ويرحم المؤمن لكان ادخل
في تحصيل المقصود فقوله يعذب من يشاء لا يرهب الكافر لجواز ان يقول لعلي لا اكون ممن يشاء الله عذابي فالجواب
هذا ابلغ في التخويف لان الله اثبت بهذا نفاذ مشيئته فانه اذا اراد تعذيب شخص فلا يمنعه منه مانع ثم كان
من المعلوم للعباد بحكم الوعد والابعاد انه شاء تعذيب الكافر فلزم منه الخوف العام بخلاف ما لو قال يعذب
العاصي فانه يدل على كمال مشيئته لانه لا يبعد انه لو علم شاء عذاب المؤمن لعذبه واذا لم يبعد هذا فيقول
الكافر اذا لم يحصل مراده في ذلك الصورة يمكن ان لا يحصل في صورة اخرى • ومثاله اذا قيل ان الملك يقدر
على كل من في بلاده وقال ان من خالفني اضربه يحصل الخوف التام لمن يخالفه واذا قيل انه قادر على ضرب المخالفين
ولا يقدر على ضرب المطيع فاذا قال من خالفني اضربه يقع في وهم المخالف انه لا يقدر على ضرب المطيع ولا يقدر
ايضا علي لكوني مثله وفيه فايدة اخرى وهو الخوف العام والرجا العام لان الامن الكلي من الله يوجب الجراة
فيفضي الى صيرورة المطيع عاصيا **قوله تعالى** واليه تقلبون • اي تردون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السما
والخطاب مع الادميين وهم ليسوا في السما قال الفرا معناه ولا من في السما بمعجز ان عصى كقول حسان بن ثابت
وهم ليسوا في السما فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سوا اراد ومن يمدحه وينصره فاضمر من يريد
لا يعجز اهل الارض في الارض ولا اهل السما في السما يعني ان من في السموات عطف على انتم بتقدير ان يعصي قال الفرا وهذا
من غوامض العربية قال شهاب الدين وهذا على اصله حيث يجوز حذف الموصول الاسمي وتبقى صلته قال قطرب
ما انتم بمعجزين في الارض ولا في السما لو كنتم فيها كقول القايل ما يفوتني فلان هاهنا ولا في البصرة اي ولا بالبصرة
لو كان بها كقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات اي على تقدير ان تكونوا فيها وابعد من
ذلك من قدر موصولين محذوفين اي وما انتم بمعجزين من في الارض من الجن والانس ولا من في السما من
الملايكة فكيف تعجزون خالقها وعلى قول جمهور يكون المفعول محذوفا اي وما انتم بمعجزين اي فايتين ما يريد الله
بكم **فصل** اعلم ان اعجاز المعذب عن التعذيب اما بالهرب منه او بالثبات ومدافعته فذكر الله تعالى القسمين
فقال وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السما يعني بالهرب لو صعدتم الى السما او هربتم الى تخوم الارضين تخرجوا
من قبضة قدرة الله عز وجل فلا مطمع في الاعجاز بالهرب واما بالثبات فكذلك لان الاعجاز بالثبات اما
ان يكون بالاستناد الى ركن شديد يشفع ولا يمكن المعذب مخالفته فيعفو المعذب ويعجز عنه او بالانتصار بقوي
يدافعه وكلاهما محال فلهذا قال وما لكم من دون الله من ولي يشفع ولا نصير يدفع **فان قيل** ما الحكمة في قوله
وما انتم بمعجزين ولم يقل لا يعجزون بصيغة الفعل **فالجواب** لان نفي الفعل لا يدل على نفي الصلاحية فان من قال
ان فلانا لا يخيط لا يدل على ما يدل عليه انه ليس بخايط وقدم الارض على السما والولي على النصير لان هربهم
الممكن في الارض فان كان يقع منهم هرب فانه يكون في الارض ثم ان فرضنا لهم قدرة غير ذلك فيصعدون
في السما واما الدفع فان العاقل متى امكنه الدفع فان حمل الطرق فيه الشفاعة لان ما من احد في الشاهد
الا ويكون له شفيع يتكلم في حقه عند ملك وليس لكل احد ناصر يعادي الملك فلذلك قدم الارض على السما
والولي على النصير **قوله تعالى** والذين كفروا بايات الله ولقايه • اي بالقران وبالبعث اولئك يئسوا من
رحمتي جنتي واولئك لهم عذاب اليم يوم القيامة • فان قيل هلا اكتفي بقوله اولئك مرة واحدة فالجواب
ان ذلك لفايدة وهي انه لو قال اولئك يئسوا ولهم عذاب اليم ذهب الى ان هذا المجموع منحصر فيهم فلا
يوجد المجموع الا فيهم واضاف الرحمة الى نفسه في قوله تعالى يئسوا من رحمتي واضاف الياس اليهم بقوله
يئسوا اعلاما للعباده بعموم رحمته ولزومها له **قوله تعالى** فما كان جواب قومه • العامة على نصبه والحسن
وسالم الافطس رفعه وتقدم تحقيق هذه الايات في تذكير اهل مكة وتحذيرهم وهي معترضة في قصة
ابرهيم صلوات الله عليه ثم عاد الى قصة ابرهيم فقال تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه
اوحرقوه لما اقام ابرهيم صلوات الله عليه البرهان على الاصول الثلاثة لم يجيبوه الا بقولهم اقتلوه اوحرقوه •
فان قيل كيف سمي قولهم اقتلوه جوابا مع انه ليس بجواب • فالجواب عنه من وجهين احدهما انه خرج مخرج

كلام المتكبر كما يقول الملك لرسول خصمه جوابكم السيف مع ان السيف ليس بجواب وانما معناه لا اقابلكم بالجواب وانما
اقابلكم بالسيف • وثانيهما ان الله تعالى اراد بيان ضلالتهم وانما ذكروا ما ليس بجواب في معرض الجواب فبين انهم لم يكن لهم
جواب اصلا وذلك ان من لا يجيب غيره وسكت لا يعلم انه قد يقدر على الجواب ام لا يجوز ان يكون سكوته لعدم
الالتفات واما اذا اجاب بجواب فاسد علم انه قصد الجواب وما قدر عليه **فصل** او تذكر لامرين الثاني منهما
لا ينفك عن الاول كما يقال زوج او فرد ويقال هذا انسان او حيوان يعني ان لم يكن انسانا فهو حيوان ولا يصح
ان يقال هذا انسان او حيوان اذ يفهم منه ان يقول هذا حيوان فان لم يكن حيوانا فهو انسان وهذا فاسد
اذا كان كذلك فالتحريق مشتمل على القتل فقوله اقتلوه او حرقوه كقولك هذا حيوان او انسان فالجواب
من هذا من وجهين احدهما ان الاستعمال على خلاف ما ذكر شايع كقولك لقطة دينار او دينارين قال الله تعالى
قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه فكذا ههنا قال اقتلوه او زيدوا على القتل لان التحريق قتل
وزيادة • الثاني سلمنا ما ذكر لكن الامر ههنا كذلك لان التحريق فعل مفض الى القتل وقد يتخلف عنه القتل فان
من القي في النار حتى احترق جلده باسره واخرج منها حيا يصح ان يقال احترق فلان واحرق وما مات فكذلك
ههنا قال اقتلوه ولا تعجلوا اقتله وعذبوه بالنار فان نزل مقالته فخلوا سبيله وان اصر فاتركوه في النار
قوله تعالى فانجاه الله من النار • قيل بردت النار وقيل خلق في ابرهيم صلوات الله عليه كيفية استبرد معها
النار وقيل نزل ابرهيم مكانا عليه والنار مكانا عليه ومنع اذى النار عنه والكل ممكن والله قادر عليه **قوله
تعالى** ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون • فيه فوايد فان قيل ما الحكمة في قوله هناك اية للعالمين في انجا
نوح صلوات الله عليه واصحاب السفينة جعلناها اية وقال ههنا لايات بالجمع فما الحكمة فالجواب
ان انجا السفينة شي يتسع له العقول فلم يكن فيه من الاية الا اعلام الله تعالى اياه بالانجا وقت الحاجة
بسبب ان الله تعالى صان السفينة عن المهلكات كالرياح واما الانجا من النار فعجيب فقال فيه لايات
فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى اية هناك للعالمين وقال هنا لقوم يؤمنون فخص الايات بالمؤمنين **فالجواب**
ان السفينة بقيت اعواما حتى مر عليها الناس وراوها فحصل العلم بها لكل احد • واما تبريد النار فلم يبق فلم
يظهر لمن بعده الا بطريق الايمان والتصديق وفيه لطيفة وهو ان الله تعالى لما برد النار على ابرهيم بسبب
اهتدايه في نفسه وهدايته لابنا جنسه وقد قال الله تعالى للمؤمنين بان لهم اسوة في ابرهيم فحصل للمؤمنين
بشارة بان الله تبارك وتعالى يبرد عنهم النار يوم القيامة فقال ان في ذلك التبريد لايات لقوم يؤمنون
فان قيل لم قال هنا جعلناها فالجواب لان السفينة ما صارت اية في نفسها ولولا خلق الله الطوفان لبقي
فعل نوح سفها فالله تعالى جعل السفينة بعد وجودها اية • واما تبريد النار فهو في نفسه اذا وجدت
لا يحتاج الى شي اخر كخلق الطوفان حتى يصير اية **قوله تعالى** انما اتخذتم • في ما هذه ثلاثة اوجه احدها انها
موصولة بمعنى الذي والعايد محذوف وهو المفعول الاول واوثانا مفعول ثان والخبر مودة في قراءة من رفع
كما سياتي والتقدير ان الذي اتخذتموه اوثانا مودة اي ذو مودة او جعل نفس المودة ومحذوف على قراءة
من نصب مودة ان الذي اتخذتموه اوثانا لاجل المودة لا ينفعكم او يكون عليكم لدلالة قوله ثم يوم القيامة
يكفر بعضكم ببعض • والثاني ان يجعل ما كافة واوثانا مفعول به والاتخاذ هنا متعد لواحد او لاثنين والثاني
هو من دون الله فمن رفع مودة كانت خبر مبتدا مضمر اي هي مودة اي ذات مودة او جعلت نفس المودة
مبالغة والجملة حينئذ صفة لاوثانا او مستانفة ومن نصب كانت مفعولا له او باضمار اعني الثالث ان يجعل ما مصدرية
وحينئذ يجوز ان يقدر مضافا من الاول اي ان سبب اتخاذكم اوثانا مودة فيمن رفع مودة ويجوز ان لا يقدر
بل يجعل نفس الاتخاذ هو المودة مبالغة وفي قراءة من نصب مودة منونة وجر بينكم نافع وابن عامر وابو
بكر نصب مودة منونة ونصب بينكم وحمزة وحفص بنصب مودة غير منونة وجر بينكم فالرفع قد تقدم والنصب ايضا
تقدم فيه وجهان ويجوز وجه ثالث وهو ان يجعل مفعولا ثانيا على المبالغة والاضافة للاتساع في الظرف
كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومن نصبه فعلى اصله ونقل عن عاصم انه رفع مودة غير منونة ونصب
بينكم وخرجت على اضافة مودة للظرف وانما بني لاضافته الى غير متمكن كقراءة لقد تقطع بينكم بالفتح اذا
جعلنا بينكم فاعلا واما في الحيوة ففيه اوجه • احدها انه هو وبينكم متعلقان بمودة اذا نونت وجاز
تعلقهما بعامل واحد لاختلافهما الثاني ان يتعلقا بمحذوف على انهما صفتان لمودة • الثالث ان يتعلق بينكم
بمودة وفي الحياة صفة لمودة ولا يجوز العكس لئلا يلزم اعمال المصدر الموصوف والفرق بينه وبين الاول
ان الاول عمل فيه المصدر قبل ان يوصف وهذا عمل فيه بعد ان وصف على ان ابن عطية جوز ذلك
هو وغيره وكانهم اتسعوا في الظرف فهذا وجه رابع • الخامس ان يتعلق في الحياة بنفس بينكم لانه بمعنى الفعل

النوبر انما عبدكم وسلكم المسادس ان يكون حالا من نفس بينكم السابع ان يكون بينكم صفة لمودة في الحياة حال من الضمير
المستكن فيه الثامن ان يتعلق في الحياة باتخذتم على ان يكون ما كافة ومودة منصوبة قال ابو البقا لئلا يؤدي الى الفصل
بين الموصول وما في الصلة بالخبر **فصل** وقال يعني ابراهيم انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم تعلق قراءة
رفع مودة وخفض بينكم بالاضافة يكون المعنى اتخذتم من دون الله اوثانا ذوي مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم ينقطع
ولا ينفع في الآخرة ومن خفض مودة من غير تنوين على الاضافة بوقوع الاتخاذ عليها ومن نصب مودة ونونها
ونصب بينكم فالمعنى انما اتخذتم هذه الاوثان مودة بينكم في الحياة الدنيا تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها
في الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار جميعا العابدون والمعبودون
وما لكم من ناصرين **فان قيل** قال هنا او ما لكم من دون الله من ولي ولا نصير على لفظ الواحد وقال هنا وما لكم
من ناصرين على لفظ الجمع فما الحكمة فيه **فالجواب** انهم لما ارادوا احراق ابراهيم عليه السلام قالوا اخن تنصر
الهتنا كما قال تعالى حرقوه وانصروا الهتكم فقال انتم ادعيتم ان هؤلاء ناصرين فما لكم كلكم اي الاوثان وعبدتها
من ناصرين واما هناك فلم يسبق منهم دعوى النصر فنفى الجنس بقوله ولا نصير **قوله تعالى** فامن له لوط اي صدقه
وهو اول من صدق ابراهيم وكان ابن اخيه وقال ابراهيم اني مهاجر الى ربي الى حيث امرني ربي بالتوحيد اليه من
كوثى وهو من سواد الكوفة الى حران ثم الى الشام ومعه لوط وامرأته سارة وهو اول من هاجر قال مقاتل هاجر
ابراهيم عليه السلام وهو ابن خمس وسبعين سنة ثم قال انه هو العزيز الحكيم عزيز يمنع اعدائي عن ايذائي
بعونه وحكيم لا يأمرني الا بما يوافق الحكمة **فان قيل** قوله فامن له لوط اي بعد ما رأى المعجز القاهر ودرجة لوط
كانت عالية وبقاؤه الى هذا الوقت مما ينقص من الدرجة الا ترى ان ابا بكر رضي الله عنه لما قبل دين محمد صلى
الله عليه وسلم كان قبوله قبل الكل من غير سماع تكلم الحصا ولا رؤية انشقاق القمر **فالجواب** ان لوطا لما رأى
معجزته امن برسالته واما بالوحدانية فامن حيث سمع مقالته ولهذا قال فامن له لوط ولم يقل فامن لوط **فان قيل**
ما وجه تعلق قوله وقال اني مهاجر الى ربي بما تقدم فنقول لما بالغ ابراهيم في الارشاد ولم يهتد قومه وحصل اليأس
الكلي حيث رأى القوم الاية الكبرى ولم يؤمنوا وجب المهاجرة لان الهادي اذا اهدى قومه ولم ينتفعوا فبقاؤه فيهم
مفسدة لانه ان دام على الارشاد كان اشتغالا بما لا ينتفع به فيصير كمن يقول للجحد صدق وهو عبث والسكوت
دليل الرضا فيقال انه صار منا ورضي بافعالنا واذا لم يبق للاقامة وجه وجبت المهاجرة **فان قيل** ما الحكمة
في قوله اني مهاجر الى ربي ولم يقل مهاجر الى حيث امرني ربي مع ان المهاجرة الى الرب توهم الجهة **فالجواب**
ان قوله الى حيث امرني ربي ليس في الاخلاص كقوله الى ربي لان الملك اذا اصدر منه امر بتوجه الاجناد الى موضع
ثم ان واحدا منهم سار الى ذلك الموضع لغرض نفسه فقد هاجر الى حيث امره الملك ولكن لا مخلصا لوجهه فقال مهاجر
الى ربي معنى توجهي الى الجهة المأمور بالهجرة اليها ليس طلبا للجهة انما هو طلب لله **قوله تعالى** ووهبنا له اسحق
ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب قيل ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله واتيناه
اجره في الدنيا وهو الثناء الحسن وكل اهل الاديان يتولونه وقال السدي هو الولد الصالح وقيل انه رأى مكانه
في الجنة وانه في الآخرة لمن الصالحين اي في زمرة الصالحين قال ابن عباس قيل ادم ونوح وفي هذه الاية
لطيفة وهي ان الله تعالى بدل جميع احوال ابراهيم في الدنيا باضدادها لما عذبه قومه بالنار كان وحيدا فريدا
فبدل الله وحدته بالكثرة حتى ملأ الدنيا من ذريته ولما كانت اقاربه الغريبة ضالين مضلين من جملتهم
ازر بدل الله اقاربه باقارب مهتدين هادين وهم ذريته الذين جعل فيهم النبوة والكتاب وكان اولا لا جاه
له ولا مال وهما غاية اللذة في الدنيا اتاه الله اجره من المال والجاه وكثر ماله حتى كان له من المواشي ما علم
الله عدده حتى قيل انه كان له اثنا عشر الف كلب حارس باطواق ذهب واما الجاه فصار بحيث تقرن الصلاة
عليه بالصلاة على سائر الانبياء الى يوم القيامة وصار معروفا بشيخ المرسلين بعد ان كان خاملا حتى قال
قائلهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وهذا الكلام لا يقال الا في مجهول من الناس **فان قيل** ان اسمعيل كان
من اولاده الصالحين وكان قد اسلم لامر الله بالذبح وانقاد لحكم الله ولم يذكر **فالجواب** هو مذكور في قوله
وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ولكن لم يصرح باسمه لانه كان بين فضله معه بهبة الاولاد والاحفاد
فذكر من الاولاد واحدا وهو الاكبر ومن الاحفاد واحدا كما يقول القائل ان السلطان في خدمته الملوك
والامراء الملك الفلاني والامير الفلاني ولا يعدد الكل لانه ذكر ذلك الواحد لبيان الجنس لا بخصوصه ولو
ذكر غيره لفهم منه التعديد واستيعاب الكل بالذكر فيظن انه ليس معه غير المذكور **فان قيل** ان الله تعالى
جعل في ذريته النبوة اجابة لدعائه والوالد يجب ان يسوي بين ولده فكيف صارت النبوة في ولد
اسحق اكثر من النبوة في اولاد اسمعيل **فالجواب** ان الله تعالى قسم الزمان من وقت ابراهيم الى القيامة

قسمين والناس اجمعين فالقسم الاول من الزمان بعث الله تعالى فيه انبياء فيهم فضائل جمة وجاؤا تترى واحدا بعد
واحد ومجتمعين في عصر واحد كلهم من ورثة اسحق عليه السلام ثم في القسم الثاني من الزمان اخرج من ذرية
ولده اسمعيل واحدا اجتمع فيه ما كان فيهم وارسله الى كافة الخلق وهو محمد عليه السلام وجعله خاتم النبيين
وقد دام الخلق على دين اسمعيل اكثر من اربعة الاف سنة ولا يبعد ان يبقى الخلق على دين ذرية اسمعيل مثل ذلك
المقدار **قوله تعالى** ولوطا اعرابه كاعراب ابراهيم اذ قال ائنكم قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر ائنكم بالاستفهام
وقرأ الباقون بلا استفهام واتفقوا على استفهام الثانية لتأتون الفاحشة وهو اتيان الرجال ما سبقكم
يجوز ان تكون استفهامية جوابا لمن سأل عن ذلك وان تكون حالية اي مبتدعين لها **فان قيل** قال ابراهيم
لقومه اعبدوا الله وقال لوط لقومه ههنا ائنكم لتأتون الفاحشة ولم يأمرهم بالتوحيد فما الحكم **فالجواب**
انه لما ذكر الله لوطا عند ذكر ابراهيم كان لوط في زمن ابراهيم فلم يذكر عن لوط انه امر قومه بالتوحيد مع ان
الرسول لا بد من ان يقول ذلك وحكاية لوط وغيرها ههنا على سبيل الاختصار فاقتصر على ما اختص به لوط وهو
المنع من الفاحشة ولم يذكر عنه الامر بالتوحيد وان كان قاله في موضع اخر حيث قال اعبدوا الله ما لكم من
اله غيره لان ذلك قد اتى به ابراهيم وسبقه فصار كالمختص به واما المنع من عمل قوم لوط كان مختصا بلوط فذكر
كل واحد بما اختص به وسبق به غيره **فصل** دلت الاية على وجوب الحد في اللواطة لانه سماها فاحشة وقد
ثبت ان اتيان الفاحشة توجب الحد وايضا ان الله تعالى جعل عذاب من اتى بها امطار الحجارة عليه عاجلا وهو
الرجم وتقدم الكلام على قوله ما سبقكم بها من احد **قوله تعالى** ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل قيل كانوا
يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم وقيل يقطعون سبيل النسل باتيان الرجال
كقوله انا لتأتون الرجال شهوة من دون النساء وتأتون في ناديكم المنكر قال العباس المقري ورد به النادي في القران
بازاء تفسيرين الاول النادي مجلس القوم يتحدث فيه كهذه الاية والثاني بمعنى الناصر كقوله تعالى فليدع ناديه اي ناصره
يعني ابا جهل واعلم ان النادي والندي والمنتدى مجلس القوم ومتحدثهم روى ابو صالح مولى ام هانئ بنت ابي طالب قالت سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله وتأتون في ناديكم المنكر قلت ما المنكر الذي كانوا يأتون قال كانوا يحذفون اهل الطريق
ويسخرون منهم وروي انهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه
فايهم اصابه كان اولى به وقيل انه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك وقال القسم بن محمد
كانوا يتضارطون في مجالسهم وقال مجاهد كان يجامع بعضهم بعضا في مجالسهم وعن عبد الله بن سلام يبزق بعضهم على
بعض وعن مكحول قال من اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحناء وحل الازرار والصفير والحذف
واللوطية **قوله تعالى** فما كان جواب قومه لما انكر عليهم لوط ما يأتونه من القبائح الا ان قالوا استهزاء ائتنا بعذاب
الله ان كنت من الصادقين ان العذاب نازل بنا فعند ذلك قال لوط رب انصرني على القوم المفسدين بتحقيق قولي في
العذاب **فان قيل** قال قوم ابراهيم اقتلوه او حرقوه وقال قوم لوط ائتنا بعذاب الله وما هددوه مع ان ابراهيم كان
اعظم من لوط فان لوطا كان من قومه **فالجواب** ان ابراهيم كان يقدح في دينهم ويشتم الهتهم ويعدد صفات
نقصهم بقوله لا يبصر ولا يسمع ولا ينفع ولا يغني والقدح في الدين صعب فجعلوا جزاءه القتل والتحريق ولوط كان ينكر
عليهم فعلهم وينسبهم الى ارتكاب التحريم وهم ما كانوا يقولون ان هذا واجب من الدين فلم يصعب عليهم مثل ما صعب
على قوم ابراهيم كلام ابراهيم فقالوا انك تقول ان هذا حرام والله يعذب عليه ونحن نقول لا يعذب فان كنت صادقا
فائتنا بالعذاب **فان قيل** ان الله قال في موضع اخر فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم وقال
ههنا فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا فكيف الجمع **فالجواب** ان لوطا كان ثابتا على الارشاد مكررا على النهي والوعيد
فقالوا اولا ائتنا لما كثر منه ذلك ولم يسكت عنهم قالوا اخرجوا ثم ان لوطا لما يئس منهم طلب النصرة من الله وذكرهم
بما لا يحب الله فقال رب انصرني على القوم المفسدين حتى ينجز النصرة واعلم ان كل نبي من الانبياء ما طلب هلاك
قومه الا اذا علم ان عدمهم خير من وجودهم كما قال نوح انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا
يعني ان المصلحة اما ان تكون فيهم حالا او بسببهم مالا ولا مصلحة فيهما فانهم ضالون في الحال وفي المال فانهم يوصون
اولادهم من صغرهم بالامتناع من الاتباع وكذا لوط لما رأى انهم يفسدون في الحال واشتغلوا بما لا يرجى منهم
ولد صالح يعبد الله فطلب المصلحة حالا ومالا فعدمهم صار خيرا فطلب العذاب **قوله تعالى** ولما جاءت رسلنا ابراهيم
بالبشرى من الله باسحق ويعقوب قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية يعني قوم لوط ان اهلها كانوا ظالمين قال ابراهيم
ان فيها لوطا قالت الملائكة نحن اعلم بمن فيها وباقي الكلام على تفسيره الكلام على ذلك **قوله تعالى** ولما ان جاءت تقدم
نظيرها الا ان هنا زيدت ان وهو مطرد تأكيدا اعلم انه لما دعا لوط على قومه بقوله رب انصرني استجاب الله دعاءه
وامر ملائكته باهلاكهم وارسلهم مبشرين ومنذرين فجاءوا ابراهيم وبشروه بذرية طيبة وقالوا انا مهلكوا

اهل هذه القرية يعني اهل سدوم وفي الاية لطيفتان احديهما ان الله جعلهم مبشرين ومنذرين لكن البشارة اثر الرحمة والانذار
بالاهلاك اثر الغضب ورحمته سبقت غضبه فقدموا البشارة على الانذار وقال جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى ثم قال
قالوا انا مهلكوا ۞ الثانية حين ذكروا البشرى ما عللوا وقالوا انا نبشرك لانك رسول ولانك مؤمن او لانك عادل وحين
ذكروا الاهلاك عللوا وقالوا ان اهلها كانوا ظالمين لان ذا الفضل لا يكون فضله بعوض والعادل لا يكون عذابه الا
على جرم قال قيل قال في قوم نوح فاخذهم الطوفان وهم ظالمون ۞ وقيل ان ذلك اشارة الى انهم كانوا على ظلمهم حين اخذهم
ولم يقل فاخذهم وكانوا ظالمين وههنا قال ان اهلها كانوا ظالمين ولم يقل وهم ظالمون فالجواب لا فرق في المعنى
في كونهما مهلكين وهم مصرين على الظلم لكن هناك الاخبار من الله عن الماضي حيث قال فاخذهم وهم عند الوقوع
في العذاب ظالمون وههنا الاخبار من الملائكة عن المستقبل حيث قالوا انا مهلكوا والملائكة ذكروا ما يحتاجون اليه
في ابانة حسن الامر من الله بالاهلاك فقالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية لان الله امرنا وقال ما امرنا كانوا ظالمين فحسن
امر الله عند كل احد واما نحن فلا نخبر بما لا حاجة لنا اليه ثم ان ابرهيم لما سمع كلامهم قال لهم ان فيها لوطا اشفاقا عليه
ليعلم حاله قالت الملائكة نحن اعلم بمن فيها لننجينه ۞ قرا حمزة والكسائي ويعقوب لننجينه بالتخفيف وقرا الاخرون
بالتشديد واهله الا امرأته كانت من الغابرين الباقين في العذاب وفي استعمال الغابر في الهلك وجهان لان
الغابر لفظ مشترك في الماضي وفي الباقي يقال فيما غبر من الزمان اي فيما مضى ۞ وقال عليه السلام لما سئل عن الما
وما ينوبه من السباع فقال ولنا ما غبر طهورا اي ما بقي فعلى الاول لان ذكر الظالمين سبق في قولهم انا مهلكوا اهل
هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين ثم جرى ذكر لوط وقول الملائكة انها من الغابرين اي الماضين ذكرهم لا من الذين
نحن منهم او نقول المهلك يفنى ويمضي زمانه والناجي هو الباقي فقالوا انها من الغابرين اي من الرائحين الماضين
لا من الباقين المستمرين واما على الثاني لما قضى الله على القوم بالهلاك كان الكل في الهلاك الا من ينجى منه فقالوا انا منجو
لوطا واهله واما امرأته فهي من الباقين في الهلاك قوله تعالى ولما ان جاءت رسلنا لوطا اي انهم من عند
ابرهيم جاؤا الى لوط على صورة البشر فظنهم بشرا فخاف عليهم من قومه لانهم كانوا في احسن صورة والقوم كما عرف
حالهم سيء بهم اي جاءه ما ساءه وخاف ثم عجز عن تدبيرهم فحزن وضاق بهم ذرعا كناية عن العجز في تدبيرهم ۞ قال الزمخشري
يقال طال ذرعه وذراعه للقادر وضاق للعاجز وذلك لان من طال ذراعه يصل الى ما لا يصل اليه قصير الذراع
والاستعمال يحتمل وجها اخر معقولا وهو ان الخوف والحزن يوجبان انقباض الروح ويتبعه اشتمال القلب عليه
فينقبض هو ايضا والقلب هو المعتبر من الانسان فكان الانسان انقبض واجتمع وما يكون كذلك يقل ذرعه
ومساحته ويضيق فيقال في الحزين ضاق ذرعه والغضب والفرح يوجبان انبساط الروح فيتبسط مكانه
وهو القلب ويتسع فيقال طال ذرعه ثم ان الملائكة لما راوا خوفه في اول الامر وحزنه بسبب تدبيرهم في
ثاني الامر قالوا لا تخف من قومك علينا ولا تحزن باهلاكنا اياهم انا منجوك واهلك وانا منزلون عليهم العذاب
حتى يتبين له انهم ملائكة فيطول ذرعه ويزول روعه قوله تعالى انا منجوك ۞ في الكاف وما اشبهها مذهبان
مذهب سيبويه انها في محل جر فعلى هذا في نصب واهلك وجهان اضمار فعل او العطف على المحل ومذهب الاخفش
وهشام انها في محل نصب وحذف التنوين والنون لشدة اتصال الضمير وقد تقدمت قرا انا التخفيف والتثقيل
في لننجينه ومنجوك في الحجر قوله تعالى انا منزلون ۞ قرا ابن عامر بالتشديد والاخرون بالتخفيف وقرا ابن محيصن
رجزا بضم الراء والاعمش وابو حيوة يفسقون بالكسر قال قيل قال ههنا انا منجوك وقال لابرهيم لننجينه بصيغة
الفعل فما الحكمة فيه فالجواب ما من حرف ولا حركة في القران الا وفيه فائدة ثم ان العقول البشرية تدرك
بعضها ولا تصل الى اكثرها وما اوتي البشر من العلم الا قليلا والذي يظهر ههنا ان هناك لما قال لهم ابرهيم ان فيها
لوطا وعدوه بالتنجية ووعد الكريم حتم وههنا لما قالوا للوط وكان ذلك بعد سبق الوعد مرة قالوا انا منجوك
اي ذلك واقع منا كقوله تعالى انك ميت لضرورة وقوعه قال قيل ما مناسبة قوله انا منجوك اي ذلك لقوله لا تخف
ولا تحزن فان خوفه ما كان على نفسه فالجواب ان لوطا لما خاف عليهم وحزن لاجلهم قالوا له لا تخف علينا
ولا تحزن لاجلنا فانا ملائكة ثم قالوا له يا لوط خفت علينا وحزنت لاجلنا ففي مقابلة خوفك وقت الخوف نزيل
خوفك وننجيك وفي مقابلة حزنك لا نتركك تتفجع في اهلك فقالوا انا منجوك واهلك قال قيل القوم عذبوا
بسبب ما صدر منهم من الفاحشة وامرأته لم يصدر منها ذلك فكيف كانت من الغابرين معهم فالجواب
ان الدال على الشر كالفاعل كما ان الدال على الخير كفاعله وهي كانت تدل القوم على ضيوف لوط بالتنجية ذكروا انهم منزلون
على اهل هذه القرية العذاب ۞ واختلفوا في ذلك فقيل حجارة وقيل نار وقيل خسف وعلى هذا يكون قوله
رجزا من السماء واعلم ان كلام الملائكة مع لوط جرى على نمط كلامهم مع ابرهيم فقدموا البشارة على انزال العذاب
فقالوا انا منجوك ثم قالوا انا منزلون ولم يعللوا التنجية فلم يقولوا انا منجوك لانك نبي او عابد وعللوا الاهلاك

فقالوا

فقالوا بما كانوا يفسقون كقولهم هناك ان اهلها كانوا ظالمين قوله تعالى ولقد تركنا منها اية ۞ فيه وجهان احدهما ان
بعضها باق وهو اية باقية الى اليوم والمعنى تركنا من قريات لوط اية بينة عبرة ظاهرة ۞ الثاني ان من مزيد واليه
ذهب الفراء اي تركناها اية كقوله ۞ امهرت منها جبة وتيسا ۞ اي امهرتها وهذا يجيء على راي الاخفش اي ولقد تركنا القرية والقرية
معلومة وفيها الماء الاسود وهي بين القدس والكرك قال قيل كيف جعل الاية في نوح وابرهيم بالنجاة فقال فانجيناه
واصحاب السفينة وجعلناها اية وقال فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات وجعل ههنا الهلاك اية فالجواب
ان الاية في ابرهيم كانت في النجاة لان في ذلك الوقت لم يكن اهلاك ۞ واما في نوح فلان الانجاء من الطوفان الذي
علا على الجبال باسرها امر عجيب الهي وما به النجاة وهو السفينة كان باقيا والغرق لم يبق له اثر فجعل الباقي
اية ۞ واما ههنا فنجاة لوط لم يكن بامر يبقى اثره للحس والهلاك اثره محسوس في البلاد فجعل الاية الامر الباقي ههنا البلاد
وهناك السفينة وههنا لطيفة وهي ان الله تعالى اية قدرته موجودة في الانجاء والاهلاك وذكر في كل باب اية وقدم
ايات الانجاء لانها اثر الرحمة واخر ايات الاهلاك لانها اثر الغضب ورحمته سابقة قال قيل ما الحكمة في قوله في
السفينة جعلناها اية ولم يقل بينة وقال ههنا اية بينة فالجواب ان الانجاء بالسفينة امر يسع له كل
عقل وقد يقع في ذهن جاهل ان الانجاء بالسفينة لا يفتقر الى امر اخر واما الاية ههنا الخسف وجعل ديارهم المعمورة
عاليها سافلها وهو ليس بمعتاد وانما ذلك بارادة قادر تخصصه بمكان دون مكان وفي زمان دون زمان فهي
بينة لا يمكن لجاهل ان يقول هذا امر يكون كذلك وكان لاحد ان يقول في السفينة امرها يكون كذلك فيقال
له فلو دام الماء حتى ينفد زادهم كيف كان يحصل لهم النجاة ولو سلط الله عليهم الريح العاصفة كيف يكون احوالهم
قال قيل ما الحكمة في قوله هناك للعالمين وقوله هنا لقوم يعقلون فالجواب ان السفينة موجودة معلومة
في جميع اقطار العالم فعند كل قوم مثال السفينة يتذكرون بها حالة نوح واذا ركبوها يطلبون من الله النجاة
ولا يثق احد بمجرد السفينة بل يكون دائما من خوف القلب متضرعا الى الله تعالى طالبا للنجاة واما اثر الهلاك
في بلاد لوط ففي موضع مخصوص لا يطلع عليها الا من مر بها ويصل اليها ويكون له عقل يعلم ان ذلك من الله وانه
بسبب اختصاصه بمكان دون مكان ووجوده في زمان دون زمان ۞ قال ابن عباس الاية البينة اثار
منازلهم الخربة وقال قتادة هي الحجارة التي اهلكوا بها ابقاها الله حتى ادركها اوائل هذه الامة ۞ وقال
مجاهد هي ظهور الماء الاسود على وجه الارض قوله تعالى والى مدين اي وارسلنا او بعثنا الى مدين اخاهم شعيبا
بدلا او بيانا او باضمار اعني قيل مدين اسم رجل في الاصل وحصل له ذرية فاشتهر في القبيلة كتميم وقيس وغيرهما
وقيل اسم ما نسب القوم اليه فاشتهر في القوم والاول اظهر لان الله اضاف اليهم اخاهم شعيبا فما الحكمة فالجواب
ان الاصل في الجميع ان يذكر القوم ثم يذكر رسولهم لان الرسل لا تبعث الى غير متعينين وانما تبعث الرسل الى
قوم محتاجين الى الرسل فيرسل اليهم من يختاره غير ان قوم نوح وابرهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاص ولا نسبة
مخصوصة يعرفون بها فعرفوا بالنبي فقيل قوم نوح وقوم لوط فاما قوم شعيب وهود وصالح فكان لهم
نسب معلوم اشتهروا به عند الناس فجرى الكلام على اصله وقال الله والى مدين اخاهم شعيبا والى عاد
اخاهم هودا قال قيل لم يذكر عن لوط انه امر قومه بالعبادة والتوحيد وذكر عن شعيب ذلك فالجواب
قد تقدم وهو ان لوطا كان من قوم ابرهيم وفي زمانه وكان ابرهيم سبقه بذلك واجتهد فيه حتى اشتهر
الامر بالتوحيد عند الخلق من ابرهيم فلم يحتج لوط الى ذكره وانما ذكر ما اختص به من المنع من الفاحشة
وغيرها وان كان هو ابدا يامر بالتوحيد اذ ما من رسول الا ويكون اكثر كلامه في التوحيد فبدا به وقال
اعبدوا الله قوله تعالى وارجوا اليوم الاخر ۞ قال الزمخشري معناه افعلوا فعل من يرجوا اليوم الاخر اذ يقول
القائل لغيره كن عاقلا ويكون معناه افعل فعل من يكون عاقلا فقوله وارجوا اليوم الاخر بعد قوله اعبدوا
الله يدل على التفضل لا على الوجوب قوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين ۞ تقدم الكلام عليه ونصب
مفسدين على المصدر كقول القائل اجلس قعودا قوله تعالى فكذبوه فاخذتهم الرجفة قال قيل ما حكاه
الله عن شعيب امر ونهي والامر لا يكذب ولا يصدق فان من قال لغيره اعبدوا الله لا يقال له كذبت فالجواب
كان شعيب يقول الله واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجوه والفساد محرم فلا تفسدوا فكذبوه وهذه فيها اخبارية
فكذبوه فيما اخبر به قال قيل قال ههنا وفي الاعراف فاخذتهم الرجفة وقال في هود فاخذتهم الصيحة والحكاية
واحدة لا تعارض بينهما فان الصيحة كانت سببا للرجفة قيل ان جبريل صاح فتزلزلت الارض من صيحته فرجفت
قلوبهم والاضافة الى السبب لا تنافي الاضافة الى سبب السبب قال قيل ما الحكمة في انه حيث قال فاخذتهم
الصيحة قال في ديارهم وحيث قال فاخذتهم الرجفة قال في دارهم فالجواب ان المراد من الدار هو
الديار والاضافة الى الجمع يجوز ان تكون بلفظ الجمع وان تكون بلفظ الواحد اذا امن من الالتباس وانما

اختلف اللفظ للطيفة وهي ان الرجفة هائلة في نفسها فلم تحتج الى تهويل واما الصيحة فغير هائلة في نفسها لكن
تلك الصيحة لما كانت عظيمة حتى احدثت الزلزلة في الارض ذكر الديار بلفظ الجمع حتى يعلم هيبتها والرجفة
بمعنى الزلزلة عظيمة عند كل احد فلم تحتج الى معظم لامرها وقيل ان الصيحة كانت اعظم حيث عمت الارض والجو
والزلزلة لم تكن الا في الارض فذكر الديار هناك وهذا ضعيف لان الدار والديار موضع الجثوم لا موضع الصيحة
والرجفة ثم ما اصبحوا جاثمين الا في ديارهم او دارهم قوله تعالى وعادا وثمودا انتصب باهلكنا مقدرا او عطف
على مفعول فاخذتهم او على مفعول فتنا اول السورة وهو قول الكسائي وفيه بعد كثير وتقدم تنوين ثمود
وعدمه في هود وقرا ابن وثاب وعاد وثمود بالخفض عطفا على مدين عطف لمجرد الدلالة والا يلزم ان
يكون شعيبا مرسلا اليهما وليس كذلك قوله تعالى وقد تبين لكم اي ما حل بهم وقرا الاعمش مساكنهم بالرفع
على الفاعلية بحذف من قوله تبين بسبب جرى عليهم فقال وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل اي عن سبيل
الحق وهو عبادة الله وكانوا مستبصرين قال مقاتل والكلبي وقتادة كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسبون
انهم على هدى وهم على الباطل والمعنى انهم كانوا عند انفسهم مستبصرين وقال الفراء كانوا عقلاء ذوي بصائر
وقيل كانوا مستبصرين بواسطة الرسل يعني لم يكن لهم في ذلك عذر لان الرسل اوضحوا السبل قوله تعالى
وقارون وفرعون وهامان عطف على عادا وثمودا او على مفعول فصدهم او باضمار اذكر ولقد جاءهم موسى
بالبينات بالدلالات كما قال في عاد وثمود وكانوا مستبصرين اي بالرسل فاستكبروا في الارض اي عن عبادة
الله فقوله في الارض اشارة الى قلة عقلهم في استكبارهم لان من في الارض اضعف اقسام المطيعين ومن في السما
فوقهم ثم ان من في السما لا يستكبرون على الله بالعبادة فكيف من في الارض وما كانوا سابقين اي فائتين
من عقابنا قوله تعالى فكلا منصوب باخذنا وبذنبه اي بسبب او مصاحبا لذنبه فمنهم من ارسلنا عليه
حاصبا وهم قوم لوط والحاصب الريح التي تحمل الحصبا وهي الحصا الصغار وقيل كان حجارة محماة تقع على واحد
منهم وتنفذ من الجانب الاخر ومنهم من اخذته الصيحة يعني ثمود ومنهم من خسفنا به الارض يعني قارون
واصحابه ومنهم من اغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه وقوله من اغرقنا عايد على محذوف لاجل الفاصلة ثم قال
وما كان الله ليظلمهم يعني لم يظلمهم بالهلاك وانما ظلموا انفسهم بالاشراك قوله تعالى مثل الذين اتخذوا من
دون الله اوليا يعني الاصنام يرجون نصرها ونفعها كمثل العنكبوت اتخذت لنفسها بيتا تاوي اليه وان بيتها
في غاية الضعف والوهى لا يدفع عنها حرا ولا بردا كذلك الاوثان لا تملك لعابدها نفعا ولا ضرا وان اوهن
البيوت لبيت العنكبوت نسجه بيتا ولم يمنه بنسجه لان نسجه له فيه فايدة لولاه لما حصل وهو اصطيادها
الذباب به من غير ان يفوته ما هو اعظم منه واتخاذهم الاوثان يعبدهم ما هو اقل من الذباب من متاع
الدنيا ولكن يفوتهم ما هو اعظم منها وهو الدار الاخرة التي هي خير وابقى فليس اتخاذهم كنسج العنكبوت وقوله
وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون اشارة الى ما بينا ان كل بيت ففيه اما فايدة الاستظلال
وغير ذلك وبيته يضعف عن افادة ذلك لانه يخرب بادنى شي ولا يبقى منه عين ولا اثر فكذلك عملهم لو كانوا
يعلمون والعنكبوت معروف ونونه اصلية والواو والتاء مزيدتان بدليل جمعه على عناكب وتصغيره
عنيكب ويذكر ويونث فمن التانيث قوله اتخذت ومن التذكير قوله
على هطالهم منهم بيوت كان البيوت هو ابتناها وهذا مطرد في اسما الاجناس يذكر ويونث قوله تعالى لو كانوا
يعلمون جوابه محذوف اي لما اتخذوا من يضرب له بهذه الامثال لحقارته ومتعلق يعلمون لا يجوز ان يكون
من جنس قوله وان اوهن البيوت لان كل احد يعلم ذلك وانما متعلقه مقدر من جنس ما يدل عليه السياق
اي لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم قوله تعالى ان الله يعلم ما تدعون قرا ابو عمرو وعاصم يدعون بالغيبة
والباقون بالخطاب وما يجوز فيها ان تكون موصولة منصوبة بيعلم اي يعلم الذين يدعون ويعلم احوالهم
ومن شي مصدر وان تكون استفهامية وحينئذ يجوز فيها وجهان ان تكون هي وما عملت فيها معترضا بين
قوله يعلم وبين قوله وهو العزيز الحكيم كانه قيل اي شي يدعون من دونه والثاني ان تكون متعلقة ليعلم
فتكون في موضع نصب بها واليه ذهب الفارسي وان تكون نافية ومن في من شي مزيدة في المفعول به كانه
قيل ما يدعون من دونه ما يستحق ان يطلق عليه شي قال الزمخشري هذا زيادة توكيد على التمثيل حيث
انهم لا يدعون من دونه من شي يعني ما يدعون ليس بشي وهو عزيز حكيم فكيف يجوز للعاقل ان يترك القادر
الحكيم ويشتغل بعبادة ما ليس بشي اصلا وهذا يفهم منه انه جعل ما نافية والوجه فيها حينئذ ان تكون الجملة
معترضة كالاول من وجهي الاستفهامية وان تكون مصدرية قال ابو البقا وشي مصدر وفي هذا نظر اذ يصير
التقدير يعلم دعاكم من شي من الدعا قوله تعالى وتلك الامثال نضربها يجوز ان يكون نضربها خبر تلك

والامثال نعت او بدل او عطف بيان وان تكون الامثال خبرا ونضربها حالا وان يكون خبرا ثانيا فصل وتلك الامثال
الاشباه والمثل كلام سائر يتضمن تشبيه الاخر بالاول يريد امثال القران الذي شبه بها احوال كفار هذه الامة باحوال
كفار الامم المتقدمة نضربها نبينها للناس قال مقاتل لكفار مكة وما يعقلها الا العالمون اي ما يعقل الامثال الا
العلما الذين يعقلون عن الله روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الاية وتلك الامثال نضربها للناس
وما يعقلها الا العالمون قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه فصل روى ان الكفار قالوا كيف
يضرب خالق الارض والسموات الامثال بالهوام والحشرات كالبعوض والذباب والعنكبوت فقيل الامثال تضرب
للناس ان لم تكونوا كالانعام يحصل لكم منه ادراك ما يوجب نفرتكم مما انتم فيه لان التشبيه يوثر في النفس تاثيرا
مثل ما يوثر الدليل فاذا قال الحكيم لمن يغتاب بالغيبة كانك تاكل لحم ميت لانك وقعت في هذا الرجل وهو غايب لا يفهم
ما تقول ولا يسمع حتى يجيبك كمن يقع في ميت باكل منه كان يقبح الفعل اذ ناله لانه يوجب العقاب ويورث العتاب قوله تعالى
خلق الله السموات والارض بالحق ليقولن الله وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات
لقوم يعقلون فالجواب خلق السموات والارض اية لكل عاقل وخلقهما بالحق اية للمومنين حسب ويدل عليه النقل
والعقل اما النقل فقوله تعالى ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون اخرج اكثر الناس عن العلم بكونه خلقهما بالحق
مع انه اثبت علم الكل بانه خلقهما بقوله ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله واما العقل فهو ان العاقل
اول ما ينظر الى خلق السموات والارض يعلم ان لهما خالقا وهو الله ثم من يهديه الله لا يقطع النظر عنهما عند مجرد ذلك بل
يقول انه خلقهما متقنا محكما وهو المراد من قوله بالحق لان ما لا يكون محكما يفسد ويبطل فيكون باطلا واذا علم ان خالقهما
متقنا نقول انه قادر كامل حيث خلق فاحكم وعالم علمه شامل حيث اتقن فنقول لا يعزب عن علمه اجزا الموجودات في الارض
ولا في السموات ولا يعجز عن جمعها كما جمع اجزا الكاينات والمبدعات فيجوز بعث من في القبور وبعثة الرسل وثما بالحق
موجودات فيحصل له الايمان بتمامه من خلق ما خلقه على احسن نظامه قوله تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب يعني القران
ليعلم ان نوحا ولوطا وغيرهما كانوا على ما انت عليه بلغوا الرسالة وبالغوا في اقامة الدلالة ولم ينقذوا قومهم من
الضلالة وهذه التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر الفحشا
ما قبح من الاعمال والمنكر ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله فمن
لم تامره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم تزد صلاته من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته
عن الفحشا والمنكر فصلاته وبال عليه وروى انس بن مالك قال كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم لا يدع شيا من الفواحش الا ركبه فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاله فقال ان صلاته تنهاه يوما
فلم يلبث ان تاب وحسن حاله فقال ابن عون معنى الاية ان الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشا والمنكر ما دام فيها وقيل
المراد بالصلاة القران كما قال ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها اي بقراتك واراد انه يقرا القران في الصلاة فالقران ينهاه
عن الفحشا والمنكر قوله تعالى ولذكر الله اكبر اي ذكر الله افضل الطاعات قال عليه السلام الا انبيكم بخير اعمالكم وازكاها
عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير من اعطا الذهب والفضة وان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا
اعناقكم قالوا ماذاك يا رسول الله قال ذكر الله وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي العبادة افضل درجة عند الله
يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار
والمشركين حتى ينكسر او يختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا افضل منه وروى ابو هريرة قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا وما
المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وقيل معنى قوله ولذكر الله اكبر اي ذكر الله اياكم افضل
من ذكركم اياه روى ذلك عن عبد الله وهو قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ويروى مرفوعا عن موسى بن عقبة
عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عطا في قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر ولذكر الله
اكبر من ان يبقى معه معصية والله يعلم ما تصنعون قال عطا لا يخفى عليه شي قوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب
الا بالتي هي احسن اي لا تخاصموهم الا بالتي هي احسن اي بالقران والدعا الى الله باياته والتنبيه على حججه واراد من قبل
الجزية منهم لما بين طريقة ارشاد المشركين بين طريقة ارشاد اهل الكتاب قوله تعالى الا الذين ظلموا استثنا
منفصل وفيه معنيان احدهما الا الظلمة فلا تجادلوهم البتة بل جادلوهم بالسيف اي ابوا ان يعطوا الجزية ونصبوا
الحرب فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا او يعطوا الجزية ويجاز لانه الا الذين ظلموكم لان جميعهم ظالم بالكفر والثاني
جادلوهم بغير التي هي احسن اي اغلظوا لهم كما اغلظوا عليكم قال سعيد بن جبير هم اهل الجزية ومن لا عهد له وقال
قتادة ومقاتل نسخت بقوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله وقرا ابن عباس الا حرف تنبيه اي فجادلوهم قوله تعالى
وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم وهذا تبيين لمجادلتهم بالتي هي احسن يريد اذا اخبركم واحد منهم ممن

قبل الجزية بشيء مما في كتبهم فلا تجادلوهم عليه ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم
وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون. روى أبو هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها
بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا
آمنا بالله وما أنزل إلينا الآية. وروى معمر عن الزهري أن أبا نملة الأنصاري أخبره أنه بينما هو جالس عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء رجل من اليهود ومر بجنازة فقال يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الله أعلم فقال اليهودي إنها تتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثكم أهل
الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان باطلا لم تصدقوه وإن كان حقا
لم تكذبوه. **قوله تعالى** وكذلك أنزلنا إليك الكتاب أي كما أنزلنا إليهم الكتاب أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب
يؤمنون به يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه ومن هؤلاء يعني أهل مكة من يؤمن به وهم مؤمنوا
أهل مكة وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون وذلك أن اليهود عرفوا أن محمدا نبي والقرآن حق فجحدوا. وقال
قتادة الجحود إنما يكون بعد المعرفة وهذا تنفير لهم عما هم عليه يعني أنكم آمنتم بكل شيء وامتزتم على المشركين بكل
فضيلة إلا هذه المسئلة الواحدة وبإنكارها تلتحقون بهم وتبطلون مزاياكم فإن الجاحد بآية يكون كافرا. **قوله
تعالى** وما كنت تتلو من قبله أي من قبل ما أنزلنا إليك الكتاب وقوله من كتاب مفعول تتلو ومن زائدة ومن قبله
حال من كتاب أو متعلق بنفس تتلو ولا تخطه بيمينك أي ولا تكتبه أي لم تكن تقرأ ولا تكتب قبل الوحي. **قوله تعالى**
إذا لارتاب جواب وجزاء أي لو تلوت كتابا قبل القرآن أو كنت ممن يكتب لارتاب المبطلون أي لشك المشركون من
أهل مكة وقالوا إنه يقرؤه من كتب الأولين وينسخه منها. وقال قتادة ومقاتل المبطلون هم اليهود والمعنى
لشكوا فيك واتهموك وقالوا إن الذي نجد نعته في التوراة أمي لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت. **قوله
تعالى** بل هو آيات بينات قرأ قتادة آية بالتوحيد قال الحسن يعني القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا
العلم يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن. وقال ابن عباس وقتادة بل هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو آيات
بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لأنهم يجدونه بنعته وصفته في كتبهم وما يجحد بآياتنا إلا
الظالمون. **فإن قيل** ما الحكمة في قوله ههنا الظالمون ومن قبل قال الكافرون **فالجواب** أنهم قبل بيان المعجزة
قيل لهم إن لكم المزايا فلا تبطلوها بإنكار محمد فتكونوا كافرين فلفظ الكافر هناك أبلغ يمنعهم عن ذلك لاستنكافهم
عن الكفر ثم بعد بيان المعجزة قال لهم إن جحدتم هذه الآيات لزمكم بإنكار إرسال الرسل فتلتحقون في أول
الأمر بالمشركين حكما وتلتحقون عند جحد هذه الآيات بالمشركين حقيقة فتكونوا ظالمين أي مشركين كما قال
إن الشرك لظلم عظيم فهذا اللفظ هنا أبلغ. **قوله تعالى** وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه كما أنزل على الأنبياء من قبل
قرأ الأخوان وابن كثير وأبو بكر آية بالإفراد لأن غالب ما جاء في القرآن كذلك والباقون آيات بالجمع لأن بعده
قل إنما الآيات بالجمع إجماعا والرسم يحتمله. **فصل** اعلم أنهم قالوا إنك تقول إنه أنزل إليك كتاب كما أنزل إلى
موسى وعيسى وليس كذلك لأن موسى أوتي تسع آيات بينات علم بها كون الكتاب من عند الله وأنت ما أوتيت
شيئا منها ثم إنه تعالى أرشد نبيه إلى أجوبة هذه الشبهة بقوله قل إنما الآيات عند الله وهو القادر على إرسالها
إذا شاء أرسلها وإنما أنا نذير مبين أنذر أهل المعصية بالنار وليس إنزال الآيات بيدي. **قوله تعالى** أولم يكفهم
هذا جواب لقولهم لولا أنزل عليه آيات من ربه قيل أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ففاعل يكفهم
هو قوله أنا أنزلنا والمعنى إن كان إنزال الآيات شرطا في صحة الرسالة فلا يشترط إلا إنزال آية وقد أنزل القرآن وهو آية
معجزة ظاهرة كافية فقوله أولم يكفهم عبارة تنبئ عن كون القرآن آية فوق الكفاية وبيانه أن القرآن أتم من
كل معجزة لوجوه. أحدها أن تلك المعجزات وجدت وما دامت فإن قلب العصا ثعبانا وإحياء الميت لم يبق لنا
منه أثر فلو أنكره واحد لم يمكننا إثباتها معه بدون الكتاب وأما القرآن فهو باق لو أنكره واحد فيقال له
فأت بآية من مثله. الثاني أن قلب العصا ثعبانا كان في آن واحد ولم يره من لم يكن في ذلك المكان وأما
القرآن فقد وصل إلى المشرق والمغرب وسمعه كل أحد وههنا لطيفة وهي أن آيات النبي صلى الله عليه وسلم
كانت أشياء لا تختص بمكان دون مكان لأن من جملتها انشقاق القمر وهو يعم الأرض لأن الخسوف إذا وقع عم
وذلك لأن نبوته كانت عامة لا تختص بقطر دون قطر وغاض بحر ساوه في قطر وسقط إيوان كسرى في قطر وانهدت
الكنيسة بالروم في قطر إخبارا وإعلاما بأنه يكون أمرا عاما. الثالث أن غير هذه المعجزة يقول الكافر المعاند
هذا سحر وعمل يد والقرآن لا يمكن هذا القول فيه ثم قال تعالى إن في ذلك لرحمة أي في إنزال القرآن لرحمة
وذكرى لقوم يؤمنون أي تذكيرا وعظة لمن آمن وعمل به. **قوله تعالى** قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا أني رسوله
وهذا القرآن كتابه وهذا كما يقول الصادق إذا كذب وأتى بكل ما يدل على صدقه ولم يصدقه المعاند إنه يعلم

صدقي وتكذيبك إياي المعاند هو على ما أقول شهيد يحكم بيني وبينك كل ذلك إنذار وتهديد ثم بين كونه كافيا بكونه
عالما بجميع الأشياء فقال يعلم ما في السموات والأرض. **فإن قيل** ما الحكمة في آية أخرى شهادة أهل الكتاب في آخر الرعد
في قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وههنا قد تقدم
شهادة أهل الكتاب فقال فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به أي من أهل الكتاب **فالجواب** أن الكلام هناك
مع المشركين فاستدل عليهم بشهادة غيرهم أن شهادة الله أقوى من شهادة غير الله وههنا الكلام مع أهل
الكتاب وشهادة المرء على نفسه هو إقراره وهو أقوى الحجج عليه فقدم ما هو ألزم عليهم ثم إنه تعالى لما بين الطريقين
في إرشاد الفريقين المشركين وأهل الكتاب عاد إلى الشامل لهما والإنكار العام فقال والذين آمنوا بالباطل قال
ابن عباس بغير الله وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون. **فإن قيل** قوله أولئك هم الخاسرون يقتضي الحصر أي
من أتى بالإيمان بالباطل والكفر بالله فهو الخاسر فمن يأتي بأحدهما دون الآخر ينبغي أن لا يكون خاسرا **فالجواب**
أنه يستحيل أن يكون الآتي بأحدهما لا يكون آتيا بالآخر لأن المؤمن بما سوى الله مشرك لأنه جعل غير الله مثله وغير
الله عاجز ممكن باطل فيكون الله كذلك ومن كفر بالله وأنكره فيكون قائلا بأن العالم ليس له إله موجود فوجود
العالم من نفسه فيكون قائلا بأن العالم واجب الوجود والواجب إله فيكون قائلا بأن غير الله إله فيكون إثباتا
لغير الله وإيمانا به. **فإن قيل** إذا كان الإيمان بما سواه كفرا به فيكون كل من آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف
فائدة غير التأكيد الذي في قول القائل قم ولا تقعد واقرب مني ولا تبعد **فالجواب** فيه فائدة وهو أنه ذكر
الثاني لبيان قبح الأول كقول القائل أتقول بالباطل وتترك الحق لبيان أن القول بالباطل قبيح. **قوله تعالى**
ويستعجلونك بالعذاب نزلت في النضر بن الحارث حين قال فأمطر علينا حجارة من السماء ولولا أجل مسمى قال
ابن عباس ما وعدتك أني لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم إلى يوم القيامة كما قال بل الساعة موعدهم
وقيل يوم بدر ولولا ذلك الأجل المسمى الذي اقتضته حكمته لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة يعني العذاب وقيل
الأجل بغتة وهم لا يشعرون بإتيانه وقوله وهم لا يشعرون يحتمل وجهين أحدهما تأكيد معنى قوله بغتة كما يقول
القائل أتيته على غفلة منه بحيث لم يدر فأكد معنى الغفلة. والثاني أنه يفيد فائدة مستقلة وهي أن العذاب يأتيهم
بغتة وهم لا يشعرون هذا الأمر ويظنون أن العذاب لا يأتيهم أصلا. **قوله** يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة
بالكافرين ذكر هذا للتعجب لأن من يوعد بأمر فيه ضرر يسير كلطمة أو لكمة فيرى من نفسه الجلد ويقول باسم
الله هات. وأما من توعد بإغراق أو إحراق ويقطع بأن الموعد قادر لا يخلف الميعاد لا يخطر بباله أن العاقل أن
يقول له هات ما توعدني به فقال ههنا يستعجلونك بالعذاب والعذاب بنار جهنم المحيطة بهم فقوله يستعجلونك
أولا إخبار عنهم وثانيا تعجبا منهم وقيل إعادة تأكيدا ثم ذكر كيفية الإحاطة جهنم فقال يوم يغشاهم العذاب
من فوقهم ومن تحت أرجلهم. **فإن قيل** لم خص الجانبين ولم يذكر اليمين والشمال وخلف وقدام **فالجواب**
أن المقصود ذكر ما يتميز به نار جهنم عن نار الدنيا ونار الدنيا تحيط بالجوانب الأربعة فإن من دخلها تكون
الشعلة قدامه وخلفه ويمينه ويساره وأما النار من فوق فلا تنزل وإنما تصعد من أسفل في العادة وتحت
الأقدام لا تبقى الشعلة بل تنطفي الشعلة التي تحت القدم ونار جهنم تنزل من فوق ولا تنطفي بالدوس موضع
القدم. **فإن قيل** ما الحكمة في قوله من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولم يقل من فوق رؤوسهم ولا قال من فوقهم
بل ذكر المضاف إليه عند ذكر تحت ولم يذكره عند ذكر فوق. فالجواب أن نزول النار من فوق سواء كان من
سمت الرأس أو من موضع آخر عجيب لأن طبع النار الصعود إلى فوق فلهذا لم يخصه بالرؤوس وأما بقاء النار تحت
القدم فهو عجيب والأقمن جوانب القدم في الدنيا تكون الشعلة فذكر العجيب وهو ما تحت الأرجل حيث لم
ينطفئ بالدوس وأما فوق فعلى الإطلاق. **قوله** تعالى ونقول ذوقوا. قرأ نافع وأهل الكوفة ويقول بالياء الغيبة
أي الله تعالى أو الملك الموكل بعذابهم والباقي بالنون أي جماعة الملائكة أو نون العظمة لله تعالى وأبو
البرهسم بالتاء من فوق أي جهنم كقوله وتقول هل من مزيد وعبد الله وابن أبي عبلة ويقال مبنيا للمفعول
وقوله ما كنتم تعملون أي جزاء ما كنتم تعملون لما بين عذاب أرواحهم وهو أن يقال لهم على سبيل التنكيل والإهانة
ذوقوا ما كنتم تعملون جعل ذلك عين ما كانوا يعملون مبالغة بطريق إطلاق اسم المسبب على السبب فإن عملهم
كان سببا لعذابهم وهذا كثير في الاستعمال. **قوله** تعالى يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة لما ذكر حال
المشركين على حدة وحال أهل الكتاب على حدة وجمعهما في الإنذار وجعلهما من أهل النار اشتد عنادهم وزاد فسادهم
وسعوا في إيذاء المؤمنين ومنعهم من العبادة. قال مقاتل والكلبي نزلت في ضعفاء مسلمي مكة يقول إن كنتم في ضيق
بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إن أرضي المدينة واسعة آمنة. قال مجاهد إن أرضي واسعة فهاجروا وجاهدوا
فيها. وقال سعيد بن جبير إذا عمل في الأرض بالمعاصي فاخرجوا منها فإن أرضي واسعة. وقال عطاء إذا أمرتم بالمعاصي

فاقرءوا ان ارضى واسعة ولذلك يجب على كل من كان فى بلد يعمل فيها بالمعاصى ولا يمكنه تغييره ذلك ان يهاجر الى حيث تتهيا له العبادة وقيل نزلت فى قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله هذه الاية ولم يعذرهم بترك الخروج وقال مطرف بن عبد الله ارضى واسعة رزقى لكم واسع فاخرجوا فصل قوله يا عبادى لا يدخل فيه الكافر لوجوه احدها قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان والكافر تحت سلطنة الشيطان فلا يدخل فى قوله يا عبادى وثانيها قوله تعالى يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وثالثها ان العباد ماخوذ من العبادة والكافر لا يعبد الله فلا يدخل فى قوله عبادى وانما يختص بالمؤمنين الذين يعبدونه ورابعها الاضافة بين الله والعبد بقوله لعبد الى وقول الله عبدى فان قيل اذا كان عباده لا يتناول الا المؤمنين فما الفائدة فى قوله الذين امنوا مع ان الوصف انما يذكر لتمييز الموصوف كما يقال يا ايها المكلفون المؤمنون يا ايها الرجال العقلاء تمييزا بين الكافر والجاهل فالجواب ان الوصف يذكر لا لتمييز بل لمجرد بيان ان فيه الوصف كما يقال الانبياء المكرمون والملائكة المطهرون مع ان كل نبى مكرم وكل ملك مطهر وانما يقال لبيان ان فيهم الاكرام والطهارة ومثله قولنا الله العظيم هاهنا ذكر لبيان انهم مؤمنون فان قيل قوله يا عبادى يفهم منه كونهم عابدين فما الفائدة فى الامر بالعبادة بقوله فاعبدون فالجواب فيه فايدتان احدهما المداومة اى يا من عبدتمونى فى الماضى اعبدونى فى المستقبل والثانية الاخلاص اى يا من تعبدنى اخلص العمل لى ولا تعبد غيرى فان قيل الفاء فى قوله فاياى يدل على انه جواب لشرط فما ذاك فالجواب قوله ان ارضى واسعة اشارة الى عدم المانع من عبادته فكانه قال اذا كان لا مانع من عبادتى فاياى فاعبدون فهو ترتيب المقتضى على المقتضى كما يقال هذا عالم فاكرموه فكذا هنا لما اعلم نفسه بقوله فاياى وهو لنفسه مستحق العبادة فقال فاعبدون قال الزمخشرى هذا جواب شرط مقدر وجعل تقديم المفعول عوضا من حذفه مع افادته للاختصاص وقد تقدم منازعة ابى حيان له فى نظيره قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون قراه بالغيبة ابو بكر وكذا فى الروم فى قوله ثم اليه ترجعون ووافقه ابو عمرو فى الروم فقط والباقون بالخطاب فيهما وقرى ترجعون مبنيا للفاعل فصل لما امر الله تعالى المؤمنين بالمهاجرة صعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان فخوفهم بالموت ليهون عليهم الهجرة اى كل احد ميت اين ما كان ولا تقيموا بدار الشرك خوفا من الموت فان كل نفس ذائقة الموت فالاولى ان يكون ذلك فى سبيل الله فيجازيكم عليه فان الى الله مرجعكم فيجزيكم باعمالكم وفيه وجه اخر دقيق وهو ان قوله كل نفس ذائقة الموت اى اذا كانت متعلقة بغيرها فهو للموت ثم الى الله ترجع فلا تموت كما قال تعالى لا يذوقون فيها الموت واذا كان كذلك فمن يريد ان لا يذوق الموت لا يبقى مع نفسه فان النفس ذائقة بل يتعلق بغيره ذلك الغير ان كان غير الله فهو ذائق الموت لقوله كل نفس ذائقة الموت وكل شى هالك الا وجهه فاذن التعلق بالله فقال تعالى اياى فاعبدون اى تعلقوا بى ولا تتبعوا النفس فانها ذائقة الموت ثم الينا ترجعون اى اذا تعلقتم بى فموتكم رجوع الى وليس بموت كقوله ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء وقال عليه السلام المؤمنون لا يموتون بل ينقلون من دار الى دار قوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات يجوز فى الذين الوجهان المشهوران الابتداء والاشتغال وقوله لنبوئنهم قرا الاخوان بثاء مثلثة ساكنة بعد النون وياء مفتوحة بعد الواو من الثواء وهو الاقامة يقال ثوى الرجل اذا اقام واثويته اذا انزلته منزلا يقيم فيه والباقون بباء موحدة مفتوحة بعد النون وهمزة مفتوحة بعد الواو من المباءة وهى الانزال اى لننزلنهم من الجنة غرفا علالى قوله تعالى غرفا على القراءة الاولى اما مفعول به على تضمين اثوى فيتعدى لاثنين لان ثوى قاصر واكتسبه بالهمزة التعدى لواحد واما على تشبيه الظرف المختص بالمبهم كقوله لاقعدن لهم صراطك واما على اسقاط الخافض اتساعا اى فى غرف واما فى القراءة الثانية فمفعول ثان لان بوا يتعدى لاثنين قال تعالى تبوى المؤمنين مقاعد للقتال ويتعدى باللام قال تعالى واذ بوانا لابرهيم وقرى لنبوينهم بالتشديد مع الثاء المثلثة عدى بالتضعيف كما عدى بالهمزة وتجرى صفة لغرفا خالدين فيها نعم اجر العاملين وهذا فى مقابلة قوله للكفار ذوقوا ما كنتم تعملون قوله تعالى الذين صبروا يجوز فيه الجر والنصب والرفع كنظائره تقدمت والمعنى الذين صبروا على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم وعلى ربهم يتوكلون يعتمدون قوله تعالى وكاين من دابة لا تحمل رزقها جوز ابو البقاء كاى وجهين احدهما انها مبتدا ولا تحمل صفتها والله يرزقها خبره من دابة تبيين والثانى ان يكون فى موضع نصب باضمار فعل يفسره يرزقها ويقدر بعد كاى يعنى لان لها صدر الكلام وفى الثانى نظر لان من شرط المفسر العمل وهذا المفسر لا يعمل لانه لو عمل لحل محل المعمول لكنه لا يحل محله لان الخبر متى كان فعلا رافعا لضمير مفرد امتنع تقديمه على المبتدا واذا اردت معرفة هذه القاعدة فعليك بسورة هود عند قوله الا يوم ياتيهم ليس مصروفا فصل لما ذكر الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ذكر ما يعين على التوكل وبيان حال الدواب التى لا تدخر شيئا ولا يهادرن فيها كل يوم

واعلم

واعلم ان فى كاين اربع لغات غير هذه كاء على وزن راع وكاى على وزن رعى وكى على وزن ربع وكا على وزن رع ولم يقرا الا كاين وكاء قراة ابن كثير قوله تعالى كاين كلمة مركبة من كاف التشبيه واى التى تستعمل استعمال من وما وكتبتا وجعل المركب بمعنى كم ثم لم يكتب الا بالنون ليفصل بين المركب وغير المركب لان كاى تستعمل غير مركب كما يقول القايل رايت رجلا لا كاى رجل يكون وجيبة لا يكون كاى مركبا واذا كان كاى هاهنا مركبا كتبت بالنون للتمييز كما يكتب ثمة بالتاء موصولا للفرق بالتاء تمييزا بينها وبين ثمة فصل روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة واذاهم المشركون هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فانزل الله وكاين من دابة اى وكم من دابة ذات حاجة الى غذاء لا تحمل رزقها اى لا ترفع رزقها ولا تدخر شيئا لغد مثل البهائم والطير وقيل لا تحمل رزقها لضعفها كالقمل والبراغيث والدود الله يرزقها واياكم حيث ما كنتم وهو السميع لاقوالكم لا نجد ما ننفق بالمدينة العليم بما فى قلوبكم قال سفيان ليس شى مما خلق الله يخبى قوته الا الانسان والفارة والنملة وروى ابن عمر قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حايطا من حوايط الانصار فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقط الرطب بيده وياكل فقال كل يا ابن عمر فقلت [illegible] قال يا ابن عمر لو سالت ربى لاعطانى مثل ملك كسرى وقيصر اضعافا مضاعفة ولكنى اجوع يوما واشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر اذا عمرت وبقيت فى حثالة من الناس يخبؤن رزق سنة ويضعف اليقين فنزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الاية وقال عليه السلام لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا قوله تعالى ولئن سالتهم يعنى كفار مكة من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون اى هم يعتقدون هذا فكيف يصدفون عن عبادة الله مع ان من علم عظمته وجب خدمته ولا عظمة فوق السموات والارض ولا حقارة فوق حقارة الجماد لان الجماد دون الحيوان والحيوان دون الانسان والانسان دون مكان السموات فكيف يتركون عبادة اعظم الموجودات ويشتغلون بعبادة احقر الموجودات فصل لما بين امر المشرك خاطبا معه ولم ينتفع به واعرض عنه وخاطب المؤمن بقوله يا عبادى واتم الكلام معه ذكر معه ما يكون ارشادا للمشرك بحيث يسمعه وهذا طريق فى غاية الحسن فان السيد اذا كان له عبدان او الوالد اذا كان له ولدان واحدهما رشيد والاخر مفسد ينصح اولا المفسد فان لم يسمع يلتفت الى الرشيد ويعرض عن المفسد ويقول ان هذا لا يستحق الخطاب فاسمع انت ولا تكن مثل هذا المفسد فيتضمن هذا الكلام نصيحة الرشيد وزجر المفسد فان قوله هذا لا يستحق الخطاب يوجب نكاية فى قلبه ثم اذا ذكر مع المصلح فى اثناء الكلام والمفسد يسمعه ان هذا حال العجب منه انه يعلم قبح فعله ويعرف الفساد من الصلاح وسبل الرشاد والفلاح ويشتغل بضده يكون هذا الكلام ايضا داعيا الى الرشاد مانعا له من الفساد فكذلك قال الله تعالى للمؤمن العجب منهم انهم ان سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم لا يؤمنون فصل ذكر فى السموات والارض الخلق وفى الشمس والقمر التسخير لان مجرد خلق الشمس والقمر ليس حكمة فان الشمس لو كانت مخلوقة بحيث تكون فى موضع واحد لا تتحرك ما جعل الليل والنهار ولا الصيف والشتاء فاذا الحكمة فى تحريكهما وتسييرهما واعلم ان فى لفظ التسخير دون التحريك فايدة وهى ان التحريك يدل على مجرد الحركة وليس بمجرد الحركة كافية لانها لو كانت تتحرك مثل حركتنا لما كانت تقطع الفلك فى الوف من السنين فالحكمة فى التسخير بما تحريكهما فى قدر ما يتنفس الانسان الافا من الفراسخ ثم لم يجعل لهما حركة واحدة بل حركات احدها حركتها من المشرق الى المغرب فى كل يوم وليلة مرة والاخرى حركتها من المغرب الى المشرق ويدل عليها ان الهلال يرى فى جانب المغرب على بعد مخصوص من الشمس ثم يبعد منها الى جانب المشرق حتى يرى القمر فى نصف الشهر فى مقابلة الشمس والشمس على افق المغرب والقمر على افق المشرق وايضا حركة الاوج وحركة المايل والتدوير فى القمر ولولا الحركة التى من المغرب الى المشرق لما حصلت الفصول واعلم ان اصحاب الهيئة قالوا الشمس مركوزة فى الفلك والفلك يديرها بدورانه وانكره المفسرون الظاهريون واعلم انه لا يبعد فى ذلك ان لم يقولوا بالطبيعة قالوا الله تعالى فاعل مختار ان اراد ان يحركهما فى الفلك والفلك ساكن يجوز وان اراد تحركهما بحركة الفلك وهما ساكنان يجوز ولم يرد فيه نص قاطع او ظاهر واعلم انه تعالى ذكر اتحاد الذوات بقوله خلق السموات والارض وذكر اتحاد الصفات بقوله وسخر الشمس والقمر ثم قال الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده لما ذكر الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الانسان بالرزق فقال المعبود اما ان يعبد لاستحقاقه العبادة والاصنام ليست كذلك والله مستحقها واما لكونه ولى الاحسان عظيم الشان والله الذى خلق السموات عظيم الشان جلى البرهان فله العبادة واما لكونه ولى الاحسان والله يرزق الخلق فله الفضل والاحسان والامتنان فله العبادة ان الله بكل شى عليم يعلم مقادير الحاجات والارزاق ولما قال الله يبسط الرزق ذكر اعترافا فهم بذلك فقال ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله يعنى هذا سبب الرزق وموجد السبب موجد المسبب فالرزق من الله قوله تعالى قل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة عليهم بل اكثرهم لا يعقلون يتركون التو

بح اقرارهم بانه خالق لهذه الاشيا فقل الحمد لله على ظهور تناقضهم واكثرهم لا يعقلون هذا التناقض وقيل هذا كلام معترض في اثنا الكلام كانه قال فاحيا به الارض من بعد موتها بل اكثرهم لا يعقلون فذكر في اثنا الكلام الحمد لذكر النعمة كقوله ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان قوله تعالى وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا واللعب العبث سميت بهما لانها فانية وقيل اللهو الاعراض عن الحق واللعب الاقبال على الباطل فصل قال في الانعام وما الحياة الدنيا ولم يقل وما هذه الحياة وقال هٰهنا وما هذه الحياة فما فايدته فالجواب ان المذكور من قبل هٰهنا امر الدنيا حيث قال فاحيا به الارض من بعد موتها فقال هذه والمذكور قبلها هناك الاخرة حيث قال يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم فلم تكن الدنيا في ذلك الوقت في خاطرهم فقال وما الحياة الدنيا فان قيل ما الحكمة في تقديمه هناك اللعب على اللهو وهٰهنا اخر اللعب عن اللهو فالجواب لما كان المذكور من قبل هناك الاخرة واظهارهم للحسرة ففي ذلك الوقت يبعد الاستغراق في الدنيا بل نفس الاشتغال بها فاخذ الابعد وهٰهنا لما كان المذكور من قبل الدنيا وهي خداعة تدعوا النفوس الى الاقبال عليها والاستغراق فيها اللهم الا لمانع يمنع من الاستغراق فيشتغل بها من غير استغراق فيها او لعاصم يعصمه فلا يشتغل بها اصلا فكان الاستغراق اقرب من عدمه فقدم اللهو فان قيل ما الحكمة في قوله هناك وللدار الاخرة خير وقال هٰهنا وان الدار الاخرة لهي الحيوان فالجواب لما كان الحال هناك حال اظهار الحسرة ما كان المكلف يحتاج الى وازع قوي فقال الاخرة خير ولما كان الحال هٰهنا حال الاشتغال بالدنيا احتاج الى وازع قوي فقال لا حياة الا حياة الاخرة قوله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان قدر ابو البقا وغيره وقيل المبتدا مضافا اي وان حياة الدار الاخرة وانما قدر ذلك لتطابق المبتدا والخبر والمبالغة احسن وواو الحيوان عن ياء عند سيبويه واتباعه وانما ابدلت واوا شذوذا وكذا في حيوة علما وقال ابو البقا لئلا تلتبس بالتثنية يعني لو قيل حييان وقال ولم تقلب الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها لئلا تحذف احدى الالفين وغير سيبويه حمل ذلك على ظاهره فالحيوة عنده لامها واو ولا دليل لسيبويه في حيي لان الواو متى انكسر ما قبلها قلبت يا نحو غزي ودعي ورضي ومعنى الاية وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي الحيوة الدايمة الباقية والحيوان بمعنى الحياة اي فيها الحياة الدايمة لو كانوا يعلمون انها الحيوان لما اثروا عليها الدنيا فان قيل ما الحكمة في قوله في الانعام افلا تعقلون وقال هٰهنا لو كانوا يعلمون فالجواب ان المثبت هناك كون الاخرة خيرا ولانه ظاهر لا يتوقف الا على العقل والمثبت هٰهنا ان لا حياة الا حياة الاخرة وهذا دقيق لا يعرف الا بعلم نافع قوله تعالى فاذا ركبوا قال الزمخشري فان قلت لم اتصل قوله فاذا ركبوا في الفلك قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا قوله تعالى دعوا الله معناه فاذا خافوا الغرق دعوا الله مخلصين له الدين وتركوا الاصنام وهذا اشارة الى تحقيق ان المانع من التوحيد هو الحياة الدنيا لانهم اذا انقطع رجاهم عن الدنيا رجعوا الى الفطرة الشاهدة بالتوحيد ووحدوا واخلصوا واذا انجاهم وازجاهم عادوا الى ما كانوا عليه من حب الدنيا واشركوا لقوله فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وهذا اخبار عنهم بانهم عند الشدة لا يدعون الا القادر على كشفها هو الله عز وجل وحده واذا زالت عادوا الى كفرهم قال عكرمة كان اهل الجاهلية اذا ركبوا البحر حملوا معهم الاصنام فاذا اشتدت عليهم الريح القوها في البحر وقالوا يا رب يا رب قوله تعالى ليكفروا اتيه وجهان احدهما ان اللام لام كي اي يشركوا ليكون اشراكهم كفرا بنعمة الانجا وليتمتعوا بسبب الشرك فسوف يعلمون وبال عملهم والثاني ان تكون لام الامر ومعناه التهديد والتوعيد كقوله اعملوا ما شئتم اي ليجحدوا نعمة الله في انجايه اياهم فيستعملون فساد ما يعملون قوله تعالى وليتمتعوا قرا ابو عمرو وابن عامر وعاصم وورش بكسرها وهي محتملة للامرين المتقدمين والباقون بسكونها وهي ظاهرة في الامر فان كانت اللام الاولى للامر فقد عطف امرا على مثله وان كانت للعلة فيكون قد عطف كلاما على كلام فيكون المعنى لا فايدة لهم في الاشراك الا الكفر والتمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الاخرة وقرا عبد الله فتمتعوا فسوف تعلمون وابو العالية فيتمتعوا بالياء من تحت مبنيا للمفعول قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا وجه تعلقه بما قبله ان الانسان يكون في البحر على خوف ما يكون وفي بيته يكون على امن ما يكون لا سيما اذا كان بيته في بلد حصين فلما ذكر الله حال المشركين عند الخوف الشديد وراوا انفسهم في تلك الحالة راجعة الى الله ذكرهم حالهم عند الامن العظيم وهي كونهم في مكة فانها مدينتهم وبلدهم وفيها سكناهم ومولدهم وهي حصين يحصن الله حيث كل من دخلها يمتنع من قتال من حصل فيها والحصول فيها يدفع الشرور عن النفوس يعني انكم في اخوف ما انتم دعوتم الله وفي امن ما جعلتم عليه كفرتم بالله وهذا متناقض لان دعاكم في ذلك الوقت على سبيل الاخلاص ما كان الا لقطعكم بان النعمة من الله لا غير وهذه النعمة العظيمة التي حصلت وقد اعترفتم بها لا تكون الا من الله فكيف تكفرون بها والاصنام التي قلتم في حال الخوف ان لا امن لها كيف امنتم بها في حال الامن ثم قال افبالباطل يومنون قرا العامة يومنون ويكفرون

الغيبة والحسن والسلمي الى الخطاب فيهما والمعنى افبالاصنام والشياطين يومنون وبنعمة الله محمد والاسلام يكفرون قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم ان له شريكا والظلم وضع الشي في غير موضعه فاذا وضعه في موضع لا يمكن ان يكون ذلك موضعه يكون الظلم لان عدم الامكان اقوى من عدم الحصول قوله تعالى او كذب بالحق لما جاءه اي محمد والقران لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين وهذا الاستفهام تقرير كقوله الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح والمعنى اما لهذا الكافر المكذب ثاوي في جهنم قوله تعالى والذين جاهدوا فينا يجوز فيه ما جاز في قوله والذين امنوا اول السورة وفيه رد على ثعلب حيث زعم ان جملة القسم لا تقع خبر المبتدا والمعنى والذين جاهدوا المشركين لنصرة ديننا لنهدينهم سبلنا لنثبتنهم على ما قاتلوا عليه وقيل لنزيدنهم هدى كما قال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وقيل لنهدينهم لاصابة الطريق المستقيم والطريق المستقيم هي التي توصل الى رضى الله عز وجل قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه اهل الثغور فان الله قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل المجاهدة هي الصبر على الطاعات قال الحسن افضل الجهاد مخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبيل العمل به قال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة قوله تعالى لمع المحسنين من اقامة الظاهر مقام المضمر اظهارا لشرفهم والمعنى لمع المحسنين بالنصر والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عقباهم روى ابو امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المومنين والمنافقين

سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ستون اية وثمان ماية وتسع عشرة كلمة وثلثة الاف وخمس ماية واربعة وثلاثون حرفا الم غلبت الروم وجه تعلق هذه السورة بما قبلها ان الله تعالى لما قال ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وكان يجادل المشركين بنسبتهم الى عدم العقل كما في قوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وكان اهل الكتاب يوافقون النبي صلى الله عليه وسلم في الاله كما قال والهنا والهكم واحد وكانوا يومنون بكثير مما يقوله بل كثير منهم كانوا مومنين به كما قال والذين اتيناهم الكتاب يومنون به ابغض المشركون اهل الكتاب وتركوا مراجعتهم وكانوا من قبل يراجعونهم في الامور وكان بين فارس والروم قتال والمشركون يودون ان يغلب فارس الروم لان اهل فارس كانوا مجوسا اميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم اهل الكتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يدعى بخس فالتقيا باذرعات وبصرى وقال عكرمة هي اذرعات وكسكر وقال مجاهد ارض الجزيرة وقال مقاتل الاردن وفلسطين وهي ادنى الشام الى ارض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق ذلك عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ونحن اميون وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من الروم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله تعالى هذه الايات لبيان ان الغلبة لا تدل على الحق بل الله قد يزيد في ثواب المومن فيبتليه ويسلط عليه الاعادي وقد يختار تعجيل العذاب الاكبر قبل يوم الميعاد فصل قد تقدم ان كل سورة افتتحت بحروف التهجي فان اولها ذكر الكتاب او التنزيل او القران كقوله الم ذلك الكتاب المص كتاب طه ما انزلنا عليك القران الم تنزيل الكتاب حم تنزيل من الرحمن الرحيم يس والقران الا هذه السورة وسورتين اخريين وذكرناهما في العنكبوت وذكرنا الحكمة فيها هناك واما ما يتعلق بهذه السورة فنقول ان السورة التي في اوايلها التنزيل والكتاب والقران في اوايلها ذكر ما هو معجزة فقدمت عليها الحروف على ما تقدم بيانه في العنكبوت وهذه في اوايلها ذكر ما هو معجزة وهو الاخبار عن الغيب فقدمت الحروف التي لم تعلم معناها ليتنبه السامع فيقبل بقلبه على الاستماع ثم يرد عليه المعجزة ويقرع للاستماع قوله تعالى في ادنى الارض زعم بعضهم ان الالف واللام عوض من الضمير وان الاصل في ادنى ارضهم وهو قول كوفي وهذا على قول الحرب كان من جهة بلادهم واما من يقول انه من جهة بلاد العرب فلا يتاتى ذلك وقرا العامة غلبت مبنيا للمفعول وعلي بن ابي طالب وابو سعيد الخدري وابن عمر رضي الله تعالى عنهم واهل الشام مبنيا للفاعل قوله تعالى وهم من بعد غلبهم اي الروم من بعد غلب فارس اياهم والغلب والغلبة لغتان فعلى القراءة الشهيرة يكون المصدر مضافا لمفعوله ثم هذا المفعول اما ان يكون مرفوع المحل على ان المصدر المضاف اليه ماخوذ من مبني للمفعول على خلاف في ذلك واما منصوب المحل على ان المصدر من مبني للفاعل والفاعل محذوف تقديره من بعد ان غلبهم عدوهم وهم فارس واما على القراءة الثانية فهو مضاف لفاعله قوله تعالى سيغلبون خبر المبتدا ومن بعد غلبهم متعلق به والعامة بل نقل بعضهم الاجماع على سيغلبون مبنيا للفاعل فعلى الشهيرة واضح اي من بعد ان غلبتهم فارس سيغلبون فارس واما على القراءة الثانية فاخبر انهم سيغلبون ثانيا بعد ان غلبوا اولا وروي عن ابن عمر انه قرا ثانيه

للمفعول وهذا يخالف لما ورد في سبب الاية وما ورد في الاحاديث وقد يلايم هذا بعض ملايمة من قرا
غلبت مبنيا للفاعل وقد تقدم ان ابن عمر ممن قرا بذلك وقد خرج النحاس قراءة عبد الله بن عمر على
تخريج حسن وهو ان المعنى وفارس من بعد غلبهم للروم سيغلبون الا ان فيه اضمارا وما لم يذكر
ولا جرى بسبب ذكره **قوله تعالى في بضع** متعلق بما قبله وتقدم تفسير البضع واشتقاقه في يوسف
وقال الفراء الاصل في غلبهم غلبتهم بتاء التانيث فحذفت للاضافة كاقام الصلاة وغلطه النحاس بان اقام الصلوة
قد يقال فيها ذلك لاعتلالها واما هنا فلا ضرورة تدعو اليه وقرا ابن السميفع وابو حيوة غلبهم بسكون اللام فيحتمل
ان يكون تخفيفا شاذا وان يكون لغة في المفتوح كالطعن والظعن **فصل** قوله في ادنى الارض اي ارض العرب
لان الالف واللام للعهد والمعهود عندهم ارضهم فان قيل اي فائدة في ذكر قوله من بعد غلبهم لان قوله سيغلبون
بعد قوله غلبت الروم لا يكون الا من بعد الغلبة فالجواب فائدته اظهار القدرة وبيان ان ذلك بامر الله لان من
غلب بعد غلبة لا يكون الا ضعيفا فلو كانت غلبتهم لشوكتهم لكان الواجب ان يغلبوا قبل غلبهم فاذا غلبوا دل على
ان ذلك بامر الله تعالى فقال من بعد غلبهم ليتفكروا في ضعفهم ويتذكروا انه ليس بقوتهم وانما ذلك بامر من الله تعالى وقوله
في ادنى الارض لبيان شدة ضعفهم اي انتهى ضعفهم الى ان وصل عدوهم الى طرف الحجاز وكسروهم وهم في بلادهم ثم غلبوا حتى وصلوا
الى المداين وبنوا هناك الرومية لبيان ان هذه الغلبة العظيمة بعد ذلك الضعف العظيم باذن الله تعالى وبارادته
فصل قال في بضع سنين وهو ما بين الثلاثة والعشرة فابهم الوقت مع ان المعجزة في تعيين الوقت لا تتم الا ان السنة
والشهر واليوم والساعة كلها معلومة عند الله وبين لنبيه وما اذن له في اظهاره لان الكفار كانوا معاندين
والامور التي تقع في البلاد تكون معلومة الوقوع بحيث لا يمكن انكارها لكن وقتها يمكن الاختلاف فيه فالمعاند كان يتمكن
من ان يرجف بوقوع الواقعة قبل الوقوع ليحصل الخلاف في كلامه ولما انزلت الاية خرج ابو بكر رضي الله عنه
الى الكفار فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله ليظهرن الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا
صلى الله عليه وسلم فقام اليه ابي بن خلف الجمحي فقال كذبت قال ابو بكر انت الكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا اجلا اناحبك
عليه والمناحبة المراهنة على عشر قلائص منك فان ظهرت الروم على فارس غرمت وان ظهرت فارس على الروم غرمت
وجعلوا الاجل ثلاث سنين فجاء ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وذلك قبل تحريم القمار فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاثة الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلها مائة قلوص ومائة
قلوص الى تسع سنين وقيل الى سبع سنين قال قد فعلت وهذا يدل على علم النبي صلى الله عليه وسلم بوقت الغلبة ثم ان ابي
بن خلف خشي ان يخرج ابو بكر من مكة فاتاه ولزمه وقال اني اخاف ان تخرج من مكة فاقم لي كفيلا فكفله ابنه عبد الله بن
ابي بكر فلما اراد ابي بن خلف ان يخرج الى احد اتاه عبد الله بن ابي بكر فلزمه وقال والله لا ادعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه
كفيلا ثم خرج الى احد ثم رجع ابي بن خلف فمات بمكة من جراحته التي جرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت
الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند راس سبع سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر قال الشعبي لم تمض
المدة التي عقدوا المناحبة بينهم اهل مكة وصاحب قمارهم ابي بن خلف والمسلمون ابو بكر الصديق وذلك قبل تحريم القمار
حتى بلغت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمداين وبنوا الرومية فقمر ابو بكر ابيا واخذ مال الخطر من ورثته وجاء به
يحمله الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به **قوله تعالى من قبل ومن بعد** العامة على بنائهما
على الضم لقطعهما عن الاضافة وارادتها اي من قبل الغلب ومن بعده او من قبل كل امر ومن بعده وانما بنيا على الضمة لما قطعتا
عن الاضافة لان غير الضمة والكسرة تشبيه بما يدخل عليهما وهو النصب والجر اما النصب ففي قولك جئت قبله
واما الجر ففي قولك من قبله ومن بعده بني على الضمة لعدم دخول مثلها عليه في الاعراب وهو الرفع وحكى
الفراء كسرهما من غير تنوين وغلطه النحاس وقال انما يجوز من قبل ومن بعد يعني مكسورا منونا قال
شهاب الدين وقد قرئ بذلك ووجهه انه لم ينو اضافتهما فاعربهما كقوله فساغ لي الشراب وكنت قبلا اكاد اغص
بالماء القراح وقوله ونحن قتلنا الاسد اسد خفية فما شربوا بعدا على لذة خمرا وحكي من قبل بالتنوين والجر ومن بعد بالبناء
وقد خرج ما حكاه الفراء انه قدر ان المضاف اليه موجود فترك الاول بحاله وانشد من ذراعي وجبهة الاسد والفرق
مثل المحذوف على تقدير البيت ايضا **فصل** وعلى قراءة عبد الله بن عمر وابي سعيد الخدري والحسن وعيسى بن عمر غلبت
الروم بفتح الغين واللام سيغلبون بضم وفتح اللام قالوا نزلت حين اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن غلبة الروم
فارسا والمعنى الم غلبت الروم فارسا في ادنى الارض اليكم وهم من بعد غلبهم سيغلبون المسلمين في بضع
سنين وعند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم والاول قول اكثر المفسرين وهو الاصح لله الامر
من قبل ومن بعد اي قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فاي الفريقين كان لهم الغلبة فهو بامر الله تعالى وقضائه

وبقدرته **قوله تعالى** ويومئذ اي يغلب الروم فارسا والناصب ليوم يفرح وجوز ابو البقاء ان يتعلق بينصر وهذا
فيه تفكيك للنظم **فصل** المعنى ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الروم على فارس قال السدي فرح النبي صلى الله عليه
وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور اهل الكتاب على اهل الشرك ينصر من يشاء وهو العزيز
الغالب الرحيم بالمؤمنين **قوله تعالى** وعد الله مصدر مؤكد ناصبه مضمر اي وعدهم الله ذلك وعدا بظهور الروم
على فارس لا يخلف الله وعده وهذا مقرر لمعنى هذا المصدر ويجوز ان يكون قوله لا يخلف الله وعده حالا من
المصدر فيكون كالمصدر الموصوف فهو مبين للنوع كانه قيل وعد الله وعدا غير مخلف ولكن اكثر الناس لا يعلمون
قوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا يعني امر معاشهم كيف يكتسبون ويتجرون ومتى يغرسون قال
الحسن ان احدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطئ وهو لا يحسن يصلي والمعنى ان علمهم منحصر في الدنيا
بل لا يعلمون الدنيا كما هي وانما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعبها ولا يعلمون
فناءها وهم عن الاخرة هم غافلون ساهون جاهلون بها لا يتفكرون فيها وذكرهم الثانية ليفيد ان الغفلة منهم
والا فاسباب التذكر حاصلة **قوله تعالى** اولم يتفكروا في انفسهم تقوله في انفسهم ظرف للتفكر وليس مفعولا له
للتفكر اذ متعلقه خلق السموات والارض والمعنى ان اسباب التفكر حاصلة وهي انفسهم لو تفكروا فيها لعلموا
وحدانية الله وصدقوا بالحشر اما الوحدانية فلان الله تعالى خلقهم في احسن تقويم ومن يتفكر في تشريح
بدن الانسان وحواسه راى في ذلك احكاما كل واحد منها كافية في معرفة كون الله فاعلا مختارا قادرا كاملا
عالما ومن يكون كذلك يكون واحدا والا لكان عاجزا عند ارادة شريكه ضد ما اراده واما دلالة الانسان
على الحشر فلانه اذا تفكر في نفسه يرى قواه صائرة الى الزوال واجزاءه مائلة الى الانحلال وله فناء ضروري فلو لم
يكن له حياة اخرى لكان خلقه على هذا الوجه عبثا واليه الاشارة بقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وهذا ظاهر
لان من يفعل شيئا للعبث فلو بالغ في احكامه تضحك منه فاذا خلقه لذلك البقاء ولا يتقادون اللقاء بالاخرة فاذا
لا بد من البعث ثم انه تعالى ذكر بعد دليل الانفس دليل الاقطار فقال ما خلق الله السموات والارض وما
بينهما الا بالحق واجل مسمى فقوله الا بالحق اشارة الى وجه دلالتهما على الوحدانية وقد بينا ذلك في قوله خلق
السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية للمؤمنين **قوله تعالى** ما خلق ما نافية وفي هذه الجملة وجهان احدهما
انها مستانفة لا تعلق لها بما قبلها والثاني انها معلقة للتفكر فتكون في محل نصب على اسقاط الخافض وضعف
ان تكون استفهامية بمعنى النفي وفيها الوجهان المذكوران والباء في بالحق اما سببية واما حالية قبل الاقامة
الحق وقوله واجل مسمى يذكر بالاصل الاخر الذي انكروه اي لوقت معلوم اذا انتهت اليه فنيت وهو يوم
القيامة وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون لا يعلمون انه لا بد بعد هذه الحياة من لقاء وبقاء قوله بلقاء
متعلق بالكافرون واللام لا يمنع من ذلك لكونها في خبر ان **فان قيل** ما الحكمة في تقديمه ههنا دلايل الانفس على دلايل
الافاق وقدم دلايل الافاق على دلايل الانفس في قوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم **فالجواب**
ان المفيد اذا افاد فابدع بذكرها على وجه جيد يختاره كان فهمه السامع السعيد فذلك والا يذكرها على وجه ابين
منه وينزل درجة فدرجة واما المستفيد فانه يفهم اولا الابين ثم يرتقي الى فهم ذلك الاخفى الذي لم يكن فهمه
فيفهمه بعد فهم الابين المذكور اخرا فالمذكور من المفيد اخرا مفهوم عند السامع اولا اذا علم اولا ولم يرتقوا
الى ما فهموه ثانيا واما في قوله سنريهم الامر منسوب الى المفيد المسمع فذكر اولا الافاق فان لم يفهموه فالانفس
لان دلايل الانفس لا ذهول للانسان عنها واما دلايل الافاق فيمكن الذهول عنها وهذا الترتيب مراعى في قوله
تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يعلمون الله بدلايل النفس في سائر الاحوال ويتفكرون
في خلق السموات والارض بدلايل الافاق **فصل** وجه دلالة الخلق بالحق على الوحدانية ظاهر واما وجه دلالته
على الحشر فلان تخريب السموات وعدمها لا يعلم الا بالعقل الا امكانه واما وقوعه فلا يعلم الا بالسمع لان الله
قادر على ايقاع الحوادث ابدا كما انه يبقي الجنة والنار بعد احداثهما ابدا والخلق دليل امكان العدم لان المخلوق
لم يجب له القدم فجاز عليه العدم فاذا اخبر الصادق عن امر ممكن وجب على العاقل التصديق والاذعان
لان العالم لما كان خلقه بالحق ينبغي ان يكون بعد هذه الحياة حياة اخرى باقية لان هذه الحياة لبست لعبا
ولهوا كما تبين بقوله وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وخلق السموات والارض للهو واللعب عبث والعبث
ليس بحق فخلق السموات والارض بالحق يدل على انه لا بد بعد هذه الحياة الدنيا من حيوة **فان قيل** ما الفائدة
في قوله ههنا كثيرا من الناس وقال من قبل ولكن اكثر الناس **فالجواب** فائدته انه من قبل لم يذكر دليلا على الاصلين
وههنا قد ذكر الدلايل الراسخة والبراهين اللايحة ولا شك في ان الايمان بعد الدليل اكثر من الايمان قبل
الدليل فبعد الدليل لا بد ان من ذلك الاكثر جمع فلا يبقى الاكثر كما هو فقال بعد اقامة الدليل وان كثيرا وقال

قبله ولكن اكثر الناس لانه بعد الدليل الذي لا يمكن الذهول عنه وهو السموات والارض لان من البعيد ان يذهل الانسان
عن السما التي فوقه والارض التي تحته فلهذا ذكر ما يقع الذهول عنه وهو امر امثالهم وحكاية اشكالهم فقال اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وقال في الدليلين المتقدمين اولم يروا او لم يتفكروا اذ
لا حاجة هناك الى السفر لحضور النفس والسما والارض وقال ههنا اولم يسيروا فينظروا او اذكرهم حال امثالهم وحال
اشكالهم ثم ذكر انهم اولى بالهلاك لان من تقدم من عاد وثمود كانوا اشد منهم قوة ولم ينفعهم قوتهم وكانوا اكثر مالا
وعمارة ولم يمنعهم من الهلاك اموالهم وحصونهم قوله تعالى واثاروا الارض حرثوها وقلبوها للزراعة ومنه
البقرة تثير الارض وقيل منه سمي ثورا واثاروا الارض لكونهم وعمروها اكثر مما عمروها اهل مكة قيل قال ذلك لانه لم
يكن لاهل مكة حرث وقوله اكثر مما نعت مصدر محذوف اي عمارة اكثر من عمارتهم وقرئ واثاروا بالف بعد الهمزة
وهي اشباع لفتحة الهمزة قوله تعالى وجاءتهم رسلهم بالبينات فلم يؤمنوا فاهلكهم الله فما كان الله ليظلمهم
بنقص حقوقهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ببخس حقوقهم قوله تعالى عاقبة الذين قرا نافع وابن كثير وابو عمرو
بالرفع والباقون بالنصب فالرفع على انها اسم كان وذكر الفعل لان التانيث مجازي وفي الخبر حينئذ وجهان احدهما
انه على اسقاط الخافض اما لام العلة اي لان كذبوا واما باء السببية اي بان كذبوا فلما حذف الحرف جرى القولان
المشهوران بين الخليل وسيبويه في محل ان والثاني انه بدل من السوى اي ثم كان عاقبتهم التكذيب وعلى الثاني
يكون السوى مصدر اساءوا او يكون نعتا لمفعول محذوف اي اساءوا الفعلة السوى والسوى تانيث للاسوا
وجوز بعضهم ان يكون خبر كان محذوفا للابهام والسوى اما مصدر واما مفعول كما تقدم اي اقترفوا الخطيئة
السوى اي كان عاقبتهم الدمار واما على النصب فعلى خبر كان وفي الاسم وجهان احدهما السوى اي كانت الفعلة
السوى عاقبة المسيئين وان كذبوا على ما تقدم والثاني ان الاسم ان كذبوا والسوى على ما تقدم فصل المعنى ثم
كان عاقبة الذين اساءوا السوى يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السوى اسم لجهنم كما ان الحسنى اسم للجنة
ان كذبوا وقيل تفسير السوى ما بعده وهو قوله ان كذبوا يعني ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حملهم تلك السيئات
على ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون قوله تعالى الله يبدا الخلق ثم يعيده اي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد
الموت احياء ولم يقل يعيدهم رده الى الخلق ثم اليه ترجعون فيجازيهم باعمالهم قرا ابو بكر وابو عمرو يرجعون بالياء والاخرون
بالتاء قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون قرا العامة يبلس ببنائه للفاعل وهو المعروف يقال ابلس الرجل
اي انقطعت حجته فسكت وهو قاصر لا يتعدى قال العجاج . يا صاح هل تعرف رسما مكرسا .
قال نعم اعرفه وابلسا وقرا السلمي يبلس مبنيا للمفعول وفيه بعد لان ابلس لا يتعدى وقد خرجت هذه القراءة
على ان القائم مقام الفاعل مصدر الفعل ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه اذ الاصل يبلس ابلاس المجرمين
ويبلس هو الناصب ليوم يقوم ويومئذ مضاف لجملة تقديرها يومئذ يقوم وهذا كانه تاكيد لفظي اذ يصير التقدير
يبلس المجرمون يوم تقوم الساعة قال قتادة والكلبي المعنى ييئس المشركون من كل خير وقال الفرا ينقطع كلامهم
وحججهم وقال مجاهد يفتضحون ولم يكن لهم من شركائهم اصنامهم التي عبدوها ليشفعوا لهم شفعاء وكانوا بشركائهم
كافرين يتبرءون منها وتتبرا منهم قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي يتميز اهل الجنة من اهل
النار قال مقاتل يتفرقون بعد الحساب الى الجنة والنار فلا يجتمعون ابدا كما قال تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير
قوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة وهي البستان الذي في غاية النضارة وقوله يحبرون
قال ابن عباس يكرمون وقال قتادة ومجاهد ينعمون وقال مجاهد وابو عبيدة يسرون والحبر والحبور السرور
وقيل الحبرة في اللغة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين يقال هو حسن الحبر والسبر بكسر الحاء والسين وفتحهما
وفي الحديث حبرته لك تحبيرا اي حسنت صوتي لك بالقران تحسينا وجاء في الحديث يخرج من النار رجل ذهب حبره
وسبره فالمفتوح مصدر والمكسور اسم والروضة الجنة قيل ولا يكون روضة الا وفيها نبت وقيل الا وفيها ما
كانت منخفضة والمرتفعة يقال لها ترعة وقيل لا يقال لها روضة الا وهي في مكان غليظ مرتفع قال الاعشى
ما روضة من رياض الحزن معشبة . خضراء جاد عليها مسبل هطل . واصل رياض رواض فقلبت الواو ياء وعلى احد
حوض وحياض ونكر الروضة للتعظيم وقال ههنا يحبرون بصيغة الفعل ولم يقل محبورون وقال في الاخرى
محضرون بصيغة الاسم ولم يقل يحضرون لان الفعل يدل على التجدد والاسم لا يدل عليه فقوله يحبرون
يعني كل ساعة ياتيهم ما يسرون به وقوله محضرون اي الكفار في العذاب يبقون فيه محضرون قوله تعالى
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون اي سبحوا الله ومعناه صلوا لله حين تمسون تدخلون في المسا
وهو صلاة المغرب والعشا وحين تصبحون اي تدخلون في الصباح وهو صلاة الصبح وله الحمد في السموات
والارض قال ابن عباس يحمده اهل السموات والارض ويصلون وعشيا اي صلوا لله عشيا يعني صلاة العصر

وحين تظهرون تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر قال نافع الازرق لابن عباس هل تجد الصلاة الخمس في القران
قال نعم وقراها تين الايتين وقال جمعت الاية الصلوات الخمس ومواقيتها وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وقال عليه
السلام من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات احد يوم القيامة بافضل مما جاء به الا احد
قال مثل ما قال او زاد عليه وقال عليه السلام كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن
سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم قوله تعالى تمسون وتصبحون تامتان اي تدخلون في المسا والصباح كقولهم اذا
سمعت بسرى القين فاعلم بانه مصبح اي مقيم في الصباح والعامة على اضافة الظرف الى الفعل بعده وقرا عكرمة حينا
بالتنوين والجملة بعده صفة له والعائد حينئذ محذوف اي تمسون فيه كقوله واتقوا يوما لا تجزي [illegible]
والناصب لهذا الظرف سبحان لانه ناب عن عامله قوله تعالى وعشيا عطف على حين وما بينهما اعتراض وفي السموات
يجوز ان يتعلق بنفس الحمد اي ان الحمد يكون في هذين الظرفين قوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي قد
تقدم خلاف القراء في تخفيف الميت وتثقيله وكذا قوله تخرجون في سورة الاعراف والكاف نعت مصدر محذوف اي ومثل
ذلك الاخراج العجيب تخرجون واعلم ان وجه تعلق اخراج الحي من الميت والميت من الحي بما قبله هو ان عند الاصباح يخرج
الانسان من سنة الموت وهو النوم الى سنة الوجود وهي اليقظة وعند العشا يخرج الانسان من اليقظة الى النوم
واختلف المفسرون في قوله يخرج الحي من الميت فقال اكثرهم يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وكذلك
الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان وقيل يخرج المومن من الكافر والكافر من المومن ثم قال ويحيي الارض بعد
موتها وفي هذا معنى لطيف وهو ان الانسان بالموت تبطل حواسه واما نفسه الناطقة فتفارقه وتبقى بعده كما قال
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا لكن الحيوان نام متحرك حساس لكن النائم لا يتحرك ولا يحس والارض الميتة لا يكون
فيها نماء ثم النائم بالانتباه يتحرك ويحس والارض الميتة بعد موتها ينمو نباتها فكما ان تحريك ذلك الساكن وانماء هذا
الواقف سهل على الله كذلك احياء الميت سهل على الله والى هذا اشار بقوله وكذلك تخرجون قوله تعالى ومن اياته ان
خلقكم مبتدا وخبر اي ومن جملة علامات توحيده وانه يبعثكم خلقكم واختراعكم ومن لابتداء الغاية وقوله من تراب
اي خلق اصلنا وهو ادم من تراب او انه خلقنا من نطفة والنطفة من الغذا والغذا انما يتولد من الما والتراب
على ما تقدم شرحه ثم اذا انتم بشر تنتشرون في الارض والترتيب والمهلة هنا ظاهران فانهما انما يصيرون بشرا
بعد اطوار كثيرة وتنتشرون حال واذا هي الفجائية الا ان الفجائية اكثر ما تقع بعد الفا لانها تقتضي التعقيب ووجه
وقوعها مع ثم بالنسبة الى ما يليق بالحالة الخاصة اي بعد تلك الاطوار التي قصها علينا في موضع اخر من كوننا
نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما مكسوة لحما فاجا البشرية والانتشار قوله تعالى ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم
ازواجا يعني من بني ادم وقيل خلق حوى من ضلع ادم لتسكنوا اليها يعني ان الجنسين المختلفين لا يسكن احدهما الى
الاخر اي لا يثبت نفسه معه ولا يميل قلبه اليه وجعل بينكم مودة ورحمة قيل مودة بالمجامعة ورحمة للولد تمسكا
بقوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا وقيل جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان وما شيء
احب الى احد من الاخر من غير رحم بينهما ان في ذلك يحتمل ان يكون المراد منه ان في خلق الازواج لايات ويحتمل ان يقال
ان في جعل المودة والرحمة ايات لقوم يتفكرون في عظمة الله وقدرته قوله تعالى ومن اياته خلق السموات والارض
لما بين دلايل الانفس ذكر دلايل الافاق واظهرها خلق السموات والارض ثم لما اشار الى دلايل الانفس والافاق ذكر ما هو
من صفات الانفس وهو قوله واختلاف السنتكم اي لغاتكم من عرب وعجم مع تنوع كل من الجيلين الى انواع شتى
لا سيما العجم فان لغاتهم مختلفة وليس المراد بالالسنة الجوارح وقيل المراد بالالسن اختلاف الاصوات
واما اختلاف الالوان فالمراد ابيض واسود واحمر فانهم ولد رجل واحد وامراة واحدة وقيل المراد باختلاف
الالوان الذي بين الوان الانسان فان واحدا منهم مع كثرة عددهم وصغر حجم قده ودبرهم لا يشتبه بغيره والسموات
مع كبرها وقلة عددها متشابهات في الصورة ان في ذلك لايات للعالمين قرا حفص بكسر اللام جعله جمع
عالم ضد الجاهل ونحوه وما يعقلها الا العالمون والباقون بفتحها لانها ايات لجميع الناس وان كان بعضهم يغفل
عنها وقد تقدم اول الفاتحة الكلام في العالمين هل هو جمع او اسم جمع قوله تعالى ومن اياته منامكم بالليل والنهار
لما ذكر الاعراض اللازمة وهي الاختلاف ذكر الاعراض المفارقة ومن جملتها النوم بالليل والحركة بالنهار طلبا للرزق
قيل في الاية تقديم وتاخير لكن كل واحد مع ما يلائمه والتقدير ومن اياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار
فحذف حرف الجر لاتصاله بالليل وعطفه عليه لان حرف العطف قد يقوم مقام الجار والاحسن ان يجعل على حاله
والنوم بالنهار مما كانت العرب تعده نعمة من الله ولا سيما في اوقات القيلولة في البلاد الحارة وقوله وابتغاؤكم
من فضله فيهما فان كثيرا ما يكتسب الانسان بالليل ويدل على الاول قوله وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا

فضلا من ربكم وقوله تعالى جعلنا الليل لباسا والنهار معاشا ثم قال ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار
وقال ههنا لقوم يسمعون ومن قبل لقوم يتفكرون وقال للعالمين لان المنام بالليل والابتغا يظن الجاهل او الغافل
انهما مما يقتضيه طبع الحيوان فلا يظهر لكل احد كونهما من نعم الله فلم يقل ايات للعالمين ولان الامرين الاولين
وهو اختلاف الالسنة والالوان من اللوازم والمنام والابتغا من الامور المفارقة فالنظر اليهما لا يدوم لزوالها
في بعض الاوقات ولا كذلك اختلاف الالسنة والالوان فانهما يدومان بدوام الانسان فجعلهما ايات عامة واما
قوله لقوم يتفكرون فان من الاشيا ما يعلم من غير تفكر ومنها ما يكفي فيه مجرد الفكرة ومنها ما يحتاج الى موقف
يوقف عليه ومرشد يرشد اليه فيفهمه اذا سمعه من ذلك المرشد ومنها ما يحتاج بعض الناس في تفهمه الى مثله
حسية كالاشكال الهندسية لان خلق الازواج لا يقع لاحد انه بالطبع الا اذا كان جامدا الفكر فاذا تفكر علم كون ذلك
الخلق اية واما المنام والابتغا فقد يقع لكثير انهما من افعال العباد وقد يحتاج الى مرشد يعين فكره فقال
لقوم يسمعون ويجعلون بالهم من كلام المرشد **قوله تعالى** ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا لما ذكر العرضيات
اللازمة للانفس والمفارقة ذكر العرضيات التي للافاق **قوله تعالى** يريكم البرق فيه اوجه اظهرها الموافق لاخواته
ان يكون جملة من مبتدا وخبر الا انه حذف الحرف المصدري ولما حذف بطل عمله والاصل ومن اياته ان يريكم
كقوله الا ايهاذا الزاجري احضر الوغى ۝ الثاني ان من اياته يتعلق بيريكم او بمحذوف على انه حال من البرق والتقدير
ويريكم البرق من اياته فيكون قد عطف جملة فعلية على جملة اسمية ۝ والثالث ان يريكم صفة لموصوف محذوف
اي ومن اياته اية يريكم بها او فيها البرق فحذف الموصوف والعايد عليه ومثله ۝ وما الدهر الا تارتان فمنهما
اموت اي فمنهما تارة اموت فيها ۝ الرابع ان التقدير ومن اياته سحاب او شي يريكم فيريكم صفة لذلك المقدر
فاعل يريكم ضمير يعود عليه بخلاف الوجه قبله فان الفاعل ضمير الباري تعالى **فصل** المعنى يريكم البرق خوفا للمسافرين
من الصواعق وطمعا للمقيم في المطر وينزل من السما ما فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون
فصل قدم لوازم الانفس على العوارض المفارقة على اللوازم حيث قال يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل عليكم
وذلك لان الانسان متغير الحال فالعوارض له غير بعيد واما اللوازم فغريبة واما السموات والارض فقليلة التغير
فالعوارض فيها اغرب من اللوازم فقدم ما هو عجيب لكونه ادخل في كونه اية وايضا فان الانسان يتغير حاله بالكبر والصغر
والصحة والسقم وله صوت يعرف به لا يتغير وله لون يتميز به عن غيره وهو يتغير بذلك في الاحوال وذلك لا يتغير
وهو اية عجيب والسموات والارض ثابتات لا يتغيران ثم نرى في بعض الاحوال امطارا هاطلة وبروقا هايلة والسما
كما كانت والارض كما كانت وذلك اية يدل على فاعل مختار يديم امرا مع تغير المحل ويزيل امرا مع ثبات المحل **فصل**
كما قدم السما على الارض قدم ما هو من السما وهو البرق والمطر على ما هو من الارض وهو الانبات والاحيا كما ان في انزال
المطر وانبات الشجر منافع كذلك في تقديم الرعد والبرق على المطر منفعة وهي ان البرق اذا لاح فالذي لا يكون تحت
كن يخاف الابتلال فيستعد له والذي له صهريج او موضع يحتاج الى الما او زرع يسوي مجاري الما وايضا اهل
البوادي لا يعلمون البلاد المعشبة ان لم يكن قد راوا البروق اللايحة من جانب دون جانب واعلم ان دلايل
قوابدع وان لم يظهر للمقيمين في البلاد فهي ظاهرة للنادرين فلهذا جعل تقديم البرق على تنزيل الما من السما نعمة
واية **فصل** اما كونه اية فلان الذي في السحاب ليس الا ما ذا هوا وخروج النار منهما بحيث تحرق الجبال
في غاية البعد فلا بد له من خالق وهو الله قالت الفلاسفة السحاب فيه كثافة ولطافة بالنسبة الى الهوا
والما فالهوا الطف منه والما اكثف فاذا هبت ريح قوية تحرك السحاب بعنف فيحدث صوت الرعد ويخرج منه
النار كما ان النار تخرج من وقع الحجر على الحديد **فان قيل** الحديد والحجر جسمان صلبان والسحاب والريح جسمان
لينان فنقول لكن حركة يد الانسان ضعيفة وحركة الريح قوية تقلع الاشجار فنقول لهم الرعد والبرق
امران حادثان لا بد لهما من سبب وقد علم بالبرهان كون كل حادث من الله فهما من الله ثم نقول هب ان الامر
كما يقولون فهبوب تلك الريح القوية من الامور الحادثة العجيبة فلا بد لها من سبب وينتهي الى واجب الوجود
فهو اية للعاقل على قدرة الله كيف ما فرضتم **فان قيل** ما الحكمة في قوله ههنا ايات لقوم يعقلون وقوله فيما
تقدم لقوم يتفكرون **فالجواب** لما كان حدوث الولد من الوالد امرا عاديا مطردا قليل الاختلاف كان يتطرق
الى الاوهام العامية ان ذلك بالطبيعة لان المطرد اقرب الى الطبيعة من المختلف والبرق والمطر ليس امرا
مطردا فيه يختلف بل يختلف اذ يقع ببلدة دون بلدة وفي وقت دون وقت وتارة يكون قويا وتارة يكون
ضعيفا فهو اظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار فقال هو اية لمن له عقل وان لم يتفكر تفكرا تاما **قوله
تعالى** ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره قال ابن مسعود قامتا على غير عمد بامره واعلم انه ذكر من
لوازم السما والارض قيامهما فان الارض لثقلها يتعجب الانسان من وقوفها وعدم نزولها وكون السما في

علوها يتعجب من علوها وثباتها من غير عمد وهذا من اللوازم فان الارض لا تخرج عن مكانها الذي هي فيه **فان قيل**
بانها تتحرك في مكانها كالرحا ولكن اتفق العقلا على انها في مكانها من الامور الممكنة وكونها في غير ذلك الموضع جايز
فكان يمكن ان تخرج منه فلما لم تخرج كان ذلك ترجيحا للجايز على غيره وذلك لا يكون الا بفاعل مختار وقالت الفلاسفة
كون الارض في المكان الذي هي فيه طبيعي لها لانها اثقل الاشيا والثقيل يطلب المركز والخفيف يطلب المحيط وكون
السما في مكانها ان كانت ذات مكان فلذاتها فقيامها فيه لطبعها واجيبوا بانكم وافقتمونا بان ما جاز على احد
المثلين جاز على المثل الاخر لكن تقعر الفلك لا يخالف به في الطبع فيجوز حصول مقعرة في موضع محدبة وذلك
بالخروج والزوال فاذا انظر في الزوال اليه من المكان ممكن لا سيما على السما الدنيا فانها ليست محددة للجهات على
مذهبكم ايضا والارض كانت تجوز عليها الحركة الدورية كما يقولون على السما فعدمها وسكونها ليس الا بفاعل مختار
فصل ذكر الله تعالى من كل باب امرين اما من الانفس فقوله خلقكم وخلق لكم واستدل بخلق الزوجين
ومن الافاق السما والارض فقال خلق السموات والارض ومن لوازم الانسان اختلاف اللسان واختلاف
الالوان ومن عوارض الافاق البرق والامطار ومن لوازمها قيام السما والارض لان الواحد يكفي للاقرار
بالحق والثاني يفيد الاستقرار ومن هذا اعتبر شهادة شاهدين فان قول الواحد يفيد الظن وقول الاخر
يفيد تاكيده ولهذا قال ابرهيم عليه السلام بلى ولكن ليطمين قلبي **فصل** قوله بامره اي بقوله قوما او بارادته
قيامهما لان الامر عند المعتزلة موافق للارادة وعندنا ليس كذلك ولكن النزاع في امر التكليف لا في امر التكوين
فانا لا ننازعهم ان قوله كن وكوني وكونوا موافق للارادة **فان قيل** ما الفايدة في قوله ههنا ومن اياته ان تقوم
وقال قبله ومن اياته يريكم ولم يقل ان يريكم ليصير كالمصدر بان **فالجواب** ان القيام لما كان غير متغير اخرج
الفعل بان عن الفعل المستقبل ولم يذكر معه الحروف المصدرية **فان قيل** ما الحكمة في انه ذكر ست دلايل
وذكر في اربعة منها ان في ذلك لايات ولم يذكر في الاول وهو قوله ومن اياته ان خلقكم خلق لكم ايضا والليل
الانفس فخلق الانفس وخلق الازواج من باب واحد على ما تقدم من انه تعالى ذكر من كل امرين للتقرير
والتوكيد فلما قال في الثانية ان في ذلك لايات كان عايدا اليهما واما في قيام السما والارض فلانه ذكر في الايات
السماوية انها ايات للعالمين ولقوم يعقلون وذلك لظهورها فلما كان في اول الامر ظاهرا ففي اخر الامر بعد
سرد الادلة يكون اظهر فلم يميز احدا في ذلك عن الاخر ثم انه تعالى لما ذكر الدليل على القدرة والتوحيد ذكر
مدلوله وهو قدرته على الاعادة فقال ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون ۝ وجه العطف بثم وثم
لعلق فمعناه انه تعالى اذا بين لكم كمال قدرته بهذه الايات بعد ذلك يخبركم ويعلمكم انه اذا قال للعظام
الرميمة اخرجوا من الاجداث تخرجون احيا **قوله تعالى** من الارض ۝ فيه اوجه اظهرها انه متعلق بدعاكم صفة
لدعوة الثالث انه متعلق بمحذوف يدل عليه تخرجون اي خرجتم من الارض ولا جايز ان يتعلق بتخرجون لان ما بعد
اذا لا يعمل فيما قبلها **فصل** قول القايل دعا فلان فلانا من الجبل يحتمل ان يكون الدعا من الجبل كما يقول القايل
يا فلان اصعد الى الجبل فيقال دعاه من الجبل كما يقول القايل يا فلان انزل من الجبل فيقال دعاه من الجبل ولا يخفى
على العاقل ان الدعا لا يكون من الارض اذا كان الداعي هو الله والمدعو يدعي من الارض يعني انكم في الارض فيدعوكم
منها فتخرجون وهي النجابية قال اكثر العلما معنى الاية ثم اذا دعاكم دعوة اذا انتم تخرجون من الارض **فصل**
قال ههنا اذا انتم تخرجون وقال في خلق الانسان اولا ثم اذا انتم بشر تنتشرون لان هناك يكون خلق وتقدير
وتدريج حتى يصير التراب قابلا للحياة فينفخ فيه روحه فاذا هو بشر واما في الاعادة فلا يكون تدريج وتراخ
بل يكون ندا وخروج فلم يقل ههنا ثم **قوله تعالى** وله من في السموات والارض كل له قانتون ۝ قال ابن عباس
كل له مطيعون في الحياة والفنا والموت والبعث وان عصوا في العبادة وقال الكلبي هذا خاص لمن كان منهم
مطيعا ولما ذكر الايات التي تدل على القدرة على الحشر الذي هو الاصل الاخر والوحدانية التي هي الاصل الاول
اشار اليها بقوله وله من في السموات والارض ونفس السموات والارضين له وملكه فكل له منقادون قانتون
والشريك يكون منازعا فلا شريك له اصلا ثم ذكر المدلول الاخر فقال وهو الذي يبدوا الخلق ثم يعيده اولا
ثم يعيده ثم بعد الموت للبعث **قوله تعالى** وهو اهون عليه ۝ اي اهون فان قال قايل ما الجواب للتفضيل على بابها وعلى
هذا يقال كيف يتصور التفضيل والاعادة والبداة بالنسبة الى الله تعالى على حد سوا وفي ذلك اجوبة احدها
ان ذلك بالنسبة الى اعتقاد البشر باعتبار المشاهد من ان اعادة الشي اهون من اختراعه لاحتياج الابتدا
الى اعمال فكر غالبا وان كان هذا منتفيا عن الباري تعالى فخوطبوا بحسب ما الفوه والثاني ان الضمير
في عليه ليس عايدا على الله تعالى انما يعود على الخلق اي والعود اهون على الخلق اي اسرع لان البداة فيها
تدريج من طور الى طور الى ان صارت انسانا والاعادة لا تحتاج الى هذه التدريجات فكانه قيل وهو

القصر عليه والبشر واقل انتقالا والمعنى يقومون بصيحة واحدة فيكون اهون عليهم من ان يكونوا نطفا ثم علقا الى ان
يصيروا رجالا ونساء وهي رواية الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس الثالث ان الضمير في عليه يعود على المخلوق بمعنى
والاعادة اهون على المخلوق اي اعادته شيئا بعد ما انشاه هذا في عرف المخلوقين فكيف تنكرون ذلك في جانب
الله تعالى والثاني ان اهون ليست للتفضيل بل هي صفة بمعنى هين كقولهم الله اكبر اي الكبير وهي رواية العوفي
عن ابن عباس وقد يجي افعل بمعنى الفاعل كقول الفرزدق ۰ ان الذي سمك السماء بنى لنا ۰ بيتا دعائمه اعز واطول
اي عزيزة وطويلة والظاهر عود الضمير في عليه على الباري تعالى ليوافق الضمير في قوله هو علي هين قلت هنالك
قصد الاختصاص وهو بحره فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندك ان يولد بين هم وعاقر فذلك علي هين
لا على غيري واما هنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر يبنى على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتدا فلو قدمت
الصلة لتغير المعنى قال ابو حيان وبنى كلامه على ان التقديم يفيد الاختصاص وقد تقدم منعه قال شهاب الدين الصحيح انه
يفيده وتقدم جميع ذلك قوله تعالى وله المثل الاعلى يجوز ان يكون مرتبطا بما قبله وهو قوله وهو اهون عليه اي قد
ضربه لكم مثلا من انفسكم فيما يسهل ويصعب واليه نحا الزجاج او بما بعده من قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم وقيل المثل
الوصف اي الصفة العليا قال ابن عباس هي انه ليس كمثله شي وقال قتادة وهي انه لا اله الا هو قوله تعالى في السموات
يجوز ان يتعلق بالاعلى اي انه علي في هاتين الجهتين ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الاعلى او من المثل او من الضمير
في الاعلى فانه يعود على المثل وهو العزيز في ملكه الحكيم في خلقه قوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم اي بين لكم شبها
لما لكم ذلك المثل من انفسكم ومن لابتداء الغاية في موضع الصفة لمثلا اي اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شي منكم وهو
انفسكم ثم بين المثل فقال هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم من المال والمعنى ان من يكون له مملوك لا يكون
شريكا له في ماله فكيف يجوز ان يكون لهم عظمة الله تعالى حتى يعبدوا من شركاء مبتدا ومن مزيدة فيه لوجود
شرطي الزيادة وفي خبره وجهان احدهما الجار الاول وهو لكم ومما ملكت يجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من شركاء لانه في
الاصل نعت نكرة قدم عليها والعامل فيه العامل في هذا الجار الواقع خبرا والخبر مقدر بعد المبتدا وفيما رزقناكم متعلق
بشركاء وما في معنى النوع تقديره هل شركاء فيما رزقناكم كائنون من النوع الذي ملكت ايمانكم مستقرون لكم فكائنون
هو الوصف المتعلق به مما ملكت ولما تقدم صار حالا ومستقرون هو الخبر الذي تعلق به لكم والثاني ان الخبر مما ملكت
ولكم متعلق بما تعلق به الخبر او بمحذوف على انه حال من شركاء او بنفس شركاء كقولك لك في الدنيا محب فلك متعلق بمحب
وفي الدنيا هو الخبر قوله تعالى فانتم فيه سواء هذه الجملة جواب للاستفهام الذي بمعنى النفي وفيه متعلق بسواء
قوله تعالى تخافونهم فيه وجهان احدهما انها خبر ثان لانتم تقديره فانتم مستوون معهم فيما رزقناكم خائفوهم
كخوف بعضكم بعضا ايها السادة والمراد نفي الاشياء الثلاثة اعني الشركة والاستواء مع العبيد وخوفهم اياهم وليس المراد
ثبوت الشركة ونفي الاستواء والخوف كما هو احد الوجهين في قولك ما تاتينا فتحدثنا بمعنى ما تاتينا ولا تحدثنا بل المراد
نفي الجميع كما تقدم وقال ابو البقاء انتم فيه سواء الجملة في موضع نصب على جواب الاستفهام اي هل لكم فتستووا انتهى
وفيه نظر كيف يجعل جملة اسمية حلت محل جملة فعلية وحكم على موضع الاسمية بالنصب باضمار ناصب هذا ما لا يجوز
ولو انه فسر المعنى وقال ان الفعل لو حل بعد الفاء لكان منصوبا باضمار ان لكان صحيحا ولا بد ان يبين ايضا ان النصب
على المعنى الذي قدمته من نفي الاشياء الثلاثة والوجه الثاني ان تخافونهم في محل نصب على الحال من ضمير الفاعل في سواء
اي فتساووا خائفا بعضكم من بعض مشاركته له في المال اي اذا لم ترضوا ان يشارككم عبيدكم في المال فكيف
تشركون بالله من هو مصنوع له قاله ابو البقاء وقال ابن الخطيب معنى حسنا وهو ان بين المثل والممثل به مشابهة
ومخالفة فالمشابهة معلومة والمخالفة من وجوه احدها قوله من انفسكم اي من نسلكم مع حقارة الانفس ونقصها
وعجزها وقاس نفسه عليكم مع جلالتها وعظمتها وقدرتها وكمالها وثانيها قوله مما ملكت ايمانكم اي عبيدكم لكم
عليهم ملك اليمين والملك طارئ قابل للنقل والزوال اما النقل فبالبيع وغيره واما الزوال فبالعتق ومملوكه تعالى لا خروج
له عن الملك فاذا لم يجز ان يكون مملوك يمينكم شريكا لكم مع انه يجوز ان يصير مثلكم من جميع الوجوه بل هو في الحال
مثلكم في الادمية حالة الرق حتى انكم ليس لكم تصرف في روحه وادميته بقطع وقتل وليس لكم منعهم من العبادة
وقضاء الحاجة فكيف يجوز ان يكون مملوك الله الذي هو مملوكه من جميع الوجوه وهو مباين له بالكلية شريكا له وثالثها
قوله مما رزقناكم يعني الذي لكم هو في الحقيقة ليس لكم بل هو لله ومن رزقه حقيقة فاذا لم يجز ان يكون لكم شريك فيما
هو لكم من حيث الاسم فكيف يجوز ان يكون لكم شريك فيما هو له من حيث الحقيقة ورابعها قوله فانتم فيه سواء
اي هل انتم ومماليككم في شي مما تملكون انتم سواء ليس كذلك فلا يكون لله شريك في شي لان كل شي فهو لله وما تدعون
الاهينه لا يملك شيئا اصلا ولا مثقال ذرة من خردل فلا يعبد لعظمته ولا لمنفعة تصل اليكم منه وانتم ومماليككم
سواء في الشي كذلك لان المملوك ليس له عندكم حرمة الاحرار واذا لم يكن للمملوك مع مساواته اياكم في الحقيقة والصفة

عندكم

عندكم حرمة فكيف يكون حال المماليك الذين لا مساواة بينهم وبين المالك بوجه من الوجوه واليه الاشارة بقوله تخافونهم كخيفتكم
انتهى وانما ذكرت هذا المعنى مبسوطا لانه مبين لما ذكرته من وجوه الاعراب قوله تعالى كخيفتكم اي خيفة مثل خيفتكم
والعامة على نصب انفسكم لان المصدر مضاف لفاعله وقرا ابن ابي عبلة بالرفع على اضافة المصدر لمفعوله واستقبح
بعضهم هذا اذا وجد الفاعل وقال بعضهم ليس بقبيح بل يجوز اضافته الى كل منهما اذا وجدا وانشد
امن بلادي وما جمعت من نشب ۰ قرع القواقيز افواه الاباريق ۰ بنصب الافواه ورفعها
كذلك نفصل اي مثل ذلك التفصيل البين نفصل وقرا ابو عمرو في رواية يفصل بيا الغيبة ردا على قوله ضرب لكم
والباقون بالتكلم ردا على قوله رزقناكم والمعنى نبين بالايات والدلائل والبراهين القطعية والامثلة لقوم يعقلون
ينظرون الى هذه الدلائل بعقولهم والامر لا يخفى بعد ذلك الا على من لا يكون له عقل قوله تعالى بل اتبع الذين ظلموا
اهواءهم اي لا يجوز ان يشرك مالك مملوكه ولكن الذين ظلموا اي اشركوا اتبعوا اهواءهم في الشرك من غير علم اي من غير
دليل جهلا بما يجب عليهم ثم بين ان ذلك بارادة الله تعالى بقوله فمن يهدي من اضل الله اي هؤلاء اضلهم الله فلا
هادي لهم فلا يحزنك قولهم ثم قال وما لهم من ناصرين مانعين يمنعونهم من عذاب الله عز وجل قوله تعالى فاقم وجهك
للدين حنيفا اي اخلص دينك قال سعيد بن جبير واقامة الوجه اقامة الدين وقال غيره سدد عملك والوجه ما يتوجه
اليه وقيل اقبل بكلك على الدين عبر عن الذات بالوجه كقوله تعالى كل شي هالك الا وجهه اي ذاته بصفاته قوله تعالى
حنيفا حال من فاعل اقم او من مفعوله او من الدين ومعنى حنيفا اي مائلا اليه مستقيما عليه ومائلا عن كل شي لا يكون
في قلبك شي اخر وهذا قريب من معنى قوله ولا تكونن من المشركين قوله تعالى فطرة الله فيه وجهان احدهما انه
مصدر مؤكد لمضمون الجملة كقوله صبغة الله وصنع الله والثاني انه منصوب باضمار فعل قال الزمخشري اي الزموا
فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه وهو حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه واقيموا
ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر ثم قال او عليكم فطرة الله ورده ابو حيان بان كلمة الاغراء لا تضمر اذ هي عوض عن
الفعل فلو حذفها لزم حذف العوض والمعوض عنه وهو اجحاف قال شهاب الدين هذا راي البصريين واما الكسائي
واتباعه فيجيزون ذلك فصل ومعنى فطرة الله دين الله وهو التوحيد فان الله فطر الناس عليه حيث اخرجهم من ظهر
ادم وسألهم الست بربكم قالوا بلى وقال عليه السلام ما من مولود الا وهو يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه
وينصرانه ويمجسانه فقوله على الفطرة يعني على العهد الذي اخذ عليهم بقوله الست بربكم قالوا بلى وكل مولود في العالم على ذلك
الاقرار وهي الحنيفية التي وقعت الخلقة عليها وان عبد غيره قال الله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقالوا
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله ولكن لا عبرة بالايمان الفطري في احكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعي المامور به وهذا
قول ابن عباس وجماعة من المفسرين وقيل الاية مخصوصة بالمؤمنين وهم الذين فطرهم الله على الاسلام روي عن
عبد الله بن المبارك قال معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته اي على خلقته التي جبل عليها في علم الله تعالى من السعادة
والشقاوة فكل منهم صائر في العاقبة الى ما فطر عليها وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن امارات الشقاء ان يولد بين
يهوديين او نصرانيين فيحملانه لشقائه على اعتقاد دينهما وقيل معنى الحديث ان كل مولود يولد في بدء الخلقة على الفطرة
اي على الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه
في العقول وانما يعدل عنه من يعدل الى غيره لانه من النشو والتقليد فمن يسلم من تلك الافات لم يعتقد غيره ذكر
هذه المعاني ابو سليمان الخطابي في كتابه قوله تعالى لا تبديل لكلمات الله اي لخلق الله فمن حمل الفطرة على الدين قال
لا تبديل لدين الله فهو خبر بمعنى النهي اي لا تبدلوا دين الله قاله مجاهد وابراهيم والمعنى الزموا فطرة الله اي دين الله
واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك وقيل هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن الحزن حيث لا يؤمن قومه
فقال خلقوا للشقاوة ومن كتب شقيا لا يسعد وقال عكرمة ومجاهد معناه تحريم اخصاء البهائم قوله ذلك
الدين القيم المستقيم الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين المستقيم قوله تعالى منيبين
حال من فاعل الزموا المضمر كما تقدم او من فاعل اقم على المعنى لانه ليس يراد به واحد بعينه وانما المراد الجميع وقيل حال
من الناس اذا اريد بهم المؤمنون وقال الزجاج بعد قوله وجهك معطوف محذوف تقديره فاقم وجهك وامتك فالحال
من الجميع وجاز حذف المعطوف لدلالة منيبين عليه كما جاز حذفه في قوله يا ايها النبي وقيل على خبر كان اي كونوا
منيبين لدلالة قوله ولا تكونوا فصل معنى منيبين اليه اي مقبلين عليه بالتوبة والطاعة والقوة اي اذا
اقبلتم عليه وتركتم الدنيا فلا تامنوا فتتركوا عبادته بل خافوه وداوموا على العبادة واقيموا الصلاة ولا تكونوا
من المشركين اي لا تشركوا بعد الايمان او لا تقصدوا بذلك غير الله قوله تعالى من الذين بدل من المشركين
باعادة العامل وتقدم قرا فرقوا وفارقوا وتفسير الشيع ايضا قوله تعالى فرحون الظاهر انه خبر كل حزب وجوز
الزمخشري ان يرتفع صفة لكل قال ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم

كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحين وصفا لكل قوله • وكل خليل غير هاضم نفسه • قال ابو حيان قدر اولا فرحين بجر وصفا
صفة لحزب وهو الاكثر كقوله • جادت عليه كل عين ثره • فتركن كل حديقة كالدرهم • وجاز الرفع نعتا لكل لقوله •
وليث عليه كل معصفة • هو جالس للهار مر • برفع هو جاصفة لكل اسمي وهو نفر برحس قوله تعالى واذا مس الناس ضر
قحط وشدة دعوا ربهم منيبين اليه مقبلين عليه بالدعاء بين التوجه بالدليل وبالمثل بين ان لهم حالة يعترفون
به وان كانوا ينكرونه في وقت وهي حالة الشدة ثم اذا اذاقهم منه رحمة خصبا ونعمة يعني اذا خلصناهم من تلك
الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون وقوله منه اي من الضر لان الرحمة غير مطلقة لهم انما هي عن ذلك الضر وخلاص
واما الضر الموخر فلا بد وقول منه رحمة ويحتمل ان يكون الضمير في منه عايدا الى الله تعالى والتقدير ثم اذا اذاقهم
الله من فضله رحمة خلصهم بها من ذلك الضر قوله تعالى اذا فريق هذه اذا الفجائية وقعت جواب الشرط لانها كالفا
في انها للتعقيب ولا تقع اول كلام وقد يجامعها الفاء زايدة قال قيل ما الحكمة في قوله ههنا اذا فريق منهم وقال في موضع
فلما نجاكم الى البر اذا هم يشركون ولم يقل فريق فالجواب ان المذكور هناك غير معين وهو ما يكون من هول
البحر والمتخلص منه بالنسبة الى الخلق قليل والذي لا يشرك منهم بعد الخلاص فرقة منهم فهم في غاية القلة فلم يجعل المشركين
فريقا لقلة من خرج من الشرك واما المذكور ههنا الضر مطلقا فيتناول ضر البحر والامراض والاهوال والمتخلص من
انواع الضر خلق كثير بل جميع الناس يكونون قد وقعوا في ضر ما فتخلصوا منه والذي لا يبقى بعد الخلاص مشركا
من جميع الانواع اذا جمع فهو خلق عظيم وهم جميع المسلمين فانهم تخلصوا من ضر ولم يبقوا مشركين واما المسلمون
فلم يتخلصوا من ضر البحر باجمعهم فلما كان الناجي من الضر المومن جمعا كثيرا سمي الباقي فريقا قوله تعالى ليكفروا يجوز ان
تكون لام كي وان تكون لام الامر ومعناه التهديد كقوله اعملوا ما شئتم ثم خاطب هولاء الذين فعلوا هذا خطاب تهديد
فقال فتمتعوا قرا العامة بالخطاب فيه وفي تعلمون وابو العالية بالياء فيهما والاول مبني للمفعول وعنه ايضا فيتمتعوا
بيا قبل التاء وعن عبد الله فليتمتعوا بلام الامر والمعنى فسوف تعلمون حالكم في الاخرة قوله تعالى ام انزلنا عليهم
سلطانا اي برهانا وحجة قال جعلناه حقيقة كان يتكلم مجازا او ان جعلناه على حذف مضاف اي ذا سلطان كان
يتكلم حقيقة • وقال ابو البقاء هنا وقيل هو جمع سليط كرغيف ورغفان انتهى • قال شهاب الدين وهذا لا يجوز
لانه كان ينبغي ان يقال فهم يتكلمون فهو يتكلم جواب الاستفهام الذي تضمنته ام المنقطعة وهذا استفهام
بمعنى الانكار اي ما انزلنا بما يقولون سلطانا • قال ابن عباس حجة وعذرا وقال قتادة كتابا يتكلم بما كانوا به
يشركون اي ينطق بشركهم قوله تعالى واذا اذقنا الناس رحمة اي الخصبة وكثرة المطر فرحوا بها يعني فرح البطر لما بين
حال المشرك الظاهر شركه بين حالة المشرك الذي دونه وهو من يكون عبادته للدنيا فاذا اعطاه رضي واذا منعه
سخط وقنط ولا ينبغي ان يكون العبد كذلك بل ينبغي ان يعبد الله في الشدة والرخا قال قيل الفرح بالرحمة مامور
به قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وههنا ذمهم على الفرح بالرحمة فالجواب هناك قال
افرحوا برحمة الله من حيث انها مضافة الى الله وههنا فرحوا بنفس الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم
به مثل فرحهم اذا كان من الله قوله تعالى وان تصبهم سيئة اي الجدب وقلة المطر وقيل الخوف والبلا بما قدمت
ايديهم من السيئات اذا هم يقنطون ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المومنين فانهم يشكرون
عند النعمة ويرجونه عند الشدة قوله تعالى اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي الم يعلموا
ان الكل من الله فالحق ينبغي ان لا يكون نظره الى ما يوجد بل الى من يوجد وهو الله فلا يكون له تبدل حال وانما
يكون عنده الفرح الدايم ولذلك قال ان في ذلك لايات لقوم يومنون قوله تعالى فات ذا القربى حقه من
البر والصلة والمسكين بان يتصدق عليه وابن السبيل يعني المسافر وقيل الضيف وخص هذه الاصناف الثلاثة
بالذكر دون بقية الاصناف الثمانية المذكورة في الصدقات لانه اراد هنا بيان من يجب الاحسان اليه على
كل من له مال سواء كان زكويا او لم يكن وسواء كان قبل الحول او بعده لان المقصود هنا الشفقة العامة وهولاء
الثلاثة يجب الاحسان اليهم وان لم يكن للانسان مال زايد اما القريب فتجب نفقته عليه اذا كان له مال
وان لم يحل عليه الحول والمسكين كذلك فان من لا شي له اذا وقع في الحاجة حتى بلغ الشدة يجب على القادر
دفع حاجته وان لم يكن عليه زكوة والفقير داخل في المسكين لان من اوصى للمساكين بشي يصرف الى الفقرا ايضا
واذا نظرت الى الباقين من الاصناف رايتهم لا يجب صرف المال اليهم الا على الذين وجبت الزكاة عليهم وقدم
الغريب لان دفع حاجته واجب سواء كان في مخمصة او لم يكن فكذلك قدم على من لا يجب دفع حاجته من غير
مال الزكاة الا اذا كان في شدة • واما المسكين فحاجته ليست مختصة بموضع فقدم على من حاجته مختصة
بموضع دون موضع قوله تعالى ذلك خير يحتمل ان يراد خير من غيره وان يكون ذلك خير في نفسه للذين
يريدون وجه الله اي يطلبون ثواب الله بما يعملون واوليك هم المفلحون قال قيل كيف قال واوليك هم

المفلحون

المفلحون مع ان للافلاح شرايط اخرى مذكورة في قوله قد افلح المومنون فالجواب كل وصف مذكور في قوله قد افلح
هناك يفيد الافلاح وكذا الذي اتى المال لوجه الله يفيد الافلاح اللهم الا اذا وجد مانع من ارتكاب محظور او ترك
واجب قال قيل لم لم يذكر غيره من الافعال كالصلاة وغيره فالجواب الصلاة مذكورة من قبل وكذا غيرها في
قوله فاقم وجهك للدين حنيفا وقوله منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين قال قيل
قوله في البقرة واوليك هم المفلحون اشارة الى ان من اقام الصلاة واتى الزكاة وامن بما انزل على الرسول وبما
انزل من قبل وبالاخرة فهو المفلح واذا كان المفلح منحصرا في اوليك فهذا خارج عنهم فكيف يكون مفلحا فالجواب
هذا هو ذلك لان قوله فاقم وجهك للدين امر بذلك فاذا اتى بالصلاة واتى المال واراد وجه الله ثبت انه من
مقيمي الصلاة وموتي الزكاة ومعترف بالاخرة قوله تعالى وما اتيتم من ربا قرا ابن كثير اتيتم مقصورا وقرا
الاخرون بالمد اي اعطيتم ومن قصر فمعناه جيتم من ربا ومجيبهم ذلك على وجه الاعطا كما يقول اتيت خطا واتيت صوابا
وهو يوول في المعنى الى قول من مد قوله تعالى ليربو العامة على اليا من تحت مفتوحة اسند الفعل لضمير الربا اي
ليزداد ونافع ويعقوب بتاء من فوق مضمومة خطابا للجماعة فالواو على الاول لام الكلمة وعلى الثاني كلمة ضمير
الغايبين فصل ذكر هذا تحريضا يعني انكم اذا طلب منكم واحد باثنين ترغبون فيه وتوتونه وذلك لا يربو
عند الله في اختطاف اموال الناس والزكاة تنمو عند الله كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدقة تقع في يد
الرحمن فتربو حتى تصير مثل الجبل فينبغي ان يكون اقدامكم على الزكاة اكثر • واختلفوا في معنى الاية فقال سعيد بن
جبير ومجاهد وطاوس وقتادة والضحاك واكثر المفسرين هو الرجل يعطي عبده العطية ليثيب اكثر منها فهذا جايز
حلال ولكن لا يثاب عليه في القيامة فهو معنى قوله تعالى فلا يربوا عند الله وكان هذا حراما على النبي صلى الله عليه
وسلم خاصة لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تعط وتطلب اكثر مما اعطيت • وقال النخعي هو الرجل يعطي صديقه
او قريبه ليكثر ماله ولا يريد به وجه الله • وقال الشعبي هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيحصل له
ربح ماله التماس عونه لا لوجه الله فلا يربو عند الله لانه لم يرد به وجه الله وما اتيتم من زكاة اعطيتم من صدقة
تريدون وجه الله قوله تعالى فاوليك هم المضعفون اي اصحاب الاضعاف قال الفرا نحو مسمن ومعطش اي ذي
ابل سمان وابل عطاش وتقول العرب القوم مهزولون ومسمنون اذا هزلت وسمنت ابلهم فالمضعف ذو الاضعاف
من الحسنات • وقرا ابي بفتح العين جعله اسم مفعول وقوله فاوليك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم
المضعفون والمعنى هم المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما انتهى يعني ان اسم الشرط متى كان غير ظرف
وجب عود ضمير من الجواب عليه وتقدم ذلك في البقرة عند كل من كان عدوا لجبريل ثم قال ووجه اخر وهو ان
يكون تقديره يوتونه فاوليك هم المضعفون والحذف الثاني الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل ماخذا والاول
املا بالفايدة قوله تعالى الله الذي خلقكم يجوز في خبر الجلالة وجهان اظهرهما انه الموصول بعدها والثاني
انه الجملة من قوله هل من شركايكم من يفعل جمع في هذه الاية بين الحشر والتوحيد اما الحشر فقوله يحييكم واما
الدليل فقدرته على الخلق ابتدا واما التوحيد فقوله هل من شركايكم من يفعل من ذلكم من شي ثم قال سبحانه
وتعالى عما يشركون اي سبحوه تسبيحا نزهوه ولا تصفوه بالاشراك وقوله تعالى اي لا يجوز ذلك عليه قوله تعالى
من شركايكم خبر مقدم ومن للتبعيض ومن يفعل هو المبتدا ومن ذلكم متعلق بمحذوف لانه حال من شي بعده
فانه في الاصل صفة له ومن الثالثة مزيدة في المفعول به لانه في حيز النفي المستفاد من الاستفهام والتقدير
ما الذي يفعل شيا من ذلكم من شركايكم • وقال الزمخشري ومن الاولى والثانية كل واحدة مستقلة بتاكيد
لتعجيز شركايهم وتجهيل عبدتهم قال ابو حيان ولا ادري ما اراد بهذا الكلام وقرا الاعمش تشركون بالخطاب
قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر تعلق الاية بما قبلها ان الشرك سبب الفساد كما قال تعالى لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا واذا كان الشرك سببه جعل الله اظهارهم الشرك مورثا لظهور الفساد ولو فعل بهم ما
يقتضيه قولهم لفسدت السموات والارض كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر
الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ولهذا اشار بقوله ليذيقهم بعض الذي عملوا واختلفوا في قوله في البر والبحر
فقيل المراد خوف الطوفان في البر والبحر وقيل عدم انبات بعض الارض وملوحة مياه البحار • وقيل المراد قحط
المطر وقلة النبات واراد بالبر البوادي والمفاوز وبالبحر المداين والقرى التي على المياه الجارية • قال عكرمة
العرب تسمي المصر بحرا تقول اجدب البر وانقطعت مادة البحر قوله تعالى بما كسبت اي بسبب كسبهم والبا
متعلقة بظهر او بنفس الفساد وفيه بعد والمعنى بشوم ذنوبهم • وقال عطية البر ظهر الارض الامصار وغيرها
البحر هو البحر المعروف والفساد قلة المطر يوثر في البر والبحر اما تاثيره في البر فهو القحط واما تاثيره في البحر فتخلو
اجواف الاصداف لان الصدف اذا جا المطر يرتفع الى وجه البحر ويفتح فاه فما يقع فيه المطر صار لولوا قال

ابن عباس وعكرمة ومجاهد الفساد في البر قتل احد بني ادم اخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة وقال الضحاك كانت
الارض خضرة مونقة لا ياتي ابن ادم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ما البحر عذبا وكان لا يقصد الاسد البقر والغنم
فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ما البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوان بعضه بعضا وقال
قتادة هذا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم امتلأت الارض ظلما وضلالة فلما بعث الله محمدا عليه السلام رجع
راجعون من الناس بما كسبت ايدي الناس من المعاصي يعني كفار مكة **قوله تعالى ليذيقهم** اللام للعلية متعلقة بظهر
وقيل بمحذوف اي عاقبهم بذلك ليذيقهم وقيل اللام للصيرورة وقرأ قنبل لنذيقهم بنون العظمة والباقون بيا
الغيبة والمعنى ليذيقهم عقوبة بعض الذي عملوا من الذنوب لعلهم يرجعون عن الكفر واعمالهم الخبيثة **قوله
تعالى قل سيروا في الارض** لما بين حالهم بظهور الفساد في احوالهم بسبب فساد اقوالهم بين لهم ضلال امثالهم
واشكالهم الذين كانت افعالهم كافعالهم فقال قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل اي
قوم نوح وعاد وثمود ليروا منازلهم ومساكنهم خاوية كان اكثرهم مشركين فاهلكوا بكفرهم **قوله تعالى فاقم وجهك
للدين القيم** لما نهى الكفار عما هم عليه امر المؤمنين بما هم عليه وخاطب النبي عليه السلام ليعلم المؤمن فضيلة
ما هو مكلف به فانه امر به اشرف الانبيا والدين القيم اي المستقيم وهو دين الاسلام **قوله تعالى من قبل ان ياتي
يوم لا مرد له** المرد مصدر رد من الله يجوز ان يتعلق بياتي او بمحذوف يدل عليه المصدر اي لا يرده من الله احد ولا
يجوز ان يعمل فيه مرد لانه كان ينبغي ان ينون اذ هو من قبيل المطولات والمراد يوم القيامة لا يقدر احد على رده
من الله وغيره عاجز عن رده فلا بد من وقوعه يومئذ يصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير
ثم اشار الى التفرق بقوله **من كفر فعليه كفره** اي وبال كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون تقديم الجار يفيد
الاختصاص يعني ضرر كفر هذا ومنفعته عمل هذا لا يتعداه ووحد الكناية في قوله فلانفسهم اشارة الى ان الرحمة
اعم من الغضب فتشمله واهله وذريته واما الغضب . بالوحدة لازم لمن اسا وقال فعليه كفره ولم يبين
وقال في المؤمن فلانفسهم يمهدون تحقيقا لكمال الرحمة فانه عند الخير بين بشارة وعند غيره اشار اليه اشارة **قوله
تعالى ليجزي** في متعلقه اوجه احدها يمهدون والثاني يصدعون والثالث محذوف قال ابن عطية تقديره
ذلك ليجزي وتكون الاشارة الى ما تقرر من قوله من كفر ومن عمل وجعل ابو حيان قسيم قوله الذين امنوا وعملوا
محذوفا لدلالة قوله انه لا يحب الكافرين عليه هذا اذا علقت اللام بيصدعون او بذلك المحذوف قال تقديره ليجزي الذين
امنوا ليثيبهم الله اكثر من ثواب اعمالهم انه لا يحب الكافرين **قوله** ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات لما ذكر ظهور
الفساد والهلاك بسبب الشرك ذكر ظهور الصلاح ولم يذكر انه بسبب العمل الصالح لان الكريم لا يذكر لاحسانه عوضا
ويذكر لاضراره سببا لئلا يتوهم به الظلم فقال يرسل الرياح مبشرات بالمطر كما قال تعالى نشرا بين يدي رحمته
اي قبل القطر وقيل مبشرات بصلاح الاهوية والاحوال فان الرياح لو لم تهب لظهر الوبا والفساد وقرأ العامة
الرياح جمعا لاجل مبشرات لان الحال والصغير يقتضيان العلة فكان التقدير للتبشير وليذيقكم واما ان يتعلق
بمحذوف اي وليذيقكم ارسلها واما ان تكون الواو مزيدة على راي فتتعلق اللام بان يرسل **فصل** وليذيقكم من
رحمته يعني بالمطر والخصب ولتجري الفلك لما اسند الفعل الى الفلك عقبه بقوله بامره ولذلك لما قال ولتبتغوا
مسندا الى العباد ذكر تفعلا اي لا استقلال لغيره بشي والمعنى لتطلبوا من رزقه بالتجارة في البحر ولعلكم تشكرون
هذه النعم **فصل** قال تعالى ظهر الفساد ليذيقهم بعض الذي عملوا وقال ههنا ليذيقكم من رحمته فخاطبهم
ههنا لتشريفا ولان رحمته قريب من المحسنين والمحسن قريب فيخاطب والمسي مبعد فلم يخاطب وقال هناك
بعض الذي عملوا فاضاف ما اصابهم الى انفسهم واضاف ما اصاب المؤمن الى رحمته فقال من رحمته لان الكريم لا يذكر
لرحمته واحسانه عوضا فلا تقول اعطيتك لانك فعلت كذا بل يقول هذا لك مني واما ما فعلت من الحسنة فجزاؤه
بعد عندي وايضا فلو قال ارسلت بسبب فعلكم لا يكون بشارة عظيمة واما اذا قال من رحمته كان غاية البشارة
وايضا فلو قال بما فعلتم ينبئ عن نقصان عقابهم وهو كذلك وقال هناك لعلهم يرجعون وقال ههنا ولعلكم
تشكرون فالواو اشارة الى توفيقهم للشكر في النعم فعطف على النعم **قوله** ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى
قومهم فجاؤهم بالبينات لما بين الاصلين بالبراهين ذكر الاصل الثالث وهو النبوة فقال ولقد ارسلنا من قبلك
رسلا اي ارسالهم دليل رسالتك فانهم لم يكن لهم شغل غير شغلك ولم يظهر عليهم غير ما اظهر عليك ومن امن
بهم كان لهم الانصار ومن كذبهم اصابهم البوار وفي تعلق الاية وجه اخر وهو ان الله تعالى لما بين بالبراهين
ولم ينتفع بها الكفار سلى قلب النبي عليه السلام وقال حالك كحال من تقدمك كان كذلك وجاؤا ايضا بالبينات
اي بالدلالات الواضحات على صدقهم وكان في قومهم كافر ومؤمن كما في قومك فانتقمنا من الذين اجرموا اعدا
الذين كذبوهم ونصرنا المؤمنين **قوله** تعالى وكان حقا وقف بعضهم على حقا وابتدأ بما بعده فجعل اسم كان

مصفرا

مضمرا فيها وحقا خبرها اي وكان الانتقام حقا قال ابن عطية وهذا ضعيف لانه لم يدر قدر ما عرضه في نظم الاية
يعني الوقف على حقا وجعل بعضهم حقا منصوبا على المصدر واسم كان ضمير الامر والثاني وعلينا خبر مقدم ونصر اسم
مؤخر وجعل بعضهم حقا منصوبا على المصدر ايضا وعلينا خبر مقدم ونصر اسم مؤخر والصحيح ان نصر اسمها وحقا خبرها
وعلينا متعلق بحقا او بمحذوف صفة له فعلى الاول يكون بشارة للمؤمنين الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم اي علينا
نصركم ايها المؤمنون ونصرهم انجاؤهم من العذاب وعلى الثاني معناه وكان حقا علينا نصر المؤمنين كان حقا علينا
قوله تعالى الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا اي تنشره وتبسطه في السما كيف يشا مسيرة يوم او يومين واكثر على ما
يشا ويجعله كسفا قطعا متفرقة فترى الودق يخرج من خلاله وسطه فاذا اصاب به بالودق من يشا من عباده اذا
هم يستبشرون يفرحون بالمطر **قوله تعالى** وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم وقيل وما كانوا مبلسين اي ايسين
قوله تعالى من قبله فيه وجهان احدهما انه تكرير لمن قبل الاول على سبيل التوكيد والثاني ان يكون غير مكرر وذلك
الضمير في قبله للسحاب وجاز ذلك لانه اسم جنس يجوز تذكيره وتانيثه او للريح فيتعلق من الثانية بنزل وقيل يجوز عود
الضمير على كسفا كذا اطلق ابو البقا قال ابو حيان وهذا يتاتى على قراءة من سكن السين وقد تقدمت قراات كسفا في سبحان
وقد ابدى الزمخشري وابن عطية فايدة التاكيد المذكور فقال ابن عطية افاد الاعلام بسرعة تقلب قلوب
البشر من الابلاس الى الاستبشار وذلك ان قوله من قبل ان ينزل عليهم يحتمل الفسحة في الزمان اي من قبل ان ينزل
بكثير الايام ونحوه فجا قوله من قبله بمعنى ان ذلك متصل بالمطر فهو تاكيد مفيد وقال الزمخشري ومعنى التوكيد فيه
الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد بعد فاستحكم ياسهم وتمادى ابلاسهم فكان استبشارهم على قدر اغتمامهم بذلك
وهو كلام حسن الا ان ابا حيان لم يرتضه منهما فقال ما ذكراه من فايدة التوكيد غير ظاهر وانما هو لمجرد التوكيد ويفيد
رفع المجاز فقط انتهى قال شهاب الدين ولا ادري عدم الظهور لماذا وقال قطرب وان كانوا من قبل التنزيل من قبل
المطر وقيل التقدير من قبل انزال المطر من قبل ان يزرعوا ودل المطر على الزرع لانه يخرج بسبب المطر ودل على ذلك
قوله فراوه مصفرا يعني الزرع قال ابو حيان وهذا لا يستقيم لان من قبل ان ينزل متعلق بمبلسين ولا يمكن
من قبل الزرع ان يتعلق بمبلسين لان حرفي جر لا يتعلقان بعامل واحد الا بواسطة حرف العطف او البدل
وليس هنا عطف والبدل لا يجوز اذ انزال الغيث ليس هو الزرع ولا الزرع بعضه ويتخيل فيه بدل الاشتمال
بتكلف اما لاشتمال الانزال على الزرع بمعنى ان الزرع يكون ناشيا عن الانزال فكان الانزال مشتملا عليه وهذا
على مذهب من يقول الاول مشتمل على الثاني وقال المبرد الثاني السحاب لانهم لما راوا السحاب كانوا راجين المطر
انتهى يريد من قبل رؤية السحاب ويحتاج ايضا الى حرف عطف ليصح تعلق الحرفين بمبلسين وقال الرماني من
قبل الارسال وقال الكرماني من قبل الاستبشار لانه قرنه بالابلاس ولانه من عليهم بالاستبشار ويحتاج قولهما
الى حرف العطف لما تقدم وادعا حرف العطف ليس بالسهل فان فيه خلافا بعضهم يقيسه وبعضهم لا يقيسه
هذا كله في المفردات اما اذا كان في الجمل فلا خلاف في اقتياسه وفي حرف عبد الله بن مسعود وان كانوا من قبل
ان ينزل عليهم لمبلسين غير مكرر **قوله تعالى** فانظر الى اثر قرا ابن عامر والاخوان وحفص بالجمع والباقون
بالافراد وسلام بكسر الهمزة وسكون الثا وهي لغة فيه وقرا العامة كيف يحيي بيا الغيبة اي اثر الرحمة ممن
قرا بالافراد ومن قرا بالجمع فالفعل مسند لله تعالى وهو محتمل في الافراد ايضا والجحدري وابو حيوة وابن السميفع
تحيي بتا التانيث وفيه تخريجان اظهرهما ان الفاعل عايد على الرحمة والثاني قاله ابو الفضل عايد على اثر وانث
اثر لاكتسابه بالاضافة التانيث كتطاير له تقدمت ورد عليه بان شرط ذلك كون المضاف بمعنى المضاف اليه
او من سببه لا اجنبيا وهذا اجنبي وكيف يحيي معلق لا نظر فهو في محل نصب على اسقاط الخافض وقال ابو الفتح الجملة
من كيف يحيي في موضع نصب على الحال حملا على المعنى انتهى وكيف تقع جملة الطلب حالا والمراد برحمة الله هنا المطر
اي انظر الى حسن تاثيره في الارض كيف يحيي الارض بعد موتها **قوله تعالى** ان ذلك لمحيي الموتى يعني ان ذلك يحيي الارض
لمحيي الموتى فاتى باللام المؤكدة لاسم الفاعل **قوله تعالى** ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لما بين انهم عند توقف
الخير يكونون مبلسين ايسين وعند ظهوره يكونون مستبشرين بين ان تلك الحالة ايضا لا يدومون عليها
بل لو اصاب زرعهم ريح مصفر لكفروا فهم متقلبون غير ناظرين نظرهم الى الحال لا الى المال **فصل** سمى النافعة
رياحا والضارة ريحا لوجوه احدها ان النافعة كثيرة الانواع كثيرة الافراد فجمعها لان في كل يوم وليلة تهب
نفحات من الرياح النافعة ولا تهب الريح الضارة في اعوام بل الضارة لا تهب في الدهور الثاني ان النافعة
لا تكون الا رياحا واما الضارة فنفخة واحدة تقتل كريح السموم الثالث جا في الحديث ان ريحا هبت فقال
عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا اشارة الى قوله تعالى فارسلنا عليهم الريح العقيم وقوله
ريحا صرصرا تنزع الناس **فصل** معنى الاية ولئن ارسلنا ريحا اي مضرة افسدت الزرع فراوه مصفرا

بعد المضرة لظلوا الضار وامن بعد اصفرار الزرع يكفرون يجحدون ما سلف من النعمة يعني انهم يفرحون عند الخصب
ولو ارسلت عذابا على زرعهم واصابتهم آفة جحدوا سالف نعمتي قوله تعالى فرأوه اي فرأوا النبات لدلالة السياق عليه او على الاثر
لان الرحمة هي الغيث واثرها هو النبات وهذا ظاهر على قراءة الافراد واما على قراءة الجمع فيعود على المعنى وقيل الضمير
للسحاب وقيل للزرع وقرأ جناح بن حبيش مصفارا بالالف ولظلوا جواب القسم الموطأ له بلئن وهو ماض لفظا مستقبل
معنى كقوله ما تبعوا قبلتك والضمير في من بعده يعود على الاصفرار المدلول عليه بالصفة لقوله
اذا نهي السفيه جرى اليه اي السفه لدلالة السفيه عليه قوله تعالى انك لا تسمع الموتى لما علم رسوله وجوه
الادلة ووعد واوعد ولم يزدهم دعاؤه الا فرارا وكفرا واصرارا قال انك لا تسمع الموتى وقد تقدم الكلام على نحو
فانك لا تسمع الى آخره في الانبياء وفي النمل واعلم ان ارشاد الميت محال والمحال ابعد من الممكن ثم ارشاد الاصم
صعب فانه لا يسمع الكلام وانما يفهم بالاشارة والافهام بالاشارة صعب ثم ارشاد الاعمى ايضا صعب فانك
اذا قلت له الطريق على يمينك يدور الى يمينه لكنه لا يبقى عليه بل يحيد عن قريب وارشاد الاصم اصعب ولهذا
تكون المعاشرة مع الاعمى اسهل من المعاشرة مع الاصم الذي لا يسمع لان غاية الافهام بالكلام وليس كلما يفهم
بالاشارة بالكلام يفهم بالاشارة فان المعدوم والغائب لا اشارة اليه فقال انك لا تسمع الموتى ثم قال ولا الاصم
ولا تهدي العمي وقال في الاصم اذا ولوا مدبرين ليكون ادخل في الامتناع لان الاصم وان كان يفهم فانما يفهم
بالاشارة فاذا ولى لا يكون نظره الى المشير فامتنع افهامه بالاشارة ايضا ثم قال وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم
ان تسمع الا من يؤمن باياتنا لما نفى اسماع الميت والاصم واثبت اسماع المؤمن بآياته لزم ان يكون المؤمن حيا
سميعا وهو كذلك لان المؤمن ينظر في البراهين ويسمع زواجر الوعظ فيظهر منه الافعال الحسنة ويفعل ما يجب
عليه فهم مسلمون مطيعون كما قال تعالى عنهم قالوا سمعنا واطعنا قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف لما اعاد
دليل الآفاق بقوله الله الذي يرسل الرياح اعاد دليلا من دلائل الانفس ايضا وهو خلق الآدمي وذكر احواله
فقال خلقكم من ضعف اي من ماء ذي ضعف كقوله الم نخلقكم من ماء مهين وقرئ ضعف بضم الضاد وفتحها فالضم لغة
قريش والفتح لغة تميم من ضعف اي من نطفة وتقدم الكلام في القراءتين والفرق بينهما في الانفال ثم جعل من بعد
ضعف قوة اي من بعد ضعف الطفولية شبابا وهو وقت القوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا هرما وشيبة والشيبة
هي تمام الضعف يخلق ما يشاء من الضعف والقوة والشباب والشيبة وهو العليم بتدبير خلقه القدير على ما يشاء
فان قيل ما الحكمة في قوله ههنا وهو العليم القدير فقدم العلم على القدرة وقوله من قبل وهو العزيز الحكيم والعزة
اشارة الى كمال القدرة والحكمة اشارة الى كمال العلم فقدم القدرة هناك على العلم فالجواب ان المذكور هناك
الاعادة لقوله وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم لان الاعادة بقوله
كن فيكون فالقدرة هناك اظهر وههنا المذكور الابداء وهو اطوار واحوال والعلم بكل حال حاصل فالعلم ههنا
اظهر ثم ان قوله تعالى وهو العليم القدير فيه تبشير وانذار لانه اذا كان عالما باحوال الخلق يكون عالما باحوال
المخلوق فان عملوا خيرا علمه وان عملوا شرا علمه ثم اذا كان قادرا وعلم الخير اثاب واذا علم الشر عاقب ولما كان العلم
بالاحوال قبل الاثابة والعقاب اللذين هما بالقدرة والعلم قدم العلم واما الآية الاخرى فالعلم بتلك الاحوال
قبل العقاب فقال وهو العزيز الحكيم قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون يحلف المشركون ما لبثوا
في الدنيا غير ساعة اي الا ساعة لما ذكر الابداء والاعادة ذكره بذكر احوالها ووقتها قوله تعالى ما لبثوا جواب
قوله يقسم وهو على المعنى اذ لو حكى قولهم بعينه لقيل ما لبثنا والمعنى انهم استقلوا اجل الدنيا لما عاينوا الآخرة
وقال مقاتل والكلبي ما لبثوا في قبورهم غير ساعة كما قال يوم يرونها وقوله يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة
من نهار قوله تعالى كذلك اي مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون اي يصرفون عن الحق في الدنيا قال الكلبي ومقاتل
كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا ان لا بعث والمعنى ان الله تعالى اراد ان يفضحهم فحلفوا على شيء
يتبين لاهل الجمع انهم كاذبون ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم فقال وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم
في كتاب الله اي فيما كتب الله لكم في سابق علمه من اللبث في القبور وقيل في كتاب الله اي في حكم الله اي فيما وعد به
في كتابه من الحشر والبعث فيكون في كتاب الله متعلقا بلبثتم وقال مقاتل وقتادة فيه تقديم وتأخير معناه وقال
الذين اوتوا العلم بكتاب الله والايمان لقد لبثتم الى يوم البعث وفي ترد بمعنى الى العامة على سكون عين البعث
والحسن بفتحها وقرئ بكسرها فالمكسور اسم والمفتوح مصدر قوله تعالى فهذا يوم البعث في الفاء قولان اظهرهما
انها عاطفة هذه الجملة على لقد لبثتم وقال الزمخشري هي جواب شرط مقدر كقوله فقد جئنا خراسانا
كأنه قيل ان صح ما قلتم ان خراسان اقصى ما يراد بكم فقد آن لنا ان نخلص وكذلك ان كنتم منكرين للبعث فهذا يوم
البعث ويشير الى البيت المشهور قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا قوله لا يعلمون

اي البعث

اي البعث اي ما يراد بكم او لا مقدر له مفعول اي لم تكونوا من اولي العلم وهو ابلغ فصل اعلم ان الموعود بوعيد اذا ضرب له
اجل يستقل المدة ويريد تأخيرها فالمجرم اذا حشر وعلم ان مصيره الى النار يستقل مدة اللبث ويختار تأخير الحشر وعلم ان مصيره
الى الجنة فيستكثر المدة ولا يريد تأخرها فيختلف الفريقان ويقول احدهما ان مدة لبثنا قليل واليه الاشارة بقوله وقال
الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث ونحن صرنا الى يوم البعث وهذا يوم البعث ولكنكم
كنتم لا تعلمون وقوعه في الدنيا يعني ان طلبكم التأخير لانكم كنتم لا تعلمون البعث ولا تعترفون به فصار مصيركم الى النار
فتطلبون التأخير ولا ينفعكم العلم به الآن قوله تعالى فيومئذ اي اذ يقع ذلك ويقول الذين اوتوا العلم تلك المقالة
لا ينفع هو الناصب ليومئذ قبله وقرأ الكوفيون هنا وفي غافر بالياء من تحت ووافقهم نافع على ما في غافر لان التأنيث
مجازي ولانه قد فصل ايضا والباقون بالتاء من فوق مراعاة للفظ قوله تعالى ولا هم يستعتبون قال الزمخشري من قولك
استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته وذلك اذا كان جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى
قوله غضبت تميم ان تقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم
والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى فاليوم لا يخرجون منها ولا هم
يستعتبون قوله تعالى فان قلت كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات وغير معتبين في بعضها وهو قوله
وان يستعتبوا فما هم من المعتبين قلت اما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير
راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا الله اي
يسألوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين انتهى وقال ابن عطية ويستعتبون بمعنى يعتبون كما يقول يملك ويستملك
والباب في استفعل طلب الشيء وليس هذا منه لان المعنى كان يفسد اذا كان المفهوم منه ولا يطلب منهم عتبى قال شهاب
الدين وليس فاسدا لما تقدم من قول الزمخشري قوله تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وهذا اشارة
الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار وانه لم يبق من جانب الرسول تقصير فان طلبوا شيئا
آخر فذلك عناد محض لان من كذب دليلا لا يصعب عليه تكذيب الدلائل بل يجوز للمستدل ان يشرع في دليل آخر بعد
ذكره دليلا جيدا مستقيما ظاهرا لا اشكال عليه وعاند الخصم لانه اما ان يعترف بورود سؤال الخصم عليه او لا يعترف
فان اعترف يكون انقطاعا وهو يقدح في الدليل والمستدل اما ان يكون الدليل فاسدا واما ان المستدل جاهل
بوجه الدلالة والاستدلال وكلاهما لا يجوز الاعتراف به من العالم فكيف من النبي عليه السلام وان لم يعترف
يكون الشروع في غيره يوهم ان الخصم معاند فيعجز عن العناد في الثاني اكثر فان قيل فالانبياء عليهم السلام ذكروا
انواعا من الدلائل فنقول سردوها سردا ثم قرروا وافردوا كما يقول الدليل عليه من وجوه الاول كذا والثاني كذا وفي
مثل هذا الواجب عدم الالتفات الى عناد المعاند لانه يريد تضييع الوقت كي لا يتمكن المستدل من الاتيان بجميع
ما وعد من الدليل فيحط درجته والى هذا اشار بقوله ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون
اي ما انتم الا على باطل ووحد في قوله جئتهم وجمع في قوله ان انتم لنكتة وهي انه تعالى اخبر في موضع آخر فقال ولئن
جئتهم بكل آية اي جاءت بها الرسل فقال الكفار ما انتم بها المدعون الرسالة كلكم الا كذا قوله تعالى كذلك يطبع اي
مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون توحيد الله فان قيل من لا يعلم شيئا اي فائدة الاخبار عن الطبع على
قلبه من قبل ثم انه تعالى سلى نبيه عليه السلام فقال فاصبر ان وعد الله حق في نصرتك واظهارك على عدوك وتبيين
صدقك قوله تعالى ولا يستخفنك العامة من الاستخفاف بالخاء المعجمة والفاء ويعقوب وابن ابي اسحق بالحاء المهملة والقاف
من الاستحقاق وابن ابي عبلة ويعقوب بتخفيف نون التوكيد والنهي من باب لا ارينك ههنا فصل المعنى ولا
يستجهلنك اي لا يحملنك الذين لا يوقنون على الجهل واتباعهم في الغي وقيل ولا يستخفن رايك وحلمك الذين لا يوقنون
بالبعث والحساب وهذا اشارة الى وجوب مداومة النبي عليه السلام على الدعاء الى الايمان فانه لو سكت لقال الكافرون
انه متقلب فائل الرأي لا ثبات له روى ابو امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه
وليلته رواه الثعلبي في تفسيره والله تعالى اعلم

سورة لقمان

وهي اربع وثلاثون آية وخمسمائة وثمان واربعون كلمة والفان ومائة وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى الم تلك آيات الكتاب الحكيم تلك اشارة الى غائب والمعنى آيات القرآن آيات الكتاب الحكيم والحكيم قيل
فعيل بمعنى مفعل وهذا قليل قالوا اعقدت اللبن فهو عقيد اي معقد او بمعنى ذي الحكمة او اصله الحكيم قائله ثم

المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهو الضمير المجرور فانقلب مرفوعا فاستتر في الصفة قاله الزمخشري وهو حسن الصناعة
قوله تعالى هدى ورحمة العامة على النصب على الحال من آيات والعامل ما في اسم الاشارة من معنى الفعل او المدح وحمزة
بالرفع على خبر مبتدا مضمر وجوز بعضهم ان يكون هدى منصوبا على الحال حالة رفع رحمة قال ويكون رفعها خبر ابتدا
مضمر اي وهو رحمة وفيه بعد فصل قال في البقرة ذلك الكتاب ولم يقل الحكيم وههنا قال الحكيم لانه لما زاد
ذكر وصف في الكتاب زاد ذكرا من احواله فقال هدى ورحمة وقال هناك هدى للمتقين فقوله هدى في مقابلة
قوله الكتاب وقوله ورحمة في مقابلة قوله الحكيم ووصف الكتاب بالحكمة على معنى ذو الحكمة كقوله تعالى في عيشة
راضية اي ذات رضى وقال هناك للمتقين وقال هنا للمحسنين لان رحمة الله قريب من المحسنين وقال تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزيادة فناسب زيادة قوله ورحمة ولان المحسن متق وزيادة قوله تعالى الذين يقيمون
صفة او بدل او بيان لما قبله او منصوب او مرفوع على القطع وعلى كل تقدير فهو تفسير للاحسان وسئل الاصمعي عن
الالمعي فانشد الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا يعني ان الالمعي هو الذي اذا اطلق شيئا كان كمن رآه
وسمعه كذلك المحسنون هم الذين يفعلون هذه الطاعات ومثله بعضهم عن الهلوع فلم يزد ان تلا اذا مسه
الخير منوعا واذا مسه الشر جزوعا فصل قال في البقرة الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ولم يقل
هنا الذين يؤمنون بالغيب لان المتقي هو التارك للكفر ويلزم منه ان يكون مؤمنا والمحسن هو الآتي بحقيقة
الايمان ويلزمه ان لا يكون كافرا فلما كان المتقي دالا على المؤمن بالالتزام صرح بالايمان هناك ولما كان المحسن
دالا على الايمان بالتنصيص لم يصرح بالايمان وتقدم الكلام على نظير قوله يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة الى قوله
المفلحون قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث لما بين ان القرآن كتاب حكيم يشتمل على آيات حكمية بين حال
الكفار انهم يتركون ذلك ويشتغلون بغيره قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة كان يتجر
فيأتي الحيرة ويشتري اخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وانا احدثكم
بحديث رستم واسفنديار واخبار الاكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن فانزل الله هذه
الآية وقال مجاهد يعني شرا القينات والمغنيين ووجه الكلام على هذا التاويل من يشتري ذات او ذا لهو الحديث
قال عليه السلام لا تحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن حرام وفي مثل هذا انزلت الآية ومن الناس من يشتري
لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وما من رجل يرفع صوته بالغنا الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب
والاخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت قال المعربون قوله لهو الحديث
من باب الاضافة بمعنى من لان اللهو يكون حديثا وغيره فهو كباب وهذا ابلغ من حذف المضاف قوله تعالى
ليضل قرا ابن كثير وابو عمرو ليضل بفتح حرف المضارعة والباقون بضمه من اضل غيره فمفعوله محذوف وهو مستلزم
للضلال لان من اضل فقد ضل من غير عكس وقد تقدم ذلك في ابراهيم قال الزمخشري هنا فان قلت القراءة بالرفع بينة
لان النضر كان غرضه باشترا اللهو ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة
بالفتح قلت معنيان احدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول
كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني ان يوضع ليضل من قبل ان من اضل كان ضالا لا محالة
فدل بالرديف على المردوف فصل روي عن عبد الله بن مسعود وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث
هو الغنا والآية نزلت فيه ومعنى قوله يشتري لهو الحديث اي يستبدل ويختار الغنا والمزامير والمعازف على القرآن
وقال ابن جريج هو الطبل وقال الضحاك هو الشرك وقال قتادة حسب المرء من الضلالة ان يختار حديث الباطل على
حديث الحق قوله تعالى بغير علم اي يشتري بغير علم باحوال التجارة حيث اشترى ما يخسر فيه الدارين قوله تعالى
ويتخذها قرا الاخوان وحفص بالنصب فهي نصب الدال فهو عطف كالذي قبله والباقون بالرفع عطفا على يشتري
فهو صلة وقيل الرفع على الاستيناف من غير عطف على الصلة والضمير المنصوب يعود على الآيات المتقدمة
او السبيل لانه يؤنث او الاحاديث الدال عليها الحديث لانه اسم جنس قوله تعالى اولئك لهم حملا اولا على لفظ من
وافرد ثم على معناها ثم على اللفظ غيرها بين الاثنين قال شهاب الدين وجد غيرهما كما تقدم التنبيه عليه في المائدة
وقوله عذاب مهين اي دائم قوله تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا اي يشتري الحديث الباطل ويأبى الحق
الصراح مجانا فيعرض عنه قوله تعالى كان لم يسمعها حال من فاعل ولى او من ضمير مستكبرا وقوله كان في اذنيه
وقرا حالة ثالثة او بدل مما قبلها او حال من فاعل يسمعها او تبيين لما قبلها وجوز الزمخشري ان تكون جملة التشبيه
استينافيتين فصل معنى كان لم يسمعها شغل المتكبر الذي لا يلتفت الى الكلام ويجعل نفسه كانها غافلة
وقوله كان في اذنيه وقرا دخل في الاعراض فبشره بعذاب اليم اي مؤلم وصفه اولا بانه مهين وهو اشارة
الى الدوام فكانه قال مؤلم دائم قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية لما بين حال المعرض عن سماع

الآيات

الآيات بين حال من يقبل على تلك الآيات بان له جنات النعيم ولذلك عذاب مهين ووحد العذاب وجمع الجنات اشارة
الى ان الرحمة واسعة اكثر من الغضب ونكر العذاب وعرف الجنات اشارة الى ان الرحمة تبين النعمة وتعرفها ولم
يبين النعمة وانما نبه عليها تنبيها قوله تعالى خالدين حال وخبر ان الجملة من قوله لهم جنات والاحسن ان يجعل
لهم هو الخبر والجملة او الجار وحده حال ويجوز ان يكون خالدين خبرا ثانيا قوله تعالى وعد الله مصدر مؤكد
لنفسه لان قوله لهم جنات في معنى وعدهم الله ذلك وحقا مصدر مؤكد لغيره اي لمضمون تلك الجملة الاولى وعاملها
يختلف فتقدير الاول وعد الله ذلك وعدا وتقدير الثاني احق ذلك حقا واعلم انه لم يؤكد العذاب المهين واكد
نعيم الجنات بقوله وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم العزيز في اقتداره الحكيم في افعاله قوله تعالى خلق السموات
بغير عمد وهذا تبيين لعزته وحكمته وقد تقدم الكلام على نظيرها في الرعد واعلم ان اكثر المفسرين قال ان
السموات مبسوطة كصحف مستوية لقوله تعالى يوم نطوي السما كطي السجل للكتاب وقال بعضهم انها مستديرة
وهو قول جميع المهندسين والغزالي رحمه الله قال ونحن نوافقهم في ذلك فان لهم عليها دليلا من المحسوسات ومخالفة
الحس لا تجوز وان كان في الباب خبر نؤول بما تحتمله فضلا من ان ليس في القرآن والخبر ما يدل على ذلك صريحا بل فيه ما يدل
على الاستدارة كقوله تعالى كل في فلك يسبحون والفلك اسم لشيء مستدير بل الواجب ان يقال ان السما سوا كانت
مستديرة او صفحة مستقيمة هو مخلوق بقدرة الله لا بايجاب وطبع وتقدم الكلام على نظير الآية الى قوله كريم
والكريم الحسن او ذي كرم لانه يأتي كثيرا من غير حساب او مكرم مثل بعض للمنغص قوله تعالى هذا خلق الله يعني هذا
الذي ذكرت مما تعاينون خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه من الهتكم التي تعبدونها وتقدم تحقيق الاستفهام
في قوله ماذا في البقرة بل الظالمون في ضلال مبين اي بين للعاقل انه ضلال والمراد بالظالمين المشركين الواضعين
العبادة في غير موضعها قوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة لقمان قيل اعجمي وهو الظاهر فمنعه التعريف والعجمة
الشخصية وقيل عربي مشتق من اللقم وهو حينئذ مرتجل لانه لم يسبق له وضع في النكرات ومنعه حينئذ
للتعريف وزيادة الالف والنون والعامل في اذ مضمر قال ابن اسحق لقمان هو باعور بن ناحور بن تارخ وهو
آزر وقال وهب كان ابن اخت ايوب وقال مقاتل ذكر انه كان ابن خالة ايوب وقال الواقدي كان قاضيا في بني
اسرائيل واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه قال كان نبيا وتفرد بهذا القول وقال بعضهم
خير لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وروي انه كان نائما نصف النهار فنودي يا لقمان هل لك ان يجعلك
الله خليفة في الارض فتحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم اقبل البلا وان
عزم علي فسمعا وطاعة فاني اعلم ان فعل بي ذلك اعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال
لان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان يعن فبالحري ان ينجو وان اخطا اخطا طريق الجنة
ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولا يصيب الآخرة
فتعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودي داود بعده
فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهوى في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته
قال خالد الربعي كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقال سعيد بن المسيب كان خياطا وقيل كان راعي غنم فروي
انه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال الست فلانا الراعي فبما بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث واداء الامانة
وترك ما لا يعنيني وقال مجاهد كان عبدا اسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وقال الحسن اعتزل لقمان الناس
فنزل ما بين الرملة وبيت المقدس لا يخالطهم وقال ابو جعفر كان لقمان الحبشي عبد الرجل فجا به الى السوق ليبيعه
فكان كلما جا انسان يشتريه قال لقمان ما تصنع بي قال اصيرك بوابا على بابي فقال انت اشتريتني فاشتراه وجا
به الى داره بمال وكان لمولاه ثلاث بنات يبغين في القرية واراد ان يخرج الى ضيعة له فقال له اني ادخلت
اليهن طعامهن وما يحتجن اليه فاذا خرجت فاغلق الباب واقعد من ورايه ولا تفتحه حتى احضر فال
ففعل فخرجن اليه كان يخرجن فقلن له افتح الباب فابى عليهن فشججنه فغسل الدم وجلس فلما قدم مولاه
لم يخبره ثم عاد مولاه بعد ذلك فخرج وقال اني قد ادخلت اليهن ما يحتجن اليه فلا تفتحن الباب فاغلق
الباب فجئن اليه فقلن له افتح الباب فابى فشججنه ورجعن فغسل الدم وجلس فلما جا مولاه لم يخبره قال
فقالت الكبرى ما بال هذا العبد الحبشي اولى بطاعة الله عز وجل مني والله لاتوبن فتابت فقالت الصغرى
ما بال هذا العبد الحبشي وهذه الكبرى اولى بطاعة الله مني والله لاتوبن فتابت فقالت الوسطى ما بال
هاتين وهذا العبد الحبشي اولى بطاعة الله مني والله لاتوبن فتابت فتبن الى الله تعالى وكن عوايد القرية
فقال غواة القرية ما بال هذا العبد الحبشي وبنات فلان اولى بطاعة الله عز وجل منا فتابوا وعن مكحول
ان لقمان كان عبدا حبشيا لرجل من بني اسرائيل وكان مولاه يلعب بالنرد ويخاطر عليه وكان على بابه نهر جار

فلعب يوما بالنرد على ان من قمر صاحبه شرب الماء الذي في النهر كله او افتدى منه فقمر سيد لقمان فقال له القامر
اشرب ما في النهر كله والا فافتد منه فقال سلني الفدا فقال عينيك افقاهما او جميع ما تملك قال امهلني يومي هذا قال
لك ذلك فامسى كئيبا حزينا فكلمه لقمان فاعرض عنه فقال اخبرني فلعل لك عندي فرجا فقال اذا اتاك الرجل
اشرب ما في النهر فقل له اشرب ما بين حافتي النهر او المد فانه يقول لك ما بين حافتي النهر فقل له احبس عني
المد حتى اشرب ما بين الحافتين فانه لا يستطيع وتكون قد خرجت مما ضمنته له فعرف الرجل انه قد صدق
فطابت نفسه فلما اصبح الرجل جا فقال اوف لي شرطي فقال له نعم اشرب ما بين الصفتين او المد فقال ما بين
الصفتين قال فاحبس عني المد قال كيف استطيع فخصمه قال فاعتقه مولاه فاكرمه الله تعالى وكان يختلف
الى داود عليه السلام يقتبس منه فاختلف اليه سنة وداود يسرد درعا لا يسأله ما هذا ولم يخبره داود
حتى فرغ منها ولبسها على نفسه فقال عند ذلك الصمت حكمة **فصل** لما بين الله تعالى فساد اعتقاد المشركين
في عبادة من لا يخلق شيئا بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه وبين ان المشرك ظالم ضال
ذكر ما يدل على ان ضلالهم وظلمهم نقيض الحكمة ان لم يكن هناك نبوة وذكر حكاية فقال ولقد آتينا لقمان الحكمة
عبارة عن توفيق العمل بالعلم فان اريد تحديدها بما يدخل فيه حكمة الله فنقول حصول العلم على وفق المعلوم
قوله تعالى ان اشكر هذه ان المفسرة فسر الله ايتا الحكمة بقوله ان اشكر لله ثم بين ان بالشكر لا ينتفع الا
الشاكر بقوله ومن شكر فانما يشكر لنفسه وبين ان من كفر لا يتضرر غير الكافر فقال ومن كفر فعليه كفره ومن
عمل صالحا فلانفسهم يمهدون قال الله غني حميد اي غير محتاج الى شكر وقدم الشكر على الكفر ههنا وقال في الروم
ومن كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون لان الذكر في الروم كان للترهيب ولذلك قال يأتي يوم لا مرد
له فقدم التخويف وههنا الذكر للترغيب لان وعظ الاب للابن يكون بطريق اللطف والوعد **قوله تعالى** واذ قال
لقمان لابنه وهو يعظه هذا عطف على ما تقدم والتقدير آتينا لقمان الحكمة حين جعلناه شاكرا في نفسه وحين
جعلناه واعظا لغيره **قوله تعالى** يا بني قرأ ابن كثير باسكان الياء وفتحها حفص والباقون بالكسرة لا تشرك بالله
بدأ في الوعظ بالاهم وهو المنع من الاشراك وقال ان الشرك لظلم عظيم اما انه ظلم فلانه وضع النفس الشريفة
المكرمة في عبادة الخسيس فوضع العبادة في غير موضعها **قوله تعالى** ووصينا الانسان بوالديه لما
منعه من العبادة لغير الله والخدمة قريب منها في الصورة بين انها غير ممتنعة بل هي واجبة لغير الله في
بعض الصور كخدمة الابوين ثم بين السبب فقال حملته امه يعني لله على العبد نعمة الايجاد بالخلق ونعمة
الابقاء بالرزق اي صار من بقدرة الله سبب وجوده فانها حملته وبرضاعه حصل التربية والبقا **قوله تعالى**
وهنا على وهن يجوز ان ينتصب على الحال من امه اي ضعفا على ضعف وقال ابن عباس او من مفعول حملته
اي علقة ثم نطفة ثم مضغة قال الضحاك ضعفا على ضعف وقال ابن عباس شدة بعد شدة وقال مجاهد
مشقة بعد مشقة وقال الزجاج اذا حملت توالى عليها الضعف والمشقة وقيل الحمل ضعف والوضع
ضعف وقيل منصوب على اسقاط الخافض اي في وهن قاله ابو البقا وعلى وهن صفة لوهنا وقرأ الثقفي وابو
عمرو في رواية وهنا على وهن بفتح الهاء فيهما فاحتمل ان يكونا لغتين كالشعر والشعر واحتمل ان يكون المفتوح
مصدر وهن بالكسر يوهن وهنا **قوله تعالى** وفصاله قرأ الجحدري وقتادة وابو رجا والحسن وفصله دون
الف اي وفطامه في عامين **فان قيل** وصى الله بالوالدين وذكر السبب في حق الام مع ان الاب وجد منه اكثر
من الام لانه حمله في صلبه سنين وزاده بكسبه سنين فهو ابلغ **فالجواب** ان المشقة الحاصلة للام
اعظم فان الاب حمله خفا لكونه من جملة جسده والام حملته ثقلا آدميا مودعا فيها وبعد وضعه وتربيته ليلا
ونهارا وبينهما ما لا يخفى من المشقة **قوله تعالى** ان اشكر في ان وجهان احدهما انها مفسرة والثاني انها
مصدرية في محل نصب بوصينا قاله الزجاج لما كان الوالدان سبب وجود الولد والموجد في الحقيقة
للولد والوالدين هو الله امر بان يشكر لهما ثم بين الفرق فقال الي المصير اي المرجع قال سفيان بن
عيينة في هذه الاية من صلى الصلاة الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوات الخمس فقد
شكر الوالدين **قوله تعالى** وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم يعني ان خدمتهما واجبة وطاعتهما
لازمة ما لم يكن فيها ترك طاعة الله فان افضى اليه فلا تطعهما وتقدم تفسير الاية في العنكبوت وقوله
معروفا صفة لمصدر محذوف اي صحابا معروفا وقيل الاصل بمعروف **قوله تعالى** واتبع سبيل من اناب
الي اي دين من اقبل الى طاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم قال عطا عن ابن عباس يريد ابا بكر وذلك
انه حين اسلم اتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد
صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم هو صادق فآمنوا به ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فهولا

لهم سابقة الاسلام اسلموا بارشاد ابي بكر قال الله تعالى واتبع سبيل من اناب الي يعني ابا بكر **قوله تعالى** الي متعلق باناب
ثم الي متعلق بمحذوف لانه خبر مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون قيل نزلت هاتان الايتان في سعد بن ابي وقاص
وامه وقيل الاية عامة **قوله تعالى** يا بني انها هذا الضمير يرجع الى الخطيئة وذلك ان ابن لقمان قال لابيه يا ابت
ان عملت الخطيئة حيث لا يراني احد كيف يعلمها الله فقال يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل **قوله تعالى**
ان تك ضمير القصة والجملة الشرطية مفسرة للضمير وتقدم ان نافعا يقرأ مثقال بالرفع على ان كان تامة وهو
فاعلها وعلى هذا فيقال لم الحقت فعله تا التانيث قيل لاضافته الى مؤنث ولانه بمعنى زنة حبة وجوز الزمخشري
في ضمير انها ان تكون للحبة من السيئات والاحسان في قراءة من نصب مثقال وقيل الضمير يعود على ما يفهم
من سياق الكلام اي ان التي سالت عنها ان تك قال المفسرون انه سال اباه ارايت الحبة تقع في مغاص البحر
ايعلمها **قوله تعالى** فتكن الفا لافادة الاجتماع يعني ان كانت صغيرة ومع صغرها تكون خفية في موضع حريز كالصخرة
لا تخفى على الله لان الفا للاتصال بالتعقيب وقرأ عبد الكريم الجحدري فتكن بكسر الكاف وتشديد النون مفتوحة
اي فتستقر وقرأ محمد بن ابي محمد البعلبكي فتكن كذلك الا انه مبني للمفعول وقتادة فتكن بكسر الكاف وتخفيف
النون مضارع وكن اي استقر في وكنه ووكره **فصل** الصخرة لا بد وان تكون في السموات او في الارض لما الفايدة
في ذكرها قال بعض المفسرين المراد بالصخرة صخرة عليها الثور وهي لا في الارض ولا في السما وقال الزمخشري
فيه اضمار تقديره ان تكن في صخرة او في موضع آخر في السموات او في الارض وقيل هذا من تقديم الخاص وتأخير
العام وهو جائز في مثل هذا التقسيم وقيل خفا الشي يكون بطرق منها ان يكون في غاية الصغر ومنها ان يكون
بعيدا ومنها ان يكون في ظلمة ومنها ان يكون وراء حجاب فان امتنعت هذه الامور فلا يخفى في العادة فاثبت الله الرؤية
والعلم مع انتفا الشرايط بقوله ان تك مثقال حبة اشارة الى الصغر وقوله فتكن في صخرة اشارة الى الحجاب
وقوله او في السموات اشارة الى البعد لانها ابعد الابعاد وقوله او في الارض اشارة الى الظلمات فان جوف
الارض اظلم الاماكن وقوله يأت بها الله ابلغ من قول القايل يعلمه الله لان من يظهر له شي ولا يقدر على اظهاره لغيره
فقوله يأت بها الله اي يظهرها الاشهاد ان الله لطيف نافذ القدرة خبير عالم ببواطن الامور روي في بعض
الكتب ان هذه اخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها فمات قال الحسن معنى الاية هو الاحاطة بالاشيا
صغيرها وكبيرها **قوله تعالى** يا بني اقم الصلاة لما منعه من الشرك وخوفه بعلم الله وقدرته امره بما قدر من
التوحيد وهو الصلاة وهي العبادة لوجه الله مخلصا وبهذا يعلم ان الصلاة كانت في ساير الملل غير ان هيآتها اختلفت
وقوله وأمر بالمعروف وانه عن المنكر اي اذا كملت انت في نفسك بعبادة الله فكمل غيرك فان شغل الانبيا وورثتهم
من العلما هو ان يكملوا في انفسهم ويكملوا غيرهم واصبر على ما اصابك يعني من الاذى لان من يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر يؤذى فامره بالصبر عليه **فان قيل** كيف قدم في وصيته لابنه الامر بالمعروف على النهي عن
المنكر وحين امر ابنه قدم النهي عن المنكر على الامر بالمعروف فقال لا تشرك بالله ثم قال اقم الصلاة **فالجواب**
انه كان يعلم ان ابنه معترف بوجود الاله فما امره بهذا المعروف بل نهاه عن المنكر الذي يترتب على هذا المعروف
واما ابنه فامره امرا مطلقا والمعروف يقدم على المنكر **قوله تعالى** من عزم الامور يجوز ان يكون عزم بمعنى مفعول
اي من معزومات الامور او بمعنى عازم كقوله فاذا عزم الامر وهو مجاز بليغ وزعم المبرد ان العين تبدل حا
فيقال حزم وعزم والصحيح انهما مادتان مختلفتان اتفقتا في المعنى والمراد ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
والصبر على الاذى فيهما من الامور الواجبة التي امر الله تعالى بها ويعزم عليها الوجوب **قوله تعالى** ولا تصاعر
قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم تصاعر بالف وتخفيف العين والباقون بلا الف وتشديد العين والرسم يحتملهما
فانه رسم بغير الف وهما لغتان لغة الحجاز التخفيف وتميم التثقيل ثم من التثقيل قوله
وكنا اذا الجبار صعر خده اقمنا له من ميله فيقوم ويقال ايضا تصعر قال اقمنا له من خده المتصعر وهو من
الميل وذلك ان المتكبر يميل بخده تكبرا كقوله ثاني عطفه قال ابو عبيدة اصله من الصعر دا يأخذ الابل في اعناقها فتميل
وتلتوي يقال صعر وجهه وصاعر اذا امال واعرض تكبرا ورجل اصعر اي مايل العنق وتفسير اليزيدي له بانه
التشدق في الكلام لا يوافق الاية هنا قال ابن عباس يقول لا تتكبر فتحتقر الناس وتعرض عنهم وجهك اذا
كلموك وقال مجاهد هو الرجل يكون بينك وبينه احنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه وقال عكرمة هو
الذي اذا اسلم عليه لوى عنقه تكبرا وقال الربيع بن انس وقتادة ولا تحتقر الفقير ليكن الغني والفقير
عندك سوا واعلم انه لما امره بان يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره فكان يخشى بعدهما من امرين احدهما
التكبر على الغير لكونه مكملا له والثاني التبختر في المشي لكونه كاملا في نفسه فقال ولا تصعر خدك تكبرا ولا تمش
في الارض مرحا اي خيلا ان الله لا يحب كل مختال فخور على الناس بنفسه **قوله تعالى** واقصد هذا قاصر بمعنى اقصد

واسلك الطريقة الوسطى بين ذلك قواما اى ليكن مشيك قصدا لا تخيلا ولا اسراعا وقال عطا امش بالوقار والسكينة لقوله يمشون على الارض هونا واقصد بهمزة وقطع من اقصد اذا سدد سهمه للرمية **قوله تعالى** واغضض من صوتك من تبعيضية وعند الاخفش يجوز ان تكون مزيدة ويؤيده قوله يغضون اصواتهم وقيل من صوتك صفة لموصوف محذوف اى شيئا من صوتك وكانت الجاهلية يتمدحون برفع الصوت قال

جهير الكلام جهير العطاس • جهير الرواء جهير النغم

والمعنى انقص من صوتك وقال مقاتل اخفض من صوتك **فان قيل** لم ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشى **فالجواب** ان رفع الصوت يؤذى السامع ويقرع الصماخ بقوته وربما يخرق الغشاء الذى داخل الاذن واما سرعة المشى فلا يؤذى وان اذت فلا تؤذى غير من فى طريقه والصوت يبلغ من على اليمين وعلى اليسار ولان اللمس يؤذى آلة اللمس والصوت يؤذى آلة السمع وآلة السمع على باب القلب فان الكلام ينتقل من السمع الى القلب ولا كذلك اللمس وايضا فلان قبيح القول اقبح من قبيح الفعل وحسنه احسن لان اللسان ترجمان القلب **قوله تعالى** ان انكر قيل انكر مشتق من منكر للمفعول نحو اشغل من ذات النحيين وهو مختلف فيه ووحد صوت لانه يراد به الجنس ولاضافته يجمع وقيل يحتمل ان يكون انكر من باب اطوع له من بنانه ومعناه اشد طاعة فان افعل لا يجئ فى مفعول ولا فى باب العيوب الا ما شذ كقولهم اطوع من كذا للتفضيل على المطيع واشغل من ذات النحيين واحمق من فلان من باب العيوب وعلى هذا فهو من باب افعل كاشغل فى باب مفعول فيكون للتفضيل على المنكر او نقول هو من باب اشغل ماخوذ من نكر الشئ فهو منكور وهذا انكر منه وعلى هذا فله معنى لطيف وهو ان كل حيوان قد يفهم من صوته بانه يصيح من ثقل او تعب كالبعير او لغير ذلك والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح وفى بعض الاوقات عدم الحاجة يصيح وينهق بصوت منكر فيمكن ان يقال هو من باب نكير كاحد من حديد **فان قيل** كيف يفهم كونه انكر الاصوات مع ان جر المنشار بالمبرد ودق النحاس بالحديد اشد صوتا **فالجواب** من وجهين ان المراد انكر اصوات الحيوانات صوت الحمير فلا يرد السؤال الثانى ان الامر مصلحة وعبادة لا ينكر صوته بخلاف صوت الحمير **فصل** قال مقاتل يعنى اخفض من صوتك ان انكر الاصوات اقبح الاصوات لصوت الحمير اوله زفير وآخره شهيق وهما صوت اهل النار قال موسى بن اعين سمعت سفيان الثورى يقول فى قوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير قال صياح كل شئ يسبح الله تعالى الا الحمار وقال جعفر الصادق فى قوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير قال هى العطسة القبيحة المنكرة وقال وهب تكلم لقمان باثنى عشر الف كلمة من الحكمة ادخلها الناس فى كلامهم ومن حكمه قال خالد الربعى كان لقمان عبدا حبشيا فدفع مولاه اليه شاة فقال اذبحها وائتنى باطيب مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فسأله مولاه فقال ليس شئ اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا **قوله تعالى** الم تروا ان الله سخر لكم الاية اى سخر لاجلكم ما فى السموات والقمر والنجوم مسخرا بامر الله وفيها فوائد العباد وسخر ما فى الارض لاجل عباده **قوله تعالى** واسبغ عليكم نعمه قرا نافع وابو عمرو وحفص نعمه جمع نعمة مضافا الى الضمير فظاهرة حال منها والباقون نعمة بسكون العين وتنوين تا التانيث اسم جنس كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يراد به الجمع فظاهرة نعت لها وقرا ابن عباس ويحيى بن عمارة واصبغ بابدال السين صادا وهى لغة كلب يفعلون ذلك مع الغين والخاء والقاف وتقدم نظير هذه الجمل كلها فى البقرة **فصل** قال عكرمة عن ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقران والباطنة ما ستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك بالنقمة وقال الضحاك الظاهرة حسن الصورة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة وقال مقاتل الظاهرة تسوية الخلق والرزق والاسلام والباطنة ما ستر عليك من الذنوب وقال الربيع الظاهرة الجوارح والباطنة القلب وقيل الظاهرة تمام الرزق والباطنة حسن الخلق وقال عطا الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقال مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والباطنة الامداد بالملائكة وقيل الظاهرة الامداد بالملائكة والباطنة القاء الرعب فى قلوب الكفار وقال سهل بن عبد الله الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته **قوله تعالى** ومن الناس من يجادل فى الله وفى صفاته بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير اى نص هدى ارسلناه اليه وحيا ولا بكتاب يتلى عليه وعظا واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا تبين ان مجادلتهم مع كونها من غير علم فهى فى غاية القبح فان النبى عليه السلام كان يدعوهم الى عذاب السعير جواب لو محذوف ومجازه يدعوهم فيتبعونه اى يتبعون الشيطان وان كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير والمعنى ان الله يدعوهم الى الثواب والشيطان يدعوهم الى العذاب وهم مع هذا يتبعون الشيطان وقد تقدم الكلام على اولو ونحوه **قوله تعالى** ومن يسلم وجهه الى الله قرا على والسلمى يسلم بالتشديد لما بين حال المشرك والمجادل فى الله بين حال المسلم المستسلم لامر الله وقوله وهو محسن اى لله يعنى يخلص دينه لله ويفوض امره اليه وهو محسن فى عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى اى اعتصم

بالعهد الاوثق الذى لا يخاف انقطاعه لان اوثق العرى جانب الله فان كل ما عداه هالك منقطع وهو باق لا انقطاع له والى الله عاقبة الامور معنى فقد استمسك بالعروة التى توصله الى الله لان عاقبة كل شئ اليه **فان قيل** كيف قال ههنا ومن يسلم وجهه الى الله فعداه بالى وقال فى البقرة بلى من اسلم وجهه لله فعداه باللام فقال الزمخشرى اسلم لله اى الى الله يعنى ان اسلم يتعدى تارة باللام وتارة بالى كما ان ارسل تارة باللام وتارة بالى قال تعالى وارسلناك للناس وقال كما ارسلنا الى فرعون رسولا ثم قال ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا لما بين حال المسلم رجع الى بيان حال الكافر فقال ومن كفر فلا يحزنك اى لا تحزن اذا كفر كافر فان من يكذب وهو مقطوع بان صدقه يبين عن قرب لا تحزن بل قد يتوب المكذب عن تكذيبه واما اذا كان لا يرجو ظهور صدقه فانه يتالم من التكذيب فقال لا يحزنك كفره فان المرجع الى فانبئهم بما عملوا فيخجلون ثم طلب ان الله عليم بذات الصدور اى لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم فينبئهم بما امر به صدورهم **قوله تعالى** نمتعهم قليلا اى نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا قليلا الى انقضاء آجالهم ثم نضطرهم نلجئهم ونردهم فى الاخرة الى عذاب غليظ وهو عذاب النار **قوله تعالى** ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله الاية لما استدل بخلق السموات بغير عمد وبنعمه الظاهرة والباطنة بين انهم يعترفون بذلك ولا ينكرونه وهذا يقتضى ان الحمد كله لله لان خالق السموات والارض يحتاج اليه كل من فى السموات والارض وكون الحمد كله لله يقتضى ان لا يعبد غيره لكنهم لا يعلمون هذا ووجه آخر وهو ان الله تعالى لما سلى قلب النبى عليه السلام بقوله فلا يحزنك كفرهم الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا اى لا تحزن على تكذيبهم فان صدقك وكذبهم يتبين عن قريب وهو رجوعهم الينا بل لا يتاخر الى ذلك اليوم بل يتبين قبل يوم القيامة بانهم يعترفون بان خالق السموات والارض هو الله ثم قال فى دعوى الوحدانية وتبين كذبهم فى الاشراك قل الحمد لله على ظهور صدقك وكذبهم بل اكثرهم لا يعلمون اى ليس لهم علم يمنعهم من تكذيبك مع اعترافهم بما يوجب تصديقك وعلى هذا يكون لا يعلمون استعمال للفعل مع القطع عن المفعول بالكلية كما يقال فلان يعطى ويمنع ولا يكون فى ضميره ما يعطى بل يريد ان له عطاء ومنعا فكذلك ههنا قال لا يعلمون اى ليس لهم علم وعلى الاول يكون لا يعلمون له مفعول مفهوم وهو انهم لا يعلمون ان الحمد كله لله وعلى الثانى هو كقول القائل فلان لا علم له وكذا قوله فلان لا ينفع زيدا ولا يضره دون قوله فلان لا يضر ولا ينفع **قوله تعالى** لله ما فى السموات والارض ذكر ما يلزم منه وهو ان يكون له ما فيهما ان الله هو الغنى الحميد اى ان الكل لله وهو غير محتاج اليه غير منتفع به وخلق منافعها لكم فهو غنى لعدم حاجته حميد مشكور لدفعه حوائجكم بها **قوله تعالى** ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام الاية لما قال لله ما فى السموات والارض اوهم تناهى ملكه لانحصار ما فى السموات والارض فيهما وحكم العقل الصريح بتناهيهما بين ان فى قدرته وعلمه عجائب لا نهاية لها فقال ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام يكتب بها الابحر مدادا لا يفنى عجائب صنع الله قال المفسرون نزلت بمكة قوله تعالى ويسألونك عن الروح الى قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه احبار اليهود فقالوا يا محمد بلغنا انك تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا افعنيتنا ام قومك فقال عليه السلام كلا قد عنيت قالوا الست تتلو فيما جاءك انا اوتينا التورية وفيها علم كل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى فى علم الله قليل وقد اتاكم ما ان عملتم به انتفعتم قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فانزل الله هذه الاية قال قتادة ان المشركين قالوا ان القران وما ياتى به محمد يوشك ان ينفد فينقطع فنزلت ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام ووحد الشجرة وجمع الاقلام ولم يقل ولو ان ما فى الارض من الاشجار اقلام ولم يقل من شجرة قلم اشارة الى التكثير يعنى لو ان بعدد كل شجرة اقلام قال الزمخشرى فان قلت لم قيل من شجرة بالتوحيد قلت اريد تفصيل الشجرة وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر واحدة الا قد بريت اقلاما قال ابو حيان وهو من وقوع المفرد موقع الجمع والنكرة موقع المعرفة كقوله ما ننسخ من اية قال شهاب الدين وهذا يذهب بالمعنى الذى ابداه الزمخشرى **قوله تعالى** والبحر قرا ابو عمرو بالنصب والباقون بالرفع فالنصب من وجهين احدهما العطف على اسم ان اى ولو ان البحر ويمده الخبر والثانى النصب بفعل مضمر يفسره يمده والواو حينئذ للحال والجملة حالية ولم يحتج الى ضمير رابط بين الحال وصاحبها للاستغناء عنه بالواو والتقدير ولو ان الذى فى الارض حال كون البحر ممدودا بكذا واما الرفع فمن وجهين احدهما العطف على ان وما فى حيزها وقد تقدم فى ان الواقعة بعد لو مذهبان مذهب سيبويه الرفع على الابتداء ومذهب المبرد على الفاعلية بفعل مقدر وثمة عائدان هنا فعلى مذهب سيبويه يكون تقدير العطف ولو ان البحر الا ان ابا حيان قال انه لا يلى لو المبتدأ اسما صريحا الا فى ضرورة كقوله لو بغير الماء حلقى شرق وهذا القول يؤدى الى ذلك ثم اجاب بانه

يغتفر في المعطوف ما لا يغتفر في المعطوف عليه كقولهم رب رجل واخيه يقولان ذلك وعلى مذهب المبرد يكون تقديره ولو
ثبت البحر وعلى التقديرين يكون يمده جملة حالية من البحر والثاني ان البحر مبتدأ ويمده الخبر والجملة حالية كما تقدم
في جملة الاشتغال والرابط الواو وقد جعله الزمخشري سؤالا واجاب وانشد ◦ وقد اغتدي والطير في وكناتها ◦
ومن شجرة حال اما من الموصول او من الضمير المستتر في الجار الواقع صلة واقلام خبر ان قال ابو حيان وفيه دليل
على من يقول كالزمخشري ومن تعصب له من العجم على خبر ان الواقعة بعد لو لا تكون اسما الثابتة لا جامدا ولا مشتقا
بل يتعين ان يكون فعلا قال وهو باطل وانشد ◦ ولو انها عصفورة لحسبتها مسومة تدعو عبيدا وازنما ◦
وقال ◦ ما اطيب العيش لو ان الفتى حجر تنبو الحوادث عنه وهو ملموم ◦ ولو ان حيا فائت الموت فاته
اخو الحرب فوق القارح العدوان ◦ قال وهو كثير في كلامهم ◦ قال شهاب الدين وقد تقدم ان هذه الآية ونحوها
تبطل ظاهر قول المتقدمين في لو انها حرف امتناع لامتناع اذ يلزم محذور عظيم وهو ان ما بعدها اذا كان منفيا
لفظا فهو مثبت معنى وبالعكس وقوله ما نفدت منفي لفظا فلو كان مثبتا معنى فسد المعنى فعليك بالالتفات
الى اول البقرة ◦ وقرأ عبد الله وبحر بالكسر وفيه وجهان معروفان وسوغ الابتداء بالنكرة وقوعها بعد واو الحال
وهو معدود من مسوغات الابتداء بالنكرة وانشد ◦ سرينا ونجم قد اضاء فمذ بدا محياك اخفى ضوءه كل شارق ◦
وبهذا يظهر فساد قول من قال ان في هذه القراءة تعين القول بالعطف على انه كان يوهم انه ليس ثم مسوغ
وقرأ عبد الله وابي تمده بالتاء لاجل سبعة والحسن وابن هرمز وابن مصرف يمده بالياء من تحت مضمومة
وكسر الميم من امده وقد تقدم اللغتان في اخر الاعراف واول البقرة والالف واللام في البحر لاستغراق
الجنس اي وعلى بحر مداد **فصل** المعنى والبحر يمده اي يزيده وينصب فيه من بعده اي من بعد خلفه سبعة ابحر
وفيه اشارة الى بحار غير موجودة يعني لو مدت البحار الموجودة سبعة ابحر اخرى وقوله سبعة ليس لانحصارها
في سبعة وانما الاشارة الى المدد والكثرة ولو بالف بحر وانما خصصت السبعة بالذكر من بين الاعداد لانها
عدد كثير يحصر المعدودات في العادة ويدل على ذلك وجوه ◦ الاول ان المعلوم عند كل احد لحاجته اليه هو
الزمان والمكان فالزمان منحصر في سبعة ايام والمكان منحصر في سبعة اقاليم ولان الكواكب السيارة سبعة
والمنجمون ينسبون اليها امورا فصارت السبعة كالعدد الحاصر للكثرات الواقعة في العادة فاستعملت في
كل كثير ◦ الثاني ان في السبعة معنى يخصها ولذلك كانت السموات سبعا والارضين سبعا وابواب جهنم
سبعا وابواب الجنة ثمانية لانها الحسنى وزيادة والزيادة هي الثامن لان العرب عند الثامن يزيدون
واوا تقول لفراها واو الثمانية وليس ذلك الا للاستيناف لان العدد تم بالسبعة ◦ واعلم ان في الكلام
اختصارا تقديره ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر يكتب بها كلام الله ما
نفدت كلمات الله **قوله تعالى** كلمات الله ◦ قال الزمخشري فان قلت الكلمات جمع قلة والموضع موضع تكثير فهلا
قيل كلم قلت معناه كلماته لا تفي بكتبها البحار فكيف بكلمه يعني انه من باب التنبيه بطريق الاولى ورده ابو
حيان بان جمع السلامة يكون بال غير العهدية او اضيف عم قال شهاب الدين للناس خلاف في ال هل تعم
اولا وقد يكون الزمخشري ممن لا يرى العموم ولم يزل الناس يشكون في بيت حسان رضي الله عنه ◦
لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى ◦ ويقولون كيف اتى بجمع القلة في مقام المدح ولم لم يقل الجفان وهو تقرير
لما قاله الزمخشري واعتراف بان ال لا تؤثر في جمع القلة تكثيرا ثم قال تعالى ان الله عزيز اي كامل القدرة
لا نهاية لمقدوره وانه حكيم كامل العلم لا نهاية لمعلوماته ثم قال تعالى وهذه الآية على قول عطاء بن يسار مدنية
وعلى قول غيره مكية **قوله تعالى** ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة لما بين كمال قدرته وعلمه ذكر ما يبطل
استبعادهم للحشر فقال خلقكم وبعثكم كنفس واحدة فقوله الا كنفس خبر ما خلقكم والتقدير الا كخلق
نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شيء ان الله سميع بصير سميع لما يقولون بصير بما يعملون فاذا كان
قادرا على البعث ومحيطا بالاقوال والافعال وجب الاحتراز الكامل **قوله تعالى** الم تر ان الله سخر لكم ما
في السموات وما في الارض على وجه العموم ذكر منها بعض ما فيها على الوجه المخصوص بقوله يولج الليل في النهار
وقوله وسخر الشمس والقمر اشارة الى ما في السموات وقوله بعد هذا الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة
الله اشارة الى ما في الارض ◦ الثاني ان الله تعالى لما ذكر البعث فكان من الناس من يقول وما يهلكنا الا الدهر
والدهر هو بالليالي والايام فقال لكن الله تعالى هذه الليالي والايام التي تنسبون اليها الموت والحياة
هي بقدرة الله تعالى الم تر ان الله يولج الليل في النهار ثم قال ان ذلك باختلاف لسير الشمس فتارة
يكون القوس التي هي فوق الارض اكبر من تحت الارض فيكون الليل اقصر والنهار اطول
فتكون بالعكس وتارة يتساويان فقال تعالى وسخر الشمس والقمر يعني ان كنتم لا تعرفون

بان

بان هذه الاشياء كلها من الله فلا بد من الاعتراف بانها باسرها عائدة الى الله فالاجال ان كانت بالمدد والمدد بسير
الكواكب فسير الكواكب ليس الا بالله وقدرته **فصل** قال يولج بصيغة المستقبل وقال في الشمس والقمر وسخر
بصيغة الماضي لان ايلاج الليل في النهار امر يتجدد كل يوم وتسخير الشمس والقمر امر وسخر بصيغة الماضي لان ايلاج الليل
مستمر كما قال تعالى حتى عاد كالعرجون القديم وقال ههنا الى اجل وفي الزمر لاجل لان المعنيين لائقان بالحرفين
فلا عليك في ايهما وقع قال الاكثرون هذا خطاب للنبي عليه السلام والمؤمنين ◦ وقيل عام ثم قال وان الله بما
تعملون خبير اي لما كان الليل والنهار محل الافعال تبين ان ما يقع في هذين الزمانين الذين هما ينصرف الناس فيهما
لا يخفى على الله ◦ وقرأ ابو عمرو في رواية وان الله بما يعملون بالغيبة والباقون بالخطاب **قوله تعالى** ذلك بان
الله هو الحق ◦ اي ذلك الذي ذكرت ليعلموا ان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل اي الزائل يقال
بطل ظله اذا زال وان الله هو العلي الكبير اي في ذاته **قوله تعالى** الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله لما
قال الم تر ان الله يولج الليل في النهار وسخر الشمس والقمر ذكر آية سماوية واشار الى السبب والمسبب بقوله
الم تر ان الفلك تجري في البحر وقوله بنعمة الله اي الريح التي بامر الله ليريكم من اياته يعني يريكم باجرائها بنعمة
الله بعض اياته عجائبه ان في ذلك لايات لكل صبار على امر الله شكور لنعمه **قوله تعالى** واذا غشيهم موج كالظلل لما
قال ان في ذلك لايات ذكر ان الكل معترفون به غير ان البصير يدركه اولا ومن في بصيرته ضعف لا يدركه اولا
فاذا غشيه موج وقع في شدة اعترف بان الكل من الله ودعاه مخلصا وقوله كالظلل قال مقاتل كالجبال وقال
قتادة كالسحاب والظلل جمع الظلة شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها وجعل الموج وهو واحد كالظلل وهو
جمع لان الموج ياتي منه شيء بعد شيء وقوله دعوا الله مخلصين له الدين اي يتركون كل من دعوهم فلما نجاهم الى البر
اي نجاهم من تلك الشدة فمنهم من يبقى على تلك الحالة وهو المراد بقوله فمنهم مقتصد اي عدل موف في البر بما
عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له ثبت على ايمانه قيل نزلت في عكرمة بن ابي جهل هرب عام الفتح الى البحر
فجاءهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن انجاني الله من هذا لارجعن الى محمد ولاضعن يدي في يده فسكنت الريح
فرجع عكرمة الى مكة فاسلم وحسن اسلامه ◦ وقال مجاهد مقتصد في القول اي من الكفار لان بعضهم كان
اشد قولا واعلى في الافتراء من بعض **فان قيل** ما الحكمة في قوله في العنكبوت فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
وقال ههنا فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد **فالجواب** لما ذكر ههنا امرا عظيما وهو الموج الذي كالجبال بقي اثر
ذلك في قلوبهم فخرج منهم مقتصد اي في الكفر وهو الذي انزجر بعض الانزجار ومقتصد في الاخلاص فبقي
معه شيء منه ولم يبق على ما كان عليه من الاخلاص وهناك لم يذكر مع ركوب البحر معاينة مثل ذلك الامر فذكر
اشراكهم حيث لم يبق عندهم اثر **قوله تعالى** وما يجحد باياتنا ◦ في مقابلة قوله تعالى ان في ذلك لايات يعني يعترف
بها الصبار والشكور ويجحدها الختار الكفور فالصبار في موازنة الختار لفظا ومعنى والكفور في موازنة الشكور
اما لفظا فظاهر واما معنى فلان الختار هو الغدار الكثير الغدر او شديد الغدر ومثال مبالغة من الختر وهو
اشد الغدر قال الاعشى ◦ فالابلق الفرد من تيما منزله ◦ حصين وجار غير ختار ◦ وقال عمرو بن معدي كرب
فانك لو رأيت ابا عمير ◦ ملأت يديك من غدر وختر ◦ وقالوا ان مددت لنا يدا من غدر ◦ مددنا لك يا غاس من ختر
والغدر لا يكون الا من قلة الصبر لان الصبور ان لم يعهد مع احد لا يعهد منه الاضرار فانه يصبر ويفوض
الامر الى الله واما الغدار فيعاهد ولا يصبر على العهد فينقضه واما ان الكفور في مقابلة الشكور معنى
فظاهر **قوله تعالى** يا ايها الناس اتقوا ربكم ◦ لما ذكر الدلائل من اول السورة الى اخرها وعظ بالتقوى فقال
يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي لا يقضي ولا يغني والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده
شيئا قال ابن عباس كل امرئ تهمه نفسه ◦ واعلم انه تعالى ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبوب وهو الوالد
والولد واستدل بالادنى على الاعلى فذكر الوالد والولد جميعا لان من الامور ما يبادر الاب الى تحمله عن
الولد ومنها ما يبادر الولد اليه كالاهانة فان من يريد احضار والد اخر عند وال او قاض يهون على الابن
ان يدفع الاهانة عن والده ويحضر هو بدله واذا انتهى الامر الى الايلام يهون على الاب ان يدفع الالم
عن ابنه ويحمله هو بنفسه فقوله لا يجزي والد عن ولده في دفع الالم ولا مولود هو جاز عن والده
شيئا في دفع الاهانة ثم قال ان وعد الله حق اي ان هذا اليوم الذي هذا شأنه هو كائن لان الله وعد
به ووعده حق وقيل وعد الله حق بانه لا يجزي والد عن ولده لانه وعد بان لا تزر وازرة وزر اخرى
ووعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا اي لا تغتروا بالدنيا فانها زائلة لوقوع اليوم المذكور بالوعد
الحق ولا يغرنكم بالله الغرور يعني الشيطان يزين في عينه الدنيا ويؤمله ويقول انك تحصل بها الاخرة
وتلتذ بها ثم تتوب فيجتمع لك الدنيا والاخرة فنهاهم عن الامرين **قوله تعالى** ولا مولود هو جاز وفيه

وتهميش احدهما انه مبتدا وما بعده الخبر والثاني انه معطوف على والد وتكون الجملة صفة له وفيه اشكال وهو
نفي عنه ان يجزي ثم وصفه بانه جاز وقد يجاب عنه وان كان جازيا عنه في الدنيا فليس جازيا عنه يوم
القيامة فالحالان باعتبار زمنين وقد منع المهدوي ان يكون مبتدا قال لان الجملة بعده صفة له
فيبقى بلا خبر ولا يسوغ غير الوصف وهو سهو لان النكرة متى اعتمدت على نفي ساغ الابتدا بها وهذا من
اشهر مسوغاته ۞ وقال الزمخشري قال قلت قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيا هو وارد على طريق من
التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلت الامر كذلك لان الجملة الاسمية اكد من الفعلية وقد انضم
الى ذلك قوله هو وقوله مولود يعني ومعنى التوكيد في لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع للوالد الادنى الذي
ولد منه لم يقبل منه فضلا ان يشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف
المولود فانه للذي ولد منك قال والسبب في مجيئه على هذا السنن ان الخطاب للمومنين وعليتهم قبض
اباهم على الكفر فاريد حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم والجملة من قوله لا يجزي صفة ليوم والعايد محذوف
اي فيه فحذف برمته او على التدريج وقرا عكرمة لا يجزى مبنيا للمفعول وابو السماك وابو السوار لا يجزي
بالهمز من اجزا عنه اي اغنى **قوله تعالى** شيا منصوب على المصدر وهو من الاعمال لان يجزي وجاز يطلب
انه والعامل جاز على ما هو المختار للحذف من الاول **قوله تعالى** فلا تغرنكم ۞ العامة على تشديد النون وابن
ابي اسحق وابن ابي عبلة ويعقوب بالخفيفة وسماك بن حرب الغرور بالضم وهو مصدر والعامة بالفتح صفة
مبالغة كشكور وفسر بالشيطان على انه يجوز ان يكون المضموم مصدرا واقعا وصفا للشيطان **قوله تعالى**
ان الله عنده علم الساعة الاية نزلت في الوارث بن حارثة بن محاربة بن حصفة اتى النبي صلى الله عليه وسلم
من البادية فسال عن الساعة ووقتها وقال ان ارضنا اجدبت فمتى ينزل الغيث وتركت امراتي حبلى فمتى تلد
وقد علمت اين ولدت فباي ارض اموت فانزل الله هذه الاية ۞ روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
مفاتيح الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا
تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير قال ابن الخطيب قال بعض المفسرين ان الله
تعالى نفى علم امور خمسة عن غيره بهذه الاية وهو كذلك لكن المقصود ليس ذلك لان الله يعلم الجوهر
الفرد والطوفان وتقلب الريح من الشرق الى الغرب كم مرة ويعلم اين هو ولا يعلمه غيره ويعلم انه
ذرة في برية لا يسلكها احد ولا يعلمه غيره فلا وجه لاختصاص هذه الاشيا بالذكر وان الحق فيه
ان يقول لما قال اخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده وذكر انه كاين بقوله ان وعد الله حق كان قايلا قال
فمتى يكون هذا اليوم فاجيب بان هذا العلم تحصل لغير الله ولكن هو كاين **قوله تعالى** ماذا تكسب يجوز ان
تكون ما استفهامية تتعلق الدراية وان تكون موصولة فينتصب بها وقد تقدم حكم ماذا اول الكتاب
وتكرر في غضونه **قوله تعالى** باي ارض لان الارض ليس فيها من علامات الثابت شي وقيل اراد بالارض
المكان نقله البغوي والناظر فيه بمعنى في اي في ارض نحو زيد بمكة اي فيها ثم قال ان الله عليم خبير لما خصص
اولا علمه بالاشيا المذكورة بقوله ان الله عنده علم الساعة ذكر ان علمه غير مختص به بل هو عليم مطلقا بكل شي
وليس علمه علما بظاهر الاشيا فقط بل هو خبير بظواهر الاشيا وبواطنها ۞ روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لقمان كان لقمان له رفيقا يوم القيامة واعطي من الحسنات
عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

وهي ثلاثون اية وستماية وثمانون كلمة والف وخمسماية وثمانية عشر حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** سورة السجده
قوله تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه في تنزيل خمسة اوجه ۞ احدها انه خبر الم يراد به السورة
وبعض القران وتنزيل بمعنى منزل والجملة من قوله لا ريب فيه حال من الكتاب والعامل فيها تنزيل
لانه مصدر ومن رب متعلق به ايضا ويجوز ان يكون حالا من الضمير في فيه لوقوعه خبرا والعامل
فيه الظرف او الاستقرار ۞ الثاني ان يكون تنزيل مبتدا ولا ريب فيه خبره ومن رب العالمين حال
من الضمير في فيه ولا يجوز حينئذ ان يتعلق بتنزيل لان المصدر قد اخبر عنه فلا يعمل ومن يتسع في
الجار لا يبالي بذلك ۞ الثالث ان يكون تنزيل مبتدا ايضا ومن رب خبره ولا ريب حالا او معترض ۞ الرابع
ان يكون لا ريب ومن رب العالمين خبران لتنزيل ۞ الخامس ان يكون تنزيل خبر مبتدا مضمر وكذلك

لا ريب وكذلك من رب فيكون كل جملة مستقلة براسها ويجوز ان يكونا حالين من تنزيل وان يكون من رب هو الحال
ولا ريب معترض واول البقرة مرشد لهذا وجوز ابن عطية ان يكون من رب العالمين متعلقا بتنزيل قال على
التقديم والتاخير ورده ابو حيان بانا اذا قلنا لا ريب فيه اعتراض لم يكن تقديما وتاخيرا بل لو تاخر لم يكن
اعتراضا وجوز ايضا ان يكون متعلقا بلا ريب اي لا ريب فيه من جهة رب العالمين وان وقع شك الكفرة
فذلك لا يراعى قال مقاتل لا شك فيه انه تنزيل من رب العالمين **قوله تعالى** ام يقولون ۞ هي المنقطعة
والاضراب للانتقال لا للابطال وقيل الميم صلة اي يقولون افتراه ۞ وقيل فيه اضمار مجازه فهل يومنون
ام يقولون افتراه وقوله بل هو الحق اضراب ثان ولو قيل بانه اضراب ابطال لنفس افتراه وحده لكان صوابا
وعلى هذا يقال كل ما في القران اضراب فهو انتقال الا هذا فانه يجوز ان يكون ابطالا لانه ابطال لقولهم اي ليس
كما قالوا افترى بل هو الحق وفي كلام الزمخشري ما يرشد لهذا فانه قال والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة
كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير
انه من عند الله وهذا اسلوب صحيح محكم **قوله تعالى** من ربك حال من الحق والعامل فيه محذوف على القاعدة
وهو العامل في لتنذر ايضا ويجوز ان يكون العامل في لتنذر غيره اي انزله لتنذر **قوله تعالى** قوما ما اتاهم
الظاهر ان المفعول الثاني للانذار محذوف وقوما هو الاول اذ التقدير لتنذر قوما العقاب وما اتاهم جملة
منفية في محل نصب صفة لقوما يريد الذين في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وجعله الزمخشري كقوله
لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فعلى هذا يكون من نذير هو فاعل اتاهم ومن مزيد فيه ومن قبلك صفة
لنذير ويجوز ان يتعلق من قبلك باتاهم وجوز ابو حيان ان تكون ما موصولة في الموضعين والتقدير لتنذر
قوما العقاب الذي اتاهم من نذير من قبلك ومن نذير متعلق باتاهم اي اتاهم على لسان نذير من قبلك
وكذلك لتنذر قوما ما انذر اباؤهم اي العقاب الذي انذره اباؤهم فما مفعوله في الموضعين وانذر
يتعدى الى اثنين قال تعالى فقل انذرتكم صاعقة وهذا القول جار على ظواهر القران قال تعالى وان
من امة الا خلا فيها نذير ان يقولوا ما جانا من بشير ولا نذير فقد جاكم بشير ونذير وهذا الذي قاله الظاهر
ويظهر ان في الاية الاخرى وجه اخر وهو ان تكون ما مصدرية تقديره لتنذر قوما انذارا مثل انذار ابايهم
لان الرسل كلهم متفقون على كلمة الحق **محصل** المعنى بل هو معنى القران الحق من ربك لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير من قبلك قال قتادة كانوا امة امية لم ياتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس ومقاتل
ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لعلهم يهتدون **قوله تعالى** الله الذي خلق
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام لما ذكر الرسالة وبين ما على الرسول من الدعا الى التوحيد واقامة
الدليل فقال خلق السموات والارض والله مبتدا وخبره الذي خلق يعني الله هو الذي خلق السموات ولم يخلقها
الا واحد فلا اله الا واحد وقد تقدم الكلام في معنى قوله ستة ايام **قوله تعالى** ثم استوى على العرش
اختلف العلما في هذه الاية ونظايرها على قولين احدهما ترك التعرض الى بيان المراد ۞ والثاني التعرض اليه
والاول اسلم لان صفة الاستوا مما لا يجب العلم بها فمن لم يتعرض اليه لم يترك واجبا ومن تعرض اليه
فقد يخطي فيعتقد خلاف ما هو عليه فالاول غايته ما يلزمه انه لا يعلم ۞ والثاني يكاد يقع في ان يكون
جاهلا وعدم العلم والجهل المركب كالسكوت والكذب ولا شك ان السكوت خير من الكذب وايضا فانه اقرب
الى الحكمة لان من يطالع كتابا صنفه انسان وكتب له شرحا والشارح دون المصنف فالظاهر انه لا ياتي
على جميع ما اتى عليه المصنف ولهذا كثيرا ما ترى ان الانسان يورد الاشكالات على المصنف المتقدم ثم يجي من
ينصر كلام المصنف ويقول لم يرد المصنف هذا وانما اراد كذا وكذا واذا كان حال الكتب الحادثة التي
تكتب عن علم قاصر هكذا فما ظنك بالكتاب العظيم الذي فيه كل حكمة كيف يجوز ان يدعي جاهل ان علمت
كل سر في هذا الكتاب ولو ادعى عالم اني علمت كل سر وقايع يشتمل عليها الكتاب الفلاني تستقبح منه
ذلك فكيف من يدعي انه علم كل ما في كتاب الله وليس لقايل ان يقول بان الله بين كل ما انزله لان تاخير
البيان الى وقت الحاجة جايز ولعل في القران ما لا يحتاج اليه احد غير نبيه فبين له لا لغيره واذا ثبت
هذا علم ان في القران ما لا يعلم وهذا اقرب الى ذلك الذي لا يعلم للتشابه البالغ الذي فيه **قوله تعالى**
ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون لما ذكر ان الله خالق السموات والارض قال بعضهم
نحن معترفون بان خالق السموات والارض واحد هو اله السموات والارض وقال بعضهم وهذه
الاصنام صور كواكب منها نصرتنا وقوتنا وقال اخرون هذه صور ملايكة تشفع لنا عند الله فقال
تعالى لا اله غير الله ولا نصرة من غير الله ولا شفاعة الا باذن الله فعبادتكم لهذه الاصنام باطلة

صانعه ثم قال افلا تتذكرون ما علمتموه من انه خالق السموات والارض وخالق هذه الاجسام العظام لا يقدر على مثل
هذه الاصنام حتى يبصروكم ويكون لنا شفاعة **قوله تعالى** يدبر الامر من السما الى الارض لما بين الخلق بين الامر
كما قال تعالى الا له الخلق والامر يحكم الامور وينزل القضا والقدر من السما الى الارض وقيل ينزل الوحي مع
جبريل عليه السلام **قوله تعالى** ثم يعرج اليه العامة على بنائه للفاعل وابن ابي عبلة على بنائه للمفعول والاصل
يعرج به ثم حذف الجار فارتفع الضمير واستتر وهو شاذ يصلح للتوجيه مثلها والمعنى ان امره ينزل من السما على
عباده ويعرج اليه اعمالهم الصالحة الصادرة على موافقة ذلك الامر **قوله تعالى** في يوم كان مقداره الف سنة
مما تعدون وهو ما بين السما والارض فان
اى في يوم واحد يعني نزول الامر وعروج العمل في مسافة الف سنة مما تعدون فهو مقدار الف سنة
مسافته خمسماية سنة فينزل في مسيرة خمسماية سنة ويعرج في مسيرة خمسماية سنة فهو مقدار الف سنة
يقول لو سار احد من بني ادم لم يقطعه الا في الف سنة والملايكة يقطعون في يوم واحد هذا في وصف
عروج الملك من الارض الى السما واما قوله تعرج الملايكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
اراد مدة المسافة من الارض الى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه السلام والملايكة الذين معه من
اهل مقامه مسيرة خمسين الف سنة في يوم واحد من ايام الدنيا قاله مجاهد والضحاك وقيل ان ذلك
اشارة الى امتداد نفاذ الامر وذلك لان من نفذ امره غاية النفاذ في يوم او يومين وانقطع لا يكون مثل
من ينفذ امره في سنين متطاولة فقوله في يوم كان مقداره الف سنة يعني يدبر الامر في زمان يوم منه
الف سنة فكيف يكون شهر منه وكم يكون سنة منه وكم يكون دهر منه وعلى هذا فلا فرق بين هذا وبين
قوله مقداره خمسين الف سنة لان ذلك اذا كان اشارة الى دوام نفاذ الامر فسوا العبير بالف سنة او خمسين
الف سنة لا يتفاوت الا ان المبالغة بالخمسين اكثر وسياتي بيان فايدتها في موضعها ان شا الله تعالى وقيل
الف سنة وخمسون الف سنة كلها في القيامة يكون على بعضهم اطول وعلى بعضهم اقصر معناه يدبر الامر من
السما الى الارض هذه الدنيا ثم يعرج اي يرجع الامر والتدبير اليه بعد فنا الدنيا وانقطاع امر الامرا وحكم
الحكام في يوم مقداره الف سنة وهو يوم القيامة فاما قوله خمسين الف سنة وانه اراد على الكافر يجعل
الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين الف سنة وعلى المومن دون ذلك حتى جا في الحديث انه يكون على المومن
كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا وقال ابراهيم النيمي لا يكون على المومن الا كما بين الظهر والعصر ويجوز ان
يكون هذا اخبار عن شدته ومشقته وقوله وقال ابن ابي مليكة دخلت انا وعبد الله بن فيروز على ابن عباس
فسالنا عن هذه الاية وعن قوله خمسين الف سنة فقال ابن عباس ايام سماها الله لا ادري قال اكره ان
اقول في كتاب الله ما لا اعلم **قوله تعالى** مما تعدون العامة على الخطاب والحسن والسلمي وابن وثاب والاعمش
بالغيبة وهذا الجار صفة لالف او لسنة **قوله تعالى** ذلك عالم العامة على رفع عالم والعزيز الرحيم على ان يكون
ذلك مبتدا وعالم خبره والعزيز الرحيم خبران او نعتان او العزيز الرحيم مبتدا وصفته والذي احسن
خبره او العزيز الرحيم خبر مبتدا مضمر وقرا زيد بن علي بجر الثلاثة وتخريجها على اشكالها ان يكون ذلك اشارة
الى الامر المدبر اليه عالم الغيب اي الى عالم الغيب وابو زيد برفع عالم وخفض العزيز الرحيم على ان يكون ذلك
عالم مبتدا وخبرا والعزيز الرحيم بدلا من الهاء في اليه ايضا وتكون الجملة بينهما اعتراضا **قوله تعالى** الذي
احسن يجوز ان يكون تابعا لما قبله في قرائي الرفع والخفض وان يكون خبرا اخر وان يكون خبر مبتدا مضمر
وان يكون منصوبا على المدح **قوله تعالى** خلقه قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بسكون اللام والباقون
بفتحها فاما الاولى ففيها اوجه احدها ان يكون خلقه بدلا من كل شي والضمير عايد على كل شي وهذا هو المشهور
الثاني انه بدل الكل من كل والضمير على هذا عايد على الباري تعالى ومعنى احسن حسن لانه ما من شي خلقه الا وهو
مرتب على ما تقتضيه الحكمة فالمخلوقات كلها حسنة الثالث ان يكون كل شي مفعولا اول وخلقه مفعولا ثانيا
على ان يضمن احسن معنى الهم قال مجاهد اعطى كل جنس شكله الذي خصه به الرابع ان يكون كل شي مفعولا
ثانيا قدم وخلقه مفعولا اول احسن على ان يضمن احسن معنى الهم وعرف قال الفرا الهم كل شي خلقه فيما
يحتاجون اليه فيكون اعلمهم ذلك وابو البقا ضمن احسن معنى عرف واعرب على نحو ما تقدم الا انه لا بد ان يجعل الضمير
لله تعالى ويجعل الخلق بمعنى المخلوق اي عرف مخلوقه كل شي يحتاجون اليه فيوول المعنى الى معنى قوله اعطى كل شي
خلقه ثم هدى الخامس ان تعود الها على الله تعالى وان يكون خلقه منصوبا على المصدر المؤكد المضمون الجملة
كقوله صنع الله وهو مذهب سيبويه اي خلقه خلقا ورجح على بدل الاشتمال بان فيه اضافة المصدر
الى فاعله وهو اكثر من اضافته الى المفعول وبانه ابلغ في الامتنان ولانه اذا قال احسن كل شي كان ابلغ من
احسن خلق كل شي لانه قد يحسن الخلق وهو المحاولة ولا يكون الشي في نفسه حسنا واذا قال احسن كل شي اقتضى

ان كل شي خلقه حسن بمعنى انه وضع كل شي في موضعه واما القراة الثانية فخلق فيها فعل ماض والجملة صفة للمضاف
او المضاف اليه فتكون منصوبة المحل او مجرورته **قوله تعالى** وبدا العامة على الهمز وقرا الزهري بدا بالف خالصة
وهو خارج عن قياس تخفيفها اذ قياسه بين بين على ان الاخفش حكى قريب
من لغة الانصار يقولون في بدات بديت يكسرون الدال ويعدها بالكقول عبد الله بن رواحة الانصاري وجوز ابو حيان ان يكون
باسم الاله وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا قال وطي تقول في بقي بقا قال فاحتمل ان تكون قراة الزهري
من هذه اللغة اصله بدي ثم صار بدا قال شهاب الدين فتكون القراة مركبة من لغتين **فصل**
ذلك عالم الغيب والشهادة يعني ذلك الذي صنع ما ذكر من خلق السموات والارض عالم ما غاب عن الخلق
وما حضر العزيز الرحيم لما بين انه عالم ذكر انه عزيز قادر على الانتقام من الكفرة رحيم واسع الرحمة على البررة
الذي احسن كل شي خلقه اي احسن خلق كل شي قال ابن عباس اتقنه واحكمه وقال مقاتل علم كيف يخلق كل
شي من قولك فلان يحسن كذا اذا كان يعلمه وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض
فكل حيوان كامل في خلقته حسن وكل عضو من اعضايه مقدر بما يصلح معاشه واعلم انه تعالى لما ذكر الدليل
على الوحدانية من الافاق بقوله خلق السموات والارض وما بينهما اتبعه بذكر الدليل الدال عليها من الانفس
فقال الذي احسن كل شي خلقه وبدا خلق الانسان من طين يعني ادم ويمكن ان يقال الطين ما وتراب يجتمعان
والادمي اصله مني والمني اصله غذا والاغذية اما حيوانية واما نباتية والحيوانية ترجع الى نباتية والنبات
وجوده بالما والتراب الذي هو الطين ثم جعل نسله من سلالة اي جعل ذريته من نطفة سميت سلالة
لانها تسل من الانسان هذا على التفسير الاول لان ادم كان من طين ونسله من سلالة من ما مهين هو
النطفة او على التفسير الثاني هو ان اصله من طين ثم يوجد من ذلك الاصل سلالة هي من ما مهين اي ضعيف
وهو نطفة الرجل ثم سواه سوى خلقه ونفخ فيه من روحه يعني ادم لان كلمة ثم للتراخي فتكون التسوية
بعد جعل النسل من سلالة وذلك بعد خلق ادم ثم عاد الى ذريته فقال وجعل لكم السمع والابصار اي
جعل لكم بعد ان كنتم نطفا السمع والابصار والافيدة قليلا ما تشكرون يعني لا تشكرون رب هذه النعم
فتوحدونه فقوله وجعل لكم هذا التفات من ضمير غايب مفرد في قوله نسله الى اخره الى الخطاب جماعة
وفي هذا الخطاب لطيفة وهي ان الخطاب يكون مع الحي فلما قال ونفخ فيه من روحه خاطبه من بعد
وقال وجعل لكم **فان قيل** الخطاب واقع قبل ذلك كما في قوله تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب **فالجواب**
هناك لم يذكر الامور المرتبة وهي كون الانسان طينا ثم ما مهينا ثم خلقا سوى بانواع القوى فخاطبه
في بعض المراتب دون بعض **فان قيل** ما الحكمة في ذكره المصدر في السمع وفي البصر والفواد الاسم ولهذا
جمع الابصار والافيدة ولم يجمع السمع لان المصدر لا يجمع **فالجواب** ان السمع قوة واحدة ولها محل واحد
وهو الاذن ولا اختيار لها فيه فان الصوت من اي جانب كان يصل اليه ولا قدرة للاذن على تخصيص السمع
بادراك البعض دون البعض واما الابصار فمحله العين ولها فيها اختيار فانها تتحرك الى جانب المرئي دون
غيره وكذلك الفواد محل الادراك وله نوع اختيار يلتفت الى ما يريد دون غيره واذا كان كذلك فلم يكن
للمحل في السمع تاثير والقوة مستقلة فذكر القوة في العين والفواد لان للمحل نوع اختيار فذكر المحل لان
الفعل يسند الى المختار الا ترى انك تقول سمع زيد وراى عمرو ولا تقول سمع اذن زيد ولا راى عين
الا نادرا لان المختار هو الاصل وغيره الته فالسمع اصل دون محله لعدم الاختيار له والعين كالاصل وقوة
الابصار التها والفواد كذلك وقوة الفهم الته في السمع اصل دون محله لعدم الاختيار له والعين فذكر
في السمع المصدر الذي هو القوة وفي الابصار والافيدة الاسم الذي هو محل القوة ولان السمع قوة
واحدة لها محل واحد ولهذا لا يسمع الانسان في زمان واحد كلامين على وجه يضبطهما ويرى في زمان واحد
صورتين فاكثر ويتبينهما **قوله تعالى** ايذا ضللنا تقدم خلاف القرا في الاستفهامين والواو للعطف
على ما سبق منهم فانهم قالوا محمد ليس برسول الله ليس بواحد وقالوا الحشر ليس بممكن والعامل في اذا محذوف
تقديره نبعث او نخرج لدلالة خلق جديد عليه ولا يعمل فيه خلق جديد لان ما بعد ان والاستفهام لا يعمل
فيما قبلهما وجواب اذا محذوف اذا جعلتها شرطية وقرا العامة ضللنا بضاد معجمة ولام مفتوحة بمعنى ذهبنا
وضعنا من قولهم ضل اللبن في الما وقيل غيبنا قال النابغة فاب مضلوه بعين جلية
وغودر بالجولان حزم ونايل والمضارع من هذا يضل بكسر العين وهو كثير وقرا يحيى بن يعمر وابن
محيصن وابو رجا بكسر اللام وهي لغة العالية والمضارع من هذا يضل بالفتح وقرا علي وابو حيوة
ضللنا بضم الضاد وكسر اللام المشددة من ضلله بالتشديد وقرا علي ايضا وابن عباس والحسن والاعمش

وابن ابي سعيد صللنا بصاد مهملة ولام مفتوحة وعن الحسن ايضا صللنا بكسر اللام وهما لغتان يقال صل اللحم يصل ويصل بفتح الصاد وكسرها في الماضي مفتوح العين ومكسورها ومعنى صل اللحم انتن وتغيرت رائحته ويقال ايضا اصل بالالف قال ، تلجلج مضغة فيها انيض ، اصلت فهي تحت الكشح داء ، وقال النحاس لا نعرف في اللغة صللنا ولكن يقال صل اللحم واصل وخنز واخنز وقد عرفها ابو جعفر فصل قال في تكذيبهم بالرسالة لم يكن قبل وجوده وانما كان حال وجوده فقال يقولون يعني لم فيه واما انكار الحشر فكان سابقا صادرا منهم ومن ابائهم فقال وقالوا وصرح بقولهم في الرسالة فقال ام يقولون وفي الحشر فقال وقالوا اذا ضللنا ولم يصرح بقولهم في الوحدانية لانهم كانوا مصرين في جميع الاحوال على انكار الحشر والرسالة واما الوحدانية فكانوا يعترفون بها في بعض الاحوال في قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلم يقل قالوا ان الله ليس بواحد وان كانوا قالوه في الظاهر فان قيل انه ذكر الرسالة من قبل وذكر دليلها وهو التنزيل الذي لا ريب فيه وذكر الوحدانية وذكر دليلها وهو خلق السموات والارض وخلق الانسان من طين ولما ذكر انكارهم الحشر لم يذكر الدليل فالجواب انه ذكر دليله ايضا وهو ان خلقة الانسان ابتداء دليل على قدرته على الاعادة ولهذا استدل تعالى على امكان الحشر بالخلق الاول كما قال تعالى ثم يعيده وهو اهون عليه وقوله قل يحييها الذي انشأها اول مرة وايضا خلق السموات والارض كما قال او ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى قوله تعالى ائنا لفي خلق جديد استفهام اراد انا لكائنون في خلق جديد او واقعون فيه بل هم بلقاء ربهم كافرون اضرب عن الاول يعني ليس انكارهم لمجرد الخلق ثانيا بل يكفرون بجميع احوال الاخرة حتى لو صدقوا بالخلق الثاني لما اعترفوا بالعذاب والثواب او يكون المعنى لم ينكروا البعث لنفسه بل لكفرهم بلقاء الله فانهم كرهوه فانكروا المفضي اليه ثم بين لهم ما يكون من الموت الى العذاب فقال قل يتوفاكم يقبض ارواحكم ملك الموت الذي وكل بكم اي وكل بقبض ارواحكم وهو عزرائيل والتوفي استيفاء العدد معناه انه يقبض ارواحهم حتى لا يبقى احد من العدد الذي كتب عليه الموت فصل روي ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما احب من غير مشقة فهو يقبض نفس الخلق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من ملائكة الرحمة واعوان من ملائكة العذاب ، وقال ابن عباس خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب ، وقال مجاهد جعلت الارض مثل طست يتناول منها حيث شاء قوله تعالى ثم الى ربكم ترجعون ، اي تصيرون اليه فيجزيكم باعمالكم وقرأ العامة ترجعون مبنيا به للمفعول وزيد بن علي مبنيا به للفاعل قوله تعالى ولو ترى ، في لو هذه وجهان احدهما انها لما كان سيقع لوقوع غيره وعبر عنها الزمخشري بامتناع لامتناع وقد قننه ابو حيان في ذلك وقد تقدم تحقيقه في اول البقرة وعلى هذا جوابها محذوف اي لرأيت امرا فظيعا ، والثاني انها للتمني قال الزمخشري هنا فلو نبش المقابر عن كليب ، فيخبر بالذنائب اي زير ، بيوم الشعثمين لقر عينا ، وكيف لقاء من تحت القبور ، قال الزمخشري ولو تجيء في معنى التمني كقولك لو تأتيني فتحدثني قال ابن مالك ان اراد به الحذف اي وددت لو تأتيني فتحدثني فصحيح وان اراد انها موضوعة له فليس بصحيح لانه لم يجمع بينها وبينه كما لم يجمع بين ليت واتمنى ولا لعل والترجي ولا الا و ... ويجوز ان يجمع بين لو والتمني تقول تمنيت لو فعلت كذا والمخاطب يحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم شفاء الصدر فانهم كانوا يؤذونه بالتكذيب ويحتمل ان يكون عاما واذ على بابها من المعنى لان لو تصرف المضارع للمعنى وانما جيء هنا ماضيا لتحقق وقوعه نحو اتى امر الله وجعله ابو البقاء مما وقع فيه اذ موقع اذا ولا حاجة اليه والمراد بالمجرمين المشركون قوله تعالى ناكسوا ، العامة على انه اسم فاعل مضاف لمفعوله تخفيفا وزيد بن علي نكسوا فعلا ماضيا رؤسهم مفعول به مطأطئوا رؤسهم قوله تعا ربنا على اضمار القول وهو حال اي قائلين ذلك وقدره الزمخشري يستغيثون بقولهم واضمار القول اكثر قوله تعالى ابصرنا وسمعنا ، يجوز ان يكون المفعول مقدرا اي ابصرنا ما كنا نكذب وسمعنا ما كنا ننكر ويجوز الا يقدر اي صرنا بصراء سميعين فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا يجوز ان يكون صالحا مفعولا به وان يكون نعت مصدر وقولهم انا موقنون اي انا امنا في الحال ويحتمل ان يكون المراد منه انهم ينكرون الشرك كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين قوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها رشدها وتوفيقها للايمان وهذا جواب عن قولهم ربنا ابصرنا وسمعنا وذلك ان الله تعالى قال اني لو رجعتكم الى الايمان لهديتكم في الدنيا ولما لم اهدكم تبين اني ما اردت وما شئت ايمانكم فلا اردكم وهذا اصرح في الدلالة على صحة مذهب اهل السنة حيث قالوا ان الله ما اراد الايمان من الكافر وما شاء منه الا الكفر قوله تعالى ولكن حق القول مني وجب القول مني وهو قوله تعالى لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فذوقوا

تنسون قال مقاتل اذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ان تركتم الايمان به في الدنيا قوله تعالى لقاء يومكم ، يجوز فيه اوجه احدها انها من التنازع لان ذوقوا يطلب لقاء يومكم ونسيتم يطلبه ايضا اي ذوقوا عذاب لقاء يومكم هذا بما نسيتم عذاب لقاء يومكم هذا ويكون من اعمال الثاني عند البصريين ومن اعمال الاول عند الكوفيين والاول اصح لحذف من الاول اذ لو عمل الاول لاضمر في الثاني ان مفعول ذوقوا محذوف اي ذوقوا العذاب بسبب نسيانكم لقاء يومكم وهذا على هذين الاعرابين صفة ليومكم ، الثالث ان يكون مفعول ذوقوا هذا والاشارة به الى العذاب والباء سببية ايضا فذوقوا هذا العذاب بسبب نسيانكم لقاء يومكم وهذا ينبو عنه الظاهر قال ابن الخطيب هذا يحتمل ثلاثة اوجه ان تكون اشارة الى اللقاء وان تكون اشارة الى اليوم وان تكون اشارة الى العذاب ثم قال انا نسيناكم تركناكم غير ملتفت اليكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون من الكفر والتكذيب قوله تعالى انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا سقطوا على وجوههم ساجدين وسبحوا بحمد ربهم قيل صلوا بامر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده وهم لا يستكبرون عن الايمان به والسجود له قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يجوز في تتجافى ان تكون مستانفا وان يكون حالا وكذلك يدعون واذا جعل يدعون حالا احتمل ان يكون حالا ثانية وان يكون حالا من الضمير في جنوبهم لان المضاف جزء والتجافي وعبر به عن ترك النوم قال ابن رواحة يبيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالمشركين المضاجع ، والمعنى ترتفع وتنبو جنوبهم عن المضاجع جمع المضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفراش وهم المتهجدون بالليل الذين يقيمون الصلاة قال انس نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس ايضا قال نزلت في اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وقال هي صلاة الاوابين وهو مروي عن ابن عباس ، وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الاخرة والفجر في جماعة ، وقال عليه السلام الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الاخرة والفجر في جماعة كان كقيام ليلة والمشهور ان المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله عليه السلام افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وقال عليه السلام ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله لمن الان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام قوله تعا خوفا وطمعا اما مفعول من اجله واما حالان واما مصدران لعامل مقدر ، قال ابن عباس خوفا من النار وطمعا في الجنة ومما رزقناهم ينفقون قيل اراد به الصدقة المفروضة وقيل عام في الواجب والتطوع قوله تعا فلا تعلم نفس ما اخفي لهم قرأ حمزة اخفي فعلا مضارعا مسندا لضمير المتكلم فلذلك سكنت ياؤه لانه مرفوع ويؤيدها قراءة ابن مسعود ما نخفي بنون العظمة والباقون اخفي ماضيا مبنيا للمفعول ثم فتحت ياؤه وقرأ محمد ابن كعب اخفى ماضيا مبنيا للفاعل وهو الله تعالى ويؤيدها قراءة الاعمش ما اخفيت مسندا للمتكلم وما يجوز ان تكون موصولة اي لا يعلم الذي اخفي والله وفي الحديث ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وان تكون استفهامية معلقة للعلم فان كانت متعدية لاثنين سدت مسدهما او لواحد سدت مسده قوله تعالى من قرة اعين قرأ عبد الله وابو الدرداء وابو هريرة من قرات اعين جمعا بالالف والتاء وجزاء مفعول له او مصدر مؤكد لمعنى الجملة قبله واذا كانت ما استفهامية فعلى قراءة من قرأ مضارعا يكون مفعولا مقدما ومن قرأه حالا من ما والمعنى ما يقر الله به اعينهم جزاء بما كانوا يعملون قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له قال بعضهم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم قوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا نزلت في علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن ابي معيط اخي عثمان لامه وذلك انه كان بينهما تنازع فقال الوليد بن عقبة لعلي اسكت فانك صبي وانا والله ابسط منك لسانا واشجع جنانا واملأ منك حشوا في الكتيبة فقال علي اسكت فانك فاسق فانزل الله عز وجل افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ولم يقل لا يستويان لانه لم يرد مؤمنا واحدا ولا فاسقا واحدا بل اراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين وقوله لا يستوون مستانف روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعمد الوقف على قوله فاسقا ثم يبتدي لا يستوون قوله تعالى اما الذين امنوا وعملوا الصالحات لما ذكر ان المؤمن والفاسق لا يستويان بطريق الاجمال بين عدم استوائهما على سبيل التفصيل فقال اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى قرأ طلحة جنة المأوى بالافراد والعامة بالجمع اي التي يأوي اليها المؤمنون ، وقرأ ابو حيوة نزلا بضم وسكون وتقدم تحقيقه اخر ال عمران واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا

منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار وهذا اشارة الى حال الكافر واعلم ان العمل الصالح له مع الايمان تاثير فلذلك قال امنوا وعملوا الصالحات واما الكفر فلا التفات الى الاعمال معه فلهذا لم يقل واما الذين فسقوا وعملوا السيئات لان المراد من فسقوا كفروا ولو جعل العقاب في مقابلة الكفر والعمل لظن ان مجرد الكفر لا عقاب عليه قوله تعالى الذي كنتم به صفة لعذاب وجوز ابو البقاء ان يكون صفة للنار فان وذكر على معنى الجحيم والحريق قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر قال ابي بن كعب والضحاك والحسن وابراهيم العذاب الادنى مصائب الدنيا واسقامها وهو رواية الوالبي عن ابن عباس وقال عكرمة عنه الحدود وقال مقاتل الجوع سبع سنين بمكة حتى اكلوا الجيف والعظام والكلاب وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر وهو قول قتادة والسدي واما العذاب الاكبر فهو عذاب الاخرة قال عذاب الدنيا لا نسبة له الى عذاب الاخرة قال قيل ما الحكمة في مقابلته الادنى بالاكبر والادنى انما هو في مقابلة الاقصى والاكبر انما هو في مقابلة الاصغر فالجواب انه حصل في عذاب الدنيا امران احدهما انه قريب والاخر انه قليل صغير وحصل في عذاب الاخرة ايضا امران احدهما انه بعيد والاخر انه عظيم كبير لكن القرب في عذاب الدنيا هو الذي يصلح للتخويف به فان العذاب العاجل وان كان قليلا قد يحترز منه بعض الناس اكثر مما يحترز من العذاب الشديد اذا كان اجلا وكذا الثواب العاجل قد يرغب فيه بعض الناس ويستبعد الثواب العظيم الاجل واما في عذاب الاخرة فالذي يصلح للتخويف به هو العظيم والكبير لا البعيد لما بينا فقال في عذاب الدنيا العذاب الادنى ليحترز العاقل عنه ولو قال ولنذيقنهم من العذاب الاصغر ما كان يحترز عنه لصغره وعدم كونه عاجلا وقال في عذاب الاخرة الاكبر لذلك المعنى ولو قال من العذاب الابعد الاقصى لم يحصل التخويف به مثل ما يحصل بالكبر قوله تعالى لعلهم يرجعون الى الايمان يعني من بقي منهم بعد بدر قال قيل ما الحكمة في هذا الترجي وهو على الله تعالى محال فالجواب فيه وجهان احدهما معناه لنذيقنهم اذاقة الراجين كقوله انا نسيناكم يعني تركناكم كما يترك الناس حيث لا يلتفت اليه اصلا كذلك ههنا والثاني نذيقهم العذاب اذاقة يقول القائل لعلهم يرجعون بسببه قوله تعالى ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه اي من ذكر بايات الله من النعم اولا والنقم ثانيا ولم يؤمنوا فلا اظلم منهم احد قوله تعالى ثم اعرض عنها ثم لبعد ما بين الرتبتين معنى وشبهها الزمخشري بقوله وما يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها قال استبعد ان يزور غمرات الموت بعد ان راها وعرفها واطلع على شدتها انا من المجرمين يعني المشركين منتقمون قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب لما قرر الاصول الثلاثة عاد الى الاصل الذي بدا به وهو الرسالة المذكورة في قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير وقال انك لست بدعا من الرسل بل كان قبلك رسل مثلك وذكر موسى لقربه من النبي صلى الله عليه وسلم ووجود من كان على دينه الزاما لهم وانما لم يختر عيسى عليه السلام للذكر والاستدلال لان اليهود ما كانوا يقولون بنبوته واما النصارى فكانوا يعترفون بنبوة موسى عليه السلام فتمسك بالمجمع عليه قوله تعالى فلا تكن في مرية قرا الحسن بالضم وهي لغة وقوله من لقائه في الهاء اقوال احدها انها عائد على موسى والمصدر مضاف لمفعوله اي من لقائك موسى ليلة الاسرا وامتحن المبرد الزجاج في هذه المسئلة فانشد نراه وتلقاه وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ليلة اسري بي موسى رجلا ادم طوالا جعدا كانه من رجال شنوة ورايت عيسى رجلا مربوعا الى الحمرة والبياض سبط الراس ورايت مالكا خازن النار والدجال في ايات اراهن الله اياه الثاني ان الضمير يعود على الكتاب وحينئذ يجوز ان تكون الاضافة للفاعل اي من لقاء الكتاب لموسى او المفعول اي من لقاء موسى الكتاب لان اللقاء يصح نسبته الى كل منهما لان من لقيك فقد لقيته قال السدي المعنى فلا تكن في مرية من لقائه اي تلقي موسى كتاب الله بالرضا والقبول الثالث انه يعود على الكتاب على حذف مضاف اي من لقاء مثل كتاب موسى الرابع انه عائد على ملك الموت لتقدم ذكره الخامس عوده على الرجوع المفهوم من قوله الى ربكم ترجعون اي لا تك في مرية من لقاء الرجوع السادس انه يعود على ما يفهم من سياق الكلام فيما ابتلي به موسى من البلاء والامتحان قاله الحسن اي لا بد ان تلقى ما لقي موسى من قومه فاختيار موسى عليه السلام لحكمة وهي ان احدا من الانبياء لم يؤذه من قومه الا الذين لم يؤمنوا واما الذين امنوا فلم يخالفوه غير قوم موسى عليه السلام فان من لم يؤمن به اذاه كفرعون وغيره ومن امن به من بني اسرائيل ايضا اذاه بالمخالفة وطلب اشيا مثل رؤية الله جهرة وكقولهم اذهب انت وربك فقاتلا واظهر هذه الاقوال ان الضمير اما لموسى واما للكتاب ثم بين ان له هداية غير عارية عن المنفعة كانه لم تخل هداية موسى حيث جعل الله كتاب موسى هدى وجعل منهم ايمة يهدون كذلك يجعل كتابك هدى ويجعل من امتك صحابة يهدون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ثم بين ان ذلك يحصل بالصبر لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون قوله تعالى لما صبروا قرا الاخوان بكسر اللام وتخفيف الميم على انها لام الجر وما مصدرية

الجار متعلق بالجعل اي جعلناهم كذلك لصبرهم ولا يقاتهم والباقون بفتحها وتشديد الميم وهي لما التي تقتضي جوابا وتقدم فيها قولا سيبويه والفارسي والمعنى حين صبروا وعلى ديانهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر قوله تعالى ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون هذا يصلح ان يكون جوابا لسؤال وهو انه تعالى لما قال وجعلنا منهم ايمة يهدون فكان القائل ان يقول كيف كانوا يهدون وهم اختلفوا وصاروا فرقا والحق واحد فقال الله يبين المبتدع من المتبع كما يبين المومن من الكافر يوم القيامة قوله تعالى اولم يهد لهم يتبين لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون وقوله يمشون في مساكنهم اي مساكن المهلكين دلالة على حالهم وانهم يمشون فيها ويبصرونها ان في ذلك لايات افلا يسمعون ايات الله وعظاته واعتبر السمع لانهم ما كان لهم قوة الادراك بانفسهم والاستنباط بعقولهم فقال افلا يسمعون يعني ليس لكم درجة المتعلم الذي يسمع الشيء ويفهمه قوله تعالى اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز قرئ الجرز بسكون الراء وتقدم اول الكهف وهي الارض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها قال ابن عباس هي ارض اليمن وقال مجاهد هي ارض ابين والجرز القطع فكانها انقطع عنها الماء والنبات لما بين الاهلال وهي الامانة بين الاحيا لتكون اشارة الى ان الضر والنفع بيد الله ثم قال فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم من العشب والتبن وانفسهم من الحبوب والاقوات وقدم الانعام على الانفس في الاكل لوجوه الاول ان الزرع اول ما ينبت يصلح للدواب ولا يصلح للانسان الثاني ان الزرع غذا للدواب لا بد منه واما غذا الانسان فقد يصلح للحيوان فكان الحيوان ياكل الزرع ثم الانسان ياكل من الحيوان قوله تعالى افلا يبصرون قرا العامة بالغيبة وابن مسعود بالخطاب التفاتا وقال يبصرون لان الامر مرئي بخلاف حال الماضي فانها كانت مسموعة لما بين الرسالة والتوحيد بين الحشر فقال ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قيل اراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم بين العباد قال قتادة قال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم للكفار ان لنا يوما نتنعم فيه ونستريح ويحكم الله بيننا وبينكم فقالوا استهزاء متى هذا الفتح اي القضاء والحكم وقال الكلبي فتح مكة وقال السدي يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون لهم ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح قوله تعالى يوم الفتح منصوب بلا ينفع ولا غير ما نعت من ذلك وقد تقدم فيها مذاهب والمعنى يوم الفتح يوم القيامة لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا ولا هم ينظرون اي لا يمهلون بالاعادة الى الدنيا ليومنوا ثم لما بين ان الدلائل لم تنفعهم قال فاعرض عنهم قال ابن عباس نسختها اية القتال قوله تعالى وانتظر انهم منتظرون العامة على كسر الظاء من منتظرون اسم فاعل والمفعول من انتظر ومن منتظرون محذوف اي انتظر ما يحل بهم انهم منتظرون على زعمهم ما يحل بك وقرا اليماني منتظرون اسم مفعول فصل قيل المعنى انتظر موعدي لك بالنصر انهم منتظرون بك حوادث الزمان وقيل انتظر عذابنا فيهم انهم منتظرون ذلك وعلى هذا ولا فرق بين الانتظارين وقيل انتظر عذابهم بعينك انهم ينتظرونه بلفظهم استهزا كما قالوا فاتنا بما تعدنا فصل روى ابو هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في الفجر يوم الجمعة الم تنزيل وهل اتى على الانسان وعن جابر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرا تبارك والم تنزيل ويقول هما يفضلان على كل سورة في القران بسبعين حسنة ومن قراهما كتبت له سبعون حسنة ومحي عنه سبعون سيئة ورفع له سبعون درجة وروى الثعلبي عن ابن عباس عن ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الم تنزيل اعطي من الاجر كمن احيا ليلة القدر والله تعالى اعلم

وهي ثلاث وسبعون اية وما يتان وثمانون كلمة وخمسة الاف وسبعماية وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله اعلم ان الفرق بين ندا المنادى بقوله يا رجل و يا ايها الرجل ان قوله يا رجل يدل على الندا و قوله يا ايها الرجل يدل على ذلك وينبي عن خطر خطب المنادى له او غفلة المنادى فقوله يا ايها لا يجوز حمله على غفلة النبي صلى الله عليه وسلم لان قوله النبي ينافي الغفلة لان النبي عليه السلام خبير فلا يكون غافلا فيجب حمله على خطر الخطب قال قيل الامر بالشيء لا يكون الا عند عدم اشتغال المامور بالمامور به اذ لا يصلح ان يقال للجالس اجلس وللساكت اسكت والنبي عليه السلام كان متقيا فما الوجه في قوله اتق الله فالجواب انه امر بالمداومة فانه يصح ان يقال للجالس اجلس ههنا الى ان اتيك ويقال للساكت قد اصبت فاسكت تسلم اي دم على ما انت عليه وايضا من جهة العقل ان الملك يتقي منه عباده على ثلاثة اوجه بعضهم يخاف من عقابه وبعضهم يخاف من قطع ثوابه وثالث يخاف من احتجابه فالنبي عليه السلام لم يومر بالتقوى بالاول ولا بالثاني واما الثالث فالمخلص لا يامنه ما دام في الدنيا فكيف والامور الدنيوية شاغلة فالادمي في الدنيا تارة مع الله والاخرى مقبل على ما لا بد منه وان كان معه الله والى هذا اشار بقوله انما انا بشر مثلكم

اصحابه

سورة الاحزاب

والبحار

يوحى اليه يعني برفع الحجاب عنه وقت الوحي ثم اعود الى ما كنت فيه فمن شاء منكم فليتبعني ووجبا تشديد الامة الحضور وقال المفسرون
نزلت في ابي سفين وعكرمة بن ابي جهل وابي الاعور عمرو بن سفين السلمي وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد
الله بن ابي راس المنافقين بعد قتال احد وقد اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الامان ان يكلموه فقام معهم عبد
الله بن سعد بن ابي سرح وطعمة بن ابيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه
رفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق على النبي صلى الله
عليه وسلم قولهم فقال عمر يا رسول الله ائذن لي في قتلهم فقال اني قد اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا في لعنة
الله وغضبه وامر النبي صلى الله عليه وسلم عمر ان يخرجهم من المدينة فانزل الله يا ايها النبي اتق الله اي دم على التقوى
كما يقول الرجل لغيره وهو قائم قم قائما اي اثبت قائما وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد الامة
وقال الضحاك معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم قوله تعالى ولا تطع الكافرين اي اهل مكة يعني ابا
سفين وعكرمة وابا الاعور والمنافقين من اهل المدينة عبد الله بن ابي وطعمة ان الله كان عليما بخلقه قبل ان
خلقهم حكيما فيما دبره لهم فان قيل لم خص الكافر والمنافق بالذكر مع ان النبي صلى الله عليه وسلم ينبغي ان لا يطيع احدا
غير الله فالجواب من وجهين الاول ان ذكر الغير لا حاجة اليه لان غيرهما لا يطلب من النبي صلى الله عليه
وسلم الاتباع ولا يتوقع ان يصير النبي صلى الله عليه وسلم مطيعا له بل يقصد اتباعه ولا يكون عنده الا مطاعا
الثاني انه تعالى لما قال لا تطع الكافرين والمنافقين منعه من طاعة الكل لان كل من طلب من النبي صلى الله
عليه وسلم طاعته فهو كافر او منافق لان من يامر النبي صلى الله عليه وسلم بامر ايجاب معتقدا انه لو لم يفعله
يعاقبه يحق يكون كافرا قوله تعالى واتبع ما يوحى اليك من ربك وهذا يقرر ما ذكره من انه عليم حكيم فاتباعه
واجب قوله تعالى بما تعملون خبيرا وتقدم تقليل بما تعملون بصيرا قرا بما ابو عمرو بيا الغيبة والباقون بتا الخطاب
اما الغيبة في الاول فلقوله الكافرين والمنافقين واما الخطاب فلقوله يا ايها النبي لان المراد هو وامته او خوطب
بالجمع تعظيما كقوله قال رب ارجعون وجوز ابو حيان ان يكون التفاتا يعني عن الغائبين الكافرين
والمنافقين وهو بعيد واما الغيبة في الثاني فلقوله اذ جاءتكم جنود واما الخطاب فيا ايها الذين امنوا قوله تعالى
وتوكل على الله اي ثق بالله يعني ان لو يمت من احد فتوكل على الله فانه كافيك وكفى بالله وكيلا حافظا لك وقيل كفيلا
برزقك قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه نزلت في ابي معمر جميل بن معمر الفهري وكان رجلا لبيبا
حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ ابو معمر هذه الاشيا الا وله قلبان وكان يقول لي قلبان اعقل بكل واحد
منهما افضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم ابو معمر فلقيه ابو سفين واحدى نعليه بيده والاخرى
في رجله فقال له يا ابا معمر ما حال الناس قال انهزموا قال فما لك احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك قال
ابو معمر ما شعرت الا انهما في رجلي فعلموا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده وقال الزهري ومقاتل
هذا مثل ضربه الله للمظاهر من امراته والمتبني ولد غيره يقول فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امراة
المظاهر امه حتى يكون لها ابنان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين قال الزمخشري قوله وما جعل ازواجكم اللائي
تظهرون منهن ما هن امهاتكم ما جعل الله لرجل قلبين كالم يجعل لرجل امين ولا لابن ابوين قوله تعالى وما جعل
ازواجكم اللائي قرا الكوفيون وابن عامر اللائي ههنا وفي سورة الطلاق بيا ساكنة بعد همزة مكسورة وهذا
هو الاصل في هذه اللفظة لانه جمع التي معنى وابو عمرو والبزي اللاي بيا ساكنة وصلا بعد الف محضة في احد
وجهيهما وله وجه اخر سياتي ووجه هذه القراة انهما حذفا اليا بعد الهمزة تخفيفا ثم ابدلا الهمزة يا وسكناها
لصيرورتها يا مكسورا ما قبلها كالقاضي والغازي الا ان هذا ليس بقياس وانما القياس جعل الهمزة بين بين قال
ابو علي لا يقدم على مثل هذا البدل الا ان يسمع قال شهاب الدين قال ابو عمرو بن العلا انها لغة قريش التي امر
الناس ان يقروا بها وقال بعضهم لم يبدلوا وانما كتبوا فعبر عنهم القرا بالابدال وليس بشي وقال ابو علي وغيره
اظهار ابي عمرو اللاي يئسن يدل على انه يسهل ولم يبدل وهذا غير لازم لان البدل عارض فلذلك لم يدغم
وقرا بها ايضا ورش بهمزة مسهلة بين بين وهذا الذي زعم بعضهم انه لم يصح عنهم غيره وهو تخفيف
قياسي واذا وقفوا سكنوا الهمزة ومتى سكنوها استحال تسهيلها بين بين لزوال حركتها فتنقلب يا للوقوعها
ساكنة بعد كسرة وليس من مذهبهم تخفيفها فتقر بهمزة وقرا قنبل وورش بهمزة مكسورة دون يا حذفا اليا
واجتزا عنها بالكسرة وهذا الخلاف بعينه جار في المجادلة ايضا والطلاق قوله تعالى تظاهرون قرا عاصم
تظاهرون بضم التا وكسر الها بعد الف مضارع ظاهر وابن عامر تظاهرون بفتح التا والها وتشديد الظا
مضارع تظاهر والاصل تتظاهرون بتاءين فادغم والاخوان كذلك الا انهما خففا الظا والاصل ايضا بتاءين
الا انهما حذفا احديهما وتقدم نظيرها في تخفيف هذا النحو اما الادغام واما الحذف وقد تقدم تخفيفه في نحو

تذكرون تذكرون مخففا ومثقلا وتقدم نحوه في البقرة ايضا والباقون تظاهرون بفتح التا والها وتشديد الظا والها دون
الف والاصل تتظهرون بتاءين فادغم نحو تذكرون وقرا الجميع في المجادلة كقراتهم هنا في قوله الذين يظهرون من نسائهم
الا الاخوين فانهما خالفا اصلهما هنا فقرا في المجادلة بتشديد الظا كقراة ابن عامر والظهار مشتق من الظهر واصله ان
يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي وانما لم يقرا الاخوان بالتخفيف في المجادلة لعدم المسوغ له وهو الحذف لان
الحذف انما كان لاجتماع مثلين وثم التاان وفي المجادلة يا من تحت وتا من فوق فلم يجتمع مثلان فلا حذف فاضطر الى
الادغام هذا ما قرا به متواترا وقرا ابن وثاب تظهرون بضم التا وسكون الظا وكسر الها مضارع اظهر وعنه ايضا
تظهرون بفتح التا والظا مخففة وتشديد الها والاصل تتظهرون مضارع تظهر مشددا فحذف احدى التاءين وقرا
الحسن تظهرون بضم التا وفتح الظا مخففة وتشديد الها مكسورة مضارع ظهر مخففا وقرا ابي وهي في مصحفه كذلك
تتظهرون بتاءين فهذه تسع قرات اربع متواترة وخمس شاذة واخذ هذه الافعال من لفظ الظهر كاخذ لبى من التلبية
وافف من اف وانما عدي بمن لانه ضمن معنى التباعد كانه قيل يتباعدون من نسائهم بسبب الظهار كما تقدم في
تعديه الايلاء بمن في البقرة قوله تعالى الظهار ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي فقال الله تعالى ما جعل الله
نساكم اللائي تقولون لهن هذا في التحريم كامهاتكم ولكنه منكر وزور وفيه كفارة ياتي ذكرها ان شا الله تعالى
في سورة المجادلة قوله تعالى وما جعل ادعياكم ابناكم يعني ما جعل من تتبنونه ابناكم نسخ التبني وذلك ان
الرجل في الجاهلية كان يتبنى الرجل فيجعله كالابن يدعوه الناس اليه ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي وتبناه قبل الوحي واخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله صلى
الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امراة ابنه وهو ينهى الناس
عن ذلك فانزل الله هذه الاية ونسخ التبني واعلم ان الظهار كان في الجاهلية طلاقا حتى كان للزوج ان يتزوج
بها من جديد قوله تعالى ذلكم قولكم مبتدا وخبر اي دعاؤكم الادعيا ابنا مجرد قول لسان من غير حقيقة والادعيا
جمع دعي بمعنى مدعو فعيل بمعنى مفعول واصله دعيو فادغم ولكن جمعه على ادعيا غير مقيس لان افعلا انما يكون
جمعا لفعيل المعتل اللام اذا كان بمعنى فاعل نحو تقي واتقيا وغني واغنيا وهذا وان كان فعيلا معتل اللام الا انه
بمعنى مفعول فكان قياس جمعه على فعلى كقتيل وقتلى وجريح وجرحى ونظير هذا في الشذوذ قولهم اسير واسرا
والقياس اسرى وقد سمع فيه الاصل واعلم ان الله تعالى قال ههنا ذلكم قولكم بافواهكم وقال في قوله وقالت النصارى
المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يعني لنسبة الشخص الى غير الاب قول لا حقيقة له ولا يخرج من قلب ولا يدخل ايضا
في قلب فهو قول بالفم مثل اصوات البهائم قوله تعالى والله يقول الحق اي قوله الحق وهو يهدي السبيل اي يرشد
الى سبيل الحق وهذا اشارة الى انه ينبغي للعاقل ان يكون قوله اما عن عقل او شرع فاذا قال فلان ابن فلان ينبغي ان يكون عن حقيقة
او عن شرع بان يكون ابنه شرعا وان لم تعلم الحقيقة كمن تزوج بامراة فولدت لستة اشهر ولدا وكانت الزوجة من
قبل زوجة شخص اخر يحتمل ان يكون الولد منه فانا نلحقه بالزوج الثاني لقيام الفراش ونقول انه ابنه شرعا وفي الدعي
لم توجد الحقيقة ولا ورد الشرع به لانه لا يقول الا الحق وهذا خلاف الحق لان اباه مشهور ظاهر واشار فيه من وجه
اخر الى ان قولهم هذه زوجة الابن فتحرم فقال الله هي حلال لك فقولهم لا اعتبار له فانه حقا ولكونه هاديا قوله
تعالى ادعوهم لابائهم اي الذين ولدوهم هو اقسط عند الله اي اعدل قال عبد الله بن عمر ان زيد بن حارثة مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل القران ادعوهم لابائهم فهو مصدر فاصر لدلالة فعله عليه
كقوله اعدلوا هو اقرب قال ابن الخطيب وهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون ترك الاضافة للعموم اي اعدل كل كلام
كقولك الله اكبر الثاني ان يكون ما تقدم منويا كانه قال ذلك اقسط من قولكم هو ابن فلان ثم تمم الارشاد فقال
فان لم تعلموا اباهم فاخوانكم في الدين اي قولوا لهم اخوانا قال كانوا اخوانا من فقولوا اموالي فلان ثم قال وليس عليكم
جناح فيما اخطاتم به اي قبل النهي فنسبتموه الى غير ابيه قوله تعالى ولكن ما تعمدت قلوبكم يجوز في ما وجهان احدهما
ان تكون مجرورة المحل عطفا على ما المجرورة قبلها بفي والتقدير ولكن الجناح فيما تعمدت والثاني انها مرفوعة المحل
بالابتدا والخبر محذوف تقديره تواخذون به او عليكم فيه الجناح ونحوه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما المغفرة
هي ان يستر القادر قبيح من تحت قدرته حتى ان العبد اذا ستر عيب سيده مخافة عقابه لا يقال غفر له والرحمة
هي ان يميل بالاحسان الى المرحوم لعجز المرحوم لا لغرض فان من مال الى انسان قادر كالسلطان لا يقال رحمه وكذلك
من احسن الى غيره رجا في خيره او عوضا عما صدر منه انما من الاحسان لا يقال رحمه اذا علم هذا فالمغفرة اذا ذكرت
قبل الرحمة يكون معناها انه ستر عيبه ثم راه مفلسا عاجزا فرحمه فاعطاه ما كفاه واذا ذكرت المغفرة بعد الرحمة
وهو قليل يكون معناها انه مال اليه لعجزه فترك عقابه ولم يقتصر عليه بل ستر ذنوبه قوله تعالى النبي اولى بالمومنين
من انفسهم اي من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه ووجوب طاعته عليهم وقال ابن عباس وعطا يعني اذا دعاهم النبي صلى الله

عليه وسلم ودعتهم انفسهم الى شيء كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم اولى بهم من طاعة انفسهم وقال ابن زيد النبي اولى
بالمؤمنين من انفسهم فيما قضى بينهم كما انت اولى بعبدك فيما قضيت عليه وقيل اولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس
دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الى الجهاد فيقول قوم نذهب فنستاذن من ابائنا وامهاتنا فنزلت
الاية وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا انا اولى به في الدنيا والاخرة اقرؤوا ان شئتم
النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ومن ترك دينا او ضياعا
فلياتني فانا مولاه قوله تعالى وازواجه امهاتهم اي مثل امهاتهم في الحكم ويجوز ان يتساوى التشبيه ويجعلون امهاتهم
مبالغة وفي حرف ابي وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وهن امهات المؤمنين في تعظيم حقهن وتحريم نكاحهن على
التابيد لا في النظر اليهن والخلوة بهن فانه حرام في حقهن كما في حق الاجانب قال الله تعالى واذا سالتموهن متاعا
فاسالوهن من وراء حجاب ولا يقال لبناتهن هن اخوات المؤمنين ولا لاخوانهن واخواتهن اخوال المؤمنين و
وخالاتهم وقال الشافعي تزوج الزبير اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنه وهي اخت ام المؤمنين واختلفوا في انهن
هل كن امهات النساء المؤمنات قيل كن امهات المؤمنين جميعا وقيل كن امهات المؤمنين دون النساء روى الشعبي عن
مسروق ان امراة قالت لعائشة يا امه فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم فدل هذا على ان معنى هذه الامومية
تحريم نكاحهن قوله تعالى قال هذا تقرير اخر وذلك لان زوجة النبي عليه السلام ما جعلها الله في حكم الام الا لقطع
نظر الامة عما تعلق به غرض النبي عليه السلام فاذا تعلق خاطره بامراة شاركت زوجاته في التعلق فحرمت مثل ما حرمت
ازواجه على غيره فان قيل كيف قال وازواجه امهاتهم وقال من قبل وما جعل ازواجكم اللاي تظهرون منهن
امهاتكم فاشار الى ان غير من ولدت لا تصير اما بوجه ولذلك قال في موضع اخر ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم
فالجواب ان قوله تعالى في الاية المتقدمة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل جواب عن هذا والمعنى ان
الشرع مثل الحقيقة ولهذا يرجع العاقل عند تعذر اعتبار الحقيقة الى الشريعة كما ان امراتين اذا ادعت كل
واحدة ولدا بعينه ولم يكن لهما بينة وحلفت احديهما دون الاخرى حكم لها بالولد فعلم ان عند عدم الوصول
الى الحقيقة يرجع الى الشرع بل في بعض المواضع على المندوب تغلب الشريعة على الحقيقة فان الزاني لا يجعل بالولد
الزنا وان كان ولده في الحقيقة واذا كان كذلك فالشارع له الحكم فقول القائل هذه امي قول بفمه لا عن حقيقة
ولا يترتب عليه حقيقة واما قول الشارع فهو حق فان الذي يتصرف في الحقائق كيف شاء الاترى ان الام ما صارت
اما الا بخلق الله الولد في رحمها ولو خلقه في جوف غيرها لكانت الام غيرها فاذا كان الذي يجعل الام الحقيقة
اما ويعطيها حكم الامومة واما من جهة المعقول في جعل ازواجه امهاتنا هو ان الله تعالى جعل زوجة الاب
محرمة على الابن لان الزوجية تحصل الغيرة فان تزوج الابن بمن كانت تحت الاب يفضي الى قطع الرحم والعقوق
ولكن النبي عليه السلام اشرف واعلى درجة من الاب واولى بالارضا فان الاب يربي في الدنيا حسب والنبي
عليه السلام يربي في الدنيا والاخرة فوجب ان تكون زوجاته مثل زوجات الاب فان قيل فلم لم يقل ان النبي
ابوكم وتحصل هذا المعنى او لم لم يقل ازواج ابيكم فالجواب ان الحكمة فيه هو ان النبي بما بينا انه اذا
اراد زوجة واحد من الامة وجب عليه تركها ليتزوج بها النبي عليه السلام فلو قال انت ابوهم لحرم عليه
زوجات المؤمنين على التابيد ولانه لما جعل اولى بهم من انفسهم والنفس مقدمة على الاب لقوله ابدا بنفسك
ثم بمن تعول ولذلك فان المحتاج الى القوت لا يجب عليه صرفه الى الاب ويجب عليه صرفه الى النبي صلى الله
عليه وسلم ثم ان ازواجه لهم حكم ازواج الاب حتى لا يحرم اولادهن على المؤمنين ولا اخواتهن ولا امهاتهن
وان كان الكل يحرم في الام الحقيقية والرضاعة قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب
الله يعني في الميراث قال قتادة كان المسلمون يتوارثون بالهجرة قال الكلبي اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين الناس كان يواخي بين رجلين فاذا مات احدهما ورثه الاخر دون عصبته حتى نزلت هذه الاية واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في كتاب الله في حكم الله من المؤمنين الذين اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم والمهاجرين
يعني ذوي القرابات بعضهم اولى بميراث بعض من ان يرثوا بالايمان والهجرة فنسخت هذه الاية الموارثة
بالمواخاة والهجرة فصارت بالقرابة وبعضهم يجوز فيه وجهان احدهما ان يكون بدلا من اولوا والثاني انه
مبتدا وما بعده خبره والجملة خبر الاول قوله تعالى في كتاب الله يجوز ان يتعلق باولوا لان افعل التفضيل يعمل
في الظرف ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الضمير في اولوا والعامل فيها اولوا لانها شبيهة بالظرف
ولا جائز ان يكون حالا من اولوا للفصل بالخبر ولانه عامل فيها قوله تعالى من المؤمنين يجوز فيه وجهان
احدهما انها من الجارة للمفضول كهي في زيد افضل من عمرو والمعنى واولوا الارحام اولى بالارث من المؤمنين
والمهاجرين الاجانب والثاني انها للبيان حتى بها بيانا لاولي الارحام فيتعلق بمحذوف اي اعني والمعنى

واولوا الارحام من المؤمنين اولى بالارث من الاجانب قوله تعالى الا ان تفعلوا هذا استثناء من غير الجنس وهو مستثنى
من معنى الكلام وفحواه اذ التقدير واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في الارث وغيره لكن اذا فعلتم مع غيرهم من
اوليائكم خيرا كان لكم ذلك وعدى تفعلوا بالى لتضمنه معنى تدخلوا واراد بالمعروف الوصية للذين يتولونه
من المعاقدين يعني ان اوصيتم فغير الوارثين اولى وان لم توصوا فالوارثون اولى بميراثكم وذلك ان الله
لما نسخ التوارث بالحلف والهجرة اباح ان يوصي لمن يتولاه بما احب من ثلثه قال مجاهد اراد بالمعروف النصرة
وحفظ الحرمة بحق الايمان والهجرة يعني واولوا الارحام من المؤمنين والمهاجرين بعضهم اولى ببعض اي لا توارث
بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا اي الا ان توصوا لذوي
قراباتكم بشيء وان كانوا من غير اهل الايمان والهجرة وهذا قول عطاء وقتادة وعكرمة فان قيل اي تعلق للميراث
والوصية بما تقدم فالجواب قال ابن الخطيب وجوابه من وجهين احدهما ان غير النبي في حال حياته لا يصير
له مال الغير وبعد وفاته لا يصير ماله للغير وارثه والنبي عليه السلام في حال حياته كان يصير له مال الغير اذا
اراده ولا يصير ماله لورثته بعد وفاته فكان الله تعالى عوض النبي عن قطع ميراثه بقدرته بان له تملك مال
الغير وعوض المؤمنين بان ما تركه النبي يرجع اليهم حتى لا يكون حرج على المؤمنين في ان النبي عليه السلام اذا اراد
شيئا يصير له ثم يموت ويبقى لورثته فيفوت عليهم ولا يرجع اليهم فقال الله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
يعني ان التوارث بينكم فيصير مال احدكم لغيره بالارث والنبي لا توارث بينه وبين اقاربه فينبغي ان يكون له
بدل هذا وهو انه اولى في حياته بما في ايديكم الثاني ان الله تعالى ذكر دليلا على ان النبي عليه السلام اولى بالمؤمنين
وهو ان اولي الارحام بعضهم اولى ببعض ثم ان اراد احد ان يصدقه فيوصي له بشيء فيصير اولى من قريبه فكانه
بالوصية قطع الارث وقال هذا مالي لا ينتقل عني الا لمن اريد فكذلك جعل الله تعالى لصديقه من الدنيا ما اراد
ثم ما يفضل منه يكون لغيره ثم قال كان ذلك في الكتاب مسطورا مكتوبا قال القرظي اراد بالكتاب التورية وقيل
القران وهو اية المواريث والوصية وقيل اللوح المحفوظ قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم الاية
وجه تعلق هذه الاية بما قبلها هو ان الله تعالى لما امر النبي عليه السلام بالاتقاء وقال يا ايها النبي اتق الله واكده
بالحكاية التي خشي فيها الناس لكي لا يخشى احدا غيره وبين انه لم يرتكب امرا يوجب الخشية بقوله النبي اولى بالمؤمنين من
انفسهم واكده بوجه اخر فقال واذ اخذنا كانه قال اتق الله ولا تخف احدا واذكر ان الله اخذ ميثاق النبيين
في انهم يبلغون رسالات الله ولا يمنعهم من ذلك خوف ولا طمع والمراد من الميثاق الماخوذ من النبيين ارسالهم وامرهم
بالتبليغ وان يصدق بعضهم بعضا قال مقاتل اخذنا ميثاقهم على ان يعبدوا الله ويدعوا الى عبادته ويصدق بعضهم
بعضا وينصحوا لقومهم قوله تعالى واذ يجوز فيه وجهان احدهما ان يكون منصوبا باذكر اي واذكر اذ اخذنا والثاني
ان يكون معطوفا على محل في الكتاب فيعمل فيه مسطورا اي كان هذا الحكم مسطورا في الكتاب ووقت اخذنا قوله
تعالى ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم خص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لانهم
اصحاب الكتب والشرائع واولوا العزم من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم لقوله عليه السلام كنت اول
النبيين في الخلق واخرهم في البعث قال قتادة وذلك قول الله عز وجل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح فبدا به صلى الله عليه وسلم قال ابن الخطيب وخص بالذكر اربعة من الانبياء وهم نوح وابراهيم
وموسى وعيسى لان موسى وعيسى كان لهم في زمان نبينا قوم وامة فذكرهما احتجاجا على قومهما وابراهيم كانت
العرب يقولون بفضله وكانوا يتبعونه في الشعائر ونوحا لانه كان اصلا ثانيا للناس حيث وجد الخلق منه بعد
الطوفان وعلى هذا لو قال قائل فادم كان اولى بالذكر من نوح فنقول خلق ادم كان للعمارة ونبوته كانت مثل الارشاد
للاولاد ولهذا لم يكن في زمانه اهلاك قوم ولا تعذيب واما نوح فكان مخلوقا للنبوة وارسل للانذار ولهذا
اهلك قومه واغرقوا واما ذكر عيسى بقوله عيسى بن مريم والمسيح بن مريم فهو اشارة الى انه لا اب له اذ لو كان
لوقع التعريف به قوله تعالى ميثاقا غليظا هو الاول وانما كرر لزيادة صفته وايذانا بتوكيده قال المفسرون
عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا قوله تعالى ليسال فيها وجهان احدهما انها لام كي اي اخذنا ميثاقهم ليسال
المؤمنين عن صدقهم والكافرين عن تكذيبهم فاستغنى عن الثاني بذكر مسببه وهو قوله واعد ومفعول
صدقهم محذوف اي صدقهم عهدهم ويجوز ان يكون صدقهم في معنى تصديقهم ومفعوله محذوف ايضا عن تصديقهم
الانبياء قوله تعالى واعد يجوز فيه وجهان احدهما ان يكون معطوفا على ما دل عليه ليسال الصادقين اذ التقدير
فاثاب الصادقين واعد للكافرين والثاني انه معطوف على اخذنا لان المعنى ان الله اكد على الانبياء الدعوة
الى دينه لاثابة المؤمنين واعد للكافرين وقيل انه قد حذف من الثاني ما اثبت مقابله في الاول ومن
الاول ما اثبت مقابله في الثاني والتقدير ليسال الصادقين عن صدقهم فاثابهم ويسال الكافرين عما اجابوا

بهم وسلم واعد لهم عذابا اليما **فصل** قال المفسرون المعنى اخذ نا ميثاقهم لكى يسأل الصادقين عن صدقهم يعنى
النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة فى سؤالهم مع علمه انهم صادقون تبكيت من ارسلوا اليهم وقيل ليسأل
الصادقين عن علمهم لله عز وجل وقيل ليسأل الصادقين بافواههم عن صدقهم بقلوبهم **قوله تعالى** يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم الاية وهذا تحقيق لما سبق من الامر بتقوى الله بحيث لا يبقى معه خوف من احد
وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام الخندق واجتمع الاحزاب واشتد الامر على الاصحاب
حيث اجتمع المشركون باسرهم واليهود باجمعهم ونزلوا على المدينة وعمل النبى صلى الله عليه وسلم الخندق وكان الامر
فى غاية الشدة والخوف بالغا الى الغاية والله دفع القوم عنهم من غير قتال وامنهم من الخوف فينبغى ان لا يخاف
العبد غير ربه فانه القادر على كل الممكنات فكان قادرا على ان يقهر المسلمين بالكفار مع انهم ضعفا كما قهر الكافرين
بالمؤمنين مع قوتهم وشوكتهم **قوله تعالى** اذ جاءتكم يجوز ان يكون منصوبا بنعمة اى النعمة الواقعة فى ذلك الوقت
ويجوز ان يكون منصوبا باذكروا على ان يكون بدلا من نعمة بدل الاشتمال والمراد بالجنود الاحزاب وهم قريش وغطفان
ويهود قريظة والنضير فارسلنا عليهم ريحا وهى الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلق
ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسرى بالليل فكانت الريح التى ارسلت عليهم الصبا
وروى مجاهد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور **قوله تع**
وجنودا لم تروها قرا الحسن الجنود بفتح الجيم والعامة بضمها وجنودا عطف على ريحا ولم تروها صفة لهم
وروى عن ابى عمرو وابى بكر يروها بالغيبة وهم الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ فبعث الله عليهم تلك
الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت اوتار الفساطيط واطفات النيران واكفات القدور وجالت الخيل
بعضها فى بعض وكثر تكبير الملائكة فى جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حى يقول يا بنى فلان هلم الى فاذا اجتمعوا عنده
قال النجا النجا ثم لما بعث الله عليهم من الرعب فانهزموا من غير قتال وكان الله بما يعملون بصيرا وهذا اشارة الى
ان الله علم التجاءكم اليه ورجاكم فضله فنصركم على الاعدا عند الاستعداد والقصة مشهورة **قوله تعالى**
اذ جاؤكم بدل من اذ الاولى والحناجر جمع حنجرة وهى راس الغلصمة والغلصمة منتهى الحلقوم والحلقوم مجرى الطعام
والشراب وهو تحت الحلقوم وقال الراغب راس الغلصمة من خارج **قوله تعالى** الظنونا قرا نافع وابن عامر
وابو بكر باثبات الف بعد نون الظنون ولام الرسول فى قوله واطعنا الرسولا ولام السبيل فى قوله فاضلونا
السبيلا وصلا ووقفا موافقة للرسم لانهن رسمن فى المصحف كذلك وايضا فان هذه الالف تشبه ها السكت لبيان
الحركة وها السكت تثبت وقفا للحاجة اليها وقد تثبت وصلا اجرا للوصل مجرى الوقف كما تقدم فى البقرة والانعام
فكذلك هذه الالف وقرا ابو عمرو وحمزة بحذفها فى الحالين لانها لا اصل لها وقولهم اجريت الفواصل مجرى القوافى غير معتد
به لان القوافى يلتزم الوقف عليها غالبا والفواصل لا يلتزم ذلك فيها فلا تشبه بها والباقون باثباتها وقفا وحذفها وصلا
اجرا للفواصل مجرى القوافى فى ثبوت الف الاطلاق كقوله استأثر الله بالوفاء وبالعدل وولى الملامة الرجلا
اقلى اللوم عاذل والعتابا وقولى ان اصبت لقد اصابا ولانها كهاء السكت وهى تثبت وقفا وتحذف وصلا قال
شهاب الدين كذا يقولون تشبيها للفواصل بالقوافى وانا لا احب هذه العبارة فانها منكرة لفظا ولا خلاف فى قوله
وهو يهدى السبيل بغير الف فى الحالين **فصل** المعنى اذ جاؤكم من فوقكم اى من فوق الوادى من قبل المشرق وهم
اسد وغطفان عليهم مالك بن عوف النصرى وعيينة بن حصن الفزارى فى الف من غطفان ومعهم طليحة
ابن خويلد الاسدى فى بنى اسد وحيى بن اخطب فى بنى قريظة ومن اسفل منكم اى من بطن الوادى من قبل المغرب
وهم قريش وكنانة عليهم ابو سفيان بن حرب ومن معه وابو الاعور بن سفيان السلمى من قبل الخندق وكان الذى
جر غزوة الخندق فيما قيل اجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير من ديارهم واذ زاغت الابصار مالت
وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شى فلم تنظر الا الى عدوها وبلغت القلوب الحناجر فزالت عن اماكنها
حتى بلغت الحلوق من الفزع وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف قال الفرا معناه انهم جبنوا وسبيل
الجبان اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رئته فاذا انتفخت الرئة رفعت القلب الى الحنجرة ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره
لان القلب عند الغضب يندفع وعند الخوف يجتمع فيتقلص بالحنجرة وقد يفضى الى ان يسد مخرج النفس فلا
يقدر المرء يتنفس ويموت من الخوف وتظنون بالله الظنونا وهو اختلاف الظنون فظن المنافقون استيصال
محمد واصحابه وظن المؤمنون النصر والظفر لهم **فان قيل** المصدر لا يجمع فما الفائدة فى جمع الظنون **فالجواب**
لا شك انه منصوب على المصدر ولكن الاسم قد يجعل مصدرا كما يقال ضربته سياطا وادبته مرارا فكانه قال
ظننتم ظنا بعد ظن اى ما ثبتم على ظن وفائدته ان الله تعالى لو قال تظنون ظنا جاز ان يكونوا مصيبين
فاذا قال ظنونا بين ان فيهم من كان ظنه كاذبا لان الظنون قد تكذب كلها وقد يكذب بعضها اذا كانت

فى امر واحد كما اذا راى جمع جسما من بعيد وظنه بعضهم انه زيد واخرون انه عمرو واخرون انه بكر ثم ظهر لهم الحق
قد يكونوا كلهم مخطئين والمرئى شجرا وحجر وقد يكون احدهم مصيبا ولا يمكن ان يكونوا كلهم مصيبين فى ظنونهم
فقوله الظنون افادنا ان فيهم من اخطا الظن ولو قال يظنون بالله ظنا ما كان يفيد هذا والالف واللام فى الظنون
يمكن ان تكون للاستغراق مبالغة بمعنى تظنون كل ظن لان عند الامر العظيم كل احد يظن شيئا ويمكن ان تكون الالف
واللام للعهد اى ظنونهم المعهودة لان المعهود من المؤمن ظن الخير بالله كما قال النبى عليه السلام ظنوا بالله خيرا ومن
الكافر الظن السوء كقوله تعالى ذلك ظن الذين كفروا وقوله ان يتبعون الا الظن **قوله تعالى** هنالك منصوب بابتلى
وقيل بيظنون واستضعفه ابن عطية وفيه وجهان اظهرهما انه ظرف مكان بعيد اى فى ذلك المكان الدحض وهو
الخندق والثانى انه ظرف زمان وانشد بعضهم على ذلك واذا الامور تعاظمت وتشاكلت
فهناك يعترفون اين المفزع **قوله تعالى** وزلزلوا قرا العامة بضم الزاى الاولى وكسر الثانية على اصل ما لم يسم
فاعله وروى غير واحد عن ابى عمرو كسر الاولى وروى الزمخشرى عنه اشمامها كسرا ووجه هذه القراءة ان يكون
اتبع الزاى الاولى للثانية فى الكسر ولم يعتد بالساكن لكونه غير حصين كقولهم منتن بكسر الميم والاصل ضمها
قوله تعالى زلزالا مصدر مبين للنوع بالوصف والعامة على كسر الزاى وعيسى والجحدرى فتحاها وهما لغتان
فى مصدر الفعل المضعف اذا جا على فعلال نحو زلزال وقلقال وصلصال وقد يراد بالمفتوح اسم الفاعل نحو صلصال
بمعنى مصلصل وزلزال بمعنى مزلزل **فصل** قال المفسرون معنى ابتلى المؤمنون اختبر المؤمنون بالحصر والقتال
ليتبين المخلص من المنافق والابتلاء من الله ليس لانه لا يعلم بل لحكمة اخرى وهى ان الله تعالى عالم بما هم عليه
لكنه اراد اظهار الامر لغيره من الملائكة والانبيا كما ان السيد اذا علم من عبده المخالفة وعزم على معاقبته
على مخالفته وعنده غيره من العبيد او غيرهم فيامره بامر عالما بانه يخالف لكى يتبين الامر عند الغير فتقع
المعاقبة على احسن الوجوه حيث لا يقع لاحد انه يظلم وقوله وزلزلوا زلزالا شديدا اى ازعجوا وحركوا حركة
شديدة فمن ثبت منهم كان من الذين ذكر الله وجلت قلوبهم ثم قال واذ يقول المنافقون معتب بن قشير
وقيل عبد الله بن ابى واصحابه والذين فى قلوبهم مرض شك وضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله الا
غرورا وهذا تفسير للظنون وبيان لها فظن المنافقون ان ما قال الله ورسوله كان زورا ووعدا كان غرورا
حيث ظنوا بان الغلبة واقعة لهم بعد ما قال محمد فتح قصور الشام وفارس واحدنا لا يستطيع ان يجاوز رحله
هذا والله الغرور **قوله تعالى** واذ قالت طائفة منهم اى من المنافقين وهم اوس بن قيظى واصحابه يا اهل
يثرب يعنى المدينة قال ابو عبيد يثرب اسم ارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ناحية منها وفى
بعض الاخبار ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى ان تسمى المدينة يثرب وقال هى طابة كانه كره هذه اللفظة وقال
اهل اللغة يثرب اسم المدينة وقيل اسم البقعة التى فيها المدينة وامتناع صرفها اما للعلمية والوزن او العلمية
والتانيث واما يترب بالتاء المثناة وفتح الرا فموضع اخر باليمن قال الشاعر
وعدت وكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب اخاه بيثرب وقال وقد وعدتك موعدا الوفيت
مواعيد عرقوب اخاه بيترب **قوله تعالى** لا مقام لكم قرا حفص وابو عبد الرحمن السلمى بضم الميم نافع وابن عامر
بضم ميمه ايضا فى الدخان فى قوله ان المتقين فى مقام ولم يختلف فى الاول انه بالفتح وهو ومقام كريم
والباقون بفتح الميم فى الموضعين والضم والفتح مفهومان من سورة مريم عند قوله خير مقاما فمعنى الفتح
لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه ومعنى الضم لا اقامة لكم فارجعوا الى منازلكم عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل عن القتال الى منازلكم ويستاذن فريق منهم النبى وهم بنو حارثة وبنو سلمة يقولون ان بيوتنا عورة
اى خالية ضائعة وهى مما يلى العدو ونخشى عليها السراق **قوله** عورة اى ذات عورة وقيل منكشفة اى قصيرة
الجدران للسارق قال الشاعر له الشدة الاولى اذا القرن اعورا وقرا ابن عباس وابن يعمر وقتادة وابو
رجا وابو حيوة واخرون عورة بكسر الواو وكذلك وما هى بعورة وهى اسم فاعل يقال عور المنزل يعور عورا
وعورة فهو عور وبيوت عورة قال ابن جنى تصحيح الواو شاذ يعنى حيث تحركت وانفتح ما قبلها ولم تقلب
الفا وفيه نظر لان شرط ذلك فى الاسم الجارى على الفعل ان يعتل فعله نحو مقام ومقال واما هذا ففعله
صحيح نحو عور واتما صح من عور وبابه واعور المنزل بدت عورته واعور الفارس بدا منه خلل المضرب قال
الشاعر متى تلقهم لم تلق فى البيت معورا ولا الضيف مسجورا ولا الجار مرسلا ثم كذبهم الله تعالى فقال وما
هى بعورة ان يريدون ما يريدون الا فرارا **قوله تعالى** ولو دخلت عليهم من اقطارها اى ولو دخل عليهم المدينة
او البيوت يعنى هولا الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الاحزاب من اقطارها جوانبها ونواحيها والاقطار
جمع قطر بضم القاف وهو الناحية وفيه لغة قتر واقتار بالتاء والقطر الجانب ايضا ومنه قطرته اى القيته

على قطره يقطره اى وقع عليه قال: قد علمت سلمى وجاراتها * ما قطر الفارس الا انا * وفي المثل الانفاض يقطر الجلب
تفسيره ان القوم اذا انفضوا اى فنى زادهم احتاجوا الى جلب الابل وسمى القطر قطرا لسقوطه قوله تعالى ثم سئلوا
قرأ مجاهد سوئلوا بواو ساكنة بعد السين المضمومة كقوتلوا وحكى ابو زيد سيلوا بين الياء والواو والحسن سولوا بواو
ساكنة فقط فاحتملت وجهين احدهما ان يكون اصلها سئلوا كالعامة ثم خففت الكسرة فسكنت كقولهم
في ضرب بالكسر ضرب بالسكون فسكنت الهمزة بعد ضمة فقلبت واوا نحو بوس في بؤس والثاني ان يكون من
لغة الواو ونقل عن ابى عمرو انه قرأ سيلوا بياء ساكنة نحو كسرة نحو قيلوا الفتنة لأتوها قرأ نافع وابن كثير بالقصر بمعنى لجاؤها
وغشوها والباقون بالمد بمعنى لاعطوها ومفعوله الثانى محذوف تقديره لاتوها السائلين والمعنى ولو دخلت
البيوت او المدينة من جميع نواحيها ثم سئل اهلها الفتنة لم يمتنعوا من اعطائها وقراءة المد تستلزم قراءة القصر
من غير عكس بهذا المعنى الخاص قوله تعالى الا يسيرا اى الا تلبثا او الا زمانا يسيرا وكذلك قوله الا قليلا اى
الا تمتعا او الا زمانا قليلا فصل دلت الاية على ان ذلك الفرار والرجوع ليس لحفظ البيوت لان من يفعل
فعلا لغرض فاذا فاته الغرض لا يفعله فقال تعالى ثم قالوا ان رجوعنا عنك لحفظ بيوتنا ولو دخلها الاحزاب
واخذوها منهم لرجعوا ايضا فليس رجوعهم عنك الا بسبب كفرهم وحبهم الفتنة وهى الشرك وما تلبثوا بها
اى ما تلبثوا بالمدينة او البيوت الا يسيرا وان المؤمنين يخرجونهم قاله الحسن وقيل ما تلبثوا اى ما
احتبسوا عن الفتنة وهى الشرك الا يسيرا ولأسرعوا الاجابة الى الشرك طيبة به انفسهم وهذا قول
اكثر المفسرين قوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل اى من قبل غزوة الخندق لا يولون الادبار
عدوهم اى لا ينهزمون قال يزيد بن رومان هم بنو حارثة هموا يوم الخندق ان يفشلوا مع بنى سلمة
فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها * وقال قتادة هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر
ورأوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة وقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله اليهم
ذلك * وقال مقاتل والكلبى هم سبعون رجلا بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وقالوا
اشترط لنفسك ولربك ما شئت فقال النبى صلى الله عليه وسلم اشترط لربى ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا
واشترط لنفسى ان تمنعونى مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم واولادكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا
يا رسول الله قال لكم النصر فى الدنيا والجنة فى الاخرة قالوا قد فعلنا فذلك عهدهم وهذا القول ليس
بمرضى لان الذين بايعوا ليلة العقبة كانوا سبعين لم يكن فيهم شاك ولا من يقول مثل هذا القول
وانما الاية فى قوم عاهدوا الله ان يقاتلوا ولا يفروا فنقضوا العهد وهذا بيان لفساد سريرتهم وقبح سيرتهم
لنقضهم العهود فانهم قبل ذلك تخلفوا واظهروا عذرا وندما ثم عاهدوا ثم نقضوا وكان عهد الله مسؤولا اى
مسؤولا عنه قوله تعالى لا يولون جواب لقوله عاهدوا لانه فى معنى اقسموا وجاء على حكاية اللفظ فجاء بلفظ
الغيبة ولو جاء على حكاية المعنى لقيل لا نولى والمفعول الاول محذوف اى لا يولون العدو الادبار وقال
ابو البقاء ويقرأ بتشديد النون وحذف الواو على تأكيد جواب القسم * قال شهاب الدين ولا اظن هذا
الا غلطا منه وذلك انه اما ان يقرأ مع ذلك بلا النافية او بلام التأكيد والاول لا يجوز لان المضارع
المنفى بلا لا يؤكد بالنون الا ما ندر مما لا يقاس عليه والثانى فاسد المعنى قوله تعالى ان فررتم جوابه
محذوف لدلالة النفى قبله عليه او متقدم عند من يرى ذلك قوله تعالى واذا لا تمتعون اذا جواب
وجزاء ولما وقعت بعد عاطف جاءت على الاكثر وهو عدم اعمالها ولم يشذ هنا ما شذ فى الامر فلم يقرأ بالنصب
والعامة على الخطاب فى تمتعون وقرئ بالغيبة فصل المعنى قل لهم لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت
او القتل الذى كتب عليكم لان من حضر اجله مات او قتل واذا لا تمتعون الا قليلا اى لا تمتعون بعد الفرار
الا مدة آجالكم وهى قليل وهذا اشارة الى ان الامور مقدرة لا يمكن الفرار مما قدره الله لانه كائن لا محالة
فلو فررتم لما دمتم بل لا تمتعون الا قليلا وهو ما بقى من آجالكم فالعاقل لا يرغب فى شىء قليل يفوت
عليه شيئا كثيرا قوله تعالى من ذا الذى تقدم فى البقرة * قال الزمخشرى فان قلت كيف جعلت الرحمة
قرينة السوء فى العصمة ولا عصمة الا من السوء قلت معناه او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجرى
مجرى قوله * متقلدا سيفا ورمحا * او حمل الثانى على الاول لما فى العصمة من معنى المنع قال ابو حيان اما الوجه
الاول ففيه حذف جملة لا ضرورة تدعو الى حذفها والثانى هو الوجه لا سيما اذا قدر مضاف محذوف
اى يمنعكم من مراد الله قال شهاب الدين واين الثانى من الاول ولو كان معه حذف جمل فصل
المعنى من ذا الذى يمنعكم من الله ان اراد بكم سوءا هزيمة او اراد بكم رحمة نصرة وهذا بيان لما تقدم
من قوله لن ينفعكم الفرار وقوله ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تقرير لقوله من ذا الذى

يعصمكم

يعصمكم من الله اى ليس لكم ولى يشفع اى قريب ينفعكم ولا نصير ينصركم ويدفع عنكم السوء اذا اتاكم قوله تعالى قد يعلم
الله المعوقين منكم المثبطين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ارجعوا الينا
ودعوا محمدا فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك قال قتادة هم ناس من المنافقين كانوا يثبطون
انصار النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون لاخوانهم ان محمدا واصحابه لو كانوا لحما لالتهمهم اى ابتلعهم ابو سفيان
واصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقال مقاتل نزلت فى المنافقين وذلك ان اليهود ارسلوا الى المنافقين فقالوا ما الذى
يحملكم على قتل انفسكم بيد ابى سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم فى هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا وانا
نشفق عليكم انتم اخواننا وجيراننا هلم الينا فاقبل عبد الله بن ابى واصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم
بابى سفيان ومن معه قالوا لئن قدروا عليكم لم يستبقوا احدا ما ترجعون من محمد ما عنده خير ما هو الا ان
يقتلنا ههنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعنى اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا قوله تعالى
هلم تقدم الكلام فيه اخر الانعام وهو هنا لازم وهناك متعد لنصبه مفعوله وهو شهداءكم يعنى احضروهم
وههنا بمعنى احضروا وتعالوا وكلام الزمخشرى هنا يؤذن بانه متعد ايضا وحذف مفعوله بانه قال وهلموا
الينا اى قربوا انفسكم الينا قال وهى صوت سمى به فعل متعد مثل احضر وقرب وفى تسميته اياه صوتا نظر اذ
اسماء الاصوات محصورة ليس هذا منها ولا يجمع فى لغة الحجاز ويجمع فى غيرها فيقال للجماعة هلموا وللنساء هلممن
قوله تعالى ولا يأتون البأس الحرب الا قليلا رياء وسمعة اى لا يقاتلون معكم ويتعللون عن الاشتغال بالقتال
وقت الحضور معكم ولو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيرا قوله تعالى اشحة العامة على نصبه وفيه وجهان
احدهما انه منصوب على الشتم والثانى على الحال وفى العامل فيه اوجه * احدها ولا يأتون قاله الزجاج * الثانى
هلم الينا قاله الطبرى * الثالث يعوقون مضمرا قاله الفراء * الرابع المعوقين * الخامس القائلين ورد هذان
الوجهان الاخيران بان فيهما الفصل بين ابعاض الصلة باجنبى وفى الرد نظر لان الفاصل بين ابعاض الصلة من
متعلقاتها وانما يظهر الرد على الوجه الرابع لانه قد عطف على الموصول قبل تمام صلته فتأمله فانه حسن واما
بانه معترض والمعترض لا يمنع من ذلك وقرأ ابن ابى عبلة اشحة بالرفع على خبر ابتداء مضمر اى هم اشحة واشحة
جمع شحيح وهو جمع لا ينقاس اذ قياس فعيل الوصف الذى عينه ولامه من واد واحد ان يجمع على افعلاء نحو خليل واخلاء وظنين
واظناء وضنين واضناء وقد سمع اشحاء وهو القياس والشح البخل وتقدم فى آل عمران فصل المعنى اشحة عليكم بخلاء
بالنفقة فى سبيل الله والنصرة وقال قتادة بخلاء عند الغنيمة وصفهم الله بالبخل والجبن فقال فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون
اليك تدور اعينهم فى الرؤوس من الخوف والجبن كالذى يغشى عليه من الموت اى كدوران عين الذى يغشى عليه
من الموت وذلك ان من قرب من الموت وغشيته اسبابه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف * واعلم ان البخل
سبب الجبن فلما ذكر البخل بين سببه وهو الجبن لان الجبان يبخل بماله ولا ينفقه فى سبيل الله لانه لا يتوقع الظفر
فلا يرجو الغنيمة فيقال هذا انفاق لا بدل له فيتوقف فيه واما الشجاع فيتيقن الظفر والاغتنام فيهون عليه
اخراج المال فى القتال طمعا فيما هو اضعاف ذلك قوله تعالى ينظرون فى محل حال من مفعول رأيتهم لان الرؤية
بصرية قوله تعالى تدور حال ثانية واما حال من ينظرون قوله تعالى كالذى يغشى عليه من الموت الثانى
انه نعت مصدر مقدر لقوله ينظرون تقديره ينظرون اليك نظرا كالذى يغشى عليه من الموت ويؤيده الاية
الاخرى ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت الثالث انه نعت لمصدر مقدر ايضا لتدور اى دورا
مثل دوران عين الذى وهو فى الوجهين مصدر تشبيهى قوله تعالى فاذا ذهب الخوف سلقوكم اى اذوكم
ورموكم فى حالة الامن بالسنة حداد ذربة جمع حديد يقال للخطيب الفصيح الذرب اللسان مسلق ومصلق
وسلاق وصلاق وقال الشاعر * فصلقنا فى مراد صلقة * وصداء الحقتهم بالثلل * وقال ابن عباس سلقوكم اى عضهوكم
وتناولوكم بالنقص والغيبة * وقال قتادة يبسطون السنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة ويقولون اعطونا فانا
شهدنا معكم القتال وبسيفنا احق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة اشح قوم وعند البأس احسن قوم فصل
يقال سلقه اى اجترأ عليه فى خطابه وخاطبه مخاطبة بليغة واصله البسط ومنه سلق امرأته اى بسطها وجامعها
قال مسيلمة لسجاح لعنهما الله تعالى * الا هبى الى المخدع * فان شئت سلقناك * وان شئت على اربع * والسليقة
الطبيعة المباينة والسليق المطمئن من الارض واشحة نصب على الحال من فاعل سلقوكم وابن ابى عبلة بالرفع على
ما تقدم فى اختها وقوله على الخير قيل الخير المال اى عند الغنيمة يشاحون المؤمنين ويمكن ان يقال معناه انهم
قليلوا الخير فى الحالتين كثيروا الشر فى اليومين فى الاول يتخلفون وفى الاخر كذلك قوله تعالى اولئك لم يؤمنوا
فاحبط الله اعمالهم اى لم يؤمنوا حقيقة وان اظهروا الايمان لفظا فاحبط الله اعمالهم التى كانوا يأتون بها مع
المسلمين * وقال مقاتل ابطل الله جهادهم وكان ذلك على الله يسيرا وهذا اشارة الى ما يكون فى نظر الناظر كقوله

تعالى وهو أهون عليه **قوله تعالى** يحسبون يجوز أن يكون مستأنفا أي هم من الخوف بحيث أنهم لا يصدقون أن الأحزاب
لم يذهبوا عنهم ويجوز أن يكون حالا من أحد الضمائر المتقدمة إذا صح المعنى بذلك ولو بعد العامل قاله أبو البقاء **قوله تعالى**
المعنى يحسبون أي هؤلاء المنافقين يحسبون الأحزاب يعني قريشا وغطفان واليهود لم يذهبوا لم ينصرفوا عن قتالهم
من غاية الجبن عند ذهابهم كأنهم غائبون حيث لا يقاتلون كقوله تعالى ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا وإن يأت
الأحزاب أي يرجعون إليهم للقتال بعد الذهاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب أي يتمنوا لو كانوا في بادية مع
الأعراب من الخوف والجبن **قوله تعالى** بادون هذه قراءة العامة جمع باد وهو المقيم بالبادية يقال بدا يبدو
بداوة إذا خرج إلى البادية وقرأ عبد الله وابن عباس وطلحة وابن يعمر بدى بضم الباء وتشديد الدال مقصورا
كغاز وغزى وسار وسرى وليس بقياس وإنما قياسه في التكسير بداة كقاض وقضاة ولكن حمل على الصحيح كقولهم
ضرب وروى ابن عباس أيضا قراءة ثانية بدى بزنة عدى وثالثة بدوا فعلا ماضيا **قوله تعالى** يسألون يجوز أن
يكون مستأنفا وأن يكون حالا من فاعل يحسبون والعامة على سكون السين بعدها همزة ونقل ابن عطية عن
أبي عمرو وعاصم بنقل حركة الهمزة إلى السين كقوله سل بني إسرائيل وهذه ليست بالمشهورة عنهما ولعلها نقلت
عنهما شاذة وإنما هي معروفة بالحسن والأعمش وقرأ زيد بن علي والجحدري وقتادة والحسن يساءلون بتشديد
السين والأصل يتساءلون فأدغم أي يسأل بعضهم بعضا **قوله تعالى** يسألون عن أنبائكم أخباركم وما آل إليه
أمركم ولو كانوا يعني هؤلاء المنافقين فيكم ما قاتلوا إلا قليلا أي يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم فيقولون
قد قاتلنا قال الكلبي إلا قليلا أي رميا بالحجارة وقال مقاتل إلا رياء وسمعة من غير احتساب **قوله تعالى** لقد
كان لكم في رسول الله أسوة حسنة قرأ عاصم أسوة بضم الهمزة حيث وقعت هذه اللفظة والباقون بكسرها وهما
لغتان كالعدوة والعدوة والقدوة والقدوة والأسوة بمعنى الاقتداء أي قدوة صالحة وهي اسم وضع موضع
المصدر وهو الائتساء فالأسوة من الائتساء كالقدوة من الاقتداء بفلان أي اقتدى به وأسوة اسم
كان وفي الخبر وجهان أحدهما هو لكم فيجوز في الجار الآخر وجوه التعلق بما يتعلق به الخبر أو بمحذوف على أنه حال
من أسوة إذ لو تأخر لكان صفة أو بكان على مذهب من يراه الثاني أن الخبر هو في رسول الله ولكم على ما تقدم
في في رسول الله أو يتعلق بمحذوف على التبيين أعني لكم **قوله تعالى** لمن كان يرجو فيه أوجه أحدها أنه بدل من
الكاف في لكم قاله الزمخشري ومنعه أبو البقاء وتابعه أبو حيان قال أبو البقاء وقيل هو بدل من ضمير المخاطب
بإعادة الجار ومنع منه الأكثرون لأن ضمير المخاطب لا يبدل منه وقال أبو حيان قال الزمخشري بدل من لكم
كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم قال ولا يجوز على مذهب جمهور البصريين أن يبدل من ضمير المتكلم ولا من
ضمير المخاطب بدل شيء من شيء وهما لعين واحدة وأجاز ذلك الكوفيون والأخفش وأنشد
بكم قريش كفينا كل معضلة * وأم نهج الهدى من كان ضليلا * قال شهاب الدين لا نسلم أن هذا بدل شيء من شيء
وهما لعين واحدة بل بدل بعض من كل باعتبار الواقع لأن الخطاب في قوله لكم أعم من من كان يرجو الله وغيره ثم
خصص ذلك العموم لأن المتأسي به عليه السلام في الواقع إنما هم المؤمنون ويدل على ما قلته ظاهر تشبيه الزمخشري
هذه الآية بآية الأعراف وآية الأعراف البدل فيها بدل كل من كل ويجاب بأنه إنما قصد التشبيه في مجرد إعادة
العامل الثاني أن يتعلق بأسوة قال لأنها قد وصفت وكثيرا أي ذكرا كثيرا **قوله تعالى** لقد كان لكم في رسول
الله أسوة حسنة أي قدوة صالحة أي تنصروا دين الله وتوازروا الرسول ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على
ما يصيبكم كما فعل هو إذ كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه وأوذي بضروب من الأذى فواساكم مع ذلك
بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضا واستنوا بسنته لمن كان يرجو الله وهذا تخصيص بعد التعميم للمؤمنين
يعني أن الأسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجو الله واليوم الآخر قال ابن عباس يرجو ثواب الله وقال
مقاتل يخشى الله واليوم الآخر أي يخشى يوم البعث الذي فيه جزاء الأعمال وذكر الله كثيرا في جميع المواطن على السراء
والضراء ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب فقال ولما رأى المؤمنون الأحزاب لما بين حال المنافقين
وقولهم لما رأوا الأحزاب فالآن ذكر حال المؤمنين وقولهم لما رأوا الأحزاب قالوا التسليما لأمر الله ونصرة [illegible]
بوعده وهو قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله أي من الابتلاء ثم قالوا وصدق الله ورسوله في مقابلة قولهم
وما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وقولهم وصدق الله ليس إشارة إلى ما وقع فإنهم كانوا يعرفون صدق الله
قبل الوقوع وإنما هو إشارة إلى البشارة وهو أنهم قالوا هذا ما وعدنا الله وقد وقع وصدق الله في جميع ما وعد
فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وما زادهم إلا إيمانا وتسليما عند وجوده ووعد الله إياهم ما ذكر في
سورة البقرة أم حسبتم أن تدخلوا الجنة إلى قوله ألا إن نصر الله قريب فالآية تتضمن أن المؤمنين يلحقهم
مثل ذلك البلاء فلما رأوا الأحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله

وما زادهم إلا إيمانا وتسليما أي تصديقا بقاء الله وتسليما لأمر الله **قوله تعالى** وصدق الله ورسوله من تكرير الظاهر تعظيما
كقوله ألا الموت لا يسبق الموت شيء ولأنه لو أعاد مضمرين لجمع بين اسم الباري تعالى واسم رسوله في لفظة
واحدة فكان يقال وصدقا والنبي صلى الله عليه وسلم قد كره ذلك ورد على من قاله حيث قال من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له بئس خطيب القوم أنت قل ومن يعص الله ورسوله قصدا إلى تعظيم الله
وقيل إنما رد عليه لأنه وقف على يعصهما وعلى الأول يستشكل بعضهم قوله حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما
فقد جمع بينهما في ضمير واحد وأجيب بأن النبي صلى الله عليه وسلم أعرف بقدر الله منا فليس لنا أن نقول كما يقول
قوله تعالى وما زادهم فاعل زادهم ضمير الوعد أي ما زادهم وعد الله أو الصدق وقال مكي ضمير النظر لأن قوله
لما رأى بمعنى لما نظر وقال أيضا ضمير الرؤية وإنما ذكر لأن تأنيثها غير حقيقي ولم يذكر غيرهما وهذا أعجب منه حيث
حجر واسعا مع الغنية عنه وقرأ ابن أبي عبلة وما زادوهم بضمير الجمع ويعود للأحزاب لأن النبي صلى الله عليه
وسلم أخبرهم أن الأحزاب تأتيهم بعد عشر أو تسع **قوله تعالى** من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
ووفوا به **قوله** صدقوا صدق يتعدى لاثنين ثانيهما بحرف الجر ويجوز حذفه ومنه المثل صدقني سن بكره أي
في سن والآية يجوز أن تكون من هذا والأول محذوف أي صدقوا الله فيما عاهدوا الله عليه ويجوز أن يتعدى
لواحد كقولك صدقني زيد وكذبني عمرو أي قال لي الصدق وقال لي الكذب ويكون المعاهد عليه مصدقا مجازا
كأنهم قالوا للشيء المعاهد عليه سنفي بك وقد فعلوا وما بمعنى الذي ولذلك عاد عليها الضمير في عليه وقال
مكي ما في موضع نصب بصدق وهي والفعل مصدر تقديره صدقوا العهد أي وفوا به وهذا يرده عود الضمير إلا أن
الأخفش وابن السراج يذهبان إلى اسمية ما المصدرية **قوله تعالى** قضى نحبه النحب ما التزمه الإنسان
واعتقد الوفاء به قال * قد الحارثيون بعد ما قضى نحبه * في ملتقى القوم هوبر * وقال
بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا * عشية بسطام جرين على نحب * أي على أمر عظيم ولهذا يقال نحب فلان أي نذر
نذرا التزمه ويعبر به عن الموت كقولهم قضى أجله لما كان الموت لا بد منه جعل كالشيء الملتزم والنحيب البكاء معه
صوت والنحاب السعال **فصل** قال المفسرون معنى صدقوا ما عاهدوا الله عليه أي وفوا بعهدهم الذي عاهدوا
الله فمنهم من قضى نحبه أي فرغ من نذره ووفى بعهده فصبر على الجهاد وقاتل حتى قتل والنحب النذر قال مقاتل قضى
نحبه أجله فقتل على الوفاء يعني حمزة وأصحابه وقيل قضى نحبه أي بذل جهده في الوفاء بالعهد من قول العرب نحب
فلان في سيره يومه وليلته أجمع إذا مد فلم ينزل ومنهم من ينتظر الشهادة يعني من بقي من المؤمنين ينتظرون
أحد الأمرين إما الشهادة أو النصر وما بدلوا تبديلا بخلاف المنافقين فإنهم قالوا لا نولي الأدبار وبدلوا قولهم وولوا
أدبارهم **قوله تعالى** ليجزي الله فيها وجهان أحدهما أنها لام العلة والثاني أنها لام الصيرورة وفيما يتعلق به أوجه
إما بصدقوا وإما بزادهم وإما بما بدلوا وعلى هذا قال الزمخشري جعل المنافقون كأنهم قصدوا عاقبة السوء
وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لأن كلا الفريقين مسوق إلى عاقبة من
الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبها والسعي لتحصيلها والمعنى ليجزي الله الصادقين بصدقهم أي جزاء
صدقهم وهو الوفاء بالعهد ويعذب المنافقين إن شاء أي الذين كذبوا وأخلفوا وقوله إن شاء ذلك بأن يميتهم
من الإيمان أو يتوب عليهم إن أرادوا وجواب إن شاء مقدر وكذلك مفعول شاء أي إن شاء تعذيبهم
عذبهم **فإن قيل** عذابهم متحتم فكيف يصح تعليقه على المشيئة وهو قد شاء تعذيبهم إذا ماتوا على النفاق فأجاب
ابن عطية بأن تعذيب المنافقين ثمرة إدامتهم الإقامة على النفاق إلى موتهم والتوبة موازية لتلك الإقامة
وثمرة التوبة تركهم دون عذاب فهما درجتان إقامة على نفاق أو توبة منه وعنهما ثمرتان تعذيب أو رحمة
فذكر تعالى على جهة الإيجاز واحدة من هاتين ودل ما ذكر على ما ترك ذكره ويدل على أن معنى قوله ليعذب
ليديم على النفاق قوله إن شاء ومعادلته بالتوبة وحرف أو وقال أبو حيان وكأن ما ذكر يؤول إلى أن التقدير
ليقيموا على النفاق فيموتوا عليه إن شاء فيعذبهم أو يتوب عليهم فيرحمهم فحذف سبب التعذيب وأثبت
المسبب وهو التعذيب وأثبت سبب الرحمة والغفران وحذف المسبب وهو الرحمة والغفران وقال ابن
الخطيب إنما قال ذلك حيث لم يكن قد حصل يأس النبي صلى الله عليه وسلم عن إيمانهم وآمن بعد ذلك منهم
ناس وكان الله غفورا حيث ستر ذنوبهم ورحيما حيث رحمهم ورزقهم الإيمان فيكون هذا فيمن آمن بعد أو نقول
ويعذب المنافقين مع أنه كان غفورا رحيما لكثرة ذنوبهم وقوة جرمهم ولو كان دون ذلك لغفر لهم ثم بين
بعض ما جزاهم الله على صدقهم فقال ورد الله الذين كفروا بغيظهم وهم قريش وغطفان بغيظهم لم يشف
صدورهم بنيل ما أرادوا لم ينالوا خيرا ظفرا وكفى الله المؤمنين القتال بالملائكة والريح أي لم يحوجهم إلى القتال
وكان الله قويا في ملكه عزيزا لا يحتاج إلى الغنا لم عزيزا في انتقامه قادرا على استئصال الكفار **قوله تعالى** بغيظهم

يجوز ان تكون الباء سببية وهو الذي عبر عنه ابو البقاء بالمفعول اي انها معدية، والثاني ان تكون للمصاحبة فتكون
حالا اي مغيظين. **قوله تعالى** لم ينالوا خيرا حال ثانية او حال من الحال الاولى فهي متداخلة ويجوز ان تكون
حالا من الضمير المجرور بالاضافة وجوز الزمخشري فيها ان تكون بيانا للحال الاولى او مستانفة ولا يظهر
البيان الا على البدل والاستيناف بعيد. **قوله تعالى** وانزل الذين، اي وانزل الذين ظاهروهم اي عاونوا
الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وهم بنو قريظة. **قوله تعالى** من اهل
الكتاب بيان للموصول فيتعلق بمحذوف ويجوز ان يكون حالا ومن صياصيهم متعلق بانزل ومن لابتداء الغاية
والصياصي جمع صيصية وهي الحصون والمعاقل ويقال لكل ما يمتنع به ويتحصن صيصية ومنه قيل لقرن
الثور ولشوكة الديك صيصية والصياصي ايضا شوك الحاكة ويتخذ من حديد قال دريد بن الصمة،
كوقع الصياصي في النسيج الممدد. **قوله تعالى** وقذف في قلوبهم الرعب، حتى سلموا انفسهم للقتل واولادهم ونساءهم
للسبي. **قوله تعالى** فريقا تقتلون، فريقا منصوب بما بعده وكذلك فريقا بما قبله والجملة مبينة ومقررة لقذف
الله الرعب في قلوبهم والعامة على الخطاب في الفعلين وابن ذكوان في رواية بالغيبة فيهما واليماني بالغيبة
فقط وابو حيوة تاسرون بضم السين. **فان قيل** ما فائدة تقديم المفعول في الاول حيث قال فريقا تقتلون
وتاخيره حيث قال وتاسرون فريقا. **فالجواب** ان القائل يبدا بالاهم فالاهم والاقرب فالاقرب والرجال
كانوا مشهورين وكان القتل واردا عليهم والاسرا كانوا هم النساء والذراري ولم يكونوا مشهورين والسبي
والاسر اظهر من القتل لانه يبقى فيظهر لكل احد انه اسير فقدم من المحلين ما هو اشهر على الفعل القائم به
ومن الفعلين ما هو اشهر قدمه على المحل الخفي ووجه اخر وهو ان قوله فريقا تقتلون فعل ومفعول والاصل
في الجمل الفعلية تقديم الفعل على المفعول والفاعل اما انها جملة فعلية فلانها لو كانت اسمية لكان الواجب
في فريق الرفع كانه يقول فريق منهم يقتلونهم فلما نصب كان ذلك بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره
يقتلون فريقا يقتلون والحامل على مثل هذا الكلام شدة الاهتمام ببيان المفعول وههنا كذلك لانه تعالى
لما ذكر حال الذين ظاهروهم وانه قذف في قلوبهم الرعب فلو قال يقتلون اوهم ان يسمع السامع مفعول
يقتلون يكون زمان وقد يمنعه مانع فيفوته فلا يعلم ايهم هم المقتولون فاما اذا قال فريقا سبق في قلوبهم
الرعب الى سمعهم فيستمع الى تمام الكلام واذا كان الاول فعلا ومفعولا قدم المفعول لفائدة عطف الجملة الثانية
عليها على الاصل بتقديم الفعل لزوال موجب التقديم اذ اعرف حالهم وما يجي بعده فيكون مصروفا اليهم
فلو قال بعد ذلك وفريقا تاسرون فمن سمع فريقا ربما يظن انه يقال فيهم يطلقون او لا يقدرون عليهم
فكان تقديم الفعل ههنا اولى وكذا الكلام في قوله وانزل الذين وقوله وقذف فانه قال قذف الرعب قبل الانزال
لان الرعب صار سبب الانزال ولكن لما كان الفرح في انزالهم اكثر قدم الانزال على قذف الرعب والله اعلم
فصل فريقا تقتلون هم الرجال قيل كانوا ستمائة وتاسرون فريقا وهم النساء والذراري قيل كانوا سبعمائة
وخمسين وقيل تسعمائة واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤوها بعد. قال ابن زيد ومقاتل يعني
خيبر وقال قتادة كنا نحدث انها مكة وقال الحسن فارس والروم وقيل القلاع وقال عكرمة كل ارض تفتح
الى يوم القيامة. **قوله تعالى** لم تطؤوها الجملة صفة لارضا والعامة على همزة مضمومة بعدها واو ساكنة مضارع وطئ
وزيد بن علي تطوها بواو بعد طاء مفتوحة ووجهها انه ابدل الهمزة الفا على غير قياس كقوله
ان الاسود لتهدي في مرابضها، فلما ابدلت الواو والتقى ساكنان فحذف اولهما نحو لم تروها وهذا احسن من ان
يقول تراجري الالف المبدلة من الهمزة مجرى الالف المتاصلة فحذفها جزما لان الاحسن هناك ان لا تحذف
اعتدادا باصلها واستشهد بعضهم على الحذف بقول زهير، جري متى يظلم يعاقب بظلمه،
سريعا والا يبد بالظلم يظلم. **قوله تعالى** وكان الله على كل شيء قديرا هذا يؤكد قول من قال ان المراد من قوله
وارضا لم تطؤوها ما سيوجد بعد بني قريظة لان الله تعالى لما ملكهم تلك البلاد ووعدهم بغيرها دفع استبعاد
من لا يكون قوي الاتكال على الله تعالى وقال ليس الله ملككم هذه فهو على كل شيء قدير يملككم غيرها. وروى
ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده اعز جنده ونصر عبده وغلب
الاحزاب وحده فلا شيء بعده. **قوله تعالى** يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا الاية وجه
التعلق هو ان مكارم الاخلاق منحصرة في شيئين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله والى هذا اشار
عليه السلام بقوله الصلاة وما ملكت ايمانكم فالله تعالى لما ارشد نبيه الى ما يتعلق بجانب التعظيم
لله بقوله يا ايها النبي اتق الله ذكر ما يتعلق بجانب الشفقة وبدا بالزوجات فانهن اولى الناس بالشفقة
ولهذا قدمهن في النفقة. **فصل** قال المفسرون سبب نزول هذه الاية ان نساء النبي صلى الله عليه

وسلم سالنه من عرض الدنيا شيئا وطلبن منه زيادة في النفقة واذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول
الله صلى الله عليه وسلم والى ان لا يقربهن شهرا ولم يخرج الى اصحابه فقالوا ما شانه وكانوا يقولون طلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لاعلمن لكم شانه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله اطلقتهن قال لا فقلت يا رسول الله اني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم نساءه افانزل فاخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فقمت على باب المسجد فناديت باعلى صوتي لم يطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الاية واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه
الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت انا استنبطت ذلك الامر وانزل الله
اية التخيير وكانت تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمس من قريش، عائشة بنت ابي بكر، وحفصة
بنت عمر، وام حبيبة بنت ابي سفيان، وام سلمة بنت ابي امية، وسودة بنت زمعة، وغير القرشيات، زينب بنت
جحش الاسدية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية، وجويرية بنت الحارث
المصطلقية، فلما نزلت اية التخيير بدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرا
عليها القران فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة ورئي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتابعنها على ذلك وقصره عليهن فقال لا يحل لك النساء من بعد. وعن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر يستاذن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لاحد منهم قال فاذن لابي بكر فدخل ثم اقبل
عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا قال فقال لاقولن شيئا
اضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رايت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها فوجات
عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عائشة يجا
عنقها وقام عمر الى حفصة يجا عنقها كلاهما يقول تسالن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ابدا ليس عنده ثم
اعتزلهن شهرا او تسعا وعشرين يوما ثم نزلت هذه الاية يا ايها النبي قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما
قال فبدا بعائشة فقال يا عائشة اني اعرض عليك امرا لا احب ان تعجلي فيه حتى تستشيري ابويك قالت وما هو
يا رسول الله فتلا عليها الاية فقالت افيك يا رسول الله استشير ابوي بل اختار الله ورسوله والدار الاخرة واسالك
ان لا تخبر امراة من نسائك بالذي قلت قال لا تسالني امراة منهن الا اخبرتها ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن
بعثني معلما ميسرا، وروى الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم اقسم ان لا يدخل على ازواجه شهرا قال الزهري فاخبرني
عروة عن عائشة قالت فلما مضت تسع وعشرون اعدهن دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت بدا بي
فقلت يا رسول الله انك اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين اعدهن فقال ان الشهر
تسع وعشرون. **فصل** اختلف العلماء في هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار اليهن
ام لا فذهب الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا
فارقهن لقوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن ويدل عليه انه لم يكن جوابهن على الفور فانه قال لعائشة
لا تعجلي حتى تستشيري ابويك وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب اخرون الى انه كان تفويض
طلاق ولو اخترن انفسهن كان طلاقا. واختلف العلماء في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس اذا خير
الرجل امراته فاختارت زوجها لا يقع شيء ولو اختارت نفسها وقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن
ابي ليلى وسفين والشافعي واصحاب الراي الا ان عند اصحاب الراي يقع طلقة بائنة اذا اختارت نفسها وعند
الاخرين رجعية. وقال زيد بن ثابت اذا اختارت الزوج يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول
الحسن ورواية عن مالك وروي عن علي ايضا انها اذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها
فطلقة بائنة واكثر العلماء على انها اذا اختارت زوجها لا يقع شيء لما روت عائشة قالت خيرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخترنا الله ورسوله فلم يعد ذلك شيئا. **قوله تعالى** امتعكن واسرحكن العامة على جزمهما وفيه
وجهان احدهما انه مجزوم على جواب الشرط وما بين الشرط وجزائه معترض ولا يضر دخول الفاء على جملة الاعتراض
ومثله في دخول الفاء قوله، واعلم فعلم المرء ينفعه، ان سوف ياتي كل ما قدرا، يريد واعلم ان سوف
ياتي والثاني ان الجواب قوله فتعالين وامتعكن جواب لهذا الامر وقرا زيد بن علي امتعكن بتخفيف التاء من
امتعه وقرا حميد الخزاز امتعكن واسرحكن بالرفع فيهما على الاستيناف وسراحا قائم مقام التسريح **فصل**
قال ابن الخطيب وههنا مسائل منها هل كان هذا التخيير واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم ام لا والجواب ان التخيير
كان قولا واجبا من غير شك لانه ابلاغ للرسالة لان الله تعالى لما قال له قل لهن صار من الرسالة واما التخيير
معنى فمبني على ان الامر للوجوب ام لا والظاهر انه للوجوب، ومنها ان واحدة منهن لو اخترن الفراق هل

كان يصير اختيارها فراقا والظاهر انه لا يصير فراقا وانما تبين المختارة نفسها من جهة النبي عليه السلام لقوله فتعالين
امتعكن واسرحكن سراحا جميلا ومنها ان واحدة منهن لو اختارت نفسها وقلنا انها لا تبين الا بابانة النبي صلى الله
عليه وسلم فهل كان يجب على النبي صلى الله عليه وسلم الطلاق ام لا الظاهر نظرا الى منصب النبي عليه السلام انه كان
يجب لان الخلف في الوعد من النبي غير جائز بخلاف احدنا فانه لا يلزمه شرعا الوفاء بما يعد ومنها ان المختارة
بعد البينونة هل كانت تحرم على غيره ام لا والظاهر انها لا تحرم والا لم يكن التخيير ممكنا لها من التمتع بزينة الدنيا
ومنها ان من اختارت الله ورسوله هل كان يحرم على النبي عليه السلام طلاقها ام لا الظاهر الحرمة نظرا الى منصب الرسول
عليه السلام على معنى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يباشره اصلا لا بمعنى انه لو اتى به لعوقب او عوتب **قوله تعالى**
اعد للمحسنات منكن اي من عمل صالحا منكن كقوله تعالى ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن والاجر العظيم الكبير
الزايد في الطول وفي العرض وفي العمق حتى لو كان زايدا في الطول يقال له طويل ولو كان زايدا في العرض يقال
له عريض وكذلك العميق فاذا وجدت الامور الثلاثة قيل عظيم فيقال جبل عظيم اذا كان عاليا ممتدا في الجهات وان كان
مرتفعا حسب يقال جبل عال اذا عرف هذا فاجر الدنيا في ذاته قليل وفي صفاته غير خال عن جهة قبح لما في ماكوله
ومشروبه من الضرر وغيره وايضا فهو غير دائم واجر الآخرة كثير خال عن جهة القبح دائم فهو عظيم **قوله تعالى**
يا نساء النبي من يأت منكن الآية العامة على يأت بالياء من تحت حملا على لفظ من لان من اداة تقوم مقام الاسم
يعبر به عن الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وزيد بن علي الجحدري ويعقوب بالتاء من فوق حملا على معناها لانه يرشح
بقوله منكن ومنكن حال من فاعل يأت وتقدم القراءة في مبينة بالنسبة لكسر الياء وفتحها في النساء **قوله تعالى**
يضاعف قرأ ابو عمرو يضعف بالياء من تحت والتشديد العين مفتوحة على البناء للمفعول العذاب بالرفع لقيامه
مقام الفاعل وقرأ ابن كثير وابن عامر نضعف بنون العظمة والتشديد العين مكسورة على البناء للفاعل العذاب
بالنصب على المفعول به وقرأ الباقون يضاعف من المفاعلة مبنيا للمفعول العذاب بالرفع لقيامه مقام الفاعل
وقد تقدم توجيه التضعيف والمضاعفة في سورة البقرة **فصل** قال ابن عباس المراد هنا بالفاحشة النشوز
وسوء الخلق وقيل هو كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك واعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خير نساءه واخترن
الله ورسوله اذ بهن الله وهددهن بالتوقي عما يسوء النبي صلى الله عليه وسلم ويقبح من الفاحشة التي هي اصعب
على الزوج من كل ما تاتي به زوجته واوعدهن بتضعيف العذاب وفيه حكمتان احدهما ان زوجة الغير تعذب
على الزنا بسبب ما في الزنا من المفاسد وزوجة النبي تعذب ان اتت به لذلك ولايذا قلبه والازراء بمنصبه
وعلى هذا بنات النبي عليه السلام كذلك ولان امراة لو كانت تحت النبي عليه السلام واتت بفاحشة تكون
قد اختارت غير النبي على النبي ويكون ذلك الغير خيرا عندها من النبي والنبي اولى من النفس التي هي اولى
من الغير فقد نزلت مرتبتين فتعذب من العذاب ضعفين وثانيهما ان هذا اشارة الى شرفهن لان الحرة عذابها
ضعف عذاب الامة اظهارا لشرفها ونسبة النبي الى غيره من الرجال نسبة السادات الى العبيد لكونه اولى بهم
من انفسهم فكذلك زوجاته اللاتي هن امهات المؤمنين وامر الشخص امراة حاكمة عليه واجبة الطاعة
وزوجته مأمورة محكومة وتحت طاعته فصارت زوجة الغير بالنسبة الى زوجة النبي عليه السلام كالامة
بالنسبة الى الحرة واعلم ان قول القائل من يفعل ذلك في قوة قوله لئن اشركت ليحبطن عملك من حيث ان ذلك
ممكن الوقوع في اول النظر ولا يقع في بعض الصور جزما وفي البعض يتردد السامع في الامر بين فقوله
تعالى من يأت منكن بفاحشة من القبيل الاول فان الانبياء صان الله زوجاتهم عن الفاحشة ثم قال وكان ذلك
على الله يسيرا اي ليس كونكن تحت النبي عليه السلام وكونكن شريفات جليلات مما يدفع العذاب عنكم وليس
امر الله كامر الخلق حيث يتعذر عليهم تعذيب الاعزة بسبب كثرة اوليائهم واعوانهم وشفعائهم واخوانهم
قوله تعالى ومن يقنت منكن اي تطع الله ورسوله وهذا بيان لزيادة ثوابهن كما بين زيادة عقابهن نؤتها
اجرها مرتين في مقابلة قوله يضعف لها العذاب ضعفين وفيه لطيفة وهي ان عند ايتاء الاجر ذكر المؤتي
وهو الله وعند العذاب لم يصرح بالمعذب فقال يضاعف وهذا اشارة الى كمال الرحمة والكرم **قوله تعالى**
وتعمل صالحا نؤتها قرأ الاخوان ويعمل ويؤت بالياء من تحت فيهما والباقون وتعمل بالتاء من فوق ونؤتها بالنون فاما
الياء في يعمل فلاجل الحمل على لفظ من وهو الاصل والتاء من فوق على معناها اذ المراد بها مؤنث ويرشح هذا تقدم
لفظ المؤنث وهو منكن ومثله قوله وان من الشوال من هي روضة لما تقدم قوله من الشوال يرجح
المعنى يحمل عليه واما نؤتها بالياء من تحت فالضمير لله تعالى لتقدمه في الله ورسوله وبالنون فهي نون
العظمة وفيه التفات من الغيبة الى التكلم وقرأ الجحدري ويعقوب وابن عامر في رواية وابو جعفر
وشيبة تقنت بالتاء من فوق حملا على المعنى وكذلك وتعمل وقال ابو البقاء بعضهم قرأ ومن تقنت

بالتاء بيت حملا على المعنى ويعمل بالياء حملا على اللفظ قال بعض النحويين هذا ضعيف لان التذكير اصل فلا يجعل تبعا
للتانيث وما عللوه به قد جاء مثله في القرآن قال تعالى خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا **فصل** معنى اجرها
مرتين اي مثلي اجر غيرها قال مقاتل مكان كل حسنة عشرين حسنة واعتدنا لها رزقا كريما حسنا يعني الجنة ووصف
رزق الآخرة بكونه كريما مع ان الكريم لا يكون وصفا الا للرزاق وذلك اشارة الى ان الرزق في الدنيا
مقدر على يدي الناس التاجر يسترزق من السوقة والعاملين والصناع من المستعملين والملوك من
الرعية منهم فالرزق في الدنيا لا ياتي بنفسه فانما هو مسخر للغير يمسكه ويرسله الى الاغيار واما في الآخرة
فلا يكون له مرسل وممسك في الظاهر فهو الذي ياتي بنفسه فلاجل هذا لا يوصف في الدنيا بالكريم الا الرزاق
وفي الآخرة يوصف بالكريم نفس الرزق **قوله تعالى** يا نساء النبي لستن كاحد من النساء قال الزمخشري
احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه
والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اي اذا تقصيت جماعة النساء واحدة واحدة لم توجد منهن جماعة واحدة
تساويكن في الفضل والسابقة ومنه قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين
جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين قال ابو حيان اما قوله احد في الاصل بمعنى وحد وهو
الواحد فصحيح واما قوله وضع في قوله وما وراءه فليس بصحيح لان الذي يستعمل في النفي العام مدلوله غير مدلول
واحد لان واحدا ينطلق على شيء اتصف بالوحدة واحد المستعمل في النفي العام مختص بمن يعقل وذكر النحويون ان
مادته همزة وحاء ودال ومادة احد بمعنى واحد واو وحاء ودال فقد اختلفا مادة ومدلولا واما قوله لستن
كجماعة واحدة فقد قلنا ان معناه ليست كل واحدة منكن فهو حكم على كل واحدة لا على المجموع من حيث هو مجموع
واما قوله ولم يفرقوا بين احد منهم فيحتمل ان يكون الذي يستعمل في النفي العام ولذلك جاء في سياق النفي فعم وصحت
التثنية للعموم ويحتمل ان يكون احد بمعنى واحد وحذف معطوف اي بين احد واحد كما قال
فما كان بين الخير لو جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل اي بين الخير وبيني قال شهاب الدين اما قوله فانهما
مختلفان مدلولا ومادة فسلم ولكن الزمخشري لم يجعل احدا الذي اصله واحد بمعنى احد المختص بالنفي والجمع
ان احدا الذي اصله واحد يقع في سياق النفي والفارق بينهما ان الذي همزته اصل لا يستعمل في الايجاب
النفي كاخوانه من عريب وكتيع وديار وتامور والذي اصله واحد يجوز ان يستعمل اثباتا ونفيا والفرق ايضا
بينهما ان المختص بالنفي جامد وهذا وصف وايضا المختص بالنفي يختص بالعقلاء وهذا لا يختص واما معنى النفي
فانه ظاهر كما قاله الزمخشري من الحكم على المجموع ولكن المعنى على ما قاله ابو حيان اوضح وان كان خلاف
الظاهر **قوله تعالى** ان اتقيتن في جوابه وجهان احدهما انه محذوف لدلالة ما تقدم عليه اي ان اتقيتن الله فلستن
كاحد فالشرط قيد في نفي ان يشبههن باحد من النساء والثاني ان جوابه قوله فلا تخضعن والتقوى على بابها
وجوز ابو حيان على هذا ان يكون اتقى بمعنى استقبل اي ان استقبلتن احدا فلا تلن القول واتقى بمعنى استقبل
معروف في اللغة وانشد سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد اي استقبلتنا
باليد قال ويكون على هذا المعنى ابلغ في مدحهن ان لم يعلق فضيلتهن على التقوى ولا علق نهيه عن الخضوع
بها اذ هن متقيات لله في انفسهن والتعليق يقتضي ظاهره انهن لسن متحليات بالتقوى قال شهاب الدين
هذا خروج عن الظاهر من غير ضرورة واما البيت فالاتقاء فيه على بابه ايضا لانه اتقت وجهها بيدها **قوله تعالى**
فيطمع العامة على نصبه جوابا للنهي والاعرج بالجزم وكسر العين لالتقاء الساكنين وروي عنه وعن ابن السماك
وعيسى بن عمر وابن محيصن بفتح الياء وكسر الميم وهذا شاذ حيث يوافق الماضي والمضارع في حركة وروي عن الاعرج
ايضا انه قرأ بضم الياء وكسر الميم من اطمع وهي تحتمل وجهين احدهما ان يكون الفاعل ضميرا مستترا عائدا على الخضوع
المفهوم من الفعل والذي معمول اي لا تخضعن فيطمع الخضوع المريض القلب ويحتمل ان يكون الذي فاعلا
ومعموله محذوف اي فيطمع المريض نفسه **فصل** قال ابن عباس معنى لستن كاحد من النساء يريد ليس قدركن
عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات انتن اكرم علي وثوابكن اعظم لدي ولم يقل كواحدة لان الاحد عام يصلح
للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقال فما منكم من احد عنه
حاجزين وقوله ان اتقيتن الله فاطعتنه ولا تخضعن بالقول لا تلن القول للرجال ولا ترققن الكلام فيطمع الذي في قلبه مرض
اي فسق وفجور وشهوة وقيل نفاق اي لا تقولن قولا يجد منافق او فاجر به سبيلا الى المطامع فيكن والمراة
مندوبة الى الغلظة في المقالة اذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع وقلن قولا معروفا اي ذكر الله وما تحتجن
اليه من الكلام مما يوجب الدين والاسلام بتصريح وبيان من غير خضوع **قوله تعالى** وقرن في بيوتكن

قرا نافع وعاصم بفتح القاف والباقون بكسرها فاما الفتح فمن وجهين احدهما انه امر من قررت بكسر الراء الاولى في
المكان اقر به بالفتح فاجتمع راآن في اقررن فحذفت الثانية تخفيفا ونقلت حركة الراء الاولى الى القاف فحذفت همزة
الوصل استغناء عنها فصار قرن ووزنه على هذا فعن فان المحذوف هو اللام لانه يحصل به الثقل وقيل المحذوف
الراء الاولى لانه لما نقلت حركتها بقيت ساكنة وبعدها اخرى ساكنة فحذفت الاولى لالتقاء الساكنين ووزن
على هذا فلن فان المحذوف هو العين وقال ابو علي ابدلت الراء الاولى ياء ونقلت حركتها الى القاف فالتقى
ساكنان فحذفت الياء لالتقاء الساكنين فهذه ثلاثة اوجه في توجيه انها امر من قررت بالمكان والوجه الثاني
انها امر من قار يقار كخاف يخاف اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها فحذفت العين لالتقاء الساكنين فقيل
قرن كخفن ووزنه على هذا ايضا فلن الا ان بعضهم تكلم في هذه القراءة من وجهين احدهما ما قال ابو حاتم
يقال قررت بالمكان بالفتح اقر به بالكسر وقررت عينه بالكسر تقر بالفتح فكيف تقرا وقرن بالفتح والجواب
عن هذا انه قد سمع في كل منهما الفتح والكسر حكاه ابو عبيد وتقدم ذلك في سورة مريم الثاني سلمنا انه يقال قررت
بالمكان بالكسر اقر به بالفتح وان الامر منه اقررن الا انه لا مسوغ للحذف لان الفتحة خفيفة لا يجوز قياسه
على قولهم ظلت في ظللت قال تعالى فظلتم تفكهون وظلت عليه عاكفا وبابه لان هناك شيئين ثقيلين
التضعيف والكسرة فحسن الحذف واما هنا فاما التضعيف فقط والجواب ان المقتضي للحذف انما هو
التكرار ويؤيد هذا انهم لم يحذفوا مع التكرار ووجود الضمة وان كان اثقل نحو اغضضن ابصاركن وكان
اولى بالحذف فيقال غضن لكن السماع خلافه قال تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن على ان ابن
مالك قال انه يحذف في هذا بطريق الاولى او نقول ان هذه القراءة انما هي من قار يقار بمعنى اجتمع وهو وجه
حسن بري من التكلف فحينئذ يندفع اعتراض ابي حاتم وغيره لولا ان المعنى على الامر بالاستقرار لا بالاجتماع واما
الكسر فمن وجهين ايضا احدهما انه امر من قر بالمكان بالفتح في الماضي والكسر في المضارع وهي اللغة الفصيحى
ويجي فيه التوجيهات الثلاثة المذكورة اولا اما حذف الراء الثانية او الاولى او ابدالها ياء وحذفها كما
قاله الفارسي ولا اعتراض على هذه القراءة لمجيئها على مشهور اللغة فحينئذ يندفع اعتراض ابي حاتم ولان الكسر
ثقيل فحينئذ يندفع الاعتراض الثاني ومعناها مطابق لما يراد بها من الثبوت والاستقرار الوجه الثاني انها
امر من وقر يقر اي ثبت واستقر ومنه الوقار واصله اوقرن فحذفت الفاء وهي الواو واستغني عن همزة الوصل
فبقي قرن وهذا كالامر من وعد سواء ووزنه على هذا علن قال البغوي الاصح انه امر من الوقار كقولك من الوعد
عدنا ومن الوصل صلنا وهذه الاوجه المذكورة انما يهتدي اليها من مرن في علم التصريف والاشتقاق بها
ذرعا قوله تعالى تبرج الجاهلية مصدر تشبيهي اي مثل تبرج والتبرج الظهور من البرج لظهوره وقد تقدم
وقرا البزي ولا تبرجن بادغام التاء في التاء والباقون بحذف احدهما وتقدم تحقيقه في البقرة ولا تيمموا

فصل

وقرن اي الزمن بيوتكن من قولهم قررت بالمكان اقر قرارا يقال قررت اقر وقررت اقر وهما
لغتان فان كان من الوقار اي كن اهل وقار وسكون من قولهم وقر فلان يقر وقورا اذا سكن واطمان
ولا تبرجن قال مجاهد وقتادة التبرج هو التكسر والتغنج وقال ابن ابي نجيح هو التبختر وقيل هو اظهار
الزينة وابراز المحاسن للرجال تبرج الجاهلية الاولى قال الشعبي هي ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
وقال ابو العالية هي من داود وسليمان عليهما السلام وكانت المراة تلبس قميصا من الدرع غير مخيط الجانبين فيرى
خلقها فيه وقال الكلبي كان ذلك في زمن نمرود وكانت المراة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي وسط الطريق
ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال الجاهلية الاولى فيما بين نوح
وادريس وكانت الف سنة وان بطنين من ولد ادم كان احدهما يسكن السهل والاخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل
صباحا وفي النساء دمامة وان ابليس اتى رجلا من اهل السهل واجر نفسه منه فكان يخدمه واتخذ شيئا مثل
الذي يزمر به الرعاء فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فانتابوهم يستمعون اليه واتخذوا
عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النساء للرجال وتتزين الرجال لهن وان رجلا من اهل الجبل هجم عليهم في
عيدهم فراى النساء وصباحتهن فاتى اصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا معهم فظهرت الفاحشة فيهم فذلك قوله
ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقيل الجاهلية الاولى ما ذكرنا والجاهلية الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم
في اخر الزمان وقيل قد تذكر الاولى وان لم يكن لها اخرى كقوله تعالى وانه اهلك عادا الاولى ولم يكن لها
اخرى قوله تعالى واقمن الصلاة واتين الزكاة واطعن الله ورسوله يعني ليس التكليف في النهي وحده حتى
يحصل بقوله لا تخضعن ولا تبرجن بل في النهي وفي الاوامر فاقمن الصلاة واتين الزكاة واطعن الله ورسوله
فيما امر به ونهى عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس قال مقاتل الرجس الاثم الذي نهى الله النساء عنه وقال

ابن عباس

ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضى وقال قتادة يعني السوء وقال مجاهد الرجس الشك قوله تعالى اهل البيت
فيه اوجه النداء والاختصاص الا انه في المخاطب اقل منه في المتكلم وسمع بك الله نرجو الفضل والاكثر انما هو في
التكلم كقولها نحن بنات طارق نمشي على النمارق نحن بنو ضبة اصحاب الجمل الموت احلى عندنا من العسل
نحن العرب اقرى الناس للضيف نحن معاشر الانبياء لا نورث او على المدح اي امدح اهل البيت واختلف في اهل البيت
فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انهم نساء النبي صلى الله عليه وسلم لانهن في بيته وتلا قوله واذكرن ما يتلى في
بيوتكن من ايات الله وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب ابو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة
وغيرهم الى انهم علي وفاطمة والحسن والحسين لما روت عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه
مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء حسن فادخله فيه ثم جاء حسين فادخله
فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وروت ام سلمة قالت في بيتي انزل انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قالت فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فاطمة وعلي والحسن والحسين فقال
هؤلاء اهل بيتي فقلت يا رسول الله ما انا من اهل البيت قال بلى ان شاء الله وقال زيد بن ارقم اهل بيته من حرم الصدقة
بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس وقال ابن الخطيب والاولى ان يقال هم اولاده وازواجه والحسن والحسين
وعلي منهم لانه كان من اهل بيته لمعاشرته بنت النبي عليه السلام وملازمته له قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن
من ايات الله يعني القران والحكمة قال قتادة يعني السنة وقال مقاتل احكام القران ومواعظه ومن ايات الله بيان
للموصول فيتعلق باعني ويجوز ان يكون حالا اما من الموصول واما من عائده المقدر فيتعلق بمحذوف ايضا ان الله كان
لطيفا باوليائه خبيرا بجميع خلقه قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات قال مقاتل قالت ام سلمة بنت ابي امية ونسيبة
بنت كعب الانصارية للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه نخشى ان لا يكون
فيهن خير فنزلت هذه الاية وروي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الرجال في القران ولم يذكر
النساء بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فانزل الله هذه الاية وروي ان اسماء بنت عميس رجعت
من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابي طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء من القران
قلن لا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النساء لفي خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت لانهن لا يذكرن
بخير كما يذكر الرجال فانزل الله عز وجل ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين المطيعين والقانتات
والصادقين في ايمانهم وفيما سرهم وساءهم والصادقات والصابرين على ما امرهم الله به والصابرات والخاشعين
المتواضعين والخاشعات وقيل اراد به الخشوع في الصلاة ومن الخشوع ان لا يلتفت والمتصدقين مما رزقهم
الله والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم عما لا يحل والحافظات وحذف مفعول الحافظات
لتقدم ما يدل عليه والتقدير والحافظاتها وكذلك والذاكرات وحسن الحذف رؤس الفواصل والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات قال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات قال عطاء بن ابي رباح
من فوض امره الى الله عز وجل فهو داخل في قوله ان المسلمين ومن اقر بان الله ربه ومحمدا رسوله ولم يخالف قلبه لسانه
فهو داخل في قوله والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله والصادقين والصادقات
ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات ومن صلى ولم يعرف من
عن يمينه وعن يساره فهو داخل في قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق في كل اسبوع بدرهم فهو داخل
في قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام في كل شهر ايام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو
داخل في قوله والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه فهو داخل في قوله والحافظين فروجهم والحافظات ومن
صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وغلب
المذكر على المؤنث في لهم ولم يقل ولهن قوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة نزلت الاية في زينب بنت جحش الاسدية
واخيها عبد الله بن جحش وامها اميمة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم خطب رسول الله صلى الله عليه
وسلم زينب على مولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيدا في الجاهلية بعكاظ فاعتقه
وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد رضيت وظنت انه يخطبها لنفسه فلما علمت انه يخطبها
لزيد ابت وقالت انا ابنة عمتك يا رسول الله فلا ارضاه لنفسي وكانت بيضاء جميلة فيها حدة وكذلك كره اخوها
ذلك فانزل الله عز وجل وما كان لمؤمن ولا مؤمنة يعني عبد الله بن جحش واخته زينب اذا قضى الله ورسوله
امرا وهو نكاح زيد لزينب ان يكون لهم الخيرة من امرهم والخيرة الاختيار اي يريد غير ما اراد الله ويمتنع مما
امر الله ورسوله قوله تعالى ان يكون هو اسم كان والخبر الجار المتقدم وقوله اذا قضى الله يجوز ان يكون محض

ظرف معموله الاستقرار الذي تعلق به الخبر اي وما كان مستقرا لمؤمن ولا مؤمنة وقت قضا الله كون خيره وان تكون شرطية
ويكون جوابها مقدرا لدلالة ما قبله عليه بالنفي المتقدم وقرا الكوفيون وهشام يكون بالياء من اسفل لان الخيرة مجازي
التانيث وللفصل ايضا والباقون بالتاء من فوق مراعاة للفظها وقد تقدم ان الخيرة مصدر بمعنى التخير كالطيرة من التطير
ونقل عيسى بن سليمان انه قرا الخيرة بسكون الياء ومن امرهم حال من الخيرة وقيل من بمعنى في وجمع الضمير في امرهم
وما بعده لان المراد بالمؤمن والمؤمنة الجنس وغلب المذكر على المؤنث وقال الزمخشري كان من حق الضمير ان يوحد
كما تقول ما جاءني من رجل ولا امراة الا كان من شانه كذا قال ابو حيان وليس بصحيح لان العطف بالواو فلا يجوز
ذلك الا بتاويل الحذف قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا اخطا خطا ظاهرا فلما سمعا ذلك
رضيا بذلك وسلما وجعلت امرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك اخوها فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم
زيدا فدخل بها وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وازارا وملحفة وخمسين مدا
من الطعام وثلاثين صاعا من تمر قوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه وهو زيد انعم الله عليه بالاسلام وانعمت
عليه بالتحرير والاعتاق قوله تعالى امسك عليك نص بعض النحويين على ان على في مثل هذا التركيب اسم قال لئلا يتعدى فعل
المضمر المنفصل الى ضميره المنفصل في غير باب ظن وفي لفظتي فقد وعدم وجعل من ذلك
هون عليك فان الامور بكف الاله مقاديرها وكذلك حكم على عن في قوله دع عنك نهبا صيح في حجراته وقد تقدم ذلك
مشبعا في النحل في قوله وهم ما يشتهون وفي قوله وهزي اليك بجذع واضمم اليك جناحك قوله تعالى وتخفي فيه اوجه
احدها انه معطوف على تقول اي واذ تجمع بين قولك كذا واخفاء كذا وخشية الناس قاله الزمخشري الثاني انها واو الحال
تقول كذا في هذه الحالة قاله الزمخشري ايضا وفيه نظر من حيث انه مضارع مثبت فكيف تباشره الواو وتخريجه كتخريج
قمت واصك عينه اعني على اضمار مبتدا الثالث انه مستانف قاله الحوفي وقوله والله احق ان تخشاه تقدم مثله فصل
قال المفسرون ان الاية نزلت في زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوج زينب من زيد مكثت عنده
حينا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى زيدا ذات يوم لحاجة فابصر زينب قائمة في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات
خلق من اتم نساء قريش فوقعت في نفسه واعجبه حسنها فقال سبحان مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت ذلك
له ففطن زيد فالقي في نفس زيد كراهتها في الوقت فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد ان افارق صاحبتي
قال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله يا رسول الله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني بلسانها فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش واتق الله في امرها ثم طلقها زيد فذلك قوله عز وجل
واذ تقول للذي انعم الله عليه بالاسلام وانعمت عليه بالاعتاق وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك واتق
الله فيها ولا تفارقها وتخفي في نفسك ما الله مبديه اي تسر في نفسك ما الله مظهره اي كان في قلبه لو فارقها تزوجها وقال ابن
عباس حبها وقال قتادة وده انه لو طلقها وتخشى الناس قال ابن عباس والحسن تستحييهم وقيل تخاف لائمة الناس ان يقولوا
امر رجلا بطلاق امراته ثم نكحها والله احق ان تخشاه قال عمر وابن مسعود وعائشة ما نزل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم اية هي اشد عليه من هذه الاية وتخفي في نفسك ما الله مبديه وروى سفيان بن عيينة عن علي بن جدعان
قال سالني علي بن الحسين زين العابدين ما يقول الحسن في قوله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه قال قلت يقول لما جاء زيد الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا نبي الله اني اريد ان اطلق زينب فاعجبه ذلك
قال امسك عليك زوجك واتق الله فقال علي بن الحسين ليس كذلك كان الله قد اعلمه انها ستكون من ازواجه وان زيدا سيطلقها
فلما جاء زيد قال اريد ان اطلقها قال له امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك وهذا هو الاولى والاليق
بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى اعلم انه يبدي ويظهر ما اخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال زوجناكها فلو
كان الذي اضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها وارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبر انه يظهره ثم يكتمه
ولا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفاء ما اعلمه الله انها ستكون زوجة له وانما اخفاه استحياء ان يقول لزيد ان التي
تحتك في نكاحك ستكون امراتي وهذا قول حسن وان كان الاخر وهو انه اخفى محبتها او نكاحها لو طلقها لا يقدح في حال
الانبياء لان العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشياء ما لم يقصد فيه المآثم لان الود وميل النفس من
طبع البشر وقوله امسك عليك زوجك واتق الله امر بالمعروف وهو خشية الا اثم فيه وقوله والله احق ان تخشاه لم يرد به تخشيا
وخداع ولا تخشى احدا معه وانت تخشاه وتخشى الناس ايضا فلما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله احق بالخشية في عموم الاحوال
وفي جميع الاشياء قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وطرا مفعول قضى والوطر الشهوة والمحبة قال المبرد وانشد
وكيف ثواي بالمدينة بعد ما قضى وطرا منها جميل بن معمر وقال ابو عبيدة الوطر الارب والحاجة وانشد المصبح الفزاري
ودعنا قبل ان نودعه لما قضى من شبابنا وطرا وقرا العامة زوجناكها وقرا علي وابناه الحسنان رضي الله عنهم
وارضاهم زوجتكها بتاء المتكلم ولكيلا متعلق بزوجناكها وكي هنا ناصبة فقط لدخول الجار عليها واتصل الضمير ان

يفعل الا خلاف فيه بينه فصل المعنى فلما قضى زيد منها حاجته من نكاحها زوجناكها وذكر قضاء الوطر ليعلم ان زوجة المتبنى
تحل بعد الدخول بها اذا طلقت وانقضت عدتها لان الزوجة ما دامت في نكاح الزوج فهي تدفع حاجته وهو محتاج اليها فلم
يقض منها الوطر بالكلية ولم يستغن عنها وكذلك اذا كانت في العدة له بها تعلق لاجل شغل الرحم فلم يقض منها بعد وطرا فاذا
طلقت وانقضت عدتها استغنى عنها ولم يبق له معها تعلق فيقضي منها الوطر وقال انس كانت زينب تفتخر على ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله
عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما من نسائك امراة تدل بهن جدي وجدك واحد واني انكحنيك الله في السماء وان السفير
جبريل قوله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فالادعياء جمع الدعي وهو المتبنى
اي زوجناك زينب وهي امراة زيد الذي تبنيته ليعلم ان زوجة المتبنى بخلاف امراة ابن الصلب لا تحل للاب وكان امر
الله مفعولا اي قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى في زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ما كان
على النبي من حرج فيما فرض الله له اي فيما احل الله له قوله تعالى سنة الله منصوب على المصدر كصنع الله ووعد الله او اسم
وضع موضع المصدر او منصوب بجعل او بالاغراء اي فعليه سنة الله قاله ابن عطية ورده ابو حيان بان عامل الاغراء لا يحذف
بان فيه اغراء الغائب وما ورد منه مؤول على ندوره نحو عليه رجلا ليسني قال شهاب الدين وقد ورد قوله عليه السلام
فعليه بالصوم فقيل هو اغراء وقيل التنبيه وانما هو مبتدا وخبر والباء زائدة في المبتدا وهو تخريج فاسد المعنى لان الصوم
ليس واجبا على ذلك وقال البغوي نصب بنزع الخافض اي كسنة الله فصل المراد بسنة الله في الذين خلوا من قبل اي
الانبياء الماضين ان لا يؤاخذهم بما احل لهم قال الكلبي ومقاتل اراد داود حين جمع بينه وبين المراة التي هويها فكذلك
جمع بين محمد وبين زينب وقيل اراد بالسنة النكاح فانه من سنة الانبياء عليهم السلام وكان امر الله قدرا مقدورا
قضاء مقضيا كائنا ماضيا واعلم ان في قوله تعالى اولا وكان امر الله مفعولا وقوله ثانيا وكان امر الله قدرا مقدورا لطيفة وهي انه
تعالى لما قال زوجناكها قال وكان امر الله مفعولا اي تزويجنا زينب اياك كان مقصودا متبعا مقضيا مراعى ولما قال
سنة الله في الذين خلوا اشارة الى قصة داود حيث افتتن بامراة اوريا قال وكان امر الله قدرا مقدورا اي كان ذلك
حكما تبعيا قوله تعالى الذين يبلغون يجوز ان يكون تابعا للذين خلوا وان يكون مقطوعا عنه رفعا ونصبا على اضمار
هم او اعني او امدح فصل المعنى الذين يبلغون رسالات الله كانوا ابصارا رسلا مثلك ثم ذكر حالهم بانهم جردوا الخشية
ووحدوها فيخشونه ولا يخشون احدا سواه فصار كقوله فبهداهم اقتده ولا تخش قالة الناس فانهم ليسوا ابيهم
فيما احل الله لهم وفرض عليهم وكفى بالله حسيبا حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم فلا تخشى غيره قوله تعالى ما كان محمد
ابا احد من رجالكم لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب قال الناس ان محمدا تزوج امراة ابنه فانزل الله عز وجل
ما كان محمد ابا احد من رجالكم يعني زيد بن حارثة اي ليس ابا احد من رجالكم الذين لم يلده فيحرم عليه نكاح زوجته بعد
فراقه اياها فان قيل اليس انه كان له ابناء القاسم والطاهر وابراهيم والطيب وكذلك الحسن والحسين قال عليه السلام
للحسن ان ابني هذا سيد فالجواب هؤلاء كانوا صغارا ولم يكونوا رجالا والصحيح انه اراد ابا احد من رجالكم الذين
لم يلده قوله تعالى ولكن رسول الله العامة على تخفيف لكن ونصب رسول ونصبه اما على اضمار كان لدلالة كان السابقة
عليها اي ولكن كان واما بالعطف على ابا احد والاول اليق لان لكن ليست عاطفة لاجل الواو فالاليق بها ان تدخل على الجمل
كالتي ليست عاطفة وقرا ابو عمرو في رواية بتشديدها على ان رسول الله اسمها وخبرها محذوف للدلالة اي ولكن
رسول الله هو اي محمد وحذف خبرها سائغ وانشد فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي ولكن زنجيا عظيم المشافر
اي انت وهذا البيت يروونه ايضا ولكن زنجي بالرفع شاهدا على حذف اسمها اي ولكنك وقرا زيد بن علي وابن ابي عبلة
بتخفيفها ورفع رسول على الابتداء والخبر مقدر اي هو او بالعكس اي ولكن هو رسول كقوله
ولست الشاعر السفساف فيهم ولكن مدره الحرب العوان اي ولكن انا مدره قوله تعالى وخاتم النبيين قرا
عاصم بفتح التاء والباقون بكسرها فالفتح اسم للالة التي يختم بها كالطابع والقالب لما يطبع به ويقلب فيه هذا هو المشهور
وذكر ابو البقاء فيه اوجها اخر منها انه في معنى المصدر قال كذا ذكر في بعض الاعاريب قال شهاب الدين وهو غلط
محض كيف وهو يحوج الى تجوز او اضمار ولو حكى هذا في خاتم بالكسر لكان اقرب لانه قد يجيء المصدر على فاعل وفاعلة
كالعافية ذلك قريبا ومنها انه اسم بمعنى اخر ومنها انه فعل ماض مثل قاتل فيكون النبيين مفعولا به قال شهاب
الدين ويؤيد هذا قراءة عبد الله ختم النبيين والكسر على انه اسم فاعل ويؤيده قراءة عبد الله المتقدمة وقال
بعضهم هو بمعنى الفتوح معنى بمعنى اخرهم لانه ختم النبيين فهو خاتمهم فصل قال ابن عباس يريد لو لم اختم
به النبيين لجعلت له ابنا يكون من بعده نبيا وروى عطاء عن ابن عباس ان الله تعالى لما حكم انه لا نبي بعده لم
يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا وقيل من لا نبي بعده يكون اشفق على امته واهدى لهم اذ هو كالوالد لولد ليس له غيره
وكان الله بكل شيء عليما اي علمه بكل شيء دخل فيه ان لا نبي بعده فعلم ان من الحكمة اكمال شرع محمد عليه السلام بزوجه

بالفعل

زوجة دعيه تكميلا للشرع وذلك من حيث ان قول النبي عليه السلام يفيد شرعا لكن اذا امتنع هو عنه يفيد في بعض النفوس
نفرة الا ترى انه ذكر بقوله ما فهم منه حل اكل الضب ثم لما لم ياكله بقي في النفوس شي ولما اكل لحم الجمل طاب اكله مع انه في بعض
الملل لا يوكل وكذلك الارنب * روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثلي ومثل الانبيا كمثل قصر احكم بنيانه
ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه الا موضع تلك اللبنة ختم به البنيان وختم بي الرسل
وقال عليه السلام ان لي اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الله الناس على قدمي
وانا العاقب والعاقب الذي ليس بعده شي قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا لم يفرض الله على عباده
الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر اهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر احدا في تركه الا
مغلوبا على عقله وامرهم به في الاحوال كلها فقال فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال اذكروا الله ذكرا كثيرا
اي بالليل والنهار والبر والبحر والصحة والسقم في السر والعلانية * وقال الذكر الكثير ان لا ينساه ابدا وسبحوه بكرة واصيلا
اي صلوا له بكرة يعني صلاة الصبح واصيلا يعني صلاة العصر * وقال الكلبي واصيلا صلاة الظهر والعصر والعشائين وقال
مجاهد معناه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فعبر عن التسبيح عن اخواته وقيل
المراد من قوله ذكرا كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الصلاة
من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين فذكر صلاته تحريضا للمؤمنين على الذكر والتسبيح * قال السدي قال
بنو اسرائيل لموسى ايصلي ربنا فكبر هذا الكلام على موسى فاوحى الله اليه قل لهم اني اصلي وان صلاتي رحمتي وقد وسعت رحمتي
كل شي * وقيل الصلاة من الله هي اشاعة الذكر الجميل له في عباده * وقيل الثناء عليه * قال انس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون
على النبي قال ابو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزل الله عز وجل هذه الاية قوله تعالى وملائكته
ما عطف على فاعل يصلي واغنى الفصل بالجار عن التاكيد بالضمير وهذا عند من يرى الاشتراك او القدر المشترك او المجاز
لان صلاة الله غير صلاتهم واما مبتدا وخبره محذوف اي وملائكته يصلون وهذا عند من يرى شيا مما تقدم جائزا الا انه
فيه بحث وهو انهم نصوا على انه اذا اختلف مدلولا الخبرين فلا يجوز حذف احدهما لدلالة الاخر عليه وان كان بلفظ واحد
فلا تقول زيد ضارب وعمرو ضارب في الارض اي مسافر فصل الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار فقيل ان
اللفظ المشترك يجوز استعماله في معنييه معا وكذلك الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ جائز * قال ابن الخطيب وينسب
هذا القول للشافعي رحمه الله وهو غير بعيد وذلك لان الرحمة والاستغفار مشتركان في العناية بحال المرحوم والمستغفر
له والمراد هو القدر المشترك فتكون الدلالة تضمنية ثم قال ليخرجكم من الظلمات الى النور اي من ظلمة الكفر الى نور الايمان
يعني انه برحمته وهدايته ودعا الملائكة لكم اخرجكم من ظلمة الكفر الى نور الايمان وكان بالمؤمنين رحيما وهذا بشارة
لجميع المؤمنين واشار بقوله يصلي عليكم ان هذا غير مختص بالسامعين وقت الخطاب قوله تعالى تحيتهم يجوز ان يكون
مصدرا مضافا لمفعوله وان يكون مضافا لفاعله ومفعوله على معنى ان بعضهم يحيي بعضا فيصح ان يكون الضمير للفاعل
والمفعول باعتبارين لا انه يكون فاعلا ومفعولا من وجه واحد وهو كقول من قال وكنا لحكمهم شاهدين انه مضاف
للفاعل والمفعول فصل المعنى تحية المؤمنين يوم يلقونه يرون الله سلام اي يسلم الله عليهم ويسلمهم من جميع
الافات وروى عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني ملك الموت لا يقبض روح مومن الا سلم عليه
وعن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك يقريك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم
حين يخرجون من قبورهم ثم قال واعد لهم اجرا كريما يعني الجنة وتقدم ذكر الكريم في الزخرف قال قيل الاعداد انما
يكون ممن لا يقدر عند الحاجة الى الشي عليه واما الله تعالى فغير محتاج الى عاجز بحيث يلقاه يوتيه ما يرضى به ومن بادره
فما معنى الاعداد من قبل فالجواب ان الاعداد للاكرام لا للحاجة قوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ايضا
شاهدا للرسل بالتبليغ ومبشرا لمن امن بالجنة ونذيرا لمن كذب بالنار فشاهدا حال مقدرة او مقارنة لقرب الزمان
وداعيا الى الله الى توحيده وطاعته وقوله باذنه حال اي ملتبسا بتسهيله ولا يريد حقيقة الاذن لانه مستفاد
من ارسلناك قوله تعالى وسراجا يجوز ان يكون عطفا على ما تقدم اما على التشبيه واما على حذف مضاف اي
ذا سراج وجوز الفراء ان يكون الاصل وتاليا سراجا ويعني بالسراج القران وعلى هذا فتكون عطف الصفات وهي
لذات واحدة لان التالي هو المرسل وجوز الزمخشري ان يعطف على مفعول ارسلناك وفيه نظر لان السراج هو القران
ولا يوصف بالارسال بل بالانزال الا ان يقال انه حمل على المعنى فعلفتها تبنا وماء باردا * وايضا فيغتفر في الثواني
ما لا يغتفر في الاوائل وقوله منيرا لانه يهتدى به كالسراج يستضاء به في الظلمة واعلم ان في قوله وسراجا ولم
يقل انه شمس مع ان الشمس اشد اضاءة من السراج * فايدة وهي ان نور الشمس لا يوخذ منه شي والسراج يوخذ
منه انوار كثيرة اذا انطفى الاول يبقى الذي اخذ منه وكذلك ان غاب النبي صلى الله عليه وسلم كان كل صحابي كذلك
سراجا يوخذ منه نور الهداية كما قال عليه السلام اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وفي الخبر لطيفة وهي

ان النبي عليه السلام لم يجعل اصحابه كالسرج وجعلهم كالنجوم لان النجم لا يوخذ منه نور بل له في نفسه نور اذا غرب لا يبقى
نور يستفاد منه فكذلك الصحابي اذا مات فالتابعي يستنير بنور النبي عليه السلام ولا ياخذ الا قول النبي عليه السلام
وفعله فانوار المجتهدين كلهم من النبي صلى الله عليه وسلم ولو جعلهم كالسرج والنبي عليه السلام كان سراجا كان
للمجتهد ان يستنير بمن اراد منهم وياخذ النور ممن اختار وليس كذلك فان مع النقل النبي صلى الله عليه وسلم لا يعمل
بقول الصحابي بل ياخذ النور من النبي ولا ياخذ من الصحابي فلم يجعله سراجا قوله تعالى وبشر المؤمنين عطف على مفهوم
تقديره انا ارسلناك شاهدا ومبشرا فاشهد وبشر ولم يذكر فاشهد للاستغنا عنه واما البشارة فذكرت اشارة
للكرم ولانها غير واجبة لولا الامر وقوله بان لهم من الله فضلا كبيرا كقوله تعالى اعد لهم اجرا عظيما والعظيم والكبير
متقاربان قوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين تقدم تفسيره اول السورة وهو اشارة الى الانذار يعني
خالفهم ورد عليهم قوله تعالى ودع اذاهم * يجوز ان يكون اذاهم مضافا للمفعول اي اترك اذاك لهم اي عقابك
اياهم قال الزجاج لا تجازهم عليه وهذا منسوخ باية السيف ويجوز ان يكون مضافا للفاعله اي اترك ما اذوك
به فلا توخذهم حتى تومر اي دعه الى الله فانه يعذبهم بايديكم وبالنار ويبين هذا قوله تعالى وتوكل على الله
وكفى بالله وكيلا اي حافظا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات الاية * وجه تعلق الاية بما قبلها هو ان
الله تعالى ذكر في هذه السورة مكارم الاخلاق وادب نبيه فكلما ذكر لنبيه مكرمة وعلمه ادبا ذكر للمؤمنين ما يناسبه
ولما بدا الله تعالى في تاديب النبي عليه السلام بذكر ما يتعلق بجانب الله بقوله يا ايها النبي اتق الله وثنى بما يتعلق بجانب
من هو تحت يده من ازواجه بقوله بعده يا ايها النبي قل لازواجك وثلث بما يتعلق بجانب العامة بقوله يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا كذلك بدا في ارشاد المؤمنين بما يتعلق بجانب الله فقال يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ثم ثنى بما
يتعلق بجانب من تحت ايديهم بقوله يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم كما ثلث في تاديب النبي بجانب الامة ثلث في
حق المؤمنين بما يتعلق بهم فقال بعد هذا يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي وبقوله يا ايها الذين امنوا صلوا عليه
فان قيل هذا ارشاد الى ما يتعلق بجانب من هو من خواص المرء فلم خص المطلقات اللاتي طلقن قبل المسيس لم يحصل بينهما
تاكد العهد ولهذا قال الله تعالى في حق الممسوسة وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا
فاذا امر الله تعالى بالتمتيع والاحسان مع من لا مودة بينه وبينها فما ظنك بمن حصلت المودة بالنسبة اليها بالافضا
او حصل تاكدها بحصول الولد بينهما وهذا كقوله تعالى ولا تقل لهما اف لو قال لا تضربهما ولا تشتمهما ظن انه حرام لمعنى يختص
بالضرب او الشتم واما اذا قال لا تقل لهما اف علم منه معان كثيرة فكذلك ههنا لما امر بالاحسان مع من لا مودة معها
علم منه الاحسان مع الممسوسة ومن لم تطلق بعد ومن ولدت عنده منه قوله تعالى ثم طلقتموهن من قبل ما
الفايدة بالاتيان بثم وحكم من طلقت على الفور بعد العقد كذلك * فالجواب انه جرى على الغالب وقال الزمخشري نفى
التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها قريبة العهد بالنكاح وبين ان يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى
بها المدة في حبالة الزوج ثم طلقها قال ابو حيان واستعمل عسى صلة لمن وهو لا يجوز * قال شهاب الدين يخرج قوله على ما
خرج عليه قول الاخر واني لرام نظرة قبل التي لعلي وان شطت نواها ازورها وهو اضمار القول وفي هذه الاية دليل
على ان تعليق الطلاق قبل النكاح لا يصح لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح بكلمة ثم وهي للتراخي حتى لو قال لاجنبية
اذا نكحتك فانت طالق او كل امراة اتزوجها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهو قول علي وابن مسعود وجابر ومعاذ وعايشة
وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطا بن يسار والشعبي وقتادة
واكثر اهل العلم وبه قال الشافعي واحمد وروي عن ابن مسعود انه قال يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعي واصحاب
الراي وقال ربيعة ومالك والاوزاعي ان عين امراة يقع وان عم فلا يقع * وروى عكرمة عن ابن عباس قال كذبوا
على ابن مسعود ان كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهي طالق يقول الله تعالى اذا نكحتم المؤمنات
ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن * وروى عطا عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا طلاق قبل النكاح قوله تعالى من قبل ان تمسوهن تجامعوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها تستوفونها اما
من العدد واما من الاعتداد اي تحتسبونها او تستوفون عددها من قولك عد الدراهم فاعتدها اي استوفى
عددها نحو كلته فاكتاله ووزنته فاتزنته * وقرا ابن كثير في رواية واهل مكة بتخفيف الدال وفيها وجهان احدهما
انها من الاعتداد وانما كرهوا تضعيفه فخففوه قاله الرازي قال ولو كان من الاعتداء الذي هو الظلم لضعف
لان الاعتداء يتعدى بعلى قيل ويجوز ان يكون من الاعتداء وحذف حرف الجر اي تعتدون عليها اي على العدة مجازا
ثم تعتدونها كقوله تحن فتبدى ما بها من صبابة * واخفى الذي لولا الاسى لقضاني اي لقضى علي وقال الزمخشري
وقرى تعتدونها مخففا اي تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا
لتعتدوا ويعني انه حذف حرف الجر كما حذف في قوله ويوم شهدناه سليما وعامرا قليل سوى الطعن النهال نوافله

وقيل تعتدونها اى تعتدون عليهن فيها وقد انكر ابن عطية القراءة عن ابن كثير وقال غلط ابن ابى بزة عنه وليس كما قال والم
انها من العدوان والاعتداء وقد تقدم شرحه واعتراض ابى الفضل عليه بانه كان ينبغى ان يتعدى بعلى وتقدم جوابه وقرأ
الحسن تعتدونها بسكون العين وتشديد الدال وهو جمع بين ساكنين على غير حده **فصل** دلت هذه الاية
على ان العدة حق الزوج فيها غالب وان كان لا يسقط باسقاطه لما فيه من حق الله تعالى ثم قال فمتعوهن اى اعطوهن
ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا اذا لم يكن سمى لها صداقا فلها المتعة وان كان قد فرض لها صداقا فلها نصف الصداق
ولا متعة لها وقال قتادة هذه الاية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وقيل انه عام وعلى هذا فهل هو امر وجوب
او امر استحباب فقيل للوجوب فيجب المتعة مع نصف المهر وقيل للاستحباب فيستحب ان يمتعها مع الصداق بشىء ثم
قال وسرحوهن سراحا جميلا اى خلوا سبيلهن بالمعروف من غير ضرار وقيل السراح الجميل ان لا يطالبها بما اتاها **قوله**
يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك اللاتى اتيت اجورهن اى مهورهن وما ملكت يمينك وقوله وما ملكت يمينك
وقوله مما افاء الله عليك رد عليك من الكفار بان تسبى فتملك وهذا بيان لما ملكت وليس هذا قيدا بل لو ملكت بمبيعه
بالشرا كان الحكم كذا وانما خرج مخرج الغالب واعلم انه ذكر للنبى عليه السلام ما هو اولى فان الزوجة التى اوتيت
مهرها اطيب قلبا من التى لم تؤت والمملوكة التى سباها الرجل بنفسه اطهر من التى اشتراها الرجل لانه لا يدرى كيف
حالها ومن هاجرت من اقارب النبى عليه السلام معه اشرف ممن لم تهاجر وقال بعضهم ان النبى عليه السلام كان
يجب عليه اعطا المهر ولان المراة لها الامتناع الى ان تاخذ مهرها والنبى عليه السلام ما كان يستوفى ما لا يجب له
والوطى قبل ايفا الصداق غير مستحق وان كان حلالا لنا وكيف والنبى عليه السلام اذا طلب شيا حرم الامتناع على المطلوب
والظاهر ان الطالب فى المرة الاولى انما هو الرجل لحيا المراة فلو طلب النبى عليه السلام من المراة التمكين قبل المهر للزم
ان يجب وان لا يجب وهو محال ولا كذلك احدنا ويؤكد هذا قوله تعالى وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى يعنى حينئذ
لا يبقى لها صداق فتصير كالمستوفية مهرها واعلم ان اللاتى ملكت يمينه مثل صفية وجويرية ومارية وبنات عمك
وبنات عماتك يعنى نساء قريش وبنات خالك وبنات خالاتك يعنى نساء بنى زهرة اللاتى هاجرن معك الى المدينة فمن لم
يهاجر منهن لم يحل له نكاحها روى ابو صالح عن ام هانى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة خطبنى فانزل
الله هذه الاية فلم احل له لانى لم اكن من المهاجرات وكنت من الطلقاء ثم نسخ شرط الهجرة فى التحليل **قوله** وامراة العامة
على النصب وفيه وجهان احدهما انها عطف على مفعول احللنا اى واحللنا لك امراة موصوفة بهذين الشرطين قال ابو
البقاء وقد رد هذا قوم وقالوا احللنا ماض وان وهبت وهو صفة المراة مستقبل فاحللنا فى موضع جوابه
وجواب الشرط لا يكون ماضيا فى المعنى قال وهذا ليس بصحيح لان معنى الاحلال ههنا الاعلام بالحل اذا وقع الفعل على
ذلك كما تقول ابحت لك ان تكلم فلانا ان سلم عليك والثانى انه ينتصب بمقدر تقديره ويحل لك امراة **قوله** ان وهبت
ان اراد هذا اعتراض الشرط والثانى هو قيد فى الاول ولذلك تعربه حالا لان الحال قيد ولهذا اشترط الفقهاء
ان يتقدم الثانى على الاول فى الوجود فلو قال ان اكلت ان ركبت فانت طالق فلا بد ان يتقدم الركوب على الاكل وهذا
لتحقق الحالية والتقييد كما ذكرنا اذ لو لم يتقدم لخلا جزء من الاكل غير مقيد بركوب فلهذا اشترطنا تقدم الثانى وقد
مضى تحقيق هذا وانه يشترط ان لا يكون ثم قرينة تمنع من تقدم الثانى على الاول كقوله ان تزوجتك ان طلقتك
فعبدى حر لا يتصور هنا تقديم الطلاق على التزويج قال شهاب الدين وقد عرض لى اشكال على ما قاله الفقهاء بهذه
الاية وذلك ان الشرط الثانى هنا لا يمكن تقدمه فى الوجود بالنسبة الى الحكم الخاص بالنبى صلى الله عليه وسلم الا
انه لا يمكن عقلا وذلك ان المفسرين فسروا قوله تعالى ان اراد بمعنى قبل الهبة لان بالقبول منه عليه السلام
يتم نكاحه وهذا لا يتصور تقدمه على الهبة اذ القبول متاخر وايضا فان القصة كانت على ما ذكرته من تاخر ارادته
عن هبتها وهو مذكور فى التفسير وابو حيان لما جاء الى ههنا جعل الشرط الثانى هنا متقدما على الاول على القاعدة
العامة ولم يستشكل شيا مما ذكرته وقد عرضت هذا الاشكال على جماعة من اعيان زماننا فاعترفوا به ولم يظهر
عنه جواب الا ما قدمته من انه ثم قرينة مانعة من ذلك كما مثلته انفا وقرا ابو حيوة وامراة بالرفع على الابتدا والخبر
مقدر اى احللناها لك ايضا وفى قوله ان اراد النبى التفات من الخطاب الى الغيبة بلفظ الظاهر تنبيها على ان
سبب ذلك النبوة ثم رجع الى الخطاب فقال خالصة لك وقرا ابى والحسن وعيسى والحسن ان بالفتح وفيه
وجهان احدهما انه بدل من امراة بدل اشتمال قاله ابو البقا كانه قال واحللنا لك هبة المراة نفسها لك والثانى
انه حذف لام العلة اى لان وهبت وزيد بن على اذ وهبت وفيه معنى العلية **قوله تعالى** خالصة العامة
على النصب وفيه اوجه احدها انه منصوب على الحال من فاعل وهبت اى حال كونها خالصة دون غيرك الثانى
انها حال من امراة لانها وصفت فتخصصت وهو بمعنى الاول واليه ذهب الزجاج الثالث انها نعت مصدر
مقدر اى هبة خالصة فنصبها بوهبت الرابع انها مصدر موكد لوعد الله قاله الزمخشرى والفاعلة

فى المصادر غير عزيز كالخارج والقاعد والكاذبة والعافية يريد بالخارج ما فى قول الفرزدق
ولا خارجا من فى زور كلام وبالقاعد ما فى قولهم اقاعدا وقد سار الركب وبالكاذبة ما فى قوله تعالى ليس لوقعتها
كاذبة وقد انكر ابو حيان عليه قوله غير عزيز وقال بل يحفظ ولا يقاس وما ورد متاول وقرى خالصة بالرفع فان كانت
خالصة قدر المبتدى هى اى المراة الواهبة وان كانت مصدرا قدر فتلك الحالة خالصة ولك على البيان اى اعنى لك
سقيا لك **فصل** المعنى احللنا لك امراة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق فاما غير المؤمنة فلا تحل له اذا
وهبت نفسها منه واختلفوا فى انه هل كان تحل للنبى صلى الله عليه وسلم نكاح اليهودية والنصرانية فذهب اكثرهم الى
انه كان لا تحل له ذلك لقوله وامراة مؤمنة واول بعضهم الهجرة فى قوله هاجرن معك يعنى على الاسلام اى اسلمن معك
فيدل ذلك على انه لا تحل له نكاح غير المسلمة وكان النكاح ينعقد فى حقه بمعنى الهبة من غير ولى ولا شهود ولا مهر وكان
ذلك من خصايصه عليه السلام لقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين كالزيادة على الاربع ووجوب تخيير النسا
من خصايصه لا مشاركة لاحد معه واختلفوا فى انعقاد النكاح بلفظ الهبة فى حق الامة فقال سعيد بن المسيب
والزهرى ومجاهد وعطا لا ينعقد الا بلفظ الانكاح او التزويج وبه قال ربيعة ومالك والشافعى ومعنى الاية ان
اباحة الوطى بالهبة وحصول التزويج بلفظها من خواصه عليه السلام وقال النخعى وابو حنيفة واهل الكوفة ينعقد
بلفظ الهبة والتمليك وان معنى الاية ان تلك المراة صارت خالصة لك زوجة من امهات المؤمنين لا تحل لغيرك
ابدا بالتزويج واجيب بان هذا التخصيص بالواهبة لا فايدة فيه فان ازواجه كلهن خالصات له وما ذكرناه فللتخصيص
فايدة **فصل** اختلفوا فى التى وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل كانت عنده امراة منهن فقال
عبد الله بن عباس ومجاهد لم يكن عند النبى صلى الله عليه وسلم امراة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امراة الا بعقد
نكاح او ملك يمين وقوله وهبت نفسها على طريق الشرط والجزا وقيل بل كانت موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبى هى
زينب بنت خزيمة الهلالية يقال لها ام المساكين وقال قتادة هى ميمونة بنت الحارث وقال على بن الحسين والضحاك
ومقاتل هى ام شريك بنت جابر من بنى اسد وقال عروة بن الزبير هى خولة بنت حكيم من بنى سليم **قوله تعالى** قد علمنا ما
فرضنا اى اوجبنا على المؤمنين فى ازواجهم من الاحكام ان لا يتزوجوا اكثر من اربع ولا يتزوجوا الا بولى وشهود ومهر وما ملكت
ايمانهم اى ما اوجبنا من الاحكام فى ملك اليمين وانما ذكر هذا لئلا يحمل واحد من المؤمنين نفسه على ما كان النبى عليه
السلام فان له فى النكاح خصايص ليست لغيره وكذلك فى السرارى **قوله تعالى** لكيلا متعلق بخالصة وما بينهما
اعتراض ومن دون متعلق بخالصة كما تقول خلص من كذا **فصل** قال المفسرون هذا يرجع الى اول الاية اى
احللنا لك ازواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لكيلا يكون عليك حرج ضيق وكان الله غفورا رحيما يغفر الذنوب
جميعا ويرحم العبيد ترجى اى تؤخر من تشا منهن وتؤوى اليك اى تضم اليك من تشا واختلف المفسرون
فى معنى الاية فاشهر الاقاويل انه فى القسم كان واجبا عليه فلما نزلت هذه الاية حين غار بعض امهات المؤمنين
على النبى صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن النبى صلى الله عليه وسلم شهرا حتى نزلت اية
التخيير فامره الله عز وجل ان يخيرهن بين الدنيا والاخرة وان يخلى سبيل من اختارت الدنيا ويمسك من اختارت
الله ورسوله على انهن امهات المؤمنين فلا ينكحن ابدا وعلى انه يؤوى اليه من يشا منهن ويرجى من يشا
فيرضين به قسم لهن او لم يقسم او قسم لبعض دون بعض او فضل بعضهن فى النفقة والقسمة فيكون الامر
فى ذلك اليه يفعل كيف يشا وكان ذلك من خصايصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط وذلك لان النبى
عليه السلام بالنسبة الى امته نسبة السيد المطاع والرجل وان لم يكن نبيا فالزوجة فى ملك نكاحه والنكاح عليها
رق فكيف زوجات النبى عليه السلام بالنسبة اليه فاذن هن كالمملوكات له ولا يجب القسم بين المملوكات
والارجا التاخير والايوا الضم واختلفوا فى انه هل اخرج احدا منهن عن القسم فقيل لم يخرج احدا بل كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوى بينهن فى القسم الا سودة فانها رضيت بترك حقها
من القسم وجعلت نوبتها لعايشة وقيل اخرج بعضهن روى جرير عن منصور عن ابى رزين قال لما نزلت اية
التخيير اشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شيت ودعنا على حالنا فنزلت
هذه الاية فارجا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهن واوى اليه بعضهن فكان ممن اوى عايشة وحفصة
وزينب وام سلمة وكان يقسم بينهن سوا وارجا منهن خمسا ام حبيبة وميمونة وسودة وصفية وجويرية
فكان يقسم لهن ما شا وقال مجاهد ترجى من تشا منهن يعنى تعزل من تشا منهن بغير طلاق وترد اليك من تشا
بعد العزل بلا تجديد عقد وقال ابن عباس تطلق من تشا منهن وتمسك من تشا وقال الحسن تترك نكاح
من شيت وتنكح من شيت من نسا امتك قال وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب امراة لم يكن لغيره
خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من تشا من المؤمنات اللاتى يهبن انفسهن لك فتؤويها

اليك وترك من تشا فلا تقبلها روى هشام عن ابيه قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن للنبي صلى الله
عليه وسلم فقالت عايشة اما تستحي المراة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي من تشا منهن قلت يا رسول الله ما
ارى ربك الا يسارع في هواك **قوله** ومن ابتغيت ممن عزلت في من وجهان احدهما انها شرطية في محل نصب بما
بعدها وقوله فلا جناح عليك جوابها والمعنى من طلبتها من النسوة اللاتي عزلتهن فليس عليك في ذلك جناح
والثاني ان تكون مبتداه والعايد محذوف وعلى هذا فيجوز في من ان تكون موصولة وان تكون شرطية وفلا
جناح عليك خبر او جواب اي والتي ابتغيتها ولا بد حينيذ من ضمير راجع الى اسم الشرط من الجواب اي في ابتغايها
وطلبها وقيل في الكلام حذف معطوف تقديره ومن ابتغيت ممن عزلت ومن لم تعزل سوا لا جناح عليك
كما تقول من لقيك ممن لم يلقك جميعهم لك شاكر يريد من لقيك ومن لم يلقك وهذا فيه الغاز **قوله تعالى** ذلك ادنى
التفويض الى مشيتك ادنى ان تقر اعينهن اي اقرب الى قرة اعينهن والعامة تقر مبنيا للفاعل مسندا الاعينهن
وابن محيصن تقر من اقر رباعيا وفاعله ضمير المخاطب اعينهن نصب على المفعول به وقرى تقر مبنيا للمفعول
اعينهن رفع لقيامه مقام الفاعل وتقدم معنى قرة العين في مريم **قوله تعالى** كلهن العامة على رفعه توكيد
الفاعل يرضين واتو اياس بالنصب توكيد المفعول اتيتهن **فصل** قال المفسرون لا جناح عليك لا اثم عليك
اباح له ترك القسم لهن حتى انه ليرجي من يشا في نوبتها ويطا من يشا منهن في غير نوبتها ويرد الى فراشه من عزلها
تفضيلا له على ساير الرجال ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن اي ذلك التخيير الذي خيرتك في صحبتهن اقرب
الى رضاهن واطيب لانفسهن واقل لحزنهن اذا علمن ان ذلك من الله عز وجل ويرضين بما اتيتهن اعطيتهن
من تقريب وارجا وعزل والله يعلم ما في قلوبكم من امر النسا والميل الى بعضهن وكان الله عليما حليما اي ان اضمرن
خلاف ما اظهرن فالله يعلم ضماير القلوب فانه عليم وان لم يعاتبهن في الحال فلا يغترن فانه حليم لا يعجل
قوله تعالى لا تحل لك النسا قرا ابو عمرو لا تحل بالتا اعتبارا باللفظ والباقون باليا لانه جمع وللفصل ايضا
وقوله من بعد اي من بعد اللاتي نصصنا لك على احلالهن كما تقدم وقيل من بعد اباحة النسا المسلمات دون
الكتابيات **فصل** قال المفسرون من بعد اي من بعدهن والاولى ان يقال لا تحل لك النسا من بعد اختيارهن
الله ورسوله ورضاهن بما تويتهن من الوصل والهجران وقال ابن عباس وقتادة من بعد هولا التسع خيرتهن
فاخترنك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن وحرم عليه النسا
سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن واختلفوا في انه هل ابيح له النسا من بعد قالت عايشة ما مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النسا وقال انس مات على التحريم وقال عكرمة معنى الاية لا تحل لك النسا من بعد
اللاتي احللنا لك بالصفة التي تقدم ذكرها وقيل لابي بن كعب لو مات نسا النبي صلى الله عليه وسلم اكان تحل له ان يتزوج
قال وما يمنعه من ذلك قيل قوله عز وجل لا تحل لك النسا من بعد قال انما احل الله ضربا من النسا فقال يا ايها النبي
انا احللنا لك ازواجك ثم قال لا تحل لك النسا من بعد قال ابو صالح امر ان لا يتزوج اعرابية ولا عربية ويتزوج من
نسا قومه من بنات العم والعمة والخال والخالة ان شا ثلاث مائة وقال مجاهد معناه لا تحل لك اليهوديات ولا
النصرانيات بعد المسلمات ولا ان تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى تقول لا تكون ام المومنين
يهودية ولا نصرانية الا ما ملكت يمينك احل له ما ملكت يمينه من الكتابيات ان يتسرى بهن وروى عن الضحاك
يعني ولا ان تبدل بهن ولا ان تبدل بازواجك اللاتي في حبالك ازواجا غيرهن بان تطلق فتنكح غيرهن فحرم
عليه طلاق النسا اللواتي كن عنده اذ جعلن امهات المومنين وحرمهن على غيره حين اخترنه فاما نكاح غيرهن
فلم يمنع عنه وقال ابن زيد في قوله ولا ان تبدل بهن من ازواج كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بازواجهم
يقول الرجل للرجل بادلني بامراتك وابادلك بامراتي تنزل عن امراتك وانزل لك عن امراتي فانزل الله عز وجل ولا ان
تبدل بهن من ازواج يعني تبادل بازواجك غيرك بان تعطيه زوجتك وتاخذ زوجته الا ما ملكت يمينك لا باس
ان تبادل بجاريتك ما شيت فاما الحراير فلا روى عطا بن يسار عن ابي هريرة قال دخل عيينة بن حصن على النبي
صلى الله عليه وسلم بغير اذن وعنده عايشة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عيينة اين الاستيذان قال
يا رسول الله ما استاذنت على رجل من مضر منذ ادركت ثم قال من هذه الحميرا الى جنبك فقال هذه عايشة
ام المومنين فقال عيينة افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم
ذلك فلما خرج قالت عايشة من هذا يا رسول الله قال هذا احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه **قوله**
تعالى ولو اعجبك كقوله اعطوا السايل ولو على فرس اي في كل حال ولو على هذه الحال المنافية قال الزمخشري
قوله ولو اعجبك حسنهن في معنى الحال **قوله تعالى** ولو اعجبك حسنهن اي ليس لك ان تطلق احدا من نسايك
وتنكح بدلها اخرى ولو اعجبك جمالها قال ابن عباس يعني اسما بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب

قال

الا اللاتي احللنا لك ازواجك
الاية ثم قال لا تحل لك النساء

فلما استشهد جعفر اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخطبها فنهي عن ذلك قال بعض المفسرين ظاهر هذا انه لما كان قد ثبت
له عليه السلام من انه اذا راى واحدة فوقعت في قلبه موقعا كانت تحرم على الزوج ويجب عليه طلاقها وهذه مسيلة حكمية
وهي ان النبي عليه السلام وساير الانبيا في اول النبوة تشتد عليهم برحا الوحي ثم يستانسون به فينزل عليهم وهم
يتحدثون مع اصحابهم لا يمنعهم من ذلك مانع ففي اول الامر احل الله من وقع في قلبه تفريغا للقلب وتوسعا للصدر لئلا
يكون مشغول القلب بغير الله ثم لما استانس بالوحي نسخ ذلك اما لقوته عليه السلام للجمع بين الامرين واما لانه بدوام الانزال
لم يبق له مالوف من امور الدنيا فلم يبق له التفات الى غير الله فلم يبق له حاجة الى احلال التزوج بمن وقع بصره عليها **قوله**
تعالى الا ما ملكت فيه اوجه احدها انه مستثنى من النسا فيجوز فيه وجهان النصب على اصل الاستثنا والرفع على البدل
وهو المختار والثالث انه مستثنى من ازواج قاله ابو البقا فيجوز ان يكون في موضع نصب على اصل الاستثنا وان يكون في
موضع جر بدلا منهن على اللفظ وان يكون في موضع نصب بدلا منهن على المحل وقال ابن عطية ان كانت ما مصدرية فهي في موضع
نصب لانه من غير الجنس وليس بجيد لانه قال بعد ذلك والتقدير الا ملك اليمين وملك بمعنى مملوك انتهى واذا كان بمعنى مملوك
صار من الجنس واذا صار من الجنس لم يكن منقطعا على انه على تقدير انقطاعه لا يتحتم نصبه بل يجوز عند تميم الرفع بدلا
والنصب على الاصل كالمتصل بشرط صحة توجه العامل اليه كما تقدم تحقيقه وهذا يمكن توجه العامل اليه ولكن اللغة المشهورة
لغة الحجاز وهو لزوم النصب في المنقطع مطلقا كما ذكره ابو محمد انفا **فصل** قال ابن عباس ملك بعد هولا مارية وكان الله على
كل شي رقيبا حافظا عالما بكل شي قادرا عليه وفي الاية دليل على جواز النظر الى من يريد نكاحها من النسا وروي عن جابر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احدكم المراة فان استطاع ان ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل **قوله تعالى** يا ايها الذين
امنوا لا تدخلوا بيوت النبي قال اكثر المفسرين نزلت هذه الاية في شان وليمة زينب حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما روى ابن شهاب قال اخبرني انس بن مالك انه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال فكانت
امهاتي يواظبنني على خدمة النبي صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر سنين وتوفي وانا ابن عشرين سنة فكنت اعلم الناس بشان
الحجاب حين انزل وكان اول ما انزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش اصبح النبي صلى الله عليه وسلم
بها عروسا فدعا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط منهم عند النبي صلى الله عليه وسلم فاطالوا المكث فقام النبي صلى الله عليه
وسلم وخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي صلى الله عليه وسلم فمشيت حتى جا عتبة حجرة عايشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت
معه حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يخرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني
وبينه بالستر وانزل الله الحجاب وقال ابو عثمان واسمه الجعد عن انس قال فدخل يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت
وارخى الستر واني لفي الحجرة وهو يقول يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الى قوله والله لا يستحيي
من الحق وروى عن ابن عباس انها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون
عليه قبل الطعام الى ان يدرك ثم ياكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتاذى بهم فنزلت الاية يا ايها
الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية وروى ابن شهاب عن عروة عن عايشة ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد افيح فكان عمر يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساك فلم يكن رسول
الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشا وكانت امراة طويلة
فناداها عمر قد عرفناك يا سودة حرصا على ان ينزل اية الحجاب فانزل الله الحجاب وعن انس قال قال عمر وافقت
ربي في ثلاثة قلت يا رسول الله انه يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المومنين بالحجاب فانزل الله اية الحجاب قال
وبلغني ما اذين رسول الله صلى الله عليه وسلم نساوه قال فدخلت عليهن فجعلت استقريهن واحدة واحدة قلت والله
لتنتهين او ليبدلنه الله ازواجا خيرا منكن حتى اتيت على زينب فقالت يا عمر اما كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ
نساه حتى تعظهن انت قال فخرجت فانزل الله عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن **قوله تعالى** الا ان يوذن لكم
فيه اوجه احدها انها في موضع نصب على الحال تقديره الا مصحوبين بالاذن الثاني انها على اسقاط با السبب تقديره الا
بسبب الاذن لكم كقوله فاخرج به اي بسببه الثالث انه منصوب على الظرف قال الزمخشري الا ان يوذن في معنى الظرف
تقديره الا وقت ان يوذن لكم وغير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثنا على الحال والوقت معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت
النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوا الا غير ناظرين اناه ورد ابو حيان الاول بان النحاة نصوا على ان المصدرية لا تقع موقع الظرف
لا يجوز اتيك ان يصيح الديك وان جاز ذلك في المصدر الصريح نحو اتيك صياح الديك ورد الثاني بانه لا يقع بعد الا في الاستثنا
الا المستثنى او المستثنى منه او صفته ولا يجوز فيما عدا هذا عند الجمهور واجاز ذلك الكسائي والاخفش اجازا ما قام القوم
الا يوم الجمعة ضاحكين والى الطعام متعلق بيوذن لانه بمعنى الا ان تدعوا الى الطعام وقرا العامة غير ناظرين بالنصب
على الحال كما تقدم فعند الزمخشري ومن تابعه العامل فيه يوذن وعند غيرهم العامل فيه مقدر تقديره ادخلوا غير
ناظرين وقرا ابن ابي عبلة غير بالجر صفة لطعام واستضعفها الناس من اجل عدم بروز الضمير لجريانه على غير من هو له فكان

من حقه ان يقال غير ناظرين اناه انتهى وهذا رأي البصريين والكوفيون يجيزون ذلك ان لم يلتبس كهذه الاية وقد تقدمت
هذه المسئلة وفروعها وما قيل فيها وهل ذلك يختص بالاسم او يجري في الفعل خلاف مشهور فمن يضبطه **قوله تعالى**
اناه قرأ العامة اناه مفردا اي نضجه يقال انى الطعام انى كقولك قلى اي غير منتظرين ادراكه ووقت نضجه ويقال انى الحميم
اذا انتهى حره وانى ان يفعل كذا اي حان انى بكسر الهمزة مقصورة وقرأ الاعمش اناه جمعا على افعال فابدلت الهمزة
الثانية الفا والياء همزة لتطرفها بعد الف زائدة فصار في اللفظ كانائين قوله ومن اناء الليل وان كان المعنى
مختلفا قاله البغوي اذ اضحت الهمزة فقلت الاناء وفيه لغتان انى يانى وان يئين مثل حان يحين **قوله تعالى** ولكن
اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا اي تفرقوا واخرجوا من منزله **فصل** قال ابن الخطيب قوله الا ان يؤذن لكم
الى طعام اما ان يكون تقديم وتأخير تقديره ولا تدخلوا الى طعام الا ان يؤذن لكم فلا يكون منعا من الدخول في غير
وقت الطعام بغير الاذن واما ان لا يكون فيه تقديم وتأخير فيكون معناه ولا تدخلوا الا ان يؤذن لكم الى طعام
فيكون معناه ولا تدخلوا الا ان يؤذن لكم الى الطعام فيكون الاذن مشروطا بكونه الى الطعام فان لم يؤذن الى الطعام
فلا يجوز الدخول فلو اذن لواحد في الدخول لاستماع كلام لا لاكل طعام لا يجوز فنقول المراد هو الثاني ليعم النهي عن
الدخول واما كونه لا يجوز الا باذن الى الطعام فلما تقدم من سبب النزول ان الخطاب مع قوم كانوا يتحينون حين الطعام
ويدخلون من غير اذن فمنعوا من الدخول في وقته بغير اذن والاولى ان يقال المراد هو الثاني لان التقديم
والتأخير خلاف الاصل وقوله الى طعام من باب التخصيص بالذكر فلا يدل على نفي ما عداه لا سيما اذا علم ان غيره
مثله فان من جاز دخول بيته باذنه الى طعامه جاز دخوله الى غير طعامه فان غير الطعام ممكن وجوده مع الطعام
فان من الجائز ان يتكلم معه وقت يدعوه الى الطعام ويستقضيه في حوائجه ويعلمه مما عنده من العلوم مع زيادة الطعام
فان رضي بالكل فرضاه بالبعض اقرب الى العقل فيصير من باب ولا تقل لهما اف وقوله غير ناظرين اناه اي لا ينتظروا وقت
الطعام فانه ربما لا يتهيأ **فصل** لا يشترط في الاذن التصريح به بل اذا حصل العلم بالرضا جاز الدخول ولهذا قال
الا ان يؤذن من غير بيان فاعل فالاذن ان كان الله او النبي او العقل المؤيد بالدليل جاز والنقل دال عليه حيث قال
او صديقكم فلو جاء الرجل وعلم ان لا مانع في البيت من تكشف او حضور غير محرم او علم خلو الدار من الاهل ويحتاج
الى الطعام يتوفيها او غير ذلك جاز الدخول وفي معنى البيت موضع مباح اختاره شخص لعبادته او اشتغاله بشغل
فيأتيه احد ويطيل المكث عنده **قوله تعالى** ولا مستأنسين يجوز ان يكون منصوبا عطفا على غير اي لا تدخلوها
غير ناظرين ولا مستأنسين وقيل معطوف على حال مقدرة اي لا تدخلوها هاجمين ولا مستأنسين وان يكون مجرورا
عطفا على ناظرين اي غير ناظرين وغير مستأنسين والمعنى ولا طالبين الانس لحديث وكانوا يجلسون بعد الطعام
يتحدثون طويلا فنهوا عن ذلك **قوله تعالى** لحديث يحتمل ان يكون لام العلة اي مستأنسين لاجل ان يحدث
بعضكم بعضا وان تكون المقوية للعامل لانه فرع اي ولا مستأنسين حديث اهل البيت او غيرهم **قوله تعالى** ان
ذلكم اي انتظاركم واستئناسكم فاشير اليهما اشارة الواحد كقوله عوان بين ذلك اي ان المذكور **قوله تعالى**
فيستحيي منكم قرئ لا يستحي بياء واحدة والاخرى محذوفة واختلف فيها هل هي الاولى او الثانية وتقدم ذلك في
البقرة وانها رواية عن ابن كثير وهي لغة تميم يقولون استحى يستحي مثل استقى يستقي **قوله تعالى** والله لا يستحيي
من الحق اي لا يترك تأديبكم وهذا اشارة الى ان ذلك حق وادب ثم ذكر ادبا اخر فقال واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن
من وراء حجاب اي من وراء ستر فبعد اية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم
متنقبة كانت او غير متنقبة ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الريب لان العين روزنة القلب فاذا لم تر العين
لا يشتهي القلب فاما ان رأت العين فقد يشتهي القلب وقد لا يشتهي فالقلب عند عدم الرؤية اطهر وعدم
الفتنة حينئذ اظهر **قوله تعالى** ان تؤذوا هو اسم كان ولكم الخبر ولا ان تنكحوا عطف على اسم كان وابدا ظرف واعلم انه
تعالى لما بين للمؤمنين الادب اكده بما يحملهم على محافظته فقال وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله وكل ما منعتم
عنه مؤذ فامتنعوا عنه وليس لكم اذاه في شيء من الاشياء **قوله تعالى** ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا
نزلت في رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لئن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكحن عائشة
قال مقاتل بن سليمان هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله عز وجل ان ذلك محرم وقال ان ذلكم كان عند الله عظيما
وروى معمر عن الزهري ان العالية بنت ظبيان التي طلق النبي صلى الله عليه وسلم تزوجت رجلا وولدت له وذلك
قبل تحريم ازواج النبي صلى الله عليه وسلم على الناس **قوله تعالى** ان تبدوا شيئا او تخفوه الاية نزلت في من اضمر
نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة ما لنا نمنع من الدخول على بنات
اعمامنا فنزلت هذه الاية ولما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب ونحن ايضا نكلمهن من وراء
حجاب فانزل الله عز وجل لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن اي لا اثم

عليهن في ترك الاحتجاب عن هؤلاء ولا نسائهن قيل اراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز للكتابيات الدخول عليهن وقيل عام
في المسلمات والكتابيات وانما قال ولا نسائهن لانهن من اجناسهن وقدم الاباء لان اطلاعهم على بناتهم اكثر وكيف وقد
رأوا جميع بدن البنات في حال صغرهن ثم الابناء ثم الاخوة وذلك ظاهر انما الكلام في بني الاخوة حيث قدمهم الله على بني
الاخوات لان بني الاخوات اباؤهم ليسوا بمحارم خالات ابنائهم وبني الاخوة اباؤهم محارم ايضا ففي بني الاخوات مفسدة ما
وهي ان الابن ربما يحكي خالته عند ابيه وهو ليس بمحرم ولا كذلك في بني الاخوة فان قيل لم يذكر الله من المحارم الاعمام
والاخوال فلم يقل ولا اعمامهن ولا اخوالهن فالجواب من وجهين احدهما ان ذلك معلوم من بني الاخوة وبني الاخوات
لان من علم ان بني الاخ للعمات محارم علم ان بنات الاخ للاعمام محارم وكذلك الحال في امر الخال وثانيهما ان الاعمام ربما
يذكرون بنات الاخ عند ابنائهم وهم غير محارم وكذلك الحال في ابن الخال **قوله تعالى** ولا ما ملكت ايمانهن ذكر هذا بعد
الكل فان المفسدة في التكشف لهم ظاهرة واختلفوا في عبد المرأة هل يكون محرما لها فقيل يكون محرما لها لقوله وما ملكت
ايمانهن وقيل المراد من كان دون البلوغ **قوله تعالى** واتقين عطف على محذوف اي امتثلن ما امرتن به واتقين الله ان
يراكن غير هؤلاء وقوله ان الله كان على كل شيء شهيدا في غاية الحسن في هذا الموضع لان ما سبق اشارة الى جواز الخلوة بهم والتكشف
لهم فقال ان الله شاهد عند اختلاء بعضكم ببعض فخلوتكم مثل ملئكم لشهادة الله فاتقوه فانه شهيد على اعمال العباد **قوله**
تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي العامة على نصب الملائكة نسقا على اسم ان ويصلون هل هو خبر عن الله وملائكته
او عن الملائكة فقط وخبر الجلالة محذوف لتغاير الصلاتين خلاف تقدم قريبا وقرأ ابن عباس ورويت عن ابي عمرو وملائكته
رفعا فيحتمل ان يكون عطفا على محل اسم ان عند بعضهم وان يكون مبتدأ والخبر محذوف وهو مذهب البصريين وقد تقدم
فيه بحث نحو زيد ضارب وعمرو اي ضارب في الارض **فصل** لما امر بالاستئذان وعدم النظر الى نسائه احتراما له كمل بيان
حرمته وذلك ان حاله لا تخلو منحصرة في حالتين حالة خلوة فذكر ما يدل على احترامه في تلك الحالة بقوله لا تدخلوا بيوت
النبي وحالة يكون في ملأ والملأ اما الملأ الاعلى واما الملأ الادنى اما احترامه في الملأ الاعلى فان الله وملائكته يصلون
عليه واما احترامه في الملأ الادنى فقوله يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما **فصل** قال ابن عباس اراد ان الله
يرحم النبي والملائكة يدعون له وعن ابن عباس ايضا يصلون يتبركون وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار
وقال ابو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء روى عبد الرحمن بن ابي ليلى قال لقيني
كعب بن عجرة فقال الا اهدي لك هدية سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت بلى فاهدها لي قال قلنا يا رسول
الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال
ابراهيم انك حميد مجيد وروى ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم
انك حميد مجيد وروى ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بي يوم القيامة اكثرهم علي صلاة
وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا وروى عبد الله بن ابي طلحة عن
ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه جاء ذات يوم والبشر في وجهه فقال انه جاءني جبريل فقال اما يرضيك يا محمد ان لا يصلي
عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا وروى عامر بن ربيعة
انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقل العبد من ذلك او ليكثر وروى
عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام **فصل**
دلت الاية على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لان الامر للوجوب ولا تجب في غير التشهد فتجب في التشهد
وكذلك قوله وسلموا تسليما امر فيجب السلام ولم يجب في غير الصلاة فيجب فيها وهو قولنا في التشهد سلام عليك
ايها النبي وذكر في السلام المصدر للتأكيد ولم يؤكد الصلاة لانها كانت مؤكدة بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي
فان قيل اذا صلى الله وملائكته عليه فاي حاجة الى صلاتنا فالجواب ان الصلاة عليه ليس لحاجة اليها والا فلا حاجة الى صلاة
الملائكة مع صلاة الله عليه وانما هو اظهاره وتعظيمه كما ان الله تعالى اوجب علينا ذكر نفسه ولا حاجة له عليه وانما هو
لاظهار تعظيمه منا شفقة علينا ليثيبنا عليه ولهذا قال عليه السلام من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا **قوله تعالى**
ان الذين يؤذون الله فيه اوجه اي يقولون فيه ما صورته اذى وان كان تعالى لا يلحقه ضرر ذلك حيث وصفوه بما
لا يليق بجلاله من اتخاذ الانداد ونسبة الولد والزوجة اليه قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون قال
عليه السلام يقول الله تعالى شتمني عبدي يقول اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا
احد وقال عليه السلام قال الله تعالى يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار
وقيل يؤذون الله يلحدون في اسمائه وصفاته وقال عكرمة هم اصحاب التصاوير روى ابو هريرة قال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة او ليخلقوا حبة او شعيرة

ويحتمل ان يكون على حذف مضاف اى اولياء الله كقوله واسأل القرية اى اهل القرية. قال عليه السلام قال الله تعالى من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وقال من اهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة امر الله وارتكاب معاصيه ذكره على ما يتعارفه الناس بينهم والله عز وجل منزه عن ان يلحقه اذى من احد. وقال بعضهم اتى بالجلالة تعظيما والمراد يؤذون رسوله كقوله انما يبايعون الله. واما ايذاء الرسول فقال ابن عباس هو انه شج فى وجهه وكسرت رباعيته وقيل ساحر شاعر معلم مجنون ثم قال لعنهم الله فى الدنيا والآخرة واللعن الطرد وهذا اشارة الى بعد لا رجاء للقرب معه لان البعيد فى الدنيا يرجو القرب فى الآخرة فاذا خاب فى الآخرة فقد خاب وخسر ثم انه تعالى لم يقتصر بجزائه فى الابعاد بل اوعد بالعذاب المهين فقال واعد لهم وهذا يفيد التأكيد لان السيد اذا عذب عبده حال الغضب من غير اعداد يكون دون ما اعد له قيدا وغلا **قوله تعالى** والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا اى من غير ما عملوا ما اوجب اذاهم. وقال مجاهد يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم وقيل ان من جملة مابه على شرب الخمر او خدار يعين على لعب النرد فقد اوذى بغير ما اكتسب **قوله تعالى** خبر الذين ودخلت الفاء لتشبيه الموصول بالشرط وقوله بهتانا واثما مبينا قال مقاتل نزلت فى على بن ابى طالب رضى الله عنه كانوا يؤذونه ويسمعونه وقيل نزلت فى شأن عائشة. وقال الضحاك والكلبى نزلت فى الزناة الذين كانوا يمشون فى طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيغمزون المرأة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان زى الكل كان واحدا تخرجن فى درع وخمار الحرة والامة فشكوا ذلك الى ازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحرائر ان يتشبهن بالاماء فقال عز وجل يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن. **فان قيل** البهتان هو الزور وهو لا يكون الا فى القول والايذاء قد يكون بغير القول فمن آذى مؤمنا بالضرب او اخذ ماله لا يكون قد احتمل بهتانا **فالجواب** ان المراد والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بالقول لان الله تعالى اراد اظهار شرف المؤمنين لانه لما ذكر ان من آذى الله ورسوله لعن وايذاء الله ان ينكر وجوده او يشرك به من لا يبصر ولا يسمع وذلك قول فذكر ايذاء المؤمنين بالقول وعلى هذا خص ايذاء القول بالذكر لانه اعم لان الانسان لا يقدر ان يؤذى الله بما يؤلمه من ضرب او اخذ مال ويؤذيه بالقول وكذا الغائب لا يمكن ايذاؤه بالفعل ويمكن ايذاؤه بالقول بان يقول فيه ما يصل اليه فيتأذى. ووجه آخر فى الجواب بان يقال قوله بعد ذلك واثما مبينا كانه استدرك فكان قوله احتملوا بهتانا ان كان بالقول واثما مبينا كيف ما كان الايذاء **قوله تعالى** يدنين كقوله قل لعبادى يقيموا ومن للتبعيض والجلابيب جمع الجلباب وهو الملاءة التى تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار. قال ابن عباس وعبيدة امر نساء المؤمنين ان يغطين رؤسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة ليعلم انهن حرائر **قوله تعالى** ذلك ادنى اى ادنى الجلابيب الى عرفانهن اى ادنى ان يعرفن انهن حرائر فلا يؤذين لا يتعرضن لهن ويمكن ان يقال يعرفن انهن لا يزنين لان من تستتر وجهها مع انه ليس بعورة لا يطمع فيها انها تكشف عورتها فيعرفن انهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن وكان الله غفورا رحيما قال انس مرت بعمر بن الخطاب جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع اتتشبهين بالحرائر القى القناع **قوله تعالى** لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض لما ذكر حال المشرك الذى يؤذى الله ورسوله والمجاهر الذى يؤذى المؤمنين ذكر حال المسر الذى يظهر الحق ويضمر الباطل وهو المنافق ولما كان المذكور من قبل اقواما ثلاثة نظرا الى امور ثلاثة وهم المؤذون لله والمؤذون للرسول والمؤذون للمؤمنين ذكر للمسرين ثلاثة نظرا الى اعتبار امور ثلاثة احدها المنافق الذى يؤذى الله سرا والثانى الذى فى قلبه مرض وهو الذى يؤذى المؤمن باتباع نسائه والثالث المرجف الذى يؤذى النبى عليه السلام بالارجاف بقوله غلب محمد وسيخرج من المدينة وسيؤخذ وهؤلاء وان كانوا قوما واحدا الا ان لهم ثلاث اعتبارات وهذا كقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات حيث ذكر اصنافا عشرة وكلهم يوجد فى واحد بالشخص لكنه كثير بالاعتبار فقال لئن لم ينته المنافقون اى عن نفاقهم والذين فى قلوبهم مرض يعنى الزناة والمرجفون فى المدينة بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون فى الناس انهم قتلوا وهزموا ويقولون قد اتاكم العدو ونحوه. وقال الكلبى كانوا يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا ويفشوا الاخبار **قوله تعالى** لنغرينك بهم اى لنحرشنك بهم ولنسلطنك عليهم لتخرجهم من المدينة ثم لا يجاورونك فيها لا يساكنونك فيها اى فى المدينة الا قليلا حتى يخرجوا منها وقيل لنسلطنك عليهم بقتلهم وتخلى منهم المدينة **قوله تعالى** الا قليلا اى الا زمانا قليلا او الا جوارا قليلا وقيل قليلا نصب على الحال من فاعل يجاورونك اى الا اقلاء اذلاء بمعنى قليلين وقيل قليلا منصوب على الاستثناء اى لا يجاورك الا القليل على اذل حال واقله **قوله تعالى** ملعونين حال من فاعل يجاورونك قاله ابن عطية والزمخشرى وابو البقاء قال ابن عطية لانه بمعنى ينفون منها ملعونين. وقال الزمخشرى دخل حرف الاستثناء على الحال والظرف

معا كما مر فى قوله الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين وتقدم بحث ابى حيان معه وهو عائد هاهنا وجوز الزمخشرى ان ينتصب على الشتم وجوز ابن عطية ان يكون بدلا من قليلا على انه حال كما تقدم تقريره ويجوز ان يكون ملعونين نعتا لقليلا على انه منصوب على الاستثناء من باب يجاورونك كما تقدم تقريره اى لا يجاورك منهم احد الا قليلا ملعونا ويجوز ان يكون منصوبا باخذوا الذى هو جواب الشرط وهذا عند الكسائى والفراء فانهما يجيزان تقديم معمول الجواب على اداة الشرط نحو خيرا ان تأتنى تصب وقد منع الزمخشرى من ذلك فقال ولا يصح ان ينتصب باخذوا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وهذا منه مشى على الجادة وقوله ما بعد كلمة الشرط يشمل فعل الشرط والجواب واما الجواب فتقدم حكمه واما الشرط فاجاز الكسائى ايضا تقديم معموله على الاداة نحو زيدا ان تضرب اهنك فتلخص فى المسئلة ثلاثة مذاهب المنع مطلقا الجواز مطلقا التفصيل يجوز تقديم معمول الجواب ولا يجوز تقديم معمول الشرط وهذا رأى الفراء **قوله تعالى** وقتلوا العامة على التشديد وقرئ بالتخفيف وهذا يرده مجئ المصدر على التفعيل الا ان يقال جاء على غير صدره وقوله سنة الله تقدم نظيرها. **فصل** ملعونين مطرودين من باب الله وبابك واذا خرجوا لا ينفكون عن الذلة ولا يجدون ملجأ بل اينما يكونوا يطلبون ويؤخذون ويقتلون وهذا ليس بدعا بل هو سنة جارية وعادة مستمرة يفعل بالمكذبين ولن تجد لسنة الله تبديلا اى ليست هذه السنة مثل الحكم الذى يتبدل وينسخ فان النسخ يكون فى الاقوال اما الافعال اذا وقعت والاخبار لا تنسخ **قوله تعالى** يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله لما بين حالهم فى الدنيا انهم يلعنون ويقتلون اراد ان يبين حالهم فى الآخرة فذكرهم بالقيامة وما يكون لهم فيها فقال يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله لا يتبين لهم فان الله اخفاها لحكمة وهى امتناع المكلف عن الاجتراء وخوفهم منها فى كل وقت **قوله تعالى** وما يدريك لعل الساعة الظاهر ان لعل تعلق كما يعلق التمنى وقريبا خبر كان على حذف موصوف اى شيئا قريبا وقيل التقدير قيام الساعة فروعيت الساعة فى تأنيث تكون وروعى المضاف المحذوف فى تذكير قريبا وقيل قريبا اكثر استعماله استعمال الظروف فهو هنا ظرف فى موضع الخبر. وقال ابن الخطيب فعيل يستوى فيه المذكر والمؤنث قال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين اى لعل الساعة تكون قريبة **فصل** المعنى اى شئ يعلمك امر الساعة ومتى يكون قيامها اى انت لا تعرفه لعل الساعة تكون قريبا وهذا اشارة الى التخويف ثم قال ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا اى كما انهم ملعونين فى الدنيا عندكم فكذلك انهم يلعنون عند الله واعد لهم سعيرا كما قال لعنهم الله فى الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا خالدين فيها ابدا مطيلين المكث فيها مستمرين وقوله فيها اى فى السعير لانها مؤنثة او لانه فى معنى جهنم ولا يجدون حال ثانية او من خالدين لا يجدون وليا ولا نصيرا اى لا صديق يشفع لهم ولا ناصر يدفع عنهم **قوله تعالى** يوم معمول لخالدين او لمحذوف او لنصيرا او لا ذكرا ولنقولون بعده. وقرأ العامة تقلب مبنيا للمفعول وجوههم رفع على ما لم يسم فاعله وقرأ الحسن وعيسى وابو جعفر الرواسى بفتح التاء اى تتقلب وجوههم فاعلية والوجوه تقلب بالنون اى نحن وجوههم بالنصب وعيسى تقلب بضم التاء وكسر اللام اى تقلب السعير او الملائكة وجوههم بالنصب على المفعول به يقولون حال ويا ليتنا يحكى **فصل** تقلب وجوههم فى النار ظهرا لبطن كانوا يسحبون عليها يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فى الدنيا **قوله تعالى** ساداتنا قرأ ابن عامر فى آخرين بالجمع بالالف والتاء قال البغوى على جمع الجمع والباقون سادتنا على انه جمع تكسير غير مجموع بالف وتاء ثم سادة يجوز ان يكون جمعا لسيد ولكن لا ينقاس لان فيعلا لا يجمع على فعلة وسادة فعلة اذ الاصل سودة ويجوز ان يكون جمعا لسائد نحو فاجر وفجرة وكافر وكفرة وهو اقرب الى القياس مما قبله وابن عامر جمع هذا ثانيا بالالف والتاء وهو غير منقاس ايضا نحو بيوتات وجمالات **فصل** لما بين انه لا شفيع لهم يدفع عنهم العذاب بين ان بعض اصحابه ايضا لا يدفع العذاب عن البعض بخلاف عذاب الدنيا فان الانسان يدفع عن وجهه الضربة اتقاء بيده فان من يقصد رأسه ووجهه يجعل يده جنة لوجهه ووقاية له يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فى الدنيا فيندمون حيث لا ينفعهم الندامة ثم يقولون ربنا انا اطعنا سادتنا اى اطعنا السادة بدل طاعة الله وطاعة الرسول فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كثيرا قرأ عاصم كبيرا بالباء الموحدة والباقون بالمثلثة وتقدم معناهما فى البقرة والمراد بضعفين من العذاب اى ضعف عذاب غيرهم **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية لما بين ان من يؤذى الله ورسوله يلعن ويعذب وكان ذلك اشارة الى ان الايذاء كفر ارشد المؤمنين الى الامتناع من الايذاء الذى هو دونه وهو لا يورث كفرا وهو من لم يرض بقسمة النبى عليه السلام وحكمه فقال لا تكونوا كالذين آذوا موسى قال بعضهم ايذاؤهم لموسى بنسبة عيب فى بدنه وقيل ان قارون قال لامرأة قولى ان موسى قد وقع فى فاحشة والايذاء المذكور فى القرآن كاف وهو قولهم اذهب انت وربك فقاتلا وقولهم لن نصبر على طعام واحد الى غير ذلك فقال للمؤمنين لا تكونوا امثالهم اذا طلبكم الرسول للقتال لا تقولوا اذهب انت وربك فقاتلا واذا امركم الرسول فأتوا منه ما استطعتم وقوله فبرأه الله مما قالوا على الاول ظاهر لانه ابرز جسمه لقومه فرأوه وعلموا فساد اعتقادهم ونطقت المرأة بالحق وامر ملائكته حتى عبروا بهارون عليهم فرأوه غير مجروح

تعلموا براءة موسى عن ما رموه به وعلى الثاني فبرأه الله مما قالوا اى اخرجه عن عهدة ما طلبوا باعطائه البعض اياهم واظهار عدم جواز البعض وقطع حججهم ثم ضرب عليهم الذلة والمسكنة وغضب عليهم **قوله تعالى** عند الله الخاصة على عبد الظرفية المجازية وابن مسعود والاعمش وابو حيوة عبدا من العبودية لله جار ومجرور وبنى حسنة قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ فى رمضان فسمعته يقرأ بقراءة ابن مسعود هذه قال شهاب الدين وكان مولعا بنقل الشاذة وما فى مما قالوا اما مصدرية واما بمعنى الذى وكان وجيها كريما ذا جاه يقال وجه الرجل يوجه وجاهة فهو وجيه اذا كان ذا جاه وقدر قال ابن عباس كان حظيا عند الله لا يسأل شيئا الا اعطاه وقال الحسن كان مستجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا واختلفوا فيما اوذى به موسى فروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شىء استحياء منه فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر الا من عيب بجلده اما برص واما ادرة واما آفة وان الله اراد ان يبرئه مما قالوا فخلا يوما وحده فخلع فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل الى ثيابه ليأخذها وان الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى الى ملإ من بنى اسرائيل فرأوه عريانا احسن ما خلق الله وابرأه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه واستتر وطفق بالحجر يضربه بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من اثر ضربه ثلاثا او اربعا او خمسا وقيل لما مات هرون فى التيه ادعوا على موسى انه قتله فامر الله الملائكة حتى مروا به على بنى اسرائيل فعرفوا انه لم يقتله ولم يروا ببدنه جرحا وقال ابو العالية ان قارون استأجر امرأة لتقذف موسى بنفسها على رأس الملإ فعصمه الله وبرأ موسى واهلك قارون وروى ابو وائل قال سمعت عبد الله قال قسم النبى صلى الله عليه وسلم قسما فقال رجل ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرته فغضب حتى رأيت الغضب فى وجهه ثم قال يرحم الله موسى لقد اوذى باكثر من هذا فصبر **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا قال ابن عباس صوابا وقال قتادة عدلا وقال الحسن صدقا وقيل مستقيما وقال عكرمة هو قول لا اله الا الله يصلح لكم اعمالكم قال ابن عباس يتقبل حسناتكم وقال مقاتل يزكى اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ويحتمل انه اراد بالفوز العظيم الثواب الكبير الدائم الابدى **قوله تعالى** انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال وهذا اما حقيقة واما تمثيل وتخييل واراد بالامانة الطاعة والفرائض التى فرضها الله على عباده عرضها على السموات والارض والجبال على انهم ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم قاله ابن عباس وقال ابن مسعود الامانة اداء الصلوات وايتاء الزكوات وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل فى المكيال والميزان واشد من هذا كله الودائع وقال مجاهد الامانة الفرائض وحدود الدين وقال ابو العالية ما امروا به ونهوا عنه وقال زيد بن اسلم هى الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من الشرائع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق الله من الانسان فرجه وقال هذه امانة استودعتكها فالفرج امانة والاذن امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وقيل هى امانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن ان لا يغش مؤمنا ولا معاهدا فى شىء قليل ولا كثير وهذه رواية الضحاك عن ابن عباس وجماعة من التابعين واكثر السلف ان الله عرض هذه الامانة على السموات والارض والجبال فقال لهن اتحملن هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها فقال ان احسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن فقلن لا يا رب نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لله خوفا ان لا يقوموا بها لا معصية ومخالفة وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو الزمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات كلها خاشعة لله عز وجل مطيعة ساجدة له كما قال تعالى للسموات والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقال فى الحجارة وان منها لما يهبط من خشية الله وقال الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب الآية وقال بعضهم ركب الله عز وجل فيهن العقل والفهم حين عرض الامانة عليهن حتى عقلن الخطاب واجبن بما اجبن وقيل المراد من العرض على السموات والارض هو العرض على اهل السموات عرضها على من فيها من الملائكة وقيل المراد المقابلة اى قابلنا الامانة مع السموات فرجحت الامانة وهى الدين والاول اصح وهو قول اكثر العلماء **قوله تعالى** فابين ان يحملنها اتى بضمير هذه كضمير الاناث لان جمع التكسير غير العاقل يجوز فيه ذلك وان كان مذكرا وانما ذكرنا ذلك لئلا يتوهم انه قد غلب المؤنث وهو السموات على المذكر وهو الجبال واعلم انه لم يكن اباؤهن كاباء ابليس فى قوله تعالى ان يكون مع الساجدين لان السجود هناك كان فرضا وههنا الامانة كانت عرضا والاباء هناك كان استكبارا وههنا استصغارا لقوله تعالى واشفقن منها اى خفن من الامانة ان لا يؤدينها فيلحقهن العقاب وحملها الانسان يعنى آدم عليه السلام فقال لآدم انى عرضت الامانة على السموات والارض فلم تطقها فهل انت آخذها بما فيها فقال يا رب وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسأت عوقبت فتحملها آدم عليه السلام وقال بين اذنى وعاتقى فقال الله تعالى اما اذا تحملت فسأعينك اجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان تنظر الى ما لا يحل لك فارخ عليه حجابه واجعل للسانك لحيين وغلقا فاذا خشيت فاغلق واجعل لفرجك سترا فاذا خشيت فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين ان تحملها وبين ان اخرج من الجنة الا مقدار ما بين الظهر الى العصر انه كان ظلوما جهولا قال ابن عباس ظلوما لنفسه جهولا بامر الله وما احتمل من الامانة وقال الكلبى ظلوما حين عصى ربه جهولا لا يدرى ما العقاب فى ترك الامانة وقال مقاتل ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة ما تحمل وذكر الزجاج وغيره من اهل المعانى فى قوله وحملها الانسان قولا فقالوا ان الله ائتمن آدم واولاده على شىء وائتمن اهل السموات والارض والجبال على شىء فالامانة فى حق بنى آدم ما ذكرنا من الطاعة والقيام بالفرائض والامانة فى حق السموات والارض والجبال هى الخضوع والطاعة لما خلقهن له فابين ان يحملنها اى ادين الامانة يقال فلان لم يحمل الامانة اى لم يخن فيها وحملها الانسان اى خان فيها ويقال فلان حمل الامانة اى اثم فيها بالخيانة قال تعالى وليحملن اثقالهم انه كان ظلوما جهولا حكى عن الحسن على هذا التأويل انه قال وحملها الانسان يعنى الكافر والمنافق حملا الامانة اى خانا والاول قول السلف **قوله تعالى** ليعذب متعلق بقوله وحملها فقيل هى لام الصيرورة لانه لم يحملها كذلك وقيل لام العلة على المجاز لما كانت نتيجة حمله ذلك جعلت كالعلة الباعثة **فصل** قال مقاتل ليعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات بما خانوا الامانة ونقضوا الميثاق ثم قال ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات قرأ الاعمش برفع ويتوب على الاستئناف اى يهديهم ويرحمهم بما ادوا من الامانة وقال ابن قتيبة عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله ويظهر ايمان المؤمن فيتوب الله عليه اى يعود عليه بالرحمة والمغفرة ان حصل منه تقصير فى الطاعات وعطف المشرك على المنافق ولم يعد اسمه تعالى فلم يقل ويعذب الله المشركين وعند التوبة اعاد اسمه وقال ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ولو قال ويتوب على المؤمنين والمؤمنات كان المعنى حاصلا ولكنه اراد تفضيل المؤمن على المنافق فجعله كالكلام المستأنف ويجب هنا ان ذكر الفاعل يقال ويتوب الله ثم قال وكان الله غفورا رحيما اى كان غفورا للظالم رحيما على الجهول روى الثعلبى عن ابى امامة عن ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطى الامان من عذاب القبر والله اعلم بالصواب

سورة سبا

وهى خمس وخمسون آية وثمانمائة وثلاث وثمانون كلمة واربعة الاف وخمسمائة واثنا عشر حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**

قوله تعالى الحمد لله الذى له ما فى السموات اعلم ان السور المفتتحة بالحمد خمس سور اثنتان منها فى النصف الاول وهما الانعام والكهف وسورتان فى النصف الاخير وهما هذه وسورة الملائكة والخامسة هى فاتحة الكتاب تقرأ مع النصف الاول ومع النصف الاخير والحكمة فيها ان نعم الله مع كثرتها وعدم قدرتنا على احصائها منحصرة فى قسمين نعمة الايجاد ونعمة الابقاء فان الله خلقنا اولا برحمته وخلق لنا ما نقوم به وهذه النعمة توجد مرة اخرى بالاعادة فانه يخلقنا مرة اخرى ويخلق لنا ما يدوم به فلنا حالتان الابداء والاعادة وفى كل حالة له تعالى علينا نعمتان نعمة الايجاد ونعمة الابقاء فقال فى النصف الاول الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور اشارة الى الشكر على نعمة الايجاد ويدل عليه قوله تعالى الذى خلقكم من طين فاشار الى الايجاد الاول وقال فى السورة الثانية الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر فاشار الى الشكر على نعمة الابقاء فان الشرائع بها البقاء ولولا شرع ينقاد له لاتبع كل واحد هواه ووقعت المنازعات وادت الى التقاتل والتفانى وقال ههنا الحمد لله الذى له ما فى السموات اشارة الى نعمة الايجاد الثانى بدليل قوله وله الحمد فى الآخرة وقال فى الملائكة الحمد لله فاطر السموات والارض اشارة الى نعمة الابقاء بدليل قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اى يوم القيامة يرسلهم الله مسلمين على المسلمين كما قال تعالى وتتلقاهم الملائكة وقال تعالى سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وفاتحة الكتاب لما اشتملت على ذكر نعمتين اشار بقوله الحمد لله رب العالمين الى النعمة العاجلة واشار بقوله مالك يوم الدين الى النعمة الآجلة ترتيبا للافتتاح والاختتام عليهما **فان قيل** قد ذكرتم ان الحمد ههنا اشارة الى النعم التى فى الآخرة فلما ذكر الله السموات والارض **فالجواب** ان نعم الآخرة غير مرئية فذكر الله النعم المرئية وهى ما فى السموات وما فى الارض ثم قال وله الحمد فى الآخرة ليقاس نعم الآخرة بنعم الدنيا ويعلم فضلها بدوامها **قوله تعالى** الذى له يجوز فيه ان يكون تابعا وان يكون مقطوعا نصبا او رفعا على المدح فيهما وما فى السموات يجوز ان يكون فاعلا به وهو الاحسن وان يكون مبتدأ **قوله تعالى** فى الآخرة يجوز ان يتعلق بنفس الحمد وان يتعلق بما تعلق به خبره وهو الحكيم يجوز ان يكون معترضا اذا اعربنا يعلم حالا مؤكدة من ضمير البارى تعالى ويجوز ان يكون يعلم مستأنفا وان يكون حالا من الضمير فى الخبير **فصل** له ما فى السموات وما فى الارض ملكا وخلقا وله الحمد فى الآخرة كما هو له فى الدنيا لان النعم فى الدين كلها منه وقيل الحمد فى الآخرة هو حمد اهل الجنة كما قال تعالى وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن

والحمد لله الذي صدقنا وعده وهو الحكيم الخبير فالحكمة هي العلم الذي يتصل به الفعل فان من يعلم امرا ولا ياتي بما يناسب علمه لا يقال له حكيم والفاعل الذي فعله على وفق العلم هو الحكيم والخبير هو الذي يعلم عواقب الامور وبواطنها فقوله حكيم اي ابتدا الخلق كما ينبغي وخبير اي بالانتها يعلم ما يصدر من المخلوق وما لا يصدر فهو حكيم في الابتدا خبير في الانتها ثم بين كمال خبره بقوله يعلم ما يلج في الارض اي يدخل فيها من الما والاموات وما يخرج منها من النبات والاموات اذا حشروا **قوله تعالى** وما ينزل العامة على ينزل مفتوح اليا مخفف الزا مسندا الى ضمير ما وعلي رضي الله عنه والسلمي بضمها وتشديد الزا اي الله تعالى والمراد الامطار والملائكة والقران وما يعرج فيها من الكلام الطيب لقوله اليه يصعد الكلم الطيب والملائكة والاعمال الصالحة لقوله والعمل الصالح يرفعه وقدم ما يلج في الارض على ما ينزل من السما لان الحبة تبذر اولا ثم تسقى ثانيا وقال ما يعرج فيها ولم يقل ما يعرج اليها اشارة الى قبول الاعمال الصالحة لان كلمة الى للغاية فلو قال وما يعرج اليها لفهم الوقوف عند السموات فقال وما يعرج فيها ليفهم نفوذها فيها وصعودها منها ولهذا قال في الكلم الطيب اليه يصعد الكلم الطيب لان الله هو المنتهى ولا مرتبة فوق الموصول اليه ثم قال وهو الرحيم الغفور رحيم بالانزال حيث ينزل الرزق من السما غفور عند ما يعرج اليه الارواح والاعمال ثم بين ان هذه النعمة التي يستحق الله بها الحمد وهي نعمة الاخرة انكرها قوم فقال وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة **قوله تعالى** بلى جواب لقولهم لا تاتينا وما بعدها قسم على ذلك وقرا العامة لتاتينكم بالتانيث وقرا طلق باليا فقيل اي البعث وقيل على معنى الساعة اي اليوم قاله الزمخشري ورده ابو حيان بانه ضرورة كقوله ولا ارض ابقل ابقالها وليس مثله وقيل اي الله بمعنى امره ويجوز على قياس هذا الوجه ان يكون عالم فاعلا لتاتينكم في قراة من رفعه **قوله تعالى** عالم قرا الاخوان علام على صيغة المبالغة وخفضه نعتا لربي او بدلا منه وهو قليل لكونه مشتقا ونافع وابن عامر عالم بالرفع على هو عالم او على انه مبتدا وخبره لا يعزب او على ان خبره مضمر اي هو ذكره الحوفي وفيه بعد والباقون عالم بالخفض على ما تقدم واذا جعل نعتا فلا بد من تقديره بتعريفه وقد تقدم ان كل صفة يجوز ان تتعرف بالاضافة الا الصفة المشبهة وتقدم قرا يعزب في يونس **فصل** اعلم ان الله تعالى رد على منكري الساعة فقال قل بلى وربي لتاتينكم فاخبر باتيانها واكدها باليمين قال قيل انهم يقولون لا رب وان كانوا يقولون به لكن المسئلة الاصولية لا تثبت باليمين فاجاب عن هذا بانه لم يقتصر على اليمين بل ذكر الدليل وهو قوله ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات وبيان كونه دليلا هو ان المسي قد يبقى في الدنيا مدة مديدة في اللذات العاجلة ويموت عليها والمحسن قد يدوم في الدنيا في الالام الشديدة ويموت فيها فلولا دار يكون الجزا فيها لكان الامر على خلاف الحكمة **قوله تعالى** لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض فيه لطيفة وهي ان الانسان له جسم وروح فالاجسام اجزاوها في الارض والارواح في السما فقوله لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات اشارة الى علمه بالارواح وقوله ولا في الارض اشارة الى علمه بالاجسام فاذا علم الروح والاجسام قدر على جمعها فلا استبعاد في الاعادة **قوله تعالى** ولا اصغر العامة على رفع اصغر واكبر وفيه وجهان احدهما الابتدا والخبر قوله الا في كتاب والثاني النسق على مثقال وعلى هذا فيكون الا في كتاب تاكيدا للنفي في لا يعزب لانه قال لكنه في كتاب مبين وقرا قتادة والاعمش ورويت عن ابي عمرو ونافع ايضا بفتح الرا وفيها وجهان احدهما انها لا التبرية بني اسمها معها والخبر قوله الا في كتاب والثاني النسق على ذرة وتقدم في يونس ان حمزة قرا بفتح را اصغر واكبر وهنا وافق على الرفع وتقدم البحث هناك قال الزمخشري فان قلت هلا جاز عطف ولا اصغر على مثقال وعطف ولا اكبر على ذرة قلت يابى ذلك حرف الاستثنا الا اذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل ان تكتب في اللوح لان اثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى انه لا ينفصل عن الغيب شي ولا يزل عنه الا مسطورا في اللوح قال ابو حيان ولا يحتاج الى هذا التاويل اذا جعلنا الكتاب ليس اللوح المحفوظ وقرا زيد بن علي بخفض را اصغر واكبر وهي مشكلة جدا وخرجت على انها في نية الاضافة اذ الاصل ولا اصغره ولا اكبره وما لا ينصرف اذا اضيف انجر في موضع الجر ثم حذف المضاف اليه ونوى معناه فترك المضاف بحاله وله نظاير كقولهم بين ذراعي وجبهة الاسد وباسم سم عدي على خلاف وقد يفرق بان هناك ما يدل على المحذوف لفظا بخلاف هنا وقد رد بعضهم هذا التخريج لوجود من لان افعل متى اضيف لم يجامع من واجيب عن ذلك بوجهين احدهما ان من ليست متعلقة بافعل بل بمحذوف على سبيل البيان لانه لما حذف المضاف اليه ابهم المضاف فبين بمن ومجرورها اي اعني من ذلك والثاني انه مع تقديره للمضاف اليه نوى طرحه فلذلك اتى بمن ويدل على ذلك انه قد ورد التصريح بالاضافة مع وجود من قال الشاعر نحن بغرس الودي اعلمنا منا بركض الجياد في السدد وخرج على هذين الوجهين اما المتعلق بمحذوف واما نية اطراح المضاف اليه وهذا كما احتاجوا الى تاويل الجمع بين ال ومن في افعل كقوله ولست بالاكثر منهم حصى وهذه توجيهات شذوذ يكفي فيها مثل ذلك **فصل** قوله ولا اصغر من ذلك اشارة الى ان مثقال لم يذكر للتحديد بل الا اصغر منه لا يعزب قال قيل فاي حاجة الى ذكر الاكبر

فان من علم الاصغر من الذرة لا بد وان يعلم الاكبر فالجواب لما كان الله تعالى اراد بيان اثبات الامور في الكتاب فلو اقتصر على الاصغر لتوهم متوهم انه يثبت الصغاير لكونها محل النسيان واما الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اثباته فقال الاثبات في الكتاب ليس كذلك واثباته لاجل ابطال ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات **قوله تعالى** ليجزي فيه اوجه احدها انه متعلق فلا يعزب وقال ابو البقا معنى لا يعزب اي لا يحضر ذلك ليجزي وهو حسن او بقوله لتاتينكم او العامل فيه قوله الا في كتاب اي الا استقر ذلك في كتاب مبين ليجزي **فصل** اعلم انه تعالى ذكر فيهم امرين الايمان والعمل الصالح وذكر لهم امرين المغفرة والرزق الكريم فالمغفرة جزا الايمان فكل مومن مغفور له لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقوله عليه السلام يخرج من النار من قال لا اله الا الله ومن في قلبه وزن ذرة من ايمان والرزق الكريم على العمل الصالح وهذا مناسب فان من عمل لسيد كريم عملا فعند فراغه من العمل لا بد وان ينعم عليه وتقدم وصف الرزق بالكريم بانه بمعنى ذا كرم او مكرم او لانه ياتي من غير طلب بخلاف رزق الدنيا فانه ان لم يطلب او يتسبب فيه لا ياتي **قال قيل** ما الحكمة في تمييز الرزق بوصفه بانه كريم ولم يصف المغفرة **فالجواب** لان المغفرة واحدة وهي للمومنين واما الرزق فمنه شجرة الزقوم والحميم ومنه الفواكه والشراب الطهور فميز الرزق لحصول الانقسام فيه ولم يميز المغفرة لعدم الانقسام فيها **فصل** قوله اوليك لهم مغفرة ورزق كريم يحتمل وجهين احدهما ان يكون ذلك لهم جزا فوصله اليهم لقوله ليجزي الذين امنوا وثانيهما ان يكون ذلك لهم والله يجزيهم بشي اخر لان قوله اوليك لهم جملة تامة اسمية وقوله تعالى ليجزي الذين امنوا جملة فعلية مستقلة وهذا ابلغ في الاشارة من قول القايل ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات **فصل** اللام في ليجزي للتعليل ومعناه الاخرة للجزا **قال قيل** فما وجه المناسبة **فالجواب** ان الله تعالى اراد ان لا يقطع ثوابه فجعل للمكلف دارا باقية يكون ثوابه واصلا اليه فيها دايما ابدا وجعل قبلها دارا فيها الالام والاسقام وفيها الموت ليعلم المكلف مقدار ما يكون فيه في الاخرة اذا نسبه الى ما قبله والذين سعوا يجوز فيه وجهان اظهرهما انه مبتدا واوليك وما بعده خبره والثاني انه عطف على الذين قبله اي ويجزي الذين سعوا ويكون اوليك الذي بعده مستانفا واوليك الذي قبله وما في حيزه معترضا بين المتعاطفين **قوله تعالى** والذين سعوا في اياتنا معجزين اي في ابطال ادلتنا معجزين يحسبون انهم يفوتوننا وقد تقدم في الحج قرا معاجزين واعلم انه تعالى لما بين حال المومنين يوم القيامة بين حال الكافرين والمراد بهم الذين كذبوا باياتنا وقوله معجزين اي سعوا في ابطال لان المكذب اتى باخفا ايات بينات فيحتاج الى السعي العظيم والجد البليغ ليروج كذبه لعله يعجز المتمسك به **قوله تعالى** اوليك لهم عذاب من رجز اليم قرا ابن كثير وحفص هنا وفي الجاثية اليم بالرفع والباقون بالخفض فالرفع على انه نعت لعذاب والخفض على انه نعت لرجز الا ان مكيا ضعف الرفع واستبعده قال لان الرجز هو العذاب فيصير التقدير عذاب اليم من عذاب وهذا المعنى غير ممكن قال والاختيار خفض اليم لانه اصح في التقدير والمعنى اذ تقديره لهم عذاب من عذاب اليم اي هذا الصنف من اصناف العذاب لان العذاب بعضه الم من بعض واجيب بان الرجز مطلق العذاب فكانه قيل لهم هذا الصنف من العذاب من جنس العذاب وكان ابا البقا لحظ هذا حيث قال وبالرفع صفة لعذاب والرجز مطلق العذاب **فصل** قال قتادة الرجز سوء العذاب فتكون من لبيان الجنس كقولك خاتم من فضة قال ابن الخطيب قال هنا رزق كريم ولم يقل بمن فلم يقل لهم نصيب من رزق ولا رزق من جنس كريم وقال ههنا لهم عذاب من رجز اليم بلفظة صالحة للتبعيض وذلك اشارة الى سعة الرحمة وقلة الغضب وقال هناك لهم مغفرة ثم قال ورزق كريم وههنا لم يقل الا لهم عذاب فزاد ثم هناك الرزق الكريم وههنا لم يزد بهم على العذاب وفيما قاله نظر لقوله تعالى في موضع اخر زدناهم عذابا فوق **قوله تعالى** ويرى الذين اوتوا العلم فيه وجهان احدهما انه عطف على ليجزي قال الزمخشري اي وليعلم الذين اوتوا العلم عند مجي الساعة وانما تعلق بقوله ليجزي بقوله لتاتينكم فبنى هذا عليه وهو من الحسن ترتيب والثاني انه مستانف تخبر عنهم بذلك والذي انزل هو المفعول الاول وهو فصل والحق مفعول ثان لان الروية علمية وقرا ابن ابي عبلة الحق بالرفع على انه خبر هو والجملة في موضع المفعول الثاني وهي لغة تميم يجعلون ما هو فصل مبتدا وخبره ومن ربك حال على القرايتين باطل فان من اوتي علما لا يعتبر **فصل** لما بين حال من يسعى في التكذيب في الاخرة بين حاله في الدنيا وهو ان تكذيبه وهو يعلم ان ما انزل الى محمد عليه السلام حق وصدق وقوله هو الحق يفيد الحصر اي ليس الحق الا ذلك واما قول المكذب فباطل بخلاف ما اذا تنازع خصمان والنزاع لفظي فيكون قول كل واحد حقا في المعنى قال المفسرون ويرى الذين اوتوا العلم يعني مومني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه الذي انزل اليك من ربك هو الحق يعني القران هو الحق يعني انه من عند الله **قوله تعالى** ويهدي فيه اوجه احدها انه مستانف وفي فاعله احتمالان اظهرهما انه ضمير الذي انزل وهو القران والثاني ضمير اسم الله تعالى وتعلق هذا بقوله الى صراط العزيز الحميد انه لو كان كذلك لقيل الى صراطه ويجاب بانه من الالتفات ومن ابراز المضمر ظاهرا تنبيها على وصفه بهاتين الصفتين الوجه الثاني انه عطف على موضع الحق وان معه مضمرة تقديره هو الحق والهداية الثالث انه عطف على الحق عطف فعل على اسم لانه

في تأويله كقوله تعالى صافات ويقبضن اي وقابضات كانه عطف الاسم على الفعل لان الفعل بمعناه كقوله •
فالمغيرة يوما ابتسر عدوه • ويجرعظا يستخف المعاصرا • كانه قيل وليروه الحق وهاديا • الرابع انه ويهدي حال من الذي
انزل ولا بد من اضمار مبتدا اي وهو يهدي كقوله • نجوت وارهنهم مالكا • وهو قليل جدا ثم قال الى صراط العزيز الحميد وههنا نكتة
الصفتان يفيدان الرهبة والرغبة والعزيز يفيد التخويف والانتقام من المكذب والحميد يفيد الترغيب في الرحمة
للمصدق قوله تعالى وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل لما بين حال المكذب بالساعة ورد عليه بقوله قل بلى وربي لتاتينكم
ثم بين ما يكون بعد اتيانها من جزاء المؤمن على عمله الصالح وجزاء الساعي في تكذيب الايات بالتعذيب على السيئات وبين
حال الكافر والمؤمن بعد قوله عليه السلام بلى وربي لتاتينكم فقال المؤمن الذي انزل اليك من ربك وهو يهدي
وقال الكافر المنكر للبعث متعجبا هل ندلكم على رجل ينبئكم يخبركم يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وهذا كقول القائل في الاستبعاد
جاء رجل يقول ان الشمس تطلع من الغرب الى غير ذلك من المحالات قوله تعالى اذا مزقتم • اذا منصوب بمقدر اي تبعثون
وتحشرون وقت مزقتم دل عليه لفي خلق جديد ولا يجوز ان يكون العامل ينبئكم لان التنبيه لم يقع ذلك الوقت
ولا خلق جديد لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها ومن توسع في الظرف اجازه هذا اذا جعلنا اذا ظرفا محضا فان جعلناه شرطا كان
جوابها مقدرا اي تبعثون وهو العامل في اذا عند جمهور النحاة وجوز الزجاج والنحاس ان يكون معموله لمزقتم وجعله ابن
عطية خطا وافسادا للمعنى • قال ابو حيان وليس بخطا ولا افساد وقد اختلف في العامل في اذا الشرطية والصحيح ان العامل
فيها فعل الشرط • وقال شهاب الدين والجمهور على خلافه ثم قال ابو حيان والجملة الشرطية يحتمل ان تكون معمولة لينبئكم
لانه في معنى يقول لكم اذا مزقتم تبعثون ثم اكد ذلك بقوله انكم لفي خلق جديد ويحتمل ان يكون انكم لفي خلق معلقا
لينبئكم سادا مسد المفعولين ولولا اللام لفتحت ان وعلى هذا الجملة الشرطية اعتراض وقد منع قوم التعليق في اعلم وبابها والصحيح
جوازه قال • فقد تبيت انك للذي • ستجزى بما تسعى فتسعد او تشقى • وقرا زيد بن علي بابدال الهمزة ياء وعنه ينباكم من
النبا كرم • وممزق فيه وجهان احدهما انه اسم مصدر وهو قياس كل ما زاد على الثلاثة ان يجيء مصدره وزمانه ومكانه
على زنة اسم مفعوله اي كل تمزيق • والثاني انه ظرف مكان قاله الزمخشري ان كل تمزيق من القبول وبطون الوحش
والطير ومن يجيء مفعل للتفعيل قوله • الم تعلمن مسرحي القوافي • فلا عيا بهن ولا اجتلابا • اي تسريحي والتمزيق التخريق
والتقطيع يقال ثوب ممزق ومزيق ويقال مزقه فهو مازق ومزق ايضا قال • اتاني انهم مزقون عرضي • وقال
الممزق العبدي • وبه سمي الممزق • فان كنت ماكولا فكن خير اكل • والا فادركني ولما امزق • اي وما بلوا بي وجديد
عند البصريين بمعنى فاعل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده اي قطعه فصل المعنى ان الكفار قالوا لقومهم
متعجبين ان محمدا يقول انكم اذا متم ومزقتم وتقطعتم كل تقطيع وفرقتم كل تفريق وصرتم ترابا انكم لفي خلق جديد
اي تخلقون خلقا جديدا قوله تعالى افترى هذه همزة استفهام وحذفت لاجلها همزة الوصل فلذلك تثبت هذه
الهمزة وصلا وابتداء قال البغوي هذه الف استفهام دخلت على الف الوصل فلذلك قوله تعالى على الله كذبا وبهذه
الاية استدل الجاحظ على ان الكلام ثلاثة اقسام صدق وكذب ولا صدق ولا كذب ووجه الدلالة منه على القسم
الثالث ان قوله ام به جنة لا جائز ان يكون كذبا لانه قسيم الكذب وقسيم الشيء غيره ولا جائز ان يكون صدقا لانهم لم يعتقدوه
فثبت ثم ثالث واجيب عنه بان المعنى ام لم يفتر وعبر عن هذا بقولهم ام به جنة لان المجنون لا افتراء له والظاهر
في ام هذه انها متصلة لانها تتقدر باي الشيئين ويجاب باحدهما كانه قيل اي الشيئين واقع افتراء الكذب ام
كونه مجنونا ولا يضر كونها بعدها جملة لان الجملة تتاول بالمفرد كقوله •
لا ابالي ابنت بالحزن تيس • ام جفاني بظهر غيب لئيم • ومثله قول الاخر • لعمرك ما ادري وان كنت داريا •
شعيث بن سهم ام شعيث بن منقر • لان منقر خبر لا نعت كذا انشده بعضهم مستشهدا على انها جملة وفيه حذف
التنوين من ما قبل ابن وليس بصفة وهذه اشارة الى البحث المتقدم في سورة التوبة فصل قوله افترى على الله كذبا
يحتمل ان يكون من تمام قول الكافرين اولا اي من كلام القائلين هل ندلكم على رجل ويحتمل ان يكون من كلام السامع
المجيب للقائل هل ندلكم كان السامع لما قيل له هل ندلكم على رجل قال له هو يفتري على الله كذبا ان كان يعتقد خلافه
او به جنة مجنون ان كان لا يعتقد خلافه وفي هذه لطيفة وهي ان الكافر لا يرضى بان يظهر كذبه ولهذا قسم ولم
يجزم بانه مفتر بل قال مفتر او مجنون احترازا من ان يقول قائل كيف تقول فانه مفتر مع انه جاز ان يظن ان الحق
ذلك وظن الصدق يمنع تسمية القائل مفتريا او كاذبا في بعض المواضع الا ترى ان من يقول جاء زيد فاذا تبين
انه لم يجئ وقيل له لم كذبت يقول لما كذبت وانا سمعته من فلان فظننت انه صادق فيدفع الكذب عن نفسه
بالظن فهم احترزوا عن تبيين كذبهم فكل عاقل ينبغي ان يحترز عن ظهور كذبه رد عليهم فقال بل الذين
كفروا في العذاب في مقابلة قولهم افترى على الله كذبا وقوله في الضلال البعيد عن الحق في الدنيا وهذا في مقابلة
قولهم به جنة وكلاهما مناسب اما العذاب فلان نسبة الكذب الى الصادق موذ لانه شهادة عليه بانه يستحق

العذاب

العذاب فجعل العذاب عليهم حيث نسبوا العذاب اليه واما الجنون فلان نسبة الجنون الى العاقل دونه في الايذاء فانه
لا يشهد عليه بانه يكذب وانما ينسبه الى عدم الهداية فبين انهم هم الضالون ثم وصف ضلالهم بالبعد لان من يسمي
المهتدي ضالا لا يكون اضل والنبي عليه السلام كان هادي كل مهتد قوله تعالى افلم فيه المشهور ان قدره الزمخشري
افعموا فلم يروا وغيره يدعي ان الهمزة مقدمة على حرف العطف قوله تعالى من السماء متعلق بالموصول فيتعلق بمحذوف ويجوز
ان يكون حالا فيتعلق به ايضا ثم حال محذوفة تقديره افلم يروا الى ما هو محيط بهم قدامهم او محيطا بهم فيعلموا انهم حيث
كانوا فان ارضي وسمائي محيطة بهم لا يخرجون من اقطارها وانا القادر عليهم قوله تعالى ان نشا قرا الاخوان نشا نخسف
نسقط بالياء في الثلاثة والباقون بنون العظمة فيها وتماو اضحكان وادغم الكسائي الفاء في الباء واستضعفها الناس من
حيث ادغم الاقوى في الاضعف قال الفارسي وذلك لا يجوز لان الباء اضعف في الصوت من الفاء فلا تدغم فيها وان كانت
الباء تدغم فيها نحو اضرب فلانا كما تدغم الباء في الميم كقولك اضرب مالكا وان كانت الميم لا تدغم في الباء نحو اضمم بكرا لان الباء
انحطت عن الميم بفقد الغنة • وقال الزمخشري وليست بالقوية وهذا لا ينبغي لانها متواترة فصل لما ذكر الدليل
بكونه عالم الغيب وكونه جاريا على السيئات والحسنات ذكر دليلا اخر فيه التهديد والتوحيد فاما دليل التوحيد فذكره
السماء والارض فانهما يدلان على الوحدانية كما تقدم مرارا ويدلان على الحشر والاعادة لانهما يدلان على كمال القدرة لقوله
تعالى وليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم واما التهديد فقوله ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط
عليهم من السماء كسفا اي يجعل عين نافعهم ضارهم بالخسف والكسف ثم قال ان في ذلك لاية اي فيما ترون من السماء والارض
انه دل على قدرتنا على البعث لكل عبد منيب تائب راجع الى الله بقلبه ثم انه تعالى لما ذكر من ينيب من عباده ذكر منهم من
اناب ومن جملتهم داود كما قال تعالى عنه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب قوله تعالى ولقد اتينا داود منا فضلا قوله
منا اشارة الى بيان فضل داود لان قوله ولقد اتينا داود فضلا مستقل بالمفهوم وتام كما يقول القائل اتى الملك زيدا
خلعة فاذا قال القائل اتاه منه خلعة يفيد انه كان من خاص ما يكون له فلذلك ايتاء الله الفضل عام لكن النبوة من
عنده خاص بالبعض نظيره قوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان فان رحمة الله واسعة تصل الى كل احد لكن
رحمته في الاخرة على المؤمنين رحمة من عنده لخواصه والمراد بالفضل النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل جميع ما اوتي
من حسن الصوت وتليين الحديد وغير ذلك مما خص به قوله تعالى يا جبال محكي بقول مضمر ثم ان شئت قدرته مصدرا
ويكون بدلا من فضلا على جهة تفسيره به كانه قيل اتيناه فضلا قولنا يا جبال وان شئت قدرته وحينئذ لك وجهان
ان شئت جعلته بدلا من اتينا معناه اتينا قلنا يا جبال وان شئت جعلته مستانفا قوله تعالى اوبي • العامة على فتح الهمزة
وتشديد الواو امرا من التاويب في التسبيح وقوله يسبح النهار كله ويبرك الليل كانه قال اداما في النهار كله بالتسبيح معه وقال
وهب نوحي معه وقيل سيري معه والتضعيف يحتمل ان يكون للتكثير واختار ابو حيان ان يكون للتعدي قال لانهم فسروه
برجعي معه التسبيح ولا دليل فيه لانه تفسير معنى وقرا ابن عباس والحسن وقتادة وابن ابي اسحق اوبي بضم الهمزة امرا
من اب يؤوب اي رجعي معه بالتسبيح قوله تعالى والطير • العامة على نصبه وفيه اوجه احدها انه عطف على محل جبال
لانه منصوب تقديرا • الثاني انه مفعول معه قاله الزجاج ورد عليه بان قبله لفظ معه ولا يقتضي العامل اكثر من
مفعول معه واحد الا بالبدل او العطف لا يقال جاء زيد مع بكر مع عمرو وقال شهاب الدين وخلافهم في تعقيبه حالين
يقتضي مجيئه هنا • الثالث انه عطف على فضلا قاله الكسائي ولا بد من حذف مضاف تقديره اتيناه فضلا وتسبيح
الطير • الرابع انه منصوب باضمار فعل اي وسخرنا له الطير قاله ابو عمرو وقرا السلمي والاعرج ويعقوب ونوفل وابو يحيى
وعاصم في رواية والطير بالرفع وفيه اوجه النسق على لفظ جبال وانشد • الا يا زيد والضحاك سيرا •
فقد جاوزتما خمر الطريق • بالوجهين وفي عطف المعرف بال على المنادى المضموم ثلاثة مذاهب • الثاني عطفه على
الضمير المستكن في اوبي وجاز ذلك للفصل بالظرف • الثالث الرفع على الابتداء والخبر مضمر اي والطير كذلك اي تؤوب
لم يكن الموافقين له في التاويب منحصرا في الطير والجبال ولكن ذكر الجبال لان الصخور للجمود والطير للنفور وكلاهما يستبعد
منه الموافقة فاذا وافقه هذه الاشياء فغيرها اولى ثم من الناس من لم يوافقه وهم القاسية قلوبهم التي هي اشد قسوة
قال المفسرون كان داود اذا نادى بالنياحة اجابته الجبال بالصدى الذي يسمعه الناس اليوم من ذلك • وقيل كان داود
اذا تخلل الجبال يسبح الله جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح • وقيل كان داود اذا لحقه فتور اسمعه الله تسبيح
الجبال تنشيطا له قوله تعالى والنا • عطف على اتينا وهو من جملة الفضل قال ابن الخطيب ويحتمل ان يعطف على قلنا
في قوله يا جبال اوبي والنا فصل الان الله تعالى له الحديد حتى كان في يده كالشمع والعجين يعمل منه ما يشاء من
غير نار ولا ضرب مطرقة وذلك في قدرة الله يسير • روي انه طلب من الله ان يغنيه عن اكل مال بيت المال
فالان له الحديد وعلمه صنعة اللبوس وهو الدرع وانه اول من اتخذها وانما اختار الله له ذلك لانه وقاية
للروح التي هي من امره وتحفظ الادمي المكرم عند الله من القتل فالزراد خير من القواس والسياف وغيرهما

ان الغوص والسيف وعنهما من السلاح ربما يستعمل في قتل النفس المحرمة بخلاف الدرع قال عليه السلام كان داود لا ياكل
الا من عمل يده قوله تعالى ان اعمل فيه وجهان اظهرهما انها مصدرية على حذف حرف الجر اى لان والثاني قاله الحوفي
وغيره انها مفسرة لقوله والنا له الحديد ليعمل سابغات ورد هذا بان شرطها تقدم ما هو بمعنى القول
اى وامرناه ان اعمل ولا ضرورة تدعو الى ذلك وقرى صابغات لاجل الغين وتقدم تقريره في لقمان عند واسبغ عليكم
نعمه فصل معنى سابغات اى كوامل واسعات طوال تسحب في الارض وذكر الصفة ويعلم منها الموصوف قوله تعالى
وقدر في السرد والسرد نسج الدروع يقال لصانعه السراد والزراد المعنى قدر المسامير في حلق الدروع اى لا تجعل
المسامير غلاظا فتكسر الحلق ولا دقاقا فتقلقل فيها ويقال السرد المسمار في الحلقة يقال درع مسرورة اى مسمورة
الحلق وقدر في السرد اى اجعله على القصد وقدر الحاجة ويحتمل ان يقال السرد هو عمل الزرد وقوله وقدر في
السرد اى انك غير مامور به امر ايجاب انما هو اكتساب والكسب يكون بقدر الحاجة وباقي الايام والليالي للعبادة فقدر
في ذلك العمل ولا تشغل جميع اوقاتك بالكسب بل حصل به القوت فحسب ويدل عليه قوله تعالى واعملوا صالحا اى
لستم مخلوقين الا للعمل الصالح فاعملوا ذلك واكثروا منه والكسب قدروا فيه ثم اكد طلب الفعل الصالح بقوله اى
بما تعملون بصير يريد بهذا داود واهله لما ذكر المنيب الواحد ذكر منيبا اخر وهو سليمان لقوله تعالى والقينا على
كرسيه جسدا ثم اناب ثم ذكر ما استفاد من الانابة وهو قوله تعالى ولسليمان الريح العامة على النصب باضمار فعل
اى وسخرنا لسليمان وابو بكر بالرفع على الابتداء والخبر في الجار قبله او محذوف وجوز ابو البقاء ان يكون فاعلا بمعنى
الجار وليس بقوى لعدم اعتماده وكان قد وافقه في الانبياء غيره وعن العامة الريح بالافراد والحسن وابو
حيوة وخالد بن الياس الرياح جمعا وتقدم في الانبياء ان الحسن يقرا مع ذلك بالنصب وهنا لم ينقل له فان
قيل الواو في قوله ولسليمان للعطف فعلى قراءة الرفع يصير عطفا للجملة الاسمية على فعلية وهو لا يجوز او لا يحسن
فالجواب انه لما بين حال داود ومكانه قال ما ذكرنا لداود ولسليمان الريح واما على النصب فعلى قوله والنا له
الحديد كانه قال والنا لداود الحديد وسخرنا لسليمان الريح قوله تعالى غدوها شهر مبتدا وخبر ولا بد من حذف
مضاف اى غدوها مسيرة شهر او مقدار غدوها شهر او لو نصب لجاز الا انه لم يقرا بها فيما علمنا وقرا ابن ابي عبلة
غدوتها وروحتها على المرة والجملة اما مستانفة واما في محل الحال فصل المعنى غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة
شهر ومسير رواحها شهر فكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين قال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل
باصطخر وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند فان قيل ما الحكمة في قوله في الجبال
مع داود في الانبياء وفي هذه السورة فقال يا جبال اوبي معه وقال في الريح هناك وههنا لسليمان باللام فالجواب
ان الجبال لما سبحت شرفت بذكر الله فلم يضفها الى داود بلام الملك بل جعلها معه كالمصاحب والريح لم يذكر تسبيحها
فجعلها كالمملوكة له قوله تعالى واسلنا له عين القطر اى اذبنا له عين النحاس والقطر النحاس قال المفسرون
اجريت له عين النحاس ثلاثة ايام بلياليهن كجرى الماء وكان بارض اليمن وانما ينتفع الناس اليوم بما اخرج الله لسليمان
قوله تعالى من يعمل يجوز ان يكون مرفوعا بالابتداء وخبره في الجار قبله اى من الجن من يعمل وان يكون في موضع
نصب بفعل مقدر اى وسخرنا له من يعمل ومن الجن متعلق بهذا المقدر او بمحذوف على انه حال او بيان وباذن
حال اى ميسرا باذن ربه والاذن مصدر مضاف لفاعله وقرى ومن يزغ بضم الياء من ازاغ ومفعوله محذوف
اى يزغ نفسه اى يميلها ومن عذاب لابتداء الغاية او التبعيض فصل قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان
وامرهم بطاعته فيما يامرهم به ومن يزغ يعدل منهم من الجن عن امرنا الذي امرنا به من طاعة سليمان نذقه
من عذاب السعير في الاخرة وقيل في الدنيا وذلك ان الله وكل بهم ملكا بيده سوط من نار من زاغ فلهم من امر
سليمان ضربه ضربة احرقته قوله تعالى يعملون له ما يشاء مفسر لقوله من يعمل ومن محاريب بيان لما يشاء والمراد
بالمحاريب المساجد والابنية المرتفعة وكان مما عملوا له بيت المقدس ابتداه داود ورفعه قامة رجل فاوحى
الله اليه اني لم اقض ذلك على يدك ولكن ابن لك اسمه سليمان اقضي تمامه على يده فلما توفاه الله استخلف سليمان
فاحب اتمام بناء بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال فخص كل طايفة منهم بعمل يستصلحه له فارسل
الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها الابيض من معادنه وامر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثني عشر
ربضا وانزل على كل ربض منها سبطا من الاسباط وكانوا اثني عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدا في بناء المسجد
فوجه الشياطين فرقا يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافي من البحر وفرقا
يقلعون الجواهر من الحجارة من اماكنها وفرقا ياتونه بالمسك والعنبر وساير الطيب من اماكنها فاتي من
ذلك بشيء لا يحصيه الا الله عز وجل ثم احضر الصناع وامرهم بنحت الحجارة المرتفعة وتصييرها الواحا
واصلاح تلك الجواهر وثقب الياقوت واللالي فبنى المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين

المها الصافي وسقفه بالواح الجواهر الثمينة وفصص سقوفه وحيطانه باللالي واليواقيت وساير الجواهر وبسط ارضه
بالواح الفيروزج فلم يكن يومئذ في الارض بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر
فلما فرغ منه جمع احبار بني اسرايل واعلمهم انه بناه لله وان كل شيء فيه خالص لله واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيدا
روى عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سال ربه
ثلاثا فاعطاه اثنتين وانا ارجوان يكون اعطاه الثالثة سال حكما يصادف حكمه فاعطاه اياه وساله ملكا لا ينبغي لاحد
من بعده فاعطاه وساله ان لا ياتي هذا البيت احد يصلي ركعتين الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وانا ارجو ان
يكون قد اعطاه ذلك قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزاه بخت نصر فخرب المدينة وهدمها
ونقض المسجد واخذ ما كان في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر والياقوت وساير الجواهر الى دار
مملكته من ارض العراق وبنا الشياطين لسليمان باليمن حصونا كثيرة عجيبة من الصخر قوله تعالى وتماثيل وهي الصور
التي تكون في الابنية قيل صورا من نحاس وصفر وشبه وزجاج ورخام قيل كانوا يصورون السباع والطيور وقيل
كانوا يتخذون صور الملايكة والانبيا والصالحين في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة ولعلها كانت مباحة
في شريعتهم كما ان عيسى كان يتخذ صورا من طين فينفخ فيها فتكون طيرا قوله تعالى وجفان كالجوابي الجفان القصاع
قرا ابن كثير باثبات يا الجوابي وصلا ووقفا وابو عمرو وورش باثباتها وصلا وحذفها وقفا والباقون بحذفها في الحالين
والجواب صفة للجفان جمع جفنة والجوابي جمع جابية كضاربة وضوارب والجابية الحوض العظيم سميت بذلك
لانه يجبي اليها الماء اى يجمع واسناد الفعل اليها مجاز لانه يجبي فيها كما قيل خابية لما تخبا فيها قال الشاعر
بجفان تعتري نادينا ... من سديف حين هاج الصبر
كالجوابي لا تني مترعة ... لقرى الاضياف او للمحتضر
وقال الاعشى نفى الذم عن ال المحلق جفنة ... كجابية الشيخ العراقي تفهق
وقدور راسيات
وجفان كالجوابي مترعة قيل كان يقعد على الجفنة الواحدة الف رجل ياكلون منها قوله تعالى اعملوا ال داود شكرا يجوز
في شكرا اوجه احدها انه مفعول به اى اعملوا الطاعة سميت الصلاة ونحوها شكرا لسدها مسده الثاني انه مصدر
من معنى اعملوا كانه قيل اشكروا شكرا بعملكم او اعملوا عمل الشكر الثالث انه مفعول من اجله اى لاجل الشكر كقولك جيتك طمعا
وعبد الله رجاء غفرانه الرابع مصدر واقع موقع الحال اى شاكرين الخامس انه منصوب بفعل مقدر من لفظه تقديره
واشكروا شكرا السادس انه صفة لمصدر اعملوا تقديره اعملوا عملا شكرا اى ذا شكر قال المفسرون معناه اعملوا
يا ال داود بطاعة الله شكرا له على نعمه واعلم انه لما قال عقيب قوله تعالى ان اعمل سابغات اعملوا صالحا قال عقيب
ما تعمله الجن له اعملوا ال داود شكرا اشارة الى ما تقدم من انه لا ينبغي ان يجعل الانسان نفسه مستغرقة في هذه
الاشيا وانما يجب الاكثار من العمل الصالح الذي يكون شكرا قوله تعالى وقليل خبر مقدم ومن عبادي صفة له والشكور
مبتدا والمعنى ان العامل بطاعتي شكرا لنعمتي قليل قيل المراد من ال داود هو داود نفسه وقيل داود وسليمان
واهل بيته فصل قال جعفر بن سليمان سمعت ثابتا يقول كان داود نبي الله صلى الله عليه وسلم قد جزا ساعات
الليل والنهار على اهله فلم تكن تاتي ساعة من ساعات الليل والنهار الا وانسان من ال داود قايم يصلي قوله تعالى
فلما قضينا عليه الموت اى على سليمان قال اهل العلم كان سليمان عليه السلام يتحرر في بيت المقدس السنة والسنتين
والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر يدخل فيه طعامه وشرابه فادخله في المرة التي مات فيها وكان بدو ذلك
انه كان لا يصبح يوما الا نبتت في محرابه في بيت المقدس شجرة فيسالها ما اسمك فتقول اسمي كذا فيقول لاي شيء تصلح فتقول
لكذا وكذا فيامر بها فتقطع فان كانت نبتت لغرس غرسها وان كانت لدوا كتبه حتى نبتت الخروبة فقال لها ما انت
قالت الخروبة قال لاي شيء نبت قالت لخراب مسجدك فقال سليمان ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي على وجهك
هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حايط له ثم قال اللهم اعم على الجن موتي حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون
الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب اشيا ويعلمون ما في غد ثم دخل المحراب فقام يصلي متكيا على عصاه
فيحسبونه حيا فلا ينكرون خروجه الى الناس لطول صلاته فمكثوا يدابون له بعد موته حولا كاملا حتى اكلت الارضة
عصى سليمان فخر ميتا فعلموا بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم ياتونها بالماء والطين في جوف الخشب
لذلك قوله ما دلهم على موته الا دابة الارض وهي الارضة تاكل منساته اى عصاه قوله تعالى تاكل اما حال واما مستانفة
وقرا ابن ذكوان منساته بهمزة ساكنة ونافع وابو عمرو بالف محضة والباقون بهمزة مفتوحة والمنساة العصا
من نساه اى اخره كالمسحة والمكنسة من نسات الغنم اى زجرتها وسقتها ومنه نسا الله في اجله اى اخره الله
وفيها الهمزة وهو لغة تميم وانشد
اذا دببت على المنساة من كبر ... فقد تباعد عنك الهم والغزل
فاما بالهمزة والمفتوحة فهي الاصل لان الاشتقاق يشهد له والفتح لاجل بنا مفعلة كمكنسة واما سكونها ففيه
وجهان احدهما انه ابدلا لهمزة الفا كما ابدلها نافع وابو عمرو وسياتي ثم ابدل هذه الالف همزة على لغة من يقول

العالم والخاتم وقوله وحذف هامه هذا العالم ذكره ابن مالك قال شهاب الدين وهذا لا ادرى ما حمله عليه كيف يعتقد انه هرب من شي ثم يعود اليه وايضا فانهم نصوا على انه اذا ابدل من الالف همزة حركتها بحركة الواو اذا عرف هذا فكان ينبغي ان يبدل هذه الالف همزة مفتوحة لانها عن اصل متحرك وهو الهمزة المفتوحة فيعود الى الاول وهذا الابدال ثم الثاني سكن الفتحة تخفيفا والفتحة قد سكنت في مواضع تقدم التنبيه عليها وشواهدها وتحسنه هنا ان الهمزة تشبه حروف العلة وحروف العلة تستثقل عليه الحركة من حيث الجملة وان كان لا يستثقل الفتحة لخفتها وانشدوا على تسكين همزتها * صريع خمر قام من وكاته * كقومة الشيخ الى منسأته * وقد طعن قوم على هذه القراءة ونسبوا راويها الى الغلط قالوا لان قياس تخفيفها انما هو تسهيلها بين بين وبه قرا ابن عامر وصاحباه فظن الراوي انهم سكنوا وضعفها ايضا بعضهم بانه يلزم سكون ما قبل تاء التانيث وما قبلها واجب الفتح الا الالف واما قراءة الابدال فقيل هي غير قياسية يعنون انها ليست على قياس تخفيفها الا ان هذا مردود بانها لغة الحجاز ثابتة فلا يلتفت لمن طعن وقد قال ابو عمرو وكفى به انا لا اهمزها لاني لا اعرف لها اشتقاقا فان كانت مما لا يهمز فقد احتطت وان كانت تهمز فقد يجوز لي ترك الهمز فيما يهمز وهذا الذي ذكره ابو عمرو احسن ما يقال في هذا ونظائره وقرئ منساته بفتح الميم مع تحقيق الهمزة وابدالها الفا وحذفها تخفيفا وقرئ منساته بزنة مفاعلته كقولهم ميضاة وميضاءة وكلها لغات وقرا ابن جبير من سأته فصل من وجعلها حرف جر وجعل سأته مجرورة بها والسأة والسية هنا العصا واصلها يد القوس العليا والسفلى يقال سأة القوس مثل شاة وسيتها وسميت العصا بذلك على وجه الاستعارة والمعنى تاكل من طرف عصاه ووجه ذلك كما جاء في التفسير انه اتكأ على عصى خضر من خروب والعصا الخضراء متى اتكأ عليها تصير كالقوس في الاعوجاج غالبا وساة فعله وسنه فعله نحو قحة وقحه والمحذوف في لامها وقال ابن جني سمي العصا ساة لانها تسوء فهي فلة والعين محذوفة قال شهاب الدين وهذا يقتضي ان تكون القراءة بهمزة ساكنة والمنقول ان هذه القراءة بالف صريحة ولابي الفتح ان يقول اصلها الهمزة ولكن ابدلت قوله تعالى دابة الارض فيه وجهان اظهرهما ان الارض هذه المعروفة والمراد دابة الارض دويبة تاكل الخشب والثاني ان الارض مصدر كقولك ارضت الدابة الخشبة تارضها ارضا اى اكلتها فكانه قيل دابة الاكل يقال ارضت الدابة الخشبة تارضها ارضا فارضت بالكسر تارض هي بالفتح ارضا بالفتح ايضا نحو اكلت القوادح الاسنان تاكلها اكلا فاكلت هي بالكسر تاكل اكلا ونحوه ايضا جدعته جدعا فجدع هو جدعا بفتح عين المصدر وقرا ابن عباس والعباس بن الفضل بفتح الراء وهي مقوية المصدرية في القراءة المشهورة وقيل الارض بالفتح ليس مصدرا بل هو جمع ارضة وعلى هذا يكون من باب اضافة العام الى الخاص لان الدابة اعم من الارضة وغيرها من الدواب قوله تعالى فلما خر سقط الظاهر ان فاعله ضمير سليمان عليه السلام وقيل عائد على الباب لان الدابة اكلته فوقع وقيل بل اكلت عتبة الباب وهي الخارة وينبغي ان لا يجيء اذ كان يكون التركيب خرت بتاء التانيث الا ضرورة او نادرة وتاويلها بمعنى العود اندر منه قوله تعالى تبينت العامة على بنائه للفاعل مسندا للجن وفيه تاويلات احدها انه على حذف مضاف تقديره تبين امر الجن اى ظهر وبان وتبين بالى معنى بان لازما كقوله * تبين لي ان القماءة ذلة * وان اعزاء الرجال طيالها * فلما حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وكان مما يجوز تانيث فعله الحقت علامة التانيث وقوله ان لو كانوا بتاويل المصدر مرفوعا بدلا من الجن والمعنى ظهر كونهم لو علموا الغيب ما لبثوا في العذاب اى ظهر جهلهم الثاني ان تبين بمعنى بان وظهر ايضا والجن ولا حاجة الى حذف مضاف وان لو كانوا بدل كما تقدم والمعنى ظهر الجن جهلهم للناس لانهم كانوا يوهمون الناس بذلك كقولك بان زيد جهله الثالث ان تبين هنا متعد بمعنى ادرك وعلم وحينئذ يكون المراد بالجن ضعفتهم وبالضمير في كانوا كبارهم ومردتهم وان لو كانوا مفعول به وذلك ان المردة والرؤساء من الجن كانوا يوهمون ضعفاءهم انهم يعلمون الغيب فلما خر سليمان ميتا ومكثوا بعده عاما في العمل تبينت السفلة من الجن ان الرؤساء منهم لو كانوا يعلمون كما ادعوا ما مكثوا في العذاب ومن مجيء تبين متعديا بمعنى ادرك قوله * افاطم اني ميت فتبيني * ولا تجزعي كل الانام يموت * اى تبيني ذلك وفي كتاب ابي جعفر ما يقتضي ان بعضهم قرا الجن بالنصب وهي واضحة اى تبينت الانس الجن وان لو كانوا بدلا ايضا من الجن قال البغوي قرا ابن مسعود وابن عباس تبينت الانس ان لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اى علمت الانس وايقنت ذلك وقرا ابن عباس ويعقوب تبينت الجن على البناء للمفعول وهي مؤيدة لما نقله النحاس في الاية قراءات كثيرة اضربت عنها لمخالفتها السواد وان في ان لو الظاهر انها مصدرية مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان ولو فاصلة بينها وبين خبرها الفعل وتقدم تحقيق ذلك كقوله وان لو استقاموا وان لو نشاء اصبناهم وقال ابن عطية وذهب سيبويه الى ان لا موضع لها من الاعراب انما هي مؤذنة بجواب ما ينزل منزلة القسم من الفعل الذي معناه التحقيق واليقين لان هذه الافعال التي هي تحققت وتيقنت وعلمت ونحوها تحل محل القسم فما لبثوا جوابا لقسم لا جوابا للو وعلى الاقوال الاول يكون جوابا لها قال شهاب الدين وظاهر هذا انها زائدة لانهم نصوا على اطراد زيادتها قبل لو في حيز القسم وللناس خلاف هذا الجواب للو او للقسم الذي

يقتضيه القياس ان تعليل شيئهما كما في اجتماعه مع الشرط الصريح ما لم يتقدم ما ذو خبر كما تقدم بيانه وتقدم الكلام والقراءات في سبا وفي سورة النمل فصل المعنى ان سليمان لما سقط ميتا تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اى في التعب والشقا مسخرين لسليمان وهو ميت يظنونه حيا اراد الله بذلك ان يعلم الجن انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون انهم يعلمون الغيب لغلبة الجهل وذكر الزهري ان معنى تبينت الجن اى ظهرت وانكشفت الجن للانس اى ظهر لهم امرهم انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا قد شبهوا على الانس ذلك ويؤيد هذا قراءة ابن مسعود وابن عباس المتقدمة وقوله ما لبثوا في العذاب المهين يدل على ان المؤمن من الجن لم يكونوا في التسخير لان المؤمن لا يكون في زمان النبي في العذاب المهين فصل روي ان سليمان كان عمره ثلاثا وخمسين ومدة ملكه اربعون سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدا في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين عن ملكه قوله تعالى لقد كان لسبا في مساكنهم اية قرا حمزة وحفص مسكنهم بفتح الكاف مفردا والكسائي كذلك الا انه كسر الكاف والباقون مساكنهم جمعا فاما الافراد فلعدم اللبس لان المراد الجمع كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا والفتح هو القياس لان الفعل متى ضمت عين مضارعه او فتحت جا المفعل منه زمانا ومكانا ومصدرا بالفتح والكسر مسموع غير قياس قال ابو الحسن كسر الكاف لغة فاشية وهي لغة الناس اليوم والكسر لغة الحجاز وهي قليلة وقال الفراء هي لغة يمانية فصيحة ومسكنهم يحتمل ان يراد به المكان وان يراد منه المصدر اى المسكن ورجح بعضهم الثاني قال لان المصدر يشمل الكل فليس فيه وضع مفرد موضع جمع بخلاف الاول فان فيه وضع المفرد موضع الجمع كما تقرر لكن سيبويه يأباه الا ضرورة كقوله * قد عض اعناقهم جلد الجواميس * اى جلود واما الجمع فهو الظاهر لان لكل واحد مسكنا ورسم في المصاحف دون الف بعد الكاف فلذلك احتمل القراءات المذكورة فصل لما بين الله حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان بين حال الكافرين لانعمه بحكاية اهل سبا وقرئ سبا بالفتح على انه اسم بقعة وبالجر مع التنوين على انه اسم قبيلة وهو الاظهر لان الله جعل الاية لسبا والظاهر هو العاقل لا المكان فلا يحتاج الى اضمار الاهل وقوله اية من فضل ربهم دالة على وحدانيتنا وقدرتنا وكانت مساكنهم بمارب من اليمن واسم سبا عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وسمي سبا لانه اول من سبا في العرب قال السهيلي ويقال انه اول من تتوج وذكر بعضهم انه كان مسلما وكان له شعر يبشر فيه بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعني سليمان عليه السلام * سيملك بعدنا ملك عظيم * نبي لا يرخص في الحرام * ويملك بعده منهم ملوك * يدينون العباد بغير ذام * ويملك بعدهم منا ملوك * يصير الملك فينا باقتسام * ويملك بعد قحطان نبي * تقي جبهة خير الانام * يسمى احمدا يا ليت اني * اعمر بعد مبعثه بعام * فاعضده واحبوه بنصري * بكل مدجج وبكل رامي * متى يظهر فكونوا ناصريه * ومن يلقاه يبلغه سلامي * روى ابن عباس قال سال فروة بن مسيك الغطيفي النبي صلى الله عليه وسلم عن سبا ما هو اكان رجلا او امراة او ارضا قال بل هو رجل من العرب ولد عشرة من الولد فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم اربعة فاما الذين تيامنوا فمذحج وكندة والازد والاشعريون وانمار وحمير فقال رجل وما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة واما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان ولما هلكت اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا في غور البلاد ونجدها ايدي سبا شذر مذر فلذلك قيل لكل متفرقين بعد اجتماع تفرقوا ايادي سبا فنزلت طوائف منهم الحجاز فمنهم خزاعة نزلوا ظاهر مكة ومنهم الاوس والخزرج نزلوا يثرب فكانوا اول من سكنها ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا عندهم ونزلت طوائف اخر منهم الشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة وبهرا ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبا يجمع هذه القبائل كلها والجمهور على ان جميع العرب ينقسمون الى قسمين قحطانية وعدنانية فالقحطانية شعبان سبا وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبها الى قحطان وبعضهم الى عدنان قيل ان قحطان اول من قيل له انعم صباحا وابيت اللعن قال بعضهم ان جميع العرب ينتسبون الى اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وليس بصحيح فان اسمعيل نشا بين جرهم بمكة وكانوا عربا والصحيح ان العرب العاربة كانوا قبل اسمعيل منهم عاد وثمود وطسم وجديس واميم وجرهم والعماليق يقال ان اميم كان ملكا يقال انه اول من سقف البيوت بالخشب المنشور وكانت الفرس تسميه ادم الاصغر وبنوه قبيلة يقال لها وبار هلكوا بالرمل انثال عليهم فاهلكهم وطم مساكنهم وفي ذلك يقول بعض الشعرا * وكر دهر على وبار * فهلكت عنوة وبار * قوله تعالى جنتان فيه ثلاثة اوجه الرفع على البدل من اية وابدل مثنى من مفرد لان هذا المفرد يصدق على هذا المثنى وتقدم في قوله وجعلنا ابن مريم وامه اية الثاني انه خبر مبتدا مضمر وضعف ابن عطية الاول ولم يبينه ولا يظهر ضعفه بل قوته وكانه توهم انهما مختلفان افرادا وتثنية فلذلك ضعف البدل عنده والله اعلم الثالث واليه نحا ابن عطية ان يكون جنتان مبتدا وخبره عن يمين وشمال ورده ابو حيان بانه ابتدا بنكرة من غير مسوغ واعتذر عنه بانه قد يعتقد حذف صفة اى جنتان لهم او جنتان عظيمتان فيصح ما ذهب اليه وقرا

ابن ابي عبلة جنتين بالياء نصبا على خبر كان واسمها اية قال فيل اشعر كان كالمبتدا ولا مسوغ للابتدا به حتى يجعل اسم كان فالجواب
انه تخصص بالحال المقدمة عليه وهي صفة في الاصل الا ترى انه لو تاخر لنا الكان صفة لانه في هذه القراة **قوله**
تعالى عن يمين اما صفة لجنتان او خبر مبتدا مضمر اي هما عن يمين فقال المفسرون اي عن يمين الوادي وشماله
وقيل عن يمين من اتاها وشماله وكان لهم وادي قد احاط الجنتان بذلك الوادي قال الزمخشري اية اية في جنتين
مع ان بعض بلاد العراق فيها الف من الجنان واجاب بان المراد ان لكل واحد جنتين او عن يمين ابديهم وشمائلهم
جماعتان من الجنان ولاتصال بعضها ببعض جعلها جنة واحدة **قوله تعالى** كلوا على اضمار القول اي قال الله او الملك
كلوا من رزق ربكم وهذا اشارة الى تكميل النعمة عليهم واشكروا له على ما رزقكم من النعمة فان الشكر لا يطلب الا
على النعمة المعتبرة اي اعملوا له بطاعته **قوله تعالى** بلدة اي بلدتكم بلدة ورب رب غفور والمعنى ان ارض سبا
بلدة طيبة ليست بسبخة قال ابن زيد لم يرى في بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب ولا وباء ولا
رخم وكان الرجل يمر ببلدهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل كلها من طيب الهواء فذلك قوله بلدة طيبة اي طيبة الهواء
ورب غفور قال مقاتل وربكم ان شكرتموه فيما رزقكم فهو رب غفور للذنوب وقيل رب غفور اي لا عقاب عليه ولا عذاب في الاخرة
وقرا رويس بنصب بلدة ورب على المدح او اسكنوا او اعبدوا او جعله ابو البقا مفعولا به والعامل فيه اشكروا وفيه نظر
اذ يصير التقدير اشكروا الربكم ربا غفورا ثم انه تعالى لما بين ما كان من جانبه ذكر ما كان من جانبهم فقال فاعرضوا
من كان ظلمهم الاعراض بعد ابانة الاية كقوله تعالى ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها قال وهب ارسل الله الى
سبا ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله وذكروهم نعم الله عليهم وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله عز
وجل علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا ان استطاع فذلك قوله عز وجل فاعرضوا ثم ذكر كيفية الانتقام
منهم كما قال تعالى انا من المجرمين منتقمون وكيفيته انه تعالى ارسل عليهم سيل العرم فاتوا اهم وخرب دورهم **قوله**
تعالى سيل العرم فيه اوجه احدها انه من باب اضافة الموصوف لصفته في الاصل اذ الاصل السيل العرم والعرم
الشديد واصله من العرامة وهي الشراسة والصعوبة وعرم فلان فهو عارم وعرم وعرام الجيش منه الثاني انه
من باب حذف الموصوف واقامة صفته مقامه تقديره فارسلنا عليهم سيل المطر العرم اي الشديد الكبير الثالث
ان العرم اسم للبنا الذي يجعل سدا وانشد من سبا الحاضرين اذ يبنون من دون سيله العرما اي البنا القوي قال
البغوي العرم والمعرم جمع عرمة وهي المسكن الذي يحبس الما الرابع ان العرم اسم للوادي الذي كان فيه الما نفسه وقال
ابن الاعرابي العرم السيل الذي لا يطاق وقيل كان ماء احمر ارسله الله عليهم من حيث شاء الخامس انه اسم للجرذ وهو قول
الفار قيل هو الخلد وانما اضيف اليه لانه نسب عنه اذ يروى في التفسير انه قرض السكر الى ان افتح عليهم فغرقوا به
وعلى هذه الاقوال الثلاثة تكون الاضافة اضافة صحيحة معرفة نحو غلام زيد اي سيل البنا او سيل الوادي الفلاني
او سيل الجرد وهولاء هم الذين ضربت بهم العرب في المثل للفرقة فقال تفرقوا ايدي سبا وقد تقدم **فصل** قال ابن
عباس ووهب وغيرهما كان ذلك السد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم فامرت بواديهم فسد
بالعرم وهو المسناه بلغة حمير فسدت ما بين الجبلين بالصخور وجعلت له ابوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت
من دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدد انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الما واذا استغنوا سدوها
فاذا جا المطر اجتمع اليه ماء اودية اليمن فاحتبس السيل من ورا السد فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة
فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث الاسفل فلا ينفد الما حتى يثوب الما من السنة المقبلة
فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جردا يسمى الخلد فنقب السد
من اسفله فغرق الما جناتهم وخرب ارضهم **قوله تعالى** بجنتيهم جنتين قد تقدم في البقرة ان المجرور بالبا هو
الخارج والمنصوب هو الداخل ولهذا غلط من قال من الفقها فلو ابدل ضادا بظا بطلت صلاته بل الصواب ان
يقول ظا بضاد **قوله تعالى** اكل خمط قرا ابو عمرو باضافة اكل الى خمط والباقون بتنوينه غير مضاف وقد تقدم
في البقرة ان ابن عامر وابا عمرو والكوفيين يضمون كاف اكل غير المضاف لضمير المؤنثة وان نافعا وابن كثير يسكنونها
فتحصيل هنالك تقدم تحريره فتكون القراءة هنا على ثلاث مراتب الاولى لابي عمرو اكل خمط بضم كاف اكل مضافا لخمط الثانية
لنافع وابن كثير بتسكين كافه وتنوينه الثالثة للباقين ضم كافه وتنوينه فمن اضاف جعل الاكل بمعنى الجنى والثمر والخمط
قيل شجر الاراك وثمره يقال له البرير هذا قول اكثر المفسرين وقيل كل شجر ذي شوك وقال المبرد والزجاج كل نبت
اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله فهو خمط وقال ابن الاعرابي الخمط ثمرة شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة
الخشخاش لا ينتفع به قال البغوي فمن جعل الخمط اسما للماكول فالتنوين في اكل حسن ومن جعله اصلا وجعل الاكل
ثمرة فالاضافة فيه ظاهرة والتنوين سائغ كقول العرب في بستان فلان اعناب كرم واعناب كرم يترجم
الاعناب بالكرم لانها منه **قوله تعالى** واثل وشي من سدر معطوفان على اكل لا على خمط لان الخمط لا اكل له وقال

مكي لما لم يجز ان يكون الخمط نعتا للاكل لان الخمط اسم شجر بعينه ولا بدلا لانه ليس الاول ولا بعضه وكان الجنى والثمر من الشجر
على تقدير من قولك هذا ثوب خز ومن نون فصل اوجها الاول انه جعل خمطا وما بعده اما صفة لاكل قال الزمخشري
او وصف الاكل بالخمط كانه قيل ذي اكل بشع قال ابو حيان والوصف لا يطرد وان كان قد جاء شي نحو قولهم مررت
بقاع عرفج كله الثاني البدل من اكل قال ابو البقا وجعل خمطا اكلا لمجاورته اياه وكونه سببا له الا ان الفارسي يرد كونه بدلا
قال لان الخمط ليس بالاكل نفسه وقد تقدم جواب ابي البقا واجاب بعضهم عنه وهو منتزع من كلام الزمخشري انه على حذف
مضاف تقديره ذوا اكل كل خمط قال والمحذوف هو الاول في الحقيقة الثالث انه عطف بيان وجعله ابو علي احسن ما في
الباب قال كانه بين ان الاكل هذه الشجرة الا ان عطف البيان لا يجيزه البصريون في النكرات انما يخصونه بالمعارف
والاثل هو الطرفا وقيل شجر يشبه الطرفا وقيل نوع من الطرفا ولا يكون عليه ثمرة الا في بعض الاوقات يكون عليه شي
كالعفص اصغر منه في طعمه وطبعه والسدر شجر معروف وهو شجر النبق ينتفع بورقه لغسل اليد ويغرس في البساتين
ولم يكن هذا من ذلك بل كان سدرا بريا لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لشي وقال بعضهم السدر سدران سدر له ثمرة عفصة
لا يوكل ولا ينتفع بورقه في الاغتسال وهو الضال وسدر له ثمر يوكل وهو النبق يغتسل بورقه والمراد بالاية الاول
وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره الله من شر الشجر باعمالهم **قوله تعالى** قليل نعت لسدر وقيل نعت لاكل وقال ابو
البقا ويجوز ان يكون نعتا لخمط واثل وسدر وقرى واثلا وشيا بنصبهما عطفا على جنتين ثم بين الله تعالى ان ذلك كان
مجازاة لهم على كفرانهم فقال جزيناهم بما كفروا وهل يجازى بذلك الجزا الا الكفور **قوله تعالى** وهل يجازى قرا الاخوان وحفص
يجازي بنون العظمة وكسر الزاي اي وهل يجازي هذا الجزا لقوله جزيناهم اي نحن الا الكفور مفعول به والباقون بضم اليا وفتح
الزاي مبنيا للمفعول الا الكفور رفعا على ما تقدم وقرى يجزي مبنيا للفاعل وهو الله تعالى الكفور نصبا على المفعول به **فصل**
قال مجاهد يجازي ان يعاقب ويقال في العقوبة يجازي وفي المثوبة يجزي قال الفرا المومن يجزى ولا يجازى ان يعاقب
ويقال في العقوبة اي يجزى الثواب بعمله ولا يكافا بسيئاته وقال بعضهم المجازاة يقال في النعمة والعمل من قال ذلك اخذه
من ان المجازاة مفاعلة وهي في اكثر الامر يكون ما بين اثنين يوخذ من كل واحد جزا في حق الاخر وفي النعمة لا يكون مجازاة
لان الله مبتدي بالنعم **قوله تعالى** وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالما والشجر وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة
اي يظهر بعضها لبعضها يرى سواد القرية من القرية الاخرى لقربها منها فكان شجرهم من اليمن الى الشام وكانوا يبيتون بقرية
ويقيلون باخرى وكانوا لا يحتاجون الى حمل زاد من سبا الى الشام قال قيل هذا من النعم والله تعالى اراد بان بتبديل نعمهم
بقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين فكيف عاد مرة اخرى الى بيان النعمة بعد النقمة **فالجواب** انه ذكر حال خارج بلدهم
وذكر عمارتها بكثرة القرى ثم ذكر تبديله ذلك بالمفاوز والبراري والبوادي بقوله بعد بين اسفارنا وقد فعل ذلك عليه
قراءة من قرا ربنا بعد بين اسفارنا على المبتدا والخبر **قوله تعالى** وقدرنا فيها السير اي قدرنا سيرهم من هذه القرى
وكان سيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم وصلوا قرية ذات مياه واشجار قال قتادة
كانت المراة تخرج ومعها مغزلها وعلى راسها مكتلها فتمتهن بمغزلها فلا تاتي بيتها حتى يمتلي مكتلها من الثمار وكان ما بين اليمن الى
الشام كذلك **قوله تعالى** سيروا اي وقلنا لهم سيروا وقيل هو امر بمعنى الخبر اي مكناهم من السير اي فكانوا يسيرون فيها ليالي واياما
اي بالليالي والايام اي وقت شئتم امنين لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا وقيل معنى قوله ليالي واياما انكم تسيرون فيه ان
شئتم ليالي وان شئتم اياما لعدم الخوف بخلاف المواضع المخوفة فان بعضها يسلك ليلا لئلا يعلم العدو بسيرهم وبعضهم
يسلك نهارا لئلا يقصدهم العدو واذا كان العدو غير مجاهر بالقصد والعداوة فبطروا وطغوا ولم يصبروا على العافية
وقالوا لو كان جنى جناتنا ابعد مما هي كان اجدر ان نشتهيه فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا فاجعل بيننا وبين الشام
فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونتزود فيها الازواد وقال مجاهد بطروا النعمة وسئموا الراحة كما طلبت اليهود
الثوم والبصل ويحتمل ان يكون ذلك الفساد اعتقادهم وشدة اعتمادهم على ان ذلك لا يعدم كما يقول القايل لغيره اضرب
اشارة الى انه لا يقدر عليه ويحتمل ان يكون قولهم باعد بلسان الحال اي لما تفرقوا بعد طلبوا ان يبعد بين اسفارهم ويخرب
العمود من ديارهم وقوله ولم لم يكون بينا ذلك **قوله تعالى** ربنا العامة بالنصب على النداء وابن كثير وابو عمرو وهشام
بعد بتشديد العين فعل طلب والباقون باعد طلبا ايضا من المفاعلة بمعنى الثلاثي وقرا ابن الحنفية وسفيان بن
الحسين وابن السميفع بعد بضم العين فعلا ماضيا والفاعل السير اي بعد المسير وابن طرف وسعيد بن ابي الحسن كذلك الا انه
ضموا بين جعله فاعل بعد فاخرجه عن الظرفية كقراءة تقطع بينكم رفعا فالمعنى على القراءة المتضمنة للخبر الماضي يكون
شكوى من بعد الاسفار التي طلبوها اولا وقرا جماعة كثيرة منهم ابن عباس وابن ابي الحنفية ويعقوب وابن قايد ربنا
رفعا على الابتدا بعد بتشديد العين فعلا ماضيا خبره وابو رجا والحسن ويعقوب كذلك الا انه باعد بالالف والمعنى
على هذه القراءة شكوى بعد اسفارهم على قربها ودنوها تعنتا منهم وقرى بوعد مبنيا للمفعول واذا نصب بين بعد
جعل مشتقا من هذه المادة في احدى هذه القراءات سواء كان امرا ام ماضيا فجعله ابو حيان منصوبا على المفعول به

لاظرفا فان الا ترى الى قراءة من رفع كيف جعله اسما ۝ قال شهاب الدين قراءة على ظرفيته اولى ويكون المفعول محذوفا تقديره
بعد المسير بين اسفارنا ويدل على ذلك قراءة بعد بضم العين بين بالنصب فكما يضمر هنا الفاعل وهو ضمير السير كذلك
ينبغي هنا بين على بابها وينوى السير وكان هذا اولى لان حذف المفعول كثير جدا لا نزاع فيه واخراج الظرف غير المتصرف
عن ظرفيته فيه نزاع كبير وتقدم تحقيق هذا في الاعتذار عن رفع بينكم في الانعام ۝ وقرأ العامة اسفارنا جمعا وابن يعمر
سفرنا مفردا **قوله تعالى** فجعلناهم احاديث عبرة لمن بعدهم يتحدثون بشأنهم ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم في كل
وجه من البلاد كل التفريق وهذا بيان لجعلهم احاديث ۝ قال الشعبي لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد اما غسان فلحقوا
بالشام ومر الازد على عمان وخزاعة الى تهامة ومر آل خزيمة الى العراق والاوس والخزرج الى يثرب وكان الذي قدم
منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الاوس والخزرج **قوله تعالى** ان في ذلك لآيات ۝ اي فيما ذكرنا من حال الشاكرين ودبار
الكافرين لعبرا ودلالات لكل صبار عن معاصي الله شكور لنعمه قال مقاتل يعني المؤمن صبور على البلا شكور للنعما قال مطرف
هو المؤمن اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر **قوله تعالى** ولقد صدق عليهم ابليس ظنه ۝ قرأ الكوفيون صدق بتشديد الدال
والباقون بتخفيفها فاما الاولى فظنه مفعول به والمعنى ظن ابليس ذهب الى شيء فوافق هو ظنه على المجاز والاتساع ومثله
كذبت ظني ونفسي وصدقتها وصدقت فاني وكذباني وهو مجاز شائع سائغ اي ظن شيئا فوقع واصله من قوله فلاغوينهم ولاضلنهم
وقوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين ولا تجد اكثرهم شاكرين فصدق ظنه وحققه بفعله ذلك بهم واتباعهم اياه واما الثانية
فانتصب ظنه على ما تقدم من المفعول به كقولهم اصبت ظني واخطأت ظني او على المصدر بفعل مقدر اي يظن ظنه او على اسقاط
الخافض اي في ظنه وزيد بن علي والزهري بنصب ابليس ورفع ظنه كقول الشاعر ۝ فان يك ظني صادقا فهو صادق في جعل ظنه
صادقة فيما ظنه مجازا او اتساعا ۝ وروى عن ابي عمرو برفعهما وهي واضحة جعل ظنه بدل اشتمال من ابليس والظاهر ان الضمير
في عليهم عائد على اهل سبا والا فريقا استثناء من فاعل اتبعوه ومن المؤمنين صفة فريقا ومن للبيان لا للتبعيض لئلا
يفسد المعنى اذ يلزم ان يكون بعض من آمن اتبع ابليس **فصل** قال المفسرون صدق عليهم اي على اهل سبا وقال
مجاهد على الناس كلهم الا من اطاع الله فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين قال السدي عن ابن عباس يعني المؤمنين كلهم لان المؤمنين
لم يتبعوه في اصل الدين وقد قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يعني المؤمنين وقيل هو خاص في المؤمنين الذين يطيعون
الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة ان ابليس سال النظرة فانظره الله قال لاغوينهم ولاضلنهم لم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة
ان ما قاله فيهم وانما قال ظنا فلما اتبعوه واطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم **قوله تعالى** وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم
هذا استثناء مفرغ من العلل العامة تقديره وما كان له عليهم استيلاء لشيء من الاشياء الا لهذا وهو تمييز المحق من الشاك
قوله تعالى منها متعلق بمحذوف على معنى البيان اي اعني منها وتسببها وقيل من بمعنى في وقيل هو حال من شك في قوله
من يؤمن يجوز في من وجهان احدهما انها استفهامية فتسد مسد مفعولي العلم كذا ذكر ابو البقا وليس بظاهر لان المعنى
الا ليميز ويظهر للناس من يؤمن ممن لا يؤمن فعبر عن مقابله بقوله ممن هو منها في شك لانه من نتائجه ولوازمه والثاني انها
موصولة وهذا هو الظاهر على ما تقدم تفسيره **فصل** قال ابن الخطيب ان علم الله من الازل الى الابد محيط بكل معلوم وعلمه
لا يتغير وهو في كونه عالما لا يتغير ولكن يتغير تعلق علمه فان العلم صفة كاشفة يظهر فيها كل ما نفس الامر فعلم الله في الازل
ان العالم سيوجد فاذا وجد علمه موجودا بذلك العلم واذا عدم علمه معدوما مثال ذلك المرآة المصقولة الصافية يظهر فيها
صورة زيد ان قابلها ثم اذا قابلها عمرو يظهر فيها صورته والمرآة لم تتغير في ذاتها ولا تبدلت في صفاتها وانما التغير في
الخارجات فكذلك هاهنا قوله الا ليعلم اي ليقع في العلم صدور الكفر من الكافر والايمان من المؤمن وكان علمه فيه انه
سيكفر زيد ويؤمن عمرو ۝ وقال البغوي المعنى الا ليميز المؤمن من الكافر واراد علم الوقوع والظهور وقد كان معلوما
عنده بالغيب وقوله وربك على كل شيء حفيظ يحقق ذلك اي الله تعالى قادر على منع ابليس منهم عالم بما سيقع فالحفظ يدخل
في مفهومه العلم والقدرة اذ الجاهل بالشيء لا يمكنه حفظه ولا العاجز **قوله تعالى** قل ادعوا الذين زعمتم مفعول زعمتم
الاول محذوف هو عائد الموصول والثاني ايضا محذوف قامت صفته مقامه اي زعمتموهم شركاء من دون الله ولا
جائز ان يكون من دون هو المفعول الثاني اذ لا ينعقد منه مع ما قبله كلام لو قلت هم من دون الله اي من غيرية موصوف
لم يجز ولولا قيام الوصف مقامه ايضا لم يحذف فلان حذفه اختصارا قليل على ان بعضهم منعه **فصل** لما بين الله تعالى
حال الشاكرين وحال الكافرين وذكرهم عن معنى عاد الى خطابهم فقال لرسوله عليه السلام قل للمشركين الذين زعمتم
من دون الله وفي الكلام حذف اي ادعوهم ليكشفوا الضر الذي نزل بكم في سنين الجوع ثم وصفها فقال لا يملكون
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض من خير وشر ونفع وضر وما لهم اي الالهة فيهما اي في السموات والارض من
شرك اي شركة وما له اي وما لله منهم من ظهير **قوله تعالى** ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ۝ اللام في لمن فيها
اوجه ۝ احدها ان اللام متعلقة بنفس الشفاعة قال ابو البقا كما تقول شفعت له ۝ الثاني ان يتعلق بتنفع قاله ابو
البقا وفيه نظر وهو انه يلزم احد امرين اما زيادة اللام في المفعول في غير موضعها واما حذف مفعول تنفع وكلا

خلاف الاصل ۝ الثالث انه استثناء مفرغ من مفعول الشفاعة المقدر اي لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له ثم المستثنى منه المقدر
يجوز ان يكون هو المشفوع له وهو الظاهر والشافع ليس مذكورا انما دل عليه المعنى والتقدير لا تنفع الشفاعة من الشفعاء
لهم الا لمن اذن تعالى للشافعين ان يشفعوا فيه ويجوز ان يكون هو الشافع والمشفوع له ليس مذكورا تقديره لا تنفع الشفاعة
الا لشافع اذن له ان يشفع وعلى هذا فاللام في له لام التبليغ لا لام العلة ۝ الرابع انه استثناء مفرغ ايضا لكن من الاحوال العامة
تقديره لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له وقرره الزمخشري فقال يقول الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما تقول الكرم
لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له من الشافعين ومطلقة
له اي ولا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له اي لشفيعه او هي اللام الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله فكأنه
قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه انتهى فقوله الكرم لزيد يعني انها ليست لام العلة بل
لام الاختصاص وقوله القيام لزيد يعني انها لام العلة كما هي في القيام لزيد وقوله اذن لزيد لعمرو يعني ان الاولى للتبليغ
والثانية لام العلة ۝ وقرأ الاخوان وابو عمرو اذن مبنيا للمفعول والقائم مقام الفاعل الجار والمجرور والباقون مبنيا
للفاعل اي اذن الله وهو المراد في القراءة الاخرى وقد صرح به في قوله الا من بعد ان يأذن الله الا لمن اذن له الرحمن
فصل ومعنى الآية الا لمن اذن له الله في الشفاعة قاله تكذيبا لهم حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويجوز ان يكون
المعنى الا لمن اذن الله في ان يشفع له **قوله تعالى** حتى اذا ۝ هذه غاية لا بد لها من مغيا وفيه اوجه ۝ احدها ان قوله
فاتبعوه على ان يكون الضمير في عليهم من قوله صدق عليهم وفي قلوبهم عائدا على جميع الكفار ويكون التفريع حالة مفارقة
الحياة او يجعل اتباعهم اياه مستصحبا لهم الى يوم القيامة مجازا والجملة من قوله قل ادعوا الى آخره معترضة بين الغاية والمغيا
ذكره ابو حيان وهو حسن ۝ والثاني انه محذوف قاله ابن عطية كأنه قيل ولا هم شفعاء كما تحسبون انتم بل هي عنده او يستلمون
اي ينقادون حتى اذا فزع عن قلوبهم انتهى وجعل الضمير في قلوبهم عائدا على الملائكة وقرر ذلك وضعف قول من جعله
عائدا على الكفار وجميع العالم وقوله قالوا ماذا هو جواب اذا وقوله قالوا الحق جواب لقوله ماذا قال ربكم والحق منصوب
بقال مضمرة اي قالوا قال ربنا الحق اي قول الحق الا ان ابا حيان رد هذا فقال وما قدره ابن عطية لا يصح لان ما بعد
الغاية يخالف ما قبلها ثم منقادون عندهم دائما لا ينفكون عن ذلك لا اذا فزع عن قلوبهم ولا اذا لم يفزع ۝ الثالث
ان قوله زعمتم اي زعمتم الكفر الى غاية التفريع ثم تركتم ما زعمتم وقلتم قال الحق وعلى هذا يكون في الكلام التفات من
خطاب في قوله زعمتم الى الغيبة في قوله قلوبهم ۝ الرابع انه ما فهم من سياق الكلام قال الزمخشري فان قلت باي شيء اتصل
قوله حتى اذا فزع ولاي شيء وقعت حتى غاية قلت بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقعا وتمهلا وفزعا
من الراجين للشفاعة والشفعاء على انه يؤذن لهم او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من
التربص ودل على هذه الحال قوله عز من قائل رب السموات والارض الى قوله الا من اذن له الرحمن وقال صوابا فكأنه
قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع
لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا الحق اي القول
الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى ۝ وقرأ ابن عامر فزع مبنيا للفاعل فان كان الضمير في قلوبهم للملائكة فالفاعل
في فزع ضمير اسم الله تعالى لتقدم ذكره وان كان للكفار فالفاعل ضمير مغويهم كذا قال ابو حيان والظاهر انه يعود على
الله مطلقا ۝ وقرأ الباقون مبنيا للمفعول والقائم مقام الفاعل الجار بعده وفعل بالتشديد معناه السلب هنا نحو قردته
البعير اي ازلت قراده كذا هنا اي الفزع عنها اي كشف الفزع واخرج عن قلوبهم فالتفريع لازالة الفزع كالتمريض والتقريد
وقرأ الحسن فرغ مبنيا للفاعل من الفراغ وعن الحسن ايضا تخفيف الزاي وعنه ايضا وعن ابن عمر وقتادة مشدد
الراء مبنيا للمفعول والفراغ الفناء والمعنى حتى اذا افنى الله الوجل او انتفى بنفسه او نفي الوجل والخوف عن قلوبهم
فلما بني للمفعول قام الجار مقامه ۝ وقرأ ابن مسعود وابن عمر افرنقع من الافرنقاع وهو التفرق قال الزمخشري
كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الراء قال ابو حيان فان
والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة
عنى ان العين من حروف الزيادة وكذا الراء وهو ظاهر كلامه فليس بصحيح لان العين والراء ليسا من حروف الزيادة
وان عنى ان الكلمة فيها حروف ما ذكر وزاد الى ذلك العين والراء والمادة فرقع وقمطر فهو صحيح انتهى وهذه قراءة مخالفة
للسواد ومع ذلك هي لفظة غريبة ثقيلة اللفظ نص اهل البيان عليها ومثلوا بها وحكوا عن عيسى بن عمر انه غشي عليه
ذات يوم فاجتمع عليه الطارة فلما افاق قال ما لكم تكأكأتم علي تكأكئكم على ذي جنة افرنقعوا عني اي اجتمعتم علي اجتماعكم
على المجنون تفرقوا عني فعابها الناس عليه حيث استعمل مثل هذه الالفاظ الثقيلة المشعرية ۝ وقرأ ابن ابي عبلة الحق
بالرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي قالوا قوله الحق **فصل** اختلفوا في الموصوفين بهذه الصفة فقيل هم الملائكة
ثم اختلفوا في ذلك السبب فقال بعضهم انما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عز
وجل لما روى ابو هريرة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها

خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وقال
عليه السلام اذا اراد الله ان يوحي بالامر تكلم بالوحي اخذت السموات منه رجفة او قال رعدة شديدة خوفا من
الله تعالى فاذا سمع بذلك اهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اول من يرفع راسه جبريل فيكلمه من وحيه
بما اراد ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل الحق وهو العلي
الكبير قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي حيث امر الله وقيل انما يفزعون حذرا من قيام
الساعة قال مقاتل والسدي كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة وخمسين سنة وقيل ستمائة سنة لم تسمع
الملائكة فيها وحيا فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل عليه السلام بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم
فلما سمعت الملائكة ظنوا انها الساعة لان محمدا صلى الله عليه وسلم عند اهل السموات من اشراط الساعة فصعقوا مما
سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر باهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض
ماذا قال ربكم قالوا الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير وقيل الموصوف بذلك المشركون قال الحسن وابن زيد حتى
اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت اقامة للحجة عليهم قالت لهم الملائكة ماذا قال ربكم في الدنيا
قالوا الحق فاقروا به حين لم ينفعهم الاقرار **قوله تعالى** وهو العلي الكبير فقوله الحق اشارة الى انه كامل وقوله وهو العلي
الكبير اشارة الى انه فوق الكاملين في ذاته وصفاته **قوله تعالى** قل من يرزقكم من السموات المطر ومن الارض النبات
قل الله يعني ان لم يقولوا رازقنا الله فقل انت ان رازقكم الله **قوله تعالى** او اياكم عطف على اسم ان وفي الخبر اوجه
احدها ان الملفوظ به الاول وحذف خبر الثاني للدلالة عليه اي وانا لعلى هدى او في ضلال وانكم لعلى هدى او في
ضلال والثاني العكس اي حذف الاول والملفوظ به خبر الثاني وهو خلاف المشهور تقدم تحقيقه عند قوله
فالله ورسوله احق ان يرضوه وهذان الوجهان لا ينبغي ان يحملا على ظاهرهما قطعا لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك
انه على هدى ويقين وان الكفار على ضلال وانما هذا الكلام جار على ما يتخاطب به العرب من استعمال الانصاف
في محاوراتهم على سبيل الغرض والتقدير وتسميه اهل البيان الاستدراج وهو ان يذكر لمخاطبه امرا يسلمه وان
كان بخلاف ما يذكر حتى يفضي الى ما يقصده اليه اذ لو بداه بما يكره لم يصغ ونظيره قولهم اخزى الله الكاذب مني ومنك ومثل قول
الاخر فاني ما اياك كان شرا فقيد الى العامة لا يراها وقال الحسن رضي الله عنه اتهجوه ولست له بكفو
فشركما لخيركما الفدا مع العلم لكل احد انه صلى الله عليه وسلم خير خلق الله كلهم الثالث انه من باب اللف والنشر
والتقدير وانا لعلى هدى وانكم لفي ضلال مبين ولكن لف الكلامين واخرجهما كذلك لعدم اللبس وهذا لا يتاتى الا
ان يكون او بمعنى الواو وهي مسئلة خلاف ومن حجاوها بمعنى الواو قوله اذا ما سمعوا الصريخ رايتهم
ما بين ملجم مهره او سافع وتقدم تقرير هذا وهذا الذي ذكرناه منقول عن ابي عبيدة الرابع قال ابو حيان وا و
هنا على موضوعها لكونها لاحد الشيئين وخبر انا واياكم هو لعلى هدى او في ضلال مبين ولا يحتاج الى تقدير حذف
اذ المعنى ان احدنا لفي احد هذين كقولك زيد او عمرو في القصر او في المسجد لا يحتاج الى تقدير حذف اذ معناه
احد هذين في احد هذين وقيل الخبر محذوف ثم ذكر ما تقدم الى اخره وهذا الذي ذكره تفسير معنى لا تفسير اعراب
والناس نظروا الى تفسير الاعراب فاحتاجوا الى ما ذكرنا وذكر في الهدى كلمة على وفي الضلال كلمة في لان المهتدي كانه
مرتفع مطلع فذكر بكلمة التعالي والضال منغمس في الظلمة غريق فيها فذكره بكلمة في **قوله تعالى** قل لا تسألون عما اجرمنا
اضاف الاجرام الى النفس فقال في حقهم ولا نسأل عما تعملون ذكر بلفظ العمل لئلا يحصل الاغضاب المانع من الفهم **قوله
تعالى** قل يجمع بيننا ربنا يعني يوم القيامة ثم يفتح يقضي بيننا بالحق وهو الفتاح العليم وهذان صيغتا مبالغة
وقرا عيسى بن عمر الفاتح اسم فاعل **قوله تعالى** اروني فيها وجهان احدهما انها علمية متعدية قبل النقل الى اثنين فلما
جيء بهمزة النقل تعدت لثلاثة اولها المتكلم ثانيها الموصول وشركاء نصب على الحال من عائد الموصول اي بصروني
الملحقين به حال كونهم شركاء لهم قال ابن عطية في هذا الثاني ولا غناء اي لا منفعة فيه يعني ان معناه ضعيف قال ابو حيان
وقوله لا غناء ليس بجيد بل في ذلك تبكيت لهم وتوبيخ ولا يريد حقيقة الامر بل المعنى الذين هم شركاء الله على زعمكم
هم ممن ان اريتموهم افتضحتم لانهم خشب وحجر وغير ذلك **فصل** الضمير في به اي بالله اي اروني الذين الحقتم
بالله شركاء في العبادة بعد هل يخلقون وهل يرزقون كلا لا يخلقون ولا يرزقون **قوله تعالى** بل هو الله في هذا
الضمير قولان احدهما انه ضمير عائد على الله تعالى اي ذلك الذي الحقتم به شركاء هو الله والعزيز الحكيم صفتان
والثاني انه ضمير الامر والله مبتدا والعزيز الحكيم خبران والجملة خبر هو والعزيز هو الغالب على امره الحكيم في
تدبيره لخلقه فاني يكون له شريك في ملكه **قوله تعالى** كافة فيه اوجه احدها انه حال من كاف ارسلناك والمعنى
الا جامعا للناس في الابلاغ والكافة بمعنى الجامع والهاء فيه للمبالغة كهي في علامة وراوية قاله الزجاج
وهذا بناء منه على انه اسم فاعل من كف يكف قال ابو حيان اما قول الزجاج ان كافة بمعنى جامعا والهاء فيه للمبالغة

فان

فان اللغة لا تساعد على ذلك لان كف ليس معناه محفوظا بمعنى جمع يعني ان المحفوظ معناه منع يقال كف يكف اي منع والمعنى الا مانعا
لهم من الكفر وان يشذوا من تبليغك ومنه الكف لانها تمنع خروج ما فيه الثاني ان كافة مصدر جاءت على الفاعلة كالعافية
والعاقبة وعلى هذا فوقوعها حالا اما على المبالغة واما على حذف مضاف اي ذا كافة للناس الثالث ان كافة صفة لمصدر محذوف
تقديره الا ارسالة كافة قال الزمخشري الا رسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم
قال ابو حيان اما كافة بمعنى عامة فالمنقول عن النحويين انها لا تكون الا حالا ولم يتصرف فيها بغير ذلك فجعلها صفة لمصدر
محذوف خروج عما نقلوا ولا يحفظ ايضا استعمالها لمحذوف الرابع ان كافة حال من الناس فقد اخطا لان تقدم حال المجرور عليه
في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار ولم ير من يرتكب مثل هذا الخطا ثم لا يقنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى
الى لانه لا يستوي له الخطا الاول الا بالخطا الثاني فيرتكب الخطايين معا قال ابو حيان اما قوله كذا فهو مختلف فيه ذهب
الجمهور الى انه لا يجوز وذهب ابو علي وابن كيسان وابن برهان وابن ملكون الى جوازه قال وهو الصحيح قال ومن امثلة
ابي علي زيد خيرما تكون خير منك التقدير زيد خير منك خيرما تكون فجعل خيرما تكون حالا من الكاف في منك وقدمها عليها
وانشد اذا المرء اعيته المروءة ناشيا فمطلبها كهلا عليه شديد اي فمطلبها عليه كهلا وانشد ايضا
تسليت طرا عنكم بعد بينكم بذكراكم حتى كانكم عندي اي عنكم طرا وقد جاء تقديم الحال على صاحبها المجرور وعلى ما يتعلق به
قال الشاعر مشغوفة بك قد شغفت وانما حتم الفراق فما اليك سبيل اي قد شغفت بك مشغوفة وقال اخر
فان تك اذواد اصبن ونسوة فلن يذهبوا فرغا بقتل حبال
اي فلا تعرض المنية للمرء وكان حين اباء اي تعرض المنية للمرء فلا وكان واذا جاز تقديمها على صاحبها وعلى العامل فيه فتقديمها
على صاحبها وحده اجوز قال وممن حمله على الحال ابن عطية فانه قال قدمت للاهتمام والمنقول عن ابن عباس قوله الى
العرب والعجم وسائر الامم وتقديره الى الناس كافة قال وقول الزمخشري لا يستوي له الخطا الاول الى اخره تشنيع لان القائل
بذلك لا يحتاج الى جعل اللام بمعنى الى لان ارسل يتعدى باللام قال تعالى وارسلناك للناس رسولا وارسل مما يتعدى باللام
وبالى وايضا فقد جاءت اللام بمعنى الى وجاءت الى بمعناها قال شهاب الدين اما ارسلناك للناس ولا دلالة فيه لاحتمال ان تكون اللام
لام العلة المجازية واما كونها بمعنى الى والعكس فالبصريون لا يتجوزون في الحروف وبشيرا ونذيرا حالان ايضا **فصل**
لما بين مسئلة التوحيد شرع في الرسالة فقال تعالى وما ارسلناك الا كافة اي الرسالة كافة اي تكف الناس انت عن الكفر
والهاء للمبالغة على ما تقدم وللناس اي عامة احمرهم واسودهم بشيرا ونذيرا اي مبشرا ومنذرا تحثهم بالوعد وتزجرهم
بالوعيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك الا الحقانية ولكن لغفلتهم قال عليه السلام كان النبي يبعث الى قومه خاصة
وبعثت الى الناس عليه **قوله تعالى** ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعني يوم القيامة لما ذكر الرسالة بين
الحشر **قوله تعالى** لكم ميعاد مبتدا وخبر والميعاد يجوز فيه اوجه احدها انه مصدر مضاف لظرفه والميعاد يطلق على الو
عد والوعيد وقد تقدم ان الوعد في الخير والوعيد في الشر غالبا الثاني اسم اقيم مقام المصدر والظاهر الاول قال ابو
عبيدة الوعد والوعيد والميعاد بمعنى الثالث انه هنا ظرف زمان قال الزمخشري الميعاد ظرف الوعد من مكان
او زمان وهو هنا ظرف زمان والدليل عليه قراءة من قرا ميعاد يوم يعني برفعهما منونين فابدل منه اليوم واما الاضافة
فاضافة تبيين كقولك سحق ثوب وبعير سانية قال ابو حيان ولا يتعين ما قال لاحتمال ان يكون التقدير لكم ميعاد يوم
فلما حذف المضاف اعرب المضاف اليه باعرابه قال شهاب الدين والزمخشري لو فعل مثل ذلك لسمح به وجوز الزمخشري
في الرفع وجها اخر وهو الرفع على التعظيم يعني على اضمار مبتدا وهو الذي يسمى القطع وسياتي هذا قريبا وقرا ابن ابي عبلة
واليزيدي ميعاد يوما بتنوين الاول ونصب يوما منونا وفيه وجهان احدهما انه منصوب على الظرف والعامل فيه
مضاف مقدر تقديره لكم انجاز وعد في يوم صفته كيت وكيت الثاني ان ينتصب باضمار فعل قال الزمخشري واما نصب
اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره اعني يوما ويجوز ان يكون الرفع على هذا اعني التعظيم وقرا عيسى بتنوين الاول
ونصب يوم مضافا للجملة بعده وفيه الوجهان المتقدمان النصب على التعظيم او الظرف **قوله تعالى** لا تستاخرون عنه
يجوز في هذه الجملة ان تكون صفة لميعاد ان عاد الضمير في عنه عليه او لليوم ان عاد الضمير في عنه عليه ويجوز ان يحكم
على موضعها بالرفع او الجر واما على قراءة عيسى فينبغي ان يعود الضمير في عنه على ميعاد لئلا يلزم الا انهم نصوا على ان الظرف
اذا اضيف الى جملة لم يعد منها اليه ضمير الا في ضرورة كقوله مضت سنة لعام ولدت فيه وعشر بعد ذلك وحجتان
فصل تقدم الكلام في سورة الاعراف ان قوله لا تستاخرون يوجب الانذار لان معناه عدم المهلة عن الاجل
ولكن الاستقدام ما وجهه وقد تقدم ذكره ههنا انهم لما طلبوا الاستعجال بين انه لا استعجال فيه كما لا امهال وهذا
يفيد عظم الامر وخطر الخطب لان الامر الحقير اذا طلبه طالب من غيره لا يؤخره ولا يوقفه على وقت بخلاف الامر الخطير
والمراد باليوم يوم القيامة وقال الضحاك يوم الموت لا يتاخرون عنه ولا يتقدمون بان يزاد في اجلكم او ينقص منه
قوله تعالى وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران لما بين التوحيد والرسالة والحشر ويحتمل ان يكون المراد
بالذين كفروا العموم ويكون المراد بقوله القران ولا بالذي بين يديه اي ولا بما فيه من الاخبارات والايات والدلائل

وذلك لان اهل الكتاب لم يؤمنوا بالقرآن انه من الله ولا بالذي فيه من الرسالة وتفاصيل الحشر **فان قيل** المشركين مؤمنين بالوحدانية والحشر **فالجواب** اذ لم يصدق احد ما في كتاب من الامور المختصة به يقال فيه انه لم يؤمن بشيء وان امن ببعض ما فيه لكونه في غيره فيكون ايمانه لا بما فيه كمن يكذب رجلا فيما يقوله فاذا اخبره بالنار حارة لا يكذبه فيه ولكن لا يقال بانه صدقه لانه انما صدق نفسه فانه كان عالما به من قبل وعلى هذا فقوله بين يديه الذي هو مشتمل عليه من حيث انه وارد فيه **قوله تعالى** ولو ترى مفعول ترى وجواب لو محذوف وقال للفهم اي لو ترى حال الظالمين وقت وقوفهم راجعا بعضهم الى بعض القول لرايت حالا فظيعة وامرا منكرا او يرجع حال من ضمير موقوفون والقول منصوب بيرجع لانه يتعدى قال تعالى فان رجعك الله وقوله يقول الذين استضعفوا الى اخره تفسير لقوله يرجع فلا محل له وانتم بعد لولا مبتدا على اصح المذاهب وهذا هو الاصح اعني وقوع ضمائر الرفع بعد لولا خلافا للمبرد حيث جعل خلاف هذا لحنا وانه لم يرد الا في قول زياد • وكم موطن لولاي • وقد تقدم تحقيقه والاخفش جعل انه ضمير نصب او جر قائم مقام ضمير الرفع وسيبويه جعله ضمير جر **فصل** لما وقع الياس من ايمانهم في هذه الدار بقولهم لن نؤمن فانه لنا بيد النبي وعد النبي عليه السلام بانه يراهم على اذل حال موقوفين للسؤال يرجع بعضهم الى بعض القول في الجدال لا يكون عليه حالة جماعة اخطاوا اي امر يقول بعضهم لبعض يقول الذين استضعفوا استحقروا وهم الاتباع للذين استكبروا وهم القادة والاشراف لولا انتم لكنا مؤمنين اي انتم منعتمونا عن الايمان بالله ورسوله وهذا اشارة الى ان كفرهم كان المانع لان بعد المقتضي لا يمكنهم ان يقولوا ما جاءنا رسول ولا ان يقولوا قصر الرسول لان الرسول لو اهمل شيئا لما كانوا يقولون لولا المستكبرون ثم اجابهم المستكبرون وهم المتبوعون في الكفر للذين استضعفوا ردا لما قالوا ان كفرنا كان المانع انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم معنى المانع ينبغي ان يكون راجحا على المقتضي حتى يبطل عمله والذي جاء به هو الهدى والذي صدر من المستكبرين لم يكن شيئا يوجب الامتناع من قبول ما جاء به فلم يصح تعلقكم بالمانع بل كنتم مجرمين بترك الايمان فبين ان كفرهم كان اختيارا منهم من حيث ان المعذور لا يكون معذورا الا لعدم المقتضي او لقيام المانع ولم يوجد شيء منهما ثم قال وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تامروننا ان نكفر بالله لما قال المستكبرون انا ما صددناكم وما صدر منا ما يصلح مانعا وصارفا اعترف المستضعفون به وقالوا بل مكر الليل والنهار اي مكركم بنا في الليل والنهار • واعلم انه يجوز رفع مكر من ثلاثة اوجه احدها الفاعلية تقديره بل صدنا مكركم في هذين الوقتين • الثاني ان يكون مبتدا خبره محذوف اي مكر الليل صدنا • الثالث العكس اي سبب كفرنا مكركم وهو المتقدم في التفسير واضافة المكر الى الليل والنهار اما على الاسناد المجازي كقولهم ليل ما ذكروا العرب تضيف الفعل الى الليل والنهار على توسيع الكلام كقول الشاعر • ونمت وما ليل المطي بنائم • فيكون مصدرا مضافا لمرفوعه واما على الاتساع في الظرف فجعل كالمفعول به فيكون مضافا لمنصوبه وهذا احسن من قول ان الاضافة بمعنى في اي في الليل لان ذلك لم يثبت في غير محل النزاع وقيل مكر الليل والنهار طول السلامة وطول الامل فيهما كقوله تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم • وقرا العامة مكر خفيفا الراء ساكن الكاف مضافا لما بعده وابن يعمر وقتادة بتنوين مكر وانتصاب الليل والنهار ظرفين وقرا ايضا سعيد بن جبير وابو رزين بفتح الكاف وتشديد الراء مضافا لما بعده اي كرور الليل والنهار واختلافهما من كر يكر اذا جاء وذهب وقرا ابن جبير ايضا وطلحة وراشد القاري وهو الذي كان يصحح المصاحف ايام الحجاج بامره بذلك الا انه بنصب الراء وفيها اوجه اظهرها ما قاله الزمخشري وهو الانتصاب على المصدر قال بل تكرون الاغواء مكرا دائما لا تفترون عنه • الثاني النصب على الظرف باضمار فعل اي بل صددتمونا مكر الليل والنهار اي دائما • الثالث انه منصوب بتامروننا قاله ابو الفضل الرازي وهو غلط لان ما بعد المضاف لا يعمل فيما قبله الا في مسئلة واحدة وهي غير اذا كان بمعنى لا كقوله ان امرا خصني عمدا مودته • على التنائي لعندي غير مكفور • وتقدم تقريره اخر الفاتحة وجاء قوله قال الذين استكبروا بغير عاطف لانه جواب لقول الضعفة فاستونف بخلاف قوله وقال الذين استضعفوا فانه لم يكن جوابا فعطف والضمير في واسروا الندامة للجميع للاتباع والمتبوعين **فصل** لما اعترف المستضعفون وقالوا بل مكر الليل والنهار منعنا ثم قال لهم انكم وان كنتم ما اتيتم بالصارف القطعي والمانع القوي ولكن انضم امركم ايانا بالكفر الى طول الامد وامتداد المدد فكفرنا فكان قولكم جزء السبب وقولهم اذ تامروننا ان نكفر بالله اي ننكره ونجعل له اندادا وهذا يبين ان المشرك بالله مع انه في الصورة يثبت لكنه في الحقيقة منكر لوجود الله لان من يساويه بالمخلوق المنحوت لا يكون مؤمنا به **فصل** قوله اولا يرجع بعضهم الى بعض القول الذين استضعفوا بلفظ المستقبل وقوله في الاثنين الاخيرين وقال الذين استكبروا وقال الذين استضعفوا بلفظ الماضي مع ان السؤال والمراجعة في القول لم يقع اشارة الى ان ذلك لا بد منه ووقوعه بان الامر الواجب الوقوع كانه وقع كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون واما الاستقبال فعلى الاصل **قوله تعالى** واسروا الندامة لما راوا العذاب اي انهم يتراجعون القول ثم اذا جاءهم العذاب الشاغل يسرون ذلك التراجع الدال على الندامة وقيل معنى الاسرار الاظهار وهو من الاضداد

اي اظهروا الندامة ويحتمل ان يقال بانهم لما تراجعوا في القول رجعوا الى الله بقولهم ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا واجيبوا بان لا مرد لكم فاسروا ذلك القول وقوله وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي الاتباع والمتبوعين جميعا في النار وهذا اشارة الى كيفية عذابهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي في الدنيا **قوله تعالى** وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها جملة حالية من قرية وان كانت نكرة لانها في سياق النفي **قوله تعالى** بما ارسلتم متعلق بخبر ان وبه متعلق بارسلتم والتقدير انا كافرون بالذي ارسلتم به وانما قدم للاهتمام وحسنه تواخي الفواصل وهذا تسلية لقلب النبي عليه السلام بان ايذاء الكفار للانبياء ليس بدعا بل ذلك عادة جرت من قبل وانما نسب القول الى المترفين مع ان غيرهم ايضا قالوا ذلك القول لان المترفين هم الاصل في ذلك القول كقول المستضعفين للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين ثم استدلوا على كونهم مصيبين في ذلك بكثرة الاموال والاولاد فقالوا نحن اكثر اموالا واولادا اي بسبب لزومنا الدين ولو لم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل لم يخولنا الاموال والاولاد وما نحن بمعذبين اي ان الله احسن الينا في الدنيا بالمال فلا يعذبنا ثم ان الله تعالى بين خطاهم بقوله ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني ان الرزق في الدنيا لا يدل سعته وضيقه على حال المحق والمبطل فكم من موسر شقي ومعسر تقي ويقدر اي يضيق بدليل مقابلته ليبسط وهذا هو الطباق البديعي • وقرا الاعمش ويقدر بالتشديد في الموضعين ثم قال ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان قلة الرزق وضيق العيش وكثرة المال وخفض العيش بالمشية من غير اختصاص بالفاسق والصالح ثم بين فساد استدلالهم بقوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى يعني ان قولكم نحن اكثر اموالا واولادا فنحن احسن حالا عند الله ليس استدلالا صحيحا فان المال لا يقرب الى الله وانما المقرب العمل الصالح بعد الايمان وذلك ان المال والولد يشغل عن الله فيبعد عنه فكيف يقرب منه والعمل الصالح اقبال على الله واشتغال بالله ومن توجه الى الله وصل ومن طلب من الله شيئا حصل **قوله تعالى** التي تقربكم • صفة للاموال والاولاد لان جمع التكسير غير العاقل يعامل معاملة الواحدة وقال الفراء والزجاج انه حذف من الاول لدلالة الثاني عليه قالا والتقدير وما اموالكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ولا اولادكم بالتي تقربكم وهذا لا حاجة اليه ايضا ونقل عن الفراء ما تقدم من ان التي صفة للاموال والاولاد معا وهو الصحيح وجعل الزمخشري التي صفة لموصوف محذوف قال ويجوز ان يكون هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها اي ليست اموالكم ولا اولادكم بتلك الموصوفة عند الله بالتقريب • قال ابو حيان ولا حاجة الى هذا الموصوف قال شهاب الدين والحاجة اليه بالنسبة الى المعنى الذي ذكره داعية زلفى مصدر من معنى الاول اذ التقدير تقربكم قربى • وقرا الضحاك زلفا بفتح اللام وتنوين الكلمة على انها جمع زلفة نحو قربة وقرب جمع المصدر لاختلاف انواعه وقال الاخفش زلفى اسم مصدر كانه قال بالتي تقربكم عندنا تقريبا **قوله تعالى** الا من امن فيه اوجه احدها استثناء منقطع فهو منصوب المحل والمعنى لكن من امن وعمل صالحا قال ابن عباس يريد ايمانه وعمله يقربه مني • الثاني انه في محل جر بدلا من الضمير في اموالكم قاله الزجاج وغلطه النحاس بانه بدل من ضمير المخاطب قال ولو جاز هذا لجاز رايتك زيدا وقول ابي اسحق هذا هو قول الفراء انتهى قال ابو حيان ومذهب الاخفش والكوفيين انه يجوز البدل من ضمير المخاطب والمتكلم الا ان البدل في الاية لا يصح الا ترى انه لا يصح تفريغ الفعل الواقع صلة لما بعد الا لو قلت ما زيد بالذي يضرب الا خالدا لم يجز وتخيل الزجاج ان الصلة وان كانت من حيث المعنى منفية انه يجوز البدل وليس بجائز الا ان يصح التفريغ له • قال شهاب الدين ومنعه قولك ما زيد بالذي يضرب الا خالدا فيه نظر لان النفي اذا كان منسحبا على الجملة اعطي حكم ما لو باشر ذلك الشيء الا ترى ان النفي في قولك ما ظننت احدا يفعل ذلك الا زيد سوغ البدل في زيد من ضمير يفعل وان لم يكن النفي متسلطا عليه قالوا ولكنه لما كان في حيز النفي صح فيه ذلك فهذا مثله والزمخشري ايضا تبع الزجاج والفراء في ذلك من حيث المعنى الا انه لم يجعله بدلا بل منصوبا على اصل الاستثناء فقال الا من امن استثناء من كم في تقربكم والمعنى ان الاموال لا تقرب احدا الا المؤمن الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب احدا الا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح ورد عليه ابو حيان بنحو ما تقدم فقال لا يجوز ما زيد بالذي يخرج الا اخوه ولا ما زيد بالذي يضرب الا عمرو والجواب عنه ما تقدم وايضا فالزمخشري لم يجعله بدلا بل استثناء صريحا ولا يشترط في الاستثناء التفريغ اللفظي بل الاسناد المعنوي الا ترى انك تقول قام القوم الا زيدا ولو فرغته لفظا لامتنع لانه مثبت وهذا الذي ذكره الزمخشري هو الوجه الثالث في المسئلة والرابع ان من امن في محل رفع على الابتداء والخبر قوله فاولئك لهم جزاء الضعف وقال الفراء هو في موضع رفع تقديره ما هو المقرب الا من امن فجعله وهذا ليس بجيد وعجيب من الفراء **قوله تعالى** فاولئك لهم جزاء الضعف • قرا العامة جزاء الضعف مضافا على انه مصدر مضاف لمفعوله اي يجازيهم الضعف وقدره الزمخشري مبنيا للمفعول اي يجزون الضعف ورده ابو حيان بان الصحيح منعه وقرا قتادة برفعهما على ابدال الضعف من جزاء وعنه ايضا وعن يعقوب بنصب جزاء على الحال منونا والعامل فيها الاستقرار وهذا كقوله فله جزاء الحسنى فيمن قرا بنصب جزاء في الكهف **قوله تعالى** وهم في الغرفات امنون • قرا حمزة الغرفة بالتوحيد على ارادة الجنس ولعدم اللبس لانه معلوم ان لكل احد غرفة تخصه وقد اجمع على التوحيد في قوله يجزون

العرفة ولان لفظ الواحد اخف فوضع موضع الجمع مع امن اللبس والباقون الغرفات جمع سلامة وقد اجمع على الجمع فى قوله لنبوئنهم
من الجنة غرفا والرسم يحتمل القراءتين وقرا الحسن بضم راء غرفات على الاتباع وبعضهم بفتحها وتقدم تحقيق ذلك اول
البقرة وقرا ابن وثاب الغرفة بضم الراء والتوحيد **فصل** والمعنى يضعفه الله حسنا ثم فيجزى بالحسنة الواحدة عشرا
الى سبعمائة لان الضعف لا يكون الا فى الحسنة وفى السيئة لا يكون الا المثل ثم زاد وقال وهم فى الغرفات امنون اشارة
الى دوام النعيم وتابيدها ثم بين حال المسئ فقال والذين يسعون فى اياتنا معجزين اى يسعون فى ابطالها معجزين معاندين
يحسبون انهم يعجزوننا ويفوتوننا وقد تقدم تفسيره اولئك فى العذاب محضرون وهذا اشارة الى الدوام ايضا
كقوله وما هم عنها بغائبين ثم قال مرة اخرى قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له اشارة الى ان
نعيم الاخرة لا ينافى نعيم الدنيا بل الصالحون قد يحصل لهم فى الدنيا النعيم مع القطع بحصول النعيم فى العقبى كما
على الوعد فقط فالقول من يقول اذا كانت العاجلة لنا والاجلة لهم فالنقد اولى فقال هذا النقد غير مختص بكم فان
كثيرا من الاشقياء مرفوعون وكثيرا من الاتقياء ممنوعون وهذا المعنى ذكره هذا الكلام مرتين مرة لبيان ان كثرة اموالهم
واولادهم غير دالة على حسن احوالهم ومرة لبيان انه غير مختص بهم كانه قال وجود القرب لا يدل على الشرف ثم ان سلمنا
انه كذلك لكن المؤمنون يحصل لهم ذلك فان الله يملكهم دياركم واموالكم ويدل على ذلك ان الله تعالى لم يذكر اولا لمن يشاء
من عباده بل قال لمن يشاء وقال ثانيا لمن يشاء من عباده فالكافر ثروته مقطوع وماله الى الزوال ومآله الى الوبال واما
المؤمن فما ينفقه يخلفه الله **قوله تعالى** وما انفقتم يجوز ان تكون ما موصولة فى محل رفع بالابتداء والخبر قوله فهو يخلفه
ودخلت الفاء شبهه بالشرط ومن شئ بيان كذا قيل وفيه نظر لابهام شئ فاى تبيين فيه ويجوز ان تكون ما شرطية فتكون فى محل
نصب مفعولا مقدما وفهو يخلفه جواب الشرط **فصل** المعنى وما انفقتم من شئ فهو يخلفه اى يعطى خلفه قال سعيد بن جبير
ما كان فى غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه وقال الكلبى ما تصدقتم من صدقة وانفقتم فى الخير من نفقة فهو يخلفه على المنفق
اما ان يعجله فى الدنيا واما ان يدخره له فى الاخرة وهو خير الرازقين خير من يعطى ويرزق روى ابو هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قال انفق انفق عليك وقال عليه السلام ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان
ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا وانما جمع الرازقين من حيث الصورة لان
الانسان يرزق عياله من رزق الله والرازق للكل فى الحقيقة انما هو الله واعلم ان خير الرازقين يكون لامور الا يؤخر فى
وقت الحاجة وان لا ينقص من قدر الحاجة وان لا يمكنه فى الحساب وان لا يكدره بطلب الثواب والله تعالى كذلك **فان قيل**
قوله خير الرازقين ينبئ عن كثرة الرازقين ولا رازق الا الله **فالجواب** ان يقال الله خير الرازقين الذين يظنونهم رازقين
وكذا فى قوله تعالى احسن الخالقين وايضا فان الصفات منها ما هو لله وللعبد حقيقة كالعلم بان الله واحد فان الله
يعلم انه واحد والعبد يعلم انه واحد حقيقة ومنها ما يقال لله حقيقة وللعبد مجازا مثل الرازق والخالق فان العبد
اذا اعطى غيره شيئا فالله هو المعطى فى الحقيقة ولكن لما وجدت صورة العطاء من العبد سمى معطيا وهذا منه **قوله تعالى**
ويوم يحشرهم جميعا ثم نقول قد تقدم انه يقرا بالنون والباقى الانعام **قوله تعالى** اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون اياكم
منصوب بخبر كان قدم لاجل الفواصل والاهتمام واستدل به على جواز تقديم خبر كان عليها اذا كان خبرها جملة قال فيه
خلاف اجوزه ابن السراج ومنعه غيره وكذلك اختلفوا فى توسطه اذا كان جملة قال ابن السراج القياس جوازه ولكن
لم يسمع قال شهاب الدين وقد تقدم فى قوله ما كان يصنع فرعون ونحوه انه يجوز ان يكون من تقديم الخبر وان لا
يكون ووجه الدلالة هنا ان تقديم المعمول يؤذن بتقديم العامل وتقدم تحقيق هذا فى هود فى قوله تعالى الا يوم ياتيهم
ليس مصروفا **فصل** لما بين ان حال النبى عليه السلام كحال من تقدمه من الانبياء وحال قومه كحال من تقدم من
الكفار وبين بطلان استدلالهم بكثرة اموالهم واولادهم بين ما يكون عاقبة حالهم فقال ويوم يحشرهم جميعا
يعنى المكذبين بك ومن تقدمك ثم نقول للملائكة الذين يدعون انهم يعبدونهم كان غايته ما يرتقى اليه نظرهم انهم يقولون
نحن نعبد الملائكة والكواكب قال قتادة هذا استفهام تقرير كقوله تعالى لعيسى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين
فيقول اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون فتتبرا منهم الملائكة فيقولوا سبحانك تنزيها لك انت ولينا من دونهم اى نحن
نتولاك ولا نتولاهم يعنى كونك ولينا بالعبودية اولى واحب الينا من كونهم اولياءنا بالعبادة لنا فقالوا بل كانوا
يعبدون الجن اى الشياطين فهم فى الحقيقة كانوا يعبدون الجن ونحن كالقبلة لهم **فان قيل** فهم كانوا يعبدون
الملائكة فما وجه قولهم يعبدون الجن قيل اراد ان الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فهم كانوا يطيعون الشياطين
فى عبادة الملائكة فقوله يعبدون اى يطيعون الجن والعبادة هى الطاعة اكثرهم بهم مؤمنون اى مصدقون قول
الشياطين **فان قيل** جميعهم كانوا متابعين للشياطين فما وجه قوله اكثرهم بهم فانه يدل على ان بعضهم لم يؤمن
بهم ولم يطعهم **فالجواب** من وجهين احدهما ان الملائكة احترزوا عن دعوى الاحاطة بهم فقالوا اكثرهم
لان الذين راوهم واطلعوا على احوالهم كانوا يعبدون الجن ويؤمنون بهم ولعل فى الوجود من لم يطلع الله الملائكة

عليه من الكفار والثانى قوله العبادة عمل ظاهر وهذا لا بان عمل باطن فقالوا بل كانوا يعبدون الجن لاطلاعهم على احوالهم وقالوا
اكثرهم بهم مؤمنون عند عمل القلب لئلا يكونوا مدعين اطلاعهم على ما فى القلوب فان القلب لا يطلع على ما فيه الا الله تعالى
كما قال انه عليم بذات الصدور ثم بين ان ما كان يعبدونه لا ينفعهم فقال فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا وهذا
الخطاب يحتمل ان يكون مع الملائكة لسبق قوله اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وعلى هذا يكون تنكيلا للكافرين حيث بين لهم ان
معبودهم لا ينفع ولا يضر ويصحح هذا **قوله تعالى** لا يملكون الشفاعة الا لمن ارتضى ولقوله بعده ويقول للذين ظلموا ذوقوا
ولو كان المخاطب هم الكفار لقال ذوقوا ويحتمل ان يكون الكفار داخلين فى الخطاب حتى يصح معنى قوله بعضكم لبعض
اى الملائكة للكفار الحاضرين ويحتمل ان يكون معهم الجن اى لا يملك بعضكم لبعض ايها الملائكة والجن واذا لم يملكوها لانفسهم
فلا يملكونها لغيرهم ويحتمل ان يكون المخاطب هم الكفار لان ذكر اليوم يدل على حضورهم وعلى هذا فقوله ونقول للذين ظلموا
انما ذكره تاكيدا لبيان حالهم فى الظلم فان قيل قوله نفعا مفيد للحسرة فما فائدة ذكر الضر مع انهم لو كانوا يملكون الضر لما نفع
الكافرين ذلك فالجواب لما كانت العبادة تقع لدفع ضرر المعبود كما يعبد الجبار ويخدم مخافة شره بين انهم ليس فيهم
ذلك الوجه الذى يحسن لاجله عبادتهم فان قيل قوله ههنا التى كنتم بها تكذبون صفة للنار وفى السجدة وصف العذاب فجعل المكذب
هنا النار وجعل المكذب فى السجدة العذاب وهم كانوا يكذبون بالكل فما فائدته فالجواب قيل لانهم هناك كانوا ملتبسين
بالعذاب مترددين فيه بدليل قوله كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به
تكذبون فوصف لهم ما لابسوه وههنا لم يلابسوه بعد لانه عقيب حشرهم وسؤالهم فهو اول ما راوا النار فقيل لهم هذه
النار التى كنتم بها تكذبون **قوله تعالى** واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد
ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم يعارضوا البرهان بالتقليد وقالوا ما هذا الا افك مفترى يعنون القران وقيل القول
بالوحدانية انك مفترى كقوله تعالى فى حقهم ائفكا الهة دون الله تريدون وكقولهم للرسول اجئتنا لتافكنا عن الهتنا
وعلى هذا يكون قوله وقال الذين كفروا ابدالا **قوله تعالى** وقالوا للحق لما جاءهم هذا انكار للتوحيد وكان مختصا بالمشركين واما
انكار القران والمعجزة فكان متفقا عليه بين المشركين واهل الكتاب فقال تعالى وقال الذين كفروا للحق على العموم **قوله تعالى**
وما اتيناهم يعنى هؤلاء المشركين من كتب يدرسونها العامة على التخفيف مضارع درس مخففا اى حفظ وابو حيوة
يدرسونها بفتح الدال مشددة وكسر الراء والاصل يدترسونها من الادراس على الافتعال فادغم وعنه ايضا بضم اليا
وفتح الدال وتشديد الراء من التدريس والمعنى تفردوا بها وقوله وما ارسلنا اليهم اى لم يات العرب قبلك نبى ولا نزل
عليهم كتاب ولا اتاهم نذير يشافههم بالنذارة غيرك فلا تعارض بينه وبين قوله وان من امة الا خلا فيها نذير اذ المراد
هناك اثار النذير ولا شك ان هذا كان موجودا بمذهب النبى وبقى شريعته ثم بين انهم كالذين من قبلهم كذبوا مثل عاد
وثمود وغيرهم **قوله تعالى** وما بلغوا الظاهر ان الضمير فى بلغوا وفى اتيناهم للذين من قبلهم ليناسق قوله فكذبوا
رسلى يعنى انهم لم يبلغوا فى شكر النعمة وجزاء المنة معشار ما اتيناهم من النعم والاحسان اليهم وقيل بل ضمير الرفع
لقريش والنصب للذين من قبلهم وهو قول ابن عباس على معنى انهم كانوا اكثر اموالا وقيل بالعكس على معنى انا اعطينا
قريشا من الايات والبراهين ما لم نعط من قبلهم واختلف فى المعشار فقيل هو بمعنى العشر بنى مفعالا من لفظ العشر كالمرباع ولا
ثالث لهما من الفاظ العدد لا يقال مسداس ولا مخماس وقيل هو عشر العشر الا ان عطية انكره وقال الماوردى
المعشار هنا هو عشر العشر والعشير هو عشر العشر فيكون جزءا من الف قال وهو الاظهر لان المراد به المبالغة فى التقليل
قوله المعنى ان هؤلاء المشركين ما بلغوا معشار ما اعطينا الامم الخالية من القوة والنعمة وطول العمر فكذبوا رسلى فكيف كان نكير
اى انكارى وتغييرى عليهم يحذر كفار هذه الامة عذاب الامم الماضية وقيل المراد وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما
اتينا قوم محمد من البيان والبرهان وذلك لان كتاب محمد عليه السلام اكمل من سائر الكتب واوضح ومحمد عليه السلام افضل من
جميع الرسل وافصح وبرهانه اوفى وبيانه اشفى ثم ان المتقدمين لما كذبوا بما جاءهم من الكتب ومن اتاهم من الرسل انكر عليهم
فكيف لا ينكر عليهم وقد كذبوا افصح الرسل واوضح السبل ويؤيد هذا قوله تعالى وما اتيناهم من كتب يدرسونها يعنى غير
القران ما اتيناهم كتابا وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير فلما كان المؤتى فى الاية الاولى هو الكتاب تحمل الاية الثانية على ايتاء
الكتاب اولى **قوله تعالى** فكذبوا فيه وجهان احدهما انه معطوف على كذب الذين من قبلهم والثانى انه معطوف على وما
بلغوا واوضحهما الزمخشرى فقال فان قلت ما معنى فكذبوا رسلى وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم قلت لما
كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره
ان يقول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد
معشار فضل عمرو فيفضل عليه ونكير مصدر مضاف لفاعله اى انكارى وتقدم حذف يائه واثباتها **قوله تعالى** قل انما اعظكم
بواحدة اى امركم واوصيكم بواحدة اى بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال ان تقوموا لله اى لاجل الله **قوله تعالى**
ان تقوموا فيه اوجه احدها انها مجرورة المحل بدلا من واحدة على سبيل البيان قاله الفارسى الثانى انها عطف بيان

لو احدهم قاله الزمخشري وهو مردود لمخالفتهما تعريفا وتنكيرا وقد تقدم هذا عند قوله فيه آيات بينات مقام ابراهيم • الثالث
انها منصوبة باضمار المعنى • الرابع انها مرفوعة على خبر ابتدا مضمر اي هي ان تقوموا ومثنى وفرادى حال وتقدم تحقيق القول
في مثنى وبابه في سورة النسا ومعنى القول في فرادى في الانعام ومعنى مثنى اي اثنين اثنين وفرادى واحدا واحدا ثم
تتفكروا عطف على ان تقوموا اي قيامكم ثم تفكركم والوقف عند ابي حاتم على هذه الاية ثم يبتدي ما بصاحبكم وقال مقاتل تم
الكلام فيه قوله ثم تتفكروا اي في خلق السموات والارض فتعلمون خالقها واحد لا شريك له فقال ما بصاحبكم من جنة وفي ما هذه
قولان احدهما انها نافية • والثاني انها استفهامية لكن لا يراد به حقيقة الاستفهام فيعود الى النفي واذا كانت نافية فهل هي معلقة
او مستانفة او جواب القسم الذي تضمنه معنى تتفكروا لانه فعل تحقيق كتبين وبابه ثلاثة اوجه نقل الثالث ابن عطية
وربما نسبه لسيبويه واذا كانت استفهامية جاز فيها الوجهان الاولان دون الثالث ومن جنة يجوز ان تكون فاعلا
بالجار لاعتماده وان يكون مبتدا ويجوز في ما اذا كانت نافية ان تكون الحجازية او التميمية **فصل** قوله مثنى وفرادى فكانه
اشارة الى جميع الاحوال فان الانسان اما ان يكون مع غيره فيدخل في قوله مثنى وان كان وحده دخل في قوله فرادى
قال تقوموا لله مجتمعين ومنفردين لا تمنعكم الجمعية من ذكر الله ولا تحوجكم الانفراد الى معين يعينكم على ذكر الله ثم تتفكروا في
حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا ان ما بصاحبكم من جنة جنون وليس المراد من القيام القيام الذي هو ضد الجلوس وانما هو
القيام بالامر الذي هو طلب الحق كقوله وان تقوموا لليتامى بالقسط • قال ابن الخطيب وقوله ما بصاحبكم من جنة يفيد كونه
رسولا وان كان لا يلزم في كل من لا يكون به جنة ان يكون رسولا لان النبي عليه السلام كان يظهر منه اشيا لا تكون مقدورة
للبشر وغير البشر من يظهر منه العجايب اما الجن واما الملك فاذا لم يكن الصادر من النبي عليه السلام بواسطة الجن بل
بقدرة الله من غير واسطة او على التقدير فهو رسول وهذا من احسن الطرق وهو ان يثبت الصفة التي هي اشرف
الصفات في البشر وينفي اخسرية الصفات فانه لو قال اولا هو رسول كانوا يقولون فيه النزاع فاذا قال هو مجنون لم يسعهم
انكار ذلك لعلمهم بعلو شانه وحاله في قومه لشانه فاذا ساعدوا على ذلك لزمهم المسالة ولهذا قال بعده ان هو الا نذير لكم بمعنى اما هو
به جنة او هو رسول لكن تبين انه ليس به جنة فهو نذير وقوله بين يدي عذاب شديد اشارة الى قرب العذاب كانه قال
ينذركم بعذاب حاضر يمسكم عن قريب **قوله تعالى** قل ما سالتكم من اجر • في ما وجهان احدهما انها شرطية فيكون مفعولا مقدما
وفهو لكم جوابها • والثاني انها موصولة في محل رفع بالابتدا والعايد محذوف اي ما سالتكموه والخبر فهو لكم ودخلت الفا لشبه
الموصول بالشرط والمعنى يحتمل انه لم يسالهم اجرا البتة كقولك ان اعطيتني شيئا فخذه مع علمك انه لم يعطك شيئا وقول
القايل ما لي من هذا فقد وهبته لك يريد ليس لي فيه شي ويؤيده ان اجري الا على الله ويحتمل انه سالهم شيئا نفعه عايد
عليهم وهو المراد بقوله الا المودة في القربى ان اجري ما ثوابي الا على الله وهو على كل شي شهيد **قوله تعالى** قل ان ربي يقذف
بالحق • يجوز ان يكون يقذف بالحق مفعوله محذوف فالان القذف في الاصل الرمي وعبر به هنا عن الالقا اي يلقي الوحي الى
انبيايه بالحق اي بسبب الحق او ملتبسا بالحق ويجوز ان يكون المقذوف الباطل بالحق اي يدفعه ويطرحه به كقوله
بل نقذف بالحق على الباطل ويجوز ان تكون البا زايدة اي يلقي الحق كقوله ولا تلقوا بايديكم او يضمن يقذف معنى يقضي ويحكم
والقذف الرمي بالسهم او بالحصاة او الكلام فقال المفسرون معناه ياتي بالحق بالوحي ينزله من السما فيقذفه الى الانبيا **قوله
تعالى** علام الغيوب • العامة على رفعه وفيه اوجه اظهرها انه خبر ثان لان او خبر مبتدا مضمر او بدل من الضمير في يقذف
او نعت له على راي الكسايي لانه يجيز نعت الضمير الغايب وقد صرح به هنا • وقال الزمخشري رفع على محل ان واسمها او على
المستكن في يقذف يعني بقوله محمول على محل ان واسمها يعني به النعت الا ان ذلك ليس مذهب البصريين لانهم لم يعتبروا
المحل الا في العطف بالحرف بشروط عند بعضهم ويريد بالحمل على الضمير في يقذف انه بدل منه الا انه نعت له لان ذلك
انفرد الكسايي • وقرا زيد بن علي وعيسى بن عمر وابن ابي اسحق بالنصب نعتا لاسم ان او بدلا منه على قلة الابدال المشتق او
منصوب على المدح • وقرى الغيوب بالحركات الثلاث في الغين فالضم والكسر تقدما في بيوت وبابه • واما الفتح فصيغة
مبالغة كالمشكور والمغفور وهو الشي الغايب الخفي **فصل** قال ابن الخطيب في يقذف بالحق وجهان احدهما يقذف
بالحق في قلوب المخلصين وعلى هذا تعلق الاية بما قبلها من حيث ان الله تعالى لما بين رسالة النبي عليه السلام بقوله ان
هو الا نذير واكده بقوله قل ما سالتكم من اجر فهو لكم وكان من عادة المشركين استبعاد تخصيص واحد من بينهم بانزال
الذكر عليه كما حكى عنهم قوله أانزل عليه الذكر من بيننا ذكر ما يصلح جوابا لهم فقال قل ان ربي يقذف بالحق في القلوب
اشارة الى ان الامر بيده يفعل ما يريد ويعطي ما يشا لمن يشا ثم قال علام الغيوب اشارة الى جواب سوال فاسد يذكر عليه
وهو ان من فعل شيئا كما يريد من غير اختصاص على الفعل بشي لا يوجد في غيره لا يكون عالما وانما ذلك فعل اتفاقي كما يصيب
السهم موضعا دون غيره مع تسوية المواضع في المحاذاة فقال يقذف بالحق كيف شا وهو عالم بما يفعله وعالم بعواقب
ما يفعله اذ هو علام الغيوب فهو يفعل ما يريد لا كما يفعل الهاجم الغافل عن العواقب • الوجه الثاني ان المراد منه انه
يقذف بالحق على الباطل كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه وعلى

هذا تعلق الاية بما قبلها من حيث ان براهين التوحيد لما ظهرت وشبههم داحضة وقال ان ربي يقذف بالحق اي يبلي باطلكم وعلى
هذا الوجه فقوله علام الغيوب هو ان البرهان الباهر المعقول لم يمنع الا على التوحيد والرسالة واما الحشر فلا برهان على وقوعه
الا اخبار الله تعالى عنه فلما قال يقذف بالحق اي على الباطل اشار به الى ظهور البراهين على التوحيد والنبوة ثم قال علام الغيوب
اي ما يخبره عن الغيب وهو قيام الساعة واحوالها فهو لا خلف فيه فان الله علام الغيوب ويحتمل الاية وجها اخر وهو ان
تعالى ربي يقذف بالحق اي ما يقذفه يقذفه بالحق لا بالباطل والباطل على الوجهين الاولين وعلى هذا البا في قوله
بالحق كالبا في قوله تعالى فاحكم بين الناس والمعنى على هذا الوجه هو ان الله تعالى قذف ما قذف في قلب الرسل وهو علام الغيوب
يعلم ما في قلوبكم وما في قلوبهم **قوله تعالى** قل جا الحق • يعني القران • وقيل التوحيد والحشر وكلما ظهر على لسان النبي عليه السلام
وقيل المعجزات الدالة على نبوة محمد عليه السلام • وقيل المراد من جا بالحق اي ظهر الحق لان كلما جا فقد ظهر **قوله تعالى** وما يبدي
يجوز • في ما ان تكون نفيا وان تكون استفهاما ولكن يؤول معناه الى النفي ولا مفعول ليبدي ولا ليعيد اذ المراد لا يوقع هذين
الفعلين كقوله • اقفر من اهله عبيد • اصبح لا يبدي ولا يعيد • وقيل مفعول محذوف اي ما يبدي لاهله خيرا ولا يعيده وهو قول
الحسن والمعنى ذهب الباطل وزهق فلم يبق منه بقية يبدي شيئا او يعيد كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه • قال
قتادة الباطل هو ابليس اي ما يخلق ابليس احدا ابتدا ولا يبعثه وهو قول مقاتل والكلبي وقيل الباطل الاصنام **قوله تعالى** ان
ضللت العامة على فتح لامه في الماضي وكسرها في المضارع ولكن ينقل الى الساكن قبلها والحسن وابن وثاب بالعكس وهو لغة تميم
وتقدم ذلك **فصل** قال المفسرون ان كفار مكة كانوا يقولون انك ضللت حين تركت دين ابايك فقال الله تعالى قل ان ضللت
فانما اضل على نفسي اي اثم ضلالي على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي من القران والحكمة انه سميع قريب **قوله تعالى** فبما يوحي يجوز
ان تكون ما مصدرية اي بسبب ايحايه لي وان تكون موصولة اي بسبب الذي يوحيه تعالى والعايد محذوف وقوله سميع اي يسمع اذا
ناديته وان يخف به عليكم قريب يا تيكم من غير تاخير ليس كمن يسمع من بعيد ولا يلحق الداعي **قوله تعالى** ولو ترى اذ فزعوا قال
قتادة عند البعث حتى يخرجون من قبورهم فلا فوت ولا نجاة ولو ترى جوابه محذوف اي ترى عجبا **قوله تعالى** فلا فوت • العامة
على بنايه على الفتح واخذوا فعلا ماضيا مبنيا للمفعول معطوفا على فزعوا • وقيل على معنى فلا فوت اي فلم يفوتوا واخذوا وقرا عبد
الرحمن مولى بني هاشم وطلحة فلا فوت واخذ وامر فوعين منونين وابي بفتح فوت ورفع اخذ فرفع فوت على الابتدا او على اسم لا السببية
ومن رفع واخذ رفعه بالابتدا والخبر محذوف اي واخذهم هناك او على خبر ابتدا مضمر اي وحالهم اخذ ويكون من عطف الجمل عطف
مثبتة على منفية **فصل** واخذوا من مكان قريب • قال الكلبي من تحت اقدامهم وقيل اخذوا من بطن الارض الى ظهرها وحيث
ما كانوا فهم من الله قريب لا يفوتونه • وقيل من مكان قريب يعني عذاب الدنيا قال الضحاك هو يوم بدر • وقال ابن ابزى خسف
بالبيدا وجواب لو ترى محذوف اي لرايت امرا معتبرا به **قوله تعالى** وقالوا امنا به اي عند الباس به والضمير في به لله او للرسول
او للقران او للعذاب او للبعث وانى لهم اي من اين لهم كيف يقدرون على الظفر بالمطلوب وذلك لا يكون الا في الدنيا وهم في الاخرة
والدنيا من الاخرة بعيدة **فان قيل** فكيف قال في كثير من المواضع ان الاخرة من الدنيا قريبة وسمى الله الساعة قريبة فقال
اقتربت الساعة اقترب للناس حسابهم لعل الساعة قريب **فالجواب** ان الماضي كالامس الدابر وهو ابعد ما يكون اذ لا وصول اليه
والمستقبل وان كان بينه وبين الحاضر سنين فانه ات فيوم القيامة الدنيا منه لمضيها ويوم القيامة في الدنيا قريب لاتيانه
قوله تعالى التناوش مبتدا وانى خبره اي كيف لهم التناوش ولهم حال ويجوز ان يكون لهم رافعا للتناوش لاعتماده على الاستفهام
تقديره كيف استقر لهم التناوش وفيه بعد والتناوش مهموز في قراة الاخوين وابي عمرو وابي بكر وبالواو في قراة غيرهم
فيحتمل ان يكون المادتين مستقلتين مع اتحاد معناهما وقيل الهمزة عن الواو لانضمامها كوجوه واجوه ووقتت واقتت واليه
ذهب جماعة كثيرة كالزجاج والزمخشري وابن عطية والحوفي وابي البقا قال الزجاج كل واو مضمومة ضمة لازمة فانت فيها بالخيار
وتابعه التابعون قريبا من عبارته ورد ابو حيان هذا الاطلاق وقيده لا بد ان تكون الواو غير طرف فانها متى كانت طرفا من النعوذ وان تكون
غير مصححة في الفعل فانها متى صحت في الفعل لم تبدل همزة نحو ترهوك وتعاول تعاونا وبهذا القيد يبطل قولهم لانها صحت في
تناوش يتناوش ومتى سلم له هذا القيدان او الاخير منهما ثبت رده **والتناوش** الرجوع قال • تمنى ان يؤوب الي مي
وليس الى تناوشها سبيل اي الى رجوعها وقيل هو التناول يقال ناشه كذا اي تناوله ومنه تناوش القوم بالسلاح كقوله
طلبت سيوف بني امية • تنوشه الله ارحام • هناك تنشق وقال اخر • فهي تنوش الحوض نوشا من علا • نوشا به تقطع اجواز الفلا
وفرق بعضهم بين المهموز وغيره فجعل المهموز بمعنى التاخير قال الفرا من ناشت اي تاخرت وانشد
تمنى نئيشا ان يكون مطاعا • وقد حدثت بعد الامور امور • وقال اخر • تعدت زمانا عن طلابك للعلا
وجئت نئيشا بعد ما فاتك الخبر • وقال ايضا نئيشا متقاربان يعني الهمز وتركه مثل ذمت الرجل وذامته اي عبته وانتاش
انتياشا قال • كانت تنوش العنق انتياشا • وهذا مصدر على غير المصدر ومن كان يتعلق بالتناوش
فصل المعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا في الدنيا فضيعوه وهذا على قراة من لم
يهمز واما من همز فقيل معناه هذا ايضا وقيل التناوش بالهمز من التلبس وهي حركة في ابطا يقال جا نئيشا اي مبطئا متاخرا

والمعنى من ابن لهم الحركة وبما لا حيلة لهم فيه قال ابن عباس يسألون الرد فيقال وانى لهم الرد الى الدنيا من مكان بعيد اى من الاخرة الى الدنيا **قوله تعالى** وقد كفروا به جملة حالية وقوله به اى بالقرآن وقيل بالله او بمحمد عليه السلام وقيل بالعذاب او بالبعث ومن قبل اى من قبل نزول العذاب وقيل من قبل ان عاينوا اهوال القيامة ويجوز ان تكون الجملة مستأنفة والاول الظاهر **قوله تعالى** ويقذفون يجوز فيها الاستيناف والحال وفيه بعد عكس الاول لدخول الواو على مضارع مثبت وقرأ ابو حيوة ومجاهد ومحبوب عن ابى عمرو ويقذفون مبنيا للمفعول اى يرجمون بما يسوءهم من جزاء اعمالهم من حيث لا يحتسبون **فصل** ويقذفون قال مجاهد يرمون محمدا بالظن لا باليقين وهو قولهم ساحر وشاعر وكاهن ومعنى الغيب هو الظن لانه غاب علمه عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمدا بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وقال قتادة اى يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا نار ولا جنة **قوله تعالى** وحيل تقدم فيه الاشمام والكسر اول البقرة والقائم مقام الفاعل ضمير المصدر اى وحيل هو اى الحول ولا يقدره مصدرا مؤكدا بل مختصا حتى يصح قيامه وجعل الحوفى القائم مقام الفاعل بينهم واعترض عليه بانه كان ينبغى ان يرفع واجيب عنه بانه انما بنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن ورده ابو حيان بانه لا يبنى المضاف الى غير متمكن مطلقا فلا يجوز قام غلامك ولا مررت بغلامك بالفتح قال شهاب الدين وقد تقدم فى قوله لقد تقطع بينكم ما يغنى عن اعادته ثم قال ابو حيان وما يقول قائل ذلك فى قول الشاعر

وقد حيل بين العير والنزوان

فانه نصب بين مضافة الى معرف وخرج ايضا على ذلك قول الآخر

وقالت متى يبخل عليك ويعتلل بسوء وان يكشف غرامك تدرب

اى يعتلل هو اى الاعتلال **فصل** وحيل بينهم وبين ما يشتهون يعنى الايمان والتوبة والرجوع الى الدنيا وقيل نعيم الدنيا وزهرتها كما فعل باشياعهم بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار من قبل لم يقبل منهم الايمان فى وقت اليأس انهم كانوا فى شك من البعث ونزول العذاب بهم ومن قبل متعلق بفعل او باشياعهم اى الذين شايعوهم قبل ذلك الحين **قوله تعالى** مريب قد تقدم انه اسم فاعل من اراب اى اتى بالريب او دخل فيه واربه اوقعه فى الريب ونسبة الارابة الى الشك كما تقول شعر شاعر وهى عبارة حسنة مفيدة وابن هذا من قول بعضهم ويجوز ان يكون اردفه على الشك ليتناسق اخر الاية بالتى قبلها من مكان قريب وقول ابن عطية الشك المريب اقوى ما يكون من الشك واشده وتقدم تحقيق الريب اول البقرة وتشنيع الراغب على من يفسره بالشك والله اعلم روى ابو امامة عن ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق نبى ولا رسول الا كان له رفيقا ومصافحا

سورة فاطر

وهى ست واربعون اية وسبعمائة وسبعة وتسعون كلمة وثلاثة الاف وماية وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** الحمد لله فاطر السموات والارض قد تقدم ان الحمد يكون على النعمة فى اكثر الامر ونعم الله قسمان عاجلة واجلة والعاجلة وجود وبقاء والاجلة كذلك ايجاد مرة اخرى وابقاء **قوله تعالى** فاطر ان جعلت اضافته محضة كان نعتا لله وان جعلتها غير محضة كان بدلا وهو قليل من حيث انه مشتق وهذه قراءة العامة فاطر اسم فاعل والزهرى والضحاك فطر فعلا ماضيا وفيه ثلاثة اوجه احدها انه صلة الموصول محذوف اى الذى فطر كذا قدره ابو الفضل ولا يليق بمذهب البصريين لان حذف الموصول الاسمى لا يجوز وقد تقدم هذا الخلاف مستوفى فى البقرة الثانى انه حال على اضمار قد قاله ابو الفضل الثالث انه خبر مبتدأ مضمر اى هو فطر وقد حكى الزمخشرى قراءة تؤيد ما ذهب اليه الرازى فقال وقرئ الذى فطر وجعل فصرح بالموصول **فصل** معنى فاطر السموات والارض اى خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق قاله ابن عباس وقيل فاطر السموات والارض اى شاقهما لنزول الارواح من السماء وخروج الاجساد من الارض ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا فان فى ذلك اليوم تكون الملائكة رسلا **قوله تعالى** جاعل العامة ايضا على جره نعتا او بدلا والحسن بالرفع والاضافة وروى عن ابى عمرو وكذلك الا انه لم ينون ونصب الملائكة وذلك على حذف التنوين لالتقاء الساكنين كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وابن يعمر وخليل بن نشيط جعل فعلا ماضيا بعد قراءة فاطر بالجر وهذه كقراءة فالق الاصباح وجعل والحسن وحميد رسلا بسكون السين وهى لغة تميم وجاعل يجوز ان يكون بمعنى مصير او بمعنى خالق فعلى الاول يجرى الخلاف فى نصب الثانى باسم الفاعل او باضمار فعل وتقدم تحقيق ذلك فى الانعام وعلى الثانى ينتصب على الحال ومثنى وثلاث ورباع صفة لاجنحة واو لصفة لرسلا والصفة لا يقال فيها معترضة والثانى انها ليست حالا من رسلا بل من محذوف فكيف يكون ما قبله معترضا ولو جعله حالا من الضمير فى رسلا لانه مشتق لسهل ذلك بعض شىء ويكون الاعتراض بالصفة مجازا من حيث انه فاصل فى الصورة **قوله تعالى** يزيد مستأنف وما يشاء هو المفعول الثانى للزيادة والاول لم يقصد فهو محذوف اقتصارا لا اختصارا قوله فى الخلق يعنى عنه **فصل** قال قتادة ومقاتل اولى اجنحة بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة اجنحة وبعضهم له اجنحة يزيد فيها ما يشاء وهو قوله يزيد فى الخلق ما يشاء قال عبد الله بن مسعود فى قوله عز وجل لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل فى صورته

له ستمائة جناح وقال ابن شهاب فى قوله يزيد فى الخلق ما يشاء قال حسن الصوت وعن قتادة هو الملاحة فى العينين وقيل هو العقل والتمييز ان الله على كل شىء قدير **قوله تعالى** ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها لما بين كمال القدرة ذكر بيان نفاذ المشيئة ونفاذ الامر فقال ما يفتح الله يعنى ان رحم الله فلا مانع له وان لم يرحم فلا باعث له عليها وفى الاية دليل على سبق رحمته غضبه من وجوه احدها التقديم حيث قدم بيان ابواب الرحمة فى الذكر وثانيها انه انث الكناية فقال فلا ممسك لها ويجوز من حيث العربية ان يقال عود الى ما ولكن قال الله تعالى ذلك ليعلم ان المفتوح ابواب الرحمة فهى واصلة الى من رحمه وقال عند الامساك وما يمسك فلا مرسل له بالتذكير ولم يقل لها فلم يصرح بانه لا مرسل للرحمة بل ذكره بلفظ يحتمل ان يكون الذى يرسل هو غير الرحمة فان قوله تعالى وما يمسك عام من غير بيان وتخصيص وثالثها قوله من بعده اى من بعد الله فاستثناه هنا وقال لا مرسل له الا الله وعند الامساك قال لا ممسك لها ولم يقل غير الله لان الرحمة اذا جاءت لا ترتفع فان رحمة الله فى الاخرة لا يعذب بعدها هو ولا غيره ومن يعذبه الله فقد يرحمه الله بعد العذاب كالفساق من اهل الايمان **قوله تعالى** من رحمة تبيين او حال من اسم الشرط ولا يكون صفة لما لان اسم الشرط لا يوصف قال الزمخشرى وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قيل اى رحمة كانت سماوية او ارضية قال ابو حيان والعموم مفهوم من اسم الشرط ومن رحمة بيان لذلك العام من اى صنف هو وهو مما اجترى فيه بالنكرة المفردة عن الجمع المعرف المطابق فى العموم لاسم الشرط وتقديره من الرحمات ومن فى موضع الحال انتهى **قوله** وما يمسك يجوز ان يكون على عمومه اى يكون قد حذف المبين من الثانى لدلالة الاول عليه تقديره وما يمسك من رحمة فعلى هذا التذكير فى قوله على لفظ ما وفى قوله اولا فلا ممسك لها التانيث فيه حمل على معنى ما لان المراد به الرحمة فحمل اولا على المعنى وفى الثانى على اللفظ والفتح والامساك استعارة حسنة وهو العزيز فيما امسك الحكيم فيما ارسل اى كامل العلم قال عليه السلام اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد **قوله تعالى** يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم لما بين ان الحمد لله وبين بعض وجوه النعمة التى تستوجب الحمد على سبيل التفصيل بين النعمة على سبيل الاجمال فقال اذكروا نعمة الله عليكم وهى مع كثرتها منحصرة فى قسمين نعمة الايجاد فى الابتداء وقال يرزقكم اشارة الى نعمة الابقاء بالرزق الى الانتهاء **قوله تعالى** من خالق غير الله قرأ الاخوان غير بالجر نعتا لخالق على اللفظ ومن خالق مبتدأ مزاد فيه من وفى خبره قولان احدهما هو الجملة من قوله يرزقكم والثانى انه محذوف تقديره لكم ونحوه وفى يرزقكم على هذا وجهان احدهما انه صفة ايضا لخالق فيجوز ان يحكم على موضعه بالجر اعتبارا باللفظ وبالرفع اعتبارا بالموضع والثانى انه مستأنف وقرأ الباقون بالرفع وفيه ثلاثة اوجه احدها انه خبر المبتدأ والثانى انه صفة لخالق على الموضع والخبر اما قد اعتمد على اداة الاستفهام محذوف واما يرزقكم والثالث انه مرفوع باسم الفاعل على جهة الفاعلية لان اسم الفاعل قد اعتمد على اداة الاستفهام الا ان ابا حيان توقف فى مثل هذا من حيث ان اسم الفاعل وان اعتمد الا انه لم يحفظ فيه زيادة من قال فيحتاج مثله الى سماع ولا يظهر التوقف فان شروط الزيادة والعمل موجودة وعلى هذا الوجه فيرزقكم اما صفة او مستأنف وجعل ابو حيان استينافه اولى قال لانتفاء صدق خالق على غير الله بخلاف كونه صفة فان الصفة تقيد فيكون ثم خالق غير الله لكنه ليس برازق وقرأ الفضل بن ابراهيم النحوى غير بالنصب على الاستثناء والخبر يرزقكم مستأنف او صفة **فصل** قال المفسرون هذا استفهام على طريق التقرير كانه قال لا خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض اى من السماء المطر ومن الارض النبات لا اله الا هو مستأنف فانى تؤفكون اى فانى تصرفون عن هذا الظاهر فكيف يشركون المنحوت بمن له الملك ثم لما بين الاصل الاول وهو التوحيد ذكر الاصل الثانى وهو الرسالة فقال وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك يسلى نبيه صلى الله عليه وسلم ثم بين من حيث الاجمال ان المكذب فى العذاب وان المصدق له الثواب بقوله والى الله ترجع الامور الثالث وهو الحشر فقال يا ايها الناس ان وعد الله حق يعنى وعد القيامة فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اى الشيطان وقرأ العامة بفتح الغين وهو صيغة مبالغة كالصبور والشكور وابو السمال وابو حيوة بضمها اما جمع غار كقاعد وقعود واما مصدر كالجلوس **قوله تعالى** ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا لا تسمعوا قوله وقوله فاتخذوه عدوا اى اعملوا ما يسوءه وهو العمل الصالح ثم قال انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وفى الاية اشارة الى معنى لطيف وهو ان يكون له عدو فاما ان يعاديه مجازاة له واما ان يرضيه فلما قال تعالى ان الشيطان لكم عدو امرهم بالعداوة واشار الى ان الطريق ليس الا هذا واما الارضاء فلا فائدة فيه لانكم ان ارضيتموه واتبعتموه فهو لا يودكم الا الى السعير واعلم ان من علم ان له عدوا لا مهرب له منه وجزم بذلك فانه يقف له ويصبر معه على قتاله الى ان يظفر به وكذلك الشيطان لا يقدر الانسان يهرب منه فانه يقف معه ولا يزال ثابتا على الجادة والامكان على العبادة ثم بين تعالى ما حال حزبه وحال حزب الله وهو **قوله تعالى** الذين كفروا يجوز رفعه ونصبه وجره فرفعه من وجهين اظهرهما ان يكون مبتدأ والجملة بعده خبره والاحسن ان يكون لهم هو الخبر وعذاب فاعله والثانى انه بدل من واو ليكونوا ونصبه من اوجه البدل من حزبه او النعت له او اضمار فعل اذم ونحوه وجره من وجهين النعت او البدل من اصحاب والاحسن الوجوه الاول لمطابقة التقسيم واللام فى ليكونوا اما للعلة

على المجاز من اقامة المسبب مقام السبب واما للضرورة ثم قال لهم عذاب شديد وهذا حال حزب الشيطان والذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير فالايمان في مقابلته المغفرة فلا يتأبد مؤمن في النار والعمل الصالح في مقابلته
الاجر الكبير **قوله تعالى** افمن زين له سوء عمله من موصول مبتدأ وما بعده صلته والخبر محذوف فقدره الكسائي
تذهب نفسك عليهم حسرات لدلالة فلا تذهب عليه وقدره الزجاج واضله الله كمن هداه وقدره وغيرهما كمن لم
يزين له وهو احسن لموافقته لفظا ومعنى ونظيره افمن كان على بينة من ربه كمن هو اعمى افمن يعلم انما انزل اليك
من ربك الحق كمن هو اعمى والعامة على زين مبنيا للمفعول سوء رفع وعبيد بن عمير زين مبنيا للفاعل وهو الله سوء نصب به
وعنه اسوأ بصيغة التفضيل منصوبا وطلحة من بغير فاء قال ابو الفضل الهمزة للاستخبار بمعنى العامة للتقرير ويجوز ان يكون
بمعنى حرف النداء فحذف التمام كما حذف من المبهم والجواب يعني انه يجوز في هذه القراءة ان تكون الهمزة للنداء وحذف
اى ما يؤدي لاجله كانه قيل يا من زين له سوء عمله ارجع الى الله وتب اليه وقوله كما حذف الجواب يعني به خبر المبتدأ
الذي تقدم تقريره **فصل** قال ابن عباس نزلت في ابي جهل ومشركي مكة وقال سعيد بن جبير نزلت في اصحاب
الاهواء والبدع قال قتادة منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين واموالهم فاما اهل الكبائر فليسوا منهم لانهم لا يستحلون
الكبائر ومعنى زين له سوء عمله شبه له وموه عليه وحسن له سوء عمله فراى الباطل حقا كمن هداه الله فراى الحق حقا
والباطل باطلا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وذلك لان اشخاص الناس متساوية في الحقيقة والاساءة والاحسان
والسيئة والحسنة يمتاز بعضها عن بعض فاذا عرفنا البعض دون البعض لا يكون ذلك باستقلال منهم فلا بد من الاسناد
الى ارادة الله تعالى ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث حزن على اصرارهم بعد اتيانه بكل اية ظاهرة وحجة قاهرة
فقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كقوله تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم اى لا تغتم بكفرهم وهلاكهم ان لم
يؤمنوا **قوله تعالى** فلا تذهب العامة على فتح التاء والهاء مسندا لنفسك من باب لا ارينك ههنا اى لا تتعاط اسباب
ذلك وقرأ ابو جعفر وقتادة والاشهب بضم التاء وكسر الهاء مسندا لضمير المخاطب نفسك مفعول **قوله تعالى** حسرات
فيه وجهان احدهما انه مفعول من اجله اى لاجل الحسرات والثاني انه في موضع الحال على المبالغة كان كلها صارت حسرات
لفرط التحسر كما قال مشوا الهواجر لحمهن مع السرى حتى ذهبن كلاكلا وصدورا يريد رجعن كلاكلا وصدورا اى لم يبق
الا كلاكلها وصدورها كقوله فعلى اثرهم تساقط نفسي حسرات وذكرهم لي سقام وكون كلاكلا وصدورا حالا قول سيبويه وجعلها
المبرد تمييزا من الفاعلية والحسرة شدة الحزن على ما فات من الامر ثم قال ان الله عليم بما يصنعون ان الله عالم بفعلهم
يجازيهم على ما يصنعونه ثم عاد الى البيان وقال الله الذي ارسل الرياح وهبوب الرياح دليل ظاهر على الفاعل المختار
لان الهواء قد يسكن وقد يتحرك وعند حركته قد يتحرك الى اليمين وقد يتحرك الى الشمال وفي حركاته المختلفة قد ينشئ
السحاب وقد لا ينشئ فهذه الاختلافات دليل على مسخر مدبر مؤثر مقدر **قوله تعالى** فتثير عطف على ارسل لان ارسل بمعنى
المستقبل فلذلك عطف عليه واتى بارسل لتحقق وقوعه وبتثير لتصور الحال واستحضار الصورة البديعة كقوله انزل من
السماء ماء فتصبح الارض مخضرة وكقول تأبط شرا الا من مبلغ فتيان فهم بما لاقيت عند رحى بطان
باني قد رايت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان فقلت لها كلانا نضو ارض اخو سفر فخلي لي مكاني
فشدت شدة نحوي فاهوت لها كفي بمصقول يماني فاضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران حيث قال فاضربها
ليصور لقومه حالة وشجاعته وجرأته فسقناه واحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص فادل
عليه **فصل** قال ارسل بلفظ الماضي وقال فتثير سحابا بلفظ المستقبل لانه لما اسند فعل الارسال الى الله وما يفعله
الله يكون بقوله كن فلا يبقى في العدم لا زمانا ولا جزءا من الزمان فلم يقل بلفظ المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة كونه
كانه كان ولانه فرغ عن كل شيء فهو قدر الارسال في الاوقات المعلومة والى المواضع المعينة ولما اسند فعل الاثارة
الى الريح وهي تؤلف في زمان فقال تثير اى على هيئتها وقال سقناه اسند الفعل الى المتكلم وكذلك في قوله فاحيينا
لانه في الاول عرف نفسه بفعل من الافعال وهو الارسال ثم لما عرف قال انا الذي بعثت السحاب واحييت
الارض ففي الاول كان تعريفا بالفعل العجيب وفي الثاني كان تذكيرا بالنعمة فان كمال نعمة الرياح والسحاب بالسوق والاحياء
وقوله سقناه واحيينا بصيغة الماضي يؤيد ما ذكرنا من الفرق بين قوله ارسل وبين قوله تثير ثم قال كذلك النشور
اى من الصور ووجه التشبيه من وجوه احدها ان الارض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الاعضاء تقبل
الحياة وثانيها كما ان الريح والسحاب الى البلد الميت كذلك تسوق الروح الى الجسد الميت **فان قيل** ما الحكمة في اختيار
هذه الاية من بين الايات مع ان الله تعالى له في كل شيء اية تدل على انه واحد **فالجواب** انه تعالى لما ذكر
كونه فاطر السموات والارض وذكر من الامور السماوية الارواح وارسالها بقوله جاعل الملائكة رسلا ذكر من الامور
الارضية الرياح **قوله تعالى** من كان يريد شرط جوابه مقدر ويختلف تقديره باختلاف التفسير في قوله من
كان يريد العزة فقال مجاهد معناه من كان يريد العزة التي لا يعقبها ذلة فيكون التقدير فليطلبها وقال

قتادة من كان يريد العزة وطريقة التقويم ويجب نيلها على وجهها فيكون التقدير على هذا فليطلبها وقال الفراء من كان يريد علم العزة
فيكون التقدير فلينسب ذلك الى الله وقيل من كان يريد العزة التي لا يعقبها ذلة فيكون التقدير فهو لا ينالها ودل على هذه
الاجوبة قوله فلله العزة وانما قيل ان الجواب محذوف وليس هو هذه الجملة لوجهين احدهما ان العزة لله مطلقا من غير
ترتيبها على شرط ارادة احد والثاني انه لا بد في الجواب من ضمير يعود على اسم الشرط اذا كان غير ظرف ولم يوجد هنا ضمير وجميعا
حال والعامل فيها الاستقرار **فصل** قال قتادة من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله عز وجل ومعناه الدعاء الى
طاعة من له العزة اى فليطلب العزة من عند الله بطاعته كما يقال من كان يريد المال فالمال لفلان اى فليطلبه من
عنده وذلك ان الكفار عبدوا الاصنام وطلبوا بها التعزز كما قال الله تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا وقال
الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا **قوله تعالى** اليه
يصعد العامة على بنائه للفاعل من صعد ثلاثيا الكلم الطيب برفعهما فاعلا ونعتا وابن مسعود يصعد من اصعد الكلم الطيب منصوبان
على المفعول والنعت وقرئ يصعد مبنيا للمفعول وقال ابن عطية والضحاك يصعد بضم الياء لكنه لم يبين كونه مبنيا للفاعل
او المفعول **فصل** قال المفسرون الكلم الطيب قول لا اله الا الله وقيل هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر وعن ابن مسعود قال اذا حدثتكم حديثا انباتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة
الا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بهن وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله عز وجل قوله اليه يصعد الكلم الطيب اى يقبل الله
الكلم الطيب **قوله تعالى** والعمل الصالح العامة على الرفع وفيه وجهان احدهما انه معطوف على الكلم الطيب فيكون صاعدا ويرفعه
على هذا استئناف اخبار من الله بانه يرفعهما وانما وحد الضمير وان كان المراد الكلم والعمل ذهابا بالضمير مذهب اسم الاشارة
كقوله عوان بين ذلك وقيل لاشتراكهما في صفة واحدة وهي الصعود والثاني انه مبتدأ ويرفعه الخبر ولكن اختلفوا في فاعل
يرفع على ثلاثة اوجه احدها انه ضمير الله تعالى اي والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب ونقل هذا عن ابن عباس وسعيد بن جبير
والحسن وعكرمة واكثر المفسرين الا ان ابن عطية منع هذا عن ابن عباس وقال لا يصح لان مذهب اهل السنة ان الكلم الطيب
مقبول وان كان لصاحبه عاصيا والثالث ان ضمير الرفع للكلم والنصب للعمل اى الكلم يرفع العمل وقرأ ابن ابي عبلة وعيسى بنصب
العمل الصالح على الاشتغال والضمير المرفوع للكلم او لله والمنصوب للعمل **فصل** قال الحسن وقتادة الكلم الطيب ذكر الله والعمل
الصالح اداء فرائضه فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته
الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل لقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه وقال عليه السلام لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا قولا وعملا الا بنية ومن قال الهاء في قوله يرفعه راجعة
الى العمل الصالح اى الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عملا الا ان يكون صادرا عن التوحيد وهذا معنى قول الكلبي ومقاتل
وقال سفيان بن عيينة العمل الصالح هو الخالص يعني ان الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والافعال لقوله تعالى
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا فجعل نقيض الصالح الشرك والرياء **قوله تعالى** والذين يمكرون السيئات يمكرون اصله
قاصر فعلى هذا ينتصب السيئات على نعت مصدر محذوف اى المكرات السيئات او نعت لمضاف الى المصدر اى اصناف المكرات
السيئات ويجوز ان يكون يمكرون مضمنا معنى يكسبون فينتصب السيئات مفعولا به قال الزمخشري ويحتمل ان يقال
استعمل المكر استعمال العمل فعداه تعديته كما قال الذين يعملون السيئات وعلى هذا يكون هذا في مقابلة قوله والعمل الصالح يرفعه
وقال الكلبي معناه يعملون السيئات قال مقاتل يعني الشرك وقال ابو العالية الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم
في دار الندوة كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك **قوله تعالى** ومكر اولئك هو يبور هو مبتدأ ويبور خبره
والجملة خبر قوله ومكر اولئك وجوز الحوفي وابو البقاء ان يكون هو فصلا بين المبتدأ وخبره وهذا مردود بان الفصل لا يقع
قبل الخبر اذا كان فعلا الا ان الجرجاني جوز ذلك وجوز ابو البقاء ايضا ان يكون هو تاكيدا وهذا مردود بان المضمر لا يؤكد
الظاهر ومعنى يبور يهلك ويبطل في الاخرة **قوله تعالى** والله خلقكم من تراب الاية قد تقدم ان الدلائل مع كثرتها
منحصرة في قسمين دلائل الافاق ودلائل الانفس كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم فلما ذكر دلائل الافاق من
السموات وما يرسل منها من الرياح شرع في دلائل الانفس وتقدم ذكره مرارا وتقدم ان قوله من تراب اشارة الى خلق ادم ثم
من نطفة اشارة الى خلق اولاده وتقدم ان الكلام غير محتاج الى هذا التاويل بل خلقكم خطاب مع الناس وهم اولاد ادم وكلهم
من تراب ومن نطفة لان كلهم من نطفة والنطفة من غذاء والغذاء ينتهي بالاخرة الى الماء والتراب فهو من تراب صار نطفة ثم
جعلكم ازواجا ذكرانا واناثا **قوله تعالى** من انثى من مزيدة في انثى وكذلك في من يعمر الا ان الاول فاعل وهذا مفعول
قائم مقامه والا بعلمه حال اي الا ملتبسة بعلمه **قوله تعالى** من عمره وفي هذا الضمير قولان احدهما انه يعود على معمر
اخر لان المراد بقوله من معمر الجنس فهو يعود عليه لفظا لا معنى لانه بعد ان فرض كونه معمرا استحال ان ينقص من عمره
نفسه كقوله وكل اناس قاربوا قيد فحلهم ونحن خلعنا قيده فهو سارب وقوله عندي درهم ونصفه اي ونصف درهم

اخر والثاني انه يعود على معمر لفظا ومعنى والمعنى انه اذا مضى من عمره حول احصى وكتب ثم حول اخر كذلك وهذا هو النقص واليه ذهب
ابن عباس وابن جبير وابو مالك ومنه قول الشاعر حياتك انفاس تعد فكلما مضى نفس منك انتقصت به جزا وقرا يعقوب
وسلام ويروى عن ابي عمرو ولا ينقص مبنيا للفاعل وقرا الحسن من عمره بسكون الميم **فصل** معنى وما يعمر من معمر ولا ينقص
عمره ولا ينقص من عمر اي من عمر اخر كما يقال لفلان عندي درهم ونصف اي نصف درهم اخر الا في كتاب وقيل قوله ولا
ينقص من عمره ينصرف الى الاول قال سعيد بن جبير مكتوب في ام الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب اسفل من ذلك ذهب
يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة ايام حتى ينقطع عمره وقال كعب الاحبار حين حضر عمر الوفاة والله لو دعا عمر ربه ان يؤخر
اجله لاخر فقيل له ان الله عز وجل يقول فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فقال اذا حضر الاجل فاما قبل
قبل ذلك فيجوز ان يزاد وينقص وقرا هذه الاية **فصل** قوله وما تحمل من انثى ولا تضع اشارة الى كمال قدرته فان ما
في الارحام قبل التخلق بل بعده ما دام في البطن لا يعلم حاله احد كيف والام الحاملة لا تعلم له منه شيئا فلما ذكر بقوله خلقكم
من تراب كمال قدرته بين بقوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه كمال علمه ثم بين نفاذ ارادته بقوله وما يعمر من معمر
ولا ينقص من عمره الا في كتاب فتبين انه القادر العليم المريد والاصنام لا قدرة لها ولا علم ولا ارادة فكيف تستحق شيئا منها
العبادة ثم قال ان ذلك على الله يسير اي الخلق من التراب ويحتمل ان يكون المراد ان التعمير والنقصان على الله يسير ويحتمل ان يكون
المراد ان العلم بما تحمله الانثى يسير والكل على الله يسير والاول اشبه لان الاستعمال اليسير في الفعل اليق **قوله تعالى** وما يستوي
البحران يعني العذب والملح ثم ذكر بيانهما فقال هذا عذب فرات طيب سائغ شرابه جائز في الحلق هني وهذا ملح اجاج شديد الملوحة
وقال الضحاك هو المر **قوله تعالى** سائغ شرابه يجوز ان يكون مبتدا وخبرا والجملة خبر ثان وان يكون سائغ خبرا وشرابه
فاعلا به لانه اعتمد وقرا عيسى ويروى عن ابي عمرو وعاصم سيغ مثل سيد وميت وعن عيسى تخفيف يائه كما خفف هين وميت
وقرا طلحة وابو نهيك ملح بالفتح والكسر لغة في ملح بالكسر والسكون **فصل** قال اكثر المفسرين ان المراد من الاية ضرب
المثل في حق الكفر والايمان او الكافر والمؤمن فالايمان لا يشبه بالكفر كما لا يشبه البحر العذب الفرات بالبحر الملح الاجاج ثم على هذا
فقوله ومن كل تاكلون لحما طريا فالبيان ان حال الكافر والمؤمن او الكفر والايمان دون حال البحرين لان الاجاج يشارك الفرات
في خير ونفع اذ اللحم الطري يوجد فيهما والحلية تؤخذ منهما والفلك تجري فيهما ولا نفع في الكفر والكافر وعلى هذا فيشبه قوله تعالى
اولئك كالانعام بل هم اضل وقوله كالحجارة او اشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء قال ابن
الخطيب والاظهر ان المراد منه ذكر دليل اخر على قدرة الله تعالى وذلك من حيث ان البحرين يستويان في الصورة ويختلفان
في الماء فان احدهما عذب فرات والاخر ملح اجاج ولو لا ذلك بايجاب موجب لما اختلف المتساويان ثم انهما بعد اختلافهما يوجد منهما امور
متشابهة فان اللحم الطري يوجد منهما والحلية تؤخذ منهما ومن يوجد في المتشابهين اختلافا ومن المختلفين اشتباها لا يكون
الا قادرا مختارا فقوله وما يستوي البحران اشارة الى عدم استوائهما دليل على كمال قدرته ونفوذ ارادته **فصل**
قال اهل اللغة لا يقال في ماء البحر اذا كان فيه ملوحة مالح وانما يقال له ملح وقد يذكر في بعض كتب الفقه يصير به ماء
البحر مالحا ويؤاخذ قائله به وهو اصح مما يذهب اليه القوم وذلك لان الماء العذب اذا القي فيه ملح حتى ملح لا يقال له الا مالح
وماء مالح للماء الذي صار من اصل خلقته كذلك لان المالح شيء فيه ملح ظاهر في الذوق بخلاف ما هو من اصل خلقته كذلك
قال الفقيه الملح اجزاء ارضية سبخة يصير بها ماء البحر مالحا راعى فيه الاصل فانه جعله ما جاوره ملح واهل اللغة حيث قالوا
في البحر ماؤه ملح جعلوه كذلك من اصل الخلقة والاجاج المر كما تقدم **قوله تعالى** ومن كل تاكلون لحما طريا من الطير والسمك
من العذب والملح جميعا وتستخرجون حلية يعني من الملح دون العذب تلبسونها من اللؤلؤ والمرجان وقيل نسب اللؤلؤ اليهما
لانه قد يكون في البحر الاجاج عيون عذبة تمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ من ذلك وترى الفلك فيه مواخر اي ماخرات
تسخر البحر بالجريان اي تشقه جواري مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضله بالتجارة ولعلكم تشكرون الله على نعمه
وهذا يدل على ان المراد من الاية الاستدلال بالبحرين وما منهما على وجود الله ووحدانيته وكمال قدرته **قوله تعالى**
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهذا استدلال اخر باختلاف الازمنة وقوله وسخر الشمس والقمر جواب لسؤال
يذكره المشركون وهو انهم قالوا اختلاف الليل والنهار بسبب اختلاف القسي الواقعة فوق الارض وتحتها فان في الصيف
تكون الشمس على سمت الرؤوس في بعض البلاد المائلة الافاق وحركة الشمس هناك مائلة فيقع تحت الارض اقل من نصف
دائرة فيقل زمان مكثها تحت الارض فيقصر الليل وفي الشتاء بالضد فيقصر النهار فقال الله تعالى وسخر الشمس والقمر
يعني بسبب الاختلاف وان كان ما ذكرتم لكن سير الشمس والقمر بارادة الله وقدرته فهو الذي فعل ذلك كل يجري لاجل
مسمى **قوله تعالى** ذلكم الله ربكم ذلكم مبتدا والله خبره وربكم خبر ثان او نعت لله وقال الزمخشري ويجوز في حكم الاعراب
ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبر لولا ان المعنى يأباه ورده ابو حيان بان الله علم لا جنس فلا
يوصف به ورد قوله ان المعنى يأباه قال لانه قد يكون انه مالككم ومصلحكم **فصل** المعنى ذلك الذي فعل هذه الاشياء
من فطر السموات والارض وارسال الارواح والرياح وخلق الانسان من التراب وغير ذلك له الملك كله ولا معبود الا هو

واذا كان له الملك فله العبادة كلها ثم بين ما ينافي صفة الالهية فقال والذين يدعون من دونه يعني الاصنام ما يملكون
من قطمير **قوله تعالى** والذين تدعون العامة على الخطاب في تدعون لقوله ربكم وعيسى وسلام ويعقوب ويروى عن
ابي عمرو بيا الغيبة اما على الالتفات واما على الانتقال الى الاخبار والفرق بينهما انه يكون في الالتفات المراد بالضمير
واحدا بخلاف الثاني فانهما غيران وما يملكون هو خبر الموصول ومن قطمير مفعول به ومن فيه مزيدة القطمير المشهور
فيه انه لفافة النواة وهو مثل في القلة كقوله وابوك يخصف نعله متوركا ما يملك المسكين من قطمير وقيل هو
النقع وقيل ما بين النقع والنواة وقد تقدم ان في النواة اربعة اشياء يضرب بها المثل في القلة الفتيل وهو ما في شق
النواة والقطمير وهو اللفافة والنقير وهو ما في ظهرها والثفروق وهو ما بين النقع والنواة **قوله تعالى** ان تدعوهم
لا يسمعوا دعاءكم يعني الاصنام ولو سمعوا ما استجابوا لكم وهذا ابطال لما كانوا يقولون ان في عبادة الاصنام عبادة من
حيث القرب منها والنظر اليها وعرض الحوائج عليها والله لا يرى ولا يصل اليه احد فقال مجيبا لهم ان هؤلاء لا يسمعون
دعاءكم والله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب فيسمع ويقبل ثم تنازل معهم وقال هب انهم يسمعون كما تظنون فانهم كانوا
يقولون بان الاصنام تسمع وتعلم ولكن لا يمكنهم ان يقولوا بانها تجيب لان ذلك ذلك انكار للمحسوس فقال ولو سمعوا كما تظنون
ما استجابوا لكم **قوله تعالى** ويوم القيامة يكفرون بشرككم اي يتبرؤن منكم ومن عبادتكم اياها ويقولون ما كنتم ايانا
تعبدون واعلم انه لما بين عدم النفع فيهم في الدنيا بين عدم النفع منهم في الاخرة ووجود الضرر منهم في القيامة بقوله
ويوم القيامة يكفرون بشرككم اي باشراككم بالله غيره وهذا مصدر مضاف لفاعله ثم قال ولا ينبئك مثل خبير يعني نفسه اي
لا ينبئك احد مثل خبير عالم بالاشياء وهذا الخطاب يحتمل وجهين احدهما ان يكون خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم ووجهه ان الله
تعالى لما اخبر بان الخشب والحجر يوم القيامة ينطق ويكذب عابده وذلك مما لا يعلم بالعقل المجرد لولا اخبار الله تعالى عنه بقوله
انهم يكفرون بهم يوم القيامة وهذا القول مع كون المخبر عنه امرا عجيبا فان المخبر عنه خبير والثاني ان ذلك الخطاب غير مختص
باحد اي هذا الذي ذكر كما ذكر ولا ينبئك ايها السامع كائنا من كنت مثل خبير **قوله تعالى** يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله اي
الى فضل الله والفقير هو المحتاج والله هو الغني عن خلقه الحميد اي المحمود في احسانه اليهم واعلم انه لما كثر الدعاء من النبي
عليه السلام والاصرار من الكفار قالوا ان الله لعله محتاج الى عبادتنا حتى يامرنا بها امرا بالغا ويهددنا على تركها مبالغا فقال
انتم الفقراء الى الله والله الغني فلا يامركم بالعبادة لاحتياجه اليكم وانما هو لاشفاقه عليكم **فصل** التعريف في الخبر قليل
والاكثر ان يكون الخبر نكرة والمبتدا معرفة لان المخبر لا يخبر في الاكثر الا بامر لا يعلمه المخبر له في ظن المتكلم ان السامع لا علم له به
ثم ان المبتدا لا بد وان يكون معلوما عند السامع حتى يقول له ايها السامع الامر الذي تعرفه انت فيه المعنى الفلاني كقول
القائل زيد قائم او قام اي زيد الذي تعرفه ثبت له قيام لا علم عندك به فان كان الخبر معلوما عند السامع والمبتدا كذلك ويقع
الخبر تنبيها لا تعليما فانه يحسن تعريف الخبر كقول القائل الله ربنا ومحمد نبينا حيث عرف كون الله ربنا وكون محمد نبينا وههنا
لما كان كون الناس فقراء امرا ظاهرا لا يخفى على احد قال انتم الفقراء وقوله الى الله اعلام بان الافتقار لا اليه ولا اتكال الا عليه
وهذا يوجب عبادته لكونه مفتقرا اليه وعدم عبادة غيره لعدم الافتقار الى غيره ثم قال والله هو الغني اي هو مع استغنائه
يدعوكم كل الدعاء وانتم مع احتياجكم لا تجيبونه **قوله تعالى** ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وهو ان تعالى وصفه بالغنى
كاملة لان قوله تعالى ان يشا يذهبكم اي ليس اذهابكم موقوفا الا على مشيئته بخلاف الشيء المحتاج اليه فان المحتاج الى الشيء لا يقال
فيه ان شاء فلان هدم داره وان يقال لولا حاجة الساكن الى الدار لبيعها ثم انه تعالى زاد على بيان الاستغناء بقوله ويات بخلق
جديد يعني ان كان يتوهم متوهم ان هذا الملك كمال وعظمة فلو اذهبه لزال ملكه وعظمته فهو قادر بان يخلق خلقا جديدا
احسن من هذا واجمل وما ذلك على الله بعزيز اي الاذهاب والاتيان اعلم ان لفظة العزيز استعمله الله تارة في القائم بنفسه
فقال في حق نفسه وكان الله قويا عزيزا وقال في هذه السورة عزيز غفور واستعمله تارة في القائم بغيره فقال وما ذلك
على الله بعزيز وقال عزيز عليه ما عنتم فهل هما بمعنى واحد او بمعنيين فنقول العزيز في اللغة هو الغالب والفعل اذا كان
لا يطيقه شخص يقال هو مغلوب بالنسبة الى ذلك الفعل بقوله وما ذلك على الله بعزيز اي ذلك الفعل لا يغلبه بل هو هين
على الله وقوله عزيز عليه ما عنتم اي حزنه ويؤديه كالشغل الغالب **قوله تعالى** ولا تزر وازرة اي نفس وازرة بخلاف
الموصوف للعلم ومعنى تزر تحمل اي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى **قوله تعالى** وان تدع مثقلة اي نفس مثقلة بالذنوب
نفسا الى حملها فحذف المفعول به للعلم به والعامة لا يحمل مبنيا للمفعول وشيء قائم مقام الفاعل وابو السمال وطلحة وتروى
عن الكسائي بفتح التاء من فوق وكسر الميم اسند الفعل الى ضمير النفس المحذوف التي هي مفعوله لتدع اي لا تحمل تلك النفس
المدعوة شيئا مفعول بلا تحمل **قوله تعالى** ولو كان ذا قربى اي ولو كان المدعو ذا قربى وقيل التقدير ولو كان الداعي
ذا قربى والمعنيان حسنان وقرئ ذو بالرفع على انها التامة اي ولو حضر ذو قربى نحو وان كان ذو عسرة قال الزمخشري ونظم الكلام احسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على ان المثقلة اذا دعت احدا الى حملها لا يحمل
منه ولو كان مدعوها ذا قربى وهو ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لخرج عن الملاءمة قال ابو حيان وهو ملتئم

على المعنى الذى ذكرناه قال شهاب الدين والذى قاله هو اى ولو حضر اذ ذاك ذو قربى ثم قال وتفسيره كان وهو مبنى للفاعل
يوجد وهو مبنى للمفعول تفسيره معنى والذى يفسر النحوى به كان التامة نحو حدث وحضر ووقع **فصل** المعنى وان تدع
مثقلة بذنوبها غيرها الى حملها اى تحمل ما عليه من الذنوب لا يحمل منه شئ ولو كان المدعو ذا قرابة له ابنه او اباه او امه
او اخاه قال ابن عباس يلقى الاب والام ابنه فيقول يا بنى احمل عنى بعض ذنوبى فيقول لا استطيع حسبى ما على **قوله تعالى**
انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب ولم يروه قال الاخفش تاويله انذارك انما ينفع الذين يخشون ربهم بالغيب **قوله**
تعالى بالغيب حال من الفاعل اى يخشونه غائبين عنه او من المفعول اى غائبا عنهم وقوله الذين يخشون ربهم بالغيب
واقاموا الصلاة كقوله الذين امنوا وعملوا الصالحات وكقوله الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة فى المعنى
قوله تعالى ومن تزكى قرأ العامة تزكى مفعل فانما يتزكى متفعل وعن ابى عمرو ومن يزكى فانما يزكى فى الاصل فيهما يتزكى فادغم
التاء فى الزاى كما ادغمت فى الدال نحو يذكرون فى يتذكرون وابن مسعود وطلحة ومن ازكى والاصل تزكى فادغم واجتلب
همزة الوصل فانما تزكى اصله يتزكى فادغم كابى عمرو فى غير المشهور عنه **فصل** معنى ومن تزكى صلح وعمل خيرا فانما يتزكى
لنفسه لها ثوابه والى الله المصير اى المتزكى ان لم تظهر فايدته عاجلا فالمصير الى الله يظهر عنده فى يوم القيامة فى دار البقا
والوازر ان لم يظهر تبعة وزره فى الدنيا فهى تظهر فى الاخرة اذ المصير الى الله ثم لما بين الهدى والضلالة ولم يهتدى
الكافر وهدى الله المؤمن ضرب له مثلا بالبصير والاعمى فالمؤمن بصير حيث ابصر الطريق الواضح والكافر اعمى **قوله تعالى**
وما يستوى الاعمى والبصير استوى من الافعال التى لا يكتفى فيها بواحد لو قلت استوى زيد لم يصح فمن ثم لزم العطف على الفاعل او تعدد
ولا فى قوله ولا الظلمات الى اخره مكرره لتاكيد النفى قال ابن عطية دخول لا انما هو على نية التكرار كانه قال ولا الظلمات
والنور ولا النور والظلمات فاستغنى بذكر الاوائل عن الثوانى ودل مذكور الكلام على متروكه قال ابو حيان وهذا غير
محتاج اليه لانه اذا نفى استواؤهما اولا فاى فايدة فى نفى استوائهما ثانيا وهو كلام حسن الا ان ابا حيان هنا قال قد جرت
لا فى النفى لتاكيد معناه كقوله ولا تستوى الحسنة ولا السيئة وللناس فى هذه الاية قولان احدهما ما ذكروا الثانى انها غير مؤكدة
اذ يراد بالحسنة الجنس وكذلك السيئة فكل واحد منهما متفاوت فى جنسه لان الحسنات درجات متفاوتة وكذلك السيئات
وسياتى تحقيق هذا ان شا الله تعالى هذا يمكن ان يقال بهذا هنا وهو ان المراد نفى استوا الظلمات ونفى استوا جنس النور
الا ان هذا غير مراد كل جنس على حدته ويرجح هذا الظاهر التصريح بهذا فى قوله اولا وما يستوى الاعمى والبصير حيث لم يكررها
وهذا من المواضع الحسنة المفيدة والحرور شدة حر الشمس وقال الزمخشرى الحرور السموم الا ان السموم بالنهار والحرور فيه وفى الليل
قال شهاب وهذا مذهب الفرا وغيره وقيل السموم بالنهار والحرور بالليل خاصة نقله ابن عطية عن رؤبة وقال ليس
بصحيح قاله الفرا وهذا عجيب منه كيف يرد على اصحاب اللسان لقول من ياخذ عنهم وقرا الكسائى فى رواية زاذان عنه
وما يستوى الاحيا بالتانيث على معنى الجماعة وهذه الاشيا جى بها على سبيل الاستعارة والتمثيل فالاعمى والبصير الكافر
والمؤمن والظلمات والنور الكفر والايمان والظل والحرور الحق والباطل والاحيا والاموات لمن دخل فى الاسلام ولمن لم
يدخل فيه وجاء ترتيب هذه المتقابلات على احسن الوجوه فانه تعالى لما ضرب للاعمى والبصير مثلين للكافر والمؤمن عقبه
بما كل منهما فيه فالكافر فى ظلمة والمؤمن فى نور لان الكافر وان كان حديد النظر لا بد له من ضوء يبصر فيه وقدم الاعمى لان
البصير فاصلة فحسن تاخيره ولما تقدم الاعمى فى الذكر ناسب تقدم ما هو فيه فلذلك قدمت الظلمة على النور ولان
النور فاصلة ثم ذكر ما لكل منهما فللمؤمن الظل وللكافر الحرور واخر الحرور لاجل الفاصلة كما تقدم وقولنا لاجل الفاصلة
هنا وفى غيره من الاماكن احسن من قول بعضهم لاجل السجع لان القران ينزه عن ذلك وقد منع الجمهور ان يقال فى
القران سجع وانما كرر الفعل فى قوله وما يستوى الاحيا مبالغة فى ذلك لان المنافاة بين الحياة والموت اتم من
المنافاة المتقدمة وقدم الاحيا لشرف الحياة ولم يعد لا تاكيدا فى قوله الاعمى والبصير وكررها فى غيره لان منافاة
ما بعده اتم فان الشخص قد يكون بصيرا ثم يصير اعمى فلا منافاة الا من حيث الوصف بخلاف الظل والحرور والظلمات
والنور فانها متنافية ابدا لا تجتمع اثنان منها فى محل فالمنافاة بين الظل والحرور وبين الظلمة والنور دايمة **قال**
قيل الحياة والموت بمنزلة العمى والبصر فان الجسم قد يكون متصفا بالحياة ثم يتصف بالموت اجيب الى المنافاة بين
الحياة والموت اتم من المنافاة بين الاعمى والبصير لان الاعمى والبصير يشتركان فى ادراكات كثيرة ولا كذلك الحى والميت فالمنافاة
بينهما اتم وافرد الاعمى والبصير لانه قابل الجنس بالجنس اذ قد يوجد فى افراد العميان ما يساوى بعض افراد البصرا
كاعمى ذكى له بصيرة يساوى بصيرا بليدا فالتفاوت بين الجنسين مقطوع به لا بين الافراد وجمع الظلمات لانها
عبارة عن الكفر والضلال وطرقهما كثيرة متشعبة ووحد النور لانه عبارة عن التوحيد وهو واحد فالتفاوت بين
كل فرد من افراد الظلمة وبين هذا الفرد الواحد والمعنى الظلمات كلها لا تجد فيها ما يساوى هذا الواحد قال شهاب
الدين كذا قيل وعندى انه ينبغى ان يقال ان هذا الجمع لا يساوى هذا الواحد فيعلم انتفا مساواة فرد منه لهذا
الواحد بطريق اولى واما جمع الاحيا والاموات لان التفاوت بينهما اكثر اذ ما من ميت يساوى فى الادراك الاحيا فذكر

بالموت صح

الاحيا لا يساوون الاموات سوا قابلت الجنس بالجنس ام الفرد بالفرد **فصل** قال ابن الخطيب قدم الاشرف فى المثلين وهو
الظل والحى واخره فى مثلين وهو البصر والنور وفى مثل هذا تقول المفسرون انه لتواخى اواخر الايات وهذا ضعيف لان تواخى
الاواخر راجع الى السجع ومعجزة القران فى المعنى لا فى مجرد اللفظ فالشاعر يقدم ويؤخر للسجع فيكون اللفظ حاملا له على تغيير
المعنى واما القران فحكمة بالغة المعنى فيه صحيح واللفظ فصيح فلا يقدم ويؤخر اللفظ بلا معنى فيقول الكفار قبل النبى عليه السلام
نواتى ضلالة فكانوا كالعمى وطريقهم كالظلمة ثم لما جا النبى عليه السلام وبين الحق واهتدى به منهم قوم فصاروا بصيرين وطريقهم
كالنور فقال لا يستوى من كان قبل البعث على الكفر ومن اهتدى بعده الى الايمان فلما كان الامر قبل الايمان فى زمان محمد عليه السلام
والكافر قبل المؤمن قدم المقدم ثم لما ذكر المال والمرجع قدم ما يتعلق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب لقوله عليه السلام ان الله
سبقت رحمتى غضبى ثم ان الكافر المصر بعد البعث صار اضل من الاعمى وشابه الاموات فى عدم ادراك الحق من جميع الوجوه
فقال وما يستوى الاحيا اى المؤمنين الذين امنوا بما انزل الله والاموات الذى تليت عليهم الايات البينات ولم ينتفعوا
بها وهولا كانوا بعد الايمان من امن واخرهم عن المؤمنين لوجود حياة المؤمنين قبل ممات الكافرين المعاندين وقدم الاعمى على
البصير لوجود الكفار الضالين قبل البعثة على المؤمنين المهتدين بعدها **فصل** قال المفسرون وما يستوى الاعمى
والبصير يعنى الجاهل والعالم وقيل الاعمى عن الهدى والبصير بالهدى اى المؤمن والمشرك ولا الظلمات ولا النور يعنى الكفر والايمان
ولا الظل ولا الحرور يعنى الجنة والنار وما يستوى الاحيا ولا الاموات يعنى المؤمنين والكفار وقيل العلما والجهال ان الله يسمع
من يشا حتى يتعظ ويجيب وما انت بمسمع من فى القبور يعنى الكفار شبههم بالاموات فى القبور حين لم يجيبوا ان انت الا
نذير ما انت الا منذر تخوفهم بالنار **قوله تعالى** انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا لما قال ان انت الا نذير بين انه ليس نذيرا من تلقا
نفسه انما هو نذير باذن الله وارساله **قوله تعالى** بالحق يجوز فيه اوجه احدها انه حال من الفاعل اى ارسلناك محقا
او من المفعول اى محقا او نعت لمصدر محذوف اى ارسالا ملتبسا بالحق او متعلق ببشيرا ونذيرا قال الزمخشرى بشيرا بالوعد
الحق ونذيرا بالوعيد الحق قال ابو حيان ولا يمكن ان يتعلق بالحق هذا ببشيرا ونذيرا معا بل ينبغى ان يتاول كلامه على انه اراد
ان ثم محذوفا والتقدير بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق قال شهاب الدين قد صرح الرجل بهذا **قوله تعالى** وان من
امة اى وما من امة فيما مضى وقوله الا خلا فيها نذير من امة ومعنى خلا اى سلف فيها نذير وبشير **قوله تعالى** وان يكذبوك
فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر اى الكتب وبالكتاب المنير الواضح وكرر ذلك الكتاب بعد ذكر الزبر
على طريق التاكيد وبالكتاب المنير الواضح وقيل البينات المعجزات والزبر هى الكتب التى فيها مواعظ وشبهات لا تحتمل النسخ والمراد
بالكتاب المنير الشريعة والاحكام الواقعة للحكمة الالهية وهى المحتملة للنسخ وهذا التسلية للنبى صلى الله عليه وسلم حيث يعلم
ان غيره كان مثله محتملا لاذى القوم وان غيره ايضا اتاهم بمثل ذلك فكذبوه واذوه وصبروا على تكذيبهم ثم اخذت الذين
كفروا فكيف كان نكير وهذا اسوا التفريق بهم علموا اشد انكار الله عليهم واستبصا لهم **قوله تعالى** الم تر ان الله انزل من السما
ما قيل الخطاب للنبى عليه السلام وفيه حكمة وهى ان الله تعالى لما ذكر الدلايل ولم ينتفعوا قطع الكلام معهم والتفت الى غيرهم
كان السيد اذا نصح بعض عبيده ولم يزجر يقول لغيره اسمع ولا تكن مثل هذا ويكرر مع ما ذكره للاول ويكون فيه
اشعار بان الاول فيه نقيصة لا يصلح للخطاب فيتنبه له ويدفع عن نفسه تلك النقيصة وايضا فلا يخرج الى كلام
اجنبى عن الاول بل ياتى بما يقاربه ليلا يسمع الاول كلاما اخر فيترك التفكر فيما كان من النصيحة **قوله تعالى** فاخرجنا هذا التفات
من الغيبة الى التكلم وانما كان ذلك لان المنة بالاخراج ابلغ من انزال الما ومختلفا نعت لثمرات والوانها فاعل به ولولا ذلك لانث
مختلفا ولكنه لما اسند الى جمع تكسير غير عاقل جاز تذكيره ولو انث فقيل مختلفة كما يقول اختلفت الوانها جاز وبه قرا زيد بن على
قوله تعالى ومن الجبال جدد العامة على ضم الجيم وفتح الدال جمع جدة وهى الطريقة قال ابن بحر قطع من قولك جددت
الشى قطعته وقال ابو الفضل هى ما يخالف من الطريق لون ما يليها ومنه جدة الحمار للخط الذى فى ظهره وقرا الزهرى
جدد بضم الجيم والدال جمع جديد يقال جديد وجدد وجدايد قال ابو ذويب جوز السراة له جدايد اربع
نحو سفينة وسفن وسفاين وقال ابو الفضل جمع جديد بمعنى اثار جديدة واضحة الالوان وعنه ايضا جدد بفتحهما
وقد رد ابو حاتم هذه القراءة من حيث الاثر والمعنى وقد صححها غيره وقال الجدد الطريق الواضح البين الا انه وضع
المفرد موضع الجمع اذ المراد الطرايق والخطوط **قوله تعالى** مختلف الوانها مختلف صفة لجدد ايضا والوانها فاعل به كما تقدم
فى نظيره ولا جايز ان يكون مختلف خبرا مقدما والوانها مبتدا مؤخر والجملة صفة اذ كان يجب ان يقال تختلف ليجعلها خبرا
المبتدا وقوله والوانها يحتمل معنيين احدهما ان البياض والحمرة يتفاوتان بالشدة والضعف فرب ابيض اشد من ابيض
واحمر اشد من احمر فنفس البياض مختلف وكذلك الحمرة فلذلك جمع الوانها فيكون من باب المشكل والثانى ان الجدد
كلها على لونين بياض وحمرة فالبياض والحمرة وان كانا لونين الا انهما جمعا باعتبار محالهما **قوله تعالى** وغرابيب سود
فيه ثلاثة اوجه احدها انه معطوف على حمر عطف ذى لون على ذى لون والثانى انه معطوف على بيض والثالث
انه معطوف على جدد قال الزمخشرى معطوف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو

على لون واحد ثم قال ولا بد من تقدير حذف مضاف في قوله ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول
إلى قولك ومن الجبال مختلف ألوانها كما ذكر بعد ذلك نعت بيض وحمر لأن الغرابيب هو المبالغ في السواد فصار لونا واحدا غير متفاوت
بخلاف ما تقدم وغرابيب جمع غربيب وهو الأسود المتناهي في السواد فهو تابع للأسود كقان وناصع وناصر ويقق فمن ثم
زعم بعضهم أنه في نية التأخير ومن مذهب هؤلاء يجوز تقديم الصفة على موصوفها وأنشد قول
والمؤمن العائذات الطير يمسحها ۔ ريد والمؤمن الطير العائذات ۔ وقول الآخر ۔ وبالطويل العمر عمرا حيدرا ۔ يريد وبالعمر
الطويل والبصريون لا يرون ذلك ويخرجون هذا وأمثاله على أن الثاني بدل من الأول فسود والطير والعمر أبدال مما قبلها وخرج
الزمخشري وغيره على أنه حذف الموصوف وقامت صفته مقامه وأن المذكور بعد الوصف دال على الموصوف ۔ قال
الزمخشري الغربيب تأكيد للأسود ومن حق التوكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقق ووجهه أن يضمر
المؤكد قبله فيكون الذي بعده تفسيرا لما أضمر كقوله ۔ والمؤمن العائذات ۔ الطير وإنما يفعل ذلك التوكيد حيث يدل
على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار يعني فيكون الأصل وسود غرابيب سود والمؤمن الطير العائذات الطير قال
أبو حيان وهذا لا يصح إلا على مذهب من يجوز حذف المؤكد ومن النحويين من منعه وهو اختيار ابن مالك ۔ قال
شهاب الدين ليس هذا هو التوكيد المختلف في حذف مؤكده لأن هذا من باب الصفة والموصوف ومعنى تسمية الزمخشري
له تأكيدا من حيث إنها لا تفيد معنى زائدا إنما تفيد المبالغة والتوكيد في ذلك اللون والنحويون قد سموا الوصف إذا لم
يفد غير الأول تأكيدا فقالوا وقد يجيء لمجرد التوكيد نحو نفخة واحدة والاهين اثنين والتوكيد المختلف في حذف مؤكده إنما
هو في باب التوكيد الصناعي ومذهب سيبويه جوازه أجاز مررت بأخويك أنفسهما بالنصب والرفع على تقدير أعنيهما
أنفسهما فأين هذا من ذاك إلا أنه يشكل على الزمخشري هذا المذكور بعد غرابيب ونحوه بالنسبة إلى أنه جعله مفسرا لذلك المحذوف
وهذا إنما عهد في الجمل لا في المفردات إلا في باب البدل وعطف البيان فبأي شيء يسميه والأولى فيه أن يسمى توكيدا لفظيا
إذ الأصل سود غرابيب سود قوله تعالى ۔ مختلف ألوانه ۔ مختلف نعت لمنعوت محذوف والجار قبله خبره أي من الناس صنف
أو نوع مختلف ولذلك عمل اسم الفاعل كقوله ۔ كناطح صخرة يوما ليعلقها ۔ وقرأ ابن السميفع ألوانها وهو ظاهر وقرأ
الزهري والدواب خفيفة الباء فرارا من التقاء الساكنين كما حرك أولهما في الضالين وجأل **فصل** قال ابن الخطيب
في هذه الآية لطائف ۔ الأولى قوله أنزل وفائدته أن قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فإن كان جاهلا يقول
نزول الماء بالطبع لثقله فيقال له فالإخراج لا يمكنك أن تقول فيه إنه بالطبع فهو بإرادة الله فلما كان ذلك أظهر أسنده
إلى المتكلم وأيضا فإن الله تعالى لما قال أنزل علم الله بالدليل وقرب التفكر فيه إلى الله فصار من الحاضرين فقال
أخرجنا القربه وأيضا فالإخراج أتم نعمة من الإنزال لأن الإنزال لفائدة الإخراج فأسند الأتم إلى نفسه بصيغة المتكلم
وما دونه بصيغة الغائب ۔ الثانية قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر كأن قائلا قال اختلاف الثمرات لاختلاف
البقاع ألا ترى أن بعض النباتات لا ينبت ببعض البلاد كالزعفران فقال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر الآية
اختلاف ليس إلا بإرادة الله وإلا فلم صار بعض الجبال فيه مواضع حمر ومواضع بيض **قال قيل** الواو في ومن الجبال
ما تقديرها نقول يحتمل وجهين أحدهما أن تكون للاستئناف كأنه تعالى قال أخرجنا بالماء ثمرات مختلفة الألوان
وفي الجبال جدد بيض دالة على القدرة الرادة على من ينكر الإرادة في اختلاف ألوان الثمار وثانيهما أن يكون للعطف
والتقدير وخلق من الجبال جدد قال الزمخشري أراد ذو جدد ۔ الثالث ذكر الجبال ولم يذكر الأرض كما قال في
موضع آخر وفي الأرض قطع متجاورات مع أن هذا الدليل مثل ذلك وذلك لأن الله تعالى لما ذكر في الأول أخرجنا به ثمرات
كان بعض إخراج الثمار دليلا على القدرة ثم زاد عليه بيانا وقال مختلفا كذلك في الجبال في نفسها دليل القدرة والإرادة
لكن كون الجبل في بعض نواحي الأرض دون بعضها وكون بعضها أخفض وبعضها أرفع دليل القدرة والاختيار ثم زاد
بيانا وقال جدد بيض أي دالة لا لنفسها بل دالة باختلاف ألوانها كما أن إخراج الثمرات في نفسها دليل واختلاف
ألوانها دليل ۔ الرابعة قوله مختلفا ألوانها لأن الأبيض قد يكون على لون الجص وقد يكون على لون التراب الأبيض
وبالجملة فالأبيض تتفاوت درجاته في البياض وكذلك الأحمر تتفاوت درجاته في الحمرة ولو كان المراد بالبيض
والحمر مختلف الألوان لكان لمجرد التأكيد والأول أولى وعلى هذا ذكر مختلفا ألوانها في البيض والحمر وأخر السواد
الغرابيب لأن الأسود لما ذكره مع المؤكد وهو الغربيب يكون بالغاية السواد فلا يكون فيه اختلاف قوله تعالى
ومن الناس والدواب والأنعام استدلال آخر على قدرة الله وإرادته فكأنه تعالى قسم دلائل الخلق في هذا العالم
وهو عالم المركبات قسمين حيوان وغير حيوان وهو إما نبات وإما معدن والنبات أشرف فأشار إليه بقوله فأخرجنا
به ثمرات ثم ذكر المعدن بقوله ومن الجبال ثم ذكر الحيوان وبدأ بالأشرف منها وهو الإنسان فقال ومن الناس
ثم ذكر الدواب لأن منافعها في حياتها والأنعام منفعتها في الأكل منها أو لأن الدواب في العرف تطلق على الفرس وهو
بعد الإنسان أشرف من غيره وقوله مختلف ألوانه القول فيه كما تقدم كما أنها في أنفسها دلائل كذلك باختلافها

دلايل

دلايل وقوله مختلف ألوانه مذكر لكون الإنسان من جملة المذكور من تلك الذكر أولى **قوله** تعالى كذلك فيه وجهان أظهرهما
أنه متعلق بما قبله أي مختلف اختلافا مثل الاختلاف في الثمرات والجدد والوقف على كذلك ۔ والثاني متعلق بما بعده والمعنى مثل
ذلك المطر والاعتبار في مخلوقات الله واختلاف ألوانها يخشى الله العلماء وإلى هذا نحا ابن عطية وهو فاسد من حيث إن ما
بعد إنما مانع من العمل فيما قبلها وقد نص أبو عمرو الداني على أن الوقف على كذلك تام ولم يحك فيه خلافا **قوله** تعالى
إنما يخشى الله العلماء ۔ العامة على نصب الجلالة ورفع العلماء وهي واضحة ۔ وقرأ عمر بن عبد العزيز وأبو حنيفة فيما نقل الزمخشري وأبو
حيوة فيما نقل الهذلي في كامله بالعكس وتؤولت على معنى التعظيم أي إنما يعظم الله من عباده العلماء وهذه القراءة شبيهة بقراءة
وإذ ابتلى إبراهيم ربه برفع إبراهيم ونصب ربه **فصل** قال ابن عباس يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي
وعزتي وسلطاني ۔ واعلم أن الخشية بقدر معرفة المخشي والعالم يعرف الله فيخافه ويرجوه وهذا دليل على أن العالم أعلى درجة
من العابد لقوله تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم بين أن الكرامة بقدر التقوى والتقوى بقدر العلم لا بقدر العمل ۔ قال
عليه الصلاة والسلام والله إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية ۔ وقال عليه السلام لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا ۔ وقال مسروق وكفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار جهلا ثم قال إن الله عزيز غفور أي عزيز في ملكه غفور لذنوب
عباده فذكر ما يوجب الخوف والرجاء فكونه عزيزا ذا انتقام يوجب الخوف التام وكونه غفورا لما دون ذلك يوجب الرجاء
البالغ ۔ وقراءة من قرأ بنصب العلماء ورفع الجلالة تقدم معناه **قوله** تعالى إن الذين يتلون ۔ في خبر إن وجهان
أحدهما الجملة من قوله يرجون أي إن التالين يرجون ولن تبور صفة تجارة وليوفيهم متعلق بيرجون أو بتبور أو بمحذوف
أي فعلوا ذلك ليوفيهم على الوجهين يجوز أن تكون لام العاقبة ۔ والثاني أن الخبر إنه غفور شكور جوزه الزمخشري على
حذف العائد أي غفور لهم وعلى هذا فيرجون حال من أنفقوا أي أنفقوا ذلك راجين **فصل** المراد بالذين يتلون
كتاب الله أي قرأ القرآن لما بين العلماء بالله وخشيتهم وكرامتهم بسبب خشيتهم ذكر العالمين بكتاب الله العاملين بما فيه
فقوله يتلون كتاب الله إشارة إلى الذكر وقوله وأقاموا الصلاة إشارة إلى العمل البدني وقوله وأنفقوا مما رزقناهم إشارة
إلى العمل المالي وفي الآية حكمة بالغة وهي قوله إنما يخشى الله إشارة إلى عمل القلب وقوله الذين يتلون إشارة إلى عمل اللسان
وقوله وأقاموا الصلاة إشارة إلى عمل الجوارح ثم إن هذه الأشياء الثلاثة متعلقة بجانب تعظيم الله وقوله وأنفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية يعني الشفقة على خلقه وقوله سرا وعلانية حث على الإنفاق كيفما تهيأ فإن تهيأ سرا فذاك
وإلا فعلانية ولا يمنعه ظنه أنه يكون رياء فإن ترك الخير مخافة ذلك هو عين الرياء ويمكن أن يكون المراد بالسر الصدقة
المطلقة وبالعلانية الزكاة فإن الإعلان بالزكاة كالإعلان بالفرض وهو مستحب يرجون تجارة وهي ما وعد الله من
الثواب لن تبور لن تفسد ولن تهلك ليوفيهم أجورهم جزاء أعمالهم بالثواب ما لم تر عين ولم تسمع أذن ۔ ويحتمل أن يريدهم
النظر إليه كما جاء في تفسير الزيادة إنه غفور شكور قال ابن عباس يغفر الذنب العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم
وقيل غفور عند إعطاء الأجر شكور عند إعطاء الزيادة **قوله** تعالى والذي أوحينا إليك من الكتاب ۔ يعني القرآن وقيل
اللوح المحفوظ لما بين الأصل الأول وهو وجود الله الواحد بالدلائل في قول الله الذي يرسل الرياح وقوله الله خلقكم
وقوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ذكر الأصل الثاني وهو الرسالة وقال والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق
قوله من الكتاب يجوز أن يكون للبيان كما يقال أرسل إلي فلان من الثياب جملة وأن يكون للجنس وأن يكون لابتدا
الغاية كما يقال جاءني كتاب من الأمير وعلى هذا فالكتاب يمكن أن يراد به اللوح المحفوظ إليك حق ويمكن أن يكون المراد
به القرآن يعني الإرشاد والتبيين الذي أوحينا إليك من القرآن ويمكن أن تكون للتبعيض وهو فصل أو مبتدأ أو مصدقا
حال مؤكدة **فصل** هو الحق آكد من قول القائل الذي أوحينا حق إليك من وجهين أحدهما أن التعريف للخبر يدل على أن
الأمر في غاية الظهور لأن الخبر في الأكثر يكون نكرة ۔ الثاني أن الأخبار في الغالب يكون إعلاما بثبوت أمر لا يعرفه السامع
كقولنا زيد قائم فإن السامع ينبغي أن يكون عارفا بزيد ولا يعلم قيامه فيخبره به فإذا كان الخبر معلوما فيكون الإخبار للتنبيه
فيعرفان باللام كقولنا إن زيدا العالم في هذه المدينة إذا كان علمه مشهورا وقوله مصدقا لما بين يديه من الكتب وهذا
تقرير لكونه وحيا لأن النبي عليه السلام لما لم يكن قارئا كاتبا وأتى ببيان ما في كتاب الله لا يكون ذلك إلا بوحي من الله تعالى
أو يقال إن هذا الوحي مصدق لما تقدم لأن الوحي لو لم يكن موجود الكذب موسى وعيسى عليهما السلام في إنزال التوراة
والإنجيل فإذا وجد الوحي ونزل على محمد عليه السلام علم جوازه وصدق ما تقدم وفي هذه الطبعة وهي أنه تعالى جعل القرآن
مصدقا لما مضى لأن ما مضى أيضا مصدق له لأن الوحي إذا نزل على واحد جاز أن ينزل على غيره وهو محمد عليه السلام ولم
يجعل ما تقدم مصدقا للقرآن لأن القرآن كونه معجزة يكفي في تصديقه بأنه وحي وأما ما تقدم فلا بد فيه من معجزة
تصدقه ثم قال إن الله بعباده لخبير بصير خبير بالبواطن بصير بالظواهر فلا يكون الوحي من الله باطلا لا في الباطن
ولا في الظاهر ويمكن أن يكون جوابا لقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فقال إن الله بعباده خبير
بمواطنهم وبصير بظواهرهم فاختار محمدا ولم يختر غيره كقوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته **قوله** تعالى ثم أورثنا

ويزيدهم من فضله
قال ابن عباس يعني
سوى الثواب
صح

الكتاب الذين اصطفينا الكتاب الذين اصطفينا مفعولا اورثنا والكتاب هو الثاني قدم لشرفه اذ لبس والاكثر المفسرين على ان
المراد بالكتاب القران وقيل المراد جنس الكتاب ينتهي الى الذين اصطفينا من عبادنا ويجوز ان يكون ثم بمعنى الواو اى
واورثنا كقوله ثم كان من الذين امنوا اى وكان من الذين امنوا ومعنى اورثنا اعطينا لان الميراث عطاء قاله مجاهد
وقيل اورثنا اخرنا ومنه الميراث لانه اخر عن الميت ومعناه اخرنا القران من الامم السالفة واعطيناكموه واهلنا كم
له **قوله** من عبادنا يجوز ان يكون للبيان على معنى ان المصطفين هم عبادنا وان يكون للتبعيض اى ان المصطفين
بعض عبادنا لا كلهم • وقرأ ابو عمران الجوني ويعقوب وابو عمرو في رواية سباق مثال مبالغة **فصل** قال ابن
عباس يريد بالعباد امة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قسمهم ورتبهم فقال فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات • وروى اسامة بن زيد في هذه الاية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة
وروى ابو عثمان النهدي قال سمعت عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الاية
فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له • وروى ابو الدرداء
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية ثم اورثنا الكتاب الاية وقال اما السابق بالخيرات فيدخل
الجنة بغير حساب • واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا • واما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم
ثم يدخل الجنة ثم قرأ الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور • وقال عقبة بن صهبان سالت
عائشة عن قول الله عز وجل ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا الاية فقالت يا بني كلهم في الجنة اما السابق بالخيرات
فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة • واما المقتصد فمن
اتبع اثره من اصحابه حتى لحق به • واما الظالم فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها معنا • وقال مجاهد والحسن وقتادة
فمنهم ظالم لنفسه هم اصحاب المشأمة ومنهم مقتصد اصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات السابقون المقربون
من الناس كلهم • وعن ابن عباس قال السابق المؤمن المخلص • والمقتصد المرائي والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد
لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة • وقيل الظالم هو الراجح السيئات • والمقتصد هو الذي تساوت سيئاته
وحسناته • والسابق هو الذي رجحت حسناته • وقيل الظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه والمقتصد من
تساوى ظاهره وباطنه • والسابق من باطنه خير من ظاهره • وقيل الظالم هو الموحد بلسانه الذي تخالفه
جوارحه • والمقتصد هو الموحد الذي يمنع جوارحه من المخالفة بالتكليف • والسابق هو الموحد الذي ينسيه
التوحيد غير التوحيد • وقيل الظالم صاحب الكبيرة • والمقتصد صاحب الصغيرة • والسابق المعصوم • وقيل
الظالم التالي للقران غير العالم به والعامل به • والمقتصد التالي العالم • والسابق التالي العالم العامل • وقيل الظالم
الجاهل • والمقتصد المتعلم • والسابق العالم • وقال ابو جعفر الصادق بدأ بالظالم اخبارا انه لا يتقرب اليه الا
بكرمه وان الظلم لا يؤثر في الاصطفا ثم ثنى بالمقتصد لانه بين الخوف والرجا وختم بالسابق لئلا يامن احد مكره
كلهم في الجنة • وقال ابو بكر الوراق رتبهم على مقامات الناس لان احوال العبد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة
ثم قربة فاذا عصى دخل في حيز الظالمين واذا تاب دخل في جملة المقتصدين فاذا صحت له التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة
دخل في عداد السابقين • وقيل غير ذلك • واما من قال المراد بالكتاب جنس الكتاب كقوله جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر
وبالكتاب المنير فالمعنى انا اعطينا الكتاب الذين اصطفينا وهم الانبياء لان لفظ المصطفى انما يطلق في الاكثر على الانبياء لا على
غيرهم وان قوله من عبادنا يدل على ان العباد اكابر مكرمون لانه اضافهم اليه ثم المصطفين منهم اشرف ولا يليق
بمن يكون اشرف من الشرفا ان يكون ظالما مع ان لفظ الظالم اطلقه الله في كثير من المواضع على الكافر **فان قيل** كيف قال في حق من ذكر في حقه انه من عباده وانه مصطفى ظالم مع ان الظالم يطلق على الكافر في كثير
من المواضع وسمى الشرك ظلما **فالجواب** ان المؤمن عند المعصية وضع نفسه في غير موضعها فهو ظالم لنفسه حال المعصية
قال عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن من الحديث • وقال ادم عليه السلام مع كونه مصطفى ربنا ظلمنا
انفسنا • واما الكافر فيضع قلبه الذي به اعتماد الجسد في غير موضعه فهو ظالم على الاطلاق • واما قلب المؤمن
مطمئن بالايمان لا يضعه في غير التفكر في الاء الله وجه وهو ان قوله منهم غير راجع الى الانبياء المصطفين بل
المعنى ان الذي اوحينا اليك هو الحق وانت المصطفى كما اصطفينا رسلنا واتيناهم كتبا ومنهم اي من قومك ظالم
كفر بك وبما انزل اليك • ومقتصد امن به ولم يات بجميع ما امر به فيه • وسابق امن وعمل صالحا • وقال الكلبي المراد
بالظالم لنفسه هو الكافر • وقيل المراد منه المنافق وعلى هذا لا يدخل الظالم في قوله جنات عدن يدخلونها وحمل
هذا القائل الاصطفا على الاصطفا في الخلقة وارسال الرسول اليهم وانزال الكتاب والذي عليه عامة اهل العلم
ان المراد من جميعهم المؤمنون **فصل** معنى سابق بالخيرات اي سابق الى الجنة والى رحمة الله بالخيرات اي
بالاعمال الصالحة باذن الله اي بامر الله وارادته ذلك هو الفضل الكبير يعني ايراثهم الكتاب ثم اخبر بثوابهم فقال

تعالى جنات عدن يدخلونها يعني الاصناف الثلاثة **قوله** تعالى جنات عدن يجوز ان يكون مبتدا والجملة بعدها الخبر
وان يكون بدلا من الفضل قاله الزمخشري وابن عطية الا ان الزمخشري اعترض واجاب فقال فان قلت فكيف
جعلت جنات عدن بدلا من الفضل الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك قلت لما كان السبب في نيل الثواب
نزل منزلة المسبب كانه هو الثواب فابدل عنه جنات عدن • وقرأ زر والزهري جنة مفردا والجحدري جنات
بالنصب على الاشتغال وهي تؤيد رفعها بالابتدا • وجوز ابو البقا ان يكون جنات بالرفع خبرا ثانيا لاسم الاشارة
وان يكون خبر مبتدا محذوف وتقدمت قراءة يدخلونها مبنيا للفاعل والمفعول وباقي الاية في الحج **فصل**
قيل المراد بالداخلين الاقسام الثلاثة وهذا على قولنا بانهم اقسام المؤمنين • وقيل الذين يتلون كتاب الله • وقيل
هم السابقون وهذا اقوى لقرب ذكرهم ولانه ذكر اكرامهم بقوله يحلون والمكرم هو السابق **فان قيل** تقديم الفاعل
على الفعل وتاخير المفعول عنه موافق لترتيب المعنى اذا كان المفعول حقيقيا كقولنا الله الذي خلق السموات وقول
القايل زيد بنى الجدار فان الله موجود قبل كل شيء ثم له فعل هو الخلق ثم حصل به المفعول وهو السموات وكذا زيد ثم
البنا واذا لم يكن المفعول حقيقيا كقولنا دخل الداخل الدار وضرب عمرا فان الدار في الحقيقة ليس مفعولا للداخل وانما
فعله متحقق بالنسبة الى الدار وكذلك عمرو فعل زيد تعلق به فسمي مفعولا ولكن الاصل تقديم الفعل على المفعول ولهذا
يعاد الفعل المقدم بالضمير تقول عمرو ضربه زيد فتوقعه بعد الفعل بالهاء العايدة اليه وحينئذ يطول الكلام فلا
يختاره الحكيم الا لغاية في تقديم الجنات على الفعل الذي هو الدخول واعادة ذكرها بالهاء في يدخلونها وما الفرق
بين هذا وبين قول القايل يدخلون جنات عدن **فالجواب** ان السامع اذا علم له مدخلا من المداخل وله دخول
ولم يعلم عين المدخل فاذا قيل له انت تدخل مال الى ان يسمع الدار او السوق فيبقى متعلق القلب بانه في اي الداخل يكون
فاذا قيل له الدار تدخلها فيذكر الدار يعلم مدخله وبما عنده من العلم السابق بان له دخولا يعلم المدخول فلا يبقى متعلق
القلب ولا سيما الجنة والنار فان بين المدخلين بونا بعيدا **قوله** تعالى يحلون فيها اشارة الى سرعة الدخول فان التحلية
لو وقعت خارجا لكان فيه تاخير المدخول فقال يدخلونها وفيها تقع تحليتهم وقوله من اساور جمع الجمع فانه جمع اسورة
وهي جمع سوار من ذهب ولؤلؤا ولباسهم اي ليس كذلك لان الاكثار من اللباس يدل على حاجة من دفع برد او غيره والاكثار
من الزينة لا يدل على الغنا وذكر الاساور من بين ساير الحلي في مواضع كثيرة كقوله تعالى وحلوا اساور من فضة وذلك
لان التحلي بمعنيين • احدهما اظهار كون المتحلي غير مبتذل في الاشتغال لان التحلي لا يكون حالة الطبخ والغسل • وثانيهما اظهار
الاستغناء عن الاشيا واظهار القدرة على الاشيا لان التحلي اما باللالي والجواهر واما بالذهب والفضة والتحلي بالجواهر
واللالي يدل على ان المتحلي لا يعجز عن الوصول الى الاشيا الكثيرة عند الحاجة حيث لم يعجز عن الوصول الى الاشيا العزيزة
الوجود لا لحاجة والتحلي بالذهب والفضة يدل على انه غير محتاج حاجة اصلية والا لصرف الذهب والفضة الى دفع
حاجته واذا عرف هذا فنقول الاساور محلها الايدي واكثر الاعمال باليد فاذا حليت بالاساور علم بالفراغ من الاعمال
قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن • قرأ العامة بفتحتين وجناح حبيش بضم الحاء وسكون الزاي
وتقدم معنى ذلك اول القصص • والمعنى يقولون اذا دخلوا الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن • والحزن والحزن
واحد كالبخل والبخل قال ابن عباس حزن النار • وقال قتادة حزن الموت • وقال مقاتل لانهم كانوا لا يدرون ما يصنع
بهم • وقال عكرمة حزن السيئات والذنوب وخوف رد الطاعات • وقال القاسم حزن زوال النعم وخوف العاقبة
وقيل حزن اهوال يوم القيامة • وقال الكلبي ما كان يحزنهم في الدنيا من امر يوم القيامة • وقال سعيد بن جبير هم
الخبز في الدنيا • وقيل هم المعيشة • وقال الزجاج اذهب الله عن اهل الجنة كل الاحزان ما كان منها لمعاش او معاد
قال عليه السلام ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في حشرهم وكاني باهل لا اله الا الله ينفضون التراب
عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ثم قالوا ان ربنا لغفور شكور ذكر الله عنهم امورا كلها تفيد
الكرامة • الاول ان الحمد لله فان الحامد مثاب • الثاني قولهم ربنا فان الله تعالى اذا نودي بهذا اللفظ استجاب
للمنادي اللهم الا ان يكون المنادي يطلب ما لا يجوز • الثالث قولهم غفور شكور والغفور اشارة الى ما غفر لهم في الاخرة
وحمدهم في الدنيا والشكور اشارة الى ما يعطيهم الله ويزيدهم بسبب حمدهم في الاخرة **قوله** تعالى الذي احلنا اي انزلنا
دار المقامة مفعول ثان لاحلنا ولا يكون ظرفا لانه مختص فلو كان ظرفا لتعدى اليه الفعل بفي • والمقامة الاقامة والمفعول
قد يجي بالمصدر يقال له مفعول اي عقل كان تعالى مدخل صدق ومزقناهم كل ممزق وكذلك المستخرج للاخراج لان
المصدر هو المفعول في الحقيقة فانه هو الذي فعل **فصل** في قوله دار المقامة اشارة الى ان الدنيا منزلة يترحلها
المكلف يرتحل عنها الى منزلة القبور ومن القبور الى منزلة العرصة التي فيها الجمع ومنها التفريق وقد يكون النار لبعضهم
منزلة اخرى والجنة دار البقا وكذا النار لاهلها **قوله** تعالى من فضله • متعلق باحلنا ومن اما للعلة واما لابتدا
الغاية ومعنى فضله اي بحكمه وعدله لا بايجاب من عندنا **قوله** تعالى لا يمسنا • حال من مفعول احلنا الاول والثاني

لان الجملة مشتملة على ضمير كل منهما وان كان الحال من الاول اظهر . والنصب التعب والمشقة واللغوب الفتور الناشئ عنه
وعلى هذا فيقال اذا انتفى السبب انتفى المسبب فاذا قيل لم اكل فيعلم انتفاء الشبع فلا حاجة الى قوله ثانيا فلم اشبع
بخلاف العكس الا ترى انه يجوز لم اشبع ولم اكل والاية الكريمة على ما تقرر من نفي السبب ثم نفي المسبب فما فائدته
وقد اجاب ابن الخطيب بانه بين مخالفة الجنة لدار الدنيا فان اماكنها على قسمين موضع يمس فيه المشاق كالبراري
وموضع يمس فيه الاعياء كالبيوت والمنازل التي في الاسفار فقيل لا يمسنا فيها نصب لانها ليست مظان المتاعب
كدار الدنيا ولا يمسنا فيها لغوب اي ولا نخرج منها الى مواضع نتعب ونرجع اليها فيمسنا فيها الاعياء وهذا الجواب
ليس بذاك والذي يقال ان النصب هو تعب البدن واللغوب تعب النفس . وقيل اللغوب الوجع وعلى هذا ين
فالسؤال زائل . وقرا علي والسلمي بفتح لام لغوب وفيه اوجه احدها انه مصدر على فعول كالقبول . والثاني انه
اسم لما يلغب به كالفطور والسحور قاله الفراء . والثالث انه صفة لمصدر مقدر اي لا يمسنا لغوب نحو شعر شاعر
وموت مائت وقيل صفة لشيء غير مقدر اي امر لغوب قوله تعالى والذين كفروا لهم نار جهنم . عطف على قوله ان الذين
يتلون كتاب الله وما بينهما كلام يتعلق بالذين يتلون كتاب الله على ما تقدم قوله تعالى فيموتوا . العامة على نصبه بحذف
النون جوابا للنفي وهو على احد معنى نصب ما تاتينا فتحدثنا اي ما يكون منك اتيان ولا حديث انتفى السبب وهو
الاتيان فانتفى مسببه وهو الحديث والمعنى الثاني اثبات الاتيان ونفي الحديث اي ما تاتينا محدثا بل تاتينا
غير محدث وهو لا يجوز في الاية البتة . وقرا عيسى والحسن فيموتون باثبات النون . قال ابن عطية هي
ضعيفة . قال شهاب الدين وقد وجهها المازني على العطف على لا يقضى اي لا يقضى عليهم فلا يموتون وهو احد
الوجهين في معنى الرفع في قولك ما تاتينا فتحدثنا اي انتفى الامران معا كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون
اي فلا يعتذرون وعليهم قائم مقام الفاعل وكذلك عنهم بعد يخفف ويجوز ان يكون القائم من عذابها
وعنهم منصوب المحل ويجوز ان يكون من مزيدة عند الاخفش فيتعين لقيامه مقام الفاعل لانه هو المفعول
وقرا ابو عمرو في رواية ولا يخفف بسكون الفاء تشبيها المنفصل بعضد كقوله . فاليوم اشرب غير مستحقب
فصل لا يقضى عليهم فيموتوا اي لا يهلكون فيستريحوا كقوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه اي قتله
لا يقضى عليهم الموت فيموتوا كقوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك اي الموت فنستريح بل العذاب دائم ولا يخفف
عنهم من عذابها اي من عذاب النار وفي الاية لطائف . الاولى ان العذاب في الدنيا ان دام قتل وان لم يقتل
يعتاده البدن ويصير مزاجا فاسدا لا يحس به المعذب فقال عذاب نار الاخرة ليس كعذاب الدنيا اما ان يفنى واما ان
يالفه البدن بل هو في كل زمان والمعذب فيه دائم . الثانية وصف العذاب بانه لا يفتر ولا ينقطع ولا يا نوى الاسباب
وهو الموت حتى يتمنوه ولا يجابون كما قال تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك اي بالموت . الثالثة ذكر في المعذبين
الاشقياء انه لا ينقص عذابهم ولم يقل يزيد بهم عذابا وفي المثابين قال يزيدهم من فضله قوله تعالى كذلك . اما
مرفوع المحل اي الامر كذلك واما منصوبة اي مثل ذلك الجزاء نجزي . وقرا ابو عمرو يجزى مبنيا للمفعول كل رفع والباقون
نجزي بنون العظمة مبنيا للفاعل كل مفعول به والكفور الكافر قوله تعالى وهم يصطرخون يستغيثون ويصيحون
فيها وهم يفتعلون من الصراخ وهو الصياح فابدلت التاء طاء لوقوعها قبل الطاء يقولون ربنا اخرجنا منها
من النار فقوله ربنا على اضمار القول وذلك القول ان شئت قدرته فعلا مفسرا ليصطرخون اي يقولون في
صراخهم كما تقدم وان شئت قدرته حالا من فاعل يصطرخون اي قائلين ربنا قوله تعالى صالحا غير الذي كنا نعمل
يجوز ان يكونا بمعنى مصدر محذوف اي عملا صالحا غير الذي كنا نعمل وان يكونا بمعنى مفعول به محذوف اي نعمل
شيئا صالحا غير الذي كنا نعمل وان يكون صالحا نعتا لمصدر وغير الذي كنا نعمل هو المفعول به . وقال الزمخشري فان
قلت فهلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به في قوله فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة غير الذي كنا نعمل على انه يوهم
انهم يعملون صالحا اخر غير الصالح الذي عملوه قلت فائدته زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف
به واما الوهم فزائل بظهور حالهم في الكفر وظهور المعاصي ولانهم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كما قال تعالى
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله قوله تعالى اولم
نعمركم . اي فيقول لهم توبيخا اولم نعمركم اي عمرناكم مقدارا يمكن التذكر فيه قوله تعالى ما يتذكر . جوزوا في ما
هذه وجهين . احدهما ولم يحك ابو حيان غيره انها مصدرية ظرفية قال اي مدة تذكر وهذا غلط لان الضمير
في فيه يمنع من ذلك لعوده على ما ولم يقل باسميتها ما المصدرية الا الاخفش وابن السراج . والثاني انها نكرة
موصوفة اي تعميرا يتذكر فيه او زمانا يتذكر فيه . وقرا الاعمش ما يذكر بالادغام من اذكر قال ابو حيان
بالادغام واجتلاب همزة الوصل ملفوظا بها في الدرج وهذا غريب حيث اثبت همزة الوصل مع الاستغنا
عنها الا ان يكون حافظ على سكون من وبيان ما بعدها فصل معنى قوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من

من تذكر قيل هو البلوغ . وقال عطاء وقتادة والكلبي ثماني عشرة سنة . وقال الحسن اربعون سنة . وقال ابن عباس ستون
سنة روي ذلك عن علي وهو العمر الذي اعذر الله الى ابن ادم قال عليه السلام اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى
بلغ ستين سنة . وقال عليه السلام اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين واقلهم من يجوز ذلك قوله تعالى وجاءكم
عطف على اولم نعمركم لانه في معنى قد عمرناكم كقوله الم نربك ثم قال ولبثت الم نشرح لك ثم قال ووضعنا اذ هما في معنى ربيناك
وشرحنا . والمراد بالنذير محمد صلى الله عليه وسلم في قول اكثر المفسرين . وقيل القران وقال عكرمة وسفيان بن عيينة
ووكيع هو الشيب . والمعنى اولم نعمركم حتى شبتم ويقال الشيب نذير الموت . وفي الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت
لاختها استعدي فقد قرب الموت . وقرئ النذر جمعا قوله تعالى فذوقوا . امر اهانة فما للظالمين الذين وضعوا اعمالهم
في غير موضعها من نصير في وقت الحاجة ينصرهم . ومن نصير يجوز ان يكون فاعلا بالجار لاعتماده وان يكون مبتدا
مخبرا عنه بالجار قبله قوله تعالى ان الله عالم غيب السموات والارض . قرا العامة عالم غيب على الاضافة وجناح
ابن حبيش بتنوين عالم ونصب غيب انه عليم بذات الصدور وهذا تقرير لدوامهم في العذاب وذلك من حيث
ان الله تعالى لما قال ان جزاء السيئة سيئة مثلها ولا يزاد عليها فلو قال قائل الكافر ما كفر بالله الا اياما معدودة فكان
ينبغي ان لا يعذب الا مثل تلك الايام فقال ان الله لا يخفى عليه غيب السموات والارض فلا يخفى عليه ما في الصدور
وكان يعلم من الكافر ان في قلبه تمكن الكفر لو دام الى الابد لما اطاع الله قوله تعالى هو الذي جعلكم خلائف في
الارض اي خلف بعضكم بعضا . وقيل جعلكم امة واحدة خلفت من قبلها ورات في من قبلها ما ينبغي ان يعتبر به
فجعلكم خلائف في الارض اي خليفة بعد خليفة يعلمون حال الماضين ويرضون بحالهم فمن كفر بعد هذا كله فعليه
كفره اي وبال كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم الا مقتا اي غضبا لان الكافر السابق كان ممقوتا ولا يزيد الكافرين
كفرهم الا خسارا اي الكفر لا ينفع عند الله حيث لا يزيد الا المقت ولا ينفعهم في انفسهم حيث لا يفيدهم الا الخسار
لان العمر كراس مال من اشترى به رضى الله ربح ومن اشترى به سخط الله خسر قوله تعالى ارايتم فيها وجهان احدهما انها
استفهام على بابها ولم تتضمن هذه الكلمة معنى اخبروني بل هو استفهام حقيقي وقوله اروني امر تعجيز . والثاني ان الاستفهام
غير مراد وانها ضمنت معنى اخبروني فعلى هذا يتعدى لاثنين احدهما شركاءكم والثاني الجملة الاستفهامية من قوله
ماذا خلقوا واروني يحتمل ان يكون جملة اعتراضية والثاني ان تكون المسالة من باب الاعمال فان ارايتم يطلب ماذا
خلقوا مفعولا ثانيا واروني ايضا يطلبه معلقا له وتكون المسالة من باب اعمال الثاني على مختار البصريين واروني
هنا بصرية تعدت للثاني بهمزة النقل والبصرية قبل النقل تعلق بالاستفهام كقولهم اما ترى اي برق ههنا وقد
تقدم الكلام على ارايتم في الانعام وهو غلط بل يحتاج كما تقدم تقريره وجعل الزمخشري الجملة من قوله اروني بدلا من قوله
ارايتم قال لان معنى ارايتم اخبروني ورده ابو حيان بان البدل اذا دخلت عليه اداة الاستفهام يلزم اعادتها في المبدل
ولم تعد هنا ايضا فابدال جملة من جملة لم يعهد في لسانهم . قال شهاب الدين والجواب عن الاول ان الاستفهام فيه
غير مراد قطعا فلم تعد اداته لعدم ارادته . واما قوله لم يوجد في لسانهم فقد وجد ومنه . متى تاتنا تلمم بنا
ان على الله ان تبايعا . تؤخذ كرها او تجيء طائعا . وقد نص النحويون على انه متى كانت الجملة في معنى الاول ومبينة لها
ابدلت منها فصل هذه الاية تقرير للتوحيد وابطال للاشراك والمعنى جعلتموهم شركائي بزعمكم يعني الاصنام
اروني اخبروني ماذا خلقوا من الارض فقوله شركاءكم فاضافهم اليهم من حيث ان الاصنام في الحقيقة لم تكن شركاء
لله وانما هم الذين جعلوها شركاء فقال شركاءكم اي الشركاء بجعلكم . ويحتمل ان يقال معنى شركاءكم اي انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم . ويحتمل ان يكون معنى ارايتم اي اعلمتم هذه الاصنام التي تدعونها هل لها قدرة ام لا فان كنتم
تعلمونها عاجزة فكيف تعبدونها وان كنتم تعلمون ان لها قدرة فاروني قدرتها في اي شيء اهي في الارض كما قال بعضهم
ان الله اله السماء وهؤلاء الهة الارض وهم الذين قالوا امور الارض من الكواكب والاصنام صورها ام هي في السموات
كما قال بعضهم ان السموات خلقت باستعانة بالملائكة فالملائكة شركاء في خلق السموات وهذه الاصنام صورها
ام قدرتها في الشفاعة لكم كما قال بعضهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فهل معهم كتاب من الله قال مقاتل هل
اعطينا كفار مكة كتابا فهم على بينة منه قوله تعالى اتيناهم . ثم الاحسن في هذا الضمير ان يعود على الشركاء لتناسق
الضمائر . وقيل يعود على المشركين كقول مقاتل فيكون التفاتا من خطاب الى غيبة . وقرا ابو عمرو وحمزة وابن كثير وحفص
بينة بالافراد والباقون بينات بالجمع اي دلائل واضحة منه مما في ذلك الكتاب من ضروب البيان قوله تعالى بل ان يعد
ان ما فيه والمعنى ما يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا اغرهم الشيطان وزين لهم عبادة الاصنام والغرور ما يغتر
به الانسان مما لا اصل له قال مقاتل يعني ما يعد الشيطان كفار بني ادم من شفاعة الالهة لهم في الاخرة غرور باطل قوله
تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا . لما بين انه لا خلق للاصنام ولا قدرة لها بين ان الله قادر بقوله
ان الله يمسك السموات والارض . ويحتمل ان يقال لما بين شركهم قال يقتضي شركهم زوال السموات والارض كقوله تعالى

تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ويؤيد هذا قوله تعالى في اخر الاية انه
كان حليما غفورا حليما ما ترك تعجيل عقابهم الا حلما منه والا كانوا يستحقون اسقاط السما وانطباق الارض عليهم وانما
اخر ازالة السموات لقيام الساعة حلما. ويحتمل ان يقال ان ذلك من باب التسليم واثبات المطلوب كانه تعالى
قال شركا وكم ما خلقوا من الارض شيئا ولا من السما جزا ولا قدرة لهم على الشفاعة فلا عبادة لهم وهب انهم فعلوا
شيئا من الاشيا فهل يقدرون على امساك السموات والارض ولا يمكنهم القول بانهم يقدرون لانهم ما كانوا يقولون
ذلك كما قال تعالى عنهم ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ويؤيد هذا قوله ولئن زالتا ان امسكهما
من احد من بعده فاذن تبين ان لا يعبد الا الله من حيث ان غيره لم يخلق شيئا من الاشيا وان قال كافر بان غيره خلق
فما خلق مثل ما خلق فلا شريك له **قوله** تعالى ان تزولا. يجوز ان يكون مفعولا من اجله اي كراهة ان تزولا وقيل
لئلا تزولا. ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا على اسقاط الخافض اي يمنعهما من ان تزولا وكذا قدره ابو اسحق. ويجوز ان
يكون بدل اشتمال اي يمنع زوالهما **فصل** قوله ان امسكهما جواب القسم الموطا له بلام القسم وجواب
الشرط محذوف يدل عليه جواب القسم ولذلك كان فعل الشرط ماضيا وقول الزمخشري انه سد مسد الجوابين
يعني انه دال على جواب الشرط قال ابو حيان وان اخذ كلامه على ظاهره لم يصح لانه لو سد مسدهما لكان له موضع
من الاعراب من حيث انه سد مسد جواب الشرط ولا موضع له من حيث انه سد مسد جواب القسم والشي الواحد
لا يكون معمولا غير معمول. ومن احد من مزيدة لتاكيد الاستغراق ومن بعده من لابتدا الغاية والمعنى احد سواه
انه كان حليما غفورا لمن تاب ويرحمه وان استحق العقاب **فان قيل** ما معنى ذكر الحليم ههنا قيل لان السموات
والارض همت بما همت من عقوبة الكفار فامسكهما الله عز وجل عن الزوال لحلمه وغفرانه ان يعاجلهم بالعقوبة
قوله تعالى واقسموا بالله. يعني كفار مكة لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى
اتتهم الرسل فكذبوهم واقسموا بالله وقالوا لو اتانا رسول لنكونن اهدى دينا منهم وذلك قبل مبعث النبي صلى
الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فانزل الله عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير رسول ليكونن اهدى
من احدى الامم يعني اليهود والنصارى. وقيل المعنى اهدى مما نحن عليه وعلى هذا فقوله من احدى الامم للتبيين
كما يقال زيد من المسلمين ويؤيده قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا اي صاروا اضل مما كانوا يقولون
يكون اهدى. وقيل المراد اهدى من احدى الامم كقولك زيد اولى من عمرو. وقيل المراد باحدى الامم العموم
اي ان احدى الامم يعرض. واعلم انه لما بين انكارهم للتوحيد بين تكذيبهم للرسول ومبالغتهم فيه حيث كانوا
يقسمون على انهم لا يكذبون الرسل اذا تبين لهم كونهم رسلا وقالوا انما نكذب محمدا عليه السلام لكونه كاذبا
ولو تبين منهم في التكذيب **قوله** تعالى ليكونن جواب للقسم المقدر والكلام فيه كما تقدم وقوله لئن جاءهم
حكاية لمعنى كلامهم لا للفظه اذ لو كان كذلك لكان التركيب لئن جانا لنكونن **قوله** تعالى من احدى الامم. اي من
الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها كقولهم هو احدى الاحد من قال.
حتى استثاروا بي احدى الاحد ليثا هزبرا في سلاح معتد **قوله** تعالى ما زادهم. جواب لما وفيه دليل على انها
حرف لا ظرف اذ لا يعمل ما بعد ما النافية فيما قبلها وتقدمت له نظائر واسناد الزيادة للنذير مجاز لانه سبب
في ذلك كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم **فصل** معنى فلما جاءهم اي صح لهم مجيئه بالمعجزة وهو محمد صلى الله عليه
وسلم ما زادهم الا نفورا اي ما زادهم مجيئه الا تباعدا عن الهدى **قوله** تعالى استكبارا. يجوز ان يكون مفعولا
له اي لاجل الاستكبار وان يكون بدلا من نفورا وان يكون حالا اي حال كونهم مستكبرين قاله الاخفش **قوله**
تعالى ومكر السيء. فيه وجهان اظهرهما انه عطف على استكبارا والثاني انه عطف على نفورا وهذا من اضافة الموصوف
لصفته في الاصل اذ الاصل والمكر السيء والبصريون يؤولونه على حذف موصوف اي العمل السيء. وقرا العامة
بخفض همزة السيء وهمزه. وحمزة والاعمش بسكونها وصلا وقد تجرات النحاة وغيرهم على هذه القراءة ونسبوها
للحن ونزهوا الاعمش عن ان يكون قرا بها قالوا وانما وقف مسكنا فظن انه واصل فغلط عليه وقد احتج لها قوم
بانه اجرى الوصل مجرى الوقف او اجرى المنفصل مجرى المتصل وحسنه كون الكسرة على حرف ثقيل بعد يا مشددة
مكسورة وقد تقدم ان ابا عمرو يقرا الى بارئكم عند بارئكم بسكون الهمزة فهذا اولى لزيادة الثقل هنا وقد تقدم
هناك امثلة وشواهد. وروي عن ابن كثير ومكر السايء بهمزة ساكنة بعد السين ثم يا مكسورة وخرجت على انها
مقلوبة من السيء والسيء مخفف من السيء كالميت من الميت قال الحاسي ولا يحزنون من غلط بلين. وقد كثر في
قراءته القلب نحو ضيا وتايسوا ولا يايس كما تقدم تحقيقه. وقرا عبد الله ومكرا سيئا بالتنكير وهو موافق لما
قبله. وقرئ ولا يحيق بضم اليا والمكر السيء بالنصب على ان الفاعل ضمير الله تعالى اي لا يحيط الله المكر السيء الا
باهله **فصل** المراد بالمكر السيء اي القبيح اضيف المكر الى صفته قال الكلبي هو اجتماعهم على الشرك وقيل النبي صلى

الله عليه وسلم. وقال ابن الخطيب هذا من اضافة الجنس الى نوعه كما يقال علم الفقه وحرفة الحداد ومعناه ومكروا مكرا
سيئا ثم عرف لظهور مكرهم ثم ترك التعريف باللام واضيف الى السيء لكون السيء فيه ابين الامور. ويحتمل ان يقال بان
المكر استعمال العقل كما ذكرنا في قوله تعالى والذين يمكرون السيئات اي يعملون السيئات وقوله ولا يحيق المكر السيء
اي لا يحل ولا يحيط وقوله يحيق ينبي عن الاحاطة التي هي فوق اللحوق **فان قيل** كثيرا ما نرى الماكر يمكر ويفيده المكر ويغلب
الخصم بالمكر والاية تدل على عدم ذلك **فالجواب** من وجوه احدها ان يكون المكر المذكور في الاية هو المكر الذي
مكروه مع النبي صلى الله عليه وسلم من العزم على القتل والاخراج ولم يحق الا بهم حيث قتلوا يوم بدر وغيره. وثانيها ان
نقول المكر السيء عام وهو الاصح فان النبي عليه السلام نهى عن المكر واخبر بقوله لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله يقول
ولا يحيق المكر السيء الا باهله وعلى هذا فذلك الرجل الماكر يكون اهلا فلا يرد نقضا. وثالثها ان الاعمال بعواقبها ومن
مكر غيره ونفذ فيه المكر عاجلا في الظاهر فهو في الحقيقة هو الفائز والماكر هو الهالك كمثل راحة الكافر ومشقة المسلم
في الدنيا ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى فهل ينظرون الا سنة الاولين يعني اذا كان لمكرهم في الحال رواج فالعاقبة
للتقوى والامور بخواتيمها **قوله** تعالى سنة الاولين مصدر مضاف لمفعوله وسنة الله مضاف لفاعله لانه سنها بهم
فصحت اضافتها الى الفاعل والمفعول وهذا جواب عن سؤال وهو ان الاهلاك ليس سنة الاولين انما هو سنة الله في
الاولين والجواب عن هذا السؤال من وجهين. احدهما ان المصدر الذي هو المفعول المطلق يضاف الى الفاعل والمفعول
لتعلقه بهما من وجه دون وجه فيقال فيما اذا ضرب زيد عمرا اعجبت من ضرب عمرو وكيف ضرب مع ما له من القوة
والقوة وعجبت من ضرب عمرو وكيف ضرب مع ما له من العلم والحكم فكذلك سنة الله بهم اضافها اليهم لانها سنة سنت
بهم واضافها الى نفسه بعدها بقوله ولن تجد لسنة الله لانها سنة من الله فعلى هذا القول اضافها الى الاولين حيث
قال سنة الاولين لان سنة الله الاهلاك بالاشراك والاكرام على الاسلام فلا يعلم انهم ينتظرون ايهما فاذا قال
سنة الاولين تميزت وفي الثاني اضافها الى الله لانها لما علمت فالاضافة الى الله تعظيما وتبيين انها امر واقع ليس
له من دافع. وثانيها ان المراد من سنة الاولين استمرارهم على الانكار واستكبارهم عن الاقرار وسنة الله استئصالهم
باصرارهم فكانه قال انتم تريدون الاتيان بسنة الاولين والله ياتي بسنة لا تبديل لها ولا تحويل عن مستحقيها
فان قيل ما الحكمة في تكرار التبديل والتحويل **فالجواب** ان بقوله فلن تجد لسنة الله تبديلا حصل العلم بان العذاب
لا يبدل بغيره وبقوله ولن تجد لسنة الله تحويلا حصل العلم بان العذاب مع انه لا تبديل بالثواب لا يتحول عن مستحقه
الى غيره فيتم تهديد المسيء **فصل** المعنى فهل ينتظرون الا ان ينزل بهم العذاب كما نزل بمن مضى من الكفار [illegible]
بقوله فلن تجد عام كانه قال لن تجد ايها السامع. وقيل الخطاب مع محمد عليه السلام **قوله** تعالى اولم يسيروا في
الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم لما ذكر الاولين وسنته في اهلاكهم نبههم بتذكير حال الاولين
فانهم كانوا يمرون على ديارهم ويرون اثارهم واملهم كان فوق املهم وعملهم كان دون عملهم وكانوا اطول اعمارا منهم
واشد اقتدارا ومع هذا لم يكذبوا مثل محمد وانتم يا اهل مكة كذبتم محمدا ومن تقدمه **قوله** تعالى وكانوا اشد
جملة في موضع نصب على الحال ونظيرها في الروم كانوا بلا واو وعلى انها مستانفة فالمقصد التخييل. وقال
ابن الخطيب الفرق بينهما ان قول القائل اما رايت زيدا كيف اكرمني هو اعظم منك يفيد ان القائل يخبره بان زيدا اعظم
واذا قال ما رايته كيف اكرمني وهو اعظم منك يفيد انه يقرر ان المعنيين حاصلان عند السامع كانه راه اكرمه
وراه اكرم منه ولا شك في ان هذه العبارة الاخيرة تفيد كون الامر الثاني في الظهور مثل الاول بحيث لا يحتاج
الى اعلام من المتكلم ولا اخبار واذا علم هذا فنقول المذكور ههنا كونهم اشد منهم قوة لا غير ولعل ذلك كان ظاهرا
عندهم فقال بالواو اي نظركم كما يقع على عاقبة امرهم يقع على قوتهم. واما هناك فالمذكور اشيا كثيرة فانه قال
كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر وفي موضع اخر قال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض ولعل علمهم لم يحصل باثارهم في الارض وبكثرتهم ولكن نفس
القوة ورجحانهم كان معلوما عندهم قال كل طايفة تعتقد فيمن يتقدمها انه اقوى منه ولا ينازع فيه **قوله**
تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء. اي ليفوت عنه وهذا يحتمل شيئين احدهما ان يكون المراد بيان ان الاولين مع شدة
قوتهم ما اعجزوا الله وما فاتوه فهم اولى بان لا يعجزوه. الثاني ان يكون قطعا لاعتقاد الجهال فان قايلا لو قال ان الاولين
كانوا اشد قوة واطول اعمارا الا انهم استخرجوا بذكايتهم ما يزيد على قواهم ويستعينون بامور ارضية لها خواص او كواكب
سماوية لها اثار فقال تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض وكان الله عالما بافعالهم واقوالهم
قديرا على اهلاكهم واستيصالهم **قوله** تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا. من الجرايم ما ترك على ظهرها من
دابة يعني على ظهر الارض كناية عن غير مذكور وتقدم نظيرها في النحل الا ان هناك لم يجر للارض ذكر بل عاد الضمير
الى ما فهم من السياق وهنا قد صرح بها في قوله في السموات ولا في الارض فيعود الضمير اليها لانها اقرب وايضا

للقوله من دابة والدب انما يكون على ظهر الارض استعارة من ظهر الدابة دلالة على التمكن والتقلب عليها والمقام هنا يناسب ذلك لانه حث على السير للنظر والاعتبار قوله تعالى من دابة اى كان في زمن نوح عليه السلام اهلك الله ما على ظهر الارض الا من كان في السفينة مع نوح فان قيل اذا كان الله يواخذ الناس بما كسبوا فما بال الدواب يهلكوا فالجواب من وجوه احدها ان خلق الدواب نعمة فاذا كفر الناس يزيل الله النعم والدواب اقرب النعم لان المفرد اولا ثم المركب والمركب اما ان يكون ناميا والنامي اما ان يكون حيوانا او نباتا والحيوان اما انسان او غير انسان فالدواب اعلا درجات المخلوقات في عالم العناصر للانسان الثاني ان ذلك بيان لشدة العذاب وعمومه فان بقاءه بالانسان كما يقال الانسان بالاشيا لان الانسان يدبر الاشيا ويصلحها فتبقى الاشيا ثم ينتفع بها الانسان كما يقال فاذا كان الهلاك عاما لا يبقى من الانسان من يعمر فلا تبقى الابنية والزروع فلا تبقى الحيوانات الاهلية فان بقاها بحفظ الانسان اياها عن التلف والهلاك بالسقي والعلف الثالث ان انزال المطر انعام من الله في حق العباد فاذا لم يستحقوا الانعام قطعت الامطار عنهم فيظهر الجفاف على وجه الارض فيموت جميع الحيوانات فان قيل كيف يقال لما عليه الخلق من الارض ظهر الارض مع ان الظهر مقابلة الوجه فهو كالتضاد فيقال من حيث ان الارض كالدابة الحاملة والحمل يكون على الظهر واما وجه الارض فلان الظاهر من باب والبطن والباطن من باب فوجه الارض ظهر لانه هو الظاهر وغيره منها باطن وبطن قوله تعالى ولكن يوخرهم الى اجل مسمى قيل هو يوم القيامة وقيل يوم لا يوجد في الخلق مومن وقيل لكل امة اجل ولكل اجل كتاب واجل قوم محمد عليه السلام ايام القتل والاسر كيوم بدر وغيره قوله تعالى فاذا جا اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا التسلية للمومنين لانه تعالى ما ترك على ظهرها من دابة وقال لا يصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فقال فاذا جا الهلاك فالله بالعباد بصير قال ابن عباس يريد اهل طاعته واهل معصيته روى ابو امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملايكة دعته يوم القيامة ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي الابواب شئت

سورة يس

وهي ثلاثة وثلاثون اية وسبع مائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة الاف حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يس قرا العامة يس بسكون النون وادغم النون في الواو بعدها ابن كثير وابو عمرو وحمزة وحفص وقالون وورش بخلاف عنه وكذلك النون من نون والقلم واظهرها الباقون فمن ادغم فللخفة ولانه لما وصل التقى متقاربان من كلمتين اولهما ساكن وجب الادغام كالمثلين ومن اظهر فللمبالغة في تفكيك هذه الحروف بعضها من بعض لانه بنية الوقف وهذا اجرى على القياس في الحروف المقطعة ولذلك التقى فيها الساكنان وصلا ونقل اليها حركة همزة الوصل على راى نحو الم الله كما تقدم تقريره وامال الياء من يس الاخوان وابو بكر لانها اسم من الاسما كما تقدم تقريره اول البقرة قال الفارسي واذا اما لوا يا وهي حرف ندا فلان يا من يس اجدر وقرا عيسى وابن ابي اسحق بفتح النون اما على البنا على الفتح تخفيفا كاين وكيف واما على انه مفعول باتل واما على انه مجرور بحرف القسم وهو على الوجهين غير منصرف للعلمية والتانيث ويجوز ان يكون منصوبا على اسقاط حرف القسم كقوله امانة الله الله لا ... وقرا الكلبي بضم النون فقيل على خبر مبتدا مضمر اي هذه يس ومنعت من الصرف لما تقدم وقيل بل هي حركة بنا كحيث فيجوز ان خبرا كما تقدم وان يكون مقسما بها كقوله عهد الله لافعلن وقيل لانها منادى فبنيت على الضم وهذا فسرها الكلبي القارى لها بيا انسان قال وهي لغة طي قال الزمخشري ان صح معناه فوجهه ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء به على السنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله قال ابو حيان والذي نقل عن العرب في تصغير انسان انيسيان بيا بعدها الف فدل على ان اصله انسيان لان التصغير يرد الاشيا الى اصولها ولا نعلمهم قالوا في تصغيره انيسين وعلى تقدير انه يصغر كذلك فلا يجوز ذلك الا ان يبنى على الضم لانه منادى مقبل عليه ومع ذلك فلا يجوز لانه تحقير ويمتنع ذلك في حق النبوة قال شهاب الدين اما الاعتراض الاخير فصحيح نصوا على ان التصغير لا يدخل في الاسما المعظمة شرعا ولذلك يحكى ان ابن قتيبة لما قال في المهيمن انه مصغر من مومن والاصل مويمن فابدلت الهمزة ها قيل له هذا يقرب من الكفر فليتق الله قايله وقد تقدم هذه الحكاية في المايدة وما قيل فيها وقد تقدم بحث قدم الزمخشري فيه ما يقرب من هذا البحث وتقدم كلام الشيخ معه وقرا ابن ابي اسحق ايضا وابو السمال يسن بكسر النون وذلك على اصل التقا الساكنين ولا يجوز ان يكون حركة اعراب والقران اما قسم مستانف ان لم يجعل ما تقدم قسما واما عطف على ما قبله ان كان مقسما به وقد تقدم كلام عن

عن الخليل في ذلك اوايل البقرة فاعتبره هنا فانه حسن جدا فصل قد تقدم في سورة العنكبوت ذكر حروف التهجي وان كل سورة بدا الله فيها بحروف التهجي كان في اوايلها الذكر او الكتاب او القران ولنذكر ههنا ان في ذكر هذه الحروف اوايل السور امورا يدل على انها غير خالية عن الحكمة لكن علم الانسان لا يصل اليها والذي يدل على ان فيها حكمة من حيث الجملة هو ان الله تعالى ذكر من الحروف نصفها وهي اربعة عشر حرفا وهي نصف ثمانية وعشرين حرفا هي جميع الحروف التي في لسان العرب على قولنا الهمزة الف متحركة ثم انه تعالى قسم الحروف ثلاثة اقسام تسعة احرف من الالف الى الذال والتسعة الاخيرة من الفا الى اليا وعشرة في الوسط من الرا الى الغين وذكر من القسم الاول حرفين الالف والحا وترك سبعة وترك من القسم الاخير حرفين هما الالف واللام وذكر سبعة ولم يترك من القسم الاول من حروف الحلق المصدر الا واحدا لم يذكره وهو الخا ولم يذكر من القسم الاخير من حروف الشفة الا واحدا لم يتركه وهو الميم والعشر الاوسط ذكر منه خمسا وترك خمسا فترك الزاي وذكر الرا وذكر السين وترك الشين وذكر الصاد وترك الضاد وذكر الطا وترك الظا وذكر العين وترك الغين وليس هذا امرا يقع اتفاقا بل هو ترتيب مقصود فهو لحكمة لكنها غير معلومة وهب ان واحدا يدعي فيه شيا فماذا يقول في كون بعض السور مفتتحة بحرف كسورة ن وق وص وبعضها بحرفين كسورة حم ويس وطس وطه وبعضها بثلاثة احرف كسورة الم وطسم والر وبعضها باربعة احرف كسورة المر والمص وبعضها بخمسة كسورة حم عسق وكهيعص وهب ان قايلا يقول ان هذا اشارة بان الكلام اما حرف واما فعل واما اسم والحرف كثيرا ما جا على حرف كواو العطف وفا التعقيب وهمزة الاستفهام وكاف التشبيه وبا الالصاق وغيرها وجا على حرفين كمن للتبعيض واو للتخيير وام للاستفهام المتوسط وان للشرط وغيرها والفعل والاسم والحرف جا على ثلاثة احرف كالى وعلى في الحرف والى وعلا في الاسم والالما والوا وعلا يعلو في الفعل والاسم والفعل جا على اربعة احرف والاسم خاصة جا على ثلاثة احرف واربعة وخمسة كعجل وسجل وجردحل فجا في القران اشارة الى ان تركيب العربية من هذه الحروف على هذه الوجوه فماذا يقول هذا القايل في تخصيص بعض السور بالحرف الواحد والبعض باكثر فلا يعلم ما السر الا الله ومن اعلمه الله به واذا علم هذا فالعبادة فيها قلبية ومنها لسانية ومنها خارجية وكل واحد منها ضربان قسم عقل معناه وحقيقته وقسم لم يعلم اما القلبية مع انها ابعد عن الشك والجهل ففيها ما لم يعلم دليله عقلا وانما وجب الايمان به والاعتقاد سمعا كالصراط الذي هو ادق من الشعر واحد من السيف ويمر عليه المومن كالبرق الخاطف والميزان الذي يوزن به الاعمال الذي لا تثقلها في نظر الناظر وكيفية الجنة والنار فان هذه الاشيا وجودها لم يعلم بدليل عقلي وانما المعلوم بالعقل امكانها ووقوعها معلوم مقطوع به بالسمع ومنها ما علم كالتوحيد والنبوة وقدرة الله وصدق الرسول وكذلك في العبادات الخارجية ما علم معناه وما لم يعلم كمقادير النصب وعدد الركعات والحكمة في ذلك ان العبد اذا اتى بما امر به من غير ان يعلم ما فيه من الفايدة لا يكون الا لمحض العبادة بخلاف ما لو علم الفايدة فربما اتى بها للفايدة وان لم يومر كما لو قال السيد لعبده انقل هذه الحجارة من ههنا ولم يعلمه بما في النقل فنقلها ولو قال انقلها فان تحتها كنزا هو لك فانه ينقلها وان لم يومر واذا علم هذا فكذلك في العبادات اللسانية الذكرية يجب ان يكون ما لم يفهم معناه اذا تكلم به العبد علم انه لا يقصد غير الانقياد لامر المعبود الا فاذا قال حم يس طس علم انه لا يذكر ذلك لمعنى يفهمه بل يتلفظ به امتثالا لما امر به فصل قال ابن عباس يس قسم وروي عنه ان معناه يا انسان بلغة طي قيل لان تصغير انسان انيسين كما تقدم عن الزمخشري فكانه حذف الصدر منه واخذ العجز وقال يا سين اي يا انيسين قال اكثر المفسرين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قاله الحسن وسعيد بن جبير وجماعة وقال ابو العالية يا رجل وقال ابو بكر الوراق يا سيد البشر وقوله والقران الحكيم اي ذي الحكمة كعيشة راضية اي ذات رضى وانه ناطق بالحكمة فهو كالحي المتكلم قوله تعالى انك جواب القسم وعلى صراط يجوز ان يكون متعلقا بالمرسلين تقول ارسلت عليه كذا قال تعالى وارسل عليهم طيرا وان يكون متعلقا بمحذوف على انه حال من الضمير المستكن في المرسلين لوقوعه خبرا وان يكون حالا من المرسلين وان يكون خبرا ثانيا لانك فصل اقسم بالقران على ان محمدا من المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا فان قيل المطلب يثبت بالدليل لا بالقسم فما الحكمة بالاقسام فالجواب من وجوه الاول ان العرب كانوا يتقون الايمان الفاجرة وكانوا يقولون بان الايمان الفاجرة توجب خراب العالم وصحح النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع ثم انهم كانوا يقولون ان النبي عليه السلام يصيبه عذاب من الهتهم وهي الكواكب والنبي عليه السلام يحلف بامر الله وانزال كلامه واشيا مختلفة وما كان يصيبه عذاب بل كان كل يوم ارفع شانا وامنع مكانا فكان ذلك يوجب اعتقاد انه ليس بكاذب الثاني ان المتناظرين اذا وقع بينهما كلام وغلب احدهما الاخر بتمشية دليله واسكته يقول المغلوب انك قررت هذا بقوة جدالك وانت خبير في نفسك بضعف مقالتك وتعلم ان الامر ليس كما تقول وان اقمت عليه الدليل صورة وعجزت انا عن القدح فيه وهذا كثير الوقوع بين المتناظرين فعند هذا لا يجوز ان ياتي هو بدليل اخر لان الساكت المنقطع يقول في الدليل

الاحرما قاله في الاول فلا يجد امرا الا اليمين فيقول والله اني لست مكابرا وان الامر على ما ذكرت ولو علمت خلافه لرجعت
اليه فها هنا يتعين اليمين فكذلك النبي عليه السلام لما اقام البراهين وقالت الكفرة ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم
عما كان يعبد اباؤكم وقالوا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين فالتمسك بالايمان لعدم فائدة الدليل. الثالث ان هذا
ليس بمجرد الحلف بل دليل خرج في صورة اليمين لان القران معجزة ودليل كونه مرسلا هو المعجزة والقران كذلك. فان قيل
فلم لم يذكر في صورة الدليل وما الحكمة في ذكر الدليل في صورة اليمين. فالجواب ان الدليل اذا ذكر لا في صورة
اليمين قد لا يقبل عليه السامع فلا يفيد فائدة فاذا ابتدأ به على صورة اليمين واليمين لا تقع ولا سيما من العظيم
الا على امر عظيم والامر العظيم تتوفر الدواعي على الاصغاء اليه فلصورة اليمين يقبل عليه الاسماع لكونه دليلا شافيا
يسر به الفؤاد فيقع في السمع وفي القلب. قوله تعالى على صراط مستقيم اي انك على صراط مستقيم والمستقيم اقرب
الطرق الموصلة الى المقصد والدين كذلك فانه يوصل الى الله وهو المقصد. قوله تعالى تنزيل العزيز الرحيم قرأ نافع
وابن كثير وابو عمرو وابو بكر تنزيل على انه خبر مبتدأ مضمر اي هو تنزيل ويجوز ان يكون خبر المبتدأ اذا جعلت يس اسما
للسورة اي هذه السورة المسماة بيس تنزيل او هذه الاحرف المقطعة تنزيل والجملة القسمية على هذا اعتراض والباقون
بالنصب على المصدر كانه قال نزل تنزيل العزيز الرحيم لتنذر او على انه مفعول بفعل منوي كانه قال والقران الحكيم
اعني تنزيل العزيز الرحيم انك لمن المرسلين لتنذر وهذا اختيار الزمخشري وهو المراد بقوله او على المدح وهو في المعنى
كالرفع على خبر ابتداء مضمر وتنزيل مصدر مضاف لفاعله. وقيل هو بمعنى منزل. وقرأ ابو حيوة واليزيدي وابو جعفر
يزيد بن القعقاع وشيبة تنزيل بالجر على النعت للقران او البدل منه كانه قال والقران الحكيم تنزيل العزيز الرحيم انك
لمن المرسلين. وقوله العزيز الرحيم اشارة الى ان الملك اذا ارسل رسولا فالمرسل اليهم اما ان يخالفوا المرسل ويهينوا المرسل
وحينئذ لا يقدر الملك على الانتقام منهم الا اذا كان عزيزا او يخافوا المرسل ويكرموا المرسل وحينئذ يرحمهم الملك او يخاف
المرسل يكون معه في رسالته منع عن اشياء واطلاق لاشياء والمنع يؤكد العزة والاطلاق يدل على الرحمة. قوله تعالى لتنذر
يجوز ان يتعلق بتنزيل او بمعنى المرسلين يعني باضمار فعل يدل عليه هذا اللفظ اي ارسلناك لتنذر. قوله تعالى ما انذر
اباؤهم. يجوز ان تكون ما هذه بمعنى الذي وان تكون نكرة موصوفة والعائد على الوجهين مقدر اي ما انذره اباؤهم فتكون
ما وصلتها او وصفتها في محل نصب مفعولا ثانيا لتنذر كقوله انا انذرناكم عذابا والتقدير لتنذر قوما الذي انذره
اباؤهم من العذاب او لتنذر قوما عذابا انذره اباؤهم. ويجوز ان تكون مصدرية اي انذارا اباءهم اي مثله. ويجوز ان
تكون نافية وتكون الجملة المنفية صفة لقوما اي قوما غير منذر اباؤهم. ويجوز ان تكون زائدة اي قوما انذر اباؤهم
والجملة المثبتة ايضا صفة لقوما قاله ابو البقاء وهو مناف للوجه الذي قبله فعلى قولنا ما نافية فالمعنى ما انذر اباؤهم
الادنون وان قلنا ما للاثبات فالمعنى لتنذر ما انذر به اباؤهم الاولون وقوله فهم غافلون اي عن الايمان والرشد.
قوله تعالى لقد حق القول وجب العذاب على اكثرهم فهم لا يؤمنون وهذا كقوله ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين. وفي
الاية وجوه اشهرها ان المراد من القول هو قوله تعالى لقد حق القول مني لاملان جهنم منك وممن تبعك. والثاني ان
معناه لقد سبق في علمه ان هذا يؤمن وهذا لا يؤمن فحق القول اي وجد وثبت تحقيقا لا يبدل بغيره لا يبدل القول لدي. الثالث
المراد لقد حق القول الذي قاله الله على لسان الرسل من التوحيد وغيره وبان برهانه فانهم لما لم يؤمنوا عند ما حق القول
واستمروا فانهم كانوا يريدون شيئا اوضح من البرهان فهو العناد وعند العناد لا يفيد الايمان وقوله على اكثرهم على هذا
الوجه معناه ان من لم تبلغه الدعوة والبرهان قليلون فحق القول على اكثرهم وهو من لم يوجد منه الايمان وعلى الاول
والثاني ظاهر لان اكثر الكفار ماتوا على الكفر. قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا. نزلت في ابي جهل وصاحبيه وذلك ان ابا
جهل كان قد حلف لئن راى محمدا يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده الى عنقه
ولزق الحجر بيده فلما رجع الى اصحابه واخبرهم بما راى سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو
يصلي ليرميه بالحجر فاعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت
فقال ما رايته ولقد سمعت كلامه وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لاكلني فانزل الله تعالى
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا. ووجه المناسبة لما تقدم انه لما قال لقد حق القول على اكثرهم وتقدم ان المراد به البرهان
قال بعد ذلك بل عاينوا او ابصروا ما يقرب من الضرورة حيث التزقت يده بعنقه ومنع من ارساله الحجر وهو مضطر الى
الايمان ولم يؤمن علم انه لا يؤمن اصلا. وقال الفراء معناه حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله كقوله تعالى ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك معناه لا تمسكها عن النفقة. الثالث قال ابن الخطيب وهو الاقوى والاشد مناسبة لما تقدم
ان ذلك كناية عن منع الله اياهم عن الاهتداء. واما مناسبة قول الفراء لما تقدم ان قوله تعالى فهم لا يؤمنون يدخل
فيه انهم لا يصلون كقوله تعالى ليضيع ايمانكم اي صلاتكم عند بعض المفسرين والزكاة مناسبة للصلاة فكانه قال
لا يصلون ولا يزكون. قوله تعالى فهي الى الاذقان. في هذا الضمير وجهان اشهرهما انه عائد على الاغلال لانها هي

في المحدث عنها ومعنى هذا الترتيب بالغا ان الغل الغليظ وعرضه يصل الى الذقن لانه يلبس العنق جميعه. قال الزمخشري
والمعنى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ثقالا غلاظا بحيث يبلغ الى الاذقان فلم يتمكن المغلول معها ان يطاطئ راسه. الثاني
ان الضمير يعود على الايدي لان الغل لا يكون الا في العنق واليدين ولذلك سمي جامعة ودل على الايدي وان لم تذكر
للملازمة المفهومة من هذه الالة اعني الغل واليه ذهب الطبري الا ان الزمخشري قال جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى
الاذقان ولو كان للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك
للظاهر وفي هذا الكلام قولان احدهما ان جعل الاغلال حقيقة. والثاني انه استعارة وعلى كل من القولين جماعة من
الصحابة والتابعين. وقال الزمخشري مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في
انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤوسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم
وما خلفهم في ان لا تامل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن ايات الله. وقال غيره هذا استعارة لمنع الله اياهم من الايمان
وحوله بينهم وبينه. قال ابن عطية وهذا ارجح الاقوال لانه تعالى لما ذكر انهم لا يؤمنون لما سبق لهم في الازل عقب
ذلك بان جعل لهم من المنع واحاطة الشقاوة ما حالهم معه حال المغلولين. وتقدم تفسير الاذقان. وقال ابن الخطيب
المانع اما ان يكون في النفس فهو الغل واما من الخارج فالسد فلا يقع نظرهم على انفسهم فيرون الايات التي في انفسهم
كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وذلك لان المقمح لا يرى نفسه ولا يقع بصره على يديه ولا يقع نظرهم
على الاذقان فلا تتبين لهم الايات التي في الافاق وعلى هذا فقولنا انا جعلنا في اعناقهم وجعلنا من بين ايديهم اشارة
الى عدم هدايتهم لايات الله في الانفس والافاق. قوله تعالى فهم مقمحون. حكى الفارسي ترتيب لانه لما وصلت
الاغلال الى الاذقان لعرضها لزم عن ذلك ارتفاع رؤوسهم الى فوق او لما جمعت الايدي الى الاذقان وصارت تحتها
لزم من ذلك رفعها الى فوق فترتفع رؤوسهم. والاقماح رفع الراس الى فوق كالاقناع وهو من قمح البعير راسه اذا رفعها بعد
الشرب اما لبرودة الماء واما لكراهة طعمه قموحا وقماحا بكسر القاف وضمها والتحديد انا قمحا والجمع قماح وانشد
ونحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالابل القماح يصف نفسه وجماعة كانوا في سفينة فاصابهم الميد. قال الزجاج
قيل للكانونين شهرا قماح لان الابل اذا وردت الماء رفعت رؤوسها لشدة البرد وانشد ابو زيد للهذلي
فتى ما ابن الاغر اذا شتونا وحب الزاد في شهري قماح. كذا رواه بضم القاف وابن السكيت بكسرها وثمالة في
المصدر كالقدام. وقال الليث القموح رفع البعير راسه اذا شرب الماء الكريه ثم يعود. وقال ابو عبيدة اذا رفع
راسه عن الحوض ولم يشرب والمشهور انه رفع الراس الى السماء كما تقدم تحريره. وقال الحسن القامح الطامح ببصره
الى موضع قدمه وهذا ينبو عنه اللفظ والمعنى وزاد بعضهم مع رفع الراس غض البصر مستندا الى البيت المتقدم
نغض الطرف كالابل القماح. وزاد مجاهد مع ذلك وضع اليد على الفم. وسال الناس امير المؤمنين كرم الله وجهه عن هذه
الاية فجعل يديه تحت لحيته ورفع راسه وهذه الكيفية ترجح قول الطبري في عود في على الايدي. قوله تعالى وجعلنا
من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا. تقدم خلاف القراء في فتح السين وضمها والفرق بينهما مستوفى في اخر الكهف
والحمد لله. واما فائدة السد من بين الايدي فانهم في الدنيا سالكون فينبغي ان يسلكوا الطريقة المستقيمة وبين
ايديهم سد فلا يقدرون على السلوك. واما فائدة السد من خلفهم فهو ان الانسان له فطرة والكافر ما ادركها
فكانه تعالى يقول جعلنا من بين ايديهم سدا فلا يسلكون طريق الاهتداء التي هي فطرته وجعلنا من خلفهم سدا فلا
يرجعون الى الهداية والجبلية التي هي فطرته. وايضا فان الانسان مبداه من الله ومصيره اليه فعمي الكافر لا يبصر ما بين
يديه من المسير الى الله وما خلفه من الدخول في الوجود بخلق الله. وايضا فان السالك اذا لم يكن له بد من سلوك
طريق فان انسد الطريق الذي قدامه يفوته المقصد ولكنه يرجع واذا انسد الطريق من خلفه ومن قدامه والموضع
الذي هو فيه لا يكون موضع اقامة يهلك فقوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا اشارة الى اهلاكهم
فصار بمنزلة من تنبني عليه الحائط وهو واقف. قوله تعالى فاغشيناهم. العامة على الغين المعجمة اي غطينا ابصارهم
وهم على حذف مضاف. وابن عباس وعمر بن عبد العزيز والحسن وابن يعمر وابو رجاء في اخرين بالعين المهملة وهو
ضعف البصر يقال غشي بصره واغشيته انا وهذا يحتمل الحقيقة والاستعارة. فصل قوله فاغشيناهم
حرف الفاء يقتضي ان يكون الاغشاء مرتبا على جعل السد فما وجهه فيقال من وجهين احدهما ان ذلك بيان لامور
مرتبة ليس بعضها سببا في البعض فكانه تعالى قال انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ولا يبصرون انفسهم لاقماحهم
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فلا يبصرون ما في الافاق وحينئذ يمكن ان يروا السماء وما على
يمينهم وشمالهم فقال بعد هذا كله جعلنا على ابصارهم غشاوة فلا يبصرون شيئا اصلا. والثاني ان ذلك بيان
لكون السد قريبا منهم بحيث يصير ذلك كالغشاوة على ابصارهم فان من جعل من خلفه وقدامه سدين ملتزقين
به بقي بينهما ملتزقا بهما فيبقى عينه على سطح السد فلا يبصر شيئا لان شرط المرئي ان لا يكون قريبا من العين جدا

فان قيل ذكر السد من بين الايدى ومن خلف ولم يذكر من اليمين والشمال فما الحكمة فيه **فالجواب** ان قلنا انه اشارة الى
الهداية الفطرية والنظرية فظاهر وان قلنا على غير ذلك فيقال انه حصل العموم بما ذكر والمنع من انتهاج المناهج المستقيمة
لانهم اذا قصدوا السلوك الى جانب اليمين او جانب الشمال صاروا متوجهين الى شيء ومولين عن شيء فصار ما اليه
توجههم ما بين ايديهم فيجعل الله السد هناك فيمنعه من السلوك فكيف ما توجه الكافر يجعل الله بين يديه
سدا وايضا فانا لما بينا ان جعل السد سببا لاستتار بصره فكان السد ملتزقا به وهو ملتزق بالسد فلا
قدرة له على الحركة يمنة ولا يسرة فلا حاجة الى السد عن اليمين وعن الشمال وقوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون
شيئا او لا يبصرون سبيل الحق لان الكافر مصدود عن سبيل الهدى **قوله** تعالى وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم
تقدم الكلام عليه اول البقرة بين ان الانذار لا ينفعهم مع ما فعل الله بهم من الغل والسد والاغشاء والاعماء بقوله
أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون اى الانذار وعدمه سيان بالنسبة الى ايمانهم **قوله** تعالى انما تنذر من
اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب قال من قبل لتنذر قوما وذلك يقتضي الانذار العام وقال انما تنذر وهو
يقتضي التخصيص فكيف الجمع بينهما وطريقه من وجوه الاول ان قوله لتنذر اى كيف ما كان سواء كان مفيدا
او لم يكن وقوله انما تنذر اى الانذار المفيد لا يكون الا بالنسبة لمن يتبع الذكر ويخشى الثاني ان الله تعالى
لما بين ان الارسال او الانزال والانذار وذكر ان الانذار وعدمه سيان بالنسبة الى اهل العناد قال لنبيه
ليس انذارك غير مفيد من جميع الوجوه فانذر على سبيل العموم وانما تنذر بذلك الانذار العام من يتبع الذكر
كانه يقول يا محمد انذر بانذارك ويتبع بذكرك الثالث ان يقول لتنذر اولا فاذا انذرت وبالغت واشتهر الحق
وتولى واستكبر فبعد ذلك انما تنذر الذين اتبعوك والمراد بالذكر القران لتعريف الذكر بالالف واللام وقد
تقدم ذكر القران في قوله تعالى والقران الحكيم وقيل ما في القران من الايات كقوله والقران ذي الذكر فما جعل
القران نفس الذكر والمعنى انما تنذر العلماء الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله وخشي الرحمن اى عمل صالحا لقوله فبشره
بمغفرة واجر كريم وهذا جزاء العمل كقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والمراد بالغيب
ما غاب وهو احوال القيامة وقيل الوحدانية وقوله فبشره اشارة الى الرسالة فان النبي بشير ونذير وقوله
بمغفرة على التنكير اى بمغفرة واسعة تستر من جميع الجوانب واجر كريم اى ذا كرم كقوله ورزق كريم والمراد
به الجنة **قوله** تعالى انا نحن نحيي الموتى عند البعث لما بين الرسالة وهو اصل من الاصول الثلاثة التي بها يصير المكلف
مؤمنا مسلما ذكر اصلا اخر وهو الحشر ووجه اخر وهو ان الله تعالى لما ذكر الانذار والبشارة بقوله فبشره بمغفرة ولم
يظهر ذلك بكماله في الدنيا فقال ان لم ير في الدنيا فالله يحيي الموتى ويجزي المنذرون والمبشرون ووجه اخر
وهو انه تعالى لما ذكر خشية الرحمن بالغيب ذكر ما يؤكده وهو احياء الموتى **فصل** انا نحن يحتمل وجهين احدهما
ان يكون مبتدأ وخبرا كقوله انا ابو النجم وشعري شعري ومثل هذا يقال عند الشهرة العظيمة وذلك لان من
لا يعرف فقال من انت فيقول انا ابن فلان فيعرف ومن يكون مشهورا اذا قيل له من انت يقول انا ولا معرفة لي
اظهر من نفسي فقال انا نحن معروفون باوصاف الكمال واذا عرفنا بانفسنا فلا تنكر قدرتنا على احياء الموتى والثاني
ان الخبر نحيي كانه قال انا نحيي الموتى ونحن يكون تاكيدا وفي قوله انا نحن نحيي اشارة الى التوحيد لان الاشتراك يوجب
التمييز فان زيدا اذا شاركه غيره في الاسم فلو قال انا زيد لا يحصل التعريف التام وللسامع ان يقول ايما زيد
فيقول ابن عمرو فلما قال الله انا نحن اى ليس غيرنا احد يشاركنا حتى يقول انا كذا فيمتاز وحينئذ تصير الاصول الثلاثة
مذكورة الرسالة والتوحيد والحشر **قوله** تعالى ونكتب العامة على بنائه للفاعل فيكون ما قدموا مفعولا به وآثارهم
عطف عليه وزر ومسروق قراءة مبنيا للمفعول وآثارهم بالرفع عطفا على ما قدموا القيامة مقام الفاعل **فصل**
المعنى ما قدموا واخروا فاكتفى باحدهما لدلالته على الاخر كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اى والبرد وقيل المعنى ما
اسلفوا من الاعمال صالحة كانت او فاسدة كقوله تعالى بما قدمت ايديهم اى بما قدمت في الوجود واوجدته
وقيل نكتب نياتهم فانها قبل الاعمال وآثارهم اى اعمالهم وفي آثارهم وجوه احدها ما سنوا من سنة حسنة وسيئة
فالحسنة كالكتب المصنفة والقناطر المبنية والسيئة كالظلامات المستمرة التي وضعها ظالم والكتب المضلة قال
عليه السلام من سن في الاسلام سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له اجرها ومثل اجر من عمل بها من غير ان ينقص
من اجورهم شيئا ومن سن في الاسلام سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير
ان ينقص من اوزارهم شيئا وقيل نكتب آثارهم اى خطاهم الى المسجد لما روى ابو سعيد الخدري قال شكت بنو
سلمة بعد منازلهم من المسجد فانزل الله ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال عليه السلام ان الله يكتب خطواتكم ويثيبكم
عليه وقال عليه السلام اعظم الناس اجرا في الصلاة ابعدهم ممشى والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام
اعظم اجرا من الذي يصلي ثم ينام **فان قيل** الكتابة قبل الاحياء فكيف اخر في الذكر حيث قال نحيي ونكتب ولم يقل

ولم يقل نكتب ما قدموا ونحييهم **فالجواب** ان الكتابة معظمة لامر الاحياء لان الاحياء ان لم يكن للحساب لا يعظم والكتابة في
نفسها ان لم يكن احياء واعادة لا يبقى لها اثر اصلا والاحياء هو المعتبر والكتابة مؤكدة معظمة لامره فلهذا قدم الاحياء ولانه
تعالى قال انا نحن وذلك يفيد العظمة والجبروت والاحياء العظيم يختص بالله والكتابة دونه تقرير التعريف الامر العظيم
وذلك مما يعظم ذلك الامر العظيم **قوله** تعالى وكل شيء احصيناه العامة على نصب كل على الاشتغال وابو السمال
قراءة مرفوعا بالابتداء والارجح قراءة العامة لعطف جملة الاشتغال على جملة فعلية **فصل** احصيناه حفظناه
وثبتناه في امام مبين فقوله احصيناه ابلغ من كتبناه لان من كتب شيئا مفرقا يحتاج الى جمع عدده فقال
تعالى احصيناه والامام الكتاب وجمعه ائمة قال تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم اى بامامهم وحينئذ فالامام اذا كان فردا فهو ككتاب
وحجاب واذا كان جمعا فهو كجبال والمبين هو المظهر للامور لكونه مظهرا للملائكة ما يفعلون والناس ما يفعل بهم وهو
الفارق بين احوال الخلق فيجعل فريقا في الجنة وفريقا في السعير وسمي الكتاب اماما لان الملائكة يأتمون به ويتبعونه وهو
اللوح المحفوظ وهذا بيان لكون ما قدموا وآثارهم امرا مكتوبا عليهم لا يبدل فان القلم جف بما هو كائن فلما قال نكتب ما قدموا
بين ان قبل ذلك كتابة اخرى فان الله تعالى كتب عليهم انهم سيفعلون كذا وكذا ثم اذا فعلوا كتب عليهم انهم فعلوه وقيل
ان ذلك مؤكد لمعنى قوله ونكتب لان من يكتب شيئا في اوراق ويرميها قد لا يجدها فكانه لم يكتب فقال نكتب ونحفظ
ذلك في امام مبين وهو كقوله تعالى علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وقيل ان ذلك تعميم بعد التخصيص كانه
تعالى يكتب ما قدموا وآثارهم وليست الكتابة مقتصرة عليه بل كل شيء محصي في امام مبين وهذا يفيد ان شيئا من الافعال
والاقوال لا يعزب عن علم الله ولا يفوته وهو كقوله تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير يعني ليس ما في الزبر
منحصرا فيما فعلوه بل كل شيء مكتوب **قوله** تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية تقدم الكلام على نظيره في البقرة والنحل
والمعنى واضرب لاجلهم مثلا او واضرب لاجل نفسك اصحاب القرية مثلا اى مثلهم عند نفسك باصحاب القرية فعلى الاول
لما قال تعالى انك لمن المرسلين وقال لتنذر قوما قال قل لهم ما انا بدعا من الرسل بل قبلي بقليل جاء اصحاب القرية مرسلون
وانذروهم بما انذرتكم وذكروا التوحيد وخوفوا بالقيامة وبشروا بنعيم دار الاقامة وعلى الثاني لما قال تعالى ان
الانذار لا ينفع من اضله الله وكتب عليه انه لا يؤمن قال للنبي عليه السلام ولا تأس واضرب لنفسك ولقومك مثلا
اى مثل لهم عند نفسك مثلا باصحاب القرية حيث جاءهم ثلاثة رسل ولم يؤمنوا وصبر الرسل على القتل والايذاء وانت جئتهم
واحدا وقومك اكثر من قوم الثلاثة فانهم جاءوا قرية وانت بعثت الى العالم **قوله** تعالى اصحاب القرية اى واضرب لهم
مثلا مثل اصحاب القرية فترك المثل واقيم الاصحاب مقامه في الاعراب كقوله واسأل القرية قاله الزمخشري وقيل لا حاجة
الى الاضمار بل المعنى اجعل اصحاب القرية لهم مثلا او مثل اصحاب القرية بهم قال المفسرون المراد بالقرية انطاكية **قوله**
تعالى اذ جاءها بدل اشتمال قال الزمخشري اذ منصوبة لانها بدل من اصحاب القرية كانه تعالى قال واضرب لهم وقت
مجيء المرسلين ومثل ذلك الوقت بوقت محمد وقيل منصوب فقوله اجعل الضرب كانه حين مجيئهم ووقع فيه والمرسلون
من قوم عيسى وهم اقرب مرسل ارسل الى قوم الى زمان محمد عليه السلام وهم ثلاثة **قوله** تعالى اذ ارسلنا بدل من اذ
الاولى كانه قال اضرب لهم مثلا اذ ارسلنا الى اصحاب القرية اثنين قال ابن الخطيب والاصح الاوضح ان يكون اذ ظرفا
والفعل الواقع فيه جاءها اى جاءها المرسلون حين ارسلناهم اليهم وانما جاؤهم حيث امروا وهذا فيه لطيفة وهي ان في
القصة ان الرسل كانوا مبعوثين من جهة عيسى عليه السلام ارسلهم الى انطاكية فقال تعالى ارسال عيسى عليه السلام
هو ارسالنا ورسول رسول الله رسول الله باذن الله فلا يعظم لك يا محمد ان اولئك كانوا رسل الرسل وانما هم رسل الله فان
تكذيبهم كتكذيبك فتتم التسلية بقوله اذ ارسلنا ويؤيد هذا مسألة فقهية وهي ان وكيل الوكيل باذن الموكل وكيل الموكل
لا وكيل الوكيل حتى لا ينعزل بعزل الوكيل اياه وينعزل اذا عزله الموكل الاول وهذا على قولنا واضرب لهم مثلا ضرب المثل لاجل
محمد عليه السلام ظاهر وقولنا اذ ارسلنا اليهم اثنين في بعثة الاثنين حكمة بالغة وهي انهما كانا مبعوثين من جهة
عيسى عليه السلام باذن الله فكان عليهما انهاء الامر الى عيسى عليه السلام والاتيان بما امر الله والله عالم بكل شيء لا يحتاج
الى شاهد يشهد عنده واما عيسى عليه السلام فهو بشر فامره الله بارسال اثنين ليكون قولهما على قومهما عند عيسى
حجة تامة **فصل** قال ابن كثير روى ابن اسحاق عن ابن عباس وكعب الاحبار ووهب بن منبه وروي عن بريدة
ابن الحصيب وعكرمة وقتادة والزهري ان هذه القرية انطاكية وكان اسم ملكها انطيخس بن انطيخس وكان يعبد الاصنام
فبعث الله اليه ثلاثة من الرسل وهم صادق وصدوق وشلوم فكذبهم وهذا ظاهره انهم رسل الله عز وجل وزعم قتادة
انهم كانوا رسلا من عند المسيح وان اسم الرسولين الاولين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولس والقرية انطاكية
وهذا القول ضعيف جدا لان اهل انطاكية لما بعث اليهم المسيح ثلاثة من الحواريين كانوا اول مدينة امنت بالمسيح
في ذلك الوقت ولهذا كانت احدى المدائن الاربع التي يكون فيها بتاركة النصارى وهن انطاكية والقدس واسكندرية
ورومية ثم بعدها قسطنطينية ولم يهلكوا واهل هذه القرية المذكورة في القران اهلكوا القول الله تعالى ان

كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون لكن ان كانت الرسل الثلاثة المذكورون في القرآن بعثوا الى انطاكية قبل بما فكذبوهم فاهلكهم الله ثم عمرت بعد ذلك فلما كان في زمن المسيح آمنوا برسله اليهم فيجوز والله اعلم **قوله** تعالى فعززنا بثالث قرأ ابو بكر بتخفيف الزاي بمعنى غلبنا ومنه وعزني في الخطاب ومنه قولهم من عز بز اي من غلب سلب والباقون بالتشديد بمعنى قوينا يقال عزز المطر الارض اي قواها ولبدها ويقال لتلك الارض العزاز وكذا كل ارض صلبة وتعزز لحم الناقة اي صلب وقوي وعلى كلتا القراءتين المفعول محذوف اي فقويناهما بثالث او فغلبناهم بثالث لان المقصود من البعثة نصرة الحق لا نصرتهما والكل كانوا مقوين للدين بالبرهان وقرأ عبد الله بالثالث بالف ولام **قوله** تعالى انا اليكم مرسلون جرد خبر ان هنا من لام التوكيد وادخلها في خبر الثانية لانهم في الاولى استعملوا مجرد الانكار فقابلهم الرسل بتوكيد واحد وهو الاتيان بان وفي الثانية بالغوا في الانكار فقابلهم بزيادة التاكيد فاتوا بان وباللام قال اهل البيان الاخبار ثلاثة اقسام ابتدائي وطلبي وانكاري فالاول يقال لمن لم يتردد في نسبة احد الطرفين الى الآخر نحو زيد عارف والثاني لمن هو متردد في ذلك طالب له منكر له بعض انكار فيقال له ان زيدا عارف والثالث لمن يبالغ في انكاره فيقال له ان زيدا لعارف ومن احسن ما يحكى ان رجلا جاء الى ابي العباس الكندي فقال يا ابا العباس اني اجد في كلام العرب حشوا قال وما ذاك قال يقولون زيد قائم وان زيدا قائم وان زيدا لقائم فقال كلا بل المعاني مختلفة فعبد الله قائم اخبار بقيامه وان عبد الله قائم جواب لسؤال سائل وان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر وهذا هو الكندي الذي سئل ان يعارض القرآن ففتح المصحف فرأى سورة المائدة وتقدمت حكايته في اول المائدة وقال ابو حيان وجاء اولا مرسلون بغير لام لانه ابتداء اخبار فلا يحتاج الى توكيد وبعد المحاورة لمرسلون بلام التوكيد لانه جواب عن انكار قال شهاب الدين وهذا قصور عن فهم ما قاله اهل البيان فانه جعل المقام الثاني وهو الطلبي مكان المقام الاول وهو الابتدائي **قوله** تعالى ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء جعلوا كونهم بشرا مثلهم دليلا على عدم الارسال وهذا عام في المشركين قالوا في حق محمد عليه السلام أانزل عليه الذكر من بيننا وانما ظنوه دليلا بناء على انهم لم يعتقدوا في الله الاختيار وانما قالوا انه موجب بالذات وقد استوينا في البشرية فلا يمكن الرجحان فرد الله تعالى عليهم بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته وبقوله الله يجتبي اليه من يشاء الى غير ذلك ثم قالوا وما انزل الرحمن من شيء وهذا يحتمل وجهين احدهما ان يكون متمما لما ذكروه فيكون الكل شبهة واحدة والمعنى وما انزل الله اليكم احدا فكيف صرتم رسلا والثاني ان يكون هذا شبهة اخرى مستقلة وبنى انهم لما قالوا انتم بشر مثلنا فلا يجوز رجحانكم علينا ذكروا الشبهة من جهة النظر الى المرسلين ثم قالوا شبهة اخرى من جهة المرسل وهو انه تعالى ليس بمنزل شيئا في هذا العالم فان تصرفه في العالم العلوي فالله لم ينزل شيئا من الاشياء في الدنيا فكيف انزل اليكم وقوله تعالى الرحمن اشارة الى الرد عليهم لان الله تعالى لما كان رحمان الدنيا فكيف لا ينزل رحمته وهو رحمن ثم قال ان انتم الا تكذبون اي ما انتم الا كذبة فيما تزعمون **فصل** اذ ارسلنا اليهم اثنين قال وهب اسمهما يحيى ويونس فكذبوهما فعززنا برسول ثالث وهو شمعون وقال كعب الرسولان صادق وصدوق وقوله ما انتم فهو بين ضبه نظرا لم يبطل سبق قلم لانه واجب الرفع لمرح ما قبل الا للعمل فيما بعدها ولا يجوز ان تكون ما حجازية لان شرطها الا ينتقض خبرها بالا واما قوله وما الدهر الا منجنونا باهله شاذ لا ينقاس عليه والبيت المستقبل والثالث شلوم وانما اضاف الله الارسال لان عيسى عليه السلام انما بعثهم بامره عز وجل **قوله** تعالى قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وهذا اشارة الى انهم بمجرد التكذيب لم ييأسوا ولم يتركوا بل اعادوا ذلك لهم وكرروا القول عليهم واكدوه باليمين وقالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون واكدوه باللام لان علم الله يجري مجرى القسم لقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته اي هو عالم بالامور وما علينا الا البلاغ المبين وذلك تسلية لانفسهم اي نحن خرجنا عن عهدة ما علينا وهو البلاغ وقوله المبين اي المبين للحق عن الباطل وهو الفارق بالمعجزة والبرهان او البلاغ المظهر لما ارسلنا الى الكل اي لا يكفي ان يبلغ الرسالة الى شخص او شخصين او المظهر للحق بكل ما يمكن فاذا لم يقبلوا الحق فهنالك الهلاك فما كان جوابهم بعد هذا الا قولهم انا تطيرنا بكم اي تشاءمنا بكم وذلك ان المطر حبس عنهم فقالوا اصابنا هذا بشؤمكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم لنقتلنكم قال قتادة بالحجارة وقيل لنشتمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم فان كان الرجم بالحجارة فيكون قولهم وليمسنكم منا عذاب اليم كانهم قالوا لا نكتفي برجمكم بحجر او حجرين بل نديم ذلك عليكم الى الموت وهو العذاب الاليم او يكون المراد وليمسنكم بسبب الرجم منا عذاب اليم اي مولم وان قلنا الرجم الشتم فكانهم قالوا لا يكفينا الشتم بل شتم يؤدي الى الضرب والايلام الحسي واذا فسرنا اليم بمعنى مولم فالفعيل بمعنى مفعل قليل ويحتمل ان يقال هو من باب قوله عيشة راضية اي ذات رضى او عذاب ذو الم فيكون فعيلا بمعنى فاعل وهو كثير ثم اجابهم المرسلون فقالوا طائركم اي شؤمكم معكم بكفركم **قوله** تعالى طائركم العامة على طائركم اسم فاعل اي ما طار لكم من الخير والشر معبر عن الحظ والنصيب وقرأ الحسن فيما روى عنه الزمخشري اطيركم مصدر اطير الذي اصله تطير فلما اريد ادغامه ابدلت التاء طاء وسكنت واجتلبت همزة الوصل فصار اطير فيكون مصدره اطيرا ولما ذكر ابو حيان هذا المزيد عليه

عليه وكان قوي في بعض ما رد به على ابن مالك في شرح التسهيل في باب المصادر ان مصدر تطير وتدارا اذا ادغما وصار اطير وادارا لا يجيء مصدرهما عليهما بل على اصلهما فيقال اطير تطيرا وادارا تدارا ولكن هذه القراءة ترده ان صحت وهو بعيد وقد روي غيره طيركم بياء ساكنة ويغلب على الظن انها هذه وانما تصحفت على الراوي يحسبها مصدرا وظن ان الف قالوا همزة وصل **قوله** تعالى ائن ذكرتم قرأ السبعة بهمزة استفهام بعدها ان الشرطية وهم على اصولهم من التسهيل والتحقيق وادخال الف بين الهمزتين وعدمه في سورة البقرة واختلف سيبويه ويونس اذا اجتمع استفهام وشرط ايهما يجاب فذهب سيبويه الى اجابة الاستفهام ويونس الى اجابة الشرط وعلى القولين محذوف وقد تقدم هذا في سورة الانبياء وقرأ ابو جعفر وطلحة وزر بهمزتين مفتوحتين الا ان زرا لم يسهل الثانية كقوله

أأن كنت داود بن احوى مرجلا فلست براع لابن عمك محرما

وروي عن ابي عمرو وزر ايضا كذلك الا انهما فصلا بالف بين الهمزتين وقرأ الماجشون بهمزة واحدة مفتوحة وتخرج هذه القراءات الثلاث على حذف لام العلة اي الان ذكرتم تطيرتم فتطيرتم هو المعلول وان ذكرتم علته والاستفهام منسحب عليهما في قراءة الاستفهام وفي غيرها يكون اخبارا بذلك وقرأ الحسن بهمزة واحدة مكسورة وهي شرط من غير استفهام وجوابه محذوف ايضا وقرأ الاعمش والهمداني بصيغة الظرف وهي اين الشرطية وجوابها محذوف عند جمهور البصريين اي اين ذكرتم فطائركم معكم او صحبكم طائركم لدلالة ما تقدم من قوله طائركم معكم ومن يجوز تقديم الجواب لا يحتاج الى حذف وقرأ الحسن وابو جعفر والاصمعي وابو رجاء والاصمعي عن نافع ذكرتم بتخفيف الكاف **فصل** قوله ائن ذكرتم جواب عن قولهم لنرجمنكم اي تفعلون بنا ذلك وان ذكرتم اي وعظتم بالله وبين لكم الامر بالمعجزة والبرهان بل انتم قوم مسرفون مشركون تجاوزون الحد حيث تجعلون ما يتبرك به تتشاءمون به وتقصدون ايلام من يجب اكرامه او مسرفون حيث تكفرون ثم تصرون بعد ظهور الحق بالمعجزة والبرهان **فان قيل** بل للاضراب والامر المضروب عنه ما هو **فالجواب** يحتمل ان يقال قوله ائن ذكرتم وارد على تكذيبهم فانهم قالوا انكم كاذبون وان جئنا بالبرهان لا بل انتم قوم مسرفون ويحتمل ان يقال نحن مشؤمون وان جئنا ببيان صحة ما نحن عليه لا بل انتم قوم مسرفون ويحتمل ان يقال انحن نستحق الرجم والايلام وان بينا صحة ما اتينا به لا بل انتم قوم مسرفون **فصل** ذكر المفسرون ان عيسى عليه السلام بعث رجلين الى اهل انطاكية يدعيان الى توحيد الله واظهرا المعجزة من ابراء الاكمه والابرص واحياء الميت فحبسهما الملك فارسل بعدهما شمعون فاتى الملك ولم يدع الرسالة وقرب نفسه من الملك بحسن التدبير ثم قال اني اسمع ان في الحبس رجلين يدعيان امرا بديعا فلا يحضران تسمع كلامهما فقال الملك بلى فاحضرا وذكرا مقالتهما الحقة فقال شمعون وهل لكما بينة فقالا نبرئ الاكمه والابرص ونحيي الموتى فقال شمعون ايها الملك ان شئت ان تغلبهم فقل للآلهة التي تعبدونها تفعل شيئا من ذلك فقال له الملك انت لا يخفى عليك انها لا تسمع ولا تبصر ولا تعلم فقال شمعون فاذن ظهر الحق من جانبهم فآمن الملك وقوم وكفر آخرون وكانت الغلبة للمكذبين **قوله** تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى في تعلقه بما قبله وجهان احدهما انه بيان لكونهم اتوا بالبلاغ المبين حيث آمن بهم الرجل الساعي وعلى هذا فقوله من اقصى المدينة فيه بلاغة باهرة لانه لما جاء من اقصى المدينة رجل وهو قد آمن دل على ان انذارهم وابلاغهم بلغ الى اقصى المدينة والثاني ان ضرب المثل لما كان لتسلية قلب محمد عليه السلام ذكر بعد الفراغ من ذكر الرسل سعي المؤمنين في تصديق انبيائهم وصبروا على ما اوذوا او وصول الجزاء الاوفى اليهم ليكون ذلك تسلية لقلب اصحاب محمد عليه السلام **قوله** تعالى رجل يسعى في تنكير الرجل مع انه كان معروفا معلوما عند الله فائدتان الاولى ان يكون تعظيما لشانه اي رجل كامل في الرجولية الثانية ان يكون مفيدا ليظهر من جانب المرسلين امر من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال انهم تواطؤوا والرجل هو حبيب النجار كان ينحت الاصنام وقال السدي كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان منزله عند اقصى باب في المدينة وكان مؤمنا وآمن بمحمد عليه السلام قبل وجوده حين صار من العلماء بكتاب الله ورأى فيه وقت محمد وبعثته وقوله يسعى تبصير للمسلمين وهداية لهم ليبذلوا جهدهم في النصح **قوله** تعالى قال يا قوم اتبعوا المرسلين تقدم الكلام في فائدة قوله يا قوم عند قول موسى يا قوم انكم ظلمتم انفسكم **فان قيل** هذا مثل مؤمن آل فرعون وقال اتبعون وهذا قال اتبعوا المرسلين فما الفرق **فالجواب** هذا الرجل جاءهم وفي اول مجيئه نصحهم ولم يعلموا سيرته فقال اتبعوا هؤلاء الذين اظهروا لكم الدليل واوضحوا لكم السبيل واما مؤمن آل فرعون فكان فيهم ونصحهم مرارا فقال اتبعوني في الايمان بموسى وهرون عليهما السلام واعلموا انه لو لم يكن خيرا لما اخترته لنفسي وانتم تعلمون اني اخترته ولم يكن للرجل الذي جاء من اقصى المدينة ان يقول انتم تعلمون اتباعي لهم واعلم انه جمع بين اظهار النصيحة واظهار ايمانه فقوله اتبعوا النصيحة وقوله المرسلين اظهار ايمانه وقدم اظهار النصيحة على اظهار الايمان لانه كان ساعيا في النصيحة واما الايمان فكان قد آمن من قبل وقوله يسعى يدل على ارادته النصح **قوله** تعالى من لا يسألكم اجرا بدل من المرسلين فاعاد العامل الا ان ابا حيان قال النحاة لا يقولون ذلك الا اذا كان العامل حرف جر والا فلا يسمونه بدلا بل تابعا وكانه يريد التوكيد اللفظي بالنسبة الى العامل **فصل** هذا الكلام في غاية الحسن لانه لما قال اتبعوا المرسلين

كانهم منعوا كونهم مرسلين فنزل درجة وقال لا شك ان الخلق في الدنيا سالكون طريقة الاستقامة والطريق اذا كان فيه دليل
وجب اتباعه والاستماع من الدليل لا يحسن الا عند احد امرين اما لطلب الدليل الاجرة واما عدم الاعتماد على اهتدائه به
ومعرفة الطريق لكن هولاء لا يطلبون اجرة وهم مهتدون عالمون بالطريق المستقيم الموصلة الى الحق فهب انهم لم يثبتوا انهم مرسلين
هادين اليس ثبتوا انهم مهتدين فاتبعوهم **قوله** تعالى ومالي لا اعبد الذي فطرني اصل الكلام ومالكم لا تعبدون ولكنه صرف
الكلام عنهم ليكون الكلام اسرع قبولا ولذلك جا قوله واليه ترجعون دون واليه ارجع وقوله اتخذ مبني على كلامه
الاول وهذه الطريقة احسن من ادعاء الالتفات وقرا حمزة ويعقوب مالي باسكان اليا والاخرون بفتحها واعلم ان
في قوله ومالي اي اي مانع من جانبي وهذا اشارة الى ان الامر من جهة المعبود ظاهر لا خفاء فيه فمن يمتنع من عبادته يكون
من جانبه مانع ولا مانع من جانبي فلا جرم عبدته وفي العدول من مخاصمة القوم الى حال نفسه حكمة اخرى وهي انه لو قال
لا تعبدون الذي فطركم لم يكن في البيان مثل قوله مالي لانه لما قال مالي واحد لا يخفى عليه حال نفسه علم كل احد انه لا يطلب
العلة وبيانها من احد لانه اعلم بحال نفسه فهو يبين عدم المانع واما لو قال مالكم جاز ان يفهم منه انه يطلب بيان العلة
لكون غيره اعلم بحال نفسه وقوله الذي فطرني اشارة الى وجود المقتضي فان قوله مالي اشارة الى المانع وعند عدم المانع
لا يوجد الفعل ما لم يوجد المقتضي فقوله الذي فطرني دليل المقتضي فان الخالق ابتداء مالك يجب على المملوك اكرامه وتعظيمه
ومنعم بالايجاد والمنعم يجب على المنعم عليه شكر نعمته وقدم بيان عدم المانع على بيان وجود المقتضي مع ان المستحق تقدم
المقتضي لان المقتضي لظهوره كان مستغنيا عن البيان فلا اقل من تقديم ما هو اولى بالبيان للحاجة اليه واختار من الايات
فطرة نفسه لان خالق عمرو يجب على زيد عبادته لان من خلق عمرا لا يكون الا كامل القدرة واجب الوجود فهو مستحق العبادة
بالنسبة الى كل مكلف لكن العبادة على زيد بخلق زيد اظهر ايجابا **فصل** اضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان
الفطرة اثر النعمة وكان عليه اظهر وفي الرجوع معنى الزجر وكان بهم اليق روي انه لما قال اتبعوا المرسلين اخذوه ورفعوه
الى الملك فقال له افانت تتبعهم فقال ومالي لا اعبد الذي فطرني اي اي شي يمنعني ان اعبد خالقي واليه ترجعون تردون
عند البعث فيجزيكم باعمالكم ومعنى فطرني خلقني اختراعا ابتداء وقيل جعلني على الفطرة كما قال تعالى فطرت الله التي فطر
الناس عليها **قوله** تعالى اتخذ استفهام بمعنى الانكار اي لا اتخذ من دونه الهة ومن دونه يجوز ان يتعلق باتخذ على
انها متعدية لواحد وهو الهة ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الهة وان يكون مفعولا ثانيا قدم على انها المتعدية
لاثنين **فصل** في قوله من دونه الهة لطيفة وهي انه لما بين انه يعبد الذي فطره بين ان من دونه لا يجوز
عبادته لان الكل محتاج مفتقر حادث وقوله اتخذ اشارة الى ان غيره ليس باله لان المتخذ لا يكون الها **قوله** تعالى
ان يردني شرط جوابه لا تغن عني والجملة الشرطية في محل نصب صفة لالهة وفتح طلحة السلماني وقيل طلحة بن مصرف
يا المتكلم وقال الزمخشري وقرئ ان يردني الرحمن بضر بمعنى ان يوردني ضرا اي يجعلني موردا للضر قال ابو حيان وهذا
والله اعلم راى في كتب القراءات بفتح اليا فتوهم انها يا المضارعة فجعل الفعل متعديا باليا المعدية كالهمزة فلذلك ادخل
همزة التعدية فنصب به اثنين والذي في كتب القراءات الشواذ انها يا الاضافة المحذوفة خطا ونطقا لالتقاء الساكنين
قال شهاب وهذا رجل ثقة قد نقل هذه القراءة فيقبل منه **قال قيل** ما الحكمة في قوله ان يردني الرحمن بضر ولم يقل
ان يرد الرحمن بي ضرا وكذلك قوله تعالى ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ولم يقل ان اراد الله بي ضرا
فالجواب ان الفعل اذا كان متعديا الى مفعول واحد تعدى الى مفعولين بالحرف كالامر يتعدى بحرف في قولهم ذهب
به وخرج به ثم ان المتكلم يجعل المفعول بغير حرف اولى بوقوع الفعل عليه ويجعل الاخر مفعولا بحرف فاذا قال القائل مثلا كيف
حال فلان يقول اختصه الملك بالكرامة والنعمة فاذا قال كيف كرامة الملك يقول اختصها بزيد فيقول المسئول مفعولا
بغير حرف لانه هو المقصود واذا تقرر هذا فالمقصود فيما نحن فيه بيان كون العبد تحت تصرف الله يقلبه كيف يشاء في
البؤس والرجاء وليس الضر مقصودا بيانه كيف والقائل يؤمن يرجو الرحمة والنعمة بناء على انه بحكم وعد الله ويؤيد
هذا قوله من قبل الذي فطرني حيث جعل نفسه مفعول الفطرة فلذلك جعلها مفعولا للارادة ووقع الضر تبعا وكذا
القول في قوله ان ارادني الله بضر المقصود بيان انه يكون كما يريده الله وليس الضر بخصوصه مقصودا بالذكر ويؤيده
ما تقدم حيث قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده يعني تحت ارادته **قال قيل** ما الحكمة في قوله ههنا ان يردني الرحمن
بصيغة المضارع وقال في الزمر ان ارادني الله بصيغة الماضي وذكر المريد هنا باسم الرحمن وذكر المريد هنالك باسم
الله **فالجواب** ان الماضي والمستقبل مع الشرط يصير الماضي مستقبلا لان المذكور ههنا من قبل بصيغة الاستقبال
في قوله اتخذ وقوله ومالي لا اعبد والمذكور هنالك من قبل بصيغة الماضي في قوله افرايتم **قوله** تعالى لا تغن عني
شفاعتهم شيئا اي ان يمسسني الله بضر اي بسوء ومكروه لا تغن عني شفاعتهم شيئا اي لا شفاعة لها فتغني ولا ينقذون
من ذلك المكروه او لا ينقذوني من العذاب لو عذبني الله ان فعلت ذلك **قوله** تعالى اني اذا لفي ضلال مبين اي
خطا ظاهر ان فعلت ذلك فانا ضال ضلالا بينا والمبين مفعل بمعنى فعيل وعكسه فعيل بمعنى مفعول في قوله اليم بمعنى

اليم بمعنى مولم **قوله** تعالى اني امنت بربكم فيه وجوه احدها انه خاطب المرسلين قال المفسرون اقبل القوم عليه يريدون قتله
فاقبل هو للمرسلين وقال اني امنت بربكم فاسمعوا قولي واشهدوا لي الثاني لم الكفار لما نصحهم وما نفعهم قال امنت فاسمعون
الثالث بربكم ايها السامعون فاسمعون على العموم كقول الواعظ يا مسكين ما اكثر املك يريد كل سامع يسمعه وفي قوله فاسمعون
فوائد منها انه كلام متفكر حيث قال اسمعوا فان المتكلم اذا كان يعلم ان لكلامه جماعة سامعين يتفكر ومنها ان ينبه
القوم ويقول اني اخبرتكم بما فعلت حتى لا يقولوا لم اخفيت عنا امرك ولو اظهرته لامنا معك **قال قيل** قال من قبل ومالي
لا اعبد الذي فطرني وقال ههنا امنت بربكم ولم يقل امنت بربي **فالجواب** ان قلنا الخطاب مع الرسل فالامر ظاهر لانه
لما قال امنت بربكم ظهر عند الرسل انه قبل قولهم وامن بالرب الذي دعوه اليه وقال بربكم وان قلنا الخطاب مع الكفار ففيه
بيان للتوحيد لانه لما قال اعبد الذي فطرني ثم قال امنت بربكم فهم انه يقول ربي وربكم واحد وهو الذي فطرني وهو
بعينه ربكم بخلاف ما لو قال امنت بربي فيقول الكافر وانا ايضا امنت بربي **قوله** تعالى فاسمعون العامة على كسر
النون وهي نون الوقاية حذفت بعدها يا الاضافة يجتزا عنها بكسرة النون وهي اللغة الغالبة وقرا عصمة عن عاصم
بفتحها وليست هذه الالفاظ على عاصم اذ لا وجه وقد وقع لابن عطية وهم فاحش في ذلك فقال وقرا الجمهور فاسمعون
بفتح النون قال ابو حاتم هذا خطا فلا يجوز لانه امر فاما ان تحذف النون واما كسرها على جهة اليا يعني يا المتكلم وقد يكون قوله
الجمهور سبق قلم منه او من النساخ وكان الاصل وقرا غير الجمهور فسقط لفظة غير وقال ابن عطية حذف من الكلام ما
تواترت الاخبار والروايات به وهو انهم قتلوه فقيل له عند موته ادخل الجنة بعد القتل وقيل قوله ادخل الجنة عطف على
قوله امنت بربكم فعلى الاول يكون قوله يا ليت قومي يعلمون بعد موته والله اخبر بقوله وعلى الثاني قال ذلك في حياته وكانه
سمع الرسل يقولون انه من الداخلين الجنة وصدقهم وقطع به **قوله** تعالى قال يا ليت قومي يعلمون كما علمت فيؤمنون
كما امنت وقال الحسن حرقوا حرقا في حلقه وعلقوه في سور المدينة وقبره بانطاكية فادخله الله الجنة وهو حي فيها
يرزق فذلك قوله عز وجل قيل ادخل الجنة فلما افضى الى الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي اي بغفران ربي لي
وجعلني من المكرمين **قوله** تعالى بما غفر لي يجوز في ما هذه ثلاثة اوجه احدها المصدرية كما تقدم والثاني انها بمعنى
الذي والعائد محذوف اي بالذي غفره لي ربي واستضعف هذا من حيث انه ينبغي معناه انه تمنى ان يعلم قومه بذنوبه المغفورة
وليس المعنى على ذلك انما المعنى على تمني علمهم بغفران ربه ذنوبه والثالث انها استفهامية واليه ذهب الفراء ورده
الكسائي بانه كان ينبغي حذف الفها لكونها مجرورة وهو رد صحيح وقال الزمخشري الاجود طرح الالف والمشهور من مذهب
البصريين وجوب حذف الفها كقوله علام يقول الرمح يثقل عاتقي اذا انا لم اطعن اذا الخيل كرت الا في ضرورة كقوله
على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد وقرئ من المكرمين بتشديد الرا **قوله** تعالى وما انزلنا على قومه من بعده من
جند من السما لما تمنى ان يعلم قومه ان الله غفر له واكرمه ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل لهم النقمة
وامر جبريل عليه السلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن اخرهم فذلك قوله وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السما
يعني الملائكة **قوله** تعالى وما كنا منزلين في ما هذه ثلاثة اوجه احدها انها نافية كالتي قبلها فتكون الجملة الثانية
جارية مجرى التاكيد للاولى والثاني انها مزيدة قال ابو البقاء اي وقد كنا منزلين وهذا لا يجوز البتة لفساده لفظا ومعنى
والثالث انها اسم معطوف على جند قال ابن عطية اي من جند ومن الذي كنا منزلين ورده ابو حيان قال من مزيدة وهذا
التقدير يودي الى زيادتها في الموجب جارة لمعرفة ومذهب البصريين غير الاخفش ان يكون الكلام غير موجب وان يكون المجرور
نكرة قال شهاب الدين فالذي ينبغي عندي ان يقول بدل ذلك ان يقدر بها نكرة اي ومن عذاب كنا منزليه والجملة بعدها
صفة لها واما قوله ان هذا التقدير يودي الى زيادتها في الموجب فليس بصحيح البتة والعجب كيف يلزم ذلك **فصل**
قال ههنا وما انزلنا باسناد الفعل الى النفس وقال في بيان حال المومن وقيل ادخل الجنة باسناد القول الى غير مذكور لان العذاب
من باب الهيبة فقال بلفظ التعظيم واما ادخال الجنة فقال قيل ليكون كالمهنا بقول الملائكة ويقول كل صالح يراه ادخل
الجنة خالدا كالتهنية له وكثيرا ما ورد في القران قوله تعالى وقيل ادخلوا اشارة الى ان الدخول يكون دخولا باكرام
قال قيل لم اضاف القوم اليه مع ان الرسل اولى بكون الجمع قومهم لان الرسول لكونه مرسلا يكون جميع الخلق او جميع
من ارسل اليهم قومه **فالجواب** ليبين الفرق بينه وبينهم لانهما من قبيلة واحدة اكرم احدهما غاية الاكرام بسبب
الايمان واهين الاخر غاية الاهانة بسبب الكفر ونسبهما من قبيلة واحدة وايضا فالعذاب كان مختصا بهم وهم
اقاربه لان غيرهم من قوم الرسل امنوا بهم فلم يصبهم العذاب **قال قيل** لم خصص عدم الانزال بما بعده والله تعالى
لم ينزل عليهم جندا قبله ايضا فما فائدة التخصيص **فالجواب** ان استحقاقهم العذاب كان بعده حيث اصروا واستكبروا
فيتبين حال الاهلاك **قال قيل** قال من السما وهو تعالى لم ينزل عليهم ولا ارسل اليهم جندا من الارض فما فائدة التقييد
فالجواب من وجهين احدهما ان يكون المراد ما انزلنا عليهم جندا بامر من السما فيكون للعموم الثاني ان العذاب
نزل عليهم من السما فبين ان النازل لم يكن جندا وانما كان بصيحة اخذتهم وخربت ديارهم **قال قيل** اي فائدة في

قوله وما كنا منزلين مع قوله وما انزلنا وهو يستلزم ان لا يكون من المنزلين فالجواب ان قوله وما كنا اى ما كان ينبغى ان
ينزل لان الامر كان يتم بدون ذلك المعنى وما انزلنا وما كنا محتاجين الى الانزال او وما كنا منزلين فى مثل تلك الواقعة
جندا فى غير تلك الواقعة اى وما انزلنا على قومه من بعده اى على قوم حبيب من بعد قتله من جند وما كنا منزلين
ما نزلنا على الامم اذا اهلكناهم كالطوفان والصاعقة والريح فان قيل فكيف انزل الله جنودا فى يوم بدر وفى غير ذلك
حيث قال تعالى فانزل الله ريحا وجنودا لم تروها فالجواب ان ذلك تعظيما لمحمد عليه السلام والا لكان تحريك
ريشة من جناح ملك كافيا فى استيصالهم ولم تكن رسل عيسى عليه السلام فى درجة محمد عليه السلام ثم بين الله تعالى
عقوبتهم فقال ان كانت الا صيحة واحدة قوله تعالى ان كانت الا صيحة • العامة على النصب على ان كان ناقصة واسمها
ضمير الاخذة لدلالة السياق عليها وصيحة خبرها • وقرأ ابو جعفر وشيبة ومعاذ القارى برفعها على انها التامة اى ان
وقع وحدث وكان ينبغى ان لا يلحق تاء التانيث للفصل بالا الواجب فى غير ندور او اضطرار لحذف التاء نحو ما قام الا هند
وقد شذ الحسن وجماعة فقرؤا لا ترى الا مساكنهم كما سيأتى ان شاء الله تعالى وقوله • وما بقيت الا الضلوع الجراشع • وقوله
ما برئت من ريبة وذم فى حربنا الا بنات العم • قال الزمخشرى اصله ان كان شى الا صيحة فكان الاصل ان يذكر لكنه
تعالى انث لما بعده من المفسر وهو الصيحة وقوله واحدة تاكيد لكون الامر هينا عنده وقوله فاذا هم خامدون
اشارة الى سرعة الهلاك فان خمودهم كان مع الصيحة فى وقتها لم يتاخر ووصفهم بالخمود فى غاية الحسن لان الحى فيه
الحرارة الغريزية وكلما كانت الحرارة اوفر كانت القوة الغضبية والشهوانية اتم وهم كانوا كذلك • اما الغضب فانهم
قتلوا مؤمنا كان ينصحهم • واما الشهوة فلانهم احتملوا العذاب الدايم بسبب استيفاء اللذات الحالية فاذن كانوا كالنار
الموقدة لانهم كانوا جبارين ومستكبرين كالنار ومن خلق منها فقال فاذا هم خامدون • قال المفسرون اخذ جبريل
بعضادتى باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة فاذا هم خامدون ميتون قوله تعالى يا حسرة • العامة على نصبها وفيه وجهان
احدهما انها منصوبة على المصدر والمنادى محذوف تقديره يا هؤلاء تحسروا حسرة • والثانى انها منونة لانها منادى منكر
فنصبت على اصلها كقوله • فيا راكبا اما عرضت فبلغن • ندامائى من نجران ان لا تلاقيا • ومعنى النداء هاهنا على المجاز كانه
قيل هذا اوانك فاحضرى • وقرأ قتادة وابى فى احد وجهيه يا حسرة بالضم جعلها مقبلا عليها وابى ايضا وابن عباس
وعلى بن الحسين يا حسرة العباد بالاضافة فيجوز ان يكون الحسرة مصدرا مضافا لفاعله اى يتحسرون على غيرهم لما
يرون من عذابهم وان يكون مضافا لمفعوله اى يتحسر عليهم غيرهم • وقرأ ابو الزناد وابن هرمز وابن جندب يا حسرة
بالهاء المبدلة من تاء التانيث وصلا كانهم اجروا الوصل مجرى الوقف وله نظاير مرت • وقال صاحب اللوامح وقفوا بالهاء
مبالغة فى التحسر لما فى الهاء من التاهه بمعنى التاوه ثم وصلوا على تلك الحال • وقرأ ابن عباس ايضا يا حسرة بفتح التاء من
غير تنوين ووجهها ان الاصل يا حسرتا فاجتزى بالفتحة عن الالف كما اجتزى بالكسرة عن الياء ومنه •
ولست براجع ما فات منى بلهف • ولا بليت ولا لو انى • اى بلهفا • بمعنى لهفى وقرى يا حسرتا بالالف كالتى فى الزمر وهى شاهدة
لقراءة ابن عباس ويكون المتحسر هو الله تعالى وذلك على سبيل المجاز دلالة على فرط هذه الحسرة والا فالله تعالى لا يوصف بذلك
قوله تعالى ما يأتيهم هذه الجملة لا محل لها لانها مفسرة لسبب الحسرة عليهم وهذا الضمير يجوز ان يكون عايدا الى قوم
حبيب اى ما يأتيهم من رسول من الرسل الثلاثة ويجوز ان يعود الى الكفار المصرين وقوله الا كانوا جملة حالية من
مفعول يأتيهم فصل الالف واللام فى العباد قيل للعهد وهم الذين اخذتهم الصيحة فيا حسرة على اولئك
وقيل للتعريف الجنسى اى جنس الكفار المكذبين • وقيل المراد بالعباد الرسل الثلاثة كان الكافرين يقولون عند
ظهور الباس يا حسرة عليهم يا ليتهم كانوا حاضرين لنؤمن بهم يا ليتهم وهم قوم • وفى التحسر وجوه الاول لا تحسر اصلا فى
الحقيقة اذ المقصود بيان ان ذلك وقت طلب الحسرة حيث تحققت الندامة عند تحقق العذاب وههنا بحث
لغوى وهو ان المفعول قد يرفض كثيرا اذا كان الغرض غير متعلق به يقال فلان يعطى ويمنع ولا يكون هناك شى معطى ولا
شخص يعطى اذ المقصود ان له المنع والاعطاء ورفض المفعول كثير وما نحن فيه رفض الفاعل وهو قليل والوجه فيه
ان ذلك المتحسر غير مقصود وانما المقصود ان الحسرة متحققة فى ذلك الوقت • الثانى ان القايل يا حسرة هو الله على الاستعارة
تعظيما للامر وتهويلا له وحينئذ يكون كالالفاظ التى وردت فى حق الله كالضحك والنسيان والسخرية والتعجب والتمنى
او يقال ليس معنى قوله يا حسرة او يا ندامة ان القايل متحسر او نادم بل المعنى انه مخبر عن وقوع الندامة ولا يحتاج
الى التجوز فى كونه تعالى قايلا يا حسرة بل يجريه على حقيقته الا فى النداء فان النداء مجاز والمراد الاخبار • الثالث ان
المتلهفين من المسلمين والملايكة لما حكى عن حبيب انه حين القتل كان يقول اللهم اهد قومى وبعدما قتلوه
وادخل الجنة قال يا ليت قومى يعلمون فيجوز ان يتحسر المسلم للكافر ويتندم عليه وقوله ما يأتيهم من رسول
الا كانوا به يستهزءون هذا سبب الندامة فصل قال الزهرى الحسرة لا تدعى ودعاؤها تنبيه للمخاطبين
وقيل العرب تقول يا حسرتا ويا عجبا على طريق المبالغة والنداء عندهم بمعنى التنبيه فكانه يقول ايها العجب

العجب هذا وقتك وايتها الحسرة هذا اوانك وحقيقة المعنى ان هذا زمان الحسرة والتعجب قوله تعالى الم يروا كم اهلكنا
لما بين حال الاولين قال للحاضرين الم يروا الباقون ما جرى على من تقدمهم قوله كم اهلكنا كم هنا خبرية فهى مفعول
باهلكنا تقديره كثيرا من القرون اهلكنا وهى معلقة ليروا ذهابا بالخبرية مذهب الاستفهامية وقيل يروا علقه وكم
استفهامية كما سيأتى بيانه • وانهم اليهم لا يرجعون فيه اوجه احدها انه بدل من كم قال ابن عطية وكم هنا خبرية
وانهم بدل منها والرؤية بصرية قال ابو حيان وهذا لا يصح لانها اذا كانت خبرية فى موضع نصب باهلكنا ولا يسوغ فيها
الا ذلك واذا كانت كذلك امتنع ان يكون انهم بدلا منها لان البدل على نية تكرار العامل ولو سلطت اهلكنا على انهم
لم يصح الا ترى انك لو قلت اهلكنا انتفاء رجوعهم او اهلكنا كونهم لا يرجعون لم يكن كلاما لكن ابن عطية توهم ان يروا
مفعوله كم فتوهم ان قوله انهم لا يرجعون بدل منه لانه يسوغ ان يتسلط عليه فيقول الم يروا انهم اليهم لا يرجعون وهذا
وامثاله دليل على ضعفه فى علم العربية • قال شهاب الدين وهذا تحامل عليه لانه القايل ان يقول كم قد
جعلها خبرية والخبرية يجوز ان تكون معمولة لما قبلها عند قوم فيقولون ملكت كم عبد فلم يلزم المقصد فيجوز ان يكون
بناء هذا التوجيه على هذه اللغة وجعل كم منصوبة بيروا وانهم بدل منها وليس هو ضعيفا فى العربية جدا • الثانى
ان انهم بدل من الجملة قبله قال الزجاج هو بدل من الجملة والمعنى الم يروا ان القرون التى اهلكناها اليهم لا يرجعون
لان عدم الرجوع والهلاك بمعنى • قال ابو حيان وليس بشى لانه ليس بدلا صناعيا وانما فسر المعنى ولم يلحظ صناعة النحو
قال شهاب الدين بل هو بدل صناعى لان الجملة فى قوة المفرد اذ هى سادة مسد مفعولى يروا فانها معلقة لها كما تقدم • الثالث
قال الزمخشرى الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن العمل فى كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها سواء كانت للاستفهام الا ان معناها
نافذ فى الجملة كما نفذ فى قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل فى لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا
على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم قال ابو حيان قوله لان
كم لا يعمل فيها ما قبلها كانت للاستفهام او للخبر ليس على اطلاقه لان العامل اذا كان حرف جر او اسما مضافا جاز ان يعمل
فيها نحو على كم جذع بيتك وابن كم وبيس صحبت وعلى كم فقير تصدقت ارجو الثواب وابن كم شهيد فى سبيل الله احسنت اليه وقوله
والخبرية فيها لغتان الفصيحة كما ذكر لا يتقدمها عامل الا ما ذكرنا من الجار واللغة الاخرى حكاها الاخفش يقولون
ملكت كم غلام اى ملكت كثيرا من الغلمان فكما يجوز ان يتقدم العامل على كثير كذلك يجوز على كم لانها بمعناها وقوله لان اصلها
الاستفهام والخبرية ليس اصلها الاستفهام بل كل واحد اصل بنفسها ولكنهما لفظان مشتركان بين الاستفهام والخبر وقوله
الا ان معناها نافذ فى الجملة يعنى معنى يروا نافذ فى الجملة لانه جعلها معلقة وشرح يروا بيعلموا وقوله كما نفذ فى قولك الم
يروا ان زيدا لمنطلق يعنى انه لو كان معمولا من حيث اللفظ لا يمنع دخول اللام وتعجب ان فان ان التى فى خبرها اللام من
الادوات المعلقة لافعال القلوب وقوله انهم اليهم الى اخر كلامه لا يصح ان يكون بدلا لا على اللفظ ولا على المعنى اما على المعنى
فانه زعم ان يروا معلقة فتكون كم استفهامية فهى معمولة لاهلكنا واهلكنا لا يتسلط على انهم اليهم لا يرجعون كما تقدم واما
على المعنى فلا يصح ايضا لانه قال تقديره اى على المعنى الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم فكونهم
غير كذا ليس كثرة الاهلاك فلا يكون بدل كل من كل وليس بعض الاهلاك فلا يكون بدل بعض من كل ولا يكون بدل اشتمال لان
بدل الاشتمال يصح ان يضاف الى ما ابدل منه وكذلك بدل بعض من كل وهذا لا يصح هنا لا تقول الم يروا انتفاء رجوع كثرة
اهلاكنا القرون من قبلهم وفى بدل الاشتمال نحو اعجبتنى الجارية ملاحتها وسرق زيد ثوبه يصح اعجبتنى ملاحة الجارية وسرق
ثوب زيد • الرابع ان يكون انهم بدلا من موضع كم اهلكنا والتقدير الم يروا انهم اليهم قاله ابو البقاء ورده ابو حيان بان
كم اهلكنا ليس بمعمول ليروا • قال شهاب الدين وقد تقدم انها معمولة لها على معنى انها معلقة لها • الخامس وهو قول الفراء
يكون يروا عاملا فى الجملتين من غير ابدال ولم يبين كيفية العمل فى الجملتين يجوز لان انهم ليس بجملة لتاويله بالمفرد الا
انه مشتمل على مسند اليه • السادس ان انهم معمول لفعل محذوف دل عليه السياق والمعنى تقديره قضينا او حكمنا انهم
اليهم لا يرجعون ويدل على صحة هذا قراءة ابن عباس والحسن انهم بكسر الهمزة على الاستيناف والاستيناف قطع لهذه الجملة
عما قبلها فهو مقول لان يكون معمولة لفعل محذوف يقتضى انقطاعها عما قبلها والضمير فى انهم عايد على معنى كم وفى اليهم عايد على
ما عاد عليه واو يروا وقيل بل الاول عايد على ما عاد عليه واو يروا والثانى عايد على المهلكين فصل المعنى الم يخبروا اهل
مكة كم اهلكنا قبلهم من القرون • والقرن اهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم فى الوجود انهم اليهم لا يرجعون اى لا يعودون
الى الدنيا افلا يعتبرون • وقيل لا يرجعون اى الباقون لا يرجعون الى المهلكين بنسب ولا ولادة اى اهلكناهم وقطعت
نسلهم ولا شك ان الاهلاك الذى يكون مع قطع النسل اتم واعم والاول اشهر نقلا والثانى اظهر عقلا قوله تعالى
وان كل لما جميع • تقدم فى هود تشديد لما وتخفيفها والكلام فى ذلك • وقال ابن الخطيب فى مناسبة وقوع لما المشددة
موضع الا ان لما كانها حرفا نفى جمعا وهما لم وما فتاكد النفى والا كانها حرفا نفى ان ولا فاستعمل احدهما مكان الاخر انتهى وهذا
يجوز ان يكون اخذه من قول الفراء فى الا الاستثنائية انها مركبة من ان ولا الا ان الفراء جعل ان المخففة من الثقيلة وجعلها

نافية وهو قول زكى زاده عليه النحويون وقال الزا ايضا ان لما هذه اصلها لمما خففت بالحذف وتقدم هذا كله موضحا وكل مبتدا
وجميع خبره ومحضرون خبر ثان لا تختلف ذلك سوا شددت لما ام خففتها لا يقال ان جميعا تاكيد لا خبر لان جميعا هنا فعيل
بمعنى مفعول اى مجموعون فكل يدل على الاحاطة والشمول وجميع يدل على الاجتماع فمعناها محمل على لفظها كما فى قوله جميع منتصر
وقدم جميع فى الموضعين لاجل الفواصل لدينا متعلق محضرون ثم من شدد فلما بمعنى الا وان نافية كما تقدم واللغة
وما كل الا جميع ومن خفف فان مخففة واللام فارقة وما مزيدة هذا قول البصريين والكوفيون يقولون ان نافية
واللام بمعنى الا كما تقدم مرارا **فصل** لما بين الاهلاك بين ان من اهلكه ليس متروكا بل بعده جمع وحساب
وحبس وعقاب ولو ان من اهلك ترك لكان الموت راحة ونعم ما قال القايل ولو انا اذا امتنا تركنا
لكان الموت راحة كل حى ولكنا اذا امتنا بعثنا ونسال بعدها عن كل شى قال الزمخشرى ان قال قايل كل وجميع بمعنى
واحد فكيف جعل جميعا خبرا لكل حيث ادخل اللام عليه اذ التقدير وان كل لجميع نقول معنى جميع مجموع ومعنى كل اى كل فرد
مجموع مع الاخر مضموم اليه ويمكن ان يقال محضرون يعنى عما ذكره وذلك لانه لو قال وان جميع لجميع محضرون لكان كلاما
صحيحا قال ابن الخطيب ولم يوجد ما ذكره من الجواب بل الصحيح ان محضرون كالصفة للجمع فكانه قال جمع جميع محضرون
كما يقول الرجل رجل عالم والنبى نبى مرسل والواو فى وان كل تعطف على الحكاية كانه يقول بينت لك ما ذكرت وابين ان كلا
لدينا محضرون **قوله** تعالى واية خبر مقدم ولهم صفتها او متعلقة باية لانها بمعنى علامة والارض مبتدا وتقدم تخفيف
الميتة وتشديدها فى اول ال عمران ومنع ابو حيان ان يكون لهم صفة لاية ولم يبين وجهه ولا وجه له واعراب ابو
البقا اية مبتدا ولهم الخبر والارض الميتة مبتدا وصفته واحييناها خبره والجملة مفسرة لاية وبهذا بدا ثم قال
وقيل فذكر الوجه الاول ولذلك حكى مكى اعنى ان يكون اية ابتداء ولهم الخبر وجوز مكى ايضا ان يكون اية مبتدا والارض
خبره وهذا ينبغى ان لا يجوز لانه لا يترك المعرفة من الابتداء بها ويبتدا بالنكرة الا فى مواضع للضرورة **قوله** تعالى
احييناها تقدم انه يجوز ان يكون خبر الارض ويجوز ايضا ان يكون حالا من الارض اذا جعلناها مبتدا واية خبر
مقدم وجوز الزمخشرى فى احييناها وفى نسلخ ان يكونا صفتين للارض والليل وان كانا معرفين بال لانه لتعريف بال
الجنسية فهما فى قوة النكرة قال كقوله ولقد امر على اللئيم يسبنى لانه لم يقصد لئيما بعينه ورده ابو حيان بان
فيه هدما للقواعد من انه لا تنعت المعرفة بنكرة قال وقد تبعه ابن مالك ثم خرج ابو حيان الجمل على الحال اى الارض
محياة والليل منسلخا منه النهار واللئيم شاتما لى قال شهاب الدين وقد اعتبر النحاة ذلك فى مواضع فاعتبروا معنى
المعرف بال الجنسية دون لفظه فوصفوه بالنكرة الصريحة نحو ما الرجل خير منك على احد الاوجه وقوله الا الذين بعد ان
الانسان وقوله او الطفل الذين لم يظهروا واهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض كل هذا ما روعى فيه المعنى دون اللفظ
وان اختلف نوع المراعاة ويجوز ان يكون احييناها استينافا بين به كونها اية **فصل** وجه التعلق بما قبله من
وجهين احدهما انه لما قال وان كل لما جميع كان ذلك اشارة الى الحشر فذكر ما يدل على امكانه قطعا لانكارهم واستبعادهم
واصرارهم وعنادهم فقال واية لهم الارض الميتة احييناها كذلك نحيى الموتى وثانيهما انه لما ذكر حال المرسلين واهلاك
المكذبين وكان شغلهم التوحيد ذكر ما يدل عليه وبدا بالارض لكونها مكانهم لا مفارقة لهم منها عند الحركة والسكون
قال قيل الارض اية مطلقا فلم خصها بهم حيث قال واية لهم **فالجواب** الاية تعدد وتسرد لمن لم يعرف الشى بابلغ
الوجوه اما من عرف الشى بطريق الرؤية لا يذكر له دليل فالنبى عليه السلام وعباد الله المخلصين عرفوا الله قبل
الارض والسما فليست الارض معرفة لهم وهذا كما قال الله تعالى سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم
وقال اولم يكف بربك انه على كل شى شهيد يعنى انت كفاك الله معرفا به عرفت كل شى فهو شهيد لك على كل شى واما هؤلا
تبين لهم الحق بالافاق والانفس وكذلك ههنا الارض اية لهم **قال قيل** الاية ان قلنا مذكورة للاستدلال على جواز احيا
الموتى فيكفى قوله احييناها ولا حاجة الى قوله واخرجنا منها حبا وغير ذلك وان قلنا انه للاستدلال على وجود الاله
ووحدانيته فلا فايدة فى قوله الارض الميتة فقوله الميتة احييناها كاف فى التوحيد فما فايدة قوله واخرجنا منها حبا **فالجواب**
هى مذكورة للاستدلال عليهما ولكن ما ذكر الله تعالى فايدة اما فايدة قوله واخرجنا منها حبا فهو بالنسبة الى بيان
احيا الموتى لانه لما احيا الارض واخرج منها حبا كان ذلك احياء تاما لان الارض المخضرة التى لا تنبت الزرع ولا تخرج
الحب دون ما تنبته فى الحياة فكانه تعالى قال الذى احيا الارض احياء كاملا منبتا للزرع يحيى الموتى احياء كاملا
بحيث يدرك الامور واما بالنسبة الى التوحيد فلان فيه تقرير النعم كانه يقول اية لهم الارض فانها مكانهم
ومهدهم الذى فيه تحريكهم واسكانهم والامر الضرورى الذى عنده وجودهم وامكانهم وسوا كانت ميتة او لم تكن فهى
مكان لهم لا بد لهم منها فهى نعمة ثم احياؤها نعمة ثانية فانها تصير احسن وانزه ثم اخراج الحب منها نعمة ثالثة
فان قوتهم يصير فى مكانهم وكان يمكن ان يجعل رزقهم فى السما او فى الهوا فلا يحصل لهم الوثوق ثم جعل الحياة منها
نعمة رابعة لان الارض تنبت الحب فى كل سنة والاشجار بحيث يوجد منها الثمار فيكون بعد الحب وجود الثمر تجرى فيها

فيها العيون ليحصل لهم الاعتماد بالحصول ولو كان ماؤها من السما لحصل ولكن لما يعلموا انها من تغرس وابن المطر **فصل** المعنى
احييناها بالمطر واخرجنا منها حبا يعنى الحنطة والشعير وما اشبههما فمنه ياكلون اى من الحب وجعلنا فيها جنات بساتين
من نخيل واعناب وفجرنا فيها اى الارض من العيون لياكلوا من ثمره الحاصل بالماء **قوله** تعالى وفجرنا العامة على التشديد
تكثيرا الا انها مخففة متعديا وقرا جناح بن حبيش بالتخفيف والمفعول محذوف على كلتى القرائتين اى ينبوعا كما فى اية سبحان **قوله**
تعالى من ثمره قيل الضمير عايد على النخيل لانه اقرب مذكور وكان من حق الضمير ان يثنى على هذا التقدير تثنية ومما الاعناب
والنخيل الا انه اكتفى بذكر احدهما وقيل يعود على جنات وعاد بلفظ المفرد ذهابا بالضمير مذهب اسم الاشارة كقول رؤبة
فيها خطوط من سواد وبلق كانه فى الجلد توليع البهق فقيل له فقال اردت كان ذاك وتلك وقيل عايد على الما المدلول
عليه بالعيون وقيل بل عاد عليه لانه مقدر اى من العيون ويجوز ان يعود على العيون ويعتذر عن افراده بما تقدم
فى عوده على جنات ويجوز ان يعود على الاعناب والنخيل معا ويعتذر عنه بما تقدم ايضا وقال الزمخشرى واصله من
ثمرنا كقوله وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريق الالتفات والمعنى لياكلوا مما خلقه الله من الثمر فعلى
هذا يكون الضمير عايدا على الله تعالى ولذلك فسر معناه بما ذكر وتقدمت القراءات فى هذه اللفظة فى سورة الانعام
قوله تعالى وما عملته ايديهم فى ما هذه اربعة اوجه احدها انها موصولة اى ومن الذى عملته ايديهم من الغرس
والمعالجة وفيه تجوز على هذا والثانى انها نافية اى لم يعملوه هم بل الفاعل له هو الله تعالى اى وجدوها معمولة ولا صنع
لهم فيها وهو قول الضحاك ومقاتل وقيل اراد العيون والانهار التى لم يعملها يد خلق نحو الدجلة والفرات والنيل ونحوها وقرا
الاخوان وابو بكر بحذف الها والباقون وما عملته باثباتها فان كانت ما موصولة فعلى قراءة الاخوين وابى بكر حذف العايد
كما حذف فى قوله اهذا الذى بعث الله رسولا بالاجماع وعلى قراءة غيرهم جى به على الاصل وان كانت نافية فعلى قراءة الاخوين
وابى بكر لا ضمير مقدر ولكن المفعول محذوف اى ما عملت ايديهم شيئا من ذلك وعلى قراءة غيرهم الضمير يعود على ثمره وهى مرسومة
بالها فى غير مصاحف الكوفة وحذفها فيما عداها فالاخوان وابو بكر وافقوا مصاحفهم والباقون غير حفص وافقوها ايضا
وحفص خالف مصحفه وهذا يدل على ان القراءة متلقاة من افواه الرجال فيكون عاصم قد اقراها بالها لحفص وبدونها
الثالث انها نكرة موصوفة والكلام فيها كالكلام فى الموصولة والرابع انها مصدرية اى ومن عمل ايديهم والمصدر واقع موقع
المفعول به فيعود المعنى الى معنى الموصولة او الموصوفة **فصل** اذا قلنا ما موصولة يحتمل ان يكون المعنى وما عملته
ايديهم بالتجارة كانه ذكر نوعى ما ياكل الانسان وهما الزراعة والتجارة او من النبات ما يوكل من غير عمل الايدى كالعنب والتمر
وغيرهما ومنه ما يعمل فيه عمل فيوكل كالاشيا التى لا توكل الا مطبوخة او كالزيتون الذى لا يوكل الا بعد اصلاح ثم لما عدد
النعم اشار الى الشكر بقوله افلا يشكرون ذكر بصيغة الاستفهام لما تقدم فى فوايد الاستفهام **قوله** تعالى سبحان الذى
خلق الازواج كلها اى الاصناف وسبحان علم دال على التسبيح تقديره سبح تسبيح الذى خلق الازواج ومعنى نزه ووجه
تعلق الاية بما قبلها هو انه تعالى لما قال افلا يشكرون وشكر الله بالعبادة وهم تركوها وعبدوا غيره واشركوا فقال سبحان
الذى خلق الازواج كلها وغيره لم يخلق شيئا او يقال لما بين انهم انكروا الايات ولم يشكروا وبين ما ينبغى ان يكون
عليه العاقل فقال سبحان الذى خلق نزه عن ان يكون له شريك او يكون عاجزا عن احيا الموتى **قوله** تعالى مما تنبت
الارض من الثمار والحبوب والمعادن ونحوها ومن انفسهم يعنى الذكور والاناث والدلايل النفسية ومما لا يعلمون يدخل
فيه ما فى اقطار السموات وتخوم الارضين **قوله** تعالى واية لهم الليل كقوله واية لهم الارض ونسلخ استعارة بديعة
شبه انكشاف ظلمة الليل بكشط الجلد عن الشاة لما استدل تعالى باحوال الارض وهو المكان الكلى استدل بالليل والنهار
وهو الزمان الكلى فان دلالة الزمان والمكان متناسبة لان المكان لا يستغنى عنه الجواهر والزمان لا يستغنى عنه
الاعراض لان كل عرض فهو فى زمان **قال قيل** اذا كان المراد منه الاستدلال بالزمان فلم خص الليل **فالجواب**
انه لما استدل بالمكان المظلم وهو الارض استدل بالزمان المظلم وهو الليل ووجه اخر هو ان الليل فيه سكون الناس
وهدو الاصوات وفيه النوم وهو الموت الاصغر فيكون بعد طلوع الفجر كالنفخ فى الصور فيتحرك الناس فذكر الموت
كما قال فى الارض واية لهم الارض الميتة وذكر من الزمان اشبههما بالموت كما ذكر من المكان اشبههما بالموت **قال قيل**
الليل بنفسه اية فاى حاجة الى قوله نسلخ منه النهار **فالجواب** ان الشى يتبين بضده ومنافعه اذا محاسنه ولهذا لم
يجعل الله الليل وحده اية فى موضع من المواضع الا وذكر اية النهار معها **قوله** تعالى فاذا هم مظلمون اى داخلون فى
الظلام كقوله مصبحين واذا للمفاجاة اى ليس بعد ذلك امر ولا بد لهم من الدخول فيه **قوله** تعالى والشمس تجرى لمستقر
لها يحتمل ان يكون الواو للعطف على الليل تقديره واية لهم الليل نسلخ والشمس تجرى والقمر قدرناه فهى كلها اية وقوله
والشمس تجرى اشارة الى سبب سلخ النهار فانها تجرى لمستقر لها بامر الله فتغرب فالشمس سالخ النهار فذكر السبب ليبين صحة الدعوى
ويحتمل ان يقال بان قوله والشمس تجرى لمستقر لها اشارة الى نعمة النهار بعد الليل كانه تعالى لما قال واية لهم الليل نسلخ
منه النهار ذكر ان الشمس تجرى فتطلع عند انقضاء الليل فيعود النهار بمنافعه قال المفسرون ان الاصل هى الظلمة

والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة **قوله** تعالى لمستقر قيل في الكلام حذف مضاف تقديره
تجرى لمجرى مستقرها وعلى هذا فاللام للعلة اى لاجل جرى مستقرها والصحيح انه لا حذف وان اللام بمعنى الى ويدل
على ذلك قراءة بعضهم الى مستقر وقرا عبد الله وابن عباس وعكرمة وزين العابدين وابنه الباقر والصادق بن الباقر
لا مستقر بلا النافية للجنس وبنا مستقر على الفتح ولها الخبر وابن ابى عبلة لا مستقر بلا العاملة عمل ليس ممستقر اسمها ولها
فى محل نصب خبرها كقوله تعز فلا شى على الارض باقيا ولا وزر مما قضى الله واقيا والمراد بذلك انها لا تستقر
فصل قيل المراد بالمستقر يوم القيامة فعند ذلك
فى الدنيا بل هى دايمة الجريان وذلك اشارة الى جريها المذكور
تستقر ولا يبقى لها حركة وقيل تسير حتى تنتهى الى ابعد مغاربها فلا تجاوزه ثم ترجع وقيل الليل وقيل نهاية ارتفاعها
فى الصيف ونهاية هبوطها فى الشتاء وروى ابو ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى ذر حين غربت
الشمس تدرى اين تذهب قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستاذن فيؤذن لها
ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستاذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعى من حيث جيت فتطلع من مغربها فذلك
قوله والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس والشمس تجرى لا مستقر
لها اى لا قرار لها ولا وقوف وهى جارية ابدا **قوله** تعالى ذلك اشارة الى جرى الشمس اى ذلك الجرى تقدير الله ويحتمل
ان تكون اشارة الى المستقر اى ذلك المستقر تقدير الله والعزيز الغالب والعليم الكامل العلم اى قادر على اجرائها على
الوجه الانفع وذلك من وجوه الاول ان الشمس كل يوم تمر على مسامتة شى لم تمر فى مسامتتها عليه فى سنة اشهر
الامرة فلو قدر الله مرورها كل يوم على مسامتة واحدة لاحترقت الارض التى تسامتها المرورها عليها كل يوم وبقى الجمود
مستوليا على الاماكن الاخر فقدر الله لها بعدا تجتمع الرطوبات فى باطن الارض والاسخان فى زمن الشتاء ثم قدر
قربها بتدريج ليخرج النبات والثمار من الارض والشجر وينضج ويجف الثانى قدر لها فى كل يوم طلوعا وفى كل ليلة
غروبا لئلا تكل القوى والابصار بالسهر والتعب ولئلا تخرب العالم بترك العادة بسبب الظلمة الدايمة الثالث
جعل سيرها ابطا من سير القمر واسرع من سير زحل لانها كاملة النور فلو كانت بطيئة السير لدامت زمانا كثيرا
فى مسامتة شى واحد فتحرقه ولو كانت سريعة السير لم تحصل لها لبث بقدر ما ينضج من الثمار فى بقعة واحدة
قوله تعالى والقمر قدرناه قرا نافع وابن كثير وابو عمرو برفع القمر والباقون بنصبه فالرفع على الابتدا والنصب
باضمار فعل على الاشتغال والوجهان مستويان لتقدم جملة ذات وجهين وهى قوله والشمس تجرى فان راعيت
صدرها رفعت لتعطف جملة اسمية على مثلها وان راعيت عجزها النصب لتعطف فعلية على مثلها وبهذه الاية يبطل
قول الاخفش انه لا يجوز النصب فى الاسم الا اذا كان فى جملة الاشتغال ضمير يعود على الاسم الذى تضمنته جملة
ذات وجهين قال لان المعطوف على الخبر خبر فلا بد من ضمير يعود على المبتدا فيجوز زيد قام وعمرا اكرمته فى داره
ولو لم يقل فى داره لم يجز ووجه الرد من هذه الاية ان اربعة من السبعة نصبوا وليس فى جملة الاشتغال ضمير
يعود على الشمس وقد اجمع على النصب فى قوله تعالى والسماء رفعها بعد قوله والنجم والشجر يسجدان **قوله** تعالى منازل
فيه اوجه احدها انه مفعول ثان لان قدرنا بمعنى صيرنا الثانى انه حال ولا بد من حذف مضاف قبل منازل
تقديره ذا منازل قال الزمخشرى لا بد من تقدير لفظ يتم به معنى الكلام لان القمر لم يجعل نفسه منازل
الثالث انه ظرف اى قدرنا مسيره فى منازل ونظير نحوه اول يونس **قوله** تعالى حتى عاد كالعرجون العامة
على ضم العين والجيم وفى وزنه وجهان احدهما انه فعلول فنونه اصلية وهذا المرجح والثانى وهو قول
الزجاج ان نونه مزيدة ووزنه فعلون مشتقا من الانعراج وهو الانعطاف وقرا سليمان التيمى بكسر
العين وفتح الجيم وهما لغتان كالبزيون والبريون والعرجون عود العرق ما بين الشماريخ الى منبته من النخل
وهو تشبيه بديع شبه به القمر فى ثلاثة اشياء دقته واستقواسه واصفراره لان العرق الذى عليه الشماريخ اذا قدم وعتق
دق وتقوس واصفر والقديم ما تقادم عهده بحكم العادة ولا يشترط فى جواز اطلاق لفظ القديم عليه مدة بعينها
بل انما يعتبر العادة حتى لا يقال لمدينة بنيت من سنة او سنتين لبنائها قديم او هى مدينة قديمة ويقال لبعض
الاشيا انه قديم وان لم يكن له سنة ولهذا جاز ان يقال بيت قديم وبنا قديم ولم يجز ان يقال فى العالم انه
قديم لان القدم فى البيت والبنا يثبت بحكم تقادم العهد ومرور السنين عليه واطلاق القدم على العالم بتمادى
الازمنة عند من لا يعتقد انه لا اول له ولا سابق عليه **قوله** تعالى لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر اى لا يدخل
النهار على الليل قبل انقضايه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضايه وهو معنى قوله ولا الليل سابق النهار اى يتعاقبان
بحساب معلوم لا يجى احدهما قبل وقته وقيل لا يدخل احدهما فى سلطان الاخر لا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر
بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا وادرك كل واحد منهما صاحبه قامت القيامة وقيل لا الشمس ينبغى لها ان تدرك
القمر لا تجتمع معه فى ذلك واحد ولا الليل سابق النهار اى لا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل **فان قيل**

قيل ما الفايدة فى قوله تعالى لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر بصيغة الفعل ولا الليل سابق بصيغة اسم الفاعل ولم يقل ولا
الليل يسبق ولا قال لا الشمس مدركة للقمر **فالجواب** ان حركة الشمس التى لا تدرك بها القمر مختصة بالشمس فجعلها كالصادر
منها فذكر بصيغة الفعل لا يطلق على من لا يصدر منه الفعل فلا يقال يخيط ولا تكون تصدر منه الخياطة واما حركة القمر
فليست مختصة بكوكب من الكواكب بل الكل فيها مشترك لسبب حركة فلك لا تختص بكوكب فالحركة ليست كالصادر
منه فاطلق عليه اسم الفاعل لانه لا يستلزم صدور الفعل يقال فلان خياط وان لم يكن يخيط **فان قيل** قوله يغشى الليل
النهار يطلبه حثيثا يدل على ان الليل سابق **فالجواب** ان المراد من الليل ههنا سلطان الليل وهو القمر ولا يسبق الشمس
بالحركة اليومية السريعة والمراد من الليل هناك نفس الليل وكل واحد لما كان فى عقب الاخر فكانه طالبه **فان قيل**
قد ذكره ههنا سابق وقال هناك يطلبه ولم يقل طالبه **فالجواب** لما بينا من ان المراد فى هذه السورة من الليل كواكب
الليل وحركاتها حركة الفلك فكانها لا حركة لها فلا يسبق ولا من شانها انها سابقة والمراد هناك نفس الليل والنهار وهما
زمانان والزمان لا قرار له فهو يطلب حثيثا الصدور التقضى منه **فان قيل** ما الحكمة فى اطلاق الليل وارادة سلطانه وهو
القمر وماذا يكون لو قال ولا القمر سابق الشمس **فالجواب** لو قال ولا القمر سابق الشمس ما كان يفهم ان الاشارة الى الحركة اليومية
فكان يتوهم المناقض بان الشمس اذا كانت لا تدرك القمر فالقمر اسرع ظاهرا واذا قال ولا القمر سابق يظن ان القمر لا يسبق فليس باسرع
فقال الليل والنهار ليعلم ان الاشارة الى الحركة التى بها تتم الدورة فى يوم وليلة مرة وان جميع الكواكب لها طلوع وغروب
فى الليل والنهار **قوله** تعالى ولا الليل سابق النهار قرا عمارة بنصب النهار وحذف التنوين لالتقاء الساكنين قال المبرد
سمعته يقرؤها فقلت ما هذا فقال اردت سابق يعنى بالتنوين فخففت **قوله** تعالى وكل فى فلك يسبحون اى يجرون
وهذا يحقق ان لكل طلوع فى يوم وليلة لا يسبق بعضها بعضا بالنسبة الى هذه الحركة والتنوين فى قوله كل عوض عن الاضافة
والمعنى كل واحد واسقاط التنوين للاضافة حتى لا يجتمع التعريف والتنكير فى شى واحد فلما سقط المضاف اليه لفظا
رد التنوين عليه لفظا وفى المعنى تعرف بالاضافة **فان قيل** فهل يختلف الامر عند الاضافة لفظا وتركها **فالجواب**
نعم لان قول القايل كل واحد من الناس كذا لا يذهب الفهم الى غيرهم فيفيد اقتصار الفهم عليه فاذا قال كل كذا يدخل فى الفهم
عموم اكثر من العموم عند الاضافة وهذا كما قيل وبعد اذا قلت افعل قبل كذا فاذا حذفت المضاف فقلت افعل قبل افاد فتم الفعل قبل
كل شى **فان قيل** فهل بين قولنا كل منهم وبين كلهم وبين كل فرق **فالجواب** نعم فقولك كلهم يثبت الامر للاقتصار عليهم وقولك كل
منهم يثبت الامر ولا للعموم ثم استدركت بالتخصيص فقلت منهم وقولك كل يثبت الامر على العموم وتركت عليه **فان قيل** اذا
كان كل معناه كل واحد منهم والمذكور الشمس والقمر فكيف قال يسبحون **فالجواب** ان قوله كل للعموم فكانه اخبر عن كل كوكب
فى السماء سيار وايضا فلفظ كل يجوز ان يوحد نظرا الى كون لفظه موحدا غير مثنى ولا مجموع ويجوز ان يجمع لكون معناه جمعا
واما التثنية فلا يدل عليه اللفظ ولا المعنى وعلى هذا يحسن ان يقال زيد وعمرو كل جاء ولا يقال كل جاءا بالتثنية وجواب اخر ان
قوله ولا الليل سابق فالمراد من الليل الكواكب فقال يسبحون **فصل** الفلك هو الجسم المستدير او السطح المستدير
او الدائر لان اهل اللغة اتفقوا على ان فلكة المغزل سميت فلكة لاستدارتها وفلكة الخيمة هى الخشبة المسطحة المستديرة
التى توضع على راس العمود لئلا يمزق العمود الخيمة وهى صفحة مستديرة **فان قيل** فعلى هذا تكون السماء مستديرة وقد اتفق
اكثر المفسرين على ان السماء مبسوطة لها اطراف على جبال وهى كالسقف المستوى ويدل عليه قوله تعالى والسقف المرفوع
قال ابن الخطيب ليس فى النصوص ما يدل دلالة قاطعة على كون السماء مبسوطة غير مستديرة بل دل الدليل الحسى على كونها
مستديرة فوجب المصير اليه والسقف المقبب لا يخرج عن كونه سقفا ولذلك كونه على جبال واما الدليل الحسى فوجوه
الاول ان من امعن فى النظر فى جانب الجنوب يظهر له كواكب مثل سهيل وغيره ظهورا ابدا ولو كان السماء مسطحا مستويا لبان
الكل للكل بخلاف ما اذا كان مستديرا فان بعضه حينئذ يستتر باطراف الارض فلا يرى الثانى ان الشمس اذا كانت مقارنة
للحمل مثلا فاذا غربت ظهر لك كواكب فى منطقة البروج من الحمل الى الميزان ثم فى كل قليل تستتر الكواكب الذى يكون طلوعه بعد
طلوع الشمس وبالعكس وهذا دليل ظاهر وان بحث فيه بصير قطعيا الثالث ان الشمس قبل طلوعها وبعد غروبها يظهر ضوءها
ويستنير الجو بعض الاستنارة ثم تطلع ولولا ان بعض السماء مستتر بالارض وهو محل الشمس ولا يرى جرمها ويستنير نورها
والا لما كان كذا بل كان اعادتها الى السماء يظهر لكل احد جرمها ونورها معا لكون السماء مستوية جميعه مكشوفة كلها للكل
احد الرابع لو كانت السماء مستوية لكان القمر عند ما يكون فوق رؤوسنا على المسامتة اقرب ما يكون الينا وعند ما يكون
على الافق ابعد منا لان العمود اصغر من القطر والوتر وكذلك فى الشمس والكواكب وكان يجب ان يرى اكبر لان القريب
يرى اكبر وليس كذلك الخامس لو كانت السماء مستوية لكان ارتفاعها اول النهار ووسطه واخره مستويا وليس كذلك
والوجوه كثيرة وفى هذا كفاية **فصل** قال المنجمون قوله تعالى يسبحون يدل على انها احياء لان ذلك لا يطلق
الا على العاقل قال ابن الخطيب ان ارادوا القدر الذى يكون منها التسبيح فنقول به لان كل شى يسبح بحمده وان
ارادوا اشيا اخر فلم يثبت ذلك والاستعمال لا يدل كما فى قوله تعالى فى حق الاصنام ما لكم لا تنطقون وقوله الا تاكلون

قوله تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم، لما بين احيا الارض وهي مكان الحيوانات بين انه لم يقتصر عليه بل بين للانسان طريقا يتخذه من البحر ويسير فيها كما يسير في البر وهو كقوله تعالى وحملناكم في البر والبحر ويؤيد هذا قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون اذ اضمر بان المراد منه الابل فانها سفن البر، ووجه اخر وهو ان الله تعالى لما بين سباحة الكواكب في الافلاك ذكر ما هو مثله وهو سباحة الفلك في البحار، ووجه اخر وهو ان الامور التي انعم الله تعالى بها على عباده منها ضرورية ومنها نافعة، فالاول للحاجة والثاني للزينة فخلق الله الارض واحياها وهما من القبيل الاول فانها المكان الذي لولاه لما وجد الانسان ولولا احياؤها لما عاش الانسان والليل والنهار في قوله وآية لهم الليل ايضا من القبيل الاول لانه الزمان الذي لولاه لما حدثت الاشياء والشمس والقمر وحركتهما لو لم يكن لما عاش الانسان ثم انه تعالى لما ذكر من القبيل الاول ابتنى ذكر من القبيل الثاني وهو الزينة آيتين احديهما الفلك التي تجري في البحر فيستخرج من البحر ما يتزين به كما قال تعالى ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر وما بينهما الدواب التي هي في البر كالفلك في البحر في قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فان الدواب زينة كما قال تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة **قوله** تعالى انا حملنا مبتدا وآية خبر مقدم، وجوز ابو البقا ان يكون انا حملنا خبر مبتدا محذوف بناء منه على ان آية لهم مبتدا وخبر كلام مستقل بنفسه كما تقدم في نظيره والظاهر ان الضمير في لهم وذريتهم لشي واحد ويراد بالذرية الاولاد ثم المحمولين في سفينة نوح عليه السلام او يكون الضميران مختلفين اي ذرية القرون الماضية، ووجه الامتنان عليهم انهم في ذلك مثل الذرية من حيث انهم ينتفعون بها كالانتفاع اوليك وقوله ما يركبون هذا يحتمل ان يكون من جنس الفلك ان اريد بالفلك سفينة نوح عليه السلام خاصة وان يكون من جنس اخر كالابل ونحوها وهذا اسمتها العرب سفن البر فقوله من مثله اي من مثل الفلك او من مثل ما ذكر من خلق الازواج في والضمير في لهم يحتمل ان يكون عايدا الى الذرية اي حملنا ذريتهم وخلقنا للمحمولين ما يركبون، ويحتمل ان يعود الى العباد الذين عاد اليهم قوله وآية لهم وهو الظاهر لعود الضماير الى شي واحد، ومن يحتمل ان تكون صلة اي خلقنا لهم مثله وان يكون للبيان لان المخلوق كان اشيا فقال من مثل الفلك للبيان وتقدم اشتقاق الذرية في البقرة واختلاف القراء فيها في الاعراف **فصل**

قال المفسرون المراد بالذرية الابا والاجداد واسم الذرية يقع على الاولاد اي حملنا اباكم في الفلك والالف واللام للتعريف اي فلك نوح وهو مذكور في قوله واصنع الفلك وهو معلوم عند العرب، وقال الاكثرون الذرية لا يطلق الا على الولد وعلى هذا فالمراد اما ان يكون الفلك المعين الذي كان لنوح واما ان يكون المراد الجنس كقوله تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون وقوله وترى الفلك فيه مواخر وقوله فاذا ركبوا في الفلك الى غير ذلك من استعمال لام التعريف في الفلك لبيان الجنس فان كان المراد سفينة نوح ففيه وجوه، الاول ان المراد حملنا اولادهم الى يوم القيامة في ذلك الفلك ولولا ذلك لما بقي للاب نسل ولا عقب وعلى هذا فقوله حملنا ذريتهم اشارة الى كمال النعمة مقتصرة عليكم بل متعدية الى اعقابكم الى يوم القيامة وهذا قول الزمخشري، ويحتمل ان يقال انه تعالى انما خص الذريات بالذكر لان الموجودين كانوا كفارا لا فايدة في وجودهم فقال حملنا ذريتهم اي لم يكن الحمل حملا لهم وانما كان حملا لما في اصلابهم من المؤمنين كمن حمل صندوقا لا قيمة له وفيه جواهر قيل انه لم يحمل الصندوق انما حمل ما فيه، الثاني ان المراد بالذرية الجنس اي حملنا اجناسهم لان ذلك الحيوان من جنسه ونوعه والذرية يطلق على الجنس وكذلك يطلق على النسا كنهي النبي عليه السلام عن قتل الذراري اي النسا لان المراة وان كانت صنفا غير صنف الرجل لكنها من جنسه ونوعه فقال ذرارينا اي امثالنا، الثالث ان الضمير في قوله وآية لهم عايد على العباد حيث قال يا حسرة على العباد وقال بعد ذلك وآية لهم الارض وقال وآية لهم الليل وقال وآية لهم انا حملنا ذريتهم والله اعلم هذا كانه تعالى قال وآية للعباد انا حملنا ذريات العباد ولا يلزم ان يكون المراد بالضمير في الموضعين اشخاصا معينين كقوله ولا تقتلوا انفسكم ويذيق بعضكم باس بعض وكذلك اذا تقاتل قوم وماتت الكل في القتال فقال هؤلا القوم هم قتلوا انفسهم في الموضعين يكون عايدا الى القوم ولا يكون المراد اشخاصا معينين بل المراد ان بعضهم قتل بعضهم فكذلك قوله تعالى آية لهم اي آية لكل بعض منهم انا حملنا ذرية كل بعض منهم او ذرية بعض منهم وان قلنا المراد جنس الفلك وهو الاظهر لان سفينة نوح لم تكن بحضرتهم ولم يعلموا من حمل فيها فاما جنس الفلك فآية ظاهرة لكل احد وقوله تعالى في سفينة نوح وجعلناها آية للعالمين اي بوجود جنسها ومثلها ويؤيده قوله تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور، وان قيل المراد سفينة نوح فوجه المناسبة انه ذكرهم بحال نوح وان المكذبين هلكوا والمؤمنين فازوا فكذلك هم ان آمنوا يفوزوا وان كذبوا يهلكوا والاول اظهر وهو ان المراد بالفلك الموجود في زمانهم ويؤيده قوله تعالى وان نشا نغرقهم **فان قيل** لم قال حملنا ذريتهم ولم يقل حملناهم ليكون اعم كما قال وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون ولم يقل ياكل ذريتهم **فالجواب** قوله تعالى حملنا ذريتهم اي ذريات العباد ولم يقل

ولم يقل حملناهم لان سكنى الارض عام كل احد يسكنها فقال وآية لهم الارض الميتة الى ان قال فمنه ياكلون لان الاكل عام واما الحمل في السفينة فمن الناس من لا يركبها في عمره ولا يحمل فيها ولكن ذرية العباد لا بد لهم من ذلك فان فيهم من يحتاج اليها فيحمل فيها **فان قيل** ما الحكمة في كونه جمع الفلك في قوله وترى الفلك فيه مواخر وافرده في قوله في الفلك المشحون **فالجواب** ان فيه تدقيقا بليغا من علم اللغة وهو ان الفلك قد يكون حركتها مثل حركة تلك الكلمة في الصورة والحركتان تختلفان في المعنى مثاله قولك سجد يسجد سجودا للمصدر وهم قوم سجود في جمع ساجد يظن انها كلمة واحدة لمعنيين وليس كذلك بل السجود عند كونه مصدرا حركته اصلية اذا قلنا ان الفعل مشتق من المصدر وحركة السجود عند كونه للجمع حركة متغيرة من حيث ان الجمع يشتق من الواحد وينبغي ان يلحق المشتق تغيير في حرف او حركة او في مجموعهما فساجد لما اردنا ان نشتق منه لفظ جمع غيرناه وجينا بلفظ السجود فاذن السجود للمصدر والجمع ليس من قبيل الالفاظ المشتركة التي وضعت بحركة واحدة لمعنيين واذا عرفت هذا فنقول الفلك عند كونه واحدا مثل قفل وبرد وعند كونها جمعا مثل خشب او برد وغيرهما **فان قيل** فاذا جعلته جمعا فاذن ما يكون واحدها **فالجواب** نقول جاز ان يكون واحدها فلكة او غيرها مما لم يستعمل كواحد النساجيت لم يستعمل وكذا القول في امام مبين امام كرماء وكتاب عند قوله تعالى كل اناس بامامهم اي بائمتهم **فان قيل** امام كرام وجفان وهذا من دقيق التصريف واما من جهة المعنى ففيه سؤالات، السؤال الاول قال هاهنا حملنا ذريتهم من عليهم بحمل ذرياتهم وقال تعالى انا لما طغى الما حملناكم في الجارية من عليهم هناك بحمل انفسهم **فالجواب** ان من ينفع المتعلق بالغير يكون قد نفع ذلك الغير ومن يدفع الضرر عن المتعلق بالغير لا يكون قد دفع الضرر عن ذلك الغير بل يكون قد نفعه كمن احسن الى ولد انسان وفرحه فرح بفرحه ابوه واذا دفع الالم عن ولد انسان يكون قد فرح اباه ولا يكون في الحقيقة ازال الالم عن ابيه فعند طغيان الما كان الضرر يلحقهم فقال دفعت عنكم الضرر ولو قال دفعت عن اولادكم الضرر لما حصل بيان دفع الضرر عنهم وهاهنا اراد بيان المنافع فقال حملنا ذرياتهم لان النفع حاصل بنفع الذرية ويدل على هذا ان قوله في الفلك المشحون فان امتلا الفلك من الاموال يحصل به كره بيان المنفعة فان دفع المضرة فلان الفلك كلما كان اثقل كان الخلاص به ابطا وهنالك السلامة فاختار هناك ما يدل على الخلاص من الضرر وهو الجري وهاهنا ما يدل على كمال المنفعة وهو الشحن **فان قيل** قال تعالى وحملناكم في البر والبحر ولم يقل وحملنا ذريتكم مع ان المقصود في الموضعين بيان النعمة لا دفع النقمة نقول لما قال في البر والبحر عم الخلق لان ما من احد الا وحمل في البر او البحر، واما الحمل في البحر فلم يعم فقال ان كنا ما حملناكم بانفسكم فقد حملنا من يهمكم امره من الاولاد والاقارب والاخوان والاصدقا **فصل** وفي قوله المشحون فايدة اخرى وهي ان الادمي يرسب ومع هذا حمل الله الانسان فيه مع ثقله **فان قيل** ما الحكمة في قوله وآية لهم الارض وآية لهم الليل ولم يقل وآية لهم الفلك جعلناها بحيث تحملهم **فالجواب** ان حملهم في الفلك هو العجب اما نفس الفلك فانه ليس بعجيب لانه كبيت مبني من خشب، واما نفس الارض فعجب ونفس الليل عجيب لا قدرة لاحد عليهما الا الله **قوله** تعالى وان نشا نغرقهم، قرا الحسن بتشديد الرا وهذه الآية تدل على ان المراد الابل لانها سفن البر لان ذلك يؤدي الى ان يكون قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فاصلا بين متصلين ويحتمل ان يقال الضمير في مثله يعود الى معلوم غير مذكور وتقديره البغال وخلقنا لهم من مثل ما ذكر من المخلوقات كما في قوله تعالى ليأكلوا من ثمره ان الهاء عايدة الى ما ذكرنا اي من ثمر ما **فصل** في قوله وان نشا نغرقهم فايدتان، احديهما ان في حال النعمة ينبغي ان لا يؤمن عذاب الله والثانية ان ذلك جواب عن سؤال مقدر وهو ان الطبيعي يقول السفينة تحمل بمقتضى الطبيعة والمجوف لا يرسب فقال ليس كذلك بل لو شا الله اغرقهم لا غرقهم وليس ذلك بمقتضى الطبيعة ولو صح كلامه الفاسد لكان لقايل ان يقول الشيء توافق ان من السفن ما ينقلب وينكسر ومنها ما يثقبه ثاقب فيرسب وكل ذلك بمشية الله فان شا الله اغرقهم اغرقهم من غير شي من هذه الاسباب كما هو مذهب اهل السنة او بشي من تلك الاسباب التي سلمها انت **قوله** تعالى فلا صريخ لهم، فعيل بمعنى فاعل اي لا مغيث لهم، وقيل فلا استغاثة وقال الزمخشري فلا اغاثة جعله مصدرا من اصرخ، قال ابو حيان ويحتاج الى نقل ان صريخا يكون مصدرا بمعنى اصراخ والعامة على فتح صريخ وحكى ابو البقا انه قرئ بالرفع والتنوين قال ووجهه على ما في قوله فلا خوف عليهم **فصل** معناه لا مغيث لهم يمنع عنهم الغرق ولا هم ينقذون اذا ادركهم الغرق لان الخلاص من العذاب اما ان يكون بدفع العذاب من اصله او برفعه بعد وقوعه فقال لا صريخ لهم يدفع ولا هم ينقذون بعد الوقوع فيه وهو كقوله تعالى لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون وفيه فايدة اخرى غير الحصر وهي انه تعالى قال لا صريخ لهم ولم يقل ولا منقذ لهم لان من لا يكون من شانه ان ينصر لا يشرع في النصرة مخافة ان يغلب ويذهب ماء وجهه وانما ينصر ويغيث من كان من شانه ان يغيث فقال لا صريخ لهم، واما من لا يكون من شانه ان ينقذ اذا راى من يعز عليه في نصره يشرع في الانقاذ وان لم يثق من نفسه في الانقاذ ولا يغلب ظنه وانما يبذل المجهود فقال ولا هم ينقذون ولم يقل ولا منقذ لهم ثم استثنى فقال الا رحمة منا ومتاعا الى حين وهو يفيد امرين احدهما انقسام الانقاذ الى قسمين الرحمة والمتاع اي فمن علم انه يؤمن ينقذه الله رحمة ومن علم انه لا يؤمن فليتمتع زمانا ويزداد اثمه، وثانيهما انه بيان لكون الانقاذ غير مفيد للدوام بل

الزوال في الدنيا لا بد منه فيتعلق الله برحمته ويمتعه الى حين ثم يميته فاذن الزوال لازم لكن يتمتع قال ابن عباس المراد بالحين
انقضاء اجالهم يعني ان يرحمهم ويمتعهم الى حين اجالهم **قوله** تعالى الا رحمة منصوب على المفعول له وهو استثناء مفرغ
وقيل استثناء منقطع وقيل على المصدر بفعل مقدر وعلى اسقاط الخافض اي الا برحمة والقائل قوله فلا صريخ لهم
لهذه الجملة بما قبلها فالضمير في لهم عائد على المغرقين وجوز ابن عطية هذا ووجها اخر وجعله احسن منه وهو ان
يكون استئناف اخبار عن المسافرين في البحر ناجين كانوا او مغرقين هم بهذه الحالة لا نجاة لهم الا برحمة الله
وليس قوله فلا صريخ لهم مربوطا بالمغرقين انتهى وليس جعله هذا الاحسن بالحسن لئلا يخرج الكلام عن موضوعها
والكلام عن التئامه **قوله** تعالى واذا قيل لهم اتقوا جوابها محذوف اي اعرضوا يدل عليه قوله بعد الا كانوا
عنها معرضين وعلى هذا فلفظ كانوا زائدا قال ابن عباس ما بين ايديكم يعني الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا
فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين ايديكم وقايع الله فيمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم عذاب الاخرة قاله
قتادة ومقاتل لعلكم ترحمون **قوله** تعالى وما تاتيهم من اية من ايات ربهم اي دالة على صدق محمد صلى الله عليه
وسلم الا كانوا عنها معرضين وهذا الاستثناء في كل حال كما تقدم في نظائره وهذه الاية متعلقة بقوله تعالى يا حسرة
على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤون اي اذا جاءهم الرسل كذبوا واذا اتوا بالايات اعرضوا **قوله** تعالى
واذا قيل لهم انفقوا لما عدد الايات بقوله واية لهم الارض واية لهم الليل واية لهم انا حملنا وكانت الايات تفيد اليقين
والقطع ولم تفدهم اليقين قال فلا اقل من ان تجوزوا وقوع العذاب قال من جوز وقوع العذاب يتقيه احتياطا
وان لم يقطع بصدق المخبر فقال تعالى اذا ذكر لهم الدليل القاطع لا يعترفون به واذا قيل لهم اتقوا لا يتقون فهم في غاية
الجهل ونهاية الغفلة لا مثل العلماء الذين يبنون الامر على الاحوط ويدل على ذلك قوله تعالى لعلكم ترحمون بحرف الترجي
اي ان من يخفى عليه البرهان لا يترك الاحتراز والاحتياط **قوله** تعالى واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اي اعطاكم الله وهذا
اشارة الى انهم خلوا بجميع التكاليف لان المكلف يجب عليه التعظيم لجانب الله والشفقة على خلق الله وهم تركوا التعظيم
حيث قيل لهم اتقوا فلم يتقوا وتركوا الشفقة على خلق الله حيث قيل لهم انفقوا ولم ينفقوا **قال قيل** ما الحكمة في حذفه
الجواب في قوله واذا قيل لهم اتقوا وههنا اجاب واتى باكثر من الجواب ولو قال واذا قيل لهم انفقوا قالوا انطعم
من لو يشاء الله اطعمه لكان كافيا فما الفائدة في قوله تعالى قال الذين كفروا للذين امنوا **فالجواب** ان الكفار كانوا
يقولون بان الاطعام من الصفات الحميدة وكانوا يفتخرون بطعمة الاضياف فاوردوا ذلك على المؤمنين معتقدين بان
افعالنا منا ولولا اطعامنا لما اندفعت حاجة الضيف وانتم تقولون ان الله يرزق من يشاء فلم تقولون لنا انفقوا
فلما كان غرضهم الرد على المؤمنين لا الامتناع من الاطعام قال تعالى عنهم قال الذين كفروا للذين امنوا اشارة
الى الرد واما قوله اتقوا ما بين ايديكم فلم يكن لهم رد على المؤمنين فاعرضوا فاعرض عن ذكر اعراضهم لحصول العلم به
فصل قال المفسرون ان المؤمنين قالوا لكفار مكة انفقوا على المساكين مما زعمتم انه لله من اموالكم وهو
ما جعلوا لله من حروثهم وانعامهم قالوا انطعم ارزق من لو يشاء الله رزقه ثم لم يرزقه مع قدرته عليه
فنحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون لا نعطي من حرمه الله وهذا
الذي يزعمون باطل لان الله تعالى اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا وامر الغني
بالانفاق لا حاجة الى ماله ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما فرض له في مال الغني ولا اعتراض لاحد على مشيئة الله وحكمه
في خلقه **قال قيل** ما الفائدة في تغيير اللفظ في جوابهم حيث لم يقولوا انفق من لو يشاء الله رزقه وذلك
انهم امروا بالانفاق في قوله واذا قيل لهم انفقوا فكان الجواب بهم ان يقولوا انفق فلم قالوا انطعم **فالجواب**
ان في هذا بيان غاية مخالفتهم لانهم اذا امروا بالانفاق والانفاق يدخل فيه الاطعام وغيره فلم ياتوا بالانفاق ولا باقل منه
وهو الاطعام وهذا كقول القائل لغيره اعط زيدا دينارا فيقول لا اعطيه درهما مع ان المطابق هو ان يقول لا اعطيه دينارا
ولكن المبالغة في هذا الوجه اتم فكذلك ههنا **قال قيل** قولهم من لو يشاء الله اطعمه كلام حق فلماذا ذكر في معرض
الذم **فالجواب** لان مرادهم كان الانكار لقدرة الله او لعدم جواز الامر بالانفاق مع قدرة الله وكلاهما
فاسد فبين الله ذلك بقوله مما رزقكم الله فانه يدل على قدرته ويصحح امره بالاعطاء لان من كان له في يد
الغير مال وله في خزانته مال فهو مخير ان اراد اعطى مما في خزانته وان اراد امر من عنده المال بالاعطاء ولا يجوز
ان يقول من في يده ماله في خزانتك اكثر مما في يدي اعطه منه **قوله** تعالى من لو يشاء الله اطعمه مفعول
انطعم واطعمه جواب لو وجاء على احد الجائزين وهو تجرده من اللام والافصح ان يكون باللام نحو لو نشاء لجعلناه
حطاما **قوله** تعالى ان انتم الا في ضلال مبين يقول الكفار للمؤمنين ما انتم الا في خطاء بين في اتباعكم
محمدا وترك ما نحن عليه وهذا اشارة الى انهم قطعوا المؤمنين بهذا الكلام وان امرهم بالانفاق مع قولهم
بقدرة الله ظاهر الفساد واعتقادهم هو الفاسد **فصل** اعلم ان ان وردت للنفي بمعنى ما وكان الاصل

الامر في ان تكون للشرط والاصل في ما ان تكون للنفي لكنهما اشتركا من بعض الوجوه فتعارضا واستعمل ما في الشرط واستعمل
ان في النفي اما وجه اشتراكهما فهو ان كل واحد منهما حرف مركب من حرفين متقاربين فان الهمزة تقرب من الالف والميم
من النون ولا بد من ان يكون المعنى الذي يدخل عليه ما ان لا يكون ثابتا اما في ما فظاهر واما في ان فلانك اذا قلت
ان جاء زيد اكرمه ينبغي ان لا يكون له في الحال مجيء فاستعمل ان مكان ما وقيل ان زيد قائم اي ما زيد بقائم واستعمل
ما في الشرط تقول ما تصنع اصنع والذي يدل على ما ذكرنا ان ما النافية تستعمل حيث لا يستعمل ان لانك تقول ما ان
جلس زيد فتجعل ان صلة وما اصلة فدلنا هذا على ان ان في الشرط اصل وما دخيل فيه وما في النفي بالعكس
قوله ان انتم الا يفيد ما لا يفيد قوله ان انتم في ضلال لان الاول يفيد الحصر وانهم ليسوا في غير الضلال ووصف
الضلال بالمبين اي انه لظهوره مبين نفسه انه ضلال اي في ضلال لا يخفى على احد انه ضلال وقوله في ضلال يفيد
كونهم مغمورين فيه غائصين فاما قوله في موضع اخر على بينة وعلى هدى فهو اشارة الى كونهم راكبين متن الطريق المستقيم
قادرين عليه **فصل** انما وصفوا المؤمنين بانهم في ضلال مبين لظنهم ان كلام المؤمنين متناقض ومن يناقض
كلامه يكون في غاية الضلال قال ابن الخطيب ووجه ذلك انهم قالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه وهذا اشارة الى ان الله
ان شاء ان يطعمهم فهو يطعمهم فكان الامر باطعامهم امرا بتحصيل الحاصل وان لم يشا اطعامهم لا يقدر احد على اطعامهم لامتناع
وقوع ما لم يشا الله فلا قدرة لنا على الاطعام فكيف تامروننا بالاطعام ووجه اخر وهو انهم قالوا ان اراد الله تجويعهم فلو
اطعمناهم يكون ذلك سعيا في ابطال فعل الله وانه لا يجوز وانتم تقولون اطعموهم فهو ضلال واعلم انه لم يكن في الضلال
الا انهم حيث نظروا الى المراد ولم ينظروا الى الطلب والامر وذلك لان العبد اذا امره السيد بامر لا ينبغي الاطلاع على المقصود
الذي لاجله امره به مثاله اذا اراد الملك الركوب للهجوم على عدوه بحيث لا يطلع عليه احد وقال للعبد احضر المركوب
فلو تطلع واستكشف المقصود الذي لاجله الركوب لنسب الى انه يريد ان يطلع عدوه على الحذر منه ويكشف سره فالادب
في الطاعة هو امتثال الامر لا تتبع المراد فالله تعالى اذا قال انفقوا مما رزقكم الله لا يجوز ان يقال لم لم يطعمهم الله مما
في خزائنه **قوله** تعالى ويقولون متى هذا الوعد اي القيامة والبعث ان كنتم صادقين وهذا اشارة الى ما اعتقدوا
ان التقوى المامور بها في قوله واذا قيل لهم اتقوا والانفاق المذكور في قوله واذا قيل لهم انفقوا لا فائدة فيه لان الوعد
لا حقيقة له وقولهم متى هذا الوعد اي متى يقع الموعود به **فصل** ان للشرط ومتى تستدعي جزاء ومتى للاستفهام
لا تقتضي جوابا فيه فما الجواب قيل هو في صورة الاستفهام وهو في المعنى انكار كانهم قالوا ان كنتم صادقين في وقوع الحشر
فقولوا متى يكون **فصل** الظاهر ان هذا الخطاب مع الانبياء لانهم لما انكروا الرسالة قالوا ان كنتم ايها المدعون
للرسالة صادقين فاخبرونا متى يكون ما تعدوننا به **قال قيل** ليس في هذا الموضع وعد فالاشارة بقوله هذا الوعد
الى اي وعد **فالجواب** هو ما في قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم من قيام الساعة او يقول
هو معلوم وان لم يكن مذكورا لكون الانبياء مقيمين على تذكيرهم بالساعة والحساب والثواب والعقاب **قوله** تعالى
ما ينظرون الا صيحة واحدة قال ابن عباس ما ينتظرون الا الصيحة المعلومة يريد النفخة الاولى والتنكير للتكثير **قال**
قيل هم ما كانوا ينتظرون بل كانوا يجزمون بعدمها **فالجواب** المراد بالانتظار فعلهم لانهم كانوا يفعلون ما يستحق
به فاعله البوار وتعجيل العذاب وتقريب الساعة لولا حكم الله وعلمه بانهم لا يعقوبته او يقال لما لم يكن قولهم متى استفهاما
حقيقيا قال ينظرون انتظارا غير حقيقي لان القائل متى يفهم منه الانتظار نظرا الى قوله **فصل** ذكر في الصيحة
امورا تدل على عظمها احدها التنكير وثانيها قوله واحدة اي لا يحتاج معها الى ثانية وثالثها تاخذهم اي تعمهم
بالاخذ وتصل الى من في الارض مشارقها ومغاربها **قوله** تعالى وهم يخصمون قرا حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من
خصم يخصم والمعنى يخصم بعضهم بعضا فالمفعول محذوف وابو عمرو وقالون باخفاء فتحة الخاء وتشديد الصاد ونافع
وابن كثير وهشام كذلك الا انهم باخلاص فتحة الخاء والباقون بكسر الخاء وتشديد الصاد والاصل في القراءات الثلاث
يختصمون فادغمت التاء في الصاد فنافع وابن كثير وهشام نقلوا فتحتها الى الساكن قبلها نقلا كاملا وابو عمرو وقالون
اختلسا حركتها تنبيها على ان الخاء اصلها السكون والباقون حذفوا حركتها فالتقى ساكنان كذلك فكسروا اولهما فهذه اربع
قراءات قرئ بها في المشهور وروي عن ابي عمرو وقالون سكون الخاء وتشديد الصاد والنحاة يستشكلونها للجمع
ساكنين على غير حدهما وقرا جماعة يخصمون بكسر الياء والخاء وتشديد الصاد وكسروا الياء اتباعا وقرا ابي
يختصمون على الاصل وقال ابو حيان وروي عنهما اي عن ابي عمرو وقالون سكون الخاء وتخفيف الصاد من خصم
قال شهاب الدين هذه هي قراءة حمزة ولم يحكها عنه وهذا يشبه قوله يخطف ابصارهم في البقرة ولا يهدي
في يونس وقرا ابن محيصن يرجعون مبنيا للمفعول **فصل** قال عليه السلام لتقومن الساعة وقد نشر
الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد رفع الرجل اكلته الى فيه فلا يطعمها
قوله تعالى فلا يستطيعون توصية اي لا يقدرون على الايصاء قال مقاتل اي عجلوا عن الوصية فماتوا

ولا الى اهلهم يرجعون يتقلبون اى ان الساعة لا تمهلهم لشئ واعلم ان قول القايل فلان فى هذه الحالة لا يوصى دون قوله
لا يستطيع التوصية لان من لا يوصى قد يستطيعها والتوصية بالقول والقول يوجد اسرع مما يوجد الفعل فقال
لا يستطيعون كلمة فكيف الذى يحتاج الى زمن طويل من اداء الواجبات ورد المظالم واعتبار الوصية من بين ساير الكلمات
يدل على انه لا قدرة له على اتم الكلمات فان وقت الموت الحاجة الى التوصية اشد والتنكير فى التوصية للتعميم اى لا يقدرون
على توصية ما ولو كانت بكلمة يسيرة ولان الوصية قد تحصل بالاشارة فالعاجز عنها عاجز عن غيرها وقوله ولا الى اهلهم
يرجعون بيان لشدة الحاجة الى التوصية ثم بين ما بعد الصيحة الاولى فقال ونفخ فى الصور اى نفخ فيه اخرى كقوله
تعالى ونفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقرا الاعرج ونفخ فى الصور بفتح الواو وهذه هى نفخة البعث وبين
النفختين اربعون سنة قوله تعالى فاذا هم من الاجداث وهى القبور واحدها جدث وقرى من الاجداف بالفا
وهى لغة فى الاجداث يقال جدث وجدف كثم وفم وثوم وفوم قال قيل اين يكون ذلك الوقت اجداث وقد
زلزلت الصيحة الجبال فالجواب ان الله يجمع اجزا كل ميت فى الموضع الذى قبر فيه فيخرج من ذلك الموضع وهو
جدثه قوله تعالى الى ربهم ينسلون اى يخرجون من القبور احيا وقرا ابن ابى اسحق وابو عمرو فى رواية
ينسلون بضم السين يقال نسل الثعلب ينسل وينسل اى اسرع فى عدوه ومنه قيل للولد نسل لخروجه من ظهر
ابيه وبطن امه قال قيل المشى اذا توجه الى من احسن اليه يقدم رجلا ويوخر اخرى والنسلان سرعة المشى فكيف
يوجد منهم ذلك فالجواب ينسلون من غير اختيارهم والمعنى انه اراد ان يبين كمال قدرته ونفوذ ارادته حيث
ينفخ فى الصور فيكون فى وقته جمع واحيا وقيام وعدو فى زمان واحد فقوله اذا هم ينسلون اى فى زمان واحد
ينتهون الى هذه الدرجة وهى النسلان الذى لا يكون الا بعد مراتب قال قيل قال فى اية فاذا هم قيام ينظرون
وقال ههنا فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون والقيام غير النسلان وقوله فى الموضعين اذا هم يقتضى
ان يكونا معا فالجواب من وجهين الاول ان القيام لا ينافى المشى السريع لان الماشى قايم ولا ينافى النظر الثانى
ان سرعة الامور كان الكل فى زمان واحد كقول القايل مكر مفر مقبل مدبر معا واعلم ان النفختين يورثان
تزلزلا وانتقالا للاجرام فعند اجتماع الاجرام تفرقها وهو المراد بالنفخة الاولى وعند تفرق الاجرام يجمعها
وهو النفخة الثانية قوله تعالى يا ويلنا العامة على الاضافة الى ضمير المتكلمين دون تانيث وهو ويل مضاف
لما بعده ونقل ابو البقا عن الكوفيين ان وى كلمة براسها ولنا جار ومجرور انتهى قال شهاب الدين لا معنى لهذا
الا تاويل بعيد وهو ان يكون يا عجب لنا لان وى تفسر بمعنى اعجب مسارعا وابن ابى ليلى يا ويلتنا بتا التانيث
وعنه ايضا يا ويلتى بابدال النا الفا وتاويل هذه ان كل واحد منهم يقول يا ويلتى قوله تعالى من بعثنا العامة
على فتح ميم من وبعثنا فعلا ماضيا خبرا لمن الاستفهامية قبله وابن عباس والضحاك وابو نهيك بكسر الميم على انها
حرف جر وبعثنا مصدر مجرور بمن فمن الاولى تتعلق بالويل والثانية تتعلق بالبعث والمرقد يجوز ان يكون مصدرا
اى من رقادنا وان يكون مكانا وهو مفرد اقيم مقام الجمع والاول احسن اذ المصدر مفرد مطلقا فصل قال ابى بن
كعب وابن عباس وقتادة انما يقولون هذا لان الله يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد
النفخة الاخيرة وعاينوا القيمة دعوا بالويل وقال اهل المعانى ان الكفار اذا عاينوا جهنم وانواع عذابها
صار عذاب القبر فى جنبها كالنوم فقالوا من بعثنا من مرقدنا قال قيل لو قيل فاذا هم من الاجداث الى ربهم
ينسلون يقولون يا ويلنا كان الين قال ابن الخطيب نقول معاذ الله وذلك لان قوله اذا هم من الاجداث
ينسلون اشارة الى انه تعالى فى اسرع زمان يجمع اجزاهم ويحييهم ويحركهم بحيث يقع نسلانهم فى وقت النفخ مع
ان ذلك لا بد له من الجمع والتاليف فلو قال يقولون لكان ذلك مثل الحال لينسلون اى ينسلون قايلين يا ويلنا
والبشر كذلك قال قولهم يا ويلنا قبل ان ينسلون وانما ذكر النسلان لما ذكرنا من الفايدة قال قيل ما وجه تعلق
من بعثنا من مرقدنا بقولهم يا ويلنا فالجواب لما بعثوا تذكروا ما كانوا يسمعون من الرسل فقالوا يا ويلنا
ابعثنا الله البعث الموعود به ام كنا نياما فنبهنا كما اذا كان انسان موعودا بان ياتيه عدو ولا يطيقه ثم يرى
رجلا هايلا يقبل عليه فيرتجف فى نفسه ويقول اهذا ذاك ام لا ويدل على هذا قولهم من مرقدنا حيث جعلوا
القبور موضع الرقاد اشارة الى انهم شكوا فى انهم كانوا نياما فنبهوا او كانوا موتى فبعثوا وكان الغالب على ظنهم
هو البعث فجمعوا بين الامرين وقالوا من بعثنا اشارة الى ظنهم انه بعثهم الموعود به وقالوا من مرقدنا
اشارة الى توهمهم احتمال الانتباه قوله تعالى هذا ما وعد الرحمن فى هذا وجهان اظهرهما انه مبتدا وما
بعده خبره ويكون الوقف تاما على قوله من مرقدنا وهذه الجملة حينيذ فيها وجهان احدهما انها مستانفة
اما من قول الله تعالى او من قول الملايكة او من قول المومنين للكفار الثانى انها من كلام الكفار فتكون
فى محل نصب بالقول الثانى من الوجهين الاولين هذا صفة لمرقدنا وما وعد منقطع عما قبله ثم فى ما

فى ما وجهان احدهما انها فى محل رفع بالابتدا والخبر مقدر اى الذى وعده الرحمن وصدق فيه المرسلون حق عليكم واليه
ذهب الزجاج والزمخشرى والثانى انه خبر مبتدا مضمر اى هذا وعد الرحمن وقد تقدم فى اول الكهف ان حفصا
يقف على مرقدنا وقفة لطيفة دون قطع نفس لئلا يتوهم ان اسم الاشارة تابع لمرقدنا وهذان الوجهان يقويان
ذلك المعنى المذكور الذى يعد الوقف لاجله وما يصح ان تكون موصولة اسمية او حرفية كما تقدم ومفعولا الوعد
والصدق محذوفان اى وعدناه الرحمن وصدقناه المرسلون والاصل صدق فنا فيه ويجوز حذف الخافض وقد
تقدم ذلك نحو صدقنى من بكره اى فى سنه قوله تعالى ان كانت الا صيحة واحدة تقدمت قراتا صيحة واحدة
نصبا ورفعا اى ما كانت النفخة الا صيحة واحدة ويدل على النفخة قوله ونفخ فى الصور ويحتمل ان يقال ان كانت
الواقعة الا واقعة وقريت الصيحة مرفوعة على ان كان هى التامة بمعنى ما وقعت الا صيحة قال الزمخشرى لو كان
كذلك لكان الاحسن ان يقال الا كان لان المعنى حينيذ ما وقع شئ الا صيحة لكن التانيث جايز احالة على الظاهر
ويمكن ان يقول الذى قرا بالرفع ان قوله اذا وقعت الواقعة تانيث تهويل ومبالغة يدل لذلك قوله تعالى ليس
لوقعتها كاذبة فانها للمبالغة فكذلك هم هنا قال ان كانت الامور تتبالا الا تانيث تهويل ولهذا جات اسما يوم الحشر
كلها مونثة كالقيامة والقارعة والحاقة والطامة والصاخة الى غيرها والزمخشرى يقول كاذبة بمعنى ليس لوقعتها
نفس كاذبة وتانيث اسما الحشر لكون الحشر مسمى بالقيامة وقوله محضرون دليل على ان كونهم ينسلون اجبارى
لا اختيارى ثم بين ما يكون فى ذلك اليوم فقال فاليوم لا تظلم نفس شيا فاليوم منصوب بلا تظلم وشيا اما مفعول
ثان واما مصدر فقوله لا تظلم نفس ليامن المومن ولا تجزون الا ما كنتم تعملون لييأس المجرم الكافر قال قيل ما
الفايدة فى الخطاب عند الاشارة الى ياس المجرم وترك الخطاب فى الاشارة الى امان المومن فالجواب ان قوله لا تظلم
نفس شيا يفيد العموم وهو كذلك فانه لا يظلم احدا واما لا تجزون فيختص بالكافر لان الله يجزى المومن وان لم
يفعل فان لله فضلا مختصا بالمومن وعدلا عاما وفيه بشارة ثم بين حال المحسن فقال ان اصحاب الجنة اليوم
فى شغل فاكهون فقوله فى شغل يجوز ان يكون خبرا لان وفاكهون خبرا ثانيا وان يكون فاكهون هو الخبر وفى شغل
متعلق به وان يكون حالا وقرا الكوفيون وابن عامر شغل بضمتين والباقون بضم وسكون وهما لغتان للحجازيين
قاله الفرا ومجاهد وابو السمال بفتحتين ويزيد النحوى وابن هبيرة بفتحة وسكون وهما لغتان ايضا والعامة على رفع
فاكهون على ما تقدم والاعمش وطلحة فاكهين نصبا على الحال والجار الخبر والعامة ايضا على فاكهين بالالف بمعنى اصحاب
فاكهة كلابن وتامر ولاحم والحسن وابو جعفر وابو حيوة وابو رجا وشيبة وقتادة ومجاهد فكهون بغير الف بمعنى
طربون فرحون من الفكاهة بالضم وقيل الفاكه والفكه بمعنى المتلذذ المتنعم لان كلا من الفاكهة والفكاهة مما يتلذذ به
ويتنعم كحاذر وحذر وقرى فكهين بالقصر والياء على ما تقدم وفكهون بالقصر وضم الكاف يقال رجل فكه وفكه كرجل
ندس وندس وحاذر وحذر فصل اختلفوا فى الشغل فقال ابن عباس فى افتضاض الابكار وقال وكيع بن الجراح
فى السماع وقال الكلبى فى شغل عن اهل النار وما هم فيه لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم وقال ابن كيسان فى زيارة
بعضهم بعضا وقيل فى ضيافة الله فاكهون وقيل فى شغل عن هول اليوم باخذ ما اتاهم الله من الثواب فما عندهم
خبر من عذاب ولا حساب وقوله فاكهون متمما لبيان سلامتهم فانه لو قال فى شغل جاز ان يقال هم فى شغل اعظم
من التفكر فى اليوم واهواله فان من يصيبه فتنة عظيمة ثم يعرض عليه امر من اموره او يخبر بخسران وقع فى ماله يقول
انا مشغول عن هذا بما هو اهم منه فقال فاكهون اى شغلوا عنه باللذة والسرور لا بالويل والثبور وقال ابن عباس فاكهون
فرحون قوله تعالى هم وازواجهم يجوز فى هم ان يكون مؤكدا للضمير المستكن فى فاكهون وازواجهم عطف على المستكن
ويجوز ان يكون تاكيدا للضمير المستكن فى شغل اذا جعلناه خبرا وازواجهم عطف عليه ايضا ذكره ابو حيان وفيه
نظر من حيث الفصل بين المؤكد والمؤكد بخبر ان ونظيره ان تقول ان زيدا فى الدار قائم هو وعمرو على ان تجعل هو تاكيدا
للضمير فى قولك فى الدار وعلى هذين الوجهين يكون قوله متكئون خبرا اخر لان وفى ظلال متعلق به او حال وعلى الارائك
متعلق به ويجوز ان يكون هم مبتدا ومتكئون خبره والجاران على ما تقدم وجوز ابو البقا ان يكون فى ظلال هو الخبر
قال وعلى الارائك مستانف وهى عبارة موهمة غير الصواب ويريد بذلك ان متكئون خبر مبتدا مضمر وعلى الارائك
متعلق به فهذا وجه استيناف لا انه خبر مقدم ومتكئون مبتدا مؤخر اذ لا معنى له وقرا عبد الله متكئين نصبا على الحال
وقرا الاخوان فى ظلل بضم الظا والقصر وهو جمع ظلة نحو غرفة وغرف وحلة وحلل وهى عبارة عن الفرش والستور
والباقون بكسر الظا والالف جمع ظلة ايضا كحلة وحلال وبرمة وبرام او جمع ظل بالكسر اذ يقال ظلة وظل بالضم
والكسر فهو كلقحة ولقاح الا ان فعالا لا ينقاس فيها او جمع ظل نحو ذيب وذياب وريح ورياح فصل الارايك هى
السرر فى الحجال واحدها اريكة قال ثعلب لا تكون اريكة حتى يكون عليها حجلة متكئون ذووا اتكاء وهو اشارة
الى الفراغ وقوله هم وازواجهم اشارة الى عدم الوحشة لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون اشارة الى دفع جميع حوايجهم

لهم فيها فاكهة اشارة الى ان لا جوع هناك لان التفكه لا يكون لدفع الم الجوع **قوله** تعالى ولهم ما يدعون • في ما هذه ثلاثة
اوجه موصولة اسمية نكرة موصوفة والعائد على هذين محذوف مصدرية • ويدعون مضارع ادعى افتعل من دعا يدعو
واسرب بمعنى التمني • قال ابو عبيدة العرب تقول ادع على ما شئت اى تمن وفلان في خير ما يدعى اى ما يتمنى وقال
الزجاج هو من الدعاء اى ما يدعونه اهل الجنة يأتيهم من دعوت غلامي فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال
بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحل • وقيل افتعل بمعنى تفاعل اى ما يتداعونه كقولهم ارتموا وتراموا بمعنى وما مبتدا
وفي خبرها وجهان الظهر منهما انه الجار قبلها • والثاني انه سلام اى مسلم خالص او ذو سلامة **قوله** تعالى سلام • العامة
على رفعه وفيه اوجه • احدها ما تقدم من كونه خبر ما يدعون • الثاني انه بدل منها قاله الزمخشري قال ابو حيان
واذا كان بدلا كان ما يدعون مخصوصا والظاهر انه عموم في كل ما يدعونه واذا كان عموما لم يكن بدلا منه • الثالث
انه صفة لما وهذا اذا جعلتها نكرة موصوفة • اما اذا جعلتها بمعنى الذى او مصدرية تعذر ذلك لتخالفهما تعريفا
وتنكيرا • الرابع انه خبر مبتدا مضمر اى هو سلام • الخامس انه مبتدا خبره الناصب لقولا اى سلام يقال لهم
قولا • وقيل تقديره سلام عليكم • السادس انه مبتدا وخبره من رب وقولا مصدر موكد لمضمون الجملة وهو مع
عامله معترض بين المبتدا والخبر • وقرا ابي وعبد الله وعيسى سلاما بالنصب وفيه وجهان احدهما انه حال
قال الزمخشري اى لهم مرادهم خالصا • والثاني انه مصدر يسلمون سلاما اما من التحية واما من السلامة
وقولا اما مصدر موكد واما منصوب على الاختصاص قال الزمخشري وهو الاوجه • ومن رب اما صفة لقولا واما
خبر سلاما كما تقدم • وقرا القرطبي سلم بالكسر والسكون وتقدم الفرق بينهما في البقرة **فصل** اذا قيل بان
سلام بدل من ما يدعون فكانه تعالى قال لهم ما يدعون ثم بينه بدله فقال لهم سلام فيكون مبتدا وخبره الجار
والمجرور كما يقال في الدار رجل ولزيد مال وان كان في النحو ليس كذلك بل هو بدل وبدل النكرة من المعرفة
جائز فيكون ما بمعنى الذى معرفة وسلام نكرة ويحتمل على هذا ان يقال ما في قوله تعالى ما يدعون لا موصوفة ولا
موصولة بل هي نكرة تقديره لهم شيء يدعون ثم بين بذكر البدل فقال سلام والاول اصح وان قيل سلام خبر ما
ولهم لبيان الجهة فتقديره ما يدعون سلام لهم اى خالص لهم • والسلام بمعنى السالم والسليم يقال عبد سلام
اى سليم من العيوب كما يقال لزيد الشرف متوفر فالجار والمجرور يكون لبيان من له ذلك والشرف هو المبتدا
ومتوفر خبره وان قيل سلام منقطع عما قبله وهو مبتدا وخبره محذوف تقديره سلام عليهم ويكون ذلك
اخبارا من الله تعالى في يومنا هذا كانه تعالى حكى لنا وقال اصحاب الجنة في شغل ثم لما بين كمال حالهم قال سلام
عليهم كقوله تعالى سلام على نوح وسلام على المرسلين فيكون الله تعالى احسن الى عباده المؤمنين كما احسن الى
عباده المرسلين او يقال تقديره سلام عليكم ويكون التفاتا حيث قال لهم كذا وكذا ثم قال سلام عليكم
فصل اذا قيل ان قولا منصوب على المصدر فتقديره على قولنا ان المراد لهم سلام هو ان يقال لهم سلام
يقوله الله قولا او تقول الملائكة قولا وعلى قولنا ما تدعون سلام لهم فتقديره قال الله ذلك قولا ووعدهم
ان لهم ما يدعون سلام وعدا وعلى قولنا سلام عليهم فتقديره اقوله قولا وقوله من رب رحيم يكون لبيان ان
السلام منه اى سلام عليهم من رب رحيم اقوله قولا ويحتمل ان يقال على هذا انه مميز لان السلام قد يكون قولا
وقد يكون فعلا فان من يدخل على الملك فيطاطي راسه يقال سلم على الملك فهو حينئذ كقول القايل لي موجود حكما
لا احسانا **فصل** روى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع
لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك
قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون
اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم • وقيل تسلم عليهم الملائكة من ربهم لقوله والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اى يقولون سلام عليكم يا اهل الجنة من ربكم الرحيم • وقيل يعطيهم السلامة
قوله تعالى امتازوا • على اضمار قول مقابل لما قيل للمؤمنين اى ويقال للمجرمين امتازوا اى اعتزلوا من مازه
يميزه قال المفسرون ان المجرم يرى منزلة المؤمن ورفعته ويرى ذلة نفسه فيتحسر فيقال لهم امتازوا
اليوم • وقيل المعنى ادخلوا مساكنكم من النار • وقال ابو العالية تميزوا • وقال السدي كونوا على حدة
وقال الزجاج انفردوا عن المؤمنين • والمجرم هو الذى ياتي بالجريمة • وقيل ان قوله وامتازوا امر
تكوين يقول امتازوا اليوم فيمتازون بسيماهم ويظهر على جباههم او في وجوههم سواد كما قال تعالى
يعرف المجرمون بسيماهم **قوله** تعالى الم اعهد اليكم • العامة على فتح الهمزة على الاصل في حرف المضارعة
وطلحة والهذيل بن شرحبيل الكوفي بكسرها وتقدم ان ذلك لغة في حرف المضارعة بشروط ذكرت
في الفاتحة • وقرا ابن وثاب احد بحاء مشددة قال الزمخشري وهي لغة تميم ومنه دحا محا اى دعها

دعها منها فقلبت الهاء حاء لقرب العين حاء حين اريد الادغام والاحسن ان يقال ان العين ابدلت حاء وهي لغة هذيل فلما ادغم
قلبنا الثاني للاول وهو عكس باب الادغام وقد مضى تحقيقه اخر آل عمران • وقال ابن خالويه وابن وثاب والهذيل الم اعهد
بكسر الميم والهمزة وفتح الهاء وهي على لغة من كسر اول المضارع سوى الياء • وروى عن ابن وثاب اعهد بكسر الهاء يقال
عهد وعهد انتهى يعني بكسر الميم والهمزة ان الاصل في هذه القراءة ان يكون كسر حرف المضارعة ثم نقل حركته الى الميم وكسرت
الا ان الكسر موجود في الميم وفي الهمزة لفظا اذ يلزم من ذلك قطع همزة الوصل وتحريك الميم من غير سبب • واما كسر
الهاء فلما ذكر من انه سمع في الماضي عهد بفتحها وقوله سوى الياء وكذا قال الزمخشري وهو المشهور وقد نقل عن بعض كلب انهم
يكسرون الياء فيقولون يعلم وقال الزمخشري فيه وقد جوز الزجاج ان يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب يعني ان
تخرجه على احد وجهين اما الشذوذ فيما الحاء فيه فعل يفعل بالكسر فيهما كنعم ينعم وحسب يحسب وبئس يبئس في الفاظ
معدودة في البقرة واما انه سمع في ماضيه الفتح كضرب كما حكاه ابن خالويه وحكى الزمخشري انه قرئ احهد بالحاء بدل العين
وقد تقدم انها لغة هذيل وهذه تقوي ان اصل احّد احهد فادغم كما تقدم **قوله** تعالى ان لا تعبدوا وان اعبدوني
يجوز في ان ان يكون مفسرة فسرت العهد بنهي وامر وان تكون مصدرية اى الم اعهد اليكم في عدم عبادة الشيطان وفي عبادتي
فصل في معنى هذا العهد وجوه • اقواها الراوض اليكم • واختلفوا في هذا العهد فقيل هو العهد الذى كان مع ادم في
قوله ولقد عهدنا الى ادم • وقيل هو الذى كان مع ذرية ادم حين اخرجهم وقال الست بربكم قالوا بلى • وقيل مع كل قوم على لسان
رسولهم وهو الاظهر وقوله لا تعبدوا الشيطان اى لا تطيعوا الشيطان والطاعة قد تطلق على العبادة ثم قال انه لكم
عدو مبين اى ظاهر العداوة • ووجه عداوته انه لما اكرم الله ادم عليه السلام عاداه ابليس **فان قيل** اذا كان الشيطان
عدوا للانسان فما بال الانسان يقبل على ما يرضيه من الزنا والشرب ويكره ما يسخطه من المجاهدة والعبادة **فالجواب**
استعانة الشيطان باعوان من عند الانسان وترك استعانة الانسان بالله فيستعين بشهوته التى خلقها الله فيه
لمصالح بقائه وبقاء نوعه ويجعلها سببا لفساد حاله ويدعوه بها الى المسالك المهالك والمدلك يستعين بغضبه الذى خلقه
الله فيه لدفع المفاسد عنه ويجعلها سببا لوباله وفساد احواله وميل الانسان الى المعاصي كميل المريض الى المضار وذلك
حيث ينحرف المزاج عن الاعتدال فترى المحموم يريد الماء البارد وهو يزيد في مرضه • ومن معدته فاسدة لا تهضم القليل من
الغذاء يميل الى الاكل الكثير ولا يشبع بشيء وهو يزيد فساد معدته وصحيح المزاج لا يشتهي الا ما ينفعه **قوله** تعالى وان اعبدوني
اطيعوني ووحدوني هذا صراط مستقيم • لما منع من عبادة الشيطان حمل على عبادة الرحمن ثم ذكر ما يبعثه لعداوة الشيطان
بقوله ولقد اضل منكم جبلا كثيرا **قوله** جبلا • قرأ نافع وعاصم بكسر الجيم والباء وتشديد اللام • وابو عمرو وابن عامر بضمه
وسكون الباء والباقون بضمتين واللام مخففة في كلتيهما • وابن ابي اسحاق والزهري وابن هرمز بضمتين وتشديد اللام والاعمش
بكسرتين وتخفيف اللام والاشهب العقيلي واليماني وحماد بن سلمة بكسرة وسكون وهذه لغات في هذه اللفظة ومعناها
معنا هنا الخلق • وقرئ جبلا بكسر الجيم وفتح الباء جمع جبلة كفطر جمع فطرة • وقرا علي بن ابي طالب جيلا بالياء من اسفل
ثنتان وهي واضحة • قال ابن الخطيب الجيم والباء واللام لا تخلو عن معنى الاجتماع الجبل فيه اجتماع الاجسام الكثيرة وجبل
الطين فيه اجتماع اجزاء الماء والتراب ومنه الجبل اذا كانت مجتمعة اللبن الكثير ولا يقال البلجة تنقض لما ذكر ثم فانها تنبئ
عن التفرق فان الابلج خلاف المقرون بى لاجتماع الاماكن الخالية التى ليس المتمكنات فان البلجة والبلد بمعنى والبلد
سمي بلدا للاجتماع لا للتفرق والجمع العظيم حتى قيل ان دون العشرة الاف لا يكون جبلا وان لم يكن صحيحا **قوله** تعالى افلم تكونوا تعقلون
قراءة العامة بالخطاب لبني ادم وطلحة وعيسى بياء الغيبة والضمير للجبل ومن حقهما ان يقرآ التى كانوا يوعدون لولا ان يعتذر
بالالتفات **فصل** في كيفية هذا الاضلال وجهان • الاول تولية عن المقصد وذلك بعينه فالشيطان يامر البعض بترك
عبادة الله وبعبادة غيره فهو توليه فان لم يقدر يجيد بامر غير ذلك من رياسة وجاه وغيرهما وهو يفضي الى التولية
لان مقصوده لو تحصل لترك الله واقبل على ذلك الغير فيحصل التولية ثم قال افلم تكونوا تعقلون ما اتاكم من هلاك
الامم الخالية بطاعة ابليس ويقال لهم لما دنوا من النار هذه جهنم التى كنتم توعدون بها في الدنيا اصلوها اليوم اي
ادخلوها اليوم بما كنتم تكفرون وفي هذا الكلام ما يوجب شدة ندامتهم وحزنهم من ثلاثة اوجه احدها قوله تعالى اصلوها
امر تنكيل واهانة كقوله ذق انك انت العزيز الكريم • الثاني قوله اليوم يعني العذاب حاضر ولذاتك قد مضت وبقي اليوم
العذاب • الثالث قوله تعالى بما كنتم تكفرون فان الكفر والكفران ينبئ عن نعمة كانت فكفر بها وحيا الكفور من المنعم من الله
الا ام كما قيل البس بكاف الذى همه حيا المسيء من المحسن **قوله** تعالى اليوم نختم • اليوم ظرف لما بعده • وقرئ نختم مبنيا
للمفعول والجار بعده قائم مقام فاعله • وقرئ وتتكلم بتاءين من فوق • وقرئ ولتكلم ولتشهد بلام الامر • وقرا طلحة
ولتكلمنا ولتشهد بلام كي ناصبة للفعل ومتعلقها محذوف اى للتكلم وللشهادة ختمنا وبما كانوا اى بالذى كانوا
او بكونهم كاسبين **فصل** في الترتيب وجهان • الاول انهم حين يسمعون قوله تعالى بما كنتم تكفرون يريدون
ينكرون كفرهم كما قال عنهم ما اشركنا وقالوا امنا به فيختم الله على افواههم فلا يقدرون على الانكار وينطق الله غير

عن لسانهم فيعترفون بذنوبهم الثاني لما قال تعالى لهم الم اعهد اليكم لم يكن لهم جواب فسكتوا وخرسوا وتكلمت اعضاؤهم
غير اللسان وفي الختم على الافواه وجوه اقواها ان الله تعالى يسكت السنتهم وينطق جوارحهم فيشهدون عليهم
وانه في قدرة الله يسير واما الاسكات فلا خفاء فيه واما الانطاق فلان اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة كما جاز
تحرك غيره مثلها والله قادر على كل الممكنات والوجه الاخر انهم لا يتكلمون بشيء لانقطاع اعذارهم وانهتاك استارهم
فيقفون ناكسوا الرؤوس لا يجدون عذرا فيعتذرون ولا مجال توبة فيستغفرون وتكلم الايدي هو ظهور الامور
بحيث لا يسع معه الانكار كقول القائل الحيطان تبكي على صاحب الدار اشارة الى ظهور الحزن والصحيح الاول لما ثبت
في الصحيح ان الله تعالى يقول للعبد كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه
فيقال لاركانه انطقي قال فينطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقال
عليه السلام اول من يسال من احدكم فخذه وكفه قال قيل ما الحكمة في اسناده الختم الى نفسه وقال نختم واسند الكلام
والشهادة الى الارجل والايدي فالجواب انه لو قال نختم على افواههم وننطق ايديهم لاحتمل ان يكون ذلك جبرا منهم
وقهرا والاقرار بالاجبار غير مقبول فقال تكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم اي باختيارها بعد ما يقدرها الله تعالى على
الكلام ليكون دل على صدور الذنب منهم قال قيل ما الحكمة في جعل الكلام للايدي وجعل الشهادة للارجل فالجواب
لان الافعال تسند الى الايدي قال تعالى وما عملته ايديهم اي ما عملوه وقال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اي
لا تلقوا بانفسكم فاذن الايدي كالعاملة والشاهد على العامل ينبغي ان يكون غيره فيجعل الارجل والجلود من الشهود
لبعد اضافة الافعال اليهم قال قيل ان يوم القيامة من تقبل شهادته من المقربين والصديقين فهم اعدا للمجرمين
وشهادة العدو على العدو غير مقبولة وان كان عدلا وغير الصديقين من الكفار والفساق لا تقبل شهادتهم
والايدي والارجل صدرت الذنوب منها فهي فسقة فينبغي ان لا تقبل شهادتها فالجواب ان الايدي والارجل
ليسوا من اهل التكليف ولا ينسب اليها عدالة ولا فسق انما المنسوب من ذلك الى العبد المكلف لا الى اعضائه
ولا يقال ان العين تزني وان الفرج ليزني وان اليد كذلك لان معناه ان المكلف يزني بها لا انها تزني وايضا
فانا نقول في رد شهادتها لانها ان كذبت في مثل ذلك اليوم مع ظهور الامور لا بد ان يكون ما تباشر الذنب
وان صدقت في ذلك اليوم فقد صدر منها الذنب في الدنيا وهذا كمن قال لفاسق ان كذبت في نهارك هذا
اليوم فعبدي حر فقال الفاسق كذبت في نهاري هذا اليوم عتق العبد لانه ان صدق في قوله كذبت في نهاري هذا
اليوم فقد وجد الشرط ونزل الجزاء وان كذب في قوله كذبت فقد كذب في نهار ذلك اليوم فوجد الشرط ايضا
بخلاف ما لو قال في اليوم الثاني كذبت في نهار اليوم الذي علقت عتق عبدك على كذبي فيه قوله تعالى ولو
نشاء لطمسنا على اعينهم اي اذهبنا اعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق وهو معنى الطمس كقوله
تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم يقول اذا اعمينا قلوبهم ولو شئنا اعمينا ابصارهم الظاهرة قوله تعالى
فاستبقوا عطف على لطمسنا وهذا على سبيل الفرض والتقدير وقرا عيسى فاستبقوا امرا وهو على اضمار القول
اي فيقال لهم استبقوا والصراط ظرف فكان مختص عند الجمهور فلذلك تاولوا وصول الفعل اليه اما بانه مفعول به
بمجاز الجعلة مستبوقا لا مسبوقا اليه ويضمن استبقوا معنى تبادروا واما على حذف الجار اي الى الصراط وقال الزمخشري
منصوب على الظرف وهو ماش على قول ابن الطراوة فان الصراط والطريق ونحوهما ليست عنده مختصة الا ان سيبويه
على ان قوله كدن يهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب ضرورة لنصبه الطريق وقرا ابو
بكر مكاناتهم جمعا وتقدم في الانعام والعامة على مضيا بضم الميم وهو مصدر على فعول اصله مضوي فادغم وكسر ما قبل
الياء ليصح نحو لقيا وقرا ابو حياة ورويت عن الكسائي بكسر الميم اتباعا لحركة العين نحو عتيا وصليا وقرئ بفتحها
وهو من المصادر التي وردت على فعيل كالرسيم والزميل فصل المعنى اذا اعمينا قلوبهم لو شئنا اعمينا ابصارهم
الظاهرة فاستبقوا الصراط فبادروا الى الطريق فانى يبصرون كيف يبصرون وقد اعمينا اعينهم يعني لو نشاء
لاضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ هذا قول الحسن والسدي وقال
ابن عباس ومقاتل وعطاء وقتادة معناه لو نشاء لفقانا اعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من
الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم فانى يبصرون ولم افعل ذلك بهم ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم اي مكانهم
اي لو نشاء جعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل لو نشاء جعلناهم حجارة وهم قعود في منازلهم لا ارواح لهم
فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على ذهاب ولا رجوع قوله تعالى ومن نعمره
ننكسه في الخلق قرا عاصم وحمزة بضم النون الاولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة من نكسه مبالغة
والباقون بفتح الاولى وتسكين الثانية وضم الكاف خفيفة من نكسه وهي محتملة للمبالغة وعدمها وقد تقدم
في الانعام ان نافعا وابن ذكوان قرا تعقلون والباقون بالغيبة فصل معنى ننكسه نرده الى ارذل

الى ارذل العمر يشبه الصبي في اول الخلق وقيل ننكسه في الخلق اي ضعف جوارحه بعد قوتها ونقصانها بعد زيادتها افلا
تعقلون فيعتبرون ويعلمون ان الذي قدر على تصريف احوال الانسان يقدر على البعث بعد الموت قوله تعالى وما
علمناه الشعر وما ينبغي له قال الكلبي ان كفار مكة قالوا ان محمدا شاعر فانزل الله تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغي له
اي ما يتسهل له ذلك وما كان يتزن له بيت شعر حتى اذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا روى الحسن ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا فقال ابو بكر يا نبي الله انما قال الشاعر
كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا فقال عمر اشهد انك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي
له وعن ابي شريح قال قلت لعائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان يتمثل من شعر
عبد الله بن رواحة قالت وربما قال ويأتيك بالاخبار من لم تزود وفي رواية قالت كان الشعر ابغض الحديث
اليه قالت ولم يتمثل بشيء من الشعر الا ببيت اخي بني قيس طرفة ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالاخبار من لم تزود فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر ليس هكذا يا رسول الله فقال
اني لست بشاعر ولا ينبغي لي وقيل معناه ما كان يتأتى له قال ابن الخطيب وفيه وجه اخر من ذلك وهو ان يحمل ما
ينبغي له على مفهومه الظاهر وهو ان الشعر ما كان يليق به ولا يصلح له لان الشعر يدعو الى تغيير المعنى لمراعاة
اللفظ والوزن والشارع يكون اللفظ منه تبعا للمعنى والشاعر يكون المعنى منه تبعا للفظ لانه يقصد لفظا به يصح
وزن الشعر او قافيته فيحتاج الى التخيل لمعنى ياتي به لاجل ذلك اللفظ وعلى هذا فنقول الشعر هو الكلام الموزون
الذي قصد الى وزنه قصدا اوليا واما من يقصد المعنى فيصدر موزونا لا يكون شاعرا الا ترى ان قوله تعالى
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ليس بشعر والشاعر اذا قصد هذا الكلام فيه متحركات وساكنات بعدد ما
في الاية تقطعه بفاعلات فاعلات فاعلات فاعلات ويكون شعرا لانه قصد الاتيان بالفاظ حروفها متحركة وساكنة كذلك
والمعنى تبعه والحكيم قصد المعنى فجاء على تلك الالفاظ وعلى هذا يحصل الجواب عن قول من يقول ان النبي ذكر بيت
شعر وهو قوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب او بيتين لانا نقول ذلك ليس بشعر لعدم قصده الى الوزن
والقافية وعلى هذا الوصف كثير من النبي عليه السلام كلام كثير موزون مقفى لا يكون شعرا لعدم قصده اللفظ قصدا
اوليا ويؤيد ما ذكرنا انك اذا تتبعت كلام الناس في الاسواق تجد فيه ما يكون موزونا واقعا في بحر من بحور الشعر ولا يسمى
المتكلم به شاعرا ولا الكلام شعرا لفقد القصد الى اللفظ اولا فصل وجه الترتيب ما تقدم من انه تعالى في كل موضع
ذكر اصلين الوحدانية والحشر اما الوحدانية ففي قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان وفي
قوله وان اعبدوني هذا صراط مستقيم واما الحشر ففي قوله تعالى اصلوها اليوم وبقوله اليوم نختم الى غير ذلك
فلما ذكرهما وبينهما ذكر الاصل الثالث وهو الرسالة فقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقران
مبين فقوله وما علمناه الشعر اشارة الى انه معلم من عند الله فعلمه ما اراد ولم يعلمه ما لم يرد قال قيل لم خص
الشعر بنفي التعليم مع ان الكفار كانوا ينسبون الى النبي صلى الله عليه وسلم اشياء من جملتها السحر والكهانة ولم يقل
وما علمناه السحر وما علمناه الكهانة فالجواب اما الكهانة فكانوا ينسبون النبي عليه السلام اليها عندما كان
يخبر عن الغيوب ويكون كما يقول واما السحر فكانوا ينسبونه اليه عندما كان يفعل ما لا يقدر عليه الغير كشق
القمر وتكلم الحجر والجذع وغير ذلك واما الشعر فكانوا ينسبونه اليه عندما كان يتلو القران عليهم لكنه عليه
السلام ما كان يتحدى الا بالقران كما قال تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله ولم يقل
ذلك ولم يقل ان كنتم في شك من رسالتي فاقطعوا الجذوع او اشبعوا الخلق العظيم او اخبروا بالغيوب فلما كان
تحديه عليه السلام بالكلام وكانوا ينسبونه الى الشعر عند الكلام خص الشعر بنفي التعليم قوله تعالى ان هو
اي ان القران دل عليه السياق او ان المعلم الا ذكر يدل عليه وما علمناه والضمير في له للنبي صلى الله عليه وسلم
وقيل للقران قوله تعالى الا ذكر موعظة وقران مبين فيه الفرائض والحدود والاحكام قوله تعالى لينذر
قرا نافع وابن عامر هنا وفي الاحقاف لتنذر خطابا والباقون بالغيبة بخلاف عن البزي في الاحقاف والغيبة
تحتمل ان يكون الضمير فيها للنبي صلى الله عليه وسلم وان يكون للقران وقرا الجحدري واليماني لينذر مبنيا
للمفعول واليماني ايضا لينذر بفتح الياء والذال من نذر بكسر الذال اي علم فيكون من فاعلا فصل المعنى لينذر بالقران من
كان حيا يعني مؤمنا حي القلب لان الكافر كالميت في انه لا يتدبر ولا يتفكر قال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وقيل من كان حيا اي
عاقلا ذكره الزمخشري في ربيع الابرار ويحق القول ويجب العذاب على الكافرين ثم انه تعالى اعاد الوحدانية والدلائل الدالة عليها
فقال اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا اي من جملة ما عملت ايدينا اي ما عملناه من غير معين ولا ظهير بل عملناه بقدرتنا
وارادتنا انعاما فهم لها مالكون ضابطون قاهرون اي لم نخلق الانعام وحشية نافرة من بني ادم لا يقدرون على ضبطها
بل هي مسخرة لهم لقوله وذللناها لهم سخرناها لهم فمنها ركوبهم اي ما يركبون وهي الابل ومنها يأكلون من لحمانها قوله ركوبهم اب

ركوبهم كالحلوب والحصور بمعنى المفعول وهو لا ينقاس وقرأ ابي وعايشة ركوبتهم بالتاء وقد عد بعضهم دخول التاء على هذه الزنة
شاذا وجعلها الزمخشري في قول بعضهم جمعا يعني اسم جمع والا فلم يرد في ابنية التكسير هذه الزنة وقد عد ابن مالك
ايضا ابنية اسما الجموع فلم يذكر فيها فعول وقرأ الحسن وابو البرهسم والاعمش ركوبهم بضم الراء ولا بد من حذف
مضاف اما من الاول اي فمن منافعها ركوبهم واما من الثاني اي ذو ركوبهم قال ابن خالويه العرب تقول ناقة ركوب
حلوب وركوبة حلوبة وركاب حلباة وركوبات حلوبات وركبي حلبي وركبوتا وركبانه حلبانه وانشد
ركبانة حلبانة زفوف تخلط بين وبر وصوف فصل لما بين المركوب والاكل ذكر غير ذلك فقال ولكم فيها منافع ومشارب
والمراد بالمنافع اصوافها واوبارها واشعارها ونسلها وبالمشارب البانها والمشارب جمع مشرب بالفتح مصدرا او مكانها
ثم قال افلا يشكرون رب هذه النعم واتخذوا من دون الله الهة اشارة الى بيان زيادة ضلالهم لانه كان الواجب عليهم
عبادة الله شكرا لانعمه فتركوها واقبلوا على عبادة من لا ينصر ولا ينفع لعلهم ينصرون اي لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون
ذلك والضمير في قوله لا يستطيعون اما للالهة واما للعابدين لها وكذلك الضمائر بعده قال ابن عباس لا يقدر الاصنام
على نصرهم ومنعهم من العذاب وهم لهم جند محضرون اي الكفار جند للاصنام فيغضبون لها ويحضرونها في الدنيا
وهي لا تسوق لهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الاخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه اتباعه الذين عبدوه
كانهم جند محضرون في النار وهذا اشارة الى الحشر بعد تقرير التوحيد وهذا كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم وقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم قوله
فلا يحزنك قولهم تقدم قراءة يحزن ويحزن قولهم يعني قول الكفار في تكذيبك وهذا اشارة الى الرسالة لان الخطاب معه
مما يوجب تسلية قلبه انا نعلم ما يسرون وما يعلنون ما يسرون في ضمايرهم وما يعلنون من عبادة الاصنام او ما
يعلنون بالسنتهم من الاذى قوله اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة لما ذكر دليلا من الافاق على وجوب عبادته بقوله
اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما ذكر دليلا من الانفس فقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة قيل المراد
بالانسان ابي بن خلف الجمحي خاصم النبي صلى الله عليه وسلم في انكار البعث واتاه بعظم قد بلي ففتته بيده وقال اترى
يحيي الله هذا العظم بعد ما رم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فانزل الله هذه الاية
قال ابن الخطيب وقد ثبت في اصول الفقه ان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الا ترى قوله تعالى قد سمع الله قول
التي تجادلك في زوجها نزلت في واحدة واراد الحكم في الكل فكذلك كل انسان ينكر الله او الحشر هذه الاية رد عليه وقوله
فاذا هو خصيم مبين اي جدل بالباطل مبين بين الخصومة يعني انه مخلوق من نطفة فكيف يخاصم وكيف لا يتفكر في بدو
خلقه حتى يدع الخصومة وفي الاية لطيفة وهي ان اختلاف صور اعضايه مع تشابه اجزا النطفة اية ظاهرة ومع ذلك
فهناك ما هو اظهر وهو نطقه وفهمه لان النطفة جسم فهب ان جاهلا يقول انه استحال جسما اخر لكن القوة الناطقة
والقوة الفاهمة من اين تقتضيها النطفة فابداع النطق والفهم اعجب واغرب من ابداع الخلق والجسم وهو ادرك
القوة والاختيار منه اقرب فقوله خصيم اي ناطق وانما ذكر الخصيم مكان الناطق لانه اعلا احوال الناطق فان الناطق
مع نفسه لا يبين كلامه مثل ما يبينه وهو يتكلم مع غيره والمتكلم مع غيره اذا لم يكن خصما لا يبين ولا يجتهد مثل ما يجتهد
اذا كان كلامه مع خصمه قوله وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قرأ زيد بن علي ونسي خالقه بزنة اسم الفاعل فصل
المعنى ونسي خلقه اي بدو امره قال من يحيي العظام وهي رميم قيل فعيل بمعنى فاعل وقيل بمعنى مفعول فعلى الاول
عدم التاء غير مقيس وقال الزمخشري الرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم لم يونث وقد
وقع خبر المونث ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول وقال البغوي ولم يقل رميمة لانه معدول عن فاعله فكل ما كان
معدولا عن وجهه ووزنه كان مصروفا عن اعرابه كقوله وما كانت امك بغيا سقط الهاء لانها معروفة عن باغية
فصل هذه الاية وما بعدها اشارة الى بيان الحشر واعلم ان المنكرين للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلا ولا
شبهة بل اكتفى بمجرد الاستبعاد وهم الاكثرون كقولهم وقالوا ائذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق جديد ائذا متنا وكنا
ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون قال من يحيي العظام وهي رميم على طريق الاستبعاد فابطل استبعادهم بقوله ونسي خلقه
اي نسي انا خلقناه من تراب ومن نطفة متشابهة الاجزا ثم جعلنا لهم من النواصي الى الاقدام اعضاء مختلفة الصور
وما اكتفينا بذلك حتى اودعناهم ما ليس من قبيل هذه الاجرام وهو النطق والعقل الذي بهما استحقوا الاكرام
فان كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فهلا يستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة قذرة لم تكن محلا للحيوة اصلا
ويستبعدون اعادة النطق والعقل الى محل كانا فيه واختاروا العظم بالذكر لانه ابعد عن الحياة لعدم الاحساس فيه
ووصفوه بما يقوي جانب الاستبعاد من البلى والتفتت والله تعالى دفع استبعادهم من جهة ما في المعيد من
القدرة والعلم فقال ضرب لنا مثلا اي جعل قدرتنا كقدرتهم ونسي خلقه العجيب وبداه الغريب ومنهم من
ذكر شبهة وان كان في اخرها يعود الى مجرد الاستبعاد وهي على وجهين الاول انه بعد العدم لم يبق شيا فكيف يصح

يصح على العدم الحكم بالوجود فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله تعالى الذي انشاها اول مرة يعني كما خلق الانسان ولم يك
شيا مذكورا كذلك يعيده وان لم يبق شيا مذكورا الثاني ان من تفرقت اجزاوه في مشارق العالم ومغاربه وصار بعضه
في ابدان السباع وبعضها في حواصل الطيور وبعضها في جدران الرباع كيف يجتمع وابعد من هذا لو اكل انسان
انسانا وصار اجزا الماكول في اجزا الاكل فان اعيدت اجزا الاكل فلا يبقى للماكول اجزا يتخلق منها اعضاوه وان اعيدت
الى بدن الماكول فلا يبقى للاكل اجزا فابطل الله تعالى هذه الشبهة بقوله وهو بكل خلق عليم ووجهه ان في الاكل اجزا
اصلية واجزا فضلية وفي الماكول كذلك فاذا اكل انسان انسانا صار الاصلي من اجزا الماكول فضليا من اجزا الاكل
والاجزا الاصلية للاكل هي ما كان قبل الاكل فالله بكل خلق عليم يعلم الاصلي من الفضلي فيجمع الاجزا الاصلية للاكل ويجمع
الاجزا الاصلية للماكول وينفخ فيه روحه وكذلك يجمع اجزاءه المتفرقة في البقاع المتبددة بحكمته وقدرته ثم
انه تعالى عاد الى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم وابطال انكارهم فقال الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا هذه
قراءة العامة وقرئ الخضرا اعتبارا بالمعنى وقد تقدم انه يجوز تذكير اسم الجنس وتانيثه قال تعالى نخل منقعر
ونخل خاوية وتقدم ان بني تميم ونجد يذكرونه والحجاز يونثونه الا الفاظا استثنيت فصل قال ابن عباس
هما شجرتان يقال لاحداهما المرخ وللاخرى العفار فمن اراد منهما النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان
يقطر الماء فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما النار باذن الله تعالى وتقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار
وقال الحكماء في كل شجر نار الا العناب فاذا انتم منه توقدون اي تقدحون وتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما
هو اعظم من خلق الانسان فقال اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم هذه قراءة العامة
دخلت الباء زائدة على اسم الفاعل والجحدري وابن ابي اسحق والاعرج يقدر فعلا مضارعا والضمير في مثلهم قيل عائد
على الناس لانهم هم المخاطبون وقيل على السموات والارض لتضمنهم من يعقل ثم قال بلى اي قل بلى هو قادر على ذلك وهو الخلاق
العليم يخلق خلقا بعد خلق العليم بجميع ما خلق وبلى جواب للنفي وان دخل عليها الاستفهام المصير بها ايجابا والعامة
على الخلاق صيغة مبالغة والجحدري والحسن ومالك بن دينار الخالق اسم فاعل قوله انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون
بعدم الخلاف في فيكون نصبا ورفعا وتوجيه ذلك في البقرة قوله فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء قرأ طلحة والاعمش ملكة بزنة
شجرة وقرئ مملكة بزنة مفعلة وقرئ ملك والملكوت ابلغ الجميع والعامة على يرجعون مبنيا للمفعول وزيد بن علي مبنيا للفاعل وتقدم
الكلام على قوله سبحان والتسبيح هو التنزيه والملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والرهبوت فعلول او فعلوت فيه كلام قال عليه
السلام اقرؤوا على موتاكم يس وقال عليه السلام لكل شيء قلب وان قلب القرآن سورة يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها
قراءة القرآن عشر مرات وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في القرآن سورة تشفع لقاريها وتغفر
لمستمعها الا وهي سورة يس وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يس تدعى المعمة
قيل يا رسول الله وما المعمة قال تعم صاحبها خير الدنيا والاخرة وتدعى الدافعة القاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل
حاجة ومن قراها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها كان له الف دينار في سبيل الله ومن كتبها وشربها ادخلت جوفه الف
الف دواء والف يقين والف رافة ونزع منه كل داء وغل وعن ابي امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ يس يريد بها وجه الله عز وجل غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثني عشر مرة وايما مريض قرئ
عنده سورة يس نزل عليه بعدد كل حرف عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا فيصلون عليه ويستغفرون له
ويشهدون قبضه وغسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مريض قرأ سورة يس وهو في
سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيبه رضوان خازن الجنان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيموت
وهو ريان ويبعث وهو ريان ويحاسب وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبيا حتى يدخل الجنة وهو ريان وعن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يس في ليلة اصبح مغفورا له وعن انس بن مالك قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات
وعن يحيى بن ابي كثير قال بلغنا انه من قرأ يس حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي ومن قراها حين يمسي لم يزل في فرح
حتى يصبح

سورة الصافات

وهي مائة واثنتان وثمانون اية وثمان مائة وستون كلمة وثلاثة الاف وثمان مائة وستة وعشرون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله تعالى والصافات صفا قرأ ابو عمرو وحمزة بادغام التاء من الصافات والزاجرات والتاليات في
صاد صفا وزاي زجرا وذال ذكرا وكذلك فعلا في الذاريات ذروا وفي الملقيات ذكرا وفي العاديات ضبحا خلافا عن

ثلاث في الآخرين وابو عمرو جار على اصله في ادغام المتقاربين كما هو المعروف من اصله وحمزة خارج عن اصله، والفرق بين
مذهبيهما ان ابا عمرو يجيز الروم وحمزة لا يجيزه وهذا كله اتفاقي ادغام بيت طائفة في سورة النساء ان كان لبعض من انكر
حمزة ادغام مثله، وقرا الباقون بالاظهار في جميع ذلك، قال الواحدي ادغام التاء في الصاد حسن لمقاربة الحرفين لان التاء
انهما من طرف اللسان واصول الثنايا يسمعان في الهمس والمدغم فيه يزيد على المدغم بالاطباق والصفير وادغام الانقص في
الازيد حسن ولا يجوز ان يدغم الازيد صوتا في الانقص وايضا ادغام التاء في الزاي في قوله فالزاجرات زجرا حسن
لان التاء مهموسة والزاي مجهورة وفيها زيادة صفير كما كان في الصاد وايضا حسن ادغام التاء في الذال في قوله فالتاليات
ذكرا لاتفاقهما في انهما من طرف اللسان واصول الثنايا، واما من قرا بالاظهار فلاختلاف المخارج ومفعول الصافات
والزاجرات غير مراد اذ المعنى الفاعلات لذلك، واعرب ابو البقاء صفا مفعولا به على انه قد يقع على الصفوف وهذا
ضعيف، وقيل هو مراد والمعنى والصافات انفسها وهم الملائكة او المجاهدون او المصلون او الصافات اجنحتها في
الطير لقوله والطير صافات، والزاجرات السحاب او العصاة ان اريد بهم العلماء والزجر الدفع بقوة وهو قوة التصويت
والشد، زجراني عروة السباع اذا اشفقوا ان تختلط بالغنم، وزجرت الابل والغنم اذا افزعتها من صوتك، واما
والتاليات فيجوز ان يكون ذكرا مفعوله، والمراد بالذكر القران وغيره من تسبيح وتحميد، ويجوز ان يكون ذكرا مصدرا
ايضا من معنى التاليات وهذا اوفق لما قبله، قال الزمخشري الفاء في فالزاجرات فالتاليات اما ان تدل على ترتيب معانيها
في الوجود كقوله: يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب، اي الذي صبح فغنم فآب، واما على ترتيبها في التفاوت
من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل، واما على ترتيب موصوفاتها في ذلك كقولك رحم الله
المحلقين فالمقصرين، فاما هاهنا فان وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتيب الصفات في التفاضل فاذا كان الموحد الملائكة
فيكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة، وعلى العكس وان ثنيت الموصوف فترتب في الفضل فيكون الصافات
ذوات فضل والزاجرات افضل الى فاضل الى مفضول او تبدا بالادنى ثم بالفاضل ثم بالافضل، والواو في هذه للقسم
والجواب قوله ان الهكم لواحد وقد ذكرنا الكلام في الواو الثانية والثالثة هل هي للقسم او العطف **فصل**
قال ابن عباس والحسن وقتادة والصافات هم الملائكة في السماء يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة، وقال
عليه السلام الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف
المقدمة ويتراصون في الصف، وقيل هم الملائكة تصف اجنحتها في الهواء واقفة حتى يامرها الله بما يريد، وقيل
هي الطير لقوله تعالى والطير صافات فالزاجرات زجرا يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه، وقال قتادة هي
زواجر القران تنهى وتزجر عن القبيح فالتاليات ذكرا هم الملائكة يتلون ذكر الله، وقيل هو جماعة قراء القران وهذا
كله قسم، وقيل فيه اضمار اي ورب الصافات والزاجرات والتاليات **فصل** قال ابو مسلم الاصفهاني لا يجوز
حمل هذه الالفاظ على الملائكة لانها مشعرة بالتانيث والملائكة مبرؤون عن هذه الصفة، واجيب بوجهين الاول
ان الصافات جمع الجمع فانه يقال جماعة صافة ثم يجمع على صافات، والثاني انهم مبرؤون عن التانيث المعنوي واما التانيث
اللفظي فلا وكيف وهم يسمون بالملائكة مع ان علامة التانيث حاصلة **فصل** اختلف الناس هاهنا في المقسم
به على قولين، احدهما ان المقسم به خالق هذه الاشياء لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله تعالى ولان الحلف
في مثل هذا الموضع تعظيم للمحلوف به ومثل هذا التعظيم لا يليق الا بالله تعالى ومما يؤكد هذا انه تعالى صرح به في
قوله والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها، الثاني ان المقسم به هو هذه الاشياء لظاهر
اللفظ فالعدول عنه خلاف الدليل، واما قوله تعالى وما بناها فانه علق لفظ القسم بالسماء ثم عطف عليه
القسم بالباني للسماء ولو كان المراد من القسم بالسماء القسم بمن بنى السماء لزم التكرار في موضع واحد وانه
لا يجوز وايضا لا يبعد ان تكون الحكمة في قسم الله تعالى بهذه الاشياء التنبيه على شرف ذواتها **فان قيل** ذكر
الحلف في هذا الموضع غير لائق وبيانه من وجوه، الاول ان المقصود من هذا القسم اما اثبات هذا المطلوب
عند المؤمن او عند الكافر والاول باطل لان المؤمن مقر به من غير حلف والثاني باطل لان الكافر لا يقر به سواء
حصل الحلف او لم يحصل فهذا الحلف عديم الفائدة على كل تقدير، الثاني انه تعالى اقسم في اول هذه السورة على
ان الاله واحد واقسم في اول سورة الذاريات على ان القيامة حق فقال والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون
لصادق وان الدين لواقع واثبات هذه المطالب العالية الشريفة على المخالفين من الدهرية وامثالهم بالحلف
لا يليق بالعقلاء **فالجواب** من وجوه، الاول انه تعالى قرر التوحيد وصحة البعث والقيامة في سائر السور
بالدلائل اليقينية فلما تقدم ذكر تلك الدلائل لم يبعد تقريرها بذكر القسم تاكيدا لما تقدم لا سيما والقران
انزل بلغة العرب واثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة مالوفة عند العرب، الثاني انه تعالى لما اقسم
بهذه الاشياء على صحة قوله تعالى ان الهكم لواحد ذكر عقيبه ما هو الدليل اليقيني في كون الاله واحدا وهو

قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق وذلك لانه تعالى بين في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا ان انتظام احوال السموات والارض يدل على ان الاله واحد فهاهنا لما قال ان الهكم لواحد اردفه بقوله رب
السموات والارض وما بينهما ورب المشارق كانه قيل بينا ان النظر في انتظام هذا العالم يدل على كون الاله واحدا فتاملوا
ليحصل لكم العلم بالتوحيد، الثالث ان المقصود من هذا الكلام الرد على عبدة الاصنام في قولهم بانها آلهة فكانه قيل ان
هذا المذهب قد بلغ في السقوط والركاكة الى حيث يكفي في ابطاله مثل هذه الحجة **قوله** رب السموات يجوز ان يكون
خبرا ثانيا وان يكون بدلا من لواحد وان يكون خبر مبتدا مضمر وجمع المشارق والمغارب باعتبار جميع السنة فان
للشمس ثلاثمائة وستين مشرقا وثلاثمائة وستين مغربا، واما قوله المشرقين والمغربين فباعتبار الصيف والشتاء
وقيل المراد بالمشارق مشارق الكواكب لان لكل كوكب مشرقا ومغربا اراد المشارق والمغارب كما قال في موضع آخر فلا
اقسم برب المشارق والمغارب **فان قيل** لم اكتفى بذكر المشارق **فالجواب** من وجهين، الاول انه اكتفى بذكر
المشارق كقوله تقيكم الحر، والثاني ان الشروق اقوى حالا من الغروب واكثر نفعا من الغروب فذكر المشرق
تنبيها على كثرة احسان الله تعالى على عباده ولهذه الدقيقة استدل ابراهيم عليه السلام بالمشرق فقال ان الله ياتي
بالشمس من المشرق **فصل** دل قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما على كونه تعالى خالقا لاعمال
العباد لان اعمال العباد موجودة فيما بين السموات والارض وهذه الآية دلت على ان كل ما حصل بين السموات
والارض فالله ربه ومالكه وهذا يدل على ان فعل العبد حصل بخلق الله **فان قيل** الاعراض لا يصح وصفها بانها حصلت
بين السموات والارض لان هذا الوصف انما يكون حاصلا في حيز وجهة والاعراض ليست كذلك قلنا انها لما كانت
حاصلة في الاجسام الحاصلة بين السماء والارض فهي ايضا حاصلة بين السموات والارض **قوله** انا زينا السماء الدنيا
بزينة الكواكب، قرا عاصم برواية ابي بكر بزينة منونة ونصب الكواكب وفيه وجهان احدهما ان تكون الزينة مصدرا
وفاعله محذوف تقديره بان زين الله الكواكب في كونها مضيئة حسنة في انفسها، والثاني ان الزينة اسم لما يزان
به كالليقة اسم لما تلاق به الدواة فتكون الكواكب على هذا منصوبة باضمار اعني او تكون بدلا من سماء الدنيا بدل
اشتمال اي كواكبها او من محل بزينة، وحمزة وحفص كذلك الا انهما خفضا الكواكب على ان يراد بزينة ما يزان به والكواكب
بدل او بيان للزينة وهي قراءة مسروق بن الاجدع، قال الفراء وهو رد معرفة على نكرة كقوله بالناصية ناصية
رد نكرة على معرفة، وقال الزجاج الكواكب بدل من الزينة لانها هي كقولك مررت بابي عبد الله زيد والباقون باضافة زينة
الى الكواكب وهي تحتمل ثلاثة اوجه، احدها ان تكون اضافة اعم الى اخص فتكون للبيان نحو ثوب خز، الثاني انها مصدر
مضاف لفاعله اي بان زينت الكواكب السماء بضوئها، والثالث انه مضاف لمفعوله اي بان زينها الله بان جعلها مشرقة
مضيئة في نفسها، وقرا ابن عباس وابن مسعود بتنوينها ورفع الكواكب فان جعلتها مصدرا ارتفع الكواكب به
وان جعلتها اسما لما يزان به فعلى هذا ترتفع الكواكب باضمار مبتدا اي هي الكواكب وهي في قوة البدل ومنع الفراء
اعمال المصدر المنون وزعم انه لم يسمع وهو غلط لقوله تعالى او اطعام في يوم كما سياتي ان شاء الله تعالى **قوله** وحفظا
منصوب على المصدر باضمار فعل اي حفظناها حفظا واما على المفعول من اجله على زيادة الواو والعامل فيه زينا او على
ان يكون العامل مقدرا اي لحفظها زيناها او على الحمل على المعنى المتقدم اي انا خلقنا السماء الدنيا زينة وحفظا من كل
متعلق بحفظا ان لم يكن مصدرا مؤكدا او بالمحذوف ان جعل مصدرا مؤكدا، ويجوز ان يكون صفة لحفظا قال المبرد
اذا ذكرت فعلا ثم عطفت عليه مصدر فعل آخر نصبت المصدر لانه قد دل على فعل كقولك افعل وكرامة لما قال افعل
علم ان الاسماء لا تعطف على الافعال فكان المعنى افعل ذاك واكرمك كرامة **فصل** قال ابن عباس زينا السماء
الدنيا بضوء الكواكب وحفظناها من كل شيطان مارد اي متمرد برجومها وتقدم الكلام على المارد عند قوله مردوا
على النفاق، واعلم انه تعالى بين انه زين السماء لمنفعتين احدهما تحصيل الزينة والثانية الحفظ من الشيطان المارد
فان قيل انه ثبت في علم الهيئة ان هذه الكواكب الثوابت مركوزة في الكرة الثامنة وان السيارات مركوزة في
الكرات الستة المحيطة بسماء الدنيا فكيف يصح قوله انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب **فالجواب** ان الناظر
السالكين على سطح كرة الارض اذا نظروا الى السماء فانهم يشاهدونها مزينة بهذه الكواكب فصح قوله تعالى انا زينا السماء
الدنيا بزينة الكواكب وايضا فكون هذه الكواكب مركوزة في الفلك الثامن لم يثبت بدليل الفلاسفة عليه **فان
قيل** هذه الشهب التي ترى بها هل هي من الكواكب التي زين الله السماء بها ام لا والاول باطل لان هذه الشهب تبطل
وتضمحل فلو كانت هذه الشهب تلك الكواكب الحقيقية لوجب ان يظهر نقصان كثير في اعداد كواكب السماء ولم يوجد
ذلك فان اعداد كواكب السماء باقية ولم تتغير البتة وايضا فجعلها رجوما للشياطين مما يوجب وقوع النقصان
في زينة السماء فكان الجمع بين هذين المقصودين كالمتناقض وان كانت هذه الشهب جنسا آخر غير الكواكب المركوزة
في الفلك فهو ايضا مشكل لانه تعالى قال في سورة الملك ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين

فالضمير في قوله وجعلناها عائدا الى المصابيح فوجب ان يكون تلك المصابيح هي الرجوم باعيانها **فالجواب** ان هذه
الشهب غير تلك الكواكب الثابتة واما قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
فنقول كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض الا ان تلك المصابيح منها باقية على وجه الدهر آمنة
من التغير والفساد ومنها ما لا يكون كذلك وهي هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين الى
حيث يعلمون وبهذا يزول الاشكال **فان قيل** كيف يجوز ان يذهب الشياطين حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا
يصلون الى مقصودهم البتة وهل يمكن ان يصدر مثل هذا الفعل عن عاقل فكيف من الشياطين الذين لهم مزية
في معرفة الحيل الدقيقة **فالجواب** ان حصول هذه الحالة ليس له موضع معين والا لم يذهبوا اليه وانما
يمنعون من المصير الى مواضع الملائكة ومواضعها مختلفة فربما صاروا الى موضع تصيبهم الشهب وربما صاروا
الى غيره ولا صادفوا الملائكة ولا تصيبهم الشهب فلما هلكوا في بعض الاوقات وسلموا في بعض الاوقات جاز ان يصيروا
الى مواضع يغلب على ظنهم انهم لا تصيبهم الشهب فيها كما يجوز فيمن سلك البحران يسلكه في موضع يغلب على ظنه حصول
النجاة هذا ما ذكره ابو علي الجبائي في الجواب عن هذا السؤال في تفسيره وفي هذا الجواب نظر فان السموات ليس فيها موضع
خال من الملائكة لقوله عليه السلام اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك قائم او راكع او ساجد
قال ابن الخطيب ولقائل ان يقول انهم اذا صعدوا فاما ان يصلوا الى مواضع الملائكة او الى غير تلك المواضع فان وصلوا
الى مواضع الملائكة احترقوا وان وصلوا الى غير مواضع الملائكة لم يفوزوا بمقصود اصلا وعلى كلا التقديرين فالمقصود
غير حاصل واذا كان الفوز بالمقصود محالا وجب ان يمتنعوا عن هذا الفعل والا يقدموا عليه اصلا بخلاف حال المسافر
في البحر فان الغالب عليهم السلامة والفوز بالمقصود واما ههنا فالشيطان الذي يسلم من الاحراق انما يسلم اذا لم
يصل الى مواضع الملائكة واذا لم يصل الى ذلك الموضع لم يظفر بالمقصود فوجب ان لا يعودوا الى هذا العمل البتة والاقرب
في الجواب ان يقال هذه الواقعة انما تتفق في الندرة فلعلها لا تشتهر بسبب ندرتها فيما بين الشياطين والله
اعلم **فان قيل** دلت التواريخ المتواترة على ان حدوث الشهب كان حاصلا قبل مجي النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك
قال الحكما الذين كانوا موجودين قبل مجي النبي صلى الله عليه وسلم بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا في سبب حدوثه
واذا ثبت ان ذلك كان موجودا قبل مجي النبي صلى الله عليه وسلم امتنع حمله على مجي النبي صلى الله عليه وسلم اجاب
القاضي بان الاقرب ان هذه الحالة كانت موجودة قبل النبي صلى الله عليه وسلم ولكنها كثرت في زمان النبي صلى الله عليه
وسلم فصارت بسبب الكثرة معجزة **فان قيل** الشيطان مخلوق من النار كما حكى عن قول ابليس خلقتني من نار وقال والجان
خلقناه من قبل من نار السموم ولهذا السبب يقدر على الصعود الى السموات واذا كان كذلك فكيف يعقل احراق
النار بالنار **فالجواب** يحتمل ان الشياطين وان كانوا من النيران الا انها نيران ضعيفة ونيران الشهب
اقوى حالا منهم لا جرم صار الاقوى مبطلا للاضعف الا ترى ان السراج الضعيف اذا وضع في النار القوية فانه
ينطفئ فكذلك ههنا **قوله** لا يسمعون قرأ الاخوان وحفص بتشديد السين والميم والاصل يتسمعون فادغم والباقون
بالتخفيف فيهما واختار ابو عبيد الاولى وقال لو كان مخففا لم يتعد بالى واجيب عنه بان معنى الكلام لا يسمعون الى
الملا وقال مكي انه جرى مجرى مطاوعه وهو يتسمعون فكما كان يتسمع يتعدى قال تعدى سمع بالى وفعلت وافتعلت
في التعدي سوا فتسمع مطاوع سمع واستمع ايضا مطاوع سمع فتعدى سمع تعدى مطاوعه وهذه الجملة منقطعة
عما قبلها ولا يجوز فيها ان تكون صفة لشيطان على المعنى اذ يصير التقدير من كل شيطان مارد غير سامع او مستمع وهو
فاسد ولا يجوز ايضا ان يكون جوابا لسؤال سائل لم يحفظ من الشياطين اذ يفسد معنى ذلك وقال بعضهم اصل
الكلام لئلا يسمعوا فحذفت اللام وان فارتفع الفعل وفيه تعسف وقد وهم ابو البقا فجوز ان يكون صفة وان
يكون حالا وان يكون مستانفة فالاول والثاني ظاهرا الفساد والثالث ان عني به الاستيناف البياني فهو فاسد ايضا
وان اراد الانقطاع على ما تقدم فهو صحيح **فصل** واحتجوا لقراءة التخفيف بقوله تعالى انهم عن السمع
لمعزولون وروى مجاهد عن ابن عباس ان الشياطين يتسمعون الى الملا الاعلى ثم يمنعون ولا يسمعون والاولى
ان يجيبوا فيقولوا التنصيص على كونهم معزولين عن السمع لا يمنع من كونهم معزولين ايضا عن التسمع بدلالة هذه
الاية بل هذا اقوى في ردع الشياطين ومنعهم من استماع اخبار السماء فان الذي منع من الاستماع بان يكون ممنوعا
عن السمع اولى واعلم ان الفرق بين قولك سمعت حديث فلان وبين قولك سمعت الى حديثه ان قولك سمعت
حديثه يفيد الادراك وسمعت الى حديثه يفيد الاصغا مع الادراك وفي قوله لا يسمعون الى الملا الاعلى قولان
اشهرهما ان تقدير الكلام لئلا يسمعوا فلما حذف الناصب صار كقوله يبين الله لكم ان تضلوا وقوله رواسي ان
تميد بكم قال الزمخشري حذف اللام وان كل واحد منهما جائز بانفراده اما اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب صون
القران عنها قال الزمخشري انه كلام منقطع عما قبله وهو حكاية المسترقين السمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا

ان يسمعوا الى كلام الملائكة الكتبة سكان السموات ومعنى يقذفون يرمون من كل جانب من آفاق السما **قوله** دحورا العامة
على ضم الدال وفي نصبه اوجه احدها المفعول له اي لاجل الطرد الثاني مصدر ليقذفون اي يدحرون دحورا او يقذفون
قذفا فالتجوز اما في الاول واما في الثاني الثالث انه مصدر لمقدر اي يدحرون دحورا الرابع انه في موضع الحال
اي ذوي دحور او مدحورين وقيل هو جمع داحر نحو قاعد وقعود فيكون حالا بنفسه من غير تاويل قال مجاهد
وجوزا مطرودين وروي عن ابي عمرو انه قرأ ويقذفون مبنيا للفاعل وقرأ علي والسلمي وابن ابي عبلة دحورا
بفتح الدال وفيها وجهان احدهما انه صفة كالقبول والولوع وقد تقدم انه محصور في الفاظ والدحور قال
المبرد اشد الصغار والذل وقال ابن قتيبة دحره دحرا ودحورا اي دفعه وطرده وتقدم في سورة الاعراف
عند قوله مذموما مدحورا **قوله** ولهم عذاب واصب دائم قال مقاتل دائم الى النفخة الاولى وتقدم في سورة النحل
في قوله وله الدين واصبا **قوله** الا من خطف فيه وجهان احدهما انه مرفوع المحل بدلا من ضمير لا يسمعون
وهو احسن لانه غير موجب والثاني انه منصوب على اصل الاستثنا والمعنى ان الشياطين لا يسمعون الملائكة الا من خطف
قال شهاب الدين ويجوز ان يكون من شرطية وجوابها فاتبعه او موصولة وخبرها فاتبعه وهو استثنا منقطع وقد
نصوا على ان مثل هذه الجملة تكون استثنا منقطعا كقوله لست عليهم بمسيطر الا من تولى والخطفة مصدر معرف بال
الجنسية او العهدية وقرأ العامة خطف بفتح الخا وكسر الطا مخففة وقتادة والحسن بكسرهما وتشديد الطا وهي
لغة تميم بن مر وبكر بن وائل وعنهما ايضا وعن عيسى بفتح الخا وكسر الطا مشددة وعن الحسن ايضا خطف كالعامة
واصل القراتين اختطف فلما اريد الادغام سكنت التا وقبلها الخا ساكنة فكسرت الخا لالتقا الساكنين ثم كسرت الطا اتباعا
لحركة الخا وهذه واضحة واما الثانية فمشكلة جدا لان كسر الطا انما كان لكسر الخا وهو مفقود وقد وجه على التوهم
وذلك انهم لما ارادوا الادغام نقلوا حركة التا الى الخا ففتحت وهم يتوهمون انها مكسورة لالتقا الساكنين كما تقرر
تقريره فاتبعوا الطا لحركة الخا المتوهمة واذا كانوا قد فعلوا ذلك في مقتضيات الاعراب فلان يفعلوه في غيره اولى
وبالجملة فهو تعليل شذوذ وقرأ ابن عباس خطف بكسر الخا والطا خفيفة وهو اتباع كقولهم نعم بكسر النون والعين
وقرئ فاتبعه بالتشديد **فصل** ومعنى الخطف اي اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة فاتبعه اي لحقه
شهاب ثاقب كوكب مضي قوي لا يخطئه يقتله او يحرقه قيل سمي ثاقبا لانه يثقب بنوره الهوا قال ابن عباس في تفسير
قوله والنجم الثاقب قال انه زحل سمي بذلك لانه يثقب بنوره سبع سموات وقال عطا سمي النجم الذي يرمى به الشياطين
ثاقبا لانه يثقبهم وانما يعودون الى استراق السمع مع علمهم بانهم لا يصلون اليه طمعا في السلامة ونيل المراد كراكب
البحر **قوله** فاستفتهم يعني كفار مكة اي سلهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا يعني السموات والارض والجبال وهو استفهام
بمعنى التقرير اي هذه الاشيا اشد خلقا كقوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله أانتم اشد خلقا ام السما
بناها وقيل بمعنى ام من خلقنا يعني من الامم الخالية لان من تذكر لمن يعقل والمعنى ان هولا ليسوا باحكم خلقا من غيرهم
من الامم وقد اهلكناهم بذنوبهم فما الذي يؤمن هولا من العذاب **قوله** ام من خلقنا العامة على تشديد الميم الاصل
ام من وهي ام المتصلة عطفت من على هم وقرأ الاعمش بتخفيفها وهو استفهام ثان فالهمزة للاستفهام ايضا ومن
مبتدا وخبره محذوف اي الذي خلقنا اشد فهما جملتان مستقلتان وغلب من يعقل على غيره فلذلك اتى بمن **قوله**
انا خلقناهم من طين لازب اي جيد حر لاصق يعلق باليد واللازب بمعنى وقد قرئ لازم لانه يلزم اليد وقيل اللازب
اللزج وقال مجاهد والضحاك منتن واكثر اهل اللغة على ان البا في اللازب بدل من الميم **فصل** وجه النظم
انه قد تقرر ان المقصود الاعظم من القران اثبات الاصول الاربعة وهي الالهيات والمعاد والنبوة واثبات القضا
والقدر فافتتح تعالى هذه السورة باثبات ما يدل على وجود الصانع وعلى علمه وقدرته وحكمته ووحدانيته وهو
خالق السموات والارض وما بينهما ورب المشارق والمغارب ثم فرع عليها اثبات الحشر والنشر والقيامة وهو ان من
قدر على ما هو اصعب واشق وجب ان يقدر على ما هو دونه وهو قوله فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا فمن قدر
على ما هو اشد واصعب فبان يكون قادرا على اعادة الحياة في هذه الاجساد كان اولى وايضا فقوله انا خلقناهم من
طين لازب يعني ان هذه الاجساد قابلة للحياة اذ لو لم تكن قابلة للحياة لما صارت حية في المرة الاولى والمراد بقوله
انا خلقناهم من طين لازب يعني اصلهم وهو آدم عليه السلام روي ان القوم قالوا كيف يعقل تولد الانسان لا من ابوين
ولا من نطفة فكانه تعالى قال لهم انكم لما اقررتم بحدوث العالم واعترفتم بان السموات والارض وما بينهما انما حصل
بتخليق الله تعالى وتكوينه فلا بد وان تعترفوا بان الانسان الاول انما حدث لا من الابوين فان اعترفتم به فقد
سقط قولكم ان الانسان كيف يحدث من غير نطفة ومن غير الابوين وايضا فقد اشتهر عند الجمهور ان آدم
مخلوق من طين لازب ومن قدر على خلق الحياة من الطين اللازب كيف يعجز عن اعادة الحياة الى هذه الذوات
ويمكن ان يكون المراد بقوله انا خلقناهم من طين لازب اي كل الناس ووجهه ان الحيوان انما يتولد من المني ودم الطمث

والتي انما يتولد من الدم فالحيوان انما يتولد من الدم والدم انما يتولد من الغذا والغذا اما حيواني واما نباتي اما تولد الحيوان
الذي صار غذا فالكلام في كيفية تولده كالكلام في تولد الانسان فثبت ان الاصل في الاغذية هو النبات والنبات انما
يتولد من امتزاج الارض بالما وهو الطين اللازب فظهر ان كل الخلق متولدون من الطين اللازب وهو قابل للحياة والله
تعالى قادر عليها وهذه القابلية والقادرية واجبة البقا فوجب بقاء هذه الصفة في كل الاوقات وهذه بيانات ظاهرة
قوله بل عجبت قرا الاخوان بضم التا والباقون بفتحها فالفتح ظاهر وهو ضمير الرسول اذ كل من يصح منه ذلك
واما الضم فعلى صرفه للمخاطب اي قل يا محمد بل عجبت انا او على اسناده للباري تعالى على ما يليق به وقد تقدم تحرير هذا في
البقرة وما ورد منه في الكتاب والسنة وعن شريح انه انكرها وقال ان الله لا يعجب فبلغت ابراهيم النخعي فقال ان شريحا
كان معجبا برايه قراها من هو اعلم منه يعني عبد الله بن مسعود وابن عباس والعجب من الله ليس كالتعجب من الادميين
كما قال فيسخرون منهم سخر الله منهم وقال نسوا الله فنسيهم فالعجب من الادميين انكاره وتعظيمه والعجب من الله قد
يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضى كما جاء في الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وقوله عجب
ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وسيل جنيد عن هذه الاية فقال ان الله لا يعجب من شي ولكن الله وافق رسوله
لما عجب رسوله وقال ان تعجب فعجب قولهم اي هو كما تقوله **قوله** ويسخرون يجوز ان يكون استينافا وهو الاظهر
وان يكون حالا والمعنى اي عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك وقال قتادة عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم
من هذا القران حين انزل وضلال بني ادم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع القران يومن به
فلما سمع المشركون القران سخروا منه ولم يومنوا فعجب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال الله تعالى بل عجبت
ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون اي اذا وعظوا بالقران لا يتعظون وقرا جناح بن جبيش ذكروا مخففا واذا راوا
اية قال ابن عباس ومقاتل يعني انشقاق القمر يستسخرون يسخرون ويستهزيون وقيل يستدعي بعضهم من بعض السخرية
وقرئ يستسحرون بالحا المهملة وقالوا ان هذا الا سحر مبين اي سحر بين يعني اذا راوا اية ومعجزة سخروا منها لاعتقادهم
انها من باب السحر **فصل** قال ابن الخطيب والذي عندي في هذا الباب ان يقال القوم كانوا يستبعدون الحشر والقيامة
ويقولون من مات وصار ترابا وتفرقت اجزاوه في العالم كيف يعقل عوده بعينه وبلغوا في هذا الاستبعاد الى حيث
كانوا يسخرون ممن يذهب الى هذا المذهب واذا كان كذلك فلا طريق الى ازالة هذا الاستبعاد عنهم الا من وجهين احدهما
ان يذكر لهم الدليل على صحة الحشر والنشر مثل ان يقال لهم هل تعلمون ان القادر على الاصعب الاشق يجب ان يكون قادرا
على الاسهل فهذا الدليل وان كان جليا قويا الا ان اوليك المنكرين اذا عرض على قلوبهم هذه المقدمات لا يفهمونها ولا يقفون
عليها واذا ذكروا لم يذكروها لشدة بلادتهم وجهلهم فلا جرم لم ينتفعوا بهذا الدليل والطريق الثاني ان يثبت الرسول
صلى الله عليه وسلم صحة رسالته بالمعجزات ثم يقول لما ثبت بالمعجزة كوني رسولا صادقا من عند الله فانا اخبركم بان البعث
والقيامة حق ثم ان اوليك المنكرين لا ينتفعون بهذا الطريق ايضا لانهم اذا راوا معجزة قاهرة واية باهرة حملوها على انها
سحر وسخروا منها واستهزوا بها وهذا هو المراد من قوله تعالى واذا راوا اية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين **قوله**
ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما ايذا لمبعوثون وهذا بيان للسبب الذي حملهم على الاستهزا بجميع المعجزات وهو اعتقادهم ان
من مات وتفرقت اجزاوه في العالم فما فيه من الارضية اختلط بتراب الارض وما فيه من المايية والهوايية اختلط
ببخارات العالم فهذا الانسان كيف يعقل عوده بعينه حيا ثانيا ثم انه تعالى لما حكى عنهم هذه الشبهة قال قل لهم يا محمد
نعم وانتم داخرون اي نعم تبعثون وانتم صاغرون والدخور اشد الصغار وانما اكتفى تعالى بهذا القدر من الجواب
لانه ذكر في الاية المتقدمة البرهان القطعي على انه امر ممكن واذا ثبت الجواز القطعي فلا سبيل الى القطع بالوقوع
الا باخبار المخبر الصادق فلما قامت المعجزات على صدق محمد عليه السلام كان واجب الصدق فكان مجرد قوله نعم دليلا
قاطعا على الوقوع **قوله** او اباونا قرا ابن عامر وقالون بسكون الواو على انها او العاطفة المقتضية للشك
والباقون بفتحها على انها همزة استفهام دخلت على واو العطف وهذا الخلاف جار ايضا في الواقعة وتقدم مثل
هذا في الاعراف في قوله اوامن اهل القرى فمن فتح الواو جاز في اباونا وجهان احدهما ان يكون معطوفا على محل
ان واسمها والثاني ان يكون معطوفا على الضمير المستتر في لمبعوثون واستغني بالفصل بهمزة الاستفهام ومن سكنها
تعين فيه الاول دون الثاني على قول الجمهور لعدم الفاصل وقد اوضح هذا الزمخشري حيث قال اواباونا معطوف
على محل ان واسمها او على الضمير في لمبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام قال ابو حيان
اما قوله معطوف على محل ان واسمها فمذهب سيبويه خلافه فان قولك ان زيدا قايم وعمرو فيه مرفوع بالابتدا
وخبره محذوف واما قوله او على الضمير في لمبعوثون الى اخره فلا يجوز ايضا لان همزة الاستفهام لا تدخل الا على
الجمل لا على المفرد لانه اذا اعطف على المفرد كان الفعل عاملا في المفرد بواسطة حرف العطف وهمزة الاستفهام
لا يعمل ما قبلها فيما بعدها فقوله اواباونا مبتدا محذوف الخبر تقديره اواباونا مبعوثون يدل عليه ما قبله

ما قبله فاذا قلت اقام زيد او عمرو فعمرو مبتدا محذوف الخبر لما ذكرنا قال شهاب الدين اما الرد الاول فلا يلزم لانه لا يلزم من مذهب
سيبويه واما الثاني فان الهمزة مؤكدة للاولى فهي داخلة في الحقيقة على الجملة الا انه فصل بين الهمزتين بان واسمها وخبرها
ويدل على هذا ما قاله هو في سورة الواقعة فانه قال دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف فان قلت كيف حسن
العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تاكيد بنحن قلت حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما اشركنا ولا اباونا
لفصل المؤكدة بالنفي انتهى فلم يذكر ههنا غير هذا الوجه ويشهد بقوله لفصل المؤكدة للنفي لان لا مؤكدة للنفي المتقدم بما الا
ان هذا مشكل بان الحرف اذا كرر للتوكيد لم يعد في الامر العام الا باعادة ما اتصل به اولا او بضميره وقد مضى القول فيه
وتحصل في رفع اباونا ثلاثة اوجه العطف على محل ان واسمها والعطف على الضمير المستكن في لمبعوثون والرفع على الابتدا
والخبر مضمر والعامل في اذا محذوف اي ابعث اذا متنا هذا اذا جعلتها ظرفا غير متضمن لمعنى الشرط فان جعلتها شرطية كان
جوابها عاملا فيها اي اذا متنا بعثنا او حشرنا وقرئ اذا دون استفهام وقد مضى القول فيه في الرعد **قوله** وانتم داخرون
جملة حالية العامل فيها الجملة القايمة مقامها نعم اي تبعثون وانتم صاغرون اذلا قال ابو حيان وقرا ابن وثاب نعم
بكسر العين وتقدم ان الكسائي قراها كذلك حيث وقعت وكلامه هنا يوهم ان ابن وثاب منفرد بها **قوله** فانما هي قال
الزمخشري فانما هي جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما هي الا زجرة واحدة قال ابو حيان وكثيرا ما تضمر جملة الشرط
قبل فا اذا ساغ تقديره ولا ضرورة تدعوا الى ذلك ولا يحذف الشرط ويبقى جوابه الا اذا انجزم الفعل في الذي يطلق عليه
انه جواب للامر والنهي وما ذكر معهما اما مبتدا فلا يجوز حذفه **قوله** هي ضمير البعثة المدلول عليها بالسياق لما كانت
بعثتهم ناشية عن الزجرة جعلت اياها مجازا وقال الزمخشري هي مبهمة يوضحها خبرها قال ابو حيان وكثيرا ما يقول هو
وابن مالك ان الضمير يفسره خبره وقف ابو حاتم على ويلنا وجعل ما بعده من قول الباري تعالى وبعضهم جعل هذا يوم
الدين من كلام الكفرة فيقف عليه وقوله هذا يوم الفصل من قول الباري تعالى وقيل الجميع من كلامهم وعلى هذا فيكون قوله
تكذبون اما التفاتا من التكلم الى الخطاب واما مخاطبة بعضهم لبعض **فصل** لما بين في الاية المتقدمة ما يدل
على انكار البعث والقيامة واردفه بما يدل على وقوع القيامة ذكر في هذه الايات بعض تفاصيل احوال القيامة فمنها قوله
فانما هي زجرة واحدة اي قصة البعث والقيامة زجرة واحدة اي صيحة واحدة وهي نفخة البعث فاذا هم ينظرون اي احيا
ينظر بعضهم الى بعض وقيل ينتظرون ما يحدث لهم او ينظرون الى البعث الذي كذبوا به والزجرة هي الصيحة التي يزجر بها
كالزجرة بالنعم والابل عند الحث ثم كثر استعمالها حتى صارت بمعنى الصيحة قال ابن الخطيب ولا يبعد ان يقال تلك الصيحة
انما سميت زجرة لانها تزجر الموتى عن الرقود في القبور وتحثهم على القيام من القبور الى الحضور في موقف القيامة **فان قيل**
ما الفايدة في هذه الصيحة للاموات وهذه النفخة جارية مجرى السبب لحياتهم فتكون متقدمة على حياتهم فلزم ان هذه الصيحة
انما تكون حال كونهم امواتا فتكون الصيحة عديمة الفايدة فهي عبث والعبث لا يجوز في فعل الله **فالجواب**
على قول اهل السنة يفعل الله ما يشا واما المعتزلة فقال القاضي فيه وجهان الاول ان يعتبر بها الملايكة والثاني ان يكون
فايدتها التخويف والارهاب **فصل** وهذه الصيحة لا تاثير لها في الحياة بل ان الصيحة الاولى استعقبتهم
الموت والثانية الحياة وذلك يدل على ان الصيحة لا اثر لها في الموت ولا في الحياة بل خالق الموت والحياة هو الله تعالى كما قال
الذي خلق الموت والحياة روي ان الله تعالى يامر اسرافيل فينادي ايتها العظام النخرة والجلود البالية والاجزا المتفرقة
اجتمعوا باذن الله تعالى الحالة الثانية من تفاصيل احوال القيامة قولهم بعد القيام من القبور يا ويلنا هذا يوم الدين
اي يوم الحساب ويوم الجزا قال الزجاج الويل كلمة يقولها القايل وقت الهلكة ويحتمل ان يكون المراد بقولهم هذا يوم الدين
اي اليوم المذكور في قوله مالك يوم الدين اي لا مالك في ذلك اليوم الا الله تعالى واما قوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به
تكذبون تقدم الكلام على قايله هل هو من كلام الله تعالى او من كلام الملايكة او من كلام المومنين او من كلام الكفار **قوله**
احشروا الذين ظلموا وهذا من كلام الملايكة والمراد اجمعوا الذين اشركوا الى الموقف للحساب والجزا **فان قيل** ما معنى احشروا
مع انهم قد حشروا من قبل وحضروا محفل القيامة وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين وقالت الملايكة لهم بل هذا يوم الفصل اجاب
القاضي عنه وقال المراد احشروهم الى دار الجزا وهي النار ولذلك قال تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم اي دلوهم على ذلك
الطريق ثم سال نفسه وقال كيف يصح ذلك وقد قال تعالى وقفوهم انهم مسيولون ومعلوم ان حشرهم الى الجحيم انما
يكون بعد المسالة فاجاب بانه ليس في العطف بحرف الواو ترتيب ولا يمتنع ان يقال احشروهم وقفوهم مع انا نعلم
ان الوقوف كان قبل الحشر الى النار قال ابن الخطيب وعندي عنه وجه اخر وهو انه يقال انهم اذا قاموا من قبورهم
لم يبعد ان يقفوا هناك لحيرة تلحقهم لمعاينتهم اهوال القيامة ثم ان الله تعالى يقول للملايكة احشروا الذين ظلموا ۝
واهدوهم الى صراط الجحيم اي سوقوهم الى طريق جهنم وقفوهم هناك ويحصل السوال هناك ثم من هناك يساقون الى
النار **قوله** وازواجهم العامة على نصبه وفيه وجهان احدهما العطف على الموصول والثاني انه مفعول معه قال
ابو البقا وهو في المعنى اقوى وانما قال في المعنى لانه في الصناعة ضعيف لانه امكن العطف فلا يعدل عنه وقرا

عيسى بن سليمان الحجازي بالرفع عطفا على ضمير ظلموا وهو ضعيف لعدم الفاصل وقوله وما كانوا يعبدون لا يجوز فيه هذا لانه
لا يتسبب اليهم ظلم ان لم يرد بهم الشياطين وان اريد بهم ذلك جاز فيه الرفع ايضا على ما تقدم قوله انهم مسئولون
العامة على الكسر على الاستيناف المفيد للعلة وقرئ بفتحها على حذف لام العلة اي قفوهم لاجل سؤال الله اياهم فصل
المراد بالازواج اشباههم وامثالهم واتباعهم قال قتادة والكلبي كل من عمل مثل عملهم فاهل الخمر مع اهل الخمر واهل الزنا
مع اهل الزنا واليهودي مع اليهودي والنصراني مع النصراني لقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة اي اشكالا واشباها
وتقول عندي من هذا ازواج اي امثال وتقول زوجان من الخف لان كل واحد منهما نظير الاخر وكذلك الرجل
والمرأة يسميان زوجين لكونهما متشابهين وكذلك العدد الزوج وقال الضحاك ومقاتل قرناؤهم من الشياطين
كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقال الحسن ازواجهم المشركات وما كانوا يعبدون من دون الله في الدنيا يعني
الاوثان والطواغيت وقال مقاتل يعني ابليس وجنوده لقوله ان لا تعبدوا الشيطان فاهدوهم الى صراط الجحيم قال
ابن عباس دلوهم الى طريق النار وقال ابن كيسان والاصم قدموهم والعرب تسمي السابق هاديا قال الواحدي
وهذا وهم لانه يقال هدى اذا تقدم ومنه الهادية والهوادي وهاديات الوحش ولا يقال هدى بمعنى قدم وقفوهم
احبسوهم يقال وقفت الدابة اقفها وقفا فوقفت هي وقوفا قال المفسرون لما سيقوا الى النار عند الصراط لان السؤال
عند الصراط فقال قفوهم انهم مسئولون قال ابن عباس عن اقوالهم وافعالهم وقيل يسألهم الخزنة الم يأتكم نذير
رسل منكم رسل بالبينات قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ويجوز ان يكون هذا السؤال هو قوله بعد ذلك
مالكم لا تناصرون اي تسألون توبيخا لهم فيقال مالكم لا تناصرون قال ابن عباس لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا
وذلك ان ابا جهل قال يوم بدر نحن جميع منتصر فقيل لهم يوم القيامة مالكم لا تناصرون وقيل يقال للكفار ما لشركائكم لا
يمنعونكم من العذاب قوله تعالى مالكم يجوز ان يكون منقطعا عما قبله والمسئول عنه غير مذكور ولذلك قدره بعضهم
عن اعمالهم ويجوز ان يكون هو المسئول عنه في المعنى فيكون معلقا للسؤال ولا تناصرون جملة حالية العامل فيها
الاستقرار في لكم وقيل ثم على حذف حرف الجر ان الناصبة فلما حذفت ان ارتفع الفعل والاصل في ان لا وتقدمه
قراءة البزي لا تناصرون بتشديد التاء وقرئ تتناصرون على الاصل قوله تعالى بل هم اليوم مستسلمون قال ابن
عباس خاضعون وقال الحسن منقادون يقال استسلم للشيء اذا انقاد له وخضع والمعنى هم اليوم اذلاء منقادون
لا حيلة لهم في دفع تلك المضار قوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قيل الرؤساء والاتباع يتساءلون يتخاصمون
وقيل هم والشياطين يقولون انكم كنتم تأتوننا عن اليمين اي من قبل الدين فتضلونا عنه قاله الضحاك وقال مجاهد
عن الصراط الحق واليمين عبارة عن الدين والحق كما اخبر الله عن ابليس ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن
ايمانهم وعن شمائلهم فمن اتاه الشيطان من قبل اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق واليمين ههنا استعارة
عن الخيرات والسعادات لان الجانب الايمن افضل من الجانب الايسر اجماعا ولا تباشر الاعمال الشريفة الا باليمين
ويتفاءلون بالجانب الايمن ويسمونه البارح وكان عليه السلام يحب التيامن في شانه كله وكاتبا الحسنات من
الملائكة على اليمين ووعد الله المحسن ان يعطيه الكتاب باليمين وقيل ان الرؤساء كانوا يحلفون للمستضعفين ان ما يدعونهم
اليه هو الحق فوثقوا بايمانهم وقيل عن اليمين اي عن القوة والقدرة كقوله لاخذنا منه باليمين عن اليمين حال من
فاعل تأتوننا واليمين اما الجارحة عبر بها عن القوة واما الحلف لان المتعاقدين بالحلف يمسح كل منهما يمين الاخر فالتقدير
على الاول تأتوننا اقوياء وعلى الثاني مقسمين حالفين قوله تعالى بل لم تكونوا مؤمنين وهذا جواب الرؤساء للاتباع
اي ما كنتم موصوفين بالايمان حتى يقال انا ازلناكم عنه وانما الكفر من قبلكم وما كان لنا عليكم من سلطان من قوة
وقدرة حتى نقهركم ونجبركم بل كنتم قوما طاغين ضالين فحق علينا وجب علينا جميعا قول ربنا يعني كلمة العذاب
وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين قوله تعالى انا لذائقون الظاهر انه من اخبار الكفرة المتبوعين
او الجن بانهم ذائقون العذاب ولا عدول في هذا الكلام وقال الزمخشري ولزمنا قول ربنا انا لذائقون يعني وعيد
الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون
بذلك عن انفسهم ونحوه قول القائل لقد علمت هوازن قل مالي ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف
للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية الحالف والتاء لاقبال المحلف على المحلف قوله تعالى فاغويناكم انا
كنا غاوين اي انما اقدمنا على اغوائكم لانا كنا موصوفين في انفسنا بالغواية وفيه دقيقة اخرى كانهم قالوا ان
اعتقدتم ان غوايتكم بسبب اغوائنا فغوايتنا ان كانت بسبب اغواء اخر لزم التسلسل وذلك محال فعلمنا ان
حصول الغواية والرشاد ليس من قبلنا بل من قبل غيرنا وذلك الغير هو الذي ذكره فيما قبل وهو قوله فحق علينا
قول ربنا ثم قال تعالى بعده فانهم يومئذ في العذاب مشتركون يعني الرؤساء والاتباع يومئذ يتساءلون اذ تراجعوا
الكلام فيما بينهم ثم قال انا كذلك نفعل بالمجرمين اي الكفار قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء ثم وصفهم بانهم كانوا

بانهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها ويقولون اينا لتاركوا الهتنا
لشاعر مجنون يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن كثير اينا لتاركوا بهمزة وياء بعدها خفيفة والف ساكنة بلا مد
وقرأ نافع في رواية قالون وابو عمرو كذلك ويمدان والباقون بهمزتين بلا مدة ثم قال الله تعالى كذبهم في ذلك الكلام بقوله
بل جاء بالحق اي جاء بالدين الحق قوله تعالى وصدق المرسلين اي صدقهم محمد عليه السلام يعني صدقهم في مجيئهم بالتوحيد
وقرأ عبد الله صدق خفيفا لذا المرسلون فاعلا به اي صدقوا فيما جاؤا به ثم التفت من الغيبة الى الحضور فقال
انكم لذائقوا العذاب الاليم قوله تعالى لذائقوا العذاب العامة على حذف النون والجر وقرأ بعضهم باثباتها والنصب
وهو الاصل وقرأ ابان بن تغلب عن عاصم وابو السمال في رواية بحذف النون والنصب اجرى النون مجرى التنوين
في حذفها لالتقاء الساكنين كقوله احد الله الصمد ولا ذاكر الله الا قليلا وقال ابو البقاء وقرئ شاذا بالنصب وهو
سهو من قاريه لان اسم الفاعل تحذف منه النون وينصب اذا كان فيه الالف واللام قال شهاب الدين وليس بسهو لما تقدم
وقرأ ابو السمال ايضا لذائق بالافراد والتنوين العذاب نصبا وتخرجه على حذف اسم جمع هو صفته اي انكم لفريق
او لجمع ذائق ليتطابق الاسم والخبر في الجمعية ثم كانه قيل فكيف يليق بالرحيم الكريم المتعالي من النفع والضر ان يعذب
عباده فاجاب بقوله وما تجزون الا ما كنتم تعملون اي الا جزاء ما كنتم تعملون قوله تعالى الا عباد الله استثناء منقطع اي لكن
عباد الله المخلصين الموحدين وقوله اولئك لهم بيان لحالهم وقد تقدم في فتح اللام وكسرها من المخلصين قراءتان فمن
قرأ بالفتح فالمعنى ان الله تعالى اخلصهم واصطفاهم بفضله وبالكسر هو انهم اخلصوا الطاعة لله تعالى والرزق
المعلوم قيل بكرة وعشيا لقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فيكون المراد منه معلوم الوقت وهو مقدار غدوة وعشية
وان لم يكن ثم بكرة ولا عشية وقيل ذلك الرزق معلوم الصفة اي مخصوصا بصفات من طيب طعم ولذة وحسن
منظر وقيل معناه انهم يتيقنون دوامه لا كرزق الدنيا الذي لا يعلم متى يحصل ومتى ينقطع وقيل معلوم القدر الذي
يستحقونه باعمالهم من ثواب الله وقد بين تعالى انه يعطيهم غير ذلك تفضلا قوله تعالى فواكه يجوز ان يكون بدلا
من رزق وان يكون خبر مبتدأ مضمر اي ذلك الرزق فواكه وفي الفواكه قولان احدهما انها عبارة عما يؤكل للتلذذ لا للحاجة
وارزاق اهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات فان اجسامهم محكومة مخلوقة للابد فكل ما
ياكلونه فهو على سبيل التلذذ والثاني ان المقصود بذكر الفاكهة التنبيه بالادنى على الاعلى اي لما كانت الفاكهة حاضرة
ابدا كان الماكول للغذاء اولى بالحضور قوله تعالى وهم مكرمون قرأ العامة مكرمون خفيفة الراء وابو مقسم بتشديدها
والمعنى وهم مكرمون بثواب الله في جنات النعيم لما ذكر ماكولهم ذكر مسكنهم وقوله في جنات يجوز ان يتعلق بمكرمون
وان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا قوله تعالى على سرر العامة على ضم الراء وابو السمال بفتحها وهي لغة بعض كلب
وتميم يفتحون عين فعل جمعا اذا كان اسما مضاعفا واما الصفة نحو ذلك ففيها خلاف والصحيح انه لا يجوز الا
السماع وورد في الجوامد بدون الصفات وعلى سرر متقابلين حال ويجوز ان يتعلق على سرر متقابلين ويطاف
صفة لمكرمون او حال من المضمر في متقابلين او من الضمير في الجار اذا جعلناه حالا ومعنى متقابلين لا يرى
بعضهم قفا بعض ولما ذكر الماكل والمسكن ذكر بعده صفة المشرب فقال يطاف عليهم بكاس من معين والكاس من الزجاج
ما دام فيه شراب والا فهو قدح وقد يطلق الكاس على الخمر نفسها وهو مجاز سائغ والشد
وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها ومن معين صفة لكاس والمعين معناه الخمر الجارية في الانهار اي ظاهرة
تراها العيون وتقدم الكلام في معين ماخوذ من عين الماء اي يخرج من العيون كما يخرج الماء وسمي معينا لظهوره يقال
عان الماء اذا ظهر جاريا يلعب فهو مفعول من العين نحو مبيع ومكيل سمي معينا لانه يجري ظاهرا للعين كما تقدم ويجوز
ان يكون فعيلا من المعن وهو الماء الشديد الجري ومنه امعن في السير اذا اشتد فيه قوله بيضاء صفة للكاس
وقال ابو حيان صفة للكاس او للخمر قال شهاب الدين لم يذكر الخمر اللهم الا ان يعني بالمعين الخمر وهو بعيد جدا
ويمكن ان يجاب بان الكاس انما سميت كاسا اذا كان فيها الخمر وقرأ عبد الله صفراء وهي مخالفة للسواد الا انه قد
جاء وصفها بهذا اللون وانشد لبعض المولدين صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء صفة
ايضا وصفت بالمصدر مبالغة كانها نفس اللذة وعينها كما يقال فلان جود وكرم اذا ارادوا المبالغة وقال
الزجاج وعلى حذف المضاف اي ذات لذة او على انه تأنيث لذ بمعنى لذيذ فيكون وصفا على فعل كصعب يقال لذ الشيء
يلذ لذا فهو لذيذ ولذ والشد تحدثنا اللذ الذي لو كلمت اسد الفلاة به اتين سراعا وقال اخر
ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان والشد واللذيذ كل شيء مستطاب والشد
تلذ لطعمه وتخال فيه اذا نبهتها بعد المنام وللشاربين صفة للذة وقال الليث اللذ واللذيذ يجريان مجرى واحد
في النعت يقال شراب لذ ولذيذ قال تعالى بيضاء لذة للشاربين وقال تعالى من خمر لذة للشاربين وعلى هذا اللذة
بمعنى لذيذ قوله لا فيها غول صفة ايضا وبطل عمل لا وتكررت لتقدم خبرها ولولا التقدم لبنيت وتقدم

مثل هذا الخبر والبحث مع ابي حيان فيه قال الفرا العرب تقول ليس فيها غيلة وغائلة وغول سوا وقال ابو عبيدة الغول
ان يغتال عقولهم وانشد قول مطيع بن اياس وما زالت الكاس تغتالنا وتذهب بالاول فالاول وقال الليث
الغول الصداع والمعنى ليس فيها صداع كما في خمر الدنيا وقال الواحدي الغول حقيقته الاهلاك يقال غاله غولا
واغتاله اى اهلكه والغول والغائل المهلك وسمي الموضع غولا لانه يؤدي الى الهلاك والغول كما اغتالك اى اهلكك
ومنه الغول بالضم شي توهمته العرب ولها فيه اشعار كالعنقا يقال غالتني كذا ومنه الغيلة في القتل والرضاع قال
معنى اولونا ناعمين يعيشهم جميعا وغالني بمكة غول فالغول اسم لجميع الاذى وقال الكلبي لا فيها اثم وقال
قتادة وجع البطن وقال اهل المعاني الغول فساد يلحق امره في خفية وخمر الدنيا يحصل فيها انواع من الفساد
منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والقي والبول ولا يوجد شي من ذلك في خمر الجنة قوله ولا هم عنها
ينزفون قرا الاخوان ينزفون هنا وفي الواقعة بضم اليا وكسر الزاي وافقهما عاصم على ما في الواقعة فقط والباقون
بضم اليا وفتح الزاي وابن ابي اسحق بالفتح والكسر وطلحة بالفتح والضم فالقراة الاولى من انزف اذا ذهب عقله من
السكر فهو نزيف ومنزوف وكان قياسه منزف كمكرم ونزف الرجل الخمر فانزف هو ثلاثيه متعد ورباعيه بالهمزة
قاصر وهو نحو كببته فاكب وقشعت الريح السحاب فانقشع اى دخلا في الكب والقشع وقال الاسود
لعمري لئن انزفتم او صحوتم لبئس الندامى انتم آل ابجرا ويقال انزف ايضا اى نفد شرابه واما الثانية فمن نزف الرجل
ثلاثيا مبنيا للمفعول بمعنى سكر وذهب عقله ايضا ويجوز ان تكون هذه القراة من انزف ايضا بالمعنى المتقدم وقيل
هو من قولهم نزفت الركية اى نزحت ماءها والمعنى انهم لا تذهب خمورهم بل هي باقية ابدا وضمن ينزفون معنى يصدون
عنها بسبب النزيف واما القراتان الاخيرتان فيقال نزف الرجل ونزف بالكسر والضم بمعنى ذهب عقله بالسكر ولما ذكر
تعالى صفة مشروبهم ذكر عقيبه صفة منكوحاتهم فقال وعندهم قاصرات الطرف عين فقوله قاصرات الطرف يجوز ان يكون
من باب الصفة المشبهة اى قاصرات اطرافهن كمنطلق اللسان وان يكون من باب اسم الفاعل على اصله فعلى الاول
المضاف اليه مرفوع المحل وعلى الثاني منصوبه اى قصرت اطرافهن على ازواجهن وهو مدح عظيم قال امرؤ القيس
من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا ومعنى القصر في اللغة الحبس ومنه قوله تعالى مقصورات
في الخيام والمعنى انهن يحبسن نظرهن ولا ينظرن الى غير ازواجهن والعين جمع عيناء وهي الواسعة العين والذكر اعين قال
الزجاج كبار الاعين حسانها يقال رجل اعين وامراة عيناء ورجال ونساء عين قوله كانهن بيض مكنون والبيض جمع بيضة
وهو معروف والمراد به هنا بيض النعام والمكنون المصون المستور من كننته اى جعلته في كن والعرب تشبه المراة بها في لونها
وهو بياض مشوب ببعض صفرة والعرب تحبه قال امرؤ القيس وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل
كبكر مقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلل وقال ذو الرمة بيضاء في مرج صفراء في غنج كانها فضة قد مسها ذهب
وقال بعضهم انما شبهت المراة بها في اجزائها فان البيضة من اي جهة اتيتها كانت في راي العين مشبهة للاخرى وهو
في غاية المدح وقد لحظ هذا بعض الشعراء حيث قال تناسبت الاعضاء فيها فلا ترى بهن اختلافا بل اتين على قدر
ويجمع البيض على بيوض قال بتيها قفر والمطي كانها قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها قال الحسن شبههن ببيض النعام
تكنها بالريش من الريح والغبار فلونها ابيض في صفرة يقال هذا احسن الوان النسا تكون المراة بيضا مشربة صفرة
قوله فاقبل بعضهم على بعض وهذا عطف على قوله يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب قال
وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام واتى بقوله فاقبل ماضيا لتحقق وقوعه كقوله ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار وقوله يتساءلون حال من فاعل اقبل والمعنى ان اهل الجنة يسال بعضهم بعضا عن حاله في الدنيا
قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين اي في الدنيا ينكر البعث ويقول انك لمن المصدقين اى كان يوبخني على
التصديق بالبعث والقيامة ويقول تعجبا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اى لمحاسبون ومجازون والمعنى
ان ذلك القرين كان يقول هذه الكلمات على سبيل الاستنكار واعلم انه تعالى لما ذكر ان اهل الجنة يتساءلون
عند اجتماعهم على الشرب ويتحدثون كانت من جملة كلامهم انهم يتذكرون ما كان قد حصل لهم في الدنيا مما يوجب
الوقوع في عذاب الله ثم انهم تخلصوا عنه وفازوا بالسعادة الابدية قال مجاهد كان ذلك القرين شيطانا
وقيل كان من الانس وقال مقاتل كانا اخوين وقيل كانا شريكين حصل لهما ثمانية الاف دينار فتقاسماها واشترى
احدهما دارا بالف دينار فاراها صاحبه وقال كيف ترى حسنها فقال ما احسنها ثم خرج فتصدق بالف دينار وقال
اللهم ان صاحبي قد ابتاع هذه الدار بالف دينار واني اسالك دارا من دور الجنة ثم ان صاحبه تزوج امراة
حسنا بالف دينار فتصدق صاحبه بالف دينار لاجل ان يزوجه الله تعالى من الحور العين ثم ان صاحبه
اشترى بساتين بالفي دينار ثم ان الله تعالى اعطاه ما طلب في الجنة وقيل كان وانما ذكر المكنون والبيض جمع
مونث لانه رده الى اللفظ احدهما كافرا اسمه نطروس والاخر مومن اسمه يهودا وهما اللذان قص الله خبرهما

خبرهما في سورة الكهف واضرب لهم مثلا رجلين قوله لمن المصدقين العامة على تخفيف الصاد من التصديق اى لمن المصدقين
بلقا الله وقرى بتشديدها من الصدقة واختلف القرا في هذه الاستفهامات الثلاثة وهي قوله انك لمن المصدقين
ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون فقرا نافع الاولى والثانية بالاستفهام بهمزة غير ممدودة والثالثة بكسر
الالف من غير استفهام ووافقه الكسائي الا انه يستفهم الثانية بهمزتين وابن عامر الاولى والثالثة بالاستفهام بهمزة
والثانية بكسر الالف من غير استفهام والباقون بالاستفهام في جميعها ثم اختلفوا فابن كثير يستفهم بهمزة واحدة غير
مطولة وبعدها ياء ساكنة خفيفة وابو عمرو مطولة وعاصم وحمزة بهمزتين فصل ثم ان ذلك الرجل يقول لجلسائه يدعو
الى كمال السرور بالاطلاع الى النار لمشاهدة ذلك القرين ومخاطبته هل انتم مطلعون الى النار فيقول اهل الجنة انت اعرف به
منا فاطلع انت قال ابن عباس ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى النار قوله مطلعون قرا العامة بتشديد الطاء مفتوحة
وبفتح النون فاطلع ماضيا مبنيا للفاعل افتعل من الطلوع وقرا ابن عباس في اخرين ويروى عن ابي عمرو بسكون الطاء وفتح
النون فاطلع بقطع همزة مضمومة وكسر اللام ماضيا مبنيا للمفعول ومطلعون على هذه القراة يحتمل ان يكون قاصرا اى مقبلون
من قولك اطلع علينا فلان اى اقبل وان يكون متعديا ومفعوله محذوف اى اصحابكم وقرا ابو البرهسم وعمار بن ابي عمار
مطلعون خفيفة الطاء مكسورة النون فاطلع مبنيا للمفعول ورد ابو حاتم وغيره هذه القراة من حيث الجمع بين النون وضمير
المتكلم اذ كان قياسها مطلعي والاصل مطلعوني فابدل وادغم نحو جاء مسلمي العاقلون وقوله عليه السلام او مخرجي هم وقد وجهها ابن
جني على انها اجرى فيها اسم الفاعل مجرى المضارع يعني في اثبات النون فيه مع الضمير وانشد الطبري على ذلك
وما ادري وظني كل ظن اسلمني الى قومي شراح والبيت لحال الزمخشري قال او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما
كانه قال مطلعون وهو ضعيف لا يقع الا في شعر وذكر فيه توجيها اخر فقال اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل
كقوله هم الفاعلون الخير والامرونه ورده ابو حيان بان هذا ليس من مواضع المنفصل حتى يدعي ان المتصل وقع موقعه
لا يجوز هند زيد ضارب اباها ولا زيد ضارب اياي قال شهاب الدين انما لم يجز ما ذكر لانه اذا قدر على المتصل لم يعدل الى
المنفصل ولقائل ان يقول اسلم انه يقدر على المتصل حالة ثبوت النون والتنوين قبل الضمير بل يصير الموضع موضع الضمير
المنفصل فيصح ما قال الزمخشري وللنحاة في اسم الفاعل المنون لحقا بالمتكلم نحو البيت المتقدم وقول الاخر
فهل فتى من سراة القوم يحملني وليس حاملني الا ابن حمال وقول الاخر وليس بمعييني وفي الناس ممتع صديق وقد اعيا على صديق
قولان احدهما انه تنوين وانه شذ ثبوته مع الضمير وان قلنا ان الضمير بعده في محل نصب والثاني انه ليس تنوينا وانما
هو نون وقاية واستدل ابن مالك على هذا بقوله وليس بمعييني وبقوله ايضا وليس الموافيني وفي الناس ممتع صديق اذا اعيا
على صديق ووجه الدلالة من الاول انه لو كان تنوينا لكان ينبغي ان يحذف اليا قبله لانه منقوص منون والمنقوص المنون
تحذف ياؤه رفعا وجرا لالتقا الساكنين ووجهها من الثاني ان الالف واللام لا تجامع التنوين والذي يرجح القول الاول
ثبوت النون في قوله والامرونه وفي قول الاخر ولم يرتفق والناس محتضرونه جميعا وايدي المعتفين رواهقه قال
النون قائمة مقام التنوين تثنية وجمعا على حدها وقال ابو البقا وقرى بكسر النون وهو بعيد جدا لان النون ان كانت
للوقاية فلا تلحق الاسما وان كانت نون الجمع فلا تثبت في الاضافة وهذا الترديد صحيح لولا ما تقدم من الجواب عنه مع
تكلف فيه وخروج عن القواعد وقرى مطلعون بالتخفيف فاطلع مخففا ماضيا ومخففا مضارعا منصوبا على ما تقدم يقال
طلع علينا فلان واطلع كاكرم واطلع بالتشديد بمعنى واحد واما قراءة من بنى الفعل للمفعول ففي القائم مقام الفاعل ثلاثة
اوجه احدها مصدر الفعل اى اطلع الاطلاع الثاني الجار المقدر والثالث وهو الصحيح انه ضمير القائل لاصحابه ما قاله
لانه يقال طلع زيد واطلعه غيره فالهمزة فيه للتعدية واما الوجهان الاولان فذهب اليهما ابو الفضل الرازي في لوامحه
فقال طلع واطلع اذا بدا وظهر واطلع اطلاعا اذا جاء واقبل ومعنى ذلك هل انتم تقبلون فاقبل وانما اقيم المصدر فيه مقام
الفاعل بتقدير فاطلع الاطلاع او بتقدير حرف الجر المحذوف اى اطلع به لان اطلع لازم كما ان اقبل كذلك ورد عليه ابو حيان
هذين الوجهين فقال قد ذكرنا ان اطلع بالهمزة معدى بها من طلع اللازم واما قوله او حرف الجر المحذوف اى اطلع
به فهذا لا يجوز لان مفعول ما لم يسم فاعله لا يجوز حذفه لانه نائب عنه فكما ان الفاعل لا يجوز حذفه دون عامله فكذلك
هذا لو قلت زيد ممرور او منصوب يريد به او عليه لم يجز قال شهاب الدين ابو الفضل لا يدعي ان النائب عن الفاعل
محذوف وانما قال بتقدير حرف الجر المحذوف ويعني ذلك في حذف عائد الموصول المجرور وعند عدم شروط الحذف
ويسمى الحذف على التدريج وقوله فراه عطف على فاطلع وسوا الجحيم وسطها واحسن ما قيل فيه ما قاله ابن عباس
سمي بذلك لاستوا المسافة منه الى الجوانب وعن عيسى بن عمر انه قال لابي عبيدة ركبت اكتب حتى ينقطع سوائي
قوله تالله قسم فيه تعجب وان مخففة او نافية واللام في لتردين فارقة او بمعنى الا وعلى التقديرين فهي جواب
القسم اعني ان وما في خبرها فصل قال المفسرون انه ذهب الى اطراف الجنة فاطلع عندها الى النار
فراه في سوا الجحيم اى في وسط الجحيم فقال له توبيخا تالله ان كدت لتردين اى والله لقد كدت ان تهلكني وقال

تعالى والله لقد كدت ان لتغوين ومن اغوى انسانا فقد اهلكه والردى الهلاك اى لتهلكنى بدعائك اياى الى انكار البعث والقيمة ولولا نعمة ربى اى رحمة ربى وانعامه على بالاسلام لكنت من المحضرين معك فى النار ولما تمم الكلام مع قرينه الذى هو فى النار عاد الى مخاطبة جلسائه من اهل الجنة وقال افما نحن بميتين قال بعضهم ان اهل الجنة لا يعلمون فى اول دخولهم الجنة انهم لا يموتون فاذا جئ بالموت على صورة كبش املح وذبح يقول اهل الجنة للملائكة افما نحن بميتين فتقول الملائكة لا فعند ذلك يعلمون انهم لا يموتون وعلى هذا فالكلام حصل قبل ذبح الموت وقيل الذى تكاملت سعادته اذا عظم تعجبه بها يقول ذلك والمعنى اهذا الى على جهة الحديث بنعمة الله عليه وقيل يقوله المؤمن لقرينه توبيخا له بما كان ينكره قوله بميتين قرأ زيد بن على بمائتين وهما مثل ضيق وضائق كما تقدم وقوله افما فيه الخلاف المشهور فقدره الزمخشرى انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين وغيره يجعل الهمزة متقدمة على الفا قوله الا موتتنا منصوب على المصدر والعامل فيه الوصف قبله ويكون استثناء مفرغا وقيل هو استثناء منقطع اى لكن الموتة الاولى كانت لنا فى الدنيا وهذا قريب فى المعنى من قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وفيها هناك بحث حسن قوله ان هذا لهو الفوز العظيم وهذا قول اهل الجنة عند فراغهم من هذه المحادثات وقوله لمثل هذا فليعمل العاملون قيل انه من بقية كلامهم وقيل انه ابتدا كلام من الله تعالى اى لمثل هذا النعيم الذى ذكرناه قوله اذلك خير نزلا اى اذلك الذى ذكره لاهل الجنة خير نزلا ام شجرة الزقوم فنزلا تمييز الخير والخيرية بالنسبة الى ما اختاره الكفار على غيره والزقوم شجرة مسمومة يخرج لها لبن متى مس جسم احد تورم فمات والتزقم البلع بشدة وجهد للاشيا الكريهة وقول ابى جهل وهو من العرب العربا لا نعرف الزقوم الا التمر بالزبد من العناد والكذب البحت فصل لما ذكر ثواب اهل الجنة ووصفها وذكر ماكل اهل الجنة ومشاربهم وقال لمثل هذا فليعمل العاملون اتبعه بقوله قل يا محمد اذلك خير ام شجرة الزقوم ليصير ذلك زاجرا لهم عن الكفر وذكر ماكل اهل النار ومشاربهم والنزل الفضل الواسع فى الطعام يقال طعام كثير النزل واستعير للحاصل من الشئ ويقال ارسل الامير الى فلان نزلا وهو الشئ الذى يحصل حال من نزل بسببه واذا عرف هذا فحاصل الرزق المعلوم لاهل الجنة اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم ومعلوم انه لا نسبة لاحدهما الى الاخرى فى الخيرية الا انه جاء هذا الكلام اما على سبيل السخرية بهم او لاجل ان المؤمنين لما اختاروا ما اوصلهم الى الرزق الكريم والكافرين اختاروا ما اوصلهم الى العذاب الاليم قيل لهم ذلك توبيخا لهم على اختيارهم قال الكلبى لما نزلت هذه الاية قال ابن الزبعرى اكثر الله فى بيوتكم الزقوم فان اهل اليمن يسمون التمر والزبد بالزقوم فقال ابو جهل لجاريته زقمينا فاتته بتمر وزبد وقال تزقموا قال الواحدى ومعلوم ان الله تعالى لم يرد بالزقوم ههنا التمر والزبد قال ابن دريد لم يكن للزقوم اشتقاق من الزقم وهو الافراط فى اكل الشئ حتى يكره ذلك يقال بات فلان يتزقم وظاهر لفظ القران يدل على انها شجرة كريهة الطعم منتنة الرائحة شديدة الخشونة موصوفة بصفات رديئة وانه تعالى يكره اهل النار على اكلها قوله انا جعلناها فتنة للظالمين اى الكافرين وذلك ان الكفار لما سمعوا هذه الاية قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر فاجيبوا بان خالق النار قادر على ان يمنع النار من احراق الشجر لانه اذا جاز ان يكون فى النار زبانية والله تعالى يمنع النار عن احراقهم فلم لا يجوز مثله فى هذه الشجرة فمعنى كون شجرة الزقوم فتنة للظالمين هو انهم لما سمعوا هذه الاية وبقيت تلك الشبهة فى قلوبهم وصارت سببا لتماديهم فى الكفر فهو المراد من كونها فتنة لهم او يكون المراد صيرورة هذه الشجرة فتنة لهم فى النار لانهم اذا كلفوا تناولها شق ذلك عليهم فحينئذ يصير ذلك فتنة فى حقهم او يكون المراد من الفتنة الامتحان والاختبار فان هذا شئ بعيد عن العرف والعادة واذا ورد على سمع المؤمن فوض علمه الى الله واذا ورد على الزنديق توسل به الى الطعن فى القران والنبوة ثم انه تعالى وصف هذه الشجرة بصفات الاولى قوله انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم قال الحسن اصلها فى قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها الصفة الثانية قوله طلعها اى ثمرها سمى طلعا لطلوعه قال الزمخشرى الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية او معنوية قال ابن قتيبة سمى طلعا لطلوعه كل سنة فلذلك قيل طلع النخل لاول ما يخرج من ثمره قوله رؤس الشياطين فيه وجهان احدهما انه حقيقة وان رؤس الشياطين شجرة معينة بناحية اليمن تسمى الاستن قال النابغة

تحيد من استن سود اسافله ۔ مشى الاما الغوادى تحمل الحزما

وهو شجرة منكرة الصورة سمته العرب بذلك لتشبيهها برؤس الشياطين فى القبح ثم صار اصلا يشبه به وقيل الشياطين صنف من الحيات ولهن اعراف قال

عجيز تحلف حين احلف ۔ كمثل شيطان الحماط اعرف

وقيل شجر يقال له الصوم ومنه قول ساعدة بن جؤية

موكل بشدوف الصوم يرقبها ۔ من المعارف مخطوف الحشا زرم

فعلى هذا قد خوطبت العرب بما تعرفه وهذه الشجرة موجودة فالكلام حقيقة والثانى انه من باب التخييل والتمثيل وذلك انه كل ما يستنكر ويستقبح فى الطباع والصورة يشبه بما يتخيله الوهم وان لم يره والشياطين وان كانوا موجودين غير مرئيين للعرب الا

للعرب الا انه خاطبهم بما الفوه من الاستعارات التخييلية كقول امرئ القيس اتقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كانياب اغوال ولم ير انيابها بل ليست موجودة البتة قال ابن الخطيب وهذا هو الصحيح وذلك ان الناس لما اعتقدوا فى الملائكة كمال الفضل فى الصورة والسيرة فكما حسن التشبيه بالملك عند ارادة الكمال والفضيلة فى قوله ان هذا الا ملك كريم فكذلك حسن التشبيه برؤس الشياطين فى القبح وتشويه الخلقة ويؤكد هذا ان العقلا اذا راوا شيئا حسنا قالوا انه ملك من الملائكة قال ابن عباس هم الشياطين باعيانهم شبه بها لقبحها قوله فانهم لاكلون منها فمالئون منها البطون والملء حشو الوعاء بما لا يحتمل الزيادة عليه فان قيل كيف ياكلونها مع نهاية خشونتها ونتنها ومرارة طعمها فالجواب ان المضطر ربما استروح من الضرر بما يقاربه فى الضرر فاذا جوعهم الله الجوع الشديد فزعوا الى ازالة ذلك الجوع بتناول هذا الشئ او يقال ان الزبانية يكرهونهم على الاكل من تلك الشجرة تكميلا لعذابهم قوله ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم قراءة العامة بفتح الشين وهو مصدر على اصله وقيل يراد به اسم المفعول ويدل له قراءة شيبان النحوى لشوبا بالضم قال الزجاج المفتوح مصدر والمضموم اسم بمعنى المشوب كالنقض بمعنى المنقوض وعطف بثم لاحد معنيين اما لانه يؤخر ما يظنونه يرويهم من عطشهم زيادة فى عذابهم فلذلك اتى بثم المقتضية للتراخى واما لان العادة تقتضى تراخى الشرب عن الاكل فعمل على ذلك المنوال واما ملء البطن فيعقب الاكل فلذلك عطف على ما قبله بالفا قال الزجاج الشوب اسم عام فى كل ما خلط بغيره والشوب الخلط والمزج ومنه شاب اللبن يشوبه اى خلطه ومزجه والحميم الماء الحار المتناهى فى الحرارة ومن حميم صفة لشوبا واعلم ان الله تعالى وصف شرابهم فى القران باشيا منها غساقا ومنها وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ومنها المذكور فى هذه الاية ولما ذكر الطعام بتلك الشناعة والكراهية وصف الشراب بما هو اشنع منه وسماه شوبا اى خلطا ومزاجا من حميم من ماء حار فاذا اكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم فيشوب الحميم فى بطونهم الزقوم فيصير شوبا له قوله ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قال مقاتل اى بعد اكل الزقوم وشرب الحميم وهذا يدل على انهم عند شرب الحميم لم يكونوا فى الجحيم وذلك بان يكون الحميم فى موضع خارج عن الجحيم فهم يوردون الحميم لاجل الشرب كما تورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويدل عليه قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم ان وقرأ ابن مسعود ثم ان منقلبهم لالى الجحيم انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون قال الفراء الاهراع الاسراع يقال هرع واهرع اذا استحث والمعنى انهم يتبعون اباءهم اتباعا فى سرعة كانهم يزعجون الى اتباع ابائهم وقال الكلبى يعملون مثل عملهم ثم انه تعالى ذكر لرسوله ما يسليه فى كفرهم وتكذيبهم فقال ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين من الامم الخالية ولقد ارسلنا فيهم منذرين فبين تعالى ان ارسال الرسل قد تقدم والتكذيب لهم قد سلف فوجب ان يكون له صلى الله عليه وسلم اسوة بهم حتى يصبر كما صبروا ويستمر على الدعا الى الله وان تمردوا فليس عليه الا البلاغ ثم قال فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اى كان عاقبتهم العذاب وهذا الخطاب وان كان ظاهره مع الرسول عليه السلام الا ان المقصود منه خطاب الكفار لانهم سمعوا بالاخبار ما جرى على قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من انواع العذاب فان لم يعلموا ذلك فلا اقل من ظن وخوف يحتمل ان يكون زاجرا لهم عن كفرهم قوله الا عباد الله استثناء من قوله ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين والمراد بالمخلصين الموحدين نجوا من العذاب وتقدم الكلام على الاخلاص فى سورة الحجر عند قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين قوله تعالى ولقد نادانا نوح الاية لما قال ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين وقال فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اتبعه بشرح وقائع الانبياء عليهم السلام فالقصة الاولى حكاية حال نوح عليه السلام فقال ولقد نادانا نوح اى نادى ربه ان ينجيه ممن معه من الغرق وقيل نادى ربه اى استنصره على كفار قومه فاجاب الله دعاءه قوله فلنعم المجيبون جواب لقسم مقدر اى فوالله ومثله لعمرى لنعم السيدان وجدتما والمخصوص بالمدح محذوف اى نحن اجبنا دعاءه واهلكنا قومه ونجيناه واهله من الكرب العظيم واعلم ان هذه الاجابة كانت من النعم العظيمة وذلك من وجوه احدها انه تعالى عبر عن ذاته بصيغة الجمع فقال ولقد نادانا نوح والقادر العظيم لا يليق به الا الاحسان العظيم وثانيها انه اعاد صيغة الجمع فى قوله فلنعم المجيبون وذلك ايضا يدل على تعظيم تلك النعمة لا سيما وقد وصف تلك الاجابة بانها نعم الاجابة وثالثها ان الفاء فى قوله فلنعم المجيبون يدل على ان النداء بالاخلاص سبب لحصول الاجابة ثم انه تعالى لما بين انه نعم المجيب بين ان الانعام حصل فى تلك الاجابة بقوله ونجيناه واهله من الكرب العظيم والكرب هو الخوف الحاصل من الغرق والكرب الحاصل من اذى قومه وجعلنا ذريته هم الباقين وذلك يفيد الحصر وذلك يدل على ان كل من سواه وسوى ذريته فقد فنوا قال ابن عباس ذريته بنوه الثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس وحام ابو السودان ويافث ابو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء الا ولده ونساءهم قوله وتركنا عليه فى الاخرين اى ابقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبياء والامم الى يوم القيامة قوله

سلام على نوح مبتدا وخبر وفيه اوجه احدها انه مفسر لتركنا والثانى انه مفسر لمفعوله اى تركنا عليه ثنا وهو هذا
الكلام وقيل ثم قول مقدر اى فقلنا سلام وقيل ضمن تركنا معنا قلنا وقيل سلط تركنا على ما بعده قال الزمخشرى
وتركنا عليه فى الاخرين هذه الكلمة وهى سلام على نوح يعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكى كقولك
قرات سورة انزلناها وهذا الذى قاله قول الكوفيين جعلوا الجملة فى محل نصب مفعولا بتركنا لا انه ضمن معنى القول
بل هو على معناه بخلاف الوجه قبله وهو ايضا من اقوالهم وقرا عبد الله سلاما وهو مفعول به بتركنا وكذلك
نعت مصدر او حال من ضميره كما تقدم تقريره **فصل** المعنى سلام عليه منا فى العالمين وقيل تركنا عليه
فى الاخرين ان يصلى عليه الى يوم القيامة انا كذلك نجزى المحسنين اى انما خصصنا نوحا عليه السلام بهذه
التشريفات الرفيعة من جعل الدنيا مملوة من ذريته ومن تبقيه ذكره الحسن فى السنة العالمين لاجل كونه محسنا ثم علل كونه
محسنا بانه كان عبدا مومنا القصة الثانية قصة ابراهيم عليه السلام **قوله** تعالى وان من شيعته اى من اهل دينه
وسنته وفى الضمير وجهان اظهرهما انه يعود على نوح اى ممن كان يشايعه اى يتابعه على دينه والتصلب فى امر الله
والثانى انه يعود على محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول الكلبى والشيعة قد تطلق على المتقدم كقوله
وما لى الا آل احمد شيعة وما لى الا مشعب الحق مشعب فجعل الاحمد وهم متقدمون عليه وهو تابع لهم شيعة له قاله
الفرا والمعروف ان الشيعة تكون فى المتاخر قالوا كان بين نوح وابراهيم نبيان هود وصالح وروى الزمخشرى انه
كان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون سنة **قوله** اذ جاء فى العامل فيه وجهان احدهما اذكر مقدرا
وهو المتعارف والثانى قال الزمخشرى ما فى الشيعة من معنى المشايعة يعنى وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين
جاء ربه قال ابو حيان لا يجوز لان فيه الفصل بين العامل والمعمول باجنبى وهو لابراهيم لانه اجنبى من شيعته ومن
اذ وزاد المنع ان قدره ممن شايعه حين جاء لابراهيم لانه قدر ممن شايعه فجعل العامل قبله صلة لموصول وفصل
بينه وبين اذ باجنبى وهو لابراهيم وايضا فلام الابتدا تمنع ان يعمل ما قبلها فيما بعدها لو قلت ان ضاربا لقادم علينا
زيدا تقديره ان ضاربا زيدا قادم علينا لم يجز **فصل** قال مقاتل والكلبى المعنى انه سليم من الشرك لانه انكر
على قومه الشرك لقوله اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون وقال الاصوليون معناه انه عاش ومات على طهارة
القلب من كل معصية **قوله تعالى** اذ قال بدل من اذ الاولى او ظرف لسليم اى سلم عليه فى وقت كيت وكيت او ظرف
لجا ذكره ابو البقا وقوله ماذا تعبدون استفهام توبيخ وتعجيب لتلك الطريقة وتقبيحها **قوله تعالى** ائفكا فيه
اوجه احدها انه مفعول من اجله اى اتريدون آلهة دون الله افكا فالهة مفعول به ودون ظرف لتريدون
وقدمت معمولات الفعل اهتماما بها وحسنه كون العامل راس فاصلة وقدم المفعول من اجله على المفعول به
اهتماما به لانه مكافح لهم بانهم على افك وباطل وبهذا الوجه بدا الزمخشرى الثانى ان
يكون مفعولا به بتريدون ويكون الهة بدلا منه جعلها نفس الافك مبالغة فابدلها عنه وفسره بها ولم يذكر ابن
عطية غيره الثالث انه حال من فاعل تريدون اى اتريدون الهة افكين او ذوى افك واليه نحا الزمخشرى قال ابو حيان
وجعل المصدر حالا لا يطرد الا مع اما نحو اما علما فعالم والافك اسوا الكذب **قوله** فما ظنكم برب العالمين اى اتظنون
برب العالمين انه جوز جعل هذه الجمادات مشاركة له فى المعبودية او اتظنون برب العالمين انه من جنس هذه
الاجسام حتى جعلتموها مساوية له فى المعبودية فنبههم بذلك على انه ليس كمثله شى او فما ظنكم برب العالمين اذا
لقيتموه وقد عبدتم غيره انه يصنع بكم **قوله** فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم قال ابن عباس كان قومه يتعاطون
علم النجوم فعاملهم على مقتضى عادتهم وذلك انه اراد ان يكايدهم فى اصنامهم ليلزمهم الحجة فى انها غير معبودة وكان
لهم من الغد يوم عيد يخرجون اليه فاراد ان يتخلف عنهم ليبقى خاليا فى بيت الاصنام فيقدر على كسرها **فان قيل**
النظر فى علم النجوم غير جائز فكيف اقدم ابراهيم عليه السلام وايضا لم يكن سقيما فكيف اخبرهم بخلاف حاله **فالجواب**
من وجوه الاول ان نظره فى النجوم اى فى اوقات الليل والنهار وكانت تاتيه الحمى فى بعض ساعات الليل والنهار
فنظر ليعرف هل هى تلك الساعة فقال انى سقيم فجعله عذرا فى تخلفه عن العيد الذى لهم فكان صادقا فيما قال
لان السقم كان ياتيه فى ذلك الوقت الثانى انهم كانوا اصحاب النجوم يعظمونها ويقضون بها على امورهم فلذلك
نظر ابراهيم فى النجوم اى فى علم النجوم كما تقول نظر فلان فى الفقه اى فى علم الفقه فاراد ابراهيم ان يوهمهم
انه نظر فى علمهم وعرف منه ما يعرفونه حتى اذا قال انى سقيم سكنوا الى قوله واما قوله انى سقيم فمعناه ساسقم
كقوله انك ميت اى ستموت الثالث ان نظره فى النجوم وهو قوله تعالى فلما جن عليه الليل راى كوكبا الى اخر الايات
فكان نظره ليتعرف احوال هذه الكواكب هل هى قديمة او محدثة وقوله انى سقيم القلب اى غير عارف بربى
وكان ذلك قبل البلوغ الرابع قال ابن زيد كان له نجم مخصوص وكلما طلع على صفة مخصوصة مرض ابراهيم فلهذا
الاستقرا لما راه فى تلك الحالة المخصوصة قال انى سقيم اى هذا السقم واقع لا محالة الخامس ان قوله انى

قوله انى سقيم اى مريض القلب بسبب اطباق ذلك الجم العظيم على الكفر والشرك كقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فلعلك
باخع نفسك السادس انا لا نسلم ان النظر فى علم النجوم والاستدلال بها حرام لان من اعتقد ان الله تعالى خص كل واحد من
هذه الكواكب بطبع وخاصية لاجلها يظهر منه اثر مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس بباطل واما الكذب فغير لازم
لان قوله انى سقيم على سبيل التعريض بمعنى ان الانسان لا ينفك فى اكثر حاله عن حصول حالة مكروهة اما فى بدنه
واما فى قلبه وكل ذلك سقم السابع قال ابن الخطيب قال بعضهم ذلك القول عن ابراهيم عليه السلام كذبة واوردوا
فيه حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما كذب ابراهيم الا ثلاث كذبات قلت لبعضهم هذا الحديث لا ينبغى ان يقبل
لان فيه نسبة الكذب الى ابراهيم فقال ذلك الرجل فكيف نحكم بكذب الراوى العدل فقلت لما وقع التعارض بين
نسبة الكذب الى الراوى وبين نسبة الكذب الى الخليل عليه السلام من المعلوم بالضرورة ان نسبته الى الراوى
اولى ثم نقول لم لا يجوز ان يكون المراد من قوله فنظر نظرة فى النجوم اى فى نجوم كلامهم ومتفرقات اقوالهم فان الاشيا التى
تحدث قطعة قطعة يقال انها منجمة اى متفرقة ومنه نجوم الكتابة والمعنى انه لما سمع كلامهم المتفرقة نظر فيها حتى
يستخرج منها حيلة يقدر بها على اقامة عذر لنفسه فى التخلف عنهم فلم يجد عذرا احسن من قوله انى سقيم والمراد
انه لا بد من ان يصير سقيما كما تقول لمن رايته يتجهز للسفر انك مسافر ولما قال انى سقيم تولوا عنه مدبرين وتركوه وعذروه
فى عدم الخروج الى عيدهم **قوله** فراغ اى مال فى خفية واصله من روغان الثعلب وهو تردده وعدم ثبوته بمكان
ولا يقال راغ حتى يكون صاحبه مخفيا لذهابه ومجيئه فقال استهزاء بها الا تاكلون يعنى الطعام الذى كان بين ايديهم
ما لكم لا تنطقون قاله ايضا استهزاء فراغ عليهم مال عليهم مستخفيا **قوله** ضربا مصدر واقع موقع الحال اى فراغ عليهم
ضاربا او مصدر لفعل ذلك الفعل حال تقديره فراغ يضرب ضربا او ضمن راغ معنى يضرب وهو بعيد وباليمين متعلق
بضربا ان لم تجعله مؤكدا والا فبعامله واليمين يجوز ان يراد بها احدى اليدين وهو الظاهر وان يراد بها القوة
فالبا على هذا للحال اى ملتبسا بالقوة وان يراد بها الحلف وفاء بقوله وتالله لاكيدن والبا على هذا للسبب وعدى راغ
الثانى بعلى لما كان مع الضرب المستولى عليهم من فوقهم الى اسفلهم بخلاف الاول فانه مع توبيخ لهم واتى بضمير العقلا
فى قوله عليهم جريا على ظن عبدتها انها كالعقلا **قوله** يزفون حال من فاعل اقبلوا واليه يجوز تعلقه بما قبله او بما
بعده وقرا حمزة يزفون بضم اليا من ازف وله معنيان احدهما انه من ازف يزف اى دخل فى الزفيف وهو
الاسراع او زفاف العروس وهو المشى على هينة لان القوم كانوا فى طمانينة من امرهم كذا قيل وهذا الثانى ليس بشى
اذ المعنى انهم لما سمعوا بذلك بادروا مسرعين فالهمزة على هذا ليست للتعدية والثانى انه من ازف غيره اى حمله
على الزفيف وهو الاسراع او على الزفاف وقد تقدم ما فيه وباقى السبعة بفتح اليا من زف الظليم يزف اى عدا بسرعة
واصل الزفيف للنعام وقرا مجاهد وعبد الله بن يزيد والضحاك وابن ابى عبلة يزفون من وزف يزف اى اسرع الا
ان الكسائى والفرا قالا لا نعرفها بمعنى زف وقد عرفها غيرهما قال مجاهد وهو بعض من قراها الوزيف النسلان وقرئ
يزفون مبنيا للمفعول ويزفون كيرمون من زفاه بمعنى حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه وبين قوله فاقبلوا
وقوله فراغ عليهم جمل محذوفة يدل عليها الفحوى اى فبلغهم الخبر فرجعوا من عيدهم ونحو هذا قال ابن عرفة من قرا بالنصب
فهو من زف يزف ومن قرا بالضم فهو من ازف يزف قال الزجاج يزفون يسرعون واصله من زفيف النعامة وهو
من اشد عدوها **قوله** اتعبدون ما تنحتون لما عاتبوا ابراهيم على كسر الاصنام ذكر لهم الدليل الدال على فساد عبادتها
فقال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ووجه الاستدلال ان الخشب والحجر قبل النحت والاصلاح ما كان
معبودا البتة فاذا نحته وشكله على الوجه المخصوص لم يحدث فيه الا آثار تصرفه فلو صار معبودا عند ذلك لكان معناه
ان الشى الذى لم يكن معبودا اذا حصلت آثار تصرفاتى فيه صار معبودا لى وفساد ذلك معلوم ببديهة العقل **قوله** وما
تعملون فى ما هذه اربعة اوجه اجودها انها بمعنى الذى اى وخلق الذى تصنعونه فالعمل هنا التصوير والنحت نحو عمل
الصائغ السوار اى صاغه ويرجح كونها بمعنى الذى تقدم ما قبلها فانها بمعنى الذى اى اتعبدون الذى تنحتون والله
خلقكم وخلق ذلك الذى تعملونه بالنحت والثانى انها مصدرية اى خلقكم واعمالكم وجعلها الاشعرية دليلا على خلق
افعال العباد لله تعالى وهو الحق الا ان دليل ذلك من هنا غير قوى لما تقدم من ظهور كونها بمعنى الذى وقال مكى
يجب ان تكون ما والفعل مصدرا جى به ليفيد ان الله خالق الاشيا كلها وقال ايضا وهذا اليق لقوله من شر ما خلق اجمع
القرا على الاضافة فدل على انه خالق الشر وقد فارق عمرو بن عبيد الناس فقرا من شر بالتنوين ليثبت مع الله خالقين
وشنع الزمخشرى على القائل هنا بكونها مصدرية والثالث انها استفهامية وهو استفهام توبيخ اى واى شى تعملون
الرابع انها نافية اى ان العمل فى الحقيقة ليس لكم فانتم لا تعملون شيا والجملة من قوله والله خلقكم حال ومعناها
حسن اى اتعبدون الاصنام على حالة تنافى ذلك وهى ان الله خالقكم وخالقهم جميعا ويجوز ان تكون مستانفة
فصل دلت الاية على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لان النحويين اتفقوا على ان لفظ ما مع ما بعده فى تقدير المصدر

بقوله وما تعملون معناه وعملكم وعلى هذا التقدير معنى الاية والله خلقكم وخلق عملكم **قال قيل** هذه الاية حجة عليكم من وجوه
الاول انه تعالى قال اتعبدون ما تنحتون اضاف العبادة والنحت اليهم اضافة الفعل الى الفاعل ولو كان ذلك واقعا بتخليق
الله تعالى لاستحال كونه فعلا للعبد الثاني انه تعالى انما ذكر هذه الاية توبيخا لهم على عبادة الاصنام لانه تعالى لما
ذكر هذه الاية بين انه خالقهم وخالق لتلك الاصنام فالخالق هو المستحق للعبادة دون المخلوق فلما تركوا عبادته
سبحانه وتعالى وهو خالقهم وعبدوا الاصنام لا جرم انه سبحانه وبخهم على هذا الخطا العظيم فقال اتعبدون ما تنحتون
والله خلقكم وما تعملون ولو لم يكونوا فاعلين لافعالهم لما جاز توبيخهم عليها سلمنا ان هذه الاية ليست حجة عليكم ولكن
لا نسلم انها حجة لكم فقولكم لفظ ما مع ما بعدها في تقدير المصدر قلنا ممنوع لان سيبويه والاخفش اختلفا هل يجوز
ان يقال اعجبني ما قمت اي قيامك فجوزه سيبويه ومنعه الاخفش وزعم ان هذا لا يجوز الا في الفعل المتعدي وذلك
يدل على ان ما مع ما بعده في تقدير الفعل عند الاخفش سلمنا ان ذلك قد يكون بمعنى المصدر لكنه ايضا قد يكون بمعنى
المفعول ويدل عليه وجوه الاول قوله اتعبدون ما تنحتون المراد بقوله ما تنحتون المنحوت لا النحت لانهم ما عبدوا
النحت وانما عبدوا المنحوت فوجب ان يكون المراد بقوله وما تعملون المعمول لا العمل حتى يكون كل واحد من هذين اللفظين
مطابقا لمدلول الاخر الثاني انه تعالى قال فاذا هي تلقف ما يافكون وليس المراد انها تلقفت نفس الافك بل اراده
العصي والحبال التي هي متعلقات ذلك الافك فكذا هاهنا الثالث ان العرب تسمي محل العمل عملا يقال في الباب والخاتم
هذا عمل فلان والمراد محل عمله فثبت بهذه الوجوه ان لفظ ما مع ما بعده كما يجيء بمعنى المصدر فقد يجيء ايضا بمعنى المفعول
فكان حمله هاهنا على المفعول اولى لان المقصود في الاية تزييف مذهبهم في عبادة الاصنام لا بيان انهم لا يوجدون افعال
انفسهم لان الذي جرى ذكره من اول الاية الى هذا الموضع هو مسئلة عبادة الاصنام لا خلق الاعمال قال ابن الخطيب
وهذه سؤالات قوية فالاولى ترك الاستدلال بهذه الاية **قوله** قالوا ابنوا له بنيانا لما اورد عليهم الحجة القوية
ولم يقدروا على الجواب عدلوا الى طريقة الايذاء فقالوا ابنوا له بنيانا قال ابن عباس بنوا حائطا من حجر طوله في السماء
ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه نارا وطرحوه فيها وذلك هو قوله فالقوه في الجحيم وهي النار العظيمة
قال الزجاج كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم والالف واللام في الجحيم يدل على الكناية والمعنى ان في وقت الحاجة
حصلت الغلبة له وعندما القوه في النار صرف الله عنه ضرر النار فصار هو الغالب عليهم واردوا به كيدا اي شرا
وهو ان يحرقوه فجعلناهم الاسفلين المقهورين حيث سلم الله ابراهيم ورد كيدهم ولما انقضت هذه الواقعة
قال ابراهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين ونظيره قوله تعالى وقال اني مهاجر الى ربي والمعنى اهجر دار الكفر
اذهب الى مواضع دين ربي وقال الكلبي ذاهب الى معادي الى ربي وقوله سيهدين اي الى حيث امرني بالمصير اليه
وهو الشام وهذا يدل على ان الهداية لا تحصل الا من الله تعالى ولا يمكن حمله على وضع الادلة وازاحة الاعذار
لان ذلك كان حاصلا في الزمان الماضي قال مقاتل فلما قدم الارض المقدسة سال ربه الولد فقال رب هب
لي من الصالحين اي هب لي ولدا صالحا لان لفظة الهبة غلب في الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله تعالى ووهبنا
له من رحمتنا اخاه هارون نبيا فبشرناه بغلام حليم قيل غلام في صغره حليم في كبره ففيه بشارة انه ابن وانه
يعيش وينتهي الى سن يوصف بالحلم واي حلم اعظم من انه عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين
قوله فلما بلغ معه متعلق بمحذوف على البيان كان قائلا قال مع من بلغ السعي فقيل مع ابيه ولا يجوز تعلقه ببلغ لانه يقتضي
بلوغهما معا حد السعي ولا يجوز تعلقه بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فتعين ما تقدم قال معناه الزمخشري
ومن يتسع في الظرف يجوز تعلقه بالسعي **فصل** قال ابن عباس وقتادة معنى بلغ معه السعي اي المشي معه الى الجبل
قال مجاهد عن ابن عباس لما شب حتى بلغ سعيه سعي ابراهيم والمعنى بلغ ان يتصرف معه ويعينه في عمله قال الكلبي
معنى العمل لله وهو قول الحسن ومقاتل وابن حيان وابن زيد قالوا هو العبادة لله واختلفوا في سنه فقيل كان
ابن ثلاث عشرة سنة وقيل ابن سبع سنين **قوله** اني ارى في المنام اني اذبحك قال المفسرون لما بشر ابراهيم
عليه السلام بالولد قبل ان يولد له فقال هو اذن لله ذبيح فقيل لابراهيم قد نذرت نذرا فاوف بنذرك
فلما اصبح قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك وقيل رأى في ليلة التروية في منامه كان قائلا يقول له ان
الله يامرك بذبح ابنك فلما اصبح تروى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله ام من الشيطان فمن ثم سمي يوم
التروية فلما راى ايضا مثل ذلك عرف انه من الله تعالى فسمي به يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم
بنحره فسمي يوم النحر وهذا اكثر قول المفسرين وهو يدل على انه راى في المنام ما يوجب ان يذبح ابنه في اليقظة وعلى
هذا فتقدير اللفظ ارى في المنام ما يوجب اني اذبحك **فصل** اختلفوا في الذبيح فقيل اسحق وهو قول عمر وعلي
وابن مسعود والعباس بن عبد المطلب وكعب الاحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة والزهري
والسدي ومقاتل وهي رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس قالوا كانت هذه القصة بالشام

بالشام وقيل انه اسمعيل وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي ومجاهد والكلبي والربيع بن
انس ومحمد بن كعب القرظي وهي رواية عطا وابن ابي رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس وكلا القولين رويا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم واحتج القائلون بانه اسمعيل بقوله عليه السلام انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي يا ابن الذبيحين
فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بير زمزم نذر ان سهل الله له امرها
ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له افد ابنك بمائة من الابل والذبيح الثاني اسمعيل
ونقل الاصمعي انه قال سالت ابا عمرو بن العلا عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل
بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة وقد وصف الله اسمعيل بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل واليسع وذا
الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه ايضا بصدق الوعد فقال انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه
من نفسه الصبر على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب
فكيف تقع البشارة المتقدمة وقال الامام احمد الصحيح ان الذبيح هو اسمعيل وعليه جمهور العلماء من السلف والخلف
قال ابن عباس وزعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود وروى ابن عباس انه هبط عليه الكبش من ثبير فذبحه وهو الكبش
الذي قربه ابن ادم فتقبل منه فذبحه بمنى وقيل بالمقام وروى انه كان وعلا وقيل تيسا من الاروى قال شعبي لم
يزل قرنا الكبش في البيت حتى احرق البيت فاحترقا وروى ابن عباس ان راس الكبش لم يزل معلقا عند ميزاب الكعبة
حتى يبس وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن طلحة فقالت امراة عثمان لم دعاك رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال قال اني كنت رايت قرني الكبش حين دخلت البيت فنسيت ان اذنك ان تخمرهما فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شيء
يشغل المصلي وهذا يدل على ان الذبيح كان اسمعيل لانه الذي كان مقيما بمكة واسحق لا يعلم انه كان قدمها في صغره وهذا
ظاهر القران لانه ذكر قصة الذبيح ثم قال بعده وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال ابن كثير ومن قال انه اسحق
فانما اخذه والله اعلم من كعب الاحبار او من صحف اهل الكتاب وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى يترك لاجله
ظاهر الكتاب العزيز **قوله** ماذا ترى يجوز ان يكون ماذا مركبة معلقا لها الاستفهام فتكون منصوبة بترى وهي وما بعدها في
محل نصب بانظر لانها معلقة له وان تكون ما استفهامية وذا موصولة فيكون مبتدا وخبرا والجملة معلقة ايضا وان يكون
ماذا بمعنى الذي فيكون معمولا لانظر وقرا الاخوان ترى بالضم والكسر والمفعولان محذوفان وقال اي تربني اياه من صبرك
واحتمالك وباقي السبعة ترى بفتحتين من الراي وقرا الاعمش والضحاك ترى بالضم والفتح بمعنى ما يخيل اليك ويسنح
لخاطرك **قوله** ما تومر يجوز ان تكون ما بمعنى الذي والعائد مقدر اي تومره والاصل تومر به ولكن حذف الجار مطردا
فلم يحذف العائد الا وهو منصوب المحل فليس حذفه هنا كحذفه في قولك جا الذي مررت وان تكون مصدرية قال
الزمخشري او امرك على اضافة المصدر للمفعول وتسمية المامور به امرا يعني بقوله المفعول اي الذي لم يسم فاعله الان
في تقدير المصدر بفعل مبني للمفعول خلافا مشهورا **قوله** ستجدني ان شاء الله من الصابرين انما علق المشية لله
تعالى على سبيل التبرك والتيمن فانه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله **فصل**
اختلف الناس في ان ابراهيم عليه السلام كان مامورا بهذا وهذا الاختلاف يتفرع عليه مسئلة اصولية وهي انه هل
يجوز نسخ الحكم قبل حضور وقت الامتثال فقال بعضهم انه يجوز وقالت المعتزلة وبعض الشافعية والحنفية انه
لا يجوز فعلى الاول ان الله تعالى امره بالذبح وانما امره بمقدمات الذبح واحتج الاولون بقصة ابراهيم عليه
السلام وقول الولد لابيه افعل ما تومر وقالت المعتزلة لا نسلم انه امر بذبح ولده بل انما امر بمقدمات الذبح وهي
اضجاعه ووضع السكين على حلقه والعزم الصحيح في الاتيان بذلك الفعل ثم ان الله تعالى اخبر عنه بانه اتى بما امر به
لقوله يا ابراهيم قد صدقت الرويا فدل على انه تعالى انما امره بمقدمات الذبح لا بنفس الذبح وايضا فان الذبح عبارة عن
قطع الحلقوم فلعل ابراهيم عليه السلام قطع الحلقوم الا انه كلما قطع جزا اعاد الله تاليفه فلهذا السبب لم يحصل الموت
وايضا فانه تعالى لو امر شخصا معينا بايقاع فعل معين في وقت معين فهذا يدل على ان ايقاع ذلك الفعل في ذلك
الوقت حسن فلو حصل النهي عقيب ذلك الامر لزم احد امرين اما ان يكون عالما بحال ذلك الفعل فيلزم ان يقال
انه امر بالقبيح او نهى عن الحسن وان لم يكن عالما به لزم جهل الله وانه محال والجواب عن الاول انه تعالى انما امره
بالذبح لظاهر الاية واما قولهم كلما قطع ابراهيم عليه السلام جزا اعاد الله تاليفه فهذا باطل لان ابراهيم عليه السلام
لو اتى بكل ما امر به لما احتاج الى الفدا وحيث احتاج اليه علمنا انه لم يات بكل ما امر به واما قولهم يلزم اما الامر بالقبيح
واما الجهل فنقول هذا بنا على ان الله لا يامر الا بما يكون حسنا في ذاته ولا ينهى الا عما يكون قبيحا في ذاته فذلك مبني
على تحسين العقل وتقبيحه وهو باطل فان سلمنا ذلك فلم لا يجوز ان يكون الامر بالشيء تارة حسنا لكون المامور به حسنا
في ذلك الوقت لمصلحة من المصالح وان لم يكن المامور به حسنا كما اذا اراد السيد اختبار طاعة العبد فيقول له
افعل الفعل الفلاني يوم الجمعة ويكون ذلك الفعل شاقا ويكون مقصود السيد ليس الا ان ياتي العبد بذلك

الفعل بل ان يوطن العبد نفسه على الانقياد والطاعة ثم ان السيد اذا علم منه توطين نفسه على الطاعة فقد يزيل
ذلك التكليف عنه تكرما واحسانا **فصل** احتجوا بهذه الاية على انه تعالى قد يامر بما لا يريد وقوعه لانه تعالى لو اراد
وقوعه لوقع الذبح لا محالة **فصل** في الحكمة في ورود هذا التكليف في النوم لا في اليقظة وذلك من وجوه
الاول ان هذا التكليف كان في نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد اولا في النوم حتى يصير ذلك كالمنبه لورود هذا
التكليف الشاق ثم يتاكد ذلك باحوال اليقظة لكيلا يهجم هذا التكليف الشاق على النفس دفعة واحدة بل على التدريج
الثاني ان الله تعالى جعل رؤيا الانبيا عليهم السلام حقا قال تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال
عن يوسف اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين وقال ابراهيم اني ارى في المنام اني اذبحك
والمقصود من ذلك تقوية الدلالة على كونهم صادقين فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق دل ذلك على نهاية كونهم
محقين صادقين في كل الاحوال **فصل** والحكمة في مشاورة الابن في هذا الامر ليظهر له صبره في طاعة الله
فيكون فيه قرة عين لابراهيم حيث يراه قد بلغ في الحكمة الى هذا الحد العظيم في الصبر على اشد المكاره الى هذه الدرجة
العالية ويحصل للابن الثواب العظيم في الاخرة والثناء الحسن في الدنيا **قوله** فلما اسلما في جوابها ثلاثة اوجه اظهرها
انه محذوف اي نادته الملائكة او ظهر صبرهما او اجزلنا لهما اجرهما وقدره بعضهم بعد الرؤيا اي كان ما كان مما ينطق
به الحال والوصف مما لا يدرك كنهه ونقل ابن عطية ان التقدير فلما اسلما وتله قال كقوله
فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي قفاف عقنقل اي فلما اجزنا انتحى ويعزى هذا لسيبويه وشيخه
الخليل وفيه نظر من حيث اتحاد الفعلين الجاريين مجرى الشرط والجواب الا ان يقال جعل التغاير في الاية بالعطف
على الفعل وفي البيت بعمل الثاني في ساحة وبالعطف عليه ايضا والظاهر ان مثل هذا لا يكفي في التغاير الثاني انه
وتله للجبين والواو زائدة وهو قول الكوفيين والاخفش والثالث انه وناديناه والواو زائدة ايضا كقوله
واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اليه فنودي من الجبل ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ثم الكلام هنا
ثم ابتدا انا كذلك وقرا علي وعبد الله وابن عباس سلما وقرئ واستسلما وتله اي صرعه واضجعه على شقه وقيل
هو الرمي بقوة واصله من رماه على التل وهو المكان المرتفع او من التليل وهو العنق اي رماه على عنقه ثم قيل لكل اسقاط
وان لم يكن على تل ولا على عنق والمتل الرمح الذي يتل به والجبين ما انكشف من الجبهة من هنا ومن هنا وشذ جمعه
على اجبن وقياسه في القلة اجبنة كارغفة وفي الكثرة جبن وجبنان كرغيف ورغف ورغفان **فصل**
المعنى سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد اي انقاد وخضع والمعنى اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة
وكذلك استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وقوله وتله للجبين اي صرعه
على شقه فوقع احد جبينيه على الارض وللوجه جبينان والجبهة بينهما قال ابن الاعرابي التليل والمتلول المصروع والتل
الذي يتل به اي يصرع والمعنى انه صرعه على جبينه وقال مقاتل كبه على جبهته وهذا خطا لان الجبين غير الجبهة
وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا قال المفسرون لما اضجعه للذبح نودي من الجبل يا ابراهيم قد صدقت
الرؤيا **فان قيل** انه قال قد صدقت الرؤيا وكان قد راى الذبح ولم يذبح قلنا جعله مصدقا لانه قد اتى بما امكنه
والمطلوب اسلامهما لامر الله وقد فعلا وقيل كان قد راى في النوم معالجة الذبح ولم ير اراقة الدم وقد فعل في اليقظة
ما راى في النوم ولذلك قال قد صدقت الرؤيا قال المحققون السبب في هذا التكليف كمال طاعة ابراهيم
لتكليف الله فلما كلفه الله بهذا التكليف الشاق الشديد وظهر منه كمال الطاعة وظهر من ولده كمال الطاعة والانقياد
لا جرم قال الله تعالى قد صدقت الرؤيا وقوله انا كذلك نجزي المحسنين ابتدا اخبار من الله والمعنى انا كما عفونا
عن ذبح ولدك كذلك نجزي من احسن في طاعتنا قال مقاتل جزاه الله باحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه
ان هذا لهو البلاء المبين اي الاختبار المبين الذي يتميز فيه المخلص من غيره والمحنة البينة الصعوبة التي
لا محنة اصعب منها وقال مقاتل البلاء هاهنا النعمة وهو ان فدى ابنه بالكبش وقوله وفديناه بذبح عظيم
الذبح مصدر ذبحت والذبح ايضا ما يذبح وهو المراد في هذه الاية وسمي عظيما لعظمه وسمنه وقال سعيد
ابن جبير حق له ان يكون عظيما العظيم قدره حيث قبله الله تعالى فدا ولد ابراهيم وتقدم الكلام على نظير بقية
القصة **قوله** وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين نبيا نصب على الحال وهي حال مقدرة قال ابو حيان ان كان
الذبيح اسحق فيظهر كونها حالا مقدرة وان كان اسمعيل هو الذبيح وكانت هذه البشارة بشارة بولادة
اسحق فقد جعل الزمخشري ذلك محل سؤال قال فان قلت فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك
ان الدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك
المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم حاله لان الحال حلية لا تقوم الا بالمحلى
وهذا المبشر به الذي هو اسحق حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة طويلة فكيف

فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة للفاعل والمفعول عند وجود الفعل منه او به فالخلود وان لم يكن صفتهم
عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون
موجودة او مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق قلت هذا سؤال دقيق المسلك ضيق المسلك
والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قوله وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان يوجد
مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين انتهى
وهو كلام حسن **قوله** من الصالحين يجوز ان يكون صفة لنبيا وان يكون حالا من الضمير في نبيا فتكون حالا متداخلة
ويجوز ان يكون حالا ثانية قال الزمخشري وروده على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين
قوله وباركنا عليه يعني على ابراهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرج جميع انبياء بني اسرائيل من صلبه وقيل هو الثناء
الحسن على ابراهيم واسحق الى يوم القيامة ومن ذريتهما محسن اي مؤمن وظالم لنفسه اي كافر مبين ظاهر وفي ذلك
تنبيه على انه لا يلزم من كثرة فضائل الاب فضيلة الابن لئلا تصير هذه الشبهة سببا لمفاخرة اليهود ودخل تحت
قوله محسن الانبياء والمؤمنون وتحت قوله وظالم الكافر والفاسق **قوله تعالى** ولقد مننا على موسى وهارون انعمنا
عليهما بالنبوة ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم اي الغم العظيم الذي كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل
من الغرق **قوله** ونجيناهما الضمير يعود على موسى وهارون وقومهما وقيل عائد على الاثنين بلفظ الجمع تعظيما
كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم يا ايها النبي اذا طلقتم **قوله** فكانوا هم يجوز في هم ان يكون تاكيدا وان
يكون بدلا وان يكون فصلا وهو الاظهر **فصل** المعنى فكانوا هم الغالبين على القبط في كل الاحوال اما في اول الامر
فبظهور الحجة واما في اخر الامر فبالدولة والرفعة واتيناهما الكتاب المستبين المستنير المشتمل على جميع العلوم
المحتاج اليها في مصالح الدين والدنيا كما قال تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور وهديناهما الصراط المستقيم
ادللناهما على طريق الحق عقلا وسمعا وتركنا عليهما في الاخرين تقدم الكلام عليه الى اخر القصة **قوله تعالى** وان
الياس لمن المرسلين قرا العامة الياس بهمزة مكسورة همزة قطع وابن ذكوان يوصلها ولم ينقلها عنه ابو حيان
بل نقلها عن جماعة غيره ووجه القرا بين انه اسم اعجمي تلاعبت به العرب فقطعت همزته تارة ووصلتها اخرى وقالوا
فيه الياسين كجبرائين وقيل يحتمل قراءة الوصل ان يكون اسمه ياسين ثم دخلت عليه ال المعرفة كما دخلت على اليسع
وقد تقدم والياس هذا قيل هو ابن الياسين المذكور بعد من ذكر هارون اخي موسى وقال ابن عباس هو ابن عم
اليسع قال ابن اسحق هو الياس بن بشير بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران وروي عن عبد الله بن مسعود
قال الياس هو ادريس وفي مصحفه وان ادريس لمن المرسلين وبها قرا عبد الله والاعمش وابن وثاب وهذا قول عكرمة
وقرئ ادراسين كابراهيم وابراهام وفي مصحف ابي وقراءته وان ايليس بهمزة مكسورة ثم يا ساكنة مثناة من تحت
ثم لام مكسورة ثم يا مثناة من تحت ساكنة ثم سين مهملة مفتوحة **قوله** اذ قال ظرف لقوله لمن المرسلين والتقدير
اذكر يا محمد لقومك اذ قال لقومه الا تتقون اي الا تخافون الله ولما ذكر ثم على سبيل الاجمال ذكر ما هو السبب لذلك التخويف
فقال اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين **قوله** بعلا القرا على تنوينه منصوبا وهو الرب بلغة اليمن سمع ابن عباس
رجلا منهم ينشد ضالة فقال انا بعلها فقال الله اكبر وتلا الاية ويقال من بعل هذه الدار اي من ربها وسمي الزوج
بعلا لهذا المعنى قال تعالى وبعولتهن احق بردهن وقال وهذا بعلي شيخا فعلى هذا التقدير المعنى اتعبدون بعض البعول
وتتركون عبادة الله تعالى وقيل هو علم لصنم بعينه وقيل هو علم لامراة بعينها اتتهم بضلال فاتبعوها ويؤيده قراءة
من قرا بعلاء بزنة حمراء **قوله** وتذرون يجوز ان يكون حالا على اضمار مبتدا وان يكون عطفا على تدعون فيكون داخلا
في حيز الانكار **قوله** الله ربكم ورب قرا الاخوان وحفص بنصب الثلاثة من ثلاثة اوجه النصب على المدح او البدل
او البيان ان قلنا ان اضافة افعل اضافة محضة والباقون بالرفع اما على خبر ابتدا مضمر اي هو الله او على ان الجلالة
مبتدا وما بعده الخبر وروي عن حمزة انه اذا كان وصل نصب واذا وقف رفع وهو حسن جدا وفيه جمع بين الروايتين
فصل قال المفسرون لما قبض الله حزقيل عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك
وعبدوا الاوثان من دون الله عز وجل فبعث الله اليهم الياس نبيا وكانت الانبياء من بني اسرائيل يبعثون من بعد
موسى بتجديد ما نسوا من التوراة وبنو اسرائيل كانوا متفرقين في ارض الشام وسبب ذلك ان يوشع بن نون لما فتح
الشام بوأها بني اسرائيل وقسمها بينهم فاحل سبطا منهم ببعلبك ونواحيها وهم السبط الذين كان منهم الياس فبعثه
الله اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له احب قد اضل قومه واجبرهم على عبادة الاصنام وكان يعبد هو وقومه
صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فجعل الياس يدعوهم الى الله عز وجل وهم لا يسمعون
الا ما كان من الملك فانه صدقه وامن به ثم ذكروا قصة طويلة وذكروا في اخرها ان الياس رفع الى السماء وكساه
الله الريش وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فكان انسيا ملكيا ارضيا سماويا قال ابن ابي رواد ان الخضر والياس

يصوموا شهر رمضان ببيت المقدس ويوافوا الموسم في كل عام وقيل ان الياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار ثم قال
تعالى فكذبوه فانهم لمحضرون اي لمحضرون النار غدا الا عباد الله المخلصين من قومه اي الذين آمنوا بالتوحيد الخالص
فانهم لا يحضرون وتركنا عليه في الآخرين قوله الا عباد الله استثناء متصل من فاعل فكذبوه وفيه دلالة على ان في
قومه من لم يكذبه فلذلك استثنوا ولا يجوز ان يكونوا مستثنين من ضمير لمحضرون لانه يلزم ان يكونوا مندرجين
فيمن كذب لكنهم لم يحضروا الكونهم عباد الله المخلصين وهو بين الفساد لا يقال هو مستثنى منه استثناء منقطعا لانه
يصير المعنى لكن عباد الله المخلصين من غيرهم لم يحضروا ولا حاجة الى هذا الوجه اذ به يفسد نظم الكلام قوله على الياسين
قرأ نافع وابن عامر على آل ياسين باضافة آل بمعنى اهل الى ياسين والباقون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة بياسين
كانه جمع الياس جمع سلامة فاما الاولى فانه اراد بالآل الياس ولد ياسين كالمتقدم واصحابه وقيل المراد بياسين هذا
الياس المتقدم فيكون له اسمان مثل اسمعيل واسمعين وميكائيل وميكائين وآله رهطه وقومه المؤمنون وقيل المراد
بياسين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بياسين اسم القرآن كانه قيل سلام من آمن بكتاب الله الذي هو
يس واما القراءة الثانية فقيل هي جمع الياس المتقدم وجمع باعتبار اصحابه كالمهالبة والاشاعثة في المهلب وبنيه
والاشعث وقومه وهو في الاصل جمع المنسوب الى الياس والاصل الياسي كاشعري ثم استثقل تضعيفها فحذفت احدى يائي
النسب فلما جمع جمع سلامة التقى ساكنان احدى الياءين وياء الجمع فحذفت اولاهما لالتقاء الساكنين فصار الياسين كما ترى
ومثله الاشعرون والخبيبون قال قدني من نصر الخبيبين قدي وقد تقدم طرف من هذا آخر الشعراء عند قوله الاعجمين
الا ان الزمخشري قد رد هذا بانه لو كان على ما ذكر لوجب تعريفه بال فكان يقال على الالياسين قال شهاب الدين
لانه متى جمع العلم جمع سلامة او ثني لزمته الالف واللام لانه تزول علميته فيقال الزيدان الزيدون الزينبات
ولا يلتفت الى قولهم جماديان وعمايتان علمي شهرين وجبلين لندورهما وقرأ الحسن وابو رجاء على الياسين بوصل الهمزة على
انه جمع الياسين وقومه المنسوبين اليه بالطريق المذكورة وهذا واضحة لوجود ال المعرفة فيه كالزيدين وقرأ عبد
الله على ادراسين لانه قرأ في الاول وان ادريس وقرأ ابي على ايليسين لانه قرأ في الاول وان ايليس كما تقدم عنه وهذا
يدل على ان الياسين جمع الياس وتقدم الكلام على نظيرها في القصة قوله تعالى وان لوطا لمن المرسلين تقدم الكلام
على نظيره وقوله مصبحين حال وهو من اصبح التامة بمعنى داخلين في الصباح ومنه اذا سمعت بسرى القين فاعلم بانه
مصبح اي مقيم في الصباح وتقدم ذلك في سورة الروم وبالليل عطف على الحال قبلها اي وملتبسين بالليل والمعنى ان
اولئك القوم كانوا يسافرون الى الشام والمسافر في اكثر الامر انما يمشي في الليل او في اول النهار فلهذا السبب عين تعالى
عن هذين الوقتين ثم قال افلا تعقلون اي اليس فيكم عقول تعتبرون بها قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين قرئ
يونس بضم النون وكسرها قاله الزمخشري قال ابن الخطيب وانما صارت هذه القصة آخر القصص لانه لم يصبر
على اذى قومه وابق الى الفلك ووقع في تلك الشدائد فصار هذا سببا لصبر النبي صلى الله عليه وسلم على اذى قومه
قال المفسرون بعث الله يونس عليه السلام الى اهل نينوى من ارض الموصل فدعاهم الى الله عز وجل فكذبوه وتمادوا
على كفرهم فلما طال ذلك عليه خرج من بين اظهرهم ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث كما سيأتي قوله اذ ابق والجمع
اباق كضراب وفيه لغة ثانية ابق بالكسر يابق بالفتح وباق الرجل تشبيه به في الاستتار وقول الشاعر
وقد احكمت حكمات القد والابقا قيل هو القنب قوله فساهم اي فقارعهم في المساهمة وهي الاقتراع واصله ان
تخرج السهم على من غلب فكان من المدحضين اي المغلوبين يقال ادحض الله حجته فدحضت اي ازالها فزالت
واصل الكلمة من المدحض وهو الزلق يقال دحضت رجل البعير اذا زلقت فصل قال ابن عباس ووهب كان يونس
وعد قومه العذاب فلما تأخر عنهم خرج كالمتشرد منهم فقصد البحر فركب السفينة فقال الملاحون فاحتبست
السفينة فقال الملاحون ههنا عبد ابق من سيده فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فاقترعوا ثلاثا فوقعت
على يونس فقال يونس انا الآبق وزج نفسه في الماء قوله فالتقمه الحوت وهو مليم المليم الذي اتى بما يلام عليه
قال وكم من مليم لم يصب بملامة ومتبع بالذنب ليس له ذنب يقال الام فلان اي فعل ما يلام عليه وقوله
وهو مليم حال وقرئ مليم بفتح الميم من لام يلوم وهي شاذة جدا اذ كان قياسها ملوم لانها من ذوات الواو كمقول
ومصون قيل ولكن اخذت من ليم على كذا مبنيا للمفعول ومثله في ذلك شيب الشيء فهو مشيب ودعي فهو مدعي
والقياس مشوب ومدعو لانهما من يشوب ويدعو فصل وروى ابن عباس ان يونس عليه السلام كان يسكن
مع قومه فلسطين فغزاهم ملك وسبى منهم تسعة اسباط ونصف وبقي سبطان ونصف وكان قد اوحى الى
بني اسرائيل اذا اسركم عدوكم واصابتكم مصيبة فادعوني استجب لكم فلما نسوا ذلك واسروا اوحى الله تعالى
بعد حين الى نبي من انبيائهم ان اذهب الى ملك هؤلاء الاقوام وقل له يبعث الى بني اسرائيل نبيا فاختار يونس
عليه السلام لقوته وامانته قال يونس الله امرك بهذا قال لا ولكن امرت ان ابعث قويا امينا وانت كذلك

كذلك فقال يونس وفي بني اسرائيل من هو اقوى مني فلم لا تبعثه فالح الملك عليه فغضب يونس منه وخرج حتى اتى بحر الروم فوجد
سفينة مشحونة فحملوه فيها فلما اشرفت على لجة البحر اشرفوا على الغرق فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل في
السفينة ما نراه وقال التجار قد جربنا مثل هذا فاذا رأيناه نقترع فمن خرج عليه نغرقه فلان يغرق واحد خير من غرق
الكل فخرج من بينهم يونس فقال يا هؤلاء انا العاصي وتلفف في كساء ورمى نفسه فالتقمه الحوت واوحى الله تعالى الى
الحوت لا تكسر منه عظما ولا تقطع منه وصلا ثم ان السمكة خرجت الى نيل مصر ثم الى بحر فارس ثم الى البطائح ثم دجلة
وصعدت به ورمته في ارض نصيبين بالعراء وهو كالفرخ المنتوف لا شعر ولا لحم فانبت الله عليه شجرة من يقطين
فكان يستظل بها ويأكل من ثمرها حتى اشتد ثم ان الارضة اكلتها فحزن يونس لذلك حزنا شديدا فقال يا رب كنت
استظل تحت هذه الشجرة من الشمس والريح وامص من ثمرها وقد سقطت فقيل يا يونس تحزن على شجرة انبتت
في ساعة ويبست في ساعة ولا تحزن على مائة الف او يزيدون تركتهم فانطلق اليهم فانطلق اليهم قوله فلولا انه
كان من المسبحين من الذاكرين الله قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقال وهب من
العابدين وقال الحسن ما كانت له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا وقال سعيد بن جبير هو قوله
في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قوله في بطنه الظاهر انه متعلق بلبث وقيل حال اي
مستقرا وكان بطنه قبرا له الى يوم البعث قال الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطن الحوت وقال بعضهم
التقمه بكرة ولفظه عشيا وقال مقاتل بن حيان ثلاثة ايام وعن عطاء سبعة ايام وعن الضحاك عشرين يوما وقيل
شهرا وقيل اربعين يوما قال ابن الخطيب ولا ادري باي دليل عينوا هذه المقادير وروى ابو بردة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال سبح يونس في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة
فقال ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم
وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له فامر الحوت فقذفه بالساحل وروي ان يونس لما ابتلعه الحوت ابتلع الحوت حوت
آخر اكبر منه فلما استقر في جوف الحوت حسب انه قد مات فحرك جوارحه فتحركت فاذا هو حي فخر لله ساجدا وقال يا رب
اتخذت لك مسجدا لم يعبدك احد في مثله قوله فنبذناه اضاف النبذ الى نفسه مع ان ذلك النبذ انما حصل بفعل
الحوت وهذا يدل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى وقوله بالعراء اي في العراء كقولك بمكة والعراء الارض الواسعة
التي لا نبات بها ولا معلم اشتقاقا من العري وهو عدم الستر وسميت الارض الجرداء بذلك لعدم استتارها بشيء
والعرا بالقصر الناحية ومنه اعتراه اي قصد عراه واما الممدود فهو كما تقدم الارض الفيحاء قال
ورفعت رجلا لا اخاف عثارها ونبذت بالمتن العراء ثيابي قوله وانبتنا عليه اي له وقيل عنده شجرة من يقطين
اليقطين يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام فيه لا يبرح قال المبرد والزجاج اليقطين كل ما لم يكن له ساق من عود
كالقثاء والقرع والبطيخ والحنظل وهو قول الحسن ومقاتل قال البغوي المراد هنا القرع على قول جميع المفسرين
وروى الفراء انه قيل عند ابن عباس هو ورق القرع فقال ومن جعل القرع من بين الشجر يقطينا كل ورقة
انشقت وسترت فهي يقطين واعلم ان في قوله شجرة ما يرد قول بعضهم ان الشجرة في كلامهم ما كان لها ساق
من عود بل الصحيح انها اعم ولذلك بينت بقوله من يقطين واما قوله والنجم والشجر فلا دليل فيه لانه استعمال
اللفظ العام في احد مدلولاته وقيل بل انبت الله اليقطين الخاص على ساق معجزة له فجاء على اصله قال الواحدي
الآية تقتضي شيئين لم يذكرهما المفسرون احدهما ان هذا اليقطين لم يكن فانبته الله لاجله والآخر ان اليقطين
مغروش ليحصل له ظل ولو كان منبسطا على الارض لم يمكن ان يستظل به قال مقاتل بن حيان كان يونس يستظل
بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشيا حتى اشتد لحمه ونبت شعره فان قيل قال ههنا
فنبذناه بالعراء وقال في موضع آخر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهذا يدل على انه لم ينبذ فالجواب
لولا ههنا ترجع الى الذم معناه لولا نعمة ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ولكنه تداركه النعمة فنبذ وهو
غير مذموم فصل قال شهاب الدين ولو نبتت من الوعد مثل يقطين لغات توجيه لا يقال بخلاف الواو ولو قيل
يفعين بياء وكسره كيعد مضارع وعد لان شرط تلك الياء ان تكون للمضارعة وهذه مما يتحتن بها اهل التصريف بعضهم
بعضا قوله وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يحتمل ان يكون المراد وارسلناه قبل ملتقمه وعلى هذا فالارسال
وان ذكر بعد الالتقام فالمراد به التقديم والواو معناها الجمع ويحتمل ان يكون المراد الارسال بعد الالتقام
قال ابن عباس كان ارسال يونس بعد ما نبذه الحوت وعلى هذا التقدير يجوز انه ارسل الى قوم آخرين سوى القوم
الاول ويجوز ان يكون ارسل الى الاولين ثانيا بشريعة فآمنوا بها قوله او يزيدون في او هذه سبعة اوجه
تقدم تحقيقها اول البقرة عند قوله تعالى او كصيب فالشك بالنسبة الى المخاطبين اي ان الرائي يشك عند رؤيتهم
والابهام بالنسبة الى ان الله تعالى ابهم امرهم والاباحة اي ان الناظر اليهم يباح له ان يحزرهم بهذا القدر

او بهذا العدد وكذلك التخيير اي هو مخير بين ان تحزرهم كذا او كذا والاضراب ومعنى الواو واصحاب قوله فامنوا فمتعنا الى حين. قال قتادة ارسل الى اهل نينوى من ارض الموصل قبل الالتقام كالتقدم وقيل بعد الالتقام وقيل الى قوم آخرين وتقدم الكلام على او. قال ابن عباس انها بمعنى الواو وقال مقاتل والكلبي بمعنى بل وقال الزجاج على الاصل بالنسبة الى المخاطبين. واختلفوا في مبلغ الزيادة قال ابن عباس ومقاتل كانوا عشرين الفا ورواه ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن بضعا وثلاثين الفا وقال سعيد بن جبير تسعين الفا فامنوا يعني الذين ارسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب فامنوا فمتعناهم الى حين انقضاء آجالهم. **قوله** فاستفتهم قال الزمخشري معطوف على مثله في اول السورة وان تباعدت قال ابو حيان واذا كانوا قد عدوا الفصل بجملة نحو كل لحما واضرب زيدا وخبزا من اقبح التركيب فكيف بجمل كثيرة وقصص متباينة. قال شهاب الدين ولقائل ان يقول ان الفصل وان كثر بين الجمل المتعاطفة يغتفر والمثال الذي ذكره من قبيل المفردات الا ترى كيف عطف خبزا على لحما فعلى الاول انه تعالى لما ذكر اقاصيص الانبياء عليهم السلام عاد الى شرح مذاهب المشركين وبيان قبحها من جملة اقوالهم الباطلة انه تعالى لما ذكرنا فاستفتهم اهم اشد خلقا وذلك انهم اثبتوا الاولاد لله تعالى ثم زعموا انها من جنس الاناث لا من جنس الذكور فقال فاستفتهم اهم اشد خلقا وذلك انه تعالى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض الى ان امره بان يستفتيهم في انهم لم اثبتوا لله سبحانه البنات ولانفسهم البنين. ونقل الواحدي عن المفسرين انهم قالوا ان قريشا واجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح قالوا الملائكة بنات الله وهذا الكلام يشتمل على امرين احدهما اثبات البنات لله وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنت والشيء الذي يستنكف منه المخلوق كيف يمكن اثباته للخالق. والثاني اثبات ان الملائكة اناث وهذا ايضا باطل لان طريق العلم اما الحس واما الخبر واما النظر اما الحس فمفقود لانهم لم يشاهدوا كيف خلق الله الملائكة وهو المراد من قوله ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون. واما الخبر فمفقود ايضا لان الخبر انما يفيد العلم اذا علم كونه صدقا قطعا وهؤلاء الذين يخبرون عن هذا الحكم كذابون افاكون لم يدل على صدقهم دليل وهذا هو المراد من قوله الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون. واما النظر فمفقود من وجهين. الاول ان دليل العقل يقتضي فساد هذا المذهب لانه تعالى اكمل الموجودات والاكمل لا يليق به اصطفاء البنات على البنين بمعنى اسناد الافضل الى الافضل اقرب الى العقل من اسناد الاخس الى الافضل. الثاني ان يتركوا بترك الاستدلال على فساد مذاهبهم بل ان كان حكم العقل معتبرا في هذا الباب كان قولكم باطلا بل نطالبهم باثبات الدليل الدال على صحة مذهبهم فاذا لم يجدوا دليلا ظهر بطلان مذهبهم وهذا هو المراد بقوله ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين. فقوله فاستفتهم فسئل يا محمد اهل مكة وهو سؤال توبيخ الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون حاضرون وهذه جملة حالية من الملائكة والرابط الواو وهي هنا واجبة لعدم رابط غيرها قاله شهاب الدين ويحتمل ان تكون جملة حالية من المسئولين. **قوله** الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله العامة على ولد فعلا ماضيا مسندا للجلالة اي اتى بالولد تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. وقرئ ولد الله باضافة الولد اليه اي يقولون الملائكة ولد الله فحذف المبتدأ للعلم به وابقى خبره والولد فعل بمعنى مفعول كالقبض فلذلك يقع خبرا عن المفرد والمثنى والمجموع مذكرا او مؤنثا هذا ولدي وهم ولدي. **قوله** اصطفى العامة على فتح الهمزة على انها همزة استفهام بمعنى الانكار والتقريع وقد حذف معها همزة الوصل استغناء عنها وقرا نافع في رواية وابو جعفر وشيبة والاعمش بهمزة وصل تثبت ابتداء وتسقط درجا وفيه وجهان احدهما انه على نية الاستفهام وانما حذف للعلم به ومنه قول عمر بن ابي ربيعة. ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد الرمل والحصى والتراب اي اتحبها. والثاني ان هذه الجملة بدل من الجملة المحكية بالقول وهي ولد الله اي يقولون كذا ويقولون اصطفى هذا الجنس على هذا الجنس وضعفها ان هذه الجملة قد اكتنفها الانكار من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للاثبات فقد اوقعها دخيلة بين نسيبين. قال ابو حيان وليست دخيلة بين نسيبين لان لها مناسبة ظاهرة مع قولهم ولد الله واما قوله وانهم لكاذبون فهي جملة اعتراض بين مقالتي الكفرة جاءت للتنفيس والتاكيد في كون مقالتهم تلك هي من افكهم. ونقل ابو البقاء انه قرئ آصطفى بالمد قال وهو بعيد جدا. **قوله** ما لكم كيف تحكمون جملتان استفهاميتان ليس لاحداهما تعلق بالاخرى من حيث الاعراب استفهم اولا عما استقر لهم وثبت استفهام انكار وثانيا استفهام تعجب من حكمهم بهذا الحكم الجائر وهو انهم نسبوا اخس الجنسين وما يتطيرون منه ويتوارى احدهم من قومه عند بشارته به الى ربهم واحسن الجنسين اليهم والمعنى ما لكم كيف تحكمون لله بالبنات ولكم بالبنين افلا تذكرون اي تتعظون ام لكم سلطان مبين برهان بين على ان لله ولدا فاتوا بكتابكم الذي لكم فيه حجة ان كنتم صادقين في قولكم. **قوله** وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال مجاهد وقتادة اراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار. قال ابن عباس حي من الملائكة يقال

دخيلة بين

لهم الجن منهم ابليس. وقيل انهم خزان الجنة. قال ابن الخطيب وهذا القول عندي مشكل لانه تعالى ابطل قولهم الملائكة بنات الله ثم عطف عليه قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا والعطف يقتضي كون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه فوجب ان يكون المراد من الآية غير ما تقدم. وقال مجاهد قالت كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم ابو بكر الصديق فمن امهاتهم قالوا سروات الجن وهذا ايضا بعيد لان المصاهرة لا تسمى نسبا. قال ابن الخطيب وقد روينا في تفسير قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن ان قوما من الزنادقة يقولون ان الله وابليس اخوان فالله هو الحر الكريم وابليس هو الاخ الشرير فقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا المراد منه هذا المذهب وهذا القول عندي هو اقرب الاقاويل وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان واهرمن ثم قال ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي علمت الجنة ان الذين قالوا هذا القول محضرون النار ويعذبون وقيل المراد ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون العذاب فعلى الاول الضمير عائد الى القائل وعلى الثاني عائد الى نفس الجنة ثم انه تعالى نزه نفسه عما قالوا من الكذب فقال سبحان الله عما يصفون. **قوله** الا عباد الله في هذا الاستثناء وجوه. احدها انه مستثنى منقطع والمستثنى منه اما فاعل جعلوا اي جعلوا بينه وبين الجنة نسبا الا عباد الله. الثاني انه فاعل يصفون اي لكن عباد الله يصفونه بما يليق به تعالى. الثالث انه ضمير محضرون اي لكن عباد الله ناجون وعلى هذا فتكون جملة التسبيح معترضة. وظاهر كلام ابي البقاء انه يجوز ان يكون استثناء متصلا لانه قال مستثنى من جعلوا او محضرون ويجوز ان يكون منفصلا فظاهر هذه العبارة ان الوجهين الاولين هو فيهما متصل لا منفصل وليس ببعيد كانه قيل وجعل الناس ثم استثنى منهم هؤلاء وكل من لم يجعل بين الله وبين الجنة نسبا فهو عبد الله مخلص من الشرك. **قوله** فانكم وما تعبدون في المعطوف وجهان احدهما انه معطوف على اسم ان وما نافية وانتم اسمها او مبتدأ وانتم فيه تغليب المخاطب على الغائب اذ الاصل فانكم ومعبودكم ما انتم وهو فغلب الخطاب وعليه متعلق بقوله بفاتنين والضمير عائد على ما تعبدون بتقدير حذف مضاف وضمن فاتنين معنى حاملين بالفتنة والتقدير فانكم والهتكم ما انتم وهم حاملين على عبادته الا الذي سبق في علمه انه من اهل صلي الجحيم فمن مفعول بفاتنين والاستثناء مفرغ. الثاني انه مفعول معه وعلى هذا فيحسن السكوت على تعبدون كما يحسن في قولك ان كل رجل وضيعته فيعفر كذا وقوله ما انتم عليه بفاتنين مستانف اي ما انتم على ما تعبدون بفاتنين او بحاملين على الفتنة الا من هو ضال مثلكم قاله الزمخشري الا ان ابا البقاء ضعف الثاني وتابعه ابو حيان في تضعيفه بعدم تبادره الى الفهم. قال شهاب الدين الظاهر انه معطوف واستئناف ما انتم عليه بفاتنين غير واضح والحواخي ان يتبع. وجوز الزمخشري ان يعود الضمير في عليه على الله تعالى قال فان قلت كيف يفتنونهم على الله قلت يفسدونهم عليه باغوائهم من قولك فتن فلان على فلان امراته كما تقول افسدها عليه وخببها عليه. ومن هو يجوز ان تكون موصولة او موصوفة. وقرا العامة صال الجحيم بكسر اللام لانه منقوص مضاف حذفت لامه لالتقاء الساكنين وحمل على لفظ من فافرد كما افرد هو. وقرا الحسن وابن ابي عبلة بضم اللام مع واو بعدها فيما نقله الهذلي عنهما وابن عطية عن الحسن وقرا بضمها مع عدم واو فيما نقل ابن خالويه عنهما وعن الحسن فقط فيما نقله الزمخشري وابو الفضل فاما مع الواو فانه جمع سلامة بالواو والنون ويكون قد حمل على لفظ من اولا فافرد في قوله هو وعلى معناها ثانيا فجمع في قوله صالوا وحذفت النون للاضافة ومما حمل فيه على اللفظ والمعنى في جملة واحدة وهي صلة للموصول قوله تعالى الا من كان هودا او نصارى فافرد في كان وجمع في هودا ومثله قول الاخر. وايقظ من كان منكم نياما. واما مع عدم الواو فيحتمل ان يكون جمعا ايضا وانما حذفت الواو خطا كما حذفت لفظا وكثيرا ما يفعلون هذا يسقطون في الخط ما يسقط في اللفظ ومنه يقض الحق في قراءة من قرا بالضاد المعجمة رسم بغير ياء وكذلك واخشون اليوم. ويحتمل ان يكون مفردا وحقه على هذا كسر اللام فقط لانه عين منقوص وعين المنقوص مكسورة ابدا وحذفت اللام وهي الياء لالتقاء الساكنين نحو هذا قاض البلد وقد ذكروا فيه توجيهين احدهما انه مقلوب اذ الاصل صائل ثم قلب بتقديم اللام الى موضع العين فوقع الاعراب على العين ثم حذفت لام الكلمة بعد القلب فصار اللفظ كما ترى ووزنه على هذا فاع فيقال على هذا جاء صال ورايت صالا ومررت بصال فيصير في اللفظ كقولك هذا باب ورايت بابا ومررت بباب ونظيره في مجرد القلب شاك ولاث في شائك ولائث ولكن شائك ولائث قبل القلب صحيحان فصارا به معتلين منقوصين بخلاف صال فانه قبل القلب معتلا منقوصا فصار به صحيحا. والثاني ان اللام حذفت استثقالا من غير قلب وهذا اسهل مما قبله لانهم يتناسون اللام المحذوفة ويجعلون الاعراب على العين وقد قرئ وله الجوار برفع الراء وجنى الجنتين دان برفع النون تشبيها بجناح وجان وقالوا ما باليت به بالة والاصل بالية كعافية وقد تقدم طرف من هذا عند قوله ومن فوقهم غواش فيمن قرأه برفع الشين.

فصل قال المفسرون المعنى فانكم يقول لاهل مكة وما تعبدون من الاصنام ما انتم عليه ما تعبدون بفاتنين بمضلين احدا الا من هو صال الجحيم اي الا

اى من سبق له فى علم الله الشقاوة ، واعلم انه لما ذكر الدلايل الدالة على فساد مذاهب الكفار
فقدر الله انه سيدخل النار ، قد سبق حكم الله فى حقه بالعذاب
اتبعه بما ينبه به على ان هولاء الكفار لا يقدرون على اضلال احد الا اذا كان لا تاثير لاغوا الشيطان ووسوسته وانما المؤثر قضا
والوقوع فى النار ، واحتج اهل السنة بهذه الاية على انه لا تاثير ... ان مامنا الا له مقام وحذف المبتدا مع من جيد
الله وتقديره **قوله** وما منا الا له مقام ، فيه وجهان احدهما ان المبتدا محذوف ايضا ، والا له مقام صفته حذف موصوفها والخبر على هذا هو الجار المتقدم
فصيح ، والثاني ان المبتدا محذوف واقام الصفة مقامه كقوله ،
والتقدير وما منا احد الا له مقام ، قال الزمخشري حذف الموصوف ، ورده ابو حيان فقال ليس هذا من حذف الموصوف
انا ابن جلا وطلاع الثنايا ، بل يكفي كان من ارى البشر ، ولانه لا ينعقد كلام من قوله وما منا احد
واقامة الصفة مقامه لان المحذوف مبتدا والا له مقام خبره ، فقد نصوا على ان الا
وقوله الا له مقام معلوم محط الفايدة وان تخيل ان الا له مقام معلوم فى موضع الصفة وعدم تمكن
لا يكون صفة اذا حذف موصوفها وانها فارقت غير اذا كانت صفة فى ذلك ليمكن غير فى الوصف
الابيه وجعل ذلك كقوله ، انا ابن جلا ، اى انا ابن رجل جلا ويكفى اى رجل كان فقد عده النحويون من اقبح الضرائر
حيث حذف الموصوف والصفة جملة لم يتقدمها من بخلاف قوله منا ظعن ومنا اقام يريد ومنا فريق ظعن ومنا
فريق اقام وقد تقدم نحو من هذا فى النسا عند قوله وان من اهل الكتاب الا ليومنن به وهذا الكلام وما بعده
ظاهره انه من كلام الملايكة ، وقيل من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم **فصل** قال المفسرون يقول
جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم وما منا معشر الملايكة الا له مقام معلوم اى ما منا ملك الا له مقام معلوم فى السموات
يعبد الله فيه ، قال ابن عباس ما فى السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلى او يسبح ، وقال عليه السلام اطت
السما وحق لها ان تيط والذى نفسى بيده ما فيها موضع اربعة اصابع الا وفيه ملك واضع جبهته ساجدا لله ، وقال
السدى الا له مقام معلوم ، والصافون والمسبحون يجوز ان يكون مرادا اى الصافون اقدامنا واجنحتنا والمسبحون
الله تعالى وان لا يراد البته اى نحن من اهل هذا الفعل فعلى الاول يفيد الحصر ومعناه انهم هم الصافون فى مواقف
العبودية لا غيرهم وذلك يدل على ان طاعات البشر بالنسبة الى طاعات الملايكة كالعدم حتى يصح هذا الحصر قال
ابن الخطيب وكيف يجوز مع هذا الحصر ان يقال البشر اقرب درجة من الملك فضلا عن ان يقال هو افضل منه
ام لا قال قتادة وانا لنحن الصافون هم الملايكة صفوا اقدامهم ، وقال الكلبى صفوف الملايكة فى السما كصفوف
الناس فى الارض وانا لنحن المسبحون اى المصلون المنزهون الله عن السو يخبر جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه
وسلم انهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح وانهم ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار ثم عاد الكلام الى الاخبار عن المشركين
فقال وان كانوا اى وقد كانوا يعنى اهل مكة ليقولون لام التاكيد لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين
اى لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا ثم جاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار وهو القران فكفروا به فسوف يعلمون
عاقبة هذا الكفر وهذا تهديد عظيم **قوله** ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، وهى قوله كتب الله لاغلبن انا
ورسلى لما هدد الكفار بقوله فسوف يعلمون اردفه بما يقوى قلب الرسول فقال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ، والنصرة والغلبة قد تكون بالحجة وقد تكون بالدولة
والاستيلا وقد تكون بالدوام والثبات فالمومن وان صار مغلوبا فى بعض الاوقات بسبب ضعف احوال الدنيا فهو
الغالب ولا يلزم على هذه الاية ان يقال قد قتل بعض الانبيا وهزم كثير من المومنين **قوله** انهم لهم المنصورون
تفسير للكلمة فيجوز ان لا يكون لها محل من الاعراب ، ويجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر ومنصوبة باضمار فعل اى بى
انهم لهم المنصورون او اعنى بالكلمة هذا اللفظ ويكون ذلك على سبيل الحكاية لانك لو صرحت بالفعل قبلها حاكيا للجملة
بعده كان صحيحا كانك قلت عنيت هذا اللفظ كما تقول كتبت زيد قايم وان زيدا قايم ، وقرا الضحاك كلماتنا جمعا
قوله فتول عنهم ، اى اعرض عنهم حتى حين ، قال ابن عباس يعنى الموت ، وقال مجاهد يوم بدر ، وقال السدى حتى يامرك
الله بالقتال ، وقيل الى ان ياتيهم عذاب الله ، وقيل الى فتح مكة ، قال مقاتل بن حيان نسختها اية القتال وابصرهم
اذا نزل بهم العذاب من القتل والاسر فى الدنيا والعذاب فى الاخرة فسوف يبصرون ذلك من النصرة والتاييد
فى الدنيا والثواب العظيم فى الاخرة فقالوا متى هذا العذاب فقال تعالى افبعذابنا يستعجلون اى ان ذلك الاستعجال
جهل لان لكل شى من افعال الله تعالى وقتا معينا لا يتقدم ولا يتاخر **قوله** فاذا نزل بساحتهم ، العامة على نزل مبنيا
للفاعل وعبد الله مبنيا به للمفعول والجار قايم مقام فاعله والساحة الفنا الخالى من الابنية وجمعها سوح فالفها
عن واو فيصغر على سويحة ، قال الشاعر ، فكان سيان ان لا يسرحوا نعما او يسرحوه بها واغبرت السوح ،
وبهذا يتبين ضعف قول الراغب انها من ذوات اليا حيث عدها فى مادة سيح ثم قال الساحة المكان الواسع
ومنه ساحة الدار ، والسايح الما الجارى فى الساحة وساح فلان فى الارض مر مر السايح ورجل سايح وسياح انتهى

انتهى ، وتحمل ان يكون لها مادتان لكن كان ينبغى ان يذكر ما هى الاشهر او يذكر هما معا **فصل** فاذا نزل يعنى العذاب بساحتهم
قال مقاتل بحضرتهم ، وقيل بفنايهم ، قال الفرا العرب تكتفى بذكر الساحة عن القوم فسا صباح المنذرين فبيس صباح
الكافرين الذين انذروا بالعذاب لما خرج عليه السلام الى خيبر اتاها ليلا وكان اذا جاء قوما بليل لم يغز حتى يصبح
فلما اصبح خرجت يهود بمساحيها ومكاتلها فلما راوه قالوا محمد والله محمد والجيش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فسا صباح المنذرين **قوله** فتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون
قيل المراد من هذه الكلمة فيما تقدم احوال الدنيا وفى هذه الكلمة احوال القيامة وعلى هذا التقدير فالتكرير زايل ، وقيل
المراد من التكرير المبالغة فى التهديد والتهويل **فان قيل** ما الحكمة فى قوله اولا وابصرهم وههنا قال وابصر بغير ضمير
فالجواب انه حذف مفعول ابصر الثانى اما اختصارا لدلالة الاول عليه واما اقتصارا تفننا فى البلاغة ثم انه تعالى
ختم السورة بتنزيه نفسه عن كل ما لا يليق بصفات الالهية فقال سبحان ربك رب العزة اى الغلبة والقوة اضاف
الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه به ، وقيل المراد العزة المخلوقة
الكاينة بين خلقه ويترتب على القولين مسئلة اليمين فعلى الاول تنعقد بها اليمين لانها صفة من صفاته بخلاف
الثانى فانه لا تنعقد بها اليمين **فصل** قوله رب العزة ، الربوبية اشارة الى كمال الحكمة والرحمة ، والعزة اشارة
الى كمال القدرة فقوله رب العزة يدل على انه القادر على جميع الحوادث لان الالف واللام فى قوله العزة يفيد
الاستغراق واذا كان الكل ملكا له لم يبق لغيره شى فثبت ان قوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون كلمة محتوية
على اقصى الدرجات واكمل النهايات وسلام على المرسلين الذين بلغوا عن الله التوحيد بالشرايع والحمد لله رب العالمين
على هلاك الاعدا ونصرة الانبيا عليهم السلام ، روى عن على رضى الله عنه قال من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من
الاجر يوم القيامة فليكن اخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب
العالمين ، روى ابو امامة عن ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والصافات اعطى من
الاجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان وتباعدت منه مردة الشياطين وبرى من الشرك وشهد له حافظاه يوم
القيامة انه كان مومنا

سورة ص

وهى خمس وثمانون اية ، وسبع مائة واثنان وثمانون كلمة ، وثلاثة الاف وتسعة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن
الرحيم **قوله تعالى** ص ، قرا العامة بسكون الدال كساير حروف التهجى فى اوايل السور وقد تقدم ما فيه ، وقرا ابى والحسن وابن
ابى اسحق وابن ابى عبلة وابو السمال بكسر الدال من غير تنوين وفيها وجهان احدهما انه كسر لالتقا الساكنين وهذا اقرب
، والثانى انه من المصاداة وهى المعارضة ومنه صوت الصدى لمعارضته لصوتك وذلك فى الاماكن الصلبة الخالية
والمعنى عارض القران بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه قاله الحسن وعنه ايضا انه من صاديت اى حادثت والمعنى حادث
الناس بالقران ، وقرا ابن ابى اسحق كذلك الا انه نونه وذلك على انه مجرور بحرف قسم مقدر حذف وبقى عمله كقولهم الله لافعلن
بالجر الا ان الجر يقل فى غير الجلالة وانما صرفه ذهابا به الى معنى الكتاب والتنزيل وعن الحسن ايضا وابن السميفع وهارون
الاعور صاد بالضم من غير تنوين على انه اسم للسورة وهو خبر مبتدا مضمر اى هذه صاد ومنع من الصرف للعلمية والتانيث
وكذلك قرا ابن السميفع وهرون قاف ونون بالضم على ما تقدم ، وقرا عيسى وابو عمرو فى رواية محبوب صاد بالفتح
من غير تنوين وهى تحتمل ثلاثة اوجه البنا على الفتح تخفيفا كاين وكيف والجر بحرف القسم المقدر وانما منع من الصرف
للعلمية والتانيث كما تقدم والنصب باضمار فعل او على حرف القسم نحو قوله ، فذاك امانة الله الثريد ، وامتنعت من
الصرف لما تقدم وكذلك قرا قاف ونون بالفتح فيهما وثمة كما تقدم ولم يحفظ التنوين مع الفتح والضم **فصل**
قيل هذا قسم ، وقيل اسم السورة كما ذكر فى الحروف المقطعة فى اوايل السور ، وقال محمد بن كعب القرظى ص مفتاح اسم
الصمد وصادق الوعد ، وقال الضحاك معناه صدق الله ، وروى عن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل
معناه ان القران مركب من هذه الحروف وانتم قادرون عليها ولستم قادرين على معارضته **فان قيل** قوله والقران ذى
الذكر قسم فاين المقسم عليه **فالجواب** من وجوه ، احدها قال الزجاج والكوفيون غير الفرا هو قوله ان ذلك
لحق ، قال الفرا لا نجده مستقيما لتاخيره جدا عن قوله والقران قال ثعلب والفرا هو قوله كم اهلكنا والاصل لكم اهلكنا فحذف
اللام كما حذف فى قوله قد افلح من زكاها بعد قوله والشمس لما طال الكلام ، الثانى قال الاخفش هو قوله ان كل الا كذب
الرسل كقوله تالله ان كنا وقوله والسما والطارق ان كل ، الثالث قوله ان هذا لرزقنا ، الرابع هو قوله ص لان المعنى والقران
لقد صدق محمد قاله الفرا وثعلب ايضا وهذا بنا منهما على جواز تقدم جواب القسم وان هذا الحرف مقتطع من جملة هو دال

هو عليها وكلاهما ضعيف. الخامس انه محذوف واختلفوا فى تقديره فقال الحوفى تقديره لقد جاءكم الحق ونحوه وقدره ابن عطية ما الامر كما يزعم الكفار ودل على هذا المحذوف قوله بل الذين كفروا والزمخشرى انه لمعجز وابو حيان انك لمن المرسلين قال لانه نظير يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين. وللزمخشرى هنا عبارة بشعة جدا قال فان قلت قوله ص والقران ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق كلام ظاهره متناف غير منتظم فما وجه انتظامه قلت فيه وجهان احدهما ان يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدى والتنبيه على الاعجاز كما مر فى اول الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدى عليه كانه قال والقران ذى الذكر انه لكلام معجز. والثانى ان يكون صاد خبر مبتدا محذوف على انها اسم للسورة كانه قال هذه صاد يعنى هذه السورة التى اعجزت العرب والقران ذى الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت بصاد والقران ذى الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا فى عزة واستكبار عن الاذعان لذلك والاعتراف وشقاق لله ورسوله واذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها والقران ذى الذكر جاز لك ان تريد بالقران التنزيل كله وان تريد السورة بعينها ومعناه اقسم بالسورة الشريفة والقران ذى الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل. وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره بل الذين كفروا فى عزة وشقاق والقران ذى الذكر. والمراد بكون القران ذى الذكر اى ذى الشرف قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم كما تقول لفلان ذكر فى الناس. ويحتمل ان يكون معناه ذو النبا اى فيه اخبار الاولين والاخرين وبيان العلوم الاصلية والفرعية. **قوله** بل الذين كفروا اضراب انتقال من قصة الى اخرى. وقرا الكسائى فى رواية سورة وحماد بن الزبرقان وابو جعفر والجحدرى فى غرة بالغين معجمة والراء وقد نقل ان حماد الراوية قراها كذلك تصحيفا فلما رد عليه قال ما ظننت ان الكافرين فى عزة وهو منه لان العزة المشار اليها حمية الجاهلية والتنكير فى عزة وشقاق دلالة على شدتهما وتفاقمهما.

فصل قالت المعتزلة دل قوله ذى الذكر على انه محدث ويؤيده قوله وانه لذكر لك ولقومك وهذا ذكر مبارك انزلناه وقران مبين. والجواب انا نصرف دليلكم الى ما نقراه نحن ونتلفظ به.

فصل قال الغيثى بل للتدارك كلام ونفى اخر ومجاز الاية ان الله اقسم بصاد والقران ذى الذكر بل الذين كفروا من اهل مكة فى عزة حمية جاهلية وتكبر عن الحق وشقاق خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم قال مجاهد فى عزة معازين. **قوله** كم اهلكنا كم مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز ومن قبلهم لابتداء الغاية. والمعنى كم اهلكنا من قبلهم من قرن يعنى من الامم الخالية فنادوا واستغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة وقيل نادوا بالايمان والتوبة عند معاينة العذاب. **قوله** ولات حين هذه الجملة فى محل نصب على الحال من فاعل نادوا اى استغاثوا والحال انه لا مهرب ولا منجا. وقرا العامة لات بفتح التاء وحين بالنصب وفيها اوجه احدها وهو مذهب سيبويه ان لا نافية بمعنى ليس والتاء مزيدة فيها كزيادتها فى رب وثم كقولهم ربت وثمت واصلها هاء وصلت بلا فقالوا لاه كما قالوا ثمه ولا تعمل الا فى الزمان خاصة نحو لات حين ولات اوان كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان ليس حين بقاء وقول الاخر ندم البغاة ولات ساعة مندم والبغى مرتع مبتغيه وخيم والاكثر حينئذ حذف مرفوعها تقديره ولات الحين حين مناص وقد يحذف المنصوب ويبقى المرفوع وقد قرا هنا بذلك بعضهم كقوله من صد عن نيرانها فانا ابن قيس لا براح اى لا براح لى ولا تعمل فى غير الاحيان على المشهور وقد تمسك باعمالها فى غير الاحيان فى قوله حنت نوار ولات هنا حنت وبدا الذى كانت نوار اجنت قال هنا من ظروف الامكنة وفيه شذوذ من ثلاثة احدها عملها فى اسم الاشارة وهو معرفة ولا تعمل الا فى النكرات الثانى كونه لا يتصرف الثالث كونه غير زمان وقد رد بعضهم هذا بان هنا قد تخرج عن المكانية واستعملت فى الزمان كقوله تعالى هنالك ابتلى المؤمنون وقوله فهناك يعترفون ابن المفرغ كما تقدم فى سورة الاحزاب الا ان الشذوذين الاخريين باقيان وتاول بعضهم البيت ايضا بتاويل اخر وهو ان لات هنا مهملة لا عمل لها وهنا ظرف خبر مقدم وحنت مبتدا بتاويل حذف ان المصدرية تقديره ان حنت نحو تسمع بالمعيدى خير من ان تراه وفى هذا تكلف وبعد الا ان فيه الاستراحة من الشذوذات المذكورات او الشذوذين. وفى الوقف عليها مذهبان اشهرهما عند العرب وجماهير القراء السبعة بالتاء المجبودة اتباعا للمرسوم الخط والكسائى وحده من السبعة بالهاء والاول مذهب الخليل وسيبويه والزجاج والفراء وابن كيسان والثانى مذهب المبرد واغرب ابو عبيد فقال الوقف على لا والتاء متصلة بحين فيقولون لا تحين ومنه تحين وتحين كان كذا فعلت كذا وقال رايتها فى الامام كذا ولا تحين متصلة والسنة على ذلك ايضا فقول ابى وجزة السعدى العاطفون تحين ما من عاطف والمطعمون زمان لا من يطعم ومنه حديث ابن عمر وساله رجل عن عثمان فذكر مناقبه ثم قال اذهب تلان الى اصحابك يريد الان والمصاحف انما هى لات حين وحمل العامة ما راه على انه مما شذ عن قياس الخط كنظائر له مرت. واما البيت فقيل فيه انه شاذ لا يلتفت اليه. وقيل انه اذا حذف الحين المضاف الى الجملة التى فيها لات جاز ان يحذف لا وحدها كانه قد صرح باضافة حين اليها فى قول الاخر وذلك حين لات اوان حلم ذكر هذا الوجه ابن مالك وهو متعسف جدا وقد يغلط اضافة حين اليها من غير حذف لها كقوله تذكر

حب ليلى لات حينا اى حين لات حين وايضا فكيف يصنع ابو عبيد بقوله ولات ساعة مندم وولات اوان فانه قد وجدت التاء مع لا دون حين. الوجه الثانى من الاوجه السابقة انها عاملة عمل ان يعنى انها نافية للجنس فيكون حين مناص اسمها وخبرها مقدر تقديره ولات حين مناص لهم كقولك لا غلام سفر لك واسمها معرب لكونه مضافا. الثالث ان بعدها فعلا مقدرا ناصب حين مناص بعدها اى لات ارى حين مناص لهم بمعنى لست ارى ذلك ومثله لا مرحبا بهم ولا اهلا ولا سهلا اى لا اتوا مرحبا ولا وطئوا سهلا ولا لقوا اهلا وهذان الوجهان ذهب اليهما الاخفش وهما ضعيفان وليس اضمار الفعل هنا نظير اضماره فى قوله الا رجلا جزاه الله خيرا. الضرورة ان اسمها المفرد النكرة مبنى على الفتح فلما رايناه هنا منونا قدرنا له فعلا خلافا للزجاج فانه يجوز تنوينه فى الضرورة ويدعى ان فتحته للاعراب وانما حذف التنوين للتخفيف ويستدل بالبيت المذكور وقد تقدم تحقيق هذا. الرابع ان لات هذه ليست هى لا مزادا فيها تاء التانيث وانما هى ليس فابدلت السين تاء وقد ابدلت منها فى مواضع قالوا النات يريدون الناس ومنه ست واصله سدس وقال

يا قاتل الله بنى السعلات عمرو بن يربوع شرار النات ليسوا اعفاء ولا اكيات

وقرئ شاذا قل اعوذ برب النات الى اخره يريد شرار الناس ولا اكياس فابدل ولما ابدل السين تاء خاف من التباسها بحرف التمنى فقلب الياء الفا فبقيت لات وهو من الاكتفاء بحرف العلة لان حرف العلة لا يبدل الفا الا بشروط منها ان يتحرك وان ينفتح ما قبله فيكون حين مناص خبرها والاسم محذوف على ما تقدم والعمل هنا بحق الاصالة لا الفرعية. وقرا عيسى بن عمر ولات حين مناص بكسر التاء وجر حين وهى قراءة مشكلة جدا زعم الفراء ان لات يجر بها وانشد ولتندمن ولات ساعة مندم وانشد غيره طلبوا صلحنا ولات اوان البيت. وقال الزمخشرى ومثله قول ابى زبيد الطائى طلبوا صلحنا البيت قال فان قلت ما وجه الجر فى اوان قلت شبه باذ فى قوله وانت اذ صحيح فى انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض منه التنوين لان الاصل ولات اوان صلح. فان قلت فما تقول فى حين مناص والمضاف اليه قائم قلت نزل قطع المضاف اليه من مناص لان اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من المضاف المحذوف ثم بنى الحين لكونه مضافا الى غير متمكن انتهى. وخرجه ابو حيان على اضمار من والاصل ولات من حين مناص فحذفت من وبقى عملها نحو قولهم على كم جذع بيتك اى من جذع فى اصح القولين وفيه قول اخر ان الجر بالاضافة ومثله قوله وقال الا امن سبيل المهيمن. قال ويكون موضع من حين مناص رفعا على انه اسم لات بمعنى ليس كما تقول ليس من رجل قائما والخبر محذوف وهذا على قول سيبويه وعلى انه مبتدا والخبر محذوف على قول الاخفش. وخرج الاخفش ولات اوان على حذف مضاف يعنى انه حذف المضاف وبقى المضاف اليه مجرورا اى ولات حين اوان وقد رد هذا الوجه مكى بانه كان ينبغى ان يقوم المضاف اليه مقامه فى الاعراب فيرفع. قال شهاب الدين قد جاء بقاء المضاف اليه على جره وهو قسمان قليل وكثير فالكثير ان يكون فى اللفظ مثل المضاف نحو قوله

اكل امرئ تحسبين امرا ونار توقد بالليل نارا

اى وكل نار والقليل ان لا يكون كقراءة من قرا والله يريد الاخرة بجر الاخرة فليكن هذا منه على ان المبرد رواه بالرفع على اقامته مقام المضاف. وقال الزجاج الاصل ولات اواننا فحذف المضاف اليه فوجب ان لا يعرب وكسره لالتقاء الساكنين. قال ابو حيان وهذا هو الوجه الذى قرره الزمخشرى اخذه من ابى اسحق يعنى الوجه الاول وهو قوله ولات اوان صلح هذا ما يتعلق بجر حين. واما كسر تاء لات فعلى اصل التقاء الساكنين كجير الا انه لا يعرف تاء تانيث الا مفتوحة. وقرا عيسى ايضا بكسر التاء فقط ونصب حين كالعامة. وقرا ايضا ولات حين بالرفع مناص بالفتح وهذه قراءة مشكلة جدا لا تبعد عن الغلط من راويها عن عيسى فانه بمكانة من العلم المانع له من مثل هذه القراءة وقد خرجها ابو الفضل الرازى فى لوامحه على التقديم والتاخير وان حين اجرى مجرى قبل وبعد فى بنائه على الضم عند قطعه عن الاضافة بجامع ما بينه وبينهما من الظرفية الزمانية ومناص اسمها مبنى على الفتح فصل بينه وبينها بحين المقطوع عن الاضافة والاصل ولات مناص حين كذا ثم حذف المضاف اليه حين وبنى على الضم وقدم فاصلا بين لات واسمها قال وقد يجوز ان يكون كذلك يعنى لا اعرفه. وقد روى فى تاء لات الفتح والكسر والضم. فنادوا والمفعول له لان القصد فعلوا النداء من غير قصد منادى. وقال الكلبى كانوا اذا قاتلوا فاضطروا نادى بعضهم لبعض مناص اى عليكم بالفرار فلما اتاهم العذاب قالوا مناص فقال الله لهم ولات حين مناص. قال القشيرى فعلى هذا يكون التقدير فنادوا مناص فحذف لدلالة ما بعده عليه. قال شهاب الدين فيكون قد حذف المنادى وهو بعضا وما ينادون به وهو مناص اى نادوا بعضهم بهذا اللفظ. وقال الجرجانى اى فنادوا حين لا مناص اى ساعة لا منجا ولا فوت فلما قدم لا واخر حين اقتضى ذلك الواو كما يقتضى الحال اذا جعل ابتداء وخبرا مثل ما تقول جاء زيد راكبا ثم تقول جاء زيد وهو راكب فحين ظرف لقوله فنادوا. قال ابو حيان وكون اصل هذه الجملة فنادوا حين لا مناص وان حين ظرف لقوله فنادوا دعوى اعجمية فى نظم القران والمعنى على نظم فى غاية الوضوح. قال شهاب الدين الجرجانى لا يعنى ان حين ظرف لنادوا فى التركيب الذى عليه القران الان انما يعنى بذلك فى اصل المعنى والتركيب كما شبه ذلك بقولك جاء زيد راكبا ثم يجاء زيد وهو راكب فراكبا فى التركيب الاول حال وفى الثانى خبر مبتدا كذلك حين كان فى الاصل ظرفا للنداء ثم صار خبرا للات او اسما على حسب الخلاف المتقدم. **والمناص** مفعل من ناص ينوص اى

حزبه وهو مصدر يقال ناصه ينوصه اذا فاته فهذا متعد وناص ينوص اي تاخر ومنه ناص عن قرنه اي تاخر عنه
جبنا قال الفراء وانشد قول امرئ القيس امن ذكر سلمى ان نأتك تنوص فتقصر عنها خطوة وتبوص وقال
ابو جعفر النحاس ناص ينوص اي تقدم فيكون من الاضداد واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر
غمر الجراء اذا قصرت عنانه بيدي استناص ورام جري المسحل ويقال ناص الى كذا ينوص نوصا اذا التجا اليه قال
بعضهم المناص المنجا والغوث يقال ناصه ينوصه اذا اغاثه قال ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا في
الحرب قال بعضهم لبعض مناص اي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فانزل الله تعالى
ولات حين مناص اي ليس حين هذا القول **قوله** وعجبوا ان جاءهم اي من ان فيها الخلاف المشهور وقال الكافرون من
باب وضع الظاهر موضع المضمر شهادة عليهم بهذا الوصف القبيح **فصل** لما حكى عن الكفار كونهم في عزة وشقاق
اتبعه بشرح كلماتهم الفاسدة فقال وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وفي قوله منهم وجهان الاول انهم قالوا ان محمدا
مساوي لنا في الخلقة الظاهرة والاخلاق الباطنة والنسب والشكل والصورة فكيف يعقل ان يختص من
بيننا بهذا المنصب العالي والثاني ان الغرض من هذه الكلمة التنبيه على كمال جهلهم لانهم جاءهم رجل يدعوهم الى
التوحيد والترغيب في الاخرة ثم ان هذا الرجل من اقاربهم يعلمون انه كان بعيدا عن الكذب والتهمة وكل ذلك مما
يوجب الاعتراف بتصديقه ثم انهم لحماقتهم يتعجبون له من قوله ونظيره قوله ام لم يعرفوا رسولهم فهم له
منكرون وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب مبالغة في عجيب كقولهم
رجل طوال وامر سراع هما ابلغ من طويل وسريع وقرا علي والسلمي وعيسى وابن مقسم عجاب بتشديد الجيم وهي ابلغ
مما قبلها فهي مثل رجل كرّام وكرام وكرام بالتخفيف وكرّام بالتشديد قال مقاتل وعجاب يعني بالتخفيف لغة ازد شنوءه
وهذه القراءة اعني بالتشديد كقوله ومكروا مكرا كبارا وهو ابلغ من كبار وكبار ابلغ من كبير وقوله اجعل اي اصيرها
الها واحدا في قوله وزعمه **قوله** وانطلق الملأ منهم الملأ هم القوم الذين اذا حضروا في مجلس امتلأت العيون
والقلوب من مهابتهم وقوله منهم اي من قريش انطلقوا عن مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض ان امشوا واصبروا على الهتكم وذلك ان عمر بن الخطاب اسلم فشق
ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا
خمسة وعشرين رجلا اكبرهم سنا الوليد بن المغيرة قال لهم امشوا الى ابي طالب فاتوا الى ابي طالب وقالوا انت
شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا قد اتيناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فارسل ابو طالب الى النبي صلى الله
عليه وسلم ما ذا تسالون فقالوا ارفض ذكر الهتنا وندعك والهتك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتعطوني كلمة واحدة
تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل لله ابوك لنعطيكها وعشر امثالها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا اجعل الالهة الها واحدا كيف يسع الخلق كلهم اله واحد ان هذا لشيء
عجاب اي عجيب **قوله** ان امشوا يجوز ان تكون ان مصدرية اي انطلقوا بقولهم ان امشوا وان تكون مفسرة اما
لانطلق لانه ضمن معنى القول قال الزمخشري لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم ان يتكلموا ويتفاوضوا
فيما جرى لهم انتهى وقيل بل هي مفسرة لجملة محذوفة في محل حال تقديره وانطلقوا يتحاورون ان امشوا ويجوز ان تكون مصدرية
معمولة لهذا المقدر وقيل الانطلاق هنا الاندفاع في القول والكلام نحو انطلق لسانه فان مفسرة له من غير تضمين ولا
حذف والمشي الظاهر انه هو المتعارف وقيل بل هو دعا بكثرة الماشية وهذا فاسد لفظا ومعنى اما اللفظ فلانه انما
يقال من هذا المعنى امشى الرجل اذا كثرت ماشيته بالالف صار ذا ماشية فكان ينبغي على هذا ان يقرا امشوا بقطع
الهمزة مفتوحة واما المعنى فليس مرادا البتة واي معنى على ذلك الا ان الزمخشري ذكر وجها صحيحا من جهة الصناعة
واقرب معنى مما تقدم فقال ويجوز انهم قالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية
للتفاول انتهى واذا وقف على ان وابتدى بما بعدها فليبتدا بكسر الهمزة لا بضمها لان الثالث مكسور تقديرا اذ الاصل
امشيوا ثم اعل بالحذف وهذا كما يبتدا بضم الهمزة في قولك اغزي يا امراة وان كانت الزاي مكسورة لانها مضمومة
في الاصل اذ الاصل اغزوي كاخرجي فاعل بالحذف **فصل** لما اسلم عمر وحصل للمسلمين قوة بمكانه قال المشركون ان هذا
الذي نراه من زيادة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لشيء يراد بنا وقيل يراد باهل الارض وقيل يراد بمحمد ان يملك علينا
وقيل ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم **قوله** ما سمعنا بهذا في الملة اي ما سمعنا بهذا الذي يقوله محمد من التوحيد
في الملة الاخرة قال ابن عباس والكلبي ومقاتل يعنون في النصرانية لانها اخر الملل وهم لا يوحدون بل يقولون ثالث
ثلاثة وقال مجاهد وقتادة يعنون ملة قريش دينهم الذي هم عليه **قوله** في الملة فيه وجهان احدهما انه متعلق
بسمعنا اي لم نسمع في الملة الاخرة اي لم نسمع من الكهان ولا من اهل الكتاب انه يحدث توحيد الله في الملة الاخرة
وهذا من فرط كذبهم **قوله** ان هذا الا اختلاق اي افتعال وكذب اانزل عليه الذكر قد تقدم حكم ما بين الهمزتين

الهمزتين في اوائل آل عمران وان الوارد منه في القران ثلاثة اماكن والاضرابات في هذه الاية واضحة وام منقطعة **فصل**
المعنى اانزل عليه الذكر اي القران من بيننا وليس باكبرنا ولا اشرفنا وهذا استفهام على سبيل الانكار فاجابهم الله تعالى
بقوله بل هم في شك من ذكري اي وحيي وما انزلت وقيل بل هم في شك من ذكري اي من الدلائل التي لو نظروا فيها لزال هذا
الشك عنهم بل لما يذوقوا عذاب ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول وقيل معنى بل هم في شك من ذكري هو ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يخوفهم من عذاب الله لو اصروا على الكفر ثم انهم اصروا على الكفر ولم ينزل عليهم العذاب صار ذلك
سببا لشكهم في صدقه وقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة **قوله** ام عندهم خزائن رحمة ربك
معنى مفاتيح نعمة ربك وهي النبوة يعطونها من شاؤوا ونظيره اهم يقسمون رحمة ربك اي نبوة ربك العزيز في ملكه
الكامل القدرة الوهاب اي وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم **قوله** ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما لما
قال ام عندهم خزائن رحمة ربك والخزائن لله تعالى غير متناهية كما قال وان من شيء الا عندنا خزائنه ومن جملة تلك
الخزائن السموات والارض فلما ذكر الخزائن اولا على العموم اردفها بذكر السموات والارض وما بينهما يعني ان هذه
الاشياء احد انواع خزائن الله فاذا كانوا عاجزين عن هذا القسم فبان يكونوا عاجزين عن كل خزائن الله اولى **قوله**
فليرتقوا قال ابو البقاء هذا كلام محمول على المعنى اي ان زعموا ذلك فليرتقوا فجعلها جوابا للشرط مقدر وكثيرا ما يفعل
الزمخشري ذلك ومعنى الكلام ان ادعوا شيئا من ذلك فليصعدوا في الاسباب التي توصلهم الى السماء فليأتوا منها
بالوحي الى من يختارون قال مجاهد اراد بالاسباب ابواب السماء وطرقها من سماء الى سماء وكل ما يوصلك الى شيء من
باب او طريق فهو سببه وهذا امر توبيخ وتعجيز واستدل حكماء الاسلام بقوله فليرتقوا في الاسباب على ان الاجرام الفلكية
وما اودع الله فيها من القوى والخواص اسباب لحوادث العالم السفلي لان الله تعالى سمى الفلكيات اسبابا وذلك
يدل على ما ذكرنا **قوله** جند يجوز فيه وجهان اظهرهما انه خبر مبتدا مضمر اي هم جند وما فيها وجهان انها مزيدة والثاني
انها صفة لجند على سبيل التعظيم للهزء بهم او للتحقير فان ما الصفة تستعمل لهذين المعنيين ومنه قول امرئ القيس
وحديث ما على قصره وقد تقدم هذا في اوائل البقرة وهنالك يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون خبر الجند وما
مزيدة ومهزوم نعت لجند ذكره مكي الثاني ان يكون صفة لجند الثالث ان يكون منصوبا بمهزوم ومهزوم يجوز
فيه ايضا وجهان احدهما انه خبر ثان لذلك المبتدا المقدر والثاني انه صفة لجند الا ان الاحسن على هذا الوجه ان
لا يجعل هنالك صفة بل متعلقا به لئلا يلزم تقدم الوصف غير الصريح على الصريح وهنالك مشار به الى موضع التقاول
والمحاورة بالكلمات السابقة وهو مكة اي سيهزمون بمكة وهو اخبار بالغيب وقيل مشار به الى نصرة الاصنام وقيل
الى حفر الخندق يعني الى مكان ذلك الثاني من الوجهين الاولين ان يكون جند مبتدا وما مزيدة وهنالك نعت
ومهزوم خبره قاله ابو البقاء قال ابو حيان وفيه بعد لتفلته عن الكلام الذي قبله قال شهاب الدين وهذا الوجه
المنقول عن ابي البقاء سبقه اليه مكي **قوله** من الاحزاب يجوز ان يكون صفة لجند وان يكون صفة لمهزوم وجوز ابو
البقاء ان يكون متعلقا به وفيه بعد لان المراد بالاحزاب هم المهزومون **فصل** المعنى ان الذين يقولون هذا
القول جند هنالك وما صلة مهزوم مغلوب من الاحزاب اي من جملة الاجناد يعني قريشا قال قتادة اخبر الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فقال سيهزم الجمع ويولون الدبر فجاء تاويلها يوم بدر
وهنالك اشارة الى بدر ومصارعهم وقيل يوم الخندق قال ابن الخطيب والاصح عندي حمله على يوم فتح مكة لان المعنى
انهم جند سيصيرون منهزمين في الموضع الذي ذكروا فيه هذه الكلمات وذلك الموضع هو مكة فوجب ان يكون المراد
انهم سيصيرون منهزمين في مكة وما ذاك الا يوم الفتح وقوله من الاحزاب اي من جملة الاحزاب اي هم من
القرون الماضية الذين تحزبوا وتجمعوا على الانبياء بالتكذيب فقهروا واهلكوا ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم
معزيا له كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد قال ابن عباس ومحمد بن كعب ذو البناء المحكم وقيل اراد
ذو الملك الشديد الثابت وقال القتبي تقول العرب هم في عز ثابت الاوتاد يريدون انه دائم شديد وقال
الضحاك ذو القوة والبطش وقال عطية ذو الجنود والجموع الكثيرة الوتد يعني انهم كانوا يقوون امره ويشدون
ملكه كما يقوي الوتد الشيء وسميت الاجناد اوتادا لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في اسفارهم وهي رواية
عطية العوفي عن ابن عباس والشيء وهذه استعارة بليغة حيث شبه الملك ببيت الشعر لا يثبت الا بالاوتاد والاطناب
كما قال الافوه الاودي والبيت لا يبتنى الا على عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتاد فاستعير لثبات العز والملك
واستقرار الامر كقول الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد والاوتاد جمع وتد
وفيه لغات وتد بفتح الواو وكسر التاء وهي الفصحى وود بفتحتين وود بادغام التاء في الدال قال
يخرج الود اذا ما اشجذت وتواريه اذا ما تشتكر ودت بابدال الحاء دالا الدال تاء ثم ادغام التاء فيها وهذا
بابه ذلك لان الاصل ابدال الاول للثاني لا العكس وقد تقدم نحو من هذا في آل عمران عند قوله تعالى فمن زحزح عن

النار وبقاله وتد واته اى قوى ثابت وهو مثل مجاز قوله شغل شاغل انشد الاصمعى
لان على الماجد تلاوا تلاد ولم يكن يخلفها الموعدا وقيل الاوتاد هنا حقيقة لا استعارة قال الكلبى ومقاتل الاوتاد
جمع الوتد وكان له اوتاد يعذب بها الناس عليها فكان اذا غضب على احد مده مستلقيا بين اربعة اوتاد تشد كل يد
وكل رجل منه الى سارية ويتركه كذلك فى الهوى بين السماء والارض حتى يموت وقال مجاهد ومقاتل بن حيان كان
يمد الرجل مستلقيا على الارض ثم يشد يديه ورجليه وراسه على الارض بالاوتاد وقال السدى كان يمد الرجل
ويشده بالاوتاد ويرسل عليه العقارب والحيات وقال قتادة وعطا كانت له اوتاد وارسان وملاعب
يلعب عليها بين يديه ثم قال وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة تقدم الخلاف فى الايكة فى سورة الشعراء **قوله**
اولئك الاحزاب يجوز ان تكون مستانفة لا محل لها وان يكون خبرا والمبتدا قال ابو البقاء من قوله وعاد وان يكون
من ثمود وان يكون من قوله وقوم لوط قال شهاب الدين الظاهر عطف عاد وما بعده على قوم نوح واستيناف
الجملة بعده وكان يسوغ على ما قاله ابو البقاء يكون المبتدا وخبره واصحاب الايكة **فصل** المعنى ان هولاء الذين
ذكرناهم من الامم هم الذين تحزبوا على انبيائهم فاهلكناهم وكذلك قومك هم من جنس الاحزاب المتقدمين وقيل
المعنى اولئك الاحزاب مبالغة فى وصفهم بالقوة كما يقال فلان هو الرجل اى اولئك الاحزاب مع كمال قوتهم لما كان
عاقبتهم هى الهلاك والبوار فكيف حال هولاء الضعفاء المساكين **قوله** ان كل الا كذب الرسل ان نافية ولا عمل لها هنا
البتة ولو على لغة من قال ان هو مستوليا على احد وعلى قراءة ان الذين يدعون من دون الله عبادا الا لانتقاض النفى
بالا فان انتقاضه مع الاصل هى ما يبطل فكيف بفرعها وقد تقدم انه يجوز ان يكون جوابا للقسم **فصل** المعنى
كل هذه الطوايف لما كذبوا انبياءهم فى الترغيب والترهيب لاجرم نزل العقاب عليهم وان كان ذلك بعد حين
والمقصود منه زجر السامعين ثم بين تعالى ان هولاء المكذبين وان تاخر هلاكهم فكانه واقع بهم فقال وما ينظر هولاء
اى وما ينتظر هولاء يعنى كفار مكة الا صيحة واحدة وهى نفخة الصور الاولى كقوله ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم
وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون والمعنى انهم وان لم يذوقوا عذابا فى الدنيا فهو معد
لهم يوم القيامة فجعلهم منتظرين لها على معنى قربها منهم كالرجل الذى ينتظر الشى فهو ماد الطرف اليه يقطع كل ساعة فى
حضوره وقيل المراد بالصيحة عذاب يفجاهم ويجيئهم دفعة واحدة كما يقال صاح الزمان بهم اذا هلكوا قال
صاح الزمان بال برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان ونظيره قوله تعالى فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من
قبلهم قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين **قوله** ما لها من فواق يجوز ان يكون لها رافعا لفواق بالفاعلية لاعتماده
على النفى وان يكون جملة من مبتدا وخبر وعلى التقديرين فالجملة المنفية فى محل نصب صفة لصيحة ومن مزيدة وقرا
الاخوان فواق بضم الفاء والباقون بفتحها قال الكسائى والفراء وابو عبيدة هما لغتان بمعنى واحد وهما الزمان الذى
بين حلبتى الحالب ورضعتى الراضع والمعنى ما لها من توقف قدر فواق ناقة وفى الحديث العيادة قدر فواق ناقة
وهذا فى المعنى كقوله فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة وقال ابن عباس ما لها من رجوع من افاق المريض اذا رجع
واجتمعت الفيقة فى ضرعها والفيقة اللبن الذى يجتمع بين الحلبتين ويجمع على افواق واما افاويق فجمع الجمع ويقال
ناقة مفيق ومفيقة وقال الفراء وابو عبيدة ومورج السدوسى الفواق بالفتح الافاقة والاستراحة كالجواب من
الاجابة وهو قول ابن زيد والسدى واما المضموم فاسم لا مصدر اى اسم لما بين الحلبتين والمشهور انهما
بمعنى واحد كقصاص الشعر وقصاصه وحمام المكوك وحمامه فالفتح لغة قريش والضم لغة تميم قال الواحدى
الفواق والفواق اسمان من الافاقة والافاقة معناها الرجوع والسكون كافاقة المريض الا ان الفواق
بالفتح يجوز ان يقام مقام المصدر والفواق بالضم اسم لذلك الزمان الذى يعود فيه اللبن وروى الواحدى
فى البسيط عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى هذه الاية يامر الله تعالى اسرافيل فينفخ نفخة
الفزع قال فيمدها ويطولها وهى التى يقال ما لها من فواق ثم قال الواحدى وهذا يحتمل معنيين احدهما
ما لها من سكون والثانى ما لها رجوع والمعنى ما تسكن تلك الصيحة ولا ترجع الى السكون ويقال لكل من بقى
على حالة واحدة بانه لا يفيق منه ولا يستفيق **قوله** قطنا اى نصيبنا وحظنا واصله من قط الشى اى قطعه ومنه
قط القلم والمعنى قطعة مما وعدتنا به ولهذا يطلق على الصحيفة والصك قط لانهما قطعتان ويقال
للجائزة ايضا قط لانها قطعة من العطية قال الاعشى ولا الملك النعمان يوم لقيته بغبطته يعطى القطوط ويافق
واكثر استعماله فى الكتاب قال امية بن ابى الصلت قوم لهم ساحة ارض العراق وما يجبى اليهم بها والقط والقلم
ويجمع على قطوط كما تقدم وعلى قططة نحو قرد وقرود وقردة وفى القلة على اقطة واقطاط كقدح واقدحة واقداح
الا ان افعلة فى فعل شاذ **فصل** قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يعنى كتابنا والقط الصحيفة التى احصت
كل شى قال الكلبى لما نزل قوله فى الحاقة واما من اوتى كتابه بيمينه واما من اوتى كتابه بشماله قالوا استهزاء

استهزاء عجل لنا كتابنا فى الدنيا قبل يوم الحساب وقال سعيد بن جبير يعنون حظنا ونصيبنا من الجنة التى تقول وقال
الحسن وقتادة ومجاهد والسدى يعنى عقوبتنا ونصيبنا من العذاب قال عطا قاله النضر بن الحارث وهو قوله
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وعن مجاهد قطنا حسابنا يقال لكتاب الحساب قط وقال
ابو عبيدة والكسائى القط الكتاب بالجوائز واعلم ان القوم تعجبوا من امور ثلاثة اولها من امر النبوات واثباتها فقال
وعجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب وثانيها تعجبهم من الالهيات فقالوا اجعل الالهة الها
واحدا وثالثها تعجبهم من المعاد والحشر والنشر فقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فقالوا ذلك استهزاء فامره
الله تعالى بالصبر على سفاهتهم فقال اصبر على ما يقولون **فان قيل** اى تعلق بين قوله اصبر على ما يقولون وبين قوله
اذكر عبدنا داود **فالجواب** هذا التعلق من وجوه الاول كانه قيل ان كنت شاهدت من هولاء الجهال الجرائم
على الله وانكارهم الحشر والنشر فاذكر قصة داود حتى تعرف شدة خوفه من الله تعالى ومن يوم الحشر فان بقدر
ما يزداد احد الضدين شرفا يزداد الاخر نقصا الثانى كانه قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم لا تضيق صدرك
بسبب انكارهم لقولك ودينك فانهم ان خالفوك فالاكابر من الانبياء وافقوك الثالث ان للناس فى قصة داود
قولان منهم من قال انها تدل على ذنبه ومنهم من قال انها لا تدل عليه فمن قال بالاول كان وجه المناسبة فيه
كانه قيل لمحمد عليه السلام ان حزنك ليس الا لان الكفار كذبوك واما حزن داود فكان بسبب وقوع ذلك الذنب
ولا شك ان حزنه اشد فتامل فى قصة داود وما كان فيه من الحزن ومن قال بالثانى قال الخصمان اللذان دخلا
على داود كانا من البشر وانما دخلا عليه لقصد قتله فخاف منهما داود ومع ذلك فلم يتعرض لايذائهما ولا دعا
عليهما بسوء بل استغفر لهما فامتثل بهذه الطريقة فلاجرم امر الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم بان يقتدى به فى
حسن الخلق الرابع ان قريشا انما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم واستخفوا به لقولهم انه يتيم فقير ثم انه تعالى
قص على محمد صلى الله عليه وسلم ما كان فى مملكة داود ثم بين بعد ذلك انه ما سلم من الاحزان والغموم ليعلم ان
الخلاص من الحزن لا سبيل اليه فى الدنيا الخامس ان قوله تعالى اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ولم يقتصر
على قصة داود بل ذكر عقيب قصة داود قصص انبياء كثيرة فكانه تعالى قال فاصبر على ما يقولون واعتبر بحال
سائر الانبياء ليعلم ان كل واحد منهم كان مشغولا بهم خاص وحزن خاص فيعلم حينئذ ان الدنيا لا تنفك عن الهموم
والاحزان وان استحقاق الدرجات العالية عند الله لا يحصل الا بتحمل المشاق والمتاعب فى الدنيا قال ابن الخطيب وههنا
وجه اخر اقوى واحسن من كل هذه الوجوه وسياتى ذكره ان شاء الله تعالى عند الانتهاء الى تفسير قوله كتاب انزلناه اليك
مبارك الاية **قوله** داود بدل او عطف بيان او منصوب باضمار اعنى وذا الايد نعت له والايد القوة يقال رجل ايد
واياد قال ابن عباس اى القوة فى العبادة وقيل القوة فى الملك واعلم ان قوله عبدنا داود فوصفه بكونه عبدا وعبر
عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على نهاية التعظيم وذلك يدل على غاية التشريف الا ترى انه تعالى لما اراد ان يشرف
محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج قال سبحان الذى اسرى بعبده وايضا فان وصف الانبياء بالعبودية مشعر
بانهم قد حصلوا معنى العبودية بسبب الاجتهاد فى الطاعة والمراد بالايد القوة فى الطاعة والاحتراز عن المعاصى لان
مدحه بالقوة يوجب ان تكون تلك القوة موجبة للمدح العظيم وليست الا القوة على فعل ما امره الله به وترك ما نهى
عنه والايد المذكورة ههنا كالقوة المذكورة فى قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وقوله وكتبنا له فى الالواح من كل شى موعظة
وتفصيلا لكل شى فخذها بقوة اى باجتهاد وتشدد فى القيام بالدعوة وترك اظهار الوهن والضعف والايد والقوة
سواء ومنه قوله هو الذى ايدك بنصره وقوله وايدناه بروح القدس والسماء بنيناها بايد وقال عليه السلام احب
الصيام الى الله صيام داود عليه السلام واحب الصلاة الى الله عز وجل صلاة داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وكان
ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه **قوله** انه اواب اى رجاع الى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره والاواب
فعال من اب اذا رجع قال تعالى ان الينا ايابهم وهذا مبالغة كما يقال قتال وضراب وهو ابلغ من قاتل وضارب وقال
ابن عباس مطيع وقال سعيد بن جبير مسبح بلغة الحبشية **قوله** انا سخرنا الجبال معه يسبحن فقوله يسبحن جملة حالية
من الجبال واتى بها فعلا مضارعا دون اسم فاعل فلم يقل مسبحات دلالة على التجدد والحدوث شيئا بعد شى كقول الاعشى
لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار فى يفاع تحرق اى تحرق شيئا فشيئا ولو قال محرقة لم يدل على هذا المعنى **فصل**
المعنى يسبحن بتسبيحه وفى كيفية تسبيح الجبال وجوه الاول ان الله تعالى يخلق فى جسم الجبل حياة وعقلا وقدرة ونطقا
وحينئذ يصير الجبل مسبحا لله تعالى الثانى قال القفال ان داود عليه السلام اوتى من شدة الصوت وحسنه ما كان له
فى الجبال دوى حسن وما يصغى الطير اليه لحسنه فيكون دوى الجبال وتصويت الطير معه واصغاؤها اليه تسبيحا وروى
محمد بن اسحق ان الله تعالى لم يعط احدا من خلقه مثل صوت داود حتى انه كان اذا قرا الزبور دنت منه الوحوش حتى توخذ
باعناقها الثالث ان الله تعالى سخر الجبال حتى انها كانت تسير الى حيث يريد داود وجعل ذلك السير تسبيحا لانه يدل على كمال

بقدرة الله وحكمته قوله بالعشي والإشراق قال الكلبي غدوة وعشيا والإشراق هو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها قال
الزجاج يقال شرقت الشمس إذا طلعت وأشرقت إذا أضاءت وقيل هما بمعنى الأول والأكثر تقول العرب شرقت الشمس ولما
تشرق وفسره ابن عباس بصلاة الضحى قال ابن عباس كنت أمر بهذه الآية لا أدري ما هي حتى حدثتني أم هانئ بنت أبي طالب
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى وقال يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق وروى
طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق
قال وكانت صلاة يصليها داود عليه السلام لم يزل في نفسي من صلاة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها في قوله تعالى يسبحن
بالعشي والإشراق قوله والطير محشورة العامة على نصبها عطفا معمولا على معمول وحالا على حال كقولك ضربت زيدا
مكتوفا وعمرا مطلقا وأتى بالحال اسما لأنه لم يقصد أن الفعل وقع شيئا فشيئا لأن حشرها دفعة واحدة أدل على القدرة
والحاشر الله تعالى وقرأ ابن أبي عبلة والجحدري برفعهما جعلاهما جملة مستقلة من مبتدأ وخبر والمعنى وسخرنا الطير
محشورة قال ابن عباس كان داود إذا سبح جاوبته الجبال واجتمعت إليه الطير فسبحت معه واجتماعها إليه هو
حشرها فيكون على هذا التقدير حاشرها هو الله تعالى فإن قيل كيف يتصور تسبيح الله عن الطير مع أنه لا عقل لها
فالجواب أنه لا يبعد أن يخلق الله تعالى لها عقولا حتى تعرف الله فتسبحه حينئذ ويكون ذلك معجزة لداود قال
الزمخشري قوله محشورة في مقابلة يسبحن إلا أنه لما لم يكن في الحشر مثل ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث
شيئا بعد شيء فلا جرم أتى به اسما لا فعلا وذلك أنه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على تقدير أن الحشر يوجد من
حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لأنه تعالى حشرها جملة واحدة قوله كل له أواب أي كل من الجبال
والطير لداود أي لأجل تسبيحه مسبح فوضع أواب موضع مسبح وقيل الضمير في له للباري تعالى والمراد كل من داود والجبال
والطير مسبح ورجاع لله تعالى قوله وشددنا العامة على تخفيف شددنا أي قوينا كقوله سنشد عضدك بأخيك
وابن أبي عبلة والحسن شددنا بالتشديد وهي مبالغة كقراءة العامة ومعنى الكلام قويناه بالحرس والجنود قال
ابن عباس كان أشد ملوك الأرض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل قوله وآتيناه الحكمة
وفصل الخطاب أما الحكمة فهي النبوة وقيل العلم والعمل قال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وأما
فصل الخطاب فقال بعض المفسرين إن داود أول من قال في كلامه أما بعد وقيل المراد منه معرفة الأمور التي
بها يفصل بين الخصوم وهو طلب البينة واليمين قال ابن الخطيب وهذا بعيد لأن فصل الخطاب عبارة عن
كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال ويحضر في الخيال بحيث لا يخلط شيئا بشيء وبحيث يفصل كل مقام عن
ما يخالفه وهذا معنى عام يتناول فصل الخصومات ويتناول الدعوة إلى الدين الحق ويتناول جميع الأقسام
والله أعلم وروى ابن عباس أن رجلا من بني إسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم عند داود أن هذا غصبني بقرا
فسأله فجحد فقال للآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر في أمركما فأوحى الله إليه الثالثة
أن تقتله أو تأتيه العقوبة فأرسل داود إليه فقال إن الله أوحى إلي أن أقتلك فقال تقتلني بغير بينة فقال
داود نعم والله لا تعدل أمر الله فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله قال لا تعجل حتى أخبرك أني والله ما أخذت بهذا
الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته ولذلك أخذت فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة داود عند ذلك في قلوب
بني إسرائيل واشتد به ملكه فذلك قوله وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة يعني النبوة والإصابة في الأمور وفصل الخطاب
قال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل علم الحكم والبصر بالقضاء وقال علي بن أبي طالب هو أن
البينة على المدعي واليمين على من أنكر لأن كلام الخصوم ينقطع وينفصل به ويروى ذلك عن أبي بن كعب قال فصل الخطاب
الشهود والأيمان وقال مجاهد وعطاء بن أبي رباح ويروى عن الشعبي فصل الخطاب هو قول الإنسان بعد حمد الله
والثناء عليه أما بعد إذا أراد الشروع في كلام آخر قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم قد تقدم أن الخصم في الأصل مصدر
فلذلك يصلح للمفرد والمذكر وضديهما وقد يطابق ومنه لا تخف خصمان والمراد بالخصم هنا جمع بدليل قوله إذ تسوروا
وقوله إذ دخلوا قال الزمخشري وهو يقع للواحد والجمع كالضيف قال تعالى حديث ضيف إبراهيم المكرمين لأنه مصدر
في أصله يقال خصمه يخصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا فإن قلت هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام
ذلك قلت معنى خصمان فريقان خصمان فإن قلت فما تصنع بقوله إن هذا أخي وهو دليل على الاثنين قلت هذا قول
البعض المراد به بعضنا على بعض فإن قلت فقد جاء في الرواية أنه بعث إليه ملكان قلت معناه أن التحاكم بين ملكين
لا يمنع ذلك أن يصحبهما آخرون فإن قلت كيف سماهم جميعا خصما في قوله نبأ الخصم وخصمان قلت لما كان صحب
كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به قوله إذ تسوروا في العامل في إذ أوجه أحدها أنه معمول
للنبأ إذا لم يرد به القصة وإليه ذهب ابن عطية وأبو البقاء ومكي أي هل أتاك الخبر الواقع في وقت تسورهم المحراب
وقد رد بعضهم هذا بأن النبأ الواقع في ذلك الوقت لا يصح إتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أريد بالنبأ

بالنبأ القصة لم يكن ناصبا قاله أبو حيان الثاني أن العامل فيه أتاك ورد بما رد به الأول وقد صرح الزمخشري بالرد على
هذين الوجهين فقال فإن قلت بم انتصب إذ قلت لا يخلو إما أن ينتصب بأتاك أو بالنبأ أو بمحذوف فلا يسوغ انتصابه
بأتاك لأن إتيان النبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقع إلا في عهده لا في عهد داود ولا بالنبأ لأن النبأ واقع في عهد
داود فلا يصح إتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أردت بالنبأ القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي أن يكون منصوبا
بمحذوف وتقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم إذ فاختار أن يكون معمولا لمحذوف الثالث أن ينتصب بالخصم لما فيه
من معنى الفعل قوله إذ دخلوا فيه وجهان أحدهما أنه بدل من إذ الأولى الثاني أنه منصوب بتسوروا ومعنى تسوروا
علوا على السور وهو الحائط غير مهموز كقولك تسنم البعير أي بلغ سنامه والضمير في تسوروا ودخلوا راجع على الخصم
لأنه جمع في المعنى على ما تقدم أو ولذلك جاء بقوله بعضنا ومن قرأ بعضهم بالغيبة يجوز أن يقدره كذلك ويكون قد
راعى لفظ خصمان ويجوز أن يقدرهم خصمان ليتطابق وروي عن الكسائي خصمان بكسر الخاء وقد تقدم أنه قرأها كذلك
في الحج قوله بغى بعضنا على بعض وهما ملكان على قول بعضهم والملكان لا يبغيان قيل معناه أرأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر
وهذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي من أحدهما قوله فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط العامة على ضم التاء وسكون الشين
وضم الطاء الأولى من أشطط يشطط إشطاطا إذا تجاوز الحق قال أبو عبيدة شططت في الحكم وأشططت فيه إذا جرت
فهو مما اتفق فيه فعل وأفعل وإنما فكه على أحد الجائزين كقوله من يرتدد وتقدم تحقيقه وقرأ الحسن وأبو رجاء وابن أبي عبلة
تشطط بفتح التاء وضم الطاء من شط بمعنى أشط كما تقدم وقرأ قتادة تشط من أشط رباعيا إلا أنه أدغم وهو أحد الجائزين كقراءة
من قرأ من يرتد منكم وعنه أيضا تشطط بفتح الشين وكسر الطاء مشددة من شطط يشطط والتثقيل فيه للتكثير وقرأ زر بن
حبيش تشاطط من المفاعلة وأصل الكلمة من شطت الدار وأشطت إذا بعدت واهدنا إلى سواء الصراط أرشدنا إلى طريق
الصواب فقال لهما داود تكلما فقال أحدهما إن هذا أخي على ديني وطريقتي له تسع وتسعون نعجة يعني امرأة ولي نعجة واحدة
أي امرأة واحدة قوله تسع وتسعون العامة على كسر التاء وهي اللغة الفاشية وزيد بن علي والحسن بفتحها فيهما وهي
لغية وقرأ العامة نعجة بفتح النون والحسن وابن هرمز بكسرها قيل وهي لغة لبعض تميم وكني في كلامهم بها عن
المرأة قال ابن عون أنا أبوهن ثلاث هنه رابعة في البيت صغراهنه ونعجتي خمسا توفيهنه وقال
هما نعجتان من نعاج تبالة لدى جؤذرين أو كبعض دمى هكر قال الحسين بن الفضل هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لأنه لم يكن
هناك نعاج ولا بغي وهو كقولهم ضرب زيد عمرا واشترى بكر دارا ولا ضرب هناك ولا شراء قال الزمخشري الذي يدل من هذا وقرأ
عبد الله تسع وتسعون نعجة أنثى وهذا تأكيد كقوله وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين قال الليث النعجة الأنثى من الضأن
والبقر الوحشي والشاة والجمع النعاج قوله فقال أكفلنيها قال ابن عباس أعطنيها وقال مجاهد انزل لي عنها وحقيقته
ضمها إلي واجعلني كافلها وهو الذي يعولها وينفق عليها والمعنى طلقها لأتزوجها قوله وعزني أي غلبني قال
قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح يقال عزه يعزه بضم العين وتقدم تحقيقه في يس عند قوله تعالى
فعززنا بثالث وقرأ طلحة وأبو حيوة وعزني بالتخفيف قال ابن جني حذف الزاي الواحدة تخفيفا كما قال الشاعر
أحسن به فهن إليه شوس يريد أحسن فحذف ويروى هذه قراءة عن عاصم وقرأ عبد الله والحسن وأبو وائل ومسروق
والضحاك وعازني بألف مع تشديد الزاي أي غالبني قوله بسؤال نعجتك مصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف أي بأن
سألك نعجتك وضمن السؤال معنى الإضافة والانضمام أي بإضافة نعجتك على سبيل السؤال ولذلك عدي بإلى فصل
قال ابن الخطيب للناس في هذه القصة ثلاثة أقوال أحدها أن هذه القصة دلت على صدور الكبيرة عنه وثانيها دلالتها على
الصغيرة وثالثها لا تدل على كبيرة ولا على صغيرة أما القول الأول فقالوا إن داود أحب امرأة أوريا فاحتال في قتل زوجها
ثم تزوج بها ثم أرسل الله تعالى ملكين في صورة المتخاصمين في واقعة تشبه واقعته وعرضا تلك الواقعة عليه فحكم داود
بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنبا ثم تنبه لذلك فاشتغل بالتوبة قال ابن الخطيب والذي أدين به وأذهب إليه أن
ذلك باطل لوجوه الأول أن هذه الحكاية لا تناسب داود لأنها لو نسبت إلى أفسق الناس [illegible] ولعن من نسبها إليه فكيف يليق
بالعاقل نسبة المعصية إليه الثاني أن حاصل القصة يرجع إلى أمرين إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق وإلى الطمع في
زوجته أما الأول فأمر منكر قال عليه السلام من سعى في دم مسلم ولو بشطر كلمة جاء مكتوب عليه بين عينيه آيس من
رحمة الله وأما الثاني فمنكر عظيم قال عليه السلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وإن أوريا لم يسلم من داود
لا في روحه ولا في منكوحه الثالث أن الله تعالى وصف داود عليه السلام بصفات تنافي كونه عليه السلام موصوفا
بهذا الفعل المنكر فالصفة الأولى أنه تعالى أمر محمدا صلى الله عليه وسلم في أن يقتدي بداود في المصابرة مع المكاره فلو
قلنا إن داود لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى في إراقة دم مسلم لغرض شهوته فكيف يليق بأحكم الحاكمين أن يأمر محمدا
أفضل الرسل بأن يقتدي بداود في الصبر على طاعة الله وأما الصفة الثانية فإنه وصفه بكونه عبد الله وقد بينا أن
المقصود من هذا الوصف بيان كون ذلك الموصوف كاملا في وصف العبودية أما في القيام بأداء الطاعات والاحتراز

عن المحظورات فلو قلنا ان داود اشتغل بتلك الاعمال الباطلة فحينئذ ما كان داود كاملا الا في طاعة الهوى والشهوة • واما
الصفة الثالثة وهي قوله ذا الايد اي ذا القوة ولا شك ان المراد منه القوة في الدين لان القوة في غير الدين كانت
موجودة في ملوك الكفار ولا معنى للقوة في الدين الا القوة الكاملة في اداء الواجبات والاجتناب عن المحظورات
واي قوة لمن لم يملك نفسه عن القتل والرغبة في زوجة المسلم • الصفة الرابعة كونه اوابا كثير الرجوع الى الله تعالى
فكيف يليق هذا بمن قلبه مشغوف بالقتل والفجور • الصفة الخامسة قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن افترى انه
سخرت له الجبال ليتخذها وسيلة الى القتل والفجور • الصفة السادسة قوله تعالى والطير محشورة قيل انه كان محرما
عليه صيد شيء من الطير فكيف يعقل ان يكون الطير معه آمنا ولا يجوز امن الرجل المسلم عن زوجته ومنكوحته • الصفة
السابعة قوله تعالى وشددنا ملكه ومحال ان يكون المراد انه تعالى شدد ملكه باسباب الدنيا بل المراد بانا ملكناه تقوى
الدين واسباب سعادة الآخرة او المراد والتشديد ملكه في الدين والدنيا ومن لا يملك نفسه عن القتل والفجور كيف
يليق به ذلك • الصفة الثامنة قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علما وعملا
فكيف يجوز ان يقال انا آتيناه الحكمة وفصل الخطاب مع اصراره على ما يستنكف عنه الشيطان من مزاحمة اخص اصحابه
في الزوج والمنكوح فهذه الصفات التي وصف بها قبل شرح القصة • واما الصفات المذكورة بعد ذكر القصة • فاولها قوله
تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وهذا الكلام انما يناسب لو دلت القصة المتقدمة على قوته في طاعة الله
اما لو كانت القصة المتقدمة دالة على معيبة في القتل والفجور لم يكن قوله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب لائقا
وثانيها قوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض وهذا يدل على كذب تلك القصة من وجوه • الاول ان
الملك الكبير اذا حكى عن عبده انه قصد دماء الناس واموالهم وازواجهم فعند فراغه من شرح قصته على الناس
يقبح منه ان يقول عقيبه ايها العبد اني فوضت اليك خلافتي ونيابتي لان ذكر تلك القبائح والافعال المنكرة
يناسبها الزجر والحجر فاما جعله نائبا وخليفة لنفسه فذلك مما لا يليق البتة • الثاني انه ثبت في اصول الفقه ان
ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فلما حكى الله تعالى عنه تلك الواقعة
القبيحة ثم قال بعده انا جعلناك خليفة في الارض اشعر هذا بان الموجب لتفويض هذه الخلافة هو اتيانه بتلك
الافعال المنكرة ومعلوم ان هذا فاسد • اما لو ذكرنا ان تلك القصة كانت على وجه يدل على براءة ساحته عن المعاصي
والذنوب وعلى شدة مصابرته في طاعة الله تعالى فحينئذ يناسب ان يذكر عقيبه انا جعلناك خليفة في الارض
فثبت ان الذي نختاره اولى • الثالث انه لما كان مقدمة الآية دالة على مدح داود عليه السلام وتعظيمه ومؤخرها
ايضا دالة على ذلك فلو كانت الواسطة دالة على القبائح والمعايب لجرى مجرى ان يقال فلان عظيم الدرجة عالي المرتبة
في طاعة الله تعالى يقتل ويزني ويسرق وقد جعله الله تعالى خليفة له في ارضه وصوب احكامه فكما ان هذا الكلام مما
لا يليق بالعاقل فكذا ههنا ومن المعلوم ان ذكر العشق والسعي في القتل اعظم ابواب العيوب • ورابعها ان بعض الغلاة يلبي
ذكر في هذه الآية ان داود عليه السلام تمنى ان يحصل له في الدين كما حصل للانبياء المتقدمين من المنازل العالية
مثل ما حصل للخليل من الالقاء في النار وحصل للذبيح من الذبح وحصل ليعقوب من الشدائد الموجبة لكثرة الثواب
فاوحى الله اليه انهم انما وجدوا تلك الدرجات لانهم لما ابتلوا صبروا فعند ذلك سأل داود عليه السلام الابتلاء فاوحى
الله تعالى اليه انك مبتلى في يوم كذا فبالغ في الاحتراز ثم وقعت الواقعة فنقول ان حكايتهم تدل على ان الله تعالى يبتليه
بالبلاء الذي يزيد في منقبته ويكمل مراتب اخلاصه فالسعي في قتل النفس بغير الحق والافراط في العشق كيف يليق
بهذه الحالة فثبت ان الحكاية التي ذكروها تناقض اولها آخرها • وخامسها ان داود عليه السلام قال وان كثيرا من
الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم استثنى الذين آمنوا من البغي فلو
قلنا انه كان موصوفا بالبغي لزم ان يقال انه حكم بعدم الايمان على نفسه وذلك باطل • وسادسها حضرت في مجلس
وفيه بعض الاكابر المسلمين وكان يريد ان يتعصب لتقرير ذلك القول الفاسد والقصة الخبيثة لسبب اقتضى ذلك
فقلت له لا شك ان داود عليه السلام كان من اكابر الانبياء والرسل وقال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته
ومن مدحه الله تعالى بمثل هذا المدح العظيم لم يجز لنا ان نبالغ في الطعن فيه وايضا فبتقدير انه ما كان نبيا
فلا شك انه كان مسلما وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير ثم على تقدير انا لا نلتفت الى شيء من
هذه الدلائل الا انا نقول ان من المعلوم بالضرورة ان بتقدير ان تكون القصة التي ذكرتموها في حقه صحيحة
فان روايتها وذكرها لا يوجب شيئا من الثواب لان اشاعة الفاحشة ان لم توجب العقاب فلا اقل من ان لا توجب
الثواب • واما بتقدير ان تكون هذه القصة باطلة فاسدة فان ذاكرها يستحق به اعظم العقاب والواقعة التي
هذا شأنها وصفتها فان صريح العقل يوجب السكوت عنها فثبت ان الحق ما ذهبنا اليه وان شرح تلك القصة
محرم محظور فلما سمع ذلك الملك هذا الكلام سكت ولم يذكر شيئا • السابع ان ذكر هذه القصة وذكر

وذكر قصة يوسف عليه السلام يقتضي اشاعة الفاحشة في الذين آمنوا • الثامن لو سعى داود في قتل ذلك الرجل لدخل
تحت قوله من سعى في دم امرئ مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله • وايضا لو فعل
ذلك لكان ظالما وكان يدخل تحت قوله الا لعنة الله على الظالمين • التاسع عن سعيد بن المسيب ان علي بن ابي طالب
قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء • ومما يقوي
هذا انهم قالوا ان المغيرة بن شعبة زنا وشهد ثلاثة من عدول الصحابة • واما الرابع فانه لم يقل اني رأيت ذلك
بعيني فقال عمر بن الخطاب كذبت اولئك الثلاثة وجلد كل واحد منهم ثمانين جلدة لاجل انهم قذفوا فاذا كان الحال
في واحد من آحاد الصحابة كذلك فكيف الحال مع داود عليه السلام مع انه كان من اكابر الانبياء عليهم السلام
• العاشر روي ان بعضهم ذكر هذه القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي ان يزاد عليها وان كانت الواقعة على ما ذكرت
ثم انه تعالى لم يذكرها لستر تلك الواقعة على داود عليه السلام فلا يجوز للعاقل ان يسعى في هتك ستر ستره الله
الف سنة او اقل او اكثر فقال عمر سماعي هذا الكلام احب الي مما طلعت عليه الشمس فثبت بهذه الوجوه التي ذكرناها
ان القصة التي ذكروها باطلة فاسدة • فان قال قائل ان كثيرا من اكابر المحدثين المفسرين ذكروا هذه القصة فكيف
الحال فيها • فالجواب الحقيقي انه لما وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من اخبار الآحاد كان الرجوع
الى الدلائل القاطعة اولى وايضا فالاصل براءة الذمة • وايضا فلما تعارض دليل الحظر والتحليل كان جانب الحظر اولى وايضا
طريقة الاحتياط توجب ترجيح قولنا وايضا فنحن نعلم بالضرورة ان بتقدير وقوع هذه الواقعة لا يقول لنا الله يوم
القيامة لم لم تسعوا في تشهير هذه الواقعة اما بتقدير كونها باطلة فانه يوجب ان لا يجوز الشهادة بها • وايضا كل
المفسرين لم يتفقوا على هذا القول بل الاكثرون والمحققون يردونه ويحكمون عليه بالكذب واذا تعارضت اقوال
المفسرين والمحدثين تساقطت وبقي الرجوع فيه الى الدلائل التي ذكرناها • الاحتمال الثاني ان نحمل هذه القصة على
حصول الصغيرة لا على حصول الكبيرة وذلك من وجوه • الاول ان هذه المرأة خطبها اوريا فاجابوه ثم خطبها داود فآثره
اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه • الثاني قالوا انه وقع بصره عليها فمال قلبه اليها
وليس له في هذا ذنب البتة اما وقوع بصره عليها من غير قصد فليس بذنب واما حصول الميل عقيب النظر فليس ايضا
ذنبا لان الميل ليس في وسعه فلا يكون مكلفا به بل لما اتفق ان قتل زوجها لاجل انه طمع ان يتزوج بتلك المرأة
حصلت بسبب هذا المعنى وهو انه لم يبق عليه قتل ذلك الرجل • الثالث انه كان اهل زمان داود عليه السلام يسأل
بعضهم بعضا ان يطلق زوجته حتى يتزوجها وكانت عادتهم مألوفة معهودة في هذا المعنى فاتفق ان عين داود عليه
السلام وقعت على تلك المرأة فاحبها فسأله النزول فاستحيا ان يرده ففعل وهي ام سليمان فقيل له هذا وان كان جائزا
في ظاهر الشريعة الا انه لا يليق بك فان حسنات الابرار سيئات المقربين فهذه وجوه ثلاثة لو حملنا هذه القصة على
واحد منها لم يلزم في حق داود عليه السلام الا ترك الافضل والاولى • الاحتمال الثالث ان نحمل هذه القصة على وجه
لا يلزم منه الحاق كبيرة ولا صغيرة بداود عليه السلام بل يوجب الحاق اعظم انواع المدح والثناء به وهو ان نقول
روي ان جماعة من الاعداء طمعوا ان يقتلوا نبي الله داود عليه السلام وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة
ربه فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب فلما دخلوا عليه وجدوا عنده اقواما يمنعونهم منه فخافوا
فوضعوا كذبا فقالوا خصمان بغى بعضنا على بعض الى آخر القصة وليس في لفظ القرآن ما يمكن ان يحتج به في الحاق الذنب
بداود عليه السلام الا الفاظ اربعة • احدها قوله وظن داود انما فتناه • وثانيها قوله فاستغفر ربه • وثالثها قوله
واناب • ورابعها قوله فغفرنا له ذلك ثم نقول هذه الالفاظ لا يدل شيء منها على ما ذكروه من وجوه • الاول انهم
لما دخلوا عليه لطلب قتله بهذا الطريق وعلم داود عليه السلام دعاه الغضب الى ان يشتغل بالانتقام منهم الا انه مال
الى الصفح والتجاوز عنهم طلبا لمرضات الله تعالى فكانت هي الفتنة لانها جارية مجرى الابتلاء والامتحان ثم انه استغفر
ربه مما هم به من الانتقام وتاب عن ذلك الهم واناب فغفر له ذلك القدر من الهم والعزم • الثاني انه وان
غلب على ظنه انهم دخلوا عليه ليقتلوه الا انه ندم على ذلك الظن وقال لما لم تقم دلالة ولا امارة على ان الامر
كذلك فبئسما عملت حيث ظننت بهم هذا الظن الردي فكان هذا هو المراد من قوله وظن داود انما فتناه
ثم انه استغفر ربه واناب منه فغفر الله له ذلك • الثالث ان دخولهم عليه كان فتنة لداود عليه السلام الا انه عليه
السلام استغفر لذلك الداخل العازم على قتله كقوله في حق محمد صلى الله عليه وسلم واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
فداود عليه السلام استغفر لهم واناب اي رجع الى الله تعالى في طلب المغفرة لذلك الرجل الداخل القاصد القتل وقوله
فغفرنا له ذلك اي غفرنا ذلك الذنب لاجل احترام داود ولتعظيمه كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ان معناه ان الله يغفر لك ولاجلك ما تقدم من ذنب امتك • الرابع هب
انه تاب داود عليه السلام عن زلة صدرت منه لكن لا نسلم ان تلك الزلة وقعت بسبب المرأة ولم لا يجوز

ان يقال ان تلك الزلة انما حصلت لانه قضى لاحد الخصمين قبل ان يسمع كلام الخصم الثاني لانه لما قال لقد ظلمك
بسؤال نعجتك حكم عليه بكونه ظالما بمجرد دعوى الخصم بلا بينة لكون هذا الحكم مخالفا للصواب فعند هذا
اشتغل بالاستغفار والتوبة الا ان هذا من باب ترك الافضل والاولى فثبت بهذه البيانات انا اذا حملنا
هذه الايات على هذا الوجه فانه لا يلزم اسناد شيء من الذنوب الى داود عليه السلام بل ذلك يوجب اسناد اعظم
الطاعات اليه ثم نقول وحمل الاية عليه اولى لوجوه الاول ان الاصل في حال المسلم البعد عن المناهي لا سيما في
الانبياء والرسل الثاني انه احوط الثالث انه تعالى قال في اول الاية لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر على
ما يقولون واذكر عبدنا داود فلو قلنا ان قوم محمد صلى الله عليه وسلم لما اظهروا السفاهة حيث قالوا انه ساحر كذاب
واستهزءوا به حيث قالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فقال تعالى في اول الاية اصبر على ما يقولون يا محمد وعلى
سفاهتهم وتحمل ولا تظهر الغضب واذكر عبدنا داود فهذا الذكر انما يحسن اذا كان داود عليه السلام قد صبر
على اذاهم وتحمل سفاهتهم وحلم ولم يظهر الطيش والغضب وهذا المعنى انما يحصل اذا حملنا الاية على ما ذكرناه
واما اذا حملناها على ما ذكروه صار الكلام متناقضا الرابع ان تلك الرواية انما تتمشى اذا قلنا ان الخصمين
كانا ملكين واذا كانا ملكين ولم يكن بينهما مخاصمة ولم يبغ احدهما على الاخر كان قولهما خصمان بغى بعضنا على
بعض كذبا فهذه الرواية لا تتم الا بشيئين احدهما اسناد الكذب الى الملائكة والثاني اسناد الخبث القبيح
الى رجل كبير من اكابر الانبياء واما اذا حملنا الاية على ما ذكرناه استغنينا عن اسناد الكذب الى الملائكة وعن
اسناد القبيح الى الانبيا فكان قولنا اولى **فصل** قال المفسرون قوله وعزني اي قهرني وغلبني في الخطاب
اي في القول قال الضحاك يقول ان تكلم كان افصح مني وان حارب كان ابطش مني وحقيقة المعنى ان الغلبة
كانت له لضعفي في يدي وان كان الحق معي فقال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه اي بسؤال نعجتك ليضمها الى
نعاجه **فان قيل** كيف قال لقد ظلمك ولم يكن سمع قول صاحبه **فالجواب** قيل معناه ان كان الامر كما
تقول فقد ظلمك قال ابن اسحق لما فرغ الخصم الاول من كلامه نظر داود الى الخصم الذي لم يتكلم وقال لئن صدق
لقد ظلمته وقال ابن الانباري لما ادعى احد الخصمين اعترف الثاني فحكم داود عليه ثم قال وان كثيرا من الخلطاء
ليبغي بعضهم على بعض قال الليث خليط الرجل مخالطه وقال الزجاج الخلطاء الشركاء **فان قيل** لم خص الخلطاء ببغي
بعضهم على بعض مع ان غير الخلطاء يفعلون ذلك **فالجواب** ان المخالطة توجب كثرة المنازعة والمخاصمة لانهما
اذا اختلطا اطلع كل واحد منهما على احوال الاخر فكل ما يملكه من الاشياء النفيسة اذا اطلع عليه عظمت رغبته فيه
فيفضي ذلك الى زيادة المخاصمة والمنازعة فلهذا خص داود عليه السلام الخلطاء بزيادة البغي والعدوان ثم استثنى
عن هذا الحكم الذين امنوا وعملوا الصالحات لان مخالطة هؤلاء لا تكون الا لاجل الدين وهذا استثناء متصل من قوله بعضهم
قوله وقليل ما هم خبر مقدم وما مزيد للتعظيم وهم مبتدا قال الزمخشري وما في قوله وقليل ما هم للابهام وفيه
تعجب من قلتهم فان قال اردت ان تتحقق فايدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره
وانظر هل بقي لها معنى قط **قوله** وظن داود انما فتناه اي امتحناه قرا العامة فتناه بالتخفيف واسناده الى ضمير
المتكلم المعظم نفسه وعمر بن الخطاب والحسن وابو رجا فتناه بتشديد التاء وهي مبالغة وقرا الضحاك افتناه
يقال فتنه وافتنه اي حمله على الفتنة ومنه قوله لئن فتنتني لهي بالامس افتنت وقرا قتادة وابو عمرو في
رواية فتناه بالتخفيف وفتناه بالتشديد والالف ضمير الخصمين وراكعا حال مقدرة قاله ابو البقا وفيه
نظر لظهور المقارنة **فصل** قال المفسرون ان الظن ههنا بمعنى العلم لان داود عليه السلام لما قضى بينهما
نظر احدهما الى صاحبه فضحك ثم صعدا الى السما حيال وجهه فعلم داود ان الله ابتلاه بذلك فثبت ان داود
علم ذلك وانما جاز حمل لفظ الظن على العلم لان العلم الاستدلالي يشبه الظن مشابهة عظيمة والمشابهة علة
تجوز المجاز قال ابن الخطيب هذا الكلام انما يلزم اذا قلنا الخصمان كانا ملكين اما اذا لم نقل ذلك لا يلزمنا حمل
الظن على العلم بل القايل ان يقول انه لما غلب على ظنه حصول الابتلا من الله تعالى اشتغل بالاستغفار والانابة
قوله فاستغفر ربه اي سال الغفران من ربه ثم ههنا وجهان ان قلنا انه صدرت منه زلة حمل هذا الاستغفار
عليها وان لم نقل به قلنا فيه وجوه الاول ان القوم لما دخلوا عليه قاصدين قتله وانه كان سلطانا شديد
القهر عظيم القوة مع انه مع القدرة الشديدة على الانتقام ومع حصول الفزع في قلبه عفى عنهم ولم يقل لهم شيئا
قرب الامر من ان يدخل قلبه شيء من العجب فاستغفر ربه من تلك الحالة واناب الى الله واعترف بان اقدامه
على ذلك الخير ما كان الا بتوفيق الله فغفر له وتجاوز عنه بسبب طريان ذلك الخاطر الثاني لعله هم بايذا
القوم ثم قال انه لم يدل دليل قاطع على ان هؤلا قصدوا الشر فعفى عنهم ثم استغفر من ذلك الهم الثالث
لعل القوم تابوا الى الله تعالى وطلبوا منه ان يستغفر الله ولاجل ان يقبل توبتهم فاستغفر وتضرع الى الله فغفر

فغفر له ثم انهم بسبب شفاعته ودعائه وهذه كلها وجوه محتملة ظاهرة والقران مملو من امثال هذه الوجوه واذا كان
اللفظ محتملا لما ذكرناه ولم يقم دليل قطعي ولا ظني على التزام ما ذكروه من المنكرات فالذي دل على التزامه والقول به
ويؤيد ما ذكرنا انه تعالى ختم هذه القصة بقوله وان له عندنا لزلفى وحسن ماب ومثل هذه الخاتمة انما تحصل في
حق من صدر عنه امتثال الاوامر في الخدمة والطاعة وتحمل انواعا من الشدايد في الموافقة والانقياد **قوله** وخر
راكعا واناب يدل على حصول الركوع واما السجود فقد ثبت بالاخبار وكذلك البكا الشديد في مدة اربعين
يوما ثبت في الاخبار واستدل ابو حنيفة بهذه الاية على مشروعية سجود التلاوة وعلى ان الركوع يقوم مقام
السجود **قوله** ذلك الظاهر انه مفعول غفرنا وجوز ابو البقا فيه ان يكون خبر مبتدا مضمر اي الامر ذلك ولا
حاجة الى هذا والمشهور ان الاستغفار انما كان بسبب قصة النعجة والنعاج وقيل بسبب انه حكم لاحد الخصمين
قبل ان يسمع كلام الثاني وذلك غير جائز **قوله** يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اي تدبر امور العباد بامرنا
واعلم انه لما تمم الكلام في شرح القصة اردفها ببيان ان الله تعالى فوض الى داود خلافة الارض وهذا من اقوى
الدلايل على فساد القول المشهور في القصة لان من البعيد جدا ان يوصف الرجل بكونه ساعيا في سفك دما المسلمين
رغبة في انتزاع ازواجهم منهم ثم يذكر عقيبه ان الله تعالى فوض خلافة الارض اليه ثم في تفسير كونه خليفة
وجهان الاول جعلناك تخلف من تقدمك من الانبيا في الدعا الى الله تعالى وفي سياسة الناس لان خليفة الرجل
من يقوم مقامه وذلك انما يعقل في حق من يصح عليه الغيبة وذلك على الله محال الثاني انا جعلناك مكانا في الناس نافذ
الحكم فيهم فبهذا التاويل سمي خليفة ومنه يقال خليفة الله في ارضه وحاصله ان خليفة الرجل يكون نافذ الحكم في
رعيته وحقيقة الخلافة ممتنعة في حق الله تعالى فلما امتنعت الحقيقة جعلت اللفظة للزوم نفاذ الحكم في تلك
الحقيقة **قوله** فاحكم بين الناس بالحق اي بالعدل لان الاحكام اذا كانت مطابقة للشريعة الحقيقية الالهية انتظمت
مصالح العالم واتسعت ابواب الخيرات واذا كانت الاحكام على وفق الاهوية وتحصيل مقاصد الانفس افضى الى تخريب
العالم ووقوع الهرج فيه والمرج في الخلق وذلك يفضي الى هلاك ذلك الحاكم ولهذا قال ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله لان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله والضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب **قوله**
فيضلك فيه وجهان اظهرهما انه منصوب في جواب النهي الثاني انه عطف على لا تتبع فهو مجزوم وانما فتحت اللام
لالتقاء الساكنين وهو نهي عن كل واحد على حدته والاول فيه النهي عن الجمع بينهما وقد يترجح الثاني لهذا المعنى وقد
تقدم تقرير ذلك في البقرة في قوله وتكتموا الحق وفاعل فيضلك يجوز ان يكون الهوى ويجوز ان يكون ضمير المصدر المفهوم
من الفعل اي فيضلك اتباع الهوى **قوله** ان الذين يضلون الناس وهي مستلزمة للقراءة الاولى فانه لا يضل غيره
الا ضال بخلاف العكس **قوله** بما نسوا ما مصدرية والجار متعلق بالاستقرار الذي تضمنه لهم ولهم عذاب يجوز ان
يكون جملة خبر ان ويجوز ان يكون الخبر وحده الجار وعذاب فاعل به وهو الاحسن لقربه من المفرد قيل معناه بما
تركوا الايمان بيوم الحساب وقال الزجاج بتركهم العمل لذلك اليوم وقال عكرمة والسدي في الاية تقديم
وتاخير تقديره لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا اي تركوا القضا بالعدل **قوله تعالى** وما خلقنا السما والارض
وما بينهما باطلا قال ابن عباس اي لا ثواب ولا عقاب احتج الجبائي بهذه الاية على انه تعالى لا يجوز ان يكون خالقا
لاعمال العباد لانها مشتملة على الكفر والفسق وكلها اباطيل فلما بين تعالى انه ما خلق السما والارض وما بينهما باطلا وعند
المجبرة انه خلق الكافر لاجل ان يكفر والكفر باطل فقد خلق الباطل ثم اكد تعالى ذلك بان قال ذلك ظن الذين كفروا
اي كل من قال بهذا القول فهو كافر فهذا تصريح بان مذهب المجبرة عين الكفر واحتج اهل السنة بان هذه الاية تدل
على انه تعالى خلق اعمال العباد لان الاية دلت على انه تعالى خلق كل ما بين السما والارض واعمال العباد مما بين السما
والارض فوجب ان يكون تعالى خالقها **فصل** دلت الاية على صحة القول بالحشر والنشر لانه تعالى لما خلق الخلق
في هذا العالم فاما ان يكون خلقهم للاضرار او للانتفاع او لا لشيء والاول باطل لان ذلك لا يليق بالرحيم الكريم والثالث
ايضا باطل لان هذه الحالة حاصلة حين كانوا معدومين فلم يبق الا ان يقال خلقهم للانتفاع فذلك الانتفاع اما
ان يكون في حياة الدنيا او في حياة الاخرة والاول باطل لان منافع الدنيا قليلة ومضارها كثيرة وتحمل الضرر الكثير
لوجدان المنفعة القليلة لا يليق بالحكمة ولما بطل هذا القول ثبت القول بوجود حياة اخرى بعد هذه الحياة
الدنيا وذلك هو القول بالحشر والنشر والقيامة **قوله** باطلا يجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف او حالا من ضمير
اي خلقا باطلا ويجوز ان يكون حالا من فاعل خلقنا اي مبطلين او ذوي باطل ويجوز ان يكون مفعولا من اجله
اي للباطل وهو العبث **قوله** ذلك ظن الذين كفروا يعني اهل مكة ثم الذين ظنوا انهما خلقا لغير شيء وانه لا بعث
ولا حساب فويل للذين كفروا من النار لان من انكر الحشر والنشر كان شاكا في حكمة الله تعالى في خلق السما
والارض وهذا هو المراد من قوله ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار **قوله** ام نجعل الذين

في بيان حكمة

امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام في الموضعين منقطعة وقد تقدم ما فيها قال مقاتل قال كفار قريش
للمؤمنين انا نعطى في الاخرة من الخير ما تعطون فنزلت هذه الاية ام نجعل المتقين كالفجار اى المؤمنين كالكفار وقيل
اراد بالمتقين اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم **قوله** كتاب انزلناه يجوز ان يكون كتاب خبر مبتدا مضمر اى هذا كتاب
وانزلناه صفة ومبارك خبر مبتدا مضمر او خبر ثان ولا يجوز ان يكون نعتا ثانيا لانه لا يتقدم عند الجمهور غير
الصريح على الصريح ومن يرى ذلك استدل بظاهرها وقد تقدم تحريره في المائدة **قوله** ليدبروا متعلق بانزلناه
وقرئ مباركا على الحال اللازمة لان البركة لا تفارقه وقرا علي رضي الله عنه ليتدبروا وهي اصل قراءة العامة
فادغمت التاء في الدال وابو جعفر ورويت عن عاصم والكسائي لتدبروا بتاء الخطاب وتخفيف الدال واصلها
لتتدبروا بتائين فحذفت احديهما وفيها الخلاف المشهور هل هي الاولى او الثانية قال الحسن تدبروا اياته اتباعه
وليتذكر وليتعظ اولوا الالباب اى العقول **قوله** ووهبنا لداود سليمان نعم العبد المخصوص بالمدح محذوف
اى نعم العبد سليمان وقيل داود ولان وصفه بهذا المعنى قد تقدم حيث قال داود ذا الايد انه اواب والاول
اظهر لانه هو المسوق للحديث عنه وقرئ بكسر العين وهي الاصل كقوله نعم الساعون في اليوم الشطر
فصل قوله انه اواب يدل على انه انما كان نعم العبد لانه كان اوابا اى كثير الرجوع الى الله تعالى في اكثر اوقاته
ومهماته **قوله** اذ عرض في ناصبه اوجه احدها نعم وهو اضعفها لانه لا يتقيد مدحه بوقت ولعدم تصرف
نعم قال ابن الخطيب التقدير نعم العبد هو اذ كان من اعماله انه الثاني اواب وفيه تقييد وصفه بذلك
بهذا الوقت الثالث اذكر مقدرا وهو اسلمها والعشي من العصر الى اخر النهار **والصافنات** جمع صافن وفيه خلاف
بين اهل اللغة فقال الزجاج هو الذي يقف على احدى يديه ويقف على طرف سنبكه وقد يفعل ذلك باحدى رجليه
قال وهي علامة الفراهة وانشد الف الصفون فلا يزال كانه مما يقوم على الثلاث كسيرا وقيل هو الذي يجمع
يديه ويسويهما واما الذي يقف على سنبكه فاسمه المتخيم قاله ابو عبيدة وقيل هو القائم مطلقا اى سواء كان من
الخيل ام من غيرها قاله القتيبي واستدل بقوله عليه السلام من سره ان يقوم الناس له صفوفا فليتبوأ مقعده
من النار اى يديمون له القيام وحكاه قطرب ايضا وجاء في الحديث قمنا صفوفا اى صافين اقدامنا وقيل هو القيام
مطلقا سواء وقفت على طرف سنبك ام لا قال الفراء على هذا رايت اشعار العرب انتهى وقال النابغة
لنا قبة مضروبة بفنائها عتاق المهارى والجياد الصوافن **والجياد** اما من الجودة يقال جاد الفرس يجود جودة وجودة
بالفتح والضم فهو جواد للذكر والانثى والجمع جياد واجواد واجاويد وقيل جمع لجود بالفتح كثوب وثياب وقيل جمع
جيد واما من الجيد وهو العنق والمعنى طويلة الاجياد وهو دال على فراهتها **قوله** حب الخير فيه اوجه احدها
هو مفعول احببت لانه بمعنى اثرت وعن على هذا بمعنى على اى على ذكر ربي لانه روي انه عرض الخيل حتى شغلته عن
صلاة العصر اول الوقت حتى غربت الشمس وقال ابو حيان وكانه منقول عن الفراء انه ضمن احببت معنى اثرت
حتى نصب حب الخير مفعولا به وفيه نظر لانه متعد بنفسه وانما يحتاج الى التضمين لو لم يكن متعديا الثاني ان
حب مصدر على حذف الزوائد والناصب له احببت الثالث انه مصدر تشبيهي اى حبا مثل حب الخير الرابع انه
قيل ضمن معنى انب فلذلك تعدى بعن الخامس ان احببت بمعنى لزمت قال ابن الخطيب الانسان قد يحب
من لا يحبه كالمريض الذي يشتهي في مرضه فاما من احب شيئا واحب ان يحبه فذلك غاية المحبة فقوله احببت حب الخير
اى احببت حبي للخير السادس ان احببت من احب البعير اذا سقط وبرك من الاعياء والمعنى قعدت عن ذكر ربي
فيكون حب الخير على هذا مفعولا من اجله والمراد بقوله عن ذكر ربي قيل عن صلاة العصر وقيل عن كتاب ربي وهو
التورية لان ارتباط الخيل كما انه في القران ممدوح فكذلك في التورية ممدوح وقوله ذكر ربي يجوز ان يكون
مضافا للمفعول اى عن ان اذكر ربي وان يكون مضافا للفاعل اى عن ذكر ربي والمراد بالخير الخيل والعرب تعاقب
بين الراء واللام حلت الرحل وحرته اى خدعته وسميت الخير لانه معقود بنواصيها الخير الاجر والمغنم **قوله** حتى
توارت في الفاعل وجهان احدهما هو الصافنات والمعنى حتى دخلت اصطبلاتها فتوارت وغابت والثاني انها
الشمس اضمرت لدلالة السياق عليها وقيل لدلالة العشي عليها فانها تشعر بها وقيل يدل عليه الاشراق في قصة
داود وما بعدها **قوله** ردوها هذا الضمير للصافنات وقيل للشمس وهو غريب جدا قال ابن الخطيب وهذا بعيد
لوجوه منها ان الصافنات مذكورة بالصريح والشمس غير مذكورة وعود الضمير الى المذكور اولى من عوده الى
المقدر ومنها انه لو اشتغل بالخيل حتى غربت الشمس وفاتته صلاة العصر كان ذلك ذنبا عظيما ومن كان هذا
حاله فطريقه التضرع والبكا والمبالغة في اظهار التوبة فاما ان تقول على سبيل العظة لرب العالمين مثل هذه
الكلمة العارية عن كل جهات الادب عقيب ذلك الجرم العظيم لا يصدر عن ابعد الناس عن الخير فكيف يجوز اسناده
للرسول المطهر المكرم ومنها ان القادر على تحريك الافلاك والكواكب هو الله تعالى فكان يجب ان يقول ردها

ردها على ولا يقول ردوها لان هذا اللفظ مشعر باعظم انواع الاهانة فكيف يليق بهذا اللفظ رعاية للتعظيم ومنها ان الشمس لو
رجعت بعد الغروب لصار ذلك مشاهدا لكل اهل الدنيا ولو كان كذلك لتوفرت الدواعي على نقله وحيث لم ينقل علمنا فساده
قوله فطفق مسحا نصب مسحا بفعل مقدر هو خبر طفق اى طفق يمسح مسحا لان خبر هذه الافعال لا يكون الا مضارعا في
الامر العام وقال ابو البقاء وبه بدا مصدر في موضع الحال وهذا ليس بشيء لان طفق لا بد لها من خبر وقرا زيد بن علي مساحا
بزنة قتال والباء في بالسوق مزيدة مثلها في قوله فامسحوا برؤسكم وحكى سيبويه مسحت راسه وبراسه بمعنى واحد
ويجوز ان تكون للالصاق كما تقدم وتقدم همز السوق وعدمه في النمل وجعل الفارسي الهمز ضعيفا والبس كما قال لما تقدم
من الاية وقرا زيد بن علي بالساق مفردا اكتفاء بالواحد لعدم اللبس كقوله واما جلدها فصليب وقوله
كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقوله في خلقكم عظم وقد سمعنا وقال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله ردوها على قلت
بمحذوف تقديره قال ردوها فاضمر واضمر ما هو جواب له كان قائلا قال فماذا قال سليمان لانه موضع مقتضى للسؤال
اقتضاء ظاهرا قال ابو حيان وهذا لا يحتاج اليه لان هذه الجملة مندرجة تحت حكاية القول وهو وقال اني احببت
فصل قال المفسرون انه عليه السلام لما فاتته صلاة العصر لاشتغاله بالنظر الى تلك الخيل استردها وعقر سوقها واعناقها تقربا
الى الله تعالى وبقي منها ما بقي فالخيل التي في ايدي الناس اليوم من نسل تلك الباقية قال الحسن فلما عقر الخيل ابدله الله
عز وجل خيرا منها واسرع وهي الريح تجري بامره كيف شاء قال ابن الخطيب وهذا عندي بعيد لوجوه الاول انه لو كان
مسح السوق والاعناق قطعها لكان معنى فامسحوا برؤسكم اى قطعوها وهذا لا يقوله عاقل بل لو قيل مسح راسه بالسيف
فربما فهم منه ضرب العنق اما اذا لم يذكر لفظ السيف لم يفهم منه البتة من المسح العقر والذبح الثاني ان القائلين
بهذا القول جمعوا على سليمان عليه السلام انواعا من الافعال المذمومة فاولها ترك الصلاة وثانيها انه استولى عليه
الاشتغال بحب الدنيا حيث نسي الصلاة وقال عليه السلام حب الدنيا راس كل خطيئة وثالثها انه بعد الاتيان بهذا
الذنب العظيم لم يشتغل بالتوبة والانابة البتة ورابعها انه خاطب رب العالمين بقوله ردوها علي وهذه كلمة
لا يقولها الرجل الخسيس الا مع الخادم الخسيس وخامسها انه اتبع هذه المعاصي بعقر الخيل في سوقها واعناقها وقد
نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذبح الحيوان الا لماكله وهذه انواع من الكبائر نسبوها الى سليمان عليه السلام مع ان لفظ القران لم
يدل على شيء منها وخلاصتها ان هذه القصص انما ذكرها الله تعالى عقيب قوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وان الكفار
لما بلغوا في السفاهة الى هذا الحد قال الله عز وجل لمحمد عليه السلام اصبر يا محمد على سفاهتهم واذكر عبدنا داود ثم ذكر
عقيبه قصة سليمان فكان التقدير انه تعالى قال لمحمد عليه السلام يا محمد اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا سليمان
وهذا الكلام انما يلتئم اذا قلنا ان سليمان عليه السلام اتى في هذه القصة بالاعمال الفاضلة والاخلاق الحميدة وصبر
على طاعة الله تعالى واعرض عن الشهوات واللذات فلو كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام في هذا الموضع انه
اقدم على الكبائر العظيمة والذنوب لم يكن ذكر هذه القصة لائقا والصواب ان نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه
في دينهم كما هو في دين محمد عليه السلام ثم ان سليمان عليه السلام احتاج الى الغزو فجلس وامر باحضار الخيل وامر باجرائها
وذكر اني لا احبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما احبها لامر الله وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربي
ثم انه عليه السلام امر باجرائها وتسييرها حتى توارت بالحجاب اى غابت عن بصره ثم انه امر الرائضين بان يردوها فردوا تلك
الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها والغرض من ذلك امور الاول تشريفها وابانة عزتها لكونها
من اعظم الاعوان في دفع العدو الثاني انه اراد ان يظهر انه في ضبط السياسة والملك يتضع الى حيث يباشر اكثر
الامور بنفسه الثالث انه كان اعلم باحوال الخيل وامراضها وعيوبها فكان يمسحها ويمسح سوقها واعناقها حتى يعلم هل
فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير هو الذي ينطبق عليه لفظ القران ولا يلزم منه نسبة شيء من تلك المنكرات
الى سليمان عليه السلام والعجب منهم كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة مع ان العقل والنقل يردها وليس لهم في
اثباتها شبهة فضلا عن حجة **فان قيل** فالجمهور فسروا الاية بتلك الوجوه **فالجواب** ان نقول لفظ الاية لا يدل على
شيء من تلك الوجوه التي يذكرونها لما ذكرنا وايضا فان الدلائل الكثيرة قامت على عصمة الانبياء عليهم السلام ولم
يدل على صحة هذه الحكايات دليل قطعي ورواية الاحاد لا تصلح معارضة للدلائل القوية فكيف الحكايات عن اقوام
لا يلتفت الى قولهم والذي ذهبنا اليه قول الزهري وابن كيسان **قوله تعالى** ولقد فتنا سليمان قال بعض
المفسرين ان سليمان عليه السلام بلغه خبر مدينة في بعض جزائر البحر يقال لها صيدون فخرج اليها بجنوده فاخذها
وقتل ملكها واخذ بنتا له اسمها جرادة من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت فاحبها فكانت
تبكي على ابيها فامر سليمان الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تذهب الى تلك الصورة
بكرة وعشيا مع جواريها يسجدون لها فاخبر اصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة وخرج وحده
الى فلاة ففرش الرماد وجلس عليه تائبا الى الله تعالى وكانت له ام ولد يقال لها الامينة اذا دخل للطهارة او لاصابة

امرأة ووضع خاتمه عندها وكان ملكه فيه فوضعه عندها يوماً فأتاها الشيطان صاحب البحر واسمه صخر على صورة سليمان وقال لها يا أمينة خاتمي فناولته الخاتم فتختم به وجلس على كرسي سليمان فعكفت عليه الطير والجن والإنس وتغيرت هيئة سليمان فأتى الأمينة لطلب الخاتم فأنكرته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف وإذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبّوه فأخذ ينقل السمك للسماكين فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على هذه الحالة أربعين يوماً عدد ما عبد الوثن في بيته فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امرأة في دمها ولا يغتسل من جنابة. وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء إلا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجداً لله تعالى ورجع إليه ملكه وأخذ ذلك الشيطان فحبسه في صخرة وألقاها في البحر. وقيل إن تلك المرأة لما أقدمت على عبادة تلك الصورة أفتتن سليمان فكان يسقط الخاتم من يده ولا يتماسك فيها فقال له آصف إنك لمفتون بذنبك فتب إلى الله تعالى. وقيل إن سليمان قال لبعض الشياطين كيف تفتنون الناس فقال أرني خاتمك أخبرك فلما أعطاه إياه نبذه في البحر فذهب ملكه وقعد هذا الشيطان على كرسيه ثم ذكر الحكاية إلى آخرها فقالوا المراد من قوله ولقد فتنا سليمان أن الله تعالى ابتلاه وقوله وألقينا على كرسيه جسداً هو جلوس ذلك الشيطان على كرسيه عقوبة له. قال ابن الخطيب واستبعد أهل التحقيق هذا الكلام من وجوه. الأول أن الشيطان لو قدر على أن يتشبه في الصورة والخلقة بالأنبياء فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من ذلك فلعل هؤلاء الذين رآهم الناس على صورة محمد وعيسى وموسى عليهم السلام ما كانوا أولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لأجل الإغواء والإضلال وذلك يبطل الدين بالكلية. الثاني أن الشيطان لو قدر أن يعامل نبي الله سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب أن يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد وحينئذ يجب أن يقتلهم ويمزق تصانيفهم ويخرب ديارهم ولما بطل ذلك في حق آحاد العلماء فلأن يبطل في حق أكابر الأنبياء أولى. الثالث كيف يليق بحكمة الله وإحسانه أن يسلط الشيطان على أزواج سليمان ولا شك أنه قبيح. الرابع لو قلنا إن سليمان أذن لتلك المرأة في عبادة تلك الصورة فهذا كفر منه وإن لم يأذن فيه البتة فالذنب على تلك المرأة فكيف يؤاخذ الله سليمان بفعل لم يفعله. وأما أهل التحقيق فذكروا وجوهاً. الأول أن فتنة سليمان أنه ولد له ابن فقالت الشياطين إن عاش صار مسلطاً علينا مثل أبيه فسبيلنا أن نقتله فعلم سليمان ذلك فكان يربيه في السحاب فبينما هو مشتغل بمهماته إذ ألقي ذلك الولد ميتاً على كرسيه فتنبه على خطئه في أنه لم يتوكل على الله فاستغفر ربه وتاب. الثاني روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل امرأة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله تعالى لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعين فذلك قوله لحم على وضم وجسم بلا روح ثم أناب أي رجع إلى حال الصحة فاللفظ يحتمل هذه الوجوه ولا حاجة إلى حمله على تلك الوجوه الركيكة. الثالث لا يبعد أيضاً أن يقال إنه ابتلاه الله تعالى بتسليط خوف أو توقع بلاء يوقعه من بعض الجهات حتى صار بسبب قوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الملقى على ذلك الكرسي ثم إن الله تعالى أزال عنه ذلك الخوف وأعاده إلى ما كان عليه من القوة وطيب القلب. قوله جسداً فيه وجهان أظهرهما أنه مفعول به لألقينا والثاني أنه حال وصاحبها إما سليمان لأنه يروى أنه مرض حتى صار كالجسد الذي لا روح فيه وإما ولده قالهما أبو البقاء ولكن جسد جامد فلا بد من تأويله بمشتق أي ضعيفاً أو فارغاً. قوله قال رب اغفر لي تمسك به من حمل الكلام المتقدم على صدور الزلة لأنه لولا تقدم الذنب لما طلب المغفرة ويمكن أن يجاب بأن الإنسان لا ينفك عن ترك الأفضل والأولى وحينئذ يحتاج إلى طلب المغفرة لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين ولأنه أبداً في مقام هضم النفس وإظهار الذلة والخضوع كما قال عليه السلام إني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة مع أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلا يبعد أن يكون المراد من هذه الكلمة هذا المعنى. قوله وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي. دلت هذه الآية على أنه يجب تقديم مهم الدين على مهم الدنيا لأن سليمان طلب المغفرة أولاً ثم طلب المملكة بعده ودلت الآية أيضاً على أن طلب المغفرة من الله تعالى سبب لانفتاح أبواب الخيرات في الدنيا لأن سليمان طلب المغفرة أولاً ثم توسل به إلى طلب المملكة ونوح عليه السلام قال فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمر أهلك بالصلاة واصطبر من بعدي مشعر بالحسد. فالجواب أن القائلين بأن الشيطان استولى على مملكته قالوا معناه هو أن يعطيه الله ملكاً لا يقدر الشيطان على أن يقوم فيه مقامه البتة. وأما المنكرون فأجابوا بوجوه. الأول أن الملك هو القدرة فكان المراد أقدرني على أشياء لا يقدر عليها غيري البتة ليصير اقتداري عليها معجزة تدل على صحة نبوتي ورسالتي ويدل على صحة هذا قوله تعالى عقيبه فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب فكون الريح جارية بأمره قدرة عجيبة وملك عجيب دال على صحة نبوته لا يقدر أحد على معارضته. الثاني أنه عليه السلام

لما مرض ثم عاد إلى الصحة عرف أن خيرات الدنيا صائرة إلى التغيرات فسأل ربه ملكاً لا يمكن أن ينتقل عني إلى غيري. الثالث أن الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدرة عليها أشق من الاحتراز عنها حال عدم القدرة فكأنه قال يا إلهي أعطني مملكة فائقة على ممالك البشر بالكلية حتى أحترز عنها مع القدرة عليها ليصير ثوابي أكمل وأفضل. الرابع سأل ذلك ليكون علماً على قبول توبته حيث أجاب الله دعاءه ورد عليه ملكه وزاده فيه. قوله فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء أي لينة والرخوة اللينة وهي من الرخاوة والريح إذا كانت لينة لا تزعزع. فإن قيل قد قال في آية أخرى ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره. فالجواب من وجهين. الأول لا منافاة بين الآيتين فإن المراد أن تلك الريح كانت في قوة الرياح العاصفة إلا أنها لما أمرت بأمره كانت لذيذة طيبة وكانت رخاء. الثاني أن تلك الريح كانت لينة مرة وعاصفة أخرى فلا منافاة بين الآيتين. قوله حيث ظرف لتجري أو لسخرنا وأصاب أراد بلغة حمير وقيل بلغة هجر وحكى الأصمعي عن العرب أنهم يقولون أصاب الصواب فأخطأ الجواب. وروي أن رجلين خرجا يقصدان رؤبة ليسألاه عن هذا الحرف فقال لهما أين تصيبان فعرفاها وقالا هذه بغيتنا وأنشد الثعلبي على ذلك:

أصاب الجواب فلم يستطع ... فأخطأ الجواب لدى المفصل

أي أراد الجواب ويقال أصاب الله بك خيراً أي أراده بك. وقيل الهمزة في أصاب للتعدية من صاب يصوب أي نزل قال:

تنزل من جو السماء يصوب

والفعل محذوف أي أصاب جنوده حيث وجههم وجعلهم يصوبون صوب المطر والشياطين نسق على الريح وكل بناء بدل من الشياطين كانوا يبنون له ما يشاء من الأبنية. روي أن سليمان عليه السلام أمر الجان فبنت له إصطخر وكان فيها قرار مملكة الترك قديماً وبنت له الجان أيضاً تدمر وبيت المقدس وباب جيرون وباب البريد اللذين بدمشق على أحد الأقوال وبنوا له ثلاثة قصور باليمن غمدان وسالحين وبينون ومدينة صنعاء. قوله وغواص نسق على بناء يغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وأتى بصيغة المبالغة في معرض الامتنان. قوله وآخرين عطف على كل فهو داخل في حكم البدل وتقدم شرح مقرنين في الأصفاد آخر سورة إبراهيم. فصل قال ابن الخطيب دلت هذه الآيات على أن الشياطين لها قوة عظيمة قدروا بها على بناء تلك الأبنية العظيمة التي لا يقدر عليها البشر وقدروا على الغوص في البحار واستخراج اللآلئ وقيدهم سليمان عليه السلام. ولقائل أن يقول هذه الشياطين إما أن تكون أجسادهم كثيفة أو لطيفة فإن كانت كثيفة وجب أن يراهم من كان صحيح الحاسة إذ لو جاز أن لا نراهم مع كثافة أجسادهم فليجز أن يكون بحضرتنا جبال عالية وأصوات هائلة ولا نراها ولا نسمعها وذلك دخول في السفسطة وإن كانت أجسادهم لطيفة فمثل هذا يمتنع أن يكون موصوفاً بالقوة الشديدة ويلزم أيضاً أن تتفرق أجسادهم وأن تتمزق بالرياح العاصفة القوية وأن يموتوا في الحال وذلك يمنع وصفهم بالقوة وأيضاً فالجن والشياطين إن كانوا موصوفين بهذه القوة والشدة فلم لا يقتلون العلماء والزهاد في زماننا هذا ولم لا يخربون ديار الناس مع أن المسلمين يبالغون في إظهار لعنهم وعداوتهم وحيث لم يحس بشيء من ذلك علمنا أن القول بإثبات الجن ضعيف. قال ابن الخطيب واعلم أن أصحابنا يجوزون أن تكون أجسادهم كثيفة مع أنا لا نراهم. وأيضاً لا يبعد أن تكون أجسادهم لطيفة بمعنى عدم اللون ولكنها صلبة بمعنى أنها لا تقبل التفرق. وأما الجبائي فقد سلم أنها كانت كثيفة الأجسام وزعم أن الناس كانوا يشاهدونهم في زمن سليمان عليه السلام ثم إنه لما توفي سليمان عليه السلام أمات الله أولئك الجن والشياطين وخلق نوعاً آخر من الجن والشياطين تكون أجسامهم في غاية الرقة ولا يكون لهم شيء من القوة والموجود في زماننا من الجن والشياطين ليس إلا من هذا الجنس والله أعلم. قوله هذا عطاؤنا أي قلنا له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك قال ابن عباس أعط من شئت وامنع من شئت. قوله بغير حساب فيه ثلاثة أوجه أحدها أنه متعلق بعطاؤنا أي أعطيناك بغير حساب ولا تقدير وهو دلالة على كثرة الإعطاء. الثاني أنه حال من عطاؤنا أي في حال كونه غير محاسب عليه لأنه جم كثير يعسر على الحساب ضبطه. الثالث أنه متعلق بامنن أو أمسك. ويجوز أن يكون حالاً من فاعلهما أي غير محاسب عليه. فصل قال المفسرون معناه لا حرج عليك فيما أعطيت وفيما أمسكت. قال الحسن ما أنعم الله على أحد نعمة إلا عليه تبعة إلا سليمان فإنه إن أعطى أجر وإن لم يعط لم يكن عليه تبعة. وقال مقاتل هذا في أمر الشياطين يعني خل من شئت منهم وأمسك من شئت في وثاقك لا تبعة عليك فيما تتعاطاه. قوله وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب تقدم تفسيره والعامة على نصب وحسن مآب نسقاً على اسم إن وهو لزلفى وقرأ الحسن وابن أبي عبلة برفعه على الابتداء وخبره مضمر لدلالة ما تقدم عليه ويقفان على لزلفى ويبتدئان بحسن مآب أي وحسن مآب له أيضاً. قوله تعالى واذكر عبدنا أيوب كقوله عبدنا داود وفيه الثلاثة الأوجه وإذ نادى بدل منه بدل اشتمال أني بأني وقوله أني على حكاية كلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحكه لقال أنه مسه لأنه غائب. وقرأ العامة بفتح الهمزة على أنه هو المنادى بهذا اللفظ وعيسى بن عمر بكسرها على إضمار القول أو على إجراء النداء مجراه. قوله بنصب قرأ العامة بالضم والسكون فقيل هو جمع نصب بفتحتين نحو وثن ووثن وأسد وأسد وقيل هو لغة في النصب نحو رشد ورشد وحزن وحزن وعدم وعدم وأبو جعفر وشيبة وحفص ونافع في رواية بضمتين وهو تثقيل نصب بضمة وسكون قاله الزمخشري وفيه بعد لما تقرر أن مقتضى

اللغة تخفيف فعل كعنق لا تثقيل فعل كفعل وفيه خلاف وهما لغتان في العسر واليسر في البقرة وقرأ أبو جعفر ويعقوب
وحفص في رواية بفتح وسكون وكلها بمعنى واحد وهو النصب والمشقة **فصل** النصب المشقة والضر قال قتادة
ومقاتل النصب في الجسد والعذاب في المال واعلم ان داود وسليمان عليهما السلام كانا ممن افاض الله عليه اصناف الآلاء
والنعماء وايوب كان ممن خصه الله تعالى بانواع البلاء والمقصود من جميع هذه القصص الاعتبار كان الله تعالى قال يا محمد
اصبر على سفاهة قومك فانه ما كان في الدنيا اكثر نعمة ومالا وجاها اكثر من داود وسليمان وما كان اكثر بلاء ولا محنة من
ايوب فتأمل في احوال هؤلاء لتعرف ان احوال الدنيا لا تنتظم لاحد وان العاقل لا بد له من الصبر على المكاره **فصل** قال بعض
العلماء ان الآلام والاسقام الحاصلة في جسمه انما حصلت بفعل الشيطان وقيل انما حصلت بفعل الله تعالى والعذاب
المضاف في هذه الآية الى الشيطان هو عذاب الوسوسة والقاء الخواطر الفاسدة اما تقرير القول الاول فهو ما روي
ان ابليس سأل ربه فقال هل في عبيدك من لو سلطتني عليه يمتنع مني فقال الله تعالى نعم عبدي ايوب فجعل يأتيه
بوسواسه وهو يرى ابليس عيانا ولا يلتفت اليه فقال رب انه قد امتنع علي فسلطني على ماله فكان يجيئه ويقول له هلك
من مالك كذا وكذا فيقول لله اعطى والله اخذ ثم يحمد الله تعالى فقال يا رب ان ايوب لا يبالي بماله فسلطني على ولده فجاء
واخبره به فلم يلتفت اليه فقال يا رب انه لا يبالي بماله وولده فسلطني على جسده فأذن فيه فنفخ في جلد ايوب فحدث
اسقام عظيمة وآلام شديدة فيه فمكث في ذلك البلاء سنين حتى استقذره اهل بلده فخرج الى الصحراء وما كان يقرب منه
احد فجاء الشيطان الى امرأته وقال ان زوجك ان استغاث بي خلصته من هذا البلاء فذكرت المرأة ذلك لزوجها فحلف
بالله لئن عافاه الله ليجلدنها مائة جلدة وعند هذه الواقعة قال اني مسني الشيطان بنصب وعذاب فاجاب الله دعاءه
واوحى اليه ان اركض برجلك واظهر الله تعالى من تحت رجله عينا باردة طيبة فاغتسل منها فاذهب الله عنه كل داء في
ظاهره وباطنه ورد عليه اهله وماله واما القول الثاني ان الشيطان لا قدرة له البتة على ايقاع الناس في الامراض والاسقام
ويدل عليه وجوه الاول انا لو جوزنا حصول الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان فلعل الواحد منا انما وجد الحياة
بفعل الشيطان ولعل ما عندنا من الخيرات والسعادات قد حصل بفعل الشيطان وحينئذ لا سبيل لنا الى معرفة معطي الحياة
والموت والصحة والسقم هو الله تعالى ام الشيطان الثاني ان الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يسعى في قتل الانبياء والاولياء
ولم لا يخرب دورهم ولم لا يقتل اولادهم الثالث ان الله تعالى حكى عن الشيطان انه قال وما كان لي عليكم من سلطان الا
ان دعوتكم فاستجبتم لي فصرح بانه لا قدرة له في حق البشر الا القاء الوساوس والخواطر الفاسدة وذلك يدل على فساد القول
بان الشيطان هو الذي القاه في تلك الامراض **فان قيل** لم لا يجوز ان يقال ان الفاعل لهذه الاحوال هو الله لكن على وفق
التماس الشيطان قلنا فاذا كان لا بد من الاعتراف بان خالق تلك الآلام والاسقام هو الله تعالى فاي فائدة في جعل
الشيطان واسطة في ذلك بل الحق ان المراد من قوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب انه بسبب القاء الوساوس
الفاسدة كان يلقيه في انواع العذاب والقائلون بهذا القول اختلفوا في ان تلك الوساوس كيف كانت وذكروا وجوها
الاول ان علته كانت شديدة الالم ثم طالت تلك العلة واستقذره الناس ونفروا عن مجاورته ولم يبق له مال البتة
وامرأته كانت تخدم الناس وتحصل له قدر القوت ثم بلغت نفرة الناس عنه الى ان منعوا امرأته من الدخول عليهم ومن
خدمتهم والشيطان كان يذكره النعم التي كانت والآفات التي حصلت وكان يحتال في دفع تلك الوساوس فلما قويت تلك
الوساوس في قلبه خاف وتضرع الى الله تعالى وقال مسني الشيطان بنصب وعذاب لانه كلما كثرت تلك الخواطر كان تألم
قلبه منها اشد الثاني انه لما طالت مدة المرض جاءه الشيطان فكان يقنطه مرة ويزلّه ان يجزع فخاف من خاطر القنوط
في قلبه فتضرع الى الله تعالى وقال اني مسني الشيطان الثالث روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بقي ايوب في البلاء
ثماني عشرة سنة حتى رفضه القريب والبعيد الا رجلان ثم قال احدهما لصاحبه لقد اذنب ايوب ذنبا ما اتى به احد من
العالمين ولولاه لما وقع في مثل هذا البلاء فذكروا ذلك لايوب فقال لا ادري ما يقولان غير اني كنت امر على الرجلين
يتنازعان فيذكران الله تعالى فارجع الى بيتي فاكفر عنهما كراهية ان يذكرا الله الا في حق الرابع قيل ان امرأته
كانت تخدم الناس فتأخذ منهم قدر القوت وتجيء به الى ايوب فاتفق انهم ما استخدموها طلب بعض النساء منها قطع احدى
ذوائبها على ان تعطيها قدر القوت ففعلت ثم في اليوم الثاني فعلت مثل ذلك فلم يبق لها ذوائب وكان ايوب عليه
السلام اذا اراد ان يتحرك على فراشه تعلق بتلك الذوائب فلما لم يجد الذوائب وقعت الخواطر المؤذية في قلبه فعند ذلك
قال مسني الشيطان بنصب وعذاب الخامس روي انه عليه السلام قال في بعض الايام يا رب لقد علمت انه ما اجتمع
علي امران الا آثرت طاعتك ولما اعطيتني المال كنت للارامل قيما ولابن السبيل معينا ولليتامى ابا فنودي يا ايوب ممن
كان ذلك التوفيق فاخذ ايوب التراب ووضعه على رأسه وقال منك يا رب ثم خاف من الخاطر الاول فقال مسني الشيطان
بنصب وعذاب وذكروا اقوالا اخر والله اعلم **قوله** اركض برجلك معناه انه لما شكى مس الشيطان فكأنه سأل ربه ان
يزيل عنه تلك البلية فاجابه الله بان قال اركض برجلك والركض هو الدفع القوي بالرجل ومنه ركض الفرس والتقدير

والتقدير قلنا له اركض برجلك قيل انه ضرب برجله تلك الارض فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اي هذا ما
تغتسل به فيبرأ ظاهرك وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهر اللفظ يدل على انه نبعت له عين واحدة من الماء فاغتسل منه
وشرب منه والمفسرون والمعتبرون قالوا نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره
ومن باطنه باذن الله تعالى وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت عين باردة
فشرب منها **قوله** ووهبنا له اهله ومثلهم معهم قيل هم عين اهله وذراريه ومثلهم وقيل غيرهم مثلهم والاول اولى لانه
الظاهر فلا يجوز العدول عنه من غير ضرورة ثم اختلفوا فقيل ازلنا عنهم السقم فعادوا اصحاء وقيل بل حضروا
عنده بعد ان غابوا عنه واجتمعوا بعد ان تفرقوا وقيل بل تمكن منهم وتمكنوا منه كما يفعل بالعشرة والخدمة وقوله
ومثلهم معهم الاقرب انه تعالى متعه بصحته وبماله وقوته حتى كثر نسله وصار اهله ضعف ما كان واضعاف ذلك وقال
الحسن المراد بهبة الاهل انه تعالى احياهم بعد ان هلكوا **قوله** رحمة منا وذكرى مفعول من اجله اي وهبناهم لاجل رحمتنا
اياه وليتذكر بحاله اولوا الالباب بمعنى سلطنا البلاء عليه اولا فصبر ثم ازلنا عنه البلاء واوصلنا اليه الآلاء والنعماء تنبيها لاولي
الالباب على ان من صبر ظفر وهو تسلية لمحمد عليه السلام كما تقدم قالت المعتزلة وهذا يدل على ان افعال الله تعالى معللة
بالاغراض والمقاصد والمصالح بقوله رحمة منا وذكرى لاولي الالباب **قوله** وخذ بيدك ضغثا معطوف على اركض والضغث
الحزمة الصغيرة من الحشيش والقضبان وقيل الحزمة الكبيرة من القضبان وفي المثل ضغث على ابالة والابالة الحزمة
من الحطب قال الشاعر واسفل مني نهدة قد ربطتها والقيت ضغثا من خلي متطيب واصل المادة يدل على جمع المختلطات
وقد تقدم هذا في يوسف في قوله اضغاث احلام **قوله** فاضرب به ولا تحنث الحنث الاثم ويطلق على فعل ما حلف على تركه
او ترك ما حلف على فعله لانهما يقعان فيه غالبا **فصل** هذا الكلام يدل على تقدم يمين منه وقد روي انه حلف على
اهله واختلفوا في سبب حلفه عليها ويبعد ما قيل انها رغبته في طاعة الشيطان ويبعد ايضا ما روي انها قطعت
ذوائبها لان المضطر يباح له ذلك بل الاقرب انها خالفته في بعض المهمات وذلك انها ذهبت في بعض المهمات فابطأت
فحلف في مرضه ليضربنها مائة اذا برأ ولما كانت حسنة الخدمة لا جرم حلل الله يمينه باهون شيء عليه وعليها وهذه
الرخصة باقية لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي برجل ضعيف زنى بامة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه
بها ضربة واحدة **قوله** انا وجدناه صابرا **فان قيل** كيف وجده صابرا وقد شكى اليه **فالجواب** من وجوه الاول
انه شكى من الشيطان اليه وما شكى الى احد الثاني ان الالم حين كان على الجسد لم يذكر شيئا فلما عظمت
الوساوس خاف على القلب والدين فتضرع الثالث ان الشيطان عدو والشكاية من العدو الى الحبيب لا تقدح
في الصبر **قوله** نعم العبد انه اواب يدل على ان التشريف بقوله نعم العبد انما حصل لكونه اوابا روي انه
لما نزل قوله تعالى نعم العبد في حق سليمان تارة وفي حق ايوب اخرى عظم في قلوب امة محمد صلى الله عليه وسلم
وقالوا ان قوله نعم العبد تشريف عظيم فان احتجنا الى تحمل بلاء مثل ايوب لم نقدر عليه فكيف السبيل الى
تحصيله فانزل الله تعالى قوله نعم المولى ونعم النصير والمراد انك ان لم تكن نعم العبد فانا نعم المولى فان كان
منك الفضل فمني الفضل وان كان منك التقصير فمني الرحمة والتيسير **قوله تعالى** واذكر عبادنا ابراهيم واسحق
ويعقوب قرأ ابن كثير عبدنا بالتوحيد والباقون عبادنا بالجمع والرسم يحتملهما فاما قراءة ابن كثير فابراهيم بدل
او بيان او باضمار اعني وما بعده عطف على نفس عبدنا لا على ابراهيم اذ يلزم ابدال جمع من مفرد والقائل ان يقول
لما كان المراد بعبدنا الجنس جاز ابدال الجمع منه كقراءة ابن عباس واله ابيك ابراهيم في البقرة في احد القولين وقد
تقدم واما قراءة الجماعة فواضحة لانها موافقة للاول في الجمع قال ابن الخطيب ان غير ابراهيم من الانبياء قد اجرى
عليه هذا الوصف فجاء في حق عيسى ان هو الا عبد انعمنا عليه وفي ايوب نعم العبد وفي نوح انه كان عبدا شكورا
والمعنى اصبر يا محمد على ما يقولون واذكر صبر ايوب على البلاء واذكر صبر ابراهيم حين القي في النار وصبر اسحق حين
عرض على الذبح وصبر يعقوب حين فقد ولده وذهب بصره **قوله** اولي الايدي العامة على ثبوت الياء وهو جمع يد
وهي اما الجارحة وكني بذلك عن الاعمال لان اكثر الاعمال انما تزاول باليد وقيل المراد بالايدي جمع يد المراد بها
النعمة وقرأ عبد الله والاعمش والحسن وعيسى الايد بغير ياء فقيل هي للاولى وانما حذفت الياء اجتزاء عنها بالكسرة
ولان ال تعاقب التنوين والياء تحذف مع التنوين فاجريت مع ال اجراءها معه وهذا ضعيف جدا وقيل الايد
القوة الا ان الزمخشري قال وتفسيره بالايد من التأييد قلق غير متمكن انتهى وكانه انما قلق عنده لعطف الابصار
عليه فهو مناسب للايدي ولا للايد من التأييد وقد يقال انه لا يراد حقيقة الجوارح اذ كل احد كذلك انما المراد
الكناية عن العمل الصالح والتفكر ببصيرته فلم يقلق حينئذ اذ لم يرد حقيقة الابصار وكانه قيل اولي القوة والتفكر
بالبصيرة وقد نحا الزمخشري الى شيء من هذا قبل ذلك قال ابن عباس اولي القوة في طاعة الله والابصار في المعرفة
بالله اي البصائر في الدين وقال قتادة ومجاهد اعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين **قوله** انا اخلصناهم بخالصة

ذكرى الدار قرأ نافع وهشام بخالصة ذكرى بالاضافة وفيها اوجه احدها ان يكون اضاف خالصة الى ذكرى للبيان لان الخالصة
تكون ذكرى وغير ذكرى كما في قوله بشهاب قبس لان الشهاب يكون قبسا وغيره الثاني ان خالصة مصدر بمعنى اخلاص
فيكون مصدرا مضافا لمفعوله والفاعل محذوف اي بان اخلصوا ذكرى الدار وتناسوا عندها ذكرى الدنيا وقد
جا المصدر على فاعلة كالعافية او يكون المعنى بان اخلصنا نحن لهم ذكرى الدار الثالث انها مصدر ايضا بمعنى الخلوص
فتكون مضافة لفاعلها اي بان خلصت لهم ذكرى الدار وقرأ الباقون بالتنوين وعدم الاضافة وفيها اوجه احدها
انها مصدر بمعنى الاخلاص فيكون ذكرى منصوبا به وان يكون بمعنى الخلوص فيكون ذكرى مرفوعا به كما تقدم والمصدر
يعمل منونا كما يعمل مضافا او يكون خالصة اسم فاعل على بابه وذكرى بدلا او بيانا لها او منصوب باضمار اعني او مرفوع على
اضمار مبتدأ والدار يجوز ان يكون مفعولا به بذكرى وان يكون ظرفا اما على الاتساع واما على اسقاط الخافض ذكر معناه ابو
البقا وخالصة اذا كانت صفة فهي صفة لمحذوف اي بسبب خصلة خالصة **فصل** من قرأ بالاضافة فمعناه
اخلصناهم بذكرى الدار الاخرة ان يعملوا لها والذكرى بمعنى الذكر قال مالك بن دينار نزعنا من قلوبهم حب الدنيا
وذكرها واخلصناهم بحب الاخرة وذكرها وقال قتادة كانوا يدعون الى الاخرة والى الله عز وجل وقال السدي
اخلصوا الخوف الاخرة وقيل اخلصناهم بافضل ما في الاخرة قاله ابن زيد ومن قرأ بالتنوين فمعناه بخلة خالصة
وهي ذكرى الدار فيكون ذكرى الدار بدلا عن الخالصة او جعلناهم مخلصين بما اخبرنا من ذكر الاخرة المراد بذكرى الدار
ذكر الجميل الرفيع لهم في الاخرة وقيل انه ابقى لهم الذكر الجميل في الدنيا وقيل هو دعاؤه واجعل لي لسان صدق في
الاخرين **قوله** وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار اي المختارين من ابنا جنسهم والاخيار جمع خير او خير بالتثقيل
والتخفيف كاموات في جمع ميت او ميّت واحتج العلما بهذه الاية على اثبات عصمة الانبيا لانه تعالى حكم عليهم بكونهم اخيارا
على الاطلاق وهذا يعم حصول الخيرية في جميع الافعال والصفات بدليل صحة الاستثنا منه **قوله تعالى** واذكر اسمعيل
واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار وهم قوم اخرون من الانبيا تحملوا الشدايد في دين الله وقد تقدم شرح
اصحاب هذه الاسما في سورة الانعام **قوله** هذا ذكر جملة جي بها ايذانا بان القصة قد تمت واخذ في اخرى وهذا
كما فعل الجاحظ في كتبه يقول فهذا باب ثم يشرع في اخر ويدل على ذلك انه لما اراد ان يعقب بذكر اهل الجنة ثم قال هذا
وان للطاغين وقيل المراد هذا شرف وذكر جميل لهؤلا الانبيا يذكرون ابدا والصحيح الاول **قوله** وان للمتقين
لحسن مآب المآب المرجع لما حكى سفاهة قريش على النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم ساحر كذاب وقولهم له استهزا عجل لنا قطنا
ثم امره بالصبر على سفاهتهم والاقتدا بالانبيا المذكورين في صبرهم على المكاره والشدايد بين هاهنا ان من اطاع الله
كان له من الثواب كذا وكذا وكل من خالفه كان له من العقاب كذا وكذا وذلك يوجب الصبر على تكاليف الله تعالى وهذا
نظم حسن وترتيب لطيف **قوله** جنات عدن العامة على نصب جنات بدلا من حسن مآب سوا كانت جنات عدن معرفة
ام نكرة لان المعرفة تبدل من النكرة وبالعكس ويجوز ان يكون عطف بيان ان كانت نكرة ولا يجوز ذلك فيها ان كانت
معرفة وقد جوز الزمخشري ذلك بعد حكمه واستدلاله على انها معرفة وهذا كما تقدم له في مواضع يجيز عطف البيان
وان تخالفا تعريفا وتنكيرا وقد تقدم هذا في قوله تعالى فيه ايات بينات مقام ابراهيم ويجوز ان ينتصب جنات
عدن باضمار فعل ومفتحة حال من جنات عدن او نعت لها ان كانت نكرة وقال الزمخشري حال والعامل فيها ما في
المتقين من معنى الفعل انتهى وقد علل ابو البقا بعلة في متكئين يقتضي منع مفتحة ان يكون حالا وان كانت العلة
غير صحيحة فقال ولا يجوز ان يكون متكئين حالا من المتقين لانه قد اخبر عنهم قبل الحال وهذه العلة موجودة
في جعل مفتحة حالا من المتقين كما ذكره الزمخشري الا ان هذه العلة ليست صحيحة وهو نظير قولك ان لهند مالا
قايمة وايضا في عبارته تجوز قال للمتقين لم يخبر عنهم صناعة انما اخبر عنهم معنى والا فقد اخبر عن حسن مآب بانه
لهم وجعل الحوفي العامل يقدر اي يدخلونها مفتحة **قوله** الابواب في ارتفاعها وجهان اشهرهما عند الناس انها ترتفعه
باسم المفعول كقوله وفتحت ابوابها واعترض على هذا بان مفتحة اما حال واما نعت لجنات وعلى التقديرين فلا رابط
واجيب بوجهين احدهما قول البصريين وهو ان ضميرا مقدرا تقديره الابواب منها والثاني ان ال قامت مقام
الضمير اذ الاصل ابوابها وهو قول الكوفيين وتقدم تحقيق هذا والوجهان جاريان في قوله فان الجنة هي المأوى
الثاني انها مرتفعة على البدل من الضمير في مفتحة العايد على جنات وهو قول الفارسي لما راى خلوها من الرابط
لفظا ادعى ذلك واعترض على هذا بان هذا من بدل البعض والاشتمال وكلاهما لا بد فيهما من ضمير فيضطر الى التقدير
كما تقدم ورجح بعضهم الاول بان فيه اضمارا واحدا وفي هذا اضماران وتبعه الزمخشري فقال والابواب
بدل من الضمير في مفتحة اي مفتحة هي الابواب كقولك ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال
فقوله بدل الاشتمال مما يعني به الابواب لان الابواب قد يقال انها ليست بعض الجنات واما ضرب زيد
اليد والرجل فهو بعض من كل ليس الا وقرأ زيد بن علي وابو حيوة جنات عدن مفتحة برفعهما اما على انها جملة من

جملة من مبتدا وخبر واما على ان كلا واحد منها خبر مبتدا مضمر اي هي جنات هي مفتحة **قوله** متكئين حال من لهم العامل فيها مفتحة
وقيل العامل يدعون وقد تقدم منع ابي البقا انها حال من المتقين وما فيه ويدعون يجوز ان يكون مستانفا
وان يكون حالا اما من ضمير متكئين واما حالا ثانية **فصل** اعلم انه تعالى وصف احوال اهل الجنة في هذه الاية باشيا
اولها احوال مساكنهم جنات عدن وذلك يدل على امرين احدهما كونها بساتين والثاني كونها دايمة ليست منقضية
وقوله مفتحة لهم الابواب قيل المراد ان الملايكة يفتحون لهم ابواب الجنة ويحيونهم بالسلام كما قال تعالى حتى اذا جاؤها
وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقيل المعنى انهم كلما ارادوا انفتاح الابواب
انفتحت لهم وكلما ارادوا انغلاقها انغلقت لهم وقيل المراد من هذا الفتح وصف تلك المساكن بالسعة وقرة
العيون فيها وقوله متكئين قد ذكر في ايات اخر كيفية ذلك الاتكا فقال في اية على الارايك متكئون وقال في اخرى
متكئين على رفرف خضر وقوله يدعون في الجنات بالوان الفاكهة والوان الشراب والتقدير بفاكهة كثيرة وشراب
كثير ولما بين المسكن والماكول والمشروب ذكر امر المنكوح فقال وعندهم قاصرات الطرف اي عن غيرهم وقوله
اتراب اي على سن واحد قيل بنات ثلاث وثلاثين سنة واحدها ترب وعن مجاهد متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن
وقيل اترابا للازواج قال القفال والسبب في اعتبار هذه الصفة انهن لما تشابهن في الصفة والسن والجبلة
كان الميل اليهن على السوية وذلك يقتضي عدم الغيرة **قوله** هذا ما توعدون قرأ ابن كثير وابو عمرو هنا يدعون بالغيبة
وفي ق ابن كثير وحده والباقون بالخطاب فيهما ووجه الغيبة هنا وفي ق تقدم ذكر المتقين ووجه الخطاب الالتفات
اليهم والاقبال عليهم اي قل للمتقين هذا ما توعدون ليوم الحساب اي في يوم الحساب ان هذا لرزقنا ماله من نفاد اي
فنا وانقطاع وهذا اخبار عن دوام هذا الثواب **قوله** من نفاد اما مبتدا واما فاعل من مزيدة والجملة في محل نصب
على الحال من رزقنا اي غير فان ويجوز ان يكون خبرا ثانيا **قوله** هذا وان للطاغين يجوز ان يكون هذا مبتدا والخبر
مقدر فقدره الزمخشري هذا كما ذكر وقدره ابو علي هذا للمومنين ويجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي الامر هذا **فصل**
لما وصف ثواب المومنين وصف بعده عقاب الظالمين ليكون الوعيد مذكورا عقيب الوعد والترهيب عقيب الترغيب
فقال هذا وان للطاغين لشر مآب اي مرجع وهذا في مقابلة قوله وان للمتقين لحسن مآب والمراد بالطاغين الكفار
وقال الجبائي هم اصحاب الكباير سوا كانوا كفارا ام لا واحتج الاولون بقوله تعالى ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فذلك
على ان الوصف بالطغيان قد يحصل لصاحب الكبيرة لان من تجاوز حد تكاليف الله وتعداها فقد طغى **قوله** جهنم يجوز ان
تكون بدلا من شر مآب او منصوبة باضمار فعل وقياس قول الزمخشري في جنات عدن ان يكون عطف بيان وان تكون منصوبة
بفعل مقدر على الاشتغال اي يصلون جهنم يصلونها والمخصوص بالذم محذوف اي هي **قوله** فبيس المهاد وهو معنى قوله لهم
من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه الله تعالى ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفرشه النايم **قوله** هذا فليذوقوه فيه هذا
اوجه احدها ان يكون مبتدا وخبره حميم وغساق وقد تقدم ان اسم الاشارة يكتفى بواحد في المثنى كقوله عوان
بين ذلك او يكون المعنى هذا جامع بين الوصفين ويكون قوله فليذوقوه جملة اعتراضية الثاني ان يكون هذا
منصوبا بمقدر على الاشتغال اي ليذوقوا هذا فليذوقوه وشبهه الزمخشري بقوله تعالى واياي فارهبون يعني على الاشتغال
والكلام على مثل هذه الفاء تقدم وحميم على هذا خبر مبتدا مضمر او مبتدا وخبره مضمر اي منه حميم ومنه غساق
كقوله حتى اذا ما اضا البرق في غلس وغودر البقل ملوي ومحصود اي منه ملوي ومنه محصود الثالث ان
يكون هذا مبتدا والخبر محذوف اي هذا كما ذكر او هذا للطاغين الرابع انه خبر مبتدا مضمر اي الامر هذا ثم استانف
امرا فقال فليذوقوه الخامس ان يكون مبتدا وخبره فليذوقوه وهو راي الاخفش ومنه وقايلة خولان فانكح فتاتهم
وتقدم تحقيق هذا عند قوله والسارقة وقرأ الاخوان وحفص غساق بتشديد السين هنا وفي عم يتسالون
وخففه الباقون فيهما فاما المثقل فهو صيغة كالجبار والضراب مثال مبالغة وذلك ان فعالا في الصفات اغلب
منه في الاسما ومن وروده في الاسما الكلا والجبان والعياد لذكر البوم والعقار والخطار واما المخفف
فهو اسم لا صفة لان فعالا بالتخفيف في الاسما كالعذاب والنكال اغلب منه في الصفات على ان منهم من جعله صفة
بمعنى ذو كذا اي ذي غسق وقال ابو البقا او يكون فعال بمعنى فاعل قال شهاب الدين وهذا غير معروف **فصل**
قيل هذا على التقديم والتاخير والتقدير هذا حميم وغساق فليذوقوه ثم يبتدي فيقول حميم وغساق اي منه حميم ومنه غساق
والغسق السيلان يقال غسقت عينه سالت قال المفسرون انه ما يسيل من صديدهم وقيل غسق اي امتلا
ومنه غسقت عينه اي امتلات بالدمع ومنه الغاسق للقمر لامتلايه وكماله وقيل الغساق ما قتل ببرده ومنه
قيل لليل غاسق لانه ابرد من النهار قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وقال مجاهد ومقاتل
هو الذي انتهى برده وقيل الغسق شدة الظلمة ومنه قيل لليل غاسق ويقال للقمر غاسق اذا كسف لاسوداده
والقولان منقولان في تفسير قوله تعالى ومن شر غاسق وقيل الغساق المنتن بلغة الترك حكى الزجاج لو قطرت

منه قطرة بالمغرب لانتن اهل المشرق • وقال ابن عمر هو القيح الذي يسيل منهم يجتمع فيسقونه • قال قتادة هو ما يغسق اي يسيل من القيح والصديد من جلود اهل النار ولحومهم وفروج الزناة من قولهم غسقت عينه اذا انصبت والغسقان الانصباب • وقال كعب الغساق عين في جهنم يسيل اليها كل ذوب حية وعقرب • **قوله** واخر قرأ ابو عمرو بضم الهمزة على انه جمع وارتفاعه من اوجه • احدها انه مبتدا ومن شكله خبره وازواج فاعل به • الثاني ان يكون مبتدا ايضا ومن شكله خبر مقدم وازواج مبتدا والجملة خبره وعلى هذين فيقال كيف يصح من غير ضمير يعود على اخر فان الضمير في شكله يعود على ما تقدم اي من شكل المذوق والجواب ان الضمير عائد على المبتدا وانما افرد وذكر لان المعنى من شكل ما ذكرنا ذكر هذا التاويل ابو البقاء وقد منع مكي ذلك لاجل الخلو من الضمير وجوابه ما ذكرنا • الثالث ان يكون من شكله نعتا لاخر وازواج خبر المبتدا اي واخر من شكل المذوق ازواج • الرابع ان يكون من شكله نعتا ايضا وازواج فاعل به والضمير عائد على اخر بالتاويل المتقدم وعلى هذا فيرفع اخر على الابتداء والخبر مقدر اي ولهم اخر من شكله وازواج صفتان لاخر • الخامس ان يكون الخبر مقدرا كما تقدم اي ولهم انواع اخر من شكلها ازواج • وقرأ العامة من شكله بفتح الشين • وقرأ مجاهد بكسرها وهما لغتان بمعنى المثل والضرب تقول هذا على شكله اي مثله وضربه • وقرأ الباقون واخر بفتح الهمزة وبعدها الف بصيغة افعل التفضيل واما الشكل بمعنى الغنج فبالكسر لا غير قاله الزمخشري • والاعراب فيه كما تقدم والضمير في احد الاوجه يعود عليه من غير تاويل لانه مفرد الا ان في احد الاوجه يلزم الاخبار عن المفرد بالجمع او وصف المفرد بالجمع لان من جملة الاوجه المتقدمة ان يكون ازواج خبرا عن اخر او نعتا له كما تقدم وعنه جوابان احدهما ان التقدير وعذاب اخر او مذوق اخر وهو ضروب ودرجات فكان في قوة الجمع او يجعل كل جزء من ذلك الاخر مثل الكل وسماه باسمه وهو شايع كثير نحو غليظ الحواجب وشابت مفارقه على ان لقائل ان يقول ان ازواجا صفة للثلاثة الاشياء المتقدمة اعني الحميم والغساق واخر من شكله فلا يلزم السوال • **قوله** هذا فوج مقتحم معكم • مفعول مقتحم محذوف اي مقتحم النار • والاقتحام الدخول في الشيء بشدة والقحمة الشدة • وقال الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة ومنه قحم الفرس فارسه اي توغل به ما يخاف منه والمقاحيم الذين يقتحمون في الامر الذي يتجنب • **قوله** معكم • يجوز ان يكون نعتا ثانيا لفوج وان يكون حالا منه لانه قد وصف وان يكون حالا من الضمير المستتر في مقتحم • قال ابو البقاء ولا يجوز ان يكون ظرفا لفساد المعنى • قال شهاب الدين ولم ادر من اي وجه يفسد والحالية والصفة في المعنى كالظرفية • وقوله هذا فوج الى النار يجوز ان يكون من كلام الروسا بعضهم لبعض بدليل قول الاتباع لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا وان يكون من كلام الخزنة • ويجوز ان يكون هذا فوج من كلام الملائكة والباقي من كلام الروسا وكان القياس على هذا ان يقال بل انتم لا مرحبا بهم لانهم لا يقولون للملائكة ذلك الا انهم عدلوا عن خطاب الملائكة الى خطاب اعدائهم تشفيا منهم والمعنى هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار كما كانوا قد اقتحموا معكم في الجهل والضلال • **والفوج** القطيعة من الناس وجمعه افواج • لا مرحبا اي مرحبا وجهان اظهرهما انه مفعول بفعل مقدر اي لا اتيتم مرحبا بل ضيقا ثم في الجملة المنفية وجهان احدهما انها مستانفة سيقت للدعا عليهم وقوله بهم بيان للمدعو عليه • والثاني انها حالية وقد يعترض عليه بانه دعا والدعا طلب والطلب لا يقع حالا والجواب انه على اضمار القول اي مقولا لهم لا مرحبا • قال المفسرون قوله تعالى لا مرحبا بهم دعا منهم على اتباعهم يقول الرجل لمن يدعو له مرحبا اي اتيت رحبا من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم يدخل عليه كلمة لا في دعا النفي • **قوله** انهم صالوا النار • تعليل لاستحقاقهم الدعا عليهم • ونظير هذه الاية قوله كلما دخلت امة لعنت اختها قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم يريدون ان الدعا الذي دعوتم به علينا انتم الروسا انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا والضمير للعذاب او الضلال • **فان قيل** ما معنى تقديمهم العذاب لهم • **فالجواب** الذي اوجب التقدم هو عمل السو كقوله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم الا ان الروسا لما كانوا هم السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل انتم قدمتموه • وقوله فبيس القرار اي بيس المستقر والمسكن جهنم • **قوله** من قدم • يجوز ان تكون من شرطية وفزده جوابها وان تكون استفهامية وقدم خبرها اي اي شخص قدم لنا هذا ثم استانفوا دعا بقولهم فزده وان تكون موصولة بمعنى الذي وحينئذ يجوز فيها وجهان الرفع بالابتدا والخبر فزده والفا زائدة تشبيها له بالشرط • والثاني انها منصوبة بفعل مقدر على الاشتغال والكلام في مثل هذه الفا قد تقدم وهذا الوجه يجوز عند بعضهم حال كونها شرطية او استفهامية اعني الاشتغال الا انه لا يقدر الفعل الا بعدها لان لها صدر الكلام • وضعفا نعت لعذاب اي مضاعفا • **قوله** في النار • يجوز ان تكون ظرفا لزده او نعتا لعذاب او حالا منه لتخصيصه او حالا من مفعول زده • **فصل** قالوا يعني الاتباع ربنا من قدم لنا هذا اي شرعه وسنه لنا فزده عذابا ضعفا اي مضاعفا في النار ونظيره قوله تعالى ربنا هولاء اضلونا فاتهم عذابا من النار وقولهم انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيل ربنا اتهم ضعفين من العذاب • **فان قيل** كل مقدار يفرض من العذاب فان كان بقدر الاستحقاق لم يكن مضاعفا وان كان زايدا عليه كان ظلما وانه لا يجوز • **فالجواب** المراد منه قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة والمعنى انه يكون

احد القسمين عذاب الضلال • والثاني عذاب الاضلال والله اعلم وهذا اخر شرح احوال الكفار مع الذين كانوا احبابا لهم في الدنيا • واما شرح احوالهم مع الذين كانوا اعداء لهم في الدنيا فهو **قوله** وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اي ان صناديد قريش قالوا وهم في النار ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار في الدنيا يعنون فقراء المومنين عمارا وخبابا وصهيبا وبلالا وسلمان وسموهم اشرارا اما بمعنى الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى او لانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم اشرارا • **قوله** اتخذناهم سخريا • قرأ الاخوان وابو عمرو بوصل الهمزة وفيه محتمل وجهين • احدهما ان تكون خبرا محضا وتكون الجملة في محل نصب صفة ثانية لرجالا كما وقع كنا نعدهم صفة • وان يكون المراد الاستفهام وحذفت اداته لدلالة ام عليها كقوله تروح من الحي ام تبتكر • وماذا عليك بان تنتظر • فام متصلة على هذا وعلى الاول منقطعة بمعنى بل والهمزة لانها لم يتقدمها همزة استفهام ولا تسوية • والباقون بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والظاهر انه لا محل للجملة حينئذ لانها طلبية وجوز بعضهم فيها ان تكون صفة لكن على اضمار القول اي رجالا مقولا فيهم اتخذناهم كقوله جاءوا بمذق هل رايت الذيب قط • الا ان الصفة في الحقيقة ذلك القول المضمر • وقد تقدم الخلاف في سخريا في قد افلح المومنون والمشهور ان المكسور هنا الهزء كقوله اني اتاني لسان لا اسر بها • من علو لا كذب فيها ولا سخر • وتقدم معنى لحاق اليا المشددة في ذلك وام مع الخبر منقطعة فقط كما تقدم ومع الاستفهام يجوز ان تكون متصلة وان تكون منقطعة كقولك ازيد عندك ام عندك عمرو • ويجوز ان يكون ام زاغت متصلا بقوله ما لنا لا نرى لانه استفهام الا انه يتعين انقطاعها لعدم الهمزة ويكون ما بينهما معترضا على قراءة اتخذناهم بالاستفهام ان لم يجعله صفة على اضمار القول كما تقدم • قال اهل المعاني قراءة الاخوين اولى لانهم علموا انهم اتخذوهم سخريا لقوله تعالى فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري فلا يستقيم الاستفهام وتكون ام على هذه القراءة بمعنى بل • واجاب الفراء عن هذا بان قال هذا من الاستفهام الذي معناه التعجب والتوبيخ ومثل هذا الاستفهام جائز عن الشيء المعلوم • ومن فتح الالف قال هو على اللفظ لا على المعنى ليعادل ام في قوله ام زاغت • **فان قيل** فما الجملة المعادلة لقوله ام زاغت على القراءة الاولى • **فالجواب** انها محذوفة والتقدير امفقودون هم ام زاغت عنهم الابصار • وقرأ نافع سخريا بضم السين والباقون بكسرها فقيل هما بمعنى وقيل الكسر بمعنى الهزء وبالضم التذليل والتسخير • واما نظم الاية على قراءة الاخبار فالتقدير ما لنا لا نراهم حاضرين لاجل انهم لحقارتهم تركوا لاجل انهم زاغت عنهم الابصار ووقع التعبير عن حقارتهم بقولهم اتخذناهم سخريا • واما على قراءة الاستفهام فالتقدير لاجل انا قد اتخذناهم سخريا وما كانوا كذلك فلم يدخلوا لاجل انه زاغت عنهم الابصار • **فصل** معنى الاية ما لنا لا نرى هولاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار ام دخلوها فزاغت اي فمالت عنهم ابصارنا فلم نرهم حين دخلوا • وقيل ام هم في النار ولكن احتجبوا عن ابصارنا • وقال ابن كيسان ام كانوا خيرا منا ونحن لا نعلم فكان ابصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئا • **قوله** ان ذلك لحق • اي الذي ذكرت لحق اي لا بد وان يتكلموا به ثم بين ذلك الذي حكاه عنهم فقال تخاصم اهل النار • والعامة على رفع تخاصم مضافا لاهل وفيه اوجه • احدها انه بدل من لحق • الثاني انه عطف بيان • الثالث انه بدل من ذلك على الموضع حكاه مكي وهذا يوافق بعض الكوفيين • الرابع انه خبر ثان لان • الخامس انه خبر مبتدا مضمر اي هو تخاصم • السادس انه مرفوع بقوله لحق الا ان ابا البقا قال ولو قيل هو مرفوع بحق لكان بعيدا لانه يصير جملة ولا ضمير فيها يعود على اسم ان • وهذا رد صحيح وقد يجاب عنه • وقرأ ابن محيصن بتنوين تخاصم الزيدون اي ان تخاصموا وهذا قول البصريين وبعض الكوفيين خلا الفرا • وقرأ ابن ابي عبلة تخاصم بالنصب مضافا لاهل وفيه اوجه • احدها انه صفة لذلك على اللفظ • قال الزمخشري لان اسما الاشارة توصف باسما الاجناس وهذا فيه نظر لانهم نصوا على ان اسما الاشارة لا توصف الا بما فيه ال نحو بهذا الرجل ولا يجوز بهذا غلام الرجل فهذا اولى بالمنع ولان الصحيح ان الواقع بعد اسم الاشارة المقارن لال ان كان مشتقا كان صفة والا كان بدلا وتخاصم ليس بمشتق • الثاني انه بدل من ذلك • الثالث انه عطف بيان • الرابع على اضمار اعني • وقال ابو الفضل ولو نصب تخاصم على انه بدل من ذلك لجاز • انتهى كانه لم يطلع عليها قراءة • وقرأ ابن السميفع تخاصم فعلا ماضيا اهل فاعل به وهي جملة استينافية • وانما سمى الله تعالى تلك الكلمات تخاصما لان قول الروسا لا مرحبا بهم وقول الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة • **قوله تعالى** قل انما انا منذر • لما شرح نعيم اهل الثواب وعقاب اهل العقاب عاد الى تقرير التوحيد والنبوة والبعث المذكور من اول السورة فقال قل يا محمد انما انا منذر مخوف ولا بد من الاقرار بانه ما من اله الا الله الواحد القهار فكونه واحدا يدل على عدم الشريك وكونه قهارا مشعر بالترهيب والتخويف ولما ذكر ذلك اردفه بما يدل على الرجا والترغيب فقال رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بان العبد لو اقدم على المعاصي والذنوب فانه يغفر برحمته وهذا الموصوف هو الذي يجب عبادته لانه هو الذي يخشى عقابه ويرجى ثوابه • ويجوز ان يكون رب السموات خبر مبتدا مضمر وفيه معنى المدح • **قوله** هو نبو عظيم • هو نبو عظيم على القران وما فيه من القصص والاخبار • وقيل على تخاصم اهل النار • وقيل على ما تقدم من اخباره صلى الله عليه وسلم بانه نذير مبين وبان الله واحد متصف بتلك الصفات الحسنة وانتم عنه معرضون صفة لنبا او مستانفة • قال ابن عباس ومجاهد وقتادة المراد بالنبا العظيم القران • وقيل القيامة لقوله عم يتساءلون عن النبا العظيم • قال ابن الخطيب هذا النبا يحتمل وجوها

يمكن ان يكون المراد به القول بان الاله واحد وان يكون المراد القول باثبات الحشر والقيامة نبا عظيم ويمكن ان يكون المراد
كون القران معجزا لتقدم ذكره فى قوله كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وهولاء الاقوام اعرضوا عنه **قوله تعالى** ما كان
لى من علم بالملا الاعلى يعنى الملايكة فقوله بالملا متعلق بقوله من علم وضمن معنى الاحاطة فلذلك تعدى بالبا وتقدم تحقيق
قوله اذ يختصمون فيه وجهان احدهما هو منصوب بالمصدر ايضا والثانى مضاف مقدر اى بكلام الملا الاعلى اذ قاله
الزمخشرى والضميرى يختصمون للملا الاعلى هذا هو الظاهر وقيل لقريش اى يختصمون فى الملا الاعلى فبعضهم يقول بنات
الله وبعضهم يقول غير ذلك فالتقدير اذ يختصمون فيهم فى شان ادم حين قال الله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة قالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما مع الله كفر فالجواب لا شك انه جرى هنا لك سوال وجواب وذلك
يشبه المخاصمة والمناكرة والمشابهة محلة لجواز المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه ولما امر الله تعالى
محمدا صلى الله عليه وسلم ان يذكر هذا الكلام على سبيل الرمز امره ان يقول ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين يعنى
انا ما عرفت هذه المخاصمة الا بالوحى **قوله** الا انما انا العامة على فتح الهمزة انما وفيها وجهان احدهما انها مع ما فى
خبرها فى محل رفع لقيامها مقام الفاعل اى ما يوحى الى الا الانذار او الا كونى نذيرا مبينا والثانى انها فى محل نصب او جر
بعد اسقاط لام العلة والقايم مقام الفاعل على هذا الجار والمجرور اى ما يوحى الى الا للانذار او لكونى نذيرا ويجوز ان يكون
القايم مقام الفاعل على هذا ضميرا يدل عليه السياق اى ما يوحى الى ذلك الشى الا للانذار وقرا ابو جعفر بالكسر لان الوحى
قول قاله البغوى وهى القايمة مقام الفاعل على سبيل الحكاية كانه قيل ما يوحى الى الا هذه الجملة المتضمنة لهذا الاخبار وهو
وقال الزمخشرى على الحكاية اى الا هذا القول وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين ولا ادعى شيئا اخر قال ابو حيان وفى
تخريجه يعارض لانه قال الا هذا القول وظاهره الجملة التى هى انما انا نذير مبين ثم قال وهو ان اقول لكم انى نذير فالمقام
مقام الفاعل هو ان اقول لكم وانى وما بعده فى موضع نصب وعلى قوله الا هذا القول يكون فى موضع رفع فتعارضا قال
شهاب الدين ولا تعارض البتة لانه مفسر معنى فى التقدير الثانى وفى الاول تفسير اعراب فلا تعارض **قوله** اذ قال
يجوز ان يكون بدلا من اذ الاولى وان يكون منصوبا باذكر مقدرا قال الاول الزمخشرى واطلق ابو البقا الثانى وفصل ابو
حيان فقال بدل من اذ يختصمون هذا اذا كانت الخصومة فى شان من يستخلف فى الارض وعلى غيره من الاقوال يكون
منصوبا باذكر انتهى قال شهاب الدين وتلك الاقوال ان التخاصم اما بين الملا الاعلى او بين قريش وفيما اذا كان
المخاصمة بخلاف **فصل** اعلم ان المقصود
من ذكر هذه القصة المنع من الحسد والكبر لان ابليس انما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر والكفار انما نازعوا
محمدا صلى الله عليه وسلم بسبب الحسد والكبر فذكر الله تعالى هذه القصة هنا ليصير سماعها زاجرا لهم عن هاتين
الخصلتين المذمومتين والمراد بالبشر هنا ادم عليه السلام **قوله** فاذا سويته اتممت خلقه ونفخت فيه من
روحى فاضاف الروح الى نفسه وذلك يدل على انه جوهر شريف علوى قدسى والفا فى قوله فقعوا له ساجدين يدل
على انه لما تم نفخ الروح فى الجسد توجه امر الله عليهم بالسجود وقد تقدم الكلام فى الملايكة المامورين بالسجود هل هم
ملايكة الارض او يدخل فيه ملايكة السموات مثل جبريل وميكايل والروح الاعظم المذكور فى قوله يوم يقوم الروح
والملايكة فقط وقال بعض الصوفية الملايكة الذين امروا بالسجود لادم هم القوى النامية والحيوانية الحسية والحركية
فانها فى بدن الانسان خوادم النفس الناطقة وابليس الذى لم يسجد هو القوى الوهمية التى هى المنازعة لجوهر
العقل **قوله** كلهم اجمعون تاكيدان وقال الزمخشرى كل للاحاطة واجمعون للاجتماع فافادا معا انهم سجدوا عن اخرهم
ما بقى منهم ملك الا سجد وانهم سجدوا جميعا فى وقت واحد غير متفرقين وقد تقدم الكلام معه فى ذلك فى سورة الحجر
قوله ان تسجد قد يستدل به من يرى ان لا فى ان لا تسجد فى السورة الاخرى زايدة حيث سقطت هنا والقصة
واحدة وقوله لما خلقت قد يستدل به من يرى جواز وقوع ما على العاقل لان المراد به ادم وقيل لا دليل فيه لانه
كان فخارا غير حساس فاشير اليه فى تلك الحال وهذا ليس بشى لان هذا الخطاب انما كان بعد نفخ الروح فيه لقوله
فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فلما امتنع من السجود قال ما منعك ان تسجد لما خلقت
وقيل ما مصدرية والمصدر غير مراد فيكون واقعا موقع المفعول به اى لمخلوقى وقرا الجحدرى لما بتشديد الميم وفتح
اللام وهى لما الظرفية عند الفارسى وحرف وجوب لوجوب عند سيبويه والمسجود له على هذا غير مذكور اى ما منعك
من السجود لما خلقت اى حين خلقت لمن امرتك بالسجود له وقرى بيدى بكسر اليا كقراة حمزة بمصرخى وتقدم
ما فيها وقرى بيدى بالافراد **قوله** استكبرت قرا العامة بهمزة الاستفهام وهو استفهام توبيخ وانكار وام متصلة
هنا هذا قول جمهور النحويين ونقل ابن عطية عن بعض النحويين انها لا تكون معادلة للالف مع اختلاف الفعلين
وانما تكون معادلة اما دخلتا على فعل واحد كقولك اقام زيد ام عمرو وازيد قام ام عمرو واذا اختلف الفعلان
كهذه الاية فليست معادلة وهذا الذى حكاه عن بعض النحاة مذهب فاسد بل جمهور النحاة على خلافه قال

سيبويه وتقول اضربت زيدا ام قتلته فالبدء هنا بالفعل احسن لانك انما تسال عن احدهما لا تدرى ايهما كان ولا تسال عن موضع
احدهما كانك قلت اى ذلك كان انتهى فعادل بها الالف مع اختلاف الفعلين وقرا جماعة منهم ابن كثير وليست مشهورة عنه
استكبرت بالف الوصل فاحتملت وجهين احدهما ان يكون الاستفهام مرادا ابدا عليه ام كقوله بسبع رمين الجمر ام بثمان
وقوله تروح من الحى ام تبتكر فيتفق القرايتان فى المعنى واحتمل ان يكون خبرا محضا وعلى هذا فام منقطعة لعدم شرطها **فصل**
المعنى استكبرت الان ام كنت من المتكبرين ابدا اى من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فاجاب ابليس
بقوله انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فبين كونه خيرا منه بان اصله من النار واصل ادم من الطين والنار اشرف
من الطين والدليل على ان النار افضل من الطين ان الاجرام الفلكية افضل من الاجرام العنصرية والنار اقرب العناصر
من الفلك والارض ابعدها عنه فوجب كون النار افضل من الارض وايضا فالنار خليفة الشمس والقمر فى اضاءة العالم
عند غيبتهما والشمس والقمر اشرف من الارض فخليفتهما فى الاضاءة افضل من الارض وايضا فالكيفية الفاعلة الاصلية اما
الحرارة او البرودة والحرارة افضل من البرودة لان الحرارة تناسب الحياة والبرودة تناسب الموت وايضا فالنار
لطيفة والارض كثيفة واللطافة اشرف من الكثافة وايضا فالنار مشرقة والارض مظلمة والنور خير من الظلمة وايضا فالنار
خفيفة تشبه الروح والارض كثيفة تشبه الجسد والروح افضل من الجسد فالنار افضل من الارض وذهب اخرون
الى تفضيل الارض على النار فقالوا الارض امين مصلح فاذا اودعته حبة ردها اليك شجرة مثمرة والنار خاين مفسد
كلما اسلمته اليه وايضا فالنار بمنزلة الخادم لما فى الارض ان احتيج اليها استدعيت استدعا الخادم وان استغنى عنها
طردت وايضا فالارض مستولية على النار فانها تطفى النار وايضا فان استدلال ابليس بكون اصله خيرا من اصله فهو
استدلال فاسد لان اصل الرماد النار واصل البساتين المزهرة والاشجار المثمرة هو الطين ومعلوم بالضرورة
ان الاشجار المثمرة خير من الرماد وايضا هب ان اعتبار هذه الجهة يوجب الفضيلة الا ان هذا يمكن ان يعارض بجهة
اخرى توجب الرجحان مثل انسان نسيبه عارى من كل الفضايل فان النسب يوجب رجحانه الا ان الذى لا يكون نسيبا
قد يكون كثير العلم والزهد فيكون افضل من النسيب بدرجات لا حد لها فكذبت مقدمة ابليس **فصل** هب
ان ابليس اخطا فى هذا القياس لكن كيف لزمه الكفر فى تلك المخالفة وتقرير هذا السوال من وجوه الاول ان قوله
اسجدوا امر والامر لا يقتضى الوجوب بل الندب ومخالفة الندب لا تقتضى العصيان فضلا عن الكفر وايضا فالذين
يقولون ان الامر للوجوب فهم لا ينكرون كونه محتملا للندب احتمالا ظاهرا ومع قيام هذا الاحتمال الظاهر كيف
يلزم العصيان فضلا عن الكفر الثانى هب انها للوجوب الا ان ابليس لما كان من الملايكة فامر الملايكة بالسجود
لادم لا يدخل فيه ابليس الثالث هب انه تناوله الا ان تخصيص العام بالقياس جايز فجاز ان يخصص نفسه من عموم
ذلك الامر بالقياس الرابع هب انه لم يسجد مع علمه بانه كان مامورا به الا ان هذا القدر يوجب العصيان
ولا يوجب الكفر فكيف لزمه الكفر فالجواب هب ان صيغة الامر لا تدل على الوجوب ولكن يجوز ان ينضم اليها من
القراين ما يدل على الوجوب وههنا حصلت تلك القراين وهى قوله استكبرت ام كنت من العالين فلما انى ابليس
بقياسه الفاسد دل ذلك على انه انما ذكر القياس ليتوصل به الى القدح فى امر الله وتكليفه وذلك يوجب الكفر
واذا عرف هذا فنقول ان ابليس لما ذكر هذا القياس الفاسد قال تعالى اخرج منها فانك رجيم وقد ثبت فى اصول
الفقه ان ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف وههنا الحكم بكونه رجيما
ورد عقيب ما حكى عنه انه خصص النص بالقياس فهذا يدل على ان تخصيص النص بالقياس يوجب هذا الحكم **قوله** منها
اى من الجنة او من الخلقة لانه كان يحسنا فرجع قبيحا وكان نورانيا فعاد مظلما وقيل من السموات وقال هنا لعنتى
وفى غيرها اللعنة وهما وان كانا فى اللفظ عاما وخاصا الا انهما من حيث المعنى عامان بطريق اللازم لان من كانت
عليه لعنة الله كانت عليه لعنة كل احد لا محالة وقال تعالى اوليك عليهم لعنة الله والملايكة والناس اجمعين
وباقى الجمل تقدم نظيرها **فصل** الرجيم المرجوم والرجم ههنا عبارة عن الطرد لان الظاهر من طرد فقد يرمى بالحجارة
وهو الرجيم فلما كان الرجم من لوازم الطرد جعل الرجم كناية عن الطرد **فان قيل** الطرد هو اللعن فلو حملنا قوله رجيم
على الطرد لكان قوله بعد ذلك وان عليك لعنتى تكرارا **فالجواب** من وجهين الاول انا نحمل الرجم على الطرد من الجنة
ومن السموات ونحمل اللعن على الطرد من رحمة الله الثانى انا نحمل الرجم على الطرد ونحمل قوله عليك لعنتى الى يوم الدين
على انه الطرد الى يوم القيامة فيكون هذا افادة زايدة ولا يكون تكرارا وقيل المراد بالرجم كون الشياطين مرجومين
بالشهب **فان قيل** كلمة الى لانتها الغاية فقوله الى يوم الدين يقتضى انقطاع تلك اللعنة عند مجى يوم الدين
واجاب الزمخشرى بان اللعنة باقية عليه فى الدنيا فاذا جا يوم القيامة حصل مع اللعنة انواع من العذاب
فصير اللعنة مع حصرها نسية واعلم بان ابليس لما صار ملعونا قال فانظرنى الى يوم يبعثون قيل انما طلب
الانظار الى يوم البعث لاجل ان يتخلص من الموت لانه اذا انظر الى يوم البعث لم يمت قبل البعث وعند مجى البعث

لا يموت بجبلته تخلص من الموت فقال تعالى انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم اى انك من المنظرين الى يوم يعلمه الله
ولا يعلمه احد سواه فقال ابليس فبعزتك وهو قسم بعزة الله وسلطانه لاغوينهم اجمعين فهاهنا اضاف الاغوا
الى نفسه على مذهب القدر وقال مرة اخرى رب بما اغويتني فاضاف الاغوا الى الله على ما هو مذهب الجبر ثم قال
الا عبادك منهم المخلصين قيل ان غرض ابليس من هذا الاستثنا ان لا يقع فى كلامه الكذب لانه لو لم يذكر هذا
الاستثنا وادعى انه يغوى الكل لظهر كذبه حين يعجز عن اغوا عباد الله المخلصين وعند هذا يقال ان الكذب
شى يستنكف منه ابليس فكيف يليق بالمسلم وهذا يدل على ان ابليس لا يغوى عباد الله المخلصين وقد قال تعالى فى صفة
يوسف عليه السلام انه من عبادنا المخلصين فتحصل من مجموع الايتين ان ابليس ما اغوى يوسف عليه السلام
فدل على كذب ما نسبوه فيما نسبوه الى يوسف عليه السلام من القبائح **قوله** فالحق والحق قراهما العامة منصوبين
وفى نصب الاول اوجه احدها انه مقسم به حذف منه حرف القسم فانتصب كقوله فذلك امانة الله التريد
وقوله لاملان جواب القسم قال ابو البقا الا ان سيبويه يدفعه لانه لا يجوز حذف حرف القسم الا مع
اسم الله ويكون قوله والحق اقول معترضا بين القسم وجوابه قال الزمخشرى كانه قيل ولا اقول الا الحق
يعنى ان تقديم المفعول افاد الحصر والمراد بالحق اما البارى تعالى ويعلمون ان الله هو الحق المبين واما نقيض
الباطل والثانى انه منصوب على الاغراء اى الزموا الحق والثالث انه مصدر موكد بمضمون قوله لاملان
قال الفرا هو على معنى قولك حقا لا شك ووجود الالف واللام وطرحهما سواء اى لاملان جهنم حقا انتهى وهذا لا ينبغى
على قول البصريين فان شرط نصب المصدر المؤكد لمضمون الجملة ان يكون بعد جملة ابتدائية جزاها معرفتان جامدا
جمودا محضا وجوز ابن العلج ان يكون الخبر نكرة وايضا فان المصدر المؤكد لا يجوز تقديمه على الجملة المؤكد هو
لمضمونها وهذا قد تقدم واما الثانى فمنصوب باقول بعده والجملة معترضة كما تقدم وجوز الزمخشرى ان يكون
منصوبا على التكرير بمعنى ان الاول والثانى كليهما منصوبان باقول وسياتى ايضاح ذلك فى عبارته وقرا عاصم
وحمزة برفع الاول ونصب الثانى فرفع الاول من اوجه احدها انه مبتدا وخبره مضمر تقديره فالحق منى او فالحق
انا الثانى انه مبتدا خبره لاملان قاله ابن عطية قال لان المعنى ان املا قال ابو حيان وهذا ليس بشى لان
لاملان جواب قسم ويجب ان يكون جملة فلا تتقدر بمفرد وايضا ليس مصدرا مقدرا بحرف مصدرى والفعل
حتى ينحل اليهما ولكنه لما صح له اسناد ما قدر الى المبتدا حكم انه خبر عنه قال شهاب الدين وتاويل ابن عطية
صحيح من حيث المعنى لا من حيث الصناعة الثالث انه مبتدا خبره مضمر تقديره فالحق قسمى ولاملان جواب
القسم كقوله لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون ولكن حذف الخبر هنا ليس بواجب لانه ليس نصا فى اليمين بخلاف
لعمرك ومثله قول امرئ القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسى لديك واوصالى واما نصب الثانى
فبالفعل بعده اى وانا اقول الحق وقرا ابن عباس ومجاهد والاعمش برفعهما فرفع الاول على ما تقدم ورفع الثانى
بالابتدا وخبره الجملة بعده والعائد محذوف كقوله تعالى فى قراءة ابن عامر وكلا وعد الله الحسنى وقول ابى النجم
قد اصبحت ام الخيار تدعى على ذنبا كله لم اصنع ويجوز ان يرتفع على التكرير عند الزمخشرى وسياتى وقرا الحسن
وعيسى بجرهما وتخريجهما على ان الاول مجرور بواو القسم مقدرة اى فوالحق والحق عطف عليه كقولك والله والله لاقومن
واقول اعتراض بين القسم وجوابه ويجوز ان يكون مجرورا على الحكاية وهو منصوب المحل باقول بعده قال
الزمخشرى ومجرورين اى وقرئ مجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق
اقول اى ولا اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز فى المرفوع والمنصوب
ايضا وهو وجه لطيف دقيق انتهى يعنى انه اعمل القول فى قوله والحق على سبيل الحكاية فيكون منصوبا باقول سوا نصب
او رفع او جر كانه قيل واقول هذا اللفظ المتقدم مقيدا بما لفظ به اولا **فصل** معنى لاملان جهنم منك اى من
جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية ادم **قوله** اجمعين فيه وجهان اظهرهما انه توكيد للضمير فى
منك ولمن عطف عليه فى قوله وممن تبعك والمعنى لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين لا اترك منهم احدا
وجى باجمعين دون كل وقد تقدم ان الاكثر خلافه وجوز الزمخشرى ان يكون تاكيدا للضمير فى منهم خاصة
فقدر لاملان جهنم من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت فى ذلك بين ناس وناس **قوله** قل ما اسالكم
عليه اى على تبليغ الرسالة من اجر جعل فقوله عليه متعلق باسالكم لا بالاجر لانه مصدر ويجوز ان يكون حالا منه
والضمير اما للقران واما للوحى واما للدعا الى الله **قوله** وما انا من المتكلفين المتقولين القران من تلقا نفسى وكل من
قال شيئا من تلقا نفسه فقد تكلف له وقيل معناه ان هذا الدين الذى ادعوكم اليه ليس يحتاج فى معرفة صحته
الى التكليفات الكثيرة بل هو دين يشهد صريح العقل بصحته **قوله** ان هو ما هو يعنى القران الا ذكر موعظة
للعالمين اى للخلق اجمعين ولتعلمن جواب قسم مقدر ومعناه لتعرفن نباه اى نبا ما ذكرنا ناه خبر صدقه

صدقه بعد حين قال ابن عباس وقتادة بعد الموت وقال عكرمة يعنى يوم القيامة وقال الكلبى من بقى علم ذلك اذا ظهر
امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت قال الحسن ابن ادم عند الموت ياتيك الخبر اليقين روى الثعلبى فى تفسيره
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة ص اعطى من الاجر بعدد كل جبل سخره الله لداود عليه السلام عشر حسنات
وعصمه ان يصر على ذنب صغيرا او كبيرا وقال ابو امامة عصمه الله من كل ذنب صغيرا او كبيرا والله اعلم

سورة الزمر

الا قوله يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم الاية وهى خمس وسبعون اية والف ومائة واثنتان وتسعون كلمة واربعة
الاف وسبعمائة وثمانية احرف بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم فى تنزيل وجهان احدهما
انه خبر مبتدا مضمر تقديره هذا تنزيل وقال ابو حيان واقول انه خبر والمبتدا هو يعود على قوله ان هو الا ذكر للعالمين
كانه قيل وهذا الذكر ما هو فقيل هو تنزيل الكتاب الثانى انه مبتدا والجار بعده خبره اى تنزيل الكتاب كائن من الله واليه
ذهب الزجاج والفرا قال بعضهم وهذا اولى من الاول لان الاضمار خلاف الاصل فلا يصار اليه الا لضرورة وايضا فانا
اذا قلنا تنزيل الكتاب من الله جملة تامة من المبتدا والخبر افاد فايدة شريفة وهى تنزيل الكتاب يكون من الله لا من غيره
وهذا الحصر معنى معتبر واذا اضمرنا المبتدا لم يحصل هذه الفايدة وايضا فانا اذا اضمرنا المبتدا صار التقدير هذا تنزيل
الكتاب وحينئذ يلزم مجاز اخر لان هذا اشارة الى السورة وهى ليست نفس التنزيل بل السورة منزلة فحينئذ يحتاج الى ان
يقول المراد منه المفعول وهو مجاز تحملناه لا لضرورة **قوله** من الله يجوز فيه اوجه احدها انه مرفوع المحل خبر التنزيل كما تقدم
الثانى انه خبر بعد خبر اذا جعلنا تنزيل خبر مبتدا مضمر كقولك هذا زيد من اهل العراق الثالث انه خبر مبتدا مضمر اى
هذا تنزيل هذا من الله الرابع انه متعلق بنفس تنزيل اذا جعلناه خبر مبتدا مضمر الخامس انه متعلق بمحذوف على انه
حال من تنزيل عمل فيه اسم الاشارة المقدر قاله الزمخشرى قال ابو حيان ولا يجوز ان يكون حالا عمل فيها معنى الاشارة
لان معانى الافعال لا تعمل اذا كان ما هى فيه محذوفا ولذلك ردوا على ابى العباس قوله فى بيت الفرزدق
واذ ما مثلهم بشر ان مثلهم منصوب بالخبر المحذوف وهو مقدر فاذ ما فى الوجود فى حال مماثلتهم بشر السادس
انه حال من الكتاب قاله ابو البقا وجاز مجى الحال من المضاف اليه لكونه مفعولا للمضاف فان المضاف مصدر مضاف
لمفعوله والعامة على رفع تنزيل على ما تقدم وقرا زيد بن على وعيسى وابن ابى عبلة بنصبه باضمار فعل تقديره الزم
او اقرا ونحوهما **فصل** احتج القائلون بخلق القران بان الله تعالى وصف القران بكونه تنزيلا ومنزلا وهذا الوصف
لا يليق الا بالمحدث المخلوق قال ابن الخطيب والجواب انا نحمل هذه اللفظة على الصيغ والحروف **قوله** العزيز الحكيم
فالعزيز هو القادر الذى لا يغلب والحكيم هو الذى يفعل لداعية الحكمة وهذا انما يتم اذا كان عالما بجميع المعلومات
غنيا عن جميع الحاجات **قوله** انا انزلنا اليك الكتاب بالحق اعلم ان لفظ تنزيل يشعر بانه تعالى انزله نجما نجما على سبيل التدريج
ولفظ الانزال يشعر بانه تعالى انزله دفعة واحدة وطريق الجمع ان يقال انا حكمنا حكما كليا بان نوصل اليك هذا الكتاب
وهذا هو الانزال ثم اوصلناه اليك نجما نجما على وفق المصالح **قوله** بالحق يجوز ان يتعلق بالانزال اى بسبب الحق وان
يتعلق بمحذوف على انه حال من الفاعل او المفعول وهو الكتاب اى ملتبسين بالحق والصدق والصواب والمعنى كل ما فيه
من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وانواع التكاليف فهو حق يجب العمل به وفى قوله انا انزلنا اليك الكتاب تكرير
لتعظيم بسبب ابرازه فى جملة اخرى مضافا انزاله الى المعظم نفسه **قوله** فاعبد الله مخلصا لما بين ان يشتغل الانسان
بعبادة الله على سبيل الاخلاص فقال فاعبد الله مخلصا له الدين فقوله مخلصا حال من فاعل اعبد والدين منصوب
باسم الفاعل والفاء فى فاعبد للربط كقولك احسن اليك فلان فاشكره والعامة على نصب الدين وقرا ابن ابى عبلة
برفعه وفيه وجهان احدهما انه مرفوع بالفاعلية رافعه مخلصا وعلى هذا فلا بد من تجوز واضمار اما التجوز فاسناد
الاخلاص الى الدين وهو لصاحبه فى الحقيقة ونظيره قولهم شعر شاعر واما الاضمار فهو اضمار عائد على ذى الحال
اى مخلصا له الدين منك هذا راى البصريين فى مثل هذا واما الكوفيون فيجوز ان يكون عندهم ال عوضا من الضمير
اى مخلصا دينك قال الزمخشرى وحق لمن رفعه ان يقرا مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى واخلصوا دينهم لله حتى يطابق
قوله الا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا ان يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازى كقولهم
شعر شاعر الثانى ان يتم الكلام على مخلصا وهو حال من فاعل فاعبد وله الدين مبتدا وخبر وهذا قول الفرا وقد
رده الزمخشرى وقال فقد جا باعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين الا لله الدين الخالص قال شهاب الدين
وهذا الذى ذكره الزمخشرى لا يظهر فيه رد على هذا الاعراب **فصل** المراد باخلاص الدين الطاعة الا لله الدين
الخالص قال قتادة شهادة ان لا اله الا الله واعلم ان العبادة فعل او قول او ترك فعل يؤتى به لمجرد اعتقاد ان الامر

به عظيم بسبب الانقياد له وأما الاخلاص فهو أن يكون الداعي الى الاتيان بذلك الفعل او الترك مجرد الانقياد والامتثال
واحتج قتادة بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا اله الا الله حصني ومن دخل حصني امن عذابي وهذا قول
من يقول لا تضر المعصية مع الايمان كما لا ينفع بالطاعة مع الكفر وقال الاكثرون الاية متناولة لكل ما كلف
الله به من الاوامر والنواهي لان قوله تعالى فاعبد الله عام روي ان امراة الفرزدق لما قربت وفاتها اوصت ان يصلي
الحسن البصري عليها فلما دفنت قال الحسن للفرزدق يا ابا فراس ما الذي اعددت لهذا الامر قال شهادة ان لا اله الا
الله قال الحسن هذا العمود فاين الطنب فبين بهذا اللفظ الوجيز ان عمود الخيمة لا ينتفع به الا مع الطنب حتى يمكن
الانتفاع بالخيمة قال القاضي فاما ما يروى انه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ انه الدرداء وان زنا وان سرق على رغم انف
ابي الدرداء فانه صح فانه يجب ان يحمل عليه بشرط التوبة والا لم يجز قبول هذا الخبر لانه يخالف القران ولانه يوجب
ان لا يكون الانسان مزجورا عن الزنا والسرقة ويكون اغراء له بفعل القبيح وذلك ينافي حكمة الله وهذا يدل على ان
اعتقاد فعل القبيح لا يضر مع التمسك بالشهادتين هذا تمام قول القاضي قال ابن الخطيب فيقال له اما قولك ان
القول بالمغفرة يخالف القران فليس كذلك بل القران يدل عليه قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وقال وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم كما يقال رايت الامير على اكله وشربه اي حين كونه اكلا وشاربا
وقال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا واما قوله ان ذلك
يوجب الاغراء بالقبيح فيقال له ان كان الامر كذلك وجب ان يقبح غفرانه عقلا وهذا مذهب البغدادي من
المعتزلة وانت لا تقول به لان مذهب البصريين ان غفران الذنب جائز عقلا وايضا فيلزم عليه ان لا يحصل الغفران
بالتوبة لانه اذا علم انه اذا اذنب ثم تاب غفر الله له لم ينزجر واما الفرق الذي ذكره القاضي فبعيد لانه
اذا عزم على ان يتوب عنه في الحال علم انه لا يضره ذلك الذنب البتة ثم نقول مذهبنا انا نقطع بحصول العفو
عن الكبائر في الجملة الا انه تعالى لم يقطع بحصول هذا الغفران في حق كل احد بل في حق من يشاء واذا كان الامر
كذلك كان الخوف حاصلا والله اعلم **قوله** والذين اتخذوا يجوز فيه اوجه احدها ان يكون الذين مبتدا وخبره
قول مضمر حذف وبقي معموله وهو قوله ما نعبدهم والتقدير يقولون ما نعبدهم الثاني ان يكون الخبر قوله
ان الله يحكم ويكون ذلك القول المضمر في محل نصب على الحال اي والذين اتخذوا قائلين كذا ان الله يحكم بينهم
الثالث ان يكون القول المضمر بدلا من الصلة التي هي اتخذوا والتقدير والذين اتخذوا قالوا ما نعبدهم
والخبر ايضا ان الله يحكم بينهم والذين في هذه الاقوال عبارة عن المشركين المتخذين غيرهم اولياء الرابع ان
يكون الذين عبارة عن الملائكة وما عبد من دون الله كعزير واللات والعزى ويكون فاعل اتخذ عائدا على
المشركين ومفعول الاتخاذ الاول محذوف وهو عائد الموصول والمفعول الثاني هو اولياء والتقدير والذين
اتخذهم المشركون اولياء ثم لك في خبر هذا المبتدا وجهان احدهما القول المضمر والتقدير والذين اتخذهم المشركون
اولياء مقول فيهم المشركون ما نعبدهم الا والثاني ان الخبر هي الجملة من قوله ان الله يحكم بينهم وقرئ ما نعبدهم
بضم النون اتباعا للباء ولا يعتد بالساكن **قوله** زلفى مصدر موكد على غير المصدر ولكنه ملاق لعامله في المعنى
والتقدير ليقربونا قربى او ليزلفونا زلفى وجوز ابو البقاء ان يكون حالا موكدة **فصل** والذين اتخذوا من دونه
اي من دون الله اولياء يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله وهذا الضمير عائد الى الاشياء التي عبدت وهذا الكلام انما يليق بالعقلاء
لان الضمير في نعبدهم ضمير العقلاء فيحمل على المسيح وعزير والملائكة لكي يشفعوا لهم عند الله ويمكن ان يحمل على الاصنام
ايضا لان العاقل لا يعبد الصنم من حيث انه خشب او حجر وانما يعبده لاعتقادهم انها تماثيل الكواكب او تماثيل
الارواح السماوية او تماثيل الملائكة او تماثيل الصالحين الذين مضوا ويكون مقصودهم من عبادتها توجيه
تلك العبادات الى اصحاب تلك الصور ولما حكى الله تعالى مذاهبهم اجاب عنها من وجوه الاول انه اقتصر في الجواب
على مجرد القول فقال ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون واعلم ان المبطل اذا ذكر مذهبا باطلا واصر عليه
وعلاجه ان يحتال بحيلة توجب زوال الاصرار عن قلبه فاذا زال الاصرار عن قلبه فبعد ذلك يذكر له الدليل
الدال على بطلانه فيكون هذا الطريق افضى الى المقصود كما يقول الاطباء لا بد من تقديم المنضج على سقي المسهل فان
تناول المنضج يصير المواد الفاسدة رخوة قابلة للزوال فاذا سقي المسهل بعد ذلك حصل النقاء التام فكذلك
ههنا اسماع التهديد والتخويف ولا يجري مجرى سقي المنضج اولا ثم اسماع الدليل ثانيا يجري مجرى سقي المسهل ثانيا فهذا
هو الفائدة في تقديم هذا التهديد ثم قال تعالى ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار اي من اصر على الكذب والكفر
بقي محروما من الهداية والمراد بهذا الكذب وصفهم الاصنام بانها الهة مستحقة للعبادة مع علمهم بانها جمادات
خسيسة ويحتمل ان يكون المراد بالكفار كفران النعمة لان العبادة نهاية التعظيم وذلك لا يليق الا بمن
يصدر عنه غاية الانعام وهو الله تعالى والاوثان لا مدخل لها في الانعام فعبادتها توجب كفران نعمة

نعمة المنعم الحق **قوله** كاذب كفار قرا الحسن والاعرج ويروى عن انس كذاب كفار وزيد بن علي كذوب كفور **قوله** لو اراد الله
ان يتخذ ولدا لاصطفى لاختار مما يخلق ما يشاء يعني الملائكة كما قال لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ثم نزه نفسه
فقال سبحانه تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطهارته هو الله الواحد القهار والمراد من هذا الكلام اقامة الدلائل القاهرة
على كونه منزها عن الولد **قوله تعالى** خلق السموات والارض بالحق لما بين في الاية المتقدمة كونه منزها عن الولد
بكونه الها واحدا قهارا اي كامل القدرة ذكر عقيبها ما يدل على الاستغناء وايضا لما ابطل الاهية الاصنام ذكر عقيبها
الصفات التي باعتبارها تحصل الالهية وقد تقدم ان الدلائل التي يذكرها الله تعالى في اثبات الالهية اما ان تكون فلكية
او ارضية اما الفلكية فاقسام احدها خلق السموات والارض وقد تقدم شرحها في تفسير قوله تعالى الحمد لله الذي
خلق السموات والارض وثانيها اختلاف احوال الليل والنهار وهو المراد ههنا من **قوله** يكور الليل على النهار في هذه
الجملة وجهان اظهرهما انها مستانفة اخبر تعالى بذلك والثاني انها حال قاله ابو البقاء وفيه ضعف من حيث ان تكوير
احدهما على الاخر انما كان بعد خلق السموات والارض الا ان يقال هي حال مقدرة وهو خلاف الاصل **والتكوير** اللف
واللي يقال كار العمامة على راسه وكورها ومعنى تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل على هذا المعنى ان الليل والنهار
خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشي مكانه فكانما لف عليه والبسه كما يلف اللباس على اللابس وان كل واحد
منهما يغيب الاخر اذا طرا عليه فهو يشبه في تغييبه اياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار وان هذا يكر على
هذا كرورا متتابعا فيشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على بعض قاله الزمخشري وهو اوفق للاشتقاق من اشياء قد
ذكرت وقال الراغب كور الشيء ادارته وضم بعضه الى بعض ككور العمامة وقوله يكور الليل على النهار اشارة الى جريان
الشمس في مطالعها وانتقاص الليل والنهار وازديادهما وكوره اذا القاه مجتمعا واكار الفرس اذا ادار ذنبه في عدوه وكوارة النحل
معروفة والكور الرحل وقيل لكل مصر كورة وهي البقعة التي يجتمع فيها قرى ومحال قال ابن الخطيب ان النور والظلمة
عسكران عظيمان وفي كل يوم يغلب هذا ذاك وذاك هذا وذلك يدل على ان كل واحد منهما مغلوب مقهور ولا بد من غالب
قاهر لهما يكونان تحت تدبيره وقهره وهو الله تعالى والمراد من هذا التكوير انه يزيد في كل واحد منهما بقدر ما ينقص من
الاخر والمراد من تكوير الليل والنهار ما ورد في الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من النقصان بعد الزيادة وقيل
من الادبار بعد الاقبال **قوله** وسخر الشمس والقمر قال الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل واكثر مصالح هذا العالم
مربوطة بهما كل يجري لاجل مسمى اي الى يوم القيامة لا يزالان يجريان الى هذا اليوم فاذا كان يوم القيامة ذهبا والمراد
من هذا التسخير ان هذه الافلاك تدور كدوران المنجنون على حد واحد ثم قال الا هو العزيز الغفار ومعناه ان خلق
هذه الاجرام العظيمة وان دل على كونه عزيزا اي كامل القدرة الا انه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان فانه لما
كان الاخبار عن كونه عظيم القدرة يوجب الخوف والرهبة فكونه غفارا كثير الرحمة يوجب الرجاء والرغبة ثم انه تعالى
لما ذكر الدلائل الفلكية اتبعها بذكر الدلائل السفلية فبدا بذكر الانسان فقال خلقكم من نفس واحدة يعني ادم **قوله**
ثم جعل منها في ثم هذه اوجه احدها انها على بابها من الترتيب بمهلة وذلك انه يروى انه تعالى اخرجنا من ظهر ادم كالذر
ثم خلق حوى بعد ذلك بزمان الثاني انها على بابها ايضا ولكن لمدرك اخر وهو ان يعطف بها ما بعدها على ما فهم من
الصفة في قوله واحدة اذ التقدير من نفس وحدت اي انفردت ثم جعل منها زوجها الثالث انها للترتيب في الاخبار
لا في الزمان الوجودي كانه قيل كان من امرها قبل ذلك ان جعل منها زوجها الرابع انها للترتيب في الاحوال والرتب
قال الزمخشري فان قلت ما وجه قوله ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من التراخي قلت هما ايتان من جملة الايات التي عددها
دالا على وحدانيته وقدرته بتشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس ادم عليه السلام وخلق حوى من قصيراه
الا ان احداهما جعلها الله عادة مستمرة والاخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق انثى غير حوى من قصيرى رجل فكانت
ادخل في كونها اية واجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الاية الاولى للدلالة على مباينتها فضلا ومزية وتراخيها
عنها فيما يرجع الى زيادة كونها اية فهي من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود قال ابن الخطيب ان كلمة
ثم كما تجيء لبيان كون احدى الواقعتين متاخرة عن الثانية فكذلك تجيء لبيان تاخر احد الكلامين عن الاخر كقول
القائل بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب واعطيتك اليوم شيئا ثم الذي اعطيتك امس اكثر **قوله**
وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج عطف على خلقكم والانزال يحتمل الحقيقة يروى انه خلقها في الجنة ثم انزلها
ويحتمل المجاز وله وجهان احدهما انها لما لم تعش الا بالنبات والماء والنبات انما يعيش بالماء والماء ينزل من السحاب
اطلق الانزال عليها وهو في الحقيقة مطلق على سبب السبب كقوله اسنمة الابال في ربابه وقوله
صار الثريد في رؤوس العيدان وقوله اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا والثاني ان قضاياه
واحكامه منزلة من السماء من حيث كتبها في اللوح المحفوظ وهو ايضا سبب في ايجادها وقال البغوي معنى الانزال
ههنا الاحداث والانشاء كقوله انزلنا عليكم لباسا وقيل معناه انزل لكم من الانعام جعلها نزلا لكم ورزقا ومعنى

ثمانية ازواج اى ثمانية اصناف وهى الابل والبقر والضان والمعز وتقدم تفسيرها فى سورة الانعام قوله يخلقكم
هذه الجملة استينافية ولا حاجة الى جعلها خبر مبتدا مضمر بل استونفت للاخبار بجملة فعلية وقد تقدم خلاف القراء
فى كسر الهمزة وفتحها وكذا الميم وامهاتكم قوله خلقا مصدر يخلق وقوله من بعد خلق صفة له فهو لبيان النوع
من حيث انه لما وصف زاد معناه على معنى عامله ويجوز ان يتعلق من بعد خلق بالفعل قبله فيكون خلقا لمجرد التوكيد
قوله فى ظلمات متعلق بخلق الذى قبله ولا يجوز تعلقه بخلقا المنصوب لانه مصدر موكد وان كان ابو البقاء جوزه
ثم منعه بما ذكرت فانه قال وفى متعلق به اى بخلقا او بخلق الثانى لان الاول موكد فلا يعمل ولا يجوز تعلقه بالفعل
قبله لانه قد تعلق به حرف مثله ولا يتعلق حرفان متحدان لفظا ومعنى الا بالبدلية او العطف فان جعلت فى ظلمات
بدلا من فى بطون امهاتكم بدل اشتمال لان البطون مشتملة عليها ويكون بدلا باعادة العامل جاز ذلك اعنى تعلق
الجارين من خلقكم ولا يضر الفصل بين البدل والمبدل منه بالمصدر لانه من تتمة العامل فليس باجنبى فصل هذه
الحالة مشتركة بين الانسان وبين الانعام وهى كونها مخلوقة فى بطون الامهات وقوله خلقا من بعد خلق معناه
ما ذكره الله تعالى فى قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين الايات وقوله
فى ظلمات ثلاث قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ووجه الاستدلا[ل]
بهذه الايات مذكور فى قوله هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء قوله ذلكم الله ربكم يجوز ان يكون الله خبرا
لذلكم وربكم نعت لله او بيان له او بدل منه ويجوز ان يكون الله بدلا من ذلكم وربكم خبره والمعنى ذلكم الله الذى
خلق هذه الاشياء ربكم قوله له الملك يجوز ان يكون مستانفا ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون الله بدلا من
ذلكم وربكم نعت لله او بدل منه والخبر الجملة من له الملك ويجوز ان يكون الخبر نفس الجار والمجرور وحده والملك
فاعل به فهو من باب الاخبار بالمفرد قوله لا اله الا هو يجوز ان يكون مستانفا وان يكون خبرا بعد خبر فصل
قوله له الملك يفيد الحصر اى له الملك لا لغيره ولما ثبت انه لا ملك الا له وجب القول بانه لا اله الا هو ولما بين
بهذه الدلائل كمال قدرته وحكمته ورحمته زيف طريقة المشركين وقال فانى تصرفون عن طريق الحق بعد هذا
البيان وهذا يدل على انهم لم يصرفوا بانفسهم عن هذه البيانات بل صرفهم عنها غيرهم وما ذلك الغير الا الله وايضا
بدليل العقل يقوى ذلك لان كل احد يريد لنفسه تحصيل الحق والصواب فلما لم يحصل ذلك وانما حصل الجهل والضلال
علمنا انه من غيره لا منه واستدل المعتزلة بهذه الاية ايضا لان قوله تعالى فانى تصرفون تعجب من هذا الانصراف
ولو كان الفاعل لذلك الصرف هو الله تعالى لم يبق لهذا التعجب معنى قوله ان تكفروا فان الله غنى عنكم اى انه تعالى ما كلف
المطيعين ليجر الى نفسه منفعة او ليدفع عن نفسه مضرة لانه تعالى غنى عنكم على الاطلاق فيمتنع فى حقه جر المنفعة
ودفع المضرة لانه واجب الوجود لذاته وواجب الوجود لذاته فى جميع صفاته يكون غنيا على الاطلاق وايضا فالقادر
على خلق السموات والارض والشمس والقمر والنجوم والعرش والكرسى والعناصر الاربعة والمواليد الثلاثة يمتنع
ان ينتفع بصلاة زيد وصيام عمرو وان يستضر بعدم صلاة هذا وعدم صيام ذاك ثم قال ولا يرضى لعباده الكفر اى وان
كان لا ينفعه ايمانهم ولا يضره كفرهم الا انه لا يرضى بالكفر قال ابن عباس والسدى ولا يرضى لعباده المومنين الكفر
وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فيكون عاما فى اللفظ خاصا فى المعنى كقوله عينا يشرب
بها عباد الله يريد بعض العباد وقال قتادة لا يرضى لاحد من عباده الكفر اى لا يرضى لعباده ان يكفروا به وهو قول
السلف قالوا كفر الكافر غير مرضى لله وان كان بارادته واحتج الجبائى بهذه الاية من وجهين الاول ان المجبرة يقولون
ان الله تعالى خلق العباد وافعالهم واقوالهم وكلما خلقه حق وصواب واذا كان كذلك كان قد رضى بالكفر من الوجه
الذى خلقه وذلك ضد الاية الثانى لو كان الكفر بقضاء الله تعالى لوجب علينا ان نرضى به لان الرضا بقضاء الله واجب
وحيث اجمعت الامة على ان الرضا بالكفر كفر ثبت انه ليس بقضاء الله وليس ايضا برضا الله تعالى والجواب بوجوه احدها
ان عادة القران جارية بتخصيص لفظ العباد بالمومنين كما قدمناه عن ابن عباس وثانيها قول السلف المتقدم
وانشد ابن دريد رضيت قسرا وعلى القسر رضى من كان ذا سخط على صرف القضا ابعث الرضا مع القسر وثالثها
هب ان الرضا هو الارادة الا ان قوله ولا يرضى لعباده الكفر عام مخصص بالايات الدالة على انه تعالى لا يريد الكفر
كقوله تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله قوله وان تشكروا اى تومنوا بربكم وتطيعوه يرضه لكم فينبئكم عليه قرا
ابن كثير والكسائى وابن ذكوان يرضهو بالصلة وهى الاصل من غير خلاف وهى قراءة واضحة قال الواحدى من اشبع
الهاء من غير صلة بلا خلاف نافع وعاصم وحمزة وقرا يرضه باسكانها وصلا من غير خلاف السوسى عن ابى عمرو وقرا بالوجهين
اعنى الاسكان والصلة الدورى عن ابى عمرو وقرا بالاسكان والتحريك من غير صلة هشام عن ابن عامر فهذه خمس
مراتب للقراء وقد تقدم توجيه الاسكان والقصر والاشباع اول الكتاب وما انشد عليه ولا يلتفت الى ابى حاتم
فى تغليطه راوى السكون فانها لغة ثابتة من بنى عقيل وبنى كلاب قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الجبائى

الجبائى هذا يدل على انه لا يجوز ان يقال انه تعالى ياخذ الاولاد بذنوب الاباء واحتج به ايضا من انكر وجوب ضرب الدية
على العاقلة ثم قال الى ربكم مرجعكم وهذا يدل على اثبات البعث والقيامة فينبئكم بما كنتم تعملون وهذا تهديد
للعاصى وبشارة للمطيع وقوله انه عليم بذات الصدور ذكر العلم بما سبق اى انه انما ينبئكم باعمالكم لانه عالم بجميع المعلومات
فيعلم ما فى قلوبكم من الدواعى والصوارف قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم
واعمالكم قوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه لما بين فساد القول بالشرك وبين انه تعالى هو الذى يجب ان يعبد بين
ههنا ان طريقة الكفار متناقضة لانهم اذا مسهم الضر طلبوا دفعه من الله واذا زال ذلك الضر عنهم رجعوا الى عبادة
الاصنام فكان الواجب عليهم ان يعرفوا بالله تعالى فى جميع الاحوال لانه القادر على ايصال الخير ودفع الشر فظهر تناقض
طريقهم والمراد بالانسان الكافر وقيل المراد اقوام مومنين كعتبة بن ربيعة وغيره والمراد بالضر جميع المكاره سواء كان
فى جسمه او ماله او فى اهله وولده لان اللفظ مطلق فلا معنى لتقييده قوله منيبا حال من فاعل دعا واليه متعلق
منيبا اى راجعا اليه فى ازالة ذلك الضر لان الانابة الرجوع قوله ثم اذا خوله اعطاه نعمة منه اى اعطاها اياه ابتدا
من غير تقاض ولا يستعمل فى الجزاء بل فى ابتداء العطية قال زهير هنالك ان يستخولوا المال يخولوا ويروى
يستخبلوا المال يخبلوا وقال ابو النجم اعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول وحقيقته تخول من احد
معنيين اما من قولهم هو خائل مال اذا كان يتعهده لحسن القيام عليه واما من خال يخول اذا اختال وافتخر ومنه
قول العرب ان الغنى طويل الذيل مياس وقد تقدم اشتقاق هذه المادة مستوفى فى الانعام قوله منه يجوز ان
يكون متعلقا بخوله وان يكون متعلقا بمحذوف على انه صفة لنعمة قوله نسى اى ترك ما كان يدعوا يجوز فى ما
هذه اربعة اوجه احدها ان تكون موصولة بمعنى الذى مرادا بها الضر اى نسى الضر الذى يدعوا الى كشفه اى
ترك دعاءه كانه لم يتضرع الى ربه الثانى انها بمعنى الذى مرادا بها البارى تعالى اى نسى الله الذى كان يتضرع
اليه وهذا عند من يجيز وقوع ما على اولى العلم وقال ابن الخطيب وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى ولا انتم
عابدون ما اعبد فانكحوا ما طاب لكم الثالث ان تكون ما مصدرية اى نسى كونه داعيا الرابع ان تكون ما نافية
وعلى هذا فالكلام تام على قوله نسى ثم استانف اخبارا بجملة منفية والتقدير نسى ما كان فيه لم يكن دعاء هذا الكافر
خالصا لله تعالى وقوله من قبل اى من قبل الضر على القول الاخير فاما على الاقوال قبله فالتقدير من قبل تخويل النعمة
قوله وجعل لله اندادا يعنى الاوثان ليضل عن سبيله قرا ابن كثير وابو عمرو ليضل بفتح الياء اى ليفعل الضلال
بنفسه والباقون بضمها اى لم يقنع بضلاله فى نفسه حتى يحمل غيره عليه فمفعوله محذوف وله نظائر تقدمت
واللام يجوز ان تكون للعلة وان تكون لام العاقبة كقوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا ثم قال قل يا محمد لهذا
الكافر تمتع بكفرك قليلا فى الدنيا اى الى انقضاء اجلك وليس المراد منه الامر بل المراد منه الزجر وان يعرفه قلة
تمتعه فى الدنيا ثم مصيره الى النار قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة وقال مقاتل نزلت فى حذيفة بن المغيرة المخزومى
وقيل عام فى كل كافر قوله امن هو قانت لما شرح الله تعالى صفات المشركين وتمسكهم بغير الله اردفه بشرح
احوال المحققين قرا الحرميان نافع وابن كثير بتخفيف الميم والباقون بتشديدها فاما الاولى ففيها وجهان
احدهما انها همزة استفهام دخلت على من بمعنى الذى والاستفهام للتقرير ومقابله محذوف تقديره امن هو
قانت كمن جعل لله اندادا او امن هو قانت كغيره او التقدير اهذا القانت خير ام الكافر المخاطب بقوله قل تمتع
بكفرك قليلا ويدل عليه قوله قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فحذف خبر المبتدا وما يعادل
المستفهم عنه والتقديران الاولان اولى لقلة الحذف ومن حذف المعادل للدلالة قول الشاعر
دعانى اليها القلب انى لامرها سميع فما ادرى ارشد طلابها يريد ام غى الثانى ان تكون الهمزة للنداء ومن
منادى ويكون المنادى هو النبى صلى الله عليه وسلم وهو المامور بقوله قل هل يستوى الذين يعلمون كانه قال
يا من هو قانت قل كيت وكيت كقول الاخر ازيد اخا ورقا ان كنت ثايرا وفيه بعد ولم يقع فى القران نداء بغير
يا حتى يحمل هذا عليه وضعف ابو حيان هذا الوجه بانه اجنبى مما قبله ومما بعده قال شهاب الدين قد
تقدم انه ليس اجنبيا مما بعده اذ المنادى هو المامور بالقول وضعفه الفارسى ايضا بقريب من هذا وتجرا
على [illegible] هذه القراءة ابو حاتم والاخفش اما القراءة الثانية فهى ام داخلة على من الموصولة ايضا فادغمت الميم فى
الميم وفى ام حينئذ قولان احدهما انها متصلة ومعادلها محذوف تقديره الكافر خير ام الذى هو قانت
وهذا معنى قول الاخفش قال ابو حيان ويحتاج حذف المعادل لذا كان اولى الى سماع وقيل تقديره امن
يعصى امن هو مطيع يستويان وحذف الخبر لدلالة قوله هل يستوى الذين يعلمون والثانى انها
منقطعة فتتقدر ببل والهمزة اى بل امن هو قانت كغيره او كالكافر المقول له تمتع بكفرك وقال ابو جعفر
هى بمعنى بل ومن بمعنى الذى تقديره بل الذى هو قانت افضل ممن ذكر قبله واستشهد عليه هذا التقدير

ومن حيث ان من تقدم ليس له فضيلة البتة حتى يكون هذا افضل منه والذى ينبغى ان يقدر بل الذى هو قانت من اصحاب
الجنة لدلالة ما في القسمية عليه من قوله انك من اصحاب النار وقال البغوى من شدد فله وجهان احدهما ان يكون
الميم في ام صلة ويكون معنى الكلام استفهاما وجوابه محذوف ومجازه امن هو قانت كمن هو غير قانت كقوله
افمن شرح الله صدره والثانى انه عطف على الاستفهام مجازه الذى جعل لله اندادا افضل القانت هو
القايم بما يجب عليه من الطاعات ومنه قوله عليه السلام افضل الصلاة صلاة القنوت وهو القيام فيها ومنه
القنوت لانه يدعو قايما وعن ابن عمر انه قال لا اعلم القنوت الا قراءة القران وطول القيام وتلا امن هو قانت
وعن ابن عباس القنوت الطاعة لقوله كل له قانتون اى مطيعون قوله اناء الليل منصوب على الظرف وتقدم
انقسامه والكلام في مفرده والمعنى ساعات الليل وفي هذه الاية دلالة على ان قيام الليل افضل من قيام النهار قال
ابن عباس في رواية عطا نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان قوله ساجدا حال وقايما حاله ايضا وفي صاحبهما
وجهان اظهرهما انه الضمير المستتر في قانت والثانى انه الضمير المرفوع بيحذر قدما على عاملهما والعامة على نصبهما
وقرا الضحاك برفعهما على احد وجهين اما النعت لقانت واما انهما خبر بعد خبر قوله يحذر يجوز ان يكون حالا
من الضمير في قانت وان يكون حالا من الضمير في ساجدا وقايما وان يكون مستانفا جوابا لسؤال مقدر كانه قيل
ما شانه يقنت اناء الليل ويتعب نفسه ويكدها فقيل يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه اى عذاب الاخرة وفي
الكلام حذف والتقدير كمن لا يفعل شيئا من ذلك وانما حسن هذا الحذف دلالة ذكر الكافر قبل هذه الاية
وذكر بعدها قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون والتقدير قل هل يستوى الذين يعلمون وهم الذين
صفتهم انهم يقنتون اناء الليل ساجدا وقايما والذين لا يعلمون وهم الذين صفتهم عند البلاء والخوف يوحدون
وعند الراحة والفراغ يشركون وانما وصف الله الكفار بانهم لا يعلمون لانه تعالى وان اتاهم الة العلم الا انهم
اعرضوا عن تحصيل العلم فلهذا جعلهم الله كانهم ليسوا اولى الالباب من حيث انهم لم ينتفعوا بعقولهم وقلوبهم قوله قل هل
يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون قيل الذين يعلمون عمار والذين لا يعلمون ابو حذيفة المخزومى وفي هذا
الكلام تنبيه على فضيلة العلم قيل لبعض العلما انكم تقولون العلم افضل من المال ثم نرى العلما عند ابواب الملوك ولا
نرى الملوك عند ابواب العلما فاجاب بان هذا ايضا يدل على فضيلة العلم لان العلما علموا ما في المال من المنافع
فطلبوه والجهال لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فلا جرم تركوه قوله انما يتذكر اولو الالباب قرئ انما يذكر
بادغام التاء في الذال قوله قل يا عبادى الذين امنوا اتقوا ربكم لما نفى المساواة بين من يعلم وبين من لا يعلم
امر رسوله بان يخاطب المؤمنين فقال قل يا عبادى الذين امنوا اتقوا ربكم اى بطاعته واجتناب معاصيه
قال القاضى امرهم بالتقوى لكى لا يحبطوا ايمانهم باعمالهم لان عند الاتقاء من الكباير يسلم لهم الثواب وبالاقدام عليها
يحبط فيقال له هذا بان يدل على صحة قولك اولى لانه امر المؤمنين بالتقوى فدل ذلك على انه يبقى مومنا مع
عدم التقوى وذلك يدل على ان الفسق لا يزيل الايمان واعلم انه تعالى لما امر المؤمنين بالاتقاء بين لهم ما في
هذا الاتقاء من الفوايد فقال للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة قوله في هذه الدنيا يجوز ان يتعلق بالفعل
قبله وحينئذ ففى صفة حسنة او المعنى حسنة عظيمة لانه لا يوجد من عمل حسنة في الدنيا حسنة مطلقا بل مقيدة
بالعظم وان يتعلق بمحذوف على انه حال من حسنة كانت صفة لها فلما تقدمت نصبت حالا فصل قوله في هذه
الدنيا يحتمل ان تكون صلة لقوله للذين احسنوا اى امنوا واحسنوا العمل في الدنيا حسنة في الاخرة وهى دخول الجنة
والتنكير في حسنة للتعظيم اى حسنة لا يصل العقل الى كنه كمالها قاله مقاتل ويحتمل ان تكون صلة لقوله حسنة وعلى
هذا قال السدى معناه في هذه الدنيا حسنة يريد الصحة والعافية قال ابن الخطيب الاولى ان يحمل على الثلاثة
المذكورة في قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ليس لها نهاية الامن والصحة والكفاية وقال بعضهم الاول اولى لوجوه
احدها ان التنكير يفيد النهاية في التعظيم والرفعة وذلك لا يليق باحوال الدنيا لانها خسيسة منقطعة وانما
تليق باحوال الاخرة وثانيها ان الثواب للتوحيد والاعمال الصالحة انما يحصل في الاخرة واما الامن والصحة
والكفاية فحاصل للكفار اكثر من حصولها للمومنين كما قال عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال
تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة وثالثها قوله للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة
يفيد الحصر ومعناه ان حسنة هذه الدنيا لا تحصل الا للذين احسنوا وهذا باطل اما لو حملنا هذه الحسنة على حسنة
الاخرة صح هذا الحصر فكان حمله على حسنة الاخرة اولى قوله وارض الله واسعة قال ابن عباس يعنى ارتحلوا من
مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذى تظهر فيه المعاصى ونظيره قوله تعالى قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين
في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل نزلت في مهاجرى الحبشة وقال سعيد بن جبير
من امر بالمعاصى فليهرب وقال ابو مسلم لا يمتنع ان يكون المراد من الارض ارض الجنة لانه تعالى امر المؤمنين

بالتقوى وهى حسنة الله ثم بين انه من اتقى فله في الاخرة الحسنة وهى الخلود في الجنة ثم بين ان ارض الله
جنة واسعة كقوله تعالى نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقوله تعالى جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين
قال ابن الخطيب والاول عندى اولى لان قوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب لا يليق الا بالاول قوله انما
يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب اى الذين صبروا على دينهم فلم يتركوه للاذى وقيل نزلت في جعفر بن ابى طالب
واصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد بهم البلاء وصبروا وهاجروا وقوله بغير حساب اى بغير نهاية لان كل شىء
دخل تحت الحساب فهو متناه فما لا نهاية له كان خارجا عن الحساب قال على رضى الله عنه كل مطيع يكال له كيلا ويوزن
له وزنا الا الصابرون فانه يحثى لهم حثيا ويروى انه يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان
ويصب عليهم الاجر صبا قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا
ان اجسادهم تقرض بالمقاريض فما يذهب به اهل البلاء من الفضل قوله انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اى
مخلصا له التوحيد لا اشرك به شيئا وهذا هو النوع الثانى من البيانات التى امر الله رسوله ان يذكرها قوله وامرت
لان اكون في هذه اللام وجهان احدهما انها للتعليل تقديره وامرت بما امرت به لان اكون قال الزمخشرى فان قلت
كيف عطف امرت على امرت وهما واحد قلت ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شىء والامر
به ليحوز به قصب السبق في الدين شىء اخر واذا اختلف وجها الشىء وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين الثانى
ان تكون اللام مزيدة قال الزمخشرى وذلك ان تجعل اللام مزيدة مثلها في قولك اردت لان افعل ولا تزاد الا
مع ان خاصة دون الاسم الصريح كانها زيدت عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم مقامه كما عوض السين في اسطاع
عوضا من ترك الاصل الذى هو اطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وامرت ان اكون من المسلمين
وامرت ان اكون من المؤمنين ان اكون اول من اسلم انتهى قوله ولا تزاد الا مع ان فيه نظر من حيث انها تزاد باطراد
اذا كان المعمول متقدما او كان العامل فرعا وبغير اطراد في غير الموضعين ولم يذكر احد من النحويين هذا التفصيل
وقوله كما عوض السين في اسطاع هذا على احد القولين والقول الاخر انه استطاع فحذفت التاء للاستثقال وقوله والدليل
عليه مجيئه بغير لام فقد يقال ان الاصل باللام وانما حذفت لان حرف الجر يطرد حذفه مع ان وان ويكون المامور
به محذوفا تقديره وامرت ان اعبد لان اكون فصل المراد من الكلام ان يكون اولى من تمسك بالعبادات
التى ارسلت بها واعلم ان العبادة لها ركنان عمل القلب وعمل الجوارح وعمل القلب اشرف من عمل الجوارح فقدم ذكر
الاشرف وهو قوله مخلصا له الدين ثم ذكر عقيبه الادون وهو عمل الجوارح وهو الاسلام فقال وامرت لان
اكون اول المسلمين اى من هذه الامة قوله قل انى اخاف ان عصيت ربى وعبدت غيره عذاب يوم عظيم وهذا
حين دعى الى دين ابائه والمقصود منه المبالغة في زجر الغير عن المعاصى ودلت هذه الاية على ان الامر للوجوب
لقوله في اول الاية انى امرت ان اعبد الله ثم قال بعده قل انى اخاف ان عصيت ربى فيكون معنى هذا العصيان
ترك الامر الذى تقدم ذكره ودلت الاية ايضا على ان المرتب على المعصية ليس حصول العقاب بل الخوف من العقاب
قوله قل الله اعبد قدمت الجلالة عند قوم لافادة الاختصاص قال الزمخشرى ولدلالته على ذلك قدم المعبود
على فعل العبادة هنا واخره في الاولى فالكلام اولا واقع في الفعل نفسه وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل
من اجله فلذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه قال ابن الخطيب فان قيل ما معنى التكرير في قوله قل
انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله اعبد مخلصا له دينى قلنا هذا ليس بتكرير لان الاول اخبار
بانه مامور من جهة الله بالاتيان بالعبادة والثانى اخبار بانه امر ان لا يعبد احدا غير الله وذلك لان قوله
امرت ان اعبد الله لا يفيد الحصر وقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم من دونه وهذا امر توبيخ وتهديد والمراد منه
الزجر كقوله اعملوا ما شئتم من دونه ثم بين كمال الزجر بقوله قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم اوقعوها
في هلاك لا يعقل هلاك اعظم منه وخسروا اهليهم ايضا لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا
انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده البتة وقيل خسران النفس بدخول
النار وخسران الاهل ان يفرق بينه وبين اهله ولما شرح الله تعالى خسرانهم وصف ذلك الخسران بالفظاعة
فقال الا ذلك بقوله الا ذلك هو الخسران المبين وهذا التكرير لاجل التاكيد وثانيها ذكره حرف الا وهو للتنبيه
وذكر التنبيه يدل على التعظيم كانه قيل بلغ في العظم الى حيث لا تصل عقولكم اليه فتنبهوا له وثالثها قوله
هو الخسران ولفظه يفيد الحصر كانه قيل كل خسران يصير في مقابلته بلا خسران ورابعها وصفه بكونه
خسرانا مبينا وذلك يدل على التهويل قوله لهم من فوقهم ظلل يجوز ان يكون الخبر احد الجارين المتقدمين وان
كان الظاهر جعل الاول هو الخبر ويكون من فوقهم اما حالا من ظلل فيتعلق بمحذوف واما متعلقا بما تعلق به
الخبر ومن النار صفة لظلل وقوله ومن تحتهم ظلل كما تقدم وسماها ظللا بالنسبة لمن تحتهم ونظيره قوله لهم

من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقوله يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم والمعنى ان النار محيطة بهم من
جميع الجوانب **فان قيل** الظلة ما علا الانسان فكيف سمى ما تحته بالظلة **فالجواب** من وجوه الاول انه من باب
اطلاق اسم احد الضدين على الاخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها الثانى ان الذى تحته يكون ظلة لغيره لان النار
دركات كما ان الجنة درجات الثالث ان الظلة التحتانية اذا كانت مشابهة للظلة الفوقانية فى الحرارة والاحراق
والايذاء اطلق اسم احدهما على الاخر لاجل المماثلة والمشابهة **قوله** ذلك مبتدأ وقوله الذى يخوف الله به خبر واللفظ
ذلك العذاب المعد للكفار هو الذى يخوف الله به عباده اى المؤمنين لان لفظ العباد فى القران مختص باهل
الايمان وقيل تخويف للكفار والضلال والاول اقرب لقوله بعده يا عباد فاتقون والظاهر ان المراد منه المؤمنون
قوله والذين اجتنبوا الطاغوت الذين مبتدأ والجملة من لهم البشرى الخبر وقيل لهم الخبر نفسه والبشرى فاعل
به وهذا اولى لانه من باب الاخبار بالمفردات والطاغوت قال الزمخشرى فعلوت من الطغيان كالملكوت والرهبوت
الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين لما ذكر وعيد عبدة الاصنام ذكر وعد من اجتنب عبادتها واحترز عن الشرك
ليكون الوعد مقرونا بالوعيد ابدا فيحصل كمال الترغيب والترهيب قيل المراد بالطاغوت هنا الشيطان **فان
قيل** انما عبدوا الصنم **فالجواب** ان الداعى الى عبادة الصنم هو الشيطان فلما كان الشيطان هو الداعى كانت
عبادة الصنم عبادة الشيطان وقيل المراد بالطاغوت الصنم وسميت الطواغيت على سبيل المجاز لانه لا فعل
لها اطلاقا لاسم السبب على المسبب بحسب الظاهر وقيل الطاغوت كل من يعبد ويطاع دون الله تعالى فى التواريخ
ان الاصل فى عبادة الاصنام ان القوم مشبهة واعتقدوا فى الاله انه نور عظيم وان الملائكة انوار مختلفة فى
الصغر والكبر فوضعوا تماثيل صورها على وفق تلك الخيالات فكانوا يعبدون تلك التماثيل على اعتقاد انهم يعبدون
الله والملائكة **قوله** ان يعبدوها الضمير يعود على الطاغوت لانها تؤنث وقد تقدم الكلام عليها مستوفى فى البقرة
وان يعبدوها فى محل نصب على البدل من الطاغوت بدل اشتمال كانه قيل اجتنبوا عبادة الطاغوت **قوله** فبشر
عبادى من ايقاع الظاهر موقع المضمر اى فبشرهم اى اولئك المجتنبين وانما فعل ذلك تصريحا بالوصف المذكور
فصل الذين اجتنبوا الطاغوت اى اعرضوا عن عبودية ما سوى الله وانابوا اى رجعوا بالكلية الى الله واقبلوا
بالكلية على عبادة الله ثم انه تعالى وعد هؤلاء باشياء احدها قوله لهم البشرى وهذه البشرى تحصل عند القرب من
الموت وعند الوضع فى القبر وعند الخروج من القبر وعند الوقوف فى عرصة القيامة وعند ما يصير فريق فى
الجنة وفريق فى السعير ففى كل موضع من هذه المواضع تحصل البشارة بنوع من الخير وهذا المبشر يحتمل ان يكون
هم الملائكة عند الموت لقوله الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم او بعد دخول الجنة لقوله والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويحتمل ان يكون هو الله تعالى لقوله تحيتهم
يوم يلقونه سلام ثم قال فبشر عبادى الذين يستمعون القول يعنى القران فيتبعون احسنه وهم الذين
اجتنبوا وانابوا الى غيرهم وهذه الاية تدل على وجوب النظر والاستدلال لانه مدح الانسان الذى اذا سمع
اشياء كثيرة يختار منها ما هو الاحسن الاصوب وتمييز الاحسن الاصوب عما سواه لا يتاتى بالسماع وانما يتاتى بحجة
العقل واختلفوا فى المراد باتباع الاحسن فقيل هو مثل ان يسمع القصاص والعفو فيعفو لان العفو منه وبالتيه
لقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل يسمع العزائم والرخص فيتبع الاحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القران
وغير القران فيتبعون القران وروى عطاء عن ابن عباس امن ابو بكر النبى صلى الله عليه وسلم فجاء عثمن وعبد
الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابى وقاص وسعيد بن زيد فسالوه فاخبرهم بايمانه فامنوا فنزلت
فيهم فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقال ابن الخطيب انا نقول البحث عن الدلايل
وتقريرها والشبهات وترتيبها لغرض تلك المذاهب واضدادها على عقولنا فكل ما حكم به اول العقل بانه افضل
واكمل كان اولى بالقبول مثاله ان صريح العقل شاهد بان الاقرار بان الله لا يجرى فى ملكه وسلطانه الا ما كان على
وفق مشيئته اولى من القول بان اكثر ما يجرى فى سلطان الله على خلاف ارادته والاقرار بان الله تعالى فرد
احد صمد منزه عن التركيب والاعضاء اولى من القول بكونه مشتغلا متولفا وايضا القول باستغنائه عن
المكان والزمان اولى من القول بانه لا يستغنى عنه البتة فكل هذه الابواب داخلة تحت قوله الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه فهذا فى ابواب الاعتقادات واما ابواب التكاليف فهى قسمان عبادات ومعاملات
فاما العبادات فكقولنا الصلاة التى يذكر فى تحريمها الله اكبر وينوى بنيته ويقرا فيها بالفاتحة ويوتى فيها بالطمانينة
فى المواقف الخمسة ويتشهد فيها ويخرج منها بالسلام بلا شك انها احسن من الصلاة التى لا يراعى فيها شئ من
هذه الاحوال فوجب على العاقل ان يختار هذه الصلاة دون غيرها وكذا القول فى جميع ابواب العبادات
واما المعاملات فكما تقدم فى القصاص والعفو عنه وروى عن ابن عباس ان المراد منه ان الرجل يجلس

يجلس مع القوم فيستمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث باحسن ما سمع ويترك ما سواه **قوله** الذين يستمعون الظاهر
انه نعت لعبادى او بدل منه او بيان له وقيل يجوز ان يكون مبتدأ وقوله اولئك الذين الى اخره خبره وعلى هذا فالوقف
على قوله عبادى والابتداء بما بعده **قوله** اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب قال ابن زيد نزلت
والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها الابيات فى ثلاثة نفر كانوا فى الجاهلية يقولون ان لا اله الا الله زيد
ابن عمرو وابو ذر الغفارى وسلمان الفارسى والاحسن قول لا اله الا الله وفى هذه الاية لطيفة وهى ان حصول
الهداية فى العقل والروح حادث فلا بد له من فاعل وقابل اما الفاعل فهو الله تعالى وهو المراد من قوله اولئك
الذين هداهم الله واما القابل فاليه الاشارة بقوله واولئك هم اولوا الالباب فان الانسان ما لم يكن عاقلا كاملا
الفهم امتنع حصول هذه المعارف والحقيقة فى قلبه **قوله** افمن حق عليه فى من هذه وجهان اظهرهما انها موصولة
فى محل رفع بالابتداء وخبره محذوف فقدره ابو البقاء كمن نجا وقدره الزمخشرى فانت تخلصه قال حذف لدلالة
افانت تنقذ عليه وقدره غيره تتاسف عليه وقدره اخرون يتخلص منه اى من العذاب وقدر الزمخشرى
على عادته جملة بين الهمزة والفاء تقديره اانت مالك امرهم فمن حق عليه كلمة العذاب واما غيره فيدعى ان الاصل
تقديم الفاء وانما اخرت لما تستحقه الهمزة من التصدير وقد تقدم تحقيق هذين القولين الثانى ان تكون
من شرطية وجوابها افانت فالفاء فاء الجواب دخلت على جملة الجزاء واعيدت الهمزة لتوكيد معنى الانكار ووقع
الظاهر وهو من فى النار موقع المضمر اذ كان الاصل افانت تنقذه وانما وقع موقعه شهادة عليه بذلك
والى هذا نحا الحوفى والزمخشرى قال الحوفى وجى بالف الاستفهام لما طال الكلام توكيدا ولولا طوله لم يجز الاتيان بها لانه
لا يصلح فى العربية ان ياتى بالف الاستفهام فى الاسم والف اخرى فى الجزاء ومعنى الكلام افانت تنقذه وعلى القول بكونها
شرطية يترتب على قول الزمخشرى وقول الجمهور مسئلة وهى انه على قول الجمهور يكون قد اجتمع شرط واستفهام وفيه حينئذ
خلاف بين سيبويه ويونس هل الجملة الاخيرة جواب الاستفهام اذ اداة الاستفهام عنده داخلة على جملة محذوفة
عطفت عليها جملة الشرط ولم يدخل على جملة الشرط وقوله افانت تنقذ استفهام توقيف وتقرير وفيها الضمير اشعارا
بانك لست قادرا على انقاذه انما القادر عليه الله وحده **فصل** قال ابن عباس معنى الاية من سبق فى علم الله انه
فى النار وقيل كلمة العذاب قوله تعالى لاملان جهنم وقيل هى قوله هؤلاء الى النار ولا ابالى وقوله افانت تنقذ من فى النار
اى لا تقدر عليه قال ابن عباس يريد ابا لهب وولده **فصل** احتج اهل السنة بهذه الاية فى مسئلة الهدى والضلال
بقوله افمن حق عليه كلمة العذاب فاذا حقت كلمة العذاب عليه امتنع منه فعل الايمان والطاعة والا لزم انقلاب
خبر الله الصادق كذبا وانقلاب علمه جهلا وهو محال وايضا فانه تعالى حكم بان حقية كلمة العذاب مانعة منه لم
يبق لهذا الاستنكار والاستبعاد معنى **فصل** احتج القاضى بهذه الاية على ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يشفع
لاهل الكباير لانه حق عليهم العذاب فتلك الشفاعة تكون جارية مجرى انقاذهم من النار وان الله تعالى حكم عليهم بالانكار
والاستبعاد واجيب بانه لا نسلم ان اهل الكباير قد حق عليهم العذاب مع ان الله تعالى وكيف يحق عليهم العذاب مع
ان الله تعالى قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ان الله يغفر الذنوب جميعا **قوله**
لكن الذين اتقوا استدراك بين شيئين نقيضين او ضدين وهما المؤمنون والكافرون وقوله لهم غرف من فوقها
غرف وهذا كالمقابل لما ذكر فى وصف الكفار لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل والمعنى لهم منازل فى الجنة
رفيعة وفوقها منازل ارفع منها **فان قيل** ما معنى قوله مبنية **فالجواب** ان المنزل اذا بنى على منزل اخر كان الفوقانى اضعف
بناء من التحتانى فقوله مبنية معناه انه وان كان فوق غيره لكنه فى القوة والشدة مساو للمنزل الاسفل ثم قال تجرى من
تحتها الانهار وذلك معلوم **قوله** وعد الله مصدر موكد لمضمون الجملة فهو منصوب بفعل واجب الاضمار لان قوله لهم غرف
فى معنى وعدهم الله ذلك فى الاية دقيقة شريفة وهى انه تعالى فى كثير من ايات الوعد صرح بان هذا وعد الله وانه
لا يخلف وعده ولم يذكر فى ايات الوعيد البتة مثل هذا التاكيد والتقوية وذلك يدل على ان جانب الوعد ارجح من
جانب الوعيد خلاف قول المعتزلة انه قال فى جانب الوعيد ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد واجيبوا بان
قوله ما يبدل القول لدى ليس بصريح بجانب الوعيد بل هو عام يتناول القسمين الوعد والوعيد فثبت ان الترجيح
الذى ذكرنا حق والله اعلم **قوله تعالى** الم تر ان الله انزل من السماء ماء الاية لما وصف الاخرة بوصف يوجب الرغبة
العظيمة فيها وصف الدنيا بصفة توجب اشتداد النفرة عنها وذلك انه انزل من السماء ماء وهو المطر وقيل كل ماء فى الارض
فهو من السماء ثم انه تعالى ينزله الى بعض المواضع ثم يقسمه فسلكه ينابيع فى الارض اى عيونا ومسالك وركايا فى
الارض ومجارى كالعروق فى الاجساد ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك
مختلفا اصنافه من بر وشعير وسمسم ثم يهيج اى ييبس فتراه مصفرا لانه اذا تم جفافه جاز له ان ينفصل عن منابته
وان لم تتفرق اجزاؤه فتلك الاجزاء كانها هاجت لان تتفرق ثم تصير حطاما فتاتا متكسرا ان فى ذلك لذكرى لاولى

الالباب يعني ان من شاهد هذه الاحوال في النبات علم ان احوال الحيوان والانسان كذلك وانه وان طال عمره
فلا بد من الانتهاء الى ان يصير مصفر اللون متحطم الاعضاء والاجزاء ثم يكون عاقبته الموت فاذا كانت مشاهدة هذه
الاحوال في النبات مذكرة حصول مثل هذه الاحوال في نفسه وفي حياته فحينئذ تعظم نفرته عن الدنيا
ولذاتها **قوله** ثم يجعله العامة على رفع الفعل نسقا على ما قبله وقرأ ابو بشر ثم يجعله منصوبا قال ابو حيان
قال صاحب الكامل يعني الهذلي وهو ضعيف ولم يبين هو ولا صاحب اللوامح وجه ضعفه ولا تخريجه فاما ضعفه
فواضح حيث لم يتقدم ما يقتضي نصبه في الظاهر واما تخريجه فذكر ابو البقاء فيه وجهين احدهما ان ينتصب باضمار
ان ويكون معطوفا على قوله ان الله انزل من السماء ماء اي اولا الآية والتقدير الم تر انزال الله ثم جعل والثاني ان يكون
منصوبا بتقدير ترى اي ثم ترى جعله حطاما يعني انه ينتصب بان مضمرة ويكون ان وما في حيزها مفعولا به بفعل
مقدر وهو ترى لدلالة الم ترى عليه **قوله** افمن شرح الله صدره للاسلام الآية لما بين الدلائل الدالة على وجوب
الاقبال على طاعة الله ووجوب الاعراض عن الدنيا ذكر ان الانتفاع بهذه البيانات لا تكمل الا اذا شرح الصدر
ونور القلب والكلام في قوله افمن شرح الله وقوله افمن يتقي كالكلام في افمن حق والتقدير افمن شرح الله صدره
للاسلام كمن قسا قلبه او كالقاسي المعرض لدلالة فويل للقاسية قلوبهم عليه وكذا التقدير في افمن يتقي اي كمن
امن العذاب وهو تقدير الزمخشري او كالمتنعمين في الجنة وهو تقدير ابن عطية **فصل** معنى شرح الله صدره
للاسلام اي وسعه لقبول الحق فهو على نور من ربه كمن اقسى الله قلبه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك
في ضلال مبين قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة القلب وما غضب الله على قوم الا نزع
منهم الرحمة **فان قيل** ان ذكر الله عز وجل سبب لحصول النور والهداية وزيادة الاطمينان قال تعالى الا بذكر الله تطمئن
القلوب فكيف جعله في هذه الآية سببا لحصول القسوة في القلب **فالجواب** ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر
كدرة العنصر بعيدة عن مناسبة الروحانيات شديدة الميل الى الطباع البهيمية والاخلاق الذميمة فان سماعها
لذكر الله يزيدها قسوة وكدورة مثاله ان الفاعل الواحد تختلف افعاله بحسب اختلاف القوابل كنور الشمس
يسود وجه القصار ويبيض ثوبه وحرارة الشمس تلين الشمع وتعقد الملح وقد نرى انسانا واحدا يذكر كلاما واحدا
في مجلس واحد فيستطيبه واحد ويستكرهه غيره وما ذاك الا بحسب اختلاف جواهر النفوس ولما نزل قوله تعالى
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وعمر بن الخطاب حاضر وانسان اخر فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى قوله تعالى انشاناه خلقا اخر قال كل واحد منهما فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكتب فكذا نزلت فازداد عمر ايمانا وازداد ذلك الانسان واذا عرف ذلك لم يبعد ان يكون ذكر الله عز
وجل يوجب النور والهداية والاطمينان في النفوس الطاهرة الروحانية ويوجب القسوة والبعد عن الحق في النفوس
الخبيثة الشيطانية **قوله** الله نزل احسن الحديث احتج القائلون بحدوث القران بهذه الآية من وجوه
الاول انه تعالى وصفه بكونه حديثا في هذه الآية وفي قوله فليأتوا بحديث مثله وفي قوله افبهذا الحديث
انتم مدهنون والحديث لا بد وان يكون حادثا بل الحديث اقوى في الدلالة على الحدوث من الحادث لانه يصح ان
يقال هذا حديث وليس بعتيق وهذا عتيق وليس بحديث ولا يصح ان يقال هذا عتيق وليس بحادث فثبت
ان الحديث هو الذي يكون قريب العهد بالحدوث وسمي الحديث حديثا لانه مؤلف من الحروف والكلمات وتلك الحروف
والكلمات تحدث حالا فحالا وساعة فساعة الثاني قالوا انه تعالى وصفه بانه انزله والمنزل يكون في محل تصرف
الغير وما كان كذلك فهو محدث وحادث الثالث قالوا ان قوله احسن الحديث يقتضي ان يكون هو من جنس
سائر الاحاديث كما ان قوله زيد افضل الاخوة يقتضي ان يكون زيد مشاركا لاولئك الاقوام في صفة الاخوة ويكون
من جنسهم فثبت ان القران من جنس سائر الاحاديث ولما كان سائر الاحاديث حادثة وجب ايضا ان يكون القران
حادثا الرابع قالوا انه تعالى وصفه بكونه كتابا والكتاب مشتق من الكتيبة وهي الاجتماع وهذا يدل على انه مجموع
جامع ومحل التصرف ومنصرف فيه وذلك يدل على كونه حادثا قال ابن الخطيب والجواب ان نحمل هذا الدليل على الكلام
المؤلف من الحروف والالفاظ والعبارات وذلك الكلام عندنا محدث ومخلوق **فصل** كون القران احسن الحديث
اما ان يكون بحسب اللفظ وذلك من وجهين الاول ان يكون ذلك الحسن لاجل الفصاحة والجزالة الثاني ان
يكون بحسب النظم في الاسلوب وذلك لان القران ليس من جنس الشعر ولا من جنس الخطب ولا من جنس الرسائل
بل هو نوع يخالف الكل مع ان كل طبع سليم يستلذه ويستطيبه واما ان يكون احسن الحديث لاجل المعنى وهو من
وجوه الاول انه كتاب منزه عن التناقض قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ومثل
هذا الكتاب اذا خلا عن التناقض كان ذلك من المعجزات الثاني اشتماله على الغيوب الكثيرة في الماضي والمستقبل
الثالث ان العلوم الموجودة فيه كثيرة جدا وقد شرح ابن الخطيب منها اقساما كثيرة **قوله** كتابا فيه وجهان

انزال

لعله تعقد

وجهان اظهرهما انه بدل من احسن الحديث والثاني انه حال منه قال ابو حيان لما نقله عن الزمخشري وكانه بناء على ان
احسن الحديث معرفة لاضافته الى معرفة وافعل التفضيل اذا اضيف الى معرفة فيه خلاف فقيل اضافته محضة
وقيل بغير محضة قال شهاب الدين وعلى تقدير كونه نكرة يحسن ايضا ان تكون حالا لان النكرة متى اضيفت ساغ
مجيء الحال منها بلا خلاف والصحيح ان اضافة افعل محضة وقوله متشابها نعت لكتاب وهو المسوغ لمجيء الجامد حالا او لانه
في قوة مكتوب او تمييزا منقولا من الفاعلية اي متشابها مثانيه والى هذا ذهب الزمخشري **قوله** مثاني قرا العامة مثاني
بفتح الياء صفة ثانية او حالا اخرى وقرا هشام عن ابن عامر وابو بشر بسكونها وفيها وجهان احدهما انه من تسكين حرف
العلة استثقالا للحركة عليه كقراءة تطعمون اهاليكم كان ايديهن ونحوهما والثاني خبر مبتدا محذوف اي هو مثاني
كذا ذكره ابو حيان وفيه نظر من حيث انه كان ينبغي ان ينون ويحذف ياؤه لالتقاء الساكنين فيقال مثان كما يقول
هؤلاء جوار وقد يقال انه وقف عليه ثم اجرى الوصل مجرى الوقف لكن يعترض عليه بان الوقف على المنقوص المنون بحذف
الياء نحو هذا قاض واثباتها لغة قليلة ويمكن الجواب عنه بانه قد قرئ بذلك في المتواتر نحو من وال وباق وهاد في
قراءة ابن كثير **فصل** تقدم تفسير الكتاب عند قوله ذلك الكتاب في اول الكتاب وقوله متشابها اي يشبه بعضه بعضا
في الحسن ويصدق بعضه بعضا ليس فيه تناقض ولا اختلاف قاله ابن عباس وقوله مثاني اي يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد
والامر والنهي والاخبار والاحكام او جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير وانما وصف كتاب وهو مفرد بمثاني وهو
جمع لان الكتاب مشتمل على سور وايات او هو من باب برمة اعشار وثوب اخلاق قاله الزمخشري وقيل ثم موصوف
محذوف اي فصولا مثاني حذف للدلالة عليه وقال ابن الخطيب ان اكثر الاشياء المذكورة زوجين زوجين مثل الامر
والنهي والعام والخاص والمجمل والمفصل واحوال السموات والارض والجنة والنار والنور والظلمة واللوح والقلم والملائكة
والشياطين والعرش والكرسي والوعد والوعيد والرجاء والخوف والمقصود منه البيان ان كل ما سوى الحق زوج يدل على
ان كل شيء مبتلى بضده ونقيضه وان الفرد الاحد الحق هو الله تعالى **قوله** تقشعر هذه الجملة يجوز ان تكون صفة
لكتاب وان تكون حالا منه لاختصاصه بالصفة وان تكون مستانفة
جلده اذا انقبض وتجمع من الخوف
ووقف شعره والمصدر الاقشعرار والقشعريرة ايضا ووزن اقشعر افعلل ووزن القشعريرة فعليلة **فصل**
قال المفسرون تقشعر تضطرب وتشمئز منه جلود الذين يخشون ربهم والاقشعرار تغير في جلد الانسان عند
الوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي لذكر الله قيل
اذا ذكرت ايات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت ايات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم كما قال الا بذكر
الله تطمئن القلوب وحقيقة المعنى ان قلوبهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء قال عليه السلام اذا اقشعر
جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما تتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وقال اذا اقشعر جلد العبد من
خشية الله حرمه الله على النار قال قتادة هذا نعت اولياء الله نعتهم بان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم ولم ينعتهم
بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في اهل البدع وهو من الشيطان وعن عروة بن الزبير قال قلت
لجدتي بنت ابي بكر كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القران قالت كانوا كما نعتهم
الله عز وجل تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قال فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القران خر احدهم مغشيا عليه فقالت
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وعن ابن عمر انه مر برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه
القران او سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر ان الشيطان يدخل في جوف احدهم
ما كان هذا صنع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم **فصل** قال المفسرون تركيب لفظ القشعريرة من حروف القشع
وهو الاديم اليابس ضموا اليه حرفا رابعا وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف اذا وقف
شعره وهو في شدة الخوف **فان قيل** كيف قال تلين الى ذكر الله فعداه بحرف الى **فالجواب** التقدير تلين جلودهم
وقلوبهم حال وصولها الى حضرته وهو لا يحسب الادراك **فان قيل** كيف قال الى ذكر الله ولم يقل الى ذكر رحمة الله
فالجواب ان من احب الله لاجل رحمته فهو ما احب الله وانما احب شيئا غيره واما من احب الله لا لشيء سواه
فهو المحب الحق وهي الدرجة العالية فلهذا لم يقل ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر رحمة الله وانما قال الى ذكر الله
وقد بين الله تعالى هذا بقوله الا بذكر الله تطمئن القلوب **فان قيل** لم ذكر في جانب الخوف قشعريرة الجلود
فقط وفي جانب الرجاء لين الجلود والقلوب **فالجواب** لان المكاشفة في مقام الرجاء اكمل منها في مقام الخوف
لان الخير مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض ومحل المكاشفات هي القلوب والارواح والله اعلم ثم انه تعالى
وصف القران بهذه الصفات قال ذلك هدى الله يهدي به من يشاء فقوله ذلك اشارة الى الكتاب وهو هدى الله
وهو الذي شرح صدره لقبول الهداية ومن يضلل الله اي جعل قلبه قاسيا مظلما فما له من هاد واعلم ان سؤالات
المعتزلة وجوابها عن مثل هذه الآية قد تقدم في قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ونظائرها

قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب الاية لما حكم على القاسية قلوبهم بحكم في الدنيا وهو الضلال التام حكم عليهم في الاخرة بحكم اخر وهو العذاب الشديد فقال افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وتقريره ان اشرف الاعضاء الظاهرة الوجه لانه محل الصباحة ومجمع الحواس والسعادة لا تظهر الا فيه قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة ويقال لمقدم القوم يا وجه العرب ويقال للطريق الدال على حال الشيء ان وجه كذا هو كذا فثبت بما ذكرنا ان اشرف الاعضاء الظاهرة هو الوجه واذا وقع الانسان في نوع من انواع العذاب فانه يجعل يده وقاية لوجهه واذا عرف هذا فنقول اذا كان القادر على الاتقاء يجعل كل ما سوى الوجه وقاية للوجه لا جرم حسن جعل الاتقاء بالوجه كناية عن الاتقاء ونظيره قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب اي لا عيب فيهم الا هذا وهو ليس بعيب فلا عيب فيهم اذن بوجه من الوجوه فكذا ههنا لا يقدرون على الاتقاء بوجه من الوجوه الا بالوجه وهذا ليس باتقاء فلا قدرة لهم على الاتقاء البتة وقيل انه يلقى في النار مغلولة يده الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقي النار الا بوجهه وتقدم الكلام على الاعراب وسوء العذاب اشده قال مجاهد يجر على وجهه في النار وقال عطاء يرمى به في النار منكوسا فاول شيء يمس النار منه وجهه قوله وقيل للظالمين اي تقول الخزنة للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وباله ولما بين كيفية عقاب القاسية قلوبهم في الاخرة وبين كيفية وقوعهم في العذاب قال كذب الذين من قبلهم اي من قبل كفار مكة كذبوا الرسل فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون يعني وهم امنون غافلون عن العذاب اي من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها فاذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا وهو الذل والصغار والهوان ثم قال ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون يعني ان اولئك وان نزل بهم العذاب والخزي في الدنيا فالعذاب المدخر لهم يوم القيامة اكبر واعظم من ذلك الذي وقع بهم في الدنيا ولما ذكر الله تعالى هذه الفوائد الكثيرة في هذه المطالب بين ان هذه البيانات بلغت حد الكمال والتمام فقال ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون يتعظون قالت المعتزلة دلت الاية على ان افعال الله تعالى واحكامه معللة ودلت ايضا على انه تعالى يريد الايمان والمعرفة من الكل لان قوله ولقد ضربنا للناس مشعر بالتعليل وقوله في اخر الاية لعلهم يتذكرون مشعر بالتعليل ايضا ومشعر بان المراد من ضرب هذه الامثال حصول التذكر والعلم قوله قرانا عربيا فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون منصوبا على المدح لانه لما كان نكرة امتنع اتباعه للقران الثاني ان ينتصب بيتذكرون اي يتذكرون قرانا الثالث ان ينتصب على الحال من القران على انها حال مؤكدة وتسمى حالا موطئة لان الحال في الحقيقة عربيا وقرانا توطئة له نحو جاء زيد رجلا صالحا وقوله غير ذي عوج نعت لقرانا او حال اخرى قال الزمخشري فان قلت فهلا قيل مستقيما او غير معوج قلت فيه فائدتان احداهما نفي ان يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثاني ان العوج يختص بالمعاني دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس والتناقض وقرا ثالثة لعلهم غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب

فصل اعلم انه تعالى وصف القران بصفات ثلاثة اولها كونه قرانا والمراد كونه متلوا في المحاريب الى قيام الساعة وثانيها كونه عربيا اي انه اعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته كما قال قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله وثالثها كونه غير ذي عوج والمراد براءته من التناقض قال ابن عباس غير مختلف وقال مجاهد غير ذي لبس وقال السدي غير مخلوق ويروى ذلك عن مالك بن انس وحكى سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين ان القران ليس بخالق ولا مخلوق قوله لعلهم يتقون الكفر والتكذيب به وتمسك المعتزلة به في تعليل احكام الله تعالى وقوله في الاية الاولى لعلهم يتذكرون وههنا لعلهم يتقون لان التذكر يتقدم على الاتقاء والاحتراز والله اعلم قوله ضرب الله مثلا رجلا قال الكسائي نصب رجلا لانه تفسير للمثل واعلم انه تعالى لما شرح وعيد الكفار مثل بما يدل على فساد مذهبهم وقبح طريقتهم فقال ضرب الله مثلا قوله فيه شركاء يجوز ان يكون هذا جملة من مبتدا وخبر في محل نصب صفة لرجل ويجوز ان يكون الوصف الجار وحده وشركاء فاعل به وهو اولى لقربه من المفرد صفة لشركاء والتشاكس التخالف واصله سوء الخلق وعسره وهو سبب التخالف والتشاجر ويقال التشاكس والتشاخص بالخاء موضع الكاف وقد تقدم الكلام على نصب المثل وما بعده الواقعين بعد ضرب وقال الكسائي انتصب رجلا على اسقاط الجار اي لرجل او في رجل والمتشاكسون المختلفون العسرون يقال شكس يشكس شكوسا وشكسا اذا عسر وهو رجل شكس اي عسر وشاكس اذا تعاسر قال الليث التشاكس التضاد والاختلاف ويقال الليل والنهار يتشاكسان اي يتضادان اذا جاء احدهما ذهب الاخر وقوله فيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه اي في رقه قاله شهاب الدين وقال ابو البقاء الا ما لا يشبه ان يقصد من مثله بل ولا اقل منه قال وفيه شركاء والجملة صفة لرجل وفي يتعلق بمتشاكسون وفيه دلالة على جواز تقدم معمول خبر المبتدا عليه انتهى اما هذا فلا شك انه سهو لانه من حيث جعله جملة كيف يقول بعد ذلك ان فيه يتعلق بمتشاكسون وقد يقال اراد من حيث المعنى وهو بعيد جدا ثم قوله وفيه دلالة الى اخره يناقضه ايضا وليست المسئلة عربية حتى يقول وفيه دلالة وكانه اراد وفيه دلالة على تقديم معمول الخبر على المبتدا بناء منه على ان فيه متعلق بمتشاكسون ولكنه فاسد والقياس لا يرد على مقالة

قوله سالما لرجل قرا ابن كثير وابو عمرو سالما بالالف وكسر اللام والباقون سلما بفتح السين واللام وابن جبير بكسر السين وسكون اللام قال ابن الخطيب ويقال ايضا بفتح السين وسكون اللام فالقراءة الاولى اسم فاعل من سلم له كذا فهو سالم والقراءتان الاخيرتان سلما وسلما فهما مصدران وصف بهما على سبيل المبالغة او على حذف مضاف او على وقوعهما موضع اسم الفاعل فيعود كالقراءة الاولى وقرئ ورجل سالم برفعهما وفيه وجهان احدهما ان يكون مبتدا والخبر محذوف تقديره وهناك رجل سالم لرجل كذا قدره الزمخشري الثاني انه مبتدا وسالم خبره وجاز الابتداء بالنكرة لانه موضع تفصيل كقول امرئ القيس اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول وقولهم الناس رجلان رجل اكرمت ورجل اهنت مثلا منصوب على التمييز المنقول من الفاعلية اذ الاصل هل يستوي مثلهما وافرد التمييز لانه يقتصر عليه اولا في قوله ضرب الله مثلا وقرئ مثلين تطابق حالي الرجلين وقال الزمخشري فيمن قرا مثلين ان الضمير في يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين قال ابو حيان والظاهر انه يعود الضمير في يستويان على رجلين واما اذا جعلته عائدا الى المثلين اللذين ذكر ان التقدير مثل رجل ومثل رجل فان التمييز يكون اذ ذاك قد فهم من المميز الذي هو الضمير اذ يصير التقدير هل يستوي المثلان مثلين قال شهاب الدين وهذا لا يضر اذ التقدير هل يستوي المثلان مثلين في الوصفية فالمثلان الاولان معهودان والثانيان جنسان منهمان كما تقول كفى بهما رجلين فان الضمير في بهما عائد على ما يراد بالرجلين فلا فرق بين المسئلتين فما كان جوابا عن كفى بهما رجلين يكون جوابا له

فصل تقدير الكلام اضرب لقومك مثلا وقل ما تقولون في رجل مملوك لشركاء بينهم اختلاف وتنازع فيه وكل واحد يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه حوائجهم وهو متحير في امره وكلما ارضى احدهم غضب الباقون واذا احتاج اليهم فكل واحد منهم يرده الى الاخر فيبقى متحيرا لا يعرف ايهم اولى ان يطلب رضاه وايهم يعينه في حاجاته فهو بهذا السبب في عذاب دائم واخر له مخدوم واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك المخدوم يعينه على مهماته فاي هذين العبدين احسن حالا والمراد ان من اثبت الهة اخرى فان اولئك الالهة تكون متنازعة متغالبة كما قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقال ولعلا بعضهم على بعض فيبقى ذلك المشرك متحيرا ضالا لا يدري اي هؤلاء الالهة يعبد وعلى ربوبية ايهم يعتمد وممن يطلب رزقه ومن يلتمس منه رفقه فهمه شعاع وقلبه اوزاع اما من لم يثبت الا الها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما يرضيه ويسخطه فكان حال هذا اقرب الى الصلاح من حال الاول وهذا المثال في غاية الحسن في تقبيح الشرك وتحسين التوحيد

فان قيل هذا المثال لا ينطبق على عبادة الاصنام لانها جمادات فليس بينها منازعة ولا تشاكس فالجواب ان عبدة الاصنام مختلفون منهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الكواكب السبعة فهم في الحقيقة انما يعبدون الكواكب السبعة وهم يثبتون بينها منازعة ومشاكسة الا ترى انهم يقولون زحل هو النحس الاعظم والمشتري هو السعد الاعظم ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الارواح الفلكية والقائلون بهذا القول زعموا ان كل نوع من انواع حوادث هذا العالم يتعلق بروح من الارواح السماوية وحينئذ يحصل بين تلك الارواح منازعة ومشاكسة وحينئذ يكون المثال مطابقا ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الاشخاص من العلماء والزهاد مضوا فهم يعبدون هذه التماثيل ليصير اولئك الاشخاص من العلماء والزهاد شفعاء لهم عند الله والقائلون بهذا القول تزعم كل طائفة منهم ان المحق هو ذلك الرجل الذي هو على دينه وان من سواه مبطل وعلى هذا التقدير ايضا ينطبق المثال

قوله قل الحمد لله يعني انه لما بطل القول باثبات الشركاء والانداد وثبت انه لا اله الا الواحد الاحد الحق ثبت ان الحمد له لا لغيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ان الحمد له لا لغيره وان المستحق للعبادة هو الله وقيل لا يعلمون ما يصيرون اليه وقيل المراد انه لما سبقت هذه الدلائل الظاهرة قال الحمد لله على حصول هذه البيانات وظهور هذه البينات وان اكثر الخلق لا يعرفونها قال البغوي والمراد بالاكثر الكل قوله انك ميت اي ستموت وانهم ميتون اي سيموتون قال الفراء والكسائي الميت بالتشديد من لم يمت وسيموت والميت بالتخفيف من فارقه الروح ولذلك لم تخفف ههنا والعامة على ميت وميتون وقرا ابن محيصن وابن ابي عبلة واليماني مائت ومائتون وهي صفة مشعرة بحدوثها دون ميت وقد تقدم انه لا خلاف بين القراء في تثقيل مثل هذا

فصل والمراد ان هؤلاء الاقوام وان لم يلتفتوا الى هذه الدلائل القاهرة لاجل الحسد فلا يبالي باجلهم بهذا فانك ستموت وهم ايضا يموتون ثم انكم تحشرون يوم القيامة وتختصمون عند الله تعالى والعادل الحق يحكم بينكم فيوصل الى كل احد حقه وحينئذ يتميز المحق من المبطل ثم انه تعالى بين نوعا اخر من قبائح افعالهم

وهو أنهم يكذبون ويضمون إليه أنهم يكذبون القائل المحق، أما كذبهم فهو أنهم أثبتوا لله ولداً وشركاء، وأما تكذيبهم الصادق
فلأنهم يكذبون محمداً صلى الله عليه وسلم بعد قيام الدلائل القاطعة على كونه صادقاً في ادعاء النبوة، ثم أردفه بالوعيد
فقال: أليس في جهنم مثوى للكافرين، أي منزل ومقام للكافرين، وهذا استفهام بمعنى التقرير. ولما ذكر من افترى على الله
الكذب أو كذب بالحق ذكر مقابله وهو الذي جاء بالصدق وصدق به. قوله: والذي جاء بالصدق، لفظه مفرد ومعناه
جمع لأنه أريد به الجنس، وقيل: لأنه قصد به الجزاء وما كان كذلك كثر فيه وقوع الذي موقع الذين، ولذلك
روعي معناه فجمع في قوله أولئك هم المتقون، كما روعي معنى من في قوله للكافرين، فإن الكافرين ظاهر واقع موقع
المضمر إذ الأصل مثوى لهم. وقيل: الأصل والذين جاؤوا بالصدق فحذفت النون تخفيفاً كقوله: والذين خاضوا، وهذا
وهم إذ لو قصد ذلك لجاء بعده ضمير الجمع فكان يقال والذي جاؤوا كقوله كالذي خاضوا، ويدل عليه أن نون التثنية
إذا حذفت عاد الضمير مثنى كقوله: أبني كليب إن عمي اللذا ... قتلا الملوك وفككا الأغلالا، وتقدم كقوله:
إن الذي حانت بفلج دماؤهم ... هم القوم كل القوم يا أم خالد. وقرأ عبد الله: والذي جاؤوا بالصدق وصدقوا به، وقد تقدم
تحقيق نظير هذه الآية في أوائل البقرة وغيرها. وقيل: الذي صفة لموصوف محذوف يعني الجمع تقديره: والفريق
أو الفوج، ولذلك قال أولئك هم المتقون. وقيل: المراد بالذي واحد بعينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن لما
كان المراد هو وأتباعه اعتبر ذلك فجمع فقال: أولئك هم، كقوله: ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون، قاله الزمخشري،
وعبارته: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى إياه وقومه. وناقشه أبو حيان في إيقاع
الضمير المنفصل موضع المتصل، قال: وإصلاحه أن يقول: وأراده به كما أراده بموسى وقومه. قال شهاب الدين: ولا مناقشة
لأنه مع تقدم به وبموسى لغرض من الأغراض استحال اتصال الضمير، وهذا كالبحث المتقدم في قوله تعالى: ولقد وصينا
الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم، وقوله: يخرجون الرسول وإياكم، وهو أن بعض الناس زعم أنه يجوز الانفصال
مع القدرة على الاتصال، وتقدم الجواب بقريب مما ذكر ههنا، وتقدم بيان حكمة التقديم ثمة. وقول الزمخشري: إن الضمير
في لعلهم يهتدون لموسى وقومه، فيه نظر، بل الظاهر خصوص الضمير بقومه دونه لأنهم هم المطلوب منهم الهداية،
وأما موسى عليه السلام فمهتد ثابت على الهداية. وقال الزمخشري أيضاً: ويجوز أن يريد والفوج أو الفريق الذي جاء
بالصدق وصدق به، وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به. قال أبو حيان: توزيع للصلة، والفوج
هو الموصول، فهو كقولك: جاء الفريق الذي شرف وشرف، والأظهر عدم التوزيع، بل المعطوف على الصلة صلة لمن له
الصلة الأولى. وقرأ أبو صالح وعكرمة بن سليمان ومحمد بن جحادة مخففاً بمعنى صدق فيه ولم يغيره بل أداه من
غير تحريف. وقرئ وصُدِّق به مشدداً مبنياً للمفعول. فصل المعنى فمن أظلم ممن كذب على الله فزعم أن له ولداً
وشريكاً وكذب بالصدق بالقرآن أو بمحمد إذ جاءه، ثم قال: والذي جاء بالصدق وصدق به. قال ابن عباس: والذي جاء
بالصدق يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا إله إلا الله، وصدق به الرسول أيضاً بلغه إلى الخلق. وقال السدي:
والذي جاء بالصدق جبريل جاء بالقرآن، وصدق به محمد صلى الله عليه وسلم تلقاه بالقبول. وقال أبو العالية والكلبي:
والذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصدق به أبو بكر رضي الله عنه. وقال قتادة ومقاتل: والذي
جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصدق به المؤمنون لقوله: أولئك هم المتقون. وقال عطاء: والذي
جاء بالصدق الأنبياء، وصدق به الأتباع، وحينئذ يكون الذي بمعنى الذين كقوله: مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً،
ثم قال: ذهب الله بنورهم. وقال الحسن: هم المؤمنون صدقوا به في الدنيا وجاؤوا به في الآخرة، أولئك هم المتقون،
لهم ما يشاؤون عند ربهم، وهذه لا تفيد العندية بمعنى الجهة والمكان بل بمعنى الإخلاص كقوله: عند مليك مقتدر،
ثم قال: ذلك جزاء المحسنين. قالت المعتزلة: وهذا يدل على أن هذا الأجر مستحق لهم على إحسانهم في العبادة. قوله:
ليكفر الله، في تعلق الجار وجهان: أحدهما أنها متعلقة بمحذوف أي يسر لهم ذلك ليكفر. الثاني: أن يتعلق بنفس المحسنين،
كأنه قيل: الذين أحسنوا ليكفر أي لأجل التكفير. قوله: أسوأ الذي، الظاهر أنه أفعل تفضيل وبه قرأ العامة، وقيل:
ليست للتفضيل بل بمعنى سيئ الذي عملوا كقولهم: الأشج والناقص أعدلا بني مروان أي عادلاهم، ويدل على هذا قراءة
ابن كثير في رواية أسواء بألف بين الواو والهمزة بزنة أحمال جمع سوء، وكذا قرأ في حم السجدة. قوله: لهم ما يشاؤون عند
ربهم، يدل على حصول الثواب على أكمل الوجوه، وقوله تعالى: ليكفر الله عنهم، يدل على سقوط العقاب عنهم على أكمل الوجوه، ومعنى
تكفيرها أي يسترها عليهم بالمغفرة، ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون. وقال مقاتل: يجزيهم بالمحاسن
من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي. قال ابن الخطيب: واعلم أن مقاتلاً كان شيخ المرجئة، وهم الذين يقولون: لا يضر
شيء من المعاصي مع الإيمان، كما لا ينفع شيء من الطاعات مع الكفر، واحتج بهذه الآية فقال: إنها تدل على أن من
صدق الأنبياء والرسل فإنه تعالى يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا، ولا يجوز حمل هذا الأسوأ على الكفر السابق لأن
ظاهر الآية أن التكفير إنما حصل في حال وصفهم بالتقوى من الشرك، وإذا كان كذلك وجب أن يكون المراد

المراد منه الكبائر التي يأتي بها بعد الإيمان، فتكون هذه الآية تنصيصاً على أنه تعالى يكفر عنهم بعد إيمانهم ما يأتون به
هو الكبائر. قوله: أليس الله بكاف عبده، العامة على توحيد عبده، والأخوان عباده جمعاً، وهم الأنبياء وأتباعهم، وقرئ بكافي
عباده بالإضافة، ويكافي مضارع كافى، وعباده نصب على المفعول به. ثم المفاعلة هنا تحتمل أن تكون بمعنى فعل نحو جازى
بمعنى يجزي، وبني على لفظة المفاعلة لما تقدم من أن بناء المفاعلة يشعر بالمبالغة لأنه للمبالغة. ويحتمل أن يكون
أصله يكافئ بالهمز من المكافأة بمعنى يجزيهم، فخففت الهمزة، وهذا استفهام تقرير. قوله: ويخوفونك، يجوز أن يكون
حالاً إذ المعنى أليس كافيك حال تخويفهم إياك بكذا، كان المعنى أنه كافيه في كل حال حتى في هذه الحال. ويجوز أن تكون
مستأنفة. فصل من قرأ بكاف عبده يعني محمداً صلى الله عليه وسلم، ومن قرأ عباده يعني الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام، قصدهم قومهم بالسوء كما قال تعالى: وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه، فكفاهم الله شر من عاداهم. وقيل: إن
المراد أن الله تعالى كفى نوحاً عليه السلام الغرق، وإبراهيم النار، ويونس ما دفع إليه، فهو سبحانه وتعالى كافيك يا محمد
كما كفى هؤلاء الرسل قبلك. وقوله تعالى: ويخوفونك بالذين من دونه، وذلك أن قريشاً خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم
معاداة الأوثان وقالوا: لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون. ولما شرح الله الوعد والوعيد
والترغيب والترهيب ختم الكلام بخاتمة هي الفصل الحق فقال: ومن يضلل الله فما له من هاد، ومن يهد الله فما
له من مضل، أي هذه الدلائل والبينات لا تنفع إلا إذا خص الله العبد بالهداية والتوفيق. ثم قال: أليس الله بعزيز
ذي انتقام، وهذا تهديد للكفار. فصل احتج أهل السنة بهذه الآية على مسألة خلق الأعمال لأن قوله: ومن يضلل
الله فما له من هاد، ومن يهد الله فما له من مضل، صريح في ذلك. وتمسك المعتزلة بقوله: أليس الله بعزيز ذي انتقام،
ولو كان الخالق للكفر فيهم هو الله تعالى لكان الانتقام غير لائق، والله أعلم. قوله تعالى: ولئن سألتهم من خلق
السموات والأرض ليقولن الله الآية. لما بين وعيد المشركين ووعد الموحدين عاد إلى إقامة الدليل على تزييف
طريقة عبدة الأوثان، وهذا التزييف مبني على أصلين: الأصل الأول أن هؤلاء المشركين يقرون بوجود الإله القادر
العالم الحكيم الرحيم، وهو المراد من قوله: ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله. قال بعض العلماء:
العلم بوجود الإله القادر الحكيم الرحيم علم متفق عليه بين جمهور الخلائق لا نزاع بينهم فيه، وفطرة العقل شاهدة بصحة
هذا العلم، فإن من تأمل في عجائب بدن الإنسان وما فيه من أنواع الحكم الغريبة والمصالح العجيبة علم أنه لا بد من
الاعتراف بالإله القادر الحكيم الرحيم. والأصل الثاني أن هذه الأصنام لا قدرة لها على الخير والشر، وهو المراد من قوله:
قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات
رحمته. وثبت أنه لا بد من الإقرار بوجود الإله القادر الحكيم الرحيم، وثبت أن هذه الأصنام لا قدرة لها على الخير
والشر، وإذا كان كذلك كانت عبادة الله كافية والاعتماد عليه كافياً، وهو المراد من قوله: قل حسبي الله عليه يتوكل
المتوكلون. قوله تعالى: أفرأيتم ما تدعون، يجوز أن تكون المتعدية لاثنين: أولهما ما تدعون، وثانيهما الجملة الاستفهامية،
والعائد على المفعول منها قوله هن، وإنما أنث تحقيراً لما تدعون من دونه، ولأنهم كانوا يسمونها بأسماء الإناث:
اللات ومناة والعزى، وتقدم تحقيق هذا. قوله: هل هن كاشفات، قرأ أبو عمرو كاشفات وممسكات بالتنوين
ونصب ضره ورحمته، وهو الأصل في اسم الفاعل، والباقون بالإضافة وهو تخفيف. فصل قال مقاتل: لما نزلت
هذه الآية سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا، فقال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم: قل حسبي الله،
ثقتي بالله واعتمادي عليه، عليه يتوكل المتوكلون. قوله: قل يا قوم اعملوا على مكانتكم، وهذا أمر
تهديد، أي إنكم تعتقدون في أنفسكم أنكم في نهاية القوة والشدة فاجتهدوا في أنواع مكركم وكيدكم فإني عامل
في تقرير ديني فسوف تعلمون أن العذاب والخزي يصيبني أو يصيبكم. قوله تعالى: إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس
بالحق الآية. اعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعظم عليه إصرارهم على الكفر كما قال تعالى: فلعلك باخع نفسك
على آثارهم، وقال: فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، وقال: لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين. فلما بين
الله تعالى في هذه الآيات فساد مذاهب المشركين تارة بالدلائل والبينات وتارة بضرب الأمثال وتارة بذكر
الوعد والوعيد أردفه بكلام يزيل ذلك الخوف العظيم عن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: إنا أنزلنا
عليك الكتاب الكامل الشريف لنفع الناس وهدايتهم، وجعلنا إنزاله مقروناً بالحق، وهو المعجز الذي يدل على أنه
من عند الله، فمن اهتدى فنفعه يعود إليه، ومن ضل فضرر ضلاله يعود إليه، وما أنت عليهم بوكيل، أي لست
مأموراً بأن تحملهم على الإيمان على سبيل القهر، بل القبول وعدم القبول مفوض إليهم، وذلك تسلية للرسول عليه
السلام. ثم بين تعالى أن الهداية والضلال لا يحصلان إلا من الله تعالى، لأن الهداية تشبه الحياة واليقظة،
والضلال يشبه الموت والنوم، فكما أن الحياة واليقظة لا يحصلان إلا بتخليق الله كذلك الهداية لا تحصل إلا
بتوفيق الله تعالى، وكما أن الموت والنوم لا يحصلان إلا بتخليق الله تعالى كذلك الضلال لا يحصل إلا بأمر الله

ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سر الله في القدر ومن عرف سر الله تعالى في القدر هانت عليه المصائب فيصير التنبيه
على هذه الدقيقة سببا لزوال الحزن عن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا وجه النظم وفيه وجه آخر وهو أنه
تعالى ذكر حجة أخرى في إثبات أنه إله العالم ليدل على أنه بالعبادة أحق من هذه الأصنام **قوله تعالى** الله يتوفى
الأنفس حين موتها أي الأرواح حين موتها فيقبضها عند انقضاء آجالها وقوله حين موتها يريد موت أجسادها
والتي لم تمت يريد يتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها فالتي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز
ولكل إنسان نفسان أحدهما نفس الحياة وهي التي تفارقه عند الموت وتزول بزوالها النفس والأخرى هي
النفس التي تفارقه إذا نام وهو بعد النوم يتنفس فيمسك التي قضى عليها الموت فلا يردها إلى الجسد ويرسل
الأخرى أي يردها إلى الجسد وهي التي لم يقض عليها الموت إلى أجل مسمى وهو وقت موته **قوله تعالى** والتي
لم تمت عطف على الأنفس حين تموت ويتوفى أيضا الأنفس التي لم تمت في منامها ففي منامها ظرف ليتوفى
وقرأ الأخوان قضي مبنيا للمفعول ورفعا الموت لقيامه مقام الفاعل **فصل** قيل إن للإنسان نفسا وروحا فعند النوم
تخرج النفس وتبقى الروح وعن علي قال تخرج الى جسده بأسرع من لحظة ويقال إن أرواح الأحياء والأموات
تلتقي في المنام فيتعارف ما شاء الله فإذا أرادت الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده
وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها حتى ترجع إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون لدلالات
على قدرته حيث لم يغلط في إمساك ما يمسك من الأرواح وإرسال ما يرسل منها وقال مقاتل لعلامات لقوم
يتفكرون في أمر البعث يعني أن توفي نفس النائم وإرسالها بعد التوفي دليل على البعث **قال قيل** قوله الله يتوفى
الأنفس يدل على أن المتوفي هو الله تعالى فقط ويؤكده قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة وبقوله الذي يحيي ويميت
وقال في آية أخرى قل يتوفاكم ملك الموت وقال في آية أخرى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا فكيف الجمع **والجواب**
أن المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى إلا أنه تعالى فوض كل نوع إلى ملك من الملائكة ففوض قبض الأرواح إلى ملك الموت
وهو الرئيس وتحته أتباع وخدم وأضيف التوفي في آية إلى الله تعالى وهي الإضافة الحقيقية وفي آية إلى ملك الموت
لأنه الرئيس في هذا العمل وفي آية إلى أتباعه والله أعلم **قوله** أم اتخذوا أم منقطعة فتقدر ببل والهمزة واعلم أن
الكفار أوردوا على هذا الكلام سؤالا فقالوا نحن لا نعبد هذه الأصنام لاعتقاد أنها تضر وتنفع وإنما نعبدها لأجل أنها
تماثيل لأشخاص كانوا عند الله من المقربين فنحن نعبدها ليشفع لنا أولئك المقربون عند الله فأجاب الله تعالى
عنه بقوله أم اتخذوا من دون الله شفعاء **قوله** قل أولو كانوا تقدم الكلام على نحو أولو وكيف هذا التركيب وأي
قل يا محمد أولو كانوا أي وإن كانوا يعني الآلهة لا يملكون شيئا من الشفاعة ولا يعقلون أنكم تعبدونهم وجواب
هذا محذوف تقديره وإن كانوا بهذه الصفة تتخذونهم قل لله الشفاعة جميعا قال مجاهد لا يشفع أحد إلا
له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون **قوله** وإذا ذكر الله وحده اشمأزت نفرت قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل
أي انقبضت عن التوحيد وقال قتادة استكبرت وأصل الاشمئزاز النفور والاستكبار قلوب الذين لا يؤمنون
بالآخرة وهذا نوع آخر من أعمال المشركين القبيحة وإذا ذكر الذين من دونه يعني الأصنام إذا هم يستبشرون
يعني يفرحون قال مجاهد ومقاتل وذلك حين قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة النجم فألقى الشيطان في أمنيته
تلك الغرانيق العلى ففرح به الكفار **قوله** وإذا ذكر الذين قال الزمخشري فإن قلت ما العامل في إذا ذكر قلت
العامل في إذا الفجائية تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار قال أبو حيان أما قول الزمخشري فلا
أعلمه من قول من ينتمي إلى النحو وهو أن الظرفين معمولان لفاجأوا ثم إذا الأولى ينتصب على الظرفية والثانية على المفعول
به وقال الحوفي إذا هم يستبشرون إذا مضافة إلى الابتداء والخبر وإذا مكررة للتوكيد وحذف ما يضاف إليه والتقدير
إذا كان ذلك ثم يستبشرون فيكون ثم يستبشرون هو العامل في إذا المعنى إذا كان كذلك استبشروا وقال
أبو حيان يبعد جدا عن الصواب إذ جعل إذا مضافة إلى الابتداء والخبر ثم قال وإذا مكررة للتوكيد وحذف
ما يضاف إليه إلى آخر كلامه فإذا كانت إذا حذف ما يضاف إليه فكيف يكون مضافة إلى الابتداء والخبر الذي
هو هم يستبشرون وهذا كله توجيه عدم الإتقان لعلم النحو والتخليط فيه انتهى قال شهاب الدين وفي هذه
العبارة تحامل على أهل العلم المرجوع إليهم فيه واختار أبو حيان أن يكون العامل في إذا الشرطية الفعل بعدها
لا جوابها وأنها ليست مضافة لما بعدها وإن كان قول الأكثرين جعل إذا الفجائية معمولة لما بعدها سواء كانت
زمانا أم مكانا أما إذا قيل إنها حرف فلا تحتاج إلى عامل وهي رابطة لجملة الجزاء بالشرط كالفاء والاشمئزاز النفور
والتقبض وقال أبو زيد هو الذعر اشمأز فلان أي ذعر ووزنه افعلل كاقشعر قال الشاعر
إذا عض الثقاف بها اشمأزت ... وولته عشوزنة زبونا قال الزمخشري ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز
إذ كل واحد منهما غاية في بابه لأن الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى يظهر ذلك السرور في أسرة وجهه ويتهلل

ويتهلل والاشمئزاز أن يعظم غمه وغيظه فينقبض الروح إلى داخل القلب فيبقى في أديم الوجه أثر الغبرة والظلمة اللازمة
ولما حكى عنهم هذا الأمر العجيب الذي تشهد فطرة العقل بفساده أردفه بذكر الدعاء العظيم فقال قل اللهم فاطر السموات
والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون روى أبو سلمة قال سألت عائشة بم كان
يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته بالليل قالت كان يقول اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض
عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي
من تشاء إلى صراط مستقيم ولما حكى عنهم هذا المذهب الباطل ذكر في وعيدهم أشياء أولها أن هؤلاء الكفار لو ملكوا كل ما في
الأرض من الأموال وملكوا مثله معه جعلوا الكل فدية لأنفسهم من العذاب الشديد وثانيها قوله وبدا لهم من الله ما لم
يكونوا يحتسبون أي ظهرت لهم أنواع من العذاب لم تكن في حسابهم وهذا كقوله عليه السلام في صفة الثواب في الجنة
فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكذلك حصل في العقاب مثله وهو قوله تعالى وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون وقال مقاتل ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة وقال السدي
ظنوا أن أعمالهم حسنات فبدت لهم سيئات والمعنى أنهم كانوا يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم
من الله ما لم يحتسبوا وثالثها قوله تعالى وبدا لهم سيئات ما كسبوا أي مساوي أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله وحاق
بهم أي أحاط بهم من جميع الجوانب ما كانوا به يستهزئون فنبه تعالى بهذه الوجوه على عظم عقابهم **قوله** سيئات ما كسبوا
يجوز أن يكون ما مصدرية أي سيئات كسبهم أو بمعنى الذي أي سيئات أعمالهم التي اكتسبوها **قوله** فإذا مس الإنسان ضر دعانا
الآية وهذه حكاية طريقة أخرى من طرائقهم الفاسدة وهي أنهم عند الوقوع في الضر الذي هو الفقر والمرض يفزعون
إلى الله تعالى ويرون أن دفع ذلك البلاء لا يكون إلا منه ثم إنه تعالى إذا خوله أعطاه نعمة يقول إنما أوتيته على علم
أي على علم من الله أني له أهل وقيل إن كان ذلك سعادة في المال وعافية في النفس يقول إنما حصل له ذلك بجده
واجتهاده وإن كان مالا يقول إنما حصل بكسبي وإن كان صحة قال إنما حصل بسبب العلاج الفلاني وهذا تناقض
عظيم لأنه لما كان عاجزا محتاجا أضاف الكل إلى الله وفي حال الصحة والسلامة قطعه من الله وأسنده إلى كسب نفسه
وهذا التناقض قبيح **قوله** إنما أوتيته يجوز أن تكون ما مهيئة وأن يدل على أن نحو إنما قام زيد وأن تكون موصولة والضمير
عائد عليها من أوتيته أي أن الذي أوتيته على علم مني أو على علم من الله في أني استحق ذلك **قوله** بل هي الضمير للنعمة ذكرها
أولا في قوله إنما أوتيته لأنها بمعنى الإنعام وقيل تقديره شيئا من النعمة وأنث هنا اعتبارا بلفظها وقيل بل الحالة
أو الإنابة وإنما عطفت هذه الجملة وهي قوله فإذا مس الإنسان بالفاء التي في أول السورة بالواو لأن هذه مسببة
عن قوله وإذا ذكر أي يشمئزون من ذكر الله ويستبشرون بذكر آلهتهم فإذا مس أحدهم خلاف الأولى حيث لا تسبب
فيها فجيء بالواو التي لمطلق العطف وعلى هذا فالسبب والمسبب جمل اعتراضية قال معناه الزمخشري واستبعد أبو حيان
من حيث أن أبا علي يمنع الاعتراض بجملتين فكيف بهذه الجمل الكثيرة ثم قال والذي يظهر في الربط أنه لما قال ولو أن
للذين ظلموا الآية كان ذلك إشعارا بما ينال الظالمين من شدة العذاب وأنه يظهر لهم يوم القيامة من العذاب
أتبع ذلك بما يدل على ظلمه وبغيه إذ كان إذا مسه ضر دعا الله فإذا أحسن إليه لم ينسب ذلك إليه وقال ابن الخطيب
إن السبب في عطف هذه الآية بالفاء أنه تعالى حكى عنهم قبل هذه الآية أنهم يشمئزون من سماع التوحيد ويستبشرون
بسماع ذكر الشركاء ثم ذكر بفاء التعقيب أنهم إذا وقعوا في الضرر والبلاء التجأوا إلى الله وحده فكان الفعل الأول مناقضا
للفعل الثاني فذكر بفاء التعقيب ليدل به على أنهم واقعون في المناقضة الصريحة في الحال وأنه ليس بين الأول والثاني
فاصلة مع أن كل واحد منهما مناقض للثاني فهذا فائدة ذكر فاء التعقيب ههنا وأما الآية الأولى فليس المقصود منها
بيان وقوعهم في التناقض في الحال فلا جرم ذكره تعالى بحرف الواو لا بحرف الفاء ومعنى قوله فتنة أي استدراج من الله تعالى
وامتحان وبلية وقيل بل كلمته التي قالها فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون أنه استدراج وامتحان **قوله** قد قالها أي قال
القولة المذكورة وهي قوله إنما أوتيته على علم لأنها كلمة أو جملة من القول وقرئ قد قاله أي هذا القول والكلام والمراد
بالذين من قبلهم قارون وقومه حيث قال إنما أوتيته على علم عندي وقومه راضون به فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون
في الأمم الماضية من قالها **قوله** فما أغنى يجوز أن تكون هذه نافية أو استفهامية مؤولة بالنفي وإذا احتملت النافية ولها
بالنفي فليجعلها نافية استراحة من المجاز ومعنى الآية ما أغنى عنهم الكفر من العذاب شيئا **قوله** فأصابهم سيئات ما
كسبوا أي جزاؤها يعني العذاب ثم أوعد كفار مكة فقال والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا ثم قال
وما هم بمعجزين أي بفائتين لأن مرجعهم إلى الله عز وجل **قوله** أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني
أولم يعلموا أن الله هو الذي يبسط الرزق تارة ويقبض أخرى ويدل على ذلك أنا نرى الناس مختلفين في سعة الرزق
وضيقه فلا بد لذلك من سبب وذلك السبب ليس هو عقل الرجل وجهله لأنا نرى العاقل القادر في أشد الضيق
ونرى الجاهل الضعيف في أعظم السعة وليس ذلك أيضا لأجل الطبائع ولا النجوم والأفلاك لأن في الساعة التي ولد

[الصفحة اليمنى]

فيها ذلك الملك الكريم والسلطان القاهر وان راينا ايضا عالما من الناس وعالما من الحيوانات غير الانسان تولدا ايضا في
تلك الساعة عالما من النبات فلما شاهدنا حدوث هذه الاشيا الكثيرة في تلك الساعة الواحدة مع كونها مختلفة
في السعادة والشقاوة علمنا ان الفاعل لذلك هو الله تعالى فصح بهذا البرهان القاطع صحة قوله تعالى الله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقال الشاعر ❊ فلا السعد يقضي به المشتري ❊ ولا النحس يقضي علينا زحل
ولكنه حكم رب السما ❊ وقاضي القضاة تعالى وجل ❊ قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا الاية ❊ لما ذكر الوعيد
اردفه بشرح كمال رحمته وفضله ❊ قيل في هذه الاية انواع من المعاني والبيان حسنة منها اقباله عليهم
ونداؤهم ومنها اضافتهم اليه اضافة تشريف ❊ ومنها الالتفات من التكلم الى الغيبة في قوله من رحمة الله ❊ ومنها
اضافة الرحمة لاجل اسمائه الحسنى ❊ ومنها اعادة الظاهر بلفظه في قوله ان الله ❊ ومنها ابراز الجملة من قوله انه
هو الغفور الرحيم مؤكدة بان وبالفصل وباعادة الصفتين اللتين تضمنتهما الاية السابقة **فصل**
روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان ناسا من اهل الشرك كانوا قتلوا واكثروا وزنوا واكثروا فاتوا النبي صلى الله عليه
وسلم وقالوا ان الذي تدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت هذه الاية ❊ وروى عطاء بن ابي رباح
عن ابن عباس انها نزلت في وحشي قاتل حمزة حين بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام فارسل
اليه كيف تدعوني الى دينك وانت تزعم انه من قتل او اشرك او زنا يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة
وانا قد فعلت ذلك كله فانزل الله الا من تاب وامن وعمل صالحا فقال وحشي هذا شرط شديد لعلي لا اقدر عليه
فهل غير ذلك فانزل الله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشي اراني بعد
في شبهة فلا ادري يغفر لي ام لا فانزل الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله فقال وحشي نعم هذا فجاء واسلم فقال المسلمون هذه له خاصة ام للمسلمين عامة قال بل للمسلمين عامة وروي
عن ابن عمر قال نزلت هذه الاية في عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد اسلموا ثم
فتنوا وعذبوا فافتتنوا وكنا نقول لا يقبل الله من هولاء صرفا ولا عدلا ابدا قوم اسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب
عذبوا فيه فانزل الله هذه الايات فكتبها عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها الى عياش بن ابي ربيعة والوليد بن
الوليد والى اولئك النفر فاسلموا وهاجروا ❊ واعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب **فصل**
دلت هذه الاية على انه تعالى يعفو عن الكباير لان عرف القران جار بتخصيص اسم العباد بالمؤمنين قال تعالى وعباد
الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ❊ وقال عينا يشرب بها عباد الله واذا كان لفظ العبد مذكورا في معرض
التعظيم وجب ان لا يقع الا على المؤمنين واذا ثبت هذا ظهر ان قوله يا عبادي مختص بالمؤمنين ولان المؤمن
هو الذي يعترف بكونه عبدا لله ❊ واما المشركون فانهم يسمون انفسهم بعبد اللات وعبد العزى وعبد
المسيح واذا ثبت ذلك فقوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم عام في جميع المسرفين ثم قال
ان الله يغفر الذنوب جميعا وهذا يقتضي كونه غافرا لجميع الذنوب الصادرة عن المؤمنين وهو المطلوب
فان قيل هذه الاية لا يمكن اجراؤها على ظاهرها والا لزم القطع بكون الذنوب مغفورة قطعا وانتم لا تقولون
به فسقط الاستدلال وايضا فانه تعالى قال عقيب هذه الاية وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم
العذاب الاية ولو كان المراد من الاية انه تعالى يغفر الذنوب جميعا قطعا لما امر عقيبه بالتوبة ولما
خوفهم بنزول العذاب عليهم من حيث لا يشعرون ❊ وايضا قال ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب
الله الاية ❊ وايضا فلو كان المراد ما دل عليه ظاهر الاية لكان ذلك اغراء بالمعاصي واطلاقا في الاقدام عليها
وذلك لا يليق بحكمة الله تعالى واذا ثبت هذا وجب الحمل على ان المراد منه التنبيه على انه لا يجوز ان يظن
العاصي انه لا مخلص له من العذاب البتة فان اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله اذ لا احد من العصاة المذنبين الا ومتى
تاب زال عقابه وصار من اهل المغفرة والرحمة فمعنى قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا اي بالتوبة والانابة
فالجواب قوله ان الاية تقتضي كون كل الذنوب مغفورة قطعا وانتم لا تقولون به قلنا بل نحن نقول به لان
صيغة يغفر للمضارع وهي للاستقبال وعندنا ان الله يخرج من النار من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى
هذا التقدير فصاحب الكبيرة مغفور له قطعا ❊ اما قبل دخول النار واما بعد دخولها فثبت ان دلالة ظاهر
الاية عين مذهبنا ❊ واما قوله لو صارت الذنوب باسرها مغفورة لما امر بالتوبة ❊ فالجواب ان عندنا التوبة
واجبة وخوف العقاب قائم فاذا لم يقطع بازالة العقاب بالكلية بل يقول لعله يعفو مطلقا ولعله يعذب
بالنار مدة ثم يعفو بعد ذلك ❊ وبهذا يخرج الجواب عن بقية الاسولة والله اعلم ❊ وروى مقاتل بن حيان عن
نافع عن ابن عمر قال كنا معشر اصحاب رسول الله عليه السلام نرى او نقول ليس شيء من حسناتنا الا وهي مقبولة
حتى نزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فلما نزلت هذه الاية قلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا

[الصفحة اليسرى]

فقلنا الكباير والفواحش فكنا اذا راينا من اصاب منها قلنا قد هلك فانزل الله هذه الاية فكففنا عن القول في ذلك
فكنا اذا راينا احدا اصاب منها شيئا خفنا عليه وان لم يصب منها شيئا رجونا له واراد بالاسراف ارتكاب الكباير ❊ وروي ان
ابن مسعود دخل المسجد فاذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على راسه فقال يا مذكر لم تقنط الناس ثم قرا
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي ❊ وروى ابو هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رجل لم يعمل خيرا قط لاهله اذا مات فحرقوه ثم ذروا نصفه في البر ونصفه
في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه احدا من العالمين فلما مات فعلوا ما امرهم فامر الله البحر
فجمع ما فيه وامر البر فجمع ما فيه ثم قال له لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب وانت اعلم فغفر له ❊ وعن ضمضم بن
جوس قال دخلت مسجد المدينة فناداني شيخ فقال يا يماني تعال وما اعرفه فقال لا تقولن لرجل والله لا يغفر الله
لك ابدا ولا يدخلك الجنة قلت ومن انت يرحمك الله قال ابو هريرة قال فقلت ان هذه الكلمة يقولها احدنا لبعض اهله
اذا غضب او لزوجه او لخادمه قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان رجلين كانا في بني اسرايل
متحابين ❊ احدهما مجتهد في العبادة والاخر كانه يقول مذنب فجعل يقول اقصر عما انت فيه قال فيقول خلني وربي قال
حتى وجده يوما على ذنب استعظمه فقال اقصر فقال خلني وربي ابعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك ابدا
ولا يدخلك الجنة ابدا قال فبعث اليهما ملكا فقبض ارواحهما فاجتمعا عنده فقال للمذنب ادخل الجنة برحمتي وقال
للاخر اتستطيع ان تحظر على عبدي رحمتي فقال لا يا رب فقال اذهبوا به الى النار قال ابو هريرة والذي نفسي بيده
لتكلم بكلمة اوبقت دنياه واخرته ❊ قوله عز وجل ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم **قوله** يا عبادي ❊ قرا
نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم يا عبادي بفتح اليا والباقون وعاصم في بعض الروايات بغير فتح وكلهم يقفون عليها
باثبات اليا لانها ثابتة في المصحف الا في بعض رواية ابي بكر عن عاصم انه يقف بغير يا **قوله** لا تقنطوا ❊ قرا ابو عمرو
والكسائي بكسر النون والباقون بفتحها وهما لغتان ❊ قال الزمخشري وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب
جميعا لمن يشاء **قوله** وانيبوا الى ربكم ❊ قال الزمخشري اي توبوا اليه واسلموا له اي واخلصوا له العمل من قبل ان ياتيكم
العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم يعني القران والقران كله حسن ومعنى الاية ما قال الحسن
الزموا طاعته واجتنبوا معصيته فان في القران ذكر القبيح لتجتنبه وذكر الادون لئلا ترغب فيه وذكر الاحسن لتؤثره
وقيل الاحسن الناسخ دون المنسوخ لقوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها ثم قال من قبل ان
ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون وهذا تهديد وتخويف ❊ والمعنى يفاجئكم العذاب وانتم غافلون عنه ❊ واعلم انه
تعالى لما خوفهم بالعذاب بين انهم بتقدير نزول العذاب عليهم ماذا يقولون فحكى تعالى عليهم ثلاثة انواع من الكلام فالاول
بين انهم بتقدير نزول مفعول من اجله فقدره الزمخشري كراهة ان يقول ولا حاجة الى اضمار هذا العامل مع وجود
وانيبوا وانما نكر نفسا لانه اراد التكثير كقول الاعشى ❊ ورب بقيع لو هتفت بجوه ❊ اتاني كريم ينفض الراس مغضبا ❊ يريد
اتاني كرام كثيرون لا كريم واحد فانه المعنى المقصود ويجوز ان يريد نفسا متميزة من بين الانفس باللجاج الشديد
في الكفر او بالعذاب العظيم **قوله** يا حسرتا ❊ العامة على الالف بدلا من يا الاضافة ❊ وعن ابن كثير يا حسرتاه بها السكت
وقفا وابو جعفر يا حسرتي على الاصل وعنه ايضا يا حسرتاي بالالف واليا وفيها وجهان ❊ احدهما الجمع بين العوض والمعوض
منه ❊ والثاني انه تثنية حسرة مضافة ليا المتكلم واعترض على هذا بانه كان ينبغي ان يقال يا حسرتي بادغام يا النصب
في يا الاضافة واجيب بانه يجوز ان يكون راعى لغة الحارث بن كعب وغيرهم نحو رايت الزيدان ❊ وقيل الالف بدل
من اليا واليا بعدها مزيدة ❊ وقيل الالف مزيدة بين المتضايفين وكلاهما ضعيف **قوله** على ما فرطت ❊ ما مصدرية
اي على تفريطي وثم مضاف اي في جنب طاعة الله ❊ وقيل في جنب الله المراد به الامر والجهة يقال هو في جنب فلان
وجانبه اي جهته وناحيته قال ❊ الناس جنب والامير جنب ❊ وقال اخر
اي جنب تكني قطعتني ملامة ❊ سلمى لقد كانت ملامتها ثما ❊ ثم اتسع فيه فقيل فرط في جنبه اي في حقه قال
اما تتقين الله في جنب عاشق ❊ له كبد حرى عليك تقطع ❊ المعنى ان تقول نفس يا حسرتا يعني لان تقول نفس كقوله
والقى في الارض رواسي ان تميد بكم اي لئلا تميد بكم ❊ قال المبرد اي بادروا واحذروا ان تقول نفس ❊ قال الزجاج
خوف ان تصيروا الى حال يقولون يا حسرتا يا ندامتنا ❊ والتحسر الاغتمام على ما فات واراد يا حسرتي على الاضافة
لكن العرب تحول بالكتابة الفائية الاستغاثة فيقول يا ويلتا يا ندامتا وربما الحقوا بها اليا بعد الالف ليدل
على الاضافة كقراءة ابي جعفر المتقدمة ❊ وقيل معنى قوله يا حسرتا اي يا ايتها الحسرة هذا وقتك على ما فرطت في جنب
الله ❊ قال الحسن قصرت في طاعة الله ❊ وقال مجاهد في امر الله ❊ وقال سعيد بن جبير في حق الله ❊ وقيل قصرت
في الجانب الذي يودي الى رضى الله والعرب تسمي الجنب جانبا ثم قال وان كنت لمن الساخرين المستهزئين بدين الله
قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر باهل طاعته ❊ محل وان كنت النصب على الحال كانه قال

فرطت وان لساخرين فرطت في جانب سخريتي ❊ النوع الثاني من الكلمات التي حكاها الله تعالى بعد نزول العذاب عليهم قوله
او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين ❊ النوع الثالث او تقول حين ترى العذاب عيانا لو ان لي كرة رجعة الى
الدنيا فاكون من المحسنين الموحدين فتحسروا اولا على التفريط في طاعة الله وثانيا عللوا بفقد الهداية وثالثا
تمنوا الرجعة قوله فاكون ❊ في نصبه وجهان احدهما عطفه على كرة فانها مصدر فعطف مصدر مؤول على مصدر
مصرح به كقولها ❊ للبس عباءة وتقر عيني احب الي من لبس الشفوف ❊ وقول الاخر
فمالك منها غير ذكرى وحسرة وتسال عن ركبانها اين يمموا ❊ والثاني انه منصوب على جواب التمني المفهوم من
قوله لو ان لي كرة ❊ والفرق بين الوجهين ان الاول يكون فيه الكون متمنى ويجوز ان تضمر ان وان تظهر ❊ والثاني
يكون فيه الكون مترتبا على حصول المتمنى لا متمنى ويجب ان تضمر ان قوله بلى حرف جواب وفيها وقعت جوابا
لنفي تقدير قال ابن عطية وحق بلى ان تجي بعد نفي عليه تقرير كان النفس قالت لم يتسع لي النظر
له وجهان احدهما هو نفي مقدر ❊ او لم يبين الامر ❊ قال ابو حيان ليس حقها النفي المقرر بل حقها النفي ثم حمل التقرير عليه ولذلك اجاب بعض العرب
النفي المصدر بسعود دون بلى وكذا وقع في عبارة سيبويه نفسه ❊ والثاني ان التمني المذكور وجوابه متضمنان
لنفي الهداية كانه قال لم اهتد فرد الله عليه ذلك ❊ قال الزجاج بلى جواب النفي وليس في الكلام لفظ النفي الا انه
حصل فيه معنى النفي لان قوله لو ان الله هداني انه ما هداني فلا جرم حسن ذكر بلى بعده ❊ قال الزمخشري فان
قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما قلت لانه لا يخلو اما ان يقدم
على احدى القراين الثلاث فيفرق بينهن واما ان يوخر القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم
بالجمع بين القراين ❊ واما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد
الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جا عليه وهو انه حكى اقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم اجاب من بينها
عما اقتضى الجواب قوله جاءتك ❊ قرا العامة بفتح الكاف فكذبت واستكبرت وكنت بفتح التا خطابا للكافر دون النفس
وقرا الجحدري وابو حيوة وابن يعمر والشافعي عن ابن كثير وروتها ام سلمة عنه عليه السلام وبها قرا ابو بكر
وابنته عايشة رضي الله عنهما بكسر الكاف والتا خطابا للنفس والحسن والاعرج والاعمش جائتك بوزن جعتك
بهمزة دون الف فيحتمل ان يكون قصرا كقراة قنبل ان راه استغنى وان يكون في الكلمة قلب بان قدمت اللام
على العين فالتقى ساكنان فحذفت الالف لالتقائهما نحو رمت وغزت ومعنى الاية فقال لهذا القايل بلى قد جاءتك
اياتي يعني القران فكذبت بها وقلت ليست من الله واستكبرت اي تكبرت عن الايمان بها وكنت من الكافرين قوله
ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ❊ العامة على رفع وجوههم مسودة وهي جملة من
مبتدا وخبر وفي محلها وجهان ❊ احدهما النصب على الحال من الموصول لان الروية بصرية وكذا اعربها الزمخشري
ومن مذهبه انه لا يجوز اسقاط الواو من مثلها الا شاذا ايعاني ذلك الفرا فهذا رجوع منه عن ذلك ❊ والثاني
انها في محل نصب مفعولا ثانيا لان الروية قلبية وهو بعيد لان تعلق الروية البصرية بالاجسام والوانها اظهر
من تعلق القلبية ❊ وقرى وجوههم مسودة بنصبهما على ان وجوههم بدل بعض من كل ومسودة على ما تقدم
من النصب على الحال او على المفعول الثاني ❊ وقال ابو البقا ولو قرى وجوههم بالنصب لكان بدل الاشتمال ❊ قال
شهاب الدين قد قرى به والحمد لله ولكن ليس كما قال على بدل الاشتمال بل على بدل البعض وكانه سبق لسان
او طغيان قلم ❊ وقرى اجوههم بقلب الواو همزة وهو فصيح نحو اقتت وبابه ❊ وقوله اليس في جهنم مثوى للمتكبرين عن
الايمان قوله وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم ❊ قرا الاخوان وابو بكر بمفازاتهم جمعا لما اختلفت انواع المصدر جمع
كقوله تعالى وتظنون بالله الظنونا ولان لكل متق نوعا اخر من المفازة والباقون بالافراد على الاصل ❊ وقيل ثم مضاف
محذوف اي بدواعي مفازتهم او باسبابها والمفازة المنجاة وقيل لا حاجة لذلك اذ المراد بالمفازة الفلاح ❊ قال البغوي
لان المفازة بمعنى الفوز اي ينجيهم بفوزهم من النار باعمالهم الحسنة ❊ وقال المبرد المفازة مفعلة من الفوز والجمع
حسن كالسعادة والسعادات قوله لا يمسهم السوء ❊ فلا محل لها ويجوز ان تكون في محل نصب على الحال من الذين اتقوا
ومعنى الكلام لا يصيبهم مكروه ولا هم يحزنون قوله الله خالق كل شي الاية ❊ تقدم الكلام على هذه الاية في الانعام
وانها تدل على ان اعمال العباد مخلوقة لله تعالى ❊ وقال الكعبي هنا ان الله تعالى مدح نفسه بقوله الله خالق كل
شي وليس من المدح ان يخلق الكفر والقبائح فلا يصح احتجاج المخالف به ❊ وايضا فلفظة كل فلا توجب العموم لقوله
تعالى واوتيت من كل شي يريد كل شي يحتاج الملك اليه ❊ وايضا لو كانت اعمال العباد من خلق الله لما اضافها اليهم
بقوله كفارا حسدا من عند انفسهم ولما صح قوله تعالى ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ❊ وقال
الجبائي الله خالق كل شي سوى افعال خلقه التي صح فيها الامر والنهي واستحقوا بها الثواب والعقاب ولو كانت
افعالهم خلقا لله تعالى لما جاز ذلك فيه كما لا يجوز في الوانهم وصورهم ❊ وقال ابو مسلم الخلق هو التقدير لا الايجاد

لا الايجاد فاذا اخبر الله انهم يعملون الفعل الفلاني فقد قدر ذلك الفعل فصح ان يقال انه تعالى خلقه وان لم يكن
موجدا له ❊ والجواب عن هذه الوجوه تقدم في سورة الانعام ❊ واما قوله وهو على كل شي وكيل اي الاشياء كلها موكولة
اليه فهو القايم بحفظها وتدبيرها من غير مشارك وهذا ايضا يدل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لان فعل العبد لو
وقع بخلق العبد لكان ذلك الفعل غير موكول الى الله تعالى فلم يكن الله وكيلا عليه وذلك ينافي قولهم قوله له مقاليد
السموات والارض جملة مستانفة والمقاليد جمع مقلاد او مقليد او لا واحد له من لفظه كاساطير واخواته ويقال
ايضا اقليد واقاليد وهي المفاتيح والكلمة فارسية معربة وفي هذا الكلام استعارة بديعة نحو قولك بيد فلان مفتاح
هذا الامر وليس ثم مفتاح وانما هو عبارة عن شدة تمكنه من ذلك الشي ❊ قال الزمخشري قيل سال عثمان رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سالني عنها احد قبلك تفسيرها لا اله
الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده استغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده
الخير يحيي ويميت وهو على كل شي قدير ❊ وقال قتادة ومقاتل مفاتيح السموات والارض بالرزق والرحمة ❊ وقال الكلبي
خزاين المطر والنبات قوله والذين كفروا بايات الله اوليك هم الخاسرون ❊ وهذا يقتضي انه لا خاسر الا الكافر
وان من لم يكن كافرا فانه لا بد وان يحصل له حظ من رحمة الله ❊ قال الزمخشري فان قلت لم اتصل قوله والذين كفروا
بايات الله بقوله له مقاليد السموات والارض قلت انه اتصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا اي ينجي الله المتقين بمفازتهم
والذين كفروا هم الخاسرون واعترض ما بينهما انه خالق الاشيا كلها وانه له مقاليد السموات والارض ❊ قال ابن
الخطيب وهذا عندي ضعيف من وجهين ❊ الاول ان وقوع الفاصل الكثير بين المعطوف والمعطوف عليه بعيد
❊ الثاني ان قوله وينجي الله الذين اتقوا جملة فعلية وقوله والذين كفروا بايات الله اوليك هم الخاسرون جملة
اسمية وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية لا يجوز ❊ قال شهاب الدين وهذا الاعتراض معترض اذ لا مانع من ذلك
ثم قال ابن الخطيب بل الاقرب عندي ان يقال انه لما وصف الله تعالى بصفات الالهية والجلالة وهو كونه خالقا
للاشيا كلها وكونه مالكا لمقاليد السموات والارض باسرها قال بعده والذين كفروا بهذه الايات الظاهرة الباهرة
اوليك هم الخاسرون قوله قل افغير الله تامروني اعبد ❊ فيه ثلاثة اوجه اظهرها ان غير منصوب باعبد واعبد معمول لتامروني
على اضمار ان المصدرية فلما حذفت بطل عملها وهو احد الوجهين ❊ والاصل افتامروني بان اعبد غير الله ثم قدم مفعول
اعبد على تامروني العامل في عامله وقد ضعف بعضهم هذا بانه يلزم منه تقديم معمول الصلة على الموصول وذلك ان غير
منصوب باعبد واعبد صلة لان وهو لا يجوز وهذا الرد ليس بشي لان الموصول لما حذف لم يراع حكمه فيما ذكرنا انما
يراعى معناه لتصحيح الكلام ❊ قال ابو البقا لو حكمنا بذلك لافضى الى حذف الموصول وابقا صلته وذلك لا يجوز الا في
ضرورة شعر وهذا الذي ذكره فيه نظر من حيث ان هذا مختص بان دون ساير الموصولات وهو انها تحذف ويبقى
صلتها وهو منقاس عند البصريين في مواضع تحذف ويبقى عملها وفي غيرها اذا حذفت لا يبقى عملها الا في ضرورة
او قليل ويتشد بالوجهين ❊ الا ايها الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ❊ ويدل على ارادة ان في الاصل
قراة بعضهم اعبد بنصب الفعل ❊ الثاني ان غير منصوب بتامروني واعبد بدل منه بدل اشتمال
وان مضمرة معه ايضا والتقدير افغير الله تامروني عبادته ❊ والمعنى اتامروني بعبادة غير الله ❊ الثالث
انها منصوبة بفعل مقدر تقديره افتلزموني غير الله اي عبادة غير الله وقدره الزمخشري تعبدونني وتقولون
لي اعبده ❊ والاصل تامرونني ان اعبد فحذف ان ورفع الفعل الا ترى انك تقول او غير الله تقول اني اعبده وافغير
الله تقولون لي اعبده فكذلك افغير الله تقولون لي ان اعبده وافغير الله تامرونني ان اعبده والدليل على صحة الوجه
قراة من قرا اعبد بالنصب ❊ واما اعبد ففيه ثلاثة اوجه ❊ احدها انه مع ان المضمرة في محل نصب على البدل من
غير وقد تقدم ❊ الثاني انه في محل نصب على الحال ❊ الثالث انه لا محل له البتة قوله تامروني ❊ قرا الجمهور تامروني
بادغام نون الرفع في نون الوقاية وفتح اليا ابن كثير وارسلها الباقون ❊ وقرا نافع تامروني بتخفيفه وفتح اليا
وابن عامر تامرونني بالفك وسكون اليا وقد تقدم في سورة الانعام والحجر وغيرهما انه متى اجتمع نون الرفع مع نون
الوقاية جاز ثلاثة اوجه وتقدم تحقيق الخلاف في ايتهما المحذوفة ❊ قال مقاتل وذلك حين قال له المشركون دع
دينك واتبع دين ابايك وتومن بالهتك ونظير هذه الاية قل افغير الله اتخذ وليا وتقدم في تلك الاية وجه
الحكمة في تقديم المفعول ووصفهم بالجهل لانه تقدم وصف الاله بكونه خالقا للاشيا كلها وبكونه له مقاليد
السموات والارض وكون هذه الاصنام جمادات لا تضر ولا تنفع ظاهر فمن اعرض عن عبادة الاله الموصوف بتلك
الصفات المقدسة الشريفة واشتغل بعبادة هذه الاصنام الخسيسة فقد بلغ في الجهل مبلغا لا مزيد عليه فلهذا
قال ايها الجاهلون قوله ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لين اشركت ليحبطن عملك ❊ الذي عملت قبل الشرك
❊ واعلم ان الظاهر ان قوله لين اشركت هذه الجملة هي القايمة مقام الفاعل لانها هي المواخاة واصول البصريين تاتي

بنول سح

ذلك ويقدرون أن القائم مقامه ضمير المصدر لأن الجملة لا تكون فاعلاً عندهم والقائم هنا مقام الفاعل الجار والمجرور
وهو إليك. وقرئ ليحبطن بضم الياء وكسر الباء أي الله ولنحبطن بنون العظمة وليحبطن على البناء للمفعول وعملك
مفعول به على القراءتين الأوليين ومرفوع على الثالثة لقيامه مقام الفاعل. قال ابن الخطيب واللام الأولى موطئة
للقسم المحذوف والثانية لام الجواب. فإن قيل كيف أوحي إليه وإلى من قبله حال شركه على التعيين. فالجواب
تقدير الآية أوحي إليك لئن أشركت ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله أي أوحي إليك وإلى كل أحد منهم
لئن أشركت كما تقول كسانا حلة أي كل واحد منا. فإن قيل كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله لا يشركون
ولا تحبط أعمالهم. فالجواب أن قوله لئن أشركت ليحبطن عملك قضية شرطية والقضية الشرطية لا يلزم من صدقها
صدق جزئيها ألا ترى أن قولك لو كانت الخمسة زوجاً لكانت منقسمة بمتساويين قضية صادقة مع أن كل واحد
من جزئيها غير صادق قال تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ولم يلزم من هذا صدق بأن فيهما آلهة وأنهما
فسدتا. قال المفسرون هذا خطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد منه غيره. فصل هذا أدب
من الله لنبيه وتهديد لغيره لأن الله عز وجل عصمه من الشرك وقوله ولتكونن من الخاسرين. قال ابن الخطيب
كما أن الطاعات الأنبياء والرسل أفضل من طاعات غيرهم فكذلك القبائح التي تصدر عنهم فإنها بتقدير الصدور
تكون أقبح لقوله تعالى إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات فكان المعنى أن الشرك الحاصل منه بتقدير
حصوله منه يكون تأثيره في غضب الله تعالى أقوى وأعظم. قوله بل الله فاعبد الجلالة منصوبة باعبد وتقدم
الكلام في مثل هذه الفاء في البقرة وجعله الزمخشري جواب شرط مقدر أي إن كنت عاقلاً فاعبد الله فحذف الشرط
وجعل تقديم المفعول عوضاً منه ورد أبو حيان عليه بأنه يجوز أن يجيء زيد فعمراً اضرب فلو كان التقديم عوضاً
لم يجمع بين العوضين والمعوض منه. وقرأ عيسى بل الله رفعاً على الابتداء والعائد محذوف أي فاعبده. فصل
لما قال تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد بعيد أنهم أمروه بعبادة غير الله فقال الله تعالى له لا تعبد إلا الله قال
قوله بل الله فاعبد يفيد الحصر وكن من الشاكرين لإنعامه عليك بالهداية. قوله وما قدروا الله حق قدره قرأ
الحسن وأبو حيوة وعيسى قدّروا بالتشديد الحق قدره بفتح الدال وقرأهم الأعمش على فتح الدال من قدره
والمعنى وما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره. قوله والأرض جميعاً قبضته مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال
أي ما عظموه حق تعظيمه والحال أنه موصوف بهذه القدرة الباهرة كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً
فأحياكم أي كيف تكفرون بمن هذا وصفه وحال ملكه كذا. وجميعاً حال وهي دالة على أن المراد بالأرض الأرضون لأن هذا
التأكيد لا يحسن إدخاله إلا على الجمع. قال ابن الخطيب ونظيره قوله تعالى كل الطعام وقوله أو الطفل الذين لم يظهروا
وقوله إن الإنسان لفي خسر ولأن الموضع موضع تفخيم ولعطف الجمع عليها والعامل في هذه الحال ما دل عليه قبضته
ولا يجوز أن يعمل فيها قبضته سواء جعلته مصدراً لأن المصدر لا يتقدم عليه معموله أم مراداً به المقدار. قال الزمخشري
ومع القصد إلى الجمع يعني في الأرض أنه أريد به الجمع وتأكيده بالجميع أتبع الجمع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم أول الأمر
أن الخبر الذي يرد لا يقع عن أرض واحدة ولكن عن الأرضين كلهن. وقال أبو البقاء جميعاً حال من الأرض والتقدير
إذا كانت مجتمعة قبضته أي مقبوضته فالعامل في إذا المصدر لأنه بمعنى المفعول. وقال أبو علي في الحجة التقدير
ذات قبضته وقد رد عليه ذلك بأن المضاف إليه لا يعمل فيما قبله وهذا لا يصح لأنه الآن غير مضاف إليه وبعد
حذف المضاف لا يبقى حكمه انتهى وهو كلام فيه إشكال إذ لا حاجة إلى تقدير العامل في إذا التي لم يلفظ بها وقوله قبضته
إن قدر نائماً مضافاً كما قال الفارسي أي ذات قبضته لم يكن فيه وقوع المصدر موقع مفعول وإن لم يقدر ذلك
احتمل أن يكون المصدر واقعاً موقعه وحينئذ قال كيف أنث المصدر الواقع موقع مفعول وهو غير جائز لا يقال
حلة نسجة اليمن بل نسج اليمن أي منسوجه والجواب أن الممتنع دخول التاء الدالة على التحديد وهذه لمجرد التأنيث
كذا أجيب ولقائل أن يقول المعنى على التحديد لأنه أبلغ في القدرة واحتمل أن يكون أريد بالمصدر مقدار ذلك
القبضة بالفتح المرة وبالضم اسم المقبوض كالغرفة والغرفة قال تعالى فقبضت قبضة من أثر الرسول
والعامة على رفع قبضته والحسن بنصبها وخرجها ابن خالويه وجماعة على النصب على الظرفية أي في قبضته
ورد هذا بأنه ظرف مختص فلا بد من وجود في وهذا هو رأي البصريين وأما الكوفيون فهو جائز عندهم
إذ يجيزون زيد دارك بالنصب أي في دارك. وقال الزمخشري جعلها ظرفاً تشبيهاً للمؤقت بالمبهم فوافق الكوفيين
قوله والسموات مطويات العامة على رفع مطويات خبراً وبيمينه فيه أوجه أحدها أنه متعلق بمطويات الثاني أنه
حال من الضمير في مطويات الثالث أنه خبر ثان وعيسى والجحدري نصباها حالاً واستدل بها الأخفش على جواز تقديم
الحال إذا كان العامل فيها حرف جر نحو زيد قائماً في الدار وهذه لا حجة فيها لإمكان تخريجها على وجهين أظهرهما أن
يكون السموات نسقاً على الأرض ويكون قد أخبر عن الأرضين والسموات بأن الجميع قبضته ويكون مطويات

مطويات حالاً من السموات كما كان جميعاً حالاً من الأرض وبيمينه متعلق بمطويات. والثاني أن يكون مطويات منصوباً
بفعل مقدر وبيمينه الخبر ومطويات وعاملها جملة معترضة وهو ضعيف. فصل لما حكى عن المشركين بأنهم أمروا
الرسول بعبادة الأصنام ثم إنه تعالى أقام الدلائل على فساد قولهم وأمر الرسول بأن يعبد الله ولا يعبد سواه بين أنهم
لو عرفوا الله حق معرفته لما جعلوا هذه الأشياء الخسيسة مشاركة له في المعبودية فقال وما قدروا الله حق قدره
أي ما عظموا الله حق عظمته ولما بين أنهم ما عظموه تعظيماً لائقاً به أردفه بما يدل على عظمته فقال والأرض جميعاً
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه. روى البخاري أن حبراً من الأحبار أتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر
الخلق على إصبع ويقول أنا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ وما قدروا
الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة. روى مسلم قال والجبال والشجر على إصبع وقال ثم يهزهن فيقول
أنا الملك أنا الله. وروى عن ابن أبي شيبة بإسناده عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي الله السموات
يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أنا الجبار أين المتكبرون ولما بين سبحانه وتعالى عظمته قال
سبحانه وتعالى عما يشركون. فصل قال ابن الخطيب وههنا سؤالات. الأول أن العرش أعظم من السموات السبع والأرضين
السبع ثم إنه تعالى قال في صفة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فإذا وصف الملائكة بكونهم حاملين العرش
العظيم فكيف يجوز تقرير عظمة الله عز وجل بكونه حاملاً للسموات والأرض. السؤال الثاني قوله تعالى والأرض جميعاً
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه شرح حال لا تحصل إلا في القيامة والقوم ما شاهدوا ذلك فإن كان
هذا الخطاب مع المصدقين للأنبياء فهم معترفون بأنه لا يجوز القول بجعل الأصنام شركاء لله فلا فائدة في إيراد هذه الحجة
عليهم وإن كان الخطاب مع المكذبين بالنبوة فهم ينكرون قوله والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة فكيف يمكن الاستدلال
به على إبطال القول بالشرك. السؤال الثالث حاصل القول بالقبضة واليمين هو القدرة الكاملة الوافية بحفظ هذه
الأجسام العظيمة فكما أن حفظها وإمساكها يوم القيامة ليس إلا بقدرة الله تعالى فكذلك الآن فما الفائدة في تخصيص
هذه الأحوال بيوم القيامة. والجواب عن الأول أن مراتب التعظيم كثيرة فأولها تقرير عظمة الله بكونه قادراً على حفظ هذه
الأجسام العظيمة كما أن حفظها وإمساكها يوم القيامة عظيم ثم بعده تقرير عظمته بكونه قادراً على إمساك أولئك الملائكة
الذين يحملون العرش. والجواب عن الثاني أن المقصود منه أن المتولي لإبقاء السموات والأرضين من وجوه العمارة في هذا
الوقت هو المتولي لتخريبها وإفنائها يوم القيامة وذلك يدل على حصول قدرة تامة على الإيجاد والإعدام ويدل أيضاً على
كونه قادراً غنياً على الإطلاق فإنه يدل على أنه إذا حاول تخريب الأرض فكأنه يقبض قبضة صغيرة وذلك
يدل على كمال الاستغناء. والجواب عن الثالث أنه إنما خصص تلك الحالة بيوم القيامة ليدل على أنه كما ظهر كمال قدرته
في الإيجاد عند عمارة الدنيا يظهر كمال قدرته في الإعدام عند خراب الدنيا والله أعلم. قوله ونفخ في الصور العامة على
سكون الواو وزيد بن علي وقتادة بفتحها جمع صورة وهذه ترد قول ابن عطية إن الصور هنا يتعين أن يكون القرن ولا
يجوز أن يكون جمع صورة. وقرئ فصعق مبنياً للمفعول وهو مأخوذ من قولهم صعقتهم الصاعقة يقال صعقه الله فصعق
قوله إلا من شاء الله متصل والمستثنى إما جبريل وميكائيل وإسرافيل وإما رضوان والحور والزبانية وإما الباري تعالى قاله
الحسن وفيه نظر من حيث قوله من في السموات ومن في الأرض فإنه لا يتحيز فعلى هذا يتعين أن يكون منقطعاً. قوله ثم نفخ
فيه أخرى يجوز أن يكون أخرى هي القائمة مقام الفاعل وهي في الأصل صفة لمصدر محذوف أي نفخ فيه نفخة أخرى ويؤيده
التصريح بذلك في قوله فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة فصرح بإقامة المصدر. ويجوز أن يكون القائم مقامه فيه وأخرى
منصوبة على ما تقدم. قوله فإذا هم قيام العامة على رفع قيام خبراً وزيد بن علي نصبه حالاً وفيه حينئذ أوجه أحدها
أن الخبر ينظرون وهو العامل في هذه الحال أي فإذا هم ينظرون قياماً. والثاني أن العامل في الحال ما عمل في إذا الفجائية
إذا كانت ظرفاً فإن كانت مكانية قال سيبويه فالتقدير فبالحضرة هم قياماً وإن كانت زمانية كقول الرماني فالتقدير
ففي ذلك الزمان هم قياماً أي وجودهم وإنما احتيج إلى تقدير مضاف في هذا الوجه لأنه لا يخبر بالزمان عن الجثث. الثالث
أن الخبر محذوف هو العامل في الحال أي فإذا هم مبعوثون أو مجموعون قياماً وإذا جعلنا الفجائية حرفاً كقول بعضهم
فالعامل في الحال إما ينظرون وإما الخبر المقدر كما تقدم تحقيقه. فصل لما ذكر كمال قدرته وعظمته بما سبق
ذكره أردفه بذكر طريق آخر يدل أيضاً على كمال عظمته وهو شرح مقدمات يوم القيامة لأن نفخ الصور يكون قبل
ذلك اليوم فقال ونفخ في الصور الآية. واختلفوا في الصعقة فقيل إنها غير الموت لقوله تعالى في موسى عليه
السلام وخر موسى صعقاً وهو لم يمت فهذه النفخة تورث الفزع الشديد وعلى هذا فالمراد من نفخ الصعقة ومن
نفخ الفزع واحد وهو المذكور في سورة النمل في قوله تعالى ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا
من شاء الله وعلى هذا القول فنفخ الصور ليس إلا مرتين. وقيل الصعقة عبارة عن الموت والقائلون بهذا قالوا المراد

بالفزع اى كادوا يموتون من الفزع وهى المذكورة فى سورة النمل والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام وهما
مذكورتان فى هذه السورة ¯ وقوله الا من شاء الله قال ابن عباس نفخة الصعق يموت من فى السموات ومن فى الارض
الا جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يميت الله تعالى ميكائيل واسرافيل ويبقى جبريل وملك الموت ثم يميت
جبريل ثم يميت ملك الموت ¯ وقيل المستثنى هم الشهداء لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون ¯ ورواه ابو هريرة عن
النبى صلى الله عليه وسلم لانه يصعق ولا يصعق ثانيا ¯ وقيل هم الحور العين وسكان العرش والكرسى ¯ وقال قتادة الله
اعلم بهم وليس فى القرآن والاخبار ما يدل على انهم من هم ثم قال ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وهذا يدل على
ان هذه النفخة متاخرة عن النفخة الاولى لان لفظة ثم للتراخى ¯ وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون سنة
قال ابيت قال ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الانسان شئ لا يبلى الا عظم واحد وهو
عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة ¯ وقوله فاذا هم قيام ينظرون يعنى ان قيامهم من القبور يحصل عقيب
هذه النفخة الاخيرة فى الحال من غير تراخ لان الفاء فى قوله فاذا هم يدل على التعقيب وقوله ينظرون ان ماذا يفعل
بهم ¯ ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود فى مكان لاجل الاستيلاء والحيرة والدهشة عليهم قوله واشرقت
الارض ¯ العامة على بنائه للفاعل وابن عباس وابو الجوزاء وعبيد بن عمير على بنائه للمفعول وهو منقول بالهمزة من شرقت
اذا طلعت وليس من اشرقت بمعنى اضاءت لان ذلك لازم وجعله ابن عطية مثل رجع ورجعته ووقف ووقفته يعنى
فيكون اشرقت لازما ومتعديا فصل هذه الارض عرصة القيامة وليست بارضنا الان لقوله تعالى يوم تبدل
الارض غير الارض ¯ وقوله بنور ربها اى خالقها حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه ¯ وقال الحسن والسدى
بنور ربها اى بعدل ربها ¯ قال عليه السلام انكم سترون ربكم وقال كما لا تضارون فى الشمس فى اليوم الصحو وقوله
ووضع الكتاب اى كتاب الاعمال لقوله وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا
وقوله ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ¯ وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ ¯ وقوله وجئ
بالنبيين والشهداء قال ابن عباس يعنى الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم
وقال عطاء ومقاتل يعنى الحفظة لقوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ¯ وقيل اراد بالشهداء المستشهدون
فى سبيل الله ثم قال وقضى بينهم بالحق اى بالعدل وهم لا يظلمون اى لا يزادون فى سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم ¯ ووفيت
كل نفس ما عملت اى ثواب ما عملت ¯ واعلم انه تعالى لما بين انه يوصل الى كل واحد حقه عبر عن هذا المعنى باربع عبارات
اولها قوله تعالى وقضى بينهم بالحق ¯ وثانيها قوله تعالى وهم لا يظلمون ¯ وثالثها قوله تعالى ووفيت كل نفس ما عملت
اى جزاء ما عملت ¯ ورابعها قوله تعالى وهو اعلم بما يفعلون يعنى انه ان لم يكن عالما بكيفيات احوالهم فلعله لا يقضى
بالحق لاجل عدم العلم اما اذا كان عالما بمقادير افعالهم وبكيفياتها امتنع دخول الخطأ عليه والمقصود من الاية
المبالغة فى تقرير ان كل مكلف فانه يصل الى حقه قال عطاء يريد انى عالم بافعالهم لا احتاج الى كاتب ولا شاهد قوله
وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا ¯ لما شرح احوال اهل القيامة على سبيل الاجمال وقال ووفيت كل نفس ما عملت بين
بعده كيفية احوال الثواب ¯ فاما شرح احوال العقاب فهو هذه الاية وهذا السوق يكون بالعنف والدفع يدل على الثواب ثم كيفية احوال
قوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا اى يدفعون دفعا وقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا قوله زمرا حال
وزمر جمع زمرة وهى الجماعات فى تفرقة بعضها اثر بعض وتزمروا تجمعوا قال ¯ حتى احزالت زمر بعد زمر ¯
هذا قول ابى عبيدة والاخفش ¯ وقال الراغب الزمرة الجماعة القليلة ومنه شاة زمرة اى قليلة الشعر ¯ ورجل
زمر اى قليل المروة وزمرت النعامة تزمر زمارا ومنه اشتق الزمر والزمارة كناية عن الفاجرة قوله حتى اذا ¯ تقدم الكلام
فى حتى الداخلة على اذا مرارا وجواب اذا قوله فتحت وتقدم خلاف القراء فى التشديد والتخفيف فى سورة الانعام
قوله وقال لهم خزنتها الم ياتكم ¯ قرأ ابن هرمز الم تاتكم بتاء التأنيث لتانيث الجمع ومنكم صفة لرسل او متعلق
بالاتيان ويتلون صفة اخرى وحال الذين فى الموضعين حال مقدرة فصل بين تعالى انهم يساقون الى
جهنم فاذا جاؤها فتحت ابوابها وهذا يدل على ان ابواب جهنم تكون مغلقة قبل ذلك وانما تفتح عند وصول
الكفار اليها فاذا دخلوا جهنم قالوا لهم خزنة جهنم الم ياتكم رسل منكم اى من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم
وينذرونكم لقاء يومكم هذا فان قيل لم اضيف اليوم اليهم فالجواب اراد لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم
النار لا يوم القيامة واستعمال لفظ اليوم والايام فى اوقات الشدة مستفيض فعند هذا يقول الكفار بلى
اتونا وتلوا علينا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين اى وجبت كلمة العذاب وهى قوله عز وجل لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذا صريح فى ان السعيد لا ينقلب شقيا والشقى لا ينقلب سعيدا ودلت
الاية على انه لا وجوب قبل مجئ الشرع لان الملائكة بينوا انه ما بقى لهم عذر ولا علة بعد مجئ الانبياء عليهم السلام

السلام ولو لم يكن مجئ الانبياء شرطا فى استحقاق العذاب لما بقى فى هذا الكلام فائدة ثم ان الملائكة اذا سمعوا منهم هذا الكلام
قالوا لهم ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ¯ قالت المعتزلة لو كان دخولهم النار لاجل انهم حقت
عليهم كلمة العذاب لم يبق لقول الملائكة فبئس مثوى المتكبرين فائدة ¯ واجيبوا بان هذا الكلام انما يبقى مفيدا اذا
قلنا انهم انما دخلوا النار لانهم تكبروا على الانبياء ولم يقبلوا قولهم ولم يلتفتوا الى دلائلهم وذلك يدل على صحة قولنا والله
اعلم قوله وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ¯ فان قيل السوق فى اهل النار معقول لانهم لما امروا بالذهاب الى موضع
العذاب لا بد وان يساقوا اليه ¯ واما اهل الثواب فاذا امروا بالذهاب الى موضع السعادة والراحة فاى حاجة
فيه الى السوق فالجواب من وجوه ¯ الاول ان المحبة والصداقة باقية بين المتقين يوم القيامة كما قال تعالى
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فاذا قيل لواحد منهم اذهب الى الجنة فيقول لا ادخلها الا مع احبائى
واصدقائى فيتاخرون لهذا السبب فحينئذ يحتاجون الى السوق الى الجنة ¯ والثانى ان المتقين قد عبدوا الله
لا للجنة ولا للنار فيصير شدة استغراقهم فى مشاهدة مواقف الجلال مانعا لهم من الرغبة فى الجنة فلا جرم يحتاجون الى
ان يساقون الى الجنة ¯ والثالث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اكثر اهل الجنة البله وعليون للابرار فلهذا السبب
يساقون الى الجنة ¯ الرابع ان اهل النار واهل الجنة يساقون الا ان المراد بسوق اهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف
كما يفعل بالاسير الذى يساق الى الحبس والقتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين والمراد
بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم من الوافدين الى الملوك فشتان ما بينهما قوله وفتحت
فى جواب اذا ثلاثة اوجه ¯ احدها قوله وفتحت والواو زائدة وهو راى الكوفيين والاخفش وانما جئ هنا بالواو دون
التى قبلها لان ابواب السجون مغلقة الى ان يجيئها صاحب الجريمة فيفتح له ثم تغلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها
بخلاف ابواب السرور والفرح فانها تفتح انتظارا لمن يدخلها فعلى هذا ابواب جهنم تكون مغلقة لا تفتح الا عند دخول
اهلها فيها ¯ فاما ابواب الجنة ففتحها يكون متقدما على دخولهم اليها كما قال تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك
جئ بالواو فكانه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها ¯ والثانى ان الجواب قوله وقال لهم خزنتها على زيادة الواو
ايضا حتى اذا جاؤها قال لهم خزنتها ¯ الثالث ان الجواب محذوف قال الزمخشرى وحقه ان يقدر بعدها خالدين
انتهى يعنى لانه يجئ بعد متعلقات الشرط وما عطف عليه والتقدير اطمانوا وقدره المبرد سعدوا وعلى هذين الوجهين
فتكون الجملة من قوله وفتحت فى محل نصب على الحال ¯ قال البغوى وقال الزجاج القول عندى ان الجواب محذوف
تقديره حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ادخلوها فحذف
ادخلوها لدلالة الكلام عليه وسمى بعضهم الواو فى قوله وفتحت واو الثمانية قال لان ابواب الجنة ثمانية وكذا قالوا
فى قوله وثامنهم كلبهم ¯ وقيل تقديره حتى اذا جاؤها جاؤها وفتحت ابوابها يعنى ان الجواب بلفظ الشرط ولكنه بزيادة
تقييده بالحال فلذلك صح قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ¯ يريد ان خزنة الجنة يلقونهم على
قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا ادخلوا الجنة فيقول لهم رضوان واصحابه
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ¯ وروى عن على قال سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة
تخرج من تحت ساقها عينان فيغتسل المؤمن من احديهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه وتتلقاه
الملائكة على ابواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين فعند ذلك يقول المتقون الحمد لله الذى
صدقنا وعده واورثنا الارض اى ارض الجنة وهو قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها
عبادى الصالحون قوله نتبوأ جملة حالية وحيث مفعول به ¯ ويجوز ان يكون ظرفا على بابها وهو الظاهر ¯ قال ابن
الخطيب انما عبر عن ارض الجنة بالارض لوجوه ¯ الاول ان الجنة كانت فى اول الامر لادم عليه السلام لانه تعالى قال
وكلا منها رغدا حيث شئتما فلما عادت الجنة الى اولاد ادم كان ذلك سببا للارث ¯ الثانى ان هذا اللفظ ماخوذ من
قول القائل هذا الفعل اورث كذا وهذا العمل اورث كذا فلما كانت طاعاتهم قد افادتهم الجنة لا جرم قالوا واورثنا
الارض والمعنى ان الله تعالى اورثنا الجنة بان وفقنا للاتيان باعمال اورثت الجنة ¯ الثالث ان الوارث يتصرف
فيما يرثه كيف شاء من غير منازع فكذلك المؤمنون المتقون يتصرفون فى الجنة حيث شاؤا وارادوا فان قيل
هل يتبوأ احدهم مكان غيره فالجواب يكون لكل واحد منهم جنة لا يحتاج معها الى جنة غيره ثم قال تعالى فنعم
اجر العاملين اى ثواب المطيعين ¯ قال مقاتل هذا ليس من كلام اهل الجنة بل الله تعالى لما حكى ما جرى بين الملائكة وبين
المتقين من صفة ثواب اهل الجنة قال بعده فنعم اجر العاملين قوله وترى الملائكة حافين من حول العرش حافين
جمع حاف وهو المحدق بالشئ من حففت بالشئ اذا احطت به قال
تحفه جانبا نيق وتتبعه مثل الزجاجة لم يكحل من الرمد ¯ وهو ماخوذ من الحفاف وهو الجانب قال الشاعر
له لحظات عن حفافى سريره اذا كرها فيها عقاب ونائل ¯ وقال الفراء وتبعه الزمخشرى لا واحد لحافين وكانهما

رايا ان الواحد لا يكون حافا اذ الحفيف هو الاحداق بالشئ والاحاطة به وهذا

لا يجيء الا في جمع **فصل** لما ذكر صفة ثواب البشر ذكر عقيبه ثواب الملائكة فكما ان ثواب المتقين هو الجنة فكذلك دار ثواب الملائكة جوانب العرش فقال حافين من حول العرش اي محدقين محيطين بالعرش يحفون به اي بجوانبه قال الليث حف القوم بسيدهم يحفون حفا اذا طافوا به **قوله** من حول في من وجهان احدهما وهو قول الاخفش انها مزيدة والثاني انها للابتداء وقوله يسبحون بحمد ربهم يسبحون حال من الضمير في حافين قيل هذا التسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف يزول في ذلك اليوم وهذا يشعر بان ثوابهم هو عين ذلك التسبيح **قوله** وقضي بينهم هذا الضمير اما للملائكة واما للعباد وقيل قضي بين اهل الجنة والنار بالعدل وقيل الحمد لله رب العالمين وقيل ان الملائكة لما قضي بينهم بالحق قالوا الحمد لله رب العالمين على قضائه بيننا بالحق روى ابو امامة عن ابي ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزمر لم يقطع الله رجاه واعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا كل ليلة بني اسرائيل والزمر رواهما الثعلبي في تفسيره والله تعالى اعلم

سورة غافر

قوله حم كقوله الم وبابه وقرا الاخوان وابو بكر وابن ذكوان بامالة حا في السور السبع امالة محضة وورش وابو عمرو بالامالة بين بين والباقون بالفتح والعامة على سكون الميم كسائر الحروف المقطعة وقرا الزهري برفع الميم على انها خبر مبتدا مضمر او مبتدا والخبر ما بعدها وابن ابي اسحق وعيسى بفتحها وهي تحتمل وجهين احدهما انها منصوبة بفعل مقدر اي اقرا حم وانما منع من الصرف للعلمية والتانيث وشبه العجمة وذلك انه ليس في الاوزان العربية وزن فاعيل بخلاف الاعجمية نحو قابيل وهابيل والثاني انها حركة بنا تخفيفا كاين وكيف وفي احتمال هذين الوجهين قول الكميت

وجدنا لكم في ال حم اية ... تاولها منا تقي ومعرب

وقول شريح بن اوفى

يذكرني حم والرمح شاجر ... فهلا تلا حم قبل التقدم

وقرا ابو السمال بكسرها وهل يجوز ان يجمع حم على حواميم نقل ابن الجوزي عن شيخه الجواليقي انه خطا وليس بصواب بل الصواب ان يقول قرات ال حم وفي الحديث عن ابن مسعود عنه عليه السلام اذا وقعت في ال حم وقعت في روضات اتانق فيهن وقال سعيد بن ابرهيم كن ال حم يسمين العرايس وقال الكميت وجدنا لكم في ال حم البيت ومنهم من جوزه وروي في ذلك احاديث منها قوله عليه السلام الحواميم ديباج القران وقوله عليه السلام الحواميم سبع وابواب جهنم سبع جهنم والحطمة ولظى والسعير وسقر والهاوية والجحيم فتجي كل حم منهن يوم القيامة على باب من هذه الابواب فتقول لا يدخل النار من كان يؤمن بي ويقراني وقوله عليه السلام لكل شي ثمرة وثمرة القران ذوات حم هن روضات حسان مخصبات متجاورات فمن احب ان يرتع في رياض الجنة فليقرا الحواميم وقوله عليه السلام مثل الحواميم في القران كمثل الحبرات في الثياب وقال ابن عباس لكل شي لباب ولباب القران الحواميم فان صحت هذه الاحاديث فهي الفيصل في ذلك **قوله** تنزيل اما خبر لحم ان كانت مبتدا واما خبر لمبتدا مضمر واما مبتدا وخبره الجار بعده قال ابن الخطيب تنزيل والمراد منه المنزل **فصل** روى السدي عن ابن عباس قال حم اسم الله الاعظم وروى عكرمة عنه قال الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة وقاله سعيد بن جبير وقال عطا الخراساني الحا افتتاح اسمايه حكيم حميد حي حليم حنان والميم افتتاح اسمايه ملك مجيد قال الضحاك والكسائي معناه قضي ما هو كاين كانهما اشارا الى ان معناه حم بضم الحا وتشديد الميم وقوله من الله لما ذكر ان حم تنزيل الكتاب وجب بيان ان المنزل من هو فقال من الله ثم بين ان الله موصوف بصفات الجلال فقال العزيز العليم فبين انه بقدرته وعلمه انزل القران الذي يتضمن المصالح والاعجاز ولولا كونه عزيزا عالما لما صح ذلك **قوله** غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب في هذه الاوصاف ثلاثة اوجه احدها انها كلها صفات للجلالة كالعزيز العليم وانما جاز وصف المعرفة بهذه وان كانت اضافتها لفظية لانه يجوز ان يجعل اضافتها معنوية فيتعرف بالاضافة نص سيبويه على ان كل ما اضافته غير محضة جاز ان يجعل محضة فلا يوصف به المعارف الا الصفة المشبهة ولم يستثن غيره شيا والكوفيون يقولون في نحو حسن الوجه انه يجوز ان يصير اضافته محضة وعلى هذا فقوله شديد العقاب من باب الصفة المشبهة فكيف اجزت جعله صفة للمعرفة وهو لا يتعرف الا بالاضافة والجواب اما بالتزام مذهب الكوفيين وهو ان الصفة المشبهة يجوز ان تتمحض اضافتها ايضا فيكون معرفة واما بان شديد بمعنى مشدد كاذين بمعنى موذن فتمحض اضافته الثاني ان يكون الكل ابدالا لان اضافتها غير محضة قاله الزمخشري الا ان الابدال بالمشتق قليل جدا الا ان يهجر فيها جانب الوصفية الثالث ان يكون غافر وقابل نعتين وشديد بدلا لما تقدم من ان الصفة المشبهة لا تتعرف بالاضافة قاله الزجاج الا ان الزمخشري قال جعل الزجاج شديد العقاب وحده بدلا من الصفات فيه نبو ظاهر والوجه ان يقال لما صودف بين هولاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد اذنت بان كلها ابدال

ابدال غير اوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها انها من الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل وناقشه ابو حيان فقال ولا نبو في ذلك لان الجري على القواعد التي قد استقرت وصحت هو الاصل وقوله فقد اذنت بان كلها ابدال تركيب غير عربي لانه جعل فقد اذنت جوابا لما وليس من كلامهم لما قام زيد فقد قام عمرو وقوله بان كلها ابدال فيه تكرير للابدال اما بدل البدا عند من اثبته فقد تكررت فيه الابدال واما بدل كل من كل وبدل بعض من كل وبدل اشتمال فلا نص عن احد من النحويين اعرفه في جواز التكرار فيها او منعه الا ان في كلام بعض اصحابنا ما يدل على ان البدل لا يكرر وذلك في قول الشاعر

فالى ابن ام اناس ارحل ناقتي عمرو ... فتبلغ حاجتي او يزحف

ملك اذا نزل الوفود ببابه ... عرفوا موارد مزبد لا ينزف

قال فملك بدل من عمرو بدل نكرة من معرفة قال فان قلت لم لا يكون بدلا من ابن ام اناس قلت لانه قد ابدل منه عمرو فلا يجوز ان يبدل منه مرة اخرى لانه قد طرح انتهى قال ابو حيان فدل هذا على ان البدل لا يتكرر ويتحد المبدل منه ودل على ان البدل من البدل جايز قال شهاب الدين وهذا البحث قد تقدم في قوله غير المغضوب عليهم فليلتفت اليه قال وقوله تفاعيلها هو جمع تفعال او تفعول او مفعول او تفعيل وليس شي منها معدودا من اجزا العروض فان اجزاءه منحصرة ليس فيها شي من هذه الاوزان فصوابه ان يقول جاءت اجزاوها كلها على مستفعل وقال الزمخشري ايضا ولقايل ان يقول هي صفات وانما حذف الالف واللام من شديد ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك ان يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك انه على نية الالف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الالف واللام وما سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة الموصوف قال ابو حيان ولا ضرورة الى حذف ال من شديد العقاب وتشبيهه بنادر مغير وهو تثنية الوتر لاجل الشفع وتنزه كتاب الله عن ذلك قال شهاب الدين اما الازدواج وهو المشاكلة من حيث هو فانه واقع في القران وقد مضى منه مواضع وقال الزمخشري ايضا ويجوز ان يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شي ادهى منه وامر لزيادة الانذار ويجوز ان يقال هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال انتهى وقال مكي يجوز في غافر وقابل البدل على انهما نكرتان لاستقبالهما والوصف على انهما معرفتان لمضيهما وقال ابن الخطيب لا نزاع في جعل غافر صفة وانما كان كذلك لانهما يفيدان معنى الدوام والاستمرار وكذلك شديد العقاب يفيد ذلك لان صفاته منزهة عن الحدوث والتجدد فمعناه كونه بحيث شديد عقابه وهذا المعنى حاصل ابدا لا يوصف بانه حصل بعد ان لم يكن قال ابو حيان وهذا كلام من لم يقف على علم النحو ولا نظر فيه ويلزمه حكيم عليم ومليك مقتدر معارف لتنزه صفاته عن الحدوث والتجدد ولانها صفات لم تحصل بعد ان لم تكن ويكون تعريف صفاته بال وتنكيرها سواء وهذا لا يقوله مبتدي في علم النحو فضلا عن ان يصنف فيه ويقدم على تفسير كتاب الله تعالى انتهى وقد سردت هذه الصفات كلها من غير عاطف الا قابل التوب قال بعضهم وانما عطف لاجتماعهما وتلازمهما وعدم انفكاك احدهما عن الاخر وقطع شديد عنهما فلم يعطف لانفراده قال ابو حيان وفيه نزعة اعتزالية ومذهب اهل السنة جواز الغفران للعاصي وان لم يتب الا الشرك قال شهاب الدين وما ابعده عن نزعة الاعتزال ثم اقول التلازم لازم من جهة انه تعالى متى قبل التوبة فقد غفر الذنب وهو كاف في التلازم قال الزمخشري فان قلت ما بال الواو في قوله وقابل التوب قلت فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التايب بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاة للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول انتهى وبعد هذا الكلام الانيق وابرازه هذه المعاني الحسنة قال ابو حيان وما اكثر تبجح هذا الرجل وشقشقته والذي افاد ان الواو للجمع وهذا معروف من ظاهر علم النحو قال شهاب الدين وقد انصف في بعضهم

وكم من عايب قولا صحيحا ... وافته من الفهم السقيم

وللاخر

قد تنكر العين ضو الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الما من سقم

والتوب يحتمل ان يكون اسما مفردا مرادا به الجنس كالذنب وان يكون جمعا للتوبة كتمر وتمرة وذي الطول نعت او بدل كما تقدم والطول سعة الفضل ولا اله الا هو يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا وهي حال لازمة وقال ابو البقا يجوز ان يكون صفة وهذا على ظاهره فاسد لان الجملة لا تكون صفة للمعارف ويمكن ان يريد انه صفة لشديد العقاب لانه لم يتعرف عنده بالاضافة والقول في اليه المصير كالقول في الجملة قبله ويجوز ان يكون حالا من الجملة قبله **فصل** قال المفسرون غافر الذنب ساتر الذنب وقابل التوب اي التوبة مصدر تاب يتوب توبا وقيل التوب جمع توبة مثل دومة ودوم وعومة وعوم قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب ممن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله ذي الطول ذي الغنى عمن لا يقول لا اله الا الله قال مجاهد ذي الطول ذي السعة والغنى وقال الحسن ذو الفضل وقال قتادة ذو النعم وقيل ذو القدرة واصل الطول الانعام الذي تطول مدته على صاحبه لا اله الا هو اليه المصير والمعنى انه لما وصف نفسه بصفات الرحمة

والفضل فلو حصل معه اله اخر لبينا ركه فى صفة الرحمة والفضل لما كانت الحاجة الى العبودية شديدة فكان الترغيب والترهيب
الكاملين حاصلين بسبب هذا التوحيد وقوله اليه المصير مما يقوى الرغبة فى الاقرار بالعبودية **قوله** ما يجادل فى
ايات الله الا الذين كفروا لما قرر ان القران كتاب انزله ليهتدى به فى الدين ذكر احوال من يجادل لغرض ابطاله فقال
ما يجادل فى ايات الله اى فى دفع ايات الله بالتكذيب والانكار الا الذين كفروا واعلم ان الجدال نوعان جدال فى تقرير الحق وجدال
فى تقرير الباطل اما الجدال فى تقرير الحق فهو حرفة الانبياء عليهم السلام قال تعالى لمحمد عليه السلام وجادلهم بالتى هى احسن وحكى
عن قوم نوح قولهم يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا واما الجدال فى تقرير الباطل فهو مذموم وهو المراد بهذه الاية
وقال عليه السلام ان جدالا فى القران كفر وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم قوما يتمارون فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وانما نزل كتاب الله يصدق
بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم فكلوه الى عالمه **قوله** فلا يغررك قرا العامة
بالفك وهى لغة الحجاز وزيد بن على وعبيد بن عمير فلا يغرك بالادغام مفتوح الراء وهى لغة تميم **فصل** جدالهم فى ايات
الله هو قولهم مرة سحر ومرة هو شعر ومرة انه قول الكهنة ومرة اساطير الاولين ومرة انما يعلمه بشر واشباه هذا ثم
قال فلا يغررك تقلبهم فى البلاد اى لا تغتر بانى امهلتهم وتركتهم سالمين فى ابدانهم واموالهم يتقلبون فى البلاد اى
يسيرون فيها للتجارات وطلب المعاش فانى وان امهلتهم فانى ساخذهم وانتقم منهم كما فعلت بالامم الماضية ثم كشف عن هذا
المعنى فقال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهم الكفار الذين تحزبوا على انبيائهم بالتكذيب من بعد قوم
نوح وهمت كل امة برسولهم لياخذوه قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل لياسروه وقرا عبد الله برسولها اعاد الضمير
على لفظ الامة والجمهور على معناها وفى قوله لياخذوه عبارة عن المسبب بالسبب وذلك ان القتل مسبب عن الاخذ
ومنه قيل للاسير اخيذ قال فاما تاخذونى تقتلونى فكم من اخذ يهوى خلود
وجادلوا بالباطل ليدحضوا ليبطلوا به الحق الذى جاءت به الرسل فاخذتهم فكيف كان عقاب اجتزا بالكسرة عن
ياء المتكلم وصلا ووقفا لانها راس فاصلة والمعنى فانزلت بهم من الهلاك ما هموا بانزاله بالرسل واراد وان ياخذوهم
فاخذتهم انا فكيف كان عقابى اياهم اليس كان مستاصلا فانا افعل بقومك ما فعلت بهولاء ان اصروا على الكفر والجدال
فى ايات الله **قوله** وكذلك حقت تحتمل الكاف ان تكون مرفوعة المحل على خبر مبتدا مضمر اى والامر كذلك ثم اخبر بانه
حقت كلمة الله عليهم بالعذاب وان يكون نعتا لمصدر محذوف اى مثل ذلك الوجوب من عقابهم وجب على الكفرة والمعنى
كما حقت كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت ايضا على الذين كفروا من قومك **قوله** انهم اصحاب النار يجوز ان
يكون على حذف حرف الجر اى لانهم فحذف تجرى فى محلها القولان ويجوز ان يكون فى محل رفع بدلا من كلمة وقد تقدم
خلافهم فى افراد كلمة وجمعها وان نافعا وابن عامر قرا الكلمات على الجمع والباقون بالافراد **قوله** الذين يحملون مبتدا
ويسبحون خبره والعامة على فتح عين العرش وابن عباس فى اخرين بضمها فقيل تحتمل ان يكون جمعا للعرش كسقف
فى سقف وقوله ومن حوله تحتمل ان يكون مرفوع المحل عطفا على الذين يحملون اخبر عن الفريقين بانهم يسبحون
وهذا هو الظاهر وان يكون منصوب المحل عطفا على العرش يعنى انهم يحملون ايضا الملايكة الحافين بالعرش والاول
ظاهر **فصل** لما بين ان الكفار يبالغون فى اظهار العداوة مع المومنين بين ان اشرف طبقات المخلوقات هم
الملايكة الذين هم حملة العرش والحافون حول العرش يبالغون فى اظهار المحبة والنصرة للمومنين فكانه تعالى يقول
ان كان هولا الاراذل يبالغون فى العداوة فلا يلتفت اليهم ولا يقيم لهم وزنا فان حملة العرش معك والحافون من
حول العرش ينصرونك وهم الكروبيون قال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة
خمسماية عام وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه قال بين القايمة من قوايم العرش والقايمة الثانية
خفقان الطير المسرع ثلاثين الف عام وقال مجاهد بين السما السابعة وبين العرش سبعون الف حجاب من نور
وحجاب من ظلمة وقال وهب بن منبه ان حول العرش سبعون الف صف من الملايكة صف خلف صف يطوفون
بالعرش **قوله** يسبحون بحمد ربهم قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكانهم
يرون ذنوب بنى ادم **قوله** ويومنون به فيه سوال وهو ان يقال ما الفايدة فى قوله ويومنون به مع ان الاشتغال
بالتسبيح والتحميد لا يمكن الا بعد سبق الايمان بالله واجاب الزمخشرى بان المقصود منه التنبيه على ان الله تعالى
لو كان حاضرا لكان حملة العرش والحافون بالعرش يشاهدونه ويعاينونه ولو كان كذلك لما كان ايمانهم بوجود الله
موجبا للمدح والثنا لان الاقرار بوجود شى مشاهد معاين لا يوجب المدح والثنا الا ترى ان الاقرار بوجود الشمس
وكونها مضيئة لا يوجب المدح والثنا والتعظيم دل على انهم انما امنوا به مع انهم ما شاهدوه حاضرا جالسا هناك
قوله ويستغفرون للذين امنوا اعلم ان كمال السعادة بامرين احدهما التعظيم لامر الله والثانى الشفقة على

على خلق الله ويجب ان يكون التعظيم لامر الله مقدما على الشفقة على خلق الله فقوله تعالى يسبحون بحمد ربهم ويومنون به مشعر
بالتعظيم لامر الله وقوله ويستغفرون للذين امنوا مشعر بالشفقة على خلق الله واحتج كثير من العلما بهذه الاية على ان الملك
افضل من البشر لانها دلت على ان الملايكة لما فرغوا من ذكر الله تعالى بالثنا والتقديس اشتغلوا بالاستغفار لغيرهم وهم
المومنون وهذا يدل على انهم مستغنون بانفسهم اذ لو كانوا محتاجين الى الاستغفار لاستغفروا لانفسهم اولا لقوله صلى الله
عليه وسلم ابدا بنفسك ولقوله تعالى لمحمد عليه السلام واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات وحكى عن نوح عليه السلام
قوله رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مومنا وللمومنين والمومنات وهذا يدل على ان كل من كان محتاجا الى الاستغفار فانه
يقدم الاستغفار لنفسه على الاستغفار لغيره والملايكة لو كانوا محتاجين الى الاستغفار لاستغفروا لانفسهم اولا ثم
استغفروا لغيرهم ولما لم يذكر الله تعالى استغفارهم لانفسهم علمنا انهم لم يكونوا محتاجين الى الاستغفار واما الانبيا
عليهم السلام فهم كانوا محتاجين الى الاستغفار لقوله تعالى لمحمد عليه السلام واستغفر لذنبك فظهر ان الملك افضل
من البشر والله اعلم **قوله** ربنا معمول لقول مضمر تقديره يقولون ربنا والقول المضمر فى محل نصب على الحال من فاعل
يستغفرون او خبر بعد خبر ورحمة وعلما تمييز منقول من الفاعلية اى وسع كل شى رحمتك وعلمك واعلم ان الدعا فى اكثر
الامر مذكور بلفظ الرب لان الملايكة قالوا فى هذه الاية ربنا وقال ادم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا وقال
نوح عليه السلام رب انى دعوت قومى وقال رب اغفر لى ولوالدى وقال ابراهيم عليه السلام رب ارنى كيف
تحيى الموتى وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك وقال يوسف عليه السلام رب قد اتيتنى من الملك وقال موسى عليه
السلام رب ارنى انظر اليك وقال رب انى ظلمت نفسى وحكى عن داود عليه السلام انه استغفر ربه وخر راكعا وقال
سليمان عليه السلام رب هب لى ملكا وحكى عن زكريا عليه السلام انه نادى ربه نداء خفيا وقال عيسى عليه السلام ربنا
انزل علينا مائدة وقال تعالى لمحمد عليه السلام وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وحكى عن المومنين انهم قالوا
ربنا ما خلقت هذا باطلا الايات **فان قيل** لفظ الله اعظم من لفظ الرب فلم خص لفظ الرب بالدعا **فالجواب** كان العبد يقول
كنت فى العدم المحض والنفى الصرف فاخرجتنى الى الوجود وربيتنى فاجعل تربيتك واحسانك لاجابة دعاى **فان قيل** قوله ربنا
وسعت كل شى رحمة وعلما فيه سوال لان العلم وسع كل شى واما الرحمة فما وصلت الى كل شى لان المضرور حال وقوعه فى الضرر لا يكون
ذلك فى حقه رحمة وهذا السوال ايضا مذكور فى قوله ورحمتى وسعت كل شى **فالجواب** كل موجود فقد نال من رحمة الله نصيبا
لان الموجود اما واجب واما ممكن اما الواجب فليس الا الله سبحانه وتعالى واما الممكن فوجوده من الله تعالى وايجاده
رحمة فثبت انه لا موجود غير الله الا وقد حصل له نصيب من الرحمة فلهذا قال ربنا وسعت كل شى رحمة وعلما وهذه الاية دلت
على انه تعالى عالم بجميع المعلومات التى لا نهاية لها من الكليات والجزييات **قوله** فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
وقهم عذاب الجحيم **فان قيل** لا معنى للغفران الا اسقاط العذاب وعلى هذا فلا فرق بين قوله فاغفر لهم وبين قوله وقهم
عذاب الجحيم **فالجواب** قولهم فاغفر فيه رمز واشارة لاسقاط العذاب فلهذا اردفوه بذكره على سبيل التصريح تاكيدا
ومبالغة واعلم انهم لما طلبوا من الله ازالة العذاب عنهم اردفوه بطلب ايصال الثواب اليهم فقالوا ربنا وادخلهم جنات عدن
التى وعدتهم **فان قيل** انتم زعمتم ان الشفاعة انما حصلت للمذنبين وهذه الاية تبطل ذلك لانه تعالى ما وعد المذنبين
بان يدخلهم جنات عدن **فالجواب** لا نسلم انه ما وعدهم بذلك لان الدلايل الكثيرة دلت على انه لا يخلد اهل لا اله الا الله
محمد رسول الله فى النار واذا اخرجهم من النار وجب ان يدخلهم الجنة فكان هذا وعدا من الله بان يدخلهم جنات عدن اما من
غير دخول النار واما بعد ان يدخلهم النار **قوله** ومن صلح فى محل نصب اما عطفا على مفعول ادخلهم واما على مفعول وعدتهم
وقال الفرا والزجاج نصبه من مكانين ان شيت على الضمير فى ادخلهم وان شيت على الضمير فى وعدتهم والعامة على فتح لام صلح
يقال صلح فهو صالح وابن ابى عبلة بضمها يقال صلح فهو صليح والعامة على ذرياتهم جمعا وعيسى وذريتهم افرادا والمراد بقوله
ومن صلح من اهل الايمان ثم قالوا انك انت العزيز الحكيم وانما ذكروا فى دعايهم هذين الوصفين لانه لو لم يكن عزيزا
بل كان بحيث يغلب ويمنع لما صح وقوع المطلوب منه ولو لم يكن حكيما لما حصل هذا المطلوب على وفق الحكمة والمصلحة ثم
قالوا بعد ذلك وقهم السيات قال بعض المفسرين المراد من عذاب السيات **فان قيل** فعلى هذا التقدير لا فرق بين قوله
وقهم السيات وبين قولهم وقهم عذاب الجحيم وحينيذ يلزم التكرار الخالى عن الفايدة وهو لا يجوز **فالجواب** ان التفاوت
حاصل من وجهين الاول ان يكون قوله وقهم عذاب الجحيم دعاء مذكورا للاصول وقوله وقهم السيات دعاء مذكورا للفروع
وهو الاباء والازواج والذريات الثانى ان يكون قوله وقهم عذاب الجحيم مقصورا على ازالة عذاب الجحيم وقوله وقهم
السيات يتناول عذاب الجحيم وعذاب موقف القيامة والحساب والسوال وقال بعض المفسرين المراد بقوله وقهم السيات
هو ان الملايكة طلبوا ازالة عذاب النار بقولهم وقهم عذاب الجحيم وطلبوا ايصال الثواب اليهم بقولهم وادخلهم جنات عدن
ثم طلبوا بعد ذلك ان يصونهم الله تعالى فى الدنيا عن العقايد الفاسدة بقولهم وقهم السيات ثم قالوا ومن تق السيات
يومئذ فقد رحمته يعنى من تق السيات فى الدنيا فقد رحمته فى يوم القيامة ثم قالوا وذلك هو الفوز العظيم حيث

وجدوا اعمالهم لحظة نعيما لا ينقطع وباعمال خبيرة مثلا لا ينفصل العقول الى كنه جلالته والله اعلم قوله يومئذ التنوين عوض
من جملة محذوفة ولكن ليس في الكلام جملة مصرح بها عوض منها هذا التنوين بخلاف قوله تعالى وانتم حينئذ تنظرون
اى حين اذ بلغت الحلقوم فتقديره هاهنا اللفظ فلا بد من تقدير جملة يكون هذا عوضا منها تقديره يوم اذ يؤاخذ بها فصل
قال مطرف انصح عباد الله للمؤمنين الملائكة واغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين قال سعيد بن جبير في تفسير قوله ومن
صلح من آبائهم يدخل المؤمن الجنة فيقول اين ابي اين ولدي اين زوجتي فيقال لهم انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت
اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة قوله ان الذين كفروا ينادون اى يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا انفسهم حين
عرض عليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من
مقتكم اليوم انفسكم عند حلول العذاب قاله البغوي واعلم انه تعالى عاد الى شرح احوال الكافرين المجادلين في آيات الله
وهم المذكورون في قوله ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا وبين انهم في القيامة يعترفون بذنوبهم واستحقاقهم
العذاب ويسألون الرجوع الى الدنيا ليتلافوا ما فرط منهم قوله اذ تدعون منصوب بمقدر يدل عليه هذا الظاهر
تقديره مقتكم اذ تدعون ونحوه وقدره بعضهم اذكروا اذ تدعون وجوز الزمخشري ان يكون منصوبا بالمقت الاول ورد عليه
ابو حيان بانه يلزم منه الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي وهو الخبر وقال هذا من ظواهر علم النحو التي لا تكاد تخفى على
المبتدئ فضلا عمن يدعي من العجم انه شيخ العرب والعجم قال شهاب الدين ومثل هذا لا يخفى على ابي القسم وانما اراد انه
دال على ناصبه وعلى تقدير ذلك فهو مذهب كوفي قال به وان الظرف يتسع فيه ما لا يتسع في غيره واي غموض في هذا
حتى ينعى عليه هذا النعي ولله در القائل

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم اعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... كذبا وزورا انه لذميم

وهذا الرد قد سبقه اليه ابو البقاء فقال ولا يجوز ان يعمل فيه مقت الله لانه مصدر اخبر عنه وهو قوله اكبر فمن ثم اخذه
ابو حيان ولا يجوز انه ينتصب بالمقت الثاني لانهم لم يمقتوا انفسهم وقت دعائهم الى الايمان انما مقتوها يوم القيامة
والظاهر ان مقت الله واقع في الدنيا كما تقدم في تفسير الآية وجوز الحسن ان يكون في الآخرة وضعفه ابو حيان بانه
يبقى اذ تدعون معلقا من الكلام لكونه ليس له عامل متقدم ولا مفسر عاملا واذا كان المقت في الدنيا امكن ان يضمر
له عامل تقديره مقتكم قال شهاب الدين وهذا التجري على مثل الحسن يهون عليك تجريه على الزمخشري ونحوه واللام
في المقت لام ابتداء او قسم ومفعوله محذوف اى لمقت الله اياكم او انفسكم فهو مصدر مضاف لفاعله كالثاني ولا يجوز
ان تكون المسألة من باب التنازع في انفسكم بين المقتين لئلا يلزم الفصل بالخبر بين المقت الاول ومعموله على تقدير
اعماله لكن قد اختلف النحاة في مسألة وهي التنازع في فعلي التعجب فمن منع اعتل بما تقدم لانه لا يفصل بين فعلي التعجب
ومعموله ومن جوز قال يلتزم ان يعمل الثاني حتى لا يلزم الفصل فليكن هذا منه والحق عدم الجواز فانه على خلاف قاعدة التنازع
فصل ذكروا في تفسير مقتهم انفسهم وجوها الاول اذا شاهدوا القيامة والجنة والنار مقتوا انفسهم على اصرارهم
على التكذيب بهذه الاشياء في الدنيا الثاني ان الاتباع يشتد مقتهم للرؤساء الذين دعوهم الى الكفر في الدنيا والرؤساء
ايضا يشتد مقتهم للاتباع فعبر عن مقت بعضهم بعضا بانهم مقتوا انفسهم كقوله تعالى اقتلوا انفسكم والمراد قتل
بعضهم بعضا الثالث قال محمد بن كعب اذا خطبهم ابليس وهم في النار بقوله ما كان لي عليكم من سلطان الى قوله ولوموا
انفسكم ففي هذه الحالة مقتوا انفسهم واما الذين ينادون الكفار بهذا الكلام فهم خزنة جهنم فصل المقت
اشد البغض وذلك في حق الله تعالى محال فالمراد منه ابلغ الانكار والزجر قال الفراء قوله ينادون لمقت الله معناه
ينادون ان مقت الله يقال ناديت ان زيدا قائم وناديت لزيد قائم ثم انه تعالى بين ان الكفار اذا خوطبوا بهذا الخطاب
قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين الآية قال ابن عباس وقتادة والضحاك كانوا امواتا في اصلاب آبائهم
فاحياهم الله في الدنيا ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم للبعث يوم القيامة فهما موتتان وحياتان وهو كقوله
كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقال السدي اميتوا في الدنيا ثم احيوا في قبورهم للسؤال
ثم اميتوا في قبورهم ثم احيوا في الآخرة بقوله فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل اى من خروج من النار الى الدنيا
فنصلح اعمالنا ونعمل بطاعتك ونظيره فهل الى مرد من سبيل والمعنى انهم لما عرفوا ان الذي كانوا عليه في الدنيا كان فاسدا
باطلا تمنوا الرجوع الى الدنيا ليشتغلوا بالاعمال الصالحة فان قيل الفاء في قوله فاعترفنا يقتضي ان تكون الاماتة
مرتين والاحياء مرتين سببا لهذا الاعتراف فما وجه هذه السببية فالجواب لانهم كانوا منكرين البعث فلما
شاهدوا هذا الاحياء بعد الاماتة مرتين لم يبق لهم عذر في الاقرار بالبعث فلا جرم وقع هذا الاقرار كالسبب عن
تلك الاماتة والاحياء واعلم انهم لما قالوا فهل الى خروج من سبيل فالجواب الصريح عنه ان يقال لا او نعم وهو تعالى
لم يفعل ذلك بل قال كلاما يدل على انه لا سبيل لهم الى الخروج وهو قوله ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم اى ذلكم

ذلكم الذي انتم فيه من العذاب والخلود في النار وان لا سبيل لكم الى الخروج قط انما وقع بسبب كفركم بتوحيد الله اذا قيل
لا اله الا الله كفرتم وقلتم اجعل الآلهة الها واحدا وان يشرك به غيره تؤمنوا اى تصدقوا ذلك الشرك قوله وحده فيه
وجهان احدهما انه مصدر في موضع الحال وجاز كونه معرفة لفظا لكونه في قوة النكرة كانه قيل منفردا والثاني وهو
قول يونس انه منصوب على الظرف والتقدير دعي على حياله وهو مصدر محذوف الزوائد والاصل اوحدته ايحادا قوله
فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله العلي الكبير يدل على الكبرياء والعظمة الذي لا اعلى منه ولا اكبر قوله
هو الذي يريكم آياته ليدل على كمال قدرته وحكمته وانه لا يجوز جعل هذه الاحجار المنحوتة والخشب المصورة شركاء لله تعالى في المعبودية
ثم قال وينزل لكم من السماء رزقا يعني المطر الذي هو سبب الارزاق واعلم ان المهمات رعاية مصالح الاديان ومصالح
الابدان فالله تعالى راعى مصالح الاديان باظهار البينات والآيات وراعى مصالح الابدان بانزال الرزق من السماء فموقع الآيات
من الاديان كموقع الارزاق من الابدان وعند حصولهما يحصل الانعام الكامل ثم قال وما يتذكر الا من ينيب اى ما يتعظ بهذه
الآيات الا من يرجع الى الله في جميع اموره ويعرض عن غير الله ويقبل بالكلية على الله تعالى ولهذا قال فادعوه مخلصين له الدين عن
الشرك ولو كره الكافرون قوله رفيع فيه وجهان احدهما ان يكون مبتدأ والخبر ذو العرش ويلقي الروح يجوز ان يكون خبرا
ثانيا وان يكون حالا ويجوز ان يكون الثلاثة اخبار المبتدأ المحذوف ويجوز ان يكون الثلاثة اخبارا لقوله هو الذي يريكم آياته
قال الزمخشري ثلاثة اخبار يجوز ان تكون مترتبة على قوله هو الذي يريكم آياته او اخبار مبتدأ محذوف وهي مختلفة تعريفا
وتنكيرا قال شهاب الدين اما الاول ففيه طول الفصل وتعدد الاخبار وليست في معنى خبر واحد واما الثاني ففيه
تعدد الاخبار وليست في معنى خبر واحد وهي مسألة خلاف ولا يجوز ان يكون ذو العرش صفة لرفيع الدرجات ان جعلناه
صفة مشبهة اما اذا جعلناه مثال مبالغة اى موقع درجات المؤمنين فيجوز ذلك على ان تجعل اضافته محضة وكذلك عند من
يجوز تمحض اضافة الصفة المشبهة ايضا وقد تقدم وقرئ رفيع بالنصب على المدح فصل لما ذكر من صفات كبريائه كونه
مظهرا للآيات منزلا للارزاق ذكر في هذه الآية ثلاثة اخرى من صفات الجلال والعظمة وهو قوله رفيع الدرجات وهذا يحتمل
ان يكون المراد منه المرتفع فان حملناه على الاول ففيه وجوه الاول انه تعالى يرفع درجات الانبياء والاولياء في الجنة والثاني
يرفع درجات الخلق في العلوم والاخلاق الفاضلة فجعل لكل احد من الملائكة درجة معينة كما قال وما منا الا له مقام معلوم
وجعل لكل واحد من العلماء درجة معينة فقال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وعين لكل جسم درجة
معينة فجعل بعضها سفلية كدرة وبعضها فلكية كوكبية وبعضها من جواهر العرش والكرسي وايضا جعل لكل واحد مرتبة
معينة في الخلق والخلق والرزق والاجل فقال هو الذي جعلكم خلائف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وجعل لكل
واحد من السعداء والاشقياء في الدنيا درجة معينة من موجبات السعادة وموجبات الشقاوة وفي الآخرة تظهر تلك
الآثار وان حملنا الرفيع على المرتفع فهو سبحانه ارفع الموجودات في جميع صفات الكمال والجلال وقوله ذو العرش اى خالقه
ومالكه ومدبره قوله يلقي الروح اى ينزل الوحي سماه روحا لانه تحيى به القلوب كما تحيى الابدان بالارواح وقوله من
امره متعلق بيلقي ومن لابتداء الغاية ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف على انه حال من الروح فصل قال ابن عباس معنى من
امره اى من قضائه وقيل من قوله وقال مقاتل بامره على من يشاء من عباده قوله لينذر العامة على بنائه للفاعل ونصب
اليوم والفاعل هو الله تعالى او الروح او من يشاء او الرسول ونصب اليوم اما على الظرفية والمنذر به محذوف تقديره
لينذر العذاب يوم التلاق واما على المفعول به اتساعا في الظرف وقرا ابي وجماعة كذلك الا انه رفع اليوم على الفاعلية
مجازا اى لينذر الناس العذاب يوم التلاق وقرا الحسن واليماني لتنذر بالتاء من فوق وفيه وجهان احدهما ان الفاعل
ضمير المخاطب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم والثاني ان الفاعل ضمير الروح لانها مؤنثة على رأي وقرا اليماني ايضا لينذر
مبنيا للمفعول يوم بالرفع وهي تؤيد نصبه في قراءة الجمهور على المفعول به اتساعا واثبت ياء التلاقي وصلا ووقفا ابن كثير واثبتها
في الوقف دون الوصل من خلاف ورش وحذفها الباقون وصلا ووقفا الا قالون فانه روي عنه وجهان وجه كورش ووجه
كالباقين وكذلك هذا الخلاف بعينه جار في يوم التناد وقد تقدم توجيه هذين الوجهين في الرعد في قوله الكبير المتعال
قوله يوم هم بارزون في يوم اربعة اوجه احدها انه بدل من يوم التلاق بدل كل من كل الثاني ان ينتصب
بالتلاق اى يقع التلاقي في يوم بروزهم الثالث ان ينتصب بقوله لا يخفى على الله ذكره ابن عطية وهذا على احد الاقوال
الثلاثة في لا هل يعمل ما بعدها فيما قبلها ثالثها التفصيل بين ان يقع جواب قسم فيمتنع او لا فيجوز وهذا على قولين من
هذه الاقوال الرابع ان ينتصب باضمار اذكر ويوم ظرف مستقبل كاذا وسيبويه لا يرى اضافة الظرف المستقبل الى الجملة الاسمية
والاخفش يراه ولذلك يقدر سيبويه في قوله اذا السماء انشقت ونحوه فعلا قبل الاسم والاخفش لم يقدره وعلى هذا
فظاهر الآية مع الاخفش ويجاب عن سيبويه بان هم ليس مبتدأ بل مرفوعا بفعل محذوف يفسره اسم الفاعل اى يوم
برزوا ويكون بارزون خبر مبتدأ مضمر فلما حذف الفعل انفصل الضمير فبقي كما ترى وهذا كما قالوا في قوله

لو بغير الماء حلقي شرق ... كنت كالغصان بالماء اعتصاري

أي أن خلق مرفوع بفعل يفسره ما بعده لأن لولا لا يليها إلا الأفعال وكذا قوله فهلا نفس ليلى شفيعها لأن هلا لا يليها إلا الأفعال
فالمفسر في هذه المواضع اسمًا مشتقًا وهو نظير ما زيد اضاربه من حيث التفسير وحركة يوم هم حركة إعراب على المشهور
ومنهم من جوز بنا الظرف وإن أضيف إلى فعل مضارع أو جملة اسمية وهم الكوفيون وقد وهم بعضهم فجوز بنا الظرف
المضاف للجمل الاسمية وقد تقدم أنه لا يبني عند البصريين إلا ما أضيف إلى فعل ماض كقوله على حين عاتبت وتقدم
هذا مشبعًا في أواخر المائدة وكتبوا يوم هم هنا وفي الذاريات منفصلًا وهو الأصل **قوله** لا يخفى يجوز أن يكون مستأنفًا
وأن يكون حالًا من ضمير بارزون وأن يكون خبرًا ثانيًا **فصل** قال بعض المفسرين يوم التلاق هو يوم يلتقي أهل
السماء وأهل الأرض وقال قتادة ومقاتل يلتقي الخلق والخالق وقال ابن زيد يتلاقى العباد وقال ميمون بن مهران
يلتقي الظالم والمظلوم وقيل يلتقي العابدون والمعبودون وقيل يلتقي فيه المرء مع عمله وقيل يلتقي الأرواح
بالأجساد بعد مفارقتها إياها يوم هم بارزون خارجون من قبورهم وقيل ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة
وقيل بارزون كناية عن ظهور أعمالهم وانكشاف أسرارهم كما قال تعالى يوم تبلى السرائر ولا يخفى على الله منهم شيء أي من
أعمالهم وأحوالهم شيء ويقول الله في ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيجيب نفسه فيقول
لله الواحد القهار الذي قهر الخلق بالموت **فإن قيل** إنه تعالى لا يخفى عليه منهم شيء في جميع الأيام فما معنى تقييد هذا
العلم بذلك اليوم **فالجواب** أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا أنهم إذا استتروا بالحيطان والحجبان الله لا يراهم ويخفى
عليه أعمالهم فهم في ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف إلى حال لا يتوهمون فيها مثل ما يتوهمونه في الدنيا
كما قال تعالى ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون وقال تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو
معهم وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار **فصل** قال المفسرون إذا هلك كل من في السموات ومن في الأرض
فيقول الرب تعالى لمن الملك اليوم يعني يوم القيامة فلا يجيبه أحد فهو تعالى يجيب نفسه فيقول لله الواحد القهار قال
ابن الخطيب قال أهل الأصول هذا القول ضعيف من وجوه الأول أنه تعالى بين أن هذا النداء إنما يحصل يوم التلاق
يوم هم بارزون ويوم تجزى كل نفس ما كسبت والناس في ذلك الوقت أحياء فبطل قولهم إن الله تعالى إنما ينادي هذا
النداء حين يهلك كل من في السموات ومن في الأرض الثاني أن الكلام لا بد فيه من فائدة لأن الكلام إما أن يذكر
حال حضور الغير أو حال ما يحضر الغير والأول باطل هاهنا لأن القوم قالوا إنه تعالى إنما يذكر هذا الكلام عند فناء
الكل والثاني أيضًا باطل لأن الرجل إنما يحسن تكلمه حال كونه وحده إما لأن يحفظ به شيئًا كتكريره على الدرس وذلك على
الله تعالى محال أو لأجل أنه يحصل سرور بما يذكره وذلك أيضًا على الله تعالى محال فثبت أن قولهم إن الله تعالى يذكر
هذا النداء حال هلاك جميع المخلوقات باطل وقال بعض المفسرين إنه في يوم التلاق إذا حضر الأولون والآخرون
وبرزوا لله نادى مناد لمن الملك اليوم فيقول كل الحاضرين في محفل القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه
تلذذًا بهذا الكلام حيث قالوا بهذا الذكر المنزلة الرفيعة والكفار يقولونه تحسرًا وصغارًا وندامة على تفويتهم
هذا الذكر في الدنيا وقال القائلون بهذا القول إن صح القول الأول عن ابن عباس وغيره أن هذا النداء بعد هلاك
البشر لم يمنع أن يكون هناك ملائكة يسمعون ذلك النداء ويجيبون بقولهم لله الواحد القهار قال ابن الخطيب
وأيضًا على هذا القول لا يبعد أن يكون السائل والمجيب هو الله سبحانه وتعالى ولا يبعد أيضًا أن يكون السائل جمع
من الملائكة والمجيب جمع آخرون وليس على التعيين دليل **قوله** اليوم تجزى كل نفس بما كسبت يجزى المحسن بإحسانه
والمسيء بإساءته لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب **قوله** وأنذرهم يوم الآزفة الآية والمقصود بها وصف يوم
القيامة ويوم الآزفة يجوز أن يكون مفعولًا به اتساعًا وأن يكون ظرفًا والمفعول محذوف والآزفة فاعلة من أزف
الأمر إذا دنا وحضر كقوله في صفة القيامة أزفت الآزفة أي قربت قال النابغة

أزف الترحل غير أن ركابنا ... لما تزل برحالنا وكأن قد

وقال كعب بن زهير

بان الشباب وهذا الشيب قد أزفا ... ولا أرى لشباب بائن خلفا

وقال الراغب
وأزف وأفد يتقاربان لكن أزف يقال اعتبارًا بضيق وقتها ويقال أزف الشخوص والأزف ضيق الوقت قال
شهاب الدين فجعل بينهما فرقًا ويروى بيت النابغة أفد والآزفة صفة لمحذوف فيجوز أن يكون التقدير الساعة
الآزفة أو الطامة الآزفة وقوله إذ القلوب بدل من يوم الآزفة أو من هم في أنذرهم بدل اشتمال **فصل**
المقصود من الآية التنبيه على أن يوم القيامة قريب ونظيره قوله تعالى اقتربت الساعة قال الزجاج إنما قيل لها آزفة
لأنها قريبة وإن استبعد الناس مداها وما هو كائن فهو قريب واعلم أن الآزفة نعت لمحذوف مؤنث فقيل يوم القيامة
الآزفة أو يوم المجازاة الآزفة قال القفال وأسماء القيامة تجري على التأنيث كالطامة والحاقة ونحوها كأنها يرجع
معناها على الداهية وقيل المراد بيوم الآزفة مشارفتهم دخول النار فإن عند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها
من شدة الخوف وقال أبو مسلم يوم الآزفة يوم حضور الأجل لأنه تعالى وصف يوم القيامة بأنه يوم التلاق

ويوم هم بارزون ثم قال بعده وأنذرهم يوم الآزفة فوجب أن يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم وأيضًا فهذه الصفة
مخصوصة في سائر الآيات بيوم الموت قال تعالى فلولا إذا بلغت الحلقوم وقال كلا إذا بلغت التراقي وأيضًا فوصف
يوم الموت بالقرب أولى من وصف يوم القيامة بالقرب وأيضًا فالصفات المذكورة بعد قوله يوم الآزفة لائقة
بيوم حضور المنية لأن الرجل عند معاينة ملائكة العذاب يعظم فزعه فكأن قلوبهم تبلغ حناجرهم من شدة الخوف ويبقوا
كاظمين ساكتين عن ذكر ما في قلوبهم من شدة الخوف ولا يكون لهم من حميم ولا شفيع يدفع ما بهم من أنواع الخوف والقلق
قوله كاظمين نصب على الحال واختلفوا في صاحبها والعامل فيها فقال الحوفي القلوب مبتدأ ولدى الحناجر خبره وكاظمين حال
من الضمير المستكن فيه قال شهاب الدين ولا بد من جواب عن جمع القلوب جمع من يعقل وهو أن يكون لما أسند إليهم ما يسند
للعقلاء جمعت جمعه كقوله رأيتهم لي ساجدين وقوله فظلت أعناقهم لها خاضعين الثاني أنها حال من القلوب وفيه السؤال
والجواب المتقدمان الثالث أنه حال من أصحاب القلوب قال الزمخشري هو حال من أصحاب القلوب على المعنى إذ المعنى
إذ قلوبهم لدى الحناجر كاظمين عليها قال شهاب الدين فكأنه في قوة أن جعل العوض من الضمير في حناجرهم الرابع أن
يكون حالًا من هم في أنذرهم ويكون حالًا مقدرة لأنهم وقت الإنذار غير كاظمين وقال ابن عطية كاظمين حال مما أبدل
منه إذ القلوب أو مما يضاف إليه القلوب إذ المراد إذ قلوب الناس لدى حناجرهم وهذا كقوله تشخص فيه الأبصار
مهطعين أراد تشخص فيه أبصارهم قال شهاب الدين ظاهر قوله أنه حال مما أبدل منه قوله إذ القلوب مشكل
لأنه أبدل من قوله يوم الآزفة وهذا لا يصح البتة وإنما يريد بذلك على الوجه الثاني وهو أن يكون بدلًا من هم في
أنذرهم بدل اشتمال وحينئذ يصح تقدم الكلام على الكظم والحناجر في الغمرات والأحزاب **فصل** قيل المراد بقوله إذ
القلوب لدى الحناجر كاظمين شدة الخوف والفزع ونظيره قوله وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا وقال
فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون وقال الحسن القلوب تنتزع من الصدور لشدة الخوف وبلغت القلوب
الحناجر فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا وقوله كاظمين أي مكروبين والكاظم الساكت
حال امتلائه غمًا وغيظًا **قوله** ما للظالمين من حميم قريب ينفعهم ولا شفيع يطاع فيشفع لهم وقوله يطاع يجوز أن يحكم
على موضعه بالجر نعتًا على اللفظ وبالرفع نعتًا على المحل لأنه معطوف على المجرور بمن المزيدة وقوله ولا شفيع يطاع من باب
على لاحب لا يهتدى بمناره أي لا شفيع فلا طاعة أو ثم شفيع ولكن لا يطاع **فصل** احتجت المعتزلة بهذه الآية
في نفي الشفاعة عن المذنبين فقالوا نفى حصول شفيع لهم يطاع فوجب أن لا يحصل لهم هذا الشفيع وأجيبوا بوجوه
الأول أنه تعالى نفى أن يحصل لهم شفيع يطاع وهذا لا يدل على نفي الشفيع كقوله ما عندي كتاب يباع فيقتضي نفي كتاب
يباع ولا يقتضي نفي الكتاب قال الشاعر ولا ترى الضب بها ينجحر ولفظ الطاعة يقتضي حصول المرتبة
فهذا يدل على أنه ليس لهم يوم القيامة شفيع يطيعه الله لأنه ليس في الوجود أحد أعلى حالًا من الله تعالى حتى يقال
إن الله تعالى يطيعه الثاني أن المراد بالظالمين هاهنا الكفار لأن هذه الآية وردت في زجر الكفار وقال تعالى إن الشرك
لظلم عظيم الثالث أن لفظ الظالمين إما أن يفيد الاستغراق أو لا فإن كان المراد من الظالمين مجموعهم فيدخل في هذا المجموع
الكفار وعندنا أنه ليس لهذا المجموع شفيع لأن بعض هذا المجموع هم الكفار وليس لهم شفيع فحينئذ لا يكون لهذا المجموع شفيع
وإن لم يفد الاستغراق كان المراد من بعض الموصوفين بهذه الصفة وعندنا أن بعض الموصوفين بهذه الصفة ليس لهم
شفيع وهم الكفار أجاب المعتزلة عن الأول فقالوا يجب حمل كلام الله تعالى على محمل مفيد وكل أحد يعلم أنه ليس في الوجود
شيء يطيعه الله لأن المطيع أدون حالًا من المطاع وليس في الوجود أعلى درجة من الله حتى يقال إن الله يطيعه وإذا كان
هذا المعنى معلومًا بالضرورة كان حمل الآية عليه إخراجًا لها عن الفائدة فوجب حمل الطاعة على الإجابة ويدل على أن لفظ
الطاعة بمعنى الإجابة قول الشاعر

رب من أنضجت غيظًا صدره ... قد تمنى لي موتًا لم يطع

وعن الثاني بأن لفظ الظالمين صيغة جمع دخل عليها حرف التعريف فتفيد العموم أقصى ما في الباب أن هذه الآية وردت
لذم الكفار إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وعن الثالث أن قوله ما للظالمين من حميم يفيد أن كل واحد
من الظالمين محكوم عليه بأنه ليس له حميم ولا شفيع يطاع وأجيبوا عن الأول بأن القوم كانوا يقولون في الأصنام
إنها شفعاؤهم عند الله وكانوا يقولون إنها تشفع لهم عند الله من غير حاجة إلى إذن فلهذا السبب رد الله تعالى عليهم
ذلك بقوله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه فهذا يدل على أن القوم اعتقدوا أنه يجب على الله تعالى إجابة تلك
الأصنام في الشفاعة وهذا نوع طاعة فالله تعالى نفى تلك الطاعة بقوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع
وعن الثاني بأن قالوا الأصل في حرف التعريف أن ينصرف إلى المعهود السابق فإذا دخل حرف التعريف على صنف
وكان هناك معهود سابق انصرف إليه وقد حصل في هذه الآية معهود سابق وهم الكفار الذين يجادلون
في آيات الله فوجب أن ينصرف إليهم وعن الثالث بأن قالوا قوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع نحمل

عموم القلب ويحتمل سلب العموم اما الاول فعلى تقدير ان يكون المعنى ان كل واحد من الظالمين محكوم عليه بانه ليس
له حميم ولا شفيع واما الثاني فعلى تقدير ان يكون مجموع الظالمين ليس له حميم ولا شفيع ولا يلزم من نفي الحكم عن
المجموع نفيه عن كل واحد من احاد ذلك المجموع ويؤيد ما ذكرناه قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون فان حملناه على ان كل واحد منهم محكوم
عليه بانه لا يؤمن لزم وقوع الخلف في كلام الله تعالى لان كثيرا ممن كفر قد امن بعد ذلك اما لو حملناه على مجموع الذين
كفروا لا يؤمنون سواء امن بعضهم او لم يؤمن صدق وتخلص عن الخلف فلا جرم حملنا هذه الاية على سلب العموم لا على
عموم السلب وحينئذ يسقط استدلال المعتزلة بهذه الاية **قوله** يعلم خائنة الاعين فيه اربعة اوجه اظهرها انه خبر اخر من
هو في قوله هو الذي يريكم اياته قال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله يعلم خائنة الاعين قلت هو خبر من
اخبار هو في قوله هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر ثم استطرد لذكر احوال
يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته الثاني انه متصل بقوله وانذرهم لما امر بانذاره
يوم الازفة وما يعرض فيه من شدة الغم والكرب وان الظالم لا يجد من يحميه ولا شفيع له ذكر اطلاعه على جميع
ما يصدر من الخلق سرا وجهرا والمعنى انه تعالى عالم لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات والارض والحاكم اذا بلغ
في العلم الى هذا الحد كان خوف المذنب شديدا جدا وعلى هذا فهذه الجملة لا محل لها لانها في قوة التعليل للامر بالانذار
الثالث انها متصلة بقوله سريع الحساب الرابع انها متصلة بقوله لا يخفى على الله وعلى هذين الوجهين فيحتمل ان
يكون جارية مجرى العلة وان يكون في محل نصب على الحال **قوله** خائنة الاعين فيه وجهان احدهما انها مصدر بمعنى
الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والعاقبة اي يعلم خيانة الاعين اي استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب
والثاني انها صفة على بابها وهو من باب اضافة الصفة للموصوف والاصل الاعين الخائنة كقوله
وان سقيت كرام الناس فاسقينا وقد رده الزمخشري وقال لا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين
لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه يعني انه لا يناسب ان يقابل المعنى الا بالمعنى وفيه نظر اذ لقائل ان يقول لا نسلم
ان ما في قوله وما تخفي الصدور مصدرية حتى يلزم ما ذكره بل يجوز ان يكون بمعنى الذي وهو عبارة عن نفس ذلك
الشيء المخفي فيكون قد قابل الاسم غير المصدر بمثله والمراد بقوله وما تخفي الصدور اي تضمر القلوب واعلم ان
الافعال قسمين افعال الجوارح وافعال القلوب اما افعال الجوارح فاخفاها خائنة الاعين والله عالم بها فكيف
الحال في سائر الاعمال واما افعال القلوب فهي معلومة لله تعالى لقوله وما تخفي الصدور فدل هذا على كونه
عالما بجميع افعالهم **قوله** والله يقضي بالحق وهذا ايضا يوجب عظم الخوف لان الحاكم اذا كان عالما بجميع الاحوال
وثبت انه لا يقضي الا بالحق في كل ما دق وجل كان خوف المذنب منه في الغاية القصوى **قوله** والذين يدعون قرا نافع
وهشام تدعون بالخطاب للمشركين والباقون بالغيبة اخبارا عنهم بذلك واعلم ان الكفار انما عدلوا الى دفع العقاب
عن انفسهم على شفاعة هذه الاصنام فبين الله تعالى انه لا فائدة فيها البتة فقال والذين يدعون من دونه لا يقضون
بشيء ثم قال ان الله هو السميع البصير اي يسمع من الكفار ثناءهم على الاصنام ولا يسمع ثناءهم على الله ويبصر خضوعهم
وسجودهم لهذه الاوثان ولا يبصر خضوعهم وتواضعهم لله ولما بالغ في تخويفهم باحوال الاخرة اردفه ببيان تخويفهم
باحوال الدنيا فقال اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم والمعنى ان العاقل من
اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا اشد قوة من هؤلاء الحاضرين من الكفار واقوى اثارا في الارض اي حصونهم
وقصورهم وعساكرهم فلما كذبوا رسلهم اهلكهم الله عاجلا حتى ان هؤلاء الجاحدين من الكفار شاهدوا تلك الاثار فحذرهم
الله تعالى من مثل ذلك وقال وما لهم من الله من واق اي لما نزل العذاب بهم لم يجدوا معينا يخلصهم **قوله** فينظروا يجوز
ان يكون منصوبا في جواب الاستفهام وان يكون مجزوما نسقا على ما قبله كقوله
الم تسال فتخبرك الرسوم رواه بعضهم بالجزم والنصب **قوله** منهم قوة قرا ابن عامر
منكم على سبيل الالتفات وكذلك هو في مصاحفهم والباقون منهم بضمير الغيبة جريا على ما سبق من الضمائر الغائبة
قوله واثارا عطف على قوة وهو في قوة قوله وتنحتون من الجبال بيوتا امنين وجعله الزمخشري منصوبا بمقدر تقديره
او ارادوا واكثر اثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا قد غدا ولا حاجة الى هذا مع الاستغناء عنه **قوله** ذلك
اي ذلك العذاب الذي نزل بهم بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب
وهذا مبالغة في التحذير والتخويف **قوله** ولقد ارسلنا موسى الايات لما اعلم رسوله بذكر الكفار الذين
كذبوا الانبياء قبله وبمشاهدة اثارهم سلاه ايضا بذكر قصة موسى عليه السلام وانه مع قوته ومعجزته
بعثه الى فرعون وهامان وقارون فكذبوا وقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا اي بتلك الايات الباهرة
والسلطان المبين وهو المعجزات القاهرة قالوا يعني فرعون وقومه اقتلوا ابناء الذين معه قال قتادة هذا

هذا غير القتل الاول لان فرعون كان قد امسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى اعاد القتل عليهم فمعناه اعيدوا عليهم
القتل لئلا ينشؤا على دين موسى فيقوى بهم وهذه العلة مختصة بالبنين دون البنات فلهذا امر بقتل الابناء واستحيوا
نساءهم ليخدموهم بذلك عن متابعة موسى ومظاهرته ثم قال وما كيد الكافرين اي وما مكر فرعون وقومه واحتياله
الا في ضلال اي يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريد الله عز وجل **قوله** وقال فرعون ذروني اقتل موسى اي وقال
فرعون لملائه ذروني اقتل موسى فتح ابن كثير ياء ذروني وسكنها الباقون وانما قال فرعون ذلك لانه كان في خاصة
قوم فرعون من يمنعه من قتل موسى وفي منعهم من قتله احتمالان الاول انهم منعوه من قتله لوجوه اولها لعله كان فيهم
من يعتقد بقلبه كون موسى صادقا فالتحيل في منع فرعون من قتله وثانيها قال الحسن ان اصحابه قالوا له لا تقتله فانما هو
ساحر ضعيف ولا يمكن ان يغلب سحرنا وان قتلته ادخلت الشبهة على الناس ويقولوا انه كان محقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه
وثالثها انهم كانوا يحتالون في منعه من قتله لاجل ان يبقى فرعون مشغول القلب بموسى فلا يتفرغ لتاديب اولئك الاقوام
لان من شان الامراء ان يشغلوا قلب ملكهم بخصم خارجي حتى يصيروا امنين من قلب ذلك الملك الاحتمال الثاني ان احدا
ما منع فرعون من قتل موسى وانه كان يريد قتله الا انه كان خائفا من انه لو حاول قتله لظهرت معجزات ظاهرات تمنعه
من قتله فيفتضح الا انه قال ذروني اقتل موسى وغرضه اخفاء خوفه **قوله** وليدع ربه اي وليدع موسى ربه الذي
يزعم انه ارسله الينا فيمنعه منا ذكر ذلك استهزاء **قوله** اني اخاف ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد قرا الكوفيون
ويعقوب او ان باو التي للابهام والباقون بواو النسق على تسلط الخوف على التبديل وظهور الفساد معا وفتح نافع وابن كثير وابو
عمرو الياء من اني اخاف وقرا نافع وابو عمرو وحفص يظهر بضم الياء وكسر الهاء من اظهر وفاعله ضمير موسى عليه السلام الفساد
نصبا على المفعول به والباقون بفتح الياء والهاء من ظهر الفساد رفعا بالفاعلية وزيد بن علي يظهر مبنيا للمفعول الفساد رفع
لقيامه مقام الفاعل ومجاهد يظهر بتشديد الظاء والهاء واصلها يتظهر من تظهر فتشدد بادغام التاء في الظاء الفساد
رفع على الفاعلية **فصل** ذكر فرعون السبب الموجب لقتل موسى وهو ان الموجب لقتله اما فساد الدين او فساد
الدنيا اما فساد الدين فلان القوم اعتقدوا ان الدين الصحيح هو الذي كانوا عليه فلما كان موسى ساعيا في
افساده اعتقدوا انه ساع في افساد الدين الحق واما فساد الدنيا فهو انه لا بد وان يجتمع عليه قوم ويصير ذلك
سببا لوقوع الخصومات واثارة الفتن ولما كان حب الناس لاديانهم فوق حبهم لاموالهم لا جرم بدا فرعون بذكر الدين
فقال اني اخاف ان يبدل دينكم ثم اتبعه بذكر فساد الدنيا فقال وان يظهر في الارض الفساد **قوله** وقال موسى اني عذت
قرا نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي عذت بادغام الذال والباقون بالاظهار وقوله لا يؤمن صفة لمتكبر **فصل** لما توعد
فرعون موسى بالقتل لم ياتي في دفع شره الا بان استعاذ بالله واعتمد على فضل الله فلا جرم صانه الله وحفظه منه واعلم
ان الموجب للاقدام على ايذاء الناس امران احدهما كون الانسان متكبرا قاسي القلب والثاني كونه منكرا للبعث والقيامة
لان المتكبر القاسي القلب قد يحمله طبعه على ايذاء الناس الا انه اذا كان مقرا بالبعث والحساب صار خوفه من الحساب
مانعا له عن الجري على موجب تكبره فاذا لم يحصل له الايمان بالبعث والقيامة كان طبعه داعيا له الى الايذاء الا ان المانع وهو
الخوف من السؤال والحساب زائل فلا جرم تعظم القسوة والايذاء **قوله** وقال رجل مؤمن من ال فرعون اختلفوا في هذا
المؤمن قال مقاتل والسدي كان قبطيا ابن عم فرعون وهو الذي حكى الله عنه وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى وقيل
كان اسرائيليا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصديقون حبيب النجار مؤمن ال ياسين ومؤمن ال فرعون
الذي قال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله والثالث ابو بكر الصديق وهو افضلهم وعن جعفر بن محمد انه قال كان
ابو بكر خيرا من مؤمن ال فرعون لانه كان يكتم ايمانه وقال ابو بكر جهارا اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وكان ذلك
سرا وهذا جهرا قال ابن عباس واكثر العلماء كان اسمه حزقيل وقال ابن اسحق جبريل وقيل حبيب **قوله** رجل مؤمن الاكثرون
قرؤا بضم الجيم وقرئ رجل بكسر الجيم كما يقال عضد في عضد **قوله** من ال فرعون يجوز ان يكون متعلقا بيكتم بعده اي يكتم
ايمانه من ال فرعون وقيل هذا الاحتمال غير جائز لانه لا يقال كتمت من فلان كذا انما يقال كتمته كذا قال تعالى ولا يكتمون
الله حديثا بل الظاهر تعلقه بمحذوف صفة لرجل قال ابن الخطيب يجوز ان يكون متعلقا بقوله مؤمن وان كان ذلك
المؤمن شخصا من ال فرعون قال شهاب الدين وجاءنا على احسن ترتيب حيث قدم المفرد ثم ما يقرب منه وهو حرف
الجر ثم الجملة وقد تقدم ايضاح هذه المسئلة في المائدة وغيرها وينبني على الوجهين هل كان هذا الرجل من قرابة فرعون
فعلى الاول لا دليل فيه وعلى الثاني فيه دليل وقد رد بعضهم الاول بما تقدم وانه لا يقال كتمت من فلان كذا انما يقال
كتمت فلانا كذا فيتعدى لاثنين بنفسه قال تعالى ولا يكتمون الله حديثا وقال الشاعر
كتمتك هما بالجومين ساهرا وهمين هما مستكنا وظاهرا
احاديث نفس تشتكي ما يريبها وورد هموم لم يجدن مصادرا
اي كتمتك احاديث نفس وهمين فقدم المعطوف على المعطوف عليه ومحله الشعر **قوله** ان يقول ربي اي كراهة

ان يقول او لان يقول وقال الزمخشري ولك ان تقدر مضافا محذوفا اي وقت ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر وهذا الذي اجازه رده ابو حيان بان تقدير هذا الوقت لا يجوز الا مع المصدر المصرح به بقول جئتك صياح الديك اي وقت صياحه ولو قلت اجيئك ان صاح الديك او ان يصيح لم يجز عليه النحويون قوله وقد جاءكم جملة حالية يجوز ان يكون من المفعول فان قيل هي نكرة فالجواب انه في حيز الاستفهام وكل ما سوغ الابتداء بالنكرة سوغ انتصاب الحال عنها ويجوز ان يكون حالا من الفاعل فصل لما حكى الله تعالى عن موسى عليه السلام انه ما زاد في دفع مكر فرعون وشره على الاستعاذة بالله بين انه تعالى قيض له انسانا اجنبيا حتى ذب عنه باحسن الوجوه وبالغ في تسكين تلك الفتنة فقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وهذا استفهام على سبيل الانكار وذكر في هذا الكلام ما يدل على حسن ذلك الانكار وذلك لانه ما زاد على ان قال ربي الله وجاء بالبينات وذلك لا يوجب القتل البتة وقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم يحتمل وجهين الاول ان قوله ربي الله اشارة الى التوحيد وقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم اشارة الى تقرير النبوة باظهار المعجزة الثاني ان قوله ربي الله اشارة الى التوحيد وقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم اشارة الى الدلائل الدالة على التوحيد ثم ذكر ذلك الرجل حجة ثانية على ان الاقدام على قتله غير جائز وهي حجة مذكورة على طريق التقسيم فقال ان كان هذا الرجل كاذبا كان وبال كذبه عائدا عليه فاتركوه وان كان صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فعلى كل التقديرين الاولى ابقاؤه حيا فان قيل الاشكال على هذا الدليل من وجهين الاول ان قوله فان يك كاذبا فعليه كذبه معناه ان ضرر كذبه مقصور عليه ولا يتعداه وهذا الكلام فاسد لوجوه اولها انا لا نسلم ان بتقدير كونه كاذبا يكون ضرر كذبه مقصورا عليه لانه يدعو الناس الى ذلك الدين الباطل فيغتر به جماعة ويقعون في المذهب الباطل والاعتقاد الفاسد ثم يقع بينهم وبين غيرهم الخصومات الكثيرة فثبت ان بتقدير كونه كاذبا لم يكن ضرر كذبه مقصورا عليه بل يكون متعديا الى الكل ولهذا اجمع العلماء على ان الزنديق الذي يدعو الناس الى زندقته يجب قتله وثانيها انه ان كان هذا الكلام حجة له فلكل كذاب ان يتمسك بهذه الطريقة فيمكن جميع الزنادقة والمبطلة من ادعيائهم الباطل وثالثها ان الكفار الذين انكروا نبوة موسى عليه السلام يجب ان لا يجوز الانكار عليهم لانه يقال ان كان ذلك المنكر كاذبا في ذلك الانكار فعليه كذبه وان يك صادقا انتفعتم بصدقه فثبت ان هذه الطريق لو صحت لما اقتضى ثبوته الى عدم صدقه كان فاسدا الوجه الثاني كان من الواجب ان يقال وان يك صادقا يصبكم كل الذي يعدكم لان الذي يصيب من بعض الذي يعد دون البعض هم الكهان والمنجمون اما الرسول الصادق الذي لا يتكلم الا بالوحي فانه يجب ان يكون صادقا في كل ما يقول فكان قوله يصبكم بعض الذي يعدكم غير لائق بهذا المقام والجواب عن الاسولة الثلاثة بان تقدير الكلام انه يقال انه لا حاجة بكم في دفع شره الى قتله بل يكفيكم ان تمنعوه من اظهار هذه المقالة ثم تتركوا قتله فان كان كاذبا فحينئذ لا يعود ضرره الا اليه وان كان صادقا فانتفعتم به والمقصود من ذلك التقسيم انه لا حاجة بكم الى قتله بل يكفيكم ان تعرضوا عنه وان تمنعوه من اظهار دينه واما الجواب عن الوجه الثاني وهو قوله كان الاولى ان يقال يصبكم كل الذي يعدكم فهو من وجوه الاول ان مدار هذا الاستدلال على اظهار الانصاف وترك اللجاج لان المقصود منه ان كان كاذبا كان ضرر كذبه مقصورا عليه وان كان صادقا فلا اقل من ان يصيبكم بعض ما يعدكم واذا كان المقصود من الكلام هذا صح ونظيره قوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين الثاني انه عليه السلام كان يتوعدهم بعذاب الدنيا وبعذاب الاخرة فاذا وصل اليهم في الدنيا عذاب الدنيا فقد اصابهم بعض الذي وعدهم به الثالث قال الزمخشري بعض على بابها وانما قال ذلك ليهضم موسى بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا عن ان يتعصب له وهذا احسن من قول ابي عبيدة وغيره ان بعض بمعنى كل وانشدوا قول لبيد ۞ تراك امكنة اذا لم ارضها ۞ او يرتبط بعض النفوس حمامها ۞ وانشدوا ايضا قول عمرو بن شييم ۞ قد يدرك المتاني بعض حاجته ۞ وقد يكون مع المستعجل الزلل ۞ وقول الاخر ۞ ان الامور اذا الاحداث دبرها ۞ دون الشيوخ ترى في بعضها خللا ۞ قال شهاب الدين ولا ادري كيف فهموا الكل من البيتين الاخيرين واما الاول ففيه بعض دليل لان الموت ياتي على الكل وقال الليث بعض ههنا صلة يريد يصبكم الذي يعدكم ولما حكى الزمخشري قول ابي عبيدة ان بعض بمعنى كل وانشاده بيت لبيد قال ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسئلة العلقى كان اجفى من ان يفقه ما اقول له قال شهاب الدين ومسئلة المازني معه هي ان ابا عبيدة قال للمازني ما اكذب النحويين يقولون هاء التانيث لا تدخل على الف التانيث وان الالف في علقى ملحقة قال فقلت له وما انكرت من ذلك فقال سمعت رؤبة ينشد يحط في علقى فلم ينونها فقلت ما واحد علقى قال علقاة قال المازني فاسفت ولم افسر له لانه كان اغلظ من ان يفهم مثل هذا قال شهاب الدين وانما استغلطه المازني لان الالف التي للالحاق تدخل عليها تاء التانيث دالة على الوحدة فيقال ارطى وارطاة وانما الممتنع دخولها على الف التانيث نحو دعوى وصرعى واما عدم تنوين علقى فلانه سمى بها شيئا بعينه والف الالحاق المقصورة حال

العلمية تجري مجرى تاء التانيث فيمتنع الاسم الذي هي فيه كما تمتنع فاطمة وتنصرف قائمة قوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب وفيه احتمالان الاول ان هذا اشارة الى الرمز والتعريض بعلو شان موسى عليه السلام والمعنى ان الله تعالى هدى موسى الى الاتيان بالمعجزات الباهرة ومن هداه الى الاتيان بالمعجزات لا يكون مسرفا كذابا فدل على ان موسى ليس من الكذابين الاحتمال الثاني ان يكون المراد ان فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى كذاب في ادعائه الالهية والله لا يهدي من هذا شانه وصفته بل يبطله ويهدم امره قوله يا قوم لكم الملك اليوم اعلم ان مؤمن آل فرعون لما استدل على انه لا يجوز قتل موسى خوف فرعون وقومه ذلك العذاب الذي توعدهم به في قوله يصبكم بعض الذي يعدكم فقال يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض اي ارض مصر يعني قد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبي فانه لا مانع من عذاب الله ان حل بكم وانما قال ينصرنا وجاءنا لانه كان يظهر انه منهم وان الذي ينصحهم به هو مشارك لهم فيه قوله ظاهرين حال من الضمير في لكم والعامل فيها وفي اليوم ما تعلق به لكم ولما قال المؤمن هذا الكلام قال فرعون ما اريكم الا ما ارى هي من رؤية الاعتقاد فيتعدى لمفعولين ثانيهما الا ما ارى اي الا ما ارى لنفسي وقال الضحاك الا ما اعلمكم الا ما اعلم قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد العامة على تخفيف الشين مصدر رشد يرشد وقرا معاذ بن جبل بتشديدها وخرجها ابو الفتح وغيره على انها صيغة مبالغة نحو ضرب فهو ضراب وقال النحاس هو لحن وتوهمه من الرباعي يعني ارشد ورد على النحاس قوله بانه يحتمل ان يكون من رشد الثلاثي وهو الظاهر وقد جاء فعال ايضا من افعل وان كان لا ينقاس قالوا ادرك فهو دراك واجبر فهو جبار واقصر فهو قصار واسار فهو سار ويدل على انه صيغة مبالغة ان معاذا كان يفسرها بسبيل الله قال ابن عطية ويبعد عندي على معاذ رضي الله عنه وهل كان فرعون يدعي الا الالهية ويقلق بناء اللفظ على هذا التركيب قال شهاب الدين يعني ابن عطية انه كيف يقول فرعون ذلك فيقر بان ثم من يهدي الى الرشاد غيره مع انه يدعي انه اله وهذا الذي عزاه ابن عطية والزمخشري وابن جبارة صاحب الكامل لمعاذ بن جبل من القراءة المذكورة ليس هو في الرشاد الذي هو في كلام فرعون كما توهموا وانما هو في الرشاد الثاني الذي هو من قول المؤمن بعد ذلك ويدل على ذلك ما قال ابو الفضل الرازي في كتاب اللوامح معاذ بن جبل سبيل الرشاد الحرف الثاني بالتشديد وكذلك الحسن وهو سبيل الله تعالى الذي اوضحه لعباده كذلك فسره معاذ وهو منقول من مرشد كدراك من مدرك وجبار من مجبر وقصار من مقصر عن الامر ولها نظائر معدودة فاما قصار الثوب فهو من قصرت الثوب قصارة فعلى هذا يزول اشكال ابن عطية المتقدم وتتضح القراءة والتفسير وقال ابو البقاء وهو الذي يكثر منه الارشاد او الرشد يعني انه يحتمل ان يكون من ارشد الرباعي او رشد الثلاثي والاولى ان يكون من الثلاثي لما عرفت انه ينقاس دون الاول قوله يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب اعلم انه تعالى حكى عن ذلك المؤمن انه كان يكتم ايمانه والذي يكتم ايمانه كيف يمكنه ان يذكر هذه الكلمات مع فرعون فلهذا السبب حصل ههنا قولان الاول ان فرعون لما قال ذروني اقتل موسى لم يصرح ذلك المؤمن انه على دين موسى بل اوهم انه على دين فرعون الا انه زعم ان المصلحة تقتضي ابقاء موسى لانه لم يصدر عنه الا الدعوة الى الله والاتيان بالمعجزات القاهرة وهذا لا يوجب القتل والاقدام على قتله يوجب الوقوع في السنة الناس بقبيح الكلمات بل الاولى تاخير قتله ومنعه من اظهار دينه لانه اذا كان كاذبا فوبال كذبه عليه وان كان صادقا فحصل الانتفاع به من بعض الوجوه ثم اكد ذلك بقوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يعني انه ان صدق فيما يدعيه من اثبات الاله القادر الحكيم فهو لا يهدي المسرف الكذاب فاوهم بقوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب انه يريد به موسى وانما كان يقصد به فرعون لان المسرف الكذاب هو فرعون والقول الثاني ان مؤمن آل فرعون كان يكتم ايمانه اولا فلما قال فرعون ذروني اقتل موسى ازال الكتمان واظهر انه على دين موسى وشافه فرعون بالحق وقال يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب اي مثل ايام الاحزاب الا انه لما اضاف اليوم الى الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود وكان لكل حزب يوم في العذاب اقتصر من الجمع على ذكر الواحد لعدم الالتباس قوله مثل داب يجوز ان يكون مثل بدلا وان يكون عطف بيان والمعنى مثل دابهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي دائما لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دابهم والحاصل انه خوفهم الهلاك في الدنيا ثم خوفهم هلاك الاخرة فقال وما الله يريد ظلما للعباد اي لا يهلكهم قبل اقامة الحجة عليهم والمقصود التنبيه على عذاب الاخرة يعني ان تدميره اولئك الاحزاب كان عدلا لانهم استوجبوه بتكذيبهم الانبياء وتلك العلة قائمة ههنا فوجب حصول الحكم ههنا قالت المعتزلة قوله وما الله يريد ظلما للعباد يدل على انه لا يريد ان يظلم العباد ولا يريد الظلم من احد من العباد البتة ولو خلق الكفر فيهم ثم عذبهم على ذلك الكفر لكان ظالما واذا ثبت انه لا يريد الظلم البتة ثبت

انه غير خالق لافعال العباد لانه لو خلقها لارادها وثبت ايضا انه قادر على الظلم اذ لو لم يقدر عليه لما حصل التمدح
بترك الظلم وهذا الاستدلال قد تقدم مرارا مع الجواب. قوله: ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد. التناد
تفاعل من النداء يقال تنادى القوم اي نادى بعضهم بعضا والاصل الياء وقد تقدم الخلاف في بابه كيف
تحذف وتثبت وهو مصدر تنادى نحو تقاتل تقاتلا والاصل التنادي بضم الدال ولكنهم كسروها لتصح اليا
وقرات طائفة بسكون الدال اجراء للوصل مجرى الوقف وتنادى القوم اي نادى بعضهم بعضا قال
فقلنا عبيد الله ذلكم الردى ... وقال اخر
تنادوا فقالوا اردت الخيل فارسا ... وقرا ابن عباس والضحاك
تنادوا بالرحيل غدا ... وفي ترحالهم نفسي
في اخرين بتشديدها مصدر تناد من ند البعير اذا هرب
والكلبي وابو صالح وابن مقسم والزعفراني وفي الحديث ان للناس جولة يندون
ويظنون وهو في معنى قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الاية وقال امية بن ابي الصلت
يظنون انهم يجدون مهربا ... قوله يوم تولون يجوز ان يكون
وبث الخلق فيها اذ دحاها ... فهم سكانها حتى التناد
عطف بيان لانه نكرة وما قبله معرفة
بدلا من يوم التناد وان يكون منصوبا باضمار اعني ولا يجوز ان يكون
وقد تقدم في قوله فيه ايات بينات مقام ابراهيم ان الزمخشري جعله بيانا مع تخالفهما تعريفا وتنكيرا
وهو عكس هذا فان الذي نحن فيه الثاني نكرة والاول معرفة. قوله ما لكم من الله من عاصم يجوز في من
عاصم ان يكون فاعلا بالجار لاعتماده على النفي وان يكون مبتدا ومن مزيدة على كلا التقديرين ومن الله متعلق
بعاصم. قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات يعني يوسف بن يعقوب من قبل موسى بالبينات. ونقل
الزمخشري انه قيل يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب اقام فيهم نبيا عشرين سنة. وقيل ان فرعون
موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمانه. وقيل هو فرعون اخر. والمقصود من الكل شيء واحد وهو ان يوسف جاء قومه
بالبينات وفي قوله ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار والاولى ان يراد بها المعجزات. واعلم ان مؤمن
ال فرعون لما قال لهم ومن يضلل الله فما له من هاد ذكر هذا المثال وهو ان يوسف جاءهم بالبينات الباهرة
فاصروا على التكذيب ولم ينتفعوا بتلك الدلائل وهذا يدل على ان من اضله الله فما له من هاد ثم قال فما
زلتم في شك مما جاءكم به. قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له فلم ينتفعوا البتة بتلك البينات
قوله حتى اذا غاية لقوله فما زلتم في شك فلما هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا اي اقمتم على كفركم
وظننتم ان الله لا يجدد عليكم الحجة. وقرئ الن يبعث الله بادخال همزة التقرير يقرر بعضهم بعضا. قوله
كذلك اي الامر كذلك او مثل هذا الضلال يضل الله كل مسرف كذاب في عصيانه مرتاب في دينه فقوله
يضل الله مستانف او نعت مصدر اي مثل اضلال الله اياكم حين لم تقبلوا من يوسف يضل الله من هو
مسرف ثم بين تعالى ما لاجله بقوا في ذلك الشك والاسراف فقال الذين يجادلون في ايات الله بغير
سلطان اتاهم اي بغير حجة بل اما بناء على التقليد واما بناء على شبهات خسيسة. قوله الذين يجادلون يجوز
فيه عشرة اوجه احدها انه بدل من قوله من هو مسرف وانما جمع اعتبارا بمعنى من. الثاني ان يكون
بيانا له. الثالث ان يكون صفة له وجمع على معنى من ايضا. الرابع ان ينتصب باضمار اعني. الخامس ان يرتفع
خبر مبتدا مضمر اي هم الذين. السادس ان يرتفع مبتدا خبره يطبع الله وكذلك مبتدا مضمر ايضا
اي الامر كذلك والعائد من الجملة وهو يطبع على مبتدا محذوف اي على كل قلب متكبر منهم. السابع ان يكون
مبتدا والخبر كبر مقتا ولكن لا بد من حذف مضاف ليعود الضمير من كبر عليه والتقدير حال الذين
يجادلون كبر مقتا ويكون مقتا تمييزا وهو منقول من الفاعلية اذ التقدير كبر مقت حالهم اي حال
المجادلين. الثامن ان يكون الذين مبتدا ايضا ولكن لا يقدر حذف مضاف ويكون فاعل كبر ضميرا
عائدا على جدالهم المفهوم من قوله يجادلون والتقدير كبر جدالهم مقتا ومقتا على ما تقدم اي كبر
مقت جدالهم. التاسع ان يكون الذين مبتدا ايضا والخبر بغير سلطان اتاهم قاله الزمخشري ورده
ابو حيان بان فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض لان الظاهر تعلق بغير سلطان بيجادلون ولا
يتعقل جعله خبرا للذين لانه جار ومجرور فيصير التقدير الذين يجادلون كائنون او مستقرون بغير سلطان
اي في غير سلطان لان الباء اذ ذاك ظرفية خبر عن الجثث. العاشر انه مبتدا وخبره محذوف اي معاندون
ونحوه قاله ابو البقاء. قوله كبر مقتا يحتمل ان يراد به التعجب والاستعظام وان يراد به الذم كبئس وذلك
انه يجوز ان يبنى فعل بضم العين مما يجوز التعجب منه ويجري مجرى نعم وبئس في جميع الاحكام وفي
فاعله ستة اوجه الاول انه ضمير عائد على حال المضاف الى الذين كما تقدم تقريره. الثاني انه ضمير

يعود على جدالهم المفهوم من يجادلون كما تقدم تقريره ايضا. الثالث انه الكاف في كذلك قال الزمخشري وفاعل كبر قوله
كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستانف. ورده ابو حيان بان فيه تفكيكا للكلام وارتكاب
مذهب ليس بصحيح اما التفكيك فلان ما جاء في القران من كذلك نطبع او يطبع الله انما جاء مربوطا بعضه ببعض
فكذلك هذا واما ارتكاب مذهب غير صحيح فانه جعل الكاف اسما ولا يكون اسما الا في ضرورة خلافا للاخفش. الرابع
ان الفاعل محذوف نقله الزمخشري قال ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه
قال شهاب الدين القائل بذلك هو الحوفي لكنه لا يريد بذلك تفسير الاعراب انما يريد به تفسير المعنى وهو معنى
ما تقدم من ان الفاعل ضمير يعود على جدالهم المفهوم من فعله فصرح به الحوفي بالاصل وهو الاسم الظاهر ومراده
ضمير يعود عليه. الخامس ان الفاعل ضمير يعود على ما بعده وهو التمييز نحو نعم رجلا زيد وبئس غلاما عمرو
السادس انه ضمير يعود على من في قوله من هو مسرف واعاد الضمير في كبر مفردا اعتبارا بلفظها وحينئذ يكون
قد راعى لفظ من اولا في قوله من هو مسرف كذاب ثم معناها ثانيا في قوله الذين يجادلون الى اخره ثم لفظها ثالثا
في قوله كبر وهذا كله اذا اعربت الذين تابعا لمن هو مسرف نعتا او بيانا او بدلا. وقد تقدم ان الجملة من قوله
كبر مقتا فيها وجهان احدهما الرفع اذا جعلناها خبرا للمبتدا والثاني انها لا محل لها اذا لم نجعلها خبرا بل هي جملة
استينافية. وقوله عند الله متعلق بكبر وكذلك قد تقدم انه يجوز ان يكون خبر المبتدا المحذوف وان يكون
فاعلا وهما ضعيفان. والثالث وهو الصحيح انه معمول ليطبع اي مثل ذلك الطبع يطبع الله. ويطبع الله فيه وجهان
اظهرهما انه مستانف. والثاني انه خبر للموصول كما تقدم. قوله قلب متكبر قرا ابو عمرو وابن ذكوان بتنوين قلب
وصفا القلب بالتكبر والجبروت لانهما ناشئان منه وان كان المراد الجملة كما وصف بالاثم في قوله فانه اثم قلبه
وفي قوله ان في جسد ابن ادم مضغة الاكبر. قال ابن الخطيب وايضا قال قوم الانسان الحقيقي جزء في القلب والباقون
باضافة قلب الى ما بعده اي على كل قلب شخص متكبر. قال ابو عبيد الاختيار الاضافة لوجوه. الاول ان عبد الله
قرا على قلب كل متكبر وهو شاهد لهذه القراءة. الثاني ان وصف الانسان بالتكبر والجبروت اولى من وصف القلب
بهما. وقد قدر الزمخشري مضافا في القراءة الاولى اي على كل ذي قلب متكبر فجعل الصفة لصاحب القلب. قال ابو حيان
ولا ضرورة تدعو الى اعتقاد الحذف. قال شهاب الدين بلى ثم ضرورة الى ذلك وهو توافق القراءتين فانه يصير الموصوف
في القراءتين واحدا وهو صاحب القلب بخلاف عدم التقدير فانه يصير الموصوف في احداهما القلب وفي الاخرى صاحبه
فصل قال مقاتل الفرق بين المتكبر والجبار ان المتكبر عن قبول التوحيد والجبار في غير حق. قال ابن الخطيب
كمال السعادة في امرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله. قال فالمتكبر كالمضاد للتعظيم لامر الله
والجبروت كالمضاد للشفقة على خلق الله. قوله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا الاية قال المفسرون
ان فرعون قال لوزيره هامان ابن لي صرحا والصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وان بعد واصله من التصريح
وهو الاظهار لعلي ابلغ الاسباب واسباب السموات طرقها. فان قيل ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلي ابلغ اسباب
السموات كان كافيا. فاجاب الزمخشري عنه فقال انه اذا ابهم الشيء ثم اوضح كان تفخيما لشانه فلما اراد تفخيم
اسباب السموات ابهمها ثم اوضحها. قوله اسباب السموات فيه وجهان احدهما انه تابع للاسباب قبله بدلا
او عطف بيان. والثاني انه منصوب باضمار اعني والاول اولى اذ الاصل عدم الاضمار. قوله فاطلع العامة على
رفعه عطفا على ابلغ فهو داخل في خبر الترجي. وقرا حفص في اخرين بنصبه وفيه ثلاثة اوجه احدها انه
جواب الامر في قوله ابن لي فنصب بان مضمرة بعد الفاء في جوابه على قاعدة البصريين
يا ناق سيري عنقا فسيحا ... الى سليمان فنستريحا ... وهذا اوفق لمذهب البصريين. الثاني
انه منصوب قال ابو حيان عطفا على التوهم لان خبر لعل كثيرا جاء مقرونا بان كثيرا في النظم وقليلا في النثر
فمن نصب توهم ان الفعل المرفوع الواقع خبرا منصوب بان والعطف على التوهم كثير وان كان لا ينقاس
انتهى. الثالث انه ينتصب على جواب الترجي في لعل وهو مذهب كوفي استشهد اصحابه بهذه القراءة وبقراءة
عاصم وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى بنصب فتنفعه جوابا لقوله لعله والى هذا نحا
الزمخشري قال تشبيها للترجي بالتمني. والبصريون يابون ذلك ويخرجون القراءتين على ما تقدم وفي سورة
عبس يجوز ان يكون جوابا للاستفهام في قوله وما يدريك فانه مترتب عليه معنى. قال ابن عطية وابن جبارة
الهذلي على جواب التمني وفيه نظر اذ ليس في اللفظ تمن انما فيه ترج. وقد فرق الناس بين التمني والترجي
بان الترجي لا يكون الا في الممكن عكس التمني فانه يكون فيه وفي المستحيل كقوله
ليت الشباب هو الرجيع على الفتى ... والشيب كان هو البدئ الاول ... قوله وكذلك زين
لفرعون قرا زين مبنيا للفاعل وهو الشيطان وتقدم الخلاف في وصد عن السبيل في الرعد ثم من بناه للفاعل

حذف المفعول اى صد قومه عن السبيل وابن وثاب وصد بكسر الصاد كانه نقل حركة الدال الاولى الى فا الكلمة بعد توهم
سلب حركتها وتقدم ذلك في نحو رد وانه يجوز فيه ثلاث لغات الجارية في قيل وبيع وابن ابي اسحق وعبد الرحمن
ابن ابي بكرة وصد بفتح الصاد ورفع الدال منونة جعله مصدرا منسوقا على سوء عمله اى زين له الشيطان سوء
العمل والصد ثم قال وما كيد فرعون الا في تباب اى وما كيده في ابطال ما جاء به موسى الا في خسار وهلاك والتباب
الخسار وقد تقدم في قوله وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد اى طريق الهدى يا قوم انما
هذه الحياة الدنيا متاع اى منفعة ينتفعون بها مدة ثم تنقطع وان الآخرة هي دار القرار التي لا تزول ثم قال
من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها
بغير حساب قال مقاتل لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير واختلفوا في تفسير قوله بغير حساب فقال
مقاتل لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة فقيل لما كان لا نهاية لذلك الثواب قيل بغير حساب وقيل لانه تعالى يعطيهم
ثواب ايمانهم ويضم الى ذلك الثواب من التفضل ما يخرج عن الحساب وقوله بغير حساب واقع في مقابلة
الا مثلها يعني الجزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وغير حساب
وهذا يدل على ان جانب الرحمة والفضل راجح على جانب العقاب فاذا عارضنا عمومات الوعيد بعمومات الوعد
وجب ان يكون الترجيح لجانب عمومات الوعد وذلك يهدم قواعد المعتزلة فصل دلت هذه الآية على اعتبار
المماثلة في الشريعة وان الزايد على المثل غير مشروع ولم يبين في الآية بيان ان تلك المماثلة معتبرة في اي الامور
فلو حملناها على رعاية المماثلة في جميع الامور صارت الآية عامة خاصة وقد ثبت في اصول الفقه ان التعارض
اذا وقع بين الاجمال والتخصيص كان الاول اولى فوجب ان نحمل هذه الآية على رعاية المماثلة من كل الوجوه الا ما
خصه الدليل واذا ثبت ذلك بني عليه احكام كثيرة من الجنايات على النفوس والاعضاء والاموال لانه تعالى بين
ان جزاء السيئة مقصورا على المثل بل هو خارج عن الحساب قوله ويا قوم قال الزمخشري فان قلت لم جاء بالواو في النداء
الثالث دون الثاني قلت لان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فاعطي الداخل عليه حكمه في امتناع
دخول الواو واما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة قوله وتدعونني الى النار هذه الجملة مستانفة
اخبر عنهم بذلك بعد استفهامه عن دعائه نفسه ويجوز ان يكون النقد برد مالكم تدعونني الى النار وهو الظاهر
ويضعف ان تكون الجملة حالا اى مالكم ادعوكم الى النجاة حال دعائكم اياي الى النار قوله تدعونني هذه الجملة بدل
من تدعونني الاولى على جهة البيان لها واتى في قوله تدعونني بجملة فعلية لتدل على ان دعوتهم باطلة لا ثبوت
لها وفي قوله وانا ادعوكم بجملة اسمية لتدل على ثبوت دعوته وتقويتها فصل معنى قوله مالكم كقولك
مالي اراك حزينا اى مالك يقول اخبروني عنكم كيف هذه الحال ادعوكم الى النجاة الى النار بالايمان بالله وتدعونني
الى النار الى الشرك الذي يوجب النار ثم فسر فقال تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم والمراد نفي
العلم بنفي الاله كانه قال واشرك به ما ليس باله وما ليس اله كيف يعقل جعله شريكا للاله ولما بين انهم يدعونه
الى الكفر بين انه يدعوهم الى الايمان بالعزيز الغفار العزيز في انتقامه ممن كفر الغفار لذنوب اهل التوحيد
فقوله العزيز اشارة الى كونه كامل القدرة واما فرعون فهو في غاية العجز فكيف يكون الها واما الاصنام
فانها احجار منحوتة فكيف يعقل كونها الهة وقوله الغفار اشارة الى انهم يجب ان لا ييأسوا من رحمة الله بسبب
اصرارهم على الكفر مدة مديدة فان الاله العالم وان كان عزيزا لا يغلب قادرا لا يعارض لكنه غفار يغفر
كفر سبعين سنة بايمان ساعة واحدة قوله لا جرم تقدم الخلاف في لا جرم في سورة هود في قوله
لا جرم انهم في الآخرة وقال الزمخشري هنا وروي عن بعض العرب لا جرم انه يفعل كذا بضم الجيم وسكون
الراء بمعنى لا بد وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وعدم وعدم وشانه على مذهب البصريين ان يجعل
رد المادعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في خبرها فاعله اى حق ووجب بطلان دعوته
او بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا اى بسبب ذلك
الدعا اليه بطلان دعوته بمعنى انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز ان يقال ان لا جرم
نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما ان معنى لا بد انك تفعل
كذا بمعنى انه لا بد لك من فعله فكذلك لا جرم ان لهم النار اى لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون
النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اى لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب
حقا فصل قال البغوي لا جرم حقا ان ما تدعونني اليه ليس له اى للذين دعوة في الآخرة قال السدي
لا يستجيب لاحد في الدنيا ولا في الآخرة يعني ليست له استجابة دعوة وقيل ليست له دعوة اى عبادة
في الدنيا لان الاوثان لا تدعي الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفي الآخرة تتبرا من عابديها ثم قال

وان مردنا اى مرجعنا الى الله فيجازي كلا بما يستحقه وان المسرفين اى المشركين هم اصحاب النار قاله قتادة وقال
مجاهد السفاكين للدما ولما بالغ مؤمن آل فرعون في هذا البيان ختم كلامه بخاتمة لطيفة فقال فستذكرون
ما اقول لكم وهذا كلام مبهم يوجب التخويف وهذا يحتمل ان يكون المراد منه ان هذا الذكر يحصل في الدنيا اى عند
الموت وان يكون في القيامة عند مشاهدة العذاب حين لا ينفعكم الذكر قوله وافوض هذه مستانفة ويجوز
ابو البقاء ان تكون حالا من فاعل اقول فصل المعنى انهم خوفهم بقوله فستذكرون ما اقول لكم ثم عادوه وخوفوه
بالقتل فعول في دفع تخويفهم وكيدهم ومكرهم على الله تعالى بقوله وافوض امري الى الله وهو انه انما تعلم هذه
الطريقة من موسى عليه السلام حين خوفه فرعون بالقتل فرجع موسى في دفع ذلك الشر الى الله فقال اني عذت
بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ثم قال ان الله بصير بالعباد اى عالم باحوالهم يعلم المحق من المبطل
قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا قال مقاتل لما قال هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم الى الجبل فطلبوه
فلم يقدروا عليه وقيل المراد بقوله فوقاه الله سيئات ما مكروا انهم قصدوا ادخاله في الكفر وصرفه عن الاسلام
فوقاه الله من ذلك والاول اولى لان قوله بعد ذلك وحاق بآل فرعون سوء العذاب لا يليق الا بالوجه الاول
قال قتادة نجا مع موسى وكان قبطيا وحاق نزل بآل فرعون سوء العذاب الغرق في الدنيا والنار في الآخرة قوله النار
الجمهور على رفعها وفيه ثلاثة اوجه احدها اى هو اى سوء العذاب النار لانه جواب لسؤال مقدر ويعرضون على هذا
الوجهين يجوز ان يكون حالا من النار ويجوز ان يكون حالا من آل فرعون الثالث انه مبتدا وخبره يعرضون وقرئ
النار منصوبا وفيه وجهان احدهما انه منصوب بفعل مضمر يفسره يعرضون من حيث المعنى اى يصلون
النار يعرضون عليها كقوله والظالمين اعد لهم والثاني ان ينتصب على الاختصاص قاله الزمخشري فعلى الاول لا محل
ليعرضون لكونه مفسرا وعلى الثاني هو حال كما تقدم فصل دلت هذه الآية على اثبات عذاب القبر لان الآية تقتضي
عرض النار عليهم غدوا وعشيا وليس المراد منه يوم القيامة لقوله بعده ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون
اشد العذاب وليس المراد منه ايضا الدنيا لان عرض النار عليهم غدوا وعشيا ما كان حاصلا في الدنيا فثبت ان هذا
العرض انما حصل بعد الموت وقبل القيامة وذلك يدل على اثبات عذاب القبر في حق هؤلاء واذا ثبت في حقهم ثبت
في حق غيرهم لانه لا قائل بالفرق فان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد من عرض النار عليهم غدوا وعشيا عرض النصائح
عليهم في الدنيا لان اهل الدين اذا ذكروا لهم الترغيب والترهيب وخوفوهم بعذاب الله فقد عرضوا عليهم النار
ثم في الآية ما يمنع حمله على عذاب القبر وبيانه من وجهين احدهما ان ذلك العذاب يجب ان يكون دائما
غير منقطع وقوله يعرضون عليها غدوا وعشيا يقتضي ان لا يحصل ذلك العذاب الا في هذين الوقتين
فثبت ان هذا لا يمكن حمله على عذاب القبر الثاني ان الغدوة والعشية انما يحصلان في الدنيا اما في
القيامة فلا وجود لهما فثبت انه لا يمكن حمل هذه الآية على عذاب القبر والجواب عن الاول ان في الدنيا اذا
عرض عليهم الكلمات التي تذكرهم امر النار لم يعرض عليهم نفس النار وهذا ترك للظاهر الآية وارتكاب المجاز واما قولهم الآية تدل
على حصول العذاب في هذين الوقتين وذلك لا يجوز فالجواب لم لا يجوز ان يكتفى في القبر بايصال العذاب اليه في
هذين الوقتين ثم عند قيام القيامة يلقى في النار فيدوم عذابه حينئذ وايضا لا يمتنع ان يكون ذكر الغدوة
والعشية كناية عن الدوام كقوله تعالى لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا واما قولهم انه ليس في القبر والقيامة
غدوة وعشية قلنا لم لا يجوز ان يقال ان عند حصول هذين الوقتين لاهل الدنيا يعرض عليهم العذاب قوله
ويوم تقوم فيه ثلاثة اوجه اظهرها انه معمول لقول مضمر وذلك القول المضمر محكي به الجملة الامرية من
قوله ادخلوا والتقدير ويقال لهم يوم تقوم الساعة ادخلوا الثاني انه منصوب بادخلوا اى ادخلوا يوم
تقوم وعلى هذين الوجهين فالوقف تام على قوله وعشيا الثالث انه معطوف على الظرف من قبله فيكون
معمولا ليعرضون والوقف على هذا على قوله الساعة وادخلوا معمول القول مضمرا اى يقال لهم كذا وقرا
الكسائي وحمزة ونافع وحفص ادخلوا بقطع الهمزة وكسر الخاء اى يقال للملائكة ادخلوا امر من ادخل فآل
فرعون مفعول اول واشد العذاب مفعول ثان والباقون ادخلوا بهمزة وصل من دخل يدخل آل فرعون
منادى حذف حرف النداء منه واشد منصوب به اما ظرفا واما مفعولا به اى ادخلوا يا آل فرعون في اشد
العذاب قال ابن عباس يريد الوان العذاب غير العذاب الذي كانوا يعذبون به منذ غرقوا قوله
واذ يتحاجون في العامل في اذ ثلاثة اوجه احدها انه معطوف على غدوا فيكون معمولا ليعرضون اي
يعرضون على النار في هذه الاوقات كلها قاله ابو البقاء والثاني انه معطوف على قوله اذ القلوب لدى
الحناجر قاله الطبري وفيه نظر لبعد ما بينهما ولان الظاهر عود الضمير من يتحاجون على آل فرعون الثالث
انه منصوب باضمار اذكر قوله تبعا فيه ثلاثة اوجه احدها انه ينتصب بفعل مقدر يدل عليه قوله

انه اسم جمع لتابع ونحوه خادم وخدم وغايب وغيب وادم وادم والثاني انه مصدر واقع موقع اسم الفاعل اى تابعين والثالث انه مصدر ايضا ولكن على حذف مضاف اى ذوى تبع قوله نصيبا فيه ثلاثة اوجه احدها ان ينتصب بفعل مقدر يدل عليه قوله مغنون تقديره هل انتم دافعون عنا نصيبا الثاني ان يضمن مغنون معنى حاملين الثالث ان ينتصب على المصدر قاله ابو البقاء كما كان شي كذلك الا ترى الى قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فشيئا في موضع غنا فكذلك نصيبا ومن النار صفة لنصيبا قوله انا كل العامة على رفع كل ورفعه على الابتداء وفيها خبره والجملة خبر ان وهذا كقوله في ال عمران قل ان الامر كله لله في قراءة ابي عمرو وقرا ابن السميفع وعيسى بن عمر بالنصب وفيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون تاكيدا لاسم ان قال الزمخشري توكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا فيها انتهى يعني فيكون فيها هو الخبر والى كونه تاكيدا ذهب ابن عطية ايضا ورد ابن مالك هذا المذهب فقال في تسهيله ولا تستغني بنية اضافته خلافا للزمخشري قال شهاب الدين وليس هذا مذهبا للزمخشري وحده بل هو منقول عن الكوفيين ايضا الثاني ان تكون منصوبة على الحال قال ابن مالك والقول المرضي عندي ان كلا في القراءة المذكورة منصوبة على الحال من الضمير المرفوع في فيها وفيها هو العامل وقد قدمت عليه مع عدم تصرفه كما قدمت في قراءة من قرا والسموات مطويات بيمينه وفي قول النابغة

رهط ابن كوز محقبي ادراعهم ... فيهم ورهط ربيعة بن حذار

وقول بعض الطائيين

دعا فاجبنا وهو بادي ذلة ... لديكم وكان النصر غير بعيد

يعني بنصب بادي وهذا هو مذهب الاخفش الا ان الزمخشري منع من ذلك قال رحمه الله فان قلت هل يجوز ان يكون كلا حالا قد عمل فيه فيها قلت لا لان الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قايما في الدار زيد قال ابو حيان وهذا الذي منعه اجازه الاخفش اذا توسطت الحال نحو زيد قايما في الدار او زيد قايما عندك والمثال الذي ذكره ليس مطابقا لما في الاية لان الاية تقدم فيها المسند اليه الحكم وهو اسم ان وتوسطت الحال اذا قلنا انها حال وتاخر العامل فيها واما تمثيله بقوله ولا تقول قايما في الدار زيد فقد تاخر فيه المسند والمسند اليه وقد ذكر بعضهم ان المنع في ذلك اجماع من النحاة قال شهاب الدين الزمخشري منعه صحيح لانه ماش على مذهب الجمهور واما تمثيله بما ذكره فلا يضره لانه في محل المنع فعدم تجويزه صحيح الثالث ان كلا بدل من اسم ان لان كلا قد وليت العوامل فكانه قيل ان كلا فيها واذا كانوا قد تاولوا قوله حولا اكتعا وحولا اجمعا على البدل مع عدم تصرف اكتع واجمع فلان يجوز ذلك في كل اولى واحرى وايضا فان المشهور تعريف كل حال قطعها حكى في الكبير الفاسي مررت بكل قايما وببعض جالسا وعزاه بعضهم لسيبويه وتنكير كل ونصبها حالا في غاية الشذوذ نحو مررت بهم كلا اى جميعا فان قيل فيه بدل الكل من الكل في ضمير الحاضر وهو لا يجوز اجيب بوجهين احدهما ان الكوفيين والاخفش يرون ذلك وانشدوا قوله

انا سيف العشيرة فاعرفوني ... حميدا قد تذريت السناما

فحميدا بدل من ياء اعرفوني وقد تاوله البصريون على نصبه على الاختصاص والثاني ان هذا الذي نحن فيه ليس محل الخلاف لانه دال على الاحاطة والشمول وقد قالوا انه متى كان البدل دالا على ذلك جاز وانشدوا

فما برحت اقدامنا في مكاننا ... ثلاثتنا حتى اريد المنايا

ومثله قوله تعالى تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا قالوا فثلاثتنا بدل من نا في مكاننا لدلالتها على الاحاطة وكذلك لاولنا واخرنا بدل من نا في لنا فلان يجوز ذلك في كل التي هي اصل في الشمول والاحاطة بطريق الاولى هذا كلام ابي حيان في الوجه الثالث وفيه نظر لان المبرد ومكيا نصا على ان البدل في هذه الاية لا يكون فكيف يدعى انه لا خلاف في البدل والحالة هذه لا يقال ان في الاية قولا رابعا وهو ان كلا نعت لاسم ان وقد صرح الكسائي والفراء بذلك فقالا هو نعت لاسم ان لان الكوفيين يطلقون اسم النعت على التاكيد ولا يريدون حقيقة النعت وممن نص على هذا التاويل مكي رحمه الله ولان الكسائي انما جوز نعت ضمير الغايب فقط دون المتكلم والمخاطب **فصل** معنى الاية واذكر يا محمد لقومك اذ يتحاجون اى يحاج بعضهم بعضا ثم شرح خصومتهم وهي ان الضعفا يقولون للروسا انا كنا لكم تبعا في الدنيا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار اى فهل تقدرون على ان تدفعوا عنا ايها الروسا نصيبا من العذاب ومقصودهم من هذا الكلام المبالغة في تخجيل اوليك الروسا وايلام قلوبهم لانهم يعلمون ان اوليك الروسا لا قدرة لهم على ذلك التخفيف فعند ذلك يقول الروسا انا كل فيها اى انا كلنا واقعون في هذا العذاب فلو قدرنا على ازالة العذاب عنكم لدفعناه عن انفسنا ثم يقولون ان الله قد حكم بين العباد يعني فاوصل الى كل احد حقه من النعيم او من العذاب فعند هذا تحصل

الياس للاتباع من المتبوعين فيرجعون الى خزنة جهنم ويقولون لهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فان قيل لم لم يقل وقال الذين في النار لخزنتها فالجواب من وجهين الاول ان المقصود من ذكر جهنم التهويل والتفظيع والثاني ان يكون جهنم اسم لموضع من اشد المواضع بعيدة القعر من قولهم بير جهنام اى بعيدة القعر وفيها اعظم الكفار عقوبة وخزنة ذلك الموضع تكون اعظم خزنة جهنم عند الله درجة فاذا عرف الكافرون ان الامر كذلك استغاثوا بهم فيقولون لهم اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قوله يوما من العذاب في يوما وجهان احدهما انه ظرف ليخفف ومفعول يخفف محذوف اى يخفف عنا شيا من العذاب في يوم فيجوز على راي الاخفش ان تكون من مزيدة فيكون العذاب هو المفعول اى يخفف عنا في يوم العذاب الثاني ان يكون مفعولا به واليوم لا يخفف وانما يخفف مظروفه والتقدير يخفف عذاب يوم وهو قلق لقوله من العذاب والقول بانه صفة موكدة كالحال الا قلق منه والظاهر ان من العذاب هو المفعول ليخفف ومن تبعيضية ويوما ظرف سالوا ان يخفف عنهم بعض العذاب لا كله في يوم ما لا في كل يوم ولا في يوم معين قوله تعالى انا لننصر رسلنا الاية في كيفية النظم وجوه الاول انه تعالى لما ذكر وقاية الله موسى صلوات الله عليه وذلك المومن من مكر فرعون بين في هذه الاية بانه ينصر رسله والذين امنوا معه الثاني لما بين من قبل تخاصم اهل النار وانهم عند الفزع الى خزنة جهنم يقولون اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات اتبع ذلك بذكر الرسل وانه ينصرهم في الدنيا والاخرة الثالث قال ابن الخطيب وهو الاقرب عندي ان الكلام في اول السورة انما وقع من قوله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد واتصل الكلام في الرد على اوليك المجادلين وعلى المحقين ابدا مشغولون بدفع كيد المبطلين وكل ذلك انما ذكره الله تعالى تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتصبيرا له على تحمل الاذى من قومه ولما بلغ الكلام في تقرير هذا المطلوب الى الغاية القصوى وعد تعالى بان ينصر رسوله على اعدايه فقال انا لننصر رسلنا في الحياة الدنيا قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقال الضحاك بالحجة وفي الاخرة بالانتقام من الاعدا وباعلا درجاتهم في مراتب الثواب ويوم يقوم الاشهاد قرا الجمهور يقوم بالياء من اسفل وابو عمرو في رواية المنقري عنه وابن هرمز واسمعيل بالتاء من تقوم لتانيث الجماعة والاشهاد يجوز ان يكون جمع شهيد كشريف واشراف وهو مطابق لقوله فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وان يكون جمع شاهد كصاحب واصحاب وطاير واطيار قاله المبرد وهو مطابق لقوله انا ارسلناك شاهدا واعلم ان قوله تعالى ويوم يقوم الاشهاد فيه دقيقة لطيفة وهي ان السلطان العظيم اذا خص بعض خواصه بالاكرام العظيم عند حضور الجمع من اهل المشرق والمغرب كان ذلك اكثر ابتهاجا والمراد بالاشهاد كل من يشهد باعمال العباد يوم القيامة من ملك ونبي ومومن اما الملايكة فهم الكرام الكاتبون يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب واما الانبيا فقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس قوله يوم بدل من يوم قبله او بيان له او نصب باضمار اعني وتقدم الخلاف في قوله ينفع الظالمين بالياء والتاء اخر الروم والمعنى لا ينفع الظالمين معذرتهم ان اعتذروا ولهم اللعنة والبعد من الرحمة وهذا يفيد الحصر يعني ان اللعنة مقصورة عليهم وهي الاهانة والاذلال ولهم سوء الدار يعني جهنم فان قيل قوله لا ينفع الظالمين معذرتهم يدل على انهم يذكرون الاعذار ولكن تلك الاعذار لا تنفعهم فكيف الجمع بين هذا وبين قوله ولا يوذن لهم فيعتذرون فالجواب قوله لا ينفع الظالمين معذرتهم لا يدل على انهم ذكروا الاعذار بل ليس فيه الا انه ليس عندهم عذر مقبول وهذا لا يدل على انهم ذكروه ام لا وايضا فيوم القيامة يوم طويل فيعتذرون في وقت ولا يعتذرون في وقت اخر قوله تعالى ولقد اتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرايل الكتاب الاية لما بين انه تعالى ينصر الانبيا والمومنين في الدنيا والاخرة ذكر نوعا من انواع تلك النصرة في الدنيا فقال ولقد اتينا موسى الهدى قال مقاتل يريد الهدى من الضلالة يعني التورية ويجوز ان يكون المراد الدلايل القاهرة التي اوردها على فرعون واتباعه وكادهم بها ويجوز ان يكون المراد بالهدى النبوة التي هي اعظم المناصب الانسانية واورثنا بني اسرايل الكتاب وهو التورية هدى وذكرى لاولي الالباب يعني انه تعالى لما انزل التورية على موسى بقي ذلك العلم فيهم وتوارثوه خلفا عن سلف وقيل المراد ساير الكتب التي انزلها الله عليهم وهي كتب انبيا بني اسرايل التورية والانجيل والزبور قوله هدى وذكرى فيهما وجهان احدهما انهما مفعول من اجلهما اى لاجل الهدى والذكر والثاني انهما مصدران في موضع الحال والفرق بين الهدى والذكرى ان الهدى ما يكون دليلا على الشي وليس من شرطه ان يذكر شيا اخر كان معلوما ثم صار منسيا واما الذكرى فهو الذي يكون

كذلك فكتب انبيا الله تعالى مشتملة على هذين القسمين بعضها دلايل في انفسها وبعضها مذكرات لما ورد في الكتب
الالهية المتقدمة ولما بين تعالى انه ينصر رسله وينصر المومنين في الدنيا والاخرة وضرب المثال في ذلك
بحال موسى خاطب بعد ذلك محمدا صلى الله عليه وسلم فقال فاصبر ان وعد الله حق فاصبر يا محمد على اذاهم ان
وعد الله حق في اظهار دينك واهلاك اعدايك قال الكلبي نسخت اية القتال اية الصبر قوله واستغفر
لذنبك قيل المصدر مضاف للمفعول اي لذنب امتك في حقك والظاهر ان الله يقول ما اراد وان لم يكن
لنا ان نضيف اليه عليه السلام ذنبا قال المفسرون هذا التعبد من الله ليزيده درجة وليصير
سنة لمن بعده قوله وسبح بحمد ربك صل شكرا لربك بالعشي والابكار قال الحسن يعني صلاة العصر
وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس قوله ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان
الاية لما ابتدا بالرد على الذين يجادلون في ايات الله واتصل الكلام بعضه ببعض على الترتيب المتقدم
الى هاهنا نبه تعالى على الداعية التي تحمل اولئك الكفار على تلك المجادلة فقال ان الذين يجادلون في
ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر اي ما يحملهم على هذا العمل الباطل الا الكبر الذي في
صدورهم قاله ابن عباس والمراد ما في قلوبهم والصدر موضع القلب فكني به عن القلب لمجاورته قوله
ما هم ببالغيه قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر لان الله عز وجل مذلهم وقال ابن قتيبة ان في
صدورهم الا تكبر على محمد وطمع ان يغلبوه وما هم ببالغي ذلك وقوله فاستعذ بالله قال المفسرون
نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال
يخرج في اخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الينا قال الله تعالى فاستعذ بالله من فتنة الدجال انه
هو السميع البصير وقال ابن الخطيب معنى قوله ما هم ببالغيه يعني انهم يريدون اذاك ولا يصلون الى
هذا المراد بل لا بد وان يصيروا تحت امرك ونهيك ثم قال تعالى فاستعذ بالله اي فالتجي اليه من كيد [illegible]
من يحسدك انه هو السميع بما يقولون وهو البصير بما يعملون وتعمل فهو يجعلك نافذ الحكم عليهم ويصونك
عن مكرهم وكيدهم قوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس المصدران مضافان للمفعول فيهما والفاعل
محذوف وهو الله تعالى ويجوز ان يكون الثاني مضافا للفاعل اي اكبر مما يخلقه الناس اي يصنعونه ويجوز ان يكونا
مصدرين واقعين موقع المخلوق اي مخلوقهما اكبر من مخلوقهم اي جرمهما اكبر من جرمهم فصل قوله والبصير
اعلم ان التقابل يجي على ثلاث طرق احدها ان يجاور المناسب ما يناسبه كهذه الاية والثانية ان يتاخر المتقابلان
كقوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع والثالثة ان يقدم مقابل الاول ويوخر مقابل
الاخر كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وكل ذلك تفنن في البلاغة وقدم الاعمى
في نفي التساوي لمجيه بعد صفة الذم في قوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون قوله ولا المسي لا زايدة للتوكيد
لانه لما طال الكلام بالصلة بعد قسم المومنين فاعاد معه لا توكيدا ولما قدم المومنين لمجاورتهم قوله قليلا ما تتذكرون
قراة الكوفيين بالخطاب والباقون بالغيبة فالخطاب على الالتفات للمذكورين بعد الاخبار عنهم والغيبة
نظرا لقوله ان الذين يجادلون وهم الذين التفت اليهم في قراة الخطاب قوله ان الساعة يعني القيامة
لاتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يومنون والمراد باكثر الناس الكفار الذين ينكرون البعث والقيامة
لما قرر الدليل على امكان وجود يوم القيامة اردفه بالاخبار عن وقوعها قوله تعالى وقال ربكم ادعوني
استجب لكم الاية لما بين ان القول بالقيامة حق وكان من المعلوم بالضرورة ان الانسان لا ينتفع في يوم
القيامة الا بطاعته لله تعالى والتضرع اليه لا جرم كان الاشتغال بالطاعة من اهم المهمات ولما كان اشرف
انواع الطاعات الدعا والتضرع لا جرم امر الله به فقال وقال ربكم ادعوني استجب لكم واختلفوا
في المراد بقوله ادعوني فقيل المراد منه الامر بالدعا وقيل الامر بالعبادة بدليل قوله بعده ان
الذين يستكبرون عن عبادتي وايضا الدعا بمعنى العبادة كثير في القران كقوله تعالى ان يدعون من
دونه الا اناثا واجاب الاولون بان هذا ترك الظاهر فلا يصار اليه الا بدليل فان قيل ادعوني استجب
لكم وقد يدعى كثيرا فلا يستجاب واجاب الكعبي بان الدعا انما يصح بشرط ومن دعا كذلك استجيب له
وذلك الشرط هو ان يكون المطلوب بالدعا مصلحة وحكمة ثم سال نفسه فقال ان الله تعالى يفعل
ما هو الاصلح بغير دعا فما الفايدة في الدعا واجاب عنه بوجهين الاول ان فيه الفزع والانقطاع
الى الله تعالى والثاني ان هذا ايضا وارد على الكل لانه ان علم انه يفعله فلا بد وان يفعله فلا فايدة
في الدعا وان علم انه لا يفعله فانه البتة لا يفعله فلا فايدة في الدعا وان علم انه لا يفعله فانه
البتة لا يفعله فلا فايدة في الدعا ايضا فكل ما يقولونه هاهنا فهو جوابنا قال ابن الخطيب وعندي

وجه اخر وهو انه قال ادعوني استجب لكم وكل من دعا الله وفي قلبه ذرة من الاعتماد على ماله وجاهه واصدقايه
واجتهاده فهو في الحقيقة ما دعا الله الا باللسان واما القلب فانه يعول في تحصيل ذلك المطلوب على غير الله
فهذا الانسان ما دعا ربه اما اذا دعا في وقت لا يكون القلب فيه ملتفتا الى غير الله فالظاهر انه يستجاب له
قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي وهذا احسان عظيم من الله تعالى حيث ذكر الوعيد الشديد على
ترك الدعا وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يدع الله غضب الله عليه فان
قيل انه قال عن ربه عز وجل من شغله ذكري عن مسيلتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين فهذا يقتضي ان ترك
الدعا افضل وهذه الاية دلت على ان ترك الدعا يوجب الوعيد الشديد فكيف الجمع بينهما فالجواب
لا شك ان العقل اذا كان مستغرقا في الثنا كان ذلك افضل من الدعا لان الدعا طلب الجنة اما اذا لم يحصل
الاستغراق كان الاشتغال بالدعا اولى لان الدعا مشتمل على معرفة عز الربوبية وذل العبودية قوله
سيدخلون قرا ابن كثير وابو جعفر سيدخلون بضم اليا وفتح الخا وقرا الاخرون بفتح اليا وضم الخا
داخرين صاغرين ذليلين قوله الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا اعلم ان تعلقه بما قبله من وجهين الاول
كانه تعالى قال اني انعمت عليك قبل طلبك هذه النعم العظيمة ومن انعم عليك قبل السوال بهذه النعم
العالية فكيف لا ينعم بالاشيا القليلة بعد السوال والثاني انه تعالى لما امر بالدعا فكانه قيل الاشتغال
بالدعا لا بد وان يكون مسبوقا بحصول المعرفة فما الدليل على وجود الاله القادر فذكر تعالى هذه الدلايل
العشرة على وجوده وقدرته وحكمته وقد تقدم ذكر الدلايل الدالة على وجود الله وقدرته وهي اما فلكية
واما عنصرية وان الفلكيات اقسام كثيرة احدها الليل والنهار وان اكثر مصالح العالم مربوطة بهما فذكرهما الله تعالى هاهنا
وبين ان الحكمة في خلق الليل حصول الراحة بالنوم والسكون والحكمة في خلق النهار ابصار الاشيا ليمكن التصرف
فيها على الوجه الانفع فان قيل هلا قيل بحسب رعاية النظم هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبصروا
فيه او يقال جعل لكم الليل ساكنا والنهار مبصرا ولكنه لم يفعل ذلك فما الفايدة فيه وما الحكمة في تقديم ذكر
الليل على النهار فالجواب عن السوال الاول هو ان الليل والنوم في الحقيقة طبيعة عدمية فهو غير مقصود بالذات
واما اليقظة فامور وجودية وهي مقصودة بالذات وقد بين الشيخ عبد القاهر النحوي في دلايل الاعجاز
ان دلالة صيغة الاسم على الكمال والتمام اقوى من دلالة صيغة الفعل عليهما فهذا هو السبب في الفرق واما الجواب
عن الثاني فهو ان الظلمة طبيعة عدمية والنور طبيعة وجودية والعدم في المحدثات مقدم على الوجود فلهذا
السبب قال في اول سورة الانعام وجعل الظلمات والنور ثم قال تعالى ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر
الناس لا يشكرون والمعنى ان فضل الله تعالى على الخلق كثير جدا ولكنهم لا يشكرونه واعلم ان ترك الشكر لوجوه الاول
ان يعتقد الرجل ان هذه النعم ليست من الله مثل ان يعتقد ان هذه الافلاك واجبة الوجود لذواتها واجبة
الدوران لذواتها فيعتقد ان هذه النعم منها الثاني ان يعتقد ان كل هذا العالم حصل بتخليق الله وتكوينه
الا ان نعمة تعاقب الليل والنهار لما دامت واستمرت نسيها الانسان فاذا ابتلي الانسان بفقدان شي منها
عرف قدرها مثل ان يحبس في بير عميق مظلمة مدة مديدة يعرف ذلك الانسان قدر نعمة الهوا الصافي وقدر
نعمة الضوء وقد كان بعض الملوك يعذب بعض خدمه بان يامر اقواما يمنعونه عن النوم وعن الاستناد
الى الجدار الثالث ان الانسان وان كان عارفا بهذه النعم الا انه يكون حريصا على الدنيا محبا للمال والجاه
فاذا فاته المال الكثير والجاه العريض وقع في كفران هذه النعم العظيمة ولما كان اكثر الخلق واقعين في
احد هذه الاودية الثلاثة لا جرم قال تعالى ولكن اكثر الناس لا يشكرون ونظيره قوله تعالى وقليل من عبادي
الشكور وقول ابليس ولا تجد اكثرهم شاكرين ولما بين الله تعالى تلك الدلايل المذكورة وجود الاله القادر
قال ذلكم الله ربكم خالق كل شي لا اله الا هو قال الزمخشري ذلكم المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التي
لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق كل شي لا اله الا هو اخبار مترادفة اي هو الجامع لهذه الاوصاف
من الالهية والربوبية وخلق كل شي وانه لا ثاني له فاني تؤفكون اي فاني تصرفون اي ولم تعدلون
عن هذه الدلايل وتكذبون بها قوله خالق كل شي العامة على الرفع وزيد بن علي بالنصب قال الزمخشري
على الاختصاص وقرا طلحة يوفكون بالغيبة وقوله كذلك يوفك اي مثل ذلك الافك يعني كما افكتم عن الحق
مع قيام الادلة كذلك يوفك اي مثل ذلك الذين كانوا بايات الله يجحدون يعني كل من جحد بايات الله ولم
يتاملها ولم يكن فيه عزم طلب الحق وخوف العاقبة افك كما افكوا قوله تعالى الله الذي جعل لكم الارض
الاية لما تقدم ان دلايل وجود الله تعالى وقدرته اما ان تكون من دلايل الافاق وهي غير الانسان
وهي اقسام وذكر منها احوال الليل والنهار ثم ذكر ايضا منها هاهنا الارض والسما فقال الله الذي

جعل لكم الأرض قرارا. قال ابن عباس: قرارا أي منزلا في حال الحياة وبعد الممات، والسماء بناء أي قائما ثابتا وإلا وقعت
علينا، وقيل: سقفا كالقبة. ثم ذكر دلائل الأنفس وهي دلالة أحوال بدن الإنسان على وجود الصانع القادر
الحكيم وهو قوله: وصوركم فأحسن صوركم. قوله: فأحسن صوركم قرأ أبو رزين والأعمش صوركم بكسر
الصاد فرارا من الضمة قبل الواو، وقرأت فرقة بضم الصاد وسكون الواو، وجعلوه اسم جنس لصورة كبسرة
وبسر. قوله: قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما أورد على المشركين تلك الأدلة
الدالة على إثبات إله العالم أمره بهذا القول ليصرفهم عن عبادة الأوثان، وبين وجه النهي في ذلك وهو ما جاءه
من البينات، وهو ما تقدم من الدلائل الدالة على أن إله العالم قد ثبت كونه موصوفا بصفات الجلال
والعظمة على ما تقدم، وصريح العقل يشهد بأن العبادة لا تليق إلا به، وأن الأحجار المنحوتة والأخشاب
المصورة لا تصلح أن تكون شركاء له فقال: وأمرت أن أسلم لرب العالمين، وذلك حين دعي إلى الكفر. قوله تعالى:
هو الذي خلقكم من تراب الآية. لما استدل على إثبات الإلهية بدلائل الآفاق وذكر منها الليل والنهار والأرض والسماء
ثم ذكر الدليل على إثبات الإله القادر بخلق الأنفس وهو نوعان: أحدهما حسن الصورة ورزق الطيبات،
ذكر النوع الثاني وهو كيفية تكوين البدن من ابتداء كونه نطفة وجنينا إلى آخر الشيخوخة والموت فقال:
هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة. قيل: المراد آدم. قال ابن الخطيب: وعندي لا حاجة إلى ذلك لأن
كل إنسان فهو مخلوق من المني ومن دم الطمث، والمني مخلوق من دم، فالإنسان مخلوق من الدم، والدم
إنما يتولد من الأغذية، والأغذية إما حيوانية وإما نباتية، والحال في ذلك الحيوان كالحال في تكوين
الإنسان، فكانت الأغذية كلها منتهية إلى النبات، والنبات إنما يكون من التراب والماء، فثبت أن كل إنسان
متكون من التراب، ثم إن ذلك التراب يصير نطفة ثم علقة، ثم بعد كونه علقة مراتب إلى أن ينفصل من بطن الأم،
والله تعالى ترك ذكرها ههنا لأنه ذكرها في آيات أخر، ثم قال: ثم يخرجكم طفلا أي أطفالا، ثم لتبلغوا أشدكم. قال الزمخشري:
قوله لتبلغوا أشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره: ثم يبقيكم لتبلغوا أشدكم، ثم لتكونوا شيوخا، ومنكم من يتوفى
من قبل أي من قبل أن يصير شيخا، أو من قبل هذه الأحوال إذا خرج سقطا. ثم قال: ولتبلغوا أجلا مسمى أي ولتبلغوا
جميعا أجلا مسمى وقتا محدودا لا تجاوزونه، وهو وقت الموت، وقيل: يوم القيامة. ولعلكم تعقلون لكي تعقلوا
توحيد ربكم وقدرته، وتستدلوا بهذه الأحوال العجيبة على وحدانية الله تعالى. ثم قال: هو الذي يحيي ويميت
فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون. والمعنى أنه تعالى لما ذكر انتقال الأجسام من كونها ترابا إلى أن بلغت
الشيخوخة واستدل بهذه التغييرات على وجود الإله القادر، قال بعده: هو الذي يحيي ويميت، أي كما أن الانتقال
من صفة إلى صفة أخرى من الصفات المتقدمة يدل على الإله القادر، فكذلك الانتقال من الحياة إلى الموت
وبالعكس يدل على الإله القادر. وقوله: فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون، من وجوه: الأول معناه أنه لم
ينقل هذه الأجسام من صفة إلى صفة أخرى بآلة وتعب، إنما يقول له كن فيكون. الثاني أنه عبر عن الإحياء
والإماتة بقوله: كن فيكون، فكأنه قيل: الانتقال من كونه ترابا إلى كونه نطفة ثم إلى كونه علقة انتقالات
تحصل على التدريج قليلا قليلا، وأما صيرورته حيا فهي إنما تحصل بتعلق جوهر الروح، وذلك يحدث دفعة
واحدة، فلهذا عبر عنه بقوله: كن فيكون. الثالث أن من الناس من يقول: إن الإنسان إنما يتكون من
المني والدم في الرحم في مدة معينة بحسب الانتقالات من حال إلى حال، فكأنه قيل له: يمتنع أن يكون كل إنسان
عن إنسان آخر لأن التسلسل محال، فلا بد من الاعتراف بإنسان هو أول الناس، وحينئذ يكون حدوث
ذلك الإنسان لا بواسطة المني والدم بل بإيجاد الله تعالى ابتداء، فعبر الله تعالى عن هذا المعنى بقوله: كن
فيكون. قوله تعالى: ألم تر إلى الذين يجادلون في الآيات. اعلم أنه تعالى عاد إلى ذم الذين يجادلون في آيات
الله، أي في إنكار آيات الله ودفعها والتكذيب بها، فعجب تعالى منهم بقوله: أنى يصرفون، كيف صرفوا عن دين
الحق، وهذا كما يقول الرجل لمن لا يسمع نصحه: إلى أين يذهب بك؟ تعجبا من غفلته. قوله: الذين كذبوا يجوز
فيه أوجه: أن يكون بدلا من الموصول قبله، أو بيانا له، أو نعتا، أو خبر مبتدأ محذوف، أو منصوبا على الذم، وعلى
هذه الأوجه فقوله: فسوف يعلمون جملة مستأنفة سيقت للتهديد، ويجوز أن يكون مبتدأ والخبر
الجملة من قوله: فسوف يعلمون، ودخول الفاء فيه واضح. فصل: المعنى ثم الذين كذبوا بالكتاب أي
بالقرآن وبما أرسلنا به رسلنا من سائر الكتب. قيل: هم المشركون. وعن محمد بن سيرين وجماعة أنها
نزلت في القدرية. قوله: إذ الأغلال فيه سؤال وهو أن سوف للاستقبال وإذ للماضي، فقوله: فسوف
يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم مثل قولك: سوف أصوم أمس. والجواب: جوز والمعنى في إذ هذه أن تكون
بمعنى إذا، لأن العامل فيها محقق الاستقبال، وهو فسوف يعلمون. قالوا: وكما تقع إذا موقع إذ في قوله

تعالى: وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها، كذلك تقع إذ موقعها، وقد مضى نحو من هذا في البقرة عند قوله تعالى:
ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب. قالوا: والذي حسن هذا تيقن وقوع الفعل فأخرج في صورة الماضي.
قال شهاب الدين: ولا حاجة إلى إخراج إذ عن موضعها، بل هي باقية على دلالتها على المضي، وهي منصوبة بقوله:
فسوف يعلمون نصب المفعول به، أي فسوف يعلمون يوم القيامة وقت الأغلال في أعناقهم، أي وقت
سبب الأغلال وهي المعاصي التي كانوا يفعلونها في الدنيا، كأنه قيل: سيعرفون وقت معاصيهم التي تجعل الأغلال في
أعناقهم، وهو وجه واضح، غاية ما فيه التصرف في إذ بجعلها مفعولا بها، ولا يضر ذلك، فإن المعربين غالبا ما
يقولون: منصوب باذكر مقدرا، ولا يكون حينئذ إلا مفعولا به لاستحالة عمل المستقبل في الزمن الماضي، ويجوز
أن يكون منصوبا باذكر مقدرا، أي اذكر لهم وقت الأغلال ليخافوا وينزجروا، فهذه ثلاثة أوجه خيرها أوسطها.
قوله: والسلاسل العامة على رفعها، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها أنه معطوف على الأغلال، وأخبر عن النوعين
بالجار، فالجار في نية التأخير، والتقدير: إذ الأغلال والسلاسل في أعناقهم. الثاني أنه مبتدأ وخبره محذوف
لدلالة خبر الأول عليه. الثالث أنه مبتدأ أيضا وخبره الجملة من قوله: يسحبون، ولا بد من ذكر ضمير يعود
عليه منها، والتقدير: والسلاسل يسحبون بها، حذف لقوة الدلالة عليه، فيسحبون مرفوع المحل على هذا الوجه،
وأما في الوجهين المتقدمين فيجوز فيه النصب على الحال من الضمير المنوي في الجار، ويجوز أن يكون مستأنفا. وقرأ
ابن مسعود وابن عباس وزيد بن علي وابن وثاب والمسيبي في اختياره: والسلاسل أيضا يسحبون بفتح الياء
مبنيا للفاعل، فتكون السلاسل مفعولا مقدما، ويكون قد عطف جملة فعلية على جملة اسمية. قال ابن عباس
في معنى هذه القراءة: إذا كانوا يجرونها فهو أشد عليهم، يكلفون ذلك ولا يطيقونه. وقرأ ابن عباس وجماعة
والسلاسل بالجر، يسحبون مبنيا للمفعول، وفيها ثلاث تأويلات: أحدها الحمل على المعنى، تقديره: إذ أعناقهم في
الأغلال والسلاسل، فلما كان معنى الكلام ذلك حمل عليه في العطف. قال الزمخشري: ووجهه أنه لو قيل:
إذ أعناقهم في الأغلال مكان قوله: إذ الأغلال في أعناقهم، لكان صحيحا مستقيما، فلما كانتا عبارتين معتقبتين
حمل قوله: والسلاسل على العبارة الأخرى، ونظيره:

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ... ولا ناعب إلا ببين غرابها

وقرئ: وبالسلاسل.
وقال ابن عطية: تقديره إذ أعناقهم في الأغلال والسلاسل، فعطف على المراد من الكلام لا على ترتيب
اللفظ، إذ ترتيبه فيه قلب، وهو على حد قول العرب: أدخلت القلنسوة في رأسي. وفي مصحف أبي: وفي
السلاسل يسحبون. قال أبو حيان بعد قول ابن عطية والزمخشري المتقدم: ويسمى هذا العطف على التوهم،
إلا أن توهم إدخال حرف الجر على مصلحين أقرب من تغيير تركيب الجملة بأسرها، ونظير ذلك قوله:

أجدك لن ترى بثعيلبات ... ولا بيداء ناجية ذمولا
ولا متدارك والليل طفل ... ببعض نواشغ الوادي حمولا

التقدير: لست براء ولا متدارك.
وهذا الذي قاله سبقه إليه الفراء، فإنه قال: من جر السلاسل حمله على المعنى، إذ المعنى: أعناقهم في الأغلال
والسلاسل. الوجه الثاني أنه عطف على الحميم، فقدم على المعطوف عليه، وسيأتي تقريره. الثالث أن
الجر على تقدير إضمار الخافض، ويؤيده قراءة أبي: وفي السلاسل، وقرأ غيره: وبالسلاسل، وإلى هذا نحا الزجاج،
إلا أن ابن الأنباري رده وقال: لو قلت: زيد في الدار، لم يحسن أن تضمر في فتقول: زيد الدار، ثم ذكر تأويل
الفراء وخرج القراءة عليه، ثم قال: كما تقول: خاصم عبد الله زيد العاقلين، بنصب العاقلين ورفعه، لأن أحدهما
إذا خاصم صاحبه فقد خاصمه الآخر، وهذه المسألة ليست جارية على أصول البصريين، ونصوا على منعها،
وإنما قال بها من الكوفيين ابن سعدان. وقال مكي: وقد قرئ والسلاسل بالخفض على العطف على الأعناق،
وهذا غلط لأنه يصير الأغلال في الأعناق وفي السلاسل، ولا معنى للأغلال في السلاسل. قال شهاب الدين:
وقوله على العطف على الأعناق ممنوع، بل خفضه على ما تقدم. وقال أيضا: وقيل هو معطوف على الحميم، وهو
أيضا لا يجوز، لأن المعطوف المخفوض لا يتقدم على المعطوف عليه، لو قلت: مررت وزيد بعمرو لم يجز، وفي المرفوع
يجوز: قام وزيد عمرو، ويبعد في المنصوب، لا يحسن: رأيت وزيدا عمرا، ولم يجزه في المخفوض أحد. قال شهاب
الدين: وظاهر كلامه أنه يجوز في المرفوع منعه، وقد نصوا على أنه لا يجوز إلا ضرورة بثلاثة شروط: ألا
يقع حرف العطف صدرا، وأن يكون العامل متصرفا، وأن لا يكون المعطوف عليه مجرورا، وأنشدوا:

عليك ورحمة الله السلام

إلى غير ذلك من الشواهد، مع تنصيصهم على أنه مختص بالضرورة.
والسلسلة معروفة. قال الراغب: وتسلسل الشيء اضطرب، كأنه تصور منه تسلسل متردد، فتردد
لفظه تنبيه على تردد معناه، وماء سلسل متردد في مقره. والسحب: الجر بعنف، والسحاب من ذلك.

لان الوبح بحره او لانه يجرى الما وسجرت التنور اى ملأته نارا وهيجتها ومنه البحر المسجور اى المملو وقيل المضطرم
نارا قال الشاعر اذا شاء طالع مسجورة ترى حولها النبع والشوحطا ثم يعني قوله تعالى هنا ثم في النار
يسجرون اى يوقد بهم لقوله تعالى وقودها الناس والحجارة والسجير الخليل الذى يسجر في مودة خليله كقولهم
فلان يحترق في مودة فلان قوله ذلكم بما كنتم تفرحون اى ذلكم وتختالون وقوله تفرحون وتمرحون
من باب التجنيس المحرف وهو ان يقع الفرق بين اللفظين بحرف قوله ادخلوا ابواب جهنم اى السبعة
المقسومة لكم خالدين فيها قوله فبئس مثوى المتكبرين المخصوص بالذم محذوف اى جهنم او مثواكم ولم
يقل فبئس مدخل لان الدخول لا يدوم وانما يدوم الثوا فلذلك خصه بالذم وان كان الدخول ايضا مذموما
قوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق لما زيف طريقة المجادلين في ايات الله امر في هذه الاية رسوله بان يصبر على
اذائهم بسبب جدالهم ثم قال ان وعد الله حق والمراد ما وعد الرسول من نصرته ومن انزال العذاب على اعدائه
قوله فاما نرينك قال الزمخشرى اصله فان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل
الا ترى انك لا تقول ان تكرمنى اكرمك ولكن اما تكرمنى اكرمك قال ابو حيان وما ذكره من تلازم النون وما
الزائدة ليس مذهب سيبويه انما هو مذهب المبرد والزجاج ونص سيبويه على التخيير وقد تقدمت هذه
القواعد مستوفاة قوله فالينا يرجعون ليس جوابا للشرط الاول بل جوابا لما عطف عليه وجواب الاول
محذوف قال الزمخشرى فالينا يرجعون متعلق بقوله نتوفينك وجواب نرينك محذوف تقديره فان
نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك او ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون
فننتقم منهم اشد الانتقام وقد تقدم مثل هذا في سورة يونس وبحث ابى حيان معه وقال ابو حيان
ها هنا وقال بعضهم جواب اما نرينك محذوف لدلالة المعنى عليه اى فنقر عينك ولا يصح ان يكون فالينا
يرجعون ليس بظاهر وهو يصح ان يكون جوابا او نتوفينك اى فالينا يرجعون فننتقم منهم ونعذبهم لكونهم
لم يتبعوك ونظير هذه الاية قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذى وعدناهم
فانا عليهم مقتدرون الا انه هنا صرح بجواب الشرط قال شهاب الدين وهذا بعينه هو قول الزمخشرى
وقرا السلمي ويعقوب يرجعون بفتح يا الغيبة مبنيا للفاعل وابن مصرف ويعقوب ايضا بفتح تا الخطاب قوله
منهم من قصصنا يجوز ان يكون منهم صفة لرسلا فيكون من قصصنا فاعلا به لاعتماده ويجوز ان يكون خبرا
مقدما ومن مبتدا موخرا وفي الجملة وجهان احدهما الوصف لرسلا وهو الظاهر والثاني الاستيناف قوله
الله الذى جعل لكم الانعام الاية لما ذكر الوعيد عاد الى ذكر ما يدل على وجود الاله القادر الحكيم والى ذكر
ما يصلح ان يعد انعاما على العباد قال الزجاج الانعام الابل خاصة وقال القاضي هي الازواج الثمانية قوله
منها ومنها من الاولى يجوز ان تكون للتبعيض اذ ليس كلها تركب ويجوز ان تكون لابتدا الغاية اذ المراد بالانعام
شي خاص وهي الابل قال الزجاج لانه لم يعهد للركوب غيرها واما الثانية فكالاولى وقال ابن عطية هي لبيان
الجنس قال لان الخيل منها ولا توكل فان قيل ما السبب في ادخال لام الغرض على قوله لتركبوا وعلى قوله لتبلغوا
ولم يدخل على البواقي فالجواب قال الزمخشرى الركوب في الحج والغزو واما ان يكون واجبا او مندوبا
وايضا ركوبها لاجل حاجتهم وهي الانتقال من بلد الى بلد اخر لطلب علم او اقامة دين يكون اما واجبا او مندوبا
فهذان القسمان اغراض دينية فلا جرم ادخل عليها حرف التعليل نظيره قوله تعالى والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة فادخل حرف التعليل على التعليل ولم يدخله على الزينة قوله لتركبوا منها اى من بعضها
ومنها تاكلون ولكم فيها منافع اى في اصوافها واوبارها واشعارها والبانها ولتبلغوا عليها حاجة في
صدوركم تحمل اثقالكم من بلد الى بلد قوله وعليها وعلى الفلك تحملون اى على الابل في البر وعلى السفن في البحر
فان قيل لم لم يقل وفي الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين فالجواب كلمة على للاستعلا
فالشي الذى يوضع على الفلك كما صح ان يقال فيه صح ان يقال وضع عليه ولما صح الوجهان كانت لفظة على
اولى حتى يتم المزاوجة في قوله وعليها وعلى الفلك تحملون وقال بعضهم ان لفظة في هناك اليق لان
سفينة نوح على ما قيل كانت مطبقة عليهم وهي محيطة بهم كالوعا واما غيرها فالاستعلا فيه واضح لان
الناس على ظهرها قوله ويريكم اياته دلايل قدرته وقوله فاى ايات الله منصوب بتنكرون وقدم وجوبا
لان له صدر الكلام قال مكي ولو كان مع الفعل هاء لكان الاختيار الرفع في اى بخلاف الف الاستفهام تدخل
على الاسم وبعدها فعل واقع على ضمير الاسم فالاختيار النصب نحو قولك ازيدا ضربته هذا مذهب
سيبويه فرق بين الالف وبين اى يعني انك اذا قلت ايهم ضربته كان الاختيار الرفع لانه لا يحوج
الى اضمار مع ان الاستفهام موجود في ازيدا ضربته تختار النصب لاجل الاستفهام فكان مقتضاه اختيار

النصب

النصب ايضا فيما اذا كان الاستفهام بنفس الاسم والفرق عسر وقال الزمخشرى فاى ايات جاءت على اللغة المستفيضة
وقولك فاية ايات الله قليلة لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسما غير الصفات نحو حمار وحمارة وغريب
وهو في اى اغرب لابهامه قال ابو حيان ومن قلة تانيث اى قوله
باى كتاب ام باية سنة ترى حبهم عارا علي وتحسب
وقوله وهو في اى اغرب ان عنى ان
على الاطلاق فليس بصحيح لان المستفيض في الندا ان يؤنث في ندا المؤنث كقوله يا ايتها النفس المطمئنة ولا
نعلم احدا ذكر تذكيرها فيه فيقول يا ايها المراة الا صاحب البديع في النحو وان عنى غير المناداة فكلامه صحيح
يقل تانيثها في الاستفهام وموصولة وشرطية قال شهاب الدين واما اذا وقعت صفة لنكرة او حالا لا
لمعرفة فالذى ينبغي ان يجوز الوجهان كالموصولة ويكون التانيث اقل نحو مررت بامراة اية امراة وجاءت
هند اية امراة وكان ينبغي لابي حيان ان ينبه على هذين الفرعين فصل معنى قوله فاى ايات الله تنكرون
اى هذه الايات التي عددناها كلها ظاهرة باهرة ليس في شي منها ما يمكن انكاره قوله تعالى افلم يسيروا في
الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين الاية معناه ان هولا الكفار الذين يجادلون في ايات الله وحصل
الكبر العظيم في صدورهم انما كان السبب في ذلك طلب الرياسة والتقدم على الغير في المال والجاه ومن
ترك الانقياد الى الحق طلبا لهذه الاشيا فقد باع الاخرة بالدنيا وهذه طريقة فاسدة لان الدنيا فانية
ذاهبة واحتج بقوله تعالى افلم يسيروا في الارض الاية يعني لو ساروا في اطراف الارض لعرفوا ان عاقبة
المتكبرين والمتمردين ليس الا الهلاك والبوار مع انهم كانوا اكثر عددا وعددا ومالا وجاها من هولا
المتاخرين فلما لم ينفعهم تلك المكنة العظيمة الا الخيبة والخسار فكيف حال هولا الفقرا المساكين قوله
فما اغنى عنهم يجوز في ما ان تكون نافية واستفهامية بمعنى النفي ولا حاجة اليه وقوله ما كانوا يجوز ان تكون
ما مصدرية ومحلها الرفع اى مكسوبهم او كسبهم ويجوز ان يكون بمعنى الذى فلا عايد على الاول وعلى الثاني
وهو محذوف اى يكسبونه وفي فاعل اغنى على التقديرين قوله فرحوا بما عندهم من العلم فيه اوجه احدها
انه تهكم بهم والمعنى ليس عندهم علم الثاني ان ذلك جا على زعمهم ان عندهم علما ينتفعون به الثالث ان
من بمعنى بدل اى بما عندهم من الدنيا بدل العلم وعلى هذه الاوجه فالضمير ان للكفار الرابع ان يكون
الضمير ان للرسل اى فرح الرسل ما عندهم من العلم الخامس ان الاول للكفار والثاني للرسل ومعناه فرح
الكفار فرح ضحك واستهزا بما عند الرسل من العلم اذ لم ياخذوه بقبول ويمتثلوا اوامر الوحي ونواهيه وقال
الزمخشرى منها اى من الوجوه ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب
لاقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط خلوهم من العلم وجهلهم قال ابو حيان ولا يعبر بالجملة الظاهر كونها
مثبتة عن الجملة المنفية الا في قليل من الكلام نحو شر اهر ذا ناب على خلاف فيه ولما ال امره الى الاثبات
المحصور جاز واما في الاية فينبغي ان لا تحمل على القليل لان في ذلك تخليطا لمعاني الجمل المتباينة قوله فلما راوا
باسنا اى عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين اى تبرانا مما كنا نعدل بالله والباس
شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بيس قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم يجوز رفع ايمانهم اسما
لكان وينفعهم جملة خبرا مقدما ويجوز ان يرتفع به بانه فاعل ينفعهم وفي كان ضمير الشان وقد تقدم
هذا محققا في قوله ما كان يصنع فرعون وانه ليس من باب التنازع ودخل حرف النفي على الكون لا على
النفي لانه بمعنى لا يصح ولا ينبغي كقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد واعلم ان المراد بالوقت الذى لا ينفع
الايمان فيه هو وقت معاينة نزول ملايكة الرحمة وملايكة العذاب لان في ذلك الوقت يصير المرء
ملجا الى الايمان فلذلك الايمان لا ينفع قوله سنة الله يجوز انتصابها على المصدر المؤكد لمضمون الجملة
يعني ان الذى فعل الله بهم سنة سابقة من الله ويجوز انتصابها على التحذير اى احذروا سنة الله في
المكذبين التي قد خلت في عباده وتلك السنة انهم اذا عاينوا العذاب امنوا ولا ينفعهم ايمانهم
وخسر هنالك الكافرون هنالك في الاصل مكان واستعير هنا للزمان ولا حاجة له فالمكانية فيه ظاهرة
اى وخسر هنالك الكافرون بذهاب الدارين قال الزجاج الكافر خاسر في كل وقت وانما يتبين لهم خسرانهم
اذا راوا العذاب فصل قال ابن سيرين راى رجل في المنام سبع جوار حسان في مكان واحد لم ير
احسن منهن فقال لهن لمن انتن فقلن لمن قرا ال حم

سورة فصلت

وهي اربع وخمسون اية وسبعمائة وتسعة وتسعون كلمة وثلاثة الاف وثلاثمائة وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى **حم تنزيل من الرحمن الرحيم** يجوز ان يكون تنزيل خبر حم على القول بانها اسم للسورة ويجوز ان يكون تنزيل خبر ابتدا مضمر اي هذا تنزيل وقال الاخفش تنزيل رفع بالابتدا وكتاب خبره قوله **كتاب** قد تقدم انه يجوز ان يكون خبر التنزيل ويجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون بدلا من تنزيل وان يكون فاعلا بالمصدر وهو تنزيل اي نزل كتاب قاله ابو البقا فصلت اياته صفة لكتاب قوله **قرآنا** في نصبه ستة اوجه احدها هو حال بنفسه وعربيا صفته او هو حال موطية والحال في الحقيقة عربيا وهي حال غير منتقلة وصاحب الحال اما كتاب لوصفه بفصلت اي فصلت لهولاء وبينت لهم لانهم هم المنتفعون بها وان كانت مفصلة في نفسها لجميع الناس الثاني ان يتعلق بمحذوف صفة لقرآنا اي كائنا لهم ولا خاصة لما تقدم من المعنى الثالث ان يتعلق بتنزيل وهذا اذا لم تجعل من الرحمن صفة له لانك ان جعلت من الرحمن صفة له فقد اعملت المصدر الموصوف وان لم يكن كتاب خبرا عنه ولا بدلا منه لئلا يلزم الاخبار عن الموصول او البدل منه قبل تمام صلته ومن يتسع في الظرف وعديله لم يبال بشيء من ذلك واما اذا جعلت من الرحمن متعلقا به وكتاب فاعلا به فلا يتصور ذلك لانه من تمامه وليس باجنبي قوله **بشيرا ونذيرا** يجوز ان يكون نعتين لقرآنا وان يكونا حالين اما من كتاب واما من اياته واما من الضمير المنوي في قرآنا وقرا زيد بن علي برفعهما على النعت لكتاب او على خبر ابتدا مضمر اي هو بشير ونذير ومعناه بشيرا للمطيعين بالثواب ونذيرا للمجرمين بالعقاب قال ابن الخطيب والحق ان القران بشارة ونذارة الا انه اطلق اسم الفاعل عليه للتنبيه على كونه كاملا في هذه الصفة كما يقال شعر شاعر وكلام قائل فاعرض اكثرهم معرضين عنه فلا يسمعونه ولا يلتفتون اليه فهذه الصفات العشرة التي وصف الله تعالى القران بها

فصل احتج القائلون بخلق القران بهذه الاية من وجوه الاول انه وصف القران بكونه منزلا وتنزيلا والمنزل والتنزيل مشعر بالتغيير من حال الى حال فوجب ان يكون مخلوقا الثاني ان التنزيل مصدر والمصدر هو المفعول المطلق باتفاق النحويين الثالث المراد بالكتاب اما الكتابة وهي المصدر الذي هو المفعول المطلق واما المكتوب الذي هو المفعول الرابع ان قوله فصلت اياته يدل على انه متصرف فيه بالتفصيل وذلك لا يليق بالقديم الخامس انما سمي قرآنا لانه قرن بعض اجزايه ببعض وذلك يدل على كونه مفعول فاعل ومجعول جاعل السادس وصفه بكونه عربيا وانما صحت هذه النسبة لان هذه الالفاظ انما دلت على هذه المعاني بحسب وضع العرب واصطلاحاتهم وما حصل بجعل جاعل وفعل فاعل فلا بد وان يكون محدثا ومخلوقا **والجواب** ان كل هذه الوجوه المذكورة عايدة الى اللغات والى الحروف والكلمات وهي حادثة

فصل قال قوم القران كله معلوم لقوله تعالى قرآنا عربيا لقوم يعلمون يعني انما جعلناه عربيا ليصير معلوما والقول بانه غير معلوم يقدح فيه قوله **فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون** اي لا يصغون تكبرا وهذه الاية تدل على انه لا يهتدي الا من هداه الله ولا يضل الا من اضله الله ولما وصف الله تعالى القران بانهم اعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه بين انهم صرحوا بهذه النفرة وذكروا ثلاثة اشيا احدها قوله **في اكنة** قال الزمخشري فان قلت هلا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل وفي اذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد قلت هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في اكنة وعلى قلوبنا اكنة والدليل عليه قوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة ولو قيل جعلنا قلوبهم في اكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحة الا في المعاني قال ابو حيان وفي هنا ابلغ من على لانهم قصدوا الافراط في عدم القبول لحصول قلوبهم في اكنة احتوت عليها احتوا الظرف على المظروف فلا يمكن ان يصل اليها شي كما تقول المال في الكيس بخلاف قولك المال على الكيس فانه لا يدل على الحصر وعدم الوصول دلالة الوعا واما وجعلنا فهو من اخبار الله تعالى فلا يحتاج الى مبالغة وتقدم تفسير الاكنة والوقر وقرا طلحة بن مصرف وقر بكسر الواو وتقدم الفرق بينهما قوله **مما تدعونا** من في ومما ومن بيننا لابتدا الغاية والمعنى ان الحجاب ابتدا منا وابتدا منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها فلو لم تات من لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين والمقصود المبالغة بالتباين المفرط فلذلك جي بمن قاله الزمخشري وقال ابو البقا هو محمول على المعنى لان المعنى في اكنة محجوبة عن سماع ما تدعونا اليه ولا يجوز ان يكون نعتا لان الاكنة الاغشية وليست الاغشية مما تدعونا اليه

فصل وقالوا يعني مشركي مكة قلوبنا في اكنة اغطية والاكنة جمع كنان كاغطية جمع غطا والكنان هو الذي يجعل فيه السهام والمعنى

لانفقه

لا نفقه ما تقول وفي اذاننا وقر اي صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى انا في ترك القبول عنك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع ومن بيننا وبينك حجاب خلاف في الدين فلا نوافقك على ما تقول فاعمل انت على دينك انا عاملون على ديننا قوله **قل انما انا بشر** قرا ابن وثاب والاعمش قال فعلا ماضيا خبرا عن الرسول والرسم يحتملهما وقد تقدم مثل هذا في الانبيا واخر المؤمنين وقرا الاعمش والنخعي يوحي بكسر الحا اي الله تعالى والمعنى انما انا بشر مثلكم اي كواحد منكم لولا الوحي ما دعوتكم انما الهكم اله واحد قال الحسن علمه الله التواضع قوله **فاستقيموا اليه** عدي بالى لتضمنه معنى توجهوا والمعنى وجهوا استقامتكم اليه بالطاعة ولا تميلوا عن سبيله واستغفروه من ذنوبكم قوله **وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة** قال ابن عباس الذين لا يقولون لا اله الا الله وهي زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو ماخوذ من قوله ونفس وما زكاها وقال الحسن وقتادة لا يقرون بالزكاة ولا يرون ايتاها واجبا وكان يقال الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم وهم بالاخرة هم كافرون فلو لم يكن منع الزكاة كفرا لكان ذكره فيما بين الوصفين الموجبين للكفر قبيحا لان الكلام انما يكون فصيحا اذا كانت المناسبة مرعية بين اجزايه ثم اكد ذلك بان ابا بكر الصديق رضي الله عنه حكم بكفر مانعي الزكاة قال ابن الخطيب والجواب انه ثبت بالدليل ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان وهما حاصلان عند عدم ايتا الزكاة فلم يلزم حصول الكفر بسبب عدم ايتا الزكاة قوله **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون** قال ابن عباس غير مقطوع من قولك مننت الحبل اي قطعته ومنه قولهم قد منه السفر اي قطعه وانشدوا

فضل الجواد على الخيل البطا فلا ... يعطي بذلك ممنونا ولا نزقا

وقال مقاتل غير منقوص ومنه المنون لانه ينقص منه الانسان قوته وانشد لذي الاصبع العدواني

اني لعمرك ما بابي بذي غلق ... على الصديق ولا خيري بممنون

وقيل غير ممنون به عليهم لان عطا الله لا يمن به انما يمن المخلوق وقال مجاهد غير محسوب قال السدي نزلت هذه الاية في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون فيه روى عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله اذا كان طليقا حتى اطلقه او اكفته الي قوله تعالى **قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض** الاية قرا ابن كثير اينكم لتكفرون بهمزة بعدها بالخفيفة ساكنة بلا مد والباقون ممدود امتداد النون وهو استفهام بمعنى الانكار اي كيف تكفرون بالله وكيف يجوز جعل هذه الانداد الخسيسة اندادا لله مع انه تعالى خلق الارض في يومين وتمم يوم الاحد ويوم الاثنين ثم بقية مصالحها في يومين اخرين وخلق السموات باسرها في يومين اخرين فمن قدر على خلق هذه الاشيا العظيمة كيف يعقل الكفر به وانكار قدرته على الحشر والنشر **فان قيل** من استدل بالشي على اثبات شي فذلك الشي المستدل به يجب ان يكون مسلما عند الخصم حتى يصح الاستدلال به وكونه تعالى خالقا للارض في يومين امر لا يمكن اثباته بالعقل المحض انما يمكن اثباته بالسمع ووحي الانبيا والكفار كانوا منازعين في الوحي والنبوة فلا يعقل تقرير هذه المقدمة عليهم واذا امتنع تقريرها عليهم امتنع الاستدلال بها على فساد مذاهبهم **فالجواب** اثبات كون السموات والارض مخلوقة بالعقل ممكن واذا امكن ذلك امكن الاستدلال به على وجود الاله القادر القاهر العظيم وحينيذ يقال للكافر كيف يعقل التسوية بين الاله الموصوف بهذه القدرة القاهرة وبين الصنم الذي هو جماد لا يضر ولا ينفع في العبودية والالهية بقي ان يقال التحديد بالايام لا ينفع في الاستدلال بكونه تعالى خالقا للارض في يومين اثر قال ابن الخطيب بل له اثر في هذا الباب وذلك ان التوراة مشتملة في هذا المعنى فكان ذلك في غاية الشهرة بين اهل الكتاب وكفار مكة كانوا يعتقدون في اهل الكتاب انهم اصحاب العلوم والظاهر انهم كانوا قد سمعوا من اهل الكتاب هذه المعاني واعتقدوا كونها حقا واذا كان الامر كذلك حسن ان يقال لهم ان الاله الموصوف بالقدرة على خلق هذه الاشيا العظيمة في هذه المدة اللطيفة كيف يليق بالعقل جعل الخشب المنحوت والحجر المنحوت شريكا له في العبودية والالهية فبهذا الطريق حسن الاستدلال قوله **وتجعلون** عطف على لتكفرون فهو داخل في حيز الاستفهام وقوله ذلك رب العالمين اي ذلك الموجود الذي علمت من صفته وقدرته انه خلق الارض في يومين اخبر انه اتى بثلاثة انواع من الصنع العجيب والفعل البديع بعد ذلك فالاول قوله **وجعل فيها رواسي** وهذا مستانف ولا يجوز عطفه على صلة الموصول للفصل بينهما باجنبي وهو قوله وتجعلون فانه معطوف على لتكفرون كما تقدم والمراد بالرواسي الجبال **قال قتادة** الفايدة في قوله من فوقها ولم يقتصر على قوله

وقوله وجعل فيها رواسي كما اقتصر على قوله وجعلنا في الارض رواسي وقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات فالجواب انه تعالى لو جعل فيها رواسي من تحتها لاوهم ذلك ان تلك الاساطين التحتانية هي التي امسكت هذه الارض الثقيلة عن النزول ولكنه تعالى قال خلقت هذه الجبال الثقال فوق الارض ليرى الانسان بعينه ان الارض والجبال اثقال على اثقال وكلها مفتقرة الى ممسك وحافظ وما ذاك الحافظ المدبر الا الله سبحانه وتعالى. النوع الثاني وبارك فيها اي في الارض بما خلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار وقال ابن عباس يريد شق الانهار وخلق الجبال وخلق الاشجار والثمار وخلق اصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه من الخيرات. النوع الثالث قوله وقدر فيها اقواتها قيل المعنى وقدر فيها اقوات اهلها ومعايشهم وما يصلحهم. وقال محمد بن كعب قدر اقوات الابدان قبل ان يخلق الابدان. وقال مجاهد وقدر فيها اقواتها من المطر وعلى هذا فالاقوات للارض لا للسكان. وقيل المراد من اضافة القوت الى الارض كونها متولدة في تلك الارض والمعنى ان الله عز وجل قدر لكل ارض حظها من المطر وحادثة فيها لان النحاة قالوا يكفي في حسن الاضافة ادنى سبب فالشيء قد يضاف الى فاعله تارة والى محله اخرى فقوله وقدر فيها اقواتها اي قدر الاقوات التي يختص حدوثها بها وذلك لانه تعالى جعل كل بلدة معدنا لنوع من الاشياء المطلوبة حتى ان اهل هذه البلدة يحتاجون الى الاشياء المتولدة في تلك البلدة وبالعكس فصار هذا المعنى سببا لرغبة الناس في التجارات واكتساب الاموال. قوله في اربعة ايام تقديره في تمام اربعة ايام باليومين المتقدمين. قال الزمخشري في تمام اربعة ايام. قال الزجاج في تمام اربعة ايام يريد بالتتمة اليومين. وقال ابو البقاء في تمام اربعة ايام فذلك لمدة خلق الله الارض وما فيها كانه قال كل ذلك في اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان. قال شهاب الدين وهذا كقولك بنيت بيتي في يوم واكملته في يومين اي بالاول ولولا هذا التقدير لكانت الايام ثمانية يومان في الاول وهو قوله خلق الارض في يومين ويومان في الاخر وهو قوله فقضاهن سبع سموات في يومين واربعة في الوسط وهو قوله في اربعة ايام. فان قيل انه تعالى لما ذكر خلق الارض في يومين فلو ذكر انه خلق هذه الانواع الثلاثة الباقية في يومين اخرين كان ابعد عن الشبهة وعن الغلط فلم ذكر التصريح وذكر الكلام المجمل فالجواب ان قوله في اربعة ايام سواء فيه فائدة زائدة على ما اذا قال خلقت هذه الثلاثة في يومين لانه لو قال خلقت هذه الاشياء في يومين لم يفد هذا الكلام كون اليومين مستغرقين بتلك الاعمال لانه قد يقال عملت هذا العمل في يومين مع ان اليومين ما كانا مستغرقين بذلك العمل اما لما ذكر خلق الارض وخلق هذه الاشياء ثم قال في اربعة ايام سواء دل على ان هذه الايام الاربعة صارت مستغرقة في تلك الاعمال من غير زيادة ولا نقصان. قوله سواء العامة على النصب وفيه اوجه احدها انه منصوب على المصدر بفعل مقدر اي استوت استواء قاله مكي وابو البقاء. والثاني انه حال من ها في اقواتها او من ها في فيها العائدة على الارض او من الارض قاله ابو البقاء وفيه نظر لان المعنى انما هو وصف الايام بانها سواء لا وصف الارض بذلك وعلى هذا جاء التفسير ويدل على ذلك قراءة سواء بالجر صفة للمضاف او للمضاف اليه. وقال السدي وقتادة معناه سواء لمن سال عن الامر واستفهم عن حقيقة وقوعه واراد العبرة فيه فانه يجده كما قال تعالى الا ان ابن زيد وجماعة قالوا اشياء من المعنى الذي ذكره ابو البقاء لانهم قالوا معناه مستويا مهيئا امر هذه المخلوقات ونفعها للمحتاجين اليها من البشر فعبر بالسائلين عن الطالبين. وقرا زيد بن علي والحسن وابن ابي اسحق وعيسى ويعقوب وعمرو بن عبيد سواء بالخفض على ما تقدم وابو جعفر بالرفع وفيه وجهان احدهما انه على خبر ابتداء مضمر اي هو سواء لا يزيد ولا ينقص. وقال مكي هو مرفوع بالابتداء وخبره للسائلين وفيه نظر من حيث الابتداء بنكرة من غير مسوغ ثم قال بمعنى مستويات لمن سال فقال في كم خلقت. وقيل للسائلين بجميع الخلق لانهم يسالون الرزق وغيره من عند الله تعالى. قوله للسائلين فيه ثلاثة اوجه احدها انه متعلق بسواء بمعنى مستويات للسائلين. الثاني انه متعلق بقدر اي قدر فيها اقواتها لاجل الطالبين لها المحتاجين المقتاتين. الثالث انه يتعلق بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سال في كم خلقت الارض وما فيها. قوله ثم استوى الى السماء وهي دخان اي عمد الى خلق السماء. قال ابن الخطيب من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلتفت معه الى عمل اخر وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونظيره قولهم استقام اليه وامتد اليه. قال تعالى فاستقيموا اليه. والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السموات بعد خلق الارض وما فيها من صارف يصرفه عن ذلك. والدخان هو ما ارتفع من لهب النار ويستعار لما يرى من بخار الارض عند جدبها. وقياس جمعه في القلة ادخنة وفي الكثرة دخان نحو غراب وغربان واغربة وشذ واني جمعه على دواخن قيل هو جمع داخنة تقديرا على سبيل الاسناد المجازي ومثله عثان وعواثن. وقوله وهي دخان من باب التشبيه الصوري

لان صورتها صورة الدخان في راي العين. قوله فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا. قرا العامة ائتيا امرا من الاتيان قالتا اتينا منه ايضا. وقرا ابن عباس وابن جبير ومجاهد آتيا قالتا آتينا بالمد فيهما وفيه وجهان احدهما انه من المواتاة وهي الموافقة اي لتوافق كل منكما الاخرى لما يليق بها واليه ذهب الرازي والزمخشري فوزن آتيا فاعلا كقاتلا وآتينا وزنه فاعلنا كقاتلنا. والثاني انه من الايتاء بمعنى الاعطاء فوزن آتيا افعلا كاكرما ووزن آتينا افعلنا كاكرمنا فعلى الاول يكون قد حذف مفعولا وعلى الثاني يكون قد حذف مفعولين اذ التقدير اعطيا الطاعة من انفسكما من امركما قالتا اعطيناه الطاعة. وقد منع ابو الفضل الرازي الوجه الثاني فقال آتينا بالمد على فاعلت من المواتاة بمعنى سارعنا على حذف المفعول به ولا يكون من الايتاء الذي هو الاعطاء لبعد حذف مفعوليه. قال شهاب الدين وهذا الذي منع الزمخشري ان يجعله من الايتاء. قوله طوعا او كرها مصدران في موضع الحال اي طائعين او مكرهين. وقرا الاعمش كرها بالضم وتقدم الكلام على ذلك في النساء. قوله قالتا اي قالت السماء والارض. وقال ابن عطية اراد الفرقتين المذكورتين جعل السموات سماء والارضين ارضا كقوله:

الم يحزنك ان جبال قومي ... وقومك قد تباينتا انقطاعا

عبر عنهما بتباينتا. قال ابو حيان وليس كذلك لانه لم يتقدم الا ذكر الارض مفردة والسماء مفردة فلذلك حسن التعبير بالتثنية واما البيت فكانه قال تباين جبلي قومي وقومك وانث في تباينتا على المعنى لانه عنى بالجبال المودة. قوله طائعين فيه وجهان احدهما ان المراد باتينا من فيهما من العقلاء وغيرهم فلذلك غلب العقلاء على غيرهم وهو راي الكسائي. والثاني انه لما عاملهما معاملة العقلاء في الاخبار عنهما والامر لهما جمعهما جمعهم كقوله رايتهم لي ساجدين. وهل هذه المحاورة حقيقة او مجاز واذا كانت مجازا فهل هو تمثيل او تخييل خلاف.

فصل ظاهر الكلام يقتضي ان الله تعالى امر السماء والارض بالاتيان فاطاعوا وهذا ليس بمستبعد كما ان الله تعالى انطق الجبال مع داود عليه السلام فقال يا جبال اوبي معه والطير وانطق الايدي والارجل فقال يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي واذا كان كذلك فكيف يستبعد ان يخلق الله تعالى في ذات السموات والارض حياة وعقلا ثم يوجه الامر والتكليف عليهما ويؤكد هذا وجوه الاول ان الاصل حمل اللفظ على ظاهره الا اذا منع منه مانع وها هنا لا مانع. الثاني انه تعالى جمعهما جمع العقلاء فقال قالتا اتينا طائعين. الثالث قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وهذا يدل على كونها عارفة بالله عالمة بتوجه تكليف الله عليها. واجاب ابن الخطيب عن هذا القول بان المراد من قوله ائتيا طوعا او كرها الاتيان الى الوجود والحدوث والحصول فعلى هذا التقدير يحال توجه هذا الامر لان السموات والارض كانت معدومة اذ لو كانت موجودة فذلك لا يجوز فثبت ان حال توجه هذا الامر عليهما كانت معدومة واذا كانت معدومة لم تكن فاهمة ولا عارفة للخطاب فلم يجز توجه الامر عليهما. فان قيل روى مجاهد وطاوس عن ابن عباس انه قال قال الله للسموات اخرجا ما فيكما من المنافع لمصالح العباد اما انت يا سماء فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك وانت يا ارض فشققي انهارك واخرجي ثمارك ونباتك وقال لهما افعلا ما امرتكما طوعا والا الجاتكما الى ذلك حتى تفعلاه كرها فعلى هذا التقدير لا يكون المراد من قوله ائتيا طائعين حدوثهما في ذاتهما بل يصير المراد من هذا الامر ان يظهرا ما كان مودعا فيهما وهذا باطل لانه تعالى قال فقضاهن سبع سموات في يومين وذلك يدل على ان حدوث السماء انما حصل بعد قوله ائتيا طوعا او كرها. قوله فقضاهن سبع سموات في نصب سبع اربعة اوجه احدها انه مفعول ثان لقضاهن لانه ضمن معنى صيرهن بقضائه سبع سموات. والثاني انه منصوب على الحال من مفعول قضاهن اي قضاهن معدودة. وقضى بمعنى صنع كقول ابي ذؤيب:

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود او صنع السوابغ تبع

اي صنعهما. الثالث انه تمييز. قال الزمخشري ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات على التمييز يعني بقوله مبهما انه لا يعود على السماء لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى بخلاف كونه حالا او مفعولا ثانيا. الرابع انه بدل من هن في فقضاهن قاله مكي. وقال ايضا السماء تذكر وتؤنث وعلى التانيث جاء القران ولو جاء على التذكير لقيل سبعة سموات وتقدم تحقيق تذكيره وتانيثه في اوائل البقرة.

فصل قال اهل الاثر ان الله تعالى خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق سائر ما في الارض يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيها في يوم الخميس والجمعة وفرغ في اخر ساعة يوم الجمعة فخلق فيها ادم وهي الساعة

التي يقوم فيها قال قيل اليوم عبارة عن النهار والليل وذلك إنما يحصل بطلوع الشمس وغروبها وقبل حدوث
السموات والشمس والقمر كيف يعقل حصول اليوم فالجواب معناه أنه مضى من المدة ما لو حصل هناك
فلك وشمس لكان المقدار مقدار يومين وقضاء الشيء إتمامه والفراغ منه قوله وأوحى في كل سماء أمرها
قال عطاء عن ابن عباس خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه
إلا الله وقال قتادة والسدي يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وقال مقاتل وأوحى إلى كل سماء
ما أراد من الأمر والنهي وذلك يوم الخميس والجمعة قال السدي ولله في كل سماء بيت تحج إليه وتطوف
به الملائكة كل واحد منها مقابل الكعبة بحيث لو وقعت منه حصاة لوقعت على الكعبة قوله وزينا
السماء الدنيا بمصابيح وهي النيرات التي خلقها في السموات وخص كل واحد بضوء معين وسر معين وطبيعة
معينة لا يعرفها إلا الله تعالى قوله وحفظا في نصبه وجهان أحدهما أنه منصوب على المصدر بفعل مقدر
أي وحفظناها بالثواقب من الكواكب حفظا والثاني أنه مفعول من أجله على المعنى فإن التقدير خلقنا
الكواكب زينة وحفظا قال أبو حيان وهو تكلف وعدول عن السهل البين فصل المعنى وحفظناها من
الشياطين الذين يسترقون السمع ثم قال ذلك أي الذي ذكر من صنعة العزيز في ملكه العليم بخلقه
فالعزيز إشارة إلى كمال القدرة والعليم إشارة إلى كمال العلم قوله تعالى فإن أعرضوا فقل أنذرتكم الآية
هذا التفات من خطابهم بقوله قل أئنكم إلى الغيبة لفعلهم الإعراض أعرض عن خطابهم وهو تناسب حسن
والمعنى أن الحجة قد تمت على أكمل الوجوه فإن بقوا مصرين على الجهل لم يبق حينئذ علاج في حقهم إلا إنزال
العذاب عليهم فلهذا قال فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أي هلاكا مثل هلاكهم
والإنذار التخويف قال المبرد الصاعقة المرة المهلكة لأي شيء كان وقرأ الجمهور صاعقة مثل صاعقة
بالألف فيهما وابن الزبير والنخعي والسلمي وابن محيصن صعقة مثل صعقة بحذف الألف وسكون العين
وتقدم الكلام في ذلك في أوائل البقرة يقال صعقت الصاعقة تصعق وهذا مما جاء فيه فعلته بالفتح
ففعل بالكسر ومثله خدعته فخدع قال الزمخشري والصعقة المرة من الصعق قوله إذ جاءتهم فيه أوجه
أحدها أنه ظرف لأنذرتكم نحو لقيتك إذ كان كذا الثاني أنه منصوب بصاعقة لأنها بمعنى العذاب أي
أنذرتكم العذاب الواقع في وقت مجيء رسلهم الثالث أنه صفة لصاعقة الأولى الرابع أنه حال من صاعقة
الثانية قالهما أبو البقاء وفيهما نظر إذ الظاهر أن الصاعقة جثة وهي قطعة نار تنزل من السماء فتحرق
كما تقدم تفسيرها فلا يقع الزمان صفة لها ولا حالا عنها وتأويلها بمعنى العذاب إخراج لها عن مدلولها
من غير ضرورة وإنما جعلها وصفا للأولى لأنها نكرة وحالا من الثانية لأنها معرفة لإضافتها إلى علم ولو
جعلها حالا من الأولى لأنها تخصصت بالإضافة فتعود الأوجه قوله من بين أيديهم ومن خلفهم الظاهر
أن الضميرين عائدان على عاد وثمود وقيل الضمير في خلفهم يعود على الرسل واستبعدوا هذا من حيث
المعنى إذ يصير التقدير جاءتهم الرسل من خلف الرسل أي من خلف أنفسهم وقد يجاب عنه بأنه من
باب درهم ونصفه أي ومن خلف رسل آخرين قوله ألا تعبدوا يجوز في أن ثلاثة أوجه أحدها
أن تكون المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف والجملة النهيية بعدها خبر كذا أعربه
أبو حيان وفيه نظر من وجهين أحدهما أن المخففة لا يقع بعدها فعل إلا من أفعال اليقين والثاني
أن الخبر في باب إن وأخواتها لا يكون طلبا فإن ورد منه شيء أول ولذلك تأولوا

إن الذين قتلتم أمس سيدهم ... لا تحسبوا ليلهم عن ليلكم ناما ... وقوله

ولو أصابت لقالت وهي صادقة ... إن الرياضة لا تنصبك للشيب ... على إضمار القول

الثاني أنها الناصبة للمضارع والجملة النهيية بعدها صلتها وصلت بالنهي كما توصل بالأمر في كتبت
إليه بأن قم وقد مر في وصلها بالأمر إشكال يأتي مثله في النهي الثالث أن تكون مفسرة لمجيئهم
لأنه يتضمن قولا ولا في هذه الأوجه كلها ناهية ويجوز أن تكون نافية على الوجه الثاني ويكون الفعل
منصوبا بأن بعد لا النافية لأن لا النافية لا تمنع العامل أن يعمل فيما بعدها نحو جئت بلا زيد ولم يذكر
الحوفي غيره قوله لو شاء قدر الزمخشري مفعول شاء لو شاء ربنا إرسال الرسل لأنزل الملائكة قال أبو حيان
تتبعت القرآن وكلام العرب فلم أجد حذف مفعول شاء الواقع بعد لو إلا من جنس جوابها نحو ولو شاء
الله لجمعهم على الهدى أي لو شاء جمعهم على الهدى لجمعهم عليه لو نشاء لجعلناه حطاما لو نشاء جعلناه أجاجا
ولو شاء ربك لآمن ولو شاء ربك ما فعلوه لو شاء الله ما عبدنا من دونه وقال الشاعر

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ... ولو شاء ربي كنت قيس بن مرثد ... وقال

الآخر:

والذي لو شاء لكنت صخرا ... أو جبلا أشم مشمخرا ...

قال فعلى ما تقدم لا يكون المحذوف
ما قدره الزمخشري وإنما التقدير لو شاء ربنا إنزال الملائكة بالرسالة منه إلى الإنس لأنزلهم بها إليهم وهذا
أبلغ في الامتناع من إرسال البشر إذ علق ذلك بإنزال الملائكة وهو لم يشأ ذلك فكيف يشاء ذلك في
البشر قال شهاب الدين وتقدير أبي القاسم أوقع معنى وأخلص من إيقاع الظاهر موضع المضمر إذ التقدير
لو شاء ربنا إنزال ملائكة لأنزل ملائكة قوله بما أرسلتم به هذا خطاب لهود وصالح وغيرهم من الأنبياء
عليهم السلام وغلب المخاطب على الغائب نحو أنت وزيد تقومان وما يجوز أن تكون موصولة بمعنى الذي
والعائد هو به وأن تكون مصدرية أي بإرسالكم وعلى هذا يكون به يعود على المصدر المؤول ويكون من باب
التأكيد كأنه قيل كافرون بإرسالكم به فصل روي أن أبا جهل قال في ملأ من قريش التبس علينا أمر
محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والسحر والكهانة وكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة
والله لقد علمت الشعر والسحر والكهانة وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فأتاه فقال له يا محمد أنت خير
أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فلم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فإن كنت تريد الرياسة
عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وإن أردت الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن من أي بنات قريش شئت
وإن كنت تريد المال جمعنا لك ما تستغني به على ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرغت قال نعم قال فاسمع ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم تعوذ
ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته إلى أن بلغ قوله فإن أعرضوا
فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم إلا ما سكت ثم
رجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة إلا قد صبأ فانطلقوا إليه وقالوا
يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك قد صبأت إلى محمد أعجبك طعامه فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من
المال ما يغنيك عن طعام محمد فغضب وأقسم لا يكلم محمدا ثم قال والله لقد علمتم أني من أكثر قريش
مالا ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة ولما
بلغ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم حتى سكت ولقد علمتم أن محمدا إذا
قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل العذاب قوله فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق قيل هذا الاستكبار
إظهار النخوة والكبر وعدم الالتفات إلى الغير وقيل الاستعلاء على الناس واستخدامهم ثم ذكر تعالى سبب
ذلك الاستكبار وهو قولهم من أشد منا قوة وكانوا ذوي أجسام طوال وقوة شديدة ثم إنه تعالى ذكر
ما يدل على أنه لا يجوز لهم أن يغتروا بشدة قوتهم فقال أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم
قوة فإن كانت الزيادة في القوة توجب كون الناقص في طاعة الكامل فيجب عليهم الانقياد لله تعالى
والخضوع لأوامره ونواهيه فإن قيل صيغة أفعل التفضيل إنما تجري بين شيئين لأحدهما نسبة إلى الآخر
لكن قدرة العبد متناهية وقدرة الله لا نهاية لها والمتناهي لا نسبة له إلى غير المتناهي فما معنى أن
الله أشد منهم قوة فالجواب هذا ورد على قانون قولنا الله أكبر ثم قال وكانوا بآياتنا يجحدون
والمعنى أنهم يعرفون أنها حق ولكنهم يجحدونها كما يجحد المودع الوديعة واعلم أن نظم الكلام أن يقال
أما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وكانوا بآياتنا يجحدون وأما قولهم وقالوا من أشد منا قوة أولم
يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة اعتراض وقع في البين لتقرير السبب الداعي لهم إلى
الإنكار قوله فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا الصرصر الريح الشديدة وقيل الباردة من الصر وهو البرد
وقيل هي الشديدة السموم وقيل هي المصوتة من صر الباب أي سمع صريره والصرة الصيحة ومنه
فأقبلت امرأته في صرة قال ابن قتيبة صرصر يجوز أن يكون من الصر وهو البرد وأن يكون من صرير
الباب وأن يكون من الصرة وهي الصيحة وقال الراغب لفظه من الصر وذلك يرجع إلى الشد
لما في البرودة من التعقد قوله في أيام نحسات قرأ الكوفيون وابن عامر بكسر الحاء والباقون بسكونها
فأما الكسر فهو صفة على فعل وفعله فعل بكسر العين أيضا كفعله يقال نحس فهو نحس كفرح فهو فرح وأشر
فهو أشر ومعناه نكدات مشؤومات ذات نحوس وأمال الليث عن الكسائي العين لأجل الكسرة ولكنه غير
مشهور حتى نسبه الداني للوهم وأما قراءة الإسكان فتحتمل ثلاثة أوجه أحدها أن يكون مخففا من فعل
في القراءة المتقدمة وفيه توافق القراءتين الثاني أنه مصدر وصف به كرجل عدل إلا أن هذا
يضعفه الجمع فإن الفصيح في المصدر الموصوف به أن يوحد وكأن المسوغ للجمع اختلاف أنواعه في الأصل
الثالث أنه صفة مستقلة على فعل بسكون العين ولكن أهل التصريف لم يذكروا في الصفة الجاسة

من فعِل بكسر العين الا ان قرأها مقصورة للتسوية بها فعل بالسكون فذكروا فرح فهو فرح وحود فهو احود وشبع فهو شبعان وسلم
فهو سالم وبلي فهو بال، وفي معنى نحسات قولان: احدهما انها من الشؤم قال السدي اي مشايبم من النحس المعروف
والثاني انها من شدة البرد وانشدوا على الاول قول الشاعر:

يومين غيمين ويوما شمسا ، نجمين سعدين ونجما نحسا
وعلى المعنى الثاني

كان سلافة عرضت النحس ، يحيل شفيفها الماء الزلالا
ومنه

فدا عندي قبل طلوع الشمس ، للصيد في يوم قليل النحس
وقيل يريد به في هذا البيت الغبار اي

قليل الغبار، وقد قيل بذلك في الآية اي ذات اغبرة ونحسات نعت لايام وجمع بالالف والتاء مطرد في صفة ما لا يعقل
كايام معدودات كما تقدم تحقيقه في البقرة **فصل** الصرصر العاصفة التي تصرصر في هبوبها، روى عن عبد
الله بن عباس انه قال الرياح ثمان اربع منها عذاب وهي العاصف والصرصر والعقيم والقاصف واربع
منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات، وعن ابن عباس ان الله تعالى ما ارسل على
عباده من الريح الا قدر خاتمي، قال الضحاك امسك عنهم المطر ثلاث سنين وتوالت الرياح عليهم من غير مطر قوله
لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا اي عذاب الهوان والذل مقابلة لذلك الاستكبار **ولعذاب الآخرة اخزى**
اشد اهانة **وهم لا ينصرون** اي لا يكون لهم ناصر يدفع عنهم ذلك الخزي قوله **واما ثمود** الجمهور على رفعه ممنوع الصرف
والاعمش وابن وثاب مصروفا وكذلك كلها في القرآن الا قوله وآتينا ثمود الناقة قالوا لان الرسم ثمود بغير الف
وقرأ ابن عباس وابن ابي اسحق والاعمش في رواية وعاصم في رواية ثمود منصوبا مصروفا والحسن وابن هرمز
وعاصم ايضا منصوبا غير منصرف فاما الصرف وعدمه فقد تقدم توجيههما في هود، واما الرفع فعلى الابتداء والجملة
بعده الخبر وهو متعين عند الجمهور لان اما لا يليها الا المبتدأ فلا يجوز فيما بعدها الاشتغال الا في قليل وهذه القراءة
واذا قدرت الفعل الناصب فقدره بعد الاسم المنصوب اي واما ثمود فهدينا هم فهديناهم قالوا لانها لا يليها
الافعال قوله **فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا** وصاعقة العذاب اي المهلكة والعذاب الهون اي ذي
الهون اي الهوان وهو الذي يهينهم بما كانوا **يكسبون** من شركهم وتكذيبهم صالحا **فان قيل** كيف يجوز للرسول
صلى الله عليه وسلم ان يتوعد قومه بمثل صاعقة عاد وثمود مع العلم بان ذلك لا يقع في امة محمد صلى الله عليه وسلم
وقد صرح الله تعالى بذلك في قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم، وجاء في الحديث الصحيح ان الله تعالى
رفع عن هذه الامة هذه الانواع **فالجواب** انهم لما عرفوا كونهم مشاركين لعاد وثمود في استحقاق مثل تلك
الصاعقة وان السبب الموجب للعذاب واحد فربما يكون العذاب النازل بهم من جنس ذلك العذاب وان كان
اقل درجة، وهذا القدر يكفي في التخويف قوله تعالى **ويوم يحشر اعداء الله** الآية لما بين كيفية عقوبة اولئك
الكفار في الدنيا اردفه ببيان كيفية عقوبتهم في الآخرة ليحصل تمام الاعتبار في الزجر والتحذير فقال ويوم
يحشر في العامل في هذا الظرف وجهان، احدهما انه محذوف دل عليه ما بعده من قوله فهم يوزعون تقديره
يساق الناس يوم يحشر وقدره ابو البقاء يمنعون يوم يحشر، الثاني انه منصوب باذكر اي اذكر يوم، وقرأ نافع
نحشر بنون العظمة وضم الشين اعداء نصبا اي نحشر نحن، والباقون بياء الغيبة مضمومة والشين مفتوحة
على ما لم يسم فاعله واعداء رفعا لقيامه مقام الفاعل، ووجه الاول انه معطوف على ونجينا فيحسن ان يكون
على وفقه في اللفظ وقوله يوم نحشر المتقين ونحشرناهم، ووجه الثانية ان قصة ثمود قد تمت وقوله ويوم
يحشر ابتداء كلام آخر وايضا الحاشرون لهم هم المأمورون بقوله احشروا الذين ظلموا وهم الملائكة وايضا
موافقة لقوله فهم يوزعون وايضا فتقدير القراءة الاولى ان الله تعالى قال ويوم نحشر اعداء الله الى النار فكان
الاولى على هذا التقدير ان يقال ويوم نحشر اعداءنا الى النار وكسر الاعرج شين يحشر ثم قال **فهم يوزعون**
اي يساقون ويدفعون الى النار، وقال قتادة والسدي يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا اي يوقف سوابقهم
حتى يصل اليه تواليهم قوله **حتى اذا جاؤها** حتى غاية ليحشر، والمعنى حتى اذا جاؤا النار فتكون ما صلة، وقيل
فيها زائدة وهي تاكيد ان عند مجيئهم لا بد وان تحصل هذه الشهادة كقوله اثم اذا ما وقع آمنتم به اي لا بد
لوقت وقوعه من ان يكون وقت ايمانهم **فصل** قال ابن الخطيب والسبب في تخصيص هذه الاعضاء الثلاثة
بالذكر ان الحواس الخمس وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس وآلة اللمس هي الجلد فالله تعالى ذكر
هاهنا ثلاثة انواع من الحواس وهي السمع والبصر واللمس واهمل ذكر نوعين وهما الذوق والشم فالذوق
داخل في اللمس من بعض الوجوه لان ادراك الذوق انما يتأتى بان تصير جلدة اللسان مماسة لجرم الطعام
وكذلك الشم لا يتأتى حتى تصير جلدة الحنك مماسة لجرم المشموم فكانا داخلين في حس اللمس واذا عرف
هذا فنقول نقل عن ابن عباس انه قال المراد من شهادة الجلود شهادة الفروج، وهذا من باب الكنايات

كما قال لا تواعدوهن سرا اراد النكاح، وقال او جاء احد منكم من الغائط والمراد قضاء الحاجة، وقال عليه السلام اول ما يتكلم
من الآدمي فخذه وكفه، وعلى هذا التقدير فتكون هذه الآية وعيدا شديدا في اتيان الزنا لان مقدمة الزنا انما تحصل
بالفخذ، وقال مقاتل تنطق جوارحهم بما كتمته الانفس من عملهم قوله **وقالوا** يعني الكفار الذين يحشرون الى النار
لجلودهم **لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون** هذا من جواب
الجلود ومعناه ان القادر على خلقكم وانطاقكم في المرة الاولى حال كونكم في الدنيا ثم على خلقكم وانطاقكم في المرة الثانية
وهي حال القيامة والبعث كيف يستبعد منه انطاق الجوارح والاعضاء قوله **وما كنتم تستترون** اي تستخفون
عند الاقدام على الاعمال القبيحة، وقال مجاهد يتقون، وقال قتادة يظنون قوله **ان يشهد** يجوز فيه اوجه، احدها
من ان يشهد، الثاني خيفة ان يشهد، الثالث لاجل ان يشهد والا بما بمعنى المفعول له، الرابع عن ان يشهد
اي ما كنتم تمتنعون ولا يمكنكم الاختفاء عن اعضائكم والاستتار عنها، الخامس انه ضمن معنى الظن وفيه بعد
فصل معنى الكلام انهم كانوا يستترون عند الاقدام على الاعمال القبيحة لان استتارهم ما كان لاجل خوفهم من ان
تشهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم لانهم كانوا منكرين للبعث والقيامة وذلك الاستتار لاجل انهم يظنون
ان الله لا يعلم الاعمال التي يخفونها، روى عن ابن مسعود قال كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي
او قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان
جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الآخر ان كان يسمع اذا جهرنا يسمع اذا اخفينا فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فانزل الله وما كنتم تستترون الآية قيل الثقفي عبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن
امية قوله **وذلكم ظنكم** فيه اوجه، احدها ان ذلكم رفع بالابتداء وظنكم خبره والذي ظننتم نعته واراداكم خبر
ايضا، الثاني ان يكون الموصول خبرا ثانيا، الرابع ان يكون ظنكم بدلا او بيانا والموصول هو الخبر وارداكم خبر
ثان، الخامس ان يكون ظنكم والموصول والجملة من ارداكم اخبارا الا ان ابا حيان رد على الزمخشري قوله وظنكم
وارداكم خبران قال لان قوله وذلكم اشارة الى ظنهم السابق فيصير التقدير وظنكم بربكم انه لا يعلم ظنكم
بربكم فاستفيد من الخبر ما استفيد من المبتدأ وهو لا يجوز وهذا نظير ما منعه النحاة من قولك سيد
الجارية مالكها، وقد منع ابن عطية كون ارداكم حالا لعدم وجود قد وتقدم الخلاف في ذلك **فصل**
قال المفسرون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم اي ظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ارداكم اهلككم قال
ابن عباس طرحكم في النار فاصبحتم من الخاسرين، وهذا نص صريح في ان من ظن انه يخرج شيء من المعلومات
عن علم الله فانه يكون من الهالكين الخاسرين، قال المحققون الظن قسمان احدهما حسن والآخر فاسد
فالحسن ان يظن بالله عز وجل الرحمة والفضل والاحسان، قال عليه السلام حكاية عن الله عز وجل انا عند
ظن عبدي بي، وقال عليه السلام لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله، والظن القبيح ان يظن انه تعالى
يعزب عن علمه بعض هذه الاحوال، وقال قتادة الظن نوعان منج ومرد فالمنجي قوله اني ظننت اني ملاق حسابيه
وقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم، والمردي هو قوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم قوله **فان
يصبروا فالنار مثوى لهم** اي مسكن لهم يعني ان امسكوا عن الاستغاثة لفرج ينتظرونه لم يجدوا ذلك وتكون
النار مثوى لهم اي مقاما لهم قوله **وان يستعتبوا فما هم من المعتبين** العامة على فتح الياء من يستعتبوا وكسر
التاء الثانية مبنيا للفاعل فما هم من المعتبين بكسر التاء اسم فاعل ومعناه وان يطلبوا العتبى وهي الرضا فما هم
ممن يعطاها، وقيل المعنى وان طلبوا زوال ما يعتبون فيه فما هم من المجابين الى ازالة العتب، واصل العتب
المكان النابي بنازله ومنه قيل لاسكفة الباب والمرقاة عتبة ويعبر بالعتب عن الغلظة التي يجدها الانسان
في صدره على صاحبه وعتبت فلانا ابرزت له الغلظة وعتبته ازلت عتباه كاشكيته، وقيل حملته على العتب
وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وان يستعتبوا مبنيا للمفعول فما هم من المعتبين اسم فاعل بمعنى ان يطلب
منهم ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون ذلك لانهم فارقوا دار التكليف، وقيل معناه ان يطلب ما لا يعتبون عليه فما هم ممن يزيل
العتبى، وقال ابو ذؤيب: امن المنون وريبه تتوجع ، والدهر ليس بمعتب من يجزع، قوله **وقيضنا لهم**
بعثنا ووكلنا، وقال مقاتل هيأنا، وقال الزجاج سببنا لهم واصل التقييض التيسير والتهيئة قيضته للشيء
هيأته له ويسرته وهذان ثوبان قيضان اي كل منهما مكافئ للآخر في الثمن والمقايضة المعارضة وقوله
نقيض له شيطانا اي نسهل ليستولي عليه استيلاء القيض على البيض، والقيض في الاصل قشر البيض الاعلى، قال
الجوهري يقال قايضت الرجل مقايضة اي عارضته بمتاع وهما قيضان كما يقال بيعان وقيض الله فلانا لفلان
اي جاء به ومنه قوله وقيضنا لهم قرناء والمراد بالقرناء النظراء من الشياطين حتى اضلوهم **فزينوا لهم ما بين
ايديهم** من امر الدنيا حتى آثروه على الآخرة **وما خلفهم** من امر الآخرة فدعوهم الى التكذيب وانكار البعث

قوله في أمم نصب على الحال من الضمير في عليهم، والمعنى كائنين في جملة أمم وهذا كقوله:

إن تك عن أحسن الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد أفكوا

أي في جملة قوم آخرين. وقيل في بمعنى مع.

فصل احتج أهل السنة بأنه تعالى أخبر بأنه حق عليهم القول فلو لم يكونوا كفارا لانقلب هذا الخبر الحق باطلا وهذا العلم جهلا وهذا الخبر الصدق كذبا وكل ذلك محال ومستلزم المحال محال فثبت أن صدور الإيمان منهم وعدم صدور الكفر عنهم محال. قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الآية اعلم أن الكلام ابتدأ من قوله تعالى وقالوا قلوبنا في أكنة إلى قوله إننا عاملون، وأجاب الله تعالى عن تلك الشبه وانتقل الكلام إلى هذا الموضع ثم إنه تعالى حكى عنهم شبهة أخرى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه العامة على فتح الغين وهي تحتمل وجهين أحدهما من لغي إذا تكلم باللغو وهو ما لا فائدة فيه، والثاني أنه من لغي بكذا أي رمى به فيكون في بمعنى الباء أي ارموا به وانبذوه، والثاني من الوجهين الأولين أنه يكون من لغا يلغا بالفتح يلغى بالفتح أيضا حكاه الأخفش وكان قياسه الضم كغزا يغزو ولكنه فتح لأجل حرف الحلق. وقرأ قتادة وأبو حيوة وأبو السمال والزعفراني وابن أبي إسحاق وعيسى بضم الغين من لغا بالفتح يلغو كدعا يدعو، وفي الحديث فقد لغوت، وهذا موافق لقراءة غير الجمهور. قوله ذلكم جزاء أعداء الله النار فيه وجهان أحدهما أنه مبتدأ وجزاء خبره، والثاني أنه خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك وجزاء أعداء الله النار جملة مستقلة مبينة للجملة قبلها. قوله النار فيه ثلاثة أوجه أحدها أنه بدل من جزاء وفيه نظر إذ البدل يحل محل المبدل منه فيصير التقدير ذلك النار، الثاني أنها خبر مبتدأ مضمر، الثالث أنها مبتدأ ولهم فيها دار الخلد الخبر، ودار يجوز ارتفاعها بالفاعلية أو الابتداء. وقوله فيها دار الخلد يقتضي أن يكون دار الخلد غير النار وليس الأمر كذلك بل النار هي نفس دار الخلد، وأجيب عن ذلك بأنه قد يجعل الشيء ظرفا لنفسه باعتبار متعلقه على سبيل المبالغة كأن ذلك المتعلق صار مستقرا له وهو أبلغ من نسبة المتعلق إليه على سبيل الإخبار به عنه، ومثله قول الآخر:

وفي الله إن لم تنصفوا حكم عدل

وقوله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والرسول هو نفس الأسوة، كذا أجابوا وفيه نظر إذ الظاهر وهو معنى صحيح منقول أن في النار دارا تسمى دار الخلد والنار محيطة بها. قوله جزاء في نصبه ثلاثة أوجه أحدها أنه منصوب بفعل مقدر وهو مصدر مؤكد أي يجزون جزاء، الثاني أن يكون منصوبا بالمصدر الذي قبله وهو جزاء أعداء الله والمصدر ينصب بمثله كقوله فإن جهنم جزاؤكم جزاء، الثالث أن ينتصب على أنه مصدر واقع موقع الحال، وبما متعلق بجزاء الثاني إن لم يكن مؤكدا وبالأول إن كان، وبآياتنا متعلق بيجحدون.

فصل لما قال ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون بين أن ذلك الأسوأ الذي جعل جزاء أعداء الله هو النار ثم قال لهم فيها دار الخلد أي لهم في جملة النار دار معينة وهي دار العذاب المخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون أي يلغون في القراءة وسماه جحدا لأنهم لما علموا أن القرآن بالغ إلى حد الإعجاز خافوا من أنه لو سمعه الناس لآمنوا به فاستخرجوا تلك الطريقة الفاسدة وذلك يدل على أنهم علموا كونه معجزا وأنهم جحدوا حسدا. قوله وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا الآية تقدم الخلاف في أرنا وفي نون اللذين. وقال الخليل إذا قلت أرني ثوبك بالكسر فمعناه بصرنيه وبالسكون أعطنيه.

فصل لما بين أن الذي حملهم على الكفر الموجب للعقاب الشديد مجالسة قرناء السوء بين أن الكفار في النار يقولون ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس ومعناه أن الشيطان على نوعين جني وإنسي قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن، وقال الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس. وقيل هما إبليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه لأن الكفر سنة إبليس والقتل بغير حق سنة قابيل فهما سنا المعصية نجعلهما تحت أقدامنا في النار ليكونا من الأسفلين. قال مقاتل يكونون أسفل منا في النار. وقال الزجاج ليكونا في الدرك الأسفل. وقال بعض الحكماء المراد باللذين يضلان الشهوة والغضب والمراد بجعلهما تحت أقدامهما كونهما مسخرين للنفس مطيعين لها وأن لا يكونا مستولين عليها قاهرين لها. قوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله الآية لما ذكر الوعيد أردفه بذكر الوعد كما هو الغالب. واعلم أن ثم للتراخي في الرتبة في الفضيلة. سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة فقال أن لا تشرك بالله شيئا. وقال عمر بن الخطاب الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب. وقال عثمان رضي الله عنه أخلصوا العمل لله. وقال علي رضي الله عنه أدوا الفرائض. وقال ابن عباس استقاموا على أمر الله بطاعته واجتنبوا معصيته. وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله. وقال قتادة كان الحسن إذا تلا هذه الآية قال اللهم ربنا فارزقنا الاستقامة. قوله تتنزل عليهم الملائكة قال ابن عباس عند الموت. وقال قتادة ومقاتل إذا قاموا من قبورهم. وقال وكيع بن الجراح البشرى تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث.

قوله ألا تخافوا يجوز في أن أن تكون مخففة أو المفسرة أو الناصبة ولا ناهية على الوجهين الأولين ونافية على الثالث، وقد تقدم ما في ذلك من الإشكال، والتقدير بأن لا تخافوا أي بانتفاء الخوف. وقال أبو البقاء التقدير بأن لا تخافوا أو قائلين أن لا تخافوا فعلى الأول هو حال أي نزلوا بقولهم لا تخافوا وعلى الثاني الحال محذوفة. قال شهاب الدين يعني أن الباء المقدرة حالية فالحال غير محذوفة وعلى الثاني الحال هو القول المقدر وفيه تسامح والأولى أن يقال الحال محذوفة في الموضعين وكما قام المقول مقام الحال كذلك قام الجار مقامها. وقرأ عبد الله لا تخافوا بإسقاط أن وذلك على إضمار القول أي يقولون لا تخافوا.

فصل ألا تخافوا من الموت. قال مجاهد لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم من أهل وولد فإنا نخلفكم في ذلك كله. وقال عطاء بن أبي رباح لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فإني أغفرها لكم. قوله وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون قيل البشارة عبارة عن الخبر الأول بحصول المنافع فأما إذا أخبر الرجل بحصول المنفعة ثم أخبر ثانيا بحصولها كان الإخبار الثاني إخبارا ولا يكون بشارة، والمؤمن قد يسمع بشارات الخير فلو سمع المؤمن هذا الخبر من الملائكة وجب أن يكون هذا إخبارا ولا يكون بشارة فما السبب في تسمية هذا الخبر بشارة. فالجواب أن المؤمن قد يسمع بشارات الخير بأن له الجنة أما إذا لم البتة أنه من أهل الجنة فإذا سمع هذا الكلام من الملائكة كان إخبارا بنفع عظيم مع أنه هو الخبر الأول فكان ذلك بشارة. واعلم أن هذا الكلام يدل على أن المؤمن عند الموت وفي القبر وعند البعث يكون فارغا من الأهوال والفزع الشديد. قوله نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة وهذا في مقابلة ما ذكره في وعيد الكفار حيث قال وقيضنا لهم قرناء. قال السدي تقول الملائكة نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا ونحن أولياؤكم في الآخرة أي لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة. ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم من الكرامات واللذات ولكم فيها ما تدعون أي ما تتمنون. قوله نزلا فيه أوجه أحدها أنه منصوب على الحال من الموصول أو من عائده، والمراد بالنزل الرزق المعد للنازل كأنه قيل ولكم فيها الذي تدعونه حال كونه معدا. الثاني أنه حال من فاعل تدعون أو من الضمير في لكم على أن يكون نزل جمع نازل كصابر وصبر وشارف وشرف. الثالث أنه مصدر مؤكد وفيه نظر لأن مصدر نزل النزول لا النزل، وقيل هو مصدر أنزل. قوله من غفور يجوز تعلقه بمحذوف على أنه صفة لنزلا وأن يتعلق بتدعون أي تطلبونه من جهة غفور رحيم وأن يتعلق بما تعلق الظرف في لكم من الاستقرار أي استقر لكم من جهة غفور رحيم. قال أبو البقاء فيكون حالا من ما. قال شهاب الدين وهذا البناء منه ليس بواضح بل هو متعلق بالاستقرار فضلة كسائر الفضلات وليس حالا من ما. قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله الآية قال ابن سيرين والسدي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى شهادة أن لا إله إلا الله. وقال الحسن هو المؤمن الذي أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب إليه وعمل صالحا في إجابته وقال إنني من المسلمين. وقالت عائشة إن هذه الآية نزلت في المؤذنين. وقال عكرمة هو المؤذن. وقال أبو أمامة الباهلي وعمل صالحا ركعتين بين الأذان والإقامة. وقال قيس بن أبي حازم هو الصلاة بين الأذان والإقامة. قوله وقال إنني العامة على إنني بنونين وابن أبي عبلة وابن نوح بنون واحدة. قوله ولا السيئة في لا هذه وجهان أحدهما أنها زائدة للتوكيد كقوله ولا الظل ولا الحرور وكقوله ولا المسيء لأن استوى لا يكتفي بواحد. والثاني أنها مؤسسة غير مؤكدة إذ المراد بالحسنة والسيئة الجنس أي لا تستوي الحسنات في أنفسها فإنها متفاوتة ولا تستوي السيئات أيضا فرب واحدة أعظم من أخرى وهو مأخوذ من كلام الزمخشري. وقال أبو حيان إن أخذت الحسنة والسيئة جنسا لم تكن زيادتها كزيادتها في الوجه الذي قبل هذا. قال شهاب الدين فقد جعلها في المعنى الثاني زائدة وفيه نظر لما تقدم. قوله كأنه ولي في هذه الجملة التشبيهية وجهان أحدهما أنها في محل نصب على الحال والموصول مبتدأ وإذا التي للمفاجأة خبره والعامل في هذا الظرف من الاستقرار هو العامل في هذه الحال ومحط الفائدة في هذا الكلام هي الحال والتقدير فبالحضرة المعادي مشبها القريب الشفوق والظرف يتقدم على عامله المعنوي هذا إن قيل إنها ظرف وإن قيل إنها حرف فلا عامل. قوله وما يلقاها العامة على يلقاها من التلقية وابن كثير في رواية وطلحة بن مصرف يلاقاها من الملاقاة والضمير للخصلة أو الكلمة أو الجنة أو شهادة التوحيد.

فصل لما أرشد الله تعالى إلى الطريق النافع في الدين والدنيا قال وما يلقاها إلا الذين صبروا. قال الزجاج وما يلقى هذه الفعلة إلا الذين صبروا على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام وما يلقاها إلا من وجبت له الجنة. قوله وإما ينزغنك من الشيطان نزغ الآية تقدم تفسيرها في آخر سورة الأعراف. قال الزمخشري النزغ والنسغ بمعنى واحد وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي

والمعنى وان صرفك الشيطان عما شرعت لك من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره انه هو السميع
لاستعاذتك واقوالك العليم بافعالك واحوالك قوله تعالى ومن آياته الليل والنهار الآية لما بين تعالى في
الآية المتقدمة ان احسن الاعمال والاقوال هو الدعوة الى الله وهي عبارة عن تقرير الدلائل الدالة على ذات
الله وصفاته ومن جملتها العالم بجميع اجزائه فبدأ هاهنا بذكر الفلكيات وهي الليل والنهار والشمس
والقمر وقدم ذكر الليل على ذكر النهار تنبيها على ان الظلمة عدم والنور وجود والعدم سابق على الموجود
وهذا كالتنبيه على وجود الصانع وتقدم شرحه مرارا ولما بين ان الشمس والقمر محدثان وهما دليلان
على وجود الاله القادر قال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر يعني انهما عبدان ودليلان على وجود الاله والسجود
عبارة عن نهاية التعظيم وهو لا يليق الا بمن كان اشرف الموجودات فقال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما
عبدان مخلوقان واسجدوا لله الخالق القادر الحكيم قوله خلقهن في هذا الضمير ثلاثة اوجه احدها انه
يعود على الليل والنهار والشمس والقمر وفي مجيء الضمير كضمير الاناث كما قال الزمخشري ان جمع ما لا يعقل حكمه
الانثى او الاناث نحو الاقلام بريتها او بريتهن وناقشه ابو حيان من حيث انه لم يفرق بين جمع القلة والكثرة
في ذلك لان الافصح في جمع القلة ان يعامل معاملة الاناث وفي جمع الكثرة ان يعامل معاملة الانثى فالافصح
ان يقال الاجذاع كسرتهن والجذوع كسرتها والذي تقدم في هذه الآية ليس بجمع قلة اعني بلفظ واحد ولكنه ذكر
اربعة متعاطفة فتنزلت منزلة الجمع المعبر به عنها بلفظ واحد قال شهاب الدين والزمخشري ليس في مقام
بيان الفصيح والافصح بل في مقام كيفية مجيء الضمير ضمير اناث بعد تقدم ثلاثة اشياء مذكرات وواحد مؤنث
فالقاعدة تغليب المذكر على المؤنث او لما قال ومن آياته كن في معنى الآيات فقيل خلقهن ذكره الزمخشري ايضا
انه يعود على لفظ الآيات وهذا هو الوجه الثاني الثالث انه يعود على الشمس والقمر لان الاثنين جمع والجمع
مؤنث ولقولهم شموس واقمار وقال البغوي انما قال خلقهن بالتأنيث لانه اجراها على طريق جمع التكسير ولم يجر
على طريق التغليب للمذكر على المؤنث قوله ان كنتم اياه تعبدون قيل كان ناس يسجدون للشمس والقمر كالصابئين
في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لها السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان لا
يسجدوا الا لله الذي خلق هذه الاشياء قوله فان استكبروا اي عن السجود فالذين عند ربك يعني الملائكة يسبحون
له بالليل والنهار وهم لا يسأمون لا يملون قال قيل ان الذين يسجدون للشمس والقمر يقولون نحن اقل واذل
من ان تحصل لنا اهلية لعبادة الله تعالى ولكنا عبيد الشمس والقمر وهما عبدان لله تعالى واذا كان قولهم هكذا
فكيف يليق بهم انهم استكبروا عن السجود لله تعالى فالجواب ليس المراد من الاستكبار هاهنا ما ذكرتم بل
المراد استكبارهم عن قبول قولك يا محمد بالنهي عن السجود للشمس والقمر فصل اختلفوا في مكان السجدة
فقال الشافعي رضي الله عنه هو عند قوله تعالى اياه تعبدون وقال ابو حنيفة عند قوله تعالى وهم لا يسأمون
قوله ومن آياته اي ومن دلائل قدرته انك ترى الارض خاشعة اي يابسة غبراء لا نبات فيها فاذا انزلنا
عليها الماء اهتزت وربت اي تحركت بالنبات وربت انتفخت لان النبت اذا قرب ان يظهر ارتفعت له الارض
وانتفخت ثم تصدعت عن النبات واعلم انه تعالى لما ذكر الدلائل الاربعة الفلكية اتبعها بذكر الدلائل
الارضية وهي هذه الآية ثم قال ان الذي احياها لمحيي الموتى يعني ان القادر على احياء الارض بعد موتها هو
القادر على احياء هذه الاجساد بعد موتها ثم قال انه على كل شيء قدير وهذا هو الدليل الاصلي وتقدم تقريره
مرارا قوله تعالى ان الذين يلحدون في آياتنا الآية لما بين ان الدعوة الى دين الله تعالى اعظم المناصب
واشرف المراتب ثم بين ان الدعوة انما تحصل بذكر دلائل التوحيد والعدل وصحة البعث والقيامة عاد الى
تهديد من ينازع في تلك الآيات ويجادل بالقاء الشبهات فيها فقال ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون
علينا يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فالملحد هو المنحرف ثم اختص في العرف
بالمنحرف عن الحق الى الباطل قال مجاهد يلحدون في آياتنا بالمكاء والتصدية واللغو واللغط وقال قتادة
يكذبون في آياتنا وقال السدي يعاندون ويشاقون لا يخفون علينا وهذا كقول الملك المهيب ان
الذين ينازعون في ملكي اعرفهم فان ذلك يكون تهديدا ثم قال افمن يلقى في النار خير ام من يأتي آمنا يوم
القيامة وهذا استفهام بمعنى التقرير والغرض منه التنبيه على ان الملحدين في الآيات يلقون في النار
وان المؤمنين بالآيات يأتون آمنين يوم القيامة قال المفسرون المراد حمزة وقيل عثمان وقيل عمار
ابن ياسر ثم قال اعملوا ما شئتم وهذا امر تهديد ووعيد ايضا انه بما تعملون بصير اي عالم باعمالكم
فيجازيكم قوله ان الذين كفروا في خبرها ستة اوجه احدها انه مذكور وهو قوله اولئك ينادون
وقد سئل بلال بن ابي بردة عن ذلك في مجلسه فقال لا اجد لها نفاذا فقال له ابو عمرو بن العلاء انه

منك لقريب اولئك ينادون وقد استبعد هذا من وجهين احدهما كثرة الفواصل والثاني تقدم من يصح الاشارة
اليه بقوله اولئك وهو قوله والذين لا يؤمنون واسم الاشارة يعود على اقرب مذكور الثاني انه محذوف لفهم المعنى
فقدره معذبون او مهلكون او معاندون وقال الكسائي سد مسده ما تقدم من الكلام قبل ان وهو قوله افمن يلقى في
النار يعني ان الدلالة عليه والتقدير يخلدون في النار وسأل عيسى بن عمر عمرو بن عبيد عن ذلك فقال معناه في
التفسير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به فقدر الخبر من جنس الصلة وفيه نظر من حيث اتحاد الخبر والمخبر
عنه في المعنى من غير زيادة فائدة نحو سيد الجارية مالكها الثالث ان الذين الثانية بدل من ان الذين الاولى
والمحكوم به على البدل محكوم به على المبدل منه فيلزم ان يكون الخبر لا يخفون علينا وهو منتزع من كلام
الزمخشري الرابع ان الخبر قوله لا يأتيه الباطل والعائد محذوف تقديره لا يأتيه الباطل منهم نحو السمن
منوان بدرهم اي منوان منه او تكون العوض من الضمير في راي الكوفيين تقديره ان الذين كفروا بالذكر
لا يأتيه باطلهم الخامس ان الخبر قوله ما يقال لك والعائد محذوف ايضا تقديره ان الذين كفروا بالذكر
ما يقال لك في شأنهم الا ما قد قيل للرسل من قبلك وهذان الوجهان ذهب اليهما ابو حيان السادس قال
بعض الكوفيين انه قوله وانه لكتاب عزيز وهذا غير متعقل وانه لكتاب عزيز جملة حالية وقوله لا يأتيه
الباطل صفة لكتاب وتنزيل خبر مبتدأ محذوف او صفة لكتاب على ان لا يأتيه معترض وصفة كما تقدم على رأي
من يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح وتقدم تحقيقه في المائدة ومن حكيم صفة لتنزيل او متعلق
به والباطل اسم فاعل وقيل مصدر كالعاقبة والعافية فصل اعلم ان لابي مسلم الاصفهاني ان يحتج بهذه
الآية على انه لم يوجد النسخ فيه لان النسخ ابطال فلو دخل النسخ فيه لكان قد اتاه الباطل من خلفه وهذا
خلاف الآية ثم قال تنزيل من حكيم حميد اي حكيم في جميع افعاله حميد الى جميع خلقه بسبب كثرة نعمه
قوله ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك الآية لما هدد الملحدين في آيات الله ثم بين شرف آيات الله وعلو
درجة كتاب الله رجع الى امر رسوله بان يصبر على اذى قومه وان لا يضيق قلبه بسبب ما حكاه عنهم في اول السورة
وهو قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه الى قوله فاعمل اننا عاملون فقال ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل
من قبلك اي انهم قالوا للانبياء قبلك ساحر وكذبوهم كما كذبت قوله ان ربك لذو مغفرة قيل هو مفسر
للمقول كانه قيل قيل للرسل ان ربك لذو وقيل هو مستأنف ومعناه لذو مغفرة لمن تاب وآمن بك وذو
عقاب اليم لمن اصر على التكذيب قوله ولو جعلناه اي جعلنا هذا الكتاب الذي تقرأه على الناس قرآنا اعجميا
بغير لغة العرب لقالوا لولا فصلت آياته اي هلا بينت آياته بالعربية نفهمها قوله أأعجمي قرأ الاخوان
وابو بكر بتحقيق الهمزة وهشام باسقاط الاولى والباقون بتسهيل الثانية بين بين واما المد فقد عرف
حكمه من قوله أأنذرتهم في اول البقرة ممن استفهم قال معناه الكتاب اعجمي ورسول عربي وقيل ومرسل اليه
عربي وقيل معناه ابعضه عجمي وبعضه عربي ومن لم يثبت همزة استفهام فيحتمل انه حذفها لفظا وارادها
معنى وفيه توافق القراءتين الا ان ذلك لا يجوز عند الجمهور الا ان كان في الكلام ام نحو
بسبع رمين الجمار ام بثمان فان لم يكن ام لم يجز الا عند الاخفش وتقدم ما فيه ويحتمل ان يكون
جعله خبرا محضا ويكون معناه هلا فصلت آياته فكان بعضها اعجميا يفهمه العجم وبعضها عربيا يفهمه العرب
والاعجمي من لا يفصح وان كان من العرب وهو منسوب الى صفته كاحمري ودواري فالياء فيه للمبالغة في الوصف
وليس النسب فيه حقيقيا وقال الرازي في لوامحه فهو ككرسي وبختي وفرق ابو حيان بينهما فقال ليست
ككرسي فان كرسيا وبختيا بنيت الكلمة عليها بخلاف اعجمي فانهم يقولون رجل اعجم واعجمي وقرأ عمرو بن ميمون
اعجمي بفتح العين وهو منسوب الى العجم والياء فيه للنسب حقيقة يقال رجل عجمي وان كان فصيحا وقد تقدم
الكلام في الفرق بينهما في سورة الشعراء وفي رفع اعجمي ثلاثة اوجه احدها انه مبتدأ والخبر محذوف
تقديره اعجمي وعربي يستويان والثاني انه خبر مبتدأ محذوف اي هو اي القرآن اعجمي والمرسل به عربي الثالث
انه فاعل فعل مضمر اي يستوي اعجمي وعربي وهذا ضعيف اذ لا يحذف الفعل الا في مواضع تقدم بيانها
فصل قال المفسرون هذا استفهام على وجه الانكار لانهم كانوا يقولون المنزل عليه عربي والمنزل
اعجمي وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهوديا اعجميا
يكنى ابا فكيهة فقال المشركون انما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال يسار هو يعلمني
فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن الخطيب نقلوا في نزول هذه الآية ان الكفار لاجل التعنت قالوا
هلا انزل القرآن بلغة العجم فنزلت هذه الآية وعندي ان امثال هذه الكلمات فيها حيف عظيم على
القرآن لانه يقتضي ورود آيات لا تعلق للبعض فيها بالبعض وانه يوجب اعظم انواع الطعن فكيف يتم

ثم التزام مثل هذا الطعن ادعا كونه معجزا الحق عندى ان هذه السورة من اولها الى اخرها
كلام واحد على ما حكى الله عنهم من قولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر وهذا الكلام متعلق به ايضا
وجواب له والتقدير انا لو انزلنا هذا القران بلغة العجم لكان لهم ان يقولوا كيف ارسلت الكلام العجمى الى القوم العرب
ويصح لهم ان يقولوا قلوبنا فى اكنة من هذا الكلام وفى اذاننا وقر وهذا الكلام متعلق به ايضا وجواب له ٥
والتقدير منه لانا لا نفهمه ولا نحيط به معناه اما لما انزلنا هذا الكتاب بلغة العرب وبالفاظهم وانتم من اهل هذه
اللغة فكيف يمكنكم ادعاء ان قلوبكم فى اكنة منها وفى اذانكم وقر منها فظهر انا اذا جعلنا هذا الكلام جوابا عن ذلك
الكلام بقيت السورة من اولها الى اخرها على احسن وجوه النظم واما على الوجه الذى يذكره الناس فهو عجيب جدا
قوله قل هو للذين امنوا هدى اى قل يا محمد هو يعنى القران للذين امنوا هدى وشفا هدى من الضلالة وشفا
لما فى القلوب وقيل شفا من الاوجاع قال ابن الخطيب هذا متعلق بقولهم وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا
اليه الاية كانه تعالى يقول ان هذا الكلام ارسلته اليكم بلغتكم لا بلغة اجنبية عنكم فلا يمكنكم ان تقولوا
قلوبنا فى اكنة منه بسبب جهلنا هذه اللغة فكل من اعطاه الله طبعا مائلا الى الحق وقلبا داعيا الى الصدق
وهمة تدعوه الى بذل الجهد فى طلب الدين فان هذا القران يكون فى حقه هدى وشفا اما كونه هدى فانه ٥
اذا امكنه الاهتدا فقد حصل الهدى وذلك شفاهم من مرض الكفر والجهل واما من غرق فى بحر الخذلان
وشغف بمتابعة الشيطان فكان هذا القران عليهم عمى كما قال ومن بيننا وبينك حجاب فاولئك ينادون من
مكان بعيد بسبب ذلك الحجاب الحائل بينه وبين الانتفاع ببيان القران وكل من انصف ولم يتعسف علم ان
التفسير على هذا الوجه الذى ذكرناه اولى مما ذكروه لان السورة تصير من اولها الى اخرها كلاما واحدا منتظما
منسوقا نحو غرض واحد قوله والذين لا يؤمنون فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون مبتدا وفى اذانهم خبره ووقر
فاعل او وفى اذانهم خبر مقدم ووقر مبتدا مؤخر والجملة خبر الاول الثانى ان وقر خبر مبتدا مضمر والجملة خبر
الاول والتقدير والذين لا يؤمنون هو وقر فى اذانهم لما اخبر عنه بانه هدى لاولئك اخبر عنه انه وقر فى
اذان هولاء وعمى عليهم قال معناه الزمخشرى ولا حاجة الى الاضمار مع تمام الكلام بدونه الثالث ان يكون الذين
لا يؤمنون عطفا على الذين امنوا ووقر عطف على هدى وهذا من باب العطف على معمولى عاملين وفيه مذاهب
تقدم تحريرها قوله عمى العامة على فتح الميم المنونة وهو مصدر لعمى يعمى عمى نحو صدى يصدى صدا وهوى يهوى
هوى وقرا ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وجماعة عم بكسرها منونة اسما منقوصا وصف بذلك مجازا وقرا
عمرو بن دينار ورويت عن ابن عباس عمى بكسر الميم وفتح اليا فعلا ماضيا وفى الضمير وجهان اظهرهما انه للقران
والثانى انه للوقر والمعنى ياباه وفى اذانهم ان لم نجعله خبر الثانى متعلق بمحذوف على انه حال منه لانه صفة فى
الاصل ولا يتعلق به لانه مصدر فلا يتقدم معموله عليه وقوله وهو عليهم عمى كذلك فى قراءة العامة واما فى
القرائتين المتقدمتين فيتعلق على بما بعده اذ ليس بمصدر فصل قال قتادة عموا عن القران وصموا عنه فلا
ينتفعون به اولئك ينادون من مكان بعيد قال ابن عباس يريد مثل البهيمة التى لا تفهم الا دعا ونداء وقيل
من دعى من مكان بعيد لم يسمع وان سمع لم يفهم فكذا حال هولاء وهذا مثل لقلة انتفاعهم بما يوعظون به قوله
تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه وجه تعلقه بما قبله كانه قيل انا لما اتينا موسى الكتاب فقبله
بعضهم ورده اخرون فكذلك اتيناك هذا الكتاب فقبله بعضهم وهم اصحابك ورده اخرون وهم الذين
يقولون قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه ثم قال ولولا كلمة سبقت من ربك يعنى فى تاخير العذاب عنهم
الى اجل مسمى وهو يوم القيامة لقضى بينهم يعنى المصدق والمكذب بالعذاب الواقع اى لفرغ من عذابهم
وعجل اهلاكهم وانهم لفى شك من صدقك وكتابك مريب موقع لهم الريبة فلا ينبغى ان يعظم استيحاشك
من قولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه ثم قال من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها يعنى خفف على نفسك
اعراضهم فانهم ان امنوا فنفع ايمانهم يعود عليهم وان كفروا فضرر كفرهم يعود عليهم والله سبحانه يوصل الى كل
احد ما يليق بعمله من الجزاء وما ربك بظلام للعبيد قوله فلنفسه يجوز ان يتعلق بفعل مقدر اى فلنفسه
عمله وان يكون خبرا ابتدا مضمر اى فالعمل الصالح لنفسه وقوله فعليها مثله قوله اليه يرد علم الساعة
لما هدد الكفار بقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ومعناه ان جزا كل احد يصل اليه يوم القيامة
فكان سايلا قال ومتى يكون ذلك اليوم فقال تعالى انه لا سبيل للخلق الى معرفة وقت ذلك اليوم ولا
يعلمه الا الله فقال اليه يرد علم الساعة وهذه الكلمة تفيد الحصر اى لا يعلم وقت الساعة بعينه الا
الله وكذلك العلم بحدوث الحوادث المستقبلة فى اوقاتها المعينة ليس الا عند الله ثم ذكر من امثلة
هذا الباب مثالين احدهما قوله وما تخرج من ثمرة من اكمامها والثانى قوله وما تحمل من انثى ولا تضع

الا بعلمه قوله وما تخرج من ثمرة فى ما هذه يجوز ان تكون نافية وهو الظاهر وان تكون موصولة جوز ذلك ابو البقا
ولم يبين وجهه وبيانه انها تكون مجرورة المحل عطفا على الساعة اى علم الساعة وعلم التى تخرج من ثمرة على هذا
حال او تكون من للبيان ومن الثانية لابتدا الغاية واما ما الثانية فنافية فقط قال ابو البقا لانه
عطف عليها ولا تضع ثم نقض النفى بالا ولو كانت بمعنى الذى معطوفة على الساعة لم يجز ذلك وقرا نافع وابن
عامر ثمرات ويقويه انها رسمت بالتا الممطوطة والباقون ثمرة بالافراد والمراد بها الجنس فان كانت ما نافية
كانت من مزيدة فى الفاعل وان كانت موصولة للبيان كما تقدم والاكمام جمع كم بكسر الكاف كما ضبطه الزمخشرى
وهو ما يغطى الثمرة كجف الطلع وقال الراغب الكم ما يغطى اليد من القميص وما يغطى الثمرة وجمعه اكمام
وهذا يدل على انه مضموم الكاف اذ جعله مشتركا بين كم القميص وكم الثمرة ولا خلاف فى كم القميص انه
بالضم فيجوز ان يكون فى وعا الثمرة لغتان دون كم القميص جمعا بين قوليهما واما اكمة فواحدها كمام كازمة
وزمام وقال ابو عبيدة اكمامها اوعيتها وهى ما كانت فيه الثمرة واحدها كم وكمة قال ابن عباس يعنى الكفرى
قبل ان تنشق وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اى اليه يرد علم الساعة كما يرد اليه علم الثمار والنتاج قوله
ويوم يناديهم اين شركائى اين بحسب زعمكم واعتقادكم وفتح ابن كثير يا شركائى قالوا اذناك قال ابن عباس اسمعناك
كقوله واذنت لربها يعنى سمعت وقال الكلبى اعلمناك قال ابن الخطيب وهذا بعيد لان اهل القيامة يعلمون
ان الله تعالى يعلم الاشيا علما واجبا فالاعلام فى حقه محال قوله ما منا من شهيد هذه الجملة المنفية معلقة
لاذناك لانها بمعنى اعلمناك قال اذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء وتقدم الكلام
فى تعليق اعلم ومن للغاية والصحيح وقوعه سماعا من العرب وجوز ابو حاتم ان يوقف على اذناك ويبتدا بما بعده
ويبتدا بالنفى بعدها على سبيل الاستيناف وما منا خبر مقدم ومن شهيد مبتدا ويجوز ان يكون من شهيد
فاعلا بالجار قبله لاعتماده على النفى قوله وظنوا ما لهم من محيص كقوله ما منا من شهيد ومعناه انهم ايقنوا
انهم لا محيص لهم عن النار اى مهرب وهذا ابتدا كلام من الله تعالى قوله تعالى لا يسام الانسان من دعا
الخير الاية لما بين تعالى من حال هولا الكفار انهم بعد ان كانوا مصرين على القول باثبات الشركا والاضداد
لله فى الدنيا تبرؤا عن تلك الشركا فى الاخرة بين ان الانسان فى جميع الاوقات متغير الاحوال فان احس
بخير وقدرة تعاظم وان احس ببلاء ومحنة ذل والمعنى ان الانسان فى حال الاقبال لا ينتهى الى درجة
الا ويطلب الزيادة عليها وفى حال الادبار والحرمان يصير ايسا قانطا وفى قوله يؤس قنوط مبالغة من وجهين احدهما
من طريق فعول والثانى من طريق التكرير واليأس من صفة القلب والقنوط ان تظهر اثار اليأس فى الوجه
والاحوال الظاهرة ثم بين تعالى ان الذى صار ايسا قانطا لو عاودته النعمة والدولة وهو قوله ولئن
اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته فانه ياتى بثلاثة انواع من الاقاويل الفاسدة الموجبة للكفر والبعد
عن الله فالاول قوله ليقولن هذا لى وهو جواب القسم لسبقه الشرط وجواب الشرط محذوف كما تقدم
تقريره وقال ابو البقا ليقولن جواب الشرط والفا محذوفة قال شهاب الدين وهذا لا يجوز الا فى
شعر كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها حتى ان المبرد يمنعه من الشعر ويروى البيت
من يفعل الخير فالرحمن يشكره قوله وما اظن الساعة والمعنى انه يكون شديد الرغبة فى
الدنيا عظيم النفرة فى الاخرة فاذا ال الامر الى احوال الدنيا يقول انها لى واذا ال الامر الى الاخرة يقول
وما اظن الساعة قائمة النوع الثالث من كلامه الفاسد قوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى
اى ان هذا الكافر يقول لست على يقين من البعث وان كان الامر كذلك ورددت الى ربى ان لى عنده
للحسنى اى الجنة كما اعطانى فى الدنيا سيعطينى فى الاخرة ولما حكى الله تعالى عنهم هذه الاقوال الثلاثة
الفاسدة قال فلننبئن الذين كفروا بما عملوا قال ابن عباس لنقفنهم على مساوى اعمالهم ولنذيقنهم
من عذاب غليظ وهذا فى مقابلة قولهم ان لى عنده للحسنى ولما حكى الله تعالى اقوال الذى انعم عليه بعد
وقوعه فى الافات حكى افعاله ايضا فقال واذا انعمنا على الانسان اعرض ونا بجانبه اى اعرض عن التعظيم
لامر الله والشفقة على خلق ونا بجانبه اى تعاظم ثم ان مسه الضر والفقر اقبل على دوام الدعاء واخذ
فى الابتهال والتضرع ومعنى عريض كبير والعرب تستعمل الطول والعرض فى الكثرة يقال اطال فلان
الكلام والدعاء واعرض اى اكثر قوله قل ارايتم تقدم الكلام عليها ومفعولها الاول هنا محذوف تقديره
ارايتم انفسكم والثانى هو الجملة الاستفهامية فصل ومعنى الاية انكم لما سمعتم هذا القران اعرضتم
عنه وما تاملتم فيه وبالغتم فى النفرة عنه حتى قلتم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر
ومن المعلوم بالضرورة انه ليس العلم بكون القران باطلا وليس العلم بفساد القول بالتوحيد والنبوة

علما بديهيا فقبل الدليل يحتمل ان يكون صحيحا وان يكون فاسدا فتقدير ان يكون صحيحا كان اصراركم على دفعه من اعظم الموجبات للعقاب فيجب عليكم ان تتركوا هذه النفرة وان ترجعوا الى النظر والاستدلال فان دل الدليل على صحته قبلتموه وان دل على فساده تركتموه وقبل الدليل فالاصرار على الدفع والاعراض بعيد عن العقل فقوله ممن هو في شقاق بعيد موضوع موضع بيان حالهم وصفتهم ولما ذكر هذه الوجوه الكثيرة في تقرير التوحيد والنبوة اجاب عن شبهات المشركين **سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم** الافاق جمع افق وهو الناحية قال الشاعر

لو نال حي من الدنيا بمنزلة • افق السما لنالت كفه الافقا

وهو كاعناق في عنق ابدلت همزته الفا ونقل الراغب انه يقال افق بفتح الهمزة والفا فيكون كجبل واجبال وافق فلان اى ذهب في الافاق والافق الذى يبلغ نهاية الكرم تشبيها في ذلك بالذاهب في الافاق والنسب الى الافق افقي بفتحهما ويحتمل انه النسبة الى المفتوح واستغنوا بذلك عن النسبة الى المضموم وله نظاير قوله **اولم يكف بربك** فيه وجهان • احدهما ان البا مزيدة في الفاعل وهذا هو الراجح والمفعول محذوف اى اولم يكف ربك • وفي قوله انه على كل شي شهيد وجهان احدهما انه بدل من بربك فيكون مرفوع المحل مجرور اللفظ كمتبوعه • والثاني ان الاصل بانه ثم حذف الجار فجرى الخلاف • الثاني من الوجهين الاولين ان يكون ربك هو المفعول وانه وما بعده هو الفاعل اى اولم يكف ربك • وفي قوله انه على كل شي شهيد وجهان • احدهما انه بدل من بربك فيكون موضوع المحل رفع اللفظ شهادته • وقرى انه على كل بالكسر وهو على اضمار القول والاستيناف **فصل** اعلم ان قوله بربك في موضع الرفع على انه فاعل كفى كما تقدم ومعناه اولم يكفهم ان ربك على كل شي شهيدا اى شهيدا على الاشيا لانه خلق الدلايل الدالة عليها • وقال مقاتل اولم يكف بربك شاهدا ان القران من الله عز وجل • قال الزجاج معنى الكفاية هاهنا ان الله عز وجل قد بين من الدلايل ما فيه كفاية قوله **الا انهم في مرية من لقاء ربهم** اى في شك من البعث والقيامة • وقرا ابو عبد الرحمن والحسن في مرية بضم الميم وقد تقدم انها لغة في المكسورة الميم ثم قال **الا انه بكل شي محيط** اى عالم بكل المعلومات التي لا نهاية لها فيعلم بواطن الكفار وظواهرهم ويجازي كل واحد على فعله **فان قيل** الاحاطة مشعرة بالنهاية فهذا يقتضي ان تكون معلوماته متناهية **فالجواب** ان قوله بكل شي محيط يقتضي ان يكون علمه بكل شي محيطا اى بكل واحد من الاشيا وهذا يقتضي ان يكون واحد منها متناهيا لا كون مجموعها متناهيا والله اعلم • روى الثعلبي في تفسيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا حم السجدة اعطاه الله من الاجر بكل حرف منها عشر حسنات

سورة الشورى

وهي ثلاث وخمسون اية • وثمان مائة وست وستون كلمة • وثلاثة الاف وخمس مائة وثمانية وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم **حم عسق** تقدم الكلام في امثال هذه الفواتح • وسيل الحسين بن الفضل لم قطع حم عسق ولم يقطع كهيعص فقال لانها سور اوايلها حم فجرت مجرى نظايرها فكان حم مبتدا وعسق خبره ولانهما عدا ايتين واخواتها مثل كهيعص والمص والمر عدت اية واحدة • وقيل لان اهل التاويل لم يختلفوا في كهيعص واخواتها انها حروف التهجي لا غير • واختلفوا في حم فاخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا وقيل معناها حم اى قضى ما هو كاين • روى عكرمة عن ابن عباس انه قال ح حلمه • م مجده • ع علمه • س سناوه • ق قدرته • اقسم بها الله تعالى • وقال شهر بن حوشب وعطا بن ابي رباح ح حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز في قريش • م ملك يتحول من قوم الى قوم • ع عدو لقريش يقصدهم • س سبي يكون فيهم • ق قدرة الله النافذة في خلقه • وروي عن ابن عباس انه قال ليس من نبي صاحب كتاب الا وقد اوحيت اليه حم عسق فلذلك قال يوحي اليك والى الذين من قبلك وعلى هذا فقوله الله العزيز الحكيم كالتبيان • وقرا ابن عباس وابن مسعود حم سق قوله **كذلك يوحي** القرا على يوحي بالياء من اسفل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى والعزيز الحكيم نعتان والكاف منصوبة المحل اما نعتا لمصدر او حالا من ضميره اى يوحي ايحاء مثل ذلك الايحا • وقرا ابن كثير ويروى عن ابي عمرو يوحى بفتح الحا مبنيا للمفعول وفي القايم مقام الفاعل ثلاثة اوجه • احدها ضمير مستتر يعود على كذلك لانه مبتدا والتقدير مثل ذلك الايحا يوحى اليك فمثل ذلك مبتدا ويوحى اليك خبره • الثاني ان القايم مقام الفاعل اليك والكاف منصوبة المحل على الوجهين المتقدمين • الثالث ان القايم مقامه الجملة من قوله الله العزيز اى يوحى اليك هذا اللفظ واصول البصريين لا تساعد على ذلك لان الجملة لا تكون فاعلة ولا قايمة مقامه • وقرا ابو حيوة والاعمش وابان نوحي بالنون وهي موافقة للعامة

قوله **الله العزيز** يجوز ان يرتفع بالفاعلية في قراءة العامة وان يرتفع بفعل مضمر في قراءة ابن كثير كانه قيل من يوحيه فقيل الله كقوله يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال وقوله • ليبك يزيد ضارع لخصومة • وقد مر وان يرتفع بالابتدا وما بعده خبره والجملة قايمة مقام الفاعل على ما مر وان يكون العزيز الحكيم خبرين او نعتين والجملة من قوله له ما في السموات خبرا اولا او ثانيا على حسب ما تقدم في العزيز الحكيم • وجوز ابو البقا ان يكون العزيز مبتدا والحكيم خبره او نعته وله ما في السموات خبره وفيه نظر اذ الظاهر تبعيتهما للجلالة وانت اذا قلت جاء زيد العاقل الفاضل لا تجعل العاقل مرفوعا على الابتدا • قوله **تكاد السموات يتفطرن** تقدم الكلام فيه مشبعا في مريم الا ان الزمخشري زاد هنا وروى يونس عن ابي عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر • وروي في نوادر ابن الاعرابي الابل تتشممن • قال ابو حيان والظاهر ان هذا وهم من الزمخشري في النقل لان ابن خالويه قال في شواذ القران ما نصه تتفطرن بالتا والنون يونس عن ابي عمرو • قال ابن خالويه وهذا حرف نادر لان العرب لا تجمع بين علامتي التانيث لا يقال النسا تقمن ولكن يقمن والوالدات يرضعن ولا يقال ترضعن وكان ابو عمرو الزاهد روى في نوادر ابن الاعرابي الابل تتشممن فانكرناه فقد قواه الان هذا • قال ابو حيان فان كانت نسخ الزمخشري متفقة على قوله بتاءين مع النون فهو وهم وان كان في بعضها بتا مع النون كان موافقا لقول ابن خالويه وكان بتاءين تحريفا من النساخ وكذلك كتبهم تتفطرن وتتشممن بتاءين انتهى • قال شهاب الدين كيف يستقيم ان تكون كتبهم يتشممن بتاءين وهما وذلك لان ابن خالويه اورده في معرض الندرة والانكار حتى يقوى عنده بهذه القراءة وانما يكون نادرا منكرا بتاءين فانه حينيذ يكون مضارعا مسندا لضمير الابل فكان من حقه ان يكون حرف مضارعته بالمنقوطة من اسفل نحو النسا يقمن فكان ينبغي ان يقال الابل يتشممن بالياء من تحت ثم بالتاء من فوق فلما جا بتاءين كلاهما من فوق ظهر ندوره وانكاره ولو كان على ما قال ابو حيان ان كتبهم بتاءين وهما بل كان ينبغي كتبه بتاء واحدة لما كان فيه شذوذ ولا انكار لانه نظير النسوة تدحرجن فانه ماض مسند لضمير الاناث • وكذا لو كتب بيا من تحت وتا من فوق لم يكن فيه شذوذ ولا انكار • وانما يجي الشذوذ والانكار اذا كان بتاءين منقوطتين من فوق ثم انه سوا قرئ تتفطرن بتاءين او بتاء ونون فانه نادر لما ذكره ابن خالويه وهذه القراءة لم يقرا بها في نظيرتها في سورة مريم قوله **من فوقهن** في هذا الضمير ثلاثة اوجه • احدها انه عايد على السموات اى كل واحدة منها تتفطر فوق التي تليها من قول المشركين اتخذ الله ولدا كما في سورة مريم اى يبتدى انفطارهن من هذه الجهة فمن لابتدا الغاية متعلقة بما قبلها • الثاني انه يعود على الارضين لتقدم ذكر الارض • الثالث انه يعود على فرق الكفار والجماعات الملحدين قاله الاخفش الصغير • وانكره مكي وقال لا يجوز ذلك في الذكور من بني ادم وهذا لا يلزم الاخفش فانه قال على الفرق والجماعات فراعى في ذلك المعنى قوله **والملايكة يسبحون بحمد ربهم** فالتسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى عما لا ينبغي والتحميد عبارة عن وصفه بكونه مفيضا لكل الخيرات قوله **ويستغفرون لمن في الارض** اى من المومنين كما حكى عنهم في سورة المومن فقال ويستغفرون للذين امنوا **فان قيل** قوله ويستغفرون لمن في الارض عام فيدخل فيه الكفار وقد لعنهم الله فقال اوليك عليهم لعنة الله والملايكة والناس اجمعين فكيف يكونون لاعنين لهم ومستغفرين لهم • قال ابن الخطيب والجواب من وجوه • الاول انه عام مخصوص باية المومن كما تقدم • الثاني ان قوله لمن في الارض لا يفيد العموم لانه يصح ان يقال انهم استغفروا لكل من في الارض وان يقال انهم استغفروا لبعض من في الارض دون البعض ولو كان صريحا في العموم لما صح ذلك • الثالث يجوز ان يكون المراد من الاستغفار ان لا يعاجلهم بالعقاب كما في قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا • الرابع يجوز ان يقال انهم يستغفرون لكل من في الارض اما في حق الكفار فبطلب الايمان لهم واما في حق المومنين فبالتجاوز عن سيئاتهم فانا نقول اللهم اهد الكفار وزين قلوبهم بنور الايمان وازل عن خواطرهم وحشة الكفر وهذا استغفار لهم في الحقيقة • قوله **والذين اتخذوا من دونه اوليا** اى جعلوا له شركا وانداد **الله حفيظ عليهم** اى رقيب عليهم يحفظ اعمالهم واقوالهم ويحصيها ليجازيهم بها **وما انت** يا محمد **عليهم بوكيل** لم يوكلك بهم ولا امرتهم انما انت منذر • قوله **وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا** في قرانا وجهان • اظهرهما انه مفعول اوحينا والكاف للمصدر نعتا او حالا • الثاني انه حال من الكاف والكاف هي المفعول لاوحينا اى اوحينا مثل ذلك الايحا وهو قران عربي واليه نحا الزمخشري وكون الكاف اسما في النثر مذهب الاخفش **فصل** قال ابن الخطيب قوله وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا يقتضي تشبيه وحي الله بالقران بشي سبق ذكره وليس هاهنا شي سبق ذكره يمكن تشبيه وحي القران به الا قوله والذين اتخذوا من دونه اوليا الله حفيظ عليهم ولست وكيلا عليهم وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا لتكون نذيرا لهم قوله **لتنذر ام القرى** اى اهل ام

القرى لأن البلد لا تعقل وقوله ومن حولها عطفه على أهل المقدر قبل أم القرى والمفعول الثاني محذوف أي العذاب وقرئ لينذر بالياء من تحت أي القرآن وأم القرى أصل القرى يعني مكة وسميت بهذا الاسم إجلالاً لأن فيها البيت ومقام إبراهيم والعرب تسمي أصل كل شيء أمه حتى يقال هذه القصيدة من أمهات قصائد فلان ومعنى ومن حولها أي قرى الأرض كلها من أهل البدو والحضر وأهل المدر والوبر والإنذار التخويف قوله وتنذر يوم الجمع أي تنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله فيه الأولين والآخرين وأهل السموات والأرض وقيل المراد يجمع الأرواح بالأجساد وقيل يجمع بين العامل وعمله وقيل يجمع بين الظالم والمظلوم قوله لا ريب فيه إخبار فهو مستأنف فيكون صفة ليوم الجمع ويجوز أن يكون حالاً من يوم الجمع وجعله الزمخشري اعتراضاً وهو غير ظاهر صناعة إذ لم يقع بين متلازمين قوله فريق العامة على رفعه بأحد وجهين إما الابتداء وخبره الجار بعده وساغ هذا في النكرة لأنه مقام تفصيل كقوله * فثوب لبست وثوب أجر * ويجوز أن يكون الخبر مقدراً تقديره منهم فريق وساغ الابتداء بالنكرة لشيئين تقديم خبرها جاراً ومجروراً ووصفها بالجار بعدها والثاني أنه خبر ابتداء مضمر أي هم أي المجموعون دل على ذلك قوله يوم الجمع وقرأ زيد بن علي فريقاً وفريقاً نصباً على الحال من جملة محذوفة أي افترقوا أي المجموعون وقال مكي وأجاز الكسائي والفراء النصب في الكلام في فريقاً على معنى تنذر فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير يوم الجمع وكأنه لم يطلع على أنها قراءة وظاهر نقله عن هذين الإمامين أنهما لم يطلعا عليها وجعل فريقاً مفعولاً أول لتنذر ويوم الجمع مفعولاً ثانياً وفي ظاهره إشكال وهو أن الإنذار لا يقع للفريقين وهما في الجنة وفي السعير إنما يكون الإنذار قبل استقرارهما فيهما ويمكن أن يجاب عنه بأن المراد للفريقين وهما في الجنة وفي السعير إنما يكون الإنذار قبل استقرارهما فيهما من هو من أهل الجنة ومن هو من أهل السعير وإن لم يكن حاصلاً فيهما وقت الإنذار وفي الجنة صفة لفريقاً أو متعلق بذلك المحذوف فإن قيل يوم الجمع يقتضي كون القوم مجتمعين والجمع بين الصفتين محال فالجواب أنهم يجتمعون أولاً ثم يصيرون فريقين قوله ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة قال ابن عباس على دين واحد وقال مقاتل على ملة الإسلام لقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولكن يدخل من يشاء في رحمته أي في دين الإسلام والظالمون الكافرون ما لهم من ولي يدفع عنهم العذاب ولا نصير يمنعهم من النار وهذا تقرير لقوله الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل أي أنت لا تقدر أن تحملهم على الإيمان فلو شاء الله لفعله لأنه أقدر منك لكنه جعل البعض مؤمناً والبعض كافراً قوله أم اتخذوا من دونه أولياء هذه أم المنقطعة فتقدر ببل التي للانتقال وبهمزة الإنكار أو بالهمزة فقط واعلم أنه تعالى لما حكى عنهم أولاً أنهم اتخذوا من دونه أولياء ثم قال لمحمد عليه السلام لست عليهم بوكيل أي لا يجب عليك أن تحملهم على الإيمان فإن الله لو شاء لفعله أعاد ذلك الكلام على سبيل الاستنكار ثم قال فالله هو الولي لا ولي سواه لأنه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق بأن يتخذ ولياً دون من لا يقدر على شيء قوله وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله وجه النظم أنه تعالى كما منع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحمل الكفار على الإيمان قهراً فكذلك منع المؤمنين أن يشرعوا معهم في الخصومات والمنازعات فقال وما اختلفتم فيه من أمر الدين فحكمه إلى الله يقضي فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب وقيل وما اختلفتم فيه من شيء وتنازعتم فيه فتحاكموا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته وقيل ما وقع بينكم فيه خلاف من الأمور التي لا يصل تكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه فقولوا الله أعلم كما قال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي قوله ذلكم الله أي الذي يحكم بين المختلفين هو ربي عليه توكلت في دفع كيد الأعداء وفي طلب كل خير وإليه أنيب أي أرجع إليه في كل المهمات وهذا يفيد الحصر أي لا أتوكل إلا عليه قوله فاطر العامة على رفعه خبراً لذلكم أو نعتاً لربي على محض الإضافة وعليه توكلت معترض على هذا أو مبتدأ وخبره جعل لكم أو خبر مبتدأ مضمر أي هو وقرأ زيد بن علي فاطر بالجر نعتاً للجلالة في قوله إلى الله وما بينهما اعتراض أو بدلاً من الهاء في عليه أو إليه وقال مكي وأجاز الكسائي النصب على النداء وقال غيره على المدح ويجوز في الكلام الخفض على البدل من الهاء في عليه كأنه لم يطلع على أنها قراءة زيد بن علي قوله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً قيل معناه جعل لكم من أنفسكم أزواجاً أي مثل خلقكم وأزواجاً أي حلائل وقيل معنى من أنفسكم أنه خلق حواء من ضلع آدم ومن الأنعام أزواجاً أي أصنافاً ذكوراً وإناثاً قوله يذرؤكم أي يكثركم وقوله فيه يجوز أن تكون في على بابها والمعنى يكثركم في هذا التدبير وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجاً حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والضمير في يذرؤكم للمخاطبين والأنعام إلا أنه غلب فيه العقلاء من وجهين أحدهما أنه غلب فيه جانب العقلاء على غير العقلاء والثاني أنه غلب جانب المخاطبين على الغائبين قال الزمخشري وهي من الأحكام ذات العلتين قال أبو حيان وهو اصطلاح غريب يعني أن الخطاب يغلب على الغيبة

إذا اجتمعا ثم قال الزمخشري فإن قلت ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به قلت جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير ألا ترى أنك تقول للحيوان في خلق الأزواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة وقيل إنها للسببية كالباء أي يكثركم بسببه والضمير يعود للجعل أو للمخلوق قوله ليس كمثله شيء في هذه الآية أوجه أشهرها أن الكاف زائدة في خبر ليس وشيء اسمها والتقدير ليس شيء مثله قالوا ولولا ادعاء زيادتها للزم أن يكون له مثل وهو محال إذ يصير التقدير على أصالة الكاف ليس مثل مثله شيء فنفى المماثلة عن مثله فيثبت أن له مثلاً لا مثل لذلك المثل وهذا محال تعالى الله عن ذلك وقال أبو البقاء ولو لم تكن زائدة لأفضى ذلك إلى المحال إذ كان يكون المعنى أن له مثلاً وليس لمثله مثل وفي ذلك تناقض لأنه إذا كان له مثل فلمثله مثل وهو هو مع أن إثبات المثل لله تعالى محال وهذه طريقة حسنة في تقرير زيادة الكاف وفيها حسن صناعة والثاني أن مثل هي الزائدة كزيادتها في قوله تعالى بمثل ما آمنتم به قال الطبري كما زيدت الكاف في قوله * وصاليات ككما يؤثفين * وفي قوله * فصيروا مثل كعصف مأكول * وهذا ليس بجيد لأن زيادة الأسماء ليست بجائزة وأيضاً يصير اللفظ ليس كهو شيء ودخول الكاف على الضمائر لا يجوز إلا في شعر الثالث أن العرب تقول مثلك لا يفعل كذا يعنون المخاطب نفسه لأنهم يريدون المبالغة في نفي الوصف عن المخاطب فينفونها في اللفظ عن مثله فثبت انتفاؤها عنه بدليلها ومنه قول الشاعر

* على مثل ليلى يقتل المرء نفسه * وإن بات من ليلى على اليأس طاويا *

وقال أوس بن حجر

* ليس كمثل الفتى زهير * خلق يوازيه في الفضائل *

وقال آخر

* وقتلى كمثل جذوع النخيل * يغشاهم مسبل منهمر *

وقال آخر

* سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم * ما إن كمثلهم في الناس من أحد *

قال ابن قتيبة العرب تقيم المثل مقام النفس فتقول مثلي لا يقال له هذا أي أنا لا يقال لي قيل وتشبيه المثل لمن لا مثل له قولك فلان يده مبسوطة تريد أنه جواد ولا نظر في الحقيقة إلى اليد حتى تقول ذلك لمن لا يد له كقوله بل يداه مبسوطتان الرابع أن يراد بالمثل الصفة وذلك أن المثل بمعنى المثل والمثل الصفة كقوله مثل الجنة فيكون المعنى ليس مثل صفته تعالى شيء من الصفات التي لغيره فصل قال ابن عباس معناه ليس له نظير وهو السميع البصير أي سامع المسموعات بصير بالمرئيات فإن قيل قوله وهو السميع البصير يفيد الحصر فما معنى هذا الحصر مع أن العباد أيضاً موصوفون بكونهم سميعين بصيرين فالجواب السميع البصير لفظان مشعران بحصول هاتين الصفتين على سبيل الكمال والكمال في كل الصفات ليس إلا لله فهذا هو المراد من هذا الحصر قوله له مقاليد السموات والأرض أي مفاتيح الرزق في السموات والأرض قال الكلبي المطر والنبات وقيل مقاليد السموات الأمطار ومقاليد الأرض النبات وتقدم الكلام على المقاليد في الزمر يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لأن مفاتيح الأرزاق بيده إنه بكل شيء عليم من البسط والتقدير قوله شرع لكم من الدين الآية لما عظم وحيه إلى محمد عليه السلام بقوله كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ذكر في هذه الآية تفصيل ذلك فقال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً وهو أول أنبياء الشريعة قال مجاهد أوصيناك وإياه يا محمد ديناً واحداً والذي أوحينا إليك من القرآن وشرائع الإسلام وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى وإنما خص هؤلاء الأنبياء الخمسة بالذكر لأنهم أكابر الأنبياء وأصحاب الشرائع العظيمة والأتباع الكثيرة واختلفوا في الموصى به فقال قتادة تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الحكم تحريم الأمهات والبنات والأخوات وقال مجاهد لم يبعث الله نبياً إلا وصاه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذي شرع لهم وقيل هو التوحيد والبراءة من الشرك وقيل هو ما ذكر من بعد في قوله أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه بعث الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة فصل استدل بعضهم بقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان متعبداً بشريعة نوح عليه السلام وأجيب بأنه عطف عليه سائر الأنبياء فدل ذلك على أن المراد هو الأخذ بالشريعة المتفق عليها بين الكل قوله أن أقيموا يجوز فيها أوجه أحدها أن تكون مصدرية في محل الرفع على خبر ابتداء مضمر كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو إقامة الدين المشروع توحيد الله الثاني أنها في محل نصب بدلاً من الموصول كأنه قيل شرع لكم ما وصى به نوحاً توحيد الله الثالث أنها في محل جر بدلاً من الدين الرابع أنها في محل جر أيضاً بدلاً من الهاء الخامس أن تكون مفسرة لأنه قد تقدمها ما هو بمعنى القول قوله كبر على المشركين ما تدعوهم إليه من التوحيد ورفض الأوثان قوله الله يجتبي إليه من يشاء أي يصطفي لدينه من يشاء من عباده ويهدي إليه من ينيب يقبل إلى طاعته والاجتباء يدل على الضم ومنه جبى الخراج واجتباء الماء في الحوض فقوله الله يجتبي أي يضم إليه ويقربه منه تقريب الإكرام والرحمة فصل احتج نفاة القياس بهذه

الاية فقالوا انه تعالى اخبر بان اكابر الانبيا اطبقوا على انه يجب اقامة الدين بحيث لا يفضي الى الاختلاف والنزاع وانه
تعالى ذكر في معرض المنة على عباده انه ارشدهم الى الدين الخالي عن التفرق والمنازعة فان الحشر شاهد بان هولا
الذين يتوادون بهم على القياس تفرقوا تفرقا لا رجا في حصول الاتفاق بينهم الى يوم القيامة فوجب ان لا يكون ذلك
محرما قوله اورثوا قرا زيد بن علي ورثوا بالتشديد مبنيا للمفعول قوله فلذلك فادع في اللام وجهان احدهما
ان يكون بمعنى الى اى فالى ذلك الدين فادع واستقم وهو الاتفاق على الملة الحنيفية واستقم عليها اى اثبت على
الدين الذي امرت به كما امرك الله والثاني انها للعلة اى لاجل التفرق والاختلاف المختلفة الباطلة ولا تتبع اهواءهم
ادع للدين القيم وقل امنت بما انزل الله من كتاب اى باى كتاب صح ان الله انزله يعني الايمان بجميع الكتب
المنزلة قوله وامرت لاعدل يجوز ان يكون الفعل مزيدا وامرت بذلك لاعدل بينكم في الحكم وقيل امرت ان اعدل
فاللام مزيدة وفيه نظر لانه بعد زيادة اللام يحتاج الى تقدير حرف جر اى بان اعدل فصل قال القفال
معناه ان ربي امرني ان لا افرق بين نفسي ونفسك بان امرك بما لا اعمله او اخالفكم الى ما انهاكم عنه لكني اسوى
بينكم وبين نفسي وكذلك اسوى بين اكابركم واصاغركم في الحكم وقيل معناه لا اجيف عليكم باكثر مما افترض
الله عليكم من الاحكام قوله الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني الهنا واحد وان اختلفت اعمالنا فكل
يجازى بعمله لا حجة بيننا وبينكم لا خصومة نسختها اية القتال واذا لم يؤمروا بالقتال وامروا بالدعوة لم يكن بينه
وبين من لا يجيب خصومة فان قيل كيف يليق بهذه المتاركة ما فعل بهم من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والاجلا
فالجواب هذه المتاركة كانت مشروطة بشرط ان يقبلوا الدين المتفق على صحته بين كل الانبيا ودخل فيه
التوحيد وترك عبادة الاصنام والاقرار بنبوة الانبيا وصحة البعث والقيامة فلما لم يقبلوا هذا الدين فحينئذ فات
الشرط فيفوت المشروط واعلم ان قوله تعالى لا حجة بيننا وبينكم يجري مجرى محاجتهم بدليل ان هذا الكلام مذكور في
معرض المحاجة فلو كان المراد من هذه الاية تحريم المحاجة لزم كونها محرمة لنفسها وهو متناقض وايضا فلولا
الادلة لما توجه التكليف وايضا ان الدليل يفيد العلم وذلك لا يمكن تحريمه بل المراد ان القوم عرفوا بالحجة
صدق محمد صلى الله عليه وسلم وانما تركوا تصديقه عنادا فبين تعالى انه حصل الاستغنا عن محاجتهم
لانهم عرفوا صدقه فلا حاجة معهم الى المحاجة البتة ومما يقوى عدم تحريم المحاجة قوله وجادلهم بالتي هي
احسن وقوله يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا وقوله وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه والذين
يحاجون مبتدا وحجتهم مبتدا ثان وداحضة خبر الثاني والثاني وخبره خبر الاول واعرب مكي حجتهم بدلا من
الموصول بدل اشتمال والهاء في له تعود على الله او على الرسول عليه السلام اى من بعد ما استجاب الناس لله
او من بعد ما استجاب الله لرسوله حين دعا على قومه قوله الله الذي انزل الكتاب بالحق قال قتادة ومجاهد
ومقاتل سمي العدل ميزانا لان الميزان آلة للانصاف والتسوية قال ابن عباس امر الله تعالى بالوفا ونهى
عن البخس ومعنى الاية انه تعالى انزل الكتاب المشتمل على الدلايل والبينات وانزل الميزان وهو الفصل
الذي هو القسطاس المستقيم وانهم لا يعلمون ان القيامة حق تفاجيهم ومتى كان الامر كذلك وجب
على العاقل ان يجتهد في النظر والاستدلال ويترك طريقة اهل الجهل والتقليد ولما كان الرسول عليه
السلام يهددهم بيوم القيامة ولم يروا لذلك اثرا قالوا على سبيل السخرية متى تقوم الساعة وليتها
قامت حتى يظهر لنا الحق اهو الذي نحن عليه ام الذي عليه محمد واصحابه قوله لعل الساعة قريب انما ذكر
قريب والساعة صفة المونث لان الساعة في معنى الوقت او البعث او على معنى النسب اى ذات قرب او على حذف
مضاف اى مجي الساعة وقيل للفرق بينها وبين قرابة النسب وقيل لان تانيثها مجازي قاله مكي وليس بشي
اذ لا يجوز الشمس طالع ولا القدر قائد بروحملة الترجي والاشفاق معلقة للدراية تقدم مثله اخر الانبيا
فصل قال مقاتل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا استهزا متى
تكون الساعة فانزل الله هذه الاية يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ظنا منهم انها غير اتية والذين امنوا
مشفقون منها ويعلمون انها الحق اى انها اتية لا ريب فيها ثم قال الا ان الذين يمارون يخاصمون
وقيل تدخلهم المرية والشك في وقوع الساعة لفي ضلال بعيد لان استيفاء حق المظلوم من الظالم واجب
في العدل فلو لم تحصل القيامة لزم اسناد الظلم الى الله عز وجل وهذا من اخل المحالات فلا جرم كان انكار
القيامة ضلالا بعيدا قوله تعالى الله لطيف بعباده قال ابن عباس حفي بهم وقال عكرمة بار بهم وقال
السدي رفيق بهم وقال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم بدليل قوله يرزق
من يشا فكل من رزقه الله من مومن وكافر وذي روح فهو ممن يشا الله ان يرزقه قال جعفر
الصادق اللطيف في الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات والثاني انه لم

يدفعه اليك مرة واحدة وهو القوي القادر على كل ما يشا العزيز الذي لا يغالب فصل انما حسن ذكر هذا الكلام
هاهنا لانه انزل عليهم الكتاب المشتمل على هذه الدلايل اللطيفة كان ذلك من لطف الله بعباده وايضا فالمنزل عليهم
استوجبوا سو العذاب الشديد ثم انه تعالى اخر عنهم ذلك العذاب فكان ذلك ايضا من لطف الله تعالى فلما
سبق ذكر ايصال اعظم المنافع اليهم ودفع اعظم المضار عنهم لا جرم عظم ذكره هاهنا قوله من كان يريد حرث
الاخرة نزد له في حرثه الاية الحرث في اللغة الكسب اى من كان يريد بعمله الاخرة نزد له في حرثه بالتضعيف
بالواحد عشرة الى ما شاء الله من الزيادة وقال الزمخشري انه تعالى سمى ما يعمله العامل مما يطلب به الفايدة
حرثا على سبيل المجاز واعلم انه تقدم ان كون الشرط ماضيا والجزا مضارعا مجزوما لا يختص بجيبه بكلا خلاف
لابي الحكم مصنف كتاب الاعراب فانه قال لا يجوز ذلك الا ان كان في ضرورة شعر واطلق النحويون جواز
ذلك وانشد وابيت الفرزدق دست رسولا بان القوم ان قدروا عليك يشفوا صدورا ذات توغير
وقوله
تعش فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذيب يصطحبان
وقرا ابن مقسم والزعفراني ومحبوب يزده بالياء من تحت اى الله تعالى وقرا سلام نوته بضم هاء
الكناية وهو الاصل وهو لغة الحجاز وتقدم خلاف القرا في ذلك فصل قال ابن الخطيب فان قيل ظاهر
اللفظ يدل على ان من صلى لاجل طلب الثواب او لاجل دفع العقاب فانه يصح صلاته واجمعوا على انها لا تصح فالجواب
انه تعالى قال من كان يريد حرث الاخرة والحرث لا يتاتى الا بالقا البذر الصحيح الجامع للخيرات والسعادات
وليس الا عبودية الله سبحانه وتعالى فصل اذا توضا بغير نية لم يصح لانه لم يرد حرث الاخرة وذلك
لا يحصل بالوضو العاري عن النية قوله تعالى ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين الاية لما بين القانون الاعظم
في اعمال الاخرة والدنيا اردفه ببيان ما هو الاصل في باب الضلالة والشقاوة فقال ام لهم شركا شرعوا
لهم ومعنى الهمزة في ام للتقرير والتقريع والضمير في شرعوا يجوز ان يكون عايدا على الشركا والضمير في
لهم على الكفار ويجوز العكس لانهم جعلوا لهم انصبا والمعنى شركا وهم اى شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك
وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم وانما اضيفت اليهم لانهم هم الذين اتخذوها شركا
الله ولما كانت سببا للضلال لهم جعلت شارعة لدين الضلالة لهم كما قال ابرهيم عليه السلام رب انهن
اضللن كثيرا من الناس قال المفسرون يعني كفار مكة اى الهم الهة سنوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله
قال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام قوله ولولا كلمة الفصل اى لولا القضا السابق بتاخير الجزا
او ولولا الوعد بان الفصل يكون بينهم يوم القيامة لقضي بينهم اى بين الكافرين والمومنين او بين
المشركين وشركائهم قوله وان الظالمين العامة بكسر ان على الاستيناف ومسلم بن جندب والاعرج بفتحها
عطفا على كلمة الفصل وفصل بين المتعاطفين بجواب لولا تقديره ولولا كلمة واستقرار الظالمين في العذا
لقضي بينهم في الدنيا وهو نظير ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى ثم انه تعالى ذكر احوال
اهل العقاب واحوال اهل الثواب اما الاول فهو قوله ترى الظالمين مشفقين اى ترى المشركين يوم
القيامة خايفين وجلين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اى جزا كسبهم واقع بهم سوا اشفقوا او لم
يشفقوا واما الثاني وهو احوال اهل الثواب فهو قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات
الجنات قال ابو حيان اللغة الكثيرة تسكين واو روضات ولغة هذيل فتح الواو واجرايها مجرى الصحيح
نحو جفنات ولم يقرا احد فيما علمناه بلغتهم قال شهاب الدين ان عنى لم يقرا احد بلغتهم في هذا الباب من جميع
هو ملتبس كذلك لما تقدم في سورة النور ان الاعمش قرا ثلاث عورات بفتح الواو وان عنى انه لم يقرا في روضات
بخصوصها فقريب لكن ليس هو ظاهر عبارته فصل اعلم ان روضة الجنة اطيب بقعة فيها وفيه
تنبيه على ان الفساق من اهل الصلاة كلهم من اهل الجنة لانه خص الذين امنوا وعملوا الصالحات
بانهم في روضات الجنات وهي البقاع الشريفة من الجنة فالبقاع التي تكون دون تلك الروضات
لا بد ان تكون مخصوصة بمن كان دون الذين امنوا وعملوا الصالحات ثم قال لهم ما يشاءون عند
ربهم وهذا يدل على ان تلك الاشيا حاضرة عنده مهياة والعندية مجاز وعند ربهم يجوز ان يكون ظرفا
ليشاءون قاله الحوفي او للاستقرار العامل في لهم قاله الزمخشري ثم قال ذلك هو الفضل الكبير وهذا
يدل على ان الجزا المرتب على العمل انما حصل بطريق الفضل من الله تعالى لا بطريق الوجوب والاستحقاق قوله
ذلك الذي يبشر الله عباده كقوله كالذي خاضوا وقد تقدم تحقيقه وتقدمت القراات في يبشر
وقرا مجاهد وحميد بن قيس يبشر بضم اليا وسكون البا وكسر الشين من ابشر منقولا من بشر بالكسر لا من
بشر بالفتح لانه متعد والتشديد في بشر للتكثير لا للتعدية لانه متعد بدونها ونقل ابو حيان قراءة

بشر بفتح الباء وضم الشين عن حمزة والكسائي من السبعة ولم يذكر غيرهما من السبعة وقد وافقهما على ذلك ابن كثير وابو عمرو وذلك مبتدأ او الموصول بعده خبره وعائده محذوف على التدريج المذكور في قوله كالذي خاضوا اي يبشر به ثم يبشره على الاتساع وأما على رأي يونس فلا احتياج اليهما بدلا لانها عنده مصدرية وهو قول الفراء ايضا اي ذلك تبشير الله عباده وذلك اشارة الى ما اعد الله لهم من الكرامة وقال الزمخشري او ذلك التبشير الذي يبشر الله عباده قال ابو حيان وليس بظاهر اذ لم يتقدم في هذه السورة لفظ البشرى ولا ما يدل عليها من بشر او شبهه فصل هذه الاية دالة على تعظيم حال الثواب من وجوه الاول ان الملك الذي هو اعظم الموجودات واكرمهم اذا رتب على اعمال شاقة جزاء دل ذلك على ان ذلك الجزاء قد بلغ الى حيث لا يعلم كنهه الا الله تعالى الثاني ان قوله تعالى لهم ما يشاؤن يدخل في باب غير المتناهي لانه لا درجة الا والانسان يريد ما هو اعلا منها الثالث انه تعالى قال ذلك هو الفضل الكبير والذي يحكم بكبره من له الكبرياء والعظمة على الاطلاق يكون في غاية الكبر واعلم انه تعالى لما اوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب الشريف واودع فيه اقسام الدلايل والتكاليف ورتبه على الطاعة والثواب وامره بتبليغه الى الامة امره بان يقول اني لا اطلب منكم بسبب هذا التبليغ نفعا حاضرا فقال قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى في هذا الاستثناء قولان احدهما انه منقطع اذ ليست المودة من جنس الاجر والثاني انه متصل اي لا اسئلكم عليه اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتي ولم يكن هذا اجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المودة قاله الزمخشري وقال ايضا فان قلت هلا قيل الا مودة القربى او الا المودة للقربى قلت جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة وليست في صلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها فصل اختلفوا في قرابته فقيل هم فاطمة وعلي وابناهما وفيهم نزل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وروى زيد بن ارقم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله سبحانه وتعالى واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي قيل لزيد بن ارقم رضي الله تعالى عنه من اهل بيته فقال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس رضي الله تعالى عنهم وروى عمر عن ابي بكر رضي الله تعالى عنه قال ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في اهل بيته وقيل هم الذين تحرم عليهم الصدقة من اقاربه ويقسم فيهم الخمس وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا في الجاهلية ولا الاسلام وقيل هذه الاية منسوخة واليه ذهب الضحاك بن مزاحم والحسين بن الفضل قال البغوي وهذا قول غير مرضي لان مودة النبي صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة اقاربه والتقرب الى الله تعالى بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين قوله تعالى ومن يقترف حسنة اي من يكتسب طاعة نزد له فيها حسنا العامة على نزد بالنون وزيد بن علي وعبد الوارث عن ابي عمرو يزد بالياء من تحت اي يزد الله والعامة حسنا بالتنوين مصدرا على فعل نحو شكر وهو مفعول وعبد الوارث عن ابي عمرو حسنى بالف التانيث على وزن بشرى ورجعى وهو مفعول به ويجوز ان يكون صفة كفضلى فيكون وصفا لمحذوف اي خصلة حسنى قيل نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه والظاهر العموم في اي حسنة كانت الا انها لما ذكرت عقيب المودة في القربى دل ذلك على ان المقصود التاكيد في تلك المودة ثم قال سبحانه وتعالى ان الله غفور شكور غفور للذنب شكور للقليل والشكر في حق الله تعالى مجاز والمعنى انه تعالى يحسن للمطيعين في ايصال الثواب اليهم وفي ان يزيد عليهم انواعا كثيرة من التفضل قوله تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا اعلم ان الكلام ابتدا من اول هذه السورة في تقرير ان هذا الكتاب انما حصل بوحي الله سبحانه وتعالى قال كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك واتصال الكلام في تقرير هذا المعنى وتعلق بعضه ببعض الى هنا ثم حكى ههنا شبهة القوم وهي قولهم ان هذا ليس جاء من الله تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا قال الزمخشري ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه للتوبيخ والمعنى ايقع في قلوبهم ويجري في السنتهم ان ينسبوا مثله على الافترا على الله سبحانه وتعالى الذي هو اقبح الانواع وافحشها ثم اجاب عنه بان قال فان يشا الله يختم على قلبك قال مجاهد يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم وقولهم انه مفتر كذاب وقال قتادة يعني يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما اتاك فاخبرهم انه لو افترى على الله كذبا لفعل به ما اخبر في هذه الاية انه لا يجترى على افترا الكذب الا من كان في هذه الحالة والمقصود من هذا الكلام المبالغة في تقرير الاستبعاد ومثاله ان ينسب رجل من بعض الامنا الى الخيانة فيقول الامين ذلك لعل الله اعمى قلبي وهو لا يريد

اثبات الخذلان والاعمى القلب وانما يريد استبعادا صدق وقال الله جل شانه عنه قوله تعالى ويمح الله الباطل هذا مستانف غير داخل في جزا الشرط لانه تعالى يمح الباطل مطلقا وسقطت الواو منه لفظا لالتقا الساكنين في الدرج وخطا حملا للخط على اللفظ كما كتبوا سندع الزبانية عليه ولكن ينبغي ان لا يجوز الوقف على هذه الاية ان وقف عليه بالاصل وهو الواو خالفنا خط المصحف وان وقفنا عليه بغيرها موافقة للرسم خالفنا الاصل وتقدم تحت مثل هذا وقد منع مكي الوقف على نحو ومن تق السيات وقال الكسائي فيه تقديم وتاخير مجازه والله يمح الباطل وهو في محل رفع ولكن حذفت منه الواو في المصحف حملا على اللفظ كما حذفت من قوله ويدع الانسان سندع الزبانية فصل اخبر تعالى ان ما يقولونه باطل يمحوه الله ويحق الحق اي الاسلام بكلماته اي بما انزل الله تعالى من كتاب وقد فعل الله تعالى ذلك فمحى باطلهم واعلى كلمة الاسلام انه عليم بما في صدرك وصدورهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما انزل قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقع في قلوب قوم منها شي وقالوا يريد ان يحثنا على اقاربه من بعده فنزل جبريل فاخبره انهم اتهموه فانزل الله تعالى هذه الاية فقال القوم يا رسول الله فانا نشهد انك صادق فنزل وهو الذي يقبل التوبة عن عباده قال ابن عامر يريد اولياه واهل طاعته قال الزمخشري يقال قبلت منه الشي وقبلته عنه وعزلته عنه فصل قيل التوبة بترك المعاصي نية وفعلا والاقبال على الطاعة نية وفعلا وقال سهيل بن عبد الله التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة وقيل الندم على الماضي والترك في الحال والعزم على ان لا يعود اليه في المستقبل روى جابر ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له علي رضي الله تعالى عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين فقال يا امير المؤمنين ما التوبة فقال اسم يقع على ستة اشيا على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرايض الاعادة ورد المظالم وادامة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكا بدل كل ضحك ضحكته قالت المعتزلة يجب على الله تعالى قبول التوبة وقال اهل السنة لا يجب على الله تعالى وكل ما يفعله فهو كرم وفضل واحتجوا بهذه الاية فقالوا انه تعالى تمدح بقبول التوبة ولو كان ذلك القبول واجبا لما حصل المدح العظيم الا ترى ان من مدح نفسه بان لا يضرب الناس ظلما كان ذلك مدحا قوله تعالى ويعفو عن السيات اما ان يكون المراد منه ان يعفو عن الكباير بعد التوبة او المراد ان يعفو عن الصغاير او المراد ان يعفو عن الكباير قبل التوبة والاول باطل والا لصار قوله ويعفو عن السيات عين قوله وهو الذي يقبل التوبة عن عباده والتكرار خلاف الاصل والثاني ايضا باطل لان ذلك واجب واداء الواجب لا يمدح به فبقي القسم الثالث فيكون المعنى انه تارة يعفو ابتداء من غير توبة فصل روى انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله اشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم كان هو وراحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع في ظلها قد ايس من راحلته فبينما هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم انت عبدي وانا ربك اخطا من شدة الفرح قوله ويعلم ما تفعلون قرا الاخوان وحفص يفعلون بالياء من تحت نظرا الى قوله عن عباده وقال بعدهم ويزيدهم من فضله والباقون بالخطاب اقبالا على الناس عامة وهو خطاب للمشركين قوله ويستجيب الذين امنوا يجوز ان يكون الموصول فاعلا اي يجيبون ربهم اذا دعاهم كقوله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم واستجاب كاجاب ومنه

وداع دعا يا من يجيب الى الندا ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب

ويجوز ان تكون السين للطلب على بابها بمعنى ويستدعي المؤمنون الاجابة من ربهم بالاعمال الصالحة ويجوز ان يكون الموصول مفعولا به والفاعل مضمر يعود على الله بمعنى ويجيب الله الذين امنوا اي دعاهم وقيل ثم لام مقدرة اي ويستجيب الله للذين امنوا فحذفها للعلم بها كقوله واذا كالوهم قال عطا عن ابن عباس معناه ويثيب الله الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله سوى ثواب اعمالهم تفضلا منه وروى ابو صالح عنه يشفعهم ويزيدهم من فضله ثم قال في اخوان اخوانهم والكافرون لهم عذاب شديد قوله ولو بسط الله الرزق لعباده الاية قال خباب ابن الارت فينا نزلت هذه الاية وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها فانزل الله عز وجل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا لتعظموا في الارض قال ابن عباس بغيهم طلب منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس ولكن ينزل بقدر ما يشاء كما يشاء نظرا منه لعباده انه بعباده خبير بصير روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل في حديث طويل وفيه قال يقول الله عز وجل ما ترددت في شي انا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادي المؤمنين لمن يسالني الباب من العبادة فاكفه عنه لا يدخله العجب ويفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين

من لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسدته
من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده
ذلك وان من عبادي لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك وذلك اني ادبر امر عبادي بعلمي
بقلوبهم اني عليم خبير **فصل** وجه التعلق انه تعالى لما قال في الاية الاولى انه يجيب دعا المؤمنين ورد عليه
سؤال وهو ان المؤمن قد يكون في شدة وبلية وفقر ثم يدعو فلا يظهر اثر الاجابة فكيف الجمع بينه وبين قوله
ويستجيب الذين امنوا فاجاب تعالى عنه بقوله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولاقدموا على
المعاصي فلذلك وجب ان لا يعطيهم ما طلبوه ويويده الحديث المتقدم **فصل** في كون بسط الرزق موجبا
للطغيان وجوه الاول ان الله تعالى لو سوى في الرزق بين الكل لامتنع كون البعض محتاجا الى البعض وذلك
يوجب خراب العالم وتعطيل المصالح الثاني ان هذه الاية مختصة بالعرب فانه كلما اتسع رزقهم ووجدوا
من ماء المطر ما يرويهم ومن الكلاء والعشب ما يشبعهم اقدموا على النهب والغارة الثالث ان الانسان متكبر
بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة عاد الى مقتضى خلقته الاصلية وهو التكبر واذا وقع في شدة وبلية ومكروه
انكسر وعاد الى التواضع والطاعة قوله **وهو الذي ينزل الغيث** اي المطر **من بعد ما قنطوا** من بعد ما ييس
الناس منه وانزال الغيث بعد القنوط ادعى الى الشكر لان الفرح بحصول النعمة بعد البلية اتم قال الزمخشري
قال مقاتل حبس الله المطر عن اهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم انزل الله المطر
فذكرهم الله نعمه قوله **وينشر رحمته** ببسط مطره كما قال وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته
وقيل الولي لاهل طاعته
وهو الولي الحميد الذي يتولى عباده باحسانه الحميد المحمود على ما يوصل الى الخلق من الرحمة
الحميد عند خلقه قوله **ومن اياته خلق السموات والارض** الاية قد تقدم الكلام على دلالة خلق السموات
والارض والحيوانات على وجود الاله الحكيم **فان قيل** كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة **فالجواب**
فيه من وجوه الاول انه قد يضاف الفعل الى جماعة وان كان فاعله واحدا منهم كما يقال بنو فلان فعلوا
كذا وانما فعله واحد منهم ومنه قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الثاني ان الدابة عبارة عما فيه الروح
والحركة والملائكة لهم الروح والحركة الثالث لا يبعد ان يقال انه تعالى خلق في السموات انواعا من الحيوانات
يمشون مشي الاناس على الارض وروى العباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوق السما السابعة بحر بين
اسفله واعلاه كما بين السما والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السما والارض
ثم فوق ذلك العرش الحديث قوله **وما بث** يجوز ان يكون مجرورة المحل عطفا على السموات او مرفوعة عطفا
على خلق على حذف مضاف اي وخلق ما بث قاله ابو حيان وفيه نظر لانه يؤول الى جره بالاضافة لخلق المقدر
فلا يعدل عنه قوله **اذا يشاء** اذا منصوبة بجمعهم لا بقدير قال ابو البقا لان ذلك يؤدي الى ان يصير
المعنى وهو على جمعهم قدير اذا يشا فتتعلق القدرة بالمشية وهو محال قال شهاب الدين ولا ادري ما وجه كونه
محالا على مذهب اهل السنة فان كان يقول بقول المعتزلة وهو ان القدرة تتعلق بما لم يشا الله مشى كلامه ولكنه مذهب
ردي لا يجوز اعتقاده ونقول يجوز تعلق الظرف به ايضا قال الزمخشري اذا تدخل على المضارع كما تدخل على
الماضي قال تعالى والليل اذا يغشى ومنه اذا يشا قدير والمقصود انه تعالى خلقها لا لعجز ولكن لمصلحة
ولهذا قال وهو على جمعهم اذا يشا قدير يعني الجمع والحشر والمحاسبة **فصل** احتج الجبائي بقوله اذا يشا
قدير على ان مشيته تعالى محدثة قال لان كلمة اذا ظرف لما يستقبل من الزمان وكلمة يشا صيغة المستقبل
فلو كانت مشيته تعالى قديمة لم يكن للتخصيص بذلك الوقت المستقبل فايدة ولما دل قوله اذا يشا
على هذا التخصيص علمنا ان مشيته تعالى محدثة واجيب بان هاتين الكلمتين كما دخلتا على المشية فقد دخلتا
ايضا على لفظ القدير فلزم على هذا ان تكون قدرته صفة محدثة ولما كان هذا باطلا فكذا القول في المشية
قوله **وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت** قرا نافع وابن عامر بما كسبت بغير فا والباقون بالفا
في القراة الاولى الظاهر انها موصولة بمعنى الذي والخبر الجار من قوله بما كسبت وقال قوم منهم ابو البقا
انها شرطية حذفت منها الفا قال ابو البقا كقوله تعالى وان اطعتموهم انكم لمشركون وقول الاخر
من يفعل الحسنات الله يشكرها وهذا ليس مذهب الجمهور انما قال به الاخفش وبعض
البغداديين واما قوله انكم لمشركون فليس جوابا للشرط انما هو جواب لقسم مقدر حذفت لامه الموطية
قبل اداة الشرط واما القراة الثانية فالظاهر انها فيها شرطية وقال ابو البقا انه ضعيف ولا يلتفت
الى ذلك ويجوز ان تكون الموصولة والفا داخلة في الخبر تشبيها للموصول بالشرط بشروط مذكورة
في هذا الكتاب وقد وافق نافع وابن عامر مصاحفهما فان الفا ساقطة من مصاحف المدينة
والشام وكذلك الباقون فانها ثابتة في مصاحف مكة والعراق **فصل** هذه الاية تقتضي اضافة

الكسب الى اليد والكسب لا يكون باليد بل بالقدرة القائمة باليد فوجب ان يكون المراد من لفظ اليد هاهنا القدرة
واذا كان المجاز مشهورا مستعملا كان لفظ اليد الوارد في حق الله تعالى يجب حمله على القدرة تنزيها لله تعالى عن
الاعضا قوله **ويعفو عن كثير** اي قد يترك الكثير بفضله ورحمته قال الواحدي بعد ان روى حديث علي
المتقدم وهذه ارجا اية في كتاب الله لان الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنف كفرة عنهم بالمصايب
وصنف عفا عنه في الدنيا وهو كريم لا يرجع في عفوه فهذه سنة الله مع المؤمنين واما الكافر فانه لا يعجل
له عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة ثم قال **وما انتم بمعجزين في الارض** اي بفايتين هربا اي لا تعجزوني
حيث ما كنتم ولا تسبقوني **وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** والمراد به من يعبد الاصنام بين انه
لا فايدة فيها البتة بل النصير هو الله تعالى فلا جرم هو الذي يحسن عبادته قوله تعالى **ومن اياته الجواري**
الاية قرا نافع وابو عمرو الجواري بيا في الوصل واما الوقف فاثباتها على الاصل وحذفها للتخفيف وهي السفن
واحدتها جارية وهي السايرة في البحر **فان قيل** الصفة متى لم تكن خاصة بموصوفها امتنع حذف الموصوف
لا تقول مررت بماش لان المشي عام وتقول مررت بمهندس وكاتب والجري ليس من الصفات الخاصة فما
وجه ذلك **فالجواب** ان قوله في البحر قرينة دالة على الموصوف ويجوز ان تكون هذه صفة غالبة كالابطح والارق
فوليت العوامل دون موصوفها وفي البحر متعلق بالجواري اذا لم يجر مجرى الجوامد فان جرى مجراه كان حالا منه وكذا
قوله كالاعلام وهي الجبال قالت الخنسا وان صخرا لتاتم الهداة به كانه علم في راسه نار روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم استنشد قصيدتها هذه فلما وصل الراوي هذا البيت قال قاتلها الله ما رضيت بتشبيهه بالجبل
حتى جعلت في راسه نارا وقال مجاهد الاعلام القصور واحدها علم وقال الخليل بن احمد كل شي مرتفع عند
العرب فهو علم وسمع هذه الجوار ركبت الجوار في الجوار بالاعراب على الوان شاسينا التحمد وقد تقدم هذا في قوله
ومن فوقهم غواش في الاعراف **فصل** اعلم ان المقصود من ذكر هذه امران احدهما ان يستدل به على وجود
الاله القادر الحكيم الثاني ان يعرف ما فيه من النعم العظيمة لله تعالى على العباد اما وجه الاول فان هذه
السفن العظيمة التي كالجبال تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح على اسرع الوجوه وعند سكون الرياح تقف
وقد تقدم في سورة النحل ان محرك الرياح ومسكنها هو الله تعالى اذ لا يقدر احد من البشر على تحريكها ولا على
تسكينها وذلك يدل على وجود الاله القادر ومع ان تلك السفينة في غاية الثقل ومع ثقلها بقيت على وجه الما
ايضا واما دلالتها على النعم العظيمة وهو ما فيها من المنافع فانه تعالى خص كل جانب من الارض بنوع من الامتعة
فاذا انتقل متاع هذا الجانب الى الجانب الاخر في السفن وبالعكس حصلت المنافع العظيمة بالتجارة فلهذه الاسباب
ذكر الله تعالى حال هذه السفن قوله **ان يشا يسكن الريح** التي تجري بها **فيظللن رواكد** قرا ابو عمرو والجمهور
بهمز ان يشا لان سكون الهمزة علامة الجزم وورش عن نافع بلا همزة وقرا نافع يسكن الرياح على الجمع
والباقون الريح على التوحيد قوله **فيظللن** العامة على فتح اللام التي هي عين الكلمة وهو القياس لان الماضي بكسرها
تقول ظللت قايما وقرا قتادة بكسرها وهو شاذ نحو حسب يحسب واخواته وقد تقدمت اخر البقرة وقال
الزمخشري قري بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل قال ابو حيان وليس كما ذكر لان يضل
بفتح العين من ضللت بكسرها في الماضي ويضل بالكسر من ضللت بالفتح وكلاهما مقيس يعني ان كلا منهما
له اصل يرجع اليه بخلاف ظل فان ماضيه مكسور العين فقط والنون اسم ظل واكد خبرها ويجوز ان يكون
ظل هنا بمعنى صار لان المعنى ليس على وقت الظلول وهو النهار فقط وهو نظير ابن بانت يلام من هذه
الحيثية **والركود** الثبوت والاستقرار قال
وقد ركدت وسط السما نجومها ركودا بوادي الربرب المتفرق
والمعنى فيظللن رواكد اي ثوابت على ظهر البحر لا تجري **ان في ذلك لايات لكل صبار** على بلاء الله
شكور على نعمايه قوله **او يوبقهن** عطف على يسكن قال الزمخشري لان المعنى ان يشا يسكن فيركدن
او يعصفها فيغرقن بعصفها قال ابو حيان ولا يتعين ان يكون التقدير او يعصفها فيغرقن لان
اهلاك السفن لا يتعين ان يكون بعصف الريح بل يهلكها بقلع لوح او خسف قال شهاب الدين والزمخشري
لم يذكر ان ذلك متعين وانما ذكر شيا مناسبا لان قوله يسكن الريح يقابله يعصفها فهو في غاية الحسن
والطباق قوله **ويعلم الذين يجادلون** قرا نافع وابن عامر برفعه والباقون بنصبه وقري بجزمه
ايضا فاما الرفع فواضح جدا وهو يحتمل وجهين الاستيناف بجملة اسمية فيقدر قبل الفعل مبتدا اي وهو
يعلم الذين فالذين على الاول فاعل وعلى الثاني مفعول واما قراة النصب ففيها اوجه احدها
قال الزجاج على الصرف قال ومعنى الصرف صرف العطف عن اللفظ الى العطف على المعنى قال وذلك انه

لما لم يحسن عطف ويعلم مجزوما على ما قبله اذ يكون المعنى ان يشأ يعلم عدل الى العطف على مصدر الفعل الذي قبله ولا يتأتى
ذلك الا باضمار ان ليكون مع الفعل في تأويل اسم الثاني قول الكوفيين انه منصوب بواو الصرف يعنون ان الواو
نفسها هي الناصبة لا باضمار ان وتقدم معنى الصرف الثالث قال الفارسي ونقله الزمخشري عن الزجاج ان
النصب على اضمار ان لان قبلها جزاء تقول ما تصنع اصنع واكرمك وان شئت واكرمك على وانا اكرمك وان شئت
واكرمك جزما قال الزمخشري وفيه نظر لما اورده سيبويه في كتابه قال واعلم ان النصب بالواو والفاء في
قوله ان تأتني آتك واعطيك وهو نحو من قوله والحق بالحجاز فاستريحا فهذا لا يجوز لانه ليس بحد الكلام ولا
وجهه الا انه في الجزاء صار اقوى قليلا لانه ليس بواجب انه يفعل الا ان يكون من الاول فعل فلما ضارع الذي
لا يوجبه كالاستفهام ونحوه اجازوا فيه هذا على ضعفه قال الزمخشري ولا يجوز ان تحمل القراءة المستفيضة
على وجه ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما اخلا سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظائرها من
الآيات المشكلة الرابع انه ينتصب عطفا على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين ونحوه في العطف
على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن ومنه ولنجعله آية للناس وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى
قاله الزمخشري قال ابو حيان ويبعد تقديره لينتقم منهم لانه يترتب على الشرط اهلاك قوم ونجاة قوم فلا يحسن
لينتقم منهم واما الآيتان فيمكن ان تكون اللام متعلقة بفعل محذوف تقديره ولنجعله آية للناس فعلنا
ذلك ولتجزى كل نفس فعلنا ذلك وهو كثير يقدر هذا الفعل مع هذه اللام اذا لم يكن فعل يتعلق به قال
شهاب الدين لم يحسن تقديره لينتقم لانه يعود في المعنى على اهلاك قوم المرتب على الشرط واما الجزم فقال
الزمخشري فان قلت كيف يصح المعنى على جزم ويعلم قلت كانه قيل وان يشأ يجمع بين ثلاثة امور اهلاك قوم
ونجاة قوم وتحذير آخرين واذا قرئ بالجزم فيكسر الميم لالتقاء الساكنين فصل المعنى وليعلم الذين يجادلون
اي يكذبون بالقرآن اذا صاروا الى الله عز وجل بعد البعث لا مهرب لهم من عذاب الله كما انه لا مخلص لهم اذا
وقعت السفن واذا عصفت الرياح ويكون ذلك سببا لاعترافهم بان الاله النافع الضار ليس الا الله
قوله تعالى وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا الآية لما ذكر دلائل التوحيد اردفها بالتنفير عن الدنيا
وتحقير شأنها لان المانع من قبول الدليل هو الرغبة في الدنيا فقال وما اوتيتم ما شرطية وهي في محل نصب
مفعولا ثانيا لاوتيتم والاول ضمير المخاطبين قام مقام الفاعل وانما قدم الثاني لان له صدر الكلام وقوله
من شيء بيان لما الشرطية لما فيها من الابهام وقوله فمتاع الفاء جواب الشرط ومتاع خبر مبتدأ مضمر اي فهو
متاع وقوله وما عند الله ما موصولة مبتدأ وخير خبرها وللذين متعلق بابقى قوله والذين يجتنبون
نسق على الذين الاول وقال ابو البقاء الذين يجتنبون في موضع جر بدلا من للذين آمنوا ويجوز ان يكون
في موضع نصب باضمار اعني او في موضع رفع على تقدير هم وهذا وهم منه في التلاوة كانه اعتقد ان القرآن
وللذين يجتنبون فبنى عليه الثلاثة الاوجه وهو بناء فاسد قوله كبائر الاثم تقدم الاخوان
هنا وفي النجم كبير الاثم بالافراد والباقون كبائر بالجمع في السورتين والمفرد هنا في معنى الجمع والرسم الكريم يحتمل
القراءتين فصل تقدم معنى كبائر الاثم في سورة النساء قال ابن الخطيب نقل الزمخشري عن ابن عباس ان
كبير الاثم هو الشرك وهو عندي ضعيف لان شرط الايمان مذكور وهو يغني عن عدم الشرك وقيل كبائر
الاثم ما يتعلق بالبدع واستخراج الشبهات واما الفواحش فقال السدي يعني الزنا وقال مقاتل ما يوجب
الحد قوله واذا ما غضبوا اذا منصوبة بيغفرون ويغفرون خبر لهم والجملة باسرها عطف على الصلة
وهي يجتنبون والتقدير والذين يجتنبون وهم يغفرون عطف اسمية على فعلية ويجوز ان يكون
هم توكيدا للفاعل في قوله غضبوا وعلى هذا فيغفرون جواب الشرط وقال ابو البقاء هم مبتدأ ويغفرون
الخبر والجملة جواب اذا قال شهاب الدين وهذا غير صحيح لانه لو كان جوابا لاذا لاقترن بالفاء تقول
اذا جاء زيد فعمرو منطلق ولا يجوز عمرو منطلق وقيل هو مرفوع بفعل مقدر يفسره يغفرون بعده
ولما حذف الفعل انفصل الضمير ولم يستبعده ابو حيان وقال ينبغي ان يجوز ذلك في مذهب
سيبويه لانه اجازه في الاداة الجازمة تقول ان ينطلق زيد ينطلق تقديره ينطلق زيد ينطلق فينطلق واقع
جوابا ومع ذلك فسر الفعل فكذلك هذا وايضا فذلك جائز في فعل الشرط بعدها نحو اذا السماء انشقت
فليجز في جوابها ايضا فصل واذا ما غضبوا هم يغفرون يحلمون ويكظمون الغيظ وخص الغضب
بلفظ الغفران لان الغضب على طبع النار واستيلاؤه شديد ومقاومته صعبة فلهذا خصه الله بهذا
اللفظ قوله والذين استجابوا لربهم اي اجابوه الى ما دعاهم اليه من طاعته وقال ابن الخطيب المراد
منه تمام الانقياد فان قيل اليس انه لما جعل الايمان فيه شرطا فقد دخل في الايمان اجابة الله قال

ابن الخط

ابن الخطيب والجواب ان يحمل هذا على الرضا بقضاء الله من صميم القلب وان لا يكون في قلبه منازعة ثم قال واقاموا الصلاة
اي الواجبة لان هذا هو الشرط في حصول الثواب قوله وامرهم شورى بينهم اي يتشاورون فيما بينهم ولا
يعجلون والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون قوله والذين اذا اصابهم البغي
الظلم والعدوان هم ينتصرون اي ينتقمون من ظالمهم من غير ان يعتدوا قال ابن زيد جعل الله المؤمنين
صنفين صنف يعفون عن ظالمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون
من ظالمهم وهم المذكورون في هذه الآية كانوا يكرهون ان يستذلوا فاذا قدروا عفوا وقال عطاء
هم المؤمنون الذين اخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله في الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم وعن
النخعي انه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم السفهاء قوله هم ينتصرون
اعرابه كاعراب واذا ما غضبوا هم يغفرون فيه ما تقدم الا انه يريد هنا انه يجوز ان يكون هم توكيدا
للضمير المنصوب في اصابهم اكد بالضمير المرفوع وليس فيه الا الفصل بين المؤكد والمؤكد بالفاعل والظاهر
انه غير ممنوع قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها الآية لما قال والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون بين
بعده ان ذلك الانتصار يجب ان يكون مقيدا بالمثل فان العدل هو المساواة وسمى الجزاء سيئة وان كان مشروعا
مأذونا فيه قال الزمخشري كلتا الفعلتين الاولى وجزاؤها سيئة لانها تسوء من تنزل به قال تعالى وان
تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا واجاب غيره بانه لما جعل في
مقابلة الاخرى اطلق اسم احداهما على الاخرى مجازا والاول اظهر وقال آخرون انما سمي الجزاء سيئة وان لم يكن
سيئة لتشابههما في الصورة قوله فمن عفا واصلح بالعفو بينه وبين ظالمه فاجره على الله قال الحسن
اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له عند الله اجر فليقم فلا يقوم الا من عفا ثم قرأ هذه الآية
انه لا يحب الظالمين قال ابن عباس يبدؤون بالظلم قوله ولمن انتصر هذه لام الابتداء وجعلها الحوفي وابن
عطية للقسم وليس بجيد اذا جعلنا من شرطية كما سيأتي لانه كان ينبغي ان يجاب السابق وهنا لم يجب
الا الشرط ومن يجوز ان تكون شرطية وهو الظاهر والفاء في فاولئك جواب الشرط وان تكون موصولة
ودخلت الفاء لشبه الموصول بالشرط وظلمه مصدر مضاف للمفعول وايدها الزمخشري بقراءة من قرأ بعد
ما ظلم مبنيا للمفعول فصل معنى الآية ولمن انتصر بعد ظلم الظالم اياه فاولئك المنتصرين ما عليهم من
سبيل لعقوبة ومؤاخذة لانهم فعلوا ما ابيح لهم من الانتصار واحتجوا بهذه الآية على ان سراية القود
مهدرة لانه فعل مأذون فيه مطلقا فيدخل تحت هذه الآية قوله انما السبيل على الذين يظلمون الناس
اي يبدؤون بالظلم ويبغون في الارض بغير الحق يعملون فيها بالمعاصي اولئك لهم عذاب اليم قوله ولمن
صبر الكلام في اللام كما تقدم فان جعلناها شرطية فان جواب القسم المقدر حذف جواب الشرط لدلالة
عليه وان كانت موصولة كان قوله ان ذلك هو الخبر وجوز الحوفي وغيره ان تكون من شرطية وان ذلك
جوابها على حذف الفاء على حد حذفها في قوله من يفعل الحسنات وفي الرابط قولان احدهما هو اسم الاشارة
اذ اريد به المبتدأ ويكون حينئذ على حذف مضاف تقديره ان ذلك لمن ذوي عزم الامور والثاني انه
ضمير محذوف تقديره لمن عزم الامور منه او له وقوله ولمن صبر عطف على قوله ولمن انتصر والجملة من قوله
انما السبيل اعتراض فصل المعنى ولمن صبر وغفر فلم ينتقم وتجاوز ان ذلك الصبر والتجاوز من عزم
الامور حقها وحزمها قال مقاتل من الامور التي امر الله بها وقال الزجاج الصابر يؤتى بصبره الثواب
والرغبة في الثواب اتم عزما قوله ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده اي فليس له ناصر يتولاه
من بعد اضلال الله اياه ويمنعه من عذاب الله وهذا صريح في جواز الاضلال من الله وان الهدى
ليس من مقدور احد سوى الله قال القاضي المراد ومن يضلل الله عن الجنة لجنايته فما له من ولي من
يعده بنصره واجيب بان تقييد الاضلال بهذه الصورة المعينة خلاف الدليل وايضا فالله تعالى ما اضله
عن الجنة في قولكم بل هو اضل نفسه عن الجنة قوله وترى الظالمين لما رأوا العذاب يوم القيامة
يقولون هل الى مرد اي يطلبون الرجوع الى الدنيا لعظم ما شاهدوا من العذاب ثم ذكر حالهم عند عرض
النار فقوله يعرضون حال لان الرؤية بصرية وخاشعين حال والضمير في عليها يعود على النار لدلالة
العذاب عليها وقرأ طلحة من الذل بكسر الذال وقد تقدم الفرق بين الذل والذل من الذل يتعلق
بخاشعين اي من اجل وقيل هو متعلق بينظرون وقوله من طرف يجوز في من ان تكون لابتداء الغاية
وان تكون تبعيضية وان تكون بمعنى الباء والطرف قيل يراد به العضو وقيل يراد به المصدر يقال
طرفت عينه تطرف طرفا اي ينظرون نظرا خفيا قوله ينظرونها صفة لا والباء فيجوز ان تحكم على موضعها

ال حج

بالجر اعتبارا باللفظ موصوفها وبالرفع اعتبار المحلة فانه اسم لكان وقوله من سبيل اما فاعل واما مبتدا والمعنى فما له
من سبيل الى الحق فى الدنيا والجنة فى العقبى وقد انسد عليهم طريق الخير قوله وقال الذين امنوا يجوز ان يكون
ماضيا على حقيقته ويكون يوم القيامة معمولا لخسروا ويجوز ان يكون بمعنى يقول فيكون يوم القيامة معمولا له
قوله استجيبوا لربكم الاية لما ذكر الوعد والوعيد ذكر بعده ما هو المقصود فقال استجيبوا لربكم اى اجيبوا داعي
ربكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله اى لا يقدر احد على دفعه وهو يوم القيامة
قوله من الله يجوز تعلقه بياتي اى ان ياتي من الله يوم لا مرد له وان يتعلق بمحذوف يدل عليه لا مرد له اى لا يرد
ذلك اليوم مما حكم الله به فيه وجوز الزمخشري ان يتعلق بلا مرد ورده ابو حيان بانه يكون مطولا فكان
ينبغي ان يعرب فينصب منونا واختلفوا فى المراد بذلك اليوم فقيل هو ورود الموت وقيل يوم القيامة
قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون معنى قوله لا مرد له اى لا يقبل التقديم ولا التاخير وان يكون معناه انه
لا مرد فيه الى حال التكليف حتى يحصل فيه التلافي ثم وصف اليوم فقال فيه ما لكم من ملجا تلجون اليه يقع
به التخلص من العذاب وما لكم من نكير ينكر تغيير ما بكم ويجوز ان يكون المراد من النكير الانكار اى لا يقدرون
ان ينكروا شيئا مما اقترفوه من الاعمال قوله فان اعرضوا عن الاستجابة ولم يقبلوا هذا الامر فما ارسلناك
عليهم حفيظا بان تحفظ اعمالهم وتحصيها ان عليك الا البلاغ اى ما عليك الا البلاغ وذلك تسلية من الله
تعالى ثم بين السبب فى اصرارهم على الكفر فقال وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة قال ابن عباس يعني الغنا
والصحة فرح بها واعلم ان نعم الله وان كانت فى الدنيا عظيمة الا انها بالنسبة الى سعادات الاخرة كالقطرة
بالنسبة الى البحر فلذلك سميت ذوقا فبين تعالى ان الانسان اذا حصل له هذا القدر الحقير فى الدنيا فرح
به وعظم غروره ووقع فى العجب والكبر وظن انه فاز بكل المنى ووصل الى اقصى السعادات وهذه طريقة
من ضعف اعتقاده فى سعادات الاخرة ثم انه تعالى بين انه متى اصابتهم سيئة اى شيء يسوءهم فى الحال
كالمرض والفقر والقحط وغيرها فانه يظهر الكفران وهو قوله فان الانسان كفور والكفور هو المبالغ فى الكفران
والمراد بقوله كفور اى لما تقدم من نعمة الله عليه ينسى ويجحد باول شدة جميع ما سلف من النعم ولما ذكر
اذاقة الانسان الرحمة واصابته بعدها اتبع ذلك بقوله لله ملك السموات والارض له التصرف فيهما
بما يريد والمقصود منه ان لا يغتر الانسان بما ملكه من المال والجاه بل اذا علم ان الكل ملك لله وملكه وانما
حصل له ذلك القدر انعاما من الله عليه به فيصير ذلك حاملا له على مزيد الطاعة ثم ذكر من اقسام تصرف
الله تعالى فى العالم انه يخص البعض بالاولاد الاناث والبعض بالذكور والبعض بهما والبعض بان يجعله محروما
من الكل وهو المراد بقوله ويجعل من يشاء عقيما قوله ذكرانا واناثا حال وهي حال لازمة وسوغ مجيئها
لذلك انها بعد ما يجوز ان يكون الامر على خلافه لان معنى يزوجهم يقرنهم قال الزمخشري فان قلت لم قدم الاناث
على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث قلت لانه ذكر البلاء فى اخر
الاية الاولى وكفران الانسان بنسيانه الرحمة السابقة ثم ذكره بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الاولاد
فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاء لا ما يشاء الانسان فكان ذكر الاناث التي من جملة ما لا يشاؤه
الانسان فكان ذكرهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس التي كانت العرب تعدها بلاء البلاء واخر الذكور فلما
اخرهم تدارك تاخيرهم ولم اخفائهم بذلك وبالتعريف لان تعريفهم فيه تنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشاء
الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلى الجنسين حظه من التقديم
والتاخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى اخر فقال ذكرانا واناثا كما قال انا خلقناكم من
ذكر وانثى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية لما بين حال قدرته وعلمه وحكمته
اتبعه ببيان انه كيف يخص انبياءه بوحيه وكلامه قوله ان يكلمه ان ومنصوبها اسم كان ولبشر خبرها
وقال ابو البقاء ان والفعل فى موضع رفع على الابتداء وما قبله الخبر او فاعل بالجار لاعتماده على حرف النفي
وكانه وهم فى التلاوة فزعم ان القران وما لبشر ان يكلمه مع انه يمكن الجواب عنه بتكلف والا وحيا يجوز
ان يكون مصدرا اى الا كلام وحي وقال ابو البقاء استثناء منقطع لان الوحي ليس من جنس الكلام وفيه
نظر لان ظاهره انه مفرغ والمفرغ لا يوصف بذلك ويجوز ان يكون مصدرا فى موضع الحال قوله او يرسل
قرا نافع يرسل برفع اللام وكذلك فيوحي فسكنت ياؤه والباقون بنصبهما فاما القراءة الاولى ففيها ثلاثة اوجه
احدها انه رفع على اضمار مبتدا اى او هو يرسل الثاني انه عطف على وحيا على انه حال لان وحيا فى تقدير
الحال ايضا فكانه قال الا موحيا او مرسلا الثالث ان يعطف على ما يتعلق به من وراء اذ تقديره او يسمع
من وراء حجاب ووحيا فى موضع الحال عطف عليه ذلك المقدر المعطوف عليه او يرسل والتقدير الا موحيا

او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا واما الثانية ففيها ثلاثة اوجه احدها ان يعطف على المضمر الذي يتعلق به من وراء
حجاب اذ تقديره او يكلمه من وراء حجاب وهذا الفعل المقدر معطوف على وحيا والمعنى الا بوحي او اسماع من وراء حجاب او ارسال
رسول ولا يجوز ان يعطف على يكلمه لفساد المعنى اذ يصير التقدير وما كان لبشر ان يرسل الله رسولا فيفسد لفظا ومعنى
وقال مكي لانه يلزم منه نفي الرسل ونفي المرسل اليهم الثاني ان ينصب بان مضمرة وتكون هي وما نصبته معطوفين
على وحيا ووحيا حال فيكون هنا ايضا حالا والتقدير الا موحيا او مرسلا وقال الزمخشري وحيا وان يرسل مصدران
واقعان موقع الحال لان ان يرسل فى معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال ايضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما
صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا ورد عليه ابو حيان بان وقوع المصدر موقع الحال غير منقاس
وانما قاس منه المبرد ما كان نوعا للفعل فيجيز اتيته ركضا ويمنع اتيته بكاء اى باكيا وبان يرسل لا يقع حالا لنص سيبويه
على ان ان والفعل لا يقع حالا وان كان المصدر الصريح يقع حالا تقول جاء زيد ضحكا ولا يجوز جاء ان يضحك الثالث انه عطف
على معنى وحيا فانه مصدر مقدر بان والفعل والتقدير الا بان يوحي اليه او بان يرسل ذكره مكي وابو البقاء قوله او من وراء
حجاب العامة على الافراد وابن ابي عبلة حجب جمعا وهذا الجار يتعلق بمحذوف تقديره او يكلمه من وراء حجاب وقد تقدم
ان هذا الفعل معطوف على معنى وحيا اى الا ان يوحي او يكلمه قال ابو البقاء ولا يجوز ان يتعلق من بيكلمه لانه ظرف والظرف
يتسع فيه فصل ذكر المفسرون ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه
موسى ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله عز وجل فانزل الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اى يوحي اليه
فى المنام او بالالهام او من وراء حجاب يسمعه كلامه ولا يراه كما كلم موسى عليه السلام او يرسل رسولا اما جبريل او غيره
من الملائكة فيوحي باذنه ما يشاء اى يوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه باذنه ما يشاء وهذه الاية تدل على ان الحسن لا يحسن
لوجه عايد اليه وان القبيح لا يقبح لوجه عايد اليه بل الله ان يامر بما يشاء من غير تخصيص وان ينهى عما يشاء من غير تخصيص
اذ لو لم يكن الامر كذلك لما صح قوله ما يشاء ثم قال انه علي حكيم اى عليم بصفات المخلوقين حكيم يجري افعاله على الحكمة
فيتكلم تارة بغير واسطة على سبيل الالهام واخرى بسماع الكلام وثالثا بواسطة الملائكة الكرام ولما بين تعالى كيفية
اقسام الوحي الى الانبياء عليهم السلام قال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا اى كما اوحينا الى سائر رسلنا اوحينا
اليك روحا من امرنا قال ابن عباس نبوة وقال الحسن رحمة وقال السدي ومقاتل وحيا وقال الكلبي كتابا
وقال الربيع جبريل وقال مالك بن دينار يعني القران قوله ما كنت تدري ما الكتاب ما الاولى نافية والثانية
استفهامية والجملة الاستفهامية معلقة للدراية فهي فى محل نصب لسدها مسد مفعولين والجملة المنفية باسرها
فى محل نصب على الحال من الكاف فى اليك قوله جعلناه الضمير يعود اما للروح واما للكتاب واما لهما لانهما مقصد
واحد فهو كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه فصل قال ابن عباس يعني الايمان وقال السدي يعني القران
نهدي به من نشاء من عبادنا ونهدي يجوز ان يكون مستانفا وان يكون مفعولا مكررا للجعل وان يكون صفة
لنورا قوله وانك لتهدي قرا ابن حوشب لتهدي مبنيا للمفعول وابن السميفع لتهدي بضم التاء وكسر الدال
من اهدى والمراد بالصراط المستقيم الاسلام قوله صراط الله بدل من صراط قبله بدل كل من كل معرفة من نكرة
فصل نبه بهذه الاية على ان الذي يجوز عبادته هو الذي يملك السموات والارض ثم قال الا الى الله تصير
الامور اى امور الخلايق كلها فى الاخرة وهذا كالوعيد والزجر اى يرجع الامور كلها الى الله حيث لا حاكم سواه فيجازي
كلا منهم بما يستحقه من ثواب او عقاب روى ابو امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له والله اعلم

وهي تسعة وتسعون اية وثمان مائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة الاف واربع مائة حرف بسم الله الرحمن الرحيم
حم والكتاب المبين ان جعلت حم قسما كانت الواو عاطفة وان لم تكن الواو للقسم وقوله انا جعلناه جواب
القسم وهذا عندهم من البلاغة وهو كون القسم والمقسم عليه من واد واحد كقول ابي تمام
وثناياك انها اغريض ان اريد بالكتاب القران وان اريد به جنس الكتب المنزلة غير القران لم يكن
من ذلك والضمير فى جعلناه على الاول يعود على الكتاب وعلى الثاني للقران وان لم يصرح بذكره والجعل هنا
تصيير ولا يلتفت لخطا الزمخشري فى تجويزه ان يكون بمعنى خلقناه فصل احتج القايلون بحدوث القران بهذه
الاية من وجوه الاول انها تدل على ان القران مجعول والمجعول هو المصنوع المخلوق فان قيل المراد به انه سماه
عربيا فهذا مدفوع من وجهين الاول انه لو كان المراد من الجعل التسمية لزم كون التسمية مجعولة والتسمية

ايضا كلام الله وذلك انه جعل بعض كلامه واذا صح ذلك في البعض صح في الكل الثاني انه وصفه بكونه قرآنا وهو انما سمي
قرآنا لانه جعل بعضه مقرونا بالبعض وما كان كذلك كان مصنوعا الثالث وصفه بكونه عربيا لان العرب انما تخصه
بوضع الفاظه واصطلاحهم وذلك يدل على انه مجعول والنقد بحم ورب الكتاب المبين ويؤكد ذلك بقوله
عليه السلام يا رب طه ويس ويا رب القرآن العظيم واجاب ابن الخطيب بان هذا الذي ذكرتموه حق
لانكم استدللتم بهذه الوجوه على كون الحروف والمتوالية والكلمات المتعاقبة محدثة وذلك معلوم
بالضرورة ومن الذي ينازعكم فيه قوله **لعلكم تعقلون** كلمة لعل للتمني والترجي وهي لا تليق عن كان
عالما بعواقب الامور فكان المراد ههنا انزلناه قرآنا عربيا لاجل ان تحيطوا بمعناه قوله **وانه في ام الكتاب**
لدينا متعلقان بما بعدهما ولا تمنع اللام من ذلك ويجوز ان يكونا حالين مما بعدهما لانهما كانا وصفين له في
الاصل فيتعلقان بمحذوف ويجوز ان يكون لدينا متعلقا بما تعلق به الجار قبله اذا جعلناه حالا من لعلي
وان يكون حالا من الضمير المستتر فيه وكذا يجوز في الجار ان يتعلق بما تعلق به الظرف وان يكون حالا من ضمير
عند من يجوز تقديمها على العامل المعنوي ويجوز ان يكون الظرف بدلا من الجار قبله وان يكونا حالين من الكتاب
او من ام ذكر هذه الاوجه الثلاثة ابو البقاء قال ولا يجوز ان يكون واحد من الظرفين خبرا لان الخبر لزم ان
يكون من اجل اللام قال شهاب الدين وهذا يمنع ان تقول ان زيدا كاتب لشاعر لانه منع ان يكون غير المقترن
بها خبرا وقرا حمزة والكسائي ام الكتاب بكسر الالف والباقون بالضم والضمير في قوله وانه عائد الى الكتاب
المتقدم ذكره قوله **افنضرب عنكم الذكر صفحا** في نصب صفحا خمسة اوجه احدها انه مصدر في معنى يضرب
لانه يقال ضرب عن كذا واضرب عنه بمعنى اعرض عنه وصرف وجهه عنه قال
اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والتقدير افنصفح عنكم
الذكر اي افنزيل القرآن عنكم ازالة ينكر عليهم ذلك الثاني انه منصوب على الحال من الفاعل اي صافحين الثالث
ان ينتصب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة فيكون عامله محذوفا نحو صنع الله قاله ابن عطية الرابع ان يكون
مفعولا من اجله الخامس ان يكون منصوبا على الظرف قال الزمخشري وصفحا على وجهين اما مصدر من صفح عنه
اذا اعرض عنه منتصب على انه مفعول له على معنى افنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم واما بمعنى
الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه وصفح وجهه بمعنى افننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف نحو ضعه جانبا
وامش جانبا ويعضده قراءة صفحا بالضم يشير الى قراءة حسان بن عبد الرحمن الضبعي وسميط بن عمرو وشبيل
ابن عزرة قرؤا صفحا بضم الصاد وفيها احتمالان احدهما ما ذكره من كونه لغة في المفتوح ويكون ظرفا وظاهر
عبارة ابي البقاء انه يجوز فيه جميع ما جاز في المفتوح لانه جعله لغة كالسد والسد والثاني انه جمع صفوح
نحو صبور وصبر فينتصب حالا من فاعل نضرب وقدر الزمخشري على عادته فعلا بين الهمزة والفاء
اي نهملكم فنضرب وتقدم ما فيه قوله **ان كنتم** قرا نافع والاخوان بالكسر على انها شرطية واسرافهم كان متحققا
وان انما تدخل على غير المتحقق او المتحقق المبهم الزمان واجاب الزمخشري انه من الشرط الذي يصدر عن
المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل
في كلامه ان تفريطك في ايصال حقي فعل من له شك في استحقاقه اياه تجهيلا له وقيل المعنى على المجازاة
والمعنى افنضرب عنكم الذكر صفحا متى اسرفتم اي انكم غير متروكين من الانذار متى كنتم قوما مسرفين وهذا اراد
ابو البقاء بقوله وقرئ ان بكسرها على الشرط وما تقدم يدل على الجواب والباقون بالفتح على العلة اي لان
كنتم كقوله اتجزع ان بان الخليط المودع ومثله قوله اتجزع ان اذنا قتيبة حزتا
يروى بالكسر والفتح وقد تقدم نحو من هذا اول المائدة وقرا زيد بن علي اذ بدل ان عوض النون وفيها معنى
العلة قوله **وكم ارسلنا** كم خبرية مفعول مقدم و**من نبي** تمييز و**في الاولين** يتعلق بالارسال او بمحذوف
على انه صفة لنبي والمعنى ان عادة الامم مع الانبياء الذين يدعونهم الى الدين الحق هو التكذيب
والاستهزاء فلا ينبغي ان يتأذى من قومك بسبب تكذيبهم واستهزائهم لان المصيبة اذا عمت خفت
ثم قال **فاهلكنا اشد منهم بطشا** اي ان اولئك المتقدمين الذين ارسل الله اليهم الرسل كانوا اشد
بطشا من قريش واكثر عددا وجلدا قوله **بطشا** فيه وجهان احدهما انه تمييز لاشد والثاني انه
حال من الفاعل اي اهلكناهم باطشين قوله **ومضى مثل الاولين** والمعنى ان كفار مكة سلكوا في الكفر
والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم الخزي مثل ما نزل بالاولين اي صفتهم وسنتهم
وعقوبتهم فعاقبة هؤلاء كذلك في الاهلاك قوله تعالى **ولئن سألتهم من خلق السموات** الاية والمعنى
ولئن سألت قومك من خلق السموات والارض وقيل الضمير في سألتهم يحتمل رجوعه الى الانبياء والاقرب

الاول اي انهم مع كفرهم مقرين بعزته وعلمه ثم عبدوا واخبروا وانكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم قوله **خلقهن العزيز**
كرر الفعل للتوكيد اذ لو جاء العزيز بغير خلقهن لكان كافيا كقولك من قام فيقال زيد وفيها دليل على ان الجلالة
الكريمة من قوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله مرفوعة بالفاعلية لا بالابتداء للتصريح بالفعل في
نظيرتها وهذا الجواب مطابق للسؤال من حيث المعنى اذ لو جاء على اللفظ لجيء فيه بجملة ابتدائية كالسؤال قوله
الذي جعل لكم الارض اعلم انه قد تم الاخبار عنهم ثم ابتدأ دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال الذي جعل
لكم الارض مهادا ولو كان هذا من جملة كلام الكفار لقالوا الذي جعل لنا الارض مهادا الا ان قوله في اثناء الكلام
فانشرنا به بلدة ميتا لا يليق الا بكلامه ونظيره من كلام الناس ان يسمع الرجل رجلا يقول الذي بنى هذا المسجد
فلان العالم فيقول فلان لهذا الكلام الزاهد الكريم كان ذلك السامع يقول انا اعرفه بصفات حميدة فوق
ما تعرفه وازيد في صفته فيكون النعتان جميعا من رجلين لرجل واحد ومعنى كون الارض مهادا ان الانتفاع
بها انما يحصل لكونها واقفة ساكنة فانها لو كانت متحركة لما امكن الانتفاع بها انما يحصل لكونها واقفة ساكنة
في الزراعة والابنية وستر عيوب الاحياء والاموات ولان المهد موضع راحة الصبي فكانت الارض مهادا لكثرة
ما فيها من الراحات **وجعل لكم فيها سبلا** لان انتفاع الناس بها انما يكمل اذا سعوا في اقطار الارض فهيأ تعالى
تلك السبل ووضع عليها علامات ليحصل بها الانتفاع ثم قال **لعلكم تهتدون** الى مقاصدكم في اسفاركم
او لتهتدوا الى الحق في الدين قوله **والذي نزل من السماء ماء بقدر** اي بقدر حاجتكم اليه من غير زيادة ولا نقصان
لا كما انزل على قوم نوح بغير قدر حتى اغرقهم قوله **فانشرنا به بلدة ميتا** قراءة العامة مخففا وعيسى وابو
جعفر مثقلا وتقدم الكلام فيه في ال عمران وتقدم في الاعراف الخلاف في تخرجون وتخرجون اي كما احيينا
هذه البلدة بالمطر ومعنى الميتة الخالية من النبات **كذلك تخرجون** من قبوركم احياء والمعنى ان هذا الاحياء
كما دل على قدرة الله وحكمته فكذلك يدل على قدرته على البعث والقيامة ووجه التشبيه انه جعلهم
احياء بعد الاماتة كهذه الارض التي انتشرت بعد ما كانت ميتة وقيل بل وجه التشبيه انه يعيدهم
ويخرجهم من الارض بماء كالمني كما تنبت الارض بماء المطر وهذا ضعيف لان ظاهر لفظ الانشار الاعادة فقط
دون هذه الزيادة قوله **والذي خلق الازواج كلها** قال ابن عباس الازواج الضروب والانواع كالحلو
والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وقال بعض المحققين كل ما سوى الله فهو زوج كالفوق
والتحت واليمين واليسار والقدام والخلف والماضي والمستقبل والذوات والصفات والصيف
والشتاء والربيع والخريف وكونها ازواجا يدل على انها ممكنة في الوجود في ذواتها محدثة مسبوقة
بالعدم فاما الحق تعالى فهو الفرد المنزه عن الضد والند والمقابل والمعاضد فلهذا قال تعالى والذي
خلق الازواج كلها اي كل ما هو زوج فهو مخلوق فدل هذا على ان خالقها فرد مطلق منزه عن الزوجية
قال ابن الخطيب وايضا علماء الحساب بينوا ان الفرد افضل من الزوج من وجوه الاول ان اقل الاثنين
لا توجد الا عند حصول وحدتين فالزوج يحتاج الى الفرد والفرد هو الواحد وهو غني عن الزوج والغني
افضل من المحتاج الثاني ان الزوج يقبل القسمة بقسمين متساويين والفرد لا يقبل القسمة وقبول
القسمة انفعال وتاثر وعدم قبولها قوة وشدة فكان الفرد افضل من الزوج واذا كان كذلك ثبت
ان الازواج ممكنات ومحدثات ومخلوقات وان الفرد هو القائم بذاته المستقل بنفسه الغني عما سواه قوله
وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ما موصولة عائدها محذوف اي ما تركبونه وركب بالنسبة
الى الفلك يتعدى بحرف الجر فاذا ركبوا في الفلك وفي غيره بنفسه قال لتركبوها فغلب هنا المتعدي
بنفسه على المتعدي بواسطة فلذلك حذف العائد قوله **لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه**
اي تذكروها في قلوبكم وذلك الذكر هو ان يعرف ان الله تعالى خلق البحر وخلق الرياح وخلق جرم
السفينة على وجه يمكن الانسان من تصريف هذه السفينة الى اي جانب شاء فاذا تذكر ان خلق البحر
وخلق الرياح وخلق السفينة على هذه الوجوه القابلة لتصرف الانسان وتحريكاته انما هو من تدبير
الحكيم العليم القدير عرف ان ذلك نعمة من الله تعالى فيحمله ذلك على الانقياد لطاعة الله تعالى وعلى
الاشتغال بالشكر لنعم الله التي لا نهاية لها قوله **وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له**
مقرنين مطيقين وقيل ضابطين واعلم انه تعالى عين ذكرا للركوب للسفينة والدابة وهو قوله
سبحان الذي سخر لنا هذا وذكرا عند دخول المنازل وهو قوله رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين
وتحقيقه ان الدابة المركوبة لا بد وان تكون اكثر قوة من الانسان بكثير وليس لها عقل يهديها الى
طاعة الانسان ولكنه تعالى خلق تلك البهيمة على وجوه مخصوصة في خلقها الظاهر وخلقها الباطن

حصل بها هذا الانتفاع اما خلقها الظاهر فلانها تمشي على اربع فكان ظهرها يحسن لاستقرار الانسان عليه واما خلقها الباطن فلانها مع قوتها الشديدة قد صيرها الله تعالى منقادة للانسان ومسخرة له فاذا تامل الانسان في هذه العجائب عظم تعجبه من تلك القدرة والحكمة التي لا نهاية لها فلا بد وان يقول سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قوله **له مقرنين** له متعلق بمقرنين وقدم للفواصل والمقرن المطيق للشيء الضابط له من اقرنه اي اطاقه قال الواحدي كان اشتقاقه من قولك صرت له قرنا ومعنى قرن فلان اي مثله في الشدة وقال ابو عبيدة قرن لفلان اي ضابط له والقرن الحبل وقال ابن هرمة

واقرنت ما حملتني ولقلما * يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر

وقال عمرو بن معدي كرب

لقد علم القبائل ما عقيل * لنا في النائبات بمقرنينا

وحقيقة اقرنه وجده قرينته لان القوي لا يكون قرينة الضعيف قال

وابن اللبون اذا ما لز في قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس

وقرئ مقترنين بالتا قبل الراء **فصل** ومعنى الاية ليس عندنا من القوة والطاقة ان نقرن هذه الدابة والفلك وان نضبطها فسبحان من سخر لنا هذا بقدرته وحكمته روى الزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وروى عن علي ايضا مثله وزاد ثم حمد ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال لا اله الا الله ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقيل مم تضحك يا امير المؤمنين قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ما فعلت فقلنا ما يضحكك يا نبي الله قال العبد اذا قال لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت تعلم انه لا يغفر الذنوب الا هو قوله **وانا الى ربنا لمنقلبون** اي لمصيرون في المعاد ووجه اتصال الكلام بما قبله ان راكب الفلك في خطر الهلاك وراكب الدابة كذلك ايضا لان الدابة قد يحصل لها ما يوجب هلاك الراكب وكذا السفينة قد تنكسر ففي ركوبها تعريض للنفس للهلاك توجب على الراكب ان يذكر امر الموت ويقطع انه هالك وانه منقلب الى الله وغير منقلب من قضائه وقدره فاذا اتفق له ذلك كان قد وطن نفسه عن الموت قوله تعالى **وجعلوا له من عباده جزءا** الاية لما قال ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بين انهم مع اقرارهم بذلك جعلوا له من عباده جزءا والمراد به التنبيه على قلة عقولهم قوله **جزءا** قرا عاصم في رواية ابي بكر جزءا بضم الزاي والهمزة في كل القران والباقون باسكان الزاي في كل القران وهما لغتان واما حمزة فاذا وقف قال جزا بفتح الزاي بلا همز وجزءا مفعول اول للجعل والجعل تصيير قولي ويجوز ان يكون بمعنى سموا واعتقدوا واغرب ما قيل هنا ان الجزء الانثى وانشد

ان اجزات حرة يوما فلا عجب * قد تجزئ الحرة المذكار احيانا

وقول الاخر

زوجته من بنات الارض مجزئة * للعوسج اللدن في ابياتها زجل

قال الزمخشري اثر الصنعة فيهما ظاهر وقال الزجاج والازهري هذه اللغة فاسدة وهذه الابيات مصنوعة قوله **ام اتخذ مما يخلق بنات** هذا استفهام توبيخ وانكار يقول اتخذ ربكم لنفسه البنات **واصفاكم** اخلصكم **بالبنين** كقوله افاصفاكم ربكم بالبنين وقوله واصفاكم يجوز ان يكون داخلا في حيز الانكار معطوفا على اتخذ وان يكون حالا اي ام اتخذ في هذه الحالة وقد مقدرة عند الجمهور **فصل** اعلم ان الله تعالى رتب هذه المناظرة على احسن الوجوه وذلك لانه بين ان اثبات الولد لله محال فبتقدير ان يثبت الولد فجعله بنتا محال ايضا اما بيان ان اثبات الولد لله محال فلان الولد لا بد وان يكون جزءا من الوالد وما كان له جزء كان مركبا وكل مركب ممكن وايضا ما كان كذلك فانه يقبل الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق وما كان كذلك فهو عبد محدث فلا يكون الها قديما ازليا واما المقام الثاني وهو ان بتقدير ان يكون لله ولد فانه يمتنع ان يكون بنتا لان الابن افضل من البنت فلو اتخذ لنفسه البنات واعطى البنين لعباده لزم ان يكون حال العبد اكمل وافضل من حال الله وذلك مدفوع ببديهة العقل قوله **واذا بشر احدهم** تقدم نظيره وقال الزمخشري وقرئ هنا وجهه مسود ومسواد بالرفع على انها جملة في موضع خبر ظل واسم ظل ضمير الشان **فصل** والمعنى بما ضرب للرحمن مثلا اي جعل له شبها لان كل شيء يشبه ظل وجهه اي صار وجهه مسودا وهو كظيم من الحزن والغيظ والمعنى ان الذي يبلغ حاله في النقص الى هذا الحد كيف يجوز للعاقل اثباته لله روى ان بعض العرب هجر بيته حين وضعت امراته بنتا فقالت امراته

ما لابي حمزة لا ياتينا * يظل في البيت الذي يلينا

غضبان ان لا نلد البنينا * ليس لنا من القضا ما شينا

وانما ناخذ ما اعطينا

قوله **او من ينشا في الحلية** يجوز في من وجهان احدهما ان يكون في محل نصب مفعولا بفعل مقدر اي او يجعلون من ينشا في الحلية والثاني انه مبتدا وخبره محذوف تقديره او من ينشا جزء او ولد اذ جعلوا لله جزءا وقرا العامة ينشا بفتح الياء وسكون النون من نشا كذا ينشا فيه والاخوان وحفص بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين مبنيا للمفعول اي يربى وقرا الجحدري كذلك الا انه خفف الشين اخذه من انشاه والحسن يناشا كيفاعل مبنيا للمفعول والمفاعلة تاتي بمعنى الافعال كالمغالاة بمعنى الاعلاء **فصل** المراد من هذا الكلام التنبيه على نقصانها وهو ان الذي يربى في الحلية والزينة يكون ناقص الذات لانه لولا نقصانها في ذاتها لما احتاجت الى تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بطريق اخر وهو قوله **وهو في الخصام غير مبين** الجملة حال وفي الخصام يجوز ان يتعلق بمحذوف يدل عليه ما بعده تقديره وهو لا يبين في الخصام اي الحجة ويجوز ان يتعلق بمبين وجاز للمضاف اليه ان يعمل فيما قبل المضاف لان غير بمعنى لا كما تقدم تحقيقه اخر الفاتحة **فصل** المعنى وهو في المخاصمة غير مبين للحجة من ضعفهن وسفههن قال قتادة في هذه الاية قل ما تتكلم امراة فتريد ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها قوله **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا** جعلوا اي حكموا به وقرا نافع وابن كثير وابن عامر عند الرحمن ظرفا وهو بدل قوله ان الذين عند ربك والباقون عباد جمع عبد والرسم يحتملهما وقرا الاعمش كذلك الا انه نصب عباد على اضمار فعل الذين هم خلقوا عبادا او نحوه وقرا عبد الله وكذلك هي في مصحفه الملائكة عباد الرحمن وابي عبد الرحمن بالافراد واناثا هو المفعول الثاني للجعل بمعنى الاعتقاد او التصيير القولي وقرا زيد بن علي انثا جمع الجمع قوله **اشهدوا** قرا نافع بهمزة مفتوحة ثم باخرى مضمومة مسهلة بينها وبين الواو وسكون الشين وقالون ذلك بالمد يعني بادخال الف بين الهمزتين والقصر يعني بعدم الالف والباقون بفتح الشين بعد همزة واحدة فنافع ادخل همزة التوبيخ على اشهدوا فعلا رباعيا مبنيا للمفعول فسهل همزته الثانية وادخل الفا بينهما كراهة لاجتماعهما تارة ولم يدخلها اخرى فتسهيل الثانية وفي اوجه والباقون ادخلوا همزة الانكار على شهدوا ثلاثيا والشهادة هنا الحضور ولم ينقل ابو حيان عن نافع تسهيل الثانية بل نقله عن علي بن ابي طالب وقرا الزهري اشهدوا رباعيا مبنيا للمفعول وفيه وجهان احدهما ان يكون حذف الهمزة لدلالة القراءة الاخرى كما تقدم في قراءة اعجمي والثاني ان تكون الجملة خبرية وقعت صفة لاناثا اي اجعلوهم اناثا مشهودا خلقهم كذلك قوله **ستكتب شهادتهم** قرا العامة ستكتب بالتاء من فوق مبنيا للمفعول شهادتهم بالرفع لقيامه مقام الفاعل وقرا الحسن شهاداتهم بالجمع والزهري سيكتب بالياء من تحت وهو في الباقي كالعامة وابن عباس وزيد بن علي وابو جعفر وابو حيوة سنكتب بنون العظمة شهادتهم بالنصب مفعولا به **فصل** المعنى ستكتب شهادتهم على الملائكة انهم بنات الله ويسالون عنها قال الكلبي ومقاتل لما قالوا هذا القول سالهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما يدريكم انهم اناث قالوا سمعنا من ابائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسالون عنها في الاخرة وهذا يدل على ان القول بغير دليل منكر وان التقليد حرام يوجب الذم العظيم والعقاب الشديد قال المحققون هؤلاء الكفار كفروا في هذا القول من ثلاثة اوجه اولها اثبات الولد وثانيها ان ذلك الولد بنت وثالثها الحكم على الملائكة بالانوثة **فصل** احتج من قال بتفضيل الملائكة على البشر بهذه القراءات اما قراءة عند بالنون فهذه العندية لا شك انها عندية الفضل والقرب من الله تعالى بسبب الطاعة ولفظة هم توجب الحصر والمعنى انهم هم الموصوفون بهذه العندية لا غيرهم فوجب كونهم افضل من غيرهم رعاية للفظ الدال على الحصر واما قراءة عباد جمع العبد فقد تقدم ان لفظ العباد في القران مخصوص بالمؤمنين فقوله عباد الرحمن يفيد حصر العبودية فيهم فاذا كان اللفظ الدال على العبودية دالا على حصر الفضل والقرب والشرف فيهم وجب كونهم افضل والله اعلم قوله تعالى **وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم** الاية يعني الملائكة قاله قتادة ومقاتل والكلبي وقال مجاهد يعني الاوثان وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياهم لرضاه منا بعبادتها وهذا نوع اخر من كفرهم وشبهاتهم قوله **ما لهم بذلك من علم** فيما يقولون **ان هم الا يخرصون** ما هم الا كاذبون في قولهم ان الله رضي عنا بعبادتها وقيل ان هم الا يخرصون في قولهم الملائكة اناث وهم بنات الله قوله **ام اتيناهم كتابا من قبله** اي القران او الرسول بان يعبدوا غير الله **فهم به مستمسكون** يعني ان القول الباطل الذي حكاه الله عنهم عرفوا صحته بالعقل او بالنقل اما اثباته بالعقل فهو باطل لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون واما اثباته بالنقل فهو ايضا باطل لقوله تعالى ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون والمعنى انهم وجدوا ذلك الباطل في كتاب منزل قبل القران حتى جاز لهم ان يتمسكوا به فذكر هذا في معرض الانكار قوله **بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم**

والمقصود انه تعالى لما بين انه لا دليل على صحة قولهم البتة لا من العقل ولا من النقل بين انه ليس لهم حامل يحملهم عليه الا التقليد المحض ثم بين ان تمسك الجهال بالتقليد امر كان حاصلا من قديم الزمان فقال وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون قوله امة العامة على ضم الهمزة بمعنى الطريقة والدين قال قيس بن الخطيم

اي على طريقتهم وقال اخر

كنا على امة اباءنا * ويقتدي بالاول الاخر

وهل يستوي ذو امة وكفور * اي ذو دين * وقرا مجاهد وقتادة وعمر بن عبد العزيز بالكسر قال الجوهري هي الطريقة الحسنة لغة في امة بالضم قال الزمخشري كلتاهما من الام وهو القصد فالامة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه والامة الحالة يكون عليها الام وهو القاصد وقرا ابن عباس بالفتح وهي المرة من الام والمراد بها القصد والحال فصل المراد بالمترفين الاغنياء والرؤسا فالمترف هو الذي اترفته النعمة فلا يحب الا الشهوات والملاهي ويبغض المشاق في طلب الحق واذا عرف ذلك علمنا ان راس جميع الافات حب الدنيا واللذات الجسمانية وراس جميع الخيرات هو حب الله تعالى والدار الاخرة ولهذا قال عليه السلام حب الدنيا راس كل خطيئة قوله قل اولو جئتكم الاية قرا ابن عامر وحفص قال ماضيا مكان الفعل امرا اي قال النذير او الرسول وهو النبي صلى الله عليه وسلم والامر في قل يجوز ان يكون للنذير او للرسول وهو الظاهر وقرا ابو جعفر وشيبة جئناكم بنون المتكلمين باهدى اي بدين اصوب مما وجدتم عليه اباءكم وان جئتكم باهدى منه فعند هذا حكى الله عنهم انهم قالوا انا لا ننفك عن دين اباءنا وان جئتنا بما هو اهدى فانا بما ارسلتم به كافرون وان كان اهدى مما كانا عليه فعند هذا لم يبق لهم عذر فلهذا قال تعالى فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين وهذا تهديد للكفار قوله تعالى واذ قال ابرهيم لابيه وقومه انني براء لما بين في الاية المتقدمة انه ليس لاولئك الكفار حجة الا تقليد الاباء ثم بين انه طريق باطل وان الرجوع الى الدليل اولى من التقليد اردفه بهذه الاية وهو وجه اخر يدل على فساد التقليد من وجهين الاول انه تعالى حكى عن ابرهيم عليه السلام انه تبرا من دين ابائه بناء على الدليل وذلك ان التقليد الاباء في الاديان اما ان يكون محرما او جائزا فان كان محرما فقد بطل القول بالتقليد وان كان جائزا فمعلوم ان اشرف اباء العرب هو ابراهيم عليه السلام لانهم ليس لهم فخر ولا شرف الا بانهم اولاده واذا كان ذلك فتقليد هذا الاب الذي هو اشرف الاباء اولى من تقليد غيره فنقول انه ترك دين الاباء وحكم بان اتباع الدليل اولى من متابعة الاباء فوجب تقليده في ترجيح الدليل على التقليد الوجه الثاني انه تعالى بين ان ابراهيم عليه السلام لما عدل عن طريقة ابيه الى متابعة الدليل لا جرم جعل دينه ومذهبه باقيا في عقبه الى يوم القيامة واما اديان ابائه فقد اندرست وبطلت فثبت ان الرجوع الى متابعة الدليل يبقى محمود الاثر الى قيام الساعة وان التقليد ينقطع اثره قوله براء العامة على فتح الباء والف وهمزة بعد الراء وهو مصدر في الاصل وقع موقع الصفة وهي برئ وقرا الاعمش ولا يثنى براء ولا يجمع ولا يؤنث كالمصادر في الغالب قال الزمخشري والفراء والمبرد لا يقولون البراان ولا البراءون ولا البراوان لان المعنى ذو البراءة وذو البراء قال فلت منك تثنيت وجمعت وقرا الزعفراني وابن المبارك عن نافع بضم الباء بزنة طوال وكرام ويقال طويل وطوال وبرى وبراء وقرا الاعمش اني بنون واحدة قوله الا الذي فطرني فيه اربعة اوجه احدها انه استثناء منقطع لانهم كانوا عبدة اصنام فقط الثاني انه متصل لانه روى انهم كانوا يشركون مع الباري غيره الثالث انه يجوز ان يكون مجرورا بدلا من ما الموصولة في قوله مما تعبدون قاله الزمخشري ورده ابو حيان بانه لا يجوز الا في نفي او شبهه قال وغيره كون برا في معنى النفي ولا ينفعه ذلك لانه موجب قال شهاب الدين قد تاول النحاة ذلك في مواضع من القران كقوله ويابى الله الا ان يتم نوره وانها لكبيرة الا على الخاشعين والاستثناء المفرغ لا يكون في ايجاب ولكن لما كان يابى بمعنى لا يفعل وانها لكبيرة بمعنى لا تسهل ولا تخف ساغ ذلك فهذا مثله الرابع ان تكون الا صفة بمعنى غير على ان تكون ما نكرة موصوفة قاله الزمخشري قال ابو حيان وانما اخرجها في هذا الوجه عن كونها موصولة لانه يرى ان الا بمعنى غير لا يوصف بها الا النكرة وفيها خلاف فعلى هذا يجوز ان تكون ما موصولة والا بمعنى غير صفة لها فصل الا الذي فطرني اي خلقني فانه سيهدين يرشدني لدينه ويوفقني لطاعته قوله وجعلها الضمير المرفوع لابراهيم وهو الظاهر والضمير المنصوب لكلمة التوحيد المفهومة من قوله انني براء الى اخره او لانها بمنزلة الكلمة فعاد الضمير على ذلك اللفظ لاجل المعنى به وقرا حميد بن قيس كلمة بكسر الكاف وسكون اللام وقرئ في عقبه بسكون القاف وقرئ في عاقبه اي وارثه والمعنى ان هذه الكلمة

كلمة باقية في عقبه اي في ذريته قال قتادة لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده قال القرطبي يعني وجعل وصية ابراهيم التي وصى بها بنيه باقية في ذريته وهو قوله عز وجل ووصى بها ابراهيم بنيه وقال ابن زيد يعني قوله اسلمت لرب العالمين وقرا هو سماكم المسلمين لعلهم يرجعون لعل اهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه الى دين ابراهيم وقال السدي لعلهم يتوبون ويرجعون الى طاعة الله عز وجل قوله بل متعت قرا الجمهور متعت بتاء المتكلم وقتادة والاعمش بفتحها للمخاطب خاطب ابراهيم او محمد ربه بذلك وبه قرا نافع في رواية يعقوب والاعمش ايضا بل متعنا بنون العظمة هؤلاء واباءهم يعني اهل مكة وهم عقب ابراهيم يريد مشركي مكة ولم اعاجلهم بالعقوبة على الكفر حتى جاءهم الحق وهو القران وقال الضحاك يعني الاسلام ورسول مبين برسالة واضحة يبين لهم الاحكام وهو محمد صلى الله عليه وسلم فلم يطيعوه وعصوا وكذبوا به وسموه ساحرا ووجه النظم انهم لما عولوا على تقليد الاباء ولم يتفكروا في الحجة اغتروا بطول الامهال وامتاع الله اياهم بنعيم الدنيا فاعرضوا عن الحق وقال الزمخشري ان قيل ما وجه من قرا متعت بفتح التا قلنا كان الله سبحانه وتعالى اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى منعهم ذلك عن كلمة التوحيد واراد بذلك المبالغة في تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا ومثاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك اليه ويريد بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعل نفسه قوله ولما جاءهم الحق وهو القران قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم هذا نوع اخر من كفراتهم وهو انهم قالوا منصب الرسالة منصب شريف فلا يليق الا برجل شريف وصدقوا في ذلك الا انهم ضموا اليه مقدمة فاسدة وهي ان الرجل الشريف عندهم هو الذي يكون كثير المال والجاه ومحمد ليس كذلك فلا تليق رسالة الله به وانما يليق هذا المنصب برجل عظيم الجاه كثير المال يعنون الوليد بن المغيرة بمكة وعروة ابن مسعود الثقفي بالطائف قاله قتادة وقال مجاهد عتبة بن ربيعة من مكة وعبد ياليل الثقفي من الطائف وعن ابن عباس هو الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي ومن القريتين فيه حذف مضاف فقدره بعضهم من رجلي القريتين وقيل من احدى القريتين وقيل المراد عروة بن مسعود الثقفي كان بالطائف وكان يتردد بين القريتين فنسب الى كليهما وقرئ رجل بسكون الجيم وهي تميمية قوله اهم يقسمون رحمة ربك يعني النبوة والهمزة للانكار وهذا ابطال لشبهتهم وتقريره من وجوه الاول انا اذا اوقعنا التفاوت في مناصب الدنيا ولم يقدر احد من الخلق على تغيير التفاوت الذي اوقعناه في مناصب الدين والنبوة بان لا يقدروا على التصرف فيه اولى الثاني ان اختصاص ذلك المعنى بذلك الرجل انما كان لاجل حكمنا وفضلنا واحساننا فكيف يليق بالعقل ان يجعل احساننا اليه بكثرة المال حجة علينا في ان نحسن اليه ايضا بالنبوة الثالث انا انما اوقعنا التفاوت في الاحسان بمنافع الدنيا لا بسبب سابق ثم قال نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا كما فضلنا بعضهم على بعض في الرزق كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات في القوة والضعف والعلم والجهل والغنى والفقر لانا لو سويناهم في كل هذه الاحوال لم يخدم احد احدا ولم يصر احد منهم مسخرا لغيره وحينئذ يخرب العالم ويفسد نظام الدنيا وقوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا اي ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الاغنياء باموالهم الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش هذا بماله وهذا باعماله فيلتئم قوام العالم وقد مضى الكلام في سخريا في المؤمنين وقرا بالكسر هنا عمرو بن ميمون وابن محيصن وابو رجاء وابن ابي ليلى والوليد بن مسلم وخلائق بمعنى المشهورة وهو الاستخدام ويبعد قول بعضهم انه استهزاء الغني بالفقير ثم قال ورحمة ربك خير يعني الجنة خير للمؤمنين مما يجمع الكفار من الاموال قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة الاية اعلم انه تعالى اجاب هاهنا بوجه ثالث عن شبهتهم بتفضيل الغني على الفقير وهو انه تعالى بين ان منافع الدنيا وطيباتها حقيرة خسيسة عند الله تعالى وبين حقارتها بقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة والمعنى لولا ان يرغب الناس في الكفر اذا راوا الكفار في سعة من الخير والرزق لاعطيناهم اكثر الاسباب المفيدة للتنعم فاولها ان يكون سقفهم من فضة وثانيها معارج عليها يظهرون وثالثها ان يجعل لبيوتهم ابوابا وسررا ايضا من فضة عليها يتكئون قوله لبيوتهم بدل اشتمال باعادة العامل واللامان للاختصاص وقال ابن عطية الاولى للملك والثانية للتخصيص ورده ابو حيان بان الثاني بدل فيشترط ان يكون الحرف متحد المعنى لا مختلفه وقال الزمخشري ويجوز ان يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا

لغميصة قال ابو حيان ولا ادرى ما اراد بقوله قال شهاب الدين اراد بذلك ان اللامين للعلة اى كانت الهبة لاجلك
لاجل تغميصك فلتغميصك بدل اشتمال باعادة العامل بعينه وقد نقل ان قوله وهبنا له اسحق انها للعلة قوله سقفا
قرا ابن كثير وابو عمرو بفتح السين وسكون القاف بالافراد على ارادة الجنس والباقون بضمتين على الجمع كرهن
فى رهن وفى رهن تاويل لا يمكن هنا وهو ان يكون جمع رهان جمع رهن لانه لم يسمع سقاف جمع سقف وعن الفراء انه
جمع سقيفة فيكون كصحيفة وصحف وقرى سقفا بفتحتين لغة فى سقف وسقوفا بزنة فلس وفلوس وابو رجا
بضمة وسكون ومن فضة يجوز ان يتعلق بالجعل وان يتعلق بمحذوف صفة لسقف قوله ومعارج قرا العامة
معارج جمع معرج وهو السلم وطلحة معاريج جمع معراج وهذا كمفاتح لمفتح ومفاتيح لمفتاح قوله وسررا
جمع سرير والعامة على ضم الواو وقرى بفتحها وهى لغة بعض تميم وكلب وقد تقدم ان فعيلا المضعف تفتح عينه
اذا كان اسما او صفة نحو ثوب جديد وثياب جدد وفيه كلام النحاة وهل قوله من فضة شامل للمعارج والابواب
والسرر فقال الزمخشرى نعم كانه يرى تشريك المعطوف مع المعطوف عليه فى قيوده وعليها يتكئون وعليها
يظهرون صفتان لما قبلهما قوله وزخرفا يجوز ان يكون منصوبا بجعل اى وجعلنا لهم زخرفا وجوز الزمخشرى ان ينتصب
عطفا على محل من فضة كانه قيل سقفا من فضة وذهب اى بعضها كذا والزخرف قيل هو الذهب لقوله او يكون لك
بيت من زخرف فيكون المعنى ونجعل لهم مع ذلك ذهبا كثيرا وقيل الزخرف الزينة لقوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها
وازينت فيكون المعنى نعطيهم زينة عظيمة فى كل باب قوله وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا قرا حمزة وعاصم لما
بالتشديد على معنى وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا فكان لما بمعنى الا وخففه الاخرون على معنى وكل ذلك متاع الحياة
الدنيا فيكون اللام للابتداء وما صلة تريد ان هذا كله متاع الحياة الدنيا وسماه متاع لان الانسان يستمتع به
قليلا ثم يزول ويذهب وتقدم الخلاف فى لما تخفيفا وتشديدا فى سورة هود وقرا ابو رجا وابو حيوة لما بكسر
اللام على انها لام العلة دخلت على ما الموصولة وحذف عائدها وان لم تطل الصلة والاصل الذى هو متاع كقوله
تماما على الذى احسن برفع النون وان هى المخففة من الثقيلة وكل مبتدا والجار بعده خبره اى وان كل ما تقدم
ذكره كائن للذى هو متاع الحياة وكان الوجه ان يدخل اللام الفارقة لعدم اعمالها الا انها لما دل الدليل على
الاثبات جاز حذفها كما حذفها الاخر فى قوله

انا ابن اباة الضيم من ال مالك ✽ وان مالك كانت كرام المعادن

قوله والاخرة عند ربك للمتقين يعنى الجنة للمتقين عن حب الدنيا قال عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة
ما سقى منها كافرا قطرة ماء وروى المستورد بن شداد قال كنت فى الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترى هذه هانت على اهلها حين
القوها قالوا من هوانها القوها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالدنيا اهون على الله من هذه
على اهلها فصل لما بين تعالى انه لو فتح على الكافر ابواب النعم لصار ذلك سببا لاجتماع الناس على الكفر
فلم لم يفعل ذلك بالمسلمين حتى يصير ذلك سببا لاجتماع الناس على الاسلام فالجواب لان الناس على هذا
التقدير كانوا يجتمعون على الاسلام لطلب الدنيا وهذا الايمان ايمان المنافقين فكان الاصوب ان يضيق
الامر على المسلمين حتى ان كل من دخل فى الاسلام فانما يدخل لمتابعة الدليل ولطلب رضوان الله تعالى فحينئذ
يعظم ثوابه لهذا السبب قوله ومن يعش العامة على ضم الشين من عشا يعشو اى يتعامى ويتجاهل وابن
عباس وقتادة ويحيى بن سلام بفتح الشين بمعنى يعم وزيد بن على يعشو باثبات الواو وقال الزمخشرى
على ان من موصولة وحق هذا ان يقرا نقيض بالرفع قال ابو حيان ولا يتعين موصولية بل تخرج على وجهين اما تقدير
حذف حركة حرف العلة وقد حكاها الاخفش لغة وتقدم منه فى سورة يوسف شواهد واما على انه جزم
بمن الموصولة تشبيها لها بمن الشرطية قال واذا كانوا قد جزموا بالذى وليس بشرط قط فاولى بما استعمل
شرطا وغير شرط وانشد

لا تحفرن بيرا تريد اخا بها ✽ فانك فيها انت من دونه تقع

كذاك الذى يبغى على الناس ظالما ✽ يصبه على رغم عواقب ما صنع

قال وهو مذهب الكوفيين وله وجه من القياس وهو ان الذى اشبهت اسم الشرط فى دخول الفاء فى خبرها
فلتشبه اسم الشرط فى الجزم ايضا الا ان دخول الفاء منقاس بشرطه وهذا لا ينقاس ويقال عشا يعشو
وعشى يعشى فبعضهم جعلهما بمعنى وبعضهم فرق بان عشى يعشى اذا حصلت الافة فى بصره واصله الواو
وانما قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كرضى يرضى وعشا يعشو اى تفاعل ذلك ونظر نظر العشى ولا افة ببصره
كما قالوا اعرج لمن به افة العرج وعرج لمن تعارج ومشى مشية العرجان قال

اعشوا اذا ما جارتى برزت ✽ حتى توارى جارتى الجدر

اى انظر نظر العشى وقال

اخر

متى تأته تعشو الى ضوء ناره ✽ تجد خير نار عندها خير موقد

اى تنظر نظر العشى لضعف بصره من
كثرة الوقود وفرق بعضهم بان عشوت الى النار اذا استدللت عليها بنظر ضعيف وقال الفراء عشا يعشو
وعشى يعشى بمعنى الا ان ابن قتيبة قال لم نر احدا حكى عشوت عن الشى اعرضت عنه وانما يقال تعاشيت عن
كذا اى تغافلت عنه وتعاميت قوله نقيض قراءة العامة بنون العظمة وعلى بن ابى طالب والاعمش ويعقوب
والسلمى وابو عمرو وعاصم فى رواية عنهما يقيض بالياء من تحت اى يقيض الرحمن والشيطان نصب فى القراءتين
وابن عباس يقيض مبنيا للمفعول شيطان بالرفع قائم مقام الفاعل قوله حتى اذا جاءنا قرا ابو عمرو والاخوان
وحفص جاءنا باسناد الفعل الى ضمير مفرد يعود على لفظ من وهو العاشى وجينئذ يكون هذا مما حمل فيه على اللفظ
ثم على المعنى ثم على اللفظ فانه حمل اولا على لفظها فى قوله نقيض له فهو له ثم جمع على معناها فى قوله وانهم ليصدونهم
ويحسبون انهم ثم رجع الى لفظها فى قوله جاءنا والباقون جاءانا مسندا الى ضمير تثنية وهما العاشى وقرينه جعلا
فى سلسلة واحدة حينئذ يقول الكافر لقرينه يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين اى بعد ما بين المشرق
والمغرب فغلب اسم احدهما على الاخر كالعمرين والقمرين وقيل اراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء
والاول اصح وقيل بعد المشرقين من المغربين وقال ابن الخطيب ان اهل النجوم يقولون ان الحركة التى تكون من
المشرق الى المغرب هى حركة الفلك الاعظم والحركة التى من المغرب الى المشرق هى حركة الكواكب الثابتة والافلاك
الممثلة للسيارات سوى القمر واذا كان كذلك فالمشرق والمغرب كل واحد منهما مشرق بالنسبة الى شى اخر فثبت
ان اطلاق لفظ المشرق على كل واحد من الجهتين حقيقة ثم ذكر وجها اخر وهو ان الحس يدل على ان الحركة اليومية
انما تحصل بطلوع الشمس من المشرق الى المغرب واما القمر فانه يظهر فى اول الشهر فى جانب المغرب ثم لا يزال يتقدم
الى جانب المشرق وذلك يدل على ان حركة القمر من المغرب واذا ثبت هذا فالجانب المسمى بالمشرق فانه مشرق
الشمس ولكنه مغرب القمر واما الجانب المسمى بالمغرب فانه مشرق القمر ولكنه مغرب الشمس وبهذا التقدير
يصح تسمية المشرق والمغرب بالمشرقين قال ولعل هذا الوجه اقرب الى مطابقة اللفظ من سائر الوجوه وهذا
ليس بشى فان ظهور القمر من المغرب ما كان لكونه اشرق من الغرب انما كان ظهوره لغيبوبة شعاع الشمس عنه وانما
كان اشراقه وظهوره من المشرق الحقيقى ولكنه كان مختفيا بشعاع الشمس قوله فبئس القرين والمخصوص بالذم
محذوف اى انت قال ابو سعيد الخدرى اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير
الى النار قوله ولن ينفعكم فى فاعله قولان احدهما انه ملفوظ به وهو انكم وما فى خبرها التقدير ولن
ينفعكم اشتراككم فى العذاب بالتاسى كما ينفعكم الاشتراك فى مصائب الدنيا فيتاسى المصاب بمثله ومنه
قول الخنساء

ولولا كثرة الباكين حولى ✽ على اخوانهم لقتلت نفسى

وما يبكون مثل اخى ولكن ✽ اعزى النفس عنهم بالتاسى

والثانى انه مضمر فقدره
بعضهم ضمير التمنى المدلول عليه بقوله يا ليت بينى اى لن ينفعكم تمنيكم من البعد وبعضهم لن ينفعكم اجتماعكم
وبعضهم ظلمكم وجحدكم وعبارة من عبر بان الفاعل محذوف مقصوده الاضمار المذكور لا الحذف اذ الفاعل لا يحذف
الا فى مواضع ليس هذا منها وعلى هذا الوجه يكون قوله انكم تعليل اى لانكم فحذف الخافض فجرى فى محلها
الخلاف اهو نصب ام جر ويؤيد اضمار الفاعل لا انه هو انكم قراءة انكم بالكسر فانه استئناف مفيد
للتعليل قوله اذ ظلمتم قد استشكل المعربون هذه الاية ووجهه هو ان قوله اليوم ظرف حالى واذ ظرف ماض وينفعكم
مستقبل لاقترانه بلن التى لنفى المستقبل والظاهر انه عامل فى الظرفين وكيف يعمل الحدث المستقبل الذى لم
يقع بعد فى ظرف حاضر او ماض هذا ما لا يجوز واجيب عن اعماله فى الظرف الحالى على سبيل قربه منه لان الحال
قريب من الاستقبال فيجوز فى ذلك قال تعالى فمن يستمع الان وقال الشاعر

سأسعى الان اذ بلغت اناها ✽ وهو اقناع والا فالمستقبل يستحيل وقوعه فى الحال عقلا

واما قوله اذ ففيها للناس اوجه كثيرة قال ابن جنى راجعت ابا على فيها مرارا فاخر ما حصلت منه ان الدنيا
والاخرة متصلتان وهما سواء فى حكم الله تعالى وعلمه فاذ بدل من اليوم حتى كانه مستقبل او كان اليوم ماض
والى هذا نحا الزمخشرى قال واذ بدل من اليوم وحمل الزمخشرى على معنى اذ تبين وصح ظلمكم ولم يبق لاحد
ولا لكم شبهة فى انكم كنتم ظالمين ونظيره

اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة

اى تبين انى ولد كريمة قال ابو حيان ولا يجوز البدل ما دامت اذ على موضوعها من المضى فان جعلت
لمطلق الزمان جاز قال شهاب الدين لم يعهد فى اذ انها تكون لمطلق الزمان بل هى موضوعة لزمان خاص
بالماضى كامس الثانى ان فى الكلام حذف مضاف تقديره بعد اذ ظلمتم الثالث انها للتعليل وحينئذ تكون
حرفا للتعليل كاللام الرابع ان العامل فى اذ هو ذلك الفاعل المقدر لا ضميره والتقدير ولن ينفعكم ظلمكم

العامل في اذ ما دل عليه المعنى كانه قال ولكن لن ينفعكم اجتماعكم اذ ظلمتم فالى
او مجدكم اذ ظلمتم الخامس ان العامل فى اذ ما دل عليه المعنى ... لانه جعل الفاعل اولا اجتماعكم ثم جعله اخر الاشتراك
الموت ثم قال وفاعل ينفعكم الاشتراك انتهى فظاهر هذا متناقض ✓ وقيل اذ بمعنى ان اى ان ظلمتم ولم يتقيد
ومنع ان يكون اذ بدلا من اليوم لتغايرهما فى الدلالة وفى كتاب ابى البقاء ✓ وقيل اذ للتعليل حرفا بمعنى ان يعنى بالفتح وكانه اراد ما ذكره ابو البقاء
يكونهما ان بالفتح او الكسر ولكن قال ابو حيان ✓ وقيل اذ للتعليل حرفا بمعنى ان يعنى بالفتح ... والاستغنا بها عنها باسمها
الا ان تسمية ان للتعليل مجازا بها على حذف حرف العلة اى لان فلمصاحبتها لها والاستغنا بها عنها باسمها
ولا ينبغى ان يعتقد انها فى كتاب ابى البقاء بالكسر على الشرطية لان معناه يعيد قرا انكم بالكسر على الشيئين فالمفيد
للعلة وحينئذ يكون الفاعل مضمرا على احد التقادير المذكورة قوله تعالى **افانت تسمع الصم او تهدى العمى**
الاية لما وصفهم فى الاية المتقدمة بالعشى وصفهم فى هذه الاية بالصمم والعمى وما احسن هذا الترتيب
وذلك ان الانسان فى اول اشتغاله بتلك الاعمال اكثر كان ميله الى الجسمانيات اشد واعراضه عن الروحانيات
اكمل لان كثرة المواظبة على الشى توجب حصول الملكة الراسخة فينتقل الانسان من الرمد الى ان يصير اعشى فاذا
واظب على تلك الحالة انتقل من كونه اعشى الى كونه اعمى ✓ روى انه عليه السلام كان يجتهد فى دعا قومه وهم
لا يزيدون الا تصميما على الكفر وعنادا فى الغى فقال الله تعالى افانت تسمع الصم او تهدى العمى يعنى انهم
فى النفرة عنك وعن دينك بحيث اذا اسمعتهم القران كانوا كالصم واذا اريتهم المعجزات كانوا كالعمى قوله **فاما نذهبن بك**
قد تقدم الكلام عليه قريبا ✓ والمعنى فاما نذهبن بك بان نميتك قبل ان نعذبهم **فانا منهم منتقمون** بالقتل بعدك **او نرينك** فى حياتك **الذى وعدناهم** من العذاب **فانا عليهم مقتدرون** قادرون
متى شينا عذبناهم واراد به مشركى مكة انتقم منهم يوم بدر وهذا قول اكثر المفسرين ✓ وقال الحسن وقتادة
عنى به اهل الاسلام من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة فى امته
فاكرم الله نبيه وذهب به ولم يره فى امته الذى يكره عينه وابقى النقمة بعده ✓ وروى ان النبى صلى الله عليه
وسلم ارى ما يصيب امته بعده فما روى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله ✓ وقرى نرينك بالنون الخفيفة
قوله **فاستمسك بالذى اوحى اليك** العامة على اوحى مبنيا للفاعل وهو الله تعالى قوله **واسال من ارسلنا**
من قبلك فيه ثلاثة اوجه اظهرها ان من موصولة وهى مفعولة للسؤال كانه قيل واسال الذى ارسلناه من
قبلك عما ارسلوا به فانهم لم يرسلوا الا بالتوحيد الثانى انه على حذف حرف الجر على انه المسؤل عنه والمسؤل
الذى هو المفعول الاول محذوف تقديره واسالنا عمن ارسلنا الثالث ان من استفهامية مرفوعة
بالابتدا وارسلنا خبره والجملة معلقة للسؤال فتكون فى محل نصب على اسقاط الخافض وهذا ليس بظاهر
بل الظاهر ان المعلق للسؤال انما هو الجملة الاستفهامية من قوله اجعلنا **فصل** اختلفوا فى هولا المسؤلين
فروى عطا عن ابن عباس قال لما اسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى بعث له ادم وولده من المرسلين
فاذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من ارسلنا قبلك من
رسلنا الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسال قد اكتفيت ولست شاكا فيه وهذا قول الزهرى
وسعيد بن جبير قالوا جمع له الرسل ليلة اسرى به وامر ان يسالهم فلم يسال ولم يشك ✓ وقال اكثر المفسرين
سل مومنى اهل الكتاب الذين ارسلت اليهم الانبيا هل جاءتهم رسلهم الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس فى سائر
الروايات ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى والحسن ويدل عليه قراة عبد الله وابى واسال الذين
ارسلنا اليهم قبلك من رسلنا ✓ ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشركى قريش انه لم يات رسول بعبادة غير
الله عز وجل ✓ وقال عطا سؤال الانبيا الذين كانوا قبله ممتنع فكان المراد منه انظر فى هذه المسيلة بعقلك
وتدبرها بفهمك قوله تعالى **ولقد ارسلنا موسى** الاية لما طعن كفار قريش فى نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم بكونه فقيرا عديم المال والجاه بين الله تعالى ان موسى عليه السلام بعد ان اورد المعجزات
القاهرة التى لا يشك فى صحتها عاقل اورد عليه فرعون هذه الشبهة التى ذكرها كفار قريش فقال
انى غنى كثير المال والجاه الا ترون انى حصل لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى واما موسى فانه
فقير مهين وليس له بيان ولسان والرجل الفقير كيف يكون رسولا من عند الله الملك الكبير فثبت ان
هذه الشبهة التى ذكرها كفار قريش بمكة وهى قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم
قد اوردها بعينها فرعون على موسى ثم انتقمنا منهم فاغرقناهم فيكون الامر فى حق اعدائك هكذا فثبت
انه ليس المقصود من اعادة هذه القصة عينها بل المقصود تقرير الجواب عن الشبهة المذكورة قوله
اذا هم منها يضحكون قال الزمخشرى فان قلت كيف جاز ان تجاب لما باذا المفاجاة قلت لان فعل المفاجاة
معها مقدر وهو عامل النصب فى محلها كانه قيل فلما جاءهم باياتنا فاجاوا وقت ضحكهم فقال ابو حيان ولا

تعلم نحويا ذهب الى ما ذهب اليه من ان اذا الفجائية تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره فاجا بل المذاهب ثلاثة اما حرف
فلا تحتاج الى عامل او ظرف مكان او ظرف زمان فان ذكر بعد الاسم الواقع بعدها خبر كانت منصوبة على الظرف والعامل فيها
ذلك الخبر نحو خرجت فاذا زيد قايم تقديره خرجت ففى المكان الذى خرجت فيه زيد قايم او ففى الوقت الذى خرجت
فيه زيد قايم وان لم يذكر بعد الاسم خبرا او ذكر اسم منصوب على الحال ✓ فان كان الاسم جثة وقلنا انها ظرف
مكان كان الامر واضحا نحو خرجت فاذا الاسد اى فبالحضرة الاسد او فاذا الاسد وايضا وان قلنا انها زمان كان
على حذف مضاف لئلا يخبر بالزمان عن الجثة نحو خرجت فاذا الاسد اى ففى الزمان حضور الاسد ✓ وان كان
الاسم حدثا جاز ان يكون مكانا او زمانا ولا حاجة الى تقدير مضاف نحو خرجت فاذا القتال ان شيت قدرت
فبالحضرة القتال او ففى الزمان القتال قوله **الا هى اكبر** جملة واقعة لقوله من اية فيحكم على موضعها اعتبارا
باللفظ وبالنصب اعتبارا بالمحل وفى معنى قوله اكبر من اختها اوجه ✓ احدها قال ابن عطية هو انهم يستعظمون
الاية التى تاتى لجدة امرها وحدوثه لانهم انسوا تلك الاية السابقة فيعظم امر الثانية ويكبر وهذا
كقول الشاعر
على انها تعفو الكلوم وانما ✓ توكل بالادنى وان جل ما يمضى
✓ الثانى قيل ان المعنى
الا هى اكبر من اختها السابقة فحذف الصفة للعلم بها ✓ الثالث قال الزمخشرى فان قلت هو كلام متناقض لان
معناه ما من اية من التسع الا هى اكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة فى حالة
واحدة قلت الغرض بهذا الكلام وصفهن بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة فى الاشيا التى لا تتفاوت
فى الفضل التفاوت اليسير تختلف ارا الناس فى تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم هذا وربما
اختلف ارا الواحد فيها كقول الحماسى
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ✓ مثل النجوم التى يهدى بها السارى
وقالت الانمارية فى الجملة من ابيائها
ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها انتهى كلامه
واوله قطيع جدا كان العبارات ضاقت عليه حتى قال ما قال وان كان جوابه حسنا فسواله قطيع قوله **وقالوا**
يا ايه الساحر تقدم الكلام فيه فى النور ✓ والمعنى انهم لما عاينوا العذاب قالوا لموسى يا ايه الساحر اى يا ايها العالم
الكامل الحاذق وانما قالوا هذا توقيرا وتعظيما لان السحر كان عندهم كان علما عظيما وصفة ممدوحة ✓ وقيل معناه
يا ايها الذى غلبنا بسحره ✓ وقال الزجاج خاطبوه به لما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر **فان قيل** كيف
سموه بالساحر مع قولهم اننا لمهتدون **فالجواب** من وجوه ✓ الاول انهم كانوا يسمون العالم الماهر ساحرا
لانهم يستعظمون السحر وكما يقال فى زماننا فى العمل العجيب الكامل انه اتى بالسحر ✓ والثانى ايه الساحر فى زعم
الناس ومتعارف قوم فرعون كقوله وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون اى نزل عليه الذكر فى اعتقاده
وزعمه ✓ الثالث ان قوله اننا لمهتدون وعد كانوا عازمين على خلافه الا ترى الى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب
اذا هم ينكثون فتسميتهم اياه بالساحر لا ينافى قولهم اننا لمهتدون قوله **ادع لنا ربك بما عهد** اى بما اخبرنا
عن عهده اليك ان امنا كشف عنا العذاب فاسال ربك يكشف عنا اننا لمهتدون مومنون فدعا موسى فكشف
عنهم فلم يومنوا فذلك قوله عز وجل فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون اى ينكثون ذلك العهد يعنى
ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم قوله **ونادى فرعون فى قومه** لما ذكر معاملة قوم فرعون مع موسى
ذكر ايضا معاملة فرعون معه فقال ونادى فرعون فى قومه اى اظهر هذا القول وقال يا قوم **اليس لى ملك**
مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى اى انهار النيل ومعظمها نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس
قيل كانت تجرى تحت قصره وحاصل الامر انه احتج بكثرة امواله وقوة جاهه على فضيلة نفسه ثم قال **افلا**
تبصرون من تحت قصورى ✓ وقال قتادة تجرى من بين يدى فى جنانى وبساتينى ✓ وقال الحسن بامرى افلا
تبصرون عظمتى وشدة ملكى قوله **وهذه الانهار** يجوز فى وهذه وجهان ✓ احدهما ان تكون مبتداة والواو للحال
والانهار صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وتجرى الخبر والجملة حال من يا لى ✓ والثانى ان هذه معطوفة
على ملك مصر وتجرى على هذا حال اى اليس ملك مصر وهذه الانهار جارية اى الشيان قوله **تبصرون**
العامة على الخطاب لمن ناداهم ✓ وقرا عيسى بكسر النون اى تبصرونى وفى قراة العامة المفعول محذوف
اى تبصرون ملكى وعظمتى ✓ وقرا فهد بن الصقر يبصرون بيا الغيبة اما على الالتفات من الخطاب
الى الغيبة واما ردا على قوم موسى قوله **ام انا خير** فى ام هذه اقوال ✓ احدها انها منقطعة فتقدر ببل التى للاضراب
الانتقال وبالهمزة التى للانكار ✓ والثانى انها بمعنى بل فقط كقوله
بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى ✓ وصورتها ام انت فى العين املح
اى بل انت

الثالث انها منقطعة لفظا متصلة معنى قال ابو البقاء ام هنا منقطعة في اللفظ لوقوع الجملة بعدها في اللفظ وفي
المعنى متصلة معادلة اذ المعنى انا خير منه ام لا وانا خير وهذه عبارة غريبة ان تكون منقطعة لفظا متصلة
معنى وذلك انهما معنيان متنافيان فان الانقطاع يقتضي اضرابا اما ابطالا واما انتقالا. الرابع انها متصلة
والمعادل محذوف تقديره ام تبصرون وهذا لا يجوز الا اذا كانت بعد ام لا نحو اتقوم ام لا اي ام لا تقوم
وازيد عندك ام لا اي ام لا هو عندك اما حذفه دون لا فلا يجوز وقد جاء حذف ام مع المعادل وهو قليل
جدا قال الشاعر

دعاني اليها القلب اني لامرها * سميع فما ادري ارشد طلابها

اي ام غي ونقل ابو حيان عن سيبويه ان هذه هي ام المعادلة اي ام تبصرون الامر الذي هو حقيق ان
يبصر عنده وهو انه خير من موسى قال وهذا القول بدا به الزمخشري فقال ام هذه متصلة لان المعنى
افلا تبصرون ام تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا انت خير فهم عنده
بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب. قال ابو حيان وهذا متكلف جدا اذ المعادل انما يكون مقابلا للسابق
فان كان المعادل جملة فعلية كان السابق جملة فعلية او جملة اسمية يتقدر منها فعلية كقوله ادعوتموهم
ام انتم صامتون لان معناه ام صمتم وهنا لا يتقدر منها جملة فعلية لان قوله ام انا خير ليس مقابلا لقوله
افلا تبصرون وان كان السابق اسما كان المعادل اسما او جملة فعلية يتقدر منها اسم نحو قوله اتخرج البدر
ام تمت فام تمت معادل للاسم والتقدير ام متما. قال شهاب الدين وهذا الذي رده على الزمخشري رد على سيبويه
لانه هو السابق به وكذا قوله ايضا انه لا يحذف المعادل بعد ام الا وبعدها لا فيه نظر من حيث تجويز سيبويه
حذف المعادل دون لا فهو رد على سيبويه ايضا قوله ولا يكاد يبين هذه الجملة يجوز ان تكون معطوفة على
الصلة وان تكون مستانفة وان تكون حالا والعامة على يبين من ابان والباقون يبين بفتح الياء من بان
اي ظهر قوله من هذا الذي هو مهين اي ضعيف حقير يعني موسى ولا يكاد يبين اي يفصح لسانه للرتة كانت
في لسانه فان قيل اليس ان موسى عليه السلام سال الله ان يزيل الرتة عن لسانه بقوله واحلل عقدة
من لساني يفقهوا قولي فاعطاه الله ذلك بقوله قد اوتيت سؤلك يا موسى فكيف عابه فرعون بتلك
الرتة فالجواب من وجهين الاول ان فرعون اراد بقوله ولا يكاد يبين حجته التي تدل على صدقه
ولم يرد انه لا قدرة له على الكلام. الثاني انه عابه بما كان عليه اولا وذلك ان موسى عليه السلام مكث عند فرعون
زمانا طويلا وكان في لسانه حبسة فنسبه فرعون الى ما عهده عليه من الرتة لانه لم يعلم ان الله تعالى ازال
ذلك العيب عنه قوله فلولا القي عليه اساورة قرا حفص اسورة كاحمرة والباقون اساورة فاسورة جمع
سوار كحمار واحمرة وهو جمع قلة واساورة جمع اسوار بمعنى سوار يقال سوار المراة واسوارها والاصل
اساوير بالياء فعوض من حرف المد تاء التانيث كزنادقة وبطارقة وقيل بل هي جمع اسورة فهي جمع الجمع
وقرا ابي والاعمش ويروى عن ابي عمرو اساور دون تاء وروي عن ابي ايضا وعبد الله اساوير وقرا الضحاك
القي مبنيا للفاعل اي الله واساورة نصبا على المفعولية ومن ذهب صفة لاساورة ويجوز ان تكون
من الداخلة قوله فاستخف قومه فاطاعوه اي وجدهم جهالا فحملهم على الخفة والجهل يقال استخفه عن رايه
اذا حمله على الجهل وازاله عن الصواب فاطاعوه على تكذيب موسى انهم كانوا قوما فاسقين حيث اطاعوا
ذلك الفاسق الجاهل قوله فلما اسفونا اغضبونا حكي ان ابن جريج غضب في شيء فقيل له اتغضب يا ابا
خالد فقال قد غضب الذي خلق الاحلام ان الله تعالى يقول فلما اسفونا اي اغضبونا انتقمنا منهم
فاغرقناهم اجمعين واعلم ان ذكر الاسف في حق الله تعالى وذكر لفظ الانتقام كل واحد منهما من المتشابهات
التي يجب تاويلها فمعنى الغضب في حق الله تعالى ارادة العقاب ومعنى الانتقام ارادة العقاب لجرم
سابق واسفونا منقول بهمزة التعدية من اسف بمعنى غضب والمعنى اغضبونا بمخالفتهم امرنا وقال
بعض المفسرين معناه احزنوا اولياءنا قوله فجعلناهم سلفا قرا الاخوان سلفا بضمتين والباقون بفتحتين فاما
الاولى فتحتمل ثلاثة اوجه احدها انها جمع سليف كرغيف ورغف وسمع القاسم بن معن من العرب مضى
سليف من الناس والسليف من الناس كالفريق منهم والثاني انها جمع سالف كصابر وصبر والثالث
انها جمع سلف كاسد واسد والثانية تحتمل وجهين احدهما ان يكون جمعا لسالف كحارس وحرس وخادم
وخدم وهذا في الحقيقة اسم جمع لا جمع تكسير اذ ليس في ابنية التكسير صيغة فعل والثاني انه مصدر
يطلق على الجماعة تقول سلف الرجل يسلف سلفا اي تقدم والسلف كل شيء قدمته من عمل صالح او قرض
فهو سلف وسلف الرجل اباؤه المتقدمون والجمع اسلاف وسلاف وقال طفيل

مضوا سلفا قصد السبيل عليهم * صروف المنايا بالرجال تقلب

وقرا علي رضي الله

عنه ومجاهد سلفا بضم السين وفتح اللام وفيها وجهان اشهرهما انه جمع سلفة كغرفة وغرف والسلفة الامة وقيل الاصل
سلفا بضمتين وانما ابدل من الضمة فتحة وقوله مثلا اما مفعول ثان ان كانت بمعنى صيرنا والا حالا قال الفراء والزجاج
المعنى جعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الاخرون وهم كفار امة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ومثلا للاخرين اي عظة
لمن بقي بعدهم وعبرة قال ابو علي الفارسي المثل واحد يراد به الجمع ومن ثم عطف على سلف والدليل على وقوعه على اكثر
من واحد قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه فادخل تحت المثل شيئين وقيل المعنى
سلفا لكفار هذه الامة الى النار ومثلا لمن يجيء بعدهم قوله ولما ضرب ابن مريم مثلا الاية اعلم انه تعالى ذكر انواعا
كثيرة من كفرياتهم فاولها قوله وجعلوا له من عباده جزءا وثانيها قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا وثالثها قوله وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ورابعها قوله وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم وخامسها هذه الاية وليس في لفظها ما يدل على ان ذلك المثل اي شيء كان والمفسرون ذكروا فيه وجوها
اشهرها قال ابن عباس واكثر المفسرين نزلت الاية في مجادلة عبد الله بن الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم
في شان عيسى عليه السلام لما نزل قوله عز وجل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم كما تقدم في سورة
الانبياء والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة
النصارى اياه اذا قومك من قريش منه اي من هذا المثل يصدون اي يرتفع لهم ضجيج فرحا بسبب ما راوا من سكوت
النبي صلى الله عليه وسلم فانه قد جرت العادة بان احد الخصمين اذا انقطع اظهر الخصم الفرح والضجيج قوله
يصدون قرا نافع وابن عامر والكسائي يصدون بضم الصاد والباقون بكسرها فقيل هما بمعنى واحد وهو
الضجيج واللغط يقال صد يصد ويصد كعكف يعكف ويعكف وعرش يعرش ويعرش وقيل الضم من الصدود
وهو الاعراض وقد انكر ابن عباس الضم وقد روي له عن علي رضي الله عنه وهذا والله اعلم قبل بلوغه تواتره
قوله وقالوا االهتنا خير قرا اهل الكوفة بتحقيق الهمزة الثانية والباقون بتسهيلها بين بين ولم يدخل احد
من القراء الذين من قاعدتهم الفصل بين الهمزتين بالف الفا كراهة لتوالي اربع متشابهات وابدل الجميع الهمزة
الثانية الفا ولا بد من زيادة بيان وذلك ان الهة جمع اله كعماد واعمدة فالاصل االهة بهمزتين الاولى زائدة
والثانية فاء الكلمة ووقعت الثانية ساكنة بعد مفتوحة فوجب قلبها الفا كامن وبابه ثم دخلت همزة الاستفهام
على الكلمة فالتقى همزتان في اللفظ الاولى للاستفهام والثانية همزة افعلة فالكوفيون لم يعتدوا باجتماعهما
فابقوهما على حالهما وغيرهم استثقل فخفف الثانية بالتسهيل بين بين والثالثة الف محضة لم تتغير البتة
واكثر اهل العصر يقرءون هذا الحرف بهمزة واحدة بعدها الف على لفظ الخبر ولم يقرا به احد من السبعة
فيما علمنا الا انه قد روي ان ورشا قرا كذلك في رواية ابي الازهر وهي تحتمل الاستفهام كالعامة وانما حذف
اداة الاستفهام لدلالة ام عليها وهو كثير وتحتمل انه قرا خبرا محضا وحينئذ تكون ام منقطعة فتتقدر ببل
والهمزة واما الجماعة فهي عندهم متصلة فقوله ام هو على قراءة العامة عطف على الهتنا وهو من عطف
المفردات والتقدير االهتنا ام هو خير اي ايهما خير وعلى قراءة ورش يكون هو مبتدا وخبره محذوف تقديره
بل اهو خير وليست ام حينئذ عاطفة قوله جدلا مفعول من اجله اي لاجل الجدل والمراء لا لاظهار الحق وقيل
هو مصدر في موضع الحال اي الا مجادلين وقرا ابن مقسم جدالا والوجهان جاريان فيه والظاهر ان الضمير
في هو لعيسى كغيره من الضمائر وقيل هو للنبي عليه السلام وبه قال المفسرون كما تقدم فصل
تمسك القائلون بذم الجدل بهذه الاية والايات الكثيرة دالة على مدح الجدل فالتوفيق بينهما ان يصرف
الايات الدالة على مدح الجدل الى الجدل الذي يفيد تقرير الحق ويصرف هذه الاية الى الجدل الذي يوجب تقرير
الباطل قوله ان هو الا عبد اي ما هو يعني عيسى الا عبد كسائر العبيد انعمنا عليه حيث جعلناه اية بان
خلقناه من غير ذكر كما خلقنا ادم وشرفناه بالنبوة وجعلناه مثلا اي اية وعبرة لبني اسرائيل يعرفون به
قدرة الله على ما يشاء حيث خلقه من غير اب ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة اي لو نشاء لاهلكناكم وجعلنا بدلا
منكم ملائكة في الارض يخلفون اي يكونون خلفاء منكم يعمرون الارض ويعبدونني ويطيعونني وقيل يخلف
بعضهم بعضا قوله لجعلنا منكم ملائكة في من هذه اقوال احدها انها بمعنى بدل اي لجعلنا بدلكم كما تقدم
في التفسير ومنه ايضا ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة اي بدلها وانشد

اخذوا المخاض من الفصيل غلبة * ظلما ويكتب للامير افالا

وقال اخر

جارية لم تاكل المرققا * ولم تذق من البقول الفستقا

والثاني وهو المشهور انها تبعيضية وتاويل الاية لولدنا منكم يا رجال ملائكة في الارض يخلفونكم كما يخلفكم اولادكم
كما ولدنا عيسى من انثى دون ذكر ذكره الزمخشري والثالث انها تبعيضية قال ابو البقاء وقيل المعنى لحولنا

بعضكم ملائكة قوله وانه لعلم المشهور ان الضمير لعيسى يعني نزوله اخر الزمان وقيل الضمير للقران اى فيه علم الساعة واهوالها او هو علامة على قربها ومنه اقترب للناس حسابهم اقتربت الساعة وقيل للنبي عليه السلام ومنه بعثت انا والساعة كهاتين والعامة على علم مصدرا جعل علما مبالغة لما كان يحصل به العلم او لما كان شرطا يعلم به ذلك اطلق عليه وابن عباس وابو هريرة وابو مالك الغفاري وزيد بن علي لعلم بفتح العين واللام اى لشرط وعلامة وقرا ابو نضرة وعكرمة كذلك الا انهما عرفا باللام فقرءا للعلم اى للعلامة المعروفة قوله فلا تمترن بها من المرية وهي الشك اى لا تشكن فيها قال ابن عباس لا تكذبوا بها واتبعون على التوحيد هذا الذي انا عليه صراط مستقيم ولا يصدنكم لا يصرفنكم الشيطان عن دين الله انه لكم عدو مبين قد بانت عداوته لكم لاجل انه اخرج ابويكم من الجنة ونزع عنهما لباس النور قوله ولما جاء عيسى بالبينات اى بالمعجزات وبالشرائع البينات الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة وهي النبوة وقيل معرفة ذات الله وصفاته وافعاله ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه من احكام التوراة قال قتادة يعني اختلاف الفرق الذين تحزبوا في امر عيسى قال الزجاج الذي جاء به عيسى في الانجيل انما هو بعض الذي اختلفوا فيه فبين لهم في غير الانجيل ما احتاجوا اليه وقيل كانوا قد اختلفوا في اشياء من احكام التكاليف واتفقوا على اشياء فجاء عيسى ليبين لهم الحق في تلك المسائل الخلافية قال ابن الخطيب وبالجملة فالحكمة معناها اصول الدين وبعض الذي تختلفون فيه معناه فروع الدين فان قيل لم لم يبين لهم كل الذي يختلفون فيه فالجواب لان الناس قد اختلفوا في اشياء لا حاجة لهم الى معرفتها فلا يجب على الرسول بيانها ولما بين لهم الاصول والفروع قال فاتقوا الله من الكفر به والاعراض عن دينه واطيعون فيما ابلغه اليكم من التكاليف ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب اى الفرق المتحزبة بعد عيسى وهم الملكانية واليعقوبية والنسطورية وقيل اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم وهو وعيد يوم الاحزاب فان قيل الضمير في قوله بينهم الى من رجع فالجواب الى الذين خاطبهم عيسى في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه قوله هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم اى انها تاتيهم لا محالة فكانهم ينتظرونها فقوله ان تاتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة وقوله بغتة فجاة فان قيل قوله بغتة يفيد ما يفيده قوله وهم لا يشعرون فما فائدته فالجواب يجوز ان تاتيهم بغتة وهم يعرفونه بسبب انهم يشاهدونه قوله الاخلاء يومئذ مبتدا وخبره عدو والتنوين في يومئذ عوض عن جملة تقديره يومئذ تاتيهم الساعة والعامل في يومئذ لفظ عدو اى عدو انهم في ذلك اليوم قوله يا عبادي قرا ابو بكر عن عاصم يا عبادي لا خوف بفتح الياء والاخوان وابن كثير وحفص بحذفها وصلا ووقفا والباقون باثباتها ساكنة وقرا العامة لا خوف بالرفع والتنوين اما مبتدا واما اسم لها وهو قليل وابن محيصن دون تنوين على حذف مضاف وانتظاره اى لا خوف شيء والحسن وابن ابي اسحق بالفتح على لا التبرئة وهي عندهم ابلغ فصل قد تقدم ان عادة القران جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين المطيعين المتقين وفيه انواع كثيرة توجب الفرح اولها ان الحق سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة وثانيها انه تعالى وصفهم بالعبودية من غير واسطة وهذا التشريف عظيم بدليل انه تعالى لما اراد تشريف محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج قال سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وثالثها قوله لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فنفى عنهم الحزن بسبب فوت الدنيا الماضية قوله الذين امنوا يجوز ان يكون نعتا لعبادي او بدلا منه او عطف بيان له او مقطوعا منصوبا بفعل اى اعني الذين امنوا او مرفوعا بالابتداء وخبره مضمر تقديره يقال لهم ادخلوا الجنة فصل قال مقاتل اذا وقع الخوف يوم القيامة نادى مناد يا عبادي لا خوف عليكم اليوم فاذا سمعوا النداء رفع الخلائق رؤوسهم فيقال الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فينكس اهل الاديان الباطلة رؤوسهم فيمر حسابهم على احسن الوجوه ثم يقال لهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون تسرون وتنعمون والحبرة المبالغة في الاكرام على احسن الوجوه وتقدم تفسيره في سورة الروم قوله يطاف عليهم قبله محذوف اى يدخلون يطاف عليهم بصحاف والصحاف جمع صحفة كجفنة وجفان قال الجوهري الصحفة كالقصعة وقال الكسائي اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم المكيلة تشبع الرجلين والثلاثة والصحيفة الكتاب والجمع صحف وصحائف واما الكسائي في رواية بصحاف من ذهب واكواب جمع كوب وهو اناء مستدير مدور الراس لا عرى له وقيل كالابريق الا انه لا عروة له وقيل انه لا خرطوم له وقيل انه لا عروة له ولا خرطوم معا قال الجواليقي ليتمكن الشارب من اين شاء فان العروة تمنع من ذلك وقال عدي

متكئا تصفق ابوابه ... يطوف عليه العبد بالكوب

والتقدير واكواب من ذهب

قوله

قوله يطاف عليهم بصحاف من ذهب اشارة الى المطعوم وقوله واكواب اشارة الى المشروب ثم انه تعالى لما ذكر التفصيل ذكر بيانا كليا فقال وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين اى في الجنة قوله ما تشتهيه الانفس قرا نافع وابن عامر وحفص تشتهيه باثبات العائد على الموصول كقوله الذي يتخبطه الشيطان من المس والباقون بحذفه كقوله اهذا الذي بعث الله وهذه القراءة شبيهة بقوله وما عملته ايديهم وقد تقدم في يس وهذه الهاء في هذه السورة رسمت في مصاحف المدينة والشام وحذفت من غيرها ووقع لابي عبد الله الفاسي شارح القصيدة وهم فسبق قلمه فكتب والهاء منه محذوفة في مصاحف المدينة والشام ثابتة في غيرهما اراد ان يكتب ثابتة في مصاحف المدينة والشام محذوفة من غيرهما فعكس وفي مصحف عبد الله تشتهيه الانفس وتلذه الاعين بالهاء فيهما فصل روي ان رجلا قال يا رسول الله في الجنة خيل فاني احب الخيل فقال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان يركبك فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك في اى الجنة شئت الا فعلت فقال اعرابي يا رسول الله في الجنة ابل فاني احب الابل فقال يا اعرابي ان ادخلك الله الجنة اصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك قوله وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون قد تقدم الكلام في معنى وراثة الجنة عند قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس ولما ذكر الطعام والشراب ذكر الفاكهة فقال لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون جاء في الحديث لا ينزع رجل من الجنة من ثمرة الا نبتت مكانها مثلاها واعلم انه تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم اولا الى العرب ثم الى العالمين وكانت العرب في ضيق شديد بسبب الماكولات والمشروب والفاكهة فلهذا ذكر الله هذه المعاني مرة بعد اخرى تكميلا لرغباتهم وتقوية لدواعيهم ومن في قوله منها تاكلون تبعيضية او ابتدائية وقدم الجار لاجل الفاصلة ان المجرمين اى المشركين في عذاب جهنم خالدون لما ذكر الوعد اردفه بالوعيد على الترتيب المستمر في القران واحتج القاضي على القطع بوعيد الفساق بهذه الاية فقال لفظ المجرم يتناول الكافر والفاسق فوجب كون الكل في عذاب جهنم وقوله لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وخالدون يدل على الخلود والجواب ان ما قبل الاية وبعدها يدل على ان المراد من لفظ المجرم هاهنا الكافر اما ما قبل الاية فقوله يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين وهذا يدل على ان كل من امن بايات الله وكان مسلما فانه يدخل تحت قوله يا عبادي لا خوف عليكم اليوم والفاسق من اهل الصلاة امن بالله وباياته واسلم فوجب ان يدخل تحت ذلك الوعد وان يخرج من هذا الوعيد واما بعد الاية فقوله لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون والمراد بالحق هاهنا اما الاسلام واما القران والرجل المسلم لا يكره الاسلام ولا القران فثبت ان ما قبل الاية وما بعدها يدل على ان المراد من المجرمين الكفار والله اعلم قوله لا يفتر عنهم جملة حالية وكذلك وهم فيه مبلسون وقرا عبد الله وهم فيها اى في النار لدلالة العذاب عليها واعلم انه قد تقدم ان الخلود عبارة عن طول المكث ولا يفيد الدوام وقوله لا يفتر عنهم اى لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت ونقص حرها وقوله وهم فيه مبلسون والمبلس هو اليائس الساكت سكوت يائس من فرج عن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يقفل عليه فيبقى خالدا لا يرى ولا يرى قوله وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين العامة على الياء خبر الكان وهم اما فصل واما توكيد وقرا عبد الله وابو زيد النحوي الظالمون على ان هو مبتدا والظالمون خبره والجملة خبر كان وهي لغة تميم قال ابو زيد سمعتهم يقرءون تجدوه عند الله هو خير واعظم اجرا بالرفع وقال قيس بن ذريح

تحن الى ليلى وانت تركتها ... وكنت عليها بالملا انت اقدر

برفع اقدر وانت فصل وتوكيد قال سيبويه بلغنا ان رؤبة كان يقول اظن زيدا هو خير منك يعني بالرفع قوله ونادوا يا مالك العامة من غير ترخيم وعلي بن ابي طالب وعبد الله وابن وثاب والاعمش يا مال مرخما على لغة من ينتظر المحذوف قيل لابن عباس ان ابن مسعود قرا ونادوا يا مال فقال ما اشغل اهل النار بالترخيم واجيب عنه بانه انما حسن الترخيم لانهم يبلغون من الضعف والنحافة الى حيث لا يمكن ان يذكروا من الكلمة الا بعضها وقرا ابو السرار الغنوي يا مال مبنيا على الضم على لغة من لا ينوي فصل روي ان اهل النار يدعون مالكا خازن النار يقولون ليقض علينا ربك فيستريح فيجيبهم مالك بعد الف سنة انكم ماكثون مغمومون في العذاب وعن عبد الله بن عمرو بن العاص يجيبهم بعد اربعين سنة وعن غيره مائة سنة فصل اختلفوا في ان قولهم يا مالك ليقض علينا ربك على اي وجه طلبوه فقال بعضهم على التمني وقال اخرون على وجه الاستغاثة والا فهم عالمون بانه لا خلاص لهم من ذلك العذاب وقيل لا يبعد ان يقال انهم لشدة ما هم فيه نسوا تلك المسالة فذكروه على وجه الطلب ثم انه تعالى بين ان مالكا

يقول لهم إنكم ماكثون ولبثوا في القرآن متى أجابهم هل أجابهم في الحال أو بعد ذلك بمدة ثم إنه تعالى ذكر بعد ذلك
ما هو كالعلة لذلك الجواب فقال لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون والمراد نفرتهم عن محمد صلى
الله عليه وسلم وعن القرآن وشدة بغضهم لقبول الدين الحق فإن قيل كيف قال ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم
بالإبلاس فالجواب أنها أزمنة متطاولة وأحقاب ممتدة فتختلف بهم الأحوال فيسكتون أوقاتا لغلبة
اليأس عليهم ويستغيثون أوقاتا لشدة ما بهم روي أنه يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من
العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك ولما ذكر الله تعالى كيفية عذابهم في
الآخرة ذكر بعده كيفية مكرهم وفساد باطنهم في الدنيا فقال أم أبرموا أمرا أي أحكموا أمرا في المكر برسول
الله صلى الله عليه وسلم يعني مشركي مكة فإنا مبرمون محكمون أمرا في مجازاتهم أي مبرمون كيدنا كما أبرموا كيدهم
لقوله تعالى أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون قال مقاتل نزلت في تدبيرهم في المكر في دار الندوة وقد
تقدم في قوله وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية قوله أم أبرموا أم منقطعة والإبرام الإتقان
وأصله في الفتل يقال أبرم الحبل أي أتقن فتله وهو الفتل الثاني والأول يقال له سحيل قال زهير
لعمري لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم قوله أم يحسبون أنا لا نسمع
سرهم السر ما حدث الرجل به نفسه أو غيره في مكان والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم بلى نسمع ذلك ونعلم
ورسلنا أي الحفظة لديهم يكتبون أي يكتبون عليهم جميع أحوالهم قوله إن كان للرحمن قيل هي شرطية على بابها
واختلف في تأويله فقيل إن صح ذلك فأنا أول من يعبده لكنه لم يصح البتة بالدليل القاطع وذلك أنه علق
العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها في صورة إثبات الكينونة والعبادة تنبيها
وهي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها ذكره الزمخشري وقيل إن كان له ولد في زعمكم قاله الواحدي وقيل
العابدين بمعنى الآنفين من عبد يعبد إذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد ويؤيده قراءة السلمي واليماني العبدين
دون ألف وحكى الخليل قراءة غريبة وهي العبدين بسكون الباء وهي تخفيف قراءة السلمي فأصلها الكسر قال
ابن عرفة يقال عبد من … أن العابدين بمعنى الآنفين لا يصح ثم قال كقول مجاهد وقال الفرزدق
أولئك آبائي فجئني بمثلهم وأعبد أن أهجو كليبا بدارم أي آنف قال ابن الخطيب
وهذا التعليق أيضا فاسد لأن هذه الأنفة حاصلة سواء حصل ذلك الزعم والاعتقاد أو لم يحصل وقال
أبو عبيدة معناه الجاحدين يقال عبدني حقي أي جحدنيه وقال أبو حاتم العبد بكسر الباء الشديد الغضب وهو معنى
حسن أي إن كان له ولد على زعمكم فأنا أول من يغضب لذلك وقيل إن نافية أي ما كان ثم أخبر بقوله فأنا
أول العابدين من أهل مكة أن لا ولد له ويكون الفاء سببية ومنع مكي أن تكون نافية قال لأنه
يوهم أنك إنما نفيت عن الله الولد فيما مضى دون ما هو آت وهذا محال ورد عليه بأن كان قد تدل على الدوام
كقوله وكان الله غفورا رحيما إلى ما لا يحصى والصحيح من مذاهب النحاة أنها لا تدل على الانقطاع والقائل
بذلك يقول ما لم يكن قرينة كالآيات المذكورة وتقدم الكلام في قراءتي ولد وولد في مريم ثم إنه تعالى نزه نفسه
فقال سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون أي عما يقولون من الكذب وذلك أن إله
العالم يجب أن يكون واجب الوجود لذاته وكل ما كان كذلك فهو لا يقبل التجزي بوجه من الوجوه والولد عبارة
عن أن ينفصل عن الشيء جزء فيتولد عن ذلك الجزء شخص مثله وهذا إنما يعقل فيما تكون ذاته قابلة للتجزي
والتبعيض وإذا كان كذلك كان محالا في حق إله العالم امتنع إثبات الولد ولما ذكر هذا البرهان القاطع فقال
فذرهم يخوضوا ويلعبوا أي يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون
يعني يوم القيامة والمقصود منه التهديد يعني قد ذكرت الحجة القاطعة على فساد ما ذكروا فلم يلتفتوا
إليها لأجل استغراقهم في طلب المال والجاه والرياسة فاتركهم في ذلك الباطل واللعب حتى يصلوا إلى ذلك
اليوم الموعود به قوله يلاقوا قراءة العامة من الملاقاة وابن محيصن ويروى عن أبي عمرو يلقوا من
لقي قوله وهو الذي في السماء إله في السماء متعلق بإله لأنه بمعنى معبود أي معبود في السماء ومعبود
في الأرض وحينئذ فيقال الصلة لا تكون إلا جملة أو ما في تقديرها وهو الظرف وعديله ولا شيء منهما
هنا والجواب أن المبتدأ حذف لدلالة المعنى عليه وذلك المحذوف هو العائد تقديره وهو الذي
هو في السماء إله وهو في الأرض إله وإنما حذف لطول الصلة بالمعمول فإن الجار متعلق بإله ومثله
ما أنا بالذي قائل لك سوءا وقال أبو حيان وحسنه طوله بالعطف عليه كما حسن في قولهم قائل شيئا
طوله بالمعمول قال شهاب الدين حصوله في الآية وفيما حكاه سواء فإن الصلة طالت بالمعمول
في كليهما والعطف أمر زائد على ذلك فهو زيادة في تحسين الحذف ولا يجوز أن يكون الجار خبرا

مقدما وإله مبتدأ مؤخرا لئلا تعرى الجملة من رابط إذ يصير نظيرها الذي في الدار زيد فإن جعلت الجار صلة وفيه ضمير
عائد على الموصول وجعلت إله بدلا منه فقال أبو البقاء جاز على ضعف لأن الغرض الكلي إثبات الإلهية لا كونه في
السموات والأرض فكان يفسد أيضا من وجه آخر وهو قوله وفي الأرض إله لأنه معطوف على ما قبله وإذا تم
تقدير ما ذكر صار منقطعا عنه وكان المعنى أن في الأرض إلها انتهى وقال أبو علي نظرت فيما يرتفع به إله فوجدت
ارتفاعه يصح بأن يكون خبر مبتدأ محذوف والتقدير وهو الذي في السماء هو إله وقال أبو حيان ويجوز أن
يكون الصلة الجار والمجرور والمعنى أنه فيهما بالإلهية والربوبية إذ يستحيل حمله على الاستقرار وقرأ عمر
وعلي وعبد الله في جماعة وهو الذي في السماء الله ضمن العلم أيضا معنى المشتق فيتعلق به الجار ومثله هو حاتم
في طي أي الجواد فيهم ومثله فرعون العذاب ثم قوله وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما فقوله تبارك
إما أن يكون مشتقا من وجوب البقاء وإما من كثرة الخير وعلى التقديرين فكل واحد من الوجهين ينافي كون عيسى عليه
السلام واجب البقاء والدوام لأنه حدث بعد أن لم يكن وعند النصارى أنه قتل ومات ومن كان كذلك لم
يكن بينه وبين الباقي الأزلي الدائم مجانسة ومشابهة فامتنع كونه ولدا له وإن كان المراد بالبركة كثرة
الخيرات مثل كونه خالقا للسموات والأرض وما بينهما فعيسى لم يكن خالقا لهما مع أن اليهود عندهم أنهم
أخذوه وقتلوه وصلبوه والذي هذا صفته كيف يكون ولد من كان الخالق للسموات والأرض وما بينهما
ثم قال وعنده علم الساعة والمقصود منه التنبيه على أن كل من كان كاملا في الذات والعلم والقدرة وعلى الوصف
المشروح بأنه يمتنع أن يكون ولده في العجز وعدم القدرة عن أحوال العالم بالحد الذي وصفته النصارى به
قوله وإليه ترجعون قرأ الأخوان وابن كثير بالياء من تحت والباقون بالتاء من فوق وهما في كليهما مبني للمفعول
وقرئ بالخطاب مبنيا للفاعل قوله ولا يملك الذين يدعون قرأ العامة يدعون بياء الغيبة والضمير للموصول
والسلمي وابن وثاب بتاء الخطاب والأسود بن يزيد بتشديد الدال ونقل عنه القراءة مع ذلك بالياء والتاء
قوله إلا من شهد بالحق فيه قولان أحدهما أنه متصل والمعنى إلا من شهد بالحق كعزير والملائكة فإنهم يملكون
الشفاعة بتمليك الله إياهم لها وقيل هو منقطع بمعنى أن هؤلاء لا يشفعون إلا من شهد بالحق أي لكن من شهد
بالحق يشفع فيه هؤلاء كذا قدره وهذا التقدير يجوز فيه أن يكون الاستثناء متصلا على حذف المفعول
تقديره ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة في أحد إلا فيمن شهد قوله ولئن سألتهم من خلقهم
ليقولن الآية فظاهر هذه الآية وأمثالها في القرآن يدل على أن القوم مضطرون إلى الاعتراف بوجود الإله
قال الجبائي وهذا لا يصح لأن قوم فرعون قالوا لا إله لهم غيره وقوم إبراهيم قالوا إنا لفي شك مما تدعونا إليه وأجيب
بأنا لا نسلم أن قوم فرعون كانوا منكرين لوجود الإله بدليل قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم
ظلما وعلوا وقال موسى عليه السلام لفرعون لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر
على قراءة من فتح التاء من علمت وهذا يدل على أن فرعون كان عارفا بالله وأما قول إبراهيم وإنا لفي شك
مما تدعونا إليه فهو مصروف إلى إثبات القيامة وإثبات التكليف وإثبات النبوة قوله فأنى يؤفكون
أي لم يكذبون على الله فيقولون إن الله أمرنا بعبادة الأصنام قوله وقيله قرأ حمزة وعاصم بالجر والباقون
بالنصب فأما الجر فعلى وجهين أحدهما أنه عطف على الساعة أي عنده علم قيله أي قول محمد أو عيسى والقول
والقال والقيل بمعنى واحد جاءت المصادر على هذه الأوزان والثاني أن الواو للقسم والجواب إما محذوف
تقديره لينصرن أو لأفعلن بهم ما أريد وإما مذكور وهو قوله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون ذكره الزمخشري
وأما قراءة النصب ففيها ثمانية أوجه أحدها أنه منصوب على محل الساعة كأنه قيل إنه يعلم الساعة
ويعلم قيله كذا الثاني أنه معطوف على سرهم ونجواهم أي لا يعلم سرهم ولا يعلم قيله الثالث عطف على
مفعول يكتبون المحذوف أي يكتبون ذلك ويكتبون قيله كذا أيضا الرابع أنه معطوف على مفعول
يعلمون المحذوف أي يعلمون ذلك قيله الخامس أنه مصدر أي قال قيله السادس أن ينتصب بإضمار
فعل أي الله يعلم قيل رسوله وهو محمد صلى الله عليه وسلم السابع أن ينتصب على محل بالحق أي شهد بالحق
وبقيله الثامن أن ينتصب على حذف حرف القسم كقوله فذاك أمانة الله الثريد وقرأ الأعرج
وأبو قلابة ومجاهد والحسن بالرفع وفيه أوجه الرفع عطفا على علم الساعة بتقدير مضاف أي
وعنده علم قيله ثم حذف وأقيم هذا مقامه الثاني أنه مرفوع بالابتداء والجملة من قوله يا رب
إلى آخره هو الخبر الثالث أنه مبتدأ وخبره محذوف تقديره وقيله كيت وكيت مسموع أو متقبل
الرابع أنه مبتدأ وأصله القسم كقولهم ايمن الله ولعمر الله فيكون خبره محذوفا والجواب كما تقدم
ذكره الزمخشري أيضا واختار القراءة بالنصب جماعة قال النحاس القراءة البينة بالنصب من وجهين

مقابلة

أحدهما أن التفرقة بين المنصوب وما عطف عليه مغتفرة بخلافها بين المخفوض وما عطف عليه والثانية تفسير أهل التأويل بمعنى النصب كأنه يريد ما قال أبو عبيدة قال إنما هي في التفسير أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ولا نسمع قيله يا رب ولم ير نص الزمخشري من الأوجه المتقدمة شيئا وإنما اختار أن يكون قسما في القراءات الثلاث وتقدم تحقيقها وقرأ أبو قلابة يا رب بفتح الباء على قلب الياء ألفا ثم حذفها مجتزيا عنها بالفتحة كقوله بلهف ولا بليت والأخفش يطردها قال ابن الخطيب بعد أن حكى قول الزمخشري والقول الذي ذكره الزمخشري متكلف أيضا وههنا إضمارا امتلأ القرآن منه وهو إضمار اذكر والتقدير في قراءة النصب واذكر قيله يا رب وفي قراءة الجر واذكر وقت قيله يا رب وإذا أوجب التزام إضمار ما جرت العادة في القرآن بالتزامه فالتزام إضماره أولى من غيره وعن ابن عباس أنه قيل في تفسير قوله وقيله يا رب المراد وقيل يا رب والهاء زائدة فصل قوله فسوف يعلمون قرأ نافع وابن عامر بتاء الخطاب التفاتا والباقون بياء الغيبة نظرا لما تقدم قال ابن عباس قوله فاصفح عنهم وقل سلام منسوخ بآية السيف قال ابن الخطيب وعندي التزام النسخ في مثل هذه المواضع مشكل لأن الأمر لا يفيد الفعل إلا مرة واحدة فسقط دلالة اللفظ فأي حاجة إلى التزام النسخ وأيضا فاللفظ المطلق قد يتقيد بحسب العرف وإذا كان كذلك فلا حاجة فيه إلى التزام النسخ والله أعلم روى أبو أمامة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان

وهي تسع وخمسون آية وثلثمائة وست وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وواحد وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم والكتاب المبين فيه احتمالان الأول أن يكون التقدير هذه حم والكتاب المبين كقولك هذا زيد والله الثاني أن يكون التقدير حم والكتاب المبين إنا أنزلناه فيكون في ذلك تقدير قسمين على شيء واحد قوله إنا أنزلناه يجوز أن يكون جواب القسم وأن يكون اعتراضا والجواب قوله إنا كنا منذرين واختاره ابن عطية وقيل إنا كنا مستأنف أو جواب ثان من غير عاطف قوله فيها يفرق يجوز أن تكون مستأنفة وأن تكون صفة لليلة وما بينهما اعتراض قال الزمخشري فإن قلت إنا كنا منذرين فيها يفرق ما موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذي هو إنا أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير وكان إنزالنا في هذه الليلة خصوصا لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة وهذه الليلة يفرق فيها كل أمر حكيم وقرأ الحسن والأعرج والأعمش يفرق بفتح الياء وضم الراء كل بالنصب أي يفرق الله كل أمر وزيد بن علي بنون العظمة كل بالنصب كذا نقله الزمخشري ونقل عنه الأهوازي يفرق بفتح الياء وكسر الراء كل بالنصب حكيم بالرفع على أنه فاعل يفرق وعن الحسن والأعمش أيضا يفرق كالعامة إلا أنه بالتشديد فصل استدلوا بهذه الآية على حدوث القرآن من وجوه الأول أن قوله حم تقديره هذه حم يعني هذا شيء مؤلف من هذه الحروف والمؤلف من الحروف المتعاقبة محدث الثاني أنه ثبت أن الحلف لا يصح بهذه الأشياء بل بإله هذه الأشياء فيكون التقدير ورب حم ورب الكتاب المبين وكل ما كان مربوبا فهو محدث الثالث أنه وصفه بكونه كتابا والكتاب مشتق من الكتب وهو الجمع فمعناه أنه مجموع والمجموع محل تصرف الغير وما كان كذلك فهو محدث الرابع قوله إنا أنزلناه والمنزل محل تصرف الغير وما كان كذلك فهو محدث قال ابن الخطيب وقد ذكرنا أن جميع هذه الدلائل تدل على أن الشيء المركب من الحروف المتعاقبة والأصوات المتوالية محدث والعلم بذلك ضروري بديهي لا نزاع فيه إنما القديم شيء آخر سوى ما تركب من الحروف والأصوات فصل يجوز أن يكون المراد بالكتاب ههنا الكتب المتقدمة المنزلة على الأنبياء كما قال لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ويجوز أن يكون المراد به اللوح المحفوظ قال تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وقال وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز أن يكون المراد به القرآن وبهذا التقدير فقد أقسم بالقرآن على أنه أنزل القرآن في ليلة مباركة وهذا النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم القرآن فقد يقول الرجل إذا أراد تعظيم الرجل له إليه حاجة أستشفع بك إليك وأقسم بحقك عليك وجاء في الحديث أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك قوله المبين هو المشتمل على بيان ما بالناس من حاجة إليه في دينهم ودنياهم فوصفه بكونه مبينا وإذا كانت حقيقة الإبانة لله تعالى لأن الإبانة حصلت به كقوله تعالى إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل وقوله نحن نقص عليك أحسن

القصص

القصص وقوله أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون فوصفه بالتكلم إذا كان غاية في الإبانة فكأنه ذو لسان ينطق مبالغة في وصفه فصل روى ابن عطية الحروري سأل ابن عباس عن قوله إنا أنزلناه في ليلة القدر كيف يصح ذلك مع أن الله أنزل القرآن في جميع الشهور فقال ابن عباس يا ابن الأسود لو هلكت أنا ووقع في نفسك هذا ولم تجد جوابه لهلكت نزل القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى البيت المعمور في السماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك في أنواع الوقائع حالا فحالا قال قتادة وابن زيد أنزل الله القرآن في ليلة القدر من أم الكتاب إلى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في عشرين سنة قوله إنا كنا منذرين يعني أن الحكمة في إنزال القرآن أن إنذار الخلق لا يتم إلا به قوله فيها أي في الليلة المباركة يفرق يفصل كل أمر حكيم محكم قال ابن عباس يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال حتى الحاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقال الحسن ومجاهد وقتادة يبرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق وما يكون في تلك السنة وقال عكرمة هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وينسخ الأحياء من الأموات فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أحد قال عليه السلام تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل لينكح ويولد له ولقد أخرج اسمه في الموتى وعن ابن عباس أن الله يقضي الأقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها إلى أربابها في ليلة القدر وروي أن الله تعالى أنزل كل القرآن من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ووقع الفراغ في ليلة القدر فدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل ونسخة الحروب إلى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الأعمال إلى إسرافيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت قوله أمرا فيه اثنا عشر وجها أحدها أن ينتصب حالا من فاعل أنزلناه الثاني أنه حال من مفعوله أي أنزلناه آمرين أو مأمورا به الثالث أن يكون مفعولا له وناصبه إما أنزلناه وإما منذرين وإما يفرق الرابع أنه مصدر من معنى يفرق أي فرقا الخامس أنه مصدر لأمرنا محذوفا السادس أن يكون يفرق بمعنى يأمر والفرق بين هذا وما تقدم أنك رددت في هذا العامل إلى المصدر وفيما تقدم بالعكس السابع أنه حال من كل حكى أبو علي الفارسي عن الحسن أنه حمل قوله أمرا على الحال وذو الحال كل أمر حكيم الثامن أنه حال من أمر وجاز ذلك لأنه وصف إلا أن فيه شيئين مجيء الحال من المضاف إليه في غير المواضع المذكورة والثاني أنها مؤكدة التاسع أنه مصدر لأنزل أي إنا أنزلناه إنزالا قاله الأخفش العاشر أنه مصدر لكن بتأويل العامل فيه إلى معناه أي أمرنا به أمرا بسبب الإنزال كما قالوا ذلك في وجهي يفرق فرقا أو ينزل إنزالا الحادي عشر أنه منصوب على الاختصاص قاله الزمخشري ولا يعني بذلك الاختصاص الاصطلاحي فإنه لا يكون نكرة الثاني عشر أن يكون حالا من الضمير في حكيم الثالث عشر أن ينتصب مفعولا به بمنذرين كقوله لينذر بأسا شديدا من لدنه ويكون المفعول الأول محذوفا أي منذرين الناس أمرا والحاصل أن انتصابه يرجع إلى أربعة أشياء المفعول به والمفعول له والمصدرية والحالية وإنما التكثير بحسب المحال وقرأ زيد بن علي أمر بالرفع قال الزمخشري وهي تقوي النصب على الاختصاص قوله من عندنا يجوز أن يتعلق بيفرق أي من جهتنا وهي لابتداء الغاية مجازا ويجوز أن تكون صفة لأمرا قوله إنا كنا مرسلين جواب ثالث أو مستأنف أو بدل من قوله إنا كنا منذرين قال ابن الخطيب أي إنا فعلنا ذلك الإنذار لأجل إنا كنا مرسلين يعني الأنبياء قوله رحمة فيها خمسة أوجه المفعول له والعامل فيه إما أنزلناه وإما أمرا وإما يفرق وإما منذرين الثاني مصدر بفعل مقدر أي رحمنا رحمة الثالث مفعول بمرسلين الرابع حال من ضمير مرسلين أي ذوي رحمة الخامس أنها بدل من أمرا فيجيء فيها ما تقدم فيه ويكثر الأوجه فيها حينئذ ومن ربك يتعلق برحمة أو بمحذوف على أنها صفة وفي من ربك التفات من التكلم إلى الغيبة ولو جرى على منوال ما تقدم لقال رحمة منا فصل قال ابن عباس معنى رحمة من ربك أي رأفة مني بخلقي ونعمة عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل وقال الزجاج أنزلناه في ليلة مباركة إنه هو السميع العليم أي أن تلك الرحمة كانت رحمة في الحقيقة لأن المحتاجين إما أن يذكروا حاجاتهم بألسنتهم أو لم يذكروها فإن ذكروها فهو سميع وإن لم يذكروها فهو تعالى عالم بها قوله رب السموات والأرض قرأ الكوفيون بخفض رب والباقون برفعه فالجر على البدل أو البيان أو النعت والرفع على إضمار مبتدأ أو على أنه مبتدأ خبره لا إله إلا هو فصل المقصود من هذه الآية أن المنزل إذا كان موصوفا بهذه الجلالة والكبرياء كان المنزل الذي هو القرآن في غاية الشرف والرفعة ثم قال إن كنتم موقنين قال أبو مسلم معناه إن كنتم موقنين قال أبو مسلم معناه إن كنتم تطلبون اليقين وتريدونه فاعرفوا أن الأمر كما قلنا كقولهم فلان منجد متهم أي يريد منجدا وتهامة وقال الزمخشري

كانوا يعرفون بان رب السموات والارض ربهما خالقهما فقيل لهم انا ارسلنا الرسل وانزلنا الكتب رحمة من الرب ثم قال ان هذا الرب هو السميع العليم الذى انتم به مقرون ومعترفون رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وتيقن كما يقول هذا انعام زيد الذى تسامع الناس بكرمه اى بلغك حديثه وسمعت بصيته والمعنى ان كنتم موقنين بقوله بل هم فى شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزؤ ولعب قوله ربكم ورب اباءكم العامة على الرفع بدلا او بيانا او نعتا لرب السموات فيمن رفعه او على انه مبتدا والخبر لا اله الا هو او خبر بعد خبر لقوله انه هو السميع العليم او خبر مبتدا مضمر عند الجميع اعنى قرا الجر والرفع او فاعل لقوله يميت وفى يحيى ضمير يرجع الى ما قبله اى يحيى هو اى رب السموات ويميت هو فاوقع الظاهر موقع المضمر ويجوز ان يكون يحيى ويميت من التنازع ويكون انه ينسب الرفع الى الاول والثانى نحو يقوم ويقعد زيد وهذا عنى ابو البقا بقوله او على شريطة التفسير وقرا ابن محيصن وابن ابى اسحق وابو حيوة والحسن بالجر على البدل او البيان او النعت لرب السموات وهذا يوجب ان يكونوا يقرون رب السموات بالجر والانطاكى بالنصب على المدح قوله تعالى فارتقب يوم تاتى السما الاية يوم منصوب بارتقب على الظرف ومفعول الارتقاب محذوف لا لما يدل عليه وهو قوله هذا عذاب اليم اى ارتقب وعد الله فى ذلك اليوم ويجوز ان يكون يوم هو المفعول المرتقب فصل ظاهر الحال انه دخان يغشى الناس اى يشملهم وهو فى محل جر صفة ثانية اى بدخان مبين غاش وقوله هذا عذاب اليم فى محل نصب القول وذلك القول حال اى قائلين ذلك ويجوز ان لا يكون معمولا لقول البتة بل هو مجرد اخبار قال الجرجانى صاحب النظم هذا اشارة اليه وانجاز عن دنوه واقترابه كما يقال هذا العدو فاستقبله والغرض منه التنبيه على القرب قوله ربنا اكشف عنا العذاب ان اضمرنا القول هناك فالتقدير يقولون هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب وان لم نضمر القول هناك اضمرناه ههنا والعذاب على القول الثانى الدخان المهلك انا مؤمنون اى بمحمد وبالقران والمراد منه الوعد بالايمان ان كشف عنهم العذاب قوله انى لهم الذكرى يجوز ان يكون انى خبر الذكرى ولهم تبيين ويجوز ان يكون انى منصوبا على الظرف بالاستقرار فى لهم وقع خبر الذكرى قوله وقد جاءهم حال من لهم والمعنى كيف يتعظون اى من اين لهم التذكرة والاتعاظ وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل فى وجوب الطاعة وهو رسول مبين ظاهر الصدق يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وما ظهر عليه من المعجزات ثم تولوا عنه اعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه وقالوا معلم مجنون وذلك ان كفار مكة منهم من كان يقول ان محمدا يتعلم هذه الكلمات من بعض الناس لقوله انما يعلمه بشر وقوله واعانه عليه قوم اخرون ومنهم من كان يقول انه مجنون والجن يلقون عليه هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشى وقرا زيد بن على معلم بكسر اللام قوله انا كاشفوا العذاب اى عذاب الجوع قليلا نعت لزمان او لمصدر محذوف اى كشفا قليلا او زمانا قليلا يعنى ليسير انكم عائدون اى كما نكشف العذاب عنكم تعودون فى الحال الى ما كنتم عليه من الشرك قوله يوم نبطش قيل هو بدل من يوم تاتى وقيل منصوب باضمار اذكر وقيل بمنتقمون وقيل بما دل عليه منتقمون وهو ينتقم ورد هذا بان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وبانه لا يفسح الا ما يصح ان يعمل وقرا العامة بفتح نون نبطش وكسر الطا اى نبطش بهم وقرا الحسن وابو جعفر بضم الطا وهى لغة فى مضارع بطش والحسن ايضا وابو رجا وطلحة بضم النون وكسر الطا وهو منقول من بطش اى نبطش بهم الملائكة والبطشة على هذا يجوز ان تكون منصوبة بنبطش على حذف الزائد نحو انبتكم من الارض نباتا وان تنتصب بفعل مقدر اى تبطش الملائكة بهم فيبطشون البطشة والبطش الاخذ بالشدة واكثر ما يكون بوقع الضرب المتتابع ثم صار بحيث يستعمل فى اتصال الالام المتتابعة قوله تعالى ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون الاية لما بين ان كفار مكة مصرون على كفرهم بين ان كثيرا من المتقدمين ايضا كانوا كذلك وبين حصول هذه الصفة فى اكثر قوم فرعون قوله ولقد فتنا قرى ولقد فتّنا بالتشديد على المبالغة او التكثير لكثرة متعلقه وجاءهم رسول تحتمل الاستيناف والحال فصل قال ابن عباس ابتلينا وقال الزجاج بلونا والمعنى عاملناهم معاملة المختبر ببعث الرسول اليهم وجاءهم رسول كريم اى موسى بن عمران قاله الكلبى كريم على ربه بمعنى انه استحق على ربه انواعا كثيرة من الاكرام وقال مقاتل حسن الخلق وقال الفرا يقال فلان كريم قومه قيل ما بعث نبى رسول الا من اشراف قومه واكرمهم قوله ان ادوا الى عباد الله يجوز ان تكون المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول وان تكون المخففة ومعناه وجاءهم بان الشان والحديث ادوا الى عباد الله وان تكون الناصبة للمضارع وهى توصل بالامر وفى جعلها مخففة اشكال تقدم

وهو ان

وهو ان الخبر فى هذا الباب لا يقع طلبا وعلى جعلها مصدرية تكون على حذف حرف الجر اى جاءهم بان ادوا وعباد الله يحتمل ان يكون مفعولا به وذلك انه طلب منهم ان يؤدوا اليه بنى اسرائيل بدليل قوله فارسل معى بنى اسرائيل وان يكون منادى والمفعول محذوف اى ادوا الى الطاعة يا عباد الله وعلل بانه رسول امين قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته قوله وان لا تعلوا على الله عطف على ان الاولى والمعنى لا تتكبروا على الله باهانة وحيه ورسوله انى اتيكم بسلطان مبين بحجة بينة يعترف بصحتها كل عاقل والعامة على كسر الهمزة من قوله انى اتيكم على الاستيناف وقرى بالفتح على تقدير اللام اى وان لا تعلوا لانى اتيكم قوله وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون اى من ان ترجمون وقوله انى عذت مستانف وادغم الذال فى التا ابو عمرو والاخوان وقد مضى توجيهه فى طه عند قوله فنبذتها قوله فدعا ربه ان فى دعا لدلالة على انه متصل بمحذوف قبله وتاويله انهم كفروا ولم يؤمنوا فدعا موسى ربه بان هؤلاء قوم مجرمون فان قيل الكفر اعظم حالا من الجرم فما السبب فى ان جعل الكفار مجرمين حال ما اراد المبالغة فى ذمهم فالجواب ان الكافر قد يكون عدلا فى دينه وقد يكون فاسقا فى دينه والفاسق فى دينه اخس الناس قوله ان هؤلاء العامة على الفتح باضمار حرف الجر اى دعاه بان هؤلاء وابن ابى اسحق وعيسى والحسن بالكسر على اضمار القول عند البصريين وعلى اجراء دعا مجرى القول عند الكوفيين قوله فاسر بعبادى قرا الحرميان بالوصل والباقون بالقطع وقال الزمخشرى وفيه وجهان اضمار القول بعد الفاء اى فقال اسر بعبادى وجواب شرط محذوف كانه قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادى قال ابو حيان وكثيرا ما يدعى حذف الشرط ولا يجوز الا لدليل واضح كان يتقدمه الامر او ما اشبهه فصل يقال سرى واسرى لغتان لما قال موسى ان هؤلاء قوم مجرمون اجاب الله دعاءه وامره ان يسرى فقال فاسر بعبادى اى بنى اسرائيل ليلا انكم متبعون يتبعكم فرعون وقومه وذلك سبب هلاكهم قوله واترك البحر رهوا مفعولا ثانيا على ان ترك بمعنى صير وان يكون حالا على انها ليست بمعناها والرهو قيل السكون فالمعنى اتركه ساكنا يقال رها يرهو رهوا ومنه جاءت الخيل رهوا قال النابغة

والخيل تمزع رهوا فى اعنتها ... كالطير تنجو من الشؤبوب ذى البرد

ورها يرهو فى سيره اى رفق قال القطامى

يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ... ولا الصدور على الاعجاز تتكل

وعن ابى عبيدة رهوا اى تركه منفتحا فرجا على ما تركته روى انه لما انفلق البحر لموسى وطلع منه خاف ان يتبعه فرعون فاراد ان يضربه ليعود حتى لا يلحقوه فامر ان يتركه فرجا واصله من قولهم رها الرجل يرهو رهوا فتح ما بين رجليه والرهو والرهوة المكان المرتفع او المنخفض يجتمع فيه الما فهو من الاضداد والرهوة المراة الواسعة الهن والرهو طائر يقال له الكركى وقد تقدم الكلام فى الشعر اعلى نظير كم تركوا من جنات قوله ومقام العامة على فتح الميم وهو اسم مكان القيام وابن هرمز وقتادة وابن السميفع ونافع فى رواية خارجة بضمها اسم مكان الاقامة والنعمة بالفتح نضارة العيش ولذاذته والجمهور على جرها ونصبها ابو رجا عطفا على كم اى تركوا كثيرا من كذا وتركوا نعمة قوله فاكهين العامة على الالف اى طيبين الانفس او اصحاب فاكهة كلابن وتامر وقيل فاكهين لاهين وقرا الحسن وابو رجا فكهين اى مستخفين مستهزئين بنعمة الله قال الجوهرى يقال فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان مزاحا والفكه ايضا الاشر البطر قوله كذلك يجوز ان تكون الكاف مرفوعة المحل خبر المبتدا مضمر اى الامر كذلك واليه نحا الزجاج ويجوز ان تكون منصوبة المحل فقدرها الحوفى اهلكنا اهلاكا وانتقمنا انتقاما كذلك وقال الكلبى كذلك افعل بمن عصانى وقيل تقديره يفعل فعلا كذلك وقال ابو البقا تركا كذلك فجعله نعتا للترك المحذوف وعلى هذه الاوجه كلها يوقف على كذلك ويبتدا واورثناها قوما اخرين ليسوا منهم يعنى بنى اسرائيل وعلى هذا يكون واورثناها معطوفا على تلك الجملة الناصبة للكاف فلا يجوز الوقف على كذلك حينئذ قوله فما بكت عليهم السما يجوز ان يكون استعارة كقول الفرزدق

الشمس طالعة ليست بكاسفة ... تبكى عليك نجوم الليل والقمرا

وقال جرير

لما اتى خبر الزبير تواضعت ... سور المدينة والجبال الخشع

وقال النابغة

بكى حارث الجولان من فقد ربه ... وحوران منه خاشع متضائل

قوله تعالى ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب وهو قتل الابناء واستحيا النساء والتعب فى العمل واعلم ان دفع الضرر مقدم على ايصال النفع فبدا تعالى ببيان دفع الضرر عنهم فقال ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين قوله من فرعون فيه وجهان احدهما انه بدل من العذاب اما على حذف مضاف اى من عذاب فرعون واما على المبالغة جعله نفس العذاب فابدله منه والثانى انه حال من العذاب تقديره صادرا من فرعون وقرا عبد الله من عذاب المهين وهى من اضافة الموصوف لصفته اذ الاصل العذاب المهين كالبقلة الحمقا وقرا ابن عباس من فرعون بفتح ميم من ورفع فرعون على الابتدا والخبر وهو استفهام تحقير كقولك من انت

وربما ترى بين حالة بالجملة بعد في قوله انه كان عاليا من المسرفين ٭ والمقصد هل تعرفون من هو في عتوه وشيطنته
ثم عرف حاله بقوله انه كان عاليا من المسرفين اي كان عالي الدرجة في طبقة المسرفين ٭ ويجوز ان يكون
المراد انه كان عاليا لقوله ان فرعون علا في الارض وكان ايضا مسرفا ومن اسرافه انه كان على حقارته
وخسته ادعى الالهية ولما بين الله تعالى انه كيف دفع عن بني اسرائيل الضرر بين انه كيف اوصل اليهم
الخيرات فقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين والمراد اخترنا مؤمني بني اسرائيل على عالمي زمانهم قوله على علم
على متعلقة بمحذوف لانها حال من الفاعل في اخترناهم وعلى العالمين متعلقة باخترناهم وفي عبارة ابي حيان
انه لما اختلف مدلولهما جاز تعلقهما باخترنا والسؤال على ذلك
ثم قال فعلى علم حال اما من الفاعل
ويوما على ظهر الكثيب تعذرت ٭ علي وآلت حلفة لم تحلل
او من المفعول وعلى ظهر حال من الفاعل في تعذرت والعامل في الحال هو العامل في صاحبها وفي هذا نظر لان
قوله اولا وكذلك تعلقا بفعل واحد لما اختلف المدلول بناء على جعل الاولى حالا لانها لم تتعلق به ٭ وقوله
والعامل في الحال هو العامل في صاحبها لا يتفق في ذلك فصل قيل هذه الآية تدل على كونهم من افضل
من كل العالمين ٭ واجيب بان المراد على عالمي زمانهم ٭ وقيل هذا عام دخله التخصيص كقوله كنتم خير امة اخرجت
للناس قوله وآتيناهم من الآيات مثل فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعم التي انعمها
عليهم ٭ وقال ابن زيد ابتلاهم بالرخاء والشدة ٭ وقرأ ونبلوكم بالشر والخير فتنة لانه تعالى كما يبتلو بالمحنة
فقد يبتلو ايضا بالنعمة ليتميز به الصديق من الزنديق وههنا آخر الكلام على قصة موسى عليه السلام قوله
ان هؤلاء ليقولون يعني مشركي مكة ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين ٭ بمبعوثين بعد
موتنا واعلم انه رجع الى ذكر كفار مكة لان الكلام كان فيهم حيث قال بل هم في شك يلعبون اي بل هم في
شك من البعث والقيامة ثم بين كيفية اصرارهم على كفرهم ثم بين ان قوم فرعون كانوا في الاصرار على
الكفر مثلهم وبين كيف اهلكهم وكيف انعم على بني اسرائيل ثم رجع الى كفار مكة وانكارهم للبعث فقال
ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى ٭ فان قيل القوم كانوا ينكرون الحياة الثانية فكان من حقهم
ان يقولوا ان هي الا حياتنا الاولى وما نحن بمنشرين ٭ فالجواب قال الزمخشري انه قيل لهم انكم
تموتون موتة يعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة كقوله كنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من شأنها ان يعقبها حياة
الا الموتة الاولى خاصة ٭ ولا فرق اذن بين هذا الكلام وبين قوله ان هي الا حياتنا الاولى يعني انه
لا يأتينا من الاحوال الشديدة الا الموتة الاولى وهذا الكلام لا يدل على انهم لا يأتيهم الحياة الثانية
البتة ثم صرحوا بهذا المرموز فقالوا وما نحن بمنشرين ولا حاجة الى التكلف الذي ذكره الزمخشري ثم
ان الكفار احتجوا على نفي الحشر والنشر بان قالوا ان كان البعث والنشر ممكنا معقولا فعجلوا لنا احياء من مات
من آبائنا ان كنتم صادقين في دعوى النبوة والبعث في القيامة قيل طلبوا من الرسول صلى الله عليه
وسلم ان يدعو الله حتى ينشر قصي بن كلاب ليشاوروه في صحة نبوة محمد وفي صحة البعث ولما حكى الله
عنهم ذلك قال اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وهذا استفهام على
سبيل الانكار ٭ قال ابو عبيدة ملوك اليمن كل واحد منهم يسمى تبعا لان اهل الدنيا كانوا يتبعونه وموضع
تبع في الجاهلية موضع الخليفة في الاسلام وهم الاعاظم من ملوك العرب ٭ قالت عائشة رضي الله
عنها كان تبع رجلا صالحا وقال ان الله ذم قومه ولم يذمه ٭ وقال الكلبي هو ابو كرب ابو سعد ٭ وعن
النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم ٭ وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادري اكان تبعا
نبيا ام غير نبي ٭ وقال قتادة هو تبع الحميري وكان سار بالجيوش حتى حير الحيرة وبنى سمرقند وكان من
ملوك اليمن سمي تبعا لكثرة اتباعه كل واحد منهم يسمى تبعا لانه يتبع صاحبه وكان هذا يعبد النار
فاسلم ودعا قومه الى الاسلام وهم حمير فكذبوه ٭ فان قيل ما معنى قوله اهم خير ام قوم تبع مع انه لا خير
في الفريقين ٭ فالجواب ان معناه اهم خير في القوة والشوكة كقوله تعالى اكفاركم خير من اولئكم
بعد ذكر آل فرعون قوله والذين من قبلهم يجوز فيه ثلاثة اوجه ٭ احدها ان يكون معطوفا على قوم
تبع ٭ الثاني ان يكون مبتدأ وخبره ما بعده من اهلكناهم واما على الاول فاهلكناهم اما مستأنف
واما حال من الضمير المستكن في الصلة ٭ الثالث ان يكون منصوبا بفعل مقدر يفسره اهلكناهم ولا
محل لاهلكناهم حينئذ قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لما انكر على كفار مكة قولهم
ووبخهم بانهم اضعف ممن كان قبلهم ذكر الدليل القاطع على صحة القول بالبعث والقيامة فقال

وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين اي لو لم يحصل البعث لكان هذا الخلق لعبا وعبثا وقد تقدم
تقرير هذا الدليل في اول سورة يونس وفي آخر المؤمنين عند قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وفي ص
عند قوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وتقدم ايضا استدلال المعتزلة بنظير هذه الآية
على انه تعالى لا يخلق الكفر والفسوق ولا يريدهما وتقدم جوابه قوله لاعبين حال ٭ وقرأ عمرو بن عبيد
وما بينهن لان السموات والارض جمع والعامة بينهما باعتبار النوعين قوله الا بالحق حال اما من الفاعل
وهو الظاهر واما من المفعول اي الا محقين او ملتبسين بالحق ثم قال ولكن اكثرهم لا يعلمون ٭ يعني اهل مكة
قوله ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين العامة على رفع ميقاتهم خبر ان ٭ وقرئ بنصبه على انه اسم ان ويوم الفصل
خبره واجمعين تأكيد للضمير المجرور قوله يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه ولا هم ينصرون
اي ليس لهم ناصر يمنعهم من عذاب الله ٭ واعلم ان القريب اما في الدين او في النسب او المعتق وكل هؤلاء يسمون
بالمولى فلما لم تحصل النصرة منهم فبان لا تحصل ممن سواهم اولى ٭ ونظير هذه الآية قوله تعالى واتقوا
يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الى قوله ولا هم ينصرون ٭ قال الواحدي المراد بقوله مولى عن مولى الكفار لانه
ذكر بعده المؤمن فقال الا من رحم الله ٭ قال ابن عباس يريد المؤمن فانه تشفع له الانبياء والملائكة قوله
ولا هم جمع الضمير عائدا به على مولى وان كان مفردا لانه قصد معناه فجمع وهو نكرة في سياق النفي فعم قوله الا
من رحم الله يجوز فيه اربعة اوجه ٭ احدها وهو قول الكسائي انه منقطع ٭ الثاني انه متصل تقديره لا يغني
قريب عن قريب الا المؤمنين فانهم يؤذن لهم في الشفاعة فيشفعون في بعضهم كما تقدم عن ابن عباس الثالث
ان يكون مرفوعا على البدلية من مولى الاول ويكون يغني بمعنى ينفع قاله الحوفي ٭ الرابع انه مرفوع المحل ايضا
على البدل من واو ينصرون اي لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله قوله ان شجرة الزقوم لما وصف اليوم ذكر بعده
وعيد الكفار قال الزمخشري وفي شجرة ثلاث لغات كسر الشين وضمها وفتحها وتقدم لفظ الزقوم في سورة الصافات
والاثيم صيغة مبالغة ويقال له الاثوم كالصبور والشكور والاثيم اي ذي الاثم ٭ قال المفسرون هو ابو جهل
قالت المعتزلة هذه الآية تدل على حصول هذا الوعيد للاثيم وهو الذي صدر عنه الاثم فيكون حاصلا للفساق ٭ والجواب
ان اللفظ المفرد الذي دخل عليه حرف التعريف الاصل فيه ان ينصرف الى المذكور السابق ولا يفيد العموم
والمذكور السابق هنا هو الكفار فينصرف اليه ٭ فصل مذهب ابي حنيفة ان قراءة القرآن بالمعنى جائزة واحتج
عليه بانه نقل عن ابن مسعود انه كان يقرئ رجلا هذه الآية فكان يقول طعام اليتيم فقال طعام الفاجر
وهذا الدليل في غاية الضعف على ما بين في الفقه قوله كالمهل يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون خبر مبتدأ مضمر
اي هو كالمهل ولا يجوز ان يكون حالا من طعام الاثيم قاله ابو البقاء لانه لا عامل اذن وفيه نظر لانه يجوز ان
يكون حالا والعامل فيه معنى التشبيه كقولك زيد اخوك شجاعا ٭ والمهل قيل دردي الزيت ٭ وقيل عكر القطران
وقيل ما اذيب من ذهب او فضة ٭ وقيل ما اذيب منهما ومن كل ما في معناهما من المنطبعات كالحديد والرصاص
والنحاس والمهل بالفتح التؤدة والرفق ومنه فمهل الكافرين ٭ وقرأ الحسن كالمهل بفتح الميم فقط وهي لغة
في المهل بالضم وتقدم تفسيره في الكهف قوله تغلي قرأ ابن كثير وحفص بالياء من تحت والفاعل ضمير يعود
على طعام وجوز ابو البقاء يعود على الزقوم ٭ وقيل يعود على المهل نفسه ويغلي حال من الضمير المستتر في الجار
اي شبيها بالمهل غاليا ٭ ويجوز ان يكون حالا من المهل نفسه ٭ وجوز ابو البقاء ان يكون خبر مبتدأ محذوف
اي هو يغلي اي الزقوم او الطعام والباقون تغلي بالتاء من فوق على ان الفاعل ضمير الشجرة والجملة خبر ثان او حال
على رأي او خبر مبتدأ مضمر اي هي تغلي قوله كغلي الحميم نعت لمصدر محذوف او حال من ضميره اي تغلي غليا
مثل غلي الحميم او تغليه مشبها غلي الحميم ٭ قال ابن الخطيب واعلم انه لا يجوز ان يحمل الغلي على المهل لان المهل مشبه
به وانما يغلي ما يشبه بالمهل كغلي الحميم وهو الماء اذا اشتدت حرارته قوله خذوه فاعتلوه قرأ نافع وابن
كثير وابن عامر بضم عين اعتلوه والباقون بكسرها وهما لغتان في مضارع عتله اي ساقه بجفاء وغلظة
كعرش يعرش ويعرش والعتل الجافي الغليظ ٭ قال الليث العتل ان تأخذ بتلبيب الرجل فتعتله اي تجره اليك
وتذهب به الى حبس او محنة واخذ فلان بزمام الناقة فعتلها وذلك اذا قبض على اصل الزمام عند الرأس
وقادها قودا عنيفا ٭ وقال ابن السكيت عتلته الى السجن وعتنته اذا دفعته دفعا عنيفا قوله الى سواء
الجحيم اي الى وسط الجحيم ٭ ومعنى الآية انه يقال للزبانية خذوه اي الاثيم فاعتلوه اي سوقوه بعنف
الى وسط الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم كقوله يصب من فوق رؤوسهم الحميم الا ان هذه
الاستعارة اكمل في المبالغة كانه يقول صبوا عليه عذاب ذلك الحميم ونظيره قوله تعالى ربنا افرغ علينا
صبرا قوله ذق انك انت قرأ الكسائي بفتح همزة انك على معنى العلة اي لانك ٭ وقيل تقديره ذق عذاب

المجيبوا انك انت العزيز وقرأ الباقون بالكسر على الاستئناف المفيد للعلة فيحتمل القراءتان معنى وهذا الكلام على سبيل التهكم
وهو اغيظ للمستهزأ به ومثله قول جرير لشاعر سمى نفسه زهرة اليمن

الم تكن في وسوم قد رسمت بها • من كان موعظة يا زهرة اليمن

ومعنى الاية انك
ابلغ كليبا وابلغ عنك شاعرها • انى الاعز وانى زهرة اليمن

بالصلمة روى ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا اكرم منى فوالله ما تستطيع
انت ولا ربك ان تفعلا بى شيئا وروى ان خزنة جهنم تقول للكافر هذا الكلام استخفافا بهم وتوبيخا ان هذا ما
كنتم به تمترون اى تشكون فيه ولا تؤمنون به قوله ان المتقين فى مقام لما ذكر وعيد الكفار اردفهم بآية
الوعد فقال ان المتقين قال اهل السنة كل من اتقى الشرك صدق عليه انه متقى فوجب ان يدخل الفساق فى هذا
الوعد فقال فى مقام امين قرأ اهل المدينة والشام بضم ميم مقام على المصدر اى فى اقامة وقرأ الباقون بفتح
الميم اى فى مجلس امين امنوا فيه من الغير قال الزمخشرى المقام بفتح الميم هو موضع القيام والمراد المكان وهو من
الخاص الذى جعل مستعملا فى المعنى العام وبالضم هو موضع الاقامة والامين من قولك امن الرجل امانة فهو امين
وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كان يخون صاحبه قوله فى جنات يجوز ان يكون
بدلا من قوله فى مقام بتكرير العامل ويجوز ان يكون خبرا ثانيا وقوله يلبسون يجوز ان يكون حالا من الضمير
المستكن فى الجار وان يكون خبرا وان يتعلق الجار به وان يكون مستأنفا وقوله متقابلين حال من فاعل يلبسون
وتقدم تفسير السندس والاستبرق والمقام قوله كذلك فى هذا الكاف وجهان احدهما النصب نعتا لمصدر
اى نفعل بالمتقين فعلا كذلك اى مثل ذلك الفعل والثانى الرفع على خبر ابتداء مضمر اى الامر كذلك وقدره
ابو البقاء فيه جملة فقال تقديره فعلنا ذلك والامر كذلك ولا حاجة اليه والوقف على كذلك والابتداء بقوله
وزوجناهم قوله بحور عين العامة على تنوين حور موصوفا بعين وعكرمة لم ينون اضافهن لان يتقسمن الى عين
وغير عين وتقدم تفسير الحور العين فان قيل المراد بجلوسهم متقابلين استئناس بعضهم ببعض والجلوس على هذه
الصفة موحش لانه يكون كل واحد منهم مطلعا على ما يفعل الآخر وايضا فالقليل الثواب اذا اطلع على حال من يكثر
ثوابه ينغص عليه فالجواب ان احوال الآخرة بخلاف احوال الدنيا فصل قال ابو عبيدة معنى زوجناهم
اى جعلناهم ازواجا كما يزوج النعل بالنعل اى جعلنا لهم اثنين اثنين واختلفوا فى هذا اللفظ هل يدل على حصول
عقد التزويج ام لا فقال يونس قوله تعالى وزوجناهم بحور عين اى قرناهم بهن وليس من عقد التزويج
والعرب لا تقول تزوجت بها وانما تقول تزوجتها قال الواحدى والتنزيل يدل على ما قال يونس وذلك
قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ولو كان المراد تزوجت بها لقال زوجناه بها فصل قال
الواحدى واصل الحور البياض والتحوير التبييض وقد تقدم فى تفسير الحواريين وعين حوراء اذا اشتد بياض
بياضها واشتد سواد سوادها ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون حور عينيها بياضا فى لون الجسد واما العين فجمع
عيناء وهى التى تكون عظيمة العينين من النساء واسعتهما قوله يدعون فيها حال من مفعول زوجناهم ومفعوله
محذوف اى يدعون الخدم بكل فاكهة وقوله آمنين يجوز ان يكون حالا ثانية وان يكون حالا من فاعل يدعون
فيكون حالا متداخلة ومعنى آمنين اى من نفادها ومن مضرتها وقال قتادة آمنين من الموت والاوصاب
والشيطان قوله لا يذوقون يجوز ان يكون حالا من الضمير فى آمنين وان يكون حالا ثالثة او ثانية من
مفعول زوجناهم او آمنين حال من فاعل يدعون كما تقدم او صفة لآمنين او مستأنف وقرأ عمرو بن عبيد
لا يذاقون مبنيا للمفعول قوله الا الموتة الاولى فيه اوجه احدها انه استثناء منقطع اى لكن الموتة
الاولى قد ذاقوها الثانى انه متصل وتأولوه بان المؤمن عند موته فى الدنيا بمنزلته فى الجنة لمعاينته ما يعطاه
منها او لما يتيقنه من نعيمها الثالث ان الا بمعنى سوى نقله الطبرى وضعفه قال ابن عطية وليس
تضعيفه بصحيح بل هو كونها بمعنى سوى مستقيم متسق الرابع ان الا بمعنى بعد واختاره الطبرى
وأباه الجمهور لان الا بمعنى بعد لم يثبت وقال الزمخشرى فان قلت كيف استثنيت الموتة الاولى
المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفى ذوقه فيها قلت اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت
البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها فى المستقبل فهو
من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها فى المستقبل فانهم يذوقونها
فى الجنة قال شهاب الدين وهذا عند علماء البيان يسمى نفى الشئ بدليله ومثله قول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب

يعنى ان كان احد
بعد فلول السيوف من قراع الكتائب عيبا فهذا عيبهم لكن عده من العيوب محال فانتفى عنهم العيب

بدليل تعليق الامر على المحال وقال ابن عطية بعد ما حكاه عن الطبرى فيتبين انه نفى عنهم ذوق الموت وانه لا ينالهم
من ذلك غير ما تقدم فى الدنيا يعنى انه كلام محمول على معناه وقال ابن الخطيب ان من جرب شيئا ووقف
عليه صح ان يقال انه ذاقه واذا صح ان يسمى ذلك العلم بالذوق صح ان يسمى تذكره ايضا بالذوق فقوله
لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى يعنى الا الذوق الحاصل بسبب تذكر الموتة الاولى فان قيل البشارة
اهل النار لا بد وان يذوقون الموت فلم بشر اهل الجنة بهذا مع ان اهل النار يشاركونهم فيه فالجواب ان البشارة
ما وقعت بدوام الحياة بل بدوام الحياة مع سابقة حصول تلك الخيرات والسعادات فافترقا قوله
ووقاهم الجمهور على التخفيف وقرأ ابو حيوة ووقاهم بالتشديد على المبالغة ولا يكون للتعدية فانه متعد الى اثنين
قبل ذلك قوله فضلا مفعول من اجله وهو مراد مكى بقوله مصدر عمل فيه يدعون وقيل العامل فيه ووقاهم
وقيل آمنين وهذا انما يظهر على كونه مفعولا من اجله على انه يجوز ان يكون مصدرا لان يدعون وما بعده من
باب التفضل فهو مصدر ملاق لعامله فى المعنى وجعله ابو البقاء منصوبا بمقدر اى تفضلنا بذلك فضلا اى
تفضلا فصل احتج اهل السنة بهذه الآية على ان الثواب يحصل من الله فضلا واحسانا وان كل ما وصل اليه
العبد من الخلاص عن النار والفوز بالجنة فانما يحصل بفضل الله تعالى ثم قال ذلك هو الفوز العظيم وهذا يدل
على ان الفضل اعلى من درجات الثواب المستحق لانه وصفه بكونه فوزا عظيما وايضا فان الملك العظيم اذا اعطى
الاجير اجرته ثم خلع على انسان آخر فان تلك الخلعة اعلى حالا من اعطاء تلك الاجرة ولما بين الله تعالى الدلائل
وشرح الوعد والوعيد قال فانما يسرناه بلسانك اى سهلنا القرآن كناية عن غير مذكور بلغتك اى بلغة العرب
لعلهم يتذكرون يتعظون قال القاضى وهذا يدل على انه اراد من الكل الايمان ولم يرد من احد
الكفر واجيب بان الضمير فى قوله لعلهم يتذكرون عائد الى اقوام مخصوصين فيحمل ذلك على المؤمنين قوله
فارتقب اى فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون لما يحل بك متعولا الارتقاب مجاز وقيل اى فارتقب النصر من
ربك انهم مرتقبون بك ما يتمنونه من الدوائر والريب اى لن يضروك شيئا روى ابو هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان فى ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك رواه البغوى فى
تفسيره وروى الثعلبى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم التى يذكر فيها الدخان
فى ليلة جمعة اصبح مغفورا له وقال ابو امامة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ حم
الدخان ليلة الجمعة او يوم الجمعة بنى الله له بيتا فى الجنة والله تعالى اعلم بالصواب

وهى سبع وثلاثون آية واربعمائة وثمان وثمانون كلمة والفان ومائة واحدى وتسعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم قد تقدم مثله اول غافر وقال
ابو عبد الله الرازى العزيز الحكيم ان كانا صفة لله كان حقيقة وان كانا صفة للكتاب كان مجازا ورد عليه ابو
حيان جعله اياهما صفة للكتاب قال اذ لو كان كذلك لوليت الصفة موصوفها فكان يقال تنزيل الكتاب العزيز
الحكيم من الله قال لان من الله ان تعلق بتنزيل وتنزيل خبر لحم او لمبتدأ محذوف لزم الفصل به بين الصفة
والموصوف ولا يجوز كما لا يجوز اعجبنى ضرب زيد بسوط الفاضل او فى موضع الخبر وتنزيل مبتدأ فلا يجوز الفصل
به ايضا لا يجوز ضرب زيد شديد الفاضل قوله ان فى السموات والارض لآيات ان كان قوله حم قسما فتنزيل
الكتاب نعت له وجواب القسم ان فى السموات والارض واعلم ان حصول الآيات فى السموات والارض ظاهر دال على وجود
الله تعالى وقدرته مثل مقادير هما وكيفياتهما وحركاتهما وايضا الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار وتقدم
الكلام فى كيفية دلالتها على وجود الاله القادر الفاعل المختار وقوله لآيات للمؤمنين يقتضى كون هذه
مختصة بالمؤمنين وقالت المعتزلة انها آيات للمؤمن والكافر الا انه لما انتفع بها المؤمن دون الكافر
اضيف كونها آيات للمؤمنين ونظيره قوله تعالى هدى للمتقين فانه هدى لكل الناس كما قال تعالى هدى
للناس الا انه لما انتفع به المؤمن خاصة قيل هدى للمتقين قوله وفى خلقكم وما يبث من دابة
فيه وجهان اظهرهما ان قوله وما يبث معطوف على خلقكم المجرور بفى والتقدير وفيما يبث الثانى انه
معطوف على الضمير المخفوض بالخلق وذلك على مذهب من يرى العطف على الضمير المجرور دون اعادة
الجار واستقبحه الزمخشرى وان اكد نحو مررت بك انت وزيد يشير بذلك الى مذهب الجرمى فانه
يقول ان اكد جاز والا فلا فقوله مذهب ثالث قوله آيات لقوم يوقنون وآيات لقوم يعقلون قرأ

ايات بالكسر في الموضعين الاخوان والباقون برفعهما والاخلاف في كسر الاولى لانها اسم ان فاما ايات لقوم يوقنون
بالكسر فيجوز فيها وجهان احدهما انها معطوفة على اسم ان والخبر قوله في خلقكم كانه قيل وان في خلقكم
وما يبث من دابة ايات والثاني ان تكون كررت تاكيدا لايات الاولى وتكون في خلقكم معطوفا على في
السموات كرر معه حرف الجر توكيدا ونظيره ان تقول ان في بيتك زيدا وفي السوق زيدا فزيدا الثاني تاكيد
للاول كانك قلت ان زيدا في بيتك وفي السوق وليس في هذه عطف على معمولي عاملين البتة وقد وهم
ابو البقاء فجعلها من ذلك فقال ايات لقوم يوقنون يقرا بكسر التاء وفيه وجهان احدهما ان ان مضمرة
حذفت لدلالة ان الاولى عليها وليست ايات معطوفة على ايات الاولى لما فيه من العطف على معمولي
عاملين والثاني ان تكون كررت للتاكيد لانها من لفظ ايات الاولى واعرابها كاعرابها كقولك ان بثوبك
دما وبثوب زيد دما فدم الثاني مكرر لانك مستغن عن ذكره انتهى قوله وليست معطوفة على ايات
الاولى لما فيه من العطف على معمولي عاملين وهم اي معمولي العامل الاخر وكانه توهم ان في ساقطة من قوله
وفي خلقكم او اختلفت ايات لقوم يعقلون فحذفه لان ثبتت جيما ما يوهم العطف على عاملين وقد ذكره
هو ايضا واما الرفع ففيه وجهان ايضا احدهما ان تكون في خلقكم خبرا مقدما وايات مبتدا مؤخرا وهي جملة
معطوفة على جملة مؤكدة بان والثاني ان تكون معطوفة على ايات الاولى باعتبار المحل عند من يجيز ذلك
لاسيما عند من يقول انه يجوز ذلك بعد الخبر باجماع واما قوله واختلاف الليل والنهار الاية فقد تقدم ان
الاخوين يقرءان ايات بالكسر وهي تحتاج الى ايضاح فان الناس تكلموا فيها كثيرا وخرجوها على اوجه مختلفة وبها
استدل على جواز العطف على عاملين قال شهاب الدين والعطف على عاملين لا يختص بقراءة الاخوين بل يجوز ان
يستدل عليه ايضا بقراءة الباقين كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى فاما قراءة الاخوين ففيها اوجه احدها
ان يكون اختلاف الليل مجرورا بفي مضمرة وانما حذفت لتقدم ذكرها مرتين وحرف الجر اذا دل عليه دليل
الان ۞ الان قربت تهجونا وتشتمنا ۞ فاذهب فما بك والايام من عجب ۞ تقديره وبالايام لتقدم
الباء في بك ولا يجوز عطفه على الكاف لانه ليس من مذاهبه العطف على الضمير المجرور من دون اعادة الجار
فالتقدير في هذه الاية وفي اختلاف الليل ايات على ما تقدم من الوجهين في ايات قبلها العطف او التاكيد
قالوا ويدل على ذلك قراءة عبد الله وفي اختلاف فتصريحه بفي يقوي هذا التوجيه الثاني ان يعطف اختلاف
على المجرور بفي من ايات على المنصوب بان وهذا هو العطف على عاملين وتحقيقه على معمولي عاملين وذلك
انك عطفت اختلاف على خلق وهو مجرور بفي فهو معمول عامل وعطفت ايات على اسم ان وهو معمول عامل اخر
فقد عطفت بحرف واحد وهو الواو معمولين وهما اختلاف وايات على معمولين قبلهما وهما خلق وايات وبظاهرها
استدل من جوز ذلك كالاخفش وفي المسالة اربعة مذاهب المنع مطلقا وهو مذهب سيبويه وجمهور
البصريين قالوا لانه بمنزلة ان يقوم حرف العطف مقام عاملين وهو لا يجوز لانه لو جاز في عاملين لجاز في
ثلاثة ولا قائل به ولان حرف العطف ضعيف فلا يقوى ان ينوب عن عاملين ولان القائل بجواز ذلك
يستضعفه والاحسن عنده ان لا يكون فلا ينبغي ان يحمل عليه كتاب الله ولانه بمنزلة التعدي بمتعديين بعد واحد
وهو غير جائز قال ابن السراج العطف على عاملين خطا في القياس غير مسموع من العرب ثم حمل ما في هذه
الاية على التكرار للتاكيد قال الرماني هو كقولك ان في الدار زيدا والبيت زيدا فهذا جائز باجماع وهذا الوجه
الذي ذكره ابن السراج حسن جدا لا يجوز ان يحمل كتاب الله الا عليه وقد ثبتت القراءة بالكسر ولا عيب فيها
في القران على وجه والعطف على عاملين عيب عند من اجازه ومن لم يجزه فقد تناهى في العيب فلا يجوز حمل
هذه الاية الا على ما ذكره ابن السراج دون ما ذهب اليه غيره قال شهاب الدين وهذا الحصر منه غير
مسلم فان في الاية تخريجات اخر غير ما ذكره ابن السراج يجوز الحمل عليها وقال الزجاج ومثله في الشعر
اكل امرئ تحسبين امرا ۞ ونار توقد بالليل نارا ۞ وانشد الفارسي للفرزدق
وباشر راعيها الصلا بلبانه ۞ وجنبيه حر النار ما يتحرق ۞ وقال الاخر
اوصيت من برة قلبا حرا ۞ بالكلب خيرا والحماة شرا ۞ فاما البيت الاول فظاهره
انه عطف ونار على امرئ المخفوض بكل ونارا الثانية على امرا الثاني والتقدير وتحسبين كل نار نارا فقد عطف
على معمولي عاملين والبيت الثاني عطف فيه جنبيه على بلبانه وعطف حر النار على الصلا والتقدير وباشر
بجنبيه حر النار والبيت الثالث فيه الحماة على الكلب وشرا على خيرا تقديره واوصيت بالحماة شرا
وسيبويه في جميع ذلك يرى الجر بخافض مقدر لكنه عورض بان اعمال حرف الجر مضمرا ضعيف جدا الا ترى
انه لا يجوز مررت زيد بخفض زيد الا في ضرورة كقوله

اذا قيل اي الناس شر قبيلة ۞ اشارت كليب بالاكف الاصابع ۞ يريد الى كليب وقول الاخر
حتى تبذخ فارتقى الاعلام ۞ اي الى الاعلام فقد فروا من شيء فوقعوا في اضعف منه واجيب عن ذلك
بانه لما تقدم ذكر الحرف في اللفظ قويت الدلالة عليه فكانه ملفوظ به بخلاف ما اوردتموه في المثال والشعر
والمذهب الثاني التفصيل وهو مذهب الاخفش وذلك انه يجوز بشرطين احدهما ان يكون احد العاملين
جارا والثاني ان يتصل المعطوف بالعاطف او ينفصل بلا فمثال الاول الاية الكريمة والابيات المتقدمة ولذلك
استصوب المبرد استشهاده بالاية ومثال الفصل بلا قولك ما في الدار زيد ولا الحجرة عمرو فلو فقد الشرطان
نحو ان زيدا شتم بشرا والله خالدا هندا او فقد احدهما نحو ان زيدا ضرب بكرا وخالدا بشرا فقد نقل ابن مالك
الامتناع عند الجميع وفيه نظر لما سياتي من الخلاف الثالث انه يجوز بشرط ان يكون احد العاملين جارا وان
يكون متقدما نحو الاية الكريمة فلو لم يتقدم نحو ان زيدا في الدار وعمرا السوق لم يجز وكذا لو لم يكن حرف جر كما تقدم
تمثيله الرابع الجواز مطلقا ويعزى للفراء الوجه الرابع من اوجه تخريج القراءة المذكورة ان تنتصب ايات
على الاختصاص قاله الزمخشري كما سياتي واما قراءة الرفع ففيها اوجه احدها ان يكون الاول والثاني ما تقدم
في ايات لقوم يوقنون الثالث ان يكون تاكيدا للايات التي قبلها كما كانت كذلك في قراءة النصب الرابع ان تكون
المسالة من باب العطف على عاملين وذلك ان اختلاف عطف على خلقكم وهو معمول لفي وايات معطوفة على ايات
قبلها وهي معمولة للابتدا فقد عطف على معمولي عاملين في هذه القراءة ايضا قال الزمخشري قرئ ايات لقوم يوقنون
بالرفع والنصب على قولك ان زيدا في الدار وعمرا في السوق او وعمرو في السوق قال واما قوله ايات لقوم يعقلون فمن
العطف على عاملين سواء نصبت او رفعت فالعاملان في النصب ان وفي واقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف
الليل والنهار والنصب في ايات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في ايات والجر في اختلاف ثم قال
في توجيه النصب والثاني ان ينتصب على الاختصاص بعد انقضاء المجرور الوجه الخامس ان يرتفع ايات على خبر
ابتدا مضمر اي هي ايات وناقشه ابو حيان فقال ونسبة الجر والرفع والجر والنصب للواو ليس بصحيح لان الصحيح
من المذاهب ان حرف العطف لا يعمل وايضا ناقشه ابو شامة فقال فمنهم من يقول هو على هذه القراءة ايضا
يعني قراءة الرفع عطف على عاملين وهما حرف في والابتداء المقتضي للرفع ومنهم من لا يطلق هذه العبارة في هذه
القراءة لان الابتداء ليس بعامل لفظي وقرئ واختلاف بالرفع اية بالرفع والتوحيد على الابتداء والخبر وكذلك
قرئ وما يبث من دابة اية بالتوحيد وقرا زيد بن علي وطلحة وعيسى وتصريف الريح كذا قال ابو حيان قال
شهاب الدين وقد قرا بهذه القراءة حمزة والكسائي ايضا وقد تقدم ذلك في سورة البقرة فصل اختلاف
الليل والنهار فيه وجوه الاول تبديل النهار بالليل وبالعكس الثاني زيادة طول النهار على طول الليل وبالعكس
الثالث اختلاف مطالع الشمس في ايام السنة قوله وما انزل الله من السماء من رزق يعني الغيث الذي هو سبب
ارزاق العباد فاحيا به الارض بعد موتها وهذا يدل على وجوب القول بوجود الفاعل المختار من وجوه احدها
انشاء السحاب وانزال المطر منه وثانيها تولد النبات من تلك الحبة الواقعة في الارض وثالثها تولد الانواع
المختلفة وهي ساق الشجرة واغصانها واوراقها وثمارها ثم تلك الثمرة منها ما يكون القشر محيطا باللب
كالجوز واللوز ومنها ما يكون اللب محيطا بالقشر كالمشمش والخوخ ومنها ما يكون خاليا عن القشر كالتين
فتولد اقسام النبات على كثرة اقسامها وتباينها يدل على وجوب القول بوجود الفاعل المختار الحكيم الرحيم
قوله وتصريف الرياح وهي اقسام كثيرة منها الشرقية والغربية والشمالية والجنوبية ومنها الحارة
والباردة ايات لقوم يعقلون واعلم انه تعالى جمع هذه الدلائل في سورة البقرة فقال ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر الى قوله لايات لقوم يعقلون فذكر الله تعالى
هذه الاقسام الثمانية من الدلائل والتفاوت بين الموضعين من وجوه الاول انه تعالى قال في سورة
البقرة ان في خلق السموات والارض وقال هاهنا ان في السموات والصحيح عند اهل السنة ان الخلق غير المخلوق
فذكر لفظ الخلق في سورة البقرة ولم يذكره هاهنا تنبيها على انه لا تفاوت بين ان يقال السموات او خلق
السموات فيكون هذا دليلا على ان الخلق غير المخلوق الثاني انه ذكر هناك ثمانية انواع من الدلائل
وذكر هاهنا سبعة انواع من الدلائل واهمل منها الفلك والسحاب والسبب فيه ان مدار حركة الفلك
والسحاب على الرياح المختلفة فذكر الرياح التي هي كالسبب يغني عن ذكرهما الثالث انه جمع الكل وذكر
لها مقطعا واحدا وهاهنا رتبها على ثلاثة انواع والغرض منه التنبيه على انه لا بد من افراد كل واحد
منها بنظر تام سابق الرابع انه تعالى ذكر في هذه المواضع ثلاثة مقاطع احدها للمؤمنين وثانيها يوقنون
وثالثها يعقلون قال ابن الخطيب واظن ان سبب هذا الترتيب ان قوله ان كنتم من المؤمنين فافهموا

هذه الدلايل وان كنتم لستم من المؤمنين بل انتم من طلاب الجزم واليقين فافهموا هذه الدلايل وان كنتم لستم
من المؤمنين ولا من الموقنين فلا اقل ان تكونوا من زمرة العقلا فاجتهدوا في معرفة هذه الدلايل قوله
تلك آيات الله نتلوها يجوز ان يكون نتلوها خبر تلك وآيات الله بدلا او عطف بيان ويجوز ان يكون
تلك آيات مبتدا وخبر نتلوها حال قال الزمخشري والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه وهذا
بعلي شيخا قال ابو حيان وليس نحوه لان في وهذا بعلي حرف تنبيه فقيل العامل في الحال ما دل عليه حرف
التنبيه لان الحرف قد يعمل في الحال فالمعنى تنبه لزيد في حال شيخه فلا يكون اسم الاشارة عاملا ولا حرف
التنبيه ان كان هناك قال شهاب الدين بل الاية نحو هذا بعلي شيخا من حيثية نسبة العمل لاسم الاشارة
غاية ما ثم ان في الاية الاخرى ما يصلح ان يكون عاملا وهذا لا يقدح في التنظير اذ المقصود جهة مشتركة
واما اتحاد العمل فهو مشترك في الموضعين عند من يرى ذلك قال ابن عطية وفي نتلوها حذف مضاف
اي نتلو شانها او شرح العبرة فيها ويحتمل ان يريد بآيات الله القرآن المنزل في هذا المعنى فلا يكون فيها
حذف مضاف وقرا بعضهم يتلوها بالياء الغيبة عايدا الى الباري تعالى قوله بالحق حال اما من الفاعل اي متلبسين بالحق او من
المفعول اي متلبسة بالحق ويجوز ان تكون للسببية فيتعلق بنفس نتلوها قوله فباي حديث بعد الله قال الزمخشري
اي بعد آيات الله فهو كقولك اعجبني زيد وكرمه يريدون كرم زيد ورد عليه ابو حيان بانه ليس مراد بل المراد اعجابا
ويابى فيه ايهام للاسمين من غير ضرورة قال وهذا قلب لحقايق النحو وقرا الحرميان وابو عمرو وعاصم في رواية يؤمنون
بالغيبة والباقون بالخطاب وباي متعلق به قدم لان له صدر الكلام ومعنى الاية ان من لم ينتفع بهذه
الايات فلا شي بعده يجوز ان ينتفع به وهذه الاية تبطل القول بالتقليد وتوجب على المكلف التامل في دلايل
دين الله قوله ويل لكل افاك اثيم الاية لما بين الايات للكفار وبين انهم لم يؤمنوا بها مع ظهورها فباي حديث
بعدها يؤمنون اتبعه بوعيد عظيم لهم فقال ويل لكل افاك اثيم والافاك الكذاب والاثيم المبالغ في اقتراف
الاثم وهو الذي يصر على الانكار والاستكبار قال المفسرون يعني النضر بن الحارث والاية عامة في كل من كان موصوفا
بهذه الصفة قوله يسمع يجوز ان يكون مستانفا اي هو يسمع او ذو ان يكون حالا من الضمير في اثيم
وان يكون صفة قوله تتلى عليه حال من آيات الله ولا يجي فيه الخلاف وهو انه يجوز ان يكون في محل نصب مفعولا
ثانيا لان شرط ذلك ان يقع بعدها ما لا يسمع نحو سمعت زيدا يقرا اما اذا وقع بعدها ما يسمع نحو سمعت قراة زيد
فهي متعدية به لواحد فقط والايات مما يسمع قوله يصر قال الزمخشري فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم يصر
مستكبرا قلت كمعناه في قول القايل ٭ يرى غمرات الموت ثم يزورها ٭ وذلك ان غمرات الموت حقيقة بان
ينجو رايها بنفسه ويطلب الفرار عنها واما زيارتها والاقدام على مزاولتها فامر مستبعد فمعنى ثم الايذان بان
فعل المقدم عليها بعد ما راها وعاينها ثم يستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة
بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها
قوله كان لم يسمعها هذه الجملة يجوز ان تكون مستانفة وان تكون حالا والاصل كانه لم يسمعها والضمير ضمير
الشان ومحل الجملة النصب على الحال اي يصير مثل غير السامع ثم قال فبشره بعذاب اليم قوله واذا علم من آياتنا
العامة على فتح العين وكسر اللام خفيفة مبنيا للفاعل وقتادة ومطر الوراق علم مبنيا للمفعول مشددا ٥ قوله
اتخذها الضمير المونث فيه وجهان احدهما انه عايد على آياتنا يعني القرآن والثاني انه يعود على شي وان
كان مذكرا لانه بمعنى الاية كقول ابي العتاهية

٭ نفسي بشي من الدنيا معلقة ٭ الله والقايم المهدي يكفيها ٭ لانه اراد بشي جارية

يقال لها عتبة فصل المعنى اذا علم ذلك الشي من الاية الا انه تعالى قال اتخذها للاشعار بان هذا الرجل اذا
احس بشي من الكلام انه من جملة الايات المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزا بجميع الايات
ولم يقتصر على الاستهزا بذلك الواحد قوله اولئك اشارة الى معنى كل افاك اثيم ليدخل فيه جميع الافاكين
حمل اولا على لفظها فافرد ثم على معناها فجمع كقوله كل حزب بما لديهم فرحون قوله من ورايهم جهنم لما قال اوليك
لهم عذاب مهين وصف كيفية ذلك العذاب فقال من ورايهم جهنم اي امامهم جهنم لانهم في الدنيا قال
الزمخشري الورا اسم للجهة التي يواجهها الشخص من خلفه او من قدامه ثم بين ان ما ملكوه في الدنيا لا ينفعهم
فقال ولا يغني عنهم ما كسبوا شيا اي من الاموال قوله ولا ما اتخذوا عطف على ما كسبوا وما فيهما اما
مصدرية واما بمعنى الذي اي لا يغني كسبهم ولا اتخاذهم او الذي كسبوه ولا الذي اتخذوه فان قيل انه قال
قبل هذه الاية ولهم عذاب مهين ثم قال هاهنا ولهم عذاب عظيم فما الفرق بينهما فالجواب كون العذاب
مهينا يدل على حصول الاهانة مع العذاب وكونه عظيما يدل على كونه بالغا الى اقصى الغايات في الضرر قوله

من عذاب اليم

هذا هدى يعني هذا القرآن هدى اي كامل في كونه هدى بيانا من الضلالة والذين كفروا بآيات الله لهم عذاب
من رجز اليم وقد تقدم الكلام على الرجز الاليم في سبا والرجز اشد العذاب لقوله تعالى رجزا من السما وقوله لين
كشفت عنا الرجز وقرئ اليم بالجر والرفع اما الرفع فتقديره لهم عذاب اليم ويكون من الرجز الرجس الذي هو النجس
ومعنى النجاسة فيه قوله ويسقى من ما صديد وكان المعنى لهم عذاب من تجرع رجس او شرب رجس فيكون تبيينا
للعذاب واما الجر فتقديره لهم عذاب عذاب اليم اذا كان عذابهم من عذاب اليم كان عذابهم اليما قوله تعالى الله الذي
سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره الاية لما ذكر تعالى الاستدلال بكيفية جريان الفلك على وجه البحر وذلك
لا يحصل الا بتسخير ثلاثة اشيا احدها الرياح التي توافق المراد وثانيها خلق وجه الما على الملاسة التي تجري عليها
الفلك وثالثها خلق الخشبة على وجه تبقى طافية على وجه الما ولا تغرق فيه وهذه الاحوال لا يقدر عليها احد
من البشر فلا بد من وجود قادر عليها وهو الله سبحانه وتعالى وقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
اي خلقها مسخرة لنا اي لنفعنا قوله جميعا حال من ما في السموات وما في الارض او توكيد وقد عدها ابن مالك
في الفاظه ومنه يجوز ان يتعلق بمحذوف صفة لجميعا وان يتعلق بسخر اي هو صادر من جهته ومن عنده وجوز
الزمخشري في منه ان يكون خبر ابتدا مضمر اي هي جميعا منه وان يكون وما في الارض مبتدا ومنه خبره قال ابو
حيان وهذا لا يجوز الا على راي الاخفش من حيث ان الحال تقدمت يعني جميعا فقدمت على عاملها المعنوي يعني
الجار فهي نظير زيد قايما في الدار والعامة على منه جارا ومجرورا وابن عباس بكسر الميم وتشديد النون ونصب
التا جعله مصدرا من من يمن منة فانتصابه عنده على المصدر المؤكد اما بعامل مضمر واما بسخر لانه بمعناه قال
ابو حاتم سند هذه القراة الى ابن عباس مظلم قال شهاب الدين قد رويت ايضا عن جماعة جلة غير ابن عباس
فنقلها ابن خالويه عنه وعن عبيد بن عمير ونقلها صاحب اللوامح وابن جني عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو والجحدري
وعبد الله بن عبيد بن عمير وقرا مسلمة بن محارب كذلك الا انه رفع التا جعلها مبتدا خبرا ابتدا مضمر اي هي
منه وقرا ايضا في رواية اخرى بفتح الميم وتشديد النون وها كناية مضمومة جعله مصدرا مضافا لضمير الله
تعالى ورفعه من وجهين احدهما بالفاعلية بسخر اي سخر لكم هذه الاشيا منه عليكم والثاني ان يكون خبر
مبتدا مضمر اي هو او ذلك منه عليكم ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون قوله قل للذين امنوا يغفروا تقدم
نظيره في سورة ابرهيم قال ابن عباس المراد بالذين امنوا عمر بن الخطاب يغفروا للذين لا يرجون ايام
الله يعني عبد الله بن ابي وذلك انهم نزلوا في غزاة بني المصطلق على بير يقال لها المريسيع فارسل عبد الله غلامه
ليستقي الما فابطا عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البير فما ترك احدا يستقي حتى ملا
قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر فقال عبد الله بن ابي ما مثلنا ومثل هولا الا كما قيل سمن كلبك ياكلك
فبلغ ذلك عمر فاشتمل سيفه يريد التوجه له فانزل الله تعالى هذه الاية وامره بالعفو والتجاوز وروى
ميمون بن مهران ان فنحاص اليهودي قال لما نزل قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال احتاج رب
محمد فسمع ذلك عمر فاشتمل على سيفه وخرج في طلبه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم طلبه وقال القرظي والسدي
نزلت في ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا في اذى كثير من المشركين قبل ان يؤمروا بالقتال
فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية ثم نسختها اية القتال وقوله لا يرجون ايام
الله قال ابن عباس لا يرجون ثواب الله ولا يخافون عقابه ولا يخشون مثل عذاب الامم الخالية وتقدم تفسير ايام
الله عند قوله وذكرهم بايام الله قوله ليجزي قوما قرا ابن عامر والاخوان لنجزي بنون العظمة اي لنجزي نحن وباقي
السبعة ليجزي بالياء من تحت مبنيا للفاعل اي ليجزي الله وابو جعفر بخلاف عنه وشيبة وعاصم في رواية كذلك الا انه
مبني للمفعول وهذا مع نصب قوما وفي القايم مقام الفاعل ثلاثة اوجه احدها ضمير المفعول الثاني عاد الضمير عليه
لدلالة السياق تقديره ليجزي هو اي الخير قوما والمفعول الثاني من باب اعطى يقوم مقام الفاعل بلا خلاف ونظيره ٥
الدرهم اعطي زيدا الثاني ان القايم مقامه ضمير المصدر المدلول عليه بالفعل اي ليجزي الجزا وفيه نظر لانه لا يترك
المفعول به ويقام المصدر لا سيما مع عدم التصريح به الثالث ان القايم مقامه الجار والمجرور وفيه حجة للاخفش والكوفيين
حيث يجيزون نيابة غير المفعول به مع وجوده وانشدوا

٭ لسب بذلك الجرو الكلابا ٭ لم يعن بالعليا الا سيدا ٭ والبصريون لا يجيزونه قوله تعالى

ولقد اتينا بني اسرايل الكتاب يعني التوراة والحكم والنبوة والمراد بهذه الاية انه تعالى بين انه انعم
بنعم كثيرة على بني اسرايل مع انه حصل بينهم الاختلاف على سبيل البغي والحسد والمقصود منه ان يبين
ان طريقة قومه كطريقة من تقدم واعلم ان المراد بالكتاب التوراة واما الحكم فقيل المراد به العلم والحكم
وقيل المراد العلم بفصل الحكومات وقيل معرفة احكام الله وهو علم الفقه واما النبوة فمعلومة

ورزقناهم من الطيبات الحلالات يعني المن والسلوى وفضلناهم على العالمين قال المفسرون على عالمي زمانهم
قال ابن عباس لم يكن احد من العالمين اكرم على الله ولا احب اليه منهم ثم قال وآتيناهم بينات من الامر قال
ابن عباس يعني العلم بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره وانه يهاجر من تهامة الى يثرب
ويكون انصاره اهل يثرب وقيل المراد بالمعجزات البينات القاهرة على صحة نبوتهم والمراد معجزات موسى عليه
السلام ثم قال تعالى فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وتقدم تفسير هذا في سورة حم عسق
والمراد من ذكر هذا الكلام التعجب من هذه الحالة لان حصول العلم يوجب ارتفاع الخلاف وههنا صار
مجيء العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك لانهم لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وانما مقصودهم
طلب الرياسة والتقدم فههنا علموا ثم عاندوا ويجوز ان يريد بالعلم الادلة التي توصل الى العلم والمعنى
انه تعالى وضع الدلايل والبينات التي لو تاملوا فيها لعرفوا الحق لكنهم اختلفوا واظهروا النزاع على وجه الحسد
ثم قال ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون والمعنى انه لا ينبغي ان يغتر المبطل
بنعم الدنيا فانها وان ساوت نعم المحق او زادت عليه فانه سيرى في الاخرة ما يسوءه وذلك كالزجر لهم
ولما بين تعالى انهم اعرضوا عن الحق بغيا وحسدا امر رسوله بان يعدل عن تلك الطريقة وان يتمسك
بالحق وان لا يكون له غرض سوى اظهار الحق فقال ثم جعلناك على شريعة من الامر اي ثم جعلناك يا محمد
على سنة وطريقة بعد موسى من الامر من الدين فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون يعني مراد الكافرين
واديانهم الخبيثة قال الكلبي ان رؤساء قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ارجع الى دين ابائك
فهم كانوا افضل منك واسن فانزل الله تعالى هذه الاية قوله على شريعة هو المفعول الثاني لجعلناك
والشريعة في الاصل ما يرده الناس من المياه في الانهار ويقال لذلك الموضع شريعة والجمع شرايع قال
وفي الشرايع من جيلان مقتنص . رث الثياب خفي الشخص منسرب
فاستعير للدين لان العباد يردون ما تحيى به نفوسهم قوله انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا اي ان
اتبعت اهواءهم وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والمعنى انك لو ملت الى اديانهم الباطلة لصرت مستحقا
للعذاب وهم لا يقدرون على دفع عذاب الله عنك وان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا واما
في الاخرة فلا ولي لهم ينفعهم في ايصال الثواب وازالة العقاب واما المتقون المهتدون فالله وليهم
وناصرهم قوله هذا بصائر اي هذا القرآن الذي جمع خبره باعتبار ما فيه وقرى هذه رجوعا الى الايات
ولان القرآن بمعناها كقوله . سائل بني اسد ما هذه الصوت . لانه بمعنى الصيحة والمعنى
بصائر للناس في معالم الدين في الحدود والاحكام يبصرون بها وتقدم تفسيره في سورة الاعراف
وهدى ورحمة لقوم يوقنون هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن اتقى وآمن قوله ام حسب
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان وتقدم تحقيق هذا في قوله كالذين آمنوا هو
المفعول الثاني لنجعل اي ان نجعلهم كاينين كالذين آمنوا اي لا يحسبون ذلك وقد تقدم في سورة الحج
ان الاخوين وحفصا من الواصلين سواء بالنصب والباقون بالرفع وتقدم الوعد عليه بالكلام هنا فنقول
اما قراءة النصب ففيها ثلاثة اوجه احدها ان ينتصب على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور
وهو كالذين امنوا ويكون المفعول الثاني لنجعل كالذين امنوا اي احسبوا ان نجعلهم مثلهم في حال
استواء محياهم ومماتهم ليس الامر كذلك الثاني ان يكون سواء هو المفعول الثاني لنجعل والذين امنوا
في محل نصب على الحال اي ان نجعلهم حال كونهم مثلهم سواء ليس معناه كذلك الثالث ان يكون سواء مفعولا
ثانيا لحسب وهذا الوجه قاله ابو البقاء قال شهاب الدين وقد اطلقه غلط لما سيظهر لك فانه قال
ويقرا بالنصب وفيه وجهان احدهما هو حال من الضمير في الكاف اي نجعلهم مثل المؤمنين في هذه الحال
الثاني ان يكون مفعولا ثانيا لحسب والكاف حال وقد دخل استواء محياهم ومماتهم في الحسبان وعلى هذا
الوجه محياهم ومماتهم مرفوعان بسواء لانه قد قوي باعتماده انتهى فقد صرح بانه مفعول ثاني للحسبان
وهذا لا يصح البتة لان حسب واخواتها اذا وقع بعدها ان المشددة او ان المخففة او الناصبة سدت
مسد المفعولين وهنا قد وقع بعد الحسبان ان الناصبة فهي سادة مسد المفعولين فمن اين يكون
سواء مفعولا ثانيا لحسب فصل لما بين الله تعالى الفرق بين الظالمين وبين المتقين من الوجه
المتقدم بين الفرق بينهما من وجه اخر فقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين
امنوا وعملوا الصالحات ام كلمة وضعت للاستفهام عن شيء حال كونه معطوفا على شيء اخر سواء كان ذلك
المعطوف مذكورا او مضمرا والتقدير هنا افيعلم المشركون هنا ام يحسبون انا نتولاهم كما نتولى

المتقين والاجتراح الاكتساب اي اكتسبوا المعاصي والكفر ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله اي كاسبهم قال تعالى
ويعلم ما جرحتم بالنهار قال الكلبي نزلت هذه الاية في علي وحمزة وابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم وفي ثلاثة
من المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة قالوا للمؤمنين والله ما انتم على شيء ولو كان ما تقولونه حقا لكان
حالنا افضل من حالكم في الاخرة كما انا افضل حالا منكم في الدنيا فانكر الله تعالى هذا الكلام وبين انه لا يمكن ان يكون
حال المؤمن المطيع مساويا لحال الكافر العاصي في درجات الثواب ومنازل السعادات ثم قال سواء محياهم ومماتهم
قال مجاهد عن ابن عباس معناه احسبوا ان حياتهم ومماتهم كحياة المؤمنين كلا فانهم يعيشون كافرين ويموتون
كافرين والمؤمنون يعيشون مؤمنين ويموتون مؤمنين فالمؤمن ما دام حيا في الدنيا فانه وليه هو الله
وانصاره المؤمنون وحجة الله معه والكافر بالضد منه كما ذكره الله تعالى في قوله وان الظالمين بعضهم اولياء
بعض والله ولي المتقين والمؤمنون تتوفاهم الملايكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
واما الكفار فتتوفاهم الملايكة ظالمي انفسهم واما في القيامة فقال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة
مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة وقيل معنى الاية انهم لا يستوون
في الممات كما استووا في الحياة لان المؤمن والكافر قد يستويان في الحياة في الصحة والرزق والكفاية بل قد يكون
الكافر ارجح حالا من المؤمن وانما يظهر الفرق بينهما في الممات وقيل ان قوله سواء محياهم ومماتهم مستانف والمعنى
ان محيا المؤمنين ومماتهم سواء وكذلك محيا الكفار ومماتهم سواء اي كل يموت على حسب ما عاش عليه ثم انه تعالى
صرح بانكار التسوية فقال ساء ما يحكمون اي بيس ما يقضون قال مسروق قال لي رجل من اهل مكة هذا
مقام اخيك تميم الداري لقد رايته ذات ليلة حتى اصبح او قرب ان يصبح يقرا اية من كتاب الله يركع بها ويسجد
ويبكي ام حسب الذين اجترحوا السيئات الاية قوله وخلق الله السموات والارض بالحق لما بين ان المؤمن
لا يساوي الكافر في درجات السعادة اتبعه بالدلايل الظاهرة على صحة هذه الفتوى فقال وخلق الله السموات
والارض بالحق اي لو لم يوجد البعث لما كان ذلك بالحق بل كان بالباطل لانه تعالى لما خلق الظالم وسلطه على المظلوم
الضعيف ولا ينتقم للمظلوم من الظالم كان ظالما ولو كان ظالما لبطل انه ما خلق السموات والارض الا بالحق
وتقدم تقريره في سورة يونس قوله بالحق فيه ثلاثة اوجه احدها حال من الفاعل او من المفعول والباء للسببية قوله
ولتجزى فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون عطفا على بالحق في المعنى لان كلا منهما سبب فعطف العلة على مثلها
الثاني انها معطوفة على معلل محذوف والتقدير خلق الله السموات والارض بالحق ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس والمعنى
ان المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا اذا حصل البعث والقيامة وحصل التفاوت بين
الدركات والدرجات بين المحقين والمبطلين الثالث ان تكون لام الصيرورة اي وصار الامر منها من حيث اهتدى بها
قوم وضل عنها اخرون قوله افرايت بمعنى اخبرني وتقدم حكمها مشروحا والمفعول الاول من اتخذ والثاني محذوف
تقديره بعد غشاوة ايهتدي ودل عليه قوله فمن يهديه وانما قدرت بعد غشاوة لاجل صلات الموصول واعلم انه
تعالى عاد الى شرح احوال الكفار وذكر طرفا من قبايح طريقتهم فقال افرايت من اتخذ الهه هواه قال ابن عباس والحسن وقتادة
ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيا الا ركبه لانه لا يؤمن بالله ولا يخافه وقرئ الهة هواه لانه كلما مال
طبعه الى شيء اتبعه والمعنى اتخذ معبوده هواه فيعبد ما تهواه نفسه قال سعيد بن جبير كانت العرب يعبدون
الحجارة والذهب والفضة فاذا وجدوا شيا احسن من الاول رموه وكسروه وعبدوا الاخر قال الشعبي انما سمي
الهوى لانه يهوي بصاحبه في النار قوله على علم حال من الجلالة اي كاينا على علم منه بعاقبة امره انه اهل لذلك وقيل
حال من المفعول اي اضله وهو عالم وهذا اشنع له وقرا الاعرج الهة على انه جمع وعنه كذلك مضافة لضميره الهته
هواه قوله وختم على سمعه وقلبه فلم يسمع الهدى وقلبه لم يعقل الهدى وهو المراد من قوله ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة وقد تقدم قوله غشاوة في الاحوال غشوة بفتح الغين وسكون الشين
والاعمش وابن مصرف كذلك الا انهما كسرا الغين والباقي السبعة غشاوة بكسر الغين وابن مسعود والاعمش
ايضا بفتحها وهي لغة ربيعة والحسن وعكرمة وعبد الله ايضا بضمها وهي لغة عكلية وتقدم الكلام في ذلك
اول البقرة وانه قرى هناك بالعين المهملة قوله فمن يهديه من بعد الله اي من بعد ضلال الله اياه افلا تذكرون
والعامة بالتشديد والجحدري بتخفيفها والاعمش تتذكرون بتاءين قوله وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا تقدم
نظيره وقرا زيد بن علي نحيا بضم النون قال قيل الحياة مقدمة على الموت في الدنيا فمنكرو القيامة كان يجب ان يقولوا نحيا
ونموت فما السبب في تقديم ذكر الموت على الحياة فالجواب من وجوه الاول المراد بقوله نموت حال كونهم
نطفا في اصلاب الاباء وارحام الامهات وبقوله نحيا ما حصل بعد ذلك في الدنيا الثاني نموت نحن ونحيا
بسبب بقاء اولادنا الثالث قال الزجاج الواو للاجتماع والمعنى نموت بعض ونحيا بعض الرابع قال

ابو الخطيب انه تعالى لما ذكر الحياة فقال ان هي الا حياتنا الدنيا ثم قال بعده نموت ونحيى يعني ان تلك الحياة منها
ما يطرا عليها الموت وذلك في حق الذين ماتوا ومنها ما لم يطرا عليه الموت بعد وذلك وهو في حق الاحيا الذين لم
يموتوا بعد قوله وما يهلكنا الا الدهر اي وما يفنينا الا مرّ الزمان وطول العمر واختلاف الليل والنهار وما لهم
بذلك من علم اي لم يقولوه عن علم علموه ان هم الا يظنون روى ابو هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا يقل ابن ادم يا خيبة الدهر فاني انا الدهر ارسل الليل والنهار فاذا
شئت قبضتهما وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسب احدكم الدهر فان الدهر هو الله
ولا يقولن للعنب الكرم فان الكرم هو الرجل المسلم ومعنى الحديث ان العرب كان من شانها ذم الدهر وسبه
عند النوازل لانهم كانوا ينسبون اليه ما يصيبهم من المصايب والمكاره فيقولون اصابتهم قوارع الدهر
وابادهم الدهر كما اخبر الله تعالى عنهم وما يهلكنا الا الدهر فاذا اضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدايد سبوا
فاعلها فكان يرجع سبهم الى الله عز وجل اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي يضيفونها الى الدهر فنهوا عن سب الدهر
قوله واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ايتوا باباينا ان كنتم صادقين قرا العامة
بنصب حجتهم وزيد بن علي وعمرو بن عبيد وعبيد بن عمرو بالرفع وتقدم تاويل ذلك وما كان الجواب اذا الشرطية
وجعله ابو حيان دليلا على عدم اعمال جواب اذا فيها لان ما لا يعمل ما بعدها فيما قبلها قال وقد خالف غيرها
من ادوات الشرط حيث لم تقترن الفا بكونها اذا نفي بما قوله قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيا[مة]
قال قيل هذا الكلام مذكور لاجل جواب من يقول ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر
وهذا القايل ينكر وجود الاله وينكر وجود القيامة فكيف يجوز ابطال كلامه بقوله قل الله يحييكم وهل هذا
الا اثبات الشي بنفسه وهو باطل فالجواب انه تعالى ذكر الاستدلال بحدوث الحيوان والانسان
على وجود الاله الفاعل الحكيم مرارا فقوله ههنا قل الله يحييكم اشارة الى تلك الدلايل التي بينها واوضحها مرارا
وليس المقصود من ذكر هذا الكلام اثبات الاله بل المقصود منه التنبيه على ما هو الدليل الحق القاطع في نفس
الامر ولما ثبت ان الاحيا من الله وثبت ان الاعادة مثل الاحيا الاول وثبت ان القادر على الشي قادر على
مثله ثبت ان الله تعالى قادر على الاعادة وثبت ان الاعادة ممكنة في نفسها وثبت ان القادر الحكيم اخبر
عن وقوعها وجب القطع بكونها حقا وقوله تعالى ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه اشارة الى ما تقدم
في الاية المتقدمة وهو ان كونه تعالى عادلا خالقا بالحق منزها عن الجور والظلم يقتضي صحة البعث والقيا[مة]
ثم قال ولكن اكثر الناس لا يعلمون دلالة حدوث الانسان والحيوان والنبات على وجود الاله القادر الحكيم
ولا يعلمون ايضا انه تعالى لما كان قادرا على الايجاد ابتدا وجب ان يكون قادرا على الاعادة ثانيا قوله تعالى
ولله ملك السموات والارض الاية لما احتج بكونه قادرا على الاحيا في المرة الثانية في الايات المتقدمة
عمم الدليل فقال ولله ملك السموات والارض اي لله القدرة على جميع الممكنات سوا كانت في السموات
او في الارض واذا ثبت كونه تعالى قادرا على كل الممكنات وثبت ان حصول الحياة في هذه الذات ممكن اذ لو لم
يكن ممكنا لما حصل في المرة الاولى فيلزم من هاتين المقدمتين كونه تعالى قادرا على الاحيا في المرة الثانية
ولما بين تعالى امكان القول بالحشر والنشر بهذين الطريقين ذكر تفاصيل احوال القيامة فاولها قوله ويوم
تقوم الساعة في عامله وجهان احدهما انه يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم والتنوين على هذا تنوين
عوض عن جملة مقدرة ولم يتقدم من الجمل الا تقوم الساعة فيصير التقدير ويوم تقوم الساعة يومئذ
تقوم الساعة وهذا الذي قدروه ليس فيه مزيد فايدة فيكون بدلا توكيدا والثاني ان العامل فيه
مقدر قالوا لان يوم القيامة حالة ثالثة ليست بالسما ولا بالارض لانهما يتبدلان فكانه قيل ولله ملك
السموات والارض والملك يوم تقوم ويكون قوله يومئذ معمولا ليخسر والجملة مستانفة من حيث اللفظ
وان كان لها تعلق بما قبلها من حيث المعنى فصل اعلم ان [illegible] العقل والصحة كانها راس مال والتصرف
فيها بطلب السعادة الاخروية يجري مجرى تصرف التاجر في ماله لطلب الربح والكفار قد اتعبوا انفسهم
في تصرفاتهم بالكفر والاباطيل فلم يجدوا في ذلك اليوم الا الحرمان والخذلان ودخول النار وذلك في
الحقيقة نهاية الخسران وثانيها قوله وترى كل امة جاثية الظاهر ان الروية بصرية فتكون جاثية
حال قال الليث الجثو الجلوس على الركب كما يجثى بين يدي الحاكم وذلك لانها خايفة والمذنب مستوفز
وقيل مجتمعة ومنه الجثوة للقبر لاجتماع الاحجار عليه قال

ترى جثوتين من تراب عليهما ... صفايح صم من صفيح منضد

قال الزمخشري وقرئ
جاذية بالذال المعجمة قال والجذو اشد استيفازا من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على اطراف

اصابعه

اصابعه وهو اشد استيفازا من الجاثي قوله كل امة العامة على الرفع بالابتدا وتدعى خبرها ويعقوب بالنصب على البدل
من كل امة الاولى بدل نكرة موصوفة من مثلها الى كتابها اي الى صحايف اعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله تعالى
ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه والظاهر انه يدخل فيه المومنون والكافرون لقوله تعالى
بعد ذلك فاما الذين امنوا قال سلمان الفارسي ان في القيامة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة
على ركبهم حتى ابرهيم ينادي ربه لا اسالك الا نفسي قوله اليوم تجزون هذه الجملة معمولة لقول مضمر
التقدير يقال لهم اليوم تجزون واليوم معمول لما بعده وما كنتم هو المفعول الثاني فان قيل الجثو على الركب انما يليق
بالخايف والمومنون لا خوف عليهم يوم القيامة فالجواب ان المحق الامن قد يشارك المبطل في مثل هذه
الحالة الى ان يظهر كونه محقا فان قيل كيف اضاف الكتاب اليهم والى الله تعالى فالجواب لا منافاة بين الامرين
لانه كتابهم بمعنى انه الكتاب المشتمل على اعمالهم وكتاب الله بمعنى انه هو الذي امر الملايكة بكتبه قوله ينطق
عليكم بالحق اي يشهد عليكم باعمالكم من غير زيادة ولا نقصان وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ وينطق يجوز
ان يكون حالا وان يكون خبرا ثانيا وان يكون كتابنا بدلا وينطق خبره وعليكم وبالحق حال قوله انا كنا نستنسخ ما كنتم
تعملون اي نامر الملايكة بنسخ اعمالكم اي بكتبها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ اي ناخذ نسخه وذلك
ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب او عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم
واذهب والاستنساخ لا يكون الا من اصل كما ينسخ كتاب من كتاب وقال الضحاك نستنسخ اي نثبت وقال
السدي نكتب وقال الحسن نحفظ ثم بين احوال المطيعين فقال فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين وصفهم بالعمل الصالح بعد وصفهم بالايمان يدل على ان
العمل الصالح مغاير للايمان زايد عليه فصل قالت المعتزلة علق الدخول في رحمة الله على كونه اتيا بالايمان
والعمل الصالح والمعلق على مجموع امرين يكون عدما عند عدم احدهما فعند عدم الاعمال الصالحة يجب ان لا يحصل
الفوز بالجنة واجيب بان تعليق الحكم على الوصف لا يدل على عدم الحكم عند عدم الوصف فصل سمى الثواب
رحمة والرحمة انما تصح تسميتها بهذا الاسم اذا لم تكن واجبة فوجب ان لا يكون الثواب واجبا على الله تعالى
قوله واما الذين كفروا افلم تكن هذا على اضمار القول ايضا وتقدم رد الزمخشري على عادته جملة بين الهمزة
والفا اي الم ياتكم رسلي فلم تكن اياتي فصل ذكر الله المؤمنين والكافرين ولم يذكر قسما ثالثا وهذا يدل
على ان مذهب المعتزلة في اثبات منزلة بين المنزلتين باطل وفي الاية دليل على ان استحقاق العقوبة لا يحصل
الا بعد مجي الشرع وعلى ان الواجبات لا تجب الا بالشرع خلافا للمعتزلة في قولهم ان بعض الواجبات قد تجب
بالعقل قوله واذا قيل ان وعد الله حق العامة على كسر الهمزة لانها محكية بالقول والاعرج وعمرو بن فايد
بفتحها وذلك يخرج على لغة سليم يجرون القول مجرى الظن مطلقا ومنه قوله

اذا قلت اني ات اهل بلدة ...

قوله والساعة قرا حمزة بنصبها عطفا على وعد الله
والباقون برفعها وفيه ثلاثة اوجه الابتدا وما بعدها من الجملة المنفية خبرها الثاني العطف على محل اسم
ان لانه قبل دخولها مرفوع بالابتدا الثالث انه عطف على محل ان واسمها معا لان بعضهم كالفارسي والزجاج
يرون ان لان واسمها موضعا وهو الرفع بالابتدا قوله ان نظن الا ظنا هذه الاية لا بد فيها من تاويل وذلك
انه يجوز التفريغ في العامل لما بعده من جميع معمولاته مرفوعا كان او غير مرفوع الا المفعول المطلق فانه
لا يفرغ له لا يجوز ما ضربت الا ضربا لانه لا فايدة فيه وذلك انه بمنزلة تكرير الفعل فكانه في قوة ما ضربت
الا ضربت قاله مكي وابو البقا وقال الزمخشري فان قلت ما معنى ان نظن الا ظنا قلت اصله نظن ظنا ومعناه
اثبات الظن حسب وادخل حرف النفي والاستثنا ليفاد اثبات الظن ونفي ما سواه وزيد نفي ما سوى
الظن تاكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين فظاهر كلامه انه لا يتاول الاية الكريمة بل حملها على ظاهرها
قال ابو حيان وهذا كلام من لا شعور له بالقاعدة النحوية من ان التفريغ يكون في جميع المعمولات
من فاعل ومفعول وغيرهما الا المصدر المؤكد فانه لا يكون فيه وقد اختلف الناس في تاويلها على اوجه
احدها ما قاله المبرد وهو ان الاصل ان نحن الا نظن ظنا قال ونظيره ما حكاه ابو عمرو ليس الطيب الا
المسك بتقديره ليس الا الطيب المسك قال شهاب الدين يعني ان اسم ليس ضمير الشان مستتر فيها والا
الطيب المسك في محل نصب خبرها وكانه خفي عليه ان لغة تميم ابطال عمل ليس اذا انتقض نفيها بالا قياسا
على ما الحجازية والمسالة طويلة مذكورة في كتب النحو وعليها حكاية جرت بين ابي عمرو وعيسى بن عمر
الثاني ان ظنا له صفة محذوفة تقديره الا ظنا بينا فهو مختص لا مؤكد الثالث ان يضمن نظن معنى
نعتقد فينتصب ظنا مفعولا به لا مصدرا الرابع ان الاصل ان نظن الا انكم تظنون ظنا فحذف هذا كله

وهو معروف للمبرد ايضا وقد رد عليه من حيث انه حذف ان واسمها وخبرها وابقى المصدر وهذا لا يجوز الخامس
ان الظن يكون بمعنى العلم والشك فاستثنى الشك كانه قيل ما لنا اعتقاد الا الشك ومثل الاية قول الاعشى

ويحل به الشيب اثقاله ۞ وما اغتره الشيب الا اغترارا ۞ فحل بنا الشيب ... يريد اغترارا بينا

قال ابن الخطيب القوم كانوا في هذه المسئلة على قولين منهم من كان قاطعا بنفي البعث والقيامة وهم المذكورون
في قوله تعالى وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا ومنهم من كان شاكا متحيرا فيه لانهم لكثرة ما سمعوه من
الرسول عليه السلام ولكثرة ما سمعوه من دلائل القول بصحته صاروا شاكين فيه وهم المذكورون
في هذه الاية ويدل على ذلك انه تعالى حكى مذهب اولئك القاطعين ثم اتبعه بحكاية قول هولاء فوجب
كون هولاء مغايرين للفريق الاول ثم قال وبدا لهم سيئات ما عملوا من الله اي في الاخرة اي جزاؤها وحاق
بهم ما كانوا به يستهزءون وهذا كالدليل على ان هذه الفرقة لما قالوا ان نظن الا ظنا انما ذكروه استهزاء
وسخرية وعلى هذا الوجه فصار ذلك اول لحشر انهم هذا الفريق اشر من الفريق الاول لان الاولين كانوا
منكرين وما كانوا مستهزئين وهولاء ضموا الى الاصرار على الانكار الاستهزاء قوله وقيل اليوم ننساكم اي
نترككم في العذاب كما تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم وقيل نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالى
به كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم هذا ولم تلتفتوا اليه قوله لقاء يومكم هذا هذا من التوسع في الظرف حيث
اضاف اليه ما هو واقع فيه كقوله بل مكر الليل والنهار قوله ومأواكم النار وما لكم من ناصرين فجمع الله عليهم
من وجوه العذاب ثلاثة اشيا قطع الرحمة عنهم وصيرورة ماواهم النار وعدم الانصار ثم بين ان يقال لهم انما
صرتم مستحقين لهذه الوجوه الثلاثة من العذاب لانكم اتيتم بثلاثة انواع من الاعمال القبيحة وهي الاصرار
على انكار الدين الحق والاستهزاء به والاستغراق في حب الدنيا وهو المراد بقوله تعالى ذلكم بانكم اتخذتم آيات
الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا قوله فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون تقدم الخلاف في قوله لا يخرجون
منها في اول الاعراف وان حمزة والكسائي قرا بفتح اليا وضم الرا والباقون بضم اليا وفتح الرا ولا هم يستعتبون اي
لا يطلب منهم ان يرجعوا الى طاعة الله لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة قوله فلله الحمد رب السموات ورب
الارض قرا العامة رب في الثلاثة بالجر تبعا للجلالة بيانا او بدلا او نعتا وابن محيصن برفع الثلاثة على المدح
باضمار هو قوله وله الكبرياء في السموات يجوز ان يكون في السموات متعلقا بمحذوف حالا من الكبرياء وان يتعلق
بما تعلق به الظرف الاول لوقوعه خبرا ويجوز ان يتعلق بنفس الكبرياء لانها مصدر وقال ابو البقاء ان يكون يعني في
السموات ظرفا والعامل فيه الظرف الاول او الكبرياء لانها بمعنى العظمة قال شهاب الدين ولا حاجة الى تاويل الكبرياء
بمعنى العظمة فانها نائبة المصدر به فصل لما تم الكلام في المباحث الروحانية ختم السورة بتحميد الله تعالى فقال
فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين اي فاعبدوا الله الذي هو خالق السموات والارضين بل خالق
كل العالمين من الاجسام والذوات والصفات فان هذه الربوبية توجب الحمد والثناء على كل من المخلوقين والمربوبين
ثم قال وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم يعني بكمال قدرته يقدر على خلق اي شيء اراد وبكمال
حكمته يخص كل نوع من مخلوقاته باثار الحكمة والرحمة وقوله وهو العزيز الحكيم يفيد الحصر ويفيد ان الكمال في القدرة
وفي الحكمة وفي الرحمة ليس الا هو روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل
الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ادخلته النار روى ابي بن كعب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته عند الحساب والله تعالى اعلم

وهي خمس وثلاثون اية وستمائة واربع واربعون كلمة والفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا
السموات والارض وما بينهما تقدم الكلام على نظير ذلك والمراد هاهنا بالاجل المسمى يوم القيامة وهو
الاجل الذي تنتهي اليه السموات والارض وهو اشارة الى فنائها قوله والذين كفروا عما يجوز ان تكون
ما مصدرية اي عن انذارهم او بمعنى الذي اي عن الذي انذروه وعن متعلقة بالاعراض معرضون خبر
الموصول قوله قل ارايتم تقدم حكم ارايتم ووقع بعد هذه اروني فاحتملت وجهين احدهما ان تكون
توكيدا لها لانهما بمعنى اخبروني وعلى هذا يكون المفعول الثاني لارايتم قوله تعالى ماذا خلقوا لانه استفهام
والمفعول الاول هو قوله ما تدعون الوجه الثاني ان لا تكون مؤكدة لها وعلى هذا تكون المسالة من

سورة الأحقاف

باب

باب التنازع لان ارايتم يطلب ثانيا واروني كذلك وقوله ماذا خلقوا هو المتنازع فيه وتكون المسئلة من اعمال الثاني والحذف
من الاول وجوز ابن عطية في ارايتم ان لا يتعدى وجعل ما تدعون استفهاما معناه التوبيخ قال وتدعون معناه
تعبدون وهذا راي الاخفش وقد قال بذلك في قوله قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة وقد تقدم قوله من الارض هذا
بيان للابهام الذي في قوله ماذا خلقوا قوله ام لهم هذه ام المنقطعة والشرك المشاركة وقوله من قبل هذا صفة
لكتاب اي بكتاب منزل من قبل هذا كذا قدره ابو البقاء والاحسن ان يقدر كون مطلق اي كائن من قبل هذا قوله او اثارة
العامة على اثارة وهي مصدر على فعالة كالسماحة والغوايه والضلالة ومعناها البقية من قولهم سمنت الناقة
على اثارة من لحم اذا كانت سمينة ثم هزلت وبقي بقية اشراق ويستعمل في غير ذلك قال الراعي

۞ وذات اثارة اكلت عليها ۞ نباتا في اكمته فقارا ۞

وقيل اشتقاقه من اثر كذا اي اسندته
ومنه قول عمر ما حلفت به ذاكرا ولا اثرا اي مسندا له عن غيري وقال الاعشى

۞ ان الذي فيه تماريتما ۞ بين للسامع والاثر ۞

وقيل فيها غير ذلك وقرا علي وابن عباس
وزيد بن علي وعكرمة في اخرين اثرة دون الف وهي الواحدة وتجمع على اثر كقطرة وقطر وقرا الكسائي اثرة واثرة
بضم الهمزة وكسرها مع سكون الثاء وقتادة والسلمي بالفتح والسكون ثم ابو ثور ويوي اي ايتوني بخبر واحد يشهد
بصحة قولكم وهذا على سبيل التنزل للعلم بكذب المدعي وحرك علم صفة لاثارة قوله ومن اضل مبتدأ وخبر وقوله
من لا يستجيب من نكرة موصوفة او موصولة وهي مفعول بقوله يدعو قوله وهم عن دعائهم يجوز ان يكون الضمير
عائدا على من في قوله من لا يستجيب له وهم الاصنام ويوقع عليهم من لما عاملوهم بانها معاملة العقلاء ولانه اراد
جميع من عبد من دون الله وغلب العقلاء ويكون قوله قد راعى معنى من فلذلك جمع في قوله وهم بعد ما راعى لفظها
فافرد في قوله يستجيب وقيل يعود على من في قوله ومن اضل فحمل اولا على لفظها فافرد في قوله يدعو وثانيا على معناها
فجمع في قوله وهم عن دعائهم غافلون فصل ومن اضل استفهام على سبيل الانكار والمعنى انه لا احد ابعد عن الحق
واقرب الى الجهل ممن يدعو من دون الله الاصنام فيتخذها الهة ويعبدها وهي اذا دعيت لا تسمع ولا تجيب لا في
الحال ولا في المال الى يوم القيامة وانما جعل ذلك غاية لان يوم القيامة قد قيل انه تعالى يحييها وتخاطب من
يعبدها فلذلك جعله الله تعالى حدا واذا قامت القيامة وحشر الناس فهذه الاصنام تعادي هولاء العابدين
واختلفوا فيه فالاكثرون على انه تعالى يحيي هذه الاصنام يوم القيامة فتتبرا من عبادتهم وقيل المراد عبدة
الملائكة وعيسى فانهم في يوم القيامة يظهرون عداوة هولاء العابدين وهو المراد بقوله واذا حشر الناس كانوا
لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين اي جاحدين كقولهم تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون قوله واذا تتلى عليهم
اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق هنا اقام الظاهر مقام المضمر من اذ الاصل قالوا لها اي للايات ولكنه ابرزها
ظاهرين لاجل الوصفين المذكورين واللام في للحق للعلة فصل لما تكلم في تقرير التوحيد ونفي الاضداد والانداد
تكلم في النبوة فبين ان محمدا صلى الله عليه وسلم كلما عرض عليهم نوعا من انواع المعجزات قالوا هذا سحر اي يسمون
القران سحرا قوله ام يقولون افتراه ام للانكار والتعجب كانه قيل دع هذا واسمع القول المنكر العجيب ثم بين بطلان
شبههم فقال قل يا محمد ان افتريته على سبيل الفرض فان الله يعاجلني بعقوبة بطلان ذلك الافترا وانتم لا تقدرون
على دفعه فكيف اقدم على هذه الفرية بعقابه وهو المراد بقوله فلا تملكون لي من الله شيئا اي لا تقدرون
ان تردوا عني عذابه ان عذبني الله على افترائي فكيف افتري على الله من اجلكم ونظيره فمن يملك من الله شيئا ان
يهلك المسيح بن مريم وامه ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ثم قال هو اعلم بما تفيضون فيه من التكذيب
بالقران والقول فيه بانه سحر كفى به شهيدا بيني وبينكم ان القران جاء من عنده فيشهد لي بالصدق ويشهد لكم
بالكذب وهو الغفور الرحيم لمن رجع عن الكفر وتاب قال الزجاج هذا دعاء الى التوبة ومعناه غفور لمن تاب
منكم رحيم به قوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل الاية لما حكى طعنهم في كون القران معجزا بقولهم انه يختلقه
من عند نفسه ثم ينسبه الى انه كلام الله على سبيل الفرية حكى عنهم شبهة اخرى وهو انهم كانوا يقترحون عليه
معجزات عجيبة ويطالبونه بان يخبرهم عن المغيبات فاجاب الله تعالى عن ذلك بقوله قل ما كنت بدعا من الرسل
قوله بدعا فيه وجهان احدهما انه على حذف مضاف تقديره ذا بدع قاله ابو البقاء وهذا على ان يكون البدع
مصدرا والثاني ان البدع بنفسه صفة على فعل بمعنى بديع كالخف والخفيف والبدع والبديع ما لم ير له
مثل وهو من الابتداع وهو الاختراع وانشد قطرب

۞ فما انا بدع من حوادث تعتري ۞ رجالا عرت من بعد بؤسى واسعد ۞

قال البغوي البدع مثل بديع نصف ونصيف وجمع البدع ابداع وقرا عكرمة وابن ابي عبلة وابو حيوة
بدعا بفتح الدال جمع بدعة اي ما كنت ذا بدع وجوز الزمخشري ان تكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم

قال ابو حيان ولم يثبت سيبويه صفة على فعل الا قوما عدى وقد استدرك عليه لحم زيم اى متفرق وهو الصحيح قيم فمقصو
ر من قيام ولولا ذلك لصحت عينه كما صحت في حول وعوض واما قول العرب مكان سوى وماء روى ورجل رضى وماء صرى
وسبى طيبة فمتاول عند التصريفيين قال شهاب الدين تاويلها اما بالمصدرية او القصر كقيم في قيام وقرا
ابو حيوة ايضا ومجاهد بدع بفتح الباء وكسر الدال وهو وصف كحذر فصل البدع والبديع من كل شيء المبدا
والبدعة ما اخترع مما لم يكن موجودا قبله قال المفسرون معناه انى لست باول مرسل فلم يبعث قبلى كثير
من الانبياء فكيف تنكرون نبوتى وكيف تنكرون اخبارى بانى رسول الله وقيل انهم طلبوا منه معجزة عظيمة
واخبارا عن الغيوب فقال قل ما كنت بدعا من الرسل والمعنى ان الاتيان بهذه المعجزات القاهرة والاخبار
عن الغيوب ليس في وسع البشر واما جنس الرسل فانا واحد منهم فاذا لم يقدروا على ما تريدونه فكيف اقدر
عليه وقيل انهم كانوا يعيبونه بانه ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وبانه فقير وان اتباعه فقراء فقال
قل ما كنت بدعا من الرسل وكلهم كانوا على هذه الصفة فهذه الاشياء لا تقدح في نبوتى كما لا تقدح في نبوتهم
قوله وما ادرى ما يفعل بى العامة على بنائه للمفعول وابن ابى عبلة وزيد بن على بفتحها للفاعل اى الله تعالى
والظاهر ان ما في قوله ما يفعل استفهامية مرفوعة بالابتداء وما بعدها الخبر وهى معلقة لادرى عن العمل
فتكون سادة مسد مفعولها وجوز الزمخشرى ان تكون موصولة منصوبة يعنى انها متعدية لواحد اى لا اعرف
الذى يفعله الله قوله ان اتبع الا ما يوحى الى العامة على بنائه للمفعول وقرا ابن عمير بكسر الحاء على البناء للفاعل
وهو الله تعالى والمعنى انى لا اقول قولا ولا اعمل عملا الا بمقتضى الوحى واحتج نفاة القياس بهذه الاية
فقالوا النبى صلى الله عليه وسلم ما قال قولا ولا عمل عملا الا بالنص الذى اوحاه الله اليه فوجب ان يكون حالنا
كذلك ثم قال تعالى وما انا الا نذير مبين لانهم كانوا يطالبونه بالمعجزات العجيبة وبالاخبار عن الغيوب
فقال قل ما انا الا نذير مبين والقادر على تلك الاعمال الخارجة عن قدرة البشر والعالم بتلك الغيوب
ليس الا الله تعالى قوله قل ارايتم ان كان من عند الله مفعولا ارايتم محذوف تقديره ارايتم حالكم ان
كان كذا الستم ظالمين وجواب الشرط ايضا محذوف تقديره فقد ظلمتم ولهذا اتى بفعل الشرط ماضيا وقدر
الزمخشرى الستم ظالمين ورد عليه ابو حيان بانه لو كان كذلك لوجب الفاء لان الجملة الاستفهامية متى وقعت
جوابا للشرط لزمته الفاء ثم ان كانت اداة الاستفهام همزة تقدمت على الفاء نحو ان تزرنا افما نكرمك وان كانت
غيرها تقدمت الفاء عليها نحو ان تزرنا فهل ترى الا خيرا قال شهاب الدين والزمخشرى ذكر امرا تقديريا فسر به
المعنى لا الاعراب وقال ابن عطية وارايتم يحتمل ان تكون منبهة فهى لفظ موضوع للسؤال لا يقتضى مفعولا
ويحتمل ان تكون الجملة كان وما عملت فيه سادة مسد مفعوليها قال ابو حيان وهذا خلاف ما قرره النحاة وقد
تقدم تحقيق ما قرره وقيل جواب الشرط هو قوله فامن واستكبرتم وقيل هو محذوف تقديره فمن المحق
منا والمبطل وقيل فمن اضل قال ابن الخطيب جواب الشرط محذوف والتقدير ان يقال ان كان هذا الكتاب
من عند الله ثم كفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على صحته ثم استكبرتم لكنتم من الخاسرين ثم حذف
هذا الجواب ونظيره قوله ان احسنت اليك واسات الى واقبلت اليك واعرضت عنى فقد ظلمتنى وكذا
ها هنا التقدير اخبرونى ان ثبت ان القران من عند الله بسبب عجز الخلق عن معارضته ثم كفرتم به وحصل
ايضا شاهد من اعلم بنى اسرائيل بكونه معجزا من عند الله فلو استكبرتم وكفرتم الستم اضل الناس واظلمهم
واعلم ان جواب الشرط قد يحذف في بعض الايات كما في هذه الاية وكما في قوله ولو ان قرانا سيرت به
الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى وقد يذكر كما في قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم
كفرتم به من اضل وقوله قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله فصل
معنى الاية اخبرونى ماذا تقولون ان كان يعنى القران من عند الله وكفرتم به ايها المشركون وشهد شاهد من بنى اسرائيل
على مثله المنزلة يعنى عليه اى على انه من عند الله فامن يعنى الشاهد واستكبرتم عن الايمان به واختلفوا في
هذا الشاهد فقال قتادة والضحاك واكثر المفسرين هو عبد الله بن سلام شهد بنبوة المصطفى صلى الله عليه
وسلم وامن به واستكبر اليهود فلم يؤمنوا به كما روى انس قال سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاتاه وهو يخترف في ارض فنظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه النبى المنتظر
فقال له انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى ما اول اشراط الساعة وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع
الولد الى ابيه او الى امه فقال صلى الله عليه وسلم اخبرنى بهن جبريل انفا قال جبريل قال نعم قال ذاك
عدو اليهود من الملائكة فقرا هذه الاية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله اما اشراط
الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما

الولد

الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المراة نزعته فقال اشهد انك لرسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود
قوم بهت وان علموا باسلامى قبل ان تسالهم عنى بهتونى عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم اى رجل
عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال افرايتم ان اسلم عبد الله بن
سلام فقالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف منه يا رسول الله فقال سعد بن ابى وقاص ما كنا
نقول وفي رواية ما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشى على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن
سلام وفيه نزلت هذه الاية وشهد شاهد من بنى اسرائيل وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال
الشعبى قال مسروق في هذه الاية والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لان الحم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بن
سلام بالمدينة قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين فكيف يمكن حمل هذه الاية المكية على واقعة حدثت
في عهد رسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وانما نزلت الاية في محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقومه واجاب الكلبى بان السورة مكية الا هذه الاية فانها مدنية وكانت الاية تنزل فيامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يضعها في سورة كذا وكذا وهذه الاية نزلت بالمدينة وان الله تعالى امر رسوله بان يضعها
في هذه السورة المكية في هذا الموضع المعين قال ابن الخطيب ولقائل ان يقول ان الحديث الذى رويتم
عن عبد الله بن سلام مشكل لان ظاهر الحديث يشعر بانه لما سال النبى صلى الله عليه وسلم عن المسايل الثلاث
فلما اجاب النبى صلى الله عليه وسلم بذلك الجواب امن عبد الله بن سلام لاجل ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر تلك
الجوابات وهذا بعيد من وجهين الاول ان الاخبار عن اول اشراط الساعة وعن اول طعام ياكله اهل الجنة اخبار
عن وقوع شيء من الممكنات وما هذا سبيله فانه لا يعرف كون ذلك الخبر صدقا الا اذا عرف اولا كون المخبر صادقا
فلو عرفنا صدق المخبر بكون ذلك الخبر صادقا لزم الدور وهو محال الثانى انا نعلم بالضرورة ان الجوابات
المذكورة عن هذه المسايل لا يبلغ العلم بها الى حد الاعجاز البتة بل نقول الجوابات الباهرة عن المسايل الصعبة
لما لم تبلغ الى حد الاعجاز والجواب يحتمل انه جاء في بعض كتب الانبيا المتقدمين ان رسول اخر الزمان يسال عن هذه
المسايل وهو يجيب عنها بهذه الجوابات وكان عبد الله بن سلام عالما بهذا المعنى فلما سال النبى صلى الله عليه وسلم
واجاب بتلك الاجوبة فلا حاجة بنا الى ان نقول العلم بهذه الجوابات معجز تمام وقيل المراد بالشاهد التوراة
ومثل القران هو التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على القران فكل واحد يصدق الاخر لان التوراة مشتملة على
البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران مصدق للتوراة ثم قال فامن واستكبرتم فلم تؤمنوا ان الله لا يهدى القوم
الظالمين وهذا تهديد وهو قائم مقام الجواب المحذوف والتقدير قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم
لا تكونوا مهتدين بل تكونوا ضالين قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه الاية في
سبب النزول وجوه الاول ان كفار مكة قالوا ان عامة من يتبع محمدا الفقراء والاراذل مثل عمار وصهيب وابن مسعود
ولو كان هذا الدين خيرا ما سبقونا اليه هؤلاء الثانى قيل لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت بنو
عامر وغطفان واسد واشجع لو كان هذا خيرا ما سبقونا اليه رعاة البهم الثالث قيل ان امة لعمر اسلمت وكان عمر
يضربها ويقول لولا انى فترت لزدتك ضربا فكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقتنا اليه
الرابع قيل كان اليهود يقولون هذا الكلام حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه قوله للذين امنوا يجوز ان تكون لام
العلة اى لاجلهم يعنى ان الكفار قالوا لاجل ايمان الذين امنوا وان يكون للتبليغ ولو جروا على مقتضى الخطاب
لقالوا ما سبقتمونا ولكنهم التفتوا فقالوا ما سبقونا والضمير في كان واليه عايدان على القران او ما جاء به
الرسول او الرسول قوله واذ لم يهتدوا العامل في اذ مقدر اى ظهر عنادهم وتسبب عنه قوله فسيقولون
ولا يعمل في اذ فسيقولون لتضاد الزمانين اعنى المضى والاستقبال ولاجل الفا ايضا فصل المعنى واذ لم
يهتدوا بالقران كما اهتدى به اهل الايمان فسيقولون هذا افك قديم كما قالوا اساطير الاولين قوله
ومن قبله كتاب موسى العامة على كسر ميم من حرف جر وهى مع مجرورها خبر مقدم والجملة حالية او مستانفة
وقرا الكلبى بنصب الكتاب تقديره وانزل من قبله كتاب موسى وقرئ ومن بفتح الميم كتاب موسى بالنصب على ان من
موصولة وهى مفعول اول لاتينا مقدرا وكتاب موسى مفعوله الثانى اى واتينا الذى قبله كتاب موسى قوله اماما
ورحمة حالان من كتاب موسى وقيل منصوبان بمقدر اى انزلناه اماما لا حاجة اليه وعلى كونهما حالين هما
منصوبان بما انتصب به من قبله من الاستقرار وقال ابو عبيدة فيه اضمار اى جعلناه اماما ورحمة من الله
لمن امن به ومعنى الاية ومن قبل القران كتاب موسى يعنى التوراة اماما يقتدى به ورحمة من الله لمن
امن به وفي الكلام محذوف تقديره وتقدمه كتاب موسى اماما ورحمة ولم يهتدوا به كما قال في الاية الاولى

وادلة نبوته قوله وهذا كتاب مصدق اى القرآن يصدق الكتب التى قبله فى ان محمدا رسول الله من عند الله قوله
لسانا عربيا حال من الضمير فى مصدق ويجوز ان يكون حالا من كتاب والعامل التنبيه او معنى الاشارة وعربيا صفة
للسانا وهو المسوغ لوقوع هذا الجامد حالا وجوز ابو البقاء ان يكون مفعولا به ناصبه مصدق وعلى هذا تكون
الاشارة الى غير القرآن لان المراد باللسان العربى القرآن وهو خلاف الظاهر وقيل هو على حذف مضاف
اى مصدق ذا لسان عربى وهو النبى صلى الله عليه وسلم وقيل هو على اسقاط حرف الجر اى بلسان وهو ضعيف
قوله لينذر الذين متعلق بمصدق وبشرى عطف على محله تقديره للانذار والبشرى فصل المراد بالذين ظلموا مشركوا
مكة والحاصل ان المقصود من انزال هذا الكتاب انذار المعرضين وبشارة المطيعين قوله تعالى ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية لما قرر دلائل التوحيد والنبوة وذكر شبهات المنكرين واجاب عنها
ذكر بعد ذلك طريقة المحققين فقال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقد تقدم تفسيره فى
سورة السجدة والفرق بين الموضعين ان فى سورة السجدة ذكر ان الملائكة ينزلون ويقولون لا تخافوا ولا تحزنوا
وهاهنا رفع الواسطة وذكر انه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاذا جمعنا بين الايتين حصل من مجموعهما
ان الملائكة يبلغونهم بالبشارة من غير واسطة قوله فلا خوف الفاء زائدة فى خبر الموصول لما فيه من معنى
الشرط ولم يمنع ان من ذلك لبقاء معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل وكان قوله اولئك اصحاب الجنة الاية
قالت المعتزلة هذه الاية تدل على مسائل اولها ان قوله اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها يفيد الحصر وان
اصحاب الجنة ليسوا الا الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وهذا يدل على ان صاحب الكبيرة قبل التوبة لا يدخل الجنة
وثانيها قوله جزاء بما كانوا يعملون يدل على فساد قول من يقول الثواب فضل لا جزاء وثالثها قوله جزاء بما كانوا
يعملون يدل على اثبات العمل للعبد ورابعها يدل على ان العبد يستحق على الله جزاء عمله وتقدم جواب ذلك
قوله خالدين منصوب على الحالية وجزاء منصوب على المصدر اما بعامل مضمر اى يجزون جزاء او بما تقدم
لان معنى اولئك اصحاب الجنة بمعنى جازيناهم بذلك قوله ووصينا الانسان تقدم نظيره قرأ الكوفيون
احسانا وباقى السبعة حسنا بضم الحاء وسكون السين فالقراءة الاولى يكون احسانا فيها منصوبا بفعل
مضمر مقدر اى وصيناه ان يحسن اليهما احسانا وقيل بل هو مفعول به على تضمين وصينا معنى الزمنا فيكون
مفعولا ثانيا وقيل بل هو منصوب على المفعول به اى وصيناه بهما احسانا منا اليهما وقيل هو منصوب على المصدر
لان معنى وصينا احسنا فهو مصدر صريح والمفعول الثانى هو المجرور بالباء وقال ابن عطية انها تتعلق اما
بوصينا واما باحسانا ورد ابو حيان هذا الثانى بانه مصدر موصول فلا يتقدم معموله عليه ولان احسن
لا يتعدى باللام لا يقول احسن لزيد على معنى وصول الاحسان اليه ورد بعضهم هذا بقوله وقد احسن بى اذ اخرجنى
وقيل هو بغير هذا المعنى وقدر بعضهم ووصينا الانسان بوالديه ذا احسان يعنى فيكون حالا واما حسنا
فقيل فيه ما تقدم فى احسان وقرأ عيسى والسلمى حسنا بفتحهما وقد تقدم معنى القراءتين فى البقرة وفى
لقمان قال ابن الخطيب حجة من قرأ احسانا قوله تعالى فى سورة بنى اسرائيل وبالوالدين احسانا ومعناه
امرناه ان يوصل اليهما احسانا وحجة القراءة الاخرى قوله تعالى فى سورة العنكبوت ووصينا الانسان
بوالديه حسنا ولم يختلفوا فيه والمراد انا امرناه بان يوصل اليهما فعلا حسنا كما يقال هذا الرجل علم
وكرم قوله حملته امه كرها ووضعته كرها قرأ اهل الحجاز وابو عمرو بفتح الكاف والباقون بضمها فقيل
هما لغتان بمعنى واحد مثل الضعف والضعف والفقر والفقر ومن غير المصادر الدف والدف والشهد
والشهد وقال الواحدى الكره مصدر من كرهت الشئ اكرهه والكره الاسم كانه الشئ المكروه قال
تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم فهذا بالضم وقال ان ترثوا النساء كرها فهذا فى موضع الحال وما
كان مصدرا فى موضع الحال فالفتح فيه احسن وقال ابو حاتم الكره بالفتح لا يحسن لانه بالفتح الغصب
والغلبة ولا يلتفت لما قاله لتواتر هذه القراءة وانتصابهما اما على الحال من الفاعل اى ذات كره واما
على النعت لمصدر مقدر اى حملا كرها فصل قال المفسرون حملته امه على مشقة ووضعته بمشقة
وليس المراد ابتداء الحمل فان ذلك لا يكون مشقة لقوله تعالى فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فلما اثقلت
يحتمل حملته كرها ووضعته كرها يريد شدة الطلق فصل دلت الاية على ان حق الام اعظم لانه
تعالى قال ووصينا الانسان بوالديه حسنا فذكرهما معا ثم خص الام بالذكر فقال حملته امه كرها
ووضعته كرها وذلك يدل على ان حقها اعظم وان وصول المشاق اليها بسبب الولد كثيرة والاخبار
كثيرة فى هذا الباب قوله وحمله وفصاله اى مدة حمله وقرأ العامة وفصاله مصدر فاصل كان الام
فاصلته وهو فاصلها والجحدرى والحسن وقتادة فصله قيل والفصل والفصال بمعنى كالعظم

والعظام

والعظام والقطف والقطاف والفصال الفطام ولو نصب ثلاثين على الظرف الواقع موقع الخبر جاز وهو الاصل هذا اذا
لم يقدر مضافا فان قدرنا اى مدة حمله لم يجز ذلك وتعين الرفع لتصادق الخبر والمخبر عنه فصل دلت
الاية على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه لما كان مجموع مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهرا وقال تعالى والوالدات
يرضعن اولادهن حولين كاملين فاذا اسقطنا الحولين الكاملين وهى اربعة وعشرون شهرا من ثلاثين
بقى مدة الحمل ستة اشهر روى عكرمة عن ابن عباس قال اذا حملت المراة تسعة اشهر ارضعت احدا وعشرين شهرا
واذا حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا وروى عن ابى بكر رضى الله عنه ان امراة رفعت اليه
وقد ولدت لستة اشهر فامر برجمها فقال عمر لا رجم عليها وذكر الطريق المتقدمة وعن عثمان نحوه وانه
هم بذلك فقرأ ابن عباس عليه الاية واما مدة اكثر الحمل فليس فى القران ما يدل عليه قوله حتى اذا
بلغ اشده لا بد من جملة محذوفة تكون حتى غاية لها اى عاش واستمرت حياته حتى اذا بلغ اشده قال
ابن عباس فى رواية عطاء الاشد ثمانية عشر سنة وقيل نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما
بين ثمانى عشرة سنة الى اربعين سنة فذلك قوله وبلغ اربعين سنة قال السدى والضحاك نزلت فى
سعد بن ابى وقاص وقد تقدمت القصة وقيل نزلت فى ابى بكر الصديق وابيه ابى قحافة عثمان بن عمرو
وامه ام الخير بنت صخر بن عمرو وقال على بن ابى طالب الاية فى ابى بكر الصديق اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع
لاحد من المهاجرين ابواه غيره اوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده وكان ابو بكر صحب النبى صلى الله عليه وسلم
وهو ابن ثمانى عشرة سنة والنبى صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة فى تجارته الى الشام فلما بلغ اربعين
سنة ونبى النبى صلى الله عليه وسلم امن به ودعا ربه فقال رب اوزعنى الهمنى ان اشكر نعمتك التى انعمت
على وعلى والدى بالهداية والايمان واكثر المفسرين على ان الاشد ثلاث وثلاثون سنة قوله اربعين سنة اى
تمامها فاربعين مفعول به قال المفسرون لم يبعث نبى قط الا بعد اربعين سنة قال ابن الخطيب وهذا يشكل
بعيسى عليه السلام فانه تعالى جعله نبيا من اول عمره الا انه يجب ان يقال الاغلب انه ما جاء الوحى الا بعد
الاربعين وهكذا كان الامر فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم قوله اوزعنى قال ابن عباس معناه الهمنى قال الجوهرى
اوزعته اغريته به فاوزع به فهو موزع اى مغرى به واستوزعت الله فاوزعنى اى استلهمته فالهمنى
قوله وان اعمل صالحا ترضاه قال ابن عباس اجاب الله عز وجل دعاء ابى بكر فاعتق تسعة من المؤمنين يعذبون
فى الله منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال واصلح لى فى ذريتى
فاجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا امنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا فادرك ابو قحافة النبى صلى
الله عليه وسلم وابنه ابو بكر وابنه عبد الرحمن بن ابى بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبى صلى الله
عليه وسلم ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة قوله واصلح لى فى ذريتى اصلح يتعدى بنفسه لقوله واصلحنا له زوجه وانما
تعدى بفى لتضمنه معنى الطف بى فى ذريتى او لانه جعل الذرية ظرفا للاصلاح كقوله
يجرح فى عراقيبها نصلى
والمعنى هب لى الصلاح فى ذريتى واوقعه فيهم قوله انى تبت اليك
وانى من المسلمين والمراد ان الدعاء لا يصح الا مع التوبة ومع كونه من المسلمين قوله اولئك الذين نتقبل
عنهم قرأ الاخوان وحفص نتقبل بفتح النون مبنيا للفاعل ونصبه احسن على المفعول به وكذلك نتجاوز والباقون
يبنيان بها للمفعول ورفع احسن لقيامه مقام الفاعل ومكان النون ياء مضمومة فى الفعلين والحسن والاعمش وعيسى
بالياء من تحت والفاعل الله تعالى قوله فى اصحاب الجنة فيه اوجه اظهرها انه فى محل الحال اى كائنين فى جملة اصحاب
الجنة كقولك اكرمنى الامير فى اصحابه اى فى جملتهم والثانى ان فى بمعنى مع والثالث انها خبر مبتدأ مضمر اى
هم فى اصحاب الجنة قوله وعد الصدق مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة لان قوله اولئك الذين نتقبل عنهم فى معنى
الوعد فيكون قوله نتقبل ونتجاوز وعدا من الله لهم بالتقبل والتجاوز والمعنى يعامل من صفته ما قدمنا بهذا الجزاء
وذلك وعد من الله فبين انه صدق لا شك فيه قوله تعالى والذى قال لوالديه الاية لما وصف الولد البار
بوالديه وصف الولد العاق لوالديه هاهنا واعلم انه قد تقدم الكلام على اف ولكما بيان التافيف لكما
نحو هيت لك وهى كلمة كراهية اتعداننى ان اخرج من قبرى حيا وقد خلت القرون من قبلى ولم يبعث منهم
احد قال ابن عباس والسدى ومجاهد نزلت فى عبد الله وقيل فى عبد الرحمن بن ابى بكر قبل اسلامه كان ابواه
يدعوانه الى الاسلام وهو يابى وهو قوله اف لكما احيوا لى عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش
حتى اسالهم عما تقولون واحتجوا لهذا القول بانه لما كتب معوية الى ابن مروان بان يبايع الناس ليزيد
قال عبد الرحمن بن ابى بكر لقد جئتم شيئا نكرا اتبايعون ابناكم فقال مروان يا ايها الناس هو الذى قال
الله فيه والذى قال لوالديه اف لكما والصحيح انها نزلت فى كل كافر عاق لوالديه قاله الحسن وقتادة قال

الزجاج قول من قال انها نزلت في عبد الله بن ابي بكر قبل اسلامه يبطله قوله اولئك الذين حق عليهم القول في امم فاعلم
الله تعالى ان هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن من افاضل المؤمنين فلا يكون ممن حقت
عليه كلمة العذاب. قال ابن الخطيب وهذا القول هو الصحيح قال فالمراد انه لما دعاه ابواه الى الاسلام
واخبراه بالبعث بعد الموت قال اتعدانني ان اخرج من القبر يعني ابعث بعد الموت وقد خلت القرون من
قبلي يعني الامم الخالية فلم يرجعوا منهم عبد الله بن جدعان وفلان وفلان فيقول قوله اولئك الذين
حق عليهم القول المراد هؤلاء الذين ذكرهم عبد الرحمن من المشركين الذين ماتوا قبله هم الذين حق عليهم
القول فالضمير عائد الى المقالة اليهم بقوله وقد خلت القرون من قبلي لا الى المشار اليه بقوله والذي
قال لوالديه اف لكما هذا الجواب الكلي في دفع ذلك الدليل وهو حسن ايضا. روي ان مروان لما خاطب
عبد الرحمن بن ابي بكر بذلك الكلام سمعت عائشة رضي الله عنها ذلك فغضبت وقالت والله ما هو به
ولكن الله لعن اباك وانت في صلبه واذا ثبت ذلك كان المراد كل ولد اتصف بالصفات المذكورة ولا
حاجة الى تخصيص اللفظ المطلق بشخص معين. قوله **اتعدانني** العامة على نونين مكسورتين الاولى للرفع
والثانية للوقاية وهشام بالادغام ونافع في رواية بنون واحدة وهذه شبيهة بقوله تأمروني اعبد
وقرأ الحسن وشيبة وابو جعفر وعبد الوارث عن ابي عمرو بفتح النون الاولى كانهم فروا من توالي مثلين
مكسورين بعدهما ياء. وقال ابو البقاء هي لغة شاذة في فتح نون الاثنين. قال شهاب الدين ان عنى نون الاثنين
في الاسماء نحو قوله على احوذيين استقلت فليس هذا منه وان عنى في الفعل فلم يثبت ذلك لغة وانما الفتح
هنا لما ذكرت. قوله **ان اخرج** هو الموعود به فيجوز ان يقدر الباء قبل ان وان لا يقدر. قوله **وقد خلت**
جملة حالية وكذلك **وهما يستغيثان الله** اي يسألان الله. واستغاث يتعدى بنفسه تارة وبالباء اخرى
وان كان ابن مالك زعم انه متعد بنفسه فقط وعاب قول النحاة مستغاث به. قال شهاب الدين لكنه
لم يرد في القرآن الا متعديا بنفسه اذ تستغيثون ربكم فاستغاثه الذي وان يستغيثوا يغاثوا. قال
ابن الخطيب معناه يستغيثان بالله من كفره وانكاره فلما حذف الجار وصل الفعل ويجوز ان يقال حذف
الباء لانه اريد بالاستغاثة الدعاء فحذف الجار لان الدعاء لا يقتضيه. قوله **ويلك** منصوب على المصدر
بفعل ملاقيه في المعنى دون الاشتقاق ومثله ويحه وويسه وويبه واما على المفعول به بتقدير الزمك
الله ويلك وعلى كلا التقديرين الجملة معمولة لقول مقدر اي يقولان ويلك آمن والقول في محل نصب
على الحال اي يستغيثان الله قائلين ذلك. والمعنى يقولان له ويلك آمن وصدق بالبعث وهو دعاء عليه
بالثبور والمراد الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك. قوله **ان وعد الله حق** قرأ العامة بكسر
ان استئنافا او تعليلا. وقرأ عمرو بن فائد والاعرج بفتحها على انها معمولة لآمن على حذف الباء اي آمن
بان وعد الله حق بالبعث فيقول لهما **ما هذا الا اساطير الاولين**. قوله **اولئك الذين حق عليهم القول**
اي وجب عليهم العذاب **في امم** اي مع امم وقد تقدم **قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا
خاسرين**. قوله **ولكل درجات مما عملوا** قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو افضل ممن تخلف
عنه ولو ساعة. وقال مقاتل ولكل واحد من الفريقين يعني البار بوالديه والعاق لهما درجات في
الايمان والكفر والطاعة والمعصية. **فان قيل** كيف يجوز اطلاق لفظ الدرجات في اهل النار وقد
روي الجنة درجات والنار دركات **فالجواب** من وجوه. احدها ان ذلك على جهة التغليب
وثانيها قال ابن زيد درج اهل الجنة تذهب علوا ودرج اهل النار تذهب هبوطا. الثالث المراد
بالدرجات المراتب المتزايدة فدرجات اهل الجنة في الخيرات والطاعات ودرجات اهل النار في
المعاصي والسيئات. قوله **وليوفيهم** معللة بمحذوف تقديره جازاهم بذلك. وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم
وهشام بالياء من تحت والباقي من السبعة بالنون والسلمي بالتاء من فوق اسند التوفية للدرجات مجازا. قوله
وهم لا يظلمون اما استئناف واما حال مؤكدة. قوله **ويوم يعرض** اليوم منصوب بقول مقدر اي يقال
لهم اذهبتم في يوم عرضهم. وجعل الزمخشري هذا مثل قولهم عرضت الناقة على الحوض فيكون قلبا
ورده ابو حيان بانه ضرورة وايضا العرض امر نسبي فيصح نسبته الى الناقة والى الحوض وقد تقدم
الكلام في القلب وان فيه ثلاثة مذاهب. قوله **اذهبتم** قرأ ابن كثير أأذهبتم بهمزتين الاولى محققة
والثانية مسهلة بين بين ولم يدخل بينهما الفا وهذه قاعدته في أأنذرتهم ونحوه وابن عامر
قرأ ايضا بهمزتين لكن اختلف راوياه فهشام سهل الثانية وحققها وادخل الفا في الوجهين وليس
على اصله فانه من اهل التحقيق فقط وابن ذكوان بالتحقيق فقط دون ادخال الف والباقون بهمزة واحدة

فيكون

فيكون اما خبرا واما استفهاما اسقطت اداته للدلالة عليها والاستفهام معناه التقريع وكلا القراءتين فصيحتان
لان العرب تستفهم وتترك الاستفهام فتقول اذهبت ففعلت كذا وذهبت ففعلت كذا. قوله **في حياتكم**
يجوز تعلقه باذهبتم ويجوز تعلقه بمحذوف على انه حال من طيباتكم. قوله **فاليوم تجزون عذاب الهون**
اي العذاب الذي فيه ذل وخزي وقرئ عذاب الهوان **بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم
تفسقون** فعلل تعالى ذلك العذاب بامرين احدهما الاستكبار والترفع وهو ذنب القلب والثاني الفسق
وهو ذنب الجوارح وقدم الاول على الثاني لان احوال القلب اعظم وقعا من اعمال الجوارح ويمكن ان يكون
المراد من الاستكبار انهم يتكبرون عن قبول الحق ويستكبرون عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد
بالفسق المعاصي. **فصل** دلت الاية على ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام لان الله تعالى علل عذابهم بامرين اولهما
الكفر وثانيهما الفسق وهذا الفسق لا بد وان يكون مغايرا لذلك الكفر لان العطف يوجب المغايرة فثبت ان فسق الكافر
يوجب العقاب في حقهم ولا معنى للفسق الا ترك المأمورات وفعل المنهيات. قوله تعالى **واذكر اخا عاد اذ انذر قومه**
الاية لما ذكر دلائل النبوة والتوحيد وكان اهل مكة بسبب استغراقهم في لذات الدنيا اعرضوا عنها ولم يلتفتوا اليها
فلهذا السبب قال تعالى في حقهم ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فلما كان الامر كذلك
بين ان قوم عاد كانوا اكثر اموالا وقوة وجاها منهم ثم ان الله تعالى سلط عليهم العذاب بكفرهم فذكر قصتهم ليعتبر
بها اهل مكة فيتركوا الاغترار بما وجدوه في الدنيا ويقبلوا على طلب الدين الحق فقال واذكر يا محمد لقومك اخا عاد
اي هودا عليه السلام. قوله **اذ انذر** بدل اشتمال والكلام في كيفيته. قوله **بالاحقاف** جمع حقف
وهو الرمل المستطيل المعوج ومنه احقوقف الهلال. قال امرؤ القيس

فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى … بنا بطن حقف ذي قفاف عقنقل

قال ابن عباس واد بين عمان ومهرة. وقال مقاتل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة اليها تنسب الابل المهرية
وكانوا اهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم. قال قتادة ذكر لنا ان
عادا كانوا احياء من اليمن كانوا اهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر. قوله **وقد خلت النذر** يجوز ان يكون معترضة
بين انذر وبين ان لا تعبدوا اي انذرهم بان لا. وقوله **من بين يديه ومن خلفه** اي مضت الرسل من قبل هود ومن
خلفه اي بعده. والمعنى اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره. **فلما
رأوه عارضا** في هاء رأوه قولان احدهما انه عائد على ما في قوله بما تعدنا والثاني انه ضمير مبهم يفسره عارضا اما
تمييزا او حالا قالهما الزمخشري ورده ابو حيان بان التمييز المفسر للضمير محصور في باب رب وفي نعم وبئس وبان
الحال لم يعهد فيها ان توضح الضمير قبلها وان النحويين لا يعرفون ذلك. قال شهاب الدين وقد ذكر المبرد في الضمير هنا قولين الاول ما تقدم
والثاني انه يعود الى غير مذكور وبينه قوله عارضا كقوله ما ترك على ظهرها من دابة فلم يذكر الارض لكونها معلومة
فكذا ههنا الضمير عائد الى السحاب كانه قيل فلما رأوا السحاب عارضا وهذا اختيار الزجاج ويكون من باب الاضمار
لا على شريطة التفسير. والعارض السحابة التي ترى في ناحية السماء ثم تطبق السماء. قوله **مستقبل اوديتهم**
صفة لعارضا واضافته غير محضة فمن ثم ساغ ان يكون نعتا للنكرة وكذلك ممطرنا وقع نعتا لعارض ومثله

يا رب غابطنا لو كان يطلبكم … لاقى مباعدة منكم وحرمانا

وقوله اوديتهم جمع واد وان افعلة وردت جمعا لفاعل في الفاظ كواد واودية وناد واندية وجائز واجوزة. **فصل** قال المفسرون كانت
حبس عنهم المطر اياما فساق الله اليهم سحابة سوداء فخرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا
وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى **بل هو ما استعجلتم به** من العذاب ثم بين ماهيته فقال **ريح فيها عذاب اليم** ثم
وصف تلك الريح فقال **تدمر كل شيء بامر ربها** اي تهلك كل شيء من الحيوان والناس بامر ربها. ومعناه ان هذا ليس
من باب تأثيرات الكواكب والقرانات بل هو امر حدث ابتداء بقدرة الله تعالى لاجل تعذيبكم. قوله بل هو ما استعجلتم
به قرئ ما استعجلتم مبنيا للمفعول. وقوله ريح يجوز ان يكون مبتدأ مضمرا اي هو ريح ويجوز ان يكون بدلا من ما وفيها
عذاب صفة لريح وكذلك تدمر. وقرئ يدمر كل شيء بالياء من تحت مفتوحة وسكون الدال وضم الميم كل بالرفع على
الفاعلية اي يهلك كل شيء. وزيد بن علي كذلك الا انه بالتاء من فوق ونصب كل والفاعل ضمير الريح وعلى هذا
فيكون دمر الثلاثي لازما ومتعديا. قوله **فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم** قرأ حمزة وعاصم لا يرى بضم الياء من تحت
مبنيا للمفعول مساكنهم بالرفع لقيامه مقام الفاعل والباقون من السبعة بفتح تاء الخطاب مساكنهم بالنصب
مفعولا به. والجحدري والاعمش وابن ابي اسحاق والسلمي وابو رجاء بضم التاء من فوق مبنيا للمفعول مساكنهم بالرفع
لقيامه مقام الفاعل الا ان هذا عند الجمهور لا يجوز اعني اذا كان الفاصل الا فانه يمتنع لحاق علامة التأنيث في الفعل
الا في ضرورة كقوله … وما بقيت الا الضلوع الجراشع … وقوله

كانه جملهم وما يقيته الا الحجرة والالواح والعصب وعسى الهداي لا يرى بالباء من تحت مبنيا للمفعول
ومساكنهم بالتوحيد ونصر بن عاصم بالخطاب مساكنكم بالتوحيد ايضا منصوبا واجتزى بالواحد عن الجمع فصل روي ان
الريح كانت تحمل الفسطاط فترفعها في الجو وتحمل الظعينة حتى ترى كانها جرادة وقيل ان اول من ابصر العذاب امراة منهم
قالت رايت ريحا فيها كشهب النار وروى انه اول ما عرفوا به انه عذاب اليم انهم رأوا ما كان في الصحرا من رجالهم
ومواشيهم تطير بهم الريح بين السما والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم
وامال الله تعالى عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم امر الله الريح فكشفت عنهم
الرمال واحتملتهم فرمت بهم في البحر وروى ان هودا لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب
عين تنبع وكانت الريح التي تصيبهم ريحا طيبة هادية والريح التي تصيب قوم عاد ترفعهم من الارض وتطير بهم
الى السما وتضربهم على الارض واثر المعجزة انما ظهر في تلك الريح من هذا الوجه قال عليه السلام ما امر الله خازن
الرياح ان يرسل على عاد الا مثل مقدار الخاتم وذلك القدر اهلكهم بكليتهم وذلك اظهار لقدرة الله تعالى وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان اذا راى الريح فزع وقال اللهم اني اسالك خيرها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من
شرها وشر ما ارسلت به ثم قال تعالى كذلك نجزي القوم المجرمين والمقصود منه تخويف كفار مكة فان قيل لما قال الله
الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فكيف يحصل التخويف فالجواب من وجهين ان ذلك كان قبل نزول الاية قوله
ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ما موصولة او موصوفة وفي ان ثلاثة اوجه احدها شرطية وجوابها محذوف
والجملة الشرطية صلة ما والتقدير في الذي ان مكناكم فيه طغيتم والثاني انها مزيدة تشبيها للموصولة بما النافية
والتوقيتية وهو كقوله يرجي المرء ما ان لا يراه وتعرض دون ادناه الخطوب والثالث وهو الصحيح
انها نافية بمعنى مكناهم في الذي ما مكناكم فيه من القوة والبسطة وسعة الارزاق ويدل له قوله في مواضع
كانوا اشد منهم قوة وامثاله وانما عدل عن لفظ ما النافية الى ان كراهية لاجتماع متماثلين لفظا قال
الزمخشري وقد اغث ابو الطيب في قوله لعمرك ما ما بان منك بضارب وما ضره لو اقتدى بعلوية
لفظ التنزيل لقال ما ان بان منك قوله فما اغنى يجوز ان يكون ما نفيا وهو الظاهر او استفهاما للتقرير واستبعده
ابو حيان لاجل قوله من شيء قال اذ يصير التقدير اي شيء اغنى عنهم من شيء فزاد من في الواجب وهو لا يجوز على
الصحيح قال شهاب الدين قالوا تجوز زيادتها في غير الموجب وفسروا غير الموجب بالنفي والنهي والاستفهام
وهذا استفهام قوله اذ كانوا معمول لاغنى وهي مشربة معنى التعليل اي لانهم كانوا يجحدون فهو كقوله ضربته
اذ اساء اي ضربته لانه اسا وفي هذه الاية تخويف لاهل مكة ثم قال وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون يعني انهم
كانوا يطلبون نزول العذاب على سبيل الاستهزاء قوله تعالى ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى يا كفار مكة كحجر ثمود
وعاد باليمن وارض سدوم ونحوها بالشام وصرفنا الايات الحجج بيناها لهم لعل اهل القرى يرجعون قال الجبائي
قوله لعلهم يرجعون معناه لكي يرجعوا عن كفرهم وذلك يدل على انه تعالى اراد رجوعهم ولم يرد اصرارهم واجيب
بانه فعل ما لو فعله غيره لكان ذلك لاجل الارادة المذكورة وانما ذهبنا الى هذا التاويل للدلائل الدالة على انه
تعالى مريد لجميع الكائنات قوله تعالى فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله القربان ما يتقرب به الى الله
اي اتخذوها شفعا قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قوله قربانا
الهة فيه اربعة اوجه اظهرها ان المفعول الاول لاتخذوا محذوف هو عائد الموصول وقربانا نصب على الحال
والهة هو المفعول الثاني للاتخاذ والتقدير فهلا نصرهم الذين اتخذوهم متقربا بهم الهة الثاني ان
المفعول الاول محذوف كما تقدم وقربانا مفعولا ثانيا والهة بدل منه واليه نحا ابن عطية والحوفي وابو
البقا الا ان الزمخشري منع هذا الوجه قال لفساد المعنى ولم يبين جهة الفساد قال ابو حيان ويظهر ان
المعنى صحيح على ذلك الاعراب قال شهاب الدين ووجه الفساد والله اعلم ان القربان اسم لما يتقرب
به الى الاله فلو جعلناه مفعولا ثانيا والهة بدلا منه لزم ان يكون الشي المتقرب به الهة والغرض انه غير
الالهة بل هو شي يتقرب به اليها فهو غيرها فكيف تكون الالهة بدلا منه هذا ما لا يجوز الثالث ان قربانا مفعول
من اجله وعزاه ابو حيان للحوفي واليه ذهب ابو البقا ايضا وعلى هذا فالهة مفعول ثان والاول محذوف
كما تقدم الرابع ان يكون مصدرا نقله مكي ولولا انه ذكر وجها ثانيا وهو المفعول من اجله لكان كلامه مؤولا
بانه اراد بالمصدر المفعول من اجله لبعد معنى المصدر قوله بل ضلوا عنهم قال مقاتل بل ضلت الالهة عنهم
فلم ينفعهم عند نزول العذاب بهم قوله وذلك افكهم العامة على كسر الهمزة وسكون الفا مصدر افك
يافك افكا اي كذبهم وابن عباس بالفتح وهو مصدر له ايضا وابن عباس ايضا وعكرمة كذلك الا انه
بتشديد الفا للتكثير وابن الزبير وابن عباس ايضا آفكهم بالمد فعلا ماضيا ايضا وهو يحتمل ان يكون بزنة

فاعل

فاعل فالهمزة اصلية وان تكون بزنة افعل فالهمزة زائدة والثانية بدل من همزة واذا قلنا انه افعل فهمزته تحتمل
ان تكون للتعدية وان تكون افعل بمعنى المجرد وابن عباس ايضا آفكهم بالمد وكسر الفا ورفع الكاف جعله اسم
فاعل بمعنى صارفهم وقرئ افكهم بفتحتين ورفع الكاف على انه مصدر لافك ايضا فيكون له ثلاثة مصادر
الافك والافك بفتح الهمزة وكسرها مع سكون الفا وفتح الهمزة والفا وزاد ابو البقا انه قرئ آفكهم
بالمد وفتح الفا ورفع الكاف قال بمعنى اكذبهم وجعله افعل تفضيل قوله وما كانوا يفترون يجوز ان تكون
ما مصدرية وهو الاحسن ليعطف على مثله وان تكون بمعنى الذي والعائد محذوف اي يفترونه والمصدر
من قوله افكهم يجوز ان يكون مضافا الى الفاعل بمعنى كذبهم والى المفعول بمعنى صرفهم والمعنى وذلك
افكهم اي كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم الى الله وتشفع لهم وما كانوا يفترون يكذبون انها الهة
قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية لما بين ان في الانس من امن ومنهم من كفر بين ايضا ان في
الجن من امن ومنهم من كفر وان مؤمنهم معترض للثواب وان كافرهم معترض للعقاب قوله واذ صرفنا
منصوب باذكر مقدرا وقرئ صرفنا بالتشديد للتكثير من الجن صفة لنفرا ويجوز ان يتعلق بصرفنا ومن
لابتدا الغاية قوله يستمعون صفة ايضا لنفرا او حال لتخصصه بالصفة ان قلنا ان من الجن صفة له وراعى
معنى النفر فاعاد عليه الضمير جمعا ولو راعى اللفظ فقال يستمع لجاز قوله فلما حضروه يجوز ان تكون الها
للقران وهو الظاهر وان تكون للرسول عليه الصلاة والسلام ويكون في الكلام التفات من قوله اليك الى الغيبة
في قوله حضروه قوله فلما قضي العامة على بنائه للمفعول اي فرغ من قراة القران وهو يؤيد عود ها حضروه
على القران وابو مجلز وحبيب بن عبد الله قضى مبنيا للفاعل اي اتم الرسول قراته وهي تؤيد عودها على الرسول
عليه السلام فصل نقل القاضي في تفسيره ان الجن كانوا يهودا لان في الجن مللا كما في الانس من اليهود
والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان واطبق المحققون على ان الجن مكلفون سئل ابن عباس هل للجن ثواب
قال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب يلتقون في ابواب الجنة ويزدحمون على ابوابها فصل قال الزمخشري النفر
دون العشرة ويجمع على انفار روى الطبري عن ابن عباس ان اولئك الجن كانوا سبعة نفر من اهل نصيبين
فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وعن زر بن حبيش كانوا تسعة احدهم زوبعة
وعن قتادة ذكر لنا انهم صرفوا اليه من نينوى واختلفت الروايات في انه هل كان عبد الله بن مسعود
مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن فصل دلت الاية على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن
كما كان مبعوثا الى الانس والجن قبله قوله اجيبوا داعي الله امر باجابته في كل ما امر به فيدخل فيه الامر
بالايمان فكيف قال وامنوا به فالجواب اعاد ذكر الايمان على التعيين لانه اوكد الاقسام واشرفها
وقد جرت عادة القران بانه يذكر اللفظ العام ثم يعطف عليه اشرف انواعه كقوله وملائكته ورسله
وجبريل وميكال وقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ولما امر بالايمان به ذكر فائدة
ذلك الايمان فقال يغفر لكم من ذنوبكم قال بعضهم كلمة من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل بل
فايدته ان كلمة من هنا لابتدا الغاية والمعنى انه يقع ابتدا الغفران بالذنوب ثم ينتهي الى غفران ما
صدر عنكم من ترك الاولى والاكمل ويجوز ان تكون تبعيضية قوله ويجركم من عذاب اليم قال ابن عباس
فاستجاب لهم من قومهم نحو سبعين رجلا من الجن فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافقوه
في البطحا فقرا عليهم القران وامرهم ونهاهم قوله ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اي لا يعجز
الله فيفوته وليس له من دونه اوليا انصار يمنعونه من الله اولئك في ضلال مبين قوله تعالى اولم يروا
ان الله الذي خلق السموات الاية اعلم انه تعالى قرر من اول السورة الى هاهنا امر التوحيد والنبوة
ثم ذكر هاهنا تقرير المعاد ومن تامل في ذلك علم ان المقصود من القران كله تقرير هذه الاصول الثلاثة
واعلم ان المقصود من هذه الاية الدلالة على كونه تعالى قادرا على البعث لانه تعالى اقام الدليل على خلق
السموات والارض وخلقها اعظم من اعادة هذا الشخص حيا بعد ان كان ميتا والقادر على الاكمل لابد وان
يكون قادرا على ما دونه قوله ولم يعي بخلقهن العامة على سكون العين وفتح اليا مضارع عيي بالكسر يعيى
بالفتح فلما دخل الجازم حذف الالف وقرا الحسن يعي بكسر العين وسكون اليا قالوا واصلها عيي بالكسر فجعل
الكسرة فتحة على لغة طي فصار عيا كما قالوا في بقي بقا ولما بني الماضي على فعل بالفتح جا مضارعه على يفعل بالكسر فصار
يعيي مثل يرمي فلما دخل الجازم حذف اليا الثانية فصار لم يعي بعين ساكنة ويا مكسورة ثم نقل حركة اليا الى العين
فصار اللفظ كما ترى وقد تقدم ان عيي وحيي فيهما لغتان الفك والادغام فاما حيي فتقدم في الانفال وعيي
فكقوله عيوا بامرهم كما عيت ببيضتها الحمامة والعي عدم الاهتدا الى جهة ومنه العي في الكلام

وعنى بها الامراة الموبهمة لوجهه قوله بقادر الباء زائدة وحسن زيادتها كون الكلام في قوة اليس الله بقادر وقاله
ابو عبيدة والاخفش الباء زائدة للتوكيد كقوله تنبت بالدهن وقاس الزجاج ما ظننت ان احدا بقايم عليهما
والصحيح التوقف ‌‌• وقال الكسائي والفراء العرب تدخل الباء في الاستفهام مع الجحد فيقول ما اظنك بقايم
وقرا عيسى وزيد بن علي والجحدري يقدر بالياء مضارعا فقدر واالرسم يحتمله ‌• واختار ابو عبيدة قراءة العامة
لانها في قراءة عبد الله قادر بغير با قوله بلى ايجاب لما تضمنه الكلام من النفي في قوله اولم يروا قوله ويوم
يعرض الذين كفروا على النار فيقال لهم اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا فقوله اليس هذا معمول لقول مضمر
هو حال كما تقدم في نظيره فيقال لهم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل الفاء في قوله فاصبر عاطفة هذه الجملة على ما تقدم والسببية فيها ظاهرة ‌• واعلم انه تعالى لما
قرر المطالب الثلاثة وهي التوحيد والنبوة والمعاد واجاب عن الشبهات اردفه بما يجري مجرى الوعظ
والنصيحة للرسول وذلك لان الكفار كانوا يوذونه ويوحشونه بصدره فقال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل اي اولوا الصبر والجد والثبات ‌• وقال ابن عباس اولوا الحزم قوله من الرسل يجوز ان تكون من
تبعيضية وعلى هذا فالرسل اولو عزم وغير اولي عزم ويجوز ان تكون للبيان فكلهم على هذا اولو عزم قال
ابن زيد كل الرسل كانوا اولي عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم وراي وكمال عقل وانما ادخلت
من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال اشتريت من الحرير اردية من البز ‌• وقيل الانبيا كلهم اولوا العزم الا يونس لعجلة كانت
منه الا ترى انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت ‌• وقيل هم نجبا الرسل وهم المذكورون في
سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله بعد ذكرهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ‌• وقال الكلبي
هم الذين امروا بالجهاد واظهروا المكاشفة مع اعدا الدين ‌• وقيل هم ستة نوح ‌• وهود ‌• وصالح ‌• ولوط
وشعيب ‌• وموسى ‌• وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعرا ‌• وقال مقاتل هم ستة نوح صبر
على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابرهيم صبر على النار وذبح الولد ‌• واسحق صبر على الذبح ‌• ويعقوب صبر
على فقد ولده وذهاب بصره ‌• ويوسف صبر في الجب والسجن ‌• وايوب صبر على الضر ‌• وقال ابن عباس وقتادة هم
نوح وابرهيم وموسى وعيسى اصحاب الشرايع فهم مع محمد خمسة ‌• قال البغوي ذكرهم الله على التخصيص في قوله واذ
اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى ابن مريم ‌• وفي قوله شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا الاية ‌• روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعايشة يا عايشة ان الله لم يرض لاولي العزم الا بالصبر
على مكروهها والصبر على محبوبها لم يرض لا ان كلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واني والله لا بد
لي من طاعته والله لاصبرن كما صبروا واجهدن ولا قوة الا بالله قوله ولا تستعجل لهم العذاب فانه نازل بهم
قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم ضجر من قومه بعض الضجر واحب ان ينزل الله العذاب بمن ابا من قومه فامر
بالصبر وترك الاستعجال ثم اخبر ان ذلك العذاب اذا نزل بهم يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها
ساعة من نهار فقال كانهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا الا ساعة من نهار اذا عاينوا العذاب
صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كانه ساعة من النهار او كان لم يكن لهول ما عاينوا لان ما مضى وان كان
طويلا صار كان لم يكن ‌• قال الشاعر

كان شيا لم يكن اذا مضى ‌• كان شيا لم يكن اذا اتى

واعلم انه تم الكلام هاهنا قوله بلاغ العامة على رفعه وفيه وجهان ‌• احدهما انه خبر مبتدا محذوف فقدره
بعضهم تلك الساعة بلاغ لدلالة قوله الا ساعة من نهار ‌• وقيل تقديره هذا اي القران والشرع بلاغ من
الله اليكم ‌• والثاني انه مبتدا والخبر قوله لهم الواقع بعد قوله ولا تستعجل اي لهم بلاغ فيوقف على فلا
تستعجل وهو ضعيف جدا للفصل بالجملة التشبيهية ولان الظاهر تعلق لهم بالاستعجال فهو يشبه التهيئة
والقطع ‌• وقرا زيد بن علي والحسن وعيسى بلاغا نصبا على المصدر اي بلغ بلاغا ويويده قراءة ابي مجلز بلغ امرا ‌• وقرا
ايضا بلغ فعلا ماضيا ويوخذ من كلام مكي انه يجوز نصبه نعتا للساعة جاز وكانه لم يطلع على ذلك قراءة ‌• وقرا
الحسن ايضا بلاغ بالجر وخرج على الوصف لنهار على حذف مضاف اي من نهار ذي بلاغ او وصف الزمان
بالبلاغ مبالغة ‌• والبلاغ بمعنى التبليغ قوله فهل يهلك العامة على بنايه للمفعول ‌• وابن محيصن يهلك
بفتح اليا وكسر اللام مبنيا للفاعل وعنه ايضا فتح اللام وهي لغة والماضي هلك بالكسر ‌• قال ابن جني كل مرغوب
عنها ‌• وزيد بن ثابت بضم اليا وكسر اللام والفاعل هو الله تعالى القوم الفاسقين على المفعول به ‌• وقرى
نهلك بالنون وكسر اللام ونصب القوم فصل المعنى فهل يهلك بالعذاب اذا نزل الا القوم الفاسقون
الخارجون عن امر الله ‌• قال الزجاج تاويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا قال

قوم ما في الرجا لرحمة الله اقوى من هذه الاية ‌• روى ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الاحقاف اعطي من الاجر بعدد كل رمل في الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر حسنات ومحي عنه
عشر سيئات ورفع له عشر درجات ‌• والله تعالى اعلم

سورة محمد عليه السلام

وهي ثمان وثلاثون اية ‌• وخمسمائة وتسع وثلاثون كلمة ‌• والفان وثلاثمائة وتسعة واربعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله الاية اول هذه السورة مناسب
لاخر السورة المتقدمة ‌• والمراد بالذين كفروا قيل هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر منهم ابو جهل
والحرث ابنا هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم ‌• وقيل كفار قريش ‌• وقيل اهل الكتاب ‌• وقيل كل كافر ومعنى
صدهم عن سبيل الله قيل صدوا انفسهم عن السبيل ومنعوا عقولهم من اتباع الدليل ‌• وقيل صدوا غيرهم ومنعوهم
قوله الذين كفروا يجوز فيه الرفع على الابتدا والخبر الجملة من قوله اضل اعمالهم ‌• ويجوز نصبه على الاشتغال بفعل
مقدر يفسره اضل من حيث المعنى اي خيب الذين كفروا قوله اضل اعمالهم اي ابطلها فلم يقبلها واراد بالاعمال
ما فعلوا من اطعام الطعام وصلة الارحام ‌• قال الضحاك ابطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل
الدايرة عليهم قوله والذين امنوا يجوز فيه الوجهان المتقدمان وتقدير الفعل رحم الذين امنوا قوله وامنوا بما
نزل على محمد العامة على بنا نزل للمفعول مشددا ‌• وزيد بن علي وابن مقسم نزل مبنيا للفاعل ‌• قال سفيان الثوري
لم يخالفوه في شي ‌• قال ابن عباس الذين كفروا وصدوا مشركوا مكة والذين امنوا وعملوا الصالحات الانصار
قوله وهو الحق جملة معترضة بين المبتدا والخبر وبين المفسر والمفسر قوله كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم
حالهم تقدم تفسير البال في طه ‌• قال ابن عباس معنى اصلح اي عصمهم ايام حياتهم يعني ان هذا الاصلاح يعود الى
اصلاح اعمالهم حتى لا يعصوا قوله ذلك فيه وجهان ‌• اظهرهما انه مبتدا والخبر الجار بعده ‌• والثاني قاله الزمخشري
انه خبر مبتدا مضمر اي الامر ذلك بسببه كل الجار في محل نصب ‌• قال ابو حيان ولا حاجة اليه قوله بان الذين
كفروا اتبعوا الباطل اي الشيطان ‌• وقيل قول كبرايهم ودين ابايهم وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم يعني
القران ‌• وقيل الحق هو الله تعالى وعلى هذا فلا يكون قوله من ربهم متعلقا بالحق وانما يتعلق بقوله تعالى اتبعوا اي اتبعوا من
ربهم اي من فضل الله او هداية الله اتبعوا الحق وهو الله تعالى ‌• ويحتمل ان يقال قوله من ربهم عايد الى الفريقين
جميعا اي من ربهم اتبع هولا الباطل وهولا الحق اي من حكم ربهم ومن عند ربهم قوله كذلك يضرب خرجه
الزمخشري على مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم ‌• والضمير راجع الى الفريقين او الى الناس على معنى انه يضرب
امثالهم لاجل الناس ليعتبروا فصل قال الزجاج معناه كذلك يبين الله امثال حسنات المومنين واضلال
اعمال الكافرين ‌• والمراد بالامثال الاشكال ‌• وقيل بيان كون الكافر متبعا للباطل وكون المومن متبعا للحق والضمير
في قوله امثالهم فيه وجهان ‌• احدهما انه يعود الى الناس كانه تعالى قال يضرب الله للناس امثال انفسهم ‌• والثاني
انه يعود الى الفريقين السابقين ‌• والمعنى يضرب الله للناس امثال الفريقين السابقين قوله فاذا لقيتم
العامل في هذا الظرف مقدر هو العامل في ضرب الرقاب تقديره فاضربوا الرقاب وقت ملاقاتكم العدو ‌• ومنع ابو
البقا ان يكون المصدر نفسه عاملا قال لانه موكد وهذا احد القولين في المصدر النايب عن الفعل نحو ضربا
زيدا هو العمل منسوب اليه ام الى عامله ومنه

على حين الهى الناس جل امورهم ‌• فندلا زريق المال ندل الثعالب

‌• فالمال منصوب
اما بندل او بندلا والمصدر هاهنا اضيف الى معموله وبه استدل على ان العمل للمصدر لاضافته الى ما بعده
ولو لم يكن عاملا لما اضيف الى ما بعده فصل قال ابن الخطيب الفا في قوله فاذا لقيتم يستدعي متعلقا
تتعلق به وتترتب عليه وفيه وجوه ‌• الاول لما بين ان الذين كفروا اضل اعمالهم وان اعتبار الانسان بالعمل
ومن لا عمل له فهو همج اعدامه خير من وجوده قال فاذا لقيتم الذين كفروا بعد ظهور ان لا حرمة لهم بعد ابطال
عملهم فاضربوا اعناقهم ‌• قال البغوي فضرب الرقاب نصب على الاغرا ‌• الثاني انه لما بين تباين الفريقين
وتباعد الطريقين بان احدهما يتبع الباطل فهو حزب الشيطان والاخر يتبع الحق فهو حزب الرحمن قال
فاذا لقيتموهم فاقتلوهم ‌• الثالث ان من الناس من يقول لضعف قلبه وقصور نظره ايلام الحيوان من
الظلم والطغيان ولا سيما القتل الذي هو تخريب بنيان فيقال ردا عليهم لما كان اعتبار الاعمال باتباع الحق
والباطل فمن يقتل في سبيل الله لتعظيم الله وبامره له من الاجر ما للمصلي والصايم فاذا لقيتم الذين كفروا

فاقتلوهم ولا تأخذكم بهم رأفة فإن ذلك اتباع للحق والاعتبار به لا بصورة الفعل قوله: حتى إذا أثخنتموهم هذه غاية للأمر
بضرب الرقاب لا لبيان غاية القتل وقوله: فشدوا الوثاق قرأ السلمي فشدوا بكسر الشين وهي ضعيفة جدا والوثاق
بالفتح وفيه الكسر اسم ما يوثق به. والمعنى حتى إذا أثخنتموهم أي بالغتم في القتل وقهرتموهم فشدوا الوثاق
يعني في الأسر حتى لا يفلتوا والأسر يكون بعد المبالغة في القتل كقوله تعالى: ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى
يثخن في القتل قوله: فإما منا بعد وإما فداء فيهما وجهان أشهرهما أنهما منصوبان على المصدر بفعل لا يجوز إظهاره
لأن المصدر متى سيق تفصيلا لعاقبة جملة وجب نصبه بإضمار فعل لا يجوز إظهاره والتقدير فإما أن تمنوا منا
وإما أن تفادوا فداء ومثله: لأجهدن فإما درء واقعة • تخشى وإما بلوغ السؤل والأمل
والثاني قاله أبو البقاء أنهما مفعولان بهما والعامل مقدر تقديره أولوهم منا واقبلوا منهم فداء. قال أبو حيان
وليس بإعراب نحوي. وقرأ ابن كثير وفدى بالقصر. قال أبو حاتم لا يجوز لأنه مصدر فاديته. ولا يلتفت
إليه لأن الفراء حكى فيه أربع لغات المشهورة المد والإعراب فداء وفداء بالمد أيضا والبناء على الكسر والتنوين
وهو غريب جدا وهذا يشبه قول بعضهم هؤلاء بالتنوين وفدى بالكسر مع القصر وفدى بالفتح مع القصر
أيضا. والأوزار هنا الأثقال وهو مجاز. وقيل هو من مجاز الحذف أي أهل الحرب والأوزار عبارة عن آلات
الحرب قال: وأعددت للحرب أوزارها • رماحا طوالا وخيلا ذكورا. وحتى الأولى غاية لضرب
الرقاب والثانية لشدوا. ويجوز أن يكونا غايتين لضرب الرقاب على أن الثانية توكيد أو بدل. قال ابن
الخطيب وفي تعلق حتى وجهان أحدهما تعلقها بالقتل أي اقتلوهم حتى تضع. وثانيهما بالمن والفداء ويحتمل
أن يقال متعلقة بقوله شدوا الوثاق وتعلقها بالقتل أظهر. قوله: ذلك يجوز أن يكون خبر مبتدأ مضمر أي
الأمر كذلك وأن ينتصب بإضمار افعلوا. قال ابن الخطيب ويحتمل أن يقال ذلك واجب أو مقدم كما يقول
القائل إن فعلت فذاك أي فذاك مقصود ومطلوب. قوله: والذين قتلوا في سبيل الله قرأ العامة قاتلوا وأبو عمرو
وحفص قتلوا مبنيا للمفعول على معنى أنهم قتلوا وماتوا أصاب القتل بعضهم كقوله قتل معه ربيون
والجحدري قتلوا بفتح القاف والتاء خفيفة ومفعوله محذوف وزيد بن ثابت والحسن وعيسى قتلوا
بتشديد التاء مبنيا للمفعول. قوله: فلن يضل أعمالهم قرأ علي رضي الله عنه يضل أعمالهم مبنيا للمفعول
أعمالهم بالرفع لقيامه مقام الفاعل وقرئ تضل بفتح التاء أعمالهم بالرفع فاعلا. قال قتادة ذكر لنا أن هذه
الآية نزلت يوم أحد وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل قوله: سيهديهم أيام حياتهم في الدنيا
إلى أرشد الأمور وفي الآخرة إلى الدرجات ويصلح بالهم يرضي خصماءهم ويقبل أعمالهم وقد تقدم تفسيره في
قوله تعالى أصلح بالهم والماضي والمستقبل راجع إلى أن هنا لما وعدهم ما وعدهم بسبب الإيمان والعمل الصالح
وكان قد وقع منهم فأخبر عن الجزاء أيضا بصيغة الوقوع وههنا وعدهم بسبب القتل والقتال وكان في
اللفظ ما يدل على الاستقبال لأن قوله تعالى فإذا لقيتم يدل على الاستقبال فقال يصلح بالهم ويدخلهم
الجنة. قوله: عرفها يجوز فيها وجهان أحدهما أن تكون مستأنفة. والثاني أن تكون حالا ويجوز أن يضمر
قد وأن لا تضمر وعرفها من التعريف الذي هو ضد التجهيل. والمعنى أن كل أحد يعرف منزله في الجنة
وقيل الملك الموكل بأعماله يهديه. وعن ابن عباس أنه من العرف وهو الطيب أي طيبها لهم. وقال
الزمخشري يحتمل أن يقال عرفها لهم من عرف الدار وأرفها أي حددها وتحديدها في قوله
تعالى وجنة عرضها السموات والأرض. ويحتمل أن يقال المراد هو قوله تعالى وجنة عرضها
السموات والأرض. ويحتمل أن يقال المراد هو قوله تعالى لهم وتلك الجنة التي أورثتموها فيشير
إليها معرفا لهم بأنها هي تلك. وقيل عرفها لهم وقت القتل فإن الشهيد وقت وفاته يعرض عليه
منزله في الجنة فيشتاق إليه. وقرأ أبو عمرو في رواية ويدخلهم بسكون اللام وكذا يطعمهم ويعلمهم
ويجمعكم كأنه يستثقل الحركات وقد تقدم له قراءة مثل ذلك في يشعركم وينصركم وبابه. قوله: يا أيها الذين آمنوا
إن تنصروا الله أي إن تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم. وقيل إن تنصروا حزب الله وفريقه
قوله: ويثبت أقدامكم قرأ العامة ويثبت مشددا وروي عن عاصم تخفيفه من أثبت. والمعنى ويثبت
أقدامكم عند القتال. قوله: والذين كفروا يجوز أن يكون مبتدأ والخبر محذوف تقديره فتعسوا أو أتعسوا
بدليل قوله فتعسا لهم. وقوله فتعسا منصوب بالخبر ودخلت الفاء تشبيها للمبتدأ بالشرط. وقدر
الزمخشري الفعل الناصب لتعسا فقال لأن المعنى فقال تعسا أي فقضى تعسا لهم. قال أبو
حيان وإضمار ما هو من لفظ المصدر أولى. والثاني أنه منصوب بفعل مقدر يفسره فتعسا
لهم كما يقول زيدا جدعا له. قال أبو حيان تابعا للزمخشري وهذا لا يجوز لأن لهم لا يتعلق

بتعسا

بتعسا إنما هو متعلق بمحذوف لأنه تبيان أي أعني لهم وقد تقدم تحقيق هذا. قال عبد الله إضمارا من حيث مطلق الدلالة
لا من حيث الاشتغال تسامح ولكن المراد تفسيرهما ومعنى قولهما منصوب بفعل يفسره فتعسا لهم وأضل
معطوف على ذلك الفعل المقدر أي أتعسهم وأضل أعمالهم. والتعس ضد السعد يقال تعس الرجل بالفتح
تعسا وأتعسه الله قال مجمع:
[illegible]
تقول وقد أفردتها عن خليلها • تعست كما أتعستني يا مجمع
أي الهلكة وشقوة وغيرهما. وعن أبي عبيدة التعس والتعسة العثار. وقيل التعس بالكسر عن
وقيل التعس ضد الانتعاش. قال الزمخشري وتعسا له نقيض لعا له فيهما مما اتفق فيه فعل وافعل
الأعشى: بذات لوث عفرناة إذا عثرت • فالتعس أدنى لها من أن أقول لعا
وقيل التعس الهلاك. وقيل التعس الجر على الوجه والنكس الجر على الرأس. قوله: ذلك بأنهم يجوز أن يكون
ذلك مبتدأ والخبر الجار بعده أو خبر مبتدأ مضمر أي الأمر ذلك بسبب أنهم كرهوا أو منصوب بإضمار
فعل أي فعل بهم ذلك بسبب أنهم كرهوا والجار في الوجهين الأخيرين منصوب المحل والمعنى ذلك
التعس والإضلال بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ثم خوف الكفار فقال:
أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم
يجوز أن يكون حذف مفعوله أي أهلك الله بيوتهم وخربها عليهم ويحتمل دمر بمعنى سخط الله عليهم
بالهلاك
ما بعده قوله: وللكافرين أمثالها أي أمثال العاقبة المتقدمة. وقيل الضمير للعقوبة. وقيل للدمرة. وقيل للهلكة
والأول أرجح لتقدم ما يعود عليه الضمير صريحا مع صحة معناه. قوله: ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا تقدم الكلام
على نظيره وأن الكافرين لا مولى لهم ثم إنه تعالى لما بين حال المؤمنين والكافرين في الدنيا
إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار لما بين حال المؤمن والكافر في الدنيا بين حالهم
في الآخرة فقال إنه يدخل المؤمن الجنة والكافر النار. تقدم إعراب من في قوله من تحتها ويحتمل أن يكون صلة
معناه تجري من تحتها الأنهار. ويحتمل أن يكون المراد أن ماءها منها لا يجري إليها من موضع آخر فيقال هذا النهر
منبعه من أين يقال من عين كذا أي تجري من تحتها. قوله: والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام
أي ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم وهم لاهون ساهون عما في غد. وقيل المؤمن في الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر
يتمتع. قوله: كما تأكل الأنعام الكاف إما حال من ضمير المصدر أي يأكلون الأكل مشبها أكل الأنعام أو نعت لمصدر
أي أكلا مثل أكل الأنعام. قوله: والنار مثوى لهم يجوز أن تكون هذه الجملة استئنافا ويجوز أن تكون حالا لكنها
مقدرة. واعلم أنه لما قال في حق المؤمن إن الله يدخل بصيغة الوعد وقال في حق
الكافر والنار مثوى لهم بصيغة تنبي عن الاستحقاق لأن الإحسان لا يستدعي استحقاقا فالمحسن إلى من لم يوجد
منه ما يوجب الإحسان كريم والمعذب من غير استحقاق ظالم. قوله: وكأين من قرية يريد أهل قوله
هذا المقدر في قوله أهلكناهم فلا ناصر لهم بعد مراعاة المضاف في قوله هي أشد وأخرجتك صفة
لقرية. وقال ابن عطية لنسبة الإخراج للقرية حملا على اللفظ وقال أهلكناهم حملا على المعنى. قال أبو
حيان وظاهر هذا الكلام لا يصح لأن الضمير في أهلكناهم ليس عائدا على المضاف إلى القرية التي أسند إليها الإخراج
بل على أهل القرية في قوله وكأين من قرية فإن كان أراد بقوله حملا على المعنى أي معنى القرية في قوله وكأين من
قرية فهو صحيح لكن ظاهر قوله حملا على اللفظ وحملا على المعنى أن يكون في مدلول واحد وكان ينبغي هنا أن يقال
حملا على ... إلا أن يتخيل ... والظاهر أنه قصد لقرية. قال شهاب الدين
وابن عطية إنما أراد لفظ القرية من حيث الجملة لا من حيث التفصيل. فصل قال ابن عباس لما خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى الغار التفت إلى مكة وقال أنت أحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله
إلي ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك فأنزل الله هذه الآية. قوله: أفمن كان على بينة من ربه
من كان مبتدأ والخبر كمن زين له حمل على لفظ من فأفرد في قوله سوء عمله وعلى المعنى فجمع في قوله واتبعوا
أهواءهم والجملة من اتبعوا عطف على زين فهي صلة. فصل معنى قوله أفمن كان على بينة من ربه أي
يقين من دينه يريد محمدا والمؤمنين كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم يعني عبادة الأوثان وهو
أبو جهل والمشركون. قوله: مثل الجنة التي وعد المتقون لما بين الفرق بين الفريقين في الاهتداء والإضلال
بين الفرق بينهما في مرجعهما ومآلهما. قوله: مثل الجنة فيه أوجه أحدها أنه مبتدأ وخبره محذوف فقدره
النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون فما تسمعون خبره وفيها أنهار مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى

عليكم مثل الجنة والجملة بعدها ايضا مفسرة للمثل الثاني ان مثل زايدة تقديره الجنة التي وعد المتقون فيها انهار ونظيره
زيادة مثل هنا زيادة اسم في قوله ۞ الى الحول ثم اسم السلام عليكما ۞ الثالث ان مثل الجنة مبتدا والخبر قوله فيها
انهار وهذا ينبغي ان يمتنع اذ لا عايد من الجملة الى المبتدا ولا ينفع كون الضمير عايدا على ما اضيف اليه المبتدا الرابع
ان مثل الجنة مبتدا خبره كمن هو خالد في النار فقدره ابن عطية امثل اهل الجنة كمن هو خالد فقدر حرف الانكار ومضافا
ليصح وقدره الزمخشري امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد والجملة من قوله فيها انهار على هذا فيها ثلاثة اوجه احدها
هي حال من الجنة اي مستقرة فيها انهار الثاني انها خبر لمبتدا مضمر اي فيها انهار كانه قيل ما مثلها فقيل فيها
انهار الثالث ان تكون تكريرا للصلة لانها في حكمها الا ترى انه يصح قولك التي فيها انهار وانما عري قوله مثل الجنة
تصوير لمكابرة من يسوي بين المستمسك بالبينة وبين التابع هواه كمن يسوي بين الجنة التي صفتها كيت
وكيت وبين النار التي صفتها ان يسقى اهلها الحميم ونظيره قول القايل
افرح ان ارزا الكرام وان ۞ اورث ذودا شصايصا نبلا ۞ وهو كلام منكر للفرح برزية
الكرام ووراثة الذود مع تعريه من حرف الانكار ذكر ذلك كله الزمخشري وقرا علي بن ابي طالب مثال الجنة وعنه
ايضا وعن ابن عباس وابن مسعود امثال بالجمع قوله غير آسن قرا ابن كثير اسن بزنة حذر وهو اسم فاعل من
اسن بالكسر ياسن فهو اسن كحذر يحذر فهو حذر والباقون آسن بزنة ضارب من اسن بالفتح ياسن يقال
اسن الماء بالفتح ياسن وياسن بالكسر والضم اسونا كذا ذكره ثعلب في فصيحه وقال اليزيدي يقال اسن بالكسر
ياسن بالفتح اسنا اي تغير طعمه واما اسن الرجل اذا دخل بيرا فاصابه من ريحها ما جعل في راسه دوارا فاسن
بالكسر فقط قال الشاعر ۞ قد اترك القرن مصفرا انامله ۞ يميد في الرمح ميد المايح الاسن ۞ وقري يسن
بالياء بدلا من الهمزة قال ابو علي هو تخفيف اسن وهو تخفيف غريب قوله لم يتغير طعمه صفة للبن قوله لذة
يجوز ان يكون تانيث لذ ولذ بمعنى لذيذ ولا تاويل على هذا ويجوز ان يكون مصدرا وصف به ففيه التاويلات
المشهورة والعامة على جر لذة صفة لخمر وقري بالنصب على المفعول له وهي تويد المصدرية وقرى في قراة العامة
بالرفع صفة لانهار ولم يجمع لانها مصدر وان قيل به والا فلانها صفة لجمع غير عاقل وهو يعامل
معاملة المونثة الواحدة قوله من عسل تقول في العسل التذكير والتانيث وجا القران على التذكير في قوله
مصفى والعسلان العدو واكثر استعماله في الذيب يقال عسل الذيب والثعلب واصله من عسلان الرمح
وهو اهتزازه فكان العادي يهز اعضاه ويحركها قال الشاعر
لدن بهز الكف يعسل متنه ۞ فيه كما عسل الطريق الثعلب ۞ وكني بالعسيلة عن الجماع لما
بينهما من اللذة قال عليه السلام لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فصل روى ابو هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كلها من انهار الجنة قال كعب الاحبار نهر دجلة
نهر ماء اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان وجيحان نهر عسلهم وهذه الانهار
الاربعة تخرج من نهر الكوثر قوله فيها من كل الثمرات فيه وجهان احدهما ان هذا الجار صفة لمقدر وذلك المقدر
مبتدا وخبره الجار قبله وهو لهم وفيها متعلق بما تعلق به والتقدير ولهم فيها زوج من كل الثمرات كانه انتزعه
من قوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان وقدره بعضهم صنف والاول اليق والثاني ان من مزيدة في المبتدا
قوله ومغفرة فيه وجهان احدهما انه عطف على ذلك المقدر لا بقيد كونه في الجنة اي ولهم مغفرة لان المغفرة
تكون قبل دخول الجنة او بقيد ذلك ولا بد اي ولهم مغفرة والجملة مستانفة والفرق بين الوجهين ان الوجه
الذي قبل هذا فيه الاخبار بلهم المقدر وبه عن شيين ذلك المحذوف ومغفرة وفي الوجه الاخر بخبر
جار اخر حذف للدلالة عليه قوله كمن هو قد تقدم انه يجوز ان يكون خبرا عن مثل الجنة بالتاويلين المذكورين
عن ابن عطية والزمخشري واما اذا لم يجعله خبرا عن مثل ففيه اربعة اوجه احدها انه خبر مبتدا محذوف
تقديره احال هولاء المتقين كحال من هو خالد وهذا تاويل صحيح وذكر فيه ابو البقا الاوجه الباقية فقال
وهو في موضع رفع اي حالهم كحال من هو خالد في النار وقيل هو استهزاء بهم وقيل هو على معنى الاستفهام
اي اكمن هو خالد وقيل في موضع نصب اي يشبهون حال من هو خالد في النار انتهى معنى قوله وقيل
هو استهزاء اي انه اخبار بقولك حالهم كحال من على سبيل الاستهزاء والتهكم قال البغوي من
كان في هذا النعيم كمن هو خالد في النار قوله وسقوا عطف على الصلة عطف فعلية على اسمية لكنه
راعى في الاول لفظ من فافرد وفي الثانية معناها فجمع والامعا جمع معى بالقصر وهو المصران التي في
البطن وقد وصف بالجمع في قوله ومعى جياع على ارادة الجنس والفه عن يا بدليل قوله معيان قوله حميما
الحميم هو الشديد الحر يسعر عليه النار منذ خلقت اذا ادني منهم شوى وجوههم ووقعت فروة

روسهم فاذا شربوه قطع امعاهم فخرجت من ادبارهم والامعا جميع ما في البطن من الحوايا واحدها معى قوله ومنهم من يستمع
اليك يعني الكفار ومنهم من يستمع اليك وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا والضمير في قوله
ومنهم يحتمل ان يعود على الناس كما قال في سورة البقرة ومن الناس من يقول امنا بالله بعد ذكر الكفار ويحتمل ان يعود
الى اهل مكة لان ذكرهم سبق في قوله تعالى هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك ويحتمل ان يرجع الى معنى قوله هو
خالد في النار وسقوا ماء حميما ومن الخالدين في النار قوم يستمعون اليك قوله حتى اذا خرجوا من عندك قال المفسرون
حتى للعطف فلو اذا العطف حتى لا تحسن الا اذا كان المعطوف جزا من المعطوف عليه اما اعلاه واما ادونه كقولك
اكرمني الناس حتى الملك وجا الحاج حتى المشاة وفي الجملة ينبغي ان يكون المعطوف متعلقا بالمعطوف عليه من حيث
المعنى ولا يشترط في العطف بالواو ذلك فوجه التعلق هاهنا هو ان قوله حتى اذا خرجوا من عندك يفيد معنى
زايدا في الاستماع كانه يقول يستمعون استماعا بالغا جيدا لانهم يستمعون واذا خرجوا يستعيدون من
العلما كما يفعله المجتهد في العلم الطالب للتفهم يفعلون ذلك استهزاء كما قال تعالى عنهم واذا خلوا الى شياطينهم
قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون ويحتمل ان يكون فعلهم ذلك لعدم فهمهم ويدل عليه قوله تعالى كذلك يطبع الله
على قلوب المجرمين وقوله بعد ذلك اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواهم اي تركوا اتباع الحق
اما لعدم الفهم او لعدم الاستفادة قوله انفا فيه وجهان احدهما انه منصوب على الحال فقدره ابو البقا
ماذا قال مونتفا وقدره غيره مبتديا اي ما القول الذي ائتنفه الان قبل انفصالهم عنه والثاني انه
منصوب على الظرف اي ماذا قال الساعة قاله الزمخشري وانكره ابو حيان قال لانه لم يعلم احدا عده من الظروف
واختلف فيها ايهما في تفسير معناها فظاهر عبارة الزمخشري انه ظرف حالي كالان ولهذا فسره بالساعة وقال
ابن عطية والمفسرون يقولون انفا معناه الساعة الماضية القريبة منا وهذا تفسير بالمعنى وقرا البزي بخلاف
عنه انفا بالقصر والباقون بالمد وهما لغتان بمعنى واحد وهما اسما فاعل كحاذر وحذر واسن واسن الا انه
لم يستعمل لهما فعل مجرد بل المستعمل استانف وايتنف والايتناف والاستيناف الابتدا
قال الزجاج هو من استانفت الشي اي ابتداته اي ماذا قال في اول وقت يقرب منا قوله والذين اهتدوا
يجوز فيه الرفع بالابتدا والنصب على الاشتغال وتقواهم مصدر مضاف لفاعله والضمير في واتاهم يعود على الله
او على قول المنافقين لان قولهم ذلك مما يزيد المومنين تقوى او على الرسول والمعنى زادهم قول الرسول هدى
واتاهم تقواهم اي ثواب تقواهم يوم القيامة اي وفقهم للعمل بما امر به او زادهم الله هدى واتاهم الله تقواهم
او زادهم استهزاء المنافقين هدى واتاهم قول المنافقين تقواهم قوله فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم
بغتة يعني الكافرين والمنافقين قال عليه السلام ما ينتظر احدكم الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا
او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال والدجال شر غايب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر وسميت
القيامة بالساعة لسرعة الامور الواقعة فيها من البعث والحشر والحساب قوله ان تاتيهم بدل من الساعة
بدل اشتمال وقرا ابو جعفر الرواسي ان تاتهم بان الشرطية وجزم ما بعدها وفي جوابها وجهان احدهما انه
قوله فانى لهم قاله الزمخشري ثم قال فان قلت بم يتصل قوله فقد جا اشراطها على القراتين قلت باتيان الساعة
اتصال العلة بالمعلول كقولك ان اكرمني زيد فانا حقيق بالاكرام اكرمه والثاني ان الجواب قوله فقد جا
اشراطها اي ان تاتهم الساعة وان كان محققا الا انهم عوملوا معاملة الشاك وحالهم كانت كذا قوله فقد جا اشراطها
الاشراط جمع شرط بسكون الرا وفتحها قال ابو الاسود ۞
فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا ۞ فقد جعلت اشراط اوله تبدو ۞ والاشراط العلامات
ومنه اشراط الساعة واشرط الرجل نفسه اي لزمها امورا قال اوس ۞
فاشرط فيها نفسه وهو معصم ۞ فالقى باسباب له وتوكلا ۞ والشرط القطع ايضا مصدر شرط
الجلد يشرطه شرطا قوله فانى لهم انى خبر مقدم وذكراهم مبتدا موخر اي انى لهم التذكر اذا وما بعدها
معترض وجوابها محذوف اي كيف لهم التذكر اذا جاءتهم الساعة فكيف يتذكرون ويجوز ان يكون المبتدا
محذوفا اي انى لهم الخلاص ويكون ذكراهم فاعلا بجاءتهم وقرا ابو عمرو في رواية بغتة بفتح الغين وتشديد
التا وهي صفة فنصبها على الحال ولا نظير لها في الصفات ولا في المصادر وانما هي في الاسما نحو الجربة
للجماعة والشربة للمكان قال الزمخشري ما اخوفني ان تكون غلطة من الراوي عن ابي عمرو وان يكون
الصواب بغتة بالفتح دون تشديد فصل معنى الاية من ابن لهم التذكر والاتعاظ والتوبة
اذا جاءتهم ذكراهم اي الساعة نظيره يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى قوله فاعلم انه لا اله
الا الله وجه مناسبته لما قبله هو انه تعالى لما قال فاعلم انه لا اله الا الله اي ياتي بالساعة كما قال

تعالى ازفت الازفة ليس لها من دون الله كاشفة ❊ وقيل فاعلم انه لا اله الا الله ينفعك وقيل الخطاب للنبى صلى الله عليه
وسلم والمراد غيره ❊ وقيل معناه فاثبت عليه ❊ وقال الحسين بن الفضل فازدد علما الى علمك ❊ وقال ابو العالية
وابن عيينة معناه اذا جاءتهم الساعة فاعلم انه لا ملجا ولا مفزع عند قيامها الا الله ثم قال واستغفر لذنبك
اى لذنب اهل بيتك وللمؤمنين والمؤمنات الذين ليسوا منك باهل بيته ❊ وقيل المراد النبى والذنب هو ترك
الافضل الذى هو بالنسبة اليه ذنب وحسنات لسواه دونه ❊ قال عليه السلام انه ليغان على قلبى وانى
لاستغفر الله فى كل يوم مائة مرة قوله وللمؤمنين والمؤمنات هذا اكرام من الله تعالى لهذه الامة حيث
امر نبيهم صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لذنوبهم والله يعلم متقلبكم ومثواكم قال ابن عباس والضحاك
متقلبكم منصرفكم ومنتشركم فى اعمالكم فى الدنيا ومثواكم مصيركم فى الاخرة الى الجنة او الى النار ❊ وقال
مقاتل وابن جرير متقلبكم منصرفكم لاشغالكم بالنهار ومثواكم ماواكم الى مضاجعكم بالليل ❊ وقال عكرمة
متقلبكم فى اصلاب الاباء الى ارحام الامهات ومثواكم مقامكم فى الارض ❊ وقال ابن كيسان متقلبكم من
ظهر الى بطن ومثواكم مقامكم فى القبور ❊ وقيل معناه انه عالم بجميع احوالكم فلا يخفى عليه شى منها قوله
ويقول الذين امنوا لولا نزلت اى هلا ولا التفات الى قول بعضهم ان لا زائدة والاصل لو نزلت والعامة
على رفع سورة محكمة لقيامها مقام الفاعل ❊ وزيد بن على بالنصب فيهما على الحال والقائم مقام الفاعل
ضمير السورة المتقدمة وسوغ وقوع الحال كذا وصفها كقولك الرجل جائنى رجلا صالحا ❊ وقرى فاذا انزلت
سورة ❊ وقرا زيد بن على وابن عمير وذكر مبنيا للفاعل اى الله تعالى القتال نصبا قوله رايت الذين فى
قلوبهم مرض يعنى المنافقين ينظرون اليك شزرا بتحديق شديد كراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقا العدو
قوله نظر المغشى الاصل نظرا مثل نظر المغشى عليه من الموت كما ينظر الشاخص بصره عند الموت قوله فاولى لهم طاعة
اختلف اللغويون والمعربون فى هذه اللفظة فقال الاصمعى انها فعل ماض بمعنى قاربه ما يهلكه وانشد

فعادى بين هاديتين منها ❊ واولى ان يزيد على الثلاث ❊

اى قارب ❊ قال ثعلب لم يقل
احد فى اولى احسن من الاصمعى ❊ وقال المهدوى وليك وقاربك ما تكره ولكن الاكثرون انه اسم ثم اختلف
هولاء فقيل هو مشتق من الولى وهو القرب كقوله

تكلفنى ليلى وقد شط وليها ❊ وعادت عواد بيننا وخطوب ❊

وقيل هو مشتق من الويل
والاصل فيه اويل فقلبت العين الى ما بعد اللام فصار وزنه افلع والى هذا نحا الجرجانى والاصل عدم
القلب واما معناها فقيل هى تهديد ووعيد كقوله

فاولى ثم اولى ثم اولى ❊ وهل للدر يحلب من مرد ❊

وقال المبرد يقال لمن هم
بالعطب اولى لك وقوله لاعرابى كان يوالى رمى الصيد فيفلت منه فيقول اولى لك ثم رمى صيدا فقاربه
فافلت منه فقال ❊ فلو كان اولى يطعم القوم صدتهم ❊ ولكن اولى يترك القوم جوعا ❊ هذا ما يتعلق
باشتقاقه ومعناه واما الاعراب فان قلنا بقول الجمهور ففيه اوجه احدها اولى مبتدا ولهم خبره
تقديره فالهلاك لهم وسوغ الابتدا بالنكرة كونه دعا نحو ويل لكل همزة ❊ الثانى انه خبر مبتدا مضمر
تقديره العقاب او الهلاك اولى لهم اى اقرب وادنى ❊ ويجوز ان تكون اللام بمعنى البا اى اولى واحق
بهم ❊ الثالث انه مبتدا ولهم متعلق به واللام بمعنى الباء وطاعة خبره والتقدير اولى بهم طاعة
دون غيرها وان قلنا بقول الاصمعى فيكون فعلا ماضيا وفاعله مضمر يدل عليه السياق كانه قيل فاولى
هو اى الهلاك وهو ظاهر عبارة الزمخشرى حيث قال ومعناه الدعا عليهم بان يليهم المكروه ❊ وقال
ابن عطية المشهور من استعمال العرب انك تقول هذا اولى بك من هذا اى احق وقد يستعمل العرب
اولى لك فقط على جهة الحذف والاختصار لما معها من القول فتقول اولى لك يا فلان على جهة الزجر
والوعيد انتهى ❊ وقال ابو البقا اولى مونثه اولاة وفيه نظر لان ذلك انما يكون فى التذكير والتانيث الحقيقيين
اما التانيث اللفظى فلا يقال فيه ذلك وسياتى له مزيد بيان فى القيامة ان شا الله تعالى قوله طاعة فيه
اوجه ❊ احدها انه خبر اولى على ما تقدم ❊ الثانى انها صفة لسورة اى فاذا انزلت سورة محكمة طاعة اى ذات
طاعة او مطاعة ذكره مكى وابو البقا وفيه بعد لكثرة الفواصل ❊ الثالث انها مبتدا وقول عطف عليها والخبر
محذوف تقديره امثل بكم من غيرهما وقدره مكى منا طاعة فقدره مقدما ❊ الرابع ان يكون خبر مبتدا محذوف
اى امرنا طاعة ❊ الخامس ان لهم خبر مقدم وطاعة مبتدا مؤخر والوقف والابتدا يعرفان مما تقدم قوله فاذا
عزم الامر فى جوابها ثلاثة اوجه ❊ احدها قوله فلو صدقوا نحو اذا جانى طعام فلو جئتنى اطعمتك ❊ الثانى انه محذوف
تقديره فاصدق كذا قدره ابو البقا ❊ الثالث ان تقديره ناقضوا ❊ وقيل تقديره كرهوا ذلك وعزم الامر

على سبيل الاسناد المجازى كقوله ❊ قد جدت الحرب بكم فجدوا ❊ او يكون على حذف مضاف اى عزم اهل الامر ❊ قال المفسرون
معناه اذا جد الامر ولزم فرض القتال خالفوا وتخلفوا فلو صدقوا الله فى اظهار الايمان والطاعة لكان خيرا لهم
وقيل جواب اذا محذوف تقديره فاذا عزم الامر فكلوا وكذبوا فيما وعدوا ولو صدقوا لكان خيرا لهم قوله فهل
عسيتم اى فلعلكم ان توليتم اعرضتم عن القران وفارقتم احكامه ان تفسدوا فى الارض تعودوا الى ما كنتم عليه
فى الجاهلية فتفسدوا فى الارض بالمعصية والبغى وسفك الدما وترجعوا الى الفرقة بعدما جمعكم الله بالاسلام
قوله ان تفسدوا خبر عسى والشرط معترض بينهما وجوابه محذوف لدلالة فهل عسيتم عليه او هو نفسه فهل
عسيتم عند من يرى تقديمه ❊ وقرا على رضى الله عنه ان توليتم بضم التا والواو وكسر اللام مبنيا للمفعول
من الولاية اى ان وليتكم امور الناس ❊ وقرى وليتم من الولاية ايضا قوله وتقطعوا قرا العامة بالتشديد
على التكثير ❊ وابو عمرو فى رواية وسلام ويعقوب بالتخفيف مضارع قطع ❊ والحسن بفتح التا والطا مشددة واصلها
تتقطعوا ابن حذف احدى التائين وانتصاب ارحامكم على هذا على اسقاط الخافض اى فى ارحامكم قوله اولئك مبتدا والموصول
خبره والفعل بعد اولئك المفسدون يدل عليه ما تقدم وقوله فاصمهم ولم يقل فاصم اذانهم واعمى ابصارهم ولم يقل
اعمالهم ❊ قيل لانه يلزم من ذهاب الاذن ذهاب السمع فلم يتعرض لها والابصار وهى الاعين لا يلزم من ذهابها ذهاب
الابصار ولا يرد عليك قوله وفى اذانهم وقر ونحوه لان ذكر الاذن فى الصمم والعمى المقصود منه فقال اصمهم من غير ذكر
الاذن ثم قال اعمى ابصارهم مع ذكر العين لان البصر ها هنا بمعنى العين ولهذا جمعها بالابصار ولو كان مصدرا لما
جمع فلم يذكر الاذن اذ لا مدخل لها فى الاصمام وذكر العين لان لها مدخلا فى الرؤية بل هى الكل بدليل ان الاحول فى غير هذا
الموضع لما اضافها الى الاذن سماها وقرا فقال تعالى فى اذانهم وقر ولما اذا نفى عنهم وهى اذا تنادوا عن الصمم قوله افلا
الذين لعنهم الله اشارة الى من سبق ذكرهم من المنافقين ابعدهم الله عنه وعن الخير فاصمهم لا يسمعون
الكلام المبين واعمى ابصارهم عن الحق قوله افلا يتدبرون القران فيه سوال وهو انه تعالى قال فاصمهم واعمى
ابصارهم فكيف يمكنهم التدبر فى القران وهو كقول القائل للاعمى ابصر وللاصم اسمع والجواب من ثلاثة اوجه
مترتبة بعضها احسن من البعض الاول تكليفه ما لا يطاق جائز والله امر من علم منه انه لا يؤمن بان يؤمن
فلذلك جاز ان يصمهم ويعميهم ويذمهم على ترك التدبر ❊ الثانى ان قوله افلا يتدبرون القران المراد منه الناس
الثالث ان يقال هذه الاية وردت محققة لمعنى الاية المتقدمة فانه تعالى قال اولئك الذين لعنهم الله اى
ابعدهم عنه او عن الصدق او عن الخير او غير ذلك من الامور الحسنة فاصمهم لا يسمعون حقيقة الكلام واعماهم
لا يتبعون طريقة الاسلام فاذن هم بين امرين اما لا يتدبرون القران فيبعدون منه لان الله لعنهم وابعدهم
عن الخير والصدق والقران منهما هو الصنف الاعلا بل النوع الاشرف واما يتدبرون لكن لا يدخل معانيه
فى قلوبهم لكونها مقفلة تقديره افلا يتدبرون القران لكونهم ملعونين مبعدين ام على قلوب اقفالها
فيتدبرون ولا يفهمون وعلى هذا لا احتياج الى ان يقول ام بمعنى بل بل هى على حقيقتها للاستفهام وافعة فى
وسط الكلام والهمزة اخذت مكانها وهو الصدر ❊ وقيل ام بمعنى بل والمعنى ام على قلوب اقفالها فلا تفهم
مواعظ القران واحكامه ❊ روى هشام بن عروة عن ابيه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا
يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها فقال شاب من اهل اليمن بل على قلوب اقفالها حتى يكون الله يفتحها
او يفرجها فما زال الشاب فى نفس عمر حتى ولى فاستعان به قوله ام على قلوب ام منقطعة وتقدم الكلام على ام
المنقطعة ❊ وقرا العامة اقفالها بالجمع على افعال ❊ وقرى اقفلها على افعل ❊ وقرى اقفالها بكسر الهمزة مصدرا
كالاقبال وهذا الكلام استعارة بليغة قيل ذلك عبارة عن عدم وصول الحق اليها قوله ان الذين ارتدوا على
ادبارهم رجعوا كفارا من بعد ما تبين لهم الهدى قال قتادة هم كفار اهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
بعد ما عرفوه ووجدوا نعته فى كتابهم ❊ وقال ابن عباس والضحاك والسدى هم المنافقون قوله الشيطان
سول لهم اى زين لهم القبيح وهذه الجملة خبر ان الذين ارتدوا وتقدم الكلام على سول معنى واشتقاقا ❊ وقال
الزمخشرى هنا وقد اشتقه من السول من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا ❊ قال شهاب الدين كانه يشير
الى ما قاله ابن بحر من ان المعنى اعطاهم سولهم ووجه الغلط فيه ان مادة السول من السوال بالهمزة ومادة
هذا بالواو فافترقا فلو كان على ما قيل لقيل سالك بتشديد الهمزة لا بالواو وفيما قاله الزمخشرى نظر لان
السوال له مادتان سال بالهمز وسال بالالف المنقلبة عن واو وعليه قراءة سال سايل ❊ وقوله

سالت هذيل رسول الله فاحشة ❊ ضلت هذيل بما سالت ولم تصب ❊

وقد تقدم هذا
فى البقرة مستوفى قوله واملى لهم العامة على املى مبنيا للفاعل وهو ضمير الشيطان ❊ وقيل هو للبارى
تعالى ❊ قال ابو البقا على الاول يكون معطوفا على الخبر فى كلا التقديرين اخبر عنهم بهذا وبهذا ❊ وقرا ابو عمرو

في اخرين املي مبنيا للمفعول والقايم مقام الفاعل الجار وقيل القايم مقامه ضمير الشيطان ذكره ابو البقا وقرا
يعقوب وسلام ومجاهد واملي بضم الهمزة وكسر اللام وسكون اليا فاحتملت وجهان احدهما ان يكون مضارعا
مسندا لضمير المتكلم اي واملي انا لهم وان يكون ماضيا كقراة ابي عمرو وسكنت ياوه تخفيفا وقد مضى منه
جملة قوله ذلك بانهم قالوا يعني المنافقين او اليهود قالوا للذين كرهوا ما نزل الله وهم المشركون اي
ذلك الاملا بسبب قولهم للذين كرهوا قاله الواحدي وقيل ذلك اشارة الى التسويل ويحتمل ان يقال
ذلك اشارة للارتداد بسبب قولهم سنطيعكم قاله ابن الخطيب قال لا يقال انه لا يجوز ان قوله قالوا سنطيعكم
في بعض الامر هو انهم قالوا نوافقكم على ان محمدا ليس بمرسل وانما هو كاذب ولكن لا نوافقكم في انكار الرسالة
والحشر والاشراك بالله من الاصنام ومن لم يؤمن بمحمد عليه السلام فهو كافر وان امن بغيره لا بل يؤمن
بمحمد عليه السلام ولا يؤمن بالله ولا برسله ولا بالحشر لان الله كما اخبر عن الحشر وهو جايز اخبر عن نبوة
محمد عليه السلام وهي جايزة وقال المفسرون ان اليهود او المنافقين قالوا للذين كرهوا ما نزل الله وهم المشركون
سنطيعكم في بعض الامر في التظاهر على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والقعود عن الجهاد وكانوا يقولونه سرا
فقال الله تعالى والله يعلم اسرارهم قوله اسرارهم قرا الاخوان وحفص بكسر الهمزة مصدرا والباقون بفتحها
جمع سر قوله فكيف اما خبر مقدم اي فكيف علمه باسرارهم اذا توفتهم واما منصوب بفعل محذوف اي فكيف
يصنعون واما خبر لكان مقدرة اي فكيف يكونون والظرف معمول لذلك المقدر وقرا الاعمش توفاهم
دون تا فاحتمل وجهين ان يكون ماضيا كالعامة وان يكون مضارعا حذفت احدى تايه قوله يضربون حال
اما من الفاعل وهو الاظهر او من المفعول فصل قال ابن الخطيب الاظهر ان قوله والله يعلم اسرارهم اي ما في
قلوبهم من العلم بصدق محمد عليه السلام فانهم كانوا مكابرين معاندين وكانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما يعرفون ابناءهم ويؤيده القراة بكسر الهمزة فانهم كانوا يسرون نبوة محمد عليه السلام وان
قلنا المراد من الذين ارتدوا هم المنافقون فكانوا يقولون للمجاهدين من الكفار سنطيعكم في بعض الامر
وكانوا يسرون انهم ان غلبوا انقلبوا الا قاتلوا ولين جاءهم نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم وقال تعالى فاذا
جا الخوف سلقوكم بالسنة حداد وقوله فكيف اذا توفتهم الملايكة يضربون وجوههم وادبارهم كانه تعالى قال
هب انهم يسرون والله لا يظهره اليوم فكيف يبقى مخفيا وقت وفاتهم او نقول لما قال تعالى والله يعلم
اسرارهم انهم يختارون القتال لما فيه من الضرب والطعن مع انه مفيد على الوجهين جميعا ان غلبوا
فالمال والثواب في المال وان غلبوا فالشهادة والسعادة فكيف حالهم اذا ضرب وجوههم وادبارهم
وعلى هذا فيه لطيفة وهي ان في القتال في الحال ان اقدم المبارز فاما ان يهزم الخصم ويسلم وجهه وقفاه
وان لم يهزمه فالضرب على وجهه ان ثبت وصبر وان لم يثبت وانهزم فان فاته الهرب فقد سلم وجهه
وقفاه وان لم يفته فالضرب على قفاه لا غير ويوم الوفاة لا نصرة له ولا مفر فوجهه وظهره مضروب
مطعون فكيف يحترز عن الاذى ويختار العذاب الاكبر قوله ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله اي ذلك
الضرب بانهم اتبعوا ما اسخط الله قال ابن عباس بما كتموا التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وكرهوا
ما فيه رضوان الله وهو الطاعة والايمان وقيل المراد بما اسخط الله الكفر لان الايمان يرضيه لقوله
تعالى ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم وقيل ما اسخط الله هو
تسويل الشيطان فان قيل هم ما كانوا يكرهون رضوان الله بل كانوا يقولون ان الذي هم عليه رضوان
الله ولا نطلب به الا رضى الله وكيف لا والمشركون باشراكهم كانوا يقولون انما نطلب رضى الله كما قالوا ليقربونا
الى الله زلفى وقالوا ليشفعوا لنا فالجواب معناه كرهوا ما فيه رضى الله وفي قوله ما اسخط الله ولم
يقل ما ارضى الله لطيفة وهي ان رحمة الله سابقة فله رحمة ثابتة وهي منشأ الرضوان وغضب الله متاخر
فهو يكون على ذنب فقال رضوانه لانه وصف ثابت لله سابق ولم يقل سخط الله بل ما اسخط الله اشارة الى
ان السخط ليس ثابتا كثبوت الرضوان ولهذا المعنى قال في اللعان في حق المراة والخامسة ان غضب الله
عليها ان كان من الصادقين فقال غضب الله مضافا لان لعانه قد سبق فظهر الزنا بقوله وايمانه
وقبله لم يكن غضب ورضوان الله امر يكون منه الفعل وغضب الله امر يكون من فعله قوله فاحبط
اعمالهم حيث لم يطلبوا رضى الله وانما طلبوا رضى الشيطان والاصنام قوله ام حسب الذين في قلوبهم
مرض يعني المنافقين ولم يستدع جملة اخرى استفهامية سابقة اذا كانت للاستفهام لان كلمة ام اذا
كانت تستدعي سبق جملة اخرى استفهامية يقال ازيد في الدار ام عمرو واذا كانت منقطعة لا تستدعي
ذلك يقال ان هذا لزيد ام عمرو كما يقال بل عمرو والمفسرون على انها منقطعة ويحتمل ان يقال انها

استفهامية

استفهامية والسابق مفهوم من قوله تعالى والله يعلم اسرارهم فكانه تعالى قال ام حسب الذين كفروا ان لم يعلم الله
اسرارهم ام حسب المنافقون ان لن يظهرها والكل فاسد فانما يعلمها ويظهرها ويؤيد ذلك ان المنقطعة لا تكاد
تقع في صدر الكلام فلا يقال ابتداء بل جا زيد ولا ام جا زيد قوله ان لن يخرج الله الاخراج بمعنى الاظهار اي
لن يظهر احقادهم وان هذه مخففة ولن وما بعدها خبرها واسمها ضمير الشان والاضغان جمع ضغن وهي
الاحقاد والضغن الحقد كذلك قال

وذي ضغن كففت الود عنه ... وكنت على اساءته مقيتا

وقال عمرو بن كلثوم

وان الضغن بعد الضغن يفشو ... عليك ويخرج الداء الدفينا

وانشد

قل لابن هند ما اردت بمنطق ... سا الصديق وشيد الاضغانا

وقيل الضغن العداوة يقال ضغن بالكسر يضغن
بالفتح وقد ضغن عليه واضطغن القوم وتضاغنوا واصل المادة من الالتوا في قوائم الدابة والقناة
قال

ان قناتي من صليبات القنا ... ما زادها التثقيف الا ضغنا

وقال اخر

كذات الضغن تمشي في الرفاق

والاضطغان الاحتوا على الشي ايضا ومنه قولهم
اضطغنت الصبي اذا احتضنته وانشد

كانه مضطغن صبيا

وقال

وما اضطغنت سلاحي عند مغركها ... وفرس جناحها لا تجري الا بالضرب

قال المفسرون اضغانهم احقادهم على المومنين فيبديها حتى يعرفوا نفاقهم وقال ابن عباس اضغانهم حسدهم فصل
قوله ولو نشاء لاريناكهم من رؤية البصر وجا على الافصح من اتصال الضميرين ولو جا على اريناك اياهم
جاز وقال ابن الخطيب الاراءة هنا بمعنى التعريف قوله فلعرفتهم عطف على جواب لو وقوله ولتعرفنهم
جواب قسم محذوف قال المفسرون معنى الكلام لاريناكهم اي لاعلمناكهم وعرفناكهم فلتعرفنهم بسيماهم
بعلامتهم قال الزجاج المعنى لو نشا لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها قال انس ما خفي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية شي من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم قوله ولتعرفنهم في لحن
القول اي في معناه ومقصده واللحن يقال باعتبارين احدهما الكناية بالكلام حتى لا يفهمه غير مخاطبك ومنه
قول القتال الكلابي

ولقد وحيت لكم لكيما تفهموا ... ولحنت لحنا ليس بالمرتاب

وقال اخر

منطق صايب وتلحن احيانا ... وخير الحديث ما كان لحنا

واللحن صرف الكلام من الاعراب الى الخطا وقيل بجمعه هو الاول لصرف الكلام عن وجهه يقال من الاول
لحنت بفتح الحا الحن له فانا لاحن والحنته الكلام افهمته اياه فلحنه بالكسر اي فهمه فهو لاحن ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض ويقال من الثاني لحن بالكسر اذا لم يعرب
فهو لحن فصل معنى الاية انك تعرفهم فيما يعرضون به من تهجين امرك وامر المسلمين والاستهزا بهم
فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد
دخلته قال ابن الخطيب معنى الاية ان لن يخرج الله اضغانهم اي يظهر ضمايرهم ويبرز سرايرهم وكان قايلا قال فلم
لم يظهر فقال اخرناه لمحض المشية لا لخوف منهم لو نشا لاريناكهم اي لا مانع لنا من الاراءة بمعنى التعريف
وقوله فلعرفتهم لزيادة فايدة وهي ان التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة يقال عرفته ولم يعرف
وفهمته ولم يفهم فقال ههنا فلعرفتهم يعني عرفناهم تعريفا تعرفهم به اشارة الى قوة التعريف واللام
في قوله فلعرفتهم هي التي تقع في خبر لو كما في قوله لادخلناكم اذ دخلت على المعرفة اشارة الى المعرفة المرتبة
على المشية كانه قال ولو نشا لعرفتهم لتفهم ان المعرفة غير متاخرة عن التعريف فتفيد تاكيد التعريف
اي لو نشا لعرفناك تعريفا معه المعرفة لا بعده وقوله في لحن القول اي في معنى القول حيث يقولون
ما معناه النفاق كقولهم حين مجي النصر انا كنا معكم وقوله لين رجعنا الى المدينة وقولهم ان بيوتنا عورة ويحتمل ان
يكون المراد قولهم ما لم يعتقدوا وانما لو كلامهم كما قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون ويحتمل ان يكون المراد من لحن القول هو الوجه الخفي من القول الذي
يفهمه النبي عليه السلام ولا يفهمه غيره فالنبي عليه السلام كان يعرف المنافق ولم يكن يظهر امره الى
ان اذن الله في اظهار امرهم ومنع من الصلاة على جنايزهم والقيام على قبورهم وقوله بسيماهم
الظاهر ان المراد انه تعالى لو شا لجعل على وجوههم علامة او يمسخهم كما قال ولو نشا لمسخناهم وروي
ان جماعة منهم اصبحوا وعلى جباههم مكتوب هذا منافق ثم قال تعالى والله يعلم اعمالكم وهذا وعد
للمومنين وبيان لكون حالهم بخلاف حال المنافق قوله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلو اخباركم قرا ابو بكر الثلاثة باليا من اسفل يعني الله تعالى والاعمش كذلك وتسكين الواو والطا

والباقون بنون العظمة وروبس كذلك وتسكين الواو والظاهر قطعه عن الاول في قراة التسكين الواو ويجوز ان يكون سكن
الواو تخفيفا كقراة الحسن او بعضهم الذي بسكون الواو قوله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا
الرسول من بعد قيل هم اهل الكتاب قريظة والنضير لان اهل الكتاب تبين لهم صدق محمد صلى الله عليه وسلم
فلا يرون لهم ثوابا وسيحبط اعمالهم انما يضرون انفسهم وهذا تهديد لن يضروا الله شيا
وقيل هم كفار قريش ان الذين كفروا ويقولون امنوا لم يبعدوا
في الاخرة قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر نظيرها قوله تعالى ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا
عن سبيل الله الاية وقيل المراد بالاعمال هاهنا مكايدهم في القتال قوله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول ولا تبطلوا اعمالكم قال عطا بالشك والنفاق وقال الكلبي بالريا والسمعة وقال الحسن بالمعاصي
والكباير وقال ابو العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع الاخلاص ذنب كما لا ينفع
مع الشرك عمل حتى نزلت هذه الاية فخافوا الكباير ان تحبط الاعمال وقال مقاتل لا تمنوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتبطلوا اعمالكم نزلت في بني اسد قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كانه يقول هذا فعلته
لاجل قلبك ولولا ارضاك به لما فعلته وهذا مناف للاخلاص والله لا يقبل الا العمل الخالص قوله ان الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله قيل هم اصحاب القليب وقيل اللفظ عام قوله فلا تهنوا وتدعوا الى السلم يجوز جزم تدعو
عطفا على فعل النهي ونصبه باضمار ان في جواب النهي وقرا ابو عبد الرحمن بتشديد الدال فقال الزمخشري من
ادعى القوم وتداعوا مثل ارتموا الصيد وتراموا وقال غيره بمعنى لا تفتروا تنتسبوا وتتقدموا الخلاف في السلم
فصل لما بين ان عمل الكافر الذي له صورة الحسنات محبط وذنبه الذي هو اقبح السيئات غير مغفور وامر
بطاعة الله وطاعة الرسول امر بالقتال فقال فلا تهنوا اي لا تضعفوا بعد ما وجد السبب وهو الامر
بالجد والاجتهاد في القتال فقال ولا تهنوا وتدعوا الى السلم اي الى الصلح ابتدا منع الله المسلمين ان يدعوا
الكفار الى الصلح وامرهم بحربهم حتى يسلموا قوله وانتم الاعلون جملة حالية وكذلك والله معكم واصل الاعلون
الاعليون فاعل قال ابن الخطيب اصله في الجمع الواو اعليون ومصطفيون فسكنت اليا لكونها حرف علة تحرك
ما قبلها والواو كانت ساكنة فالتقى ساكنان فلم يكن بد من حذف احدهما وتحريك الاخر والتحريك كان وقع في
المحذوف الذي اجتنب منه موجب الحذف والواو فيه كانت لمعنى لا يستفاد الا منها وهو الجمع فاسقطت اليا
وبقي اعلون وبهذا الدليل صار في الجاعلين ومصطفين ومعنى الاعلون الغالبون قال الكلبي اخر الامر
لكم وان غلبوكم في بعض الاوقات والله معكم بالعون والنصرة قوله ولن يتركم اعمالكم اي ينقصكم ويفردكم
عنها فهو من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا او نهبت ماله او من الوتر وهو الانفراد وقيل كلي المعنيين يرجع
الى الافراد لان من قتل له قتيل او نهب له مال فقد افرد عنه ومعنى لن يتركم اعمالكم لن ينقصكم شيا من ثواب
اعمالكم يقال وتره يتره وترا وترة اذا انقصه حقه قال ابن عباس وقتادة والضحاك لن يظلمكم اعمالكم
الصالحة اي يوتكم اجورها ثم حض على طلب الاخرة فقال انما الحياة الدنيا لعب ولهو باطل وغرور وان
تومنوا وتتقوا الفواحش يوتكم اجوركم جزا اعمالكم في الاخرة ولا يسالكم اموالكم ربكم لا يسالكم الاجر بل يامركم
بالايمان والطاعة ليثيبكم عليها الجنة نظيره قوله ما اريد منكم من رزق وقيل لا يسالكم محمد اموالكم نظيره
قل ما اسالكم عليه من اجر وقيل معنى الاية لا يسالكم الله ورسوله اموالكم كلها في الصدقات انما يسالكم غيظا
من قبض ربع العشر فطيبوا بها نفسا قاله ابن عيينة يدل عليه سياق الاية قوله فيحفكم عطف على الشرط
ويبخلوا جواب الشرط قال ابن الخطيب الفا في قوله فيحفكم للاشارة الى ان الاحفا يتبع السوال بيانا لشح الانفس
وذلك لان العطف بالواو قد يكون للمتباينين وبالفا لا يكون الا للمتعاقبين او متعلقين احدهما بالاخر فكانه
تعالى بين ان الاحفا يقع عقيب السوال لان الانسان بمجرد السوال لا يعطي شيا قال المفسرون فيحفكم
يجهدكم ويلحف عليكم بمسيلة جميعها يقال احفى فلان فلانا اذا اجهده والحف عليه في المسالة قوله ويخرج
اضغانكم العامة على اسناده يخرج الى ضمير فاعل اما الله تعالى او الرسول او السوال لانه سبب وهو
مجزوم عطفا على جواب الشرط وروي عن ابي عمرو رفعه على الاستيناف وقرا ايضا بفتح اليا وضم الرا ورفع
اضغانكم فاعلا وابن عباس في اخرين وتخرج بالتا من فوق وضم الرا اضغانكم فاعل به ويعقوب وتخرج بنون
العظمة وكسر الرا اضغانكم نصبا وقرى وتخرج باليا على البنا للمفعول اضغانكم رفعا به وعيسى كذلك الا انه
نصبه باضمار ان عطفا على مصدر متوهم اي يكن بخلكم واخراج اضغانكم بغضكم وعداوتكم قوله ها انتم هولا
قال الزمخشري هولا موصول صلته تدعون اي انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون هولا الموصوفون ثم
استانف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون وقال ابن الخطيب هولا يحتمل وجهين احدهما
ان تكون موصولة كانه قال انتم الذين تدعون لتنفقوا في سبيل الله وثانيهما هولا وحدها خبر انتم كما يقال

يقال انت انت وانت هذا للشهرة والظهور اي ظهر انكم بحيث لا حاجة الى الاخبار عنكم بامر مغاير وقد تقدم الكلام مشبعا
على قوله ها انتم هولا في سورة ال عمران وقوله تدعون اي الى الانفاق اما في سبيل الله بالجهاد واما صرفه الى المستحقين
من اخوانكم قوله فمنكم من يبخل بما فرض عليه من الزكاة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اي ان ضرر ذلك البخل عايد
اليه فلا يظنوا انهم ينفقونه على غيرهم بل لا ينفقونه الا على انفسهم فان من يبخل باجرة الطبيب وثمن الدوا وهو مريض
فلا يبخل الا على نفسه ثم حقق ذلك بقوله والله الغني اي غير محتاج الى مالكم واتمه بقوله وانتم الفقرا اليه
والى ما عنده من الخير حتى لا تقولوا بانا اغنيا عن القتال ودفع حاجة الفقرا قوله يبخل عن نفسه بخل وضن يتعديان
بعلى تارة وبعن اخرى والاجود ان يكون حال تعديهما بعن مضمنين معنى الامساك قوله وان تتولوا هذه الجملة
الشرطية عطف الشرطية قبلها وثم لا يكونوا عطف على يستبدل فصل ذكر بيان الاستغنا كما قال تعالى ان
يشا يذهبكم ويات بخلق جديد قال المفسرون ان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم بل يكونوا
امثل منكم واطوع لله منكم قال الكلبي هم كندة والنخع وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة فارس والروم لما روى
ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم
قالوا يا رسول الله من هولا الذين ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا فضرب على فخذ سلمان الفارسي
ثم قال هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس وقيل هم قوم من الانصار فصل
قال ابن الخطيب هاهنا مسيلة وهي ان النحاة قالوا يجوز في المعطوف على جواب الشرط بالفا والواو وثم الجزم
والرفع تقول ان تاتني اتك فاخبرتك بالجزم والرفع جميعا قال الله تعالى هاهنا ان تتولوا يستبدل قوما
غيركم وقال ثم لا يكونوا امثالكم بالجزم وقال في موضع اخر وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون بالرفع
لاثبات النون وفيه تدقيق وهو ان قوله لا يكونوا متعلق بالتولي لانهم ان لم يتولوا يكونوا ممن ياتي بهم
الله على الطاعة وان يتولوا لا يكونون مثلهم لكونهم عاصين وكون من ياتي بهم مطيعين واما هناك سوا قاتلوا
او لم يقاتلوا لا ينصرون فلم يكن التعلق هناك بما وقع بالابتدا وهاهنا جزم للتعلق وقوله لا يكونوا امثالكم
في الوصف لا في الجنس وروى ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة محمد
كان حقا على الله عز وجل ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح

وهي تسع وعشرون اية وخمسماية وستون كلمة والفان واربعماية وثمانية وثلاثون حرفا روى
زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر بن الخطاب كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فساله عمر عن شي فلم
يجبه ثم ساله فلم يجبه ثم ساله فلم يجبه فقال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت امام الناس وخشيت ان ينزل في
قران فما نشبت ان سمعت صارخا يصرخ بي فجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال
لقد انزلت علي الليلة سورة لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وروى انس قال نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك الى
اخر الاية مرجعه من الحديبية واصحابه مخالطوا الحزن والكابة فقال نزلت علي اية هي احب الي من
الدنيا جميعها فلما تلاها نبي الله صلى الله عليه وسلم قال رجل من القوم هنيا مريا يا نبي الله قد بين الله لك ما
يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى ختم
الاية بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا اختلفوا في هذا الفتح فروي عن انس انه فتح
مكة وقال مجاهد فتح خيبر والاكثرون على انه صلح الحديبية وقيل فتح الروم وقيل فتح الاسلام بالحجة
والبرهان والسيف والسنان وقيل الفتح الحكم لقوله افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقوله ثم يفتح
بيننا بالحق فمن قال هو فتح مكة قال لانه مناسب لاخر السورة التي قبلها من وجوه احدها انه تعالى
لما قال ها انتم هولا تدعون لتنفقوا في سبيل الله الى ان قال ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه وبين
تعالى انه فتح لهم مكة وغنموا ديارهم وحصل لهم اضعاف ما انفقوا ولو بخلوا لضاع عليهم ذلك فلا يكون
بخلهم الا على انفسهم وثانيها لما قال والله معكم وقال وانتم الاعلون بين برهانه بفتح مكة فانهم
كانوا هم الاعلون وثالثها لما قال تعالى فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وكان معناه لا تسالوا الصلح بل
اصبروا فانهم يسالون الصلح كما كان يوم الحديبية فكان المراد فتح مكة حيث اتوا صنا ديد قريش
مستامنين ومومنين ومسلمين ومستسلمين فان قيل ان كان المراد فتح مكة فمكة لم تكن فتحت فكيف

قال فتحنا بلفظ الماضي فالجواب من وجهين احدهما فتحنا في حكمنا وتقديرنا والثاني ما قدره الله تعالى فهو كائن
فاخبر بصيغة الماضي اشارة الى انه امر واقع لا دافع له واما جهة قول الاكثرين على انه صلح الحديبية فلما روي
البرا قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا
مع النبي صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بير فنزحناها فلم نترك قطرة فبلغ ذلك النبي صلى
الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ما فتوضا ثم تمضمض ودعا وصبه فيها فتركناها
غير بعيد ثم انها اصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا وقال الشعبي في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المسلمين
بظهور اهل الكتاب على المجوس وقال الزهري ولم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين
فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم واسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر سواد الاسلام قال المفسرون
انا فتحنا لك فتحا مبينا اي قضينا لك قضا بينا قوله ليغفر لك الله متعلق بفتحنا وهي لام العلة وقال
الزمخشري فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لما عدد من الامور
الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك فتح
مكة ونصرناك على عدوك ليجمع لك بين عز الدارين واعراض العاجل والاجل ويجوز ان يكون فتح مكة من
حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب وهذا الذي قاله مخالف لظاهر الاية فان اللام داخلة على
المغفرة فتكون المغفرة علة للفتح والفتح معلل بها وكان ينبغي ان يقول كيف جعل فتح مكة معللا بالمغفرة
ثم يقول لم يجعل معللا وقال ابن عطية المراد هنا ان الله فتح لك لكي يجعل الفتح علامة لغفرانه لك فكانها
لام صيرورة وهذا الكلام ماش على الظاهر وقال بعضهم ان هذه اللام لام القسم والاصل ليغفرن فكسرت اللام
تشبيها بلام كي وحذفت النون ورد هذا بان اللام لا تكسر وبانها لا تنصب المضارع وقد يقال ان هذا النصب
نصب واتما هو بقا الفتح الذي كان قبل نون التوكيد بقي ليدل عليها ولكنه قول مردود فصل
لم يكن للنبي عليه السلام ذنب فماذا يغفر له فقيل المراد ذنب المومنين وقيل المراد ترك الافضل وقيل
الصغاير فانها جايزة على الانبيا بالسهو والعمد قاله ابن الخطيب وهي تصونهم عن العجب وقيل المراد بالمغفرة
العصمة ومعنى قوله وما تاخر قيل انه وعد للنبي صلى الله عليه وسلم بانه لا يذنب بعد النبوة وقيل ما تقدم
على الفتح وما تاخر عن الفتح وقيل هو للعموم يقال اضرب من لقيت ومن لا تلقاه مع ان من لا يلقاه لا يمكن
ضربه اشارة الى العموم وقيل من قبل النبوة وبعدها ومعناه ما قبل النبوة بالعفو وما بعدها بالعصمة
وفيه وجوه اخر ساقطة قال ابن الخطيب منها قول بعضهم ما تقدم من امر مارية وما تاخر من امر
زينب وهو ابعد الوجوه واسقطها لعدم التيام الكلام قوله ويتم نعمته عليك قيل ان التكاليف عند
الفتح تمت حيث وجب الحج وهو اخر التكاليف والتكليف نعمة وقيل يتم نعمته عليك باخلا الارض لك
عن معانديك فان يوم الفتح لم يبق للنبي عليه السلام عدو وقال بعضهم قتل يوم بدر والباقون امنوا
واستامنوا يوم الفتح وقيل ويتم نعمته عليك في الدنيا والاخرة اما في الدنيا باستجابة دعايك في طلب الفتح وفي الاخرة
بقبول شفاعتك قوله ويهديك صراطا مستقيما قيل يهدي بك وقيل يديمك على الصراط المستقيم وقيل
جعل الفتح سبب الهداية الى الصراط المستقيم لانه سهل على المومنين الجهاد لعلمهم بفوايد العاجلة والاجلة
وقيل المراد التعريف اي لتعرف انك على صراط مستقيم ثم قال وينصرك الله نصرا عزيزا غالبا وقيل
معزا لان بالفتح ظهر النصر فان قيل ان الله تعالى وصف النصر بكونه عزيزا والعزيز من له النصر فالجواب
من وجهين احدهما قال الزمخشري انه يحتمل وجوها ثلاثة الاول معناه نصرا ذا عزة كقوله في عيشة
راضية اي ذات رضى الثاني وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال له كلام صادق
كما يقال له متكلم صادق الثالث المراد نصرا عزيزا صاحبه الوجه الثاني ان يقال انما يلزم ما ذكره
الزمخشري اذا قلنا العزة هي الغلبة والعزيز الغالب واما اذا قلنا العزيز هو النفيس القليل النظير
او المحتاج اليه القليل الوجود يقال عز الشي في سوق كذا اي قل وجوده مع انه يحتاج اليه فالنصر
كان محتاجا اليه ومثله لم يوجد وهو اخلا بيت الله من الكفار المقيمين فيه من غير عدد ولا عدد
فصل قال انا فتحنا لك ثم قال ليغفر لك الله ولم يقل وينصرك نصرا بل اعاد لفظ الله وجوابه
هذا ارشاد الى طريق النصر ولهذا لما ذكر الله النصر من غير اضافة فقال تعالى ولينصرن الله من
ينصره ورسله ولم يقل بالنصر ينصر وقال هو الذي ايدك بنصره ولم يقل ايدك بالنصر وقال اذا
جا نصر الله والفتح وقال نصر من الله وفتح قريب وقال وما النصر الا من عند الله وهذا ادل الايات

على مطلوبها

على مطلوبها وتحقيقه هو ان النصر بالصبر والصبر بالله قال تعالى وما صبرك الا بالله وذلك لان الصبر سكون
القلب واطمينانه وذلك بذكر الله كما قال الا بذكر الله تطمين القلوب فلما قال ها هنا وينصرك الله اظهر
لفظ الله ليعلم ان بذكر الله يحصل اطمينان القلب وبه يحصل الصبر وبه يتحقق النصر قوله هو الذي انزل
السكينة في قلوب لما قال تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه النصر وذلك ان الله تعالى قد ينصر
رسله بصيحة تهلك بها اعداهم او رجفة تحكم فيها عليهم بالفنا او بشي يرسله من السما او بصبر وقوة
وثبات قلب يرزق المومنين ليكون لهم بذلك الثواب الجزيل فقال هو الذي انزل السكينة اي تحقيقا
للنصر والمراد بالسكينة قيل السكون وقيل الوقار لله وقيل اليقين قال اكثر المفسرين هذه
السكينة غير السكينة المذكورة في قوله تعالى ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم ويحتمل ان تكون هي تلك لان
المقصود منها على جميع الوجوه اليقين وثبات القلب فصل قال الله تعالى في حق الكفار وقذف في قلوبهم الرعب
بلفظ القذف المزعج وقال في حق المومنين انزل السكينة بلفظ الانزال المثبت وفيه معنى حكمي وهو ان من علم شيا
من قبل وتذكره واستدام تذكره فاذا وقع لا يتغير ومن كان غافلا عن شي فيقع دفعة فانه يرجف فواده الا ترى ان
من اخبر بوقوع صيحة وقيل له لا يرتزع منها فوقعت الصيحة لا يرجف ومن لم يخبر به او اخبر وغفل عنه يرجف اذا
وقعت فكذلك الكافر اتاه الله من حيث لم يحتسب وقذف في قلبه الرعب فارجف والمومن اتى من حيث كان
يذكره فسكن فلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم قال ابن عباس كل سكينة في القران فهي طمانينة الا التي في سورة البقرة
قوله ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم قال ابن عباس بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله فلما
صدقوا زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم الجهاد حتى اكمل لهم دينهم فكلما امروا ابتلى فصدقوه ازدادوا تصديقا
الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم وقيل انزل السكينة عليهم فصبروا وراوا عين اليقين ما علموا من
النصر علم اليقين ايمانا بالغيب فازدادوا ايمانا مستفادا من الغيب مع ايمانهم المستفاد من الشهادة وقيل ازدادوا
ايمانا بالفروع مع ايمانهم المستفاد من المشاهدة بالاصول فانهم امنوا بان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان
الله واحد والحشر كاين فامنوا بان كل ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم فهو صدق وكل ما يامر الله تعالى به واجب وقيل
ازدادوا ايمانا استدلاليا مع ايمانهم الفطري فان قيل ما الحكمة في قوله في حق الكفار انما نملي لهم ليزدادوا اثما
ولم يقل مع كفرهم وقال في حق المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فالجواب ان كفر الكافر عنادي وليس في
الوجود كفر فطري ولا في الوجود كفر عنادي ينضم الى الكفر الفطري بل الكفر ليس الا عناديا وكذلك الكفر بالفروع لا يقال
انضم الى الكفر بالاصول لان من ضرورة الكفر بالاصول الكفر بالفروع وليس من ضرورة الايمان بالاصول الايمان بالفروع
بمعنى الطاعة والانقياد ولهذا قال ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم قوله ولله جنود السموات والارض فهو قادر على
اهلاك عدوه بجنوده بل بصيحة ولم يفعل بل انزل السكينة على المومنين ليكون اهلاك اعدايه بايديهم فيكون
لهم الثواب والمراد بجنود السموات والارض الملايكة وقيل جنود السموات الملايكة وجنود الارض الجن والحيوانات
وقيل الاسباب السماوية والارضية وكان الله عليما لما قال ولله جنود السموات والارض وعددهم غير محصور
فقال عليما اشارة الى انه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقيل لما ذكر القلوب بقوله انزل
السكينة في قلوب المومنين والايمان الذي من عمل القلوب ذكر العلم اشارة الى انه يعلم السر واخفى وقوله حكيما
بعد قوله عليما اشارة الى انه يفعل على وفق العلم فان الحكيم من يعمل شيا متقنا ويعلمه قوله تعالى ليدخل المومنين
في متعلق هذه اللام اربعة اوجه احدها محذوف تقديره يبتلي بتلك الجنود من شا فيقبل الخير من اهله والشر ممن
قضي له به ليدخل ويعذب الثاني انها متعلقة بقوله انا فتحنا الثالث انها متعلقة بينصرك الرابع انها متعلقة
بيزدادوا واستشكل هذا بان قوله ويعذب عطف عليه وازديادهم الايمان ليس مسببا عن تعذيب الله الكفار
واجيب بان اعتقادهم ان الله يعذب الكفار يزيد في ايمانهم لا محالة وقال ابو حيان والازدياد لا يكون سببا
لتعذيب الكفار واجيب بانه ذكر لكونه مقصودا للمومن كانه قيل بسبب ازديادكم في الايمان يدخلكم الجنة ويعذب
الكفار بايديكم في الدنيا وفيه نظر لانه كان ينبغي ان يقول لا يكون مسببا عن تعذيب الكفار وهذا يشبه ما تقدم
في قوله ليغفر لك الله واجاب ابن الخطيب بوجهين اخرين احدهما تقديره ويعذب نقيض ما لكم من الازدياد
يقال فعلت لاخزي به العدو والصديق اي لاعز بوجوده الصديق ويعدمه العدو وكذا هاهنا ليزداد
المومن ايمانا يدخله الجنة ويزداد الكافر كفرا فيعذبه وثانيهما ان بسبب زيادة ايمان المومن يكثر صبرهم
وثباتهم ويتعب المنافق والكافر معه ويتعذب ثم ذكر وجوها اخر في تعلق الجار منها ان الجار يتعلق بقوله
حكيما كانه قال ويتم نعمته عليك لان الله حكيم فعل ما فعل ليدخل المومنين ومنها ان يتعلق بقوله ويتم
نعمته عليك فيستجيب دعاك في الدنيا ويقبل شفاعتك في العقبى ليدخل المومنين جنات ومنها ان

يتعلق بامر مفهوم من قرينة الحال وهو الامر بالقتال لانه لما ذكر الفتح والنصر علم ان الحال حال القتال فكانه تعالى
قال ان الله تعالى امر بالقتال ليدخل المؤمنين او عرف من قرينة الحال ان الله اختار المؤمنين فكانه تعالى قال
اختار المؤمنين ليدخلهم جنات فان قيل ما الحكمة في انه تعالى ذكر في بعض المواضع المؤمنين والمؤمنات وفي بعضها
اكتفى بذكر المؤمنين ودخلت المؤمنات فيهم كقوله تعالى قد افلح المؤمنون وقوله وبشر المؤمنين بان لهم قلنا
انه في المواضع التي فيها ما يوهم اختصاص المؤمنين بالخير الموعود به مع مشاركة المؤمنات لهم ذكرهن الله
صريحا وفي المواضع التي فيها ما يوهم ذلك اكتفى بدخولهن في المؤمنين كقوله وبشر المؤمنين مع انه علم من قوله
تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا العموم فلا يوهم خروج المؤمنات عن البشارة واما ههنا
فلما كان قوله تعالى ليدخل المؤمنين متعلق بفعل سابق وهو اما الامر بالقتال او الصبر فيه او النصرة بالمؤمنين
او الفتح بايديهم على ما تقدم فادخال المؤمنين كان للقتال والمراة لا تقاتل فلا تدخل الجنة الموعود بها فصرح
الله بذكرهن وكذا في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات لان الموضع موضع ذكر
النساء واحوالهن كقوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية واقمن الصلاة واتين واطعن واذكرن ما يتلى في بيوتكن فكان
ذكر النساء هناك اصلا لكن الرجال لما كان لهم ما للنساء من الامر العظيم ذكرهم وذكرهن بلفظ مفرد من
غير تبعية لما بينا قوله ويكفر عنهم سيئاتهم فيه سوال وهو ان تكفير السيئات قبل الادخال فكيف ذكره بعد
ذكر الادخال والجواب من وجهين احدهما ان الواو لا تقتضي الترتيب والثاني ان تكفير السيئات والغفران
من توابع كون المكلف من اهل الجنة فقدم الادخال في الذكر بمعنى انه من اهل الجنة قوله وكان ذلك عند
الله فوزا عند الله متعلق بمحذوف على انه حال من فوزا لانه صفته في الاصل وجوز ابو البقاء ان يكون ظرفا
لكان وفيه خلاف وان يكون ظرفا لمحذوف دل عليه الفوز اي يفوزون عند الله ولا يتعلق بفوزا لانه مصدر
فلا يتقدم معموله عليه ومن اغتفر ذلك في الظرف جوزه قال ابن الخطيب معناه ان ذلك الادخال والتكفير
في علم الله فوز عظيم يقال عندي هذا الامر على هذا الوجه اي في اعتقادي قوله ويعذب المنافقين والمنافقات
والمشركين الاية اعلم انه قدم المنافقين على المشركين في كثير من المواضع لامور احدها انهم كانوا اشد على المؤمنين
من الكافر المجاهر لان المؤمن كان يتوقى المشرك المجاهر ويخالط المنافق لظنه بايمانه وكان يفشي اسراره والى هذا
اشار النبي عليه السلام بقوله اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ولهذا قال الشاعر

احذر عدوك مرة ... واحذر صديقك الف مرة

فلربما انقلب الصديق ... فكان اعلم بالمضرة

وثانيها ان المنافق كان يظن ان
يتخلص بالمخادعة والكافر لا يقطع بان المؤمن ان غلبه يعذبه في النوبة وقرا الحسن السوء بالضم فيهما
قوله عليهم دائرة السوء اي دائرة الفساد يعني حاق بهم العذاب بحيث لا يخرجون منه وغضب الله عليهم
زيادة على التعذيب ولعنهم اي بالغضب يكون شديدا واعد لهم جهنم في العقبى وساءت مصيرا اي جهنم
قوله ولله جنود السموات والارض تقدم تفسيره وفائدة الاعادة ان لله جنود الرحمة وجنود العذاب
او جنود الله انزلهم قد يكون انزالهم للرحمة وقد يكون للعذاب فذكرهم اولا لبيان الرحمة بالمؤمنين
كما قال وكان بالمؤمنين رحيما وثانيا لبيان انزال العذاب بالمنافقين والمشركين وفي الاول ذكر الجنود قبل ادخال
الجنة وذكرهم هنا بعد تعذيب الكفار واعداد جهنم لان الله تعالى ينزل جنود الرحمة ليدخل المؤمنين معظما
مكرما الجنة ثم يلبسهم خلع الكرامة بقوله ويكفر عنهم سيئاتهم ثم يقربهم زلفى بقوله وكان ذلك عند الله فوزا
عظيما واما في حق الكفار فيغضب عليهم اولا فيبعدهم ويطردهم الى البلاد النائية عن الرحمة وهي جهنم
ثم يسلط عليهم ملائكة العذاب وهم جنود الله كما قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله فلذلك
ذكر جنود الرحمة اولا هنالك وقال ههنا وغضب الله عليهم ولعنهم وهو الابعاد الى جهنم ثم
ذكر الجنود وهم ملائكة العذاب اخرا قوله انا ارسلناك شاهدا على امتك بما يفعلون كما قال تعالى
ويكون الرسول عليكم شهيدا انه لا اله الا الله كما قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو
العلم وهم الانبياء ومبشرا لمن قبل شهادته وحكم بها ونذيرا لمن رد شهادته ثم بين فائدة الارسال
فقال لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه اي يعينوه وينصروه وتوقروه اي يعظموه ويفخموه وهذه
الكنايات راجعة الى النبي صلى الله عليه وسلم وههنا وقف ثم قال وتسبحوه اي تسبحوا الله يريد يصلوا له
بكرة واصيلا بالغداة والعشي وقيل الكنايات راجعة الى الله ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروا الله تقوية
دينه ويوقروا الله اي يعظموه قوله ليؤمنوا قرا ابن كثير وابو عمرو ليؤمنوا وما بعده بالياء من تحت
رجوعا الى قوله المؤمنين والمؤمنات والباقون بتاء الخطاب قوله ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية

على ان لا يفروا انما يبايعون الله لانهم باعوا انفسهم من الله تعالى بالجنة روى يزيد بن عبيد قال قلت لسلمة بن
الاكوع على اي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال على الموت قوله انما يبايعون خبر ان الذين
ويد الله فوق ايديهم جملة حالية او خبر ثان وهو ترشيح للمجاز في مبايعة الله وقرا تمام بن العباس يبايعون الله
والمفعول محذوف اي انما يبايعونك لاجل الله قوله يد الله فوق ايديهم لما بين انه مرسل ذكر ان من بايعه فقد
بايع الحق وقوله يد الله فوق ايديهم يحتمل وجوها وذلك ان اليد في الموضعين اما ان تكون بمعنى واحد واما
ان تكون بمعنيين فان كان بمعنى واحد ففيه وجهان احدهما قال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما
صنعوا من البيعة كما قال تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وثانيها قال ابن عباس ومجاهد يد الله بالوفا
بما وعدهم من النصر والخير اقوى واعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان اي الغلبة وان كان بمعنيين ففي
حق الله بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة قال السدي كانوا ياخذون بيد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويبايعونه ويد الله فوق ايديهم في المبايعة وذلك ان المتبايعين اذا مد احدهما يده الى الاخر
في البيع وبينهما ثالث فيضع يده على يديهما ويحفظ ايديهما الى ان يتم العقد ولا يترك احدهما يترك يد
الاخر لكي يلزم العقد ولا يتفاسخان فصار وضع اليد فوق الايدي سببا لحفظ البيعة فقال تعالى يد الله فوق
ايديهم يحفظهم على البيعة كما يحفظ المتوسط ايدي المتبايعين قوله فمن نكث اي نقض البيعة فانما ينكث على
نفسه اي عليه وباله ومن اوفى بما عاهد عليه الله اي ثبت على البيعة فسيؤتيه اجرا عظيما قرا اهل
العراق فسيؤتيه بالياء من تحت وقرا الاخرون بالنون والمراد بالاجر العظيم الجنة وتقدم الكلام على معنى
الاجر العظيم قوله سيقول لك المخلفون من الاعراب قال ابن عباس ومجاهد يعني اعراب غفار ومزينة
وجهينة واشجع واسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا
استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه
عن البيت فاحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وتخلفوا
واعتلوا بالشغل فظنهم انه يهزم فانزل الله هذه الاية قوله شغلتنا حكى الكسائي عن ابن مدرج انه قرا شغلتنا
بالتشديد اموالنا واهلونا يعني النساء والذراري اي لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فاستغفر لنا تخلفنا عنك فكذبهم
الله في اعتذارهم فقال يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم من امر الاستغفار فانهم لا يبالون استغفر
لهم النبي او لا قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا قرا الاخوان ضرا بضم الضاد
والباقون بفتحها فقيل هما لغتان بمعنى كالفقر والفقر والضعف والضعف وقيل بالفتح ضد النفع وبالضم
سوء الحال فمن فتح قال لانه قابله بالنفع والنفع ضد الضر وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه
وسلم يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع بالسلامة في انفسهم واموالهم فاخبرهم انه ان اراد بهم شيئا من
ذلك لم يقدر احد على دفعه بل كان الله بما تعملون خبيرا اي بما تعملون من اظهار امر واضمار غيره بل ظننتم
ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون اي ظننتم ان العدو يستاصلهم ولا يرجعون وقرا عبد الله الى اهلهم
دون يا بل اضاف الاهل مفردا قوله وزين ذلك في قلوبكم قرئ وزين مبنيا للفاعل اي الشيطان او فعلكم
زين ذلك الظن في قلوبكم وظننتم ظن السوء وذلك انهم قالوا ان محمدا واصحابه اكلة راس فلا يرجعون
فاين يذهبون معه انظروا ما يكون من امرهم وكنتم قوما بورا اي صرتم هلكى لا تصلحون لخير وقيل
كنتم على بابها من الاخبار بكونهم في الماضي كذا والبور الهلاك وهو يحتمل ان يكون هنا مصدرا اخبر به عن
الجمع كقوله يا رسول الاله ان لساني راتق ما فتقت اذ انا بور ولذلك يستوي فيه
المفرد والمذكر وضدهما ويجوز ان يكون جمع بائر كحائل وحول في المعتل وبازل وبزل في الصحيح قوله ومن
لم يؤمن يجوز ان تكون شرطية او موصولة والظاهر قائم مقام العائد على كلا التقديرين اي فانا اعتدنا
لهم وفيه فائدة وهي التعميم كانه قال ومن لم يؤمن بالله ورسوله فهو من الكافرين واعتدنا للكافرين سعيرا
قوله ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله ذكر هذا بعد ذكره
من له اجر عظيم من المبايعين ومن له في السعير عذاب اليم من الظانين الضالين وذلك يفيد
عظمة الامرين جميعا لان من عظم ملكه يكون اجره وهيبته في غاية العظمة وعذابه وعقوبته في غاية الالم
قوله سيقول المخلفون اذا انطلقتم يعني هؤلاء الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم سرتم وذهبتم
ايها المؤمنون الى مغانم لتاخذوها يعني مغانم خيبر ذرونا نتبعكم الى خيبر لنشهد معكم قتال اهلها
وذلك انهم لما انصرفوا من الحديبية وعدهم الله فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة
عوضا من غنائم مكة اذا انصرفوا من الحديبية ولم يصيبوا شيئا منها قوله يريدون يجوز ان يكون

شيئا تعاوانه يكون حالا من المخلفين وان يكون حالا من مفعول ذرونا قوله كلام الله قرا الاخوان كلم جمع كلمة والباقون كلام
قيل معناه يريدون ان يغيروا مواعيد الله تعالى لاهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة وقال مقاتل يعني امر الله لنبيه
صلى الله عليه وسلم ان لا يسير معه منهم احد وقال ابن زيد هو ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تخلف القوم اطلعه
الله على باطنهم واظهر له نفاقهم وقال للنبي عليه السلام فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا
معي عدوا والاول اصوب وعليه اكثر المفسرين قوله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل اي من قبل مرجعنا
اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب قوله بل تحسدوننا قرا ابو حيوة تحسدوننا
بكسر السين بل للاضراب والمضروب عنه محذوف في الموضعين اما هاهنا فتقديره ما قال الله كذلك من قبل
بل تحسدوننا اي يمنعكم الحسد من ان نصيب معكم الغنائم بل كانوا لا يفقهون لا يعلمون عن الله ما لهم وعليهم
من الدين الا قليلا منهم وهو من صدق الله ورسوله قوله قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي
باس شديد لما قال النبي عليه السلام لهم لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا وكان المخلفون جمعا كثيرا من قبائل متشعبة
دعت الحاجة الى بيان قبول توبتهم فانهم لم يبقوا على ذلك ولم يكونوا من الذين مردوا على النفاق بل منهم من حسن
حاله فجعل لقبول توبتهم علامة وهو انهم يدعون الى قوم اولي باس شديد ويطيعون بخلاف حال ثعلبة حيث امتنع
من اداء الزكاة ثم اتى بها فلم يقبل منه النبي صلى الله عليه وسلم واستمر عليه الحال ولم يقبل منه احد من الصحابة
كذلك كان يتميز حال هؤلاء لولا الله تعالى بين انهم يدعون فان اطاعوا اعطوا الاجر الحسن والفرق بين حال
هؤلاء وبين حال ثعلبة من وجهين احدهما ان ثعلبة يجوز ان يقال حاله لم يكن يتغير في علم الله فلم يبين لتوبته
علامة وحال الاعراب تغيرت فان بعد النبي عليه السلام لم يبق من المنافقين على النفاق احد الثاني ان الحاجة
الى بيان حال الجم الكثير والجم الغفير امس لانه لولا البيان لافضى الامر الى قيام الفتنة بين فرق المسلمين قوله
او يسلمون العامة على رفعه باثبات النون عطفا على تقاتلونهم او على الاستئناف اي او هم يسلمون وقرا
ابي وزيد بن علي بحذف النون نصبا بحذف النصب باضمار ان عند جمهور البصريين وباو نفسها عند الجرمي
والكسائي ويكون قد عطف مصدرا مؤولا على مصدر متوهم كانه قيل يكون قتال او اسلام ومثله في النصب
قول امرئ القيس فقلت لا تبك عينك انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا وقال ابو البقاء او بمعنى
الا ان او حتى قوله فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا يعني الجنة وان تتولوا تعرضوا كما توليتم عام الحديبية يعذبكم
عذابا اليما وهو النار فلما نزلت هذه الاية قال اهل الزمانة كيف بنا يا رسول الله فانزل الله هذه الاية ليس
على الاعمى حرج اي في التخلف عن الجهاد ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج وذلك لان الجهاد عبارة عن
المقاتلة والكر والفر وهؤلاء الثلاثة لا يمكنهم الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنهم الاحتراز والهرب وفي
معنى الاعرج الاقطع والمقعد بل اولى ان يعذر ومن به عرج لا يمنعه من الكر والفر لا يعذر وكذلك المرض
الذي لا يمنع من الكر والفر كالطحال والسعال وبعض اوجاع المفاصل اذا لم يبعد عن الكر والفر فهذه انواع
اعذار في نفس المجاهد وتبقى اعذار خارجة كالفقر الذي لا يمكن صاحبه من استصحاب ما يحتاج له وكذا
الاشتغال بمن لولاه لضاع كطفل او مريض والاعذار المبيحة مذكورة في كتب الفقه قوله ومن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما قرا اهل المدينة والشام
ندخله ونعذبه بالنون فيهما وقرا الاخرون بالياء لقوله ومن يطع الله قوله تعالى لقد رضي الله عن
المؤمنين الاية لما بين حال المخلفين بعد قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله عاد الى بيان حال
المبايعين قوله اذ يبايعونك منصوب برضي وتحت الشجرة يجوز ان يكون متعلقا بيبايعونك وان يتعلق
بمحذوف على انه حال من المفعول قوله فعلم ما في قلوبهم من الصدق والوفاء فانزل السكينة الطمانينة
والرضا عليهم فان قيل الفاء للتعقيب وعلم الله قبل الرضى لانه علم ما في قلوبهم من الصدق فرضي عنهم فكيف يفهم
التعقيب في العلم فالجواب قال ابن الخطيب ان قوله تعالى فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك
كما تقول فرحت امس اذ كلمت زيدا فقام لي واذ دخلت عليه فاكرمني فيكون الفرح بعد الاكرام مرتبا كذلك
هاهنا قال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم من الصدق اشارة الى ان
الرضا لا يكون عند المبايعة التي كان معها علم الله بصدقهم والفاء في قوله فانزل السكينة للتعقيب
المذكور فانه تعالى رضي الله عنهم فانزل السكينة عليهم وفي قوله فعلم لبيان وصف المبايعة
تكون معقبة بالعلم بالصدق الذي في قلوبهم قوله واثابهم فتحا قريبا يعني فتح خيبر وقوله ومغانم
كثيرة اي واثابكم مغانم او واتاكم مغانم او اتاهم مغانم او اثابكم مغانم وانما قدر الخطاب والغيبة
لانه لا يقرا ياخذونها بالغيبة وهي قراءة العامة وتاخذونها وهي قراءة الاعمش وطلحة ونافع في رواية

سغلابه قوله وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها وهي الفتوح التي تفتح لهم الى يوم القيامة وليس المغانم كل الثواب بل الجنة
قدامهم وانما هي كعاجلة عجل بها لهم ولهذا قال فعجل لكم هذه يعني خيبر وكف ايدي الناس عنكم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما قصد خيبر وحاصر اهلها همت قبائل من اسد وغطفان ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله ايديهم
بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل كف ايدي الناس عنكم يعني اهل مكة بالصلح وليكون كفهم وسلامتكم اية للمؤمنين على صدقك
ويعلموا ان الله هو المتولي حياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم قوله ولتكون يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها ان يتعلق
بفعل مقدر بعده تقديره ولتكون فعل ذلك الثاني انه معطوف على علة محذوف تقديره وعد فعجل وكف ليشكروا او لينتفعوا وليكون
او لتشكروا ولتكون الثالث ان الواو مزيدة والتعليل لما قبله اي وكف لتكون قوله ويهديكم صراطا مستقيما يثبتكم
على الاسلام ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية
اقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج في سنة سبع الى خيبر وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا غزا بنا قوما لم يكن يغير بنا حتى يصبح وينظر فان سمع اذانا كف عنهم وان لم يسمع اذانا اغار عليهم قال فخرجنا
الى خيبر فانتهينا اليهم ليلا فلما اصبح لم يسمع اذانا ركب وركبت خلف ابي طلحة وان قدمي لتمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا
الينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والله محمد والخميس اي محمد والجيش فلما راهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الله اكبر الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وروى اياس
بن سلمة قال حدثني ابي قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم
تالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا ونحن من فضلك ما استغنينا
فثبت الاقدام ان لاقينا وانزلن سكينة علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا
قال انا عامر قال غفر لك ربك وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على جمل له يا نبي الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر
بسيفه يقول قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب اذا الحروب اقبلت تلهب
فقال علي رضي الله عنه انا الذي سمتني امي حيدره كليث غابات كريه المنظره اكيلكم بالصاع كيل السندره
قال فضرب راس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه وروى فتح خيبر من طرق اخرى في بعضها زيادة وفي بعضها نقصان
عن بعض قوله واخرى يجوز فيها اوجه احدها ان تكون مرفوعة بالابتداء ولم تقدروا عليها صفتها وقد احاط الله بها خبرها
والثاني ان الخبر محذوف قبلها اي وثم اخرى لم تقدروا عليها الثالث ان تكون منصوبة بفعل مضمر على شريطة التفسير
فيقدر الفعل من معنى المتاخر وهو قد احاط الله بها اي وقضى الله اخرى قوله قد احاط الله بها يجوز ان يكون خبر الاخرى كما
تقدم او صفة ثانية اذا قيل بان اخرى مبتدا وخبرها مضمر او حالا ايضا فصل قال المفسرون معناه اي ووعدكم
فتح بلدة اخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها حتى يفتحها لكم كانه حفظها لكم ومنعها من غيركم حتى تاخذوها قال
ابن عباس علم الله انه يفتحها لكم قال ابن الخطيب تقديره وعدكم مغانم تاخذونها ومغانم لا تاخذونها انتم ولا تقدرون
عليها وانما ياخذها من يجيء بعدكم من المؤمنين وهذا التفسير الى قال معنى قوله قد احاط الله بها اي حفظها للمؤمنين لا يجري
عليها هلاك وفناء الى ان ياخذها المسلمون كاحاطة الحراس بالخزائن واختلفوا فيها فقال ابن عباس والحسن ومقاتل
هي فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى قدروا عليها بالاسلام وقال
الضحاك وابن زيد هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل ان يصيبها ولم يكونوا يرجونها وقال قتادة هي
مكة وقال عكرمة حنين وقال مجاهد ما فتحوا حتى اليوم وكان الله على كل شيء قديرا قوله ولو قاتلكم الذين كفروا
يعني اسدا وغطفان واهل خيبر لولوا الادبار قال ابن الخطيب وهذا يصلح جوابا لمن يقول كف الايدي عنهم وكان امرا
اتفاقيا ولو اجتمع عليهم العرب كما زعموا المغلوبون من فتح خيبر واغتنام غنائمها فقال ليس كذلك بل لو قاتلوا ولم
يقاتلوا الا ينصرون والغلبة واقعة للمسلمين فليس امرهم امرا اتفاقيا بل هو امر الهي محكوم به محتوم ثم قال ثم لا يجدون
وليا ولا نصيرا قوله سنة الله مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة اي سن الله ذلك سنة قال ابن الخطيب وهذا
جواب عن سؤال اخر فقوله قوم من الجهال وهو ان الطوالع والاتصالات لها تاثيرات وتغيرات فقال ليس كذلك
بل سنة الله نصرة رسله واهلاك اعدائه والمعنى هذه سنة الله في نصر اوليائه وقهر اعدائه ولن تجد لسنة الله
تبديلا قوله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد وهذا تبيين لما تقدم من قوله
ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار بتقدير الله كما انه كف ايديهم عنكم بالفرار وايديكم بالرجوع عنهم وتركهم روى
ثابت عن انس بن مالك ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين
يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذناهم سلما فاستحياهم فانزل الله هذه الاية وهو الذي كف
ايديهم عنكم الى قوله عليهم قال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة

التي قال الله تعالى في القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد أو هل جعل لكم أحد أمانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فأنزل الله هذه الآية قوله **وكان الله بما تعملون** قرأ أبو عمرو يعملون بالياء وقرأ الآخرون بالتاء بصيرا والمعنى أن الله يرى فيه من المصلحة وإن كنتم لا ترون ذلك ثم بين ذلك بقوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام وهذا إشارة إلى أن الكف لم يكن لأمر لأنهم كفروا وصدوكم وأحصروا وكل ذلك يقتضي قتالهم فلا يقع لأجل أن الفريقين اتفقوا واصطلحوا ولم يبق بينهما خلاف ولا نزاع بل الاختلاف والنزاع باق مستمر لأنهم هم الذين كفروا وصدوكم ومنعوكم فازدادوا كفرا وعداوة فإنما ذلك للرجال المؤمنين والنساء المؤمنات قوله **والهدي** العامة على نصبه والمشهور أنه نسق على الضمير المنصوب في صدوكم وقيل نصب على المعية وفيه ضعف لإمكان العطف وقرأ أبو عمرو في رواية بجره عطفا على المسجد الحرام ولا بد من حذف مضاف أي وعن نحر الهدي قوله **معكوفا** حال من الهدي أي محبوسا يقال عكفت الرجل عن حاجته وأنكر الفارسي تعدية عكف بنفسه وأثبتها ابن سيده والأزهري وغيرهما وهو ظاهر القرآن لبناء اسم المفعول منه قوله **أن يبلغ** فيه أوجه أحدها أنه على إسقاط الخافض أي عن أن أو من أن وحينئذ يجوز في هذا الجار المقدر أن يتعلق بصدوكم وأن يتعلق بمعكوفا أي محبوسا عن بلوغ محله الثاني أنه مفعول من أجله وحينئذ يجوز أن يكون علة للصد والتقدير صدوا الهدي كراهية أن يبلغ محله وأن يكون علة لمعكوفا أي لأجل أن يبلغ محله ويكون الحبس من المسلمين الثالث أنه بدل من الهدي بدل اشتمال أي صدوا بلوغ الهدي محله **قوله لم تعلموهم** صفة للصنفين وغلب الذكور وقوله أن تطؤوهم يجوز أن يكون بدلا من رجال ونساء وغلب الذكور كما تقدم وأن يكون بدلا من مفعول تعلموهم فالتقدير على الأول ولولا وطء رجال ونساء غير معلومين وعلى التقدير الثاني لم تعلموا وطأهم والخبر محذوف تقديره ولولا رجال ونساء موجودون أو بالحضرة **قوله فتصيبكم** نسق على أن تطؤوهم وقوله بغير علم يجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه صفة لمعرة وأن يكون حالا من مفعول فتصيبكم وقال أبو البقاء من الضمير المجرور يعني في منهم ولا يظهر معناه أو أن يتعلق بتصيبكم وأن يتعلق بتطؤوهم والوطء هنا عبارة عن القتل والدوس قال عليه السلام اللهم اشدد وطأتك على مضر وقال:

ووطئتنا وطأ على حنق • وطء المقيد نابت الهرم

قوله ليدخل الله متعلق بمقدر أي كان انتفاء التسليط على أهل مكة وانتفاء العذاب ليدخل الله وقال البغوي اللام في ليدخل تتعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام يعني ليدخل الله في رحمته أي في دين الإسلام من يشاء من أهل مكة بعد الصلح قبل أن يدخلوها **قوله لو تزيلوا** قرأ ابن أبي عبلة وأبو حيوة وابن عون لو تزايلوا على تفاعلوا والضمير في تزيلوا يجوز أن يعود على المؤمنين فقط أو على الكافرين أو على الفريقين والمعنى لو تميز هؤلاء وهؤلاء لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما بالسبي والقتل بأيديكم **قوله تعالى إذ جعل الذين كفروا** العامل في إذ إما لعذبنا أو صدوكم أو اذكر فيكون مفعولا به قال ابن الخطيب في إذ يحتمل أن يكون ظرفا فلا بد من فعل يقع فيه ويكون عاملا له ويحتمل أن يكون مفعولا به فإن قلنا إنه ظرف فالفعل الواقع فيه يحتمل أن يكون مذكورا ويحتمل أن يكون غير مذكور فإن كان مذكورا ففيه وجهان أحدهما قوله تعالى وصدوكم أي وصدوكم حين جعلوا في قلوبهم الحمية فلا يرجعون إلى الإسلام وثانيهما المؤمنون لما أنزل الله عليهم السكينة لا يتركون الاجتهاد في الجهاد والله مع المؤمنين وإن قلنا إنه غير مذكور ففيه وجهان أحدهما حفظ الله المؤمنين عن أن يطؤوهم إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية وثانيهما أحسن الله إليكم إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية وعلى هذا فقوله تعالى فأنزل الله سكينته تفسير لذلك الإحسان وإن قلنا إنه مفعول به فتقديره اذكر ذلك الوقت كقولك اذكر إذ قام زيد أي اذكر وقت قيامه وعلى هذا يكون إذ ظرفا للفعل المضاف إليه **قوله في قلوبهم** يجوز أن يتعلق بجعل على أنها بمعنى ألقى فيتعدى لواحد أي إذ ألقى الكافرون في قلوبهم الحمية وأن يتعلق بمحذوف على أنه مفعول ثان قدم على أنها بمعنى صير **قوله حمية الجاهلية** بدل من الحمية قبلها والحمية الأنفة من الشيء وأنشد للمتلمس:

ألا إنني منهم وعرضي عرضهم • كذا الرأس يحمي أنفه أن يهشما

وهو المنع ووزنها فعيلة وهي مصدر يقال حميت عن كذا حمية **قوله فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين** حتى لم يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم قال ابن الخطيب دخول الفاء في قوله فأنزل الله يدل على تعلق الإنزال وترتيبه على ما ذكرنا من أن إذ ظرف لفعل مقدر كأنه قال أحسن الله إذ جعل الذين كفروا فأنزل تفسيرا لذلك الإحسان كما يقال أكرمني فأعطاني لتفسير الإكرام ويحتمل أن تكون الفاء للدلالة على تعلق إنزال السكينة بجعلهم الحمية

في قلوبهم على معنى المقابلة تقول أكرمني فأثبت عليه **قوله وكانوا أحق بها** الضمير في كانوا يجوز أن يعود على المؤمنين وهو الظاهر أي أحق بكلمة التقوى من الكفار وقيل يعود على الكفار أي كانت قريش أحق بها لولا حرمانهم **قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق** صدق يتعدى لاثنين ثانيهما بحرف الجر يقال صدقتك في كذا وقد يحذف كهذه الآية وقوله بالحق فيه أوجه أحدها أن يتعلق بصدق الثاني أن يكون صفة لمصدر محذوف أي صدقا ملتبسا بالحق الثالث أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الرؤيا أي ملتبسة بالحق الرابع أنه قسم وجوابه لتدخلن فعلى هذا يوقف على الرؤيا ويبتدأ بما بعدها **قوله لتدخلن** جواب قسم مضمر أو لقوله بالحق على ذلك القول قال أبو البقاء ولتدخلن تفسير الرؤيا أو مستأنف أي والله لتدخلن فجعل كونه جواب قسم قسيما لتفسير الرؤيا وهذا لا يصح لأنه وهو أن يكون تفسيرا للرؤيا غير جواب القسم إلا أن يريد أنه جواب قسم لكنه يجوز أن يكون هو مع القسم تفسيرا وأن يكون مستأنفا غير تفسير وهو بعيد من عبارته **قوله إن شاء الله آمنين** فيه وجوه أحدها أنه ذكره لتعليم العباد الأدب كقوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله الثاني أن الدخول لما وقع عام الحديبية وكان المؤمنون يريدون الدخول ويأبون الصلح قال لتدخلن ولكن لا بجلادتكم ولا بإرادتكم وإنما تدخلون بمشيئة الله من الله وعد النبي عليه السلام دين ولا حق واجب لأن من وعد الشيء لا يحققه إلا بمشيئة الله وإلا فلا يلزمه به أحد قوله **آمنين** حال من فاعل لتدخلن وكذا محلقين ومقصرين ويجوز أن يكون محلقين حالا من آمنين فتكون متداخلة

فصل قوله محلقين رؤوسكم ومقصرين إشارة إلى أنكم تتمون الحج من أوله إلى آخره فقوله لتدخلن إشارة إلى الأول وقوله محلقين إشارة إلى الآخر **فإن قيل** محلقين حال الداخلين والداخل لا يكون إلا محرما والمحرم لا يكون محلقا **فالجواب** أن قوله آمنين معناه متمكنين من أن تتموا الحج محلقين **قوله لا تخافون** يجوز أن يكون مستأنفا وأن يكون حالا ثالثة وأن يكون حالا إما من فاعل لتدخلن أو من ضمير آمنين أو محلقين أو مقصرين فإن كانت حالا من آمنين أو حالا من فاعل لتدخلن فهي حال للتوكيد وآمنين حال مقارنة وما بعدها حال مقدرة إلا قوله لا تخافون إذا جعلناها حالا فإنها مقارنة أيضا **فإن قيل** قوله لا تخافون معناه غير خائفين وذلك يحصل بقوله تعالى آمنين فما الفائدة في إعادته **فالجواب** أن فيه كمال الأمن لأن بعد الحلق يخرج الإنسان عن الإحرام فلا يحرم عليه القتال وكان عند أهل مكة يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم فقال تدخلون آمنين وتحلقون ويبقى أمنكم بعد خروجكم عن الإحرام **قوله فعلم ما لم تعلموا** أي ما لم تعلموا من المصلحة وأن الصلاح كان في الصلح وأن دخولكم في سنتكم سبب لوطء المؤمنين والمؤمنات وهو قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون الآية **قوله هو الذي أرسل رسوله بالهدى** وهذا تأكيد لبيان صدق الله في الرؤيا لأنه لما كان مرسلا لرسوله ليهدي لا يريه ما لا يكون فيحدث الناس فيظهر خلافه فيكون ذلك سببا للضلال ويحتمل أن الرؤيا الموافقة للواقع قد تقع لغير المرسل لكن ذلك قليل لا يقع لكل أحد فقال تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى وحكى له ما سيكون في اليقظة فلا يبعد أن يريه في المنام ما سيقع ولا استبعاد في صدق رؤياه وفيها بيان وقوع الفتح ودخول مكة بقوله تعالى ليظهره على الدين كله أي من يقويه على الأديان لا يستبعد منه فتح مكة له والهدى يحتمل أن يكون هو القرآن كقوله تعالى أنزل فيه القرآن هدى للناس وعلى هذا دين الحق هو ما فيه من الأصول والفروع ويحتمل أن الهدى هو المعجزة أي أرسله بالمعجزة فيكون قوله ودين الحق إشارة إلى ما شرع ويحتمل أن يكون الهدى هو الأصول ودين الحق هو الأحكام والألف واللام في الهدى يحتمل أن تكون للعهد وهو قوله هدى الله يهدي به من يشاء وأن تكون للتعريف أي كل ما هو هدى **قوله ودين الحق** يحتمل أن يكون المراد دين الله لأن الحق من أسماء الله ويحتمل أن يكون الحق نقيض الباطل فكأنه قال ودين الأمر الحق ويحتمل أن يكون المراد الانقياد للحق أي أرسله بالهدى وهو المعجزة على أحد الوجوه ليظهره على الدين كله أي جنس الدين وكفى بالله شهيدا على أنك صادق فيما تخبر أي في أنه رسول الله وهذا فيه تسلية قلب المؤمنين فإنهم تأذوا من رد الكفار عليهم العهد المكتوب وقالوا لا نعلم أنه رسول الله فلا تكتبوا محمد رسول الله بل اكتبوا محمد بن عبد الله فقال تعالى كفى بالله شهيدا أي في أنه رسول الله **قوله محمد رسول الله** يجوز أن يكون خبر مبتدأ مضمر لأنه لما تقدم هو الذي أرسل رسوله دل على ذلك المقدر أي هو أي الرسول بالهدى محمد ورسول الله بدل أو بيان أو نعت وأن يكون مبتدأ وخبرا وأن يكون محمد مبتدأ ورسول الله على ما تقدم من البدل والبيان والنعت والذين معه عطف على محمد والخبر عنهم قوله أشداء على الكفار وقرأ ابن عامر في رواية رسول الله بالنصب على الاختصاص وهي تؤيد كونه تابعا لا خبرا حالة الرفع ويجوز أن يكون والذين على هذا الوجه مجرورا عطفا على الجلالة أي ورسول الذين آمنوا معه لأنه لما أرسل إليهم أضيف إليهم فهو رسول الله بمعنى أن الله أرسله ورسول أمته بمعنى أنه مرسل إليهم ويكون أشداء حينئذ خبر مبتدأ مضمر أي هم أشداء ويجوز أن يكون تم الكلام على رسول الله والذين معه مبتدأ وأشداء خبره وقرأ الحسن أشداء رحماء بالنصب

اما على المدح واما على الحال من الضمير المستكن في معه لوقوعه صلة والخبر حينئذ عن المبتدا قوله تراهم ركعا وركعا
سجدا حالان لان الرؤية بصرية وكذلك يبتغون ويجوز ان يكون مستانفا واذا كانت حالا فيجوز ان تكون حالا
ثالثة من مفعول تراهم وان يكون من الضمير المستتر في ركعا سجدا وجوز ابو البقا ان يكون سجدا حالا من
الضمير في ركعا حالا مقدرة فعلى هذا يكون يبتغون حالا من الضمير في سجدا فيكون حالا من حال الاولى حال من
حال اخرى وقرا ابن يعمر اشدا بالقصر والقصر من ضرائر الاشعار كقوله
لا بد من صنعا وان طال السفر فقال لنا كانت قتادة قال ابو حيان وقرا ابو عمرو بن
عبيد ورضوانا بضم الرا قال شهاب الدين وهذه قراءة متواترة قراها عاصم في رواية ابي بكر عنه وتقدمت
في سورة ال عمران واستثنيت له حرفا واحدا وهو ثاني المائدة فصل معنى الاية اشدا على الكفار
اى غلاظ عليهم كالاسد على فريسته لا تاخذهم فيهم رافة رحما بينهم متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالولد
مع الوالد كقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا اخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم
عليها يبتغون فضلا من الله ان يدخلهم الجنة ورضوانا اى يرضى عنهم وهذا تمييز لركوعهم وسجودهم عن ركوع
الكافر وسجوده وركوع المرائي وسجوده فانه لا يبتغي به ذلك قوله سيماهم قرئ سيماؤهم بياء بعد الميم والمد
وهي لغة فصيحة وانشد غلام رماه الله بالحسن يافعا له سيميا لا يشق على البصر
وتقدم الكلام عليها وعلى اشتقاقها في اخر البقرة وفي وجوههم خبر سيماهم ومن اثر السجود حال من
الضمير المستتر في الجار وهو في وجوههم وقرا العامة من اثر بفتحتين وابن هرمز بكسر وسكون وقتادة
من اثار جمعا فصل المعنى علامتهم في وجوههم من اثر السجود وقيل المراد سيماهم نور وبياض في وجوههم
يوم القيامة كما قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه رواه عطية العوفي عن ابن عباس وقال عطا
ابن ابي رباح والربيع بن انس استنارة وجوههم من كثرة صلاتهم وقال شهر بن حوشب تكون مواضع
السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وروى الوالبي عن ابن عباس هو السمت الحسن والخشوع والتواضع
وهو قول مجاهد والمعنى ان السجود اورثهم الخشوع والسمت الحسن الذي يعرفون به وقال الضحاك
صفرة الوجه وقال الحسن اذا رايتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى وقال سعيد بن جبير وعكرمة هو
اثر التراب على الجباه وقيل المراد ما يظهر في الجباه بكثرة السجود قوله ذلك مثلهم ذلك اشارة الى ما تقدم
من وصفهم بكونهم اشداء رحماء لهم سيماهم في وجوههم وهو مبتدا خبره مثلهم وفي التوراة حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة
قوله ومثلهم في الانجيل يجوز فيه وجهان احدهما انه مبتدا وخبره كزرع فيوقف على قوله في التوراة فهما مثلان
واليه ذهب ابن عباس والثاني انه معطوف على مثلهم الاول فيكون مثلا واحدا في الكتابين ويوقف حينئذ على في
الانجيل واليه نحا مجاهد والفراء وعلى هذا يكون قوله كزرع فيه اوجه احدها انه خبر مبتدا مضمر اي مثلهم كزرع
فسر بها المثل المذكور الثاني انه حال من الضمير في مثلهم اي مماثلين زرعا هذه صفته الثالث انها نعت مصدر محذوف
اي تمثيلا كزرع ذكره ابو البقا وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة اوضحت بقوله كزرع كقوله
وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر قوله اخرج شطاه صفة لزرع وقرا ابن كثير وابن ذكوان بفتح الطاء والباقون
باسكانها وهما لغتان كالنهر والنهر وقرا ابو حيوة شطاءه بالمد وزيد بن علي شطاه بالف صريحة بعد الطا
فيحتمل ان يكون بدلا من الهمزة بعد نقل حركتها للساكن قبلها على لغة من يقول المراة والكماة بعد النقل وهو
مقيس عند الكوفيين ويحتمل ان يكون مقصورا من الممدود وابو جعفر ونافع في رواية شطه بالنقل والحذف
وهو القياس والجحدري شطوه ابدل الهمزة واوا او يكون لغة مستقلة وهذه كلها لغات في فراخ الزرع
يقال شطا الزرع واشطا اي اخرج فراخه وهل يختص ذلك بالحنطة فقط او بها وبالشعير فقط ولا يختص خلاف
مشهور قال الشاعر اخرج الشطا على وجه الثرى ومن الاشجار افنان الثمر قوله فازره العامة
على المد وهو على افعل وغلطوا من قال انه فاعل كمجاهد وغيره بانه لم يسمع في مضارعه يوازر بل يؤزر
وقرا ابن ذكوان فازره مقصورا جعله ثلاثيا وقرئ فازره بالتشديد والمعنى في الكل قواه وقيل ساواه
وانشد بمحنية قد ازر الضال نبتها مجر جيوش غانمين وخيب قوله على سوقه متعلق باستوى ويجوز
ان يكون حالا اي كائنا على سوقه اي قائما عليها وقد تقدم في النمل ان قنبلا يقرا سوقه بالهمزة الساكنة كقوله
احب المؤقدين الى موسى وبهمزة مضمومة بعدها واو كفروج وتوجيه ذلك والسوق جمع
ساق قوله يعجب الزراع حال اي معجبا وهنا تم المثل قوله ليغيظ فيه اوجه احدها انه متعلق بوعد لان
الكفار اذا سمعوا بعز المؤمنين في الدنيا وما اعد لهم في الاخرة غاظهم ذلك الثاني انه يتعلق بمحذوف
دل عليه تشبيههم بالزرع في نمائهم وتقويتهم قاله الزمخشري اي شبههم الله بذلك ليغيظ الثالث

الذا

انه متعلق بما دل عليه قوله اشدا على الكفار الى اخره اي جعلهم بهذه الصفات ليغيظ قال مالك بن انس من اصبح وفي
قلبه غيظ على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الاية وقال عليه السلام الله الله في اصحابي
لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني
فقد اذى الله فيوشك ان ياخذه وقال عليه السلام لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل
احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه قوله وعد الله الذين امنوا وعملوا من هذه للبيان لا للتبعيض
لان كلهم كذلك فهي كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقال الطبري منهم يعني من الشطا الذي اخرجه
الزرع وهم الداخلون في الاسلام الى يوم القيامة فاعاد الضمير على معنى الشطا لا على لفظه فقال منهم ولم يقل
منه وهو معنى حسن فصل قد تقدم الكلام على الاجر العظيم والمغفرة مرارا وقال هاهنا في حق الراكعين الساجدين
انهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وقال لهم اجر ولم يقل لهم ما يطلبونه من الفضل لان المؤمن عند العمل لم يلتفت
الى عمله ولم يجعل له اجرا يعتد به فقال لا ابتغي الا فضلك فان عملي نزر لا يكون له اجر والله تعالى اتاه ما طلب من
الفضل وسماه اجرا اشارة الى قبول عمله ووقوعه الموقع روي انه من قرا في اول ليلة من رمضان انا فتحنا لك
فتحا مبينا في التطوع حفظ في ذلك العام

وهي ثماني عشرة اية وثلاثمائة واربعون كلمة والف واربعمائة وستة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي قرا العامة بضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال مكسورة وفيها
وجهان احدهما انه متعد وحذف مفعوله اما اقتصارا كقوله تعالى يحيي ويميت كقولهم هو يعطي ويمنع وكلوا واشربوا
واما اختصارا للدلالة عليه اي لا تقدموا ما لا يصلح والثاني انه لازم نحو وجه وتوجه ويعضده قراءة ابن عباس وغيره
لا تقدموا بالفتح في الثلاثة والاصل لا تتقدموا فحذفت احدى التاءين وبعض المكيين لا تقدموا كذلك الا انه بتشديد
التاء كقراءة البزي والمتوصل اليه بحرف الجر في هاتين القراءتين محذوف اي لا تتقدموا الى امر من الامور وقرئ
لا تقدموا بضم التاء وكسر الدال من اقدم اي لا تقدموا على شيء فصل في بيان حسن الترتيب وجوه احدها انه تعالى
في السورة المتقدمة لما جرى منهم ميل الى الامتناع مما اجاز النبي عليه السلام من الصلح والزمهم الله كلمة التقوى
قال لهم على سبيل العموم لا تقدموا بين يدي الله ورسوله اي لا تتجاوزوا ما اتى من الله تعالى ورسوله الثاني انه
تعالى لما بين علو درجة النبي صلى الله عليه وسلم بكونه رسوله الذي يظهره دينه وانه بالمؤمنين رحيم قال
لا تتركوا من احترامه شيئا لا بالفعل ولا بالقول وانظروا الى رفعة درجته الثالث انه تعالى وصف المؤمنين
بانهم اشدا ورحما فيما بينهم وبكونهم راكعين ساجدين وذكر الحم من الحرمة عند الله ما اورثهم حسن
الثناء في الكتب المتقدمة بقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل فان الملك العظيم لا يذكر احدا في
غيبته الا اذا كان عنده محترما ووعدهم بالاجر العظيم فقال في هذه السورة لا تفعلوا ما يوجب انحطاط درجاتكم
واحباط حسناتكم ولا تقدموا فصل بين يدي الله ورسوله اي بحضرتهما لان ما يحضره الانسان فهو بين يديه
ناظر اليه وفي قوله بين يدي الله ورسوله فوائد احداها ان قول الانسان فلان بين يدي فلان اشارة الى
ان كل واحد منهما حاضر عند الاخر مع ان لاحدهما علو الشان وللاخر درجة العبيد والغلمان لان من يجلس بجنب
الانسان يكلفه تقليب الحدقة اليه وتحريك الراس اليه عند الكلام ومن يجلس بين يديه لا يكلفه ذلك ولان
اليدين تنبئ عن القدرة لان قول الانسان فلان بين يدي فلان اي يقلبه كيف شاء في اشغاله كما يفعل
الانسان بما يكون موضوعا بين يديه وذلك يفيد وجوب الاجتناب من التقدم وثانيها ان ذكر الله اشارة
الى وجوب احترام الرسول والانقياد لاوامره لان احترام الرسول احترام للمرسل لكن احترام الرسول قد
يترك لاجل بعد المرسل وعدم اطلاعه على ما يفعل برسوله فقوله بين يدي الله اي انتم بحضرة من الله وهو
ناظر اليكم وفي مثل هذه الحال يجب احترام رسوله وثالثها ان العادة اذا تقدم النهي المتقدم تقوى الامر المتاخر
وهو قوله واتقوا الله لان من يكون بين يدي الغير كالمتاع الموضوع بين يديه يقلبه كيف يشاء يكون جديرا
بان يتقيه وقوله فاتقوا الله في تضييع حقه ومخالفة امره ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم في اعادة النداء فوائد منها ان في ذلك بيان زيادة الشفقة على
المسترشد كقول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله يا بني انها ان تك يا بني اقم الصلاة لان النداء تنبيه للمنادى
ليقبل على استماع الكلام ويجعل باله منه فاعادته تفيد تجدد ذلك ومنها ان لا يتوهم متوهم ان المخاطب

ثانيا غير المخاطب اولا فان من الجائز ان يقول القائل يا زيد افعل كذا وكذا يا عمرو فاذا اعاد مرة اخرى وقال يا زيد قل كذا يا زيد قل كذا او قل كذا يعلم ان المخاطب اولا هو المخاطب ثانيا. ومنها ان يعلم ان كل واحد من الكلامين مقصود ليس الثاني تاكيدا للاول كقولك يا زيد لا تنطق ولا تتكلم الا بالحق فانه لا يحسن ان يقول يا زيد لا تنطق يا زيد لا تتكلم كما يحسن عند اختلاف المطلوبين. **قوله تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم** قال ابن الخطيب ان قلنا المراد من قوله لا ترفعوا اصواتكم اي لا تكثروا الكلام فقوله ولا تجهروا يكون مجازا عن الاتيان بالكلام عند النبي عليه السلام بقدر ما يؤتى به عند غيره اي لا تكثروا وقللوا غاية التقليل وان قلنا المراد بالرفع الخطاب فقوله لا تجهروا اي لا تخاطبوه كما تخاطبوا غيره. واعلم ان قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم لما كان من جنس لا تجهروا لم يستانف النداء ولما كان يخالف المتقدم لكون احدهما فعلا والاخر قولا استانف كقول لقمان لابنه يا بني لا تشرك وقوله يا بني اقم الصلاة لكن الاول من عمل القلب والثاني من عمل الجوارح فقوله يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر من غير استيناف النداء لكون الكل من عمل الجوارح. **فان قيل** ما الفائدة في قوله ولا تجهروا له بالقول مع ان الجهر مستفاد من قوله لا ترفعوا اصواتكم **فالجواب** ان المنع من رفع الصوت هو ان لا يجعل كلامه او صوته اعلى من كلام النبي عليه السلام وصوته والنهي عن الجهر منع من المساواة اي لا تجهروا له بالقول كما تجهروا لنظرائكم بل اجعلوا كلمته عليا. **قوله ان تحبط** مفعول من اجله والمسئلة من التنازع لان كلا من قوله لا ترفعوا ولا تجهروا يطلبه من حيث المعنى فيكون معمولا للثاني عند البصريين في اختيارهم والاول عند الكوفيين والاول اصح للحذف من الاول اي لا تحبط. وقال ابو البقاء انها لام الصيرورة. وانتم لا تشعرون حال.

فصل معنى الكلام انكم ان رفعتم اصواتكم وتقدمتم فقد يؤدي الى الاستحقار وهو يفضي الى الارتداد والارتداد محبط. وقوله وانتم لا تشعرون اشارة الى ان الردة تتمكن من النفس بحيث لا يشعر الانسان فان من ارتكب ذنبا لم يرتكبه في عمره تراه نادما غاية الندامة خائفا غاية الخوف فاذا ارتكبه مرارا قل خوفه وندامته ويصير عادة من حيث لا يعلم متى تمكن هذا اكان في المرة الاولى او الثانية او الثالثة او غيرها وهذا كما اذا بلغه خبر فانه لا يقطع بالمخبر فاذا تكرر عليه ذلك وبلغ الى حد التواتر حصل اليقين فقولهم انتم لا تشعرون وتمكن الاعتقاد ولا يدرى متى كان ذلك وفي اي لحظة حصل هذا اليقين. فقوله وانتم لا تشعرون تاكيد للمنع اي لا تقولوا بان المرة الواحدة تعفى ولا توجب ردة لان الامر غير معلوم بل احسموا الباب. **قوله ان الذين يغضون اصواتهم** اي اجلالا له اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه. **قوله اولئك** يجوز ان يكون اولئك مبتدا والذين خبره والجملة خبر ان ويكون لهم مغفرة جملة اخرى اما مستانفة وهو الظاهر واما حالية. ويجوز ان يكون الذين امتحن الله صفة لاولئك او بدلا منه او بيانا ولهم مغفرة جملة خبرية. ويجوز ان يكون لهم هو الخبر وحده ومغفرة فاعل به واللام في قوله للتقوى يحتمل ان يتعلق بمحذوف تقديره عرف الله قلوبهم صالحة اي كائنة للتقوى كقولك انت لكذا اي صالح او كائن ويحتمل ان يكون للتعليل وهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون تعليلا يجري مجرى بيان السبب المتقدم كقولك اجبتك لاكرامك ابي امس اي صار ذلك السبب السابق سبب المجيء والثاني ان يكون ذلك تعليلا يجري مجرى بيان علية المقصود المتوقع الذي لا يكون الا لاحقا كقولك اجبتك لاداء الواجب اي ليصير مجيئي سببا لاداء الواجب فعلى الاول معناه ان الله علم في قلوبهم تقواه فامتحن قلوبهم للتقوى التي كانت فيها ولولا ان قلوبهم كانت مملوءة من التقوى لما امرهم بتعظيم رسوله وتقديم نبيه على انفسهم وعلى الثاني معناه ان الله تعالى امتحن قلوبهم بمعرفته ومعرفة رسوله بالتقوى اي ليرزقهم الله التقوى ثم قال لهم مغفرة واجر عظيم وقد تقدم الكلام على ذلك. **قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات** هذا بيان لحال من كان في مقابلة من تقدم فان الاول غض صوته والاخر رفعه وفيه اشارة الى ترك الادب من وجوه احدها النداء فان نداء الرجل الكبير قبيح بل الادب الحضور بين يديه وعرض الحاجة اليه. الثاني ان النداء من وراء الحجرات فان من ينادي غيره ولا حائل بينهما لا يكلفه المشي والمجيء بل يجيبه من مكانه ويكلمه ومن ينادي غيره من وراء الحائل يريد منه حضوره. الثالث قوله الحجرات يدل على كون النبي عليه السلام في خلوته التي لا يحسن اتيان المحتاج اليه في حاجته ذلك الوقت بل الاحسن التاخير وان كان في ورطة الحاجة. **قوله من وراء** من لابتداء الغاية وفي كلام الزمخشري ما يمنع من ان تكون لابتداء الغاية وانتهائها قال لان الشيء الواحد لا يكون مبتدا للفعل ومنتهى له وهذا اثبته بعض الناس وزعم انها تدل على ابتداء الفعل وانتهائه في جهة واحدة نحو اخذت الدرهم من الكيس والعامة على الحجرات بضمتين وابو جعفر وشيبة بفتحها وابن ابي عبلة باسكانها وهي ثلاث لغات تقدم تحقيقها في البقرة في قوله ظلمات. والحجرة فعلة بمعنى مفعول كالغرفة بمعنى معروفة

قال البغوي والحجرات جمع الحجر والحجر جمع الحجرة فهي جمع الجمع. **قوله ولو انهم صبروا** تقدم مثله وجعله الزمخشري فاعلا بفعل مقدر اي ولو ثبت صبرهم وجعل اسم كان ضميرا عائدا على هذا الفاعل وقد تقدم تحقيقه. **قوله والله غفور رحيم** يحتمل امرين احدهما غفور لسوء صنيعهم في التعجيل. وثانيهما لحسن الصبر يعني بسبب اتيانهم بما هو خير يغفر الله لهم سيئاتهم ويحتمل ان يكون ذلك حثا للنبي عليه السلام على الصفح. وقوله اكثرهم لا يعقلون كالعذر لهم. **قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا** الاية قال المفسرون نزلت في الوليد بن عقبة ابن ابي معيط وهو اخو عثمان لامه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينهم وبينه عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان القوم منعوا صدقاتهم وارادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي اليه ما قبلنا من حق الله فبدا له في الرجوع فحسبنا انه انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد في عسكر خفية وقال انظر فان رايت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة اموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم اذان صلاتي المغرب والعشاء فاخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فنزل يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا يعني الوليد بن عقبة بخبر فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة اي لئلا تصيبوا بالقتل والقتال قوما برآء فتصبحوا على ما فعلتم من اصابتكم بالخطا نادمين. قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لان الله لم يقل اني انزلتها لكذا والنبي عليه السلام لم ينقل عنه انه قال وردت الاية لبيان ذلك فحسب غاية ما في الباب انها نزلت في ذلك الوقت وهو مثل التاريخ لنزول الاية ومما يصدق ذلك ويؤكده ان اطلاق لفظ الفاسق على الوليد بعيد لانه توهم وظن فاخطا والمخطي لا يسمى فاسقا وكيف والفاسق في اكثر المواضع المراد به من خرج عن ربقة الايمان كقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الفاسقين وقوله تعالى ففسق عن امر ربه. وقوله واما الذين فسقوا فماواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها الى غير ذلك.

فصل دلت الاية على ان خبر الواحد حجة وشهادة الفاسق لا تقبل اما في المسئلة الاولى فلانه علل الامر بالتوقف بكونه فاسقا ولو كان خبر الواحد العدل لا يقبل لما كان للترتيب على الفسق فائدة. واما في المسئلة الثانية فلوجهين احدهما انه امر بالتبيين وقبل قوله كان الحاكم مامورا بالتبيين فلم يقبل قول الفاسق ثم ان الله تعالى امر بالتبيين في الخبر والنبا وباب الشهادة اضيق من باب الخبر. الثاني انه تعالى قال ان تصيبوا قوما بجهالة والجهل فوق الخطا لان المجتهد اذا اخطا لا يسمى جاهلا فالذي يبني الحكم على قول الفاسق ان لم يصب جاهلا فلا يكون البناء على قوله. **ان تصيبوا** مفعول له كقوله ان تحبط. قال ابن الخطيب معناه على مذهب الكوفيين لئلا تصيبوا وعلى مذهب البصريين كراهة ان تصيبوا. قال ويحتمل ان يكون المراد فتبينوا واتقوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين فقوله بجهالة في تقدير حال اي تصيبوهم جاهلين ثم حقق ذلك بقوله فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وهذا بيان لان الجاهل لا بد وان يندم على فعله. وقوله فتصبحوا معناه تصيروا. **قوله نادمين** الندم هم دائم والنون والدال والميم في تقلبها لا تنفك عن معنى الدوام كقول القائل ادمن في الشرب ومدمن اي اقام ومنه المدينة. **قوله واعلموا ان فيكم رسول الله** فاتقوا الله ان تقولوا باطلا او تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه احوالكم فتفتضحوا. **قوله لو يطيعكم** يجوز ان يكون حالا اما من الضمير المجرور في قوله فيكم واما من المرفوع المستتر في فيكم لوقوعه خبرا ويجوز ان يكون مستانفا الا ان الزمخشري منع هذا لادائه الى تنافر النظم ولا يظهر ما قاله بل الاستيناف واضح ايضا واتى بالمضارع بعد لو دلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه. **قوله ولكن الله حبب اليكم** هذا استدراك من حيث المعنى لا من حيث اللفظ لان من حبب اليه الايمان غايرت صفته من تقدم ذكره.

فصل حبب اليكم الايمان فجعله احب الاديان اليكم وزينه وحسنه في قلوبكم حتى اخترتموه وتطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان. قال ابن عباس يريد الكذب والعصيان جميع معاصي الله ثم عاد من الخطاب الى الخبر فقال اولئك هم الراشدون.

فصل قال ابن الخطيب معنى حبب اليكم اي قربه اليكم وادخله في قلوبكم ثم زينه فيها بحيث لا تفارقونه ولا يخرج من قلوبكم وذلك لان من يحب شيئا فقد يسام منه لطول ملازمته والايمان كل يوم يزداد حسنا فكل من كانت عبادته اكثر وتحمله مشاق التكليف اتم تكون العبادة

والتكليف عند الله واكمل ولهذا قال اولا وحبب اليكم الايمان وقال ثانيا وزينه في قلوبكم كانه قربه اليهم ثم اقامه
في قلوبهم قوله وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان قال ابن الخطيب هذه الامور الثلاثة في مقابلة
الايمان الكامل لان الايمان الكامل المزين هو التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان فقوله
كره اليكم الكفر وهو التكذيب وهو في مقابلة التصديق بالجنان واما الفسوق فقيل هو الكذب كما تقدم
عن ابن عباس وقال تعالى ان جاءكم فاسق بنبا سمي الكاذب فاسقا وقال تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان
فدل على ان الاسم امر قولي لاقترانه بالاسم وقيل الفسوق الخروج عن الطاعة لقولهم فسقت الرطبة
اذا خرجت واما العصيان فهو ترك المامور به وقال بعضهم الكفر ظاهر والفسوق هو الكبيرة والعصيان هو
الصغيرة قوله فضلا يجوز ان ينتصب على المفعول من اجله وفيما ينصبه وجهان احدهما قوله ولكن الله حبب
اليكم وعلى هذا فما بينهما اعتراض من قوله اولئك هم الراشدون والثاني انه الفعل الذي في قوله الراشدون
وعلى هذا يقال فكيف جاز ان يكون فضل الله الذي هو فعل الله مفعولا له بالنسبة الى الرشد الذي هو فعل
العبد فاختلف الفاعل لان فاعل الرشد غير فاعل الفضل قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الاية
لما حذر المؤمنين من النبا الصادر من الفاسق اشار الى ما يلزم منه استدراكا لما يفوت فقال فان اتفق
انكم تبنون على قول من يوقع بينكم وبين الامر المفضي الى اقتتال طائفتين من المؤمنين فاصلحوا بينهما فان
بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي اي الظالم يجب عليكم دفعه ثم ان الظالم ان كان هو الرعية فالواجب
على الامير دفعهم وان كان هو الامير فالواجب على المسلمين دفعه بالنصيحة فما فوقها وشرطه ان لا يثير فتنة
مثل التي في اقتتال الطائفتين او اشد منها فصل الضمير في قوله اقتتلوا عائد على افراد الطائفتين كقوله
هذان خصمان اختصموا والضمير في قوله بينهما عائد على اللفظ وقرا ابن ابي عبلة اقتتلتا مراعيا للفظ
وزيد بن علي وعبيد بن عمير اقتتلا ايضا الا انه لما ذكر الفعل باعتبار الفريقين اولانه تانيث مجازي فصل
قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ولم يقل وان اقتتل طائفتان من المؤمنين مع ان كلمة ان اتصالها
بالفعل اولى وذلك لكون الابتداء انما يمنع من القبيح فيتاكد معنى النكرة المدلول عليها بكلمة ان وذلك
لان كونهما طائفتين يقتضي ان لا يقع القتال بينهما فان قيل فلم لم يقل يا ايها الذين امنوا ان فاسق جاءكم او ان
احد من الفساق جاءكم فيكون الابتداء بما يمنعهم من الاصغاء الى كلامه وهو كونه فاسقا او يزداد بسببه
فسقه بالمجيء به بسبب الفسق فالجواب ان الاقتتال لا يقع سببا للايمان ولا للزيادة فقال ان جاءكم فاسق اي سواء
كان فاسقا او لا او جاءكم بالنبا فصار فاسقا به ولو قال ان احد من الفساق جاءكم لم يتناول الا مشهور الفسق قبل
المجيء اذا جاءهم بالنبا فصل قال تعالى اقتتلوا ولم يقل يقتتلوا لان صيغة الاستقبال تنبئ عن الدوام والاستمرار
فيفهم منه ان طائفتين من المؤمنين ان تمادى الاقتتال بينهما فاصلحوا وهذا لان صيغة المستقبل تنبئ عن
ذلك يقال فلان يتهجد ويصوم فصل قال اقتتلوا ولم يقل اقتتلا وقال فاصلحوا بينهما ولم يقل بينهم لان
الفتنة قائمة عند الاقتتال وكل احد برايه يكون فاعلا فعلا فقال اقتتلوا وعند الصلح يتفق كلمة كل طائفة
والا لم يتحقق الصلح فقال بينهما لكون الطائفتين حينئذ كنفسين قوله فان بغت احداهما على الاخرى
وابت الاجابة الى حكم كتاب الله فان قيل كيف يصح في هذا الموضع كلمة ان مع انها تستعمل في الشرط الذي لا يتوقع
وقوعه وبغي احدهما عند الاقتتال متحقق الوقوع فيكون مثل قول القائل ان طلعت الشمس فالجواب
ان فيه معنى لطيف وهو ان الله تعالى يقول الاقتتال بين طائفتين لا يكون الا نادر الوقوع لان كل طائفة
تظن ان الاخرى فيه الكفر والفساد كما يتفق في الليالي المظلمة او يقع لكل طائفة ان القتال جائز باجتهاد
خطا فقال تعالى الاقتتال لا يقع الا كذا فان بان لهما او لاحدهما الخطا واستمر عليه فهو نادر وعند
ذلك يكون قد بغى فقال فان بغت يعني بعد انكشاف الامر وهذا يفيد الندرة وقلة الوقوع فان
قيل لم قال فان بغت ولم يقل فان تبغ فالجواب ما تقدم في قوله تعالى اقتتلوا ولم يقل يقتتلوا قوله
حتى تفيء العامة على همزة من فاء يفيء اي رجع وقرا يحيى والزهري بياء مفتوحة كمضارع وفى وهذا على لغة
من يقصر فيقول جا يجي دون همز وجيئة فتح الياء لانها صارت حرف الاعراب فصل المعنى حتى تفيء الى
امر الله في كتابه وهذه اشارة الى ان القتال جزاء الباغي كحد الشرب الذي يقام وان ترك الشرب بل القتال
الى حد الفيئة فان فاءت الفئة الباغية حرم قتالهم وهذا يدل على جواز قتال الصائل لان القتال لما كان
للفيئة فان حصلت لم يوجد المعنى الذي لاجله حل القتال وفيه دليل ايضا على ان المؤمن لا يخرج عن
الايمان بفعل الكبيرة لان الباغي من احدى الطائفتين وقد سماهما مؤمنين قوله فان فاءت اي رجعت
الى الحق فان قيل قد تقدم ان ان تدل على كون الشرط غير متوقع الوقوع وقلتم بان البغي من المؤمن نادرا

فاذن

فاذن تكون الفيئة متوقعة فكيف قال فان فاءت فالجواب هذا كقول القائل لعبده ان مت فانت حر مع ان الموت لا بد
من وقوعه لكن لما كان وقوعه بحيث يكون العبد محلا للعتق بان يكون باقيا في ملكه حيا يعيش بعده وانه غير معلوم
فكذلك ههنا لما كان المتوقع فيئتهم من تلقاء انفسهم لما لم يقع دل على تاكيد الامر بينهم فقال تعالى فان فاءت
اي بعد اشتداد الامر والتحام القتال فاصلحوا وفيه اشارة الى ان من لم يخف الله وبغى يكون رجوعه بعيدا قوله فاصلحوا
بينهما بالعدل بحملهما على الانصاف والرضى بحكم الله واقسطوا اعدلوا ان الله يحب المقسطين فان قيل لم قال ههنا
فاصلحوا بينهما بالعدل ولم يذكر العدل في قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فالجواب
ان الاصلاح هناك بازالة الاقتتال نفسه وذلك يكون بالنصيحة وبالتهديد والزجر والتعذيب والاصلاح
ههنا بازالة اثار الاقتتال بعد ارتفاعه من ضمان المتلفات وهو حكم فقال بالعدل فكانه قال فاحكموا
بينهما بعد تركهما القتال بالحق واصلحوا بالعدل فيما يكون بينهما لئلا يؤدي الى ثوران الفتنة بينهما مرة اخرى
فان قيل لما قال فاصلحوا بينهما بالعدل فاية فائدة في قوله واقسطوا فالجواب ان قوله فاصلحوا بينهما
كان فيه تخصيص بحال الاقتتال فعم الامر بالعدل وقال واقسطوا اي في كل امر فانه مفض الى اشرف
درجة وارفع منزلة وهي محبة الله والاقساط وهو العدل والقاسط هو الجائر قوله انما المؤمنون اخوة اي
في الدين والولاية قال بعض اهل اللغة الاخوة جمع الاخ من النسب والاخوان جمع الاخ من الصداقة والله تعالى
قال انما المؤمنون اخوة تاكيدا للامر واشارة الى ان ما بينهم من الاخوة من الاسلام والنسب لهم كالاب قال قائلهم

ابي الاسلام لا اب لي سواه ... اذا افتخروا بقيس او تميم

قوله بين اخويكم العامة على
التثنية وزيد بن ثابت وعبد الله والحسن وحماد بن سلمة وابن سيرين اخوانكم جمعا على فعلان وقال ابو البقاء ان
الاخوان تغلب في الصداقة والاخوة في النسب وقد تعكس كما في الاية وروي عن ابي عمرو وجماعة اخوتكم
بالتاء من فوق وقد روي عن ابي عمرو ايضا القراءات الثلاث فصل انما للحصر اي لا اخوة الا بين المؤمنين
فلا اخوة بين المؤمن والكافر ولهذا اذا مات المسلم وله اخ كافر يكون ماله للمسلمين ولا يكون لاخيه الكافر
وكذلك الكافر لان في النسب المعتبر الاب الشرعي حتى ان ولدي الزنا من رجل واحد لا يتوارثان فكذلك الكفر
لان الجامع الفاسد لا يفيد الاخوة ولهذا من مات من الكفار وله اخ مسلم ولا وارث له من النسب لا يجعل
ماله للكفار ولو كان الدين يجمعهم لورثه الكفار ومال المسلم للمسلمين عند عدم الوارث فان قيل اذا ثبت
ان اخوة الاسلام اقوى من اخوة النسب بدليل ان المسلم يرثه المسلمون اذا لم يكن له اخوة نسبية ولا
يرثه الاخ الكافر من النسب فلم لا يقدمون الاخوة الاسلامية على النسبية مطلقا حتى يكون مال المسلم
للاخوة لا من النسب فالجواب ان الاخ المسلم اذا كان اخا من النسب فقد اجتمع فيه اخوتان فصار
اقوى والعصوبة لمن له القوة الا ترى ان الاخ من الابوين يقدم على الاخ لاب لانه اجتمع فيه اخوتان
فصار اقوى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم الاية تقدم الخلاف في قوم وجعله الزمخشري هنا
جمعا لقائم كصوم وزور جمع صائم وزائر وافعل القليل من ابنية التكسير الا عند الاخفش نحو ركب
وصحب والسخرية هي ان لا ينظر الانسان الى اخيه بعين الاجلال ولا يلتفت اليه ويسقطه عن درجته
وحينئذ لا يذكر ما فيه من المعايب ومعنى الاية لا تحقروا اخوانكم ولا تصغروهم قوله عسى ان يكونوا خيرا منهم
قرا ابي وعبد الله عسوا وعسين وهي لغة تميم وقراءة العامة لغة الحجاز قوله ولا نساء من نساء عسى ان يكن
خيرا منهن روي انها نزلت في صفية بنت حيي بن اخطب قال لها النساء يهودية بنت يهوديين قوله ولا
تلمزوا انفسكم اي لا يعب بعضكم على بعض وقرا الحسن والاعرج ولا تلمزوا بالضم واللمز بالقول وغيره والهمز
باللسان فقط قوله ولا تنابزوا بالالقاب التنابز تفاعل من النبز وهي التداعي بالنبز والنزب وهو
مقلوب منه لقلة هذا وكثرة ذاك ويقال تنابزوا وتنازبوا اذا دعا بعضهم بعضا بلقب سوء واصله
من الرفع كان النابز يرفع صاحبه فيشاهد واللقب ما اشعر بصفة المسمى كقفة وبطة او رفعته
كالصديق وعتيق والفاروق واسد الله واسد رسوله وله مع الاسم والكنية اذا اجتمعن احكام
مذكورة في كتب النحو فصل ذكر في الاية امورا ثلاثة مرتبة بعضها دون بعض وهي السخرية واللمز
والنبز فالسخرية الاحتقار والاستصغار واللمز ذكر الرجل في غيبته بعيب وهذا دون الاول لان من
لم يلتفت اليه وانما جعله مثل المسخرة الذي لا يغضب له ولا عليه وهذا جعل فيه شيئا ما فعابه به والنبز دون اللمز
لانه يصفه بوصف ثابت فيه ينقصه به ويحط منزلته والنبز مجرد التسمية وان لم يكن فيه لان اللقب الحسن
والاسم المستحسن اذا وضع لواحد وعلا عليه لا يكون معناه موجودا فان من سمي سعدا او سعيدا قد لا يكون
كذلك وكذلك من لقب امام الدين او حسام الدين لا يفهم منه انه كذلك وانما هو علامة وكذلك النبز فان

من سمي بروان الحمار لم يكن كذلك وانما ذلك سمة وعلامة ولا يكون اللفظ مرادا اذا لم يرد وضعه به كان الاعلام كذلك لحكاية تعالى فقال لا تستكبروا فتستحقروا اخوانكم بحيث لا تلتفتوا اليهم اصلا واذا نزلتم عن هذا فلا تعيبوهم طالبين حط درجتهم واذا لم تعيبوهم ولم تضعوهم فلا تسموهم بما يكرهونه **فصل** قال ولا تنابزوا ولم يقل ولا تنبزوا لان اللامز اذا لمز فالملموز قد لا يجد فيه في الحال عيبا يلمزه به وانما يبحث ويتبعه ليطلع منه على عيب فيوجد اللمز من جانب واما النبز فلا يعجز كل احد عن الاتيان بنبز فالظاهر ان النبز يفضي في الحال الى التنابز ولا كذلك اللمز **فصل** قال المفسرون اللقب هو ان يدعى الانسان بغير ما سمي به وقال عكرمة هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقال الحسن كان اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك وقال عطا هو ان يقول الرجل لاخيه يا حمار يا خنزير وعن ابن عباس التنابز بالالقاب ان يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهي ان يعير بما سلف من عمله **قوله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان** اي بئس الاسم ان يقول له يا يهودي يا فاسق بعدما امن وقيل معناه من فعل ما نهي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق ثم قال ومن لم يتب اي عن ذلك فاولئك هم الظالمون **قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن** الاية نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا او سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم لهما الى المنزل فيهيئ لهما طعامهما وشرابهما فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض اسفاره فتقدم سلمان الفارسي الى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيئ لهما شيئا فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا قال غلبتني عيناي قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان عندك فضل من طعام فليعطك وكان اسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فاتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما امر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاءا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتم تاكلون لحم اسامة وسلمان فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن **فصل** قال سفيان الثوري الظن ظنان احدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به والاخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به قال عليه السلام اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث **قوله اثم** جعل الزمخشري همزه بدلا من واو وقال لانه يثم الاعمال اي يكسرها وهذا غير مسلم بل ذلك مادة اخرى **قوله ولا تجسسوا** التجسس التتبع ومنه الجاسوس والجساسة وجواس الانسان وحواسه ومشاعره وقرأ الحسن وابو رجاء وابن سيرين **فصل** التجسس هو البحث عن عيوب الناس فنهى الله تعالى عن البحث عن المستور من امور الناس وتتبع عوراتهم قال عليه السلام لا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وقال عليه السلام يا معشر من امن بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما اعظمك واعظم حرمتك والمؤمن اعظم حرمة منك عند الله وقيل لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا فقال انا نهينا عن التجسس فان يظهر لنا شيئا ناخذ به **قوله ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا** فنصب ميتا على الحال من لحم او اخيه وتقدم الخلاف في ميتا **فان قيل** اللحم لا يكون ميتا **فالجواب** بل قال عليه السلام ما ابين من حي فهو ميت فسمي القطعة ميتا **فان قيل** اذا جعلناه حالا من الاخ لا يكون هيئة الفاعل ولا المفعول فلا يجوز جعله حالا فهو كقول القائل مررت باخي زيد وهو يريد كون زيد قائما وذلك لا يجوز **قلنا** من اكل لحمه فقد اكل فصار الاخ ماكولا مفعولا بخلاف المرور باخي زيد **فصل** في هذا التشبيه اشارة الى ان عرض الانسان كدمه ولحمه لان الانسان يتألم قلبه من قرض العرض كما يتألم جسمه من قطع اللحم وهذا من باب القياس لان عرض المرء اشرف من لحمه ودمه فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الاولى لان ذلك الم وقوله لحم اخيه اكد في المنع لان العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو وفي قوله ميتا اشارة الى دفع وهم وهو ان يقال الشتم في الوجه يؤلم فيحرم واما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلم فقال اكل لحم الاخ وهو ميت ايضا لا يؤلمه ومع هذا هو في غاية القبح لما انه

لو اطلع

لو اطلع عليه لتألم فان الميت لو احس باكل لحمه لالمه وفيه معنى لطيف وهو ان الاغتياب باكل لحم الادمي ميتا ولا تحل اكله الا للمضطر بقدر الحاجة والمضطر اذا وجد لحم الشاة الميتة ولحم الادمي فلا ياكل لحم الادمي فكذلك المغتاب ان وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب **قوله فكرهتموه** قال الفراء تقديره فقد كرهتموه فلا تفعلوه وقال ابو البقاء المعطوف عليه محذوف تقديره عرض عليكم ذلك فكرهتموه والمعنى يعرض عليكم فتكرهونه وقيل ان صح ذلك عندكم فانتم تكرهونه تقديره فهو خبر بمعنى الامر كقولهم اتقى الله امرؤ فعل خيرا اثيب عليه وقرأ ابو حيوة والجحدري فكرهتموه بضم الكاف والتشديد والرباعي بالتضعيف الى ثان بخلاف قوله ولا كره اليكم الكفر فانه وان كان مضعفا لم يتعد الى واحد لتضمنه معنى بغض **فصل** قال مجاهد لما قيل لهم ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه اي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الزجاج تاويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك قال عليه السلام لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم **قوله واتقوا الله** عطفا على ما تقدم من الاوامر والنواهي اي اجتنبوا واتقوا الله ان الله تواب رحيم واعلم انه تعالى ختم الايتين بذكر التوبة فقال في الاولى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقال هاهنا ان الله تواب رحيم لكن لما كان الابتداء في الاية الاولى بالنهي في قوله لا يسخر قوم من قوم ذكر النفي الذي هو قريب من النهي وفي الثانية كان الابتداء بالامر في قوله اجتنبوا كثيرا اخذ ذكر الاثبات الذي هو قريب من الامر **قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى** الاية هذه الاية مبينة ومقررة لما تقدم لان السخرية من الغير وعيبه ان كان بسبب الدين والايمان فهو جائز وكذلك لمزه وغيبته وان لم يكن بسبب الدين والايمان فلا يجوز لان الناس بعمومهم كافرهم ومؤمنهم يشتركون فيما يفتخر به المفتخر لان التكبر والافتخار ان كان بسبب الغنى فالكافر قد يكون غنيا والمؤمن فقيرا او بالعكس وان كان بسبب النسب فالكافر قد يكون نسيبا والمؤمن مولى وعبدا اسود وبالعكس فالناس فيما ليس من الدين والتقوى متساوون او متقاربون ولا يؤثر شيء من ذلك مع عدم التقوى كما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى يعني ادم اي انكم متساوون في النسب فلا يفتخر بعضكم على بعض لكونهم ابناء رجل واحد وامراة واحدة **فصل** الحكمة في اختيار النسب من جملة اسباب التفاخر ولم يذكر المال لان الامور التي يفتخر بها في الدنيا وان كانت كثيرة لكن النسب اعلاها لان المال قد يحصل للفقير فيبطل افتخار المفتخر به عليه والحسن وغير ذلك لا يدوم والنسب ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن ليس له ذلك فاختاره الله للذكر وابطل اعتباره بالنسبة الى التقوى ليعلم منه بطلان غيره بطريق الاولى **فان قيل** اذا كان ورود الاية لبيان عدم جواز الافتخار بغير التقوى فما فائدة قوله تعالى انا خلقناكم **فالجواب** ان كل شيء يترجح على غيره فاما ان يترجح فيه بحقيقة يرتب بعد وجوده واما ان يترجح عليه بامر قبله فالذي بعده كالحسن والقوة وغيرهما من الاوصاف المطلوبة من ذلك الشيء واما الذي قبله فاما راجع الى اصله الذي وجد منه او الى الفاعل الذي اوجده فالاول كقوله هذا من نحاس وهذا من فضة والثاني كقولك هذا عمل فلان وهذا عمل فلان فقال تعالى لا ترجيح بما خلقتم منه لانكم كلكم من ذكر وانثى ولا ترجيح بالنسبة الى فاعلكم لانكم كلكم خلق الله فان كان عندكم تفاوت فهو بامور تحصل لكم بعد وجودكم واشرفها التقوى **قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل** الشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو اعلا طبقات الانساب مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج وذلك ان طبقات النسب التي عليها العرب ست الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة وكل واحد يدخل فيما قبله فالفصيلة تدخل في الفخذ والفخذ في البطن وزاد بعض الناس بعد الفخذ العشيرة فجعلها داخلة فيها فيكون الفصائل داخلة في العشيرة وتدخل العشيرة في الافخاذ وتدخل الافخاذ في البطون والبطون في العمائر والعمائر في القبائل والقبائل في الشعب وذكر الاعم لانه اذهب بالافتخار وسمي الشعب شعبا لتشعب القبائل منه واجتماعهم فيه كتشعب اغصان الشجرة والشعب من الاضداد يقال شعب اي جمع ومنه تشعب القداح اي فرق والقبائل دون الشعوب واحدها قبيلة وهي كبكر من ربيعة وتميم من مضر سميت بذلك لتقابلها شبهت بقبائل الراس وهي قطع متقابلة وقيل الشعوب في العجم والقبائل في العرب والاسباط في بني اسرائيل وقيل الشعب النسب الابعد والقبيلة الاقرب وانشد

قبائل من شعوب ليس فيهم ... كريم قد يعد ولا نجيب

والنسب الى الشعب شعوبية بفتح الشين وهم جيل يبغضون العرب ودون القبائل العمائر واحدها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العمائر البطون واحدها بطن وهم كبني هاشم وامية من بني لؤي ثم الفصائل والعشائر واحدها فصيلة وعشيرة وقال ابو روق الشعوب الذين لا يعتزون الى احد بل ينتسبون الى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين

ينتسبون الى ابائهم قوله لتعارفوا العامة على تخفيف التاء والاصل لتتعارفوا فحذف احدى التاءين والبزي يشدد بدها وقد
تقدم ذلك في البقرة واللام متعلقة بجعلناكم وقرا الاعمش تتعارفوا وهو الاصل الذي ادغمه البزي وحذفه الجمهور
وابن عباس لتعرفوا مضارع عرف فصل المعنى ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده لا لتفاخروا وقال
في اول الاية خلقناكم وقال هاهنا وجعلناكم شعوبا وقبائل لان الخلق اصل يتفرع عليه الجعل شعوبا لان الخلق
والايجاد لاجل العبادة كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والجعل شعوبا للتعارف والاصل متقدم
على الفرع فتعتبر العبادة قبل اعتبار النسب لان اعتبار الجعل شعوبا انما يتحقق بعد تحقق الخلق وفي هذا اشارة
الى انه ان كان فيكم عبادة تعتبر والا فلا اعتبار لانسابكم فان قيل الهداية والضلال كذلك لقوله تعالى انا
هديناه السبيل يهدي من يشاء ويضل من يشاء فالجواب ان الله تعالى اثبت لنا فيه كسبا مبنيا على فعل لقوله
تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ثم قال وما تشاؤون الا ان يشاء الله واما في النسب فلا قوله تعالى ان
اكرمكم عند الله اتقاكم اخبر تعالى ان ارفعهم منزلة عند الله اتقاهم قال قتادة في هذه الاية اكرم الكرم التقوى
والام اللوم الفجور وقال عليه السلام الحسب المال والكرم التقوى قال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم
الاخرة التقوى وعن ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس اكرم قال اكرم الناس عند الله
اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسالك قال فاكرم الناس نبي الله يوسف بن نبي الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا
نسالك قال فعن معادن العرب تسالوني قالوا نعم قال فخياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا
وقال عليه السلام ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم فصل قال ابن الخطيب في المراد بالاية
وجهان الاول ان التقوى تفيد الاكرام ثانيهما التقوى كما يقال المحصول على خطره والاول اشهر والثاني اظهر
فان قيل التقوى من الاعمال والعلم اشرف لقوله تعالى لفقيه اشد على الشيطان من الف عابد فالجواب
ان التقوى ثمرة العلم لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فلا تقوى الا للعالم فالمتقي العالم اتم
علما والعالم الذي لا يتقي كشجرة لا ثمر لها لكن الشجرة المثمرة اشرف من الشجرة التي لا تثمر بل هي حطب
وكذلك العالم حصب جهنم واما العابد الذي يفضل عليه الفقيه فهو الذي لا علم له وحينئذ لا يكون عنده
من خشية الله نصاب كامل ولعله يعبد الله مخافة الالقاء في النار فهو كالمكره او لدخول الجنة فهو يعمل بالفاعل له اجره
ويرجع الى بيته والمتقي هو العالم بالله المواظب لبابه فان قيل خطاب الناس بقوله اكرمكم يقتضي اشتراك الكل
في الاكرام ولا كرامة للكافر فانه اضل من الانعام فالجواب ذلك غير لازم مع انه حاصل بدليل قوله تعالى ولقد
كرمنا بني ادم لان كل من خلق فقد اعترف بربه ثم استمر عليه وزاد زيد في كرامته ومن رجع عنه ازيل عنه
اثر الكرامة ثم قال تعالى ان الله عليم خبير اي عليم بظواهركم يعلم انسابكم خبير بسرائركم لا تخفى عليه اسراركم
فاجعلوا التقوى زادكم قوله تعالى قالت الاعراب امنا الاية لما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم والاتقاء
لا يكون الا بعد حصول التقوى واصله الايمان والاتقاء من الشرك قالت الاعراب لنا النسب الشريف
يكون لنا الشرف قال الله تعالى ليس الايمان بالقول انما هو بالقلب فما امنتم قال الله خبير يعلم
ما في الصدور ولكن قولوا اسلمنا اي انقدنا واستسلمنا قيل نزلت في نفر من بني اسد بن خزيمة قدموا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سنة مجدبة فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مومنين في السر طالبين الصدقة
فافسدوا طرق المدينة بالعذرات وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون
اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما
قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون الصدقة ويقولون
اعطنا فانزل الله فيهم هذه الاية وقال السدي نزلت في الاعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح
وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار وكانوا يقولون امنا ليامنوا على انفسهم واموالهم فلما استنفروا
الى الحديبية تخلفوا فانزل الله قالت الاعراب امنا صدقنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا انقدنا واستسلمنا
مخافة القتل والسبي قال ابن الخطيب وقد بينا ان ذلك كالتاريخ للنزول لا للاختصاص بهم فكل من اظهر
فعل التقوى واراد ان يصير له ما للمتقي بالاكرام لا يحصل له ذلك لان التقوى من عمل القلب قوله ولما
يدخل هذه الجملة مستانفة اخبر تعالى بذلك وجعلها الزمخشري حالا من الضمير في قولوا وقد تقدم الكلام
في لما وما تدل عليه والفرق بينها وبين لم في البقرة عند قوله تعالى ولما ياتكم قال الزمخشري فان
قلت هو بعد قوله لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة قلت ليس كذلك
فان فائدة قوله لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل توقيت لما امروا به ان يقولوه
ثم قال وما في لما من معنى التوقع دليل على ان هؤلاء قد امنوا فيما بعد قال ابو حيان ولا ادري من

اي وجه يكون النفي بلما يقع بعد قال شهاب الدين لانها لنفي قد فعل وقد للتوقع فصل اخبر تعالى ان حقيقة
الايمان هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان واظهار شرايعه بالابدان لا يكون ايمانا دون التصديق
بالقلب والاخلاص فالاسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة يقال اسلم الرجل اذا دخل في
السلم كما يقال اشتى اذا دخل في الشتاء واصاف اذا دخل في الصيف واربع اذا دخل في الربيع فمن الاسلام
ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان كقوله عز وجل لابراهيم اسلم قال اسلمت لرب العالمين
ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم قال
ابن الخطيب المسلم والمومن واحد عند اهل السنة فنقول الفرق بين العام والخاص ان الايمان لا يحصل
الا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان والاسلام اعم لكن العام في صورة الخاص
متحد مع الخاص ولا يكون امرا اخر غيره مثاله الحيوان اعم من الانسان لكن الحيوان في صورة الانسان
امر لا ينفك عن الانسان ولا يجوز ان يكون ذلك الحيوان حيوانا ولا يكون انسانا فالعام والخاص مختلفان في
العموم متحدان في الوجود وكذلك المومن والمسلم وسياتي بقية الكلام على ذلك في الذاريات عند قوله
فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ان شاء الله تعالى قال ابن الخطيب
وفي الاية اشارة الى بيان حال المولفة اذا اسلموا ويكون ايمانهم ضعيفا فقال لهم لم تؤمنوا لان الايمان
ايقان وذلك بعد لم يدخل في قلوبكم وسيدخل باطلاعكم على محاسن الاسلام قوله وان تطيعوا الله ورسوله
اي ظاهرا وباطنا سرا وعلانية قال ابن عباس تخلصوا الايمان قوله لا يلتكم قرا ابو عمرو لا يالتكم بالهمز من الته يالته بالفتح
في الماضي والكسر والضم في المضارع كقوله وما التناهم والسوسي يبدلها الفا على اصله والباقون يلتكم من لاته
يليته كباعه يبيعه وهما لغتان معناهما لا ينقصكم فالاولى لغة غطفان واسد والثانية لغة الحجاز يقال الته يالته
التا ولاته يليته ليتا وقيل هي من ولته يليته كوعده يعده فالمحذوف على القول الاول عين الكلمة وزنها يفلكم وعلى الثاني
فاؤها ووزنها يعلكم ويقال ايضا الاته يليته كاباعه يبيعه والته يولته كامن يومن وكلها في معنى نقصه حقه قال
الخطيئة

ابلغ سراة بني سعد مغلغلة • جهد الرسالة لا التا ولا كذبا

وقال الشاعر

وليلة ذات ندى سريت • ولم يلتني عن سراها ليت

اي يمنعني ويحبسني

قوله انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله هذا ارشاد للذين قالوا امنا بين لهم حقيقة الايمان فقال ان كنتم
تريدون الايمان فالمومن من امن بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اي لم يشكوا في دينهم فليقبلوا الايمان الكامل وثم
للتراخي في الحكاية كانه يقول امنوا ثم اقول شيئا اخر لم يرتابوا ويحتمل ان يكون التراخي في الفعل اي امنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا فيما قال النبي صلى الله عليه وسلم من الحشر والنشر وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اي ايقنوا
ان بعد هذه الدار دارا اخرى فجاهدوا وطالبين العقبى اولئك هم الصادقون في ايمانهم فصل لما نزلت هاتان
الايتان اتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم مومنون صادقون وعرف الله غير ذلك
منهم فانزل الله قل اتعلمون الله بدينكم والتعليم هاهنا بمعنى الاعلام فلذلك تعدت بالباء بدينكم لدخول الباء لانه
منقول بالتضعيف من علمت به بمعنى شعرت به فلذلك تعدت لواحد بنفسها والاخر بالباء والمعنى لا تعرفوا الله
بدينكم فانه عالم به لا يخفى عليه شيء لانه يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم لا يحتاج الى اخباركم
قوله يمنون عليك ان اسلموا يجوز في قوله اسلموا وجهان احدهما انه مفعول به لانه ضمن يمنون معنى يعتدون
كانه قيل يعتدون عليك اسلامهم وما يمن به عليك وهذا صرح بالمفعول به في قوله قل لا تمنوا علي اسلامكم
اي لا تعتدوا علي اسلامكم كذا استدل ابو حيان وفيه نظر اذ لقائل ان يقول لا نسلم انه منتصب اسلامكم على المفعول
به بل يجوز فيه المفعول من اجله كما يجوز في محل ان اسلموا وهو الوجه الثاني فيه اي يمنون عليك لاجل ان اسلموا
فكذلك في قوله لا تمنوا علي اسلامكم وشروط النصب موجودة والمفعول له متى كان مصدرا استوى جره بالحرف ونصبه
قوله بل الله يمن عليكم يعني لا منة لكم علينا اصلا بل المنة عليكم حيث بينت لكم الطريق المستقيم قوله ان هداكم
للايمان اعرابه كقوله ان اسلموا وقرا زيد بن علي اذ هداكم باذ مكان ان وهي في مصحف عبد الله كذلك وهي
تفيد التعليل وجواب الشرط مقدر اي فهو المان عليكم لا انتم عليه وعليه قوله ان الله يعلم غيب السموات
والارض والله بصير بما تعملون قرا ابن كثير بالغيبة نظرا لقوله يمنون وما بعده والباقون بالخطاب نظرا
الى قوله لا تمنوا علي اسلامكم الى اخره وفي هذه الاية اشارة الى انه بصير باعمال جوارحكم الظاهرة والباطنة
لا يخفى عليه شيء قال عليه السلام من قرا سورة الحجرات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اطاع

الله وعصاه

والله اعلم

وهى خمس واربعون اية وثلاث مائة وسبع وخمسون كلمة والف واربع مائة واربعة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله ق قال ابن عباس هو قسم وقيل اسم السورة وقيل اسم من اسما القران قال القرطبي
هو مفتاح اسمه قدير وقادر وقاهر وقريب وقابض وقال عكرمة والضحاك هو جبل محيط بالارض من زمردة
خضرا ومنه خضرة السما والسما مقببة عليه وعليه كتفاها ويقال هو ورا الحجاب الذى تغيب الشمس من
ورايه بمسيرة سنة وقيل معناه قضى الامر وقضى ما هو كاين كما قالوا فى حم وص صدق الله فصل قال ابن
الخطيب لما حكى القول بان ق اسم جبل محيط بالارض عليه اطراف السما قال وهذا ضعيف لوجوه احدها ان اكثر
القرا يقف عليها ولو كان اسم جبل لما جاز الوقف فى الادراج لان من قال ذلك قال بان الله تعالى اقسم به
وثانيها لو كان كذلك لذكر بحرف القسم كقوله تعالى والطور ونحوه لان حرف القسم يحذف حيث يكون
المقسم به مستحقا لان يقسم به كقولنا الله لافعلن كذا فاستحقاقه له يغنى عن الدلالة عليه باللفظ ولا يحسن ان
يقال زيد لافعلن كذا ثالثها انه لو كان كما ذكر لكان يكتب قاف مع الالف والفا كما يكتب عين جارية ويكتب
الياس الله بكاف فى جميع المصاحف يكتب حرف ق قال قيل هو منقول عن ابن عباس يقول المنقول عنه ان
قاف اسم جبل واما ان المراد ههنا ذلك فلا فصل قال ابن الخطيب هذه السورة وسورة ص يشتركان فى افتتاح
اولهما بالحرف المعجم والقسم بالقران بعده وقوله بعد القسم بل والتعجب ويشتركان ايضا فى ان اول السورتين
واخرهما متناسبان لانه تعالى قال فى اول ص والقران ذى الذكر وقال فى اخرها ان هو الا ذكر للعالمين وقال
فى اول ق والقران المجيد وقال فى اخرها فذكر بالقران من يخاف وعيد فافتتح بما اختتم به وايضا فى اول ص صرف
العناية الى تقرير الاصل الاول وهو التوحيد لقوله تعالى اجعل الالهة الها واحدا وفى هذه السورة صرف العناية
الى تقرير الاصل الاخر وهو الحشر فقال تعالى ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ذلك رجع بعيد ولما كان افتتاح سورة ص
فى تقرير المبدا قال فى اخرها اذ قال ربك للملايكة انى خالق بشرا من طين وختمه بحكاية بدا ادم لانه دليل الوحدانية
ولما كان افتتاح ق لبيان الحشر قال فى اخرها ذلك حشر علينا يسير فصل اقسم الله بالاشيا المركبة من العناصر
كالتين والطور ولم يقسم باصولها وهى الجواهر المفردة كالما والتراب واقسم بالحروف من غير تركيب لان الاشيا
عند تركيبها تكون على احسن حالها واما الحروف ان ركبت بمعنى يقع الحلف بمعناه لا باللفظ كقولنا والسما والارض
وان ركبت لا لمعنى فكان المفرد اشرف فاقسم بمفردات الحروف فصل هذه السورة تقرا فى صلاة العيد لقوله
تعالى يوم ذلك يوم الخروج وقوله وكذلك الخروج وقوله ذلك حشر علينا يسير فان العيد يوم الزينة فينبغى ان
لا ينسى الانسان خروجه الى عرصات الحساب ولا يكون فى ذلك اليوم فرحا فخورا ولا يرتكب فسقا وفجورا قوله
والقران المجيد قسم وفى جوابه اوجه احدها انه قوله قد علمنا ما تنقص الارض الثانى ما يبدل القول الثالث
ما يلفظ من قول الرابع ان فى ذلك لذكرى بل فى عجبوا وهو قول كوفى قالوا لانه بمعنى قد عجبوا السادس انه محذوف
تقديره الزجاج والاخفش والمبرد لتبعثن وغيرهم لقد جيتهم منذرا واعلم ان جواب القسم سبعة ان المشددة
كقوله والعصر ان الانسان لفى خسر وما النافية كقوله والضحى ما ودعك ربك واللام المفتوحة كقوله فوربك
لنسالنهم وان الخفيفة كقوله تعالى تالله ان كنا لفى ضلال ولا النافية كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث
الله وقد كقوله والشمس وضحاها قد افلح وبل كقوله والقران المجيد بل عجبوا والمجيد العظيم وقيل المجيد
الكثير الكرم فان قلنا المجيد العظيم فلان القران عظيم الفايدة ولانه ذكر الله العظيم وذكر العظيم عظيم ولانه
لم يقدر عليه احد من الخلق وقال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثانى والقران العظيم ولا يبدل ولا يغير
ولا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وان قلنا المجيد هو الكثير الكرم فالقران كريم كل من طلب منه
مقصوده وجده ويغنى كل من لاذ به واغنا المحتاج غاية الكرم فان قيل القران مقسم به فما المقسم عليه فالجواب
ان المقسم عليه اما ان يفهم بقرينة حالية او قرينة مقالية والمقالية اما ان تكون متقدمة على المقسم به
او متاخرة فان فهم من قرينة مقالية متقدمة فلا متقدم هنا لفظا الا ق فيكون التقدير هذا ق والقران
او ق انزلها الله تعالى والقران كقولك هذا حاتم والله اى هو المشهور بالسخا وتقول الهلال والله اى رايته
والله وان فهم من قرينة مقالية متاخرة فذلك امران احدهما ان التقدير والقران المجيد انك لمنذر
او والقران المجيد ان الرجع لكاين لان كلا الامرين ورد ظاهرا اما الاول فقوله تعالى يس والقران الحكيم الى
ان قال لتنذر قوما واما الثانى فقوله تعالى والطور وكتاب مسطور الى ان قال ان عذاب ربك لواقع فان

ابن

ابن الخطيب وهذا الوجه يظهر غاية الظهور على قول من قال ق اسم جبل فان القسم يكون بالجبل والقران وهناك اقسم
بالطور والكتاب المسطور وهو الجبل والقران وان فهم بقرينة حالية فهو كون محمد عليه السلام على الحق لان الكفار
كانوا ينكرون ذلك قوله بل عجبوا يقتضى ان يكون هناك امر مضروب عنه فما ذلك فاجاب الواحدى وواقفه الزمخشرى
انه تقرير كانه قال ما الامر كما تقولون قال ابن الخطيب والتقدير والقران المجيد انك لمنذر فكانه قال بعده انهم
شكوا فيه ثم اضرب عنه وقال بل عجبوا اى فلم يكتفوا بالشك ولا بالرد حتى عجبوا بل جزموا بالخلاف حتى
جعلوا ذلك من الامور العجيبة فان قيل ما الحكمة فى هذا الاختصار العظيم فى موضع واحد حذف المقسم عليه والمضرب
عنه واتى بامر لا يفهم الا بعد الفكر العظيم ولا يفهم مع الفكر الا بالتوفيق العزيز قال ابن الخطيب اما حذف المقسم
عليه فلان الترك فى بعض المواضع يفهم منه ظهور لا يفهم من الذكر لان من ذكر الملك العظيم فى مجلس والنبى عليه
يكون قد عظمه فاذا قال له غيره وهو لا يذكر فى هذا المجلس يكون بالارشاد الى ترك الذكر دالا على عظمة فوق ما استفيد
بذكره فان الله ترك المقسم عليه لبيان هو اظهر من ان يذكر واما حذف المضرب عنه فلان المضرب عنه اذا ذكر
واضرب عليه بامر اخر وكان بين المذكورين تفاوت ما فاذا عظم التفاوت لا يحسن ذكرهما مع الاضراب مثاله
يحسن ان يقال الوزير يعظم فلانا بل الملك يعظمه ولا يحسن ان يقال البواب يعظم فلانا بل الملك يعظمه لكون
البون بينهما بعيدا اذ الاضراب للتدريج فاذا ترك المتكلم المضروب عنه صريحا واتى بحرف الاضراب استفيد
منه امران احدهما الاشارة الى امر اخر قبله مضروبا عنه والثانى عظم التفاوت بينهما وههنا كذلك لان الشك
بعد قيام البرهان بعيد لكن القطع بخلافه فى غاية ما يكون من البعد فالعجب منه ابعد قوله ان جاءهم فيه
سوال وهو ان مع الفعل يتقدر بالمصدر يقول امرت بان اقوم وامرت بالقيام واذا كان كذلك فلم ترك الاتيان
بما هو فى معنى المصدر وما يجب ذكره عند الاتيان بالمصدر حيث جاز ان يقال امرت ان اقوم من غير با ولا يجوز ان يقول
امرت القيام بل لا بد من البا وكذلك لا يقال عجبوا الجاءهم ولا يجوز ان يقال عجبوا الجيه بل لا بد من قولك عجبوا من مجيه
والجواب ان قوله ان جاءهم وان كان فى المعنى قايما مقام المصدر لكنه فى الصورة تقدير وحروف التقدير كلها حروف
جارة والجارة لا يدخل على الفعل فكان الواجب ان لا يدخل فلا اقل من ان يجوز الدخول فجاز ان يقال عجبوا ان جاءهم ولا
يجوز عجبوا مجيهم لعدم جواز ادخال الحرف عليه قوله منهم اى يعرفون نسبه وصدقه وامانته وهذا يصلح ان يكون
مذكورا لتقرير تعجبهم ويصلح ان يكون مذكورا لابطال تعجبهم الحاجبة لتقرير تعجبهم فلانهم كانوا يقولون ابشرا منا واحدا
نتبعه وقالوا ما انتم الا بشر مثلنا وذلك اشارة الى انه كيف يجوز اختصاصكم بهذه المنزلة الرفيعة مع اشتراكنا فى
الحقيقة واللوازم واما تقرير الابطال فلانه اذا كان واحدا منهم ويرى بين اظهرهم وظهر عنهم ما عجزوا عنه
كلهم ومن بعدهم فكان يجب عليهم ان يقولوا هذا ليس من عنده ولا من عند احد من جنسنا فهو من عند الله فلا
ما لو جاءهم احد من خلاف جنسهم واتى بما يعجزون عنه فانهم كانوا يقولون نحن لا نقدر على ذلك لان لكل نوع
خاصية كما ان النعامة تبتلع النار والطير ان وابن ادم لا يقدر على ذلك قوله فقال الكافرون هذا شى عجيب
قال الزمخشرى هذا تعجب اخر من امر اخر وهو الحشر الذى اشار اليه بقوله ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد
فتعجبوا من كونه منذرا ومن وقوع الحشر ويدل عليه قوله فى اول ص وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال اجعل
الالهة الها واحدا ان هذا لشى عجاب فذكر تعجبهم من امرين قال ابن الخطيب والظاهر ان قولهم هذا اشارة الى
مجى المنذر لا الى الحشر لان هناك ذكر ان هذا لشى عجاب بعد الاستفهام الانكارى فقال اجعل الالهة الها واحدا
ان هذا الشى عجاب وقال ههنا هذا شى عجيب ولم يكن هناك ما تقع الاشارة اليه الا مجى المنذر ثم قالوا ائذا
متنا وايضا ان ههنا وجد بعد الاستبعاد بالاستفهام امر يؤدى معنى التعجب وهو قولهم ذلك رجع بعيد فانه
استبعاد وهو كالتعجب فلو كان التعجب ايضا عايدا اليه لكان كالتكرار فان قيل التكرار الصريح يلزم من قولك هذا شى عجيب
انه يعود الى مجى المنذر فان تعجبهم منه علم من قوله وعجبوا ان جاءهم منذر فقوله هذا شى عجيب يكون تكرار القول
ذلك ليس بتكرار بل هو تقرير لانه لما قال بل عجبوا بصيغة الفعل وجاز ان يتعجب الانسان مما لا يكون عجبا كقوله
تعالى اتعجبين من امر الله ويقال فى العرف لا وجه لتعجبك مما ليس بعجب فكانهم لما عجبوا قيل لهم لا معنى
لتعجبكم فقالوا هذا شى عجيب فكيف لا يعجب منه ويدل على ذلك قوله ههنا فقال الكافرون هذا شى عجيب
بحرف الفا وقال فى ص وقال الكافرون هذا ساحر بحرف الواو فكان تعنتا غير مرتب على ما تقدم اى لما عجبوا
وانكروا عليهم ذلك فقالوا هذا شى عجيب كيف لا نعجب منه ويدل عليه ايضا قوله تعالى ذلك رجع بعيد
بلفظ الاشارة الى البعيد وقوله هذا ساحر اشارة الى الحاضر القريب فينبغى ان يكون المشار اليه بذلك
غير المشار اليه بهذا وذلك لا يصح الا على قولنا قوله ائذا متنا قرا العامة بالاستفهام وابن عامر فى رواية
وابو جعفر والاعمش والاعرج بهمزة واحدة فيحتمل الاستفهام كالجمهور وانما حذف الاداة للدلالة ويحتمل

الاخبار بذلك والناصب للجمهور في قراءة الجمهور مقدر اي انبعث او نرجع اذا متنا وجواب اذا على قراءة الخبر محذوف
اي رجعنا وقيل قوله ذلك رجع على حذف الفاء وهذا راي بعضهم والجمهور لا يجوز ذلك الا في شعر وقال
الزمخشري ويجوز ان يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم
وعما انذروا به من البعث والوقف على ما قبله على هذا التفسير حسن فان قيل فما ناصب الظرف اذا كان
الرجع بمعنى المرجوع فالجواب ما دل عليه المنذر به وهو البعث فصل قال المفسرون تقديره ائذا متنا
وكنا ترابا نبعث ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه ذلك رجع اي رد الى الحياة بعيد غير كائن اي يبعد ان نبعث
بعد الموت قوله قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي تاكل من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمه شيء وقال
السدي هو الموت يقول قد علمنا من يموت منهم ومن يبقى وهذه الاية تدل على جواز البعث وقدرته تعالى
عليه لان الله تعالى عالم باجزاء كل واحد من الموتى لا يشتبه عليه جزء واحد بجزء الاخر وقادر على الجمع والتاليف
فليس الرجع منه ببعيد وهذا كقوله تعالى وهو الخلاق العليم حيث جعل للعلم مدخلا في الاعادة وهذا
جواب لما كانوا يقولون ائذا ضللنا في الارض اي انه تعالى كما يعلم اجزاءهم يعلم اعمالهم فيرجعهم ويعذبهم
بما كانوا يقولون وبما كانوا يعملون قوله وعندنا كتاب حفيظ اي محفوظ من الشياطين ومن ان يدرس
او يتغير وهو اللوح المحفوظ وقيل معناه حافظ لعدتهم واسمائهم واعمالهم قال ابن الخطيب وهذا هو
الاصح لان الحفيظ بمعنى الحافظ وارد في القران قال تعالى وما انت عليهم بحفيظ وقال الله حفيظ عليهم ولان
الكتاب للتمثيل وتشبيه العلم عنده كما يكون في الكتاب فهو يحفظ الاشياء وهو مستغن عن ان يحفظ قوله بل
كذبوا هذا اضراب ثان قال الزمخشري اضراب اتبع للاضراب الاول للدلالة على انهم جاءوا بما هو افظع من تعجبهم
وهو التكذيب بالحق وقال ابو حيان وكان هذا الاضراب الثاني بدل بدا من الاول قال شهاب الدين واطلاق
مثل هذا لا يجوز في كتاب الله البتة وقيل قبل هذه الاية جملة مضرب عنها تقديره ما اجادوا النظر بل كذبوا
وما قاله الزمخشري احسن قوله لما جاءهم العامة على تشديد لما وهي اما حرف وجوب لوجوب او ظرف
بمعنى حين كما تقدم وقرا الجحدري بكسر اللام وتخفيف الميم على انها لام الجر دخلت على ما المصدرية وهي نظير
قولهم كتبته لخمس خلون اي عندها قوله في امر مريج اي مختلط قال ابو واقد

ومرج الدين فاعددت له ... مشرف الاقطار محبوك الكتد
وقال اخر
فجالت والتمست به حشاها ... فخر كانه خوط مريج
واصله من الحركة

والاضطراب ومنه مرج الخاتم في اصبعه وقال سعيد بن جبير ملتبس فصل قال قتادة معناه
من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه وقال الحسن ما ترك قوم الحق الا مرج امرهم وقال
الزجاج معنى اختلاط امرهم هو انهم يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة
معلم ومرة كاهن ومرة مفتر ومرة ينسبونه الى الجنون فكان امرهم مختلطا ملتبسا عليهم ثم ذكر الدليل
الذي يرفع قولهم ذلك رجع بعيد فقال افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها بغير عمد وزيناها
بالكواكب وهو نظير قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان
يحيي الموتى قوله افلم الهمزة للاستفهام واعلم ان همزة الاستفهام تارة تدخل على الكلام بغير واو
وتارة تدخل ومعها واو والفرق بينهما ان قولك ازيد في الدار بعد وقد طلعت الشمس يذكره للانكار
فاذا قلت او زيد في الدار بعد وقد طلعت الشمس تشير بالواو الى ان قبح فعله صار بمنزلة فعلين قبيحين لان الواو
تنبئ عن سبق امر مغاير لما بعدها وان لم يكن هنا سابق لكنك تاتي بالواو زيادة في الانكار فان قيل كيف
اتى هنا بالفاء فقال افلم وفي موضع اخر بالواو فالجواب هنا سبق منهم انكار الرجع فقال بحرف
التعقيب لمخالفة ما قبل فان قيل ففي يس سبق ذلك بقوله قال من يحيي العظام فالجواب ان هناك
الاستدلال بالسموات لم يعقب الانكار بل استدل بدليل اخر وهو قوله قل يحييها الذي انشاها اول
مرة ثم ذكر الدليل الاخر وههنا الدليل كان عقيب انكارهم فذكر بالفاء فان قيل كيف قال هنا بلفظ
النظر وفي الاحقاف بلفظ الرؤية فالجواب انهم هنا لما استبعدوا امر الرجع بقولهم ذلك رجع
بعيد استبعد استبعادهم وقال افلم ينظروا لان النظر دون الرؤية فقال النظر كاف في حصول
العلم بامكان الرجع ولا حاجة الى الرؤية ليقع الاستبعاد في مقابلة الاستبعاد وهناك لم
يوجد منهم انكار فارشدهم اليه بالرؤية التي هي اتم من النظر قوله الى السماء فوقهم فقوله فوقهم
حال من السماء وهي مؤكدة وكيف منصوبة بما بعدها وهي معلقة للنظر قبلها فان قيل كيف قال الى
السماء ولم يقل في السماء فالجواب لان النظر في الشيء ينبئ عن التامل والمبالغة والنظر الى الشيء

لا ينبئ

لا ينبئ عنه لان الى للغاية فهو منتهى النظر عنده وفي للدخول في معنى الظرف فاذا انتهى النظر اليه ينبغي ان ينفذ فيه حتى يصح معنى
النظر فيه قوله وما لها من فروج اي شقوق وفتوق وصدوع واحدها فرج والارض مددناها بسطناها على
وجه الماء والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج بهيج حسن كريم يبهج به اي يسر قوله تبصرة
العامة على نصبها على المفعول من اجله اي تبصيرا امثالهم وتذكيرا امثالهم وقيل منصوبان بفعل من لفظهما مقدر اي
بصرهم تبصرة وذكرهم تذكرة وقيل حالان اي مبصرين مذكرين
لمن يراها وقيل حال من المفعول اي ذات تبصير وتذكير وزيد بن علي بالرفع وقرا وذكرى اي تبصرة وذكرى لكل ما صفة واما متعلق بنفس المصدر
تبصرا وتذكيرا فصل قال ابن الخطيب يحتمل ان يكون الامران عائدين الى السماء والارض اي خلق السماء تبصرة
وخلق الارض ذكرى ويدل على ذلك ان السماء وزينتها مستمرة غير مستجدة في كل عام فهي كالشيء المرئي على مرور
الزمان واما الارض فهي كل سنة تاخذ زخرفها فتذكر فالسماء تبصرة والارض تذكرة ويحتمل ان يكون كل واحد من
الامرين موجودا في كل واحد من الامرين فالسماء تبصرة وتذكرة والارض كذلك والفرق بين التبصرة والتذكرة
هو ان فيهما ايات مستمرة منصوبة في مقابلة البصائر وايات متجددة مذكرة عند التناسي قوله لكل عبد منيب
اي للتبصر والتذكر كل عبد منيب اي راجع الى التفكر والتذكر والنظر في الدلائل قوله ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير
الخير وفيه حياة كل شيء وهو المطر فانبتنا به جنات وحب الحصيد يعني البر والشعير وسائر الحبوب التي تحصد
فقوله وحب الحصيد يجوز ان يكون من باب حذف الموصوف للعلم به تقديره وحب الزرع الحصيد نحو مسجد الجامع
وهذا مذهب البصريين لئلا يلزم اضافة الشيء الى نفسه ويجوز ان يكون من باب اضافة الموصوف الى صفته لان
الاصل والحب الحصيد اي المحصود فصل هذا دليل اخر وهو ما بين السماء والارض وما بينهما وهو انزال
الماء من فوق واخراج النبات من تحت فان قيل هذا الاستدلال قد تقدم في قوله تعالى وانبتنا فيها من كل زوج
بهيج فما الفائدة في اعادة قوله فانبتنا به جنات وحب الحصيد فالجواب ان قوله وانبتنا اشارة الى جعلها محلا
للنبات اللحم والشعر وغيرهما وقوله فانبتنا استدلال بنفس النبات اي الاشجار تنمو وتزيد فكذلك بدن الانسان
بعد الموت ينمو ويزيد اي يرجع الله اليه قوة النشو والنماء كما يعيدها الى الاشجار بواسطة ماء السماء قوله والنخل باسقات
والنخل منصوب عطفا على مفعول انبتنا اي وانبتنا النخل باسقات حال وهي حال مقدرة لانها وقت الانبات لم تكن
طوالا والبسوق الطول يقال بسق فلان على اصحابه اي طال عليهم في الفضل ومنه قول ابن نوفل في ابن هبيرة

يا ابن الذين بمجدهم ... بسقت قيس فزاره

وهو استعارة والاصل استعماله في بسقت
النخلة تبسق بسوقا اي طالت قال الشاعر

لنا خمر وليست خمر كرم ... ولكن من نتاج الباسقات
كرام في السماء ذهبن طولا ... وفات ثمارها ايدي الجناة

وبسقت الشاة ولدت واسبقت
الناقة وقع في ضرعها اللبا قبل النتاج وروى عن عباس من ذلك قال مجاهد وقتادة وعكرمة معنى باسقات
اي طوالا وقال سعيد بن جبير مستويات والعامة على السين في باسقات وقرا قطبة بن مالك ويرويها عن
النبي صلى الله عليه وسلم باصقات بالصاد وهي لغة لبني العنبر يبدلون السين صادا اذا وليت القاف والعين والخاء
والطاء اذا وليتها او فصلت منها بحرف او حرفين قوله لها طلع يجوز ان تكون الجملة حالا من النخل او من الضمير
في باسقات ويجوز ان يكون الحال وحدها وطلع فاعل به ونضيد بمعنى منضود بعضها فوق بعض وذلك كما في
سنبلة الزرع وهو عجيب فان الاشجار الطوال ثمارها بارزة بعضها على بعض لكل واحد منها اصل يخرج منه
كالجوز واللوز وغيرهما والطلع كالسنبلة الواحدة يكون على اصل واحد قوله رزقا يجوز ان يكون حالا اي مرزوقا
للعباد اي ذا رزق وان يكون مصدرا من معنى انبتنا لان انبات هذه رزق فكانه قال انبتناها انباتا
للعباد ويجوز ان يكون مفعولا له وللعباد اما صفة واما متعلق بالمصدر واما مفعول المصدر واللام زائدة
اي رزقا للعباد فصل قال ابن الخطيب ما الحكمة في قوله عند ذكر خلق السماء والارض تبصرة وذكرى وفي
الثمار قال رزقا والثمار ايضا فيها تبصرة وفي السماء والارض ايضا منفعة غير التبصرة والتذكرة نقول فيه
وجوه احدها ان الاستدلال وقع لوجود امرين احدهما الاعادة والثاني البقاء بعد الاعادة فان النبي عليه
السلام كان يخبرهم بحشر وجمع يكون بعده الثواب الدائم والعقاب الدائم وانكروا ذلك فقال اما الاول
فالله القادر على خلق السموات والارض قادر على خلق الخلق بعد الفناء واما الثاني فلان البقاء في الدنيا
بالرزق والقادر على اخراج الارزاق من النخل والشجر قادر على ان يرزق بعد الحشر فكان الاول تبصرة وتذكرة
بالخلق والثاني تذكرة بالبقاء بالرزق ويدل على هذا الفصل بينهما بقوله تعالى تبصرة وذكرى حيث
ذكر ذلك بين الايتين ثم بدا بذكر الماء وانزاله وانبات النبات ثانيها منفعة الثمار الظاهرة وهي الرزق فذكر

وصفة السماء الظاهرة ليست امرا عائدا الى انتفاع العباد لبعد بيانها عن ذهنهم حتى انهم لو توهموا اعدام الزرع والثمر لظنوا ان يهلكوا ولو توهموا اعدام السماء فوقهم لقالوا لا يضرنا ذلك مع ان الامر بالعكس اولى لان السماء سبب الارزاق بقدرة الله تعالى وفيها منافع غير ذلك والثمار وان لم تكن كان العيش كما انزل الله على قوم المن والسلوى وعلى قوم المائدة من السماء فذكر الاظهر للناس في هذا الموضع ثالثها قوله رزقا اشارة الى كونه منعما ليكون تكذيبهم في غاية القبح فانه يكون اساءة بالمنعم وهو اقبح ما يكون **فصل** قال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب فقيد العبد بكونه منيبا لان العبودية حصلت لكل احد غير ان المنيب يأكل ذاكرا شاكرا للانعام وغيره يأكل كما تأكل الانعام فلم يخصص بقيد **قوله فأحيينا به** اى بالماء ميتا صفة لبلدة ولم يؤنث حملا على معنى المكان والعامة على التخفيف وابو جعفر وخالد بالتثقيل **فان قيل** ما الفرق بين هذا الموضع وبين قوله واية لهم الارض الميتة حيث اثبت الها هناك **فالجواب** ان الاصل في الارض الوصف فقال الميتة لان معنى الفاعلية ظاهر هناك والبلدة الاصل فيها الحياة لان الارض اذا صارت حية صارت اهلة واقام بها القوم وعمروها فصارت بلدة فاسقط الها لان معنى الفاعلية ظاهر فثبتت فيه الها واذا كان معنى الفاعل لم يظهر لا يثبت فيه الها وتحقق هذا قوله بلدة طيبة حيث اثبت الها حيث ظهر معنى الفاعل ولم يثبت حيث لم يظهر **قوله كذلك الخروج** اى من القبور اى كالاحياء الخروج **فان قيل** الاحياء يشبه به الاخراج لا الخروج **فالجواب** تقديره احيينا به بلدة ميتا فتشققت وخرج منها النبات كذلك تتشقق ويخرج منها الاموات قال ابن الخطيب وهذا يؤكد قولنا ان الرجع بمعنى الرجوع في قوله ذلك رجع بعيد لانه تعالى بين لهم ما استبعدوه فلو استبعدوا الرجع الذي هو من المتعدي لناسبه ان يقول كذلك الاخراج فلما قال كذلك الخروج فهم انهم انكروا الرجوع فقال كذلك الرجوع والخروج **قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح** الاية ذكر المكذبين تذكيرا لهم بحالهم وانذارا لهم باهلاكهم وفيه تسلية للرسول وتنبيه بان حاله كحال من تقدمه من الرسل كذبوا وصبروا فاهلك الله مكذبيهم ونصرهم والمراد باصحاب الرس قيل هم قوم شعيب وقيل هم الذين جاءهم من اقصى المدينة رجل يسعى وهم من قوم عيسى عليه السلام وقيل هم اصحاب الاخدود والرس اما موضع نسبوا اليه او فعل وهو حفر البير يقال رس اذا حفر بيرا وقد تقدم في الفرقان وقال هاهنا قوم نوح وقال اخوان لوط لان لوطا كان مرسلا الى طايفة من قوم ابراهيم معارف لوط ونوحا كان مرسلا الى خلق عظيم وقال فرعون ولم يقل قوم فرعون وقال قوم تبع لان فرعون كان هو المغتر المستبد بامره وتبع كان معتمدا بقومه فجعل الاعتبار لفرعون وخصه بالذكر وتبع هو تبع الحميري واسمه سعد ابو كرب قال قتادة ذم الله تعالى قوم تبع ولم يذمه وتقدم ذكره في سورة الدخان **قوله الايكة** تقدم الكلام عليها في الشعرا وقرا هاهنا ليكة بزنة ليلة ابو جعفر وشيبة وطلحة ونافع الايكة بلام التعريف **قوله كل** التنوين عوض من المضاف اليه وكان بعض النحاة يجيز حذف تنوينها وبناءها على الضم كالغاية نحو قبل وبعد واللام في الرسل قيل لتعريف العهد اى كل واحد كذب رسوله فهم كذبوا الرسل والصحيح انها للتعريف الجنس وهو ان كل واحد كذب جميع الرسل وذلك على وجهين احدهما ان المكذب للرسول مكذب لكل الرسل وثانيهما ان المذكورين كانوا منكرين للرسالة والحشر بالكلية **قوله فحق وعيد** اى وجب لهم عذابى اى ما اوعد الله من نصرة الرسل عليهم واهلاكهم **قوله تعالى افعيينا** العامة على يا مكسورة بعدها يا ساكنة وقرا ابن ابى عبلة افعينا بتشديد اليا من غير اشباع وهذه القراءة على الشكل قراها الوليد بن مسلم وابو جعفر وشيبة ونافع في رواية وروى ابن خالويه عن ابن ابى عبلة افعيينا كذلك لكنه اتى بعد اليا المشددة بيا اخرى ساكنة وخرجها ابو حيان على لغة من يقول في عيى وحيى عى وحى بالادغام ثم لما اسند هذا الفعل وهو مدغم اعتبر لغة بكر بن وايل وهو انهم لا يفكون الادغام في مثل هذا اذا اسندوا ذلك الفعل المدغم لتا المتكلم ولا حدى اخواتها التى يسكن لها آخر الفعل فيقولون في رددت وردنا ردت وردنا وعلى هذه اللغة تكون التا مفتوحة ولم يذكر توجيه القراءة الاخرى وتوجيهها انه من عيى يعيى كحيى يحيى **فصل** عطف دلايل الافاق بعضها على بعض بحرف الواو فقال والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا ونزلنا من السماء ثم في الدليل النفسى ذكر حرف الاستفهام والفا بعدها اشارة الى ان تلك الدلايل من جنس وهذا من جنس فلم يجعل هذا تبعا لذلك ومثل هذا امر اعى في سورة يس حيث قال اولم ير الانسان انا خلقناه **فان قيل** لم لم يعطف الدليل الافقى هاهنا كما عطفه في سورة يس **فالجواب** والله اعلم ان هاهنا وجد منهم استبعاد بقولهم ذلك رجع بعيد فاستدل بالاكبر وهو خلق السموات ثم نزل كانه قال لا حاجة الى ذلك الاستدلال بل في انفسهم دليل جواز ذلك وفي سورة يس لم يذكر استبعادهم من قبل فقصد بذلك ارشادهم لا ابلاغ استبعادهم فبدا بالادنى وارتقى الى الاعلى **فصل** في تعريف الخلق الاول وتنكير

خلق

خلق جديد وجهان الاول ان الاول عرفه كل احد والخلق الجديد لم يعرفه كل احد ولم يعلم كيفيته ولان الكلام عنهم وهم لم يكونوا عالمين بالخلق الجديد الثانى ان ذلك لبيان انكارهم للخلق الثانى من كل وجه كانهم قالوا ايكون لنا خلق على وجه ما انكارا بالكلية **قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به** قوله ونعلم خبر مبتدا مضمر تقديره ونحن نعلم والجملة الاسمية حينئذ حال ولا يجوز ان يكون هو حالا بنفسه لانه مضارع مثبت باشرته الواو كذلك قوله ونحن اقرب **فصل** اذا قلنا بان الخلق الاول هو خلق السموات فهذا ابتدا استدلال بخلق الانسان وان قلنا بان الخلق الاول هو خلق الانسان فهذا تتميم للاستدلال بعد بيان خلق الانسان اولا وقوله ونعلم ما توسوس به نفسه اى تحدث به قلبه ولا يخفى علينا سرايره وضمايره **ونحن اقرب اليه** اى اعلم به من حبل الوريد لان ابعاضه تحجب بعضها بعضا ولا يحجب علم الله شى وهذا بيان لكمال علمه **قوله من حبل الوريد** كقولهم مسجد الجامع اى حبل العرق الوريد او لان الحبل اعم فاضيف للبيان نحو بعير سانية او يراد حبل العاتق فاضيف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لانهما في عضو واحد والوريد اما بمعنى الوارد واما بمعنى المورود والوريد عرق كبير في العنق يقال انهما وريدان قال الزمخشرى عرقان مكتنفان بصفحتى العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه يسمى وريدا لان الروح ترد اليه [illegible] * كان وريديه رشا خلب * وقال ابرم هو نهر الجسد هو في القلب الوتين وفي الظهر الابهر وفي الذراع والفخذ الاكحل والنسا وفي الخنصر الاسلم **قوله اذ يتلقى** ظرف لاقرب ويجوز ان يكون منصوبا باذكر والمعنى اذ يتلقى ويأخذ الملكان الموكلان بالانسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه **قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد** اى احدهما عن يمينه والاخر عن شماله فالذى عن اليمين يكتب الحسنات والذى عن الشمال يكتب السيئات وقوله **قعيد** اى قاعد فيجوز ان يكون مفردا على بابه فيكون بمعنى مفاعل كخليط بمعنى مخالط او يكون عدل به من فاعل الى فعيل مبالغة كعليم وجوز الكوفيون ان يكون فعيل واقعا موقع الاثنين اراد قعودا كالرسول يجعل للاثنين والجمع كما قال تعالى في الاثنين فقولا انا رسول رب العالمين وقال المبرد الاصل عن اليمين قعيد وعن الشمال فاخر عن موضعه وهذا لا يجى من وقوع المفرد موقع المثنى والاجود ان يدعى حذف اما من الاول اى عن اليمين قعيد واما من الثانى فيكون قعيد الملفوظ به للاول ومثله قوله * رمانى بامر كنت منه ووالدى * بريا ومن اجل الطوى رمانى * قال المفسرون اراد بالقعيد الملازم الذى لا يبرح لا القاعد الذى هو ضد القايم وقال مجاهد القعيد الرصد **قوله ما يلفظ من قول** اى ما يتكلم من كلام فيلفظه اى يرميه من فيه **الا لديه رقيب** حافظ **عتيد** حاضر وقرا العامة يلفظ بكسر الفا ومحمد بن ابى معدان بفتحها ثم رقيب عتيد وعند جماعة في قال يكتب الملكان عليه حتى انينه في مرضه وقال عكرمة لا يكتبان الا ما يوجر عليه او يوزر فيه وقال الضحاك مجلسهما تحت الشعر على الحنك ومثله عن الحسن وكان الحسن يعجبه ان ينظف عنفقته وروى ابو امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر **قوله وجاءت سكرة الموت** اى غمرته وشدته التى تغشى الانسان وتغلب على عقله **قوله بالحق** يجوز ان تكون البا للحال اى ملتبسة بالحق والمعنى بحقيقة الموت ويجوز ان تكون للتعدية وقيل بالحق من امر الاخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤول اليه امر الانسان من السعادة والشقاوة وقرا عبد الله سكرات [illegible] جاءت سكرة الموت **ذلك ما كنت منه تحيد** اى تميل من حاد عن الشى يحيد حيودا وحيودة وحيدا وقال الحسن تهرب وقال ابن عباس تكره واصل الحيد الميل يقال حدت عن الشى احيد حيدا ومحيدا اذا ملت عنه وذلك يحتمل ان يكون اشارة الى الموت وان يكون اشارة الى الحق والخطاب قيل مع النبى عليه السلام قال ابن الخطيب وهو منكر وقيل مع الكافر وهو اقرب والاقوى ان يقال هو خطاب عام مع السامع **قوله ونفخ في الصور** عطف على قوله وجاءت سكرة الموت يعنى نفخة البعث ذلك **يوم الوعيد** الذى وعد الكفار ان يعذبهم فيه قال الزمخشرى ذلك اشارة الى المصدر الذى هو قوله ونفخ اى وقت ذلك النفخ يوم الوعيد قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لان يوم لو كان منصوبا لكان ما ذكره ظاهرا واما رفع يوم فيفيد ان ذلك نفس اليوم والمصدر لا يكون نفس الزمان وانما يكون فى الزمان فالاولى ان يقال ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من قوله نفخ لان الفعل كما يدل على المصدر يدل على الزمان فكانه تعالى قال ذلك الزمان يوم الوعيد والوعيد هو الذى اوعد به من الحشر والمجازاة **قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد** قيل السائق هو الذى يسوقه الى الموقف ومنه الى مقعده والشهيد هو الكاتب والسائق لازم للبر والفاجر اما البر فيساق الى الجنة واما

الكافر وقال النار قال تعالى وسيق الذين كفروا وقال وسيق الذين اتقوا والشهيد يشهد عليها بما عملت قال الضحاك السائق من الملائكة والشاهد من انفسهم الايدى والارجل وهى رواية العوفى عن ابن عباس وقيل هما جميعا من الملائكة قوله معها سائق جملة فى موضع جر صفة لنفس او فى موضع رفع صفة لكل او فى موضع نصب حالا من كل والعامة على عدم الادغام فى معها وطلحة على الادغام محاجا مشددة وذلك انه ادغم العين فى الهاء ولا يمكن ذلك فقلب الهاء حاء ثم ادغم فيها العين فقلبها حاء وسمع ذهب محم اى معهم وقال الزمخشرى ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو فى حكم المعرفة ورد عليه ابو حيان وقال لا يقول هذا مبتدى فى النحو لانه لو نعت كل نفس ما نعت الا بالنكرة قال شهاب الدين وهذا منه غير مرضى اذ يعلم انه لم يرد حقيقة ما قاله قوله لقد كنت اى يقال له لقد كنت والقول اما صفة او حال والعامة على فتح التاء فى كنت والكاف فى غطاءك وبصرك حملا على لفظ كل من التذكير والجحدرى كنت بالكسر مخاطبة للنفس وهو وطلحة بن مصرف عنك غطاءك فبصرك بالكسر مراعاة للنفس ايضا ولم ينقل صاحب اللوامح الكسر فى الكاف عن الجحدرى وعلى الجملة فيكون قد راعى اللفظ مرة والمعنى اخرى فصل والمعنى لقد كنت فى غفلة من هذا اليوم فكشفنا عنك غطاءك الذى كان فى الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك فبصرك اليوم حديد نافذ تبصر ما كنت تنكر فى الدنيا وقال مجاهد يعنى نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك والمعنى ازلنا غفلتك عنك فبصرك اليوم حديد وكان من قبل كليلا قوله وقال قرينه هذا ما لدى قيل المراد بالقرين الموكل به وهو السائق والشهيد الذى سبق ذكره هذا ما الذى عتيد يريد كتاب اعماله معه محضر وقيل المراد بالقرين الشيطان الذى زين له الكفر والعصيان بدليل قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء وقال نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال تعالى فبئس القرين فالاشارة بهذا الى المسوق المرتكب للفجور والفسوق والعتيد معناه المعد للنار ومعناه ان الشيطان يقول هذا العاصى شىء عندى معتد لجهنم اعتدته لها بالاغواء والاضلال قوله ما لدى عتيد يجوز ان تكون ما نكرة موصوفة وعتيد صفتها ولدى متعلق بعتيد اى هذا شىء عتيد لدى اى حاضر عندى ويجوز على هذا ان يكون لدى وصفا لما وعتيد صفة ثانية او خبر مبتدا محذوف اى هو عتيد ويجوز ان تكون موصولة بمعنى الذى ولدى صلتها وعتيد خبر الموصول والموصول وصلته خبر الاشارة ويجوز ان تكون ما بدلا من هذا موصولة كانت او موصوفة بلدى وعتيد خبر هذا وجوز الزمخشرى فى عتيد ان يكون بدلا او خبرا بعد خبر او خبر مبتدا محذوف والعامة على رفعه وعبد الله نصبه على الحال والاجود حينئذ ان تكون ما موصولة لانها معرفة والمعرفة يكثر مجى الحال منها قال ابو البقاء ولو جاء ذلك فى غير القرآن لجاز نصبه على الحال كانه لم يطلع عليها قراءة قوله القيا فى جهنم اختلفوا اهل المامور واحد او اثنان فقيل واحد وانما بصيغة الاثنين دلالة على تكرير الفعل كانه قيل الق الق وقيل المراد الفعل بالنون الخفيفة فابدلها الفا اجراء للوصل مجرى الوقف ويؤيده قراءة الحسن القين بالنون وقيل العرب تخاطب الواحد مخاطبة الاثنين تاكيدا لقوله

فقال تزجرانى يا ابن عفان ازدجر ... وان تدعانى احم عرضا ممنعا

وقال آخر

فقلت لصاحبى لا تحبسانا ... بنزع اصوله واجتز شيحا

وقيل المامور مثنى وهذا هو الحق لان المراد ملكان يفعلان ذلك قوله كل كفار عنيد الكفار يحتمل ان يكون من الكفر فيكون بمعنى شديد الكفر لان الشدة فى اللفظ يدل على شدة فى المعنى والعنيد فعيل بمعنى فاعل من عند عنودا ومنه العناد والمعنى عاص معرض عن الحق وقال عكرمة ومجاهد مجانب للحق معاند لله قوله مناع للخير اى كثير المنع للمال والواجب من الزكاة وقيل كل حق واجب فى ماله هذا اذا قلنا ان الكفار هو المنكر نعم الله وان قلنا هو من الكفر فهو الذى انكر دلائل وحدانية الله تعالى مع قوتها وظهورها فكان شديدا لكفر عنيدا حيث انكر الحق الواضح فهو مناع شديد المنع من الايمان فهو مناع للخير وهو الايمان الذى هو خير محض كانه يقول كفر بالله ولم يقنع بكفره حتى منع الخير من الغير قوله معتد قال فسرنا المناع بمناع الزكاة فمعناه لم يؤد الواجب وتعدى ذلك حتى اخذ الحرام ايضا بالربا كما كان عادة المشركين وان كان المناع بمعنى منع الايمان فكانه يقول منع الايمان ولم يقنع به حتى تعداه واهان من امن وآذاه واعان من كفر وآواه قال المفسرون هو الظالم الذى لا يقر بتوحيد الله وقوله مريب اى شاك فى التوحيد ومعناه داخل فى الريب وقيل موضع للتغير فى الريب بالقاء الشبه وان قيل بان المناع مناع الزكاة فمعناه لا يعطى الزكاة لانه فى ريب من الآخرة والثواب قال ابن الخطيب وفيه ترتيب آخر وهو ان يقال هذا بيان احوال الكافر بالنسبة الى الله والى الرسول والى اليوم الآخر فقوله كفار عنيد اشارة الى حاله مع الله يكفر به ويعاند اياته وقوله مناع للخير معتد اشارة الى حاله مع الرسول يمنع الناس من اتباعه ومن الانفاق على من

عنده ويتعدى بالايذاء وقوله مريب اشارة الى حاله بالنسبة الى اليوم الآخر اى يرتاب فيه ولا يظن ان الساعة قائمة قوله الذى جعل يجوز ان يكون منصوبا على الذم او على البدل من كل وان يكون مجرورا بدلا من كفار او مرفوعا بالابتداء والخبر فالقياه قيل دخلت الفاء لشبهه بالشرط ويجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اى هو الذى جعل ويكون فالقياه تاكيدا وجوز ابن عطية ان يكون صفة لكفار قال من حيث يختص بالاوصاف المذكورة فجاز وصفه بهذه المعرفة وهذا مردود وقرئ بفتح التنوين فى مريب فرارا من توالى اربع متجانسات قوله قال قرينه بخلاف التى قبلها فانها عطفت على ما قبلها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها فى الحصول اعنى مجىء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال استيناف ايضا كانه قيل فماذا قال الله له فاجيب بقال لا تختصموا الذى قوله لا تختصموا الاختصام كان ينبغى ان يكون قبل الحضور والوقوف بين يدى وقوله الذى يفيد مفهومه ان وذلك ان النهى فى الآخرة وتقدمة الوعيد فى الدنيا فاختلف الزمان فكيف يصح جعلها حالية قوله وقد قدمت جملة حالية ولا بد من تاويلها المعنى وقد صح انى قدمت وزمان الصحة وزمان النهى واحد وقدمت يجوز ان يكون بمعنى تقدمت فيكون الباء للحال ولا بد من حذف مضاف اى وقد تقدم قولى لكم ملتبسا بالوعيد ويجوز ان يكون قدمت على حاله متعديا والباء مزيدة فى المفعول اى قدمت اليكم الوعيد كقوله تعالى تنبت بالدهن على قول من قال يوم يأتيها هنالك هنا كقوله اشترت العرس بلجامه وسرجه اى معه فكانه تعالى قال قدمت اليكم ما يجب مع الوعيد على تركه والانذار وقيل الباء للمصاحبة قوله ما يبدل القول لدى اى لا تبديل لقولى وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وقيل المعنى ما يبدل القول لدى اى ما يكذب عندى ولا يغير القول عن وجهه لانى اعلم الغيب وهذا قول الكلبى ومقاتل واختيار الفراء لانه قال ما يبدل القول لدى ولم يقل ما يبدل قولى وقيل معناه لا يبدل القول السابق ان هذا شقى وهذا سعيد حين خلقت العباد فذلك القول عندى لا تبديل له بسعى ساع وهذا رد على الجهمية المرجئة حيث قالوا ما ورد فى القرآن من الوعيد فهو تخويف لا يحقق الله منه شيئا وقالوا الكريم اذا وعد اخبر وفى واذا اوعد اخلف وعفا وقيل المعنى ما يبدل الكفر بالايمان لدى كان الايمان عند القيام بين يدى الله فى القيامة غير مقبول فقوله ما يبدل القول لدى اشارة الى نفى الحال كانه قال ما يبدل اليوم لدى القول لان ما اذا دخلت على المضارع ينفى بها الحال تقول ماذا يفعل زيد فى بيته فيقال ما يفعل شيئا اى فى الحال فاذا اردت ما يفعل غدا قيل لا يفعل شيئا او لن يفعل شيئا اذا اريد زيادة بيان النفى قوله وما انا بظلام للعبيد اى فاعاقبهم بغير جرم واعلم ان الظلام مبالغة فى الظالم ويلزم من اثباته اثبات اصل الظلم فاذا قال القائل هو كذاب يلزم ان يكون كثير الكذب ولا يلزم من نفيه نفى اصل الكذب لجواز ان يقال ليس بكذاب كثير الكذب لكنه يكذب احيانا فقوله وما انا بظلام يفهم منه نفى اصل الظلم وان الله ليس بظالم فالوجه فى ذلك من وجوه الاول ان الظلام بمعنى الظالم كالتمار بمعنى التامر فيكون اللام فى قوله للعبيد لتحقيق النسبة لان الفعال حينئذ بمعنى ذى ظلم الثانى قال الزمخشرى ان ذلك امر تقديرى كانه تعالى يقول لو ظلمت عبدى الضعيف الذى هو محل الرحمة لكان ذلك غاية الظلم وما انا بذلك فيلزم من نفى كونه ظلاما نفى كونه ظالما ويحقق هذا الوجه اظهار لفظ العبيد حيث قال وما انا بظلام للعبيد اى فى ذلك اليوم الذى املأ فيه جهنم مع سعتها حتى تصيح وتقول لم يبق لى طاقة بهم ولم يبق فى موضع لهم فهل من مزيد استفهام استنكار الثالث انه لمقابلة الجمع بالجمع والمعنى ان ذلك اليوم مع انى القى فى جهنم عددا لا حصر له لا اكون بسبب كثرة التعذيب كثير الظلم فانه قال وما انا بظلام للعبيد يوم نقول ولم يقل ما انا بظلام فى جميع الازمان وخصص بالعبيد حيث قال وما انا بظلام للعبيد يوم نقول ولم يطلق فكذلك خصص النفى بنوع من انواع الظلم ولم يطلق ولم يلزم منه ان يكون ظالما فى غير ذلك الوقت وبقية الاجوبة مذكورة فى آل عمران عند قوله بظلام للعبيد كذا ابن عادل فصل هذه الآية تدل على ان التخصيص بالذكر لا يدل على نفى ما عداه لانه نفى كونه ظلاما ولم يلزم منه كونه ظالما ونفى كونه ظلاما للعبيد ولم يلزم منه كونه ظلاما لغيرهم قوله يوم نقول يوم منصوب اما بظلام واما بمفهوم من هذا لانه اذا لم يظلم فى هذا اليوم فنفى الظلم عنه فى غيره احرى او بقوله ونفخ فى الصور والاشارة بذلك الى يوم نقول قاله الزمخشرى واستبعده ابو حيان لكثرة الفواصل او باذكر مقدرا او بانذر وهو على هذين الاخيرين مفعول به لا ظرف وقرأ نافع وابو بكر يقول بالياء على الغيبة والفاعل الله تعالى لتقدم ذكره فى قوله لدى وقد قدمت والاعمش يقال مبنيا للمفعول وقوله هل امتلأت وذلك لما سبق من وعده اياها انه يملأها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله عز وجل لتصديق خبره وتحقيق وعده قوله هل من مزيد سؤال تقرير وتوقيف وقيل معناه النفى وقيل السؤال لخزنتها والجواب منهم فلا بد من حذف مضاف اى نقول لخزنة جهنم ويقولون ثم يحذف والمزيد ان يكون مصدرا وان يكون اسم مفعول اى شىء نزيده وبه احرقه فصل قال المفسرون معنى قوله هل من مزيد

اى قد امتلات ولم يبق فى موضع لم يمتلى فهو استفهام انكار بمعنى الاستزاده رواه ابو صالح عن ابن عباس وعلى هذا يكون
السؤال وهو قوله هل امتلات قبل دخول جميع اهلها فيها روى عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين فلما سيق اعدا الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملاها فتقول الست
قد اقسمت لتملانى فيضع قدمه عليها ثم يقول هل امتلات فتقول قط قط قد امتلات وليس فى مزيد
قوله وازلفت الجنة قربت وادنيت وقوله غير بعيد يجوز ان يكون حالا من الجنة ولم يونث لانه بمعنى البستان
او لان فعيلا لا يونث لانه بزنة المصادر قاله الزمخشرى ومنعه ابو حيان وقد تقدم فى قوله ان رحمة الله قريب
ويجوز ان يكون منصوبا على الظرف المكانى اى مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اى ازلافا
غير بعيد وهو ظاهر عبارة الزمخشرى فانه قال او شيا غير بعيد فان قيل ما وجه التقريب مع ان الجنة مكان
والامكنة يقرب منها ولا تقرب فالجواب من وجوه الاول ان الجنة لا تزال ولا يومر المومن فى
ذلك اليوم بالانتقال اليها مع بعدها لكن الله تعالى يطوى المسافة التى بين المومن والجنة فهو التقريب
فان قيل فعلى هذا ليس ازلاف الجنة من المومن باولى من ازلاف المومن من الجنة فما فايدة قوله ازلفت
الجنة فالجواب ان ذلك اكراما للمومن وبيان لشرفه وانه ممن يمشى اليه الثانى قرب من الحصول
فى الدخول لا بمعنى القرب المكانى الثالث ان الله تعالى قادر على نقل الجنة من السما الى الارض فيقربها
للمومن قوله هذا ما توعدون هذه الجملة يجوز فيها وجهان احدهما ان تكون معترضة بين البدل والمبدل
منه وذلك ان لكل اواب بدل من المتقين باعادة العامل والثانى ان تكون منصوبة بقول مضمر
ذلك القول منصوب على الحال اى مقولا لهم وقد تقدم فى ص انه قرى يوعدون بالياء والتاء ونسب
ابو حيان قراءة اليا من تحت هنا لابن كثير وابى عمرو وانما هى عن ابن كثير وحده قوله من خشى يجوز ان
يكون مجرور المحل بدلا او بيانا لكل وقال الزمخشرى يجوز ان يكون بدلا بعد بدل تابعا لكل انتهى يعنى انه بدل من
كل لكن من المتقين ولم يجعله بدلا اخر من نفس المتقين لانه لا يتكرر البدل والمبدل منه واحد ويجوز ان يكون
بدلا من موصوف اواب وحفيظ قاله الزمخشرى يعنى ان الاصل لكل شخص اواب فيكون من خشى بدلا من شخص
المقدر قال ولا يجوز ان يكون فى حكم اواب وحفيظ لان من يوصف بها ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذى
يعنى بقوله فى حكم اواب ان يجعل من صفة وهذا كما قال لا يجوز الا ان ابا حيان استدرك عليه الحصر
وقال بل يوصف بغير الذى من الموصولات كوصفهم بما فيه ال الموصوله نحو الضارب والمضروب
وكوصفهم بذو وذات الطائيين نحو قولهم بالفضل ذو فضلكم الله به والكرامة ذات اكرمكم الله به وقد جوز
ابن عطية فى من خشى ان تكون نعتا لما تقدم وهو مردود بما تقدم ويجوز ان يرتفع من خشى على خبر
ابتدا مضمر او ينتصب بفعل مضمر وكلاهما على القطع المشعر بالمدح وان يكون مبتدا خبره قول مضمر
ناصب لقوله ادخلوها اى من خشى الرحمن يقال لهم ادخلوها وحمل اولا على اللفظ وفى الثانية على المعنى
وقيل من خشى منادى حذف منه حرف الندا اى يا من خشى ادخلوها قاله عنبار الحلبى المنقدم من وحذف
حرف الندا سايغ وان تكون شرطية وجوابها محذوف وهو ذلك القول ولكن دعه فا اى فيقال لهم
وبالغيب حال اى غايبا عنه فيحتمل ان تكون حالا من الفاعل او المفعول او منهما وقيل البا للسببية اى
خشيه بسببية الغيب الذى اوعده من عذابه ويجوز ان يكون صفة لمصدر خشى اى خشيه خشية
ملتبسة بالغيب فصل قال ابن الخطيب اذا كان من والذى يشتركان فى كونهما من الموصولات
فلم لا يشتركان فى جواز الوصف بهما فنقول ما اسم مبهم يقع على كل شى فمفهومه هو شى لكن الشى هو
اعم الاشيا فان الجوهر شى والعرض شى والواجب شى والممكن شى والاعم قبل الاخص فى الفهم لانك
اذا رايت شيا من البعد تقول اولا انه شى ثم اذا ظهر لك ما يختص بالناس يقول انسان فاذا بان
لك انه ذكر قلت انه رجل فاذا وجدته ذا قوة تقول شجاع الى غير ذلك فالاعم اعرف وهو قبل الاخص
فى الفهم فلا يجوز ان يكون صفة لان الصفة بعد الموصوف هذا من حيث المعقول واما من حيث
النحو فلان الحقايق لا يوصف بها فلا يقال جسم رجل جانى كما يقال جسم ناطق جانى لان الوصف
يقوم بالموصوف والحقيقة تقوم بنفسها لا بغيرها فقولنا عالم اى شى له علم فصل والخشية
والخوف معناهما واحد عند اهل اللغة لكن بينهما فرق وهو ان الخشية خوف من عظمة المخشى لان تركيب
حروف ش ى خ فى تقاليبها يلزمه معنى الهيبة يقال شيخ للسيد وللرجل الكبير السن وكلاهما جميعا
مهيبان والخوف خشية من ضعف الخاشى لان تركيب خ و ف فى تقاليبها تدل على الضعف
ويدل على ذلك انه حيث كان الخوف من عظمة المخشى قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلما

وقال

وقال لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وقال وهم من خشيته مشفقون
مع ان الملايكة والجبل اقويا وحيث كان الخوف من ضعف الخاشى سماه خوفا قال تعالى لا تخافوا ولا تحزنوا
اى بسبب مكروه يلحقكم فى الاخرة وقال تعالى خايفا يترقب وقال انى اخاف ان يقتلون لوحدته وضعف
هذا فى اكثر الاستعمال وربما يتخلف فصل معنى الاية من خاف الرحمن فاطاعه بالغيب ولم يره وقال
الضحاك والسدى يعنى فى الخلوة حيث لا يراه احد قال الحسن اذا ارخى الستر واغلق الباب وجا بقلب
منيب هذه صفة مدح لان شان الخايف ان يهرب فاما المتقى فجاوبه لعلمه انه لا ينجى الفرار منه وقوله منيب
اى مخلص مقبل على طاعة الله تعالى والبا فى بقلب اما للتعدية واما للمصاحبة واما للسببية والقلب المنيب
كالقلب السليم فى قوله تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم اى سليم من الشرك قوله ادخلوها بسلام الجار والمجرور
حال من فاعل ادخلوها اى سالمين من الافات فهى حال مقارنة او مسلما عليكم فهى حال مقدرة كقوله تعالى
فادخلوها خالدين كذا قيل وفيه نظر اذ لا مانع من مقارنة تسليم الملايكة عليهم حال الدخول بخلاف
فادخلوها خالدين لانه لا يعقل الخلود الا بعد الدخول والضمير فى ادخلوها عايد الى الجنة اى ادخلوا
الجنة بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملايكته عليهم قوله ذلك يوم الخلود قال ابو البقا
اى زمن ذلك يوم الخلود لانه جعل ذلك اشارة الى ما تقدم من انعام الله عليهم بما ذكر وقيل ذلك مشار به
لما بعده من الزمان كقولك هذا زيد قال الزمخشرى فى قوله يوم الخلود اضمار تقديره ذلك يوم تقدير
الخلود ويحتمل ان يقال اليوم يذكر ويراد به الزمان المطلق سوا كان يوما او ليلا تقول يوم يولد للفلان
يكون السرور العظيم ولو ولد له بالليل لكان السرور حاصلا فالمراد به الزمان فكانه تعالى قال ذلك
زمان الاقامة الدايمة فان قيل المومن قد علم انه اذا دخل الجنة خلد فيها فما فايدة القول فالجواب
من وجهين الاول ان قوله ذلك يوم الخلود قول قاله الله فى الدنيا اعلاما واخبارا وليس ذلك قولا
يقوله عند قوله ادخلوها فكانه تعالى قال اخبرنى يوما ان ذلك اليوم يوم الخلود الثانى ان اطمينان
القلب بالقول اكثر قوله لهم ما يشاوون فيها يجوز ان يتعلق فيها بيشاوون ويجوز ان يكون حالا من الموصول
او من عايده والاول اولى فصل ما الحكمة فى ان الله تعالى قال ادخلوها بسلام على المخاطبة ثم قال لهم
ولم يقل لكم فالجواب من وجوه الاول ان قوله تعالى ادخلوها تقديره مقولا اى فيقال لهم ادخلوها
فلا يكون التفاتا الثانى انه التفات والحكمة الجمع بين الطرفين كانه قيل تعالى يقول عند حلولهم فى غيبتهم
وحضورهم ففى حضورهم الحبور وفى غيبتهم الحور والقصور الثالث انه يجوز ان يكون قوله تعالى لهم
كلاما مع الملايكة يقول للملايكة توكلوا بخدمتهم واعلموا ان لهم ما يشاوون فيها فاحضروا بين ايديهم
ما يشاوون واما انا فعندى ما لا خطر ببالهم ولا تقدرون انتم عليه والمزيد يحتمل ان يكون معناه الزيادة
كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة ويحتمل ان يكون بمعنى المفعول اى عندنا ما نزيده على ما يرجون
ويامرون قال انس وجابر هو النظر الى وجه الله الكريم قوله وكم اهلكنا كم نصب بما بعدها وخبرها اما لانه استفهام
واما لان كم الخبرية تجرى مجرى الاستفهامية فى التصدير قوله هم اشد تمييز صفة لكم واما لقرن قوله فنقبوا
الفا عاطفة على المعنى كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا والضمير فى نقبوا اما للقرون المتقدمة وهو الظاهر
واما لقريش ويويده قراءة ابن عباس وابن يعمر وابى العالية ونصر بن سيار وابى حيوة والاصمعى عن ابى
عمرو فنقبوا بكسر القاف امرا لهم بذلك والتنقيب التنقير والتفتيش ومعناه التطواف فى البلاد
قال الحرث بن حلزه نقبوا فى البلاد من حذر الموت وجالوا فى الارض كل مجال وقال امرء القيس
وقد نقبت فى الافاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب وقرا ابن عباس وابو
عمرو ايضا فى رواية نقبوا بفتح القاف خفيفة ومعناها ما تقدم وقرى نقبوا بكسرها خفيفة اى
نقبت اقدامهم واخفافهم ويدل على ذلك كثرة تطوافهم قوله هل من محيص
مبتدا وخبره مضمر تقديره هل لهم سلك طريقهم او هل لهم من محيص وهذه الجملة يحتمل ان تكون على
اضمار قول وان لا تكون فصل المعنى فنقبوا اى فضربوا وسافروا وتقلبوا وطافوا واصله من
النقب وهو الطريق كانهم سلكوا كل طريق فلم يجدوا محيصا من امر الله وهم قوم ثمود الذين جابوا
الصخر بالواد اى من قوتهم خرقوا الطريق ونقبوها وقطعوا الصخور وقيل هل من محيص مفر من
الموت فلم يجدوا وهذا جمع بين الانذار والعذاب العاجل والعقاب الاجل لانه انذرهم بما يعجل لهم
من العذاب المهلك والاهلاك المدرك وهذا انذار لاهل مكة لانهم على مثل سبيلهم فان قيل اذا كان ذلك
للجمع بين الانذار بالعذاب الاجل والعقاب الاجل فلم توسطهما قوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين فالجواب

ليكون ذلك دعاءً بالخوف والطمع فذكر حال الكفور ترغيباً وترهيباً فان قيل فلم لم يجمع بين الترهيب
والترغيب في العاجلة كما جمع بينهما في الآجلة ولم يذكر حال من اسلم من قبل وانعم عليه كما ذكر حال من اشرك به
فاهلكه فالجواب ان النعمة كانت قد وصلت اليهم وكانوا متقلبين في النعم فلم يذكرهم به وانما كانوا غافلين
عن الهلاك فانذرهم به واما في الآخرة فكانوا غافلين عن الامرين جميعاً فاخبرهم بهما وقوله هل من محيص استفهام
بمعنى الانكار اي لم يكن لهم محيص وقيل هو كلام مستأنف كانه تعالى يقول لقوم محمد عليه السلام انهم اهلكوا مع قوة
بطشهم فهل من محيص لكم تعتمدون عليه ومن قرأ نقبوا بالتشديد فهو معقول اي بحثوا عن المحيص هل من محيص والمحيص
كالمحيد غير ان المحيص معدل ومهرب عن الشدائد بدليل قولهم وقعوا في حيص بيص اي في شدة وضيق والمحيد معدل وان
كان بالاختيار يقال حاد عن الطريق بطرا ولا يقال حاد عن الامر بطرا قوله ان في ذلك لذكرى ذلك اشارة الى
الاهلاك او الى ازلاف الجنة والذكرى مصدر اي تذكرة وعظة لمن كان له قلب قال ابن عباس اي عقل قال
الفراء هذا جائز في العربية تقول ما لك قلب ولا قلبك معك اي ما عقلك معك وقيل له قلب حاضر مع الله وقيل
قلب واعي وذلك ان من لا يتذكر كانه لا قلب له ومنه قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اي هم كالجماد وقوله
تعالى كانهم خشب مسندة اي لهم صور وليس لهم قلب ولا لسان للشكر قوله او القى السمع العامة على القى مبنيا
للفاعل والسلمي وطلحة والسدي وابو البرهسم القي مبنيا للمفعول السمع رفع به وذكرت هذه القراءة لعاصم
عن السدي ممنعة وقال ابن بيس يقول بقول السمع والقى السمع كناية عن الاستماع لان الذي لا يسمع كانه حفظ
سمعه فامسكه والمعنى استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره تقول العرب الق الي سمعك
اي استمع او يكون معناه لمن كان له قلب فقصد الاستماع او القى السمع بان ارسله وان لم يقصد السماع وهو
شهيد حاضر الذهن ويحتمل ان يقال الاشارة بذلك الى القرآن في اول السورة اي في القرآن الذي سبق ذكره ذكرى
لمن له قلب او لمن استمع ويكون معنى وهو شهيد اي المنذر الذي تعجبتم منه هو شهيد عليكم كقوله انا ارسلناك
شاهدا قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام اعاد الدليل مرة اخرى وقد مر
تفسيره في الم السجدة قيل ان هذا رد على اليهود في قولهم ان الله سبحانه استراح يوم السبت والظاهر انها رد على
المشركين اي لم يعي عن الخلق الاول فكيف يعجز عن الاعادة قال ابن الخطيب واشار بقوله في ستة ايام الى ستة
اطوار لان المراد من الايام لا يمكن ان يكون هو المفهوم من وضع اللغة لان اليوم عبارة عن زمان مكث الشمس
فوق الارض من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم يطلق ويراد به الوقت
يقال يوم يولد للملك ابن يكون سرور عظيم ويوم يموت فلان يكون حزن شديد وان اتفقت الولادة او الموت
ليلا لا يتغير ذلك ويدخل في مراد القائل لانه اراد باليوم مجرد الوقت قوله وما مسنا من لغوب يجوز ان يكون حالا
وان يكون مستأنفا والعامة على ضم لام اللغوب وعلي وطلحة والسلمي ويعقوب بفتحها وهما مصدران بمعنى وينبغي
ان يضم هذا الى ما حكاه سيبويه من المصادر الجائية على هذا الوزن وهي خمسة والى ما زاده الكسائي وهو
الوزوع فتصير ستة وقد تقدم هذا في البقرة عند قوله وقودها واللغوب العناء والتعب قوله فاصبر
على ما يقولون من كذبهم وقولهم بالاستراحة او على قولهم ان هذا الشيء عجيب وهذا قبل الامر بقتالهم وسبح بحمد
ربك قيل هذا امر للنبي عليه السلام بالصلاة كقوله تعالى اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل وقوله
قبل طلوع الشمس وقبل الغروب اشارة الى طرفي النهار وقوله ومن الليل فسبحه اشارة الى زلفا من الليل
وتقريره انه عليه السلام كان مشتغلا بامرين احدهما عبادة الله والثاني هداية الخلق فاذا لم يهتدوا
قيل له اقبل على شغلك الآخر وهو العبادة وقيل معنى سبح بحمد ربك اي نزهه عما يقولون ولا تسأم من
تذكيرهم بعظمة الله بل نزهه عن الشرك والعجز عن الممكن وهو الحشر قبل الطلوع وقبل الغروب فانهما وقتا
اجتماعهم ويكون المراد بقوله ومن الليل اول الليل لانه ايضا وقت اجتماعهم وقيل المعنى قل سبحان الله لان الفاظا
جاءت بمعنى التلفظ بكلامهم كقولهم كبّر لمن قال الله اكبر وسلّم لمن قال السلام عليكم وحمد لمن قال الحمد
لله وهلل لمن قال لا اله الا الله وسبح لمن قال سبحان الله وذلك ان هذه امور تتكرر من الانسان والكلام
في الحاجة تدعو الى الاخبار عنها فلو قال القائل فلان قال لا اله الا الله لطال الكلام فدعت الحاجة
الى استعمال لفظة واحدة مفيدة للكلام فقالوا هلل بخلاف قولهم زيد في السوق فان من قال زيد في
السوق واراد ان يخبر عنه بذلك لا يجد لفظا واحدا مفيدا لذلك لعدم تكرره ومناسبة هذا الوجه
هي ان تكذيبهم وانكارهم يقتضي مقابلتهم باللعن فقيل له اصبر عليهم واجعل بدل الدعاء عليهم التسبيح
لله والحمد له ولا تكن كصاحب الحوت او كنوح عليهما السلام حيث قال رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا فصل وقد استعمل التسبيح مع الباء ومع اللام وبدونهما فان قلنا ان المراد بالتسبيح الصلوات

فيحتمل ان يكون المراد بحمد ربك الامر بقراءة الفاتحة كقولك صلى فلان بسورة كذا وهذا بعيد وان قلنا المراد قل سبحان
الله فالباء للمصاحبة وكذلك ان قلنا معناه التنزيه اي نزهه واحمده حيث وفقك للتسبيح فيكون المفعول محذوفا
للعلم به اي نزه الله بحمد ربك اي متلبسا او مقترنا بحمد ربك واما اللام فاما ان تكون من باب شكرته ونصحته واما
ان يكون معناها خالصا لله واما تعديته بنفسه فهو الاصل واعاد الامر بالتسبيح اما تاكيدا واما ان يكون الاول
بمعنى الصلاة والثاني بمعنى التنزيه والذكر ودخلت الفاء لان المعنى واما من الليل فسبحه ولما ذكر اوقات
الصلاة ذكر ادبار السجود لتعم الاوقات فيكون كقوله فاذا فرغت فانصب ومن اما لابتداء الغاية اي من
اول الليل واما للتبعيض فصل قال المفسرون قبل طلوع الشمس يعني صلاة الصبح وقبل الغروب يعني العصر
وروي عن ابن عباس قبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل فسبحه يعني صلاة المغرب والعشاء ومن الليل
يعني صلاة الليل اي وقت صلى قوله وادبار السجود قرأ نافع وابن كثير وحمزة ادبار بكسر الهمزة على انه
مصدر قام مقام ظرف الزمان كقولهم آتيك خفوق النجم وخلافة الحجاج ومعنى وقت ادبار الصلاة اي انقضائها
وتمامها والباقون بالفتح جمع دبر وهو آخر الصلاة وعقبها ومنه قول اوس

على دبر الشهر الحرام فارضنا … وما حولها جدب سنون تلمع

ولم يختلفوا في وادبار النجوم وقوله وادبار معطوف اما على قبل الغروب واما على ومن الليل قوله تعالى واستمع هو
استماع على بابه وقيل بمعنى الانتظار وهو بعيد فعلى الاول يجوز ان يكون المفعول محذوفا اي استمع نداء
المنادي او نداء الكافر بالويل والثبور فعلى هذا يكون يوم ينادي ظرفا لاستمع اي استمع ذلك في يوم وقيل
استمع ما اقول لك فعلى هذا يكون يوم ينادي منصوبا بيخرجون مقدرا مدلولا عليه بقوله ذلك يوم الخروج
وعلى الثاني يكون يوم ينادي مفعولا به اي انتظر ذلك اليوم ووقف ابن كثير على ينادي بالياء والباقون
دونها ووجه اثباتها انه لا مقتضي لحذفها ووجه حذفها وقفا اتباع الرسم وكان الوقف محل تخفيف
واما المنادي فاثبت ابن كثير ايضا ياءه وصلا ووقفا ونافع وابو عمرو باثباتها وصلا وحذفها وقفا وباقي السبعة
بحذفها وصلا ووقفا فمن اثبته فلانه الاصل ومن حذف فلاتباع الرسم ومن خص الوقف بالحذف فلانه
محل راحة ومحل تغيير فصل في ما يستمعه وجوه الاول ان يكون مفعوله محذوفا واصلا المقصود كن مستمعا
ولا تكن مثل هؤلاء المعرضين الغافلين يقال هو رجل سميع مطيع ولا يراد مسموع بعينه والثاني استمع ما يوحى
اليك والثالث استمع نداء المنادي فان قيل استمع عطف على فاصبر وسبح وهو في الدنيا والاستماع يكون في
الدنيا وما يوحى يوم ينادي المنادي لا يسمع في الدنيا فالجواب انه لا يلزم ذلك لجواز ان يقال صل واطلب الجنة
اي صل في الدنيا وادخل الجنة في العقبى فكذا ههنا ويحتمل ان يكون استمع بمعنى انتظر ويحتمل ان يكون المراد
تأهب لهذه الصيحة لئلا يفجأك فتجيء والمراد بالمنادي اما الله تعالى بقوله احشروا الذين ظلموا او بقوله
القيا في جهنم او بقوله اين شركاي ويحتمل ان يكون المراد بالمنادي اسرافيل قال مقاتل ينادي اسرافيل
بالحشر يا ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركم
ان تجتمعوا لفصل القضاء او يكون النداء للنفس يقال يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك او ينادي المنادي
هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار ويحتمل ان يكون المنادي هو المكلف لقوله ونادوا يا مالك والظاهر الاول لان اللام
للعهد والتعريف والمعهود السابق قوله القيا في جهنم وقوله من مكان قريب اي لا يخفى على احد وقيل من
صخرة بيت المقدس وهي وسط الارض قال الكلبي هي اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا قوله يوم يسمعون
بدل من يوم ينادي وبالحق حال من الصيحة اي متلبسة بالحق او من الفاعل اي يسمعون متلبسين بسماع حق
قوله ذلك يوم الخروج ويجوز ان يكون التقدير ذلك الوقت اي وقت النداء والسماع يوم الخروج ويجوز
ان يكون ذلك اشارة الى النداء ويكون قد اتسع في الظرف فاخبر به عن المصدر او يقدر مضاف اي ذلك النداء
والاستماع نداء يوم الخروج واستماعه واللام في الصيحة للتعريف لقوله ان كانت الا صيحة واحدة والمراد بالحق
الحشر او اليقين يقال صاح فلان بيقين لا بظن وتخمين اي وجد منه الصياح يقينا لا كالصدى وغيره او يكون
المراد المخبر به بالحق يقال اذهب بالسلامة وارجع بالسعادة اي مقرونا ومصحوبا وقيل بالحق قسم اي
يسمعون الصيحة بالله والحق وهو ضعيف وقوله ذلك يوم الخروج اي من القبور قوله انا نحن نحيي تقدم
الكلام على قوله انا نحن في سورة يس واما قوله نحيي ونميت فالمراد من الاحياء الاحياء اولا ونميت اشارة الى الموتة
الاولى والينا المصير بيان للحشر وهذا اشارة الى قدرته على الحشر قوله يوم تشقق يوم يجوز ان يكون بدلا
من يوم قبله وقال ابو البقاء انه بدل من يوم الاول وفيه نظر من حيث تعدد البدل والمبدل منه واحد
وقد تقدم ان الزمخشري منعه ويجوز ان يكون اليوم ظرفا للمصير اي يصير الينا يوم تشقق الارض وقيل

ظرف للخروج وقيل منصوب بيخرجون مقدراً وتقدم الخلاف في تشقق في الفرقان وقرأ زيد بن علي تنشقق بفك الإدغام
قوله سراعاً حال من الضمير في عنهم والعامل فيها تشقق وقيل عاملها هو العامل في يوم تشقق المقدر أي يخرجون
سراعاً يوم تشقق لأن قوله تعالى عنهم يفيد كونهم مفعولين بالتشقق وكان التشقق عدي بحرف الجر كما يقال
كشفت عنه فهو مكشوف عنه فيصير سراعاً هيئة المفعول كأنه قال مسرعين والسراع جمع سريع ككرام
جمع كريم وقوله ذلك يحتمل أن يكون إشارة إلى التشقق عنهم أو إشارة إلى الإخراج المدلول عليه بقوله
سراعاً ويحتمل أن يكون معناه ذلك الحشر حشر يسير والحشر الجمع قوله علينا متعلق بيسير ففصل بمعمول
الصفة بينها وبين موصوفها ولا يضر ذلك ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال منه لأنه في الأصل يجوز أن
يكون نعتاً وقال الزمخشري التقديم للاختصاص أي لا يتيسر ذلك إلا على الله وحده أي هو علينا هين لا على
غيرنا وهو إعادة جواب فهم ذلك رجع بعيد قوله نحن أعلم بما يقولون يعني كفار مكة في تكذيبك وهذا تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون تهديداً وتخويفاً لأن قوله وإلينا المصير ظاهر في التهديد وبالعلم
يكمل ونظيره قوله تعالى ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور ويحتمل أن يكون
تقريراً لأمر الحشر بالعلم لأنه لما بين أن الحشر عليه يسير لكمال قدرته ونفوذ إرادته ولكن تمام ذلك
بالعلم الشامل حتى يميز جزء بدن زيد وجزء بدن عمرو فقال ذلك حشر علينا يسير لكمال قدرتنا ولا يخفى علينا
الأجزاء لكمال علمنا وقوله أعلم إما للتثبت للمشاركة في أصل الفعل كقوله وهو أهون عليه أو معناه ونحن أعلم
به من كل عالم بما يعلمه قوله وما أنت عليهم بجبار أي بمسلط تجبر على الإسلام وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم أي إنك لست تحفظ عليهم ومكلف بأن يؤمنوا إنما أنت منذر وقد فعلت ما أمرت به قال المفسرون
هي منسوخة بآية القتال قوله فذكر بالقرآن من يخاف وعيد تقدم الخلاف في يا وعيد إثباتاً وحذفاً
والمعنى دم على الإنذار ولا تترك الهداية بالكلية بل ذكر المؤمنين فإن الذكرى تنفع المؤمنين وقوله بالقرآن
أي اتل عليهم القرآن تحصل لهم المنفعة بسبب ما فيه أو فذكر بالقرآن بين به أنك رسول الله لكونه معجزاً ويكون
المراد فذكر بمقتضى ما في القرآن من الأوامر الواردة بالتبليغ والتذكير وفي قوله فذكر إشارة إلى أنه مرسل
مأمور بالتذكير بالقرآن المنزل عليه وقوله وعيد إشارة إلى اليوم الآخر وفي قوله إشارة إلى الوحدانية
إذ لو قال وعيد الله لذهب الوهم إلى كل صوب وضمير المتكلم أعرف المعارف وأبعد عن الاشتراك وقد تقدم
أن أول السورة وآخرها مشتركان في المعنى حيث قال في الأول ق والقرآن المجيد وقال في آخرها فذكر بالقرآن
روى أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه سكرات الموت

سورة الذاريات

وهي ستون آية وثلاثمائة وستون كلمة وألف ومائتان وتسعة وثمانون حرفاً بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى والذاريات الآيات أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها لأنه تعالى لما بين الحشر بدلائله
وقال ذلك حشر علينا يسير وقال وما أنت عليهم بجبار يجبرهم على الإيمان إشارة إلى إصرارهم على الكفر بعد
إقامة البرهان وتلاوة القرآن عليهم لم يبق إلا اليمين فقال والذاريات إنما توعدون لصادق وقال
في آخرها فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون فصل وفي الحكمة في القسم ههنا وجوه الأول
أن الكفار كانوا ينسبون النبي عليه السلام للجدال ومعرفة طرقه وأنه عالم بفساد قولهم وأنه يغلبهم لمعرفته
بالجدال وحينئذ لا يمكن أن يقابلهم بالأدلة كما أن من أقام خصمه عليه الدليل ولم يبق له حجة يقول إنه
غلبني لعلمه بالجدل وعجزي عن ذلك وهو يعلم في نفسه أنه الحق معي فلا يبقى للمتكلم المبرهن غير اليمين
فيقول والله إن الأمر كما أقول ولا أجادلك بالباطل لأنه لو استدل بطريق آخر يقول خصمه فيه كقوله الأول
فلا يبقى إلا السكوت أو التمسك بالأيمان وترك إقامة البرهان الثاني أن العرب كانت تحترز عن الأيمان
الكاذبة وتعتقد أنها تخرب المنازل وكان النبي عليه السلام يكثر الأقسام دلالة على أنه صادق ولذلك
كان أمره يتزايد ويعلمون أنه لا يحلف بها كاذباً الثالث أن الأيمان التي أقسم بها كلها دلائل أخرجت
في صورة الأيمان لينبه بها على كمال القدرة كقول القائل للمنعم وحق نعمك الكثيرة أي لا أزال أشكرك
فذكر النعم التي هي سبب مفيد لدوام الشكر وإنما أخرجها مخرج الأيمان إيذاناً بأنه يريد أن يتكلم
بكلام عظيم فيصغي إليه السامع أكثر ما يصغي إليه حيث يعلم أن الكلام ليس بمعتبر فبدأ بالحلف فصل
أورد القسم على أمور منها الوحدانية ولظهورها وإعراضهم عنها حيث يقولون إنما نعبدهم ليقربونا

إلى الله زلفى وقولهم ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله لم يقسم عليها إلا في سورة والصافات
ومنها الرسالة وهي في سورة يس والنجم والضحى وبالحروف في يس ومنها الحشر والجزاء وما يتعلق به فلكثرة إنكارهم
لذكر القسم عليه فصل أقسم الله تعالى بجمع السلامة المؤنث في سور خمس ولم يقسم بجمع السلامة المذكر
في سورة أصلاً فلم يقل والصالحين من عبادي ولا المقربين إلى غير ذلك مع أن المذكر أشرف لأن جموع السلامة
بالواو والنون في الغالب لمن يعقل فصل روي عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى والذاريات قال هي الرياح
التي تذرو التراب ذرواً يقال ذرت الريح التراب وأذرت فالحاملات وقراً هي السحاب تحمل ثقلاً من الماء
فالجاريات يسراً هي السفن تجري في الماء جرياً سهلاً فالمقسمات أمراً هي الملائكة يقسمون الأمور بين
الخلق على ما أمروا به أقسم بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعته وقدرته قال ابن الخطيب والأقرب
أن هذه صفات للرياح فالذاريات هي التي تنشئ السحاب أولاً والحاملات هي التي تحمل السحب التي هي بخار
المياه التي إذا سحت جرت السيول العظيمة وهي أوقار أثقل من جبال والجاريات هي التي تجري السحب بعد
حملها والمقسمات هي الرياح التي تقسم الأمطار وتفرقها على الأقطار ويحتمل أن يقال هذه أمور أربعة
ذكرت لأمور أربعة بها تتم الإعادة لأن الأجزاء المتفرقة بعضها في تخوم الأرض وبعضها في قعور البحار وبعضها
في جو الهواء وهي الأجزاء البخارية اللطيفة المنفصلة من الأبدان فالذاريات هي التي تجمع الذرات من الأرض
وتذرو التراب من وجه الأرض والحاملات هي التي تجمع الأجزاء من الجو وتحمله حملاً فإن التراب لا ترفعه
الرياح حملاً مستقلاً بل تنقله من موضع إلى موضع بخلاف السحاب فإنه تحمله في الجو حملاً لا يقع منه شيء والجاريات
هي الجامعة من الماء فإن من يجري السفن المثقلة في لجج البحار قادر على نقل الأجزاء من البحر إلى البر فإذا تبين أن الجمع
من الأرض وجو الهواء ووسط البحار ممكن وإذا اجتمع ذلك كله بقي نفخ الروح وهي من أمر الله فقال والمقسمات
أمراً يعني الملائكة التي تنفخ الروح في الجسد بأمر الله قوله ذرواً منصوب على المصدر المؤكد العامل فيه فرعه وهو
اسم الفاعل والمفعول محذوف اقتصاراً إذ لا نظير لما تذروه فظهر وأدغم أبو عمرو وحمزة تاء الذاريات في ذال ذرواً
وأما وقراً فهو مفعول به بالحاملات كما يقال حمل فلان عدلاً ثقيلاً قال ابن الخطيب ويحتمل أن يكون اسماً أقيم
مقام المصدر كقوله ضربه سوطاً ويوبل مصراة من قرأ بفتح الواو والوقر بالكسر اسم ما يوقر أي يحمل وقرئ بالفتح
وذلك على تسمية المفعول بالمصدر ويجوز أن يكون مصدراً على حاله والعامل فيه معنى الفعل قبله لأن الحمل والوقر
بمعنى واحد وإن كان بينهما عموم وخصوص قوله يسراً يجوز أن يكون مصدراً من معنى ما قبله أي جرياً يسراً وأن
يكون حالاً أي ذات يسر أي ميسرة أو جعلت نفس اليسر مبالغة قوله أمراً يجوز أن يكون مفعولاً به وهو الظاهر
كقولك فلان قسم الرزق أو المال وأن يكون حالاً أي مأمورة وعلى هذا يحتاج إلى حذف مفعول المقسمات وقد يقال
لا حاجة لتقديره كما في الذاريات وهل هذه أشياء مختلفة فتكون الفاء على بابها من عطف المتغايرات والفاء للترتيب
في القسم لا في المقسم به قال الزمخشري ويجوز أن يراد الريح وحدها لأنها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري
في الجو جرياً سهلاً وعلى هذا يكون من عطف الصفات والمراد واحد كقوله

يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب
وقوله
إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

فتكون الفاء على هذا الترتيب
الأمور في الوجود قوله إنما توعدون هذا جواب القسم وما يجوز أن تكون اسمية وعائدها محذوف أي توعدونه
وأن تكون مصدرية فلا عائد على المشهور وحينئذ يحتمل أن يكون توعدون مبنياً من الوعد وأن يكون مبنياً
من الوعيد لأنه يصلح أن يقال أوعدته فهو يوعد ووعدته فهو يوعد لا يختلف فالتقدير إن وعدكم أو إن
وعيدكم ولا حاجة إلى قول من قال إن قوله لصادق وقع فيه اسم الفاعل موقع المصدر أي لصدق لأن لفظ اسم
الفاعل أبلغ إذ جعل الوعد أو الوعيد صادقاً مبالغة وإن كان الوصف إنما يقوم بمن يعد أو يوعد قال ابن الخطيب
ويأوه بين أوعد هو الحق لأن اليمين مع المنكر بوعد لا بوعد والصادق معناه ذو صدق كعيشة راضية ووصف
المصدر بما يوصف به الفاعل كوصف الفاعل بالمصدر في إفادة المبالغة قوله وإن الدين لواقع أي الحشر
والجزاء كائن ثم ابتدأ قسماً آخر وهو قوله والسماء ذات الحبك العامة على الحبك بضمتين قال ابن عباس
وقتادة وعكرمة ذات الخلق الحسن المستوي يقال للنساج إذا نسج الثوب فأجاد ما أحسن حبكه وقال
سعيد بن جبير ذات الزينة أي المزينة بزينة الكواكب قال الحسن حبكت بالنجوم وقال مجاهد هي المتقنة
البنيان وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرائق كحبك الماء إذا ضربته الريح وحبك الرمل والشعر الجعد
وهو آثار تثنيه وتكسره قال زهير

مكلل بأصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك

والحبك جمع يحتمل أن يكون مفرده حبيكة كطريقة وطرق أو حباك نحو حمار وحمر قال

كأنما جللها الحباك * طنفسة في وشيها حباك * وأصل الحبك إحكام الشيء وإتقانه ومنه يقال

للدرع محبوكة وقيل الحبك الشدة والوثوق قال امرؤ القيس

قد غدا يحملني في أنفه * لاحق الإطلين محبوك ممر

وفي هذه اللفظة قراءات كثيرة فعن الحسن ست قراءات الحبك بالضم كالعامة وبضم الحاء وسكون الباء وهو تخفيف المكسورة وكسر الحاء وضم الباء وهذه أقلقها لأن هذه الزنة مهملة في أبنية العرب قال ابن عطية وغيره هو من التداخل يعني أن فيها لغتين الكسر في الحاء والباء والضم فيهما فأخذ هذا القارئ الكسر من لغة والضم من أخرى واستبعدها الناس لأن التداخل إنما يكون في كلمتين وخرجها أبو حيان على أن الحاء أتبع لحركة التاء في ذات قال ولم يعتد باللام فاصلة لأنها ساكنة فهي حاجز غير حصين وقرأ والحبك بالكسر على هذه القراءة أبو مالك الغفاري وقرأ عكرمة بالضم والفتح جمع حبكة نحو غرفة وغرف وابن عباس وأبو مالك الحبك بفتحتين جمع حبكة كعقبة وعقب * قوله إنكم لفي قول مختلف جواب القسم **فصل** المعنى إنكم يا أهل مكة لفي قول مختلف في حق محمد عليه السلام تارة يقولون إنه أمين وأخرى يقولون إنه كاذب وتارة ينسبونه إلى الجنون وتارة كاهن وشاعر وساحر وهذا القول ضعيف إذ لا حاجة إلى اليمين على هذا لأنهم كانوا يقولون ذلك من غير إنكار حتى يؤكد باليمين وقيل يقولون إنه مجنون ثم يقولون غلبنا بقوة جداله وقيل إنكم لفي قول مختلف في القرآن يقولون فيه إنه سحر وكهانة وأساطير الأولين وقيل قول مختلف أي مصدق ومكذب وقيل غير ثابتين على أمر وقيل متناقض تارة يقولون لا حشر ولا حياة بعد الموت ثم يقولون إنا وجدنا آباءنا على أمة **قوله يؤفك عنه** صفة لقول والضمير في عنه للقرآن أو للرسول أو للدين أو لما توعدون أي يصرف عنه وقيل عن السبب والمأفوك عنه محذوف والضمير في عنه على هذا القول مختلف أي يؤفك بسبب القول من أراد الإسلام بأن يقول هو سحر هو كهانة والعامة على بناء الفعلين للمفعول وقتادة وابن جبير يؤفك عنه من أفك الأول للمفعول والثاني للفاعل أي يصرف عنه من صرف الناس عنه وزيد بن علي يأفك مبنيا للفاعل من أفك مبنيا للمفعول عكس ما قبله أي يصرف الناس عنه من هو مأفوك في نفسه وعنه أيضا يأفك عنه من أفك بالتشديد أي من هو أفاك في نفسه وقرئ يؤفن عنه من أفن بالنون فيهما أي يحرمه من حرمه من أفن الضرع إذا أنهكه حلبا **فصل** قيل في تفسير قوله يؤفك عنه من أفك وجوه أحدها أنه مدح المؤمنين ومعناه يصرف عن القول المختلف من صرف عن ذلك القول ويرشد إلى القول المستوي وقيل إنه ذم ومعناه يؤفك عن الإيمان به من صرف حتى يكذب به يعني من حرمه الله الإيمان بمحمد وبالقرآن وقيل عن بمعنى من أجل أي يصرف من أجل هذا القول المختلف أو بسببه عن الإيمان من صرف وذلك أنهم كانوا يتلقون الرجل إذا أراد الإيمان فيقولون إنه ساحر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الإيمان قاله مجاهد **قوله قتل الخراصون** لعن الكذابون وقرئ قتل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى الخراصين مفعوله والمعنى لعن الخراصون وهم الذين لا يجزمون بأمر ولا يثبتون عليه بل هم شاكون متحيرون وهذا دعاء عليهم ثم وصفهم بأنهم **في غمرة ساهون** فقوله ساهون يحتمل أن يكون خبرا بعد خبر والمبتدأ قوله هم والتقدير هم كائنون في غمرة ساهون كقولك زيد جاهل جائر لا يقصد به وصف الجاهل بالجائر ويحتمل أن يقال ساهون خبر وفي غمرة ظرف له كقولك زيد في بيته قاعد فالخبر هو قاعد لا غير وفي بيته بيان لظرف القعود فكذا قوله في غمرة ظرف للسهو واعلم أن وصف الخراص بالسهو دليل على أن الخراص صفة ذم يقال تخرص فلان على الباطل قال المفسرون هم الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن دين الإسلام وقال مجاهد هم الكهنة الذين هم في غمرة أي غفلة وعمى وجهالة ساهون غافلون عن أمر الآخرة والسهو الغفلة عن الشيء وهو ذهاب القلب عنه **قوله يسألون أيان يوم الدين** فقوله أيان يوم الدين مبتدأ وخبر وقيل هما ظرفان فكيف يقع أحد الظرفين في الآخر وأجيب بأنه على حذف حدث أي أيان وقوع يوم فأيان ظرف للوقوع كما تقول متى يكون يوم الجمعة وتقدم قراءة إيان بالكسر في الأعراف وقيل وأيان من المركبات ركب من أي التي للاستفهام وآن التي بمعنى متى أو من أي وآ وأن فكأنه قال أي أوان فلما ركب بني وهذا جواب قوله وإن الدين لواقع فكأنه قال أيان يقع استهزاء وترك المسؤول دلالة على أن الغرض ليس الجواب وإنما يسألون استهزاء والمعنى يسألون أيان يوم الدين يقولون يا محمد متى يكون يوم الجزاء يعني يوم القيامة تكذيبا واستهزاء قال الله عز وجل يوم هم أي يكون هذا الجزاء يوم هم على النار يفتنون أي يعذبون ويحرقون بها **قوله يوم هم** يجوز أن يكون منصوبا بمضمر أي الجزاء كائن يوم هم ويجوز أن يكون بدلا من يوم الدين والفتحة للبناء على رأي من يجيز بناء الظرف وإن أضيف إلى الجملة الاسمية وعلى هذا فتكون حكاية لمعنى كلامهم قالوه على الاستهزاء ولو جاء على حكاية لفظهم المتقدم لقيل يوم نحن على النار نفتن ويوم منصوب بالدين وقيل بمضمر أي يجازون وقيل هو مفعول بأعني مقدرا وعلى هذا فيفتنون يعلق بالأمر أي تفتنون وقيل على معنى البناء وقيل يوم هم خبر مبتدأ مضمر أي هو يوم هم والفتحة لما تقدم ويوم بدل من ذلك قرأ ابن أبي عبلة والزعفراني يوم هم بالرفع وكذلك يوم بدل

القول بالبدل وتقدم الكلام في مثل هذا في غافر **فصل** قوله يوم هم على النار يفتنون قال ابن الخطيب يحتمل وجهين أحدهما أن يكون جوابا عن قولهم أيان يقع فكما أنهم لم يسألوا سؤال مستفهم طالب للعلم كذلك لم يجبهم جواب معلم مبين بل قال يوم هم على النار يفتنون تجهيلا لهم بالثاني أقوى من جهلهم بالأول ولا يجوز أن يكون الجواب بالأخفى فلو قال قائل متى يقوم زيد فلو أجيب بقوله يوم يقوم رفيقه ولا يعلم يوم قدوم الرفيق لم يصح هذا الجواب إلا إذا كان الكلام في صورة جواب ولا يكون جوابا كقول القائل لمن يعد عداته وتكلم إلى متى هذا الاخلاف فيغضب ويقول إلى أشأم يوم عليك فالكلام في صورة سؤال وجواب ولا يريد بالأول السؤال ولا الثاني يريد به الجواب فكذلك ههنا قال يوم هم على النار يفتنون مقابلة الاستهزاء بالإبعاد لا على وجه الإتيان بالبيان الثاني أنه يكون ذلك ابتداء كلام تمامه في قوله ذوقوا فتنتكم قال قيل هذا يفضي إلى الإضمار **فالجواب** أن الإضمار لا بد منه لأن قوله ذوقوا فتنتكم غير متصل بما قبله إلا بإضمار يقال **قوله ذوقوا** أي يقال لهم ذوقوا وهذا الذي كنتم مبتدأ وخبره هذا هو الظاهر وجوز الزمخشري أن يكون هذا بدلا من فتنتكم لأنها بمعنى العذاب ومعنى فتنتكم عذابكم **هذا الذي كنتم به تستعجلون** في الدنيا تكذيبا به وهو قولهم ربنا عجل لنا قطنا وقولهم فأتنا بما تعدنا ونظائره وقوله يسألون أيان يوم الدين فإنه نوع استعجال بالقول ويحتمل أن يكون المراد الاستعجال بالفعل وهو إصرارهم على العناد وإظهار الفساد فإنه يعجل العقوبة **قوله تعالى إن المتقين في جنات** لما بين حال المجرمين بين بعده حال المتقين والمتقي له مقامات أدناها أن يتقي الشرك وأعلاها أن يتقي ما سوى الله وأدنى درجات المتقي الجنة فما من مكلف اجتنب الكفر إلا ويدخل الجنة **قوله آخذين** حال من الضمير في قوله جنات وما آتاهم يعني مما في الجنة فتكون حالا حقيقية وقيل ما آتاهم من أوامره ونواهيه فيكون في الدنيا فتكون حالا محكية لاختلاف الزمانين وجعل الجار هنا خبرا والصفة فضلة وعكس هذا في قوله إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون قيل لأن الخبر مقصود الجملة والغرض هناك الإخبار عن تخليدهم لأن المؤمن قد يدخل النار ولكن لا بد من خروجه وأما المتقين فجعل الظرف فيها خبرا لأنهم الخروج منها فجعل ذلك محط الفائدة لتحصل لهم الطمأنينة فانتصبت الصفة حالا **فصل** اعلم أنه وحد الجنة تارة فقال تعالى مثل الجنة وأخرى جمعها كقوله ههنا إن المتقين في جنات وتارة ثناها فقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان والحكمة فيه أن الجنة في توحدها لاتصال المنازل والأشجار والأنهار كجنة واحدة وأما جمعها فلأنها بالنسبة إلى الدنيا وبالإضافة إليها جنات لا يحصرها عدد وأما تثنيتها فسيأتي في سورة الرحمن قال ابن الخطيب غير أنا نقول ههنا إن الله تعالى عند الوعد وحد الجنة وكذلك عند الشراء فقال إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وعند الإعطاء جمعها إشارة إلى أن الزيادة في الوعد موجودة بخلاف ما لو وعد بجنات ثم يقول إنه في جنة لأنه دون الموعود وقوله وعيون يقتضي أن يكون المتقي فيها ولا لذة في كون الإنسان في ماء فالمعنى في خلال العيون أي بين الأنهار كقوله في جنات معناه بين الجنات وفي خلالها لأن الجنة هي الأشجار وتنكيرها مع كونها معروفة للتعظيم كقولك فلان رجل أي عظيم في الرجولية ومعنى آخذين أي قابضين ما آتاهم شيئا فشيئا ولا يستوفونه بكماله لامتناع استيفاء ما لا نهاية له وقيل معنى آخذين أي قابلين بقبول راض كقوله تعالى ويأخذ الصدقات أي يقبلها قاله الزمخشري وقال ابن الخطيب وفيه وجه ثالث وهو أن قوله في جنات يدل على السكنى حسب فإذا قال آخذين بلاد كذا أو قلعة كذا أي دخلها متملكا لها وكذا يقال لمن اشترى دارا أو بستانا أخذه بثمن قليل أي تملكه وإن لم يكن هناك قبض حسا ولا قبول برضى وحينئذ فائدته بيان أن دخولهم فيها ليس دخول مستعير أو من يسترد منه ذلك بل هو ملكه الذي اشتراه بماله ونفسه من الله وقوله آتاهم لبيان أن أخذهم ذلك لم يكن عنوة وإنما ذلك بإعطاء الله وعلى هذا الوجه ما راجعة إلى الجنات والعيون وقوله **إنهم كانوا قبل ذلك محسنين** إشارة إلى أنهم أخذوها بثمنها وملكوها بالإحسان في الدنيا والإشارة بذلك إلى الجنات أما لدخول الجنة وأما الإيمان بالله وأما اليوم الدين والإحسان وقيل هو قول لا إله إلا الله ولهذا قيل في معنى كلمة التقوى إنها لا إله إلا الله وفي قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وقوله هل جزاء الإحسان إلا الإحسان هو الإتيان بكلمة لا إله إلا الله **قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون** وهذا كالتفسير لكونهم محسنين وفيه أوجه أحدها أن الكلام تم على قليلا وهذا أوقف بعضهم على قليلا ليواخي بها قوله تعالى وقليل ما هم وقليل من عبادي الشكور ويبتدئ من الليل ما يهجعون أي ما يهجعون من الليل والمعنى كانوا من الناس قليلا ثم ابتدأ فقال ما يهجعون وجعلها نافية أي لا ينامون بالليل البتة بل يقومون للصلاة والعبادة وهو قول الضحاك ومقاتل وهذا لا يظهر من حيث المعنى ولا من حيث الصناعة أما الأول فلا بد أن يهجعوا ولا يتصور نفي هجوعهم وأما الصناعة فلأن ما في حيز النفي لا يتقدم عليه عند البصريين هذا إن جعلتها نافية وإن جعلتها مصدرية صار التقدير من الليل هجوعهم ولا فائدة فيه لأن غيرهم من سائر الناس بهذه المثابة الثاني أن يجعل ما مصدرية في محل رفع بقليلا والتقدير كانوا قليلا هجوعهم الثالث أن يجعل ما المصدرية بدلا من اسم كان بدل اشتمال أي كان هجوعهم قليلا ومن الليل على هذين لا يتعلق

يهجعون لان ما في خبر المصدر لا يتقدم عليه على المشهور وبعض المانعين اغتفروه في الظرف فيجوز هذا عنده والمانع مقدر
فعلا يدل عليه يهجعون اي يهجعون من الليل الرابع ان ما زائدة ويهجعون خبر كان والتقدير كانوا يهجعون من
الليل هجوعا قليلا او زمنا قليلا فقليلا نعت لمصدر او ظرف الخامس انها بمعنى الذي وعايدها محذوف تقديره كانوا
قليلا من الليل الوقت الذي يهجعونه وهذا فيه تكلف فصل قال ابن الخطيب قليلا منصوب على الظرف تقديره
يهجعون قليلا يقال قام بعض الليل فنصب بعض على الظرف وخبر كانوا هو قوله يهجعون وما زائدة هذا هو المشهور
وفيه وجه اخر وهو ان يقال كانوا قليلا معناه كانوا من الناس قليلا فيكون قليلا خبر كان وما يهجعون معناه
نفي النوم عنهم وهذا منقول عن الضحاك ومقاتل وانكر الزمخشري كون ما نافية وقال لا يجوز ان تكون نافية
لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت ويجوز ان يعمل ما بعد لم فيما قبلها تقول زيدا لم اضرب
وذلك ان الفعل المتعدي انما يعمل في النفي حملا له على الاثبات لانك اذا قلت ضرب زيد عمرا اثبت تعلق فعله بعمرو
فاذا قلت ما ضربته لم يوجد منه فعل حتى يتعلق به ويتعدى اليه لكن النفي محمول على الاثبات فاذا اثبت هذا فالنفي
بالنسبة الى الاثبات كاسم الفاعل بالنسبة الى الفعل لكن اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل فلا تقول زيد
ضارب عمرا امس وتقول زيد ضارب عمرا غدا واليوم والان لان الماضي لم يبق موجودا ولا متوقع الوجود فلا
يتعلق بالمفعول حقيقة لكن الفعل القوي يعمل واسم الفاعل الضعيف لم يعمل اذا عرف هذا فقوله ما ضربت للنفي في الماضي
فاجتمع فيه النفي والمضي فضعف واما لم اضرب فانه كان يقلب المستقبل فوجد فيه ما وجد في قول القائل زيد ضارب
عمرا غدا فاعمل قال ابن الخطيب غير ان القائل يدلك القول بقوله قليلا ليس منصوبا بقوله يهجعون وانما ذلك اخبر
كانوا قليلا من فصل تقدم قليلا في الذكر ليس لمجرد السجع حتى يقع يهجعون ويستغفرون في اواخر الايات بل لان
الهجوع راحة لهم والمقصود بيان اجتهادهم وتحملهم السهر لله تعالى فلا يناسبه تقديم راحتهم وقد يغفل السامع
عما بعد الكلام فيعتقد كونهم محسنين بسبب هجوعهم فقدم قوله قليلا ليسبق الى الفهم اولا قلة الهجوع وقوله من
الليل اشارة الى انه الزمن الذي يهجع الناس فيه ولا يسهرون في الطاعة الا متعبد مقبل قال قيل الهجوع لا يكون الا
بالليل والنوم نهارا لا يقال له هجوع فالجواب ان ذكر العام وارادة الخاص بالتخصيص حسن تقول رايت حيوانا ناطقا
فصيحا واما ذكر الخاص وارادة العام فلا يحسن الا في بعض المواضع فلا تقول رايت ناطقا فصيحا حيوانا واذا
عرف هذا فقوله تعالى كانوا قليلا من الليل ذكر امرا هو كالعام يحتمل ان يكون بعده كانوا من الليل يسبحون او يستغفرون
او يسهرون او غير ذلك فلما قال يهجعون فكانه خصص ذلك الامر العام المحتمل له ولغيره فلم يزل الاحتمال قوله
وبالاسحار فصل متعلق بيستغفرون والبا بمعنى في وقدم متعلق الخبر على المبتدا لجواز تقديم العامل معنى قوله
قليلا من الليل ما يهجعون اي يصلون اكثر الليل وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني كانوا اقل ليلة تمر بهم الا
صلوا فيها شيئا اما من اولها واما من اوسطها وقال انس بن مالك كانوا يصلون ما بين المغرب والعشا وقال
محمد بن علي كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير قل ليلة اتت عليهم هجعوها كلها
وقال مجاهد كانوا لا ينامون كل الليل وبالاسحار هم يستغفرون قال الحسن لا ينامون من الليل الا اقله وربما نشطوا
فمدوا الى السحر ثم اخذوا بالاسحار في الاستغفار وقال الكلبي ومجاهد ومقاتل وبالاسحار يصلون وذلك ان صلاتهم
بالاسحار لطلب المغفرة وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله الى السما كل ليلة حتى يبقى
ثلث الليل فيقول انا الملك انا الملك من الذي يدعوني فاستجيب له من الذي يسالني فاعطيه من الذي يستغفرني
فاغفر له فصل قوله وبالاسحار هم يستغفرون اشارة الى انهم كانوا يتهجدون ويجتهدون ثم يريدون ان
يكون عملهم اكثر من ذلك واخلص منه فهم يستغفرون من التقصير وهذه سيرة الكريم ياتي بابلغ وجوه الكرم
ويستقله ويعتذر من التقصير واللئيم ياتي بالقليل ويستكثره ويمن به وفي الاية لطايف الاولى انه لما
ذكر قلة هجوعهم والهجوع مقتضى الطبع قال يستغفرون اي من ذلك القدر من النوم القليل الثانية انه
تعالى مدحهم بقلة الهجوع ولم يمدحهم بكثرة السهر فلم يقل كانوا كثيرا من الليل ما يسهرون مع ان السهر
هو الكلفة والاجتهاد لا الهجوع وهذا اشارة الى ان نومهم عبادة حيث مدحهم الله بكونهم هاجعين
قليلا وذلك الهجوع اورثهم الاشتغال بعبادة اخرى وهو الاستغفار بالاسحار ومنعهم من الاعجاب
بانفسهم فصل البا في قوله بالاسحار استعملت للظرف هنا وهي ليست للظرف قال بعض النحاة ان حروف
الجر ينوب بعضها عن بعض يقال في ظرف الزمان خرجت لعشر بقين وبالليل وفي شهر رمضان فتستعمل
اللام والبا وفي وكذلك في ظرف المكان تقول الجنة بمدينة كذا وفيها ورايته ببلدة كذا وفيها قال
ابن الخطيب والتحقيق فيه ان نقول الحروف لها معان مختلفة كما ان الاسما والافعال كذلك غير ان
الحروف غير مستقلة بافادة المعنى والاسم والفعل مستقلان لكن بعض الحروف وبعضها تقارب وتباعد

كما في الاسما والافعال فان البيت والمسكن متخالفان متقاربان وكذلك المكث والسكن وكذلك كل اسمين او كل فعلين لو وجد
اذا عرف هذا فنقول بين البا واللام مشاركة اما البا فلانها للالصاق والمتمكن في كل مكان ملتصق به متصل وكذلك
الفعل بالنسبة الى الزمان فاذا قال سار بالنهار معناه ذهب ذهابا متصلا بالنهار فقوله وبالاسحار هم يستغفرون
اي متصلا بالاسحار اخبر عن الاقتران وذلك ادل دليل على وجود الفعل مع اول جز من اجزا الوقت من قوله في الليل
لانه يستدعي احتواش الزمان بالفعل وكذلك قول القائل اقمت ببلدة كذا يفيد انه كان يخالط البلد وقوله اقمت
فيها يدل على احاطتها به فاذا قول القائل اقمت بالبلد ودعوت بالاسحار اعم من قوله اقمت فيه لان القايم فيه
قايم به والقايم به ليس قايما فيه واذا علم هذا فقوله وبالاسحار هم يستغفرون اشارة الى انهم لا يخلون وقتا
عن العبادة وانهم بالليل لا يهجعون ومع اول جز من السحر هم يستغفرون فيكون فيه بيان كونهم مستغفرين من
غير ان يسبق منهم ذنب لانهم وقت الانتباه لم يخلوا الوقت للذنب ولا يطرد استعمال البا بمعنى في فلا تقول خرجت
بيوم الجمعة لان يوم الجمعة مع انه زمان فيه خصوصيات وتقييدات زايدة على الزمان لانك اذا قلت خرجت بنهار
او بليلة الجمعة لم يحسن ولو قلت خرجت بيوم سعد وخرج بيوم نحس حسن فالنهار والليل لما لم يكن فيهما خصوص
وتقييد جاز استعمال البا فيهما فاذا قيدتهما وخصصتهما زال الجواز ويوم الجمعة لما كان فيه خصوص لم يجز استعمال
البا فيه والفعل حادث متغير لا بزمان لا ناشيا عن الزمان فاذا زالت الخصوص وقلت خرجت بيوم سعد جاز واما في فيصح
مطلقا لان ما حصل في العام حصل في الخاص لان العام جز داخل في الخاص فتقول في يوم الجمعة وفي هذه الساعة واما
اللام فتقدم الكلام عليها عند قوله والشمس تجري لمستقر لها فصل في فايدة قوله هم قال الزمخشري فايدتها انهم
المستغفرون اي هم الكاملون في الاستغفار لا غير كقولك زيد هو العالم لكماله في العلم كانه تفرد به وايضا فلو عطف
بدون هم لاوهم انهم يستغفرون قليلا والاستغفار اما طلب المغفرة كقولهم ربنا اغفر لنا واما انهم بعبادات
يتقربون بها طلبا للمغفرة واما ان يكون من باب قولهم استحصد الزرع اي ذلك اوان المغفرة قوله وفي اموالهم
حق للسايل والمحروم لما تقدم التعظيم لامر الله ثنى بالشفقة على خلق الله واضاف الاموال اليهم لانه مدح لهم وقال
في موضع اخر وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه لان ذلك تحريض وحث على النفقة وذلك يناسبه قال قيل كون الحق
في المال لا يوجب مدحا لان كون المسلم في ماله حق وهو الزكاة ليس صفة مدح لان كل مسلم كذلك بل الكافر اذا قلنا
انه مخاطب بفروع الاسلام في ماله حق معلوم غير انه اذا اسلم سقط عنه وان مات عوقب على تركه الادا وان
ادى من غير اسلام لا يقع الموقع فكيف يفهم كونه مدحا فالجواب انا نفسر السايل بمن يطلب جزا من المال وهو
الزكاة والمحروم بمن لا يطلب جزا معينا وهو طالب صدقة التطوع فكانه قال في ماله زكاة وصدقة او يقال
بان في للظرفية والمعنى انهم لا يجعلون المال ولا يجعلوه ظرفا للحقوق والمطلوب من الظرف والمظروف انما هو المظروف
وهذا مدح عظيم قال قيل لو قيل ما لهم للسايل كان ابلغ فالجواب لا نسلم فان صرف جميع المال حتى يبقى فقيرا محتاجا
منهي عنه وكذلك الصلاة والصوم والاقتصاد فيهما ابلغ لقوله عليه السلام ان هذا الدين متين فادخلوا فيه
برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى فصل في السايل والمحروم وجوه احدها ان السايل هو الادمي والمحروم
كل ذي روح غيره من الحيوانات المحترمة قال عليه السلام في كل كبد حرا اجر وهذا ترتيب حسن لان الادمي مقدم
على البهايم الثاني ان السايل هو الذي يسال والمحروم هو المتعفف يظن انه غني فيحرم وقدم السايل لان حاله
اعرف بسواله او يكون اشارة الى كثرة العطا فيعطي السوال فاذا لم يجدهم يسال عن المحتاجين فيكون سايلا
ومسولا الثالث قدم السايل لتجانس وسالا اي فصل قال ابن عباس وسعيد بن جبير المسيب السايل الذي
يسال الناس والمحروم الذي ليس له في الغنايم سهم ولا يجري عليه من الفي شي وقال قتادة والزهري المحروم
المتعفف الذي لا يسال وقال زيد بن اسلم المحروم هو المصاب ثمره او زرعه او نسل ماشيته وهو قول محمد
ابن كعب القرظي قال المحروم صاحب الجايحة ثم قرا انا لمغرمون بل نحن محرومون قوله وفي الارض ايات عبر للموقنين
اذا ساروا فيها من الجبال والبحار والثمار وانواع النبات تدلهم على ان الحشر كاين كقوله تعالى ومن اياته انك
ترى الارض خاشعة الى ان قال ان الذي احياها لمحيي الموتى ويحتمل ان يكون المعنى وفي الارض ايات تدل على مدبر
قادر قاهر يجب ان يعبد ويحذر وكذلك قوله وفي انفسهم ايات تدل على ذلك اذ كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة
ثم عظاما الى ان ينفخ فيها الروح وقال عطا عن ابن عباس يريد اختلاف الالسنة والصور والالوان والطباع
وقال ابن الزبير يريد سبيل الغايط والبول ياكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقوله افلا تبصرون
قال مقاتل افلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث قوله وفي انفسكم نسق على الارض فهو خبر عن
ايات ايضا والتقدير وفي الارض وفي انفسكم ايات وقال ابو البقا من رفع بالظرف جعل ضمير الايات في الظرف
يعني من يرفع الفاعل بالظرف مطلقا اي وان لم يعتمد يرفع بهذا الجار فاعلا هو ضمير ايات وجوز بعضهم ان يتعلق

يبصرون وهو فاسد لان الاستفهام والفا يمنعان جوازه ○ وقرا قتادة آية بالافراد وقوله وفي انفسكم يحتمل ان يكون المراد
وفيكم يقال الحجارة في نفسها صلبة ولا يراد بها النفس التي هي منبع الحياة والحس والحركات ○ ويحتمل ان يكون المراد وفي
نفوسكم التي بها حياتكم آيات ○ وقوله افلا تبصرون بالاستفهام اشارة الى ظهورها قوله وفي السماء رزقكم اي سبب
رزقكم وقرا حميد وابن محيصن رازقكم اسم فاعل والله تعالى متعال عن الجهة قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل يعني
بالرزق المطر لانه سبب الارزاق ○ وقيل في السماء رزقكم مكتوب ○ وقيل تقدير الارزاق كلها من السماء ولولاه لما
حصل في الارض حبة قوت قوله وما توعدون قال عطاء من الثواب والعقاب ○ وقال مجاهد من الخير والشر وقال
الضحاك وما توعدون من الجنة والنار فيكون المعنى على هذا وما توعدون لحق كقوله انما توعدون لصادق فان
قلنا ان المراد بقوله وما توعدون الجنة فهو من الوعد وان قيل المراد العذاب فيكون الخطاب مع الكفار قوله فورب
السماء والارض انه لحق الضمير اما للقران واما للدين واما لليوم في قوله وان الدين لواقع ويوم هم ويوم الدين
واما للنبي صلى الله عليه وسلم ودخلت الفا بمعنى ان ما توعدون لحق بالبرهان المبين ثم بالقسم واليمين او للعطف
على قوله والذاريات مع اعادة المقسم عليه لوقوع الفصل واقسم اولا بالمخلوقات وههنا برب ترقيا من الادنى الى
الاعلى قوله مثل ما انكم الاخوان وابو بكر مثل بالرفع وفيه ثلاثة اوجه ○ احدها انه خبر ثان مستقل كالاول ○ والثاني
انه مع ما قبله خبر واحد كقوله هذا حلو حامض نقلهما ابو البقا ○ والثالث انه نعت لحق وما مزيدة على الاوجه الثلاثة
وانكم مضاف اليه اي لحق مثل نطقكم ولا يضر تقدير اضافتها لمعرفة لانها لا تتعرف بذلك لابهامها والباقون بالنصب
وفيه اوجه اشهرها انه نعت لحق ايضا كما في القراة الاولى وانما بني الاسم لاضافته الى غير متمكن كما بناه الاخر في
قوله
○ فتداعى منخراه بدم ○ مثل ما اثمر حماض الجبل ○ بفتح مثل مع انها نعت لدم وكما بنيت غير في قوله
○ لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت ○ حمامة في غصون ذات اوقال ○ غير فاعل يمنع فبناها على
الفتح لاضافتها الى ان نطقت وقد تقدم في قراة لقد تقطع بينكم بالفتح ما يغني عن تقرير مثل هذا ○ الثاني ان مثل
ركب مع ما حتى صارا شيئا واحدا قال المازني ومثله ويحما وهيما وايما ○ وانشد لحميد بن ثور
○ الا هيما مما لقيت وهيما ○ وويحا لمن لم يدر ما هن ويحما ○ قال فلولا البنا لكان منونا وانشد
ايضا ○ فاكرم بنا اما ○ واكرم بنا ابنما ○ وهذا الذي ذكره ذهب اليه بعض
النحويين وانشد ○ اثور ما اصيدكم ام ثورين ○ ام هذه الجماء ذات القرنين ○ واما ما انشده من قوله واكرم بنا
ابنما فليس من هذا الباب لان هذا ابن زيدت عليه الميم جعلت النون تابعة للميم في الحركات على الفصيح فتقول
هذا ابنم ورايت ابنما ومررت بابنم فتجري حركات الاعراب على الميم وتتبعها النون وابنما في البيت منصوب
على التمييز فالفتح لاجل النصب لا للبناء وليس هذه ما الزائدة بل الميم وحدها زائدة والالف بدل من التنوين ○ الثالث
انه منصوب على الظرف وهو قول الكوفيين ويجيزون زيد مثلك بالفتح ونقله ابو البقا عن ابي الحسن ولكن بعبارة
مشكلة فقال ويقرا بالفتح وفيه وجهان ○ احدهما هو معرب ثم في نصبه اوجه ثم قال او على انه مرفوع الموضع
ولكنه فتح كما فتح الظرف في قوله لقد تقطع بينكم على قول الاخفش ثم قال والوجه الثاني هو مبني وقال ابو عبيدة
بعض العرب يجعل مثل نصبا ابدا فيقولون هذا رجل مثلك ○ الرابع انه منصوب على اسقاط الخافض وهو كاف التشبيه
وقال الفرا العرب تنصبها اذا رفع بها الاسم يعني المبتدا فيقولون مثل من عبد الله وعبد الله مثلك وانت
مثله لان الكاف قد تكون داخلة عليها فتنصب اذا القيت الكاف ○ قال شهاب الدين وفي هذا نظر اي حاجة الى تقدير
دخول الكاف ومثل قايمة مقامها وكانه لما راى الكاف قد دخلت عليها في قوله ليس كمثله شي قال ذلك ○ الخامس انه
نعت لمصدر محذوف اي لحق حقا مثل نطقكم ○ السادس انه حال من الضمير في لحق لانه قد كثر الوصف بهذا
المصدر حتى جرى مجرى الاوصاف المشتقة والعامل فيها حق ○ السابع انه حال من نفس حق وان كان نكرة وقد
نص سيبويه في مواضع من كتابه على جوازه وتابعه ابو عمرو على ذلك وما هذه في مثل هذا التركيب نحو قولهم
هذا حق كما انك ههنا لا يجوز حذفها فلا يقال هذا حق انك ههنا نص على ذلك الخليل رحمه الله فاذا جعلت مثل
معربة كانت ما مزيدة وانكم في محل خفض بالاضافة كما تقدم واذا جعلتها مبنية اما للتركيب واما لاضافتها
الى غير متمكن جاز في ما هذه وجهان الزيادة وان تكون نكرة موصوفة كذا قال ابو البقا وفيه نظر لعدم
الوصف هنا فان قال هو محذوف فالاصل عدمه وايضا فنصوا على ان هذه الصفة لا تحذف لابهام موصوفها
واما انكم تنطقون فيجوز ان يكون مجرورا بالاضافة ان كانت ما مزيدة وان كانت نكرة كان في موضع نصب
باضمار اعني او رفع باضمار مبتدا فصل المعنى فورب السماء والارض انه لحق اي ما ذكرت من امر الرزق لحق
كمثل ما انكم تنطقون فتقولون لا اله الا الله ○ وقيل شبه تحقيق ما اخبر عنه بتحقيق نطق الادمي كقولك
انه لحق كما انت ههنا وانه لحق كما انك تتكلم ○ والمعنى انه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة ○ قال

بعض

بعض الحكما كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه ان ينطق بلسان غيره فكذلك كل انسان ياكل رزق نفسه الذي قسم
له ولا يقدر ان ياكل رزق غيره ○ وقيل معناه ان القران لحق تكلم به الملك النازل من السما مثل ما تتكلمون قوله تعالى
هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين هذا التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتبشير له بالفرج وسماهم ضيفا
لانه حسبهم كذلك ويقع على الواحد والجمع لانه مصدر وسماهم مكرمين اي عند الله او لان ابرهيم عليه السلام اكرمهم بان
عجل قراهم واجلسهم في اكرم المواضع واختار ابرهيم لكونه شيخ المرسلين وكون النبي عليه السلام مامورا بان يتبع
ملته كما قال تعالى واوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم ○ وقيل سماهم مكرمين ○ وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد لان ابرهيم
عليه السلام خدمهم بنفسه ○ وعن ابن عباس سماهم مكرمين لانهم جاوا غير مدعوين ○ وقال عليه السلام من
كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه فان قيل اذا كان المراد من الاية التسلية والانذار فاي فايدة في حكاية
الضيافة فالجواب ليكون ذلك اشارة الى ان الفرج في حق الانبيا والبلا على الجهلة ياتي من حيث لم يحتسبوا
كقوله تعالى فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فلم يكن عند ابرهيم عليه السلام خبر من انزال العذاب مع ارتفاع
منزلته وقد تقدم الكلام في سورة هود قوله اذ دخلوا في العامل في اذ اربعة اوجه ○ احدها انه حديث
اي هل اتاك حديثهم الواقع في وقت دخولهم عليه ○ الثاني انه منصوب بما في ضيف من معنى الفعل لانه في الاصل
مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والمذكر وغيره كانه قيل الذين اضافهم في وقت دخولهم عليه ○ الثالث انه منصوب
باضمار اذكر ولا يجوز نصبه باتاك لاختلاف الزمانين ○ وقرا العامة المكرمين بتخفيف الراء من اكرم وعكرمة بالتشديد
فان قيل هم ارسلوا للعذاب بدليل قولهم انا ارسلنا الى قوم مجرمين وهم لم يكونوا من قوم ابرهيم عليه السلام
بل كانوا من قوم لوط فما الحكمة في مجيئهم الى ابرهيم عليه السلام فالجواب من وجهين ○ الاول ان ابرهيم عليه السلام
شيخ المرسلين ولوط من قومه ومن عادة الملك اذا ارسل رسولا الى ملك وفي طريقه من هو اكبر منه يقول له اعبر
على فلان الملك واخبره برسالتك وخذ منه رايه ○ الثاني ان ابرهيم عليه السلام كان شديد الشفقة حليما فكان
يشق عليه اهلاك امة عظيمة وكان ذلك مما يحزن ابرهيم عليه السلام لشفقته على العباد فقال لهم بشروه
بغلام يخرج من صلبه اضعاف من يهلك ويكون من صلبه خروج الانبيا عليهم السلام قوله فقالوا سلاما قال
سلام العامة على نصب سلاما الاول ورفع الثاني فاما نصب الاول فالمشهور ان السلام التحية اي نسلم سلاما
ويحتمل ان سلاما معناه حسنا اي قالوا كلاما حسنا لانه كلام سلم به المتكلم من ان يلغو ويأثم فكانهم قالوا قولا
حسنا سلموا به من الاثم فيكون مفعولا به لانه في معنى القول كما قيل في قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
وهو مفعول بفعل محذوف اي نبلغك سلاما ولم يقولوا من الله لتشفقه على قلب ابرهيم فقالوا ابتدا اجمالا ثم فسروه
بعد ذلك ○ واما رفع الثاني فالمشهور انه التحية فهو مبتدا وخبره محذوف اي عليكم ويحتمل انه السلامة اي
امري سلام لاني لا اعرفكم او قولكم سلام اي ينبي عن السلامة وانتم قوم منكرون فاخطبكم ○ واما الفرق بين النصب
والرفع فان حملنا السلام على التحية فانه مبتدا مع انه نكرة يبقيها على اصله لانه النصب لان المعنى اسلم سلاما
وعليكم لبيان المسلم عليه لا حظ له في الاعراب واصل الكلام اسلم سلاما فالنصب يدل على الوضع الذي هو فرع
وابتدا ابرهيم ابلغ لانه اتى بالجملة الاسمية الدالة على الثبات بخلاف الفعلية فانها تدل على التجدد والحدوث
ولهذا يستقيم قولنا الله موجود الان ولا يستقيم قولنا الله وجد الان واما ان قلنا معناه حسنا او ذا سلامة
فمعناه قلتم حسنا وانتم منكرون فالتبس الامر علي ○ واما ان قلنا معناه المتاركة فمعناه سلمتم علي واما امري
متاركة لاني لا اعلم حالكم ومنه واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال فاصفح عنهم وقل سلام لان سلامهم
على الجاهلين لا يمنع التعرض لهم بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم فمعناه سلم امري متاركة الى ان ياتي امر الله
وتقدم نحو من نظير هذه الاية في سورة هود وتقدم ايضا خلاف القرا في سلام بالنسبة الى فتح سينه وكسرها
والى سكون لامه وفتحها ○ وقرى بالرفع فيهما ○ وقرى سلاما قالوا سلما بكسر سين الثاني ونصبه ولا يخفى توجيه
ذلك مما تقدم في هود ودخلت الفا ههنا اشارة الى انهم لم يخلوا بادب الدخول بل جعلوا السلام عقيب الدخول
قوله قوم منكرون اي غربا لا نعرفكم قال ابن عباس قال في نفسه هولا قوم لا نعرفهم ○ وقيل انما انكر امرهم
لانهم دخلوا عليه من غير استيذان ○ وقال ابو العالية انكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض فان قيل
قال في سورة هود فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم فدل على ان انكاره حصل بعد تقريب العجل اليهم وههنا
قال فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ثم قال فراغ الى اهله بفا التعقيب وذلك يدل على ان تقريب
الطعام منهم بعد حصول انكاره فما وجهه فالجواب ان يقال لعلهم كانوا مخالفين لصفة الناس في الشكل والهيبة
ولذلك قال قوم منكرون اي عند كل احد واشترك ابرهيم عليه السلام وغيره فيه ولهذا لم يقل انكرتكم بل
قال انتم منكرون في انفسكم عند كل احد منا ثم لما امتنعوا عن الطعام تاكد الانكار لان ابرهيم عليه السلام

تغرد بمشاهدة امثالكم فنكرتهم فوق الانكار الاول وحكاية الحال في سورة هود ابسط مما ذكره ههنا فان ههنا لم
يبين المبشر به وهناك ذكره باسمه وهو اسحق وههنا لم يقل ان القوم قوم من وهناك قال قوم لوط **فصل**
ذكر ههنا من اداب الضيافة تسليم المضيف على الضيف ولقاه بالوجه الحسن والمبالغة في الاكرام بقوله سلام
وهو اكد وسلامهم بالمقدر وفي قوله سلام بالرفع زيادة على ذلك ولم يقل سلام عليكم لان الامتناع من الطعام
يدل على العداوة والغدر لا يليق بالانبيا فقال سلام اى امرى مسالمة ثم ذكر فيها من اداب المضيف تعجيل الضيافة
قال القاضي قوله فراغ يدل على التعقيب واخفاوها لان الروغان يقتضي الاخفا وغيبة المضيف عن الضيف
ليستريح وياتي بما يمنعه الحيا منه وتخدم الضيف بنفسه ويختار الاجود لقوله سمين ويقدم الطعام
للضيف في مكانه لا ينقل الضيف للطعام لقوله فقربه اليهم ويعرض عليهم الاكل لا يامره لقوله الا تاكلون
ولم يقل كلوا او سروره باكله لا كما يوجد في بعض البخلا الذين يحضرون طعاما كثيرا او يجعل نظره ونظر اهل بيته
الى الطعام حتى يمسك الضيف يده لقوله فاوجس منهم خيفة لعدم اكلهم ومن اداب الضيف اذا احضره الطعام ولم
يكن يصلح له لكونه مضرا به او يكون ضعيف القوة عن هضم ذلك الطعام فلا يقول هذا الطعام غليظ لا يصلح لي بل
ياتي بعبارة حسنة ويقول لي مانع من اكل الطعام لانهم اجابوه بقولهم لا تخف ولم يذكروا في الطعام شيئا ولانه
يضربهم بل بشروه بالولد اشعارا بانهم ملائكة وبشروه بالاشرف وهو الذكر حيث فهموه انهم لبسوا ممن ياكلون
ثم وصفوه بالعلم دون المال والجمال لان العلم اشرف الصفات ثم ادب اخر في البشارة وهو انه لا يخبر الانسان
بما يسره دفعة واحدة لانه يورث مرضا لانهم جلسوا واستانس بهم ابرهيم ثم قالوا انا نبشرك وتقدم الكلام
على غايات تقديم البشارة **قوله فراغ** اى عدل ومال الى اهله وقوله فجا عطف على فراغ وتسبيبه عنه واضح
بعجل سمين اى مشوى كقوله في مكان اخر بعجل حنيذ **فقربه اليهم** ليا كلوا فلم ياكلوا فقال **الا تاكلون** والهمزة في
الا تاكلون للانكار عليهم في عدم اكلهم او للعرض او للتحضيض **فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم**
قوله فاقبلت امراته في صرة قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان وانما هو كقولنا اقبل يشتمني
بمعنى اخذ في شتمي اى اخذت تولول لقوله قالت يا ويلتى وذلك انها كانت مع زوجها في خدمتهم فلما تكلموا مع
زوجها بولد لانها استحيت واعرضت عنهم فذكر الله تعالى ذلك بلفظ الاقبال على الاهل ولم يقل بلفظ الادبار
عن الملائكة **قوله في صرة** يجوز ان يكون حالا من الفاعل اى كائنة في صرة والصرة قيل الصيحة قال امرو القيس
فالحقنا بالهاديات ودونه جواحرها في صرة لم تزيل قال الزمخشرى من صر الجندب والباب
والقلم اى في صيحة كما يجرى عادة النسا اذا سمعن شيئا من احوالهن يصحن صيحة معتادة لهن عند الاستحيا
والتعجب ويحتمل ان يقال تلك الصيحة كانت بقولها يا ويلتا ومحلها النصب على الحال اى فجاءت صارة ويكون
ان يتعلق باقبلت اى اقبلت في جماعة نسوة كن معها والصرة الجماعة من النسا **قوله فصكت وجهها**
قال ابن عباس لطمت وجهها واختلف في صفته فقيل هو الضرب باليد مبسوطة وقيل بل الضرب بالوجه باطراف
الاصابع مثل المتعجب وهي عادة النسا اذا انكرن شيئا واصل الصك ضرب الشي بالشي العريض **قوله عجوز** خبر
مبتدا مضمر اى انا عجوز عقيم فكيف الد بعضهم الاية الاخرى واستبعدت ذلك لكبر سنها ولعقمها لانها
كانت لم تلد في صغرها وعنفوان شبابها ثم عجزت وايست فاستبعدت ذلك ظنا منها ان ذلك منهم على سبيل الدعا
لكنها قالت يا ليتكم دعوتم دعا قريبا من الاجابة فاجابوها بان ذلك من الله تعالى وان هذا المبشر به دعاءنا لا
هو قول الله **كذلك قال ربك** ثم دفعوا استبعادها بقولهم **انه هو الحكيم العليم** قوله **كذلك** منصوب على المصدر
بقال الثانية اى مثل ذلك القول الذى اخبرناك به قال ربك اى انه من جهة الله تعالى فلا تتعجبي منه قال
ابن الخطيب وقال ههنا الحكيم العليم وفي سورة هود انه حميد مجيد لان الحكاية في هود ابسط فذكروا ما يدفع
استبعادها بقولهم اتعجبين من امر الله ثم ارشدوها الى القيام بشكر نعم الله بقولهم حميد قال الحميد هو الذى
يفعل الافعال الحسنة والمجيد اشارة الى انه الذى لا يحمد لفعله وانما يحمد لذاته وههنا لما لم يقولوا اتعجبين
اشاروا الى ما يدفع تعجبها بقولهم حكيم عليم فالحميد يتعلق بالفعل والمجيد يتعلق بالذات وكذلك الحكيم
هو الذى فعله قاصدا اليه فان من يتقلب في نومه على جنبه فانت لا تعد حكيما واما اذا اقصد فعلها بحيث
يسلم من نهشها يقال له حكيم والعليم صفة راجعة الى الذات فقدم وصف الفعل وارتقى درجة الى وصف
الذات اشارة الى انه يستحق الحمد وان لم يفعل فعلا **قوله قال فما خطبكم ايها** هذا ايضا من اداب المضيف
اذا بادر الضيف للخروج قال ما هذه العجلة وما شانك لان في سكوته ما يوهم باستثقالهم ثم انهم اتوا بما
هو من ادب الصديق الذى لا يسر عن الصديق شيئا وكان ذلك باذن الله لهم في اطلاع ابرهيم عليه السلام
على اهلاكهم وجبر قلبه بتقديم البشارة باتى الانبيا اسحق عليه السلام **قال قيل** فما الذى اقتضى ذكره بالفا ولم لا قال

عنده

ما هذا الاستعجال وما خطبكم المعجل لكم **فالجواب** انه لما اوجس منهم خيفة لو خرجوا من غير بشارة وايناس ما كان يقول
شيئا فلما انسوه قال ما خطبكم اى بعد هذا الانس العظيم ما هذا الايحاش الاليم **فصل** والخطب يستعمل في الامر
العظيم ولذلك قال فما خطبكم اى لعظمتكم لا ترسلون الا في امر عظيم ولو قال بلفظ مركب بان يقول ما شغلكم
الخطير وامركم العظيم للزم التطويل فالخطب افاد التعظيم مع الايجاز وعرف انهم مرسلون بقولهم انا ارسلنا
او بقولهم لامراته كذلك قال ربك لحكايتهم قول الله تعالى وقال في سورة هود انا ارسلنا الى قوم لوط وقال هنا
الى قوم مجرمين لان الحكاية عن معنى قولهم ويحتمل انهم قالوا الامرين ولما حكى لفظهم في السلام اتى في الموضعين
بصفة واحدة **قوله لنرسل عليهم حجارة** فيه دليل على رجم اللائط والغاية في ارسال جماعة من الملائكة لهذا
الامر وان كان يكفي فيه الواحد منهم ان الملك العظيم قد يهلك بالامر الحقير كما اهلك النمرود بالبعوض وكما
اهلك بالقمل والجراد بل بالريح التي بها الحياة اظهارا للقدرة وقد تكثر الاسباب كما في يوم بدر امر خمسة الاف
من الملائكة باهلاك اهل بدر مع قلتهم اظهارا للعظيم قدرته وقوله **من طين** اى ليست من البرد والفاعل لذلك
هو الله تعالى لا كما يقول الحكما فانهم يقولون ان البرد يسمى حجارة فقوله من طين يدفع ذلك التوهم قال ابن الخطيب
ان بعض من يدعى العقل يقول لا ينزل من السما الا حجارة من طين مدورات على هيئة البرد وهيئة البنادق
التي تتخذها الرماة قالوا وسبب ذلك ان الاعصار يصعد الغبار من الفلوات العظيمة التي لا عمارة فيها والرياح
تسوقها الى بعض البلاد ويتفق ذلك الى هوا ندي فيصير طينا رطبا والرطب اذا نزل وتفرق استدار
بدليل انك اذا رميت الما الى فوق ثم نظرت اليه رايته ينزل كرات مدورات كاللالي الكبار ثم في النزول ان اتفق
ان تضربه النيران التي في الجو جعلته حجارة كالاجر المطبوخ فينزل فيصيب من قدر الله هلاكه وقد ينزل
كثيرا في المواضع التي لا عمارة بها فلا يرى ولا يدرى به فلهذا قال من طين لان ما لا يكون من طين كالحجر الذى في
الصواعق لا يكون كثيرا بحيث يمطر وهذا تعسف لان ذلك الاعصار ان وقع فان وقع لحادث اخر لزم التسلسل
ولا بد من الانتهاء الى محدث ليس بحادث فذلك المحدث لا بد وان يكون فاعلا مختارا والمختار له ان يفعل ذلك
وله ان يخلق الحجارة من طين على وجه اخر من غير نار ولا غبار لكن العقل لا طريق له الى الجزم بطريق احداثه وما
لا يصل العقل اليه فلا يوخذ الا بالنقل والنص ومن المعلوم ان نزول الحجارة الطين من السما اغرب واعجب
من غيرها **قوله مسومة** فيه ثلاثة اوجه احدها انه منصوب على النعت لحجارة والثاني انه حال من الضمير
المستكن في الجار قبله الثالث انه حال من حجارة وحسن ذلك كون النكرة وصفت بالجار بعدها ومعنى مسومة تدل
على كل حجر منها اسم صاحبه وقيل خلقت واعدت لتعذيبهم وقيل مرسلة للمجرمين لان الارسال يقال في
التسويم يقال ارسلها لترعى كما قيل في الخيل المسومة اى مستغنى عنها **قوله عند ربك** ظرف لمسومة اى معلمة
عنده والمسرف المتمادى ولو في الصغائر فهم مجرمون مسرفون وهذه الطيفة وهي ان الحجارة سومت للمسرف
المصر الذى لا يترك الذنب في المستقبل وذلك انما يعلمه الله تعالى فلذلك قال عند ربك للمسرفين ولما
كان الاجرام ظاهرا قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين واللام في المسرفين لتعريف العهد اى لهولا المسرفين
اذ ليس لكل مسرف حجارة مسومة واسرافهم بانهم اتوا بما لم يسبقهم به احد من العالمين **قوله فاخرجنا من كان**
فيها من المومنين هذه الاية تدل على بيان القدرة والاختيار لانه تعالى لما ميز المجرم عن المحسن دل على الاختيار
وانتفائها بيان ان بركة المحسن ينجو المسي فان القرية ما دام فيها المومنون لم تهلك والضمير فيها عائد الى
القرية وهي معلومة وان لم تكن مذكورة والمعنى فاخرجنا من كان في قرى قوم لوط من المومنين وذل قوله
فاسر باهلك بقطع من الليل وقوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى
بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مومن الا وهو مسلم وفيه اشارة الى ان الكفر اذا غلب والفسق اذا افشا
لا تنفع معه عبادة المومنين بخلاف ما لو كان اكثر الخلق على الطريقة المستقيمة وفيهم شرذمة يسيرة يسرقون
ويزنون ومثاله ان العالم كالبدن ووجود الصالحين كالاغذية الباردة والحارة والسموم الواردة
عليه الضارة ثم ان البدن ان خلا عن المنافع وفيه الضار هلك وان خلا عن الضار وفيه النافع طاب
ونما وان وجدا فيه فالحكم للغالب واعلم ان اطلاق العام على الخاص لا مانع منه لان المسلم اعم من المومن
فاذا سمي المومن مسلما لا يدل على اتحاد مفهوميهما فكانه تعالى قال اخرجنا المومنين فما وجدنا الاعم منهم
الا بيتا من المسلمين ويلزم من هذا ان لا يكون هناك غيرهم من المومنين **قوله وتركنا فيها اية** يجوز ان يعود
الضمير على القرية اى تركنا في القرية علامة اى عبرة كالحجارة او الما المنتن ويجوز ان يعود على الاهلاكة
المفهومة من السياق وقوله **للذين يخافون** اى ما ينتفع بها الا الخائف كقوله تعالى في سورة العنكبوت
لقوم يعقلون ومعنى الاية تدلهم على ان الله اهلكهم فيخافون مثل عذابهم **قوله تعالى وفي موسى** فيه اوجه

اظهرها انه عطف على قوله فيها باعادة الجار لان المعطوف عليه ضمير مجرور فيتعلق بتركنا من حيث المعنى ويكون التقدير وتركنا في قصة موسى اية وهذا واضح، والثاني انه معطوف على قوله في الارض ايات اى وفي الارض وفي موسى ايات للموقنين قاله الزمخشري وابن عطية، قال ابو حيان وهذا بعيد جدا ينزه القران عن مثله، قال شهاب الدين ووجه استبعاده له بعد ما بينهما وقد فعل اهل العلم هذا في اكثر من ذلك، والثالث انه متعلق بجعلنا مقدرة لدلالة وتركنا قال الزمخشري او على قوله يعني او يعطف على قوله وتركنا فيها اية على معنى وجعلنا في موسى اية كقوله ، فعلفتها تبنا وماء باردا ، قال ابو حيان ولا حاجة الى اضمار وجعلنا لانه قد امكن ان يكون العامل في المجرور وتركنا، قال شهاب الدين والزمخشري انما اراد الوجه الاول بدليل قوله وفي موسى معطوف على وفي الارض او على قوله وتركنا فيها وانما قال على معنى من جهة تفسير المعنى لا الاعراب وانما اظهر الفعل تنبيها على مغايرة الفعلين يعني ان هذا الترك غير ذاك الترك ولذلك ابرزه بمادة الجعل دون مادة الترك لتظهر المخالفة، الرابع ان يعطف على هل اتاك حديث ضيف ابرهيم تقديره وفي حديث موسى اذ ارسلناه وهو مناسب لان الله جمع كثيرا بين ذكر ابرهيم وموسى عليهما السلام كقوله تعالى ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى وقال في صحف ابرهيم وموسى قاله ابن الخطيب **فصل** والمعنى لك في ابرهيم تسلية وفي موسى او لقومك في لوط وقومه عبرة وفي موسى وفرعون او تفكروا في ابرهيم ولوط وقومه وفي موسى وفرعون هذا ان عطفناه على معلوم وان عطفناه على مذكور فقد تقدم انفا، والسلطان المبين الحجة الظاهرة **قوله اذ ارسلناه** يجوز في هذا الظرف ثلاثة اوجه احدها ان يكون منصوبا باية على الوجه الاول اى تركنا في قصة موسى علامة في وقت ارسالنا اياه، الثاني ان يتعلق بمحذوف لانه نعت لاية اى اية كائنة في وقت ارسالنا، الثالث انه منصوب بتركنا **قوله بسلطان** يجوز ان يتعلق بنفس الارسال وان يتعلق بمحذوف على انه حال اما من موسى واما من ضميره اى ملتبسا بسلطان وهو الحجة، والمبين الفارق بين سحر الساحرين وامر المرسلين، ويحتمل ان يكون المراد بالمبين اى البراهين القاطعة التي حاج بها فرعون **قوله فتولى بركنه** الجار والمجرور حال من فاعل تولى، ومعنى تولى ادبر عن الايمان، والباء للمصاحبة والمراد بالركن اى بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم كالركن الذي يتقوى به البنيان كقوله تعالى او اوي الى ركن شديد، وقيل الباء للتعدية فيكون المعنى تقوى بجنده، ويحتمل ان يكون المراد تولى امر موسى بقوته كانه قال اقتل موسى لئلا يبدل دينكم فتولى امره بنفسه فيكون المفعول غير مذكور، وركنه هو نفسه القوية، ويحتمل ان يكون المراد بركنه هامان فانه كان وزيره **قوله ساحر او مجنون** او هنا على بابها من الابهام على السامع او للشك نزل نفسه مع انه يعرفه نبيا حقا منزلة الشاك في امره تمويها على قومه، وقال ابو عبيدة او بمعنى الواو وقال لانه قد قالهما قال تعالى ان هذا لساحر عليم، وقال في موضع اخر ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون، ويجيء او بمعنى الواو كقوله ،

، اثعلبة الفوارس او رياحا ... عدلت بهم طهية والخشابا ،

ورد الناس عليه هذا وقالوا لا ضرورة تدعو الى ذلك، واما الايتان فلا يدلان على انه قالهما معا وانما يفيدان انه قالهما اعم من ان يكونا معا او هذه في وقت وهذه في اخر **قوله وجنوده** يجوز ان يكون معطوفا على مفعول اخذناه وهو الظاهر وان يكون مفعولا معه فنبذناهم في اليم اى فالقيناهم في البحر **قوله وهو مليم** جملة حالية فان كانت حالا من مفعول نبذناهم فالواو لازمة اذ ليس فيها ذكر يعود على صاحب الحال وان كانت حالا من مفعول اخذناه فالواو ليست واجبة اذ في الجملة ذكر يعود عليه وقد يقال ان الضمير في نبذناهم يعود على فرعون وعلى جنوده فصار في الحال ذكر يعود على بعض ما شمله الضمير الاول وفيه نظر اذ يصير نظير قولك جاء السلطان وجنوده فاكرمتهم راكبا فرسه فيجعل راكبا حالا من بعض ما اشتمل عليه ضمير اكرمتهم **فصل** ومعنى مليم اى اتى بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسول **قوله تعالى وفي عاد اذ ارسلنا** الكلام عليه قد تقدم على نظيره، واعلم ان المراد بهذه الحكايات تسلية قلب النبي عليه السلام وتذكيره بحال الانبياء **فان قيل** لم لم يذكر في عاد وثمود انبياءهم كما ذكر ابرهيم وموسى ولوطا عليهم السلام **فالجواب** انه ذكر ست حكايات حكاية ابرهيم وبشارته، وحكاية قوم لوط ونجاة من كان فيها من المؤمنين وحكاية موسى ففي هذه الحكايات الثلاث ذكر الرسل والمؤمنين لان الناجين منهم كانوا كثيرين فاما في حق ابرهيم وموسى فظاهر، واما في حق لوط فلان الناجين وان كانوا اهل بيت واحد لكن المهلكين كانوا ايضا اهل بقعة واحدة، واما عاد وثمود وقوم نوح فكان عدد المهلكين بالنسبة الى الناجين اضعاف المهلكين من قوم لوط عليه السلام فذكر الحكايات الثلاث الاول للتسلية بالنجاة وذكر الثلاث المتاخرة للتسلية باهلاك العدو

والكل مذكور للتسلية بدليل قوله تعالى في اخر هذه الايات كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون الى ان قال فتول عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقال في سورة هود بعد الحكايات ذلك من انباء القرى نقصه عليك الى ان قال وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد **قوله اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم** وهي التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا الا انها كانت تكسر وتقطع فكيف تلقح، واعلم ان الفعيل لا يلحقه تاء التانيث اذا كان بمعنى فاعل في بعض الصور وقد تقدم ذكر سببه وهو ان فعيلا لما جاء للمفعول والفاعل جميعا ولم يتميز المفعول عن الفاعل فاولى ان لا يتميز المؤنث عن المذكر فيه لان تمييز الفاعل عن المفعول قبل تمييز المذكر والمؤنث لان الفاعل جزء من الكلام يحتاج اليه والمفعول فيه اكيد وان لم يكن جزءا من الكلام محتاجا اليه فاول ما يحصل في الفعل الفاعل ثم التذكير والتانيث يصير كالصفة للفاعل تقول فاعل وفاعلة ومفعول ومفعولة ويدل على ذلك ايضا ان التمييز بين الفاعل والمفعول جعل بحرف ممازج للكلمة فقيل فاعل بفاصل بين الفاء والعين التي هي من اصل الكلمة وقيل مفعول بواو فاصلة بين العين واللام والتانيث كان بحرف في اخر الكلمة فالمميز فيهما غير نظم الكلمة لشدة الحاجة لم يؤثر ولان التمييز في الفاعل والمفعول كان بامرين يختص كل واحد منهما باحدهما فالالف بعد الفاء تختص بالفاعل والميم والواو تختص بالمفعول والتمييز في التذكير والتانيث بحرف واحد وجوده يميز المؤنث وعدمه يبقي اللفظ على اصل التذكير فان لم يكن فعيل يمتاز فيه الفاعل عن المفعول الا بامر منفصل كذلك المؤنث والمذكر لا يمتاز احدهما عن الاخر الا بحرف منفصل به **قوله من شيء** فيه وجهان احدهما انه نصب على انه صفة للريح بعد صفة العقيم قاله الواحدي **فان قيل** كيف يكون وصفا والمعرف لا يوصف بالجمل وما تذر جملة فلا يوصف بها الا النكرات **فالجواب** من وجهين الاول ان تكون بالارادة الريح تقديرا كانه يقول لم تكن من الرياح التي تنفع ولا من مثلها التي تشبهها نكرة ولهذا اكثر ما ذكرت في القران منكرة ووصفت بالجملة قوله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم وقوله ريحا صرصرا عاتية سخرها عليهم الى غير ذلك، الوجه الثاني انه نصب على الحال تقول جاءني ما يفهم شيئا فعلمته وفهمته اى حاله كذا **فان قيل** لم يكن الارسال ما تذر والحال ينبغي ان يكون موجودا مع ذي الحال وقت الفعل فلا يجوز ان يقال جاءني زيد امس راكبا غدا والريح بعد ما ارسلت بزمان صارت ما تذر الاشياء **فالجواب عنه** ان المراد به بيان الصلاحية اى التي ارسلناها على قوة وصلاحية ان لا تذر تقول لمن جاء واقام عندك ايام ما سالك شيئا جئتني سائلا اى وقت السؤال بالصلاحية والامكان هذا ان قيل بانه نصب على المشهور ويحتمل انه رفع على خبر مبتدا محذوف تقديره هي ما تذر **فان قيل** ما تذر للنفي حال التكلم يقال ما يخرج زيد الى الان واذا اردت المستقبل تقول لا يخرج او لن يخرج وتقول للماضي ما خرج ولم يخرج والريح حالة الكلام مع النبي عليه السلام كانت ما تركت من شيء الا جعلته كالرميم فكيف قال بلفظ الحال ما تذر **فالجواب** ان الحكايات مقدرة على انها محكية حال الوقوع كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد مع ان اسم الفاعل بمعنى الماضي لا يعمل وانما يعمل ما كان منه بمعنى الحال والاستقبال **فان قيل** هل في قوله ما تذر من شيء اتت عليه تخصيص كما في قوله تعالى تدمر كل شيء بامر ربها **فالجواب** ان المراد به المبالغة لان قوله اتت عليه وصف لقوله شيء كانه قال كل شيء اتت عليه او كل شيء تاتي عليه ولا تدخل فيه السموات لانها ما اتت عليه وانما تدخل فيه الاجسام التي تهب عليها الرياح **فان قيل** فالجبال والصخور اتت عليه وما جعلته كالرميم **فالجواب** ان المراد اتت عليه قاصدة له وهو عاد وابنيتهم وعروشهم لانها كانت مامورة بامر من عند الله فكانها كانت قاصدة لهم فما تركت شيئا من تلك الاشياء الا جعلته كالرميم **قوله الا جعلته كالرميم** هذه الجملة في موضع المفعول الثاني لتذر كانه قيل ما تترك من شيء الا مجعولا نحو ما تركت زيدا الا عالما واعربها ابو حيان حالا وليس بظاهر **فصل** المعنى ما تذر شيئا اتت عليه من انفسهم واموالهم وانعامهم الا جعلته كالرميم اى كالشيء الهالك البالي وهو نبات الارض اذا يبس وديس قال مجاهد كالتبن اليابس وقال ابو العالية كالتراب المدقوق وقيل اصله من العظم البالي **قوله تعالى وفي ثمود** الكلام عليه كما تقدم في قوله وفي موسى وقوله **اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين** قال بعض المفسرين المراد منه هو ما امهلهم الله بعد عقرهم الناقة وهو ثلاثة ايام في قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فان الظاهر ان المراد هو ما قدر الله للناس من الاجال فما من احد الا وهو ممهل مدة الاجل **قوله فعتوا عن امر ربهم** عتى يتعدى تارة بعلى كقوله تعالى ايهم اشد على الرحمن عتيا وههنا استعمل بعن لان فيه معنى الاستكبار كقوله لا يستكبرون عن عبادته وحيث استعمل بعلى فهو كقولك فلان يتكبر علينا **قوله فاخذتهم الصاعقة** هذه قراءة العامة وقرا الكسائي الصعقة والحسن الصاعقة وتقدم ذلك في البقرة وقوله وهم ينظرون جملة حالية من المفعول وينظرون قيل من النظر وقيل من الانتظار اى ينتظرون ما وعدوه من العذاب **قوله فما استطاعوا من قيام** اى فما قاموا بعد نزول العذاب ولا قدروا على نهوض قال قتادة

لم ينهضوا من تلك الصرعة وقوله من قيام يدل على قوله من هرب لان العاجز عن القيام اولى ان يعجز عن الهرب وتحتمل الاية
المراد منه من القيام بالامر اى ما استطاعوا من قيام به وما كانوا منتصرين اى ممتنعين منا قال قتادة ما كان لهم
قوة بها من الله قوله تعالى وقوم نوح قرا الاخوان وابو عمرو بجر الميم والباقون بنصبها وابو السمال وابن مقسم
وابو عمرو في رواية الاصمعي وقوم بالرفع فاما الخفض ففيه اربعة اوجه احدها انه معطوف على وفي الارض الثاني
انه معطوف على وفي موسى الثالث انه معطوف على وفي عاد الرابع انه معطوف على وفي ثمود وهو الظاهر لقربه
وبعد غيره ولم يذكر الزمخشري غيره فانه قال قرئ بالجر على معنى وفي قوم نوح ويقويه قراءة عبد الله وفي قوم
نوح اى لكم عبرة ولم يذكر ابو البقاء غير الوجه الاخير لظهوره واما النصب ففيه ستة اوجه احدها انه منصوب
بفعل مضمر اى واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه الثاني انه منصوب باذكر مقدرا ولم يذكر الزمخشري
غيرهما الثالث انه منصوب عطفا على مفعول فاخذناه الرابع انه معطوف على مفعول فنبذناهم في اليم لانه
اغرقناهم وناسب ذلك ان قوم نوح مغرقون من قبل لكن يشكل انهم لم يغرقوا في اليم واصل العطف ان يقتضي
التشريك في المتعلقات الخامس انه معطوف على مفعول فاخذتهم الصاعقة وفيه اشكال لانهم لم تاخذهم
الصاعقة وانما اهلكوا بالغرق الا ان يراد بالصاعقة الداهية والنازلة العظيمة من اى نوع كانت فيقرب
ذلك السادس انه معطوف على محل وفي موسى نقله ابو البقاء وهو ضعيف واما الرفع فعلى الابتدا والخبر مقدر
اى اهلكناهم وقال ابو البقاء والخبر ما بعده يعني من قوله انهم كانوا قوما فاسقين ولا يجوز ان تكون مرادة
قوله من قبل اذ الظرف ناقص فلا يخبر به قوله والسما بنيناها العامة على النصب على الاشتغال وكذلك قوله
والارض فرشناها والتقدير وبنينا السما بنيناها وقال ابو البقاء اى ورفعنا السما فعلى هذا الناصب من غير
لفظ الظاهر وهذا انما يصار اليه عند تعذر التقدير الموافق لفظا نحو زيدا مررت به وزيدا ضربت غلامه
واما في نحو زيدا ضربته فلا يقدر الا اضربت زيدا وقرا ابو السمال وابن مقسم برفعهما على الابتدا والخبر ما
بعدهما والنصب ارجح لعطف جملة الاشتغال على جملة فعلية قبلها قوله بايد يجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال
وفيها وجهان احدهما انه حال من فاعل بنيناها اى ملتبسين بايد بقوة قال تعالى عبدنا داود ذا الايد
الثاني انها حال من مفعوله اى ملتبسة بقوة ويجوز ان تكون البا للسبب اى بسبب قدرتنا ويجوز ان تكون البا
معدية مجازا على ان تجعل الايد كالالة المبني بها كقولك بنيت بيتك بالاجر قوله وانا لموسعون يجوز ان تكون
جملة حالا من فاعل بنيناها ويجوز ان تكون حالا من مفعوله ومفعول موسعون محذوف اى موسعون بناها
ويجوز ان لا يقدر له مفعول لان معناه لقادرون كقولك ما في وسعي كذا اى ما في طاقتي وقوتي كقوله تعالى
لا يكلف الله نفسا الا وسعها قاله ابن عباس وعنه ايضا لموسعون الرزق على خلقنا وقيل ذو سعة قال
الضحاك اغنيا دليله قوله تعالى على الموسع قدره فصل والحكمة في كثرة ذكر البنا في السموات كقوله تعالى
والسما وما بناها وقوله ام السما بناها وقوله والسما بنا ان السما باقية الى قيام الساعة لم يسقط منها شي ولم
يعدم منها جزء واما الارض فهي في التبدل والتغير كالفرش الذي يبسط ويطوى وينقل والسما كالبنا
المبني الثابت كما اشار اليه بقوله سبعا شدادا واما الاراضي فكم صارت بحرا وعادت ارضا من وقت
حدوثها وايضا فالسما ترى كالقبة المبنية فوق الروس والارض مبسوطة مدحوة وذكر البنا بالمرفوع اليق
كقوله تعالى رفع سمكها وقال بعض الحكما السما مسكن الارواح والارض موضع الاعمال والمسكن اليق
بكونه بناء والله اعلم فان قيل ما الحكمة في تقديم المفعول على الفعل ولو قال وبنينا السما بايد كان اوجز فالجواب
قال ابن الخطيب لان الصنع قبل الصانع عند الناظر في المعرفة فلما كان المقصود اثبات العلم بالصانع قدم الدليل
وقال والسما المبنية التي لا تشكون في بنيانها فاعرفوا بانيها ان كنتم لا تعرفونه فان قيل اذا كان اثبات التوحيد
فكيف قال بنيناها ولم يقل بنيتها ولا بناها الله فالجواب ان قوله بنيناها ادل على عدم التشريك
لان الشركة ضعيفة فان الشريك يمنع شريكه عن التصرف والاستبداد وقوله بنيناها يدل على العظمة
وبين العظمة والضعف تناف فبين قوله بنيناها وبين ان يكون شريكه منافاة وتقريره ان قوله تعالى بنينا لا يورث
ايهاما بان الالهة التي كانوا يعبدونها هي التي يرجع اليها الضمير لان تلك اما اصنام منحوتة واما كواكب جعلوا الاصنام
على صورها وطبايعها فاما الاصنام المنحوتة فلا يشكون انها ما بنت السما شيئا واما الكواكب فهي في السما محتاجة
اليها فلا تكون هي بانيها وانما يقال بنيت لها وجعلت اماكنها فلما لم يتوهم ما قالوا بنينا نحن وانحن غير ما يقولون
ويدعون فلا يصلحون لنا شركا ثم لما بين ان قولهم لا يتوهم شريكا اصلا لان كل ما هو غير السما فهو محتاج الى السما
ودون السما في المرتبة فلا يكون خالقا للسما ولا بانيها فعلم ان قوله بنيناها ادل على نفي الشريك من بنيتها
وبناها الله فان قيل لم لم يقل بنيناها بايدينا كما قال مما عملت ايدينا فالجواب ان ذلك لفايدة جليلة

وهي ان السما لا يخطر ببال احد انها مخلوقة لغير الله والانعام ليست كذلك فقال هناك عملت ايدينا تنصيصا بان الحيوان
مخلوق لله تعالى من غير واسطة وكذلك خلقت بيدي وفي السما قال بايد من غير اضافة لاستغنائها عنها وفيه
لطيفة اخرى وهي ان هناك لما اثبت الاضافة لم يعد الضمير العايد الى المفعول فلم يقل خلقته بيدي ولا قال
عملته ايدينا وقال ههنا بنيناها لان هناك لم يخطر ببال احد ان الانسان غير مخلوق وان الحيوان غير معمول
فلم يقل خلقته ولا عملته واما السما فبعض الجهال يزعم انها غير مجعولة فقال بنيناها بعود الضمير تصريحا بانها
مخلوقة قوله والارض اى بسطناها ومهدناها وفيه دليل على ان خلق الارض بعد خلق السما لان بنا البيت يكون في العادة
قبل الفرش قوله فنعم الماهدون المخصوص بالمدح محذوف لفهم المعنى اى نحن كقوله نعم العبد قال ابن عباس
معناه الباسطون اى نعم ما وطات لعبادي قوله ومن كل يجوز ان يتعلق بخلقنا اى خلقنا من كل شي زوجين وان
يتعلق بمحذوف على انه حال من زوجين لانه في الاصل صفة له اذ التقدير خلقنا زوجين كاينين من كل شي والاول اوجه في المعنى فصل
المعنى خلقنا زوجين صنفين ونوعين مختلفين كالسما والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والشتا
والصيف والجن والانس والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو
والمر لعلكم تذكرون فتعلمون ان خالق الازواج واحد لا شريك له لا يعجز عن حشر الاجساد وجمع الارواح قوله ففروا
الى الله اى فاهربوا من عذاب الله الى ثوابه بالايمان والطاعة قال ابن عباس فروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال
سهل بن عبد الله فروا مما سوى الله الى الله اني لكم منه نذير مبين وهذا اشارة الى الرسالة قوله ولا تجعلوا مع الله
الها اخر اتماما للتوحيد لان التوحيد بين التعطيل والتشريك لان المعطل يقول لا اله اصلا والمشرك يقول بوجود
الاله واخر والموحد يقول قول الاثنين باطل لان نفي الواحد باطل والقول بالاثنين باطل فلما قال تعالى ففروا الى الله اثبت وجود
الله فلما قال ولا تجعلوا مع الله الها اخر نفى الاكثر من واحد فصح القول بالتوحيد بالايتين وهكذا قال مرتين اني لكم منه
نذير مبين اى في المقامين والموضعين قوله كذلك فيه وجهان اظهرهما انه خبر مبتدا محذوف اى الامر مثل ذلك
قال الزمخشري والاشارة بذلك الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا او مجنونا ثم فسر ما اجمل بقوله ما اتى والثاني
ان الكاف في محل نصب نعتا لمصدر محذوف قاله مكي ولم يبين تقديره ولا يصح ان ينتصب بما بعده لاجل ما النافية
واما المعنى فلا يمتنع ولذلك قال الزمخشري ولا يصح ان تكون الكاف منصوبة باتى لان ما النافية لا يعمل ما بعدها
فيما قبلها ولو قيل لم يات لكان صحيحا يعني لو اتى في موضع ما بلم لجاز ان ينتصب الكاف باتى لان المعنى يسوغ عليه
والتقدير كذبت قريش تكذيبا مثل تكذيب الامم السالفة رسلهم ويدل عليه قوله ما اتى الذين من قبلهم الاية
قوله الا قالوا الجملة القولية في محل نصب على الحال من الذين من قبلهم ومن رسول فاعل اتى كانه قيل ما اتى الاولين
رسول الا في حال قولهم هو ساحر فان قيل ان من الانبيا من قرر دين النبي الذي كان قبله وبقي القوم على ما كانوا عليه
كانبيا بني اسرايل في كيف وادم لما ارسل لم يكذب فالجواب انا لا نسلم ان المقرر رسول بل هو نبي على دين رسول
ومن كذب رسوله فهو يكذبه ايضا ضرورة فان قيل قوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا يدل على انهم
كلهم قالوا ساحر والامر ليس كذلك لان ما من رسول الا وامن به قوم وهم ما قالوا ذلك فالجواب ان ذلك
ليس بعام فانه لم يقل الا قال كلهم وانما قال الا قالوا ولما كان كثير منهم قايلين ذلك قال الله تعالى الا قالوا
فان قيل فلم لم يذكر المصدقين كما ذكر المكذبين وقال الا قال بعضهم صدقت وبعضهم كذبت فالجواب
لان المقصود التسلية وهي على التكذيب فكانه تعالى قال لا تاس على تكذيب قومك فان اقواما قبلك كذبوا
ورسلا كذبوا قوله اتواصوا به الاستفهام للتعجب والتوبيخ والضمير في به يعود على القول المدلول عليه بقالوا
اى اتواصى الاولون والاخرون بهذا القول المتضمن لساحر او مجنون والمعنى كيف اتفقوا على قول واحد
كانهم تواطوا عليه وقال بعضهم لبعض لا تقولوا الا هذا واوصى اولهم اخرهم بالتكذيب ثم قال لم يكن ذلك
للتواطي قولا وانما كان لمعنى جامع وهو ان الكل اترفوا فاستغنوا فنسوا الله فطغوا فكذبوا رسله قال ابن
عباس حملهم الطغيان فيما اعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيبك قوله فتول عنهم فاعرض عنهم فما انت بملوم لا لوم
عليك فقد اديت الرسالة وما قصرت فيما امرت به وهذه تسلية اخرى قال المفسرون لما نزلت هذه الاية حزن
رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك على اصحابه وظنوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ امر
النبي صلى الله عليه وسلم ان يتولى عنهم فانزل الله وذكر فان الذكرى تنفع المومنين فطابت انفسهم والمعنى
ليس التولي مطلقا بل تول واقبل واعرض وادع فلا التولي يضرك اذا كان عليهم ولا التذكير يضيع اذا كان مع
المومنين قال مقاتل معناه عظ بالقران من امن من قومك فان الذكرى تنفعهم قوله وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون هذا الجار متعلق بخلقت واختلف في الجن والانس فقيل المراد بهم العموم والمعنى الا
لامرهم بالعبادة وليقروا بها وهذا منقول عن علي بن ابي طالب ويويده وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا ويكون

المعنى ليطيعوني وينقادوا لقضائي فالمومن يفعل ذلك طوعا والكافر كرها فكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل لمشيئته
ولا يملك احد لنفسه خروجا عما خلق عليه او يكون المعنى الا معدين للعبادة ثم منهم من يأتي منه ذلك ومنهم من لا
كقولك هذا القلم بريته للكتابة ثم قد يكتب به وقد لا يكتب وقيل المراد به الخصوص اي ما خلقت السعداء من الجن
والانس الا للعبادة والاشقياء منهم الا للمعصية قاله زيد بن اسلم قال هو ما جبلوا عليه من السعادة والشقاوة ويؤيده
قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقال مجاهد معناه الا ليعرفون وقال البغوي وهذا احسن لانه
لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده بدليل قوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقيل الا ليعبدون
الا ليوحدون فاما المومن فيوحده في الشدة والرخاء واما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة
والرخاء قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقيل المراد وما خلقت الجن والانس
المومنين وقيل الطائعين قال شهاب الدين والاول احسن **فصل** في تعلق الاية بما قبلها ان بعثة الانبياء
منحصرة في امرين عبادة الله وهداية الخلق فلما قال تعالى فتول عنهم فما انت بملوم بين ان الهداية سقطت
عند الياس واما العبادة فهي لازمة للخلق المطلق وليس الخلق المطلق للهداية وقيل انه لما بين حال من قبله
في التكذيب ذكر هذه الاية ليبين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله الذي خلقهم للعبادة **فان قيل** ما الحكمة في
انه لم يذكر الملائكة مع انهم من اصناف المكلفين وعبادتهم اكثر من عبادة غيرهم من المكلفين قال تعالى بل
عباد مكرمون وقال لا يستكبرون عن عبادته **فالجواب** من وجوه احدها انه تقدم ان الاية سيقت
لبيان قبح ما يفعله الكفرة من ترك ما خلقوا له وهذا مختص بالجن والانس لان الكفر موجود في الجن والانس
بخلاف الملائكة الثاني ان النبي عليه السلام كان مبعوثا الى الجن والانس فلما قال وذكر بين ما يذكر به وهو
كون الخلق للعبادة وخصص امته بالذكر اي ذكر الانس والجن الثالث ان عبادة الاصنام كانوا يقولون
بان الله تعالى عظيم الشان خلق الملائكة وجعلهم مقربين فهم يعبدون الله وخلقهم لعبادته ونحن لنزول
درجتنا لا نصلح لعبادة الله فنعبد الملائكة وهم يعبدون الله كما قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله فقال تعالى ما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون ولم يذكر الملائكة لان الامر فيهم كان مسلما من القوم فذكر المتنازع فيه الرابع
فعل الجن يتناول الملائكة لان اصل الجن من الاستتار وهم مستترون عن الخلق فذكر الجن لدخول الملائكة
فيهم **قوله ما اريد منهم من رزق** اي ان يرزقوا احدا من خلقي والى ان يرزقوا انفسهم **وما اريد ان يطعمون** اي
يطعموا احدا من خلقي وانما اسند الاطعام الى نفسه لان الخلق عيال الله ومن اطعم عيال احد فقد اطعمه
قال عليه السلام يقول الله تعالى استطعمتك فلم تطعمني اي لم تطعم عبدي **فصل** استدل المعتزلة بقوله
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على ان افعال الله تعالى معللة بالاغراض واجيبوا بوجوه تقدمت
ومنها ان اللام قد تثبت لغير الغرض كقوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس وقوله فطلقوهن لعدتهن
ومعناه المقارنة فيكون معناه قرنت الخلق بالعبادة اي خلقتهم وفرضت عليهم العبادة ومنها قوله
تعالى الله خالق كل شيء ومنها ما يدل على ان الاضلال بفعل الله تعالى كقوله تعالى يضل من يشاء وامثاله
ومنها قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وقوله يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد وقوله تعالى ما اريد منهم من
رزق وما اريد ان يطعمون معناه ان النفع لا يعود اليهم لا الي **فان قيل** ما الفائدة في تكرير الارادتين مع
ان من لا يريد من احد رزقا لا يريد منه ان يطعمه **فالجواب** ان السيد قد يطلب من العبد المكتسب
له فيطلب منه الرزق وقد يكون للسيد مال وافر يستغني به عن التكسب لكنه يطلب من العبد قضاء حوائجه
واحضار الطعام بين يديه فقال لا اريد ذلك ولا هذا او قدم طلب الرزق على طلب الاطعام من باب
الارتقاء من الادنى الى الاعلى **فان قيل** ما فائدة تخصيص الاطعام بالذكر مع ان المراد عدم طلب فعل منهم
غير التعظيم **فالجواب** انه لما عمم النفي في الطلب الاول بقوله من رزق وذلك اشارة الى التعميم
بذكر الاطعام ونفي الادنى يستتبعه نفي الاعلى بطريق الاولى فكانه قال ما اريد منهم من عين ولا عمل **فان قيل**
المطالب لا تنحصر فيما ذكره فان السيد قد يشتري العبد لا لطلب عمل منه ولا لطلب رزق ولا للتعظيم بل
يشتري به للتجارة **فالجواب** ان عموم قوله ما اريد منهم من رزق يتناول ذلك **قوله ان يطعمون**
قيل فيه حذف مضاف اي يطعموا خلقي كما تقدم في التفسير وقيل المعنى ان ينفعون فعبر ببعض وجوه الانتفاع
لان عادة السادة ان ينتفعوا بعبيدهم والله مستغن عن ذلك **قوله ان الله هو الرزاق** يعني لجميع خلقه
وهذا تقرير لعدم طلب الرزق وقوله ذو القوة تقرير لعدم طلب العمل لان من يطلب رزقا يكون فقيرا
محتاجا ومن يطلب عملا يكون عاجزا لا قوة له فكانه يقول ما اريد منهم من رزق فاني انا الرزاق ولا العمل
فاني قوي وروي ان النبي عليه السلام قرأ اني انا الرزاق وقرأ ابن محيصن الرازق كما تقدم في قراءته

وفي السماء رزقكم **قوله المتين** العامة على رفعه وفيه اوجه اما النعت للرزاق واما النعت لذو واما النعت لاسم ان على
الموضع وهو مذهب الجرمي والفراء وغيرهما واما خبر بعد خبر واما خبر مبتدأ مضمر وعلى كل تقدير فهو تاكيد لان ذو القوة
يفيد فائدته وقرأ يحيى بن وثاب والاعمش المتين بالجر فقيل صفة للقوة وانما ذكر وصفها لكون تانيثها غير حقيقي وقيل
لانها في معنى الايد وقال ابن جني هو خفض على الجوار كقولهم هذا جحر ضب خرب يعني انه صفة للمرفوع وانما جر للجوار
وهذا مرجوح لامكان غيره والجوار لا يصار اليه الا عند الحاجة **فصل** قال تعالى ما اريد ولم يقل اني رازق
بل قال على الحكاية عن الغائب ان الله هو الرزاق فما الحكمة فيه قال ابن الخطيب قد روي ان النبي عليه السلام قرا اني انا
الرزاق واما على القراءة المشهورة فالمعنى قل يا محمد ان الله هو الرزاق او يكون من باب الالتفات من التكلم الى الغيبة
ويكون قل مضمرا عند قوله ما اريد منهم اي قل يا محمد ما اريد منهم من رزق فيكون بمعنى قوله قل ما اسألكم عليه من اجر
ويكون على هذا قوله تعالى ان الله هو الرزاق ولم يقل القوي بل قال ذو القوة لان المقصود تقرير ما تقدم من عدم ارادة
الرزق وعدم الاستعانة بالغير لكن في عدم طلب الرزق لا يكفي كونه مستغنيا بحيث يرزق واحدا لان كثيرا من الناس
يرزق ولده وعبده ويسترزق فاذا اكثر منه الرزق قل منه الطلب لان المسترزق منه يكثر والرازق لا يسترزق
فهو دون ذلك لا يغني غيره ولا يستعين به استعانة قوية بل استعانة ما وتتفاوت بعد ذلك ولما قال وما اريد
ان يطعمون كفاه بيان نفس القوة فقال ذو القوة لان قولنا ذو القوة في العادة يعني القوي دون ان العادة القوي لان ذلك
لا يقال في الوصف اللازم يقال في الادمي ذو مال وشمول ودو جمال وجمال وذو خلق حسن الى غير ذلك مما لا يلزم لزوما بينا ولا
يقال في الثلاثة ذات فردية وفي الاربعة ذات زوجية ولهذا لم يرد في الاوصاف الحقيقية فلم يسمع ذو الموجود ولا ذو
الحياة ولا ذو العلم ويقال في الانسان ذو علم وذو حياة لانها فيه عرض عارض لا لازم بين وفي صفات الفعل قال تعالى
ذو الفضل كثير الان لفظة ذا بمعنى صاحب والصحبة لا يفهم منها اللزوم فضلا عن اللزوم البين ويؤيد هذا قوله وفوق كل ذي
علم عليم فجعل غيره ذا علم ووصف نفسه بالفعل فبين ذا العلم والعليم فرق كذلك بين ذي القوة والقوي ويؤيده ايضا قوله تعالى
فاخذهم الله انه قوي وقوله ان الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي وقال لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز
لان هذه الصور كان المراد بها بيان القيام بالافعال العظيمة وههنا المراد عدم الاحتياج ومن لا يحتاج الى الغير يكفيه
من القوة ادنى قدر ومن يستعين بالغير لا بد له من قوة عظيمة لان عدم الحاجة قد يكون بترك الفعل والاستغناء عنه
فصل وقوله المتين لان ذا القوة كما تقدم لا يدل الا على ان له قوة ما فزاد في الوصف المتانة وهو الذي له ثبات
لا يتزلزل وهو مع المتين من باب واحد لفظا ومعنى قال معنى متن الشيء هو اصله الذي عليه ثباته والمتن هو الظهر
الذي عليه اساس البدن والمتانة مع القوة كالعزة مع القوي حيث قرن العزة مع القوة في قوله قوي عزيز وقوله
القوي العزيز والله اعلم **قوله فان للذين ظلموا ذنوبا** قد تقدم الكلام على الفاء ووجه التعلق والمراد بالذين ظلموا
كفار مكة ومعنى ذنوبا اي نصيبا من العذاب **مثل ذنوب اصحابهم** اي مثل نصيب اصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح
وعاد وثمود والذنوب في الاصل الدلو العظيمة المملوءة ماء وفي الحديث فاتي بذنوب من ماء فان لم يكن ملأى فهو
دلو ثم عبر به عن النصيب قال علقمة وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب ويجمع في القلة
على اذنبة وفي الكثرة على ذنائب وقال الملك لما انشد هذا البيت نعم واذنبة وقال الزمخشري الذنوب الدلو
العظيمة وهذا تمثيل اصله في السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال الشاعر
لنا ذنوب ولكم ذنوب فان ابيتم فلنا القليب وقال الراغب الذنوب الدلو الذي له ذنب انتهى فراعى
الاشتقاق والذنوب ايضا الفرس الطويل الذنب وهو صفة على فعول والذنوب لحم اسفل المتن ويقال يوم ذنوب
اي طويل الشر استعارة من ذلك **قوله فلا يستعجلون** اي بالعذاب ووجه مناسبة الذنوب ان العذاب منصب عليهم
كما يصب الذنوب قال تعالى يصب من فوق رؤوسهم الحميم وقال صبوا فوق راسه من عذاب الحميم والذنوب كذلك
فكانه قال يصب فوق رؤوسهم ذنوبا من العذاب كذنوب صب فوق رؤوس اوليك ووجه اخر وهو ان العرب يستقون
من الابار على النوبة ذنوبا بعد ذنوب وذلك وقت عطشهم الطيب فكانه تعالى قال ان للذين ظلموا من الدنيا وطيبها نهما
ذنوبا اي امتلاء لا يكون لهم في الاخرة من نصيب كما كان عليه حال اصحابهم استقوا ذنوبا وتركوها وعلى هذا فالذنوب
ليس بعذاب ولا هلاك وانما هو رغد العيش قال ابن الخطيب وهذا الين بالعربية **قوله فويل للذين كفروا من
يومهم الذي يوعدون** يعني يوم القيامة وقيل يوم بدر وحذف العائد لاستكمال شروطه اي يوعدونه روى
الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة والذاريات اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور

وهي تسع وأربعون آية وثلاثمائة واثنتا عشرة كلمة وألف وخمسمائة حرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والطور
وما بعده أقسام جوابها أن عذاب ربك لواقع والواوات التي بعد الأولى عواطف لا حروف قسم كما تقدم في أول هذا الكتاب
عن الخليل وتنكير الكتاب تفخيما وتعظيما فصل مناسبة هذه السورة لما قبلها من حيث الافتتاح بالقسم وبيان الحشر
فيهما وأول هذه السورة مناسب لما قبلها لأن في آخرها قوله تعالى فويل للذين كفروا وفي أول هذه السورة فويل للمكذبين
وفي آخر تلك السورة قوله فإن للذين ظلموا ذنوبا وذلك إشارة إلى العذاب وقال ههنا إن عذاب ربك لواقع فصل
قيل المراد بالطور الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام بالأرض المقدسة أقسم الله به وقيل هو الجبل الذي قال الله
تعالى وطور سينين وقيل هو اسم جنس والمراد بالكتاب المسطور كتاب موسى عليه السلام وهو التوراة وقيل الكتاب
الذي في السماء وقيل صحائف أعمال الخلق قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقيل القرآن والمراد
بالمسطور المكتوب قوله في رق يجوز أن يتعلق بمسطور أي مكتوب في رق وجوز أبو البقاء أن يكون نعتا آخر للكتاب
وفيه نظر لأنه يشبه تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه والرق بالفتح الجلد الرقيق يكتب فيه وقال الراغب الرق ما
يكتب فيه شبه كاغد انتهى فهو أعم من كونه جلدا أو غيره ويقال فيه رق بالكسر فأما ملك العبيد فلا يقال إلا رق
بالكسر وقال الزمخشري والرق الصحيفة وقيل الجلد الذي يكتب فيه انتهى وقد غلط بعضهم من يقول كتبت في
الرق بالكسر وليس بغلط لثبوته به لغة وقد قرأ أبو السمال في رق بالكسر قوله والبيت المعمور قيل هو بيت في
السماء العليا تحت العرش بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض يدخله كل يوم
سبعون ألفا من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون إليه أبدا ووصفه بالعمارة لكثرة الطائفين
به من الملائكة وقيل هو بيت الله الحرام وهو معمور بالحجاج الطائفين به وقيل اللام في البيت المعمور لتعريف
الجنس كأنه أقسم بالبيوت المعمورة والعمائر المشهورة قوله والسقف المرفوع يعني السماء ونظيره وجعلنا السماء
سقفا محفوظا قوله والبحر المسجور قيل هو من الأضداد يقال بحر مسجور أي مملوء وبحر مسجور أي فارغ وروى ذو
الرمة عن ابن عباس أنه قال خرجت أمة لتستقي فقالت إن الحوض مسجور أي فارغ ويؤيد هذا أن البحار يذهب
ماؤها يوم القيامة وقيل المسجور الممسوك ومنه ساجور الكلب لأنه يمسكه ويحبسه وقال محمد بن كعب القرظي
والضحاك يعني الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس لما روي أن الله يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا
فيزاد بها في نار جهنم كما قال تعالى وإذا البحار سجرت وروى عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يركبن رجل بحرا إلا غازيا أو معتمرا أو حاجا فإن تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقال الربيع بن أنس المختلط
العذب بالملح وروى الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي أنه قال البحر المسجور هو بحر تحت العرش كما بين سبع
سموات إلى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحا
فينبتون في قبورهم وهذا قول مقاتل فصل قيل الحكمة في القسم بهذه الثلاثة أشياء أن هذه الأماكن الثلاثة
وهي الطور والبيت المعمور والبحر المسجور كانت لثلاثة أنبياء يخلون بربهم والخلاص من الخلق وخطابهم مع
الله أما الطور فانتقل إليه موسى عليه السلام وخاطب الله تعالى هناك وأما البيت المعمور فانتقل إليه
محمد عليه السلام وقال لربه سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك
وأما البحر المسجور فانتقل إليه يونس عليه السلام ونادى في الظلمات لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من
الظالمين فصارت هذه الأماكن شريفة بهذه الأسباب فأقسم الله تعالى بها وأما ذكر الكتاب فلأن الأنبياء
كان لهم في هذه الأماكن مع الله كلام والكلام في الكتاب فصل أقسم في بعض السور بجموع كقوله والذاريات
والمرسلات والنازعات وفي بعضها بأفراد كقوله والطور ولم يقل والأطوار والبحار قال ابن الخطيب
والحكمة فيه أن في أكثر الجموع أقسم عليها بالمتحركات والريح الواحدة ليست بثابتة بل هي متبدلة بأفرادها
مستمرة بأنواعها والمقصود منها لا يحصل إلا بالتبدل والتغير فقال والذاريات إشارة إلى النوع المستمر
لا إلى الفرد المعين المستقر وأما الجبل فهو ثابت غير متغير عادة فالواحد من الجبال دائم زمانا ودهرا
فأقسم في ذلك بالواحد وكذلك في قوله والنجم ولو قال والريح لما علم المقسم به وفي الطور علم قوله إن
عذاب ربك لواقع نازل كائن وقوله ما له من دافع يجوز أن تكون الجملة خبرا ثانيا وأن تكون صفة لواقع
أي واقع غير مدفوع قاله أبو البقاء ومن دافع يجوز أن يكون فاعلا وأن يكون مبتدأ ومن مزيدة على الوجهين
فصل قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لأكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر فدفعت

إليه وهو يصلي بأصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور إلى قوله إن عذاب ربك لواقع ما له من
دافع فكأنما صدع قلبي حين سمعت ولم أكن أسلم يومئذ قال فأسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت أظن أن أقوم
من مكاني حتى يقع بي العذاب قوله يوم تمور يجوز أن يكون العامل فيه واقع أي يقع في ذلك اليوم وعلى هذا
فتكون الجملة المنفية معترضة بين العامل ومعموله ويجوز أن يكون العامل فيه دافع قاله الحوفي وأبو البقاء
ومنعه مكي قال أبو حيان ولم يذكر دليل المنع قال شهاب الدين وقد ذكر دليل المنع في الكشف إلا أنه ربما
يكون غلطا عليه فإنه وهم وعبارته قال العامل فيه واقع أي إن عذاب ربك لواقع في يوم تمور السماء مورا
ولا يعمل فيه دافع لأن المنفي لا يعمل فيما قبل النافي لا تقول طعاما ما زيد آكلا رفعت آكلا أو نصبته أو أدخلت
عليه الباء فإن رفعت الطعام بالابتداء أو نصبت آكلا على أنها جار وما بعد الطعام خبرا انتهى وهذا الكلام صحيح في
نفسه إلا أنه ليس في الآية شيء من ذلك لأن العامل هو دافع والمعمول وهو يوم كلاهما بعد النافي وفي
جره وقوله أو نصبت آكلا على أنها أي على ضمير يعود على الطعام فتقول طعامك ما زيد آكله وقد يقال إن وجه المنع
من ذلك من خوف الوهم أنه يفهم أن أحدا يدفع العذاب في غير ذلك اليوم والغرض أن عذاب الله لا يدفع في كل وقت
وهذا أمر مناسب قد ذكر مثله كثير ولذلك منع بعضهم أن ينتصب يوم تجد كل نفس بقوله والله على كل شيء قدير لئلا
يفهم منه ما لا يليق وهذا أبعد من هذا في الوهم بكثير وقال أبو البقاء وقيل يجوز أن يكون ظرفا لما دل عليه فويل
انتهى وقال ابن الخطيب والذي أظنه أن العامل هو الفعل المدلول عليه بقوله ما له من دافع لأن العذاب
الواقع على هذا ينبغي أن يقع في ذلك اليوم لأن العذاب الذي به التخويف هو الذي بعد الحشر ومور السماء لا
في معنى قوله فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا فصل والمور الاضطراب والحركة يقال مار الشيء إذا
ذهب وجاء وقال الأخفش وأبو عبيدة تكفأ وأنشد للأعشى

كأن مشيتها من بيت جارتها ... مور السحابة لا ريث ولا عجل

وقال الزمخشري وقيل هو تحرك في تموج وهو الشيء يتردد في عرض كالداعصة وهي الجلدة التي بين فقار الركبة وقال الراغب المور الجريان
السريع ومار الدم على وجهه والمور أي بالضم التراب المتردد به الريح وأكد بالمصدر رفعا للمجاز أي هذان الجرمان
العظيمان مع كثافتهما يقع ذلك منهما حقيقة وقال ابن الخطيب فيه فائدة جليلة وهي أن قوله تعالى وتسير
الجبال يحتمل أن يكون بيانا لكيفية مور السماء لأن الجبال إذا سارت وسيرت معها سكانها فتظهر السماء كالسائرة إلى
خلاف تلك الجهة كما يشاهده راكب السفينة فإنه يرى الجبل الساكن متحركا فكأن لقائل أن يقول السماء تمور
في رأي العين بسبب سير الجبال كما يرى القمر سائرا راكب السفينة والسماء إذا صارت كذلك فلا يبقى مهرب
ولا مفزع لا في الأرض ولا في السماء فصل لما ذكر أن العذاب واقع بين أنه متى يقع العذاب فقال يوم
تمور السماء مورا قال المفسرون أي تدور كما يدور الرحا وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة قال عطاء الخراساني
تختلف أجزاؤها بعضها في بعض وقيل تضطرب وتسير الجبال سيرا فتزول عن أماكنها وتصير هباء منثورا وهذا
إيذان وإعلام بأن لا عود إلى الدنيا لأن الأرض والجبال والسماء والنجوم كلها لعمارة الدنيا والانتفاع لبني آدم
فإذا لم يبق لهم عودة لم يبق فيها نفع فلذلك أعدمها الله تعالى قوله فويل يومئذ للمكذبين يومئذ
منصوب بويل والخبر للمكذبين والفاء في فويل قال مكي جواب الجملة المتقدمة وحسن ذلك لأن في الكلام معنى
الشرط لأن المعنى إذا كان ما ذكر فويل قال ابن الخطيب اعلم أن عذاب الله واقع وأنه ليس له دافع فويل
إذن للمكذبين فالفاء لاتصال المعنى ولمعنى آخر وهو الإيذان بأمان أهل الإيمان لأنه لما قال إن عذاب ربك
لواقع وأنه ليس له دافع لم يبين موقعه بمن فلما قال فويل يومئذ للمكذبين علم المخصوص به وهو المكذب
فإن قيل إذا قلت بأن قوله فويل للمكذبين بيان لمن يقع به العذاب ثم لا يكذب لا يعذب فأهل الكبائر
لا يعذبون لأنهم لا يكذبون فالجواب أن ذلك العذاب لا يقع على أهل الكبائر وإنما هذا كقوله كلما ألقي
فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا فالمؤمن لا يلقى فيها إلقاء هوان وإنما
يدخل فيها للتطهير إدخالا مع نوع إكرام والويل إنما هو للمكذبين والويل ينبئ عن الشدة لأن تركيب حروف الواو
والياء واللام لا تنفك عن نوع شدة ومنه لوى إذا دفع ولوى يلويه إذا فتل والولي فيه القوة على
المولى عليه وقد تقدم وجه جواز التنكير في قوله ويل مع كونه مبتدأ لأنه في تقدير المنصوب لأنه دعاء
في تفسير قوله تعالى قال سلام قوله الذين هم في خوض الخوض هو الاندفاع في الأباطيل قال تعالى
وخضتم كالذي خاضوا وقال تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وتنكير الخوض يحتمل وجهين الأول أن يكون
للتكثير أي في خوض عظيم الثاني أن يكون التنوين عوضا عن المضاف إليه كقوله تعالى وإن كلا والأصل
في خوضهم المعروف منهم وقوله يلعبون أي غافلون لاهون واعلم أن قوله الذين هم في خوض ليس وصفا

للمكذبين بما يعيرانهم وإنما هو للذم كقولك الشيطان الرجيم ولا تريد فصله عن الشيطان الذي ليس برجيم بخلاف
قولك أكرم الرجل العالم فالوصف بالرجيم للذم لا للتعريف وتقول في المدح الله الذي خلق والله العظيم
للمدح لا للتمييز ولا للتعريف عن إله لم يخلق أو إله ليس بعظيم فإن الله واحد لا غير قوله يوم يدعون يجوز
أن يكون ظرفا لقيل المقدرة مع قوله هذه النار يوم يدعون ويجوز أن يكون بدلا من قوله يوم تمور أو من
يومئذ قبله تقديره فويل يومئذ يوم يدعون المكذبين لأن معناه يوم يقع العذاب ذلك اليوم هو يوم
يدعون فيه إلى النار والعامة على فتح الدال وتشديد العين من دعه يدعه أي دفعه في صدره بعنف وشدة
قال الراغب وأصله أن يقال للعاثر دع دع كما يقال له لعا وهذا بعيد من معنى هذه اللفظة وقرأ علي رضي
الله عنه والسلمي وأبو رجاء وزيد بن علي بسكون الدال وتخفيف العين مفتوحة من الدعاء أي يدعون
إليها فيقال لهم هلموا فادخلوها **فصل** دعا مشددا معناه تدفعهم الملائكة دفعا على وجوههم بعنف أي يدفعون
إلى النار فإذا دنوا منها قال لهم خزنتها هذه النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا **فإن قيل** قوله تعالى يدعون
إلى نار جهنم يدل على أن خزنتها يقذفونهم في النار وهم بعيد عنها وقوله تعالى يسحبون في النار ثم إذا قربوا
من نار مخصوصة وهي نار جهنم يقذفونهم فيها من بعيد فيكون السحب في نار والدع في نار أشد وأقوى
بدليل قوله يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون أي يسحبون في حموة النار ثم بعد ذلك يكون لهم إدخال
الثاني يجوز أن يكون في كل زمان يتولى أمرهم ملائكة فإلى النار يدعهم ملك وفي النار يسحبهم آخر الثالث
يجوز أن يكون السحب بسلاسل أي يسحبون في النار والساحب خارج النار الرابع يحتمل أن تكون الملائكة
يدفعونهم إلى النار إهانة لهم واستخفافا بهم ويدخلون معهم النار ويسحبونهم فيها قوله أفسحر خبر مقدم وهذا مبتدأ
مؤخر ودخلت الفاء قال الزمخشري بمعنى كنتم تقولون للوحي هذا سحر أفسحر هذا يريد هذا المصداق أيضا سحر ودخلت
الفاء لهذا المعنى وهذا تحقيق للأمر أي هل في الموت شك أم هل في بصركم خلل فهو استفهام إنكار أي لا واحد منهما
ثابت فالذي ترونه حق وقد كنتم تقولون إنه ليس بحق وذلك أنهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم
إلى السحر وأنه يغطي الأبصار بالسحر وأن انشقاق القمر وأمثاله سحر فوبخوا به وقيل لهم أفسحر هذا أم أنتم
لا تبصرون قوله اصلوها أي قاسوا شدتها فاصبروا أو لا تصبروا أي الصبر وعدمه سواء وهذا بيان لعدم
الخلاص قوله سواء فيه وجهان أحدهما أنه خبر مبتدأ محذوف أي صبركم وتركه سواء قاله أبو البقاء والثاني
أنه مبتدأ والخبر محذوف أي سواء الصبر والجزع قاله أبو حيان قال شهاب الدين والأول أحسن لأن جعل
النكرة خبرا أولى من جعلها مبتدأ وجعل المعرفة خبرا ونحا الزمخشري منحى الوجه الثاني فقال سواء خبره
محذوف أي سواء عليكم الأمران الصبر وعدمه قوله إنما تجزون ما كنتم تعملون فيه لطيفة وهي أن المؤمن
بإيمانه استفاد أن الخير الذي يفعله يثاب عليه والشر الذي يفعله ولا يحققه لا يعاقب عليه والكافر بكفره صار
على الضد فالخير الذي يفعله ولا يحققه لا يثاب عليه والشر الذي يقصده ولا يقع منه يعاقب عليه ولا ظلم
قال الله تعالى أخبره به وهو اختار ذلك ودخل فيه باختيار فكأن من كفر ومات كافرا عاينه أبدا فأخذ رزقا
ومن أمن ثم ابتدأ دائما ثم ارتكب الكفر ودام عليه بعدما سمع ذلك فإذا عوقب دائما فهو تحقيق لما أوعد
به فلا يكون ظلما قوله تعالى إن المتقين في جنات ونعيم يجوز أن يكون مستأنفا أخبر الله تعالى بذلك
بشارة ويجوز أن يكون من جملة المقول للكفار زيادة في غمهم وتحسرهم والجنة هي موضع السرور إلا أن
الناطور قد يكون في البستان الذي هو في غاية الطيبة فلما قال ونعيم أفاد أنهم فيها متنعمون كما يكون
المتفرج لا كما يكون الناطور والعمال وقوله فاكهين يريد في ذلك لأن المتنعم قد تكون آثار النعيم عليه
ظاهرة وقلبه مشغول فلما قال فاكهين دل على غاية الطيبة قوله فاكهين هذه قراءة العامة نصب على الحال
والخبر الظرف وصاحب الحال الضمير المستتر في الظرف وقرأ خالد فاكهون بالرفع فيجوز أن يكون الظرف
لغوا متعلقا بالخبر ويجوز أن يكون خبرا آخر عند من يجيز تعداد الخبر وقرئ فكهين مقصورا وسيأتي
أنه قرأ به في المطففين في المتواتر حفص عن عاصم قوله بما آتاهم يجوز أن تكون الباء على أصلها وتكون ما
حينئذ واقعة على الفواكه التي في الجنة أي متلذذين بفاكهة الجنة ويجوز أن تكون بمعنى في أي فيما
آتاهم من الثمار وغير ذلك ويجوز أن تكون ما مصدرية أيضا قوله ووقاهم يجوز فيه أوجه أظهرها أنه
معطوف على الصلة أي فكهين بإتيانهم ربهم وبوقايته لهم عذاب الجحيم والثاني أن الجملة حال فتكون
قد مقدرة عند من يشترط اقترانها بالماضي الواقع حالا الثالث أن يكون معطوفا على في جنات قاله
الزمخشري يعني فيكون مخبرا به عن المتقين أيضا والعامة على تخفيف القاف من الوقاية وأبو حيوة
بتشديدها قوله كلوا واشربوا هنيئا أي ويقال لهم كلوا واشربوا هنيئا وقد تقدم الكلام في هنيئا في النساء

وقال الزمخشري هنا يقال لهم كلوا واشربوا أكلا وشربا هنيئا أو طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز أن يكون
مثله في قوله هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت أعني صفة استعملت استعمال المصدر
القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كأنه قيل هنا عزة المستحل من أعراضنا وكذلك معنى هنيئا هنا
هناكم الأكل والشرب أو هناكم ما كنتم تعملون أي جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما في كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا
إذا أجملت الفاعل الأكل والشرب وهذا من محاسن كلامه قال أبو حيان أما تجويزه زيادة الباء فليست بمقيسة في
الفاعل إلا في فاعل كفى على خلاف فيها فلا تجويز زيادتها هنا لا يسوغ وأما قوله إنها تتعلق بكلوا واشربوا فلا يصح إلا على الإعمال
فهي تتعلق بأحدهما انتهى وهذا قريب قوله متكئين فيه أوجه أحدها أنه حال من فاعل كلوا الثاني أنه حال من مفعول
آتاهم الثالث أنه حال من مفعول وقاهم الرابع أنه حال من الضمير المستكن في الظرف الخامس أنه حال من الضمير في
فاكهين وأحسنها أن يكون حالا من ضمير الظرف لكونه عمدة وقوله على سرر متعلق بمتكئين وقراءة العامة بضم الراء
الأولى وأبو السمال بفتحها وقد تقدم أنها لغة لكلب في المضعف يفرون من توالي ضمتين في المضعف قوله
وزوجناهم بحور عين قرأ عكرمة بحور عين بإضافة الموصوف إلى صفته على التأويل المشهور **فصل** اعلم أنه تعالى بين
أسباب التنعيم على الترتيب فأول ما يكون المسكن وهو الجنات ثم الأكل والشرب ثم الفرش والبسط ثم الأزواج فهذه
أمور أربعة ذكرها الله تعالى على الترتيب وذكر في كل واحد منها ما يدل على كماله فقوله جنات إشارة إلى المسكن وقال
فاكهين إشارة إلى عدم التنغيص وعلو المرتبة بكونه مما آتاهم الله وقال كلوا واشربوا هنيئا أي مأمون العاقبة من
التخم والسقم وترك ذكر المأكول والمشروب لا للدلالة على تنوعهما وكثرتهما وقوله بما كنتم تعملون إشارة إلى أنه تعالى
يقول إني مع كوني ربكم وخالقكم وأدخلتكم الجنة بفضلي فلا منة لي عليكم اليوم وإنما منتي عليكم كانت في الدنيا هديتكم
ووفقتكم للأعمال الصالحة كما قال بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان وأما اليوم فلا منة عليكم لأن هذا إنجاز الوعد
فإن قيل قال في حق الكفار إنما تجزون ما كنتم تعملون وقال في حق المؤمن بما كنتم تعملون فما الفرق بينهما **فالجواب**
من وجوه الأول أن كلمة إنما للحصر أي لا تجزون إلا ذلك ولم يذكر هذا في حق المؤمن لأنه يجزيه أضعاف ما عمل ويزيده من
فضله الثاني قال هنا بما كنتم وقال هناك ما كنتم أي تجزون عين أعمالكم وهذا إشارة إلى المبالغة في المماثلة كأنه
يقول هذا عين ما عملتم وقوله في حق المؤمن بما كنتم كأن ذلك أمر ثابت مستمر يعطيكم بهذا الثالث أنه ذكر الجزاء
هناك وقال هنا بما كنتم تعملون لأن الجزاء ينبئ عن الانقطاع فإن من أحسن إلى أحد فجازاه بجزائه لا يتوقع المحسن منه شيئا
آخر **فإن قيل** فالله تعالى قال في موضع آخر بما كنتم تعملون في الثواب **فالجواب** أنه في تلك المواضع لما لم يخاطب الجزاء
ولم يقل بما كنت تفعل أتى بما يفيد العلم بالدوام وعدم الانقطاع وأما في السرر فقد كرر السرر أحدها الاتكاء فإنه
هيئة تختص بالمنعم والفارغ الذي لا كلفة عليه وجمع السرر لأشير به إلى أظهر ما أن لكل واحد سررا لأن قوله مصفوفة
يدل على أنها للواحد لأن سرر الكل لا تكون في موضع واحد مصطفة ولفظ السرر فيه حروف السرور بخلاف التخت
وغيره وقوله مصفوفة أي منتظمة بعضها إلى جنب بعض فإنها لو كانت متفرقة لقيل في كل موضع واحد يتكئ عليه صاحبه إذا
حضر هذا الموضع وقوله تعالى وزوجناهم إشارة إلى النعمة الرابعة وفيها ما يدل على كمال الحال من وجوه الأول أنه هو
المزوج وهو الولي الذي يلي الطرفين يزوج عباده بإمائه ومن يكون كذلك لا يفعل إلا ما فيه راحة العباد والإماء
الثاني قال وزوجناهم ولم يقل وزوجناهم إلى حور مع أن لفظ التزويج يتعدى فعله إلى المفعولين بغير حرف
يقال زوجتكها كما قال الله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وذلك إشارة إلى أن المنفعة في التزويج لهم وإنما
زوجوا للذتهم بالحور لا للذة الحور بهم الثالث عدم الاقتصار على الزوجات بل وصفهن بالحسن واختار الأحسن من الأحسن
فإن أحسن ما في صورة الآدمي وجهه وأحسن ما في الوجه العين قوله والذين فيه ثلاثة أوجه أحدها أنه مبتدأ
والخبر الجملة من قوله ألحقنا بهم ذرياتهم والذريات هنا تصدق على الآباء وعلى الأبناء أي أن المؤمن إذا كان عمله
أكثر ألحق به من دونه في العمل أبا كان أو ابنا وهو منقول عن ابن عباس وغيره الثاني أنه منصوب بفعل مقدر قاله
أبو البقاء على تقديره وأكرمنا الذين آمنوا قال شهاب الدين فيجوز أن يريد أنه من باب الاشتغال وأن قوله ألحقنا
بهم ذرياتهم مفسر لذلك الفعل من حيث المعنى وأن يريد أنه مضمر لدلالة السياق عليه فلا تكون المسألة من
الاشتغال في شيء الثالث أنه مجرور عطفا على حور عين قال الزمخشري والذين آمنوا معطوف على حور عين أي
قرناهم بالحور وبالذين آمنوا أي بالرفقاء والجلساء منهم كقوله إخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة
الحور وتارة بمؤانسة الإخوان ثم قال الزمخشري ثم قال بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم أي بسبب إيمان عظيم رفيع
المحل وهو إيمان الآباء ألحقنا بدرجتهم ذريتهم وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم قال أبو حيان ولا يتخيل
أحد أن والذين آمنوا معطوف على بحور عين غير هذا الرجل وهو تخيل أعجمي مخالف لفهم العربي القح ابن عباس وغيره
قال شهاب الدين أما ما ذكره أبو القاسم وغيره من المعنى فلا شك في حسنه ونضارته وليس في كلام العربي القح

نائل فيه بل هو عوض على ابن عباس وغيره لا يجيء هؤلاء مانع معنوي او صناعي يمنعه قوله واتبعتهم يجوز ان يكون عطفا
على الصلة ويكون والذين مبتدأ ويتعلق بايمان بالاتباع بمعنى ان الله تعالى يلحق الاولاد الصغار وان لم يبلغوا
الايمان باحكام الآباء المؤمنين وهذا المعنى منقول عن ابن عباس والضحاك ويجوز ان يكون معترضا بين المبتدأ
والخبر قاله الزمخشري ويجوز ان يتعلق بايمان بالحقنا كما تقدم فان قيل قوله اتبعتهم ذريتهم يقتضي ان يكون
قوله الحقنا بهم ذرياتهم فالجواب ان قوله الحقنا بهم ذرياتهم اي في الدرجات والاتباع انما هو في حكم
الايمان وان لم يبلغوه كما تقدم وقرأ ابو عمرو واتبعناهم باسناد الفعل الى المتكلم المعظم نفسه والباقون
واتبعتهم باسناد الفعل الى الذرية والحاق تاء التأنيث وقد تقدم الخلاف في افراد ذرياتهم وجمعه في سورة الاعراف
فصل اختلفوا في معنى الاية فقيل معناها والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان يعني اولادهم الصغار والكبار
فالكبار بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد الابوين وقوله
الحقنا بهم ذرياتهم اي المؤمنين في الجنة بدرجاتهم وان لم يبلغوا باعمالهم درجات آبائهم تكرمة لآبائهم
لتقر بذلك اعينهم وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وقيل معناه والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم
البالغون بايمان الحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان آبائهم وهو قول الضحاك
ورواية العوفي عن ابن عباس اخبر الله عز وجل انه يجمع لعبده ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا ان
يجتمعوا اليه يدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل ابيهم من غير ان ينقص الآباء من اعمالهم شيئا فذلك قوله
وما التناهم من عملهم من شيء روى علي رضي الله عنه قال سألت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين
لها ماتا في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما في النار فلما رأى الكراهية في وجهها قال لو رأيت
مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين
واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا
واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم قوله وما التناهم قرأ ابن كثير التناهم بكسر اللام والباقون
بفتحها فاما الاولى فمن ألت يألت بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع كعلم يعلم واما الثانية فيحتمل ان يكون من ألت يألت
كضرب يضرب وان يكون من لات يليت كباع يبيع فالتناهم كبعناهم وقرأ ابن هرمز آلتناهم بالف بعد
الهمزة على وزن افعلناهم يقال آلت يؤلت كآمن يؤمن وعبد الله وابي والاعمش وتروى عن ابن كثير لتناهم
بكسر اللام كبعناهم يقال لاته يليته كباعه يبيعه وقرأ طلحة والاعمش ايضا لتناهم بفتح اللام قال سهل لا يجوز
فتح اللام من غير الف بحال وانكر ايضا آلتناهم بالمد وقال لا يدل عليها لغة ولا تفسير وليس كما زعم بل نقل اهل اللغة آلت
يؤلت وقرئ ولتناهم بالواو كوعدناهم نقلها هارون قال ابن خالويه فيكون هذا الحرف من لات يليت وولت
يلت وألت يألت وآلت يؤلت وكلها بمعنى نقص ويقال ألت بمعنى غلظ وقام رجل الى عمر يعظه فقال
له رجل لا تألت امير المؤمنين اي لا تغلظ عليه قال شهاب الدين ويجوز ان يكون هذا الاثر على حاله والمعنى لا تنقص
امير المؤمنين حقه لانه اذا اغلظ القول نقصه حقه قوله من عملهم من شيء مفعول ثان لالتناهم ومن مزيدة فيه
والاولى في محل نصب على الحال من شيء لانها في الاصل صفة له فلما قدمت نصبت حالا وجوز ابو البقاء ان يتعلق
بالتناهم فصل في قوله وما التناهم تطييب لقلبهم وازالة وهم المتوهم ان ثواب عمل الاب يوزع على الولد
والولد بل للوالد اجر عمله ولاولاده مثل ذلك فضلا من الله ورحمة وقال من عملهم ولم يقل من اجرهم لان قوله
وما التناهم من عملهم دليل على بقاء عملهم كما كان والاجر على العمل مع الزيادة فيكون فيه اشارة الى بقاء العمل
الذي له الاجر الكثير الزائد العظيم الفائت للحد ولو قال ما التناهم من اجرهم لكان ذلك حاصلا بادنى
شيء لان كل ما يعطي الله عبده على عمله فهو اجر كامل ولانه لو قال ما التناهم من اجرهم كان مع ذلك يحتمل
ان يقال ان الله تعالى تفضل عليه بالاجر الكامل على العمل الناقص واعطاه الاجر الجزيل مع ان عمله كان له ولولده
جميعا فان قيل ما الفائدة في تنكير الايمان في قوله واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا فالجواب
هو اما للتحقير او للتكثير كانه يقول اتبعتهم ذرياتهم بايمان مخلص كامل او يقول اتبعتهم بايمان ما
اي شيء منه فان الايمان كاملا لا يوجد في الولد بل الولد الذي آمن له ولد صغير حكم بايمانه فاذا بلغ وصرح
بالكفر وانكر التبعية قيل بانه لا يكون مرتدا وتبين بقوله انه لم يتبع وقيل بانه يكون مرتدا لانه كفر
بعد ما حكم بايمانه كولد المسلم الاصلي فاذن تبين بهذا الخلاف ان ايمانه ليس بقوي ذكر هذين الوجهين
الزمخشري ويحتمل ان يكون المراد ان يكون التنوين للتعويض عن المضاف اليه كقوله تعالى بعضهم
لبعض وقوله وكلا وعد الله الحسنى لان التقدير اتبعناهم ذرياتهم بايمان اي بسبب ايمانهم لان الاتباع
ليس بايمان كيف كان وممن كان وانما هو ايمان الآباء لكن الاضافة تنبئ عن تقييد وعدم كون الايمان

ايمانا

ايمانا على الاطلاق وان قول القائل ما الشجر وما الرمان يصح والاطلاق اسم الماء من غير اضافة لا يصح فقوله بايمانهم يوهم انه
ايمان مضاف اليهم كقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا حيث اثبت الايمان المضاف ولم يكن ايمانا فقطع
الاضافة مع ارادتها ليعلم انه ايمان صحيح وعوض التنوين ليعلم انه مضاف لا يوجب الايمان في الدنيا الا ايمان
الآباء قاله ابن الخطيب وهذا وجه حسن قوله كل امرئ بما كسب رهين قال مقاتل كل امرئ كافر بما عمل من الشرك
مرتهن في النار والمؤمن لا يكون مرتهنا لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين قال الواحدي
وهذا يعود الى ذكر اهل النار وهو قول مجاهد ايضا وقال الزمخشري هذا عام في كل احد انه يكون مرهونا عند
الله بالكسب فان كسب خيرا فك رقبته والا اغلق الرهن قال ابن الخطيب وفيه وجه آخر وهو ان يكون
الرهين فعيلا بمعنى الفاعل فيكون المعنى كل امرئ بما كسب راهن اي دائم ان احسن ففي الجنة مؤبدا وان
اساء ففي النار مخلدا لان في الدنيا دوام الاعمال بدوام الاعيان فان العرض لا يبقى الا في جوهر ولا يوجد الا فيه وفي الآخرة
دوام الاعيان بدوام الاعمال فان الله يبقي اعمالهم لكونها عند الله تعالى من الباقيات الصالحات وما عند الله باق والباقي
يبقى مع عمله قوله وامددناهم بفاكهة زيادة على ما كان لهم ولحم مما يشتهون من انواع اللحمان والمعنى زدناهم
مأكولا ومشروبا فالمأكول الفاكهة واللحم والمشروب الكأس وفي هذه اللطيفة وهي انه لما قال ما التناهم ونفي النقصان
يصدق بحصول المساوي فقال ليس عدم النقصان بالاقتصار على المساوي بل بالزيادة والامداد قوله يتنازعون
في موضع نصب على الحال من مفعول امددناهم ويجوز ان يكون مستأنفا وتقدم الخلاف في قوله لا لغو فيها في البقرة
والجملة في موضع نصب صفة لكأس وقوله فيها اي في شربها وقيل في الجنة ومعنى يتنازعون اي يتعاطون ويحتمل
ان يقال التنازع التجاذب ويكون تجاذبهم تجاذب ملاعبة لا تجاذب منازعة وفيه نوع لذة قال الشاعر
نازعته طيب الراح الشمول وقد ... صاح الدجاج وحانت وقعة الساري
وقوله لا لغو فيها ولا تأثيم قال قتادة اللغو الباطل وقال مقاتل بن حيان لا فضول فيها وقال سعيد بن المسيب لا رفث فيها وقال
ابن زيد لا سباب ولا تخاصم فيها وقال القتيبي لا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا ولا تأثيم اي لا يكون منهم ما يؤثمهم
قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون المراد من التأثيم السكر وقال الزجاج لا يجري بينهم ما يلغي ولا ما فيه اثم كما يجري في الدنيا
لشربة الخمر وقيل لا يأثمون في شربها قوله ويطوف عليهم غلمان اي يطوف عليهم بالخدمة غلمان لهم كأنهم في الحسن
والبياض والصفاء قوله كأنهم لؤلؤ مكنون صفة ثانية للغلمان والمعنى يطوف عليهم بالكؤوس غلمان لهم وهم الولدان
المخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون اي مخزون مصون لم تمسه الايدي قال سعيد بن جبير يعني في الصدف قال عبد الله
ابن عمر ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام وكل غلام على عمل ما عليه صاحبه وروي عن الحسن انه لما
تلا هذه الآية قال قالوا يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر
ليلة البدر على سائر الكواكب قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسأل بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس
يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا وقوله يتساءلون جملة حالية من بعضهم قوله قالوا انا كنا قبل
في اهلنا مشفقين اي خائفين من العذاب والمعنى انهم يتساءلون عن سبب ما وصلوا اليه فيقولون خشية الله اي
كنا نخاف الله فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم اي من الله علينا بالمغفرة ووقانا عذاب السموم قال الكلبي عذاب
النار وقال الحسن السموم اسم من اسماء جهنم والسموم في الاصل الريح الحارة التي تتخلل المسام والجمع سمائم وسم
يومنا اي اشتد حره وقال ثعلب السموم شدة الحر او شدة البرد في النهار وقال ابو عبيدة السموم بالنهار وقد يكون
بالليل والحرور بالليل وقد يكون بالنهار وقد يستعمل في لفح البرد وهو في لفح الحر والبرد اكثر وقد تقدم شيء من ذلك
في سورة فاطر وقرأ العامة ووقانا بالتخفيف وابو حيوة بالتشديد وقد تقدم قوله انا كنا من قبل اي في الدنيا ندعوه
نخلص له العبادة وقوله انه هو البر قرأ نافع والكسائي بفتح الهمزة على التعليل اي لانه والباقون بالكسر على الاستئناف
الذي فيه معنى العلة فيتحد معنى القراءتين وقوله هو البر قال ابن عباس اللطيف وقال الضحاك الصادق فيما وعد
الرحيم بعباده قوله تعالى فذكر فما انت بنعمة ربك لما بين تعالى ان في الوجود قوما يخافون الله ويشفقون في اهليهم والنبي
عليه السلام مأمور بتذكير من يخاف الله تعالى لقوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فوجب التذكير فلذلك
ذكره بالفاء قوله بنعمة ربك فيه ثلاثة اوجه احدها انه مقسم به متوسط بين اسم ما وخبرها ويكون الجواب
حينئذ محذوفا لدلالة هذا المذكور عليه والتقدير ونعمة ربك ما انت بكاهن ولا مجنون الثاني ان الباء في موضع
نصب على الحال والعامل فيها بكاهن او مجنون والتقدير ما انت كاهنا ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربك قاله ابو البقاء
وعلى هذا فهي حال لازمة لانه عليه السلام لم يفارق هذه الحال الثالث ان الباء متعلقة بما دل عليه الكلام وهو
اعتراض بين اسم ما وخبرها والتقدير ما انت في حال اذكارك بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون قاله الحوفي قال
شهاب الدين ويظهر وجه رابع وهو ان تكون الباء سببية وتتعلق حينئذ بمضمون الجملة المنفية وهذا هو مقصود

الاية الكريمة والمعنى انتف عنك الكهانة والجنون بسبب نعمة الله عليك كما تقول ما انا بمعسر بحمد الله وغناه فصل
المعنى فذكر يا محمد اهل مكة بالقرآن فما انت بنعمة ربك اي برحمته وعصمته بكاهن مبتدع القول ولا مخبر بما في غد من غير
وحي ولا بمجنون نزلت في الذين اقتسموا اعقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والجنون
والشعر قوله ام يقولون قال الشعبي قال الخليل كل ما في سورة الطور من ام فاستفهام وليس بعطف قال ابو
البقاء ام في هذه الآيات منقطعة وتقدم الخلاف في المنقطعة هل تقدر ببل وحدها او ببل والهمزة او بالهمزة وحدها
والصحيح الثاني وقال مجاهد في قوله ام تأمرهم تقديره بل تأمرهم وقرأ بل هم قوم طاغون بدل ام هم قوم قوله
نتربص في موضع رفع صفة لشاعر والعامة على نتربص باسناد الفعل لجماعة المتكلمين ريب بالنصب وزيد بن علي
يتربص بالياء من تحت على البناء للمفعول ريب بالرفع وريب المنون حوادث الدهر وتقلبات الزمان لانها لا تدوم
على حال كالريب وهو الشك فانه لا يبقى بل هو متزلزل قال الشاعر

تربص بها ريب المنون لعلها ... تطلق يوما او يموت حليلها

وقال ابو ذؤيب

امن المنون وريبه تتوجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع

والمنون في الاصل الدهر
وقال الراغب المنون المنية لانها تنقص العدد وتقطع المدد وجعل من ذلك قوله اجر غير ممنون اي غير
مقطوع وقال الزمخشري وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سميت شعوب
وريب مفعول به اي ننتظر به حوادث الدهر والمنية فصل المعنى يقولون يعني هؤلاء المقتسمين الخراصين
شاعر نتربص به ريب المنون حوادث الدهر وصروفه وذلك ان العرب كانت تحترز عن ايذاء الشعراء فان
الشعر كان عندهم يحفظ ويدون فقالوا لا نعارضه في الحال مخافة ان يغلبنا بقوة شعره وانما نصبر ونتربص
موته او يقال انه عليه السلام كان يقول ان الحق دين الله وان الشرع الذي اتيت به يبقى ابد الدهر وكتابي
يتلى الى قيام الساعة فقالوا ليس كذلك انما هو شاعر والذي يذكره شعر ولا ناصر له وسيصيبه من بعض
آلهتنا الهلاك فنتربص به ذلك وريب المنون هو اسم للموت فعول من المن وهو القطع ويحتمل وجها آخر وهو
ان يكون المراد انه اذا كان شاعرا فصروف الزمان ربما تضعف ذهنه وتورث وهنه فيتبين لكل احد فساد
امره وكساد شعره قل تربصوا اي انتظروا بي الموت فان قيل هذا امر للنبي عليه السلام ولفظ الامر يوجب المأمور
به او يبيحه ويجوزه وتربصهم كان حراما فالجواب ليس ذلك بامر وانما هو تهديد اي تربصوا ذلك فاني
متربص الهلاك بكم كقول الغضبان لعبده افعل ما شئت فاني لست عنك بغافل فان قيل لو كان كذلك لقال تربصوا
او لا تتربصوا كما قال فاصبروا او لا تصبروا فالجواب ليس كذلك لان ذلك مفيد عدم الخوف اكثر قوله فاني معكم
من المتربصين اتربص هلاككم وقد اهلكوا يوم بدر وغيره من الايام قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون معناه
اذا قلنا ان ريب المنون صروف الدهر فمعناه انكار كون صروف الدهر مؤثرة فكأنه يقول انا من المتربصين حتى
ابصر ماذا يأتي به دهركم الذي يجعلونه مهلكا وماذا يصيبني منه قوله ام تأمرهم احلامهم بهذا ام هم
قوم طاغون وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون بالاحلام والعقول فازرى الله بعقولهم حين لم تثمر لهم معرفة
الحق من الباطل وذلك ان الاشياء اما ان تثبت بعقل او بنقل فقال هل ورد امر سمعي ام عقولهم تأمرهم بما
كانوا يقولون ام هم قوم طاغون يغترون ويقولون ما لا دليل عليه سمعا ولا مقتضى له عقلا والطغيان
مجاوزة الحد في العصيان وكذلك كل شيء مكروه ظاهر قال تعالى لما طغى الماء واعلم ان قوله ام تأمرهم متصل بما
انزل عليهم ذكرا ام تأمرهم احلامهم بهذا وفي هذه الآية اشارة الى ان كل ما يكون على خلاف العقل لا ينبغي ان يقال
وانما ينبغي ان يقال ما يجب قوله عقلا والاحلام جمع حلم وهو العقل فهما من باب واحد من حيث المعنى لان
العقل يضبط المرء فيكون كالبعير المعقول لا يتحرك عن مكانه والحلم من الاحلام وهو ايضا سبب وقار المرء
وثباته لان الحلم في اصل اللغة هو ما يراه النائم فينزل ويلزمه الغسل الذي هو سبب البلوغ وعنده يصير
الانسان مكلفا فالله تعالى من لطيف حكمته قرن الشهوة بالعقل وعند ظهور الشهوة يكمل العقل ويكلف
صاحبه فاشار تعالى الى العقل بالاشارة الى ما يقارنه وهو الحلم ليعلم انه يريد به كمال العقل قوله ام يقولون
تقوله اي تخلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول تكلف القول ولا يستعمل الا في الكذب وهذا ايضا متصل
بقوله تعالى ام يقولون شاعر تقديره كاهن ام يقولون شاعر ام يقولون تقوله والمعنى ليس الامر كما زعموا
بل لا يؤمنون بالقرآن استكبارا ثم الزمهم الحجة وابطل جميع الاقسام فقال فليأتوا بحديث مثله اي مثل القرآن
ونظمه ان كانوا صادقين ان محمدا تقوله من قبل نفسه ولما امتنع ذلك كذبوا في الكل قوله فليأتوا الفاء
للتعقيب اي اذا كان كذلك فيجب عليهم ان يأتوا بمثل ما اتى به ليصح كلامهم ويبطل كلامه قال بعض العلماء وهذا
امر تعجيز قال ابن الخطيب والظاهر ان الامر هنا على حقيقته لانه لم يقل ائتوا مطلقا بل قال ائتوا ان كنتم

صادقين فهو امر معلق على شرط اذا وجد ذلك الشرط يجب الاتيان به وامر التعجيز كقوله تعالى قال الله يأتي بالشمس من
المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر وليس بحثا يورث خللا في كلامهم قوله بحديث مثله العامة على تنوين
حديث ووصفه بمثله والجحدري وابو السمال بحديث مثله باضافة حديث الى مثله على حذف موصوف اي بحديث
رجل مثله من جنسه فصل قالت المعتزلة الحديث محدث والقرآن سماه حديثا فيكون محدثا واجيبوا بان الحديث
اسم مشترك يقال للمحدث والمنقول ويصح ان يقال هذا حديث قديم اي متقادم العهد لا بمعنى سلب الاولية
وذلك لا نزاع فيه فان قيل الصفة تتبع الموصوف في التنكير والتعريف والموصوف هنا حديث وهو منكر ومثله مضاف
الى القرآن والمضاف الى القرآن معرف فكيف هذا فالجواب ان مثلا وغيرا لا يتعرفان بالاضافة وكذلك كل ما هو مثله
كشبه وذلك ان غيرا ومثلا وامثالهما في غاية التنكير لانك اذا قلت مثل زيد يتناول كل شيء فان كل شيء مثل زيد في شيء
فالجماد مثله في الجسم والحجم والامكان والنبات مثله في النشوء والنماء والذبول والفناء والحيوان مثله في الحركة
والادراك وغيرهما من الاوصاف واما غير فهو عند الاضافة يتنكر وعند قطع الاضافة ربما يتعرف فان
اذا قلت غير زيد صار في غاية الابهام فانه يتناول الامور (?) واما اذا قطعت غيرا عن الاضافة فربما
يكون الغير والمغايرة من باب واحد وكذلك التغير فيجعل الغير كأسماء الاجناس ويجعله مبتدأ او يريد به معنى
معينا قوله ام خلقوا لا خلاف ان ام هنا ليست بمعنى بل لكن اكثر المفسرين على ان المراد ما يقع في صدر الكلام من الاستفهام
بالهمزة كأنه يقول أخلقوا من غير شيء قال ابن الخطيب ويحتمل ان يقال هو على اصل الوضع للاستفهام الذي يقع في اثناء
الكلام وتقديره أما خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون قوله من غير شيء يجوز ان تكون من لابتداء الغاية على معنى ام
خلقوا من غير شيء حي كالجماد فهم لا يؤمرون ولا ينهون كالجمادات وقيل هي للسببية على معنى من غير علة ولا لغاية
ثواب ولا عقاب فصل وجه تعلق الآية بما قبلها انهم لما كذبوا النبي عليه السلام ونسبوه الى الكهانة والشعر
والجنون وبرأه الله من ذلك ذكر الدليل على صدقه ابطالا لتكذيبهم وبدأ بانفسهم فكأنه يقول كيف تكذبونه
وفي انفسهم دليل صدقه وهو انهم خلقوا وذلك دليل التوحيد لما تقدم ان في كل شيء له آية تدل على انه واحد
واما الحشر فلان الخلق الاول دليل على جواز الخلق الثاني فصل قال المفسرون معنى الآية ام خلقوا من غير شيء
خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز ان يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان انكروا الخالق
لم يجز ان يوجدوا بلا خالق ام هم الخالقون لانفسهم وذلك في البطلان اشد لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا
بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا فليؤمنوا به قال هذا المعنى ابو سليمان الخطابي وقال الزجاج
معناه أخلقوا باطلا لا يحاسبون ولا يؤمرون وقال ابن كيسان أخلقوا عبثا وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون
كقول القائل فعلت كذا وكذا من غير شيء ام لغير شيء ام هم الخالقون لانفسهم فلا يجب عليهم لله امر وقيل معناه
أخلقوا من غير اب وام قال ابن الخطيب ويحتمل ان يقال ام خلقوا من غير شيء اي ألم يخلقوا من تراب او من ماء
لقوله ألم نخلقكم من ماء مهين ويحتمل ان يقال الاستفهام الثاني ليس بنفي بل هو بمعنى الاثبات كقوله تعالى
أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون أأنتم أنشأتم شجرتها ام نحن المنشئون كل ذلك في الاول
منفي وفي الثاني مثبت كذلك ههنا قال تعالى ام خلقوا من غير شيء اي الصادق هو الثاني وهو لهم خالق كقوله
تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فان قيل كيف يكون ذلك الاثبات والآدمي خلق
من تراب نقول والتراب خلق من غير شيء فالانسان اذا نظرت الى خلقه ونظرت الى ابتداء امره وجدته مخلوقا
من غير شيء او نقول المراد خلقوا من غير شيء مذكور او معتبر وهو الماء المهين قوله ام خلقوا السموات والارض
بل لا يوقنون قال الزمخشري لا يوقنون بانهم خلقوا وهو في معنى قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله اي هم معترفون بانه خلق الله وليس خلق انفسهم وقيل لا يوقنون بان الله خالق واحد
ليس الامر كذلك وما خلقوا وانما لا يوقنون بوحدانية الله وقيل المعنى لا يوقنون اصلا من غير ذكر مفعول
كقولك فلان ليس بمؤمن وفلان كافر لبيان مذهبه وان لم ينو مفعولا والمعنى انهم ما خلقوا السموات
والارض ولا يوقنون بهذه الدلائل بل لا يوقنون اصلا وان جئتهم بكل آية بدليل قوله بعد ذلك وان يروا
كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم وهذه الآية دليل الآفاق وقوله من قبل دليل الانفس قوله ام
عندهم خزائن ربك قال عكرمة يعني النبوة وقال مقاتل أبأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث
شاؤوا وقال الكلبي خزائن المطر والرزق وقيل خزائن الرحمة قوله ام هم المسيطرون وهذا تتمة الرد عليهم
لانه لما قال ام عندهم خزائن ربك اشار الى انهم ليسوا بخزنة الله فعلموا خزائن الله لكن بمجرد انتفاء كونهم خزنة
لا ينتفي العلم لجواز ان يكون مشرفا على الخزنة فان العلم بالخزائن عند الخازن والكاتب بالخزانة انه يقال
لنسخ خزانة ولا بكتبة الخزانة المسلطين عليها قال ابن الخطيب ولا يبعد تفسير المسيطرين بكتبة الخزائن

لان التركيب يدل عليه على السطر وهو يستعمل في الكتابة قال اهل اللغة المسيطر القاهر الغالب من سيطر عليه اذا
راقبه وحفظه او قهره قال المفسرون المسيطرون المسلطون الجبارون وقال عطا ارباب قاهرون فلا
يكونون تحت امره ونهيه يفعلون ما شاؤا ويجوز بالسين والصاد جميعا وقرا العامة المصيطرون بصاد
خالصة من غير اشمامها زايا بالاجل الطاكما تقدم في صراط وقرا هشام وقنبل من غير خلاف عنهما بالسين
الخالصة التي هي الاصل وحفص بخلاف عنه وقرا خلاد بصاد مشممة زايا من غير خلاف عنه وقرا
خلاد بالوجهين اعني لخلف والعامة وتوجيه هذه القراات واضح مما تقدم في اول الفاتحة ولم يات على
مفيعل الا خمسة الفاظ اربعة صفة اسم فاعل نحو مهيمن ومبيقر ومسيطر ومبيطر وواحد اسم جبل وقيل اسم ارض لبني
فزارة وهو المجيمر قال امرؤ القيس كان ذرى راس المجيمر غدوة من السيل والغثا فلكة مغزل
قوله ام لهم سلم اى مرقاة ومصعد الى السما يستمعون فيه وهذا ايضا تتميم للدليل فان من لا يكون خازنا ولا
كاتبا قد يطلع على الامر بالسماع من الخازن او الكاتب فقال انتم لستم خزنة ولا كتبة ولا اجتمعتم بهم لانهم
ملائكة ولا صعود لكم قوله يستمعون صفة لسلم وفيه على بابه من الظرفية وقيل هي بمعنى على قاله الواحدي
كقوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل ولا حاجة اليه وقدره الزمخشري متعلقا فقال بحذاء وقيل تقديره صاعدا
فيه ومفعول يستمعون محذوف فقدره الزمخشري يستمعون ما يوحى الى الملائكة من علم الغيب وقدره غيره
يستمعون الخبر بصحة ما يدعون من انه شاعر وان لله شريكا فالظاهر انه لا يقدر له مفعول بل المعنى يوقعون
الاستماع اى هل لهم قوة الاستماع من السما حتى يعلموا انه ليس برسول قوله فليات مستمعهم ان ادعوا ذلك
بسلطان مبين اى حجة بينة فان قيل كيف قال فليات مستمعهم ولم يقل فليأتوا كما قال تعالى فليأتوا بحديث
مثله فالجواب انه طلب منهم الاهون على تقدير صدقهم ليكون امتناعه عليهم ادل على بطلان قولهم وقال
هناك فليأتوا اى اجمعوا عليه وتعاونوا وائتوا بمثله فان ذلك عند الاجتماع اهون واما الاتيان بالسلم
بالاجتماع فممتنع لانه يرتقي واحد بعد واحد ولا يحصل في الدرجة العليا الا واحد فقال فليات ذلك الواحد
بما سمعه وفيه لطيفة وهي انه لو طلب منهم ما سمعوه لكان لواحد ان يفتري ويقول سمعت كذا فقال
لا بل الواجب ان ياتي بدليل يدل عليه قوله ام له البنات ولكم البنون وهذا انكار عليهم حيث جعلوا لله ما يكرهون
كقوله فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون قوله ام تسالهم اجرا على ما جئتهم به ودعوتهم اليه فهم من مغرم مثقلون
اى اثقلهم ذلك المغرم الذى تسالهم فيمنعهم ذلك عن الاسلام فان قيل ما الفائدة في سؤال النبي عليه السلام حيث
قال ام تسالهم ولم يقل ام يسالون اجرا كما قال تعالى ام يقولون ام يريدون كيدا الى غير ذلك فالجواب
ان فيه فايدتين احدهما تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم لانهم لما امتنعوا من الاستماع صعب على النبي عليه
السلام فقال له ربه انت اتيت بما عليك فلا يضيق صدرك حيث لم يومنوا فانت غير ملوم وانما كنت تلام ان
كنت طلبت منهم اجرا فهل طلبت ذلك فاثقلتهم فلا حرج عليك اذن الثانية لو قال ام تسالون نفي طلب
الاجر مطلقا وليس كذلك لانهم كانوا مشركين مطالبين بالاجر من رؤسائهم واما النبي عليه السلام فقال انت
لا تسالهم اجرا فهم لا يتبعونك وغيرك يسالهم وهم يسالون ويتبعون السائلين هذا غاية الضلال قوله ام
عندهم الغيب اى علم ما غاب عنهم حتى علموا ان ما يخبرهم الرسول من امر القيامة والبعث باطل قال قتادة
هذا جواب لقوله نتربص به ريب المنون يقول اعندهم الغيب حتى علموا ان محمدا يموت قبلهم فهم يكتبون قال
ابن الخطيب وهذا ضعيف لبعد ذكره اولا ان قوله تعالى قل تربصوا متصل به وذلك يمنع اتصال هذا بذاك قال
القتيبي اى يحكمون والكتاب الحكم قال النبي صلى الله عليه وسلم للرجلين اللذين تخاصما اليه اقضي بينكما بكتاب الله
اى بحكم الله وقال ابن عباس معناه ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به والالف
واللام في الغيب لا للعهد ولا للتعريف الجنس بل المراد نوع الغيب كما تقول اشتر اللحم تريد بيان الحقيقة لا كل
اللحم ولا لحما معينا قوله ام يريدون كيدا اى مكرا بك ليهلكوك فالذين كفروا هم المكيدون اى هم المجزيون
بكيدهم اى ان ضرر ذلك يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم لانهم مكروا به في دار الندوة فقتلوا يوم بدر فصل
وجه التعلق اذا قيل بان قوله ام عندهم الغيب متصل بقوله تعالى نتربص به ريب المنون فالمعنى انهم لما
قالوا نتربص به ريب المنون قيل لهم اتعلمون الغيب فتعلمون انه يموت قبلكم ام تريدون كيدا فتقولون
نقتله فيموت فقيل لهم ان كنتم تدعون الغيب فانتم كاذبون وان كنتم تظنون انكم تقدرون عليه فانتم
غالطون فان الله يصونه وينصره عليكم وان قيل بان المراد منه عليه السلام لا يسالكم عن الهداية مالا وانتم
لا تعلمون ما جاء به لكونه من الغيوب ففي المراد بقوله ام يريدون كيدا وجهان الاول ان المعنى ام يريدون كيدا
اى من الشيطان فكانه تعالى قال انت لا تسالهم اجرا وهم لا يعلمون الغيب فهم محتاجون اليك واعرضوا فقد

اختاروا كيد الشيطان وارتضوا باتباعه والارادة بمعنى الاختيار كقوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة وقوله ائفكا الهة
دون الله تريدون وقوله اني اريد ان تبوء باثمي واثمك الثاني ان المراد ام يريدون كيدا فهو واصل اليهم وهم عن
قريب مكيدون والمعنى انه لما لم يبق لهم حجة في الاعراض فهم يريدون نزول العذاب والقا رسل اليهم رسولا الا ايسام
اجرا يهديهم الى ما لا علم لهم به ولا كتاب عندهم وهم معرضون فهم يريدون ان يهلكهم ويكيدهم لان
الاستدراج كيد والاملا لازدياد الاثم كذلك ولا يقال هذا فاسد لان الكيد والاشارة لا تطلق على فعل
الله الا بطريق المقابلة وكذا المكر فلا يقال اسا الله الى الكافر ولا اعتدى الله الا اذا ذكر اولا منهم شي من ذلك
ثم يقال بعد مثله لفظا في حق الله تعالى كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ومكروا
ومكر الله يكيدون كيدا واكيد كيدا الانا نقول الكيد ما يسوء من نزل به وان حسن ممن وجد منه كقول
ابرهيم عليه السلام لاكيدن اصنامكم من غير مقابلة وذكر الكيد اشارة الى وقوع العذاب من حيث لا يشعرون فكانه
قال ياتيهم بغتة ولا يكون لهم علم بمجيئه قوله فالذين كفروا هم المكيدون هذا من وقوع الظاهر موقع المضمر تنبيها على اتصافهم
بهذه الصفة القبيحة والاصل ام يريدون كيدا فهم المكيدون او حكم على جنسهم هم نوع منه فيندرجون اندراجا اوليا
لتوغلهم في هذه الصفة قوله ام لهم اله غير الله يرزقهم وينصرهم سبحان الله عما يشركون قال الخليل ما في هذه
السورة من ذكر ام كلمة استفهام وليس بعطف فصل قال اهل اللغة سبحان الله اسم علم للتسبيح وما في قوله عما
يشركون يحتمل ان تكون مصدرية اى عن اشراكهم ويحتمل ان تكون خبرية اى عن الذى يشركون وعلى هذا احتمل ان تكون
عن الولد لانهم كانوا يقولون له البنات فقال سبحان الله عن البنات والبنين ويحتمل ان يكون عن مثل الالهة اى
سبحان الله عن مثل ما يعبدونه قوله وان يروا كسفا من السما ساقطا ان هذه شرطية على بابها وقيل هي بمعنى
لو والبين لشي قوله سحاب خبر مبتدا مضمر اى هذا سحاب والجملة نصب بالقول فصل لما بين فساد اقوالهم وسقوطها
اشار الى انه لم يبق لهم عذر فان الايات ظهرت ولم يؤمنوا فبعد ذلك ان يروا كسفا اى قطعة من السما
ساقطا يقولوا سحاب اى يتركون كونه اية ومعنى الاية لو عذبناهم بسقوط بعض من السما عليهم لم ينتهوا عن
كفرهم ويقولوا لمعاندتهم هذا سحاب مركوم اى بعضه على بعضه يسقينا قوله ساقطا يحتمل ان يكون مفعولا ثانيا
كقولك رايت زيدا عالما وان تكون حالا كقولك ضربته قائما والثاني اولى لان الرؤية عند التعدي الى مفعولين في
اكثر الامر تكون بمعنى العلم تقول رايت هذا المذهب صحيحا وهذا الوجه ظاهر وعند التعدي الى واحد يكون بمعنى
راى العين في الاكثر تقول رايت زيدا قال تعالى فاما ترين من البشر احدا والمراد من الاية رؤية
العين فصل قولهم سحاب مركوم اشارة الى انهم حيل بينهم عن التكذيب ولا يمكنهم ان يقولوا وقع شي على الارض
يرجعون الى التاويل والتخييل فقالوا سحاب ولم يقولوا هذا سحاب اشارة الى وضوح الامر وظهور العناد فانوا بما
لا شك فيه وقالوا سحاب مركوم وحذف المبتدا ليبقى للقايل فيه مجال فيقولون عند تكذيب الخلق اياهم قلنا
سحاب مركوم شبهه او مثله وان مثل الامر مع عوامهم استمروا وهذه طريق من يخاف من كلام ولا يعلم هل
يقبل منه ام لا فيجعل كلامه ذا وجهين فان راى القبول صرح بمراده وان انكر عليه احد اقتصر بالاخر قوله
فذرهم حتى يلاقوا يومهم مفعول به لا ظرف وقرا ابو حيوة يلقوا مضارع لقي ويضعف ان يكون المفعول محذوفا
ويومهم ظرف اى يلاقوا او يلقوا جزاء اعمالهم في يومهم فصل قوله فذرهم كقوله فاعرض عنهم وتول عنهم الى
غير ذلك فقيل كلها منسوخة باية القتال وهو ضعيف وانما المراد التهديد كقول السيد لعبده الجاني لمن
ينصحه دعه فانه سينال جنايته قوله الذى فيه يصعقون قرا ابن عامر وعاصم بضم الياء يصعقون مبنيا
للمفعول وباقي السبعة بفتحها مبنيا للفاعل وقرا ابو عبد الرحمن بضم الياء وكسر العين فاما الاول فيحتمل ان يكون
من صعق فهو مصعوق مبنيا للمفعول وهو ثلاثي حكاه الاخفش فيكون مثل سعد وان يكون من اصعق رباعيا يقال اصعق
فهو مصعق قاله الفارسي والمعنى ان غيرهم اصعقهم وقراة السلمي تؤذن ان افعل بمعنى فعل ومعنى يصعقون اى
يموتون اى حتى يعاينوا الموت وقوله يوم لا يغني عنهم كيدهم يوم بدل من يومهم وقوله ولا هم ينصرون اى لا ينفعهم
كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع قوله وان للذين ظلموا يجوز ان يكون من ايقاع الظاهر موقع المضمر
وان لا يكون كما تقدم والمعنى وان للذين ظلموا اى كفروا عذابا دون ذلك اى عذابا في الدنيا قبل عذاب الاخرة
قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقال الضحاك هو الجوع والقحط سبع سنين وقال البرا بن عازب عذاب
القبر ولكن اكثرهم لا يعلمون ان العذاب نازل بهم والمراد بالظلم هنا هو كيدهم نبيهم عليه السلام وهم اهل
مكة وقيل ظلموا بعبادة غير الله فيكون عاما في كل ظالم والاشارة بقوله ذلك الى اليوم الذى فيه يصعقون
ومفعول يعلمون يجوز ان يكون ما تقدم ويجوز ان يكون لا مفعول له اى اكثرهم غافلون جاهلون قوله فاصبر
لحكم ربك اى الى ان يقع بهم العذاب الذى حكمنا عليهم فانك باعيننا قراة العامة بالفك وابو السمال بادغام

فيما بعدها وناسب جمع الضمير هنا جمع العين الا تراه افرد حيث افردها في قوله ولتصنع على عيني قاله الزمخشري والمعنى فانك بمرأى منا قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقال الزجاج انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون الى مكروهك قال ابن الخطيب اللام في قوله لحكم ربك تحتمل وجوها احدها هي بمعنى الى اي اصبر الى ان يحكم الله الثاني ان الصبر فيه معنى الثبات اي اثبت لحكم ربك واحتمله الثالث هي اللام التي للسبب يقال لم خرجت فتقول لحكم فلان علي بالخروج فقال فاصبر واجعل سبب الصبر امتثال الامر اي فاصبر لهذا الحكم عليك لا لشيء اخر قوله وسبح بحمد ربك تقدم الكلام على نظيره وقوله حين تقوم قال سعيد بن جبير وعطاء اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا وكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما وقال ابن عباس معناه صل لله حين تقوم من مجلسك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك لما روت عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقال الكلبي هو ذكر الله باللسان حين تقوم من الفراش الى ان تدخل في الصلاة لما روى عاصم بن حميد قال سالت عائشة باي شيء كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة وقيل حين تقوم لامر ما ولا سيما اذا كنت تنتصب لمجاهدة قومك ومعاداتهم والدعاء عليهم فسبح بحمد ربك وبدل قيامك بالمعاداة وانتصابك للانتقام بقيامك بذكر الله وتسبيحه قوله ومن الليل فسبحه اي صل له قال مقاتل يعني صلاة المغرب والعشاء وادبار النجوم يعني الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم اي تغيب بضوء الصبح هذا قول اكثر المفسرين وقال الضحاك هي فريضة صلاة الصبح قوله وادبار النجوم العامة على كسر الهمزة مصدرا بخلاف التي في اخر ق كما تقدم وان الفتح هناك لائق لانه يراد به الجمع لدبر السجود اي اعقابه على انه قد قرا سالم الجعدي ويعقوب والمنهال بن عمرو بفتحها هنا اي اعقاب النجوم واثارها اذا غربت فصل هذه الاية نظير قوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقد تقدم الكلام عليها قال ابن الخطيب قال ههنا وادبار النجوم وقال في ق وادبار السجود فيحتمل ان يكون المعنى واحدا والمراد من السجود جمع ساجد والنجوم سجود قال تعالى والنجم والشجر يسجدان وقيل المراد من النجوم نجوم السماء وقيل النجم ما لا ساق له من النبات قال تعالى ولله يسجد من في السموات ومن في الارض الاية او المراد من النجوم الوظائف وكل وظيفة نجم في اللغة فاذا فرغت من وظائف الصلاة فقل سبحان الله كما تقدم وروى ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والطور كان حقا على الله عز وجل ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته والله تعالى اعلم

سورة النجم

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا اية وهي قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الاية وهي احدى وستون اية وقيل ان السورة مدنية والصحيح انها مكية لقول ابن مسعود هي اول سورة اعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقيل اثنتان وستون اية وثلاث مائة وستون كلمة والف واربع مائة وخمسة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والنجم اذا هوى قال ابن عباس في رواية الوالبي والعوفي يعني الثريا اذا سقطت وغابت وهويه مغيبه والعرب تسمي الثريا نجما قال قائلهم:

اذا طلع النجم عشاء ... ابتغى الراعي كساء

وجاء في الحديث عن ابي هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شيء الا رفع واراد بالنجم الثريا وقال مجاهد هي نجوم السماء كلها حين تغرب لفظه واحد ومعناه الجمع سمي الكوكب نجما لطلوعه وكل طالع نجم يقال نجم السن والقرن والنبت اذا طلع وروى عكرمة عن ابن عباس انها ما يرمى به الشياطين عند استراقهم السمع وقال ابو حمزة الثمالي هي النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل اراد بالنجم القران لانه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة وسمي التفريق تنجيما والمفرق منجما قاله الكلبي ورواه عطاء عن ابن عباس والهوي النزول من اعلى الى اسفل وقال الاخفش النجم هو النبت الذي لا ساق له ومنه قوله عز وجل والنجم والشجر يسجدان وهويه سقوطه على الارض وقال جعفر الصادق يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اذا نزل من السماء ليلة المعراج والهوي

النزول من اعلى الى اسفل يقال هوى يهوي هويا والكلام في قوله والنجم كالكلام في قوله والطور حيث لم يقل والنجوم والاطوار وقال والذاريات والمرسلات كما تقدم فصل السور التي تقدمت وافتتحت بالقسم بالاسماء دون الحروف هي الصافات والذاريات والطور وهذه السورة بعدها فالاولى اقسم فيها لاثبات الوحدانية كما قال ان الهكم لواحد وفي الثانية اقسم لوقوع الحشر والجزاء كما قال تعالى انما توعدون لصادق وان الدين لواقع وفي الثالثة لدوام العذاب بعد وقوعه كما قال ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع وفي هذه اقسم لاثبات النبوة لتكمل الاصول الثلاثة الوحدانية والحشر والنبوة واعلم انه تعالى لم يقسم على الوحدانية ولا على النبوة كثيرا لانه على الوحدانية في سورة واحدة وهو والصافات واما النبوة فاقسم عليها بامر واحد في هذه السورة وبامرين في سورة والضحى واكثر من القسم على الحشر وما يتعلق به فقال والليل اذا يغشى والشمس وضحاها والسماء ذات البروج الى غير ذلك وكلها في الحشر او ما يتعلق به وذلك لان دلائل الوحدانية كثيرة كلها عقلية كما قيل:

وفي كل شيء له اية ... تدل على انه واحد

ودلائل النبوة ايضا كثيرة وهي المعجزات المشهورة واما الحشر ووقوعه فلا يمكن اثباته الا بالسمع فاكثر فيه القسم ليقطع به المكلف ويعتقده اعتقادا جازما فصل قال ابن الخطيب والفائدة في تقييد القسم به بوقت هويه انه اذا كان في وسط السماء بعيدا عن الارض لا يهتدي به الساري لانه لا يعلم به المشرق والمغرب ولا الجنوب من الشمال فاذا زال عن وسط السماء تبين بزواله جانب المغرب عن المشرق والجنوب عن الشمال فصل اول هذه الاية مناسب لاخر ما قبلها لفظا ومعنى اما لفظا فقوله وادبار النجوم وافتتح هذه بالنجم مع واو القسم واما معنى فلانه تعالى لما قال للنبي ومن الليل فسبحه وادبار النجوم بين له انه يبعد عما لا يجوز له فقال تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى قوله اذا هوى في العامل في هذا الظرف اوجه وعلى كل منها اشكال احدها انه منصوب بفعل مقدر القسم المحذوف تقديره اقسم بالنجم وقت هويه قاله ابو البقاء وغيره وفيه اشكال فان فعل القسم انشاء والانشاء حال واذا لما يستقبل من الزمان فكيف يتلاقيان الثاني ان العامل فيه مقدر على انه حال من النجم اي اقسم به حال كونه مستقرا في زمان هويه وهو مشكل من وجهين احدهما ان النجم جثة والزمان لا يكون حالا عنها كما لا يكون خبرا والثاني ان اذا للمستقبل فكيف يكون حالا وقد اجيب عن الاول بان المراد بالنجم القطعة من القران والقران قد نزل منجما في عشرين سنة وهذا تفسير ابن عباس وغيره وعن الثاني بانها حال مقدرة الثالث ان العامل فيه نفس النجم اذا اريد به القران قاله ابو البقاء وفيه نظر لان القران لا يعمل في الظرف اذا اريد به انه اسم لهذا الكتاب المخصوص وقد يقال ان النجم بمعنى المنجم كانه قيل والقران المنجم في هذا الوقت وهذا البحث وارد في مواضع منها والشمس وضحاها وما بعده وقوله والليل اذا يغشى والضحى والليل اذا سجى وسياتي في الشمس بحث اخص من هذا ان شاء الله تعالى والهوي قال الراغب الهوي سقوط من علو ثم قال والهوي ذهاب في انحدار والهوي ذهاب في ارتفاع وانشد:

يهوي مخارمها هوي الاجدل

وقيل هوى في اللغة خرق الهواء ومقصده السفل او مصيره اليه وان لم يقصده قال:

هوي الدلو اسلمها الرشا

وقال اهل اللغة هوى يهوي هويا اي سقط من علو وهوي يهوى هوى اي صبا وقد تقدم الكلام على هذا مشبعا قوله ما ضل هذا جواب القسم والمعنى ما ضل صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى وما غوى ذهب اكثر المفسرين الى ان الضلال والغي بمعنى واحد وفرق بعضهم بينهما فقال الضلال في مقابلة الهدى والغي في مقابلة الرشد قال تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا وقال تعالى قد تبين الرشد من الغي قال ابن الخطيب وتحقيق القول فيه ان الضلال اعم استعمالا في الوضع تقول ضل بعيري ورحلي ولا تقول غوى فالمراد من الضلال ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا اصلا والغواية ان لا يكون له طريق الى المقصد مستقيم ومما يدل على هذا قولك للمؤمن الذي ليس على طريق السداد انه سفيه غير رشيد ولا تقول انه ضال فالضال كالكافر والغاوي كالفاسق فكانه تعالى قال ما ضل اي ما كفر ولا اقل من ذلك فما فسق او يقال الضلال كالعدم والغواية كالوجود الفاسد في الدرجة والمرتبة قال ويحتمل ان يكون المراد معنى قوله ما ضل اي ما جن فان المجنون ضال وعلى هذا فهو كقوله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون قوله وما ينطق عن الهوى اي ما يصدر عن الهوى نطقه فعن على بابها وقيل هي بمعنى الباء وفي فاعل ينطق وجهان احدهما هو ضمير النبي عليه السلام وهو الظاهر والثاني انه ضمير القران كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق واعلم ان قوله تعالى ما ضل وما غوى بصيغة الماضي وفي قوله وما ينطق بصيغة المستقبل ترتيب في غاية الحسن اي ما ضل حين اعتزلكم وما تعبدون في صغره وما غوى حين اختلى بنفسه وراى في منامه ما راى وما ينطق عن الهوى الان حيث ارسل اليكم وجعل رسولا شاهدا عليكم فلم يكن اولا ضالا ولا غاويا وصار الان منقذا من الضلالة مرشدا وهاديا قوله ان هو

الا وحى يوحى اى ان الذى ينطق به وقيل ان القران الا وحى من الله وقوله يوحى صفة لوحى فايدته المجى لهذا الوصف
انه بمعنى المجاز اى هو وحى حقيقة لا بمجرد تسمية كقولك هذا قول يقال وقيل تقديره يوحى اليه ففيه مزيد
فايدة والوحى قد يكون اسما ومعناه الكتاب وقد يكون مصدرا وله معان منها الارسال والالهام والكتابة
والكلام والاشارة والافهام وهذه الاية تدل على انه عليه السلام لم يجتهد وهو خلاف الظاهر فانه اجتهد
فى الحروب وايضا حرم فى قوله تعالى لم تحرم واذن قال تعالى عفى الله عنك لم اذنت لهم قوله علمه يجوز ان
يكون هذه الها للرسول وهو الظاهر فيكون الثانى محذوفا اى علم الرسول الوحى اى الموحى ويجوز ان يكون للقران
والوحى فيكون المفعول الاول محذوفا اى علمه الرسول والوحى ان كان هو الكتاب فظاهر وان كان الالهام فهو
كقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقوله شديد القوى قيل هو جبريل وهو الظاهر وقيل البارى
تعالى لقوله الرحمن علم القران وشديد القوى من اضافة الصفة المشبهة لمرفوعها فهى غير حقيقية والقوى
جمع القوة قوله ذو مرة المرة القوة والشدة ومنه امررت الحبل اذا احكمت فتله والمرير الحبل وكذلك
الممر كانه مر فتله مرة بعد اخرى وقال قطرب العرب تقول لكل جزل الراى حصيف العقل ذو مرة والشد

واني لذو مرة مرة • اذا ركبت حالة حالها • وقال
قد كنت قبل لقائكم ذا مرة • عندى لكل مخاصم ميزانه • وقال الجوهرى والمرة احد الطبائع
الاربع والمرة القوة وشدة العقل ايضا ورجل مرير اى قوى ذو مرة قال
ترى الرجل النحيف فتزدريه • وفى اثوابه اسد مزير • وقال لقيط
حتى استمرت على شزر مريرته • مر العزيمة لا رتا ولا ضرعا •

فصل ذو مرة قوة وشدة فى خلقه يعنى جبريل قال ابن عباس ذو مرة اى ذو منظر حسن وقال مقاتل ذو خلق طويل حسن وقيل ذو كمال
فى العقل والدين جميعا وقيل ذو منظر وهيبة عظيمة فان قيل قد تبين كونه ذا قوة بقوله شديد القوى فكيف
قال بعده ذو مرة اذا فسرنا المرة بالقوة قال ابن الخطيب قوله هناك ذو قوة بدل من شديد القوى وليس وصفا
له وتقديره ذو قوة عظيمة ووجه اخر وهو ان افراد قوة بالذكر ربما يكون لبيان ان قواه المشهورة شديدة وله
قوة اخرى خصه الله بها يقال فلان كثير المال وله مال لا يعرفه احد اى امواله الظاهرة كثيرة وله مال باطن
ثم قال على انا نقول المراد ذو شدة وهى غير القوة وتقديره علمه من قواه شديدة وفى ذاته ايضا شدة فان
الانسان ربما يكون قواه شديدة وفى جسمه حقارة ويحتمل ان يكون المراد بقوله شديد القوى قوته فى
العلم وبقوله ذو مرة اى شدة فى جسمه فقدم العلمية على الجسمية كقوله تعالى وزاده بسطة فى العلم
والجسم وقوله فاستوى يعنى جبريل اى فاستوى جبريل فى خلقه قوله وهو بالافق الاعلى فى الضمير وجهان
اظهرهما انه مبتدأ وبالافق خبره والضمير لجبريل او للنبى صلى الله عليه وسلم ثم فى هذه الجملة وجهان احدهما
ان هذه الجملة حال من فاعل استوى قاله مكى والثانى انها مستانفة اخبر الله تعالى بذلك والثانى ان
وهو معطوف على الضمير المستتر فى استوى وضمير استوى وهو اما ان يكون لله تعالى وهو قول الحسن وقيل
ضمير استوى لجبريل وهو لمحمد صلى الله عليه وسلم قال البغوى فى توجيه هذا بان اكثر كلام العرب اذا ارادوا
العطف فى مثل هذا ان يظهروا كناية المعطوف فيه فيقولون استوى هو وفلان وقل ما يقولون استوى
وفلان ونظير هذا قوله عز وجل ءاذا كنا ترابا وءاباؤنا عطف الاباء على المكنى فى كنا من غير اظهار نحن ومعنى
الاية استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج بالافق الاعلى وهو اقصى الدنيا عند مطلع الشمس وقيل ضمير استوى لمحمد
وهو لجبريل وهذا الوجه الثانى انما يتمشى على قول الكوفيين لان فيه العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير
تاكيد ولا فاصل وهذا الوجه منقول عن الفراء والطبرى واذا قيل ان الضمير من اعنى استوى وهو لجبريل فمعناه
قام فى صورته التى خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى وذلك ان جبريل كان ياتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريه
نفسه فى صورته التى جبل عليها فاراه نفسه مرتين مرة فى الارض ومرة فى السما فاما فى الارض ففى الافق الاعلى
وهو جانب المشرق وذلك ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان بحرا فطلع له جبريل من المشرق فسد الارض من
المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل فى صورة الادميين فضمه الى نفسه
وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله ثم دنى فتدلى واما فى السما فعند سدرة المنتهى ولم يره احد
من الانبيا على تلك الصورة الا محمد صلى الله عليه وسلم قوله ثم دنا فتدلى التدلى الامتداد من علو الى سفل
فيستعمل فى القرب من العلو قاله الفراء وابن الاعرابى • وقال الهذلى

تدلى علينا وهو زرق حمامة • له طحلب فى منتهى القيظ هامد • وقال الشاعر
تدلى علينا بين سب وخيطة • ويغاله كالقرلى ان راى خيرا تدلى • وان لم يره تولى •

فصل فى قوله دنا فتدلى وجوه اشهرها ان جبريل دنا من النبى صلى الله عليه وسلم اى بعد ما مد جناحه وهو
بالافق عاد الى الصورة التى كان يعتاد النزول بها وقرب من النبى عليه السلام وعلى هذا ففى تدلى وجوه الاول
فيه تقديم وتاخير اى تدلى من الافق الاعلى فدنا من النبى عليه السلام الثانى ان الدنو والتدلى بمعنى واحد
فكانه قال دنا فقرب الثالث دنا اى قصد القرب من محمد عليه السلام وتحول عن المكان الذى كان فيه فتدلى
فنزل الى النبى صلى الله عليه وسلم الوجه الثانى ان محمدا دنا من الخلق والامة ولان لهم وصار كواحد منهم فتدلى
اى تدلى اليهم بالقول اللين والدعا بالرفق فقال انا بشر مثلكم يوحى الى الثالث دنا منه ربه تعالى فقرب منزلته
كقوله عليه السلام حكاية عن ربه تعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا
تقربت اليه باعا ومن مشى الى اتيته هرولة وهذا اشارة الى المعنى المجازى قوله فكان قاب ههنا مضاف
محذوف قال يقطر ... الى فكان مقدار مسافة قربه مثل مقدار مسافة قاب وقد فعل ابو على هذا فى
قول الشاعر • وقد جعلتنى من حزيمة اصبعا • اى ذا مقدار مسافة اصبع والقاب القدر تقول هذا
قاب هذا اى قدره ومثله القيب والقاد والقيد والقيس قال الزمخشرى وقد جا التقدير بالقوس والرمح
والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلاة الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين
وفى الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط والقاب عن واو
نص عليه ابو البقا واما قيب فلادلالة فيه لكونها بالواو والياء المكسورة قبلها قلبت ياء كديمة وقيمة وذكره
الراغب ايضا فى مادة قوب الا انه قال فى تفسيره هو ما بين المقبض والسية من القوس فعلى هذا يكون مقدار
نصف القوس لان المقبض فى نصفه والسية هى الفرضة التى يحط فيها الوتر وفيما قاله نظر لا يخفى ويروى عن مجاهد
انه من الوتر الى مقبض القوس فى وسطه وقيل ان القوس ذراع يقاس به نقل ذلك عن ابن عباس وانه لغة
للحجازيين والقوس معروفة وهى مؤنثة وشذوا فى تصغيرها فقالوا قويس من غير تا ليث كعريب وحريب
ويجمع على قسى وهو مقلوب على قوس قوله او ادنى هى كقوله او يزيدون لان المعنى فكان باحد هذين المقدارين فى
راى الراى اى لتقاربهما يلتبس الراى فى ذلك وادنى افعل تفضيل والمفضل عليه محذوف اى او ادنى
من قاب قوسين فصل قال الثعلبى فى تفسيره اختلفوا فى قوله فكان قاب قوسين او ادنى قال اخبرنا عبد الله
يعنى ابن مسعود انه محمد راى جبريل له ستمائة جناح فمعنى الاية فوقها لجبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض
فتدلى فنزل الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان قاب قوسين او ادنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقال
اخرون دنا الرب من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه حتى كان قاب قوسين او ادنى قال البغوى وروينا
فى قصة المعراج عن شريك عن عبد الله عن انس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى
وهذا رواية ابى سلمة عن ابن عباس وقال مجاهد دنا جبريل من ربه وقال الضحاك دنا محمد من ربه فتدلى
فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين او ادنى وتم الكلام على القاب والقوس ما يرمى به فى قول مجاهد
وعكرمة وعطا عن ابن عباس فاخبر انه كان بين جبريل وبين محمد عليه السلام مقدار قوسين وقال مجاهد معناه
حيث الوتر من القوس وهذا اشارة الى تاكيد القرب واصله ان الحليفين من العرب كانا اذا ارادا الصفا
والعهد خرجا بقوسيهما فالصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامى كل واحد منهما عن صاحبه وقال
عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين وهو قول سعيد بن جبير وشقيق بن سلمة والقوس الذراع
يقاس بها كل شى او ادنى بل هو اقرب قوله فاوحى اى اوحى الله الى عبده محمد قوله ما اوحى ابهم تعظيما له ورفعا
من شانه وبهذه الاية استدل ابن مالك على انه لا يشترط فى الصلة ان تكون معهودة عند المخاطب ومثله فغشيهم
من اليم ما غشيهم الا ان هذا الشرط هو المشهور عند النحويين فصل فى فاعل اوحى الاول وجهان احدهما
ان الله تعالى اوحى وعلى هذا ففى عبده وجهان احدهما انه جبريل اى اوحى الله الى جبريل وعلى هذا ففى فاعل اوحى الاخير
وجهان احدهما انه الله تعالى ايضا والمعنى حينئذ فاوحى الله تعالى الى جبريل الذى اوحاه الله ابهمه تفخيما
وتعظيما للموحى ثانيهما فاعل اوحى الثانى جبريل اى اوحى الى جبريل ما اوحى جبريل وعلى هذا فالمراد من الذى
اوحى جبريل عليه السلام يحتمل وجهين احدهما ان يكون مبهما وهو الذى اوحى جبريل الى محمد وثانيهما
ان يكون عاما اى اوحى الله الى جبريل ما اوحى الى كل رسول الوجه الثانى فى عبده على قولنا الموحى هو الله
انه محمد عليه السلام اى اوحى الله الى محمد ما اوحى اليه للتفخيم والتعظيم الوجه الثانى فى فاعل اوحى الاول
وهو انه جبريل اوحى الى عبده اى الى عبد الله يعنى محمدا ما اوحى اليه ربه عز وجل قاله ابن عباس فى رواية
عطا والكلبى والحسن والربيع وابن زيد وعلى هذا ففى فاعل اوحى الثانى وجهان احدهما انه جبريل اى اوحى
جبريل الى عبد الله ما اوحى جبريل للتفخيم وثانيهما ان يكون هو الله تعالى اى اوحى جبريل الى محمد ما اوحى الله اليه

فصل وفي الذي اوحي وجوه الاول قال سعيد بن جبير اوحي اليه الم يجدك يتيما فاوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك الثاني
اوحي اليه الصلاة الثالث ان احدا من الانبيا لا يدخل الجنة قبلك وان امة من الامم لا تدخلها قبل امتك الرابع
الخامس ان ما للعموم والمراد كل ما جابه جبريل قوله ما كذب
الله مبهم لا يطلع عليه احد وتعبدنا به على الجملة
قراءة هشام وابو جعفر بتشديد الذال والباقون بتخفيفها فاما الاولى قال معناها ان ما راه محمد بعينه صدقه
قلبه ولم ينكره اي لم يقل له لم اعرفك وما مفعول به موصولة والعايد محذوف ففاعل راى ضمير يعود على النبي صلى
الله عليه وسلم واما قراءة التخفيف فقيل فيها كذلك وكذب يتعدى بنفسه وقيل هو على اسقاط الخافض اي
فيما راه قاله مكي وغيره فاسقط حرف الصفة قال حسان
لو كنت صادقة الذي حدثتني لنجوت منجى الحارث بن هشام اي في الذي حدثتني
وجوز في ما وجهين احدهما ان تكون بمعنى الذي والثاني ان تكون مصدرية ويجوز ان يكون فاعل راى
ضمير يعود على الفؤاد اي لم يشك قلبه فيما راه بعينه فصل قال الزمخشري معناه ان قلبه لم يكذب وما
قال ان من يراه بصرك الشيء تصحيحه ولو قال فؤاده ذلك لكان كاذبا فيما قاله فما كذب الفؤاد هذا على قراءة
التخفيف يقال كذبه اذا قال له الكذب واما قراءة التشديد فمعناه ما قال ان المرئي خيال لا حقيقة
واما الرائي فقيل هو الفؤاد كانه تعالى قال ما كذب الفؤاد ما راه الفؤاد اي لم يقل انه هاجس شيطان بل
تيقن ان ما راه بفؤاده صدق صحيح وقيل الرائي هو البصر اي ما كذب الفؤاد ما راه البصر خيال وقيل
ما كذب الفؤاد ما راى محمد عليه السلام وعلى هذا فالمراد بالفؤاد الجنس اي القلوب شهدت بصحة ما راه محمد صلى الله عليه
وسلم واما المرئي فقيل هو الرب تعالى وقيل جبريل عليه السلام وقيل الايات العجيبة الالهية فالقائل بان المرئي جبريل
عليه السلام هو ابن مسعود وعائشة رضي الله عنهما ومن قال بان المرئي هو الله تعالى اختلفوا في معنى الروية فقال
بعضهم جعل بصره في فؤاده فراه بفؤاده وهو قول ابن عباس قال راه بفؤاده مرتين ما كذب الفؤاد ما راى ولقد
راه نزلة اخرى وقال انس والحسن وعكرمة راى محمد ربه بعينيه وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله
اصطفى ابرهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالروية صلى الله عليه وسلم وكانت عائشة رضي الله
عنها تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الروية على روية جبريل قال مسروق قلت لعائشة يا اماه
هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا
راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا او من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرات وما تدري نفس ماذا
تكسب غدا ومن حدثك انه كتم شيئا مما انزل الله فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من
ربك الاية ولكنه راى جبريل في صورته مرتين وروى ابو ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل رايت ربك قال نور اني اراه قوله افتمارونه قرا الاخوان افتمرونه بفتح التاء وسكون الميم والباقون
تمارونه وعبد الله بن مسعود والشعبي افتمرونه بضم التاء وسكون الميم فاما الاولى ففيها وجهان احدهما
انها من مريته حقه اذا علبته وجحدته اياه وعدي بعلى لتضمنه معنى الغلبة وانشد
لئن هجرت اخا صدق ومكرمة لقد مريت اخا ما كان يمريكا لانه اذا جحده حقه فقد غلبه
عليه والثاني انه من مراه على كذا اي غلبه عليه فهو من المرا وهو الجدال واما الثانية فهي من ماراه
يماريه مرا اي جادله واشتقاقه من مري الناقة لان كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وكان
من حقه ان يتعدى بفي كقولك جادلته في كذا وانما ضمن معنى الغلبة فعدي تعديتها واما قراءة عبد
الله فمن امراه رباعيا فصل المعنى افتجادلونه اي كيف تجادلونه على ما يرى وذلك انهم جادلوه حين اسري
به فقالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى افتجادلونه
جدالا ترومون به دفعه عما راه وعلمه وتيقنه قوله ولقد راه نزلة اخرى في نصب نزلة ثلاثة اوجه
احدها انها منصوبة على الظرف قال الزمخشري نصبا الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت
في حكمها قال شهاب الدين وهذا ليس مذهب البصريين وانما هو مذهب الفرا نقله عنه مكي الثاني انها منصوبة
نصب المصدر الواقع موقع الحال قاله مكي اي راه نازلا نزلة اخرى واليه ذهب الحوفي وابن عطية الثالث انه
منصوب على المصدر الموكد فقدره ابو البقاء مرة اخرى او روية اخرى قال شهاب الدين وفي تاويل نزلة بروية
نظر واخرى تدل على سبق روية قبلها وعند سدرة ظرف لراه وعندها جنة جملة ابتدائية في موضع
الحال والاحسن ان يكون الحال الظرف وجنة الماوى فاعل به والعامة على جنة اسم مرفوع وقرا امير المومنين
وابو الدردا وابو هريرة وابن الزبير وانس وزر بن حبيش ومحمد بن كعب جنه فعلا ماضيا والهاء ضمير

المفعول يعود للنبي صلى الله عليه وسلم والماوى فاعل بمعنى ستره ايوا الله تعالى وقيل المعنى ضمه المبيت والليل وقيل
جنه بظلاله ودخل فيه وقد ردت عايشة هذه القراءة وتبعها جماعة وقالوا اجن الله من قراها واذا ثبتت
قراءة عن مثل هولا فلا سبيل الى ردها ولكن المستعمل انما هو اجنه رباعيا فان استعمل ثلاثيا تعدى بعلى كقوله
تعالى فلما جن عليه الليل وقال ابو البقاء وهو شاذ والمستعمل اجنه وقد تقدم الكلام على هذه المادة في الانعام
والوادي ولقد يحتمل ان تكون عاطفة ويحتمل ان تكون للحال اي كيف تجادلونه فيما راه وهو قد راه على وجه فصل
لا شك فيه واعلم ان قوله نزلة هي فعلة من النزول كجلسة من الجلوس فلا بد من نزول واختلفوا في ذلك النزول
وفيه وجوه الاول ان الضمير في راه عايد الى الله تعالى اي راى الله نزلة اخرى وهذا قول من قال في قوله ما كذب
الفؤاد ما راى هو الله وقد قيل بان النبي عليه السلام راى ربه بقلبه مرتين وعلى هذا فمعنى النزول وجهان احدهما
قول من يجوز على الله الحركة وثانيهما ان النزول بمعنى القرب بالرحمة والفضل الثاني ان محمدا راى الله نزلة اخرى
والمراد من النزلة ضدها وهي العرجة كانه قال راه عرجة اخرى قال ابن عباس نزلة اخرى هو انه كانت للنبي
صلى الله عليه وسلم عرجات في تلك الليلة لمسيلة التخفيف من الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فراى ربه في بعضها
وروى عن ابن عباس ان النبي عليه السلام راى ربه بفؤاده مرتين وعنه انه راى ربه بعينه القول
الثاني ان الضمير في راه عايد الى جبريل اي راى جبريل نزلة اخرى اي راى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلا من
السما مرة اخرى وذلك انه راه في صورته مرتين مرة في الارض ومرة في السما عند سدرة المنتهى قال ابن الخطيب
ان تكون النزلة لمحمد عليه السلام كما تقدم في العرجات فصل وقوله عند سدرة المنتهى المشهور ان السدرة
شجرة في السما السابعة وقيل في السما السادسة كما ورد عنه عليه السلام انه قال نبقها كقلال هجر وورقها
كاذان الفيلة وقيل سدرة المنتهى هي الحيرة القصوى من السدرة والسدرة كالركبة من الراكب يعني عندها
تحار العقل حيرة لا حيرة فوقها ما حار النبي عليه السلام وما غاب وراى ما راى وهل قوله عند سدرة المنتهى ظرف
مكان او ظرف زمان في هذا الموضع قال ابن الخطيب المشهور انه ظرف مكان اي راى جبريل او غيره بقرب سدرة
المنتهى وقيل ظرف زمان كما يقال صليت عند طلوع الفجر والتقدير راه عند الحيرة القصوى اي في الزمان الذي تحار
فيه عقل العقلاء فهو عليه السلام ما حار وقتا من شانه ان يحار العاقل فيه فصل اذا قيل بان محمدا عليه السلام
راى الله فمعناه انه راه عند سدرة المنتهى والظرف قد يكون ظرفا للرائي كما اذا قال القايل رايت الهلال
فيقال له اين رايته فيقول على السطح وقد يقول عند الشجرة الفلانية واما قول من قال بان الله في مكان
فذلك باطل وان قيل بان المرئي جبريل عليه السلام فظاهر فصل اضافة السدرة الى المنتهى يحتمل وجوها
احدها اضافة الشيء الى مكانه كقولك اشجار بلدة كذا فالمنتهى حينيذ موضع لا يتعداه ملك وثانيها اضافة
المحل الى الحال فيه كقولك كتاب الفقه وعلى هذا فالتقدير سدرة عندها منتهى العلوم وثالثها اضافة الملك
الى مالكه كقولك دار زيد وشجرة زيد وحينيذ المنتهى اليه محذوف تقديره سدرة المنتهى اليه قال الله تعالى
الى ربك المنتهى فالمنتهى اليه هو الله واضافة السدرة اليه حينيذ كاضافة البيت اليه للتشريف والتعظيم
كما يقال في التسبيح يا غاية رغبتاه يا منتهى اماله فصل وجنة الماوى قيل هي الجنة التي وعدها المتقون
كقوله دار المقامة وقيل هي جنة اخرى عندها تكون ارواح الشهدا وقيل هي جنة الملايكة قوله اذ يغشى
منصوب براه وقوله ما يغشى كقوله ما اوحى قال ابن الخطيب العامل في اذ ما قبلها او ما بعدها فيه وجهان فان
قلنا ما قبلها ففيه احتمالان اظهرهما راه وقت ما يغشى السدرة الذي يغشى والثاني العامل فيه الفعل
الذي في النزلة اي راه نزلة اخرى تلك النزلة وقت ما يغشى السدرة ما يغشى اي نزوله لم يكن الا بعد ما ظهرت
العجايب عند السدرة وغشيها ما غشي وان قلنا العامل فيها ما بعدها فالعامل ما زاغ البصر اي ما زاغ بصره وقت
غشيان السدرة ما غشيها فصل اختلفوا في ما يغشى السدرة فقيل فراش او جراد من ذهب قال ابن الخطيب
وهذا ضعيف لان ذلك لا يثبت الا بدليل سمعي فان صح فيه خبر والا فلا وجه له وقيل ملايكة يغشونها كانهم طيور
يرتقون اليها متشوقين متبركين بها زايرين كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها انوار الله لان النبي عليه
السلام لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الانوار لكن السدرة كانت اقوى من الجبل واثبت فجعل الجبل
دكا ولم تتحرك الشجرة وخر موسى صعقا ولم يتزلزل محمد وقيل ابهمه تعظيما له والغشيان يكون بمعنى التغطية
والستر ومنه الغواشي ويكون بمعنى الاتيان يقال فلان يغشاني في كل وقت اي ياتيني قوله ما زاغ البصر
وما طغى اللام في البصر يحتمل وجهين احدهما المعروف اي ما زاغ بصر محمد عليه السلام وعلى هذا ففي الزيغ
وجوه ان قيل بان الغاشي للسدرة هو الجراد والفراش فمعناه لم يلتفت اليه ولم يشتغل به ولم يقطع نظره عن
مقصوده فيكون غشيان الجراد والفراش ابتلاء وامتحانا لمحمد عليه السلام وان قيل ان الغاشي انوار الله تعالى

فيه وجهان احدهما معناه لم يلتفت يمنة ويسرة بل اشتغل بمطالعتها والثاني ما زاغ البصر بصعقة بخلاف موسى عليه السلام فانه قطع النظر وغشي عليه ففي الاول بيان ادب محمد عليه السلام وفي الثاني بيان قوته الوجه الثاني ان اللام لتعريف الجنس اي ما زاغ بصره اصلا في ذلك الموضع لعظم هيبته فان قيل لو كان كذلك لقال ما زاغ بصر فانه ادل على العموم لان النكرة في معرض النفي تعم فالجواب هو كقوله لا تدركه الابصار ولم يقل لا يدركه بصر قوله وما طغى فيه وجهان الاول انه عطف جملة مستقلة على جملة اخرى والثاني انه عطف جملة مقدرة على جملة مثال المستقلة خرج زيد ودخل عمرو ومثال المقدرة خرج زيد ودخل والوجهان جائزان هنا اما الاول فكانه تعالى قال عند ظهور النور ما زاغ بصر محمد عليه السلام وما طغى محمد بسبب الالتفات ولو التفت لكان طاغيا واما الثاني فظاهر فان قيل بان الغاشي للسدرة جراد فالمعنى لم يلتفت اليه وما طغى اي ما التفت الى غير الله ولم يلتفت الى الجراد ولا الى غير الجراد بل الى الله وان قيل غشيها نور فقوله ما زاغ اي ما مال عن الانوار وما طغى اي ما طلب شيئا وراءه وفيه لطيفة وهي ان يكون ذلك بيانا لوصول محمد عليه السلام الى سدرة اليقين الذي لا يقين فوقه وذلك ان بصر محمد عليه السلام ما زاغ اي ما مال عن الطريق فلم ير الشيء على خلاف ما هو عليه بخلاف من ينظر الى عين الشمس مثلا ثم ينظر الى شيء ابيض فانه يراه اصفر او اخضر يزيغ بصره عن جادة الابصار وقوله وما طغى اي ما تخيل المعدوم موجودا وقيل وما طغى اي ما جاوز ما امر به قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى في الكبرى وجهان اظهرهما انها مفعول رأى ومن آيات ربه حال مقدمة والتقدير لقد رأى الآيات الكبرى من آيات ربه والثاني ان من آيات ربه هو مفعول الرؤية والكبرى صفة لآيات ربه وهذا الجمع يجوز وصفه بوصف المؤنثة الواحدة وحسنه هنا كونها فاصلة وقد تقدم مثله في طه عند قوله لنريك من آياتنا الكبرى قال ابن الخطيب في الكبرى وجهان احدهما انه صفة لمحذوف تقديره لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى ثانيهما صفة لآيات ربه فيكون مفعول رأى محذوفا تقديره رأى من آيات ربه الكبرى آية او شيئا فصل قال بعض المفسرين آيات ربه الكبرى هي انه رأى جبريل عليه السلام في صورته قال ابن الخطيب والظاهر ان هذه الآيات غير تلك لان جبريل عليه السلام وان كان عظيما لكن ورد في الاخبار ان لله ملائكة اعظم منه والكبرى تأنيث الاكبر فكانه تعالى قال رأى من آيات ربه آيات هي اكبر الآيات فصل قال ابن الخطيب هذه الآية تدل على ان محمدا عليه السلام لم ير الله ليلة المعراج وانما رأى آيات الله وفيه خلاف ووجه الدلالة انه ختم قصة المعراج ههنا برؤية الآيات وقال سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الى ان قال لنريه من آياتنا ولو كان رأى ربه لكان ذلك اعظم مما يمكن فكان اكبر شيء هو الرؤية فكان الامر للرؤية قوله افرأيتم اللات والعزى لما قرر الرسالة ذكر ما ينبغي ان يبتدي به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشراك فقوله افرأيتم اشارة الى ابطال قولهم بنفس القول كما اذا ادعى ضعيف الملك ثم رآه العقلاء في غاية البعد عما يدعيه يقول انظروا الى هذا الذي يدعي الملك منكرين عليه غير مستدلين بدليل لظهور امره فكذلك قال افرأيتم اللات والعزى كما هما فكيف تشركونهما بالله فصل والالف واللام في اللات زائدة لازمة فاما قوله الى لانها تحذف للاضافة وهل هي والعزى علمان بالوضع او صفتان غالبتان خلاف ويترتب على ذلك جواز حذف ال وعدمه فان قلنا انهما ليسا وصفين في الاصل فلا تحذف منهما ال وان قلنا انهما صفتان وان ال للمح الصفة جاز وبالتقدير فال زائدة وقال ابو البقاء وقيل هما صفتان غالبتان مثل الحارث والعباس فلا تكون ال زائدة انتهى قال شهاب الدين وهو غلط لان التي للمح الصفة منصوص على زيادتها بمعنى انها لم تؤثر تعريفا واختلف في تاء اللات فقيل اصل واصله من لات يليت فالفها عن ياء فان مادة ل ي ت موجودة وقيل زائدة وهي من لوى يلوي لانهم كانوا يلوون اعناقهم اليها او يلتوون اي يعتكفون عليها واصلها لوية فحذفت لامها فالفها على هذا من واو واختلف القراء في الوقف على تائها فوقف الكسائي عليها بالهاء والباقون بالتاء وهو مبني على القولين المتقدمين فمن اعتقد تاءها اصلية اقرها في الوقف كالبيت ومن اعتقد زيادتها وقف عليها بالهاء قال ابن الخطيب والتاء في اللات تاء تأنيث كما في المناة لكنها تكتب ممطوطة لئلا يوقف عليها فتصير هاء فتشتبه باسم الله فان الهاء في الله اصلية ليست تاء تأنيث ووقف عليها فانقلبت هاء واللات اسم صنم قيل كان لثقيف بالطائف قاله قتادة وقيل بعكاظ وقال ابن زيد بيت بنخلة وقيل صنم ورجح ابن عطية الاول بقول الشاعر

وفرت ثقيف الى لاتها ... بمنقلب الخائب الخاسر

والعامة على تخفيف تائها وقرأ ابن عباس ومجاهد ومنصور بن المعتمر وابو الجوزاء وابو صالح وابن كثير في رواية بتشديدها فقيل هو رجل كان يلت السويق ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه فهو اسم فاعل في الاصل غلب على هذا الرجل وكان يجلس عند حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وقال مجاهد كان في رأس جبل له غنيمة يسلأ منها السمن ويأخذ منها الاقط ويجمع رسلها ويتخذ منه حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقال الكلبي كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلأ السمن فيضعه على صخرة ثم تأتيه العرب فتلت به اسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف الى منازلها فعبدتها والعزى فعلى من العز وهي تأنيث الاعز كالفضلى والافضل وهي اسم صنم وقيل شجرة كانت تعبد قال مجاهد هي شجرة كانت بغطفان كانوا يعبدونها فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد يضربها بالفاس ويقول

يا عز كفرانك لا سبحانك ... اني رأيت الله قد اهانك

فخرجت منها شيطانة مكشوفة الرأس ناشرة شعرها تضرب رأسها وتدعو بالويل والثبور فقتلها خالد وروي ان خالدا لما قطع الشجرة رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له قد قطعتها فقال ما رأيت فقال ما رأيت شيئا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما بلغت فعاودها ومعه المعول فقلعها واجتث اصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا وقال الضحاك هو صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني وذلك انه قدم مكة فرأى الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تأمرنا قال انا اصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلها الى نخلة فوضع الذي اخذ من الصفا فقال هذا الصفا ثم وضع الذي اخذ من المروة فقال هذه المروة ثم اخذ ثلاثة احجار فاسندها الى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فامر برفع الحجارة وبعث خالد بن الوليد الى العزى فقطعها وقال قتادة وابن زيد هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف قوله ومناة قرأ ابن كثير مناءة بهمزة مفتوحة بعد الالف والباقون بالف وحدها وهي صخرة كانت تعبد من دون الله فاما قراءة ابن كثير فاشتقاقها من النوء وهو المطر لانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء ووزنها حينئذ مفعلة فالفها عن واو وهمزتها اصلية وميمها زائدة وانشدوا على ذلك

الا هل اتى تيم بن عبد مناءة ... على النأي فيما بيننا ابن تميم

وقد انكر ابو عبيد قراءة ابن كثير وقال لم اسمع الهمز قال شهاب الدين قد سمعه غيره والبيت حجة عليه واما قراءة العامة فاشتقاقها من منى يمني اي صب لان دماء النسائك كانت تصب عندها وانشد لجرير

ازيد مناة توعد يا ابن تيم ... تأمل اين تاه بك الوعيد

وقال ابو البقاء والفه عن ياء لقولك منى يمني اذا قدر ويجوز ان يكون من الواو ومنه منوان فوزنها على قراءة القصر فعلة فصل قال قتادة مناة صخرة كانت لخزاعة بقديد وقالت عائشة في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقال ابن زيد بيت كان بالمشلل يعبده بنو كعب وقال الضحاك مناة صنم لهذيل وخزاعة يعبدها اهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة اصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها قوله الاخرى صفة لمناة قال ابو البقاء والاخرى توكيد لان الثالثة لا تكون الا اخرى وقال الزمخشري والاخرى ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت اخراهم لاولاهم اي وضعاؤهم لاشرافهم ويجوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى انتهى وفيه نظر لان الاخرى انما تدل على الغيرية وليس فيها تعرض لمدح ولا ذم فان جاء شيء فلقرينة خارجية وقيل الاخرى صفة للعزى لان الثانية اخرى بالنسبة الى الاولى وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتأخير اي العزى الاخرى ومناة الثالثة ولا حاجة الى ذلك لان الاصل عدمه فصل ارأيت بمعنى اخبرني فيتعدى لاثنين اولهما اللات وما عطف عليها والثاني الجملة الاستفهامية من قوله الكم الذكر فان قيل لم يعد من هذه الجملة ضمير على المفعول الاول فالجواب ان قوله وله الانثى في قوة وله هذه الاصنام وان كان اصل التركيب الكم الذكر وله هن اي تلك الاصنام وانما اوثر هذا الاسم الظاهر لوقوعه رأس فاصلة وقد جعل الزجاج المفعول الثاني محذوفا فانه قال ووجه تلفيق هذه الآية مع ما قبلها فيقول اخبروني عن آلهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآي السالفة انتهى فعلى هذا يكون قوله الكم الذكر متعلقا بما قبله من جهة المعنى لا من جهة الاعراب وجعل ابن عطية الرؤية هنا بصرية فقال وهي من رؤية العين لانه احال على اجرام مرئية ولو كانت ارأيت التي هي استفتاء لم تتعد وقد تقدم الكلام على ذلك في الانعام وغيرها فان قيل ما فائدة الفاء في قوله افرأيتم وقد وردت في مواضع بغيرها كقوله تعالى ارأيتم ما تدعون من دون الله ارأيتم شركاءكم فالجواب لما تقدم عظمة الله في ملكوته وان رسوله الى الرسل يسد الآفاق ببعض اجنحته ويهلك المدائن بشدته وقوته ولا يمكنه مع هذا ان يتعدى السدرة في مقام جلال الله وعزته قال افرأيتم هذه الاصنام مع ذلتها وحقارتها شركاء الله مع ما تقدم فقال بالفاء اي عقيب ما سمعتم

من عظمة آيات الله الكبرى ونفاذ أمره في الملأ الأعلى وما تحت الثرى انظروا إلى اللات والعزى تعلموا فساد ما ذهبتم إليه **قوله ألكم الذكر وله الأنثى** قال الكلبي كان المشركون بمكة يقولون للأصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم إذا بشر بالأنثى كره فقال الله منكرا عليهم ألكم الذكر وله الأنثى قال ابن الخطيب معناه كيف جعلتم لله البنات وقد اعترفتم في أنفسكم أن البنات ناقصات والبنين كاملون والله كامل العظمة فكيف نسبتم إليه الناقص وأنتم في غاية الذلة والحقارة حيث عبدتم الجماد من الحجارة والشجر ثم نسبتم الكامل لأنفسكم فهذه قسمة جائرة على زعمكم وعادتكم لأنه كان ينبغي أن تجعلوا الأعظم للعظيم والأنقص للحقير **قوله تلك إذا قسمة ضيزى** تلك إشارة إلى محذوف تقديره تلك القسمة في حكم العقل والنقل والعادة وقوله إذا جواب لنسبة غير عادلة ويحتمل أن يقال تلك النسبة أي التي تنسبوها إلى الله بأن له البنات وقوله إذا جواب لنسبة البنات إلى الله وقوله ضيزى قرأ ابن كثير ضئزى بهمزة ساكنة والباقون بياء ساكنة مكانها وزيد بن علي ضيزى بفتح الضاد والياء الساكنة فأما قراءة العامة فيحتمل أن تكون من ضازه يضيزه أي ضامه وجار عليه فمعنى ضيزى أي جائرة قال الشاعر ضازت بنو أسد بحكمهم إذ يجعلون الرأس كالذنب وعلى هذا فيحتمل وجهين أحدهما أن تكون صفة على فُعلى بضم الفاء وإنما كسرت الفاء لتصح الياء كبيض **قال قيل** وأي ضرورة إلى أن يقدر أصلها ضم الفاء ولم لا قيل إنها فِعلى بالكسر **فالجواب** أن سيبويه حكى أنه لم يرد في الصفات فِعلى بكسر الفاء وإنما ورد بضمها نحو حبلى وأنثى وربا وما أشبهه إلا أنه قد حكى غيره في الصفات ذلك حكى ثعلب مشية حيكى ورجل كيصى لقوله في ضيزى لتصح الياء وأما عزهى وسعلى فالمشهور فيهما سعلاة وعزهاة والوجه الثاني أن تكون مصدرا كذكرى قال الكسائي يقال ضاز يضيز ضيزى كذكر يذكر ذكرى ويحتمل أن يكون من ضازه بالهمزة كقراءة ابن كثير إلا أنه خفف همزها وإن لم يكن من أصول القراء كلهم إبدال مثل هذه الهمزة لكنها لغة التزمت فقرأوا بها ومعنى ضأزه يضأزه بالهمز نقصه ظلما وجورا وهو قريب من الأول وممن جوز أن تكون الياء بدلا من همزة أبو عبيدة وأن يكون أصلها ضوزى بالواو لأنه سمع ضازه يضوزه ضوزى وضازه يضازه ضازا حكى ذلك كله الكسائي وحكى أبو عبيدة ضزته وضزته بكسر الفاء وضمها فكسرت الضاد من ضوزى لأن الضمة تثقل مع الواو وفعلوا ذلك ليتوصلوا به إلى قلب الواو ياء وأنشد الأخفش على لغة الهمز

فإن تنأ عنك تنتقصك وإن تغب ... فسهمك مضؤوز وأنفك راغم

وضيزى في قراءة ابن كثير مصدر وصف به ولا يكون وصفا أصليا لما تقدم عن سيبويه **قال قيل** لم لا قيل في ضيزى بالكسر والهمز إن أصله ضيزى بالضم فكسرت الفاء كما قيل فيها مع الياء **فالجواب** أنه لا موجب هنا للتغيير إذ الضم مع الهمز لا يستثقل استثقاله مع الياء الساكنة وسمع منهم ضوزى بضم الضاد مع الواو والهمز وأما قراءة زيد فيحتمل أن يكون مصدرا وصف به كدعوى وأن تكون صفة كسكرى وعطشى وغضبى **قوله إن هي** في هي وجهان أحدهما أنها ضمير الأصنام أي وما هي إلا أسماء ليس تحتها في الحقيقة مسميات لأنكم تدعون الإلهية لما هو أبعد شيء منها وأشد منافاة لها وهذا على سبيل المبالغة والتجوز كما يقال لتحقير إنسان ما زيد إلا اسم إذا لم يكن مشتملا على صفة معتبرة لقوله ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها الثاني أن يكون ضميرا لأسماء اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بها أسماء الآلهة يعني وما هذه الأسماء إلا أسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم على صحة تسميتها برهان تتعلقون به قاله الزمخشري وقال أبو البقاء أسماء يجب أن يكون المعنى ذوات أسماء لقوله سميتموها لأن الاسم لا يسمى **قال قيل** كيف قال سميتموها أنتم مع أن هذه الأسماء موضوعة قبلنا **فالجواب** أن كل من نطق بهذه الألفاظ فهو كالمبتدي الواضع لأن الواضع الأول لهذه الأسماء لما لم يكن واضعا بدليل نقلي ولا عقلي لم يجب اتباعه ولا يجوز فصار هو كالمقتدي إذ لا مقتدى له **قال قيل** الأسماء لا تسمى وإنما يسمى بها فكيف قال أسماء سميتموها **فالجواب** من وجهين الأول أن التسمية وضع الاسم فكأنه قال أسماء وضعتموها فاستعمل سميتموها استعمال وضعتموها الثاني أنه لو قال أسماء سميتم بها لكان هناك غير الاسم شيء يتعلق به الباء في قولك بها لأن قول القائل سميت به يستدعي مفعولا آخر تقول سميت زيدا ابني أو عبدي أو غير ذلك فيكون قد جعل للأصنام اعتبارا **قال قيل** هذا باطل بقوله تعالى وإني سميتها مريم حيث لم يقل وإني سميتها بمريم ولم يكن ما ذكرت مقصودا وإلا لما كانت مريم غير ملتفت إليها كما في الأصنام **فالجواب** بينهما بون عظيم لأن هناك قال سميتها مريم فذكر المفعولين فاعتبر حقيقة مريم بقوله سميتها واسمها بقوله مريم وأما ههنا فقال إن هي إلا أسماء أي ما هناك إلا أسماء موضوعة فلم تعتبر الحقيقة ههنا واعتبرها في مريم **قوله ما أنزل الله بها من سلطان** أي حجة بما يقولون إنها آلهة واستعملت الباء في قوله بها كقولك ارتحل فلان

بأهله ومتاعه أي ارتحل ومعه الأهل والمتاع كذلك ههنا **قوله إن يتبعون إلا الظن** هذا رجوع إلى الخبر بعد المخاطبة فقال إن يتبعون إلا الظن في قولهم إنها آلهة وقرأ العامة على الغيبة التفاتا من خطابهم إلى الغيبة عنهم تحقيرا لهم كأنه قطع عنهم الكلام معهم وقال لنبيه إنهم لا يتبعون إلا الظن فلا يلتفت إلى قولهم ويحتمل أن يكون المراد غيرهم وفيه وجهان الأول أن يكون المراد آباءهم كأنه تعالى لما قال سميتموها أنتم وآباؤكم فكأنهم قالوا هذه الأسماء لم نضعها نحن وإنما تلقيناها من آبائنا فقال وسماها آباؤكم وما يتبعون إلا الظن **قال قيل** لأنه ينبغي أن يكون بصيغة الماضي **فالجواب** وبصيغة المستقبل أيضا لأنه يعبر عن الزمان الآتي في الكلام كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد الثاني أن يكون المراد عامة الكفار وقرأ عبد الله وابن عباس وطلحة وعيسى بن عمر وابن وثاب بالخطاب وهو حسن موافق **قال قيل** كيف ذمهم على اتباع الظن ونحن مأمورون باتباعه في الفقه وقال عليه السلام حكاية عن الله تعالى أنه قال أنا عند ظن عبدي بي **فالجواب** أن الظن خلاف العلم وقد استعمل مجازا مكان العلم والعلم مكانه وأصل العلم الظهور ومنه العالم وحروف العلم في تقاليبها فيها معنى الظهور منها لمع البرق إذا ظهر ولمع الغزال إذا عدا وكذلك علمت والظن إذا كان في مقابلة العلم ففيه الخفاء ومنه بئر ظنون لا يدرى أفيه ماء أم لا لخفاء الأمر فيه ودين ظنون يخفى الأمر فيه فنقول يجوز بناء الأمر على الظن عند العجز عن درك اليقين وأما الاعتقاد فليس كذلك لأن اليقين لم يتعذر علينا وإلى هذا أشار بقوله ولقد جاءهم من ربهم الهدى أي اتبعوا الظن وما تهوى الأنفس والمراد مما تهوى الأنفس هو ما زين لهم الشيطان **قوله ولقد جاءهم من ربهم الهدى** يجوز أن يكون حالا من فاعل يتبعون أي يتبعون الظن وهوى النفس في حال تنافي ذلك وهو مجيء الهدى من عند ربهم ويجوز أن يكون اعتراضا فإن قوله أم للإنسان متصل بقوله وما تهوى الأنفس وهي أم المنقطعة فتقدر ببل والهمزة على الصحيح قال الزمخشري ومعنى الهمزة فيها الإنكار أي ليس للإنسان ما تمنى **فصل** المعنى ولقد جاءهم من ربهم البيان بالكتاب والرسول أنها ليست بآلهة وأن العبادة لا تصلح إلا لله الواحد القهار أم للإنسان ما تمنى أيظن الكافر أن له ما يتمنى ويشتهي من شفاعة الأصنام ويحتمل أن يكون معناه هل للإنسان أن يعبد بالتمني والاشتهاء ما تهوى نفسه **قوله فلله الآخرة والأولى** أي ليس كما ظن وتمنى بل لله الآخرة والأولى لا يملك فيهما أحد شيئا إلا بإذنه **قوله وكم من ملك** كم هنا خبرية تفيد التكثير ومحلها الرفع على الابتداء ولا تغني شفاعتهم هو الخبر والعامة على إفراد الشفاعة وجمع الضمير اعتبارا بمعنى ملك والمعنى كم وزيد بن علي شفاعته بإفرادها اعتبارا بلفظ كم وملك وابن مقسم شفاعاتهم بجمعها وشيئا مصدر أي شيئا من الإغناء **فصل** المعنى وكم من ملك في السموات ممن يعبدهم هؤلاء الكفار ويرجون شفاعتهم عند الله لا تغني شفاعتهم شيئا **إلا من بعد أن يأذن الله** في الشفاعة **لمن يشاء ويرضى** أي من أهل التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه وجمع الكناية في قوله شفاعتهم والملك واحد لأن المراد من قوله وكم من ملك الكثرة فهو كقوله فما منكم من أحد عنه حاجزين **قوله إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى** اعلم أن المراد بالذين لا يؤمنون بالآخرة هم الذين لا يؤمنون بالرسل لأن كل من آمن بالرسل اعترف بالحشر وذلك أنهم كانوا يقولون الملائكة وجدوا من الله فهم أولاده بمعنى الإيجاد ثم إنهم رأوا في الملائكة تاء التأنيث وصح عندهم أن يقال سجدت الملائكة فقالوا بنات الله فسموهم تسمية الإناث **قال قيل** كيف يصح أن يقال إنهم لا يؤمنون بالآخرة مع أنهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان من عادتهم أن يربطوا مركوبا على قبر من يموت ويعتقدون أنه يحشر عليه **فالجواب** من وجهين أحدهما أنهم ما كانوا يجزمون به بل كانوا يقولون لا حشر فإن كان فلنا شفعاء بدليل ما حكى الله عنهم وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى الثاني أنهم ما كانوا يعترفون بالآخرة على الوجه الذي ورد به الرسل **فصل** وأما مناسبة هذه الآية لما قبلها فهي أنهم لما قيل لهم إن الصنم جماد لا يشفع وبين لهم أن أعظم أجناس الخلق لا شفاعة لهم إلا بالإذن قالوا نحن لا نعبد الأصنام لأنها جمادات وإنما نعبد الملائكة بعبادتها فإنها على صورها ونضعها بين أيدينا لنذكر بالشاهد الغائب فنعظم الملك المقرب فرد الله عليهم بهذه الآية أي كيف تعظمونهم وأنتم تسمونهم تسمية الإناث **قال قيل** كيف قال تسمية الأنثى ولم يقل تسمية الإناث **فالجواب** أن المراد بيان الجنس وهذا اللفظ أليق بهذا الموضع لمواخاة رؤوس الآي **قوله وما لهم به من علم** قال الزمخشري الضمير في به يعود على ما كانوا يقولون وقيل يعود إلى ما تقدم من عدم قبول الشفاعة وقيل يعود إلى الله أي ما لهم بالله من علم فيشركون وقال مكي الهاء تعود على الاسم لأن التسمية والاسم بمعنى وقرأ أبي بها أي بالآخرة أي ما لهم بالآخرة من علم وقيل بالملائكة وقيل بالتسمية وهذا يقوي قول مكي فإن قلنا ما لهم بالآخرة فهو جواب كما قلنا إنهم وإن كانوا يقولون إن الأصنام شفعاؤنا عند الله وكانوا يربطون الإبل على قبور الموتى ليركبوها لكن ما كانوا يقولون به عن علم وإن قلنا بالتسمية ففيه إشكال وهو أن العلم بالتسمية حاصل لهم فإنهم يعلمون أنهم سموا والجواب أن التسمية قد يكون واضعها الأول عالما بأنه وضع وقد يكون استعمالا معنويا ينظر في أنه الصدق والكذب والعلم تمثال الصدق من وضع أولا اسم السماء الموضوع لها فقال هذا اسمه

وبيان الكذب اذا قلنا بعد ذلك اللات والعزى هذا اسما فانه كذب ومن اعتقد فهو جاهل وكذلك قولهم في الملائكة انهم بنات
الله لم يكن تسمية وصفية وانما ارادوا به انهم موصوفون باسم يجب به استعمال لفظ البنات فيهم وذلك كذب
ومعتقده جاهل فهذا هو المراد قاله ابن الخطيب **قوله ان يتبعون الا الظن** تقدم الكلام عليه وقوله **ان الظن**
لا يغني من الحق شيئا قيل الحق بمعنى العلم اي لا يقوم الظن مقام العلم وقيل الحق بمعنى العذاب اي ظنهم لا ينقذهم
من العذاب قال ابن الخطيب المراد منه ان الظن لا يغني في الاعتقادات شيئا واما في الافعال العرفية او الشرعية
فانه يتبع عند عدم الوصول الى اليقين ويحتمل ان يقال المراد من الحق هو الله والمعنى ان الظن لا يفيد شيئا من
الله اي ان الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون بدليل قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق **فان قيل** اليس الظن قد
يصيب فكيف يحكم عليه بانه لا يغني اصلا **فالجواب** ان المكلف يحتاج الى مميز يميز الحق من الباطل ليعتقد الحق
ويميز الخير من الشر ليفعل الخير لكن في الحق ينبغي ان يكون جازما لاعتقاد مطابقته والظان لا يكون جازما وفي الخير
ربما يعتبر الظن في مواضع **فصل** اعلم ان الله تعالى منع من الظن في ثلاثة مواضع احدها قوله تعالى ان هي
الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وثانيها هذه الاية
وثالثها في الحجرات في قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك
هم الظالمون الى قوله اجتنبوا كثيرا من الظن فالاول كان المنع عقيب التسمية والثاني عقيب الدعاء بالالقاب
وكل ذلك دليل على ان حفظ اللسان اولى من حفظ غيره من الاركان وان الكذب اقبح من السيئات الظاهرة من
الايدي والارجل فهذه المواضع الثلاثة دلت على ان الظن فيها مذموم احدها مدح من لا يستحق المدح كاللات
والعزى من العز وثانيها ذم من لا يستحق الذم وهم الملائكة الذين هم عباد الرحمن يسمونهم تسمية الانثى
وثالثها ذم من لم يعلم حاله واما مدح من يعلم حاله فلم يقل فيه لا يتبعون الظن بل الظن معتبر فيه والاخذ
بظاهر حال العاقل واجب **قوله فاعرض عن من تولى عن ذكرنا** يعني القران وقيل الايمان اي اترك مجادلتهم
فقد بلغتهم واتيت بما عليك قال ابن الخطيب واكثر المفسرين يقولون بان كل ما في القران من قوله تعالى فاعرض
منسوخ باية القتال وهو باطل لان الامر بالاعراض موافق لاية القتال فكيف ينسخ به وذلك لان النبي عليه
السلام في الاول كان مامورا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه باباطيلهم امر بازالة شبههم والجواب
عن اباطيلهم وقيل له وجادلهم بالتي هي احسن ثم لما لم ينفع قال له ربه اعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فانهم
لا ينتفعون ولا يتبعون الحق وقاتلهم فالاعراض عن المناظرة شرط لجواز المقاتلة فكيف يكون منسوخا بها **قوله ولم**
يرد الا الحياة الدنيا اشارة الى انكارهم الحشر كقوله تعالى عنهم ان هي الا حياتنا الدنيا وقوله ارضيتم بالحياة
الدنيا وذلك انه اذا ترك النظر في الاء الله لا يعرفه فلا يتبع رسوله فلا ينفعه كلامه واذا لم يقل بالحشر والحساب
لا يخاف فلا يرجع عما هو عليه فلا يبقى في الدعاء فائدة واعلم ان النبي عليه السلام كان كالطبيب للقلوب فاتى على
ترتيب الاطباء في ان المرض اذا امكن اصلاحه بالغذاء لا يستعملون الدواء وما امكن اصلاحه بالدواء الضعيف
لا يستعملون الدواء القوي ثم اذا عجزوا عن المداواة بالمشروبات وغيرها عدلوا الى الحديد والكي فالنبي عليه السلام
اولا امر القلوب بذكر الله حسب قال بذكر الله تطمئن القلوب كما ان بالغذاء تطمئن النفوس فالذكر غذاء
القلب ولهذا قال عليه السلام اولا قولوا لا اله الا الله امر بالذكر فانتفع مثل ابي بكر رضي الله عنه وغيره
ومن لم ينتفع ذكرهم بالدليل قال اولم يتفكروا قل انظروا افلا ينظرون الى غير ذلك فلما لم ينتفعوا اتى بالوعيد
والتهديد فلما لم ينفعهم قال اعرض عن المعالجة واقطع الفاسد لئلا يفسد الصالح **قوله ذلك مبلغهم**
قال الزمخشري هو اعتراض اي فاعرض عنه ولا تقابله ان ربك هو اعلم قال ابو حيان كانه يقول هو اعتراض بين
فاعرض وبين ان ربك ولا يظهر هذا الذي يقوله من الاعتراض قال شهاب الدين كيف يقول كانه
يقول هو اعتراض وما معنى التشبيه وهو قد نص عليه وصرح به فقال فاعرض عنه ولا تقابله ان ربك
وقوله ولا يظهر ما ادري عدم الظهور مع ظهوره ان هذا علة لذلك اي قوله ان ربك علة لقوله فاعرض
والاعتراض بين العلة والمعلول ظاهر واذا كانوا يقولون هذا معترض فيما يجيء اثناء قصة فكيف بما
بين علة ومعلول **فصل** ذلك اشارة الى نهاية علمهم وقلة عقولهم ان اثروا الدنيا على الاخرة وقيل اشارة
الى الظن اي لم يبلغوا من العلم الا ظنهم ان الملائكة بنات الله وانها تشفع لهم فاعتمدوا على ذلك واعرضوا عن
القران وقيل اشارة الى الاعراض اي فاعرض عمن تولى وذلك الاعراض غاية ما بلغوه من العلم وعلى هذا
يكون المراد من العلم المعلوم وتكون الالف واللام للتعريف والعلم المعلوم هو ما في القران **فان قيل** ان
الله تعالى بين ان غايتهم ذلك في العلم ولا يكلف الله نفسا الا وسعها والمجنون الذي لا علم له والصبي
لا يؤمر بما فوق احتماله فكيف يعاقبهم الله **فالجواب** انه ذكر قبل ذلك انهم تولوا عن ذكر الله فكان

عدم علمهم لعدم قبولهم العلم وانما قدر الله توليهم ليفضي الجهل الى ذلك فيستحق العقاب **قوله ان ربك هو اعلم بمن**
ضل جوز مكي ان يكون على بابه من التفضيل اي هو اعلم من كل احد بهذين الوصفين وبغيرهما وان يكون بمعنى عالم وتقدم
ذلك مرارا **فصل** المعنى ان الله عالم بالفريقين فيجازيهم ووجه المناسبة ان الله تعالى لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم
اعرض وكان النبي عليه السلام شديد الميل الى ايمان قومه كانه يجيء في خاطره ان في ذكرهم منفعة وربما يؤمن من
الكفار قوم اخرون من غير قتال فقال له ربك اعلم بمن ضل عن سبيله انه لا يؤمن بمجرد الدعاء احد من المتخلفين وانما
ينفع فيهم وقع السيف والقتال فاعرض عن الجدال واقبل على القتال وعلى هذا فقوله بمن اهتدى اي علم في الازل من
ضل وممن اهتدى فلا يشتبه عليه الامر ولا تأس في الاعراض **قوله ولله ما في السموات وما في الارض** وهذا
معترض بين الاية الاولى وبين قوله ليجزي الذين اساؤوا بما عملوا واللام في قوله ليجزي فيها اوجه احدها ان
يتعلق بقوله لا تغني شفاعتهم ذكره مكي وهو بعيد من حيث اللفظ ومن حيث المعنى الثاني ان يتعلق بما دل عليه
قوله ولله ما في السموات اي له ملكهما يضل من يشاء ويهدي من يشاء ليجزي المحسن والمسيء الثالث ان يتعلق بقوله
بمن ضل وبمن اهتدى واللام للصيرورة اي عاقبة امرهم جميعا للجزاء بما عملوا قال معناه الزمخشري الرابع ان
يتعلق بما دل عليه قوله اعلم بمن ضل اي حفظ ذلك ليجزي قاله ابو البقاء وقرا زيد بن علي لنجزي بنون العظمة
والباقون بياء الغيبة وقوله الذين اساؤوا اي اشركوا بما عملوا من الشرك ويجزي الذين احسنوا وحدوا ربهم
بالحسنى الجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء اذا كان كاملا فلذلك قال ولله ما في السموات وما في الارض
قوله الذين يجتنبون يجوز ان يكون منصوبا بدلا او بيانا او نعتا للذين احسنوا **فان قيل** اذا كان بدلا عن
الذين احسنوا فلم خالف ما بعده بالمضي والاستقبال حيث قال الذين احسنوا وقال الذين يجتنبون ولم يقل
اجتنبوا **فالجواب** هو كقول القائل الذين سالوني اعطيتهم الذين يترددون الي سائلين اي الذين عادتهم
التردد للسؤال سالوني واعطيتهم فكذا هاهنا اي الذين عادتهم ودابهم الاجتناب لا الذين اجتنبوا مرة واحدة
ويجوز ان يكون الموصول منصوبا باضمار اعني وان يكون خبر مبتدا مضمر اي الذين وهذا نعت للمحسنين وقد
تقدم الخلاف في كبائر وكبير الاثم **قوله الا اللمم** فيه اوجه احدها انه استثناء منقطع لان اللمم الصغائر
فلم تندرج فيما قبلها وهذا هو المشهور الثاني انه صفة والا بمعنى غير كقوله لو كان فيهما الهة الا الله
اي كبائر الاثم والفواحش غير اللمم الثالث انه متصل وهذا عند من يفسر اللمم بغير الصغائر قالوا ان اللمم
من الكبائر والفواحش قالوا ومعنى الاية الا ان يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ويقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول
ابي هريرة ومجاهد والحسن ورواية عطاء عن ابن عباس قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك
قال السدي قال ابو صالح سئلت عن قول الله عز وجل الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده
فذكرت ذلك لابن عباس فقال لقد اعانك عليها ملك كريم وروي عن ابن عباس في قوله الا اللمم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما واصل اللمم
ما قل وصغر ومنه اللمم وهو المس من الجنون والم بالمكان قل لبثه فيه والم بالطعام اي قل اكله منه
وقال ابو العباس اصل اللمم ان يلم بالشيء من غير ان يركبه يقال الم بكذا اذا قاربه ولم يخالطه وقال
الازهري العرب تستعمل الالمام في معنى الدنو والقرب وقال جرير

بنفسي من تجنبه عزيز ... علي ومن زيارته لمام ... وقال اخر
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ... تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ... وقال اخر
لقاء اخلاء الصفاء لمام ... ومنه ايضا لمة الشعر لانها دون الوفرة **فصل**

قال ابن الخطيب الكبائر اشارة لما فيها من مقدار السيئة والفواحش في اللغة مختصة بالقبيح الخارج قبحه
عن حد الخفاء وتركيب الحروف في التاليف يدل عليه فانك اذا قلبتها وقلت حشف كان فيه معنى
الرداءة الخارجة عن الحد فان الحشف اردأ التمر وكذلك شحف يدل على حالة رديئة يقال شحفت
الناقة اذا وقفت على هيئة مخصوصة للبول فالفحش يلازمه القبح ولهذا لم يقل الفواحش من الاثم
وقال في الكبائر من الاثم لان الكبائر ان لم تميزها بالاضافة وفي قوله كبائر الاثم لما حصل المقصود
بخلاف الفواحش واختلفوا في الكبائر والفواحش فقيل الكبائر ما اوعد الله عليه
بالنار صريحا وظاهرا والفواحش ما اوجب عليه حدا في الدنيا وقيل الكبائر ما يكفر مستحله وقيل
الكبائر ما لا يغفر الله لفاعله الا بعد التوبة وهو مذهب المعتزلة قال ابن الخطيب وكل هذه التعريفات
تعريف للشيء بما هو مثله في الخفاء او فوقه وقد ذكرنا ان الكبائر هي التي مقدارها عظيم والفواحش هي
التي قبحها واضح فالكبيرة صفة عائدة الى المقدار والفاحشة صفة عائدة الى الكيفية **فصل**

اختلفوا في معنى الاية فقال بعضهم ما سلف في الجاهلية فلا يواخذهم الله به وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا
بالامس يعملون معنا فانزل الله هذه الاية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وقيل هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة
والقبلة وما كان دون الزنا وهذا قول ابن مسعود وابي هريرة ومسروق والشعبي ورواية طاوس عن ابن عباس
قال ما رايت اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك
ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه وفي رواية
والاذنان زناهما الاستماع واليدان زناهما البطش والرجلان زناهما الخطا وقال الكلبي اللمم على وجهين كل ذنب لم يذكر
الله عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الاخرة فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس ما لم يبلغ الكباير والفواحش والوجه
الاخر هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقال سعيد بن المسيب هو ما لم على القلب اي
خطر وقال الحسين بن الفضل اللمم النظرة من غير تعمد وهو مغفور فان اعاد النظرة فليس بلمم وهو ذنب قوله ان
ربك واسع المغفرة قال ابن عباس لمن فعل ذلك وتاب وههنا تم الكلام قوله هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض في
تعلق الاية وجوه احدها هو تقرير لما قال من قبل فانه لما قال هو اعلم بمن ضل كان القايل من الكفار يقول نحن
نعمل امورا في جوف الليل المظلم وفي البيت الخالي فكيف يعلمه الله قال ليس علمكم اخفى من احوالكم وانتم اجنة في
بطون امهاتكم فالله عالم بتلك الاحوال الثاني انه اشارة الى ان الضال والمهتدي حصلا على ما هما عليه بتقدير
الله فانه علم الحق وانتم في بطون امهاتكم فكتب على البعض انه ضال وكتب على البعض انه مهتدي الثالث انه تاكيد لبيان
الجزا لانه لما قال ليجزي الذين اساوا بما عملوا قال الكافرون هذا الجزا لا يتحقق الا بالحشر وجمع الاجزا بعد تفرقها وانما
ما كان لم يبد من الاجزا في بدنه من غير اختلاط وذلك غير ممكن فقال تعالى هو عالم بما اذ انشاكم فيجمعها بقدرته على
وفق علمه كما انشاكم فصل العامل في اذ يحتمل ان يكون اذكر فيكون هذا تقريرا لكونه عالما ويكون تقديره هو اعلم
بكم وقد تم الكلام ثم تقول ان كنتم في شك من علمه بكم فاذكروا حال انشايكم من التراب وقد تقدم الكلام على قوله
خلقكم من تراب بان كل احد اصله من التراب فانه يصير غذا ثم يصير دما ثم يصير نطفة فان قيل لا بد من صرف
قوله اذ انشاكم من الارض الى ادم لان قوله واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم عايد الى غيره فانه لم يكن جنينا وان
قلنا بان قوله تعالى اذ انشاكم عايد الى جميع الناس فينبغي ان تكون جميع الناس اجنة في بطون الامهات وهو قول
الفلاسفة فالجواب ليس كذلك لانا نقول الخطاب مع الموجودين حالة الخطاب فقوله هو اعلم بكم خطاب مع من حضر
تعل
الانزال وهم كانوا اجنة وخلقوا من الارض على ما قررناه قوله اجنة جمع جنين وهو الحمل في البطن لاستتاره وجنين واجنة
كسرير واسرة فان قيل الاجنة هم الذين في بطون الامهات وبعد الخروج لا يسمى الا ولدا او سقطا فما الفايدة في قوله تعالى
في بطون امهاتكم فالجواب ان ذلك تنبيه على كمال العلم والقدرة فان بطون الامهات في غاية الظلمة ومن علم حال
الجنين لا يخفى عليه ما ظهر من حال العباد قوله فلا تزكوا انفسكم قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله
من كل نفس ما هي صانعة والى ما هي صايرة فلا تزكوا انفسكم تبروها عن الاثام ولا تمدحوها بحسن اعمالها وقال
الكلبي ومقاتل كان الناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله هذه الاية ثم قال هو
اعلم بمن اتقى اي بر واطاع واخلص العمل فصل يحتمل ان يكون هذا خطابا مع الكفار فانهم قالوا كيف يعلمنا
الله فرد عليهم قولهم ويحتمل ان يكون خطابا مع كل من كان في زمن الخطاب وبعده من المومنين والكفار ويحتمل ان
يكون خطابا مع المومنين وتقديره ان الله تعالى لما قال فاعرض عمن تولى عن ذكرنا قال لنبيه عليه السلام فلا تقل
لهم انتم ومن تبعك على الحق وكون الكفار على الباطل فاعرض عنهم ولا تقولوا نحن على الحق وانتم على الضلال لانهم يقابلونكم
بمثل ذلك وفوض الامر الى الله فهو اعلم بمن اتقى ومن طغى وعلى هذا قول من قال فاعرض منسوخ اظهر وهو كقوله
تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين يعني الله اعلم بحلة الامر قوله افرايت الذي تولى قال بعض المفسرين
لما بين جهل المشركين في عبادة الاصنام ذكر واحدا منهم معينا بسوء فعله قال مجاهد وابن زيد ومقاتل نزلت في
الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ
وضللتهم فقال اني خشيت عذاب الله فضمن الذي عاتبه ان هو اعطاه كذا من ماله ورجع الى شركه ان يتحمل
عنه عذاب الله فضمن الذي فرجع الوليد الى الشرك واعطى الذي عيره بعض ذلك الذي ضمن ومنعه تمامه
فانزل الله افرايت الذي تولى اي ادبر عن الايمان واعطى صاحبه قليلا واكدى بخل بالباقي وقال السدي
نزلت في العاص بن وايل السهمي وذلك انه ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقال محمد
ابن كعب القرظي نزلت في ابي جهل وذلك انه قال والله ما يامرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله واعطى
قليلا واكدى اي لم يومن به ومعنى اكدى اي قطع قوله واكدى اصله من اكدى الحافر اذا حفر شيئا
فصادف كدية منعته من الحفر ومثله اجبل اي صادف جبلا منعه من الحفر وكديت اصابعه كلت من الحفر

ثم استعمل في كل من طلب شيئا فلم يصل اليه او لم يتممه ورابت بمعنى اخرى قوله الذي يعود الى الوليد قال ابن الخطيب
والظاهر انه يعود الى المذكور في قوله فاعرض عمن تولى فان قيل كان ينبغي ان يقول الذين تولوا لان من للعموم فالجواب
ان العود الى اللفظ كثير كقوله من جا بالحسنة فله ولم يقل فلهم قوله اعنده علم الغيب هو المفعول الثاني لارايت والمفعول
الاول محذوف اختصارا الاعطى قوله فهو يرى هذه الجملة مرتبة على ما قبلها ترتيبا ظاهرا وقال ابو البقا فهو يرى جملة
اسمية واقعة موقع الفعلية والاصل اعنده علم الغيب فيرى ولو جا على ذلك لكان نصبا على جواب الاستفهام انتهى
وهذا لا حاجة اليه مع ظهور الترتيب بالجملة الاسمية وقد تقدم له نظير هذا الكلام والرد عليه ومعنى الاية ايرى
ما غاب عنه ويعلم ان صاحبه يتحمل عنه عذابه قوله ام لم ينبا اي لم يخبر بما في صحف موسى يعني اسفار التورية وما
في قوله بما يحتمل ان يكون المراد جنس ما فيها اي لم ينبا بالتوحيد والحشر وغيره ويحتمل ان يكون عين ما في التورية
لا جنسه وعلى هذا فالكلام مع اهل الكتاب قوله وابرهيم عطف على موسى قال الهذيل بن شرحبيل وانما خص هذين
النبيين بالذكر لانه كان بين ابرهيم وموسى يوخذ الرجل بجريرة غيره فاول من خالفهم ابرهيم قوله وفى قرا العامة على وفى
بالتشديد وقرا ابو امامة الباهلي وسعيد بن جبير وابن السميفع وفى مخففا وقد تقدم ان فيه ثلاث لغات واطلق
التوفية والوفا ليتناول كل ما وفى به والمعنى تمم واكمل ما امر به وقال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة عمل
ما امر به وبلغ رسالات ربه الى خلقه وقال مجاهد وفى بما فرض عليه وقال الربيع وفى رؤياه وقام بذبح
ابنه وقال عطا الخراساني استكمل الطاعة وقال ابو العالية هو الاتمام في قوله تعالى واذا ابتلى ابرهيم ربه
بكلمات فاتمهن والتوفية الاتمام وقال الضحاك وفى المناسك وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ابرهيم الذي وفى اربع ركعات من اول النهار قوله الا تزر وازرة وزر اخرى ان مخففة من الثقيلة واسمها
محذوف هو ضمير الشان ولا تزر هو الخبر وجي بالنفي لكون الخبر جملة فعلية متصرفة غير مقرونة بقد كما تقدم تقرير
في المايدة وان وما في خبرها في محل الجر بدلا من ما في قوله بما في صحف والثاني الرفع خبر المبتدا
مضمر اي ذلك ان لا تزر او هو ان لا تزر وهو جواب لسوال مقدر كان قايلا قال وما في صحفهما فاجيب بذلك قال شهاب
الدين ويجوز ان يكون نصبا باضمار اعني جوابا لذلك السايل وكل موضع اضمر فيه هذا المبتدا اضمر فيه
هذا الفعل فصل معنى الاية انه لا تحمل نفس حمل اخرى اي لا تواخذ نفس باثم غيرها وفي هذا ابطال قول من ضمن
للوليد بن المغيرة انه يحمل عنه الاثم وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانوا قبل ابرهيم عليه السلام ياخذون
الرجل بذنب غيره وكان الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه واخيه وامراته حتى جاءهم ابرهيم عليه السلام فنهاهم عن
ذلك وبلغهم عن الله عز وجل ان لا تزر وازرة وزر اخرى فان قيل الاية مذكورة لبيان ان وزر الرجل لا يحمل عنه
وبهذا الكلام لا تحصل هذه الفايدة لان الوازرة تكون مثقلة بوزرها فكل احد يعلم انها لا تحمل شيئا فلو قال لا تحمل
خالية وزر اخرى كان ابلغ فالجواب ان المراد من الوازرة هي التي يتوقع منها الوزر والحمل لا التي وزرت
وحملت قوله وان ليس للانسان الا ما سعى ان هي المخففة ايضا ولم يفصل هنا بينها وبين الفعل لانه لا يتصرف
ومحلها الجر او الرفع او النصب لعطفها على ان قبلها وكذلك محل وان سعيه وبرى مبني للمفعول فيجوز ان يكون من
البصرية اي يبصر وان يكون من العلمية فيكون الثاني محذوفا اي يرى حاضرا والاول اوضح وقال مكي واجاز
الزجاج يرى بفتح الياء على اضمار الها اي سوف يراه ولم يجزه الكوفيون لان سعيه يصير قد عمل فيه ان ويرى
وهو جايز عند المبرد وغيره لان دخول ان على سعيه وعملها فيه يدل على الها المحذوفة من يرى وعلى هذا يجوز
البصريون ان زيدا ضربت بغير ها قال شهاب الدين وهو خلاف ضعيف لو هم ان الاسم توجه عليه عاملا
مختلفان في الجنسية وانما قلت في الجنسية لان راى بعضهم انه يعمل فعلين في معمول واحد ومنه باب التنازع
في بعض صوره نحو قام وقعد زيد وضربت واكرمت عمرا وان يعمل عامل واحد في الاسم وفي ضميره معا نحو زيدا
ضربته في باب الاشتغال وهذا توهم باطل لانا نقول سعيه منصوب بان ويرى متسلط على ضميره المقدر
فظاهر هذا انه لم يقرا به وقد حكى ابو البقا انه قرى به شاذا ولكنه ضعفه من جهة اخرى فقال وقري بفتح
الياء وهو ضعيف لانه ليس فيه ضمير يعود على اسم ان وهو السعي والضمير الذي فيه الها فيبقى الاسم بغير خبر وهو
كقولك ان غلام زيد قام وانت تعني قام زيد فلا خبر لغلام وقد وجه على ان التقدير سوف يراه فتعود الها
على السعي وفيه بعد انتهى قال شهاب الدين وليت شعري كيف توهم المانع المذكور وكيف نظم بماذا كر
ثم اي بعد في تقدير سوف يرى سعي نفسه وكانه اطلع على مذهب الكوفيين في المنع الا ان المدرك غير المدرك
فصل قوله وان ليس للانسان الا ما سعى اي عمل كقوله ان سعيكم لشتى وهذا ايضا في صحف ابرهيم وموسى
قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله الحقنا بهم ذريتهم فادخل الابنا الجنة بصلاح الابا
وقال عكرمة كان ذلك لقوم ابرهيم وموسى واما هذه الامة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روي ان امراة

وقعت صبيا لها فقالت يا رسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم إن أمي قتلت نفسها أفلها
أجر إن تصدقت عنها قال نعم ولك الأجر قال الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع
إلا بعمله فقد خرق الإجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة أحدها أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير
الثاني أن النبي عليه السلام يشفع لأهل الموقف في الحساب ثم لأهل الجنة في دخولها ثم لأهل الكبائر في الإخراج
من النار وهذا انتفاع بسعي الغير الثالث أن كل نبي وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير الرابع أن
الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض وذلك منفعة بعمل الغير الخامس أن الله يخرج من النار من لم يعمل
خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم السادس أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم وذلك
انتفاع بمحض عمل الغير السابع قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين وكان أبوهما صالحا فانتفعا بصلاح أبيهما
وليس هو من سعيهما الثامن أن الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والإجماع وهو من عمل
غيره التاسع أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير العاشر أن الصوم
المنذور والحج المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير يا المدين الذي امتنع
عليه السلام من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة وقضى دين الآخر علي بن أبي طالب فقد انتفع بصلاة
النبي عليه السلام وبرئت ذمته بقضاء دينه وهو من عمل الغير يب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن صلى
وحده ألا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير يج أن الإنسان تبرأ ذمته
من ديون الخلق إذا قضاها قاض عنه وذلك انتفاع بعمل غيره يد أن من عليه تبعات ومظالم إذا حلل
منها سقطت عنه وهذا انتفاع بعمل غيره يه أن الجار الصالح ينفع في المحيا والممات كما جاء في الأثر وهذا انتفاع
بعمل الغير يو أن جليس أهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له والأعمال
بالنيات فقد انتفع بعمل غيره يز الصلاة على الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع الميت بصلاة الحي عليه
وهو عمل غيره يح أن الجمعة تحصل باجتماع العدد وكذلك الجماعة بكثرة العدد وهو انتفاع للبعض بالبعض
يط أن الله قال لنبيه عليه السلام وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وقال ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقال
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض فقد دفع الله العذاب عن بعض الناس بسبب بعض وذلك انتفاع بعمل الغير ك أن صدقة
الفطر تجب عن الصغير وغيره ممن يمونه الرجل ينتفع به من يخرج عنه ولا سعي له كا أن الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون
ويثاب على ذلك ولا سعي له ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى فكيف يجوز أن يتأول
الآية على خلاف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة والمراد بالإنسان العموم وقال الربيع بن أنس ليس للإنسان
يعني الكافر وأما المؤمن فله ما سعى وما سعي له وقيل ليس للكافر من الخير إلا ما عمله يثاب عليه في الدنيا حتى لا
يبقى له في الآخرة خير وروي أن عبد الله بن أبي كان أعطى العباس قميصا ليلبسه إياه فلما مات أرسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له حسنة في الآخرة يثاب عليها قوله وأن سعيه سوف
يرى أي يرى في ميزانه يوم القيامة من أريته الشيء أي يعرض عليه ويكشف له فإن قيل العمل كيف يرى بعد
وجوده ومضيه فالجواب من وجهين أحدهما يرى على صورة جميلة إن كان العمل صالحا والثاني قال ابن
الخطيب وذلك على مذهبنا غير بعيد فإن كل موجود يرى والله قادر على إعادة كل ما عدم فبعد الفعل يرى وجه
آخر وهو أنه لذلك مجاز عن الثواب كقولك سترى إحسانك أي جزاءه وفيه نظر لقوله بعد ذلك ثم يجزاه الجزاء
الأوفى قوله ثم يجزاه يجوز في الضمير وجهان أظهرهما أن الضمير المرفوع يعود على الإنسان والمنصوب يعود
على سعيه والجزاء مصدر مبين للنوع والثاني قال الزمخشري ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله
الجزاء أو أبدل منه كقوله وأسروا النجوى الذين ظلموا قال أبو حيان وإذا كان تفسيرا للضمير المنصوب
في يجزاه فعلى ماذا ينتصب وأما إذا كان بدلا فهو من إبدال الظاهر من المضمر وهي مسألة خلاف والصحيح
المنع قال شهاب الدين العجب كيف يقول فعلى ماذا ينتصب وانتصابه من وجهين أظهرهما أن يكون
عطف بيان وعطف البيان يصدق عليه أنه مفسر وهي عبارة شائعة والثاني أن ينتصب بإضمار
أعني وهي عبارة شائعة أيضا يسمون مثل ذلك تفسيرا ولا يمنع أبو البقاء أن ينتصب الجزاء الأوفى على
المصدر فقال الجزاء الأوفى هو مفعول يجزاه وليس بمصدر لأنه وصفه بالأوفى وذلك من صفة المجزى
به لا من صفة الفعل قال شهاب الدين وهذا لا يبعد عن الغلط لأنه يلزم أن يتعدى يجزى إلى
ثلاثة مفاعيل لأن الأول قام مقام الفاعل والثاني الهاء التي هي ضمير السعي والثالث الجزاء الأوفى
وأيضا فكيف ينتظم المعنى وقد يجاب عنه بأنه أراد بدلا من الهاء كما تقدم عن الزمخشري ويصح أن
يقال هو مفعول يجزاه فلا يتعدى لثلاثة حينئذ إلا أنه بعيد من غرضه ومثل هذا الغلط وأما

قوله والأوفى ليس من صفات الفعل ممنوع بل هو من صفاته مجازا كما يوصف به المجزي مجازا فإن الحقيقة في كليهما [illegible]
وإنما المتصف به حقيقة المجازي وقال ابن الخطيب والجزاء يتعدى إلى مفعولين قال تعالى وجزاهم بما صبروا جنة
وحريرا ويقال جزاك الله خيرا ويتعدى إلى ثلاثة مفاعيل بحرف الجر فيقال جزاه الخير على عمل الجنة وقد يحذف
الجار ويوصل الفعل فيقال جزاه الخير عمله الجنة فصل والمراد بالجزاء الأوفى الأكمل والأتم أن يجزي الإنسان
سعيه يقال جزيت فلانا سعيه وبسعيه قال الشاعر

إن أجز علقمة بن سعد سعيه ۞ لم أجزه ببلاء يوم واحد ۞ فجمع بين اللغتين قال ابن
الخطيب والجزاء الأوفى يليق بالمؤمنين الصالحين لأن جزاء الصالح وافر قال تعالى قال فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا
وذلك أن جهنم ضررها أكثر من نفع الآثام فهي في نفسها أوفى فإن قيل ثم للتراخي الجزاء أو للتراخي الكلام أي ثم
نقول يجزاه فإن كان للتراخي الجزاء فكيف يؤخر الجزاء عن الصالح وقد قلت إن الظاهر أن المراد منه الصالحون
نقول الوجهان محتملان وجواب السؤال أن الوصف بالأوفى يدفع ما ذكرت لأن الله تعالى من أول زمان يموت
الصالح يجزيه خيرا ويؤخر له الجزاء الأوفى وهي الجنة أو نقول الأوفى إشارة إلى الزيادة فصار كقوله تعالى للذين
أحسنوا الحسنى وهي الجنة وزيادة الرؤية فكأنه تعالى قال وأن سعيه سوف يرى ثم يرزق الرؤية وهذا
الوجه يليق بتفسير اللفظ فإن الأوفى مطلق غير نسبي فلم يقل أوفى من كذا فينبغي أن يكون أوفى من كل واف ولا يتصف
به غير رؤية الله تعالى فصل قال في حق المسيء لا تزر وازرة وزر أخرى وهو لا يدل إلا على عدم الحمل عن الوازرة ولا يلزم
من ذلك بقاء الوزر عليها من ضرورة اللفظ لجواز أن يسقط عنها ويمحو الله ذلك الوزر فلا يبقى عليها ولا يحمل عنها غيرها
ولو قال لا تزر وازرة إلا وزرها لكان من ضرورة الاستثناء أنها تزر وقال في حق المحسن ليس للإنسان إلا ما سعى
ولم يقل ليس له ما لم يسع لأن العبارة الثانية ليس فيها أن له ما سعى نظرا إلى الاستثناء فقال في حق المسيء بعبارة لا يقطع
رجاءه وفي حق المحسن بعبارة يقطع خوفه وكل ذلك إشارة إلى سبق الرحمة للغضب قوله وأن إلى ربك المنتهى العامة
على فتح همزة أن وما عطف عليها بمعنى أن الجميع في صحف موسى وإبراهيم وقرأ أبو السمال بالكسر في الجميع على الابتداء
ومعنى الآية أن منتهى الخلق ومصيرهم إليه فيجازيهم بأعمالهم وقيل منه ابتداء المنة وإليه انتهاء الآمال وروى
أبو هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإن الله لا يحيط به الفكر وقيل المراد من الآية التوحيد
وفي الآية المخاطب وجهان أحدهما أنه عام تقديره إلى ربك أيها السامع أو العاقل والثاني أنه خطاب مع النبي عليه
السلام فعلى الأول يكون تهديدا وعلى الثاني يكون تسلية لقلب النبي عليه السلام فعلى الأول تكون اللام في المنتهى
للعهد الموعود في القرآن وعلى الثاني يكون للعموم أي إلى ربك كل منتهى فإن قيل فعلى هذا الوجه يكون منتهى وعلى الأول
يكون مبدأ فالجواب منتهى الإدراكات والمدركات فإن الإنسان أولا يدرك الأشياء الظاهرة ثم يمعن النظر فينتهي
إلى الله فيقف عنده قوله وأنه هو أضحك وأبكى هذا وما بعده يسميه البيانيون الطباق والتضاد وهو نوع
من البديع وهو أن يذكر ضدان أو نقيضان أو متشابهان بوجه من الوجوه وأضحك وأبكى لا مفعول لهما في هذا
الموضع لأنهما مسبوقة لقدرة الله تعالى لا لبيان المقدور فلا حاجة إلى المفعول كقول القائل فلان بيده الأخذ والعطاء
يعطي ويمنع ولا يريد ممنوعا ومعطى فصل اختار هذين الوصفين المذكورين لأنهما أمران لا يعللان فلا يقدر
أحد من الطبائعيين يبين لاختصاص الإنسان بالضحك والبكاء وجها وسببا وإذا لم يعلل بأمر فلا بد له من موجد
فهو الله بخلاف الصحة والسقم فإنهم يقولون سببهما اعتدال المزاج وخروجه عن الاعتدال ومما يدل على ما ذكرنا
أنهم إذا عللوا الضحك قالوا لقوة التعجب وهو باطل لأن الإنسان ربما يبهت عند رؤية الأمور العجيبة ولا يضحك
وقيل لقوة الفرح وليس كذلك لأن الإنسان قد يبكي لقوة الفرح كما قال بعضهم

هجم السرور علي حتى إنه ۞ من عظم ما قد سرني أبكاني ۞ وأيضا فالذي يحزن غاية
الحزن قد يضحك وقد يخرج الدمع من العين عند أمور مخصوصة لا يقدرون على تعليلها بتعليل صحيح وأيضا عند
الخواص كالتي في المغناطيس وغيره ينقطع الطبيعي كما ينقطع هو والمهندس الذي لا يفوض أمره إلى قدرة الله وإرادته
عند أوضاع الكواكب فصل إذا قيل بأن المراد بقوله تعالى إلى ربك المنتهى إثبات الوحدانية فهذه الآيات مبينة
لمسائل يتوقف عليها الإسلام من جملتها قدرة الله تعالى فإن من الفلاسفة من يقول بأن الله المنتهى وأنه واحد
لكن يقول بأنه موجب لا قادر فقال تعالى هو أوجد ضد من الضحك والبكاء في محل واحد على التعاقب والتراخي
والموت والحياة والذكورة والأنوثة في مادة واحدة وذلك لا يكون إلا من قادر يعترف به كل عاقل وإن
قيل بأن المراد بالمنتهى بيان المعاد فهو إشارة إلى أن الإنسان كما كان في الدنيا في بعض الأمور ضاحكا وفي بعضها
باكيا محزونا فكذلك في الآخرة فصل هذه الآية تدل على أن كل ما يعمله الإنسان فبقضاء الله وخلقه حتى الضحك
والبكاء قال مجاهد والكلبي أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار وقال الضحاك أضحك الأرض بالنبات

وأبكى السماء بالمطر. وقال عطاء بن أبي مسلم يعني أفرح وأحزن لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء قوله وأنه هو أمات وأحيى أي أمات في الدنيا وأحيى للبعث. وقيل أمات الآباء وأحيى الأبناء. وقيل أمات الكافر بالكفر وأحيى المؤمن بالإيمان. قال ابن الخطيب فإن قيل متى أمات وأحيى حتى يعلم ذلك بل المشاهد الإحياء والإماتة بناء على الحياة والموت نقول فيه وجوه أحدها أنه على التقديم والتأخير كأنه قال أحيى وأمات. ثانيها هو بمعنى المستقبل فإن الأمر قريب المستقبل يقال كان فلان وصل والليل دخل إذا قرب مكانه وزمانه فكذلك الإحياء والإماتة. ثالثها أنه خلق الموت والجمود في العناصر ثم ركبها وأحيى أي خلق الحس والحركة فيها قوله وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى أي من كل حيوان ولم يرد آدم وحوى لأنهما ما خلقا من نطفة وهذا أيضا من جملة المتضادات الواردة على النطفة فبعضها يخلق ذكرا وبعضها يخلق أنثى ولا يصل إليه فهم الطبيعي والذي يقولونه من البرد والرطوبة في الأنثى قريب امرأة أحر وأيبس مزاجا من الرجل فإن قيل ما الحكمة في قوله تعالى وأنه خلق ولم يقل وأنه هو خلق كما قال وأنه هو أضحك وأبكى فالجواب أن الضحك والبكاء ربما يتوهم أنه بفعل الإنسان والإماتة والإحياء وإن كان ذلك التوهم أبعد لكن ربما يقول به جاهل كما قال من حاج إبراهيم عليه السلام فقال أنا أحيي وأميت فأكد ذلك بالفصل. وأما خلق الذكر والأنثى من النطفة فلا يتوهم أحد أنه بفعل أحد من الناس فلم يؤكد بالفصل ألا ترى إلى قوله وأنه هو أغنى وأقنى حيث كان الإغناء عندهم غير مسند إلى الله وكان في معتقدهم أن ذلك بفعلهم كما قال قارون إنما أوتيته على علم عندي وكذلك قال هو رب الشعرى فأكد في مواضع استبعادهم إلى الإسناد ولم يؤكد في غيره. واختلفوا في الذكر والأنثى هل هما اسمان هما صفة أو اسمان ليسا بصفة فالمشهور عند أهل اللغة أنهما اسمان ليسا بصفة قال ابن الخطيب والظاهر أنهما من الأسماء التي هي صفات فالذكر كالحسن والأنثى كالحبلى والكبرى قوله من نطفة إذا تمنى أي تصب في الرحم يقال منى الرجل وأمنى قاله الضحاك وعطاء بن أبي رباح وقيل تقدر يقال منيت الشيء إذا قدرته وهذا أيضا تنبيه على كمال القدرة لأن النطفة جسم متناسب الأجزاء ويخلق الله منها أعضاء مختلفة وطباعا متباينة وخلق الذكر والأنثى منها أعجب ما يكون ولهذا لم يقدر أحد على أن يدعي خلق السموات وهذا قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قوله وأن عليه النشأة الأخرى أي الخلق الثاني للبعث يوم القيامة. قال ابن الخطيب ويحتمل أن يكون المراد من قوله وأن عليه النشأة الأخرى هو نفخ الروح الإنساني فيه كما قال تعالى ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر أي غير خلق النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما وهذا الخلق الآخر هو نفخ الروح المميز الإنسان عن أنواع الحيوان فكما قال هناك أنشأناه خلقا آخر بعد خلق النطفة قال هاهنا وأن عليه النشأة الأخرى فجعل خلق الروح نشأة أخرى كما جعله هناك إنشاء آخر فإن قيل الإعادة لا تجب على الله فما معنى قوله تعالى وأن عليه فالجواب على مذهب المعتزلة عليه عقلا فإن الجزاء واجب وذلك لا يتم إلا بالحشر فتجب الإعادة عقلا. وأما على مذهب أهل السنة ففيه وجهان الأول عليه بحكم الوعد فإنه قال إنا نحن نحيي الموتى فعليه بحكم الوعد لا بالعقل ولا بالشرع. الثاني عليه بحكم التعيين فإن من حضر بين جمع وحاولوا أمرا وعجزوا عنه يقال له وجب عليك إذن أن تفعله أي تعين عليك فصل قرئ النشأة على أنه مصدر كالضربة على وزن فعلة وهي للمرة يقال ضربة وضربتان يعني النشأة مرة أخرى عليه. وقرئ النشاءة بالمد على أنه مصدر على وزن فعالة كالكفالة وكيف ما قرئ فهي نشأة وهو لازم قوله وأنه هو أغنى قال أبو صالح أغنى الناس بالأموال وأقنى أعطى القنية وأصول الأموال وما يدخرونه بعد الكفاية. وقال الضحاك أغنى بالذهب والفضة وصنوف الأموال وأقنى بالإبل والبقر والغنم. وقال الحسن وقتادة أخدم. وقال ابن عباس أغنى وأقنى أعطى فأرضى وقال مجاهد ومقاتل أقنى أرضى بما أعطى وقنع. وقال ابن زيد أغنى أكثر وأقنى أقل وقرأ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر. وقال الأخفش أقنى أفقر. وقال ابن كيسان أولد. قال الزمخشري أقنى أعطى القنية وهي المال الذي تأثلته وعزمت أن لا تخرج من يدك. قال الجوهري قني الرجل يقنى قنى مثل غني يغنى غنى ثم يتعدى بتغيير الحركة فيقال قنيت مالا أي كسبته وهو نظير شترت عينه بالكسر وشترها الله بالفتح فإذا أدخلت عليه الهمزة أو التضعيف اكتسب مفعولا ثانيا فيقال أقناه الله مالا وقناه إياه أي أكسبه إياه قال الشاعر

كم من غني أصاب الدهر ثروته • ومن فقير تقنى بعد إقلال •

أي تقنى مالا فحذف الثاني وحذف مفعولا أغنى وأقنى لأن المراد نسبة هذين الفعلين إليه وحده وكذلك في باقيها والألف في أقنى عن ياء لأنه من القنية قال • ألا إن بعد العدم للمرء قنوة • ويقال قنيت كذا واقتنيته قال • قنيت حيائي عفة وتكرما • قوله وأنه هو رب الشعرى والشعرى في لسان العرب كوكبان يسمى أحدهما الشعرى العبور وهو المراد في الآية الكريمة فإن خزاعة كانت تعبدها وسن عبادتها أبو كبشة رجل من ساداتهم فكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أبي كبشة تشبيها بذلك الرجل في أنه أحدث دينا غير دينهم والشعرى العبور تطلع بعد الجوزاء في شدة الحر ويقال لها مرزم الجوزاء وتسمى كلب الجبار وتسمى الشعرى اليمانية والثانية الشعرى الغميصاء وهي التي في الذراع والمجرة بينهما وتسمى الشامية وسبب تسميتها بالغميصاء على ما زعمته العرب في بعض خرافاتها أنهما كانتا أختين أو زوجين لسهيل فانحدر سهيل إلى اليمن فاتبعته الشعرى العبور فعبرت المجرة فسميت بعبور وأقامت الغميصاء تبكي لفقده حتى غمصت عينها ولذلك كانت أخفى من العبور فصل وفي هذه الآية إشارة إلى فساد قول قوم آخرين لأن بعض الناس يذهب إلى أن الفقر والغنى بكسب الإنسان واجتهاده فمن كسب استغنى ومن كسل افتقر وبعضهم يذهب إلى ذلك بحسب الطالع وذلك بالنجوم فقال هو أغنى وأقنى وإن قال قائل إن الغنى بالنجوم فيقال هو رب النجوم ومحركها لقوله تعالى هو رب الشعرى لإنكارهم ذلك أكد بالفصل قوله وأنه أهلك عادا الأولى اعلم أن هذه الآية الكريمة من أشكل الآيات نقلا وتوجيها قال شهاب الدين وقد يسر الله تعالى تحرير ذلك بحوله وقوته فأقول إن القراء اختلفوا في ذلك على أربع رتب إحداها قرأ ابن كثير وابن عامر والكوفيون عادا الأولى بالتنوين مكسورا وسكون اللام وتحقيق الهمزة بعدها هذا كله في الوصل فإذا وقفوا على عادا وابتدءوا بالأولى فقياسهم أن يقولوا الأولى بهمزة الوصل وسكون اللام وتحقيق الهمزة. الثانية قرأ قالون عادا لؤلى بإدغام التنوين في اللام ونقل حركة الهمزة إلى لام التعريف وهمز الواو وهذا في الوصل. وأما في الابتداء بالأولى فله ثلاثة أوجه. الأول الؤلى بهمزة وصل ثم بلام مضمومة ثم بهمزة ساكنة. الثاني لؤلى بلام مضمومة ثم بهمزة ساكنة. الثالث كابتداء ابن كثير ومن معه. الثالثة قرأ ورش عادا لولى بإدغام التنوين في اللام ونقل حركة الهمزة إليها كقالون إلا أنه أبقى الواو على حالها غير مبدلة همزة هذا في الوصل. وأما في الابتداء فله وجهان الألولى بالهمزة والنقل ولولى بالنقل دون همزة وصل والواو ساكنة على حالها في هذين الوجهين. الرابعة قرأ أبو عمرو كورش وصلا وابتداء سوى أنه يزيد عليه في الابتداء بوجه ثالث وهو وجه ابن كثير ومن معه فقد تحصل أن لكل من قالون وأبي عمرو في الابتداء ثلاثة أوجه وأن لورش وجهين فتأمل ذلك فإنه تحرير صعب من كتب القراءات. وأما توجيهها فيتوقف على معرفة ثلاثة أصول. الأول حكم التنوين إذا وقع بعده ساكن. الثاني حكم حركة النقل. الثالث أصل أولى ما هو. أما الأول فحكم التنوين الملاقي أن يكسر لالتقاء الساكنين نحو قل هو الله أحد الله أو يحذف تشبيها بحرف العلة كقراءة أحد الله الصمد وكقوله

ولا ذاكر الله إلا قليلا •

وهو قليل جدا وقد مضى تحقيقه. وأما الثاني فإن للعرب في الحركة المنقولة مذهبين الاعتداد بالحركة وعدم الاعتداد بها وهي اللغة الغالبة. وأما الثالث فأولى تأنيث أول وقد تقدم الخلاف في أصله في أول الكتاب فليلتفت إليه. إذا تقرر هذه الأصول الثلاثة فأقول أما قراءة ابن كثير ومن معه فإنهم صرفوا عادا إما لأنه اسم للحي أو الأب فليس فيه ما يمنعه وإما لأنه وإن كان مؤنثا اسما للقبيلة أو الأم إلا أنه مثل هند ودعد فيجوز فيه الصرف وعدمه فيكون كقوله

لم تتلفع بفضل مئزرها دعد • ولم تسق دعد في العلب •

فصرفها أولا ومنعها ثانيا ولم ينقلوا حركة الهمزة إلى لام التعريف فالتقى ساكنان فكسروا التنوين لالتقائهما على ما هو المعروف من اللغتين وحذفوا همزة الوصل من الأولى للاستغناء عنها بحركة التنوين وصلا فإذا ابتدءوا بها احتاجوا إلى همزة الوصل فأتوا بها فقالوا الأولى كنظيرها من همزات الوصل وهذه قراءة واضحة لا إشكال فيها ومن ثم اختارها الجم الغفير. وأما قراءة من أدغم التنوين في لام التعريف وهما نافع وأبو عمرو مع اختلافهما في أشياء كما تقدم فوجهه الاعتداد بحركة النقل وذلك أن من العرب من إذا نقل حركة الهمزة إلى ساكن قبلها كلام التعريف عاملها معاملتها ساكنة ولا يعتد بحركة النقل فيكسر الساكن الواقع قبلها ولا يدغم فيها التنوين ويأتي قبلها بهمزة الوصل فيقول لم يذهب لحمر ورأيت زيادا لعجم من غير إدغام التنوين والحمر والعجم بهمزة الوصل لأن اللام في حكم السكون وهذه هي اللغة المشهورة ومنهم من يعتد بها فلا يكسر الساكن الأول ولا يأتي بهمزة الوصل ويدغم التنوين في لام التعريف فيقول لم يذهب لحمر ولحمر من غير همزة ورأيت زياد لعجم بتشديد اللام وعلى هذه اللغة جاءت هذه القراءة هذا من حيث الإجمال. وأما من حيث التفصيل فأقول أما قالون فإنه نقل حركة الهمزة إلى لام التعريف وإن لم يكن من أصله النقل لأجل قصده التخفيف بالإدغام ولما نقل الحركة اعتد بها إذ لا يمكن الإدغام في ساكن ولا ما هو في حكمه. وأما همزة الواو ففيه وجهان منقولان

احدهما ان يكون اولى اصلها عنده وولى من وال اى نجا كما هو قول الكوفيين ثم ابدل الواو الاولى همزة لانها واو مضمومة ثم نقل حركتها ... فلما حذفت الهمزة الاولى بسبب نقل حركتها ... انها لغة مطردة فاجتمع همزتان ثانيتهما ساكنة فوجب قلبها واوا ... رجعت الثانية الى اصلها من الهمز لانها انما قلبت واوا من اجل الاولى وقد زالت وهذا تكلف لا دليل عليه والثانى انه لما نقل الحركة الى اللام صارت الضمة قبل الواو كانها عليها لان حركة الحرف بين يديه فابدل الواو همزة كقوله احب المؤقدين الى موسى وكقراءة يؤقنون وهمز السؤق وسؤقه كما تقدم تحريره وهذا ابيات منه على الاعتداد بالحركة ايضا وليس فى هذا الوجه دليل على اصل اولى عنده ما هو فيحتمل الخلاف المذكور جميعه واما ابتداؤه الكلمة من غير نقل فانه الاصل ولانه انما نقل فى الوصل لقصد التخفيف بالادغام ولا ادغام فى الابتدا ولا حاجة الى النقل واما الابتداء بالنقل فلانه محمول على الوصل ليجرى اللفظ فيهما على سنن واحد وصلة اثبات الف الوصل مع النقل اذ المعوض فى احد الوجهين ترك الاعتداد بحركة اللام على ما عليه القراء فى نظائره مما وجد فيه النقل اذ الغرض انما هو جرى اللفظ فى الابتدا والوصل على سنن واحد وذلك يحصل بمجرد النقل وان اختلفا فى تقدير الاعتداد بالحركة وصلة ترك الاثبات بالالف فى الوجه الثانى حمل الابتدا على الوصل فى النقل والاعتداد بالحركة جميعا ويقوى هذا الوجه رسم الاولى فى هذا الموضع بغير الف والكلام فى همز الواو مع النقل فى الابتدا كالكلام عليه فى الوصل كما تقدم واما ورش فان اصله ان ينقل حركة الهمزة على اللام فى الوصل فينقل على اصله الا انه اعتد بالحركة ليصح ما قصد من التخفيف بالادغام وليس من اصله الاعتداد بالحركة فى نحو ذلك الا ترى انه يحذف الالف فى سيرتها الاولى ويتجنبها الاشقى ولو اعتد بالحركة لم يحذفها. واما ما جاء عنه فى بعض الروايات قالوا الان جئت فانه وجه نادر معلل باتباع الاثر والجمع بين اللغتين والابتدا له بالنقل على اصله فى ذلك ايضا والابتدا له بالف الوصل على ترك الاعتداد بالحركة اذ لا حاجة الى قصد ذلك فى الابتدا وترك الاثبات له بالالف على الاعتداد له بالحركة حملا للابتدا على الوصل وموافقة للرسم ايضا ولا يبتدا له بالاصل اذ ليس من اصله ذلك والاولى فى قراءته تحتمل الخلاف المذكور فى اصلها. واما ابو عمرو فالعلة له فى قراءته فى الوصل كالعلة المتقدمة لقالون الا انه يخالفه فى همز الواو لانه لم يعطها حكم ما جاورها وليست عنده من وال بل من غير هذا الوجه كما تقدم الخلاف فى اول هذا الكتاب ويجوز ان يكون اصلها عنده من وال ايضا الا انه ابدل فى حال النقل مبالغة فى التخفيف او موافقة لحال ترك النقل وقد عاب هذه القراءة اعنى قراءة الادغام ابو عثمان وابو العباس ذهابا منهما الى ان اللغة الفصيحة عدم الاعتداد بالعارض ولكن لا التفات الى ردهما لثبوت ذلك لغة وقراءة وان كان غيرها افصح منها وقد ثبت عن العرب انهم يقولون الحمر ولحمر بهمزة الوصل وعدمها مع النقل والله اعلم. وقرا ابى فى حرفه عاد الاولى غير مصروف ذهابا به الى القبيلة والام كما تقدم فى تغليبه العلمية والتانيث ويدل على التانيث قوله الاولى فوصفها بوصف المؤنث.

فصل عاد الاولى هم قوم هود اهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا الاخرى. قوله وثمود فما ابقى قد تقدم الخلاف فى ثمود بالنسبة للصرف وعدمه فى سورة هود وفى انتصابه وجهان انه معطوف على عادا والثانى انه منصوب بالفعل المقدر اى واهلك ثمود قاله ابو البقاء وبه بدا ولا يجوز ان ينتصب بابقى لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها والظاهر ان متعلق ابقى عائد على من تقدم من عاد وثمود اى فما ابقى عليهم اى على عاد وثمود او يكون التقدير فما ابقى منهم احدا ولا عينا تطرف ويؤيد هذا قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية. قوله وقوم نوح من قبل كالذى قبله اى من قبل عاد وثمود وقوله انهم يحتمل ان يكون الضمير لقوم نوح خاصة وان يكون لجميع من تقدم من الامم الثلاثة وقوله كانوا هم يجوز فى هم ان يكون تاكيدا وان يكون فصلا ويضعف ان يكون بدلا والمفضل عليه محذوف تقديره من عاد وثمود على قولنا ان الضمير لقوم نوح خاصة وعلى القول بان الضمير للكل يكون التقدير من غيرهم والمعنى اهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى لطول دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية. قوله والمؤتفكة اهوى منصوب باهوى وقدم لاجل الفواصل والمراد بالمؤتفكة قرى قوم لوط اهوى اسقط اى اهواها جبريل بعد ما رفعها الى السماء. قوله فغشاها اى البسها الله ما غشى يعنى الحجارة المصورة المسومة وقوله ما غشى كقوله ما اوحى فى الابهام وهو المفعول الثانى ان قلنا ان التضعيف للتعدية وان قلنا انه للمبالغة والتكثير فتكون ما فاعلة كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم والمؤتفكة المنقلبة وقرئ والمؤتفكات. فان قيل اذا كان معنى المؤتفكة المنقلبة ومعنى اهوى قلبها فيكون المعنى والمنقلبة قلبها وقلب المنقلبة تحصيل الحاصل. فالجواب ان معناه المنقلبة ما انقلبت بنفسها بل الله قلبها فانقلبت. قوله فباى متعلق بتتمارى والباء ظرفية بمعنى فى. وقرا ابن محيصن ويعقوب

تمارى

تمارى بالحذف كقوله تذكرون. فصل قيل هذا ايضا مما فى الصحف وقيل انتهى الكلام والخطاب عام والمعنى فباى الا ربك ايها الانسان تتمارى تشك او تجادل. وقال ابن عباس تكذب. وقيل هذا خطاب مع الكافر قال ابن الخطيب ويحتمل ان يقال خطاب مع النبى عليه السلام ولا يقال كيف يجوز ان يقول للنبى عليه السلام تتمارى لانا نقول هو من باب لئن اشركت ليحبطن عملك يعنى لم يبق فيه امكان الشك حتى ان فارضا لو فرض النبى عليه السلام ممن يشك او يجادل فى بعض الامور الخفية لما كان يمكنه المراء فى نعم الله والصحيح العموم كقوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم وقوله وكان الانسان اكثر شىء جدلا. قوله هذا نذير اشارة الى ما تقدم من الآى واخبار المهلكين. وقيل الى القرآن. قال ابن الخطيب وهذا بعيد لفظا ومعنى فلان القرآن ليس من جنس الصحف الاولى لانه معجزة وتلك لم تكن معجزة. واما لفظا فلان النذير ان كان كاملا فما ذكره من حكايات المهلكين اولى لانه اقرب ويكون هذا مبنيا على حقيقة التبعيض اى هذا الذى ذكرناه بعض ما جرى او يكون لابتداء الغاية اى هذا انذار من المنذرين المتقدمين يقال هذا الكتاب وهذا الكلام من فلان. وقيل اشارة الى الرسول عليه السلام اى هذا النذير من جنس النذر الاولى اى رسول من الرسل الذين ارسلوا الى اقوامهم وقوله النذر يجوز ان يكون مصدرا وان يكون اسم فاعل وكلاهما لا ينقاس بل القياس فى مصدره انذار وفى اسم فاعله منذر. والنذر يجوز ان يكون جمعا لنذير بمعنييه المذكورين والاولى صفة حملا على معنى الجماعة كقوله مآرب اخرى. قوله ازفت الآزفة دنت القيامة وقربت والتقدير الساعة الآزفة كقوله اقتربت الساعة. ويجوز ان تكون الآزفة علما للقيامة بالغلبة. قال ابن الخطيب قوله ازفت الآزفة كقوله تعالى وقعت الواقعة ويقال كانت الكائنة وهذا الاستعمال يقع على وجهين الاول اذا كان الفاعل صار فاعلا لمثل ذلك الفعل من قبل ثم فعله مرة اخرى يقال فعل الفاعل كقولك حاكه الحائك اى من شغله ذلك من قبل فعله. الثانى ان يصير الفاعل فاعلا بذلك الفعل يقال اذا مات الميت انقطع عمله واذا غصب العين غاصب ضمنها فقوله ازفت الآزفة يحتمل ان يكون من الاول لان قربت الساعة التى كل يوم تزداد قربا فهى كائنة قريبة وزادت فى القرب. ويحتمل ان يكون من الثانى كقوله وقعت الواقعة اى قرب وقوعها وفاعل ازفت فى الحقيقة القيامة او الساعة فكانه قال ازفت القيامة الآزفة او الساعة الآزفة. قوله ليس لها من دون الله كاشفة يجوز ان تكون كاشفة وصفا وان تكون مصدرا فان كانت وصفا احتمل ان يكون التانيث لاجل انه صفة لمؤنث محذوف فقيل تقديره نفس كاشفة او حال كاشفة. فان قيل اذا قدرتها نفس كاشفة وقوله من دون الله استثناء على المشهور فيكون الله نفسا كاشفة. فالجواب من وجوه الاول لا فساد فى ذلك لقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ولا اعلم ما فى نفسك. الثانى ليس صريحا فى الاستثناء فيجوز ان لا يكون نفسا. الثالث الاستثناء الكاشفة المبالغة. ويحتمل ان تكون التاء للمبالغة كراوية وعلامة ونسابة اى ليس لها انسان كاشفة اى كثير الكشف وان كانت مصدرا فهى كالخائنة والعافية والعاقبة. والمعنى ليس لها من دون الله كشف اى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره فيكون من كشف الشىء اى عرف حقيقته كقوله لا يجليها لوقتها الا هو واما من كشف الضر اى ازاله والمعنى ليس لها من يردها اذا غشيت الخلق اهوالها وشدائدها لم يكشفها احد عنهم غيره وهذا قول عطاء وقتادة والضحاك. وتقدم الكلام على مادة ازف فى غافر. ومن رابع تقديره ليس لها غير الله كاشفة وفيه تداخل على المعنى لو معناه تقول ما جاءنى احد وما جاء من احد وعلى هذا يحتمل ان يكون فيه تقديم وتاخير اى ليس لها من كاشفة دون الله فيكون نفيا عاما بالنسبة الى الكواشف. ويحتمل ان تكون غير زائدة والمعنى ليس فى الوجود نفس تكشفها اى تخبر عنها كما هى من غير الله يعنى من يكشفها فانما يكشفها من الله لا من غير الله كقولك كشفت الامر من زيد ودون تكون بمعنى غير كقوله تعالى ائفكا آلهة دون الله تريدون اى غير الله. قوله افمن هذا الحديث متعلق بتعجبون ولا يجىء فيه الاعمال لان من شروط الاعمال تاخر المعمول عن العوامل وهنا هو متقدم وفيه خلاف بعيد وعليه تتخرج الآية الكريمة فان كلا من قوله تعجبون وتضحكون ولا تبكون يطلب هذا الجار من حيث المعنى. والعامة على فتح التاء والجيم والحاء من تعجبون وتضحكون والحسن بضم التاء وكسر الجيم والحاء من غير واو عاطفة بين الفعلين وهى ابلغ من حيث انهم اذا اضحكوا غيرهم كان تجرؤهم اكثر. وقرا ابى وعبد الله كالجماعة الا انهما بلا واو عاطفة كالحسن فيحتمل ان تكون تضحكون حالا وان تكون استئنافا كالتى قبلها. فصل قال المفسرون المراد بالحديث القرآن. قال ابن الخطيب ويحتمل ان تكون اشارة الى حديث ازفت الآزفة فانهم كانوا يتعجبون من حشر الاجساد والعظام البالية. وقوله وتضحكون اى استهزاء من هذا الحديث كقوله تعالى فى حق موسى عليه السلام فلما جاءهم

بآياتنا إذا هم منها يضحكون، ويحتمل أن يكون إنكارا على مطلق الضحك مع سماع حديث القيامة أي أتضحكون وقد سمعتم
أن القيامة قربت فكان حقا أن لا تضحكوا حينئذ، وقوله **ولا تبكون** مما تسمعون من الوعيد وقوله **وأنتم سامدون**
أي غافلون لاهون وهذه الجملة تحتمل أن تكون مستأنفة أخبر الله عنهم بذلك، ويحتمل أن تكون حالا أي انتفى
عنكم البكاء في حال كونكم سامدون والسمود قيل الإعراض والغفلة عن الشيء، وقيل اللهو يقال دع عنا سمودك
أي لهوك رواه الوالبي والعوفي عن ابن عباس، وقال الشاعر
ألا أيها الإنسان إنك سامد ۞ كأنك لا تفنى ولا أنت هالك ، فهذا بمعنى لاه لاعب، وقيل
الجمود وقيل الاستكبار قال ۞ رمى الحدثان نسوة آل سعد ۞ بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا ۞ ورد وجوههن البيض سودا
فهذا بمعنى الجمود والخشوع، وقال عكرمة وأبو عبيدة السمود الغناء بلغة حمير يقولون يا جارية اسمدي
لنا أي غني فكانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا، وقال الضحاك أشرون بطرون، وقال مجاهد غضاب يتبرطمون
وقال الراغب السامد اللاهي الرافع رأسه من قولهم بعير سامد في سيره، وقيل سمد رأسه وسبده أي استأصل
شعره وذكر باسم الفاعل لأن الغفلة دائمة، وأما الضحك والتعجب فهما أمران يتجددان ويعدمان قوله
فاسجدوا لله واعبدوا هذا الأمر يحتمل أن يكون عاما، ويحتمل أن يكون النفا ما أي اشتغلوا بالعبادة ولم يقل
واعبدوا الله إما لكونه معلوما من قوله فاسجدوا لله وإما لأن العبادة في الحقيقة لا تكون إلا لله، روى عكرمة
عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس، وروي
عن عبد الله قال أول سورة أنزلت فيها السجدة النجم فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه إلا
رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف، وروى زيد بن
ثابت قال قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم والنجم فلم يسجد فيها وهذا يدل على أن سجود التلاوة غير واجب
قال عمر بن الخطاب إن الله لم يكتبها علينا إلا أن نشاء وهو قول الشافعي وأحمد، وذهب قوم إلى أنه واجب على
القارئ والمستمع جميعا وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي، وروى الثعلبي في تفسيره عن أبي بن كعب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النجم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به

سورة القمر

في قول الجمهور، وقال مقاتل مكية إلا ثلاث آيات أم يقولون نحن جميع منتصر إلى قوله والساعة أدهى وأمر والصحيح
الأول، وهي خمس وخمسون آية وثلاثمائة واثنتان وأربعون كلمة وألف وأربع مائة وثلاثة وعشرون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر** أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها
وهو قوله أزفت الآزفة فكأنه أعاد ذلك مستدلا عليه بقوله أزفت الآزفة وهو جواز القمر انشق بقوله وانشق
القمر ماض على حقيقته وهو قول عامة المسلمين إلا من لا يلتفت إلى قوله وقد صح في الأخبار أن القمر انشق على عهده
عليه السلام مرتين، روى أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية
فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما، وقال شيبان عن قتادة فأراهم انشقاق القمر مرتين، وعن ابن مسعود
قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا، وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله لقد انشق بمكة، وقال مقاتل
انشق القمر ثم التأم بعد ذلك، وروى أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن أبي كبشة فاسألوا السفار فسألوهم قالوا نعم قد رأيناه
فأنزل الله عز وجل اقتربت الساعة وانشق القمر، وقيل انشق بمعنى سينشق يوم القيامة فأوقع الماضي
موقع المستقبل لتحققه وهو خلاف الإجماع، وقيل انشق بمعنى انفلق عنه الظلام عند طلوعه كما يسمى الصبح فلقا
والشق للمتابعة ۞ فلما أن بدا لهم دوي ۞ دعانا عند شق الصبح داعي، وإنما ذكرنا ذلك تنبيها على
ضعفه **قوله وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** أي ذاهب سوف يذهب ويبطل من قولهم مر
الشيء واستمر إذا ذهب مثل قولهم قر واستقر قاله مجاهد وقتادة، وقال أبو العالية والضحاك مستمر أي
قوي شديد من قولهم مر الحبل إذا صلب واشتد وأمررته إذا أحكمت فتله واستمر الشيء إذا قوي واستحكم
والمراد بقوله آية هي اقتراب الساعة فإن انشقاق القمر من آياته وقد رأوه وكذبوا فإن يروا غيرها
أيضا يعرضوا وآية النبوة فإنه معجزة، أما كونه معجزة ففي غاية الظهور، وأما كونه آية فلأن منكر

خراب العالم ينكر انشقاق السماء وانفطارها وكل كوكب فإذا انشق بعضها كان ذلك مخالفا لقوله بجواز خراب العالم والمراد
هؤلاء القائلين المعرضين هم الكفار والتنكير في قوله آية للتعظيم أي آية قوية أو عظيمة يعرضوا، قال أبو حيان
ومعنى مستمر أي يشبه بعضه بعضا أي استمرت أفعاله على هذا الحال وهذا راجع إلى الدوام المتقدم وأتى
بهذه الجملة الشرطية تنبيها على أن حالهم في المستقبل كحالهم في الماضي، وقرئ يروا مبنيا للمفعول من أرى **قوله
وكذبوا واتبعوا أهواءهم** أي كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله عز وجل واتبعوا
ما زين لهم الشيطان من الباطل أو كذبوا بالآية وهي انشقاق القمر واتبعوا أهواءهم في أنه سحر القمر وأنه خسوف
في القمر وظهور شيء في جانب آخر يشبه نصف القمر وأنه سحر أعيننا والقمر لم يصبه شيء فهذه أهواؤهم **قوله
وكل أمر مستقر** العامة على كسر القاف ورفع الراء اسم فاعل ورفعه خبر الكل الواقع، وقرأ شيبة بفتح القاف
ويروى عن نافع قال أبو حاتم لا وجه لها وقد وجهها غيره على حذف مضاف أي وكل أمر ذو استقرار أو زمان
استقرار أو مكان استقرار فجاز أن يكون مصدرا وأن يكون ظرفا زمانيا أو مكانيا قال معناه الزمخشري
وقرأ أبو جعفر وزيد بن علي بكسر القاف وجر الراء وفيها أوجه أحدها ولم يذكر الزمخشري غيره أن يكون صفة
لأمر ويرتفع كل حينئذ بالعطف على الساعة فيكون فاعلا أي اقتربت الساعة وكل أمر مستقر، قال أبو حيان
وهذا بعيد لوجود الفصل بجمل ثلاث وبعيد أن يوجد مثل هذا التركيب في كلام العرب نحو أكلت خبزا وضربت
خالدا وإن يجئ زيدا أكرمه ورحل إلى بني فلان ولحما فيكون ولحما معطوفا على خبزا بل لا يوجد مثله في كلام العرب
انتهى قال شهاب الدين وإذا دل دليل على المعنى فلا يبالي بالفواصل وأين فصاحة القرآن من هذا التركيب
الذي ركبه هو حتى يقيسه عليه في المنع، الثاني أن يكون مستقر خبر الكل أمر وهو مرفوع إلا أنه خفض
على الجوار قاله أبو الفضل الرازي وهذا لا يجوز لأن الجوار إنما جاء في النعت أو العطف على خلاف في إثباته كما
تقدم في سورة المائدة فكيف يقال به في خبر المبتدأ هذا ما لا يجوز، الثالث أن خبر المبتدأ قوله حكمة بالغة
أخبر عن كل أمر مستقر بأنه حكمة بالغة ويكون قوله ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر جملة اعتراض بين المبتدأ
وخبره، الرابع أن الخبر مقدر فقدره أبو البقاء معمول به أو أتى وقدره غيره بالغوه لأن قبله وكذبوا واتبعوا
أهواءهم أي وكل أمر مستقر لهم في القدر من شر أو خير بالغوه **فصل** قال الكلبي كل أمر مستقر أي لكل أمر
حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف، وقال قتادة وكل أمر مستقر فالخير
مستقر بأهل الخير والشر بأهل الشر، وقيل كل أمر من خير أو شر مستقر قراره فالخير مستقر بأهله في الجنة
والشر مستقر بأهله في النار، وقيل مستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب
وقال مقاتل لكل حديث منتهى، وقيل ما قدر كائن لا محالة، وقيل كل أمر مستقر على سنن الحق يثبت والباطل يزهق
فيكون ذلك تهديدا لهم وتسلية للنبي عليه السلام وهو كقوله تعالى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم، وقيل كل أمر مستقر
في علم الله تعالى لا يخفى عليه شيء فهم كذبوا واتبعوا أهواءهم والأنبياء صدقوا وبلغوا كقوله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء
وكقوله وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر **قوله ولقد جاءهم من الأنباء** يعني أهل مكة من أخبار الأمم
المكذبة والقرآن ما فيه مزدجر أي متناه **قوله مزدجر** يجوز أن يكون فاعلا بفيه لأن فيه وقع صلة وأن يكون مبتدأ
وفيه الخبر والدال بدل من تاء الافتعال وأصله مزتجر فقلبت التاء دالا وقد تقدم أن تاء الافتعال تقلب دالا بعد
الزاي والدال والذال لأن الزاي حرف مجهور والتاء حرف مهموس فأبدلوها إلى حرف مجهور قريب من التاء وهو
الدال ومزدجر هنا اسم مصدر أي ازدجار أو اسم مكان أي موضع ازدجار ومعناه فيه نهي وعظة يقال زجرته
وازدجرته إذا نهيته عن السوء، وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا ثم أدغم وزيد بن علي مزجر اسم فاعل من
أزجر أي صار ذا زجر كأعشب أي صار ذا عشب **والأنباء** هي الأخبار العظام التي لها وقع كقوله هدهد وجئتك
من سبإ بنبإ يقين لأنه كان خبرا عظيما له وقع وخطر، وقال تعالى إن جاءكم فاسق بنبإ أي بأمر غريب وإنما يجب
التثبت فيما يتعلق به حكم ويترتب عليه أمر ذو بال، وقال تعالى تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك والمراد
بالأنباء هنا أخبار المكذبين المكذبين، وقيل المراد القرآن، قال ابن الخطيب وفي ما وجهان أحدهما أنها موصولة
أي جاءكم الذي فيه مزدجر، الثاني أن تكون نكرة موصوفة أي جاءكم من الأنباء شيء موصوف بأن فيه مزدجر
قوله حكمة فيه وجهان أحدهما أنه بدل من ما فيه مزدجر كأنه قيل ولقد جاءكم حكمة بالغة من الأنباء فيجوز
يكون بدل كل من كل أو بدل اشتمال، الثاني أن يكون خبر مبتدأ مضمر أي هو حكمة أي ذلك الذي جاءهم وقد
تقدم أنه يجوز على قراءة أبي جعفر وزيد أن يكون خبر الكل أمر مستقر، وقرئ حكمة بالنصب حالا من ما، قال الزمخشري
فإن قلت إن كانت ما موصولة ساغ ذلك أن تنصب حكمة حالا فكيف يعمل إن كانت موصوفة وهو الظاهر قلت
تخصصها بالصفة فيحسن نصب الحال عنها انتهى وهو سؤال واضح لأنه يصير النكرة رجاءهم من الأنباء شيء فيه

اذ دجار فيكون منكرا او نكيرذي الحال قبيح **قوله فما تغني النذر** يجوز في ما ان تكون استفهامية وتكون في محل نصب
مفعولا مقدما اي اي شي تغني النذر وان تكون نافية اي لم تغن النذر شيئا والنذر جمع نذير والمراد به المصدر
او اسم الفاعل كما تقدم في اخر النجم وكتب تغن اتباعا للفظ الوصل فانها ساقطة لالتقاء الساكنين قال بعض النحويين
وانما حذفت اليا من تغني حملا لما على لم فجزمت كما تجزم لم قال مكي وهذا خطا لان لم تنفي الماضي وترد المستقبل
ماضيا وما تنفي الحال فلا يجوز ان يقع احدهما موقع الاخرى لاختلاف معنييهما **فصل** المعنى ان القران حكمة
بالغة تامة قد بلغت الغاية وقوله فما تغني النذر ان كانت ما نافية فالمعنى ان النذر لم يبعثوا ليلجئوا
قومهم الى الايمان وانما ارسلوا مبلغين كقوله تعالى فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا وما على الرسول
الا البلاغ ويؤيد هذا قوله فتول عنهم وان كانت استفهامية فالمعنى واي شي تغني النذر اذا خالفوهم وكذبوهم
كقوله وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون اي انك اتيت بما عليك من الدعوى فكذبوا بها وانذرتهم بما
جرى على المكذبين قبلهم بعذابهم فهذه حكمة بالغة وما الذي تغني النذر غير هذا فلم يبق عليك شي اخر **قوله فتول** عنهم
اي اعرض عنهم قال اكثر المفسرين نسخها اية السيف قال ابن الخطيب قول المفسرين في قوله فتول منسوخ ليس
كذلك بل المراد منه لا تناظرهم بالكلام **قوله يوم يدعو الداع** يوم منصوب اما باذكر مضمرة وهو اقربها واليه ذهب
الرماني والزمخشري واما بيخرجون بعده واليه ذهب الزمخشري ايضا واما بقوله فما تغني ويكون قوله فتول عنهم
اعتراضا واما منصوبا بقوله يقول الكافرون وفيه بعد لبعده منه وقيل تم الكلام عند قوله فما تغني النذر ويبتدا
بقوله فتول عنهم يوم يدع الداع فيكون منصوبا بقوله فتول وهو ضعيف جدا لان المعنى ليس امره بالتولية عنهم
في يوم النفخ في الصور واما منصوب بحذف الخافض اي فتول عنهم الى يوم قاله الحسن وضعف من حيث اللفظ ومن حيث
المعنى اما اللفظ فلان اسقاط الخافض غير منقاس واما المعنى فليس توليه عنهم مغيا بذلك الزمان واما بانتظر
مضمرا فهذه سبعة اوجه في ناصب يوم وحذفت الواو من يدع خطا اتباعا للفظ كما تقدم في ويدع ويمح الله الباطل
ونحوه والياء من الداع مبالغة في التخفيف اجراء لال مجرى ما عاقبها وهو التنوين فكما يحذف الياء مع التنوين
كذلك مع ما عاقبها **فصل** والداعي معرف كالمنادي في قوله يوم ينادي المنادي لانه معلوم قد اخبر عنه فقيل
ان مناديا ينادي وداعيا يدعو فقيل الداعي اسرافيل ينفخ قائما على صخرة بيت المقدس قاله مقاتل وقيل جبريل
وقيل ملك موكل بذلك والتعريف حينئذ لا يفيد حد العلمية ويكون كقولنا جاء رجل فقال الرجل قاله ابن الخطيب
قوله الى شي نكر العامة على ضم الكاف وهو صفة على فعل وفعل في الصفات عزيز منه امر نكر وجنب وشلل وناقة اجد وروضة انف ومشية سجح وقرا ابن كثير بسكون الكاف فيحتمل ان يكون اصلا وان يكون مخففا من قراة الجماعة
وقد تقدم هذا محررا في البشر والعسر في سورة المائدة وسمي الشي الشديد نكرا لان النفوس تنكره وقال
مالك بن عوف اقدم محاج انه يوم نكر مثلي على مثلك يحمي ويكر وقرا زيد بن علي والجحدري وابو
قلابة نكر فعلا ماضيا مبنيا للمفعول لان نكر يتعدى قال تعالى نكرهم واوجس **فصل** المعنى الى شي منكر
فظيع لم ير مثله فينكرونه استعظاما قال ابن الخطيب وهو يحتمل وجهين احدهما ان المعنى الى شي نكر في
يومنا هذا لانهم انكروه اي يوم يدع الداع الى الشي الذي انكروه يخرجون الثاني ان المعنى منكرا اي يقول
القائل كان ينبغي ان لا يقع ولا يكون لان المنكر من شانه ان لا يوجد يقال فلان ينهى عن المنكر وعلى هذا فهو عندهم
كان ينبغي ان لا يقع لانه يردهم في الهاوية **فان قيل** ما ذلك الشي المنكر فاجيب بانه الحساب او الجمع له
او النشر للجمع **فان قيل** النشر لا يكون منكرا فانه احياء ولان الكافر من اين يعرف وقت النشر ما يجري عليه
لينكره **فالجواب** انه يعلم ذلك لقوله تعالى عنهم يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا **قوله خاشعا ابصارهم**
قرا ابو عمرو والاخوان خاشعا وباقي السبعة خشعا فالقراة الاولى جارية على اللغة الفصحى من حيث ان الفعل
وما جرى مجراه اذا قدم على الفاعل وحد تقول تخشع ابصارهم ولا تقول تخشعن ابصارهم وانشد
وشباب حسن اوجههم من اياد بن نزار بن معد وقال اخر
يرمي الفجاج بها الركبان معترضا اعناق بزلها مرخى لها الجدل واما الثانية
فجاءت على اللغة الطائية يقولون اكلوني البراغيث وقد تقدم القول على هذا في المائدة والانبياء ومثله قوله
بمطرد لدن صحاح كعوبه وذي رونق عضب يقد القوانسا قيل وجمع التكسير
في اللغة في مثل هذا اكثر من الافراد وقرا ابي وعبد الله خاشعة على تخشع هي وقال الزمخشري وخشعا
على يخشعن ابصارهم وهي لغة من يقول اكلوني البراغيث وهم طي قال ابو حيان ولا يجري جمع التكسير مجرى
جمع السلامة فيكون على تلك اللغة النادرة القليلة وكذا قال الفراء حين ذكر الافراد مذكرا ومؤنثا
وجمع التكسير قال لان الصفة متى تقدمت على الجماعة جاز فيها جميع ذلك والجمع موافق للفظها فكان اشبه

قال ابو حيان وانما يتخرج على تلك اللغة اذا كان الجمع جمع سلامة نحو مررت بقوم كريمين اباؤهم والزمخشري قاس جمع التكسير
على جمع السلامة وهو قياس فاسد يرده النقل عن العرب ان جمع التكسير اجود من الافراد كما ذكره سيبويه ودل عليه كلام
الفرا قال شهاب الدين وقد خرج الناس قول امرئ القيس
وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجمل
على ان صحبي فاعل بوقوفا وهو جمع واقف في احد القولين في وقوفا وفي انتصاب خاشعا وخشعا وخاشعة اوجه احدها انه مفعول به وناصبه يدع
الداع وهو في الحقيقة لموصوف محذوف تقديره فريقا خاشعا او فوجا خاشعا والثاني انه حال من فاعل يخرجون
المتاخر عنه ولما كان العامل متصرفا جاز تقدم الحال عليه وهو رد على الجرمي حيث زعم انه لا يجوز ورد عليه ايضا
بقول العرب شتى يؤوب الحلبة فشتى حال من الحلبة وقال الشاعر
سريعا يهون الصعب عند اولي النهى اذا برجاء صادق قابلوا الباسا الثالث انه حال من الضمير
في عنهم ولم يذكر مكي غيره الرابع انه حال من مفعول يدعو المحذوف تقديره يوم يدعوهم الداعي خشعا فالعامل
فيها يدعو قاله ابو البقا وارتفع ابصارهم على وجهين اظهرهما الفاعلية بالصفة قبله الثاني على البدل
من الضمير المستتر في خشعا لان التقدير خشعا هم وهذا انما ياتي على قراة خشعا فقط وقرئ خشع ابصارهم
على ان خشعا خبر مقدم وابصارهم مبتدا والجملة في محل نصب على الحال وفيه الخلاف المذكور من قبل كقوله
وجدته حاضراه الجود والكرم **فصل** قال ابن الخطيب لما حكي نصب خشعا قال انه منصوب
على انه مفعول بقوله يدعو اي يوم يدعو الداعي خشعا **فان قيل** هذا فاسد من وجوه احدها ان الخشع لا يدعى
فيه لان الداعي يدعو كل احد ثانيها قوله يخرجون من الاجداث بعد الدعا فيكون خشعا قبل الخروج وهو باطل
ثالثها قراة خاشعة تبطل هذا نقول اما الجواب عن الاول فان قوله الى شي نكر يدفع ذلك لان كل احد لا يدعى
الى شي نكر وعن الثاني المراد من الشي النكر الحساب العسير يعني يوم يدع الداع الى الحساب العسير خشعا
ولا يكون العامل في يوم يدع يخرجون بل اذكروا وفما تغن النذر كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين
ويكون يخرجون ابتدا كلام وعن الثالث انه لا منافاة بين القراتين وخاشعا نصب على الحال او على انه مفعول
يدعو كانه يقول يدع الداع قوما خاشعا ابصارهم والخشوع السكون كما قال تعالى وخشعت الاصوات
وخشوع الابصار سكونها على حال لا ينقلب يمنة ويسرة كقوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم وقيل خاشعة اي
ذليلة خاضعة عند رويته العذاب **قوله يخرجون** يجوز ان يكون حالا من الضمير في ابصارهم وان يكون
مستانفا **والاجداث** القبور وقد تقدم في يس وقوله **كانهم جراد** هذه الجملة يجوز ان تكون حالا من فاعل يخرجون
او مستانفة ومثلهم بالجراد المنتشر في الكثرة والتموج وقيل معنى منتشر اي منبث حيارى ونظيره قوله كالفراش المبثوث والمعنى انهم يخرجون فزعين لا جهة لاحد منهم يقصدها كالجراد لا جهة لها تكون مختلطة بعضها
في بعض وذكر المنتشر على لفظ الجراد قال ابن الخطيب ويحتمل ان يقال المنتشر مطاوع نشره اذا احياه قال تعالى
ثم اذا شاء انشره فكانهم جراد يتحرك من الارض ويدب اشارة الى كيفية خروجهم من الاجداث وضعفهم
قوله مهطعين حال ايضا من اسم كان او من فاعل يخرجون عند من يرى تعدد الحال قال ابو البقا ومهطعين
حال من الضمير في منتشر عند قوم وهو بعيد لان الضمير في منتشر للجراد وانما هو حال من فاعل يخرجون او من
الضمير المحذوف انتهى وهو اعتراض حسن على هذا القول والاهطاع الاسراع وانشد
بدجلة دارهم ولقد اراهم بدجلة مهطعين الى السماع وقيل الاسراع مع مد العنق
وقيل النظر قاله ابن عباس وانشدوا
تعبدني نمر بن سعد وقد ارى ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع وقد تقدم الكلام على هذه
المادة في سورة ابرهيم **يقول الكافرون** قال ابو البقا حال من الضمير في مهطعين وفيه نظر من حيث خلو
الجملة من رابط يربطها بذي الحال وقد يجاب بان الكافرون هم الضمير في المعنى فيكون من باب الربط بالاسم
الظاهر عند من يرى ذلك كانه قيل يقولون هذا وانما ابرز ليشنع عليهم بهذه الصفة القبيحة وقولهم
هذا يوم عسر اي صعب شديد **قوله كذبت قبلهم** مفعوله محذوف اي كذبت الرسل لانهم لما كذبوا نوحا
فقد كذبوا جميع الرسل ولا يجوز ان يكون المسالة من باب التنازع اذ لو كان منه لكان التقدير كذبت
قبلهم قوم نوح عبدنا فكذبوه ولو لفظ بهذا لكان تاكيدا اذ لم يفد غير الاول وشرط التنازع ان لا يكون
الثاني تاكيدا ولذلك منعوا ان يكون قوله اتاك اتاك اللاحقون احبس احبس من ذلك وفي
كلام الزمخشري ما يجوزه فانه اخرجه عن التاكيد فقال فان قلت ما معنى قوله فكذبوا بعد قوله كذبت
قلت معناه كذبوا فكذبوا عبدنا اي كذبوه تكذيبا عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن

مكذوب فهذا معنى حسن لا يسوغ معه التنازع **فصل** لما فرغ من حكاية كلام الكافر ومن ذكر علامات الساعة
اعاد ذكر بعض الانبيا فقال كذبت قوم نوح اى قبل اهل مكة • واعلم ان الحاق الضمير المونث بالفعل قبل ذكر الفاعل
جائز وحسن بالاتفاق والحاق ضمير الجمع بالفعل قبيح عند اكثرهم فلا يجوزون كذبوا القوم نوح ويجوزون كذبت فما
الفرق • قال ابن الخطيب لان التانيث قبل الجمع لان الانوثة والذكورة للفاعل امر لا يتبدل ولم يحصل الانوثة
للفاعل بسبب فعله بخلاف الجمع لان الجمع للفاعلين بسبب فعلهم **فان قيل** ما الفائدة في قوله تعالى فكذبوا عبدنا
بعد قوله كذبت • قال ابن الخطيب الجواب عنه من وجوه • الاول ان قوله كذبت قوم نوح اى بآياتنا فكذبوا
هولا عبدنا بآية الانشقاق فكذبوك • الثاني كذبت قوم نوح المرسلين وقالوا لم يبعث الله رسولا وكذبوهم في
التوحيد فكذبوا عبدنا كما كذبوا غيره وذلك لان قوم نوح كانوا مشركين يعبدون الاصنام ومن يعبد الاصنام
يكذب كل رسول وينكر الرسالة لانه يقول لا تعلق لله بالعالم السفلي وانما امره الى الكواكب فكان مذهبهم
التكذيب فكذبوك • الثالث ان قوله تعالى فكذبوا عبدنا للتصديق والرد عليهم تقديره كذبت قوم نوح فكان
تكذيبهم تكذيب عبدنا اى لم يكن تكذيبا بحق **فان قيل** لو قال فكذبوا رسولنا كان ادل على قبح فعلهم فما الفائدة
في اختيار لفظ العبد **فالجواب** ان قوله عبدنا ادل على صدقه وقبح تكذيبهم من قوله رسولنا لان العبد الموفق
واقل عجبا الكلام المستند من الرسول فيكون كقوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا
منه الوتين **قوله وقالوا مجنون** مجنون خبر ابتدا مضمر اى هو مجنون وهذا اشارة الى انه اتى بالآيات الدالة
على صدقه حيث راوا ما عجزوا عنه وقالوا مصاب الجن او زيادة بيان القبح صنيعهم حيث لم يقنعوا بتكذيبهم
بل قالوا مجنون اى يقول ما لا يقبله عاقل والكاذب العاقل يقول ما يظن به صدقه فيكون قولهم مجنون مبالغة
في التكذيب **قوله وازدجر** الدال في ازدجر بدل من تا الافتعال وهل هو من مقولهم اى قالوا انه ازدجر
اى ازدجرته الجن وذهب بلبه قاله مجاهد او هو من كلام الله تعالى اخبر عنه بانه انتهر وزجر بالسب والا
الاذى وقالوا لئن لم تنته لتكونن من المرجومين • قال ابن الخطيب وهذا اصح لان المقصود تقوية قلب
النبي صلى الله عليه وسلم بذكر من تقدمه وايضا رتب عليه قوله فدعا ربه وهذا الترتيب في غاية
الحسن لانهم لما زجروه وانزجر هو عن دعائهم دعا ربه اني مغلوب **قوله اني مغلوب** العامة على فتح الهمزة
اى دعاه باني مغلوب وجا هذا على حكاية المعنى ولو جا على حكاية اللفظ لقال اني مغلوب وهما جائزان وقرا
ابن ابي اسحق والاعمش ورويت عن عاصم بالكسر اما على اضمار القول اى فقال فتبدأ الدعا وهو مذهب
البصريين واما اجرا للدعا مجرى القول وهو مذهب الكوفيين **فصل** في معنى مغلوب وجوه • احدها
غلبني الكفار فانتصر لي منهم • ثانيها غلبتني نفسي وحملتني على الدعا عليهم فانتصر لي من نفسي قاله ابن عطية وهو
ضعيف • ثالثها ان يقال ان النبي لا يدعو على قومه ما دام في نفسه احتمال وحلم واحتمال نفسه يحتمل ما دام الامر
الايمان منهم محتملا ثم ان ياسه يحصل والاحتمال والحلم يفر الناس بدليل قوله لمحمد عليه السلام لعلك باخع
نفسك فلا تذهب نفسك عليهم حسرات • وقال لنوح عليه السلام ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
فقال نوح يا الهي ان نفسي غلبتني وقد امرتني بالدعا عليهم فاهلكهم فيكون معناه مغلوب بحكم البشرية اى غلب
وعيل صبري فانتصر لي منهم لا من نفسي • قال ابن الخطيب وهذا الوجه مركب من الوجهين وهو احسنها
وقوله فانتصر اى انتصر لي ولنفسك فانهم كفروا بك او انتصر للحق **قوله ففتحنا** تقدم الخلاف في ففتحنا في
الانعام والمراد من الفتح والابواب والسما حقيقة بيانه ان للسما ابوابا تفتح وتغلق • قال علي رضي الله
عنه هي المجرة وهي شرج السما ومنها فتحت بما منهمر • وقيل هذا على سبيل الاستعارة فان الظاهر ان
الما كان من السحاب فهو كقول القائل في المطر الوابل جرت ميازيب السما وفي قوله ففتحنا بيان بان الله
انتصر منهم وانتقم بما لا يحتملونه ومن العجائب انهم كانوا يطلبون المطر سنين فاهلكهم الله بمطلوبهم
قوله بما منهمر في الباء وجهان • اظهرهما انها للتعدية ويكون ذلك على المبالغة في انه جعل الما كالآلة
المفتتح بها كما تقول فتحت بالمفتاح • والثاني انها للحال اى فتحناها ملتبسة بهذا الما • والمنهمر الغزير
النازل بقوة وانسجام الغليظ • راح تمريه الصبا ثم انتحى • فيه شؤبوب جنوب منهمر
واستعير ذلك في قولهم همر الرجل في كلامه اذا اكثر الكلام واسرع وفلان يهامر الشي اى يجرفه
وهمر له من ماله اعطاه بكثرة والمنهمر المكثر قاله السدي قال الشاعر
اعيني جودا بالدموع الهوامر • على خير باد من معد وحاضر • قال المفسرون معنى
منهمر اى منصب انصبابا شديدا • قال ابن عباس بما منهمر من غير سحاب لم ينقطع اربعين يوما
وقيل ثمان **قوله وفجرنا الارض** قرا عبد الله وابو حيوة وعاصم في رواية وفجرنا خفيفا والباقون مثقلا

وقوله **عيونا** فيه اوجه • اظهرها انه تمييز اى فجرنا عيون الارض فنقله من المفعولية الى التمييز كما ينقل من الفاعلية ومنعه
بعضهم وتاول هذه الآية على ما سياتي وقوله وفجرنا الارض عيونا ابلغ من فجرنا عيون الارض لما ذكر في نظيره مرارا
الثاني انه منصوب على البدل من الارض ويضعف هذا خلوه من الضمير فانه بدل بعض من كل ويجاب عنه بانه
محذوف اى عيونا منها كقوله الاخدود النار فالنار بدل اشتمال ولا ضمير فهو مقدر • الثالث انه مفعول ثان لانه
ضمن فجرنا معنى صيرناها بالتفجير عيونا • الرابع انها حال وفيه تجوز ان حذف مضاف اى ذات عيون وكونها
حالا مقدرة لا مقارنة • قال ابن الخطيب قوله وفجرنا الارض عيونا فيه من البلاغة ما ليس في قول القائل وفجرنا
من الارض عيونا وقوله وفجرنا الارض عيونا ولم يقل ففتحنا السما ابوابا لان السما اعظم من الارض وهي للمبالغة
وقال ابواب السما ولم يقل انابيب السما ولا منافذ ولا مجاري • اما قوله تعالى فجرنا الارض عيونا فلا غنى عنه
لان قول القائل فجرنا من الارض عيونا يكون حقيقة لا مبالغة فيه ويكفي في صحة ذلك القول ان تحصل في الارض
عيون ثلاث ولا يصلح مع هذا في السما ومياهها **قوله فالتقى الما** لما كان المراد بالما الجنس صح ان يقال فالتقى الما
كانه قال فالتقى ما السما وما الارض وهذه قراءة العامة • وقرا الحسن والجحدري ومحمد بن كعب وتروى عن امير المؤمنين
ايضا الماان تثنية والهمزة سالمة • وقرا الحسن ايضا الماوان بقلبها واوا وهي لغة طي • قال الزمخشري كقولهم علباوان
يعني انه شبه الهمزة المنقلبة عن ها بهمزة الالحاق • وروي عنه ايضا المايان بقلبها يا وهي اشد مما قبلها
قوله قد قدر العامة على التخفيف • وقرا ابن مقسم وابو حيوة بالتشديد وهما لغتان قرئ بهما في قوله فقدر
فقدر عليه رزقه كما سياتي **فصل** قيل معنى امر قد قدر اى حال قدرها الله كما شا فقضى عليهم في ام الكتاب
وقال مقاتل قدر الله ان يكون الماان سوا فكانا على ما قدر • وقيل على مقدار ورد ذلك لان الناس اختلفوا فمنهم من قال
كان ما السما اكثر • ومنهم من قال ما الارض • ومنهم من قال كانا متساويين فقال على مقدار كان • قال ابن الخطيب
ويحتمل ان يقال التقى الما اى اجتمع على امر هلاكهم وهو كان مقدورا وفيه رد على المنجمين الذين يقولون ان
الطوفان كان بسبب اجتماع الكواكب السبعة في برج مائي والغرق لم يكن مقصودا بالذات وانما ذلك امر
لزم من الطوفان الواجب وقوعه فرد الله عليهم بانه لم يكن ذلك الا لامر قد قدر ويدل عليه ان الله تعالى
اوحى الى نوح بانهم مغرقون **قوله وحملناه على ذات الواح ودسر** اى سفينة ذات • قال الزمخشري وهي من
الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتودي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينه ونحوه
ولكن قميصي مسرودة من حديد • اراد ولكن قميصي درع وكذلك • ولو في عيون النازيات باكرع
اراد ولو في عيون الجراد الا ترى انك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة او بين الجراد والدرع وهاتين
الصفتين لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه • والدسر قيل المسامير جمع دسار نحو كتب في جمع كتاب وقال
الزمخشري جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه • وقال الراغب الواحد دسر
يعني فيكون مثل سقف وسقف • وقال البغوي واحدها دسار ودسير واصل الدسر الدفع الشديد يقهر
دسره بالرمح ومدسر مثل مطعن وروي في العنبر زكاة انما هو شي دسره البحر اى دفعه • وقيل هي الخيوط
التي تشد بها السفن • وقيل هي عوارض السفينة • وقيل اضلاعها • وقال الحسن الدسر صدر السفينة سميت
بذلك لانها تدسر الما بجوجوها اى تدفع • وقال الضحاك الدسر الواح جانبيها **قوله تجري باعيننا** اى بمرأى
منا • وقال مقاتل باعيننا اى بحفظنا فقوله باعيننا اى ملتبسة بحفظنا وهو في المعنى كقوله تعالى ولتصنع على عيني وقرا
زيد بن علي وابو السمال باعينا بالادغام • وقال سفيان معناه بامرنا **قوله جزا** منصوب على المفعول له ناصبه ففتحنا
وما بعده • وقيل منصوب على المصدر اما بفعل مقدر اى جازيناهم جزا واما على التجوز بان معنى الافعال المتقدمة
جازيناهم بها جزا **قوله لمن كان كفر** العامة على كفر مبنيا للمفعول والمراد بمن كفر نوح عليه السلام والباري
تعالى • وقرا مسلمة بن محارب كفر باسكان الفا كقوله • لو عصر منه المسك والبان انعصر • وقرا يزيد بن
رومان وعيسى وقتادة كفر مبنيا للفاعل والمراد بمن جحد قوم نوح وكفر خبر كان وفيه دليل على وقوع
خبر كان ماضيا من غير قد وبعضهم يقول لا بد من قد ظاهرة او مضمرة ويجوز ان تكون كان مزيدة **فصل**
المعنى فعلنا به وبهم من انجا نوح واغراق قومه ثوابا لمن كفر به وجحد امره وهو نوح عليه السلام وقيل
من بمعنى ما اى جزا لمن كان كفر من ايادي الله ونعمه عند الذين اغرقهم وجزا لما صنع بنوح واصحابه **قوله**
ولقد تركناها آية ضمير تركناها اما للقصة او الفعلة التي فعلناها آية يعتبر بها او هي السفينة وهو الظاهر
والمعنى تركناها اى ابقاها الله بباقردى من ارض الجزيرة آية اى عبرة حتى نظرت اليها اوائل هذه الامة
وكانت على الجودي • وقيل بارض الهند ومعنى تركناها اى جعلناها لانها بعد الفراغ منها صارت متروكة ومجعولة
قوله فهل من مدكر اصله مدتكر فابدلت التا دالا مهملة ثم ابدلت المعجمة مهملة لمقاربتها وقد تقدم

هذا في قوله واذكر بعد امة وقد قرئ مذكر بهذا الاصل وقرا قتادة فيما نقل عنه ابو الفضل مذكر بفتح الدال المخففة
وتشديد الكاف من ذكر بالتشديد اي ذكر نفسه او غيره بما مضى من قصص الاولين ونقل عنه ابن عطية
كالجماعة الا انه بالذال المعجمة وهو شاذ لان الاول يقلب للثاني لا الثاني للاول روى زهير عن ابن اسحاق انه
سمع رجلا يسال الاسود فهل من مذكر او من مذكر فقال سمعت عبد الله يقراوها فهل من مذكر قال وسمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقراوها فهل من مذكر دالا **فصل** وهذه الاية اشارة الى ان الامر من جانب
الرسل قد تم ولم يبق الا جانب المرسل اليهم بان يتفكروا او يتذكروا او هذا الكلام يصلح ان يكون حثا وان
يكون نحو بغا وزجرا وقال ابن الخطيب مذكر مفتعل من ذكر يذكر واصله مذتكر وقرا بعضهم بهذا الاصل
ومنهم من يقلب التاء دالا وفي قوله مذكر اشارة اما الى قوله الست بربكم قالوا بلى اي هل ممن يذكر تلك الحالة
واما الى وضوح الامر كانه جعل للكل ايات الله فنسوها فهل من متذكر يتذكر شيا منها **قوله فكيف كان**
عذابي ونذر كان الظاهر انها ناقصة فكيف خبر مقدم وقيل يجوز ان تكون تامة فيكون كيف في محل نصب
اما على الظرف واما على الحال كما تقدم تحقيقه في البقرة **فصل** وحذفت يا الاضافة من نذر كما حذفت
باليسرى من قوله تعالى والليل اذا يسر وذلك عند الوقف ومثله كثير كقوله فاياي فاعبدون ولا يفقدون
باعباد فاتقون ولا تكفرون وقرئ باثبات اليا في عذابي ونذري **قوله ولقد يسرنا القران** هيناه للذكر
من قولهم يسر فرسه اي هياه للركوب بالجامه قال
فقمت اليه بالجام ميسرا هنالك يجزيني الذي كنت اصنع وقيل سهلنا
القران ليذكر ويعتبر به وقال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراة وليس شي من كتب الله يقرا كله
ظاهرا الا القران وقوله **فهل من مذكر** متعظ بمواعظه **قوله كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر** قال
في قوم نوح كذبت قوم نوح ولم يقل في عاد كذبت قوم هود لان التعريف كلما امكن ان يوتى به على وجه
ابلغ فالاولى ان يوتى به والتعريف بالاسم العلم اقوى من التعريف بالاضافة لانك اذا قلت بيت الله
لا يفيد ما يفيد قولك الكعبة وكذلك اذا قلت رسول الله وقلت محمد فعاد اسم علم للقوم ولا يقال
قوم هود اعرف لوجهين احدهما ان الله تعالى وصف عادا بقوم هود في قوله بعدا لعاد قوم هود ولا
يوصف الاظهر بالاخفى والاخص بالاعم ثانيهما ان قوم هود ان اللفظ يقع على اقوام
وهذا قال تعالى عادا الاولى لانا نقول اما قوله تعالى لعاد قوم هود فليس ذلك صفة وانما هو بدل
ويجوز في البدل ان يكون دون المبدل في المعرفة ويجوز ان يبدل عن المعرفة بالنكرة واما عادا الاولى
فهو لبيان تقدمهم اي عاد الذين تقدموا وليس ذلك للتمييز والتعريف كما تقول محمد النبي شفيعي والله
الكريم ربي ورب الكعبة المشرفة لبيان الشرف لا لبيانها وتعريفها بالشرف كقولك دخلت الدار
المعمورة من الدارين وجاءني الرجل الزاهد من الرجلين فتبين المفعول بالوصف **قوله انا ارسلنا**
عليهم ريحا صرصرا الصرصر الشديدة الصوت من صرصر الباب او القلم اذا صوت وقيل الشديدة
البرد من الصر وهو البرد وهو كله اصول عند الجمهور وقال مكي اصله صرصر من صر الشي اذا صوت
لكن ابدلوا من الرا المشددة صادا وهذا قول الكوفيين ومثله كبكب وكفكف وتقدم هذا في فصلت
وغيرها وقال ابن الخطيب الصرصر الدايمة الهبوب من اصر على الشي اذا دام وثبت **فصل** يوم نحس
مستمر شديد دايم الشوم استمر عليهم بنحوسه ولم يبق منهم احد الا اهلكه قيل كان ذلك في يوم الاربعا
في اخر الشهر واعلم انه تعالى قال ههنا انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا وقال في الذاريات اذ ارسلنا عليهم الريح
العقيم فعرف الريح هناك ونكرها ههنا لان العقيم في الريح اظهر من البرد الذي يضرب النبات
او الشدة التي تعصف الاشجار لان الريح العقيم هي التي لا تنشي سحابا ولا تلقح شجرا وهي كثيرة الوقوع
واما الريح المهلكة الباردة فقل ما توجد فقال الريح العقيم اي هذا الجنس المعروف ثم زاده بيانا
بقوله ما تذر من شي اتت عليه الا جعلته كالرميم فتميزت عن الريح العقيم واما الصرصر فقليلة
الوقوع فلا تكن مشهورة فنكرها **قوله في يوم نحس** العامة على اضافة يوم الى نحس بسكون الحاء وفيه وجهان
احدهما انه من اضافة الموصوف الى صفته والثاني وهو قول البصريين انه صفة لموصوف محذوف
اي يوم عذاب نحس وقرا الحسن بتنوينه ووصفه بنحس ولم يقيده الزمخشري بكسر الحاء وقيده ابو
حيان وقد قرئ قوله تعالى في ايام نحسات بسكون الحاء وكسرها وتنوين ايام عند الجميع كما تقدم تقريره
ومستمر صفة ليوم او نحس ومعناه كما تقدم اي عليهم حتى اهلكهم او من المرارة **قوله تنزع الناس** في
موضع نصب اما نعتا لريحا واما حالا منها لتخصصها بالصفة ويجوز ان تكون مستانفة وقال الناس ليعم

ذكرهم واثنانهم فاوقع الظاهر موقع المضمر لذلك والا فالاصل تنزعهم **فصل** قال تعالى هنا في يوم نحس مستمر
وقال في السجدة في ايام نحسات وقال في الحاقة سبع ليال وثمانية ايام حسوما والمراد من اليوم هنا الوقت
والزمان كما في قوله يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث وقوله **مستمر** يفيد ما تفيد الايام لان الاستمرار
ينبي عن امتداد الزمان كما ينبي عنه الايام والحكاية هنا مذكورة على سبيل الاختصار فذكر الزمان ولم يذكر
مقداره على سبيل الايجاز **قوله كانهم اعجاز** حال من الناس مقدرة و**منقعر** صفة لنخل باعتبار الجنس ولو انث
لاعتبر معنى الجماعة كقوله نخل خاوية وقد تقدم تحقيق اللغتين فيه وانما ذكر هنا وانث في الحاقة مراعاة
للفواصل في الموضعين وقرا ابو نهيك اعجز على وزن افعل نحو ضبع واضبع وقيل الكاف في موضع نصب بفعل
مقدر تقديره تتركهم كانهم والكل اقرب والاعجاز جمع عجز وهو موخر الشي ومنه العجز لانه يودي الى تاخر الامور
والمنقعر المنقلع من اصله قعرت النخلة قلعتها من اصلها فانقعرت وقعرت البير وصلت الى قعرها وقعرت
الاناء شربت ما فيه حتى وصلت الى قعره واقعرت البير اي جعلت لها قعرا **فصل** تنزع الناس تقلعهم ثم ترمي بهم
على روسهم فتدق رقابهم وروي انها كانت تنزع الناس من قبورهم كانهم اعجاز نخل قال ابن عباس اصولها وقال
الضحاك اوراك نخل منقعر منقلع من مكانه ساقط على الارض وقال اعجاز النخل وهي اصولها التي قلعت فروعها
لان الريح كانت تبين روسهم من اجسادهم فتبقى اجسادهم بلا روس قال ابن الخطيب تنزعهم نزعا بعنف
كانهم اعجاز نخل تقعرهم فينقعرون وهذا اشارة الى قوتهم وثباتهم على الارض ويكون ذلك اشارة الى عظم
اجسادهم او الى ثباتهم في الارض فكانهم كانوا يجعلون ارجلهم في الارض ويقصدون المنع به على الريح او يكون
اشارة الى يبسهم وجفافهم بالريح فكانت تقتلهم وتحرقهم ببردها المفرط فيقعون كانهم اخشاب يابسة
فصل قال المفسرون ذكر النخل هنا وقال منقعر والنخل في الحاقة وقال اعجاز نخل خاوية لاجل الفواصل
كقوله مستمر ومنهمر ومنتشر وقيل ان النخل لفظه لفظ الواحد ومعناه الجمع فيقال نخل منقعر ومنقعرة
ومنقعرات ونخل خاو وخاوية وخاويات ونخل باسق وباسقة وباسقات فاذا قيل منقعر وخاو او باسق
فبالنظر الى اللفظ واذا قيل منقعرة او خاوية او باسقات فلاجل المعنى قال ابن الخطيب ذكر الله لفظ
النخل في مواضع ثلاثة ووصفها على الاوجه الثلاثة فقال والنخل باسقات وذلك حال عليها وهي كالوصف وقال
نخل خاوية وقال نخل منقعر حيث قال منقعر كان المختار ذلك لان المنقعر في حقيقة الامر كالمفعول لانه ورد
عليه القعر فهو مفعول والخاوي والباسق فاعل واخلا المفعول عن علامة التانيث اولى تقول امراة قتيل
واما الباسقات فهي فاعلات حقيقة لان البسوق امر قام بها واما الخاوية فهي من باب حسن الوجه
لان الخاوي موضعها فكانه قال نخل خاوية المواضع وهذا غاية الاعجاز حيث اتى بلفظ مناسب الالفاظ
السابقة واللاحقة من حيث اللفظ **قوله فكيف كان عذابي ونذر** قال اكثر المفسرين ان النذر ههنا
جمع نذير الذي هو مصدر بمعنى الانذار فما الحكمة في توحيد العذاب حيث لم يقل فكيف كان انواع عذابي وقال
انذاري قال ابن الخطيب هذا اشارة الى غلبة الرحمة لان الانذار اشفاق ورحمة فقال الانذارات
التي هي نعم ورحمة تواترت فلما لم تنفع وقع العذاب دفعة واحدة فكانت النعم كثيرة والنقم واحدة
قوله كذبت ثمود بالنذر اعلم انه تعالى لم يقل في قوم نوح كذبت قوم نوح بالنذر وذلك في قصة عاد
لان المراد بقوله كذبت قبلهم قوم نوح ان عادتهم انكار الرسل وتكذيبهم فكذبوا نوحا بنا على مذهبهم
وعادتهم وانما صرح ههنا لان كل قوم ياتون بعد قوم فالمكذب المتاخر يكذب المرسلين جميعا حقيقة
والاول يكذب رسولا واحدا حقيقة ويلزمه تكذيب من بعده تبعا ولهذا المعنى قال في قوم نوح
كذبت قوم نوح المرسلين وقال في عاد وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله فذكر بلفظ الجمع
ثم انه تعالى قال عن نوح رب انصرني بما كذبون ولم يقل كذبوا رسلك اشارة الى ما صدر منهم حقيقة لا الى
ما لزم منه وقوله تعالى كذبت ثمود بالنذر ان قلنا ان النذر هم الرسل فهو كما تقدم وان قلنا ان النذر
هم الانذارات فنقول قوم نوح وعاد لم تستمر المعجزات التي ظهرت في زمانهم واما ثمود فانذروا
واخرج لهم ناقة من صخرة وكانت تدور بينهم وكذبوا فكان تكذيبهم بالانذارات وايات ظاهرة فصرح
بها **قوله ابشرا** منصوب على الاشتغال وهو الراجح لتقدم اداة هي بالفعل اولى و**منا** نعت له و**واحدا** فيه
وجهان اظهرهما انه نعت لبشرا الا انه يشكل عليه تقديم الصفة المووّلة على الصريحة ويجاب بان منا
حينيذ ليس وصفا بل حال من واحد قدم عليه والثاني انه نصب على الحال من ها نتبعه وهو يتخلص من الاعراب
المتقدم الا ان المرجح لكونه صفة قراتهما مرفوعين ابشر منا واحد نتبعه على ما سياتي فهذا يرجح كون واحدا
نعتا لبشر لا حالا وقرا ابو السمال فيما نقل الهذلي والداني برفعهما على الابتدا وواحد صفته ونتبعه خبره

وقرأ أبو السمال أيضاً فيما نقل ابن عطية برفع بشر ونصب واحداً وفيه أوجه أحدها أن يكون بشر مبتدأ وخبره مضمر تقديره أبشر منا يبعث إلينا أو يرسل وأما انتصاب واحداً ففيه وجهان أحدهما أنه حال من الضمير المستتر في منا لأنه وقع نعتاً والثاني أنه حال من هاء نتبعه وهذا كله تخريج أبي الفضل الرازي الثاني أنه مرفوع بالابتداء أيضاً والخبر نتبعه وواحداً حال على الوجهين المذكورين من انتفاء الثالث أنه مرفوع بفعل مضمر مبني للمفعول تقديره أينبأ بشر ومنا نعته وواحداً حال أيضاً على الوجهين المذكورين من انتفاء وإليه ذهب ابن عطية **فصل** قال ابن الخطيب والحكمة في تأخير الفعل في الظاهر أن البليغ يقدم في الكلام ما يكون تعلق ضرره به أكثر والقوم كانوا يريدون بيان كونهم محقين في ترك الاتباع فلو قالوا أنتبع بشراً أمكن أن يقال نعم اتبعوه وماذا يمنعكم من اتباعه فإذا قدموا حاله وقالوا هو من نوعنا بشر من صنفنا رجل ليس غريباً نعتقد فيه أنه يعلم ما لا نعلم أو يقدر ما لا نقدر وهو واحد وليس له جند ولا حشم ولا خدم ولا خيل وهو وحيد ونحن جماعة فكيف نتبعه فيكونون قدموا الموجب لجواز الامتناع عن اتباعه وفي الآية إشارات إلى ذلك منها تنكيره حيث قالوا أبشراً ولم يقولوا أرجلاً ومنها قولهم منا وهو يحتمل أمرين أحدهما من صنفنا ليس غريباً والثاني منا أي تبعنا لأن من للتبعيض والبعض يتبع الكل لا الكل يتبع البعض ومنها قولهم واحداً أي هو من آحاد الناس أي هو ممن ليس مشهوراً بحسب ولا نسب إذ الآحاد لا يعرف ولا يمكن أن يقال عنه قال فلان بل يقال قال واحد وذلك غاية الخمول ولأن الأرذل لا ينضم إليه أحد **قوله إنا إذاً لفي ضلال** خطأ وذهاب عن الصواب **وسعر** يجوز أن يكون مفرداً أي جنون يقال ناقة مسعورة أي كالمجنونة في سيرها قال

كأن بها سعراً إذا العيس هزها ... ذميل وإرخاء من السير متعب

وأن يكون جمع سعير وهو النار والاحتمالان منقولان قال ابن عباس معنى سعر عذاب وقال الحسن شدة عذاب وقال قتادة عناء والمعنى إنا إذاً لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقال وهب معناه بعد عن الحق **قوله أألقي الذكر عليه من بيننا** معناه أأنزل عليه الذكر وهو الوحي من بيننا حال من هاء عليه أي ألقي عليه منفرداً من بيننا **قوله بل هو كذاب أشر** الأشر البطر يقال أشر يأشر أشراً فهو أشر كفرح وآشر كضارب وأشران كسكران وأشارى كسكارى وقرأ أبو قلابة بل هو الكذاب الأشر من الكذاب الأشر بفتح الشين وتشديد الراء جعلهما أفعل تفضيل وهو شاذ لأنه لم يحذف الهمزة من لفظ الخير والشر في أفعل التفضيل تقول زيد خير من عمرو وشر من بكر ولا تقول أخير ولا أشر إلا في ندور كهذه القراءة وكقول رؤبة

بلال خير الناس وابن الأخير

ويثبت فيهما في التعجب نحو ما أخيره وما أشره ولا يحذف إلا في ندور عكس أفعل التفضيل قالوا ما خير اللبن للصحيح وما شره للمبطون وهذا من محاسن الصناعة وقرأ أبو قيس الأزدي ومجاهد الحرف الثاني الأشر بثلاث ضمات وتخريجها على أن فيه لغة أشر بضم الشين كحذر وحذر ثم ضمت الهمزة اتباعاً لضم الشين ونقل الكسائي عن مجاهد ضم الشين وفتح الهمزة على أصل ثبت اللغة كحذر **فصل** الأشر المتجبر والأشر النشاط يقال فرس أشر إذا كان مرحاً نشيطاً قال امرؤ القيس يصف كلباً

فأدركنا فغم داجن ... سميع بصير طلوب نكر

ألص الضروس حني الضلوع ... تبوع أريب نشيط أشر

قيل إنه المتعدي إلى منزلة لا يستحقها وقال ابن زيد وعبد الرحمن ابن حماد الأشر الذي لا يبالي ما قال وعلى قراءة أبي قلابة بفتح الشين وتشديد الراء فالمعنى أشرنا وأخبثنا **قوله سيعلمون** قرأ ابن عامر وحمزة بالخطاب وفيه وجهان أحدهما أنه حكاية قول صالح لقومه والثاني أنه خطاب الله على جهة الالتفات والباقون بياء الغيبة جرياً على الغيب قبله في قوله فقالوا أبشراً واختارها مكي قال لأن عليها الأكثر **وغداً** ليس المراد به الذي يلي يومك بل الزمان المستقبل كقول الطرماح

ألا عللاني قبل نوح النوائح ... وقبل اضطراب النفس بين الجوانح

وقبل غد يا لهف نفسي على غد ... إذا راح أصحابي ولست برائح

والمعنى سيعلمون غداً حين ينزل بهم العذاب قال الكلبي يعني يوم القيامة وذكر الغد للتقريب على عادة الناس يقولون إن مع اليوم غداً **فصل** الكذاب فعال صيغة مبالغة لأن المنسوب إلى الشيء لا بد له من أن يكثر من مزاولة الشيء فإن من خاط يوماً لا يقال له خياط فالمبالغة ههنا إما في الكثرة بأن يكون كثير الكذب وإما في الشدة أي شديد الكذب يقول ما لا يقبله العقل ويحتمل أن يكونوا وصفوه بذلك لاعتقادهم الأمرين جميعاً وقولهم أشر إشارة إلى أنه كذب لا لضرورة وحاجة وإنما هو استغنى فبطر وطلب الرياسة **قوله إنا مرسلوا الناقة** أي مخرجوها من الهضبة التي سألوا وأتى باسم الفاعل والإضافة مبالغة في حقيقته كأنه وقع **قوله فتنة** مفعول له أو مصدر من معنى الأول أو في موضع الحال روي أنهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء فقال الله إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم محنة واختباراً كقوله فتنة

مفعول له لأن المعجزة فتنة لأن بها يتميز المثاب من المعذب فالمعجزة تصديق وحينئذ يفترق المصدق من المكذب أو يقال إخراج الناقة من الصخرة معجزة ويدور بها بينهم وقسمة الماء كان فتنة ولهذا قال إنا مرسلوا ولم يقل إنا مخرجوا **قوله فارتقبهم** أي انتظرهم ما يصنعون واصطبر أي اصبر على أذاهم وأصل الطاء في اصطبر تاء تحولت طاء لتكون موافقة للصاد في الإطباق **قوله ونبئهم** أي أخبرهم أن **الماء قسمة بينهم** أي بين آل ثمود وبين الناقة لها يوم ولهم يوم كقوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فالضمير في بينهم لقوم صالح والناقة فغلب العاقل وقرأ العامة قسمة بكسر القاف وروي عن أبي عمرو فتحها وهو قياس المرة **قوله كل شرب محتضر** أي يحضره من هو له فالناقة تحضر الماء يوم ورودها وتغيب عنهم يوم ورودهم قاله مقاتل وقال مجاهد إن ثمود يحضرون الماء يوم غبها فيشربون ويحضرون اللبن يوم وردها فيحتلبون واعلم أن قسمة الماء إما لأن الناقة عظيمة الخلق تنفر منها حيواناتهم فكان يوم للناقة ويوم لهم وإما لقلة الماء فلا يحملهم وإما لأن الماء كان مقسوماً بينهم لكل فريق يوم فيوم ورود الناقة على قوم يرجعون على الآخرين وكذلك الآخرون فيكون النقصان على الكل ولا تختص الناقة بجميع الماء وروي أنهم كانوا يكتفون في يوم ورودها بلبنها وليس في الآية إلا القسمة دون كيفيتها وظاهر قوله كل شرب محتضر يعضد الوجه الثالث **قوله فنادوا صاحبهم** قبله محذوف أي فتمادوا على ذلك ثم ملوه فعزموا على عقرها فنادوا صاحبهم وتعاطى مطاوع عاطى كأنهم كانوا يتدافعون ذلك حتى تولاه أشقاها والمعنى فنادوا صاحبهم بذا المستغيث وهو قدار بن سالف وكان أشجعهم وقيل كان رئيسهم **فتعاطى** أي آلة العقر أو الناقة أو هو عبارة عن الإقدام على الفعل العظيم وتحقيقه أن الفعل العظيم يتبرأ منه كل أحد ويعطيه صاحبه أو جعلوا له جعلاً فتعاطاه قال محمد بن إسحاق كمن لها في أصل شجرة على طريقها فرماها فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة ثم نحرها قال ابن عباس كان الذي عقرها أحمر أزرق أشقر أكشف أفحج يقال له قدار بن سالف والعرب تسمي الجزار قداراً تشبيهاً بقدار بن سالف مشؤوم آل ثمود قال مهلهل

إنا لنضرب بالسيوف رؤوسهم ... ضرب القدار نقيعة القدام

قوله إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة يريد صيحة جبريل كما تقدم **فكانوا كهشيم المحتظر** العامة على كسر الظاء اسم فاعل وهو الذي يتخذ حظيرة من حطب وغيره وقرأ أبو السمال وأبو حيوة وأبو رجاء وعمرو بن عبيد بفتحها فقيل هو مصدر أي كهشيم الاحتظار وقيل هو اسم مكان وقيل هو اسم مفعول وهو الهشيم نفسه ويكون من باب إضافة الموصوف لصفته كمسجد الجامع والحظر المنع وقد تقدم تحريره في سبحان **فصل** كان في قوله فكانوا قيل بمعنى صاروا كقوله فكانت هباء منبثاً أي صارت والهشيم المهشوم المكسور ومنه سمي هاشم لهشمه الثريد في الجفان غير أن الهشيم يستعمل كثيراً في الحطب المتكسر اليابس قال المفسرون كانوا كالحطب المتكسر الذي يخرج من الحظائر بدليل قوله هشيماً تذروه الرياح وهو من باب إقامة الصفة مقام الموصوف وتشبيههم بالهشيم إما لكونهم يابسين كالموتى الذين ماتوا من زمان أو لانضمام بعضهم إلى بعض كما يجمع الحاطب الحطب يصفه شيئاً فوق شيء منتظراً حضور من يشتري منه ويحتمل أن يكون ذلك لبيان كونهم في الجحيم أي كانوا كالحطب اليابس الذي للوقيد كقوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله فكانوا لجهنم حطباً **فصل** بقي في الآية مباحث منها قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر اعلم أن هذه الآية ذكرت في ثلاثة مواضع ذكر في حكاية نوح بعد بيان العذاب وذكرها ههنا قبل بيان العذاب وذكرها في حكاية عاد قبل بيانه وبعد بيانه حيث ذكر قبل بيان العذاب فللبيان كقول القائل لغيره العارف هل تعلم كيف كان أمر فلان وغرضه أن يقول أخبرني عنه وحيث ذكرها بعد بيان العذاب ذكرها للتعظيم كقول القائل ضرب فلان أي ضرب وأيما ضرب ويقول ضربته وكيف ضربته أي قوياً وفي حكاية عاد ذكرها مرتين للبيان والاستفهام ومنها أن في حكاية نوح ذكر الذي للتعظيم وفي حكاية ثمود ذكر الذي للبيان لأن عذاب قوم نوح كان بأمر عظيم عام وهو الطوفان الذي عم العالم ولا كذلك عذاب قوم هود فإنه كان مختصاً بهم **فصل** اعلم أن الله تعالى ذكر في هذه السورة خمس قصص وجعل القصة المتوسطة مذكورة على أتم وجه لأن حال صالح كان أكثر مشابهة بحال محمد عليهما السلام لأنه أتى بأمر عجيب أرضي فكان أعجب مما جاء به الأنبياء لأن عيسى عليه السلام أحيى الميت لكن الميت كان محلاً للحياة فقامت الحياة بإذن الله في محل كان قابلاً لها وموسى عليه السلام انقلبت عصاه ثعباناً فأثبت الله له في الخشب الحياة بإذن الله لكن الخشبة نبات كان له قوة في النمو فأشبه الحيوان في النمو وصالح عليه السلام كان الظاهر في يده خروج الناقة من الحجر والحجر جماد ليس محلاً للحياة ولا محلاً للنمو والنبي عليه السلام أتى بأعجب من الكل وهو التصرف في الجرم السماوي الذي يقول المشرك لا وصول لأحد إلى السماء وأما الأرضيات فقالوا إنها أجسام مشتركة المواد يقبل كل واحد منها صورة الأخرى والسماويات لا تقبل ذلك فلما أتى بما عجزوا عنه بأنه لا يقدر على مثله آدمي كان أتم وأبلغ من معجزة صالح عليه السلام أي من أتم من معجزة سائر الأنبياء غير محمد عليه السلام **فصل** من قرأ المحتظر بفتح الظاء أراد صاحب الحظيرة ونقل القرطبي عن صاحب الحجاج قال من كسر جعله الفاعل ومن فتح جعله المفعول ويقال للرجل القليل الخير إنه لنكد الحظيرة

قال ابو عبيدة اراد سمي اموالهم حظيرة لانه يحظرها عنده ومنعها وهي فعيلة بمعنى مفعولة • وقال المهدوي من فتح الظاء من
المحتظر فهو مصدر • والمعنى كهشيم الاحتظار • ويجوز ان يكون المحتظر هو الشجر المتخذ منه الحظيرة • قال ابن عباس المحتظر
هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك فما سقط من ذلك وداسته الغنم فهو الهشيم قال •
ازل عجاجة كدخان نار • تشب بغرقد بال هشيم • ومنه المحتظر تاكله الغنم وعنه ايضا
كالعظام النخرة المحترقة وهو قول قتادة • وقال سعيد بن جبير هو التراب المتناثر من الحيطان في يوم ريح • وقال
سفيان الثوري هو ما تناثر من الحظيرة اذا ضربتها بالعصا وهو فعيل بمعنى مفعول • وقال ابن زيد العرب تسمي
كل شيء كان رطبا فيبس هشيما • والحظر المنع والمحتظر المفتعل يقال منه احتظر على ابله وحظر اي جمع الشجر بعضه
على بعض ليمنع برد الريح والسباع عن ابله قال الشاعر •
ترى جيف المطي بجانبيه • كان عظامها خشب الهشيم • وعن ابن عباس ايضا انهم كانوا مثل
القمح الذي ديس وهشيم فتات السنبلة والتبن • روى ابو الزبير عن جابر قال لما نزلنا الحجر في مغزى رسول الله
صلى الله عليه وسلم تبوك قال ايها الناس لا تسألوا في الايات هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم ان يبعث لهم ناقة
فبعث الله عز وجل اليهم الناقة وكانت ترد من ذلك الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها ويحلبون منها مثل الذي
كانوا يشربون منها يوم غبها • قوله كذبت قوم لوط بالنذر • اخبر عن قوم لوط ايضا لما كذبوا لوطا ثم قال انا ارسلنا
عليهم حاصبا • والحاصب فاعل من حصب اذا رمى بالحصباء وهي الحجارة • قال النضر بن شميل الحاصب الحصباء وكذلك
الحصبة قال لبيد • جرت عليها ان خوت من اهلها • اذيالها كل عصوف حصبه • عصفت الريح اي اشتدت
فهي ريح عاصف وعصوف • وقال الفرزدق • مستقبلين شمال الشام تضربنا •
بحاصب كنديف القطن منثور • قوله الا آل لوط فيه وجهان • احدهما انه متصل فيكون المعنى
انه ارسل الحاصب على الجميع الا اهله فانه لم يرسل عليهم • والثاني انه منقطع قال شهاب الدين ولا ادري ما
وجه القول بالانقطاع وعلامة عبارة عن عدم دخول المستثنى في المستثنى منه وهذا داخل ليس الا • وقال ابو البقاء هو استثناء
منقطع • وقيل متصل لان الجميع ارسل عليهم الحاصب فهلكوا الا آل لوط وعلى الوجه الاول يكون الحاصب لم يرسل على آل
لوط انتهى وهو كلام مشكل • فصل قال ابن الخطيب الحاصب رامي الحصباء وهي الحجارة كقوله وامطرنا عليهم حجارة من
سجيل وقول الملائكة لنرسل عليهم حجارة من طين مع ان المرسل عليهم ليس بحاصب فيحتمل ان يكون المعنى لنرسل عليهم ريحا
حاصبا بالحجارة • ويجوز تذكير الريح لان تانيثها غير حقيقي • ويحتمل ان يكون المراد عذاب حاصب او لان ارسلنا يدل
على مرسل وهو مرسل الحجارة وحاصبها وافرد للجنس • وقوله انا ارسلنا كانه جواب من قال كيف كان امرهم والاستثناء
في قوله الا آل لوط من الضمير في عليهم وهو يعود على قوم لوط فيقتضي ان آله كذبوا لكن قد يكون اهله قليلا فخرجهم
ظاهر اللفظ فبين بالاستثناء خروجهم لان المقصود بيان من هلك ومن نجا ويكون الاستثناء من كلام مدلول عليه
اي فما نجا من الحاصب الا آل لوط ويكون الارسال عليهم والاهلاك عاما فكان الحاصب اهلك من كان الارسال
عليه مقصودا وغيرهم كالاطفال والدواب • والمراد بآل لوط من تبعه على دينه ولم يكن الا ابنتاه • قوله
نجيناهم بسحر تفسير وجواب لقايل يقول فما كان من شان آل لوط كقوله تعالى ابى بعد قوله الا ابليس وقد تقدم في
البقرة قوله بسحر الباء حالية او ظرفية وانصرف سحر لانه نكرة ولو قصد به وقت بعينه لمنع الصرف للتعريف
والعدل عن ال وهذا هو المشهور وزعم صدر الافاضل انه مبني على الفتح كامس مبنيا على الكسر • نعمة اما مفعول
له واما مصدر بفعل من لفظها او من معنى نجيناهم لان تنجيتهم انعام فالتاويل اما في العامل واما في المصدر •
ومن عندنا اما متعلق بنعمة واما بمحذوف صفة لها والكاف في كذلك نعت مصدر محذوف اي مثل ذلك
الجزاء نجزي • فصل قال الاخفش انما جر سحر لانه نكرة ولو اراد سحر يوم بعينه لم يجره وكذا قال الزجاج سحرا
اذا كان نكرة يراد به سحر من الاسحار يصرف تقول اتيته سحرا فاذا اردت سحر يومك قلت اتيته سحر • والسحر هو ما بين آخر الليل
وطلوع الفجر وهو في كلام العرب اختلاط سواد الليل ببياض النهار لان في هذا الوقت يكون مخايل الليل ومخايل
النهار • نعمة من عندنا انعاما منا على لوط وابنتيه • كذلك نجزي من شكر • اي كما جزينا لوطا واهله بالانجاء فكذلك
نجزي من شكر اي امن بالله واطاعه • قوله ولقد انذرهم بطشتنا • البطشة هي العذاب الذي اصابهم
او هي عذاب الاخرة لقوله يوم نبطش البطشة الكبرى • وقوله فتماروا بالنذر • اي فشكوا فيما انذرهم
به الرسول ولم يصدقوه وهو تفاعلوا من المرية وهذه الاية تدل على ان المراد بالنذر الانذارات •
قوله ولقد راودوه عن ضيفه • المراودة من الرود ومنه الارادة وهي المطالبة تستعمل في العين
يقال طالب زيد عمرا بالدراهم • والمراودة لا تستعمل الا في العمل فيقال راوده عن المساعدة ولهذا تعدى
المراودة الى مفعول ثان والمطالبة بالباء وذلك لان الشغل منوط باختيار الفاعل والعين قد توجد من غير

اخبارا منه ولهذا يفترق الحال بين قولك اخبرني عن امر زيد واخبرني بامر زيد • وكذا قوله اخبرني زيد عن مجيء فلان
وقوله اخبرني بمجيئه فالاول عن مجيئه ربما يكون الاخبار عن كيفية المجيء لا عن نفسه واخبرني بمجيئه لا يكون الا
عن نفس المجيء • والضيف يقع على الواحد وعلى الجماعة • والمعنى ارادوا منه تمكينهم ممن اتاه من الملائكة • قوله
فطمسنا اعينهم قرا العامة فطمسنا مخففا وابن مقسم مشددا على التكثير لاجل المفعول او لتكرر الفعل في نفسه
والضمير في راودوه عائد على قوم لوط واسند اليهم لان جميعهم راض بذلك والمراد الذين دخلوا عليه • روي
ان جبريل عليه السلام ضربهم بجناحه فعموا • وقيل صارت اعينهم كسائر الوجه لا يرى لها شق كما تطمس الريح الاثر
والاعلام بما تسفي عليها من التراب • وقال الضحاك بل اعماهم الله تعالى فلم يروا الرسل فقالوا قد رايناهم حين
دخلوا البيت فاين ذهبوا فرجعوا ولم يروهم وهذا قول ابن عباس • فان قيل قال ههنا فطمسنا اعينهم وقال
في يس ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فما الفرق • فالجواب • هذا يؤيد قول ابن عباس ان المراد من الطمس الحجب
عن الادراك فلم يجعل على بصرهم شيء • وفي يس اراد انه لو شاء لجعل على بصرهم غشاوة او الزق احد الجفنين بالاخر
فيكون العين جلدة • وروي انهم صارت اعينهم مع وجوههم كالصحيفة الواحدة • قوله فذوقوا عذابي ونذر
الخطاب لهم اي قلنا على لسان الملائكة ذوقوا او هو خطاب مع كل مكذب اي ان كنتم تكذبون فذوقوا • قال
القرطبي والمراد من هذا الامر الخبر اي فاذقتهم عذابي الذي انذرهم به لوط • فان قيل النذر كيف يذاق • فالجواب
معناه ذوقوا جزاء فعلكم وموجبه • فان قيل اذا كان المراد بقوله عذابي هو العذاب العاجل وبقوله ونذر هو العذاب
الاجل فهما لم يكونا في زمان واحد فكيف قال ذوقوا • فالجواب ان العذاب الاجل اوله متصل باخر العذاب العاجل
فهما كالواقع في زمان واحد وهو كقوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا • قوله ولقد صبحهم بكرة • انصرف بكرة لانه نكرة
ولو قصد به وقت بعينه امتنع الصرف للتانيث والتعريف وهذا كما تقدم في غدوة وسمعها زيد بن علي الصرف
ذهب بها الى وقت بعينه • قال صاحب المختصر انتصب بكرة على الظرف اي بكرة من البكر كقوله اسرى بعبده ليلا ومعنى
صبحهم قال لهم عموا صباحا كقوله فبشرهم بعذاب اليم • والمراد بقوله بكرة اول الازمنة الصبح او تنتصب بكرة على المصدر
كقولك ضربته سوطا لان الضرب يكون بالسوط وغيره وكذلك الصبح يكون بكرة وبعدها • ومعنى مستقر اي ثابت
عليهم لا يدفعه احد عنهم او دائم لانهم انتقلوا منه الى عذاب الجحيم وهو دائم او بمعنى قدره الله عليهم وقضاه
ولم يصبهم بطريق الاتفاق وذلك العذاب قلب قريتهم عليهم وجعل اعلاها اسفلها • وقوله فذوقوا عذابي
ونذر اي العذاب الذي نزل بهم من طمس الاعين غير العذاب الذي اهلكوا به فلذلك حسن التكرير • قوله
ولقد جاء آل فرعون النذر • المراد بالآل خواصه • والنذر موسى وهارون وقد يطلق لفظ الآل على الاتباع وقيل
المراد بآل فرعون القبط • فان قيل ما الفايدة في قوله آل فرعون بدل قوم فرعون • فالجواب ان القوم اعم
من الآل فالقوم كل من يقوم الرئيس بامرهم او يقومون هم بامره • وقوم فرعون كانوا تحت قهره بحيث لا يخالفونه
في قليل ولا كثير فارسل الله الرسول وجمع غيره لانه كان عنده جماعة من المقربين مثل قارون مقدم عند
الملك لماله العظيم وهامان لدهائه فاعتبرهم الله في الارسال حيث قال في مواضع ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملايه
وقال الى فرعون وهامان وقارون وقال في العنكبوت وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى لانهم ان امنوا
امن الكل بخلاف الاقوام الذين كانوا قبلهم وبعدهم فقال ولقد جاء آل فرعون النذر وقال ادخلوا آل فرعون
اشد العذاب • فان قيل كيف قال ولقد جاء ولم يقل في غيره جاء • فالجواب لان موسى عليه السلام ما جاءهم كان غايبا
عن القوم فقدم عليهم كما قال فلما جاء آل لوط المرسلون وقال لقد جاءكم رسول من انفسكم حقيقة ايضا لانه
جاءهم من الله من السموات بعد المعراج كما جاء موسى قومه من الطور حقيقة والنذر الرسل ولقد جاءهم يوسف
وبنوه الى ان جاءهم موسى • وقيل النذر الانذارات • قوله كذبوا باياتنا فيه وجهان • احدهما ان الكلام تم عند
قوله ولقد جاء آل فرعون النذر وقوله كذبوا كلام مستانف والضمير عائد الى كل من تقدم ذكرهم من قوم نوح
الى فرعون • والثاني ان الحكاية مسوقة على سياق ما تقدم فكانه قال فكيف كان • فقال كذبوا باياتنا كلها
فاخذناهم فعلى الوجه الاول اياتنا كلها ظاهر وعلى الثاني المراد بالايات التي كانت مع موسى عليه السلام
كالعصا واليد والسنين والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم • قوله فاخذناهم اخذ
عزيز مقتدر • هذا مصدر مضاف لفاعله • والمعنى اخذناهم بالعذاب اخذ عزيز غالب في انتقامه مقتدر قادر على
اهلاكهم لا يعجزه ما اراد ثم خوف اهل مكة فقال • اكفاركم خير من اوليكم • اي اشد واقوى من الذين احللت
بهم نقمتي من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وهذا استفهام بمعنى الانكار اي ليسوا باقوى منهم ومعناه
نفي اي ليس كفاركم خيرا من كفار من تقدم من الامم الذين اهلكوا بكفرهم • ام لكم براءة في الزبر • اي الكتب
المنزلة على الانبياء عليهم السلام بالسلامة من العقوبة • وقال ابن عباس ام لكم في اللوح المحفوظ براءة •

العذاب قوله أم يقولون العامة على الغيبة التفاتا وأبو حيوة وأبو البرهسم وموسى الأسواري بالخطاب جريا على ما تقدم من قوله أكفاركم إلى آخره والمعنى نحن جماعة لا نطاق لكثرة عددهم وقوتهم ولم يقل منتصرين اتباعا لرؤوس الآي وقال ابن الخطيب قوله جميع يحتمل الكثرة والاتفاق ويحتمل أن يكون معناه نحن جميع الناس إشارة إلى أن من آمن لا عبرة به عندهم كقول قوم نوح أنؤمن لك واتبعك الأرذلون فيكون التنوين فيه عوضا من الإضافة وأفرد منتصر مراعاة للفظ جميع أو يكون مرادهم كل واحد منا منتصر كقوله كلهم قالوا أي كل واحد فيكون المعنى أن كل واحد منا غالب فرد الله تعالى عليهم بأنهم يهزمون جميعهم قوله سيهزم الجمع العامة على سيهزم مبنيا للمفعول والجمع مرفوع به وقرئ ستهزم بفتح التاء خطابا للرسول عليه السلام الجمع مفعول به وأبو حيوة في رواية يعقوب سنهزم بنون العظمة والجمع منصوب أيضا وروي عن أبي حيوة أيضا وأبو وابن أبي عبلة سيهزم بيا الغيبة مبنيا للفاعل الجمع منصوب أي سيهزم الله ويولون العامة على الغيبة وأبو حيوة وأبو عمرو في رواية وتولون بتا الخطاب وهي واضحة والدبر هنا اسم جنس وحسن هنا لوقوعه فاصلة بخلاف ليولن الأدبار وقال الزمخشري أي الأدبار كما قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقرئ الأدبار قال أبو حيان وليس مثل بعض بطنكم لأن الإفراد هناك يحسن والجمع لا يحسن لأن المراد بطنكم قال ابن الخطيب وأفرد الدبر هنا وجمع في غيره لأن الجمع هو الأصل لأن الضمير ينوب مناب تكرار العاطف فكأنه قيل يولي هذا وهذا وأفرد لمناسبة المقاطع وفيه إشارة إلى أنهم جميعهم يكونون في الانهزام كشخص واحد وأما قوله فلا تولوهم الأدبار جمع لأن كل واحد برأسه منهي عن ذلك وأما قوله ولئن نصروهم ليولن الأدبار بالجمع لافتراق خلوهم كقوله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى وأما قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار أي كل واحد قال أنا أثبت ولا أولي دبري فصل قال مقاتل ضرب أبو جهل فرسه يوم بدر فتقدم من الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فأنزل الله أم يقولون نحن جميع منتصر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم جميعا والساعة أدهى وأمر أعظم داهية وأشد مرارة من الأسر والقتل يوم بدر وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يثب في درعه ويقول اللهم إن قريشا جادتك وتحاد رسولك بفخرها تخيلها فاحنهم العداوة ثم قال سيهزم الجمع ويولون الدبر قال عمر فعرفت تأويلها وهذا من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عن غيب فكان كما أخبر قال ابن عباس كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين فالآية على هذا مكية وفي البخاري عن عائشة أم المؤمنين قالت لقد أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وإني لجارية ألعب بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا فأخذ أبو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك وهو في الدرع فخرج وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر بل الساعة موعدهم يريد يوم القيامة والساعة أدهى وأمر مما لحقهم يوم بدر فصل أدهى من الداهية وهي الأمر العظيم يقال دهاه أمر كذا أي أصابه دهوا ودهيا وقال ابن السكيت دهته داهية دهواء ودهياء وهي توكيد لها قوله إن المجرمين في ضلال وسعر قيل في ضلال بعد عن الحق قال الضحاك وسعر أي نار تسعر عليهم وقيل ضلال ذهاب عن طريق الجنة في الآخرة وسعر جمع سعير نار مستعرة وقال الحسين بن الفضل إن المجرمين في ضلال في الدنيا ونار في الآخرة وقال قتادة في عناء وعذاب ثم بين عذابهم فقال يوم يسحبون في النار على وجوههم ويقال لهم ذوقوا مس سقر فصل أكثر المفسرين على أن هذه الآية في القدرية وفي الحديث أنها نزلت في القدرية وعن النبي عليه السلام أنه قال مجوس هذه الأمة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم الله تعالى في قوله إن المجرمين في ضلال وسعر واعلم أن الجبري يقول القدري من يقول الطاعة والمعصية بفعلي فهم ينكرون القدر والمعتزلي يقول الجبري قدري لأنه يقول الخير والشر بقدرة الله تعالى فهم يثبتون القدر والفريقان متفقان على أن السني القائل بأن الأفعال بخلق الله والسبب من العبد ليس بقدري قال ابن الخطيب والحق أن القدري هو الذي ينكر القدر وينسب الحوادث لاتصالات الكواكب لما روي أن قريشا خاصموا في القدر ومذهبهم أن الله تعالى مكن العبد من الطاعة والمعصية وهو قادر على خلق ذلك في العبد وقادر على أن يطعم الفقير ولهذا قالوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه منكرين لقدرته تعالى على الإطعام وأما قوله عليه السلام القدرية مجوس هذه الأمة فإن أريد بالأمة المرسل

إليهم مطلقا كالقوم فالقدرية في زمانه هم المشركون المنكرون قدرته على الحوادث فلا تدخل فيهم المعتزلة وإن كان المراد بالأمة من آمن به عليه السلام فمعناه أن نسبة القدرية إليهم كنسبة المجوس إلى الأمة المتقدمة فإن المجوس أضعف الكفرة المتقدمين شبهة وأشد مخالفة للعقل وكذا القدرية في هذه الأمة وكونهم كذلك لا يقتضي الجزم بكونهم في النار فالحق أن القدري هو الذي ينكر قدرة الله تعالى فصل روى مسلم عن أبي هريرة قال جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت هذه الآية إن المجرمين في ضلال وسعر إلى قوله إنا كل شيء خلقناه بقدر وروى عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها من قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء وعن طاوس اليماني قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر الله وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن بالله عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر وزاد عبيد الله خيره وشره وهذه الأدلة تبطل مذاهب القدرية قوله ذوقوا فيه إضمار القول وقرأ أبو عمرو في رواية محبوب عنه مس سقر وخطأه ابن مجاهد وهو معذور لأن السين الأخيرة من مس مدغم فيها فلا تدغم في غيرها لأنها متى أدغم فيها لزم تحركها ومتى أدغمت هي لزم سكونها فتنافى الجمع بينهما قال أبو حيان والظن بأبي عمرو أنه لم يدغم حتى حذف أحد المثلين لاجتماع الأمثال ثم أدغم قال شهاب الدين كلام ابن مجاهد إنما هو فيما قالوه إنه أدغم أما إذا حذف وأدغم فلا إشكال وسقر علم لجهنم أعاذنا الله منها مشتقة من سقرته الشمس والنار أي لوحته ويقال صقرته بالصاد وهي مبدلة من السين لأجل القاف قال ذو الرمة

إذا ذابت الشمس اتقى صقراتها ... بأفنان مربوع الصريمة معبل

وسقر ممنوع الصرف لأن حركة الوسط نزلت منزلة الحرف الرابع كعقرب وزينب قال القرطبي وسقر اسم من أسماء جهنم مؤنث لا ينصرف لأنه اسم مؤنث معرفة وكذا لظى وجهنم وقال عطاء سقر الطبق السادس من النار وقال قطرب ويوم مسمقر ومصمقر شديد الحر ومسها ما يوجد من الألم عند الوقوع فيها فصل العامل في يوم يسحبون يحتمل أن يكون منصوبا بعامل مفهوم غير مذكور وهذا العامل يحتمل أن يكون سابقا وهو قوله إن المجرمين في ضلال والعامل في الحقيقة على هذا الوجه أيضا مفهوم من في كأنه قيل كائنين في ضلال يوم يسحبون ويحتمل أن يكون متأخرا وهو قوله ذوقوا تقديره ذوقوا مس سقر يوم يسحب المجرمون والخطاب حينئذ مع من خوطب بقوله أكفاركم خير ويحتمل أن يكون منصوبا بالقول المقدر أي يقال لهم يوم يسحبون ذوقوا وهو المشهور والذوق استعارة للمبالغة لقوة الإدراك في الذوق فإن الإنسان يشارك غيره في اللمس ويختص بإدراك الطعوم فيحصل الألم العظيم والمعنى ذوقوا أيها المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم مس سقر يوم يسحب المجرمون المتقدمون في النار قوله إنا كل شيء خلقناه العامة على نصب كل على الاشتغال وأبو السمال بالرفع وقد رجح الناس بل بعضهم أوجب النصب قال لأن الرفع يوهم ما لا يجوز على قواعد أهل السنة وذلك أنه إذا رفع كل شيء كان مبتدأ وخلقناه صفة لكل أو لشيء وبقدر خبره وحينئذ يكون له مفهوم لا يخفى على متأمله فيلزم أن يكون الشيء الذي ليس مخلوقا لله تعالى لا بقدر كذا قدره بعضهم وقال أبو البقاء إنما كان النصب أولى لدلالته على عموم الخلق والرفع لا يدل على عمومه بل يفيد أن كل شيء مخلوق فهو بقدر وقال مكي بن أبي طالب كان الاختيار على أصول البصريين رفع كل كما أن الاختيار عندهم في قولك زيد ضربته الرفع والاختيار عند الكوفيين النصب فيه بخلاف قولنا زيد أكرمته لأنه قد تقدم في الآية شيء عمل فيما بعده وهو إن والاختيار عندهم النصب فيه وقد أجمع القراء على النصب في كل على الاختيار فيه عند الكوفيين ليدل ذلك على عموم الأشياء المخلوقات أنها لله تعالى بخلاف ما قاله أهل الزيغ من أن ثم مخلوقات لغير الله تعالى وإنما دل النصب في كل على العموم لأن التقدير إنا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر فخلقناه تأكيد وتفسير لخلقنا المضمر الناصب لكل شيء فهذا لفظ عام يعم جميع المخلوقات ولا يجوز أن يكون خلقناه صفة لشيء لأن الصفة والصلة لا يعملان فيما قبل الموصوف ولا الموصول ولا يكونان تفسيرا لما يعمل فيما قبلهما فإذا لم يبق خلقناه صفة لم يبق إلا أنه تأكيد وتفسير للمضمر الناصب وذلك يدل على العموم وأيضا فإن النصب هو الاختيار لأن إنا عندهم يطلب الفعل فهو أولى به فالنصب عندهم في كل هو الاختيار فإذا انضاف إليه معنى العموم والخروج عن الشبه كان النصب أولى من الرفع وقال ابن عطية وقوم من أهل السنة بالرفع قال أبو الفتح هو الوجه في العربية وقرأناه بالنصب مع الجماعة وقال الزمخشري كل شيء منصوب بفعل مقدر مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شيء بالرفع والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما أي خلقنا كل شيء مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه

سهى وهو هنا لم ينتصب للمعتزلة لضعف وجه الرفع • وقال قوم اذا كان الفعل يتوهم فيه الوصف وان وما بعده يصلح للخبر
وكان المعنى على ان يكون الفعل هو الخبر اختير النصب في الاسم الاول حتى يتضح ان الفعل ليس بوصف ومنه هذا الموضع لان
قراءة الرفع تجعل ان الفعل وصف وان الخبر مقدر وقد تنازع اهل السنة والقدرية في الاستدلال بهذه الاية فاهل
السنة يقولون كل شيء فهو مخلوق لله تعالى بقدر ودليلهم قراءة النصب لانه لا يفسر في هذا التركيب الا ما يصح ان يكون
خبرا لو رفع الاول على الابتداء • وقالت القدرية القراءة برفع كل وخلقناه في موضع الصفة لكل اي ان امرنا او شاننا
كل شيء خلقناه فهو بقدر او بمقدار على حد ما في هيئته وزمنه • وقال بعض العلماء في القدر ههنا وجوه • احدها انه
المقدار في ذاته وفي صفاته • الثاني التقدير لقوله فقدرنا فنعم القادرون • وقال الشاعر •
وقد قدر الرحمن ما هو قادر • اي ما هو مقدر • الثالث القدر الذي يقال مع القضا كقولك كان بقضا
الله وقدره فقوله بقدر على قراءة النصب متعلق بالفعل الناصب • وفي قراءة الرفع في محل الرفع لانه خبر لكل وكل
وخبرها في محل رفع خبر الان • وسياتي قريبا انه عكس هذا اعني في اختيار الرفع وفي قوله تعالى وكل شيء فعلوه في
الزبر فانه لم يختلف في رفعه قالوا لان نصبه يؤدي الى فساد المعنى لان الواقع خلافه وذلك انك لو نصبته لكان
التقدير فعلوا كل شيء في الزبر وهو خلاف الواقع اذ في الزبر اشيا كثيرة جدا لم يفعلوها • واما قراءة الرفع فتؤدي
الى ان كل شيء فعلوه هو ثابت في الزبر وهو المقصود فلذلك اتفق على رفعه وهذان الموضعان من نكت المسائل
العربية التي اتفق مجيئها في سورة واحدة في مكانين متقاربين وهما يدلان على جلالة علم الاعراب وافهامه
المعاني الغامضة فصل قال اهل السنة ان الله تعالى قدر الاشيا اي علم مقاديرها واحوالها وازمانها قبل
ايجادها ثم اوجد منها ما سبق في علمه فلا يحدث في العالم العلوي والسفلي الا وهو صادر عن علمه تعالى وقدرته
وارادته دون خلقه وان الخلق ليس لهم فيها الا نوع اكتساب ومحاولة لا اله الا هو ولا خالق غيره كما نص عليه
القران والسنة لا كما قالت القدرية وغيرهم من ان الاعمال الينا والاجال بيد غيرنا • قال ابو ذر قدم وفد
نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا الاعمال الينا والاجال بيد غيرنا فنزلت هذه الايات الى قوله
الا كل شيء خلقناه بقدر فقالوا يا محمد يكتب علينا الذنب ويعذبنا فقال انتم خصما الله يوم القيامة فصل
روى ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجوس هذه الامة المكذبون بالقدر
الله ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وان لقيتموهم فلا تسلموا عليهم خرجه ابن ماجه في سننه
واخرج ايضا عن ابن عباس وجابر قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من امتي ليس لهم في الاسلام
نصيب اهل الارجا والقدر قوله وما امرنا الا واحدة اي الا كلمة واحدة وهو كقوله كن كلمح بالبصر اي قضاي
في خلقي اسرع من لمح البصر • واللمح النظر بالعجلة يقال لمح البرق ببصره • وفي الصحاح لمحه والمحه اذا ابصره بنظر خفيف
والاسم اللمحة ولمح البرق والنجم لمحا اي لمع • قال البغوي قوله واحدة يرجع الى المعنى دون اللفظ اي وما امرنا
الا مرة واحدة • وقيل معناه وما امرنا للشيء اذا اردنا تكوينه الا كلمة واحدة كن فيكون لا مراجعة فيه • وفي رواية عطا عن ابن
عباس • وروى الكلبي عنه وما امرنا بمجي الساعة في السرعة الا كطرف البصر فصل قال ابن الخطيب ان الله
تعالى اذا اراد شيا قال له كن فهنا لك شيان الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضا • وقوله واحدة
يحتمل امرين • احدهما بيان انه لا حاجة الى تكرير القول اشارة الى نفاذ الامر • ثانيهما بيان عدم اختلاف
الحال فامره عند خلق العرش العظيم كامره عند خلق النملة الصغيرة فامره عند الكل واحد • وقوله كلمح
بالبصر تشبيه للكون لا تشبيه للامر فكانه قال امرنا واحدة فاذا المامور كائن كلمح بالبصر لانه لو كان راجعا
الى الامر لا يكون ذلك صفة مدح يليق به فان كلمة كن شيا ايضا يوجد كلمح بالبصر اي كنظر العين والبا
للاستعانة مثل كتبت بالقلم تدخل على الالة ومثل بها لانها اسرع حركة في الانسان لان العين وجد فيها
قرب المحرك منها فان المحرك العصب ومنبتها الدماغ وهو في غاية القرب من العين وصغر حجمها فانه لا يثقل على
المحرك ولا يفصل عليه بخلاف العظام واستدارة شكلها فان دحرجة الكرة اسرع من دحرجة المثلث والمربع ولانها
في رطوبة مخلوقة في العضو الذي هو موضعها وفي الحكمة في كثرة المرطبات بخلاف الماكولات والمشموعات
والمفاصل التي تفصل بالارجل والمدوقات فلولا سرعة حركة الالة التي بها ادراك المبصرات لما وصل الى
الكل الا بعد طول زمان • وقيل معنى كلمح بالبصر البرق يمر به سريعا فالبا تكون للالصاق نحو مررت به • وفي قوله
كلمح بالبصر ولم يقل كلمح البرق فايدة وهي ان لمح البرق له مبدا ونهاية فالذي يمر بالبصر منه يكون اقل من
جملته مبالغة في القلة ونهاية السرعة قوله ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم ونظراكم في الكفر من
الامم السالفة وقيل اتباعكم واعوانكم فهل من مدكر اي متذكر ويعلم ان ذلك حق فيخاف ويعتبر وكل شيء
فعلوه في الزبر اي جميع ما فعلته الامم قبلهم من خير او شر فانه مكتوب عليهم اي في كتب الحفظة وقيل

في اللوح المحفوظ • وقيل في ام الكتاب قال القرطبي وهذا بيان الا كل شيء خلقناه بقدر اي في الزبر اي في اللوح المحفوظ قوله وكل
صغير وكبير مستطر اي كل ذنب صغير وكبير مكتوب على عامله قبل ان يفعلوه • وقرا العامة مستطر بتخفيف الرا من
السطر وهو الكتب اي مكتتب يقال سطرت واستطرت وكتبت واكتتبت • وقرا الاعمش وعمران بن حدير • ويروى عن
عاصم بتشديدها وفيه وجهان • احدهما انه مشتق من طر الشارب والنبات اي ظهر ونبت بمعنى ان كل شيء قل او كثر
ظاهر في اللوح غير خفي فوزنه مستفعل كمستخرج • والثاني انه من الاستطار كقراءة العامة وانما شددت
الرا من اجل الوقف كقولهم هذا جعفر وفرج ثم اجري الوصل مجرى الوقف فوزنه مفتعل كقراءة الجمهور قوله ان المتقين
في جنات ونهر العامة بالافراد وهو اسم جنس بدليل مقارنته الجمع والهاء مفتوحة كما هو الفصيح وسكنها مجاهد
والاعرج وابو السمال والفياض وهي لغة تقدم الكلام عليها اول البقرة • قال ابن جريج يعني انهار الماء والخمر
والعسل واللبن وحد لانه راس اية ثم الواحد قد ينبي عن الجمع • وقال الضحاك ليس المراد هنا نهر الماء وانما المراد
به سعة الارزاق لان المادة تدل على ذلك كقول قيس بن الخطيم •
ملكت بها كفي فانهرت فتقها • يرى قائم من دونها ما وراها • اي وسعت ومنه انهرت
الجرح ومنه النهار لضيائه • وقرا ابو نهيك وابو مجلز والاعمش وزهير الفرقبي ونقله القرطبي ايضا عن طلحة
ابن مصرف والاعرج وقتادة ونهر بضم النون والها وفيه محتمل وجهين • احدهما ان يكون جمع نهر بالتحريك
وهو الاولى نحو اسد في اسد • والثاني ان يكون جمع المفتوح كسقف في سقف ورهن في رهن والجمع مناسب
للجمع قبله • قال القرطبي كانه جمع نهار لا ليل لهم كسحاب وسحب • قال الفرا انشدني بعض العرب •
ان تك ليليا فاني نهر • متى ارى الصبح فلا انتظر • اي صاحب النهار • وقال اخر
لولا الثريدان هلكنا بالضمر • ثريد ليل وثريد بالنهر فصل لما وصف الكفار وصف
المؤمنين ايضا فقال ان المتقين في جنات • الجنات اسم للاشجار اي هم في خلالها وكذلك الانهار والمعنى جنات
وعند عيون كقوله • علفتها تبنا وما باردا • وجمعت الجنات اشارة الى سعتها وتنوعها وافراد النهر
لان المعنى في خلاله فاستغنى عن جمعه وجمع في قوله تجري من تحتها الانهار لبيان انه ليس في الجنة الا
نهر واحد والتنكير فيه للتعظيم قوله في مقعد يجوز ان يكون خبرا ثانيا وهو الظاهر وان يكون حالا
من الضمير في الجار لوقوعه خبرا • وجوز ابو البقا ان يكون بدلا من قوله في جنات ونهر • يجوز ان يكون بدل بعض
لان المقعد بعضها وان تكون اشتمالا لانها مشتملة والاول اظهر والعامة على افراد مقعد مرادا به الجنس كما
تقدم في نهر • وقرا عثمان البتي مقاعد وهو مناسب للجمع قبله • ومقعد صدق من باب رجل صدق في انه
يجوز ان يكون من اضافة الموصوف لصفته • والصدق يجوز ان يراد به ضد الكذب اي صدقوا في الاخبار به
وان يراد به الجودة كالخيرية • وملتبك مثال مبالغة وهو مناسب هنا لا يتوهم ان اصله ملك لانه هو
الوارد في غير موضع وان الكسرة اشبعت فتولد منها يا لان الاشباع لم يرد الا ضرورة او قليلا والملك
قد وقع في قراءة هشام افيدة في اخر ابرهيم فليلتفت اليه فصل قال في مقعد صدق ولم يقل
في مجلس صدق لان القعود الجلوس فيه مكث ومنه قواعد البيت والقواعد من النسا لا يقال الجلوس الا
الى دوامه وثباته ولان حروف ق ع د كيف دارت تدل على ذلك والاستعمال في القعود يدل على ذلك
ومنه لا يستوي القاعدون من المؤمنين وقوله مقاعد للقتال اشارة الى الثبات وكذا قوله عن اليمين
وعن الشمال قعيد فذكر المقعد لدوامه او لطوله وقال في المجلس تفسحوا في المجالس اشارة الى الحركة
وقال انشزوا اشارة الى ترك الجلوس اي هو مجلس فلا يجب ملازمته بخلاف المقعد فصل قال
المفسرون في مقعد صدق اي حق لا لغو فيه ولا تاثيم عند مليك مقتدر اي ملك قادر لا يعجزه شيء وعند ههنا
عندية القربة والزلفة والمكانة والرتبة والكرامة والمنزلة • قال الصادق مدح الله المكان بالصدق
فلا يقعد فيه الا اهل الصدق • روى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة اقتربت الساعة في كل غب بعثه يوم القيامة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر ومن
قراها كل ليلة كان افضل وجا يوم القيامة ووجهه مسفر على وجوه الخلايق •

كلها في قول الحسن وعروة وعكرمة بن الزبير وعطا وجابر • وقال ابن عباس الا اية منها مدنية وهي قوله
تعالى يسأله من في السموات والارض الاية • وقال ابن مسعود ومقاتل هي مدنية كلها والاول

سورة الرحمن

الصحيح لما روى عروة بن الزبير قال اول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود وذلك ان الصحابة قالوا ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط فمن رجل يسمعهموه فقال ابن مسعود انا فقالوا نخشى عليك وانما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه فابى ثم قام عند المقام فقال بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن ثم تمادى بها رافعا صوته وقريش في انديتها فتاملوا وقالوا ما يقول ابن ام عبد قالوا انه هو يقول الذي يزعم محمد انه انزل عليه ثم ضربوه حتى اثروا في وجهه ❁ وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم قام يصلي الصبح بنخلة فقرا سورة الرحمن ومر النفر من الجن فامنوا به ❁ وهي ثمانون وسبعون اية ❁ وثلثمائة واحدى وخمسون كلمة ❁ والف وستمائة وستة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى الرحمن** فيه ثلاثة اوجه احدها انه خبر مبتدا مضمر اي الله الرحمن ❁ الثاني انه مبتدا وخبره مضمر اي الرحمن ربنا وهذان الوجهان عند من يرى ان الرحمن اية مع هذا المضمر معه فانهم عدوا الرحمن اية ولا يتصور ذلك الا بانضمام خبر او مخبر عنه اليه اذ الاية لا بد ان تكون مفيدة وسياتي ذلك في نحو قوله مدهامتان ❁ الثالث انه ليس باية وانه مع ما بعده كلام واحد وهو مبتدا خبره علم القرآن **فصل** افتتح السورة التي قبلها بذكر معجزة تدل على القهر والجبروت وهو انشقاق القمر ومن قدر عليه قدر على قطع الجبال واهلاك الامم وافتتح هذه السورة بذكر معجزة تدل على الرحمة وهي القرآن وايضا فاولها مناسب لاخر ما قبلها لان اخر تلك انه مليك مقتدر واول هذه انه رحمن قال بعضهم الرحمن اسم علم واحتج بقوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وانه لا يقال يا الرحمن باللام كما يقال يا الله وهذا ضعيف وهو مختص بالله تعالى فلا يقال لغيره ❁ قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي الرحمن فاتحة ثلاث سور اذا جمعن كن اسما من اسماء الله تعالى الر ❁ وحم ❁ ونون ❁ فيكون مجموع هذه الرحمن والله تعالى رحمتان رحمة سابقة بها خلق الخلق ورحمة لاحقة بها اعطاهم الرزق والمنافع فهو رحمن باعتبار السابقة رحيم باعتبار اللاحقة ولما اختص بالايجاد لم يقل لغيره رحمان ❁ ولما تخلق بعض خلقه الصالحين ببعض اخلاقه بحسب الطاقة البشرية فاطعم ونفع جاز ان يقال له رحيم **قوله علم القرآن** فيه وجهان اظهرهما انها علم المتعدية الى اثنين اي عرف من التعليم فعلى هذا المفعول الاول محذوف فقيل تقديره علم جبريل القرآن ❁ وقيل علم محمدا ❁ وقيل علم الانسان وهذا اولى لعمومه ولان قوله خلق الانسان دال عليه ❁ والثاني انها من العلامة والمعنى جعله علامة واية يعتبر بها اي هو علامة النبوة ومعجزة وهذا المناسب لقوله تعالى اقتربت وانشق القمر على ما تقدم من انه ذكر في اول تلك السورة معجزة من باب الهيبة وذكر في هذه السورة معجزة من باب الرحمة وهو انه يسر من العلوم ما لا يسره غيره وهو ما في القرآن او يكون بمعنى انه جعله بحيث يعلم كقوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فالتعليم على هذا الوجه مجاز كما يقال لمن اطعم على متعلم واعطى اجرة لمعلمه علمه **فان قيل** لم ترك المفعول الثاني **فالجواب** ان ذلك اشارة الى ان النعمة في التعليم لا في تعليم شخص دون شخص **فان قيل** كيف يجمع بين هذه الاية وبين قوله وما يعلم تاويله الا الله **فالجواب** ان قلنا يعطف الراسخون على الله فظاهر وان قلنا بالوقف على الجلالة ويبتدا بقوله والراسخون فلان من علم كتابا عظيما فيه مواضع مشكلة قليلة وتاملها بقدر الامكان فانه يقال فلان يعلم الكتاب الفلاني وان كان لم يعلم مراد صاحب الكتاب يقينا في تلك المواضع القليلة وكذا القول في تعليم القرآن او يقال المراد لا يعلمه من تلقاء نفسه بخلاف الكتب التي تستخرج بقوة الذكاء **فصل** قال المفسرون لما نزلت هذه الاية حين قالوا وما الرحمن وقيل نزلت جوابا لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر وهو رحمن اليمامة يعنون مسيلمة فانزل الله تعالى الرحمن علم القرآن اي سهله لان يذكر ويقرا كما قال ولقد يسرنا القرآن للذكر **قوله خلق الانسان** قال ابن عباس وقتادة والحسن يعني ادم عليه السلام علمه البيان علمه اسماء كل شي ❁ وقيل علمه اللغات كلها وكان ادم يتكلم بسبع مائة لغة افضلها العربية ❁ وعن ابن عباس ايضا وابن كيسان المراد بالانسان هنا محمد عليه السلام ❁ والمراد من البيان بيان الحلال من الحرام والهدى من الضلال ❁ وقيل ما كان وما يكون لانه بين عن الاولين والاخرين ويوم الدين ❁ وقال الضحاك البيان الخير والشر ❁ وقال الربيع بن انس هو ما ينفعه مما يضره ❁ وقيل المراد بالانسان جميع الناس فهو اسم للجنس والبيان على هذا الكلام والفهم وهو مما فضل به الانسان على سائر الحيوان وقال السدي علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به ❁ وقال يمان الكتابة والخط بالقلم نظيره علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم **فصل** في كيفية النظم انه علم الملائكة اولا ثم خلق الانسان وعلمه البيان فيكون ابتدا بالعلوي وقابله بالسفلي وقدم العلويات على السفليات فقال علم القرآن اشارة الى تعليم العلويين ثم قال خلق الانسان علمه البيان اشارة الى تعليم السفليين وقال الشمس والقمر بحسبان في العلويات وقابلها بالسفليات فقال والنجم والشجر يسجدان ثم قال والسماء رفعها وفي مقابلتها والارض وضعها **فصل** هذه الجمل من

قوله علم القرآن خلق الانسان علمه البيان جي بها من غير عاطف لانها سيقت لتعديد نعمه كقولك فلان احسن الى فلان اكرمه اشاد ذكره رفع من قدره فلشدة الوصل ترك العاطف والظاهر انها اخبار ❁ وقال ابو البقا وخلق الانسان مستانف وكذلك علمه ❁ ويجوز ان يكون حالا من الانسان مقدرة وقد معها مرادة انتهى وهذا ليس بظاهر بل الظاهر ما تقدم ولم يذكر الزمخشري غيره **فان قيل** لم قدم تعليم القرآن للانسان على خلقه وهو متاخر عنه في الوجود **فالجواب** لان التعليم هو السبب في ايجاده وخلقه **فان قيل** كيف صرح بذكر المفعولين في علمه البيان ولم يصرح بهما في علم القرآن **فالجواب** ان المراد من قوله علمه البيان تعديد النعم واستدعا للشكر منه ولم يذكر الملائكة لان المقصود ذكر ما يرجع الى الانسان واستدل بعضهم بهذه الاية على ان الالفاظ توقيفية **قوله الشمس والقمر بحسبان** فيه ثلاثة اوجه ❁ احدها ان الشمس مبتدا وبحسبان خبرها على حذف مضاف تقديره جري الشمس والقمر بحسبان اي كائن او مستقر او استقر بحسبان ❁ الثاني ان الخبر محذوف يتعلق به هذا الجار تقديره يجريان بحسبان وعلى هذين القولين فيجوز في الحسبان وجهان احدهما انه مصدر مفرد بمعنى الحسبان فيكون كالشكران والكفران ❁ والثاني انه جمع حساب كشهاب وشهبان ❁ والثالث ان بحسبان خبره والباء ظرفية بمعنى في اي كائنان في حسبان وحسبان على هذا اسم مفرد اسم للفلك المستدير تشبيها بحسبان الرحا الذي باستدارته تدور الرحا **فصل** لما ذكر خلق الانسان وانعامه عليه بتعليمه البيان ذكر نعمتين عظيمتين وهما الشمس والقمر وانهما على قانون واحد وحساب لا يتغيران وبذلك تتم منفعتهما للزراعات وغيرها ولولا الشمس لما زالت الظلمة ولولا القمر لفات كثير من المنافع الظاهرة بخلاف غيرهما من الكواكب فان نعمها لا تظهر لكل احد مثل ظهور نعمتهما وانهما بحسبان لا يتغير ابدا ولو كان مسيرهما غير معلوم للخلق لما انتفعوا بالزراعات في اوقاتها ومعرفة فصول السنة ثم لما ذكر النعم السماوية ذكر في مقابلتها ايضا نعمتين من الارض ظاهرتين وهما النبات الذي لا ساق له وما له ساق لان النبات اصل الرزق من الحبوب والثمار والحشيش للحيوان ❁ وقيل انما ذكرهما بين النعمتين بعد تعليم القرآن اشارة الى ان من الناس من لا تكون نفسه زكية فيكتفي بادلة القرآن فذكر له ايات الافاق وخص الشمس والقمر لان حركتهما بحسبان تدل على الفاعل المختار ولو اجتمع العالم ليبينوا سبب حركتهما على هذا التقدير المعين لعجزوا وقالوا ان الله حركهما بالارادة كما اراد ❁ وقيل لما ذكر معجزة القرآن بانه انكروا نزول الجرم من السما وصعوده اليها فاشار تعالى بحركتهما الى انها ليست بالطبيعة وهم يقولون بان الحركة الدورية من انواع الحركات لا تكون الا اختيارية فقال تعالى من حركهما على الاستدارة انزل الملائكة على الاستقامة والتقييد على مذهبكم لا يضعف وصعود النجم والشجر انما هو بقدرة الله تعالى فحركة الملك كحركة الفلك جائزة **فصل** قال المفسرون المعنى يجريان بحساب معلوم فاضمر الخبر قال ابن عباس وقتادة وابو مالك يجريان بحساب في منازل لا يعدوها ولا يحيدان عنها ❁ وقال ابن زيد وابن كيسان بهما تحسب الاوقات والاعمار ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد كيف يحسب شيئا لو كان الدهر كله ليلا او نهارا ❁ وقال السدي بحسبان تقدير اجالهما اي يجريان باجال كاجال الناس فاذا جا اجلهما هلكا نظيره كل يجري لاجل مسمى ❁ وقال الضحاك بقدر ❁ وقال مجاهد بحسبان كحسبان الرحا يعني قطبها يدوران في مثل القطب والحسبان قد يكون مصدر حسبته احسبه بالضم حسبا وحسابا وحسبانا مثل الغفران والكفران والرجحان وحسابة ايضا اي عددته ❁ وقال الاخفش ويكون جماعة الحساب مثل شهاب وشهبان والحسبان ايضا بالضم العذاب والسهام القصار الواحد حسبانة والحسبانة ايضا الوسادة الصغيرة تقول منه حسبته اذا وسدته قال ❁ لثويت غير محسب ❁ اي غير موسد يعني غير مكرم ولا مكفن **قوله والنجم والشجر يسجدان** قال ابن عباس وغيره النجم ما لا ساق له ❁ والشجر ما له ساق وانشد ابن عباس قول صفوان التميمي ❁

لقد انجم القاع الكبير عضاهه ❁ وتم به حيا تميم ووائل ❁

وقال زهير بن ابي سلمى ❁

مكلل باصول النجم تنسجه ❁ ريح الجنوب لضاحي مائه حبك ❁

واشتقاق النجم من نجم الشي ينجم بالضم نجوما ظهر وطلع ومنه نجم ناب البعير اي طلع ❁ وسجودهما سجود ظلالهما قاله الضحاك ❁ وقال الفرا سجودهما انهما يستقبلان الشمس اذا طلعت ثم يميلان معها حتى ينكسر الفي ❁ وقال الزجاج سجودهما دوران الظل معهما كما قال تتفيؤا ظلاله ❁ وقال الحسن ومجاهد النجم نجم السما وسجوده في قول مجاهد دوران الظل وهو اختيار الطبري حكاه المهدوي ❁ وقيل سجود النجم افوله ❁ وسجود الشجر امكان الاجتنا لثمارها حكاه الماوردي والاول اظهر ❁ وقيل ان جميع ذلك مسخر لله تعالى فلا تعبدوا النجم كما عبد قوم من الصابئين النجوم ❁ وعبد كثير من العجم الشجر ❁ والسجود الخضوع والمعنى به اثار الحدوث حكاه القشيري ❁ وقال النحاس اصل السجود في اللغة الاستسلام والانقياد لله تعالى فهو من الموات كله استسلامها لامر الله عز وجل وانقيادها له ومن الحيوان كذلك ويكون من سجود الصلاة ❁ وانشد محمد بن يزيد في النجم بمعنى النجوم ❁

فباتت تعد النجم في مستحيرة ❁ سريع بايدي الاكلين جمودها ❁

قوله والسماء رفعها العامة

على النصب على الاشتغال مراعاة لتجر الجملة التي تسميها النحاة ذات وجهين وفيها دليل لسيبويه حيث يجوز النصب وان لم
يكن في جملة الاشتغال ضمير عائد على المبتدأ الذي تضمنته الجملة ذات الوجهين والاخفش يقول لا بد من ضمير مثاله
هند قامت وعمرا اكرمته لاجلها قال لانك راعيت الخبر وعطفت عليه والمعطوف على الخبر خبر فيشترط فيه ما
يشترط فيه ولم يشترط الجمهور ذلك وهذا دليلهم فان القراء كلهم نصبوا على عدم الرابط الا من شذ منهم وقد تقدم
نحو هذا في سورة يس عند قوله تعالى والقمر قدرناه منازل قوله ووضع الميزان العامة على وضع فعلا ماضيا
والميزان نصب على المفعول به وقرا ابرهيم ووضع الميزان بسكون الضاد وخفض الميزان وتخريجها على انه معطوف
على مفعول رفعها اي ورفع ووضع الميزان اي جعل له مكانة ورفعه لاخذ الحقوق به وهو من بديع اللفظ حيث يصير
التقدير ورفع ووضع الميزان وقال الزمخشري فان قلت كيف اخل بالعاطف في الجمل الاولى وجيء به بعد قلت
بكت بالجمل الاولى واوردها على سنن التعديد للدلالة ان انكروا الرحمن والآه كالتبكيت لمنكري ايادي المنعم من الناس بتعداد
عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب
بالعاطف قال قلت اي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف قلت ان الشمس والقمر سماويان
والنجم والشجر ارضيان فبينهما تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لا يزالان يذكران قرينين وان جري
الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر فصل قال مجاهد وقتادة
وضع الميزان عبارة عن العدل قال السدي وضع في الارض العدل الذي امر به يقال وضع الله الشريعة ووضع
فلان كذا اي القاه وقيل على هذا الميزان القران لان فيه بيان ما يحتاج اليه وهو قول الحسين بن الفضل وقال
الحسن وقتادة ايضا والضحاك هو الميزان الذي يوزن به لينتصف به الناس بعضهم من بعض وهو خبر بمعنى الامر
بالعدل يدل عليه قوله واقيموا الوزن بالقسط والقسط هو العدل وقيل هو الحكم وقيل المراد وضع الميزان
في الاخرة لوزن الاعمال واصل ميزان موزان وقد مضى القول فيه في الاعراف قوله ان لا تطغوا في ان هذه
وجهان احدهما انها الناصبة ولا بعدها نافية وتطغوا منصوب بان وان قبلها لام العلة مقدرة تتعلق بقوله
ووضع الميزان التقدير لئلا تطغوا كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا واجاز الزمخشري وابن عطية ان
تكون المفسرة وعلى هذا تكون لا ناهية والفعل مجزوم بها قال القرطبي فلا يكون لان موضع من الاعراب فيكون
بمعنى اي ولا تطغوا مجزوم بها كقوله وانطلق الملا منهم ان امشوا اي امشوا الا ان ابا حيان رد هذا القول بان
شرط التفسيرية تقدم جملة متضمنة لمعنى القول وليست موجودة قال شهاب الدين والى كونها مفسرة
ذهب مكي وابو البقاء الا ان ابا البقاء كانه تنبه للاعتراض فقال وان بمعنى اي والقول مقدر فجعل الشيء
المفسر بان مقدرا لا ملفوظا به الا انه قد يقال قوله والقول مقدر ليس بجيد لانها لا تفسر القول الصريح فكيف
تقدر ما لا يصح تفسيره فاصلاحه ان يقول وما هو بمعنى القول مقدر فصل والطغيان مجاوزة الحد
فمن قال الميزان العدل قال طغيانه الجور ومن قال انه الميزان الذي يوزن به قال طغيانه البخس قال ابن
عباس لا تخونوا من وزنتم له وعنه انه قال يا معشر الموالي انكم وليتم امرين بهما هلك الناس المكيال والميزان ومن
قال انه الحكم قال طغيانه التحريف وقيل فيه اضمار اي وضع القران وامركم ان لا تطغوا فيه فان قيل
العلم لا شك في كونه نعمة واما الميزان فاي نعمة عظيمة فيه حتى يعد بسببها في الالاء فالجواب
ان النفوس تابى الغبن ولا يرضى احد بان يغلبه غيره ولو في الشيء اليسير ويرى ان ذلك استهانة به فلا
يترك الخصم يغلبه ثم ان عند عدم المعيار الذي به توجد الحقوق كل احد يذهب الى ان خصمه يغلبه فوضع
الله تعالى معيارا يتبين به التساوي ولا يقع به التباغض بين الناس وهو الميزان فهو نعمة كاملة ولا ينظر الى عدم
ظهور نعمته وكثرته وسهولة الوصول اليه كالهواء والماء الذي لا يتبين فضلهما الا عند فقدهما قوله واقيموا
الوزن بالقسط اي افعلوه مستقيما بالعدل وقال ابو الدرداء اقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل وقال
ابن عيينة الاقامة باليد والقسط بالقلب وقال مجاهد القسط العدل بالرومية وقيل هو كقولك
اقام الصلاة اي اتى بها في وقتها واقام الناس اسواقهم اي اتوا بها لوقتها اي لا تدعوا التعامل بالوزن
بالعدل قوله ولا تخسروا العامة على ضم التاء وكسر السين من اخسر اي نقص كقوله واذا كالوهم او وزنوهم
يخسرون وقرا زيد بن علي وبلال بن ابي بردة بفتح التاء وكسر السين فيكون فعل وافعل بمعنى يقال خسر
الميزان واخسره بمعنى واحد نحو جبر واجبر ونقل ابو الفتح وابو الفضل عن بلال فتح التاء والسين وفيها
وجهان احدهما انه على حذف حرف الجر تقديره ولا تخسروا في الميزان ذكره الزمخشري وابو البقاء الا ان
ابا حيان قال لا حاجة الى ذلك لان خسر جاء متعديا قال تعالى خسروا انفسهم وخسروا الدنيا والاخرة قال
شهاب الدين وهذا ليس من ذاك الا ترى ان خسروا انفسهم وخسروا الدنيا والاخرة معناه ان الخسران

واقع بهما وانهما معدومان وهذا المعنى ليس مرادا في الاية قطعا وانما المراد لا تخسروا الموزون في الميزان وقرئ تخسروا
بفتح التاء وضم السين قال الزمخشري وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره
ويخسره واما الفتح فعلى ان الاصل في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل اليه وكرر لفظ الميزان ولم يضمره في الجملتين
بعد تقوية لشأنه وهذا كقول الاخر لا ارى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى والفقيرا فصل
المعنى ولا تنقصوا ولا تبخسوا الوزن والكيل كقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان وقيل لا تخسروا ميزان حسناتكم يوم
القيامة فيكون ذلك حسرة عليكم وكرر الميزان لحال رؤوس الاي وقيل التكرير للامر بايفاء الوزن ورعاية العدل
فيه وقال ابن الخطيب ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوا الموزون وذكر الميزان ثلاث مرات فالاول بمعنى الالة
وهو قوله ووضع الميزان والثاني بمعنى المصدر اي لا تطغوا في الوزن والثالث للمفعول اي لا تخسروا الموزون
وبين القران والميزان مناسبة فان القران فيه العلم الذي لا يوجد في غيره من الكتب والميزان به يقام العدل
الذي لا يقام بغيره من الالات قوله والارض وضعها للانام كقوله والسماء رفعها وقرا ابو السمال بالرفع مبتدا
والانام علة للوضع والانام قيل الحيوان وقيل بنو ادم خاصة وهو مروي عن ابن عباس ونقل النووي في
التهذيب عن الزبيدي الانام الخلق قال ويجوز الانيم وقال الواحدي قال الليث الانام ما على ظهر الارض من جميع
الخلق وقيل هم الانس والجن قاله الحسن والاول قاله الضحاك ووزنه فعال كقذال فيجمع في القلة على آنمة بزنة
امراة آنمة وفي الكثرة على انم كقذال واقذلة وقذل قوله فيها فاكهة يجوز ان يكون هذه الجملة حالا من الارض لا انها
حال مقدرة والاحسن ان يكون الجار والمجرور هو الحال وفاكهة رفع بالفاعلية ونكرت لان الانتفاع بها دون الانتفاع
بما ذكر بعدها وهو من باب الترقي من الادنى الى الاعلى قال ابن الخطيب الارض موضوعة لكل ما عليها وانما خص
الانسان بالذكر لان انتفاعه بها اكثر فانه منتفع بها وبما فيها وعليها فقال للانام لكثرة انتفاع الانام بها وقوله
فيها فاكهة اي ما تتفكه به الانسان من الوان الثمار قوله والنخل ذات الاكمام اشارة الى الاشجار والاكمام
جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمر قال الجوهري والكم بالكسر والكمامة وعاء الطلع وغطاء النور والجمع كمام واكمة
واكمام والاكاميم ايضا وكم الفسيل اذا اشفق عليه فستر حتى يقوى قال العجاج
بل لو شهدت الناس اذ تكموا * بغمة لو لم تفرج عموا * وتكموا اي اغمي عليهم وغطوا واكمت
وكممت اي اخرجت كمامها والكمام بالكسر الكمامة ايضا ما يكم به فم البعير لئلا يعض تقول منه بعير مكموم اي محجوم
وكممت الشيء غطيته ومنه كم القميص بالضم والجمع اكمام وكممة مثل جب وجببة والكمة القلنسوة المدورة لانها تغطي
الراس قال * فقلت لهم كيلوا بكمة بعضكم * دراهمكم اني كذلك اكيل * قال الحسن ذات الاكمام اي ذات
الليف فان النخلة قد تكمم بالليف وكمامها ليفها الذي في اعناقها وقال ابن زيد ذات الطلع قبل ان يتفتق
وقال عكرمة ذات الاحمال وقال الضحاك ذات الاكمام ذات الغلف والاكمام الاوعية التي يكون فيها الثمر
لان ثمر النخل يكون في غلاف ما لم ينشق والمراد بالفاكهة الفواكه قال ابن كيسان ما يتفكهون به من النعم
التي لا تحصى ونكر الفاكهة للتكثير والتعظيم قوله والحب ذو العصف والريحان قرا ابن عامر بنصب الثلاثة
وفيه ثلاثة اوجه النصب على الاختصاص اي واخص الحب قاله الزمخشري وفيه نظر لانه لم يدخل في مسمى
الفاكهة والنخل حتى تخصه من بينها وانما اراد اضمار فعل وهو اخص فليس هو الاختصاص الصناعي الثاني انه
معطوف على الارض قال مكي لان قوله والارض وضعها اي خلقها فعطف الحب على ذلك الثالث انه منصوب
بخلق مضمرا اي وخلق الحب قاله مكي او وخلق الحب وقراءته موافقة لرسم مصاحف بلده فان مصاحف
الشام ذا بالالف وجوزوا في الريحان ان يكون على حذف مضاف اي وذا الريحان فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه كواسئل القرية وقرا الاخوان برفع الاولين وجر الريحان عطفا على العصف وهي توجيه
قول من حذف المضاف في قراءة ابن عامر والباقون برفع الثلاثة عطفا على فاكهة اي وفيها ايضا هذه الاشياء
ذكر اولا ما يتلذذ به من الفواكه وثانيا الشيء الجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وثالثا ما يتغذى
به فقط وهو اعظمها لانه قوت غالب الناس ويجوز في الريحان على هذه القراءة ان يكون معطوفا على ما قبله اي وفيها الريحان ايضا وان
يكون مجرورا بالاضافة في الاصل اي وذو الريحان ففعل به ما تقدم والعصف قال مجاهد ورق الشجر والزرع وقال ابن عباس
تبن الزرع وورقه الذي تعصفه الرياح قال الراغب اصله من العصف والعصيفة وهو ما يعصف اي يقطع من
الزرع وقال سعيد بن جبير بقل الزرع الذي اول ما ينبت منه وهو قول الفراء والعرب تقول خرجنا نعصف الزرع
اذا قطعوا منه قبل ان يدرك وكذا في الصحاح نقله القرطبي وعصفت الزرع اي جززته قبل ان يدرك وعن ابن عباس
ايضا العصف ورق الزرع الاخضر اذا قطع رؤوسه ويبس نظيره كعصف ماكول قال الجوهري وقد اعصف الزرع
ومكان معصف اي كثير الزرع قال ابو قيس بن الاسلت الانصاري

اذا جاء ذي سهم قطرها ان حاني عظن معصف * وقيل العصف حطام النبات والعصف ايضا الكسب قال
الراجز * بغير ما عصف ولا اكتساب * وكذلك الاعتصاف والعصيفة الورق المجتمع الذي يكون فيه السنبل وحكى
الثعلبي وقال ابن السكيت تقول العرب لورق الزرع العصف والعصيفة والجل بكسر الجيم قال علقمة بن عبدة
* تسقي مذانب قد مالت عصيفتها * احدورها من اتي الماء مطموم * وفي الصحاح والجل بالكسر قصب الزرع
اذا حصد والريحان في الاصل مصدر ثم اطلق على الرزق قال ابن عباس ومجاهد والضحاك هو الرزق بلغة حمير
كقولهم سبحان الله وريحانه اي استرزاقه وعن ابن عباس ايضا والضحاك وقتادة انه الريحان الذي يشم وهو قول
ابن زيد وعن ابن عباس ايضا انه خضرة الزرع وقال سعيد بن جبير هو ما قام على ساق وقال الفرا العصف
الماكول من الزرع والريحان ما لا يوكل وقال الكلبي ان العصف الورق الذي يوكل والريحان هو الحب الماكول
وقيل كل بقلة طيبة الريح سميت ريحانا لان الانسان يرتاح لها رائحة طيبة اي يشم وفي الريحان قولان احدهما
انه على فعلان وهو من ذوات الواو والاصل روحان من الرائحة قال ابو علي فابدلت الواو يا كما ابدلوا اليا واوا في
اشاوي وانما قلبت الواو يا للفرق بينه وبين الروحان وهو كل شيء له روح قال القرطبي والثاني ان يكون اصله
ريوحان على وزن فيعلان فابدلت الواو يا وادغمت فيها اليا ثم خففت بحذف عين الكلمة كما قالوا كينونة وبينونة
والاصل تشديد اليا فخفف كما خفف هين وميت قال مكي ولزم تخفيفه لطوله بلحاق الزيادتين وهما الالف والنون
ثم رد قول الفارسي بانه لا موجب لقلبها يا ثم قال وقال بعض الناس وذكر ما تقدم عن ابي علي قال القرطبي والاصل فيما
يتركب من الرا والواو والحا الاهتزاز والحركة وفي الصحاح والريحان نبت معروف والريحان الرزق تقول
خرجت ابتغي ريحان الله وفي الحديث الولد من ريحان الله وقولهم سبحان الله وريحانه نصبوهما على المصدر يريدون
تنزيها له واسترزاقا وقوله والحب ذو العصف والريحان فالعصف ساق الزرع والريحان ورقه قاله الفرا قوله
فباي الآء ربكما تكذبان فباي متعلق بتكذبان والعامة على اضافة اي الى الآء وقرئ في جميع السورة بتنوين اي
وتخريجها على انه قطع ايا عن الاضافة الى شيء مقدر ثم ابدل عنه الآء ربكما بدل معرفة من نكرة وتقدم الكلام في الآء وما
مفردها في الاعراف والخطاب في ربكما قيل للثقلين من الانس والجن لان الانام يتضمنهما وهو قول الجمهور ويدل عليه
حديث جابر وفيه للجن احسن منكم ردا وقيل لما قال خلق الانسان وخلق الجان دل ذلك على ما تقدم وما تاخر لهما وكذا
قوله سنفرغ لكم ايها الثقلان خطاب للانس والجن وقال ايضا يا معشر الجن والانس وقال الجرجاني خطاب الجن مع الانس
وان لم يتقدم للجن ذكر كقوله حتى توارت بالحجاب فقد سبق ذكر الجن فيما سبق نزوله من القران والقران كالسورة الواحدة
فاذا ثبت انهم مكلفون كالانس خوطب الجنسان بهذه الآيات وقيل الخطاب للذكر والانثى وقيل هو مثنى مراد به
الواحد كقوله تعالى القيا في جهنم وكقول الحجاج بن يوسف * يا حرسي اضربا عنقه * وكقول امرئ القيس
* قفا نبك * وخليلي مرا بي * وقيل التثنية للتاكيد وقيل التكذيب يكون بالقلب او باللسان او بهما
فالمراد بهما فصل قال ابن زيد المراد بالآلاء القدرة والمعنى فباي قدرة ربكما تكذبان وهو قول الكلبي واختاره
محمد بن علي الترمذي وقال هذه السورة من بين السور علم القران والعلم امام الجند والجند تتبعه وانما صارت
علما لانها سورة صفة الملك والقدرة فقال الرحمن علم القران فافتتح السورة باسم الرحمن من بين الاسماء ليعلم
العباد ان جميع ما يصفه بعد هذا من افعاله ومن ملكه وقدرته خرج اليهم من الرحمة وقال الرحمن علم القران
ثم ذكر الانسان فقال خلق الانسان ثم ذكر ما صنع به وما من عليه به ثم ذكر حسبان الشمس والقمر وسجود الاشيا
من نجم وشجر وذكر رفع السما ووضع الميزان وهو العدل ووضع الارض للانام فخاطب هذين الثقلين الجن
والانس حين راوا ما خرج من القدرة والملك برحمانيته التي رحمهم بها من غير منفعة ولا حاجة الى ذلك فاشركوا
به الاوثان وكل معبود اتخذوه من دونه وجحدوا الرحمة التي خرجت هذه الاشيا بها اليهم فقال سايلا لهم فباي
الآء ربكما تكذبان اي باي قدرة ربكما تكذبان وانما كان تكذيبهم انهم جعلوا له في هذه الاشيا التي خرجت من
قدرته وملكه شريكا يملك معه ويفعل معه فلذلك تكذيبهم ثم ذكر خلق الانسان من صلصال وذكر خلق الجان من
مارج من نار ثم سالهم فقال فباي الآء ربكما تكذبان اي باي قدرة ربكما تكذبان فان له في كل خلق بعد خلق قدرة
بعد قدرة فالتكرير في هذه الآيات للتاكيد والمبالغة في التقرير واتخاذ الحجة عليهم مما وقفهم على خلق وخلق
قال القتيبي ان الله تعالى عدد في هذه السورة نعماه وذكر خلقه والآلاء ثم اتبع كل خلة وصفها ونعمة وضعها
في هذه الآية وجعلها فاصلة بين كل نعمتين ليفهمهم على النعم ويقررهم بها كما يقول لمن تتابع فيه احسانك
وهو يكفره وينكره الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا الم تكن راجلا فـ
حملتك افتنكر هذا والتكرير حسن في مثل هذا قال * كم نعمة كانت لكم كم كم وكم * وقال
* لا تقتلي مسلما ان كنت مسلمة * اياك من دمه اياك اياك * وقال اخر

* لا تقطعن الصديق ما طرفت * عيناك من قول كاشح اشر *
* ولا تملن من زيارته * زره وزره وزر وزر وزر * وقال الحسين بن الفضل التكرير طرد
للغفلة وتاكيد للحجة * قال شهاب الدين والتكرير ههنا كالتكرير في قوله ولقد يسرنا القران كقوله فيما سياتي وقوله ويل يومئذ
للمكذبين وذهب جماعة منهم ابن قتيبة الى ان التكرير لاختلاف النعم فلذلك كرر التوقيف مع كل واحد واحد قال
ابن الخطيب وذكره بلفظ الخطاب على سبيل الالتفات والمراد به التقريع والزجر وذكر لفظ الرب لانه يشعر بالرحمة
قال وكررت هذه اللفظة في هذه السورة نيفا وثلاثين مرة اما للتاكيد ولا يعقل لخصوص العدد معنى وقيل
الخطاب مع الانس والجن والنعم منحصرة في دفع المكروه وتحصيل المقصود واعظم المكروهات عذاب جهنم ولها سبعة
ابواب واعظم المقاصد نعيم الجنة ولها ثمانية ابواب فالمجموع خمسة عشر وذلك بالنسبة الى الجن والانس
ثلاثون والزايد لبيان التاكيد روى جابر بن عبد الله قال قرا علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى
ختمها ثم قال ما لي اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم ردا ما قرات عليهم هذه الاية مرة فباي الآء ربكما تكذبان الا قالوا
ولا بشيء من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد قوله خلق الانسان من صلصال كالفخار لما ذكر الله تعالى خلق العالم
الكبير من السما والارض وما فيها من الدلالات على وحدانيته وقدرته ذكر خلق العالم الصغير فقال خلق الانسان
قال المفسرون يعني ادم من صلصال وهو الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة وشبهه بالفخار الذي طبخ وقيل
هو طين خلط برمل وقيل هو الطين المنتن من صل اللحم واصل اذا انتن وقال هنا من صلصال كالفخار وقال في
الحجر من صلصال من حما مسنون وقال انا خلقناكم من طين لازب وقال كمثل ادم خلقه من تراب وكله متفق المعنى
وذلك انه اخذ من تراب الارض فعجنه فصار طينا ثم انتقل فصار كالحما المسنون ثم يبس فصار صلصالا كالفخار
فقوله كالفخار نعت لصلصال وتقدم تفسيره قوله والجان قيل هو اسم جنس كالانسان وقيل هو ابو الجن ابليس
وقيل هو ابوهم وليس بابليس قوله من مارج من نار من الاولى لابتدا الغاية وفي الثانية وجهان احدهما انها
للبيان الثاني انها للتبعيض والمارج قيل ما اختلط من احمر واصفر واخضر وهذا مشاهد في النار ترى الالوان
الثلاثة مختلطا بعضها ببعض وقيل الخالص وقيل الاحمر وقيل الحمرة في طرف النار وقيل المختلط بسواد وقيل
اللهب المضطرب وقال الليث المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد وعن ابن عباس انه اللهب
الذي يعلو النار فيختلط بعضه ببعض احمر واصفر واخضر ونحوه عن مجاهد وقيل المارج المرسل غير ممنوع قال
المبرد المارج النار المرسلة التي لا تمنع وقال ابو عبيدة والحسن المارج المختلط النار واصله من مرج اذا اضطرب
واختلط قال القرطبي ويروى ان الله تعالى خلق نارين فمرج احداهما بالاخرى فاكلت احداهما الاخرى وهي نار
السموم فخلق منها ابليس قال القشيري والمارج في اللغة المرسل او المختلط وهو فاعل بمعنى مفعول كقوله
ماء دافق وعيشة راضية والمعنى ذو مرج وقد تقدم نعت المارج وتقدم الكلام على قوله فباي الى اخرها قوله
رب المشرقين العامة على رفعه وفيه اوجه احدها انه مبتدا خبره مرج البحرين وما بينهما اعتراض الثاني
انه خبر مبتدا مضمر اي هو رب اي ذلك الذي فعل هذه الاشيا الثالث انه بدل من الضمير في خلق وابن ابي عبلة
رب بالجر بدلا او بيانا لربكما قال مكي ويجوز في الكلام الخفض على البدل من ربكما كانه لم يطلع على انها قراة منقولة
والمشرقان قيل مشرقا الشتا والصيف ومغرباهما وقيل مشرقا الشمس والقمر ومغرباهما وذكر غاية ارتفاعهما
وغاية انحطاطهما اشارة الى ان الطرفين يتناول ما بينهما كقولك في وصف ملك عظيم له المشرق والمغرب فيفهم
منه ان له ما بينهما ويؤيده قوله تعالى رب المشارق والمغارب قوله مرج البحرين اي خلى وارسل واهمل يقال
مرج الناس السلطان اي اهملهم واصل المرج الاهمال كما تمرج الدابة في المرعى ويقال مرج خلط وقال الاخفش
ويقول قوم امرج البحرين مثل مرج فيكون فعل وافعل بمعنى والبحرين قال ابن عباس بحر السما وبحر الارض قال
سعيد بن جبير يلتقيان في كل عام وقيل يلتقي طرفاهما وقال الحسن وقتادة بحر فارس والروم وقال
ابن جريج البحر المالح والانهار العذبة وقيل بحر المشرق وبحر المغرب يلتقي طرفاهما وقيل بحر اللولو والمرجان
بينهما برزخ حاجز قوله يلتقيان حال من البحرين وهي قريبة من الحال المقدرة ويجوز ان تكون
مقارنة وبينهما برزخ يجوز ان يكون جملة مستانفة وان تكون حالا ويجوز ان يكون الظرف وحده هو الحال والبرزخ
فاعل به وهو احسن لقربه من المفرد وفي صاحب الحال وجهان احدهما هو البحرين والثاني هو فاعل يلتقيان
ولا يبغيان حال اخرى كالتي قبلها اي مرجهما غير باغيين او يلتقيان غير باغيين او بينهما برزخ في حال عدم
بغيهما وهذه الحال في قوة التعليل المعنى لئلا يبغيا وقد تمحل بعضهم وقال اصل ذلك لئلا يبغيا ثم حذف
حرف العلة مع ان وان ثم حذفت ان ايضا وهو حذف مطرد كقوله ومن اياته يريكم فلما حذفت ان
ارتفع الفعل وهذا غير ممنوع الا انه تكرر فيه الحذف ولذا تقول فلا حاجة الى الحذف اكثر من ذلك فيما هو

اخص من هذا كما تقدم في خطاب الثقلين كما سيأتي في قوله وتجعلون رزقكم **فصل** في تعلق الاية بما قبلها لما ذكر الشمس والقمر
وانهما يجريان في الفلك كما يجري الفلك في البحر كقوله كل في فلك يسبحون فذكر البحرين عقيب المشرقين والمغربين
او لان المشرقين والمغربين يكونان في البر والبحر فذكر البحر بعد ذكر البر لانحصار البر والبحر بين المشرقين والمغربين
قوله بينهما برزخ اي حاجز لا يبغيان فعلى القول بانهما بحر السماء وبحر الارض فالحاجز الذي بينهما هو ما بين
السماء والارض قاله الضحاك وعلى الاقوال الباقية الحاجز هو الارض التي بينهما قاله الحسن وقتادة وقال بعضهم
الحاجز هو القدرة الالهية فقوله لا يبغيان قال قتادة لا يبغيان على الناس فيغرقانهم جعل بينهما وبين الناس اليبس
وقال مجاهد وقتادة ايضا لا يبغي احدهما على صاحبه فيغلبه وقال ابن زيد لا يبغيان اي يلتقيان تقديره مرج
البحرين يلتقيان لولا البرزخ الذي بينهما لا يبغيان ان يلتقيا وقيل البرزخ ما بين الدنيا والاخرة اي بينهما مدة
قدرها الله تعالى وهي مدة الدنيا فهما لا يبغيان فاذا اذن الله بانقضاء الدنيا صار البحران شيئا واحدا وهو
كقوله تعالى واذا البحار فجرت وقال سهل بن عبد الله البحر النظر في الخير والشر والبرزخ الذي بينهما التوفيق
والعصمة **فصل** قال ابن الخطيب ان الله تعالى خلق في الارض بحارا تحيط بها الارض وخلق بحرا محيطا بالارض
احاط به الهواء كما قال به اهل الهيئة وهذه البحار التي في الارض لها اتصال بالبحر المحيط ثم انهما لا يبغيان على الارض
ولا يغطيانه بفضل الله لتكون الارض بارزة يتخذها الانسان مكانا وهذا عند البصر الحاذق الارض تحت الطبيعي والمطلع
في الكلام فان عندهم ان طبع الارض ان تكون في المركز مغمورا بالماء ويكون الماء محيطا بجميع جوانبه فاذا سئلوا عن ظهور
الارض من الماء قالوا ذلك جذب في الارض فان قيل لهم لماذا انجذب وما سبب الجذب فالذي عنده قليل من
الحق استناد ذلك الى ارادة الله تعالى ومشيئته والاخر يقول ذلك بحسب اتصالات الكواكب واوضاعها فاذا
قيل له لماذا اختلف اوضاع الكواكب على الوجه الذي اوجب البروز في بعض الارض دون بعض بهت كما بهت
الذي كفر ويرجع الى الحق ان هداه الله تعالى. قال ابن الخطيب ومعنى الاية ان الله تعالى ارسل بعض البحرين
الى بعض ومن شانهما الاختلاط فحجزهما ببرزخ من قدرته فهما لا يبغيان اي لا يتجاوز كل احد منهما ما حد له
والبغي مجاوزة الحد او من الابتغاء وهو الطلب اي لا يطلبان غير ما قدر لهما **قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**
قرا نافع وابو عمرو يخرج مبنيا للمفعول والباقون مبنيا للفاعل على المجاز قالوا وثم مضاف محذوف اي من
احدهما لان ذلك لم يوجد من البحر العذب حتى عابوا قول الشاعر
فجاء بها ما شئت من لطيمة … على وجهها ماء الفرات يموج … قال مكي كما قال على رجل من القريتين
اي من احدى القريتين فحذف المضاف كثير شائع وقيل هو كقوله نسيا حوتهما وانما الناسي فتاه ويعزى هذا
لابي عبيدة قال البغوي وهذا جائز في كلام العرب ان يذكر شيئين ثم يخص احدهما بفعل كقوله يا معشر الجن
والانس الم ياتكم رسل منكم وانما كانت … وقيل يخرج من احدهما اللؤلؤ ومن الاخر المرجان وقيل بل يخرجان منهما
جميعا ثم ذكروا وجوها منها انهما يخرجان من الملح في الموضع الذي يقع فيه العذب وهذا مشاهد عند الغواصين
وهو قول الجمهور فناسب ذلك اسناده اليهما ومنها قول ابن عباس تكون هذه الاشياء في البحر بنزول المطر
والصدف تفتح افواهها للمطر وقد شاهده الناس فيكون تولدها من بحر السماء وبحر الارض وهذا قول الطبري
ومنها ان العذب في الملح كاللقاح كما يقال الولد يخرج من الذكر والانثى ومنها انه قيل منهما من حيث
هما نوع واحد فخروج هذه الاشياء انما هي منهما كما قال تعالى وجعل القمر فيهن نورا وانما هو في واحدة
منهن وقال الزمخشري فان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح قلت لما التقيا وصارا كالشيء الواحد
جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر وانما يخرجان من بعضه وتقول
خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى
الملح والعذب انتهى وقال بعضهم كلام الله اولى بالاعتبار من كلام بعض الناس فمن الجائز ان يسوقهما من
البحر العذب الى الملح والمتفق انهم لم يخرجوها الا من الملح واذا كان في البر اشياء تخفى على التجار المترددين
القاطعين المفاوز فكيف بما هو في قعر البحر **فالجواب** عن هذا ان الله لا يخاطب الناس ولا يمتن عليهم الا بما
يالفون ويشاهدون واللؤلؤ قيل كبار الجوهر والمرجان صغاره قاله علي وابن عباس والضحاك وقيل بالعكس وانشد
قول الاعشى … من كل مرجانة في البحر احرزها … تيارها ووقاها طينها الصدف … اراد اللؤلؤة الكبيرة
قاله علي وابن عباس ايضا وقيل المرجان حجر احمر وقيل حجر شديد البياض والمرجان اعجمي قال ابن دريد لم اسمع
فيه كلاما منصرفا واللؤلؤ بناء غريب لم يرد على هذه الصيغة الا خمسة الفاظ اللؤلؤ والجؤجؤ وهو الصدر
والدؤدؤ واليؤيؤ لطائر والبؤبؤ بالموحدتين وهو الاصل واللؤلؤ بضمتين والهمز هو المشهور وابدال
الهمزة واوا سائغ فصيح وقد تقدم ذلك وقرا طلحة اللؤلؤ بكسر اللام الثالثة وهي لغة محفوظة ونقل عنه ابو

عن الفنا **فان قيل** فلو قال ويبقى وجه الرب من غير خطاب كان ادل على فنا الكل **فالجواب** ان كاف الخطاب في الرب
اشارة الى اللطف والابقا اشارة الى القهر والموضع موضع بيان اللطف وتعديد النعم فلهذا قال بلفظ الرب وكاف
الخطاب **قوله ذو الجلال والاكرام** العامة على ذو بالواو صفة للوجه وابي وعبد الله ذي بالياء صفة لربك
وسيأتي خلاف القرا في اخر السورة ان شاء الله تعالى والجلال العظمة والكبرياء والاكرام يكرم انبياءه واولياءه
بلطفه مع جلاله وعظمته **قوله يسأله من في السموات** فيه وجهان احدهما هو مستانف والثاني انه حال
من وجه والعامل فيه يبقى اي يبقى مسؤولا من اهل السموات والارض وفيه اشكال لانه لما قال ويبقى وجه ربك كان
اشارة الى بقائه بعد فناء من على الارض فكيف يكون في ذلك الوقت مسؤولا لمن في الارض قال ابن الخطيب والجواب
من وجوه الاول انهم يفنون بالنظر اليه لكنهم يبقون بابقاء الله فصح ان يكون الله مسؤولا الثاني ان يكون مسؤولا معنى
لا حقيقة لانهم اذا فنوا فهم يسالونه بلسان الحال الثالث ان قوله ويبقى للاستمرار فهو يبقى ويعيد من كان
في الارض ويكون مسؤولا الرابع ان السائلين هم الملائكة الذين هم في الارض فانهم فيها وليسوا عليها ولا يبعد
ان لو لم يفنوا فعند ما يفنى من عليها يبقى الله تعالى ولا يفنى في تلك الحال الملائكة فيسالونه ماذا يفعل فيا ترى
مما يريد وهذا السؤال اما استعطاف واما استعطاء **فصل** يسأله كل احد ما يحتاج اليه قال ابن عباس
وابو صالح اهل السموات يسالونه المغفرة ولا يسالونه الرزق واهل الارض يسالونهما جميعا وقال ابن
جريج تسال الملائكة الرزق لاهل الارض فكانت المسالتان جميعا من اهل السماء واهل الارض لاهل الارض قال
القرطبي وفي الحديث ان من الملائكة ملكا له اربعة اوجه وجه كوجه الانسان يسال الله الرزق لبني ادم
ووجه كوجه الاسد وهو يسال الله الرزق للسباع ووجه كوجه الثور وهو يسال الله الرزق للبهائم
ووجه كوجه النسر وهو يسال الله الرزق للطير وقال ابن عطا انهم يسالونه القوة على العبادة **قوله كل
يوم** منصوب بالاستقرار الذي تضمنه الخبر وهو قوله في شان والشان الامر **فصل** روى ابو الدرداء عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال كل يوم هو في شان قال من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع اقواما ويضع
اخرين وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل كل يوم هو في شان قال يكشف ذنبا ويفرج
كربا ويجيب داعيا وقيل من شانه انه يحيي ويميت ويعز ويذل ويرزق ويمنع وقال ابن بحر الدهر كله يومان
احدهما مدة ايام الدنيا والاخر يوم القيامة فشانه سبحانه في ايام الدنيا الابتلاء والاختبار بالامر والنهي
والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع وشانه يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب والظاهر ان
المراد بذلك الاخبار عن شانه في كل يوم من ايام الدنيا وقال عمرو بن ميمون في قوله تعالى كل يوم هو
في شان من شانه ان يميت حيا ويحيي ميتا ويقر في الارحام ويعز ذليلا ويذل عزيزا وقيل شانه ان يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما
ويبتلي معافى ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا وقال الكلبي هو سوق
المقادير الى المواقيت وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث
ايات دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو في
شان وصح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال
الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون في هذه الامة لان الله خص
هذه الامة بخصائص لم يشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله
وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي ان اجزيه بواحدة الفا واما قوله كل يوم
هو في شان فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله وقبل راسه وسوغ خراجه **قوله سنفرغ**
قرا سيفرغ بالياء الاخوان اي سيفرغ الله تعالى والباقون بالنون من التشبيه بنون العظمة والراء مضمومة في
القراءتين وهي اللغة الفصحى لغة الحجاز وقراها مفتوحة الراء مع النون الاعرج وتحتمل وجهين احدهما
ان يكون من فرغ بفتح الراء في الماضي وفتحت في المضارع لاجل حرف الحلق والثاني انه سمع فيه فرغ بكسر
العين فيكون هذا مضارعه وهذه لغة تميم وقرا عيسى بن عمر وابو السمال سنفرغ بكسر حرف المضارعة
وفتح الراء وتوجيهها واضح مما تقدم في الفاتحة قال ابو حاتم هي لغة سفلى مضر والاعمش وابو حيوة
وابراهيم سيفرغ بضم الياء من تحت مبنيا للمفعول وعيسى ايضا بفتح نون العظمة وكسر الراء والاعرج
ايضا بفتح الياء والراء وروي عن ابي عمرو **فصل** قال القرطبي يقال فرغت من الشغل افرغ فروغا
وفراغا وتفرغت لكذا واستفرغت مجهودي في كذا اي بذلته والله تعالى ليس له شغل يفرغ منه وانما
المعنى سنقصد لمجازاتكم ومحاسبتكم فهو وعيد لهم وتهديد قاله ابن عباس والضحاك كقول القائل لمن

الفصل اللولي بقلب الهمزة الاخيرة ياء ساكنة كانه لما كسر ما قبل الهمزة قلبها ياء استثقالا وقرا ابو عمرو في رواية تخرج اى الله
تعالى ويروى عنه ايضا وعن ابن مقسم نخرج بنون العظمة واللؤلؤ والمرجان في هاتين القراءتين منصوبان فصل
قال ابن الخطيب فان قيل اى نعمة عظيمة في اللؤلؤ والمرجان حتى ذكر مع نعمة تعليم القرآن وخلق الانسان والجواب
بان النعم منها خلق الضروريات كالارض الذى له مكانا وكذا الرزق الذى به بقاؤه ومنها ما يحتاج اليه وان لم يكن
ضروريا كالحيوان واجراء الشمس والقمر ومنها المنافع وان لم يكن محتاجا اليها كالفاكهة وخلق البحار كقوله تعالى
والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس ومنها الزينة وان لم تكن نافعا كاللؤلؤ والمرجان كقوله تعالى وتستخرجون
منه حلية تلبسونها فالله تعالى ذكر انواع النعم الاربعة وصدرها بالنعمة العظيمة التى هى الروح وهو العلم بقوله
علم القرآن او يقال بان المقصود منه بيان عجايب الله لا بيان النعم لان النعم سبق ذكرها وذكر خلق الانسان من صلصال
وخلق الجان من نار وهذا من العجايب الدالة على القدرة لا من النعم واعلم ان الاركان اربعة التراب والماء والهواء
والنار فالله تعالى بين بقوله خلق الانسان من صلصال ان التراب اصل لمخلوق عجيب وبين بقوله وخلق الجان من
مارج من نار ان النار ايضا اصل لمخلوق عجيب وبين بقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ان الماء اصل لمخلوق آخر كالحيوان
عجيب بقى الهواء لكنه غير محسوس فلم يذكر انه اصل مخلوق لكن بين كونه منشئا للجوارى التى في البحر كالاعلام فقال وله
الجوار الاية قوله وله الجوار العامة على كسر الراء لانه منقوص على مفاعل والياء محذوفة لفظا لالتقاء الساكنين
وقرا عبد الله والحسن ويروى عن ابي عمرو الجوار برفع الراء تناسيا للمحذوف ومنه
لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان وهذا كما قالوا هذا شاك وقد
تقدم تقرير هذا في الاعراف عند قوله ومن فوقهم غواش قوله المنشآت قرا حمزة وابو بكر بخلاف عنه بكسر الشين
بمعنى انها تنشئ الموج بجريها او تنشئ السير اقبالا وادبارا او التى رفعت شراعها والشراع القلع وعن مجاهد
كلما رفعت قلعها فهي من المنشآت والا فليست منها ونسبة الرفع اليها مجاز كما يقال انشأت السحابة المطر والباقون
بالفتح وهو اسم مفعول اى انشأها الله او الناس او رفعوا شراعها وقرا ابن ابي عبلة المنشّآت بتشديد الشين
مبالغة والحسن المنشات بالافراد وابدال الهمزة الفا ثم حذفها و وحد الصفة ثقة بافهام الموصوف
الجمعية كقوله ازواج مطهرة واما ابداله الهمزة الفا وان كان قياسها بين بين فمبالغة في التخفيف كقوله
ان السباع لتهدا في مرابضها اى لتهدأ واما كتبها بالياء المجبورة فاتباعا للفظها في الوصل
وفى البحر متعلق بالمنشئات او المنشآت ورسمه بالياء بعد الشين في مصاحف العراق يقوى قراءة الكسر ورسمه
بدونها يقوى قراءة الفتح وحذف الالف كما يحذف في ساير جمع المؤنث السالم وكالاعلام حال اما من الضمير المستكن
في المنشآت واما من الجوار وكلاهما بمعنى واحد فصل الجوار جمع جارية وهي اسم او صفة للسفينة وخصها بالذكر
لان جريها في البحر لا صنع للبشر فيه وهم معترفون بذلك فيقولون لك الفلك ولك الملك واذا خافوا الغرق دعوا الله
خاصة وسميت السفينة جارية لان شانها ذلك وان كانت واقفة في الساحل كما سماها في موضع آخر بالجارية فقال
انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وسماها بالفلك قبل ان لم تكن كذلك فقال لنوح عليه السلام واصنع الفلك
باعيننا ثم بعد ما عملها سماها سفينة فقال فانجيناه واصحاب السفينة واعلم ان المراة المملوكة تسمى ايضا جارية
لان شانها الجرى والسعي في حوايج سيدها بخلاف الزوجة فهو من الصفات الغالبة والسفينة فعيلة بمعنى فاعلة
عند ابن دريد اى تسفن الماء او فعيلة بمعنى مفعولة عند غيره بمعنى منحوتة قال ابن الخطيب فالفلك اولا ثم
السفينة ثم الجارية والاعلام الجبال والعلم الجبل الطويل قال اذا قطعنا علما بدا علم
وقالت الخنساء في صخر وان صخرا لتاتم الهداة به كانه علم في راسه نار اى جبل فالسفن في
البحر كالجبال في البر وجمع الجوارى ووحد البحر وجمع الاعلام اشارة الى عظمة البحر قوله كل من عليها فان غلب
من يعقل على غيره وجميعهم مراد والضمير في عليها للارض قال بعضهم وان لم يجر لها ذكر كقوله حتى توارت
بالحجاب ورد هذا بانه تقدم ذكرها في قوله والارض وضعها وقيل الضمير عايد الى الجارية قال ابن عباس لما
نزلت هذه الاية قالت الملايكة هلك اهل الارض فنزلت كل شيء هالك الا وجهه فايقنت الملايكة بالهلاك وهو قول
مقاتل ووجه النعمة في فناء الخلق التسوية بينهم في الموت وقيل وجه النعمة ان الموت سبب النقل الى دار الجزاء
والثواب قوله ويبقى وجه ربك اى ويبقى الله فالوجه عبارة عن وجود ذاته سبحانه وتعالى قال ابن
عباس الوجه عبارة عنه كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام اى هو اهل لان يكرم وهذا خطاب مع كل
سامع وقيل خطاب للنبى عليه السلام فان قيل كيف خاطب الاثنين بقوله فباى الاء ربكما وخاطب ههنا الواحد
فقال ويبقى وجه ربك ولم يقل وجه ربكما فالجواب ان الاشارة ههنا وقعت الى كل احد فقال ويبقى وجه
ربك ايها السامع ليعلم كل احد ان غيره فان فلو قال ويبقى وجه ربكما لكان كل احد يخرج نفسه ورفيقه المخاطب

يريد سنقصد اذ التفرغ للشى اى القصد فقط وانشد ابن الانبارى لجرير
الان وقد فرغت الى نمير فهذا حين كنت لهم عذابا يريد وقد قصدت وانشد الزجاج
والنحاس فرغت الى العبد المقيد في الحجل ويدل عليه قراءة ابي سنفرغ اليكم اى سنقصد اليكم
وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه لما بايع الانصار ليلة العقبة صاح الشيطان يا اهل الحاجب هذا مذمم يبايع
بنى قيلة على حربكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا ازب العقبة اما والله يا عدو الله لاتفرغن لك اى اقصد
قصد ابطال امرك وهذا اختيار القتيبى والكسائى وغيرهما قال ابن الاثير الازب في اللغة الكثير الشعر وهو
ههنا شيطان اسمه ازب العقبة وهو الحية وقيل ان الله تعالى وعد على التقوى واوعد على الفجور ثم قال سنفرغ لكم اى
مما وعدناكم ونوصل كلا الى ما وعدناه اقسم ذلك وانتفرغ منه قاله الحسن ومقاتل وابن زيد قوله ايه الثقلان تقدم
الكلام في قراءة ايها في النور وهو منادى والحكمة في نداء المبهم انه يتنبه كل سامع ثم تخصص المقصود بعد ذلك فيكون
فيه اهتمام بالمنادى وايضا يجعل المبهم وصلة لنداء المعرف باللام وزيد معها ها التى للتنبيه عوضا عن الاضافة
لان المبهم يضاف والثقلان الجن والانس سميا بذلك لعظم شانهما بالاضافة الى ما في الارض من غيرهما بسبب
التكليف وقيل سموا بذلك لانهما ثقلا الارض احياء واموات قال الله تعالى واخرجت الارض اثقالها ومنه قوله
اعطه ثقله اى وزنه وقال بعض اهل المعانى كل شى له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قيل لبيض النعام
ثقل لان واجده وصايده يفرح به اذا ظفر به وقال جعفر الصادق سميا الثقلين لانهما مثقلان بالذنوب
وقيل الثقل الانس لشرفهم وسمى الجن بذلك مجازا للمجاورة والتغليب كالعمرين والقمرين والثقل العظيم
الشريف قال عليه السلام انى تارك فيكم ثقلين كتاب الله وعترتى فصل جمع في قوله سنفرغ لكم ثم قال
ايه الثقلان لانهما فريقان وكل فريق جمع وهذا كقوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم ولم يقل ان استطعتما
لانهما فريقان في حال الجمع كقوله تعالى فاذا هم فريقان يختصمون وهذان خصمان اختصموا في ربهم ولو قال
سنفرغ لكما او قال ان استطعتما لجاز وقرا اهل الشام ايه الثقلان بضم الهاء والباقون بفتحها فصل
هذه الاية نحو التى في الاحقاف وقلنا وفي دليل على ان الجن مخاطبون مكلفون مامورون منهيون مثابون
معاقبون كالانس سواء مؤمنهم كمؤمنهم وكافرهم ككافرهم قوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم
ان تنفذوا الاية لما بين الله تعالى لا يشغله شان عن شان كان قايلا قال فلم اخر عذابهم فاجيب
بان العجول يخاف الفوت والذي يستعجل انما يخاف الفوت والجميع في قبضة الله تعالى فلا يفوتونه والمعشر
الجماعة العظيمة لان المعشر هو العدد الكامل الكثير الذى لا عدد بعده الا بابتداء فيه من الاحاد تقول
احد عشر واثنا عشر وعشرون وثلاثون اى ثلاث عشرات فالمعشر كانه محل العشر الذى هو الكثرة الكاملة
فان قيل ما الحكمة في تقديم الجن على الانس ههنا وتقديم الانس على الجن في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القرآن فالجواب النفوذ من اقطار السموات والارض بالجن اليق ان امكن والاتيان
بمثل القرآن بالانس اليق ان امكن الاتيان فقدم في كل موضع ما يليق به فصل معنى الاية ان استطعتم
ان تنفذوا وتجوزوا وتخرجوا بسرعة والنفوذ الخروج وقد تقدم في اول البقرة والمراد بها نوع تعجيز لما يدل على الخروج كقوله
وتعمر ثم قال من اقطار السموات والارض فاخرجوا اخرجوا منها وهذا امر تعجيز والمعنى حيث ما كنتم ادرككم الموت
كما قال تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت وهو قول الضحاك واخبر عن الضحاك ايضا قال انهم يوم القيامة
يقال لهم استطعتم ان تجوزوا اطراف السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا والمعنى لا مهرب لكم ولا خروج
لكم عن ملك الله وايما تولوا فثم ملك الله قوله الا بسلطان حال او متعلق بالفعل قبله والسلطان القوة التى يتسلط
بها على الامر والملك والقدرة والحجة كلها سلطان يريد حيث ما توجهتم كنتم في ملكى قوله يرسل عليكما شواظ قرا
ابن كثير بكسر الشين والباقون بضمها وهما لغتان بمعنى واحد مثل صوار من البقر وصوار وهو القطيع من البقر
والشواظ قيل اللهب معه دخان وقال ابن عباس وغيره هو اللهب الخالص الذى لا دخان له وقيل اللهب
الاحمر وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقال رؤبة ونار حرب تسعر الشواظا وقال حسان
هجوتك فاختضعت لها بذل بقافية تاجج كالشواظ وقال مجاهد الشواظ اللهب الاخضر
المنقطع من النار وقال الضحاك هو الدخان الذى يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب وقاله سعيد بن جبير
وقيل الشواظ النار والدخان جميعا قاله ابن عمرو وحكاه الاخفش عن بعض العرب قوله ونحاس قرا ابن كثير
وابو عمرو بجره عطفا على نار والباقون برفعه عطفا على شواظ والنحاس قيل هو الصفر المعروف يذيبه الله تعالى
ويعذبهم به وقيل الدخان الذى لا لهب معه قال الخليل وهو معروف في كلام العرب وانشد للاعشى
يضى كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا قال المهدوى من قال الشواظ

ان مح

النار والدخان جميعا فالجر في نحاس على هذا بين . واما الجر على قول من جعل الشواظ اللهب الذي لا دخان فيه فضعيف لا يسوغ الا على تقدير حذف موصوف كانه قال يرسل عليكما شواظ من نار وشيء من نحاس فشيء معطوف على شواظ ومن نحاس جملة هي صفة لشيء وحذف شيء وحذف من لتقدم ذكرها في من نار كما حذفت على من قولهم على من تنزل انزل اي عليه ليكون نحاس على هذا مجرورا بمن المحذوفة . وتضم نونه وتكسر وبالكسر قرا مجاهد وطلحة والكلبي ونقله القرطبي عن حميد ايضا وعكرمة وابي العالية . وقرا ابن جندب ونحس كقوله في يوم نحس وابن ابي بكرة وابن ابي اسحق ونحس بضم النون والحاء المشددة اي ونقتل بالعذاب . وقرا ابن ابي اسحق ايضا ونحس بضم الحاء وفتحها والحاء المشددة سيئات وقرا زيد ونحاسا بالنصب لعطفه وكسرها وجر السين . والحسن والقاضي ونحس بضمتين وجر السين وتقدمت قراءة زيد ونحاسا بالنصب لعطفه على شواظ في قراءته والنحاس ايضا بالكسر الطبيعة والاصل يقال فلان كريم النحاس والنحاس ايضا بالضم اي كريم النحاس قال ابن مسعود النحاس المهل . وقال الضحاك هو دردي الزيت المغلي قال الكسائي هو النار التي لها ريح شديد وقوله فلا تنتصران اي لا ينصر بعضكم بعضا يعني الجن والانس وثنى الضمير في عليكما لان المراد النوعان وجمع في قوله ان استطعتم لانه خطاب للمعشر وكذا قوله فلا تنتصران خطاب للحاضرين وهم نوعان قوله فاذا انشقت السماء جوابه مقدر اي رايت هولا عظيما او كان ما كان وقوله فكانت وردة اي مثل وردة فقيل هي الزهرة المعروفة التي تشم شبهها في الحمرة وانشد . فلو كنت وردا لونه لعشقتني . ولكن ربي شانني بسواديا . وقيل هي من لون الفرس الورد يكون في الربيع الى الصفرة . وفي الشتاء الى الحمرة وفي اشتداد البرد الى الغبرة فشبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل . وقرا عمرو بن عبيد وردة بالرفع . قال الزمخشري بمعنى حصلت سماء وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله . فلين بقيت لارحلن بغزوة . نحو الغنائم او يموت كريم . قوله كالدهان يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون نعتا لوردة وان يكون حالا من اسم كانت . وفي الدهان قولان احدهما انه جمع دهن نحو قرط وقراط ورمح ورماح وهو في معنى قوله تعالى تكون السماء كالمهل وهو دردي الزيت . والثاني انه اسم مفرد فقال الزمخشري اسم ما يدهن به كالحزام والادام . وانشد . كانهما مزادتا متعجل . فريان لما يدهنا بدهان . وقال غيره هو الاديم الاحمر وانشد للاعشى . واجرد من كرام النخل طرف . كان على شواكله دهانا . اي اديما احمر وهذا يحتمل ان يكون جمعا لو يدل ما انشد هنا لابن سعيد . يبيعون الدهان الحمر كل عشية . بموسم بدر او بسوق عكاظ . فقوله الحمر يدل كونه جمعا وقد يقال هو كقولهم اهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض الا انه خلاف الاصل . وقيل شبهت بالدهان وهو الزيت لذوبها ودورانها . وقيل لبريقها فصل قال المفسرون انشقت السماء انشقت يوم القيامة فكانت وردة كالدهان . قال مجاهد والضحاك وغيرهما الدهان الدهن . والمعنى صارت في صفاء الدهن والدهان على هذا جمع دهن . وقال سعيد بن جبير وقتادة المعنى تصير في حمرة الورد وجري الدهن اي تذوب مع جريان الدهن حتى تصير حمراء من حرارة نار جهنم وتصير مثل الدهن لرقتها وذوبانها وقيل الدهان الجلد الاحمر الصرف ذكره ابو عبيدة والفراء اي تصير السماء كالاديم لشدة حر نار جهنم وعن ابن عباس المعنى فكانت كالفرس الورد في الربيع كميت اصفر وفي اول الشتاء كميت احمر فاذا اشتد الشتاء كان كميتا اغبر . وقال الفراء اراد الفرس الوردة تكون في الربيع وردة الى الصفرة فاذا اشتد البرد كانت وردة حمراء فاذا كان بعد ذلك كانت وردة الى الغبرة فشبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل . وقال الحسن كالدهان اي كصب الدهن فانك اذا صببته ترى فيه الوانا . وقال زيد بن اسلم المعنى تصير كعكر الزيت . وقيل المعنى انها تمر وتجيء قال الزجاج اصل الواو والراء والدال للمجيء والاتيان وهذا قريب مما تقدم من الفرس الوردة فتتغير الوانها والورد ايضا يطلق على الاسد . وقال قتادة انها اليوم خضراء وسيكون لها لون احمر حكاه الثعلبي . وقال الماوردي وزعم المتقدمون ان اصل لون السماء الحمرة وانها لكثرة الحوائل وبعد المسافة يرى لونها ازرق وشبهوا ذلك بعروق البدن هي حمر كحمرة الدم وترى بالحائل زرقا فان كان هذا صحيحا فان السماء لقربها من النواظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز ترى حمراء لانه اصل لونها والله اعلم قوله فيومئذ التنوين عوض من الجملة اي فيوم اذ انشقت السماء والفاء في يومئذ جواب الشرط . وقيل هو محذوف اي فاذا انشقت السماء رايت امرا مهولا ونحو ذلك . والهاء في ذنبه تعود على احد المذكورين وضمير الاخر مقدر اي ولا يسال عن ذنبه جان ايضا وناصب الظرف لا يسال ولا غير مانعة وقد تقدم الخلاف فيها في الفاتحة وتقدمت قراءة جان بالهمز فيها ايضا فصل قال المفسرون هذه الاية مثل قوله تعالى ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون وان القيامة مواطن لطول ذلك اليوم فيسال في بعض ولا يسال في بعض

وهذا قول عكرمة . وقيل المعنى لا يسالون اذا استقروا في النار . وقال الحسن وقتادة لا يسالون عن ذنوبهم لان الله حفظها عليهم وكتبتها الملائكة رواه العوفي عن ابن عباس . وعن الحسن ومجاهد ايضا لا تسال الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم دليله قوله يعرف المجرمون بسيماهم ورواه مجاهد عنه ايضا في قوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين وهو قوله تعالى فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان قال لا يسالهم ليعرف ذلك منهم ولكنه يسالهم لم عملتموها سؤال توبيخ . وقال ابو العالية لا يسال غير المجرم عن ذنب المجرم . وقال قتادة يسالون قبل الختم على افواههم ثم يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم شاهدة عليهم قوله يعرف المجرمون بسيماهم قرا حماد بن ابي سليمان بسيمائهم بالمد وتقدم الكلام على ذلك في اخر البقرة قوله فيؤخذ بالنواصي الا انه يؤخذ متعد ومع ذلك تعدى بالباء لانه ضمن معنى يسحب قال ابو حيان ويسحب انما تعدى بعلى قال تعالى يسحبون في النار على وجوههم فكان ينبغي ان يقول ضمن معنى يتعدى بها يدعون اي يدفعون وقال مكي انما يقال اخذت الناصية واخذت بالناصية ولو قلت اخذت الدابة بالناصية لم يجز . وحكي عن العرب اخذت الخطام واخذت بالخطام بمعنى وقد قيل ان تقديره فيؤخذ كل واحد بالنواصي وليس بصواب لانه لا يتعدى الى مفعولين بالباء ما ذكرنا وقد يجوز ان يتعدى الى مفعولين احدهما بحرف جر غير الباء نحو اخذت ثوبا من زيد فهذا المعنى غير الاول فلا يحسن مع الباء مفعول اخر الا ان تجعلها بمعنى من اجل فيجوز ان يقول اخذت زيدا بعمرو اي من اجله وبذنبه انتهى وفيما قاله نظر لانك تقول اخذت الثوب بدرهم فقد تعدى بغير من ايضا بغير المعنى الذي ذكره وال في النواصي والاقدام لتبيث عوضا من ضمير عند البصريين والتقدير بالنواصي منهم وهي عند الكوفيين عوض . والناصية مقدم الراس وقد تقدم هذا مستوفى في هود وفي حديث عائشة ما لكم لا تنصون ميتكم اي لا تمدون ناصيته . والنصي مرعى طيب فقولهم فلان ناصية القوم يحتمل ان يكون من هذا يعنون انه طيب منتفع به او مثل قولهم هو راس القوم فصل قال الحسن يعرف المجرمون بسيماهم اي بسواد الوجه وزرقة الاعين قال تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وقال يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فيؤخذ بالنواصي والاقدام اي تاخذ الملائكة بنواصيهم اي بشعور مقدم رءوسهم واقدامهم فيقذفونهم في النار . والنواصي جمع ناصية . وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره . وعنه يؤخذ برجلي الرجل فيجمع بينهما وبين ناصيته حتى يندق ظهره ثم يلقى في النار . وقيل يفعل ذلك به ليكون اشد لعذابه واكثر لتشويهه . وقيل تسحبهم الملائكة الى النار تارة تاخذ بناصيته وتجره على وجهه وتارة تاخذ بقدميه وتسحبه على وجهه قال ابن عادل فان قيل ما وجه افراد يؤخذ مع ان المجرمين جمع وهم الماخوذون فالجواب من وجهين احدهما ان قوله يؤخذ متعلق بالنواصي كقولك ذهب بزيد . والثاني ان يتعلق بما يدل عليه فكانه قال يؤخذ الماخوذون بالنواصي قوله هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون اي يقال لهم هذه جهنم . قال ابن الخطيب ويحتمل ان يقال معناه هذه صفة جهنم فاقيم المضاف اليه مقام المضاف وقد يكون المشار اليه هو ما تقدم قال والاقوى ان يقال الكلام تم عند قوله النواصي والاقدام وقوله هذه جهنم لقربها كما يقال هذا زيد وقد وصل اذا قرب فكانه قال جهنم التي يكذب بها المجرمون هذه قريبة غير بعيدة عنهم ويؤيده قوله يكذب لان الكلام لو كان باضمار لقال تعالى لهم هذه جهنم التي بها المجرمون لان في ذلك اليوم لا يبقى مكذب قوله يطوفون قرا العامة يطوفون من طاف . وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وابو عبد الرحمن يطافون مبنيا للمفعول من اطافهم غيرهم والاعمش وطلحة وابن مقسم يطوفون بضم الياء وفتح الطاء وكسر الواو مشددة اي يطوفون انفسهم . وقرئت يطوفون بتشديد الطاء والواو والاصل يتطوفون قوله حميم آن اي حار متناه في الحرارة وهو منقوص كقاض يقال اني يأني فهو آن كقضى يقضي فهو قاض وقد تقدم في الاحزاب . قال قتادة يطوفون مرة بين الحميم ومرة بين الجحيم . والحميم الشراب وفي قوله تعالى آن ثلاثة اوجه احدها انه الذي قد انتهى حره وحميمه قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي ومنه قول النابغة الذبياني . ويخضب لحيته غدرة وخيانة . باحمر من نجيع الجوف آن . قال قتادة انه طبخ منذ خلق الله السموات والارض يقول اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم ذلك . وعن كعب انه الحاضر وعنه ايضا آن اسم واد من اودية جهنم . وقال مجاهد انه الذي آن شربه وبلغ غايته ثم قال فباي الاء ربكما تكذبان قال قيل هذه الامور ليست نعمة فكيف قال فباي الاء فالجواب من وجهين احدهما ان ما وصف من هول القيامة وعقاب المجرمين فيه زجر عن المعاصي وترغيب في الطاعات وهذا من اعظم النعم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى على شاب في الليل يقرا فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فوقف الشاب وخنقته العبرة وجعل يقول ويحي من يوم تنشق فيه السماء ويحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويحك يا فتى مثلها فوالذي نفسي بيده لقد بكت ملائكة السماء من بكائك . الثاني ان المعنى ان كذبتم بالنعم المتقدمة

استحقيتم هذه العقوبات وهي دالة على الايمان بالغيب وهو من اعظم النعم **قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان** يجوز
ان يكون مقام مصدرا وان يكون مكانا فان كان مصدرا فيحتمل ان يكون مضافا للفاعله اي قيام ربه عليه وحفظه
لاعماله من قوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ويروى عن مجاهد قال مجاهد وابرهيم النخعي هو الرجل
يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه وان يكون مضافا للمفعول والمعنى القيام بحقوق الله فلا يضيعها
وان كان مكانا فالاضافة بادنى ملابسة لما كان الناس يقومون بين يدى الله للحساب في عرصات القيامة
قيل فيه مقام الله والمعنى خاف مقامه بين يدى ربه للحساب فترك المعصية ثم مقام مصدر بمعنى القيام **فصل**
قال القرطبي هذه الاية دليل على ان من قال لزوجته ان لم اكن من اهل الجنة فانت طالق انه لا يحنث ان كان
هم بالمعصية وتركها خوفا من الله وحياء منه وقاله سفيان الثوري وافتى به **فصل** الظاهر ان الجنتين
لخائف واحد قال محمد بن علي الترمذي جنة لخوفه من ربه وجنة لتركه شهوته قال ابن عباس من خاف
مقام ربه بعد اداء الفرائض قال القرطبي ويجوز ان يكون المقام للعبد ثم يضاف الى الله وهو كالاجل في قوله
تعالى فاذا جاء اجلهم وقوله في موضع اخر ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر وقوله ولمن خاف اي كل خائف له جنتان
على حدة وقيل جنتان لجميع الخائفين والاول اظهر وقيل جنة لخائف الانس واخرى لخائف الجن فيكون من
باب التوزيع وقيل مقام هنا مقحم والتقدير ولمن خاف ربه وانشد

اي نفيت الذئب والليث يجدلان ... ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين

زيادة الاسم ليست بالسهلة وقيل المراد بالجنتين جنة نجم او اخرى زيادة على الجزاء وقيل ان الجنتين جنة
التي خلقت له وجنة ورثها وقيل احدى الجنتين منزله والاخرى منزل ازواجه كما يفعل رؤساء الدنيا وقيل احدى
الجنتين مسكنه والاخرى بستانه وقيل احدى الجنتين اسافل القصور والاخرى اعاليها وقال مقاتل هما جنة
عدن وجنة النعيم وقال الفراء انها جنة واحدة وانما ثنى مراعاة لرؤس الاى وقيل جنة واحدة وانما ثنى تاكيد
كقوله تعالى القيا في جهنم وانكر القتيبي هذا وقال لا يجوز ان يقال خزنة النار عشرون وانما قال تسعة عشر
مراعاة لرؤس الاى وايضا قال ذواتا وقال عطا وابن شوذب نزلت هذه الاية في ابي بكر رضي الله عنه حين
ذكر ذات يوم الجنة حين ازلفت والنار حين ابرزت وقال الضحاك بل شرب ذات يوم لبنا على ظما فاعجبه فسال
عنه فاخبر انه من غير حل فاستقاه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فقال رحمك الله لقد انزلت فيك اية
وتلا عليه الاية **قوله ذواتا** صفة لجنتان او خبر مبتدا محذوف اي هما ذواتا وفي تثنية ذات لغتان الرد الى الاصل
فان اصلها ذوية فالعين واو واللام ياء لانها مؤنثة ذو والثانية التثنية على اللفظ فيقال ذاتا والافنان فيه
وجهان احدهما انه جمع فنن كطلل وهو الغصن قال النابغة الذبياني

بكا حمامة تدعو هديلا ... مفجعة على فنن تغني
وقال اخر
رب ورقا هتوف بالضحى ... ذات شجو صدحت في فنن
وقال اخر
على كل افنان العضاة تروق ... والفنن جمعه افنان ثم الافانين قال الشاعر يصف رحى
لها زمام من افانين الشجر ... وشجرة فناء اي ذات افنان وفنوا ايضا غير قياس وفي الحديث اهل

الجنة مرد مكحولون اولو افانين يريد اولو افنن وهو جمع افنان وافنان جمع فنن من الشعر شبه بالغصن ذكره الهروي
وقيل ذواتا افنان اي ذواتا سعة وفضل على سواهما قاله قتادة وعن مجاهد ايضا وعكرمة ان الافنان ظل الاغصان
على الحيطان وقال مجاهد الفنن هو الغصن المستقيم طولا الوجه الثاني انه جمع فن كدن وادنان واليه اشار ابن عباس
والمعنى ذواتا انواع واشكال وانشدوا ... ومن كل افنان اللذاذة والصبا لهوت به والعيش اخضر ناضر
قال سعيد بن جبير والضحاك الوان من الفاكهة واحدها فن من قولهم افتن فلان في حديثه اذا اخذ في فنون منه
وضروب الا ان الكثير في فن ان يجمع على فنون وجمع عطا بين القولين فقال في كل غصن فنون من الفاكهة **قوله
فيهما عينان تجريان** اي في كل واحدة منهما عين جارية كما قال تعالى فيها عين جارية قال ابن عباس تجريان ماء
بالزيادة والكرامة من الله تعالى على اهل الجنة وعن ابن عباس ايضا والحسن تجريان بالماء الزلال احدى العينين
التسنيم والاخرى السلسبيل وقال ابن عطية احداهما من ماء غير اسن والاخرى من خمر لذة للشاربين وقيل
تجريان من جبل من مسك قال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة
الله **قوله فيهما من كل فاكهة زوجان** اي صنفان ونوعان قيل معناه ان فيهما من كل ما يتفكه به ضربان
رطبا ويابسا قال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو **فان
قيل** قوله ذواتا افنان وفيهما عينان تجريان وفيهما من كل فاكهة زوجان كلها اوصاف للجنتين المذكورتين
فهو كالكلام الواحد تقديره جنتان ذواتا افنان وفيهما عينان تجريان وفيهما من كل فاكهة زوجان فما الفائدة

في فصل بعضها على بعض بقوله فباي الاء ربكما تكذبان مع انه لم يفصل حين ذكر العذاب بين الصفات بل قال يرسل عليكما شواظ
من نار ونحاس فلا تنتصران مع ان ارسال النحاس غير ارسال الشواظ وقوله يطوفون كلام اخر **فالجواب** انه جمع العذاب
جملة وفصل ايات الثواب ترجيحا لجانب الرحمة على جانب العذاب وتطييبا للقلب وتهييجا للسامع فان اعادة ذكر المحبوب
محبوب وتطويل الكلام في اللذات مستحسن **فان قيل** ما وجه توسط اية العينين بين ذكر الافنان واية الفاكهة والفاكهة
انما تكون على الاغصان فالمناسبة ان لا يفصل بين اية الاغصان والفاكهة **فالجواب** انه على عادة المتنعمين اذا
خرجوا يتفرجون في البستان فاول قصدهم الفرجة بالخضرة والماء ثم يكون الاكل تبعا **قوله متكئين** يجوز ان يكون
حالا من من في قوله ولمن خاف وانما جمع حملا على معنى من بعد الافراد حملا على لفظها وقيل حال عاملها محذوف اي يتنعمون
متكئين وقيل منصوب على الاختصاص والعامة **على فرش** بضمتين وابو حيوة بفتحة وسكون وهي تخفيف منها **قوله
بطائنها من استبرق** هذه الجملة يجوز ان تكون صفة لفرش والظاهر انها صفة لفرش وتقدم الكلام في الاستبرق في
الكهف وقال ابو البقاء اصل الكلمة فعل على استفعل فلما سمي به قطعت همزته وقيل هو اعجمي وقرئ بحذف الهمزة والنون
وهو سهو لان ذلك لا يكون في الاسماء بل في المصادر والافعال انتهى اما قوله وهو سهو لان ذلك لا يكون الى اخره يعني
ان حذف الهمزة في الدرج لا يكون الا في الافعال والمصادر واما الاسماء فلا تحذف همزتها لانها همزة قطع قال
شهاب الدين وهذا الكلام احق بان يكون سهوا اولا فلانسلم ان هذه القراءة من حذف همزة القطع اجراها مجرى
همزة الوصل وانما ذلك من باب نقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها وحركة الهمزة كانت كسرة فحركة النون حركة نقل
لا حركة التقاء الساكنين ثم قوله الا في الافعال والمصادر ليس هذا الحصر بصحيح اتفاقا لوجود ذلك في اسماء عشرة
ليست بمصادر تقدم ذكرها في اول الكتاب قال ابن الخطيب قوله على فرش متعلق بماذا متكئين كانه يقول يتكئون على
فرش كما يقال فلان اتكا على عصاه او على مخدته وهذا بعيد لان الفراش لا يتكا عليه وان كان متعلقا بغيره فما هو
فنقول تقديره يتفكه الكائنون على فرش متكئين من غير بيان ما يتكئون عليه **فصل** الاستبرق ما غلظ من الديباج
قال ابن مسعود وابو هريرة اذا كانت البطانة التي تلي الارض هكذا فما ظنك بالظهارة وقيل لسعيد بن جبير البطائن
من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال ابن عباس انما وصف لكم
بطائنها لتهتدي اليه قلوبكم فاما الظواهر فلا يعلمها الا الله قال القرطبي وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ظواهرها نور يتلالا وعن الحسن البطائن هي الظواهر وهو قول الفراء وروي عن قتادة والعرب تقول للبطن
ظهر فيقولون هذا بطن السماء وظهر الارض وقال الفراء قد تكون البطانة الظهارة والظهارة البطانة لان كل واحد
منهما يكون وجها والعرب تقول هذا ظهر السماء وهذا بطن السماء لظاهرها الذي تراه وانكر ابن قتيبة وغيره هذا
وقالوا لا يكون هذا الا في الوجهين المتساويين اذا ولي كل واحد منهما قوما كالحائط بينك وبين قوم وعلى ذلك امر
السماء وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لانه ليس في الارض احد يعرف ما الظواهر **فصل** قال
ابن الخطيب الاستبرق معرب وهو الديباج الثخين وكان الديباج معرب بسبب ان العرب لم يكن عندهم الا من العجم
تصرفوا فيه وهو ان اصله بالفارسية ستبرق بمعنى ثخين فزادوا في اوله همزة وبدلوا الكاف قافا اما الهمزة فلان
حركات اوائل الكلم في لسان العجم غير مبينة في كثير من المواضع فصارت كالسكون فاثبتوا فيه همزة كما يجلبون همزة الوصل
عند سكون اول الكلمة ثم ان البعض جعلوها همزة وصل وقالوا من استبرق والاكثرون جعلوها همزة قطع لان اول
الكلمة في الاصل متحرك لكن بحركة فاسدة فاتوا بهمزة تسقط عنهم الحركة الفاسدة وتمكنهم من تسكين الاول
لان عند فساد الحركة العود الى السكون اقرب واواخر الكلمات عند الوقف تسكن ولا يبدل حركة بحركة واما
القاف فلانهم ارادوا اظهار كونها فارسية او عجمية فاسقطوا منه الكاف التي هي حرف تشبيه وعلى لسان العرب
في اواخر الكلم للخطاب لو تركت الكاف لاشتبه ستبرك بقولك اذا الحقت كاف الخطاب بها فلو تركت الكاف قافا
اولا ثم الحقت الهمزة باولها ... وهذا ومثله لا يخرج القرآن عن كونه عربيا لان العربي ما نطقت به العرب
وضعا واستعمالا من لغة غيرها وذلك كله سهل عليهم وبه تحصل الاعجاز بخلاف ما لم يستعملوه من كلام العجم لصعوبته
عليهم وذكر الاتكاء لانه حال الصحيح الفارغ القلب المتنعم بخلاف المريض والمهموم **قوله وجنى الجنتين دان** مبتدا
وخبر واصله دانو مثل غاز قاض كعلاه وقرا عيسى بن عمر وجنى بكسر النون وتوجيهها ان يكون امال الفتحة
لاجل الالف ثم حذف الالف لالتقاء الساكنين وابقى امالة النون فظنت كسرة وقرئ وجنى بكسر الجيم وهي لغة والجنى
ما يقطف من الثمار وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض والنقض **فصل** قال القرطبي الجنى ما يجتنى من الشجر يقال اتانا
بجناة طيبة لكل ما يجتنى وثمرة جنى على فعيل حين يجنى وقوله دان اي قريب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى
يجتنيها ولي الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقال قتادة لا يرد يده بعد ولا شوك قال ابن الخطيب
جنة الاخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة اوجه احدها ان الثمرة على رؤس الشجر في الدنيا بعيدة على الانسان

المتكي في الجنة هو متكي والثمرة تتدلى إليه وثانيها أن الإنسان في الدنيا يسعى إلى الثمرة ويتحرك إليها وفي الآخرة
هي تدنو إليهم وتدور عليهم وثالثها أن الإنسان في الدنيا إذا قرب من ثمرة شجرة بعد عن غيرها وثمار الجنة
كلها تدنو إليهم في وقت واحد ومكان واحد قوله فيهن قاصرات الطرف اختلف في هذا الضمير فقيل يعود على
الجنات فإن قيل كيف تقدم تثنية في قوله فيهما عينان وفيهما من كل فاكهة ثم أتى بضمير جمع فالجواب
أن أقل الجمع اثنان على قول ولأنه قد تقدم أكثرها أو يقال عائد إلى الجنات المدلول عليها بالجنتين أو يقال إن كل
فرد فرد له جنتان فصح أنها جنان كثيرة وإن الجنة تشتمل على مجالس وقصور ومنازل فأطلق على واحد منها جنة
وقيل يعود على الفرش قال الزمخشري فيهن أي في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش
والجنى قال أبو حيان وفيه بعد وكأنه قد استحسن الوجه الأول وفيه نظر لأن الاستعمال أن يقال على الفراش
كذا ولا يقال في الفراش كذا إلا بتكلف فلذلك جمع الزمخشري مع الفرش غيرها حتى صح له أن يقول فيهن بحرف الظرفية
ولأن الحقيقة أن يكون الإنسان على الفرش لأنه مستعمل عليها وأما كونه فيها فلا يقال إلا مجازا وقال الفراء
كل موضع في الجنة جنة فلذلك صح أن يقال فيهن والقاصرات الحابسات الطرف أي يحبسن أعينهن عن غير
أزواجهن ومعناه قصرن ألحاظهن على أزواجهن قال امرؤ القيس

من القاصرات الطرف لو دب محول ... من الذر فوق الإتب منها لأثرا

وقاصرات الطرف من إضافة اسم الفاعل المنصوب تخفيفا إذ يقال قصر طرفه على كذا وحذف متعلق القصر للعلم
به أي على أزواجهن كما تقدم تقريره وقيل معناه قاصرات طرف غيرهن عليهن إذا رآهن أحد لم يتجاوز طرفه
غيرهن ووحد الطرف مع الإضافة إلى الجمع لأنه في معنى المصدر من طرفت عينه تطرف طرفا يقال ما بها عين
تطرف ثم سميت العين بذلك فأدى عن الواحد والجمع كقولهم قوم عدل وصوم قاله القرطبي واعلم أن هذا الترتيب
في غاية الحسن لأنه بين أولا المسكن وهو الجنة ثم بين ما يتنزه به وهو البستان والأعين الجارية ثم ذكر
المأكول فقال فيهما من كل فاكهة ثم ذكر موضع الراحة بعد الأكل وهو الفرش ثم ذكر ما يكون في الفراش معه قال
ابن الخطيب وقوله قاصرات الطرف أي نساء أو أزواج فحذف الموصوف لنكتة وهي أنه تعالى لم يذكرهن باسم
الجنس وهو النساء بل بالصفات فقال حور عين كواعب أترابا قاصرات الطرف حور مقصورات ولم يقل نساء
عربا ولا نساء قاصرات لوجهين أما على عادة العظماء كبنات الملوك إنما يذكرن بأوصافهن وأما لأنهن لما
كملن كأنهن خرجن من جنسهن وقوله تعالى قاصرات الطرف يدل على عفتهن وعلى حسن المؤمنين في أعينهن
فيحببن أزواجهن حبا يشغلهن عن النظر إلى غيرهم ويدل أيضا على الحياء لأن الطرف حركة الجفن والحيية لا تحرك
جفنها ولا ترفع رأسها قوله لم يطمثهن إنس هذه الجملة يجوز أن تكون نعتا لقاصرات لأن إضافتها لفظية كقوله
هذا عارض ممطرنا ويا رب غابطنا لو كان يطلبكم وأن يكون حالا لتخصيص النكرة بالإضافة واختلف في هذا الحرف
والذي يعلم عن الكسائي فنقل عنه أنه كان يخير في ضم أيهما شاء القارئ ونقل عنه الدوري ضم الأول فقط ونقل عنه أبو
الحارث ضم الثاني فقط وهما لغتان يقال طمثها يطمثها ويطمثها إذا جامعها لما روى أبو إسحاق السبيعي قال كنت أصلي
خلف أصحاب علي فأسمعهم يقولون لم يطمثهن بالرفع وكنت أصلي خلف أصحاب عبد الله فأسمعهم يقولون بكسر الميم
وكان الكسائي يضم إحداهما ويكسر الأخرى لئلا يخرج عن هذين الأثرين وأصل الطمث الجماع المؤدي إلى خروج دم البكر
ثم أطلق على كل جماع طمث وإن لم يكن معه دم وقيل الطمث دم الحيض أو دم الجماع فيكون أصله من الدم ومنه قيل للحائض
طامث كأنه قيل لم يدمهن بالجماع إنس قبلهم ولا جان وقيل الطمث المس الخاص وقرأ الجحدري وطلحة بن مصرف يطمثهن بفتح
الميم في الحرفين وهو شاذ إذ ليست عينه ولا لامه حرف حلق والضمير في قبلهم عائد على الأزواج الدال عليهم قوله
قاصرات الطرف أو الدال عليه متكئين **فصل** قال القرطبي لم يطمثهن أي لم يصبهن بالجماع قبل أزواجهن أحد
قال الفراء والطمث الافتضاض والنكاح بالتدمية منه طمثها يطمثها ويطمثها طمثا إذا افتضها ومنه قيل امرأة طامث
أي حائض وغير الفراء يخالفه في هذا ويقول طمثها بمعنى وطئها على أي الوجوه كان إلا أن قول الفراء أعرف وأشهر وقال
الفرزدق

دفعن إلي لم يطمثهن قبلي ... وهن أصح من بيض النعام

وقال أبو عمرو والطمث المس وذلك
في كل شيء يمس ويقال للمرتع ما طمث ذلك المرتع قبله أحد وما طمث هذه الناقة حبل أي ما مسها عقال وقال
المبرد لم يذللهن إنس ولا جان والطمث التذليل وقرأ الحسن جأن بالهمز **فصل** دلت هذه الآية على أن
الجن تغشى كالإنس وتدخل الجنة ويكون لهم فيها جنيات قال ضمرة للمؤمنين منهم أزواج من الحور فالإنسيات
للإنس والجنيات للجن وقيل معناه لم يطمث ما وهب الله للمؤمنين من الجن في الجنة من الحور العين من الإنسيات
إنس وذلك لأن الجن لا تطأ بنات آدم في الدنيا ذكره القشيري قال القرطبي قد مضى القول في هذا في سورة
النمل وفي سبحان أيضا وأنه جائز أن تطأ بنات آدم وقد قال مجاهد إنه إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على

الحليلة فجامع معه فذلك قوله تعالى لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان لأنهن خلقن في الجنة فعلى قوله يكونون من حور الجنة وقال
الشعبي من نساء الدنيا لم يمسسهن منذ أنشئن فيه إنس ولا جان قوله كأنهن الياقوت والمرجان هذه الجملة يجوز أن تكون
نعتا لقاصرات وأن تكون حالا منها ولم يذكر مكي غيره وتقدم الكلام في المرجان والياقوت جوهر نفيس يقال إن النار
لا تؤثر فيه ولذلك قال الحريري وطالما اصطلى الياقوت جمر غضا ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت
على حاله لم يؤثر فيها ووجه التشبيه كما قال الحسن في صفاء الياقوت وبياض المرجان وهذا على القول بأنه أبيض
كما تقدم وقيل الوجه في الصفة بالنفاستهما لا للونهما ولذلك سموا المرجانة درة وشبه ذلك قوله هل جزاء
الإحسان إلا الإحسان قرأ ابن أبي إسحاق إلا الحسان أي الحور الحسان قال القرطبي هل في الكلام على أربعة أوجه تكون
بمعنى قد كقوله تعالى هل أتى على الإنسان وهل أتاك وبمعنى الاستفهام كقوله تعالى فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
وبمعنى الأمر كقوله تعالى فهل أنتم منتهون وبمعنى ما في الجحد كقوله تعالى فهل على الرسل إلا البلاغ المبين وهل
جزاء الإحسان إلا الإحسان قال ابن الخطيب في هذه الآية وجوه كثيرة حتى قيل إن في القرآن ثلاث آيات في كل واحدة
منها مائة قول أحدها قوله تعالى فاذكروني أذكركم وثانيها وإن عدتم عدنا وثالثها هل جزاء الإحسان إلا
الإحسان والمشهور منها أقوال أحدها قال عكرمة أي هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم إلا الجنة وقيل هل جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة قاله ابن زيد وروى أنس أن النبي
صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقال يقول الله هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي إلا أسكنه جنتي
وحظيرة قدسي برحمتي وقال الصادق هل جزاء من أحسنت إليه في الأزل إلا حفظ الإحسان إليه في الأبد قاله
ابن الخطيب والأقرب أنه عام فجزاء كل من أحسن إلى غيره أن يحسن هو إليه أيضا قوله ومن دونهما جنتان أي من دون
تلك الجنتين المتقدمتين جنتان في المنزلة وحسن المنظر وهذا على الظاهر من أن الأوليين أفضل من الأخريين
وقيل بالعكس ورجحه الزمخشري وقال قوله فيهما مع قوله في الأوليين ذواتا أفنان يدل على أن مرتبة
هاتين دونهما وكذلك قوله في الأوليين عينان تجريان مع قوله في هاتين فيهما عينان نضاختان لأن النضخ دون
الجري وقوله في الأوليين من كل فاكهة مع قوله في هاتين فاكهة وقوله في الأوليين فرش بطائنها من إستبرق ذكر الظهائر
لعلوها ورفعها وعدم إرادة العقول إياها مع قوله في هاتين رفرف خضر دليل عليه وقال القرطبي لما وصف
الله الجنتين أشار إلى الفرق بينهما فقال في الأوليين فيهما من كل فاكهة وقال في الأوليين متكئين على فرش بطائنها
من إستبرق وهو الديباج وفي الأخريين متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان والعبقري الموشى والديباج
أعلى من الموشى والرفرف كسر الخباء والفرش المعدة للاتكاء عليها أفضل من كسر الخباء وقال في الأوليين فيهما
الخنال وفي الأخريين في صفة الحور العين كأنهن الياقوت والمرجان وقال في الأوليين ذواتا أفنان وفي الأخريين
متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان والعبقري الموشى والديباج أعلى من الموشى والرفرف كسر الخباء والفرش
المعدة للاتكاء عليها أفضل من كسر الخباء وقال في الأوليين في صفة الحور العين كأنهن الياقوت والمرجان وقال
فيهن خيرات حسان وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان وقال في الأوليين ذواتا أفنان وفي الأخريين مدهامتان
أي خضراوان كأنهما من شدة خضرتهما سوداوان
وهذا كله بيان للتفاوت ما بينهما قال ابن الخطيب ويمكن أن يجاب بأن عطاء الله تعالى في الآخرة متتابع
لا أن يكون مثل الأول والآخر أمثلة ويمكن أن يجيب الزمخشري بأن الجنتين اللتين من دونهما لذريتهم التي ألحقهم الله تعالى بهم
ولأتباعهم لا لهم وإنما جعلها لهم إنعاما عليهم أي هاتان لكم أسكنوا فيهما من تريدون وقيل المراد بقوله ومن دونهما
أي دونهما في المكان كأنهم في جنتين ويطلعون من فوق على جنتين أخريين دونهما يدل عليه قوله تعالى لهم غرف من
فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار قال ابن عباس رضي الله عنهما ومن دونهما في الدرج وقال ابن زيد
ومن دونهما في الفضل وقال ابن عباس والجنات لمن خاف مقام ربه فيكون في الأوليين النخل والشجر وفي الأخريين
الزرع والنبات وقيل المراد من قوله ومن دونهما جنتان لأتباعه لقصور منزلتهم عن منزلته إحداهما للحور العين والأخرى
للولدان المخلدين ليتميز بها الذكور من الإناث وقال ابن جريج هي أربع جنات منها للسابقين وجنتان من
فضة للتابعين وقال عليه الصلاة والسلام جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما
فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال الكسائي ومن دونهما
أي أمامهما وقبلهما قال البغوي يدل عليه قول الضحاك الجنتان الأوليان من ذهب وفضة والأخريان من ياقوت
وزمرد وهما أفضل من الأوليين وإلى هذا القول ذهب أبو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الأصول وقال
ومعنى ومن دونهما أي دون هذا إلى العرش أي أقرب وأدنى إلى العرش وقال مقاتل الجنتان الأوليان جنة عدن وجنة
النعيم والأخريان جنة الفردوس وجنة المأوى قوله مدهامتان أي خضراوان قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد

مسودتان والادهام في اللغة السواد وشدة الخضرة جعلا مدهامتين لشدة خضرتهما وهذا مشاهد بالنظر ولذلك قالوا
سواد العراق لكثرة شجره وزرعه ويقال فرس ادهم وادهام الشيء ادهماما اي اسواد او الارض اذا اخضرت غاية الخضرة
تضرب الى السواد ويقال للارض المعمورة سواد يقال سواد البلد وقال عليه الصلاة والسلام عليكم بالسواد الاعظم
ومن كثر سواد قوم فهو منهم قال ابن الخطيب والتحقيق ان ابتدا الالوان هو البياض وانتهاؤها هو السواد فان
الابيض يقبل كل لون والاسود لا يقبل شيئا من الالوان قوله فيهما عينان نضاختان قال ابن عباس اي فوارتان
بالماء والنضخ بالخاء المعجمة اكثر من النضح بالحاء المهملة لان النضح بالمهملة الرش والرشح وبالمعجمة فوران الماء وقال
ابن عباس والحسن ومجاهد المعنى نضاختان بالخير والبركة وعن ابن مسعود وابن عباس ايضا وانس تنضخ على اولياء الله
بالمسك والعنبر والكافور في دور اهل الجنة كما ينضح رش المطر وقال سعيد بن جبير بانواع الفواكه والماء قوله فيهما
فاكهة ونخل ورمان قال بعض العلماء ليس الرمان والنخل من الفاكهة لان الشيء لا يعطف على نفسه انما يعطف على
غيره لان العطف يقتضي المغايرة وهذا ظاهر الكلام فلو حلف لا ياكل فاكهة لم يحنث باكلهما وقال الجمهور هما من الفاكهة
وانما اعاد ذكر النخل والرمان لفضلهما على الفاكهة فهو من باب ذكر الخاص بعد العام تفضيلا له كقوله تعالى وملائكته
ورسله وجبريل وميكال وقوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى قال شهاب الدين وهذا يجوز لان فاكهة ليس
عاما لانه نكرة في سياق الاثبات وانما هو مطلق ولكن لما كان صادقا على النخل والرمان قيل فيه ذلك قال القرطبي وقيل
انما كررهما لان النخل والرمان كانا عندهم في ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا لان النخل عامة قوتهم والرمان كالثمرات
فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم اليه وكانت الفواكه عندهم من الوان الثمار التي يعجبون بها فانما ذكر الفاكهة ثم
ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة الى مكة الى ما والاها من ارض اليمن فاخرجهما من الذكر من
الفواكه وافرد الفواكه على حدتها وقيل افردا بالذكر لان النخل ثمرة فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا
للتفكه ومنه قال ابو حنيفة رحمه الله اذا حلف لا ياكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث فصل قال ابن الخطيب
قوله فيهما فاكهة ونخل ورمان كقوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان لان الفاكهة ارضية وشجرية فالارضية كالبطيخ
وغيره من الارضيات المزروعة والشجرية كالنخل وغيرها من الشجريات فقال مدهامتان بانواع الخضر التي منها
الفواكه الارضية والفواكه الشجرية وذكر منها نوعين وهما الرمان والرطب لانهما متقابلان احدهما حلو والاخر حامض
واحدهما حار والاخر بارد واحدهما فاكهة وغذا والاخر فاكهة ودوا واحدهما من فواكه البلاد الحارة والاخر من فواكه
البلاد الباردة واحدهما اشجاره في غاية الطول والكبر والاخر اشجاره بالضد واحدهما ما يؤكل منه بارز وما لا يؤكل
كامن والاخر ما لا يؤكل بارز وما يؤكل كامن فهما كالضدين والاشارة الى الطرفين تتناول الاشارة الى ما بينهما كقوله
تعالى رب المشرق ورب المغرب فصل قال ابن عباس الرمانة في الجنة مثل جلد البعير المقتب وعن
سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وكربها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة
فيها مقطعاتهم وحللهم وثمرها امثال القلال والدلاء اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل والين من الزبد
ليس له عجم وفي رواية كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وان ماءها يجري من غير اخدود والعنقود اثنا
عشر ذراعا قوله فيهن خيرات حسان في خيرات وجهان احدهما انه جمع خيرة من خيرة ويدل عليه ذلك
قراءة بريدة فعلة بسكون العين يقال امراة خيرة واخرى شرة والثاني انه جمع خيرة المخففة من خيرة ويدل على ذلك
قراءة ابن مقسم والنهدي وبكر بن حبيب خيرات بتشديد اليا قال القرطبي وهي قراءة قتادة وابن السميفع وابو
رجا العطاردي وقرا عمرو خيرات بفتح اليا جمع خيرة وهي شاذة لان العين معتلة الا ان بني هذيل تعامله
معاملة الصحيح فيقولون جوزات وبيضات وانشد

اخو بيضات رائح متاوب ● رفيق بمسح المنكبين سبوح

قال المفسرون الخيرات الحسان بعض النسا الواحدة خيرة على معنى ذوات خير وقيل خيرات بمعنى خيرات
فخفف كهين ولين روى الحسن عن امه عن ام سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني عن قوله
خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقال ابو صالح لانهن عذارى ابكار وقال الحكيم الترمذي
فالخيرة ما اختاره الله فابدع خلقهن باختياره فاختيار الله لا يشبه اختيار الادميين ثم قال حسان فوصفهن
بالحسن فاذا وصف الله خالق الحسن شيئا بالحسن فانظر ما هناك قال ابن الخطيب في باطنهن الخير وفي ظاهرهن
الحسن قوله حور مقصورات في الخيام معنى مقصورات اي محبوسات ومنه القصر لانه تحبس من فيه ومنه
قول النحاة المقصور لانه حبس عن المد وحبس عن الاعراب او حبس الاعراب فيه والعرب تمدح بملازمتهن
البيوت كما قال قيس بن اسلت ● وتكسل عن جيرانها فيزرنها ● وتعتل عن اتيانهن فتعذر
وقصيرة وقصورة بمعنى واحد قال كثير عزة فيه رحمة الله عليه ورضي عنه

وانت التي حببت كل قصيرة الي ● ولم تعلم بذاك القصائر ● وقال
عنيت قصارات الحجال ولم ارد ● قصار الخطا شر النساء البحاتر ● والخيام جمع خيمة وهي تكون من ثمام وسائر
الحشيش فان كانت من شعر فلا يقال لها خيمة بل بيت قال جرير

متى كان الخيام بذي طلوح ● سقيت الغيث ايتها الخيام

فصل اختلفوا ايما اكثر حسنا وابهر
جمالا الحور او الادميات فقيل الحور لما ذكر من وصفهن في القرآن والسنة وكقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه في صلاة
الجنازة وابدله دارا خيرا من داره وابدله زوجا خيرا من زوجه وقيل الادميات افضل من الحور بسبعين الف ضعف
روي ذلك مرفوعا وقيل ان الحور العين المذكورات في القرآن هن المؤمنات من ازواج النبيين والمؤمنين تخلقن
في الاخرة على احسن صورة قاله الحسن البصري والمشهور ان الحور العين لسن من نساء اهل الدنيا انما هن مخلوقات
في الجنة لان الله تعالى قال لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان واكثر نساء اهل الدنيا مطموثات فصل الحور جمع حوراء
وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها والمقصورات المحبوسات المستورات في الخيام وهي الحجال لسن بالطوافات
في الطرق قاله ابن عباس وقال عمر رضي الله عنه الخيمة درة مجوفة وقاله ابن عباس وهو فرسخ في فرسخ لها اربعة
الاف مصراع من ذهب قال ابو عبد الله الحكيم الترمذي في قوله تعالى مقصورات في الخيام بلغنا في الرواية
ان سحابة مطرت من العرش فخلقن من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطئ الانهار سعتها اربعون ميلا وليس
لها باب حتى اذا حل ولي الله بالجنة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله ان ابصار المخلوقين من الملائكة والخدم
لم تاخذها فهي مقصورة قد قصر بها عن ابصار المخلوقين وقال مجاهد قصرن اطرافهن وانفسهن على ازواجهن فلا
يبغين بدلا وقال عليه الصلاة والسلام لو ان امراة من نساء اهل الجنة اطلعت على اهل الارض لاضاءت ما بينهما
ولملات ما بينهما ريحا وتقدم الكلام على قوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قوله متكئين على رفرف خضر الرفرف
جمع رفرفة فهو اسم جنس وقيل بل هو اسم جمع نقله مكي وهو ما تدلى من الاسرة من عالي الثياب وقال الجوهري
ثياب خضر يتخذ منها المجالس الواحدة رفرفة واشتقاقه من رف الطائر اي ارتفع في الهواء ورفرف بجناحيه
اذا انتشرتا للطيران ورفرف السحاب هبوبه ويدل على كونه جمعا وصفه بالجمع وقال الراغب
رفيف الشجر انتشار اغصانه ● ورفرف الطائر نشر جناحه ● يرف بالكسر ورف فرخه يرفه
بالضم تفقده ثم استعير للتفقد ومنه ما له حاف ولا راف اي ما له من يحفه ويتفقده والرفرف المنتشر من
الاوراق وقوله على رفرف خضر ضرب من الثياب مشبه بالرياض وقيل الرفرف طرف الفسطاط والخباء
الواقع على الارض دون الاطناب والاوتاد وذكر الحسن انه المخاد وقال ابن جبير وابن عباس ايضا رياض
الجنة من رف البيت اذا تنعم وحسن وقاله ابن عيينة في الزرابي وقال ابن كيسان هي المرافق وقال ابو
عبيدة هي حاشية الثوب وقيل الفرش المرتفعة وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف قال القرطبي وفي
الخبر في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فرفع الرفرف فراينا وجهه كانه ورقة اي رفع طرف الفسطاط وقيل اصل
الرفرف من رف النبت يرف اذا صار غضا نضيرا قاله القتيبي يقال للشيء اذا كثر ماؤه من النعمة والغضاضة
حتى يكاد يهتز رف يرف رفيفا حكاه الهروي وقد قيل ان الرفرف شيء اذا استوى عليه صاحبه رفرف به
واهوى به كالمرجاح يمينا وشمالا ورفعا وخفضا يتلذذ مع انيسه قاله الحكيم الترمذي في نوادر الاصول قال فالرفرف
اعظم خطرا من الفرش فذكر في الاولين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وقال هنا متكئين على رفرف خضر
فالرفرف هو مستقر الولي على شيء اذا استوى عليه الولي رفرف به اي طار به حيث ما يريد كالمرجاح وروي في حديث المعراج
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به الى مسند العرش فذكر انه طار به
يخفضني ويرفعني حتى وقف بي على ربي ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوي به حتى اداه الى جبريل
صلوات الله عليه وسلامه فالرفرف خادم من الخدم بين يدي الله تعالى له خواص الامور في محل الدنو والقربة كما ان
البراق دابة يركبها الانبياء مخصوصة بذلك في ارضه فهذا الرفرف الذي سخره لاهل الجنتين الدانيتين هو متكاهما
وفرشهما يرفرف بالولي على حافات تلك الانهار حيث شاء الى خيام ازواجه قوله خضر نعت هنا لخضر لان اسم الجنس يوصف
بالجمع كقوله والنخل باسقات وانه لفرد وحسن جمعه هنا جمع حسان وقرا العامة رفرف وقرا عثمان بن عفان ونصر بن
عاصم والجحدري والقرظي وغيرهم رفارف خضر بالجمع وسكون الضاد وعنهم ايضا خضر بضم الضاد وهو اتباع
للخاء وقيل هي لغة في جمع افعل الصفة قال القرطبي وروى ابو بكرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا متكئين
على رفارف خضر وعباقري حسان ذكره الثعلبي وضم الضاد من خضر قليل وانشد لطرفة

ايها الفتيان في مجلسنا ● جردوا منها ورادا وشقر ● وقال اخر
وما انتم الجود ولا الكشف ● ولا اللئام غداة الروع اوزاع ● وقرا وعباقري

بكسر القاف وفتحها وتشديد الياء مفتوحة على منع الصرف وهي مشكلة اذ لا مانع من تنوين ياء النسب وكان هذا القارئ توهم
كونها في مفاعل ممنوع من الصرف. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وجماعة وعباقري منونا ابن خالويه وروي عن عاصم
رفارف بالصرف ولا يقال في من منع عباقري انه لما جاور رفارف الممنوع امتنع مشاكلة وفي من صرف رفارف انه لما
جاور عباقري بالمنصرف صرفه للتناسب كسلاسلا واغلالا كما سياتي بيانه ان شاء الله تعالى. وقرا ابو محمد المروزي
وكان نحويا باحضار كضراب بالتشديد وافعل وفعال لا يعرف. قوله وعبقري حسان الجمهور قرؤوا وعبقري منسوب
الى عبقر تزعم العرب انها بلد الجن. قال ابن الانباري الاصل فيه ان عبقر قرية تسكنها الجن ينسب اليها كل فائق
جليل. وقال الخليل كل ناضر فاضل فاخر من الرجال والنساء وغيرهم عند العرب عبقري ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
في عمر رضي الله عنه فلم ار عبقريا يفري فريه. وقال ابو عمرو بن العلاء وقد سئل عن قوله عليه الصلاة والسلام
[illegible]
فلم ار عبقريا يفري فريه فقال رئيس قوم وجليلهم. وقال زهير
بخيل عليها جنة عبقرية جديرون يوما ان ينالوا فيستعلوا. وقال الجوهري العبقري
موضع تزعم العرب انه من ارض الجن قال لبيد كهول وشبان كجنة عبقر. ثم نسبوا اليها كل شيء تعجبوا
من حذقه وجودة صنعته وقوته فقالوا عبقري وهو واحد وجمع. وفي الحديث انه كان يسجد على عبقري وهو
البسط التي فيها الاصباغ والنقوش والمراد به في الاية البسط التي فيها صور وتماثيل. وقيل هي الزرابي وقيل
الطنافس وقيل الديباج الثخين وعبقري جمع عبقرية يعني فيكون اسم جنس كما تقدم في رفرف. وقيل هو واحد
دال على الجمع ولذلك وصف بحسان. قال القرطبي وقرا بعضهم عباقري حسان وهو خطا لان المنسوب لا يجمع على
نسبته. وقال قطرب ليس بمنسوب وهو مثل كرسي وكراسي وبختي وبخاتي. قوله تعالى تبارك اسم ربك ذي
الجلال والاكرام قرا ابن عامر ذو الجلال بالواو وجعله تابعا للاسم وكذلك هي مرسومة في مصحف الشاميين
قال القرطبي وذلك يقوي كون الاسم هو المسمى والباقون بالياء صفة للرب فانه هو الموصوف بذلك واجمعوا على
الواو في الاول الا من استثني فيما تقدم. قال قيل تبارك تفاعل من البركة. قال ابن الخطيب واصل
التبارك من التبرك وهو الدوام والثبات ومنه برك البعير وبركة الماء فان الماء يكون فيها دائما. والمعنى دام
اسمه وثبت او دام الخير عنده لان البركة وان كانت من الثبات لكنها تستعمل في الخير او يكون معناه علا وارتفع
شانه. فصل قال القرطبي كانه يريد به الاسم الذي افتتح به السورة فقال الرحمن فافتتح بهذا الاسم فوصف
خلق الانسان والجن وخلق السموات والارض وصنعه وانه كل يوم هو في شان ووصف تدبيره فيهم ثم وصف يوم
القيامة واهوالها وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان ثم قال في اخر السورة تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام
اي هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة كانه يعلمهم ان هذا كله خرج لكم من رحمتي فمن رحمتي خلقتكم وخلقت لكم السماء والارض
والخليقة والجنة والنار فهذا كله لكم من اسم الرحمن فمدح اسمه فقال تبارك اسم ربك ثم قال ذي الجلال
والاكرام اي جليل في ذاته كريم في افعاله. روى الثعلبي عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لكل شيء عروس وعروس القران سورة الرحمن جل ذكره. وعن [illegible] قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الرحمن رحم الله ضعفه وادى شكر ما انعم الله عليه والله تعالى الموفق الهادي الى الحق

[illegible]

سورة الواقعة

في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطا. وقال ابن عباس وقتادة الا اية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون. وقال الكلبي مكية الا اربع ايات منها اثنتان افبهذا الحديث انتم مدهنون
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون نزلتا في سفر وقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الاخرين نزلتا في
سفره الى المدينة. وهي ست وتسعون اية. وثلاثمائة وثمان وتسعون كلمة. والف وسبعمائة وثلاثة احرف
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة في اذا اوجه احدها
انها ظرف محض ليس فيه معنى الشرط والعامل فيه ليس. الثاني ان العامل فيها اذكر مقدرا. قال الزمخشري
فان قلت بم انتصب اذا قلت بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل ثم قال او باضمار اذكر. قال ابو حيان
ولا يقول هذا نحوي قال لان ليس مثل ما النافية فلا حدث فيها فكيف تعمل في الظرف من غير حدث وتسميتها
فعلا مجاز فان حد الفعل غير منطبق عليها ثم قال واما المثال الذي نظر به فالظرف ليس معمولا لليس بل للخبر
وتقدم معمول خبرها عليها وهي مسالة خلاف انتهى. قال شهاب الدين الظرف يعمل فيه روائح الافعال
ومعنى كلام الزمخشري ان النفي المفهوم من ليس هو العامل في اذا كانه قيل ينتفي كذب وقوعها اذا وقعت

ويدل على هذا قول ابي البقاء. والثالث ظرف فيه لما دل عليه ليس لوقعتها كاذبة اي اذا وقعت كان كيت وكيت وهو العامل فيها. الرابع انها شرطية
والعامل فيها الفعل الذي بعدها ويليها وهو اختيار ابي حيان وتبع في ذلك مكيا قال مكي والعامل فيها وقعت لانها قد يجازى بها فعمل فيها
الفعل الذي بعدها كما يعمل في ما ومن اللتين للشرط في قولك ما تفعل افعل ومن تكرم اكرم ثم ذكر كلاما كثيرا. الخامس انها مبتدا
واذا الثانية خبرها وهذا على قول من يقول انها تتصرف وقد مضى تحريره الا ان هذا الوجه انما جوزه ابن مالك وابن جني وابو الفضل
الرازي على قراءة من نصب خافضة رافعة على الحال وحكاه بعضهم عن الاخفش. قال شهاب الدين ولا ادري اختصاص ذلك بوجه
النصب. السادس انه ظرف لخافضة او رافعة قاله ابو البقاء اي اذا وقعت خفضت ورفعت. السابع ان يكون ظرفا لرجت
واذا الثانية على هذا اما بدل من الاولى او تكرير لها. الثامن ان العامل فيه ما دل عليه قوله فاصحاب الميمنة اي اذا وقعت
بانت احوال الناس فيها. التاسع ان جواب الشرط قوله فاصحاب الميمنة الى اخره. وليس لوقعتها خبر مقدم وكاذبة اسم موخر وكاذبة
يجوز ان يكون اسم فاعل وهو الظاهر وهو صفة لمحذوف فقدره الزمخشري نفس كاذبة اي انه ذلك اليوم لا يكذب على الله
احد ولا يكذب بيوم القيامة احد ثم قال واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي اذ ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني
كما لها نفوس كثيرة يكذبنها اليوم يقلن لها لن تكوني او هي من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على
مباشرته وقالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى انها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ
تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الامور وتزين له احتمالها واطاقتها لانهم يومئذ اضعف من ذلك واذل الا ترى الى قوله
تعالى كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف. وقدره بعضهم منهم ابن عطية حال كاذبة لها. ويحتمل الكلام على هذا معنيين
احدهما كاذبة اي مكذوبة فيما اخبر به عنها فسماها كاذبة لهذا كما تقول هذه قصة كاذبة اي مكذوب فيها. والثاني
الا يمضي وقت وقوعها كقولك فلان اذا حمل لم يكذب. الثالث ان كاذبة مصدر بمعنى التكذيب نحو خائنة الاعين. قال
الزمخشري من قولك حمل فلان على قرنه فما كذب اي فما جبن وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من اطاقته له واقدامه عليه. قال زهير
[illegible] اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا. اي اذا وقعت لم يكن لها رجعة ولا ارتداد انتهى وهو كلام حسن
جدا. ثم لك في هذه الجملة وجهان احدهما انها لا محل لها من الاعراب اما لانها ابتدائية ولا سيما على راي الزمخشري حيث
جعل الظرف متعلقا بها واما لانها اعتراضية بين الشرط وجوابه المحذوف. والثاني ان محلها النصب على الحال قاله ابن
عطية ولم يبين صاحب الحال ماذا وهو واضح اذ لم يكن هنا الا الواقعة وبه صرح ابو الفضل بن [illegible]. وقرا العامة
برفع خافضة رافعة على خبر ابتداء مضمر اي هي خافضة قوما الى النار ورافعة اخرين الى الجنة فالمفعول محذوف لفهم
المعنى او يكون المعنى انها ذات خفض ورفع كقوله يحيي ويميت وكلوا واشربوا. وقرا زيد بن علي وعيسى والحسن وابو
حيوة وابن مقسم واليزيدي بنصبهما على الحال. وروي عن الكسائي انه قال لولا ان اليزيدي سبقني اليه لقرات به
انتهى. قال شهاب الدين ولا اظن مثل هذا يصح عن مثل هذا. واختلف في الحال فقال ابو البقاء من الضمير في كاذبة
او في وقعت او اصطلاحا للقول او فاعل وقعت لما لا ظهر في وقعت. وقال ابن عطية وابو الفضل من الواقعة
ثم قرر ابن جني الحال فقد متعددة من ذي الحال واحد كما تجيء الاخبار متعددة. وقد تقدم بحثه. قال ابو الفضل ولو
جعلت هذه كلها احوالا كان العامل فيها اذا وقعت محذوفا لما دلت عليه الجملة اي اذا وقعت تحاسبون. قال المهدوي
اذا وقعت الواقعة اي قامت القيامة والمراد النفخة الاخيرة وسميت الواقعة لانها تقع عن قرب. وقيل لكثرة
ما يقع فيها من الشدائد. قال الجرجاني اذا صلة اي وقعت الواقعة كقولك اقتربت الساعة واتى امر الله وهو
كما يقال جاء الصوم اي دنا واقترب. وقال القرطبي فيه اضمار اي اذكر اذا وقعت. وعلى هذا اذا للتوقيت والجواب
قوله فاصحاب الميمنة. وقال ابن الخطيب او يكون التقدير اذا وقعت الزلزلة تواقعة يعترف بها كل احد ولا يتمكن
احد من انكارها. ليس لوقعتها كاذبة الكاذبة مصدر بمعنى الكذب والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضع
المصدر كقوله تعالى لا تسمع فيها لاغية اي لغو. والمعنى اي ليس لها كذب قاله الكسائي ومنه قول العامة عائذا
بالله اي معاذ الله وقم قائما اي قم قياما. وقيل الكاذبة صفة والموصوف محذوف اي ليس لوقعتها حال كاذبة
اي لا يردها شيء. ونحوه قول الحسن وقتادة. وقال الثوري ليس لوقعتها احد يكذب بها. وقيل ان قيامها جد لا هزل
فيه. قوله خافضة رافعة. قال عكرمة ومقاتل والسدي خفضت الصوت فاسمعت من دنا ورفعت الصوت فاسمعت
من نأى يعني اسمعت القريب والبعيد. وعن السدي خفضت المتكبرين ورفعت المستضعفين. وقال قتادة
خفضت اقواما في عذاب الله ورفعت اقواما الى طاعة الله. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خفضت اعداء
الله في النار ورفعت اولياء الله في الجنة. وقال ابن عطاء خفضت قوما بالعدل ورفعت اخرين بالفضل. والرفع
والخفض في القيامة توسعا ومجازا على عادة العرب في اضافتها الفعل الى المحل والزمان وغيرهما مما لم يكن
منه الفعل يقولون ليل نائم ونهار صائم وفي التنزيل بل مكر الليل والنهار. والخافض والرافع في الحقيقة
هو الله تعالى. واللام في قوله لوقعتها اما للتعليل اي لا تكذب نفس في ذلك اليوم لشدة وقعتها واما للتعدية

كقوله لئن لم ينته ضارب فيكون التقدير اذا وقعت الواقعة ليس وقعتها امر يوجد لها كاذب بكذب اذ الخبر عنها. قال ابن الخطيب وعلى هذا لا يكون ليس عاملا في اذا وهو بمعنى ليس لها كاذبة. قوله اذا رجت الارض يجوز ان يكون بدلا من اذا الاولى او توكيدا لها وخبرا على انها مبتدأة كما تقدم في نظيرها. وقال الزمخشري ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك تخفض ما هو مرتفع وترفع ما هو منخفض. قال ابو حيان ولا يجوز ان ينتصب بهما معا بل باحدهما لانه لا يجتمع مؤثران على اثر واحد. قال شهاب الدين معنى كلامه ان كلا منهما متسلط عليه من جهة المعنى وتكون المسألة من التنازع وحينئذ تكون العبارة صحيحة اذ يصدق ان كلا منهما عامل فيه وان كان على التعاقب. والرج التحريك الشديد بمعنى زلزلت. قال مجاهد وغيره يقال رجه يرجه رجا اي حركه وزلزله وناقة رجاء اي عظيمة السنام والرجرجة الاضطراب وارتج البحر وغيره اضطرب. وفي الحديث من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة له يعني اذا اضطربت امواجه. قال الكلبي وذلك ان الله تعالى اذا اوحى اليها اضطربت خوفا من الله تعالى. قال المفسرون ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم ما عليها وينكسر كل شيء عليها من الجبال وغيرها. وعن ابن عباس الرجة الحركة الشديدة يسمع لها صوت. قوله وبست الجبال بسا اي تفتتت من قولهم بسوا العنز اي ساقوها وبسست الابل ابسها بسا وقيل اسبت ثقال اذا زجرتها وقلت بس بس قاله ابو زيد او بمعنى صارت كقوله تعالى ينسفها ربي نسفا ويدل عليه فكانت هباء منبثا. قال ابن عباس ومجاهد كما يبس الدقيق اي يلت والبسيسة السويق او الدقيق يلت بالسمن او بالزيت ثم يؤكل ولا يطبخ وقد يتخذ زادا. قال الراجز فيه

لا تخبزا خبزا وبسا بسا ولا تطيلا بمناخ حبسا

وقال الحسن بست قلعت من اصلها فذهبت ونظيرها ينسفها ربي نسفا. وقال ابن عطية بسطت كالرمل والتراب. وقال مجاهد سالت سيلا. وقال عكرمة هدت. وقرأ زيد بن علي رجت وبست مبنيين للفاعل على ان رج وبس يكونان لازمين ومتعديين. قوله فكانت هباء منبثا قرأ النخعي منبتا بنقطتين من فوق اي منقطعا من البت ومعنى الاية يتبوا عنه قال علي رضي الله عنه الهباء المنبث الرهج الذي يسطع من حوافر الخيل ثم يذهب فجعل الله تعالى اعمالهم كذلك. وقال مجاهد الهباء الشعاع الذي يكون في الكوة كهيئة الغبار. وروي نحوه عن ابن عباس وعنه ايضا هو ما تطاير من النار اذا اضطرمت يطير منها شرر فاذا وقع لم يكن شيئا. وقال ابن عطية والمنبث المتفرق. قال تعالى وبث فيها من كل دابة اي فرق ونشر. قوله وكنتم ازواجا ثلاثة اي اصنافا فلا يخفى كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوج. ثم بين من هم فقال فاصحاب الميمنة واصحاب المشأمة والسابقون. قوله فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة فاصحاب الاول مبتدأ وما استفهام فيه تعظيم مبتدأ ثان واصحاب الثاني خبره والجملة خبر الاول وتكرار المبتدأ هنا بلفظه مغن عن الضمير ومثله الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة ولا يكون ذلك الا في مواضع التعظيم. قوله فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة والجملة خبر فان قيل ما خبر مقدم واصحاب الثاني مبتدأ مؤخر لان المعرفة احق بالابتداء من النكرة وهذا القول الوارد على سيبويه في مثل هذا وفي قولك كم مالك ومررت برجل خير منه ابوه فانه يعرب ما الاستفهامية في كم واخواتها مبتدأ وما بعدها خبرها. والجواب انه كثر وقوع النكرة خبرا عن هذه الاشياء لكثرة مثل ابلك خاطر الباب يجري الحكم فيها على مكثر الجانبين وهذا لا ينهض مانعا من جواز ان يكون ما خبرا مقدما وكم خبرا مقدما كالو ابتدأ به لم يكن خطا في التركيب الا الصواب. والميمنة مفعلة من لفظ اليمين وكذلك المشأمة من اليد الشؤمى وهي اليد الشمال لتشاؤم العرب بها وبما يلي الشؤم. فصل قال السدي اصحاب الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة واصحاب المشأمة هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار. والمشأمة الميسرة وكذلك الشأمة يقال قعد فلان شأمة وبعلى شائم اصحابه اي خلاهم شأمة اي ذات الشمال والعرب تقول لليد الشمال الشؤمى وللجانب الشمال الاشأم وكذلك يقال لما جاء عن اليمين اليمن ولما جاء عن الشمال الاشائم الشؤم. قال البغوي ومنه سمي الشام واليمن لان اليمن عن يمين الكعبة والشام عن شمالها. قال ابن عباس والسدي اصحاب الميمنة هم الذين كانوا على يمين ادم حين اخرجت الذرية من صلبه فقال الله لهم هؤلاء في الجنة ولا ابالي. وقال زيد بن اسلم هم الذين اخذوا من شق ادم الايمن يومئذ واصحاب المشأمة الذين اخذوا من شق ادم الايسر. وقال عطاء ومحمد بن كعب اصحاب الميمنة من اوتي الكتاب بيمينه واصحاب المشأمة هم اهل الشمال. وقال الحسن والربيع اصحاب الميمنة الميامين على انفسهم بالاعمال الصالحة واصحاب المشأمة المشائيم على انفسهم بالاعمال السيئة. وفي صحيح مسلم من حديث الاسراء عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة قال فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا ادم عليه السلام وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار وذكر الحديث. وقال المبرد اصحاب الميمنة

اصحاب التقدم واصحاب المشأمة اصحاب التأخر والعرب تقول اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك اي اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني من المتأخرين. ثم عجب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال ما اصحاب الميمنة وهذا كما يقال زيد ما زيد يريد زيد شديد. فالتكرار في ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة للتفخيم والتعجيب كقوله الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة كما يقال زيد ما زيد. وفي حديث ام زرع مالك وما مالك. والمقصود تكثير ما لاصحاب الميمنة من الثواب ولاصحاب المشأمة من العقاب. والفاء في قوله فاصحاب تدل على التقسيم وبيان ما ورد عليه التقسيم كانه قال ازواجا ثلاثة اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة والسابقون ثم بين حال كل قسم فقال فاما اصحاب الميمنة وترك التقسيم اولا واكتفى بما يدل عليه بان ذكر الاقسام الثلاثة مع احوالها. فان قيل ما الحكمة في اختيار لفظ المشأمة في مقابلة الميمنة مع انه قال في بيان احوالهم واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال. فالجواب ان اليمين وضع للجانب المعروف واستعملوا منه الفاظا في مواضع فقالوا هذا ميمون تيمنا به ووضعوا مقابلة اليمين اليسار من الشيء اشارة الى ضعفه وانهم استعملوا منه الفاظا تشاءما به فذكر المشأمة في مقابلة الميمنة وذكر الشمال في مقابلة اليمين فاستعمل كل لفظ مع مقابله. قوله والسابقون السابقون فيه اوجه احدها انهما مبتدأ وخبر وفي ذلك تأويلان احدهما انه بمعنى السابقون هم الذين اشتهرت حالهم بذلك كقولهم انت انت والناس الناس وقوله انا ابو النجم وشعري شعري وهذا يقال في تعظيم الامر وتفخيمه وهو مذهب سيبويه. التأويل الثاني ان متعلق السبقين مختلف اذ التقدير والسابقون الى الايمان السابقون الى الجنة. الوجه الثاني ان يكون السابقون الثاني تأكيدا للاول تأكيدا لفظيا واولئك المقربون جملة ابتدائية في موضع خبر الاول والرابط اسم الاشارة كقوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير في قراءة من رفع لباس في احد الاوجه. الثالث ان يكون السابقون الثاني نعتا للاول والخبر الجملة المذكورة وهذا ينبغي ان لا يعرج عليه كيف يوصف الشيء بلفظه وما يرادفه في ذلك. قال شهاب الدين والاقرب عندي ان وردت هذه العبارة ممن يعتبر ان يكون سماه تأكيدا صفة وقد فعل سيبويه قريبا من هذا. الرابع ان يكون الوقف على قوله تعالى والسابقون ويكون قوله السابقون اولئك المقربون ابتداء وخبره وهذا يقتضي ان يعطف والسابقون على ما قبله لا يليق عطفه على ما قبله وثلاثة وانما يليق عطفه على اصحاب الميمنة كانه قيل واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة والسابقون اي وما السابقون تعظيما لهم فيكونون شركا اصحاب الميمنة في التعظيم ويكون قوله على هذا واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة اعتراضا بين المتعاطفين وفي هذا الوجه تكلف كثير جدا. فصل قال عليه الصلاة والسلام السابقون الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوا بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم ذكره المهدوي. وقال محمد بن كعب القرظي هم الانبياء. وقال الحسن وقتادة هم السابقون الى الايمان من كل امة. وقال محمد بن سيرين هم الذين صلوا الى القبلتين قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار. وقال مجاهد والضحاك هم السابقون الى الجهاد واول الناس رواحا الى الصلاة. وقال علي رضي الله عنه هم السابقون الى الصلوات الخمس. وقال سعيد بن جبير الى التوبة واعمال البر قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم ثم اثنى عليهم فقال اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون. وقيل انهم اربعة منهم سابق امة موسى وهو حزقيل مؤمن ال فرعون وسابق امة عيسى وهو حبيب النجار صاحب انطاكية وسابقان في امة محمد وهما ابو بكر وعمر رضي الله عنهما قاله ابن عباس حكاه الماوردي. وقال شميط بن عجلان الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا هو السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم طول الغفلة ثم رجع بتوبته حتى ختم له بها فهذا من اصحاب اليمين ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها حتى ختم له بها فهذا من اصحاب الشمال. وروي عن كعب قال هم اهل القرآن المتوجون يوم القيامة. وقيل هم اول الناس رواحا الى المسجد واولهم خروجا في سبيل الله اولئك المقربون من الله في جنات النعيم. قوله في جنات النعيم يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا من الضمير في المقربون وان يكون متعلقا به اي قربوا الى رحمة الله في جنات ويبعد ان يكون في بمعنى الى. وقرأ طلحة في جنة بالافراد واضافة الجنة الى النعيم من اضافة المكان الى ما يكون فيه كما يقال دار الضيافة ودار الدعوة ودار العدل وذكر النعيم معرفا وفي اخر السورة منكرا لان السابقين معلومون معرفهم باللام المستغرقة لجنسهم واما اصحاب اليمين فغير معروفين لقوله تعالى ان كان من المقربين فجعل موضعه غير معرف او يقال ان المذكور هنا جميع السابقين ومنزلتهم اعلا المنازل فهي معروفة لانها لا حد فوقها واما الاتي في المقربين فلكل واحد مرتبة ودرجة تمتاز لهم متفاوتة في جنات متباينة في المنزلة لا تجمعها صفة فلم يعرفها. قوله ثلة من الاولين ثلة خبر مبتدأ مضمر اي هم ويجوز ان يكون مبتدأ خبره مضمر اي منهم ثلة من السابقين يعني ان التقسيم وقع في السابقين وان يكون مبتدأ خبره في جنات النعيم او قوله على سرر فهذه اربعة اوجه. والثلة الجماعة من الناس وقيدها الزمخشري بالكثيرة وانشد

وجاءت اليهم ثلة خندفية بجيش كتيار من البحر مزبد

ولم يقيدها غيره بل صرح بانها الجماعة قلت او كثرت. وقال الراغب الثلة قطعة مجتمعة من الصوف ولذلك قيل للغنم ثلة بفتح الثاء ومنه قوله

امرعت الارض لو ان ما لا لو ان نو فالت او جما لا او ثلة من غنم اما لا انتهى ثم قال ولا اعتبار الاجتماع بقيل ثلة من
الاولين وثلة من الاخرين اى جماعة وتثلث كراثا اولت ثلة منه وثل عرشه اسقط ثلة منه والثلل قصر الاسنان لسقوط
ثلة منها واثل فمه سقطت اسنانه وتثلثت الركبة تهدمت انتهى فقد اطلق انها الجماعة من غير قيد بقلة ولا كثرة والكثرة
التى فهمها الزمخشرى قد تكون من السياق وقال الزجاج الثلة الفرقة ومن الاولين صفة لثلة وكذلك من الاخرين اى ممن
امن بمحمد صلى الله عليه وسلم قال الحسن ثلة ممن قد مضى قبل هذه الامة وقليل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اللهم
اجعلنا منهم بكرمك وسموا قليلا بالاضافة الى من كان قبلهم لان الانبيا المتقدمين كثروا فكثر السابقون الى الايمان بهم
فزادوا على عدد من سبق الى التصديق من امتنا قيل لما نزلت هذه الاية شق على اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت
ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة بل نصف اهل الجنة
وتقاسمونهم فى النصف الثانى رواه ابو هريرة ذكره الماوردى وغيره ومعناه ثابت فى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن
مسعود وكانه اراد انها منسوخة قال ابن الخطيب وهذا فى غاية من وجوه احدها ان عدد امة محمد كان فى ذلك الزمان
بل فى اخر الزمان بالنسبة الى ما مضى فى غاية القلة فالمراد بالاولين الانبيا وكبار اصحابهم وهم اذا جمعوا اكثر من السابقين
من هذه الامة الثانى ان هذا خبر والخبر لا ينسخ الثالث ان هذه الاية فى السابقين والتى بعدها فى اصحاب اليمين
الرابع انه اذا جعل قليل منهم مع الانبيا والرسل المتقدمين كانوا فى درجة واحدة وذلك يوجب الفرح لانه انعام
عظيم ولان الاشارة اليه بقوله عليه الصلاة والسلام علما امتى كانبيا بنى اسرايل قال القرطبى والاشبه انها محكمة لانها خبر
والخبر لا ينسخ ولان ذلك فى جماعتين مختلفتين قال الحسن سابقوا من مضى اكثر من سابقينا فلذلك قال وقليل من
الاخرين وهم سوى السابقين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين ولذلك قال عليه السلام انى لارجو ان تكونوا امتى
شطر اهل الجنة ثم تلا ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وقال ابو بكر رضى الله عنه كلا الثلتين من امة محمد صلى الله
عليه وسلم فمنهم من هو فى اول امته ومنهم من هو فى اخرها وهو مثل قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات وقيل المراد ثلة من الاولين وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار فان اكثرهم لهم الدرجة
العليا كما قال تعالى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اوليك اعظم درجة وقيل من الاخرين لحوقهم وهذا قال
عليه السلام خير كم قرنى ثم سوى فى اصحاب الاولين والاخرين قال ابن الخطيب وعلى هذا فقوله وكنتم ازواجا ثلاثة
يكون خطابا مع الموحدين وقت التنزيل ولا يكون فى بيان الاولين الذين كانوا قبل نبينا عليه الصلاة والسلام وهذا ظاهر لان
الخطاب لا يتعلق الا بالموحدين من حيث اللفظ ويدل عليه غيره بالدليل ووجه اخر ان المراد بالاولين الذين امنوا وعملوا
الصالحات وبالاخرين اى ذرياتهم الملحقون بهم فى قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وقال
الزجاج الذين عاينوا جميع النبيين من لدن ادم وصدقوهم اكثر من عاين النبى صلى الله عليه وسلم قوله على سرر
موضونة اى السابقون فى الجنة على سرر اى مجالسهم على سرر جمع سرير وقرا زيد بن على وابو السمال سرر بفتح الرا الاولى
وقد تقدم انها لغة لبعض كلب وتميم والموضونة قال المنسوجة واصله من وضنت الشى اى ركبت بعضه على بعض ومنه قيل
للدرع موضونة لتراكب حلقها قال الاعشى

ومن نسج داود موضونة ... يسير مع الحى عيرا فعيرا

ومنه ايضا وضين الناقة وهو حزامها
لتراكب طاقاته قال

اليك تعدوا قلقا وضينها ... معترضا فى بطنها جنينها ... مخالفا دين النصارى دينها

وقال الراغب الوضن نسج الدرع ويستعار لكل نسج محكم فجعله اصلا فى نسج الدروع وقال الاخر

اقول وقد درات لها وضينى ... اهذا دينه ابدا ودينى

اى حزام الوضين هو الحبل
العريض الذى يكون منه الحزم لقوة سداه ولحمته والسرير الموضون الذى سطحه بمنزلة المنسوج قال القرطبى
ومنه الوضين بطان من سيور ينسج فيدخل بعضه فى بعض قوله متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير فى على
سرر ويجوز ان يكون حالا متداخلة فيكون متقابلين حالا من ضمير متكئين فصل متكئين على السرر متقابلين
اى لا يرى بعضهم قفا بعض بل تدور بهم الاسرة والمعنى انهم كانوا على سرر متكئين على غيرها كحال من يكون على
كرسى فيوضع تحته شى اخر للاتكا عليه قال مجاهد وغيره هذا فى المومن وزوجته واهله انهم يتكئون متقابلين
قال الكلبى طول كل سرير ثلاث مائة ذراع فاذا اراد العبد ان يجلس عليها تواضعت فاذا جلس عليها ارتفعت
قوله يطوف يجوز ان يكون حالا وان يكون استينافا قوله ولدان مخلدون اى غلمان لا يموتون قاله مجاهد قال المعنى
لا موت لهم ولا فنا او بمعنى لا يتغير حالهم ويبقون صغارا ابدا وقال الحسن والكلبى لا يهرمون ولا يتغيرون
ومنه قول امرى القيس وهل ينعمن الا سعيد مخلد ... قليل الهموم ما يبيت باوجال وقال
سعيد بن جبير مخلدون مقرطون يقال للقرط الخلد وجماعة الحلى الخلدة وقيل مسورون ونحوه عن الفرا
قال الشاعر ومخلدات باللجين كانما ... اعجازهن اقاوز الكثبان وقيل مقرطون يعنى

اليمين بين صح

ممنطقون من المناطق وقال عكرمة مخلدون منعمون وقيل على سن واحد انشاهم الله لاهل الجنة يطوفون عليهم كما شا من غير
ولادة لان الجنة لا ولادة فيها وقال على بن ابى طالب والحسن البصرى الولدان هاهنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا
ولا حسنة لهم ولا سيئة وقال سلمان الفارسى اطفال المشركين هم خدم اهل الجنة قال الحسن لم يكن لهم حسنات
يجازون بها ولا سيئات يعاقبون عليها فوضعوا هذا الموضع والمقصود ان اهل الجنة على اتم السرور والنعمة قوله باكواب
متعلق بيطوفون والاكواب جمع كوب وهى الانية التى لا عرى لها ولا خراطيم وقد مضى فى الزخرف والاباريق جمع
ابريق وهى التى لها عرى وخراطيم واحدها ابريق وهى من انية الخمر سمى بذلك لبريق لونه من صفائه قال الشاعر

افنى تلادى وما جمعت من نشب ... قرع القواقيز افواه الاباريق

وقال عدى بن زيد

وتداعوا الى الصبوح فقامت ... قينة فى يمينها ابريق

وقال اخر

كان ابريقهم ظبى على شرف ... مفدم بسبا الكتان ملثوم

ووزنه افعيل لاشتقاقه
من البريق قوله وكاس من معين تقدم فى الصافات والمعين الجارى من ما او خمر غير ان المراد هاهنا الخمر الجارية
من العيون وقيل الظاهرة فيكون معين مفعول من المعاينة وقيل هو فعيل من المعن وهو الكثرة قال ابن الخطيب
هو ماخوذ من معن الما اذا جرى وفعيل بمعنى مفعول فيكون من عانه اذا شخصه بعينه وميزه قال والاول هو الاظهر
لان المعيون يوهم بانه معيوب يقال ضربه بعينه اى اصابه بعينه ولان الوصف بالمروى لا فايدة فيه واما الجريان
فى المشروب فان كان فى الما فهو صفة وان كان فى غيره فهو امر عجيب لا يوجد فى الدنيا فيكون كقوله تعالى وانهار
من خمر ويبين انها ليست كخمر الدنيا تستخرج بتكلف ومعالجة قال قيل كيف جمع الاكواب والاباريق وافرد الكاس
فالجواب ان ذلك على عادة اهل الشرب فانهم يعدون الخمر فى اوانى كثيرة ويشربون بكاس واحد وفيها مباهاة
لاهل الدنيا من حيث انهم يطوفون بالاكواب والاباريق ولا يثقل عليهم بخلاف الدنيا او يقال اذا افردت الكاس لانها
انما تسمى كاسا اذا كانت مملوة فالمراد اتحاد المشروب الذى فيه واتحاد الكاس مناسبة لاتصاله بالشرب قوله
لا يصدعون يجوز ان تكون مستانفة اخبر عنهم بذلك وان تكون حالا من الضمير فى عليهم ومعنى لا يصدعون
عنها اى بسببها قال الزمخشرى وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها والصداع هو الدا المعروف الذى يلحق الانسان
فى راسه والخمر يؤذيه قال علقمة بن عبدة فى وصف الخمر

تشفى الصداع ولا يوذيك صالبها ... ولا يخالطها فى الراس تدويم

قال ابو حيان هذه صفة
خمر الجنة كذا قال الشيخ ابو جعفر بن الزبير لما قرات هذا الديوان عليه والمعنى لا يتصدع رؤسهم من شربها لانها
لذة بلا اذى بخلاف شراب الدنيا وقيل لا يصدعون لا يتفرقون كما يتفرق الشرب من الشراب للعوارض الدنيوية
ومن مجى يصدع بمعنى يتفرق قوله فتصدع السحاب عن المدينة اى تفرق ويرجحه قراة مجاهد لا يصدعون
بفتح اليا وتشديد الصاد والاصل يتصدعون اى يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وحكى الزمخشرى قراة
وهى لا يصدعون بضم اليا وتخفيف الصاد وكسر الدال مشددة قال اى لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقونهم
قوله ولا ينزفون تقدم الخلاف بين السبعة فى ينزفون وتفسيره فى الصافات وقرا ابن ابى اسحق بفتح اليا
وكسر الزاى من نزف البير اذا استقى ماوها والمعنى لا ينزف خمرهم ومنه قول الشاعر

لعمرى لئن انزفتم او صحوتم ... لبيس الندامى كنتم ال ابجرا

وقال ابو حيان وابن ابى
اسحق ايضا وعبد الله والجحدرى والاعمش وطلحة وعيسى بضم اليا وكسر الزاى اى لا يفنى لهم شراب قال شهاب
الدين وهذا عجب منه فانه قد تقدم فى الصافات ان الكوفيين يقرون فى الواقعة بكسر الزاى وقد نقل هو هذه
القراة فى قصيدته وروى الضحاك عن ابن عباس قال فى الخمر اربع خصال السكر والصداع والقى والبول
وقد نزه الله تعالى خمر الجنة عن هذه الخصال قوله وفاكهة العامة على جر فاكهة ولحم نسقا على اكواب اى
يطوفون عليهم بهذه الاشيا الماكول والمشروب والمتفكه به وهذا كقوله العيشة الراضية وقرا زيد بن على
وابو عبد الرحمن برفعهما على الابتدا والخبر مقدر اى ولهم كذا والمعنى يتخيرون ما شاوا من الفواكه لكثرتها وقيل
المعنى وفاكهة متخيرة مرضية والتخير الاختيار وقوله ولحم طير مما يشتهون قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم
الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى ثم يطير فيذهب قوله وحور عين قرا الاخوان بجر حور عين والباقون
برفعهما والنخعى وحير عين بقلب الواو يا وجرهما وابى وعبد الله وحورا عينا بنصبهما فاما الجر فمن اوجه احدها
انه عطف على جنات النعيم كانه قيل هم فى جنات وفاكهة ولحم وحور قاله الزمخشرى قال ابو حيان وهذا فيه
بعد وتفكيك كلام مرتبط بعضه ببعض وهو فهم اعجمى قال شهاب الدين والذى ذهب اليه الزمخشرى معنى حسن
جدا وهو على حذف مضاف اى وفى مقارنة حور وهذا هو الذى عناه الزمخشرى وقد صرح غيره بتقدير هذا المضاف
وقال الفرا الجر على الاتباع فى اللفظ وان اختلفا فى المعنى لان الحور لا يطاف بهن قال الشاعر

اذا ما الغانيات برزن يوما ... وزججن الحواجب والعيونا والعين لا تزجج وانما تكحل وقال اخر

ورأيت زوجك في الوغا ... متقلدا سيفا ورمحا

الثاني انه معطوف على باكواب وذلك بتجوز في قوله يطوف اذ معناه ينعمون فيها باكواب وبكذا وبحور قاله الزمخشري الثالث انه معطوف عليه حقيقة وان الولدان يطوفون عليهم بالحور ايضا فان فيه لذة لهم طافوا عليهم بالماكول والمشروب والمتفكه به والمنكوح والى هذا ذهب ابو عمرو ابن العلاء وقطرب ولا التفات الى قول ابي البقاء عطفا على اكواب في اللفظ دون المعنى لان الحور لا يطاف بها واما الرفع فمن اوجه احدها عطفا على ولدان اي ان الحور يطفن عليهم بذلك كالولايد في الدنيا وقال ابو البقاء اي يطفن عليهم للتنعيم لا للخدمة قال شهاب الدين وهو للخدمة ابلغ لانهم اذا خدمهم مثل اوليك فما الظن بالموطوآت الثاني ان يعطف على الضمير المستكن في متكين وسوغ ذلك الفصل بينهما الثالث ان يعطف على مبتدا وخبر حذفا معا تقديره لهم هذا كله وحور عين قاله ابو حيان وفيه نظر لانه انما عطف على المبتدا وحده وذلك الخبر له ولما عطف هو عليه الرابع ان يكون مبتدا وخبره مضمر تقديره ولهم او فيها او ثم حور وقال الزمخشري على وفيها حور كبيت الكتاب يريدون كتاب سيبويه والمراد بالبيت قوله

بادت وغير ايهن مع البلا ... الا رواكد جمرهن هبا

ومشجج اما سواد قذاله ... فبدا وغير ساره المعزا

الخامس ان يكون خبر المبتدا مضمر اي نساؤهم حور قاله ابو البقاء واما النصب ففيه وجهان احدهما انه منصوب باضمار فعل اي يعطون ويؤتون حورا والثاني ان يكون محمولا على معنى يطوف عليهم لان معناه يعطون كذا وكذا فعطف هذا عليه وقال مكي ويجوز النصب على ان يحمل ايضا على المعنى لان معنى يطوف ولدان بكذا وكذا اي يعطون كذا وكذا ثم عطف حورا على معناه فكانه لم يطلع عليها فراه واما قراءة وحير فلمجاورتهن عين ولان الياء اخف من الواو ونظيره في التغيير للمجاورة قولهم اخذه ما قدم وما حدث بضم داله حدث لاجل قدم وانما افرد منه الحديث داله فقط وقوله عليه السلام ورب السموات ومن اظللن ورب الشياطين ومن اضللن قوله

اسكن صاحبه الحل الارب ... تنبحها كلاب الحوب ... فك الارب لاجل الحوب

وقرا قتادة وحور عين بالرفع والاضافة لعين وابن مقسم بالنصب والاضافة وقد تقدم توجيه الرفع والنصب واما الاضافة فمن اضافة الموصوف لصفته مؤولا وقرا عكرمة وحوراء عيناء بافرادهما على ارادة الجنس وهذه القراءة تحتمل وجهين احدهما ان يكون نصبا كقراءة ابي وعبد الله والثاني ان يكون جرا كقراءة الاخوين لان هذين الاسمين لا ينصرفان فهما يحتملان الوجهين وتقدم الكلام في اشتقاق العين قوله كامثال صفة او حال وجزاء مفعول من اجله او مصدر اي يجزون جزاء فصل قال المفسرون حور عين ضخام الاعين كامثال اللؤلؤ المكنون اي المخزون في الصدف لم تمسه الايدي ولم يقع عليه الغبار فهو اشد ما يكون صفاء قوله جزاء بما كانوا يعملون قالت المعتزلة هذا يدل على ان ايصال الثواب واجب على الله تعالى لان الجزاء لا يجوز الاخلال به واجيبوا بانه لو صح ما ذكروا لما كان في الوعد بهذه الاشياء فايدة لان العقل اذا حكم بان ترك الجزاء قبيح وعلم بالعقل ان القبيح من الله تعالى لا يوجد علم ان الله تعالى يعطي هذه الاشياء لانها اجر يجب ايصال الجزاء واجب وايضا كان لا يصح التمدح به قوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما قال ابن عباس باطلا وكذبا واللغو ما يلغى من الكلام والتاثيم مصدر اثمته اي قلت له اثمت قال محمد بن كعب ولا تاثيما اي لا يؤثم بعضهم بعضا وقال مجاهد لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما شتما ولا ماثما قوله الا قيلا فيه قولان احدهما انه استثناء منقطع وهذا واضح لانه لم يندرج تحت اللغو والتاثيم والثاني انه متصل وفيه بعد وكان هذا رأى ان الاصل لا يسمعون فيها كلاما فاندرج عنده فيه وقال مكي وقيل منصوب بيسمعون وكانه اراد بهذا القول قوله سلاما سلاما فيه اوجه احدها انه بدل من قيلا اي لا يسمعون فيها الا سلاما سلاما وهو قول الزجاج الثاني انه نعت لقيلا الثالث انه منصوب بنفس قيلا اي الا ان يقولوا سلاما سلاما وهو قول الزجاج الرابع ان يكون منصوبا بفعل مقدر ذلك الفعل محكي بقيلا تقديره الا قيلا اسلموا سلاما وقرئ سلام بالرفع قال الزمخشري على الحكاية قال مكي ويجوز في الكلام الرفع على معنى سلام عليكم ابتداء وخبر وكانه لم يعرفها قراءة فصل معنى قيلا سلاما اي قولا سلاما قال عطاء يحيي بعضهم بعضا بالسلام قال القرطبي والسلام الثاني بدل من الاول والمعنى الا قيلا يسلم فيه من اللغو وقيل تحييهم الملايكة او يحييهم ربهم عز وجل وكرر السلام اشارة الى كثرة السلام عليهم ولهذا لم يكرر في قوله سلام قولا من رب رحيم والقيل مصدر كالقول قال ابن الخطيب فيكون فعلا مصدرا لكن لا نظير له في باب فعل يفعل من الاجوف وقيل انه اسم والقول مصدر قوله واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين رجع الى ذكر اصحاب الميمنة والتكرير لتعظيم شان النعيم فان قيل ما الحكمة في ذكرهم بلفظ اصحاب الميمنة عند تقسيم الازواج الثلاثة وبلفظ اصحاب اليمين عند ذكر الانعام فالجواب ان الميمنة مفعلة اما بمعنى موضع اليمين كالحكمة موضع الحكم اي الارض التي فيها اليمين واما بمعنى اليمين كالمنارة موضع النار والمجمر موضع الجمر وكيفما كان فالميمنة فيها دلالة على الموضع لكن الازواج الثلاثة في اول الامر يتميز بعضهم عن بعض ويتفرقون كقوله تعالى يومئذ

يتفرقون وقال يومئذ يصدعون فيتفرقون بالمكان فاشار في الاول اليهم بلفظ يدل على المكان ثم عند الثواب وقع تفرقهم بامر مبهم لا يامر يتميز به وهو المكان فقال واصحاب اليمين اي الذين ياخذون كتبهم بايمانهم وقيل اصحاب القوة وقيل اصحاب النور قوله تعالى في سدر مخضود قال ابن عباس وغيره في سدر مخضود اي في نبق قد خضد شوكه وذكر ابن المبارك قال اخبرنا صفوان عن سليم بن عامر قال كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون انه لينفعنا الاعراب ومسايلهم قال اقبل اعرابي يوما فقال يا رسول الله لقد ذكر الله في القران شجرة مؤذية وما كنت ارى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي قال السدر فان له شوكا مؤذيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوليس يقول سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها تنبت ثمرا يفتق عن الثمر منها على اثنين وسبعين لونا من الطعام ما فيه لون يشبه الاخر وقال ابو العالية والضحاك نظر المسلمون الى وج وهو واد بالطايف مخصب فاعجبهم سدره فقالوا يا ليت لنا مثل هذا فنزلت قال امية ابن ابي الصلت يصف الجنة

ان الحدايق في الجنان ظليلة ... فيها الكواعب سدرها مخضود

وقال الضحاك ومجاهد ومقاتل ابن حيان في سدر مخضود وهو الموقر حملا وقال سعيد بن جبير ثمرها اعظم من القلال قوله وطلح منضود الطلح جمع طلحة قال علي وابن عباس واكثر المفسرين الطلح شجر الموز واحده طلحة وقال الحسن ليس هو موزا ولكنه شجر له ظل بارد رطب وقال الفراء وابو عبيدة شجر عظام له شوك قال الجعدي

بشرها دليلها وقالا ... غدا ترين الطلح والاحبالا

فالطلح كل شجر عظيم كثير الشوك وقال الزجاج هو شجر ام غيلان قال مجاهد ولكن ثمرها احلى من العسل وقال الزجاج لها نور طيب جدا فخوطبوا ووعدوا بما يحبون مثله الا ان فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا وقال السدي طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن له ثمر احلى من العسل وقوله منضود اي متراكب قال المفسرون موقود من الحمل حتى لا يبين ساقه من كثرة ثمره وتثني اغصانه وقرا علي رضي الله عنه وعبد الله وجعفر بن محمد وطلع بالعين لقوله تعالى طلعها هضيم ولما قراها علي رضي الله عنه قال وما شان الطلح واستدل بقوله طلع نضيد فقيل له انحوها فقال لا ينبغي ان يهاج القران اليوم ولا يحول فقد اختار هذه القراءة وروي عن ابن عباس مثله قال القرطبي فلم يرو انها في المصحف لمخالفة ما رسمه مجمع عليه قاله القشيري واسنده ابو بكر بن الانباري بسنده الى علي رضي الله عنه فصل قال ابن الخطيب المخضود الماخوذ الشوك وقيل المنعطف الى اسفل فان رؤس اغصان السدر في الدنيا تميل الى فوق لعدم ما يثقله بخلاف اشجار الجنة فان رؤسها تتدلى والظاهر ان الطلح شجر الموز وذكر لطرفين ليندرج ما بينهما فان ورق السدر صغير وورق الطلح وهو الموز كبير وبينهما انواع من الاوراق متوسطة كما ذكر في النخل والرمان كقولهم فلان يرضي الصغير والكبير فيدخل ما بينهما والمنضود المتراكب الذي قد نضد اوله واخره بالحمل ليست له سوق بارزة بل هو مرصوص والنضد هو الرص والمنضد المرصوص قال مسروق اشجار الجنة من عروقها الى افنانها نضيد ثمر كله كلما اكلت ثمرة عاد مكانها احسن منها قوله وظل ممدود اي دايم باق لا يزول ولا تنسخه الشمس كقوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل وذلك بالغداة وهي ما بين الاسفار الى طلوع الشمس والجنة كلها ظل لا شمس معه قال ابن الخطيب ان الشمس اذا كانت تحت الارض يقع ظلها في الجو فيتراكم الظل فيسود وجه الارض واذا كانت الشمس في احد جانبي الارض من الافق فينبسط الظل على وجه الارض فيضيء الجو ولا يسود وجه الارض فتكون في غاية الطيبة فقوله وظل ممدود اي كالظل وعلى هذا فالظل ليس ظل الاشجار بل ظل يخلقه الله تعالى قال الربيع بن انس يعني ظل العرش وقال عمرو بن ميمون مسيرة سبعين الف سنة وقال ابو عبيدة تقول العرب للدهر الطويل والعمر الطويل والشيء الذي لا ينقطع ممدود قال الشاعر

غلب العزاء وكان غير مغلب ... دهر طويل دايم ممدود

وفي صحيح الترمذي وغيره عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وهذا الحديث يرد قول ابن الخطيب من انه ليس ظل الاشجار قوله وماء مسكوب اي مصبوب وقيل جار لا ينقطع واصل السكب الصب يقال سكبه سكبا والسكوب انصبابه يقال سكب سكوبا وانسكب انسكابا ومعنى الاية وماء مصبوب يجري في غير اخدود لا ينقطع عنهم وكانت العرب اصحاب بادية وبلاد حارة وكانت الانهار في بلادهم عزيزة لا يصلون الى الماء الا بالدلو والرشا فوعدوا في الجنة خلاف ذلك قوله وفاكهة كثيرة قرئ برفع فاكهة اي وهناك اي ولهم او وفيها او وثم فاكهة قال ابن الخطيب لما ذكر الاشجار التي تطلب منها الزهر ذكر بعدها الاشجار التي تنضد ثمرها وذكر الفاكهة بعد ذكر الاشجار انتقالا من نعمة الى نعمة ووصف بالكثرة دون الطيب واللذة لان الفاكهة تدل عليهما قوله لا مقطوعة فيه وجهان اظهرهما انه نعت لفاكهة ولا للنفي كقولك مررت برجل لا طويل ولا قصير ولذلك لزم تكرارها والثاني هو معطوف على فاكهة ولا عاطفة قاله ابو البقاء وجعله لا بد من حذف موصوف اي لا فاكهة مقطوعة لئلا يعطف الصفة على موصوفها والمعنى

ليست كفواكه الدنيا تنقطع في اوقات وفي كثير من الاماكن ولا ممنوعة اى لا تمنع من الناس لطلب الاثمان وقيل لا يحظر
عليها كثمار الدنيا وقيل لا تمنع من ارادها بشوك ولا بعد ولا حايط بل اذا اشتهاها العبد دنت منه حتى ياخذها
قال تعالى وذللت قطوفها تذليلا **قوله وفرش مرفوعة** العالية على ضوء المرا جمع فراش وابو حيوة بسكونها وهي مخففة
من المشهورة والفرش قيل هي الفراش المعهود مرفوعة على الاسرة وقيل هي كناية عن النسا كما كني عنهن باللباس
قال ابو عبيدة وغيره قالوا ولذلك اعاد الضمير في قوله انا انشاناهن واجاب غيرهم بانه عايد الى النسا الدال
عليهن الفرش وقيل يعود على حور المتقدمة وعن الاخفش هن ضمير لمن لم يجر له ذكر يعني بل يدل عليه السياق وقيل
مرفوعة القدر يقال ثوب رفيع اى عزيز ومنه رفع القدر والمنزلة قيل قوله تعالى متكئين على فرش بطاينها من استبرق
مكيف ظاهرها وقيل مرفوعة بعضها فوق بعض وروى الترمذي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في
قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السما والارض مسيرة خمس مائة سنة قال حديث غريب **قوله انا**
انشاناهن قيل الضمير يعود على الحور العين اى خلقناهن من غير ولادة وقيل المراد نساء بني ادم خلقناهن خلقا
جديدا وهو الاعادة اى اعدناهن الى الشباب وكمال الجمال ويرجحه قوله فجعلناهن ابكارا لان المخلوقة ابتداء معلوم
انها بكر والمعنى انشانا العجوز والصبية انشاء واحدا واضمرن ولم يتقدم ذكرهن لانهن قد دخلن في اصحاب
اليمين او لان الفرش كناية عن النساء كما تقدم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انا انشاناهن انشاء
قال منهن البكر والثيب وروى النحاس باسناده ان ام سلمة سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى انا انشانا
هن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا فقال يا ام سلمة هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز شمطا عمشا رمصا
جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء وروى انس بن مالك يرفعه في قوله انا انشاناهن انشاء
قال هن العجائز العمش الرمص كن في الدنيا عمشا رمصا وعن المسيب بن شريك قال النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا قال هن عجائز الدنيا انشاهن الله خلقا
جديدا كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت عائشة ذلك قالت واوجعاه فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ليس هناك وجع وعن الحسن قال اتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله ان
يدخلني الجنة فقال يا ام فلان الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي فقال اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان
الله تعالى يقول انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا **قوله عربا** جمع عروب كصبور وصبر والعروب
المتحببة الى بعلها وقيل الحسناء وقيل المحسنة لكلامها وقرا حمزة وابو بكر بسكون الراء وهذا كرسل ورسل
وفرش وفرش وقال ابن عباس هن العواشق وانشد لبيد

وفي الخدور عروب غير فاحشة ❊ ريا الروادف يعشى دونها البصر ❊ ويروى

وفي الخباء عروب غير فاحشة ❊ ريا الروادف يعشى ضوءها البصرا ❊ وعن ابن عباس

ومجاهد وغيرهما العرب العواشق لازواجهن وعن عكرمة العروب الغنجة قال ابن زيد بلغة اهل
المدينة وانشد بيت لبيد وهي الشكلة بلغة اهل مكة وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى عربا قال كلامهن عربي وعن ابن عباس العروب الملقة **قوله اترابا** جمع
ترب وهو المساوي لك في سنك لانه يمس جلدهما التراب في وقت واحد وهو اكد في الايتلاف وهو من الاسماء التي
لا تتعرف بالاضافة لانه في معنى الصفة اذ معناه مساويك ومثله خدنك لانه في معنى صاحبك قال القرطبي
سن واحد وهو ثلاث وثلاثون سنة يقال في النساء اتراب وفي الرجال اقران وكانت العرب تميل الى من جاوزت
حد الصبا من النساء وانحطت عن الكبر قال مجاهد الاتراب الامثال والاشكال وقال السدي اتراب في
الاخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل اهل الجنة الجنة
جردا مردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلاثين على خلق ادم طوله ستون ذراعا في سبعة اذرع وعنه عليه السلام
قال من مات من اهل الجنة من صغير وكبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها ابدا وكذلك
اهل النار **قوله لاصحاب اليمين** في هذه اللام وجهان احدهما انها متعلقة بانشاناهن اى لاجل اصحاب
والثاني انها متعلقة باترابا كقولك هذا ترب لهذا اى مساوله وقيل الحور العين للسابقين والاتراب
العرب لاصحاب اليمين **قوله ثلة من الاولين وثلة من الاخرين** رجع الكلام الى قوله تعالى واصحاب اليمين
ما اصحاب اليمين اى هم ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وقد مضى الكلام في معناه وقال ابو العالية ومجاهد
وعطاء بن ابي رباح والضحاك ثلة من الاولين يعني من سابقي هذه الامة وثلة من الاخرين من هذه الامة
من اخرها يدل له ما روى عن ابن عباس في هذه الاية ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فقال النبي صلى الله
عليه وسلم هم جميعا من امتي وقال الواحدي اصحاب الجنة نصفان نصف من الامم الماضية ونصف من

هذه الامة ويرد هذا ما روى ابن ماجة في سننه والترمذي في جامعه عن بريدة بن حصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من ساير الامم قال الترمذي هذا حديث حسن
وثلة رفع على الابتداء او على حذف خبر حرف الصفة ومجازه لاصحاب اليمين ثلثان ثلة من هولاء وثلة من هولاء فالاولون الامم
الماضية والاخرون هذه الامة على قول الواحدي **قوله واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال** لما ذكر منازل اهل الجنة وسماهم
ذكر منازل اهل النار وسماهم اصحاب الشمال لانهم ياخذون كتبهم بشمايلهم ثم عظم ذكرهم في البلاء والعذاب فقال
ما اصحاب الشمال **في سموم** وهي الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن والمراد بها حر النار ولفحها وقيل ريح حارة
تهب فتمرض او تقتل واصله من السم كسم الحية والعقرب وغيرهما وقال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون هو السم والسم
يقال في خرت الابرة قال تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط لان سم الافعى ينفذ في مسام البدن وقيل السموم تختص
بما يهب ليلا وعلى هذا فقوله سموم اشارة الى ظلمة ما هم فيه والحميم هو الماء الحار الذي تناهى حره وهو فعيل بمعنى
فاعل من حميم الماء او بمعنى مفعول من حم الماء اذا اسخنه وقوله **وظل من يحموم** اليحموم فيه يفعول قال ابو البقاء من الحمم
او الحميم واليحموم قيل هو الدخان الاسود البهيم وقيل واد في جهنم وقيل اسم من اسمائها والاول اظهر وقيل انه الظلمة
واصله من الحمم وهو الفحم فكانه اسود كحمم فسمي باسم مشتق منه وزيادة الحرف فيه لزيادة ذلك المعنى فيه وربما
تكون الزيادة فيه جامعة بين الزيادة في سواده والزيادة في حرارته قال ابن الخطيب وفي الامور الثلاثة اشارة
الى كونهم في العذاب دايما لانهم ان تعرضوا لمهب الهواء اصابهم السموم وان استكنوا كما يفعله الذي يدفع عن نفسه
السموم بالاستكنان بالكن يكون في ظل من يحموم وان اراد التبرد بالماء من حر السموم يكون الماء من حميم فلا انفكاك
له من العذاب او يقال ان السموم يضربه فيعطش وتلتهب نار السموم في احشايه فيشرب الماء فيقطع امعاءه فيريد
الاستظلال بظل فيكون ذلك الظل اليحموم وذكر السموم والحميم دون النار تنبيها بالادنى على الاعلى كانه قيل ابرد الاشيا
في الدنيا حار عندهم فكيف احرها قال الضحاك النار سوداء واهلها سود وكل ما فيها اسود **قوله لا بارد ولا كريم** صفتان
للظل كقوله من يحموم وفيه انه قدم غير الصريحة على الصريحة فالاولى ان يجعل صفة اليحموم وان كان السياق يرشد
الى الاول وقرا ابن ابي عبلة لا بارد ولا كريم برفعهما اى هو لا بارد كقوله ❊ فانت لا حرج ولا محروم ❊
قال الضحاك لا بارد بل حار لانه من دخان سعير جهنم ولا كريم عذب وقال سعيد بن المسيب ولا حسن منظره
وكل ما لا خير فيه فليس بكريم وقيل وظل من يحموم اى من النار يعذبون بها كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار
ومن تحتهم ظلل قال الزمخشري كرم الظل نفعه الملهوف ودفع اذى الحر عنه قال ابن الخطيب ولو كان كذلك
لكان البارد والكريم بمعنى واحد والاقوى ان يقال فايدة الظل امران احدهما دفع الحر والاخر كون الانسان فيه
مكرما لان الانسان في البرد يقصد الشمس ليتدفا بحرها اذا كان قليل الثياب وفي الحر يطلب الظل لبرده فاذا
كان من المكرمين يكون ابدا في كن يدفع الحر والبرد عن نفسه فيحتمل ان يكون المراد هذا ويحتمل ان يقال الظل
يطلب لامر حسي وهو برده ولامر عقلي وهو التكرمة وهذا معنى ما نقله الواحدي عن الفراء ان العرب تنفي كل شي
مستحسن بنفي الكرم فيقولون ما هذا الدار واسعة ولا كريمة **قوله انهم كانوا قبل ذلك مترفين** اى انهم استحقوا هذه
العقوبة لانهم كانوا في الدنيا متنعمين بالحرام والمترف المنعم قاله ابن عباس وغيره وقال السدي مترفين اى
مشركين **قوله وكانوا يصرون على الحنث العظيم** الحنث في اصل كلامهم العدل الثقيل وسمي به الذنب والاثم
لثقلهما قاله الخطابي وفلان حنث في يمينه اى لم يف بها لانه ياثم غالبا ويعبر بالحنث عن البلوغ ومنه قوله
لم يبلغوا الحنث وانما قيل ذلك لان الانسان عند بلوغه اياه يواخذ بالحنث اى بالذنب وتحنث فلان اى جانب الحنث وفي
الحديث كان يتحنث بغار حراء اى يتعبد لمجانبته الاثم نحو تحرج فتفعل في هذه كلها للسلب **فصل** قال الحسن والضحاك
وابن زيد يصرون على الحنث العظيم اى يقيمون على الشرك وقال قتادة ومجاهد الذنب العظيم الذي لا يتوبون
منه قال الشعبي هو اليمين الغموس وهي من الكباير يقال حنث في يمينه اى لم يبر بها ورجع فيها وكانوا يقسمون
ان لا بعث وان الاصنام انداد الله فذلك حنثهم **فصل** قال ابن الخطيب والحكمة في ذكره سبب عذابهم
ولم يذكر في اصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين وذلك تنبيه على ان ذلك
الثواب منه فضل والعقاب منه عدل والفضل سواء ذكر سببه او لم يذكره لا يتوهم بالمتفضل نقص وظلم واما
العدل ان لم يعلم سبب العقاب يظن ان هناك ظلم ويدل على ذلك انه تعالى لم يقل في حق اصحاب اليمين جزاء بما
كانوا يعملون كما قاله في السابقين لان اصحاب اليمين نجوا بالفضل العظيم لا بالعمل بخلاف من كثرت حسناته يحسن
اطلاق الجزاء في حقه واعلم ان المترف هو المتنعم وذلك لا يوجب ذما وانما حصل لهم الذم بقوله وكانوا يصرون
على الحنث العظيم فان صدور المعاصي ممن كثرت النعم عليه افتح القبايح فقال انهم كانوا قبل ذلك مترفين
ولم يشكروا نعم الله بل اصروا على الذنب العظيم وفي الاية مبالغات لان قوله كانوا يصرون يقتضي ان ذلك

يا ذا يتم والاصرار مداومة المعصية ولان الحنث ابلغ من الذنب لان الذنب يطلق على الصغيرة ويدل على ذلك قولهم بلغ
الحنث اى بلغ مبلغا يلحقه فيه الكبيرة واما الصغيرة فتلحق الصغير فان وليه يعاقبه على اساءة الادب وترك
الصلاة ولانه وصفه بالعظيم مبالغة قاله ابن الخطيب قوله وكانوا يقولون ائذا متنا الاية وهو استبعاد
منهم للبعث وتكذيب له وقد تقدم الكلام على ذلك في الصافات وتقدم الكلام على الاستفهامين في سورة الرعد
فان قيل كيف اتى باللام المؤكدة في قوله تعالى لمبعوثون مع ان المراد هو النفي وفي النفي لا تدخل اللام في خبر
ان تقول ان زيدا ليجيء وان زيدا لا يجيء فلا تذكر اللام ومرادهم بالاستفهام الانكار بمعنى انا لا نبعث فالجواب
من وجهين احدهما عند التصريح بالنفي وصيغته تحت التصريح بالنفي وصيغته والثاني انهم ارادوا تكذيب من يخبر
عن البعث فذكروا ان المخبر عنه يبالغ في الاخبار ونحن ننكر ما يقوله فجعلوا الكلام المحكي على طريقة الاستفهام والانكار
ثم انهم اشاروا في الانكار الى امور اعتقدوها مقررة لصحة انكارهم فقالوا ائذا متنا ثم لم يقتصروا عليه بل قالوا
وكنا ترابا وعظاما اى وطال عهدنا بعد كوننا احياء حتى صارت اللحوم ترابا والعظام رفاتا ثم زادوا وقالوا
مع هذا يقال لنا انكم لمبعوثون بطريق التاكيد من ثلاثة اوجه احدها استعمال ان ثانيها اثبات اللام في خبره
ثالثها ترك صيغة الاستقبال والاتيان بالمفعول كانه كائن ثم زادوا وقالوا او اباؤنا الاولون فقال الله تعالى
قل يا محمد ان الاولين من ابائكم والاخرين منكم لمجموعون الى ميقات يوم معلوم يعني يوم القيامة ومعنى الكلام
القسم ودخول اللام في قوله تعالى لمجموعون هو دليل القسم في المعنى اى انكم لمجموعون قسما حقا خلاف قسمكم
الباطل قوله ثم انكم ايها الضالون المكذبون بالبعث نحو اهل مكة لاكلون من شجر من زقوم وهو شجر كريه المنظر
كريه الطعم وهو المذكور في سورة والصافات وهذا الخطاب عام وقيل لاهل مكة وهو من تمام كلام النبي صلى الله
عليه وسلم وقدم هاهنا الضالين على المكذبين وفي اخر السورة قال واما ان كان من المكذبين الضالين فقدم
المكذبين على الضالين لانهم هنا اصروا على الحنث العظيم فضلوا عن السبيل ثم كذبوا الرسول وقالوا ائذا متنا
وفي اخر السورة قدم المكذبين بالحشر على الضالين عن طريق الاخلاص او يقال ان الكلام هنا مع الكفار فهم
اولا وكذبوا ثانيا وفي اخر السورة الكلام مع النبي صلى الله عليه وسلم فقدم المكذب به اظهارا للعناية به
صلى الله عليه وسلم قوله لاكلون من شجر من زقوم فيه اوجه احدها ان تكون من الاولى لابتداء الغاية والثانية
للبيان اى مبتدئون الاكل من شجر هو زقوم الثاني ان تكون من الثانية صفة لشجر فتتعلق بمحذوف اى مستقر
الثالث ان تكون من الاولى مزيدة اى لاكلون شجرا ومن الثانية على ما تقدم فيها من الوجهين الرابع عكس
هذا وهو ان تكون الثانية مزيدة اى لاكلون زقوما ومن الاولى للابتداء او في محل نصب على الحال من زقوم اى كائنا
من شجر ولو تاخر لكان صفة الخامس ان من شجر صفة لمفعول محذوف اى لاكلون شيئا من شجر ومن زقوم على هذا نعت
لشجر او لشيء محذوف السادس ان الاولى للتبعيض والثانية بدل منها قوله فمالئون منها البطون الضمير في منها
عائد على الشجر وفي عليه للشجر ايضا وقد تقدم انه يجوز تذكير اسم الجنس وتانيثه وانهما لغتان وقيل الضمير في
عليه عائد على الزقوم وقال ابو البقاء للماكول وقال ابن عطية للماكول او الاكل انتهى وفي قوله الاكل نظر وقال
الزمخشري وانث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في منها وعليه ومن قرا من شجرة من زقوم فقد جعل الضمير في
للشجرة وانما ذكر الثاني على تاويل الزقوم لانه تفسيرها فصل قال ابن الخطيب اختلف اقوال الناس في الزقوم
وحاصل الاقوال يرجع الى كونه ذلك في الطعم مرا وفي اللمس حارا وفي الرائحة منتنا وفي المنظر اسود لا يكاد اكله
يسيغه والتحقيق اللغوي فيه انه يقال الزقوم لغة عربية دلنا تركيبه على قبحه لان ز ق م لم يجتمع الا في مهمل
او في مكروه يقال منه مزق بمزق ومنه زمق شعره اذا نتفه ومنه القزم للدني واللوم واقوى من هذا ان القاف
مع كل حرف من الحرفين الباقيين يدل في اكثر الامر على مكروه فالقاف مع الميم كالقمامة والقمقم والقمقمة وبالعكس
المقامق لتغليظ الصوت والمقمقة هو السق واما القاف مع الزاي فالزق ورفه الطير والزقزقة للخفة وبالعكس
القفز للوثوب والقزم للنفور الطبع فتركبت الكلمة من حروف اجتماعها دليل الكراهة والقبح ثم قرن بالاكل فدل
على انه طعام ذو غصة واما ما يقال بان العرب تقول زقمتني بمعنى اطعمتني الزبد والعسل واللبن فذلك
للمجانة كما يقال ارشقني بثوب حسن وارجمني بكيس من ذهب وقد تقدم الكلام على الزقوم في الصافات وقوله فمالئون
منها البطون بيان لزيادة العذاب اى لا يكتفى منكم بنفس الاكل كما يكتفى ممن ياكل الشيء لتحلة القسم بل تلزمون
بان تملاوا منها البطون وقوله البطون اما ان تكون مقابلة الجمع بالجمع اى يملا كل واحد منكم بطنه واما ان يكون
لكل واحد بطون ويكون المراد منه ما في باطن الانسان وهو سبعة امعاء فيملاون بطون الامعاء والاول
اظهر والثاني ادخل في التعذيب قوله فشاربون عليه اى على الاكل او على الزقوم لاجل مرارته وحرارته تحتاجون
الى شرب الماء فتشربون من الماء الحار قوله فشاربون شرب الهيم وهذا ايضا بيان لزيادة العذاب اى لا يكون

شربكم كشرب من اعتاد الماء فيتمكن منه بل تلزمون ان تشربوا منه مثل ما يشرب الاهيم وهو الجمل العطشان فيشرب ولا يروى
وقرا نافع وعاصم وحمزة بضم الشين من شرب والباقي من السبعة بفتحها ومجاهد وابو عثمان النهدي بكسرها فقيل الثلاث
لغات في مصدر شرب والمقيس منها انما هو المفتوح وقيل المصدر هو المفتوح والمضموم والمكسور اسمان لما يشرب
كالرعي والطحن وقال الكسائي يقال شربت شربا وشربا يروى قول جعفر ايام منى ايام اكل وشرب ويقال بفتح الشين والقراءة
في غير هذا اسم الجماعة الشاربين قال
كانه خارج من جنب صفحته ... سفود شرب نسوه عند مفتاد
والمعنى مثل شرب الهيم والهيم فيه اوجه احدها انه جمع اهيم وهيماء وهو الجمل والناقة التي اصابها الهيام وهو داء معطش
تشرب الابل منه الى ان تموت او تسقم سقما شديدا والاصل هيم بضم الهاء كاحمر وحمر وحمراء وحمر فقلبت الضمة كسرة لتصح
الياء وذلك نحو بيض في ابيض والشد لذي الرمة
فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد ... صداها ولا يقضي عليها هيامها
الثاني انه جمع هائم وهائمة
من الهيام ايضا الا ان جمع فاعل وفاعلة على فعل قليل نحو بازل وبزل وعائذ وعوذ ومنه العوذ المطافيل وقيل هو من
الهيام وهو الذهاب لان الجمل اذا اصابه ذلك هام على وجهه الثالث انه جمع هيام بفتح الهاء وهو الرمل غير المتماسك
الذي لا يروى من الماء اصلا فيكون مثل سحاب وسحب بضمتين ثم خفف باسكان عينه ثم كسرت فاؤه لتصح الياء كما فعل بالذي
قبله الرابع انه جمع هيام بضم الهاء وهو الرمل غير المتماسك ايضا لغة في الهيام بالفتح حكاها ثعلب الا ان المشهور الفتح
ثم جمع على فعل نحو قراد وقرد ثم خفف وكسرت فاؤه لتصح الياء والمعنى انه يصيبهم من الجوع ما يلجئهم الى اكل الزقوم ومن العطش
ما يضطرهم الى شرب الحميم مثل شرب الهيم قال الزمخشري فان قلت كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة
وصفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه قلت ليستا بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين على ما هو عليه من تناهي الحرارة
وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين انتهى يعني قوله فشاربون
عليه من الحميم فشاربون له وهو سوء الحصر وجوابه بينه واجاب بعضهم عنه بجواب اخر وهو ان قوله فشاربون شرب
الهيم تفسير للشرب قبله الا ترى ان ما قبله يصح ان يكون مثل شرب الهيم ومثل شرب غيرها ففسره بانه مثل شرب هؤلاء البهائم
او الرمال وفي ذلك فائدتان احداهما التنبيه على كثرة شربهم منه والثانية عدم جدوى الشرب وان المشروب لا ينجع
فيهم كما لا ينجع في الهيم على التفسيرين وقال ابو حيان والفاء تقتضي التعقيب في الشربين وانهم اولا لما عطشوا شربوا من
الحميم ظنا منهم انه يسكن عطشهم فازدادوا عطشا بحرارة الحميم فشربوا بعده شربا لا يقع به ري ابدا وهو مثل شرب
الهيم فهما شربان من الحميم لا شرب واحد اختلفت صفتاه فعطف والمشروب منه في فشاربون شرب الهيم محذوف
لفهم المعنى تقديره فشاربون منه انتهى قال شهاب الدين والظاهر انه شرب واحد بل الذي يتعين هذا فقط وكيف
يناسب ان يكون زيادة تهم العطش بشربة متنضية لشربهم منه ثانيا قوله هذا نزلهم يوم الدين قرا العامة نزلهم
بضمتين وروي عن ابي عمرو من طرق وعن نافع وابن محيصن بضمة وسكون وهو تخفيف وقد تقدم ان النزل
ما يعد للضيف وقيل هو اول ما ياكله ضيف به هذا تهكم بهم كما في قوله وهو في المعنى كقول ابي السعر الضبي
وكنا اذا الجبار انزل ضيفه ... جعلنا القنا والمرهفات له نزلا
ومعنى الاية هذا اول ما يلقونه من العذاب يوم القيامة كالنزل الذي يعد للاضياف تكرمة لهم وفيه تهكم
لقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم قوله نحن خلقناكم فلولا تصدقون تحضيض اى فهلا تصدقون بالبعث لان
الاعادة اسهل من الابتداء وقيل المعنى نحن خلقنا رزقكم فهلا تصدقون ان هذا طعامكم ان لم تؤمنوا ومتعلق التصديق
محذوف تقديره فلولا تصدقون بخلقنا قوله افرايتم هي بمعنى اخبروني ومفعولها الاول ما تمنون والثاني الجملة
الاستفهامية وقد تقدم تقريره والمعنى ما تصبونه من المني في ارحام النساء قوله اانتم تخلقونه يجوز فيه
وجهان احدهما انه فاعل بفعل مقدر اى اتخلقونه فلما حذف الفعل لدلالة ما بعده عليه انفصل الضمير وهذا من
الاشتغال والثاني ان انتم مبتدا والجملة بعده خبره والاول ارجح لاجل اداة الاستفهام وقوله ام يجوز فيها
وجهان احدهما انها منقطعة لان ما بعدها جملة وهي انما تعطف المفردات والثاني انها متصلة والجواب عن وقوع
الجملة بعدها بان مجيء الخبر بعد نحن اتي به على سبيل التوكيد اذ لو قال ام نحن لاكتفى به دون الخبر ونظير ذلك جواب
من قال في الدار زيد في الدار او زيد فيها ولو اقتصر على زيد لكان كافيا ويؤيد كونها متصلة ان الكلام يقتضي تاويله
اي الامرين واقع واذا صح ذلك كانت متصلة اذ الجملة بتاويل المفرد ومفعول الخالقون محذوف لفهم المعنى اي الخالقوه
فصل والمعنى اانتم تصورون منه الانسان ام نحن الخالقون المقدرون المصورون وهذا احتجاج عليهم وبيان
للاية الاولى اي اذا اقررتم بانا خالقوه لا غيرنا فاعترفوا بالبعث قال مقاتل نحن خلقناكم ولم تكونوا شيئا وانتم تعلمون
ذلك فهلا تصدقون بالبعث قوله نحن قدرنا قرا ابن كثير قدرنا بتخفيف الدال والباقون بتشديدها وهما
لغتان بمعنى واحد في التقدير الذي هو القضاء وهذا ايضا احتجاج اى الذي يقدر على الاماتة يقدر على الخلق واذا

قدرنا على الخلق كلا على التفث قال الضحاك معناه اى سوينا بين اهل السماء واهل الارض وقيل قضينا وقيل كتبنا قال
مقاتل فمنكم من يبلغ الهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا وما نحن بمسبوقين اى مغلوبين عاجزين قوله على ان نبدل
يجوز ان يتعلق بمسبوقين وهو الظاهر اى لم يسبقنا احد على ان نبدل امثالكم اى يعجزنا يقال سبقه على كذا اذا
اعجزه عنه وغلبه عليه والثاني انه متعلق بقوله قدرنا اى قدرنا بينكم على ان نبدل اى نموت طائفة ونخلفها
طائفة اخرى قال معناه الطبري فعلى هذا يكون قوله وما نحن بمسبوقين معترضا وهو اعتراض حسن ويجوز في
امثالكم وجهان احدهما انه جمع مثل بكسر الميم وسكون الثاء اى نحن قادرون على ان نعدمكم ونخلق قوما آخرين امثالكم
ويؤيده ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين والثاني انه جمع مثل بفتحتين وهو الصفة اى نغير صفاتكم
التي انتم عليها خلقا وخلقا وننشئكم في صفات غيرها وتقدم قراءة النشأة في العنكبوت فصل قال القرطبي الطبري معنى
الاية نحن قدرنا بينكم الموت على ان نبدل امثالكم بعد موتكم بآخرين من جنسكم وما نحن بمسبوقين في آجالكم اى لا يتقدم
متأخر ولا يتأخر متقدم وننشئكم فيما لا تعلمون من الصور والهيئات قال الحسن اى نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا
باقوام قبلكم وقيل المعنى ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا فيجمل المؤمن ببياض وجهه ويقبح الكافر
بسواد وجهه وقال سعيد بن المسيب قوله فيما لا تعلمون يعني في حواصل طير سود تكون ببرهوت كانها الخطاطيف
وبرهوت واد في اليمن وقال مجاهد فيما لا تعلمون اى في اى خلق شئنا وقيل ننشئكم في عالم فيما لا تعلمون
وفي مكان لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الاولى اى اذ خلقتم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ولم تكونوا
شيئا قاله مجاهد وغيره وهذا تقرير للنشأة الثانية وقال قتادة والضحاك يعني خلق آدم عليه السلام فلولا تذكرون
اى فهلا تذكرون وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الاخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق
بالنشأة الاخرة وهو يسعى لدار الغرور قوله افرأيتم وما بعده تقدم نظيره وهذه حجة اخرى اى اخبروني عما
تحرثون من ارضكم فتطرحون فيها البذر أانتم تنبتونه وتحصلونه زرعا فيكون فيه السنبل والحب ام نحن نفعل ذلك
وانما منكم البذر وشق الارض فاذا اقررتم بان اخراج السنبلة من الحبة ليس اليكم فكيف تنكرون اخراج الاموات
من الارض واعادتهم واضاف الحرث اليهم والزرع الى الله تعالى لان الحرث فعلهم ويجري على اختيارهم والزرع من فعل الله
تعالى وينبت على اختياره لا على اختيارهم وكذلك ما روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقولن
احدكم زرعت وليقل حرثت فان الزارع هو الله قال ابو هريرة الم تسمعوا قوله تعالى أانتم تزرعونه ام نحن الزارعون قال
القرطبي والمستحب لكل من يلقي البذر في الارض ان يقرأ بعد الاستعاذة افرأيتم ما تحرثون الاية ثم يقول بل الله الزارع والمنبت والمبلغ
اللهم صل على محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لانعمك من الشاكرين ويقال ان هذا القول امان لذلك
الزرع من جميع الآفات الدود والجراد وغير ذلك سمعناه من ثقة وجربناه فوجدناه كذلك فان قيل اذا كان الزارع هو
الله فكيف قال تعالى يعجب الزراع وقال عليه السلام الزرع للزارع فالجواب ان الحرث اوائل الزرع والزرع
اواخر الحرث فيجوز اطلاق احدهما على الاخر لاتصاله به ومعنى أانتم تزرعونه تجعلونه زرعا وقد يقال فلان زراع كما يقال
حراث اى يفعل ما يؤول الى ان يكون زرعا وقد يطلق لفظ الزرع على بذر الارض وتكريبها تجوزا قال القرطبي وهذا
نهي ارشاد وادب لا نهي حظر وايجاب ومنه قوله عليه السلام لا يقولن احدكم عبدي وامتي وليقل غلامي وجاريتي
وفتاي وفتاتي قوله لو نشاء لجعلناه حطاما اتى هنا بجواب لو مقرونا باللام وهو الاكثر لانه مثبت وحذف في قوله
جعلناه اجاجا لان المتوعد بالماكول اعظم منها بالمشروب قاله الزمخشري وهذا منقوض بقوله ولو نشاء لطمسنا ولو
نشاء لمسخناهم وذلك ان امر الطمس اهون من امر المسخ وادخل فيهما اللام واجاب الزمخشري بجواب اخر فقال
قوله تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما كان قريب الذكر فاستغني باللام فيه عن ذكرها ثانيا قال ابن الخطيب وهذا
ضعيف لان قوله تعالى لو نشاء لطمسنا على اعينهم مع قوله لو نشاء لمسخناهم اقرب من قوله لجعلناه حطاما وجعلناه
اجاجا اللهم الا ان يقول هناك احدهما قريب من الاخر ذكرا لا معنى لان الطمس لا يلزمه المسخ ولا بالعكس واما الماكول
يكون معه المشروب في الذهن فالامران متقاربان لفظا ومعنى فصل قال الماوردي في هذه الاية تتضمن امرين
احدهما الامتنان عليهم بان انبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروا على نعمته عليهم الثاني البرهان الموجب
الاعتبار لانه لما انبت زرعهم بعد تلاشي بذره وانتقاله الى استوائه من العفن والتتريب حتى صار زرعا
اخضر ثم قوي مشتدا اضعاف ما كان عليه فهو باعادة من امات اخف عليه واقدر وفي هذا البرهان مقنع لذوي
الفطر السليمة ثم قال لو نشاء لجعلناه حطاما اى متكسرا يعني الزرع والحطام الهشيم الهالك الذي لا ينتفع به
في مطعم ولا غذاء فنبه بذلك على امرين احدهما ما اولاهم به من النعم في زرعهم اذ لم يجعله حطاما ليشكروا
الثاني ليعتبروا بذلك في انفسهم كانه يجعل الزرع حطاما اذا شاء كذلك يهلكهم اذا شاء ليتعظوا فينزجروا
قوله فظلتم تفكهون قرأ العامة بفتح الظاء مع لام واحدة وقد تقدم الكلام عليها مستوفى في طه وابو حيوة

مطلب
في سلامة الزرع من جميع الآفات

وابو بكر في رواية بكسر الظاء وعبد الله والجحدري فظللتم على الاصل بلامين اولاهما مكسورة وروي عن الجحدري فتحها وهي لغة ايضا
والعامة تفكهون بالهاء ومعناه تندمون وحقيقته تلقون الفاكهة عن انفسكم ولا يلقي الفكاهة الا من الحزن فهو من باب
تحرج وتأثم وتحوب وقيل تفكهون تتعجبون بذهابها تندمون مما حل بكم قاله الحسن وقتادة وغيرهما وقيل تلاومون
وقيل تتعجبون وهذا تفسير باللازم وقرأ ابو حرام العكلي تفكنون بالنون اى تندمون قال ابن خالويه تفكه
تعجب وتفكن تندم وفي الحديث مثل العالم مثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبينا هم اذ غار ماؤها
فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون اى يتندمون قال الفراء والنون لغة عكل وفي الصحاح التفكن التندم
على ما فات وقيل التفكه التكلم فيما لا يعنيك ومنه قيل للمزاح فكاهة بالضم فاما الفكاهة بالفتح فمصدر فكه الرجل
بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس مزاحا قوله انا لمغرمون قرأ ابو بكر أئنا بالاستفهام وهو على اصله في تحقيق الهمزتين
وعدم ادخال الف بينهما والباقون بهمزة واحدة على الخبر وقيل هذه الجملة قول مقدر على كلتي القراءتين وذلك في
محل نصب على الحال تقديره فظلتم تفكهون قائلين او تقولون انا لمغرمون اى لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون
لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك قاله الزمخشري ومن مجيء الغرام بمعنى الهلاك قوله

ان يعذب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي

وقال ابن عباس وقتادة الغرام العذاب ومنه قول ابن المحلم

وثقت بان الحلم مني سجية ۞ وان فؤادي مبتلى بك مغرم

وقال مجاهد وعكرمة لمولع بنا يقال اغرم فلان اى اولع بها ومنه الغرام وهو الشر اللازم وقال مجاهد ايضا
لملقون شرا وقال النحاس لمغرمون ماخوذ من الغرام وهو الهلاك وقال الضحاك وابن كيسان هو من الغرم
والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض اى غرمنا الحب الذي بذرناه وقال مرة الهمداني محاسبون قوله بل نحن
محرومون اى حرمنا ما طلبنا من الزرع والمحروم المجدود الممنوع من الرزق والمحروم ضد المرزوق قاله قتادة وعن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بارض الانصار فقال ما يمنعكم الحرث قالوا الجدوبة فقال لا تفعلوا فان الله تعالى
يقول انا الزارع ان شئت زرعت بالماء وان شئت زرعت بالريح وان شئت زرعت بالبذر ثم تلا افرأيتم ما تحرثون أانتم تزرعونه
ام نحن الزارعون قال القرطبي وفي هذا الحديث والذي قبله ما يصحح قول من ادخل الزارع في اسماء الله تعالى وأباه
جمهور العلماء قوله افرأيتم الماء الذي تشربون لتحيوا به انفسكم وتسكنوا به عطشكم أانتم انزلتموه من المزن
اى السحاب الواحدة مزنة قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما المزن السحاب وهو اسم جنس والواحدة مزنة قال

فلا مزنة ودقت ودقها ۞ ولا ارض ابقل ابقالها

وعن ابن عباس ايضا والثوري المزن السماء والسحاب وقال ابو زيد المزنة السحابة البيضاء والجمع مزن والمزنة
المطرة قال

الم تر ان الله انزل مزنة ۞ وعفر الظباء في الكناس تقمع

وقوله ام نحن المنزلون اى اذا عرفتم باني انزلته فلم لا تشكروني باخلاص العبادة لي ولم تنكروا قدرتي على الاعادة
قوله لو نشاء جعلناه اجاجا قد تقدم عدم دخول اللام في جواب لو هنا وقال الزمخشري فان قلت لم دخلت اللام
في جواب لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه ههنا قلت ان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما
بالاولى تعليق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث
افادتها في مضمون جملتها ان الثاني امتنع لامتناع الاول افتقرت في جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعليق فزيدت
هذه اللام لتكون علما على ذلك فاذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشيء اذا علم وشهر موقعه
وصار مالوفا ومانوسا به لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع الا ترى الى ما يحكى عن رؤبة
انه كان يقول خير لمن يقول له كيف اصبحت فيحذف الجار لعلم كل احد بمكانه وتساوي حالي اثباته وحذفه
لشهرة امره وناهيك بقول اوس

حتى اذا الكلاب قال لها ۞ كاليوم مطلوبا ولا طلبا

يحذف لم ارفكان حذفها اختصارا لفظيا وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان لا فرق بينهما على ان تقدم ذكرها
والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانيا ويجوز ان يقال ان هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فادخلت
في اية المطعوم دون اية المشروب للدلالة على ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب وان الوعيد بفقده اشد
واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم الا ترى انك انما تسقي ضيفك بعد ما تطعمه ولو
عكست قعدت تحت قول ابي العلاء

اذا سقيت ضيوف الناس محضا ۞ سقوا اضيافهم شبما زلالا

وسقي بعض العرب فقال انا لا اشرب الا على ثميلة ولهذا قدمت اية المطعوم على اية المشروب انتهى وقد تقدم

جواب ابن الخطيب له عن ذلك **فصل** قال ابن عباس الاجاج المالح الشديد الملوحة وقال الحسن مرا قعاعا لا ينتفعون
به في شرب ولا زرع ولا غيرهما **فلولا** اي فهلا **تشكرون** الذي صنع ذلك بكم **قوله افرايتم النار التي تورون** اي
اخبروني عن النار التي تظهرونها بالقدح من الشجر الرطب وتورون تستخرجون من اوريت الزند اي قدحته فاستخرجت
ناره واصل تورون توريون والشجر التي يكون منها الزنود وهي المرخ والعفار ومنه قولهم

في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار

وقيل لانها تبسر عن الورى **ام نحن المنشئون** اي المخترعون
اي استكثروا منها كانها اخذا من النار ما هو جبها **قوله نحن جعلناها تذكرة** يعني نار
الدنيا تذكرة فاذا راها تذكر فلا يتذكرني فاشكروني ولا تنكروا قدرتي على البعث وقال مجاهد تبصرة للناس من الظلام قال عليه السلام ان ناركم
الدنيا موعظة للنار الكبرى قاله قتادة
هذه التي يوقد بنو ادم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم فقالوا يا رسول الله ان كانت لكافية قال فانها
فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها **قوله ومتاعا للمقوين** يقال اقوى الرجل اذا دخل في الارض
القواء وهي القفر كاصحر دخل في الصحراء واقوت الدار خلت من ذلك لانها تصير قفرا قال النابغة

يا دارمية بالعلياء فالسند اقوت وطال عليها سالف الابد

قال الضحاك متاعا للمقوين اي منفعة للمسافرين سموا بذلك لنزولهم القوى وهو القفر التي لا شيء فيها
وكذلك القوى والقواء بالمد والقصر ومنزل قواء لا انيس به يقال اقوت الدار وقويت ايضا اي خلت من
سكانها قال

حييت من طلل تقادم عهده اقوى واقفر بعد ام الهيثم

وقال مجاهد للمقوين اي المنتفعين بها من الناس اجمعين في الطبخ والخبز والاصطلاء والاستضاءة ويتذكر بها نار
جهنم فيستجار بالله منها وقال ابن زيد للجائعين في اصلاح طعامهم يقال اقويت منذ كذا وكذا اي ما اكلت شيئا
وبات فلان القواء وبات القفر اذا بات جائعا على غير طعم قال الشاعر

واني لاختار القوى طاوي الحشا محافظة من ان يقال لئيم

وقال قطرب المقوي من الاضداد يكون بمعنى الفقير ويكون بمعنى الغني يقال اقوى الرجل اذا لم يكن معه زاد ويقال
للفقير مقو اذا لم يكن معه مال وتقول العرب اقويت منذ كذا اي ما اكلت شيئا واقوى اذا قويت دوابه
وكثر ماله المقوي به على ما يريد قال المهدوي والاية تصلح للجميع لان النار يحتاج اليها المسافر والمقيم
والغني والفقير وقال القشيري وخص المسافر بالانتفاع بها لان انتفاعه بها اكثر من انتفاع المقيم لان
اهل البادية لا بد لهم من النار يوقدونها ليلا لتهرب منهم السباع وفي كثير من حوائجهم **قوله فسبح باسم
ربك العظيم** اي نزه الله عما اضافه اليه المشركون من الانداد والعجز عن البعث قال ابن الخطيب والمشهور
ان الاسم مقحم والاحسن انه من باب الاولى وان تعظيم المسمى اكد وقد تقدم ان تعلق الفعل ان كان ظاهرا
استغنى عن الحرف كضرب وان كان خفيا قوي بالحرف كذهب وان كان بينهما جاز الوجهان كشكر ونصح وسبح
متعد بنفسه الا انه لما دخل على الاسم والمراد الذات خفي التعلق من هذا الوجه فاتى بالحرف واما قوله
سبح اسم ربك الاعلى فيحتمل ان ذلك لانهم كانوا يعترفون بالله ويقولون نحن لا نشرك في المعنى وانما سمي الاصنام
الهة باللفظ فقيل لهم نزهوا الاسم كما نزهتم الحقيقة وعلى هذا فالخطاب ليس للنبي صلى الله عليه وسلم بل هو
كقول الواعظ يا مسكين الحيث عمرك وما اصلحت امرك ويريد السامع او المعنى مع الباء سبح مبتدئا باسم ربك
فلا تكون الباء زائدة ومعنى العظيم القريب من الكل فان الصغير اذا قرب من شيء بعد عن غيره **قوله فلا
اقسم** قرا العامة فلا لام الف وفيها اوجه احدها انها حرف نفي وان المنفي بها محذوف وهو كلام الكافر
الجاحد تقديره فلا حجة لما يقول الكفار ثم ابتدا اقسم بما ذكروا اليه ذهب ايمة من المفسرين والنحويين
قال الفراء هي نفي والمعنى ليس الامر كما تقولون ثم استانف اقسم والله ما كان كذا ولا يريد به نفي اليمين
بل يريد به نفي كلام مقدر اي ليس الامر كما ذكر بل هو كذا وضعف هذا بان فيه حذف اسم لا وخبرها
قال ابو حيان ولا يجوز ولا ينبغي فان القائل بذلك مثل سعيد بن جبير تلميذ حبر القران وبحره عبد الله
ابن عباس ويبعد ان يقوله سعيد الا بتوقيف الثاني انها زائدة للتوكيد والمعنى فاقسم بدليل قوله
وانه لقسم ومثلها في قوله تعالى لئلا يعلم والتقدير ليعلم وقوله

فلا وابي اعدائها لا اخونها

الثالث انها لام الابتداء والاصل فلاقسم فاشبعت الفتحة فتولد منها الف كقوله

اعوذ بالله من العقراب

قاله ابو حيان واستشهد بقراءة هشام افئيدة قال شهاب الدين وهذا ضعيف جدا واستند ايضا لقراءة الحسن وعيسى
فلاقسم بلام واحدة وفي هذه القراءة تخريجان احدهما ان اللام لام الابتداء وبعدها مبتدا محذوف والفعل خبر فلما
حذف المبتدا اتصلت اللام بخبره وتقديره فلانا اقسم نحو لزيد منطلق قاله الزمخشري وابن جني والثاني
انها لام القسم دخلت على الفعل الحالي ويجوز ان يكون القسم جوابا للقسم كقوله وليحلفن ان اردنا فيقسم
ليحلفن قسم جوابه ان اردنا وهو جواب لقسم مقدر كذلك هذا وهو قول الكوفيين يجيزون ان يقسم على فعل
الحال والبصريون يابونه ويخرجون ما يوهم ذلك على اضمار مبتدا فيعود القسم على جملة اسمية ومنع الزمخشري
ان يكون لام القسم قال لامرين احدهما ان حقها ان تقرن بالنون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني
ان لافعل في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال وهذا كما تقدم انه يرى مذهب
البصريين ومعنى قوله وفعل القسم يجب ان يكون للحال يعني ان فعل القسم انشاء والانشاء حال واما قوله ان
حقها ان يقرن بها النون هذا مذهب البصريين ايضا واما الكوفيون فيجيزون التعاقب بين اللام والنون
نحو والله لاضرب زيدا كقوله

لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم ليعلم ربي ان بيتي اوسع

ووالله اضربن زيدا كقوله وقتيل مرة اثارن

وقد تقدم قريب من هذه الاية في قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك ولكن هناك ما لا يمكن القول
به هنا وقد تقدم قريب من هذه الاية به هنا كما ان هنا ما لا يمكن القول به هناك وسياتي ان شاء الله قريب منه في
القيامة في قراءة ابن كثير لاقسم بيوم القيامة قال القرطبي وقيل لا بمعنى الا للتنبيه كقوله

الا عم صباحا ايها الطلل البالي

ونبه بهذا على فضيلة القران ليتدبروه وانه ليس بشعر ولا
سحر ولا كهانة كما زعموا **قوله بمواقع النجوم** قرا العامة بمواقع جمعا والاخوان بموقع مفردا بمعنى الجمع لانه مصدر
فوحد ومواقعها مساقطها ومغاربها قاله قتادة وغيره وقال الحسن انكدارها وانتثارها يوم القيامة
وقيل المراد نجوم القران قاله ابن عباس والسدي ويؤيده وانه لقسم وانه لقران كريم وقال عطاء بن ابي
رباح منازلها وقال الضحاك هي الانواء التي كانت الجاهلية تقول اذا امطروا مطرنا بنوء كذا قال الماوردي ويكون
قوله تعالى فلا اقسم مستعملا على الحقيقة من نفي القسم وقال القشيري هو قسم ولله ان يقسم بما يريد
وليس لنا ان نقسم بغير الله تعالى وصفاته القديمة قال القرطبي ويدل على هذا قراءة الحسن فلاقسم **قوله
وانه لقسم لو تعلمون عظيم** الضمير عائد الى القسم الذي يتضمنه قوله فلا اقسم فلا اقسم يتضمن ذكر
المصدر ولهذا انوصف المصادر التي لم تظهر بعد الفعل فيقال ضربته قويا **قال ابن** جواب لو تعلمون ما ذا قال ابن
الخطيب ربما يقول بعض من لا يعلم بان جوابه ما تقدم وهو فاسد في جميع المواضع لان جواب الشرط لا يتقدم
لان عمل الحروف في معمولها لا يكون قبل وجودها فلا يقال زيدا ان قام **فالجواب** يحتمل وجهين احدهما ان يقال
الجواب محذوف بالكلية بحيث لا يقصد جواب وانما يراد نفي ما دخلت عليه لو فكانه قال وانه لقسم لو تعلمون
عظيم وتحقيقه ان لو تذكر لامتناع الشيء لامتناع غيره فلا بد من انتفاء الاول فاذا قال لو علمون افاد ان علمهم
منتف سواء علمنا الجزاء ام لم نعلم وهو كقولهم في الفعل المتعدي فلان يعطي ويمنع حيث لا يقصد منه مفعولا وانما يراد
اثبات القدرة الثاني ان جوابه مقدر تقديره لو تعلمون لعظمتموه لكنكم ما عظمتموه فعلم انكم لا تعلمون او لو تعلمون
لعظمتم في اعينكم ولم تعظم فلا تعلمون **قوله انه لقران كريم** هذا هو المقسم عليه وعلى هذا فيكون في هذا الكلام
اعتراضان احدهما الاعتراض بقوله وانه لقسم بين القسم والمقسم عليه والثاني الاعتراض بقوله لو تعلمون
بين الصفة والموصوف ومنع ابن عطية ان يجعل قوله وانه لقسم اعتراضا فقال وانه لقسم تاكيد للامر
وتنبيه من المقسم به وليس هذا باعتراض بين الكلامين بل هذا معنى قصد التهمم به وانما الاعتراض قوله لو
تعلمون قال شهاب الدين وكونه تاكيدا ومنبها على تعظيم المقسم به لا ينافي الاعتراض بل هذا معنى الاعتراض
وفائدته والهاء في انه لقران يعود على القران اي ان القران لقسم عظيم قاله ابن عباس وغيره وقيل اي ما
اقسم الله به عظيم انه لقران كريم ذكر المقسم عليه اي اقسم بمواقع النجوم ان هذا القران قران ليس بسحر ولا كهانة
ولا بمفترى بل هو قران كريم محمود جعله الله معجزة بينة وهو كريم على المؤمنين لانه كلام ربهم وشفاء صدورهم كريم
على اهل السما لانه تنزيل ربهم ووحيه وقيل كريم اي غير مخلوق وقيل كريم لما فيه من كرم الاخلاق ومعالي
الامور وقيل لانه يكرم حافظه ويعظم قارئه **قوله في كتاب مكنون** مصون عند الله وقيل مكنون محفوظ عن
الباطل والكتاب هنا كتاب في السما قاله ابن عباس وقال جابر بن زيد وابن عباس ايضا هو اللوح المحفوظ
وقال عكرمة التورية والانجيل فيهما ذكر القران وقال السدي الزبور وقال مجاهد وقتادة هو المصحف

عظيم ح

الذي في ايدينا. فصل قال ابن الخطيب قوله تعالى في كتاب يستدعي شيئا مظروفا للكتاب وفيه وجهان احدهما انه القران اي هو قران في كتاب كقولك فلان رجل كريم في نفسه لا يشك السامع بان المراد منه انه في الدار فاعلم انه لا يريد به انه رجل اذا كان في الدار غير رجل اذا كان خارجا ولا رجل يشك ايضا انه لا يريد انه كريم وهو في البيت فكذلك ههنا معناه انه كريم في كتاب فاذا قيل فلان رجل كريم في نفسه يعلم كل احد انه لم يجعل رجلا مظروفا وان القائل لم يرد انه رجل في نفسه قاعد او نائم وانما اراد ان كرمه في نفسه وكذلك قوله قران كريم في لوح اي انه لم يكن كريما عند الكفار. الثاني ان المظروف هو مجموع قوله تعالى قران كريم اي هو هكذا في كتاب كقوله تعالى وما ادراك ما عليون كتاب اي في كتاب الله. والمعنى ان في اللوح المحفوظ مكتوب انه قران كريم. فصل قال ابن الخطيب فان قيل كيف سمي الكتاب كتابا والكتاب فعال وهو اما مصدر كالحساب والقيام ونحوهما او لما يكتب كاللباس ونحوه وكيفما كان فالقران لا يكون في القرطاس لانه بمعنى المصدر لا يكون في مكتوب وانما يكون مكتوبا في لوح او ورق فالمكتوب لا يكون في الكتاب انما يكون في قرطاس. والجواب بان اللوح لما لم يكن الا ان يكتب فيه صح تسميته كتابا وقوله في كتاب اما خبر بعد خبر واما صفة الكريم واما معمول لكريم والاصح ان الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ لقوله تعالى بل هو قران مجيد في لوح محفوظ. قوله لا يمسه في لا هذه وجهان احدهما انها نافية فالضمة في لا يمسه ضمة اعراب وعلى هذا القول ففي الجملة وجهان. احدهما ان محلها الجر صفة لكتاب والمراد به اما اللوح المحفوظ والمطهرون حينئذ الملائكة والمراد به المصاحف والمراد بالمطهرين المكلفون كلهم والثاني ان محلها الرفع صفة للقران والمراد بالمطهرين الملائكة فقط اي لا يطلع عليه او لا يمس لوحه لا بد من احد هذين التجوزين لان نسبة المس الى المعاني حقيقة ممتنعة ويؤيد كون هذه نفيا قراءة عبد الله ما يمسه. الثاني انها ناهية والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر فيه كقوله تعالى لا يمسسهم سوء ولكنه ادغم ولما ادغم حرك اخره بالضم لاجل هاء ضمير المذكر الغائب ولم يحفظ سيبويه في نحو هذا الا الضم. وفي الحديث انا لم نرده عليك الا انا حرم وان كان القياس يقتضي جواز فتحه تخفيفا وبهذا يظهر فساد رد من رد بان هذا لو كان نهيا لكان يقال لا يمسه بالفتح لانه خفي عليه جواز ضم ما قبل الهاء في هذا النحو لا سيما على راي سيبويه فانه لا يجيز غيره وقد ضعف ابن عطية كونه نهيا بانه اذا كان خبرا فهو في موضع الصفة وقوله بعد ذلك تنزيل صفة فاذا جعلناه نهيا كان اجنبيا معترضا بين الصفات وذلك لا يحسن في وصف الكلام فتدبره. وفي حرف ابن مسعود ما يمسه انتهى وليس فيما ذكره ما يقتضي تضعيف هذا القول لانا لا نسلم ان تنزيل صفة بل هو خبر مبتدا محذوف اي هو تنزيل فلا يلزم ما ذكره من الاعتراض وان سلمنا انه صفة فلا يمسه صفة ايضا فان اعترض علينا بانه طلب فيجاب بانه على اضمار القول اي مقول فيه لا يمسه كما قالوا ذلك في قوله فتنة لا تصيبن على ان لا تصيبن نهي وهو كقوله جاءوا بمذق هل رايت الذئب قط وقال تعالى حكاية في الانفال. وهذه الاية يتعلق بها خلاف العلماء في مس المحدث المصحف وهو مبني على هذا. وقرا العامة المطهرون بتخفيف الطاء وتشديد الهاء مفتوحة اسم مفعول. وعن سلمان الفارسي كذلك الا انه يكسر الهاء فاعلا اي المطهرون انفسهم وحذف مفعوله ونافع وابو عمرو في رواية عنهما وعيسى بسكون الطاء وفتح الهاء خفيفة اسم مفعول من اطهر وزيد والحسن وعبد الله بن عوف وسلمان ايضا المطهرون بتشديد الطاء والهاء المكسورة واصله المتطهرون فادغم وقد قرئ بهذا الاصل ايضا. فصل اختلفوا في المس المذكور في الاية هل هو حقيقة في المس بالجارحة او معنى وكذلك اختلفوا في المطهرون من هم فقال انس وسعيد بن جبير لا يمس ذلك الا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة. وقال ابو العالية وابن زيد هم الذين طهروا من الذنوب كالرسل من الملائكة والرسل من بني ادم. وقال الكلبي هم السفرة الكرام البررة وهذا كله قول واحد وهو اختيار مالك. وقال الحسن هم الملائكة الموصوفون في سورة عبس في قوله تعالى صحف مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة وقيل معنى لا يمسه لا ينزل به الا المطهرون يعني الا الرسل من الملائكة على الرسل من الانبياء ولا يمس اللوح المحفوظ الذي هو الكتاب المكنون الا الملائكة المطهرون والصحيح ان المراد بالكتاب المصحف الذي بايدينا لما روى مالك وغيره ان في كتاب عمرو بن حزم لا يمس القران الا طاهر. وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تمس القران الا وانت طاهر. وقالت اخت عمر عند اسلامه وقد دخل عليها ودعا بالصحيفة لا يمسه الا المطهرون فقام فاغتسل واسلم وعلى هذا قال قتادة وغيره معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والانجاس. وقال الكلبي من الشرك. وقال الربيع بن انس من الذنوب والخطايا. وقال محمد بن الفضل وغيره معناه لا يقرؤه الا المطهرون اي الا الموحدون. وقال الفراء لا يجد طعمه ونفعه وبركته الا المطهرون اي المؤمنون بالقران. وقال الحسين بن الفضل لا يعرف تفسيره وتاويله الا من طهره الله من الشرك والنفاق. وقال ابو بكر الوراق لا يوفق للعمل به الا السعداء. وروى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المعنى لا يمس ثوابه الا المؤمنون. فصل اختلف العلماء في مس المصحف على غير وضوء فالجمهور على المنع من مسه على غير طهارة لحديث عمرو بن حزم وهو مذهب علي وابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وعطاء والزهري والنخعي والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي واختلفت الرواية

عن ابي حنيفة فروي عنه انه يمسه المحدث وهذا مروي عن ابن عباس والشعبي وغيرهما. وروي عنه انه يمس ظاهره وحواشيه وما ليس بمكتوب. واما الكتاب فلا يمسه الا طاهر. قال ابن العربي وهذا يقوي الحجة عليه لان حريم الممنوع ممنوع وفي كتاب عمرو بن حزم اقوى دليل عليه. وقال مالك لا يحمله غير طاهر بعلاقة ولا على وسادة. وقال ابو حنيفة لا باس بذلك. وروي عن الحكم وحماد وداود بن علي انه لا باس بحمله ومسه للمسلم والكافر طاهرا او محدثا الا ان داود قال لا يجوز للمشرك حمله. واحتجوا في اباحة ذلك بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى قيصر ولا حجة فيه لانه موضع ضرورة. والمراد بالقران المصحف سمي قرانا لقرب الجوار على الاتساع ولان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقران الى ارض العدو واراد به المصحف. قوله تنزيل قرا العامة بالرفع وقرا بعضهم تنزيلا بالنصب على انه حال من النكرة وجاز ذلك لتخصيصها بالصفة او ان يكون مصدرا لعامل مقدر اي نزل تنزيلا وطلب التنزيل على القران. وقوله من رب يجوز ان يتعلق به على الاول لا الثاني لان المؤكد لا يعمل فيتعلق بمحذوف لانه صفة له. واما على قراءة تنزيل بالرفع فيجوز الوجهان. قال القرطبي تنزيل اي منزل كقولهم ضرب الامير ونسج اليمن. وقيل تنزيل صفة لقوله تعالى انه لقران كريم. وقيل خبر مبتدا محذوف اي هو تنزيل. قال ابن الخطيب قوله تنزيل مصدر والقران الذي في كتاب ليس تنزيلا انما هو منزل لقوله تعالى نزل به الروح الامين فنقول ذكر المصدر وارادة المفعول كثير كقوله تعالى هذا خلق الله واولو المصدر لان تعلق المصدر بالفاعل. قوله افبهذا الحديث متعلق بالخبر وجاز تقديمه على المبتدا لان عامله يجوز فيه ذلك والاصل افانتم مدهنون بهذا الحديث وهو القران ومعنى مدهنون اي متهاونون كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به يقال ادهن فلان اي لان وهاود فيما لا يجمل عند المدهن. قال ابو قيس بن الاسلت الحزم والقوة خير من الادهان والفهة والهاع. وقال الراغب والادهان في الاصل مثل التدهين لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة وترك الجد كما جعل التقريد وهو نزع القراد عبارة عن ذلك. قال القرطبي وادهن وداهن واحد. وقال قوم داهنت بمعنى واريت وادهنت بمعنى غششت. قال ابن عباس مدهنون اي مكذبون وهو قول عطاء وغيره والمدهن الذي ظاهره خلاف باطنه كانه شبه بالدهن في سهولة ظاهره. وقال مقاتل بن سليمان وقتادة مدهنون كافرون نظيره ودوا لو تدهن فيدهنون وقال المؤرج المدهن المنافق الذي يلين جانبه ليخفي كفره والادهان والمداهنة التكذيب والكفر والنفاق وقال الضحاك مدهنون معرضون. وقال مجاهد ممالئون الكفار على الكفر. وقال ابن كيسان المدهن الذي لا يعقل ما حق الله عليه ويدفعه بالعلل. وقال بعض اللغويين مدهنون تاركون للجزم في قبول القران. قوله وتجعلون رزقكم فيه اوجه. احدها انه على التهكم بهم لانهم وضعوا الشيء غير موضعه كقولك شتمني حيث احسنت اليه اي عكس قضية الاحسان ومنه. كان شكر القوم عند المنن كي الصحيحات وفقء الاعين. اي شكر رزقكم تكذيبكم الثاني ان ثم مضافا محذوفا اي بدل شكر رزقكم ليصح المعنى قاله ابن مالك وقد تقدم في قوله تعالى فكان قاب قوسين اكثر من هذا. الثالث ان الرزق هو الشكر في لغة ازد شنوءة يقولون ما رزق فلان فلانا اي ما شكره فعلى هذا لا حذف البتة ويؤيده قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه وتلميذه عبد الله بن عباس وتجعلون شكركم مكان رزقكم. قال القرطبي وانما صلح ان يوضع اسم الرزق مكان الشكر لان شكر الرزق يقتضي الزيادة فيه فيكون الشكر رزقا بهذا المعنى. قوله انكم تكذبون قرا العامة تكذبون من التكذيب. وعلي رضي الله عنه وعاصم في رواية المفضل عنه تكذبون مخففا من الكذب ومعنى الاية انكم تكذبون بالرزق اي تضعون الكذب مكان الشكر كقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية اي لم يكونوا يصلون ولكنهم كانوا يصفرون ويصفقون مكان الصلاة. قال القرطبي وفيه بيان ان ما اصاب العباد من خير فلا ينبغي ان يروه من قبل الوسائط التي جرت العادة بان تكون اسبابا بل ينبغي ان يروه من قبل الله تعالى ثم يقابلونه بشكر ان كان نعمة او صبر ان كان مكروها تعبدا لله وتذللا. وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا وتجعلون شكركم انكم تكذبون حقيقة. وعن ابن عباس ايضا ان المراد به الاستسقاء بالانواء وهو قول العرب مطرنا بنوء كذا رواه علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم. وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر فقالوا هذه رحمة الله وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا قال فنزلت هذه الاية فلا اقسم بمواقع النجوم حتى بلغ وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وعنه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج في سفر فعطشوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايتم ان دعوت الله لكم فسقيتم لعلكم ان تقولوا هذا المطر بنوء كذا فقالوا يا رسول الله ما هذا بحين الانواء فصلى ركعتين ودعا ربه فهاجت ريح ثم هاجت سحابة فمطروا فمر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عصابة من اصحابه برجل يغترف بقدح له وهو يقول سقينا بنوء كذا ولم يقل هذا من رزق الله فنزلت وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكركم لله على رزقه اياكم انكم تكذبون بالنعمة وتقولون سقينا بنوء كذا كقوله جعلت احساني اليك اساءة منك الي وجعلت انعامي عليك ان اتخذتني عدوا. قال الشافعي لا احب لاحد ان يقول مطرنا بنوء كذا وان كان النوء عندنا الوقت المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يمطر ولا يحبس شيئا من المطر والذي احب ان يقول

مطرنا بنوء كذا كما يقول مطرنا بنوء كذا ومن قال مطرنا بنوء كذا وهو يريد أن النوء أنزل الماء كما يقول بعض أهل الشرك فهو كافر
حلال دمه إن لم يتب. وقيل معنى قوله وتجعلون رزقكم أي معاشكم وتكسبكم تكذيب محمد كما يقال فلان جعل
قطع الطريق معاشه. فصل هذا التكذيب عام وعلى الأول التكذيب خاص قوله فلولا إذا بلغت الحلقوم ترتيب
الآية الكريمة فلولا ترجعونها أي النفس إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتوكيد
قاله الزمخشري قال شهاب الدين فيكون التقدير فلولا ترجعونها من باب التوكيد اللفظي ويكون إذا بلغت
ظرفا لترجعونها متعلقا بها إذ لا مانع منه أي فلولا ترجعون النفس في وقت بلوغها الحلقوم وأنتم حينئذ
تنظرون جملة حالية من فاعل بلغت والتنوين في حينئذ عوض من الجملة المضاف إليها أي إذ بلغت الحلقوم
خلافا للأخفش حيث زعم أن التنوين للصرف والكسر للإعراب وقد مضى تحقيقه. وقرأ العامة بفتح نون حينئذ
لأنه منصوب على الظرف ناصبه تنظرون وعيسى بكسرها وهي مشكلة لا تبعد عن الغلط عليه وخرجت
على الإتباع لحركة الهمزة ولا غرو في ذلك فليست بأبعد من قراءة الحمد لله بكسر الدال للإتباع المنفصل بين
ولكثرة دورهما على الخصوص فصل قال المفسرون معنى الآية فهلا إذا بلغت النفس أو الروح الحلقوم
ولم يتقدم لها ذكر لأن ذلك معروف قال حاتم

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وفي الحديث أن ملك الموت له أعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيئا فشيئا حتى ينتهى بها إلى الحلقوم
فيتوفاها ملك الموت. والحلقوم مجرى الطعام وأنتم حينئذ تنظرون أمري وسلطاني وقيل تنظرون
إلى الميت لا تقدرون له على شيء قال ابن عباس يريد من حضر من أهل الميت ينتظرون متى تخرج نفسه ثم قيل هو رد
عليهم في قولهم لإخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا أي فهلا ردوا روح الواحد منهم إذا بلغت الحلقوم
وقيل المعنى فهلا إذا بلغت نفس أحدكم الحلقوم عند النزع وأنتم حضور أمسكتم روحه في جسده مع
حرصكم على امتداد عمره وحبكم لبقائه وهذا رد لقولهم نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر قوله ونحن أقرب
يجوز أن تكون حالا أي تنظرون في هذه الحال التي تخفى عليكم وأن تكون مستأنفة فتكون اعتراضا والاستدراك
ظاهر والبصر يجوز أن يكون من البصيرة والمعنى ونحن أقرب إليه منكم بالقدرة والعلم والرؤية قال عامر
ابن عبد قيس ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله تعالى أقرب إلي منه وأن تكون من البصر أي لا تنظرون أعوان
ملك الموت وقيل المعنى إن رسلنا الذين يتولون قبض روحه أقرب إليه منكم ولكن لا ترونهم قوله فلولا إن
كنتم غير مدينين إن كنتم شرط جوابه محذوف عند البصريين لدلالة فلولا عليه أو مقدم عند من يرى ذلك
كما تقدم تقريره والمعنى فهلا إن كنتم غير محاسبين ولا مجزيين بأعمالكم ومنه قوله تعالى أإنا لمدينون أي
مجزيون أو محاسبون وقد تقدم وقيل غير مملوكين ولا مقهورين قاله الفراء وغيره دنته ملكته قال
الحطيئة

لقد دينت أمر بنيك حتى ... تركتهم أدق من الطحين

يعني ملكت ودانه أي أذله واستعبده يقال دنته فدان ومنه دانت له البلاد والعباد وقد تقدم
في الفاتحة عند قوله يوم الدين قوله ترجعونها قال أبو البقاء ترجعونها جواب لولا الأولى وأغنى ذلك
عن جواب الثانية وقيل عكس ذلك وقال الزمخشري إن لولا الثانية تكرير انتهى قال شهاب الدين وتسميته مثل
هذا جوابا ليس بصحيح البتة لأن هذه تحضيضية لا جواب لها إنما الجواب للامتناعية لوجود نحو لولا فضل الله
وقال ابن عطية وقوله ترجعونها سد مسد الأجوبة والبيانات التي تقتضيها التحضيضات وإذا في قوله
فلولا إذا وإن المتكررة وحمل بعض هذا القول بعضا إيجازا واختصارا انتهى فجعل إذا شرطية وقوله
الأجوبة يعني لإذا ولولا وإن ولولا في قوله إن كنتم غير مدينين إن كنتم صادقين والبيانات يعني الأفعال
التي حضض عليها وهي عبارة قلقة قال أبو حيان وإذا ليست شرطا بل ظرفا يعمل فيها ترجعونها المحذوف
بعد لولا لدلالة ترجعونها في التحضيض الثاني عليه فجاء التحضيض الأول مقيدا بوقت بلوغ الحلقوم وجاء
التحضيض الثاني معلقا على انتفاء مربوبيتهم وهم لا يقدرون على رجعها إذ مربوبيتهم موجودة
فهم مقهورون لا قدرة لهم انتهى فجعل ترجعونها المذكور للولا الثانية وهذا دال على محذوف
بعد الأولى وهو أحد الأقوال التي نقلها أبو البقاء فيما تقدم وقوله إن كنتم صادقين شرط آخر
وليس هذا من اعتراض الشرط على الشرط نحو إن ركبت إن لبست فأنت طالق حتى يجيء فيه ما تقدم في هذه
المسألة لأن المراد هنا إن وجد الشرطان كيف كانا فهلا رجعتم بنفس الميت وقال القرطبي ترجعونها
إن كنتم صادقين ترجع الروح إلى الجسد إن كنتم صادقين أي ولن ترجعوها فبطل زعمكم أن كنتم غير

مملوكين ولا محاسبين وترجعونها جواب لقوله تعالى فلولا إذا بلغت الحلقوم ولقوله فلولا إن كنتم غير مدينين
أجيبا بجواب واحد قاله الفراء وربما أعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد ومنه قوله تعالى فإما يأتينكم
مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أجيبا بجواب واحد وهما شرطان وقيل حذف أحدهما
لدلالة الآخر عليه وقيل فيها تقديم وتأخير مجازها فلولا وهلا إن كنتم غير مدينين ترجعونها تردون نفس
هذا الميت إلى جسده إذا بلغت الحلقوم ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال فأما إن كان
قد تقدم الكلام في أما أول الكتاب وهنا أمر زائد وهو وقوع شرط آخر بعدها واختلف النحاة في الجواب
المذكور بعدها هل هو لأما أو لإن وجواب الأخرى محذوف لدلالة المنطوق عليه أو الجواب لهما معا ثلاثة
أقوال الأول لسيبويه والثاني للفارسي في أحد قوليه وله قول آخر كسيبويه والثالث للأخفش وهذا كما
تقدم في الجواب بعد الشرطين المتواردين وقال مكي ومعنى أما عند أبي إسحاق الخروج من شيء إلى شيء أي دع
ما كنا فيه وخذ في غيره وعلى هذا فيكون الجواب لإن فقط لأن أما ليست شرطا ورجح بعضهم أن الجواب لأما
لأن إن كثر حذف جوابها منفردة فادعاؤه مع شرط آخر أولى قوله فأما إن كان الضمير في كان وكان
للمتوفى لدلالة قوله فلولا ترجعونها والمراد بالمقربين السابقون لقوله تعالى والسابقون السابقون
أولئك المقربون قوله فروح وريحان قرأ العامة فروح بفتح الراء وابن عباس وعائشة والحسن وقتادة
ونصر بن عاصم والجحدري وأويس وزيد عن يعقوب وجماعة بضم الراء وتروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
فمن قرأ بالفتح فمعناه فروح وهو الراحة وهو قول مجاهد وقال سعيد بن جبير فرح وقال الضحاك المغفرة
والرحمة وريحان استراحة وقال مجاهد وسعيد بن جبير رزق وقال مقاتل هو بلسان حمير يقال خرجت
أطلب ريحان الله أي رزقه وقيل هو الريحان الذي يشم قال أبو العالية لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى
بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم تقبض روحه قال أبو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دخول دار
القرار وقد تقدم الكلام على ريحان وكيفية تصريفه في السورة التي قبلها وقوله فروح مبتدأ خبره مقدر قبله
أي فله روح ويجوز أن يقدر بعده لاعتماده على فاء الجزاء قوله وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من
أصحاب اليمين لك مبتدأ وخبر ومن أصحاب قال الزمخشري فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب
اليمين أي يسلمون عليك وقال ابن جرير معناه فسلام لك أنت من أصحاب وهذا يحتمل أن يكون كقول الزمخشري
ويكون أنت تأكيدا للكاف في لك ويحتمل أن يكون أراد أنت مبتدأ ومن أصحاب خبره ويؤيد هذا ما حكاه قوم من
أن المعنى فيقال لهم سلام لك إنك من أصحاب اليمين وأول هذه الأقوال هو الواضح المبين ولذلك لم يعرج بالنظم
على غيره فصل قال القرطبي فسلام لك من أصحاب اليمين أي لست ترى منهم إلا ما تحب من السلامة فلا تهتم لهم فإنهم
يسلمون من عذاب الله وقيل المعنى سلام لك منهم أي أنت سالم من الاغتمام لهم والمعنى واحد وقيل إن أهل اليمين
يدعون لك يا محمد بأن يصلي الله عليك ويسلم وقيل إنهم يسلمون يا محمد وقيل معناه سلمت أيها العبد مما تكره فإنك
من أصحاب اليمين فحذف إنك وقيل معناه أنه يحيى بالسلام فعلى هذا في محل السلام ثلاثة أقوال أحدها عند قبض
روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الموت رواه الضحاك وقال ابن مسعود إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال
ربك يقرئك السلام الثاني عند مسائلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير الثالث عند بعثه في القيامة تسلم عليه
قبل وصوله إليها قال القرطبي ويحتمل أن يسلم عليه في المواطن الثلاث ويكون ذلك إكراما قوله وأما إن كان من المكذبين
بالبعث الضالين عن الهدى وطريق الحق فنزل من حميم ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون إلى أن قال ثم إن لهم عليها لشوبا من
حميم قوله وتصلية جحيم قرأ أبو عمرو في رواية اللؤلؤي عنه وأحمد بن موسى المنقري بجر التاء عطفا على من حميم أي ونزل
من تصلية جحيم والمعنى في النار وقيل إقامة في الجحيم ومقاساة لأنواع عذابها يقال أصلاه النار وصلاه أي جعله يصلاها والمصدر هنا
يضاف إلى المفعول كما يقال لفلان إعطاء مال أي يعطى المال قوله إن هذا لهو حق اليقين أي هذا الذي قصصناه محض اليقين وخالصه
اليقين وهما واحد لاختلاف لفظهما وذلك من باب إضافة المترادف على سبيل المبالغة والرد هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين
فهو من باب إضافة الشيء إلى نفسه عند … كانوا أضافوا ذلك في اللفظ الواحد فقالوا صواب الصواب ونفس النفس مبالغة
عند اختلاف اللفظ أولى وعند البصريين معنى حق الأمر اليقين أو الخبر اليقين … وقيل أصل اليقين
أن يكون نعتا للحق فأضيف المنعوت إلى النعت على الاتساع … ولدار الآخرة خير وقال ابن الخطيب هذه الإضافة بمعنى
ثوب من كتان وباب من ساج … والحق من اليقين ويحتمل أن يكون المعنى أنه الحق الذي يستحقه اليقين كقوله عليه الصلاة والسلام
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها فالضمير راجع إلى الكلمة
أي إلا بحق … ومن حق الكلمة أداء الزكاة والصلاة فكذلك حق اليقين ألا … أي بحق … والمعنى أن يعترف بما قاله
الله تعالى في سورة الواقعة في حق الأزواج الثلاثة وعلى هذا فالمعنى أن اليقين لا يحق إلا إذا صدق بما قاله في حق

حق اليقين الذي سبحه قوله فسبح باسم ربك العظيم اي نزه الله تعالى عن السوء والبا يجوز ان تكون للحال اي فسبح
متلبسا باسم ربك على سبيل التبرك وعن تسبح بحمدك وان تكون للتعدية على ان سبح يتعدى بنفسه تارة
كقوله سبح اسم ربك وبحرف الجر تارة كهذه الاية وقال الفرا والبا زائدة اي سبح ربك واذكر خلاف الاصل
والعظيم يجوز ان يكون صفة للاسم وان يكون ربك لان كلا منهما مجرور وقد ورد كل منهما في قوله تبارك اسم ربك
ذو الجلال وذي الجلال والتغاير المتضايفان ظهر الفرق في الوصف فصل قيل معنى فسبح اي فصل
بذكر ربك وبامره وقيل فاذكر اسم ربك العظيم وسبحه وعن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك
العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال النبي صلى الله عليه
وسلم اجعلوها في سجودكم خرجه ابو داود روى ابو طيبة عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من قرا سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة وكان ابو طيبة لا يدعها ابدا وعن مسروق قال
من اراد ان يعلم نبا الاولين والاخرين ونبا اهل الجنة ونبا الدنيا ونبا الاخرة فليقرا الواقعة والله تعالى اعلم

سورة الحديد

وهي تسع وعشرون اية عن العرباض بن سارية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا بالمسبحات الحديد والحشر
والصف والجمعة والتغابن قبل ان يرقد بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سبح
لله ما في السموات والارض اي من السوء وقال ابن عباس رضي الله ما في السموات ممن خلق من
الملائكة والارض من شي فيه وقيل هو تسبيح الدلالة وانكر الزجاج هذا وقال لو كان
هذا تسبيح الدلالة وظهور ... لكانت مفهومة فلم قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم وانما التسبيح مقال واستدل
بقوله مع داود الجبال يسبحن ولو كان هذا التسبيح تسبيح دلالة فاي تخصيص لداود وقال القرطبي هو
الصحيح هذا الفعل عدي باللام تارة كهذه السورة واخرى بنفسه كقوله تعالى وسبحوه واصله التعدي بنفسه لان معنى
سبحته بعدته عن السوء فاللام اما ان تكون مزيدة كهي في نصحت لزيد ونصحته وشكرته وشكرت له اذ يقال سبحت الله تعالى
قال يسبحونه وله يسجدون واما ان تكون للتعليل اي احدث التسبيح لاجل الله تعالى وجاء في بعض الفواتح سبح بلفظ
الماضي وفي بعضها بلفظ المضارع وذلك اشارة الى ان هذه الاشيا مسبحة في كل الاوقات لا تختص بوقت دون وقت
بل هي مسبحة ابدا في الماضي وستكون مسبحة ابدا في المستقبل قوله وهو العزيز الحكيم العزيز القادر الذي لا ينازعه
شي وذلك اشارة الى كمال القدرة والحكيم الذي يفعل افعاله على وفق الحكمة والصواب قوله له ملك السموات والارض
جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب والملك عبارة عن نفوذ الامر فهو سبحانه المالك القادر القاهر وقيل اراد خزائن
المطر والنبات و... الرزق قوله يحيي ويميت يجوز في هذه الجملة ثلاثة اوجه احدها انها لا محل لها كالتي قبلها
والثاني انها خبر مبتدا مضمر اي هو يحيي والثالث انها حال من الضمير في له قال ... فيها الاستقرار ولم يذكر
مفعول الاحيا والاماتة اذ الغرض ذكر الفعلين فقط والمعنى ... الاحيا في الدنيا ويحيي الاموات للبعث وقيل
يحيي النطف وهي اموات ويميت الاحيا قال ابن ... وعندي فيه وجه ثالث وهو انه ليس المراد منه
تخصيص الاحيا والاماتة بزمان معين ... معينين بل معناه انه القادر على خلق الحياة والموت
كقوله تعالى الذي خلق الموت والحياة والمقصود منه كونه تعالى هو المنفرد بايجاد
هاتين الماهيتين على الاطلاق لا ... وهو على كل شي قدير لا يعجزه شي قوله هو الاول
والاخر قال الزمخشري ... قلت الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع
بين الصفتين الاولية والاخروية والثالثة انه الجامع بين الظهور والخفا واما الوسطى
فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فصل قال القرطبي اختلف في
معاني هذه الاسما وقد شرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم شرحا يغني عن قول كل قايل روى مسلم في صحيحه عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انت الاول فليس قبلك شي وانت الاخر فليس بعدك شي وانت الظاهر
فليس فوقك شي وانت الباطن فليس دونك شي اقض عنا الدين واغننا من الفقر عني بالظاهر الغالب وبالباطن
العالم والله اعلم وهو بكل شي عليم مما كان او يكون لا يخفى عليه شي وهذا معنى قول ابن عباس قال ابن الخطيب
والقول بان الباطن هو العالم ضعيف لانه يلزم منه التكرار في قوله تعالى والله بكل شي عليم

قوله هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش تقدم في الاعراف المقصود منه دلايل القدرة يعلم ما يلج
في الارض اي يدخل فيها من مطر وغيره وما يخرج منها من نبات وغيره وما ينزل من السما من رزق ومطر وملك وما يعرج فيها
يصعد فيها من الملايكة واعمال العباد وهو معكم يعني بقدرته وسلطانه وعلمه اينما كنتم والله بما تعملون بصير يبصر
اعمالكم ويراها ولا يخفى عليه شي منها فصل قال القرطبي وقد جمع في هذه الاية بين استوى على العرش وبين وهو معكم
والاخذ بالظاهر تناقض فدل على انه لا بد من التاويل والاعراض عن التاويل اعتراف بالتناقض وقد قال ابو المعالي
ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا لم يكن باقرب الى الله عز وجل من يونس بن متى حين كان في بطن الحوت وقد تقدم
فصل ذكر ابن الخطيب عن المتكلمين انهم قالوا هذه المعية اما بالعلم واما بالحفظ والحراسة وعلى التقديرين فالاجماع
منعقد على انه سبحانه ليس معنا بالمكان والحيز والجهة فاذن قوله وهو معكم لا بد فيه من التاويل واذا جوزنا
التاويل في موضع وجب تجويزه في ساير المواضع قوله له ملك السموات والارض هذا التكرير للتاكيد اي هو المعبود
على الحقيقة والى الله ترجع الامور اي امور الخلايق في الاخرة وقد تقدم في البقرة ان الاخوين وابن عامر يقرون
ترجع بفتح التا وكسر الجيم مبنيا للفاعل والباقون مبنيا للمفعول في جميع القران وقال ابو حيان هنا وقرا الجمهور
ترجع مبنيا للمفعول والحسن وابن ابي اسحق والاعرج مبنيا للفاعل وهذا اعجب منه وقد وقع له مثل ذلك فيما تقدم
وقوله يعلم ما يلج تقدم مثله في سبا قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل تقدم في ال عمران وهو عليم
بذات الصدور اي لا يخفى عليه الضماير ومن كان بهذه الصفة فلا يجوز ان يعبد سواه قوله امنوا بالله ورسوله اي
صدقوا ان الله واحد وان محمدا رسوله وانفقوا تصدقوا وقيل انفقوا في سبيل الله وقيل المراد الزكوة المفروضة
وقيل غيرها من وجوه الطاعات وما يقرب منه وقوله مما جعلكم مستخلفين فيه دليل على ان اصل الملك لله سبحانه
وان العبد ليس له فيه الا التصرف الذي يرضي الله فيثيبه على ذلك بالجنة فمن انفق منها في حقوق الله وهان عليه الانفاق
منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه كان له الثواب الجزيل وقال الحسن مستخلفين فيه بوراثتكم
اياه عمن كان قبلكم وهذا يدل على انها ليست باموالكم في الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة النواب والوكلا فاغتنموا الفرص
فيها باقامة الحق قبل ان تزال عنكم الى من بعدكم فالذين امنوا وعملوا الصالحات منكم وانفقوا في سبيل الله لهم اجر
كبير وهو الجنة فصل قال القاضي هذه الاية تدل على ان هذا الاجر لا يحصل بالمال وحده حتى يضاف اليه هذا الانفاق
فمن اخل بالواجب من زكوة او غيرها فلا اجر له قال ابن الخطيب وهذا استدلال ضعيف لانه لا يلزم من نفي الاجر
الكبير نفي اصل الاجر فلم قلتم انها تدل على انه لا اجر له اصلا فان قيل قوله امنوا بالله خطاب مع من عرف الله او مع من
لم يعرف الله فان كان الاول كان ذلك امرا بان يعرف من عرفه وذلك امر بتحصيل الحاصل وهو محال وان كان
الثاني كان الخطاب متوجها على من لم يكن عارفا به ومن لم يكن عارفا به يستحيل ان يكون عارفا بامره فيكون الامر متوجها على
من يستحيل ان يعرف كونه مامورا بذلك الامر وهو تكليف ما لا يطاق قال ابن الخطيب والجواب من الناس من قال
معرفة وجود الصانع حاصلة للكل وانما المقصود من هذا الامر معرفة الصفات قوله وما لكم لا تومنون مبتدا وخبر
وحال اي اي شي استقر لكم غير مومنين قال القرطبي هذا استفهام يراد به التوبيخ اي اي عذر لكم في ان لا تومنوا وقد
ازيحت العلل والرسول يدعوكم جملة حالية من يومنون قال الزمخشري فهما حالان متداخلان ولتومنوا متعلق بيدعوا
اي يدعوكم للايمان كقولك دعوته لكذا ويجوز ان تكون اللام للعلة اي يدعوكم الى الجنة وغفران الله لاجل الايمان وفيه
بعد وهذه الاية تدل على انه لا حكم قبل ورود الشرايع قوله وقد اخذ قال ايضا وقرا العامة اخذ مبنيا للفاعل وهو
الله تعالى لتقدم ذكره وقرا ابو عمرو اخذ مبنيا للمفعول حذف الفاعل للعلم به وميثاقكم منصوب في قراة العامة ومرفوع
في قراة ابي عمرو وان كنتم جوابه محذوف تقديره فما يمنعكم من الايمان وقيل تقديره ان كنتم مومنين لموجب ما
فهذا هو الموجب وقدره ابن عطية ان كنتم مومنين فانتم في رتبة شريفة فصل قال مجاهد المراد بالميثاق هو
الماخوذ عليهم حين اخرجهم من ظهر ادم وقال الست بربكم قالوا بلى قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لانه تعالى انما ذكر
اخذ الميثاق ليكون ذلك سببا في انه لم يبق لهم عذر في ترك الايمان بعد ذلك واخذ الميثاق وقت اخراجهم من ظهر ادم
غير معلوم للقوم الا بقول الرسول فقبل معرفة صدق الرسول لا يكون ذلك سببا في وجوب تصديق الرسول بل المراد
باخذ الميثاق نصب الدلايل والبينات بان ركب فيهم العقول واقام عليهم الحجج والدلايل التي تدعو الى متابعة الرسول
وهذا معلوم لكل احد فيكون سببا لوجوب الايمان بالرسول فصل قال القاضي قوله وما لكم يدل على قدرتهم على الايمان
اذ لا يجوز ان يقال ذلك لمن لا يتمكن من الفعل كما لا يقال ما لك لا تطول ولا تبيض فيدل هذا على الاستطاعة قبل الفعل
وعلى ان القدرة صالحة للضدين وعلى ان الايمان حصل بالعبد لا بخلق الله قوله ان كنتم مومنين اي اذ كنتم مومنين
وقيل ان كنتم مومنين بالحجج والدليل وقيل ان كنتم مومنين يوما من الايام فالان فقد صحت براهينه وقيل ان
كنتم مومنين بان الله خلقكم وكانوا يعترفون بهذا وقيل هذا خطاب لقوم امنوا واخذ النبي صلى الله عليه وسلم ميثاقهم

فارتدوا وقوله ان كنتم مؤمنين اي ان كنتم تقرون بشرائط الايمان **قوله** هو الذي ينزل على عبده تقدم من قرا ينزل تخفيفا وتشديدا في البقرة وزيد بن علي انزل ماضيا وقوله ايات بينات يعني القران وقيل المعجزات اي لزمكم الايمان بمحمد لما معه من المعجزات والقران اكبرها واعظمها ليخرجكم اي بالقران وقيل بالرسول وقيل بالدعوة من الظلمات وهو الشرك والكفر الى النور وهو الايمان وان الله بكم لرؤوف رحيم **فصل** قال القاضي هذه الاية تدل على ارادته للايمان واكد ذلك بقوله وان الله بكم لرؤوف رحيم **فان قيل** الشبهة ان ظاهرها على انه يخرج من الظلمات الى النور فيجب ان يكون الايمان من فعله قلنا اذا كان الايمان يخلقه لا ينبغي لقوله انزل على عبده ليخرجكم معنى لان ما يخلقه لا يتغير بل المراد انه يلطف بهم قال ابن الخطيب وهذا على حسنه معارض بالعلم لانه علم ان ايمانهم لا يوجد فقد كلفهم بما لا يوجد فكيف يعقل مع هذا انه اراد منهم الخير والاحسان وحمل بعضهم قوله وان الله بكم لرؤوف رحيم على بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ولا وجه لهذا التخصيص **قوله** وما لكم الا تنفقوا الكلام فيه كالكلام في قوله وما لنا الا نقاتل فالاصل في ان لا تنفقوا فلما حذف حرف الجر جرى الخلاف المشهور وابو الحسن يرى زيادتها كما تقدم تقريره في البقرة **قوله** ولله ميراث جملة حالية من فاعل الاستقرار او مفعوله اي اي شيء يمنعكم من الانفاق في سبيل الله والحال ان ميراث السموات والارض له فهذه حال منافية لبخلكم **فصل** لما امر اولا بالايمان وبالانفاق ثم اكده في الاية المتقدمة بايجاب الايمان اتبعه في هذه الاية بتاكيد ايجاب الانفاق والمعنى انكم ستموتون فتورثون فهلا قدمتموه في الانفاق في طاعة الله وتحقيقه ان المال لا بد وان يخرج من اليد اما بالموت واما بالانفاق في سبيل الله فان خرج بالموت كان اثره اللعن والمقت والعقاب وان خرج بالانفاق في سبيل الله كان اثره المدح والثواب واذا كان لا بد من خروجه من اليد فكل عاقل يعلم ان خروجه عن اليد بما يستعقب المدح والثواب اولى منه بما يستعقب اللعن والعقاب ثم لما بين تعالى ان الانفاق في سبيل الله فضيلة بين ان المسابقة في الانفاق تمام الفضيلة فقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل **قوله** لا يستوي منكم من انفق في فاعل يستوي وجهان اظهرهما انه من انفق وعلى هذا فلا بد من حذف معطوف يتم به الكلام فقدره الزمخشري لا يستوي منكم من انفق قبل فتح مكة وقوة الاسلام ومن انفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة وقدره ابو البقاء ومن لم ينفق قال ودل على المحذوف قوله من انفق من قبل الفتح والاول احسن لان السياق انما جيء بالاية ليفرق بين المنفقين في زمانين والثاني ان فاعله ضمير يعود على الانفاق اي لا يستوي جنس الانفاق اذ منه ما وقع قبل الفتح ومنه ما وقع بعده فهذان النوعان متفاوتان وعلى هذا فيكون من مبتدا واولئك مبتدا ثان واعظم خبره والجملة خبر من وهذا ينبغي ان لا يجوز البتة وكان هذا المعرب غفل عن قوله منكم فلو اعرب هذا القائل منكم خبرا مقدما ومن مبتدا مؤخرا والتقدير منكم من انفق من قبل الفتح ومنكم من لم ينفق قبله ولم يقاتل وحذف هذا لدلالة الكلام عليه لكان سديدا ولكنه سها عن لفظة منكم **فصل** اكثر المفسرين على ان المراد بالفتح فتح مكة وقال الشعبي والزهري فتح الحديبية قال قتادة كان قتالان احدهما افضل من الاخر ونفقتان احداهما افضل من الاخرى كان القتال والنفقة قبل فتح مكة افضل من القتال والنفقة بعد ذلك وانما كانت النفقة قبل الفتح اعظم لان حاجة الناس كانت اكثر لضعف الاسلام وفعل ذلك كان على المنفقين حينئذ اشق والاجر على قدر النصب قال مالك ينبغي ان يقدم اهل الفضل والعزم لقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل قال الكلبي نزلت في ابي بكر وفيها دليل واضح على تفضيل ابي بكر وتقديمه لانه اول من اسلم واول من انفق في سبيل الله وقال عبد الله بن مسعود اول من اظهر الاسلام بسيفه النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعن ابن عمر قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال يا نبي الله ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله تعالى يقول لك اقرا على ابي بكر السلام ويقول انت راض في فقرك ام ساخط فقال ابو بكر اني عن ربي لراض قال فان الله يقول لك قد رضيت عنك كما انت عني راض فبكى ابو بكر فقال جبريل والذي بعثك يا محمد بالحق لقد تخللت حملة العرش بالعبي منذ تخلل صاحبك هذا بالعباء ولهذا قدمه الصحابة على انفسهم واقروا له بالتقدم والسبق وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه سبق النبي صلى الله عليه وسلم وصلى ابو بكر وثلث عمر فلا اوتى برجل فضلني على ابي بكر الا جلدته حد المفتري ثمانين جلدة وطرح الشهادة **فصل** التقدم والتاخر قد يكون في احكام الدنيا فاما في احكام الدين فقالت عائشة رضي الله عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل الناس منازلهم واعظم المنازل مرتبة الصلاة وقد قال صلى الله عليه وسلم في مرضه مروا ابا بكر فليصل بالناس وقال يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله وقال وليؤمكما اكبركما وفهم منه العلماء انه اراد كبر المنزلة كما قال عليه السلام الولاء للكبر ولم يعن كبر السن وقد قال مالك وغيره ان للسن حقا وراعاه الشافعي وابو حنيفة وهو احق بالمراعاة واما احكام الدنيا فهي مرتبة على احكام الدين فمن قدم في الدين قدم في الدنيا وفي الحديث ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه وفي الحديث ايضا ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له عند سنه من يكرمه **قوله** وكلا وعد الله الحسنى قراءة العامة بالنصب على انه مفعول مقدم وهي مرسومة في مصاحفهم وكلا

بالف وابن عامر برفعه وفيه وجهان اظهرهما انه ارتفع على الابتداء والجملة بعده خبره والعائد محذوف اي وعده الله ومثله

قد اصبحت ام الخيار تدعي ... علي ذنبا كله لم اصنع

برفع كله اي لم اصنعه والبصريون لا يجيزون هذا الا في شعر كقوله

وخالد يحمد ساداتنا ... بالحق لا يحمد بالباطل

ونقل ابن مالك الاجماع من البصريين والكوفيين على جواز ذلك ان كان المبتدا كلا او ما اشبهها في الافتقار والعموم قال شهاب الدين وهذا لم اره لغيره وقد تقدم نحو من ذلك في سورة المائدة عند قوله تعالى افحكم الجاهلية يبغون ولم يرد وقوله كله لم اصنع الا بالرفع مع امكان ان ينصبه فيقول كله لم اصنع مفعولا مقدما قال اهل البيان لانه قصد عموم السلب لا سلب العموم فان الاول ابلغ وجعلوا من ذلك قوله عليه السلام كل ذلك لم يكن ولو قال لم يكن كل ذلك لكان سلبا للعموم والمقصود عموم السلب قال الشيخ عبد القاهر المعنى انه يتفاوت بالرفع والنصب فمع الرفع يفيد انه لم يفعل شيئا من الاشياء ومع النصب يفيد انه لم يفعل المجموع ولا يلزم انه لم يفعل البعض بل ان قلنا بدليل الخطاب دل على انه فعل البعض والثاني ان يكون كل خبر مبتدا محذوف وعد الله الحسنى صفة لما قبله والعائد محذوف اي واولئك كل وعده الله الحسنى **فان قيل** الحذف موجود ايضا فقد عدتم لما فررتم منه **فالجواب** ان حذف العائد من الصفة كثير بخلاف حذفه من الخبر ومن حذفه من الصفة قوله

وما ادري اغيرهم تناء ... وطول العهد ام مال اصابوا

اي اصابوه ومثله كثير وهي في مصاحف الشام مرسومة وكل دون الف فقد وافق كل مصحفه والحسنى مفعول ثان والاول محذوف على قراءة الرفع واما النصب فالاول مقدم على عامله ومعنى الاية ان المتقدمين السابقين والمتاخرين اللاحقين وعدهم الله جميعا الجنة مع تفاوت الدرجات والله بما تعملون خبير اي انه لما وعد السابقين والمحسنين بالثواب فلا بد وان يكون عالما بالجزئيات وجميع المعلومات حتى يمكنه ايصال الثواب الى المستحقين اذ لو لم يكن عالما بهم وبافعالهم على سبيل التفصيل لما امكن الخروج عن عهدة الوعد بالتمام فلهذا السبب اتبع هذا الوعد بقوله والله بما تعملون خبير **قوله** من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا تقدم الكلام عليه في سورة البقرة وقال ابن عطية هنا الرفع على العطف او القطع والاستئناف وقرا عاصم فيضاعفه بالنصب بالفاء على جواب الاستفهام وفي ذلك قلق قال ابو علي لان السؤال لم يقع عن القرض وانما وقع عن فاعل القرض وانما تنصب الفاء فعلا مردودا على فعل مستفهم عنه لكن هذه الفرقة حملت ذلك على المعنى كان قوله من ذا الذي يقرض بمنزلة قوله ايقرض الله احد انتهى وهذا الذي قاله ابو علي ممنوع الا ترى انه ينصب بعد الفاء في جواب الاستفهام بالاسماء وان لم يتقدم فعل نحو اين بيتك فازورك ومثل ذلك من يدعوني فاستجيب له ومتى تسير فارافقك وكيف تكون فاصحبك فالاستفهام انما وقع عن ذات الداعي وعن ظرف الزمان وعن الحال لا عن الفعل وقد حكى ابن كيسان عن العرب اين ذهب زيد فنتبعه ومن ابوك فنكرمه **فصل** ندب الله تعالى الى الانفاق في سبيل الله وقد مضى الكلام فيه في البقرة والعرب تقول لكل من فعل فعلا حسنا قد اقرض كما قال الشاعر

واذا جوزيت قرضا فاجزه ... انما يجزي الفتى ليس الجمل

وسماه قرضا لان المقرض اخرج لاسترداد البدل اي من ذا الذي ينفق في سبيل الله حتى يبدله الله بالاضعاف الكثيرة قال الكلبي قرضا اي صدقة حسنا اي محتسبا من قلبه بلا من ولا اذى فيضاعفه له ما بين سبع الى سبعمائة الى ما شاء الله من الاضعاف وقيل القرض الحسن هو ان يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال زيد بن اسلم هو النفقة على الاهل وقال الحسن التطوع بالعبادات وقيل عمل الخير وقال القشيري لا يكون حسنا حتى يجمع اوصافا عشرة الاول ان يكون من الحلال لقوله عليه السلام لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول الثاني ان يكون من اكرم ما يملكه ولا يخرج الردي لقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون الثالث ان يتصدق به وهو يحبه ويحتاج اليه لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله واتى المال على حبه وقال عليه السلام افضل الصدقة ان تعطيه وانت صحيح شحيح تامل العيش ولا تمهل حتى اذا بلغت التراقي قلت لفلان كذا ولفلان كذا الرابع ان يصرف صدقته الى الاحوج فالاحوج ولذلك خص تعالى اقواما باخذها وهم اهل السهمان الخامس ان يخفي الصدقة لقوله تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم السادس ان لا يتبعها منا ولا اذى لقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى السابع ان يقصد بها وجه الله تعالى ولا يرائي لقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى الثامن ان يستحقر ما يعطي وان كثر لان الدنيا كلها قليلة قال تعالى ولا تمنن تستكثر في احد التاويلات التاسع ان يكون من احب الاموال اليه وان يكون كثيرا لقوله عليه السلام افضل الرقاب اغلاها ثمنا وانفسها عند اهلها العاشر ان لا يرى عز نفسه وذل الفقير بل يكون الامر بالعكس فيضاعفه له تقدم في البقرة وله اجر كريم يعني الجنة **قوله** يوم ترى المؤمنين فيه اوجه احدها انه معمول للاستقرار العامل في لهم اجر اي استقر لهم اجر في ذلك اليوم الثاني انه مضمر اي اذكر فيكون مفعولا به الثالث انه يؤجرون يوم ترى فهو ظرف على اصله الرابع ان العامل فيه يسعى اي يسعى نور المؤمنين والمؤمنات يوم تراهم هذا اصله الخامس ان العامل فيه فيضاعفه قالهما ابو البقاء **قوله** يسعى حال لان الرؤية بصرية وهذا اذا لم نجعله عاملا في يوم وبين ايديهم ظرف للسعي ويجوز ان يكون حالا من نورهم **قوله** وبايمانهم اي وفي جهة ايمانهم وهذه قراءة العامة اعني بفتح الهمزة جمع

يمين، وقيل الباء بمعنى عن أي عن جميع جهاتهم، وإنما خص الأيمان لأنها أشرف الجهات، وقرأ أبو حيوة وسهل بن شعيب بكسرها
وهذا المصدر معطوف على الظرف قبله، والباء سببية أي يسعى كائنا وثابتا بسبب إيمانهم، وقال أبو البقاء تقديره وبإيمانهم
استحقوه أو وبأيمانهم يقال لهم بشراكم **فصل** المراد من هذا اليوم يوم المحاسبة، واختلفوا في هذا النور فقال
الحسن هو الضياء الذي يمرون فيه بين أيديهم إلى أقدامهم وبأيمانهم، قال الفراء الباء بمعنى في أي في أيمانهم أو بمعنى عن
أيمانهم، وقال الضحاك النور هداهم وبأيمانهم كتبهم واختاره الطبري أي يسعى إيمانهم وعملهم الصالح بين أيديهم
وفي أيمانهم كتب أعمالهم فالباء على هذا بمعنى في ويجوز على هذا أن يقف على بين أيديهم ولا يوقف إذا كانت بمعنى عن، وعلى
قراءة سهل بن شعيب وأبي حيوة وبإيمانهم بكسر الألف أراد الإيمان الذي هو ضد الكفر وعطف ما ليس بظرف على الظرف
لأن معنى الظرف الحال وهو متعلق بمحذوف، والمعنى يسعى كائنا بين أيديهم وكائنا بأيمانهم، وقيل أراد بالنور القرآن، وعن
ابن مسعود يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم
نورا من نوره على إبهام رجله فيطفئ مرة ويوقد أخرى قال الحسن ليستضيئوا به على الصراط، وقال مقاتل ليكون
لهم دليلا إلى الجنة **قوله** بشراكم اليوم جنات، بشراكم مبتدأ واليوم ظرف وجنات خبره على حذف مضاف أي دخول
جنات وهذه الجملة في محل نصب بقول مقدر وهو العامل في الظرف أي يقال لهم بشراكم اليوم دخول جنات، قال
القرطبي ولا بد من تقدير حذف المضاف لأن البشرى حدث والجنة عين فلا يكون هي هي، وقال مكي وأجاز الفراء
نصب جنات على الحال ويكون اليوم خبر بشراكم قال وكون جنات حالا لا معنى له إذ ليس فيها معنى فعل وأجاز أن يكون
بشراكم في موضع نصب على يبشرونهم بالبشرى وينصب جنات بالبشرى وكله بعيد لأنه يفصل بين الصلة والموصول
باليوم انتهى وعجيب من الفراء كيف يصدر عنه ما لا يعقل ولا يجوز صناعة كيف يكون جنات حالا وما ذا صاحب
الحال، وقوله خالدين فيها حال من الدخول المحذوف التقدير بشراكم اليوم دخول الجنة جنات تجري من تحتها الأنهار
مقدرين الخلود فيها، قال القرطبي ولا يكون الحال من بشراكم لأن فيه فصلا بين الصلة والموصول، ويجوز أن
يكون مما دل عليه البشرى كأنه قال يبشرون خالدين فيها، ويجوز أن يكون الظرف الذي هو اليوم خبرا عن بشراكم
وجنات بدل من البشرى على تقدير حذف المضاف كما تقدم وخالدين حال حسب ما تقدم **فصل** قال شهاب
الدين خالدين نصب على الحال والعامل فيها المضاف المحذوف إذ التقدير بشراكم دخولكم جنات خالدين فيها لحذف
الفاعل وهو ضمير المخاطب وأضيف المصدر لمفعوله فصار دخول جنات ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه
مقامه في الإعراب، ولا يجوز أن يكون بشراكم هو العامل فيها لأنه مصدر قد أخبر عنه قبل ذكر متعلقاته فيلزم الفصل
بأجنبي وظاهر كلام مكي أنه عامل في الحال فإنه قال خالدين نصب على الحال من الكاف والميم والعامل في الحال هو العامل في صاحبها
فلو قال يكون بشراكم هو العامل وفيه ما تقدم من الفصل بين المصدر ومعموله **فصل** تقدم الكلام في البشارة
عند قوله وبشر الذين آمنوا، قال ابن الخطيب وهذه الآية تدل على أن المؤمنين لا ينالهم أهوال يوم القيامة لأنه تعالى
بين أن هذه صفتهم يوم القيامة من غير تخصيص، قال الكعبي هذه الآية تدل على أن الفاسق ليس بمؤمن لأنه لو كان
مؤمنا لدخل تحت هذه البشارة ولو كان كذلك لقطع بأنه من أهل الجنة ولما لم يكن كذلك ثبت أنه ليس بمؤمن، وأجاب
ابن الخطيب بأنا نقطع بأن الفاسق من أهل الجنة لأنه إما أن لا يدخل النار أو أنه إن دخلها لكنه سيخرج منها وسيدخل
الجنة ويبقى فيها أبد الآباد فإذن نقطع بأنه من أهل الجنة فسقط الاستدلال **قوله** ذلك الفوز، هذه البشارة عائدة
إلى جميع ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة **قوله** يوم يقول المنافقون والمنافقات، العامل في يوم ذلك
الفوز العظيم، وقيل هو بدل من اليوم الأول، وقال ابن الخطيب منصوب باذكر مقدرا، واعلم أنه لما شرح حال
المؤمنين في موقف القيامة أتبع ذلك بشرح حال المنافقين فقال يوم يقول **قوله** للذين آمنوا، اللام للتبليغ
وانظرونا قراءة العامة انظرونا أمرا من النظر، وحمزة أنظرونا بقطع الهمزة وكسر الظاء من الإنظار وبها قرأ الأعمش
ويحيى بن وثاب أي انتظرونا لنلحق بكم فنستضيء بنوركم، والقراءة الأولى يجوز أن تكون بمعنى هذه إذ يقال نظره بمعنى
انتظره وذلك أنه يسرع بالخاص إلى الجنة على نجب فيقول المنافقون انظرونا لأنا مشاة لا نستطيع لحوقكم، ويجوز أن
يكون من النظر وهو الإبصار لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فيضيء لهم المكان وهذا أليق بقوله نقتبس
من نوركم قال معناه الزمخشري إلا أن أبا حيان قال إن النظر بمعنى الإبصار لا يتعدى بنفسه إلا في الشعر إنما
يتعدى بإلى **فصل** نقتبس من نوركم أي نستضيء من نوركم، والقبس الشعلة من النار والسراج قال ابن عباس
وأبو أمامة يغشى الناس يوم القيامة ظلمة، قال الماوردي أظنها بعد فصل القضاء ثم يعطون نورا يمشون فيه، قال
المفسرون يعطي الله كل أحد يوم القيامة نورا على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين أيضا نورا خديعة
بدليل قوله تعالى وهو خادعهم، وقيل إنما يعطون النور لأن جميعهم أهل دعوة دون الكافر ثم يسلب المنافق نوره
لنفاقه قاله ابن عباس، وقال أبو أمامة يعطى المؤمن النور ويترك الكافر والمنافق بلا نور، وقال الكلبي يستضيء

المنافق بنور المؤمنين ولا يعطون النور فبينما هم يمشون إذ بعث الله ريحا وظلمة فأطفأ بذلك نور المنافقين فذلك قول المؤمنين
ربنا أتمم لنا نورنا خشية أن يسلبوه كما سلبه المنافقون فإذا بقي المنافقون في الظلمة لا يبصرون مواضع أقدامهم
قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم أي إلى الموضع الذي أخذنا منه النور فاطلبوا هنالك نورا
لأنفسكم فإنكم لا تقتبسون من نورنا فلما رجعوا وانعزلوا في طلب النور ضرب بينهم بسور، وقيل معناه هلا طلبتم
النور من الدنيا بأن تؤمنوا **قوله** وراءكم، فيه وجهان أظهرهما أنه منصوب بارجعوا على معنى ارجعوا إلى الموقف إلى حيث
أعطينا هذا النور فالتمسوا هنالك ممن يقتبس أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الإيمان أو يكون
معناه فارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم إلى هذا النور، والثاني أن وراءكم اسم للفعل فيه ضمير
فاعل أي ارجعوا ارجعوا قاله أبو البقاء ومنع أن يكون ظرفا لارجعوا قال لقلة فائدته لأن الرجوع لا يكون إلا إلى وراء قال
شهاب الدين وهذا فاسد لأن الفائدة جليلة كما تقدم شرحها **قوله** فضرب بينهم بسور، العامة على بنائه للمفعول
والقائم مقام الفاعل يجوز أن يكون بسور وهو الظاهر وأن يكون الظرف، وقال مكي الباء مزيدة أي ضرب سور ثم قال
والباء متعلقة بالمصدر أي ضرب بالسور وهذا متناقض إلا أن يكون قد غلط عليه من النساخ والأصل والباء متعلقة بالفعل
والقائم مقام الفاعل الظرف وعلى الجملة هو ضعيف، والسور البناء المحيط وتقدم اشتقاقه أول البقرة **قوله** له باب، مبتدأ
وخبر في موضع جر صفة لسور، وقوله باطنه فيه الرحمة هذه الجملة يجوز أن تكون في موضع جر صفة ثانية لسور ويجوز
أن يكون في موضع رفع صفة لباب وهو أولى لقربه، والضمير إنما يعود إلى الأقرب إلا بقرينة، وقرأ زيد بن علي وعمرو
ابن عبيد فضرب مبنيا للفاعل وهو الله أو الملك **فصل** السور حاجز بين الجنة والنار، قال القرطبي روي أن ذلك
السور ببيت المقدس عند موضع يعرف بوادي جهنم فيه الرحمة يعني ما يلي منه المؤمنين وظاهره من قبله العذاب
يعني ما يلي المنافقين، قال كعب الأحبار هو الباب الذي ببيت المقدس المعروف بباب الرحمة، وقال عبد الله بن عمرو إنه
سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب يعني جهنم ونحوه عن ابن عباس، وقال زياد بن أبي سوادة
قام عبادة بن الصامت على سور بيت المقدس الشرقي فبكى وقال من هاهنا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى
جهنم، وقال قتادة هو حائط بين الجنة والنار باطنه فيه الرحمة يعني الجنة وظاهره من قبله العذاب يعني جهنم وقال
مجاهد إنه حجاب كما في الأعراف وقد مضى القول فيه، وقد قيل إن الرحمة التي في باطنه نور المؤمنين والظلمة
التي في ظاهره ظلمة المنافقين، وقيل السور عبارة عن منع المنافقين عن طلب المؤمنين **قوله** ينادونهم، يجوز
أن يكون حالا من الضمير في بينهم قاله أبو البقاء وهو ضعيف لمجيء الحال من المضاف إليه في غير المواضع المستثناة وأن يكون
مستأنفة وهو الظاهر، وقوله ألم نكن معكم يجوز أن يكون تفسيرا للنداء وأن يكون منصوبا بقول مقدر **فصل**
والمعنى ينادي المنافقون المؤمنين ألم نكن معكم في الدنيا يعني نصلي مثل ما تصلون ونغزو مثل ما تغزون ونفعل مثل
ما تفعلون قالوا بلى أي يقول المؤمنون بلى قد كنتم معنا في الظاهر ولكنكم فتنتم أنفسكم أي استعملتموها في الفتنة
وقال مجاهد أهلكتموها بالنفاق، وقيل بالمعاصي قاله أبو سنان، وقال أبو نمير الهمداني بالشهوات واللذات، وقوله
وتربصتم أي بالنبي صلى الله عليه وسلم الموت وبالمؤمنين الدوائر، وقيل تربصتم بالتوبة وارتبتم أي شككتم في
التوحيد والنبوة أو البعث وغرتكم الأماني أي الأباطيل، وقيل طول الأمل وهو ما كانوا يتمنونه من ضعف المؤمنين
ونزول الدوائر بهم، وقال قتادة الأماني هنا خدع الشيطان، وقيل الدنيا قاله عبد الله بن عباس، وقال أبو سنان هو قولهم
سيغفر لنا، وقال بلال بن سعد ذكرك حسناتك ونسيانك سيئاتك غرة حتى جاء أمر الله يعني الموت، وقيل نصرة نبيه صلى الله عليه
وسلم، وقال قتادة إلقاؤهم في النار **قوله** وغركم بالله الغرور، قرأ العامة الغرور بفتح الغين وهو صفة على فعول والمراد به
الشيطان أي خدعكم بالله الشيطان، وقرأ أبو حيوة ومحمد بن السميفع وسماك بن حرب الغرور بالضم وهو مصدر تقدم
نظيره والمراد به الأباطيل عن ابن عباس أن نبي الله صلى الله عليه وسلم خط لنا خطوطا وخط منها خطا ناحية فقال أتدرون
ما هذا هذا مثل ابن آدم ومثل التمني وتلك الخطوط الآمال بينما يتمنى إذ جاءه الموت، وعن ابن مسعود قال خط لنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط في وسطه خطا وجعله خارجا منه وخط عن يمينه ويساره خطوطا صغارا
فقال هذا ابن آدم وهذا أجله محيط به وهذا أمله قد جاوز أجله وهذه الخطوط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه
هذا **قوله** فاليوم، منصوب بيؤخذ ولا يبالي بلا النافية وهو قول الجمهور وقد تقدم آخر الفاتحة أن فيها ثلاثة أقوال
وقرأ ابن عامر تؤخذ بالتاء للفظ الفدية، والباقون بالياء من تحت لأن التأنيث مجازي وللفصل **فصل**
فاليوم لا يؤخذ منكم فدية أيها المنافقون ولا من الذين كفروا أيأسهم من النجاة، والمراد بالفدية قيل لا يقبل منكم
إيمان ولا توبة لأن التكليف قد زال وحصل الإلجاء وقيل لا يقبل منكم فدية تدفعون بها العذاب عن أنفسكم كقوله
تعالى لا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة، والفدية ما يفتدى به فهو يتناول الإيمان والتوبة والمال قال ابن الخطيب
وهذا يدل على أن قبول التوبة غير واجب عقلا على ما يقوله المعتزلة لأنه تعالى بين أن لا تقبل الفدية أصلا والتوبة

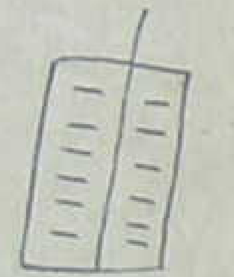

مذنبة فتكون الاية دالة على ان التوبة غير مقبولة اصلا واذا كان كذلك لم تكن التوبة واجبة القبول عقلا **قوله** ولا من الذين
كفروا عطف الكافر على المنافق والعطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه فيقتضي ان لا يكون المنافق كافرا
واجيب بان المراد منه الذين اظهروا الكفر الا فالمنافق كافر **قوله** ماواكم النار اي مصيركم وقوله هي مولاكم يجوز
ان يكون مصدرا اي ولايتكم اي ذات ولايتكم قال القرطبي تملك امرهم بمعنى ان الله تعالى يركب فيها الحياة والعقل
فهي تتميز غيظا على الكفار ولهذا خوطبت في قوله تعالى يوم نقول لجهنم ويجوز ان يكون مكانا اي مكان ولايتكم
وان يكون بمعنى اولى بكم كقولك هو مولاه قاله الكلبي وهو قول الزجاج والفراء وابي عبيدة قال ابن الخطيب وهذا
الذي قالوه معنى وليس تفسيرا للفظ لانه لو كان مولى واولى بمعنى واحد في اللغة لصح استعمال كل واحد منهما مكان
الاخر وكان يجب ان يصح ان يقال هذا اولى فلان كما يقال مولى فلان ولما بطل ذلك علمنا ان الذي قالوه معنى وليس
بتفسير وانما نبهنا على هذه الدقيقة لان الشريف المرتضى لما تمسك في امامة علي رضي الله عنه بقوله صلى الله عليه وسلم
من كنت مولاه فعلي مولاه قال احد معاني مولى انه اولى واحتج في ذلك باقوال الائمة اللغة في تفسير هذه الاية بان
مولى معناه اولى واذا ثبت ان اللفظ محتمل له وجب حمله عليه لان ما عداه اما بين الثبوت ككونه ابن العم والناصر
او بين الانتفاء كالمعتق والمعتق فيكون على التقدير الاول عبثا وعلى الثاني كذبا قال ابن الخطيب واما نحن فقد
بينا بالدليل ان قول هؤلاء في هذا الموضع معنى لا تفسير وحينئذ يسقط الاستدلال به وفي الاية وجه اخر
وهو ان معنى قوله هي مولاكم اي لا مولى لكم لان من كانت النار مولاه فلا مولى له كما يقال ناصره الخذلان ومعينه
البكاء اي لا ناصر له ولا معين وهذا متاكد بقوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل
وقوله وبئس المصير اي هي ومعناه ساءت مرجعا ومصيرا **قوله** الم يان قرا العامة الم وقرا الحسن وابو السمال
الما وقد تقدم الفرق بين الحرفين واصلها لم زيدت عليها ما فهي نفي لقول القائل قد كان كذا ولم نفي لقوله فعل
كذا وقوله ان تخشع فاعل يان اي الم يقرب خشوع قلوبهم وتحين قال الشاعر

الم يان لي يا قلب ان اترك الجهلا ۞ وان يحدث الشيب المنير لنا عقلا

وماضيه اني بالقصر ويقال انى لك بالمد ان تفعل كذا يئين اينا اي حان مثل انى لك وهو مقلوب منه وانشد ابن السكيت

الما يان لي ان تجلى عمايتي ۞ واقصر عن ليلى بلى قد انا ليا

فجمع بين اللغتين وقرا العامة يان مضارع
اني اي حان وقرب مثل رمى يرمي والحسن يئن مضارع ان بمعنى حان ايضا مثل باع يبيع واللام للتبيين قاله ابو البقاء
فعلى هذا ابتعلق بمحذوف اي اعني للذين **فصل** في صحيح مسلم عن ابن مسعود قال ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا
الله بهذه الاية الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق الا اربع سنين قال الخليل العتاب
مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة تقول عاتبته معاتبة ان تخشع اي تذل وتلين قلوبهم لذكر الله وما نزل من
الحق وروي ان المزاح والضحك كثر في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما ترفهوا بالمدينة فنزلت الاية ولما نزلت
هذه الاية قال عليه السلام ان الله يستبطيكم بالخشوع فقالوا عند ذلك خشعنا وقال ابن عباس ان الله
استبطا قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة من نزول القران وقيل نزلت في المنافقين بعد الهجرة
وذلك لما سالوا سلمان ان يحدثهم بعجائب التورية فنزلت الر تلك ايات الكتاب المبين الى قوله نحن نقص عليك
احسن القصص فاخبرهم ان هذا القصص احسن من غيره وانفع لهم فكفوا عن سلمان ثم سالوه مثل الاول فنزلت
الم يان للذين امنوا الاية فعلى هذا التاويل يكون الذين امنوا في العلانية باللسان قال السدي وغيره الم يان للذين
امنوا بالظاهر واسروا الكفران تخشع قلوبهم لذكر الله وقيل نزلت في المؤمنين قال سعد قيل يا رسول الله لو
قصصت علينا فنزل نحن نقص عليك فقالوا بعد زمان لو حدثتنا فنزل قوله الله نزل احسن الحديث فقالوا بعد
مدة لو ذكرتنا فانزل الله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الاية وقيل هذا خطاب لمن امن
بموسى وعيسى دون محمد عليهم السلام لانه قال عقيبه والذين امنوا بالله ورسله اي الم يان للذين امنوا
بالتورية والانجيل ان تلين قلوبهم للقران وان لا يكونوا كمتقدمي قوم موسى وقوم عيسى اذ طال عليهم الامد بينهم
وبين نبيهم فقست قلوبهم **قوله** وما نزل قرا نافع وحفص نزل مخففا مبنيا للفاعل وباقي السبعة كذلك الا انه
مشدد والجحدري وابو جعفر والاعمش وابو عمرو في رواية نزل مشددا مبنيا للمفعول وعبد الله انزل مبنيا للفاعل
وهو الله تعالى وما في ما نزل على قراة نزل مخففا يتعين ان تكون اسمية ولا يجوز ان تكون مصدرية ليلا يخلو
الفعل من الفاعل وما عداها يجوز ان تكون مصدرية وان تكون بمعنى الذي قال قلت فقراة الجحدري ومن معه
ينبغي ان تكون فيها اسمية ليلا يخلو الفعل من مرفوع فالجواب ان الجار وهو قوله من الحق يقوم مقام الفاعل
فصل قال ابن الخطيب يحتمل ان يكون المراد بذكر الله وما نزل من الحق هو القران لانه جامع للوصفين للذكر
والموعظة فانه حق نازل من السماء ويحتمل ان يكون المراد هو ذكر الله مطلقا وما نزل من الحق هو القران وانما قدم

الخشوع بالذكر على الخشوع بما نزل من القران لان الخشوع والخوف والخشية لا تحصل الا عند ذكر الله فاما حصولها عند سماع
القران فذلك لاجل اشتمال القران على ذكر الله **قوله** ولا يكونوا قرا العامة بالغيبة جريا على ما تقدم وابو حيوة وابن ابي
عبلة بالتاء من فوق على سبيل الالتفات قال القرطبي وهي رواية رويس عن يعقوب وهي قراة عيسى وابن اسحق ثم هذا يحتمل ان
يكون منصوبا عطفا على تخشع كما في قراة الغيبة وان يكون نهيا فتكون لا ناهية والفعل مجزوم بها ويجوز ان يكون نهيا
في قراة الغيبة ايضا ويكون ذلك انتقالا الى نهي اولئك المؤمنين عن كونهم متشبهين بمن تقدمهم نحو لا يقم زيد **قوله**
فطال عليهم الامد قرا العامة بتخفيف الدال بمعنى الغاية كقولك امد فلان اي غايته وقرا ابن كثير في رواية
بتشديدها وهو الزمن الطويل **فصل** ومعنى الاية لا تسلكوا سبيل اليهود والنصارى اعطوا التورية والانجيل
فطالت الازمان لهم قال ابن مسعود ان بني اسرائيل لما طال عليهم الامد قست قلوبهم فاخترعوا كتابا من عند انفسهم
استحلته انفسهم وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون ثم
قالوا اعرضوا هذا الكتاب على بني اسرائيل فان تابعوكم فاتركوهم والا فاقتلوهم ثم اصطلحوا على ان يرسلوه الى عالم من
علمائهم وقالوا ان هو تابعنا لم يخالفنا احد وان ابى قتلناه فلا يختلف علينا بعده احد فارسلوا اليه فكتب كتاب
الله في ورقة وجعلها في عنقه ثم لبس عليه ثيابه واتاهم فعرضوا عليه كتابهم وقالوا اتؤمن بهذا فضرب بيده على
صدره وقال امنت بهذا يعني المعلق على صدره فافترقت بنو اسرائيل على بضع وسبعين ملة وخير مللهم اصحاب ذي القرن
قال عبد الله ومن يعش منكم فسيرى منكرا وبحسب احدكم اذا راى المنكر لا يستطيع ان يغيره ان يعلم الله من قلبه انه
له كاره وقال مقاتل يعني مؤمني اهل الكتاب طال عليهم الامد واستبطؤوا بعث النبي صلى الله عليه وسلم فقست قلوبهم وكثير
منهم فاسقون يعني الذين ابتدعوا الرهبانية اصحاب الصوامع وقيل من لا يعلم ما يتدين به من الفقه ويخالف
من يعلم وقيل هم من لا يؤمن في علم الله تعالى وقال ابن عباس مالوا الى الدنيا واعرضوا عن مواعظ الله وقيل طالت
اعمارهم في الغفلة فحصلت القسوة في قلوبهم بذلك السبب وقيل غير ذلك وقوله وكثير منهم فاسقون اي خارجون
عن دينهم رافضون لما في الكتابين وكانه اشار الى ان عدم الخشوع في اول الامر يفضي الى الفسوق في اخر الامر **قوله**
اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها اي يحييها بالمطر قال صالح المري يلين القلوب بعد قساوتها وقال جعفر بن محمد
يحييها بالعدل بعد الجور وقيل المعنى فكذلك يحيي الكافر بالهدى الى الايمان بعد الكفر والضلالة وقيل كذلك يحيي الموتى
من الامم ويميز بين الخاشع قلبه وبين القاسي قلبه قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون اي احيا الله الارض بعد موتها
دليل على قدرة الله وانه يحيي الموتى **قوله** ان المصدقين والمصدقات خفف الصاد منهما ابن كثير وابو بكر وثقلها باقي السبعة
فقراة ابن كثير من التصديق اي صدقوا رسول الله فيما جاء به كقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وقراة الباقين
من الصدقة وهو مناسب لقوله واقرضوا والاصل المتصدقين والمتصدقات فادغم وبها قرا ابي وقد يرجح الاول
بان الاقراض مغن عن ذكر الصدقة **قوله** واقرضوا فيه ثلاثة اوجه احدها انه معطوف على اسم الفاعل في المصدقين
لانه لما وقع صلة لال حل محل الفعل فكانه قيل ان الذين صدقوا واقرضوا وعليه جمهور المعربين واليه ذهب الفارسي
والزمخشري وابو البقاء وهو فاسد لانه يلزم الفصل بين ابعاض الصلة باجنبي الا ترى ان المصدقات عطف على المصدقين
قبل تمام الصلة ولا يجوز ان يكون عطفا على المصدقات لتغاير الضمائر تذكيرا وتانيثا الثاني انه معترض بين اسم ان
وخبرها وهو يضاعف قال ابو البقاء وانما قيل ذلك لئلا يعطف الماضي على اسم الفاعل قال شهاب الدين ولا ادري ما هذا
المانع لان اسم الفاعل متى وقع صلة لال صلح للازمنة الثلاثة ولو منع بما ذكرته من الفصل بالاجنبي لاصاب ولكن خفي
عليه كما خفي على الفارسي والزمخشري الثالث انه صلة لموصول محذوف لدلالة الاول عليه كانه قيل والذين اقرضوا
كقوله امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء اي ومن يمدحه وينصره واختاره ابو حيان وفيه ما تقدم
اول الكتاب قال ابن الخطيب وفي الاية اشكال وهو ان عطف الفعل على الاسم قبيح فما الفائدة في التزامه هنا واجاب بان
الزمخشري قال واقرضوا معطوف على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى صدقوا واقرضوا
قال وهذا لا يزيل الاشكال فانه ليس فيه بيان انه لم عدل عن ذلك اللفظ الى هذا اللفظ والذي عندي فيه ان الالف
واللام في المصدقين والمصدقات للمعهود فكانه ذكر جماعة معينين بهذا الوصف ثم قبل ذكر الخبر اخبر عنهم بانهم اتوا
باحسن انواع الصدقة وهو القرض ثم ذكر الخبر بعد ذلك فقال يضاعف لهم فقوله واقرضوا كقوله ان الثمانين وبلغتها
قوله يضاعف لهم في القائم مقام الفاعل وجهان اظهرهما انه الجار كما تقدم والثاني انه ضمير التصدق ولا بد من حذف
مضاف اي ثواب التصدق وقرا الاعمش يضاعفه بكسر العين وزيادة هاء وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب
يضعف بتشديد العين وفتحها ولهم اجر كريم يعني الجنة **قوله** والذين امنوا مبتدا واولئك مبتدا ثان وهم يجوز
ان يكون مبتدا ثالثا والصديقون خبره وهو مع خبره خبر الثاني والثاني وخبره خبر الاول ويجوز ان يكون هم
فصلا واولئك وخبره خبر الاول والصديق هو الكثير الصدق وقال مجاهد كل من امن بالله ورسوله فهو صديق

وتلا هذه الاية وقال الضحاك هم ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا اهل الارض في زمانهم الى الاسلام ابو بكر وعلي وزيد
وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته قوله والشهداء
يجوز فيه وجهان احدهما انه معطوف على ما قبله ويكون الوقف على الشهداء اخبر عن الذين امنوا انهم صديقون شهداء
قال قيل الشهداء مخصوصون باوصاف اخر زائدة على ذلك كالتسعة المذكورين اجيب بان تخصيصهم بالذكر لتشريفهم على
غيرهم لا للحصر والثاني انه مبتدا وفي خبره وجهان احدهما انه الظرف بعده والثاني انه قوله لهم اجرهم اما الجملة واما
الجار وحده والمرفوع فاعل به والوقف لا يخفى على ما ذكرنا من الاعراب والصديق مثال مبالغة ولا يجيء الا من ثلاثي غالبا
قال بعضهم وقد جاء مسيك من امسك وهو غلط لانه يقال مسك ثلاثيا فمسيك منه فصل قال مجاهد وزيد
ابن اسلم ان الشهداء والصديقين هم المؤمنون وانه متصل وروي معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا قول ابن
مسعود في تاويل الاية قال القشيري اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
فالصديقون هم الذين يتلون الانبياء والشهداء هم الذين يتلون الصديقين والصالحون يتلون الشهداء فيجوز
ان يكون هذه الاية في جملة من صدق الرسل والمعنى ان الذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء
ويكون المعنى بالشهداء من شهد لله بالوحدانية او انهم شهداء عند ربهم على العباد في اعمالهم والمراد انهم عدول
الاخرة الذين تقبل شهاداتهم وقال الحسن كل مؤمن فانه شهيد كرامة وقال الفراء والزجاج هم الانبياء لقوله تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال ابن جرير الشهداء هم الذين استشهدوا في سبيل الله
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تعدون الشهداء فيكم قالوا المقتول فقال ان شهداء امتي اذن لقليل وعلى هذا
يكون منقطعا عما قبله ويكون الواو في والشهداء واو الاستيناف وهذا مروي عن ابن عباس ومسروق وقوله لهم اجرهم
بما عملوا من العمل الصالح ونورهم على الصراط ثم لما ذكر حال المؤمنين اتبعه بذكر حال الكافرين فقال والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم ولما ذكر احوال المؤمنين والكافرين ذكر بعده ما يدل على حقارة الدنيا وكمال حال
الاخرة فقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو ما صلة اي حياة هذه الدار لعب باطل لا حاصل له وهو فرح ثم ينقضي
وزينة منظر يتزين به قوله وتفاخر بينكم العامة على تنوين تفاخر موصوف بالظرف او عامل فيه والسلمي اضافه اليه
اي يفخر به بعضكم على بعض قال المفسرون اللعب الباطل واللهو الفرح وقال قتادة لعب ولهو اكل وشرب وقال مجاهد كل
لعب لهو وقيل اللعب ما رغب في الدنيا واللهو ما الهى عن الاخرة قوله وتكاثر في الاموال والاولاد قال ابن عباس يجمع المال
في سخط الله ويباهي به على اولياء الله ويصرفه في مساخط الله فهو ظلمات بعضها فوق بعض وكان من عادة الجاهلية ان
يتكاثروا بالاموال والاولاد قال بعض المتاخرين لعب كلعب الصبيان ولهو كلهو الفتيان وزينة كزينة النسوان وتفاخر
كتفاخر الاقران وتكاثر كتكاثر الدهقان وقال علي رضي الله عنه لعمار لا تحزن على الدنيا فان الدنيا ستة اشياء ماكول ومشروب
وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فاحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة واكثر شرابها الماء ويستوي فيه جميع
الحيوان وافضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة وافضل المشموم المسك وهو دم فارة وافضل المركوب الفرس وعليها
يقتل الرجال واما المنكوح فهو النساء وهو مبال في مبال والله ان المراة لتزين احسنها يراد به اقبحها ثم ذكر تعالى لهذه
الحياة مثلا فقال كمثل غيث اي مطر اعجب الكفار نباته قال ابن مسعود المراد بالكفار هنا الزراع قال الازهري والعرب
تقول للزارع كافر لانه يكفر البذر بتراب الارض اي يغطيه والمعنى ان الحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين اليه لخضرته
بكثرة الامطار ثم لا يلبث ان يصير هشيما كان لم يكن وقيل المراد بالكفار هنا الكفار بالله وهم اشد اعجابا بزينة الدنيا
من المؤمنين وقوله نباته اي ما ينبت من ذلك الغيث قوله كمثل غيث يجوز ان يكون في موضع نصب حالا من الضمير
في لعب لانه بمعنى الوصف وان يكون خبر المبتدا المحذوف اي ذلك كمثل وجوز ابن عطية ان يكون في موضع رفع صفة
لما تقدم ولم يبينه وقد بينه مكي فقال نعت لتفاخر وفيه نظر لتخصيصه له من بين ما تقدم وجوز ان يكون خبرا بعد
خبر للحياة الدنيا وقوله ثم يهيج اي يجف بعد خضرته فتراه مصفرا اي متغيرا عما كان عليه من النضارة وقرئ مصفارا
من اصفار وهو ابلغ من اصفر قوله وفي الاخرة خبر مقدم وما بعده مبتدا اخبر ان في الاخرة عذابا شديدا ومغفرة
منه ورضوانا وهذا معنى حسن وهو انه قابل العذاب لشيئين بالمغفرة والرضوان فهو من باب لن يغلب عسر يسرين
قال القرطبي وفي الاخرة عذاب شديد اي للكافر والوقف عليه حسن ويبتدا ومغفرة من الله ورضوان اي للمؤمنين
وقال الفراء وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة تقديره اما عذاب شديد واما مغفرة فلا يوقف على شديد قوله
وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وهذا تاكيد لما سبق اي تغر الكفار فاما المؤمن فان الدنيا له متاع بلاغ الى الجنة
وقيل العمل للحياة الدنيا متاع الغرور تزهيدا في العمل للدنيا وترغيبا في العمل للاخرة وقال سعيد بن جبير الدنيا
متاع الغرور اذا الهتك عن طلب الاخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله وطلب الاخرة فنعم المتاع ونعم
الوسيلة قوله سابقوا الى مغفرة من ربكم اي سارعوا بالاعمال الصالحة التي توجب المغفرة لكم من ربكم وقيل

وقيل سارعوا الى التوبة لانها تؤدي الى المغفرة قاله الكلبي وقال مكحول هي التكبيرة الاولى مع الامام وقيل الصف الاول فصل
احتج القائلون بان الامر على الفور بهذه الاية لانها دلت على وجوب المسارعة فوجب ان يكون التراخي محظورا قوله وجنة
عرضها كعرض السماء والارض عرضها كعرض مبتدا وخبر والجملة صفة لجنة وكذلك اعدت ويجوز ان يكون اعدت
مستانفة فصل قال مقاتل ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح والزق بعضها الى بعض لكانت
عرض جنة واحدة من الجنان والعرض اقل من الطول ومن عادة العرب انها تعبر عن الشيء بعرضه دون طوله قال
كان بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل وقال عطاء عن ابن عباس يريد ان
لكل واحد من المطيعين جنة بهذه الصفة وقال السدي انه تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات السبع والارضين
السبع ولا شك ان طوله ازيد من عرضه وقيل هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه واكبر ما في نفوسهم مقدار السموات
والارض قاله الزجاج وهو اختيار ابن عباس وقال طارق بن شهاب قال قوم من اهل الحيرة لعمر رضي الله عنه
ارايت قول الله عز وجل وجنة عرضها كعرض السماء والارض فاين النار فقال لهم عمر ارايتم الليل اذا ولى وجاء النهار اين
يكون الليل فقالوا لقد نزعت بما في التورية مثله قوله اعدت للذين امنوا بالله ورسله شرط الايمان لا غير والمعتزلة
وان زعموا ان لفظ الايمان يفيد جملة الطاعات لكنهم اعترفوا بان لفظ الايمان اذا عدي بالباء فانه باق على مفهومه
الاصلي وهو التصديق فالاية حجة عليهم ومما يؤكد ذلك قوله تعالى بعده ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فبين ان الجنة
فضل الله يؤتيها من يشاء سواء اطاع ام عصى قال قيل فيلزمكم ان تقطعوا بحصول الجنة لجميع العصاة وان تقطعوا بانه
لا عقاب لهم فالجواب انا نقطع بحصول الجنة ولا نقطع بنفي العقاب عنهم لانهم اذا عذبوا مدة ثم نقلوا الى الجنة
ويبقوا فيها ابد الاباد فقد كانت الجنة معدة لهم قال قيل فالمرتد قد امن بالله فوجب ان يدخل تحت هذه الاية
قلنا خص من العموم فبقي العموم حجة فيما عداه فصل احتجوا بهذه الاية على ان الجنة مخلوقة قالت المعتزلة
هذه الاية لا يمكن اجراؤها على ظاهرها لوجهين الاول ان قوله تعالى اكلها دائم يدل على ان من صفتها بعد
وجودها ان لا تفنى لكنها لو كانت الان موجودة لفنيت بدليل قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه الثاني ان المخلوقة
الان هي في السماء السابعة ولا يجوز اذا كانت في واحدة منها ان يكون عرضها كعرض كل السموات والارض فثبت
بهذين الوجهين انه لا بد من التاويل وذلك من وجهين احدهما انه تعالى لما كان قادرا لا يصح المنع عليه واذا
كان حكيما لا يصح الخلف في وعده ثم انه تعالى وعد على الطاعة بالجنة فكانت الجنة كالمعدة المهياة لهم تشبيها لما سيقع قطعا
بالواقع كما يقول المرء لصاحبه اعددت لك المكافاة اذا عزم عليها وان لم يوجدها والثاني ان المراد اذا كانت الاخرة
اعدها الله لهم كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار اي اذا كان يوم القيامة نادى والجواب ان قوله كل شيء هالك
عام وقوله اعدت للمتقين مع قوله اكلها دائم خاص والخاص مقدم على العام واما قولهم ان الجنة مخلوقة في السماء
السابعة كما قال عليه السلام في صفة الجنة سقفها عرش الرحمن فاي استبعاد في ان يكون المخلوق فوق الشيء اعظم
منه اليس ان العرش اعظم المخلوقات مع انه مخلوق فوق السماء السابعة قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اي ان الجنة
لا تنال الا بفضل الله ورحمته والله ذو الفضل العظيم قوله من مصيبة فاعل اصاب ومن مزيدة لوجود الشرطين وذكر
فعلها لان التانيث مجازي قوله في الارض يجوز ان يتعلق باصاب وان يتعلق بنفس مصيبة وان يتعلق بمحذوف على انه
صفة لمصيبة وعلى هذا فيصلح ان يحكم على موضعه بالجر نظرا الى لفظ موصوفه وبالرفع نظرا الى محله اذ هو فاعل والمصيبة
غلبت في الشر وقيل المراد بها جميع الحوادث من خير وشر وعلى الاول يقال لم ذكرت دون الخير واجيب بانه انما
خصصها بالذكر لانها اهم على البشر قوله الا في كتاب حال من مصيبة وجاز ذلك وان كانت نكرة لتخصصها اما بالعمل
او بالصفة اي الا مكتوبة قوله من قبل نعت لكتاب ويجوز ان يتعلق به قاله ابو البقاء لانه هنا اسم للمكتوب وليس مصدرا
والضمير في نبراها الظاهر عوده على المصيبة وقيل على الانفس وقيل على الارض وعلى جميع ذلك قاله المهدوي وهو
حسن فصل قال الزجاج انه تعالى لما قال سابقوا الى مغفرة وبين ان المؤدي الى الجنة والنار لا يكون الا بقضاء وقدر
فقال ما اصاب من مصيبة والمعنى لا توجد مصيبة من هذه المصائب الا وهي مكتوبة عند الله والمصيبة في الارض
قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار وغلاء الاسعار وتتابع الجوائح واما المصيبة في الانفس فقيل هي الامراض والفقر
وذهاب الاولاد واقامة الحدود عليها وقيل ضيق المعاش وقيل الخير والشر اجمع لقوله بعد ذلك لكيلا تاسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما اتاكم وقوله الا في كتاب يعني مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ وقوله من قبل ان نبراها قال ابن عباس
من قبل ان نخلق المصيبة وقال سعيد بن جبير من قبل ان نخلق الارض والنفس ان ذلك على الله يسير اي خلق ذلك
وحفظه على الله يسير اي هين قال الربيع بن صالح لما اخذ سعيد بن جبير رضي الله عنه بكيت فقال ما يبكيك قلت
ابكي لما ارى بك ولما تذهب اليه قال فلا تبك فانه كان في علم الله تعالى ان يكون الم تسمع قوله تعالى ما اصاب من
مصيبة في الارض ولا في انفسكم الاية وقال ابن عباس لما خلق الله القلم قال له اكتب فكتب ما هو كائن الى يوم القيامة

وقد ترك جماعة من السلف الدواء في أمراضهم فلم يشتغلوا ثقةً بربهم وتوكلاً عليه وقالوا قد علم الله أيام المرض وأيام الصحة فلو حرص الخلق على تقليل ذلك أو زيادته ما قدروا قال الله تعالى ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الآية ويؤيد هذا قوله عليه السلام من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب **فصل** قيل إن هذه الآية متصلة بما قبلها وهو أن الله تعالى هوّن عليهم ما يصيبهم في الجهاد من قتل وجرح وبيّن أن ما يخلفهم عن الجهاد من المحافظة على الأموال وما يقع فيها من خسران فالكل مكتوب مقدر لا مدفع له وإنما على المرء امتثال الأمر ثم أدّبهم فقال هذا لكيلا تأسوا على ما فاتكم أي حتى لا تحزنوا على ما فاتكم من الرزق وذلك أنهم إذا علموا أن الرزق قد فرغ منه لم يأسوا على ما فاتهم منه وعن ابن مسعود أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجد أحدكم طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ثم قرأ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم أي من الدنيا قاله ابن عباس

فصل قال ابن الخطيب هذه الآية تدل على أن جميع الحوادث الأرضية قبل دخولها في الوجود مكتوبة في اللوح المحفوظ قال المتكلمون وإنما كتب ذلك لوجوه أحدها ليستدل الملائكة بذلك المكتوب على كونه تعالى عالماً بجميع الأشياء قبل وقوعها وثانيها ليعرفوا حكمه فإنه تعالى مع علمه بأنهم يقدمون على المعاصي خلقهم ورزقهم وثالثها ليحذروا عن أمثال تلك المعاصي ورابعها ليشكروا الله تعالى على توفيقه إياهم للطاعات وعصمته إياهم عن المعاصي **فصل** قال ابن الخطيب إن الحكماء قالوا إن الملائكة الذين وصفهم الله بأنهم هم المدبرات أمراً والمقسمات أمراً إنما هي المبادي لحدوث الحوادث في العالم السفلي بواسطة الحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية وتغيراتها هي الأسباب لتلك المسببات وهذا هو المراد من قوله إلا في كتاب مبين **فصل** قوله تعالى ولا في أنفسكم يتناول جميع مصائب الأنفس فيدخل فيها كفرهم ومعاصيهم فالآية دالة على أن جميع أعمالهم بتفاصيلها مكتوبة في اللوح المحفوظ مثبتة في علم الله تعالى فكان الامتناع من تلك الأعمال محالاً لأن علم الله بوجودها منافٍ لعدمها والجمع بين المتنافيين محال وخصص مصائب الأرض والأنفس لتعلقها بنا ولم يقل جميع الحوادث لشمولها حركات أهل الجنة والنار لأنها غير متناهية فإثباتها في الكتاب محال قال ابن الخطيب وفي الآية دليل على أن الله تعالى يعلم الأشياء قبل وقوعها خلافاً لهشام بن الحكم **قوله** لكيلا هذه اللام متعلقة بقوله ما أصاب أي أخبرناكم بذلك لكيلا يحصل لكم الحزن المقنط أو الفرح المطغي فأما ما دون ذلك فالإنسان غير مؤاخذ به وكي هنا ناصبة بنفسها فهي مصدرية فقط لدخول لام الجر عليها وقرأ أبو عمرو بما أتاكم مقصوراً من الإتيان أي بما جاءكم قال أبو علي الفارسي لأن أتاكم معادل لقوله فاتكم فكما أن الفعل للغائب في قوله فاتكم فكذلك الفعل الثاني في قوله بما أتاكم وقرأ باقي السبعة آتاكم ممدوداً من الإيتاء أي بما أعطاكم الله إياه والعائد إلى الموصول في الكلمتين الذكر المرفوع بأنه فاعل وفي الثانية محذوف من الصلة أي بما آتاكموه وقرأ عبد الله بما أوتيتم

فصل قال ابن عباس ليس من أحد إلا وهو يحزن ويفرح ولكن المؤمن يجعل مصيبته صبراً وغنيمته شكراً والحزن والفرح المنهي عنهما هما اللذان يتعدى فيهما إلى ما لا يجوز قال جعفر بن محمد يا ابن آدم ما لك تأسف على مفقود لا يرده عليك الفوت وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت وقيل لبزرجمهر أيها الحكيم ما لك لا تحزن على ما فات ولا تفرح بما هو آت قال لأن الفائت لا يتلافى بالعبرة والآتي لا يستدام بالحبرة وقوله والله لا يحب كل مختال أي متكبر بما أوتي من الدنيا فخور به على الناس وقيل الفخور الذي ينظر الناس بعين الاحتقار **فصل** قال ابن الخطيب المعتزلة وإن نازعوا في القدرة والإرادة ثم مسلمون في العلم والجبر فيلزمهم الجبر باعتبارهما والفلاسفة مذهبهم الجبر لأن سبب الحوادث عندهم الاتصالات الفلكية والقدرية قالوا بأن الحوادث اتفاقية فجميع فرق العقلاء يلزمهم الجبر سواء أقروا به أو أنكروه **فصل** قالت المعتزلة قوله لكيلا تأسوا يدل على أنه إنما أخبرهم بكتبها ليحترزوا عن الحزن والفرح ولولا قدرتهم عليه لم يكن لذلك فائدة ويدل على أنه لا يريد أن يقع منهم الفرح والحزن وهو خلاف قول المجبرة ولأنه قال والله لا يحب كل مختال فخور والمحبة هي الإرادة وأجيبوا بأن المحبة إرادة خاصة وهي إرادة الثواب ولا يلزم من

قوله الذين يبخلون تقدم نظيره في سورة النساء قال القرطبي الذين في موضع خفض نعتاً للمختال وقال ابن الخطيب بدل من قوله كل مختال وقيل رفع بالابتداء فهو كلام مستأنف لا تعلق له بما قبله والمعنى الذين يبخلون فإن الله غني عنهم قيل أراد رؤساء اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم لئلا يؤمن به الناس فيذهب مأكلتهم قاله السدي والكلبي فيكون الذين مبتدأ وخبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد وقال سعيد بن جبير الذين يبخلون يعني بالعلم ويأمرون الناس بالبخل بأن لا يعلموا الناس شيئاً وقال زيد بن أسلم إنه البخل بأداء حق الله تعالى وقال عامر بن عبد الله الأشعري هو البخل بالصدقة والحقوق وقال طاوس هو البخل بما في يديه **فصل** قراءة العامة بالبخل بضم الباء وسكون الخاء وقرأ أنس وعبيد بن عمير ويحيى بن يعمر ومجاهد وابن محيصن وحمزة والكسائي بالبخل بفتحتين وهي لغة الأنصار وقرأ أبو العالية وابن السميفع بالبخل بفتح الباء وإسكان الخاء وعن نصر بن عاصم البخل بضمتين وكلها لغات مشهورة

قال

قال قوم الفرق بين البخل والسخاء من وجهين أحدهما أن البخيل الذي يلتذ بالإمساك والسخي الذي يلتذ بالعطاء الثاني أن البخيل الذي يعطي عند السؤال والسخي الذي يعطي بغير سؤال وتقدم الفرق بين البخل والشح في آخر آل عمران **قوله** ومن يتول أي عن الإيمان فإن الله هو الغني قرأ نافع وابن عامر فإن الله الغني الحميد بإسقاط هو وهو ساقط في مصاحف المدينة والشام والباقون بإثباته وهو ثابت في مصاحفهم فقد وافق كل مصحفه قال أبو علي الفارسي من أثبت هو يحسن أن يكون فصلاً ولا يحسن أن يكون ابتداء لأن الابتداء لا يسوغ حذفه يعني أنه يرجح فصليته بحذفه في القراءة الأخرى إذ لو كان مبتدأ لضعف حذفه لا سيما إذا صلح ما بعده أن يكون خبراً لما قبله ألا ترى أنك لو قلت إن زيداً هو القائم لم يحسن حذف هو لصلاحية القائم خبراً لإن وهذا كما قالوا في الصلة إنه بخلاف العائد المرفوع بالابتداء بشروط منها أن لا يكون ما بعده صالحاً للصلة نحو جاء الذي في الدار أبوه قائم لعدم الدلالة إلا أن للمنازع أن ينازع أبا علي ويقول لا ألتزم تركيب إحدى القراءتين على الأخرى وكم من قراءتين تغاير معناهما كقراءتي والله أعلم بما وضعت ووضعت إلا أن توافق القراءتين في معنى واحد أولى هذا مما لا نزاع فيه ومن أثبت هو فعلى أن يكون فصلاً ويجوز أن يكون مبتدأ والغني خبره والجملة خبر إن قال ابن الخطيب وقوله الحميد كأنه جواب من يقول إذا كان الله عالماً بأنه يبخل فلم أعطاه المال فأجاب بأنه محمود حيث فتح أبواب الرزق مع تقصير العبد في الطاعة **قوله** لقد أرسلنا رسلنا بالبينات قيل هي المعجزات البينة والشرائع الظاهرة وقيل الإخلاص لله تعالى في العبادة وأنزلنا معهم الكتاب أي الكتب التي أوحينا إليهم فيها خبر من كان قبلهم والميزان قال ابن زيد هو ما يوزن به ويتعامل روي أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به ليقوم الناس بالقسط أي بالعدل في معاملاتهم وقيل أراد به العدل قال القشيري وإذا حملناه على الميزان المعروف فالمعنى أنزلنا الكتاب ووضعنا الميزان وهو من باب علفتها تبناً وماءً بارداً ويدل على هذا قوله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان **قوله** معهم حال مقدرة أي صائراً معهم وإنما احتجنا إلى ذلك لأن الرسل لم ينزلوا ومقتضى الكلام أن يصحبوا الكتاب في النزول وأما الزمخشري فإنه فسر الرسل بالملائكة الذين يجيئون بالوحي إلى الأنبياء فالمعية متحققة **قوله** وأنزلنا الحديد روى ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض الحديد والنار والماء والملح وروى عكرمة عن ابن عباس قال أنزل ثلاثة أشياء مع آدم عليه السلام الحجر الأسود وكان أشد بياضاً من الثلج وعصى موسى وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع مع طول موسى والحديد أنزل معه ثلاثة أشياء السندان والكلبتان والميقعة وهي المطرقة ذكره الماوردي وروى الثعلبي عن ابن عباس قال نزل آدم من الجنة ومعه من الحديد خمسة أشياء من آلة الحدادين السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والإبرة وحكاه القشيري قال والميقعة ما يحدد به يقال وقعت الحديد أقعها أي حددتها وفي الصحاح الميقعة الموضع الذي يألفه البازي فيقع عليه وخشبة القصار التي يدق عليها والمطرقة والمسن الطويل وروي أن الحديد أنزل في يوم الثلاثاء فيه بأس شديد أي لإراقة الدماء ولذلك نهي عن الفصد والحجامة في يوم الثلاثاء لأنه يوم جرى فيه الدم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في يوم الثلاثاء ساعة لا يرقأ فيها الدم وقيل أنزلنا الحديد أي أنشأناه وخلقناه كقوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام وهذا قول الحسن فيكون من الأرض غير منزل من السماء وقال أهل المعاني أي أخرج الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه وقوله فيه بأس شديد جملة حالية من الحديد والمراد بالحديد يعني السلاح والجنة وقيل إن فيه من خشية القتل خوفاً شديداً ومنافع للناس قال مجاهد يعني جنة وقيل انتفاع الناس بالماعون الحديد كالسكين والفأس ونحوه **قوله** وليعلم عطف على قوله ليقوم الناس أي لقد أرسلنا رسلنا وفعلنا كيت وكيت ليقوم الناس وليعلم الله وقال أبو حيان علة لإنزال الكتاب والميزان والحديد والأول أظهر لأن نصرة الله ورسله مناسبة للإرسال **قوله** ورسله عطف على مفعول ينصره أي وينصر رسله قال أبو البقاء لا يجوز أن يكون معطوفاً على من لئلا يفصل بين الجار وهو بالغيب وبين ما يتعلق به وهو ينصر قال شهاب الدين وجعله العلة ما ذكره من الفصل بين الجار وبين ما يتعلق به يوهم أن معناه صحيح لولا هذا المانع وليس كذلك إذ يصير التقدير وليعلم الله من ينصره بالغيب وليعلم رسله وهذا معنى لا يصح البتة فلا حاجة إلى ذكر ذلك وبالغيب حال وقد تقدم مثله أول البقرة **فصل** المعنى وليعلم الله من ينصره أي أنزل الحديد ليعلم من ينصره أو ليقوم الناس بالقسط أي أرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم الكتاب وهذه الأشياء ليتعامل الناس بالحق وليرى الله من ينصر دينه وينصر رسله بالغيب أي وهم لا يرونه إن الله قوي عزيز قوي في أخذه عزيز أي منيع غالب وقيل بالغيب أي بالإخلاص **فصل** احتج من قال بحدوث علم الله بقوله وليعلم الله وأجيب بأنه تعالى أراد بالعلم المعلوم فكأنه تعالى قال ولتقع نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم ممن ينصره **فصل** قال الجبائي قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط يدل على أنه تعالى أنزل الميزان والحديد ومراده من العباد أن يقوموا بالقسط وأن ينصروا الرسول وإذا أراد هذا من الكل بطل قول المجبرة إنه أراد من بعضهم خلاف ذلك وأجيب بأنه كيف يمكن أن يريد من الكل ذلك مع علمه بأن ضده

بوجود وايجع بين الضدين محال والمحال غير مراد **قوله** ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم الاية لما اجمل الرسل في قوله لقد ارسلنا رسلنا فصل ههنا ما اجمل من ارسال الرسل بالكتب واخبر انه ارسل نوحا وابرهيم وجعل النبوة في نسلهما بقوله وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب اي جعلنا بعض ذريتهما الانبيا وبعضهم امما يتلون الكتب المنزلة من السما كالتورية والانجيل والزبور والفرقان وقال ابن عباس الكتاب الخط بالقلم **قوله** فمنهم مهتد الضمير يجوز عوده على الذرية وهو اولى لتقدم ذكره لفظا وقيل يعود على المرسل اليهم لدلالة ارسلنا والمرسلين عليهم والمعنى ان منهم مهتد ومنهم فاسق والمراد بالفاسق ههنا قيل الذي ارتكب الكبيرة سوا كان كافرا او لم يكن لاطلاق هذا الاسم وهو يشمل الكافر وغيره وقيل المراد بالفاسق ههنا الكافر لانه جعل الفساق ضد المهتدين **قوله** ثم قفينا على اثارهم اي اتبعنا على اثارهم اي على اثار الذرية وقيل على اثار نوح وابرهيم برسلنا موسى والياس وداود ويونس وغيرهم وقفينا بعيسى بن مريم فهو من ذرية ابرهيم من جهة امه واتيناه الانجيل وهو الكتاب المنزل عليه وقد تقدم اشتقاقه في اول ال عمران وقراه الحسن بفتح الهمزة قال الزمخشري امره اهون من امر البرطيل والسكين فيمن رواها بفتح الفا لان الكلمة اعجمية لا يلزم فيها حفظ ابنية العرب وقال ابن جني قراة الحسن بفتح الهمزة مثال مبالغة لا نظير له لانه افعيل وهو عندهم من نجلت الشي اذا استخرجته لانه يستخرج الاحكام قال ابن الخطيب وغالب الظن انه ما قراه الا عن سماع وله وجهان احدهما انه شاذ كما حكي بعضهم في البرطيل والثاني انه ظن الانجيل اعجميا فحرف مثاله تنبيها على كونه اعجميا **قوله** وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه على دينه يعني الحواريين واتباعهم رافة ورحمة قرا الحسن رافه بزنة فعاله قال مقاتل المراد من الرافه والرحمه المودة فكان يواد بعضهم بعضا كما وصف الله تعالى اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بقوله رحما بينهم وقيل هذا اشارة الى انهم امروا في الانجيل بالصفح وترك ايذا الناس والان الله قلوبهم لذلك بخلاف اليهود الذين قست قلوبهم وحرفوا الكلم عن مواضعه والرافه اللين والرحمه الشفقه وقيل الرافه تخفيف الكل والرحمه تحمل الثقل وقيل الرافه اشد من الرحمه وتم الكلام **فصل** دلت هذه الاية على ان فعل العبد خلق لله تعالى لانه حكم بان هذه مجعولة له وحكم بانهم ابتدعوا تلك الرهبانية قال القاضي المراد بذلك انه تعالى لطف بهم حتى قويت دواعيهم الى الرهبانية التي هي تحمل الكلفة الزايدة على ما يجب والجواب ان هذا ترك للظاهر من غير دليل وان سلمنا ذلك فهو تحصيل مقصود لان حال الاستوا يمتنع حصول الرجحان لان حصول الرجحان عند الاستوا ممتنع فعند المرجوحية اولى بان يصير ممتنعا واذا امتنع المرجوح وجب الراجح ضرورة انه لا خروج عن طرفي النقيض **قوله** ورهبانية ابتدعوها في انتصابها وجهان احدهما انها معطوفة على رافة ورحمة وجعل اما بمعنى خلق او بمعنى صير وابتدعوها على هذا صفة لرهبانية وانما خصت بذكر الابتداع لان الرافة والرحمة في القلب امر غريزة لا يكسب للانسان فيها بخلاف الرهبانية فانها افعال البدن وللانسان فيها تكسب الا ان ابا البقا منع هذا الوجه بان ما جعله الله لا يبتدعونه وجوابه ما تقدم من انه لما كانت مكتسبة صح ذلك فيها وقال ايضا وقيل هو معطوف عليها وابتدعوها نعت له والمعنى فرض عليهم لزوم رهبانية ابتدعوها ولهذا قال ما كتبناها عليهم الا ابتغا رضوان الله والوجه الثاني انها منصوبة بفعل مقدر يفسره الظاهر قال ابو علي ابتدعوا رهبانية ابتدعوها وتكون المسألة من الاشتغال واليه نحا الفارسي والزمخشري وابو البقا وجماعة الا ان هذا يقال انه اعراب المعتزلة وذلك انهم يقولون ما كان من فعل الانسان فهو مخلوق له فالرحمة والرافة لما كانت من فعل الله نسب خلقهما اليه والرهبانية لما لم تكن من فعل الله تعالى بل من فعل العبد يستقل بفعلها نسب ابتداعها اليه ورد عليهم ابو حيان هذا الاعراب من حيث الصناعة وذلك ان من حق الاسم المشتغل عنه ان يصلح للرفع بالابتدا ورهبانية نكرة لا مسوغ للابتدا بها فلا يصلح نصبها على الاشتغال قال شهاب الدين وفيه نظر لانا لا نسلم اولا اشتراط ذلك ويدل عليه قراة من قرا سورة انزلناها بالنصب على الاشتغال كما تقدم تحقيقه ولئن سلمنا ذلك فثم مسوغ وهو العطف ومن ذلك قوله

عندي اصطبار وشكوى عند قاتلتي ... فهل باعجب من هذا امرؤ سمعا

وقول الاخر

تعشي ونجم قد اضاء فمذ بدا ... محياك اخفى ضوءه كل شارق

ذكر ذلك ابن مالك والرهبانية منسوبة الى الرهبان وهو فعلان من رهب كقولهم الخشيان من خشي وقد تقدم معنى هذه المادة في سورة المايدة وقرئ بضم الرا قال الزمخشري كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان قال ابو حيان والاولى ان يكون منسوبا الى رهبان يعني بالفتح وغير لان النسب باب تغيير ولو كان منسوبا للرهبان الجمع لرد الى مفرده الا ان كان قد صار كالعلم فانه ينسب اليه كالابصار **فصل** والمراد من الرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين متحملين كلفا زايدة على العبادات التي كانت واجبة عليهم من الخلوة واللباس الخشن والاعتزال عن النسا والتعبد في الغيران والكهوف روى ابن عباس ان في ايام الفترة

بين عيسى ومحمد عليهما السلام غير الملوك التورية والانجيل فساح نفر وبقي نفر قليل فترهبوا وتبتلوا قال الضحاك ان ملوكا بعد عيسى عليه السلام ارتكبوا المحارم ثلاث مائة سنة فانكرها عليهم من كان بقي على منهاج عيسى فقتلوهم فقال قوم بقوا بعدهم نحن اذا نهيناهم قتلونا فليس يسعنا المقام بينهم فاعتزلوا الناس واتخذوا الصوامع وقال قتادة الرهبانية التي ابتدعوها رفض النسا واتخاذ الصوامع وفي خبر مرفوع هي لحوقهم بالبراري والجبال **قوله** ما كتبناها صفة لرهبانية ويجوز ان يكون استيناف اخبار بذلك قال ابن زيد معناه ما فرضناها عليهم ولا امرناهم بها **قوله** الا ابتغا رضوان الله فيه اوجه احدها انه استثنا متصل مما هو مفعول من اجله والمعنى ما كتبناها عليهم لشي من الاشيا الا لابتغا مرضات الله ويكون كتب بمعنى قضى فصار المعنى كتبناها عليهم ابتغا مرضات الله وهذا قول مجاهد والثاني انه منقطع قال الزمخشري ولم يذكر غيره اي ولكنهم ابتدعوها والى هذا ذهب قتادة وجماعة قالوا معناه لم يفرضها عليهم ولكنهم ابتدعوها الثالث انه بدل من الضمير المنصوب في كتبناها قاله مكي وهو مشكل كيف يكون بدلا وليس هو الاول ولا بعضه ولا مشتملا عليه وقد يقال انه بدل اشتمال لان الرهبانية الخالصة المرعية حق الرعاية قد يكون فيها ابتغا رضوان الله ويصير نظير قولك الجارية ما احببتها الا ادبها فادبها بدل من الضمير في احببتها بدل اشتمال وهذا نهاية التمحل لصحة هذا القول والضمير المرفوع في رعوها عايد على من تقدم والمعنى انهم لم يدوموا كلهم على رعايتها وان كان وجد هذا في بعضهم وقيل يعود على الملوك الذين حاربوهم وقيل على الحق نصب على المصدر قال القرطبي وقيل الا ابتغا استثنا منقطع والتقدير ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها ابتغا رضوان الله فما رعوها حق رعايتها اي ما قاموا بها حق القيام بل ضموا اليها التثليث والاتحاد واقام اناس منهم على دين عيسى عليه السلام حتى ادركوا نبينا محمدا عليه السلام فامنوا به فهو قوله تعالى فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون وقيل معناه انما كتبناها عليهم تلك الرهبانية الا ليتوسلوا بها الى مرضات الله تعالى ثم انهم اتوا بتلك الافعال لغير هذا الوجه وهو طلب الدنيا والريا والسمعة وقيل معناه انا كتبناها عليهم فتركوها فيكون ذلك ذما لهم لتركهم الواجب وقيل ان الذين لم يرعوها حق رعايتها هم الذين ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم ولم يومنوا به **فصل** دلت هذه الاية على ان كل محدث بدعة فينبغي لمن ابتدع خيرا ان يدوم عليه ولا يعدل عنه الى ضده فيدخل في الاية وعن ابي امامة الباهلي واسمه صدي بن عجلان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال احدثتم قيام رمضان ولم يكتب عليكم انما كتب عليكم الصيام فدوموا على القيام اذ فعلتموه ولا تتركوه فان ناسا من بني اسرايل ابتدعوا بدعا ولم يكتبها الله عليهم ابتغوا بها رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فعابهم الله تعالى بتركها فقال ورهبانية ابتدعوها الاية **فصل** ودلت الاية على العزلة عن الناس وذلك مندوب اليه عند فساد الزمان وتغير الاحوال والاخوان **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله اي امنوا بموسى وعيسى اتقوا الله وامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم يوتكم كفلين من رحمته اي مثلين من الاجر على ايمانهم بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهذا نظير قوله تعالى اولئك يوتون اجرهم مرتين والكفل الحظ والنصيب وقد تقدم وهو في الاصل كسا يكتفل به الراكب يحفظه من السقوط قاله ابن جرير وقال الازهري اشتقاقه من الكسا الذي يحويه راكب البعير على سنامه ليلا يسقط والمعنى يوتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة المعاصي كما يحفظ الكفل الراكب وقال ابو موسى الاشعري كفلين ضعفين بلسان الحبشة وقال ابن زيد كفلين اجر الدنيا والاخرة وقيل لما نزلت اولئك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا افتخر مومنوا اهل الكتاب على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية **فان قيل** انه تعالى لما اتاهم كفلين واعطى المومن كفلا واحدا كان حالهم اعظم **فالجواب** انه لا يبعد ان يكون النصيب الواحد ازيد قدرا من النصيبين روى ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة يوتون اجرهم مرتين رجل كانت له جارية فادبها واحسن ادبها ثم اعتقها وتزوجها ورجل من اهل الكتاب امن بكتابه وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد احسن عبادة الله ونصح سيده **قوله تعالى** ويجعل لكم نورا قال مجاهد اي بيانا وهدى وقال ابن عباس هو القران وقيل ضيا تمشون به في الاخرة على الصراط وفي القيامة الى الجنة وهو النور المذكور في قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وقيل تمشون به في الناس تدعونهم الى الاسلام فتكونوا رؤسا في دين الاسلام لا تزول عنكم رياسة كنتم فيها وذلك انهم خافوا ان تزول رياستهم لو امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما كان يفوتهم اخذ رشوة يسيرة من الضعفة بتحريف احكام الله لا الرياسة الحقيقية في الدين ثم قال ويغفر لكم ذنوبكم اي ما اسلفتم من المعاصي والله غفور رحيم **قوله تعالى** ليلا يعلم هذه اللام متعلقة بمعنى الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتومنوا برسوله يوتكم كذا وكذا ليلا يعلم وفي لا هذه وجهان اشهرهما عند النحاة والمفسرين انها مزيدة كهي في ما منعك ان لا تسجد والتقدير اعلمكم الله بذلك ليعلم اهل الكتاب عدم قدرتهم وانهم الذين لا يرجعون على خلاف في هاتين الايتين

على شئ من فضل الله وثبوت ان الفضل بيد الله وهذا اوضح بينا وليس فيه الا زيادة ما تثبت زيادته شايعا اذ ابعا والثا
انها غير مزيدة والمعنى لئلا يعلم اهل الكتاب عجز المؤمنين نقل ذلك ابو البقا وهذا لفظه وكان قال قبل ذلك لا زايدة
والمعنى ليعلم اهل الكتاب عجزهم وهذا غير مستقيم لان المؤمنين عاجزون ايضا عن شئ من فضل الله وكيف يعمل
هذا القايل بقوله وان الفضل بيد الله فانه معطوف على مفعول العلم المنفي فيصير التقدير لئلا يعلم اهل الكتاب
ان الفضل بيد الله وهذا لا يستقيم نفي العلم به البتة فلا جرم كان قولا مطرحا وقرا العامة لئلا بكسر لام كي وبعدها
همزة مفتوحة مخففة وورش يبدلها يا محضة وهو تخفيف قياسي نحو مية وفية في مائة وفئة ويدل على زيادة لا
قراءة عبد الله وابن عباس وعكرمة والجحدري وعبد الله بن سلمة ليعلم باسقاطها وقراه حطان بن عبد الله
لين تعلم باظهار النون والجحدري ايضا والحسن ليبعلم واصلها كالتي قبلها لين يعلم فابدل الهمزة يا لانفتاحها بعد كسرة وقد
تقدم انه قياس كقراءة ورش لئلا ثم ادغم النون في اليا قال ابو حيان بغير غنة كقراءة خلف ان يضرب بغير غنة
انتهى فصار اللفظ ليبعلم وقوله بغير غنة ليس عدم الغنة شرطا في صحة هذه المسئلة بل جا على سبيل الاتفاق
ولو ادغم بغنة لجاز ذلك وسقوطها في هذه القراءات يويد زيادتها في المشهورة وقرا الحسن ايضا فيما روى
عنه ابو بكر بن مجاهد ليلا يعلم بلام مفتوحة ويا ساكنة كاسم المراة ورفع الفعل بعدها وتخريجها على ان اصلها
لان لا على انها لام الجر ولكن فتحت على لغة مشهورة معروفة وانشدوا ... اريد لانسى ذكرها ... بفتح اللام وحذف
الهمزة اعتباطا وادغمت النون في اللام فاجتمع ثلاثة امثال فثقل النطق به فابدل الوسط يا تخفيفا فصار
اللفظ ليلا كما ترى ورفع الفعل لان ان هي المخففة لا الناصبة واسمها على ما تقرر ضمير الشان وفصل بينها وبين
الفعل الذي هو خبرها حرف النفي وقرا الحسن ايضا فيما روى عنه قطرب ليلا بلام مكسورة ويا ساكنة ورفع الفعل
وهي كالتي قبلها في التخريج غاية ما في الباب انه جا بلام الجر مكسورة كما هي في اللغة الشهيرة وروى عن ابن عباس لكي
يعلم وعن عبد الله لكيلا وهذه كلها مخالفة للسواد الاعظم ولسواد المصحف وقرا العامة ان لا يقدرون بثبوت
النون على ان هي المخففة وعبد الله بحذفها على ان هي الناصبة وهذا شاذ جدا لان العلم لا يقع بعده الناصبة
وقوله يوتيه من يشا الظاهر انه مستانف وقيل هو خبر ثان عن الفضل وقيل هو الخبر وحده والجار قبله
حال وهي حال لازمة لان كونه بيد الله لا ينتقل البتة **فصل** نقل ابن الخطيب عن الواحدي انه قال هذه
الاية مشكلة وليس للمفسرين فيها قول واضح في كيفية اتصال هذه الاية بما قبلها واعلم ان اكثر المفسرين
على ان لا ههنا صلة زايدة والتقدير ليعلم اهل الكتاب وقال ابو مسلم وجماعة ان لا ليست زايدة ونحن نفسر
الاية على القولين بعون الله وتوفيقه اما على القول بزيادتها فاعلم انه لا بد ههنا من تقدير مقدمة وهي ان
اهل الكتاب كانوا يقولون ان الوحي والرسالة فينا والكتاب والشرع ليس الا لنا وان الله تعالى خصنا بهذه الفضيلة
العظيمة من بين جميع العالمين اذا عرف هذا فنقول انه تعالى لما امر اهل الكتاب بالايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم ووعدهم الاجر العظيم في ذلك الايمان اتبعه بهذه الاية والغرض منها ان يزيل عن قلبهم اعتقادهم
بان النبوة مختصة بهم فقال انما بالغنا في هذا البيان ليعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون على شئ من فضل الله لقوم
معينين ولا يمكنهم حصر الرسالة والنبوة في قوم مخصوصين وان الفضل بيد الله يوتيه من يشا ولا اعتراض عليه في
ذلك اصلا واما القول بان لا غير زايدة فاعلم ان الضمير في قوله لا يقدرون عايد الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى
اصحابه رضي الله عنهم والتقدير لئلا يعلم اهل الكتاب ان النبي والمومنين لا يقدرون على شئ من فضل الله فانهم اذا
لم يعلموا انهم لا يقدرون عليه فقد علموا انهم يقدرون عليه ثم قال وان الفضل بيد الله فيصير التقدير انا جعلنا
كذا وكذا لئلا يعتقد اهل الكتاب انهم يقدرون على حصر فضل الله في اقوام معينين وليعتقدوا ان الفضل بيد الله
واعلم ان هذا القول ليس فيه الا انا اضمرنا فيه زيادة فقلنا في قوله وان الفضل بيد الله تقديره وليعتقدوا
ان الفضل بيد الله واما القول الاول فقد افتقر فيه الى حذف شئ موجود ومن المعلوم ان الاضمار اولى من
الحذف لان الكلام اذا افتقر الى الاضمار لم يوهم ظاهره باطلا اصلا واما اذا افتقر الى الحذف كان ظاهره موهما
للباطل فعلمنا ان هذا القول اولى **فصل** قال قتادة حسد اهل الكتاب المسلمين فنزلت لئلا يعلم اهل الكتاب
اي لان يعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون على شئ من فضل الله وان الفضل بيد الله وقال مجاهد قالت اليهود
اليهود يوشك ان يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا فنزلت لئلا يعلم اي ليعلم اهل
الكتاب الا يقدرون يعني انهم لا يقدرون كقوله الا يرجع اليهم قولا والمراد من فضل الله قبل الاسلام وقيل الثواب
وقال الكلبي من رزق الله وقيل نعم الله التي لا تحصى وان الفضل بيد الله ليس بايديهم فيصرفون النبوة عن محمد صلى
الله عليه وسلم الى من يحبون وقيل ان الفضل بيد الله اي هو له يوتيه من يشا روى البخاري عن ابن عمر قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قايم على المنبر يقول انما بقاوكم فيما سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة

العصر الى غروب الشمس اعطي اهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم
اعطي اهل الانجيل الانجيل فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطيتم القران فعملتم به حتى غربت
الشمس فاعطيتم قيراطين قيراطين قال اهل التوراة ربنا هولاء اقل عملا واكثر اجرا قال هل ظلمتكم من اجركم شيا قالوا
لا قال فذلك فضلي اوتيه من اشا وفي رواية فغضبت اليهود والنصارى وقالوا ربنا الحديث

سورة المجادلة

في قول الجميع الا رواية عن عطا ان العشر الاول منها مدني وباقيها مكي وقال الكلبي نزلت جميعا بالمدينة غير قوله تعالى
ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم نزلت بمكة وهي ثنتان وعشرون اية واربع مائة وثلاث وسبعون كلمة والف
وسبع مائة واثنان وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها قد
هنا للتوقع قال الزمخشري لانه عليه السلام والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك
ما يفرج عنها واظهار الدال عند السين قراءة الجماعة الا ابا عمرو والاخوين ونقل عن الكسائي انه قال من بين الدال
عند السين فلسانه اعجمي وليس بعربي وهذا غير معرج عليه وفي زوجها اي في شانه من ظهاره اياها **فصل**
التي اشتكت هي خولة بنت ثعلبة وقيل بنت حكيم وقيل بنت خويلد قال الماوردي وليس هذا بمختلف لان
ابوها والاخر جدها فنسبت الى كل واحد منهما قيل كانت وقيل هي ابنة صامت وقيل امة لعبد الله بن ابي وهي التي
انزل الله فيها ولا تكرهوا فتياتكم على البغا ان اردن تحصنا لانه كان يكرهها على الزنا وقيل هي قال النحاس وهذا ليس
يجوز ان تنسب مرة الى ابيها ومرة الى امها ومرة الى جدها ويجوز امة كانت لعبد الله بن ابي
لها انصارية بالولا لانه كان في عداد الانصار وانه كان من المنافقين نقله القرطبي وقيل اسمها جميلة وخولة اصح وزوجها
اوس بن الصامت اخو عبادة بن الصامت وروي ان عمر بن الخطاب مر بها في خلافته وهو على حمار والناس معه
فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك امير المومنين فاتق الله
يا عمر فانه من ايقن بالموت خاف الفوت ومن ايقن بالحساب خاف العذاب وهو واقف يستمع كلامها فقيل له يا امير
المومنين اتقف لهذه العجوز هذا الوقوف فقال والله لو حبستني من اول النهار الى اخره لا زلت الا للصلاة المكتوبة
اتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات ايسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه
عمر وقالت عايشة تبارك الذي وسع سمعه كل شئ اني لاسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي
زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يا رسول الله اكل شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبرت سني وانقطع
ولدي ظاهر مني اللهم اني اشكو اليك فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الايات قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها
الاية روي انها كانت حسنة الجسم فراها زوجها ساجدة فنظر عجيزتها فاعجبه امرها فلما انصرفت ارادها فابت
فغضب عليها قال عروة وكان امرا به لمم فاصابه بعض لممه فقال لها انت علي كظهر امي وكان الايلا والظهار من
الطلاق في الجاهلية فسالت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها حرمت عليه فقالت والله ما ذكر طلاقا وانه ابو
ولدي واحب الناس الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي فقد
طالت صحبتي ونفضت له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه ولم اومر في شانك
بشئ فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت
وقالت اشكو الى الله فاقتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا وجعلت
ترفع راسها الى السما وتقول اللهم اني اشكو اليك فانزل على لسان نبيك وكان هذا اول ظهار في الاسلام فانزل
الله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك الاية فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زوجها وقال ما حملك على ما صنعت
فقال الشيطان فهل من رخصة فقال نعم وقرا عليه الاربع ايات فقال له هل تستطيع الصوم فقال لا والله
فقال هل تستطيع العتق فقال لا والله اني ان اخطاني ان اكل في اليوم مرة او مرتين لكل بصري ولظننت اني اموت
قال فاطعم ستين مسكينا فقال ما اجد الا ان تعينني منك بعون وصلة فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بخمسة عشر صاعا واخرج اوس من عنده مثله فتصدق به على ستين مسكينا **فصل** قال ابو سليمان الخطابي ليس
المراد من قوله في هذا الخبر وكان به لمم الخبل والجنون اذ لو كان به ثم ظاهر في تلك الحال لم يكن يلزمه شئ بل معنى
اللمم ههنا الالمام بالنسا وشدة الحرص والتوقان اليهن **فصل** اعلم ان الظهار كان من اشد طلاق الجاهلية
لانه في التحريم اوكد ما يمكن فان كان ذلك الحكم صار مقررا في الشرع كانت الاية ناسخة له والا لم يعد نسخا
لان النسخ انما يدخل في الشرايع لا في عادة الجاهلية لكن الذي روي انه عليه السلام قال لها حرمت او ما اراك

الا انها حرمت كالدلالة على انه كان شرعا، فاما ما روي من انه توقف في الحكم فلا بد له من ذلك، وفي الاية دليل على ان من انقطع
رجاؤه عن الخلق ولم يبق له في مهمه احد سوى الخالق كفاه الله ذلك المهم **فصل** اعلم انه تعالى حكى عن هذه المرأة
امرين، احدهما المجادلة وهو قوله تعالى تجادلك في زوجها اي في شأن زوجها وتلك المجادلة هي انه عليه السلام كلما
قال لها حرمت عليه قالت والله ما ذكر طلاقا، والثاني شكواها الى الله فاقتها ووحدتها وقولها ان لي صبية صغارا
فصل قال القرطبي الاصل في السماع ادراك المسموعات وهو اختيار ابي الحسن، وقال ابن فورك الصحيح انه
ادراك المسموع، وقال الحاكم ابو عبد الله السميع هو المدرك للاصوات التي يدركها المخلوقون باذانهم من غير ان يكون
له اذن وذلك راجع الى ان الاصوات لا تخفى عليه وان كان غير موصوف بالحس المركب في الاذن كالاصم من الناس لما لم
يكن له هذه الحاسة لم يكن اهلا لادراك الصوت، والسمع والبصر صفتان كالعلم والقدرة والحياة والارادة فهما
من صفات الذات لم يزل الخالق سبحانه متصفا بهما، وقرئ تحاورك اي تراجعك الكلام **قوله** وتشتكي الى الله يجوز
فيه وجهان اظهرهما انه عطف على تجادلك فهي صلة ايضا، والثاني انها في موضع نصب على الحال اي تجادلك شاكية
حالها الى الله، وكذا الجملة من قوله والله يسمع تحاوركما والحالية فيها ابعد وشكى واشتكى بمعنى واحد، والتحاور
المراجعة في الكلام حار الشيء يحور حورا اي رجع يرجع رجوعا، ومنه نعوذ بالله من الحور بعد الكور وكلمته فما حار بكلمة
اي فاجاب والله سميع بصير اي يسمع كلام من يناديه ويبصر من يتضرع اليه **قوله** الذين يظهرون، تقدم الخلاف
في تظهرون في سورة الاحزاب، وكذا في اللاي، وقرأ ابي هنا يتظاهرون وعنه ايضا يتظهرون وفي الذين وجهان
احدهما انه مبتدأ وخبره قوله ما هن امهاتهم الثاني انه منصوب بـبصير على مذهب سيبويه في جواز اعمال فعيل
قاله مكي يعني ان سيبويه يجعل فعيلا من امثلة المبالغة وهو مذهب مطعون فيه على سيبويه لانه استدل على اعماله بقول
الشاعر، حتى شاها كليل موهنا عمل، باتت طرابا وبات الليل لم ينم، ورد عليه بان موهنا ظرف زمان
والظروف يعمل فيها روائح الافعال والمعنى يأبى ما قاله مكي، وقرأ العامة امهاتهم بالنصب على اللغة الحجازية الفصحى كقوله
ما هذا بشرا، وعاصم في رواية بالرفع على اللغة التميمية وان كانت بني العباس لعدم اختصاص الحرف، وقرأ عبد الله
بامهاتهم بزيادة الباء وهي تحتمل اللغتين، وقال الزمخشري وزيادة الباء في لغة من ينصب، قال شهاب الدين
هذا هو مذهب ابي علي يرى ان الباء لا تزاد الا اذا كانت ما عاملة فلا تزاد في التميمية ولا في الحجازية اذا منع من عملها
مانع نحو ما ان زيد بقائم وهذا مردود بقول الفرزدق وهو تميمي

لعمرك ما معن بتارك حقه ... ولا منسئ معن ولا متيسر

ويقول الاخر

لعمرك ما ان ابو مالك بواه ... ولا بضعيف قواه

فزادها مع ما الوانع بعدها ان
فصل ذكر الظهر كناية عن معنى الركوب والادمية انما يركب بطنها ولكن كني عنه بالظهر لان ما يركب من غير الادميات
فانما يركب ظهره فكني بالظهر عن الركوب ويقال نزل عن امرأته اي طلقها كانه نزل عن مركوبه، ومعنى انت علي كظهر
امي اي انت علي محرمة لا تحلين لي كركوبك نقله القرطبي ونقل ابن الخطيب عن صاحب النظم انه ليس ماخوذا من الظهر
الذي هو عضو من الجسد لانه ليس الظهر باولى بالذكر في هذا الموضع من سائر الاعضاء التي هي مواضع المباضعة
والتلذذ بل الظهر هاهنا ماخوذ من العلو ومنه قوله تعالى فما استطاعوا ان يظهروه اي يعلوه وكذلك امرأة
الرجل ظهره لانه يعلوها بملك البضع وان لم يكن من ناحية الظهر فكان امرأة الرجل مركبا للرجل وظهرا له ويدل
على صحة هذا المعنى ما نقل عن العرب انهم يقولون في الطلاق نزلت عن امرأتي اي طلقتها وفي قولهم انت علي كظهر
امي حذف واضمار لان تاويله ظهرك علي اي ملكي اياك وعلوي عليك حرام كما علوي على امي وملكها علي **فصل**
حقيقة الظهار تشبيه ظهر بظهر والموجب للحكم منه تشبيه ظهر محلل بظهر محرم ولهذا اجمع الفقهاء على ان من قال لزوجته
انت علي كظهر امي انه مظاهر، وقال اكثرهم اذا قال لها انت علي كظهر ابنتي او اختي او من تحرم عليه على التابيد من
ذوات المحارم انه مظاهر **فصل** والفاظ الظهار صريح وكناية، فالصريح انت علي كظهر امي وانت عندي وانت
مني وانت معي كظهر امي وكذلك انت علي كبطن امي او كرأسها او فرجها ونحوه، وكذلك فرجك او رأسك او ظهرك
او بطنك او رجلك علي كظهر امي فهو مظاهر مثل قوله يدك او رجلك او رأسك او فرجك طالق تطلق عليه ومتى شبهها
بامه او جاهدي جدا نه من قبل ابيه او امه فهو ظهار بلا خلاف وان شبهها بغيرهن من ذوات المحارم التي لا تحل له
بحال كالبنت والاخت والعمة والخالة كان مظاهرا عند اكثر الفقهاء، والكناية ان يقول انت علي كامي او مثل امي
فانه يعتبر فيه النية فان اراد الظهار كان ظهارا وان لم ينو الظهار لم يكن مظاهرا على خلاف في ذلك قال شبه
امرأته باجنبية فان ذكر الظهر كان ظهارا وان لم يذكر الظهر فقيل يكون ظهارا وقيل طلاقا، وقال ابو حنيفة والشافعي
لا يكون شيئا قيل وهذا فاسد لانه شبه محللا من المرأة بمحرم فاشبه الظهر نقله القرطبي، فان قال انت علي حرام
كظهر امي كان ظهارا ولم يكن طلاقا لان قوله انت حرام يحتمل التحريم بالطلاق فيكون طلقة، ويحتمل التحريم بالظهار فلما

فلما صرح به كان تفسيرا لاحد الاحتمالين يقضي به فيه **فصل** والظهار لازم في كل زوجة مدخول بها او غير مدخول بها من
كل زوج يجوز طلاقه، وقال مالك يجوز الظهار من كل من يجوز له وطؤها من امائه اذا ظاهر منهن لزمه الظهار فيهن، وقال
غيره لا يلزم، قال ابن العربي وهي مسئلة عسرة جدا لان مالكا يقول اذا قال لامته انت علي حرام لا يلزم فكيف يبطل
فيها صريح التحريم وتصح كنايته **فصل** ولا يلزم الظهار قبل النكاح اذا نكح التي ظاهر منها عند مالك ولا يلزم عند غيره
لقوله تعالى من نسائهم واذا ظاهر الذي يصح ظهاره كما يصح طلاقه، وقال مالك لا يلزم ظهاره لانه لا يصح تكفيره بالصيام
وهذا منقوض بظهار العبد وهو لا يكفر بالعتق والاطعام **فصل** لا يصح ظهار المرأة من زوجها وعليها كفارة يمين
انما الظهار على الرجال لان الحل والعقد في النكاح بيد الرجال ليس بيد المرأة منه شيء، وقال الحسن بن زياد هي
مظاهرة، وقال الزهري ارى ان تكفر كفارة الظهار، وقال محمد بن الحسن لا شيء عليها **فصل** واذا ظاهر
حال غضبه لزمه حكم الظهار للحديث ويصح ظهار السكران وطلاقه، واذا ظاهر من نسائه بكلمة واحدة فكفارة
واحدة، وان ظاهر منهن بكلمات فعليه لكل واحدة كفارة، واذا قال لاربع نسوة ان تزوجتكن فانتن علي كظهر
امي فتزوج احداهن لم يقربها حتى يكفر ثم قد سقط عنه اليمين في سائرهن وقيل لا يطأ البواقي منهن حتى يكفر، فان قال
لامرأته انت علي كظهر امي وانت طالق البتة لزمه الطلاق والظهار معا ولم يكفر حتى ينكحها بعد زوج ولا يطأها اذا نكحها
حتى يكفر فان قال لها انت طالق البتة وانت علي كظهر امي لزمه الطلاق ولم يلزمه الظهار لان المبتوتة لا يلحقها طلاق
ولا ظهار، ويصح الظهار الموقت كما لو قال انت اليوم علي كظهر امي فانه يصح ويبطل بمضي اليوم، وقال مالك يتابد **قوله** منكم
توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لانه كان من ايمان الجاهلية خاصة دون سائر الامم، وقوله ما هن امهاتهم
اي ما نساؤهم بامهاتهم ان امهاتهم الا اللاي ولدنهم اي الا الوالدات **قوله** منكرا من القول وزورا، نعتان
لمصدر محذوف اي قولا منكرا وزورا اي كذبا وبهتانا قاله مكي وفيه نظر اذ يصير التقدير ليقولون قولا منكرا
من القول فيصير قوله من القول لا فائدة فيه، والاولى ان يقال نعتان لمفعول محذوف لفهم المعنى اي ليقولون
شيئا منكرا من القول لتفيد الصفة غير ما افاده الموصوف، والمنكر من القول ما لا يعرف في الشرع والزور الكذب
وان الله لعفو غفور اذ جعل الكفارة عليهم مخلصة لهم من هذا القول المنكر، وقيل لعفو غفور اما من قبل التوبة
لمن يشاء كما قال تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء او بعد التوبة **فان قيل** المظاهر انما قال انت علي كظهر امي فشبهه
بامه ولم يقل انها امه فما معنى انه جعله منكرا من القول وزورا والزور الكذب وهذا ليس بكذب **فالجواب**
ان قوله ان كان خبرا فهو كذب وان كان انشاء فكذلك لانه جعله سببا للتحريم والشرع لم يجعله سببا لذلك وايضا
فانما وصف بذلك لان الام مؤبدة التحريم والزوجة لا يتابد تحريمها بالظهار وهذا ضعيف لان المشبه لا يلزم ان
يساوي المشبه به من كل وجه **فان قيل** قوله الا اللاي ولدنهم يقتضي ان لا ام الا الوالدة وهذا مشكل لقوله
تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم وقوله تعالى وازواجه امهاتهم والحمل على حرمة النكاح لا يفيد اذ لا يلزم من عدم
كون الزوجة اما عدم الحرمة وظاهر الاية الاستدلال بعدم الامومة على عدم الحرمة **فالجواب** انا نقول هذه الزوجة
ليست بام حتى تحصل الحرمة بسبب الامومة ولم يرد الشرع بجعل هذه اللفظة سببا للتحريم فاذن لا تحصل الحرمة هناك
البتة فكان وصفهم لها بالحرمة كذبا وزورا **قوله** والذين يظهرون، مبتدأ، وقوله فتحرير رقبة مبتدأ وخبره مقدر اي فعليهم
او فاعل بفعل مقدر اي فيلزمهم تحرير او خبر مبتدأ مضمر اي فالواجب عليهم تحرير على التقادير الثلاثة فالجملة خبر المبتدأ ودخلت
الفاء لما تضمنه المبتدأ من معنى الشرط **قوله** ثم يعودون لما قالوا، في هذه اللام اوجه احدها انها متعلقة بيعودون
وفيه معان احدها والذين من عادتهم انهم كانوا يقولون هذا القول في الجاهلية ثم يعودون لمثله في الاسلام، الثاني
ثم يتداركون ما قالوا لان المتدارك للامر عائد اليه ومنه عاد غيث على ما افسد اي تداركه بالاصلاح، والمعنى ان تدارك
هذا القول وتلافيه بان يكفر حتى يرجع حالهما كما كانت قبل الظهار، الثالث ان يراد بما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار
تنزيلا للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكر في قوله تعالى ونرثه ما يقول، والمعنى ثم يريدون العود للتماس قاله الزمخشري
وهذا الثالث هو معنى ما روي عن مالك والحسن والزهري ثم يعودون للوطء اي يعودون لما قالوا انهم لا يعودون اليه
فاذا ظاهر ثم وطئ لزمت الكفارة عند هؤلاء، الرابع لما قالوا اي يقولونه ثانيا فلو قال انت علي كظهر امي مرة واحدة
لم يلزمه كفارة لانه لم يعد لما قال وهذا منقول عن بكير بن عبد الله الاشج وابي حنيفة وابي العالية والفراء في اخرين
وهو مذهب اهل الظاهر، قال ابن العربي وهذا القول باطل قطعا لان قصص المتظاهرين قد رويت وليس في ذكر الكفارة
عليهم ذكر لعود القول منهم والمعنى ايضا ينقضه لان الله تعالى وصفه بانه منكر من القول وزور فكيف يقال اذا اعدت
القول المحرم والسبب المحظور وجبت عليك الكفارة وهذا لا يعقل الا ترى ان كل سبب يوجب الكفارة لا يشترط فيه الاعادة
من قتل ووطء في صوم، الخامس ان المعنى ان يعزم على امساكها فلا يطلقها بعد الظهار حتى يمضي زمن يمكن ان يطلقها فيه
فهذا هو العود لما قال وهو مذهب الشافعي ومالك وابي حنيفة ايضا، وقال العود هنا ليس بتكرير القول بل بمعنى العزم

على الوطء قال القرطبي وهذا ينتقض بثلاثة امور احدها انه قال ثم يعودون بثم وهي للتراخي الثاني قوله ثم يعودون يقتضي وجود فعل
من جهته ومرور الزمان ليس بفعل منه الثالث ان الطلاق الرجعي لا ينافي البقاء على الملك فلم يسقط حكم الظهار كالايلاء
وقال مكي واللام متعلقة بيعودون اي يعودون لوطء المقول فيه الظهار وهن الازواج فما والفعل مصدر اي لمقولهم
والمصدر في موضع المفعول به نحو هذا درهم ضرب الامير اي مضروبه فيصير المعنى لقولهم للمقول فيه الظهار اي لوطئه
وهذا معنى قول الزمخشري في الوجه الثالث الذي تقدم تقريره عن الحسن والزهري ومالك الا ان مكيا قيد ذلك بكون
ما مصدرية حتى يقع المصدر المؤول موضع اسم المفعول وفيه نظر اذ يجوز ذلك وان كانت ما غير مصدرية لكونها بمعنى الذي او نكرة
موصوفة بل جعلها غير مصدرية اولى لان المصدر المؤول فرع المصدر الصريح اذ الصريح اصل للمؤول به ووضع المصدر موضع
اسم المفعول خلاف الاصل فيلزم الخروج عن الاصل بشيئين بالمصدر المؤول ثم وقوعه موقع اسم المفعول والمحفوظ من لسانهم
انما هو وضع المصدر الصريح موضع المفعول لا المصدر المؤول فاعرفه لا يقال ان جعلها غير مصدرية يحوج الى تقدير حذف
مضاف ليصح المعنى به اي يعودون لوطء التي ظاهر منها او امرأة ظاهر منها او يعودون لامساكها والاصل عدم الحذف
لان هذا مشترك الالزام لنا ولكم فانكم تقولون ايضا لا بد من تقدير مضاف اي يعودون لوطء او لامساك المقول فيه
الظهار ويدل على جواز كون ما في هذا الوجه غير مصدرية ما اشار اليه ابو البقاء فانه قال يتعلق بيعودون بمعنى يعودون
للمقول فيه هذا ان جعلت ما مصدرية ويجوز ان تجعلها بمعنى الذي ونكرة موصوفة الثاني ان اللام تتعلق بتحرير وفي الكلام
تقديم وتاخير والتقدير والذين يظاهرون من نسائهم فعليهم تحرير رقبة لما نطقوا به من الظهار ثم يعودون للوطء
بعد ذلك وهذا ما نقله مكي وغيره عن الاخفش قال ابو حيان وليس بشيء لانه يفسد نظم الآية وفيه نظر لانا لا نسلم فساد
النظم مع دلالة المعنى على التقديم والتاخير ولكن نسلم ان ادعاء التقديم والتاخير لا حاجة اليه لانه خلاف الاصل الثالث
ان اللام بمعنى الى واللام والى يتعاقبان قال تعالى هدانا لهذا وقال واهدوهم الى صراط الجحيم وقال بان ربك اوحى لها وقال
واوحي الى نوح قاله الاخفش الرابع انها بمعنى في نقلها ابو البقاء ومع ذلك فهي متعلقة بيعودون الخامس انها متعلقة
بيقولون قال مكي وقال قتادة ثم يعودون لما قالوا ان يحرموه فيحلونه فاللام على هذا تتعلق بيقولون قال شهاب
الدين ولا ادري ما هذا الذي قاله مكي وكيف فهم تعلقها بيقولون على تفسير قتادة بل تفسير قتادة نص في تعلقها بيعودون
وليس لتعلقها بيقولون وجه ونقل القرطبي عن الفراء قال اللام بمعنى عن والمعنى ثم يرجعون عما قالوا ويريدون الوطء
وقال ابو مسلم العود هو ان يحلف اولا على ما قال من لفظ الظهار فلو لم يحلف لم يلزمه كفارة كما لو قال في الماكول هو علي حرام
كلحم الادمي فلا كفارة عليه فاذا حلف عليه لزمته كفارة يمين وهذا ضعيف لان الكفارة قد تجب بالجماع في الحج وفي رمضان
وفي قتل الخطا ولا يمين هناك **قوله** فتحرير رقبة اي فعليه اعتاق رقبة يقال حررته اي جعلته حرا ثم هذه الرقبة
يجب ان تكون كاملة سالمة من كل عيب ومن كمالها اسلامها كالرقبة في كفارة القتل قال اعتق نصفي عبدين لم يجزه
وقال الشافعي يجزيه لان النصفين في معنى العبد الواحد ولان الكفارة بالعتق طريقها المال فجاز ان يدخلها
التبعيض كالاطعام ودليل الاول قوله فتحرير رقبة وهذا الاسم عبارة عن شخص واحد وبعض الرقبة ليس رقبة
ولانه لو اوصى رجلين ان يحجا عنه حجة لم يجز ان يحج واحد منهما نصفها ولو اوصى ان يشتري رقبة فيعتق عنه لم يجز
ان يعتق عنه نصف عبدين كذا هاهنا وروي عن احمد رضي الله عنه ان كان باقيهما حرا صح واجزا والا فلا لان المقصود
تكميل الحرية وقد كملت ولقوله عليه السلام ليس لله شريك قال اعتق مكاتبا عن الكفارة لم يجزه وقال ابو حنيفة
ان اعتقه قبل ان يؤدي شيئا اجزاه وان اعتق بعد ان ادى شيئا لم يجزه قال اعتق ذا رحمه المحرم عن كفارته عتق
ولم يجزه عن الظهار **قوله** من قبل ان يتماسا اي من قبل ان يجامعها فلا يجوز للمظاهر الوطء قبل التكفير قال جامعها قبل التكفير
عصى ولا يسقط عنه التكفير وحكي عن مجاهد انه اذا وطئ قبل ان يشرع في التكفير لزمه كفارة اخرى وعن غيره ان الكفارة
الواجبة بالظهار تسقط عنه ولا يلزمه شيء اصلا لان الله تعالى اوجب الكفارة وامر بها قبل المسيس فاذا اخرها حتى مس
فقد فات وقتها والصحيح ثبوت الكفارة لانه بوطئه ارتكب اثما وذلك ليس بمسقط للكفارة ويأتي بها قضاء كما لو اخر الصلاة
عن وقتها وسواء كانت الكفارة بالعتق او الصوم او الاطعام وقال ابو حنيفة رضي الله عنه ان كانت بالاطعام جاز ان
يطا ثم يطعم فاما غير الوطء من القبلة والمباشرة والتلذذ فلا يحرم في قول اكثر العلماء **فصل** اذا ظاهر مرارا
من امراته ولم يكفر فكفارة واحدة الا ان يكون قد كفر عن الاول فعليه للثاني كفارة قال وينبغي للمرأة ان لا تدعه
يقربها حتى يكفر فان تهاون بالتكفير حال الامام بينه وبينها ويجبره على التكفير وان كان بالضرب حتى يوفيها حقها
من الجماع قال الفقهاء ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لان ترك التكفير اضرار
بالمرأة وامتناع من ايفاء حقها **قوله** تعالى ذلكم توعظون به اي تؤمرون به والله بما تعملون خبير من التكفير وغيره
قوله تعالى فمن لم يجد فصيام وقوله تعالى فاطعام كقوله فتحرير في الاوجه الثلاثة المتقدمة ومن قبل
متعلق بالفعل او الاستقرار المتقدم فيلزمه تحرير او صيام او فعليه كذا من قبل تماسهما والضمير في يتماسا للمظاهر

للمظاهر والمظاهر منها للدلالة ما تقدم عليها **فصل** من لم يجد الرقبة ولا ثمنها او كان مالكا لها الا انه شديد الحاجة
اليها لخدمة او كان مالكا لثمنها الا انه يحتاج اليه لنفقته او كان له مسكن ليس له غيره ولا يجد شيئا سواه فله ان يصوم
وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لا يصوم وعليه العتق ولو كان محتاجا الى ذلك والصيام الواجب في هذه الكفارة ان
يصوم شهرين متتابعين فان افطر في اثنائهما بغير عذر استانفهما وان افطر لعذر من سفر او مرض فقال ابن المسيب
والحسن وعطاء بن ابي رباح وعمرو بن دينار والشعبي يبني على ما مضى وهو الصحيح من مذهب الشافعي قال ابتدأ الصيام
ثم وجد الرقبة لم يلزمه الانتقال عنه لانه امر به حين دخل فيه وقال ابو حنيفة رضي الله عنه يعتق قياسا على
الصغيرة المعتدة بالشهور اذا رات الدم قبل انقضاء عدتها فانها تستانف الحيض اجماعا قال وطئ المظاهر في خلال الشهرين
نهارا بطل التتابع وان وطئ ليلا لم يبطل لانه ليس محلا للصوم وقال ابو حنيفة رضي الله عنه ومالك يبطل بكل حال ويجب
عليه ابتداء الكفارة لقوله تعالى من قبل ان يتماسا وهذا شرط عائد الى جملة الشهرين ومن طال مرضه طولا لا يرجى
برؤه كان بمنزلة العاجز من كبر فيجوز له العدول عن الصيام الى الاطعام قال كان يرجى برؤه واشتدت حاجته الى وطء
امراته فالاختيار له ان ينتظر البرء حتى يقدر على الصيام فلو كفر بالاطعام ولم ينتظر القدرة على الصيام اجزاه قال
ظاهر وهو موسر ثم اعسر قبل ان يكفر صام وانما ينظر الى حاله يوم يكفر ولو جامعها في عدمه وعسره فلم يكفر حتى ايسر
لزمه العتق ولو ابتدأ بالصوم ثم ايسر قال القرطبي رحمه الله فان كان مضى من صومه صدر صالح كالجمعة وشبهها
تمادى وان كان يوما او يومين ترك الصوم وعاد الى العتق وليس ذلك بواجب عليه ولو ظاهر من امراتين له فاعتق
رقبة عن احديهما لا بعينها لم يجز له وطء واحدة منهما حتى يكفر الكفارة الاخرى ولو عين الكفارة عن احديهما جاز له
ان يطاها قبل ان يكفر الكفارة عن الاخرى قال القرطبي ولو ظاهر من اربع نسوة فاعتق عنهن ثلاث رقاب وصام شهرين
لم يجزه العتق ولا الصيام لانه انما صام عن كل واحدة خمسة عشر يوما قال كفر عنهن بالاطعام جاز ان يطعم عنهن
مائتي مسكين وان لم يقدر فرق بخلاف العتق والصيام لان صيام الشهرين لا يفرق والاطعام يفرق **قوله تعالى** فمن لم
يستطع فاطعام ستين مسكينا فصيام وفاطعام كقوله تعالى فتحرير في الاوجه الثلاثة المتقدمة ومن قبل متعلق بالفعل او الاستقرار
المتقدم اي فيلزمه تحرير او صيام او فعليه كذا من قبل تماسهما والضمير في يتماسا للمظاهر والمظاهر منها للدلالة ما تقدم
فصل اعلم ان الله تعالى امر بكفارة الظهار مرتبة فلا سبيل الى الصيام الا عند العجز عن الاعتاق وكذلك لا سبيل الى
الاطعام الا عند عدم الاستطاعة على الصيام فمن لم يطق الصيام وجب عليه اطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد من طعام
بمد النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عبد البر والافضل مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجزئ عند مالك والشافعي رضي الله
عنهما ان يطعم اقل من ستين مسكينا وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لو اطعم مسكينا واحدا كل يوم نصف صاع حتى يكمل العدد
اجزاه وعن احمد رضي الله عنه اذا لم يجد الا مسكينا واحدا ردد عليه بعدد الايام **فصل** حكم الظهار ناسخ لما كانوا
عليه من كون الظهار طلاقا فاروي ذلك عن ابن عباس وابي قلابة وغيرهما **قوله تعالى** ذلك لتؤمنوا قال الزجاج وذلك
فيه وجهان الاول انه في محل رفع اي الغرض الذي ذلك وصفنا من التغليظ في الكفارة لتؤمنوا اي لتصدقوا ان الله
امر به الثاني فعلنا ذلك للبيان والتعليم للاحكام لتصدقوا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم والعمل بشرائعه ولا تستمروا
على احكام الجاهلية من جعل الظهار اقوى انواع الطلاق **فصل** استدل بعض العلماء على ان هذه الكفارة ايمان
بالله تعالى لانه لما ذكرها واوجبها قال جل ذكره لتؤمنوا بالله ورسوله اي ذلك لتكونوا مطيعين لله تعالى واقفين
عند حدوده لا تتعدوها فسمى التكفير ايمانا لانه طاعة ومراعاة للحد فثبت ان كل ما اشبهه فهو ايمان **فصل**
معنى قوله تعالى ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله اي لئلا تعودوا للظهار الذي هو منكر من القول وزور قيل له قد يجوز
ان يكون كلاهما مقصودا فيكون المعنى ذلك لئلا تعودوا فتقولوا المنكر والزور بل لتدعوهما طاعة لله سبحانه وتعالى اذ
كان قد حرمهما ولتجتنبوا المظاهر منها الى ان تكفروا اذ كان الله تعالى منع من مسيسها وتكفروا اذ كان الله عز وجل
امر بالكفارة والزم اخراجها منكم فتكونوا بهذا كله مؤمنين بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم لانها حدود تحفظونها
وطاعات تؤدونها والطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ايمان بالله ورسوله **فصل** قال ابن الخطيب
استدل من ادخل العمل في مسمى الايمان بهذه الاية فقال ان الله تعالى امرتم بهذه الاعمال وبين انه انما امرتم بها
لتصيروا بعملها مؤمنين فدل على ان العمل من الايمان ومن انكر ذلك قال انه تعالى لم يقل ذلك لتؤمنوا بالله بعمل
هذه الاشياء ونحن نقول المعنى ذلك لتؤمنوا بالله والاقرار بهذه الاحكام **فصل** استدلت المعتزلة باللام في
قوله تعالى لتؤمنوا على ان فعل الله معلل بالغرض وعلى ان غرضه ان تؤمنوا ولا تستمروا على ما كانوا عليه من
الكفر وهذا يدل على انه تعالى اراد منهم الايمان وعدم الكفر **قوله تعالى** وتلك حدود الله اي بين معصيته
وطاعته فمعصيته الظهار وطاعته الكفارة وللكافرين عذاب اليم اي لمن جحد هذا وكذب به ولم يصدق
باحكام الله تعالى عذاب جهنم **قوله تعالى** ان الذين يحادون الله ورسوله قال المبرد اصل المحادة الممانعة

ومنه يقال للبواب حداد وللممنوع الرزق محدود . وقال ابو مسلم الاصفهاني المحادة مفاعلة من لفظ الحديد والمراد المقاتلة بالحديد سواء كان ذلك في الحقيقة او كان ذلك منازعة شديدة شبيهة بالخصومة بالحديد **فصل** لما ذكر المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر المحادين المخالفين لها . قال المفسرون المحادة المعاداة والمخالفة في الحدود وهو كقوله تعالى ان الذين يشاقون الله ورسوله . وقيل يحادون الله اي اولياء الله كما في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة . قال الزجاج المحادة ان تكون في حد يخالف حد صاحبك . والضمير في قوله يحادون يمكن ان يرجع الى المنافقين فانهم كانوا يوادون الكافرين ويظاهرونهم على الرسول صلى الله عليه وسلم فاذلهم الله سبحانه ويحتمل ان يرجع لجميع الكفار فاعلم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم انهم كبتوا اي خذلوا قال المبرد رحمه الله يقال كبت الله فلانا اي اذله والمردود بالذل يقال له مكبوت . وقال ابو عبيدة والاخفش اهلكوا . وقال قتادة اخزوا كما اخزي الذين من قبلهم . وقال ابن زيد عذبوا . وقال السدي لعنوا . وقال الفراء غيظوا يوم الخندق . وقيل يوم بدر . وقيل معنى كبتوا اي سيكبتون وهو بشارة من الله تعالى للمؤمنين بالنصر واخرج الكلام بلفظ الماضي تعريفا للمخبر عنه وقيل هي لغة مذحج . ويحتمل ان يكون لتحقق وقوعه . والمراد بالذين من قبلهم اعداء الرسل صلوات الله عليهم وقد انزلنا ايات بينات فيمن حاد الله ورسوله من الذين من قبلهم فيما فعلنا بهم وللكافرين بهذه الايات عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم فبين تعالى ان عذاب المحادين في الدنيا الذل والهوان وفي الاخرة العذاب الشديد **قوله تعالى** يوم يبعثهم الله . فيه اوجه احدها انه منصوب بعذاب مهين . الثاني انه منصوب بفعل مقدر فقدره ابو البقاء يهانون او يعذبون او استقر ذلك يوم يبعثهم وقدره الزمخشري باذكر قال تعظيما لليوم . الثالث انه منصوب بلهم قاله الزمخشري اي بالاستقرار الذي تضمنه لوقوعه خبرا . الرابع انه منصوب باحصاه قاله ابو البقاء وفيه قلق لان الضمير في احصاه يعود على ما عملوا **قوله تعالى** جميعا اي الرجال والنساء اي كلهم لا يترك منهم احدا . وقيل مجتمعين في حال واحد فينبئهم اي يخبرهم بما عملوا في الدنيا تخجيلا لهم وتوبيخا احصاه الله عليهم في صحائف اعمالهم ونسوه ثم حتى ذكرهم به في صحائفهم ليكون ابلغ في الحجة عليهم والله على كل شيء شهيد اي شاهد مطلع وناظر لا يخفى عليه شيء ثم انه تعالى اكد بيان كونه عالما بكل المعلومات فقال الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فلا يخفى عليه سر ولا علانية **قوله تعالى** ما يكون من نجوى . يكون تامة ومن نجوى فاعلها ومن مزيدة فيه . ونجوى في الاصل مصدر فيجوز ان يكون باقيا على اصله ويكون مضافا لفاعله اي ما يوجد من تناجي ثلاثة . ويجوز ان يكون على حذف اي من ذوي نجوى . ويجوز ان يكون اطلق على الاشخاص المتناجين مبالغة فعلى هذين الوجهين ينخفض ثلاثة على احد وجهين اما البدل من ذوي المحذوفة واما الوصف لها على التقدير الثاني واما البدل او الصفة لنجوى على التقدير الثالث . وقرأ ابن ابي عبلة ثلاثة وخمسة نصبا على الحال . وفي صاحبها وجهان احدهما انه محذوف مع رافعه تقديره يتناجون ثلاثة وحذف لدلالة نجوى . والثاني انه الضمير المستكن في نجوى اذا جعلناها بمعنى المتناجين قاله الزمخشري . قال مكي ويجوز في الكلام رفع ثلاثة على البدل في موضع نجوى لان موضعها رفع ومن زائدة ولو نصبت ثلاثة على الحال من الضمير المرفوع اذا جعلت نجوى بمعنى المتناجين جاز في الكلام . قال شهاب الدين فلا يقرأ به فيما علمت وهو جائز في غير القرآن كما قال . واما النصب فقد قرئ به وكأنه لم يطلع عليه **قوله تعالى** الا هو رابعهم الا هو خامسهم الا هو معهم . كل هذه الجمل بعد الا في موضع نصب على الحال اي ما يوجد شيء من هذه الاشياء الا في حال من هذه الاحوال فالاستثناء مفرغ من الاحوال العامة . وقرأ ابو جعفر ما تكون بتاء التأنيث لتأنيث النجوى . قال ابو الفضل الا ان الاكثر في هذا الباب التذكير على ما في العامة لانه مسند الى من نجوى وهو اسم جنس مذكر . قال ابن جني التذكير الذي عليه العامة هو الوجه لوقوع الفاصل بين الفعل والفاعل وهو كلمة من ولان تأنيث النجوى غير حقيقي **قوله تعالى** ولا اكثر . العامة على الجر عطفا على لفظ نجوى . وقرأ الحسن والاعمش وابن ابي اسحق وابو حيوة ويعقوب ولا اكثر بالرفع وفيه وجهان . احدهما انه معطوف على موضع نجوى لانه مرفوع ومن مزيدة فيه فان كان مصدرا كان على حذف مضاف كما تقدم اي من ذوي نجوى وان كان بمعنى المتناجين فلا حاجة الى ذلك . الثاني ان يكون ادنى مبتدأ والا هو معهم خبره فيكون ولا اكثر عطفا على المبتدأ وحينئذ يكون ولا ادنى من باب عطف الجمل لا المفردات . وقرأ الحسن ويعقوب ايضا ومجاهد والخليل ولا اكبر بالباء الموحدة والرفع على ما تقدم وزيد بن علي ينبئهم بسكون النون من انبأ الا انه حذف الهمزة وكسر الهاء . وقرئ كذلك الا انه باثبات الهمزة وضم الهاء والعامة بالتشديد من نبأ **فصل** النجوى التناجي وهو السرار وهو مصدر يوصف به يقال قوم نجوى اي ذوو نجوى . قال الزجاج النجوى مشتقة من النجوة وهي ما ارتفع وتنحى فالكلام المذكور سرا لما خلا عن استماع الغير كالارض المرتفعة فانها لارتفاعها خلت عن اتصال الغير والسر ما كان بين اثنين **قوله تعالى** الا هو رابعهم . اي يعلم ويسمع نجواهم يدل عليه افتتاح الاية بالعلم **فان قيل** ما الحكمة في ذكره سبحانه وتعالى الثلاثة والخمسة واهمل ذكر الاربعة **فالجواب** من وجوه . الاول ان ذلك اشارة الى

كمال الرحمة لان الثلاثة اذا اجتمعوا فاذا تناجى اثنان منهم بقي الواحد ضايعا وحيدا فيضيق عليه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث الا باذنه فان ذلك يحزنه فكأنه تعالى يقول انا جليسك وانيسك وكذا الخمسة اذا اجتمعوا بقي الخامس وحيدا فريدا . الثاني ان العدد الفرد اشرف من الزوج لان الله تبارك وتعالى وتر يحب الوتر فخص اعداد الفرد بالذكر تنبيها على انه لا بد من رعاية الامور الالهية في جميع الامور . الثالث ان اقل ما لا بد منه في المشاورة التي يكون الغرض منها تمهيد مصلحة ثلاثة حتى يكون الاثنان كالمتنازعين في النفي والاثبات والثالث كالحاكم بينهما فحينئذ تكمل المشورة ويتم ذلك الغرض فلهذا السبب لا بد وان يكون ارباب المشورة عددا فردا فذكر الله تعالى الفردين الاولين واكتفى بذكرهما تنبيها على الباقي . الرابع ان الاية نزلت في قوم من المنافقين اجتمعوا على التناجي وكانوا على هذين العددين . وقال ابن عباس رضي الله عنه نزلت هذه الاية في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن امية كانوا يتحدثون فقال احدهم هل يعلم الله تعالى ما نقول وقال الثاني يعلم البعض . الخامس انه في مصحف عبد الله بن عمر ما يكون من نجوى ثلاثة الا الله رابعهم ولا اربعة الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا الله معهم اذا اخذوا في التناجي **قوله تعالى** ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة . اي يحاسب على ذلك ويجازي عليه ان الله بكل شيء عليم وهذا تحذير من المعاصي وترغيب في الطاعات **قوله تعالى** الم تر الى الذين نهوا عن النجوى الاية . قيل هم اليهود . وقيل هم المنافقون . وقيل فريق من الكفار . وقيل فريق من المسلمين لما روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال كنا ذات ليلة نتحدث اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه النجوى فقلنا تبنا الى الله يا رسول الله صلى الله عليك وسلم انا كنا في ذكر المسيح يعني الدجال فرقا منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بما هو اخوف عندي منه قلنا بلى يا رسول الله صلى الله عليك وسلم قال الشرك الخفي ان يقوم الرجل يعمل لمكان رجل ذكره الماوردي . وقال ابن عباس نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون للمؤمنين ويتغامزون باعينهم فيقول المؤمنون لعلهم بلغهم عن اخواننا وقرابتنا من المهاجرين والانصار قتل او مصيبة او هزيمة ويسوءهم ذلك وكثرت شكواهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا فنزلت الاية . وقال مقاتل كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود موادعة فاذا مر بهم رجل من المؤمنين تناجوا بينهم حتى يظن المؤمن شرا فيعرج عن طريقه فنهاهم الله سبحانه فلم ينتهوا فنزلت . وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كان الرجل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله الحاجة ويناجيه والارض يومئذ حرب فيتوهمون انه يناجيه في حرب او بلية او امر مهم فيفزعون لذلك فنزلت . قال ابن الخطيب رحمه الله والاولى ان يكون نزلت في اليهود لانه عز وجل حكى عنهم فقال واذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله وهذا انما وقع من اليهود كانوا اذا سلموا على الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا السام عليك يعنون الموت **قوله تعالى** ثم يعودون لما نهوا عنه اي يرجعون الى المناجاة التي نهوا عنها **قوله تعالى** ويتناجون . قرأ حمزة وينتجون بغير الف من الانتجاء من النجوى على وزن يفتعلون والباقون ويتناجون من التناجي من النجوى ايضا قال ابو علي والافتعال والتفاعل يجريان مجرى واحد او من ثم صححوا ازدوجوا واعتوروا لما كانا في معنى تجاوروا وتعاوروا وجاء حتى اذا اداركوا وادركوا . قال شهاب الدين ويؤيد قراءة العامة على تناجيهم ولا تتناجوا وتناجوا فهذه من التفاعل لا غير الا ما روي عن عبد الله انه قرأ اذا انتجيتم فلا تنتجوا . ونقل ابو حيان عن الكوفيين والاعمش فلا تنتجوا كقراءة عبد الله واصل ينتجون ينتجيون وتناجون فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان فحذفت لالتقائهما او تقول تحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فقلبت الفا فالتقى ساكنان فحذفت اولهما وبقيت الفتحة دالة على الالف **قوله تعالى** بالاثم والعدوان . قرأ ابو حيوة بالعدوان بكسر العين والمراد بالاثم والعدوان الكذب والظلم ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم مخالفته . وقرأ الضحاك ومعصيات الرسول صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** واذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله . قال القرطبي لا خلاف بين اهل النقل ان المراد به اليهود وكانوا اذا سلموا على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا السام عليك يعنون الموت كما روت عائشة رضي الله عنها ان اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم فقالت عائشة رضي الله عنها السام عليكم ولعنة الله وغضبه عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت اولم تسمع ما قالوا يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا عليك ما قلت فانزل الله تعالى واذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله . وروى انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم بالواو فقال بعض العلماء رضي الله عنهم ان الواو العاطفة تقتضي التشريك فيلزم منه ان يدخل معهم فيما دعوا به علينا من الموت او من سآمة ديننا وهو الملال يقال سئم يسأم سآمة وسآما . وقال بعضهم الواو زائدة كما زيدت في قول الشاعر . فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى . اي لما اجزنا انتحى فزاد الواو . وقال اخرون هي للاستئناف

كانه قال والسام عليكم، وقال آخرون يعني على بابها من العطف ولا يضرنا ذلك لانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا كما تقدم في
قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها **فصل** اختلفوا في رد السلام على اهل الذمة فقال ابن عباس
والشعبي وقتادة هو واجب لظاهر الامر بذلك، وقال مالك رضي الله عنه ليس بواجب فان رددت فقل عليك
وقال بعضهم تقول في الرد علاك السلام اي ارتفع عنك، وقال بعض المالكية تقول في الرد السلام عليك
بكسر السين يعني الحجارة **قوله تعالى** ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله، هذه الجملة التحضيضية في موضع نصب
بالقول، ومعنى الآية ان اليهود لعنهم الله لما كانوا يقولون السام عليك ويوهمون انهم يسلمون وكان صلى الله عليه
وسلم يرد عليهم بقوله عليكم فاذا خرجوا قالوا لولا يعذبنا الله اي هلا يعذبنا الله بما نقول اي لو كان نبيا لعذبنا
الله بما نقول، وقيل قالوا انه يرد علينا ويقول وعليكم السام فلو كان نبيا لاستجيب له فينا ومتنا وهذا موضع تعجب
منهم فانهم كانوا اهل الكتاب وكانوا يعلمون ان الانبياء صلوات الله عليهم قد يغضبون فلا يعاجل من يغضبهم بالعذاب
قوله تعالى حسبهم جهنم اي كافيهم جهنم عقابا غدا يصلونها فبئس المصير **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم
فلا تتناجوا بالاثم والعدوان اي كفعل المنافقين واليهود، قال مقاتل اراد بقوله آمنوا المنافقين آمنوا بلسانهم
وقال عطاء يريد الذين آمنوا بزعمهم قال لهم لا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول صلى الله عليه
وسلم، وقيل يا ايها الذين آمنوا بموسى صلوات الله عليه **قوله تعالى** وتناجوا بالبر والتقوى، المراد بالبر الطاعة
وبالتقوى العفاف عما نهى الله عنه واتقوا الله الذي اليه تحشرون اي تجمعون في الآخرة **قوله تعالى** انما
النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا، تقدم قراءتا يحزن بالضم والفتح في آل عمران، وقرئ بفتح الياء والزاي
على انه مسند الى الموصول بعده فيكون فاعلا **فصل** قال ابن الخطيب الالف واللام في لفظ النجوى لا يمكن ان
يكون للاستغراق لان في النجوى ما يكون من الله ولله بل المراد منه المعهود السابق وهو النجوى بالاثم ليحزن المؤمنين
اذا رأوهم متناجين، قال المفسرون معنى قوله تعالى انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا اذ توهموا ان
المسلمين اصيبوا في السرايا او اذا رأوا اجتماعهم على مكايدة المسلمين وربما كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم
فيظن المسلمون انهم ينتقصونهم عند النبي صلى الله عليه وسلم وليس بضارهم اي التناجي شيئا الا باذن الله اي
بمشيئته، وقيل بعلمه، وعن ابن عباس رضي الله عنه بامره وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي يكلون امرهم اليه ويفوضون
جميع شؤونهم الى عونه **فصل** روى ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ثلاثة فلا يتناجى
اثنان دون الواحد، وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان
دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من اجل ان يحزنه فبين في هذا الحديث غاية المنع وهو ان يجد الثالث من يتحدث
معه كما فعل ابن عمر وذلك انه كان يتحدث مع رجل فجاء آخر يريد ان يناجيه فلم يناجه حتى دعا رابعا فقال له
وللاول تأخرا وناجى الرجل الطالب للمناجاة خرجه في الموطأ ونبه فيه على العلة بقوله من اجل ان يحزنه اي
يقع في نفسه ما يحزن لاجله وذلك بان يقدر في نفسه ان الحديث عنه بما يكره او انه لم يروه اهلا ليشركوه
في حديثهم الى غير ذلك من الغيبات الشيطان واحاديث النفس ويحصل ذلك كله من بقائه وحده فاذا كان معه
غيره امن ذلك وعلى هذا يستوي في ذلك كل الاعداد فلا يتناجى اربعة دون واحد ولا عشرة ولا الف مثل لوجود
ذلك المعنى في حقه بل وجوده في العدد الكثير امكن واوقع فيكون بالمنع اولى وانما خص الثلاثة بالذكر لانه اول
عدد يتأتى ذلك فيه، قال القرطبي وظاهر الحديث يعم جميع الازمان والاحوال وذهب اليه ابن عمر ومالك
والجمهور وسواء كان التناجي في مندوب او مباح او واجب فان الحزن به وقد ذهب بعض الناس الى ان ذلك
في اول الاسلام لان ذلك كان حال المنافقين فيتناجى المنافقون دون المؤمنين فلما فشى الاسلام سقط ذلك
وقال بعضهم ذلك خاص بالسفر وفي المواضع التي لا يأمن الرجل فيها صاحبه، فاما في الحضر وبين العمارة
فلا لانه يجد من يغيثه بخلاف السفر فانه مظنة الاغتيال وعدم الغوث والله اعلم **قوله تعالى** يا ايها الذين
آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس الآية، وجه التعلق لما نهى المؤمنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر امرهم
الآن بما يصير سببا لزيادة المحبة والمودة، وقال القرطبي لما بين ان اليهود يحيونه بما لم يحيه به الله وذمهم
على ذلك وصل به الامر بتحسين الادب في مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يضيقوا عليه المجلس
وامر المسلمين بالتعاطف والتآلف حتى يفسح بعضهم لبعض حتى يتمكنوا من الاستماع من رسول الله صلى
الله عليه وسلم والنظر اليه **فصل** قال قتادة ومجاهد والضحاك رضي الله عنهم كانوا يتنافسون في مجلس
النبي صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يفسح بعضهم لبعض، وقال ابن عباس المراد بذلك مجالس القتال اذا
اصطفوا للحرب، قال الحسن ويزيد بن ابي حبيب كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتل المشركين تشاح اصحابه
رضي الله عنهم على الصف الاول فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة في القتال والشهادة فنزلت فيكون كقوله

تعالى مقاعد للقتال، وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم في الصفة وكان في المكان ضيق وكان يكرم اهل بدر من المهاجرين
والانصار فجاء ناس من اهل بدر وقد سبقوا الى المجلس فقاموا قبالة النبي صلى الله عليه وسلم على ارجلهم ينتظرون ان يوسع
لهم فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن
حوله من غير اهل بدر قم يا فلان بعدد القائمين من اهل بدر فشق ذلك على من قام وعرف النبي صلى الله عليه وسلم
الكراهية في وجوههم فقال المنافقون والله ما عدل على هؤلاء ان قوما اخذوا مجالسهم واحبوا القرب منه فاقامهم
واجلس من ابطأ فنزلت الآية يوم الجمعة، وروي عن ابن عباس قال نزلت الآية في ثابت بن قيس بن شماس وذلك
انه دخل المسجد وقد اخذ القوم مجالسهم وكان يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للوقر الذي كان في اذنيه فوسعوا
له حتى قرب من النبي صلى الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم وجرى بينهم وبينه كلام ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم
محبته للقرب منه ليسمع كلامه وان فلانا لم يفسح له فنزلت هذه الآية **قوله تعالى** تفسحوا في المجالس، قرأ الحسن وداود
ابن ابي هند وعيسى وقتادة تفاسحوا، والباقون تفسحوا اي توسعوا والفسحة السعة وفسح له اي وسع له ومنه قولهم
بلد فسيح ولك في كذا فسحة وفسح يفسح مثل منع يمنع اي وسع في المجلس وفسح يفسح فساحة مثل كرم يكرم اي صار
واسعا ومنه مكان فسيح، وقرأ عاصم في المجالس جمعا اعتبارا بان لكل واحد منهم مجلسا، والباقون بالافراد اذ المراد
مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وهو احسن من كونه واحدا اريد به الجمع، وقرئ في المجلس بفتح اللام وهو المصدر اي
تفسحوا في جلوسكم ولا تتضايقوا **فصل** قال القرطبي الصحيح في الآية انها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير
والاجر سواء كان مجلس حرب او ذكر او مجلس يوم الجمعة وان كل واحد احق بمكانه الذي سبق اليه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سبق الى ما سبق اليه فهو احق به ولكن يوسع لاخيه ما لم يتأذ بذلك فيخرجه الضيق من موضعه، وروى
البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه وعنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى ان يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر ولكن تفسحوا وتوسعوا، وكان ابن عمر
يكره ان يقيم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه، وروى ابو هريرة عن جابر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا **فصل** اذا قام من مكانه
فقعد فيه غيره نظرنا فان كان الموضع الذي قام اليه مثل الاول في سماع كلام الامام لم يكره له ذلك وان كان ابعد
من الامام كره له ذلك لان فيه تفويت حظه **فصل** اذا امر رجل انسانا ان يبكر الى الجامع فيأخذ له مكانا يقعد فيه
لا يكره فاذا جاء الآمر يقوم من الموضع لان ابن سيرين كان يرسل غلامه الى مجلس له في يوم الجمعة فيجلس فيه فاذا جاء قام له
منه وعلى هذا من ارسل بساطا او سجادة فيبسط له في موضع من المسجد، وروى مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم وفي حديث ابي عوانة من قام من مجلسه ثم رجع اليه فهو احق به ذكره القرطبي
في تفسيره **قوله تعالى** يفسح الله لكم، قال ابن الخطيب هذا مطلق فيما يطلب الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر
والقبر والجنة، قال ولا ينبغي للعاقل ان يقيد الآية بالتفسح في المجلس بل المراد منه ايصال الخير الى المسلم [illegible] السرور
في قلبه **قوله تعالى** واذا قيل انشزوا فانشزوا، قرأ نافع وابن عامر وحفص وابو بكر بخلاف عنه بضم شين انشزوا
في الحرفين، والباقون بكسرها وهما لغتان بمعنى واحد يقال نشز اي ارتفع ينشز وينشز كعرش يعرش ويعرش
وعكف يعكف ويعكف وتقدم الكلام على هذه في المائدة وفي البقرة **فصل** قال ابن عباس معناه اذا قيل لكم
ارتفعوا فارتفعوا، قال مجاهد والضحاك اذا نودي للصلاة فقوموا اليها وذلك ان رجالا تثاقلوا عن الصلاة فنزلت
وقال الحسن ومجاهد ايضا اي انهضوا الى الحرب، وقال ابن زيد والزجاج هذا في بيت النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لما تعالى كان رجل منهم يحب ان يكون آخر عهده بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى واذا قيل انشزوا عن
النبي صلى الله عليه وسلم فانشزوا فان له حوائج فلا تمكثوا، وقال قتادة معناه اجيبوا اذا دعيتم الى امر بالمعروف
قال القرطبي وهذا هو الصحيح لانه يعم والنشز الارتفاع مأخوذ من نشز الارض وهو ارتفاعها **قوله تعالى** يرفع
الله الذين آمنوا، بطاعتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم وقيامهم في مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم، وقوله تعالى والذين اوتوا
العلم يجوز ان يكون معطوفا على الذين آمنوا فهو من عطف الخاص على العام لان الذين اوتوا العلم بعض المؤمنين منهم
ويجوز ان يكون والذين اوتوا من عطف الصفات اي يكون الصفتان لذات واحدة كانه قيل يرفع الله المؤمنين العلماء
ودرجات مفعول ثان وقد تقدم الكلام على نحو ذلك في الانعام، وقال ابن عباس رضي الله عنه تم الكلام عند قوله تعالى
منكم وينتصب الذين اوتوا بفعل مضمر اي ويخص الذين اوتوا العلم بدرجات او ويرفع درجات **فصل** قال المفسرون
في هذه الآية ان الله تعالى رفع المؤمن [illegible] ليس بمؤمن والعالم من ليس بعالم، قال ابن مسعود رضي الله عنه
مدح الله العلماء في هذه الآية، والمعنى ان الله تعالى يرفع الذين اوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات
في دينهم اذا فعلوا ما امروا به، وقيل كان اهل الغنى يكرهون ان يزاحمهم من يلبس الصوف فيستبقون الى مجلس النبي

صلى الله عليه وسلم فالخطاب لهم ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأغنياء يقبض ثوبه نفوراً من بعض الفقراء
أراد أن يجلس إليه فقال يا فلان أخشيت أن يتعدى غناك إليه أو فقره إليك وبين في هذه الآية أن الرفعة عند
الله تعالى بالعلم والإيمان لا بالسبق إلى صدور المجالس وقيل أراد بالذين أوتوا العلم قراء القرآن وروى يحيى بن
يحيى عن مالك رضي الله عنه يرفع الله الذين آمنوا منكم الصحابة والذين أوتوا العلم درجات يرفع الله تعالى بها
العالم والطالب قال القرطبي ثبت في الصحيح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقدم عبد الله بن عباس على الصحا[بة]
فكلموه في ذلك فدعاهم ودعاه فسألهم عن تفسير إذا جاء نصر الله والفتح فسكتوا فقال ابن عباس هو أجل رسول
الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله إياه فقال عمر ما أعلم منها إلا ما تعلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة
ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمنزلة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن ابن عباس خير سليمان صلوات الله عليه بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه
ومر النبي صلى الله عليه وسلم بمجلسين في مسجده أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه والآخر يتعلمون الفقه
ويعلمونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه أما هؤلاء فيدعون الله
عز وجل ويرغبون إليه وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء أفضل وإنما بعثت معلماً ثم جلس فيهم **قوله
تعالى** يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة الآية قال ابن عباس رضي الله عنه
في سبب النزول أن المسلمين كانوا يكثرون المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فأنزل الله تعالى
هذه الآية فكف كثير من الناس وقال الحسن إن قوماً من المسلمين كانوا يستخلون بالنبي صلى الله عليه وسلم يناجونه
فظن بهم قوم من المسلمين أنهم ينتقصونهم في النجوى فشق عليهم ذلك فأمرهم الله تعالى بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن
استخلائه وقال زيد بن أسلم إن المنافقين واليهود كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون إنه أذن يسمع
كل ما قيل له وكان لا يمنع أحداً مناجاته فكان ذلك يشق على المسلمين لأن الشيطان كان يلقي في أنفسهم أنهم يناجونه بأن
جموعاً اجتمعت لقتاله فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية
الرسول الآية فانتهى أهل الباطل عن النجوى لأنهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة وشق ذلك على أهل الإيمان
وامتنعوا من النجوى لضعف مقدرة كثير منهم عن الصدقة فخفف الله تعالى عنهم بما بعد الآية قال ابن العربي
وهذا الخبر يدل على أن الأحكام لا تترتب بحسب المصالح فإن الله تعالى قال ذلكم خير لكم وأطهر ثم نسخه مع كونه خيراً
وأطهر وهذا رد على المعتزلة في التزام المصالح **فصل** ظاهر الآية يدل على أن تقديم الصدقة كان واجباً لأن الأمر
للوجوب ويؤكد ذلك قوله تعالى بعده فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم وذلك لا يقال إلا فيما بعدمه يزول وجوبه
وقيل كان مندوباً لقوله تعالى ذلك خير لكم وأطهر وهذا إنما يستعمل في التطوع لا في الواجب ولأنه لو كان واجباً
لما زال وجوبه بكلام متصل به وهو قوله تعالى أأشفقتم أن تقدموا إلى آخر الآية وأجيب عن الأول أن المندوب كما يوصف
بأنه خير وأطهر فكذلك أيضاً يوصف به الواجب وعن الثاني أنه لا يلزم من اتصال الآيتين في التلاوة كونهما
متصلتين في النزول كما قيل في الآية الدالة على وجوب الاعتداد أربعة أشهر وعشراً إنها ناسخة للاعتداد حولاً
وإن كان الناسخ متقدماً في التلاوة على المنسوخ **فصل** اختلفوا في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ في هذه
الآية فقال الكلبي رحمه الله ما بقي ذلك التكليف إلا ساعة من النهار ثم نسخ وقال مقاتل وابن حبان بقي ذلك ان صح
التكليف عشرة أيام ثم نسخ لما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا عمل بها أحد
بعدي كان لي دينار فاشتريت به عشرة دراهم فكلما ناجيت النبي صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدي نجواي درهماً
ثم نسخت فلم يعمل بها أحد وروي عن ابن جريج والكلبي وعطاء عن ابن عباس رضي الله عنهم أنهم نهوا عن المناجاة حتى
يتصدقوا فلم يناجه أحد إلا علي تصدق بدينار ثم نزلت الرخصة وقال ابن عمر لقد كانت لعلي رضي الله عنه
ثلاثة لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم تزويجه فاطمة رضي الله عنها وإعطاؤه الراية يوم خيبر
وآية النجوى ذلك خير لكم من إمساكها وأطهر لقلوبكم من المعاصي فإن لم تجدوا يعني الفقراء فإن الله غفور رحيم روى
الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي
نجواكم صدقة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينار قلت لا يطيقونه قال
فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال إنك لزهيد فنزلت أأشفقتم أن تقدموا الآية ومعنى
قوله شعيرة من ذهب ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم إنك لزهيد أي لقليل المال فقدرت على حسب حالك قال
ابن العربي وهذا يدل على نسخ العبادة قبل فعلها وعلى النظر في المقدرات بالقياس قال القرطبي والظاهر أن

النسخ إنما وقع بعد فعل الصدقة كما تقدم **فصل** أنكر أبو مسلم وقوع النسخ وقال إن المنافقين كانوا يمتنعون
عن بذل الصدقات وإن قوماً من المنافقين تركوا النفاق وآمنوا ظاهراً وباطناً إيماناً حقيقياً فأراد الله تعالى أن
يميزهم عن المنافقين فأمر بتقديم الصدقة على النجوى ليتميز هؤلاء الذين آمنوا على من بقي على نفاقه الأصلي فلما كان هذا
التكليف لأجل هذه المصلحة المقدرة بذلك الوقت لا جرم يقدر هذا التكليف بذلك الوقت قال ابن الخطيب فحاصل
قول أبي مسلم أن ذلك التكليف مقدر بغاية مخصوصة فوجب انتهاؤه عند الانتهاء إلى تلك الغاية المخصوصة ولا يكون
هذا نسخاً قال وهذا كلام حسن والمشهور عند الجمهور أنه منسوخ بقوله أأشفقتم وقيل إنه منسوخ بوجوب الزكاة
قوله تعالى أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات هذا استفهام معناه التقرير قال ابن عباس رضي الله
عنه أأشفقتم أي أبخلتم بالصدقة وقيل خفتم والإشفاق الخوف من المكروه أي خفتم وبخلتم بالصدقة وشق
عليكم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات **قوله تعالى** فإذ لم تفعلوا في إذ هذه ثلاثة أقوال أحدها أنها على
بابها من المضي والمعنى أنكم تركتم ذلك فيما مضى فتداركوه بإقامة الصلاة قاله أبو البقاء الثاني أنها بمعنى إذا
كقوله تعالى إذ الأغلال وتقدم الكلام فيه الثالث أنها بمعنى إن الشرطية وهو قريب مما قبله إلا أن الفرق بين
إن وإذا معروف **فصل** المعنى فإن لم تفعلوا ما أمرتم به وتاب الله عليكم أي ونسخ الله تعالى ذلك الحكم ورخص
لكم في أن لا تفعلوا فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات وهذا خطاب لمن وجد ما يتصدق به وهذا
يدل على جواز النسخ قبل الفعل قال القرطبي وما روي عن علي رضي الله عنه ضعيف لأن الله تعالى قال فإذ لم تفعلوا
وهذا يدل على أن أحداً لم يتصدق بشيء **فإن قيل** ظاهر الآية يدل على تقصير المؤمنين في ذلك التكليف وبيانه من
وجوه الأول قوله تعالى أأشفقتم أن تقدموا يدل على تقصيرهم الثاني قوله تعالى فإذ لم تفعلوا الثالث قوله عز
وجل وتاب الله عليكم **فالجواب** قال ابن الخطيب ليس الأمر كما ظنوا لأن القوم لم يكلفوا أن يقدموا الصدقة
ويشتغلوا بالمناجاة بل أمروا بأنهم لو أرادوا المناجاة فلا بد من تقديم الصدقة فمن ترك المناجاة لا يكون مقصراً وأما
لو قيل بأنهم ناجوا من غير تقديم الصدقة فهذا أيضاً غير جائز لأن المناجاة لا يمكن إلا إذا مكن الرسول صلى الله عليه وسلم
من المناجاة فإذا لم يمكن من ذلك لم يقدروا على المناجاة فعلمنا أن الآية لا تدل على صدور التقصير منهم فأما قوله
تعالى أأشفقتم فلا يمنع من أنه تعالى علم ضيق صدور كثير منهم عن إعطاء الصدقة في المستقبل لو دام الوجوب
فقال هذا القول وأما قوله عز وجل وتاب الله عليكم فليس في الآية أنه تاب عليهم من هذا التقصير بل يحتمل إنكم
كنتم تائبين راجعين إلى الله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فقد كفاكم هذا التكليف **قوله تعالى** والله خبير
بما تعملون روي عن أبي عمرو خبير بما يعملون بالياء من تحت والمشهور عنه كالجماعة بتاء الخطاب والمعنى محيط بأعمالكم
ونياتكم **قوله تعالى** ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم قال قتادة هم المنافقون تولوا اليهود وقال
السدي ومقاتل هم اليهود ما هم منكم ولا منهم يعني المنافقين ليسوا من المؤمنين في الدين والولاء ولا من اليهود والكافرين
كما قال جل ذكره مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ويحلفون على الكذب وهم يعلمون قال السدي ومقاتل
رضي الله عنهما نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول وعبد الله بن نبتل المنافقين كان أحدهما يجالس رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه إلى اليهود فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره إذ قال يدخل عليكم
الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق أسمر قصيراً خفيف اللحية فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله تعالى ما فعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما شتموه
فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال عز وجل ويحلفون على الكذب وهم يعلمون أنهم كذبة قال ابن الخطيب والمراد
من هذا الكذب إما ادعاؤهم كونهم مسلمين وإما أنهم كانوا يشتمون الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه
وسلم ويكيدون المسلمين فإذا قيل لهم فعلتم ذلك خافوا على أنفسهم من القتل فيحلفون أنهم ما قالوا ذلك
وما فعلوه فهذا هو الكذب الذي يحلفون عليه وهذه الآية تدل على فساد قول الجاحظ أن الكذب هو الخبر المخالف
لاعتقاد المخبر **قوله تعالى** ما هم منكم ولا منهم يجوز في هذه ثلاثة أوجه أحدها أنها مستأنفة لا موضع لها من
الإعراب أخبر عنهم بأنهم ليسوا من المؤمنين الخلص بل كقوله تعالى مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء
فالضمير في ما هم عائد على الذين تولوا وهم المنافقون وفي منهم عائد على اليهود أي الكافرين الخلص والثاني أنها
حال من فاعل تولوا والمعنى على ما تقدم أيضاً والثالث أنها صفة ثانية لقوماً فعلى هذا يكون الضمير في ما هم عائداً
على قوماً وهم اليهود والضمير في منهم عائد على الذين تولوا يعني اليهود ليسوا منكم أيها المؤمنون ولا من المنافقين
ومع ذلك تولاهم المنافقون قاله ابن عطية إلا أن فيه تنافر الضمائر فإن الضمير في ويحلفون عائد على الذين
تولوا فعلى الوجهين الأولين تتحد الضمائر لعودها على الذين تولوا وعلى الثالث تختلف كما عرفت وقوله وهم يعلمون جملة
حالية أي يعلمون أنه كذب فيمينهم يمين غموس لا عذر لهم فيها **قوله تعالى** أعد الله لهم عذاباً شديداً أي لهؤلاء المنا[فقين]

عذابا شديدا في جهنم وهو الدرك الاسفل من النار وقيل عذاب القبر قال ابن الخطيب لانا اذا حملنا هذا على عذاب القبر وحملنا قوله جل ذكره فلهم عذاب مهين على عذاب الآخرة لا يلزم منه تكرار انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئست الاعمال اعمالهم قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة قرأ العامة ايمانهم بفتح الهمزة جمع يمين والحسن وابو العالية بكسرها مصدر ههنا وفي المنافقين اي اقرارهم اتخذوه جنة يستجنون بها من القتل قال ابن جني هذا على حذف مضاف اي اتخذوا اظهار ايمانهم جنة من ظهور نفاقهم وقوله تعالى ايمانهم جنة مفعولان لاتخذوا قوله تعالى فلهم عذاب مهين في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار وقيل المراد من الكل عذاب الآخرة كقوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب والصد عن سبيل الله هو المنع عن الاسلام وقيل القاء الاراجيف وتثبيط المسلمين عن الجهاد قوله تعالى لن تغني عنهم تقدم الكلام عليه في آل عمران قال مقاتل قال المنافقون ان محمدا يزعم انه ينصر يوم القيامة لقد شقينا اذن فوالله لننتصرن يوم القيامة بانفسنا واموالنا واولادنا ان كانت قيامة فنزلت الآية قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا اي لهم عذاب مهين يوم يبعثهم الله فيحلفون له كما يحلفون لكم اليوم قال ابن عباس يحلفون لله تعالى يوم القيامة كذبا كما حلفوا لاوليائه في الدنيا وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين ويحسبون انهم على شيء بانكارهم وحلفهم قال ابن زيد ظنوا انهم ينفعهم في الآخرة وقيل يحسبون في الدنيا انهم على شيء لانهم في الآخرة يعلمون الحق باضطرار والاول اظهر والمعنى انهم لشدة توغلهم في النفاق ظنوا يوم القيامة انهم يمكنهم ترويج كذبهم بالايمان الكاذبة على علام الغيوب واليه الاشارة بقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه قال القاضي والجبائي ان اهل الآخرة لا يكذبون فالمراد من الآية انهم يحلفون في الآخرة انا ما كنا كافرين عند انفسنا وعلى هذا الوجه لا يكون هذا الحلف كذبا وقوله تعالى الا انهم هم الكاذبون اي في الدنيا قال ابن الخطيب وتفسير هذه الآية على هذا الوجه يفضي الى ركاكة عظيمة في النظم وقد استقصينا هذه المسئلة في سورة الانعام عند قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين روى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يوم القيامة اين خصماء الله تعالى فيقوم القدرية مسودة وجوههم مزرقة اعينهم مائل شدقهم يسيل لعابهم فيقولون والله ما عبدنا من دونك شمسا ولا قمرا ولا صنما ولا اتخذنا من دونك الها قال ابن عباس صدقوا والله اتاهم الشرك من حيث لا يعلمون ثم تلا ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون هم والله القدرية ثلاثا قوله تعالى استحوذ جاء به على الاصل وهو فصيح استعمالا وان شذ قياسا وقد اخرجه عمر رضي الله عنه على القياس فقرأ استحاذ كاستقام وتقدمت هذه المادة في النساء قوله تعالى الم نستحوذ قال الزجاج استحوذ في اللغة استولى يقال حاذ الابل اذا استوليت عليها وجمعتها وقال المبرد استحوذ على الشيء حواه واحاط به قيل المعنى غلب عليهم الشيطان بوسوسته في الدنيا وقيل قوي عليهم فانساهم ذكر الله اي اوامره في العمل بطاعته وقيل زواجره في النهي عن معصيته والنسيان قد يكون بمعنى الغفلة ويكون بمعنى الترك والوجهان محتملان ههنا اولئك حزب الشيطان طائفته ورهطه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون في بيعهم لانهم باعوا الجنة بجهنم وباعوا الهدى بالضلالة فصل احتج القاضي بهذه الآية في خلق الاعمال من وجهين الاول ان ذلك النسيان لو حصل بخلق الله تعالى لكانت اضافتها الى الشيطان كذبا الثاني لو حصل ذلك بخلق الله لكانوا كالمؤمنين في كونهم حزب الله لا حزب الشيطان قوله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله تقدم اول السورة اولئك في الاذلين اي من جملة الاذلاء لا اذل منهم لان ذلة احد الخصمين يدل على عز الخصم الثاني فلما كانت عزة الله تعالى غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية ايضا قوله تعالى كتب الله لاغلبن يجوز ان يكون كتب جرى مجرى القسم فاجيب بما يجاب به وقال ابو البقاء وقيل هي جواب كتب لانه بمعنى قال وهذا ليس بشيء لان قال لا يقتضي جوابا فصوابه ما تقدم ويجوز ان يكون لاغلبن جواب قسم مقدر وليس بظاهر فصل قال المفسرون كتب الله اي قضى الله ذلك وقيل كتب في اللوح المحفوظ قاله قتادة وقال الفراء كتب بمعنى قال وقوله انا ورسلي من بعث منهم بالحرب قال الرسول صلى الله عليه وسلم بالحرب غالب ومن بعث منهم بالحجة غالب ايضا فاذا انضم الى الغلبة بالحجة الغلبة بالحرب كان اغلب واقوى قال مقاتل قال المؤمنون لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا ان يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال عبد الله بن ابي سلول اتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها والله انهم لاكثر عددا واشد بطشا من ان تظنوا فيهم ذلك فنزلت لاغلبن انا ورسلي ونظيره ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون قوله تعالى ورسلي قرأ نافع وابن عامر بفتح الياء والباقون لا يحركون قال ابو علي التحريك والاسكان جميعا حسنان وقوله تعالى ان الله قوي عزيز قوي على نصرة انبيائه عزيز غالب لا يدفعه احد عن مراده قوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله يوادون هو المفعول الثاني لتجد ويجوز ان يكون المتعدية لواحد بمعنى صادف

صادف ولقي فيكون يوادون حالا او صفة لقوما ومعنى يوادون اي يحبون ويوالون من حاد الله ورسوله وقد تقدم الكلام على المحادة والمعنى انه لا يجتمع الايمان مع وداد اعداء الله فان قيل اجمعت الامة على انه يجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المواداة المحرمة فالجواب ان المواداة المحرمة هي ارادة منافعه دينا ودنيا مع كونه كافرا فاما ما سوى ذلك فلا حظر فيه قوله تعالى ولو كانوا آباءهم بدأ بالآباء لان الآباء يجب طاعتهم على ابنائهم ثم ثنى بالابناء لانهم اعلق بالقلوب وهم حباتها قال الحماسي وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض ثم ثلث بالاخوان لانهم هم الناصرون بمنزلة العضد من الذراع قال

اخاك اخاك ان من لا اخا له * كساع الى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه * وهل ينهض البازي بغير جناح

ثم ربع بالعشيرة لان بها يستغاث وعليها يعتمد قال

لا يسألون اخاهم حين يندبهم * في النائبات على ما قال برهانا

وقرأ ابو رجاء عشيراتهم بالجمع كما قرأها ابو بكر في التوبة كذلك فصل لما بالغ في المنع من هذه المواداة في الآية الاولى من حيث ان المواداة مع الايمان لا يجتمعان بالغ ههنا ايضا من وجوه وهي قوله تعالى ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم والمعنى ان الميل الى هؤلاء اعظم انواع المحبة ومع هذا فيجب ان يكون هذا الميل مطرحا بسبب الدين قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت هذه الآية في ابي عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وابي بكر رضي الله عنه قال ابن جريج حدثت ان ابا قحافة سب النبي صلى الله عليه وسلم فصكه ابو بكر رضي الله عنه ابنه صكة سقط منها على وجهه ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال او فعلته لا تعد اليه فقال والذي بعثك بالحق نبيا لو كان السيف مني قريبا لقتلته ومصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير وعلي بن ابي طالب وحمزة وعبيدة رضي الله عنهم قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يوم بدر اخبر ان هؤلاء لم يوادوا اقاربهم وعشائرهم غضبا لله تعالى ودينه فصل قال القرطبي استدل مالك رحمه الله بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم قال اشهب عن مالك لا تجالس القدرية وعادهم في الله لقول الله عز وجل لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله قال القرطبي وفي معنى اهل القدر جميع اهل الظلم والعدوان وعن الثوري رضي الله عنه انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن ابي رواد انه لقي المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلا الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت الي لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية قوله تعالى اولئك كتب قرأ العامة كتب مبنيا للفاعل وهو الله سبحانه وتعالى الايمان نصبا وابو حيوة وعاصم في رواية المفضل كتب مبنيا للمفعول الايمان رفع به والضمير في منه لله تعالى وقيل يعود على الايمان لانه روح يحيى به المؤمنون في الدارين قاله السدي اي ايدهم بروح من الايمان يدل عليه قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فصل معنى كتب الايمان اي خلق في قلوبهم التصديق يعني من لم يوالوا من حاد الله وقيل كتب اثبت قاله الربيع بن انس وقيل جعل كقوله تعالى فاكتبنا مع الشاهدين اي اجعلنا وقوله فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة وقيل كتب اي جمع ومنه الكتيبة اي لم يكونوا ممن يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقيل كتب في قلوبهم اي على قلوبهم كقوله تعالى في جذوع النخل وخص القلوب بالذكر لانها موضع الايمان قوله تعالى وايدهم اي قواهم ونصرهم بروح منه قال الحسن بنصر منه قال ابن عباس نصرهم على عدوهم وسمى تلك النصرة روحا لانه به يحيى امرهم وقال الربيع بن انس رضي الله عنه بالقرآن وحججه وقال ابن جريج بنور وبرهان وهدى وقيل برحمة الله وقيل ايدهم بجبريل صلوات الله عليه قوله تعالى ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم اي قبل اعمالهم ورضوا عنه فرحوا بما اعطاهم اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون وهذه في مقابلة قوله تعالى اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون وهذه الآية زجر عن التودد الى الكفار والفساق والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب روى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله تعالى يوم القيامة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة الحشر

في قول الجميع وهي اربع وعشرون آية واربعمائة وخمس واربعون كلمة والف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم تقدم نظيره هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر قال قل سورة النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هارون صلوات الله عليه نزلوا بالمدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان من امرهم ما نص الله عليه قوله تعالى من اهل الكتاب يجوز ان يكون من للبيان فيتعلق بمحذوف اي اعني من اهل الكتاب والثاني انها حال من الذين كفروا وقوله تعالى من ديارهم متعلق باخرج ومعناها ابتداء الغاية وصحت اضافة الديار اليهم لانهم انشؤوها قوله تعالى لاول الحشر هذه اللام متعلقة باخرج وهي لام التوقيت كقوله تعالى لدلوك الشمس اي عند اول الحشر قال الزمخشري وهي اللام في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقوله جئت لوقت كذا وسياتي الكلام على هذه اللام في الحجرات ان شاء الله تعالى

فصل قال القرطبي الحشر الجمع وهو على اربعة اضرب حشران في الدنيا وحشران في الاخرة اما الذي في الدنيا فقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر قال الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا وكان اول حشر حشروا في الدنيا الى الشام قال ابن عباس وعكرمة من شك ان المحشر في الشام فليقرأ هذه الاية وان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر قال قتادة هذا اول المحشر قال ابن عباس هم اول من حشر من اهل الكتاب واخرج من داره وقيل انهم اخرجوا الى خيبر وان معنى لاول الحشر اخراجهم من حصونهم الى خيبر واخره اخراج عمر اياهم من خيبر الى نجد واذرعات وقيل تيماء واريحا وذلك بكفرهم ونقض عهدهم واما الحشر الثاني فحشرهم قرب القيامة قال قتادة تاتي نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتاكل من تخلف منهم وهذا ثابت في الصحيح وذكروا ان تلك النار ترى بالليل ولا ترى بالنهار قال ابن العربي للحشر اول ووسط واخر فالاول جلاء بني النضير والاوسط جلاء خيبر والاخر حشر يوم القيامة وعن الحسن هم بنو قريظة وخالفه بقية المفسرين وقالوا بنو قريظة ما حشروا ولكنهم قتلوا حكاه الثعلبي

فصل قال الطبري ومصالحة اهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير شيء لا يجوز الان وانما كان ذلك في دار الاسلام ثم نسخ والان فلا بد من قتالهم او سبيهم او ضرب الجزية عليهم قوله تعالى ما ظننتم ان يخرجوا اي لعظم امر اليهود لعنهم الله ومنعتهم وقوتهم في صدور المسلمين واجتماع كلمتهم وقوله تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم قال ابن عباس رضي الله عنه ان المسلمين ظنوا انهم لعزهم وقوتهم لا يحتاجون الى ان يخرجوا من ديارهم قيل المراد بالحصون الوطيح والنطاة والسلالم والكتيبة قوله تعالى مانعتهم حصونهم فيه وجهان احدهما ان يكون حصونهم مبتدا ومانعتهم خبر مقدم والجملة خبر انهم ولا يقال لم لا يقال مانعتهم مبتدا لانه معرفة وحصونهم خبره ولا حاجة لتقديم ولا تاخير لان القصد الاخبار عن الحصون ولان الاضافة غير محضة فهي نكرة الثاني ان يكون مانعتهم خبر انهم وحصونهم فاعلية نحو ان زيدا قائم ابوه وان عمرا قائمة جاريته وجعله ابو حيان اولى لان في نحو قائم زيد على ان يكون خبرا مقدما ومبتدا موخرا خلافا والكوفيون يمنعونه فمحل الوفاق اولى وقال الزمخشري فان قلت اي فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه قلت تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالى معها باحد يتعرض اليهم وليس ذلك في قولك حصونهم تمنعهم انتهى وهذا الذي ذكره انما يتاتى على الاعراب الاول وقد تقدم انه مرجوح وتسلط الظن هنا على ان المشددة والقاعدة انه لا يعمل فيها ولا في المخففة منها الا فعل علم ونحوه اجراء له مجرى اليقين لشدته وقوته وانه بمنزلة العلم وقوله من الله اي من امره قوله تعالى فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا قال الزمخشري قرئ فاتاهم اي فاتاهم الهلاك اي اتاهم امره وعذابه من حيث لم يحتسبوا اي لم يظنوا وقيل من حيث لم يعلموا وقال ابن جريج والسدي وابو صالح من حيث لم يحتسبوا بقتل كعب بن الاشرف وكانوا اهل حلقة اي سلاح وقصور منيعة فلم يمنعهم شيء منها وقيل الضمير في فاتاهم الله يعود الى المؤمنين اي فاتاهم نصر الله وتقويته قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب بقتل سيدهم كعب بن الاشرف وكان الذي قتله محمد بن مسلمة وابو نائلة سلكان بن سلامة بن وقش وكان اخا كعب بن الاشرف من الرضاعة وخبره مشهور في السيرة قال اهل اللغة الرعب الخوف الذي يرعب الصدر اي يملاه وقذفه اثباته فيه ومنه قالوا في صفة الاسد مقذف كانما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزائه وهذه الاية تدل على ان الامور كلها من الله تعالى لان الاية دلت على وقوع ذلك الرعب صار سببا في اقدامهم على بعض الافعال وبالجملة فالفعل لا يحصل الا عند حصول داعية متاكدة في القلب وحصول تلك الداعية لا يكون الا من الله تعالى فكانت الافعال باسرها مستندة الى الله تعالى بهذا الطريق قوله تعالى يخربون بيوتهم يجوز ان يكون مستانفا للاخبار به وان يكون حالا من ضمير قلوبهم وليس بذاك وقرأ ابو عمرو يخربون بالتشديد والباقون بالتخفيف وهما بمعنى لان خرب عداه ابو عمرو بالتضعيف وهم بالهمزة وعن ابي عمرو انه فرق بمعنى اخر فقال خرب بالتشديد هدم وافسد واخرب بالهمزة ترك الموضع خرابا وذهب عنه وهو قول الفراء قال المبرد ولا اعلم لهذا وجها ويخربون من خرب المنزل واخربه صاحبه كقوله علم واعلم وقام واقام واذا قلت يخربون بيوتهم من التخريب فانما هو تكثير لانه ذكر بيوتا تصلح للقليل والكثير وزعم سيبويه انهما يتعاقبان في بعض الكلام فيجري كل واحد مجرى الاخر نحو فرحته وافرحته قال الاعشى واخربت من ارض لوي ديارا واختار الهذلي قراءة ابي عمرو لاجل التكثير ويجوز ان يكون يخربون تفسيرا للرعب فلا محل له ايضا قال ابو عمرو وانما اخترت التشديد لان الاخراب ترك الشيء خرابا بغير ساكن وبنو النضير لم يتركوها خرابا وانما خربوها بالهدم يؤيده قوله تعالى بايديهم وايدي المؤمنين

فصل قال قتادة والضحاك كان المؤمنون يخربون من خارج ليدخلوا واليهود من داخل ليبنوا ما خرب من حصنهم وقال مقاتل ان المنافقين ارسلوا اليهم ان لا تخرجوا ودربوا عليهم الازقة وكان المسلمون سائر الجوانب وقيل ان المسلمين اذا ظهروا على درب من دروبهم خربوه وكان اليهود يتاخرون الى ما وراء بيوتهم وينقبونها من ورائها ادبارهم وقيل ان المسلمين كانوا يخربون ظواهر البلد واليهود لما ايقنوا بالجلاء فكانوا ينظرون الى الخشبة في منازلهم مما يستحسنونه والباب فيهدمون بيوتهم وينزعونها ويحملونها على الابل فان قيل ما معنى تخريبهم لها بايدي المؤمنين فالجواب لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوهم اياه وقال الزهري يخربون بيوتهم بنقض المواعدة وايدي المؤمنين بالمقاتلة وقال ابو عمرو بن العلاء بايديهم في تركهم لها وبايدي المؤمنين في اجلائهم عنها قوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار الاعتبار ماخوذ من العبور والمجاوزة من شيء الى شيء ولهذا سميت العبرة عبرة لانها تنتقل من العين الى الخد وسمي علم التعبير لان صاحبه ينتقل من المتخيل الى المعقول وسميت الالفاظ عبارات لانها تنقل المعاني عن لسان القائل الى عقل المستمع ويقال السعيد من اعتبر بغيره لانه ينتقل عقله من حال ذلك الغير الى حال نفسه ولهذا قال المفسرون الاعتبار هو النظر في حقائق الاشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شيء اخر من جنسها وقوله عز وجل يا اولي الابصار قال ابن عباس يريد اهل اللب والعقل والبصائر وقال الفراء اي يا من عاين تلك الوقائع والابصار جمع البصر ومن جملة الاعتبار هنا انهم اعتصموا بالحصون من الله فانزلهم الله تعالى منها وسلط عليهم من كان ينصرهم وانهم هدموا اموالهم بايديهم ومن لم يعتبر بغيره اعتبر في نفسه واستدل الاصوليون بهذه الاية على وجوب العمل بالقياس قوله تعالى ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء العامة على مده وهو الاخراج يقال اجليت القوم اجلاء وجلا هو جلاء وقال الماوردي الجلاء اخص من الخروج لانه لا يقال الا للجماعة والاخراج يكون للجماعة والواحد وقال غيره الفرق بينهما ان الجلاء ما كان مع الاهل والولد بخلاف الاخراج فانه لا يستلزم ذلك وقرأ الحسن وعلي ابنا صالح الجلا بالف فقط وطلحة مهموزا من غير الف كالنبا والمعنى انه لولا قضى انه سيجليهم عن ديارهم وانهم يبقون مدة فيؤمن بعضهم ويولد لهم من يؤمن لعذبهم في الدنيا اي بالقتل كما فعل باخوانهم بني قريظة والجلاء مفارقة الوطن يقال جلا بنفسه جلاء واجلاه غيره اجلاء واما قوله تعالى ولهم في الاخرة عذاب النار فهو كلام مبتدا غير معطوف على ما قبله اذ لو كان معطوفا على ما قبله لزم ان لا يوجد لان لولا تقتضي انتفاء الجزاء لحصول الشرط قوله تعالى ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اي عادوه وخالفوا امره ومن يشاق الله قرا طلحة بن مصرف ومحمد بن السميفع بالفك كالمتفق عليه في الانفال والادغام الباقون والمقصود من الاية الزجر قوله تعالى ما قطعتم من لينة ما شرطية في موضع نصب بقطعتم ومن لينة بيان له وفباذن الله جزاء الشرط لا بد من حذف اي فقطعها باذن الله فيكون باذن الله الخبر لذلك المبتدا واللينة فيها خلاف كبير قيل هي النخلة مطلقا وانشد

كان قتودي فوقها عش طائر ۞ على لينة سوقاء يهفو جنوبها

وقال ذو الرمة

طراق الخوافي واقع فوق لينة ۞ ندى ليلة في ريشه يترقرق

وقيل هي النخلة ما لم تكن عجوة قاله الزهري ومالك وسعيد بن جبير وعكرمة والخليل وقيل ما لم تكن عجوة ولا برنية وهو قول ابي عبيدة وقال جعفر بن محمد هي العجوة خاصة وذكر ان العتيق والعجوة كانتا مع نوح في السفينة والعتيق الفحل وكانت العجوة اصل الاناث كلها فلذلك شق على اليهود قطعها حكاه الماوردي وقيل هي النخلة الكريمة اي القريبة من الارض وانشد الاخفش [illegible] يعني الحمام حين ... بعراق الاحباب من فوق لينة وقال سفيان هي ضرب من النخل يقال لتمره اللون تمره اجود التمر وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارجه ويغيب فيه الضرس النخلة منها احب اليهم من وصيف وقيل هي الفسيلة لانها الين من النخلة وانشد

قوسوا البنية بجرى معبى ثم حفوا النخيل بالاكام وقيل اللينة هي الاشجار كلها للينها بالحياة
والسند بيت ذوالرمة المتقدم وقال الاصمعي انها الدقل قال واهل المدينة يقولون لا تنتفخ الموايد حتى توجد
الالوان يعنون الدقل قال ابن العربي والصحيح ما قاله الزهري ومالك وفي عين لينة قولان احدهما انها واو
لانه من اللون وانما قلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها كديمة وقيمة الثاني انها ياء لانها من اللين وجمع اللينة
لين لانه من باب اسم الجنس كتمرة وتمر وقد كسر على لبان وهو شاذ لان تكسير ما يفرق بينه وبين واحده بالتاء شاذ كرطبة
ورطب وارطاب والسند وسالف كسحوق اللبان اصرم فيه الغوى السمر والضمير في تركتموها عائد على معنى
ما **قوله تعالى** قائمة قرا عبد الله والاعمش وزيد بن علي قوما على وزن ضرب جمع قائم مراعاة لمعنى ما فانه جمع
وقرا عبد الله ما قطعتم من لينة ولا تركتم قوما على اصولها اي لم تقطعوها وقرئ قائما مفردا مذكرا وقوله
اصولها قرئ اصلها بغير واو وفيه وجهان احدهما انه جمع اصل نحو رهن ورهن والثاني ان يكون حذفوا الواو
استثقالا لها واكتفي بالضمة عن الواو **فصل** روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل من النضير
وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح
امن الصلاح عقر الشجر وعقر النخل وهل وجدت فيما زعمت انه انزل عليك الفساد في الارض فوجد المسلمون
في انفسهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانها مما افاء الله علينا وقال
بعضهم بل نغيظهم بقطعها فانزل الله تعالى هذه الاية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وروى
ابن عمر رضي الله عنه قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فنزل ما قطعتم من
لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله اخبر في هذه الاية ان ما قطعوه وما تركوه فباذن الله اي بامره وليخزي
الفاسقين واللام في ليخزي متعلقة بمحذوف اي وليخزي اذن في قطعها او ليسر المؤمنين ويعزهم وليخزي **فصل**
احتجوا بهذه الاية على ان حصون الكفرة وديارهم يجوز هدمها وتحريقها وتغريقها وان ترمى بالمناجنيق وكذلك
اشجارهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه انهم قطعوا منها ما كان موضعا للقتال روي ان رجلين كانا يقطعان
احدهما العجوة والاخر اللون فسالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله وقال هذا قطعتها
غيظا على الكفار واستدلوا به على جواز الاجتهاد بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم قال الماوردي في هذه الاية
دليل ان كل مجتهد مصيب وقال الكيا الطبري وان كان الاجتهاد يبعد في مسئلة مع وجود النبي صلى الله عليه
وسلم بين اظهرهم ولا شك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ذلك وسكت فتلقوا الحكم من تقريره فقط
قال ابن العربي وهذا باطل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معهم ولا اجتهاد مع حضور النبي صلى الله عليه
وسلم وانما يدل على اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه اخذا بعموم الاذلة للكفار ودخولا في الاذن
للكل بما يقضي عليهم بالبوار وذلك قوله عز وجل وليخزي الفاسقين **قوله تعالى** ما افاء الله على رسوله قال المبرد
يقال افاء يفيء اذا رجع وافاءه الله اذا رده وقال الازهري الفيء ما رده الله على اهل دينه من اموال من خالف
اهل دينه بلا قتال اما بان يجلوا عن اوطانهم ويخلوها للمسلمين او يصالحوا على جزية يؤدونها عن رؤوسهم او مال
غير الجزية يفتدون به من سفك دمائهم كما فعله بنو النضير حين صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان
لكل ثلاثة منهم حمل بعير مما شاؤوا سوى السلاح وتركوا الباقي فهذا المال هو الفيء وهو ما افاء الله على المسلمين
اي رده من الكفار على المسلمين وقوله منهم اي من يهود بني النضير **قوله تعالى** فما اوجفتم الفاء جواب الشرط
او زائدة على انها موصولة متضمنة معنى الشرط وما نافية والايجاف حمل البعير على السير السريع يقال وجف
البعير والفرس اذا اسرع يجف وجفا ووجيفا ووجفانا واوجفته انا ايجافا اي حركته واتعبته قال العجاج
ناج طواه الاين مما وجفا وقال نصيب الا رب ركب قد قطعت وجيفهم اليك ولولا انت لم يوجف الركب
قوله تعالى من خيل ولا ركاب اي خيلا والركاب الابل واحدها راحلة ولا واحد لها من لفظها قال ابن الخطيب
والعرب لا يطلقون لفظ الراكب الا على راكب البعير ويسمون راكب الفرس فارسا والمعنى لم تقطعوا اليها شقة
ولا لقيتم بها حربا ولا مشقة وانما كانت من المدينة على ميلين قاله الفراء فمشوا اليها مشيا ولم يركبوا خيلا ولا
ابلا الا النبي صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا وقيل حمارا مخطوما بليف فافتتحها صلحا قال ابن الخطيب
ان الصحابة طلبوا من الرسول عليه السلام ان يقسم الفيء بينهم كما قسم الغنيمة بينهم فذكر الله الفرق بين الامرين
وان الغنيمة هي التي اتعبتم انفسكم في تحصيلها واما الفيء فلم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكان الامر فيه
مفوضا الى النبي صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء وههنا سؤال وهو ان اموال بني النضير اخذت بعد
القتال لانهم حوصروا اياما وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلاء فوجب ان يكون تلك الاموال من جملة الغنائم
لا من جملة الفيء فلهذا السؤال ذكر المفسرون ههنا وجهين الاول ان هذه الاية ما نزلت في قرى بني النضير

النضير لانهم اوجفوا عليه بالخيل والركاب وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بل هي في فدك لان اهله
انجلوا عنه فصارت تلك القرى والاموال التي في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير حرب فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ياخذ من غلة فدك نفقته ونفقة من يعوله ويجعل الباقي في السلاح والكراع فلما
مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعت فاطمة رضي الله عنها انه كان نحلها فدك فقال ابو بكر رضي الله
عنه انت اعز الناس علي فقرا واحبهم الي غنى لكني لا اعرف صحة قولك ولا يجوز لي ان احكم بذلك فشهدت
لها ام ايمن ومولى الرسول صلى الله عليه وسلم فطلب منها ابو بكر الشاهد الذي يجوز شهادته في الشرع فلم
يكن فاجرى ابو بكر ذلك على ما كان يجريه الرسول صلى الله عليه وسلم ينفق منه على من كان ينفق عليه الرسول
ويجعل ما يبقى في السلاح والكراع وكذلك عمر رضي الله عنه جعله في يد علي رضي الله عنه يجريه على هذا المجرى
ورد ذلك في اخر عهد عمر رضي الله عنه وقال ان بنا غنى وبالمسلمين اليه حاجة وكان عثمان رضي الله عنه يجريه
كذلك ثم عاد الى علي رضي الله عنه فكان يجريه هذا المجرى والائمة الاربعة رضي الله عنهم اتفقوا على ذلك
والقول الثاني ان هذه الاية نزلت في بني النضير وقراهم وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب ولم
يقطعوا اليها مسافة كثيرة وانما كانوا على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشاة ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما كانت المقاتلة قليلة والخيل والركاب غير حاصل اجراه الله تعالى مجرى ما لم يحصل فيه المقاتلة اصلا فخص رسول
الله صلى الله عليه وسلم بتلك الاموال فروي انه صلى الله عليه وسلم قسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار
شيئا منها الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة ابو دجانة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة قال بعض العلماء لما
ترك بنو النضير ديارهم واموالهم طلب المسلمون ان يكون لهم فيها حظ كالغنائم فبين الله تعالى انها في وكان قد
جرى بعض القتال لانهم حوصروا اياما وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلاء ولم يكن قتال على التحقيق بل جرى مبادي
القتال وجرى الحصار وخص الله تعالى تلك الاموال برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد رضي الله عنه اعلمهم
الله تعالى وذكرهم انه انما نصر رسوله صلى الله عليه وسلم ونصرهم بغير كراع ولا عدة ولكن الله يسلط رسله على
من يشاء اي من اعدائه وفي هذا بيان ان تلك الاموال كانت خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم دون اصحابه
رضي الله عنهم **قوله تعالى** ما افاء الله قال الزمخشري لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي منها
غير اجنبية عنها قال ابن عباس رضي الله عنه هي قريظة والنضير وهما بالمدينة وفدك وهي على ثلاثة اميال من المدينة
وخيبر وقرى عرينة وينبع جعلها الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وبين ان في ذلك المال الذي خصه الله تعالى بالرسول
صلى الله عليه وسلم سهما لغير الرسول صلى الله عليه وسلم نظرا منه لعباده **فصل** قال ابن الخطيب اجمعوا على ان المراد
بذي القربى بنو هاشم وبنو المطلب وقال القرطبي وقد تكلم العلماء في هذه الاية والتي قبلها على معناهما واحد او مختلف والاية
التي في الانفال فقال بعضهم ان قوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى منسوخ باية الانفال من كون الخمس من
سمي له والاخماس الاربعة لمن قاتل وكان في اول الاسلام يقسم الغنيمة على هذه الاصناف ولا يكون لمن قاتل عليها شيء وهذا
قول يزيد بن رومان وقتادة وغيرهما ونحوه عن مالك رضي الله عنه وقال قوم ما غنم بصلح من غير ايجاف خيل ولا ركاب
فيكون لمن سمى الله تعالى فيه فيئا الاول للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة اذا اخذ منه حاجته كان الباقي في مصالح المسلمين
وقال معمر الاولى للنبي صلى الله عليه وسلم والثانية هي الجزية والخراج للاصناف المذكورة فيه والثالثة الغنيمة
في سورة الانفال للغانمين وقال الشافعي رضي الله عنه وبعض العلماء ان معنى الايتين واحد اي ما حصل من اموال
الكفار بغير قتال قسم على خمسة اسهم اربعة منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقسم الخمس الباقي على خمسة اسهم
سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا وسهم لذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب لانهم منعوا الصدقة
فجعل لهم حق في الفيء وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل واما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فالذي كان من الفيء لرسول الله صلى الله عليه يصرف عند الشافعي رضي الله عنه في قول الى المجاهدين المترصدين
للقتال في الثغور لانهم القائمون مقام الرسول صلى الله عليه وسلم وفي قول اخر يصرف الى مصالح المسلمين من سد
الثغور وحفر الانهار وبناء القناطر يقدم الاهم فالاهم وهذا في اربعة اخماس الفيء فاما السهم الذي كان له من خمس
الفيء والغنيمة فهو لمصالح المسلمين بعد موته صلى الله عليه وسلم بلا خلاف كما قال صلى الله عليه وسلم ليس لي من غنائمكم
الا الخمس والخمس مردود فيكم وكذلك ما خلفه من المال غير موروث بل هو صدقة عنه يصرف في مصالح المسلمين لقوله
صلى الله عليه وسلم انا لا نورث ما تركنا صدقة وقيل كان مال الفيء لنبيه صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ما افاء الله
على رسوله فاضافه اليه غير انه كان لا يتاثل مالا انما كان ياخذ بقدر حاجة عياله ويصرف الباقي في مصالح المسلمين
قال ابن العربي لا اشكال انها ثلاثة معان في ثلاث ايات فالاية الاولى وهي قوله تعالى هو الذي اخرج الذين
كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ثم قال تعالى وما افاء الله على رسوله يعني من اهل الكتاب معطوفا عليهم

ما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب يريد كما بينا فلا حق لكم فيه ولذلك قال عمر انها كانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني
بني النضير وما كان مثلها فهذه اية واحدة ومعنى متحد الاية الثانية قوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى
فلله وللرسول وهذا كلام مبتدأ غير الاول لمستحق غير الاول وسمى الاية الثالثة اية الغنيمة ولا شك في انه معنى اخر باستحقاق
اخر لمستحق اخر بيد ان الاية الاولى والثانية اشتركتا في ان كل واحدة منهما تضمنت شيئا افاءه الله على رسوله واقتضت الاية
الاولى انه حاصل بغير قتال واقتضت اية الانفال انه حاصل بقتال وعريت الاية الثالثة وهي قوله تعالى ما افاء
الله على رسوله من اهل القرى عن ذكر حصوله بقتال او بغير قتال فمن ههنا نشأ الخلاف فقالت طائفة هي ملحقة
بالاولى وهو مال الصلح كله ونحوه وقالت طائفة هي ملحقة باية الانفال وهؤلاء اختلفوا اهي منسوخة كما تقدم
او محكمة قال القرطبي والحاقها بالتي قبلها اولى لان فيه تجديد فائدة ومعنى وقد قيل ان سورة الحشر نزلت بعد الانفال
ومن المحال ان ينسخ المتقدم المتاخر فصل الاموال التي للائمة والولاة فيها مدخل ثلاثة اضرب الاول ما اخذ
من المسلمين على طريق التطهير لهم كالصدقات والزكوات والثاني الغنائم وهو ما يحصل في ايدي المسلمين من اموال
الكفار بالحرب والقهر والغلبة والثالث الفيء وهو ما رجع للمسلمين من اموال الكفار عفوا صفوا من غير قتال ولا ايجاف
كالصلح والجزية والخراج والعشور المأخوذ من تجار الكفار ومثل ان يهرب المشركون ويتركون اموالهم او يموت منهم
احد في دار الاسلام ولا وارث له فاما الصدقة فمصرفها الفقراء والمساكين والعاملين عليها حسب ما ذكره في سورة
براءة واما الغنائم فكانت في صدر الاسلام للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ما يشاء كما قال في الانفال قل الانفال لله
والرسول ثم نسخ بقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء الاية وقد مضى واما الفيء وقسمته وقسمة الخمس سواء قال
القرطبي والامر فيهما عند مالك الى الامام فان راى حبسهما لنوازل المسلمين وان راى قسمهما قسمهما كلهما او قسم احدهما
بين الناس وسوى فيه عربيهم ومولاهم ويبدأ بالفقراء من رجال ونساء ويعطي ذوي القربى من رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الفيء سهمهم على ما يراه الامام وليس لهم حد معلوم وهل يعطى الغني منهم فاكثر الناس على اعطائه لانه حق لهم
وقال مالك رضي الله عنه لا يعطى منه غير فقرائهم لانه جعل لهم عوضا من الصدقة وقال الشافعي رضي الله عنه
ان ما حصل من اموال الكفار بغير قتال كان يقسم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على خمسة وعشرين سهما عشرون سهما
للنبي صلى الله عليه وسلم يفعل فيها ما يشاء والخمس يقسم على ما يقسم عليه خمس الغنيمة قال ابو جعفر احمد بن نصر الداودي
وهذا القول ما سبقه به احد علمناه بل كان ذلك خالصا له كما ثبت في الصحيح عن عمر مبينا للاية ولو كان هذا
لكان قوله خالصة يوم القيامة يجوز ان يشركهم فيها غيرهم فصل وتقسم هذه الاموال المتقدم ذكرها في البلد الذي
جبي فيه ولا ينقل عن ذلك البلد الذي جبي فيه حتى يغنوا ثم ينقل الى اهل الفاقة حيث كانوا كما فعل عمر رضي الله عنه
في اعوام الرمادة وكانت خمسة اعوام او ستة وقيل عامين وقيل عام فيه اشتد الطاعون مع الجوع وان لم يكن
ما وصفنا وراى الامام ايقاف الفيء اوقفه لنوائب المسلمين ويبدأ بمن ابوه فقير والفيء حلال للاغنياء ويساوى
بين الناس فيه الا انه يؤثر اهل الحاجة والفاقة والتفضيل فيه انما يكون على قدر الحاجة ويعطى منه الغرماء
ما يؤدون به ديونهم ويعطى منه الجائزة والصلة ان كان ذلك اهلا ويرزق القضاة والحكام ومن فيه منفعة
للمسلمين واولاهم بتوفر الحظ منهم اعظمهم للمسلمين نفعا ومن اخذ من الفيء شيئا في الديوان كان عليه ان يغزو
اذا وقع الغزو قوله تعالى كي لا يكون دولة قرأ هشام تكون بالتاء والباقون بالياء دولة بالرفع فقط والباقون بالياء تحت
ونصب دولة فاما الرفع فعلى ان كان التامة واما التذكير والتانيث فواضحان لانه تانيث مجازي واما النصب
فعلى انها الناقصة واسمها ضمير عائد على الفيء والتذكير واجب لتذكير المرفوع ودولة خبرها وقيل دولة عائد على
ما اعتبارا بلفظها وقرأ العامة دولة بضم الدال وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه والسلمي بفتحها فقيل هما بمعنى وهو
قول عيسى بن عمر ويونس والاصمعي وهما ما يدول للانسان اي يدور من الجد والغنى والغلبة وقال الحذاق من
البصريين والكسائي الدولة بالفتح من الملك بضم الميم وبالضم من الملك بكسرها او بالضم في المال وبالفتح في
النصرة وهذا يرده القراءة المروية عن علي والسلمي فان النصرة غير مرادة قطعا وكي لا علة لقوله تعالى فلله وللرسول
صلى الله عليه وسلم اي استقراره لكذا لهذه العلة قال المبرد الدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم والدولة
بالفتح انتقال حال سارة الى قوم عن قوم فالدولة بالضم اسم لما يتداول وبالفتح مصدر من هذا ويستعمل في
الحالة السارة التي تحدث للانسان فيقال هذه دولة فلان اي قد اقبل والمعنى كي لا يكون الفيء الذي حقه ان
يعطى الفقير ليكون لهم بلغة يعيشون بها واقعا في يد الاغنياء ودولة لهم والمعنى فعلنا ذلك في هذا الفيء كي لا
يقسمه الرؤساء والاغنياء والاقوياء بينهم دون الفقراء والضعفاء منها ايضا بعد المرباع ما شاؤوا فيها قال شاعرهم

لك المرباع فيها والصفايا

يقول لئلا يعمل فيه كما كان يعمل في الجاهلية قال الكلبي نزلت في
رؤساء المسلمين قالوا فيما ظهر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اموال المشركين يا رسول الله خذ صفيك

صفيك والربع ودعنا والباقي فهكذا كان يفعل في الجاهلية وانشد

لك المرباع منها والصفايا * وحكمك والنشيطة والفضول

فانزل الله تعالى هذه الاية قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه من الاخذ والغلول فانتهوا قاله الحسن وغيره وقال السدي ما اعطاكم
من مال الفيء فاقبلوه وما منعكم منه فلا تطلبوه وقال ابن جريج ما اتاكم من طاعتي فافعلوه وما نهاكم عنه من معصيتي
فاجتنبوه فصل هذه الاية تدل على ان كل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم امر من الله تعالى لان الاية وان كانت
في الغنائم فجميع اوامره صلى الله عليه وسلم ونواهيه داخل فيها قال عبد الرحمن بن زيد لقي ابن مسعود رجلا محرما وعليه
ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل اتقرأ علي بهذا اية من كتاب الله تعالى قال نعم ما اتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا وقال عبد الله بن محمد بن هرون الفريابي سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول سلوني عما شئتم
اخبركم من كتاب الله تعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال فقلت له اصلحك الله ما تقول في المحرم يقتل الزنبور
قال فقال بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحدثنا سفين بن عيينة
عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما حدثنا سفين بن عيينة عن مسعر بن كدام عن قيس بن
مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه امر بقتل الزنبور وهذا الجواب في غاية الحسن افتى
بجواز قتل الزنبور في الاحرام وبين انه يقتدي فيه بعمر وان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالاقتداء به وان الله
تعالى امر بقبول ما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم فجواز قتله مستنبط من الكتاب والسنة وسئل عكرمة عن
امهات الاولاد فقال هن احرار فقال في سورة النساء في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
وفي صحيح مسلم وغيره عن علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله
الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله فبلغ ذلك امراة من بني اسد يقال لها
ام يعقوب فجاءت فقالت انه بلغني انك لعنت كيت وكيت فقال وما لي لا العن من لعنه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو في كتاب الله تعالى فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول فقال لئن كنت قرأتيه
لقد وجدتيه اما قرأت وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه الحديث
فصل قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وان جاء بلفظ الايتاء وهو المناولة فان معناه الامر بدليل قوله تعالى
وما نهاكم عنه فانتهوا فقابله بالنهي ولا يقابل النهي الا بالامر بدليل ما تقدم مع قوله صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم
بامر فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء قوله تعالى واتقوا الله اي عذاب الله انه شديد لمن عصاه وقيل
اتقوا الله في اوامره ونواهيه فلا تضيعوها ان الله شديد العقاب قوله تعالى للفقراء فيه ثلاثة اوجه احدها
انه بدل من لذي القربى قاله ابو البقاء والزمخشري قال ابو البقاء قيل هو بدل من لذي القربى وما بعده وقال
الزمخشري بدل من لذي القربى وما عطف عليه والذي منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اخرج رسوله صلى الله عليه وسلم من الفقراء في قوله تعالى وينصرون
الله ورسوله وانه تعالى يترفع برسوله صلى الله عليه وسلم عن تسميته بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف
الواجب في تعظيم الله عز وجل تفخيما الا فالله تعالى غني عن الفيء وغيره وانما جعله لغيره ولو قيل بانه بدل من الله ومن
رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قبيح لفظا وان كان المعنى على خلاف هذا الظاهر كما قال ان معناه لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وانما ذكر الله عز وجل تفخيما والا فالله تعالى غني عن الفيء وغيره وانما جعله بدلا من لذي القربى
لانه حنفي والحنفية يشترطون الفقر في اعطاء ذوي القربى من الفيء الثاني انه بيان لقوله تعالى والمساكين
وابن السبيل وكررت لام الجر لما كانت الاولى مجرورة باللام ليبين ان البدل انما هو منها قاله ابن عطية وهي عبارة
قلقة جدا الثالث ان للفقراء خبر لمبتدأ محذوف اي ولكن الفيء للفقراء وقيل تقديره اعجبوا للفقراء قوله تعالى
يبتغون يجوز ان يكون حالا وفي صاحبها وجهان احدهما للفقراء والثاني واو اخرجوا قالهما مكي فصل ومعنى
الاية ان الفيء والغنائم للفقراء والمهاجرين وقيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء ولكن يكون للفقراء وهو مبني على الاعراب
المتقدم وعلى القول بانه بيان لذوي القربى واليتامى والمساكين اي المال لهؤلاء لانهم فقراء ومهاجرين وقد اخرجوا
من ديارهم فهم احق الناس وقيل ولكن الله يسلط رسله على من يشاء للفقراء المهاجرين كي لا يكون المال دولة
بين الاغنياء من بني الدنيا وقيل والله شديد العقاب للمهاجرين اي شديد العقاب للكفار بسبب الفقراء المهاجرين
ومن اجلهم ودخل في هؤلاء الفقراء المتقدم ذكرهم في قوله تعالى ولذي القربى واليتامى قال القرطبي وقيل
هو عطف على ما مضى ولم يأت بواو العطف كقولك هذا المال لزيد لبكر لفلان لفلان والمهاجرون من هاجر
الى النبي صلى الله عليه وسلم حبا فيه ونصرة له قال قتادة هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والاهلين

والاوطان حبا لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم حتى ان الرجل منهم كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له دثار غيرها **قوله تعالى** الذين اخرجوا من ديارهم اي اخرجهم كفار مكة اي احوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل يبتغون يطلبون فضلا من الله اي غنيمة في الدنيا ورضوانا في الآخرة اي مرضاة ربهم وينصرون الله ورسوله في الجهاد اولئك هم الصادقون في فعلهم ذلك وروى ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بالجابية فقال من اراد ان يسأل عن القرآن فليأت ابي بن كعب ومن اراد ان يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل ومن اراد ان يسأل عن المال فليأتني فان الله تعالى جعلني له خازنا وقاسما الا واني بادئ بازواج النبي صلى الله عليه وسلم فمعطيهن ثم بالمهاجرين الاولين انا واصحابي اخرجنا من مكة من ديارنا واموالنا **قوله تعالى** اولئك هم الصادقون يعني انهم لما هجروا لذات الدنيا وتحملوا شدائدها لاجل الدين ظهر صدقهم في دينهم **قوله تعالى** والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يجوز في قوله تعالى والذين تبوءوا وجهان احدهما انه عطف على الفقراء فيكون مجرورا ويكون من عطف المفردات ويكون يحبون حالا والثاني ان يكون مبتدأ خبره يحبون ويكون حينئذ من عطف الجمل في قوله والايمان ستة اوجه احدها انه ضمن تبوءوا معنى لزموا فيصح عطف الايمان عليه اذ الايمان لا يتبوأ الثاني انه منصوب بمقدر اي واعتقدوا او والفوا او واحبوا او واخلصوا كقوله علفتها تبنا وماء باردا ومتقلدا سيفا ورمحا الثالث انه يجوز في الايمان فيجعل لاختلاطه بهم وثباتهم عليه كالمكان المحيط بهم فكأنهم نزلوه وعلى هذا فيكون جمعا بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة وفيه خلاف مشهور الرابع ان يكون الاصل دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه الخامس ان يكون سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان قال هذين الوجهين الزمخشري وليس فيه الا اقامة ال مقام المضاف اليه وهو محل نظر وانما يعرف الخلاف هل يقوم ال مقام الضمير المضاف اليه فالكوفيون يجوزونه كقوله تعالى فان الجنة هي المأوى اي مأواه والبصريون يمنعونه ويقولون الضمير محذوف اي المأوى له وقد تقدم تحرير هذا واما كونها عوضا من المضاف اليه فلا يعرف فيه خلافا السادس انه منصوب على المفعول معه اي مع الايمان معا قاله ابن عطية وقال بهذا الاقتران يصح معنى قوله من قبلهم فتأمله قال شهاب الدين وقد شرطوا في المفعول معه ان يجوز عطفه على ما قبله حتى جعلوا قوله تعالى فاجمعوا امركم وشركاءكم من باب اضمار الفعل لانه لا يقال اجمعت شركائي انما يقال جمعت وقد تقدم الكلام على ذلك **فصل** التبوء التمكن والاستقرار وليس يريد ان الانصار امنوا قبل المهاجرين بل اراد امنوا قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم اليهم ولا خلاف ان الذين تبوءوا الدار هم الانصار الذين استوطنوا المدينة قبل المهاجرين اليها والمراد بالدار المدينة والتقدير والذين تبوءوا الدار من قبلهم **فصل** قيل هذه الآية معطوفة على قوله للفقراء والمهاجرين وان الآيات التي في الحشر كلها معطوف بعضها على بعض قال القرطبي ولو تأملوا ذلك وانصفوا لوجدوه على خلاف ما ذهبوا اليه لان الله تعالى يقول هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم الى قوله الفاسقين فاخبر عن بني النضير وبني قينقاع ثم قال تعالى وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء فاخبر ان ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم لانه لم يوجف عليه حين خلوه وقد تقدم فيهم من القتال وقطع شجرهم فقد كانوا رجعوا عنه وانقطع ذلك الامر ثم قال تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وهذا الكلام غير معطوف على الاول وكذا والذين تبوءوا الدار والايمان ابتدأ الكلام في مدح الانصار والثناء عليهم فانهم سلموا ذلك الفيء للمهاجرين فكأنه قال الفيء للمهاجرين وكأنه قال الفيء للفقراء المهاجرين والانصار يحبون لهم لم يحسدوهم على ما صفا لهم من الفيء وكذا والذين جاءوا من بعدهم ابتدأ الكلام والخبر يقولون ربنا اغفر لنا وقال اسمعيل بن اسحق ان قوله تعالى تبوءوا الدار والايمان والذين جاءوا معطوف على ما قبله وانهم شركاء في هذا الفيء اي هذا المال للمهاجرين والذين تبوءوا الدار وقال مالك بن اوس قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الآية انما الصدقات للفقراء ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرأ واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه فقال هذه لهؤلاء ثم قرأ ما افاء الله على رسوله حتى بلغ للفقراء المهاجرين والذين تبوءوا الدار والايمان والذين جاءوا من بعدهم ثم قال لئن عشت ليأتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه منها لم يعرق فيها جبينه وقيل انه دعا المهاجرين والانصار واستشارهم بما فتح الله عليه من ذلك وقال لهم تثبتوا الامر وتدبروه ثم اغدوا علي ففكر في ليلته فتبين له ان هذه الآيات في ذلك انزلت فلما غدوا عليه قال قد مررت البارحة بالآيات التي في سورة الحشر وتلا ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الى قوله تعالى للفقراء المهاجرين فلما بلغ قوله اولئك هم الصادقون قال ما هي لهؤلاء فقط وتلا والذين جاءوا من بعدهم الى قوله رءوف رحيم ثم قال ما بقي احد من اهل الاسلام الا وقد دخل في ذلك **فصل** روى مالك عن زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر رضي الله عنه قال لولا

من يأتي من آخر الناس ما فتحت قرية الا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وصح عن عمر انه ابقى سواد العراق ومصر وما ظهر عليه من الغنائم ليكون في اعطيات المقاتلة وارزاق الحشوة والذراري وان الزبير وبلالا وغير واحد من الصحابة ارادوه على قسم ما فتح عليهم فكره ذلك منهم واختلف فيما فعل من ذلك فقيل انه استطاب انفس اهل الجيش فمن رضي له بترك حظه بغير ثمن ليبقيه للمسلمين قبله ومن ابى اعطاه ثمن حظه فمن قال انما ابقى الارض بعد استطابة انفس القوم جعل فعله كفعل النبي صلى الله عليه وسلم لانه قسم خيبر لانه اشتراها اباها وترك من ترك عن طيب نفسه بمنزلة قسمها وقيل انه ابقاها بغير شيء اعطاه اهل الجيوش وقيل انه تأول في ذلك قول الله تعالى للفقراء المهاجرين الى قوله ربنا انك رءوف رحيم على ما تقدم **فصل** اختلفوا في قسمة العقار فقال مالك رضي الله عنه للامام ان يوقفها لمصالح المسلمين وقال ابو حنيفة رضي الله عنه الامام مخير بين قسمتها او وقفها لمصالح المسلمين وقال الشافعي رضي الله عنه ليس للامام حبسها عنهم بغير رضاهم بل يقسمها عليهم كسائر الاموال فمن طاب نفسا عن حقه للامام ان يجعلها وقفا عليهم فله ومن لم تطب نفسه فهو احق بماله وعمر رضي الله عنه استطاب نفوس الغانمين واشتراها منهم وعلى هذا يكون قوله تعالى والذين جاءوا من بعدهم مقطوعا مما قبله وانهم ندبوا بالدعاء للاولين والثناء عليهم **فصل** قال القرطبي روى ابن وهب قال سمعت مالكا يذكر فضل المدينة على غيرها من الآفاق فقال ان المدينة تبوئت بالايمان والهجرة وان غيرها من القرى افتتحت بالسيف ثم قرأ والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم الآية **قوله تعالى** ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا فيه وجهان احدهما ان الحاجة هنا على بابها من الاحتياج الا انها واقعة موقع المحتاج اليه والمعنى ولا يجدون طلب محتاج اليه مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة تقول خذ منه حاجتك واعطاه من ماله حاجته قاله الزمخشري فعلى هذا يكون الضمير الاول للجائين بعد المهاجرين وفي اوتوا للمهاجرين والثاني ان الحاجة هنا من الحسد قال الحسن حسدا وحزازة وغيظا مما اوتي المهاجرون دونهم واطلق لفظ الحاجة على الحسد والغيظ والحزازة لان هذه الاشياء لا تنفك عن الحاجة فاطلق اسم اللازم على الملزوم على سبيل الكناية والضميران على ما تقدم قبل وقال ابو البقاء مس الحاجة اي انه حذف المضاف للعلم به وعلى هذا فالضميران للذين تبوءوا الدار والايمان وقال القرطبي المعنى لا يحسدون المهاجرين على ما خصوا به من مال الفيء وغيره كذلك قال الناس وفيه تقدير حذف مضافين والمعنى مس حاجة من فقد ما اوتوا وكل ما يجد الانسان في صدره مما يحتاج الى ازالته فهو حاجة **فصل** قال القرطبي كان المهاجرون في دور الانصار فلما غنم صلى الله عليه وسلم اموال بني النضير دعا الانصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين في انزالهم اياهم في منازلهم واشراكهم في الاموال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احببتم قسمت ما افاء الله علي من بني النضير بينكم وبينهم وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم واموالكم وان احببتم اعطيتهم وخرجوا من دياركم فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ رضي الله عنهما بل نقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا ونادت الانصار رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار واعطى رسول الله المهاجرين ولم يعط الانصار الا الثلاثة الذين ذكرناهم ويحتمل ان يريد به ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اذا كانوا قليلا يقنعون به ويرضون عنه وقد كانوا على هذه الحالة حين حياة النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا ثم كانوا عليه بعد موته صلى الله عليه وسلم بحكم الدنيا وقد انذرهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال سترون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض **قوله تعالى** ويؤثرون على انفسهم قال ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار يوم بني النضير ان شئتم قسمت للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم نقسم لكم من الغنيمة شيئا فقالت الانصار بل نقسم لاخواننا من ديارنا واموالنا ونؤثرهم بالغنيمة فنزل ويؤثرون على انفسهم الآية قال ابن الخطيب وذكر المفسرون انواعا من ايثار الانصار للضيف بالطعام وتعللهم عنه حتى يشبع الضيف ثم ذكروا ان الآية نزلت في ذلك الايثار والصحيح انها نزلت بسبب ايثارهم المهاجرين بالفيء ثم لا يمتنع ان يدخل فيها سائر الايثارات قد ذكر القرطبي ان الترمذي روى عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا بات به ضيف ولم يكن عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال لامرأته نومي الصبية واطفئي السراج وقربي للضيف ما عندك فنزلت هذه الآية وخرجه مسلم ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل الى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيف هذا الليلة رحمه الله فقام رجل من الانصار فقال انا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامرأته هل عندك شيء قالت لا الا قوت صبياني قال فعلليهم بشيء فاذا دخل ضيفنا فاطفئي السراج وذكر نحو الحديث الاول وفي رواية فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة فانطلق به الى رحله وذكر المهدوي انها نزلت في ثابت ابن قيس ورجل من الانصار يقال له ابو المتوكل ولم يكن عند ابي المتوكل الا قوته وذكر القشيري قال اهدي

لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي فلانا وعياله احوج الى هذا منا فبعثه اليهم فلم يزل يبعث به واحد الى اخر حتى تداولها سبعة ابيات حتى رجعت الى اولئك فنزلت ويؤثرون على انفسهم الاية وذكر الثعلبي عن انس قال اهدى لرجل من الصحابة راس شاة وكان مجهودا فوجه به الى جار له فتداوله سبعة انفس في سبعة ابيات ثم عاد الى الاول فنزلت الاية **فصل** الايثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنياوية رغبة في الحظوظ وذلك ينشا عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة يقال اثرته بكذا اي خصصته به وفضلته ومفعول الايثار محذوف اي يؤثرونهم على انفسهم باموالهم ومنازلهم لا عن غنا بل مع احتياجهم اليها **فان قيل** قد صح في الخبر النهي عن التصدق بجميع ما يملكه المرء **فالجواب** انما كره ذلك في حق من لا يوثق منه بالصبر على الفقر وخاف ان يتعرض للمسئلة اذا افتقد ما ينفقه فاما الانصار الذين اثنى الله تعالى عليهم بالايثار على انفسهم فكانوا كما قال الله تعالى والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس فكان الايثار فيهم افضل من الامساك والامساك لمن لا يصبر ويتعرض للمسئلة اولى من الايثار كما روي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بمثل البيضة من الذهب فقال هذه صدقة فرماه بها وقال ياتي احدكم بجميع ما يملكه فيتصدق به ثم يقعد يتكفف الناس **فصل** الايثار بالنفس فوق الايثار بالمال وان عاد الى النفس ومن الامثال والجود بالنفس اقصى غاية الجود وافضل من الجود بالنفس الجود على حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الصحيح ان ابا طلحة ترس على رسول الله يوم احد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطلع ليرى القوم فيقول له ابو طلحة لا تشرف يا رسول الله لا يصيبونك نحري دون نحرك ووقى بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي فاذا برجل يقول اه اه فاشار الي ابن عمي ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فاشار ان نعم فسمع اخر يقول اه اه فاشار هشام ان انطلق اليه فجئت اليه فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال ابو يزيد البسطامي رحمه الله ما غلبني احد ما غلبني شاب من اهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لي يا ابا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ فقلت وما حد الزهد عندكم قال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا اثرنا وسئل ذو النون ما حد الزهد قال ثلاث تفريق المجموع وترك طلب المفقود والايثار عند القوت وحكي عن ابي حسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية من قرى الري ومعهم ارغفة معدودة لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله لم ياكل احد منهم شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه **قوله تعالى** ولو كان بهم خصاصة هذه واو الحال والخصاصة الحاجة واصلها من خصاص البيت وهي فروجه وخلل الفقير يتخللها النفس فاستعير لها ذلك وقال القرطبي اصلها من الاختصاص وهو الانفراد بالامر فالخاصة انفراد بالحاجة اي ولو كانت بهم فاقة وحاجة ومنه قول الشاعر اما الربيع اذا يكون خصاصة عاش السقيم به واثرى المقتر **قوله تعالى** ومن يوق العامة على سكون الواو وتخفيف القاف من الوقاية وابن ابي عبلة وابو حيوة بفتح الواو وتشديد القاف والعامة بضم الشين من شح وابن ابي عبلة وابن عمر رضي الله عنه بكسرها قال القرطبي الشح والبخل سواء يقال رجل شحيح بين الشح والشحاحة قال عمرو بن كلثوم ترى اللحز الشحيح اذا امرت عليه لماله فيها مهينا وجعل بعض اهل اللغة الشح اشد من البخل وفي الصحاح الشح البخل مع حرص تقول شححت بالكسر تشح وشححت ايضا تشح وتشح ورجل شحيح وقوم شحاح واشحة والمراد بالاية الشح بالزكوة وما ليس بفرض من صلة ذوي الارحام والضيافة وما شاكل ذلك فليس بشحيح ولا بخيل من انفق في ذلك وان امسك عن نفسه ومن وسع على نفسه ولم ينفق فيما ذكرنا من الزكوات والطاعات فلم يوق شح نفسه روى الاسود عن ابن مسعود ان رجلا اتاه فقال اني اخاف ان اكون قد هلكت قال وما ذاك قال سمعت الله تعالى يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لا اكاد اخرج من يدي شيئا فقال ابن مسعود ليس ذلك الذي ذكر الله تعالى انما الشح ان تاكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل ففرق رضي الله عنه بين الشح والبخل وقال طاوس البخل ان يبخل الانسان بما في يده والشح ان يشح بما في ايدي الناس يحب ان يكون له ما في ايديهم بالحل والحرام فلا يقنع قال ابن … ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح ان تطمح عين الرجل فيما ليس له وقال ابن جبير الشح منع الزكوة وادخار الحرام وقال ابن عيينة الشح الظلم وقال الليث ترك الفرايض وانتهاك المحارم وقال ابن عباس من اتبع هواه ولم يقبل الايمان فذلك الشحيح وقال ابن زيد من لم ياخذ شيئا نهاه الله عنه ولم يمنع شيئا امره الله باعطايه فقد وقاه الله شح نفسه وقال انس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم بري من الشح من ادى الزكاة واقرى الضيف واعطى في النايبة وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم اني اعوذ بك من شح نفسي واسرافها وسوايها وقال ابن الهياج الاسدي رايت رجلا في الطواف يدعو اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك فقلت له فقال اذا وقيت شح نفسي لم اسرف ولم ازن ولم افعل فاذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال

قال القرطبي ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم روى ابو هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد ابدا ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ابدا وقال كسرى لاصحابه اي شيء اضر بابن ادم قالوا الفقر فقال الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد شبع والشحيح اذا وجد لم يشبع ابدا **قوله تعالى** والذين جاؤا يحتمل الوجهين المتقدمين في الذين قبله فان كان معطوفا على المهاجرين فيقولون حال كتحبون اي قايلين او مستانف وان كان مبتدا فيقولون خبره **فصل** هذه الايات قد استوعبت جميع المؤمنين لانهم اما المهاجرون او الانصار والذين جاؤا من بعدهم قال بعض المفسرين هذا عطف على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون لهم باحسان ومن دخل في الاسلام الى يوم القيامة قال ابن ابي ليلى الناس على ثلاثة منازل المهاجرين والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد ان لا تخرج من هذه المنازل وقال بعضهم كن مهاجرا فان قلت لا اجد فكن انصاريا فان لم تجد فاعمل كاعمالهم فان لم تستطع احبهم واستغفر لهم كما امرك الله وقال مصعب بن سعد الناس على ثلاث منازل فمضت منزلتان وبقيت منزلة فاحسن ما انتم عليه ان تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه جاءه رجل فقال يا ابن بنت رسول الله ما تقول في عثمان فقال له يا اخي انت من قوم قال الله فيهم للفقراء المهاجرين الاية قال لا قال فانت من قوم قال الله فيهم والذين تبوؤا الدار والايمان الاية قال لا قال فوالله لئن لم تكن من اهل الاية الثالثة لتخرجن من الاسلام وهي قوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وروي ان نفرا من اهل العراق جاؤا الى محمد بن علي ابن الحسين فسبوا ابا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فاكثروا فقال لهم امن المهاجرين الاولين انتم قالوا لا قال افمن الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم قالوا لا فقال قد تبرأتم من هذين الفريقين انا اشهد انكم لستم من الذين قال الله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا قوموا فعل الله بكم وفعل ذكره النحاس **فصل** هذه الاية دليل على وجوب محبة الصحابة رضي الله عنهم لانه جعل لمن بعدهم حظا في الفيء ما اقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم ومن ابغضهم او واحدا منهم او اعتقد فيه شرا انه لا حق له في الفيء قال مالك من كان يبغض احدا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم او كان في قلبه لهم غل فليس له حق في فيء المسلمين ثم قرأ والذين جاؤا من بعدهم **فصل** قال القرطبي دلت هذه الاية على ان الصحيح من اقوال العلماء قسمة المنقول وابقاء العقار والارض بين المسلمين اجمعين كما فعل عمر رضي الله عنه الا ان يجتهد الوالي فينفذ امرا فيمضي عمله فيه لاختلاف الناس فيه وان هذه الاية قاضية بذلك لان الله تعالى اخبر عن الفيء وجعله لثلاثة طوايف المهاجرين والانصار وهم معلومون والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان فهي عامة في جميع التابعين الاتين بعدهم الى يوم الدين يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وددت لو رايت اخواننا فقالوا يا رسول الله السنا اخوانك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انتم اصحابي واخواننا الذين لم ياتوا بعد وانا فرطهم على الحوض فبين النبي صلى الله عليه وسلم ان اخوانهم كل من ياتي بعدهم لا كما قال السدي والكلبي انهم الذين هاجروا بعد ذلك وعن الحسن ايضا ان الذين جاؤا من بعدهم من قصد الى النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد انقطاع الهجرة **قوله تعالى** يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان قيل امروا ان يستغفروا لمن سبق هذه الامة من مؤمني اهل الكتاب قالت عايشة رضي الله عنها فامروا ان يستغفروا لهم فسبوهم وقيل امروا للسابقين الاولين من المهاجرين والانصار قال ابن عباس رضي الله عنه امر الله سبحانه بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهو يعلم انهم سيفتنون وقالت عايشة رضي الله عنها امرتم بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب هذه الامة حتى يلعن اخرها اولها وقال ابن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا رايتم الذين يسبون اصحابي فقولوا لعن الله شركم وقال العوام بن حوشب ادركت هذه الامة يقولون اذكروا محاسن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تتالف عليهم القلوب ولا تذكروا ما شجر بينهم فتجرشوا الناس عليهم وقال الشعبي رضي الله عنه تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سيلت اليهود من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب موسى صلوات الله عليه وسيلت النصارى من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب عيسى صلوات الله عليه وسيلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول الى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله بسفك دمايهم وادحاض حجتهم اعاذنا الله واياكم من الاهواء المضلة ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا اي حسدا وبغضا ربنا انك رؤف رحيم **قوله تعالى** الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم

للتبليغ فقط خلاف قوله عز وجل قال الذين كفروا للذين امنوا انها تحتمل ذلك وتحتمل العلة **قوله** قال القرطبي هذه
الاية سيقت للتعجب من اغترار اليهود لما وعدتهم المنافقون من النصر معهم مع علمهم بانهم لا يعتقدون دينا ولا كتابا
قال المقاتلان يعني عبد الله بن ابي سلول وعبد الله بن نبتل ورفاعة بن زيد وقيل رفاعة بن تابوت واوس بن قيظي
كانوا من الانصار ولكنهم نافقوا قالوا اليهود قريظة والنضير والاخوان ثم الاخوة وهي هنا تحتمل وجوها احدها الاخوة
في الكفر لان اليهود والمنافقين اشتركوا في عموم الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وثانيها الاخوة بسبب المصادقة
والموالاة والمعاونة وثالثها الاخوة بسبب اشتراكهم في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا لليهود لئن اخرجتم
من المدينة لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وقيل هذا من قول بني النضير لقريظة وقولهم
ولا نطيع فيكم احدا ابدا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا لا نطيعه في قتالكم وفيه دليل على صحة نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم من جهة علم الغيب لانهم اخرجوا فلم يخرجوا معهم وقوتلوا فلم ينصروهم كما قال سبحانه وتعالى والله
يشهد انهم لكاذبون اي في قولهم وفعلهم فقولهم لا نطيع فيكم احدا ابدا اي في قتالكم او في خذلانكم **قوله تعالى** وان
قوتلتم لننصرنكم اجيب القسم المقدر لان قبل ان لام موطئة حذفت للعلم بها كما قال الاكثر الاتيان بها ومثله قوله
تعالى وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن وقد تقدم **قوله تعالى** لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم
ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون اجيب القسم لسبقه ولذلك رفعت الافعال ولم تجزم وحذف جواب
الشرط لدلالة جواب القسم عليه ولذلك كان فعل الشرط ماضيا وقال ابو البقاء قوله تعالى لا ينصرونهم لما كان
الشرط ماضيا ترك جزم الجواب انتهى وهو غلط لان لا ينصرونهم ليس جوابا للشرط بل هو جواب للقسم وجواب الشرط
محذوف كما تقدم وكانه توهم انه من باب قوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وقد
سبق ابا البقاء ابن عطية الى ما يوهم شيئا من ذلك ولكنه صرح بانه جواب القسم فقال جاءت الافعال غير مجزومة
في لا يخرجون ولا ينصرون لانها راجعة على حكم القسم لا على حكم الشرط وفي هذا نظر فقوله وفي هذا نظر يوهم انه جاء على خلاف
ما يقتضيه القياس وليس كذلك بل جاء على ما يقتضيه القياس وفي هذه الضمائر قولان احدهما انها كلها للمنافقين
والثاني انها مختلفة بعضها لهؤلاء وبعضها لهؤلاء **فصل** اعلم انه تعالى عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها وقد
اخبر تعالى ان هؤلاء اليهود لئن اخرجوا فالمنافقين لا يخرجون معهم وكان الامر كذلك لان بني النضير لما اخرجوا لم
يخرج معهم المنافقون وقاتلوا ايضا فما نصروهم وهذا كما يقول المعترض الطاعن في كلام الغير لا نسلم ان الامر كما تقول
ولئن سلمنا ان الامر كما تقول الا انه لا يفيد لك فايدة فكذا ههنا ذكر تعالى انهم لا ~~يخرجون معهم~~ وبتقدير ان يخرجوا
لا ينصرونهم وبتقدير ان ينصروهم الا انهم لا بد وان يتركوا النصرة وينهزموا ويتركوا اولئك المنصورين في ايدي
اعدائهم ونظير هذه الاية قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون وقيل معنى
لا ينصرونهم طائعين ولئن نصروهم مكرهين ليولن الادبار وقيل معنى لا ينصرونهم لا يدومون على نصرهم هذا
على ان الضمائر متفقة وعلى اختلاف الضمائر فالمعنى لئن اخرج اليهود لا تخرج معهم المنافقون ولئن قوتلوا
لا ينصرونهم ولئن نصروهم اي ولئن نصر اليهود المنافقون ليولن الادبار **قوله تعالى** لانتم اشد رهبة
رهبة مصدر من رهب المبني للمفعول فالرهبة واقعة من المنافقين لا من المخاطبين كانه قيل لانتم اشد
مرهوبية في صدورهم من الله فالمخاطبون مرهوبون وهو كقول كعب بن زهير رضي الله عنه في مدح
رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلهو اخوف عندي اذ اكلمه ✱ وقيل انك محبوس ومقتول
من ضيغم بتراء الارض مخدره ✱ ببطن عثر غيل دونه غيل

ورهبة تمييز **فصل** المعنى لانتم يا معشر المسلمين اشد رهبة اي خوفا وخشية في صدورهم من الله يعني صدور
بني النضير وقيل صدور المنافقين ويحتمل ان يرجع الى الفريقين اي يخافون منكم اكثر مما يخافون من ربهم ذلك اشارة
الى الخوف اي ذلك الخوف بانهم قوم لا يفقهون قدر عظمة الله تعالى وقدرته حتى يخشوه حق خشيته **قوله** لا يقاتلونكم
جميعا يعني اليهود والمنافقين لا يقدرون على مقاتلتكم مجتمعين الا اذا كانوا في قرى محصنة بالخنادق والدروب
والحيطان انها تمنعهم منكم او من وراء جدار اي من خلف حيطان يستترون بها لجبنهم ورهبتهم **قوله** جميعا حال
والا في قرى متعلق بيقاتلونكم وقوله جدار قرا ابن كثير وابو عمرو جدار بالافراد وفيه اوجه احدها انه السور
والسور الواحد يعم الجميع من المقاتلة ويسترهم والثاني انه واحد في معنى الجمع لدلالة السياق عليه والثالث
ان كل فرقة منهم وراء جدار لا انهم كلهم وراء جدار والباقون قرءوا جدر بضمتين اعتبارا بان كل فرقة وراء جدار فجمع
لذلك وقرا الحسن وابو رجاء وابن وثاب والاعمش وتروى عن ابن كثير وعاصم بضمة وسكون فقيل هي لغة في الجدار
وقال ابن عطية معناه اصل بنيان كالسور ونحوه وهي تخفيف الاولى وقرا ابن كثير ايضا في رواية هرون عنه وهي
قراءة كثير من المكيين جدر بفتحة وسكون فقيل هي لغة في الجدار وقال ابن عطية معناه اصل بنيان كالسور ونحوه

ونحوه قال ويحتمل ان يكون من جدر النخل اي من وراء نخيلهم يقال اجدر النخل اذا طلعت رؤوسه في اول الربيع والجدر نبت
واحده جدارة وقرئ جدر بفتحتين حكاها الزمخشري وهي لغة في الجدار ايضا وقرئ جدر بضم الجيم واسكان الدال جمع الجدار
قال القرطبي ويجوز ان يكون الالف في الواحد كالف كتاب وفي الجمع كالف ظراف ومثله ناقة هجان ونوق هجان لانك
تقول في التثنية هجانان فصار لفظ الواحد والجمع مشتبهين في اللفظ مختلفين في المعنى قاله ابن جني **قوله** باسهم بينهم
شديد بينهم متعلق بشديد وجميعا مفعول ثان اي مجتمعين وقلوبهم شتى جملة حالية او مستانفة للاخبار بذلك
والعامة على شتى بلا تنوين لانها الف تانيث ومن كلامهم شتى تؤوب الحلبة اي متفرقين وقال اخر

الى الله اشكو فتية شقت العصا ✱ هي اليوم شتى وهي امس جميع

وقرا مبشر بن عبيد شتى منونة كانه جعلها الف الالحاق وفي قراءة ابن مسعود وقلوبهم اشت يعني اشد تشتيتا اي اشد اختلافا **فصل**
معنى باسهم بينهم شديد اي عداوة بعضهم لبعض قاله ابن عباس وقال مجاهد باسهم بينهم شديد بالكلام والوعيد
لنفعلن كذا وقال السدي المراد اختلاف قلوبهم حتى لا يتفقوا على امر واحد وقيل باسهم بينهم شديد اي اذا لم
يلقوا عدوا نسبوا انفسهم الى الشدة والباس واذا لقوا العدو انهزموا تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى يعني اليهود والمنافقين
قاله مجاهد وعنه ايضا يعني المنافقين وقال الثوري هم المشركون واهل الكتاب وقال قتادة تحسبهم جميعا اي مجتمعين
على امر وراي وقلوبهم شتى اي متفرقة فاهل الباطل مختلفة اراؤهم وهم مجتمعون في عداوة اهل الحق وعن مجاهد ايضا
اراد ان دين المنافقين مخالف لدين اليهود وهذا يقوي انفس المؤمنين عليهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون اي ذلك
التشتيت والكفر بانهم لا يعقلون امر الله وقيل لا يعقلون ما فيه الحظ لهم وقيل لا يعقلون ان تشتيت القلوب
مما يوهن قواهم **قوله تعالى** كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدا مضمر اي مثلهم مثل هؤلاء وقريبا فيه وجهان احدهما انه
منصوب بالتشبيه المتقدم اي يشبهونهم في زمن قريب سيقع لا يتاخر ثم بين ذلك بقوله ذاقوا وبال امرهم
والثاني انه منصوب بذاقوا اي ذاقوه في زمن قريب سيقع ولم يتاخر وانتصابه في وجهيه على ظرف الزمان **فصل**
يعني مثل هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم قال ابن عباس يعني به بني قينقاع امكن الله منهم قبل بني النضير وقال قتادة
يعني بني النضير امكن الله منهم قبل قريظة وكان بينهما سنتان وقال مجاهد يعني كفار قريش يوم بدر وكان ذلك قبل غزوة
بني النضير قاله مجاهد وكانت وقعة بدر قبل غزوة بني النضير بستة اشهر فلذلك قال قريبا وقيل هو عام في كل من انتقم
منه على كفره قبل بني النضير من نوح الى محمد صلى الله عليه وسلم وبال اي جزاء كفرهم ومن قال هم بنو قريظة جعل وبال امرهم
نزولهم على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم بقتل المقاتلة وسبي الذرية وهو قول الضحاك ومن قال المراد بني النضير قال وبال
امرهم الجلاء والنفي ولهم عذاب اليم في الاخرة **قوله تعالى** كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر وهذا مثل ضربه الله للمنافقين
واليهود في تخاذلهم وعدم الوفاء في نصرتهم وحذف حرف العطف ولم يقل وكمثل الشيطان لان حذف حرف العطف
كثير كقولك انت عاقل انت كريم انت عالم وقوله كمثل الشيطان كالبيان لقوله كمثل الذين من قبلهم **فصل**
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الانسان الذي قال له الشيطان اكفر راهب نزلت عنده امراة اصابها
لمم ليدعو لها فزين له الشيطان فوطئها فحملت ثم قتلها خوفا ان يفتضح فدل الشيطان قومها على موضعها
فجاءوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاءه الشيطان فوعده ان سجد له انجاه منهم فسجد له فتبرا منه
فاسلمه ذكره القاضي اسمعيل وعلي بن المديني عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد
ابن رفاعة الزرقي عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر خبره مطولا وذكر ابن عباس في قوله كمثل الشيطان كان
راهبا في الفترة يقال له برصيصا قد تعبد في صومعته سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين حتى اعيا
ابليس وذكر خبر برصيصا بتمامه قال ابن عباس فضرب الله هذا مثلا للمنافقين مع اليهود وذلك ان الله
تعالى امر نبيه ان يجلي بني النضير من المدينة فدس اليهم المنافقون ان لا تخرجوا من دياركم فان قاتلوكم كنا
معكم وان اخرجوكم كنا معكم فحاربوا النبي صلى الله عليه وسلم فخذلهم المنافقون وتبرءوا منهم كما تبرا الشيطان
من برصيصا العابد وقيل المعنى مثل المنافقين في غدرهم لبني النضير كمثل ابليس اذ قال لكفار قريش لا غالب
لكم اليوم من الناس واني جار لكم الاية وقال مجاهد المراد بالانسان ههنا جميع الناس في غرور الشيطان
اياهم ومعنى قوله تعالى قال له اكفر اي اغواه حتى قال اني كافر وليس قول الشيطان اني اخاف الله رب
العالمين حقيقة انما هو على وجه التبري من الانسان فهو تاكيد لقوله تعالى اني بريء منك وفتح الياء من اني
نافع وابن كثير وابو عمرو واسكن الباقون **قوله** فكان عاقبتهما العامة على نصب عاقبتهما خبرا والاسم ان وما في
حيزها الا ان الاسم اعرف من عاقبتهما وقد تقدم تحرير هذا في ال عمران والانعام وقرا الحسن وعمرو بن عبيد
وابن ارقم برفعها على جعلها اسما وان وما في حيزها خبرا كقراءة ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا **قوله** خالدين فيها
العامة على نصبه حالا من الضمير المستكن في الجار لوقوعه خبرا والتثنية ظاهرة فمن جعل الاية مخصوصة في

الراهب والشيطان ومن جعلها في الجنس فالمعنى فكان عاقبة الفريقين او الصنفين قال مقاتل يعني المنافقين واليهود ونصب عاقبتهما على انه خبر كان والاسم انهما في النار وقرا عبد الله وزيد بن علي والاعمش وابن ابي عبلة برفعه خبرا والظرف ملغى فيتعلق بالخبر وعلى هذا فيكون تاكيدا لفظيا للحرف واعيد معه ضمير ما دخل عليه كقوله ففي الجنة خالدين فيها وهذا على مذهب سيبويه فانه يجيز الغاء الظرف وان اكد والكوفيون يمنعونه وهذا حجة عليهم وقد يجيبون بانا ان الظرف في هذه القراءة ملغى بل نجعله خبرا لان وخالدان خبر ثان وهو محتمل لما قالوه الا ان الظاهر خلافه قال القرطبي وهذه القراءة خلاف المرسوم وقوله وذلك جزاء الظالمين اي المشركين كقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم **قوله** يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في اوامره ونواهيه واداء فرايضه واجتناب معاصيه ولتنظر نفس ما قدمت لغد يعني يوم القيامة والعرب تكني عن المستقبل بالغد وقيل ذكر الغد تنبيها على ان الساعة قريبة كقوله وان غدا للناظرين قريب وقال الحسن وقتادة قرب الساعة حتى جعلها كغد لان كل آت قريب والموت لا محالة آت ومعنى ما قدمت اي من خير او شر وتنكير النفس لاستقلال الانفس التي تنظر فيما قدمت للاخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك وتنكير الغد لتعظيمه وابهام امره كانه قيل الغد لا تعرف كنهه لعظمه وقرا العامة بسكون لام الامر في قوله ولتنظر وابو حيوة ويحيى بن الحرث بكسرها على الاصل والحسن بكسرها ونصب الفعل جعلها لام كي ويكون المعلل مقدرا اي ولتنظر نفس حذركم واعلمكم **قوله** واتقوا الله تاكيد وقيل كرر لتغاير متعلق التقويين فمتعلق الاولى اداء الفرايض لاقترانه بالعمل والثانية ترك المعاصي لاقترانه بالتهديد والوعيد قاله معناه الزمخشري ثم قال ان الله خبير بما تعملون قال سعيد بن جبير بما تعملون اي بما يكون منكم **قوله** ولا تكونوا العامة على الخطاب وابو حيوة بالغيبة على الالتفات نسوا الله اي تركوه فانساهم انفسهم ان يعملوا لها خيرا قاله المقاتلان وقيل نسوا حق الله فانساهم حق انفسهم قاله سفيان وقيل نسوا الله بترك شكره وتعظيمه فانساهم انفسهم بالعذاب ان يذكر بعضهم بعضا حكاه ابن عيسى وقال سهل بن عبد الله نسوا الله عند الذنوب فانساهم انفسهم عند التوبة وقيل انساهم انفسهم اي اراهم يوم القيمة من الاهوال ما نسوا فيه انفسهم كقوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ونسب تعالى الفعل الى نفسه في انساهم اذ كان ذلك بسبب امره ونهيه كقولك احمدت الرجل اذا وجدته محمودا وقيل نسوا الله في الرخا فانساهم انفسهم في الشدا اولئك هم الفاسقون قال ابن جبير العاصون وقال ابن زيد الكاذبون واصل الفسق الخروج اي الذين خرجوا عن طاعة الله **قوله** لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اي في الفضل والرتبة لما ارشد المؤمنين الى ما هو مصلحتهم يوم القيمة بقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين بقوله الذين نسوا الله فانساهم انفسهم بين بهذه الاية الفرق بين الفريقين واعلم ان الفرق بينهما معلوم بالضرورة وانما ذكر الفرق في مثل هذا الموضع للتنبيه على عظم ذلك الفرق ثم قال اصحاب الجنة هم الفايزون وهذا كالتفسير لنفي تساويهما وهم يجوز ان يكون فصلا وان يكون مبتدا فعلى الاول الاخبار بالمفرد وعلى الثاني بجملة ومعنى الفايزون اي المقربون المكرمون وقيل الناجون من النار ونظير هذه الاية قوله لا يستوي الخبيث والطيب وقوله افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون وقوله ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار وقد مضى الكلام في ذلك

فصل احتجت المعتزلة على ان صاحب الكبيرة لا يدخل الجنة بهذه الاية قالوا لان الاية دلت على ان اصحاب النار واصحاب الجنة لا يستويان فلو دخل صاحب الكبيرة الجنة لكان اصحاب الجنة واصحاب النار يستويان وهو غير جايز وجوابه معلوم

فصل دلت هذه الاية على ان المسلم لا يقتل بالذمي كما هو مذكور في كتب الفقه **قوله** لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا حث على تامل مواعظ القران وبين انه لا عذر في ترك التدبر فانه لو خوطب بهذا القران الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرايتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة اي متشققة من خشية الله والخاشع الذليل والمتصدع المتشقق وقيل خاشعا لله بما كلفه من طاعته متصدعا من خشية الله ان يعصيه فيعاقبه وقيل هو على وجه المثل للكفار كقوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس اي انه لو انزل هذا القران على الجبل لخشع لوعده وتصدع لوعيده وانتم ايها المقهورون باعجازه لا ترغبون في وعده ولا ترهبون من وعيده والغرض من هذا الكلام التنبيه على فساد قلوب هؤلاء الكفار وغلظ طباعهم ونظيره ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لو انزلنا هذا القران يا محمد على جبل لما ثبت ولا تصدع من نزوله عليه وقد انزلناه عليك وثبتناك له فيكون ذلك امتنانا عليه ان ثبته لما لم تثبت عليه الجبال وقيل انه خطاب للامة وان الله تعالى لو انذر بهذا القران الجبال لتصدعت من خشية الله والانسان اقل قوة واكثر ثباتا فهو يقوم بحقه ان اطاع ويقدر على رده ان عصى لانه موعود بالثواب ومزجور بالعقاب **قوله** خاشعا حال

لان الرؤية بصرية وقرا طلحة مصدعا بادغام التاء في الصاد **قوله** هو الله الذي لا اله الا هو لما وصف القران بالعظم ومعلوم ان عظم الصفة تابع لعظم الموصوف اتبع ذلك بشرح عظمة الله تعالى فقال هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم قال ابن عباس معناه عالم السر والعلانية وقيل ما كان وما يكون وقال سهل عالم بالاخرة والدنيا وقيل الغيب ما لم يعلمه العباد ولا عاينوه والشهادة ما علموا وشاهدوا وتقدم الرحمن الرحيم بتقدم مسئلة **قوله** هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس قرا ابو ذر وابو السمال القدوس بفتح القاف قال الحسن هو الذي كثرت بركاته والعامة بضمها وهو المنزه عن كل نقص والطاهر عن كل عيب والقدس بالتحريك السطل بلغة اهل الحجاز لانه يتطهر به ومنه القادوس لواحد الاواني التي يستخرج بها الماء من البير بالسانية وكان سيبويه يقول قدوس وسبوح بفتح اولهما وحكى ابو حاتم عن يعقوب انه سمع عند الكسائي اعرابيا فصيحا يكنى ابا الدنيا يقرا القدوس بفتح القاف قال ثعلب كل اسم على فعول فهو مفتوح الاول مثل سفود وكلوب وتنور وسمور وشبوط الا السبوح والقدوس فان الضم فيهما اكثر وقد يفتحان وكذلك الذروح بالضم **قوله** السلام اي ذو السلامة من النقايص قال ابن العربي اتفق العلماء على ان قوله السلام النسبة تقديره ذو السلامة ثم اختلفوا في ترجمة النسبة فقيل معناه الذي سلم من كل عيب وبري من كل نقص وقيل المسلم على عباده في الجنة كما قال سلام قولا من رب رحيم وقيل معناه الذي سلم الخلق من ظلمه وهذا قول الخطابي قال القرطبي وعلى هذا والذي قبله يكون صفة فعل وعلى الاول يكون صفة ذات وقيل معناه المسلم لعباده **قوله** المؤمن اي الذي امن اولياءه عذابه يقال امنه يؤمنه فهو مؤمن وقيل المصدق لرسله باظهار معجزاته عليهم ومصدق المؤمنين ما وعدهم من الثواب ومصدق الكافرين ما اوعدهم من العقاب وقال مجاهد المؤمن الذي وحد نفسه بقوله شهد الله انه لا اله الا هو وقرا العامة المؤمن بكسر الميم اسم فاعل من امن بمعنى امن وابو جعفر محمد بن علي بن الحسين وقيل ابن القعقاع بفتحها فقال الزمخشري بمعنى المؤمن به على حذف حرف الجر كقوله واختار موسى قومه المختارون وقال ابو حاتم لا يجوز ذلك اي هذه القراءة لانه لو كان كذلك لكان المؤمن به وكان جايزا لكن المؤمن المطلق بلا حرف جر يكون من كان خايفا فامن فقد رد ما قاله الزمخشري

فصل قال ابن عباس اذا كان يوم القيمة اخرج اهل التوحيد من النار واول من يخرج من وافق اسمه اسم نبي حتى اذا لم يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبي قال الله تعالى لباقيهم انتم المسلمون وانا السلام وانتم المؤمنون وانا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين **قوله** المهيمن العزيز قيل معنى المهيمن الشاهد الذي لا يغيب عنه شي وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل قال الخليل وابو عبيدة هيمن يهيمن فهو مهيمن وقد تقدم الكلام عليه عند قوله ومهيمنا عليه وقال ابن الانباري المهيمن القايم على خلقه برزقه وانشد

الا ان خير الناس بعد نبيه مهيمنه التاليه في العرف والنكر

وقيل هو في الاصل مؤيمن فقلبت الهمزة هاء كقوله ارقت وهرقت ومعناه المؤمن نقله البغوي وتقدم الكلام على العزيز **قوله** الجبار استدل به من يقول ان امثلة المبالغة تاتي من المزيد على الثلاثة فانه من اجبره على كذا اي قهره قال الفرا ولم اسمع فعالا من افعل الا في جبار ودراك من ادرك انتهى واستدرك عليه اسار فهو سار وقيل هو من الجبر وهو الاصلاح وقيل هو من قولهم نخلة جبارة اذا لم تنلها الجناة قال امرؤ القيس سوامق جبار اثيث فروعه وعالين قنوانا من البسر احمرا يعني النخل التي فاتت اليد قال ابن الخطيب فيه وجوه احدها انه فعال من جبر اذا اغنى الفقير واصلح الكسير قال الازهري هو لعمري كل كسير وفقير وهو جابره به الذي ارتضاه قال العجاج قد جبر الدين الاله فجبر الثاني ان يكون من جبره اذا اكرهه على ما اراده قال السدي انه الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما اراده قال الازهري هي لغة تميم وكثير من الحجازيين يقولونها وكان الشافعي رحمه الله يقول جبره السلطان على كذا بغير الف الثالث قال ابن عباس الجبار هو الملك العظيم وقيل الجبار الذي لا تطاق سطوته قال الواحدي هذا الذي ذكرنا من معاني الجبار في صفة الله تعالى واما معاني الجبار في صفة الخلق فلها معان احدها المسلط كقوله وما انت عليهم بجبار الثاني العظيم الجسم كقوله تعالى ان فيها قوما جبارين الثالث المتمرد عن عبادة الله تعالى كقوله ولم يجعلني جبارا الرابع القتال كقوله بطشتم جبارين وقوله ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض **قوله** المتكبر قال ابن عباس الذي تكبر بربوبيته فلا شي مثله وقيل المتكبر عن كل سوء المتعظم عما لا يليق به من صفات الحدث والذم واصل الكبر والكبرياء الامتناع وقلة الانقياد قال حميد بن ثور عفت مثل ما يعفو الفصيل فاصبحت بها كبرياء الصعب وهي ذلول قال الزجاج هو الذي تعظم عن ظلم عباده وقال ابن الانباري المتكبر ذو الكبرياء والكبرياء عند العرب الملك قال تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض واعلم ان [illegible] في صفات الله [illegible] وفي صفات المخلوقين ذم قال عليه السلام فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى انه قال الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما قصمته ثم قذفته في النار وقيل المتكبر معناه العالي وقيل معناه الكبير لانه اجل من ان يتكلف كبرا وقد يقال تظلم بمعنى ظلم وتشتم

عنى تشمر واستشعر بمعنى قر كذلك المتكبر بمعنى الكبير وليس كما يوصف به المخلوق فاذا وصف بتفعل اذا نسب الى ما لم يكن منه
لكن مرآة نفسه فقال سبحان الله عما يشركون كانه قال ان المخلوقين قد يتكبرون ويدعون مشاركة الله في هذا
الوصف لكنه سبحانه منزه عن التكبر الذي هو حاصل للمخلوق لانهم ناقصون بحسب ذواتهم فادعاؤهم الكذب يكون
ضم نقصان الكذب الى النقصان الذاتي واما الله سبحانه فله العلو والعز فاذا اظهره كان ذلك ضم كمال الى كمال
فسبحان الله عما يشركون في اثبات صفة المتكبرية للمخلوق **قوله** هو الله الخالق البارئ الخالق هنا المقدر والبارئ
المنشئ المخترع وقدم ذكر الخالق على البارئ لان الارادة مقدمة على تاثير القدرة **قوله** المصور العامة على كسر الواو
ورفع الراء اما صفة واما خبر وقرا امير المؤمنين علي بن ابي طالب والحسن وابن السميفع وحاطب بن ابي بلتعة بفتح
الواو ونصب الراء وخرجها على ان يكون منصوبا بالبارئ والمصور هو الانسان اما ادم واما هو وبنوه وعلى هذه القراءة
يحرم الوقف على المصور بل يجب الوصل ليظهر النصب في الراء والا فقد يتوهم منه في الوقف ما لا يجوز وروى عن امير
المؤمنين ايضا فتح الواو وجر الراء وهي كالاولى في المعنى الا انه اضاف اسم الفاعل لمعموله تخفيفا نحو الضارب الرجل
والوقف على المصور في هذه القراءة ايضا حرام وقد نبه عليه بعضهم وقال مكي ويجوز نصبه في الكلام ولا بد من فتح
الواو فينتصب بالبارئ اي هو الله الخالق المصور يعني ادم عليه السلام وبنيه انتهى وكانه لم يطلع على هذه القراءة وقال
ايضا ولا يجوز نصبه مع كسر الواو ويروى عن علي رضي الله عنه يعني انه اذا كسرت الواو وكان من صفات الله تعالى وحينئذ
لا يستقيم نصبه عنده لان نصبه باسم الفاعل قبله وقوله ويروى اي كسر الواو ونصب الراء واذا صح هذا عن امير
المؤمنين فيتخرج على انه من القطع كانه قيل امدح المصور كقولهم الحمد لله اهل الحمد بنصب اهل وقراءة من قرا لله رب
العالمين بنصب رب قال مكي والمصور مفعل من صور يصور ولا يحسن ان يكون من صار يصير لانه يلزم منه ان يقال
المصير بالياء ومثل هذا من الواضحات ولا يقبله المعنى ايضا وقدم البارئ على المصور لان ايجاد الذوات مقدم على ايجاد
الصفات فالتصوير مرتب على الخلق والبراية وتابع لهما ومعنى التصوير التخطيط والتشكيل وخلق الله الانسان في بطن
امه ثلاث خلق جعله علقة ثم مضغة ثم جعله صورة وهو التشكيل الذي يكون به ذا صورة يعرف بها ويتميز عن غيره فتبارك
الله احسن الخالقين **قوله** له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم تقدم نظيره وروى ابو
هريرة قال سالت خليلي ابا القسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر سورة الحشر فاكثر قراءتها
فاعدت عليه فاعاد علي وقال جابر بن زيد ان اسم الله الاعظم هو الله لمكان هذه الاية وعن انس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من قرا سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وعن ابي امامة قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا خواتيم سورة الحشر في ليل او نهار فقبضه الله في تلك الليلة او ذلك اليوم فقد اوجب الله له الجنة

سورة الممتحنة

وتسمى الممتحنة بكسر الحاء اي المختبرة اضيف الفعل اليها مجازا كما سميت سورة براءة المبعثرة والفاضحة لما كشفت من عيوب
المنافقين ومن قال بفتح الحاء فانه اضافها الى المراة التي نزلت فيها وهي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط قال الله
تعالى فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن وهي ثلاث عشرة اية وثلاث مائة وثمان واربعون كلمة والف وخمس مائة
وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الاية وجه تعلق
اول هذه السورة باخر ما قبلها هو ان اخر تلك السورة يشتمل على الصفات الجميلة اللائقة بحضرة الله تعالى من الوحدة
وغيرها واول هذه السورة يشتمل على حرمة الاخلاء مع من لم يعترف بتلك الصفات **قوله** عدوي وعدوكم اولياء هذان
مفعولا الاتخاذ والعدو لما كان بزنة المصادر وقع على الواحد فما فوقه واضاف العدو لنفسه تعالى تغليظا في جرمهم
روى مسلم عن علي رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال ائتوا روضة خاخ
فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا فاذا نحن بالمراة وهي امراة عبد الرحمن بن عوف
والدة ابراهيم بن عبد الرحمن فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب فاخرجته
من عقاصها فاتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين من اهل مكة
يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا فقال لا تعجل علي يا رسول
الله اني كنت امرا ملصقا في قريش قال سفين يقول حليفا ولم اكن من انفسها وكان من معك من المهاجرين من له
قرابات يحمون اهليهم واموالهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب ان اتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ولم افعله
كفرا ولا ارتدادا عن ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه قد صدقكم فقال عمر يا رسول الله دعني
اضرب عنق هذا المنافق فقال انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم

ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الى قوله سواء السبيل قيل اسم
المراة سارة من موالي قريش وكان في الكتاب اما بعد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير
كالسيل واقسم بالله لو لم يسر اليكم الا وحده لاظفره الله بكم وانجز له موعده فيكم فان الله وليه وناصره وقيل ان
سارة مولاة ابي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف اتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز
لفتح مكة قيل كان هذا زمن الحديبية فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم امهاجرة جئت يا سارة فقالت لا قال امسلمة
جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والاصل والعشيرة وقد ذهبت الموالي يعني قتلوا يوم بدر وقد احتجت
حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني فقال عليه السلام فاين انت عن شباب اهل مكة وكانت مغنية نائحة
قالت ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وبني المطلب على اعطائها فكسوها
وحملوها واعطوها فخرجت الى مكة واتاها حاطب بن بلتعة حليف بني اسد بن عبد العزى وقال اعطيك عشرة دنانير
وبردا على ان تبلغي هذا الكتاب الى اهل مكة وكتب في الكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت
سارة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث عليا والزبير وابا مرثد الغنوي وفي رواية
عليا والزبير والمقداد وفي رواية عليا وعمار بن ياسر وفي رواية عليا وعمارا وعمر والزبير وطلحة والمقداد وابا
مرثد وكانوا كلهم فرسانا وقال لهم انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة ومعها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه
منها وخلوا سبيلها فان لم تدفعه اليكم فاضربوا عنقها فادركوها في ذلك المكان فقالوا اين الكتاب فحلفت ما معها كتاب
ففتشوا امتعتها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب
والا والله لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رات الجد اخرجته من ذوائبها قد خبأته في شعرها وفي رواية من حجزتها
فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى حاطب فقال هل تعرف هذا الكتاب قال نعم
وذكر الحديث **فصل** هذه السورة اصل في النهي عن موالاة الكفار وقد تقدم نظيره كقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء وقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وروي ان
حاطبا لما سمع يا ايها الذين امنوا غشي عليه من الفرح بخطاب الايمان **قوله** تلقون فيه اربعة اوجه احدها انه تفسير لموالاتهم
اياهم الثاني انه استيناف اخبار بذلك فلا يكون للجملة على هذين الوجهين محل من الاعراب الثالث انها حال من فاعل تتخذوا
اي لا تتخذوا ملقين المودة الرابع انها صفة لاولياء قال الزمخشري فان قلت اذا جعلته صفة لاولياء وقد جرى على غير من هو له
فاين الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم انتم بالمودة قلت ذاك انما اشترطوه في الاسماء دون الافعال لو قيل ملقين
اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز وقد تقدم منه هذه المسالة مستوفاة وفيها كلام لمكي وغيره الا ان ابا حيان
اعترض على كونها صفة او حالا بانهم نهوا عن اتخاذهم اولياء مطلقا في قوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء والتقييد بالحال
والوصف يوهم جواز اتخاذهم اولياء اذا انتفى الحال او الوصف قال شهاب الدين ولا يلزم ما قال لانه معلوم من القواعد
الشرعية فلا مفهوم لهما البتة وقال الفراء تلقون من صلة اولياء وهذا على اصولهم من ان النكرة توصل كغيرها من الموصولات
قوله بالمودة في الباء ثلاثة اوجه احدها ان الباء مزيدة في المفعول به كقوله ولا تلقوا بايديكم وقوله ومن يرد فيه
بالحاد الثاني انها غير مزيدة والمفعول محذوف ويكون معنى الباء السبب كانه قيل تلقون اليهم اسرار رسول الله صلى الله عليه
وسلم واخباره بسبب المودة التي بينكم وبينهم قاله الزجاج الثالث انها متعلقة بالمصدر الدال عليه تلقون اي القاؤهم
بالمودة نقله الحوفي عن البصريين وجعل القول بزيادة الباء قول الكوفيين الا ان هذا الذي نقله عن البصريين لا يوافق
اصولهم اذ يلزم منه حذف المصدر وابقاء معموله وهو لا يجوز عندهم وايضا فان فيه حذف الجملة برأسها فان القائم مقامه
وبالمودة متعلق به والخبر ايضا محذوف وهذا اجحاف **فصل** قال ابن الخطيب في الاية مباحث الاول اتخاذ العدو وليا
كيف يمكن والعداوة منافية للمحبة والجواب لا يبعد ان تكون العداوة بالنسبة الى امر والمحبة والمودة بالنسبة الى امر اخر
الا ترى قوله تعالى انما اموالكم واولادكم عدوا لكم وقال عليه السلام اولادنا اكبادنا الثاني لم قال عدوي وعدوكم ولم يقل
بالعكس والجواب ان العداوة بين المؤمن والكافر بسبب محبة الله ومحبة رسوله عليه السلام فتكون محبة العبد من اصل الايمان
بحضرة الله تعالى بعلة ومحبة حضرة الله تعالى للعبد لا لعلة والذي لا لعلة اقدم على الذي لعلة ولان الشيء اذا كانت له نسبة
الى الطرفين فالطرف الاعلى مقدم على الادنى الثالث قال اولياء ولم يقل وليا والعدو والولي معرفا فالجواب ان المعرف بحرف التعريف
يتناول كل فرد فكذلك المعرف بالاضافة **فصل** قال القرطبي قوله تلقون اليهم بالمودة يعني بالظاهر لان قلب حاطب
كان سليما بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اما صاحبكم فقد صدق وهذا نص في سلامة فؤاده وخلوص اعتقاده
فصل قال القرطبي من كثر تطلعه على عورات المسلمين وينبه عليهم ويعرف عدوهم باخبارهم لم يكن بذلك كافرا
اذا كان فعله ذلك لغرض دنياوي واعتقاده على ذلك سليم كما فعل حاطب حين قصد بذلك اتخاذ اليد ولم ينو الردة
عن الدين واذا قيل بانه لا يكون كافرا بذلك فهل يقتل حدا ام لا فقال مالك وابن القسم واشهب يجتهد الامام في

ذلك وقال عبد الملك اذا كانت عادته تلك قتل لانه جاسوس وقد قال مالك بقتل الجاسوس لاضراره بالمسلمين وسعيه بالفساد في الارض ولعل ابن الماجشون انما اتخذ التكرار في هذا لان حاطبا اخذ في اول فعله فان كان الجاسوس كافرا فقال الاوزاعي يكون نقضا لعهده وقال اصبغ الجاسوس الحربي يقتل والجاسوس المسلم والذمي يعاقبان الا ان يظاهرا على الاسلام فيقتلان وقد روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بعين للمشركين اسمه فرات بن حيان فامر به ان يقتل فصاح يا معشر الانصار اقتل وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فامر به النبي صلى الله عليه وسلم فخلى عنه سبيله ثم قال ان منكم من اكله الى ايمانه منهم فرات بن حيان. قوله وقد كفروا فيه اوجه احدها الاستيناف الثاني الحال من فاعل تتخذوا الثالث الحال من فاعل يلقون اي لا تتولوهم ولا توادوهم وهذه حالهم. وقرأ العامة بما بالباء والجحدري وعاصم في رواية لما باللام اي لاجل ما جاءكم من الحق فعلى هذا الشيء المكفور به غير مذكور وتقديره كفروا بالله ورسوله. قوله يخرجون الرسول يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون تفسيرا لكفرهم فلا محل له على هذين وان يكون حالا من فاعل كفروا. قوله واياكم عطف على الرسول وقدم عليهم تشريفا له وقد استدل به من يجوز انفصال الضمير مع القدرة على اتصاله اذ كان يجوز ان يقال يخرجونكم والرسول فيجوز يخرجون اياكم والرسول في غير القرآن وهو ضعيف لان حالة تقديم الرسول دلالة على شرفه لا تسلم انه يقدر على اتصاله وقد تقدم الكلام على هذه الآية عند قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم في سورة النساء. قوله ان تؤمنوا مفعول له وناصبه يخرجون اي يخرجونكم لايمانكم او كراهة ايمانكم. فصل قال القرطبي ان تؤمنوا بالله ربكم تعليل ليخرجون والمعنى يخرجون الرسول ويخرجونكم من مكة لان تؤمنوا بالله اي لاجل ايمانكم بالله قال ابن عباس وكان حاطب ممن خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في الكلام تقديم وتأخير والتقدير لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وقيل في الكلام حذف والمعنى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي شرط وجوابه مقدم والمعنى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء. قال ابو حيان ان كنتم خرجتم جوابه محذوف عند الجمهور لتقدم لا تتخذوا وهو مقدم وهو قوله لا تتخذوا عند الكوفيين ومن تابعهم وقال الزمخشري وان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه انتهى يريد انه متعلق به من حيث المعنى واما من حيث الاعراب فكما قال جمهور النحويين. قوله جهادا وابتغاء يجوز ان ينتصبا على المفعول له اي خرجتم لاجل الجهاد او على المصدر بفعل مقدر اي تجاهدون وتبتغون او على انهما في موضع الحال. قوله تسرون يجوز ان يكون مستأنفا ولم يذكر الزمخشري غيره ويجوز ان يكون حالا ثانية مما انتصب عنه تلقون حالا ويجوز ان يكون بدلا من تلقون قاله ابن عطية وشبهه ان يكون بدل اشتمال لان القاء المودة يكون سرا وجهرا فابدل منه هذا للبيان باي نوع وقع الالقاء قال القرطبي تسرون بدل من تلقون ومبين عنه والافعال تبدل من الافعال كما قال تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب وانشد سيبويه:

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ... تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

ويجوز ان يكون خبر مبتدأ مضمر اي انتم تسرون قاله ابن عطية ولا يخرج عن معنى الاستيناف وقال ابو البقاء هو توكيد لتلقون بتكرير معناه قال شهاب الدين وفيه نظر لان الالقاء اعم من ان يكون سرا وجهرا وتقدم الكلام على الباء في قوله بالمودة. قوله وانا اعلم هذه الجملة حال من فاعل تسرون اي واي طائل لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاسرار والاعلان سيان في علمي واعلم يجوز ان يكون افعل تفضيل وهو الظاهر اي انا اعلم من كل احد بما تخفون وما تعلنون وان يكون فعلا مضارعا قال ابن عطية وعدي بالباء لانك تقول علمت بكذا. فان قيل لم قدم العلم بالاخفاء على العلم بالاعلان مع ان ذلك مستلزم لهذا من غير عكس. فالجواب هذا بالنسبة الى علمنا لا بالنسبة الى علمه تعالى اذ هما سيان في علمه تعالى لان المقصود بيان ما هو الاخفاء وهو الكفر فيكون مقدما. فان قيل لم لم يقل بما اسررتم وما اعلنتم مع انه اليق بما سبق في قوله تسرون. فالجواب ان فيه من المبالغة ما ليس في ذلك فان الاخفاء ابلغ من الاسرار بدليل قوله يعلم السر واخفى اي اخفى من السر وعلمت كذا فتكون زائدة وفيه وانا اعلم من كل احد كما يقال فلان اعلم وافضل من غيره. فصل قال القرطبي وهذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله وكرامته ونصيحته لرسوله وصدق ايمانه فان المعاتبة لا تكون الا من محب لحبيب كما قال:

اذا ذهب العتاب فليس ود ... ويبقى الود ما بقي العتاب

فصل والمراد بالمودة في الآية النصيحة قال ابن عباس وانا اعلم بما اخفيتم في صدوركم وما اظهرتم بالسنتكم من الاقرار والتوحيد ومن يفعله منكم اي من يسر اليهم ويكاتبهم منكم فقد ضل سواء السبيل اي اخطأ قصد طريق الهدى. قوله ومن يفعله في الضمير وجهان اظهرهما انه يعود على الاسرار لانه اقرب مذكور والثاني انه يعود على الاتخاذ قاله ابن عطية. قوله سواء السبيل يجوز ان يكون منصوبا على الظرف ان قلنا ضل قاصر وان يكون مفعولا به ان قلنا هو متعد. فان قيل ما الفائدة في قوله منكم ومن المعلوم ان من فعل هذا فقد ضل سواء السبيل. فالجواب اذا كان المراد من قوله منكم هم المؤمنون فظاهر لان من

من يفعل ذلك لا يلزم ان يكون مؤمنا. قوله ان يثقفوكم يلقوكم ويصادفوكم ومنه المثاقفة اي طلب مصادفة الغرة في المسايفة وشبهها وقيل يثقفوكم يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء اي بالضرب والشتم. قوله وودوا لو تكفرون في ودوا وجهان احدهما انه معطوف على جواب الشرط وهو قوله يكونوا ويبسطوا قاله الزمخشري ثم رتب عليه سؤالا وجوابا فقال فان قلت كيف اورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي قلت الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا مضار الدنيا والآخرة جميعا. والثاني انه معطوف على جملة الشرط والجزاء ويكون تعالى قد اخبر بخبرين بما تضمنته الجملة الشرطية وبودادتهم كفر المؤمنين ورجح ابو حيان هذا واسقط به سؤال الزمخشري وجوابه فقال وكان الزمخشري فهم من قوله وودوا انه معطوف على جواب الشرط والذي يظهر انه ليس معطوفا عليه لان ودادتهم كفرهم ليست مترتبة على الظفر بهم والتسليط عليهم بل هم وادون كفرهم على كل حال سواء ظفروا بهم ام لم يظفروا انتهى. قال شهاب الدين والظاهر انه عطف على الجواب وقوله هم وادون ذلك مطلقا مسلم ولكن ودادتهم له عند الظفر والتسليط اقرب واطمع لهم فيهم. وقوله لو تكفرون يجوز ان تكون لو المصدرية عند من يرى ذلك وتقدم تحريره في البقرة. فصل والمعنى وودوا لو تكفرون بمحمد فلا تناصحوهم فانهم لا يناصحونكم. قوله لن تنفعكم ارحامكم لما اعتذر حاطب بان له ارحاما واولادا فيما بينهم بين الله تعالى ان الاهل والاولاد لا يغنون شيئا يوم القيامة ان عصي من اجل ذلك يفصل بينكم فيدخل المؤمنين الجنة ويدخل الكافرين النار والله بما تعملون بصير. قوله يوم القيامة يجوز فيه وجهان احدهما ان يتعلق بما قبله اي لن تنفعكم يوم القيامة فيوقف عليه ويبتدأ يفصل بينكم. والثاني ان يتعلق بما بعده اي يفصل بينكم يوم القيامة فيوقف على اولادكم ويبتدأ يوم القيامة. والقراء في يفصل بينكم على اربع مراتب الاولى لابن عامر بضم الياء وفتح الفاء والصاد مثقلة الثانية كذلك الا انه بكسر الصاد للاخوين الثالثة بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد مخففة لعاصم الرابعة بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد مخففة للباقين وهم نافع وابن كثير وابو عمرو وهذه في السبعة وقرأ ابن ابي عبلة وابو حيوة بضم الياء وسكون الفاء وكسر الصاد مخففة من افصل وابو حيوة ايضا نفصل بضم النون من افصل والنخعي وطلحة نفصل بضم النون وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة وقرأ ايضا وزيد بن علي نفصل بفتح النون وسكون الفاء وكسر الصاد مخففة فهذه اربع فصارت ثمان قراءات فمن بناه للمفعول فالقائم مقام الفاعل اما ضمير المصدر اي يفصل الفصل او الظرف وبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لقد تقطع بينكم في احد الاوجه او الظرف وهو باق على نصبه كقولك جلس عندك. ثم قال تعالى والله بما تعملون بصير وفيه سؤال وهو انه لم لم يقل خبير مع انه ابلغ في العلم بالشيء والحق ان الخبير ابلغ في العلم والبصير اظهر منه فيه فانه يجعله كالمحسوس بحس البصر. قوله قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم لما نهى عن موالاة الكفار ذكر قصة ابراهيم وان من سيرته التبري من الكفار اي فاقتدوا به الا في استغفاره لابيه. والاسوة والاسوة ما يتأسى به مثل القدوة والقدوة ويقال هو اسوتك اي مثلك وانت مثله وتقدم قراءتا اسوة في سورة الاحزاب والكلام على مادتها. قوله في ابراهيم فيه اوجه احدها انه متعلق باسوة تقول لي اسوة في فلان ومنع ابو البقاء ان يتعلق بها لانها قد وصفت وهذا لا يبالى به لانه يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره. الثاني انه متعلق بحسنة تعلق الظرف بالعامل. الثالث انه نعت ثان لاسوة. الرابع انه حال من الضمير المستتر في حسنة. الخامس ان يكون خبر كان ولكم تبيين. قوله والذين معه يعني اصحاب ابراهيم من المؤمنين وقال ابن زيد هم الانبياء. قوله اذ قالوا فيه وجهان احدهما انه خبر كان والثاني انه متعلق بخبرها قالهما ابو البقاء ومن جوز في كان ان تعمل في الظرف علقه بها والمراد بقومهم الكفار. قوله انا برآء هذه قراءة العامة بضم الباء وفتح الراء والف بين همزتين جمع بريء نحو كريم في جمع كرماء وعيسى الهمداني بكسر الباء وهمزة واحدة بعد الالف نحو كرام في جمع كريم وعيسى ايضا وابو جعفر بضم الباء وهمزة بعد الالف وفيه اوجه احدها انه جمع بريء ايضا والاصل كسر الباء وانما ابدل من الكسرة ضمة كرجال ورخال قاله الزمخشري الثاني انه جمع بريء ايضا واصله براء كالقراءة المشهورة الا انه حذف الهمزة الاولى تخفيفا قاله ابو البقاء الثالث انه اسم جمع لبريء نحو تؤام وظؤار اسمي جمع لتوأم وظئر وقرأ عيسى ايضا براء بفتح الباء وهمزة بعد الالف كالتي في الزخرف وصح ذلك لانه مصدر والمصدر يقع على الجمع كوقوعه على الواحد قال الزمخشري والبراء والبراءة كالظماء والظماءة وقال مكي واجاز ابو عمرو وعيسى بن عمر براء بكسر الباء جعله ككريم وكرام قال القرطبي هو على وزن فعال مثل قصار وقصير وطوال وطويل وظراف وظريف ويجوز ترك الهمزة حتى تقول برا وتنون واجاز الفراء براء بفتح الباء قال وبراء في الاصل مصدر كانه لم يطلع على انها قراءة منقولة. فصل قال القرطبي الاية نص في [illegible] الاقتداء بابراهيم [illegible] السلام في فعله وذلك يدل على ان شرع من قبلنا شرع لنا فيما اخبر الله ورسوله. قوله كفرنا بكم اي بما امنتم به من الاوثان وقيل اي بافعالكم وكذبناها وانكرنا ان تكونوا على حق وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا اي هذا دأبنا معكم ما دمتم على كفركم حتى تؤمنوا بالله

وذلك تحقيقه تشغلت المعاداة موالاة **قال قيل** ما الفائدة في قوله تؤمنوا بالله وحده والايمان انما هو بالله وبغيره كقوله كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله **فالجواب** ان الايمان بالله وحده مستلزم للايمان بالملائكة والكتب والرسل **قوله** الا قول ابرهيم فيه اوجه احدها انه استثناء متصل من قوله في ابرهيم ولكن لا بد من حذف مضاف ليصح الكلام تقديره في مقالات ابراهيم الا قوله كيت وكيت الثاني انه مستثنى من اسوة حسنة وجاز ذلك لان القول ايضا من جملة الاسوة لان الاسوة الاقتداء بالشخص في اقواله وافعاله فكانه قيل لكم فيه اسوة في جميع احواله من قول وفعل الا قوله كذا وهذا واضح لانه غير محوج الى تقدير مضاف وغير مخرج للاستثناء من الاتصال الذي هو اصله الى الانقطاع ولذلك لم يذكر الزمخشري غيره قال فان قلت مم استثنى قوله الا قول ابرهيم قلت من قوله اسوة حسنة لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم ان يتأسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها قال فان كان قوله لاستغفرن لك مستثنى من القول الذي هو اسوة حسنة فما بال قوله وما املك لك من الله من شيء وهو غير حقيق بالاستثناء الا ترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيا قلت اراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار وما بعده مبني عليه وتابع له كانه قال انا استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار الثالث قال ابن عطية ويحتمل ان يكون الاستثناء من التبري والقطيعة التي ذكرت اي لم تبق صلة الا كذا والله اعلم الرابع انه استثناء منقطع اي لكن قول ابرهيم وهذا بناء من قايليه على ان القول لم يندرج تحت قوله اسوة وهو ممنوع **فصل** قال القرطبي معنى قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك اي فلا تتأسوا به في الاستغفار ٥ فتستغفرون للمشركين فانه كان عن موعدة منه له قاله قتادة ومجاهد وغيرهما وقيل معنى الاستثناء ان ابرهيم هجر قومه وباعدهم الا في الاستغفار لابيه ثم بين عذره في سورة التوبة وفي هذا دلالة على تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء لانا حين امرنا بالاقتداء به امرنا امرا مطلقا في قوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحين امرنا بالاقتداء بابرهيم استثنى بعض افعاله وهذا انما جرى لانه ظن انه اسلم فلما بان انه لم يسلم تبرا منه وعلى هذا يجوز الاستغفار لمن يظن انه اسلم وانتم لم تجدوا مثل هذا الظن فلم توالونهم **قوله** وما املك لك من الله من شيء هذا من قول ابرهيم لابيه اي ما ادفع عنك من عذاب الله شيا ان اشركت به **قوله** ربنا عليك توكلنا يجوز ان يكون من مقول ابرهيم والذين معه فهو من جملة الاسوة الحسنة وفصل بينهما بالاستثناء ويجوز ان يكون منقطعا مما قبله على اضمار قول وهو تعليم من الله تعالى لعباده كانه قال لهم قولوا ربنا عليك توكلنا اي اعتمدنا واليك انبنا اي رجعنا واليك المصير اي الرجوع في الاخرة ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا اي لا تظهر عدونا علينا فيظنوا انهم على حق فيفتتنوا بذلك وقيل لا تسلطهم علينا فيقتلونا ويعذبونا وقال مجاهد لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما اصابهم ذلك وقيل لا تبسط عليهم الرزق دوننا فان ذلك فتنة لهم وقيل لا تجعلنا فتنة اي عذابا اي سبب العذاب به الكفرة وعلى هذه ليست الاية من قول ابرهيم عليه السلام واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم **قوله** لقد كان لكم فيهم اي في ابرهيم ومن معه من الانبياء والاولياء اسوة حسنة اي في التبري من الكفار وقيل كرر للتاكيد وقيل نزل الثاني بعد الاول بمدة قال القرطبي وما اكثر المكررات في القران على هذا الوجه **قوله** لمن كان يرجو الله بدل من الضمير في لكم بدل بعض من كل وقد تقدم مثله في الاحزاب والضمير في فيهم عائد على ابرهيم ومن معه وكررت الاسوة تاكيدا وفيه بيان ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الاخرة ومن يتول اي يعرض عن الايمان ويتول الكفار فان الله هو الغني عن خلقه اي لم يتعبدهم لحاجته اليهم الحميد الى اوليائه واهل طاعته وقيل الحميد في نفسه وصفاته **قوله** عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة قال المفسرون لما نزلت الاية الاولى عادى المسلمون اقرباءهم من المشركين فعلم الله شدة وجد المسلمين في ذلك فنزلت عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة اي من كفار مكة مودة وقد فعل الله ذلك لان عسى من الله وعد ولا يخلف الله وعده وهذا بان يسلم الكافر وقد اسلم قوم منهم بعد فتح مكة وخالطهم المسلمون كابي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وقيل المودة تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان فلانت عند ذلك عريكة ابي سفيان قال ابن عباس كانت المودة بعد الفتح تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان وكانت تحت عبد الله بن جحش وكانت هي وزوجها من مهاجرة الحبشة فاما زوجها فتنصر وسالها ان تتابعه على دينه فابت وصبرت على دينها ومات زوجها على النصرانية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي فخطبها فقال النجاشي لاصحابه من اولاكم بها قالوا خالد بن سعيد بن العاص قال فزوجها من نبيكم ففعل وامهرها النجاشي من عنده اربع مائة دينار وقيل خطبها النبي صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن عفان فلما زوجه اباها بعث الى النجاشي فيها فساق عنه المهر وبعث بها اليه فقال ابو سفيان وهو مشرك لما بلغه تزويج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته ذلك الفحل لا يقدع انفه قال ابن الاثير يقال قدعت الفحل وهو ان يكون غير كريم فاذا

اراد ركوب الناقة الكريمة ضرب انفه بالرمح وغيره حتى يرتدع وينكف ويروى بالراء **قوله** لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين هذه الاية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم قال ابن زيد كان هذا في اول الاسلام عند الموادعة وترك الامر بالقتال ثم نسخ قال قتادة نسخها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل كان هذا الحكم لعلة وهي الصلح فلما زال الصلح بفتح مكة نسخ الحكم وبقي الرسم يتلى وقيل هي مخصوصة في حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم ومن بينه وبينه عهد لم ينقضه قاله الحسن قال الكلبي هم خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناف وهو قول ابي صالح وقال مجاهد هي مخصوصة في الذين امنوا ولم يهاجروا وقيل يعني به النساء والصبيان لانهم ممن لا يقاتل فاذن الله في برهم وقال اكثر اهل التاويل هي محكمة واحتجوا بان اسماء بنت ابي بكر سالت النبي صلى الله عليه وسلم هل تصل امها حين قدمت عليها مشركة فقال نعم خرجه البخاري ومسلم وقيل ان الاية نزلت فيها روى عامر بن عبد الله بن الزبير عن ابيه ان ابا بكر الصديق طلق امراته قتيلة في الجاهلية وهي ام اسماء بنت ابي بكر فقدمت عليهم في المدة التي كانت فيها المهادنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش فاهدت الى اسماء بنت ابي بكر قرطا واشياء فكرهت ان تقبل منها حتى اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ذكر هذا الخبر الماوردي وغيره وخرجه ابو داود الطيالسي في مسنده **قوله** ان تبروهم وقوله ان تولوهم بدلان من الذين قبلهما بدل اشتمال فيكون في موضع جر والمعنى لا ينهاكم الله تعالى عن ان تبروا هؤلاء الذين لم يقاتلوكم انما ينهاكم عن تولي هؤلاء وهم خزاعة صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا فامر ببرهم والوفاء لهم الى اجلهم حكاه الفراء وقوله وتقسطوا اليهم اي تعطوهم قسطا من اموالكم على وجه الصلة وليس يريد به من العدل فان العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل قاله ابن العربي **فصل** نقل القرطبي عن القاضي ابي بكر في كتاب الاحكام له ان بعض العلماء استدل بهذه الاية على وجوب نفقة الابن المسلم على ابيه الكافر قال وهذه وهلة عظيمة اذ الاذن في الشيء او ترك النهي عنه لا يدل على وجوب وانما يعطي الاباحة خاصة وقد بينا ان القاضي اسمعيل بن اسحق دخل عليه ذمي فاكرمه فاخذ عليه الحاضرون في ذلك فتلى هذه الاية عليهم **قوله** انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين اي جاهدوكم على الدين واخرجوكم من دياركم وهم عتاة اهل مكة وظاهروا اي عاونوا على اخراجكم وهم مشركوا مكة ان تولوهم ومن يتولهم اي يتخذهم اولياء وانصارا واحبابا فاولئك هم الظالمون **قوله** يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الاية لما امر المسلمين بترك موالاة المشركين اقتضى ذلك مهاجرة المسلمين من بلاد الشرك الى بلاد الاسلام وكان التناكح من اوكد اسباب الموالاة فبين احكام مهاجرة النساء قال ابن عباس جرى الصلح مع مشركي قريش عام الحديبية على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية بعد فاقبل زوجها وكان كافرا وهو صيفي بن الراهب وقيل مسافر المخزومي فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك شرطت ذلك وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل جاءت ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط فجاء اهلها يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يردها وقيل هربت من زوجها عمرو بن العاص ومعها اخواها عمارة والوليد فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم اخويها وحبسها فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ردها علينا للشرط فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان الشرط في الرجال لا في النساء فانزل الله تعالى هذه الاية وعن عروة قال كان مما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية ان لا ياتيك منا احد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه فكره المؤمنون ذلك وابى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ ابا جندل الى ابيه سهيل بن عمرو ولم ياته احد من الرجال الا رده في تلك المدة وان كان مسلما حتى انزل الله في المؤمنات ما انزل يومئ الى ان الشرط في رد النساء نسخ بذلك وقيل ان الذي جاءت اميمة بنت بشر كانت عند ثابت بن الشمراخ ففرت منه وهو يومئذ كافر فتزوجها سهل بن حنيف فولدت له عبد الله قاله زيد بن حبيب نقله الماوردي واكثر اهل العلم على انها ام كلثوم بنت عقبة **قوله** المؤمنات تسمية للشيء بما يقاربه ويشارفه او في الظاهر وقرئ مهاجرات بالرفع وخرجت على البدل **فصل** اختلفوا هل دخل النساء في عقد المهادنة لفظا او عموما فقالت طائفة كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله ردهن من العقد ومنع منه وبقاه في الرجال على ما كان وهذا يدل على ان للنبي صلى الله عليه وسلم ان يجتهد رايه في الاحكام ولكن لا يقره الله على خطا وقالت طائفة لم يشترط ردهن في العقد لفظا وانما اطلق العقد في رد من اسلم فكان ظاهر العموم اشتماله عليهن مع الرجال فبين الله تعالى خروجهن عن عمومه وفرق بينهن وبين الرجال لامرين احدهما انهن ذوات فروج تحرم عليهم الثاني انهن ارق قلوبا واسرع تقلبا منهم فاما المقيمة منهن على شركها فمردودة عليهم **قوله** فامتحنوهن قيل انه كان من ارادت منهن اضرار زوجها فقالت ساهاجر الى محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بامتحانهن واختلفوا فيما كان يمتحنهن به فقال ابن عباس كان يمتحنهن بان يستحلفن بالله انها ما خرجت من بغض زوجها

ولا رغبة من ارض الى ارض ولا التماس دنيا ولا عشقا لرجل من المسلمين ولا لحدث احدثته وما خرجت الا رغبة في الاسلام
وحب الله ورسوله فاذا احلفت بالله الذي لا اله الا هو على ذلك اعطى النبي صلى الله عليه وسلم زوجها مهرها وما انفق
عليها ولم يردها فذلك قوله فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن. وروى
عن ابن عباس ايضا ان المحنة كانت ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله. وروى معمر عن الزهري عن عائشة
قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن الا بالاية التي قال الله تعالى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك
خرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح **فصل** اكثر العلماء على ان هذا ناسخ لما كان عليه السلام عاهد عليه
قريشا من انه يرد اليهم من جاءه منهم مسلما فنسخ من ذلك النساء وهذا مذهب من يرى نسخ السنة بالقرآن
وقال بعض العلماء كله منسوخ بالقرآن **فصل** قال القرطبي ولا يجوز ان يهادن الامام العدو على ان يرد اليهم
من جاء مسلما لان اقامة المسلم بارض الشرك لا يجوز وهذا مذهب الكوفيين. واجاز مالك عقد الصلح على ذلك
واحتج الكوفيون بان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى قوم من خثعم فاعتصموا بالسجود
فقتلهم فوداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف الدية وقال انا بريء من كل مسلم اقام مع مشرك بدار
الحرب لا تراءى ناراهما قالوا فهذا ناسخ لرد المسلمين الى المشركين اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد برئ ممن
اقام معهم في دار الحرب ومذهب مالك والشافعي ان هذا الحكم غير منسوخ. قال الشافعي وليس لاحد هذا العقد
الا الخليفة او رجل يامره فمن عقد غير الخليفة هذا العقد فهو مردود **قوله** الله اعلم بايمانهن. هذه الجملة فائدتها
بيان انه لا سبيل لكم الى ما تطمئن به النفس ويثلج الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استأثر
الله به قاله الزمخشري اي هذا الامتحان لكم والله اعلم بايمانهن لانه متولي السرائر وسمى الظن الغالب في قوله
علمتموهن علما لما بينهما من القرب كما يقع الظن موقعه وتقدم ذلك في البقرة **قوله** فان علمتموهن مؤمنات
اي بما يظهر من الايمان. وقيل اي علمتموهن مؤمنات قبل الامتحان فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم وقوله
ولا هم يحلون لهن تاكيد للاول لتلازمهما. وقيل اراد استمرار الحكم بينهم فيما يستقبل كما هو في الحال ما داموا
مشركين وهن مؤمنات **فصل** معنى الاية لم يحل الله مؤمنة لكافر وهذا ادل دليل على ان الذي اوجب فرقة المسلمة من
زوجها الكافر اسلامها لا هجرتها. وقال ابو حنيفة الذي فرق بينهما هو اختلاف الدارين والصحيح الاول لان الله تعالى
بين العلة وهو عدم الحل بالاسلام لا باختلاف الدار **قوله** واتوهم ما انفقوا. امر الله تعالى اذا امسكت المرأة
المسلمة ان يرد على زوجها ما انفق وذلك من الوفاء بالعهد لانه لما منع من اهله بحرمة الاسلام امر برد المال حتى
لا يقع عليهم خسران من الوجهين الزوجة والمال **فصل** ولا غرم الا اذا طالب الزوج الكافر فاذا حضر وطالب
منعناها وغرمنا فان كانت ماتت قبل حضور الزوج لم نغرم المهر اذ لم يتحقق المنع وان كان المسمى خمرا او خنزيرا
لم نغرم شيئا لانه لا قيمة له. وللشافعي في هذه الاية قولان احدهما ان هذا منسوخ قال الشافعي واذا جاءتنا
المرأة الحرة من اهل الهدنة مسلمة مهاجرة من الحرب الى الامام في دار الاسلام او دار الحرب فمن طلبها من ولي سوى
زوجها منع منها بلا عوض واذا طلبها زوجها لنفسه او غيره بوكالته ففيه قولان احدهما يعطى العوض لهذه الاية
والثاني لا يعطى الزوج المشرك الذي جاءت امرأته مسلمة العوض فان شرط الامام رد النساء كان الشرط باطلا
منسوخا وليس عليه عوض لانه لا عوض للباطل **فصل** امر الله تعالى برد ما انفقوا الى الازواج وان المخاطب
بهذا الامام ينفذ مما بين يديه من بيت المال الذي لا يتعين له مصرف. وقال مقاتل يرد المهر الذي يتزوجها من المسلمين وليس
لزوجها الكافر شيء. وقال قتادة الحكم في رد الصداق انما هو في نساء اهل العهد فاما من لا عهد بينه وبين المسلمين
فلا يرد عليهم الصداق. قال القرطبي والامر كما قال **قوله** ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن اي في ان تنكحوهن
وقوله اذا اتيتموهن يجوز ان يكون ظرفا محضا وان يكون شرطا جوابه معنى لا اي فلا جناح عليكم **فصل** ومعنى
الاية ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن اي مهورهن فاباح الله نكاحهن للمسلمين وان كان
لهن ازواج في دار الكفر لان الاسلام فرق بينهن وبين ازواجهن الكفار. قال القرطبي اباح نكاحهن اذا اسلمن وانقضت
عدتهن لما ثبت في نكاح المشركة والمعتدة فان اسلمت قبل الدخول ثبت النكاح في الحال **قوله** ولا تمسكوا بعصم
الكوافر. قرأ ابو عمرو في اخرين بضم التاء وفتح الميم وشد السين وباقي السبعة بتخفيفها من مسك وامسك بمعنى واحد
يقال امسكت الحبل امساكا ومسكته تمسيكا وفي التشديد مبالغة والمخفف صالح لها ايضا. وقرأ الحسن وابن ابي
ليلى وابو عمرو وابن عامر في رواية عنهما تمسكوا بالفتح في الجميع والتشديد في السين. والاصل تتمسكوا بتاءين فحذف
احدهما. وعن الحسن ايضا تمسكوا مضارع مسك ثلاثيا. والعصم جمع عصمة والعصمة هنا النكاح يقول من
كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمتها. والكوافر جمع كافرة كضوارب في ضاربة. وحكى عن
الكرخي الفقيه المعتزلي انه قال الكوافر يشمل الرجال والنساء. قال الفارسي فقلت له النحويون لا يرون هذا

هذا الا في النساء جمع كافرة فقال اليس يقال طائفة كافرة وفرقة كافرة قال ابو علي فبهت وقلت هذا تاييد الهي. قال
شهاب الدين وانما اعجب بقوله لكونه معتزليا والحق انه لا يجوز كافرة وصفا للرجال الا ان يكون الموصوف مذكورا نحو
هذه طائفة كافرة او في قوة المذكور اما انه يقال كافرة باعتبار الطائفة غير المذكورة ولا في قوة المذكورة بل
لمجرد الاحتمال ويجمع جمع فاعلة فهذا لا يجوز وقول الفارسي لا يرون هذا الا في النساء صحيح ولكنه الغالب وقد يجمع فاعل
وصف المذكر العاقل على فواعل وهو محفوظ نحو فوارس ونواكس **فصل** قال النخعي المراد بالاية هي المرأة المسلمة
تلحق بدار الحرب فتكفر وكان الكفار يتزوجون المسلمات والمسلمون يتزوجون المشركات ثم نسخ ذلك بهذه الاية
فطلق عمر بن الخطاب حينئذ امرأتين له بمكة مشركتين قريبة بنت ابي امية فتزوجها معاوية بن ابي سفيان وهما على
شركهما بمكة وام كلثوم بنت عمرو الخزاعية ام عبد الله بن المغيرة فتزوجها ابو جهم بن حذافة وهما على شركهما بمكة فلما
ولي عمر قال ابو سفيان لمعاوية طلق قريبة لئلا يرى عمر سلبه في بيتك فابى معاوية وكانت عند طلحة بن عبيد الله اروى
بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ففرق الاسلام بينهما ثم تزوجها في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص وكانت
ممن فرت الى النبي صلى الله عليه وسلم من نساء الكفار فحبسها وزوجها خالد بن سعيد بن العاص بن امية. وقال
الشعبي كانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة ابي العاص بن الربيع اسلمت ولحقت بالنبي صلى الله
عليه وسلم واقام ابو العاص بمكة مشركا ثم اتى المدينة فاسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. روى
ابو داود عن عكرمة عن ابن عباس بالنكاح الاول ولم يحدث شيئا قال محمد بن عمر في حديثه بعد ست سنين. وقال
الحسن بن علي بعد سنتين قال ابو عمر فان صح هذا فلا يخلو من وجهين اما انها لم تحض حتى اسلم زوجها واما ان
الامر فيها منسوخ بقوله تعالى وبعولتهن احق بردهن في ذلك يعني في عدتهن وهذا ما لا خلاف فيه انه عني به
العدة. قال الزهري في قصة زينب هذه كانت قبل ان تنزل الفرائض. وقال قتادة كان هذا قبل ان تنزل سورة براءة
بقطع العهود بينهم وبين المشركين **فصل** المراد بالكوافر هنا عبدة الاوثان ومن لا يجوز ابتداء نكاحها وقيل
هي عامة نسخ منها نساء اهل الكتاب فعلى الاول اذا اسلم وثني او مجوسي ولم تسلم امرأته فرق بينهما وهو قول
بعض اهل العلم منهم مالك والحسن وطاوس ومجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة والحكم لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم
الكوافر. وقال بعضهم ينتظر بها تمام العدة وهو قول الزهري والشافعي واحمد واحتجوا بان ابا سفيان بن حرب
اسلم قبل هند بنت عتبة امرأته وكان اسلامه بمر الظهران ثم رجع الى مكة وهند بها كافرة مقيمة على كفرها فاخذت
بلحيته وقالت اقتلوا الشيخ الضال ثم اسلمت بعده بايام فاستقرا على نكاحهما لان عدتها لم تكن انقضت قالوا ومثله
حكيم بن حزام اسلم قبل امرأته ثم اسلمت بعده فكانا على نكاحهما. قال الشافعي ولا حجة لمن احتج بقوله تعالى بعصم
الكوافر لان نساء المؤمنين محرمات على الكفار كما ان المسلمين لا تحل لهم الكوافر والوثنيات ولا المجوسيات لقوله تعالى
لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ثم بينت السنة ان مراد الله من قوله هذا انه لا يحل بعضهم لبعض الا ان يسلم
الثاني منهما في العدة. وقال ابو حنيفة واصحابه في الكافرين الذميين اذا اسلمت المرأة عرض على الزوج الاسلام
فان اسلم والا فرق بينهما قالوا ولو كانا حربيين فهي امرأته حتى تحيض ثلاث حيض اذا كانا جميعا في دار الحرب
او في دار الاسلام وان كان احدهما في دار الحرب والاخر في دار الاسلام انقطعت العصمة بينهما وقد تقدم
ان اعتبار الدار ليس بشيء وهذا الخلاف انما هو في المدخول بها فاما غير المدخول بها فلا نعلم خلافا في انقطاع العصمة
بينهما اذ لا عدة عليها وكذا يقول مالك في المرأة يرتد زوجها المسلم تنقطع العصمة بينهما لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم
الكوافر وهو قول الحسن البصري والحسن بن صالح. وقال الشافعي واحمد ينتظر بها تمام العدة فان كان الزوجان
نصرانيين فاسلمت الزوجة ففي مذهب مالك والشافعي واحمد يوقف الى تمام العدة وهو قول مجاهد وكذلك الوثني
تسلم زوجته ان اسلم في عدتها فهو احق بها كما ان صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل احق بزوجتيهما لما اسلما
في عدتيهما لما ذكر مالك في الموطأ قال ابن شهاب كان بين اسلام صفوان وبين اسلام امرأته نحو من شهر قال
ابن شهاب ولم يبلغنا ان امرأة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها كافر مقيم بدار الحرب
الا فرقت هجرتها بينها وبين زوجها الا ان يقدم زوجها مهاجرا قبل ان تنقضي عدتها. وقال بعضهم ينفسخ
النكاح بينهما. قال يزيد بن علقمة قال اسلم جدي ولم تسلم جدتي ففرق بينهما عمر رضي الله عنه وهو
قول طاوس وعطاء والحسن وعكرمة قالوا لا سبيل له عليها الا بخطبة **قوله** واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما
انفقوا. قال المفسرون كان من ذهب من المسلمات مرتدات الى الكفار من اهل العهد يقال للكفار هاتوا
مهرها ويقال للمسلمين اذا جاء احد من الكافرات مسلمة مهاجرة ردوا الى الكفار مهرها وكان ذلك نصفا
وعدلا بين الحالين. قال ابن العربي كان هذا حكم الله مخصوصا بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة. قال
الزهري ولولا هذه الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية

لا تمسك النساء ولم يرد الصداق وكذلك كان يصنع من جاء من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الاية اقر
المومنون بحكم الله عز وجل وادوا ما امروا به من نفقات المشركين على نسائهم وابى المشركون ان يقروا بحكم
الله فيما امر من اداء نفقات المسلمين فانزل الله عز وجل وان فاتكم شيء الاية والمومنون وقوله ذلكم حكم الله اي
ما ذكر في هذه الاية والله عليم حكيم **قوله** يحكم بينكم فيه وجهان احدهما انه مستانف لا محل له والثاني انه
حال من حكم الله والراجع اما مستتر اي يحكم هو اي الحكم على المبالغة واما محذوف اي يحكمه وهو الظاهر **قوله** من ازواجكم
يجوز ان يتعلق بفاتكم اي من جهة ازواجكم ويراد بالشيء المهر الذي غرمه الزوج كما تقدم ويجوز ان يتعلق بمحذوف
على انه صفة لشيء ثم يجوز في شيء ان يراد به المهور ولكن على هذا لا بد من حذف مضاف اي من مهور ازواجكم ليتطابق
الموصوف وصفته ويجوز ان يراد بشيء النساء اي شيء من النساء اي نوع وصنف منهن وهو ظاهر وصفه بقوله من
ازواجكم وقد صرح الزمخشري بذلك فانه قال وان سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم احد منهن الى الكفار
وفي قراءة ابن مسعود احد فهذا تصريح بان المراد بشيء النساء الفارات ثم قال فان قلت هل لايقاع شيء في هذا
الموضع فائدة قلت نعم الفائدة فيه ان لا يغادر شيء من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض عنه تغليظا في هذا
الحكم وتشديدا فيه ولولا نصه على ان المراد بشيء احد كما تقدم لكان قوله ان لا يغادر شيء من هذا الجنس وان قل
وحقر ظاهرا في ان المراد بشيء المهر لانه يوصف بالقلة والحقارة وصغاشا بقا وقوله تغليظا وتشديدا فيه
نظر لان المسلمين ليس لهم تسبب في فرار النساء الى الكفار حتى يغلظ عليهم الحكم بذلك وعدى فات بالى لانه ضمن
معنى الفرار والذهاب والسبق ونحو ذلك **قوله** فعاقبتم عطف على فاتكم وقرا العامة عاقبتم وفيه وجهان
احدهما انه من العقوبة قال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم والثاني انه من
العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هولاء مهور نساء اولئك تارة واولئك مهور
نساء هولاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر انتهى وقرا
مجاهد والاعرج والزهري وابو حيوة وعكرمة وحميد بتشديد القاف دون الف ففسرها الزمخشري على اصله
بعقبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه وفتح القاف النخعي وابن وثاب والزهري والاعرج
ايضا بالتخفيف وكسر القاف مسروق والزهري والنخعي ايضا وقرا مجاهد اعقبتم قال الزمخشري معناه دخلتم
في العقبة قال البغوي معناه ان صنعتم بهم كما صنعوا بكم وفسر الزجاج القراات الباقية فكانت العقبى لكم
اي كانت الغلبة لكم حتى غنمتم والظاهر انه كما قال الزمخشري من المعاقبة بمعنى المناوبة يقال عاقب الرجل
صاحبه في كذا اي جاء فعل كل واحد منهما يعقب فعل الاخر ويقال اعقب ايضا وانشد

وحاردت النكد الجلاد ولم يكن ... لعقبة قدر المستعير معقب

وقال البغوي وكلها لغات بمعنى واحد يقال عاقب وعقب واعقب وتعقب وتعاقب واعتقب اذا غنم وقيل
التعقيب غزوة بعد غزوة **فصل** روى ان المسلمين قالوا رضينا بما حكم الله وكتبوا الى المشركين فامتنعوا
فنزل قوله تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا وروى
الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت حكم الله عز وجل بينهم فقال جل ثناؤه واسالوا ما انفقتم
وليسالوا ما انفقوا فكتب اليهم المسلمون قد حكم الله عز وجل بيننا بانه ان جاءتكم امراة منا ان توجهوا الينا بصداقها
وان جاءتنا امراة منكم وجهنا اليكم بصداقها فكتبوا اما نحن فلا نعلم لكم عندنا شيئا فان كان لنا عندكم شيء فوجهوا
به فانزل الله تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار الاية وقال ابن عباس في قوله تعالى ذلكم حكم الله اي بين
المسلمين والكفار من اهل العهد من اهل مكة يرد بعضهم على بعض قال الزهري ولولا العهد لامسك النساء ولم يرد اليهم صداقا
وقال قتادة ومجاهد انما امروا ان يعطوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من الفيء والغنيمة وقالا هي فيمن بيننا وبينه
عهد وليس بيننا وبينه عهد وقالا ومعنى فعاقبتم فاقتصصتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا يعني الصدقات
فهي عامة في جميع الكفار وقيل فعاقبتم المرتد بالقتل وقال قتادة ايضا وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار الذين ليس
بينكم وبينهم عهد فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا ثم نسخ هذا في سورة براءة وقال الزهري انقطع هذا يوم
الفتح وقال سفيان الثوري لا يعمل به اليوم وقال قوم هو ثابت الحكم الان ايضا حكاه القشيري **فصل** قال
القرطبي الاية نزلت في ام الحكم بنت ابي سفيان ارتدت وتركت زوجها عياض بن غنم الفهري ولم ترتد امراة من قريش
غيرها ثم عادت الى الاسلام وقال البغوي روى عن ابن عباس قال لحق بالمشركين من نساء المومنين المهاجرات ست نسوة
ام الحكم بنت ابي سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام سلمة كانت
تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر ان يهاجر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعزة
بنت عبد العزيز بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابي جهل بن هشام بن العاص بن وايل وام كلثوم

كلثوم بنت جرول كانت تحت عمر بن الخطاب رجعن الى الاسلام اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن مهور نسائهم
من الغنيمة **فصل** اختلفوا في رد مهر من اسلمت من النساء الى ازواجهن هل كان واجبا او مندوبا واصله ان الصلح
هل كان قد وقع على رد النساء على قولين احدهما انه وقع على رد الرجال والنساء جميعا لما روي من قولهم لا ياتيك منا احد
الا رددته ثم صار الحكم في رد النساء منسوخا بقوله فلا ترجعوهن الى الكفار فعلى هذا كان رد المهر واجبا والثاني ان
الصلح لم يقع على رد النساء لانه روي انه لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته وذلك لان الرجل لا يخشى عليه
من الفتنة في الرد ما يخشى على المراة من اصابة المشرك اياها وانه لا يومن عليها الردة اذا خوفت واكرهت عليها لضعف
قلبها وعقلها وقلة هدايتها الى المخرج منه باظهار كلمة الكفر مع التورية واضمار الايمان ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته
الى التقية فعلى هذا كان رد المهر مندوبا واختلفوا في انه هل يجب به العمل اليوم في رد المال اذا اشترط في معاقدة الكفار
فقال عطاء ومجاهد وقتادة لا يجب وزعموا ان الاية منسوخة وقيل هي غير منسوخة ويرد اليهم ما انفقوا **فصل**
قال ابن عباس معنى الاية ان لحقت امراة مومنة بكفار اهل مكة وليس بينكم وبينهم عهد ولها زوج مسلم قبلكم فغنمتم
فاعطوا هذا الزوج المسلم مهره من الغنيمة قبل ان تخمس وقال الزهري يعطي من مال الفيء وعنه يعطي من صداق من لحق
بنا وقيل ان امتنعوا من ان يغرموا مهر هذه المراة التي ذهبت اليهم فانبذوا العهد اليهم حتى اذا ظفرتم فخذوا ذلك منهم
واتقوا الله اي احذروا ان تتعدوا ما امرتم به **قوله تعالى** يا ايها النبي اذا جاءك المومنات الاية لما فتح رسول الله صلى
الله عليه وسلم مكة جاء نساء اهل مكة يبايعنه فامر ان ياخذ عليهن ان لا يشركن قالت عائشة والله ما اخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط الا بما امر الله عز وجل ما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امراة قط
وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما وروي انه عليه السلام بايع النساء وبين يديه وايديهن ثوب
وكان يشترط عليهن وقيل لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر اسفل منه فجعل يشترط على النساء البيعة
وعمر يصافحهن وروي انه كلف امراة وقفت على الصفا فبايعتهن قال ابن العربي وذلك ضعيف وانما التعويل على
ما في صحيح مسلم من حديث عائشة المتقدم قالت كان المومنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن
بقول الله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين الى اخر الاية قالت
عائشة فمن اقر بهذا من المومنات فقد اقر بالمحنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقررن بذلك من قولهن قال
لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقن فقد بايعتكن لا والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة قط
غير انه يبايعهن بالكلام وقالت ام عطية لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الانصار في بيت ثم ارسل
الينا عمر بن الخطاب فقام على الباب فسلم فرددن عليه السلام فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكن
ان لا تشركن بالله شيئا الاية فقلن نعم فمد يده من خارج البيت ومددنا ايدينا من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد
وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بايع النساء دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه
ثم امر النساء فغمسن ايديهن فيه **فصل** روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال يوم فتح مكة وهو على
الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه وهو يبايع النساء بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبلغهن عنه على ان لا يشركن
بالله شيئا وهند بنت عتبة امراة ابي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها
لما صنعته بحمزة يوم احد فقالت والله انك لتاخذ علينا امرا ما رايتك اخذته على الرجال وكان بايع الرجال يومئذ
على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت
من ماله هنات فلا ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك ثم قال
ولا يزنين فقالت هند او تزني الحرة فقال ولا يقتلن اولادهن اي لا يئدن المووءدات ولا يسقطن الاجنة فقالت
هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا يوم بدر وانت وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان وهو بكرها قتل يوم بدر
فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن
قال اكثر المفسرين معناه لا يلحقن بازواجهن ولدا من غيرهن وكانت المراة تلتقط ولدا فتلحقه بزوجها وتقول هذا
ولدي منك فكان هذا من البهتان والافتراء لان النهي عن الزنا قد تقدم قال بعض المفسرين المراة اذا التقطت
ولدا فانما التقطت بيدها ومشت برجلها الى اخذه فاذا اضافته الى زوجها فقد اتت ببهتان تفتريه بين يديها ورجليها
وقيل يفترينه على انفسهن حيث يقلن هذا ولدنا وليس كذلك اذ الولد ولد الزنا وقيل ما بين يديها ورجليها كناية عن
الولد لان بطنها الذي تحمل فيه الولد بين يديها وفرجها الذي تلد منه بين رجليها وهذا عام في الاتيان بولد والحاقه
بالزوج وان سبق النهي عن الزنا وقيل معنى بين ايديهن السنتهن بالنميمة ومعنى بين ارجلهن فروجهن وقيل
ما بين ايديهن من قبلة او جسة وبين ارجلهن الجماع وروي ان هندا لما سمعت ذلك قالت والله ان البهتان لامر

قبيح ما نامروا الا بالارشاد ومكارم الاخلاق • ثم قال ولا يعصينك في معروف اي في كل امر وافق طاعة الله قال بكر بن عبد الله المزني في كل امر فيه رشدهن • وقال مجاهد لا تخلوا المراة بالرجال • وقال سعيد بن المسيب والكلبي وعبد الرحمن ابن زيد هو النهي عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه ولا تحدث المراة الرجال الا ذا محرم ولا تخلوا برجل غير ذي محرم ولا تسافر الا مع ذي محرم • وروت ام عطية عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ذلك في النوح وهو قول ابن عباس • وروى شهر بن حوشب عن ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعصينك في معروف قال هو النوح • وفي صحيح مسلم عن ام عطية لما نزل قوله يبايعنك الى قوله ولا يعصينك في معروف قال كان منه النياحة قالت فقلت يا رسول الله الا آل بني فلان فانهم كانوا اسعدوني في الجاهلية فلا بد لي من ان اسعدهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا آل فلان. **قوله** يبايعنك حال • وشيئا مصدر اي شيئا من الاشراك • وقرا علي والسلمي والحسن يقتّلن بالتشديد • ويفترينه صفة لبهتان او حال من فاعل يأتين.

فصل ذكر الله عز وجل في هذه الاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة البيعة خصالا ستا صرح فيهن باركان النهي في الدين ولم يذكر اركان الامر وهي ست ايضا الشهادة • والصلاة • والزكوة • والصيام • والحج • والاغتسال من الجنابة وذلك لان النهي دائم في كل زمان وكل الاحوال فكان التنبيه على اشتراط الدائم اكد • وقيل ان هذه المناهي كان في النساء كثير من يرتكبها ولا يحجزهن عنها شرف النسب فخصت بالذكر لهذا ونحو منه قوله عليه السلام لوفد عبد القيس وانهاكم عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت فنبههم على ترك المعصية في شرب الخمر دون سائر المعاصي لانها كانت شهوتهم وعادتهم واذا ترك المرء شهوته من المعاصي هان عليه ترك سائرها مما لا شهوة له فيها.

فصل قال النبي صلى الله عليه وسلم في البيعة ولا يسرقن قالت هند يا رسول الله ان ابا سفين رجل مسيك فهل علي حرج ان اخذت ما يكفيني وولدي قال لا الا بالمعروف فخشيت هند ان تقتصر على ما يعطيها فتضيع او تاخذ اكثر من ذلك فتكون سارقة ناكثة للبيعة المذكورة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اي لا حرج عليك فيما اخذت بالمعروف يعني من غير استطالة الى اكثر من الحاجة • قال ابن العربي وهذا انما هو فيما لا تخزنه عنها في حجاب ولا يضبط عليه بقفل فانه اذا هتكته الزوجة واخذت منه كانت سارقة تعصي بها وتقطع يدها.

فصل فان قيل هلا قيل اذا جاءك المؤمنات فامتحنوهن كما قال في المهاجرات **فالجواب** من وجهين • احدهما ان الامتحان حاصل بقوله تعالى على ان لا يشركن الى اخره • وثانيهما ان المهاجرات يأتين من دار الحرب فلا اطلاع لهن على ما في قلبها فلا بد من الامتحان • واما المؤمنات فهن في دار الاسلام وعلمن الشرائع فلا حاجة الى الامتحان مع ظاهر حالها. **فان قيل** ما الفائدة في تقديم البعض في الاية على البعض وترتيبها **فالجواب** قدم الاقبح على ما هو ادنى منه في القبح ثم كذلك الى اخره وقدم في الاشياء المذكورة ما هو الاظهر فيما بينهم.

فصل قال عبادة بن الصامت اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اخذ على النساء ان لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا اولادكم ولا يعضه بعضكم بعضا ولا تعصوا في معروف امركم به • معنى يعضه يسحر والعضه السحر ولهذا قال ابن بحر وغيره في قوله تعالى ولا يأتين ببهتان انه السحر • وقال الضحاك هذا نهي عن البهتان اي لا يعضهن رجلا ولا امراة ببهتان اي بسحر • والجمهور على ان معنى ببهتان بولد يفترينه بين ايديهن ما اخذته لقيطا والحقنه ما ولدته من زنا كما تقدم.

فصل قال المهدوي اجمع المسلمون على انه ليس للامام ان يشترط عليهن هذا والامر بذلك ندب لا الزام • وقال بعض العلماء اذا احتيج الى المحنة من اجل تباعد الدار كان على امام المسلمين اقامة المحنة. **قوله** فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم • قالت عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الاية ان لا يشركن بالله شيئا قالت وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امراة الا امراة يملكها • وقالت اميمة بنت رقيقة بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال فيما استطعتن واطقتن فقلت يا رسول الله صافحنا فقال اني لا اصافح النساء انما قولي لامراة كقولي لمائة امراة.

قوله يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم • وهم اليهود فقوله غضب الله عليهم صفة لقوما وكذلك قد يئسوا • وقوله من الاخرة من لابتداء الغاية اي انهم لا يوقنون بالاخرة البتة • ومن اصحاب القبور فيه وجهان احدهما انها لابتداء الغاية ايضا كالاولى • والمعنى انهم لا يوقنون ببعث الموتى البتة فياسهم من الاخرة كياسهم من موتاهم لاعتقادهم عدم بعثهم • والثاني انها لبيان الجنس يعني ان الكفار هم اصحاب القبور • والمعنى ان هؤلاء يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار الذين هم اصحاب القبور من خير الاخرة فيكون متعلق يئس الثاني محذوفا • وقرا ابن ابي الزناد الكافر بالافراد.

فصل قال ابن زيد ان ناسا من فقراء المؤمنين كانوا يخبرون اليهود باخبار المؤمنين ويواصلونهم فيصيبون بذلك من ثمارهم فنهوا عن ذلك قد يئسوا من الاخرة يعني اليهود قد يئسوا من الاخرة بان يكون لهم فيها ثواب وخير كما يئس الكفار من اصحاب القبور اي كما يئس الكفار

الذين

الذين ماتوا وصاروا الى القبور من ان يكون لهم ثواب وحظ في الاخرة • وقال مجاهد الكفار حين دخلوا القبور يئسوا من رحمة الله • وقيل هم المنافقون • وقال الحسن وقتادة هم اليهود والنصارى • قال ابن مسعود معناه انهم تركوا العمل للاخرة واثروا الدنيا • وقال الحسن وقتادة معناه ان الكفار الذين هم احياء يئسوا من الكفار ومن اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم • وقيل ان الله تعالى ختم السورة بما بداها من ترك موالاة الكفار وهي خطاب لحاطب بن ابي بلتعة وغيره • قال ابن عباس معنى قوله لا تتولوا اي لا توالوهم ولا تناصحوهم رجع تعالى بطوله وفضله على حاطب بن ابي بلتعة يريد ان كفار قريش قد يئسوا من خير الدنيا كما يئس الكفار المقبورون من حظ يكون لهم في الاخرة من رحمة الله تعالى • روى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الممتحنة كان المؤمنون والمؤمنات له شفعاء يوم القيمة والله اعلم

سورة الصف

في قول الاكثرين • وذكر النحاس عن ابن عباس انها مكية • وهي اربع عشرة اية • ومائتان واحدى وعشرون كلمة • وتسع مائة حرف. بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم قال ابن الخطيب وجه تعلق هذه السورة بما قبلها هو ان في السورة التي قبلها بين الخروج الى الجهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته بقوله ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي وفي هذه السورة بين ما يحمل المؤمن ويحثه على الجهاد فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص. **فان قيل** ما الحكمة في انه تعالى قال في بعض السور سبح لله بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع وفي بعضها سبح بلفظ الامر **فالجواب** ان الحكم في ذلك تعليم العبد ان تسبيح الله تعالى دائم لا ينقطع كان الماضي يدل عليه في الماضي من الزمان والمستقبل يدل عليه في المستقبل من الزمان والامر يدل عليه في الحال • والعزيز هو الغالب على غيره اي شيء كان ذلك الغير ولا يمكن ان يغلب عليه غيره • والحكيم هو الذي يحكم على غيره اي شيء كان ذلك الغير ولا يمكن ان يحكم عليه غيره. **فان قيل** هلا قيل سبح لله السموات والارض وما فيهما وهو اكثر مبالغة **فالجواب** انما يكون كذلك اذا كان المراد التسبيح بلسان الحال • اما اذا كان المراد التسبيح المخصوص بالبعض بوصف معين فلا يكون كذلك.

قوله يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون • روى الدارمي في مسنده قال انبانا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن عبد الله بن سلام قال قعدنا نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله لعملنا فانزل الله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون حتى ختمها قال عبد الله فقراها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها • قال ابو سلمة فقراها علينا عبد الله بن سلام حتى ختمها قال يحيى فقراها علينا ابو سلمة فقراها علينا يحيى فقراها علينا الاوزاعي فقراها علينا محمد فقراها علينا الدارمي • وقال عبد الله بن عباس قال عبد الله بن رواحة لو علمنا احب الاعمال الى الله لعملناه فلما نزل الجهاد كرهوه • وقال الكلبي قال المؤمنون يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله لسارعنا اليها فنزلت هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم فمكثوا زمانا يقولون لو نعلمها لاشتريناها بالاموال والانفس والاهلين فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم الاية فابتلوا يوم احد ففروا فنزلت هذه الاية تعييرا لهم بترك الوفاء • وقال محمد بن كعب لما اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فعيرهم الله بذلك • وقال قتادة والضحاك نزلت في قوم كانوا يقولون نحن جاهدنا وابلينا ولم يفعلوا • وقال صهيب كان رجل قد اذى المسلمين يوم بدر وانكاهم فقتلته فقال رجل يا نبي الله اني قتلت فلانا ففرح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عمر ابن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف يا صهيب اما اخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم انك قتلت فلانا فان فلانا انتحل قتله فاخبره فقال اكذلك يا ابا يحيى قال نعم والله يا رسول الله فنزلت الاية في المنتحل • وقال ابن زيد نزلت في المنافقين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ان خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم وتخلفوا.

فصل قال القرطبي هذه الاية توجب على كل من الزم نفسه عملا فيه طاعة ان يفي بها • وفي صحيح مسلم عن ابي موسى انه بعث الى قراء اهل البصرة فدخل عليه ثلاث مائة رجل قد قرؤوا القران فقال انتم خيار اهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وانا كنا نقرا سورة نشبهها في الطول والشدة ببراءة فانسيتها غير اني قد حفظت منها لو كان لابن ادم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب وكنا نقرا سورة نشبهها باحدى المسبحات فانسيتها غير اني حفظت منها يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة

في اعمالكم فتسالون عنها يوم القيامة • قال ابن العربي وهذا كله ثابت في الدين اما قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون
ما لا تفعلون فثابت في الدين لفظا ومعنى في هذه السورة • واما قوله شهادة في اعناقكم فتسالون عنها يوم القيامة
فمعنى ثابت في الدين فان من التزم شيئا لزمه شرعا • والملتزم على قسمين احدهما النذر وهو على قسمين نذر تقرب مبتدأ
كقوله لله علي صلاة او صوم او صدقة ونحوه من القرب فهذا يلزم الوفاء به اجماعا • ونذر مباح وهو ما علق بشرط رغبة
كقوله ان قدم غائبي فعلي صدقة او علق بشرط رهبة كقوله ان كفاني الله شر كذا فعلي صدقة ففيه خلاف فقال
مالك وابو حنيفة يلزم الوفاء به • وقال الشافعي في قول لا يلزم الوفاء به وعموم الاية حجة لنا لانها بمطلقها تتناول ذم من
قال ما لا يفعله على اي وجه كان من مطلق او مقيد بشرط • وقد قال اصحابه ان النذر انما يكون بما يقصد منه القربة
مما هو من جنس القربة وهذا وان كان من جنس القربة لكنه لم يقصد منه القربة وانما قصد منع نفسه عن فعل
او الاقدام على فعل • قلنا القرب الشرعية مشقات وكلف وان كانت قربات وهذا تكلف التزام هذه القربة بمشقة
لجلب نفع او دفع ضر فلم يخرج عن سنن التكليف ولا زال عن قصد التقرب • قال ابن العربي فان كان المقول منه
وعدا فلا يخلو ان يكون منوطا بسبب كقوله ان تزوجت اعنتك بدينار او ابتعت جارية كذا اعطيتك فهذا لازم اجماعا
من الفقهاء وان كان وعدا مجردا فقيل يلزم بتعلقه واستدلوا بسبب الاية فانه روي انهم كانوا يقولون لو نعلم اي الاعمال
افضل او احب الى الله لعملناه فانزل الله هذه الاية وهو حديث لا باس به • وروي عن مجاهد ان عبد الله بن رواحة لما
سمعها قال لا ازال حبيسا في سبيل الله حتى اقتل • والصحيح عندي ان الوعد يجب الوفاء به على كل حال • قال القرطبي قال مالك
فاما العدة مثل ان يسال الرجل الرجل ان يهب له الهبة فيقول نعم ثم يبدو له ان لا يفعل فلا ارى ذلك يلزمه **فصل**
قال القرطبي ثلاث ايات منعتني ان اقص على الناس اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم
عنه يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون • واخرج ابو نعيم الحافظ من حديث مالك بن دينار عن ثمامة عن انس بن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيت ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت
عادت فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء امتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به
فصل قوله لم تقولون ما لا تفعلون استفهام على جهة الانكار والتوبيخ على ان يقول الانسان عن نفسه من الخير
ما لا يفعله اما في الماضي فيكون كذبا وفي المستقبل يكون خلفا وكلاهما مذموم • قال الزمخشري هي لام الاضافة دخلت على ما
الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم وعم ومم وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشيء واحد
وقد وقع استعمالها في كلام المستفهم ولو كان كذلك لكان معنى الاستفهام واقعا في قوله تعالى لم تقولون والاستفهام
من الله تعالى محال لانه عالم بجميع الاشياء والجواب هذا اذا كان المراد حقيقة الاستفهام • اما اذا كان المراد الزام من
اعرض عن الوفاء بما وعد او انكر الحق واصر على الباطل فلا • وتاول سفيان بن عيينة قوله لم تقولون ما لا تفعلون اي لم تقولون
ما ليس الامر فيه اليكم فلا تدرون هل تفعلون او لا تفعلون فعلى هذا يكون الكلام محمولا على ظاهره في انكار القول
قوله كبر مقتا فيه اوجه • احدها ان يكون من باب نعم وبئس فيكون في كبر ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا هو
المخصوص بالذم فيجيء فيه الخلاف المشهور هل رفعه بالابتداء وخبره الجملة مقدمة عليه او خبره محذوف او هو خبر مبتدأ
محذوف كما تقدم تحريره وهذه قاعدة مطردة كل فعل يجوز التعجب منه يجوز ان يبنى على فعل بضم العين ويجري مجرى نعم وبئس
في جميع الاحكام • والثاني انه من امثلة التعجب وقد عده ابن عصفور في التعجب المبوب له في النحو فقال صيغة ما افعله
وافعل به ولفعل نحو لرموا الرجل واليه نحا الزمخشري فقال هذا من افصح كلام وابلغه في معناه قصد في كبر التعجب
من غير لفظه كقوله • غلت ناب كليب بواؤها • ثم قال واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم
ما لا تفعلون مقت خالص لا شوب فيه • الثالث ان كبر ليس للتعجب ولا للذم بل هو مسند الى ان تقولوا ومقتا تمييز محول
من الفاعلية والاصل كبر مقت ان تقولوا اي مقت قولكم • ويجوز ان يكون الفاعل مضمرا عائدا على المصدر المفهوم من
قوله لم تقولون اي كبر هو اي القول مقتا وان تقولوا على هذا اما بدل من ذلك الضمير او خبر مبتدأ محذوف اي هو ان
تقولوا • قال القرطبي ومقتا نصب بالتمييز • المعنى كبر قولهم ما لا يفعلون مقتا • وقيل هو حال والمقت والمقاتة مصدران
يقال رجل مقيت وممقوت اذا لم يحبه الناس **فصل** قال القرطبي قد يحتج بهذه الاية في وجوب الوفاء في اللجاج والغضب
على احد قولي الشافعي **قوله** ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا • قرا زيد بن علي يقاتلون بفتح التاء على ما لم يسم
فاعله • وقرئ يقتلون بالتشديد وصفا نصب على الحال اي صافين او مصفوفين • قال القرطبي والمفعول مضمر اي يصفون
انفسهم صفا • وقوله كانهم يجوز ان يكون حالا ثانية من فاعل يقاتلون وان يكون حالا من الضمير في صفا فيكون حالا
متداخلة • قال الزمخشري وان يكون نعتا لصفا قاله الحوفي وعاد الضمير على صفا جمعا لانه جمع في المعنى كقوله وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا **فصل** وجه تعلق الاية بما قبلها ان قوله تعالى كبر مقتا عند الله في ذم المخالفين
في القتال وهم الذين وعدوا بالقتال ولم يقاتلوا وهذه الاية مدح للموافقين في القتال • واعلم ان المحبة على وجهين

وجهين احدهما الرضا عن الخلق والثاني الثناء عليهم **فصل** والمرصوص قيل الملتئم الاجزاء المستويها • وقيل المعقود بالرصاص
قاله الفراء • وقيل هو من التضام من تراص الاسنان • وقال الراعي
ما لقي البيض من الحرقوص • يفتح باب المغلق المرصوص • الحرقوص دويبة تولع بالنساء الابكار • وقال
القرطبي والتراص التلاصق • ومنه وتراصوا في الصف • ومعنى الاية ان الله يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم
مكانه كثبوت البناء • وقال ابن عباس يوضع الحجر على الحجر ثم يرص باحجار صغار ثم يوضع اللبن عليه فيسمونه اهل مكة
المرصوص • قال ابن الخطيب ويجوز ان يكون المعنى على ان يستوي ثباتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة
وموالاة بعضهم بعضا كالبنيان المرصوص • وقال سعيد بن جبير هذا تعليم من الله للمؤمنين كيف يكونون عند
قتال عدوهم **فصل** قال القرطبي استدل بهذه الاية بعضهم على ان قتال الراجل افضل من قتال الفارس لان الفرسان
لا يصطفون على هذه الصفة • قال المهدوي وذلك غير مستقيم لما جاء في فضل الفارس من الاجر والغنيمة ولا يخرج
الفرسان من معنى الاية لان معناه الثبات **فصل** لا يجوز الخروج من الصف الا لحاجة تعرض للانسان او في رسالة
يرسلها الامام او منفعة تظهر في المقام كفرصة تنتهز ولا خلاف فيها وفي الخروج عن الصف للمبارزة خلاف فقيل انه
لا باس بذلك ارهابا للعدو وطلبا للشهادة وتحريضا على القتال • وقيل لا يبرز احد طلبا لذلك لان فيه رياء وخروجا
الى ما نهى الله عنه من لقاء العدو وانما تكون المبارزة اذا طلبها الكافر كما كانت في حروب النبي صلى الله عليه وسلم يوم
بدر وفي غزوة خيبر وعليه درج السلف وقد تقدم الكلام في ذلك في البقرة عند قوله ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة • **قوله تعالى** واذ قال موسى لقومه الاية • لما ذكر الجهاد بين ان موسى وعيسى امرا بالتوحيد وجاهدا في سبيل
الله وحل العقاب بمن خالفهما اي واذكر لقومك يا محمد هذه القصة **قوله** لم تؤذونني • وذلك حين رموه بالادرة
كما تقدم في سورة الاحزاب • ومن الاذى ما ذكر في قصة هارون انه دس الى امراة تدعي على موسى الفجور • ومن الاذى
قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة • وقولهم فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون • وقولهم انت قتلت هارون
وقد تقدم **قوله** وقد تعلمون جملة حالية • قال ابن الخطيب وقد معناه التوكيد كانه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة
لكم فيه • وقوله اني رسول الله اليكم والمعنى ان الرسول يحترم ويعظم ولا شبهة لكم فيه **قوله** فلما زاغوا • اي مالوا عن
الحق ازاغ الله قلوبهم اي اما لهم عن الهدى • وقيل فلما زاغوا عن الطاعة ازاغ الله قلوبهم عن الهداية • وقيل فلما زاغوا
عن الايمان ازاغ الله قلوبهم عن الثواب • وقيل لما تركوا ما امروا به من احترام الرسول عليه السلام وطاعة الرب
خلق الله في قلوبهم الضلالة عقوبة لهم على فعلهم والله لا يهدي القوم الفاسقين • قال الزجاج يعني من سبق في علمه
انه فاسق • قال ابن الخطيب وهذه الاية تدل على عظم ايذاء الرسول حتى انه يؤدي الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى
قوله واذ قال عيسى ابن مريم • اي واذكر لهم هذه القصة ايضا وقال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه
لا نسب له فيهم فيكونوا قومه • وقوله اني رسول الله اليكم اي بالانجيل **قوله** مصدقا • حال وكذلك مبشرا والعامل فيه
رسول لانه بمعنى المرسل • قال الزمخشري فان قلت بم انتصب مصدقا ومبشرا ابما في الرسول من معنى الارسال
ام باليكم قلت بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز ان يعمل شيئا لان حروف الجر لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها
من معنى الفعل فاذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن اين تعمل انتهى يعني بقوله صلات انها متعلقة برسول صلة له اي
متصل معناها به لا الصلة الصناعية **قوله** ياتي من بعدي اسمه احمد • جملتان في موضع جر نعتا لرسول واسمه احمد
في موضع نصب على الحال من فاعل ياتي او يكون الاولى نعتا والثانية حالا وكونهما حالين ضعيف لا تيانهما من النكرة وان
كان سيبويه يجوزه • وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو من بعدي بفتح الياء وهي قراءة السلمي وزر بن حبيش وابو بكر عن
عاصم واختاره ابو حاتم لانه اسم مثل الكاف من بعدك والتاء من قمت والباقون بالاسكان • وقرئ من بعدي اسمه
احمد بحذف الياء من اللفظ • واحمد اسم نبينا صلى الله عليه وسلم وهو اسم علم يحتمل ان يكون منقولا من الفعل المضارع
ويحتمل ان يكون منقولا من صفة وهي افعل التفضيل وهو الظاهر • فمعنى احمد اي احمد الحامدين لربه والانبياء صلوات
الله عليهم كلهم حمادون لله ونبينا احمد اكثرهم حمدا • قال البغوي والالف في احمد للمبالغة في الحمد وله وجهان احدهما
انه مبالغة من الفاعل اي الانبياء كلهم حمادون لله عز وجل وهو اكثر حمدا لله من غيره • والثاني انه مبالغة في المفعول
اي الانبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مبالغة واجمع للفضائل والمحاسن التي يحمد بها انتهى وعلى
كلا الوجهين فمنعه من الصرف للعلمية والوزن الغالب الا انه على الاحتمال الاول يمتنع معرفة وينصرف نكرة وعلى
الثاني يمتنع تعريفا وتنكيرا لانه يخلف العلمية الصفة واذا نكر بعد كونه علما جرى فيه خلاف سيبويه والاخفش
وهي مسئلة مشهورة بين النحاة • وانشد حسان رضي الله عنه يمدحه عليه السلام ويصرفه •
صلى الاله ومن يحف بعرشه • والطيبون على المبارك احمد •
احمد بدل او بيان للمبارك • واما محمد فمنقول من صفة ايضا وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فاحمد

هو الذي حمد مرة بعد مرة . قال القرطبي كما ان المكرم من الكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه
فالله سبحانه سماه قبل ان يسمي به نفسه فهذا علم من اعلام نبوته اذ كان اسمه صادقا عليه فهو محمود في الدنيا لما هدي
اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود في الاخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ثم انه لم يكن محمدا
حتى كان احمد احمد ربه فنباه وشرفه فلذلك تقدم اسم احمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى فقال اسمه
احمد وذكره موسى عليه الصلاة والسلام حين قال له ربه تلك امة احمد فقال اللهم اجعلني من امة محمد فباحمد
ذكره قبل ان يذكره بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة
يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون احمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته . وروى ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اسمي في التوراة احيد لاني احيد امتي عن النار . واسمي في الزبور الماحي محا الله بي عبدة الاوثان . واسمي في
الانجيل احمد . وفي القران محمد لاني محمود في اهل السما والارض . وفي الصحيح لي خمسة اسما انا محمد واحمد وانا
الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد تقدم **قوله** فلما جاءهم بالبينات
قبل عيسى . وقيل محمد صلى الله عليه وسلم قالوا هذا سحر مبين . قرا الكسائي وحمزة ساحر نعتا للرجل وروي انها قراة ابن
مسعود والباقون سحر نعتا لما جاء به الرسول . قال ابو حيان هنا وقرا الجمهور سحر وعبد الله وطلحة والاعمش وابن
وثاب ساحر وتقدم ذكر الاخوين **قوله** ومن اظلم ممن افترى . اي لا احد اظلم ممن افترى على الله الكذب **قوله** وهو
يدعى جملة حالية من فاعل افترى وهذه قراة العامة . وقرا طلحة يدعى بفتح اليا والدال مشددة مبنيا للفاعل
وفيها تاويلان . احدهما قاله الزمخشري وهو ان يكون يفتعل بمعنى تفعل نحو لمسه والتمسه والضميران اعني هو
والمستتر في يدعى لله تعالى وحسنه تكون القراتان بمعنى واحد كانه قيل والله يدعو الى الاسلام . وفي القراة الاولى
يكون الضمير الغائب عائدا على من . والثاني انه من ادعى كذا دعوى ولكنه لما ضمن يدعى معنى ينتمي وينتسب عدي باللام
فهو متعد بنفسه وعلى هذا الوجه فالضميران لمن ايضا كما في القراة المشهورة . وعن طلحة ايضا يدعى مشدد الدال
مبنيا للمفعول وخرجها الزمخشري على ما تقدم من ادعاه ودعاه بمعنى لمسه والتمسه والضميران عائدان على من عكس
ما تقدم عنه في تخريج القراة الاولى فان الضمير لله تعالى كما تقدم تحريره وهذا تعجب ممن كفر بعيسى ومحمد بعد
المعجزات التي ظهرت لهما ثم قال والله لا يهدي القوم الظالمين اي من كان في حكمه انه يختم له بالضلالة **قوله** يريدون
ليطفئوا نور الله بافواههم . الاطفا هو الاخماد يستعملان في النار وفيما يجري مجراها من الضيا والظهور ويفترق
الاطفا والاخماد من حيث ان الاطفا يستعمل في القليل فيقال اطفات السراج ولا يقال اخمدت السراج . وفي هذه
اللام اوجه . احدها انها مزيدة في مفعول الارادة . قال الزمخشري اصله يريدون ان يطفئوا كما في سورة التوبة
وكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة توكيدا له لما فيها من معنى الارادة في قولك جيت لاكرمك كما زيدت اللام
في لا اباك تاكيدا لمعنى الاضافة في لا اباك . وقال ابن عطية واللام في ليطفئوا لام موكدة دخلت على المفعول
لان التقدير يريدون ان يطفئوا واكثر ما يلزم هذه اللام المفعول اذا تقدم تقول لزيد ضربت ولرؤيتك قصدت انتهى
وهذا ليس مذهب سيبويه وجمهور الناس ثم قول ابي محمد واكثر ما يلزم ليس بظاهر لانه لا يلزم مهما البتة بل هي جائزة
الزيادة وليس الاكثر زيادتها جوازا بل الاكثر عدمها . الثاني انها لام العلة والمفعول محذوف اي يريدون ابطال
القران او دفع الاسلام او هلاك الرسول ليطفئوا . الثالث انها بمعنى ان الناصبة وانها ناصبة للفعل بنفسها . قال
الفرا العرب تجعل لام كي في موضع ان في اراد وامر واليه ذهب الكسائي ايضا وقد تقدم نحو هذا في قوله يريد الله
ليبين لكم في سورة النسا **فصل** قال ابن عباس وابن زيد المراد بنور الله هاهنا القران يريدون ابطاله وتكذيبه
بالقول . وقال السدي الاسلام اي يريدون دفعه بالكلام . وقال الضحاك انه محمد صلى الله عليه وسلم اي يريدون
هلاكه بالاراجيف . وقال ابن جريج حجج الله ودلايله يريدون ابطالها بانكارهم وتكذيبهم . وقيل انه مثل مضروب
اي من اراد اطفا نور الشمس بفيه وجده مستحيلا ممتنعا كذلك من اراد ابطال الحق حكاه ابن عيسى **فصل**
قال الماوردي سبب نزول هذه الاية ما حكاه عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم ابطا
عليه الوحي اربعين يوما فقال كعب بن الاشرف يا معشر يهود ابشروا فقد اطفا الله نور محمد فيما كان ينزل عليه
وما كان ليتم امره فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية واتصل الوحي بعدها **قوله** والله
متم نوره . قرا الاخوان وحفص وابن كثير باضافة متم لنوره . والباقون بتنوينه ونصب نوره فالاضافة تخفيف
والتنوين هو الاصل وابو حيان ينازع في كونه الاصل وقد تقدم . وقوله والله متم جملة حالية من فاعل يريدون
ان يطفئوا . والمعنى والله متم نوره اي باظهاره في الافاق **فان قيل** الاتمام لا يكون الا عند النقصان فما معنى نقصان
هذا النور **فالجواب** اتمامه بحسب نقصان الاثر وهو الظهور في ساير البلاد من المشارق الى المغارب اذ الظهور
لا يظهر الا بالاظهار وهو الاتمام يؤيده قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم . وعن ابي هريرة ان ذلك عند نزول

نزول عيسى عليه السلام قاله مجاهد **قوله** ولو كره . حال من هذه الحال فهما متداخلان وجواب لو محذوف اي اتمه واظهره
وكذلك ولو كره المشركون . والمعنى ولو كره الكافرون من ساير الاصناف **فان قيل** قال اولا ولو كره الكافرون وقال ثانيا
ولو كره المشركون فما الفايدة **فالجواب** انهم انكروا الرسول وما اوحي اليه من الكتاب وذلك من نعم الله تعالى والكافرون
كلهم في كفران النعم فلهذا قال ولو كره الكافرون ولان لفظ الكافر اعم من لفظ المشرك . فالمراد من الكافرين هنا اليهود
والنصارى والمشركون فلفظ الكفار اليق به . واما قوله ولو كره المشركون فذلك عند انكارهم التوحيد واصرارهم
عليه فالنبي صلى الله عليه وسلم دعاهم في ابتدا الدعوة الى التوحيد بلا اله الا الله فلم يقولوا لا اله الا الله فلهذا قال
ولو كره المشركون **قوله** هو الذي ارسل رسوله . يعني محمدا بالهدى اي بالحق والرشاد ليظهره على الدين كله بالحجج ومن الظهور
الغلبة باليد في القتال وليس المراد بالظهور ان لا يبقى دين اخر من الاديان بل المراد ان يكون اهل الاسلام عالين غالبين
ومن الاظهار ان لا يبقى دين اخر سوى الاسلام في اخر الزمان . قال مجاهد ذلك اذا انزل الله عيسى لم يكن في الارض دين
الا دين الاسلام . وقال ابو هريرة ليظهره على الدين كله بخروج عيسى وحينيذ لا يبقى كافر الا اسلم . وفي صحيح مسلم عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتنزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير
وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى اليها ولتذهبن الشحنا والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال
فلا يقبله احد . وقيل ليظهره اي ليطلع محمدا صلى الله عليه وسلم على ساير الاديان حتى يكون عالما بها عارفا بوجوه بطلانها
وبما حرفوا وغيروا منها على الدين اي على الاديان لان الدين مصدر يعبر به عن الجمع **قوله** يا ايها الذين امنوا هل ادلكم
على تجارة تنجيكم الاية . قال مقاتل نزلت في عثمان بن مظعون قال يا رسول الله لو اذنت لي فطلقت خولة وترهبت
واختصيت وحرمت اللحم ولا انام بليل ابدا ولا افطر بنهار ابدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من سنتي النكاح
ولا رهبانية في الاسلام انما رهبانية امتي الجهاد في سبيل الله وخصا امتي الصوم ولا تحرموا طيبات ما احل الله لكم
ومن سنتي انام واقوم وافطر واصوم فمن رغب عن سنتي فليس مني . فقال عثمان والله لوددت يا نبي الله اي التجارات
احب الى الله فاتجر فيها فنزلت . وقيل ادلكم اي سادلكم . والتجارة الجهاد قال الله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم
واموالهم الاية وهذا خطاب لجميع المومنين . وقيل لاهل الكتاب . وقيل نزلت هذا حين قالوا لو نعلم اي الاعمال احب
الى الله لعملناه . قال البغوي وجعل ذلك بمنزلة التجارة لانهم يربحون بها رضى الله عز وجل ونيل جنته والنجاة من النار
والتجارة عبارة عن معاوضة الشي بالشي كما ان التجارة تنجي التاجر من الفقر فكذا هذه التجارة وكما ان في التجارة
الربح والخسران فكذلك هذه التجارة فمن امن وعمل صالحا فله الاجر الوافر ومن اعرض عن الايمان والعمل الصالح
فله الخسران المبين **قوله** تنجيكم . هذه الجملة صفة لتجارة . وقرا ابن عامر تنجيكم بالتشديد . والباقون بالتخفيف
من انجى ونجى بمعنى واحد لان التضعيف والهمزة متعديان . والمعنى تخلصكم من عذاب اليم اي مولم **قوله** تومنون
لا محل له لانه تفسير لتجارة . ويجوز ان يكون محلها الرفع خبر المبتدا مضمر اي تلك التجارة تومنون والخبر نفس المبتدا
فلا حاجة الى رابط وان تكون منصوبة المحل باضمار فعل اي اعني تومنون وجاز ذلك على تقدير ان وفيه تعسف
والعامة على تومنون خبرا لفظا ثابت النون . وعبد الله امنوا وجاهدوا امرين . وزيد ابن علي تومنوا وتجاهدوا
بحذف نون الرفع . فاما قراة العامة فالخبر بمعنى الامر يدل عليه القراتان الشاذتان قال قراة زيد على حذف لام
الامر اي لتومنوا ولتجاهدوا كقوله . محمد تفد نفسك كل نفس . وقوله تعالى قل لعبادي الذين امنوا يقيموا اي
ليقيموا اي لتفد وليقيموا ولذلك جزم الفعل في جوابه في قوله يغفر وكذلك قولهم اتقى الله امرؤ فعل خيرا اثيب عليه
تقديره ليتق الله . وقال الاخفش ان تومنوا عطف بيان لتجارة وهذا لا يتخيل الا بتاويل ان يكون الاصل ان تومنوا فلما
حذف ان ارتفع الفعل كقوله . الا ايها ذا الزاجري احضر الوغى . الاصل ان احضر وكانه قيل هل ادلكم على تجارة منجية
ايمان وجهاد وهو معنى حسن لولا ما فيه من التاويل وعلى هذا يكون بدلا من تجارة . وقال الفرا هو مجزوم على جواب
الاستفهام وهو قوله هل ادلكم . واختلف الناس في تصحيح هذا القول فبعضهم غلطه . قال الزجاج ليس اذا دلهم
على ما ينفعهم يغفر لهم انما يغفر لهم اذا امنوا وجاهدوا والمعنى انه ليس مرتبا على مجرد الاستفهام ولا على مجرد الدلالة
قال القرطبي وتومنون عند المبرد والزجاج في معنى امنوا ولذلك جاء يغفر لكم مجزوما على انه جواب الامر . قال ابن الخطيب
هل ادلكم في معنى الامر عند الفرا يقال هل انت ساكت اي اسكت . وبيانه ان هل بمعنى الاستفهام ثم يتدرج الى ان يصير
عرضا وحثا والحث كالاغرا والاغرا امر . وقال المهدوي انما يصح حملا على المعنى وهو ان يكون تومنون وتجاهدون
عطف بيان على قوله هل ادلكم كان التجارة لم يدر ما هي فبينت بالايمان والجهاد فهي هما في المعنى فكانه قيل هل تومنون
وتجاهدون قال فان لم يقدر هذا التقدير لم يصح لانه يصير [illegible] المتم يغفر لكم والغفران انما يجب بالقبول
والايمان لا بالدلالة . وقال الزمخشري قريبا منه ايضا وقال ايضا ان تومنون استيناف كانهم قالوا كيف نعمل
فقال تومنون يجعله . وقال ابن عطية تومنون فعل مرفوع تقديره ذلك انه تومنون فجعله خبرا الان وهي وما في

ولا

تنجيكم ان صح

ايضا صح

خبر اخبر لمبتدا محذوف وهذا محمول على تفسير المعنى لا تفسير الاعراب فانه لا حاجة اليه **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل
كيف امرهم بالايمان بعد قوله يا ايها الذين امنوا **فالجواب** يمكن ان يكون المراد من هذه الاية المنافقين وهم
الذين امنوا فى الظاهر ويمكن ان يكون اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فانهم امنوا بالكتب المتقدمة فكانه قال
يا ايها الذين امنوا بالكتب المتقدمة امنوا بالله وبمحمد ويمكن ان يكون اهل الايمان كقوله تعالى فزادتهم ايمانا
او يكون المراد الامر بالثبات على الايمان كقوله تعالى يثبت الله الذين امنوا **فان قيل** كيف ترجى النجاة اذا
امن بالله ورسوله ولم يجاهد فى سبيل الله وقد علق بالمجموع **فالجواب** ان هذا المجموع هو الايمان بالله
ورسوله والجهاد بالنفس والمال فى سبيل الله خير فى نفس الامر **قوله** باموالكم وانفسكم قال القرطبى ذكر الاموا
اولا لانها التى يبدا بها فى الانفاق ذلكم اى هذا الفعل خير لكم من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون انه خير
لكم **قوله** يغفر لكم فيه اوجه احدها انه مجزوم على جواب الخبر بمعنى الامر كما تقدم والثانى انه مجزوم على جواب
الاستفهام كما قاله الفراء الثالث انه مجزوم بشرط مقدر اى ان تؤمنوا يغفر لكم قال القرطبى وادغم بعضهم
في يغفر لكم والاحسن ترك الادغام لان الراء حرف متكرر قوى فلا يحسن الادغام فى اللام لان الاقوى لا يدغم
فى الاضعف **قوله** ومساكن طيبة روى الحسن قال سالت عمران بن حصين وابا هريرة عن قوله تعالى ومساكن طيبة
فقالا على الخبير سقطت سالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال قصر من لؤلؤة فى الجنة فى ذلك القصر سبعون
دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زبرجد خضراء فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا
من كل لون على كل فراش سبعون امراة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام
فى كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة فيعطى الله تعالى المؤمن فى غداة واحدة ما ياتى على ذلك كله **قوله** فى جنات عدن
اى اقامة ذلك الفوز العظيم اى السعادة الدائمة الكثيرة واصل الفوز الظفر بالمطلوب **قوله** واخرى فيها اوجه
احدها انها فى موضع رفع على الابتداء وخبرها مقدر اى ولكم او ثم او عندكم خصلة اخرى او مثوبة اخرى وتحبونها نعت
لها الثانى ان الخبر جملة حذف مبتداها تقديره هى نصر والجملة خبر اخرى قاله ابو البقاء الثالث انها منصوبة بفعل
محذوف للدلالة عليه بالسياق اى ويعطكم او يمنحكم مثوبة اخرى وتحبونها نعت لها ايضا الرابع انها منصوبة بفعل
مضمر يفسره تحبونها فيكون من الاشتغال وحينئذ لا يكون تحبونها نعتا لانه مفسر للعامل قبله الخامس انها مجرورة
عطفا على تجارة وضعف هذا بانها ليست مما دل عليه انما هى ثواب من عند الله قال القرطبى وهذا الوجه منقول
عن الاخفش والفراء **قوله** نصر من الله خبر مبتدا مضمر اى تلك النعمة او الخلة الاخرى نصر ومن الله نعت له او متعلق
به اى ابتداؤه منه ورفع نصر وفتح قراءة العامة ونصب ابن ابى عبلة الثلاثة وفيه اوجه ذكرها الزمخشرى
احدها انها منصوبة على الاختصاص الثانى ان ينتصبن على المصدرية اى ينصرون نصرا ويفتح لهم فتحا قريبا الثالث
ان ينتصبن على البدل من اخرى واخرى منصوب بمقدر كما تقدم اى يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم اخرى ثم ابدل منها
نصرا وفتحا قريبا **فصل** ومعنى الاية اى ولكم نصر من الله وفتح قريب اى غنيمة فى عاجل الدنيا قبل فتح مكة وقال
ابن عباس رضى الله عنهما يريد فتح فارس والروم وبشر المؤمنين برضى الله عنهم وقال البغوى وبشر المؤمنين يا محمد
بالنصر فى الدنيا والجنة فى الاخرة ثم حضهم على نصر المؤمنين وجهاد المخالفين فقال يا ايها الذين امنوا كونوا انصار
الله اى كونوا حوارى نبيكم ليظهركم الله على من خالفكم كما اظهر حوارى عيسى على من خالفهم **قوله** انصار الله قرا نافع
وابن كثير وابو عمرو انصارا منونا لله جارا ومجرورا والباقون انصار غير منون بل مضافا للجلالة الكريمة والرسم يحتمل
القراءتين معا واللام يحتمل ان تكون مزيدة فى المفعول للتقوية لكون العامل فرعا اذ الاصل انصارا لله وان تكون غير مزيدة
ويكون الجار والمجرور نعتا لانصارا والاول اظهر واما قراءة الاضافة ففرع الاصل المذكور ويؤيد قراءة الاضافة
الاجماع عليها فى قوله تعالى نحن انصار الله ولم يتصور جريان الخلاف هنا لانه مرسوم بالالف قال القرطبى قيل فى
الكلام اضمار اى قل لهم يا محمد كونوا انصار الله وقيل هو ابتداء خطاب من الله اى كونوا انصارا كما فعل انصار عيسى
فكانوا بحمد الله انصارا وكانوا حواريين **فصل** قال القرطبى الحواريون خواص الرسل قال معمر كان ذلك
بحمد الله تعالى اى نصروه وهم سبعون رجلا وهم الذين بايعوه ليلة العقبة وقيل هم من قريش وسماهم قتادة
ابو بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير وسعد بن ابى وقاص وابو عبيدة واسمه عامر وعثمان بن مظعون وحمزة
ابن عبد المطلب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ولم يذكر سعدا فيهم وذكر جعفر بن ابى طالب رضى
الله عنهم اجمعين **قوله** كما قال عيسى ابن مريم للحواريين وهم اصفياؤه اثنا عشر رجلا وقد مضت اسماؤهم فى ال
عمران وهم اول من امن به من بنى اسرائيل قاله ابن عباس وقال مقاتل قال الله لعيسى اذا دخلت القرية فات
النهر الذى عليه القصارون فاسالهم النصر فاتاهم عيسى وقال من انصارى الى الله فقالوا نحن ننصرك فصدقوه
ونصروه **قوله** كما فيه اوجه احدها ان الكاف فى موضع نصب على اضمار القول اى قلنا لهم ذلك كما قال عيسى الثانى

الثانى انها نعت لمصدر محذوف تقديره كونوا كونا قاله مكى وفيه نظر اذ لا يؤمرون بان يكونوا كونا الثالث انه كلام محمول على معنا
دون لفظه واليه نحا الزمخشرى قال فان قلت ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى صلى الله عليه
وسلم من انصارى قلت التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح فالمراد كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين
قال لهم من انصارى الى الله وتقدم فى ال عمران تعدى انصارى بالى واختلاف الناس فى ذلك وقال الزمخشرى هنا فان
قلت ما معنى قوله من انصارى الى الله قلت يجب ان يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين نحن انصار الله والذى يطابقه
ان يكون المعنى من جندى متوجها الى نصرة الله واضافة انصارى خلاف اضافة انصار الله فان معنى نحن انصار الله نحن
الذين ينصرون الله ولا يصح ان يكون معناه من ينصرنى مع الله لانه لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرا من انصار
الله انتهى يعنى ان بعضهم يدعى ان الى بمعنى مع اى من انصارى مع الله وقوله قراءة من قرا انصار الله اى لو كانت بمعنى مع
لما صح سقوطها فى هذه القراءة قال شهاب الدين وهذا غير لازم لان كل قراءة لها معنى يخصها الا ان الاولى توافق القراءتين
قوله فامنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام
وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه الله اليه وفرقة
قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه الله اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة طائفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان
الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى
فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين غالبين وقال مجاهد ايدوا فى زمانهم على من كفر بعيسى والاول اظهر
لان عيسى لم يقاتل احدا ولم يكن فى دين اصحابه بعده قتال وقال زيد بن على وقتادة فاصبحوا ظاهرين غالبين بالحجة
والبرهان لانهم قالوا فيما روى الستم تعلمون ان عيسى كان ينام والله لا ينام وان عيسى كان ياكل والله تعالى لا ياكل وقيل
نزلت هذه الاية فى رسل عيسى عليه السلام قال ابن اسحق وكان الذى بعثهم عيسى من الحواريين والاتباع بطرس وبولس
الى رومية واندراييس ومتى الى الارض التى ياكل اهلها الناس وتوماس الى ارض بابل من ارض المشرق وفيلبس الى قرطاجنة وهى
افريقية ويحنس الى افسوس قرية اصحاب الكهف ويعقوبس الى اوروشلم وهى بيت المقدس وابن تلما الى الاعرابية
وهى ارض الحجاز وسيمن الى ارض البربر ويهوذا ويودس الى الاسكندرية وما حولها فايدهم الله بالحجة فاصبحوا ظاهرين
اى غالبين من قولك ظهرت على الحائط اى علوت عليه **قوله تعالى** فايدنا الذين امنوا على عدوهم من ايقاع الظاهر موقع
المضمر منهما تنبيها على عداوة الكافر للمؤمن اذ الاصل فايدناهم عليهم اى ايدنا المؤمنين على الكافرين من الطائفتين المذكورتين
روى الثعلبى فى تفسيره عن ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عيسى عليه الصلاة والسلام
كان عيسى مستغفرا له ما دام فى الدنيا ويوم القيامة هو رفيقه

سورة الجمعة

وهى احدى عشرة اية وماية وثمانون كلمة وسبعماية وعشرون حرفا روى مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى
الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم
الساعة الا فى يوم الجمعة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون يوم القيامة ونحن اول من يدخل
الجنة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا يومهم
الذى اختلفوا فيه هدانا الله له قال يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى بسم الله الرحمن الرحيم **قوله
تعالى** يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض تقدم الكلام فيه وقوله الملك القدوس العزيز الحكيم وجه تعلق هذه
السورة بما قبلها هو انه تعالى قال فى اول تلك السورة سبح لله بلفظ الماضى وذلك لا يدل على التسبيح فى المستقبل فقال
فى اول هذه السورة بلفظ المستقبل ليدل على التسبيح فى الزمن الحاضر والمستقبل واما تعلق الاول بالاخر فلانه تعالى
ذكر فى اخر تلك السورة انه كان يؤيد اهل الايمان حتى صاروا غالبين على الكفار وذلك على وفق الحكمة للحاجة اليه اذ هو غنى
على الاطلاق ومنزه عما يخطر ببال الجهلة وفى اول هذه السورة ذكر ما يدل على كونه مقدسا ومنزها عما لا يليق بحضرته العالية
ثم اذا كان خلق السموات والارض باجمعهم فى تسبيح حضرة الله تعالى فله الملك ولا ملك اعظم من هذا ولما كان الملك كله له
تعالى فهو الملك على الاطلاق ولما كان الكل خلقه فهو المالك **قوله** الملك القدوس قرا العامة بجر الملك وما بعده نعتا
لله والبدل ضعيف لاشتقاقها وقرا ابو وائل وسلمة بن محارب ورؤبة بالرفع على اضمار مبتدا مقتضى للمدح قال الزمخشرى
ولو قرئ بالنصب على قولهم الحمد لله اهل الحمد [illegible] وقرا زيد بن على [illegible] بفتح القاف وتقدم ذلك ويسبح من جملة
ما يجرى فيه اللفظان كشكره وشكر له ونصحه ونصح له وسبحه وسبح له **فان قيل** الحكيم يطلق ايضا على الغير كما يقال فى لقمان
انه حكيم **فالجواب** ان الحكيم عند اهل التحقيق هو الذى يضع الاشياء مواضعها والله تعالى حكيم بهذا المعنى **قوله**

هو الذي بعث في الاميين رسولا. تقدم الكلام في الآية والاميين جمعه ويتلوا وما بعده صفات لرسول. قال ابن عباس رضي الله عنهما الاميون العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب لانهم لم يكونوا اهل كتاب. وقيل الاميون الذين لا يكتبون وكذلك كانت قريش. وروى منصور عن ابرهيم قال الامي الذي يقرا ولا يكتب. وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاميون الذين ليس لهم كتاب ولا نبي بعث فيهم. وقيل الاميون هم الذين هم على ما خلقوا عليه وقرئ الامين بحذف ياء النسب **قوله** رسولا منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما من حي من العرب الا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة وقد ولدوه. قال ابن اسحق الا بني تغلب فان الله طهر نبيه صلى الله عليه وسلم منهم لنصرانيتهم فلم يجعل لهم عليه ولادة وكان اميا لم يقرا من كتاب ولم يتعلم صلى الله عليه وسلم قال الماوردي **فان قيل** ما وجه الامتنان بان بعث نبيا اميا **فالجواب** من ثلاثة اوجه. احدها لموافقته ما تقدمت بشارة الانبياء. الثاني لمشاكلة حاله لاحوالهم فيكون اقرب الى موافقتهم. الثالث لينتفي عنه سوء الظن في تعليمه ما دعا اليه من الكتب التي قراها والحكم التي تلاها. قال القرطبي وهذا كله دليل معجزته وصدق نبوته **قوله** يتلوا عليهم آياته يعني القرآن ويزكيهم اي يجعلهم ازكيا القلوب بالايمان قاله ابن عباس وقيل يطهرهم من دين الكفر والذنوب قاله ابن جريج ومقاتل. وقال السدي باخذ زكاة اموالهم ويعلمهم الكتاب يعني القرآن والحكمة السنة قاله الحسن. وقال ابن عباس الكتاب الخط بالقلم لان الخط انما نشأ في العرب بالشرع لما امروا بالتقييد بالخط. وقال مالك بن انس الحكمة الفقه في الدين وقد تقدم في البقرة وان كانوا من قبل اي من قبله وقبل ان يرسل اليهم لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن الحق **فصل** قال ابن الخطيب احتج اهل الكتاب بهذه الآية فقالوا قوله تعالى بعث في الاميين رسولا منهم يدل على انه عليه السلام كان رسولا الى الاميين وهم العرب خاصة وهذا ضعيف فانه لا يلزم من تخصيص الشيء بالذكر نفي ما عداه الا ترى قوله تعالى ولا تخطه بيمينك انه لا يفهم منه انه يخطه بشماله ولانه لو كان رسولا الى العرب خاصة كان قوله تعالى كافة للناس بشيرا ونذيرا لا يناسب ذلك وقد اتفقوا على صدق الرسالة المخصوصة فيكون قوله كافة للناس دليلا على انه عليه السلام كان رسولا الى الكل **قوله تعالى** وآخرين منهم فيه وجهان احدهما انه مجرور عطفا على الاميين اي وبعث في آخرين من الاميين ولما يلحقوا بهم صفة لآخرين وقيل والثاني انه منصوب عطفا على الضمير المنصوب في يعلمهم اي ويعلم آخرين لم يلحقوا بهم وسيلحقون فكل من تعلم شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى آخر الزمان فرسول الله صلى الله عليه وسلم معلمه بالقوة لانه اصل ذلك الخير العظيم والفضل الجسيم **قوله تعالى** لما يلحقوا بهم اي لم يكونوا في زمانهم وسيجيئون بعدهم. قال ابن عمر وسعيد بن جبير هم العجم وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال من هؤلاء يا رسول الله فلم يراجعه النبي صلى الله عليه وسلم حتى سأله مرة او مرتين او ثلاثا قال وفينا سلمان الفارسي قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجل من هؤلاء وفي رواية لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس او قال من ابناء فارس حتى يتناوله لفظ مسلم. وقال عكرمة هم التابعون. وقال مجاهد هم الناس كلهم يعني من بعد العرب الذي بعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم. وقال ابن زيد ومقاتل بن حيان قالا هم من دخل في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة. قال سهل بن سعد الساعدي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في اصلاب امتي رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب ثم تلا وآخرين منهم لما يلحقوا بهم والقول الاول اثبت. وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيتني اسقي غنما سودا ثم اتبعتها غنما عفرا اولها يا ابا بكر فقال يا نبي الله اما السود فالعرب واما العفر فالعجم تتبعك بعد العرب فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذلك اولها الملك يعني جبريل عليه السلام رواه ابن ابي ليلى عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو علي بن ابي طالب رضي الله عنه **قوله** ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. قال ابن عباس حيث الحق العجم بقريش. وقيل يعني الاسلام فضل الله يؤتيه من يشاء قاله الكلبي وقال مقاتل يعني الوحي والنبوة. وقيل انه المال ينفق في الطاعة لما روى ابو صالح عن ابي هريرة ان فقراء المهاجرين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وما ذاك فقالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا اعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة قال ابو صالح فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. وقيل انه انقياد الناس الى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم ودخولهم في دينه ونصرته **قوله تعالى** مثل الذين حملوا التوراة. هذه قراءة العامة وقرأ زيد بن علي ويحيى بن يعمر حملوا مخففا مبنيا للفاعل **قوله** كمثل الحمار هذه قراءة العامة. وقرأ عبد الله حمار منكرا وهو في قوة قراءة الباقين لان المراد بالحمار الجنس ولهذا وصف بالجملة بعده كما سيأتي وقرأ المأمون بن هرون الرشيد يحمل مشددا مبنيا للمفعول والجملة من يحمل فيها وجهان اشهرهما انها في موضع

موضع الحال من الحمار والثاني انها في موضع الصفة للحمار لجريانه مجرى النكرة اذ المراد به الجنس قال الزمخشري والجر على الوصف لان الحمار كاللئيم في قوله. ولقد امر على اللئيم يسبني. وتقدم تحرير هذا وان منه عند بعضهم وآية لهم الليل نسلخ وان نسلخ نعت لليل والجمهور يجعلونه حالا للتعريف اللفظي واما على قراءة عبد الله فالجملة وصف فقط ولا يمتنع ان يكون حالا عند سيبويه والاسفار جمع سفر وهو الكتاب المجتمع الاوراق **فصل** هذا مثل ضرب لليهود لما تركوا العمل بالتوراة ولم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم حملوا التوراة اي كلفوا العمل بها قاله ابن عباس. وقال الجرجاني هو من الحمالة بمعنى الكفالة اي ضمنوا احكام التوراة. وقوله ثم لم يحملوها لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها كمثل الحمار يحمل اسفارا اي كتبا من العلم واحدها سفر. قال الفرا هي الكتب العظام لانها تسفر عما فيها من المعاني اذا قرئت ونظيره شبر واشبار يعني كما ان الحمار يحملها ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود يقرؤون التوراة ولا ينتفعون بها لانهم خالفوا ما فيها. قال ميمون بن مهران الحمار لا يدري اسفر على ظهره ام زبيل فكذلك اليهود وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب ان يتعلم معانيه ويعلم ما فيه ويعمل به لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء. قال الشاعر. لعمرك ما يدري البعير اذا غدا. باوساقه او راح ما في الغرائر. **قوله** بئس مثل القوم فيه اوجه احدها وهو المشهور ان مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول بعده وهذا مشكل لانه لا بد من تصادق فاعل نعم وبئس والمخصوص وهنا المثل ليس القوم الذين المكذبين والجواب انه على حذف مضاف اي بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا. الثاني ان الذين صفة للقوم فيكون مجرور المحل والمخصوص بالذم محذوف لفهم المعنى تقديره بئس مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء وهو قريب من الاول. الثالث ان الفاعل محذوف وان مثل القوم هو المخصوص بالذم تقديره بئس المثل مثل القوم ويكون الموصول نعتا للقوم ايضا واليه نحا كلام ابن عطية فانه قال والتقدير بئس المثل مثل القوم وهذا فاسد لانه لا يحذف الفاعل عند البصريين الا في مواضع ثلاثة ليس هذا منها اللهم الا ان يقول بقول الكوفيين. الرابع ان يكون التمييز محذوفا والفاعل المفسر به مستتر تقديره بئس مثلا مثل القوم واليه نحا كلام الزمخشري فانه قال بئس مثلا مثل القوم فيكون الفاعل مستترا مفسرا بمثلا ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة له وحذف التمييز وهذا لا يجيزه سيبويه واصحابه البتة نصوا على امتناع حذف التمييز وكيف يحذف وهو مبين **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل ما الحكمة في تعيين الحمار من دون سائر الحيوانات **فالجواب** من وجوه احدها انه تعالى خلق الخيل والبغال والحمير للركوب والزينة كما قال تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة. والزينة في الخيل اكثر واظهر بالنسبة الى الركوب والحمل عليه. وفي البغال دون الخيل وفي الحمار دون البغال فالبغال كالمتوسط في المعاني الثلاثة وحينئذ يكون الحمار في معنى الحمل اظهر واغلب بالنسبة الى الخيل والبغال وغيرهما من الحيوانات. وثانيها ان هذا التمثيل لاظهار الجهل والبلادة لان مثل القوم والحمار يتمثل به في الجهل والبلادة. وثالثها ان في الحمار من الحقارة ما ليس في غيره من الحيوان. والغرض من الكلام هاهنا تحقير القوم وتعييرهم فيكون تعيين الحمار اليق. ورابعها ان حمل الاسفار على الحمار اسهل واعم واسهل لسرعة انقياده فانه ينقاد للصبي الصغير من غير كلفة وهذا من جملة ما يوجب حسن الذكر بالنسبة الى غيره. وخامسها ان رعاية الالفاظ والمناسبة من لوازم الكلام وبين لفظ الاسفار والحمار مناسبة لفظية لا توجد في غيره من الحيوانات فيكون ذكره اولى **فصل** قال القرطبي معنى الكلام بئس مثل القوم المثل الذي ضربناه لهم فحذف المضاف والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بتكذيب الانبياء يعني من سبق في علمه ان يكون كافرا **قوله** يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس اي من دون محمد واصحابه لما ادعت اليهود الفضيلة وقالوا نحن ابناء الله واحباؤه قال الله تعالى ان كنتم اولياء لله من دون الناس فللاولياء عند الله الكرامة فتمنوا الموت لتصيروا الى ما يصير اليه اولياء الله **قوله** انكم اولياء سادة مسد المفعولين او المفعول على الخلاف ولله متعلق باولياء او بمحذوف نعتا لاولياء ومن دون الناس كذلك **قوله** فتمنوا الموت جواب الشرط والعامة بضم الواو وهو الاصل في واو الضمير وابن السميفع وابن يعمر وابن ابي اسحق بكسرها وهو اصل التقاء الساكنين وابن السميفع ايضا بفتحها وهذا طلب للتخفيف وتقدم نحوه في اشتروا الضلالة. وحكى الكسائي ابدال الواو همزة **قوله** ولا يتمنونه. وقال في البقرة ولن يتمنوه قال الزمخشري لا فرق بين لا ولن في ان كل واحد منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس في لا فاتى مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه. قال ابو حيان وهذا رجوع منه عن مذهبه وهو ان لن تقتضي النفي على التابيد الى مذهب الجماعة وهو انها لا تقتضيه. قال شهاب الدين وليس فيه رجوع غاية ما فيه انه سكت عنه وتشريكه بين لا ولن في نفي المستقبل لا ينفي اختصاص لن بمعنى آخر وتقدم الكلام على هذا مشبعا في البقرة **فصل** المعنى ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم اي اسلفوا من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فلو تمنوه لماتوا فكان في ذلك بطلان قولهم وما ادعوه من الولاية. قال عليه السلام لما نزلت هذه والذي نفسي بيده لو تمنوا الموت ما بقي على ظهرها يهودي الا مات وفي هذا اخبار عن الغيب ومعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد مضى الكلام على هذه الآية في البقرة عند قوله فتمنوا الموت **قوله** قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم في هذه الفاء وجهان احدهما انها داخلة لما تضمنه الاسم من معنى الشرط وحكم الموصوف بالموصول حكم الموصول في ذلك قال الزجاج ان زيدا فمنطلق وهاهنا قال فانه ملاقيكم لما في معنى الذي من الشرط والجزاء اي ان فررتم منه فانه ملاقيكم ويكون

مبالغة في الدلالة على أنه لا ينفع الفرار منه. الثاني أنها مزيدة محضة لا للتضمن المذكور واختاره هو لا القول الأول بوجهين أحدهما
أن ذلك إنما يجوز إذا كان المبتدأ أو اسم إن موصولا أو موصوفا بالموصول واسم إن هنا ليس بموصول بل موصوف بالموصول. والثاني أن الفرار
من الموت لا ينجي منه فلم يشبه الشرط يعني أنه متحقق فلم يشبه الشرط الذي هو من شأنه الاحتمال. وأجيب عن الأول
بأن الموصوف مع صفته كالشيء الواحد ولأن الذي لا يكون إلا صفة فإذا لم يذكر الموصوف دخلت الفاء والموصوف مراد
فكذلك إذا صرح بها. وعن الثاني بأن خلقا كثيرا يظنون أن الفرار من أسباب الموت ينجيهم إلى وقت آخر. وجوز مكي أن
يكون الخبر قوله الذي تفرون منه وتكون الفاء جواب الجملة قال كما تقول زيد منطلق فقم إليه. وفيه نظر لأنه لا ترتب
بين قوله إن الموت الذي تفرون وبين قوله فإنه ملاقيكم فليس نظير المثال. قال القرطبي ويجوز أن يتم الكلام
عند قوله الذي تفرون منه ثم يبتدئ فإنه ملاقيكم. وقرأ زيد بن علي إنه بغير فاء وفيها أوجه أحدها أنه مستأنف
وحينئذ يكون الخبر نفس الموصول كأنه قيل إن الموت هو الشيء الذي تفرون منه قاله مكي والزمخشري. الثاني أن
الخبر الجملة من قوله إنه ملاقيكم وحينئذ يكون الموصول نعتا للموت. الثالث أن يكون إنه تأكيدا لأن الموت لما طال
الكلام أكد الحرف تأكيدا لفظيا وقد عرف أنه لا يؤكد كذلك إلا بإعادة ما دخل عليه أو بإعادة ضميره فأكد بإعادة
ضمير ما دخلت عليه إن وحينئذ يكون الموصول نعتا للموت وملاقيكم خبره كأنه قيل إن الموت إنه ملاقيكم. وقرأ
ابن مسعود ملاقيكم من غير فاء إنه. **فإن قيل** الموت ملاقيهم على كل حال فروا أو لم يفروا فما معنى الشرط والجزاء **فالجواب**
أن هذا على جهة الرد عليهم إذ ظنوا أن الفرار ينجيهم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون. وهذا وعيد
بليغ وتهديد شديد. **قوله تعالى** يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة. قرأ العامة الجمعة بضمتين. وقرأ
عبد الله بن الزبير وزيد بن علي والأعمش وأبو حيوة وأبو عمرو في رواية بسكون الميم فقيل هي لغة في الأولى وسكنت
تخفيفا وهي لغة تميم. وقيل هو مصدر بمعنى الاجتماع. وقيل لما كان بمعنى الفعل صار كرجل هزأة أي يهزأ به فلما كان في
الجمعة معنى التجمع أسكن لأنه مفعول به في المعنى أو يشبهه فصار كهزأة الذي يهزأ به قاله مكي وكذا قال أبو البقاء هو بمعنى
المجتمع فيه مثل رجل ضحكة أي يضحك منه. وقال مكي يجوز إسكان الميم استخفافا. وقيل هي لغة وقد نقلها أنها قراءة وأنها
لغة تميم. وقال أبو حيان ولغة بفتحها لم يقرأ بها. قال شهاب الدين قد نقلها أبو البقاء قراءة فقال ويقرأ بفتح الميم بمعنى
الفاعل أي يوم المكان الجامع مثل رجل ضحكة أي كثير الضحك. وقال مكي وفيه لغة ثالثة بفتح الميم على نسبة الفعل إليها كأنها
تجمع الناس كما يقال رجل لحنة إذا كان يلحن الناس وقرأة إذا كان يقرئ الناس ونقلها قراءة أيضا الزمخشري إلا أن الزمخشري
جعل الجمعة بالسكون هو الأصل وبالمضموم مخففا منه فقال يوم الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه
ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعبة ويوم الجمعة تثقيل الجمعة كما قيل عسرة في عسرة. وقرئ
بهن جميعا وتقديره يوم الوقت الجامع أحسن من تقدير أبي البقاء يوم المكان الجامع لأن نسبة الجمع إلى الظرفين مجاز
فالأولى إبقاؤه زمانا على حاله. قال القرطبي وجمعها جمع وجمعات والتخفيف أحسن وأقيس نحو غرفة وغرف وطرفة
وطرف وحجرة وحجر. وفتح الميم لغة بني عقيل. وقيل إنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم **فصل** قال ابن الخطيب
قوله للصلاة أي لوقت الصلاة بدليل قوله من يوم الجمعة ولا تكون الصلاة من اليوم وإنما يكون وقتها من اليوم **فصل**
روى سلمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنما سميت جمعة لأن الله جمع فيها خلق آدم. وقيل لأن الله تعالى فرغ فيها
من خلق كل شيء فاجتمع فيها جميع المخلوقات. وقيل لتجمع الجماعات فيها. وقيل لاجتماع الناس فيها للصلاة **قوله** من يوم. من
هذه بيان لإذا وتفسير لها قاله الزمخشري. وقال أبو البقاء إنها بمعنى في أي في يوم كقوله تعالى أروني ماذا خلقوا من الأرض
أي في الأرض **فصل** قال القرطبي قال أبو سلمة أول من قال أما بعد كعب بن لؤي وكان أول من سمى الجمعة جمعة
لاجتماع قريش فيه إلى كعب وكان يقال ليوم الجمعة العروبة. وقيل أول من سماها جمعة الأنصار قال ابن سيرين جمع
أهل المدينة من قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل أن تنزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة وذلك
أنهم قالوا إن لليهود يوما يجتمعون فيه في كل سبعة أيام يوم وهو السبت وللنصارى يوم مثل ذلك فتعالوا فلنجتمع
حتى نجعل يوما لنا نذكر الله فيه ونصلي فيه ونستذكر فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم
العروبة فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا فذبح لهم
أسعد شاة فتعشوا وتغدوا منها لقلتهم فهذه أول جمعة في الإسلام وروي أنهم كانوا اثني عشر رجلا. وقال
البيهقي وروينا عن موسى بن عقبة عن الزهري أن مصعب بن عمير كان أول من جمع الجمعة بالمدينة للمسلمين قبل
أن يقدمها النبي صلى الله عليه وسلم. قال البيهقي يحتمل أن يكون مصعب جمع بهم بمعونة أسعد بن زرارة فأضافه
كعب إليه. وروي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه كعب أنه كان إذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لأسعد
ابن زرارة فقلت له إذا سمعت النداء ترحمت لأسعد بن زرارة قال لأنه أول من جمع بنا في هزم النبيت من حرة
بني بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال أربعين ذكره البغوي. وأما أول جمعة

جمعة جمعها النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه فقال أهل السير قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا حتى نزل بقباء على بني
عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين اشتد الضحاء ومن تلك السنة يعد التاريخ فأقام
بها إلى يوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة إلى المدينة فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد
اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا فجمع بهم وخطب وهي أول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله وأستعينه وأستغفره
وأستهديه وأومن به ولا أكفره وأعادي من يكفره. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع
من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى
وفرط وضل ضلالا بعيدا. أوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى
الله واحذروا ما حذركم الله من نفسه فإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من الآخرة ومن
يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي به إلا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل أمره وذخرا فيما بعد
الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله
رؤوف بالعباد هو الذي صدق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك فإنه يقول ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد فاتقوا
الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا ومن يتق الله فقد فاز
فوزا عظيما وإن تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه وإن تقوى الله تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة
خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم في كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن
الله إليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من
حي عن بينة ولا حول ولا قوة إلا بالله فأكثروا ذكر الله تعالى واعملوا لما بعد الموت فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه
الله ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله أكبر ولا حول ولا
قوة إلا بالله العلي العظيم **فصل** خاطب الله المؤمنين بالجمعة دون الكافرين تشريفا لهم وتكريما فقال يا أيها الذين آمنوا
ثم خصه بالنداء وإن كان قد دخل في عموم قوله تعالى وإذا ناديتم إلى الصلاة ليدل على وجوبه وتأكيد فرضه. وقال بعض
العلماء كون الصلاة الجمعة ههنا معلوم بالإجماع لا من نفس اللفظ. وقال ابن العربي وعندي أنه معلوم من نفس اللفظ بنكتة
وهي قوله من يوم الجمعة وذلك يفيده لأن النداء الذي يختص بذلك اليوم هو نداء تلك الصلاة فأما غيرها فهو عام في سائر
الأيام ولو لم يكن المراد به نداء الجمعة لما كان لتخصيصه بها وإضافته إليها معنى ولا فائدة **فصل** كان الأذان على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في سائر الصلوات مؤذن واحد إذا جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وكذلك
فعل أبو بكر وعمر وعلي بالكوفة ثم زاد عثمان على المنبر أذانا ثانيا على داره التي تسمى الزوراء حين كثر الناس بالمدينة فإذا سمعوا
أقبلوا حتى إذا جلس عثمان على المنبر أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخطب عثمان أخرجه ابن ماجه في سننه
وقال الماوردي فأما الأذان الأول فمحدث فعله عثمان بن عفان ليتأهب الناس لحضور الخطبة عند اتساع المدينة
وكثرة أهلها وقد كان عمر رضي الله عنه أمر أن يؤذن في السوق قبل المسجد ليقوم الناس عن بيوعهم فإذا اجتمعوا
أذن في المسجد فجعله عثمان رضي الله عنه أذانين في المسجد. قال ابن العربي وفي الحديث الصحيح أن الأذان كان
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا فلما كان زمن عثمان زاد النداء الثالث على الزوراء وسماه في الحديث ثالثا لأنه
أضافه إلى الإقامة كقوله عليه السلام بين كل أذانين صلاة لمن شاء يعني الأذان والإقامة وتوهم بعض الناس أنه
أذان أصلي فجعلوا المؤذنين ثلاثة فكان وهما ثم جمعوهم في وقت واحد فكان وهما على وهم **قوله** فاسعوا إلى ذكر الله
قيل المراد بالسعي هنا القصد. قال الحسن والله ما هو سعي على الأقدام ولكنه سعي بالقلوب والنية. وقال الجمهور السعي العمل
لقوله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن. وقوله إن سعيكم لشتى. وقوله وأن ليس للإنسان إلا ما
سعى. والمعنى فاعملوا على المضي إلى ذكر الله واشتغلوا بأسبابه من الغسل والتطهر والتوجه إليه. وقيل المراد به السعي
على الأقدام وذلك فضل وليس بشرط لقوله عليه السلام من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار. قال
القرطبي ويحتمل ظاهره وجها رابعا وهو الجري والاشتداد. قال ابن العربي وهو الذي أنكره الصحابة والفقهاء الأقدمون
يقرأها عمر فامضوا إلى ذكر الله فرارا عن طريق الجري والاشتداد الذي يدل عليه الظاهر. وقرأ ابن مسعود كذلك
وقال لو قرأت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي. وقال ابن شهاب فامضوا إلى ذكر الله سالكا تلك السبيل وهو كله
تفسير منهم لا قراءة قرآن منزل وجائز قراءة القرآن بالتفسير في معرض التفسير. قال أبو بكر بن الأنباري وقد احتج
من خالف المصحف بقراءة عمر وابن مسعود وأن خرشة بن الحر قال رآني عمر رضي الله عنه ومعي قطعة فيها فاسعوا
إلى ذكر الله فقال لي عمر من أقرأك [illegible] فقال إن أبيا [illegible] للمنسوخ ثم قرأ عمر فامضوا إلى ذكر الله. وقال
الفراء وأبو عبيدة معنى السعي في الآية المضي. واحتج الفراء بقولهم هو يسعى في البلاد يطلب فضل الله. واحتج أبو عبيدة

يقول الشاعر: اسعى على حي بني مالك ۞ كل امرئ في شأنه ساع ۞ فهل يحمل السعي في هذا البيت المعنى بالانكماش ومحال ان يخفى
هذا المعنى على ابن مسعود على فصاحته واتقان عربيته. قال القرطبي ومما يدل على ان المراد هنا العدو قوله عليه السلام
اذا اقيمت الصلاة فلا تأتوها وانتم تسعون ولكن ائتوها وعليكم السكينة. قال الحسن اما والله ما هو بالسعي على
الاقدام ولقد نهوا ان يأتوا الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع. وقال قتادة
السعي ان تسعى بقلبك وعملك. **فصل** هذه الآية خطاب للمكلفين بالاجماع ويخرج منه المرضى والزمنى والمسافرون
والعبيد والنساء بالدليل والعميان والشيخ الذي لا يمشي الا بقائد عند ابي حنيفة. لما روى الدارقطني عن ابي الزبير
عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة الا
مريض او مسافر او امرأة او صبي او مملوك فمن استغنى بلهو او تجارة استغنى الله عز وجل عنه والله غني حميد. قال
العلماء لا يتخلف احد عن الجمعة ممن عليه اتيانها الا بعذر لا يمكنه معه الاتيان اليها كالمرض الحابس او خوف الزيادة
في المرض او خوف جور السلطان عليه في مال او ولد دون القضاء عليه بحق والمطر الوابل مع الوحل عذران. وروى
المهدوي عن مالك انها ليست بعذر. ومن له ولي حميم قد حضرته الوفاة ولم يكن عنده من يقوم بامره فهو معذور
وقد فعل ذلك ابن عمر. ومن تخلف عنها لغير عذر فصلى قبل الامام اعاد ولا يجزيه ان يصلي قبله وهو عاص في تخلفه
مع امكانه. **فصل** وجوب السعي يختص بالقريب الذي يسمع النداء. فاما البعيد الذي لا يسمع النداء فلا يجب السعي عليه
واختلف الناس في القريب والبعيد فقال ابن عمر وابو هريرة وانس تجب الجمعة على من كان في المصر على ستة اميال
وقال ربيعة اربعة اميال. وقال مالك والليث ثلاثة اميال. وقال الشافعي اعتبار سماع الاذان ان يكون المؤذن
صيتا والاصوات هادية والريح ساكنة وموقف المؤذن عند سور البلد. وروت عائشة ان الناس كانوا ينتابون
الجمعة من منازلهم ومن العوالي فيأتون في العباء ويصيبهم الغبار فيخرج منهم الريح فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لو اغتسلتم ليومكم هذا. قال العلماء والصوت اذا كان رفيعا والناس في هدوء وسكون فاقصى سماع الصوت ثلاثة
اميال والعوالي من المدينة اقربها على ثلاثة اميال. وقال احمد بن حنبل واسحق تجب الجمعة على من سمع النداء لقوله عليه
السلام انما الجمعة على من سمع النداء. وقال ابو حنيفة واصحابه تجب الجمعة على من في المصر سمع النداء او لم يسمعه ولا تجب
على من هو خارج المصر وان سمع النداء حتى سئل هل تجب على اهل زبارة وبينها وبين الكوفة مجرى نهر فقال لا. وروي
عن ربيعة ايضا انها تجب على من اذا سمع النداء وخرج من بيته ماشيا ادرك الصلاة. **فصل** دلت هذه الآية على
ان الجمعة لا تجب الا بالنداء والنداء لا يكون الا بدخول الوقت لقوله عليه السلام اذا حضرت الصلاة فليؤذن احدكما وليؤمكما
اكبركما. وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس. وروي عن ابي بكر الصديق
واحمد بن حنبل انها تصلى قبل الزوال واستدل لاحمد بحديث سلمة بن الاكوع كنا نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم
ننصرف وليس للحيطان ظل. وبحديث ابن عمر ما كنا نقيل ولا نتغدى الا بعد الجمعة واخرج مسلم مثله عن سهل. قال
القرطبي وحديث سلمة محمول على التبكير لقول سلمة كنا نجمع مع النبي صلى الله عليه وسلم اذا زالت الشمس ثم نرجع فنتتبع
الفيء. **فصل** نقل عن بعض الشافعية ان الجمعة فرض على الكفاية. وجمهور الامة على انها فرض عين لقوله تعالى اذا
نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع. وقال عليه السلام لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات
او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين. وروى ابن ماجة في سننه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ترك الجمعة ثلاث مرات طبع الله على قلبه اسناده صحيح. وقال ابن العربي ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الرواح الى الجمعة واجب على كل مسلم. **فصل** اختلفوا في العدد الذي تنعقد به الجمعة فذهب قوم الى ان كل قرية اجتمع
فيها اربعون رجلا احرارا عاقلين مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا الا ظعن حاجة يجب عليهم اقامة الجمعة فيها وهو قول
عبيد الله بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعي واحمد واسحق قالوا لا تنعقد الجمعة باقل من اربعين رجلا على
هذه الصفة وشرط عمر بن عبد العزيز مع الاربعين ان يكون فيهم وال. وعند ابي حنيفة تنعقد باربعة والوالي شرط
وقال الاوزاعي وابو يوسف تنعقد بثلاثة اذا كان فيهم وال. وقال الحسن وابو ثور تنعقد باثنين كسائر الصلوات
وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا. **فصل** اذا اجتمع العيد والجمعة سقط فرض الجمعة عند احمد لتقدم العيد
عليها واشتغال الناس به عنها. ولما روي ان عثمان اذن في عيد لاهل العوالي ان يتخلفوا عن الجمعة. وقال غيره
لا يسقط فرض الجمعة لان الامر بالسعي متوجه يوم العيد لتوجهه في سائر الايام وقول الصحابي ليس بحجة اذا خولف
فيه ولم يجمع معه عليه. وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين
وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية قال واذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ
بهما ايضا في الصلاتين اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة. **قوله** الى ذكر الله اي الصلاة وقيل الخطبة
والمواعظ قاله سعيد بن جبير. قال ابن العربي والصحيح انه واجب في الجميع لانها تحرم البيع ولولا وجوبها ما حرمته

[...] لان المستحب لا يحرم المباح. قال القرطبي واذا قلنا ان المراد بالذكر الصلاة فالخطبة من الصلاة والعبد يكون ذاكرا لله
بفعله كما يكون مسبحا لله بفعله. قال الزمخشري فان قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها غير ذلك قلت ما كان من ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين واتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله. فاما
ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك. **فصل** ذهب بعضهم الى انه اذا اصبح
يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلي الجمعة. وذهب بعضهم الى الجواز لما روى ابن عباس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا اصحابه وقال اتخلف فاصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم الحقهم فلما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رآه فقال ما منعك ان تغدو مع اصحابك قال اردت ان اصلي معك ثم
الحقهم فقال لو انفقت ما في الارض جميعا ما ادركت فضل غدوتهم. وسمع عمر بن الخطاب رجلا عليه اهبة السفر يقول
لولا ان اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال له عمر اخرج فان الجمعة لا تحبس عن سفر. **قوله** وذروا البيع يدل على تحريم البيع
في وقت الجمعة على من كان مخاطبا بفرضها والبيع لا يخلو عن شراء فاكتفى بذكر احدهما كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر
وسرابيل تقيكم بأسكم. وخص البيع لانه اكثر ما يشتغل به اصحاب الاسواق. ومن لا يجب عليه حضور الجمعة فلا ينهى
عن البيع والشراء. وفي وقت التحريم قولان احدهما انه من بعد الزوال الى الفراغ منها قاله الضحاك والحسن وعطاء. الثاني
انه من وقت اذان الخطبة الى وقت الصلاة قاله الشافعي. قال القرطبي ومذهب مالك ان البيع يفسخ اذا نودي
للصلاة ولا يفسخ العتق والنكاح والطلاق وغيره اذ ليس من عادة الناس الاشتغال به كاشتغالهم بالبيع قالوا وكذلك
الشركة والهبة والصدقة نادر لا يفسخ. وقال ابن العربي والصحيح فسخ الجميع لان البيع انما منع منه للاشتغال به فكل
امر يشغل عن الجمعة من العقود كلها فهو حرام شرعا مفسوخ. وحمل بعضهم النهي على الندب لقوله تعالى ذلكم خير لكم وهو مذهب
الشافعي فان البيع عنده ينعقد ولا يفسخ. وقال الزمخشري عامة العلماء على ان ذلك النهي لا يؤدي الى فساد البيع قالوا لان
البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الدار المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء
مغصوب. قال القرطبي والصحيح فساده وفسخه لقوله عليه السلام كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد اي مردود ثم قال ذلكم اي ذلك
الذي ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع خير لكم من المبايعة ان كنتم تعلمون مصالح انفسكم. **قوله** فاذا قضيت الصلاة
فانتشروا في الارض هذا امر اباحة كقوله تعالى فاذا حللتم فاصطادوا. والمعنى اذا فرغتم من الصلاة فانتشروا في
الارض للتجارة والتصرف في حوائجكم وابتغوا من فضل الله اي من رزقه وكان عراك بن مالك اذا صلى الجمعة انصرف
فوقف على باب المسجد فقال اللهم اني اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك
وانت خير الرازقين. وقال جعفر بن محمد في قوله تعالى وابتغوا من فضل الله انه العمل في يوم السبت. وقال سعيد
ابن المسيب طلب العلم. وقيل صلاة التطوع. وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هي عيادة المرضى وحضور
الجنائز وزيارة الاخ في الله تعالى. **فصل** في فضل يوم الجمعة احاديث كثيرة منها ما روي عن ابي هريرة قال خرجت
الى الطور فلقيت كعب الاحبار فجلست معه فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حدثته
ان قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه اهبط وفيه مات
وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهي مسيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا
من الساعة الا الجن والانس وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا الا اعطاه اياه. قال كعب
ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة قال فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابو
هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الاحبار وما حدثته في يوم الجمعة قال عبد الله بن سلام قد
علمت اية ساعة هي هي آخر ساعة في يوم الجمعة. قال ابو هريرة وكيف يكون آخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلى فيها فقال عبد الله بن سلام الم يقل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها قال ابو هريرة بلى قال فهو ذاك. وقال
عليه السلام من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس طيبا ان كان عنده ولبس من احسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد
فلم يتخط رقاب الناس ثم ركع ما شاء الله ان يركع وانصت اذا خرج الامام كانت كفارة ما بينها وبين الجمعة الاخرى التي
كانت قبلها. وقال ابو هريرة وزيادة ثلاثة ايام لان الله تعالى يقول من جاء بالحسنة فله عشر امثالها. وروى ابو هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المسجد ملائكة يكتبون الناس
على منازلهم الاول فالاول فاذا خرج الامام طويت الصحف واستمعوا الخطبة. وقال من اغتسل يوم الجمعة ثم راح
في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة
فكأنما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب
بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر. **قوله** واذكروا الله كثيرا اي بالطاعة واللسان وبالشكر

على ما العم به عليكم من التوفيق لاداء فرايضه لعلكم تفلحون كي تفلحوا قال سعيد بن جبير الذكر طاعة فمن اطاع الله فقد ذكره ومن لم يطعه فليس بذاكر وان كان كثير التسبيح قال ابن الخطيب فان قيل ما الفرق بين ذكر الله اولا وذكر الله ثانيا فالجواب ان الاول من جملة ما لا يجتمع مع التجارة اصلا اذ المراد منه الخطبة والصلاة والثاني من جملة ما يجتمع مع التجارة كما في قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله **قوله تعالى** واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روى مسلم عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قايما يوم الجمعة فجاءت عير من الشام فانفتل الناس اليها حتى لم يبق الا اثنى عشر رجلا وفي رواية انا فيهم فنزلت هذه الاية واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما وذكر الكلبي وغيره ان الذي قدم بها دحية بن خليفة الكلبي من الشام عن مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع ما يحتاج اليه الناس من بر ودقيق وغيره فنزل عند احجار الزيت وضرب بالطبل ليوذن الناس بقدومه فخرج الناس الا اثنا عشر رجلا وقيل احد عشر رجلا وحكى البغوي قال فلما راوه قاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه قال الكلبي وكانوا في خطبة الجمعة فانفضوا اليه وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية رجال وحكاه الثعلبي عن ابن عباس وذكر الدارقطني من حديث جابر قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ اقبلت عير تحمل الطعام حتى نزلت بالبقيع فالتفتوا اليها وانفضوا اليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس معه الا اربعين رجلا انا فيهم قال وانزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما قال الدارقطني لم يقل في هذا الاسناد الا اربعين رجلا غير علي بن عاصم عن حصين وخالفه اصحاب حصين فقالوا لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا واحتج بهذا الحديث من يرى ان الجمعة تنعقد باثني عشر رجلا وليس فيه بيان انه اقام بهم الجمعة وذكر الزمخشري ان النبي عليه السلام قال والذي نفسي بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله الوادي عليهم نارا وروي في حديث مرسل عن اسد بن عمرو والد اسد بن موسى بن اسد وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق معه الا ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد وبلال وعبد الله بن مسعود في احدى الروايتين وفي الرواية الاخرى عمار بن ياسر قال القرطبي ولم يذكر جابرا وذكر مسلم انه كان فيهم والدارقطني ايضا فيكون ثلاثة عشر وان كان عبد الله بن مسعود فيهم فهم اربعة عشر وروى البغوي قال وكان ذلك قبل ان يسلم دحية قال فخرج الناس اليه ولم يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم بقي في المسجد فقالوا اثنا عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هولاء لقد سومت لهم الحجارة من السماء فانزل الله هذه الاية **فصل** وذكر ابو داود في مراسيله السبب الذي ترخصوا لانفسهم في ترك سماع الخطبة وقد كانوا خليقا لفضلهم ان لا يفعلوا فقال حدثنا محمد بن خالد قال حدثنا الوليد قال اخبرني ابو معاذ بكير بن معروف انه سمع مقاتل بن حيان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة قبل الخطبة مثل العيد حتى كان يوم جمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل يقال له دحية بن خليفة قدم بتجارته وكان دحية اذا قدم تلقاه اهله بالدفوف فخرج الناس فلم يظنوا الا انه ليس في ترك الخطبة شيء فانزل الله عز وجل واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها فقدم النبي صلى الله عليه وسلم الخطبة يوم الجمعة واخر الصلاة فكان لا يخرج احد لرعاف او احداث بعد النهي حتى يستاذن النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه باصبعه التي تلي الابهام فياذن له النبي صلى الله عليه وسلم ثم يشير اليه بيده فكان في المنافقين من تثقل عليه الخطبة والجلوس في المسجد فكان اذا استاذن رجل من المسلمين قام المنافق الى جنبه مستترا حتى يخرج فانزل الله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا الاية قال السهيلي وهذا الخبر وان لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجميل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوجب ان يكون صحيحا والله اعلم وقال قتادة وبلغنا انهم فعلوه ثلاث مرات كل مرة عير تقدم من الشام وكل ذلك يوافق يوم الجمعة وقيل ان خروجهم لقدوم دحية الكلبي بتجارته ونظرهم الى العير تمر لهوا لا فايدة فيه الا انه كان مما لا اثم فيه لو وقع على ذلك الوجه ولكنه لما اتصل به الاعراض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والانفضاض عن حضرته غلظ وكبر ونزل فيه من القران وتهجينه باسم اللهو ما نزل **قوله** انفضوا اليها اعاد الضمير على التجارة دون اللهو لانها الاهم في السبب قال ابن عطية وقال اليها ولم يقل اليهما تهمما بالاهم اذ كانت هي سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها وتامل ان قدمت التجارة على اللهو في الروية لانها اهم واخرت مع التفضيل لتقع النفس اولا على الاعز انتهى وفي قوله ولم يقل اليهما نوع عتب بما ذكر نظرا لان العطف باو لا يثنى معه الضمير ولا الخبر ولا الحال ولا الوصف لانها لاحد الشيئين ولذلك [illegible] النحاة ان يكون غنيا او فقيرا فالله اولى بهما كما تقدم في موضعه وانما الجواب عنه انه وحد الضمير لان العطف باو وانما جي بضمير التجارة دون ضمير اللهو وان كان جايزا للاهتمام كما قاله ابن عطية وغيره وقال الزمخشري فان [illegible] ذلك فانه قال فان قلت كيف قال اليها وقد ذكر شيئين قلت تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه ولذلك قراءة من قرا انفضوا اليه انتهى فقوله قلت تقديره الى اخره يشعر بانه كان من حق الكلام ان يثنى الضمير ولكنه حذف وفيه

وفيه ما تقدم من ان المانع من ذلك امر صناعي وهو العطف باو وقرا ابن ابي عبلة اليه اعاد الضمير الى اللهو وقد نص على جواز ذلك الاخفش سماعا من العرب نحو اذا جاءك زيد او هند فاكرمه وان شئت فاكرمها وقرا بعضهم اليهما بالتثنية وتخريجها كتخريج ان يكن غنيا او فقيرا كما تقدم تحريره والمراد باللهو الطبل وقيل كانت العير اذا قدمت المدينة استقبلوها بالتصفيق والتصفير **قوله** وتركوك جملة حالية من فاعل انفضوا وقد مقدرة عند بعضهم **فصل** الخطبة فريضة في صلاة الجمعة ويجب ان يخطب قايما فان هذه الاية تدل على ان القيام شرط في الخطبة ويخطب متوكيا على قوس او عصا لما روى ابن ماجة في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب في الحرب خطب على قوس واذا خطب في الجمعة خطب على عصا وان يخطب على منبر لانه ابلغ في اعلام الحاضرين ويسلم اذا صعد المنبر على الناس لما روى ابن ماجة عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صعد المنبر سلم ولم ير ذلك مالك وهل تشترط الطهارة للخطبة فيه قولان مبنيان على ان الجمعة ظهر مقصورة او فريضة مستقلة فان قيل بانها ظهر مقصورة فقيل الخطبتان عوض من الركعتين الاخريين وعلى هذا فيشترط لها الطهارة وان قيل بانها فريضة مستقلة فالخطبتان وعظ وتذكير وذلك لا يشترط له الطهارة واقل ما يجزي في الخطبة ان يحمد الله تعالى ويصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله ويقرا اية من القران وكذلك في الخطبة الثانية الا ان الواجب بدلا من قراءة الاية الدعا في قول اكثر الفقها وقال ابو حنيفة لو اقتصر على التحميد او التسبيح او التكبير اجزاه وقال ابو يوسف ومحمد الواجب ما يتناوله اسم خطبة قال عبد البر وهذا اصح ما قيل في ذلك قال القرطبي والسكوت للخطبة واجب على من سمعها وجوب سنة **قوله** ما عند الله خير ما موصولة مبتدا وخير خبرها والمعنى ما عند الله من ثواب صلاتكم خير من لذة لهوكم وفايدة تجارتكم وقيل ما عند الله من رزقكم الذي قسمه لكم خير مما اصبتموه من لهوكم وتجارتكم وقرا ابو رجا العطاردي قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة للذين امنوا والله خير الرازقين اي خير من رزق واعطى فمنه فاطلبوا واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خير الدنيا والاخرة قال ابن الخطيب قوله والله خير الرازقين من قبيل احكم الحاكمين واحسن الخالقين والمعنى ان امكن وجود الرازقين فهو خير الرازقين وقيل لفظ الرازق لا يطلق على غيره الا بطريق المجاز **فان قيل** التجارة واللهو من قبيل ما لا يرى فكيف يصح قوله واذا راوا تجارة او لهوا **فالجواب** ليس المراد الا ما يقرب منه اللهو والتجارة كقوله تعالى حتى يسمع كلام الله اذ الكلام غير مسموع روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجمعة كتب له عشر حسنات بعدد من ذهب الى الجمعة من مصر من امصار المسلمين ومن لم يذهب والله تعالى اعلم

سورة المنافقين

وهي احدى عشرة اية وماية وثمانون كلمة وسبع ماية وستة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** اذا جاءك المنافقون اذا شرط قيل جوابه قالوا وقيل محذوف وقالوا جاءك اي اذا جاءوك قايلين كيت وكيت فلا تقبل منهم وقيل الجواب اتخذوا ايمانهم جنة وهو بعيد وقالوا ايضا حال **فصل** قال ابن الخطيب وجه تعلق هذه السورة بما قبلها هو ان تلك السورة مشتملة على ذكر بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر من كان يكذبه قلبا ولسانا فضرب لهم المثل بقوله مثل الذين حملوا التورية وهذه السورة مشتملة على ذكر من كان يكذبه قلبا دون اللسان ويصدقه لسانا دون القلب واما الاول بالاخر فلان في اخر تلك السورة تنبيه للمومنين على تعظيم الرسول عليه السلام ورعاية حقه بعد النداء لصلاة الجمعة وتقديم متابعته على غيره فان ترك التعظيم والمتابعة من شيم المنافقين والمنافقون هم الكاذبون **فصل** روى البخاري عن زيد بن ارقم قال كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن ابي بن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن ابي واصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني فاصابني هم لم يصبني مثله فجلست في بيتي فانزل الله عز وجل اذا جاءك المنافقون الى قوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله وقوله ليخرجن الاعز منها الاذل فارسل الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله قد صدقك وروى الترمذي عن زيد بن ارقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا اناس من الاعراب فكنا نبتدر الماء وكان الاعراب يسبقونا فيسبق الاعرابي اصحابه فيملا الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجي اصحابه قال فاتى رجل من الانصار اعرابيا فارخى زمام ناقته لتشرب فابى ان يدعه فانتزع حجرا ففاض الماء فرفع الاعرابي خشبة فضرب بها راس الانصاري فشجه فاتى عبد الله بن ابي راس المنافقين فاخبره وكان من اصحابه فغضب عبد الله بن ابي ثم قال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله يعني الاعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الطعام فقال عبد [illegible] انفضوا من عند محمد فاتوا محمدا بالطعام فلياكل

مؤمن من عذاب ثم قال لاصحابه لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال زيد وانا ردف عمي فسمعت عبد الله بن ابي
فاخبرت عمي فانطلق فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد قال
فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني قال فجاء عمي الي فقال ما اردت الا ان مقتك رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكذبك والمنافقون قال فوقع علي من الهم ما لم يقع على احد قال فبينما انا اسير مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سفر قد خفقت براسي من الهم اذ اتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرك اذني وضحك في وجهي فما كان يسرني
ان لي بها الخلد في الدنيا ثم ان ابا بكر لحقني فقال ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ما قال لي شيئا الا انه عرك
اذني وضحك في وجهي فقال ابشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لابي بكر فلما اصبحنا قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة
المنافقين قال الترمذي حديث حسن صحيح **فصل** سئل حذيفة بن اليمان عن المنافق فقال الذي يصف الاسلام
ولا يعمل به وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا
ائتمن خان وروى عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه
خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم
فجر وروي عن الحسن انه ذكر له هذا الحديث فقال ان بني يعقوب حدثوا فكذبوا ووعدوا فاخلفوا وائتمنوا فخانوا
انما هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الانذار للمسلمين والتحذير لهم ان يعتادوا هذه الخصال شفقا ان
يفضي بهم الى النفاق وليس المعنى ان من بدرت عنه هذه الخصال من غير اختيار واعتياد انه منافق وقال عليه
السلام المؤمن اذا حدث صدق واذا وعد نجز واذا ائتمن وفى والمعنى ان المؤمن الكامل اذا حدث صدق **قوله**
لنشهد جرى مجرى القسم كفعل العلم واليقين ولذلك تلقيت بما يتلقى به القسم في قوله انك لرسول الله وفي قوله

ولقد علمت لتأتين منيتي ٭ ان المنايا لا تطيش سهامها

وقد تقدم الخلاف في الصدق والكذب واستدلالهم بهذه الاية والجواب عنها في اول البقرة وقال القرطبي هنا قيل
معنى نشهد نحلف فعبر عن الحلف بالشهادة لان كل واحد من الحلف والشهادة اثبات لامر مغيب ومنه قول قيس بن
ذريح

واشهد عند الله اني احبها ٭ فهذا لها عندي فما عندها ليا

ونظيره قول الملاعن اشهد بالله قال الزمخشري والشهادة تجري مجرى القسم الحلف في التوكيد يقول الرجل اشهد
واشهد بالله في موضع اقسم واولى وبه استشهد ابو حنيفة على ان اشهد يمين ويحتمل ان يكون ذلك محمولا على
ظاهره انهم يشهدون ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم اعترافا بالايمان ونفيا للنفاق عن انفسهم وهو الاشبه
قوله والله يعلم جملة معترضة بين قوله نشهد انك لرسول وبين قوله والله يشهد لفائدة قال الزمخشري لو
قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله
يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام قال القرطبي والله يعلم انك لرسوله كما قالوه بالسنتهم والله يشهد ان
المنافقين لكاذبون بضمائرهم فالتكذيب راجع الى الضمائر وهذا يدل على ان الايمان تصديق القلب وعلى ان
الكلام الحقيقي كلام القلب ومن قال شيئا واعتقد خلافه فهو كاذب وقيل اكذبهم الله في ايمانهم وهو قوله يحلفون
بالله انهم لمنكم قال ابن الخطيب فان قيل لو قالوا نعلم انك لرسول الله مكان قولهم نشهد انك لرسول الله هل يفيد
ما افاد قولهم نشهد **فالجواب** لا لان قولهم نشهد انك لرسول الله صريح في اثبات الشهادة على الرسالة وقولهم نعلم
ليس بصريح في ذلك **قوله** اتخذوا ايمانهم جنة قد تقدم انه يجوز ان يكون جوابا للشرط ويجوز ان يكون مستانفا جيء به
لبيان كذبهم وحلفهم عليه اي ان الحامل لهم على الايمان اتقاؤهم بها عن انفسهم والعامة على فتح الهمزة جمع يمين والحسن
بكسرها مصدرا وتقدم مثله في المجادلة والجنة الترس ونحوه وكل ما يقيك سوءا ومن كلام الفصحاء

جنة البرد جنة البرد ٭ وقال اعشى همدان

اذا انت لم تجعل لعرضك جنة ٭ من المال سار الذم كل مسير

فصل قال القرطبي وغيره اتخذوا ايمانهم جنة اي سترة وليس يرجع الى قوله نشهد انك لرسول الله وانما
يرجع الى سبب الاية التي نزلت عليه حسب ما ذكره البخاري والترمذي عن ابن ابي انه حلف ما قال وقد قال
وقال الضحاك يعني حلفهم بالله انهم لمنكم وقيل يعني بايمانهم ما اخبر الرب عنهم في سورة براءة في قوله يحلفون
بالله ما قالوا **فصل** قال القرطبي من قال اقسم بالله او اشهد بالله او اعزم بالله او احلف بالله او اقسمت
او شهدت او عزمت او حلفت وقال في كل ذلك كله بالله فلا خلاف انها يمين وكذلك عندنا ان قال
ان قال اقسم او اشهد او اعزم او احلف ولم يقل بالله اذا اراد بالله وان لم يرد بالله فليس بيمين وقال ابو حنيفة
واصحابه لو قال اشهد بالله لقد كان كذا كان يمينا ولو قال اشهد لقد كان كذا دون النية كان يمينا لهذه الاية
لان الله تعالى ذكر عنهم الشهادة ثم قال اتخذوا ايمانهم جنة وعند الشافعي لا يكون ذلك يمينا وان نوى اليمين

واعزم واعزم بالله صح

اليمين لان قوله تعالى اتخذوا ايمانهم ليس يرجع الى قوله قالوا نشهد وانما يرجع الى ما في براءة من قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا
قوله فصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا وهو من الصدود وصرفوا المؤمنين عن اقامة حدود الله عليهم من القتل والسبي
واخذ الاموال فهو من الصد ومنعوا الناس عن الجهاد بان يتخلفوا ويقتدي بهم غيرهم وقيل فصدوا اليهود والمشركين
عن الدخول في الاسلام بان يقولوا ها نحن كافرون بهم ولو كان محمد حقا لعرف هذا منا ولجعلنا نكالا فبين الله ان حالهم
لا يخفى عليه ولكن حكمه ان من اظهر الايمان اجرى عليه في الظاهر حكم الايمان **قوله** انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئست
اعمالهم الخبيثة من نفاقهم وايمانهم الكاذبة وصدهم عن سبيل الله وساء يجوز ان يكون الجارية مجرى بئس وان تكون على بابها
والاول اظهر وقد تقدم حكم كل منهما **فان قيل** انه تعالى ذكر افعال الكفرة من قبل ولم يقل انهم ساء ما كانوا يعملون قال ابن الخطيب
والجواب ان افعالهم مقرونة بالايمان الكاذبة التي جعلوها جنة اي سترة لاموالهم ودمائهم عن ان يستبيحها المسلمون
قوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا هذا اعلام من الله بان المنافقين كفار اي اقروا باللسان ثم كفروا بالقلب وقيل نزلت الاية
في قوم امنوا ثم ارتدوا فطبع على قلوبهم اي ختم عليها بالكفر فهم لا يفقهون الايمان ولا الخير وقرا العامة فطبع مبنيا
للمفعول والقائم مقام الفاعل الجار بعده وزيد بن علي فطبع مبنيا للفاعل وفي الفاعل وجهان احدهما انه ضمير عائد على الله تعالى ويؤيده
قراءة الاعمش وقراءته في رواية عنه فطبع الله مصرحا بالجلالة وكذلك نقلها القرطبي عن زيد بن علي **فان قيل** اذا كان الطبع
بفعل الله تعالى كان ذلك حجة لهم على الله تعالى فيقولون اعراضنا عن الحق لغفلتنا وغفلتنا بسبب انه تعالى طبع على قلوبنا فاجاب
ابن الخطيب بان هذا الطبع من الله لسوء افعالهم وقصدهم الاعراض عن الحق فكانه تعالى تركهم في انفسهم الجاهلة واهوائهم
الباطلة والثاني ان الفاعل ضمير يعود على المصدر المفهوم مما قبله اي فطبع هو اي بلعابهم بالدين **قوله** واذا رايتهم تعجبك اجسامهم
اي هيئاتهم ومناظرهم وان يقولوا تسمع لقولهم يعني عبد الله بن ابي قال ابن عباس كان عبد الله بن ابي وسيما جسيما صحيحا
صبيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم مقالته وصفه الله بتمام الصورة وحسن الابانة وقال الكلبي
المراد ابن ابي وجد بن قيس ومعتب بن قشير كانت لهم اجسام ومنظر وفصاحة وفي صحيح مسلم وقوله كانهم خشب مسندة
قال كانوا رجالا اجمل شيء كانهم خشب مسندة شبههم بخشب مسندة الى الحائط لا يسمعون ولا يعقلون اشباح بلا ارواح
واجسام بلا احلام وقيل شبههم بالخشب التي قد تاكلت فهي مسندة بغيرها لا يعلم ما في بطنها قال الزمخشري شبهوا في استنادهم
فانهم اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط ولان الخشب اذا انتفع به كان في سقف او جدار او غيرهما
من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به فاسند الى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع ويجوز ان يراد بها
الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الى الحائط **فصل** قرا قنبل وابو عمرو والكسائي خشب باسكان الشين وهي قراءة
البراء بن عازب واختيار ابي عبيد لان واحدها خشبة كما تقول بدنة وبدن قاله الزمخشري وقال ابو البقاء وخشب
بالضم والاسكان جمع خشب مثل اسد واسد قال القرطبي وليس في اللغة فعلة يجمع على فعل ويلزم من ثقلها ان يقول البدن
فيقرا والبدن وذكر اليزيدي انه جمع الخشباء كقوله تعالى وحدائق غلبا واحدها حديقة غلباء وقرا الباقون من السبعة
بضمتين وقرا السعيدان ابن جبير وابن المسيب بفتحتين ونسبها الزمخشري لابن عباس ولم يذكر غيره فاما القراءة بضمتين
فقيل يجوز ان يكون جمع خشبة نحو ثمرة وثمر قاله الزمخشري وفيه نظر لان هذه الصيغة محفوظة في فعلة لا ينقاس نحو
ثمرة وثمر ونقل الفارسي عن الزبيدي انه جمع خشبا واخشبة غلط عليه لانه قد يكون قال خشب بالسكون جمع خشبا
نحو حمرا وحمر لان فعلا الصفة لا يجمع على فعل بضمتين بل بضمة وسكون وقوله الزبيدي تصحيف ما منه واما من الناسخ اما
هو اليزيدي تلميذ ابي عمرو بن العلا نقل ذلك الزمخشري واما القراءة بضمة وسكون فقيل هي تخفيف الاولى وقيل هي جمع
خشبا كما تقدم وفي الخشبة التي تخرجونها اي فرغ شبهوا بها لفراغ بواطنهم مما ينتفع به واما القراءة بفتحتين فهو اسم
جنس والنث صفته كقوله نخل خاوية وهو احد الجائزين وقوله مسندة تنبيه على انها لا ينتفع بها كما ينتفع بالخشب في سقف
وغيره او شبهوا بالاصنام لانهم كانوا يسندونها الى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم وقيل شبهوا بالخشب
المسندة الى الحائط لان الخشبة المسندة الى الحائط احد طرفيها الى جهة والاخرى الى جهة اخرى والمنافق كذلك لان احد
طرفيه وهو الباطن الى جهة اهل الكفر والطرف الاخر وهو الظاهر الى جهة اهل الاسلام ونقل القرطبي عن سيبويه انه يقال
خشبة وخشاب وخشب مثل ثمرة وثمار وثمر والاسناد الامالة تقول اسندت الشيء اي املته ومسندة للتكثير اي
استندوا الى الايمان لحقن دمائهم **قوله** يحسبون كل صيحة عليهم فيه وجهان اظهرهما ان عليهم هو المفعول الثاني للحسبان
اي واقعة وكائنة عليهم ويكون قوله هم العدو جملة مستانفة اخبر الله عنهم بذلك والثاني ان يكون عليهم متعلقا
بصيحة وهم العدو الجملة في موضع المفعول الثاني للحسبان قال الزمخشري ويجوز ان يكون هم العدو هو المفعول الثاني
كما لو طرحت الضمير قال فان قلت فحقه ان يقال هي العدو قلت منظور فيه الى الخبر كما ذكر في قوله هذا ربي وان يقدر مضاف
محذوف على يحسبون كل اهل صيحة انتهى وفي الثاني بعد بعيد **فصل** وصفهم الله تعالى بالجبن والخور قال مقاتل
والسدي اي اذا نادى مناد في العسكر ان انفلتت دابة او انشدت ضالة ظنوا انهم هم المرادون لما في قلوبهم من

الرعب كما قال الأخطل: ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلاً تكر عليهم ورجالا. وقيل يحسبون كل صيحة عليهم أنهم قد فطن بهم وعلم بنفاقهم لأن للريبة خوفاً ثم استأنف الله خطاب نبيه عليه السلام فقال هم العدو وهذا معنى قول الضحاك. وقيل يحسبون كل صيحة يسمعونها في المسجد أنها عليهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتلهم فهم أبداً وجلون من أن ينزل الله فيهم أمراً يبيح به دماءهم ويهتك به أستارهم ثم وصفهم الله تعالى بقوله هم العدو فاحذرهم حكاه عبد الرحمن ابن أبي حاتم. قوله فاحذرهم فيه وجهان أحدهما فاحذر أن تثق بقولهم أو تميل إلى كلامهم. الثاني فاحذر ممايلتهم لأعدائك وتخذيلهم أصحابك. قاتلهم الله قال ابن عباس أي لعنهم الله. قال أبو مالك هي كلمة ذم وتوبيخ وقد تقول العرب قاتله الله ما أشعره يضعونه موضع التعجب. وقيل معنى قاتلهم الله أي أحلهم محل من قاتله عدو قاهر لأن الله تعالى قاهر لكل معاند حكاه ابن عيسى. قوله أنى يؤفكون أنى بمعنى كيف. وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون أنى ظرفاً لقاتلهم كأنه قال قاتلهم الله كيف انصرفوا أو صرفوا فلا يكون في القول استفهام على هذا انتهى. قال شهاب الدين وهذا لا يجوز لأن أنى إنما تستعمل بمعنى كيف أو بمعنى أين الشرطية أو الاستفهامية وعلى التقادير الثلاثة فلا يتمحض للظرفية فلا يعمل فيها ما قبلها البتة كما لا يعمل في أسماء الشرط والاستفهام.

فصل قال ابن عباس أنى يؤفكون أي يكذبون. وقال قتادة أي يعدلون عن الحق. وقال الحسن يصرفون عن الرشد. وقيل معناه كيف تضل عقولهم عن هذا مع وضوح الدلائل وهو من الإفك. قوله أنى بمعنى كيف وقد تقدم. وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون أنى ظرفاً لقاتلهم كأنه قال قاتلهم الله كيف انصرفوا أو صرفوا فلا يكون في القول استفهام على هذا انتهى وهذا لا يجوز لأن أنى إنما يكون بمعنى كيف أو بمعنى أين الشرطية أو الاستفهامية وعلى التقادير الثلاثة فلا تتمحض للظرف فلا يعمل فيها ما قبلها البتة كما لا تعمل في أسماء الشرط والاستفهام.

قوله وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله هذه المسألة عدها النحاة من الإعمال وذلك أن تعالوا يطلب رسول الله مجروراً بإلى أي تعالوا إلى رسول الله ويستغفر يطلبه فاعلاً فأعمل الثاني ولذلك رفعه وحذف من الأول إذ التقدير تعالوا إليه ولو أعمل الأول لقيل تعالوا إلى رسول الله يستغفر فيضمر في يستغفر فاعل ويمكن أن يقال ليست هذه من الإعمال في شيء لأن قوله تعالوا أمر بالإقبال من حيث هو لا بالنظر إلى مقبل عليه. قوله لووا هذا جواب إذا. وقرأ نافع لووا مخففاً والباقون مشدداً على التكثير. ويصدون حال لأن الرؤية بصرية وكذا قوله وهم مستكبرون حال أيضاً إما من صاحب الحال الأولى وإما من فاعل يصدون فتكون متداخلة وأتى بيصدون مضارعاً دلالة على التجدد والاستمرار. وقرئ يصدون بالكسر وقد تقدم ما في الزخرف.

فصل لما نزل القرآن بصفتهم مشى إليهم عشائرهم وقالوا افتضحتم بالنفاق فتوبوا إلى رسول الله من النفاق واطلبوا أن يستغفر لكم فلووا رؤوسهم أي حركوها استهزاء وإباء قاله ابن عباس. وعنه أنه كان لعبد الله بن أبي موقف في كل سبب يحض على طاعة الله وطاعة رسوله فقيل له وما ينفعك ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليك غضبان فأته يستغفر لك فأبى وقال لا أذهب إليه. قال المفسرون وسبب نزول هذه الآيات أن النبي صلى الله عليه وسلم غزا بني المصطلق على ماء يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فازدحم أجير لعمر يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه وحليف لعبد الله بن أبي يقال له سنان بن وبرة الجهني حليف بني عوف الخزرج على ماء بالمشلل فصرخ جهجاه بالمهاجرين وصرخ سنان بالأنصار فلطم جهجاه سناناً وأعان جهجاه رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيراً فقال عبد الله أوقد فعلوها والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعني محمداً صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه كفوا طعامكم عن هذا الرجل ولا تنفقوا على من عنده حتى ينفضوا ويتركوه فقال زيد بن أرقم وهو من رهط عبد الله أنت والله الذليل المنتقص في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين والله لا أحبك بعد كلامك هذا أبداً فقال عبد الله اسكت فإنما كنت ألعب فأخبر زيد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فأقسم بالله ما فعل ولا قال فعذره النبي صلى الله عليه وسلم قال زيد فوجدت في نفسي ولامني الناس فنزلت سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله فقيل لعبد الله قد نزلت فيك آيات شديدة فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لك فألوى برأسه فنزلت الآيات خرجه البخاري والترمذي بمعناه. وقيل معنى قوله يستغفر لكم أي يستتيبكم من النفاق لأن التوبة استغفار ورأيتهم يصدون أي يعرضون عن الرسول وهم مستكبرون أي متكبرين عن الإيمان. قيل قال ابن أبي لما لووا رأسه أمرتموني أن أؤمن فقد آمنت وأن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت فما بقي إلا أن أسجد لمحمد.

قوله سواء عليهم أستغفرت لهم قرأ العامة أستغفرت بهمزة مفتوحة من غير مد وهي همزة التسوية التي أصلها الاستفهام. وقرأ يزيد بن القعقاع آستغفرت بهمزة ثم ألف فاختلف الناس في تأويلها فقال الزمخشري إشباعاً لهمزة الاستفهام للإظهار والبيان لا قلباً لهمزة الوصل كما في آلسحر وآلله. يعني أنما أشبع فتحة همزة التسوية فتولد منها ألف وقصد بذلك إظهار الهمزة وبيانها لا أنه قلب الوصل ألفاً كما قلبها في قوله آلسحر آلله أذن لكم لأن هذه الهمزة للوصل فهي تسقط في الدرج وأيضاً فهي مكسورة فلا يلتبس معها الاستفهام بالخبر بخلاف آلسحر آلله. وقال آخرون هي عوض عن همزة الوصل كما في الذكرين وهذا اللبس يشبه لأن هذه مكسورة فكيف تبدل ألفاً وأيضاً فإنما قلبناها هناك ألفاً ولم نحذفها وإن كان حذفها مستحقاً لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر وهنا لا لبس. وقال ابن عطية قرأ أبو جعفر يعني يزيد بن القعقاع آستغفرت بمدة على الهمزة وهي ألف التسوية. وقرأ أيضاً بوصل الألف دون همزة على الخبر وفي هذا كله ضعف لأنه في الأولى أثبت همزة الوصل وقد أغنت عنها همزة الاستفهام وفي الثانية حذف همزة الاستفهام وهو يريدها وهذا مما لا يستعمل إلا في الشعر. قال شهاب الدين أما قراءته استغفرت بوصل الهمزة فرويت أيضاً عن أبي عمرو إلا أنه هو يضم ميم عليهم عند وصله الهمزة لأن أصلها الضم وأبو عمرو يكسرها على أصل التقاء الساكنين. وأما قوله وهذا مما لا يستعمل إلا في الشعر فإن أراد بهذا مد هذه الهمزة في هذا المكان فصحيح بل لا يجاء به أيضاً وإن أراد حذف همزة الاستفهام فليس بصحيح لأنه يجوز حذفها إجماعاً قبل أم نثراً ونظماً فأما دون أم ففيه خلاف والأخفش يجوزه ويجعل منه وتلك نعمة وقول الآخر

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ... ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب

وقول الآخر

أفرح أن أرزأ الكرام وأن ... أورث ذوداً شصائصاً نبلا

وأما قبل أم فكثير كقوله

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً ... بسبع رمين الجمر أم بثمان

وقد تقدمت هذه المسألة مستوفاة.

فصل قال قتادة هذه الآية نزلت بعد قوله استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وذلك أنها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرني ربي فلأزيدنهم على السبعين فأنزل الله تعالى لن يغفر الله لهم الآية. قال ابن عباس المراد بالفاسقين المنافقون معنى قوله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم أي كل ذلك سواء لا ينفع استغفارك شيئاً لأن الله لا يغفر لهم نظيره سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين إن الله لا يهدي القوم الفاسقين. قال ابن الخطيب قال قوم فيه بيان أن الله تعالى يملك هداية وراء هداية البيان وهي خلق فعل الاهتداء فيمن علم منه ذلك. وقيل معناه لا يهدي لفسقهم. وقالت المعتزلة لا يسميهم المهتدين إذ فسقوا وضلوا. فإن قيل ذكر الفاسقين ولم يقل الكافرين والمنافقين والمستكبرين مع أن كلاً منهم تقدم ذكره فالجواب أن كل واحد منهم داخل تحت الفاسقين.

قوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله قد تقدم سبب النزول وأن ابن أبي قال لا تنفقوا على من عند محمد حتى ينفضوا أي يتفرقوا عنه فأعلمهم الله سبحانه أن خزائن السموات والأرض له ينفق كيف يشاء. قال رجل لحاتم الأصم من أين تأكل فقال ولله خزائن السموات والأرض. وقال الحسن خزائن السموات الغيوب وخزائن الأرض القلوب فهو علام الغيوب ومقلب القلوب. قوله ينفضوا قرأ العامة ينفضوا من الانفضاض وهو التفرق. وقرأ الفضل بن عيسى الرقاشي ينفضوا من أنفض القوم أي فني زادهم ويقال نفض الرجل وعاءه من الزاد فانتفض فيتعدى دون الهمزة ولا يتعدى معها فهو من باب كببته فأكب. قال الزمخشري وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم. ثم قال تعالى ولكن المنافقين لا يفقهون أنه إذا أراد أمراً يسره. قوله يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل القائل ابن أبي كما تقدم. وقيل إنه لما قال ليخرجن الأعز منها الأذل ورجع إلى المدينة لم يلبث إلا أياماً يسيرة حتى مات فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وألبسه قميصه فنزلت قوله لن يغفر الله لهم. وروي أن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول قال لأبيه والذي لا إله إلا هو لا تدخل المدينة حتى تقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأعز وأنا الأذل فقاله. توهموا أن العزة بكثرة الأموال والأتباع فبين الله أن العزة والمنعة والقوة لله. قوله ليخرجن الأعز قراءة العامة بضم الياء وكسر الراء مسنداً إلى الأعز والأذل مفعول به والأعز بعض المنافقين على زعمه. وقرأ الحسن وابن أبي عبلة والمسيبي لنخرجن بنون العظمة ونصب الأعز على المفعول به ونصب الأذل على الحال وبه استشهد من جوز تعريفها والجمهور جعلوا أل مزيدة على حد أرسلها العراك وادخلوا الأول فالأول. وجوز أبو البقاء أن يكون منصوباً على المفعول به وناصبه حال محذوفة أي مشبهاً الأذل. وقد خرجه الزمخشري على حذف مضاف أي خروج الأذل أو إخراج الأذل يعني تحسب القراءتين من خرج وأخرج فعلى هذا ينتصب على المصدر لا على الحال. ونقل الداني عن الحسن أيضاً لنخرجن بفتح نون العظمة وضم الراء ونصب الأعز على الاختصاص كقوله نحن العرب أقرى الناس للضيف والأذل نصب على الحال أيضاً قاله أبو حيان وفيه نظر كيف يخبرون عن أنفسهم أنهم يخرجون في حال الذل مع قولهم الأعز أي أخص الأعز ويعنون بالأعز أنفسهم. وقد حكى هذه القراءة أيضاً أبو حاتم وحكى الكسائي والفراء أن قوماً قرؤوا ليخرجن بفتح الياء وضم الراء ورفع الأعز فاعلاً ونصب الأذل حالاً وهي واضحة. وقرئ ليخرجن بضم الياء مبنياً للمفعول الأعز قائم مقام الفاعل الأذل حالاً أيضاً.

فصل قال ابن الخطيب فإن قيل ما الحكمة في أنه تعالى ختم الآية الأولى بقوله لا يفقهون وختم الثانية بقوله لا يعلمون فالجواب ليعلم بالأولى قلة كياستهم وفهمهم وبالثانية كثرة حمقهم وجهلهم ولا يفقهون من فقه يفقه كعلم يعلم أو من فقه يفقه كعظم يعظم فالأول لحصول الفقه بالتكلف والثاني لا بالتكلف فالأول علاجي والثاني مزاجي.

قوله يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله حذر المؤمنين أخلاق المنافقين أي لا تشتغلوا بأموالكم كما فعل المنافقون إذ قالوا لأجل الشح بأموالهم لا تنفقوا على من عند رسول الله. وقوله عن ذكر الله أي عن الحج والزكاة. وقيل عن قراءة القرآن. وقيل عن إدامة الذكر. وقال الضحاك عن الصلوات الخمس. وقال

عن جميع الفرايض كانه قال عن طاعة الله وقيل هذا خطاب للمنافقين اى امنتم بالقول فامنوا بالقلب ومن يفعل ذلك اى من
يشتغل بالمال والولد عن طاعة ربه فاولئك هم الخاسرون قوله وانفقوا مما رزقناكم قال ابن عباس يريد زكاة الاموال
من قبل ان ياتى احدكم الموت قال القرطبى هذا يدل على وجوب تعجيل اخراج الزكوة ولا يجوز تاخيرها اصلا وكذلك ساير العبادات
اذا دخل وقتها قال ابن الخطيب وبالجملة فقوله لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله تنبيه على المحافظة على الذكر قبل الموت
وقوله وانفقوا مما رزقناكم تنبيه على الشكر كذلك قوله فيقول رب لولا اخرتنى اى هلا اخرتنى وقيل لا صلة فيكون
الكلام بمعنى التمنى اى لو اخرتنى الى اجل قريب فيسال الرجعة الى الدنيا ليعمل صالحا روى الترمذى عن الضحاك بن مزاحم
عن ابن عباس قال من كان له مال يبلغه حج بيت ربه او يجب عليه فيه زكوة فلم يفعل سال الرجعة عند الموت فقال رجل
يا ابن عباس اتق الله انما سال الرجعة الكفار فقال ساتلوا عليك بذلك قرانا يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم
عن ذكر الله الى قوله والله خبير بما تعملون قال فما يوجب الزكاة قال اذا بلغ المال مايتين فصاعدا قال فما يوجب الحج قال
الزاد والراحلة قال القرطبى ذكره الحليمى فى كتاب منهاج الدين مرفوعا فقال وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من كان عنده مال يبلغه الحج الحديث قال ابن العربى اخذ ابن عباس بعموم الاية فى انفاق الواجب خاصة دون
النفل فاما تفسيره بالزكاة فصحيح كله عموما وتقديرا بالمايتين واما القول فى الحج ففيه اشكال لانا ان قلنا الحج على التراخى ففى المعصية
بالموت قبل الحج خلاف بين العلما فلا تخرج الاية عليه وان قلنا الحج على الفور فالعموم فى الاية صحيح لان من وجب عليه الحج
فلم يوده لقى من الله ما يود لو انه رجع ليانى بما ترك من العبادات واما تقديره الامر بالزاد والراحلة ففى ذلك خلاف
مشهور بين العلما وليس لكلام ابن عباس فيه مدخل لاجل ان الرجعة والوعيد لا يدخل فى المسايل المجتهد فيها ولا المختلف
عليها وانما تدخل فى المتفق عليه والصحيح تناوله للواجب من الانفاق بالاجماع او بنص القران لان ما عدا ذلك لا يتحقق
فيه الوعيد قوله فاصدق نصب على جواب التمنى فى قوله لولا اخرتنى وقرا ابى وعبد الله وابن جبير فاتصدق وهى اصل
قراءة العامة ولكن ادغمت التاء فى الصاد قوله واكن قرا ابو عمرو واكون بنصب الفعل عطفا على فاصدق والباقون
واكن مجزوما وحذفت الواو لالتقاء الساكنين واختلفت عبارات الناس فى ذلك فقال الزمخشرى عطفا على محل فاصدق كانه
قيل ان اخرتنى اصدق واكن وقال ابن عطية عطفا على الموضع لان التقدير ان اخرتنى اصدق واكن هذا مذهب ابى على الفارسى
وقال القرطبى عطفا على موضع الفاء لان قوله فاصدق لو لم تكن الفاء لكان مجزوما اى اصدق ومثله من يضلل الله فلا هادى
له ويذرهم فيمن جزم فاما ما حكاه سيبويه عن الخليل فهو غير هذا وهو انه جزم على توهم الشرط الذى يدل عليه التمنى
ولا موضع هنا لان الشرط ليس بظاهر وانما يعطف على الموضع حيث يظهر الشرط كقوله من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم
فمن جزم عطفه على موضع فلا هادى له لانه لو وقع موقعه فعل لا نجزم انتهى وهذا الذى نقله سيبويه هو المشهور عند
النحويين ونظر سيبويه ذلك بقول زهير بدا لى انى لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئا اذا كان جائيا فخفض
ولا سابق عطفا على مدرك الذى هو خبر ليس على توهم زيادة الباء فيه لانه قد كثر جر خبرها بالباء المزيدة وهو عكس الاية
الكريمة لانه فى الاية جزم على توهم سقوط الفاء وهنا خفض على توهم وجود الباء ولكن الجامع توهم ما يقتضى جواز ذلك
قال شهاب الدين ولكنى لا احب هذا اللفظ مستعملا فى القران فلا يقال جزم على التوهم لقبحه لفظا وقال ابو عبيد
رايت فى مصحف عثمان واكن بغير واو وقد فرق ابو حيان بين العطف على الموضع والعطف على التوهم فقال الفرق
بينهما ان العامل فى العطف على الموضع موجود واثره مفقود والعامل فى العطف على التوهم مفقود واثره موجود انتهى قال
شهاب الدين مثال الاول هذا ضارب زيد وعمرا فهذا من العطف على الموضع فالعامل وهو ضارب موجود واثره وهو النصب
مفقود ومثال الثانى ما نحن فيه فان العامل للجزم مفقود واثره موجود واصرح منه بيت زهير فان الباء مفقودة واثرها
موجود ولكن اثرها انما ظهر فى المعطوف لا فى المعطوف عليه وكذلك فى الاية الكريمة ومن ذلك ايضا بيت امرء القيس

فظل طهاة اللحم من بين منضج ... صفيف شواء او قدير معجل

فانهم جعلوه من العطف على التوهم وذلك انه توهم انه اضاف منضج الى صفيف وهو لو اضافه اليه لجره فعطف قدير
على صفيف بالجر توهما لجره بالاضافة وقرا عبيد بن عمير واكون برفع الفعل على الاستيناف اى وانا اكون وهذا عدة
منه بالصلاح فصل قال ابن عباس هذه الاية تدل على ان القوم لم يكونوا من اهل التوحيد لانه لا يتمنى الرجوع الى الدنيا
او التاخير فيها احد له عند الله خير فى الاخرة قال القرطبى الا الشهيد فانه يتمنى الرجوع حتى يقتل لما يرى من
الكرامة وقال الضحاك لا ينزل باحد لم يحج ولم يود الزكوة الموت الا سال الرجعة ثم قال تعالى ولن يوخر
الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون من خير وشر قرا ابو بكر عن عاصم والسلمى بالياء من تحت على الخبر

عن من مات وقال هذه المقالة والباقون بالخطاب

وتمام الصحاف روى الثعلبى فى تفسيره عن ابى بن كعب

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المنافقين برى من النفاق والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة التغابن

فى قول الاكثرين وقال الضحاك مكية وقال الكلبى هى مدنية ومكية وعن ابن عباس ان سورة التغابن نزلت بمكة الا ايات
من اخرها نزلن بالمدينة فى عوف بن مالك الاشجعى شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جفا اهله وولده فانزل الله عز
وجل يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم الى اخرها وهى ثمان عشرة اية ومايتان واحدى واربعون
كلمة والف وسبعون حرفا عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا وفى تشابيك
راسه مكتوب خمس ايات من فاتحة سورة التغابن بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض
تقدم نظيره قال ابن الخطيب وجه تعلق هذه السورة بالتى قبلها هو ان تلك السورة للمنافقين الكاذبين وهذه السورة
للموافقين الصادقين وايضا فان تلك السورة مشتملة على ذكر النفاق سرا وعلانية وهذه السورة مشتملة على التهديد
المانع لهم عن ذلك وهو قوله تعالى يعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور واما تعلق اول هذه السورة
باخر التى قبلها فلانه فى اخر تلك السورة التنبيه على الذكر والشكر كما تقدم وفى اول هذه السورة اشار الى ان فى الناس اقوام
يواظبون على الذكر والشكر دايما وهم الذين يسبحون كما قال تعالى يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض قوله له الملك
مبتدا وخبر وقدم الخبر ليفيد اختصاص الملك والحمد بالله تعالى اذ الملك والحمد له حقيقة وهو على كل شى قدير قوله هو
الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن قال ابن عباس ان الله خلق بنى ادم مومنا وكافرا ويعيدهم فى القيامة مومنا وكافرا
وروى ابو سعيد الخدرى قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية فذكر شيا مما يكون فقال يولد الناس على طبقات
شتى يولد الرجل مومنا ويعيش مومنا ويموت مومنا ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت كافرا ويولد الرجل كافرا ويعيش
كافرا ويموت مومنا وقال ابن مسعود قال النبى صلى الله عليه وسلم خلق الله فرعون فى بطن امه كافرا وخلق يحيى بن زكريا فى
بطن امه مومنا وفى الصحيح من حديث ابن مسعود وان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع او باع
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع او باع
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وفى صحيح مسلم عن سهل بن سعد الساعدى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار وان الرجل ليعمل عمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من
اهل الجنة قال القرطبى قال علماؤنا والمعنى تعلق العلم الازلى بكل معلوم فيجرى ما علم واراد وحكم فقد يريد ايمان شخص
على عموم الاحوال وقد يريده الى وقت معلوم وكذلك الكفر وقيل فى الكلام محذوف تقديره فمنكم مومن ومنكم كافر
ومنكم فاسق فحذف لما فى الكلام من الدلالة عليه قاله الحسن وقال غيره لا حذف فيه لان المقصود ذكر الطرفين وقيل
انه خلق الخلق ثم كفروا وامنوا والتقدير هو الذى خلقكم ثم وصفهم فقال فمنكم كافر ومنكم مومن كقوله تعالى والله
خلق كل دابة من ماء ثم قال فمنهم من يمشى على بطنه الاية قالوا فالله خلقهم والمشى فعلهم وهذا اختيار الحسين بن
الفضل قال لو خلقهم مومنين وكافرين لما وصفهم بفعلهم فى قوله فمنكم كافر ومنكم مومن واحتجوا بقوله عليه السلام
كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال البغوى وروينا عن ابن عباس عن ابى بن كعب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذى قتله الخضر طبع وقال تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وروى
انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اى رب نطفة اى رب علقة اى رب مضغة فاذا اراد
الله ان يقضى خلقها قال يا رب اذكر ام انثى شقى ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك فى بطن امه وقال الضحاك
فمنكم كافر فى السر مومن فى العلانية كالمنافق ومنكم مومن فى السر كافر فى العلانية كعمار وذويه وقال عطا بن ابى رباح
فمنكم كافر بالله مومن بالكواكب ومنكم مومن بالله كافر بالكوكب يعنى فى شان الانواء كما جاء فى الحديث قال القرطبى وقال
الزجاج وهو احسن الاقوال والذى عليه الايمة ان الله خلق الكافر وكفره فعل له وكسب مع ان الله خالق الكفر وخلق
المومن وايمانه فعل له وكسب مع ان الله خالق الايمان والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله اياه لان الله تعالى قدر
ذلك عليه وعلمه منه ولا يجوز ان يوجد من كل واحد منهما غير الذى قدر عليه وعلمه منه لان وجود خلاف المقدور
عجز ووجود خلاف المعلوم جهل ولا يليقان بالله تعالى وفى هذا سلامة من الجبر والقدر وروى عن ابى سعيد الخدرى
انه قال فمنكم كافر حياته مومن فى العاقبة ومنكم مومن حياته كافر فى العاقبة وقيل فمنكم كافر بان الله خلقه وهو
مذهب الدهرية ومنكم مومن بان الله خلقه قال ابن الخطيب فان قيل انه تعالى حكيم وقد سبق فى علمه انه اذا
خلقهم لم يفعلوا الا الكفر فاى حكمة دعته الى خلقهم فالجواب اذا علمنا انه تعالى حكيم علمنا ان افعاله كلها
على وفق الحكمة فيكون خلقه تعالى هو [illegible] على وفق الحكمة ولا يلزم من عدم علمنا بذلك ان لا يكون كذلك بل
اللازم ان يكون خلقهم على وفق الحكمة قوله هو الذى خلق السموات والارض بالحق اى خلقها حقا يقينا لا ريب فيه

وقيل الباء بمعنى اللام اي خلقها للحق وهو ان يجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى **قوله** وصوركم فاحسن صوركم قرأ العامة بضم صاد صوركم وهو القياس في فعله وقرأ زيد بن علي والاعمش وابو رزين بكسرها وليس بقياس وهو عكس لحى بالضم والقياس لحى بالكسر **فصل** معنى وصوركم يعني ادم عليه السلام خلقه بيده كرامة له قاله مقاتل وقيل جميع الخلائق وقد مضى معنى التصوير وانه التخطيط والتشكيل **فان قيل** كيف احسن صورهم قيل بان جعلهم احسن الحيوان كله وابهاه صورة بدليل ان الانسان لا يتمنى ان تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته انه خلقه منتصبا غير منكب كما قال عز وجل لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم كما يأتي ان شاء الله تعالى قال ابن الخطيب **فان قيل** قد كان من افراد هذا النوع من كان مشوه الخلقة سمج الصورة **فالجواب** لا سماجة لان الحسن في المعاني وهو على طبقات ومراتب فانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقه لا يمنع حسنه فهو داخل في حيز الحسن غير خارج عن حده **قوله** واليه المصير اي المرجع فيجازي كلا بعمله قال ابن الخطيب **فان قيل** قوله تعالى واليه المصير يوهم الانتقال من جانب الى جانب وذلك على الله تعالى محال **فالجواب** ان ذلك الوهم بالنسبة الينا والى زماننا لا بالنسبة الى ما يكون في نفسه بمعزل عن حقيقة الانتقال اذ كان المنتقل منزها عن الجانب والجهة **قوله** يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون تقدم نظيره قال ابن الخطيب انه تعالى نبه بعلمه ما في السموات وما في الارض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ما في الصدور من الكليات والجزئيات على انه لا يخفى عليه شيء البتة ونظيره قوله لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وقرأ العامة تسرون بالخطاب في الحرفين وروي عن ابي عمرو وعاصم بالغيبة فيحتمل الالتفات ويحتمل الاخبار عن الغائبين والله عليم بذات الصدور وهو عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء **قوله** الم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل الخطاب لقريش اي الم يأتكم خبر كفار الامم السالفة فذاقوا وبال امرهم اي عوقبوا ولهم في الاخرة عذاب اليم اي مؤلم **قوله** ذلك بانه الهاء للشان والحديث وكانت تأتيهم رسلهم خبرها ومعنى الاشارة اي هذا العذاب لهم بكفرهم بالرسل تأتيهم بالبينات اي بالدلائل الواضحة **قوله** ابشر يهدوننا يجوز ان يرتفع بشر على الفاعلية ويكون من الاشتغال وهو الارجح لان الاداة تطلب الفعل وان يكون مبتدأ او خبرا وجمع الضمير في يهدوننا اذ البشر اسم جنس انكروا ان يكون الرسول من البشر وقد يأتي الواحد بمعنى الجمع فيكون اسما للجنس وقد يأتي الجمع بمعنى الواحد كقوله تعالى ما هذا بشرا **قوله** فكفروا اي بهذا القول اذ قالوه استصغارا ولم يعلموا ان الله يبعث من يشاء الى عباده **فان قيل** قوله فكفروا يفهم منه التولي فما الحاجة الى ذكره **فالجواب** قال ابن الخطيب انهم كفروا وقالوا ابشر يهدوننا وهذا في معنى الانكار والاعراض بالكلية وهذا هو التولي فكانهم كفروا وقالوا قولا يدل على التولي فلهذا قال فكفروا وتولوا وقيل كفروا بالرسل وتولوا عن البرهان واعرضوا عن الايمان والموعظة **قوله** واستغنى الله استغنى بمعنى المجرد وقال الزمخشري ظهر غناه فالسين ليست للطلب قال مقاتل استغنى الله اي بسلطانه عن طاعة عباده وقيل استغنى الله بما اظهره لهم من البرهان واوضحه لهم من البيان عن زيادة تدعو الى الرشد وتقود الى الهداية والله غني حميد غني عن خلقه حميد في افعاله **فان قيل** قوله وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولي والاستغناء معا والله تعالى لم يزل غنيا فاجاب الزمخشري بان معناه انه ظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك ثم اخبر عن انكارهم للبعث فقال عز وجل زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا اي ظنوا والزعم هو القول بالظن وقال الزمخشري الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه السلام زعموا مطية الكذب وقال شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا قيل نزلت في العاص بن وائل السهمي مع خباب كما تقدم في اخر سورة مريم ثم عمت كل كافر **قوله** ان لن يبعثوا ان مخففة لا ناصبة لئلا يدخل ناصب على مثله وان وما في حيزها سادة مسد المفعولين للزعم او المفعول **قوله** بلى ايجاب للنفي ولتبعثن جواب قسم مقدر اي لتخرجن من قبوركم احياء ثم لتنبؤن لتخبرن بما عملتم اي باعمالكم وذلك على الله يسير اذ الاعادة اسهل من الابتداء **فان قيل** كيف يفيد القسم في اخباره عن البعث وهم قد انكروا الرسالة قال ابن الخطيب **والجواب** انهم انكروا الرسالة لكنهم يعتقدون انه يعتقد ربه اعتقادا جازما لا يزيد عليه فيعلمون انه لا يقدم على القسم بربه الا وان يكون صدق هذا الاخبار عنده اظهر من الشمس في اعتقاده ثم انه اكد الخبر باللام والنون فكانه قسم بعد قسم ثم انه تعالى لما اخبر عن البعث والاعتراف بالبعث من لوازم الايمان قال فامنوا بالله ورسوله وهذا يجوز ان يكون صلة لما تقدم لانه تعالى ذكر ما نزل من العقوبة بالامم الماضية وذلك لكفرهم بالله وتكذيبهم للرسل فقال فامنوا انتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة وقال القرطبي قوله فامنوا بالله ورسوله امرهم بالايمان بعد ان عرفهم قيام الساعة والنور الذي انزلنا وهو القرآن لانه نور يهتدى به من ظلمة الضلال كما يهتدى بالنور في الظلام **فان قيل** هلا قيل ونوره بالاضافة كما قال ورسوله **فالجواب** ان الالف واللام في النور بمعنى الاضافة فكانه قال ورسوله ونوره ثم قال والله بما تعملون خبير اي بما تسرون وما تعلنون فراقبوه في السر والعلانية **قوله**

قوله يوم يجمعكم منصوب بقوله لتنبؤن عند النحاس وبخبير عند الحوفي لما فيه من معنى الوعيد كانه قال والله يعاقبكم يوم يجمعكم وباذكر مضمرا عند الزمخشري فيكون مفعولا به او بما دل عليه الكلام اي تتفاوتون يوم يجمعكم قاله ابو البقاء وقرأ العامة يجمعكم بفتح الياء وضم العين وروي سكونها واشمامها عن ابي عمرو وهذا منقول عنه في الراء نحو ينصركم وبابه كما تقدم في البقرة وقرأ يعقوب وسلام وزيد بن علي والشعبي ونصر وابن ابي اسحق والجحدري نجمعكم بنون العظمة اعتبارا بقوله والنور الذي انزلنا والمراد بيوم الجمع اي يوم القيامة يوم يجمع الله الاولين والاخرين والانس والجن واهل السماء واهل الارض وقيل يوم يجمع الله بين كل عبد وعمله وقيل يجمع فيه بين الظالم والمظلوم وقيل يجمع فيه بين كل نبي وامته وقيل يجمع فيه ثواب اهل الطاعات وعقاب اهل المعاصي **قوله** ذلك يوم التغابن تفاعل من الغبن في البيع والشراء على الاستعارة وهو اخذ الشيء بدون قيمته وقيل الغبن الاخفاء ومنه غبن البيع لاستخفائه والتفاعل هنا من واحد لا من اثنين ويقال غبنت الثوب وخبنته اي اخذت ما طال عنه من مقدارك فهو نقص واخفاء وفي التفسير هو ان يكتسب الرجل مالا من غير وجهه فيرثه غيره فيعمل فيه بطاعة فيدخل الاول النار والثاني الجنة بذلك المال فذلك هو الغبن البين والمغابن ما انثنى من البدن نحو الابطين والفخذين والمغبون من غبن في اهله ومنازله في الجنة ويظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان وغبن كل مؤمن بتقصيره في الاحسان وتضييعه الايام قال الزجاج ويغبن من ارتفعت منزلته في الجنة بالنسبة الى من هو اعلا منزلة منه **فان قيل** فاي معاملة وقعت بينهما حتى يقع الغبن فيها **فالجواب** هو تمثيل للغبن في الشراء والبيع كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم فلما ذكر ان الكفار اشتروا الضلالة بالهدى وما ربحوا في تجارتهم بل خسروا ذكر ايضا انهم غبنوا وذلك ان اهل الجنة اشتروا الاخرة بترك الدنيا واشترى اهل النار الدنيا بترك الاخرة وهذا نوع مبادلة اتساعا وتجاوزا وقد فرق الله تعالى الخلق فريقين فريقا للجنة وفريقا للنار وقال الحسن وقتادة بلغنا ان التغابن على ثلاثة اصناف رجل علم علما فضيعه ولم يعمل به فشقي به ورجل علم علما وعمل به فنجا به ورجل اكتسب مالا من وجوه يسأل عنها وشح عليه وفرط في طاعة ربه بسببه ولم يعمل فيه خيرا وتركه لوارث لا حساب عليه فعمل ذلك الوارث فيه بطاعة ربه ورجل كان له عبد فعمل العبد بطاعة ربه فسعد وعمل السيد بمعصية ربه فشقي وروى القرطبي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يقيم الرجل والمرأة يوم القيامة بين يديه فيقول الله تعالى لهما قولا ما انتما بقائلين فيقول الرجل يا رب اوجبت نفقتها علي فتعسفتها من حرام ومن حلال وهؤلاء الخصوم يطلبون ذلك ولم يبق لي ما اوفي فتقول المرأة وما عسى ان اقول اكتسبه حراما واكلته حلالا وعصاك في مرضاتي ولم ارض له بذلك فبعدا له وسحقا فيقول الله تعالى قد صدقت فيؤمر به الى النار ويؤمر بها الى الجنة فتطلع عليه من طبقات الجنة فتقول له غبناك غبناك سعدنا بما شقيت انت به فذلك يوم التغابن **فصل** استدل بعض العلماء بقوله تعالى ذلك يوم التغابن على انه لا يجوز الغبن في المعاملات الدنيوية لان الله تعالى خصص التغابن بيوم القيامة فقال ذلك يوم التغابن وهذا الاختصاص يفيد انه لا غبن في الدنيا فكل من اطلع على غبن في مبيع فانه مردود اذا زاد على الثلث واختاره البغداديون واحتجوا عليه بقوله عليه السلام لحبان بن منقذ اذا بعت فقل لا خلابة ولك الخيار ثلاثا ولان الغبن في الدنيا ممنوع منه بالاجماع في حكم الدين اذ هو من باب الخداع المحرم شرعا في كل ملة لكن اليسير منه لا يمكن الاحتراز عنه فمضى في البيوع اذ لو حكمنا برده ما نفذ بيع ابدا لانه لا يخلو منه فاذا كان كثيرا امكن الاحتراز منه فوجب الرد به والفرق بين القليل والكثير في الشريعة معلوم فقدرناه بالثلث وهذا الحد اعتبره الشارع في الوصية وغيرها ويكون معنى الاية على هذا يوم التغابن الجائز مطلقا من غير تفصيل يوم التغابن الذي لا يستدرك ابدا قال بعض علماء الصوفية ان الله تعالى كتب الغبن على الخلق اجمعين فلا يلقى احد ربه الا مغبونا لانه لا يمكنه الاستيفاء للعمل حتى يحصل له استيفاء الثواب قال عليه السلام لا يلقى الله احد الا نادما ان كان مسيئا ان لم يحسن وان كان محسنا ان لم يزدد **قوله** ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله قرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما والباقون بالياء **قوله** والذين كفروا وكذبوا باياتنا يعني القرآن اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير قال ابن الخطيب **فان قيل** قال تعالى في حق المؤمنين ومن يؤمن بالله بلفظ المستقبل وفي الكفار قال والذين كفروا بلفظ الماضي **فالجواب** ان تقدير الكلام ومن يؤمن بالله المستقبل من الذين كفروا وكذبوا باياتنا ندخله جنات ومن لم يؤمن منهم اولئك اصحاب النار **فان قيل** قال تعالى من يؤمن بلفظ الوحدان وخالدين بلفظ الجمع **فالجواب** ذلك بحسب اللفظ وهذا بحسب المعنى **فان قيل** ما الحكمة في قوله وبئس المصير بعد قوله خالدين فيها وذلك بئس المصير **والجواب** ان ذلك وان كان في معناه فلا بد من التصريح بما يؤكده **فصل** لما ذكر ما للمؤمنين ذكر ما للكفار فقال ما اصاب من مصيبة الا باذن الله اي بارادته وقضائه وقال الفراء يريد الا بامر الله وقيل الا بعلم الله وقيل سبب نزول هذه الاية ان الكفار قالوا لو كان ما عليه المسلمون

حقا الصابر يوم الله عن المصائب في الدنيا فيتبين الرب تعالى أن ما أصاب من مصيبة في نفس أو مال أو قول أو فعل يقتضي هما أو يوجب
عقابا آجلا أو عاجلا فبعلم الله وقضائه. فإن قيل بم يتصل قوله ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله فالجواب
يتعلق بقوله فآمنوا بالله ورسوله لأن من يؤمن بالله يصدق بأنه لا تصيبه مصيبة إلا بإذن الله قوله ومن يؤمن
بالله. أي يصدق ويعلم أنه لا تصيبه مصيبة إلا بإذن الله يهد قلبه للصبر والرضا. وقيل يثبته على الإيمان. وقال
أبو عثمان الحيري من صح إيمانه يهد الله قلبه لاتباع السنة. وقيل ومن يؤمن بالله يهد قلبه عند المصيبة فيقول إنا
لله وإنا إليه راجعون قاله ابن جبير. وقال ابن عباس هو أن يجعل الله في قلبه اليقين ليعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه
وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه. وقال الكلبي هو إذا ابتلي صبر وإذا أنعم عليه شكر وإذا ظلم غفر. وقيل يهد قلبه إلى
نيل الثواب في الجنة قوله يهد قلبه. قراءة العامة بالياء مجزوما جوابا للشرط المتقدم ذكر الله. وابن جبير وابن
هرمز وطلحة والأزرق بالنون على التعظيم. والضحاك وأبو جعفر وأبو عبد الرحمن وقتادة يهد مبنيا للمفعول
قلبه قائم مقام الفاعل. ومالك بن دينار وعمرو بن دينار وعكرمة يهدأ بهمزة ساكنة قلبه فاعل به بمعنى يطمئن
ويسكن. وعمرو بن فائد يهدا بألف مبدلة من الهمزة كالتي قبلها ولم يحذفها نظرا إلى الأصل وهي أفصح اللغتين
وعكرمة ومالك بن دينار أيضا يهد بحذف هذه الألف إجراء لها مجرى الألف الأصلية كقول زهير

جريء متى يظلم يعاقب بظلمه سريعا وإلا يبد بالظلم يظلم

وقد تقدم إعراب ما قبل هذه الآية وما بعدها والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه تسليم من انقاد لأمره ولا كراهة
من كرهه قوله وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول. أي هونوا على أنفسكم المصائب واشتغلوا بطاعة الله واعملوا
بكتابه وأطيعوا الرسول في العمل بسنته فإن توليتم عن الطاعة فليس على الرسول إلا البلاغ المبين قوله الله لا إله
إلا هو. أي لا معبود سواه ولا خالق غيره. قال ابن الخطيب قوله لا إله إلا هو يحتمل أن يكون من جملة ما تقدم من
الأوصاف الجميلة لحضرة الله تعالى من قوله له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فإن من كان موصوفا بهذه
الأوصاف فهو الذي لا إله إلا هو قوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون. قال الزمخشري هذا بعث لرسول الله صلى الله عليه
وسلم على التوكل عليه حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم
عدوا لكم فاحذروهم. قال ابن عباس نزلت هذه الآية بالمدينة في عوف بن مالك الأشجعي شكى إلى النبي صلى الله
عليه وسلم جفاء أهله وولده فنزلت ذكره النحاس وحكاه الطبري عن عطاء بن يسار قال نزلت سورة التغابن
كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم نزلت في عوف بن
مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد وكان إذا أراد الغزو بكوه ورققوه وقالوا إلى من تدعنا فيرق فيقيم فنزلت
هذه الآية إلى آخر السورة بالمدينة. وروى الترمذي عن ابن عباس وسئل عن هذه الآية قال هؤلاء رجال
أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتوا النبي صلى
الله عليه وسلم فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد تفقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى
هذه الآية حديث حسن صحيح فصل قال ابن العربي هذا يبين وجه العداوة فإن العدو لم يكن عدوا لذاته
إنما كان عدوا بفعله فإذا فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدوا ولا فعل أقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة
وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الشيطان قعد لابن آدم في طريق الإيمان
فقال له أتؤمن وتذر دينك ودين آبائك فخالفه فآمن ثم قعد له على طريق الهجرة فقال له أتهاجر وتترك أهلك
ومالك فخالفه فهاجر ثم قعد له على طريق الجهاد فقال له أتجاهد فتقتل نفسك فتنكح نساؤك ويقسم مالك
فخالفه فجاهد فقتل فحق على الله أن يدخله الجنة. وقعود الشيطان يكون بوجهين أحدهما يكون بالوسوسة
والثاني أن يحمل على ما يريد من ذلك الزوج والولد والصاحب قال تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم
وما خلفهم. وفي حكمة عيسى عليه السلام من اتخذ أهلا ومالا وولدا كان في الدنيا عبدا. وقال عليه السلام تعس
عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد القطيفة ولا دناءة أعظم من عبادة الدينار والدرهم ولا
همة أخس من همة ترتفع بثوب جديد. واعلم أن قوله إن من أزواجكم يدخل فيه الذكر والأنثى فكما أن الرجل تكون
زوجته وولده عدوا له كذلك المرأة يكون زوجها عدوا لها بهذا المعنى قوله فاحذروهم. أي فاحذروهم على أنفسكم
والحذر على النفس يكون بوجهين إما يضر في البدن أو يضر في الدين. وضرر البدن يتعلق بالدنيا وضرر الدين
يتعلق بالآخرة فحذر الله تعالى العبد من ذلك. قال ابن الخطيب وقيل علم الله تعالى أن الأموال والأولاد من جملة
ما تقع به الفتنة وهذا عام يعم جميع الأولاد فإن الإنسان مفتون بولده فإنه ربما عصى الله تعالى بسببه
وباشر الفعل الحرام لأجله كغصب مال الغير ونحوه قوله وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم روى
الطبري عن عكرمة في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم قال كان

الرجل يريد أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيقول أهله أين تذهب وتدعنا قال فإذا أسلم وفقه قال لأرجعن إلى الذين
كانوا ينهون عن هذا الأمر فلأفعلن ولأفعلن قال فأنزل الله عز وجل وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور
رحيم. وقال مجاهد في هذه الآية ما عادوهم في الدنيا ولكن حملتهم مودتهم على أن أخذوا لهم الحرام فأعطوه إياهم
والآية عامة في كل معصية يرتكبها الإنسان بسبب الأهل والولد وخصوص السبب لا يمنع عموم الحكم قوله إنما
أموالكم وأولادكم فتنة. أي بلاء واختبار يحملكم على كسب الحرام ومنع حق الله تعالى فلا تطيعوهم في معصية الله. وفي
الحديث يؤتى برجل يوم القيامة فيقال أكل عياله حسناته. وقال بعض السلف العيال سوس الطاعات. وقال ابن مسعود
لا يقولن أحدكم اللهم اعصمني من الفتنة فإنه ليس أحد منكم يرجع إلى مال وولد إلا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم
إني أعوذ بك من مضلات الفتن. وقال الحسن في قوله تعالى إن من أزواجكم أدخل من للتبعيض لأن كلهم ليسوا بأعداء
ولم يذكر في قوله تعالى إنما أموالكم وأولادكم فتنة لأنهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما. روى الترمذي وغيره
عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان
أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله عز وجل
إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم أخذ في
خطبته والله عنده أجر عظيم يعني الجنة فلا أعظم أجرا منها قوله فاتقوا الله ما استطعتم. قال قتادة والربيع بن أنس
والسدي وابن زيد هذه الآية ناسخة لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته. ذكر الطبري عن ابن زيد في قوله تعالى يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال جاء أمر شديد قال ومن يعرف قدر هذا أو يبلغه فلما عرف الله أنه قد اشتد
ذلك عليهم نسخها عنهم وجاء بهذه الآية الأخرى فقال اتقوا الله ما استطعتم. وقال ابن عباس هي محكمة لا نسخ فيها ولكن
حق تقاته أن يجاهدوا لله حق جهاده ولا يأخذهم في الله لومة لائم ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم
فإن قيل إذا كانت الآية غير منسوخة فكيف الجمع بين الآيتين وما وجه الأمر باتقائه حق تقاته مطلقا من غير
تخصيص ولا مشروط بشرط والأمر باتقائه بشرط الاستطاعة فالجواب أن قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم
معناه فاتقوا الله أيها الناس وراقبوه فيما جعله فتنة لكم من أموالكم وأولادكم أن تغلبكم فتنتهم وتصدكم عن
الواجب لله عليكم من الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فتتركوا الهجرة وأنتم مستطيعون وذلك أن الله تعالى
قد كان عذر من لم يقدر على الهجرة بتركها بقوله تعالى إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم إلى قوله فأولئك عسى الله أن
يعفو عنهم فأخبر أنه قد عفا عمن لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا بالإقامة في دار الشرك فكذلك معنى قوله ما استطعتم
في الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام أن تتركوها بفتنة أموالكم وأولادكم ويدل على صحة هذا أن قوله تعالى فاتقوا
الله ما استطعتم عقيب قوله يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ولا خلاف بين علماء
التأويل أن هذه الآيات نزلت بسبب قوم كفار تأخروا عن الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام بتثبيط أولادهم إياهم
عن ذلك كما تقدم وهذا اختيار الطبري. وقال ابن جبير قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فيما تطوع به من نافلة أو صدقة
فإنه لما نزل قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته اشتد على القوم فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فأنزل الله
تعالى تخفيفا عنهم فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الأولى. قال الماوردي ويحتمل أن يثبت هذا النقل لأن المكره على المعصية
غير مؤاخذ بها لأنه لا يستطيع اتقاءها قوله واسمعوا وأطيعوا. أي اسمعوا ما توعظون به وأطيعوا ما تؤمرون به وتنهون
عنه. وقال مقاتل اسمعوا أي أصغوا إلى ما ينزل عليكم من كتاب الله وهو الأصل في السماع وأطيعوا الرسول فيما يأمركم
أو ينهاكم. وقيل معنى واسمعوا أي اقبلوا ما تسمعون وعبر عنه بالسماع لأنه فائدته قوله وأنفقوا. قال ابن عباس هي
الزكاة. وقيل هي النفقة في النفل. وقال الضحاك هي النفقة في الجهاد. وقال الحسن هي نفقة الرجل لنفسه. قال
ابن العربي وإنما أوقع قائل هذا قوله لأنفسكم وخفي عليه أن نفقة الفرض والنفل في الصدقة هي نفقة على نفسه قال الله تعالى
إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فكلما يفعله الرجل من خير فإنما هو لنفسه والصحيح أنها عامة قوله خيرا
لأنفسكم. في نصبه أوجه. أحدها قال سيبويه إنه مفعول بفعل مقدر دل عليه وأنفقوا تقديره ائتوا في الإنفاق خيرا
لأنفسكم أو قدموا خيرا لأنفسكم كقوله انتهوا خيرا لكم. الثاني تقديره يكن الإنفاق خيرا فهو خبر كان المضمرة وهو قول
أبي عبيدة. الثالث أنه نعت مصدر محذوف وهو قول الكسائي والفراء أي إنفاقا خيرا. الرابع أنه حال وهو قول الكوفيين
الخامس أنه مفعول بقوله أنفقوا أي أنفقوا مالا خيرا قوله ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون. تقدم نظيره وكذا
إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم تقدم في سورة البقرة والحديد ويغفر لكم والله شكور حليم تقدم معنى الشكر
في البقرة والحليم الذي لا يعجل. قال بعضهم في القرض الحسن هو التصدق من الحلال. وقيل التصدق بطيب النفس والقرض
هو الذي يرجى بدله قوله عالم الغيب والشهادة. أي ما غاب وحضر وهو العزيز أي الغالب القاهر فهو من صفات الأفعال
ومنه قوله عز وجل تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم أي من الله القاهر المحكم خالق الأشياء. وقال الخطابي وقد يكون

معنى تعالى عظمة القدر يقال منه عز يعز بكسر العين فيكون معنى العزيز على هذا انه لا يعادله شي وانه لا مثل له الحكيم في تدبير خلقه وقال ابن الانباري الحكيم هو المحكم لخلق الاشيا صرف عن مفعل الى فعيل ومنه قوله عز وجل الر تلك ايات الكتاب الحكيم معناه المحكم فصرف عن مفعل الى فعيل والله اعلم روى الثعلبي عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا في تشابيك راسه مكتوب خمس ايات من فاتحة سورة التغابن وعن زر بن حبيش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التغابن دفع عنه موت الفجاة والله اعلم

سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم وهي احدى عشرة اية وقيل اثنتا عشرة اية وما يتان وتسع واربعون كلمة والف وستون حرفا

قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النسا قال ابن الخطيب وجه تعلق اول هذه السورة باخر التي قبلها هو انه تعالى اشار في اخر التي قبلها الى كمال علمه بقوله عالم الغيب والشهادة وفي اول هذه السورة اشار الى كمال علمه بمصالح النسا والاحكام المخصوصة بطلاقهن فكانه بين ذلك الكلي بهذه الجزئيات فصل وهذا الخطاب فيه اوجه احدها انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوطب بلفظ الجمع تعظيما له كقوله

فان شيت حرمت النسا سواكم وان شيت لم اطعم نقاخا ولا بردا

الثاني انه خطاب له ولامته والتقدير يا ايها النبي وامته اذا طلقتم بحذف المعطوف لدلالة ما بعده عليه كقوله اذا احد فيه رجلها اي ويدها كقوله سرابيل تقيكم الحر اي والبرد الثالث انه خطاب لامته فقط بعد ندايه عليه السلام وهو من تلوين الخطاب خاطب امته بعد ان خاطبه الرابع انه على اضمار قول اي يا ايها النبي قل لامتك اذا طلقتم قال القرطبي قيل انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وغاير بين اللفظين من حاضر وغايب وذلك لغة فصيحة كقوله اذا كنتم في الفلك وجرين بهم والتقدير يا ايها النبي قل لهم اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن وهذا هو قولهم ان الخطاب له وحده والمعنى له وللمومنين واذا اراد الله الخطاب للمومنين لاطفه بقوله يا ايها النبي واذا كان الخطاب باللفظ والمعنى جميعا له قال يا ايها الرسول قال القرطبي ويدل على صحة هذا القول نزول العدة في اسما بنت يزيد بن السكن الانصارية روى ابو داود انها طلقت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن للمطلقة عدة فانزل الله تعالى العدة للطلاق حين طلقت اسما فكانت اول من انزل فيها العدة للطلاق الخامس قال الزمخشري خص النبي صلى الله عليه وسلم بالندا وعم بالخطاب لان النبي صلى الله عليه وسلم امام امته وقدوتهم كما يقال لرييس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اعتبارا لتقدمه واظهارا لترويسه في كلام حسن وهذا هو معنى القول الثالث المتقدم قال القرطبي وقيل المراد ندا النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما له ثم ابتدا اذا طلقتم النسا كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الاية فذكر المومنين تكريما لهم ثم افتتح فقال انما الخمر والميسر والانصاب والازلام الاية وقوله اذا طلقتم اي اذا اردتم كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاذا قرات القران وتقدم تحقيقه فصل روى ابن ماجة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وعن انس قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة رضي الله عنها فاتت اهلها فانزل الله تعالى عليه يا ايها النبي اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن وقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهي من ازواجك في الجنة ذكره الماوردي والقشيري والثعلبي وزاد القشيري ونزل في خروجها الى اهلها قوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن وقال الكلبي سبب نزول هذه الاية غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حفصة لما اسر اليها حديثا فاظهرته لعايشة فطلقها تطليقة فنزلت الاية وقال السدي نزلت في عبد الله بن عمر طلق امراته حايضا تطليقة واحدة فامره النبي صلى الله عليه وسلم بان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان اراد ان يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل ان يجامعها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النسا وقد قيل ان رجالا فعلوا مثل ما فعل عبد الله بن عمر منهم عبد الله بن عمرو بن العاص وعمرو بن سعيد ابن العاص وعتبة بن غزوان فنزلت الاية فيهم قال ابن العربي وهذا كله وان لم يكن صحيحا فالقول الاول امثل والاصح فيه انه بيان لشرع مبتدا فصل روى الثعلبي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من ابغض الحلال الى الله الطلاق وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطلقوا النسا الا من ريبة فان الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حلف بالطلاق ولا استحلف به الا منافق اسندهم الثعلبي وروى الدارقطني عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ما خلق الله تعالى شيا على وجه الارض احب اليه من العتاق ولا خلق الله

تعالى شيا ابغض اليه من الطلاق فاذا قال الرجل لمملوكه انت حر ان شا الله فهو حر ولا استثنا له واذا قال الرجل لامراته انت طالق فله استثناوه ولا طلاق عليه وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احل الله شيا ابغض اليه من الطلاق فمن طلق واستثنى فله ثنياه قال ابن المنذر اختلفوا في الاستثنا في الطلاق والعتق فقالت طايفة بجوازه وهو مروي عن طاوس وبه قال حماد الكوفي والشافعي وابو ثور واصحاب الراي وقال مالك والاوزاعي لا يجوز الاستثنا في الطلاق والعتق وقال قتادة لا يجوز الاستثنا في الطلاق خاصة قال ابن المنذر وبالقول الاول اقول فصل روى الدارقطني عن ابن عباس انه قال الطلاق على اربعة وجوه وجهان حلالان ووجهان حرامان فاما الحلال فان يطلقها طاهرا عن غير جماع وان يطلقها حاملا مستبينا حملها واما الحرام فان يطلقها حايضا او ان يطلقها حين يجامعها لا يدري اشتمل الرحم على ولد ام لا واعلم ان الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه لقول النبي صلى الله عليه وسلم وان شا طلق قبل ان يمس وطلاق السنة ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا في حق امراة يلزمها العدة بالاقرا فاما طلاق غير المدخول بها في حيضها او الصغيرة التي لم تحض والايسة بعد ما جامعها او طلق الحامل بعد ما جامعها او في حال رويته الدم لا يكون بدعيا ولا سنة لقوله عليه السلام ثم ليطلقها طاهرا او حاملا والخلع في حال الحيض او في طهر جامعها فيه لا يكون بدعيا لان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته من غير ان يعرف حالها ولولا جوازه في جميع الاحوال لاستفسره قوله لعدتهن قال الزمخشري مستقبلات لعدتهن كقوله اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها وفي قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن انتهى وناقشه ابو حيان في تقديره الحال التي تعلق بها الجار كونا خاصا وقال الجار اذا وقع حالا انما يتعلق بكون مطلق وفي مناقشته نظر لان الزمخشري لم يجعل الجار حالا بل جعله متعلقا بمحذوف دل عليه معنى الكلام وقال ابو البقا لعدتهن اي عند اول ما يعتدن به وهن في قبل الطهر وهذا تفسير معنى لا تفسير اعراب وقال ابو حيان هو على حذف مضاف اي لاستقبال عدتهن واللام للتوقيت نحو لقيته لليلة بقيت من شهر كذا انتهى فعلى هذا تتعلق اللام بطلقوهن وقال الجرجاني فطلقوهن لعدتهن صفة للطلاق كيف يكون وهذه اللام تجي لمعان مختلفة للاضافة وهي اصلها ولبيان السبب والعلة كقوله انما نطعمكم لوجه الله وبمعنى عند كقوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس اي عنده وبمنزلة في كقوله تعالى اخرج الذين كفروا من ديارهم لاول الحشر اي في اول الحشر وهي في هذه الاية بهذا المعنى لان المعنى فطلقوهن في عدتهن اي في الزمان الذي يصلح لعدتهن فصل قال القرطبي قوله لعدتهن يقتضي انهن اللاتي دخل بهن الازواج لان غير المدخول بهن خرجن بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وحصل الاجماع على ان الطلاق في الحيض ممنوع منه وفي الطهر ماذون فيه وهذا يدل على ان القرء هو الطهر قال قيل معنى قوله فطلقوهن لعدتهن اي في قبول عدتهن او لقبول عدتهن وهي قراة النبي صلى الله عليه وسلم كما قال ابن عمر فقبول العدة اخر الطهر حتى يكون القرء الحيض قيل هذا هو الدليل الواضح لمن قال بان الاقرا هي الاطهار ولو كان كما قال الحنفي ومن تابعه لوجب ان يقال ان من طلق في اول الطهر لا يكون مطلقا لقبل الحيض لان الحيض لم يقبل بعد وايضا اقبال الحيض يكون بدخول الحيض وبانقضا الطهر لا يتحقق اقبال الحيض ولو كان اقبال الشي اذبارا ضده لكان الصايم مفطرا قبل انقضا النهار ثم اذا طلق في اخر الطهر فبقية الطهر قرء لان بعض القرء يسمى قرءا كقوله تعالى الحج اشهر معلومات يعني شوال وذو القعدة وبعض ذي الحجة وكقوله فمن تعجل في يومين وهو ينفر في بعض اليوم الثاني وقال البغوي معنى قوله لعدتهن اي لطهرهن الذي يحصينه من عدتهن وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن فطلقوهن في قبل عدتهن والاية نزلت في عبد الله بن عمر فصل من طلق في طهر جامع فيه او حايضا نفذ طلاقه واخطا السنة وقال سعيد بن المسيب في اخرين لا يقع الطلاق في الحيض لانه خلاف السنة واليه ذهبت الشيعة فصل قال عبد الله بن مسعود طلاق السنة ان يطلقها في كل طهر تطليقة فاذا كان اخر ذلك فتلك العدة التي امر الله بها قال القرطبي قال علماونا طلاق السنة ما جمع شروطا سبعة وهي ان يطلقها واحدة وهي ممن تحيض طاهرا لم يمسها في ذلك الطهر ولا تقدمه طلاق في حيض ولا تبعه طلاق في طهر يتلوه وخلا عن العوض وهذه الشروط السبعة من حديث ابن عمر وقال الشافعي طلاق السنة ان يطلقها في كل طهر خاصة ولو طلقها ثلاثا في كل طهر لم يكن بدعة قال ابن العربي وهذه غفلة عن الحديث الصحيح فانه قال مره فليراجعها وهذا يدفع الثلاث وفي الحديث انه قال ارايت لو طلقها ثلاثا قال حرمت عليك وبانت منك بمعصية وقال ابو حنيفة ظاهر الاية يدل على ان الطلاق الثلاث والواحدة سوا وهو مذهب الشافعي لولا قوله بعد ذلك لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهذا يبطل دخول الثلاث تحت الاية وبذلك قال اكثر العلما قال القرطبي واما مالك فلم يخف عليه اطلاق الاية ولكن الحديث فسرها واما قول الشعبي فمردود بحديث ابن عمر واحتج الشافعي بان عبد الرحمن بن عوف طلق امراته تماضر بنت الاصبغ الكلبية وهي ام ابي سلمة ثلاث تطليقات في كلمة واحدة ولم يبلغنا ان احدا من الصحابة عاب ذلك وان حفص بن المغيرة طلق امراته فاطمة بنت قيس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث تطليقات في كلمة واحدة

فأتاها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاب ذلك عليه وتحديث عويمر العجلاني لما لاعن قال يا رسول الله هي طالق ثلاثا فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم **فصل** روى أبو داود عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية أنها طلقت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن للمطلقة عدة فأنزل الله تعالى حين طلقت أسماء بالعدة للطلاق فكانت أول من أنزل فيها العدة للطلاق **قوله** وأحصوا العدة يعني في المأمور بها أي احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق قبل أمر بإحصاء العدة لتفريق الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى وفي المخاطب بالإحصاء أقوال أحدها أنهم الأزواج والثاني أنهم الزوجات والثالث أنهم المسلمون قال ابن العربي والصحيح أنهم الأزواج لأن الضمائر كلها من طلقتم وأحصوا ولا تخرجوهن على نظام واحد فرجع إلى الأزواج ولكن الزوجات داخلة فيه بالإلحاق لأن الزوج يحصي ليراجع وينفق أو يقطع وليسكن أو يخرج وليلحق نسبه أو يقطع وهذه كلها أمور مشتركة بينه وبين المرأة وتنفرد المرأة دونه بغير ذلك وكذلك الحاكم يفتقر إلى إحصاء العدة للفتوى عليها وفصل الخصومة عند المنازعة فيها وهذه فوائد الأمر بإحصاء العدة **قوله** واتقوا الله ربكم أي لا تعصوه ولا تخرجوهن من بيوتهن أي ليس للزوج أن يخرجها من مسكن النكاح ما دامت في العدة ولا يجوز لها الخروج أيضا لحق الزوج إلا لضرورة ظاهرة فإن خرجت أثمت ولا تنقطع العدة **فإن قيل** ما الحكمة في قوله تعالى واتقوا الله ربكم ولم يقتصر على قوله واتقوا الله **فالجواب** أن في هذا من المبالغة ما ليس في ذلك فإن لفظ الرب يفهم منه التربية وينبه على كثرة الإنعام بوجوه كثيرة فيبالغون في التقوى حينئذ خوفا من فوت تلك التربية **فصل** والرجعية والمبتوتة في هذا سواء وذلك لصيانة ماء الرجل وهذا معنى إضافة البيوت إليهن كقوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن وقوله تعالى وقرن في بيوتكن فهو إضافة إسكان لا إضافة تمليك وقوله لا تخرجوهن يقتضي أن يكون حقا على الأزواج وقوله ولا يخرجن يقتضي أنه حق على الزوجات فلا يجوز لها أن تخرج ما لم تنقض عدتها فإن خرجت لغير ضرورة أو حاجة أثمت فإن وقعت ضرورة أو خافت هدما أو غرقا فلها أن تخرج إلى منزل آخر وكذلك إن كانت لها حاجة من بيع غزل أو شراء قطن فيجوز لها الخروج نهارا ولا يجوز ليلا فإن رجالا استشهدوا بأحد فقالت نساؤهم نستوحش في بيوتنا فأذن لهن النبي صلى الله عليه وسلم أن يتحدثن عند إحداهن فإذا كان وقت الليل تأوي كل امرأة إلى بيتها وأذن النبي صلى الله عليه وسلم لخالة جابر لما طلقها زوجها أن تخرج لجداد نخلها وإذا لزمتها العدة في السفر تعتد ذاهبة وجائية والبدوية تتبوى حيث تتبوى أهلها في العدة لأن الانتقال في حقهم كالإقامة في حق المقيم وقال أبو حنيفة ذلك في المتوفى عنها زوجها وأما المطلقة فلا تخرج ليلا ولا نهارا وهذا مردود بحديث فاطمة بنت قيس لما أرسل إليها زوجها أبو حفص بن عمرو بتطليقة كانت بقيت من طلاقها وأرسل إليها وكيله بشعير فسخطته فقال لها الحارث بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والله ما لك من نفقة إلا أن تكوني حاملا فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له قولهما فقال لا نفقة لك وفي رواية ولا سكنى فاستأذنت في الانتقال فأذن لها أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم فلما انقضت عدتها أنكحها النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد فأرسل إليها مروان قبيصة بن ذويب يسألها عن الحديث فحدثته فقال مروان لم نسمع بهذا الحديث إلا من امرأة سنأخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها فقالت فاطمة حين بلغها قول مروان فبيني وبينكم القرآن قال الله عز وجل لا تخرجوهن من بيوتهن قال هذا لمن كانت له رجعة لقوله لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا فأي أمر يحدث بعد الثلاث فكيف تقولون لا نفقة لها إذا لم تكن حاملا فعلام تحبسونها لفظ مسلم فبين أن الآية في تحريم الإخراج والخروج إنما هو في الرجعية فاستدلت فاطمة بأن الآية إنما تضمنت النهي عن خروج المطلقة الرجعية لأنها بصدد أن تحدث لمطلقها رأي في ارتجاعها ما دامت في عدتها فكانت تحت تصرف الزوج في كل وقت وأما البائن فليس له شيء من ذلك فيجوز أن تخرج إذا دعتها إلى ذلك حاجة **قوله** إلا أن يأتين بفاحشة قال ابن عباس وابن عمر والحسن والشعبي ومجاهد هو الزنا فتخرج ويقام عليها الحد وعن ابن عباس أيضا أنه البذاء على أحمائها فيحل لهم إخراجها وعن سعيد بن المسيب أنه قال في فاطمة تلك امرأة استطالت على أحمائها بلسانها فأمرها عليه السلام أن تنتقل وفي كتاب أبي داود قال سعيد تلك امرأة فتنت الناس إنها كانت لسنة فوضعت على يدي ابن أم مكتوم الأعمى قال عكرمة في مصحف أبي إلا أن يفحش عليكم ويقوي هذا أن محمد بن إبراهيم بن الحارث روى أن عائشة قالت لفاطمة بنت قيس اتقي الله فإنك تعلمين لم أخرجت وعن ابن عباس أيضا أن الفاحشة كل معصية كالزنا والسرقة والبذاء على الأهل وهو اختيار الطبري وعن ابن عمر أيضا والسدي الفاحشة خروجها من بيتها في العدة وتقدير الآية إلا أن يأتين بفاحشة مبينة بخروجهن من بيوتهن بغير حق أي لو خرجت كانت عاصية وقال قتادة الفاحشة النشوز وذلك أن يطلقها على النشوز فتتحول عن بيته قال ابن العربي أما من قال إنه الخروج للزنا فلا وجه له لأن ذلك الخروج هو خروج القتل والإعدام وليس ذلك بمستثنى في حلال ولا حرام وأما من قال إنه البذاء فهو مفسر في حديث فاطمة بنت قيس وأما من قال إنه كل معصية فوهم لأن الغيبة ونحوها من المعاصي لا تبيح الإخراج ولا الخروج وأما من قال إنه الخروج بغير حق فهو صحيح وتقدير الكلام لا

لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن شرعا إلا أن يخرجن تعديا **قوله** مبينة بكسر الياء ومعناه أن الفاحشة إذا تفكرت فيها تبين أنها فاحشة وقرئ بفتح الياء المشددة والمعنى أنها مبرهنة بالبراهين ومبينة بالحجج **قوله** وتلك حدود الله أي هذه الأحكام المبينة أحكام الله على العباد وقد منع التجاوز عنها فمن تجاوزها فقد ظلم نفسه وأوردها مورد الهلاك **قوله** لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا الأمر الذي يحدث الله أن يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه فيراجعها وقال جميع المفسرين أراد بالأمر هنا الرغبة في الرجعة ومعنى الكلام التحريض على طلاق الواحدة والنهي عن الثلاث فإنه إذا طلق ثلاثا أضر بنفسه عند الندم على الفراق والرغبة في الارتجاع فلا يجد للرجعة سبيلا وقال مقاتل معنى قوله بعد ذلك أي بعد طلقة أو طلقتين أمرا أي المراجعة من غير خلاف **قوله** لعل الله هذه الجملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها لأن النحاة لم يعدوها في المعلقات وقد جعلها أبو حيان مما ينبغي أن يعد فيهن وقرر ذلك في قوله وإن أدري لعله فتنة لكم فهنا أن يطلب تحريره **قوله** فإذا بلغن أجلهن قرأ العامة أجلهن لأن الأجل من حيث هو واحد وإن اختلفت أنواعه بالنسبة إلى المعتدات والضحاك وابن سيرين آجالهن جمع تكسير اعتبارا بأن أجل هذه غير أجل تلك **فصل** معنى قوله فإذا بلغن أجلهن أي قاربن انقضاء العدة كقوله تعالى إذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن أي قربن من انقضاء الأجل فأمسكوهن بمعروف يعني المراجعة بالمعروف أي بالرغبة من غير قصد المضارة في الرجعة تطويلا لعدتها كما تقدم في البقرة أو فارقوهن بمعروف أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن أنفسهن وفي قوله فإذا بلغن أجلهن ما يوجب أن يكون القول قول المرأة في انقضاء عدتها إذا ادعت ذلك على ما تقدم في البقرة عند قوله تعالى ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن الآية **فصل** قال بعض العلماء في قوله تعالى فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وقوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان أن الزوج له حق في بدن المرأة ولها حق في بدنه وذمته وكل من له دين في ذمة غيره سواء كان مالا أو منفعة من ثمن أو مثمن أو أجرة أو منفعة أو صداق أو نفقة أو بدل متلف أو ضمان مغصوب فعليه أن يؤدي ذلك الحق الواجب بإحسان وعلى صاحب الحق أن يتبع بإحسان كما قال تعالى في آية القصاص فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان وكذلك الحق الثابت في بدنه مثل حق الاستمتاع والإجارة على عينه ويكون ذلك الطالب يطلب بمعروف والمطلوب يؤدي بإحسان **قوله** وأشهدوا ذوي عدل منكم أمر بالإشهاد على الطلاق وقيل على الرجعة قال القرطبي والظاهر رجوعه إلى الرجعة لا إلى الطلاق فإن راجع من غير إشهاد ففي صحة الرجعة قولان وقيل المعنى وأشهدوا عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الإشهاد مندوب إليه عند أبي حنيفة كقوله تعالى وأشهدوا إذا تبايعتم وعند الشافعي واجب في الرجعة مندوب إليه في الفرقة وفائدة الإشهاد أن لا يقع بينهما التجاحد وأن لا يتهم في إمساكها ولئلا يموت أحدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث **فصل** الإشهاد على الرجعة ندب عند الجمهور وإذا جامع أو قبل أو باشر يريد بذلك الرجعة فليس بمراجع وقال أبو حنيفة وأصحابه إذا قبل أو باشر أو لمس لشهوة فهو رجعة وكذلك النظر إلى الفرج رجعة وقال الشافعي وأبو ثور إذا تكلم بالرجعة فهو رجعة وقيل وطئه مراجعة على كل حال نواها أو لم ينوها وهو مذهب أحمد وإليه ذهب الليث وبعض المالكية قال القرطبي وكان مالك يقول إذا وطئ ولم ينو الرجعة فهو وطء فاسد ولا يعود إلى وطئها حتى يستبرئها من مائه الفاسد وله الرجعة في بقية العدة الأولى وليس له رجعة في هذا الاستبراء **فصل** أوجب الرجعة الإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه والشافعي كذلك لظاهر الأمر وقال مالك وأبو حنيفة وأحمد والشافعي في القول الآخر إن الرجعة لا تفتقر إلى القبول فلم تفتقر إلى الإشهاد كسائر الحقوق وخصوصا حل الظهار بالكفارة **فصل** إذا ادعى بعد انقضاء العدة أنه راجع امرأته في العدة فإن صدقته جاز وإن أنكرت حلفت فإن أقام بينة أنه ارتجعها في العدة ولم تعلم بذلك لم يضره جهلها وكانت زوجته وإن كانت قد تزوجت ولم يدخل بها ثم أقام الأول البينة على رجعتها فعن مالك في ذلك روايتان إحداهما أن الأول أحق بها والأخرى أن الثاني أحق بها فإن كان الثاني قد دخل بها فلا سبيل للأول إليها **قوله** ذوي عدل منكم قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من أحراركم وذلك يوجب اختصاص الشهادة على الرجعة بالذكور دون الإناث لأن ذوي للمذكر قال القرطبي ولذلك قال علماؤنا لا مدخل للنساء فيما عدا الأموال وتقدم ذلك في البقرة **قوله** وأقيموا الشهادة لله أي تقربا إلى الله في إقامة الشهادة على وجهها إذا مست الحاجة إليها من غير تبديل ولا تغيير ذلكم يوعظ به أي يرضى به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فأما غير المؤمن فلا ينتفع بهذه المواعظ **قوله** ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال الزمخشري قوله ومن يتق الله جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من أمر الطلاق على السنة كما مر روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عمن طلق ثلاثا أو ألفا هل له من مخرج فتلاها وقال ابن عباس والشعبي والضحاك هذا في الطلاق خاصة أي من طلق كما أمره الله يكن له مخرج في الرجعة في العدة وأن يكون كأحد الخطاب بعد العدة وعن ابن عباس أيضا يجعل له مخرجا ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة وقيل المخرج هو أن يقنعه الله بما رزقه قاله علي بن صالح وقال الكلبي ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجا من النار إلى الجنة وقال الحسن مخرجا مما نهى الله عنه وقال أبو العالية مخرجا من كل شدة وقال الربيع بن خثيم مخرجا من كل شيء ضاق على الناس وقال

الاشهاد

الحسن بن الفضل ومن يتق الله في اداء الفرائض يجعل له مخرجا من العقوبة ويرزقه الثواب من حيث لا يحتسب اي يبارك
له فيما اتاه وقال سهل بن عبد الله ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة اهل البدع ويرزقه الجنة
من حيث لا يحتسب وقال ابو سعيد الخدري ومن يتبرا من حوله وقوته بالرجوع الى الله يجعل له مخرجا مما كلفه الله
بالمعونة له وتاول ابن مسعود ومسروق الاية على العموم وقال ابو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اية لو اخذ
الناس بها لكفتهم وتلا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فما زال يكررها ويعيدها وقال ابن
عباس قرا النبي صلى الله عليه وسلم ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال مخرجا من شبهات
الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال اكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون
ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو اليه الفاقة وقال ان العدو اسر ابني وجزعت الام فما تامرني
فقال عليه السلام اتق الله واصبر وامرك واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله فعاد الى بيته وقال
لامراته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني واياك ان نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقالت
نعم ما امرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى ابيه وهي اربعة الاف شاة فنزلت الاية
وجعل النبي صلى الله عليه وسلم تلك الاغنام له وروي انه قد جاء اصاب ابلا من العدو وكان فقيرا فقال الكلبي انه اصاب
خمسين بعيرا وفي رواية فافلت ابنه من الاسر وركب ناقة للقوم ومر في طريقه بسرح لهم فاستاقه وقال مقاتل
اصاب غنما ومتاعا فسال ابوه النبي صلى الله عليه وسلم ايحل لي ان اكل مما اتى به ابني قال نعم ونزلت ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وروى الحسن عن عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال الزجاج اي
اذا اتقى واثر الحلال والتصبر على اهله فتح الله عليه ان كان ذا ضيقة ورزقه من حيث لا يحتسب وعن ابن عباس ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب
قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي من فوض اليه امره كفاه ما اهمه وقيل اي من اتقى الله وجانب المعاصي وتوكل عليه
فله فيما يعطيه في الاخرة من ثوابه كفاية ولم يرد الدنيا لان المتوكل قد يصاب في الدنيا وقد يقتل وقال عليه السلام
لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا قوله ان الله بالغ امره قرا حفص
بالغ من غير تنوين امره مضاف اليه على التخفيف والباقون بالتنوين والنصب وهو الاصل خلافا لابي حيان وقرا
ابن ابي عبلة وداود بن ابي هند وابو عمرو في رواية بالغ امره بتنوين بالغ ورفع امره وفيه وجهان احدهما ان
يكون بالغ خبرا مقدما وامره مبتدا مؤخرا والجملة خبر ان والثاني ان يكون بالغ خبر ان وامره فاعل به قال
الفراء اي امره بالغ وقيل امره مرتفع ببالغ والمفعول محذوف والتقدير بالغ امره ما اراد وقرا المفضل بالغا
بالنصب امره بالرفع وفيه وجهان اظهرهما وهو تخريج الزمخشري ان يكون بالغا نصبا على الحال وقد جعل الله هو خبر
ان تقديره ان الله قد جعل لكل شيء قدرا بالغا امره والثاني انه يكون على لغة من ينصب الاسم والخبر بها كقوله
ان حراسنا اسدا ويكون قد جعل مستانفا كما في القراءة الشهيرة ومن رفع امره فمفعول بالغ محذوف تقديره
ما شاء كما تقدم عن القرطبي فصل قال مسروق يعني قاض امره فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه الا ان من توكل
عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا قوله قد جعل الله لكل شيء قدرا قيل ان من قوله تعالى فاذا بلغن اجلهن الى قوله
مخرجا اية ومنه الى قوله تعالى قدرا اية اخرى وعند الكوفي والمدني المجموع اية واحدة وقرا جناح بن حبيش قدرا
بفتح الدال والمعنى لكل شيء من الشدة والرخاء اجلا ينتهي اليه وقيل تقديرا وقال السدي هو قدر الحيض في الاجل
والعدة وقال عبد الله بن رافع لما نزل قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فنحن اذا توكلنا عليه نرسل ما كان لنا ولا نحفظه فنزلت ان الله بالغ امره فيكم وعليكم وقال الربيع بن خثيم ان الله
قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن امن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن وثق به نجاه ومن دعاه اجاب
له وتصديق ذلك في كتاب الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان تقرضوا الله قرضا حسنا
يضاعفه لكم ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع
اذا دعان قوله تعالى واللائي يئسن تقدم الخلاف فيه وابو عمرو يقرا هنا واللاي يئسن بالاظهار وقاعدته
في مثله الادغام الا ان الياء لما كانت عنده عارضة لكونها بدلا من همزة فكانه لم يجتمع مثلان وايضا فان سكونها
عارض فكان ياء اللاي متحركة والحرف ما دام متحركا لا يدغم في غيره وقرا يئسن فعلا ماضيا وقرئ ييئسن مضارعا ومن المحيض
من نسائكم من الاولى لابتداء الغاية وهي متعلقة بالفعل قبلها والثانية للبيان متعلقة بمحذوف واللائي مبتدا
وفعدتهن مبتدا ثان وثلاثة اشهر خبره والجملة خبر الاول والشرط معترض وجوابه محذوف ويجوز ان يكون ان
ارتبتم جوابه فعدتهن ثلاثة اشهر والجملة الشرطية خبر المبتدا ومتعلق الارتياب محذوف فقيل تقديره ان ارتبتم

في انها يئست ام لا لامكان ظهور حمل وان كان انقطع دمها وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ الياس اهو دم حيض
او استحاضة واذا كان هذا عدة المرتاب فيها فغير المرتاب فيها اولى واغرب ما قيل ان ارتبتم بمعنى تيقنتم فهو من
الاضداد قوله واللائي لم يحضن مبتدا خبره محذوف فقدروه جملة كالاولى اي فعدتهن ثلاثة اشهر ايضا والاولى
ان يقدر مفردا اي فكذلك او مثلهن ولو قيل بانه معطوف على اللائي يئسن عطف المفردات واخبر عن الجميع بقوله
فعدتهن لكان وجها حسنا واكثر ما فيه توسط الخبر بين المبتدا وما عطف عليه وهذا ظاهر قول ابي حيان واللائي لم
يحضن معطوف على قوله واللائي يئسن فاعرابه مبتدا كاعراب واللائي قوله واولات الاحمال مبتدا واجلهن مبتدا
ثان وان يضعن خبر المبتدا الثاني وهو وخبره خبر الاول والعامة على افراد حملهن والضحاك احمالهن فصل
لما بين امر الطلاق والرجعة في التي تحيض وكانوا قد عرفوا عدة ذوات الاقراء عرفهم في هذه السورة عدة التي لا ترى
الدم قال ابو عثمان عمر بن سليمان لما نزلت عدة النساء في سورة البقرة في المطلقة والمتوفى عنها زوجها قال
ابي بن كعب يا رسول الله ان ناسا يقولون قد بقي من النساء من لم يذكر فيهن شيء الصغار والكبار وذوات الحمل فنزلت
واللائي يئسن الاية وقال مقاتل لما ذكر قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن
النعمان يا رسول الله فما عدة التي لم تحض وعدة التي انقطع حيضها وعدة الحبلى فنزلت واللائي يئسن من المحيض من
نسائكم يعني قعدن عن الحيض وقيل ان معاذ بن جبل سال عن عدة الكبيرة التي يئست فنزلت الاية وقال مجاهد الاية
واردة في المستحاضة لا تدري دم حيض او دم علة فصل قال المفسرون واللائي يئسن من المحيض من نسائكم فلا
يرجون ان يحضن ان ارتبتم اي شككتم وقيل تيقنتم وهو من الاضداد يكون شكا ويقينا كالظن واختيار الطبري
ان يكون المعنى ان شككتم فلم تدروا ما الحكم فيهن وقال الزجاج ان ارتبتم في حيضها وقد انقطع عنها الحيض وكانت
ممن يحيض مثلها قال القشيري وفي هذا نظر لانا اذا شككنا هل بلغت سن الاياس لم نقل عدتها ثلاثة اشهر والمعتبر في سن
الياس في قول اقصى عادة امراة في العالم وقيل غالب نساء عشيرة المراة وقال مجاهد قوله ان ارتبتم للمخاطبين يعني لم تعلموا
عدة الايسة والتي لم تحض فالعدة هذه وقيل ان ارتبتم ان الدم الذي يظهر منها من اجل كبر او من الحيض المعهود او من
الاستحاضة فالعدة ثلاثة اشهر وقال عكرمة وقتادة من الريبة المراة المستحاضة التي لا يستقيم لها الحيض تحيض في اول
الشهر مرارا وفي الاشهر مرة وقيل انه متصل باول السورة والمعنى لا تخرجوهن من بيوتهن ان ارتبتم في انقضاء العدة
قال القرطبي وهو اصح ما قيل فيه فصل المرتابة في عدتها لم تنكح حتى تستبرئ نفسها من ريبتها ولا تخرج من العدة الا
بارتفاع الريبة وقد قيل في المرتابة التي ارتفع حيضها لا تدري ما رفعه انها تنتظر سنة من يوم طلقها زوجها منها تسعة
اشهر استبراء وثلاثة عدة قال طلقها فحاضت حيضة او حيضتين ثم ارتفع حيضها لغير ياس منها انتظرت تسعة اشهر ثم
ثلاثة من يوم طهرت من حيضها ثم حلت للازواج وهذا قول الشافعي بالعراق فعلى قياس هذا القول تقيم الحرة المتوفى
عنها زوجها المستبراة بعد التسعة اشهر اربعة اشهر وعشرا والامة شهرين وخمس ليال بعد التسعة الاشهر وروي
عن الشافعي ايضا ان اقراءها على ما كانت حتى تبلغ سن الايسات وهو قول النخعي والثوري وغيرهما وحكاه ابو عبيد عن اهل العراق
فصل اذا ارتابت المراة الشابة هل هي حامل ام لا فان استبان حملها فاجلها وضعه وان لم يستبن فقال مالك عدة
التي ارتفع حيضها وهي شابة سنة وبه قال احمد واسحق ورووه عن عمر بن الخطاب وغيره واهل العراق يرون ان عدتها
ثلاث حيض بعد ما كانت حاضت مرة واحدة في عمرها وان مكثت عشرين سنة الى ان تبلغ من الكبر سنا تياس فيه من
الحيض فيكون عدتها بعد الاياس ثلاثة اشهر قال الثعلبي وهذا الاصح من مذهب الشافعي وعليه جمهور العلماء وروي ذلك
عن ابن مسعود واصحابه قال الكيا وهو الحق لان الله تعالى جعل عدة الايسة ثلاثة اشهر والمرتابة ليست ايسة فصل
فاما من تاخر حيضها لمرض فقال مالك وبعض اصحابه تعتد تسعة اشهر ثم ثلاثة وقال اشهب هي كالمرضع بعد الفطام بالحيض
او بالسنة وقد طلق حبان بن منقذ امراته وهي ترضع فمكثت سنة لا تحيض لاجل الرضاع ثم مرض حبان فخاف ان
ترثه فخاصمها الى عثمان وعنده علي وزيد فقالا نرى ان ترثه لانها ليست من القواعد ولا من الصغار فمات حبان
فورثته واعتدت عدة الوفاة فصل لو تاخر الحيض لغير مرض ولا رضاع فانها تنتظر سنة لا حيض فيها للتسعة
اشهر ثم ثلاثة كما تقدم فتحل ما لم ترتب بحمل فان ارتابت بحمل اقامت اربعة اعوام او خمسة او سبعة على الاختلاف قال
القرطبي واشهر الاقوال خمسة اعوام فان تجاوزتها حلت وقال اشهب لا تحل ابدا حتى ينقطع عنها الريبة قال ابن
العربي وهو الصحيح لانه اذا جاز ان يبقى الولد في بطنها خمسة اعوام جاز ان يبقى عشرة واكثر من ذلك وروي مثله عن
مالك فصل واما التي جهل حيضها بالاستحاضة ففيها ثلاثة اقوال قال ابن المسيب تعتد سنة وهو قول الليث قال الليث
عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها اذا كانت مستحاضة سنة قال القرطبي وهو مشهور قول علمائنا سواء علمت دم
حيضها من دم استحاضتها وميزت ذلك او لم تميزه عدتها في مذهب مالك سنة منها تسعة اشهر استبراء وثلاثة
عدة وقال الشافعي في احد اقواله عدتها ثلاثة اشهر وهو قول جماعة من التابعين والمتاخرين قال ابن العربي

وهو الصحيح عندي وقال ابو عمر المستحاضة اذا علمت اقبال حيضتها وادبارها اعتدت بثلاثة قروء قال القرطبي وهذا
اصح في النظر واثبت في القياس والاثر قوله واللائي لم يحضن يعني الصغيرة فعدتهن ثلاثة اشهر فاضمر الخبر وانما
كانت عدتها بالاشهر لعدم الاقراء فيها عادة والاحكام انما اجراها الله تعالى على العادات فتعتد بالاشهر قال
زمان الدم في زمن احتماله عند النسا انتقلت الى الدم لوجود الاصل واذا وجد الاصل لم يبق للبدل حكم كما ان المسنة
اذا اعتدت بالدم ثم ارتفع عادت الى الاشهر وهذا اجماع فصل واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وان كان
ظاهرا في المطلقة لانه عليها عطف واليها رجع عقب الكلام فانه في المتوفى عنها زوجها كذلك لعموم الاية وحديث
سبيعة كما مضى في سورة البقرة فاذا وضعت المراة ما في بطنها من علقة او مضغة حلت عند مالك وقال الشافعي
واحمد وابو حنيفة لا تحل الا بوضع ما يتبين فيه شيء من خلق الانسان فان كانت حاملا بتوأمين لم تنقض عدتها
حتى تضع الثاني منهما قوله ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا اي من يتقه في طلاق السنة يجعل له من امره يسرا
في الرجعة وقال مقاتل ومن يتق الله في اجتناب معاصيه يجعل له من امره يسرا اي توفيقه للطاعة ذلك امر
الله اي الذي ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم وبينه لكم ومن يتق الله اي يعمل بطاعته يكفر عنه سيئاته ويعظم
له اجرا في الاخرة قوله ويعظم له هذه قراءة العامة مضارع اعظم وابن مقسم يعظم بالتشديد مضارع عظم مشددا
والاعمش نعظم بالنون مضارع اعظم وهو التفات من غيبة الى تكلم قوله اسكنوهن قال ابن الخطيب اسكنوهن وما
بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن قوله
من حيث سكنتم فيه وجهان احدهما ان من للتبعيض قال الزمخشري مبعضها محذوف معناه اسكنوهن مكانا من حيث
سكنتم اي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من ابصارهم اي بعض ابصارهم قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد
اسكنها في بعض جوانبه قال ابن الخطيب وقال الكسائي من صلة والمعنى اسكنوهن حيث سكنتم والثاني انها لابتداء
الغاية قاله الحوفي وابو البقاء قال ابو البقاء والمعنى تسببوا الى اسكانهن من الوجه الذي تسكنون انفسكم ودل عليه
قوله من وجدكم والوجد الغنى قوله من وجدكم فيه وجهان اظهرهما انه بدل من قوله من حيث بتكرار العامل واليه
ذهب ابو البقاء كانه قيل اسكنوهن من سعتكم والثاني انه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم واليه ذهب
الزمخشري فانه قال بعد ان اعرب من حيث بتبعيضية قال فان قلت فقوله من وجدكم ما قلت هو عطف بيان
لقوله من حيث سكنتم ومفسر له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة
وناقشه ابو حيان بانه لم يعهد في عطف البيان اعادة العامل انما عهد هذا في البدل ولذلك اعربه ابو البقاء بدلا
وقرا العامة وجدكم بضم الواو والحسن والاعرج وابو حيوة بفتحها والفياض بن غزوان وعمرو بن ميمون ويعقوب
بكسرها وهي لغات بمعنى واحد ويقال وجدت المال اجد وجدا وجدة والوجد الغنى والقدرة والوجد بفتح الواو
الحزن ايضا والحب والغضب فصل قال القرطبي روى اشهب عن مالك تخرج عنها اذا طلقها وتتركها في المنزل
لقوله تعالى اسكنوهن فلو كان معها ما قال اسكنوهن وقال ابن نافع قال مالك في قوله تعالى اسكنوهن من حيث
سكنتم يعني المطلقات اللاتي بن من ازواجهن فلا رجعة لهم عليهن وليست حاملا فلها السكنى ولا نفقة لها ولا كسوة
لانها بائن منه ولا يتوارثان ولا رجعة له عليها وان كانت حاملا فلها الكسوة والنفقة والمسكن حتى تنقضي عدتها قال
البغوي ونعني بالكسوة مؤونة السكن فان كانت الدار التي طلقها فيها ملكا للزوج وجب على الزوج ان يخرج ويترك الدار
لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير فعليه ان يكتري لها دارا
تسكنها فاما من لم تبن منه فانها امراته يتوارثان ولا تخرج الا باذن زوجها ما دامت في العدة ولم يؤمر بوجها
بالسكنى لها لان ذلك لازم للزوج مع النفقة والكسوة حاملا كانت او غير حامل وانما امر الله بالسكنى للبائن قال
تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فجعل عز وجل للحوامل البائنات من ازواجهن السكنى والنفقة
قال ابن العربي ان الله تعالى لما ذكر السكنى اطلقه لكل مطلقة فلما ذكر النفقة قيدها بالحمل فدل على ان المطلقة البائن
لا نفقة لها قال القرطبي اختلف العلماء في المطلقة ثلاثا على ثلاثة اقوال فمذهب مالك والشافعي ان لها السكنى ولا نفقة
لها ومذهب ابي حنيفة واصحابه ان لها السكنى والنفقة ومذهب احمد واسحق وابي ثور لا نفقة لها ولا سكنى لحديث
فاطمة بنت قيس قالت دخلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي اخو زوجي فقلت ان زوجي طلقني وان هذا يزعم ان
ليس لي سكنى ولا نفقة قال بل لك السكنى والنفقة قال ان زوجها طلقها ثلاثا فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما السكنى
والنفقة على من له عليها رجعة فلما قدمت الكوفة طلبني الاسود بن يزيد ليسالني عن ذلك وان اصحاب عبد الله يقولون
ان لها السكنى والنفقة وعن الشعبي قال لقيني الاسود بن يزيد فقال يا شعبي اتق الله وارجع عن حديث فاطمة بنت
قيس فان عمر كان يجعل لها السكنى والنفقة قلت لا ارجع عن شيء حدثتني فاطمة بنت قيس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولانه لو كان لها السكنى لما امر النبي صلى الله عليه وسلم ان تعتد في بيت ابن ام مكتوم واجيب عن ذلك

ذلك بما روته عائشة انها قالت كانت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول
لسانها على احمائها وقال قتادة وابن ابي ليلى لا سكنى الا للرجعية لقوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وقوله
تعالى اسكنوهن راجع الى ما قبله وهي المطلقة الرجعية فصل قال البغوي واما المعتدة من وطء الشبهة والمفسوخ
نكاحها بعيب او خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا والمعتدة من وفاة زوج لا نفقة لها حاملا كانت او حائلا
عند اكثر العلماء وروي عن علي ان لها النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي
والثوري واختلفوا في سكناها فللشافعي فيه قولان احدهما لا سكنى لها بل تعتد حيث شاءت وهو قول علي وابن عباس وعائشة
وبه قال عطاء والحسن وهو مذهب ابي حنيفة والثاني لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد
الله بن عمر وبه قال مالك وسفيان الثوري واحمد واسحاق لما روي كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب ان الفريعة
بنت مالك ابن سنان وهي اخت ابي سعيد الخدري اخبرتها انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تساله ان
ترجع الى اهلها في بني خدرة فان زوجها خرج في طلب اعبد له ابقوا حتى اذا كانوا بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلي فان زوجي لم يتركني في منزل يملكه ولا نفقة فقالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نعم فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة او في المسجد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم او امر بي
فدعيت له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قالت فرددت عليه القصة التي ذكرت من شان زوجي
فقال امكثي حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت فيه اربعة اشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان ارسل الي فسالني
عن ذلك فاخبرته فاتبعه وقضى به فمن قال بهذا القول قال اذنه لفريعة اولا بالرجوع الى اهلها صار منسوخا بقوله
امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله ومن لم يوجب السكنى قال امرها بالمكث اخرا استحبابا لا وجوبا قوله ولا تضاروهن
لتضيقوا عليهن قال مجاهد في المسكن وقال مقاتل في النفقة وهو قول ابي حنيفة وعن ابي الضحى هو ان يطلقها فاذا
بقي يومان من عدتها راجعها ثم طلقها قوله وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن هذا في وجوب النفقة
والسكنى للحامل المطلقة ثلاثا او اقل حتى تضع حملها فاما الحامل المتوفى عنها زوجها فقال علي وابن عمر وابن مسعود وشريح والنخعي
والشعبي وحماد وابن ابي ليلى وسفيان واصحابه ينفق عليها من جميع المال حتى تضع وقال ابن عباس وابن الزبير وجابر بن
عبد الله ومالك والشافعي وابو حنيفة واصحابهم لا ينفق عليها الا من نصيبها وقد مضى في البقرة قوله فان ارضعن لكم يعني
المطلقات اولادكم منهن فعلى الاباء ان يعطوهن اجرة رضاعهن وللرجل ان يستاجر امراته للرضاع كما يستاجر اجنبية
ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه الاستيجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي وتقدم القول في الرضاع
في البقرة قوله وائتمروا افتعلوا من الامر يقال ائتمر القوم وتامروا اي امر بعضهم بعضا وقال الكسائي ائتمروا
تشاوروا وتلا قوله تعالى ان الملأ يأتمرون وانشد قول امرء القيس ويعدو على المرء ما يأتمر فصل
الخطاب في قوله وائتمروا للازواج والزوجات اي وليقبل بعضكم من بعض ما امره به من المعروف الجميل والجميل منه
توفير الاجرة عليها للارضاع وقيل ائتمروا في رضاع الولد فيما بينكم بمعروف حتى لا يلحق الولد اضرار وقيل هو الكسوة
والدثار وقيل معناه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده قوله فسترضع قيل هو خبر في معنى الامر
والضمير في له للاب لقوله فان ارضعن لكم والمفعول محذوف للعلم به اي فسترضع الولد لوالده امراة اخرى
والظاهر انه خبر على بابه فصل وان تعاسرتم اي في اجرة الرضاع فابى الزوج ان يعطي الام اجرة رضاعها وابت الام ان
ترضعه فليس له اكراهها وليستاجر مرضعة غير امه وقيل معناه وان تضايقتم وتشاكستم فليسترضع لولده غيرها وقال
الضحاك ان ابت الام ان ترضع استاجر لولده اخرى فان لم يقبل اجبرت امه على الرضاع بالاجرة واختلفوا فيمن يجب
عليه رضاع الولد فقال مالك رضاع الولد على الزوجة ما دامت الزوجية الا لشرفها وموضعها فعلى الاب رضاعه
يومئذ في ماله وقال ابو حنيفة لا يجب على الام بحال وقيل يجب عليها بكل حال فصل فان طلقها فلا يجب عليها رضاعه
الا ان لا يقبل ثدي غيرها فيلزمها حينئذ الارضاع فان اختلفا في الاجرة فان دعت الى اجرة المثل وامتنع الاب الا
تبرعا فالام اولى باجر المثل اذا لم يجد الاب متبرعة وان دعى الاب الى اجر المثل وامتنعت الام لتطلب شططا فالاب
اولى به فان اعسر الاب باجرتها اجبرت على رضاع ولدها قوله لينفق هذه قراءة العامة اعني كسر اللام وجزم
المضارع بها وحكى ابو معاذ القاري لينفق بنصب الفعل على انها لام كي نصب الفعل بعدها باضمار ان ويتعلق
الحرف حينئذ بمحذوف اي شرعنا ذلك لينفق وقرا العامة قدر مخففا وابن ابي عبلة قدر مشددا فصل
قال القرطبي هذه الاية اصل في وجوب النفقة للولد على الوالد دون الام خلافا لمحمد بن المواز يقول انها على الابوين
على قدر الميراث قال ابن العربي [illegible] انها على الام عند عدم الاب وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم
تقول لك المراة انفق علي والا طلقني ويقول لك العبد انفق علي واستعملني ويقول لك ابنك انفق علي الى من تكلني
فقد تعارض القران والسنة وتواردا في مشرعة واحدة قوله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها اي من المال والغنى

لا يكلف الله الفقير مثل ما يكلف الغني سيجعل الله بعد عسر يسرا اى بعد الضيق غنى وبعد الشدة سعة **فصل** قال ابن تيمية
اذا اختلف الزوجان في قبض النفقة والكسوة فقال القاضي ابو يعلى واتباعه ان القول قول الزوجة وهو مذهب
ابي حنيفة والشافعي كما لو اختلفا في قبض سائر الحقوق مثل الصداق وثمن المبيع ونحو ذلك ومذهب مالك
بخلاف ذلك وقال الغزالي فيها وجهان وحسنوا قول الزوج قال ابن تيمية وكذلك يجيء لاصحاب احمد وجهان كما لو كان
الصداق منفعة حصلتها لها وقالت حصلته من غيرك وقال بل حصلته مني مثل ان يصدقها تعليم قصيدة او غيرها
مما يجوز جعله صداقا فانها اذا تعلمت من غيره كان عليه الاجرة قال فان قال انا علمتها وقالت بل غيره ففيها وجهان
فكذا في النفقة فانها لا بد ان تكون قد ارتزقت في الزمن الماضي وهو يقول انا رزقتها وهي تقول بل غيره والصواب
المقطوع به انه لا يقبل قولها في ذلك مطلقا فان هذا فيه فساد عظيم على هذا القول في مذهب الشافعي وقول احمد
الموافق له ولا يجيء ذلك على مذهب مالك ولا على مذهب ابي حنيفة وقول احمد الموافق له فانا اذا قلنا نفقة الزوجة
تسقط بمضي الزمان لم يقبل دعواها بالنفقة الماضية وانما يجيء على قولنا ان نفقة الزوجة لا تسقط بمضي الزمان كما
هو المشهور من مذهب احمد وهو قول الشافعي والعمدة في ذلك الاثر المعروف عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى امراء الاجناد
في رجال غابوا عن نسائهم فامرهم ان ينفقوا او يطلقوا فان طلقوا بعثوا بنفقة ما مضى ولكن قبول قول الزوجة في ذلك
ما تورا عن احمد ولا ملائما لاصوله فانه في تداعي الزوجين وغيرهما يرجح من تشهد له اليد الحكمية العرفية دون اليد
الحسية ومعلوم ان المدعى عليه يترجح تارة باليد في الاعيان وببراءة الذمة في الحقوق فكما ان في اليد لم يلتفت الى مجرد
الحس بل يرجع الى اليد الحكمية التي يستدل عليها بالافعال والتصرفات فكذلك في الاصل لا يلتفت الى مجرد العدم الحسي بل
يرجع الى الاصل الذي يدل عليه الافعال والتصرفات والامور العادية كما يستدل عليه بمجرد اليد الحسية فاذا كانت العادة
الغالبة والعرف المعروف يقتضي وجود فعل لم يكن الظاهر عدمه حتى يرجح قول من يدعي عدمه وهذا يبنى على اصول
احدها انه قد وجد نفقة وكسوة وانما تنازعا في المنفق فقال هو مني وقالت بل من غيرك فهنا الاصل عدم غيره
ثم انها تطالب بتعيين ذلك الغير فان ادعت ممتنعا لم يقبل بحال وان ادعت ممكنا فهنا محل التردد فان النفقة
واجب والامر الحادث يضاف الى السبب القوي دون الضعيف والاصل الثاني ان العادة والعرف اذا اقتضى بوجود
امر فهل القول قول نافيه او قول مثبته والاصل الثالث ان ما تتعذر اقامة البينة عليه لا يكلف اقامة البينة عليه
كالوطء ومن المعلوم ان المعاشرة بالمعروف التي امر الله بها ورسوله ليس فيها شهادة على المراة بذلك لان ذلك ليس من
المعروف وهذا لم يفعله احد على عهد سلف الامة ولا يفعله جماهير بني آدم وفعله اما متعذر واما متعسر فانه ان
اطعمها مما يأكل فليس عنده من يشهد على اطعامها وان ناولها طعاما كل يوم فمن المتعسر شهود في كل وقت وقد يكونا ساكنين
حيث لا شهود وهذا ظاهر بين الاصل الرابع ان المراة مفرطة بترك اخذ نفقتها منه بالمعروف ومطالبته بها اذا كان
لا ينفق بخلاف ما اذا كان غائبا وهي الصورة التي روي عن عمر انه امر فيها بنفقة الماضي بل قد يقال ان ذلك رضى منها
بترك النفقة وليس هذا قولا بسقوط النفقة في الماضي بل بيان هذا دليل من جهة العرف على انها اما ان يكون قد انفق عليها
او تكون راضية بترك النفقة وههنا اصل خامس وهو ان العادة المعروفة تدل على ان المراة اذا سكتت مدة طويلة عن
المطالبة بالنفقة مع القدرة على الطلب كانت راضية بسقوطها **فصل** واما النفقة والكسوة بالمعروف وهي الواجبة
بنص القرآن فهو ما كان في عرف الناس في حالهما نوعا وقدرا وصفة وان كان ذلك يتنوع بتنوع حالهما من اليسار والاعسار
والزمان كالشتاء والصيف والليل والنهار والمكان فيطعمها في كل بلد مما هو عادة اهل البلد والعرف عندهم وقال بعضهم
هي مقدرة بالشرع نوعا وقدرا مدا من حنطة او مدا ونصفا او مدين قياسا على الاطعام الواجب في الكفارة والصواب
المقطوع به ما عليه الامة علما وعملا قديما وحديثا لقول الله تعالى رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقوله عليه
السلام لهند خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف ولم يقدر لها نوعا ولا قدرا ولو كان ذلك مقدرا بالشرع لبينه لها
قدرا ونوعا كما بين فرائض الزكوات والديات وقال عليه السلام في خطبته بعرفات ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن
بالمعروف ومن المعلوم ان الكفاية بالمعروف تتنوع بحال الزوجة في حاجتها وبتنوع الزمان والمكان وبتنوع حال
الزوج في يساره واعساره فليست كسوة القصيرة الضئيلة ككسوة الطويلة الجسيمة ولا كسوة الشتاء ككسوة
الصيف ولا كفاية طعام الشتاء مثل طعام الصيف ولا طعام البلاد الحارة كالباردة ولا المعروف في بلاد التمر والشعير
كالمعروف في بلاد الفاكهة والخبز وقال عليه السلام للذي سأله ما حق زوجة احدنا عليه قال تطعمها اذا اكلت
وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت وهكذا قال في نفقة المماليك هم اخوانكم
وخولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم
فان كلفتموهم فاعينوهم ففي الزوجة والمملوك امر واحد فالواجب على هذا هو الرزق والكسوة بالمعروف في النوع
والقدر وصفة الانفاق فاما النوع فلا يتعين ان يعطيها مكيلا كالبر ولا موزونا كالخبز ولا ثمن ذلك كالدراهم بل

يرجع في ذلك الى العرف فاذا اعطاها كفايتها بالمعروف مثل ان يكون عادتهم اكل التمر والشعير فيعطيها ذلك او يكون عادتهم اكل
الخبز والادم فيعطيها ذلك او الطبيخ فيعطيها ذلك وان كان عادتهم ان يعطيها حبا فتطحنه في البيت فعل ذلك وان كان الطحن في
الطاحون والخبز في البيت فعل ذلك وان كان في غير البيت فعل ذلك وان كان يشتري مخبوزا من السوق فعل ذلك
فكذلك الطبيخ ونحوه فذلك هو المعروف ولا يتعين عليه دراهم ولا حبا اصلا فان تعيين ذلك من المنكر ليس من المعروف
وهو مضر بها تارة وبه تارة وبهما اخرى وكذلك القدر لا يتعين مقدارا مطردا بل تتنوع المقادير بتنوع الاوقات واما
الانفاق فقد قيل ان الواجب تمليكها النفقة والكسوة وقيل لا يجب التمليك وهو الصواب فان ذلك ليس من المعروف
بل عرف النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين الى يومنا هذا ان الرجل يأتي بالطعام الى منزله فيأكل هو وزوجته ومملوكه
جميعا تارة وتارة افرادا او يفضل منه فضل تارة فيدخرونه ولا يعرف المسلمون انه يملكها كل يوم دراهم تتصرف
فيها تصرف الملاك بل من عاشر امراته بمثل هذا كان عند المسلمين قد تعاشرا بغير المعروف وتضاررا في العشرة وانما
يفعل احدهما ذلك بصاحبه عند الضرار عند العشرة بالمعروف وايضا فالنبي صلى الله عليه وسلم اوجب للزوجة
مثل ما اوجب للمملوك كما تقدم وقد اتفق المسلمون على انه لا يجب تمليك المملوك نفقته فدل على عدم وجوب التمليك
في حق الزوجة واذا تنازع الزوجان فمتى اعترفت الزوجة انه يطعمها اذا اكل ويكسوها اذا اكتسى وكان ذلك هو المعروف
لمثلها في بلدها فلا حق لها سوى ذلك وان انكرت ذلك امره الحاكم ان ينفق بالمعروف ليس على الحاكم بل ولا له ان يأمر
بدراهم مقدرة مطلقا او حب مقدر مطلقا لكن بذكر المعروف الذي يليق بهما **فصل** قال القرطبي في قوله تعالى
لينفق ذو سعة اي لينفق الزوج على زوجته وعلى ولده الصغير على قدر وسعه فيوسع اذا كان موسعا عليه ومن
كان فقيرا فعلى قدر ذلك فتقدر النفقة بحسب حال المنفق والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى العادة
وقال الشافعي النفقة مقدرة محدودة ولا اجتهاد للحاكم ولا المفتي فيها وتقديرها هو بحال الزوج وحده من يسره
وعسره ولا اعتبار بحالها فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارس فيلزم الزوج الموسر مدان والمتوسط مد
ونصف والمعسر مد لظاهر قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته فجعل الاعتبار بالزوج في اليسر والعسر ولان
الاعتبار بحالها يؤدي الى الخصومة لان الزوج يدعي انها تطلب فوق كفايتها وهي تزعم انها تطلب قدر كفايتها
فقدرت قطعا للخصومة لهذه الاية ولقوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره واجاب القرطبي بان هذه
الاية لا تعطي اكثر من الفرق بين الغني والفقير وانها تختلف بعسر الزوج ويسره فاما انه لا اعتبار بحال الزوجة فليس
فيها وقد قال الله تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وذلك يقتضي تعلق المعروف في حقهما لانه لم يخص في
ذلك واحدا منهما وليس من المعروف ان يكون كفاية الغنية مثل نفقة الفقيرة وقد قال عليه السلام لهند خذي
ما يكفيك وولدك بالمعروف فاحالها على الكفاية حين علم السعة من حال ابي سفيان **قوله** وكاين من قرية عتت
لما ذكر الاحكام ذكر وحذر مخالفة الامر وذكر عتو قوم وحلول العذاب بهم وتقدم الكلام في كاين في آل عمران **قوله**
عتت عن امر ربها ضمن عتت معنى اعرضت كانه قيل اعرضت بسبب عتوها اي عصت يعني القرية والمراد اهلها
وقوله فحاسبناها الى آخره يعني في الآخرة واتى به بلفظ الماضي لتحققه وقيل العذاب في الدنيا فيكون على حقيقته
اي جازيناها بالعذاب في الدنيا وعذبناها عذابا نكرا في الآخرة وقيل في الكلام تقديم وتأخير اي فعذبناها
عذابا نكرا في الدنيا بالجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ وسائر المصائب وحاسبناها في الآخرة حسابا
شديدا والنكر المنكر وقرئ مخففا ومثقلا وقد مضى في سورة الكهف **قوله** فذاقت وبال امرها اي عاقبة كفرها
وكان عاقبة امرها خسرا اي هلاكا في الدنيا بما ذكرنا وفي الآخرة بجهنم **قوله** اعد الله لهم تكرير للوعيد توكيدا
وجوز الزمخشري ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية ويكون الخبر لكاين الجملة من قوله اعد الله وعلى الاول يكون الخبر
عتت وما عطف عليه **قوله** الذين آمنوا منصوب باضمار اعني بيانا للمنادى في قوله يا اولي الالباب اي العقول ويكون عطف
بيان للمنادى او نعتا له ويضعف كونه بدلا لعدم حلوله محل المبدل منه **قوله** قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا في نصب
رسولا اوجه احدها قال الزجاج والفارسي انه منصوب بالمصدر المنون قبله لانه ينحل لحرف مصدري وفعل كانه
قيل ان ذكر رسولا ويكون ذكره الرسول قوله محمد رسول الله والمصدر المنون عامل كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة
يتيما وقول الاخر ونضرب بالسيوف رؤوس قوم ازلنا هامهن عن المقيل الثاني انه جعل نفس الذكر مبالغة فابدله
منه ويكون محمولا على المعنى كانه قال قد اظهر لكم ذكرا رسولا فيكون من باب بدل الشيء من الشيء وهو هو الثالث انه
بدل منه على حذف مضاف من الاول تقديره انزل ذا ذكر رسولا الرابع كذلك الا ان رسولا نعت لذلك المحذوف
الخامس انه بدل منه على حذف مضاف [illegible] الثاني اي ذكر [illegible] رسول السادس ان يكون رسولا نعتا لذكرا على حذف
مضاف اي ذكرا ذا رسول [illegible] نعت لذكرا السابع ان يكون رسولا بمعنى رسالة فيكون رسولا بدلا صريحا من غير
تأويل او بيانا له عند من يرى جريانه في النكرات كالفارسي الا ان هذا يبعده قوله يتلوا عليكم لان الرسالة لا تتلو الا بمجاز

الثامن ان يكون رسولا منصوبا بفعل مقدر اي ارسل رسولا لدلالة ما تقدم عليه قال البغوي كانه قيل انزل اليكم قرآنا وارسل رسولا وقيل مع رسول التاسع ان يكون منصوبا على الاغراء اي اتبعوا والزموا رسولا هذه صفته **فصل** اختلف الناس في رسولا هل هو النبي صلى الله عليه وسلم او القرآن نفسه او جبريل قال الزمخشري هو جبريل ابدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة آيات الله فكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه قال ابو حيان ولا يصح لتباين المدلولين بالحقيقة ولكونه لا يكون بدل بعض ولا بدل اشتمال انتهى قال شهاب الدين وهذا الذي قاله الزمخشري سبقه اليه الكلبي واما اعتراضه عليه فغير لازم لانه اذا بولغ فيه حتى جعل نفس الذكر كما تقدم بيانه وقرئ رسول على اضمار مبتدأ اي هو رسول وقيل الذكر هنا الشرف كقوله تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك ثم بين الشرف فقال رسولا والاكثر على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي هو جبريل فيكونان جميعا منزلين **قوله** يتلوا عليكم آيات الله نعت للرسول وآيات الله القرآن مبينات قراءة العامة بفتح الياء اي بينها الله وبها قرأ ابن عباس وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم لقوله تعالى قد بينا لكم الآيات وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسرها اي تبين لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام **قوله** ليخرج الذين آمنوا الجار اما متعلق اما بانزل واما بيتلو وفاعل يخرج اما ضمير الباري تعالى المنزل وضمير الرسول او الذكر والمراد بالذين آمنوا من سبق له ذلك في علم الله وقوله من الظلمات الى النور اي من الكفر الى الهدى والايمان قال ابن عباس نزلت في مؤمني اهل الكتاب واضاف الاخراج الى الرسول لان الايمان انما حصل بطاعته **قوله** ومن يؤمن هذا احد المواضع التي روعي فيها اللفظ اولا ثم اللفظ آخرا وقد تقدم ذلك في المائدة **قوله** يدخله جنات قرأ نافع وابن عامر بالنون والباقون بالياء وقوله خالدين قال بعضهم ليس قوله خالدين فيه ضمير عائد على من انما يعود على مفعول يدخله وخالدين حال منه والعامل فيها يدخله لا فعل الشرط هذه عبارة ابي حيان وفيها نظر لان خالدين حال من مفعول يدخله عند القائل بالقول الاول وكان اصلاح العبارة ان يقال حال من مفعول يدخله الثاني وهو جنات والخلود في الحقيقة لاصحابها وكان ينبغي على رأي البصريين ان يقال خالدين هم فيها لجريان الوصف على غير من هو له **قوله** قد احسن الله حال ثانية او حال من الضمير في خالدين فتكون متداخلة ومعنى قوله قد احسن الله له رزقا اي وسع الله له في الجنات **قوله** الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يدل على كمال قدرته وانه يقدر على البعث والمحاسبة ولا خلاف في ان السموات سبع بعضها فوق بعض بدليل حديث الاسراء وغيره وقوله ومن الارض مثلهن يعني سبعا واختلف فيهن فقال الجمهور انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل ارض سكان من خلق الله وقال الضحاك ومن الارض مثلهن اي سبعا من الارضين ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره روى ابو مروان عن ابيه ان كعبا حلف له بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين انا نسألك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر من فيها وروى مسلم عن سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم قيد شبر من الارض طوقه يوم القيامة من سبع ارضين قال الماوردي وعلى انها سبع ارضين تختص دعوة اهل الاسلام باهل الارض العليا ولا يلزم من غيرها من الارضين وان كان فيها من يعقل من خلق مميز وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها وهذا قول من جعل الارض مبسوطة والثاني انهم لا يشاهدون السماء وان الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه وهذا قول من جعل الارض كرة وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انها سبع ارضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها البحار وتظل جميعهم السماء فعلى هذا ان لم يكن لاحد من اهل الارض وصول الى ارض اخرى احتمل ان يلزمهم دعوة الاسلام لامكان الوصول اليهم لان فصل البحار اذا امكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عم حكمه واحتمل ان لا يلزمهم دعوة الاسلام لانها لو لزمتهم لكان النص بها واردا ولكان النبي صلى الله عليه وسلم بها مأمورا وقال بعض العلماء السماء في اللغة عبارة عما علاك ففلك القمر بالنسبة الى السماء الثانية ارض وكذلك السماء الثانية بالنسبة الى الثالثة ارض وكذلك البقية بالنسبة الى ما تحته سماء وبالنسبة الى ما فوقه ارض فعلى هذا تكون السموات السبع وهذه الارض الواحدة سبع سموات وسبع ارضين **قوله** مثلهن قرأ العامة بالنصب وفيه وجهان احدهما انه عطف على سبع سموات قاله الزمخشري واعترض عليه ابو حيان بلزوم الفصل بين حرف العطف وهو على حرف واحد وبين المعطوف بالجار والمجرور وهو مختص بالضرورة عند ابي علي قال شهاب الدين وهذا نظير قوله آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة عند ابن مالك وتقدم تحريره في سورة البقرة والنساء وهو دعند قوله واذا حكمتم بين الناس ومن وراء اسحق يعقوب والثاني انه منصوب بمقدر بعد الواو اي وخلق مثلهن من الارض واختلف الناس في المثلية فقيل مثلها في العدد وقيل في بعض الاوصاف فان المثلية تصدق بذلك والاول هو المشهور وقرأ عاصم في رواية مثلهن بالرفع على الابتداء والجار قبله خبره **قوله** يتنزل الامر يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون نعتا لما قبله قاله ابو

جميع من حج

ابو البقاء وقرأ ابو عمرو في رواية وعيسى ينزل بالتشديد اي الله الامر مفعول به والضمير في بينهن عائد على السموات والارضين عند الجمهور وراد على السموات والارض عند من يقول انها ارض واحدة وقوله لتعلموا متعلق بخلق او بيتنزل والعامة لتعلموا بالخطاب بتاء الغيبة **فصل** قال مجاهد يتنزل الامر من السموات السبع الى الارضين السبع وقال الحسن بين كل سماءين ارض وامر والامر هنا الوحي في قول مقاتل وغيره وعلى هذا يكون بينهن اشارة الى بين هذه الارض العليا التي هي ادناها وبين السماء السابعة التي هي اعلاها وقيل الامر هنا القضاء والقدر وهو قول الاكثرين فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى بينهن اشارة الى ما بين الارض السفلى التي هي اقصاها وبين السماء السابعة التي هي اعلاها وقيل يتنزل الامر بينهن بحياة بعض وموت بعض وغنى قوم وفقر قوم وقيل ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء ويخلق الحيوانات على اختلاف انواعها وهيئاتها فينقلهم من حال الى حال قال ابن كيسان وهذا على اتساع اللغة كما يقال للموت امر الله وللريح والسحاب ونحوها قال قتادة في كل ارض من ارضه وسماء من سمائه خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه لتعلموا ان الله على كل شيء قدير اي من قدر على هذا الملك العظيم فهو على ما بينهما من خلقه اقدر ومن العفو والانتقام امكن وان استوى كل ذلك في مقدوره ومكنته وان الله قد احاط بكل شيء علما فلا يخرج شيء عن علمه وقدرته ونصب علما على المصدر المؤكد لان احاط بمعنى علم وقيل بمعنى وان الله احاط احاطة علما روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يا ايها النبي اذا طلقتم النساء مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم

وهي ثنتا عشرة آية ومائتان واربعون كلمة والف وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك قال ابن الخطيب وجه تعلق هذه السورة بما قبلها وذلك لاشتراكهما في الاحكام المخصوصة بالنساء واشتراك الخطاب بالطلاق في اول تلك السورة يشترك مع الخطاب بالتحريم في اول هذه السورة لان الطلاق في اكثر الصور يشتمل على تحريم ما احل الله واما تعلق اول هذه السورة بآخر تلك السورة فلان المذكور في آخر تلك السورة يدل على عظمة حضرة الله تعالى وعلى كمال قدرته وعلمه ولما كان خلق السموات والارض وما بينهما من العجائب والغرائب مما ينافي القدرة على تحريم ما احل الله فلهذا قال تعالى لم تحرم ما احل الله **فصل** ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا قالت فتواطأت انا وحفصة ان ايتنا دخل النبي صلى الله عليه وسلم عليها فلتقل اني اجد منك ريح مغافير فدخل على احداهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب ابنة جحش ولن اعود له فنزل لم تحرم ما احل الله لك الى قوله ان تتوبا لعائشة وحفصة وعنها ايضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل فكان اذا صلى العصر دار على نسائه فدخل على حفصة فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لك لا فقولي ما هذه الريح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي جرست نحله العرفط وساقول ذلك له وقوليه انت يا صفية فلما دخل على سودة قالت سودة والذي لا اله الا هو لقد كدت ان اباديه بالذي قلت لي وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله اكلت مغافير قال لا قلت فما هذه الريح قال سقتني حفصة شربة عسل قال جرست نحله العرفط فلما دخل علي قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت يا رسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة لي به قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قالت قلت لها اسكتي ففي هذه الرواية ان التي شرب عندها النبي صلى الله عليه وسلم العسل حفصة وفي الاولى زينب وروى ابن ابي مليكة عن ابن عباس انه شربه عند سودة وقد قيل انما هي ام سلمة رواه اسباط عن السدي وقاله عطاء بن ابي مسلم قال ابن العربي وهذا كله جهل او تصور لغير علم فقال باقي نسائه حسدا او غيرة لمن شرب ذلك عندها انا لنجد منك ريح المغافير والمغافير بقلة او صمغة متغيرة الرائحة فيها حلاوة واحدها مغفور وجرست اكلت والعرفط نبت له ريح كريح الخمر وكان عليه السلام يعجبه ان يوجد منه الريح الطيبة ويكره الريح الخبيثة لمناجاة الملك وقال ابن عباس اراد بذلك المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم والمرأة ام شريك قاله عكرمة وقيل ان التي حرم مارية القبطية وكان قد اهداها له المقوقس ملك الاسكندرية قال ابن اسحق هي من كورة انصنا من بلد يقال لها حفن [illegible] حفصة روى الدارقطني عن ابن عباس عن عمر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بام ولده مارية في بيت حفصة فوجدته حفصة معها فقالت له تدخلها بيتي ما صنعت بي هذا من بين نسائك الا من هواني عليك فقال لها لا تذكري هذا لعائشة فهي علي حرام ان قربتها قالت حفصة وكيف

تحرم عليك وفي جاريتك تحلف لها ان لا تقربها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لا تذكريه لاحد فذكرته لعائشة فآلى لا يدخل على
نسائه شهرا فاعتزلهن تسعا وعشرين ليلة فانزل الله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الاية • قال القرطبي اصح هذه الاقوال
اولها واضعفها اوسطها • قال ابن العربي اما ضعفه في السند فلعدم عدالة رواته واما ضعفه في معناه فلان رد النبي
صلى الله عليه وسلم الموهوبة ليس تحريما لها لان من رد ما وهب له لم تحرم عليه انما حقيقة التحريم بعد التحليل • واما من
روى انه حرم مارية القبطية فهو امثل في السند واقرب الى المعنى ولكنه لم يدون في الصحيح بل روي مرسلا • وانما الصحيح
انه كان في العسل وانه شربه عند زينب وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فحلف ان لا يشربه واسر ذلك ونزلت الاية
في الجميع • فصل قوله تعالى لم تحرم ان كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يحلف فليس ذلك بيمين ولا يحرم قول الرجل هذا
علي حرام شيئا خلا الزوجة • وقال ابو حنيفة اذا اطلق حمل على الماكول والمشروب دون الملبوس وكانت يمينا توجب الكفارة
• وقال زفر هو يمين في الكل حتى في الحركة والسكون واستدل المخالف بان النبي صلى الله عليه وسلم حرم العسل فلزمته الكفارة
وقد قال تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فسماه يمينا • قال القرطبي ودليلنا قول الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم ولا تعتدوا وقوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام على
الله تفترون فذم المحرم للحلال ولم يوجب عليه كفارة • قال الزجاج ليس لاحد ان يحرم ما احل الله ولم يجعل لنبيه صلى
الله عليه وسلم ان يحرم الا ما حرم الله عليه فمن قال لزوجته او امته انت علي حرام فان لم ينو طلاقا ولا ظهارا فهذا اللفظ
يوجب عليه كفارة اليمين ولو خاطب بهذا اللفظ جمعا من الزوجات والاماء فعليه كفارة واحدة ولو حرم على نفسه طعاما
او شيئا اخر لم يلزمه بذلك كفارة عند الشافعي ومالك وتجب بذلك كفارة عند ابن مسعود والثوري وابي حنيفة • فصل
اذا قال الرجل لزوجته انت علي حرام • قال القرطبي فيه ثمانية عشر قولا • احدها لا شيء عليه وبه قال الشعبي ومسروق وربيعة
وابو سلمة واصبغ وهو عندهم كتحريم الماء والطعام لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم والزوجة
من الطيبات ومما احل الله وقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام فما لم يحرمه الله فليس
لاحد ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما احله الله هو حرام علي
حرام وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم • وروى البغوي في تفسيره ان حفصة
لما اخبرت عائشة غضبت عائشة ولم تزل بنبي الله حتى حلف ان لا يقربها فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع منه
بسبب اليمين يعني اقدم عليه وكفر • وثانيها انها يمين يكفرها قاله ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود
وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم والاوزاعي وهو مقتضى الاية • قال سعيد بن جبير عن ابن عباس اذا حرم الرجل
عليه امرأته فانما هي يمين يكفرها وقال ابن عباس لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة يعني ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان حرم جاريته فقال تعالى لم تحرم ما احل الله لك الى قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فكفر يمينه وصير
الحرام يمينا اخرجه الدارقطني • وثالثها انه تجب فيها كفارة وليست بيمين قاله ابن مسعود ولان معنى اليمين عنده
التحريم فوقعت الكفارة على المعنى والاية ترده • ورابعها هي ظهار ففيها كفارة الظهار قاله عثمان واحمد بن حنبل
واسحق لانه انما حرم وطأها والظهار اقل درجات التحريم • وخامسها انه ان نوى الظهار كان ظهارا وان نوى تحريم عينها
بغير طلاق تحريما مطلقا وجبت كفارة يمين وان لم ينو فعليه كفارة يمين قاله الشافعي • وسادسها انها طلقة رجعية قاله
عمر بن الخطاب والزهري وعبد العزيز بن ابي سلمة والماجشون • وسابعها انها طلقة بائنة قاله حماد بن ابي سليمان
وزيد بن ثابت ورواه ابن خويز منداد عن مالك ولان الطلاق الرجعي لا يحرم المطلقة • وثامنها انها ثلاث تطليقات
قاله علي بن ابي طالب وزيد بن ثابت ايضا وابو هريرة لانه التحريم المتيقن • وتاسعها في المدخول بها ثلاث وينوى في غير
المدخول بها قاله علي بن زيد والحسن والحكم وهو مشهور مذهب مالك لان غير المدخول بها تبينها الطلقة وتحرمها • وعاشرها
هي ثلاث ولا ينوى بحال ولا في محل وان لم يدخل بها قاله عبد الملك في المبسوطة وبه قال ابن ابي ليلى لانه اخذ بالحكم الاعظم
لما لانه لو صرح بالثلاث لغير المدخول بها لنفذ • وحادي عشرها هي في التي لم يدخل بها واحدة وفي المدخول بها ثلاث
قاله ابو مصعب ومحمد بن الحكم • وثاني عشرها انه ان نوى الطلاق والظهار كان ما نوى وان نوى الطلاق فواحدة
بائنة الا ان ينوي ثلاثا فان نوى اثنتين فواحدة وان لم ينو شيئا كانت يمينا وكان الرجل موليا من امرأته قاله ابو
حنيفة واصحابه وبمثله قال زفر الا انه قال اذا نوى اثنتين الزمناه • وثالث عشرها انه لا ينعقد نية الظهار
وانما يكون طلاقا قاله ابن القسم • ورابع عشرها قال يحيى بن عمر يكون طلاقا فان ارتجعها لم يجز له وطؤها حتى يكفر
كفارة الظهار • وخامس عشرها ان نوى الطلاق فما اراد من اعداده وان نوى واحدة فهي رجعية وهو قول
الشافعي رضي الله عنه وروي مثله عن ابي بكر وعمر وغيرهم من الصحابة والتابعين • وسادس عشرها ان نوى
ثلاثا فثلاث وان نوى واحدة فواحدة وان نوى يمينا فهي يمين وان لم ينو شيئا فلا شيء عليه وهو قول سفيان
وبه قال الاوزاعي وابو ثور الا انهما قالا ان لم ينو شيئا فهي واحدة • وسابع عشرها له نيته ولا يكون اقل من واحدة

واحدة قاله ابن شهاب وان لم ينو شيئا لم يكن شيئا • قال ابن العربي ورأيت لسعيد بن جبير وهو الثامن عشر ان عليه عتق رقبة
وان لم يجعلها ظهارا ولست اعلم لها وجها ولا تبعد في المقالات عندي • قال القرطبي وقد روى الدارقطني عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس انه اتاه رجل فقال اني جعلت امرأتي علي حراما فقال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا يا ايها النبي لم تحرم ما احل
الله لك عليك اغلظ الكفارات عتق رقبة وقد قال جماعة من المفسرين انه لما نزلت هذه الاية كفر عن يمينه بعتق رقبة
وعاد الى مارية صلى الله عليه وسلم قاله زيد بن اسلم وغيره هذا كله في الزوجة • واما الامة فلا يلزم فيها شيء من ذلك الا
ان ينوي به العتق عند مالك وذهب عامة العلماء الى ان عليه كفارة يمين • قال ابن العربي والصحيح انها طلقة واحدة لانه
لو ذكر الطلاق لكان اقله وهو الواحدة الا ان يعدده فكذلك اذا ذكر التحريم يكون اقله الا ان يقيده بالاكثر مثل ان يقول
انت علي حرام الا بعد زوج فهذا نص في المراد • فصل قال ابن الخطيب قال صاحب النظم قوله لم تحرم استفهام بمعنى
الانكار وذلك من الله تعالى نهي وتحريم الحلال مكروه لان الحلال لا يحرم الا بتحريم الله تعالى • فان قيل قوله لم تحرم ما احل الله
لك يوهم ان هذا الخطاب بطريق العتاب وخطاب النبي عليه السلام ينافي ذلك لما فيه من التشريف والتعظيم فالجواب
ان هذا الخطاب ليس بطريق العتاب بل بطريق التنبيه على ان ما صدر منه لم يكن على ما ينبغي • فان قيل تحريم ما احل الله غير
ممكن فكيف قال لم تحرم ما احل الله فالجواب ان المراد بهذا التحريم هو الامتناع من الانتفاع بالازواج لا اعتقاد
كونه حراما بعد ما احله الله تعالى فالنبي صلى الله عليه وسلم امتنع من الانتفاع بها مع اعتقاد كونها حلالا فان من
اعتقد ان هذا التحريم هو تحريم ما احله الله تعالى فقد كفر فكيف يضاف الى الرسول عليه السلام مثل هذا • قوله تبتغي
يجوز ان يكون حالا من فاعل تحرم اي لم تحرم مبتغيا به مرضات ازواجك • ويجوز ان يكون تفسيرا لتحرم • ويجوز ان يكون
مستأنفا فهو جواب للسؤال • ومرضات اسم مصدر وهو الرضا واصله مرضوة وقد تقدم ذلك • والمصدر هنا مضاف
اما للمفعول او للفاعل اي ان ترضي انت ازواجك او ان يرضين • والمعنى تفعل ذلك طلبا لرضاهن والله غفور اي لما اوجب
المعاتبة رحيم برفع المؤاخذة • قال القرطبي وقد قيل ان ذلك كان ذنبا من الصغائر • والصحيح انه معاتبة على ترك
الاولى وانه لم يكن له صغيرة ولا كبيرة • قوله قد فرض الله لكم • فرض الله اي بين لكم كقوله تعالى سورة انزلناها وفرضناها
وقيل قد اوجب الله • وقال صاحب النظم اذا وصل فرض بعلى لم يحتمل غير الايجاب كقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم واذا
وصل باللام احتمل الوجهين • قوله تحلة ايمانكم • تحليل اليمين كفارتها اي اذا احنثتم استباحة المحلوف عليه وهو
قوله تعالى في سورة المائدة فكفارته اطعام عشرة مساكين • قال القرطبي وتحصل من هذا ان من حرم شيئا من الماكول
او المشروب لم يحرم عليه لان الكفارة لليمين لا للتحريم وابو حنيفة يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما
يحرم فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امة فعلى وطئها او زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم يكن له نية وان نوى الظهار
فظهار وان نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك ان نوى ثنتين او ثلاثا وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله
تعالى ولا يدين في القضاء بابطال الايلاء • وان قال كل حلال علي حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى
ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن في الكفارة وحدها • قوله تحلة • مصدر حلل مضعفا نحو تكرمة وهذان ليسا
مقيسين فان قياس مصدر فعل التفعيل اذا كان صحيحا غير مهموز • فاما المعتل اللام نحو زكى والمهموز نحو نبأ
فمصدرهما تفعلة نحو تزكية وتنبئة على انه قد جاء التفعيل كاملا في المعتل نحو بات تنزي دلوها تنزيا • واصلها
تحللة كتكرمة فادغمت وانتصابها على المفعول به • فصل قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه • وقال
الحسن لم يكفر لان النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكفارة اليمين في هذه السورة
انما امر بها الامة • والاول اصح وان المراد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان الامة تقتدي به في ذلك وقد
تقدم عن زيد بن اسلم انه عليه السلام كفر بعتق رقبة • وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة
في تحريم مارية والله اعلم • فصل قيل قد فرض الله لكم تحليل ملك اليمين فبين في قوله تعالى ما كان على النبي
من حرج فيما فرض الله له اي فيما شرعه له في النساء المحللات اي حلل لكم ملك اليمين فلم تحرم مارية على نفسك مع
تحليل الله اياها لك • وقيل تحلة اليمين الاستثناء اي فرض الله لكم الاستثناء المخرج عن اليمين ثم عند قوم يجوز الاستثناء
من الايمان متى شاء وان تخلل مدة وعند الجمهور لا يجوز الا متصلا فكأنه قال استثن بعد هذا فيما تحلف عليه وتحلة
اليمين تحليلها بالكفارة • قال القرطبي والاصل تحللة فادغمت وتفعلة من مصادر فعل كالتوصية والتسمية
فالتحلة تحليل اليمين فكأن اليمين عقد والكفارة حل • وقيل التحلة الكفارة اي انها تحل للحالف ما حرم على نفسه
اي اذا كفر صار كمن لم يحلف • فصل قال ابن الخطيب وتحلة القسم على وجهين احدهما تحليله بالكفارة كالذي في
هذه الاية • وثانيهما ان يستعمل بمعنى الشيء القليل وهذا هو الاكثر كما روي من قوله عليه السلام لن يلج النار الا
تحلة القسم يعني زمانا يسيرا • وقرئ كفارة ايمانكم • قوله والله مولاكم • اي وليكم وناصركم بازالة الحظر فيما تحرمونه
على انفسكم وبالترخيص لكم في تحليل ايمانكم بالكفارة وبالثواب على ما تخرجونه في الكفارة وهو العليم الحكيم • قوله

واذ اسر العامل فيه اذكر فهو مفعول به لا ظرف والمعنى اذكر اذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا يعني تحريم مارية
على نفسه واستكتامه اياها ذلك وقال الكلبي اسر اليها ان اباك وابا عايشة يكونان خليفة على امتي من بعدي وقال
ابن عباس اسر امر الخلافة بعده الى حفصة فذكرته حفصة رواه الدارقطني في سننه عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن
عباس في قوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا قال اطلعت حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم مع ام ابرهيم
فقال لا تخبري عايشة قال فانطلقت حفصة فاخبرت عايشة فاظهره الله عليه فعرف بعضه واعرض عن بعض قال
اعرض عن قولها ان اباك واباها يكونان خليفتين من بعدي كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينتشر ذلك
في الناس فلما نبات به اخبرت عايشة لمصافاة كانت بينهما وكانتا متظاهرتين على زوجات النبي صلى الله عليه وسلم واظهره
الله عليه اي اطلعه الله على انها قد نبات به قوله فلما نبات به اصل نبا وانبا واخبر وخبر وحدث ان يتعدى لاثنين الى الاول
بنفسها والى الثاني بحرف الجر وقد يحذف الجار تخفيفا وقد يحذف الاول للدلالة عليه وقد جاءت الاستعمالات الثلاثة
في هذه الايات فقوله فلما نبات به تعدى لاثنين حذف اولهما والثاني مجرور بالباء اي نبات به غيرها وقوله فلما نباها
به ذكرهما وقوله من انباك هذا ذكرهما وحذف الجار وقرا طلحة بن مصرف فلما انبات وهما لغتان انبا ونبا قوله
عرف بعضه قرا الكسائي بتخفيف الرا قال القرطبي وبها قرا علي وطلحة بن مصرف وابو عبد الرحمن السلمي والحسن
وقتادة والكلبي والاعمش عن ابي بكر قال عطا كان ابو عبد الرحمن السلمي اذا قرا عليه الرجل عرف مشددة حصبه
بالحجارة وقرا الباقون بتشديد الرا فالتثقيل يكون المفعول الاول معه محذوفا اي عرفها بعضه اي وقفها عليه
على سبيل العتب واعرض عن بعض تكرما منه وحلما واختاره ابو عبيد وابو حاتم بدليل عليه قوله تعالى واعرض عن بعض
اي لم يعرفها اياه ولو كانت مخففة لقال في ضده وانكر بعضا واما التخفيف فمعناه جازى على بعضه واعرض عن بعض
قال الفراء تاويل قوله عز وجل عرف بالتخفيف اي غضب فيه وجازى عليه كقولك لمن اساء اليك لاعرفن لك ما فعلته
اي لاجازينك عليه فصل قال المفسرون انه اسر الى حفصة شيئا فحدثت به غيرها فطلقها مجازاة على بعضه ولم
يواخذها بالباقي وهو من قبيل قوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله اي يجازيكم عليه وقوله اولئك الذين يعلم الله
ما في قلوبهم وانما اضطررنا الى هذا التاويل لان الله تعالى اطلعه على جميع ما انبات به غيرها لقوله تعالى واظهره الله
عليه وقرا عكرمة عراف بالف بعد الرا وخرجت على الاشباع كقوله اعوذ بالله من العقراب وقيل هي لغة يمانية
يقولون عراف زيد عمرا واذا ضمنت هذه الافعال الخمسة معنى اعلم تعدت لثلاثة وقال الفارسي تعدت بالهمزة
او التضعيف وهو غلط اذ يقتضي ذلك انها قبل التضعيف والهمزة كانت متعدية لاثنين فاكتسبت بالهمزة او التضعيف
بالتا والامر ليس كذلك اتفاقا فصل قال السدي عرف بعضه واعرض عن بعض تكرما وقال الحسن ما استقصى
كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال مقاتل يعني اخبرها ببعض ما قالت لعايشة وهو حديث ام ولد ولم
يخبرها ببعض ما قالت لعايشة وهو قول حفصة لعايشة ان ابا بكر وعمر سيملكان بعدي قال المفسرون ان النبي صلى
الله عليه وسلم جازى حفصة بان طلقها طلقة واحدة فلما بلغ ذلك عمر فقال عمر لو كان في آل الخطاب خير لما كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم طلقك فامره جبريل بمراجعتها وشفع فيها واعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا وقعد
في مشربة مارية ام ابرهيم حتى نزلت اية التخيير كما تقدم وقيل هم بطلاقها حتى قال له جبريل لا تطلقها فانها صوامة
قوامة وانها من نسايك في الجنة فلم يطلقها قوله فلما نباها به اي اخبر حفصة بما اظهره الله عليه قالت له من انباك
هذا يا رسول الله عني فظنت ان عايشة اخبرته فقال عليه السلام نباني العليم الخبير اي الذي لا يخفى عليه شي وقيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما راى الكراهية في وجه حفصة حين راته مع مارية اراد ان يتراضاها فاسر اليها بشيئين
تحريم الامة على نفسه وتبشيرها بان الخلافة بعده في ابي بكر وفي ابيها عمر فاخبرت حفصة بذلك عايشة واطلع
الله نبيه عليه فعرف حفصة واخبر ببعض ما اخبرت به عايشة وهو تحريم الامة واعرض عن بعض يعني عن ذكر الخلافة
فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينتشر ذلك في الناس فلما نباها به اي اخبر حفصة بما اظهره الله عليه قالت
حفصة من انباك هذا اي من اخبرك بافشايي السر قال نباني العليم الخبير قال ابن الخطيب وصفه بكونه خبيرا بعد ما
وصفه بكونه عليما لما ان في الخبير من المبالغة ما ليس في العليم قوله ان تتوبا الى الله شرط وفي جوابه وجهان احدهما
هو قوله صغت والمعنى ان تتوبا فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وصغت مالت وزاغت عن الحق ويدل له قراءة ابن مسعود فقد
زاغت قال القرطبي وليس قوله فقد صغت قلوبكما جزا للشرط لان هذا الصغو كان سابقا فجواب الشرط محذوف
للعلم به اي ان تتوبا كان خيرا لكما اذ قد صغت قلوبكما والثاني ان الجواب محذوف تقديره فذلك واجب عليكما او فتاب
الله عليكما قاله ابو البقا قال ودل على المحذوف فقد صغت لان اصغا القلب الى ذلك ذنب قال شهاب الدين وكانه
زعم ان ميل القلب ذنب وكيف يحسن ان يكون جوابا وقد غفل عن المعنى المصحح لكونه جوابا وقوله قلوبكما من افصح

الفصح الكلام حيث اوقع الجمع موقع المثنى استثقالا لمجي تثنيتين لو قيل قلباكما ومن شان العرب اذا ذكروا الشيئين من اثنين
جمعوهما لانه لا يشكل وقد تقدم تحرير هذا في اية السرقة في المايدة ومن مجي التثنية قوله
فتخالسا نفسيهما بنوافذ كنوافذ العبط التي لم ترقع
والاحسن في هذا الباب الجمع ثم الافراد ثم
التثنية وقال ابن عصفور لا يجوز الافراد الا في ضرورة كقوله
حمامة بطن الواديين ترنمي سقاك من الغر الغوادي مطيرها
وتبعه ابو حيان وغلط ابن مالك
في كونه جعله احسن من التثنية وليس بغلط لكراهة توالي تثنيتين مع امن اللبس وقوله ان تتوبا فيه التفات
من الغيبة الى الخطاب فصل المراد بهذا الخطاب اما المؤمنين بنتا الشيخين الكريمين عايشة وحفصة رضي الله
عنهما حثهما على التوبة على ما كان منهما من الميل الى خلاف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فقد صغت قلوبكما اي زاغت
ومالت عن الحق وهو انهما احبتا ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجتناب جاريته واجتناب العسل وكان عليه
السلام يحب العسل والنسا قال ابن زيد مالت قلوبكما بان سرهما ان يحتبس عن ام ولده فسرهما ما كرهه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل فقد مالت قلوبكما الى التوبة قوله وان تظاهرا اصله تتظاهرا فادغم وهذه قراءة العامة
وقرا عكرمة تتظاهرا على الاصل والحسن وابو رجا ونافع وعاصم في رواية عنهما بتشديد الظا والها دون الف
وكلها بمعنى المعاونة من الظهر لانه اقوى الاعضا واجلها فصل معنى تظاهرا اي تتعاونا على النبي صلى الله عليه وسلم
بالمعصية والايذا روى مسلم عن ابن عباس قال مكثت سنة وانا اريد ان اسال عمر بن الخطاب عن اية فما استطيع ان
اساله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجع وكنا ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت حتى فرغ ثم
سرت معه باداوة ثم جا فسكبت على يديه منها فتوضا فلما رجع قلت يا امير المومنين من اللتان تظاهرتا على النبي صلى
الله عليه وسلم فقال تلك حفصة وعايشة قال فقلت له والله ان كنت لاريد ان اسالك عن هذا منذ سنة فما استطيع
هيبة لك قال فلا تفعل ما ظننت ان عندي من علم فسلني عنه ان كنت اعلمه اخبرتك وذكر الحديث قوله فان الله هو
مولاه يجوز ان يكون هو فصلا ومولاه الخبر وان يكون مبتدا ومولاه خبره والجملة خبر ان والمعنى فان الله وليه وناصره
فلا يضره ذلك التظاهر منهما قوله وجبريل يجوز ان يكون عطفا على اسم الله تعالى والمعنى الله وليه وجبريل وليه فلا يوقف
على مولاه ويوقف على جبريل ويكون وصالح المومنين مبتدا والملايكة معطوفا عليه والخبر ظهير ورفع جبريل نظرا الى محل اسم ان
وذلك بعد استكمالها خبرها وقد تقدم مذاهب الناس في ذلك ويكون جبريل وما بعده داخلين في الولاية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ويكون جبريل ظهيرا له بدخوله في عموم الملايكة ويكون والملايكة مبتدا وظهير خبره وافرد لانه بزنة فعيل
قال القرطبي هو بمعنى الجمع قال ابو علي قد جا فعيل للكثرة وقال تعالى ولا يسال حميم حميما ومعنى ظهير اي اعوان وهو في
معنى ظهرا كقوله تعالى وحسن اوليك رفيقا ويجوز ان يكون الكلام تم عند قوله مولاه ويكون جبريل مبتدا وما بعده
عطف عليه وظهير خبر الجميع فتختص الولاية بالله ويكون جبريل قد ذكر في المعاونة مرتين مرة بالتنصيص عليه ومرة بدخوله
في عموم الملايكة وهذا عكس ما في البقرة في قوله تعالى من كان عدوا لله وملايكته ورسله وجبريل فانه ذكر الخاص بعد العام
تشريفا له وهنا ذكر العام بعد الخاص ولم يذكر الناس الا القسم الاول وفي جبريل لغات تقدم ذكرها في البقرة قوله وصالح
المومنين قال المسيب بن شريك صالح المومنين ابو بكر وقال سعيد بن جبير هو عمر وقال عكرمة ابو بكر وعمر وروى
شقيق عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صالح المومنين ابو بكر وعمر وعن اسما بنت عميس قالت سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول وصالح المومنين علي بن ابي طالب وقيل خيار المومنين وصالح اسم جنس كقوله تعالى والعصر
ان الانسان لفي خسر قاله الطبري وقال العلا بن زياد وقتادة وسفيان هم الانبيا وقال ابن زيد هم الملايكة وقال
السدي هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل صالح المومنين ليس لفظ الواحد وانما هم صالحوا المومنين فاضاف
الصالحين الى المومنين وسياتي له مزيد بيان قريبا ان شا الله تعالى فصل قيل كان التظاهر منهما في التحكم على
النبي صلى الله عليه وسلم في النفقة ولهذا الى منهن شهرا واعتزلهن وروى مسلم عن جابر بن عبد الله قال دخل ابو
بكر يستاذن على النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يوذن لاحد منهم قال فاذن لابي بكر فدخل ثم
اقبل عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساوه واجما ساكتا قال فقال لاقولن شيا اضحك
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رايت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها فوجات عنقها فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عايشة يجا عنقها وقام
عمر الى حفصة يجا عنقها كلاهما يقول تسالن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فقلن والله لا نسال رسول
الله صلى الله عليه وسلم شيا ابدا [illegible] ثم اعتزلهن [illegible] الله صلى الله عليه وسلم شهرا او تسعا وعشرين ثم
نزلت عليه يا ايها النبي قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما الحديث قوله وصالح المومنين الظاهر
انه مفرد ولذلك كتب بالحا دون واو الجمع وجوزوا ان يكون جمعا بالواو والنون حذفت النون للاضافة وكتب دون

واو اعتبارا بلفظه لان الواو ساقطة لالتقاء الساكنين نحو ويمح الله الباطل ويدع الداع وسندع الزبانية الى غير ذلك ومثل
هذا ما جاء فى الحديث اهل القران اهل الله وخاصته قالوا ويجوز ان يكون مفردا وان يكون جمعا كقوله شغلتنا اموالنا واهلونا
وحذف الواو لالتقاء الساكنين لفظا فاذا كتب هذا فالاحسن ان يكتب بالواو ولهذا الغرض وليس ثم ضرورة لحذفها كما
فى مرسوم الخط وجوز ابو البقاء جبريل ان يكون معطوفا على الضمير فى مولاه يعنى المستتر وحينئذ يكون الفصل بالضمير المجرور
كافيا فى تجويز العطف عليه وجوز ايضا ان يكون جبريل مبتدا وصالح عطف عليه فالخبر محذوف اى مواليه **فصل**
قال ابن عباس اراد بقوله وصالح المؤمنين يعنى ابا بكر وعمر مواليان للنبى صلى الله عليه وسلم على من عاداه وناصرين له
وهو قول المفسرين وقال الضحاك خيار المؤمنين وقيل كل من امن وعمل صالحا وقيل من برئ من النفاق وقيل الانبياء
وقيل الخلفاء وقيل الصحابة **قوله** عسى ربه ان طلقكن قيل عسى فى القران واجب الا هذا وقيل هو واجب ولكن الله عز
وجل علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن قال النحويون ان طلقكن شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه
محذوف او متقدم اى ان طلقكن فعسى وادغم ابو عمرو القاف فى الكاف على راى بعضهم قال وهو اولى من يرى فكم
ونحوه لثقل التانيث **قوله** ان يبدله قرئ مخففا ومشددا كما تقدم فى الكهف والتبديل والابدال بمعنى كالتنزيل والانزال
وقوله ازواجا خيرا منكن لانكن لو كنتن خيرا منهن ما طلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال معناه السدى وقيل
هذا وعد من الله تعالى لرسوله لو طلقهن فى الدنيا ان يزوجه فى الاخرة نساء خيرا منهن وكان الله عالما بانه لا يطلقهن
ولكن اخبر عن قدرته على انه ان طلقهن ابدله خيرا منهن تخويفا لهن كقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم
وهو اخبار عن القدرة وتخويف لهم لا ان فى الوجود من هو خير من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم **قوله** مسلمات الى اخره
اما نعت او حال او منصوب على الاختصاص قال سعيد بن جبير مسلمات يعنى مخلصات وقيل مسلمات لامر الله تعالى
وامر رسوله خاضعات لله بالطاعة مؤمنات مصدقات بتوحيد الله وقيل مصدقات بما امرن به ونهين عنه قانتات
مطيعات والقنوت الطاعة وقيل داعيات بتوحيد الله وقيل مصليات تائبات اى من ذنوبهن قاله السدى وقيل
راجعات الى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم تاركات لمحاب انفسهن عابدات اى كثيرات العبادة لله تعالى وقال ابن
عباس كل عبادة فى القران فهو التوحيد سائحات اى صائمات قاله ابن عباس والحسن وابن جبير وقال زيد بن اسلم
وابنه عبد الله ويمان مهاجرات قال ابن زيد وليس فى امة محمد صلى الله عليه وسلم سياحة الا الهجرة والسياحة
الجولان فى الارض وقال الفراء والقتبى وغيرهما سمى الصائم سائحا لان السائح لا زاد معه وانما ياكل من حيث يجد الطعام
وقيل يسيح معه حيث ما ساح وقيل ذاهبات فى طاعة الله تعالى من ساح الماء اذا ذهب وقد مضى فى سورة براءة وقرأ
عمرو بن فائد سيحات **فصل** قال ابن الخطيب **فان قيل** كيف يكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خيرا
من امهات المؤمنين **فالجواب** اذا طلقهن الرسول عليه السلام لعصيانهن وايذائهن اياه كان غيرهن من الموصوفات
بهذه الصفات مع الطاعة للرسول عليه السلام خيرا **فان قيل** قوله مسلمات مؤمنات يوهم التكرار لان المسلمات والمؤمنات
سواء **فالجواب** الاسلام هو التصديق باللسان والايمان التصديق بالقلب وقد لا يجتمعان فقوله مسلمات مؤمنات
تحقيقا لاجتماعهما **قوله** ثيبات وابكارا انما وسطت الواو بين ثيبات وابكارا لتنافى الوصف دون سائر الصفات وثيبات
ونحوه لا ينقاس لانه اسم جنس مؤنث فلا يقال نساء خودات ولا نساء عينات والثيب وزنها فيعل من ثاب يثوب اى رجع
كانها ثابت بعد زوال عذرتها واصل ثيوب كسيد وميت اصلهما سيود وميوت فاعل الاعلال المشهور والمعنى منهن ثيب
ومنهن بكر قيل انما سميت ثيبا لانها راجعة الى زوجها ان اقام معها او الى غيره ان فارقها وقيل لانها ثابت الى بيت ابويها
قال القرطبى والاول اصح لان كل ثيب تعود الى زوج واما البكر فهى العذراء سميت بكرا لانها على اول حالتها التى خلقت بها
قال ابن الخطيب **فان قيل** ذكر الثيبات فى مقام المدح وهى من جملة ما يقلل رغبة الرجل فيهن **فالجواب**
يمكن ان يكون بعض الثيبات خيرا بالنسبة الى بعض الابكار عند الرسول عليه السلام لاختصاصها بالمال والجمال او النسب
او المجموع واذا كان كذلك فلا يقدح ذكر الثيب فى المدح لجواز   وقال الكلبى اراد بالثيب مثل اسية امراة فرعون
وبالبكر مثل مريم ابنة عمران قال القرطبى وهذا انما يمشى على قول من قال ان التبديل وعد من الله لنبيه لو طلقهن
فى الدنيا زوجه فى الاخرة خيرا منهن والله اعلم **قوله** يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا قوا امر من الوقاية
فوزنه عوا لان الفاء حذفت لوقوعها فى المضارع بين ياء وكسرة وهذا محمول عليه واللام حذفت حملا له على المجزوم
لان اصله اوقيوا كاضربوا فحذفت الواو التى هى فاء لما تقدم واستثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان
فحذفت الياء وضم ما قبل الواو ليصح وهذا تعليل البصريين ونقل مكى عن الكوفيين ان الحذف عندهم فرقا بين
المتعدى والقاصر فحذفت الواو التى هى فاء فى يقى ويعد لتعديهما ولم تحذف من يوجل لقصوره قال ويرد عليهم
نحو يرم فانه قاصر ومع ذلك فقد حذفت فاؤه قال شهاب الدين وفى هذا نظر لان يوجل لم تقع فيه الواو بين ياء
وكسرة لا ظاهرة ولا مضمرة وقيل ولا مضمرة تحرزا من يضع ويسع ويهب وقرأ بعضهم واهلوكم وخرجه على العطف

العطف على الضمير المرفوع بقوا وجوز ذلك الفصل بالمفعول قال الزمخشرى بعد ذكره القراءة وتخريجها فان قلت اليس التقدير
قوا انفسكم وليق اهلوكم انفسكم قلت لا ولكن المعطوف فى التقدير مقارن للواو وانفسكم واقع بعده كانه قيل قوا انتم
واهلوكم انفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب **قوله** نارا مفعول ثان ووقودها
الناس صفة لنارا وكذلك عليها ملائكة ويجوز ان يكون الوصف وحده عليها وملائكة فاعل به ويجوز ان يكون حالا
لتخصصها بالصفة الاولى وكذلك لا يعصون الله وتقدم الخلاف فى واو وقودها ضما وفتحا فى البقرة **فصل**
قال الضحاك المعنى قوا انفسكم واهلوكم فليقوا انفسهم نارا وروى على بن ابى طلحة عن ابن عباس قوا انفسكم وامروا
اهليكم بالذكر والدعاء حتى يقيهم الله بكم وقال على رضى الله عنه وقتادة ومجاهد قوا انفسكم بافعالكم وقوا اهليكم بوصيتكم
قال ابن العربى وهو الصحيح والفقه الذى يعطيه العطف الذى يقتضى التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه فى معنى
الفعل كقوله علفتها تبنا وماء باردا وكقوله ورايت زوجك فى الوغى متقلدا سيفا ورمحا فعلى الرجل ان يصلح
نفسه بالطاعة ويصلح اهله صلاح الراعى للرعية قال عليه السلام كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالامام
الذى على الناس راع وهو مسئول عنهم والرجل راع على اهل بيته وهو مسئول عنهم قال الحسن فى هذه الاية يامرهم
وينهاهم وقال بعض العلماء لما قال قوا انفسكم دخل فيه الاولاد لان الولد بعض منه كما دخلوا فى قوله تعالى ليس عليكم
جناح ان تاكلوا من بيوتكم وقوله عليه السلام ان احل ما اكل الرجل من كسبه فلم يفرد بالذكر افراد سائر القرابات
فيعلمه الحلال والحرام ويجنبه المعاصى والاثام الى غير ذلك من الاحكام وقال عليه السلام حق الولد على الوالد ان يحسن
اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه اذا بلغ وقال عليه السلام ما نحل والد ولدا افضل من ادب حسن وقال عليه السلام
مروا ابناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم على تركها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع قال بعض العلماء ويخبر اهله بوقت الصلاة
ووجوب الصيام وقال عليه السلام رحم الله امرا قام من الليل فصلى فايقظ اهله فان لم تقم رش وجهها بالماء ورحم
الله امراة قامت من الليل تصلى وايقظت زوجها فان لم يقم رشت على وجهه من الماء وذكر القشيرى قال لما نزلت
هذه الاية قال رجل يا رسول الله نقى انفسنا فكيف لنا باهلينا فقال تنهوهم عما نهاكم الله وتامرونهم بما امر الله وقال
مقاتل ذلك حق عليه فى نفسه وولده واهله وعبيده وامائه قال الكيا فعلينا تعليم اولادنا واهلينا الدين والخير وما
لا يستغنى عنه من الادب وهو قوله تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها وقوله للنبى صلى الله عليه وسلم وانذر
عشيرتك الاقربين وتقدم الكلام على قوله وقودها الناس والحجارة فى البقرة **فصل** قال ابن الخطيب قال قيل انه
تعالى خاطب المشركين فى قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة ثم قال اعدت للكافرين
فما معنى مخاطبته للمؤمنين بذلك **فالجواب** ان الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مع الكفار فى
دار واحدة فقيل للذين امنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق مجاورة الذين اعدت لهم هذه النار ولا يبعد ان يامرهم بالتوقى عن
الارتداد **قوله** عليها ملائكة غلاظ شداد يعنى الزبانية غلاظ القلوب لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب وحبب
اليهم عذاب الخلق كما حبب لبنى ادم اكل الطعام والشراب شداد اى شداد الابدان وقيل غلاظ الاقوال شداد الافعال
وقيل غلاظ فى اخذهم اهل النار شداد عليهم يقال فلان شديد على فلان اى قوى عليه يعذبه بانواع العذاب وقيل
غلاظ اجسامهم ضخمة شداد اى اقوياء قال ابن عباس ما بين منكبى الواحد منهم مسيرة سنة وقال عليه السلام فى خزنة
جهنم ما بين منكبى احدهم كما بين المشرق والمغرب **قوله** لا يعصون الله ما امرهم يجوز ان تكون ما بمعنى الذى والعائد
محذوف اى ما امرهموه والاصل به لا يقال كيف حذف العائد المجرور ولم يجر الموصول بمثله لانه يطرد حذف هذا
الحرف فلم يحذف الا منصوبا وان تكون مصدرية ويكون محلها بدلا من اسم الله بدل اشتمال كانه قيل لا يعصون امره
وقوله ويفعلون قال الزمخشرى فان قلت اليست الجملتان فى معنى واحد قلت لا لان الاولى معناها يقبلون اوامره
ويلتزمونها والثانية معناها انهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه وقال القرطبى لا يعصون
الله ما امرهم اى لا يخالفونه فى امر من زيادة او نقصان ويفعلون ما يؤمرون اى فى وقته لا يؤخرونه ولا يقدمونه
وقيل اى لذتهم فى امتثال امر الله كما ان سرور اهل الجنة فى الكون فى الجنة ذكره بعض المعتزلة وعندهم انه يستحيل
التكليف غدا ولا يخفى معتقد اهل الحق فى ان الله يكلف العبد اليوم وغدا ولا ينكر التكليف غدا فى حق الملائكة ولله ان
يفعل ما يشاء **قوله تعالى** يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم اى فان عذركم لا ينفع وهذا النهى لتحقيق الياس انما تجزون
ما كنتم تعملون فى الدنيا ونظيره فاليوم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم **قوله** يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا
قرا الجمهور بفتح نون نصوحا وهى صيغة مبالغة اسند النصح اليها مجازا وهى من نصح الثوب اى خاطه فكان التائب
يرقع ما خرقه بالمعصية وقيل من [illegible] ناصح اى خالص [illegible] ابو بكر بضم النون وهو مصدر نصح يقال
نصح نصحا ونصوحا نحو كفر كفرا وكفورا وشكر شكرا وشكورا وفى انتصابه اوجه احدها انه مفعول له اى لاجل
النصح الحاصل نفعه عليكم والثانى انه مصدر مؤكد لفعل محذوف اى ينصحهم نصحا الثالث انه صفة لها اما على

المبالغة على انها نفس المصدر او على حذف مضاف اي ذات نصوح وقرأ زيد بن علي توبا دون تاء **فصل** قال ابن الخطيب وجه
تعلق هذه الآية بقوله يا ايها الذين كفروا انه تعالى نبههم على دفع العذاب في ذلك اليوم بالتوبة في الدنيا اذ في ذلك اليوم
لا تفيد التوبة **فصل** امر بالتوبة وهي فرض على الاعيان في كل الاحوال وكل الازمان واختلفوا في التوبة النصوح
فقيل هي التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن الى الضرع روي عن عمر وابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل ورفعه
معاذ الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال قتادة النصوح الصادقة الناصحة وقيل الخالصة يقال نصح له اي اخلص
له القول وقال الحسن النصوح ان يبغض الذنب الذي احبه ويستغفر منه اذا ذكره وقيل هي التي لا يثق بقبولها
ويكون على وجل منها وقال الكلبي التوبة النصوح الندم بالقلب والاستغفار باللسان والاقلاع عن الذنب والعزم
على ان لا يعود وقيل غير ذلك **فصل** في الاشيا التي يتاب منها قال بعض العلما الذنب الذي تكون منه التوبة لا يخلو
اما ان يكون حقا لله تعالى او لآدمي فان كان حقا لله كترك صلاة او صوم او تفريط في زكاة فان التوبة لا تصح منها حتى
ينضم الى الندم قضاء ما فات منها وان كان قتل نفس بغير حق فان يمكن من القصاص منه ان طلب به فان عفي عنه
كفاه الندم والعزم على ترك العود بالاخلاص وكذلك ان عفي عنه في القتل بمال فعليه ان يؤديه ان كان واجدا له قال
تعالى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وان كان ذلك من حدود الله ما كان فانه
اذا تاب الى الله تعالى بالندم الصحيح سقط عنه وقد نص الله تعالى على سقوط الحد عن المحاربين اذا تابوا قبل القدرة
عليهم كما تقدم وكذلك الشراب والسراق والزناة اذا اصلحوا وتابوا وعرف ذلك منهم ثم رفعوا الى الامام فلا ينبغي له
ان يحدهم وان رفعوا اليه فقالوا تبنا لم يتركهم في هذه الحالة كالمحاربين اذا غلبوا هذا مذهب الشافعي فان كان
الذنب من مظالم العباد فلا تصح التوبة منه الا برده الى صاحبه والخروج عنه عينا كان او غيره ان كان قادرا
عليه فان لم يكن قادرا فالعزم على ان يؤديه اذا قدر في اعجل وقت واسرعه وان كان لواحد من المسلمين وذلك
الواحد لا يشعر به او لا يدري من اين اتي فانه يزيل ذلك الضرر عنه ثم يسأله ان يعفو عنه ويستغفر له فاذا عفى فقد
سقط الذنب عنه وان ارسل من يسأله ذلك فعفى ذلك المظلوم عن ظلمه عرفه بعينه او لم يعرفه فذلك صحيح وان
اساء رجل الى رجل بان فزعه بغير حق او غمه او لطمه او صفعه بغير حق او ضربه بسوطه فآلمه ثم جاءه مستعفيا نادما
على ما كان منه عازما على ان لا يعود فلم يزل يتذلل له حتى طابت نفسه فعفى عنه سقط الذنب عنه وهكذا ان شتمه
بشتم لا حد فيه **قوله** عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم عسى من الله واجبة وهو معنى قوله عليه السلام التائب من
الذنب كمن لا ذنب له وان في موضع نصب **قوله** ويدخلكم معطوف على يكفر قرأ العامة بالنصب وابن ابي عبلة بسكون
الراء فاحتمل ان يكون من اجرا المنفصل مجرى المتصل فسكنت الكسرة لانه يتخيل من مجموع يكفر عنكم مثل نطع وقمع فيقال فيهما
نطع وقمع ويحتمل ان يكون عطفا على محل عسى ان يكفر كانه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم قاله الزمخشري يعني
عسى في محل جزم جوابا للامر لانه لو وقع موقعها مضارع لانجزم كما مثله الزمخشري وفيه نظر لانا لا نسلم ان عسى جوابا ولا يقع
جوابا لانها للانشا **قوله** يوم لا يخزي الله النبي يوم منصوب بيدخلكم او باضمار اذكر ومعنى يخزي هنا يعذب اي لا يعذبه
ولا يعذب الذين آمنوا معه قالت المعتزلة قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه يدل على انه لا يعذب
الذين آمنوا لان الاخزا يقع بالعذاب ولو كان اصحاب الكبائر من اهل الايمان لم يجب عليهم العذاب قال ابن الخطيب
واجاب اهل السنة بانه تعالى وعد اهل الايمان بان لا يخزيهم ومن اهل السنة من يقف على قوله يوم لا يخزي الله
النبي ومعناه لا يخزيه في رد الشفاعة والاخزا الفضيحة اي لا يفضحهم بين يدي الكفار ويجوز ان يعذبهم على
وجه لا يقف الكفرة عليه **قوله** والذين آمنوا يجوز فيه وجهان احدهما ان يكون منسوقا على النبي صلى الله عليه
وسلم اي ولا يخزي الذين آمنوا فعلى هذا يكون نورهم يسعى مستانف او حال والثاني ان يكون مبتدا وخبره نورهم
يسعى ويقولون خبر ثان او حال وتقدم اعراب مثل هذه الجمل في الحديد واعراب ما بعدها في براءة وقرأ ابو
حيوة وابو سهل الفهمي وبايمانهم بكسر الهمزة ومعنى قوله نورهم بين ايديهم اي قدامهم وبايمانهم عند الحساب لانهم يؤتون
الكتاب بايمانهم وفيه نور وخير وقيل يسعى النور بين ايديهم في موضع وضع اقدامهم وبايمانهم لان خلفهم وشمائلهم طريق
الكفرة وقولهم ربنا اتمم لنا نورنا قال ابن عباس يقولون ذلك عند اطفاء نور المنافقين **قوله** يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم امره ان يجاهد الكفار بالسيف والمواعظ الحسنة والدعا الى الله والمنافقين بالغلظة واقامة الحجة
وان يعرفهم احوالهم في الآخرة وانهم لا نور لهم يجوزون به على الصراط مع المؤمنين وقال الحسن اي جاهدهم باقامة
الحدود عليهم فانهم كانوا يرتكبون موجبات الحدود وكانت الحدود تقام عليهم وماواهم جهنم يرجع الى الصنفين وبئس
المصير اي المرجع قال ابن الخطيب وفي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله يا ايها النبي في اول السورة وفي هذه الآية ودعوة
النبي لا باسمه كقوله لآدم يا آدم ولموسى يا موسى ولعيسى يا عيسى دليل على فضيلته عليهم **فان قيل** قوله وماواهم جهنم يدل
على ان مصيرهم بئس المصير فما فائدته **فالجواب** ان بئس المصير مطلق والمطلق يدل على الدوام وغير المطلق لا يدل

… قال الحسن انه تعالى يتمم لهم نورهم
… الله تعالى كقوله واستغفر لذنبك
… ثم منزلة من نوره بقدر ما يستحق
… انما مه وقال الزمخشري كان السابقون
… على الصراط وبعضهم كالزحف وبعضهم
… يقولون ربنا اتمم لنا نورنا فان قيل انه تعالى
… ولا الذين معه فالجواب ان فيه
… لا يخزي الله المجموع اي الذين يسعى
… عظيمة اذ الاجتماع بين الذين
… تشريف في حكم وتعظيم صح

لا يدل ثم ضرب الله مثلا للصالحات والطالحات من النسا فقال ضرب الله مثلا الى اخره تقدم الكلام على ضرب مع المثل وهل هو بمعنى
صير او لا وكيف ينتصب ما بعدها في سورة النحل **فصل** ضرب الله هذا المثل تنبيها على انه لا يغني احد عن قريب ولا نسيب في الآخرة
اذا فرق بينهما الدين وكان اسم امراة نوح والهة واسم امراة لوط والغة قاله مقاتل وقال الضحاك عن عائشة رضي الله عنها
ان جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان اسم امراة نوح واغلة واسم امراة لوط والهة كانتا تحت عبدين من عبادنا
صالحين يعني نوحا ولوطا ويجوز ان يكون امراة نوح بدلا من قوله مثلا على تقدير حذف المضاف اي ضرب الله مثلا مثل امراة
نوح ويجوز ان يكونا مفعولين **قوله** كانتا تحت عبدين جملة مستانفة كانها مفسرة لضرب المثل ولم يأت بضميرهما فيقال تحتهما
اي تحت نوح ولوط لما قصد من تشريفهما بهذه الاضافة الشريفة لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائي **قوله**
فخانتاهما قال عكرمة والضحاك بالكفر وقال سليمان بن رقية عن ابن عباس كانت امراة نوح تقول للناس انه مجنون
وكانت امراة لوط تخبر باضيافه وعن ابن عباس ما بغت امراة نبي قط وانما كانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما قال
القشيري وهذا اجماع من المفسرين انما كانت خيانتهما في الدين وكانتا مشركتين وقيل كانتا منافقتين وقيل خيانتهما
النميمة اذا اوحي اليهما شيا افشتاه الى المشركين قاله الضحاك وقيل كانت امراة لوط اذا نزل به ضيف دخنت لتعلم قومها
انه قد نزل به ضيف لما كانوا عليه من اتيان الرجال **قوله** فلم يغنيا العامة بالياء من تحت اي لم يغن نوح ولوط عن امراتيهما
شيا من الاغنا من عذاب الله وقرا مبشر بن عبيد تغنيا بالتاء من فوق اي لم تغن المراتان عن انفسهما وفيها اشكال اذ يلزم من
ذلك تعدي فعل المضمر المتصل الى ضميره المتصل في غير المواضع المستثناة وجوابه ان عن هنا اسم كهي في قوله
دع عنك نهبا صيح في حجراته وقد تقدم هذا الاعتراض عليه في قوله وهزي اليك واضمم اليك جناحك والجواب
هناك **فصل** معنى الآية لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على الله تعالى عن زوجتيهما لما عصتا شيا من عذاب الله تنبيها
بذلك على ان العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة وقيل ان كفار مكة استهزءوا وقالوا ان محمدا يشفع لنا فبين الله تعالى
ان الشفاعة لا تنفع كفار مكة وان كانوا اقربا كما لا ينفع نوح امراته وشفاعة لوط امراته مع قربهما لهما لكفرهما وقيل ادخلا
النار مع الداخلين في الآخرة كما يقال لكفار مكة وغيرهم وقطع الله بهذه الآية طمع من يرتكب المعصية ان ينفعه صلاح
غيره ثم اخبر ان معصية غيره لا تضره اذا كان مطيعا **قوله** وضرب الله مثلا للذين آمنوا امراة فرعون واسمها آسية بنت
مزاحم قال يحيى بن سلام قوله ضرب الله مثلا للذين كفروا مثل ضربه الله يحذر به عائشة وحفصة في المخالفة حين تظاهرتا
عليه صلى الله عليه وسلم ثم ضرب لهما مثلا بامراة فرعون ومريم ابنة عمران ترغيبا في التمسك بالطاعة والثبات على
الدين وقيل هذا حث للمؤمنين على الصبر في الشدة اي لا تكونوا في الصبر عند الشدة اضعف من امراة فرعون حين صبرت
على اذى فرعون قال المفسرون لما غلب موسى السحرة آمنت امراة فرعون وقيل هي عمة موسى آمنت به فلما تبين لفرعون
اسلامها اوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها في الشمس التي عليها صخرة عظيمة فقالت رب نجني من فرعون فرقي
بروحها الى الجنة فوقعت الصخرة على جسد لا روح فيه وقال الحسن رفعها الى الجنة تأكل وتشرب قال سلمان الفارسي كانت
امراة فرعون تعذب في الشمس فاذا انصرفوا عنها اظلتها الملائكة **قوله** اذ قالت منصوب بضرب وان تأخر ظهوره والفعل
ويجوز ان ينتصب بالمثل **قوله** عندك يجوز تعلقه بابن وان يتعلق بمحذوف على انه حال من بيتا كان نعته فلما قدم
نصب حالا وفي الجنة اما متعلق بابن واما بمحذوف على انه نعت لبيتا **فصل** قال المفسرون لما كانت تعذب
في الشمس واذا اهاجرا الشمس قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فوافق ذلك حضور فرعون فضحكت حين رات بيتها في
الجنة فقال فرعون الا تعجبوا من جنونها انا اعذبها وهي تضحك فقبض روحها وروي انه وضع على ظهرها رحى فاطلعها
الله حتى رات مكانها في الجنة وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة اريت بيتها في الجنة من درة وانتزع روحها
فالقيت عليها صخرة بعد خروج روحها فلم تجد الما وقال الحسن وابن كيسان رفع الله امراة فرعون الى الجنة فهي فيها
تأكل وتشرب وتتنعم **قوله** ونجني من فرعون وعمله يعني بالعمل الكفر وقيل من عمله اي من عذابه وظلمه وقال ابن
عباس الجماع ونجني من القوم الظالمين اي الكافرين قال الكلبي اهل مصر وقال مقاتل القبط **قوله** ومريم ابنة عمران
عطف على امراة فرعون ضرب الله المثل للكافرين بامراتين وللمؤمنين بامراتين وقال ابو البقا ومريم اي واذكر مريم
وقيل ومثل مريم وقرا العامة ابنة بنصب التا وايوب السختياني بسكون الها وصلا اجرى الوصل مجرى الوقف والعامة
ايضا فنفخنا فيه اي في الفرج وعبد الله فيها اي في الجملة وتقدم في الانبيا مثله والعامة ايضا وصدقت بتشديد
الدال ويعقوب وقتادة وابو مجلز وعاصم في رواية بتخفيفها اي صدقت فيما اخبرت به من امر عيسى والعامة على كلمات
جمعا والحسن ومجاهد والجحدري بكلمة بالافراد فقيل المراد عيسى لانه كلمة الله **فصل** ضرب الله مثلا لمريم ابنة عمران
وصبرها على اذى اليهود وقوله التي [illegible] جها اي عن الفو[illegible] وقال المفسرون اراد بالفرج هنا الجيب لقوله
فنفخنا فيه من روحنا وجبريل عليه السلام انما نفخ في جيبها وفي قراءة ابي فنفخنا في جيبها من روحنا وكل خرق في الثوب
يسمى فرجا ومنه قوله تعالى وما لها من فروج ويحتمل ان يكون احصنت فرجها ونفخ الروح في جيبها ومعنى فنفخنا

ارسلنا جبريل فنفخ في جيبها من روحنا اي روحا من ارواحنا وهو روح عيسى وقوله وصدقت بكلمات ربها اي قول جبريل
لها انما انا رسول ربك الاية وقال مقاتل تعني بالكلمات عيسى وانه نبي وعيسى كلمة الله كما تقدم وقيل بكلمات ربها
يعني الشرايع التي شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة قوله وكتبه قرا اهل البصرة وحفص كتبه على الجمع وقرا الاخرون
وكتابه على التوحيد والمراد منه الكثرة فالمراد به الجنس فيكون في معنى كل كتاب انزل الله تعالى وتقدم الكلام في كتابه
وكتبه في اخر البقرة وقرا ابو رجاء وكتبه بسكون التاء وهو تخفيف حسن وروي عنه وكتبه بفتح الكاف قال
ابو الفضل مصدر وضع موضع الاسم يعني ومكتوبه فصل اراد الكتب التي انزلت على ابرهيم وموسى وداود
وعيسى وقوله وكانت من القانتين يجوز في من وجهان احدهما انها لابتداء الغاية والثاني انها للتبعيض وقد
ذكرهما الزمخشري فقال ومن للتبعيض ويجوز ان تكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب
هارون اخي موسى صلوات الله على نبينا وعليهما وعلى ساير الانبيا والهم قال الزمخشري فان قلت لم قيل من القانتين
على التذكير قلت لان القنوت صفة يشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على اناثه وقيل اراد من القوم القانتين ويجوز
ان يرجع هذا الى اهل بيتها فانهم كانوا مطيعين لله والقنوت الطاعة وقال عطا من المصلين بين المغرب والعشا وعن
معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة وهي تجود بنفسها اتكرهين ما قد نزل بك وقد جعل الله
خيرا فاذا قدمت على ضراتك فاقريهن مني السلام مريم بنت عمران واسية بنت مزاحم وكليمة او قال حليمة بنت عمران اخت
موسى بن عمران فقالت بالرفا والبنين يا رسول الله قال ابن الاثير الرفا والبنين الالتيام والاتفاق والبركة والنما
وهو مهموز وذكره الهروي في المعتل قال وهو على معنيين احدهما الاتفاق وحسن الاجتماع والاخر من الهدو والسكون
واما المهموز فمن قولهم رفات الثوب رفا ورفوته رفوا وروى قتادة عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حسبك
من نسا العالمين اربع مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية بنت مزاحم امراة فرعون
روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك
اعطاه الله توبة نصوحا

سورة الملك

وتسمى الواقية والمنجية وتدعى في التورية المانعة لانها تقي وتنجي من عذاب القبر وعن ابن شهاب انه كان يسميها المجادلة
لانها تجادل عن صاحبها في القبر وهي ثلاثون اية وثلاث مائة وثلاثون كلمة وثلاث مائة حرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى تبارك الذي بيده الملك تبارك تفاعل من البركة وقد تقدم وقال الحسن تقدس وقيل دام فهو
الدايم الذي لا اول لوجوده ولا اخر لدوامه الذي بيده الملك اي ملك السموات والارض في الدنيا والاخرة وقال
ابن عباس بيده الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء ويحيي ويميت ويغني ويفقر ويعطي ويمنع قال ابن الخطيب هذه اللفظة
تستعمل لتاكيد كونه تعالى ملكا ومالكا كما يقال بيد فلان الامر والنهي والحل والعقد ولا مدخل للجارحة قال
الزمخشري بيده الملك كل موجود وهو على كل ما لم يوجد قدير قوله وهو على كل شي قدير يدل على ان المعدوم شي
لان قدرة الله تعالى لا تتعلق بالموجود لان القدرة موثرة والعدم نفي محض فلا يكون اثرها فوجب ان يكون المعدوم
شيا فصل احتج اهل السنة بهذه الاية على انه لا موثر الا قدرة الله وابطلوا القول بالطبايع كقول الفلاسفة
وابطلوا القول بالمتولدات كقول المعتزلة وابطلوا القول بكون العبد موجدا لافعال نفسه لقوله وهو على كل شي قدير
فصل دلت هذه الاية على الوحدانية لانا لو قدرنا الها ثانيا فاما ان يقدر على ايجاد شي او لا فان لم يقدر على ايجاد
شي لم يكن الها وان قدر كان مقدور ذلك الاله الثاني شيا فيلزم كون ذلك الشي للاله الاول لقوله وهو على كل شي قدير
فيلزم وقوع مخلوق من خالقين وهو محال لانه اذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد يلزم ان يستغني كل واحد منهما
عن كل واحد منهما فيكون محتاجا اليهما وغنيا عنهما وذلك محال فصل احتج جهم بهذه الاية على انه تعالى ليس بشي
فقال لو كان شيا لكان قادرا على نفسه لقوله تعالى وهو على كل شي قدير لكن كونه قادرا على نفسه محال فيمتنع كونه
شيا والجواب لما دل قوله تعالى قل اي شي اكبر شهادة قل الله على انه تعالى شي وجب تخصيص هذا العموم فاذا
دلت هذه الاية على ان العام المخصوص وارد في كتاب الله تعالى ودلت على ان تخصيص العام بدليل العقل جايز بل
واقع قوله الذي خلق الموت والحياة قيل خلق للموت في الدنيا والحياة في الاخرة وقدم الموت على الحياة لان الموت
الى القهر اقرب كما قدم البنات على البنين فقال يهب لمن يشا اناثا وقيل قدمه لانه اقدم لان الاشيا في الابتدا
كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوه وقال قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى
اذل بني ادم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت وجعل الاخرة دار جزا ثم دار بقا وعن ابي الدردا

الدردا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لولا ثلاث ما طاطا ابن ادم راسه الفقر والمرض والموت وقيل انما قدم الموت
على الحياة لان من نصب الموت بين عينيه كان اقوى الدواعي له الى العمل قال ابن الخطيب قالوا الحياة هي الصفة التي يكون
الموصوف بها بحيث يصح ان يعلم ويقدر واختلفوا في الموت فقيل انه عبارة عن عدم هذه الصفة وقال اصحابنا انه صفة
وجودية مضادة للحيوة واحتجوا بقوله تعالى الذي خلق الموت والعدم لا يكون مخلوقا وهذا هو التحقيق وروى الكلبي عن
ابن عباس ان الله تعالى خلق الموت في صورة كبش املح لا يمر بشي ولا يجد رايحته الا مات وخلق الحياة في صورة فرس بلقا
فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشي ولا يجد رايحتها شي الا حيي على ما سياتي قال ابن الخطيب وهذا لا بد وان يكون مقولا على سبيل
التمثيل والتصوير والا فالتحقيق ما ذكرنا فصل حكي عن ابن عباس والكلبي ومقاتل ان الموت والحياة جسمان فالموت في هيئة كبش
لا يمر بشي ولا يجد ريحه الا مات وخلق الحياة على صورة فرس انثى بلقا وهي التي كان جبريل والانبيا عليهم السلام يركبونها خطوتها
مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا يمر بشي يجد ريحها الا حيي ولا تطا على شي الا حيي وهي التي اخذ السامري من اثرها فالقاه
على العجل فحيي حكاه الثعلبي والقشيري عن ابن عباس والماوردي معناه عن مقاتل والكلبي وعن مقاتل خلق الموت يعني النطفة
والعلقة والمضغة وخلق الحياة يعني خلق انسانا ونفخ فيه الروح فصار انسانا قال القرطبي وهذا حسن يدل عليه قوله
تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا قوله ليبلوكم متعلق بخلق وقوله ايكم احسن تقدم مثله في اول هود وقال الزمخشري هنا
فان قلت من اين تعلق قوله ايكم احسن عملا بفعل البلوى قلت من حيث انه تضمن معنى العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن
عملا واذا قلت علمته ازيد احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو احسن عملا
فان قلت اتسمي هذا تعليقا قلت لا انما التعليق ان يقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما عمرو وعلمت ازيد
منطلق الا ترى انه لا فرق بعد سبق احد المفعولين بين ان يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا
لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت ازيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا قال شهاب الدين وهذا الذي منع تسميته تعليقا
سماه به غيره ويجعلون تلك الجملة في محل ذلك الاسم الذي يتعدى اليه ذلك الفعل فيقولون في عرفت ايهم منطلق ان الجملة
الاستفهامية في محل نصب لسدها مسد مفعول عرفت وفي نظرت ايهم منطلق ان الجملة في محل نصب على اسقاط الخافض لان
لان نظر يتعدى به قال الزجاج اللام في ليبلوكم تتعلق بخلق الحياة لا بخلق الموت وقال الفرا والزجاج ايضا لم تقع البلوى على اي لان
فيما بين البلوى واي اضمار فعل كما تقول بلوتكم لانظر ايكم اطوع ومثله قوله تعالى سلهم ايهم بذلك زعيم اي سلهم ثم انظر ايهم
فايهم رفع بالابتدا واحسن خبره والمعنى ليبلوكم ليعلم او فينظر ايكم احسن عملا قال ابن الخطيب ايكم مبتدا لان الاستفهام
لا يعمل فيه ما قبله فصل الابتلا هو التجربة والامتحان حتى يعلم انه هل يطيع او يعصي وذلك في حق العالم بجميع المعلومات
محال وقد تقدم تحقيق هذه المسيلة في قوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات والحاصل ان الابتلا من الله تعالى هو ان يعامل
عبده معاملة تشبه المختبر فصل قال السدي في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا اي اكثركم للموت ذكرا واحسن استعدادا
واشد خوفا وحذرا وقال ابن عمر تلا النبي صلى الله عليه وسلم تبارك الذي بيده الملك حتى بلغ ايكم احسن عملا فقال
اورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقيل يعاملكم معاملة المختبر فيبلوا العبد بموت من يعز عليه ليبين صبره وبالحياة
ليبين شكره وقيل خلق الله الموت للبعث والجزا وخلق الحياة للابتلا وهو العزيز في انتقامه ممن عصاه الغفور لمن تاب
فصل احتج القايلون بانه تعالى يفعل لغرض بقوله ليبلوكم قالوا وهذه اللام للغرض كقوله تعالى الا ليعبدون
والجواب ان الفعل في نفسه ليس بالابتلا الا انه لما اشبه الابتلا سمي به مجازا فكذا هاهنا انه يشبه الغرض وان لم يكن في
نفسه غرضا فتقدم حرف الغرض قوله الذي خلق سبع سموات طباقا يجوز ان يكون الموصول تابعا للعزيز الغفور نعتا
او بيانا او بدلا وان يكون منقطعا عنه خبر مبتدا او مفعول فعل مقدر وقوله طباقا صفة لسبع وفيه ثلاثة اوجه
احدها انه جمع طبق نحو جبل وجبال والثاني انه جمع طبقة نحو رحبة ورحاب والثالث انه مصدر طابق يقال طابق مطابقة
وطباقا ثم اما ان يجعل نفس المصدر مبالغة واما على حذف مضاف اي ذات طباق واما ان ينتصب على المصدر بفعل
مقدر اي طوبقت طباقا من قولهم طابق النعل اي جعل طبقة فوق اخرى روي عن ابن عباس طباقا اي بعضها فوق بعض والملتق
منها اطرافها قال القرطبي وقيل مصدر بمعنى المطابقة اي خلق سبع سموات وطبقها تطبيقا او مطابقة او على طوبقت
طباقا لانه مفعول ثان فيكون خلق بمعنى جعل وصير وقال ابان بن تغلب سمعت بعض الاعراب يذم رجلا فقال شره
طباق وخيره غير باق ويجوز في غير القران سبع سموات طباق بالخفض على النعت لسموات نظيره سبع سنبلات خضر
فصل قال ابن الخطيب دلت هذه الاية على القدرة من وجوه احدها من حيث بقاوها في جو الهوا معلقة بلا عماد ولا
سلسلة وثانيها من حيث ان كل واحد منها اختص بمقدار معين مع جواز ما هو ازيد منه وانقص وثالثها انه اختص كل واحد
منها بحركة خاصة مقدرة بقدر معين [illegible] والبطو [illegible] معينة ورابعها كونها في ذواتها محدثة وكل ذلك
يدل على اسنادها الى قادر تام القدرة قوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت تفاوت هو مفعول ترى ومن مزيدة
فيه وقرا الاخوان تفوت بتشديد الواو دون الف قال القرطبي وهي قراة ابن مسعود واصحابه والباقون تخفيفها

بعد الف ويتم العبارة بمعنى واحد كالتعهد والتعاهد والتظاهر والتظهر والتصغر والتصاغر والتحمل والتحامل والتضعف
والتضاعف والتباعد والتبعد قاله الفراء وقال الاخفش تفاوت اجود لانهم يقولون تفاوت الامر ولا يكادون
يقولون تفوّت واختار ابو عبيدة تفوت قال يقال تفوت الشيء اذا فات واحتج بما روي في الحديث ان رجلا تفوّت
على ابيه في ماله وقال عبد الرحمن بن ابي بكر امثلي يتفوت عليه في ماله قال النحاس وهذا مردود على ابي عبيدة لان يتفوت
اي يفتات في الحديث تفاوت في الاية اشبه كما يقال تباين تفاوت الامر اذا تباين او تباعد اي فات بعضها بعضا لقلة
القرطبي وحكى ابو زيد تفاوت الشيء تفاوتا بضم الواو وفتحها وكسرها والقياس الضم كالتقابل والفتح والكسر شاذان
والتفاوت عدم التناسب لان بعض الاجزاء يفوت الاخر وهذه الجملة المنفية صفة لقوله طباقا واصلها ما ترى فيهن فوضع
مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن وهو انه خلق الرحمن قاله الزمخشري وظاهر
هذا انها صفة لطباقا وقام الظاهر فيها مقام المضمر وهذا انما يعرف في خبر المبتدا وفي المضمر على خلاف فيهما وتفصيل
وقال ابو حيان الظاهر انه مستانف وليس بظاهر لانفلات الكلام بعضه من بعض وخلق مصدر مضاف لفاعله
والمفعول محذوف اي في خلق الرحمن السموات او كل مخلوق وهو اولى ليعم وان كان السياق مرشدا للاول **فصل**
والمعنى ما ترى في خلق الرحمن من اعوجاج ولا تناقض ولا تباين بل هي مستقيمة مستوية دالة على خالقها وان اختلفت
صوره وقيل المراد بذلك السموات خاصة اي ما ترى في خلق السموات من عيب واصله من الفوت وهو ان يفوت شيء
شيئا فيقع الخلل لعدم استوائها يدل عليه قول ابن عباس من تفرق وقال السدي من تفاوت اي من اختلاف وعيب
يقول الناظر لو كان كذا كان احسن وقيل التفاوت الفطور لقوله بعد ذلك فارجع البصر هل ترى من فطور ونظيره قوله تعالى
وما لها من فروج قال القفال رحمه الله ويحتمل ان يكون المعنى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت في الدلالة على حكمة الصانع
وانه لم يخلقها عبثا **فصل** الخطاب في قوله ما ترى في خلق الرحمن اما للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب وكذا القول
في قوله فارجع البصر ثم ارجع البصر ينقلب اليك البصر **فصل** دلت هذه الاية على كمال علم الله وذلك ان الحس دل على ان
هذه السموات السبع اجسام مخلوقة على وجه الاحكام والاتقان وكل فاعل كان فعله محكما متقنا فلا بد وان يكون عالما فدلت
الاية على كونه تعالى عالما بالمعلومات فقوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اشارة الى كونها محكمة متقنة **فصل** احتج الكعبي
بهذه الاية على ان المعاصي ليست من خلق الله تعالى قال لانه تعالى نفى التفاوت عن خلقه وليس المراد نفي التفاوت في الصغر
والكبر والنقص والعيب فوجب حمله على نفي التفاوت في خلقه من حيث الحكمة فدل من هذا الوجه على ان افعال العباد ليست
من خلقه لما فيها من التفاوت الذي بعضه جهل وبعضه سفه والجواب انا نحمله على ان لا تفاوت فيها بالنسبة اليه من
حيث الكل يصح منه بحسب القدرة والارادة والداعية وانه لا يقبح منه شيء اصلا **فصل** روى البغوي عن كعب
انه قال السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفراء وقال نحاس والخامسة
فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وبين السماء السابعة الى الحجب السبعة صحارى من نور **قوله** فارجع
البصر متسبب عن قوله ما ترى وكرتين نصب على المصدر كمرتين وهو مثنى لا يراد به حقيقته بل التكثير بدليل قوله ينقلب
اليك البصر خاسئا وهو حسير اي مزدجرا وهو كليل وهذان الوصفان لا يأتيان بنظرتين ولا ثلاث وانما المعنى كرات وهذا
كقولهم لبيك وسعديك وحنانيك ودواليك وهذاذيك لا يريدون بهذه التثنية تشفيع الواحد انما يريدون التكثير
اي اجابة لك بعد اخرى والا تناقض الغرض والتثنية تفيد التكثير لقرينة كما يفيده اصلها وهو العطف لقرينة كقوله
لو عد قبر وقبر كنت اكرمهم اي قبور كثيرة ليتم المدح وقال ابن عطية كرتين معناه مرتين ونصبهما على المصدر وقيل
الاولى ليرى حسنها واستواءها والثانية ليبصر كواكبها في سيرها وانتهائها وهذا ظاهر يفهم التثنية فقط **قوله** هل
ترى من فطور هذه الجملة يجوز ان تكون متعلقة لفعل محذوف يدل عليه فارجع البصر اي فارجع البصر فانظر هل ترى وان
يكون فارجع البصر مضمنا معنى انظر لانه بمعناه فيكون هو المعلق وادغم ابو عمرو لام هل في التاء هنا وفي الحاقة واظهرها
الباقون وهو المشهور في اللغة والفطور جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق ومعناه
شق اللحم وطلع قال المفسرون الفطور الصدوع والشقوق قال
شققت القلب ثم ذررت فيه * هواك فليط فالتام الفطور * **قوله** ينقلب العامة على جزمه على جواب الامر
والكسائي في رواية برفعه وفيه وجهان احدهما ان يكون حالا مقدرة والثاني انه على حذف الفاء اي فينقلب وخاسئا
حال وقوله وهو حسير حال اما من صاحب الاولى واما من الضمير المستتر في الحال قبلها فيكون متداخلة وقد تقدم
معنى خاسئا وحسيرا **فصل** لما قال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت كانه قال بعده ولعلك
لا تحكم بمقتضى ذلك البصر الواحد ولا تعتمد عليه لاحتمال وقوع الغلط في النظرة الواحدة ولكن ارجع البصر واردد النظر
مرة اخرى حتى تتيقن انه ليس في خلق الرحمن تفاوت البتة قال القرطبي امر ان ينظروا الى خلقه ليعتبروا به
ويتفكروا في قدرته فقال فارجع البصر هل ترى من فطور اي اردد طرفك الى السماء ويقال قلب البصر في السماء ويقال

ويقال اجتهد بالنظر الى السماء والمعنى متقارب وانما قال فارجع بالفاء وليس قبله فعل مذكور لانه قال ما ترى والمعنى انظر ثم ارجع البصر
هل ترى من فطور قاله قتادة وقال مجاهد والضحاك الفطور الشقوق وقال قتادة من خلل وقال السدي من خروق وقال
ابن عباس من وهن وقوله ثم ارجع البصر كرتين في موضع المصدر لان معناه رجعتين لان الانسان اذا نظر في الشيء مرتين يرى
عيبه ما لم يره بنظره مرة اخرى فاخبر تعالى انه وان نظر الى السماء مرتين لا يرى فيها عيبا بل يتحير بالنظر اليها وقال ابن الخطيب معناه انك
اذا كررت نظرك لم يرجع اليك بصرك بما طلبته من وجدان الخلل والعيب بل يرجع اليك خاسئا اي مبعدا صاغرا عن ان يرى شيئا
من ذلك من قولك خسأت الكلب اذا باعدته وطردته وخسأ الكلب بنفسه يتعدى ولا يتعدى وانخسأ الكلب ايضا وخسأ بصره
ايضا خسأ وخسوءا اي سدر قال ابن عباس الخاسئ الذي لم ير ما يهوى وقال المبرد ههنا الخاسئ المبعد المصغر وقوله وهو حسير
اي قد بلغ الغاية في الاعياء فهو بمعنى فاعل من الحسور الذي هو الاعياء ويجوز ان يكون مفعولا من حسره بعد الشيء وهو معنى قول
ابن عباس ومنه قول الشاعر * من مد طرفا الى ما فوق غايته * ارتد خسآن منه الطرف محسورا * يقال حسر بصره يحسر حسورا اي
كل وانقطع نظره من طول مدى وما اشبه ذلك فهو حسير ومحسور ايضا قال

* نظرت اليها بالمحصب من منى * فعاد الي الطرف وهو حسير *

وقيل هو النادم قال

* ما انا اليوم على شيء خلا * يا ابنة القين تولى بحسر * **قوله تعالى** ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح السماء الدنيا اي
السماء القربى لانها اقرب السموات الى الناس والمعنى السماء الدنيا من الناس اي الدنيا منكم لانها فعلى تأنيث افعل التفضيل
بمصابيح جمع مصباح وهو السراج وسمي الكواكب مصابيح لاضاءتها وسماها زينة لان الناس يزينون مساجدهم ودورهم
بالمصابيح فكانه قال ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح الانوار **قوله** وجعلناها رجوما للشياطين الضمير في جعلناها
يجوز فيه وجهان اظهرهما انه يعود على مصابيح قيل وكيفية الرجم ان يوجد نار من ضوء الكوكب يرمى بها الشيطان والكوكب في مكانه
لا يرجم به قاله ابو علي جوابا لمن قال كيف تكون زينة وهي رجوم لا تبقى قال المهدوي وهذا على ان يكون الاستراق من موضع الكوكب
والثاني ان الضمير يعود على السماء والمعنى وجعلنا منها لان ذات السماء ليست للرجوم قاله ابو حيان وفيه نظر لعدم ظهور عود الضمير
على السماء قال القرطبي والمعنى جعلنا شهبها فحذف المضاف بدليل قوله الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب قال وعلى هذا فالمصابيح
لا تزول ولا يرجم بها قال المهدوي وهذا على ان يكون الاستراق دون موضع الكوكب قال القشيري وامثل من قول ابي علي ان نقول
هي زينة قبل ان يرجم بها الشياطين والرجوم جمع رجم وهو مصدر في الاصل اطلق على المرجوم به كضرب الامير ويجوز ان يكون باقيا
على مصدريته ويقدر مضاف اي ذات رجوم وجمع المصدر باعتبار انواعه فعلى الاول يتعلق قوله للشياطين بمحذوف على انه صفة
لرجوما وعلى الثاني لا تعلق له لان اللام مزيدة في المفعول وفيه دلالة حينئذ على اعمال المصدر منونا مجموعا ويجوز ان يكون صفة
له ايضا كالاول فيتعلق بمحذوف وقيل الرجوم هنا الظنون والشياطين شياطين الانس كما قال * وما هو عنها بالحديث المرجم *
فيكون المعنى جعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم الاحكاميون من المنجمين **فصل** قال قتادة خلق الله تعالى
النجوم لثلاث زينة السماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها في البر والبحر والاوقات فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف
ما لا علم له به وتعدى وظلم وقال محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض في السماء نجم ولكنهم يتخذون الكهانة ويتخذون
النجوم علة **فصل** قال ابن الخطيب ظاهر الاية لا يدل على ان هذه الكواكب مركوزة في السماء الدنيا لان السموات اذا كانت
شفافة فالكواكب سواء كانت في السماء الدنيا او في سموات اخرى فوقها فهي لا بد وان تظهر في السماء الدنيا وتلوح منها
فعلى التقديرين تكون السماء الدنيا مزينة بهذه المصابيح واعلم ان اصحاب الهيئة اتفقوا على ان هذه الكواكب مركوزة في
الفلك الثامن الذي هو فوق كرة السموات واحتجوا بان بعض هذه الثوابت في الفلك الثامن فيجب ان يكون كلها هناك وانما
قلنا ان بعضها في الفلك الثامن لان الكواكب القريبة من المنطقة تنكسف بهذه السيارات فوجب ان تكون الثوابت
المنكسفة فوق السيارات الكاسفة وانما قلنا ان هذه الثوابت لما كانت في الفلك الثامن وجب ان يكون كلها هنالك
لانها باسرها متحركة حركة واحدة بطيئة في كل سنة درجة واحدة فلا بد وان يكون مركوزة في كرة واحدة قال ابن
الخطيب وهذه استدلالات ضعيفة فانه لا يلزم من كون بعض الثوابت فوق السيارات كون كلها هناك لانه لا يبعد وجود
كرة تحت كرة القمر وتكون في البطء مساوية لكرة الثوابت وتكون الكواكب المركوزة فيها مقارنا للقطبين مركوزة في هذه الكرة السفلية
اذ لا يبعد وجود كرتين مختلفتين بالصغر والكبر مع كونهما متشابهتين في الحركة وعلى هذا التقدير لا يمتنع ان تكون هذه المصابيح
مركوزة في السماء الدنيا فثبت بهذا ضعف مذهب الفلاسفة **فصل** قال ابن الخطيب يروى ان السبب في الرجوم ان الجن
كانت تستمع خبر السماء فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حرست السماء ورصدت الشياطين فمن جاء منهم مسترقا للسمع رمي بشهاب
فاحرقه لئلا ينزل به الى الارض فيلقيه الى الناس فيخلط على النبي امره ويرتاب الناس بخبره ومن الناس من طعن في هذا من وجوه
احدها ان انقضاض الكواكب مذكور في كتب قدماء الفلاسفة قالوا ان الارض اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس
فاذا بلغ الى النار التي دون الفلك احترق بها فتلك الشعلة هي الشهاب وثانيها ان الجن اذا شاهدوا جماعة منهم يسترقون
فيحترقون امتنع ان يعودوا الى ذلك وثالثها ان بعد السماء مسيرة خمسمائة سنة فالجن لا يقدرون على خرقها لانه تعالى نفى

ان يكون فيها فطور وتحتها يمنعهم من السمع لاسرار الملايكة من ذلك البعد العظيم واذا سمعوه من ذلك البعد فلم لا يسمعون
كلام الملايكة حال كونهم في الارض ❊ ورابعها ان الملايكة انما اطلعوا على الاحوال المستقبلة اما لانهم طالعوها من اللوح المحفوظ
او لانهم تلقوها من وحي الله اليهم وعلى التقديرين فلم لم يسكتوا عن ذكرها حتى لا يتمكن الجن من معرفتها ❊ وخامسها ان الشياطين
مخلوقون من النار والنار لا تحرق النار بل تقويها ❊ وسادسها ان كان هذا القذف لاجل النبوة فلم بقي بعدها ❊ وسابعها
ان هذه الرجوم انما تحدث بالقرب من الارض لانا نشاهدها بالعين ومع البعد لا نشاهدها كما لا نشاهد حركات الكواكب
وثامنها ان كانت الشياطين ينقلون اخبار الملايكة عن المغيبات الى الكهنة فلم لا ينقلون اسرار المومنين الى الكفار
حتى يتوسل الكفار بذلك الى الحاق الضرر بالمومنين ❊ وتاسعها لم لم يمنعهم الله ابتداء من الصعود الى السما ❊ والجواب
عن الاول انا لا ننكر ان هذه الشهب كانت موجودة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ❊ وعن الثاني انه اذا جاء القدر
عمي البصر فاذا قضى الله على طايفة منها بالحرق لطغيانها قيض لها من الدواعي ما يقدمها على العمل المفضي الى هلاكها ❊ وعن الثالث
انما يمنع كون تحن الفلك ما ذكروه بل البعد بين السما والارض مسيرة خمسماية عام ❊ وعن الرابع ما روى الزهري عن
علي بن الحسين عن علي بن ابي طالب قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من اصحابه اذ رمي بنجم فاستنار فقال
ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا حدث مثل هذا قالوا كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم فقال صلى الله عليه وسلم فانها
لا ترمى لموت احد ولا لحياته ولكن الله تعالى اذا قضى الامر في السما سبحت حملة العرش ثم سبح اهل السما وسبح كل سما حتى
ينتهي التسبيح الى هذه السما ويستخبر اهل السما حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سما الى سما
الى ان ينتهي الخبر الى هذه السما فتخطفه الجن فيرمون فما جاوا به حق ولكنهم يزيدون فيه ❊ وعن الخامس ان نار الرجوم قد تكون
اقوى من نار الجن ❊ وعن السادس انه عليه السلام اخبر ببطلان الكهانة فلو لم ينقطع العادة الكهانة وذلك يقدح
في خبر الرسول عليه السلام ❊ وعن السابع ان البعد غير مانع من السماع عندنا ❊ وعن الثامن لعله تعالى اقدرهم
على استماع الغيوب عن الملايكة واعجزهم عن ايصال اسرار المومنين الى الكافرين ❊ وعن التاسع ان الله تعالى يفعل ما يشا
ويحكم ما يريد **قوله** واعتدنا لهم عذاب السعير لما ذكر منافع الكواكب وذكر من جملة تلك المنافع انها رجوم للشياطين
قال بعد ذلك واعتدنا لهم عذاب السعير اي واعتدنا للشياطين بعد الاحراق بالشهب في الدنيا عذاب السعير في
الاخرة وهو اشد الحريق ❊ قال المبرد سعرت النار فهي مسعورة وسعير مثل مقتولة وقتيل وهذه الاية تدل على ان النار
مخلوقة الان لان قوله واعتدنا لهم خبر عن الماضي **قوله** وللذين كفروا ❊ خبر مقدم في قراة العامة وعذاب جهنم مبتداه
وفي قراة الحسن والضحاك والاعرج بنصب عذاب فيتعلق باعتدنا عطفا على لهم وعذاب جهنم عطف على عذاب السعير
تعطف منصوبا على منصوب ومجرورا على مجرور واعاد الخافض لان المعطوف عليه ضمير والمخصوص بالذم محذوف اي وبيس
المصير مصيرهم او عذاب جهنم او عذاب السعير **فصل** والمعنى لكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم
ليبين ان الشياطين المرجومين مخصوصون بذلك ثم انه تعالى وصف ذلك العذاب بصفات اولها **قوله تعالى**
اذا القوا فيها يعني الكفار اذا طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة سمعوا لها شهيقا اي صوتا ❊ قال ابن عباس الشهيق
لجهنم عند القا الكفار فيها كشهيق البغلة للشعير ❊ وقال عطا الشهيق من الكفار عند القايهم في النار ❊ وقال مقاتل
سمعوا لجهنم شهيقا ❊ قال ابن الخطيب ولعل المراد تشبيه صوت لهب النار بالشهيق وهو كصوت الحمار ❊ وقال المبرد
هو والله اعلم تنفس كتنفس المتغيظ ❊ قال الزجاج سمع الكفار للنار شهيقا وهو اقبح الاصوات ❊ وقيل سمعوا من انفسهم
شهيقا كقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق **قوله** لها متعلق بمحذوف على انه حال من شهيقا لانه في الاصل صفته ❊ ويجوز
ان يكون على حذف مضاف اي سمعوا لاهلها وهي تفور جملة حالية **فصل** قال القرطبي والشهيق في الصدر والزفير
في الحلق وقد مضى في سورة هود ❊ وقوله وهي تفور اي تغلي ومنه قول حسان ❊
❊ تركتم قدركم لا شي فيها ❊ وقدر القوم حامية تفور ❊ قال مجاهد تفور كما يفور الحب
القليل في الما الكثير ❊ وقال ابن عباس تغلي بهم على المراجل وهذا من شدة لهب النار من شدة الغضب كما تقول فلان
يفور غيظا **قوله** تكاد تميز من الغيظ قرا العامة تميز بتا واحدة مخففة والاصل تتميز بتايين وفي قراة طلحة والبزي
عن ابن كثير بتشديدها ادغم احدى التايين في الاخرى وهي قراة حسنة لعدم التقا الساكنين بخلاف قراته اذ تلقونه ونارا
تلظى وبابه وابو عمرو يدغم الدال في التا على اصله في المتقاربين ❊ وقرا الضحاك تمايز والاصل تتمايز بتايين فحذف احديهما
وزيد بن علي تميز من ماز وهذا كله استعارة من قولهم تميز فلان من الغيظ اي تفصل بعضه من بعض من الغيظ فمن
مسببه اي بسبب الغيظ ومثله في وصف كلب سلوقي ❊ يكاد يخرج من اهابه ❊ قال ابن الخطيب ولعل سبب هذا المجاز
ان دم القلب يغلي عند الغضب فيعظم مقداره فيزداد امتلا العروق حتى يكاد تتميز **فان قيل** النار ليست من الاحيا
فكيف توصف بالغيظ قال ابن الخطيب **والجواب** ان البنية عندنا ليست شرطا للحيوة فلعل الله تعالى يخلق فيها
وهي نار حياة او يكون هذا استعارة شبه صوت لهيبها وسرعة مبادرتها بالغضبان وحركته او يكون المراد الزبانية

الزبانية **فصل** قال سعيد بن جبير تكاد تميز من الغيظ يعني تتقطع وينفصل بعضها من بعض ❊ وقال ابن عباس والضحاك
وابن زيد تتفرق من الغيظ من شدة الغيظ على اعدا الله **قوله** كلما القي فيها فوج ❊ تقدم الكلام على كلما وهذه الجملة يجوز
ان تكون حالا من ضمير جهنم ❊ والفوج الجماعة من الناس والافواج الجماعات في تفرقة ومنه قوله تعالى فتاتون افواجا
والمراد هنا بالفوج جماعة من الكفار سالهم خزنتها وهو مالك واعوانه سوال توبيخ وتقريع الم ياتكم نذير اي رسول
في الدنيا ينذركم هذا اليوم حتى تحذروا ❊ قال الزجاج وهذا التوبيخ زيادة لهم في العذاب **قوله** بلى قد جانا نذير فيه
دليل على جواز الجمع بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها اذ لو قالوا بلى لفهم المعنى ولكنهم اظهروه تحسرا وزيادة في
تغممهم على تفريطهم في قبول قول النذير وليعطفوا عليه قولهم فكذبنا الى اخره **قوله** ان انتم الا في ضلال ظاهره انه
من مقول الكفار للنذير اي وقلنا ما نزل الله من شي اي على السنتكم ان انتم يا معشر الرسل الا في ضلال كبير اعترفوا
بتكذيب الرسل ثم اعترفوا بجهلهم فقالوا وهم في النار لو كنا نسمع من النذير يعني الرسل ما جاوا به او نعقل عنهم
وجوز الزمخشري ان يكون من كلام الرسل للكفرة وحكاه الكفرة للخزنة اي قالوا لنا هذا فلم نقبله ❊ قال ابن الخطيب
يجوز ان يكون من كلام الخزنة للكفار اي لما قالوا ذلك الكلام قالت الخزنة لهم ان انتم الا في ضلال كبير **قوله** وقالوا لو كنا
نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير ❊ قال ابن الخطيب احتج بهذه الاية من قال ان الدين لا يتم الا بالتعليم لانه قدم
السمع على العقل فدل على انه لا بد اولا من ارشاد المرشد ❊ تامل السامع فيما كلف من العلم ❊ واجيب بانه
انما قدم السمع لان الرسول اذا دعى فاول المراتب انه يسمع كلامه ثم يتفكر فيه فلما كان السمع مقدما على العقل لا جرم قدم
عليه في الذكر **فصل** واحتج بهذه الاية من فضل السمع على البصر قالوا لانه للسمع مدخلا في الخلاص من النار
والفوز بالجنة والبصر ليس كذلك فوجب ان يكون السمع افضل من البصر **قوله** بذنبهم ❊ وحده لانه مصدر في الاصل
ولم يقصد التنويع بخلاف بذنوبهم في مواضع ولانه في معنى الجمع ولان اسم الجنس اذا اضيف عم **فصل** قال ابن
الخطيب يحتمل ان يكون المراد من الضلال الكبير ما كانوا عليه في الدنيا من ضلالهم ❊ ويحتمل ان يكون المراد بالضلال
الهلاك ❊ ويحتمل ان يكون قد سمي عقاب الضلال باسمه **فصل** احتجت المرجية بهذه الاية على انه لا يدخل النار الا
الكفار قالوا لانه تعالى حكى عن كل من القي في النار انهم قالوا فكذبنا النذير وهذا يدل على ان من لم يكذب الله ورسوله
لا يلقى في النار وظاهر هذه الاية يقتضي القطع بان الفاسق المصر لا يدخل النار ❊ واجاب القاضي عنه بان النذير قد
يطلق على ما في العقول من الادلة المخوفة وكل من يدخل النار يخالف الدليل **فصل** واحتج بهذه الاية من قال ان
معرفة الله وشكره لا يجبان الا بعد ورود السمع قالوا لانه تعالى انما عذبهم لانهم اتاهم النذير فدل على انه لو لم ياتهم
النذير لم يعذبوا **قوله** فسحقا فيه وجهان احدهما انه منصوب على المفعول به اي الزمهم الله سحقا ❊ والثاني انه منصوب
على المصدر تقديره سحقهم الله سحقا فناب المصدر عن عامله في الدعا نحو جدعا له وعقرا فلا يجوز اظهار عامله ❊ واختلف
النحاة هل هو مصدر لفعل ثلاثي ام لفعل رباعي فجا على حذف الزوايد فذهب الفارسي والزجاج الى انه مصدر اسحقه الله
اي ابعده ❊ قال الفارسي فكان القياس اسحاقا فجا المصدر على الحذف كقوله ❊ فان اهلك فذلك كان قدري ❊ اي تقديري
والظاهر انه لا يحتاج لذلك لانه سمع سحقه الله ثلاثيا ومنه قول الشاعر ❊
❊ يجول باطراف البلاد مغربا ❊ وتسحقه ريح الصبا كل مسحق ❊ والذي يظهر ان الزجاج والفارسي انما قالا ذلك
فيمن يقول من العرب اسحقه الله سحقا ❊ وقرا العامة بضمة وسكون والكسائي في اخرين بضمتين وهما لغتان والاحسن
ان يكون المثقل اصلا للمخفف ❊ ولاصحاب البيان كهينت لك وسقيا لك ❊ وقال مكي والرفع يجوز في الكلام على الابتدا اي لو
قيل فسحق جاز لا على انه تلاوة بل من حيث الصناعة الا ان ابن عطية قال ما يقتضيه فانه قال فسحقا نصبا على جهة الدعا
عليهم وجاز ذلك فيه وهو من قبل الله تعالى من حيث هذا القول فيهم مستقرا ولا وجوده لم يقع ولا يقع الا في الاخرة
فكانه لذلك في خبر المتوقع الذي يدعى فيه كما تقول سحقا لزيد وبعدا له والنصب في هذا كله باضمار فعل واما ما وقع وثبت
فالوجه فيه الرفع كما قال تعالى ويل للمطففين وسلام عليكم وغير هذا من الامثلة انتهى فضعف الرفع كما ترى لانه لم يقع
بل هو متوقع في الاخرة **فصل** قال المفسرون فسحقا لاصحاب السعير اي فبعدا لهم من رحمة الله ❊ وقال سعيد بن
جبير وابو صالح هو واد في جهنم يقال له السحق **قوله** الذين يخشون ربهم بالغيب ❊ نظيره من خشي الرحمن بالغيب
وقد مضى الكلام فيه اي يخافون الله ويخافون عذابه الذي هو بالغيب وهو عذاب يوم القيامة اي يخشونه في دار
التكليف اي يتقون جميع المعاصي ❊ قال ابن الخطيب وفي الاية دليل على انقطاع وعيد الفساق لان من جا يوم القيامة
مع هذه الخشية يفسق قلة الامر ان وانقطاع الثواب بالعقاب باطل بالاجماع فتعين العكس لهم مغفرة لذنوبهم واجر
كبير وهو الجنة **قوله** لهم مغفرة ❊ الاحسن ان يكون الخبر لهم ومغفرة فاعل به لان الخبر المفرد اصل والجار من قبيل المفرد
او اقرب اليه **قوله** واسروا قولكم او اجهروا به ❊ اللفظ لفظ الامر والمراد به الخبر يعني ان اخفيتم كلامكم في امر محمد صلى
الله عليه وسلم او جهرتم به فان الله عليم بذات الصدور يعني بما في القلوب من الخير والشر ❊ قال ابن عباس نزلت في المشركين

كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كي لا يسمع رب محمد فنزلت واسروا
قولكم او اجهروا به يعني اسروا قولكم في محمد وقيل انه خطاب عام لجميع الخلق في جميع الاعمال والمراد ان قولكم وعملكم
على اي سبيل وجد فالحال واحد في علمه تعالى بها فاحذروا من المعاصي سرا كما تحترزون عنها جهرا فان ذلك لا يتفاوت
بالنسبة الى علم الله تعالى انه عليم بذات الصدور ذات الصدور ما فيها كما يسمى ولد المرأة وهو جنين ذا بطنها **قوله**
الا يعلم من خلق في من خلق وجهان احدهما انه فاعل يعلم والمفعول محذوف تقديره الا يعلم الخالق خلقه وهذا هو
الذي عليه جمهور الناس وبه بدأ الزمخشري والثاني ان الفاعل مضمر يعود على الباري تعالى ومن مفعول به اي الا يعلم
الله من خلقه قال ابو حيان والظاهر ان من مفعول والمعنى اينتفي علمه بمن خلقه وهو الذي لطف علمه ودق
ثم قال ويجوز ان يكون من فاعلا والمفعول محذوف كانه قال الا يعلم الخالق سركم وجهركم وهو
استفهام معناه الانكار قال شهاب الدين وهذا الوجه الذي جعله هو الظاهر نعزيه الناس لاهل الزيغ والبدع
الدافعين لعموم الخلق لله تعالى وقد اطنب مكي في ذلك وانكر على القائل به ونسبه الى ما ذكرت فقال وقد قال بعض
اهل الزيغ ان من في موضع نصب اسم للمسرين والجاهرين ليخرج الكلام عن عمومه ويدفع عموم الخلق عن الله تعالى
ولو كان كما زعم لقال الا يعلم ما خلق لانه انما تقدم ذكر ما تكن الصدور فهو في موضع ما ولو اتت ما في موضع من
لكان فيه ايضا بيان العموم ان الله خالق كل شيء من اقوال الخلق اسروها او اظهروها خيرا كانت او شرا ويقوي ذلك
انه عليم بذات الصدور ولم يقل عليم بالمسرين والجاهرين وتكون ما في موضع نصب وانما تخرج الاية من هذا العموم
اذا جعلت ما في موضع نصب اسما للاناس المخاطبين قبل هذه الاية وقوله بذات الصدور يمنع من ذلك انتهى قال
شهاب الدين ولا ادري كيف يلزم ما قاله مكي بالاعراب الذي ذكره والمعنى الذي ابداه وقد قال بهذا القول اعني الاعراب
الثاني جماعة من المحققين ولم يبالوا بما ذكره لعدم ايهام الاية اياه وقال الزمخشري بعد كلام ذكره ثم انكر الا يحيط
علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلق الاشياء وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز
ان يكون من خلق منصوبا بمعنى الا يعلم مخلوقه وهذه حاله ثم قال فان قلت قدرت في الا يعلم مفعولا على معنى الا يعلم
ذلك المذكور مما اضمر في القلب واظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطي ويمنع وهلا كان المعنى الا يكون
عالما من هو خالق لان الخلق لا يصح الا مع العلم قلت ابت ذلك الحال التي هي قوله وهو اللطيف الخبير لانك لو قلت الا يكون
عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان الا يعلم معتمد على الحال والشيء لا يوقت بنفسه فلا يقال
الا يعلم وهو عالم ولكن الا يعلم كذا وهو عالم بكل شيء **فصل** معنى الاية الا يعلم السر من خلق السر يقول انا خلقت
السر في القلب فلا اكون عالما بما في قلوب العباد قال اهل المعاني ان شئت جعلته من اسماء الخالق عز وجل ويكون
المعنى الا يعلم الخالق خلقه وان شئت جعلته من اسماء المخلوق والمعنى الا يعلم الله من خلق ولا بد ان يكون الخالق
عالما بما خلقه وما يخلقه قال ابن المسيب بينما رجل واقف بالليل في شجر كثير وقد عصفت الريح فوقع في نفس
الرجل ان الله يعلم ما يسقط من هذا الورق فنودي من جانب الغيضة بصوت عظيم الا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير وقال ابو اسحق الاسفرايني من اسماء صفات الذات ما هو للعلم منها العليم ومعناه تعميم جميع المعلومات ومنها
الخبير ويختص بان يعلم ما يكون قبل ان يكون ومنها الحكيم ويختص بان يعلم دقائق الاوصاف ومنها الشهيد ويختص
بان يعلم الغائب والحاضر ومعناه ان لا يغيب عنه شيء ومنها الحافظ ويختص بانه لا ينسى شيئا ومنها المحصي ويختص
بانه لا تشغله الكثرة عن العلم مثل ضوء النور واشتداد الريح وتساقط الاوراق فيعلم عند ذلك اجزاء الحركات في كل
ورقة وكيف لا يعلم وهو الذي يخلق وقد قال الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير **فصل** لما قال تعالى انه عليم بذات
الصدور ذكر الدليل على انه عالم فقال الا يعلم من خلق الاية والمعنى ان من خلق لا بد وان يكون عالما بما يخلقه لان
الخلق هو الايجاد والتكوين على سبيل القصد والقاصد الى الشيء لا بد وان يكون عالما بحقيقة ذلك المخلوق كيفيته وكميته
قال ابن الخطيب فنقول لو كان العبد موجدا لافعال نفسه لكان عالما بتفاصيلها وهو غير عالم لان التفاوت بين
الحركة السريعة والبطيئة انما هو لتخلل السكنات فالفاعل للحركة البطيئة قد يفعل حركة وسكونا ولم يخطر بباله ذلك
فضلا عن كيفيته ولان المتحرك لا يعرف عدد اجزاء الحركات الا اذا عرف عدد الاحياز التي بين مبدأ المسافة ومنتهاها
وذلك يتوقف على علمه بالجواهر المفردة التي تتنقل في تلك المسافة وعددها وذلك غير معلوم ولان النائم يتحرك
مع عدم علمه ولان قوله الا يعلم من خلق انما يتصل بما قبله لو كان خالقا لكل ما يفعلونه سرا وجهرا وبما في الصدور **وقال**
قيل لا يجوز ان يكون المراد الا يعلم من خلق الاجساد **فالجواب** انه لا يجوز ان يكون المراد الا يعلم من خلق
الاجساد لانه لا يلزم ان من فعل شيئا يكون عالما بشيء اخر **قوله** وهو اللطيف الخبير قيل اللطيف العالم وقيل هو فاعل الاشياء
اللطيفة التي تخفى علمها على اكثر الفاعلين ولهذا يقال ان لطف الله تعالى بعباده عجيب والمراد به دقائق تدبيره لهم
وهذا القرب والا لكان ذكر الخبير بعده تكرارا **قوله** هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لما بين بالدليل كونه عالما بما

يسرون وما يعلنون ذكر بعده هذه الاية على سبيل التهديد كقول السيد لعبده الذي اساء اليه سرا يا فلان انا اعرف
سرك وعلانيتك فاجلس في هذه الدار التي وهبتها منك وكل هذا الخبز الذي هيأته لك ولا تأمن تاديبي فكانه تعالى يقول
يا ايها الكفار انا عالم بسركم وجهركم وضمائركم فخافوني فان الارض التي هي قراركم انا ذللتها ولو شئت خسفت بكم والذلول
المنقاد الذي يذل لك والمصدر الذل وهو اللين والانقياد اي لم يجعل الارض بحيث يمتنع المشي فيها بالحزونة والغلظة
وقيل ثبتها بالجبال لئلا تزول باهلها ولو كانت تتكفأ متمايلة لما كانت منقادة لنا وقيل اشار الى التمكن من الزرع والغرس
وشق العيون والانهار وحفر الابار وبناء الابنية ولو كانت صلبة لتعذر ذلك وقيل لو كانت مثل الذهب والحديد لكانت
تسخن جدا في الصيف وكانت تبرد جدا في الشتاء **قوله** فامشوا في مناكبها هذه استعارة حسنة جدا وقال الزمخشري
مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شيء من البعير وانباه عن ان يطأه الراكب
بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك **فصل** هذا امر اباحة وفيه اظهار الامتنان
وقيل هو خبر بلفظ الامر اي لكي تمشوا في اطرافها ونواحيها واكامها وجبالها وقال ابن عباس وقتادة وبشير بن كعب في
مناكبها وروي ان بشير بن كعب كانت له سرية فقال لها ان اخبرتني ما مناكب الارض فانت حرة فقالت مناكبها جبالها
فصارت حرة فاراد ان يتزوجها فسال ابا الدرداء فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال مجاهد في اطرافها وعنه ايضا
في طرقها وفجاجها وهو قول السدي والحسن وقال الكلبي في جوانبها ومنكبا الرجل جانباه واصل الكلمة الجانب ومنه منكب
الرجل والريح النكباء وتنكب فلان عن فلان يقول امشوا حيث اردتم فقد جعلتها لكم ذلولا لا تمتنع وحكى قتادة عن ابي الجلد
ان الارض اربعة وعشرون الف فرسخ فللسودان اثنا عشر الفا وللروم ثمانية الاف وللفرس ثلاثة الاف وللعرب الف **قوله**
وكلوا من رزقه قال الحسن مما احله لكم وقيل مما اتيته لكم وقيل مما خلقه الله لكم رزقا في الارض واليه النشور المرجع
وقيل معناه ان الذي خلق السموات لا تفاوت فيها والارض ذلولا قادر على ان ينشركم واليه تبعثون من قبوركم **قوله**
أأمنتم من في السماء تقدم اختلاف القراء في الهمزتين المفتوحتين نحو أأنذرتهم تحقيقا وتخفيفا وادخال الف بينهما
وعدمه في سورة البقرة وان قنبلا يقرأ هنا بابدال الهمزة الاولى واوا في الوصل واليه النشور وامنتم وهو على اصله من تسهيل
الثانية بين بين وعدم الف بينهما واما اذا ابتدأ فيحقق الاولى ويسهل الثانية بين بين على ما تقدم ولم يبدل الاولى
واوا لزوال موجبه وهو انضمام ما قبلها وهي مفتوحة نحو جاء ابو احدكم وقد مضى في سورة الاعراف عند قوله قال
فرعون امنتم وانما اعدناه تذكيرا وتبيانا **قوله** من في السماء مفعول امنتم وفي الكلام حذف مضاف اي امنتم خالق
من في السموات وقيل في بمعنى على اي على السماء كقوله ولاصلبنكم في جذوع اي على جذوع وانما احتاج القائل بهذين الى ذلك
لانه اعتقد ان من واقعة على الباري وهو الظاهر وثبت بالدليل القطعي انه ليس بمتحيز لئلا يلزم التجسيم ولا حاجة الى
ذلك فان من هنا المراد بها الملائكة سكان السماء وهم الذين يتولون الرحمة والنقمة وقيل خوطبوا بذلك على اعتقادهم
فان القوم كانوا مجسمة مشبهة والذي تقدم احسن قال ابن الخطيب هذه الاية لا يمكن اجراؤها على ظاهرها باتفاق
المسلمين لان ذلك يقتضي احاطة السماء به من جميع الجوانب فيكون اصغر منها والعرش اكبر من السماء بكثير فيكون حقيرا
بالنسبة الى العرش وهو باطل بالاتفاق ولانه قال قل لمن ما في السموات والارض قل لله فلو كان فيهما لكان مالكا لنفسه فالمعنى
اما من في السماء عذابه واما ان ذلك بحسب ما كانت العرب تعتقد واما من في السماء سلطانه وملكه وقدرته كما قال
تعالى وهو الله في السموات وفي الارض فان الشيء الواحد لا يكون دفعة واحدة في مكانين والغرض من ذكر السماء
تفخيم سلطان الله وتعظيم قدرته او المراد الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل يخسفها باذن الله **قوله** ان يخسف بكم
الارض وان يرسل فيه وجهان احدهما انهما بدلان من من في السماء بدل اشتمال اي امنتم خسفه وارساله قاله ابو البقاء
والثاني ان يكون على حذف من اي امنتم من الخسف والارسال والاول اظهر **فصل** قال القرطبي ويحتمل ان يكون
المعنى امنتم خالق من في السماء ان يخسف بكم الارض كما خسفها بقارون فاذا هي تمور اي تذهب وتجيء والمور الاضطراب
بالذهاب والمجيء قال الشاعر رمين فاقصدن القلوب ولن ترى دما مائرا الا جرى في الحيازم جمع
حيزوم وهو وسط الصدر واذا خسف بانسان دارت به الارض فهو المور وقال ابن الخطيب ان الله تعالى يحرك الارض
عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك فتعلو عليهم وهم يخسفون فيها فيذهبون والارض فوقهم تمور فتقلبهم الى
اسفل السافلين قال القرطبي قال المحققون امنتم من فوق السماء كقوله فسيحوا في الارض اي فوقها لا بالمماسة والتحيز
لكن بالقهر والتدبير وقيل معناه امنتم من على السماء كقوله ولاصلبنكم في جذوع النخل اي عليها ومعناه انه مدبرها
ومالكها كما يقال فلان على العراق اي واليها واميرها والاخبار في هذا صحيحة كثيرة منتشرة مشيرة الى العلو لا يدفعها
الا ملحد او جاهل او معاند والمراد بها توقيره وتنزيهه عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة لا بالاماكن والجهات
والحدود لانها صفات الاجسام وانما ترفع الايدي بالدعاء الى السماء لان السماء مهبط الوحي ومنزل القطر ومحل القدس
ومعدن المطهرين من الملائكة واليها ترفع اعمال العباد وفوقها عرشه وجنته كما جعل الله تعالى الكعبة قبلة للصلاة

ولانه خلق الامكنة وهو غير محتاج اليها وكان فى ازله قبل خلق المكان والزمان ولا امكان له ولا زمان وهو الان على ما عليه
كان قوله ام امنتم من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا قال ابن عباس اى حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب
الفيل وقيل ريح فيها حجارة وحصبا كانها تقلع الحصبا لشدتها وقوتها وقيل هى سحاب فيها حجارة قوله فستعلمون
كيف نذير قيل النذير ههنا المنذر يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وهو قول عطا عن ابن عباس والضحاك والمعنى فستعلمون
رسولى وصدقه لكن حين لا ينفعكم ذلك وقيل انه بمعنى الانذار والمعنى فستعلمون عاقبة انذارى اياكم بالكتاب
والرسول وكيف فى قوله كيف نذير ينبئ عما ذكرنا من صدق الرسول وعقوبة الانذار وقد تقدم ان نذير ونكير مصدران
بمعنى الانذار والانكار واثبت ورش يا نذيرى ونكيرى وصلا وحذفها وقفا وحذفها الباقون فى الحالين قوله ولقد كذب
الذين من قبلهم يعنى كفار الامم كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فكيف كان نكير اى انكارى وتغييرى قاله الواحدى
وقال ابو مسلم النكير عقاب المنكر ثم قال سقطت اليا من نذيرى ومن نكيرى حتى تشابه رؤس الاى المتقدمة عليها والمتأخرة
عنها قوله اولم يروا الى الطير فوقهم صافات لما ذكر ما تقدم من الوعيد ذكر البرهان على كمال قدرته على ايصال جميع انواع
العذاب اليهم ومعناه كما ذلل الارض للادمى ذلل الهوا للطيور وصافات اى باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها قال شهاب
الدين صافات يجوز ان يكون حالا من الطير وان يكون حالا من فوقهم اذا جعلناه حالا فتكون متداخلة وفوقهم ظرف لصافات
على الاول او ليروا قوله ويقبضن عطف الفعل على الاسم لانه بمعناه اى وقابضات فالفعل هنا مؤول بالاسم عكس قوله
ان المصدقين والمصدقات واقرضوا فان الاسم هناك مؤول بالفعل وقد تقدم الاعتراض على ذلك وقول ابى البقا معطوف
على اسم الفاعل حملا على المعنى اى يصففن ويقبضن اى صافات وقابضات لا حاجة الى تقديره يصففن ويقبضن لان الموضع
للاسم فلا تؤوله بالفعل وقال ابو حيان وعطف الفعل على الاسم لما كان فى معناه ومثله قوله تعالى فالمغيرات صبحا فاثرن
عطف الفعل على الاسم لما كان المعنى فاللاتى اغرن فاثرن ومثل هذا العطف فصيح وكذا عكسه الا عند السهيلى فانه
قبيح نحو قوله بات يعشيها بعضب باتر يقصد فى اسوقها وجابر اى قاصد فى اسوقها وجابر وكذا قال القرطبى هو
معطوف على صافات عطف المضارع على اسم الفاعل كما عطف اسم الفاعل على المضارع فى قول الشاعر بات يعشيها
البيت قال شهاب الدين هو مثله فى عطف الفعل على اسم الفاعل الا ان الاسم فيه مؤول بالفعل عكس هذه الاية
ومفعول يقبضن محذوف اى ويقبضن اجنحتهن قاله ابو البقا ولم يقدر لصافات مفعولا كانه زعم ان الاصطفاف
فى انفسها اى مصطفة والظاهر ان المعنى صافات اجنحتها وقابضتها فالصف والقبض منها لاجنحتها ولذلك قال
الزمخشرى صافات باسطات اجنحتهن ثم قال فان قلت لم قال ويقبضن ولم يقل وقابضات قلت لان الطيران
هو صف الاجنحة لان الطيران فى الهوا كالسباحة فى الما والاصل فى السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض
فطارى على البسط للاستظهار به على التحرك فجئ بما هو طارى غير اصلى بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن
القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح قوله ما يمسكهن يجوز ان تكون الجملة مستانفة وان تكون حالا من
المضمر فى يقبضن قاله ابو البقا والاول اظهر وقرا الزهرى بتشديد السين فصل ويقبضن اى يضربن
بها جنوبهن قال ابو جعفر النحاس يقال للطائر اذا بسط جناحيه صاف واذا ضمهما فاصاب جنبيه قابض لانه يقبضهما
قال ابو خراش   يبادر جنح الليل فهو موايل   يحث الجناح بالتبسط والقبض
وقيل ويقبضن اجنحتهن بعد بسطها اذا وقفن من الطيران وقوله ما يمسكهن اى ما يمسك الطير فى الجو
وهى تطير الا الله عز وجل انه بكل شئ بصير قال ابن الخطيب وفيه وجهان الاول المراد من البصير كونه عالما
بالاشيا الدقيقة كما يقال فلان له بصر فى هذا الامر اى حذق والثانى ان يجرى اللفظ على ظاهره فيقول قوله
انه بكل شئ بصير فيكون رائيا لنفسه ولجميع الموجودات وهذا هو الذى يقوله اصحابنا انه تعالى شئ يصح ان يكون
مرئيا وان كل الموجودات كذلك فان قيل البصير اذا عدى بالبا يكون بمعنى العالم يقال فلان بصير بكذا اذا كان عالما
قلنا لا نسلم فانه يقال ان الله سميع بالمسموعات بصير بالمبصرات فصل فى قوله ما يمسكهن الا الرحمن دليل
على ان الافعال الاختيارية للعبد مخلوقة لله تعالى لان استمساك الطير فى الهوا فعل اختيارى له وقد نسبه للرحمن
قوله امن هذا الذى قرا العامة بتشديد الميم على ادغام ميم ام فى ميم من وام بمعنى بل لان بعدها اسم استفهام
وهو مبتدا خبره اسم الاشارة وقرا طلحة بتخفيف الاول وتثقيل الثانى قال ابو الفضل معناه اهذا الذى هو جند
لكم ام الذى يرزقكم وينصركم صفة لجند فصل قال ابن عباس جند لكم اى حزب ومنعة لكم ينصركم من دون
الرحمن فيدفع عنكم ما اراد بكم ان عصيتموه ولفظ الجند يوحد ولذلك قال هذا الذى هو جند لكم وهو استفهام
انكار اى لا جند لكم يدفع عنكم عذاب الله من دون الرحمن اى من سوى الرحمن ان الكافرون الا فى غرور من
الشيطان يغرهم بان لا عذاب ولا حساب قال بعض المفسرين كان الكفار يمتنعون عن الايمان ويعاندون
الرسول عليه السلام معتمدين على شيئين احدهما قوتهم بما لهم وعددهم والثانى اعتقادهم ان الاوثان

الاوثان توصل اليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الافات فابطل الله عليهم الاول بقوله امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم الاية
ورد عليهم الثانى بقوله امن هذا الذى يرزقكم الاية قوله ان امسك رزقه شرط جوابه محذوف للدلالة عليه اى فمن
يرزقكم غيره وقدر الزمخشرى شرطا بعد قوله امن هذا الذى هو جند لكم تقديره ان ارسل عليكم عذابه ولا حاجة اليه لصناعة
فصل المعنى امن هذا الذى يرزقكم اى يعطيكم منافع الدنيا وقيل المطر من الهتكم ان امسك يعنى الله تعالى رزقه وهذا
مما لا ينكره ذو عقل وهو انه تعالى ان امسك اسباب الرزق كالمطر والنبات وغيرهما لما وجد رازق سواه فعند وضوح هذا
الامر قال تعالى بل لجوا اى تمادوا واصروا فى عتو وطغيان ونفور عن الحق وتباعدوا واعراض عن الحق قوله افمن يمشى مكبا
على وجهه مكبا حال من فاعل يمشى قال الواحدى اكب مطاوع كبه يقال كببته فاكب قال الزمخشرى هو من الغرائب والشواذ
ونحوه قشعت الريح السحاب فاقشع ولا شئ من بنا افعل مطاوع بل قولك اكب من باب انفض والام ومعناه دخل فى الكب وصار
ذا كب وكذلك اقشع السحاب دخل فى القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع قال ابو حيان ومكبا حال من اكب وهو لا يتعدى
وكب متعد قال تعالى فكبت وجوههم فى النار والهمزة فيه للدخول فى المعنى او للصيرورة ومطاوع كب انكب تقول كببته
فانكب قال الزمخشرى ولا شئ من بنا افعل الى جملة كتاب سيبويه انتهى وهذا الرجل كثيرا ما يتبجح بكتاب سيبويه وكم من نص فى كتاب
سيبويه عمى بصره وبصيرته عنه حتى ان الامام ابا الحجاج يوسف بن معزوز صنف كتابا يذكر فيه ما غلط الزمخشرى فيه وما جهله
من كتاب سيبويه انتهى قال شهاب الدين انظر الى هذا الرجل كيف اخذ كلام الزمخشرى الذى اسلفته عنه طرزه بعبارته
حرفا بحرف ثم اخذ ينحى عليه باساة الادب جزاء ما لقنه تلك الكلمات الرائقة وجعله يقول ان مطاوع كب انكب لا اكب وان الهمزة
فى اكب للصيرورة او للدخول فى الشئ وبالله لو بقى دهره غير ملقن اياها لما قالها ابدا ثم اخذ يذكر عن انسان مع ابى الفتوح الشهاب
مع انه غلطه فى نصوص من كتاب سيبويه الله اعلم بصحتها وكم من عائب قولا صحيحا وافته من الفهم السقيم وعلى تقدير
التسليم فالفاضل من عدت سقطاته قال القرطبى يقال اكب الرجل على وجهه فيما لا يتعدى بالالف فاذا تعدى قيل كبه الله لوجهه
بغير الف وقوله افمن يمشى هو المعادل لامن يمشى سويا وقال ابو البقا واهدى خبر من يمشى وخبر من الثانية محذوف يعنى
ان الاصل امن يمشى سويا اهدى ولا حاجة الى ذلك لان قولك ازيد قائم ام عمرو لا يحتاج فيه من حيث الصناعة الى حذف الخبر بل
تقول هو معطوف على زيد عطف المفردات ووحد الخبر لان ام لاحد الشيئين فصل قال المفسرون افمن يمشى مكبا اى منكسا
راسه لا ينظر امامه ولا يمينه ولا شماله فهو لا يامن من العثور والانكباب على وجهه كمن يمشى سويا معتدلا ناظرا ما بين يديه وعن
يمينه وعن شماله قال ابن عباس هذا فى الدنيا ويجوز ان يريد به الاعمى الذى لا يهتدى الى الطريق فلا يزال ينكسه على وجهه
وانه ليس كالرجل السوى الصحيح البصير الماشى فى الطريق المهتدى له وقال قتادة هو الكافر اكب على معاصى الله فى الدنيا يحشره
الله يوم القيامة على وجهه وقال ابن عباس والكلبى عنى بالذى يمشى مكبا على وجهه ابا جهل وبالذى يمشى سويا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل ابو بكر وقيل حمزة وقيل عمار بن ياسر قاله عكرمة وقيل هو عام فى الكافر والمؤمن اى ان الكافر لا يدرى اعلى حق هو ام
على باطل اى اهذا الكافر اهدى ام المسلم الذى يمشى سويا معتدلا يبصر الطريق وهو على صراط مستقيم وهو الاسلام قوله قل هو
الذى انشاكم امر نبيه ان يعرفهم قبح شركهم مع اعترافهم ان الله خلقهم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة يعنى القلوب
قوله قليلا نعت مصدر محذوف او حال من ضمير المصدر كما هو رأى سيبويه وما مزيدة اى تشكرون قليلا والجملة من تشكرون
اما مستانفة وهو الظاهر واما حال مقدرة لانهم حال الجعل غير شاكرين والمراد بالقلة العدم او حقيقتها اى لا تشكرون
هذه النعم ولا توحدون الله تعالى تقول قل ما افعل كذا اى لا افعله قال ابن الخطيب وذكر السمع والبصر والفؤاد ههنا
تنبيها على دقيقة لطيفة كانه تعالى قال اعطيتكم هذه الاعضا الثلاثة مع ما فيها من القوى الشريفة فضيعتموها ولم تقبلوا
ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما ابصرتموه ولا تاملتم فى عاقبة ما عقلتموه فكانكم ضيعتم هذه النعم وافسدتم هذه المواهب
فلهذا قال قليلا ما تشكرون قوله قل هو الذى ذراكم فى الارض قال ابن الخطيب اعلم انه تعالى استدل باحوال الحيوان اولا
ثم بصفات الانسان ثانيا وهو السمع والبصر والعقل ثم بحدوث ذاته ثالثا وهو قوله قل هو الذى ذراكم واعلم ان الشروع
فى هذه الدلائل انما كان لبيان صحة الحشر ليثبت ما ادعاه من الابتلاء فى قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ولهذا ختم الاية
فلهذا ختمها بقوله واليه تحشرون
بقوله واليه تحشرون لانه
فصل قال ابن عباس خلقكم فى الارض وقال ابن بحر نشركم فيها وفرقكم على ظهرها واليه تحشرون فيجازى كلا
بعمله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اى متى يوم القيامة ومتى هذا العذاب الذى تعدوننا به قال ابو مسلم
انه تعالى قال ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بلفظ المستقبل وهذا يحتمل ما يوجد من الكفار من هذا القول
فى المستقبل ويحتمل الماضى والتقدير وكانوا يقولون متى هذا الوعد ولعلهم كانوا يقولون ذلك سخرية واستهزاء وكانوا
يقولونه ايهاما للضعفة ثم انه تعالى اجاب عن هذا السؤال فقال قل انما العلم عند الله اى قل لهم يا محمد علم وقت
قيام الساعة عند الله فلا يعلمه غيره نظيره قل انما علمها عند ربى الاية وانما انا نذير مبين اى مخوف ومعلم لكم ثم انه
تعالى بين حالهم عند نزول ذلك الوعد وهو قوله تعالى فلما راوه زلفة راوه اى الموعود او العذاب زلفة اى

قربا فهو حال • وقال القرطبي مصدر بمعنى مزدلفا اى قربا قاله مجاهد ولا بد من حذف مضاف اى ذا زلفة او جعل نفس الزلفة
مبالغة • وقيل الزلفة تقديره مكانا ذا زلفة فينتصب انتصاب المصدر فصل قال الحسن عيانا واكثر المفسرين
على ان المراد عذاب الآخرة • وقال مجاهد عذاب يوم بدر • وقيل رأوا ما وعدوا من الحشر قريبا منهم لقوله واليه
تحشرون • وقال ابن عباس يعني عملهم السيئ قريبا قوله سيئت • الاصل ساء اى احزن وجوههم العذاب ورؤيته
ثم بني للمفعول وساء هنا ليست المراد فيه بئس كما تقدم مرارا واشم كسرة السين الضم نافع وابن عامر والكسائي
كما تقدم ذلك في سيء بهم في هود كما تقدم والباقون باخلاص الكسر وتقدم تحقيق هذا وتصريفه في اول البقرة
وان فيه لغات عند قوله واذا قيل لهم فصل قال ابن عباس سيئت اى سودت وعليها الكآبة والغبرة يقال
ساء الشيء يسوء فهو مسيء اذا قبح وسيء يساء اذا قبح وهو فعل لازم ومتعد بمعنى سيئت وجوههم اى قبحت بان علتها
الكآبة وغشيها الكسوف والغبرة وكلحوا • قال الزجاج تبين فيها السوء اى ساءهم ذلك العذاب وظهر على وجوههم
سمة تدل على كفرهم كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قوله وقيل هذا الذي كنتم به تدعون اى قال
لهم الخزنة • قال الفراء يفتعلون من الدعاء وهو قول اكثر العلماء اى يتمنون ويسألون • وقال ابن عباس تكذبون
وتاويله هذا الذي كنتم من اجله تدعون الاباطيل والاحاديث قاله الزجاج • وقرأ العامة بتشديد الدال
مفتوحة فقيل من الدعوى اى تدعون انه لا جنة ولا نار قاله الحسن • وقيل من الدعاء اى تطلبونه وتستعجلونه
وقرأ الحسن وقتادة وابو رجاء والضحاك ويعقوب وابو زيد وابو بكر وابن ابي عبلة ونافع في رواية الاصمعي
بسكون الدال وهي مؤيدة للقول بانها من الدعاء في قراءة العامة • قال قتادة هو قولهم ربنا عجل لنا قطنا • وقال
الضحاك هو قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية • وقال النحاس تدّعون وتدعون بمعنى واحد كما يقال
قدر واقتدر وعدى واعتدى الا ان في افتعل معنى شيء بعد شيء وفعل يصح للقليل والكثير قوله قل ارأيتم ان اهلكني
الله • اى قل لهم يا محمد يعني مشركي مكة وكانوا يتمنون موت محمد صلى الله عليه وسلم كما قال ام يقولون شاعر نتربص
به ريب المنون ارأيتم ان متنا او رحمنا فاخرت آجالنا يعني انا ومن معي من المؤمنين من يجيركم من عذاب الله فلا حاجة
لكم الى التربص بنا ولا الى استعجال قيام الساعة • واسكن الياء في اهلكني ابن محيصن والمسيبي وشيبة والاعمش وحمزة
وفتحها الباقون وكلهم فتح الياء في ومن معي الا اهل الكوفة فانهم سكنوها وفتحها حفص كالجماعة قوله قل هو الرحمن
آمنا به وعليه توكلنا • قد تقدم لم اخر متعلق الايمان وقدم متعلق التوكل وان التقديم يفيد الاختصاص • قال
القرطبي لما قدم لوقوع آمنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل آمنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه
توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متكلون عليه من رجالكم واموالكم قاله الزمخشري • وقرأ الكسائي فسيعلمون بياء
الغيبة نظرا الى قوله الكافرين • والباقون بالخطاب اما على الوعيد واما على الالتفات من الغيبة المرادة في قراءة
الكسائي وهو تهديد لهم اى فستعلمون عند معاينة العذاب من الضال نحن ام انتم قوله قل ارأيتم • يا معشر
قريش ان اصبح ماؤكم غورا اى غائرا ذاهبا في الارض لا تناله الدلاء وغورا خبر اصبح وجوز ابو البقاء ان يكون حالا على تمام
اصبح لكنه استبعده وحكي انه قرئ غؤورا بضم الغين وهمزة مضمومة ثم واو ساكنة على فعول وجعل الهمزة منقلبة
عن واو مضمومة فصل كان ماؤهم من بئرين بئر زمزم وبئر ميمون فمن يأتيكم بماء معين اى جار قاله قتادة
والضحاك فلا بد لهم من ان يقولوا لا يأتينا به الا الله تعالى فقل لهم فلم تشركون به من لا يقدر على ان يأتيكم به
يقال غار الماء يغور غورا اى نضب والغور الغائر وصف بالمصدر للمبالغة كما تقول رجل عدل ورضى وقد مضى في سورة
الكهف • قال ابن عباس بماء معين اى ظاهر تراه العيون فهو مفعول • وقيل هو من معن الماء اى كثر فهو على هذا فعيل وعن
ابن عباس ايضا ان المعنى فمن يأتيكم بماء عذب • روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان سورة من
كتاب الله ما هي الا ثلاثون آية شفعت لرجل فاخرجته يوم القيامة من النار وادخلته الجنة وهي سورة تبارك • وعن
عبد الله بن مسعود قال اذا وضع الميت في قبره يؤتى من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل لانه قد كان يقوم بسورة
الملك ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل كان يقرأ بي سورة الملك ثم قال هي المانعة من عذاب
الله وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد اكثر واطنب • وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وددت ان تبارك الذي بيده الملك في قلب كل مؤمن

سورة ن

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة من اولها الى قوله تعالى سنسمه على الخرطوم مكي ومن
بعد ذلك الى قوله تعالى فهم يكتبون مكي ومن بعد ذلك الى قوله تعالى من الصالحين مدني وباقيها مكي قاله الماوردي

الماوردي وهي اثنتان وخمسون آية وثلاث مائة كلمة والف ومائتان وستة وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله
تعالى ن كقوله ص والقرآن وجواب القسم الجملة المنفية بعدها • قال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الارض وهو قول
مجاهد ومقاتل والسدي والكلبي • وروى ابو ظبيان عن ابن عباس قال اول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم
القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض
ثم قرأ ابن عباس ن والقلم وما يسطرون • قال الواقدي اسم النون ليوثا • وقال كعب الاحبار لوثيا • وعن علي اسمه
بلهوت • وقيل انه اقسم بالحوت الذي ابتلع يونس عليه السلام • وقيل الحوت الذي لطخ سهم نمرود بدمه • وقال الكلبي
ومقاتل اسم الحوت الذي على ظهره الارض البهموت قال الراجز ما لي اراكم كلكم سكوتا • والله ربي خالق البهموتا
وروى عكرمة عن ابن عباس ان نون آخر حروف الرحمن • وقيل انه اسم للدواة وهو ايضا مروي عن ابن عباس قال
القرطبي وروى ابو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة
وذلك قوله تعالى ن والقلم • ومنه قول الشاعر اذا ما الشوق برح بي اليهم • القت النون بالدمع السجام • ويكون على
هذا قسما بالدواة والقلم فان المنفعة بهما عظيمة بسبب الكتابة فان التفاهم تحصل تارة بالنطق وتارة بالكتابة • وقيل
النون لوح من نور تكتب فيه الملائكة ما يؤمرون به رواه معاوية بن قرة مرفوعا • وقيل النون هو المداد الذي تكتب
به الملائكة • وقال عطاء وابو العالية هو افتتاح اسمه نصير ونور وناصر • وقال محمد بن كعب اقسم الله تعالى بنصرة
المؤمنين • وقال جعفر الصادق هو نهر من انهار الجنة يقال له نون • وقيل هو الحرف المعروف من حروف المعجم قاله
القشيري قال لان نون حرف لم يعرب فلو كان كلمة تامة اعرب كما اعرب القلم فهو اذن حرف هجاء كما في اوائل السور • قال
الزمخشري واما قولهم هو الدواة فما ادري اهو وضع لغوي او شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا او علما
فان كان جنسا فاين الاعراب والتنوين وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلا بد له من موقع في تأليف الكلام لانك
اذا جعلته مقسما به وجب ان كان جنسا ان تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة والقلم
وان كان علما ان تصرفه وتجره او لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتانيث وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد نون من
النينان او يجعل علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك • قال شهاب
الدين وهذا الذي اورده ابو القاسم من محاسن علم الاعراب وقل من يتقنه • وقال ابن الخطيب بعد ذكره القول بانه نون
آخر اسم الرحمن وهذا ضعيف لان تجويزه يفتح باب ترهات الباطنية بل الحق هنا انه اسم للسورة او يكون الغرض منه
التحدي او سائر الوجوه المذكورة في اول سورة البقرة فصل قرأ العامة ن ساكن النون كنظائره وادغم ابن
عامر والكسائي وابو بكر عن عاصم بلا خلاف وورش بخلاف عنه النون في الواو واظهرها الباقون • قال الفراء اظهارها
اعجب الي لانها هجاء والهجاء كالموقوف عليه وان اتصل ونقل عن من ادغم الغنة وعدمها • وقرأ ابن عباس والحسن وابو السمال
وابن ابي اسحق بكسر النون وسعيد بن جبير وعيسى بخلاف عنه بفتحها فالاولى على التقاء الساكنين ولا يجوز ان يكون مجرورا
على القسم حذف حرف الجر وبقي عمله كقولهم الله لافعلن لوجهين احدهما ان ذلك مختص بالجلالة المعظمة نادر فيما عداها • والثاني
انه كان ينبغي ان ينون ولا يحسن ان يقال هو ممنوع الصرف اعتبارا بتانيث السورة لانه كان ينبغي ان لا يظهر فيه
الجر بالكسرة البتة • واما الفتح فيحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون بناء او نزع على الاصل للخفة كاين وكيف • الثاني ان يكون
مجرورا بحرف القسم المقدر على لغة ضعيفة وقد تقدم ذلك في قراءة فالحق والحق بجر الحق ومنعت الصرف اعتبارا بالسورة
والثالث ان يكون منصوبا بفعل محذوف اى اقرأ او اتل نونا ثم ابتدأ قسما بقوله والقلم او يكون منصوبا بعد حذف حرف
القسم كقوله فذلك امانة الله الثريد • ومنع الصرف لما تقدم وهذا احسن ليعطف والقلم على محله قوله وما يسطرون
ما موصولة اسمية او حرفية اى والذي يسطرونه من الكتب وهم الكتاب او الحفظة من الملائكة وسطرهم والضمير
عائد على من يسطر لدلالة السياق عليه ولذكر الآلة المكتتب بها • وقال الزمخشري يجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون
الضمير في يسطرون لهم يعني فيصير كقوله او كظلمات في بحر لجي يغشاه تقديره او كذي ظلمات فالضمير في يغشاه يعود
على ذي المحذوف فصل في القلم المقسم به قولان • احدهما ان المراد به الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب به في السماء
والارض قال تعالى وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ولانه ينتفع به كما ينتفع بالنطق كما قال تعالى خلق
الانسان علمه البيان فالقلم يبين كما يبين اللسان في المخاطبة بالكتابة للغائب والحاضر • والثاني انه القلم الذي جاء في
الخبر عن ابن عباس قال اول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب قال ما اكتب قال ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة قال
ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة قال وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض وروى مجاهد
قال اول ما خلق الله القلم فقال اكتب القدر فكتب ما هو كائن الى يوم القيامة وانما يجري الناس على امر قد فرغ منه
قال القاضي هذا الخبر يجب حمله على المجاز لان القلم آلة مخصوصة للكتابة لا يجوز ان يكون حيا عاقلا فيؤمر وينهى
فان الجمع بين كونه حيوانا مكلفا وبين كونه آلة للكتابة محال بل المراد منه انه تعالى اجراه بكل ما يكون وهو قوله

تعالى اذا اقتضى امرا فانما يقول له كن فيكون فانه ليس هناك امر ولا تكليف بل هو مجرد نفاذ القدرة في المقدور من غير منازعة
ولا مدافعة. وقيل القلم المذكور ههنا هو العقل وانه شيء هو كالاصل لجميع المخلوقات قالوا والدليل عليه انه روي في الاخبار
ان اول ما خلق الله تعالى القلم. وفي خبر آخر اول ما خلق الله تعالى العقل فقال الجبار ما خلقت خلقا اعجب الي منك
وعزتي وجلالي لاكملنك فيمن احببت ولانقصنك فيمن ابغضت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل الناس عقلا
اطوعهم لله واعلمهم بطاعته. وفي خبر آخر اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فذابت وتسخنت فارتفع منها
دخان وزبد فخلق من الدخان السموات ومن الزبد الارض قالوا فهذه الاخبار بمجموعها تدل على ان القلم والعقل وتلك
الجوهرة التي هي اصل المخلوقات شيء واحد والا حصل التناقض **فصل** وقوله وما يسطرون اي وما يكتبون يريد
الملائكة يكتبون اعمال بني آدم قاله ابن عباس وقيل وما يكتبون الناس ويتفاهمون به. وقال ابن عباس معنى وما يسطرون
وما يعلمون. قال ابن الخطيب وما يسطرون ما مع ما بعدها في تقدير المصدر فيحتمل ان يكون المراد وسطرهم فيكون
القسم واقعا بنفس الكتابة. ويحتمل ان يكون المراد به المسطور والمكتوب فان حمل القلم على كل قلم في مخلوقات الله فكانه
تعالى اقسم بكل قلم وبكل ما يكتب بكل قلم وقيل المراد يسطرون الحفظة والكرام. ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير
في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم وسطرهم او مسطوراتهم. وان حمل على القلم المعين فيحتمل ان يكون المراد بقوله
وما يسطرون اي وما يسطرون فيه وهو اللوح المحفوظ ولفظ الجمع في قوله يسطرون ليس المراد منه الجمع بل التعظيم
ويكون المراد تلك الاشياء التي سطرت فيه من جميع الامور الكائنة الى يوم القيامة **قوله** ما انت بنعمة ربك بمجنون. قد تقدم
الكلام على نظيره في الطور في قوله فما انت بنعمة ربك بكاهن الا ان الزمخشري قال هنا فان قلت بم يتعلق الباء في بنعمة ربك
وما محله قلت يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا كقولك انت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات والنفي استواء
في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا اعملت الفعل منفيا ومثبتا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت
بمجنون منعما عليك بذلك ولم يمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتاكيد النفي. قال ابو حيان وما ذهب اليه
الزمخشري من ان الباء تتعلق بمجنون وانه في موضع الحال يحتاج الى تامل وذلك انه اذا تسلط النفي على محكوم به وذلك
له معمول ففي ذلك طريقان احدهما ان النفي يتسلط على ذلك المعمول فقط والاخر ان يتسلط النفي على المحكوم به فينتفي معموله
لانتفائه بيان ذلك تقول ما زيد قائم مسرعا فالمتبادر الى الذهن انه منتف اسراعه دون قيامه فيكون قد قام غير
مسرع. والوجه الاخر انه انتفى قيامه فانتفى اسراعه اي لا قيام فلا اسراع وهذا الذي قررناه لا يتاتى معه قول الزمخشري
بوجه بل يؤدي الى ما لا يجوز ان ينطق به في حق المعصوم انتهى. واختار ابو حيان ان يكون بنعمة قسما معترضا به بين المحكوم عليه
والحكم على سبيل التاكيد والتشديد والمبالغة في انتفاء الوصف الذميم. وقال ابن عطية بنعمة ربك اعتراض كما تقول
للانسان انت بحمد الله فاضل قال ولم يبين ما تتعلق به الباء في بنعمة. قال شهاب الدين والذي تتعلق به الباء في هذا
النحو معنى مضمون الجملة نفيا واثباتا كانه قيل انتفى عنك ذلك بحمد الله والباء سببية وثبت لك الفضل بحمد الله تعالى
واما المثال الذي ذكره فالباء تتعلق فيه بلفظ فاضل وقد نحا صاحب المنتخب الى هذا فقال المعنى انتفى عنك الجنون بنعمة
ربك. وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لربك كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك اي والحمد لله وقول لبيد:
• واقرن في الدنيا بنعمة عشيرتي • وافرق في جار ربد بيافع • اي وهو اريد وهذا ليس بتفسير
اعراب بل تفسير معنى **فصل** ما انت بنعمة ربك بمجنون هذا جواب القسم وهو نفي. قال الزجاج انت هو اسم ما وبمجنون
الخبر وقوله بنعمة ربك كلام وقع في الوسط اي انتفى عنك الجنون بنعمة ربك كما يقال انت بحمد الله عاقل. روى ابن
عباس انه صلى الله عليه وسلم غاب عن خديجة الى حراء فطلبته فلم تجده فاذا به ووجهه متغير بلا غبار فقالت له
ما لك فذكر جبريل عليه السلام وانه قال له اقرأ باسم ربك فهو اول ما نزل من القرآن قال ثم نزل بي الى قرار الارض
فتوضا وتوضات ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال هكذا الصلاة يا محمد فذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لخديجة
فذهبت خديجة الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف دين قومه ودخل في النصرانية فسالته فقال
ارسلي الي محمدا فارسلته فقال هل امرك جبريل عليه السلام ان تدعو الى احد فقال لا فقال والله لئن بقيت الى دعوتك
لانصرنك نصرا عزيزا ثم مات قبل دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ووقعت تلك الواقعة في السنة فقال كفار قريش
انه مجنون فاقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون وهو خمس آيات من اول هذه السورة. وقال ابن عباس اول ما نزل قوله
تعالى سبح اسم ربك وهذه الآية الثانية نقله ابن الخطيب. وذكر القرطبي ان المشركين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه
وسلم مجنون به شيطان وهو قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فانزل الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لقولهم
ما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون اي برحمة ربك والنعمة ههنا الرحمة. وقال عطاء وابن عباس يريد بنعمة ربك
عليك بالايمان والنبوة. قال القرطبي ويحتمل ان النعمة ههنا قسم تقديره ما انت ونعمة ربك بمجنون لان الواو والباء
من حروف القسم وقد تقدم **فصل** قال ابن الخطيب اعلم انه تعالى وصفه ههنا بصفات ثلاثة الاولى نفي

الجنون عنه ثم قرن بهذه الدعوى ما يكون كالدلالة القاطعة على صحتها لان قوله بنعمة ربك يدل على ان نعم الله تعالى ظاهرة
في حقه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه
النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينافي حصول الجنون فالله تعالى نبه على ان هذه الدقيقة جارية مجرى الدلالة اليقينية
على كذبهم في قولهم مجنون. الصفة الثانية **قوله** وان لك لاجرا غير ممنون اي ثوابا على ما تحملت غير منقوص ولا مقطوع
منه يقال منّ الشيء اذا اضعف ويقال مننت الحبل اذا قطعته وحبل منين اذا كان غير متين قال لبيد
• غبسا كواسب ما يمن طعامها • اي لا ينقطع يصف كلابا ضارية ونظيره قوله تعالى غير مجذوذ. وقال مجاهد
ومقاتل والكلبي غير ممنون اي غير محسوب عليك. قالت المعتزلة لانك تستوجبه على عملك وجوابهم ان حمله على هذا يقتضي
التكرار لان قوله اجرا يفيد. وقال الحسن غير مكدر بالمن. وقال الضحاك اجرا بغير عمل. واختلفوا في هذا الاجر على اي شيء حصل
فقيل معناه ان لك على احتمال هذا الطعن والقول القبيح اجرا عظيما دائما. وقيل ان لك في اظهار النبوة والمعجزات وفي دعاء
الخلق الى الله تعالى وفي بيان الشرع لهم هذا الاجر الخالص الدائم فلا يمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا
المهم العظيم فان لك بسببه المنزلة العالية. الصفة الثالثة **قوله** وانك لعلى خلق عظيم. قال ابن عباس ومجاهد على
خلق على دين عظيم من الاديان ليس دين احب الى الله ولا ارضى عنده منه. وروى مسلم عن عائشة ان خلقه كان القرآن
وقال علي رضي الله عنه هو ادب القرآن. وقيل رفقه بامته واكرامه اياهم. وقال قتادة هو ما كان ياتمر به من امر
الله وينتهي عنه مما نهى الله عنه. وقيل انك على طبع كريم. وقال الماوردي حقيقة الخلق في اللغة ما ياخذ به الانسان
في نفسه من الادب يسمى خلقا لانه يصير كالخلقة فيه. فاما ما طبع عليه من الادب فهو الخيم فيكون الخلق الطبع المتكلف
والخيم الطبع الغريزي. قال القرطبي ما ذكره مسلم في صحيحه عن عائشة اصح الاقوال. وسئلت ايضا عن خلقه عليه السلام
فقرات قد افلح المؤمنون الى عشر آيات. قال ابن الخطيب وهذا اشارة الى ان نفسه القدسية كانت بالطبع منجذبة الى عالم
الغيب والى كل ما يتعلق بها وكانت شديدة النفرة عن اللذات البدنية والسعادات الدنيوية بالطبع ومقتضى الفطرة وقالت
ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من الصحابة ولا من اهل بيته الا قال لبيك ولذلك
قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولم يذكر خلق محمود الا وكان للنبي صلى الله عليه وسلم منه الحظ الاوفر. وقال الجنيد
سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه بدليل قوله عليه السلام ان الله بعثني لاتمم مكارم الاخلاق **فصل** قال ابن
الخطيب قوله وانك لعلى خلق عظيم كالتفسير لما تقدم من قوله تعالى بنعمة ربك والتعريف لمن رماه بالجنون بان ذلك كذب
وخطا لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة منه واذا كان موصوفا بتلك الاخلاق والافعال لم يجز اضافة
الجنون اليه لان اخلاق المجانين سيئة ولما كانت اخلاقه الحميدة صلى الله عليه وسلم كاملة لا جرم وصفها الله بانها عظيمة
ولهذا قال قل لا اسالكم عليه اجرا وما انا من المتكلفين اي لست متكلفا فيما يظهر لكم من اخلاقي لان المتكلف لا يدوم امره
طويلا بل يرجع الى الطبع. وقيل انما وصف خلقه بانه عظيم لانه تعالى قال اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فهذا الهدى
الذي امر الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالاقتداء به ليس هو معرفة الله تعالى لان ذلك تقليد وهو غير لائق بالرسول صلى الله
عليه وسلم وليس هو الشرائع لان شريعته مخالفة لشرائعهم فتعين ان يكون المراد منه امره صلى الله عليه وسلم بان
يقتدي بكل واحد من الانبياء فيما اختص به من الخلق الكريم وكان كل واحد منهم مختصا بنوع واحد فلما امر محمد صلى الله
عليه وسلم بان يقتدي بالكل فكانه امر بمجموع ما كان متفرقا فيهم ولما كان ذلك درجة عالية لم تتيسر لاحد من الانبياء
قبله لا جرم وصف الله خلقه بانه عظيم وكلمة على للاستعلاء فدل اللفظ على انه مستعل على هذه الاخلاق ومستول
عليها وانه بالنسبة الى هذه الاخلاق الحميدة كالمولى بالنسبة الى العبد وكالامير بالنسبة الى المامور. وقد وردت احاديث
كثيرة صحيحة في مدح الخلق الحسن وذم الخلق السيئ **قوله** فستبصر ويبصرون. قال ابن عباس معناه فستعلم
ويعلمون يوم القيامة. وقيل فسترى ويرون يوم القيامة حتى يتبين الحق والباطل. وقيل فستبصر ويبصرون
في الدنيا كيف يكون عاقبة امرك وعاقبة امرهم فانك تصير معظما في القلوب ويصيرون ذليلين ملعونين وتستولي
عليهم بالقتل والنهب. قال مقاتل بن حيان هذا وعيد العذاب ببدر **قوله** بايكم المفتون فيه اربعة اوجه احدها
ان الباء مزيدة في المبتدا والتقدير ايكم المفتون فزيدت كزيادتها في نحو بحسبك زيد والى هذا ذهب قتادة
وابو عبيدة معمر بن المثنى الا انه ضعيف من حيث ان الباء لا تزاد في المبتدا الا في حسبك فقط. الثاني ان الباء
بمعنى في فهي ظرفية كقولك زيد بالبصرة اي فيها. والمعنى في اي فرقة وطائفة منكم المفتون اي المجنون اي في فرقة
الاسلام ام في فرقة الكفار واليه ذهب مجاهد والفراء ويؤيده قراءة ابن ابي عبلة في ايكم. والثالث انه على حذف
مضاف اي بايكم فتن المفتون فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واليه ذهب الاخفش وتكون الباء سببية
والرابع ان المفتون مصدر جاء على مفعول كالمعقول والميسور والتقدير بايكم الفتون فعلى القول الاول يكون
الكلام تاما عند قوله ويبصرون ويبتدا بقوله بايكم المفتون وعلى الاوجه بعده تكون الباء متعلقة بما قبلها ولا

يوقف على تبصرون وعلى الاوجه الاول الثلاثة يكون المفتون اسم مفعول على اصله وعلى الوجه الرابع يكون مصدرا وينبغى ان يقال ان الكلام انما يتم على قوله المفتون سواء قيل بان الباء مزيدة ام لا لان قوله فستبصر ويبصرون معلق بالاستفهام بعده لانه فعل بمعنى الرؤية والرؤية البصرية تعلق على الصحيح بدليل قولهم اما ترى اى برق هاهنا فكذلك الابصار لانه هو الرؤية بالعين فعلى القول بزيادة الباء تكون الجملة الاستفهامية فى محل نصب لانها واقعة موقع مفعول الابصار **فصل** قال القرطبى فستبصر ويبصرون بايكم المفتون اى الذى فتن بالجنون كقوله تعالى تنبت بالدهن ويشرب بها عباد الله وهو قول قتادة وابى عبيدة كما تقدم وقيل الباء ليست بزائدة والمعنى بايكم المفتون اى الفتنة وهو مصدر على وزن المفعول ويكون المعنى الفتون كقولهم ما لفلان مجلود ولا معقول اى عقل ولا جلادة قاله الحسن والضحاك وابن عباس وقال الراعى حتى اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا اى عقلا وقيل المفتون المجنون الذى فتنه الشيطان وقيل المفتون المعذب من قول العرب فتنت الذهب بالنار اذا احميته قال تعالى يوم هم على النار يفتنون اى يعذبون وقيل المفتون الشيطان لانه مفتون فى دينه وكانوا يقولون انه شيطان وعنوا بالمجنون هذا فقال الله تعالى سيعلمون غدا بايهم الشيطان الذى يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل **قوله** ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله اى ان الله هو العالم بمن حاد عن دينه وهو اعلم بالمهتدين اى الذين هم على الهدى فيجازى كلا غدا **قوله** فلا تطع المكذبين نهاه عن ممايلة المشركين وكانوا يدعونه الى ان يكف عنهم ليكفوا عنه فبين الله تعالى ان ممايلتهم كفر وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقيل فلا تطع المكذبين اى فيما دعوك اليهم من دينهم الخبيث نزلت فى مشركى قريش حين دعوه الى دين آبائه **قوله** ودوا لو تدهن فيدهنون المشهور فى قراءة الناس ومصاحفهم فيدهنون بثبوت نون الرفع وفيه وجهان احدهما انه عطف على تدهن فيكون داخلا فى حيز لو والثانى انه خبر مبتدأ مضمر اى فهم يدهنون وقال الزمخشرى فان قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمنى قلت قد عدل به الى طريق آخر وهو ان جعل خبر مبتدأ محذوف اى فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم فى ادهانك قال سيبويه وزعم هارون انها فى بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا انتهى وفى نصبه على ما وجد فى بعض المصاحف وجهان احدهما انه عطف على التوهم كانه توهم ان نطق بان فنصب الفعل على هذا التوهم وهذا انما يجىء على القول بمصدرية لو وفيه خلاف تقدم تحقيقه فى البقرة والثانى انه نصب على جواب التمنى المفهوم من ودوا والظاهر ان لو هنا حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وان جوابها محذوف ومفعول الوداد ايضا محذوف تقديره ودوا ادهانك فحذف ادهانك لدلالة لو وما بعدها عليه وتقدير الجواب لسروا بذلك **فصل** قال ابن عباس وعطية والضحاك والسدى ودوا لو تكفر فيتمادون على كفرهم وعن ابن عباس ايضا ودوا لو ترخص لهم فيرخصون لك وقال الفراء والكلبى لو تلين فيلينون لك والادهان التليين لمن لا ينبغى له التليين قاله الفراء والليث وقال مجاهد ودوا لو ركنت اليهم وتركت الحق فيمالئونك وقال الربيع بن انس ودوا لو تكذب فيكذبون وقال قتادة ودوا لو تذهب عن هذا الامر فيذهبون معك وقال الحسن ودوا لو تصانعهم فى دينك فيصانعونك فى دينهم وعنه ايضا ودوا لو ترفض بعض امرك فيرفضون بعض امرهم وقال زيد بن اسلم لو تنافق وترائى فينافقون ويراءون وقيل ودوا لو تضعف فيضعفون قاله ابو جعفر وقال القتبى ودوا لو تداهن فى دينك فيداهنون فى اديانهم وعنه طلبوا منه ان يعبد آلهتهم مدة ويعبدون الهه مدة وهذان القولان الاخيران هما القولان المتقدمان فى معنى لو تكفر ومعنى لو تصانعهم وقال ابن العربى ذكر المفسرون فيها نحو عشرة اقوال كلها دعاوى على اللغة والمعنى وامثلها ودوا لو تكذب فيكذبون ودوا لو تكفر فيكفرون وقال القرطبى كلها ان شاء الله صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى فان الادهان اللين والمصانعة وقيل مجاملة العدو وممايلته وقيل المقاربة فى الكلام والتليين فى القول وقال المفضل النفاق وترك المناصحة فهى على هذا الوجه مذمومة وعلى الوجه الاول غير مذمومة وكل شىء منها لم يكن قال المبرد يقال ادهن فى دينه وداهن فى امره اى خان فيه واظهر خلاف ما يضمر وقال قوم داهنت بمعنى واريت وادهنت بمعنى غششت قاله الجوهرى **قوله** فيدهنون ساقه على العطف ولو جاء به جواب النهى لقال فيدهنوا وانما اراد انهم تمنوا لو فعلت فيفعلون مثل فعلك عطفا لا جزاء عليه ولا مكافاة وانما هو تمثيل ونظير **قوله** ولا تطع كل حلاف مهين قال السدى والشعبى وابن اسحق يعنى الاخنس بن شريق وقال مجاهد يعنى الاسود بن عبد يغوث او عبد الرحمن بن الاسود وقال مقاتل يعنى الوليد بن المغيرة عرض على النبى صلى الله عليه وسلم مالا وحلف له انه يعطيه ان رجع عن دينه وقال ابن عباس هو ابو جهل بن هشام والحلاف الكثير الحلف والمهين تقدم فى الزخرف قال مجاهد هو الضعيف القلب وقال ابن عباس هو الكذاب والكذاب مهين وقال الحسن وقتادة هو المكثار فى الشر وقال الكلبى المهين الفاجر وقال عبد الله هو الحقير وقال ابن بحر هو الذليل وقال الرمانى هو الوضيع لاكثاره من القبيح وهو فعيل بمعنى مفعل المعنى يهان **قوله** هماز

هماز والهماز مثال مبالغة من الهمز وهو فى اللغة الضرب طعنا باليد والعصا ونحوها واستعير للمغتاب الذى يغتاب الناس كانه يضربهم بايذائه قال ابن زيد الهماز الذى يهمز الناس بيده ويضربهم واللماز باللسان وقيل الهماز الذى يذكر الناس فى وجوههم واللماز الذى يذكرهم فى مغيبهم وقال مقاتل بالعكس وقال مرة هما سواء ونحوه عن ابن عباس وقتادة قال الشاعر

تدلى بود اذا لاقيتنى كذبا * وان اغيب فانت الهامز اللمز

والنميم قيل مصدر كالنميمة وقيل هو جمع نميمة اى اسم جنس كتمرة وتمر وهو نقل الكلام الذى يسوء سامعه ويحرش بين الناس وقال الزمخشرى والنميم والنميمة السعاية وانشد لبعض العرب

تشبى لتشتت النميمه * تمشى بها زهرا الى تميمة

والمشاء مثال مبالغة من المشى اى يكثر السعاية بين الناس ليفسد بينهم يقال نم ينم نما ونميما ونميمة اى يمشى ويسعى بالفساد قال عليه السلام لا يدخل الجنة نمام والعتل الذى يعتل الناس اى يحملهم ويجرهم الى ما يكرهون من حبس وضرب ومنه خذوه فاعتلوه وقيل العتل الشديد الخصومة وقال ابو عبيدة هو الفاحش اللئيم وانشد

بعتل من الرجال زنيم * غير ذى نجدة وغير كريم

وقيل الغليظ الجافى ويقال عتلته وعتنته باللام والنون نقله يعقوب وقيل العتل الجافى الشديد فى كفره وقال الكلبى والفراء هو الشديد الخصومة بالباطل قال الجوهرى ويقال عتلت الرجل عتلا واعتله اذا جذبته جذبا عنيفا ورجل معتل بالكسر والعتل ايضا الرمح الغليظ ورجل عتل بالكسر بين العتل اى سريع الى الشر ويقال لا انعتل معك اى لا ابرح مكانى وقال عبيد بن عمير العتل الاكول الشروب القوى الشديد يوضع فى الميزان فلا يزن شعيرة يدفع الملك من اولئك فى جهنم بالدفعة الواحدة سبعين الفا والزنيم الدعى ينتسب الى قوم ليس منهم قال حسان رضى الله عنه

زنيم تداعاه الرجال زيادة * كما زيد فى عرض الاديم الاكارع

وقال ايضا

وانت زنيم نيط فى آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

واصله من الزنمة وهى ما بقى من جلد الماعز معلقا فى حلقها يترك عند القطع فاستعير للدعى لانه كالمعلق بما ليس منه **فصل** تقدم القول فى الحلاف المهين عن الشعبى والسدى وابن اسحق انه الاخنس بن شريق وعلى قول غيرهم انه الاسود بن عبد يغوث او عبد الرحمن بن الاسود او الوليد بن المغيرة او ابو جهل بن هشام وتقدم تفسير الهماز والمشاء بنميم واما قوله مناع للخير اى للمال ان ينفق فى وجوهه وقال ابن عباس يمنع عن الاسلام ولده وعشيرته قيل كان للوليد بن المغيرة عشرة من الولد وكان يقول لهم ولاقاربه من تبع منكم محمدا منعته رفدى وقال الحسن يقول لهم من دخل منكم فى دين محمد لا انفعه بشىء ابدا وقوله معتد اى على الناس فى الظلم متجاوز للحد صاحب باطل وقوله اثيم اى ذا اثم ومعناه اثوم فهو فعيل بمعنى فعول قال البغوى اثيم فاجر واما العتل فتقدم الكلام عليه فى اللغة وقال عليه السلام الا اخبركم باهل الجنة قالوا بلى قال كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار قالوا بلى قال كل عتل جواظ مستكبر وفى رواية كل جواظ زنيم متكبر والجواظ الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم المختال فى مشيته وقيل القصير البطين وذكر الماوردى عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظرى ولا العتل الزنيم وقال صلى الله عليه وسلم الجواظ الذى جمع ومنع والجعظرى الفظ الغليظ المتكبر قال ابن الاثير وقيل هو الذى ينتفخ بما ليس عنده وفيه قصر قال القرطبى وقال عليه السلام الشديد الخلق الرحيب الجوف المصحح الاكول الشروب الواجد للطعام الظلوم للناس وعن زيد بن اسلم فى قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم قال قال النبى صلى الله عليه وسلم تبكى السماء من رجل اصح الله جسمه ورحب جوفه واعطاه من الدنيا بعضا فكان للناس ظلوما فذلك العتل الزنيم وقوله بعد ذلك اى مع ذلك يريد مع ما وصفناه به زنيم وتقدم معنى الزنيم وعن ابن عباس انه رجل من قريش كانت له زنمة كزنمة الشاة وروى عنه ابن جبير انه الذى يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها وقال عكرمة هو اللئيم الذى يعرف بلؤمه كما تعرف الشاة بزنمتها وقال مجاهد زنيم كانت له ستة اصابع فى يده فى كل ابهام له اصبع زائدة وعنه ايضا وسعيد بن المسيب وعكرمة هو ولد الزنا الملحق فى النسب بالقوم وكان الوليد دعيا فى قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من ابوه * بغى الام ذو حسب لئيم

قيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت الآية وهذا لان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الولد كما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولد ولده وقال عبد الله بن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان اولاد الزنا يحشرون يوم القيامة فى صور القردة والخنازير وقالت ميمونة سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال امتى بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فاذا فشا فيهم ولد الزنا اوشك ان يعمهم الله بعذاب وقال عكرمة اذا كثر ولد الزنا قحط المطر قال القرطبى ومعظم المفسرين على ان هذه الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة وكان يطعم اهل منى حيسا ثلاثة ايام وينادى الا لا يوقدن احد تحت برمة الا لا يدخن احد بكراع الا من اراد الحيس فليات الوليد

ابن المغيرة وكان ينفق في الحجة الواحدة عشرين ألفا او اكثر ولا يعطي المسكين درهما واحدا فقيل مناع للخير وفيه نزل وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة • وقال محمد بن اسحق نزلت في الاخنس بن شريق لانه حليف ملحق في بني زهرة فلذلك سمي زنيما • وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال في هذه الآية نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها • قال ابن قتيبة لا نعلم ان الله وصف احدا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة والحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والآخرة • فصل قرأ الحسن عتل بالرفع اي هو عتل وجعله ابن عطية ما بعده بالرفع ايضا لانهم قالوا ان القطع انه يبدأ بالاتباع ثم بالقطع من غير عكس • وقوله بعد ذلك اي بعد ما وصفناه به قال ابن عطية فهذا الترتيب انما هو في قول الواصف لا في حصول تلك الصفات في الموصوف والا فكونه عتلا هو قبل كونه صاحب خير يمنعه • وقال الزمخشري بعد ذلك اي بعد ما عد له من المثالب والنقائص ثم قال جعل جفاءه ودعوته اشد معايبه لانه اذا غلظ وجفا طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية ونظيره قوله بعد ذلك ثم كان من الذين • قوله ان كان ذا مال العامة على فتح همزة ان ثم اختلفوا بعد فقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر واضاف القرطبي معهم ابو جعفر وابو حيوة والمغيرة والاعرج بالاستفهام وباقي السبعة بالخبر والقارئون بالاستفهام على اصولهم من تحقيق وتسهيل وادخال الف بين الهمزتين وعدمه ولا بد من بيان ذلك فنقول قرأ حمزة وابو بكر وذكر القرطبي معهم المفضل بتحقيق الهمزتين وعدم ادخال الف بينهما وهذا هو اصلهما • وقرأ ابن ذكوان بتسهيل الثانية وعدم ادخال الف وهشام بالتسهيل المذكور الا انه ادخل الفا بينهما فقد خالف كل منهما اصله • اما ابن ذكوان فانه يحقق الهمزتين فقد سهل الثانية هنا • واما هشام فان اصله ان يجري في الثانية من هذا النحو وجهين التحقيق كربيعة والتسهيل وقد التزم التسهيل هنا • واما ادخال الالف فانه فيه على اصله كما تقدم اول البقرة • وقرأ نافع في رواية الزهري عنه ان كان بكسر الهمزة على الشرط • فاما قراءة ان كان بالفتح على الخبر ففيه اربعة اوجه • احدها انها ان المصدرية في موضع المفعول له مجرورة بلام مقدرة واللام متعلقة بفعل النهي اي ولا تطع من هذه صفاته لان كان متمولا وصاحب بنين • الثاني انها متعلقة بعتل وان كان قد وصف قاله الفارسي وهذا لا يجوز عند البصريين وكان الفارسي اغتفره في الجار • الثالث ان يتعلق بزنيم ولا سيما عند من يفسره بقبيح الافعال • الرابع ان يتعلق بمحذوف يدل عليه ما بعده من الجملة الشرطية تقديره لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب باياتنا قاله الزمخشري قال ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب • وقال مكي وتبعه ابو البقاء لا يجوز ان يكون العامل تتلى لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها لان اذا تضاف الى الجمل ولا يعمل المضاف اليه فيما قبل المضاف انتهى وهذا يوهم ان المانع من ذلك ما ذكره فقط والمانع امر معنوي حتى لو فقد هذا المانع الذي ذكره لامتنع من جهة المعنى وهو انه لا يصلح ان يعلل تلاوة ايات الله عليه بكونه ذا مال وبنين • واما قراءة ان كان على الاستفهام ففيها وجهان احدهما ان يتعلق بمقدر يدل عليه ما قبله اي انطيعه لان كان او اتكون طواعيته لان كان • والثاني ان يتعلق بمقدر يدل عليه ما بعده اي الان كان كذب وجحد • واما قراءة ان كان بالكسر فعلى الشرط وجوابه مقدر تقديره ان كان كذا يكفر ويجحد دل عليه ما بعده • وقال الزمخشري والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا اطاع الكافر لغناه فكانه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط للمخاطب صرف الترجي اليه في قوله لعله يتذكر وجعله ابو حيان من دخول شرط على شرط يعني ان واذا الا انه قال ليسا من الشروط المترتبة الوقوع وجعله نظير قول ابن دريد

فان عثرت بعدها ان والت • نفسي من هاتا فقولا لا لعا

قال لان الحامل على تدبر ايات الله كونه ذا مال وبنين وهو مشغول القلب بذلك غافل عن النظر قد استولت عليه الدنيا وابطرته • وقرأ الحسن بن ابي [illegible] بالاستفهام وهو استفهام تقريع وتوبيخ على قوله حين تليت عليه ايات الله اساطير الاولين • فصل قال القرطبي فمن قرأ بهمزة مطولة او بهمزتين محققتين فهو استفهام والمراد به التوبيخ ويحسن له ان يقف على زنيم ويبتدئ ان كان على معنى الان كان ذا مال وبنين نطيعه • ويجوز ان يكون التقدير الان كان ذا مال وبنين يقول اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين • ويجوز ان يكون التقدير الان كان ذا مال وبنين يكفر ويستكبر ودل عليه ما تقدم من الكلام فصار كالمذكور بعد الاستفهام • ومن قرأ ان كان بغير استفهام فهو مفعول من اجله والعامل فيه فعل مضمر والتقدير يكفر لان كان ذا مال وبنين ودل على هذا الفعل اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ولا يعمل في ان تتلى ولا قال لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها لان اذا تضاف الى الجمل التي بعدها ولا يعمل المضاف اليه فيما قبل المضاف وقال جواب الجزاء ولا يعمل فيما قبل الجزاء اذ حكم العامل ان يكون قبل المعمول فيه وحكم الجواب ان يكون بعد الشرط فيصير مقدما مؤخرا في حال واحد • ويجوز ان يكون المعنى لا تطعه لان كان ذا يسار وعدد • قال ابن الانباري ومن قرأ بلا استفهام لم يحسن ان يقف على زنيم لان المعنى لان كان وبان كان فان متعلقة بما قبلها • وقال غيره يجوز ان تتعلق بقوله مشاء بنميم والتقدير يمشي بنميم لان كان ذا

مال وبنين • واجاز ابو علي ان يتعلق بعتل • ومعنى اساطير الاولين اباطيلهم وترهاتهم • قوله سنسمه اي نجعل له سمة اي علامة يعرف بها قال جرير

لما وضعت على الفرزدق ميسمي • وعلى البعيث جدعت انف الاخطل

والخرطوم الانف وهو هنا عبارة عن الوجه كله من التعبير عن الكل بالجزء لانه اظهر ما فيه واعلاه • والخرطوم ايضا الخمر وكانه استعارة لها لان الشنفرى قال هي الخمر اول ما يخرج من الدن فجعلت كالانف لانه اول ما يبدو من الوجه فليس الخرطوم الخمر مطلقا ومن مجي الخرطوم بمعنى الخمر قول علقمة بن عبدة

قد اشهد الشرب فيهم مزهر رنم • والقوم تصرعهم صهباء خرطوم

وانشد النضر بن شميل

تظل يومك في لهو وفي طرب • وانت بالليل شراب الخراطيم

فصل قال ابن عباس سنسمه سنخطمه بالسيف قال وقد خطم الذي نزلت فيه يوم بدر بالسيف فلم يزل مخطوما الى ان مات • وقال قتادة سنسمه يوم القيامة على انفه سمة يعرف بها يقال وسمه وسما وسمة اذا اثرت فيه بسمة وكي • قال الضحاك والكسائي سنكويه على وجهه وقد قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فهي علامة ظاهرة وقد قال تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وهذه علامة اخرى ظاهرة وافادت هذه الاية علامة ثالثة وهي الوسم على الانف بالنار وهذا كقوله يعرف المجرمون بسيماهم قاله الكلبي وغيره • وقال ابو العالية ومجاهد سنسمه على الخرطوم اي على انفه ونسود وجهه في الاخرة فيعرف بسواد وجهه قال القرطبي والخرطوم الانف من الانسان ومن السباع موضع الشفة وخراطيم القوم سادتهم • قال الفراء وان كان الخرطوم قد خص بالسمة فانه في معنى الوجه لان بعض الشيء يعبر به عن الكل • وقال الطبري نبين امره تبيانا واضحا فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخراطيم • وقيل المعنى سنلحق به عارا وسبة حتى يكون كمن وسم على انفه • قال القتبي تقول العرب للرجل يسب سبة سوء قبيحة باقية قد وسم ميسم سوء اي الصق به عار لا يفارقه كما ان السمة لا يمحى اثرها وهذا كله نزل في الوليد بن المغيرة ولا شك ان المبالغة العظيمة في ذمه بقيت على وجه الدهر ولا يعلم ان الله تعالى بلغ من ذكر عيوب احد ما بلغ منه فالحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والاخرة كالوسم على الخرطوم • وقيل ما ابتلاه الله به في الدنيا في نفسه واهله وماله من سوء وذل وصغار قاله ابن بحر • وقال النضر بن شميل المعنى سنحده على شرب الخمر والخرطوم الخمر وجمعه خراطيم وانشد البيت المتقدم • قال ابن الخطيب وهذا تعسف • قوله انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة • يريد اهل مكة والابتلاء الاختبار والمعنى اعطيناهم الاموال ليشكروا لا ليبطروا فلما بطروا وعادوا محمدا صلى الله عليه وسلم ابتليناهم بالجوع والقحط كما بلونا اصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم وذلك انها كانت بارض اليمن بالقرب منهم على فراسخ من صنعاء ويقال بفرسخين كانت لرجل يؤدي حق الله منها فلما مات صارت الى ولده فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله فيها فاهلكها الله من حيث لم يمكنهم دفع ما حل بها • قال الكلبي كان بينهم وبين صنعاء فرسخان ابتلاهم الله بان احرق جنتهم • وقيل هي جنة بضوران وضوران على فراسخ من صنعاء وكان اصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه السلام بيسير وقيل كانوا من بني اسرائيل • وقيل كانوا من ثقيف وكانوا بخلاء وكانوا يجدون التمر ليلا من اجل المساكين فارادوا حصاد زرعها وقالوا لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين فغدوا عليها فاذا هي قد اقتلعت من اصلها فاصبحت كالصريم اي كالليل ويقال ايضا للنهار صريم فان كان اراد الليل فلاسوداد موضعها وكانهم وجدوا موضعها حماة وان كان اراد بالصريم النهار فلذهابها بالشجر والزرع وخلو الارض منه وكان الطائف الذي طاف عليها جبريل عليه السلام فاقتلعها فيقال انه طاف حول البيت ثم وضعها حيث مدينة الطائف اليوم ولذلك سميت الطائف وليس في ارض الحجاز بلدة فيها الماء والشجر والاعناب غيرها • وقال البكري في المعجم سميت الطائف لان رجلا من العرب يقال له الدمون بنى حائطا وقال قد بنيت لكم طائفا حول بلدكم فسميت الطائف والله اعلم • قوله اذ اقسموا اي حلفوا فيما بينهم ليصرمنها اي ليجذنها مصبحين اي وقت الصبح قبل ان تخرج المساكين • ولا يستثنون يعني لم يقولوا ان شاء الله • قوله مصبحين حال من فاعل ليصرمنها وهو من اصبح التامة اي داخلين في الصباح كقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وقولهم اذا سمعت بسرى القين فاعلم بانه مصبح • والكاف في كما في موضع نصب نعتا لمصدر محذوف اي بلوناهم ابتلاء كما بلونا وما مصدرية او بمعنى الذي واذ منصوبة ببلونا وليصرمنها جواب للقسم وجاء على خلاف منطوقهم ولو جاء عليه لقيل لنصرمنها بنون التكلم • قوله ولا يستثنون • هذه مستأنفة ويضعف كونها حالا من حيث ان المضارع المنفي بلا كالمثبت في عدم دخول الواو عليه واضمار مبتدأ قبله كقولهم قمت واصك عينه مستغنى عنه • ومعنى لا يستثنون قيل لا يستثنون للمساكين من جملة ذلك القدر الذي كان يدفعه ابوهم للمساكين • ويقال حلف يمينا ليس فيها ثنيا ولا مثنوية ولا استثناء كله واحد واصله من الثني وهو الكف والرد لان الحالف اذا قال والله لافعلن كذا الا ان يشاء الله غيره فقد رد انعقاد ذلك اليمين • وقيل المعنى لا يثنون عزمهم على الحرمان • وقيل لا يقولون ان شاء الله • قال الزمخشري وسمي استثناء وهو شرط لان معنى لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد • قوله فطاف عليها طائف • اي هلاك او بلاء طائف والطائف غلب في الشر • قال الفراء هو الامر الذي ياتي ليلا ورد عليه بقوله اذا مسهم طائف من الشيطان

وذلك لا يختص بليل ولا نهار. وقرأ النخعي طيف وقد تقدم في الاعراف الكلام على هذين الوصفين. قوله: من ربك يجوز ان يتعلق بطائف وان يتعلق بمحذوف صفة لطائف. قوله: فاصبحت كالصريم. والصرام جذاذ النخل واصل المادة الدلالة على القطع ومنه الصريم والصرم بالضم والفتح وهو القطيعة قال امرؤ القيس

افاطم مهلا بعض هذا التدلل ... وان كنت قد ازمعت صرمي فاجملي

ومنه الصريمة وهي قطعة منصرمة عن الرمل لا تنبت شيئا قال

وبالصريمة منهم منزل خلق ... عاف تغير الا النؤي والوتد

والصارم القاطع الماضي وناقة مصرمة اي انقطع لبنها والصرمان الشهر والسنة اي قرب انقضاهما واصرم ساءت حاله كانه انقطع سبب حاله. قوله كالصريم قيل هي الاشجار المنصرم حملها. وقال ابن عباس والفراء كالليل لانه يقال له الصريم لسواده. والصريم ايضا النهار. وقيل الصبح لانه انصرم من الليلة قاله الاخفش وهو من الاضداد. وقال شمر الصريم الليل والصريم النهار لانصرام هذا عن ذاك وذاك عن هذا. وقيل هو الرماد الاسود بلغة خزيمة قاله ابن عباس ايضا. قال ابن عباس وقيل الصريم رملة معروفة باليمن لا تنبت شيئا. وقال الثوري كالزرع المحصود فالصريم بمعنى المصروم اي المقطوع ما فيه. وقال الحسن صرم عنها الخير اي قطع فالصريم مفعول ايضا. وقال المورج اي كالرملة انصرمت من معظم الرمل يقال صريمة وصرائم فالرملة لا تنبت شيئا ينتفع به. وقيل سمي الليل صريما لانه يقطع بظلمته عن التصرف وهذا يكون فعيل بمعنى فاعل. قال القشيري وفي هذا نظر لان النهار يسمى صريما ولا يقطع عن التصرف. وقيل سمي الليل صريما لانه يصرم نور البصر ويقطعه.

فصل

قال القرطبي في الاية دليل على ان العزم مما يؤاخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيره قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه. وقد مضى في ال عمران عند قوله ولم يصروا على ما فعلوا. قوله فتنادوا مصبحين قال مقاتل لما اصبحوا قال بعضهم لبعض اغدوا على حرثكم يعني بالحرث الثمار والزروع والاعناب ولذلك قال صارمين لانهم ارادوا قطع الثمار من الاشجار. قوله ان اغدوا يجوز ان يكون المصدرية اي تنادوا بهذا الكلام وان تكون المفسرة لانه تقدمها ما هو بمعنى القول. قال الزمخشري فان قلت هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على قلت لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز ان يضمن الغدو معنى الاقبال كقولهم يغدى عليهم بالجفنة ويراح انتهى. جعل غدا متعديا في الاصل بالى فاحتاج الى تاويل تعديته بعلى وفيه نظر لورود تعديته بعلى في غير موضع كقوله

وقد اغدوا على ثبة كرام ... نشاوى واجدين لما نشاء

واذا كانوا قد عدوه متعديا بعلى فليعدوه بما هو مرادفه بكر تقول بكرت عليه وغدوت عليه بمعنى واحد قال

بكرت عليه غدوة فرايته ... قعودا لديه بالصريم عواذله

قوله: ان كنتم صارمين جوابه محذوف اي فاغدوا او صارمين قاطعين جادين. وقيل ماضين في العزم من قولك سيف صارم. قوله فانطلقوا وهم يتخافتون اي يتشاورون فيما بينهم والمعنى يخفون كلامهم ويسرونه لئلا يعلم بهم احد قاله عطاء وقتادة وهو من خفت يخفت اذا سكن ولم يبين. قال ابن الخطيب وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخمود والخفاء. وقيل يخفون انفسهم من الناس حتى لا يروهم وكان ابوهم يخبر الفقراء والمساكين فيحضروا وقت الحصاد والصرام. وقوله وهم يتخافتون جملة حالية من فاعل انطلقوا. قوله ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين. ان مفسرة ويجوز ان تكون المصدرية اي يتخافتون بهذا الكلام اي بقوله بعضهم لبعض لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين. قال ابن الخطيب والنهي للمسكين عن الدخول نهي لهم عن تمكينه منه اي لا تمكنوه من الدخول. وقرا عبد الله وابن ابي عبلة لا يدخلها باسقاط ان اما على اضمار القول كمذهب البصريين واما على اجراء يتخافتون مجراه كقول الكوفيين. قوله وغدوا على حرد قادرين يجوز ان يكون قادرين حالا من فاعل غدوا وعلى حرد متعلق به وان يكون على حرد هو الحال وقادرين اما حال ثانية واما حال من ضمير الحال الاولى. والحرد قيل الغضب والحنق قاله السدي وسفيان وانشد للاشهب بن رميلة

اسود شرى لاقت اسود خفية ... تساقوا على حرد دماء الاساود

قيل ومنه قوله

اذا جياد الخيل جاءت تردي ... مملوءة من غضب وحرد

عطف لما تغاير اللفظان كقوله والفى قولها كذبا ومينا. وقال ابو عبيدة والقتبي على حرد على منع من حاردت الابل حرادا اي قل لبنها. والحرود من النوق القليلة الدر وحاردت السنة قل مطرها وخيرها. ويقال حرد بالكسر يحرد حردا وقد يفتح فيقال حردا فهو حردان وحارد ويقال اسد حارد وليوث حوارد. وقيل الحرد الانفراد يقال حرد بالفتح يحرد بالضم حرودا وحردا اي اعتزل ومنه كوكب حارد اي منفرد. قال الاصمعي هي لغة هذيل وقال القرطبي يقال حرد يحرد حرودا اي تنحى عن قومه ولم يخالطهم. وقال ابو زيد رجل حريد من قوم حرداء وقد حرد يحرد حرودا اذا ترك قومه وتحول عنهم. قال الاصمعي رجل حريد اي فريد وحيد قال والمنفرد والمتحرد في لغة هذيل وانشد لابي ذؤيب: كانه كوكب في الجو منحرد. ورواه ابو عمرو بالجيم وفسره بالانفراد قال وهو سهيل. وقيل الحرد القصد يقال حرد يحرد بالكسر حردا قصد تقول حردت حردك اي قصدت قصدك قال الراجز

اقبل سيل جاء من عند الله ... يحرد حرد الجنة المغلة

وقال قتادة ومجاهد على حرد اي على جد وجهد. وقال القرطبي ومجاهد وعكرمة اي على امر مجتمع قد اسسوه بينهم قاله البغوي وهذا معنى القصد. وقال الحسن على حاجة وفاقة. وقيل الحرد اسم جنتهم بعينها قاله السدي. وقال الازهري اسم قريتهم وفيهما بعد. وقادرين اما من القدرة وهو الظاهر واما من التقدير وهو التضييق اي مضيقين على المساكين. وقرا العامة بالاسكان. وقرا ابو العالية وابن السميفع بالفتح وهما لغتان.

فصل

قال الفراء ومعنى قادرين قد قدروا امرهم وبنوا عليه. وقال قتادة قادرين على جنتهم عند انفسهم. وقال الشعبي قادرين على المساكين. وقيل معناه من الوجود اي منعوا وهم واجدون ومعنى الاية وغدوا وكانوا عند انفسهم وفي ظنهم انهم قادرين على منع المساكين. قوله فلما راوها يعني الجنة محترقة لا شيء فيها قد صارت كالليل الاسود ينظرون اليها كالرماد انكروها وشكوا فيها. وقال بعضهم لبعض انا لضالون اي ضللنا الطريق الى جنتنا. ثم لما تاملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها بشؤم عزمنا على البخل ومنع الفقراء قاله قتادة. وقيل انا لضالون عن الصواب في غدونا على نية منع المساكين فلذلك عوقبنا بل نحن محرومون اي حرمنا جنتنا بما صنعنا. روى ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والمعاصي ان العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا كان هيئ له ثم تلا فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون الايتين. قوله قال اوسطهم يعني اعدلهم وافضلهم واعقلهم الم اقل لكم لولا تسبحون اي هلا تستثنون وكان استثناؤهم تسبيحا قاله مجاهد وغيره وهذا يدل على ان هذا الاوسط كان امرهم بالاستثناء فلم يطيعوه. قال ابو صالح كان استثناؤهم سبحان الله فقال لهم هلا تسبحون الله اي يقولون سبحان الله وتشكرونه على ما اعطاكم. وقال النحاس اصل التسبيح التنزيه لله عز وجل فجعل مجاهد التسبيح في موضع ان شاء الله لان المعنى تنزيه الله ان يكون شيء الا بمشيئته. وقال ابن الخطيب التسبيح عبارة عن تنزيهه عن كل سوء فلو دخل شيء في الوجود على خلاف ارادة الله تعالى لوجب النقص الى قدرة الله تعالى فقولك ان شاء الله يزيل هذا النقص فكان ذلك تسبيحا. وقيل المعنى هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون اليه من خبث نيتكم قيل ان القوم لما عزموا على منع الزكوة واغتروا بالمال والقوة قال لهم اوسطهم توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب فلما راوا العذاب ذكرهم اوسطهم كلامه الاول وقال الم اقل لكم لولا تسبحون فحينئذ اشتغلوا بالتوبة وقالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين. وقال ابن عباس في قولهم سبحان ربنا اي نستغفر الله من ذنبنا انا كنا ظالمين لانفسنا في منعنا المساكين. وقال الحسن هذا التسبيح هو الصلاة كانهم كانوا يتكاسلون في الصلاة والا لكانت ناهية لهم الى ان يواظبوا على ذكر الله وعلى قول ان شاء الله. قوله فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اي يلوم بعضهم بعضا يقول هذا لهذا انت اشرت علينا بهذا الراي ويقول ذلك لهذا انت خوفتنا بالفقر ويقول الثالث لغيره انت رغبتني في جمع المال ثم نادوا على انفسهم بالويل فقالوا يا ويلنا انا كنا طاغين اي عاصين بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء. وقال ابن كيسان طغينا نعم الله فلم نشكرها كما شكرها اباؤنا من قبل. عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع اباؤنا فدعوا الله وتضرعوا فابدلهم الله من ليلتهم ما هو خير منها. قرئ يبدلنا بالتخفيف والتشديد وهما لغتان. وقيل التبديل تغيير الشيء او تغيير حاله وعين الشيء قائم. والابدال رفع الشيء ووضع اخر مكانه. ثم قال انا الى ربنا راغبون طالبون منه الخير راجون لعفوه. قال المفسرون ان الله تعالى امر جبريل ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها. وقال ابن مسعود ان القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم الصدق ابدلهم الله جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا واحدا. وقال ابو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرايت كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم. وقال الحسن قول اهل الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادري ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف في كونهم مؤمنين. وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا والاكثرون يقولون انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيري. قوله كذلك العذاب مبتدا وخبره مقدم اي مثل ذلك العذاب عذاب الدنيا واما عذاب الاخرة فاكبر منه لو كانوا يعلمون. قال ابن زيد كذلك العذاب اي عذاب الدنيا وهلاك الاموال. وقيل هذا وعظ لاهل مكة بالرجوع الى الله لما ابتلاهم بالجدب لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم اي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا في الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون. وقال ابن عباس هذا مثل لاهل مكة حين خرجوا الى بدر وحلفوا ليقتلن محمدا واصحابه وليرجعوا الى مكة حتى يطوفوا بالبيت ويشربوا الخمر وتضرب القينات على رؤوسهم فاخلف الله ظنهم وقتلوا واسروا وانهزموا كاهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصرام فخابوا. وقال ابن الخطيب قوله تعالى ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين

والمعنى لأجل أن أعطاه الله المال والبنين كفر بالله كلا إنما أعطاه ذلك للابتلاء فإذا صرفه إلى الكفر دمر الله عليه بدليل
أن أصحاب الجنة لما أتوا بهذه المعصية اليسيرة دمر الله جنتهم فكيف حال من عاند الرسول صلى الله عليه وسلم وأصر على الكفر
والمعصية **فصل** قيل إن الحق الذي منعه أهل الجنة المساكين كان واجبا عليهم ويحتمل أنه كان تطوعا والأول الظاهر وقيل
السورة مكية فيبعد حمل الآية على ما أصاب أهل مكة من القحط وعلى قتال بدر **قوله** إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم أي
جنات ليس فيها إلا النعيم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا قال مقاتل لما نزلت هذه الآية قال كفار مكة
للمسلمين إن الله تعالى فضلنا عليكم في الدنيا فلا بد وأن يفضلنا عليكم في الآخرة فإن لم يحصل التفضيل فلا أقل من المساواة
فأجاب الله عن هذا الكلام بقوله أفنجعل المسلمين كالمجرمين أي إن التسوية بين المطيع والعاصي غير جائز ثم وبخهم فقال
ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الأعوج كأن أمر الجزاء مفوض إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم **قوله** عند ربهم يجوز أن يكون
منصوبا بالاستقرار وأن يكون حالا من جنات **فصل** قال القاضي في الآية دليل واضح على أن وصف الإنسان بأنه مسلم
ومجرم كالمتنافي فالفاسق لما كان مجرما وجب أن لا يكون مسلما وأجيب بأنه تعالى أنكر جعل المسلم مثلا للمجرم ولا شك أنه
ليس المراد إنكار المماثلة في جميع الأمور فإنهما متماثلان في الجوهرية والجسمية والحدوث والحيوانية وغيرها من
الأمور الكثيرة بل المراد إنكار استوائهما في الإسلام والجرم أو في آثار هذين الأمرين فالمراد أن يكون أثر الإسلام
المسلم مساويا لأثر جرم المجرم عند الله وهذا لا نزاع فيه ثم أين يدل على أن الشخص الواحد يمتنع أن يجتمع فيه كونه
مسلما ومجرما **فصل** قال الجبائي دلت الآية على أن المجرم لا يكون البتة في الجنة لأنه تعالى أنكر حصول التسوية بينهما
في الثواب بل لعل يكون ثواب المجرم أزيد من ثواب المسلم إذا كان المجرم أطول عمرا من المسلم وكانت طاعاته غير محبطة
والجواب هذا ضعيف لأنا بينا التسوية في درجة الثواب ولعلهما لا يستويان فيه بل يكون ثواب المسلم الذي لم يعص أكثر
من ثواب من عصى على أنا نقول لم لا يجوز أن يكون المراد من المجرمين ثم الكفار الذين حكى الله تعالى عنهم هذه الواقعة
لأن حمل الجمع المحلى بالألف واللام على المعهود السابق مشهور في اللغة والعرف **قوله** أم لكم كتاب أي ألكم كتاب تجدون فيه
المطيع كالعاصي وهذا كقوله أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم **قوله** إن لكم فيه العامة على كسر الهمزة وفيها ثلاثة أوجه
أحدها أنها معمولة لتدرسون أي تدرسون في الكتاب أن لكم ما تختارونه فلما دخلت اللام كسرت الهمزة كقولك علمت
إنك لعاقل بالكسر وعلمت أنك لعاقل بالفتح والثاني أن يكون على الحكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه في الآخرين
سلام على نوح في العالمين قالهما الزمخشري وفي الفرق بين الوجهين عسر قال وتخير الشيء واختاره أخذ خيره كتنخله وانتخله
أخذ منخوله الثالث أنها على الاستئناف على معنى إن كان لكم كتاب فلكم فيه متخير قال القرطبي ثم الكلام عند قوله تدرسون
ثم ابتدأ فقال إن لكم فيه لما تخيرون أي إن لكم في هذا الكتاب إذن ما تخيرون أي ليس لكم ذلك والكناية في فيه الأولى
والثانية راجعة إلى الكتاب وقرأ طلحة والضحاك أن لكم بفتح الهمزة وهو منصوب بتدرسون إلا أن فيه زيادة لام
التأكيد وهي نظير قراءة إلا أنهم ليأكلون بالفتح وقرأ الأعرج وابن هرمز أين لكم في الموضعين يعني أن لكم فيه لما
تخيرون أين لكم لما تحكمون بالاستفهام فيهما جميعا ثم إنه تعالى زاد في التوبيخ فقال أم لكم أيمان أي عهود ومواثيق علينا
بالغة مؤكدة والبالغة المؤكدة بالله تعالى أي أم عهود على الله استوثقتم بها في أن يدخلكم الجنة قال ابن الخطيب والمعنى
أم ضمنا لكم وأقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية في التوكيد **قوله** بالغة العامة على رفعها نعتا لأيمان وإلى يوم متعلق
بما تعلق به لكم من الاستقرار أي ثابتة لكم إلى يوم أو ببالغة أي تبلغ إلى ذلك اليوم وتنتهي إليه وقرأ زيد بن علي والحسن
بنصبها فقيل على الحال من أيمان لأنها تخصصت بالعمل أو بالوصف وقال القرطبي على الحال إما من الضمير في لكم لأنه خبر
عن أيمان وفيه ضمير منه وإما من الضمير في علينا إن قدرت علينا وصفا للأيمان لا متعلقا بنفس الأيمان لأن فيه ضميرا منه
كما يكون إذا كان خبرا عنه وقيل من الضمير في علينا إن جعلناه صفة لأيمان وقوله إن لكم لما تحكمون أي لأنفسكم من
الخير والكرامة **قوله** إن لكم لما تحكمون جواب القسم في قوله أيمان لأنها بمعنى أقسام **قوله** سلهم أيهم بذلك زعيم أي
سل يا محمد هؤلاء المتقولين علي أيهم كفيل بما تقدم ذكره والزعيم الكفيل والضمين قاله ابن عباس وقتادة لقوله تعالى وأنا به
زعيم وقال ابن كيسان الزعيم هنا القائم بالحجة والدعوى وقال الحسن الزعيم الرسول **قوله** أيهم متعلق لسلهم
وبذلك متعلق بزعيم أي ضمين وكفيل وقد تقدم أن سأل يعلق لكونه سببا في العلم وأصله أن يتعدى بعن أو الباء
كقوله فاسأل به خبيرا قال تساءلون به والأرحام والجملة في موضع نصب بعد إسقاط الخافض كما تقدم تقريره **قوله**
أم لهم شركاء هذه قراءة العامة وقرأ عبد الله أم لهم شرك فليأتوا بشركهم بلفظ المصدر قال القرطبي أم لهم شركاء
أي آلهة والميم صلة ومعنى شركاء أي شهداء فليأتوا بشركائهم يشهدون على ما زعموا إن كانوا صادقين في دعواهم
وقيل فليأتوا بشركائهم إن أمكنهم فهو أمر تعجيز وقال ابن الخطيب في تفسيره وجهان الأول أن المعنى أم لهم
أشياء يعتقدون أنها شركاء الله ويعتقدون أن أولئك الشركاء يجعلونهم في الآخرة مثل المؤمنين في الثواب والخلاص
من العقاب وإنما أضاف الشركاء إليهم لأنهم جعلوها شركاء الله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء

شيء الثاني أم لهم ناس يشاركونهم في هذا المذهب وهو التسوية بين المجرمين والمسلمين فليأتوا بهم إن كانوا صادقين في دعواهم
والمراد بيان أنه كما ليس لهم دليل عقلي ولا دليل من كتاب يدل على التسوية فليس لهم من يوافقهم من العقلاء على هذا القول فدل ذلك على بطلانه
ثم إنه تعالى لما أبطل قولهم شرح بعده عظمة يوم القيامة وهو **قوله** يوم يكشف عن ساق يوم منصوب بقوله فليأتوا أي
فليأتوا بشركائهم يوم يكشف عن ساق ليشفع الشركاء لهم وجيء بالأمر توقيف على صادقين أو بإضمار اذكر فيكون مفعولا به
أو بمحذوف وهو ظرف أي يوم يكشف يكون كيت وكيت أو بخاشعة قاله أبو البقاء وعن ساق قائم مقام الفاعل وقرأ ابن مسعود
وابن أبي عبلة تكشف بالتاء من فوق مبنيا للفاعل أي الشدة أو الساعة وعنه أيضا كذلك مبنيا للمفعول وهي مشكلة لأن التاء
لا معنى لها هاهنا إلا أن يقال إن المفعول مستتر أي تكشف هي أي الشدة ويتعلق قوله عن ساق بمحذوف أي تكشف عن ساقها
ولذلك قال الزمخشري وتكشف بالتاء مبنيا للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة أو للحال أي يشتد الحال أو الساعة
وقرئ تكشف بضم الياء أو التاء وكسر الشين من أكشف إذا دخل في الكشف وأكشف الرجل إذا انقلبت شفته العليا لانكشاف
ما تحتها ويقال له أيضا أجلع وكشف الساق كناية عن الشدة قال الراجز

عجبت من نفسي ومن إشفاقها ... ومن طرادي الطير عن أرزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقها ... حمراء تبري اللحم عن عراقها

وقال حاتم الطائي

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها ... وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال آخر

كشفت لهم عن ساقها ... وبدا من الشر البوارح

وقال الراجز

قد شمرت عن ساقها فشدوا ... وجدت الحرب بكم فجدوا

وقال آخر

صبرا أمام إنه شر باق ... وقامت الحرب بنا على ساق

قال الزمخشري الكشف عن الساق
والإبداء عن الخدام مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب وأصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب وإبداء
خدامهن عند ذلك قال حاتم أخو الحرب البيت وقال ابن قيس الرقيات

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي ... عن خدام العقيلة العذراء

انتهى

فصل قال ابن عباس في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق قال كرب وشدة وعن مجاهد شدة الأمر وجده وروى مجاهد
عن ابن عباس قال هي أشد ساعة في القيامة وقال أبو عبيدة إذا اشتد الأمر والحرب قيل كشف الأمر عن ساقه والأصل فيه
أن من وقع في شيء يحتاج فيه إلى الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة وقيل ساق الشيء أصله
الذي به قوامه كساق الشجرة وساق الإنسان أي يوم يكشف عن أصل الأمر فتظهر حقائق الأمور وأصلها وقيل يكشف عن ساق
جهنم وقيل عن ساق العرش وقيل يريد وقت اقتراب الأجل وضعف البدن أي يكشف المريض عن ساقه ليبصر ضعفه ويدعوه
المؤذن إلى الصلاة فلا يمكنه أن يقوم ويخرج **فصل** قال القرطبي فأما ما روي أن الله تعالى يكشف عن ساقه فإنه عز وجل
يتعالى عن الأعضاء والأبعاض وأن يكشف ويتغطى ومعناه أن يكشف عن العظيم من أمره وقيل يكشف عن نوره عز وجل
وروى أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى عن ساق قال يكشف عن نور عظيم يخرون له سجدا وروى أبو
بردة عن أبي موسى قال حدثني أبي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا
يعبدون في الدنيا فيذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويبقى أهل التوحيد فيقال لهم ما تنتظرون وقد ذهب الناس
فيقولون لنا ربا كنا نعبده في الدنيا ولم نره قال وتعرفونه إذا رأيتموه فيقولون نعم فيقال فكيف تعرفونه ولم
تروه قالوا إنه لا شبيه له فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فيخرون له سجدا ويبقى أقوام ظهورهم كصياصي البقر
ينظرون إلى الله تعالى فيريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود
فلا يستطيعون فيقول الله تعالى عبادي ارفعوا رؤوسكم فقد جعلت بدل كل رجل منكم رجلا من اليهود والنصارى
في النار قال أبو بردة فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال الله الذي لا إله إلا هو لقد حدثك أبوك بهذا الحديث
فحلف له ثلاثة أيمان فقال عمر ما سمعت في أهل التوحيد حديثا هو أحب إلي من هذا **قوله** خاشعة حال من مرفوع
يدعون وأبصارهم فاعل به ونسب الخشوع للأبصار وإن كانت الأعضاء كلها كذلك لظهور أثره فيها وقوله وهم سالمون
حال من مرفوع يدعون الثانية ومعنى خاشعة أبصارهم أي ذليلة متواضعة ترهقهم ذلة وذلك أن المؤمنين يرفعون
رؤوسهم ووجوههم أشد بياضا من الثلج وتسود وجوه الكافرين والمنافقين حتى ترجع أشد سوادا من القار **فصل**
قال ابن الخطيب بعد أن حكى أقوال أهل اللغة في تفسير الكشف عن الساق واعلم أن هذا اعتراف من أهل اللغة بأن استعماله
في الشدة مجاز وأجمع العلماء على أنه لا يجوز صرف الكلام إلى المجاز إلا بعد تعذر حمله على الحقيقة فإذا أقمنا الدلائل القاطعة
على أنه تعالى يستحيل أن يكون جسما فحينئذ يجب صرف هذا اللفظ إلى المجاز واعلم أن صاحب الكشاف أورد هذا
التأويل في معرض آخر فقال الكشف عن الساق مثل في شدة الأمر فمعنى يوم يكشف عن ساق يوم يشتد ويتفاقم ولا كشف
ثم ولا ساق كما تقول للشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وإنما هو مثل في البخل ثم أخذ يعظم علم البيان ويقول لولاه لما

وقفنا على هذه الاسرار واقول اما ان يدعي انه يجوز صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل او نقول لا يجوز ذلك الا بعد امتناع حمله
على الحقيقة والاول باطل بالاجماع ولانا ان جوزنا ذلك انفتحت ابواب تاويلات الفلاسفة في امر المعاد فانهم يقولون في قوله
جنات تجري من تحتها الانهار ليس هناك انهار ولا اشجار وانما هو مثل للذة والسعادة ويقولون في قوله تعالى اركعوا واسجدوا
ليس هنالك ركوع ولا سجود وانما هو مثل للتعظيم ومعلوم ان ذلك يفضي الى رفع الشرائع وفساد الدين واما من قال
انه لا يصار الى التاويل الا عند قيام الدليل على انه لا يجوز حمله على ظاهره فهذا قول كل احد من المتكلمين فاين الدقائق التي استنبطه
هو بمعرفتها والاطلاع عليها بواسطة علم البيان ثم قال بعد ان حكى القول بان المراد بالساق ساق جهنم او ساق العرش او ساق
ملك عظيم ان اللفظ لا يدل الا على ساق واما اي شيء هو فليس في اللفظ ما يدل عليه ثم ذكر حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه تعالى يتمثل للخلق يوم القيامة حين يمر المسلمون فيقول من تعبدون فيقولون نعبد الله فيشهدهم
مرتين او ثلاثا ثم يقول هل تعرفون ربكم فيقولون اذا عرفنا نفسه عرفناه فعند ذلك يكشف عن ساق فلا يبقى مؤمن
الا خر ساجدا لله تعالى ويبقى المنافقون ظهورهم كالطبق الواحد كانما فيها السفافيد٠ قال واعلم ان هذا القول باطل لوجوه
احدها ان الدلائل دلت على ان كل جسم محدث لان كل جسم متناه وكل متناه محدث ولان كل جسم ممكن وكل ممكن محدث
وثانيها انه لو كان المراد ذلك لكان من حق الساق ان يعرف انها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن اما
لما اجملت فقد بدع التنكير الدلالة على التعظيم كانه قال يوم يكشف عن شدة واي شدة لا يمكن وصفها وثالثها ان التعريف
لا يحصل بالكشف عن الساق انما يحصل بكشف الوجه ثم حكى قول ابي مسلم بانه لا يمكن حمله على يوم القيامة لانه تعالى قال
في وصفه فيدعون الى السجود ويوم القيامة ليس فيه تعبد ولا تكليف بل المراد منه اما اخر ايام الرجل في دنياه كقوله
تعالى يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين وقوله يوم ياتي بعض ايات ربك الاية لانه الوقت الذي لا ينفع نفسا
ايمانها واما حال المرض والهرم والعجز ثم انه يرى الناس يدعون الى الصلاة اذا حضرت اوقاتها وهو لا يستطيع الصلاة وقد
كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون مما بهم الان من الشدة النازلة بهم من هول ما عاينوا عند الموت او من العجز والهرم
ونظير هذه الاية فلولا اذا بلغت الحلقوم ثم قال واعلم انه لا نزاع في انه يمكن حمل اللفظ على ما قاله ابو مسلم ثم قال فاما
قوله انه لا يمكن حمله على يوم القيامة بسبب ان الامر بالسجود حاصل في الدنيا والتكاليف زائلة يوم القيامة فجوابه
ان ذلك لا يكون على سبيل التكليف بل على سبيل التقريع والتخجيل فلم قلت ان ذلك غير جائز قوله وقد كانوا يدعون الى السجود
في الدنيا وهم سالمون معافون اصحاء قال ابراهيم التيمي اي يدعون بالاذان والاقامة فيابون وقال سعيد بن جبير
كانوا يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون وهم سالمون اصحاء وقال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الاية الا في الذين يتخلفون
عن الجماعات وقيل اي بالتكليف الموجه عليهم في الشرع قوله فذرني ومن يكذب بهذا الحديث اي فدعني والمكذبين
بالقران وخل بيني وبينهم وقال الزجاج لا تشغل قلبك به كله الي فاني اكفيك امره ومن منصوب اما نسقا على ضمير المتكلم
او مفعول معه وهو مرجوح لامكان النسق من غير ضعف وتقدم اعراب ما بعده فصل لما خوف الكفار بعظمة يوم
القيامة زاد في التخويف بما عنده وفي قدرته من القهر يقال ذرني واياه يريد الكلة الي فاني اكفيكه قال السدي
والمراد بالحديث القران وقيل يوم القيامة وهذه التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم قوله سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون اي سناخذهم على غفلة وهم لا يعرفون فعذبوا يوم بدر وقال سفيان الثوري يسبغ عليهم النعم وينسيهم
الشكر وقال الحسن كم مستدرج بالاحسان اليه وكم مفتون بالثناء عليه وكم مغرور بالستر عليه وقال ابو روق كلما
احدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار وقال ابن عباس سنمكر بهم وروي ان رجلا من بني اسرائيل قال
يا رب كم اعصيك وانت لا تعاقبني فاوحى الله الى نبي زمانهم ان قل له كم من عقوبة لي عليك وانت لا تشعر ان جمود عينك
وقساوة قلبك استدراج مني وعقوبة لو عقلت والاستدراج ترك المعاجلة واصله النقل من حال الى حال كالتدرج
ومنه قيل درجات وهي منزلة بعد منزلة واستدرج فلان فلانا اي استخرج ما عنده قليلا قليلا ويقال درجه
الى كذا واستدرجه بمعنى ادناه منه على التدرج فتدرج ومعنى الاية انا لما انعمنا عليهم اعتقدوا ان ذلك الانعام
تفضيلا لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب لهلاكهم قوله واملي لهم اي امهلهم واطيل لهم المدة كقوله انما نملي لهم
ليزدادوا اثما والملاوة المدة من الدهر واملى الله له اي اطال له والملوان الليل والنهار وقيل واملي لهم اي لا
اعاجلهم بالموت والمعنى واحد والملا مقصور الارض الواسعة سميت به لامتدادها ان كيدي متين اي ان عذابي
لقوي شديد فلا يفوتني احد وسمي احسانه كيدا كما سماه استدراجا في صورة الكيد ووصفه بالمتانة لقوة اثر
احسانه في التسبب للهلاك فصل قال ابن الخطيب تمسك الاصحاب بهذه الاية في مسئلة ارادة الكائنات
لان هذا الاستدراج والكيد ان لم يكن لهما اثر في الطغيان فليسا بكيد ولا استدراج وان كان لهما اثر فيه لزم
ان يكون الحق سبحانه مريدا له لان من فعل شيئا لحصول شيء واكده وقواه لا بد وان يكون مريدا لحصول ذلك
الشيء اجاب الكعبي بان المراد سنستدرجهم الى الموت اي نخفي عنهم زمن الموت من حيث لا يعلمون وهو مقتضى

الحكمة

الحكمة والا لكان فيه اغراء بالمعاصي فانهم لو عرفوا الوقت الذي يموتون فيه اقدموا على المعاصي ثم صاروا واستعتبوا واجاب الجبائي
بان معنى قوله سنستدرجهم اي الى العذاب من حيث لا يعلمون في الاخرة واملي لهم في الدنيا توكيدا للحجة عليهم وان كيدي متين
فامهله وازيح الاعذار عنهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ويدل على هذا قوله قبل ذلك فذرني ومن يكذب
بهذا الحديث ولا شك ان هذا التهديد انما هو بعذاب الاخرة فوجب ان يكون الاستدراج والكيد المذكور عقيبه هو عذاب الاخرة
واجاب الاصحاب بان هذا الامهال اذا كان مؤديا الى الطغيان كان الراضي بالامهال العالم بتاديه الى الطغيان لا بد وان يكون
راضيا بذلك الطغيان قوله ام تسالهم اجرا عاد الكلام الى ما تقدم من قوله تعالى ام لهم شركاء اي ام تلتمس منهم ثوابا على ما تدعوهم
اليه من الايمان بالله والمغرم الغرامة فهم من غرامة ذلك مثقلون اي يثقل حمل الغرامات عليهم في بذل المال فيثبطهم
ذلك عن الايمان والمعنى ليس عليهم كلفة في متابعتك بل يستولون بالايمان على خزائن الارض ويصلون الى جنات النعيم قوله
ام عندهم الغيب اي علم ما غاب عنهم فهم يكتبون وقيل اينزل عليهم الوحي بهذا الذي يقولون وعن ابن عباس الغيب هنا
اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ثواب ما هم عليه من الكفر ويخاصمونك به ويكتبون انهم افضل منكم وانهم لا يعاقبون وقيل
يكتبون يحكمون لانفسهم بما يريدون وهذا استفهام على سبيل الانكار قوله فاصبر لحكم ربك اي لقضاء ربك والحكم هنا
القضاء وقيل اصبر على ما حكم به عليك ربك من تبليغ الرسالة وقال ابن بحر فاصبر لنصر ربك وقيل انه منسوخ باية
السيف ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس عليه السلام اي لا تكن مثله في الغضب والضجر والعجلة وقال قتادة ان الله تعالى
يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ويامره بالصبر ولا يعجل كما عجل يونس عليه السلام وقد مضى الفرق بين ذي وصاحب في سورة
يونس قوله اذ نادى اذ منصوب بمضاف محذوف اي ولا يكن حالك كحاله او قصتك كقصته في وقت ندائه ويدل على
المحذوف ان الذوات لا ينصب عليها النهي انما ينصب على احوالها وصفاتها وقوله وهو مكظوم جملة حالية من الضمير في
نادى والمكظوم الممتلئ حزنا وغيظا ومنه كظم السقاء اذا ملاه قال ذو الرمة

وانت من حب مي مضمر حزنا ٭ عاني الفؤاد قريح القلب مكظوم

فصل اذ نادى اي حين دعا من بطن
الحوت فقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قال القرطبي ومعنى وهو مكظوم اي مملوء غما وقيل كربا فالاول قول ابن
عباس ومجاهد والثاني قول عطاء وابي مالك قال الماوردي والفرق بينهما ان الغم في القلب والكرب في الانفاس وقيل
مكظوم محبوس والكظم الحبس ومنه قولهم كظم غيظه اي حبس غضبه قاله ابن بحر وقيل انه الماخوذ بكظمه وهو مجرى
النفس قاله المبرد وقد مضى في سورة يوسف وفي سورة ال عمران والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة
فتبتلى ببلائه قوله لولا ان تداركه قال ابن الخطيب لم لم يقل تداركته نعمة واجاب بانه انما حسن تذكير الفعل لفصل الضمير
في تداركه ولان التانيث غير حقيقي في النعمة وقرا ابي وعبد الله وابن عباس تداركته بتاء التانيث لاجل اللفظ والحسن وابن
هرمز والاعمش تداركه بتشديد الدال وخرجت على ان الاصل تتداركه بتاءين مضارعا فادغم وهو شاذ لان الساكن الاول
غير حرف لين وهي كقراءة البزي اذ تلقونه ونارا تلظى وهذا على حكاية الحال لان القصة ماضية فايقاع المضارع هنا للحكاية
كانه قال لولا ان كان يقال فيه تتداركه نعمة قوله نعمة من ربه قال الضحاك النعمة هنا النبوة وقال ابن جبير عبادته
التي سلفت وقال ابن زيد نداؤه بقوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقال ابن بحر اخراجه من بطن الحوت
وقيل رحمة من ربه فرحمه وتاب عليه قوله لنبذ بالعراء هذا جواب لولا اي لنبذ مذموما ولكنه نبذ سقيما غير مذموم
وقيل جواب لولا مقدر اي لولا هذه النعمة لبقي في بطن الحوت ومعنى مذموم قال ابن عباس مليم وقال بكر بن عبد الله مذنب
وقيل مبعد من كل خير والعراء الارض الواسعة الفضاء التي ليس فيها جبال ولا شجر يستر وقيل لولا فضل الله عليه لبقي في بطن
الحوت الى يوم القيامة ثم نبذ بعراء القيامة مذموما يدل عليه قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون
فصل قال ابن الخطيب هل يدل قوله وهو مذموم على كونه فاعلا للذنب قال والجواب من ثلاثة اوجه الاول ان كلمة
لولا دلت على ان هذه المذمومية لم تحصل الثاني لعل المراد من المذمومية ترك الافضل فان حسنات الابرار سيئات المقربين
الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله تعالى فاجتباه ربه والفاء للتعقيب فيكون هذه الاية نزلت بأحد حين
حل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف قوله
فاجتباه ربه اي فاصطفاه واختاره فجعله من الصالحين قال ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وفي قومه
وقبل توبته وجعله من الصالحين بان ارسله الى مائة الف او يزيدون فصل قال ابن الخطيب قال قوم لعل صاحب
الحوت ما كان رسولا قبل هذه الواقعة ثم بعد هذه الواقعة جعله الله رسولا وهو المراد من قوله فاجتباه ربه والذين انكروا
الكرامات والارهاص لا بد وان يختاروا هذا القول لان الاحتباس في بطن الحوت وعدم موته هناك لما لم يكن ارهاصا
ولا كرامة فلا بد وان يكون معجزة وذلك يقتضي انه كان رسولا في تلك الحال فصل قال ابن الخطيب احتج الاصحاب على ان
فعل العبد خلق لله تعالى بقوله فجعله من الصالحين فهذا يدل على ان الصلاح انما حصل بجعل الله وخلقه قال الجبائي يحتمل
ان يكون معنى جعله انه اخبر بذلك ويحتمل ان يكون لطف به حتى صلح اذ الجعل يستعمل في اللغة في هذه المعاني والجواب

ان ذلك مجاز والاصل في الكلام الحقيقة **قوله** وان يكاد الذين كفروا • ان مخففة من الثقيلة ليزلقونك اي يغتالونك بابصارهم
قراها نافع بفتح اليا والباقون بضمها • فاما قراة الجماعة فمن ازلقه اي ازلّ برجله فالتعدية بالهمزة من زلق يزلق واما
قراة نافع فالتعدية بالحركة يقال زلق بالكسر وزلقته بالفتح ونظيره شترت عينه بالكسر وشترها الله بالفتح وقيل
تعدم لذلك اخوات • وقيل زلقه وازلقه بمعنى واحد • والباقي بابصارهم اما للتعدية كالداخلة على الآلة اي جعلوا ابصارهم
كالآلة المزلقة لك كعملت بالقدوم واما للسببية اي بسبب عيونهم • وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه فازهقتها
ثم فيه وجوه • احدها انهم من شدة تحريقهم ونظرهم اليك شزرا يبغضونك العداوة والبغضا يكادون يزلقونك قد مثل
من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني ويكاد ياكلني النشد ابن عباس لما مر باقوام حدّدوا النظر اليه
نظروا الي باعين محمرة • نظر التيوس الى شفار الجازر **فصل** اخبر الله تعالى بشدة عداوتهم للنبي
صلى الله عليه وسلم وارادوا ان يصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش وقالوا ما راينا مثله ولا مثل حججه • وقيل كانت العين
في بني اسد حتى ان البقرة السمينة او الناقة السمينة تمر باحدهم فيعاينها ثم يقولون يا جارية خذي المكتل والدرهم
فاتينا بلحم هذه الناقة فما تبرح حتى تقع الناقة للموت فتنحر • وقال الكلبي كان رجل من العرب يمكث لا ياكل شيا يومين
او ثلاثة ثم يرفع جانب الخبا فتمر به الابل او الغنم فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فلا تذهب الا قليلا
حتى يسقط منها طايفة هالكة فسال الكفار هذا الرجل ان يصيب لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فاجابهم فلما مر
النبي صلى الله عليه وسلم انشد • قد كان قومك يحسبونك سيدا • واخال انك سيد معيون • فعصم الله نبيه
صلى الله عليه وسلم ونزلت هذه الاية • وذكر الماوردي ان العرب كانوا اذا ارادوا احدهم ان يصيب احدا يعني في نفسه
وماله تجوّع ثلاثة ايام ثم يتعرض لنفسه وماله فيقول تالله ما رايت اقوى منه ولا اشجع ولا اكثر منه ولا احسن فيصيبه
بعينه فيهلك هو وماله فانزل الله تعالى هذه الاية • قال القشيري وفي هذا نظر لان الاصابة بالعين انما تكون مع
الاستحسان والاعجاب لا مع الكراهية والبغض ولهذا قال ويقولون انه لمجنون اي ينسبونك الى الجنون اذا راوك
تقرا القران • قال القرطبي اقوال المفسرين واللغويين تدل على ما ذكرنا وان مرادهم بالنظر اليه قتله ولا تمنع كراهة
الشي من ان يصاب بالعين عداوة حتى يهلك فمعنى الكلمة اذن التنحية والازالة وذلك لا يكون في حق النبي صلى الله
عليه وسلم الا بهلاكه وموته • قال الهروي اراد ليغتالونك بعيونهم فيزيلونك عن مقامك الذي اقامك الله فيه
عداوة لك • وقال ابن عباس ينفذونك بابصارهم يقال زلق السهم وزهق اذا نفذ وهو قول مجاهد اي ينفذونك
من شدة نظرهم • وقال الكلبي يصرعونك وعنه ايضا والسدي وسعيد بن جبير يصرفونك عما انت عليه من تبليغ
الرسالة • وقال العوفي يرمونك • وقال المورج يزيلونك • وقال النضر بن شميل والاخفش يفتنونك • وقال الحسن
وابن كيسان ليقتلونك كما يقال صرعني بطرفه وقتلني بعينه **قوله** لما سمعوا الذكر • من جعلها ظرفية جعلها منصوبة
بيزلقونك ومن جعلها حرفا جعل جوابها محذوفا للدلالة اي لما سمعوا الذكر كادوا يزلقونك ومن جوز تقديم
الجواب قال هو هنا متقدم • والمراد بالذكر القران ثم قال ويقولون انه لمجنون وهو على ما افتتح به السورة ثم قال
وما هو يعني القران الا ذكر للعالمين اي ان الذي يزعمون انه دلالة جنونه الا ذكر للعالمين تذكير لهم وبيان وتنبيه
لهم على ما في عقولهم من ادلة التوحيد • وقال الحسن دوا اصابة العين ان يقرا الانسان هذه الاية • وقيل اي وما
محمد الا ذكر للعالمين يتذكرون به • وقيل معناه شرف اي القران كقوله وانه لذكر لك ولقومك والنبي صلى الله
عليه وسلم شرف للعالمين ايضا شرفوا باتباعه والايمان به صلى الله عليه وسلم • عن ابي بن كعب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القلم اعطاه الله عز وجل ثواب الذين حسن الله اخلاقهم • والله تعالى اعلم

ازلقه اذا نحاه وابعده وزلق راسه يزلقه زلقا اذا حلقه قال القرطبي
وكذلك ازلقه وزلقه تزليقا
ورجل زلق وزملق مثال هدبد
وزمالق وزملق بتشديد
الميم وهو الذي ينزل قبل
ان يجامع حكاه الجوهري
وغيره صح

سورة الحاقة

وهي اثنتان وخمسون اية • وما يتان وستة وخمسون كلمة • والف واربعة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى الحاقة ما الحاقة • الحاقة مبتدا وما مبتدا ثان والحاقة خبره والجملة خبر الاول لان معناها ما هي واللفظ
استفهام ومعناه التفخيم والتعظيم لشانها • قال ابن الخطيب وضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها ومثله
القارعة ما القارعة وقد تقدم تحريرها في الواقعة • والحاقة فيها وجهان احدهما انه وصف اسم فاعل بمعنى انها
تبدي حقايق الاشيا • وقيل لان الامر يحق فيها فهي من باب ليل نايم ونهار صايم قاله الطبري • وقيل سميت حاقة لانها
تكون من غير شك فلا كاذبة لها • وقيل سميت القيامة بذلك لانها احقت لاقوام الجنة واحقت لاقوام النار • وقيل
من حق الشي ثبت فهي ثابتة كاينة • وقيل لانها تحق كل محاق في دين الله اي تغلبه من حاققته فحققته احقه
اي غلبته • وفي الصحاح وحاقه اي خاصمه وادعى كل واحد منهما الحق فاذا غلبه قيل حقه • ويقال ماله فيه حق

حق ولا احقاق اي خصومة • والتحاق الاختصام والحاقة والحقة والحق ثلاث لغات بمعنى • وقال الكسائي والمورج الحاقة يوم الحق
الثاني انها مصدر كالعاقبة والعافية **قوله** ما الحاقة • في موضع نصب على اسقاط الخافض لان ادرى بالهمزة يتعدى لاثنين
للاول بنفسه والثاني بالبا قال تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة لها كانت في موضع المفعول الثاني ودون
الهمزة يتعدى لواحد بالبا نحو دريت بكذا ويكون بمعنى علم فيتعدى لاثنين **فصل** معنى ما ادراك اي اي شي اعلمك ما ذلك
اليوم والنبي صلى الله عليه وسلم كان عالما بالقيامة ولكن لا علم له بكونها وصفتها فقيل ذلك تفخيما لشانها كانك لست تعلمها
اذ لم تعاينها • وقال يحيى بن سلام بلغني ان كل شي في القران وما ادراك فقد ادراه وعلمه وكل شي قال وما يدريك فهو مما لم يعلمه
• وقال سفيان بن عيينة كل شي قال فيه وما ادراك فانه اخبر به وكل شي قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به **قوله** كذبت
ثمود وعاد بالقارعة • القارعة القيامة سميت بذلك لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة • وقيل لانها تقرع الناس باهوالها يقال
اصابتهم قوارع الدهر اي اهواله وشدايده وقوارض لسانه جمع قارضة وهي الكلمة المؤذية • وقوارع القران الايات التي يقراها
الانسان اذا فزع من الجن والانس نحو اية الكرسي كانه يقرع الشيطان • وقال المبرد القارعة ماخوذة من القرعة من رفع
قوم وحط اخرين • وقوارع القيامة انفطار السما وانشقاقها والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار
وانما قال كذبت ثمود وعاد بالقارعة ولم يقل بها ليدل على ان معنى القرع حاصل في الحاقة فيكون ذلك زيادة على وصف شدتها
ولما ذكرها وفخمها اتبع ذلك بذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم
• وقيل عني بالقارعة العذاب الذي نزل بهم في الدنيا وكان نبيهم يخوفهم بذلك فيكذبونه • وثمود قوم صالح وكانت
منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز • قال ابن اسحق هو وادي القرى وكانوا عربا • واما عاد فقوم هود وكانت منازلهم بالاحقاف
والاحقاف الرمل بين عمان الى حضرموت واليمن كله وكانوا عربا ذوي بسطة في الخلق وقد تقدم ذلك **قوله** فاما ثمود
فاهلكوا بالطاغية • هذه قراة العامة وقرا زيد بن علي فهلكوا مبنيا للفاعل • وقوله بالطاغية فيه اضمار اي بالفعلة الطاغية
وقال قتادة بالصيحة الطاغية المتجاوزة للحد اي لحد الصيحات من الهول كما قال انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا
كهشيم المحتظر • والطغيان مجاوزة الحد ومنه انا لما طغى الما اي جاوز الحد • وقال ابن زيد بالرجل الطاغية وهو عاقر
الناقة • والهاء فيه للمبالغة على هذه الاوجه صفة • والمعنى اهلكوا بما اقدم عليه طاغيهم من عقر الناقة وكان واحدا وانما
هلك الجميع لانهم رضوا بفعله ومالوه • وقيل له طاغية كما يقال فلان راوية وداهية وعلامة ونسابة • ويحتمل ان
يقال بسبب الفرقة الطاغية وهم التسعة رهط الذين كانوا يفسدون في الارض ولا يصلحون واحدهم عاقر الناقة • وقال
الكلبي بالطاغية بالصاعقة • وقال مجاهد بالذنوب • وقال الحسن بالطغيان فهي مصدر كالكاذبة والعافية اي اهلكوا
بطغيانهم وكفرهم ويوضحه كذبت ثمود بطغواها • قال ابن الخطيب وهذا القول منقول عن ابن عباس قال وقد طعنوا
فيه من وجهين • الاول قال الزجاج انه لما ذكر في الجملة التامة نوع الشي الذي وقع به العذاب وهو قوله تعالى بريح
صرصر عاتية وجب ان يكون الحال في الجملة الاولى كذلك حتى تحصل المناسبة • والثاني قال القاضي لو كان المراد ما قالوا
لكان من حق الكلام ان يقال اهلكوا لها ولاجلها • والبا للسببية على الاقوال كلها الا على قول قتادة فانها فيه للاستعانة
كعملت بالقدوم **قوله** واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي باردة تحرق ببردها كاحراق النار ماخوذ من الصر وهو البرد
قاله الضحاك • وقيل انها الشديدة الصوت • وقال مجاهد الشديدة السموم عاتية عتت على خزانها فلم تطعهم ولم
يطيقوها من شدة هبوبها غضبت لغضب الله • وقال عطا عن ابن عباس عتت على عاد فقهرتهم فما قدروا على ردها
بحيلة من استناد الى جبل لانها كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم • وروى سفيان الثوري عن موسى بن المسيب عن شهر بن حوشب
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسل الله من نسفة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من ما الا بمكيال
الا يوم عاد ويوم قوم نوح فان الما يوم قوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرا انا لما طغى الما الاية • والريح لما كان
يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرا بريح صرصر عاتية • وقيل العتو هنا اليبس من العتو الذي هو عصيان انما
هو بلوغ الشي والنهاية ومنه قولهم عتا النبت اي بلغ منتهاه وجف قال تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا اي بالغة منتهاها
في القوة والشدة **قوله** سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام • اي ارسلها وسلطها عليهم والتسخير استعمال الشي بالاقتدار
• وقال الزجاج اقامها عليهم والجملة من قوله سخرها يجوز ان تكون صفة لريح وان تكون حالا منها لتخصصها بالصفة او من
الضمير في عاتية وان تكون مستانفة • قال ابن الخطيب وعندي ان فيه لطيفة وذلك ان من الناس من قال ان تلك
الرياح انما اشتدت لاتصال فلكي نجومي اقتضى ذلك بقوله تعالى سخرها فيه اشارة الى نفي ذلك المذهب وان ذلك انما
حصل بتقدير الله وقدرته فانه لولا هذه الدقيقة لما حصل منه التخويف والتحذير عن العقاب • وقوله سبع ليال
وثمانية ايام الفايدة فيه انه تعالى لو لم [illegible] لما كان مقدار زمان ذلك العذاب معلوما فلما قال سبع ليال
وثمانية ايام احتمل ان يكون متفرقا في هذه المدة فازال هذا الظن بقوله حسوما اي متتابعة متوالية **فصل**
قال وهب هي الايام التي تسميها العرب ايام العجوز ذات برد ورياح شديدة • وقيل سميت عجوزا لانها في عجز الشتا وقيل

لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب قوله حسوما فيه
اوجه احدها ان ينتصب نعتا لما قبلها الثاني ان ينتصب على الحال اى ذات حسوم وقرا السدى حسوما بالفتح حالا من
الريح اى سخرها عليهم مستاصلة الثالث ان ينتصب على المصدر بفعل من لفظها اى تحسمهم حسوما الرابع ان يكون
مفعولا له ويتضح ذلك بقول الزمخشرى الحسوم لا يخلو من ان يكون جمع حاسم كشاهد وشهود او مصدرا كالشكور والكفور
فان كانت جمعا فمعنى قوله حسوما اى نحسات حسمت كل خير واستاصلت كل بركة او متتابعة هبوب الريح ما خففت
ساعة تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى اعادة الكى على الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما
ان ينتصب بفعله مضمرا اى تحسمهم حسوما بمعنى تستاصل استيصالا او يكون صفة كقولك ذات حسوم او يكون
مفعولا له اى سخرها عليهم للاستيصال قال عبد العزيز بن زرارة الكلابى
ففرق بين بينهم زمان ... تتابع فيه اعوام حسوم
انتهى وقال المبرد والحسوم الفصل
حسمت الشى من الشى فصلته منه ومنه الحسام قال الشاعر
فارسلت ريحا دبورا عقيما ... فدارت عليهم فكانت حسوما
وقال الليث هى الشوم يقال هذه
ليالى الحسوم اى تحسم الخير عن اهلها لقوله تعالى فى ايام نحسات وهذان القولان يرجعان الى القول الاول لان الفصل قطع
وكذلك الشوم لانه يقطع الخير قال ابن زيد حسمتهم فلم تبق منهم احدا وعنه ايضا انها حسمت الليالى والايام حتى
استوفتها لانها بدات طلوع الشمس من اول يوم وانقطعت غروب الشمس من اخر يوم واختلف فى اولها فقال
السدى غداة يوم الاحد وقال الربيع بن انس غداة يوم الجمعة وقال يحيى بن سلام ووهب بن منبه غداة يوم الاربع
وهو اليوم النحس المستمر قيل كان اخرها اخرها يوم الاربعاء وهى فى اذار من اشهر السريانيين ولها اسما مشهورة
قال فيها ابن احمر
كسع الشتا بسبعة غبر ... ايام شهلتنا من الشهر
فاذا انقضت ايامها ومضت ... صن وصنبر مع الوبر
وبامر واخيه مؤتمر ... ومعلل وبمطفئ الجمر
ذهب الشتا موليا عجلا ... واتتك واقدة من البحر
وقال اخر
كسى الشتا بسبعة غبر ... بالصن والصنبر والوبر
وبامر واخيه مؤتمر ... ومعلل ومطفئ الجمر
قوله فترى القوم فيها اى فى تلك الليالى والايام صرعى جمع صريع وهى حال نحو قتيل وقتلى وجريح وجرحى والضمير فى فيها
للايام والليالى كما تقدم او للبيوت او للريح والاول اظهر لقربه ولانه مذكور قوله كانهم اعجاز نخل اى اصول نخل واعجاز
حال من القوم او مستانفة وقرا ابو نهيك اعجز على افعل نحو ضبع واضبع وقرى نخيل حكاه الاخفش وقد تقدم ان اسم
الجنس يذكر ويونث واختير هنا تانيثه للفواصل كما اختير تذكيره لها فى سورة القمر وقال ابو الطفيل اصول نخل خاوية
اى بالية وقيل خالية الاجواف لا شى فيها قال القرطبى وقد قال تعالى فى سورة القمر اعجاز نخل منقعر فيحتمل انه شبههم
بالنخل التى صرعت من اصلها وهو اخبار عن عظم اجسامهم ويحتمل ان يكون المراد به الاصول دون الجذوع اى ان الريح
قد قطعتهم حتى صاروا كالاصول النخل خاوية اى ان الريح كانت تدخل اجوافهم فتصرعهم كالنخل الخاوية الجوف وقال
ابن سجرة كانت الريح تدخل فى افواههم فتخرج ما فى اجوافهم من الحشو من ادبارهم فصاروا كالنخل الخاوية وقال
يحيى بن سلام انما قال خاوية لان ابدانهم خوت من ارواحهم مثل النخل الخاوية قوله فهل ترى لهم من باقية ادغم
اللام فى التاء ابو عمرو وحده وتقدم فى الملك ومن باقية مفعوله ومن مزيدة والثانى باقية قيل للمبالغة فيكون
المراد بالباقية البقاء كالطاغية بمعنى الطغيان اى من باق والاحسن ان يكون صفة لفرقة او طايفة او نفس او بقية
ونحو ذلك وقيل فاعله بمعنى المصدر كالعاقبة والعافيه قال المفسرون والمعنى هل ترى لهم احدا باقيا قال
ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية ايام احيا فى عذاب الله من الريح فلما امسوا فى اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم
الريح فالقتهم فى البحر فذلك قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وقوله فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم قوله وجاء فرعون ومن
قبله قرا ابو عمرو والكساى بكسر القاف وفتح البا اى ومن هو فى جهته ويويده قراة ابى يوليس ومن تلقاه وقرا
ابى وعبد الله ومن تبعه والباقون بالفتح والسكون على انه ظرف اى ومن تقدمه والقراة الاولى اختارها
ابو عبيد وابو حاتم اعتبارا بقراة ابى وعبد الله قوله والموتفكات بالخاطية الموتفكات اهل قرى لوط وقراه
العامة بالالف وقرا الحسن والجحدرى والموتفكة على التوحيد قال قتادة انما سميت قرى قوم لوط موتفكات لانها
ائتفكت بهم اى انقلبت وذكر الطبرى عن محمد بن كعب الطبرى قال خمس قريات صنعه وصعده وعمره
ودوما وسدوم وهى القرية العظمى وقوله بالخاطية اما ان يكون صفة اى بالفعله او الفعلات الخاطية
وهى المعصية والكفر وقال مجاهد بالخطايا التى كانوا يفعلونها وقال الجرجانى بالخطا العظيم فيكون مصدرا

مصدرا كالعاقبة والكاذبة قوله فعصوا رسول ربهم ان عاد الضمير الى فرعون ومن قبله فرسول ربهم موسى عليه السلام
وان كان عايدا الى اهل الموتفكات فرسول ربهم لوط عليه السلام قال الواحدى والوجه ان يقال المراد بالرسول كلاهما
للخبر عن الامتين بعد ذكرهما بقوله فعصوا فيكون كقوله انا رسول رب العالمين قال القرطبى وقيل رسول بمعنى رسالة وقد
يعبر عن الرسالة بالرسول كقوله
لقد كذب الواشون ما بحت عندهم ... بسر ولا ارسلتهم برسول
قوله فاخذهم اخذة رابية اى غالبة زايدة على الاخذات وعلى عذاب الامم يقال ربا الشى يربو اذا زاد ومنه الربا اذا اخذ
فى الذهب والفضة اكثر مما اعطى والمعنى انها كانت زايدة فى الشدة على عقوبات ساير الكفار كما ان افعالهم كانت زايدة
فى القبح على افعال ساير الكفار وقيل لان عقوبة ال فرعون فى الدنيا متعلقة بعذاب الاخرة لقوله اغرقوا فادخلوا نارا وعقوبة
الاخرة اشد من عقوبة الدنيا فتلك العقوبة كانها كانت تنمو وتربو ثم ذكر قصة قوم نوح وهى قوله انا لما طغى الماء
حملناكم فى الجارية طغى الما اى ارتفع وغلا وقال على رضى الله عنه طغى على خزانه من الملايكة غضبا لربه فلم يقدروا
على حبسه قال المفسرون زاد على كل شى خمس مائة ذراعا وقال ابن عباس رضى الله عنه طغى الما زمن نوح على خزانه فكثر عليهم
فلم يدروا كم خرج وليس من الما قطرة تنزل قبله ولا بعده الا بكيل معلوم غير ذلك اليوم وقد تقدم مرفوعا اول السورة
والمقصود من قصص هذه الامة وذكر ما حل بهم من العذاب زجر هذه الامة عن الاقتداء بهم فى معصية الرسول ثم
من عليهم بان جعلهم ذرية من نجا من الغرق بقوله حملناكم اى حملنا اباكم وانتم فى اصلابهم فى الجارية اى فى السفن
الجارية والمحمول فى الجارية انما هو نوح واولاده وكل من على وجه الارض من نسل اوليك والجارية من اسما السفينة ومنه
قوله تعالى وله الجوار المنشات فى البحر كالاعلام وغلب استعمال الجارية فى السفينة كقوله فى بعض الالغاز
رايت جارية فى بطن جارية ... فى بطنها رجل فى بطنه جمل
قوله لنجعلها لكم تذكرة اى سفينة نوح عليه
السلام جعلها الله تذكرة وعظة لهذه الامة حتى ادركها اوايلهم فى قول قتادة قال ابن جريج كانت الواحها على الجودى
والمعنى ابقيت لكم تلك الخشبات حتى تذكروا ما حل بقوم نوح وانجى الله اباكم وكم سفينة هلكت وصارت ترابا ولم
يبق منها شى وهذا قول الفرا قال ابن الخطيب وهذا ضعيف بل الصواب ما قاله الزجاج ان الضمير فى قوله لنجعلها يعود الى
الواقعة التى هى معلومة وان كانت هنا غير مذكورة والمعنى لنجعل نجاة المومنين واغراق الكافرين عظة وعبرة ويدل
على صحته قوله وتعيها اذن واعية فالضمير فى قوله تعالى وتعيها لا يمكن عوده الى السفينة فكذا الضمير الاول قوله
وتعيها العامة على كسر العين وتخفيف التا وهو مضارع وعى منصوب عطفا على لنجعلها وابن مصرف وابو عمرو فى رواية هرون
عنه وقنبل قال القرطبى وحميد الاعرج باسكانها تشبيها له برحم وشهد وان لم يكن منه ولكن صار فى اللفظ بمنزلة فعل الحلقى العين
قال ابن الخطيب وروى عن ابن كثير اسكان العين جعل حرف المضارعة مع ما بعده بمنزلة واحدة فخفف واسكن كما اسكن
الحرف المتوسط من فخذ وكبد وكتف وانما فعل ذلك لان حرف المضارعة لا ينفصل من الفعل فاشبه من نفس الكلمة وصار
كقول من قال وهو وهى ومثل ذلك وبعضه فى قراة من سكن القاف وروى عن حمزة اخفا الكسرة وروى عن عاصم وحمزة
ايضا تشديد اليا وهو غلط عليهما وانما سمعهما الراوى يبينان حركة اليا فظنها شدة وقيل اجريا الوصل مجرى الوقف
فضعفا الحرف وهذا لا ينبغى ان يلتفت اليه وروى عن حمزة ايضا وموسى بن عبد الله العبسى وتعيها بسكون اليا وفيها
وجهان الاستيناف والعطف على المنصوب وانما سكن اليا استثقالا للحركة على حرف العلة كقراة تطعمون اهاليكم كامر فصل
قال الزجاج يقال وعيت كذا اى حفظته فى نفسى اعيه وعيا ووعيت العلم ووعيت ما قلته كله بمعنى واوعيت المتاع فى الوعا
قال الزجاج ويقال لكل ما حفظته فى غير نفسك اوعيته بالالف ولما حفظته فى نفسك وعيته بغير الف قال
ابن الخطيب واعلم ان وجه التذكير فى هذا ان نجاة قوم من الغرق فى السفينة وتغريق من سواهم يدل على قدرة مدبر
العالم ونفاذ مشيته ونهاية حكمته ورحمته وشدة قهره روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عند نزول هذه الاية
سالت الله ان يجعلها اذنك يا على قال على رضى الله عنه فما نسيت شيا بعد ذلك فان قيل لم قال اذن واعية على
التوحيد والتنكير فالجواب للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعى منهم وللدلالة على ان الاذن
الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهى السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يلتفت اليهم وان امتلا العالم منهم
ونظير هذه الاية قوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب قال قتادة الاذن الواعية اذن عقلت عن الله
تعالى وانتفعت بما سمعت من كتاب الله عز وجل قوله فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة لما حكى هذه القصص الثلاثة
ونبه بها على ثبوت القدرة والحكمة للصانع تحقيقا بذلك ثبوت القدرة امكان القيامة ويثبت بثبوت القدرة امكان
وقوع الحشر ولما ثبت ذلك شرع سبحانه فى تفاصيل احوال القيامة فذكر اولا مقدماتها فقال فاذا نفخ فى الصور نفخة
واحدة قوله واحدة تاكيد ونفخة مصدر قام مقام الفاعل وقال ابن عطية لما نعت صح رفعه انتهى ولو لم ينعت
لصح رفعه لانه مصدر مختص لدلالته على الوحدة والممنوع عند البصريين انما هو اقامة المبهم نحو ضرب ضرب والعامة
على الرفع فيهما وقرا ابو السمال بنصبهما كانه اقام الجار مقام الفاعل فترك المصدر على اصله ولم يونث الفعل وهو نفخ

لان النافية تجازى وحسنه الفصل **فصل** قال ابن عباس هى النفخة الاولى لقيام الساعة فلا يبقى احد الا مات قال
ابن الخطيب لان عندها عصل خراب العالم **فان قيل** فلم قال بعد ذلك يومئذ تعرضون والعرض انما يكون عند النفخة
الثانية قلنا جعل اليوم اسما للحين الواسع الذى يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب
فلذلك يوم يعرضون كقولك جئته عام كذا وانما كان مجيئك فى وقت واحد من اوقاته وقيل ان هذه النفخة هى
الاخيرة وقال نفخة واحدة اى لا تثنى قال الاخفش ووقع الفعل على النفخة اذ لم يكن قبلها اسم مرفوع فقيل نفخة
قوله وحملت الارض قرأ العامة بتخفيف الميم اى وحملتها الريح او الملائكة او القدرة اى رفعت من اماكنها فدكتا
اى فتتا وكسرتا دكة واحدة اى الارض والجبال لان المراد الشيئان المتقدمان كقوله ان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا ولا يجوز فى دكة الا النصب لارتفاع الضمير فى دكتا وقال الفراء لم يقل فدككن لانه جعل الجبال كلها كالجملة
الواحدة والارض كالجملة الواحدة ومثله ان السموات والارض كانتا رتقا ولم يقل كن وهذا الدك كالزلزلة لقوله
تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها واما الريح يبلغ من قوة عصفها انها تحمل الارض والجبال او بملك من الملائكة او بقدرة الله
فدكتا اى جملة الارض وجملة الجبال بضرب بعضها فى بعض حتى تندق وتصير كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك ابلغ
الدق وقيل دكتا اى بسطتا بسطة واحدة ومنه اندك سنام البعير اذا انفرش فى ظهره وقرأ ابن عامر فى رواية
والاعمش وابن ابى عبلة وابن مقسم وحملت بتشديد الميم تجاز ان يكون التشديد للتكثير فلم يكسب الفعل مفعولا
اخر وجاز ان يكون للتعدية فيكسب مفعولا اخر فيحتمل ان يكون الثانى محذوفا والاول هو القائم مقام الفاعل تقديره
وحملت الارض والجبال ريحا تفتتها لقوله فقل ينسفها ربى نسفا وقيل التقدير حملتها ملائكة ويحتمل ان يكون
الاول هو المحذوف والثانى هو القائم مقام الفاعل **قوله** فيومئذ منصوب بوقعت ووقعت الواقعة لا بد فيه من تاويل
وهو ان تكون الواقعة صارت علما بالغلبة على القيامة او الواقعة العظيمة والا فقيام القائم لا يجوز اذ لا فائدة فيه
وتقدم هذا فى قوله وقعت الواقعة والتنوين فى يومئذ للعوض من الجملة تقديره يوم اذ نفخ فى الصور **فصل**
المعنى قامت القيامة الكبرى وانشقت السماء اى انصدعت وتفطرت وقيل انشقت لنزول الملائكة بدليل قوله تعالى
ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا فهى يومئذ واهية اى ضعيفة مسترخية ساقطة كالعهن المنفوش
بعدما كانت محكمة يقال وهى البناء يهى وهيا فهو واه اذا ضعف جدا ويقال كلام واه اى ضعيف فقيل انها تصير بعد صلابتها
بمنزلة الصوف فى الوهى ويكون ذلك لنزول الملائكة وقيل لهول يوم القيامة وقال ابن شجرة واهية اى متخرقة مأخوذ
من قولهم وهى السقاء اذا انخرق ومن امثالهم ◦ خل سبيل من وهى سقاؤه ◦ ومن هريق بالفلاة ماؤه ◦ اى من كان
ضعيف العقل لا يحفظ نفسه والملك على ارجائها لم يرد به ملكا واحدا بل المراد الجنس والجمع على ارجائها الارجاء فى اللغة
النواحى والاقطار بلغة هذيل واحدها رجا مقصور وتثنيته رجوان فقيل عصى وعصوان قال ◦
◦ فلا يرمى بى الرجوان انى ◦ اقل القوم من يغنى مكانى ◦ وقال اخر ◦
◦ كان لم ترى قبلى اسيرا مقيدا ◦ ولا رجلا يرمى به الرجوان ◦ ورجا هذا يكتب بالالف عكس رجى
لانه من ذوات الواو ويقال رجا ورجوان والجمع الارجاء ويقال ذلك لحرف البير وحرف القبر وما اشبهه **فصل**
قال ابن عباس على اطرافها حين تنشق قال الماوردى ولعله قول مجاهد وقتادة وحكاه الثعلبى عن الضحاك قال على
اطرافها مما لم ينشق منها وقال سعيد بن جبير المعنى والملك على حافات الدنيا اى ينزلون الى الارض ويحرسون اطرافها
وقيل اذا صارت السماء قطعا تقف الملائكة على تلك القطع التى ليست متشققة فى انفسها **فان قيل** الملائكة يموتون
فى الصعقة الاولى لقوله تعالى فصعق من فى السموات ومن فى الارض فكيف يقال انهم يقفون على ارجاء السماء **فالجواب**
من وجهين الاول انهم يقفون لحظة على ارجاء السماء ثم يموتون والثانى المراد الذين استثناهم فى قوله الا من شاء الله
وقيل ان الناس اذا راوا جهنم هالتهم فيندوا كما تند الابل فلا ياتون قطرا من اقطار الارض الا راوا ملائكة فيرجعوا
من حيث جاءوا وقيل على ارجائها ينتظرون ما يؤمرون به فى اهل النار من السوق اليها وفى اهل الجنة من التحية والكرامة
وهذا كله راجع الى قول ابن جبير ويدل عليه قوله تعالى ونزل الملائكة تنزيلا **قوله** على ارجائها خبر المبتدا والضمير
للسماء وقيل للارض على ما تقدم قال الزمخشرى فان قلت ما الفرق بين قوله والملك وبين ان يقال والملائكة قلت
الملك اعم من الملائكة الا ترى ان قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة انتهى قال ابو حيان
ولا يظهر ان الملك اعم من الملائكة لان المفرد المحلى بالالف واللام قصاراه ان يكون مرادا به الجمع المحلى ولذلك
صح الاستثناء منه فقصاراه ان يكون كالجمع المحلى بهما واما دعواه انه اعم منه بقوله الا ترى الى اخره فليس دليلا
على دعواه لان من ملك نكرة مفردة فى سياق النفى قد دخلت عليها من المخلصة للاستغراق فشملت كل ملك فاندرج
تحتها الجمع لوجود الفرد فيه فانتفى كل فرد فرد بخلاف من ملائكة فان من دخلت على جمع منكر فعم فى كل جمع جمع من
الملائكة ولا يلزم من ذلك كل انتفاء كل فرد فرد من الملائكة لو قلت ما فى الدار من رجال جاز ان يكون فيها واحد لان

لان النفى انما انسحب على جمع ولا يلزم من انتفاء الجمع ان ينتفى المفرد والملك فى الاية ليس فى سياق نفى دخلت عليه من وانما
جئ به مفردا لانه اخف ولان قوله على ارجائها يدل على الجمع لان الواحد بما هو واحد لا يمكن ان يكون على ارجائها فى وقت واحد
بل فى اوقات والمراد والله اعلم ان الملائكة على ارجائها لا انه ملك واحد ينتقل على ارجائها فى اوقات قال شهاب الدين
ان الزمخشرى منزعه فى هذا ما تقدم عنه فى اواخر سورة البقرة عند قوله وكتابه ورسله فليراجع ثمة واما قول
ابى حيان ما من رجال ان النفى منسحب على رتب الجمع ففيه خلاف والتحقيق ما ذكره **قوله** ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ
ثمانية الضمير فى فوقهم يجوز ان يعود على الملك لانه بمعنى الجمع كما تقدم وان يعود على الحاملين الثمانية وقيل ان حملة
العرش فوق الملائكة الذين فى السماء على ارجائها وقيل يعود على جميع العالم اى ان الملائكة تحمل عرش الله فوق العالم كله
فصل قال ابن عباس ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقال ابن زيد هم ثمانية املاك
وعن الحسن الله اعلم كم هم ثمانية ام ثمانية الاف او ثمانية صفوف وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان حملة العرش
اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرين فكانوا ثمانية خرجه الماوردى مرفوعا عن ابى هريرة
عن النبى صلى الله عليه وسلم ورواه العباس بن عبد المطلب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال هم ثمانية املاك على صورة
الاوعال لكل ملك منهم اربعة اوجه وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر وكل وجه منها يسأل الله الرزق لذلك
الجنس **فان قيل** اذا لم يكن فيهم صورة وعل فكيف سموا اوعالا **فالجواب** ان وجه الثور اذا كانت له قرون الوعل اشبه
الوعل وفى الخبر ان فوق السماء السابعة ثمانية اوعال بين اظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء الى سماء وفوق ظهورهن
العرش ذكره القشيرى وخرجه الترمذى من حديث العباس بن عبد المطلب وفى حديث مرفوع ان حملة العرش ثمانية
املاك على صور الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما للطائر المسرع وروى ان ارجلهم فى الارض السابعة
فصل اضافة العرش الى الله تعالى كاضافة البيت اليه وليس البيت للسكنى فكذلك العرش ومعنى فوقهم اى
فوق رؤوسهم قال ابن الخطيب قالت المشبهة لو لم يكن الله فى العرش لكان حمل العرش عبثا لا فائدة فيه لا سيما وقد
اكد ذلك بقوله يومئذ تعرضون والعرض انما يكون لو كان الاله حاضرا فى العرش واجاب بانه لا يمكن ان يكون المراد
ان الله تعالى جالس على العرش لان كل من كان حاملا للعرش فلو كان الاله على العرش لزم ان يكون الملائكة حاملين
لله تعالى وذلك محال لانه يقتضى احتياج الله اليهم وان يكونوا اعظم قدرا من الله وكل ذلك كفر فعلمنا انه لا بد
فيه من التاويل فنقول السبب فى هذا الكلام هو انه تعالى خاطبهم بما يتعارفونه فخلق لنفسه بيتا يزورونه
ليس انه يسكنه تعالى الله عن ذلك وجعل فى ركن البيت حجرا هو يمينه فى الارض اذ كان من شأنهم ان يعظموا رؤساءهم بتقبيل
ايمانهم وجعل على العباد حفظة لا لان النسيان يجوز عليه سبحانه ولكن لان الملك اذا اراد محاسبة عماله جلس على
سريره ووقف الاعوان حوله فسمى الله يوم القيامة عرشا وحفت به الملائكة لا لانه يقعد عليه او يحتاج اليه بل كما
قلنا فى البيت والطواف **قوله** يومئذ تعرضون تعرضون هو جواب اذا من قوله فاذا نفخ قاله ابو حيان وفيه
نظر بل جوابها ما تقدم من قوله وقعت الواقعة وتعرضون على هذا مستأنف **قوله** لا تخفى قرأ الاخوان بالياء من
تحت لان التانيث مجازى كقوله واخذ الذين ظلموا الصيحة واختاره ابو عبيد لانه قد حال بين الفعل والاسم
المؤنث الجار والمجرور والاخوان على اصلهما فى امالة الالف وقرأ الباقون لا تخفى بالتاء من فوق للتانيث اللفظى والفتح
وهو الاصل واختاره ابو حاتم **فصل** قال القرطبى هذا هو العرض على الله ودليله وعرضوا على ربك صفا وليس
ذلك عرضا ليعلم ما لم يكن عالما به بل ذلك العرض عبارة عن المحاسبة والمسائلة وتقدير الاعمال عليهم للمجازاة قال
صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعنده
ذلك تطير الصحف فآخذ بيمينه واخذ بشماله وقوله لا تخفى منكم خافية قال ابن شجرة اى هو عالم بكل شئ من
اعمالكم فخافية على هذا بمعنى خفية كانوا يخفونها من اعمالهم ونظيره قوله تعالى لا يخفى على الله منهم شئ قال ابن الخطيب
فيكون العرض للمبالغة فى التهديد يعنى يعرضون على من لا يخفى عليه شئ وقيل لا يخفى عليه انسان لا يحاسب وقال
عبد الله بن عمرو بن العاص لا يخفى المؤمن من الكافر ولا البر من الفاجر وقيل لا يستتر منكم عورة لقوله عليه السلام يحشر
الناس حفاة عراة **قوله** فاما من اوتى كتابه بيمينه وهذا دليل على المجازاة قال ابن عباس اول من يعطى كتابه بيمينه
من هذه الامة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس قيل له فاين ابو بكر فقال هيهات زفته الملائكة الى الجنة
قال القرطبى وقد ذكرناه مرفوعا من حديث زيد بن ثابت بلفظه ومعناه فى كتاب التذكرة **قوله** هاؤم اى خذوا
اقرأوا كتابيه يقول ذلك ثقة بالاسلام وسرورا بنجاته لان اليمين عند العرب من دلائل الفرح قال الشاعر
◦ اذا ما راية رفعت لمجد ◦ تلقاها عرابة باليمين ◦ وقال ◦
◦ ابينى افى يمنى يديك جعلتنى ◦ فافرح ام صيرتنى فى شمالك ◦ وقال ابن زيد معنى هاؤم
تعالوا فبتعدى بالى وقال مقاتل هلم وقيل خذوا ومنه الحديث فى الربا الا هاء وهاء اى يقول كل واحد لصاحبه

خذ وهذا هو المشهور وقيل هي كلمة وضعت لاجابة الداعي عند الفرح والنشاط وفي الحديث انه ناداه اعرابي بصوت عال فاجابه النبي صلى الله عليه وسلم هاؤم بصولة صوته وقيل معناها اقصدوا وزعم هؤلاء انها مركبة من ها التنبيه وأمّوا من الأمّ وهو القصد فصيرة التخفيف والاستعمال الى هاؤم وقيل الميم ضمير جماعة الذكور وزعم القتيبي ان الهمزة بدل من الكاف قال ان عنى انها تحل محلها فصحيح وان عنى البدل الصناعي فليس بصحيح فقوله هاؤم يطلب مفعولا يتعدى اليه بنفسه ان كان بمعنى خذ او اقصدوا وبالى ان كان بمعنى تعالوا واقرؤا يطلبه ايضا فقد تنازعا في كتابيه واعمل الثاني للحذف من الاول وقد تقدم تحقيق هذا في سورة الكهف وفي غيرها وفيها لغات وذلك انها تكون فعلا صريحا وتكون اسم فعل ومعناها في الحالين خذ فان كانت اسم فعل وهي المذكورة في الاية الكريمة ففيها لغتان المد والقصر تقول ها يا زيد وهاء يا زيد وربما ويكونان كذلك في الاحوال كلها من افراد وتثنية وجمع وتذكير وتانيث وتتصل بهما كاف الخطاب اتصالها باسم الاشارة فتطابق مخاطبك بحسب الواقع مطابقتها وهي ضميره نحو هاكَ هاكِ هاكما هاكم هاكن وتخلف كاف الخطاب همزة هاءَ مصرفة تصرف كاف الخطاب فتقول هاءَ يا زيد هاءِ يا هند هاؤما هاؤم هاؤن وهي لغة القرآن واذا كانت فعلا صريحا لاتصال الضمائر البارزة المرفوعة بها كان فيها ثلاث لغات احداها انها تكون مثل عاطى يعاطي فيقال هاءِ يا زيد هائي يا هند هائيا يا زيدان او يا هندات هاؤوا يا زيدون هائين يا هندات الثانية ان تكون مثل هب فيقال هأ هئي هآ هؤوا هأن مثل هب هبي هبا هبوا هبن الثالثة ان تكون مثل خف امرا من الخوف فيقال هأ هائي هاءا هاؤوا هأن مثل خف خافي خافا خافوا خفن قوله كتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لانه اقرب العاملين والاصل كتابي فادخل الهاء للسكت وكان حقها ان تحذف وصلا وتثبت وقفا وانما اجري الوصل مجرى الوقف او وصل بنية الوقف في كتابيه وحسابيه اتفاقا فاثبت الهاء وكذلك في ماليه وسلطانيه وماهيه في القارعة عند القراء كلهم الا حمزة فانه حذف الهاء من هذه الكلم الثلاث وصلا واثبتها وقفا لانها في الوقف يحتاج اليها لتحصين حركة الموقوف عليه وفي الوصل يستغنى عنها فان قيل فلم لم يفعل ذلك في كتابيه وحسابيه فالجواب انه جمع بين اللغتين هذا في القراءات السبع وقرأ ابن محيصن بحذفها في الكلم كلها وصلا ووقفا الا في القارعة فانه لم يتحقق عنه فيها نقل وقرأ الاعمش وابن ابي اسحق بحذفها فيهن وصلا واثباتها وقفا وابن محيصن بسكون الياء في الكلم المذكورة بغير هاء والحق انها قراءة صحيحة اعني ثبوت هاء السكت وصلا لثبوتها في خط المصحف الكريم ولا يلتفت الى قول الزهراوي ان اثباتها في الوصل لحن لا اعلم احدا يجيزه وقد تقدم الكلام على هاء السكت في البقرة والانعام قوله اني ظننت قال ابن عباس اي ايقنت وعلمت وقيل ظننت ان يؤاخذني الله بسيئاتي عذبني فقد تفضل علي بعفوه ولم يؤاخذني بها قال الضحاك كل ظن من المؤمن في القرآن فهو يقين ومن الكافر فهو شك وقال مجاهد ظن الاخرة يقين وظن الدنيا شك وقال الحسن في هذه الاية ان المؤمن احسن الظن بربه فاحسن العمل وان المنافق اساء الظن بربه فاساء العمل وقوله اني ملاق حسابيه اي في الاخرة ولم انكر البعث يعني انه ما نجا الا بخوفه من يوم الحساب لانه تيقن ان الله يحاسبه فعمل للاخرة قوله راضية فيها ثلاثة اوجه احدها انه على المجاز جعلت العيشة راضية لمحلها وحصولها في مستحقها او انها لا حال اكمل من حالها والمعنى في عيش يرضاه لا مكروه فيه الثاني انه على النسب اي ذات رضى نحو لابن وتامر لصاحب اللبن والتمر والمعنى ذات رضى اي يرضى بها صاحبها الثالث قال ابو عبيدة والفراء انه مما جاء فيه فاعل بمعنى مفعول نحو ماء دافق اي مدفوق كما جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله حجابا مستورا اي ساترا فصل قال عليه السلام انهم يعيشون فلا يموتون ابدا ويصحون فلا يمرضون ابدا وينعمون فلا يرون باسا ابدا ويشبون فلا يهرمون ابدا قوله في جنة عالية اي عظيمة في النفوس قطوفها دانية القطوف جمع قطف وهو فعل بمعنى مفعول كالرعي والذبح وهو ما يجتنيه الجاني من الثمار دانية اي قريبة التناول يتناولها القائم والقاعد والمضطجع والقطف بكسر القاف وهو ما يقطف من الثمار والقطف بالفتح المصدر والقطاف بالفتح والكسر وقت القطف كلوا اي يقال لهم كلوا واشربوا وهذا امر امتنان لا امر تكليف وقوله هنيئا قد تقدم في اول النساء وجوز الزمخشري فيه هنا ان ينتصب نعتا لمصدر محذوف اي كلا هنيئا وشربا هنيئا وان ينتصب على المصدر بعامل من لفظه مقدر اي هنئتم بذلك هنيئا والباء في بما اسلفتم سببية وما مصدرية او اسمية ومعنى هنيئا لا تكدير فيه ولا تنغيص بما اسلفتم قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية اي في الدنيا قال المعتزلة وهذا يدل على ان العمل يوجب الثواب وان الفعل للعبد وقال كلوا بعد قوله فهو في عيشة راضية لقوله فاما من اوتي كتابه ومن متضمن معنى الجمع فصل ذكر الضحاك ان هذه الاية نزلت في ابي سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي وقاله مقاتل والاية التي تليها في اخيه الاسود ابن عبد الاسد في قول ابن عباس والضحاك قال الثعلبي ويكون هذا الرجل واخوه سبب نزول هذه الايات

ويعم المعنى اهل الشقاوة والسعادة بدليل قوله تعالى كلوا واشربوا وقيل ان المراد بذلك كل من كان متبوعا في الخير والشر يدعو اليه ويامر به قوله واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما نظر في كتابه وتذكر قبائح افعاله خجل منها ويقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر اي شيء حسابيه ثم يتمنى الموت ويقول يا ليتها كانت القاضية فالضمير في ليتها قيل يعود الى الموتة الاولى وان لم تكن مذكورة الا انها لظهورها كانت كالمذكورة والقاضية القاطعة من الحياة قال تعالى فاذا قضيت الصلاة ويقال قضى على فلان اذا امات فالمعنى يا ليت الموتة التي كانت القاطعة لامري ولم ابعث بعدها ولم الق ما وصلت اليه قال قتادة يتمنى الموت ولم يكن عنده في الدنيا شيء اكره من الموت وشر من الموت ما يطلب منه الموت قال الشاعر

وشر من الموت الذي ان لقيته ... تمنيت منه الموت والموت اعظم

وقيل يعود الى الحالة التي شاهدها عند مطالعة الكتاب والمعنى يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي قوله ما اغنى عني يجوز ان يكون نفيا وان يكون استفهام توبيخ لنفسه اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار هلك عني سلطانيه قال ابن عباس هلكت عني حجتي والسلطان الحجة التي كنت احتج بها وهو قول مجاهد وعكرمة والسدي والضحاك وقال مقاتل ضلت عني حجتي حين شهدت علي الجوارح وقال ابن زيد يعني ملكي وتسلطي على الناس وبقيت ذليلا فقيرا وكان مطاعا في اصحابه قوله خذوه فغلوه كقوله كلوا اي اضمار القول يقال ذلك لخزنة جهنم والغل جمع اليدين الى العنق اي شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه اي اجعلوه يصلى الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعاظم في الدنيا وتقديم المفعول يفيد الاختصاص عند بعضهم ولذلك قال الزمخشري ثم لا يصلوه الا الجحيم قال ابو حيان وليس ما قاله مذهبا لسيبويه ولا لحذاق النحاة وقد تقدم مثل هذه المسالة متقنة وان كلام النحاة لا يابى ما قاله قوله ذرعها سبعون في محل جر صفة لسلسلة وفي سلسلة متعلق باسلكوه والفاء لا تمنع من ذلك والذراع مؤنث ولذلك يجمع على افعل وسقطت التاء من عدده قال ... ارى عليها وهي فرع اجمع ... وهي ثلاث اذرع واصبع وذكر السبعين دون غيرها من العدد قيل المراد به التكثير كقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة وقيل المراد حقيقة العدد قال ابن عباس سبعون ذراعا بذراع الملك وقال نوف البكالي سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع كما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال الحسن الله اعلم اي ذراع وزعم بعضهم ان في قوله في سلسلة فاسلكوه قلبا قال لانه نقل في التفسير ان السلسلة تدخل من فيه وتخرج من دبره فهي المسلوكة فيه لا هو المسلوك فيها والظاهر انه لا يحتاج الى ذلك لانه روي انها لطولها تجعل في عنقه وتلتوي عليه حتى تحيط به من جميع جهاته فهو المسلوك فيها لاحاطتها به وقال الزمخشري والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة وثم للدلالة على التفاوت لما بين الغل والتصلية بالجحيم وما قبلها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة ونازعه ابو حيان في افادة التقديم الاختصاص كعادته وجوابه ما تقدم ونازعه ايضا في ان ثم للدلالة على تراخي الرتبة وقال مكي التراخي الزماني بان يصلى بعد ان يسلك ويسلك بعد ان يؤخذ ويغل بمهلة بين هذه الاشياء انتهى وفيه نظر من حيث ان التوعد متواليا العذاب اكد وافظع من التوعد بتفريقه قوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين الحض الحث على الفعل والحرص على وقوعه ومنه حروف التحضيض المبوب لها في النحو لانه يطلب بها وقوع الفعل وايجاده فبين تعالى انه عذب على ترك الاطعام وعلى الامر بالبخل كما عذب بسبب الكفر قال ابن الخطيب وفي الاية دليل على ان الكفار يخاطبون بالفروع قال ابو الدرداء انه كان يحض امراته على الاطعام ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها الثاني بالاطعام وقيل المراد قول الكفار انطعم من لو يشاء الله اطعمه واصل طعام ان يكون منصوبا بالمصدر المقدر والطعام عبارة عن العين واضيف للمسكين للملابسة التي بينهما ومن اعمل الطعام كاعمال الاطعام فموضع المسكين نصب والتقدير على اطعام المطعم المسكين فحذف الفاعل واضيف المصدر الى المفعول قوله فليس له اليوم ههنا حميم في خبر ليس وجهان احدهما له والثاني ههنا وايهما كان خبرا تعلق به الاخر وكان حالا من حميم ولا يجوز ان يكون اليوم خبرا البتة لانه زمان والمخبر عنه جثة ومنع المهدوي ان يكون ههنا خبرا ولم يذكر المانع وقد ذكره القرطبي فقال لانه يصير المعنى ليس ههنا طعام الا من غسلين ولا يصح ذلك لان ثم طعاما غيره انتهى وفي هذا نظر لانا لا نسلم اولا ان ثم طعاما غيره فان اورد قوله ليس لهم طعام الا من ضريع فهذا طعام اخر غير الغسلين فالجواب ان بعضهم ذهب الى ان الغسلين هو الضريع بعينه فسماه في اية غسلينا وفي اخرى ضريعا ولئن سلمنا انهما طعامان فالحصر باعتبار الاكلين يعني ان هذا الاكل حصر طعامه في الغسلين فلا ينافي ان يكون في النار طعام اخر واذا قلنا ان له الخبر وان اليوم وههنا متعلقان بما تعلق هو به فلا اشكال وكذلك اذا جعلنا ههنا هو الخبر وعلقنا به الجار والظرف ولا يضر كون العامل معنويا للاتساع في الظروف وحروف الجر وقوله الا من غسلين صفة لطعام ودخل الحصر على الصفة كقولك ليس عندي رجل الا من تميم والمراد بالحميم الصديق [illegible] هذا الصفة

مختصة بالطعام اي ليس له صديق ينفعه ولا طعام الا من كذا وقيل التقدير وليس له حميم الا من غسلين ولا طعام قاله ابن
البقا فجعل من غسلين صفة للحميم كانه اراد به الشي الذي يحم به البدن من صديد النار ثم قال وقيل من الطعام والشراب
لان الجميع يطعم بدليل قوله ومن لم يطعمه فعلى هذا يكون الا من غسلين صفة لحميم وللطعام والمراد بالحميم ما يشرب
والظاهر ان خبر ليس هو قوله من غسلين اذا اريد بالحميم ما يشرب اي ليس له شراب ولا طعام الا غسلين اما اذا
اريد بالحميم الصديق فلا يتاتى ذلك وعلى هذا الذي ذكرناه سؤال وهو ان يقال باي شي تعلق الجار والظرفان الجواب
انها تتعلق بما تعلق به الخبر او يجعل له وههنا حالا من حميم ويتعلق اليوم بما تعلق به الحال ولا يجوز ان يكون اليوم حالا
من حميم وله وههنا متعلقان بما تعلق به الحال لانه ظرف زمان وصاحب الحال جثة وهذا موضع حسن مفيد
والغسلين فعلين من الغسالة فنونه وياوه زايدتان قال اهل اللغة هو ما يجري من الجراح اذا غسلت
قال المفسرون هو صديد اهل النار وقيل شجر ياكلونه وعن ابن عباس لا ادري ما الغسلين وسمي طعاما لقيامه
مقامه فسمي طعاما كقوله تحية بينهم ضرب وجيع قوله لا ياكله الا الخاطيون صفة لغسلين والعامة يهمزون
الخاطيون وهو اسم فاعل من خطا يخطا اذا فعل غير الصواب متعمدا والمخطي من يفعله غير متعمد وقرا الزهري
والعتكي وطلحة والحسن الخاطيون بياء مضمومة بدل الهمزة وقد تقدم مثله في يستهزون اول الكتاب وقرا
نافع في رواية وشيبة بطاء مضمومة دون همز وفيها وجهان احدهما انه كقراة الجماعة الا انه خفف
بالحذف والثاني انه اسم فاعل من خطا يخطو اذا اتبع خطوات غيره فيكون من قوله لا تتبعوا خطوات الشيطان
قاله الزمخشري وقد تقدم اول الكتاب ان نافعا يقرا الصابيون بدون همز وكلام الناس فيها وعن ابن عباس ما
الخاطون كلنا نخطو وروى عنه ابو الاسود الدولي ما الخاطون انما هو الخاطيون وما الصابون انما هو الصابيون
ويجوز ان يراد به الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون
قد تقدم مثله في اخر الواقعة الا انه قيل ههنا ان لا نافية لفعل القسم وكانه قيل لا احتاج ان اقسم على هذا لانه حق
ظاهر مستغن عن القسم ولو قيل به في الواقعة لكان حسنا واعلم انه تعالى لما اقام الدلالة على امكان القيامة
ثم على وقوعها ثم ذكر احوال السعدا واحوال الاشقيا ختم الكلام بتعظيم القران فقال فلا اقسم بما تبصرون
قيل المراد اقسم ولا صلة والمعنى اقسم بالاشيا كلها ما ترون منها وما لا ترون فعم جميع الاشيا على الشمول لانها
لا تخرج عن قسمين مبصر وغير مبصر فقيل الخالق والخلق والدنيا والاخرة والاجسام والارواح والانس والجن
والنعم الظاهرة والباطنة وان لم تكن لا زايدة فالتقدير لا اقسم على ان هذا القران قول رسول كريم لانه يستغني عن القسم
لوضوحه قال مقاتل سبب نزول هذه الاية ان الوليد بن المغيرة قال ان محمدا ساحر وقال ابو جهل شاعر وقال
عقبة كاهن فقال الله تعالى فلا اقسم اي اقسم وان قيل لا نافية للقسم فجوابه كجواب القسم انه يعني القران
لقول رسول كريم يعني جبريل قاله الحسن والكلبي ومقاتل لقوله رسول كريم ذي قوة وقال الكلبي ايضا والقتبي
الرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله وما هو بقول شاعر وليس القران من قول الرسول صلى الله عليه
وسلم انما هو من قول الله عز وجل ونسب القول الى الرسول لانه تاليه ومبلغه والعامل به كقولنا هذا قول
مالك فان قيل كيف يكون كلاما لله تعالى ولجبريل ولمحمد عليهما السلام فالجواب ان الاضافة يكفي فيها ادنى
ملابسة فالله سبحانه اظهره في اللوح المحفوظ وجبريل بلغه لمحمد عليهما السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم بلغه
للامة قوله انه لقول هو جواب القسم وقوله وما هو بقول معطوف على الجواب فهو جواب اقسم على
شيين احدهما مثبت والاخر منفي وهو من البلاغة الرايقة قوله قليلا ما تومنون قليلا ما تذكرون انتصب
قليلا في الموضعين نعتا لمصدر او زمان محذوف اي ايمانا قليلا او زمانا قليلا والناصب تومنون وتذكرون
وما مزيدة للتوكيد وقال ابن عطية ونصب قليلا بفعل مضمر يدل عليه تومنون وما يحتمل ان تكون
نافية فينتفي ايمانهم البتة ويحتمل ان تكون مصدرية ويتصف بالقلة فهو الايمان اللغوي لانهم قد صدقوا
باشيا يسيرة لا تغني عنهم شيا اذ كانوا يصدقون ان الخير والصلة والعفاف الذي يامر به رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو حق وصواب قال ابو حيان اما قوله قليلا نصب بفعل الى اخره فلا يصح لان ذلك الفعل الدال
عليه تومنون اما ان يكون ما نافية كما ذهب اليه او مصدرية فان كانت نافية فذلك الفعل المضمر الدال
عليه تومنون المنفي بما يكون منفيا فيكون التقدير ما تومنون قليلا ما تومنون والفعل المنفي بما لا يجوز حذفه
ولا حذف ما لا يجوز زيدا ما اضربه على تقدير ما اضرب زيدا ما اضربه وان كانت مصدرية كانت اما في موضع
رفع بقليلا على الفاعلية اي قليلا ايمانكم ويبقى قليلا لا يتقدمه ما يعتمد عليه حتى يعمل ولا ناصب له واما في
موضع رفع على الابتدا فيكون مبتدا لا خبر له لان ما قبله منصوب قال شهاب الدين لا يريد ابن عطية بدلالة
تومنون على الفعل المحذوف الدلالة المذكورة في باب الاشتغال حتى يكون العامل الظاهر مفسرا للعامل

للعامل المضمر بل يريد مجرد الدلالة اللفظية فليس ما اورده ابو حيان عليه من تمثيله بقوله زيدا ما اضربه اي ما
اضرب زيدا ما اضربه واما الرد الثاني فظاهر وقد تقدم لابن عطية هذا القول في اول سورة الاعراف فليلتفت
اليه وقال الزمخشري والقلة في معنى العدم اي لا تومنون ولا تذكرون البتة قال ابو حيان ولا يراد بقليلا
هنا النفي المحض كما زعم وذلك لا يكون الا في اقل نحو اقل رجل يقول ذلك الا زيد وفي قل نحو قل رجل يقول ذلك الا زيد
وقد يستعمل في قليل وقليلة اذا كانا مرفوعين نحو ما جوزوا في قول الشاعر

قليل بها الاصوات الا بغامها

اما اذا كان منصوبا نحو قليلا ضربت او قليلا ما ضربت
على ان تكون ما مصدرية فان ذلك لا يجوز لانه في قليلا ضربت منصوب بضربت ولم تستعمل العرب قليلا اذا
انتصب بالفعل نفيا بل مقابلا للكثير واما في قليلا ما ضربت على ان تكون ما مصدرية فيحتاج الى رفع قليل لان
ما المصدرية في موضع رفع على الابتدا انتهى ما رد به عليه قال شهاب الدين وهو مجرد دعوى وقرا ابن كثير
وابن عامر بخلاف عن ابن ذكوان يومنون ويذكرون بالغيبة حملا على قوله الخاطيون والباقون بالخطاب حملا
على بما تبصرون وما لا تبصرون وابي تتذكرون بتاين فصل وما هو بقول شاعر لانه مباين لصنوف الشعر
كلها ولا بقول كاهن لانه ورد بسب الشياطين وشتمهم فلا ينزلون شيا على من يسبهم وقوله قليلا ما تومنون
المراد بالقليل من ايمانهم هو انهم اذا سيلوا من خلقهم قالوا الله وقيل انهم قد يومنون في قلوبهم الا انهم
يرجعون عنه سريعا ولا يتمون الاستدلال الا ترى الى قوله تعالى انه فكر وقدر الا انه في اخر الامر قال ان هذا الا سحر يوثر وقال
مقاتل يعني بالقليل انهم لا يصدقون بان القران من الله تعالى والمعنى لا يومنون اصلا والعرب يقولون قلما تاتينا يريدون
لا تاتينا قوله تنزيل من رب العالمين هذه قراة العامة اعني الرفع على اضمار مبتدا اي هو تنزيل وتقدم مثله وابو
السمال تنزيلا بالنصب على اضمار فعل اي نزل تنزيلا قال القرطبي وهو عطف على قوله انه لقول رسول كريم اي انه لقول
رسول كريم وهو تنزيل من رب العالمين قوله ولو تقول هذه قراة العامة تفعل من القول مبنيا للفاعل قال الزمخشري
التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل وقرا بعضهم تقول مبنيا للمفعول فان كان هذا القاري رفع بعض الاقاويل
فذاك والا فالقايم مقام الفاعل الجار وهذا عند من يرى قيام غير المفعول به مع وجوده وقرا ذكوان وابنه محمد يقول
مضارع قال والاقاويل جمع اقوال واقوال جمع قول فهو نظير اناب بيب جمع انياب جمع ناب وقال الزمخشري وسمي الاقوال
المنقولة اقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول والمعنى لو نسب الينا قولا
لم نقله لاخذنا منه باليمين اي لاخذناه بالقوة والبا يجوز ان تكون على اصلها غير مزيدة والمعنى لاخذناه بقوة منا
فالبا حالية والحال من الفاعل ويكون من في حكم الزايد واليمين هنا مجاز عن القوة والغلبة لان قوة كل شي في ميامنه
قاله القتبي وهو معنى قول ابن عباس ومجاهد ومنه قول الشماخ

اذا ما راية رفعت لمجد … تلقاها عرابة باليمين

قال ابو جعفر الطبري هذا الكلام خرج مخرج
الاذلال على عادة الناس في الاخذ بيد من يعاقب ويجوز ان تكون البا مزيدة والمعنى لاخذنا منه يمينه والمراد باليمين
الجارحة كما يفعل بالمقتول صبرا يوخذ بيمينه ويضرب بالسيف في جيده مواجهة وهو اشد عليه قال الحسن لقطعنا
يده اليمين وقال نفطويه المعنى لقبضنا بيمينه عن التصرف وقال السدي ومقاتل المعنى لانتقمنا منه بالحق واليمين
على هذا بمعنى الحق كقوله تعالى انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل الحق قوله ثم لقطعنا منه الوتين وهو العرق
المنصل من القلب بالراس الذي اذا قطع مات الحيوان قال ابو زيد وجمعه الوتن وثلاثة اوتنة والموتون الذي قطع
وتينه وقال الكلبي هو عرق بين العلبا والحلقوم وهما علبا وان بينهما العرق والعلبا عصب العنق وقيل عرق
غليظ تصادفه شفرة الناحر قال الشماخ اذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاشرقي بدم الوتين وقال مجاهد هو
حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع فاذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه وقال محمد بن كعب انه القلب ومراقه
وما يليه وقال عكرمة ان الوتين اذا قطع لا ان جاع عرف ولا ان شبع عرف قال ابن قتيبة ولم يرد انا نقطعه بعينه
بل المراد انه لو كذب لامتناه فكان كمن قطع وتينه ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا
اوان انقطاع ابهري والابهر عرق متصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه فكانه قال هذا اوان يقتلني السم وحينيذ
صرت كمن انقطع ابهره قوله فما منكم من احد عنه حاجزين في حاجزين وجهان احدهما انه نعت لاحد على اللفظ وانما
جمع على المعنى لان احدا يعم في سياق النفي كسائر النكرات الواقعة في سياق النفي قاله الزمخشري والحوفي وعلى هذا فيكون
منكم خبر للمبتدا والمبتدا من احد وزيدت فيه من لوجود شرطها وضعفه ابو حيان بان النفي يتسلط على كينونته
منكم والمعنى انما هو على نفي الحجز عما يراد به والثاني ان يكون خبر ما الحجازية ومن احد اسمها وانما جمع الخبر لما تقدم
ومنكم على هذا حال لانه في الاصل صفة لاحد او يتعلق بحاجزين ولا يضر ذلك لكون معمول الخبر جارا ولو كان مفعولا صريحا
لامتنع لا يجوز ما طعامك زيدا اكلا او يتعلق بمحذوف على سبيل البيان وعنه يتعلق بحاجزين على القولين والضمير للمتقول

او للتقليل المدلول عليه بقوله لا حد لا بالقطعيات قال القرطبي فما منكم قوم يحجزون عنه كقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله هذا جمع لا يقع الا على اثنين فما زاد قال عليه السلام لم تحل الغنايم لاحد سود الرؤس قبلكم لفظة واحد ومعناه الجمع ومن زايدة والحجز المنع وحاجزين يجوز ان يكون صفة لاحد على المعنى كما تقدم فيكون في موضع جر والخبر منكم ويجوز ان يكون منصوبا على انه خبر ومنكم ملغى او يكون متعلقا بحاجزين ولا يمنع الفصل به من انتصاب الخبر في هذا كما لم يمتنع الفصل به في ان فيك زيدا راغب قوله وانه يعني القران لتذكرة للمتقين اي الخايفين الذين يخشون الله ونظيره فيه هدى للمتقين وقيل المراد محمد صلى الله عليه وسلم اي هو تذكرة ورحمة ونجاة وانا لنعلم ان منكم مكذبين قال الربيع بالقران وانه لحسرة يعني القران على الكافرين اما يوم القيامة اذا راوا ثواب المصدقين به او في الدنيا اذا راوا دولة المؤمنين به او حين لم يقدروا على معارضته عند تحديهم ان ياتوا بسورة مثله والحسرة الندامة وقيل انه لحسرة يعني التكذيب به لدلالة مكذبين على المصدر ودلالة السفيه عليه في قوله **فصل**

اذا نهي السفيه جرى اليه ... وخالف والسفيه الى خلاف

اي الى السفيه قال ابن الخطيب والمعتزلة ان يتمسكوا بهذه الاية على ان الكفر ليس من الله لانه وصف القران بانه تذكرة للمتقين ولم يقل وانه ضلال للمكذبين بل نسب الضلال اليهم بقوله وانا لنعلم ان منكم مكذبين والجواب ما تقدم قوله وانه لحق اليقين يعني القران العظيم تنزيل من الله عز وجل فهو لحق اليقين وقيل حقا يقينا حقا لا بطلان فيه ويقينا لا ريب فيه ثم اضيف احد الوصفين الى الاخر للتاكيد قاله ابن الخطيب وقال القرطبي قال ابن عباس انما هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين ولو كان اليقين نعتا لم يجز ان يضاف اليه كما لا تقول هذا رجل الظريف وقيل اضافه الى نفسه لاختلاف اللفظين وقوله فسبح باسم ربك العظيم قال ابن عباس اي فصل لربك وقيل نزه الله عن السوء والنقايص اما شكرا على ما جعلك اهلا للاجابة اليك واما تنزيها له عن الرضا بان ينسب اليه الكاذب من الوحي روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله عز وجل حسابا يسيرا وعن فضالة بن شريك عن ابي الزاهرية قال سمعته يقول من قرا احدى عشرة اية من سورة الحاقة اجير من فتنة الدجال ومن قراها كان له نورا من فوق راسه الى قدمه ٥ والله اعلم

سورة المعارج

وهي اربع واربعون اية ومايتان وست عشرة كلمة والف واحدى وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** سال سايل بعذاب واقع قرا نافع وابن عامر سال سايل بغير همز والباقون بالهمز فمن همز فهو من السؤال وهي اللغة الفاشية ثم لك في سال وجهان احدهما ان يكون قد ضمن معنى دعا فلذلك تعدى بالباء كما تقول دعوت بكذا والمعنى دعا داع بعذاب والثاني ان يكون على اصله والباء بمعنى عن كقوله فاسال به خبيرا وقد تقدم قال فان تسالوني بالنساء تخفيفه والاول اولى لان التجوز في الفعل اولى منه في الحرف لقوته واما القراءة بالالف ففيها ثلاثة اوجه احدها انها بمعنى قراءة الهمزة وانما خففت بقلبها الفا وليس بقياس تخفيفها بل قياس تخفيف مثلها جعلها بين بين والباء على هذا الوجه كالتي في الوجه الذي تقدم الثاني انها من سال يسال مثل خاف يخاف وعين الكلمة واو قال الزمخشري وهي لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان قال ابو حيان وينبغي ان يتثبت في قوله انها لغة قريش لان ما جاء في القران من باب السؤال هو مهموز او اصله الهمز كقراءة من قرا وسلوا الله اذ لا جايز ان يكون من سال التي عينها واو اذ كان يكون ذلك وسالوا الله مثل خافوا فيبعد ان يجي ذلك كله على لغة غير قريش وهم الذين نزل القران بلغتهم الا يسيرا فيه لغة غيرهم ثم في كلام الزمخشري وهما يتسايلان بالياء وهو وهم من النساخ انما الصواب يتساولان بالواو ولانه صرح اولا انه من السؤال يعني بالواو الصريحة وقد حكى ابو زيد عن العرب هما يتساولان الثالث انها من السيلان والمعنى سال واد في جهنم يقال له سايل وهو قول زيد بن ثابت بعذاب فالعين يا ويويد قراءة ابن عباس سال سيل قال الزمخشري والسيل مصدر في معنى السايل كالغور بمعنى الغاير والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب انتهى والظاهر الوجه الاول لثبوت ذلك لغة مشهورة قال

سالت هذيل رسول الله فاحشة ... ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

وقرا ابي وعبد الله سال سال مثل مال وتخريجها ان الاصل سايل فحذفت عين الكلمة وهي الهمزة واللام محل الاعراب وهذا كما قيل هذا شاك في شايك السلاح وقد تقدم الكلام على مادة السؤال في اول البقرة فليلتفت اليه والبا تتعلق بسال من السيلان لعلها بسال الماء بزيد وجعل بعضهم البا متعلقة بمصدر دل عليه فعل السؤال كانه قيل ما سوالهم فقيل سوالهم بعذاب كذا حكاه ابو حيان عن ابن الخطيب ولم يعترضه وهذا عجيب قال

قال قوله او لانه متعلق بمصدر دل عليه فعل السؤال بناء على تقديره بقوله سوالهم بعذاب لان الباقي هذا التركيب المقدر متعلق بمحذوف لانها خبر المبتدا الا بالسؤال وقال الزمخشري وعن قتادة سال سايل عن عذاب الله بمن ينزل وعلى من يقع فنزلت وسال على هذا الوجه مضمن معنى عني واهتم كانه قيل اهتم مهتم بعذاب واقع **فصل** قال القرطبي البا يجوز ان تكون بمعنى عن والسؤال بمعنى الدعاء اي دعا داع بالعذاب عن ابن عباس وغيره يقال دعا على فلان بالويل ودعا عليه بالعذاب ويقال دعوت زيدا اي التمست احضاره والمعنى التمس ملتمس عذابا للكافرين وهو واقع بهم لا محالة يوم القيامة وعلى هذا فالبا زايدة كقوله تعالى تنبت بالدهن وقوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة فهي تاكيد اي سال سايل عذابا واقعا للكافرين اي على الكافرين قيل هو النضر بن الحارث حيث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم فنزل سواله وقتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن ابي معيط لم يقتل صبرا غيرهما قاله ابن عباس ومجاهد وقيل ان السايل هنا هو الحرث بن النعمان الفهري وذلك انه لما بلغه قول النبي صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي مولاه ركب ناقته فجا حتى اناخ راحلته بالابطح ثم قال يا محمد امرتنا عن الله ان نشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقبلناه منك وان نصلي خمسا وان نزكي اموالنا فقبلناه منك وان نصوم شهر رمضان في كل عام فقبلناه منك وان نحج فقبلناه منك ثم لم ترض بهذا حتى فضلت ابن عمك علينا افهذا شي منك ام من الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي لا اله الا هو ما هو الا من الله فولى الحارث وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم فوالله ما وصل الى ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت سال سايل بعذاب واقع وقال الربيع السايل هنا ابو جهل وهو القايل لذلك وقيل انه قول جماعة من كفار قريش وقيل هو نوح عليه السلام سال العذاب على الكافرين وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دعا عليهم بالعقاب وطلب ان يوقعه بالكفار وهو واقع بهم لا محالة وامتد الكلام الى قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا اي لا تستعجل فانه قريب وهذا يدل على ان ذلك السايل هو الذي امره الله بالصبر الجميل وقال قتادة البا بمعنى عن فكان سايلا سال عن العذاب بمن وقع او متى يقع قال تعالى فاسال به خبيرا اي سل عنه وقال علقمة فان تسالوني بالنسا اي عن النسا فالمعنى سالوا بمن وقع العذاب ولمن يكون فقال الله تعالى للكافرين قال ابو علي وغيره واذا كان من السؤال فاصله ان يتعدى الى مفعولين ويجوز الاقتصار على احدهما واذا اقتصر على احدهما جاز ان يتعدى اليه بحرف جر فيكون التقدير سال سايل النبي صلى الله عليه وسلم او المسلمين بعذاب او عن عذاب **قوله** للكافرين فيه اوجه احدها ان يتعلق بسال مضمنا معنى دعا كما تقدم اي دعا لهم بعذاب واقع الثاني ان يتعلق بواقع واللام للعلة اي نازل لاجلهم الثالث ان يتعلق بمحذوف صفة ثانية لعذاب اي كاين للكافرين الرابع ان يكون جوابا للسايل فيكون خبر مبتدا مضمر اي هو للكافرين الخامس ان تكون اللام بمعنى على اي واقع على الكافرين ويؤيده قراءة ابي على الكافرين وعلى هذا فهي متعلقة بواقع لا على الوجه الذي تقدم قبله وقال الزمخشري فان قلت بم يتصل قوله للكافرين قلت هو على القول الاول متصل بعذاب صفة له اي بعذاب واقع كاين للكافرين او بالفعل اي دعا للكافرين بعذاب واقع او بواقع اي بعذاب نازل لاجلهم وعلى الثاني هو كلام مبتدا جوابا للسايل اي هو للكافرين انتهى قال ابو حيان وقال الزمخشري او بالفعل اي دعا للكافرين ثم قال وعلى الثاني وهو ثاني ما ذكر في توجيهه للكافرين قال هو كلام مبتدا جوابا للسايل اي هو للكافرين وكان قد قرر ان سال ضمن معنى دعا فعدي تعديته كانه قال دعا داع بعذاب من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة انتهى فعلى ما قرره انه متعلق بدعا يعني بسال فكيف يكون كلاما مبتدا جوابا للسايل اي هو للكافرين هذا لا يصح قال شهاب الدين وقد غلط ابو حيان في فهمه عن ابي القاسم قوله وعلى الثاني الى اخره فمن ثم جا التخبيط الذي ذكره فالزمخشري انما عنى بالثاني قوله وعن قتادة سال سايل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسال على هذا الوجه مضمن معنى عني واهتم فهذا هو الوجه الثاني المقابل للوجه الاول وهو ان سال مضمن معنى دعا ولا ادري كيف تخبط على الشيخ حتى وقع فيما وقع ٥ ونسب الزمخشري الى الغلط وانه اخذ قول قتادة والحسن واضعف [illegible] الترتيب الذي رتبه الزمخشري في تعلق اللام من احسن ما يكون صناعة ومعنى قال القرطبي وقال الحسن انزل الله تعالى سال سايل بعذاب واقع فقال لمن هو فقال للكافرين فاللام في للكافرين متعلقة بواقع وقال الفرا التقدير بعذاب للكافرين واقع فالواقع من نعت العذاب فاللام دخلت للعذاب لا للواقع اي هذا العذاب للكافرين في الاخرة لا يدفعه عنهم احد وقيل ان اللام بمعنى على اي واقع على الكافرين كما في قراءة ابي المتقدمة وقيل بمعنى عن اي ليس له دافع عن الكافرين **قوله** ليس له دافع يجوز ان يكون نعتا اخر لعذاب وان يكون مستانفا والاول اظهر وان يكون حالا من عذاب لتخصصه اما بالعمل واما بالصفة وان يكون حالا من الضمير في للكافرين ان جعلناه نعتا لعذاب **قوله** من الله يجوز ان يتعلق بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جا وقته وان يتعلق بواقع وبه بدا الزمخشري اي واقع

من عنده ثم قال ابو البقاء ولم يمنع النفي من ذلك لان ليس فعل كانه استشعر ان ما قبل النفي لا يعمل فيما بعده فاجاب
بان النفي لما كان فعلا ساغ ذلك قال ابو حيان والاجود ان يكون من الله متعلقا بواقع وليس له دافع جملة اعتراض
بين العامل ومعموله انتهى وهذا انما ياتي على البدل بان الجملة مستانفة لا صفة لعذاب وهو غير الظاهر كما تقدم من
اخذ الكلام بعضه بحجزة بعض **قوله** ذي صفة لله ومعنى ذي المعارج اي ذي العلو والدرجات الفواضل والنعم
لانها تصل الى الناس على مراتب مختلفة قاله ابن عباس وقتادة فالمعارج مراتب انعامه على الخلق وقيل ذي العظمة
والعلا وقال مجاهد هي معارج السما وقيل هي السموات قال ابن عباس اي ذي السموات سماها معارج الملايكة
لان الملايكة تعرج الى السما فوصف نفسه بذلك وقيل المعارج الغرف اي انه ذو الغرف اي جعل لاوليايه
الجنة غرفا وقرا عبد الله ذي المعاريج بالياء يقال معرج ومعراج ومعارج ومعاريج مثل مفتاح ومفاتيح
والمعارج الدرجات ومنه ومعارج عليها يظهرون وتقدم الكلام على المعارج في الزخرف **قوله** تعرج العامة
بالتاء من فوق وقرا ابن مسعود واصحابه والسلمي والكسائي بالياء من تحت وبما كقراءته فناداه الملايكة ونادته وتوفاه
وتوفته وادغم ابو عمرو الجيم في التاء واستضعفها بعضهم من حيث ان مخرج الجيم بعيد من مخرج التاء واجيب عن
ذلك بانها قريبة من الشين لان النفس الذي في الشين يقربها من مخرج التاء والجيم تدغم في الشين لما بينهما
من التقارب في المخرج والصفة كما تقدم في اخرج شطاه فحمل الادغام في التاء على الادغام في الشين لما بين الشين
والتاء من التقارب واجيب ايضا بان الادغام يكون لمجرد الصفات وان لم يتقاربا في المخرج والجيم تشارك
التاء في الاستفال والانفتاح والشدة والجملة من تعرج مستانفة **قوله** والروح من باب عطف الخاص على
العام ان اريد بالروح جبريل او ملك اخر من جنسهم واخر هنا وقدم في قوله يوم يقوم الروح والملايكة صفا
لان المقام هنا يقتضي تقدم الجمع على الواحد من حيث انه مقام تخويف وتهويل **فصل** تعرج الملايكة والروح
اليه اي تصعد في المعارج التي جعلها الله لهم قال ابن عباس الروح جبريل عليه السلام لقوله تعالى نزل به
الروح الامين وقيل هو ملك اخر عظيم الخلقة وقال ابو صالح انه خلق من خلق الله كهيئة الناس وليس بالناس
وقال قبيصة بن ذويب انه روح الميت حين تقبض **قوله** اليه اي الى المكان الذي هو محلهم وهو في السما
لانها محل بره وكرامته وقيل هو كقول ابرهيم اني ذاهب الى ربي اي الى الموضع الذي امرني به وقيل اليه الى
عرشه قال شهاب الدين الضمير في اليه الظاهر عوده على الله تعالى وقيل يعود على المكان لدلالة الحال
والسياق عليه **قوله** في يوم فيه وجهان اظهرهما تعلقه بتعرج والثاني انه يتعلق بدافع وعلى هذا فالجملة من
قوله تعرج الملايكة معترضة وكان مقداره صفة ليوم قال ابن الخطيب الاكثرون على ان قوله في يوم صلة
قوله تعرج اي يحصل العروج في مثل هذا اليوم وقال مقاتل بل هذا من صلة قوله بعذاب واقع وعلى هذا
القول يكون في الاية تقديم وتاخير والتقدير سال سايل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين الف
سنة وعلى التقدير الاول فذلك اليوم اما ان يكون في الاخرة او في الدنيا وعلى تقدير ان يكون في الاخرة فذلك
الطول اما ان يكون واقعا واما ان يكون مقدرا فان كان معنى الاية ان ذلك العروج يقع في يوم من ايام
الاخرة طوله خمسون الف سنة وهو يوم القيامة وهذا قول الحسن قال وليس يعني ان مقدار طوله هذا فقط اذ لو كان
كذلك لحصلت له غاية ولفنيت الجنة والنار عند تلك الغاية وهذا غير جايز بل المراد ان موقفهم للحساب حين يفصل
بين الناس خمسون الف سنة من سني الدنيا ثم بعد ذلك يستقر اهل النار في النار نعوذ بالله منها **فصل**
قال القرطبي واستدل النحاس على صحة هذا القول بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل لم
يؤد زكاة ماله الا جعل شجاعا من نار يكوى به جبهته وظهره وجنباه في يوم القيامة في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة حتى يقضي الله بين الناس وهذا يدل على انه يوم القيامة وقال ابراهيم التيمي ما قدر ذلك اليوم
على المومن الا قدر ما بين الظهر والعصر وروي هذا المعنى مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحاسبكم الله
تعالى بمقدار ما بين الصلاتين ولذلك سمى نفسه سريع الحساب واسرع الحاسبين وانما خاطبهم على قدر فهم
الخلايق والا فلا يشغله شان عن شان وكما يرزقهم في ساعة كذا يحاسبهم في لحظة كما قال تعالى ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة والمعنى لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين
الف سنة قال البغوي وهذا معنى قول عطا عن ابن عباس ومقاتل قال عطا ويفرغ الله منه في مقدار نصف
يوم من ايام الدنيا واعلم ان هذا الطول انما يكون في حق الكافر واما في حق المومن فلا لما روى ابو سعيد الخدري
انه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اطول هذا اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخف على المومن
حتى انه يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وقال بعضهم ان ذلك الموقف وان طال
فيكون سببا لمزيد السرور والراحة لاهل الجنة ويكون سببا لمزيد الحزن والغم لاهل النار واجيب بان

بان الاخرة دار جزا فلا بد وان يحصل للمثابين ثوابهم ودار الثواب هي الجنة لا الموقف فاذن لا بد من تخصيص طول الموقف
بالكفار وقيل هذه المدة على سبيل التقدير لا على التحقيق اي تعرج الملايكة في ساعة قليلة لو اراد اهل الدنيا العروج
اليها كان مقدار مدتهم خمسين الف سنة وعن مجاهد والحكم وعكرمة هو مدة عمر الدنيا من اول ما خلقت الى اخر ما بقي
خمسون الف سنة وهو قول ابي مسلم **قال قيل** كيف الجمع بين هذه وبين قوله في سورة السجدة في يوم كان مقداره
الف سنة وقد قال ابن عباس هي ايام سماها الله تعالى هو اعلم بها وانا اكره ان اقول فيها ما لا اعلم **فالجواب**
يحتمل ان من اسفل العالم الى اعلا العرش خمسين الف سنة ومن اعلا سما الدنيا الى الارض الف سنة لان عرض كل سما
خمسماية وما بين اسفل السما الى قرار الارض خمسماية فقوله في يوم يريد في يوم من ايام الدنيا وهو مقدار الف
سنة لو صعدوا فيه الى السما الدنيا ومقدار خمسين الف سنة لو صعدوا الى اعلا العرش **قوله** فاصبر صبرا جميلا قال
ابن الخطيب هذا متعلق بسال سايل لان استعجالهم بالعذاب كان على وجه الاستهزا برسول الله صلى الله عليه وسلم
والتعنت فامر بالصبر ومن قرا سال سايل او سيل فالمعنى جا العذاب لقرب وقوعه فاصبر على اذى قومك والصبر
الجميل هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله وقيل ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدرى من هو قال
ابن زيد والكلبي هذه الاية منسوخة بالامر بالقتال **قوله** انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا الضمير في انهم لاهل مكة
وفي يرونه ونراه لليوم ان اريد به يوم القيامة قال القرطبي اي نعلمه لان الروية انما تتعلق بالموجود كقولك الشافعي
يرى في هذه المسالة كذا وقال الاعمش يرون البعث بعيدا لانهم لا يومنون به كانهم يستبعدونه على جهة الاحالة
كما تقول لمن تناظره هذا بعيد لا يكون وقيل الضمير يعود الى العذاب بالنار اي غير كاين ونراه قريبا لان ما هو ات
فهو قريب **قوله** يوم تكون فيه اوجه احدها انه يتعلق بقريبا وهذا اذا كان الضمير في نراه للعذاب ظاهر
الثاني ان يتعلق بمحذوف يدل عليه واقع اي يقع يوم تكون الثالث يتعلق بمحذوف مقدر بعده اي يوم تكون
كان كيت وكيت الرابع انه بدل من الضمير في نراه اذا كان عايدا على يوم القيامة الخامس انه بدل عن في يوم
فيمن علقه بواقع قاله الزمخشري وانما قال فيمن علقه بواقع لانه اذا علق بتعرج كما تقدم في احد الوجهين استحال
ان يبدل عنه هذا لان عروج الملايكة ليس هو في هذا اليوم الذي تكون السما فيه كالمهل والجبال كالعهن ويشتغل
كل حميم عن حميمه قال ابو حيان ولا يجوز هذا ايضا ابداله من في يوم فلان في يوم وان كان في موضع نصب
لا يبدل منه منصوب لان مثل هذا ليس زايدا ولا محكوما له بحكم الزايد كرب وانما يجوز مراعاة الموضع في حرف
الجر الزايد كقوله * ابني لبينى لستما بيد الا يدا ليست لها عضد * وكذلك لا يجوز مررت بزيد الخياط على موضع
بزيد ولا مررت بزيد وعمرا ولا غضبت على زيد وجعفرا ولا مررت بعمرو واخاك على مراعاة الموضع قال شهاب الدين قد
تقدم ان قراة فامسحوا برووسكم وارجلكم من هذا الباب فمن نصب الارجل فليكن هذا مثله ثم قال ابو حيان فان قلت
الحركة في يوم تكون حركة بنا لا حركة اعراب فهو مجرور مثل في يوم قلت لا يجوز بناوه على مذهب البصريين لانه
اضيف الى معرب لكنه يجوز على مذهب الكوفيين فيتمشى كلام الزمخشري على مذهبهم ان كان استحضره وقصده انتهى
قال شهاب الدين قوله ان كان استحضره فيه تحامل على الرجل واي كبير امر في هذا حتى لا يستحضر مثل هذا وتقدم
الكلام في المهل في الدخان **قوله** وتكون الجبال كالعهن فقيل العهن هو الصوف مطلقا وقيل بقيد كونه احمر
وهو اضعف الصوف ومنه قول زهير كان فتات العهن في كل منزل * نزلن به حب الفنا لم يحطم * الفتات
القطع والعهن الصوف الاحمر واحده عهنة وقيل بقيد كونه مصبوغا الوانا وهذا اليق بالتشبيه لان الجبال
متلونة كما قال تعالى جدد بيض وحمر والمعنى انها تلين بعد الشدة وتتفرق بعد الاجتماع وقيل اول ما تتغير
الجبال تصير رملا ثم عهنا منفوشا ثم هبا منبثا **قوله** ولا يسال حميم حميما قرا العامة مبنيا للفاعل والمفعول
الثاني محذوف فقيل تقديره لا يساله نصره ولا شفاعته لعلمه ان ذلك مفقود وقيل لا يساله شيئا من حمل
اوزاره وقيل حميما منصوب على اسقاط الخافض اي عن حميم لشغله عنه قاله قتادة لقوله تعالى لكل امرئ منهم يوميذ
شان يغنيه وقرا ابو جعفر وابو حيوة وشيبة وابن كثير في رواية قال القرطبي والبزي عن عاصم يسال مبنيا
للمفعول فقيل حميما مفعول ثان لا على اسقاط حرف والمعنى لا يسال احضاره وقيل بل هو على اسقاط عن اي عن
حميم ولا ذو قرابة عن قرابته بل كل انسان يسال عن عمله نظيره كل نفس بما كسبت رهينة **قوله** يبصرونهم
عدي بالتضعيف الى ثان وقام الاول مقام الفاعل وفي محل هذه الجملة وجهان احدهما انها في موضع الصفة
لحميم والثاني انها مستانفة كانه لما قال لا يسال حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ثم قال ويجوز
ان يكون يبصرونهم صفة اي حميما مبصرين معرفين اياهم انتهى وانما جمع الضمير ان في يبصرونهم وهما
للحميمين حملا على معنى العموم لانهما نكرتان في سياق نفي وقرا قتادة يبصرونهم مبنيا للفاعل من ابصر اي يبصر
المومن الكافر في النار **فصل** يبصرونهم اي يرونهم يقال بصرت به ابصر قال تعالى بصرت بما لم

بصرونهم تقول بصرني زيد بكذا فاذا حذفت الجار قلت بصرني زيد فاذا بنيت الفعل للمفعول وقد حذفت الجار قلت بصرت زيدا فهذا هو معنى يبصرونهم اي يعرفهم الحميم حميمه يعرفه وهو مع ذلك لا يسأله عن شأنه لشغله بنفسه فيبصر الرجل اباه واخاه وقرابته وعشيرته فلا يسأله ولا يكلمه لاشتغالهم بانفسهم وقال ابن عباس يتعارفون ساعة ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقال ابن عباس ايضا يبصر بعضهم بعضا فيتعارفون ثم يفر بعضهم من بعض فالضمير في يبصرونهم على هذا للكافر والهاء والميم للاقرباء وقال مجاهد المعنى يبصر الله المؤمنين الكفار في يوم القيامة فالضمير في يبصرونهم للمؤمنين والهاء والميم للكفار وقال ابن زيد المعنى يبصر الله الكفار في النار الذين اضلوهم في الدنيا فالضمير في يبصرونهم للتابعين والهاء والميم للمتبوعين وقيل انه يبصر المظلوم ظالمه والمقتول قاتله وقيل ان الضمير في يبصرونهم يرجع الى الملائكة اي يعرفون احوال الناس فيسوقون كل فريق الى ما يليق بهم وتم الكلام عند قوله يبصرونهم ثم قوله يود المجرم اي يتمنى الكافر لو يفتدي من عذاب يومئذ اي من عذاب جهنم وقيل المراد بالمجرم كل مذنب وتقدم الكلام على قراءتي يومئذ فتحا وجرا في هود والعامة على اضافة عذاب ليومئذ وابو حيوة بتنوين العذاب ونصب يومئذ على الظرف قال ابن الخطيب وانتصابه بعذاب لان فيه معنى تعذيب وقال ابو حيان هنا والجمهور بكسرها اي ميم يومئذ والاعرج وابو حيان بفتحها انتهى وقد تقدم ان الفتح قراءة نافع والكسائي قوله وفصيلته التي تؤويه قال ثعلب الفصيلة الآباء الادنون وقال ابو عبيدة الفخذ وقال مجاهد وابن زيد عشيرته الاقربون وقد تقدم ذكر ذلك عند قوله شعوبا وقبائل وقال المبرد الفصيلة القطعة من اعضاء الجسد وهي دون القبيلة وسميت عترة الرجل فصيلته تشبيها بالبعض منه قال ابن الخطيب فصيلة الرجل اقاربه الاقربون الذين فصل عنهم وينتمي اليهم لان المراد من الفصيلة المفصولة لان الولد يكون مفصولا من الابوين قال عليه السلام فاطمة قطعة مني فلما كان مفصولا منهما كانا ايضا مفصولين منه فسميا فصيلة لهذا السبب وكان يقال العباس رضي الله عنه فصيلة النبي صلى الله عليه وسلم لان العم قائم مقام الاب وقوله التي تؤويه اي تنصره وقال مالك امه التي تربيه حكاه الماوردي ورواه عنه اشهب قال شهاب الدين ولم يبدلها السوسي عن ابي عمرو قالوا لانه يؤدي الى لفظ هو اثقل منه والابدال للتخفيف وقرا الزهري تؤويه وتنجيه بضم هاء الكناية وهو الاصل وثم ينجيه عطف على يفتدي فهو داخل في خبر لو وتقدم الكلام فيها هل هي مصدرية ام شرطية في الماضي ومفعول يود محذوف اي يود النجاة وقيل انها هنا بمعنى ان وليس بشيء وفاعل ينجيه اما ضمير الافتداء الدال عليه يفتدي او ضمير من تقدم ذكرهم وهو قوله ومن في الارض ومن في الارض مجرور عطفا على بنيه وما بعده اي يود الافتداء بمن في الارض ايضا وجميعا اما حال واما تأكيد ووحد باعتبار اللفظ

فصل اذا وقف على فصيلته او اوصى لها فمن ادعى العموم حمله على العشيرة ومن ادعى الخصوص حمله على الآباء الادنى فالادنى والاول اكثر في النطق قاله القرطبي وتؤويه بضمه وتؤمنه من خوف ان كان به ومن في الارض جميعا اي ويود لو فدي بهم لافتدى ثم ينجيه اي وتخلصه ذلك الفداء فلا بد من هذا الاضمار كقوله وانه لفسق اي وان اكله لفسق وقيل يود المجرم يقتضي جوابا بالفاء كقوله ودوا لو تدهن فيدهنون والجواب في هذه الآية ثم ينجيه لانها من حروف العطف اي يود المجرم لو يفتدي فينجيه الافتداء قوله كلا ردع وزجر قال القرطبي وانها تكون بمعنى حقا وبمعنى لا وهي هنا تحتمل الامرين فاذا كانت بمعنى حقا كان تمام الكلام ينجيه واذا كانت بمعنى لا كان تمام الكلام عليها اذ ليس ينجيه من عذاب الله الا الافتداء قوله انها لظى في الضمير ثلاثة اوجه احدها انه ضمير النار وان لم يجر لها ذكر لدلالة لفظ عذاب عليها والثاني انه ضمير القصة الثالث انه ضمير مبهم يترجم عنه الخبر قاله الزمخشري وقد تقدم تحقيق ذلك في قوله تعالى ان هي الا حياتنا الدنيا فعلى الاول يجوز في لظى نزاعة اوجه احدها ان يكون لظى بدلا من الضمير المنصوب ونزاعة خبر ان وعلى الثاني يكون لظى نزاعة جملة من مبتدا وخبر في محل الرفع خبرا لان مفسرة لضمير القصة وكذا على الوجه الثالث ويجوز ان يكون نزاعة صفة للظى اذا لم تجعلها علما بل بمعنى اللهب وانما انث النعت فقيل نزاعة لان اللهب بمعنى النار قاله الزمخشري وفيه نظر لان لظى ممنوعة من الصرف اتفاقا قال ابو حيان بعد حكايته الثالث عن الزمخشري ولا ادري ما هذا المضمر الذي يترجم عنه الخبر وليس هذا من المواضع التي يفسر فيها المفرد الضمير ولولا انه ذكر بعد هذا او ضمير القصة لحملت كلامه عليه قال شهاب الدين يعني جعله ضميرا مبهما لزم ان يكون مفسرا بمفرد وهو اما لظى على ان يكون نزاعة خبر مبتدا مضمر واما نزاعة على ان يكون لظى بدلا من الضمير وهذا اقرب ولا يجوز ان يكون لظى نزاعة مبتدا وخبرا والجملة خبرا لان على ان يكون الضمير مبهما لئلا يتحد القولان اعني هذا القول وقولنا انها ضمير القصة ولو لم يقل ضمير مفسر بجملة لا ضمير الشان والقصة وقرا العامة نزاعة بالرفع وقرا حفص وابو حيوة والزعفراني واليزيدي وابن مقسم نزاعة بالنصب وفيها وجهان احدهما انه منتصب على الحال واعترض عليه ابو علي الفارسي وقال حمله على الحال بعيد لانه ليس في الكلام ما يعمل في الحال قال القرطبي

القرطبي ويجوز ان يكون حالا على انه حال مؤكدة يعني حقا وفي نصبها اوجه احدها انه الضمير المستكن في لظى لانها وان كانت علما فهي جارية مجرى المشتقات كالحارث والعباس وذلك لانها بمعنى التلظي واذا اعمل العلم الصريح والكنية في الظروف فلان يعمل العلم الجاري مجرى المشتقات في الاحوال اولى ومن مجيء ذلك قوله * انا ابو المنهال بعض الاحيان * ضمنه معنى انا المشهور في بعض الاحيان الثاني انه فاعل تدعوا وقدمت حالة عليه اي تدعوا حال كونها نزاعة ويجوز ان يكون هذه الحال مؤكدة لان لظى هذا شأنها وهو معروف من امرها وان تكون مبينة لانه امر توقيفي الثالث انه محذوف هو والعامل تقديره تتلظى نزاعة ودل عليه لظى الثاني من الوجهين الاولين انها منصوبة على الاختصاص وعبر عنه الزمخشري بالتهويل كما عبر عن وجه رفعها على خبر ابتداء مضمر والتقدير اعني نزاعة واخصها وقد منع المبرد نصب نزاعة قال لان الحال انما يكون فيما يجوز ان يكون وان لا يكون ولظى لا تكون الا نزاعة قاله عنه مكي ورد عليه بقوله تعالى وهو الحق مصدقا وهذا صراط ربك مستقيما قال فالحق لا يكون الا مصدقا وصراط ربك لا يكون الا مستقيما قال شهاب الدين المبرد بنى الامر على الحال المبينة وليس ذلك بلازم اذ قد وردت الحال مؤكدة كما اورده مكي وان كان خلاف الاصل واللظى في الاصل اللهب ونقل علما لجهنم ولذلك منع من الصرف وقيل هو اسم للدركة الثانية من النار والشوى الاطراف جمع شواة كنوى ونواة قال الشاعر

اذا نظرت عرفت النحر منها * وعينيها ولم تعرف شواها *

يعني اطرافها وقيل الشوى الاعضاء التي ليست بمقتل ومنه رماه فاشواه اي لم يصب مقتله وشوى الفرس قوائمه لانه يقال عبل الشوى وقيل الشوى جمع شواة وهي جلدة الراس وانشد للاعشى قالت قتيلة ماله قد جللت شيبا شواته وقيل هو جلد الانسان والشوى ايضا رذال المال والشيء اليسير

فصل قال ثابت البناني والحسن نزاعة للشوى اي لمكارم وجهه وعن الحسن ايضا انه الهام وقال ابو العالية لمحاسن وجهه وقال قتادة لمكارم خلقته واطرافه وقال الضحاك تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئا وقال الكسائي هي المفاصل وقيل هي القوائم والجلود قال امرؤ القيس * سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا * له حجبات مشرفات على الفال * قوله تدعوا يجوز ان يكون خبرا لان او خبرا لمبتدا محذوف او حالا من لظى او من نزاعة على القراءتين فيها لانها تتحمل ضميرا

فصل المعنى تدعوا لظى من ادبر في الدنيا عن الطاعة لله وتولى عن الايمان ودعاؤها ان تقول يا مشرك الي يا كافر الي وقال ابن عباس تدعوا الكافرين والمنافقين باسمائهم بلسان فصيح الي يا كافر الي يا منافق ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وقال ثعلب تدعوا اي تهلك تقول العرب دعاك الله اي اهلكك وقال الخليل انه ليس كالدعاء تعالوا ولكن دعوتها اياهم تمكنها منهم ومن تعذيبهم وقيل الداعي خزنة جهنم اضيف دعاؤهم اليها وقيل هو ضرب مثل اي انها تدعو بلسان الحال اي ان مصير من ادبر وتولى اليها فكانها الداعية لهم ومثله قول الشاعر

ولقد هبطنا الواديين فواديا * يدعو الانيس به العضيض الابكم *

العضيض الابكم الذباب وهو لا يدعو وانما طنينه نبه عليه فدعا اليه قال القرطبي والقول الاول هو الحقيقة لظاهر القرآن والاخبار الصحيحة قال القشيري ودعاء لظى بخلق الحياة فيها حتى تدعو وخوارق العادة غدا كثيرة قوله وجمع فاوعى اي جمع المال فجعله في وعاء ومنع منه حق الله تعالى فكان جموعا منوعا قال ابن الخطيب جمع اشارة الى حب الدنيا والحرص عليها واوعى اشارة الى الامل ولا شك ان مجامع آفات الدين ليست الا هذه وقيل جمع المعاصي فاوعى اي اكثر منها حتى اثقلته واصر عليها ولم يتب منها قوله ان الانسان خلق هلوعا قال الضحاك المراد بالانسان هنا الكافر وقيل عام لانه استثنى منه المصلين فدل على ان المراد به الجنس فهو كقوله ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وهلوعا حال مقدرة والهلع مفسر بما بعده وهو قوله اذا واذا قال ثعلب سالني محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه انتهى واصله في اللغة على ما قال ابو عبيدة اشد الحرص واسوأ الجزع وهو قول مجاهد وقتادة وغيرهما وقد هلع بالكسر يهلع هلعا وهلاعا فهو هلع وهالع وهلوع على التكثير وقيل هو الفزع والاضطراب السريع عند مس المكروه والمنع السريع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع اي سريعة السير قال المفسرون ومعناه انه لا يصبر في خير ولا شر حتى يفعل فيهما ما لا ينبغي وروى السدي عن ابي صالح عن ابن عباس قال الهلوع الحريص على ما لا يحل له وقال عكرمة هو الضجور وقال الضحاك هو الذي لا يشبع والمنوع هو الذي اذا اصاب المال منع منه حق الله تعالى وقال ابن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره ويرضيه ويهرب مما يكرهه ثم تعبده الله بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره وقال ابو عبيدة الهلوع اذا مسه الخير لم يشكر واذا مسه الضر لم يصبر وقال عليه السلام شر ما اعطي العبد شح هالع وجبن خالع والعرب تقول ناقة هلواعة وهلواع اذا كانت سريعة السير خفيفة قال

سكا، ذعلبة اذا اشتد برتها خرج اذا استقبلتها هلوع، الذعلب والذعلبة الناقة
السريعة **قوله** جزوعا ومنوعا فيهما ثلاثة اوجه احدها انهما منصوبان على الحال من الضمير في هلوعا وهو العامل
فيهما والتقدير هلوعا حال كونه جزوعا وقت مس الشر ومنوعا وقت مس الخير والظرفان معمولان لهاتين
الحالين وعبر ابو البقاء عن هذا الوجه بعبارة اخرى فقال جزوعا حال اخرى والعامل فيها هلوعا فقوله اخرى
يوهم انها حال ثانية وليست متداخلة لولا قوله والعامل فيها هلوعا الثاني ان يكونا خبرين لكان او صار
مضمرة اى اذا مسه الشر كان او صار جزوعا واذا مسه الخير كان او صار منوعا قاله مكي وعلى هذا فاذا
شرطية وعلى الاول لظرف محض العامل فيه ما بعده كما تقدم الثالث انهما نعت لهلوعا قال مكي الا انه قال
وفيه بعد لانك تنوى به التقديم بعد اذا انتهى وهذا الاستبعاد ليس بشئ فانه غاية ما فيه تقديم الظرف
على عامله وانما المحذور تقديم معمول النعت على المنعوت **فصل** قال القاضي قوله تعالى ان الانسان
خلق هلوعا نظير قوله خلق الانسان من عجل وليس المراد انه مخلوق على هذه الصفة لان الله تعالى ذمه عليها
والله تعالى لا يذم فعله ولانه تعالى استثنى المؤمنين الذين جاهدوا انفسهم في ترك الخصلة المذمومة
ولو كانت هذه الخصلة ضرورية حاصلة بخلق الله تعالى لما قدروا على تركها قال ابن الخطيب واعلم ان
الهلع لفظ واقع على امرين احدهما الحالة النفسانية التي لاجلها يقدم الانسان على اظهار الجزع والفزع والتأ
تلك الافعال الظاهرة من القول والفعل الدالة على تلك الحالة النفسانية اما تلك الحالة النفسانية فلا
شك انها تحدث بخلق الله تعالى لان من خلقت نفسه على تلك الحالة لا يمكنه ازالة تلك الحالة عن نفسه
بل الافعال الظاهرة من القول والفعل يمكنه تركها والاقدام عليها فهي امور اختيارية واما الحالة النفسا
التي هي الهلع في الحقيقة فهي مخلوقة على سبيل الاضطرار **قوله** اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا قيل
المراد بالخير والشر الغنى والفقر او الصحة والمرض والمعنى اذا صار فقيرا او مريضا اخذ في الجزع والشكاية
واذا صار غنيا او صحيحا اخذ في منع المعروف وشح بماله **فان قيل** حاصل هذا الكلام انه نفور عن المضار طالب للراحة
وهذا هو اللائق بالعقل فلم ذمه الله عليه **فالجواب** انما ذمه عليه لقصور نظره على الامور العاجلة والواجب
عليه ان يكون شاكرا راضيا في كل حال **قوله** الا المصلين قال النخعي المراد بالمصلين الذين يؤدون الصلاة
المكتوبة وقال ابن مسعود هم الذين يصلونها لوقتها فاما تركها فكفر وقيل هم الصحابة وقيل هم المؤمنون
عامة **قوله** الذين هم على صلاتهم دائمون اى على مواقيتها وقال عقبة بن عامر هم الذين اذا صلوا لم يلتفتوا
يمينا ولا شمالا والدائم الساكن ومنه نهي عن البول في الماء الدائم اى الساكن وقال ابن جريج والحسن
هم الذين يكثرون فعل التطوع منها **فان قيل** كيف قال على صلاتهم دائمون وقال في موضع اخر على صلواتهم
يحافظون قال ابن الخطيب دوامهم عليها ان لا يتركوها في شئ من الاوقات ومحافظتهم عليها ترجع الى الاهتمام
بحالها حتى يأتي بها على اكمل الوجوه من المحافظة على شرائطها والاتيان بها في الجماعة وفي المساجد الشريفة
والاجتهاد في تفريغ القلب عن الوسواس والرياء والسمعة وان لا يلتفت يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر
القلب فاهما للاذكار مطلعا على حكم الصلاة متعلق القلب بدخول اوقات الصلوات **قوله** والذين في اموالهم
حق معلوم قال قتادة وابن سيرين يريد الزكوة المفروضة وقال مجاهد سوى الزكوة وقال علي بن ابي
طلحة عن ابن عباس صلة الرحم وحمل الكل والاول اصح لانه وصف الحق بانه معلوم والمعلوم هو المقدر وسوى
الزكوة ليس بمعلوم انما هو على قدر الحاجة وذلك يقل ويكثر وقال ابن عباس من ادى زكوة ماله فلا
جناح عليه ان لا يتصدق وايضا فان الله تعالى استثناه ممن ذمه فدل على ان الذي لا يعطي هذا الحق
يكون مذموما ولا حق على هذه الصفة الا الزكوة وقوله للسائل والمحروم تقدم في الذاريات **قوله** والذين
يصدقون بيوم الدين اى بيوم الجزاء وهو يوم القيامة اى يؤمنون بالبعث والنشور والذين هم من
عذاب ربهم مشفقون اى خائفون والاشفاق الخوف اما من ترك واجب واما من فعل محظور ثم اكد ذلك
الخوف بقوله ان عذاب ربهم غير مأمون قال ابن عباس لمن اشرك او كذب انبياءه وقيل لا يأمنه احد
بل الواجب على كل احد ان يخافه ويشفق منه والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون تقدم تفسيره في سورة المؤمنين
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون تقدم ايضا وقرى لامانتهم على التوحيد وهي قراءة ابن كثير وابن
محيصن فالامانة اسم جنس فيدخل فيها امانات الدين فان الشرائع امانات ائتمن الله عليها عباده
ويدخل فيها امانات الناس من الودائع وقد مضى ذلك **قوله** والذين هم بشهاداتهم قائمون قرأ حفص
بشهاداتهم جمعا اعتبارا بتعدد الانواع والباقون بالافراد اذ المراد الجنس قال الواحدي والافراد

والافراد اولى لانه مصدر فيفرد كما تفرد المصادر وان اضيف الى الجمع كصوت الحمير ومن جمع ذهب الى اختلاف الشهادات
قال اكثر المفسرين يقومون بالشهادة على من كانت عليه من قريب وبعيد يقومون بها عند الحكام ولا يكتمونها وقال ابن عباس
بشهاداتهم ان الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله **قوله** والذين هم على صلاتهم يحافظون قال قتادة على وضوئها
وركوعها وسجودها وقد تقدم فالدوام خلاف المحافظة فدوامهم عليها محافظتهم على ادائها لا يخلون بها ولا يشتغلون
عنها بشئ من الشواغل ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها وادابها
ويحفظوها من الاحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع الى نفس الصلوات والمحافظة الى احوالها ذكره القرطبي ثم قال
اولئك في جنات مكرمون اى اكرمهم الله فيها بانواع الكرامات **قوله** فما للذين كفروا قبلك مهطعين روى ان المشركين
كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزئون به ويكذبونه ويقولون ان دخل هؤلاء
الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلندخلنها قبلهم فنزلت هذه الاية الى قوله ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم
كلا وقال ابو مسلم ظاهر الاية يدل على انهم هم المنافقون فهم الذين كانوا عنده واسراعهم المذكور هو الاسراع في
الكفر لقوله تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر والاهطاع الاسراع قال الاخفش مهطعين اى مسرعين قال
بمكة اهلها ولقد اراهم اليه مهطعين الى السماع والمعنى ما بالهم يسرعون اليك ويجلسون حولك ولا يعملون بما تأمرهم
وقيل ما بالهم يسرعون في التكذيب لك وقيل ما بال الذين كفروا يسرعون الى السماع منك ليعيبوك ويستهزءوا
بك وقال عطية مهطعين معرضين وقال الكلبي ناظرين اليك تعجبا وقال قتادة عامدين اعناقهم مديمي النظر اليك
وذلك من نظر العدو وهو منصوب على الحال قال القرطبي نزلت في جميع المنافقين المستهزئين كانوا يحضرونه عليه
السلام ولا يؤمنون به وقبلك اى نحوك **قوله** عن اليمين وعن الشمال عزين اى عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم
وشماله حلقا حلقا وجماعات **قوله** عزين حال من الذين كفروا وقيل حال من الضمير في مهطعين فيكون حالا متداخلة
وعن اليمين يجوز ان يتعلق بعزين لانه بمعنى متفرقين قاله ابو البقاء وان يتعلق بمهطعين اى مسرعين عن هاتين
الجهتين وان يتعلق بمحذوف على انه حال اى كائنين عن اليمين قاله ابو البقاء وعزين جمع عزة والعزة الجماعة قال
مكي وانما جمع بالواو والنون لانه مؤنث لا يعقل ليكون ذلك عوضا مما حذف منه قيل ان اصله عزهة كما ان اصل
سنة سنهة ثم حذفت الهاء انتهى قال شهاب الدين قوله لا يعقل سهو لان الاعتبار بالمدلول ومدلوله بلا شك عقلاء
واختلفوا في لام عزة على ثلاثة اقوال احدها انها واو من عزوته اعزوه اى نسبته وذلك ان المنسوب مضموم
الى المنسوب اليه كما ان كل جماعة مضموم بعضها الى بعض الثاني انها ياء اذ يقال عزيته بالياء اعزيه بمعنى عزوته فعلى
هذا في لامها لغتان الثالث انها هاء وتجمع تكسيرا على عزى نحو كسرة وكسر واستغنى بهذا التكسير عن جمعها بالالف
والتاء فلم يقولوا عزات كما لم يقولوا في شفة وامة شفات ولا امات استغناء بشفاه واماء وقد كثر وروده مجموعا بالواو
والنون قال الراعي

اخليفة الرحمن ان عشيرتي	امسوا سراتهم عزين فلولا

وقال الكميت

ونحن وجندل باغ تركنا	كتائب جندل شتى عزينا

وقال عنترة

وقرن قد تركت لدى ولي	عليه الطير كالعصب العزين

وقال اخر

ترانا عنده والليل داج	على ابوابه حلقا عزينا

وقال اخر

فلما ان اتين على اضاخ	تركن حصاه اشتاتا عزينا

والعزة لغة الجماعة في تفرقة
قاله ابو عبيدة ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج الى اصحابه فراهم حلقا فقال ما لي اراكم عزين الا تصفون
كما تصف الملائكة عند ربها قالوا وكيف تصف الملائكة قال يتمون الصف الاول ويتراصون في الصف وقال
الاصمعي العزون الاصناف يقال في الدار عزون اى اصناف وفي الصحاح العزة الفرقة من الناس وقيل العزة
الجماعة اليسيرة كالثلاثة والاربعة وقال الراغب وقيل هو من قولهم عزي عزاء فهو عز اذا اصبر وتعزى تصبر
فكانها اسم للجماعة التي يتأسى بعضهم ببعض قال القرطبي ويقال عزون وعزون ايضا بالضم ولم يقولوا عزات
كما قالوا ثبات قيل كان المستهزئون خمسة ارهط قال الازهري واصله من قولهم عزا فلان نفسه الى بني فلان يعزوها
عزوا اذا انتمى اليهم والاسم العزوة وقيل العزة كل جماعة اعتزاؤها الى امر واحد **قوله** ان يدخل العامة على بنائه
للمفعول وزيد بن علي والحسن وابن يعمر وابو رجاء وعاصم في رواية قال القرطبي وطلحة بن مصرف والاعرج على بنائه
للفاعل **فصل** لما قال المستهزئون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم اجابهم الله تعالى بقوله
كلا لا يدخلونها ثم ابتدأ فقال انا خلقناهم مما يعلمون اى انهم يعلمون انهم مخلوقون من نطفة ثم من علقة ثم
من مضغة كما خلق سائر جنسهم فليس لهم فضل يستوجبون به الجنة وانما تستوجب بالايمان والعمل الصالح ورحمة
الله تعالى وقيل كانوا يستهزئون بفقراء المسلمين ويتكبرون عليهم فقال انا خلقناهم مما يعلمون اى من القذر
فلا يليق بهم هذا التكبر وقال قتادة في هذه الاية يا ابن ادم من قدرت ... وروى ان مطرف

ابن عبد الله بن الشخير رأى المهلب بن أبي صفرة يتبختر في مطرف خز وجبة خز فقال له يا عبد الله ما هذه المشية التي
يبغضها الله فقال له أتعرفني قال نعم أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت تحمل العذرة فمضى المهلب
وترك مشيته. قال ابن الخطيب ذكروا في تعلق هذه الآية بما قبلها وجوها. أحدها لما احتج على صحة البعث دل على
أنهم كانوا منكرين للبعث فكأنه قيل لهم كلا إنكم منكرون للبعث فمن أين تطمعون بدخول الجنة. وثانيها أن المستهزئين
كانوا يستحقرون المؤمنين كما تقدم فقال تعالى إن هؤلاء المستهزئين مخلوقون مما خلقوا فكيف يليق بهم هذا الاحتقار
وثالثها أنهم مخلوقون من هذه الأشياء المستقذرة ولم يتصفوا بالإيمان والمعرفة فكيف يليق بالحكمة إدخالهم الجنة
وقيل معنى قوله خلقناهم مما يعلمون أي من أجل ما يعلمون وهو الأمر والنهي والثواب والعقاب كقول الأعشى
أأزمعت من آل ليلى ابتكارا ... وشطت على ذي هوى أن تزارا. أي من أجل ليلى. **قوله** فلا أقسم قد تقدم وقرأ
جماعة فلأقسم دون ألف برب المشارق. قرأ العامة بجمع المشارق والمغارب والجحدري وابن محيصن وأبو حيوة وحميد
بإفرادهما وهي مشارق الشمس ومغاربها وتقدم الكلام فيها. وقوله إنا لقادرون جواب القسم على أن نبدل خيرا
منهم أي نقدر على إهلاكهم وإذهابهم والإتيان بخير منهم وما نحن بمسبوقين أي لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا أمر نريده
قوله فذرهم يخوضوا ويلعبوا أي اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم على جهة الوعيد واشتغل أنت بما
أمرت به وتقدم تفسيره في سورة الطور. واختلفوا فيما وصف الله به نفسه بالقدرة عليه هل خرج إلى الفعل
أم لا فقيل بدل بهم الأنصار والمهاجرين. وقيل بل بدل الله كفر بعضهم بالإيمان. وقيل لم يقع هذا التبديل وإنما ذكر
الله ذلك تهديدا لهم لكي يؤمنوا. **قوله** حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون. قرأ ابن محيصن ومجاهد وحميد وأبو جعفر
يلقوا مضارع لقي. والمعنى أن لهم يوما يلقوا فيه ما وعدوا وهذه الآية منسوخة بآية السيف ثم ذكر ذلك اليوم
فقال يوم يخرجون من الأجداث يجوز أن يكون بدلا من يومهم أو منصوبا بإضمار أعني ويجوز على رأي الكوفيين
أن يكون خبرا لمبتدأ مضمر وبني على الفتح وإن أضيف إلى المعرب أي هو يوم يخرجون كقوله هذا يوم ينفع وقد مر الكلام
فيه مشبعا. والعامة على بنائه يخرجون للفاعل. وقرأ السلمي والمغيرة وروي عن عاصم بناؤه للمفعول. **قوله** سراعا
حال من فاعل يخرجون جمع سريع كظراف في ظريف وكأنهم حال ثانية منه أو حال من ضمير الحال فتكون متداخلة
والأجداث القبور ونظيره فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون أي سراعا إلى إجابة الداعي. **قوله** إلى نصب يوفضون
متعلق بالخبر والعامة على نصب بالفتح وإسكان الصاد وابن عامر وحفص بضمتين وأبو عمران الجوني ومجاهد بفتحتين
والحسن وقتادة وعمرو بن ميمون وأبو رجاء وغيرهم بضم النون وإسكان الصاد فالأولى هو اسم مفرد بمعنى العلم
المنصوب الذي يسرع الشخص نحوه. وقال أبو عمرو هو شبكة الصائد يسرع إليها عند وقوع الصيد فيها مخافة انفلاته
وأما الثانية فتحتمل ثلاثة أوجه. أحدها أنه اسم مفرد بمعنى الصنم المنصوب للعبادة. وأنشد الأعشى
وذا النصب المنصوب لا تعبدنه ... لعاقبة والله ربك فاعبدا. يعني إياك وذا النصب. الثاني أنه جمع
نصاب ككتب في كتاب. الثالث أنه جمع نصب نحو رهن ورهن وسقف في سقف وهذا قول أبي الحسن وجمع الجمع
أنصاب. وقال النحاس وقيل نصب ونصب بمعنى واحد كما قيل عمر وعمر وأسد وأسد جمع أسد. وأما الثالثة ففعل
بمعنى مفعول أي منصوب كالقبض والنفض. والرابعة تخفيف من الثانية والنصب أيضا الشر والبلاء ومنه
قوله تعالى أني مسني الشيطان بنصب وعذاب. **فصل** قال ابن عباس إلى نصب أي إلى غاية وهي التي ينتصب
إليها بصرك. وقال الكلبي هو شيء منصوب علم أو راية. وقال الحسن كانوا يبتدرون إذا طلعت الشمس إلى نصبهم التي
كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوي أولهم على آخرهم ويوفضون يسرعون وقيل يستبقون وقيل يسعون وقيل
ينطلقون وهي متقاربة. والإيفاض الإسراع قال الشاعر
فوارس ذبيان تحت الحديد ... كالجن يوفضن من عبقري. وعبقري موضع تزعم العرب أنه
من أرض الجن قال لبيد ... كهول وشبان كجنة عبقري. وقال الآخر ... لأنعتن نعامة ميفاضا. وقال الليث
وفضت الإبل تفضي وفضا وأوفضها صاحبها فالإيفاض متعد والذي في الآية لازم يقال وفض وأوفض
واستوفض بمعنى أسرع. **قوله** خاشعة حال إما من فاعل يوفضون وهو أقرب أو من فاعل يخرجون وفيه بعد
منه وفيه تعدد الحال لذي حال واحد وفيه الخلاف المشهور وأبصارهم فاعل والمعنى ذليلة خاضعة
لا يرفعونها لما يتوقعونه من عذاب الله. **قوله** ترهقهم ذلة. قرأ العامة بتنوين ذلة والابتداء بذلك اليوم
وخبره الذي كانوا. وقرأ يعقوب والتمار بإضافة ذلة إلى ذلك وجر اليوم لأنه صفة لذلك والذي نعت
لليوم وترهقهم يجوز أن يكون استئنافا وأن يكون حالا من فاعل يوفضون أو يخرجون ولم يذكر مكي غيره
ومعنى ترهقهم أي يغشاهم الهوان قال قتادة هو سواد الوجوه. والرهق الغشيان ومنه غلام مراهق
إذا غشي الاحتلام يقال رهقه بالكسر يرهقه رهقا أي غشيه ومنه قوله تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا

ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون أي يوعدونه في الدنيا أن لهم فيه العذاب وأخرج الخبر بلفظ الماضي لأن ما وعد الله
به فهو حق كائن لا محالة. روى الثعلبي عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه
الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلاتهم يحافظون ۝

سورة نوح

وهي سبع وعشرون آية ومائتان وأربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا. بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى إنا أرسلنا نوحا إلى قومه. روى عبادة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول نبي أرسل نوح وأرسل إلى
جميع أهل الأرض ولذلك لما كفروا أغرق الله أهل الأرض جميعا. وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو إدريس بن يرد
ابن مهلائيل بن أنوش بن قينان بن شيث بن آدم عليه السلام. قال وهب وكلهم مؤمنون أرسل إلى قومه وهو ابن خمسين
سنة. وقال ابن عباس ابن أربعين سنة. وقال عبد الله بن شداد بعث وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة. **قوله** أن أنذر
يجوز أن تكون المفسرة فلا يكون لها موضع من الإعراب لأن في الإرسال معنى الأمر فلا حاجة إلى إضمار الباء. ويجوز أن تكون المصدرية
أي أرسلناه بالإنذار. قال الزمخشري والمعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أي أرسلناه بالأمر بالإنذار انتهى وهذا الذي قدره
حسن جدا وهو جواب عن سؤال تقدم في هذا الكتاب وهو أن قولهم إن أن المصدرية يجوز أن توصل بالأمر مشكل لأنه ينسبك
منها ومما بعدها مصدر وحينئذ فتفوت الدلالة على الأمر ألا ترى أنك إذا قدرت كتبت إليه بأن قم كتبت إليه القيام تفوت
الدلالة على الأمر حال التصريح بالمصدر فينبغي أن يقدر كما قاله الزمخشري أي كتبت إليه بأن قلت له قم أي كتبت إليه بالأمر
بالقيام. وقال القرطبي أي بأن أنذر قومك فموضع أن نصب بإسقاط الخافض. وقرأ عبد الله أنذر قومك بغير أن بمعنى قلنا
له أنذر قومك وقد تقدم معنى الإنذار في أول البقرة. وقوله من قبل أن يأتيهم عذاب أليم قال ابن عباس يعني عذاب النار
في الآخرة. وقال الكلبي هو الطوفان. وقيل أنذرهم العذاب على الجملة إن لم يؤمنوا فكان يدعو قومه وينذرهم فلا يجيبونه
كما تقدم قال يا قوم إني لكم نذير مبين أي مخوف مظهر لكم بلسانكم الذي تعرفونه. **قوله** أن اعبدوا الله إما أن تكون تفسيرية
لنذير أو مصدرية والكلام فيها كما تقدم في أختها. والمعنى وحدوا الله واتقوه أي خافوه وأطيعون فيما آمركم به فإني رسول الله
إليكم يغفر لكم جزم يغفر لجواب الأمر. **قوله** من ذنوبكم في من هذه أوجه. أحدها أنها تبعيضية. الثاني أنها لابتداء الغاية. الثالث
أنها لبيان الجنس وهو مردود لعدم تقدم ما تبينه. الرابع أنها مزيدة قال ابن عطية وهو مذهب كوفي. قال شهاب الدين
ليس مذهبهم ذلك لأنهم يشترطون تنكير مجرورها ولا يشترطون غيره والأخفش لا يشترط شيئا فزيادتها هنا ماش على قوله
لا على قولهم. قال القرطبي وقيل لا يصح كونها زائدة لأن من لا تزاد في الواجب وإنما هي هنا للتبعيض وهو بعض الذنوب وهو ما
لا يتعلق بحقوق المخلوقين. وقال زيد بن أسلم المعنى يخرجكم من ذنوبكم. وقال ابن شجرة المعنى يغفر لكم من ذنوبكم ما استغفرتموه
منها. **قوله** ويؤخركم إلى أجل. قال الزمخشري فإن قلت كيف قال ويؤخركم مع إخباره بامتناع تأخيره قلت قضى الله أن قوم
نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم إلى الأجل الأطول ثم أخبرهم
أنه إذا جاء الأجل الأمد لا يؤخر انتهى. وقد تعلق بهذه الآية من يقول بالأجلين وتقدم جوابه. وقال ابن عباس أي ينسئ
في أعماركم ومعناه أن الله تعالى كان قضى قبل خلقهم أنهم إن آمنوا بارك في أعمارهم وإن لم يؤمنوا عوجلوا بالعذاب. وقال
مقاتل يؤخركم إلى منتهى آجالكم في عافية فلا يعاقبكم بالقحط وغيره فالمعنى على هذا يؤخركم من العقوبات والشدائد إلى آجالكم. وقال
الزجاج أي يؤخركم عن العذاب فتموتوا غير موتة المستأصلين بالعذاب وعلى هذا قيل أجل مسمى عندكم تعرفونه لا يميتكم
غرقا ولا حرقا ولا قتلا ذكره الفراء وعلى القول الأول أجل مسمى عند الله. **قوله** إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر أي إذا جاء الموت
لا يؤخر بعذاب كان أو بغير عذاب وأضاف الأجل إليه سبحانه لأنه الذي أثبته وهو يضاف إلى القوم كقوله تعالى إذا جاء
أجلهم لأنه مضروب لهم ولو بمعنى إن أي إن كنتم تعلمون. وقال الحسن معناه لو كنتم تعلمون لعلمتم أن أجل الله إذا جاء لا يؤخر
وعلى هذا يكون الجواب لو محذوفا فتقديره لبادرتم [illegible] أمركم به أو لعلمتم [illegible] الحسن. **قوله** قال رب إني دعوت قومي ليلا
ونهارا أي ظرفان للدعوة والمراد الإخبار باتصال الدعاء وأنه لا يفتر عن ذلك. وقيل معناه سرا وجهرا فلم يزدهم دعائي إلا
فرارا أي تباعدا من الإيمان وهذا استثناء مفرغ وهو مفعول ثان. وقراءة العامة بفتح الياء من دعائي وأسكنها الكوفيون
ويعقوب والدوري عن أبي عمرو. **قوله** وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم أي إلى سبب المغفرة وهي الإيمان بك والطاعة لك
جعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا دعائي واستغشوا ثيابهم غطوا بها رؤوسهم لئلا يسمعوا دعائي أي غطوا بها وجوههم لئلا يروه
قال ابن عباس جعلوا ثيابهم على رؤوسهم لئلا يسمعوا كلامي فاستغشاء الثياب إذن زيادة في سد الآذان حتى لا يسمعوا أو لتنكير
أنفسهم حتى يسكت أو ليعرفوه إعراضهم عنه. وقيل هو كناية عن العداوة يقال لبس فلان ثياب العداوة لفلان. وأصروا أي
على الكفر فلم يتوبوا واستكبروا عن قبول الحق وهو قولهم أنؤمن لك واتبعك الأرذلون. **قوله** لتغفر يجوز أن يكون للتعليل

والمدعو اليه محذوف اى دعوتهم للايمان بك لاجل مغفرتك لهم وان تكون لام التعدية ويكون قد عبر عن السبب بالمسبب
الذى هو حظهم والاصل دعوتهم للتوبة التى هى سبب فى الغفران وجعلوا هو العامل فى كلما وهو خبر انى **قوله**
جهارا جهارا يجوز ان يكون مصدرا من المعنى لان الدعا يكون جهارا وغيره فهو من باب قعد القرفصا وان يكون
المراد بدعوتهم جاهرتهم وان يكون نعت مصدر محذوف اى دعا جهارا وان يكون مصدرا فى موضع الحال اى
مجاهرا او ذا جهار او جعل نفس المصدر مبالغة قال الزمخشرى فان قلت ذكر انه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم
جهارا ثم دعاهم فى السر والعلن فيجب ان يكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف قلت قد فعل عليه السلام
كما يفعل الذى يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فى الابتدا بالاهون والترقى فى الاشد فالاشد فافتتح فى المناصحة
بالسر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم يقبلوا ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان ومعنى ثم الدلالة على تباعد
الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما قال ابو حيان وتكرر كثيرا
له ان ثم للاستبعاد ولا تعلق لغيره وقوله استكبارا قال القرطبى تعظما **فصل** يعنى جهارا اى مظهرا لهم
الدعوة وهو منصوب بدعوتهم نصب المصدر ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اى لم ابق مجهودا وقال مجاهد
معنى اعلنت صحت واسررت لهم اسرارا بالدعا عن بعضهم من بعض وقيل اسررت لهم اتيتهم فى منازلهم وكل هذا
من نوح عليه السلام مبالغة فى الدعا وتلطف فى الاستدعا وفتح اليا من انى اعلنت الحرميون وابو عمرو
واسكنها الباقون **قوله** فقلت استغفروا ربكم اى سلوه المغفرة لذنوبكم باخلاص الايمان انه كان غفارا وهذا
منه تعالى ترغيب فى التوبة كقوله عليه السلام الاستغفار ممحاة للذنوب **قوله** يرسل السما عليكم مدرارا
اى يرسل ماء السما ففيه اضمار وقيل السما المطر اى يرسل المطر قال الشاعر

اذا نزل السما بارض قوم ... رعيناه وان كانوا غضابا

ومدرارا يجوز ان يكون حالا
من السما ولم يؤنث لان مفعالا لا يؤنث تقول امراة مئناث ومذكار ولا يؤنث بالتا الا نادرا وحينئذ يستوى فيه
المذكر والمؤنث فتقول رجل مجدامة ومطرابة وامراة مجدامة ومطرابة وان يكون نعتا لمصدر محذوف اى
ارسالا مدرارا وتقدم الكلام عليه فى الانعام وجزم يرسل جوابا للامر ومدرارا اذا اغيث كثيرا **فصل** قال
مقاتل لما كذبوا نوحا عليه السلام زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فهلكت مواشيهم
وزروعهم فصاروا الى نوح عليه السلام واستغاثوا به فقال استغفروا ربكم انه كان غفارا اى لمن اناب اليه ثم
رغبهم فى الايمان فقال يرسل السما عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا قال
قتادة علم نبى الله صلى الله عليه وسلم انهم اهل حرص على الدنيا فقال هلموا الى طاعة الله فان فى طاعة الله درك
الدنيا والاخرة **فصل** فى هذه الاية والتى فى هود دليل على ان الاستغفار يستنزل به الرزق والامطار
قال الشعبى خرج عمر يستسقى فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فامطروا فقالوا ما رايناك استسقيت فقال
لقد استسقيت بمجاديح السما التى يستنزل بها المطر ثم قرا استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا
قال ابن الاثير المجاديح واحدها مجدح والبا زائدة للالصاق والقياس ان يكون واحدها مجداح فاما مجدح
فجمعه مجادح والمجدح نجم من النجوم قيل هو الدبران وقيل هو ثلاثة كواكب كالاثافى تشبيها بالمجدح الذى
له ثلاث شعب وهو عند العرب من الانواء الدالة على المطر فجعل الاستغفار مشبها بالانواء مخاطبة لهم بما
يعرفونه لا قولا بالانواء وجاء بلفظ الجمع لانه اراد الانواء جميعها التى يزعمون ان من شانها المطر وشكى رجل الى
الحسن الجدوبة فقال له استغفر الله وشكى اخر اليه الفقر فقال له استغفر الله وقال له اخر ادع الله ان يرزقنى ولدا
فقال له استغفر الله وشكا اليه اخر جفاف بستانه فقال له استغفر الله فقلنا له فى ذلك فقال ما قلت من عندى
شيا ان الله تعالى يقول فى سورة نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا **فان قيل** ان نوحا عليه السلام امر الكفار اولا بالعبادة والطاعة
فاى فايدة فى ان امرهم بعد ذلك بالاستغفار **فالجواب** انه لما امرهم بالعبادة قالوا له ان كان الدين
الذى كنا عليه حقا فلم تامرنا بتركه وان كان باطلا فكيف يقبلنا بعد ان عصيناه فقال نوح عليه السلام انكم وان كنتم
قد عصيتموه ولكن استغفروا من تلك الذنوب فانه سبحانه كان غفارا **فان قيل** لم قال انه كان ولم يقل
انه غفار **فالجواب** كانه يقول لا تظنوا ان غفرانه انما حدث الان بل هو ابدا هكذا فكانه غفار فى حق من استغفر **قوله**
ما لكم لا ترجون لله وقارا قيل الرجا هنا بمعنى الخوف اى ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على احدكم بالعقوبة اى اى عذر لكم فى ترك
الخوف من الله قال الهذلى اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وقال سعيد بن جبير وابو العالية وعطا بن ابى رباح ما لكم لا ترجون
لله ثوابا ولا تخافون له عقابا وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ما لكم لا ترجون لا تخشون لله عقابا وترجون منه ثوابا
وقال الوالبى والعوفى عنه ما لكم لا تعلمون لله عظمة وقيل ما لكم لا تعتقدون وقال ابن عباس ايضا ومجاهد ما لكم لا ترون

لا ترون لله عظمة وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هذه لغة حجازية وهذيل وخزاعة ومضر يقولون لم
ارج اى لم ابال **قوله** وقارا يجوز ان يكون مفعولا به على معان منها ما لكم لا تاملون له توقيرا اى تعظيما قال الزمخشرى والمعنى ما لكم
لا تكونون على حال تاملون فيها تعظيم الله اياكم فى دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة انتهى اى لو تاخر لله عن وقارا لكان
متعلقا به فيكون التوقير منهم لله تعالى وهو عكس المعنى الذى قصده ومنها لا تخافون لله حلما وترك معاجلة بالعقاب فتومنوا
ومنها لا تخافون لله عظمة وعلى الاول يكون الرجا على بابه وقد تقدم ان استعمال بمعنى الخوف مجاز وان يكون حالا من فاعل
ترجون اى موقرين الله تعالى اى تعظمونه فلله متعلق بمحذوف على انه حال من وقارا او تكون اللام زائدة فى المفعول به
وحسنه هنا امران كون العامل فرعا وكون المعمول مقدما ولا ترجون حال وتقدم نظيره فى المائدة **والوقار** العظمة والتوقير
التعظيم ومنه قوله تعالى وتوقروه وقال قتادة ما لكم لا ترجون لله عاقبة كان المعنى ما لكم لا ترجون لله عاقبة الايمان وقال
ابن كيسان ما لكم لا ترجون فى عبادة الله وطاعته ان يثيبكم على توقيركم خيرا وقال ابن زيد ما لكم لا تودون لله طاعة وقال
الحسن ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة وقيل ما لكم لا توحدون الله لان من عظمه فقد وحده وقيل ان الوقار
هو الثبات لله عز وجل ومنه قوله تعالى وقرن فى بيوتكن اى اثبتن والمعنى ما لكم لا تثبتون وحدانية الله تعالى وانه الهكم
لا اله لكم سواه قاله ابن بحر ثم دلهم على ذلك فقال وقد خلقكم اطوارا يعنى نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ولحما ثم انشاه
خلقا اخر وقيل اطوارا صبيانا ثم شبانا ثم شيوخا وضعفا ثم اقويا وقيل اطوارا اى انواعا صحيحا وسقيما وبصيرا وضريرا وغنيا
وفقيرا وقيل الاطوار اختلافهم فى الاخلاق والافعال **قوله** وقد خلقكم جملة حالية من فاعل ترجون والاطوار الاحوال المختلفة
قال الشاعر فان افاق فقد طارت عمايته والمرء يخلق طورا بعد اطوار وانتصابه على الحال اى منتقلين من حال الى حال او مختلفين
من بين مسى ومحسن وصالح وطالح **قوله** الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا لما ذكر لهم دليل التوحيد من انفسهم
اتبعه بدليل الافاق فقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات اى الم تعلموا ان الذى قدر على هذا فهو الذى يجب ان يعبد
ومعنى طباقا قال ابن عباس والسدى اى بعضها فوق بعض كل سما مطبقة على الاخرى كالقباب **فان قيل** هذا يقتضى ان لا يكون
بينهما فرج واذا كان كذلك فكيف تسلكها الملايكة **فالجواب** ان الملايكة ارواح وايضا قال المبرد معنى كونها طباقا
اى متوازية لا انها متماسة وقال الحسن خلق الله سبع سموات طباقا على سبع ارضين بين كل ارض وارض وسما وسما خلق
وامر وقوله الم تروا على جهة الاخبار لا المعاينة كما تقول الم تر كيف صنعت بفلان كذا وطباقا فانتصب على انه مصدر
مطابقة طباقا او حال بمعنى ذات طباق فحذف ذات واقام طباقا مقامه وتقدم الكلام عليه فى سورة الملك وقال مكى واجاز
الفرا فى غير القران الجر طباق على النعت لسموات يعنى انه يجوز ان يكون صفة للعدد تارة وللمعدود اخرى **قوله** وجعل القمر
فيهن نورا اى فى السموات والقمر انما هو فى سما واحدة منهن قيل هو فى السما الدنيا وانما جاز ذلك لان بين السموات
ملابسة فصح ذلك وتقول زيد فى المدينة وانما هو فى زاوية من زواياها وقال ابن كيسان اذا كان فى احداهن فهو
فيهن وقال قطرب فيهن بمعنى معهن وقاله الكلبى اى خلق الشمس والقمر مع خلق السموات والارض وقال جل اهل اللغة
فى قول امرئ القيس وهل ينعمن من كان اخر عهده ثلاثين شهرا فى ثلاثة احوال فى بمعنى مع وقال النحاس سالت ابا
الحسن بن كيسان عن هذه الاية فقال جواب النحويين انه اذا جعله فى احداهن فقد جعله فيهن كما تقول اعطنى الثياب
المعلمة وان كنت انما علمت احدها وجواب اخر انه يروى ان وجه القمر الى داخل السما واذا كان داخلها فهو متصل بالسموات
ومعنى نورا اى لاهل الارض قاله السدى وقال عطا نورا لاهل السموات والارض وقال ابن عباس وابن عمر وجهه يضى
لاهل الارض وظهره يضى لاهل السما **قوله** وجعل الشمس سراجا يحتمل ان يكون التقدير وجعل الشمس فيهن كما تقدم والشمس
قيل فى الرابعة وقيل فى الخامسة وقيل فى الشتا فى الرابعة وفى الصيف فى السابعة والله اعلم وقوله سراجا يعنى مصباحا
لاهل الارض ليتوصلوا الى التصرف لمعايشهم وفى اضاءتها لاهل السما القولان الاولان حكاه الماوردى وحكى القشيرى عن
ابن عباس ان الشمس وجهه فى السموات وقفاه فى الارض وقيل على العكس وقيل لعبد الله بن عمرو ما بال الشمس تقلينا احيانا
وتبرد علينا احيانا فقال انها فى الصيف عند عرش الرحمن ولو كانت فى السما الدنيا لما قام لها شى ولما كانت الشمس سببا
لزوال الليل وهو ظل الارض اشبهت السراج وايضا فالسراج له ضوء والقمر له نور والضوء اقوى من النور فجعل
للشمس لقوله هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا **قوله** والله انبتكم من الارض نباتا يعنى ادم عليه السلام خلقه
من اديم الارض كلها قاله ابن جريج وقد تقدم بيانه ونباتا اما مصدر لا نبت على حذف الزوائد ويسمى اسم مصدر
لان مصدر انبت انباتا فجعل الاسم الذى هو النبات فى موضع المصدر واما بنبتم مقدرا اى فنبتم نباتا فيكون منصوبا
بالمطاوع المقدر قال الزمخشرى او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم قال ابو حيان ولا اعقل معنى هذا الوجه الثانى قال
شهاب الدين هذا هو الوجه المتقدم وهو انه منصوب بانبتكم على حذف الزوائد ومعنى قوله لتضمنه معنى نبتم اى انه
مشتمل عليه غاية ما فيه انه حذف زوايده قال القرطبى وقال الخليل والزجاج انه محمول على المعنى لان معنى انبتكم جعلكم
تنبتون نباتا وقيل معناه انبت لكم من الارض النبات فنباتا على هذا نصب على المفعول الصريح والاول اظهر قال ابن بحر

يسكون في الارض بالكبر بعد الصغر وبالطول بعد القصر ثم يعيدكم فيها اي عند موتكم بالدفن ويخرجكم اخراجا بالنشور والبعث
يوم القيامة والانبات هنا استعارة بليغة قيل المراد انبت اباكم وقيل المراد انبت الكل لانهم من النطف وهي من الاغذية
التي اصلها الارض وهذا كالتفسير لقوله خلقكم اطوارا ثم قال ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وهذا اشارة الى الطريقة
المعهودة في القران من انه تعالى لما كان قادرا على الابتدا فهو ايضا قادر على الاعادة وقوله ويخرجكم اخراجا اكده بالمصدر
بانه قال يخرجكم حقا لا محالة **قوله** والله جعل لكم الارض بساطا اي مبسوطة لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي طرقا واسعة
والسبل الطرق والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسعة قاله الفرا وقيل الفج المسلك بين الجبلين وفي الانبيا قدم
الفجاج لتناسب الفواصل وقد تقدم الكلام على ذلك **قوله** قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده
الا خسارا ذكر اولا انهم عصوه ثم ذكر انهم ضموا الى عصيانه طاعة رؤسائهم الذين يدعونهم الى الكفر وانما زادهم اولادهم
واموالهم خسارا لانهم سبب لخسارهم الدنيا في الاخرة كالعدم فاذا خسرت الاخرة بسببها كانت كاللقمة من الحلوى
مسمومة ولذلك قال جماعة ليس لله على الكافر نعمة وانما هي استدراج للعذاب قال المفسرون لبث فيهم نوح عليه
السلام كما اخبر الله تعالى الف سنة الا خمسين عاما داعيا لهم وهم على كفرهم وعصيانهم قال ابن عباس رجا نوح الابنا
بعد الابا فكان الابا يأتوا باولادهم الى نوح عليه السلام ويقولوا لابنائهم اياكم ان تطيعوا هذا الشيخ فيما يامركم
به حتى بلغوا سبع قرون ثم دعا عليهم بعد الاياس منهم وعاش بعد الطوفان ستين عاما حتى كثر الناس وفشوا قال الحسن
كان قوم نوح يزرعون في الشهر مرتين حكاه الماوردي **قوله** وولده قرا اهل المدينة والشام وعاصم وولده بفتح اللام
والواو والباقون وولده بضم الواو وسكون اللام وقد تقدم انهما لغتان كبخل وبخل قال ابو حاتم ويمكن ان يكون
المضموم جمع المفتوح كخشب وخشب وانشد لحسان * يا بكر امنة المبارك ولدها * من ولد محصنة بسعد الاسعد *
قوله ومكروا عطف على صلة من لان المتبوعين هم الذين مكروا وقالوا للاتباع لا تذرن وانما جمع الضمير حملا على
المعنى بعد حمله على لفظها في لم يزده ماله وولده ويجوز ان يكون مستانفا اخبارا عن الكفار **قوله** كبارا العامة على ضم
الكاف وتشديد البا وهو بنا مبالغة ابلغ من كبار بالضم والتخفيف قال عيسى هي لغة يمانية وانشد
* والمرء يلحقه بفتيان الهدى * خلق الكريم وليس بالوضاء * وقول الاخر
* بيضاء تصطاد القلوب وتستبي * بالحسن قلب المسلم القراء * وقرا عيسى وابو السمال وابن محيصن
وحميد ومجاهد بالضم والتخفيف وهو بنا مبالغة ايضا دون الاول وقرا زيد بن علي وابن محيصن ايضا بكسر الكاف
وتخفيف البا قال ابو بكر هو جمع كبير كانه جعل مكرا مكان ذنوب او افاعيل يعني فلذلك وصفه بالجمع **فصل**
قيل مكرهم هو تحريشهم سفلتهم على قتل نوح وقيل هو تغريرهم الناس بما اوتوا من الدنيا والولد حتى قالت الضعفة
لولا انهم على الحق لما اوتوا هذه النعم وقال الكلبي هو ما جعلوه لله من الصاحبة والولد وهذا بعيد لان هذا انما قاله
النصارى وهم بعد قوم نوح بازمان متطاولة وقال مقاتل هو قول كبرائهم لاتباعهم لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا
ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا فمنعوا القوم عن التوحيد وامروهم بالشرك واعلم انه لما كان التوحيد اعظم المراتب
لا جرم كان المنع منه اعظم الكبائر فلهذا وصفه الله تعالى بانه كبار قال ابن الخطيب وانما سماه مكرا لوجهين الاول
لما في اضافة الالهة اليهم من الحيل الموجبة لاستمرارهم على عبادتها لانها معبودة ابائهم فلو قبلتم قول نوح لاعترفتم على
انفسكم بانكم كنتم جاهلين ضالين وعلى ابائكم بانهم كانوا كذلك ولما كان اعتراف الانسان على نفسه وعلى اسلافه بالقصور
والنقص الثاني انه تعالى حكى عن المتبوعين انهم كان لهم مال وولد فلعلهم قالوا للاتباع ان الهتكم خير من اله نوح لان
الهتكم يعطونكم المال والولد واله نوح لا يعطيه شيئا لفقره فهم بهذا المكر عن طاعة نوح وهو مثل مكر فرعون اذ قال
اليس لي ملك مصر وقوله انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا القي عليه اسورة من ذهب **قوله** ولا تذرن
ودا ولا سواعا يجوز ان يكون من عطف الخاص على العام ان قيل ان هذه الاسما لاصنام وان لا يكون ان قيل انها اسما رجال
صالحين على ما ذكره المفسرون وقرا نافع ودا بضم الواو والباقون بفتحها وانشد بالوجهين قول الشاعر
* حياك ود فانا لا يحل لنا * لهو النسا وان الدين قد عزما * وقول الاخر
* فحياك ود من هداك لفتية * وخوص باعلى ذي فضالة منجد * قال القرطبي قال الليث
ود بفتح الواو صنم كان لقوم نوح وود بالضم صنم لقريش وبه سمي عمرو بن ود وفي الصحاح والود بالفتح الوتد
في لغة اهل نجد كانهم سكنوا التا وادغموها في الدال والود في قول امرئ القيس
* تظهر الود اذا ما اشجذت * وتواريه اذا ما تعتكر * قال ابن دريد هو اسم جبل
وود صنم كان لقوم نوح عليه السلام ثم صار لكلب وكان بدومة الجندل ومنه سموا بعبد ود **قوله** ولا يغوث ويعوق
قراهما العامة بغير تنوين فان كانا عربيين فالمنع من الصرف للعلمية والوزن وان كانا عجميين فالعجمة والعلمية
وقرا الاعمش ولا يغوثا ويعوقا مصروفين قال ابن عطية وذلك وهم لان التعريف لازم ووزن الفعل انتهى قال

شهاب الدين وليس بوهم لامرين احدهما انه صرفهما للتناسب اذ قبله اسمان مصروفان وبعده اسم منصرف كما صرف سلاسلا
والثاني انه جاء على لغة من يصرف غير المنصرف مطلقا وهي لغة حكاها الكسائي ونقل ابو الفضل الصرف فيهما عن الاشهب
العقيلي ثم قال جعلهما فعولا فلذلك صرفهما فاما في العامة فانهما صفتان من الغوث والعوق قال شهاب الدين وهذا كلام مشكل
اما قوله فعولا فليس بصحيح اذ مادة يغث ويعق مفقودة واما قوله صفتان من الغوث والعوق فليس في الصفات ولا في الاسما
يفعل والصحيح ما قدمته وقال الزمخشري وهذه قراة مشكلة لانهما ان كانا عربيين او عجميين ففيهما منع الصرف ولعله
وجد الازدواج فصرفهما لمصادفته اخواتهما منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرئ وضحاها بالامالة لوقوعه مع الممالات
للازدواج قال ابو حيان كانه لم يطلع على ان صرف ما لا ينصرف لغة **فصل** قال ابن عباس وغيره هي اصنام وصور كان
قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب وهذا قول الجمهور وقيل انها للعرب لم يعبدها غيرهم وكانت اكبر اصنامهم واعظمها
عندهم فلذلك خصوها بالذكر بعد قوله لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا وقال عروة بن الزبير اشتكى ادم عليه
السلام وعنده بنوه ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكان ود اكبرهم وابرهم به قال محمد بن كعب كان لادم خمس بنين
ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه فقال الشيطان انا اصور لكم مثله اذا نظرتم اليه
ذكرتموه قالوا افعل فصوره في المسجد من صفر ورصاص ثم مات اخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصورهم وتناقصت الاشيا
كما تنتقص اليوم الى ان تركوا عبادة الله تعالى بعد حين فقال لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون شيئا قالوا وما نعبد قال الهتكم
والهة ابائكم الا ترون انها في مصلاكم فعبدوها من دون الله حتى بعث الله نوحا فقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا
الاية وقال محمد بن كعب ايضا ومحمد بن قيس بل كانوا قوما صالحين بين ادم ونوح وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا زين
لهم ابليس ان يصوروا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم وليتسلوا بالنظر اليها فصورهم فلما ماتوا هم وجا اخرون قالوا ليت
شعرنا ما هذه الصور التي كان يعبدها اباؤنا فجاءهم الشيطان فقال كان اباؤكم يعبدونها فترحمهم وتسقيهم المطر فعبدوها فابتدئ
عبادة الاوثان من ذلك الوقت وهذا المعنى فسر ما جا في الصحيحين من حديث عايشة عن ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة
رايتاها بارض الحبشة تسمى مارية فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولئك
كان اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيمة
وذكر الثعلبي عن ابن عباس ان هذه الاصنام اسما رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان
ينصبوا في مجالسهم انصابا ويسموها باسمائهم وهذا بعيد لان نوحا عليه السلام هو الامر لم يتركها وذلك يدل على انهم كانوا
قبل نوح حتى ارسل نوح اليهم وروي عن ابن عباس ان نوحا عليه السلام كان يحرس جسد ادم عليه السلام على جبل الهند فيمنع
الكافرين ان يطوفوا بقبره فقال لهم الشيطان ان هولا يفخرون عليكم ويزعمون انهم بنوا ادم دونكم وانما هو جسد وانا
اصور لكم مثله تطوفون به فصور لهم هذه الاصنام الخمسة وحملهم على عبادتها فلما كان ايام الطوفان دفنها الطين والتراب
والما فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب اصنام اخر فاللات كانت لثقيف واساف ونايلة
وهبل لاهل مكة قال الماوردي فاما ود فهو اول صنم معبود سمي ودا لودهم له وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل
في قول ابن عباس وعطا ومقاتل وفيه يقول شاعرهم * حياك ود فانا لا يحل لنا * لهو النسا وان الدين قد عزما *
واما سواع فكان لهذيل بساحل البحر في قولهم وقال ابن الخطيب وسواع لهمدان واما يغوث فكان لغطيف من مراد
بالجرف من سبا في قول قتادة وقال المهدوي لمراد ثم لغطفان وقال الثعلبي واتخذت اعلى وانعم وهما من طي واهل
جرش من مذحج يغوث فذهبوا به الى مراد فعبدوه زمانا ثم ان بني ناجية ارادوا انتزاعه من انعم ففروا به الى الحصين اخي
الحارث بن كعب من خزاعة وقال ابو عثمان النهدي رايت يغوث وكان من رصاص وكانوا يحملونه على جمل اجرد ويسيرون
معه لا يهيجونه حتى يبرك بنفسه فاذا برك نزلوا وقالوا قد رضي لكم المنزل فيضربون عليه بناء وينزلون حوله واما
يعوق فكان لهمدان ببلخع في قول عكرمة وقتادة وعطا ذكره الماوردي قال الثعلبي واما يعوق فكان لكهلان من سبا
ثم توارثه بنوه الاكبر حتى صار في همدان وفيه يقول نمط الهمداني * يريش الله في الدنيا ويبري *
* ولا يبري يعوق ولا يريش * وقيل كان يعوق لمراد واما نسر فكان لذي الكلاع من حمير في قول قتادة ومقاتل وقال
الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة
نسر من الطير والله اعلم **قوله** وقد اضلوا اي الرؤسا فهو عطف على قوله ومكروا مكرا كبارا او الاصنام وجمعهم جمع العقلا
معاملة لهم معاملة العقلا كقوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس **قوله** ولا تزد الظالمين عطف على قوله رب
انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه اي قال انهم عصوني وقال لا تزد اي قال هذين القولين
فهما في محل النصب قاله الزمخشري قال كقولك قال زيد نودي للصلاة وصل في المسجد يحكي قوليه معطوفا احدهما على
صاحبه وقال ابو حيان ولا تزد معطوف على قد اضلوا لانها محكية بقال مضمرة ولا يشترط التناسب في الجمل المتعاطفة
بل يعطف خبرا على طلب وبالعكس خلافا لمن اشترط **فصل** معنى قوله الا ضلالا قال ابن بحر اي الا عذابا لقوله تعالى

ان المجرمين في ضلال وسعر، وقيل الاخسار اتباعه، وقيل الافتتان بالمال. قوله مما خطيئاتهم ما مزيدة بين الجار والمجرور توكيدا ومن لم يرها زائدة جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا وفيه تعسف، وتقدم الخلاف في قراءة خطيئاتهم في الاعراف وقرأ ابو رجاء خطيئاتهم جمع سلامة الا انه ادغم الياء في الياء المنقلبة عن الهمزة. وقال ابو عمرو قوم كفروا الف سنة فلم يكن لهم الا خطيئات يريد ان الخطايا اكثر من الخطيئات. وقال قوم خطايا وخطيئات واحد جمعان مستعملان في القلة والكثرة واستدلوا بقوله تعالى ما نفدت كلمات الله. وقال الشاعر

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى * واسيافنا يقطرن من نجدة دما

وقرأ الجحدري وتروى عن ابي خطيئتهم بالافراد والهمز. وقرأ عبد الله من خطيئاتهم ما اغرقوا فجعل ما المزيدة بين الفعل وما يتعلق به. ومن للسببية تتعلق باغرقوا. وقال ابن عطية لابتداء الغاية وليس بواضح. وقرأ العامة اغرقوا من اغرق وزيد بن علي غرقوا بالتشديد وكلاهما للنقل تقول اغرقت زيدا في الماء وغرقته فيه. **فصل** قال ابن الخطيب دل قوله اغرقوا فادخلوا نارا على اثبات عذاب القبر لانه يدل على انه حصلت تلك الحالة عقيب الاغراق ولا يمكن حملها على عذاب الآخرة والا بطلت دلالة هذه الفاء وايضا فقوله فادخلوا يدل على الاخبار عن الماضي وهذا انما يصدق لو وقع ذلك. وقال مقاتل والكلبي معناه انهم سيدخلون في الآخرة نارا ثم عبر عن المستقبل بلفظ الماضي لتحقق وقوعه كقوله ونادى اصحاب الجنة. قال ابن الخطيب وهذا ترك للظاهر من غير دليل. **فان قيل** انما تركنا الظاهر لدليل وهو ان من مات في الماء فانا نشاهده هناك فكيف يمكن ان يقال انهم في تلك الساعة ادخلوا نارا. **فالجواب** ان هذا الاشكال انما جاء لاعتقاد ان الانسان هو مجموع هذا الهيكل وهذا خطأ لان هذا الانسان هو الذي كان موجودا من اول عمره مع انه كان صغير الجثة في اول عمره ثم ان اجزاءه دائما في التحلل والذوبان ومعلوم ان الباقي غير ما يذهب فهذا الانسان عبارة عن ذلك الشيء الذي هو باق من اول عمره الى الآن فلم لا يجوز ان يقال انه تعالى نقل الاجزاء الاصلية الباقية التي الانسان عبارة عنها الى النار والى العذاب. ونقل القرطبي عن القشيري انه قال هذه الآية تدل على عذاب القبر ومنكروه يقولون صاروا مستحقين دخول النار او عرض عليهم اماكنهم من النار كقوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا. وقيل اشار الى ما في الخبر من قوله البحر نار في نار. وروى ابو روق عن الضحاك في قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا قال يعني عذبوا بالنار في الدنيا في حالة واحدة كانوا يغرقون في جانب ويحترقون في الماء من جانب ذكره الثعلبي. وانشد ابن الانباري

الخلق مجتمع طورا ومفترق * والحادثات فنون ذات اطوار

لا تعجبن لاضداد قد اجتمعت * فالله يجمع بين الماء والنار

قال المعربون فادخلوا يجوز ان يكون من التعبير عن المستقبل بالماضي لتحققه ونحوه كقوله اتى امر الله وان يكون على بابه والمراد عرضهم على النار في قبورهم كقوله في آل فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا. **قوله** فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اي من يدفع عنهم العذاب وهذا يدل على انهم انما عبدوا تلك الاصنام لتدفع عنهم الآفات وتجلب المنافع اليهم فلما جاءهم العذاب لم ينتفعوا بتلك الاصنام ولم يدفعوا عنهم العذاب وهو كقوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا. **قوله** وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا. قال الزمخشري ديار من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا انتهى يعني انه كان ينبغي ان تصح واوه ولا تقلب ياء وهذا نظير ما تقدم له من البحث في متحيز وان اصله متحيوز متفيعل لا متفعل اذ كان يلزم ان يكون متحوزا لانه من الحوز ويقال فيه ايضا دوار نحو قيام وقوام. وقال مكي واصله ديوار ثم ادغموا الواو في الياء مثل ميت اصله ميوت ثم ادغموا الثاني في الاول ويجوز ان يكون ابدلوا من الواو ياء ثم ادغموا الياء الاولى في الثانية. قال شهاب الدين قوله ادغموا الثاني في الاول هذا لا يجوز اذ القاعدة المستقرة في المتقاربين قلب الاول للثاني ولا يجوز العكس الا شذوذا او لضرورة صناعية. اما الشذوذ فكقراءة واذكر بالذال المعجمة ومهل من مذكر بالمعجمة ايضا وقد مضى تحقيقه. واما الضرورة الصناعية فنحو امدح هلالا يقلب الهاء حاء لئلا يدغم الاقوى في الاضعف وهذا يعرفه من عانى التصريف والديار نازل الدار يقال ما بالدار ديار. وقيل الديار صاحب الدار. وقال البغوي الديار يعني احدا يدور في الارض فيذهب ويجيء فيعال من الدوران. **فصل** لما ايس نوح من ايمانهم اباد دعا عليهم. قال قتادة دعا عليهم بعد ان اوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فاجاب الله دعوته واغرق امته وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب وهازم الاحزاب اهزمهم وزلزلهم. وقيل سبب دعائه ان رجلا من قومه حمل ولدا صغيرا على كتفه فمر بنوح فقال احذر هذا فانه يضلك فقال يا ابه انزلني فانزله فرماه فشجه فحينئذ غضب ودعا عليهم. وقال محمد بن كعب ومقاتل والربيع وعطية وابن زيد انما قال هذا حين اخرج الله كل مؤمن من اصلابهم وارحام نسائهم واعقم ارحام امهاتهم وايبس اصلاب رجالهم قبل العذاب باربعين سنة وقيل بسبعين سنة فاخبر الله نوحا انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا كما قال تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد

آمن فحينئذ دعا عليهم نوح فاجاب الله دعاءه واهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب لان الله تعالى قال وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم ولم يوجد التكذيب من الاطفال. **فصل** قال ابن العربي دعا نوح على الكافرين اجمعين ودعا النبي صلى الله عليه وسلم على من تحزب على المؤمنين والب عليهم وكان هذا اصلا في الدعاء على الكافرين في الجملة فاما كافر معين لم تعلم خاتمته فلا يدعى عليه لان مآله عندنا مجهول وربما كان عند الله معلوم الخاتمة بالسعادة وانما خص النبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء عتبة وشيبة واصحابه لعلمه بمآلهم وما كشف له من الغطاء عن حالهم والله اعلم. **قوله** رب اغفر لي ولوالدي العامة على فتح الدال على انه تثنية والد يريد ابويه واسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه شمخا بنت انوش وكانا مؤمنين. وحكى الماوردي اسم امه منجل. وقرأ الحسين بن علي رضي الله عنهما ويحيى بن يعمر والنخعي ولولدي تثنية ولد يعني ابنيه ساما وحاما. وقرأ ابن جبير والجحدري ولوالدي بكسر الدال يعني اباه فيجوز ان يكون اراد اباه الاقرب الذي ولده وخصه بالذكر لانه اشرف من الام وان يريد جميع من ولده من لدن آدم الى من ولده. قال الكلبي كان بينه وبين آدم عشرة آباء كلهم مؤمن. وذكر القرطبي عن ابن عباس قال لم يكفر لنوح والد فيما بينه وبين آدم عليهما السلام. **قوله** ولمن دخل بيتي مؤمنا. قال ابن عباس اي مسجدي ومصلاي مؤمنا اي مصدقا فمؤمنا حال وكان انما يدخل بيوت الانبياء من آمن بهم فجعل المسجد سببا للدعاء بالمغفرة وقيل المراد بقوله بيتي اي سفينتي. وعن ابن عباس اي دخل في ديني. **فان قيل** فعلى هذا يصير قوله مؤمنا مكررا. **فالجواب** ان من يدخل في دينه ظاهرا قد يكون مؤمنا وقد لا يكون فالمعنى ولمن دخل دخولا مع تصديق القلب. **قوله** وللمؤمنين والمؤمنات خص نفسه اولا بالدعاء ثم المتصلين به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات الى يوم القيامة قاله الضحاك. وقال الكلبي من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قومه والاول اظهر ثم ختم الكلام مرة اخرى بالدعاء على الكافرين فقال ولا تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا ودمارا. والمراد بالظالمين اي الكافرين فهي عامة في كل كافر ومشرك وقيل اراد مشركي قومه. وتبارا مفعول ثان والاستثناء مفرغ وتقدم الكلام في التبار وكل شيء اهلك فقد تبر ومنه قوله ان هؤلاء متبر ما هم فيه. وقيل التبار الخسران. قال المفسرون فاستجاب الله دعاءه فاهلكهم. روى الثعلبي عن ابي ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام. والله تعالى اعلم

سورة الجن

وهي ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا. بسم الله الرحمن الرحيم. **قوله تعالى** قل اوحي هذه قراءة العامة اعني كونها من اوحى رباعيا. وقرأ العتكي عن ابي عمرو وابن ابي عبلة وابو اياس وحي ثلاثيا وهما لغتان يقال وحى اليه كذا واوحاه اليه بمعنى واحد فقلبت الواو همزة ومنه قوله تعالى واذا الرسل اقتت. وانشد للعجاج * وحي لها القرار فاستقرت * وقرأ زيد بن علي والكسائي في رواية وابن ابي عبلة ايضا احي بهمزة مضمومة لا واو بعدها وخرجت على ان الهمزة بدل من الواو المضمومة نحو اعد في وعد فهذا فرع قراءة وحي ثلاثيا. قال الزمخشري وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد اطلقه المازني في المكسورة ايضا كاشاح واسادة واعاء اخيه. قال ابو حيان وليس كما ذكر بل في ذلك تفصيل وذلك ان الواو المضمومة قد تكون اولا وحشوا وآخرا ولكل منها احكام وفي بعض ذلك خلاف وتفصيل مذكور في كتب النحو وتقدم الكلام في ذلك مشبعا في اول هذا الكتاب ثم قال ابو حيان بعد ما تقدم عن المازني وهذا تكثير وتبجح. **قوله** انه استمع هذا هو القائم مقام الفاعل لانه هو المفعول الصريح. وعند الكوفيين والاخفش يجوز ان يكون القائم مقامه الجار والمجرور فيكون هذا باقيا على نصبه والتقدير اوحي الي استماع نفر. ومن الجن صفة لنفر. **فصل** قال ابن عباس وغيره قل يا محمد لامتك اوحي الي على لسان جبريل انه استمع نفر من الجن. والنفر الجماعة ما بين الثلاثة الى العشرة. واختلفوا هل رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فظاهر القرآن يدل على انه لم يرهم لقوله تعالى استمع. وقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن. وفي صحيح مسلم والترمذي عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا ما ذاك الا من شيء حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة وهو باصحابه بنخلة قاصدين الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله على نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن الآية. قال القرطبي وفي هذا الحديث دليل على انه صلى الله

عليه وسلم لم ير الجن ولكن حضروه وسمعوا قراءته فإن قيل الذين رموا بالشهب هم الشياطين والذين سمعوا القرآن هم الجن فما وجه الجمع فالجواب من وجهين الأول أن الجن كانوا توابع الشياطين فلما رمي الشياطين أخذوا الجن الذين كانوا معهم في تجسس الخبر الثاني أن الذين رموا بالشهب كانوا من الجن إلا أنه قيل لهم شياطين كما قيل شياطين الإنس والجن فإن الشيطان كل متمرد بعيد عن طاعة الله تعالى قال ابن الخطيب واختلف في أولئك الجن الذين سمعوا القرآن من هم فروى عاصم عن زر قال قدم رهط زوبعة وأصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرفوا فذلك قوله تعالى وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن وقيل كانوا الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وعامة جنود إبليس منهم وقيل كانوا سبعة ثلاثة من أرض حران وأربعة من أهل نصيبين قرية باليمن غير التي بالعراق رواه أيضا عنهم عاصم عن زر وقيل إن الجن الذين أتوه بمكة جن نصيبين والذين أتوه بنخلة جن نينوى وقال عكرمة كانوا اثني عشر ألفا من جزيرة الموصل ومذهب ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالمسير إليهم ليقرأ القرآن عليهم ويدعوهم إلى الإسلام روى ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أتلو القرآن على الجن فمن يذهب فسكتوا ثم قال صلى الله عليه وسلم الثانية فسكتوا ثم قال صلى الله عليه وسلم الثالثة فقلت أنا أذهب معك يا رسول الله قال فانطلق حتى إذا جاء الحجون عند شعب ابن أبي دب خط علي خطا فقال لا تجاوزه ثم مضى إلى الحجون فانحدروا عليه أمثال الحجل كأنهم رجال الزط قال ابن الأثير في النهاية الزط قوم من السودان والهنود يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفها حتى غشوه فغاب عن بصري فقمت فأومى بيده إلى أن اجلس ثم تلا القرآن صلى الله عليه وسلم فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا في الأرض حتى صرت لا أراهم وفي رواية أخرى قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أنت قال صلى الله عليه وسلم أنا نبي قالوا فمن يشهد لك على ذلك فقال الحبيب المجتبى صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها فقاقع حتى انتصبت بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم على ماذا تشهدين قالت أشهد أنك رسول الله قال صلى الله عليه وسلم اذهبي فرجعت كما جاءت حتى صارت كما كانت قال ابن مسعود رضي الله عنه فلما عاد إلي قال أردت أن تأتيني قلت نعم يا رسول الله ما كان ذلك لك قال هؤلاء الجن أتوا يستمعون القرآن ثم ولوا إلى قومهم منذرين فسألوني الزاد فزودتهم العظم والبعر فلا يستطيبن أحدكم بعظم ولا بعر وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ وضع رأسه صلى الله عليه وسلم على حجر ابن مسعود رضي الله عنه فرقد ثم استيقظ صلى الله عليه وسلم هل من وضوء قال لا إلا أن معي إداوة نبيذ فقال صلى الله عليه وسلم هل هو إلا تمر وماء فتوضأ منه قال ابن الخطيب وطريق الجمع بين مذهب ابن عباس ومذهب ابن مسعود من وجوه أحدها لعل ما ذكره ابن عباس وقع أولا فأوحى الله تعالى إليه بهذه السورة ثم أمر بالخروج إليهم بعد ذلك كما روى ابن مسعود رضي الله عنهما وثانيها أن بتقدير أن تكون واقعة الجن مرة واحدة إلا أنه صلى الله عليه وسلم ما رآهم وما عرف أنهم ماذا قالوا وأي شيء فعلوا فالله تعالى أوحى إليه أنه كان كذا وكذا وقالوا كذا وثالثها أن الواقعة كانت مرة واحدة وهو صلى الله عليه وسلم رآهم وسمع كلامهم وهم آمنوا به ثم رجعوا إلى قومهم قالوا لقومهم على سبيل الحكاية إنا سمعنا قرآنا عجبا وكان كذا وكذا فأوحى الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وسلم ما قالوه لأقوامهم قال ابن العربي ابن مسعود أعرف من ابن عباس لأنه شاهده وابن عباس سمعه وليس الخبر كالمعاينة قال القرطبي وقيل إن الجن أتوا النبي صلى الله عليه وسلم دفعتين أحدهما بمكة وهي التي ذكرها ابن مسعود والثانية بنخلة وهي التي ذكرها ابن عباس قال البيهقي الذي حكاه عبد الله إنما هو في أول ما سمعت الجن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطلعوا لأصحابه رضي الله عنهم وعلمت بحاله وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم كما حكاه عبد الله بن عباس ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى فذهب معه وقرأ عليهم القرآن كما حكاه عبد الله بن مسعود

فصل قال ابن الخطيب اعلم أن قوله تعالى قل أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يظهر لأصحابه رضي الله عنهم ما أوحي إليه تعالى في واقعة الجن وفيه فوائد أحدها أن يعرفوا بذلك أنه صلى الله عليه وسلم بعث إلى الجن كما بعث إلى الإنس وثانيها أن تعلم قريش أن الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا إعجازه فآمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وثالثها أن يعلم القوم أن الجن مكلفون كالإنس ورابعها أن يعلم أن الجن يستمعون كلامنا ويفهمون لغتنا وخامسها أن يظهر المؤمن منهم يدعو غيره من الجن إلى الإيمان وفي هذه الوجوه مصالح كثيرة إذا عرفها الناس

فصل اختلف العلماء في أصل الجن فروى الحسن البصري أن الجن ولد إبليس والإنس ولد آدم صلوات الله عليه ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون وهم شركاء في الثواب والعقاب فمن كان من هؤلاء وهؤلاء كافر فهو شيطان وروى الضحاك عن ابن عباس أن الجن هم ولد الجان وليسوا شياطين ومنهم المؤمن ومنهم الكافر والشياطين هم ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس وروي أن ذلك النفر كانوا يهود وذكر الحسن أن منهم يهود ونصارى ومجوس ومشركين

فصل اختلفوا في دخول الجن الجنة على حسب الاختلاف في أصلهم فمن زعم أنهم من الجان لا من ذرية إبليس قال يدخلون الجنة بإيمانهم ومن قال إنهم من ذرية إبليس فلهم فيه قولان أحدهما وهو قول الحسن يدخلونها الثاني وهو رواية مجاهد لا يدخلونها

فصل قال القرطبي وقد أنكر جماعة من كفرة الأطباء والفلاسفة الجن وقالوا إنهم بسائط ولا يصح طعامهم اجتراء على الله والقرآن والسنة ترد عليهم وليس في المخلوقات

بسائط مركب مزدوج إنما الواحد الواحد سبحانه وغيره واحد مركب ليس بواحد فكيف ما تعرف حالة وليس يمتنع أن يراهم النبي صلى الله عليه وسلم في صورهم كما يرى الملائكة وأكثر ما يتصورون لنا في صور الحيات ففي الحديث أن رجلا حديث عهد بعرس استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنصاف النهار أن يرجع إلى أهله الحديث وفيه فإذا حية عظيمة مطوية على الفراش فأهوى إليها بالرمح فانتظمها وذكر الحديث وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال إن لهذه البيوت عوامر فإذا رأيتم منها شيئا فحرجوا عليها ثلاثا فإن ذهب وإلا فاقتلوه فإنه كافر وقال اذهبوا فادفنوا صاحبكم وذهب قوم إلى أن ذلك مخصوص بالمدينة لقوله في الصحيح إن بالمدينة جنا قد أسلموا وهذا لفظ مختص بها فيختص بحكمها قال القرطبي قلنا هذا يدل على أن غيرها من البيوت مثلها لأنه لم يعلل بحرمة المدينة فيكون ذلك الحكم مخصوصا بها وإنما علل بالإسلام وذلك عام في غيرها ألا ترى قوله في الحديث عن الجن الذي لقي وكانوا من جن الجزيرة وبعضه هذا قوله ونهى عن عوامر البيوت وهذا عام وقد مضى في سورة البقرة **قوله تعالى** إنا سمعنا قرآنا عجبا أي قالوا لقومهم حين رجعوا إليهم كقوله تعالى فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين ووصف القرآن بعجب مبالغة أي خارجا عن حد أشكاله إما في فصاحة كلامه وإما في بلاغة مواعظه أو عجبا في عظم بركته أو عزيزا لا يوجد مثله وإما على حذف مضاف أي ذا عجب وإما بمعنى اسم الفاعل أي معجب وقوله يهدي صفة أخرى أي هاديا إلى الرشد قرأ العامة الرشد بضمة وسكون وابن عامر بضمهما وعنه أيضا فتحهما وتقدم هذا في الأعراف والمعنى يهدي إلى الصواب وقيل إلى التوحيد **قوله تعالى** فآمنا به أي بالقرآن أي فاهتدينا به وصدقنا أنه من عند الله ولن نشرك بربنا أحدا أي لا نرجع إلى إبليس ولا نطيعه ولا نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك وهذا يدل على أن أولئك الجن كانوا مشركين **قوله** وأنه تعالى قرأ الأخوان وابن عامر وحفص بفتح أن وما عطف عليها بالواو في اثنتي عشرة كلمة والباقون بالكسر وقرأ ابن عامر وأبو بكر وأنه لما قام بالكسر والباقون بالفتح واتفقوا على الفتح في قوله وأن المساجد لله وتلخيص هذا أن المشددة في هذه السورة على ثلاثة أقسام قسم ليس معه واو العطف فهذا لا خلاف بين القراء في فتحه أو كسره على حسب ما جاءت به التلاوة واقتضته العربية كقوله قل أوحي إلي أنه استمع نفر لا خلاف في فتحه لوقوعه موقع المصدر وكقوله إنا سمعنا قرآنا لا خلاف في كسره لأنه محكي بالقول القسم الثاني أن يقترن بالواو وهو أربع عشرة كلمة إحداها لا خلاف في فتحها وهو قوله وأن المساجد لله وهذا هو القسم الثالث والثانية وأنه لما قام كسرها ابن عامر وأبو بكر وفتحها الباقون كما تقدم تحريره لك كله والاثنتا عشرة هي قوله وأنه تعالى جد وأنه كان يقول وأنا ظننا وأنه كان رجال وأنهم ظنوا وأنا لمسنا وأنا كنا وأنا لا ندري وأنا منا الصالحون وأنا ظننا وأنا لما سمعنا وأنا منا المسلمون فهذه ضبطها من حيث القراءات وأما توجيه ذلك فاختلف الناس فيه فقال أبو حاتم في الفتح هو معطوف على مرفوع أوحي فتكون كلها في موضع رفع لما لم يسم فاعله ورد ذلك من حيث إن أكثرها لا يصح دخولها تحت معمول أوحي ألا ترى أنه لو قيل أوحي إلي أنا لمسنا السماء وأنا كنا وأنا لا ندري وأنا منا الصالحون وأنا لما سمعنا وأنا منا المسلمون لم يستقم معناه وقال مكي وعطفه على آمنا به أتم في المعنى من حيث العطف على أنه استمع لأنك لو عطفت وأنا ظننا وأنا لما سمعنا وأنه كان رجال من الإنس وأنا لمسنا وشبه ذلك على أنه استمع لم يجز لأنه ليس مما أوحي إليه إنما هو أمر أخبروا به عن أنفسهم والكسر في هذا أبين وعليه جماعة من القراء الثاني أن الفتح في ذلك عطف على محل به من آمنا به قال الزمخشري كأنه قال صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي إلا أن مكيا ضعف هذا الوجه فقال والفتح في ذلك على الحمل على معنى آمنا به فيه بعد في المعنى لأنهم لم يخبروا أنهم آمنوا بأنهم لما سمعوا الهدى آمنوا به ولم يخبروا أنهم آمنوا بأنهم لما سمعوا الهدى آمنوا به ولم يخبروا أنهم آمنوا أنه كان رجال إنما حكى الله عنهم أنهم قالوا ذلك مخبرين به عن أنفسهم لأصحابهم فالكسر أولى بذلك وهذا الذي قاله غير لازم فإن المعنى على ذلك صحيح وقد سبق الزمخشري إلى هذا التخريج الفراء والزجاج إلا أن الفراء استشعر إشكالا وانفصل عنه فإنه قال فتحت أن لوقوع الإيمان عليها وأنت تجد الإيمان يحسن في بعض ما فتح دون بعض فلا يمنع من إمضائهن على الفتح فإنه يحسن فيه ما يوجب أن نحو صدقنا وشهدنا كما قالت العرب وزججن الحواجب والعيونا فنصب العيون لإتباعها الحواجب وهي لا تزجج إنما تكحل فأضمر لها الكحل انتهى فأشار إلى شيء مما ذكره وأجاب عنه وقال الزجاج لكن وجهه أن يكون محمولا على آمنا به صدقناه وعلمناه فيكون المعنى صدقنا أنه تعالى جد ربنا الثالث أنه معطوف على الهاء في به أي آمنا به وبأنه تعالى جد ربنا وبأنه كان يقول إلى آخره وهو مذهب الكوفيين وهو وإن كان قويا من حيث المعنى إلا أنه ممنوع من حيث الصناعة لأنه لا يعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار وقد تقدم تحريره من القول في في سورة البقرة عند قوله وكفر به والمسجد الحرام على أن مكيا قد قوى هذا المدرك آخرا وهو حسن جدا فقال هو يعني العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار في أن أجود منه في غيرها لكثرة حذف حرف الجر مع أن ووجه الكسر العطف على قوله إنا سمعنا فيكون الجميع معمولا للقول فقالوا إنا سمعنا وقالوا إنه تعالى جد ربنا إلى آخرها وقال بعضهم الجملتان من قوله تعالى وأنه كان رجال وأنهم ظنوا معترضتان بين قول الجن وهما من كلام الباري تعالى والظاهر

انهما من كلامهم قاله بعض لبعض، ووجه الكسر والفتح فى قوله وانه لما قام عبد الله ما تقدم، ووجه اجماعهم على فتح وان المساجد لله وجهان، احدهما انه معطوف على انه استمع فيكون موحى ايضا، والثانى انه على حذف حرف الجر وذلك الحرف متعلق بفعل النهى اى فلا تدعوا مع الله احدا لان المساجد لله ذكرهما ابو البقاء، وقال الزمخشرى انه استمع بالفتح لانه فاعل اوحى وانا سمعنا بالكسر لانه مبتدا محكى بعد القول ثم تحمل عليهما البواقى فما كان من الوحى فتح وما كان من قول الجن كسر وكلهم من قولهم الا الثنتين الاخريين وهما وان المساجد وانه لما قام عبد الله ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور فى امنا به اى صدقناه وصدقنا انه، والثانى انه استمع نفر وانه تعالى وما بعد ذلك ضمير الامر والشان وما بعده خبر ان قوله تعالى جد ربنا، قرا العامة جد ربنا بالفتح مضافا لربنا، والمراد به هنا العظمة، وقيل قدرته وامره، وقيل ذكره والجد ايضا الحظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ولا ينفع ذا الجد منك الجد، والجد ايضا ابو الاب، والجد ايضا بالكسر ضد التوانى فى الامر، وقرا عكرمة بضم تاء تعالى وتنوين جد على ان يكون ربنا بدلا من جد، والجد العظم كانه قيل وانه تعالى عظيم ربنا فابدل المعرفة من النكرة، وعنه ايضا جدا منصوبا منونا وربنا مرفوع، ووجه ذلك ان ينتصب جدا على التمييز وربنا فاعل بتعالى وهو المنقول من الفاعلية اذ التقدير تعالى جد ربنا ثم صار تعالى ربنا جدا اى عظمة نحو تصبب زيد عرقا اى عرق زيد، وعنه ايضا وعن قتادة كذلك الا انه بكسر الجيم وفيه وجهان احدهما انه نعت لمصدر محذوف وربنا فاعل بتعالى والتقدير تعالى ربنا تعاليا جدا اى حقا لا باطلا، والجد بكسر الجيم ضد الهزل، والثانى انه منصوب على الحال اى تعالى ربنا حقيقة ومتمكنا قاله ابن عطية، وقرا حميد بن قيس جد ربنا بضم الجيم مضافا لربنا وهو بمعنى العظيم حكاه سيبويه وهو فى الاصل من اضافة الصفة لموصوفها اذ الاصل ربنا العظيم نحو جرد قطيفة الاصل قطيفة جرد وهو مؤول عند البصريين، وقرا ابن السميفع جدا ربنا بالف بعد الدال مضافا لربنا، والجدا والجدوى النفع والعطا اى تعالى عطاء ربنا ونفعه فصل قال القرطبى الجد فى اللغة العظمة والجلال، ومنه قول انس رضى الله عنه كان الرجل اذا حفظ البقرة وآل عمران جد فى عيوننا اى عظم وجل فمعنى جد ربنا اى عظمته وجلاله قاله عكرمة ومجاهد وقتادة، وعن مجاهد ايضا ذكره، وقال الحسن وعكرمة ايضا غناه ومنه قيل للحظ ورجل مجدود اى محظوظ، وفى الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد، قال ابو عبيدة والخليل اى ذا الغنا منك الغنى انما ينفعه الطاعة، وقال ابن عباس رضى الله عنه قدرته، وقال الضحاك فعله، وقال القرطبى والضحاك الاوه ونعماوه على خلقه، وقال ابو عبيدة والاخفش ملكه وسلطانه، وقال السدى امره، وقال سعيد بن جبير وانه تعالى جد ربنا اى تعالى ربنا، وقيل انهم عنوا بذلك الجد الذى هو ابو الاب ويكون هذا من قول الجن، وقال محمد بن على بن الحسين وابنه جعفر الصادق والربيع ليس لله تعالى جد وانما قالته الجن للجهالة فلم يوجدونه، قال القشيرى ويجوز اطلاق لفظ الجد فى حق الله تعالى اذ لو لم يجز لما ذكر فى القران غير انه لفظ موهم فتجنبه اولى، قال القرطبى ومعنى الاية وانه تعالى جلال ربنا ان يتخذ ولدا او صاحبة للاستيناس بهما او الحاجة اليهما والرب يتعالى عن ذلك كما تعالى عن الانداد والنظراء، وقوله عز وجل ما اتخذ صاحبة مستانف فيه تقرير لتعالى جده قوله تعالى وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا الهاء فى انه للامر او الحدث، وسفيهنا يجوز ان يكون اسم كان ويقول الخبر ولو كان مثل هذه الجملة غير واقعة خبر الكان لامتنع تقدم الخبر حينئذ يجوز سفيهنا يقول لو قلت يقول سفيهنا على التقديم والتاخير لم يجز، والفرق انه فى غير باب كان يلتبس بالفعل والفاعل وفى باب كان يومن ذلك، ويجوز ان يكون سفيهنا فاعل يقول والجملة خبر كان واسمها ضمير الامر مستتر فيها وقد تقدم هذا فى قوله ما كان يصنع فرعون وقومه، وقوله تعالى شططا تقدم مثله فى الكهف، قال القرطبى ويجوز ان يكون كان زايدة، السفيه هو ابليس فى قول مجاهد وابن جريج وقتادة ورواه ابو بردة عن ابى موسى عن امه عن النبى صلى الله عليه وسلم، وقيل المشركون من الجن قال قتادة عصاه سفيه الجن كما عصاه سفيه الانس، والشطط والاشتطاط الغلو فى الكفر، وقال ابو مالك هو الجور، وقال الكلبى هو الكذب، واصله البعد فعبر به عن الجور لبعده من العدل وعن الكذب لبعده من الصدق قال الشاعر، بابه خال حكموا فيك فاشتطوا، وما ذاك الا حب بمهاك الوخط، قوله تعالى وانا ظننا اى حسبنا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا، ان مخففة واسمها مضمر والجملة المنفية خبرها والفاصل هنا حرف النفى وكذبا مفعول به او نعت مصدر محذوف اى قولا كذبا، وقرا الحسن والجحدرى وابو عبد الرحمن ويعقوب تقول بفتح القاف والواو المشددة وهو مضارع تقول اى كذب، والاصل تتقول فحذف احدى التاءين نحو تذكرون، وانتصب كذبا فى هذه القراة على المصدر لان التقول كذب فهو نحو قولهم قعدت جلوسا، ومعنى الاية وانا حسبنا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فلذلك صدقناهم فى ان لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القران وتبينا به الحق قيل انقطع الاخبار عن الجن هاهنا فقال الله تعالى جل ذكره لا اله الا هو وانه كان رجال من الانس فمن فتح وجعله من قول الجن ردها الى قوله انه استمع ومن كسرها جعلها من قول الله تعالى، والمراد به ما كانوا يفعلونه من قول الرجل اذا اوى بواد اعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فيبيت فى جواره حتى يصبح قاله الحسن وابن

زيد وغيرهما، وقيل كانوا فى الجاهلية اذا قحطوا بعثوا رايدهم فاذا وجد مكانا فيه كلا وما رجع الى اهله فيسار بهم فاذا انتهوا الى تلك الارض نادوا نعوذ بك يا رب هذا الوادى ان تصيبنا آفة يعنون من الجن فان لم يفزعهم احد نزلوا وان افزعهم الجن رجعوا، قال مقاتل اول من تعوذ بالجن قوم من اهل اليمن ثم من بنى حنيفة ثم فشا ذلك فى العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم، وقال كردم بن ابى السايب خرجت مع ابى الى المدينة اول ما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فاوانا المبيت الى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء الذيب فحمل حملا من الغنم فقال الراعى يا عامر الوادى جارك فنادى مناد يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل فى الغنم ولم يصبه كدمة فانزل الله تعالى على رسوله السيد الكامل المكمل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا اى زاد الانس الجن رهقا اى خطيئة وانما قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة رضى الله عنهم، والرهق الاثم فى كلام العرب وغشيان المحارم، ورجل رهق اذا كان كذلك ومنه قوله تعالى ترهقهم ذلة، وقال الاعشى لا شى ينفعنى من دون رويتها، هل يشتفى عاشق ما لم يصب رهقا يعنى اثما، ورجل مرهق اى يغشاه السايلون، قال الواحدى الرهق غشيان الشى، ومنه قوله تعالى ترهقها قترة واضيفت الزيادة الى الجن اذ كانوا اسبابا لها، وقال مجاهد ايضا زادوهم اى ان الانس زادوا الجن طغيانا بهذا التعوذ حتى قالت الجن سدنا الانس والجن، وقال قتادة ايضا وابو العالية والربيع وابن زيد ازداد والانس بهذا فرقا وخوفا من الجن، وقال سعيد ابن جبير كفرا ولا خفا ان الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله كفر وشرك، وقيل لا يطلق لفظ الرجال على الجن، فالمعنى وانه كان رجال من الانس يعوذون من شر الجن برجال من الانس وكان الرجل من الانس يقول مثلا اعوذ بحذيفة بن يمان من جن هذا الوادى، قال القشيرى وفى هذا تحكم اذ لا يبعد اطلاق لفظ الرجال على الجن، وقوله من الانس صفة لرجال وكذلك قوله من الجن قوله تعالى وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا، الكلام فى ان لن كالكلام فى الاولى وان وما فى خبرها سادة مسد معمولى الظن والمسئلة من باب الاعمال لان ظنوا يطلب معمولين وظننتم كذلك وهو من اعمال الثانى للحذف من الاول، والضمير فى انهم ظنوا للانس وفى ظننتم للجن ويجوز العكس فصل هذا من قول الله تعالى للانس اى وان الجن ظنوا ان لن يبعث الله الخلق كما ظننتم، وقال الكلبى المعنى ظنت الجن كما ظنت الانس ان لن يبعث الله رسولا الى خلقه يقيم به الحجة عليهم وكل هذا توكيد للحجة على قريش اى اذا آمن هولاء الجن بمحمد صلى الله عليه وسلم فانتم احق بذلك قوله تعالى وانا لمسنا السما هذا من قول الجن اى طلبنا خبرها كما جرت عادتنا فوجدناها قد ملئت حرسا شديدا اى حفظة يعنى الملايكة، فاللمس المس فاستعير للطالب لان الماس طالب متعرف يقال لمسه والتمسه ونحوه الجس يقال جسوه باعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السما واستماع كلام اهلها قوله تعالى فوجدناها، فيها وجهان اظهرهما انها متعدية لواحد لان معناها اصبنا وصادفنا وعلى هذا فالجملة من قوله ملئت فى موضع نصب على الحال على اضمار قد، والثانى انها متعدية لاثنين فتكون الجملة فى موضع المفعول الثانى، وحرسا منصوب على التمييز نحو امتلا الاناء ماء، والحرس اسم جمع لحارس نحو خدم لخادم وغيب لغايب ويجمع تكسيرا على احراس كقول امرء القيس تجاوزت احراسا واهوال معشر، حراص على لو يسرون مقتلى، والحارس الحافظ الرقيب والمصدر الحراسة، وشديدا صفة لحرس على اللفظ كقوله، اخشى رجيلا وركيبا عاديا، ولو جا على المعنى لقيل شدادا بالجمع لان المعنى ملئت ملايكة شدادا كقولك السلف الصالح يعنى الصالحين، قال القرطبى ويجوز ان يكون حرسا مصدرا على معنى حرست حراسة شديدة، وقوله وشهبا جمع شهاب ككتاب وكتب وهل المراد النجوم او الحرس انفسهم وانقضاض الكواكب المحرقة لهم عن استراق السمع وقد تقدم فى سورة الحجر والصافات وانما عطف بعض الصفات على بعض عند تغاير اللفظ كقوله، وهند اتى من دونها الناى والبعد، وقرا الاعرج ملئت بياء صريحة دون همزة قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع، المقاعد جمع مقعد اسم مكان، والضمير فى منها اى من السما، والمقاعد مواضع يقعد فى مثلها لاستماع الاخبار من السما وذلك ان مردة الجن كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملايكة اخبار السما فيلقوها الى الكهنة فحرسها الله تعالى حين بعث رسوله بالشهب المحرقة فقالت الجن حينيذ فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا يعنى بالشهاب الكوكب المحرق قوله تعالى الان، هو ظرف حالى واستعير هنا للاستقبال كقوله، سا سعى الان اذ ابلغت اناها، فاقترن بحرف التنفيس وقد تقدم هذا فى البقرة عند قوله فالان باشروهن، ورصدا اما مفعول له واما صفة لشهابا اى ذا رصد، وجعل الزمخشرى الرصد اسم جمع كحرس فقال والرصد اسم جمع للراصد كحرس على معنى ذوى شهاب راصدين بالرجم وهم الملايكة، ويجوز ان يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد او كقوله ومعا جيا عا فصل اختلفوا هل كانت الشياطين تقذف قبل البعث او ذلك امر حدث لبعث النبى صلى الله عليه وسلم فقال قوم لم تكن تحرس السما فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمس ماية عام وانما كان من اجل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها وحرست بالملايكة والشهب قاله الكلبى ورواه عطية عن ابن عباس ذكره البيهقى، وقال عبد الله بن عمر لما كان اليوم الذى نبى رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين ورموا بالشهب وقال عبد الملك بن سابور لم تكن السما تحرس فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حرست السما ورميت الشياطين بالشهب ومنعت من الدنو الى

السما قال نافع بن جبير كانت الشياطين في الفترة تستمع فلا ترمى فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رميت بالشهب ونحوه عن
ابي بن كعب قال لم يرم بنجم منذ رفع عيسى عليه السلام حتى نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمي بها وقيل كان ذلك
قبل البعث وانما زادت بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم انذارا بحاله وهو معنى قوله تعالى فلما ملئت اي زيد في حرسها
وقال اوس بن حجر وهو جاهلي ۞ فانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا ۞ قال الجاحظ هذا البيت مصنوع وان الرمي
لم يكن قبل البعث والقول بالرمي اصح لهذه الاية لانها تخبر عن الجن انها اخبرت بالزيادة في الحرس وانها امتلات من الحرس
والشهب ۞ وقال بشر بن ابي حازم ۞ والعير يلحقها الغبار وجحشها ۞ ينقض خلفها انقضاض الكوكب ۞ وروى الزهري
عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمي
بنجم فاستنار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت
عظيم او يولد عظيم فقال صلى الله عليه وسلم انها لا ترمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا
قضى امرا في السما سبح حملة العرش ثم سبح اهل كل سما حتى ينتهي التسبيح الى هذه السما ويستخبر اهل السما حملة العرش
ماذا قال ربكم فيخبرون ويخبر اهل كل سما حتى ينتهي الخبر الى هذه السما فتخطفه الجن فيرمون فما جاوا به فهو حق
ولكنهم يزيدون فيه ۞ وهذا يدل على ان هذه الشهب كانت موجودة قبل البعث وهذا قول الاكثرين ۞ قال الجاحظ فلو قال
قايل كيف تتعرض الجن لاحراق نفسها بسماع خبر بعد ان صار ذلك معلوما لهم ۞ فالجواب ان الله تعالى ينسيهم ذلك
حتى تعظم المحنة كما ينسى ابليس في كل وقت انه لا يسلم وان الله تعالى قال له وان عليك اللعنة الى يوم الدين ولولا هذا
لما تحقق التكليف ۞ قال القرطبي والرصد قيل من الملايكة اي ورصدا من الملايكة ۞ والرصد الحافظ للشي والجمع ارصاد
وفي غير هذا الموضع يجوز ان يكون جمعا كالحرس والواحد راصد ۞ وقيل الراصد هو الشهاب اي شهاب قد ارصد له
للرجم به فهو فعل بمعنى مفعول كالخبط والنقض قوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ۞ في اشر اريد وجهان
احسنهما الرفع بفعل مضمر على الاشتغال وانما كان احسن لتقدم طالب الفعل وهو اداة الاستفهام ۞ والثاني
الرفع على الابتدا ولقايل ان يقول يتعين هنا الرفع باضمار فعل لمدرك اخر وهو انه قد عطف بام فعل فاذا اضمرنا
الفعل كنا قد عطفنا جملة فعلية على مثلها بخلاف رفعه بالابتدا فانه جيبية تخرج ام عن كونها عاطفة الى كونها
منقطعة الا بتاويل بعيد وهو ان الاصل اشر اريد بهم ام خير فموضع قوله ام اراد بهم موضع خبر ۞ وقوله اشر سادمسد
مفعول تدري بمعنى انه معلق به وراعى معنى من في قوله بهم رشدا فجمع فصل قال ابن زيد معنى الاية ان ابليس
قال لا ندري هل اراد بهذا المنع ان ينزل على اهل الارض عذابا او يرسل اليهم رسولا ۞ وقيل هو من قول الجن فيما بينهم
قبل ان يسمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اي لا ندري اشر اريد بمن في الارض بارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم فانهم يكذبونه
ويهلكون بتكذيبه كما هلك من كذب من الامم ام اراد ان يومنوا فيهتدون بالرد والرشد على هذا الكفر والايمان وعلى هذا كان
عندهم علم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولما سمعوا قراءته علموا انهم منعوا من السماء حراسة الوحي ۞ وقيل لا بل على هذا قول
قالوا لقومهم بعد ان انصرفوا اليهم منذرين اي لما امنوا اشفقوا ان لا يومن كثيرا من اهل الارض فقالوا انا لا ندري
اكفر اهل الارض بما امنا به ام يومنون قوله تعالى وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك هذا من قول الجن اي قال بعضهم
لبعض لما دعوا اصحابهم الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وانا كنا قبل استماع القران منا الصالحون ۞ قوله ومنا دون
ذلك يحتمل وجهين ۞ احدهما ان دون بمعنى غير اي ومنا غير الصالحين اي كافرون وهو مبتدا وانما فتح لاضافته الى غير
متمكن كقوله لقد تقطع بينكم فيمن نصب على احد الاقوال والى هذا نحا الاخفش ۞ والثاني ان دون على بابها من الظرف
وانها صفة لمحذوف تقديره ومنا فريق او فوج دون ذلك وحذف الموصوف مع التبعيضية يكثر كقولهم منا ظعن ومنا
اقام اي منا فريق ۞ ومعنى الاية ومنا صالحون دون اولئك في الصلاح قوله تعالى كنا طرايق ۞ فيه اوجه ۞ احدها ان التقدير
كنا ذوي طرايق اي ذوي مذاهب مختلفة ۞ الثاني ان التقدير كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرايق المختلفة ۞ الثالث ان التقدير
كنا في طرايق مختلفة كقوله كما عسل الطريق الثعلب ۞ الرابع ان التقدير كانت طرايقنا قددا على حذف المضاف الذي هو
الطرايق واقامة الضمير المضاف مقامه قاله الزمخشري فقد جعل في ثلاثة اوجه مضافا محذوفا وقال انه قدر في الاول
ذوي وفي الثاني مثل وفي الثالث طرايقنا ورد ابو حيان عليه قوله كنا طرايق كقوله كما عسل الطريق بان هذا لا يجوز
الا في ضرورة او ندور فلا يخرج القران عليه يعني تعدى الفعل بنفسه الى ظرف المكان المختص ۞ والقدد جمع قدة والمراد
بها الطريقة واصلها السيرة يقال قدة فلان حسنة اي سيرته وهو من قد السير اي قطعه على استوا فاستعير للسيرة
المعتدلة ۞ قال الشاعر ۞ القابض الباسط الهادي بطاعته ۞ في فتنة الناس اذ اهواوهم قددا ۞ وقال اخر ۞
جمعت بالراي منهم كل رافضة ۞ اذ هم طرايق في اهوايهم قددا ۞ وقال لبيد في اخاه ۞
لم تبلغ العين كل نهمتها ۞ يوم تمشي الجياد بالقدد ۞ والقدد بالكسر سير
يقد من جلد غير مدبوغ ويقال ماله قد ولا قحف فالقد اناء من جلد والقحف اناء من خشب فصل قال سعيد بن

المسيب

المسيب معنى الاية كنا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس ۞ وقال السدي في الجن مثلكم قدرية ومرجية وخوارج ورافضة وشيعة
وسنية ۞ وقال قوم انا بعد استماع القران مختلفون منا المومنون ومنا الكافرون ۞ وقيل اي ومنا الصالحون ومنا مومنون
لم يتناهوا في الصلاح ۞ قال القرطبي والاول احسن لانه كان في الجن من امن بموسى وعيسى وقد اخبر الله عنهم انهم قالوا
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه وهذا يدل على ايمان قوم منهم بالتوراة وكان هذا مبالغة منهم
في دعا من دعاهم الى الايمان وايضا لا فايدة في قولهم نحن الان منقسمون الى مومن والى كافر ۞ والطرايق جمع طريقة وهي
مذهب الرجل اي كنا فرقا ويقال القوم طرايق اي على مذاهب شتى ۞ والقدد نحو من الطرايق وهو تاكيد لها واحدها قدة يقال
لكل طريقة قوله وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ۞ الظن هنا بمعنى العلم واليقين وهو خلاف الظن في قوله تعالى وانا ظننا
ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا وانهم ظنوا اي وعلمنا الاستدلال والتفكر في ايات الله تعالى انا في قبضته وسلطانه
لن نفوته بهرب ولا غيره ۞ وقوله في الارض حال وكذلك هربا مصدر في موضع الحال تقديره لن نعجزه كاينين في الارض
اينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها الى السما قوله وانا لما سمعنا الهدى ۞ يعني القران امنا به وبالله وصدقنا محمدا صلى الله
عليه وسلم على رسالته وكان صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى الانس والجن ۞ قال الحسن رضي الله عنه بعث الله محمدا صلى الله
عليه وسلم الى الانس والجن ولم يبعث الله قط رسولا من الجن ولا من اهل البادية ولا من النسا وذلك قوله تعالى وما
ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم من اهل القرى ۞ وفي الحديث بعثت الى الاحمر والاسود اي الانس والجن ۞ وقد تقدم
الكلام على هذه المسيلة في سورة الانعام عند قوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم قوله فمن يومن بربه
فلا يخاف بخسا ولا رهقا ۞ قال ابن عباس لا يخاف ان ينقص من حسناته ولا ان يزاد في سيئاته لان البخس النقصان
۞ والرهق العدوان وغشيان المحارم وقد تقدم في بيت الاعشى. قوله فلا يخاف اي فهو لا يخاف اي فهو غير خايف لان الكلام
في تقدير مبتدا وخبر فلذلك دخلت الفا ولولا ذلك لقيل لا يخف قاله الزمخشري ثم قال فان قلت اي فايدة في رفع الفعل
وتقدير مبتدا قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفا وكان كل ذلك مستغنى عنه بان يقال لا يخف قلت الفايدة انه اذا
فعل ذلك كان فيدا انه لا يخاف فكان دالا على تحقيق ان المومن ناج لا محالة وانه هو المختص بذلك دون غيره ۞ قال
شهاب الدين وسبب ذلك ان الجملة تكون اسمية حينيذ والاسمية ادل على التحقيق والثبوت من الفعلية ۞ وقرا ابن وثاب
والاعمش بالجزم وفيها وجهان ۞ احدهما ولم يذكر الزمخشري غيره ان لا ناهية والفا حينيذ واجبة ۞ والثاني انها نافية
والفا حينيذ زايدة وهذا ضعيف ۞ وقوله بخسا فيه حذف مضاف اي جزا بخس كذا قدره الزمخشري وهو مستغنى عنه
۞ وقرا ابن وثاب بخسا بفتح الخا ۞ قال القرطبي وقرا الاعمش ويحيى وابراهيم فلا يخف جزما على جواب الشرط والغا قوله وانا
منا المسلمون ومنا القاسطون اي وانا بعد استماع القران مختلفون فمنا من اسلم ومنا من كفر ۞ والقاسط الجاير لانه عادل
عن الحق ۞ والمقسط العادل لانه عادل الى الحق قسط اذا جار ۞ واقسط اذا عدل قال قوم ۞
۞ هموا قتلوا ابن هند عنوة ۞ عمروا وهم قسطوا على النعمان ۞ وقد تقدم في اول النسا ان
قسط الثلاثي بمعنى جار واقسط الرباعي بمعنى عدل ۞ وان الحجاج قال لسعيد بن جبير ما تقول في قال انك قاسط
عادل فقال الحاضرون ما احسن ما قال فقال يا جهلة جعلني جايرا كافرا وتلا قوله تعالى واما القاسطون فكانوا
لجهنم حطبا ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قوله فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا ۞ اي قصدوا طريق الحق وتوخوه
وطلبوه باجتهاد ۞ ومنه التحري في الشي ۞ قال الراغب حرى الشي يحريه اي قصد حراه اي جانبه وتحراه كذلك وحرى
الشي يحري نقص كانه لزم حراه ولم يمتد قال الشاعر ۞ والمرء بعد تمامه يحري ۞ ويقال رماه الله بافعى حاريه اي
شديد انتهى وكان اصله من قولهم هو حري بكذا اي حقيق به فمن ورشدا مفعول به ۞ والعامة قروا رشدا بفتحتين
والاعرج بضمة وسكون قوله واما القاسطون ۞ اي الجايرون عن طريق الحق والايمان فكانوا لجهنم حطبا اي وقودا
وقوله فكانوا اي في علم الله تبارك وتعالى فان قيل ذكر عقاب القاسطين ولم يذكر ثواب المسلمين فالجواب
بل ذكر ثواب المومنين بقوله تحروا رشدا اي تحروا رشدا عظيما لا يعلم كنهه الا الله تعالى ومثل هذا لا يتحقق الا في الثواب
فان قيل ان الجن مخلوقون من النار فكيف يكونون حطبا للنار فالجواب انهم وان خلقوا من النار لكنهم تغيروا
عن تلك الكيفية فيصيرون لحما ودما هكذا [illegible] اخر كلام الجن قوله ان لو استقاموا على الطريقة ۞ ان هي المخففة
وتقدم انه يكتفى بلو فاصلة بين ان المخففة وخبرها اذا كان جملة فعلية في سورة سبا ۞ وقال ابو البقا هنا ولو
عوض كالسين وسوف ۞ وقيل لو بمعنى ان وان بمعنى اللام وليست بلازمة لقوله لين لم ينته ۞ وقال في موضع اخر
وان لم ينتهوا ذكره ابن فضالة في البرهان ۞ قال شهاب الدين وهذا شاذ لا يلتفت اليه البتة لانه خلاف النحويين
وقرا العامة بكسر واو لو على الاصل ۞ وابن وثاب والاعمش بضمها تشبيها بواو الضمير وقد تقدم تحقيقه في البقرة
فصل هذا من كلام الله تبارك وتعالى اذ لو امن هولاء الكفار لوسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق وهذا
محمول على الوحي اي اوحي الي ان لو استقاموا [illegible] ابن عمر في هذه السورة كل ما كان في هذه السورة من ان المثقلة

في حكاية لقول الجن الذين سمعوا القرآن فرجعوا الى قومهم منذرين وكلاهما من ان المفتوحة فهي وحي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم • وقال ابن الانباري ومن كسر الحروف وفتح وان لو استقاموا اضمر يمينا تأويلها والله ان لو استقاموا
على الطريقة كما يقال في الكلام والله ان قمت لقمت والله لو قمت لقمت قال الشاعر •
اما والله ان لو كنت حرا • ولا بالحر انت ولا العتيق • ومن فتح ما قبل المخففة على تقدير
اوحي الي انه وان لو استقاموا او على آمنا به وان لو استقاموا ومن كسر الحروف فتح ان المخففة على اوحي الي او على
آمنا به ويستغني عن اضمار اليمين والضمير في قوله استقاموا قيل يرجع الى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم اي هؤلاء
القاسطون لو اسلموا لفعلنا بهم كذا وكذا • وقيل بل المراد الانس لان الترغيب في الانتفاع بالماء الغدق انما يليق بالانس
لا بالجن وايضا ان هذه الاية انما نزلت بعدما حبس الله المطر عن اهل مكة سنين اقصى ما في الباب انه لم يتقدم
ذكر الانس ولكنه لما كان ذلك معلوما جرى مجرى قوله انا انزلناه في ليلة القدر • وقال القاضي الاقرب ان الكل
يدخلون فيه • قال ابن الخطيب ويدل على صحة قول القاضي انه تعالى اثبت حكما معللا بعلة وهي الاستقامة فوجب
ان يعم الحكم لعموم العلة • والغدق بفتح الدال وكسرها لغتان في الماء الغزير ومنه الغيداق للماء الكثير وللرجل الكثير
العدو والكثير النطق ويقال غدقت عينه تغدق اي هطل دمعها غدقا • وقرأ العامة غدقا بفتحتين • وعاصم فيما
روى عنه الاعمش بفتح الغين وكسر الدال وقد تقدم انهما لغتان **فصل** ولو استقاموا قال ابن الخطيب ان قلنا
ان الضمير راجع الى الجن ففيه قولان • احدهما ان المعنى لو ثبت ابوهم على عبادته وسجد لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على
الاسلام لانعمنا عليهم كقوله تعالى ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم الاية ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل
وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم الاية • وقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا الاية • وقوله استغفروا ربكم انه
كان غفارا يرسل السماء الى قوله ويمددكم باموال وبنين الاية وانما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وهذا
هو اللائق بالجن لا الماء المشروب • الثاني ان المعنى لو استقاموا الذين استمعوا القرآن على طريقتهم التي كانوا عليها
ولم ينتقلوا عن الاسلام لوسعنا عليهم الدنيا كقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية
والقول الاول اختيار الزجاج قال انه تعالى ذكر الطريقة معرفة بالالف واللام فترجع الى الطريقة المعروفة وهي طريقة
الهدى • ومعنى لنفتنهم اي لنختبرهم هل يقومون بشكرها ام لا وان قلنا ان الضمير يعود الى الانس فالاحتمالان كما
هما **قوله** لنفتنهم فيه دليل على انه تبارك وتعالى فضل عباده • واجاب المعتزلة بان الفتنة هي الاختبار كما يقال
فتنت الذهب بالنار لا خلق الضلال • واستدل المعتزلة بقوله تعالى لنفتنهم فيه على انه تعالى انما يفعل لغرض واجيبوا
بان الفتنة بالاتفاق ليست مقصودة فدلت هذه الاية ليست للغرض في حق الله تبارك وتعالى **فصل** روى
مسلم عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا
قال بركات الارض الحديث • وقال عليه الصلاة والسلام فوالله ما الفقر اخشى عليكم وانما اخشى عليكم ان يبسط
الله عليكم الدنيا فتتنافسوا فيها كما تنافس فيها من كان قبلكم فتهلككم كما اهلكتهم **قوله** ومن يعرض عن ذكر
ربه اي عن عبادته او عن موعظته او عن وحيه • وقال ابن زيد يعني القرآن • وفي اعراضه وجهان • الاول عن
القبول ان قيل انها في الكفار • الثاني عن العمل ان قيل انها في اهل الايمان • وقيل ومن يعرض عن ذكر ربه اي لم يشكره
قوله نسلكه عذابا صعدا • قرأ الكوفيون يسلكه بياء الغيبة لاعادة الضمير على الله تعالى والباقي السبعة بنون على الالتفات
وهذا كما تقدم في قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا ثم قال باركنا حوله لنريه من آياتنا • وقرأ مسلم بن
جندب نسلكه بنون مضمومة من اسلكه وبعضهم بالياء من تحت مضمومة وهما لغتان يقال سلكه واسلكه
وانشد • حتى اذا اسلكوهم في قتائد • وسلك واسلك يجوز ان يكونا فيهما ضمنا معنى الادخال فلذلك يتعديان
لاثنين • ويجوز ان يقال يتعديان الى احد المفعولين باسقاط الخافض كقوله تعالى واختار موسى قومه سبعين
فالمعنى يدخله عذابا او نسلكه في عذاب هذا اذا قلنا ان صعدا مصدر • قال الزمخشري يقال صعد صعدا وصعودا
فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني
في شيء ما تصعدني خطبة النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني • واما اذا جعلناه اسما لصخرة في جهنم كما قال ابن
عباس رضي الله عنهما وغيره فيجوز فيه وجهان • احدهما ان يكون صعدا مفعولا به اي نسلكه في هذا الموضع
ويكون عذابا مفعولا ثانيا كما تقدم وصعدا بدلا من عذاب ولكن على حذف مضاف اي عذاب صعد • وقرأ العامة
بفتحتين • وقرأ ابن عباس والحسن رضي الله عنهما بضم الصاد وفتح العين وموضعه يقتضي المبالغة كحطم ولبد • وقرئ
بضمتين وهو وصف ايضا كجنب وشلل **فصل** ومعنى عذابا صعدا اي شاقا شديدا • قال ابن عباس رضي الله
عنهما هو جبل في جهنم • قال الخدري كلما جعلوا ايديهم عليه ذابت • وعن ابن عباس ان المعنى مشقة من العذاب
لان الصعد في اللغة هو المشقة تقول تصعد في الارض اذا اشق عليك ومنه قول عمر المتقدم والمشي في الصعود

مشقة من العذاب يشق وصعود العقبة الكؤود • وقال عكرمة هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها فاذا انتهى الى اعلاها
حدر الى جهنم • وقال الكلبي يكلف الوليد بن المغيرة ان يصعد جبلا في النار من صخرة ملساء يجذب من امامه بسلاسل ويضرب
من خلفه بمقامع حتى يبلغ اعلاها ولا يبلغ في اربعين سنة فاذا بلغ اعلاها احدر الى اسفلها ثم يكلف صعودها
فذلك دأبه ابدا وهو قوله سارهقه صعودا **قوله** وان المساجد لله • قد تقدم ان السبعة اجمعت على الفتح اوحي
الي ان المساجد لله • وقال الخليل اي ولان المساجد بحذف الجار ويتعلق بقوله فلا تدعوا وجعلوه كقوله تعالى لايلاف قريش
فانه متعلق بقوله فليعبدوا وكقوله وان هذه امتكم اي ولان • وقرأ ابن هرمز وطلحة وان المساجد بالكسر وهو
يحتمل الاستئناف والتعليل فيكون في المعنى كتقدير الخليل **فصل** والمساجد قيل هي جمع مسجد بالكسر وهو موضع
السجود وقد تقدم ان قياسه الفتح • وقيل هو مسجد بالفتح مرادا بها الاعضاء الواردة في الحديث الجبهة والانف
والركبتان واليدان والقدمان وهو قول سعيد بن المسيب وطلق بن حبيب • والمعنى ان هذه الاعضاء انعم الله بها
عليك فلا تسجد لغيره فتجحد نعمة الله • قال عطاء من اجل اعضائك التي امرت بالسجود عليها لا تذللها لغير خالقها • قال
عليه الصلاة والسلام اذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب • وقيل بل جمع مسجد وهو مصدر بمعنى السجود
ويكون الجمع لاختلاف الانواع • وقال القرطبي المراد بها البيوت التي تبنيها اهل الملل للعبادة • قال سعيد بن جبير لنا ان
نأتي المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن ناؤون عنك فنزلت وان المساجد لله اي بنيت لذكر الله ولطاعته
وقال ابن عباس المساجد هنا مكة التي هي القبلة • وسميت مكة مساجد لان كل احد يسجد اليها • قال القرطبي والقول
بانها البيوت المبنية للعبادة وهذا اظهر الاقوال وهو مروي عن ابن عباس • قال ابن الخطيب قال الواحدي وواحد
المساجد على الاقوال كلها مسجد بفتح الجيم الا على قول من يقول انها المواضع التي بنيت للصلاة فان واحدها مسجد
بكسر الجيم لان المواضع والمصادر كلها من هذا الباب بفتح العين الا في احرف معدودة وهي المسجد والمطلع والمنسك
والمسكن والمنبت والمفرق والمطلع والمسقط والمحشر والمنشر والمغرب وقد جاء في بعضها الفتح وهي المنسك والمسكن
والمطلع والمفرق وهو جائز في كلها وان لم يسمع قوله لله اضافة تشريف وتكريم ثم خص بالذكر منها البيت العتيق
فقال تعالى وطهر بيتي للطائفين • وقال عليه السلام لا تعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد • وقال عليه السلام صلاة
في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام • وقد روي من طريق لا بأس بها ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا في المسجد الحرام فان صلاة فيه خير من مائة
صلاة في مسجدي هذا قال القرطبي وهذا حديث صحيح **قال قيل** المساجد وان كانت لله ملكا وتشريفا فانها قد تنسب
الى غيره تعريفا كما قيل في الحديث سابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية الى مسجد بني زريق • ويقال مسجد فلان
لانه حبسه ولا خلاف بين الامة في تحبيس المساجد والقناطر والمقابر وان اختلفوا في تحبيس غير ذلك **فصل**
معنى ان المساجد لله لا يذكر فيها الا الله تعالى فانه يجوز قسمة الاموال فيها ويجوز وضع الصدقات فيها على رسم
الاشتراك بين المساكين والاكل فيها ويجوز حبس الغريم فيها وربط الاسير والنوم فيها وسكنى المريض فيه وفتح الباب
للجار اليه وانشاد الشعر فيه اذا عري عن الباطل **قوله** فلا تدعوا مع الله احدا • وهذا توبيخ للمشركين في دعواهم مع الله
غيره في المسجد الحرام • وقال مجاهد كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله تعالى فامر الله نبيه
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد كلها فلا تشركوا فيها صنما وغيره مما يعبد • وقيل
المعنى افردوا المساجد لذكر الله ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا • وفي الحديث من نشد ضالة فقولوا لا ردها الله عليك
فان المساجد لم تبن لهذا • قال الحسن من السنة اذا دخل الرجل المسجد ان يقول لا اله الا الله لان قوله لا تدعوا مع الله احدا في
ضمنه امر بذكر الله تعالى ودعائه • وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل
المسجد قدم رجله اليمنى وقال وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اللهم انا عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق وانت خير
مزور فاسألك برحمتك ان تفك رقبتي من النار فاذا خرج قدم رجله اليسرى وقال اللهم صب علي الخير صبا ولا تنزع
عني صالح ما اعطيتني ابدا ولا تجعل معيشتي كدا واجعل لي في الارض جدا **قوله** وانه لما قام عبد الله يدعوه • يجوز الفتح
اي اوحي الله اليه انه • ويجوز الكسر على الاستئناف وعبد الله هنا محمد صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي ببطن نخلة ويقرأ
القرآن حسبما تقدم اول السورة يدعوه اي يعبده • وقال ابن جريج يدعوه اي قام اليهم داعيا الى الله تعالى فهو في موضع
الحال اي موحدا لله كادوا يكونون عليه لبدا • قال الزبير بن العوام هم الجن حين استمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه
وسلم اي كاد يركب بعضهم بعضا ازدحاما عليه ويسقطون حرصا على سماع القرآن الكريم • وقيل كادوا يركبونه حرصا قاله
الضحاك • وقال ابن عباس رضي الله عنه رغبة في سماع القرآن • وروي عن مكحول ان الجن بايعوا رسول الله في هذه الليلة
وكانوا سبعين الفا وفرغوا من بيعته عند الفجر • وعن ابن عباس ايضا ان هذا من قول الجن لما رجعوا الى قومهم اخبروهم
بما راوا من طاعة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وائتمامهم به في الركوع والسجود • وقيل كاد المشركين يركب بعضهم بعضا

حرد اعلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال الحسن وقتادة وابن زيد لما قام عبد الله محمد بالدعوة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله تعالى الا ان ينصره ويتم نوره واختاره الطبري ان يكون كادت العرب يجتمعون على النبي صلى الله عليه وسلم ويتظاهرون على اطفاء النور الذي جاء به قال مجاهد اللبد الجماعات قوله لبدا قرأ هشام بضم اللام والباقون بكسرها فالاولى جمع لبدة بضم اللام نحو غرفة وغرف وقيل بل هو اسم مفرد صفة من الصفات نحو حطم وعليه قوله تعالى مالا لبدا واما الثانية فجمع لبدة بالكسر نحو قربة وقرب واللبدة الشيء المتلبد اي المتراكب بعضه على بعض ومنه لبدة الاسد كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومنه اللبد لتلبد بعضه فوق بعض ولبد اسم نسر لقمان بن عاد عاش مائتي سنة حتى قالوا طال الامد على لبد فالمعنى كادت الجن يكونون عليه جماعات متراكمة مزدحمين عليه كاللبد وقرأ الحسن والجحدري لبدا بضمتين ورواها جماعة عن ابي عمرو وهي تحتمل وجهين احدهما ان يكون جمع لبدة نحو رهن جمع رهن والثاني انه جمع لبود نحو صبور وصبر وهو بناء مبالغة ايضا وقرأ ابن محيصن بضمة وسكون فيجوز ان تكون هذه مخففة من القراءة التي قبلها ويجوز ان يكون وصفا برأسه وقرأ الحسن والجحدري ايضا لبدا بضم اللام وتشديد الباء وهي غريبة جدا وقيل وهو جمع لابد كساجد وسجد وراكع وركع وقرأ ابو رجاء بكسر اللام وكسر الباء وهي غريبة جدا وقيل اللبد بضم اللام وفتح الباء الشيء الدائم واللبد ايضا الذي لا يسافر ولا يبرح قال الشاعر من امرئ ذي سماحة لا تزال له بزلاء يعيا بها الجثامة اللبد ويروى اللبد قال ابو عبيدة وهو اشبه ويقال للبدن الفرقة خطيها في لبيد ولبيد اسم شاعر من بني عامر قوله قال انما ادعو قرأ عاصم وحمزة قل بلفظ الامر التفاتا اي قل يا محمد والباقون قال اخبارا عن عبد الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال الجعبري وهي في المصحف كذلك وقد تقدم لذلك نظائر في قل سبحان ربي اخر الاسراء وكذا في اول الانبياء واخريها واخر المؤمنون قال المفسرون سبب نزول هذه الاية ان كفار قريش قالوا له انك جئت بامر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا ونحن نجيرك فنزلت قوله اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قرأ الاعرج رشدا بضمتين وجعل الضر عبارة عن الغي لان الضر سبب عن الغي وثمرته فاقام المسبب مقام سببه والاصل لا املك غيا ولا رشدا فذكر الاهم وقيل بل في الكلام حذف والاصل لا املك لكم ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فحذف من كل واحد ما يدل مقابله عليه **فصل** فالمعنى لا اقدر ان ادفع عنكم ضرا ولا اسوق لكم خيرا وقيل لا املك لكم ضرا اي كفرا ولا رشدا اي هدى اي انما علي التبليغ وقيل الضر العذاب والرشد النعيم وهو الاول بعينه وقيل الضر الموت والرشد الحياة قوله قل اني لن يجيرني من الله احد اي لا يدفع عذابه عني احد ان استحفظته وذلك انهم قالوا اترك ما تدعو اليه ونحن نجيرك وروى ابن الجوزي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن حتى اتى الحجون فخط علينا خطا ثم تقدم اليهم فازدحموا عليه فقال سيد لهم يقال له وردان انا ارحلهم عنك فقال اني لن يجيرني من الله احد ذكره الماوردي قال ويحتمل معنيين احدهما ان يجيرني مع اجارة الله لي والثاني لن يجيرني مما قدره الله علي احد ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجأ الجأ اليه قاله قتادة وعنه نصيرا ومولى وقال السدي حرزا وقال الكلبي مدخلا في الارض مثل السرب وقيل مذهبا ولا مسلكا حكاه ابن شجرة قال الشاعر

يا لهف نفسي ولهفي غير مجزية * عني وما من قضاء الله ملتحدا

وملتحدا مفعول لاجد لانها بمعنى اصيب قوله الا بلاغا فيه وجوه احدها انه استثناء منقطع اي لكن ان بلغت عن الله رحمني لان البلاغ من الله تبارك وتعالى لا يكون داخلا تحت قوله ولن اجد من دونه ملتحدا لانه لا يكون من دون الله بل يكون من الله عز وجل باعانته وتوفيقه الثاني انه متصل وتاويله ان الاجارة مستعارة للبلاغ او هو سببها او سبب رحمته تعالى والمعنى لن اجد شيئا اميل اليه واعتصم به الا ان ابلغ واطيع فيجيرني واذا كان متصلا جاز نصبه من وجهين احدهما ان يكون بدلا من ملتحدا لان الكلام غير الموجب وهذا اختيار الزجاج والثاني انه منصوب على الاستثناء الثالث انه مستثنى من قوله لا املك لكم ضرا قال قتادة اي لا املك لكم الا بلاغا اليكم ونحوه الزمخشري فقال اي لا املك الا بلاغا من الله وقل اني لن يجيرني جملة معترضة اعترض بها لتاكيد نفي الاستطاعة وعلى هذا فالاستثناء منقطع الرابع ان الكلام ليس استثناء بل شرطا والاصل ان لا فان شرطية وفعلها محذوف لدلالة مصدره والكلام الاول عليه ولا نافية والتقدير ان لا ابلغ بلاغا من الله فلن يجيرني منه احد وجعلوا هذا كقول الاخر

فطلقها فلست لها بكفؤ * والا يعل مفرقك الحسام

اي وان لا تطلقها يعل فحذف الشرط ونفي الجواب وفي هذا الوجه ضعف من وجهين احدهما ان حذف الشرط دون اداته قليل جدا الثاني انه حذف الجزاءان معا اعني الشرط والجزاء فيكون كقوله

قالت بنات العم يا سلمى وان * كان فقيرا معدما قالت وان

اي قالت وان كان فقيرا معدما فقد رضيته وقد يقال ان الجواب اما مذكور عند من يرى جواز تقدمه واما في قوة المنطوق به لدلالة ما قبله عليه وقال الحسن الا بلاغا من الله ورسالاته فان فيه النجاة والاغاثة

قوله من الله فيه وجهان احدهما ان من بمعنى عن لان بلغ يتعدى بها ومنه قوله عليه السلام الا بلغوا عني والثاني انه متعلق بمحذوف على انه صفة لبلاغا قال الزمخشري من ليست للتبليغ انما هي بمنزلة من في قوله تعالى براءة من الله ورسوله بمعنى بلاغا كائنا من الله قوله ورسالاته فيه وجهان احدهما انها منصوبة نسقا على بلاغا كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات ولم يقل الزمخشري غيره والثاني انها مجرورة نسقا على الجلالة اي الا بلاغا عن الله وعن رسالاته كذا قدره ابو حيان وجعله هو الظاهر ويكون في جعله من بمعنى عن والتجوز في الحروف راي كوفي ومع ذلك فغير متعارف عنده ثم قوله ومن يعص الله ورسوله اي في التوحيد والعبادة فان له نار جهنم العامة على كسر ان جعلوها جملة مستقلة بعد فاء الجزاء قال الواحدي ان مكسورة الهمزة لان ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء ولذلك حمل سيبويه قوله ومن عاد فينتقم الله منه ومن كفر فامتعه قليلا ومن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا على ان المبتدأ فيها مضمر تقديره فجزاؤه ان له نار جهنم او فالحكم ان له نار جهنم قال ابن خالويه سمعت مجاهدا لم يقرأ به احد وهو لحن لانه بعد فاء الشرط قال سمعت ابن الانباري يقول هو صواب ومعناه فجزاؤه ان له نار جهنم قال شهاب الدين ابن مجاهد وان كان اماما في القراءات الا انه خفي عليه وجهها وهو عجيب جدا كيف غفل عن قراءة فانه غفور رحيم في الانعام لا جرم ان ابن الانباري استصوب القراءة لطول باعه في العربية قوله خالدين حال من الهاء في له والعامل الاستقرار الذي تعلق به هذا الجار وحمل على معنى من فلذلك جمع لان المعنى لكل من فعل ذلك فوحد اولا للفظ ثم جمع للمعنى **فصل** استدل جمهور المعتزلة بهذه الاية الكريمة على ان الفساق اهل الصلاة يخلدون في النار لان هذا العموم اقوى في الدلالة على المطلوب من سائر العمومات وايضا فقوله ابدا ينفي قول المخالف بان المراد بالخلود المكث الطويل والجواب ان السياق في التبليغ عن الله والرسالة ثم قال تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم واذا كان هذا محتملا سقط الاستدلال ونقول هذه الصورة لا بد وان يندرج في العموم وترك التبليغ عن الله تعالى اعظم فلا يجوز ان تساويه الذنوب التي ليست مثله في العقوبة فلا يتعدى هذا الحكم الى غيره من الذنوب او نقول ان الله تعالى لم يقيد في سائر عمومات الوعيد في القران بالتابيد الا في هذه الاية الكريمة فلا بد وان يكون لهذا التخصيص فائدة ومعنى وليس معنى الا ان يكون هذا الذنب اعظم الذنوب واذا ثم كان السبب في هذا التخصيص هذا المعنى علمنا ان هذا الوعيد مختص بهذا الذنب فلا يتعدى الى غيره من الذنوب فدلت هذه الاية على ان حال سائر المذنبين مخالف لذلك او نقول قوله ومن يعص الله الا في الكفر والا في الزنا والا في شرب الخمر فان مذهب القائلين بالوعيد ان الاستثناء اخراج ما لولاه كان داخلا تحت اللفظ واذا كان كذلك وجب ان يكون قوله تعالى ومن يعص الله متناولا لمن اتى بكل المعاصي فان قيل يستحيل العموم هنا لان من جملة المعاصي التجسيم والتعطيل والقائل بالتجسيم يمتنع ان يكون مع ذلك قائلا بالتعطيل قلنا خص هذا بدليل العقل فيحمل على جميع ما لا يستحيل اجتماعه **فصل** دلت هذه الاية على ان الامر مقيد بالوجوب لان تارك المامور به عاص لقوله افعصيت امري لا يعصون الله ما امرهم لا اعصي لك امرا والعاصي مستحق للعقاب لقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم قوله حتى اذا راوا ما يوعدون قال الزمخشري فان قلت بم تعلق وجعل ما بعده غاية له قلت بقوله يكونون عليه لبدا على انهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون عدده حتى اذا راوا ما يوعدون من يوم بدر واظهار الله عليهم او من يوم القيامة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا قال ويجوز ان يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار واستقلالهم لعدده كانهم لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون قال المشركون متى هذا الموعود انكارا له فقال قل انه كائن لا ريب فيه قال ابو حيان قوله بم تعلق ان عنى تعلق حرف الجر فليس بصحيح لانها حرف ابتداء فما بعدها ليس في موضع جر خلافا للزجاج وابن درستويه فانهما زعما انها اذا كانت حرف ابتداء فالجملة الابتدائية بعدها في موضع جر وان عنى بالتعلق اتصال ما بعدها بما قبلها وكون ما بعدها غاية لما قبلها فهو صحيح واما تقديره انها تتعلق بقوله يكونون عليه لبدا فهو بعيد جدا لطول الفصل بينهما بالاي الكثيرة وقدر بعضهم ذلك المحذوف المغيا فقال تقديره دعهم حتى اذا راوا وقال التبريزي جاز ان يكون غاية لمحذوف ولم يبين ما هو وقال ابو حيان والذي يظهر انها غاية لما تضمنته الجملة التي قبلها من الحكم بكينونة النار له كانه قيل ان العاصي يحكم له بكينونة النار والحكم بذلك هو وعيد حتى اذا راوا ما حكم بكينونته لهم فسيعلمون قوله من اضعف يجوز في من ان تكون استفهامية فترفع بالابتداء واضعف خبره والجملة في موضع نصب سادة مسد المفعولين لانها معلقة للعلم قبلها وان تكون موصولة واضعف خبر مبتدأ مضمر اي هو اضعف والجملة صلة وعائد وحسن الحذف طول الصلة بالتمييز والموصول مفعول للعلم بمعنى العرفان قال القرطبي حتى هنا مبتدأ اي حتى اذا راوا ما يوعدون من عذاب الاخرة او من عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فسيعلمون من اضعف ناصرا ومن يظهر انها غاية لما تضمنته الجملة التي قبلها من الحكم بكينونة النار لهم كانه قيل ان العاصي لهم ام المؤمنون واقل عددا معطوف قوله قل ان ادري اقريب ما توعدون يعني قيام الساعة الا الله فهو غيب لا اعلم منه الا ما يعلمنيه الله تعالى

قوله اقريب خبر مقدم وما توعدون مبتدأ ويجوز ان يكون قريب مبتدأ لاعتماده على الاستفهام وما توعدون فاعل به
اى اقريب الذى توعدون نحو اقائم ابواك وما يجوز ان تكون موصولة فالعائد محذوف وان تكون مصدرية فلا عائد
واما الظاهر انها متصلة وقال الزمخشري فان قلت ما معنى ام يجعل له ربى امدا والامد يكون قريبا وبعيدا الا ترى الى
قوله تعالى تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا قلت كان النبي صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد فكانه قال ما هو حال
متوقع فى كل ساعة ام مؤجل ضربت له غاية وقرا العامة باسكان الياء من ربى وقرا الحرميان وابو عمرو بالفتح
فصل قال مقاتل لما سمعوا قوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا قال
النضر بن الحارث متى يكون هذا الذى توعدنا به فقال الله تعالى قل ان ادرى اقريب ما توعدون الى اخره والمعنى ان وقوعه
متيقن واما وقت وقوعه فغير معلوم وقوله تعالى ام يجعل له ربى امدا اى غاية وبعدا وهذا كقوله تعالى وان ادرى
اقريب ام بعيد ما توعدون فان قيل اليس انه عليه السلام قال بعثت انا والساعة كهاتين وكان عالما بقرب وقوع
القيامة فكيف قال ههنا لا ادرى اقريب ام بعيد فالجواب ان المراد بقرب وقوعه هو ان ما بقى من الدنيا
اقل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم فاما معرفة القرب المرتب وعدم ذلك فغير معلوم قوله تعالى
عالم الغيب العامة على رفعه اما بدلا من ربى واما بيانا له واما خبر المبتدا مضمرا اى هو عالم وقرئ بالنصب
على المدح وقرا السدى علم الغيب فعلا ماضيا ناصبا للغيب قوله فلا يظهر العامة على كونه من اظهر واحدا مفعول
به وقرا الحسن يظهر بفتح الياء والهاء من ظهر ثلاثيا احد فاعل به فصل الغيب ما غاب عن العباد وقد تقدم الكلام
عليه اول البقرة قوله الا من ارتضى من رسول يجوز ان يكون منقطعا اى لكن من ارتضاه فانه يظهره على ما يشاء
من غيبه بالوحى ومن فى قوله من رسول لبيان المرتضين وقوله فانه يسلك بيان لذلك وقيل هو
متصل ورصدا تقدم الكلام عليه ويجوز ان تكون شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط وقوله فانه خبر المبتدا
على القولين وهو من الاستثناء المنقطع ايضا اى لكن والمعنى لكن من ارتضاه من الرسل فانه يجعل له ملائكة رصدا
يحفظونه فصل قال الزمخشري فى هذه الاية ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات وان كانوا اولياء
مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله تعالى الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيها ايضا ابطال الكرامة
الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شىء من الارتضاء وادخله فى السخط وقال الواحدى وفيه دليل على ان من
ادعى ان النجوم تدل على ما يكون من حياة او موت او غير ذلك فقد كفر بما فى القران قال ابن الخطيب واعلم
ان الواحدى يجوز الكرامات وان يلهم الله اولياءه وقوع بعض الوقائع فى المستقبل ونسبة الاية فى الصورتين
واحدة فان جعل الاية دالة على المنع من احكام النجوم فينبغى ان يجعلها دالة على المنع من الكرامات على ما قاله
الزمخشري فان جوز الكرامات لزمه تجويز علم النجوم وتفريقه بينهما تحكم محض قال ابن الخطيب وعندى لا دلالة فى
الاية على شىء مما قالوه اذ لا صيغة عموم فى غيبه لانه لفظ مفرد مضاف فيحمل على غيب واحد وهو وقت القيامة لانه
واقع بعد قوله اقريب ما توعدون الاية فان قيل فما معنى الاستثناء حينئذ قلنا لعله اذا اقربت القيامة يظهره وكيف
لا وقد قال ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا فتعلم الملائكة حينئذ قيام القيامة او هو استثناء منقطع
اى من ارتضاه من رسول يجعل من بين يديه ومن خلفه حفظة يحفظونه من شر مردة الجن والانس ويدل على
انه ليس المراد انه لا يطلع احدا على شىء من المغيبات انه ثبت بما يقارب التواتر ان شقا وسطيحا كانا كاهنين وقد
عرفا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وكانا مشهورين بهذا العلم عند العرب حتى رجع اليهما كسرى وربيعة
ابن نصر فثبت ان الله تعالى قد يطلع غير الرسل على شىء من المغيبات وايضا اطبق اهل الملل على ان معبر الرؤيا يخبر عن امور
مستقبلة ويكون صادقا فيه وايضا قد نقل السلطان سنجر بن ملك شاه كاهنة من بغداد الى خراسان وسالها
عن امور مستقبلة فاخبرته بها فوقعت على وفق كلامها قال ابن الخطيب واخبرنى اناس محققون فى علم الكلام والحكمة
انها اخبرت عن امور غائبة بالتفصيل فكانت على وفق خبرها وبالغ ابو البركات فى كتاب التعبير فى شرح حالها وقال
تفحصت عن حالها ثلاثين سنة فتحققت انها كانت تخبر عن المغيبات اخبارا مطابقا وايضا فانا نشاهد ذلك فى اصحاب
الالهامات الصادقة وقد يوجد ذلك فى السحرة ايضا وقد نرى الاحكام النجومية مطابقة وان كانت قد تتخلف فلو قلنا ان
القران يدل على خلاف هذه الامور المحسوسة لتطرق الطعن الى القران فيكون التاويل ما ذكرنا فصل قال القرطبى المعنى
فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يظهره على ما يشاء من غيبه لان الرسل مؤيدون بالمعجزات ومنها الاخبار
عن بعض الغائبات كما ورد فى التنزيل فى قوله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم وقال ابن جبير الا من ارتضى
من رسول هو جبريل عليه السلام وفيه بعد والاولى ان يكون المعنى لا يظهر على غيبه الا من ارتضى اى اصطفاه للنبوة
فانه يطلعه على ما يشاء من غيبه ليكون ذلك دالا على نبوته فصل ذكر القرطبى ان العلماء قالوا لما تمدح سبحانه وتعالى
بعلم الغيب واستاثر به دون خلقه كان فيه دليل على انه لا يعلم الغيب احد سواه ثم استثنى من ارتضاه من الرسل

فاعلمهم ما شاء من غيبه بطريق الوحى اليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب
بالحصا وينظر فى الكواكب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه
بحدسه وتخمينه وكذبه قال بعض العلماء وليت شعرى ما يقول المنجم فى سفينة ركب فيها الف انسان مختلفين الاحوال
والرتب فيهم الملك والسوقة والعالم والجاهل والغنى والفقير والكبير والصغير مع اختلاف طوالعهم وتباين
مواليدهم ودرجات نجومهم فعمهم حكم الغرق فى ساعة واحدة فان قال انما اغرقهم الطالع الذى ركبوا فيه فيكون
على مقتضى ذلك ان هذا الطالع ابطل احكام تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم وما يقتضيه طالعه
المخصوص به فلا فائدة اذن فى عمل المواليد ولا دلالة فيها على شقى ولا سعيد ولم يبق الا معاندة القران الكريم ولقد
احسن القائل

حكم المنجم ان طالع مولدى … يقضى على بميتة الغرق
قل للمنجم صبحة الطوفان هل … ولد الجميع بكوكب الغرق

وقيل لعلى رضى الله عنه لما اراد
لقاء الخوارج اتلقاهم والقمر فى العقرب فقال فاين قمرهم وكان ذلك فى اخر الشهر فانظر الى هذه الكلمة التى اجاب بها
وما فيها من المبالغة فى الرد على من يقول بالتنجيم وقال له مسافر بن عوف يا امير المؤمنين لا تسر فى هذه الساعة
وسر بعد ثلاث ساعات يمضين من النهار فقال له على رضى الله عنه ولم قال انك ان سرت فى هذه الساعة
اصابك واصاب اصحابك بلاء وضر شديد وان سرت فى الساعة التى امرتك بها ظفرت وظهرت واصبت ما طلبت
فقال على رضى الله عنه ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده ثم قال فمن صدقك فى هذا القول لم
آمن عليه ان يكون كمن اتخذ من دون الله ندا او ضدا اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ثم قال للمتكلم نكذبك
ونخالفك ونسير فى الساعة التى نهيتنا عنها ثم اقبل على الناس فقال يا ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما تهتدون
به فى ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكافر والكافر فى النار والمنجم كالساحر والساحر فى النار والله لئن بلغنى انك تنظر فى
النجوم او تعمل بها لاخلدنك فى الحبس ما بقيت وبقيت ولاحرمنك العطاء ما كان لى سلطان ثم سافر فى الساعة التى
نهاه عنها فلقى القوم فقتلهم وهى وقعة النهروان الثابتة فى صحيح مسلم ثم قال لو سرنا فى الساعة التى امرنا بها
وظفرنا وظهرنا لقال قائل انما كان ذلك بتنجيمى وما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا بعده وقد فتح الله علينا بلاد كسرى
وقيصر وسائر البلدان ثم قال يا ايها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانه يكفى ممن سواه قوله فانه يسلك من بين يديه
ومن خلفه رصدا يعنى ملائكة يحفظونه عن ان يقرب منه شيطان فيحفظ الوحى من استراق الشياطين والالقاء الى
الكهنة قال الضحاك ما بعث الله نبيا الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا له بصورة الملك فاذا
جاءه شيطان فى صورة الملك قالوا هذا شيطان فاحذره وان جاءه الملك قالوا هذا رسول ربك وقال ابن عباس وابن
زيد رصدا اى حفظة يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم من امامه ووراءه من الجن والشياطين وقال قتادة وسعيد
ابن المسيب هم اربعة من الملائكة حفظة وقال الفراء المراد جبريل كان اذا نزل بالرسالة نزل معه ملائكة يحفظونه
من ان يستمع الجن الوحى فيبلغونه الى كهنتهم فيسبقوا به الرسول وقال السدى رصدا اى حفظة يحفظون الوحى
فما جاء من عند الله قالوا انه من عند الله وما القاه الشيطان قالوا انه من الشيطان ورصدا نصب على المفعول
قال الجوهرى والرصد القوم يرصدون كالحرس يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وربما قالوا ارصاد والراصد
للشىء المراقب له يقال رصده يرصده رصدا ورصدا والترصد الترقب والمرصد موضع الرصد قوله ليعلم متعلق
بيسلك والعامة على بنائه للفاعل وفيه خلاف اى ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان الرسل قبله قد ابلغوا الرسالة
قاله مقاتل وقتادة قال القرطبى وفيه حذف تتعلق به اللام اى اخبرناه بحفظنا الوحى ليعلم ان الرسل قبله كانوا على
مثل حالته من التبليغ بالحق والصدق وقيل ليعلم محمد ان قد ابلغ جبريل ومن معه اليه رسالة ربه قاله ابن جبير
قال ولم ينزل الوحى الا ومعه اربعة حفظة من الملائكة عليهم السلام وقيل ليعلم الرسل ان الملائكة بلغوا رسالات
ربهم وقيل ليعلم الرسول اى رسول كان ان الرسل سواه بلغوا وقيل ليعلم الله اى ليظهر علمه للناس وقيل ليعلم ابليس
ان الرسل قد ابلغوا رسالات ربهم سليمة من [illegible] واستراق اصحابه وقال ابن قتيبة اى ليعلم الجن ان الرسل قد
بلغوا ما انزل عليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم وقال مجاهد ليعلم من كذب الرسل ان المرسلين قد
بلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم الملائكة وهذان ضعيفان لافراد الضمير والضمير فى ابلغوا عائد على من فى قوله من
ارتضى راعى لفظها اولا فافرد فى قوله من بين يديه ومن خلفه ومعناها ثانيا فجمع فى قوله ابلغوا الى اخره وقرا ابن
عباس ومجاهد وزيد بن على وحميد ويعقوب ليعلم مبنيا للمفعول اى ليعلم الناس ان الرسل قد ابلغوا رسالاته وقرا
ابن ابى عبلة والزهرى ليعلم بضم الياء وكسر اللام اى ليعلم الله رسوله بذلك وقرا ابو حيوة رسالة بالافراد والمراد
الجمع وقرا ابن ابى عبلة واحيط واحصى مبنيين للمفعول كل رفع باحصى قوله عددا يجوز ان يكون تمييزا منقولا
من المفعول به والاصل احصى عدد كل شىء كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا اى عيون الارض على خلاف سبق ويجوز ان

يكون منصوبا على المصدر من المعنى لان احصى بمعنى عد كانه قيل وعد كل شيء عددا او يكون المفعول به واحصى كل شيء احصاء فيرد
المصدر الى الفعل او الفعل الى المصدر ومنع مكي كونه مصدرا للاظهار فقال عددا انصب على البيان لو كان مصدرا
لادغم يعني ان قياسه ان يكون على فعل بسكون العين لكنه غير لازم فجاء مصدره بفتح العين ولما كان ليعلم مضمنا معنى
قد علم ذلك جاز عطف واحاط على ذلك المقدر قال القرطبي عددا نصب على الحال اي احصى كل شيء **فصل** المعنى
احاط علمه بما عند الرسل وما عند الملائكة وقال ابن جبير المعنى ليعلم الرسل ان ربهم قد احاط بما لديهم فيبلغوا رسالاته
واحصى كل شيء عددا اي علم كل شيء وعرفه فلم يخف عليه منه شيء وهذه الاية تدل على انه تعالى عالم بالجزئيات وبجميع
الموجودات روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجن اعطي بعدد
كل جني وشيطان صدق بمحمد وكذب به عتق رقبة ٥

سورة المزمل

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا ايتين منها واصبر على ما يقولون والتي تليها
ذكره الماوردي وقال الثعلبي ان ربك يعلم انك تقوم الى اخر السورة فانه نزل بالمدينة وهي سبع وعشرون
اية ومايتان وخمس وثمانون كلمة وثمان مائة وثمانية وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
يا ايها المزمل اصله المتزمل فادغمت التاء في الزاي يقال تزمل يتزمل تزملا فاذا اريد الادغام اجتلبت همزة الوصل
وبهذا الاصل قرا ابي بن كعب وقرا عكرمة المزمل بتخفيف الزاي وتشديد الميم اسم فاعل وعلى هذا فيكون فيه وجهان
احدهما ان اصله المزتمل بوزن مفتعل فابدلت التاء ميما وادغمت قاله ابو البقاء وهو ضعيف والثاني انه اسم فاعل من
زمل مشددا وعلى هذا فيكون المفعول محذوفا اي المزمل جسمه وقرئ كذلك الا انه بفتح الميم اسم مفعول منه اي الملفف
والتزمل التلفف يقال تزمل بثوبه تكسا اي تلفف به قال ذو الرمة وكاين تخطت ناقتي من مفازة
ومن نايم عن ليلها متزمل وقال امرؤ القيس كان ثبيرا في افانين ودقه كبير اناس في بجاد مزمل وهو
كقراءة بعضهم المتقدمة **فصل** هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة اقوال الاول قال عكرمة يا ايها المزمل
بالنبوة والملتزم للرسالة وعنه يا ايها الذي زمل هذا الامر اي حمله ثم فتر وكان يقرا يا ايها المزمل بتخفيف الزاي وفتح
الميم وتشديدها على حذف المفعول وكذلك المدثر والمعنى المزمل نفسه والمدثر نفسه او الذي زمله غيره الثاني
قال ابن عباس يا ايها المزمل بالقران الثالث قال قتادة يا ايها المزمل بثيابه قال النخعي كان متزملا بقطيفة عايشة
بمرط طوله اربعة عشر ذراعا نصفه علي وانا نايمة ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي والله ما كان خزا
ولا قزا ولا مرعزا ولا ابريسم ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا ذكره الثعلبي قال القرطبي وهذا القول من عايشة
يدل على ان السورة مدنية فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبن بها الا بالمدينة والقول بانها مكية لا يصح وقال
الضحاك تزمل لمنامه وقيل بلغه من المشركين سوء قول فيه فاشتد عليه فتزمل وتدثر فنزلت يا ايها المزمل ويا ايها المدثر وقيل
كان هذا في ابتداء ما اوحي اليه فانه لما سمع صوت الملك ونظر اليه اخذته الرعدة فاتى اهله وقال زملوني دثروني وروي
معناه عن ابن عباس قال اول ما جاءه جبريل عليه السلام خافه وظن ان به مسا من الجن فرجع من الجبل مرتعدا
وقال زملوني زملوني وقال الكلبي انما تزمل النبي صلى الله عليه وسلم بثيابه ليتهيا للصلاة وهو اختيار الفراء وقيل
انه عليه السلام كان نايما بالليل متزملا في قطيفة فنودي بما يهجن تلك الحالة فقيل له يا ايها المزمل قم واشتغل بالعبودية
وقيل معناه يا من تحمل امرا عظيما والزمل الحمل قال البغوي قال الحكماء كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في اول
الوحي قبل تبليغ الرسالة ثم خوطب بعد بالنبي والرسول **فصل** قال السهيلي ليس المزمل باسم من اسماء النبي صلى الله
عليه وسلم كما ذهب اليه بعض الناس وعدوه في اسمايه عليه السلام وانما المزمل اسم مشتق من حالته التي كان عليها
حين الخطاب وكذلك المدثر وفي خطابه بهذا الاسم فايدتان احداهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة
المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي حين غاضب
فاطمة رضي الله عنهما فاتاه وهو نايم وقد لصق بجنبه التراب فقال له قم يا ابا تراب اشعارا له بانه غير عاتب عليه
وملاطفة له وكذلك قوله عليه السلام لحذيفة قم يا نومان وكان نايما ملاطفة له واشعارا بترك العتب والتثريب
فقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يا ايها المزمل قم فيه تانيس له وملاطفة ليستشعر انه غير عاتب عليه والفايدة
الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله لينتبه الى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك
فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة **قوله** قم الليل العامة على كسر الميم لالتقاء الساكنين وابو السمال
بضمها اتباعا لحركة القاف وقرئ بفتحها طلبا للخفة قال ابو الفتح الغرض الهرب من التقاء الساكنين فباي حركة حرك

الاول حصل الغرض قال شهاب الدين الا ان الاصل الكسر والليل ظرف للقيام وان استغرقه الحدث الواقع
فيه هذا قول البصريين واما الكوفيون فيجعلون هذا النوع مفعولا به قال القرطبي وهو من الافعال القاصرة الغير المتعدية
الى المفعول فاما ظرف الزمان والمكان فسايغ فيه الا ان ظرف المكان لا يتعدى اليه الا بواسطة لا تقول قمت الدار حتى تقول
قمت وسط الدار وخارج الدار وقد قيل ان قم هنا معناه صل عبر به عنه واستعير له حتى صار عرفا بكثرة الاستعمال
فصل الليل حده من غروب الشمس الى طلوع الفجر وقد تقدم بيانه في البقرة قال القرطبي واختلف هل كان قيامه فرضا
او نفلا والدلايل تقوي ان قيامه كان فرضا لان الندب لا يقع على بعض الليل دون بعض لان قيامه ليس مخصوصا بوقت دون
وقت واختلف هل كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم وحده او عليه وعلى من كان قبله من الانبيا او عليه وعلى امته
على ثلاثة اقوال الاول قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب اليه الثاني قول ابن عباس قال كان قيام الليل فريضة على
النبي صلى الله عليه وسلم والانبيا قبله الثالث قول عايشة وابن عباس ايضا وهو الصحيح انه كان فرضا عليه وعلى امته
لما روى مسلم ان هشام بن عامر قال لعايشة انبييني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست تقرا يا ايها المزمل
قلت بلى قالت فان الله عز وجل افترض قيام الليل في اول هذه السورة فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا ٥
وامسك الله عز وجل خاتمتها اثني عشر شهرا في السما حتى انزل الله عز وجل في اخر السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا
بعد فريضة وروى وكيع ويعلى عن ابن عباس قال لما نزلت يا ايها المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان حتى
نزل اخرها وكان بين نزول اولها واخرها نحو من سنة وقال سعيد بن جبير مكث النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عشر
سنين يقومون الليل فنزلت بعد عشر سنين ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل فخفف الله عنهم وقيل كان قيام
الليل واجبا ثم نسخ بالصلوات الخمس وقيل عسر عليهم تمييز القدر الواجب فقاموا الليل كله فشق ذلك عليهم فنسخ بقوله
اخرها فاقرؤوا ما تيسر من القران وكان بين الوجوب والنسخ سنة وقيل نسخ التقدير بمكة وبقي التهجد حتى نسخ بالمدينة
وقيل لم يجب التهجد قط لقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك ولانه لو وجب عليه صلى الله عليه وسلم لوجب على امته لقوله
فاتبعوه والنسخ على خلاف الاصل ولانه فوض تعيين المقدار الى المكلف وذلك ينافي الوجوب **قوله** الا قليلا نصفه او انقص منه
قليلا للناس في هذا الكلام كثير واستدلال على جواز استثناء الاكثر والنصف واعتراضات واجوبة قال شهاب الدين وها انا
اذكر ذلك محررا له بعون الله تعالى اعلم ان في هذه الاية الكريمة ثمانية اوجه احدها ان نصفه بدل من الليل بدل بعض
من كل والا قليلا استثنا من النصف كانه قيل قم اقل من نصف الليل والضمير في منه وعليه عايد على النصف والمعنى التخيير
بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة
عليه قاله الزمخشري وناقشه ابو حيان بانه يلزم منه تكرار اللفظ اذ يصير التقدير قم نصف الليل الا قليلا من نصف
الليل او انقص من نصف الليل قال وهذا تركيب ينزه القران عنه قال شهاب الدين والوجه فيه اشكال لكن لا من هذه
الحيثية فان الامر فيها سهل بل لمعنى اخر ساذكره ان شا الله قريبا وجعل ابو البقا هذا الوجه مرجوحا فانه قال والثاني هو
بدل من قليلا يعني النصف قال وهو اشبه بظاهر الاية لانه قال او انقص منه او زد عليه والهاء فيهما للنصف فلو كان الاستثنا
من النصف لصار التقدير قم نصف الليل الا قليلا او انقص منه قليلا والقليل المستثنى غير مقدر فالنقصان منه لا يعقل
قال شهاب الدين والجواب عنه ان بعضهم قد عين هذا القليل فعن الكلبي ومقاتل هو الثلث فلم يكن القليل غير مقدر
ثم ان في قوله تناقضا لانه قال والقليل المستثنى غير مقدر فالنقصان منه لا يعقل فاعاد الضمير على القليل وفي الاول
اعاده على النصف ولقايل ان يقول قد يتضح هذا الوجه باشكال قوي وهو انه يلزم منه تكرار المعنى الواحد وذلك ان
قوله قم نصف الليل الا قليلا بمعنى انقص من نصف الليل لان ذلك القليل هو بمعنى النقصان وانت اذا قلت قم نصف الليل
الا القليل من النصف وقم نصف الليل او انقص من النصف وجدتهما بمعنى واحد وفيه دقة فتامله ولم يذكر الحوفي غير
هذا الوجه المتقدم وقد عرفت ما فيه وممن ذهب اليه ايضا الزجاج فانه قال نصفه بدل من الليل والا قليلا استثنا
من النصف والضمير في منه وعليه عايد للنصف [illegible] نصف الليل او انقص من النصف قليلا الى الثلث او زد عليه قليلا
الى الثلثين فكانه قال قم ثلثي الليل او نصفه او ثلثه قال شهاب الدين والتقديرات التي يبرزونها ظاهرة حسنة الا ان
التركيب لا يساعد عليها لما عرفت من الاشكال المذكور انفا الثاني ان يكون نصفه بدلا من قليلا واليه ذهب الزمخشري وابو
البقا وابن عطية قال الزمخشري وان شيت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه
وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزايد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل وهذا هو الذي جعله
ابو البقا اشبه من جعله بدلا من الليل كما تقدم الا ان ابا حيان اعترض هذا فقال واذا كان نصفه بدلا من الا قليلا
فالضمير في نصفه اما ان يعود على المبدل منه او على المستثنى منه وهو الليل لا جايز ان يعود على المبدل منه لانه يصير
استثنا مجهول من مجهول اذ التقدير الا قليلا نصف القليل وهذا لا يصح له معنى البتة وان عاد الضمير على الليل فلا فايدة
في الاستثنا من الليل اذ كان يكون اخصر واوضح وابعد عن الالباس قم الليل نصفه وقد ابطلنا قول من قال الا قليلا استثنا

من البدل وهو نصفه وان التقدير قم الليل نصفه الا قليلا منه اي من النصف وايضا ففي دعوى ان نصفه بدل من الا قليلا والضمير في نصفه عائد على الليل اطلاق القليل على النصف ويلزم ايضا ان يصير التقدير الا نصفه فلا تقمه او انقص من النصف الذي لا تقمه وهذا معنى لا يصح وليس المراد من الآية قطعا. قال شهاب الدين نقول بجواز عوده على كل منهما ولا يلزم محذور واما ما ذكره من انه يكون استثناء مجهول من مجهول ممنوع بل هو استثناء معلوم من معلوم لانا بينا ان القليل قدر معين وهو الثلث والليل فليس بمجهول وايضا فاستثناء المبهم قد ورد قال تعالى ما فعلوه الا قليل منهم وقال تعالى فشربوا منه الا قليلا منهم وكان الحقه ان يقول لانه بدل مجهول من مجهول. واما ما ذكره من ان اخصر منه واوضح كيت وكيت اما الاخصر فمسلم واما انه ملبس فممنوع وانما عدل عن اللفظ الذي ذكره لانه ابلغ وبهذا الوجه استدل من قال يجوز استثناء النصف والاكثر ووجه الدلالة على الاول انه جعل قليلا مستثنى من الليل ثم فسر ذلك القليل بالنصف فكانه قيل قم الليل الا نصفه. ووجه الدلالة على الثاني انه عطف او زد عليه على انقص منه فيكون قد استثنى الزائد على النصف لان الضمير في منه وفي عليه عائد على النصف وهو استدلال ضعيف لان الكثرة انما جاءت بالعطف وهو نظير ان تقول له عندي عشرة الا خمسة ودرهما ودرهما فالزيادة على النصف بطريق العطف لا بطريق ان الاستثناء اخرج الاكثر بنفسه. الثالث ان نصفه بدل من الليل ايضا كما تقدم في الوجه الاول الا ان الضمير في منه وعليه عائد على الاقل من النصف والى هذا ذهب الزمخشري فانه قال وان شئت قلت لما كان معنى قم الليل الا قليلا نصفه اذا ابدلت النصف من الليل قم اقل من نصف الليل يرجع الضمير في منه وعليه الى الاقل من النصف فكانه قيل قم اقل من نصف يكون المعنى قم اقل من نصف الليل او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث. الرابع ان يكون نصفه بدلا من قليلا كما تقدم الا انك تجعل القليل الثاني ربع الليل وقد اوضح الزمخشري هذا ايضا فقال ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل قليلا الثاني بمعنى نصف النصف بمعنى الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه ويجعل المزيد على هذا القليل اعني الربع نصف الربع كانه قيل او زد عليه قليلا نصفه ويجوز ان تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع انتهى. واختار ابن الخطيب هذا الوجه مع الوجه الثاني فقال وقد اكثر الناس في هذه الآية وفيها وجهان ملخصان احدهما ان القليل في قوله الا قليلا هو الثلث لان قوله تعالى في اخر السورة ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه يقتضي ان اكثر المقادير الواجبة هو الثلثان فيكون نوم الثلث جائزا وهو قوله الا قليلا فكانه قيل قم ثلثي الليل ثم قال نصفه فمعناه او قم نصفه من باب قولهم جالس الحسن او ابن سيرين على الاباحة بحذف العاطف فالتقدير قم الثلثين او قم النصف او انقص من النصف او زد عليه فالثلثان اقصى الزيادة والثلث اقصى النقصان فيكون الواجب هو الثلث والزائد عليه مندوبا. **فان قيل** فيلزم على هذا التفسير ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم ترك من الواجب ادنى لانه تعالى قال ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فيكون المعنى انك تقوم اقل من الثلثين واقل من النصف واقل من الثلث فاذا كان الثلث واجبا كان صلى الله عليه وسلم تاركا للواجب. قلنا المقدر للشيء قد ينقص منه لعدم انضباطه لانه باجتهاد فربما اخطا فهو كقوله تعالى علم ان لن تحصوه. الثاني ان نصفه تفسير لقليلا لان النصف قليل بالنسبة الى الكل ولان المكلف بالنصف لا يخرج عن العهدة بيقين الا بزيادة شيء قليل عليه فيصير في الحقيقة نصفا وشيئا فيكون الباقي بعد ذلك اقل من النصف فالمعنى قم نصف الليل او انقص منه نصفه وهو الربع او زد عليه نصفه وهو الربع فيصير المجموع ثلاثة ارباع فيكون مخيرا بين ان يقوم تمام النصف او ربع الليل او ثلاثة ارباعه وحينئذ يزول الاشكال بالكلية لان الربع اقل من الثلث وذلك ان قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يقم ثلثي الليل ولا نصفه ولا ثلثه لكن الواجب لما كان هو الربع فقط لم يلزم ترك قيام الثلث. الوجه الخامس ان يكون الا قليلا استثناء من القيام فيجعل الليل اسم جنس ثم قال الا قليلا اي الا الليالي التي تخل بترك قيامها عند العذر البين ونحوه وهذا النظر يحسن مع القول بالندب قاله ابن عطية احتمالا من عنده وهذا خلاف الظاهر وتاويل بعيد. السادس قال الاخفش ان الاصل قم الليل الا قليلا او نصفه قال كقولك اعطه درهما درهمين ثلاثة اي او درهمين او ثلاثة وهذا ضعيف جدا لان فيه حذف حرف العطف وهو ممنوع لم يرد منه الا شيء شاذ يمكن تاويله كقولهم اكلت لحما سمكا تمرا وقول الاخر

كيف اصبحت كيف امسيت مما ... يزرع الود في فؤاد الكريم

اي لحما وسمكا وتمرا وكذا كيف اصبحت وكيف امسيت وقد خرج الناس هذا على بدل البداء. السابع قال التبريزي الامر بالقيام والتخيير في الزيادة والنقصان وقع على الثلثين من اخر الليل لان الثلث الاول وقت العتمة والاستثناء وارد على المامور به فكانه قال قم ثلثي الليل الا قليلا اي ما دون نصفه او زد عليه اي على الثلثين فكان التخيير في الزيادة والنقصان واقعا على الثلثين وهو كلام غريب لا يظهر من هذا التركيب. الثامن ان

نصفه منصوب على اضمار فعل اي قم نصفه حكاه مكي عن غيره فانه قال نصفه بدل من الليل. وقيل انتصب على اضمار قم نصفه قال شهاب الدين وهذا في التحقيق هو وجه البدل الذي ذكره اولا الا ان البدل على نية تكرار العامل.

فصل

اختلفوا في الناسخ للامر بقيام الليل فعن ابن عباس وعائشة ان الناسخ قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل الى اخرها وقيل قوله تعالى علم ان لن تحصوه وعن ابن عباس ايضا انه منسوخ بقوله علم ان سيكون منكم مرضى وعن عائشة ايضا والشافعي وابن كيسان هو منسوخ بالصلوات الخمس وقيل الناسخ قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر منه قال ابو عبد الرحمن السلمي لما نزلت يا ايها المزمل قاموا حولا حتى ورمت اقدامهم وسوقهم ثم نزل قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر منه. قال بعض العلماء وهو فرض نسخ به فرض كان على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لفضله كما قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك. قال القرطبي والقول الاول يعم جميع هذه الاقوال وقد قال تعالى واقيموا الصلاة فدخل فيها قول من قال ان الناسخ الصلوات الخمس. وذهب الحسن وابن سيرين الى ان صلاة الليل كانت فريضة على كل مسلم ولو على قدر حلب شاة. وعن الحسن ايضا انه قال في هذه الآية تطوع بعد الفريضة وهو الصحيح ان شاء الله لما جاء في قيامه من الترغيب والفضل في القرآن والسنة. قالت عائشة كنت اجعل للنبي صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلي عليه من الليل فتسامع الناس به فلما راى جماعتهم كره ذلك وخشي ان يكتب عليهم قيام الليل فدخل البيت كالمغضب فجعلوا يتنحنحون ويتفلون فخرج اليهم فقال يا ايها الناس تكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وان خير العمل ادومه وان قل فنزلت يا ايها المزمل فكتب عليهم وانزل بمنزلة الفريضة حتى ان كان احدهم ليربط الحبل فيتعلق به فمكثوا ثمانية اشهر فنزل قوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل فردهم الله الى الفريضة ووضع عنهم قيام الليل الا ما تطوعوا به. قال القرطبي ومعنى حديث عائشة ثابت في الصحيح الى قوله وان قل وباقيه يدل على ان قوله تعالى يا ايها المزمل نزل بالمدينة وانهم مكثوا ثمانية اشهر يقومون وقد تقدم عنها في صحيح مسلم حولا. وحكى الماوردي عنها قولا ثالثا وهو ستة عشر شهرا لم يذكره غيره عنها. وذكر عن ابن عباس انه كان بين اول المزمل واخرها سنة قال فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان فرضا عليه. وقيل في نسخه عنه قولان احدهما انه كان فرضا عليه الى ان مات والثاني انه نسخ عنه كما نسخ عن امته. وفي مدة فرضه الى ان نسخ قولان احدهما المدة المفروضة على امته في القولين الماضيين يريد قول ابن عباس حولا وقول عائشة ستة عشر شهرا. الثاني انها عشر سنين الى ان خفف عنه بالنسخ. **قوله** ورتل القرآن ترتيلا اي لا تعجل بقراءة القرآن بل اقراه على مهل وبينه تبيينا مع تدبر المعاني. قال المبرد اصله من قولهم ثغر رتل ورتل بكسر العين وفتحها اذا كان حسن التنضيد ورتلت الكلام ترتيلا اذا تمهلت فيه ويقال ثغر رتل اذا كان بين الثنايا افتراق قليل فقوله تعالى ترتيلا تاكيد في ايجاب الامر به وانه مما لا بد منه للقارئ. روى الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يقرا آية ويبكي فقال الم تسمعوا الى قول الله عز وجل ورتل القرآن ترتيلا هذا الترتيل. وروى ابو داود عن عبد الرحمن بن عمرو قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يقال لقارئ القرآن يوم القيامة فيوقف في اول درج الجنة ويقال له اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند اخر آية تقراها. **قوله** انا سنلقي عليك قولا ثقيلا الجملة من قوله انا سنلقي مستانفة. وقال الزمخشري وهذه الآية اعتراض ثم قال واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة والهدو فلا بد لمن احياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه انتهى يعني بالاعتراض من حيث المعنى لا من حيث الصناعة وذلك ان قوله ان ناشئة الليل هي اشد وطئا مطابق لقوله قم الليل فكانه شابه الاعتراض من حيث دخوله بين هذين المتناسبين.

فصل

المعنى سنلقي عليك بافتراض صلاة الليل قولا ثقيلا يثقل حمله لان الليل للمنام فمن امر بقيام اكثره لم يتهيا له ذلك الا بحمل مشقة شديدة على النفس ومجاهدة الشيطان فهو امر يثقل على العبد. وقيل المعنى سنوحي اليك القرآن وهو قول ثقيل يثقل العمل بشرائعه. قال قتادة ثقيل والله فرائضه وحدوده. وقال مجاهد حلاله وحرامه. وقال الحسن العمل به. وقال ابو العالية ثقيلا بالوعد والوعيد والحلال والحرام. وقال محمد بن كعب ثقيلا على المنافقين لانه يهتك اسرارهم ويبطل اديانهم [illegible] الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالتهم وسب آلهتهم. وقال السدي ثقيل بمعنى كريم ماخوذ من قولهم فلان ثقيل علي اي يكرم علي. وقال الفراء ثقيلا اي رزينا. وقال الحسن بن الفضل ثقيلا لا يحمله الا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد. وقال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا ثقل في الميزان يوم القيامة. وقيل ثقيلا اي ثابتا كثبوت الثقيل في محله ومعناه انه ثابت الاعجاز لا يزول اعجازه ابدا. وقيل ثقيل بمعنى ان العقل الواحد لا يفي بادراك فوائده ومعانيه بالكلية فالمتكلمون غاصوا في بحار معقولاته والفقهاء بحثوا في احكامه وكذا اهل اللغة والنحو وارباب المعاني ثم لا يزال كل متاخر يفوز منه بفوائد ما وصل اليها المتقدمون فعلمنا ان الانسان الواحد لا يقوى على الاشتغال بحمله فصار كالحبل الثقيل الذي يعجز الخلق عن حمله. وقيل هو الوحي كما جاء في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوحي اليه وهو على ناقته وضعت جرانها يعني صدرها على الارض فما تستطيع

تحركه حتى يسري عنه وقال القشيري القول الثقيل هنا هو قول لا اله الا الله لانه ورد في الخبر لا اله الا الله خفيفة على اللسان
ثقيلة في الميزان قوله ان ناشئة الليل في الناشئة اوجه احدها انها صفة لمحذوف اي النفس الناشئة بالليل التي
تنشأ من مضجعها للعبادة اي تنهض وترتفع من نشأت السحابة اذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز اذا نهض قال

نشأنا الى خوص برى نيها السرى ۞ واشرف منها مشرفات القماحد

الثاني انها مصدر بمعنى قيام الليل على انها مصدر من نشأ اذا قام ونهض فيكون كالعاقبة قاله الزمخشري الثالث
انها بلغة الحبشة نشأ الرجل اي قام من الليل قال ابو حيان فعلى هذا هي جمع ناشئ اي قائم يعني انها صفة لشيء يفهم
الجمع اي طائفة او فرقة ناشئة والا ففاعل لا يجمع على فاعلة ولا فعالة قال القرطبي قال ابن مسعود الحبشة يقولون نشأ
اي قام قال القرطبي فلعله اراد ان الكلمة عربية ولكنها شائعة في كلام الحبشة غالبة عليهم والا فليس في القران ما ليس
من لغة العرب الرابع ان ناشئة الليل ساعاته واوقاته لانها تنشأ شيئا بعد شيء قال القرطبي لانها تنشأ اولا فاولا يقال
نشأ الشيء ينشأ اذا ابتدأ واقبل شيئا بعد شيء فهو ناشئ وانشأه الله فنشأ فالمعنى ساعات الليل الناشئة فاكتفى بالوصف
عن الاسم فالتأنيث للفظ ساعة لان كل ساعة تحدث وقيدها ابن عباس والحسن بما كان بعد العشاء وما كان قبلها فليس
بناشئة وخصصتها عائشة بان تكون بعد النوم فلو لم يتقدمها نوم لم تكن ناشئة قوله هي اشد وطأ وقرأ ابو عمرو
وابن عامر بكسر الواو وفتح الطاء بعدها الف والباقون بفتح الواو وسكون الطاء وقرأ قتادة وشبل عن اهل مكة
وطأ بكسر الواو وسكون الطاء وظاهر كلام ابي البقاء يؤذن انه قرئ بفتح الواو مع المد فانه قال وطأ بكسر الواو بمعنى
مواطأة وبفتحها اسم المصدر ووطأ على فعل وهو مصدر وطئ فالوطأ مصدر والطاء كالقتال مصدر قاتل والمعنى انها اشد مواطأة
اي يواطئ قلبها لسانها ان اردت النفس او يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان اردت القيام او العبادة او الساعات او اشد
موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص والوطء بالفتح او الكسر على معنى اشد ثبات قدم وابعد من الزلل او اثقل واغلظ
من صلاة النهار على المصلي من قوله عليه السلام اللهم اشدد وطأتك على مضر وعلى كل تقدير فانتصابه على التمييز قوله
واقوم قيلا حكى الزمخشري ان انسا قرأ واصوب قيلا فقيل له يا ابا حمزة انما هي واقوم فقال ان اقوم واصوب واهيأ
واحد وان ابا سرار الغنوي قرأ فحاسوا خلال الديار بالحاء المهملة فقيل له هي بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد
قال شهاب الدين وغرضه في هذا بيان الحكاية بيان جواز قراءة القران بالمعنى وليس في هذا دليل لانه تفسير معنى وايضا
فالذي بين ايدينا قران متواتر وهذه الحكاية احاد وقد تقدم ان ابا الدرداء كان يقرئ رجلا ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم فجعل الرجل يقول اليتيم فلما تبرم منه قال طعام الفاجر يا هذا فاستدل به على ذلك من يرى جوازه
وليس فيه دليل لان مقصود ابي الدرداء ابانة المعنى فجاء بلفظ مبين قال ابن الانباري وقد ذهب بعض الزائغين
الى ان من قال ان من قرأ بحرف يوافق معنى حرف من القران فهو مصيب اذا لم يخالف ولم يأت بغير ما اراد الله واحتج بقول
انس هذا وهذا قول لا يعرج عليه ولا يلتفت الى قائله لانه لو قرئ بالفاظ القران اذا قاربت معانيها واشتملت على عامتها
لجاز ان يقرأ في موضع الحمد لله رب العالمين الشكر للباري اي ملك المخلوقين ويتسع الامر في هذا حتى يبطل لفظ جميع
القران ويكون التالي له مفتريا على الله تعالى كاذبا على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا حجة لهم في قول ابن مسعود نزل القران
على سبعة احرف انما هو كقول احدكم هلم وتعال واقبل لان هذا الحديث يوجب ان القراءات المنقولة بالاسانيد الصحاح
عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اختلفت الفاظها واتفقت معانيها كان ذلك فيها بمنزلة الخلاف في هلم وتعال واقبل
فاما ما لم يقرأ به النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وتابعوهم فان من اورد حرفا منه في القران بهت ومال وخرج عن
مذهب الصواب وحديثهم الذي جعلوه قاعدتهم في هذه الضلالة لا يصححه اهل العلم **فصل** بين تعالى في هذه
الاية فضل صلاة الليل على صلاة النهار وان الاستكثار من صلاة الليل بالقراءة فيها ما امكن اعظم للاجر واجلب
للثواب كان علي بن الحسين يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هذا ناشئة الليل وقال عطاء وعكرمة هو بدء الليل
قال في الصحاح ناشئة الليل اول ساعاته وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما هي الليل كله لانه ينشأ بعد النهار
وهو اختيار مالك قال ابن العربي وهو الذي يعطيه اللفظ وتقتضيه اللغة وقالت عائشة وابن عباس ايضا
ومجاهد انما الناشئة القيام بالليل بعد النوم ومن قام قبل النوم فما قام ناشئة وقال يمان وابن كيسان هو
القيام من اخر الليل واما قوله اشد وطأ اي اثقل على المصلي من ساعات النهار لان الليل وقت منام وراحة
فاذا قام الى صلاة الليل فقد تحمل المشقة العظيمة هذا على قراءة كسر الواو وفتح الطاء واما على قراءة المد فهو مصدر
واطأت وطاء ومواطأة اي وافقت على الامر من الوفاق تقول فلان يواطئ اسمه اسمي اي يوافقه فالمعنى اشد
موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع الاصوات والحركات قاله مجاهد وابن مليكة وغيرهما
قال تعالى ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا وقيل اشد مهادا للتصرف في التفكر والتدبر وقيل اشد
ثباتا من النهار فان الليل يخلو فيه الانسان بما يعمله فيكون ذلك اثبت للعمل والوطء الثبات تقول

وطئت الارض بقدمي وقوله اقوم قيلا اي القراءة بالليل اقوم منها بالنهار اي اشد استقامة واستمرارا على الصواب
لان الاصوات هادئة والدنيا ساكنة فلا يضطرب على المصلي ما يقرؤه وقال قتادة ومجاهد اصوب للقراءة
واثبت للقول لانه زمان التفهم وقيل اشد استقامة لفراغ البال بالليل وقيل اعجل اجابة للدعاء حكاه ابن شجرة
وقال عكرمة عبادة الليل اتم نشاطا واتم اخلاصا واكثر بركة قوله ان لك في النهار سبحا طويلا قرأ العامة بالحاء المهملة
وهو مصدر سبح وهو استعارة للتصرف في الحوائج من السباحة في الماء وهي البعد فيه وقال القرطبي السبح الجري
والدوران ومنه السباحة في الماء لتقلبه بيديه ورجليه وفرس سابح شديد الجري قال امرؤ القيس

مسح اذا ما السابحات على الونى ۞ اثرن غبارا بالكديد المركل

وقيل السبح الفراغ اي ان لك فراغا للحاجات بالنهار وعن ابن عباس وعطاء سبحا طويلا يعني فراغا طويلا يعني لنومك وراحتك فاجعل ناشئة الليل لعبادتك
وقرأ يحيى بن يعمر وعكرمة وابن ابي عبلة سبخا بالخاء المعجمة واختلفوا في تفسيرها فقال الزمخشري استعارة من سبخ
الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل وقيل التسبيخ التخفيف حكى الاصمعي سبخ الله
عنك الحمى اي خففها عنك قال الشاعر ۞ فسبخ عليك الهم واعلم بانه ۞ اذا قدر الرحمن شيئا فكائن ۞ اي خفف ومنه قول النبي صلى
الله عليه وسلم لعائشة وقد دعت على سارق رداءها لا تسبخي بدعائك عليه اي لا تخففي وقيل التسبيخ المد يقال سبخي قطنك اي
مديه والسبيخة قطعة من القطن والجمع سبائخ قال الاخطل يصف صائدا وكلابا

فارسلوهن يذرين التراب كما ۞ يذري سبائخ قطن ندف اوتار

وقال ابو الفضل الرازي قرأ ابن يعمر وعكرمة سبخا بالخاء معجمة وقالا معناه نوما اي ينام بالنهار ليستعين به على
قيام الليل وقد تحتمل هذه القراءة غير هذا المعنى لكنهما فسراها ولا نجاوز عنه قال شهاب الدين في هذا نظر لانهما
غاية ما في الباب انهما نقلا هذه القراءة وظهر لهما تفسيرها بما ذكرا ولا يلزم من ذلك انه لا يجوز غير ما ذكرا من تفسير اللفظة
وقال ثعلب السبخ بالخاء التردد والاضطراب والسبخ السكون ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم فسبخوها
بالماء اي سكنوها وقال ابو عمرو السبخ النوم والفراغ فعلى هذا يكون من الاضداد ويكون بمعنى السبح بالحاء المهملة قوله
واذكر اسم ربك اي ادعه باسمائه الحسنى ليحصل لك مع الصلاة محمود العاقبة وقيل اقصد بعملك وجه ربك وقال
سهل اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء صلاتك توصلك بركة قراءتها الى ربك وتقطعك عما سواه وقيل اذكر اسم
ربك في وعده ووعيده لتوفر على طاعته وتعدل عن معصيته وقال الكلبي صل لربك اي بالنهار قال القرطبي وهذا
حسن لانه لما ذكر الليل ذكر النهار اذ هو قسيمه وقد قال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر قوله
وتبتل اليه تبتيلا هذا مصدر على غير الصدر وهو واقع موقع التبتل لان مصدر تفعل تفعل نحو تصرف تصرفا وتكرم
تكرما واما التفعيل فمصدر فعل نحو صرف تصريفا كقول الاخر ۞ وقد تطويت انطواء الحضب ۞ فاوقع الانفعال موقع
التفعل قال الزمخشري لان معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل والتبتل الانقطاع ومنه امرأة
بتول اي انقطعت عن النكاح وبتلت الحبل قطعته قال الليث التبتل تمييز الشيء من الشيء وقالوا طلقة بتلة وهبة
بتلة يعنون انقطاعها عن صاحبها فالتبتل ترك النكاح والزهد فيه ومنه سمي الراهب متبتلا لانقطاعه عن النكاح
قال امرؤ القيس ۞ تضيء الظلام بالعشاء كانها ۞ منارة ممسى راهب متبتل ۞ ومنه الحديث انه نهى عن التبتل
وقال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج والمراد به في الاية الكريمة الانقطاع الى عبادة الله تعالى
دون ترك النكاح والتبتل في الاصل الانقطاع عن الناس والجماعات وقيل ان اصله عند العرب التفرد قاله ابن
عرفة قال ابن العربي هذا فيما مضى واما اليوم وقد مرجت عهود الناس وخفت اماناتهم واستولى الحرام على الحطام
فالعزلة خير من الخلطة والعزبة افضل من التأهل ولكن معنى الاية وانقطع عن الاوثان والاصنام وعن عبادة غير
الله وكذلك قال مجاهد معناه اخلص له العبادة ولم يرد التبتل فصار التبتل مأمورا به في القران منهيا عنه في السنة
ومتعلق الامر غير متعلق النهي فلا يتناقضان وانما بعث ليبين للناس ما نزل اليهم والتبتل المأمور به الانقطاع الى
الله باخلاص العبادة كما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والتبتل المنهي عنه سلوك مسلك النصارى
في ترك النكاح والترهب في الصوامع لكن عند فساد الزمان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع
القطر يفر بدينه من الفتن قوله رب المشرق والمغرب قرأ الاخوان وابو بكر وابن عامر بجر رب على النعت لربك او البدل
منه او البيان له وقال الزمخشري وعن ابن عباس على القسم باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه لا اله الا
هو كما تقول والله لا احد في الدار الا زيد قال ابو حيان لعل هذا التخريج لا يصح عن ابن عباس لان فيه اضمار الجار ولا يجيزه
البصريون الا مع لفظ الجلالة المعظمة خاصة ولان الجملة المنفية في جواب القسم اذا كانت اسمية فانما تنفى بما وحدها
ولا تنفى بلا الا الجملة المصدرة بمضارع كثيرا او بماض في معناه قليلا نحو قول الشاعر

ردوا فوالله لا ذدناكم ابدا ۞ ما دام في مائنا ورد لوراد ۞ والزمخشري اورد ذلك على سبيل

التجويز التسليم والذي ذكره النحويون هو نفيها بما كقوله لعمرك ما سعد بخلة آثم ولا نأنأ يوم الحفاظ ولا حصر قال شهاب الدين فلا اطلق ابن مالك ان الجملة المنفية سواء كانت اسمية ام فعلية تنفى بما او لا او ان بمعنى ما وهذا هو الظاهر وباقي السبعة برفعه على الابتداء وخبره الجملة من قوله لا اله الا هو او على خبر ابتداء مضمر اي هو رب وهذا احسن لارتباط الكلام بعضه ببعض وقرا زيد بن علي رب بالنصب على المدح وقرا العامة المشرق والمغرب موحدين وعبد الله وابن عباس المشارق والمغارب ويجوز ان ينتصب رب في قراءة زيد من وجهين آخرين احدهما انه بدل من اسم ربك او بيان له او نعت له قاله ابو البقاء وهذا يجيء على ان الاسم هو المسمى والثاني انه منصوب على الاشتغال بفعل مقدر اي فاتخذ رب المشرق فاتخذه وما بينهما اعتراض والمعنى ان من علم انه رب المشارق والمغارب انقطع بعمله اليه واتخذه وكيلا اي قائما بامورك وقيل كفيلا بما وعدك قوله واصبر على ما يقولون اي من الاذى والسب والاستهزاء ولا تجزع من قولهم ولا تمتنع من دعائهم وفوض امرهم الي فاني اذا اكفيك وكيلا لك اقوم باصلاح امرك احسن من قيامك بامور نفسك واهجرهم هجرا جميلا الهجر ترك المخالطة اي لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافاتهم قال ذلك نزل للدعاء الى الله وكان هذا قبل الامر بالقتال ثم امر بعد ذلك بقتالهم قال قتادة وغيره نسختها آية القتال وقال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه ونضحك اليهم وان قلوبنا لتلعنهم قال ابن الخطيب وقيل وهو الاصح انها محكمة قوله وذرني والمكذبين يجوز نصب المكذبين على المعية وهو الظاهر ويجوز على النسق وهو اوفق للصناعة والمعنى ارض بي لعقابهم نزلت في صناديد قريش ورؤساء مكة من المستهزئين وقال مقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وهم عشرة تقدم ذكرهم في الانفال وقال يحيى بن سلام انهم بنو المغيرة وقال سعيد بن جبير اخبرت انهم اثنا عشر رجلا اولي النعمة اي اولي الغنى والترفه واللذة في الدنيا ومهلهم قليلا يعني الى مدة آجالهم قالت عائشة رضي الله عنها لما نزلت هذه الآية لم يكن الا يسيرا حتى وقعت وقعة بدر وقيل ومهلهم قليلا مدة الدنيا قوله اولي النعمة نعت للمكذبين والنعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة يقال نعمة ونعمة عين وقوله قليلا نعت لمصدر اي تمهيلا قليلا او لظرف زمان محذوف اي زمانا قليلا قوله ان لدينا انكالا جمع نكل وفيه قولان اشهرهما انه القيد وقيل الغل وقالت الخنساء

دعاك فقطعت انكاله ● وقد كن من قبل لا تقطع

قال الحسن ومجاهد وغيرهما الانكال القيود واحدها نكل وهو ما منع الانسان من الحركة وقيل سمي نكلا لانه ينكل به قال الشعبي اترون ان الله تعالى جعل الانكال في ارجل اهل النار خشية ان يهربوا لا والله ولكنهم اذا ارادوا ان يرتفعوا استفلت بهم وقال الكلبي الانكال الاغلال وقال مقاتل الانكال انواع العذاب الشديد وقال عليه السلام ان الله تعالى يحب النكل على النكل قال الجوهري بالتحريك قيل وما النكل قال الرجل القوي المجرب على الفرس القوي المجرب ذكره الماوردي قال ومن ذلك سمي القيد نكلا لقوته وكذلك الغل وكل عذاب قوي قال ابن الاثير النكل بالتحريك من التنكيل وهو المنع والتنحية عما يريد يقال رجل نكل ونكل كشبه وشبه اي ينكل به اعداؤه وقد نكل عن الامر ينكل ونكل ينكل اذا امتنع ومنه النكول في اليمين وهو الامتناع منها وترك الاقدام عليها والجحيم النار المؤججة وطعاما ذا غصة الغصة الشجى وهو ما ينشب في الحلق فلا يتساغ ويقال غصصت بالكسر فانت غاص وغصان قال

لو بغير الماء حلقي شرق ● كنت كالغصان بالماء اعتصاري

والمعنى طعاما غير سائغ يأخذ بالحلق لا هو نازل ولا هو خارج وهو الغسلين والزقوم والضريع قاله ابن عباس وعنه ايضا انه شوك يدخل الحلق فلا ينزل ولا يخرج وقال الزجاج اي طعامهم الضريع وهو شوك كالعوسج وقال مجاهد هو كالزقوم والغصة الشجى وهو ما ينشب في الحلق من عظم او غيره وجمعها غصص والغصص بالفتح مصدر قولك غصصت يا رجل تغص فانت غاص بالطعام وغصان واغصصته انا والمنزل غاص بالقوم اي ممتلئ بهم ومعنى الآية ان لدينا في الآخرة ما يضاد تنعمهم في الدنيا وهي هذه الامور الاربعة الانكال والجحيم والطعام الذي يغص به والعذاب الاليم والمراد به سائر انواع العذاب قوله يوم ترجف الارض والجبال اي تتحرك وفي نصب يوما اوجه احدها انه منصوب بذرني وفيه بعد والثاني انه منصوب بنزع الخافض اي هذه العقوبة في يوم ترجف الثالث نصب بالاستقرار المتعلق به لدينا والرابع انه صفة لعذابا فيتعلق بمحذوف اي عذابا واقعا يوم ترجف الخامس انه منصوب باليم والعامة ترجف بفتح التاء وضم الجيم مبنيا للفاعل وزيد بن علي مبنيا للمفعول من ارجفها والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة قوله وكانت الجبال اي وتكون الجبال كثيبا مهيلا الكثيب الرمل المجتمع قال حسان

عرفت ديار زينب بالكثيب ● كخط الوحي في الورق القشيب

والجمع في القلة اكثبة وفي الكثرة كثبان وكثب كرغيف وارغفة ورغفان ورغف قال ذو الرمة

فقلت لها لا ان اهلي لجيرة ● لاكثبة الدهنا جميعا وماليا

قال الزمخشري من كثبت الشيء اذا جمعته ومنه الكثبة من اللبن قالت الضائنة اجز جفالا واحلب كثبا عجالا والمهيل اصله مهيول كمضروب فاستثقلت الضمة على الياء فنقلت الى الساكن قبلها وهو الهاء فالتقى ساكنان فاختلف النحاة في العمل في ذلك فسيبويه

والتباعد

والتباعه حذفوا الواو وكانت اولى بالحذف لانها زائدة وان كانت القاعدة انما تحذف لالتقاء الساكنين الاول ثم كسروا الهاء لتصح الياء ووزنه حينئذ مفعل والكسائي والفراء والاخفش حذفوا الياء لان القاعدة في التقاء الساكنين اذا احتيج الحذف احدهما حذف الاول وكان ينبغي على قولهم ان يقال فيه مهول الا انهم كسروا الهاء لاجل الياء التي كانت فقلبت الواو ياء ووزنه حينئذ مفول على الاصل ومفيل بعد القلب قال مكي وقد اجازوا كلهم ان ياتي على اصله في الكلام فتقول مهيول ومبيوع وما اشبه ذلك من ذوات الياء فاما من ذوات الواو فلا يجوز ان ياتي على اصله عند البصريين واجاز الكوفيون نحو مقوول ومصووغ واجاز الكلام مهول ومبوع على لغة من قال بوع المتاع وقول القول ويكون الاختلاف في المحذوف منه على ما تقدم قال شهاب الدين التتميم في مبيوع ومهيول وبابه لغة تميم والحذف لغة سائر العرب ويقال هلت التراب اهيله هيلا فهو مهيل وفيه لغة اهلته رباعيا اهالة فهو مهال نحو بعته اباعة فهو مباع والمهيل ما اهيل تحت القدم اي نصب من هلت التراب اي طرحته وقال القرطبي والمهيل الذي يمر تحت الارجل قال الضحاك والكلبي المهيل الذي وطئته بالقدم زل من تحتها فاذا اخذت اسفله انهال وقال ابن عباس مهيلا اي رملا سائلا متناثرا قال القرطبي واصله مهيول وهو مفعول من قولك هلت عليه التراب اهيله اهالة وهيلا اذا صببته يقال مهيل ومهيول ومكيل ومكيول ومدين ومديون ومعين ومعيون قال الشاعر

قد كان قومك يحسبونك سيدا ● واخال انك سيد معيون

وقال عليه السلام حين شكوا اليه الجدوبة اتكيلون ام تهيلون قالوا نهيل قال كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه واعلم انه تعالى لما خوف المكذبين اولي النعمة باهوال يوم القيامة خوفهم بعد ذلك باهوال الدنيا فقال انا ارسلنا اليكم رسولا يريد النبي صلى الله عليه وسلم ارسله الى قريش كما ارسلنا الى فرعون رسولا وهو موسى عليه السلام وهذا تهديد لاهل مكة بالاخذ الوبيل قال مقاتل وانما ذكر موسى وفرعون دون سائر الرسل لان اهل مكة ازدروا محمدا عليه السلام واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى بموسى لانه رباه ونشا فيما بينهم كما قال تعالى الم نربك فينا وليدا وذكر ابن الخطيب هذا السؤال والجواب وهو ليس بالقوي لان ابراهيم عليه السلام ولد ونشا فيما بين قوم نمرود وكان ازدراه نمرود على ما ذكره المفسرون وكذلك القول في نوح وهود وصالح ولوط لقوله تعالى في قصة كل واحد منهم لفظة اخاهم لانه من القبيلة التي بعث اليها قوله فعصى فرعون الرسول انما عرفه لتقدم ذكره وهذه اللام للعهد والعرب اذا قدمت اسما ثم حكت عنه ثانيا اتوا به معرفا بالالف او اتوا بضميره لئلا يلتبس بغيره نحو رايت رجلا فاكرمت الرجل او فاكرمته ولو قلت فاكرمت رجلا لتوهم انه غير الاول وسياتي تحقيق هذا عند قوله تعالى ان مع العسر يسرا وقوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين قال المهدوي هنا ودخلت الالف واللام في الرسول لتقدم ذكره وكذلك اخترنا في اول الكتاب سلام عليكم وفي آخرها السلام عليكم قوله فاخذناه اخذا وبيلا اي شديدا وضرب وبيل وعذاب وبيل اي شديد قاله ابن عباس ومجاهد ومنه مطر وابل اي شديد قاله الاخفش وقال الزجاج اي ثقيلا غليظا ومنه قيل للمطر وابل وقيل مهلكا قال

اكلت بنيك اكل الضب حتى ● وجدت مرارة الكلا الوبيل

واستوبل فلان كذا اي لم يحمد عاقبته وماء وبيل اي وخيم غير مريء وكلا مستوبل وطعام وبيل ومستوبل اذا لم يمرئ ولم يستمرأ قال زهير

فقضوا منايا بينهم ثم اصدروا ● الى كلا مستوبل متوخم

وقالت الخنساء

لقد اكلت بجيلة يوم لاقت ● فوارس مالك اكلا وبيلا

والوبيل ايضا العصا الضخمة قال

لو اصبح في يمنى يدي زمامها ● وفي كفي الاخرى وبيلا تحاذره

وكذلك الوبيل بكسر الباء والموبل ايضا الحزمة من الحطب وكذلك الوبيل قال طرفة

عقيلة شيخ كالوبيل يلندد

فصل قال ابن الخطيب هذه الآية يمكن الاستدلال بها على اثبات القياس لان الكلام انما ينتظم لو قسنا احدى الصورتين على الاخرى فان قيل هب ان القياس في هذه الصورة حجة فلم قلتم انه في سائر الصور حجة وحينئذ يحتاج الى قياس سائر القياسات على هذا القياس فيكون ذلك اثباتا للقياس بالقياس قلنا لا نثبت سائر القياسات بالقياس على هذه الصورة والا لزم المحذور الذي ذكرتم بل وجه التمسك ان نقول لولا انه تمهد عندهم ان السببين اللذين يشتركان في مناط الحكم ظنا يجب اشتراكهما في الحكم والا لما اورد هذا الكلام في هذه الصورة وذلك لان احتمال الفرق المرجوح قائم هاهنا فان للقائل ان يقول لعلهم انما استوجبوا الاخذ الوبيل بخصوصية [illegible] العصيان في تلك [illegible] وتلك الخصوصية غير موجودة هاهنا ثم انه تعالى مع قيام هذا الاحتمال جزم بالتسوية في الحكم فهذا الجزم لا بد وان يقال انه كان مسبوقا بتقرر انه متى وقع الاشتراك في المناط الظاهر وجب الجزم بالاشتراك في الحكم وان الفرق المرجوح من ان ذلك لخصوص تلك الواقعة لا عبرة به لم يكن لهذا الكلام كثير فائدة ولا معنى لقولنا القياس حجة الا هذا فصل قال ابن الخطيب ومعنى كون الرسول شاهدا عليهم من وجهين الاول انه شاهد عليهم يوم القيامة بكفرهم وتكذيبهم الثاني ان المراد بكونه شاهدا كونه مبينا للحق في الدنيا ومبينا لبطلان ما هم عليه من الكفر لان الشاهد بشهادته يبين الحق ولذلك وصفت بانها بينة ولا يمتنع ان يوصف صلى الله عليه وسلم بذلك من حيث انه يبين الحق قال ابن الخطيب وهذا بعيد لان الله تعالى قال

وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس اى غدا ولاخبار او يكون الرسول عليكم شهيدا انبئنا انه شاهد عليهم في
المستقبل لان حمله على الشهادة في الاخرة حقيقة وحمله على البيان مجاز والحقيقة اولى من المجاز قوله فكيف تتقون
ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا • يوما منصوب اما بتتقون على سبيل المفعول به تجوزا • وقال الزمخشري يوما مفعول
به اى فكيف تتقون انفسكم يوم القيامة وهوله ان بقيتم على الكفر وناقشه ابو حيان فقال وتتقون مضارع
اتقى واتقى ليس بمعنى وقى حتى يفسره به واتقى يتعدى الى واحد ووقى يتعدى الى اثنين قال تعالى ووقاهم عذاب
الجحيم ولذلك قدره الزمخشري بتتقون انفسكم لكنه ليس تتقون بمعنى تقون فلا يعدى تعديته انتهى • ويجوز ان
ينتصب على الظرف اى فكيف لكم بالتقوى يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا قاله الزمخشري • ويجوز ان ينتصب مفعولا
به بكفرتم اذا جعل كفرتم بمعنى جحدتم اى فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة ولا يجوز ان ينتصب
ظرفا لانهم لا يكفرون ذلك اليوم بل يؤمنون لا محالة • ويجوز ان ينتصب على اسقاط الجار اى ان كفرتم بيوم القيامة

فصل قال القرطبي هذا تقريع وتوبيخ اى كيف تتقون العذاب ان كفرتم وفيه تقديم وتأخير اى كيف تتقون
يوما يجعل الولدان شيبا ان كفرتم وكذا قراءة عبد الله وعطية • قال الحسن اى باى صلاة تتقون العذاب باى صوم
تتقون العذاب وفيه اضمار اى كيف تتقون عذاب يوم • وقال قتادة والله ما يتقي من كفر بالله ذلك اليوم لشيء وابو
معمول بتتقون على هذه القراءة وليس بظرف وان قدر الكفر بمعنى الجحود كان اليوم مفعول كفرتم • وقال بعض المفسرين
وقف التمام على قوله كفرتم والابتداء يوما يذهب الى ان اليوم مفعول يجعل والفعل لله عز وجل كانه قال يجعل الله
الولدان شيبا في يوم قال ابن الانباري وهذا لا يصح لان اليوم هو الذي يفعل هذا من شدة هوله • وقال المهدوي
والضمير في يجعل يجوز ان يكون لله عز وجل • ويجوز ان يكون لليوم واذا كان لليوم صلح ان يكون صفة له ولا يصلح ذلك
اذا كان الضمير لله عز وجل الا مع تقدير حذف كانه قال يوما يجعل الله الولدان فيه شيبا • وقال ابن الانباري
ومنهم من نصب اليوم بكفرتم وهذا قبيح لان اليوم اذا علق بكفرتم احتاج الى صفة كفرتم بيوم فان احتج محتج بان
الصفة قد تحذف وينصب ما بعدها احتججنا عليه بقراءة عبد الله فكيف تتقون يوما • قال القرطبي هذه القراءة
ليست بمتواترة وانما جاءت على وجه التفسير واذا كان الكفر بمعنى الجحود فيوم مفعول صريح من غير صفة ولا حذف
اى فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء • والعامة على تنوين يوما وجعل الجملة بعده نعت
له والعائد محذوف اى جعل الولدان فيه قاله ابو البقاء ولم يتعرض للفاعل في يجعل وهو على هذا ضمير البارى تعالى
اى يوما جعل الله فيه واحسن من هذا ان يجعل العائد مضمرا في يجعل هو فاعله ويكون نسبة الجعل الى اليوم من
باب المبالغة اى ان نفس اليوم يجعل الولدان شيبا • وقرا زيد بن علي يوم يجعل باضافة الظرف للجملة والفاعل على هذا
هو ضمير البارى تعالى • والجعل هنا بمعنى التصيير فشيبا مفعول ثان • وقرا ابو السمال فكيف تتقون بكسر النون
على الاضافة • والولدان الصبيان • وقال السدى هم اولاد الزنا وقيل اولاد المشركين والعموم اصح اى يوم يشيب
فيه الصغير من غير كبر وذلك حين يقال لآدم يا آدم قم فابعث بعث النار • وقال القشيرى ثم ان اهل الجنة يغير
الله احوالهم واوصافهم على ما يريد • وقيل هذا ضرب مثل لشدة ذلك اليوم وهو مجاز لان يوم القيامة لا يكون فيه
ولدان ولكن معناه ان هيبة ذلك اليوم بحال لو كان فيه هناك صبي لشاب راسه من الهيبة ويقال هذا وقت
الفزع قبل ان ينفخ في الصور نفخة الصعق والله اعلم • وشيبا جمع اشيب واصل الشين الضم فكسرت لتصح الياء نحو احمر
وحمر قال الشاعر • منا الذى هو ما ان طر شاربه • والعانسون ومنا المرد والشيب •
وقال آخر • لعبت بنا شيبا وشيبتنا مردا • قال الزمخشري وفي بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم
الشعر كحنك الغراب واصبح وهو ابيض الراس واللحية كالثغامة فقال اريت القيامة والجنة والنار في المنام ورايت
الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون • ويجوز ان يوصف اليوم بالطول فان الاطفال
يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب • قال ابن الخطيب ان الله تعالى ذكر من هول ذلك اليوم امرين الاول جعل
الولدان شيبا وفيه وجهان • الاول انه مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال
والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه الشيب لان كثرة الهموم توجب انعصار
الروح الى داخل القلب وذلك الانعصار يوجب انطفاء الحرارة الغريزية وضعفها يوجب بقاء الاجزاء الغذائية غير
تامة النضج وذلك يوجب استيلاء البلغم على الاخلاط وذلك يوجب ابيضاض الشعر فلما راوا ان حصول
الشيب من لوازم كثرة الهموم جعلوا الشيب كناية عن الشدة والهموم وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان
شيبا حقيقة لان ايصال الالم والخوف الى الصبيان غير جائز يوم القيامة • الثاني ما تقدم من طول اليوم وان
الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب قوله السماء منفطر به صفة اخرى اى متشققة بسبب
هوله وشدته فتكون الباء سببية • وجوز الزمخشري ان تكون للاستعانة فانه قال والباء في به مثلها في قولك

فطرت العود بالقدوم فانفطر به • وقال القرطبي ومعنى به اى فيه اى في ذلك اليوم لهوله هذا احسن ما قيل فيه ويقال المثقلة
به اثقالا يؤدى الى انفطارها لعظمته عليها وخشيتها من وقوعها كقوله تعالى ثقلت في السموات والارض • وقيل به اى
لذلك اليوم يقال فعلت كذا بحرمتك ولحرمتك • والباء واللام وفي متقاربة في مثل هذا الموضع قال تعالى ونضع الموازين
القسط ليوم القيامة اى في يوم القيامة • وقيل به اى بالامر اى السماء منفطر بما يجعل الولدان شيبا • وقيل منفطر بالله
اى بامره • وانما لم يؤنث الصفة لوجوه • منها قال ابو عمرو بن العلاء لانها بمعنى السقف تقول هذا سماء البيت قال تعالى
وجعلنا السماء سقفا محفوظا • ومنها انها على النسب اى ذات انفطار نحو امراة مرضع وحائض اى ذات ارضاع وذات حيض
ومنها انها تذكر وتؤنث انشد الفراء • فلو رفع السماء اليه قوما لحقنا بالسماء وبالسحاب • ومنها انها اسم جنس يفرق
بينه وبين واحده بالتاء فيقال سماة وقد تقدم ان اسم الجنس يذكر ويؤنث ولهذا قال ابو علي الفارسي هو كقوله
جراد منتشر والشجر الاخضر واعجاز نخل منقعر يعني فجاءت على احد الجائزين • وقيل لان تانيثها ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز تذكيره
قال الشاعر • والعين بالاثمد الحيرى مكحول قوله كان وعده مفعولا • يجوز ان يكون الضمير لله تعالى وان لم يجر له ذكر
للعلم به فيكون المصدر مضافا للفاعل • ويجوز ان يكون لليوم فيكون مضافا للمفعول والفاعل وهو الله مقدر

فصل قال المفسرون كان وعده بالقيامة والحساب والجزاء مفعولا كائنا لا شك فيه ولا خلف • وقال مقاتل كان وعده
بان يظهر دينه على الدين كله قوله ان هذه تذكرة • اى هذه السورة او الايات عظة • وقيل ايات القران اذ هو كالسورة
الواحدة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا لان هذه الايات مشتملة على انواع الهداية والارشاد فمن شاء ان يؤمن ويتخذ
بذلك الى ربه سبيلا اى طريقا الى رضاه ورحمته فليرغب فقد امكن له لانه اظهر له الحجج والدلائل قيل نسخت باية
السيف وكذلك قوله تعالى فمن شاء ذكره • قال الثعلبي والاشبه انه غير منسوخ قوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى
من ثلثي الليل • العامة على ضم اللام من ثلثي وهو الاصل كالربع والسدس • وقرا هشام باسكانها تخفيفا قوله ونصفه
وثلثه • قرا الكوفيون وابن كثير بنصبهما والباقون بجرهما وفي الجر اشكال يانى ان شاء الله تعالى فالنصب نسق على ادنى
لانه بمعنى وقتا ادنى اى اقرب استعير الدنو لقرب المسافة في الزمان وهذا مطابق لما في اول السورة من التقسيم
وذلك انه اذا قام ادنى من ثلثي الليل فقد صدق عليه انه قام الليل الا قليلا لان الزمان الذى لم يقم فيه يكون الثلث
وشيئا من الثلثين فيصدق عليه قوله الا قليلا • واما قوله ونصفه فهو مطابق لقوله اولا نصفه • واما قوله وثلثه فان
قوله او انقص منه قليلا قد ينتهي النقص في القليل الى ان يكون الوقت ثلثي الليل • واما قوله او زد عليه فانه اذا زاد
على النصف قليلا كان الوقت اقل من الثلثين فيكون قد طابق ادنى من ثلثي الليل ويكون قوله تعالى نصفه او انقص
منه قليلا شرحا لمبهم ما دل عليه قوله قم الليل الا قليلا وعلى قراءة النصب فسر الحسن تحصوه بمعنى تطيقوه • واما قراءة
الجر فمعناها انه قيام مختلف مرة ادنى من الثلثين ومرة ادنى من النصف ومرة ادنى من الثلث وذلك لتعذر معرفة
البشر بمقدار الزمان مع عذر النوم وقد اوضح هذا كله الزمخشري فقال وقرى ونصفه وثلثه بالنصب على انك
تقوم اقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما مر في اول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه
وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الادنى من الثلثين • وقرى بالجر اى تقوم اقل من
الثلثين واقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو ادنى من الثلثين والثلث وهو ادنى من
النصف والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير انتهى يعني بالوجه الاخير ما قدمه اول السورة من التاويلات
وقال ابو عبد الله الفارسي وفي قراءة النصب اشكال الا ان يقدر نصفه تارة وثلثه تارة واقل من النصف والثلث
تارة فيصح المعنى

فصل قال القرطبي هذه الاية تفسير لقوله تعالى قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد
عليه كما تقدم وهي الناسخة لفريضة قيام الليل كما تقدم ومعنى قوله تقوم اى تصلي وادنى اى اقل • وقرا ابن السميفع وابو
حيوة وهشام عن اهل الشام ثلثي باسكان اللام ونصفه وثلثه بالخفض قراءة العامة كما تقدم وهي اختيار ابي عبيد وابي
حاتم عطفا على ثلثي • والمعنى وتقوم ادنى من ثلثي الليل ومن نصفه وثلثه لقوله تعالى علم ان لن تحصوه فكيف تقومون
نصفه او ثلثه وهم لا تحصونه • واما قراءة النصب عطفا على ادنى والتقدير تقوم ادنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه
وثلثه • قال الفراء هو اشبه بالصواب لانه قال اقل من الثلثين ثم ذكر نفس القلة لا اقل من القلة • قال القشيري
وعلى هذه القراءة يحتمل انهم كانوا يصيبون الثلث والنصف لخفة القيام عليهم بذلك القدر وكانوا يزيدون وفي
الزيادة اصابة المقصود • فاما الثلثان فكان يثقل عليهم قيامه فلا يصيبونه وينقصون منه • ويحتمل انهم امروا
بالقيام نصف الليل ورخص لهم في الزيادة والنقصان وكانوا ينتهون في الزيادة الى قريب من الثلثين وفي النقص
الى الثلث • ويحتمل انه قدر لهم النصف وانقص الى الثلث والزيادة الى الثلثين وكان فيهم من يفي بذلك وفيهم من
يترك ذلك الى ان نسخ عنهم • وقيل انما فرض عليهم الربع وكانوا ينقصون من الربع قال القرطبي وهذا تحكم قوله
وطائفة من الذين معك • رفع بالعطف على الضمير في تقوم وجوز ذلك الفصل بالظرف وما عطف عليه قوله والله

يقدر الليل قال الزمخشري وتقديم اسم الله عز وجل مبتدا مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير ونازعه ابو حيان في ذلك وقال لو قيل زيد يحفظ القران لم يدل ذلك على اختصاصه وجعل الاختصاص في الاية مفهوما من السياق لا من التقديم والمعنى يعلم مقادير الليل والنهار على حقائقها وانتم تعلمون بالتحري والاجتهاد الذي يقع فيه الخطا قوله علم ان لن تحصوه ان في ان لن وان سيكون كلاهما مخففة من الثقيلة والفاصل النفي وحرف التنفيس والمعنى علم ان لن تطيقوا معرفة حقائق ذلك والقيام به اي ان الله هو الذي يعلم مقادير الليل والنهار على حقيقتها وقيل المعنى اي لن تطيقوا قيام الليل والاول اصح لان قيام الليل ما فرض كله قط قال مقاتل وغيره لما نزل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه شق ذلك عليهم وكان الرجل لا يدري متى نصف الليل من ثلثه فيقوم حتى يصبح مخافة ان يخطي فانتفخت اقدامهم وانتقعت الوانهم فخفف الله عنهم وقال علم ان لن تحصوه اي علم انكم ان زدتم ثقل عليكم واحتجتم الى تكلف ما ليس فرضا وان نقصتم شق ذلك عليكم قوله فتاب عليكم اي فعاد عليكم بالعفو وهذا يدل على انه كان فيهم من ترك بعض ما امر به وقيل فتاب عليكم من فرض القيام او عن عجزكم واصل التوبة الرجوع كما تقدم فالمعنى رجع لكم من تثقيل الى تخفيف ومن عسر الى يسر وانما امروا بحفظ الاوقات بالتحري فخفف عنهم ذلك التحري وقيل معنى قوله والله يقدر الليل والنهار اي يخلقهما مقدرين كقوله تعالى وخلق كل شي فقدره تقديرا قال ابن العربي تقدير الخلقة لا يتعلق به حكم وانما يربط الله به ما يشاء من وظايف التكليف قوله فاقرءوا ما تيسر من القران قيل المراد نفس القراءة اي فاقرءوا فيما تصلون به بالليل ما خف عليكم قال السدي مائة اية وقال الحسن من قرا مائة اية في ليلة لم يحاجه القران وقال كعب من قرا في ليلة مائة اية كتب من القانتين وقال سعيد خمسون اية قال القرطبي قول كعب اصح لقوله عليه السلام من قام بعشر ايات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة اية كتب من القانتين ومن قام بالف اية كتب من المقنطرين خرجه ابو داود الطيالسي وروى انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا خمسين اية في يوم او في ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرا مائة اية كتب من القانتين ومن قرا مائتي اية لم يحاجه القران يوم القيامة ومن قرا خمسمائة اية كتب له قنطار من الاجر قوله من المقنطرين اي اعطي قنطارا من الاجر وجاء في الحديث ان القنطار الف ومائتا اوقية والاوقية خير مما بين السماء والارض وقال ابو عبيدة القناطير واحدها قنطار ولا تجد العرب تعرف وزنه ولا واحد للقنطار من لفظه وقال ثعلب المعمول عليه عند العرب انه اربعة الاف دينار فاذا قالوا قناطير مقنطرة فهي اثنا عشر الف دينار وقيل ان القنطار ملء جلد ثور ذهبا وقيل ثمانون الفا وقيل جملة كثيرة مجهولة من المال نقله ابن الاثير وقيل المعنى فاقرءوا ما تيسر من القران اي فصلوا ما تيسر عليكم والصلاة تسمى قرانا قال تعالى وقران الفجر اي صلاة الفجر قال ابن العربي والاول اصح لانه اخبر عن الصلاة والليل والنهار يرجع القول قال القرطبي الاول اصح حملا للخطاب على ظاهر اللفظ والقول الثاني مجاز لانه من تسمية الشي ببعض ما هو من اعماله

فصل قال بعض العلماء قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر من القران نسخ قيام الليل ونصفه والنقصان من النصف والزيادة عليه ثم يحتمل قول الله عز وجل فاقرءوا ما تيسر منه معنيين احدهما ان يكون فرضا ثابتا لانه ازيل به فرض غيره والاخر ان يكون فرضا منسوخا ازيل بغيره كما ازيل به غيره وذلك بقول الله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اي تهجد بغير الذي فرض عليه مما تيسر منه قال الشافعي فكان الواجب طلب الاستدلال بالسنة على احد المعنيين فوجدنا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على ان لا واجب من الصلاة الا الخمس

فصل قال القشيري والمشهور ان نسخ قيام الليل كان في حق الامة وبقيت الفريضة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقيل انما نسخ التقدير بمقدار وبقي اصل الوجوب كقوله تعالى فما استيسر من الهدي فالهدي لا بد منه كذلك لا بد من صلاة الليل ولكن فوض تقديره الى اختيار المصلي وعلى هذا فقال قوم فرض قيام الليل بالقليل باق وهو مذهب الحسن وقال الشافعي بل نسخ بالكلية فلا تجب صلاة الليل اصلا ولعل الفريضة التي بقيت في حق النبي صلى الله عليه وسلم هي هذا وهو قيامه ومقداره مفوض الى خيرته واذا ثبت ان القيام ليس فرضا فقوله تعالى فاقرءوا ما تيسر منه معناه اقرءوا ان تيسر عليكم ذلك وصلوا ان شئتم وقال قوم ان النسخ بالكلية تقرر في حق الرسول صلى الله عليه وسلم ايضا فما كانت صلاة الليل واجبة عليه وقوله نافلة لك محمول على حقيقة النفل ومن قال نسخ المقدار وبقي اصل وجوب قيام الليل ثم نسخ فهذا النسخ الثاني وقع ببيان مواقيت الصلاة كقوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس الاية وقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون الاية وما في الخبر من ان الزيادة على الصلوات الخمس تطوع وقيل وقع النسخ بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللامة كما ان فرضية الصلاة وان خوطب بها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يا ايها المزمل قم الليل فهي عامة له ولغيره وقد قيل الفرضية قيام الليل امتدت الى ما بعد الهجرة ونسخت بالمدينة لقوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في

سبيل الله وانما فرض القتال بالمدينة فعلى هذا بيان المواقيت جرى بمكة فقيام الليل نسخ بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نسخ قول الله ان ربك يعلم انك تقوم وجوب صلاة الليل قوله علم ان سيكون منكم مرضى الاية بين سبحانه علة تخفيف قيام الليل فان الخلق منهم المريض ويشق عليه ان تفوته الصلاة والمسافر في التجارات قد لا يطيق قيام الليل والمجاهد كذلك فخفف الله عن الكل لاجل هولاء يعني المريض والمسافر والمجاهد فلو لم يناموا في الليل لتوالت عليهم اسباب المشقة وقال ابن الخطيب لما علم الله تعالى اعذار ... وهذا السبب ما كان موجودا في حق النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا فلا جرم لم ينسخ وجوب التهجد في حقه عليه السلام وان في قوله ان سيكون مخففة من الثقيلة اي علم انه سيكون قوله واخرون عطف على مرضى اي علم ان سيوجد منكم قوم مرضى وقوم اخرون مسافرون فيضربون نعت لاخرون وكذلك يبتغون ويجوز ان يكون يبتغون حالا من فاعل يضربون واخرون عطف على اخرون ويقاتلون صفته

فصل سوى الله تعالى في هذه الاية بين درجة المجاهدين والمكتسبين للمال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والاحسان فكان هذا دليل على ان كسب المال بمنزلة الجهاد لانه جمعه مع الجهاد في سبيل الله قال عليه السلام ما من جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله تعالى منزلة الشهداء ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وقال ابن مسعود ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهداء وقرا واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وقال ابن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد الموت في سبيل الله احب الي من الموت بين شعبتي رحل ابتغي من فضل الله ضاربا في الارض وقال طاوس الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله قوله فاقرءوا ما تيسر منه اي صلوا ما امكن فاوجب الله من صلاة الليل ما تيسر ثم نسخ ذلك بايجاب الصلوات الخمس على ما تقدم وقال عبد الله بن عمرو قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل ولو كان فرضا ما اقره النبي صلى الله عليه وسلم ولا اخبر بمثل هذا الخبر عنه بل كان يذمه غاية الذم

فصل اذا ثبت ان قيام الليل ليس بفرض وان قوله فاقرءوا ما تيسر من القران فاقرءوا ما تيسر منه محمول على ظاهره من القراءة في الصلاة فاختلف العلماء في قدر ما يلزمه ان يقرا به في الصلوة فقال مالك والشافعي فاتحة الكتاب لا يجزي العدول عنها ولا الاقتصار على بعضها وقدره ابو حنيفة باية واحدة من اي القران كانت وعنه ثلاث ايات لانها اقل سورة وقيل المراد به قراءة القران في غير الصلوة قال الماوردي فعلى هذا القول يكون مطلق الامر محمولا على الوجوب ليقف بقراءته على اعجازه وما فيه من دلايل التوحيد وبعث الرسل ولا يلزمه اذا قراه وعرف اعجازه ودلايل التوحيد منه ان يحفظه لان حفظ القران من القرب المستحبة دون الواجبة والاكثرون على انه للاستحباب لانه لو وجب علينا قراءته لوجب حفظه وفي قدر الواجب اقوال الاول قال الضحاك جميع القران لان الله تعالى يسره على عباده الثاني قال جويبر ثلث القران الثالث قال السدي مائتا اية الرابع قال ابن عباس مائة اية الخامس قال ابو خالد الكناني ثلاث ايات كاقصر سورة قوله واقيموا الصلاة يعني المفروضة وهي الخمس لوقتها واتوا الزكاة الواجبة في اموالكم قاله عكرمة وقتادة وقال الحارث العكلي صدقة الفطر لان زكاة الاموال وجبت بعد ذلك وقيل صدقة التطوع وقيل كل فعل خير وقال ابن عباس طاعة الله والاخلاص قوله واقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن ما اريد به وجه الله خالصا من المال الطيب وقال زيد بن اسلم القرض الحسن النفقة على الاهل وقيل صلة الرحم وقرى الضيف وقال عمر بن الخطاب هو النفقة في سبيل الله قوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله تقدم في سورة البقرة قوله هو خيرا العامة على نصب خيرا مفعولا ثانيا وهو اما تاكيد للمفعول الاول او فصل وجوز ابو البقاء ان يكون بدلا وهو غلط لانه كان يلزم ان يطابق ما قبله في الاعراب فيقال اياه وقرا ابو السمال وابن السميفع خير على ان يكون هو مبتدا وخير خبره والجملة مفعول ثان لتجدوه قال ابو زيد هي لغة تميم يرفعون ما بعد الفصل وانشد سيبويه

تحن الى ليلى وانت تركتها ... وكنت عليها بالملا انت اقدر

والقوافي مرفوعة ويروى اقدرا بالنصب قال الزمخشري وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة قال شهاب الدين هذا هو المشهور وبعضهم يجوزه في غير افعل من النكرات وقال القرطبي ونصب خيرا واعظم على المفعول الثاني لتجدوه وهو فصل عند البصريين وعماد عند الكوفيين لا محل له في الاعراب واجرا تمييز

فصل المعنى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا من الذي يوخرونه الى الوصية عند الموت قاله ابن عباس وقال الزجاج خيرا لكم من متاع الدنيا وقوله واعظم اجرا قال ابو هريرة يعني الجنة ويحتمل ان يكون اعظم اجرا الاعطاء بالحسنة عشرا واستغفروا الله اي سلوه المغفرة لذنوبكم ان الله غفور لما كان قبل التوبة رحيم لكم بعدها قاله سعيد بن جبير وقيل غفور رحيم لمن لم يصر على الذنوب وقال مقاتل غفور لجميع الذنوب لان قوله غفور يتناول التائب والمصر بدليل انه يصح استثناء كل واحد منهما وحكم الاستثناء اخراج ما لولاه لدخل

وايضا غفران الذنب واجب عند الخصم فلا يحصل المدح باداء الواجب والغرض من الآية تقرير المدح فوجب حمله على
الكل تحقيقا للمدح ۞ روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يا ايها المزمل رفع
عنه العسر في الدنيا والآخرة والله اعلم ۞

سورة المدثر

وهي ست وخمسون آية ۞ ومائتان وخمس وخمسون كلمة ۞ والف وعشرة احرف ۞ بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
يا ايها المدثر ۞ اي يا ايها الذي قد تدثر بثيابه اي تغشى بها ونام ۞ وقرأ العامة بتشديد الدال وكسر الثاء اسم فاعل من تدثر
واصله المتدثر فادغم كالمزمل ۞ وفي حرف ابي المتدثر على الاصل المشار اليه ۞ وقرأ عكرمة بتخفيف الدال اسم فاعل من
دثر بالتشديد ويكون المفعول محذوفا اي المدثر نفسه كما تقدم في المزمل وعنه ايضا فتح الثاء ۞ ومعنى تدثر لبس
الدثار وهو الثوب الذي فوق الشعار ۞ والشعار ما يلي الجسد ۞ وفي الحديث الانصار شعار والناس دثار ۞ وسيف
داثر لبعيد العهد بالصقال ومنه قيل للمنزل الدارس داثر لذهاب اعلامه ۞ وفلان دثر مال اي حسن القيام به **قوله**
قم ۞ اما ان يكون من القيام المعهود فيكون المعنى قم من مضجعك ۞ واما من قام بمعنى الاخذ في القيام كقوله
فقام يذود الناس عنها بسيفه ۞ وقوله على ما قام يشتمني لئيم ۞ في احد القولين فيكون المعنى قيام
عزم وتصميم ۞ والقول الآخر قام مزيدة وفي جعلها بمعنى الاخذ في القيام نظر لانه حينئذ يصير من اخوات عسى
فلا بد له من خبر يكون فعلا مضارعا مجردا من ان **قوله** فانذر ۞ مفعوله محذوف اي انذر قومك عذاب الله والاحسن
ان لا يقدر له اي اوقع الانذار **فصل** المعنى يا ايها الذي قد تدثر بثيابه اي تغشى بها ونام ۞ وقيل ليس المراد التدثر
بالثوب فان قلنا التدثر بالثوب ففيه وجوه ۞ احدها ان هذا من اوائل ما نزل من القرآن ۞ روى جابر عن عبد
الله رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك لرسول فنظرت عن يميني ويساري
فلم ار احدا فنظرت فوقي فرايت الملك الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والارض فخفت فرجعت الى خديجة
فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا فانزل الله تعالى يا ايها المدثر ۞ وثانيها ان ابا جهل وابا لهب وابا سفيان والوليد
ابن المغيرة والنضر بن الحرث وامية بن خلف والعاص بن وائل والمطعم بن عدي اجتمعوا وقالوا ان وفود
العرب يجتمعون في ايام الحج ويسألوننا عن امر محمد صلى الله عليه وسلم وقد اختلفتم في الاخبار عنه فمن قائل يقول
مجنون وقائل يقول كاهن وقائل يقول ساحر وتعلم العرب ان هذا كله لا يجتمع في رجل واحد فيسألون باختلاف الاجوبة على انها
اجوبة باطلة فسموا محمدا باسم واحد تجتمعون عليه وتسميه العرب به فقام رجل منهم فقال انه شاعر فقال الوليد
سمعت كلام عبيد بن الابرص الكاهن يصدق ويكذب وما كذب محمد صلى الله عليه وسلم قط فقال آخر انه
مجنون فقال الوليد المجنون يخنق الناس وما خنق محمد قط ثم قام الوليد فانصرف الى بيته فقال الناس صبأ الوليد
ابن المغيرة فدخل عليه ابو جهل فقال ما لك يا ابا عبد شمس هذه قريش تجمع لك شيئا يعطونكه زعموا انك قد احتجت وصبأت
فقال الوليد ما لي اليه حاجة ولكني فكرت في محمد فقلت انه ساحر لان الساحر هو الذي يفرق بين الاب وابنه
وبين الاخ واخيه وبين المرأة وزوجها فشاع ذلك في الناس فصاحوا يقولون محمد ساحر والناس يجتمعون
فوقعت الصيحة في الناس فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اشتد عليه ورجع الى بيته محزونا فتدثر
بقطيفة فانزل الله تعالى يا ايها المدثر ۞ وثالثها انه صلى الله عليه وسلم كان نائما متدثرا بثيابه فجاءه جبريل عليه
السلام وايقظه عليه الصلاة والسلام وقال يا ايها المدثر قم فانذر كانه قال اترك التدثر بالثياب واشتغل
بهذا المنصب الذي نصبك الله تعالى له ۞ وان قلنا انه ليس المراد منه التدثر بالثياب ففيه وجوه ۞ الاول
قال عكرمة المعنى يا ايها المدثر بالنبوة والرسالة واثقالها من قولهم ألبسه الله لباس التقوى وزينه برداء
العلم ۞ قال ابن العربي وهذا مجاز بعيد لانه لم يكن نبيا بعد ۞ وان قلنا انها اول القرآن لم يكن نبيا بعد الا ان
قلنا انها ثاني ما نزل ۞ الثاني ان المدثر بالثوب يكون كالمختفي فيه صلى الله عليه وسلم كان في جبل حراء كالمختفي من
الناس فكانه قيل يا ايها المدثر بدثار الاختفاء قم بهذا الامر واخرج من زاوية الخمول واشتغل بانذار الخلق
والدعوة الى معرفة الحق ۞ الثالث انه تعالى جعله رحمة للعالمين فكانه قيل له يا ايها المدثر باثواب العلم العظيم
والخلق الكريم والرحمة الكاملة قم فانذر عذاب ربك **فصل** قوله تعالى يا ايها المدثر ملاطفة في الخطاب من الكريم
الى الحبيب اذ ناداه بحاله وعبر عنه بصفته ولم يقل يا محمد كما تقدم في المزمل **فصل** ومعنى قوله تعالى فانذر
اي خوف اهل مكة وحذرهم العذاب ان لم يسلموا ۞ وقيل الانذار هنا اعلامهم بنبوته عليه الصلاة والسلام
لانها مقدمة الرسالة ۞ وقيل هو دعاؤهم الى التوحيد لانه المقصود ۞ وقال الفراء قم فصل امر بالصلاة **قوله**

قوله وربك فكبر ۞ تقدم المفعول وكذا ما بعده ايذانا بالاختصاص عند من يرى ذلك او للاهتمام به ۞ قال الزمخشري واختص
ربك بالتكبير ثم قال ودخلت الفاء لمعنى الشرط كانه قيل ومهما يكن فلا تدع تكبيره وقد تقدم الكلام في مثل هذه الفاء
في البقرة عند قوله تعالى واياي فارهبون ۞ قال ابو حيان وهو قريب مما قدره النحاة في قولك زيدا فاضرب قالوا تقديره
تنبه فاضرب زيدا فالفاء في جواب الامر وهذا الامر اما مضمن معنى الشرط واما الشرط محذوف على الخلاف الذي فيه
عند النحاة ۞ قال ابو الفتح الموصلي يقال زيدا اضرب وعمرا اشكر وعندي ان الفاء زائدة ۞ وقال الزجاج دخلت الفاء لافادة
معنى الجزاء ۞ والمعنى قم فكبر ربك وكذلك ما بعده **فصل** معنى قوله وربك فكبر اي سيدك ومالكك ومصلح امرك فعظم
وصفه بانه اكبر من ان يكون له صاحبة او ولد ۞ وفي الحديث انهم قالوا بم تفتتح الصلاة فنزل وربك فكبر اي صفه بانه
اكبر قال ابن العربي وهذا القول وان كان يقتضي بعمومه تكبير الصلاة فانه مراد فيه التكبير والتقديس والتنزيه لخلع
الانداد والاصنام دونه ولا تتخذ وليا غيره ولا تعبد سواه ۞ وروي ان ابا سفيان قال يوم احد اعل هبل فقال صلى الله عليه
وسلم قولوا الله اعلى واجل وقد صار هذا اللفظ بعرف الشرع في تكبير العبادات كلها اذانا وصلاة بقوله الله اكبر وحمل
عليه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد على الاطلاق في موارد منها قوله تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والشرع يقتضي
بعرفه ما يقتضي بعمومه ومن موارده اوقات الاهلال بالذبائح تخليصا له من الشرك واعلانا باسمه بالنسك وافرادا
لما شرع من امره بالسفك ۞ والمنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم في التكبير في الصلاة هو لفظ الله اكبر ۞ وقال
المفسرون لما نزل قوله تعالى وربك فكبر قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله اكبر فكبرت خديجة رضي الله
عنها وعلمت انه وحي من الله تعالى ذكره القشيري ۞ وقال الكلبي وعظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان ۞ قال مقاتل هو ان يقول
الله اكبر ۞ وقيل المراد منه التكبير في الصلاة **فان قيل** هذه السورة نزلت في اول البعث ولم تكن الصلاة واجبة **فالجواب**
لا يبعد انه كانت له عليه الصلاة والسلام صلوات تطوع فامر ان يكبر ربه فيها ۞ قال ابن الخطيب وعندي انه لما قيل
له قم فانذر **قوله تعالى** وثيابك فطهر ۞ قيل المراد بالثياب الملبوسة فعلى الاول يكون المعنى وعملك فاصلح قاله مجاهد
وابن زيد والسدي ۞ وروى منصور عن ابي رزين قال يقول وعملك فاصلح قال واذا كان الرجل خبيث العمل قالوا
ان فلانا خبيث الثياب ۞ واذا كان الرجل حسن العمل قالوا ان فلانا طاهر الثياب ومنه قول النبي صلى الله عليه
وسلم يحشر المرء في ثوبيه الذي مات فيهما يعني عمله الصالح والطالح ذكره الماوردي ۞ ومن قال المراد به القلب
فالمعنى وقلبك فطهر قاله ابن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهما ومنه قول امرئ القيس ۞
سلي ثيابي من ثيابك تنسل ۞ اي قلبي من قلبك ۞ قال الماوردي ولهم في تاويل الآية
وجهان احدهما المعنى وقلبك فطهر من الاثم والمعاصي قاله ابن عباس وقتادة ۞ الثاني وقلبك فطهر من الغدر
اي لا تغدر فتكون دنس الثياب وهو مروي عن ابن عباس ايضا واستشهد بقول غيلان بن سلمة الثقفي
فاني بحمد الله لا ثوب غادر ۞ لبست ولا من غدرة اتقنع ۞ ومن قال المراد به النفس
قال معناه ونفسك فطهر اي من الذنوب والعرب تكني عن النفس بالثياب قاله ابن عباس رضي الله عنه ومنه
قول عنترة ۞ فشككت بالرمح الطويل ثيابه ۞ ليس الكريم على القنا بمحرم ۞ وقول امرئ القيس المتقدم
ومن قال بانه الجسم قال المعنى وجسمك فطهر من المعاصي الظاهرة ۞ ومنه قول ليلى تصف ابلا
رموها باثواب خفاف فلا ترى ۞ لها شبها الا النعام المنفرا ۞ اي ركبوها فرموها
بانفسهم ۞ ومن قال المراد به الاهل قال معناه واهلك طهرهم من الخطايا بالموعظة والتاديب والعرب
تسمي الاهل ثوبا ولباسا وازارا قال تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن ۞ قال الماوردي ولهم في تاويل الآية
وجهان ۞ الاول معناه ونساءك فطهر باختيار المؤمنات العفائف ۞ الثاني الاستمتاع بهن في القبل دون الدبر
في الطهر لا الحيض حكاه ابن بحر ۞ قال ابن الخطيب وحمل الآية على هذا التاويل يعسر لانه على هذا الوجه لا يحسن اتصال
الآية بما قبلها ۞ ومن قال المراد به الخلق قال معناه وخلقك فحسن قاله الحسن والقرطبي لان خلق الانسان
مشتمل على احواله اشتمال ثيابه على نفسه قال ۞ فلا اب وابنا مثل مروان وابنه
اذا هو بالمجد ارتدى وتازرا ۞ والسبب في حسن هذه الكناية وجهان ۞ الاول ان الثوب
كالشيء الملازم للانسان فلهذا جعلوا الاثواب كناية عن الانسان فيقال المجد في ثوبه والعفة في ازاره ۞ الثاني
انه من طهر باطنه فالباطن طهر ظاهره ۞ ومن قال المراد به الدين قال معناه ودينك فطهر جاء في الصحيح انه صلى الله
عليه وسلم قال ورايت الناس وعليهم ثياب منها ما يبلغ الثدي ومنها دون ذلك ورايت عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وعليه ازار يجره قالوا يا رسول الله فما اولت ذلك قال الدين ۞ وروي عن انس بن مالك رضي الله
عنه في قوله تعالى وثيابك فطهر قال معناه لا تلبس ثيابك على غدر ۞ قال ابن ابي كبشة
ثياب بني عوف طهارى نقية ۞ واوجههم عند المشاهد غرانا ۞ يعني بطهارة ثيابهم سلامتهم

عن الدناءات ولغي بغيره وجوههم ثم نزههم عن المحرمات او جمالهم في الخلقة او كليهما قاله ابن العربي • وقال سفيان بن عيينة لا تلبس ثيابك على كذب ولا جور ولا غدر ولا اثم قاله عكرمة • ومن قال ان المراد به الثياب الملبوسة فلهم اوجه • الاول وثيابك فانق • الثاني وثيابك فشمر اي قصر قال تقصير الثياب ابعد من النجاسة فاذا انجرت على الارض لم يؤمن ان يصيبها نجاسة قاله الزجاج وطاوس • الثالث وثيابك فطهر من النجاسة بالماء قاله محمد ابن سيرين وابن زيد والفقهاء • الرابع لا تلبس ثيابك الا من كسب الحلال لتكون مطهرة من الحرام • وعن ابن عباس رضي الله عنه لا تكون ثيابك التي تلبس من مكسب غير طايل • قال ابن العربي وليس يمتنع ان تحمل الاية على عموم المراد بها الحقيقة والمجاز واذا حملناها على الثياب الظاهرة المعلومة فهي تتناول معنيين • احدهما تقصير الاذيال فانها اذا ارسلت تدنست ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لغلام من الانصار وقد راى ذيله مسترخيا ارفع ازارك فانه انقى وابقى وانقى • وقال صلى الله عليه وسلم ازرة المومن الى انصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ما كان من اسفل من ذلك ففي النار فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم علم الغاية في لباس الازار الكعب وتوعد ما تحته بالنار فما بال رجال يرسلون اذيالهم ويطيلون ثيابهم ثم يتكلفون رفعها بايديهم وهذه حالة الكبر • وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله تعالى الى من جر ثوبه • وفي رواية من جر ازاره خيلا لم ينظر الله اليه يوم القيامة • قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله اني احد شقي ازاري يسترخي الا اني اتعاهد ذلك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ممن يصنعه خيلا • والمعنى الثاني غسلها بالماء من النجاسة وهو الظاهر قال المهدوي واستدل به بعض العلماء على وجوب طهارة الثوب وليس ذلك بفرض عند مالك واهل المدينة وكذلك طهارة البدن للاجماع على جواز الصلاة بالاستجمار من غير غسل • قال ابن الخطيب اذا حملنا لفظ التطهير على حقيقته فنقول المراد منه انه صلى الله عليه وسلم امر بتطهير ثيابه من الانجاس والاقذار وعلى هذا التقدير ففي الاية ثلاث احتمالات • الاول قال الشافعي رضي الله عنه المقصود من الاية الاعلام بان الصلاة لا تجوز الا في ثياب طاهرة من الانجاس • وثانيها قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كان المشركون لا يصونون ثيابهم عن النجاسات فامره الله تعالى بان يصون ثيابه عن النجاسات • وثالثها روي انهم القوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلا شاة فشق عليه فرجع الى بيته حزينا وتدثر في ثيابه فقيل يا ايها المدثر قم فانذر ولا يمنعك تلك السفاهة عن الانذار وربك فكبر على ان لا تنتقم منهم وثيابك فطهر عن تلك النجاسات والقاذورات • **قوله تعالى** والرجز • قرا حفص ومجاهد وعكرمة وابن محيصن بضم الراء والباقون بكسرها فقيل لغتان بمعنى • وعن ابي عبيدة الضم افشى اللغتين واكثرهما • وقال مجاهد هو بالضم اسم صنم ويعزى للحسن البصري ايضا وبالكسر اسم للعذاب وعلى تفسيره بكونه العذاب فلا بد من حذف مضاف اي اهجر اسباب العذاب المودية اليه اقام السبب مقام المسبب وهو مجاز شايع • وقال السدي الرجز بنصب الراء الوعيد • وقال مجاهد وعكرمة المراد بالرجز الاوثان لقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان • وقاله ابن عباس ايضا والماثم فاهجر اي فاترك وكذلك روى مغيرة عن ابرهيم النخعي قال الرجز الاثم • وقال قتادة الرجز اساف ونايلة واصل الرجز العذاب قال تعالى لئن كشفت عنا الرجز لنومنن لك • وقال تعالى فارسلنا عليهم رجزا من السما • **قوله** ولا تمنن • العامة على فك الادغام والحسن وابو السمال والاشهب العقيلي بالادغام وقد تقدم ان المجزوم والموقوف من هذا النوع يجوز فيهما الوجهان كما تقدم تحقيقه في المائدة عند قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه والمشهور انه من المن وهو الاعتداد على المعطى بما اعطاه • وقيل معناه ولا تضعف من قولهم حبل متين اي ضعيف • **قوله** تستكثر • العامة على رفعه وفيه وجهان • احدهما انه في موضع الحال اي لا تمنن مستكثرا ما اعطيت • وقيل معناه لتاخذ اكثر مما اعطيت • الثاني على حذف ان والمعنى ولا تمنن ان تستكثر فلما حذفت ان ارتفع الفعل كقوله • الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • في احد الروايتين قاله الزمخشري ولم يبين ما محل ان وما في خبرها وفيه وجهان الظاهر منهما وهو الذي يريد هو انها اما في محل نصب او جر على الخلاف فيها بعد حذف حرف الجر وهو هنا لام العلة تقديره ولا تمنن لان تستكثر • والثاني انها في محل نصب فقط مفعولا بها اي لا تضعف ان تستكثر من الخير قاله مكي وقد تقدم ان تمنن بمعنى تضعف وهو قول مجاهد الا ان ابا حيان قال بعد كلام الزمخشري وهذا لا يجوز ان يحمل القران عليه لان ذلك لا يجوز الا في الشعر ولنا مندوحة عنه مع صحة معنى الكوفيين يجيزون ذلك وايضا فقد قرا الحسن والاعمش تستكثر ايضا على اضمار ان كقولهم • مره يحفرها • وابلغ من ذلك التصريح بان في قراءة عبد الله ولا تمنن ان تستكثر • وقرا الحسن ايضا وابن ابي عبلة تستكثر جزما وفيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون بدلا من الفعل قبله كقوله يلق اثاما يضاعف فيضاعف بدل من يلق • ولقوله • متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا • والثاني ان يكون من المن

الذي في قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى • الثاني ان يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا قاله الزمخشري يعني انه ياخذ من مجموع تستكثر ومن الكلمة التي بعدها وهو الواو ما يكون فيه شبيها بعضد الا ترى انه قال ان يشبه ثرو فاخذ بعض تستكثر وهو الثاء والراء وحرف العطف من قوله ولربك فاصبر وهذا كما قالوا في قول امرء القيس

فاليوم اشرب غير مستحقب • اثما من الله ولا واغل •

بتسكين اشرب انهم اخذوا من المتكلمين ربع كعضد ثم سكن وقد تقدم في سورة يوسف في قراءة قنبل من يتقي بثبوت الياء ان من موصولة فاعترض بجزم ويصبر فاجيب بانه شبه برف اخذا من الباء والراء من ويصبر والفاء من فانه وهذا نظير تلك سواء • الوجه الثالث ان تعتبر حال الوقف ويجرى الوصل مجراه قاله الزمخشري ايضا يعني انه مرفوع وانما سكن تخفيفا او اجرى الوصل مجرى الوقف • قال ابو حيان وهذان لا يجوز ان يحمل عليهما مع وجود ارجح منهما وهو البدل معنى وصناعة • **فصل** في اتصال هذه الاية بما قبلها انه تعالى امره قبل هذه الاية باربعة اشيا انذار القوم وتكبير الرب وتطهير الثياب وهجر الرجز ثم قال جل ذكره ولا تمنن تستكثر اي لا تمنن على ربك بهذه الاعمال الشاقة كالمستكثر لما تفعله بل اصبر على ذلك كله لوجه ربك متقربا بذلك اليه غير ممتن به عليه • قال الحسن رحمه الله لا تمنن بحسناتك فتستكثرها • وقال ابن عباس وعكرمة وقتادة لا تعط عطية تلتمس بها افضل منها • وقيل لا تمنن على الناس بما تعلمهم من امر الدين والوحي مستكثرا بذلك الانعام فانما فعلت ذلك بامر الله تعالى فلا منة لك عليهم ولهذا قال تعالى ولربك فاصبر وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك اي لتستكثر اي لتاخذ منهم على ذلك اجرا تستكثر به مالك • وقال مجاهد لا تضعف ان تستكثر من الخير من قولك حبل متين اذا كان ضعيفا ودليله قراءة ابن مسعود ولا تمنن تستكثر من الخير • وعن مجاهد ايضا والربيع لا تعظم عملك في عينك ان تستكثر من الخير فانه مما انعم الله عليك • وقال ابن كيسان لا تستكثر عملك فتراه من نفسك انما عملك منة من الله عليك اذ جعل الله لك سبيلا الى عبادته • وقال زيد بن اسلم اذا اعطيت عطية فاعطها لربك لا تقل دعوته فلم يستجب لي • وقيل لا تفعل الخير لترائي به الناس • **فان قيل** هذا النهي مختص بالرسول صلى الله عليه وسلم او يتناول الامة • **فالجواب** ان ظاهر اللفظ وقرينة الحال لا تفيد العموم لانه صلى الله عليه وسلم انما نهي عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة وهذا المعنى غير موجود في الامة • وقيل المعنى في حق الامة هو الربا والله تعالى منع الكل من ذلك • **فان قيل** هل هذا نهي تحريم او تنزيه • **فالجواب** ان ظاهر النهي للتحريم • **فصل** قال القفال يحتمل ان يكون المقصود من الاية ان يحرم على النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطي احدا شيا لطلب عوض سوا كان العوض زايدا او ناقصا او مساويا ويكون معنى قوله تعالى تستكثر اي طالبا للكثرة كارها ان ينتقص المال بسبب العطا فيكون الاستكثار ههنا عبارة عن طلب العوض كيف كان وانما حسنت هذه العبارة لان الغالب ان الثواب لا يكون زايدا على العطا فسمي طلب الثواب استكثارا حملا للشي على اغلب احواله كما ان الاغلب ان المراة انما تتزوج ولها ولد للحاجة الى من يربي ولدها فسمي الولد ربيبا ثم اتسع الامر وان كان حين تتزوج امه كبيرا ومن ذهب الى هذا القول قال السبب فيه ان يصير عطا النبي صلى الله عليه وسلم خاليا عن انتظار والتفات النفس اليه فيكون ذلك خالصا مخلصا لوجه الله تعالى • قال القرطبي رحمه الله اظهر الاقوال قول ابن عباس لا تعط لتاخذ اكثر مما اعطيت من المال يقال مننت فلانا كذا اي اعطيته ويقال للعطية المنة فكانه امر بان تكون عطاياه لله تعالى لا لارتقاب ثواب من الخلق عليها لانه صلى الله عليه وسلم ما كان يجمع الدنيا ولهذا قال ما لي مما افاء الله علي الا الخمس والخمس مردود عليكم وكان ما يفضل عن نفقة عياله مصروفا الى مصالح المسلمين ولهذا لم يورث • **قوله** ولربك فاصبر • التقديم على ما تقدم وحسنه كونه فاصلة من احب الما تقدمه • ولربك يجوز فيه وجهان • احدهما ان تكون لام العلة اي لوجه ربك فاصبر اي على اذى الكفار وعلى عبادة ربك وعن كل شي مما لا يليق فترك المصبور عليه والمصبور عنه للعلم بهما والاحسن ان لا يقدر شي خاص بل شي عام • والثاني ان يضمن اصبر معنى اذعن اي اذعن لربك وسلم له امرك صابرا لقوله تعالى فاصبر لحكم ربك • **قوله تعالى** فاذا نقر في الناقور • قال الزمخشري الفاني في قوله فاذا نقر في الناقور قاله الحوفي وفيه نظر من حيث ان الفا تمنع من ذلك ولو اراد تفسير المعنى لكان سهلا لكنه في معرض تفسير الاعراب لا تفسير المعنى • الثاني ان ينتصب بما دل عليه قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير • قال الزمخشري فان قلت بم انتصب اذا وكيف صح ان يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير قلت انتصب اذا بما دل عليه الجزا لان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين والذي اجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير ان المعنى فذلك يوم النقر وقوع يوم عسير لان يوم القيامة يقع وياتي حين ينقر في الناقور انتهى ولا يجوز ان يعمل فيه نفس عسير لان الصفة لا تعمل فيما قبل موصوفها عند البصريين ولذلك رد على الزمخشري قوله ان في انفسهم متعلق ببليغا في سورة النساء في قوله تعالى وقل لهم في انفسهم قولا بليغا والكوفيون يجوزون ذلك وتقدم تحريره • الثالث ان ينتصب بما دل عليه فذلك لانه اشارة الى النقر قاله ابو البقاء قال ويومئذ بدل من اذا وذلك مبتدا والخبر يوم عسير اي نقر يوم • الرابع ان يكون اذا مبتدا وفذلك خبره والفا مزيدة

فيه وهو رأي الأخفش، وأما يومئذ ففيه أوجه: أحدها أن يكون بدلا من إذا وقد تقدم ذلك في الوجه الثالث أن يكون
ظرفا ليوم عسير كما تقدم في الوجه الثاني. الثالث أن يكون ظرفا لذلك لأنه مشار به إلى النقر. الرابع أنه بدل من ذلك
ولكنه مبني لإضافته إلى غير متمكن. الخامس أن يكون مبتدأ ويوم عسير خبره والجملة خبر فذلك. قوله: نقر أي صوت
يقال نقرت الرجل إذا صوّت له بلسانك وذلك بأن يلصق لسانك بنقرة حنكك، ونقرت الرجل إذا خصصته
بالدعوة كأنك نقرت له بلسانك مشيرا إليه، وتلك الدعوة يقال لها النقرى وهي ضد الدعوة الجفلى، قال الشاعر:
نحن في المشتاة ندعو الجفلى • لا ترى الآدب فينا ينتقر • وقال امرؤ القيس:
والنقر في كلام العرب الصوت، قال:
أنا ابن ماوية إذ جد النقر • يريد النقر أي الصوت • والناقور فاعول منه كالجاسوس
أخفضه بالنقر لما علوته • ويرفع طرفا غير خاف غضيض •
امرؤ القيس، من التجسس، وهو الشيء المصوت فيه. قال مجاهد وغيره: هو كهيئة البوق، وهو الصور الذي ينفخ فيه الملك. والنقر
أيضا قرع الشيء الصلب، والمنقار الحديدة التي ينقر بها، ونقرت عينه نكتت على أحجاره استعارة من ذلك، ونقرته
اعتبته، ومنه قول امرأة لزوجها: • مر بي على بني نظر • ولا تمر بي على بنات نقر • أرادت ببني نظر الرجال لأنهم ينظرون
إليها، وببنات نقر النساء لأنهن يعبنها وينقرن عن أحوالها. قوله تعالى: على الكافرين فيه خمسة أوجه: أحدها
أن يتعلق بعسير. الثاني أن يتعلق بمحذوف على أنه نعت لعسير. الثالث أنه في موضع نصب على الحال من الضمير المستكن
في عسير. الرابع أن يتعلق بيسير أي غير يسير على الكافرين، قاله أبو البقاء، إلا أن فيه تقديم معمول المضاف إليه على المضاف
وهو ممنوع وقد جوزه بعضهم إذا كان المضاف غير بمعنى النفي كقوله: • وتقدم تحرير هذا آخر الفاتحة
• إن امرأ خصني يوما مودته • على التنائي لعندي غير مكفور •
الخامس أن يتعلق بما دل عليه غير يسير أي لا يسهل على الكافرين. قال الزمخشري: فإن قلت فما فائدة قوله غير يسير وعسير
مغن عنه؟ قلت: لما قال سبحانه على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين
يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم، ويجوز أن يراد عسير لا يرجى
أن يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا. **فصل** لما ذكر ما يتعلق بإرشاد النبي صلى الله عليه
وسلم ذكر بعده وعيد الأشقياء. قيل: المراد بهذه الآية هو النفخة الثانية، وقيل: الأولى. قال الحليمي في كتاب المنهاج
إنه تعالى سمى الصور اسمين وإن كان هو الذي ينفخ فيه النفختان معا، فإن نفخة الإصعاق تخالف نفخة الإحياء،
وجاء في الأخبار أن في الصور ثقبا بعدد الأرواح كلها وأنها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ
من كل ثقبة روح إلى الجسد الذي نزع منه فيعود الجسد حيا بإذن الله تعالى. قال ابن الخطيب: وهذا أمر ودلان
ويحتمل أن يكون الصور محتويا على ثقبين ينقر في أحدهما وينفخ في الأخرى
فإذا نفخ فيه للإصعاق جمع بين النقر والنفخ لتكون الصيحة أهد وأعظم، فإذا نفخ فيه للإحياء لم ينقر فيه بل يقتصر
فيه على النفخ لأن المراد إرسال الأرواح من ثقب الصور إلى أجسادها لا تنفيرها من أجسادها، فالنفخة الأولى للتنفير
وهو نظير صوت الرعد فإنه إذا اشتد فربما مات سامعه، والصيحة الشديدة التي يصيح بها رجل بصبي فيفزع منه
فيموت. قال ابن الخطيب: وفيه إشكال، وهو أن هذا يقتضي أن يكون النقر إنما يحصل عند صيحة الإصعاق، وذلك
اليوم غير شديد على الكافرين لأنهم يموتون في تلك الساعة، إنما اليوم الشديد على الكافرين صيحة الإحياء، ولذلك
يقول يا ليتها كانت القاضية أي يا ليتنا بقينا على الموتة الأولى. وقوله فذلك أي فذلك اليوم يوم شديد على الكافرين
غير يسير أي غير سهل ولا هين، وذلك أن عقدهم لا تنحل إلا إلى عقد أشد منها فإنهم يناقشون الحساب ويعطون
كتبهم بشمائلهم وتسود وجوههم ويحشرون زرقا وتتكلم جوارحهم ويفضحون على رءوس الأشهاد، بخلاف المؤمنين
الموحدين المذنبين فإنها تنحل إلى ما هو أخف حتى يدخلون الجنة برحمة الله تعالى فإنهم لا يناقشون الحساب
ويحشرون بيض الوجوه ثقال الموازين. قال ابن الخطيب: ويحتمل أن يكون عسيرا على المؤمنين والكافرين على ما روي
أن الأنبياء صلوات الله عليهم يفزعون يومئذ وأن الولدان يشيبون إلا أنه يكون على الكفار أشد، فعلى الأول
لا يحسن الوقف على قوله يوم عسير فإن المعنى أنه على الكافرين عسير وغير يسير، وعلى الثاني يحسن الوقف
لأن المعنى أنه في نفسه عسير على الكل ثم الكافر فيه مخصوص بزيادة تخصه وهي أنه عليه عسير. **فصل**
قال ابن الخطيب: استدل بهذه الآية القائلون بدليل الخطاب، قالوا: لولا أن دليل الخطاب حجة وإلا لما فهم ابن عباس
من كونه غير يسير على الكافرين كونه يسيرا على المؤمنين. **قوله** ذرني ومن خلقت وحيدا. الواو في قوله ومن
خلقت كقوله والمكذبين في الوجهين المتقدمين في السورة قبلها. وقوله تعالى وحيدا فيه أوجه: أحدها
أنه حال من الياء في ذرني أي ذرني وحدي معه فأنا أكفيك في الانتقام منه. الثاني أنه حال من التاء في خلقت
أي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد فأنا أهلكه. الثالث أنه حال من عائد المحذوف أي خلقته وحيدا

فوحيدا

وحيدا أعني هذا الحال من ضمير المفعول المحذوف أي خلقته وحده لا مال له ولا ولد ثم أعطيته بعد ذلك ما أعطيته، قاله
مجاهد. الخامس أن ينتصب على الذم لأنه يقال إن وحيدا كان لقبا للوليد بن المغيرة. ومعنى وحيدا ذليلا، قيل كان
يزعم أنه وحيد في فضله وماله، وليس في ذلك ما يقتضي صدق مقالته لأن هذا اللقب له يشتهر به، وقد يلقب الإنسان بما
لا يتصف به، وإذا كان لقبا تعين نصبه على الذم. **فصل** معنى ذرني أي دعني، وهي كلمة وعيد وتهديد. ومن
خلقت هذه الواو المعية، أي دعني والذي خلقته وحيدا. قال المفسرون: هو الوليد بن المغيرة المخزومي، وإن
كان الناس خلقوا مثل خلقه فإنما خص بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة وأذى الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان
يسمى الوحيد في قومه. قال ابن عباس: كان الوليد يقول أنا الوحيد ابن الوحيد، ليس لي في العرب نظير ولا لأبي
المغيرة نظير، فقال الله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا، لأن الله تعالى صدقه بأنه وحيد. قال ابن الخطيب:
ورد هذا القول بعضهم بأنه تعالى لا يصدقه في دعواه تلك بأنه وحيد لا نظير له، ذكره الواحدي والزمخشري،
وهو ضعيف من وجوه: لأنه قد يكون الوحيد علما فيزول السؤال لأن اسم العلم لا يفيد في المسمى صفة بل هو
قائم مقام الإشارة. الثاني أن يكون ذلك بحسب ظنه واعتقاده كقوله عز وجل ذق إنك أنت العزيز الكريم. الثالث
أنه وحيد في كفره وعناده وخبثه لأن لفظ الوحيد ليس فيه أنه وحيد في العلو والشرف. الرابع أنه إشارة
إلى وحدته عن نفسه. قال أبو سعيد الضرير: الوحيد الذي لا أب له كما تقدم في زنيم. **قوله** تعالى وجعلت له
مالا ممدودا أي خولته وأعطيته مالا ممدودا. قال ابن عباس: هو ما كان للوليد بين مكة والطائف من الإبل والنعم
والحجور والجنان والعبيد والجواري. وقال مجاهد وسعيد بن جبير وابن عباس أيضا: ألف دينار. وقال
قتادة: ستة آلاف دينار. وقال سفيان الثوري: أربعة آلاف دينار. وقال الثوري أيضا: ألف ألف دينار. وقال ابن
الخطيب: المال الممدود هو الذي يكون له مدد يأتي منه الجزء بعد الجزء دائما، ولذلك فسره عمر رضي الله عنه بغلة
شهر بشهر. وقال النعمان: الممدود بالزيادة كالزرع والضرع وأنواع التجارات. وقال مقاتل: كان له بستان
لا ينقطع شتاء ولا صيفا كما في قوله عز وجل وظل ممدود أي لا ينقطع، والذي يظهر أنه المال الكثير، واللفظ أي
يحكم. **قوله تعالى** وبنين شهودا أي حضورا لا يغيبون ولا يفارقونه البتة طيب القلب بحضورهم. وقيل معنى
كونهم شهودا أي يشهدون معه المجامع والمحافل. وقيل شهودا أي صاروا مثله في شهود ما كان يشهده والقيام بما كان
يباشره. قال مجاهد وقتادة: كانوا عشرة. وقال السدي والضحاك: كانوا اثني عشر رجلا. وعن الضحاك: سبعة ولدوا
بمكة وخمسة بالطائف. وقال مقاتل: كانوا سبعة أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام والوليد بن الوليد، قال: فما زال
الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك. قال ابن الخطيب: كانوا سبعة: الوليد بن
الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص والقيس وعبد شمس، أسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام. **قوله تعالى**
ومهدت له تمهيدا أي بسطت له في العيش بسطا في الجاه العريض والرياسة في قومه، والتمهيد عند العرب التوطئة
والتهيئة، ومنه مهد الصبي. وقال ابن عباس: ومهدت له تمهيدا أي وسعت له ما بين اليمن إلى الشام، وهو قول
مجاهد. وعن مجاهد أيضا أنه المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش. **قوله تعالى** ثم يطمع أن أزيد كلا، لفظة ثم
ههنا معناها التعجب كقولك لصاحبك أنزلتك داري وأطعمتك وأسقيتك ثم أنت تشتمني، ونظيره قوله تعالى ثم
الذين كفروا بربهم يعدلون، فمعنى ثم ههنا الإنكار والتعجب، أي ثم الوليد يطمع بعد هذا كله أن أزيد في المال والولد
وقد كفر بي، قاله الكلبي ومقاتل. ثم قال كلا أي ليس يكون ذلك مع كفره بالنعم. وقال الحسن وغيره: أي ثم يطمع
أن أدخله الجنة، وكان الوليد يقول إن كان محمد صادقا فما خلقت الجنة إلا لي، فقال الله عز وجل ردا عليه وتكذيبا
له كلا أي لست أزيده، فلم يزل في نقصان بعد قوله كلا حتى افتقر ومات فقيرا. وقيل: أي ثم يطمع أن أنصره على كفره،
وكلا قطع للرجاء عما كان يطمع فيه من الزيادة فيكون متصلا بالكلام الأول. وقيل: كلا بمعنى حقا ويبتدئ بقوله إنه
يعني الوليد كان لآياتنا عنيدا أي معاندا للنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به. قال الزمخشري: إنه كان لآياتنا استئناف
جواب لسائل سأل لم لا يزداد مالا وما باله ردع عن طمعه، فأجيب بقوله إنه كان لآياتنا عنيدا. انتهى. فيكون كقوله
صلى الله عليه وسلم في الهرة: إنها ليست بنجس إنها من الطوافين عليكم. **والعنيد** المعاند، يقال عاند فهو عنيد
ومعاند، والعاند البعير الذي يجور عن الطريق ويعدل عن القصد، والجمع عند مثل راكع وركع، قاله أبو عبيدة،
وأنشد قول الحارثي: • إذا ركبت فاجعلاني وسطا • إني كبير لا أطيق العندا • وقال أبو صالح: عنيدا معناه مباعدا،
قال الشاعر: • أرانا على حال تفرق بيننا • نوى غربة إن الفراق عنود • وقال قتادة: جاحدا. وقال
مقاتل: معرضا. وقيل: إنه المجاهر بعداوته. وعن مجاهد: أنه المجانب للحق. قال الجوهري: ورجل عنود إذا كان لا يخالط
الناس، والعنيد من التجبر، وعرق عاند إذا لم يرقأ دمه، وجمع العنيد عند مثل رغيف ورغف، والعنود من
الإبل الذي لا يخالط الإبل إنما هو في ناحية، والعنيد في معنى المعاند كالجليس والأكيل والعشير. **فصل**

في الآية إشارة إلى أنه كان يعاند في أمور كثيرة منها أنه كان يعاند في دلائل التوحيد والعدل والقدرة وصحة النبوة
وصحة البعث ومنها أن كفره كان عنادا لأنه كان يعرف هذه الأشياء بقلبه وينكرها بلسانه وكفر المعاند أفحش أنواع الكفر
ومنها أن قوله كان يدل على أن هذه حرفته من قديم الزمان ومنها أن هذه المعاندة كانت مختصة منه بآيات الله تعالى
قوله تعالى سأرهقه صعودا أي سأكلفه وكان ابن عباس يقول سألجئه والإرهاق في كلام العرب أن يحمل الإنسان
الشيء والصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي به كذلك فيه أبدا رواه الترمذي وفي رواية
صخرة في جهنم إذا وضعوا أيديهم عليها ذابت فإذا رفعوها عادت وقيل هذا مثل لشدة العذاب الشاق الذي لا يطاق
كقولهم عقبة صعود وكؤود أي شاقة المصعد ثم إنه تعالى حكى كيفية عناده وهو قوله تعالى إنه فكر ويجوز أن يكون
استئنافا تعليلا لقوله تعالى سأرهقه ويجوز أن يكون بدلا من أنه كان لآياتنا عنيدا يعني فكر في الأمر وتفكر
وقدر أي هيأ الكلام في نفسه والعرب تقول قدرت الشيء إذا هيأته وهو المراد من قوله وقدر أي نظر فيه وتدبر ثم لما تفكر رتب في قلبه كلاما وهيأه
فصل معنى الآية أن الوليد فكر في شأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن لما نزل حم تنزيل
الكتاب من الله العزيز العليم إلى قوله إليه المصير سمعه الوليد يقرؤها فقال والله لقد سمعت منه كلاما
ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق
وإنه ليعلو وما يعلى عليه وما يقول هذا بشر فقالت قريش صبأ الوليد لتصبون قريش كلها وكان يقال
للوليد ريحانة قريش فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فانطلق أبو جهل حتى دخل على الوليد فقعد إليه حزينا فقال له ما لي أراك حزينا فقال وما لي
لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك بها ويزعمون أنك زينت كلام محمد وتدخل على ابن أبي كبشة
وابن أبي قحافة لتنال من فضل طعامهما فغضب الوليد لعنه الله عليه وتكبر وقال أنا أحتاج إلى كسر محمد وصاحبه
وأنتم تعلمون قدر مالي واللات والعزى ما بي حاجة إلى ذلك وإنما أنتم تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه قط
يخنق قالوا لا والله قال وتزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه تكهن قط ولقد رأينا للكهنة أسجاعا وتخالجا فهل رأيتموه
كذلك قالوا لا والله قال وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه نطق بشعر قط قالوا لا والله قال وتزعمون أنه كذاب
فهل جربتم عليه كذبا قط قالوا لا والله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى الصادق والأمين من كثرة صدقه
فقالت قريش للوليد فما هو ففكر في نفسه ثم نظر ثم عبس فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل
وولده فذلك قوله تعالى إنه فكر أي في أمر محمد والقرآن وقدر في نفسه ماذا يمكنه أن يقول فيهما قوله
تعالى فقتل أي لعن وقيل قهر وغلب وقال الزهري عذب وهو من باب الدعاء قال ابن الخطيب وهذا إنما يذكر عند
التعجب والاستعظام ومثله قولهم قتله الله ما أشجعه وأخزاه الله ما أشعره ومعناه أنه قد بلغ المبلغ الذي هو
حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك وإذا عرف ذلك فقوله هذا يحتمل وجهين الأول أنه تعجب من
قوة خاطره يعني أنه لا يمكن القدح في أمر محمد صلى الله عليه وسلم بشبهة أعظم ولا أقوى مما ذكره هذا القائل الثاني
في الثناء عليه على طريقة الاستهزاء يعني أن هذا الذي ذكره في غاية الركاكة والسقوط قوله تعالى كيف قدر
أي كيف فعل هذا كقوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الأمثال ثم قيل بضرب آخر من العقوبة كيف قدر على أي حال
قدر ثم نظر بأي شيء يرد الحق ويدفعه قال ابن الخطيب والمعنى أنه أولا نظر وثانيا قدر وثالثا نظر في ذلك
المقدر فالنظر السابق للاستخراج والنظر اللاحق لتمام الاحتياط فهذه المراتب الثلاث متعلقة بأحوال ثلاث
قوله تعالى ثم عبس يقال عبس يعبس عبسا وعبوسا أي قطب وجهه وقال الليث عبس يعبس فهو عابس إذا
قطب ما بين عينيه قال أبدى عن أسنانه في عبوسه قيل كلح قال اهتم لذلك وفكر فيه قيل بسر قال غضب مع
ذلك قيل بسر واعلم أنه ذكر صفات جسمه بعد صفات قلبه وهذا يدل على عناده لأن من فكر في أمر حسن
يظهر عليه الفرح لا العبوس والعبس أيضا ما يبس في أذناب الإبل من البعر والبول قال أبو النجم
كأن في أذنابهن الشول من عبس الصيف قرون الإيل
فصل معنى الآية قطب
وجهه في وجوه المؤمنين وذلك أنه لما قال لقريش بأن محمدا ساحر مر على جماعة من المسلمين فدعوه إلى الإسلام
فعبس في وجوههم وقيل عبس على النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاه والعبس مصدر عبس مخففا كما تقدم
قوله تعالى وبسر يقال بسر يبسر بسرا وبسورا إذا قبض ما بين عينيه كراهة للشيء واسود وجهه منه
يقال وجه باسر أي منقبض أسود كالح متغير اللون قاله قتادة والسدي ومنه قول بشر بن الحارث
صبحنا تميما غداة الجفار بشهباء ملمومة باسرة
وأهل اليمن يقولون بسر
المركب وأبسر إذا وقف لا يتقدم ولا يتأخر وقد أبسرنا أي صرنا إلى البسور وقال الراغب البسر استعجال الشيء
قبل أوانه نحو بسر الرجل حاجته طلبها في غير أوانها وما بسر منها أول ما يبدو قبل سكونه ومنه قيل للذي
لم يدرك من التمر بسر وقوله تعالى عبس وبسر أي أظهر العبوس قبل أوانه وقبل وقته فإن قيل

فقوله تعالى ووجوه يومئذ باسرة ليس يفعلون ذلك قبل الموت وقد قلت إن ذلك يكون فيما يقع قبل وقته قيل أشير بذلك
الحال لهم قبل الانتهاء بهم إلى النار فخص لفظ البسر تنبيها على أن ذلك مع ما ينالهم من بعد يجري مجرى التكلف ومجرى ما يفعل
قبل وقته ويدل على ذلك تظن أن يفعل بها فاقرة وقد عطف في هذه الجمل بحروف مختلفة ولكل منها مناسبة أما ما عطف
بثم فلأن بين الأفعال مهلة وثانيا لأن بين النظر والعبوس وبين العبوس والإدبار تراخيا قال الزمخشري وثم عطف
على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما يعني بالدعاء قوله فقتل ثم قال فإن قلت ما معنى ثم الداخلة على تكرير الدعاء قلت
الدلالة على أن الكرة الثانية أبلغ من الأولى ونحوه ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي فإن قلت فما معنى المتوسط بين الأفعال
التي بعدها قلت للدلالة على أنه تأنى في التأمل وتمهل وكأن بين الأفعال المتناسقة تراخ وتباعد فإن قلت فلم قال
فقال بالفاء بعد عطف ما قبله بثم قلت لأن الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث
فإن قلت فلم لم يتوسط حرف العطف بين الجملتين قلت لأن الأخرى جرت من الأولى مجرى التوكيد من المؤكد قوله
تعالى ثم أدبر أي ولى وأعرض ذاهبا عن سائر الناس إلى أهله واستكبر حين دعي إلى الإيمان أي تعظم وقال إن هذا إلا سحر
يؤثر أي ما هذا الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم إلا سحر يؤثر أي يأثره عن غيره والسحر الخديعة وقيل السحر
إظهار الباطل في صورة الحق والأثر مصدر قولك أثرت الحديث أثره إذا ذكرته عن غيرك ومنه قيل حديث مأثور
أي ينقله خلف عن سلف قال الأعشى إن الذي فيه تماريتما بين للسامع والآثر وقال ابن الخطيب فيه وجهان
الأول أنه من قولهم أثرت الحديث أثره أثرا إذا حدثت به عن قوم في آثارهم أي بعد ما ماتوا هذا هو الأصل ثم
صار بمعنى الرواية عمن كان والثاني يؤثر عن جميع السحر وعلى هذا يكون من الإيثار وقال أبو سعيد الضرير يؤثر
أي يورث قوله تعالى إن هذا إلا قول البشر أي ما هذا إلا كلام المخلوق يختدع به القلوب كما تختدع بالسحر قال
ابن الخطيب ولو كان الأمر كذلك لتمكنوا من معارضته إذ طريقتهم في معرفة اللغة متقاربة قال السدي يعني
أنه من يسار عبد لبني الحضرمي كان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم فنسبوه إلى أنه تعلم منه ذلك وقيل أراد أنه
تلقنه ممن ادعى النبوة قبله فنسج على منوالهم قال ابن الخطيب وهذا الكلام يدل على أن الوليد كان يقول هذا الكلام
عنادا لما روي في الحديث المتقدم أنه لما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حم خرج من عند النبي صلى الله عليه
وسلم يقول لقد سمعت من محمد كلاما ليس من كلام الجن ولا من كلام الإنس الحديث فلما أقر بذلك في أول الأمر علمنا أن قوله
هاهنا إن هذا إلا قول البشر إنما ذكره عنادا أو تمردا لا اعتقادا قوله تعالى سأصليه سقر هذا بدل من
قوله تعالى سأرهقه صعودا قاله الزمخشري قال فإن كان المراد بالصعود المشقة فالبدل واضح وإن كان المراد
صخرة في جهنم كما جاء في التفسير فيعسر البدل ويكون فيه شبه من بدل الاشتمال لأن جهنم مشتملة على تلك
الصخرة فصل المعنى سأدخله سقر كي يصلى حرها وإنما سميت سقر من سقرته الشمس إذا أذابته
ولوحته وأحرقت جلدة وجهه ولا ينصرف للتعريف والتأنيث قال ابن عباس سقر اسم للطبقة السادسة من جهنم
وما أدراك ما سقر هذا مبالغة في وصفها أي وما أعلمك أي شيء هي وهي كلمة تعظيم وتهويل ثم فسر حالها فقال
جل ذكره لا تبقي ولا تذر أي لا تترك لهم لحما ولا عظما ولا دما إلا أحرقته قوله تعالى لا تبقي فيه وجهان أحدهما
أنها في محل نصب على الحال والعامل فيها معنى التعظيم قاله أبو البقاء يعني أن الاستفهام في قوله ما سقر للتعظيم فالمعنى
استعظموا سقر في هذه الحال ومفعول تبقي وتذر محذوف أي لا تبقي ما ألقي فيها ولا تذره بل تهلكه وقيل تقديره
لا تبقي على من ألقي فيها ولا تذر غاية العذاب إلا وصلته إليه والثاني أنها مستأنفة قال ابن الخطيب واختلفوا
في قوله لا تبقي ولا تذر فقيل هما لفظان مترادفان بمعنى واحد كرر للتأكيد والمبالغة كصد عني وأعرض عني وقيل بينهما
فرق وفيه وجوه الأول لا تبقي من اللحم والعظم والدم شيئا ثم يعادون خلقا جديدا فلا تذر أن تعاود إحراقهم
بأشد مما كانت وهكذا أبدا رواه عطاء عن ابن عباس وقال مجاهد لا تبقي من فيها حيا ولا تذره ميتا تحرقهم
كلما جددوا وقال السدي لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما وقيل لا تبقي من المعذبين ولا تذر من قوتها شيئا إلا
وتستعمل تلك القوة في تعذيبهم قوله تعالى لواحة للبشر قرأ العامة بالرفع خبر مبتدأ مضمر أي لواحة وهذه
مقوية للاستئناف في لا تبقي وقرأ الحسن وابن أبي عبلة وزيد بن علي وعطية العوفي ونصر بن عاصم وعيسى بن
عمر بنصبها على الحال وفيها ثلاثة أوجه أحدها أنها حال من سقر والعامل معنى التعظيم كما تقدم والثاني أنها حال
من لا تبقي والثالث من لا تذر وجعل الزمخشري نصبها على الاختصاص للتهويل وجعلها أبو حيان حالا مؤكدة قال لأن النار
التي لا تبقي ولا تذر لا تكون إلا مغيرة للأبشار ولواحة هنا مبالغة وفيها معنيان أحدهما من لاح يلوح أي ظهر أي
أنها تظهر للبشر وهم الناس وإليه ذهب الحسن وابن كيسان قال لواحة أي تلوح للبشر من مسيرة خمسمائة
عام وقال الحسن تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا ونظيره وبرزت الجحيم لمن يرى والثاني وإليه ذهب جمهور
الناس أنها من لوحه أي غيره وسوده قال الشاعر تقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي لاحني الهواجر وقال

رؤبة بن العجاج * لوح منه بعد بدن وسنق * تلويحك الضامر يطوى للسبق * وقال آخر * وتعجب هند ان رأتني شاحبا * تقول لشيء لوحته السمائم * ويقال لاحه يلوحه اذا غير حليته، قال أبو رزين تلفح وجوههم لفحة تدعها أشد سوادا من الليل قال تعالى تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون، واعترض القائلون بالأول على هذا القول فقالوا لا يجوز أن يصفها بتسويد الوجوه مع قوله إنها لا تبقي ولا تذر، وقيل اللوح شدة العطش يقال لاحه العطش ولوحه أي غيره قال الأخفش والمعنى أنها معطشة للبشر أي لأهلها، وأنشد * سقتني على لوح من الماء شربة * سقاها به الله الرهام الغواديا * يعني باللوح شدة العطش، والرهام جمع رهمة بالكسر وهي المطر الضعيف وأرهمت السحابة أتت بالرهام، واللوح بالضم الهواء بين السماء والأرض، والبشر إما جمع بشرة أي مغيرة للجلود قاله مجاهد وقتادة، وجمع البشر أبشار، وأما المراد به الإنس من أهل النار وهو قول الجمهور، واللام في للبشر مقوية كهي في للرؤيا تعبرون، وقراءة النصب في لواحة مقوية لكون لا تبقي في محل الحال.

قوله تعالى عليها تسعة عشر هذه الجملة فيها الوجهان أعني الحالية والاستئناف، وفي هذه الكلمة قراءات شاذة وتوجيهات تشاكلها، فقرأ أبو جعفر وطلحة تسعة عشر بسكون العين من عشر تخفيفا لتوالي خمس حركات من جنس واحد، وهذه كقراءة أحد عشر كوكبا وقد تقدمت، وقرأ أنس وابن عباس تسعة عشر بضم التاء، عشر بالفتح، وهذه حركة بناء ولا يجوز أن يتوهم كونها إعرابا إذ لو كانت للإعراب لجعلت في الاسم الأخير لتنزل الكلمتين منزلة الكلمة الواحدة، وإنما عدل إلى الضمة كراهة توالي خمس حركات، وعن المهدوي من قرأ التسعة عشر فكأنه من التداخل كأنه أراد العطف فترك التركيب ورفع هاء التأنيث ثم راجع البناء وأسكن، انتهى، فجعل الحركة للإعراب ويعني بقوله أسكن راء عشر فإنه في هذه القراءة كذلك، وعن أنس رضي الله عنه أيضا تسعة أعشر بضم تسعة وأعشر بهمزة مفتوحة ثم عين ساكنة ثم شين مضمومة وفيها وجهان، قال أبو الفضل يجوز أن يكون جمع العشرة على أعشر ثم أجراه مجرى تسعة عشر، وقال الزمخشري جمع عشير مثل يمين وأيمن، وعن أنس أيضا تسعة وعشر بضم التاء وسكون العين وضم الشين وواو مفتوحة بدلا من الهمزة، وتخريجها كتخريج ما قبلها إلا أنه قلب الهمزة واوا مبالغة في التخفيف، والضمة كما تقدم للبناء لا للإعراب، ونقل المهدوي أنه قرئ تسعة وعشر قال فجاء به على الأصل قبل التركيب وعطف عشر على تسعة وحذف التنوين لكثرة الاستعمال وسكن الراء من عشر على نية الوقف، وقرأ سليمان بن قتة بضم التاء وهمزة مفتوحة وسكون العين وضم الشين وجر الراء من أعشر، والضمة على هذا ضمة إعراب لأنه أضاف الاسم لما بعده فأعربهما إعراب المتضايفين، وهي لغة لبعض العرب يفكون تركيب الأعداد ويعربونها كالمتضايفين كقوله:

كلف من عنائه وشقوته * بنت ثماني عشرة من حجته *

قال أبو الفضل ويجيء على هذه القراءة وهي قراءة من قرأ أعشر مبنيا أو معربا من حيث هو جمع أن الملائكة الذين هم على سقر تسعون.

فصل معنى الآية أنه يلي أمر تلك النار تسعة عشر من الملائكة يلقون فيها أهلها، قيل هم خزنة النار مالك وثمانية عشر ملكا، وقيل التسعة عشر نقيبا، وقال أكثر المفسرين تسعة عشر ملكا بأعيانهم، قال القرطبي وذكر ابن المبارك عن رجل من بني تميم قال كنا عند أبي العوام فقرأ هذه الآية فقال ما تسعة عشر تسعة عشر ألف ملك أو تسعة عشر ملكا قال قلت لا بل تسعة عشر ملكا قال وأنى تعلم ذلك فقلت لقول الله عز وجل وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا قال صدقت قال هم تسعة عشر ملكا، قال ابن جريج نعت النبي صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم فقال صلى الله عليه وسلم أعينهم كالبرق وأنيابهم كالصياصي وأشعارهم تمس أقدامهم تخرج لهب النار من أفواههم الحديث، قال ابن الأثير الصياصي قرون البقر، وروى الترمذي عن عبد الله قال قال ناس من اليهود لناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قالوا لا ندري حتى نسأله فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد غلب أصحابك اليوم فقال وبماذا غلبوا قال سألهم يهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قال فماذا قالوا قالوا لا ندري حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم أفغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا لكنهم قد سألوا نبيهم فقالوا أرنا الله جهرة علي بأعداء الله إني سائلهم عن تربة الجنة وهي الدرمك فلما جاءوا قالوا يا أبا القاسم كم عدد خزنة جهنم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا وهكذا في مرة عشرة وفي مرة تسعة قالوا نعم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما تربة الجنة قال فسكتوا ثم قالوا أخبرنا يا أبا القاسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبزة من الدرمك، قال ابن الأثير الدرمك هو الدقيق الحواري، قال القرطبي الصحيح إن شاء الله أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء وأما جملتهم فكما قال تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو، وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، وقال ابن عباس وقتادة والضحاك لما نزل قوله جل وعز عليها تسعة عشر قال أبو جهل

لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدهم أي العدد الكثير والشجعان فيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم، قال السدي فقال أبو الأسود بن كلدة الجمحي لا يهولنكم التسعة عشر أنا أدفع بمنكبي الأيمن عشرة من الملائكة وبمنكبي الأيسر التسعة ثم تمرون إلى الجنة يقولها مستهزئا، وفي رواية أن الحارث بن كلدة قال أنا أكفيكم سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين، فلما قال أبو الأسود ذلك قال المسلمون ويحكم لا تقاس الملائكة بالحدادين، يجري هذا مثلا في كل شيئين لا تساوي بينهما، ومعناه لا تقاس الملائكة بالسجانين، والحداد السجان.

فصل ذكر أرباب المعاني في تقدير هذا العدد وجوها، منها ما قاله أرباب الحكمة أن سبب فساد النفس الإنسانية في قوتيها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية، فالقوى الحيوانية هي الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة والشهوة والغضب فمجموعها اثنا عشر، وأما القوى الطبيعية فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة فالمجموع تسعة عشر، فلما كانت هذه منشأ الآفات لا جرم كان عدد الزبانية هكذا، ومنها أن أبواب جهنم سبعة فستة منها للكفار وواحد للفساق ثم إن الكفار يدخلون النار لأمور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الإقرار وترك العمل فيكون لكل باب من تلك الأبواب الستة ثلاثة فالمجموع ثمانية عشر، وأما باب الفساق فليس هناك إلا ترك العمل فالمجموع تسعة عشر مشغولة بغير العبادة فلا جرم صار عدد الزبانية تسعة عشر.

قوله تعالى وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة، روي أن أبا جهل لما نزل قول الله تعالى عليها تسعة عشر قال أيعجز كل مائة أن يبطشوا بواحد منهم ثم تخرجون من النار فنزل قوله عز وجل وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة أي لم نجعلهم رجالا فتتناولونهم، وقيل جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرقة والرأفة ولا يستروحون إليهم ولأنهم أشد الخلق بأسا وأقواهم بطشا ولأنه لما جعل الرسول إلى البشر من جنسهم ليكون له رأفة ورحمة بنا، وقيل لأن قوتهم أعظم من قوة الجن والإنس، فإن قيل ثبت في الأخبار أن الملائكة مخلوقون من النور والمخلوق من النور كيف يطيق المكث في النار، فالجواب أن الله تعالى قادر على كل الممكنات فكما أنه لا استبعاد في أنه يبقي الحي في مثل ذلك العذاب الشديد أبد الآباد ولا يموت فكذا لا استبعاد في إبقاء الملائكة هناك من غير ألم.

قوله تعالى وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا، أي بلية، روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال المعنى ضلالة للذين كفروا، وقوله تعالى فتنة مفعول ثان على حذف مضاف أي الأسباب فتنة، وللذين صفة لفتنة، وليست فتنة مفعولا له.

فصل قال ابن الخطيب هذا العدد إنما صار سببا لفتنة الكفار من وجهين، الأول أن الكفار يستهزئون ويقولون لم لم يكونوا عشرين وما المقتضي لتخصيص هذا العدد، والثاني أن الكفار يقولون هذا العدد القليل كيف يكونون وافين بتعذيب أكثر العالم من الجن والإنس من أول ما خلق الله إلى قيام القيامة، والجواب عن الأول أن هذا السؤال لازم على كل عدد يفرض، وعن الثاني أنه لا يبعد أن الله يرزق ذلك العدد القليل قوة تفي بذلك فقد اقتلع جبريل صلوات الله عليه مدائن قوم لوط على أحد جناحيه ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم ثم قلبها وجعل عاليها سافلها، وأيضا فأحوال القيامة لا تقاس بأحوال الدنيا ولا للعقل فيها مجال.

فصل دلت هذه الآية على أن الله تعالى يريد الفتنة، وأجاب الجبائي بأن المراد من الفتنة تشديد التعبد ليستدلوا على أنه تعالى قادر على أن يقوي هؤلاء التسعة عشر على ما لا يقوى عليه مائة ألف ملك أقوياء، وأجاب الكعبي بأن المراد من الفتنة الامتحان حتى يفوض المؤمنون حكمة التخصيص بالعدد المعين إلى علم الله تعالى وهذا من المتشابه الذي أمروا بالإيمان به، أو يكون المراد من الفتنة ما يقع فيه من الكفر بسبب تكذيبهم بعدد الخزنة وحاصله ترك الألطاف، والجواب أن نقول هل لإنزال هذه المتشابهات أثر في تقوية داعية الكفر أم لا فإن لم يكن له أثر في تقوية داعية الكفر لم يكن إنزال هذه المتشابهات فتنة للذين كفروا البتة وإن كان له أثر في تقوية داعية الكفر فقد حصل المقصود لأنه إذا ترجحت داعية الفعل صارت داعية الترك مرجوحة والمرجوح يمتنع تأثيره فيكون الترك ممتنع الوقوع فيصير الفعل واجب الوقوع والله أعلم.

قوله تعالى ليستيقن الذين متعلق بجعلنا لا بفتنة، وقيل بفعل مضمر أي فعلنا ذلك ليستيقن.

فصل معنى الكلام ليوقن الذين أعطوا التوراة والإنجيل أن عدة خزنة جهنم موافقة لما عندهم قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وغيرهم، ثم يحتمل أن يريد الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام ويحتمل أن يريد الكل، ويزداد الذين آمنوا إيمانا بالتصديق بعدد خزنة النار، قال ابن الخطيب فإن قيل حقيقة الإيمان عندكم لا تقبل الزيادة والنقصان فما قولكم في هذه الآية، فالجواب نحمله على ثمرات الإيمان وعلى آثاره ولوازمه.

قوله تعالى ولا يرتاب، أي ولا يشك الذين أوتوا أي أعطوا الكتاب والمؤمنون أي المصدقون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن خزنة جهنم تسعة عشر، فإن قيل لما أثبت الاستيقان لأهل الكتاب وأثبت زيادة الإيمان للمؤمنين فما الفائدة في قوله تعالى بعد ذلك ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون، فالجواب أن الإنسان إذا اجتهد في أمر غامض دقيق الحجة كثير الشبه فحصل له اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك الدليل الدقيق فيعود الشك فإثبات اليقين في بعض الأحوال لا ينافي طريان الارتياب بعد ذلك فقال بعد

هذه الاعادة نفي ذلك الشك وانه حصل لهم يقين جازم لا يحصل عقيبه شك البتة **قوله تعالى** وليقول الذين في قلوبهم
مرض اي في صدورهم شك ونفاق من منافقي اهل المدينة الذين يجيئون في مستقبل الزمان بعد الهجرة وهذا اخبار
عما سيكون فتعيّنه معجزة والكافرون اي اليهود والنصارى ماذا اراد الله بهذا مثلا يعني بعدد خزنة جهنم وهذا
قول اكثر المفسرين وقال الحسين بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق فالمرض في هذه الاية الخلاف
والمراد بالكافرين مشركو العرب ويجوز ان يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين
وبعضهم قاطعين بالكذب وقوله تعالى اخبارا عنهم ماذا اراد الله بهذا مثلا اي بهذا العدد الذي ذكره حديثا اي
ما هذا من الحديث قال الليث المثل الحديث ومنه مثل الجنة التي وعد المتقون اي حديثها والخبر عنها وقال ابن
الخطيب انما سموه مثلا لانه لما كان هذا العدد عددا عجيبا ظن القوم انه ربما لم يكن مراد الله منه ما اشعر به
ظاهره بل جعله مثلا لشيء اخر وتنبيها على مقصود اخر لا جرم سموه مثلا لانهم لما استغربوه ظنوا انه ضرب مثلا
لغيره ومثلا تمييز او حال وتسميته هذا مثلا على سبيل الاستعارة لغرابته **فصل** اللام في قوله تعالى وليقول
الذين في قلوبهم مرض جار على اصول اهل السنة لان ذلك مراد وعند المعتزلة هي لام العاقبة ونسبوه الى الله تعالى مع
انهم منكرون ذلك اما على سبيل التهكم واما على ما يقوله **قوله تعالى** كذلك نعت لمصدر او حال منه على ما عرف
وذلك اشارة الى ما تقدم من الاضلال والهدى اي مثل ذلك الاضلال والهدى يضل الله من يشاء اي كاضلال الله
ابا جهل واصحابه المنكرين لخزنة جهنم يضل اي يعمي ويخزي من يشاء ويهدي من يشاء ويرشد من يشاء كارشاد اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الاية تدل على مذهب اهل السنة لانه تعالى قال في اول الاية وما جعلنا عدتهم
الا فتنة للذين كفروا وقال جل ذكره في اخر الاية وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا
مثلا ثم قال سبحانه كذلك يضل الله من يشاء واما المعتزلة فذكروا تاويلات تم المشهورة وتقدم اجوبتها **قوله
تعالى** وما يعلم جنود ربك الا هو جنود ربك مفعول واجب التقديم لحصر فاعله ولعود الضمير على ما اتصل بالمفعول
فصل اي وما يدري عدد ملائكة ربك الذي خلقهم لتعذيب اهل النار الا هو اي الله عز وجل وهذا جواب
لابي جهل حين قال اما لاله محمد من الجنود الا تسعة عشر الا ان لكل واحد منهم من الاعوان والجنود ما لا يعلم عدده
الا هو ويحتمل ان يكون المعنى وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن
له في هذا العدد حكمة لا يعلمها الخلق وهو جل جلاله يعلمها او يكون المعنى انه لا حاجة بالله سبحانه في تعذيب
الكفار والفساق الى هؤلاء الخزنة بل هو الذي يعذبهم في الحقيقة وهو الذي يخلق الالم فيهم ولو انه تعالى قلب
شعرة في عين ابن ادم او سلط الالم على عرق واحد من عروق بدنه لكفاه ذلك بلاء ومحنة فلا يلزم من تقليل
عدد الخزنة قلة العذاب فجنود الله تعالى غير متناهية لان مقدوراته غير متناهية قال صلى الله عليه وسلم
اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وفيها ملك ساجد **قوله تعالى** وما هي يجوز ان يعود الضمير
على سقر اي وما سقر الا تذكرة اي عظة للبشر وان يعود على الايات المذكورة فيها او النار لتقدمها او الجنود لانه
اقرب مذكور او نار الدنيا وان لم يجر لها ذكر لانها تذكرة لنار الاخرة قاله الزجاج او ما هذه العدة الا ذكرى للبشر اي ليتذكروا
ويعلموا كمال قدرة الله تعالى وانه سبحانه لا يحتاج الى اعوان وانصار وللبشر مفعول بذكرى واللام فيه مزيدة
قوله تعالى كلا والقمر قال الفراء كلا صلة للقسم التقدير اي والقمر وقيل المعنى حقا والقمر فلا يوقف على هذين
التقديرين على كلا واجاز الطبري الوقف عليها وجعلها ردا على الذين زعموا انهم يقاومون خزنة جهنم اي ليس الامر
كما تقول من زعم انه يقاوم خزنة النار ثم اقسم على ذلك بالقمر وبما بعده وقيل هذا انكار بعد ان جعلها ذكرى ان يكون
لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون وقيل هو ردع لمن ينكر ان يكون احدى الكبر نذيرا وقيل ردع عن الاستهزاء بالعدة
المخصوصة **قوله تعالى** والليل اذ ادبر قرا نافع وحفص وحمزة اذ ظرفا لما مضى من الزمان ادبر بزنة اكرم والباقون
اذا ظرفا لما يستقبل دبر بزنة ضرب والرسم محتمل لكليهما فالصورة الخطية لا تختلف واختار ابو عبيد قراءة
اذا قال لان بعدها اذا اسفر قال وكذلك هي في حرف عبد الله يعني انه مكتوب بالفين بعد الذال احدهما الف
اذا والاخرى همزة ادبر قال وليس في القران قسم يعقبه اذ وانما يتعقبه اذا واختار ابن عباس رضي الله
عنه اذ ويحكى عنه انه لما سمع دبر قال انما يدبر ظهر البعير واختلفوا هل دبر وادبر بمعنى ام لا فقيل هما بمعنى
واحد يقال دبر الليل والنهار وادبر وقبل واقبل ومنه قولهم امس الدابر فهذا من دبر وامس المدبر قال صخر بن
عمرو بن الشريد السلمي ولقد قتلتكم ثناء وموحدا وتركت مرة مثل امس الدابر ويروى المدبر وهذا قول
الفراء والاخفش والزجاج واما ادبر الراكب واقبل فرباعي لا غير وقال يونس دبر انقضى وادبر تولى ففرق بينهما
وقال الزمخشري ودبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار
اذا خلفه وذكر القرطبي عن بعض اهل اللغة دبر الليل اذا مضى وادبر اخذ في الادبار وقرا محمد بن السميفع والليل

اذا ادبر بالفين وكذلك هي في مصحف عبد الله وابي وقال قطرب من قرا دبر فيعني اقبل من قول العرب دبر فلان اذا جاء من خلفي
قال ابو عمرو وهي لغة قريش **قوله تعالى** والصبح اذا اسفر اي اضاء وفي الحديث اسفروا بالفجر ومنه قوله تعالى وجوه يومئذ
مسفرة اي مضيئة وقرا العامة اسفر بالالف وعيسى بن الفضل وابن السميفع سفر ثلاثيا والمعنى طرح الظلمة عن
وجهه على وجه الاستعارة وكما القائل يقال سفر وجه فلان اذا اضاء واسفر وجهه حسنا اي اشرق وسفرت المراة
اي كشفت عن وجهها فهي سافر قال القرطبي ويجوز ان يكون سفر الظلام اي كنسه كما يسفر البيت اي يكنس ومنه السفير
لما يسقط من ورق الشجر ويتحات يقال انما سمي سفيرا لان الريح تسفره اي تكنسه والمسفرة المكنسة **قوله تعالى**
انها اي ان النار وقيل ان قيام الساعة كذا حكاه ابو حيان وفيه شيآن عوده على غير مذكور وكون المضاف اكتسب تانيثا
وقيل ان النذارة وقيل هي ضمير القصة وهذا جواب القسم والتعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد قاله الزمخشري قال
شهاب الدين وجيئه يحتاج الى تقدير جوازه وفيه تكلف وخروج عن الظاهر **قوله تعالى** لاحدى الكبر قرا العامة
لاحدى بهمزة واصلها وحدى من الوحدة وقرا نصر بن عاصم وابن محيصن ويروى عن ابن كثير لحدى بحذف الهمزة
وهذا من الشذوذ بحيث لا يقاس عليه وتوجيهه ان يكون ابدلها الفا ثم حذف الالف لالتقاء الساكنين وقياس تخفيف
مثل هذه تبيينها بين الالف قال الواحدي الف احدى مقطوع لا تذهب في الوصل والكبر جمع كبرى كالفضل جمع فضلى
قال الزمخشري الكبر جمع الكبرى جعلت الف التانيث كتاء التانيث فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافي
جمع السافية وهو التراب اي التي تسفيه الريح والقواصع في جمع القاصعاء كانها جمع فاعلة قاله ابن الخطيب **فصل**
معنى احدى الكبر اي احدى الدواهي قال : يا ابن المعلى نزلت احدى الكبر : داهية الدهر وصماء الغير : ومثله هو
احد الرجال واحدى النساء لمن يستعظمونه والمراد من الكبر دركات جهنم وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة
والسعير والجحيم والهاوية وسقر اعاذنا الله تعالى منها وفي تفسير مقاتل الكبر اسم من اسماء النار وعن ابن عباس انها
اي ان تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم لاحدى الكبر اي الكبيرة من الكبائر **قوله تعالى** نذيرا فيه اوجه احدها انه
تمييز عن احدى لما تضمنت معنى التعظيم كانه قيل اعظم الكبر انذارا النذير بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار كانه قيل انها
لاحدى الدواهي انذارا ومثله هي احدى النساء عفافا الثاني انه مصدر بمعنى الانذار ايضا ولكنه نصب بفعل مقدر
قاله الفراء الثالث انه فعيل بمعنى مفعل وهو حال من الضمير في انها قاله الزجاج وذكر لان معناه معنى العذاب او اراد ذات
انذار على معنى النسب كقولهم امراة طالق وطاهر قال الحسن رضي الله عنه والله ما انذر الخلائق بشيء ادهى منها الرابع
انه حال من الضمير في احدى لتاويلها بمعنى العظم الخامس انه حال من فاعل قم اول السورة والمراد بالنذير محمد صلى الله عليه
وسلم قاله ابو علي الفارسي وابن زيد وروي عن ابن عباس وانكره الفراء قال ابن الانباري وقال بعض المفسرين معناه
يا ايها المدثر قم نذيرا للبشر وهذا قبيح لطول ما بينهما السادس انه مصدر منصوب بانذر اول السورة كانه قال
انذر انذارا للبشر قال الفراء يجوز ان يكون النذير بمعنى الانذار اي انذر انذارا فهو كقوله تعالى فكيف كان نذير اي
انذاري فعلى هذا يكون راجعا الى اول السورة السابع هو حال من الكبر الثامن حال من ضمير الكبر التاسع انه منصوب
باضمار اعني العاشر انه حال من لاحدى قاله ابن عطية الحادي عشر انه منصوب بادع مقدرا اذ المراد به الله تعالى
روى ابو معوية الضرير حدثنا اسمعيل بن سميع عن ابي رزين نذيرا للبشر قال يقول الله تعالى انا لكم منها نذير
فاتقوها ونذيرا على هذا نصب على الحال اي وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة منذرا بذلك البشر الثاني عشر
انه منصوب بناد او ببلغ اذ المراد به الرسول صلى الله عليه وسلم الثالث عشر انه منصوب بما دلت عليه الجملة
تقديره عظمت نذيرا الرابع عشر هو حال من الضمير في الكبر الخامس عشر انها حال من هو في قوله تعالى وما يعلم
جنود ربك الا هو السادس عشر انها مفعول من اجله الناصب لها ما في الكبر من معنى الفعل قال ابو البقاء او انها
لاحدى الكبر لانذار البشر فظاهر هذا انه مفعول من اجله واعلم ان النصب قراءة العامة وقرا ابي بن كعب
وابن ابي عبلة بالرفع فان كان المراد النار جاز فيه وجهان ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون خبر مبتدا مضمر اي هي
نذير والتذكير لما تقدم من معنى النسب و[illegible] المراد الباري تعالى او [illegible] رسوله صلى الله عليه وسلم كان على خبر مبتدا
مضمر اي هو نذير وللبشر اما صفة واما مفعول لنذيرا واللام مزيدة لتقوية العامل **قوله تعالى** لمن شاء فيه وجهان
احدهما انه بدل من للبشر باعادة العامل كقوله لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وللذين استضعفوا لمن آمن وان يتقدم مفعول
شاء اي نذيرا لمن شاء التقدم او التاخر وفيه ذكر مفعول شاء وقد تقدم انه لا يذكر الا اذا كان فيه غرابة الثاني
وبه بدا الزمخشري ان يكون لمن شاء خبرا مقدما وان يتقدم مبتدا مؤخرا فان كقولك لمن توضا ان يصلي ومعناه
مطلق لمن شاء التقدم او التاخر ان يتقدم او يتاخر انتهى فقوله التقدم او التاخر هو مفعول شاء المقدر قال
ابو حيان قوله ان يتقدم هو المبتدا اعني لا يتبادر الذهن اليه وفيه حذف قال القرطبي اللام في لمن شاء
متعلقة بالنذير اي نذيرا لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر الى الشر والمعصية نظيره ولقد علمنا المستقدمين منكم

منكم اي في الخير ولقد علمنا المستاخرين عنه قال الحسن هذا وعيد وتهديد وان خرج مخرج الخبر كقوله تعالى فمن شا فليومن ومن شا فليكفر وقيل المعنى لمن شا الله ان يتقدم او يتاخر فالمشيئة متصلة بالله تعالى والتقدم الايمان والتاخر الكفر وكان ابن عباس يقول هذا تهديد واعلام ان من تقدم الى الطاعة والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم جوزي بثواب لا ينقطع ومن تاخر عن الطاعة وكذب بمحمد صلى الله عليه وسلم عوقب عقابا لا ينقطع وقال السدي لمن شا منكم ان يتقدم الى النار المتقدم ذكرها او يتاخر عنها الى الجنة

فصل احتج المعتزلة بهذه الاية على كون العبد متمكنا من الفعل غير مجبور عليه وجوابه ان هذه الاية دلت على ان فعل العبد معلق على مشيئته لكن مشيئته على العبد على مشيئة الله تعالى لقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشا الله وحينئذ تصير الاية حجة عليهم قال ابن الخطيب وذكر الاصحاب جوابين اخرين الاول معنى اضافة المشية الى المخاطبين التهديد كقوله تعالى فمن شا فليومن ومن شا فليكفر الثاني ان هذه المشية لله تعالى على معنى لمن شا الله منكم ان يتقدم او يتاخر

قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة فيه اوجه احدها ان رهينة بمعنى رهن كالشتيمة بمعنى الشتم قال الزمخشري ليست بتانيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتانيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمونث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة

ابعد الذي بالنعف نعف كويكب … رهينة رمس ذي تراب وجندل

كانه قال رهن رمس الثاني ان الهاء للمبالغة الثالث ان التانيث لاجل اللفظ واختار ابو حيان انها بمعنى مفعول وانها كالنطيحة قال ويدل على ذلك انه لما كان خبرا عن المذكر كان بغير ها قال تعالى كل امرئ بما كسب رهين فاتى حيث كان خبرا عن المذكر اتى بغير تا وحيث كان خبرا عن مونث اتى بالتا فاما الذي في البيت فانثه على معنى النفس

فصل ومعنى رهينة اي مرتهنة بكسبها ماخوذة بعملها اما تخلصها واما توبقها

قوله تعالى الا اصحاب اليمين فيه وجهان احدهما انها استثنا متصل اذ المراد بهم المسلمون الخالصون الصالحون فانهم فكوا رقاب انفسهم باعمالهم الحسنة كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق والثاني انه منقطع اذ المراد بهم الاطفال والملايكة قال ابن عباس المراد بهم الملايكة وقال علي بن ابي طالب وابن عمر رضي الله عنهم هم اولاد المسلمين لم يكتسبوا فيرتهنوا وقال الضحاك هم الذين سبقت لهم منا الحسنى ونحوه عن ابن جريج قال كل نفس بعملها محاسبة الا اصحاب اليمين وهم اهل الجنة فانهم لا يحاسبون وكذا قال مقاتل والكلبي ايضا هم اصحاب الجنة الذين كانوا عن يمين ادم عليه السلام يوم الميثاق حين قال الله عز وجل لهم هولا في الجنة ولا ابالي وقال الحسن وابن كيسان هم المسلمون المخلصون ليسوا بمرتهنين لانهم ادوا ما كان عليهم وعن ابي ظبيان عن ابن عباس قال هم المسلمون وقيل الا اصحاب الحق واهل الايمان وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقال ابو جعفر الباقر نحن وشيعتنا اصحاب اليمين وكل من ابغضنا اهل البيت فهم المرتهنون

قوله تعالى في جنات يجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي هم في جنات وان يكون حالا من اصحاب اليمين وان يكون حالا من فاعل يتساءلون ذكرهما ابو البقا ويجوز ان يكون ظرفا ليتساءلون وهو اظهر من الحالية ويتساءلون يجوز ان يكون على بابه اي يسال بعضهم بعضا وان يكون بمعنى يسالون اي يسالون غيرهم من فاعله ويتساءلون نحو دعوته وتداعيته

قوله تعالى عن المجرمين فيه وجهان الاول ان يكون كلمة من صلة زايدة والتقدير يتساءلون المجرمين فيقولون لهم ما سلككم في سقر فانه يقال سالته كذا وسالته عن كذا الثاني ان يكون المعنى ان اصحاب اليمين يسال بعضهم بعضا عن احوال المجرمين فان قيل فعلى هذا يجب ان يقولوا ما سلككم في سقر فاجاب الزمخشري عنه فقال المراد من هذا ان المشركين يلقون ما جرى بينهم وبين المومنين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر وفيه اوجه اخر وهو ان المراد ان اصحاب اليمين كانوا يتساءلون عن المجرمين اين هم فلما راوهم قالوا لهم ما سلككم في سقر والاضمارات كثيرة في القران

قوله تعالى ما سلككم يجوز ان يكون على اضمار القول وذلك القول في موضع الحال اي يتساءلون عنهم قايلين لهم ما سلككم قال الزمخشري فان قلت كيف طابق قوله تعالى ما سلككم وهو سوال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سوال عنهم وانما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم قلت قوله تعالى ما سلككم ليس ببيان للتساول عنهم وانما هو حكاية قول المسوولين عنهم لان المسوولين يلقون الى السايلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر اي ادخلكم في سقر كما تقول سلكت الخيط في كذا اذا ادخلته فيه والمقصود من هذا السوال زيادة التوبيخ والتخجيل والمعنى ما ادخلكم في هذه الدركة من النار فاجابوا ان العذاب لامور اربعة تقدم ذكرها وهي قولهم لم نك من المصلين قال الكلبي يسال الرجل من اهل الجنة الرجل من اهل النار باسمه فيقول له يا فلان وفي قراة عبد الله بن الزبير يا فلان ما سلككم في سقر وهي قراة على التفسير لا انها قران كما زعم من طعن في القران قاله ابن الانباري وقيل ان المومنين يسالون الملايكة عن اقربايهم فتسال الملايكة المشركين فيقولون ما سلككم في سقر قال الفرا في هذا ما يقوي ان اصحاب اليمين هم الولدان لانهم لا يعرفون الذنوب

قوله تعالى لم نك

من المصلين هذا هو الدال على فاعل سلككم كذا الواقع جوابا لقول المومنين لهم ما سلككم التقدير سلكنا عدم صلاتنا وكذا وكذا وقال ابو البقا هذه الجملة سدت مسد الفاعل وهو جواب ما سلككم وهو نظير ما سلككم وقد تقدم في البقرة

فصل قال القرطبي معنى قولهم لم نك من المصلين يعني اهل النار اي المومنين الذين يصلون ولم نك نطعم المسكين اي لم نكن نتصدق قال ابن الخطيب وهذا يجب ان يكونا محمولين على الصلاة الواجبة والزكاة لان ما ليس بواجبة لا يجوز ان يعذبوا على تركه وكنا نخوض مع الخائضين اي في الاباطيل وقال ابن زيد نخوض مع الخائضين اي في امر محمد صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لعنهم الله انه كاهن مجنون شاعر ساحر كذبوا والله لم يكن فيه شي من ذلك صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كلما غوى غاو غوينا معه وقيل معناه وكنا اتباعا ولم نكن متبوعين وقولهم وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين اي جانا الموت قال الله تعالى حتى ياتيك اليقين وهذه الاية تدل على ان الكفار يخاطبون بفروع الشريعة

فان قيل لم اخر التكذيب وهو اغلظ تلك الخصال الاربع فالجواب اريد انهم بعد اتصافهم بتلك الامور الثلاثة كانوا مكذبين بيوم الدين والغرض تعظيم هذا الذنب كقوله تعالى ثم كان من الذين امنوا

قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره اي لا احد يشفع فيهم اي لا شفاعة لهم فلا انتفاع لهم بها وليس المراد ان ثم شفاعة غير نافعة كقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهذه الاية تدل على صحة الشفاعة للمذنبين من هذه الامة بمفهومها لان تخصيص هولا بانهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين يدل على ان غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يشفع نبيكم صلى الله عليه وسلم رابع اربعة جبريل ثم ابراهيم ثم موسى او عيسى ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم الملايكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهدا ويبقى قوم في جهنم فيقال لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الى قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن مسعود فهولا الذين في جهنم

قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين اي فما لاهل مكة قد اعرضوا وولوا قال مقاتل معرضين عن القران من وجهين احدهما الجحود والانكار والثاني ترك العمل بما فيه وقيل المراد بالتذكرة العظة بالقران وغيره من المواعظ ومعرضين حال من الضمير الجار الواقع خبرا عن ما الاستفهامية وقد تقدم ان مثل هذه الحال يسمى حالا لازمة وتقدم بحث حسن وعن التذكرة متعلق به قال القرطبي وفي اللام معنى الفعل فانتصاب الحال على معنى الفعل قال ابن الخطيب هو كقولك ما لك قايما

قوله تعالى كانهم حمر هذه الجملة يجوز ان تكون حالا من الضمير في معرضين فتكون حالا متداخلة وقرا العامة حمر بضم الميم والاعمش باسكانها وقرا نافع وابن عامر مستنفرة بفتح الفا على انه اسم مفعول اي يستنفرها الصياد والباقون بالكسر بمعنى نافرة يقال استنفر ونفر بمعنى مثل عجب واستعجب وسخر واستسخر قال الشاعر

امسك حمارك انه مستنفر … في اثر احمرة عمدن لغرب

قال الزمخشري وكانها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه انتهى فابقى السين على بابها من الطلب وهو معنى حسن قال ابو علي الفارسي الكسر في مستنفرة اولى لقوله فرت للتناسب لانه يدل على انها استنفرت ويدل على صحة ذلك ما روى محمد بن سلام قال سالت ابا سوار الغنوي وكان عربيا فصيحا فقلت كانهم حمر ماذا فقال مستنفرة طردها قسورة فقلت انما هو فرت من قسورة فقال افرت قلت نعم قال فمستنفرة اذن انتهى يعني انها مع قوله طرد تناسب الفتح لانها اسم مفعول فلما اخبر بان التلاوة فرت من قسورة رجع الى الكسر للتناسب الا ان مثل هذه الحكاية لا ترد القراة المتواترة والقسورة قيل الصايد اي نفرت وهربت من قسورة اي من الصايد وقيل الرماة اي رماة يرمونها قيل هو اسم جمع لا واحد له قال اهل اللغة ان القسورة الرامي وجمعه القسورة وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك وابن كيسان القسورة هم الرماة والصيادون ورواه عطا عن ابن عباس وابن وهب عن ابي موسى الاشعري وانشد للبيد بن ربيعة

اذا ما هتفنا هتفة في ندينا … اتانا الرجال الصايدون القساوره

وقيل القسورة الاسد قاله ابو هريرة وابن عباس رضي الله عنهما قال ابن عرفة من القسر بمعنى القهر اي انه يقهر السباع والحمر الوحشية تهرب من السباع ومنه قول الشاعر

مضمر تحذره الابطال … كانه القسورة الرهال

اي الاسد الا ان ابن عباس انكره وقال لا اعرف القسورة الاسد في لغة احد من العرب وانما القسورة عصب الرجال وانشد

يا بنت كوني خيرة لخيرة … اخوالها الجن واهل القسوره

وقيل القسورة ظلمة الليل قاله ابن الاعرابي وهو قول عكرمة وعن ابن عباس ركز الناس اي حسهم واصواتهم وعنه ايضا فرت من قسورة اي من حبال الصيادين وعنه ايضا القسورة بلسان الحبشة الاسد وخالفه عكرمة فقال الاسد بلسان الحبشة عنبسة وبلسان الحبشة الرماة وبلسان فارس شير وبلسان النبط اريا وقيل هو اول سواد الليل ولا يقال لاخر سواد الليل قسورة

فصل قال ابن عباس كان هولا الكفار في نفارهم من محمد صلى الله عليه وسلم حمر مستنفرة قال ابن عباس اراد الحمر الوحشية قال الزمخشري وفي تشبيههم بالحمر شهادة عليهم بالبله ولا يرى مثل نفار حمر

الوحش واطرادها في العدو اذا خافت من شيء **قوله تعالى** بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة اي يعطى كتبا مفتوحة وذلك ان ابا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد لا نؤمن بك حتى تاتي كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين الى فلان ابن فلان ونؤمر فيه باتباعك ونظيره لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقروه وقال ابن عباس كانوا يقولون ان كان محمد صادقا فليصبح عند راس كل واحد منا صحيفة فيها براءة من النار وقال مطر الوراق ارادوا ان يعطوا بغير عمل وقال الكلبي قال المشركون بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح عند راسه مكتوبا ذنبه وكفارته فاتنا بمثل ذلك قال ابن الخطيب من الصحف المنشرة بمعزل وقيل المعنى ان يذكر بذكر الجميل فجعلت الصحف موضع الذكر مجازا وقالوا اذا كانت ذنوب الانسان تكتب عليه فما بالنا لا نرى ذلك **قوله** منشرة العامة على التشديد من نشره بالتضعيف وابن جبير منشرة بالتخفيف ونشر والنشر مثل نزل وانزل والعامة ايضا على ضم الحا من صحف وابن جبير على تسكينها قال ابو حيان والمحفوظ في الصحيفة والثواب نشر مخففا لا انبا وهذا مردود بالقران المتواتر وقال ابو البقا في قراءة ابن جبير من النشرة بمعنى انشر الله الميت اي احياه وانما بمعنى امر بنشرها مثل الجميل عرض فلان او بمعنى منشورة مثل احمدت الرجل ثم قال بل لا يخافون الاخرة اي لا اعطيهم ما يتمنون لانهم لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التامل اغترارا بالدنيا فانه لما حصلت لهم احيانا فيها بذكره **قوله** كلا اي ليس يكون ذلك وقيل حقا والاول اجود لانه رد لقولهم ثم قال بل لا يخافون **قوله تعالى** كلا انه تذكرة اي حقا ان القران عظة وقيل هذا ردع لهم عن اعراضهم عن التذكرة انه تذكرة بليغة فمن شاء ذكره اي اتعظ به وجعله نصب عينيه والضمير في انه وذكره للتذكرة في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر لانها في معنى الذكر والقران وقيل الضمير في انه للقران او الوعيد **قوله تعالى** وما يذكرون قرا نافع بالخطاب وهو التفات من الغيبة الى الخطاب والباقون بالغيبة حملا على ما تقدم من قوله كل امرئ ولم يلتزموا الالتفات وقراءة الخطاب هي اختيار ابي حاتم لانه اعم واما قراءة الغيبة فهي اختيار ابي عبيد لقوله تعالى كلا بل لا يخافون الاخرة واتفقوا على تخفيفها **قوله** الا ان يشاء الله بمعنى الا وقت مشيئته الا ان ينوب عن الزمان بل على حذف مضاف قالت المعتزلة معناه الا ان يقدرهم الله على الذكر ويلهمهم اليه واجيبوا بانه تعالى نفى الذكر مطلقا واستثنى عنه حال المشيئة المطلقة فيلزم انه متى حصلت المشيئة ان يحصل الذكر مطلقا فحيث لم يحصل الذكر علمنا انه لم تحصل المشيئة وتخصيص المشيئة بالمشيئة القهرية ترك للظاهر **قوله تعالى** هو اهل التقوى واهل المغفرة اي حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بان يغفر لهم ما سلف من كفرهم اذا امنوا واطاعوا روى الترمذي وابن ماجه عن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في قوله تعالى هو اهل التقوى واهل المغفرة قال قال الله تعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقى فلم يجعل معي الها فانا اهل ان اغفر له وقال بعض المفسرين اهل المغفرة لمن تاب اليه من الذنوب الكبار واهل المغفرة ايضا للذنوب الصغار روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا يايها المدثر اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به بمكة

سورة القيمة

وهي تسع وثلاثون اية ومائة وتسع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى لا اقسم بيوم القيامة العامة على لا النافية واختلفوا حينئذ فيها على اوجه احدها انها نافية لكلام تقدم كان الكفار ذكروا شيئا فقيل لهم لا ثم ابتدا الله قسما قال القرطبي ان القران جا بالرد على الذين انكروا البعث والجنة والنار فجا الاقسام بالرد عليهم كقوله لا والله لا افعل فلا رد للكلام قد مضى كقولك لا والله ان القيامة لحق كانك اكذبت قوما انكروه الثاني انها مزيدة قال الزمخشري وقالوا انها مزيدة مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب وفي قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد وقوله • في بئر لا حور سرى وما شعر • قال ابن الخطيب وهذا القول عندي ضعيف من وجوه احدها ان تجويز هذا يفضي الى الطعن في القران لان على هذا التقدير يجوز جعل النفي اثباتا والاثبات نفيا وذلك ينفي الاعتماد على الكلام نفيا واثباتا وثانيها ان الحرف انما يزاد في وسط الكلام قال امرؤ القيس يزادها في مستهل قصيدته وهي قوله
• لا وابيك ابنة العامري • لا يدعي القوم اني افر • وايضا فهب ان هذا الحرف

لا يراد في اول الكلام الا ان القران كله كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض بدليل انه قد يذكر الشيء في سورة ثم يجي جوابه في سورة اخرى كقوله تعالى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ثم جا جوابه في سورة اخرى وهو قوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه السورة جاريا مجرى وسط الكلام والجواب عن الاول ان قوله لا وابيك قسم عن النفي وقوله لا اقسم نفي للقسم لانه على وزان قولنا لا اقبل لا اضرب لا ابصر وذلك يفيد النفي بدليل انه لو حلف لا يقسم كان البر بترك القسم والحنث بفعل القسم فظهر ان البيت المذكور ليس من هذا الباب وعن الثاني ان القران الكريم كالسورة الواحدة في عدم التناقض فاما ان يقرن بكل اية ما قرن بالاخرى فذلك غير جائز لانه يلزم جواز ان يقرن بكل اثبات حرف النفي الوارد في سائر الايات وذلك يقتضي انقلاب كل اثبات نفيا وانقلاب كل نفي اثباتا وانه لا يجوز وثالثها ان المراد بقولنا لا صلة انه لغو باطل يجب طرحه واسقاطه حتى ينتظم الكلام ووصف كلام الباري تعالى بذلك لا يجوز الوجه الثالث قال الزمخشري ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري البيت المتقدم وقال غوية بن سلمى الا نادت امامه باحتمال ليحزنني فلا بك ما ابالي وفائدتها توكيد القسم في الرد ثم قال بعد ان حكى وجه الزيادة والاعتراض والجواب كما تقدم والوجه ان يقال هي للنفي والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالشيء الا اعظاما له بدليل عليه كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكانه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي له باقسامي به كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق ذلك وقيل ان لا نفي لكلام ورد قبل ذلك انتهى قال ابن الخطيب كانهم انكروا البعث قيل لا ليس الامر على ما ذكر ثم قيل اقسم بيوم القيامة قال وهذا فيه اشكال لان اعادة حرف النفي اجري في قوله ولا اقسم بالنفس اللوامة مع ان المراد ما ذكروه يقدح في فصاحة الكلام قال شهاب الدين فقول الزمخشري والوجه ان يقال الى قوله يعني انه يستاهل فوق ذلك تقرير لقوله ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض الى اخره وحاصل كلامه يرجع الى انها نافية وان النفي متسلط على فعل القسم بالمعنى الذي شرحه وليس فيه منع لفظا ولا معنى ثم قال فان قلت قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والابيات التي انشدتها المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت ان لا التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا كقولك لا اقسم بيوم القيامة لا تتركون سدى قلت لو قصروا الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقتصر الا ترى كيف نفي لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان وكذلك قوله فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقران كريم وهذا من محاسن كلامه تعالى وقرا قنبل والبزي بخلاف عنه لاقسم بلام بعدها همزة دون الف وفيها اوجه احدها انها جواب لقسم مقدر تقديره والله لاقسم والفعل للحال فلذلك لم يات بنون التوكيد وهذا مذهب الكوفيين واما البصريون فلا يجيزون ان يقع فعل الحال جوابا للقسم فان ورد ما ظاهره ذلك جعل الفعل خبر المبتدا مضمر فيعود الجواب جملة اسمية قدر احد جزئيها وهذا اعتذار بعضهم عن ذلك التقدير والله لانا اقسم الثاني انه فعل مستقبل وانما لم يات بنون التوكيد لان افعال الله تعالى حق وصدق فهي غنية عن التاكيد بخلاف افعال غيره على ان سيبويه حكى حذف النون الا انه قليل والكوفيون يجيزون ذلك من غير قلة اذ من مذهبهم جواز تعاقب اللام والنون فمن حذف اللام قوله • وقتيل مرة اثارن فانه • فرغ وان اخاكم لم يثار • اي لاثارن ومن حذف النون وهو نظير الاية الكريمة قول الاخر • لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم • ليعلم ربي ان بيتي واسع • الثالث انها لام الابتدا وليست بلام القسم قال ابو البقا كقوله وان ربك ليحكم والمعروف ان لام الابتدا لا تدخل على المضارع الا في خبر ان نحو وان ربك ليحكم وهذه الاية نظير الاية التي في سورة يونس ولا ادراكم به فانهما قراها بقصر الالف والكلام فيها قد تقدم ولم يختلف في قوله ولا اقسم انه بالالف بعد لا لانه لم يرسم الا كذا بخلاف الاول فانه رسم بدون الف بعد لا وكذلك في قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد لم يختلف فيه انه بالالف بعد لا وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن دل عليه قوله ايحسب الانسان وقيل الجواب ايحسب وقيل هو بلى قادرين وروي عن الحسن البصري وقيل المعنى على نفي القسم والمعنى اني لا اقسم على شيء ولكن اسالك ايحسب الانسان وهذه الاقوال شاذة منكرة لا تصح عن قائلها لخروجها عن لسان العرب وانما ذكرناها تنبيها على ضعفها **فصل** قال ابن عباس وابن جبير معنى الكلام اقسم بيوم القيامة وهو قول ابي عبيدة ومثله قوله • تذكرت ليلى فاعترتني صبابة • فكاد ضمير القلب لا يتقطع • **قوله** بيوم القيامة اي بيوم يقوم الناس فيه لربهم ولله عز وجل ان يقسم بما شاء ولا اقسم بالنفس اللوامة لا خلاف في هذا بين القراء وانه سبحانه انما اقسم بيوم القيامة تعظيما لشانه وعلى قراءة ابن كثير اقسم بالاولى ولم يقسم بالثانية وقيل ولا اقسم بالنفس اللوامة فاخرا بتدا اقسم بالنفس اللوامة قال الثعلبي والصحيح انه اقسم بهما جميعا ومعنى بالنفس اللوامة اي بنفس المؤمن الذي لا تراه يلوم الا نفسه يقول ما اردت بكلامي ما اردت باكلي ما اردت بحديثي والفاجر لا يحاسب نفسه وقال مجاهد

التي تلوم على ما فات وتندم فتلوم نفسها على الشر لم فعلته وعلى الخير لم لا تستكثر منه وقيل تلوم نفسها بما تلوم عليه
غيرها وقيل المراد آدم عليه السلام لم يزل لائما لنفسه على معصيته التي أخرج بها من الجنة وعن ابن عباس رضي
الله عنه أنها الملومة فتكون صفة ذم وهو قول من نفى أن يكون قسما وعلى الأول صفة مدح فيكون القسم بها
سائغا وقال مقاتل هي نفس الكافر يلوم نفسه ويتحسر في الآخرة على ما فرط في جنب الله تعالى قوله تعالى أيحسب
الإنسان أن لن هذه أن المخففة وتقدم حكمها في المائدة وغيرها ولن وما في حيزها في موضع الجر والفاصل
هنا حرف النفي ونحن وما في حيزها سادة مسد مفعول حسب أو مفعوليه على الخلاف والعامة على نجمع بنون العظمة
وعظامه نصب مفعولا به وقتادة يجمع بياء من تحت مضمومة على ما لم يسم فاعله عظامه رفع لقيامه مقام الفاعل
فصل قال الزجاج أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة ليجمعن العظام للبعث فهذا جواب القسم محذوف
أي لنبعثن والمراد بالإنسان الكافر المكذب بالبعث قيل نزلت في عدي بن ربيعة قال للنبي صلى الله عليه وسلم
حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمرها وحالها فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لو عاينت
ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أومن به أو يجمع الله العظام ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم
اكفني جار السوء عدي بن ربيعة والأخنس بن شريق وقيل نزلت في عدو الله أبي جهل حين أنكر البعث بعد الموت
وذكر العظام والمراد نفسه كلها لأن العظام قالب الخلق وقيل المراد بالإنسان كل من أنكر البعث مطلقا قوله
بلى إيجاب لما بعد النفي المنسحب عليه الاستفهام وهو وقف حسن ثم يبتدئ قادرين فقادرين حال من الفاعل المضمر في
الفعل المحذوف على ما ذكرنا من التقدير وقيل المعنى بل نجمعها نقدر قادرين قال الفراء قادرين نصب على الخروج من نجمع
أن نقدر ويقوى قادرين على أكثر من ذلك وقال أيضا يصلح نصبه على التكرير أي بلى فليحسبنا قادرين وقيل المضمر كنا
أي كنا قادرين في الابتداء وقد اعترف به المشركون وقرأ ابن أبي عبلة وابن السميفع قادرون رفعا على خبر ابتداء مضمر
أي بل نحن قادرون على أن نسوي بنانه والبنان عند العرب الأصابع وواحدها بنانة قال عنترة

وإن الموت طوع يدي متى ما ٭ وصلت بنانها بالهندوان ٭ فنبه بالبنان على بقية الأعضاء

وأيضا فإنها أصغر العظام فخصها بالذكر لذلك قال القتيبي والزجاج وزعموا أن الله تعالى لا يبعث الموتى ولا يقدر على
جمع العظام فقال الله تعالى بلى قادرين على أن نعيد السلاميات على صغرها ونؤلف بينها حتى تستوي ومن قدر على هذا
فهو على جمع الكبار أقدر وقال ابن عباس وعامة المفسرين على أن نسوي بنانه أن نجعل أصابع يديه ورجليه شيئا
واحدا كخف البعير أو كحافر الحمار أو كظلف الخنزير ولا يمكنه أن يعمل به شيئا ولكنا فرقنا أصابعه حتى يعمل بها ما شاء
وقيل نقدر أن نعيد الإنسان في هيئة البهائم فكيف في صورته التي كان عليها وهو كقوله تعالى وما نحن بمسبوقين على
أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون والقول الأول أشبه بمساق الآية فصل قال ابن الخطيب وفي
الآية إشكالات أحدها ما المناسبة بين القيامة وبين النفس اللوامة حتى جمع الله بينهما في القسم وثانيها على وقوع
القيامة وثالثها قال أقسم بيوم القيامة ولم يقل والقيامة كما قال في سائر السور والطور والذاريات والضحى
والجواب عن الأول من وجوه أحدها أن أحوال القيامة عجيبة جدا ثم المقصود من إقامة القيامة إظهار أحوال
النفوس على ما قال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه ومن أحوالها العجيبة قوله تعالى وما خلقت
الجن والإنس إلا ليعبدون وقوله تعالى إنا عرضنا الأمانة إلى قوله وحملها الإنسان وقيل القسم وقع بالنفس اللوامة
على معنى التعظيم من حيث إنها أبدا تستحقر فعلها وجدها واجتهادها في طاعة الله تعالى وقيل إنه تعالى أقسم بالقيامة
ولم يقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها لأن النفس اللوامة إما أن تكون كافرة بالقيامة مع عظم أمرها وإما أن تكون
فاسقة مقصرة في العمل وعلى التقديرين فإنها مستحقرة والجواب عن الثاني أن المحققين قالوا القسم بهذه الأشياء
قسم بربها وخالقها في الحقيقة فكأنه قيل أقسم برب القيامة على وقوع القيامة والجواب عن الثالث أنه حيث
أقسم قال جل ذكره والذاريات وأما هنا فإنه سبحانه نفى كونه مقسما بهذه الأشياء فزال السؤال قوله تعالى
بل يريد الإنسان فيه وجهان أحدهما أن يكون بل لمجرد الإضراب والانتقال من غير عطف أضرب عن الكلام الأول
وأخذ في آخر الثاني أنها عاطفة قال الزمخشري بل يريد عطف على أيحسب فيجوز أن يكون مثله استفهاما وأن يكون
إيجابا على أن يضرب عن مستفهم عنه إلى آخر ويضرب عن مستفهم عنه إلى موجب قال أبو حيان بعدما حكى عن الزمخشري
ما تقدم وهذه التقادير الثلاثة متكلفة لا تظهر قال شهاب الدين وليس هنا إلا تقدير أن ومفعول يريد محذوف
يدل عليه التعليل في قوله تعالى ليفجر أمامه والتقدير يريد شهواته ومعاصيه ليمضي فيها أبدا دائما وأمامه منصوب
على الظرف وأصله مكان فاستعير هنا للزمان والضمير في أمامه الظاهر عوده على الإنسان وقال ابن عباس يعود
على يوم القيامة بمعنى أنه يريد شهواته ليفجر في تكذيبه بالبعث بين يدي يوم القيامة فصل قال مجاهد
والحسن وعكرمة والسدي وسعيد بن جبير رضي الله عنهم يقول سوف أتوب سوف أتوب حتى يأتيه الموت

على أسوأ أحواله وعن ابن عباس بل يريد الإنسان ليفجر أمامه قال يعجل المعصية ويسوف بالتوبة وجاء في الحديث قال يقول سوف أتوب
ولا يتوب فهو قد أخلف فكذب وقال عبد الرحمن بن زيد بل يريد الإنسان ليفجر أمامه من البعث والحساب ودليله يسأل أيان
يوم القيامة أي يسأل متى يكون على وجه الإنكار والتكذيب وقال الضحاك هو الأمل يقول سوف أعيش وأصيب من الدنيا
ولا يذكر الموت وقيل يعزم على المعصية أبدا وإن كان لا يعيش إلا مدة قليلة فالهاء على هذه الأقوال للإنسان وإذا قلنا إن
الهاء ليوم القيامة فالمعنى يريد الإنسان ليكفر بالحق بين يدي القيامة والفجور أصله الميل عن الحق قوله يسأل أيان هذه
جملة مستأنفة وقال أبو البقاء تفسير ليفجر فيحتمل أن يكون مستأنفا تفسيرا وأن يكون بدلا من الجملة قبلها لأن التفسير يكون
بالاستئناف وبالبدل إلا أن الثاني منع منه رفع الفعل ولو كان بدلا لنصب وقد يقال إنه أبدل الجملة من الجملة لا خصوصية
الفعل من الفعل وحكم وفيه بحث وتقدم نظيرها في الذاريات وغيرها والمعنى يسأل متى يوم القيامة فصل
قال ابن الخطيب اعلم أن إنكار البعث يتولد تارة من الشبهة وأخرى من الشهوة فأما تولده من الشبهة فهو ما حكاه الله تعالى
بقوله أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه وتقريره أن الإنسان هو هذا البدن فإذا مات وتفرقت أجزاؤه واختلطت
بأجزاء التراب وتفرقت بالرياح في مشارق الأرض ومغاربها فيكون تمييزها بعد ذلك محالا وهذه الشبهة ساقطة من
وجهين الأول لا نسلم أن الإنسان هو هذا البدن بل هو شيء مدبر لهذا البدن فلو فسد هذا البدن بقي هو حيا كما كان حين
يعيده الله تعالى إلى بدن آخر فسقط السؤال وفي الآية إشارة إلى هذا لأنه سبحانه أقسم بالنفس اللوامة ثم قال تعالى أيحسب
الإنسان أن لن نجمع عظامه وهو تصريح بالفرق بين النفس والبدن الثاني سلمنا أن الإنسان هو هذا البدن لكنه
سبحانه عالم بالجزئيات فيكون عالما بالجزء الذي هو بدن زيد وبالجزء الذي هو بدن عمرو وهو تعالى قادر على كل الممكنات
فيلزم أن يكون قادرا على تركيبها ثانيا فزال الإشكال وأما إنكار البعث بناء على الشهوة فهو قوله تعالى بل يريد الإنسان
ليفجر أمامه ومعناه أن الإنسان الذي يميل طبعه للشهوات واللذات فالفكرة في البعث تنغصها عليه فلا جرم ينكره
قوله تعالى فإذا برق البصر قرأ نافع وأبان عن عاصم برق بفتح الراء والباقون بالكسر فقيل لغتان في التحير والدهشة ومعناه
لمع بصره من شدة شخوصه فتراه لا يطرف وقيل برق بالكسر تحير فزعا قال الزمخشري وأصله من برق الرجل إذا نظر إلى البرق
فدهش بصره قال غيره كما يقال أسد وبقر إذا رأى أسدا وبقرا كثيرة فتحير من ذلك قال ذو الرمة

وكنت أرى في وجه مية لمحة ٭ فأبرق مغشيا علي مكانيا ٭ وأنشد الفراء

فنفسك فانع ولا تنعني ٭ وداو الكلوم ولا تبرق ٭ أي لا تفزع من كثرة الكلوم التي بك

وبرق بالفتح من البريق أي لمع من شدة شخوصه وقال مجاهد وغيره وهذا عند الموت وقال الحسن يوم القيامة قال
وفيه معنى الجواب عما سأل عنه الإنسان كأنه قال يوم القيامة إذا برق البصر وخسف القمر وقيل عند رؤية جهنم قال
الفراء والخليل بالكسر فزع وبهت وتحير والعرب تقول للإنسان المتحير المبهوت قد برق فهو برق وقيل برق يبرق بالفتح شق
عينيه وفتحها قاله أبو عبيدة وأنشد قول الكلابي لما أتاني ابن عمير راغبا ٭ أعطيته عيساء منها بالبرق ٭ أي فتح عينيه
وقرأ أبو السمال بلق باللام قال أهل اللغة إلا الفراء معناه فتح يقال بلقت الباب وأبلقته أي فتحته وفرجته وقال
الفراء هو بمعنى أغلقته قال ثعلب أخطأ الفراء في ذلك ثم يجوز أن يكون بلق غير مادة برق ويجوز أن يكون مادة واحدة
بدل فيها حرف من آخر وقد جاء إبدال اللام من الراء في أحرف قالوا نثر كنانته ونثلها وقالوا وجل ووجر فيمكن أن يكون
هذا منه ويؤيد أن برق قد أتى بمعنى شق عينيه وفتحها قاله أبو عبيدة وأنشد لما أتاني ابن عمير البيت المتقدم
أي فتح عينيه فهذا مناسب لبلق قوله وخسف القمر العامة على بنائه للفاعل وأبو حيوة وابن أبي عبلة ويزيد بن قطيب
قال القرطبي وابن أبي إسحاق وعيسى والأعرج خسف مبنيا للمفعول وهذا لأن خسف يستعمل لازما ومتعديا يقال
خسف القمر وخسفه الله وقد اشتهر أن الخسوف للقمر والكسوف للشمس وقال بعضهم يكونان فيهما يقال خسفت
الشمس وكسفت وخسف القمر وكسف وتأيد بعضهم بقوله صلى الله عليه وسلم إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله
تعالى لا يخسفان لموت أحد فاستعمل الخسوف فيهما وفي هذا نظر لاحتمال التغليب وهل هما بمعنى واحد أم لا فقال أبو
عبيد وجماعة هما بمعنى واحد وقال ابن أبي أويس الخسوف ذهاب كل ضوئهما والكسوف قال القرطبي الخسوف
في الدنيا إلى انجلاء بخلاف الآخرة فإنه لا يعود ضوؤه ويحتمل أن يكون بمعنى غاب ومنه قوله تعالى فخسفنا به وبداره
الأرض قوله تعالى وجمع الشمس والقمر لم يلحق علامة تأنيث لأن التأنيث مجازي وقيل لتغليب التذكير وفيه نظر لو قلت
قام هند وزيد لم يجز عند الجمهور من العرب وقال الكسائي أي حمل على معنى جمع النيران وقال الفراء لم يقل جمعت
لأن المعنى جمع بينهما قال الفراء والزجاج جمع بينهما في ذهاب ضوئهما فلا ضوء للشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه وقال
ابن عباس وابن مسعود جمع بينهما أي قرن بينهما في طلوعهما من المغرب أسودين مكورين مظلمين مقرنين كأنهما
ثوران عقيران وقال عطاء بن يسار يجمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى وقال
علي وابن عباس رضي الله عنهما يجعلان في نار جهنم لأنهما قد عبدا من دون الله ولا تكون النار

عذابا لهما لانهما جمادان وانما يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكفار وحسرتهم، وقيل هذا الجمع انهما يجمعان ويقربان من الناس
فيلحقهم العرق لشدة الحر فيكون المعنى يجمع حرهما عليهم، وقيل يجمع الشمس والقمر فلا يكون ثم تعاقب ليل ولا نهار، قال ابن
الخطيب وقيل يجمع بينهما في حكم ذهاب الضوء كما يقال يجمع بين كذا وكذا في حكم كذا اي كل منهما يذهب ضوءه فصل
قال ابن الخطيب طعنت الملحدة في الاية فقالوا خسوف القمر لا يحصل حال اجتماع الشمس والقمر، والجواب
ان الله تعالى قادر على ان يخسف القمر سواء كانت الارض متوسطة بينه وبين الشمس او لم تكن لان الله تعالى قادر
على كل الممكنات فيقدر على ازالة الضوء عن القمر في جميع الاحوال قوله يقول الانسان جواب اذا من قوله فاذا برق
وابن المفر منصوب بالمحل بالقول، والمفر مصدر بمعنى الفرار وهذه هي القراءة، وقرأ الحسنان ابنا علي وابن عباس
والحسن ومجاهد وقتادة بفتح الميم وكسر الفاء وهو اسم مكان الفرار اي اين مكان الفرار وجوز الزمخشري ان يكون
مصدرا قال كالمرجع، وقرأ الحسن عكس هذا اي بكسر الميم وفتح الفاء وهو الرجل الكثير الفرار كقول امرئ القيس يصف جواده
مكر مفر مقبل مدبر معا ❊ كجلمود صخر حطه السيل من عل ❊ والاكثر استعمال هذا الوزن في
الالات قوله يقول الانسان يومئذ اين المفر اي يقول ابن ادم وقيل ابو جهل اين المفر ابن المهرب، قال الماوردي
ويحتمل وجهين احدهما اين المفر من الله استحياء منه، والثاني اين المفر من جهنم حذرا منها ويحتمل هذا القول
من الانسان وجهين احدهما ان يكون من الكافر خاصة في عرصة القيامة دون المؤمن لثقة المؤمن ببشرى
ربه، والثاني ان يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهد ومنها قوله تعالى كلا لا وزر
تقدم الكلام في كلا وخبر لا محذوف اي لا وزر له اي لا ملجأ من النار، وقال ابن مسعود رضي الله عنه لا حصن
وقال ابن عباس لا ملجأ، وقال الحسن لا جبل وقال ابن جبير لا محيص وهل هذه الجملة محكية بقول الانسان
فتكون منصوبة المحل او هي مستأنفة من الله تعالى بذلك، والوزر الملجأ من حصن او جبل او سلاح قال
السدي كانوا في الدنيا اذا فزعوا تحصنوا في الجبال فقال الله لهم لا وزر يعصمكم يومئذ مني قوله تعالى الى ربك يومئذ المستقر
❊ لعمرك ما للفتى من وزر ❊ من الموت يدركه والكبر ❊ قال الشاعر
اي المنتهى قاله قتادة نظيره وان الى ربك المنتهى، وقال ابن مسعود الى ربك المصير والمرجع اي المستقر في
الاخرة حيث يقره الله والمستقر مبتدأ خبره الجار قبله، ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الاستقرار وان يكون
مكان الاستقرار ويومئذ منصوب بفعل مقدر ولا ينتصب بمستقر لانه ان كان مصدرا فلتقدمه عليه
صفة مكان والكان لم يعمل وان كان مكانا فلا عمل له البتة قوله تعالى ينبأ الانسان اي يخبر ابن ادم برا كان او فاجرا يوم القيامة
بما قدم اي بما اسلف من عمل خير او شر او اخر من سنة سيئة او صالحة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود
وقال ابن عباس ايضا بما قدم من المعصية واخر من الطاعة وهو قول قتادة، وقال ابن زيد بما قدم من اموال
لنفسه وما اخر خلفه للورثة، وقال الضحاك بما قدم من فرض واخر من فرض، وقال مجاهد والنخعي ينبأ باول
عمل واخره، قال القشيري وهذا الانبا يكون في يوم القيامة عند وزن الاعمال، ويجوز ان يكون عند الموت قوله تعالى
بل الانسان على نفسه بصيرة، يجوز في بصيرة اوجه احدها انها خبر عن الانسان وعلى نفسه متعلق ببصيرة والمعنى
بل الانسان بصيرة على نفسه وعلى هذا فلاي شيء انث الخبر وقد اختلف النحويون في ذلك فقال بعضهم الهاء فيه
للمبالغة، وقال الاخفش هو كقولك فلان عبرة وحجة، وقيل المراد بالانسان الجوارح فكانه قال بل جوارحه بصيرة اي
شاهدة، والثاني انها مبتدأ وعلى نفسه خبرها والجملة خبر عن الانسان وعلى هذا ففيها تاويلان احدهما ان يكون
بصيرة صفة لمحذوف اي عين بصيرة قاله الفراء وانشد
❊ كان على ذي العقل عينا بصيرة ❊ بمقعده او منظر هو ناظره ❊
❊ يحاذر حتى يحسب الناس كلهم ❊ من الخوف لا يخفى عليه سرائره ❊ الثاني ان المعنى جوارح
بصيرة، الثالث ان المعنى ملائكة بصيرة وهم الكاتبون والتاء على هذا للتأنيث، وقال الزمخشري بصيرة حجة
بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الايات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم اياتنا مبصرة، قال شهاب
الدين هذا اذا لم يجعل الحجة عبارة عن الانسان او يجعل دخول التاء للمبالغة، اما اذا كانت للمبالغة فنسبة الابصار
اليها حقيقة، الوجه الثالث ان يكون الخبر الجار والمجرور وبصيرة فاعل به وهو ارجح مما قبله لان الاصل في الاخبار
الافراد فصل قال ابن عباس رضي الله عنه بصيرة اي شاهد وهو شهود جوارحه عليه يداه بما بطش
بهما ورجلاه بما مشى عليهما وعيناه بما ابصر بهما والبصيرة الشاهد قال الفراء ويدل عليه قوله تعالى يوم
تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون، قال الواحدي هذا يكون من صفات الكفار فانهم
ينكرون ما عملوا فيختم على افواههم وتنطق جوارحهم قوله تعالى ولو القى معاذيره، وهذه الجملة حالية وقد
تقدم نظيرها مرارا، والمعاذير جمع معذرة على غير قياس كملاقيح ومذاكير جمع لقحة وذكر وللنحويين في مثل هذا

قولان

قولان احدهما انه جمع للملفوظ به وهو لقحة وذكر، والثاني انه جمع لغير ملفوظ به بل لمقدر اي ملقحة ومذكار، وقال الزمخشري
فان قلت اليس قياس المعذرة ان تجمع على معاذر لا معاذير قلت المعاذير ليست بجمع معذرة بل اسم جمع لها ونحوه المناكير
في المنكر، قال ابو حيان وليس هذا البناء من ابنية اسماء الجموع وانما هو من ابنية جموع التكسير انتهى، وقيل معاذير
جمع معذار وهو الستر والمعنى ولو ارخى ستوره، والمعاذير الستور بلغة اليمن قاله الضحاك والسدي وانشد
❊ ولكنها ضنت بمنزل ساعة ❊ علينا واطت يومها بالمعاذر ❊
والواحد معذار اي وان ارخى ستره يريد ان يخفي عمله فنفسه شاهدة عليه، وقد حذف الياء من المعاذر ضرورة وقال
الزمخشري فان صح يعني ان المعاذير الستور فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب وهذا القول
يحتمل ان يكون بيانا للمعنى الجامع بين كون المعاذير الستور والاعتذارات وان يكون بيانا للعلاقة المسوغة في التجوز فصل
قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد وابو العالية وعطا والفراء والسدي المعنى ولو اعتذر وقال
لم افعل شيئا لكان عليه من نفسه من يشهد عليه من جوارحه فهو وان اعتذر وجادل عن نفسه فعليه شاهد
يكذب عذره، وقال مقاتل ولو ادلى بعذر وحجة لم ينفعه ذلك نظيره قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون فالمعاذير
على هذا ماخوذ من العذر، وحكى الماوردي عن ابن عباس ولو القى معاذيره اي ولو تجرد من ثيابه قوله تعالى لا تحرك
به لسانك لتعجل به، قال بعض الرافضة عدم مناسبتها لما قبلها يدل على تغيير القران، قال ابن الخطيب وفي المناسبة
وجوه، الاول لعل الاستعجال للرسول صلى الله عليه وسلم انما كان عند نزول هذه الايات، الثاني انه تقدم ان الانسان
يستعجل لقوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه ثم بين ان العجلة مذمومة في امر الدين فقال تعالى لا تحرك به لسانك وقال تعالى
بعدها بل تحبون العاجلة، الثالث انه قدم بل الانسان على نفسه بصيرة وكان صلى الله عليه وسلم انما يستعجل
خشية النسيان فقيل له صلى الله عليه وسلم ان الامور لا تحصل الا بتوفيق الله تعالى واعانته فاعتمد على الله واترك
التعجيل، الرابع كانه قيل غرضك من هذا التعجيل ان تحفظه وتبلغه اليهم ليظهر صدقك وقبح عنادهم لكنهم يعلمون
بقلوبهم ذلك فلا فائدة في هذا التعجيل، الخامس ان الكافر لما قال اين المفر كانه يطلب الفرار من الله تعالى فكن
انت يا محمد على مضادة الكافر وفر من غير الله الى الله، السادس قال القفال الخطاب مع الانسان المذكور في قوله
ينبأ الانسان فاذا قيل له اقرأ كتابك تلجلج لسانه فيقال له لا تعجل فانه يجب علينا بحكم الوعد او بحكم الحكمة ان نجمع
اعمالك وان نقرأها عليك فاذا قرأناه فاتبع قرانه بالاقرار ثم ان علينا بيانه بالجزاء وهذا قبيح وعبد سند به وتهويل
❊ روى الترمذي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه القران يحرك
لسانه يريد ان يحفظه فانزل الله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وكان يحرك شفتيه وقال لي ابن عباس انا
احركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فانزل الله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل
به ان علينا جمعه وقرانه قال جمعه في صدرك ثم تقراه فاذا قراناه فاتبع قرانه فاستمع وانصت ثم ان
علينا ان تقرأه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل صلوات الله عليه استمع واذا انطلق
جبريل صلوات الله عليه قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما اقرأه خرجه البخاري ايضا ونظير هذه الاية ولا تعجل بالقران
من قبل ان يقضى اليك وحيه وقد تقدم، وقال عامر الشعبي انما كان يعجل بذكره صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه
من حبه له وحلاوته في لسانه مع الوحي مخافة ان ينساه صلى الله عليه وسلم فنزلت ولا تعجل بالقران الاية ونزل
سنقرئك فلا تنسى ونزل لا تحرك به لسانك قاله ابن عباس وقرانه اي وقراءته عليك والقراءة والقران في قول
الفراء مصدران، وقال قتادة فاتبع قرانه فاتبع شرائعه واحكامه قوله تعالى وقرانه اي قراءته فهو مصدر
مضاف للمفعول واما الفاعل فمحذوف والاصل وقراءتك اياه والقران مصدر بمعنى القراءة قال حسان رضي الله عنه
❊ ضحوا باشمط عنوان السجود به ❊ يقطع الليل تسبيحا وقرانا ❊ وقال ابن عطية قرأ ابو
العالية ان علينا جمعه وقرته فاذا قرته فاتبع قرته بفتح القاف والراء والتاء من غير همز ولا الف ولم يذكر
توجيهها، فاما توجيه قوله جمعه وقرانه وقوله فاتبع قرانه فواضح مما تقدم في قراءة ابن كثير في البقرة وانه
هل هو نقل او من مادة قرن وتحقيق القول فيه مذكور ثمة فليلتفت اليه، واما قوله بفتح القاف والراء والتاء فيعني في
قوله فاذا قرته يشير الى انه قرئ شاذا هكذا وتوجيهها ان الاصل قرانه فعلا ماضيا مسندا لضمير المخاطب اي فاذا
اردت قراءته ثم ابدل الهمزة الفا لسكونها بعد فتحة ثم حذف الالف تخفيفا كقولهم ❊ ولو ترما الصبيان ❊
اي ولو ترى الصبيان وما مر بك فصار اللفظ قرته فصل قوله تعالى ان علينا جمعه اي بمقتضى الوعد عند اهل
السنة وبمقتضى الحكمة عند المعتزلة جمعه في صدرك وقرانه اي قراءته اي يقرأه جبريل عليك حتى تحفظه او تقرأه
بحيث لا تنساه فعلى الاول القارئ جبريل صلوات الله عليه وعلى الثاني محمد صلى الله عليه وسلم او المراد بقرانه
جمعه كقوله لم تقرأ جنينا فيحمل الجمع على جمعه في الخارج والقران على جمعه في ذهنه وحفظه لئلا يلزم التكرار وانشد

القراءة لله لانها بامره وقوله فاتبع قرانه قيل حلاله وحرامه او لا تقارنه بل اسكت حتى يسكت جبريل فاقرا انت وهو اظهر لان الاية تدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يقرا مع جبريل وكان يساله في اثنا قراءته عن المشكلات فنهى عن الاول بقوله فاتبع وعن الثاني بقوله ثم ان علينا بيانه **قوله تعالى** ثم ان علينا بيانه اي تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام قاله قتادة وقيل ثم ان علينا بيان ما فيه من الوعد والوعيد وقيل ان علينا ان نبينه بلسانك والضماير تعود على القران وان لم يجر له ذكر وقوله ثم ان علينا بيانه يدل على ان بيان المجمل واجب على الله تعالى اما عند اهل السنة فبالوعد والتفضل واما عند المعتزلة فبالحكمة والله تعالى اعلم **فصل** احتج من جوز تاخير البيان عن وقت الخطاب بهذه الاية واجاب ابو الحسين عنه بوجهين الاول ان ظاهر الاية يقتضي وجوب تاخير البيان عن وقت الخطاب وانتم لا تقولون به الثاني ان عندنا الواجب ان يقرن باللفظ اشعارا بانه ليس المراد من اللفظ ما يقتضيه ظاهره فاما البيان التفصيلي فيجوز تاخيره فتحمل الاية على تاخير البيان التفصيلي وذكر القفال وجها اخر وهو ان قوله تعالى ثم ان علينا بيانه اي ثم انا نخبرك بان علينا بيانه فيحمل على الترتيب ونظيره قوله تعالى فك رقبة الى قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا قال ابن الخطيب والجواب عن الاول ان اللفظ لا يقتضي وجوب تاخير البيان بل يقتضي تاخير وجوب البيان فيكون الجواب بالمنع لان وجوب البيان لا يتحقق الا عند الحاجة وعن الثاني ان كلمة ثم دخلت على مطلق البيان المجمل والمفصل والتخصيص باحدهما تحكم بغير دليل وجواب القفال بانه ترك للظاهر بغير دليل **فصل** اورد من جوز الذنوب على الانبيا بان هذا الاستعجال ان كان باذن فكيف نهى عنه وان كان بغير اذن فهو ذنب قال ابن الخطيب والجواب لعله كان ماذونا فيه الى وقت النهي **قوله تعالى** كلا قال الزمخشري كلا ردع للنبي صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وحث على الاناة وقال جماعة من المفسرين كلا معناه حقا اي حقا تحبون العاجلة وهو اختيار ابي حاتم لان الانسان بمعنى الناس وقال ابن عباس رضي الله عنه كلا اي ان ابا جهل لا يؤمن بتفسير القران وبيانه وقيل كلا لا يصلون ولا يزكون يريد كفار مكة بل تحبون قرا ابن كثير وابو عمرو يحبون ويذرون بيا الغيبة حملا على لفظ الانسان المذكور اولا لان المراد به الجنس وهو اختيار ابي حاتم لان الانسان بمعنى الناس والباقون بالخطاب فيهما اما خطابا لكفار قريش اي بل تحبون يا كفار قريش العاجلة اي الدار الدنيا والحياة فيها وتذرون الاخرة اي تدعون الاخرة والعمل لها واما التفاتا عن الاخبار عن الجنس المتقدم والاقبال عليه بالخطاب واختار الخطاب ابو عبيد قال ولولا الكراهة لخلاف هولا القرا لقراتها بالياء لذكر الانسان قبل ذلك **قوله تعالى** وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فيه اوجه احدها ان يكون وجوه مبتدا وناضرة نعت له ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة خبره والى ربها متعلق بالخبر والمعنى ان الوجوه الحسنة يوم القيامة ناظرة الى الله تعالى وهذا معنى صحيح والناضرة من النضرة وهي التنعم ومنه غصن ناضر الثاني ان يكون وجوه مبتدا ايضا وناضرة خبره ويومئذ منصوب بالخبر كما تقدم وسوغ الابتدا هنا بالنكرة كون الموضع موضع تفصيل كقوله فثوب لبست وثوب اجر ويكون ناظرة نعتا لوجوه او خبرا ثانيا او خبر المبتدا المحذوف والى ربها متعلق بناظرة كما تقدم وقال ابن عطية وابتدا بالنكرة لانها تخصصت بقوله يومئذ وقال ابو البقا وجاز الابتدا هنا بالنكرة لحصول الفائدة وفي كلا قوليهما نظر اما قول ابن عطية فلان قوله تخصصت بقوله يومئذ هذا التخصيص اما لكونها عاملة فيه وهو محال لانها جامدة واما لانها موصوفة به وهو محال ايضا لان الجثث لا توصف بالزمان كما لا يخبر به عنها واما قول ابي البقا فان اراد بحصول الفائدة ما تقدم من التفصيل فصحيح وان عنى ما عناه ابن عطية فليس بصحيح لما تقدم الثالث ان يكون وجوه مبتدا ويومئذ خبره قاله ابو البقا وهذا اغلط من حيث المعنى ومن حيث الصناعة اما المعنى فلا فايدة في الاخبار عنها بذلك واما الصناعة فانه لا يخبر بالزمان عن الجثث وان ورد ما ظاهره ذلك يؤول نحو الليلة الهلال الرابع ان يكون المعنى وجوه مبتدا وناضرة خبره والى ربها ناظرة جملة في موضع خبر ثان قاله ابن عطية وفيه نظر لانه لا ينعقد منهما كلام اذ الظاهر تعلق الى بناظرة اللهم الا ان يعني ان ناظرة خبر لمبتدا مضمر اي هي ناظرة الى ربها وهذه الجملة خبر ثان وفيه تعسف الخامس ان يكون الخبر لوجوه مقدرا اي وجوه يومئذ ثم وناضرة صفة وكذلك ناظرة قاله ابو البقا وهو بعيد لعدم الحاجة الى ذلك والوجه الاول الظهر لخلوصه من هذه التعسفات وكون الى حرف جر والى ربها مجرورا بها هو المتبادر للذهن وقد خرجه بعض المعتزلة على ان يكون الى اسما مفردا بمعنى النعمة مضافا الى الرب ويجمع على الآء نحو فباي الآء ربكما وقد تقدم ان فيه لغات اربعا وربها خفض بالاضافة والى مفعول مقدم ناصبه ناظرة بمعنى منتظرة والتقدير وجوه ناضرة منتظرة نعمة ربها وهذا فرار من اثبات النظر لله تعالى على معتقدهم وتمحل الزمخشري لمذهب المعتزلة بطريق اخرى من جهة الصناعة فقال بعد ان جعل التقديم في الى ربها

مؤذنا

مؤذنا بالاختصاص والذي يصح معه ان يكون من قول الناس انا الى فلان ناظر ما يصنع بي يريد معنى التوقع والرجا ومنه قول القايل

واذا نظرت اليك من ملك ... والبحر دونك زدتني نعما

وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم ويأوون الى مقايلهم عيينتي ناظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم قال شهاب الدين وهذا كالحوم على من يقول ان ناظرة بمعنى منتظرة الا ان مكيا قد رد هذا القول فقال ودخول الى يدل على انه نظر العين وليس من الانتظار ولو كان من الانتظار لم يدخل معه الى الا ترى انك لا تقول انتظرت الى زيد وتقول نظرت الى زيد قال يصحب نظر العين ولا يصحب نظر الانتظار ومن قال ان ناظرة بمعنى منتظرة فقد اخطا في المعنى وفي الاعراب ووضع الكلام في غير موضعه وقال القرطبي ان العرب اذا ارادت بالنظر الانتظار قالوا نظرته كما قال تعالى هل ينظرون الا الساعة هل ينظرون الا تاويله ما ينظرون الا صيحة واحدة واذا اردت به التفكر والتدبر قالوا نظرت فيه فاما اذا كان النظر مقرونا بذكر الى وذكر الوجه فلا يكون الا بمعنى الرؤية والعيان وقال الازهري ان قول مجاهد تنتظر ثواب ربها خطا لانه لا يقال نظر الى كذا بمعنى الانتظار وان قول القايل نظرت الى فلان ليس الا رؤية عين كذلك تقوله العرب لانهم يقولون نظرت اليه اذا ارادوا نظر العين فاذا ارادوا الانتظار قالوا نظرته قال

فانكما ان تنظراني ساعة ... من الدهر تنفعني لدى ام جندب

لما ارادوا الانتظار قال تنظراني ولما ارادوا نظر العين قالوا نظرت اليه قال

نظرت اليها والنجوم كانها ... مصابيح رهبان تشب لقفال

وقال اخر

نظرت اليها بالمحصب من منى

والنضرة طراوة البشرة وجمالها وذلك من اثر النعمة يقال نضر وجهه فهو ناضر وقال بعضهم مسلم انه من نظر العين الا ان ذلك على حذف مضاف اي ثواب ربها ونحوه قال مكي لو جاز هذا لجاز نظرت الى زيد اي الى عطا زيد وفي هذا نقض لكلام العرب وتخليط في المعاني ونضره الله ونضره مخففا ومثقلا اي حسنه ونعمه قال صلى الله عليه وسلم نضر الله امرا سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها يروى بالوجهين وقيل للذهب نضار من ذلك ويقال له النضر ايضا ويقال اخضر ناضر كاسود حالك وقدح نضار يروى بالاتباع والاضافة والعامة على ناضرة بالالف وقرا زيد بن علي نضرة بدونها كفرح فهو فرح **فصل** روى مسلم في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال ابن عمر يقول اكرم اهل الجنة على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم تلى قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال عكرمة تنظر الى ربها نظرا وحكى الماوردي عن ابن عمر وعكرمة ومجاهد تنتظر امر ربها وليس معروفا الا عن مجاهد وحده وجمهور اهل السنة تمسكوا بهذه الاية في اثبات ان المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة واما المعتزلة فاحتجوا بقوله تعالى لا تدركه الابصار ويقولون النظر المقرون بالى ليس اسما للرؤية بل لمقدمة الرؤية وهي تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا لرؤيته ونظر العين بالنسبة الى الرؤية كنظر القلب بالنسبة الى المعرفة وكالاصغا بالنسبة الى السمع ويدل على ذلك قوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فاثبت النظر حال عدم الرؤية ويقال نظر اليه شزرا ونظر غضبان ونظر راضي ولا يقال ذلك في الرؤية ويقال دوري تتناظر اي متقابلة ويقال انظر اليه حتى تراه فتكون الرؤية غاية للنظر وان النظر يحصل والرؤية غير حاصلة وقال

وجوه ناظرات يوم بدر ... الى الرحمن تنتظر الخلاصا

ولا رؤية مع النظر المقرون بالى وقال تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة ومن قال لا يراهم كفر قالوا ويمكن ان يكون معنى قوله تعالى ناظرة اي منتظرة كقولك انا انظر اليك في حاجتي او يكون الى مفرد الآلا النعم كما تقدم او المراد الى ثواب ربها لان الادلة العقلية والسمعية لما منعت الرؤية وجب التاويل او يكون المعنى انها لا تسال ولا ترغب الا الى الله عز وجل لقوله اعبد الله كانك تراه قال ابن الخطيب والجواب لنا مقامان احدهما ان نقول النظر هو الرؤية لقول موسى صلوات الله عليه ارني انظر اليك فلو كان المراد تقليب الحدقة نحو المرئي لاقتضت الاية اثبات الجهة والمكان ولانه اخر النظر عن الارادة فلا يكون تقليب المقام الثاني علمنا ما ذكرتموه من ان النظر تقليب الحدقة للرؤية لكن تعذر حمله على الحقيقة فيجب الحمل على الرؤية اطلاقا لاسم السبب على المسبب وهو اولى من حمله على الانتظار لعدم الملازمة لان تقليب الحدقة كالسبب للرؤية ولا تعلق بينه وبين الانتظار واما قولهم لم نحمله على الانتظار قلنا الذي هو بمعنى الانتظار في القران غير مقرون بالى كقوله تعالى انظرونا نقتبس هل ينظرون الا ان والذي ندعيه ان النظر المقرون بالى ليس الا بمعنى الرؤية لان وروده بمعنى الرؤية او بالمعنى الذي يستعقب الرؤية ظاهر فلا يكون بمعنى الانتظار دفعا للاشتراك وقوله وجوه ناظرات يوم بدر شعر موضوع والرواية الصحيحة وجوه ناظرات يوم بكر الى الرحمن تنتظر الخلاصا والمراد من هذا الرحمن

واصحابه كانوا ينظرون اليه ويتوقعون منه الخلاص من الاعداء وقوله
مسيلمة الكذاب لانهم كانوا يسمونه رحمن اليمامة
انها ناظرة الى ربها قلنا فيصدق على اى نعمة كانت وان قلت لانه انما يكون للماهية التي يصدق عليها انها
هو مفرد الالآء اى نعمة ربها قلنا فيصدق على اى نعمة كانت وان كانت في غاية القلة والحقارة
نعمة فعلى هذا يكفي في تحقيق مسمى هذه اللفظة اى جزء فرض من اجزاء النعمة وان كان كذلك ان يبشر
واهل الثواب يومئذ في النعم العظيمة فكيف ينتظرون نعمة قليلة وكيف يمكن ان يكون من حاله كذلك ان يبشر
بانه يتوقع الشيء الذي يطلق عليه اسم النعمة ومثال هذا ان يبشر سلطان الارض بانه سيصير ماله في القوة
بعد سنة بحيث يكون متوقعا لحصول لقمة واحدة فكان ذلك فاسدا فكذا هاهنا سلمنا ان النظر المتعدي بالى المقرون
بالوجوه جاء في اللغة بمعنى الانتظار ولكن لا يمكن حمل هذه الآية عليه لان لذة الانتظار مع تعين الوقوع كانت
حاصلة في الدنيا فلا بد وان يحصل في الآخرة زيادة حتى يحصل الترغيب في الآخرة ولا يجوز ان يكون ذلك هو
قرب الحصول الآ قال القشيري وهذا باطل لان واو الا تكتب بالالف لا بالياء وقرب الحصول معلوم بالعقل فيبطل
التأويل واما قولهم المراد ثواب ربها فهو خلاف الظاهر هذا ما ذكره ابن الخطيب وروى القرطبي في تفسيره قال
خرج مسلم عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال
صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على
صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب متفق عليه
وفي كتاب النسائي عن صهيب رضي الله عنه قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم شيئا احب اليهم من النظر
ولا اقر لاعينهم وروى ابو اسحق الثعلبي عن الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى ربنا سبحانه
وتعالى حتى ينظروا الى وجهه فيخرون له سجدا فيقول الله تعالى ارفعوا رؤسكم فليس هذا بيوم عبادة قال القرطبي وقيل
اضاف النظر الى الوجه لان العين في الوجه فهو كقوله تعالى تجري من تحتها الانهار والماء يجري في النهر لا النهر ثم قد يكون
الوجه بمعنى العين قال تعالى فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا اى على عينيه ثم لا يبعد قلب العادة غدا حتى يخلق النظر
في الوجه فقيل يا رسول الله كيف يمشون في النار على وجوههم قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على
وجوههم قوله تعالى ووجوه يومئذ باسرة اى وجوه الكفار يوم القيامة كالحة الباسر الشديد العبوس والباسل
اشد منه ولكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه وفي الصحاح وبسر الفحل الناقة وابتسرها اذا ضربها وبسر
الرجل وجهه بسورا اى كلح يقال عبس وبسر وقال السدي باسرة متغيرة والمعنى انها عابسة كالحة قد اظلمت
الوانها قوله تعالى تظن ان يفعل بها فاقرة اى توقن وتعلم قال ابن الخطيب هكذا قاله المفسرون وعندي ان
الظن هنا انما ذكر على سبيل التهكم كانه قيل لما شاهدوا تلك الاحوال حصل فيهم ظن ان القيامة حق والفاقرة هي
الداهية العظيمة قال ابو عبيدة سميت بذلك لانها تكسر فقار الظهر قال النابغة
اى داهية موثرة يقال ان في قبر لا يزال مقابلي وضربة فاس فوق راسي فاقره
فقرته الفاقرة اى كسرت فقار ظهره قال معناه مجاهد وغيره ومنه سمي الفقير لانكسار فقاره من القل وقد
تقدم في البقرة وقال قتادة الفاقرة الشر وقال السدي الهلاك وقال ابن عباس وابن زيد دخول
النار واصلها الوسم على انف البعير بحديدة او نار حتى يخلص الى العظم قاله الاصمعي يقال فقرت انف البعير اذا
حززته ثم جعلت على الحز الجرير وعليه وتر ملوي لتذلله وتروضه قوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي كلا ردع وزجر
اى بعيد ان يؤمن الكافر بيوم القيامة ثم استأنف فقال اذا بلغت التراقي اى بلغت النفس او الروح التراقي
فاخبر عما لم يجر له ذكر لعلم المخاطب به كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب وقوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم
وقيل كلا معناه حقا ان المساق الى الله تعالى اذا بلغت التراقي اى اذا ارتقت النفس الى التراقي وكان ابن عباس
رضي الله عنه يقول اذا بلغت الحلقوم نفس الكافر والتراقي مفعول بلغت والفاعل مضمر اى النفس وان لم
يجر لها ذكر كقول حاتم لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر اى حشرجت
النفس وقيل في البيت ان الدال على النفس ذكر جملة ما اشتمل عليها وهو الفتى فكذلك هنا ذكر الانسان دال
على النفس والعامل في اذا بلغت معنى قوله تعالى الى ربك يومئذ المساق اى اذا بلغت الحلقوم رفعت
الى الله تعالى ويكون قوله وقيل من راق معطوفا على بلغت والتراقي جمع ترقوة اصلها تراقو فقلبت الواو
ياء لانكسار ما قبلها والترقوة احد عظام الصدر قاله ابو حيان والمعروف غير ذلك قال الزمخشري ولكل
انسان ترقوتان فعلى هذا يكون من باب غليظ الحواجب وعريض المناكب وقال القرطبي هي العظام المكتنفة
لنقرة النحر وهو مقدم الحلق من اعلا الصدر وهو موضع الحشرجة قال دريد بن الصمة
ورب عظيمة دافعت عنها وقد بلغت نفوسهم التراقي وقال الراغب الترقوة
عظم وصل ما بين ثغرة النحر والعاتق انتهى وقال الزمخشري العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال

ووزنها

ووزنها فعلوة فالتاء اصلية والواو زائدة يدل عليه ادخال اهل اللغة اياها في مادة ترق وقال ابو البقاء والقراء الجمع ترقوة
وهي فعلوة وليست بفعلة اذ ليس في الكلام رقو وقرئ التراقي بسكون الياء كقراءة زيد تطعمون اهاليكم وقد تقدم
توجيهها وقد يكنى ببلوغ النفس التراقي عن الاشفاء على الموت والمقصود تذكير شدة الحال عند نزول الموت فصل
قال ابن الخطيب قال بعض الطاعنين ان النفس انما تصل الى التراقي بعد مفارقتها للقلب ومتى فارقت النفس القلب
حصل الموت لا محالة والآية تدل على ان هذا بلوغها التراقي تبقى الحياة حتى يقال فيه من راق وحتى تلتف الساق
بالساق والجواب ان المراد من قوله حتى اذا بلغت التراقي اذا حصلت بالقرب من تلك الحالة قوله تعالى من راق
مبتدأ وخبر وهذه الجملة هي القائمة مقام الفاعل واصول البصريين تقتضي ان لا يكون لان الفاعل عندهم لا يكون جملة بل
الفاعل مقامه ضمير المصدر وقد تقدم تحقيق هذا في البقرة وهذا الاستفهام يجوز ان يكون على بابه وان يكون
استبعادا او انكارا فالاول مروي عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما قالوا هي من الرقية وروى سماك عن عكرمة
قال من راق يرقي ويشفي والثاني رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس ايضا اى هل من طبيب يشفيه وهو قول
ابي قلابة وقتادة وقال الشاعر هل للفتى من نائبات الدهر من واق ام هل له من حمام الموت من راق
وكان هذا على وجه الاستبعاد واليأس اى من يقدر ان يرقي من الموت وعن ابن عباس ايضا وابي الجوزاء انه من رقى
يرقى اذا صعد والمعنى من يرقى بروحه الى السماء املائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وقيل ان ملك الموت يقول
من راق اى من يرقى بهذه النفس قال شهاب الدين وراق اسم فاعل اما من رقى يرقي من الرقية وهو كلام العامة
للاستشفاء يرقى به المريض ليشفى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ادراك انها رقية يعني الفاتحة وهو اسم من
اسمائها واما من رقي يرقى من الرقي وهو الصعود اى ان الملائكة لكراهتها في روحه تقول من يصعد بهذه الروح
يقال رقى بالفتح من الرقية وبالكسر من الرقي ووقف حفص على نون من سكتة لطيفة وتقدم تحقيق هذا في اول
الكهف وذكر سيبويه ان النون تدغم في الراء وجوبا بغنة وبغيرها نحو من راشد قال الواحدي ان اظهار النون
عند حروف الفم لحن فلا يجوز اظهار نون من في قوله من راق وروى حفص عن عاصم اظهار النون واللام في قوله
من راق وبل ران قال ابو علي الفارسي ولا اعرف وجه ذلك قال الواحدي والوجه ان يقال قصد الوقف
على من وبل فاظهرهما ثم ابتدأ بما بعدهما وهذا غير مرضي من القراءة قوله تعالى وظن انه الفراق اى ايقن الانسان
انه الفراق اى فراق الدنيا والاهل والمال والولد وذلك حين يعاين الملائكة وسمي اليقين هنا بالظن لان الانسان
ما دامت روحه متعلقة ببدنه فانه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها فلا
يحصل له يقين الموت بل الظن الغالب مع رجاء الحياة او لعله سماه بالظن تهكما قال ابن الخطيب وهذه الآية تدل
على ان الروح جوهر قائم بنفسه باق بعد موت البدن لان الله تعالى سمى الموت فراقا والفراق انما يكون اذا كانت الروح باقية
فان الفراق والوصال صفة والصفة تستدعي وجود الموصوف قوله تعالى والتفت الساق بالساق الالتفاف هو
الاجتماع قال تعالى جئنا بكم لفيفا ومعنى الكلام اتصلت الشدة بالشدة شدة اخر الدنيا بشدة الآخرة قاله
ابن عباس والحسن وغيرهما وقال الشعبي وغيره التفت ساقا الانسان عند الموت من شدة الكرب قال قتادة
اما رأيته اذا اشرف على الموت يضرب برجله على الاخرى وقال سعيد بن المسيب والحسن ايضا هما ساقا الانسان
اذا التفتا في الكفن وقال زيد بن اسلم التفت ساق الكفن بساق الميت قال النحاس القول الاول احسنها وقول
ابن عباس هو اخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من الآخرة فتلتقي الشدة بالشدة الا من رحم الله والعرب
لا تذكر الساق الا في الشدائد والمحن العظام ومنه قولهم قامت الحرب على ساق قال اهل المعاني لان الانسان
اذا دهمته شدة شمر لها عن ساقيه فقيل للامر الشديد ساق قال الجعدي
اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
قوله تعالى الى ربك يومئذ المساق اى الى خالقك يومئذ اى يوم المساق اى المرجع والمساق مفعل السوق
وهو اسم مصدر وقال القرطبي المساق مصدر من ساق يسوق كالمقال من قال يقول قوله تعالى فلا صدق
لا هنا دخلت على الماضي وهو مستفيض في كلام بمعنى لم يصدق ولم يصل قال
ان تغفر اللهم تغفر جما واى عبد لك لا الما وقال آخر
واى خميس لا افانا نهابه واسيافنا من كبشه تقطر الدما وقال مكي لا الثانية
نفي وليست بعاطفة ومعناه فلم يصدق ولم يصل قال شهاب الدين وكيف يتوهم العطف حتى ينفيه وجعل
الزمخشري فلا صدق ولا صلى عطفا على الجملة من قوله تعالى يسأل ايان يوم القيامة قال وهو معطوف على قوله يسأل
ايان اى لا يؤمن بالبعث وقال الكسائي لا بمعنى لم ولكنه يقرن بغيره تقول العرب لا عبد الله خارج ولا فلان
ولا تقول مررت برجل لا محسن حتى يقال ولا مجمل وقوله تعالى فلا اقتحم العقبة ليس من هذا القبيل لان

معناه فلا اقتحم بخلاف حرف الاستفهام وقال الاخفش فلا صدق اي لم يصدق كقوله تعالى فلا اقتحم اي لم يقتحم ولم يشكر ان يعقبه بشيء آخر والعرب تقول لا ذهب اي لم يذهب فحرف النفي ينفي الماضي كما ينفي المستقبل ومنه قول زهير

فلا هو أبداها ولم يتقدم •

فصل قال ابن عباس رضي الله عنه معناه لم يصدق بالرسالة ولا صلى اي دعا لربه تعالى ولا صلى على رسوله صلى الله عليه وسلم • وقال قتادة فلا صدق بكتاب الله تعالى • وقيل لا صدق بمال ذخرا له عند الله ولا صلى الصلوات التي امر الله بها • وقيل فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه قيل المراد ابو جهل • وقيل الانسان المذكور في قوله تعالى ايحسب الانسان. **قوله تعالى** ولكن كذب وتولى الاستدراك هنا واضح لانه لا يلزم من نفي التصديق والصلاة التكذيب والتولي لان كثيرا من المسلمين كذلك فاستدرك ذلك بان سببه التكذيب والتولي وهذا مضعف ان يحمل نفي التصديق على نفي تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم لئلا يلزم التكرار قال القرطبي ومعناه كذب بالقرآن وتولى عن الايمان. **قوله تعالى** ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر افتخارا بذلك قاله مجاهد وغيره • ويتمطى جملة حالية من فاعل ذهب • ويجوز ان يكون بمعنى شرع في التمطي كقوله • فقام يذود الناس عنها بسيفه • وفي يتمطى قولان احدهما انه من المطا وهو الظهر ومعناه يتبختر اي يمد مطاه ويلويه تبخترا في مشيته • الثاني ان اصله يتمطط من تمطط اي تمدد ومعناه انه يتمدد في مشيته تبخترا ومن لازم التبختر ذلك فهو يقرب من معنى الاول ويفارقه في مادته اذ مادة المطا م ط و ومادة الثاني م ط ط وانما ابدلت الطاء الثانية ياء كراهة اجتماع الامثال كقوله تقضي البازي اذا البازي كسر • والمطيطا التبختر ومد اليدين في المشي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشت امتي المطيطا وخدمتهم فارس والروم كان بأسهم بينهم • والمطيط الماء الخاثر اسفل الحوض لانه يتمطط اي يتمدد فيه • وقال القرطبي التمطط هو التمدد من التكسل والتثاقل فهو يتثاقل عن الداعي الى الحق والتمطي يدل على قلة الاكتراث. **قوله تعالى** اولى لك فاولى • تقدم الكلام عليه في آخر سورة القتال وانما كرر هنا مبالغة في التهديد والوعيد فهو تهديد بعد تهديد ووعيد بعد وعيد قالت الخنساء

هممت بنفسي كل الهموم • فاولى لنفسي اولى لها •

وقال ابو البقاء هنا وزن اولى فيه قولان احدهما فعلى والالف فيه للالحاق لا للتأنيث • والثاني هو افعل وهو على القولين هنا علم ولذلك لم ينون ويدل عليه ما حكى ابو زيد في النوادر هي اولاة بالتاء غير مصروف لانه صار علما للوعيد فصار كرجل اسمه احمد فعلى هذا يكون اولى مبتدأ ولك الخبر • والثاني ان يكون اسما للفعل مبنيا ومعناه وليك شر بعد شر ولك تبيين. **فصل** قال قتادة والكلبي ومقاتل خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد ذات ليلة فاستقبله ابو جهل على باب المسجد مما يلي باب بني مخزوم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فهزه مرة او مرتين ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال له ابو جهل اتهددني فوالله اني لاعز اهل هذا الوادي واكرمه ولا تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا ثم انسل ذاهبا فانزل الله تعالى كما قال له الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى اولى لك يعني ويل لك قال الشاعر • فاولى ثم اولى ثم اولى • وهل للدر يحلب من مرد • وقيل هو من المقلوب كانه قيل اويل ثم اخر الحرف المعتل والمعنى الويل لك يوم تدخل النار وهذا التكرير كقوله

لك الويلات انك مرجلي •

اي لك الويل ثم الويل وقيل معناه الذم لك اولى من تركه • وقيل المعنى انت اولى واجدر بهذا العذاب • وقال ابو العباس احمد بن يحيى قال الاصمعي اولى في كلام العرب معناه مقاربة الهلاك كانه يقول قد وليت الهلاك اي دانيت الهلاك واصله من الولي وهو القرب قال تعالى قاتلوا الذين يلونكم اي يقربون منكم قال القرطبي وقيل التكرير فيه على معنى الذم لك على عملك السيء الاول ثم على الثاني والثالث والرابع. **قوله تعالى** ايحسب الانسان اي يظن ابن آدم ان يترك سدى اي ان يخلى مهملا فلا يؤمر ولا ينهى قاله ابن زيد ومجاهد • وقيل ان يترك في قبره كذلك ابدا لا يبعث • وسدى حال من فاعل يترك ومعناه مهملا يقال ابل سدى اي مهملة قال واقسم بالله جهد اليمين ما خلق الله شيئا سدى اي مهملا واسديت حاجتي اي ضيعتها ومعنى اسدى اليه معروفا اي جعله بمنزلة الضائع عند المسدى اليه لا يذكره ولا يمن به عليه. **قوله تعالى** الم يك نطفة • العامة على الياء من تحت في يك رجوعا للانسان • والحسن بالتاء الخطاب على الالتفات اليه توبيخا له • وقوله تعالى من مني يمنى • قرأ حفص يمنى بالياء من تحت وفيه وجهان احدهما ان الضمير عائد على المني اي يصب فتكون الجملة في محل جر • والثاني انه يعود للنطفة لان تأنيثها مجازي ولانها في معنى المني قاله ابو البقاء وهذا انما يتمشى على قول ابن كيسان واما النحاة فيجعلونه ضرورة كقوله

ولا ارض ابقل ابقالها •

وقرأ الباقون تمنى من فوق على ان الضمير للنطفة فعلى هذه القراءة وعلى الوجه المذكور قبلها تكون الجملة في محل نصب لانها صفة للمنصوب. **فصل** والمعنى من قطرة ماء تمنى في الرحم اي يراق فيه ولذلك سميت منى لاراقة الدماء والنطفة الماء القليل يقال نطف الماء اي قطر اي الم يك ماء قليلا في صلب الرجل وترائب المرأة فنبه تعالى بهذا على خسة قدره ثم قال تعالى فخلق فسوى اي فسواه تسوية وعدله بان جعل الروح فيه • وقيل فخلق اي فقدر فسوى فعدله • وقيل فخلق اي نفخ فيه فسوى فكمل اعضاءه قاله ابن عباس ومقاتل فجعل منه اي من الانسان • وقيل من المني الزوجين الذكر والانثى اي الرجل والمرأة فقوله تعالى الذكر والانثى يجوز ان يكونا بدلين من الزوجين على لغة من يجري المثنى مجرى المقصور • وقد تقدم تحقيقه في طه ومن ينسب اليه هذه اللغة والاستشهاد على ذلك. **فصل** قال القرطبي وقد احتج بهذه الآية من رأى اسقاط الخنثى وقد مضى في سورة الشورى ان هذه الآية وقرينتها انما خرجتا مخرج الغالب. **فان قيل** ما فائدة قوله يمنى في قوله تعالى من مني يمنى **فالجواب** فيه اشارة الى حقارة حاله كانه قيل انه مخلوق من المني الذي يجري على مجرى النجاسة فلا يليق بمثل هذا ان يتمرد عن طاعة الله تعالى الا انه عبر عن هذا المعنى على سبيل الرمز كما في قوله تعالى في عيسى ومريم صلوات الله عليهما كانا يأكلان الطعام والمراد منه قضاء الحاجة. **قوله تعالى** اليس ذلك بقادر • اي اليس الذي قدر على خلق هذه النسمة من قطرة ماء. **قوله تعالى** بقادر • العامة على جره بالباء زائدة في خبر ليس هذه قراءة العامة وقرأ زيد بن علي يقدر فعلا مضارعا والعامة على نصب يحيي بان لان الفتحة خفيفة على حرف العلة وقرأ طلحة بن سليمان والفياض بن غزوان بسكونها فاما ان يكون خفف حرف العلة بحذف حركة الاعراب • واما ان يكون اجرى الوصل مجرى الوقف وجمهور الناس على وجوب فك الادغام • قال ابو البقاء لئلا يجمع بين ساكنين لفظا وتقديرا يعني ان الحاء ساكنة فلو ادغمنا لسكنا الياء الاولى ايضا للادغام فيلتقي ساكنان لفظا وهو متعذر النطق فهذان ساكنان لفظا • واما قوله تقديرا فقال بعض الناس جوز الادغام في ذلك وقرأ به ان يحيي وذلك انه لما اراد الادغام نقل حركة الياء الاولى الى الحاء فالتقى ساكنان الحاء لانها ساكنة في الاصل قبل النقل اليها والياء لان حركتها نقلت من عليها الى الحاء واستشهد الفراء لهذه القراءة بقول الشاعر • تمشي بسدة بيتها فتعيي • واما اهل البصرة فلا يجيزونه البتة قالوا لان حركة الياء عارضة اذ هي للاعراب • وقال مكي وقد اجمعوا على عدم الادغام في حال الرفع فاما في حال النصب فقد اجازه الفراء لاجل تحرك الياء الثانية وهو لا يجوز عند البصريين لان الحركة عارضة • قال شهاب الدين ادعاؤه الاجماع مردود بالبيت الذي تقدم انشاده عن الفراء وهو قوله فتعيي فهذا مرفوع وقد ادغم ولا يبعد ذلك لانه لما ادغم ظهرت تلك الحركة لسكون ما قبل الياء بالادغام. **فصل** المعنى اليس الذي قدر على خلق هذه النسمة من قطرة ماء بقادر على ان يحيي الموتى اي ان يعيد هذه الاجسام كهيئتها للبعث بعد البلى روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال سبحانك اللهم وبلى • وقال ابن عباس من قرأ سبح اسم ربك الاعلى اماما كان او غيره فليقل سبحان ربي الاعلى ومن قرأ لا اقسم بيوم القيامة الى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان او غيره • وروى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت انا وجبريل له يوم القيامة انه كان مؤمنا بيوم القيامة وجاء ووجهه يسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة •

وهي احدى وثلاثون آية • ومائتان واربعون كلمة • والف واربعة وخمسون حرفا • قال ابن عباس ومقاتل والكلبي هي مكية • وقال الجمهور مدنية • وقيل فيها مكي من قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا الى آخر السورة وما تقدم مدني • وذكر ابن وهب قال وحدثنا ابن زيد قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقرأ هل اتى على الانسان حين من الدهر وقد انزلت عليه وعنده [illegible] على النبي صلى الله عليه وسلم قال دعه يا ابن الخطاب قال فنزلت عليه هذه السورة وهو عنده فلما قرأها عليه وبلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج نفس صاحبكم او اخيكم الشوق الى الجنة • وقال القشيري ان هذه السورة نزلت في علي بن ابي طالب كرم الله وجهه والمقصود من السورة عام وهكذا القول في كل ما يقال انه نزل بسبب كذا وكذا. بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** هل اتى على الانسان • في هل هذه وجهان احدهما انها على بابها من الاستفهام المحض اي هو ممن يسأل عنه لغرابته أأتى عليه حين من الدهر لم يكن كذا فانه يكون الجواب اتى عليه ذلك وهو بالحال المذكورة كذا قاله ابو حيان • وقال مكي في تقريرها على بابها من الاستفهام والاحسن ان يكون على بابها للاستفهام الذي معناه التقرير وانما هو تقرير لمن انكر البعث فلا بد ان يقول نعم قد مضى دهر طويل لا انسان فيه فيقال له من احدثه بعد ان لم يكن وكونه بعد عدمه كيف يمتنع عليه بعثه واحياؤه بعد موته وهو معنى قوله ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون اي فهلا تذكرون فتعلمون ان من انشأ شيئا بعد ان لم يكن قادر على اعادته بعد موته وعدمه انتهى فقد جعلها

لاستفهام التقرير لا للاستفهام المحض وهذا هو الذي يجب ان يكون لان الاستفهام لا يرد من البارى تعالى الا على هذا النحو وما
اشبهه ❁ والثانى قال الكسائى والفراء وابو عبيدة وحكى ايضا عن سيبويه انها بمعنى قد قال الفراء هل يكون جحدا او يكون
خبرا فهذا من الخبر لانك تقول هل اعطيتك تقرره بانك اعطيته ❁ والجحد ان تقول هل يقدر احد على مثل هذا وقا
الزمخشرى هل بمعنى قد فى الاستفهام خاصة والاصل اهل بدليل قوله ❁
سائل فوارس يربوع بشدتنا ❁ اهل رأونا بوادى القف ذى الاكم ❁ فالمعنى اقد اتى على التقرير
والتقريب جميعا اى اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا اى شيئا منسيا غير
مذكور انتهى فقوله على التقرير يعنى المفهوم من الاستفهام وهو الذى فهمه تلقى من نفس هل وقوله والتقريب
يعنى المفهوم من قد التى وقع موقعها هل ومعنى قوله فى الاستفهام خاصة ان هل لا تكون بمعنى قد الا ومعها استفهام
لفظا كالبيت المتقدم او تقديرا كالاية الكريمة فلو قلت هل جاء زيد بمعنى قد جاء من غير استفهام لم يجز وغيره جعلها
بمعنى قد من غير هذا القيد وبعضهم لا يجيز ذلك البتة وتاول البيت على انه مما جمع فيه بين حرفى معنى للتاكيد
وحسن ذلك اختلاف لفظهما كقوله ❁ فاصبحن لا يسالننى عن بما به ❁ فالبا بمعنى عن وهى موكدة لها واذا كانوا قد اكدوا
مع اتفاق اللفظ كقوله ❁ فلا والله لا يلفى لما بى ❁ ولا للما بهم ابدا دواء ❁ فلان يوكد مع اختلافه احرى ولم يذكر الزمخشرى
غير كونها بمعنى قد وبنى على الزمخشرى قيد اخر وهو ان يقول فى الجمل الفعلية لانه متى دخلت هل على جملة اسمية
استحال كونها بمعنى قد لان قد مختصة بالافعال ❁ قال شهاب الدين وعندى ان هذا لا يرد لانه يقرر ان قد لا تباشر
الاسما ❁ فصل قال قتادة والثورى وعكرمة والشعبى ان المراد بالانسان هنا ادم عليه السلام وهو مروى
عن ابن عباس ❁ وقيل المراد بالانسان بنو ادم لقوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة فالانسان فى الموضعين
واحد وعلى هذا فيكون نظم الاية احسن ❁ وقوله تعالى حين من الدهر قال ابن عباس فى رواية ابى صالح مرتين
به ان يقول سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطايف ❁ وعن ابن عباس فى رواية الضحاك
انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حما مسنون اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة فتم خلقه
بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح ❁ وحكى الماوردى عن ابن عباس ان الحين المذكور ههنا هو الزمن
الطويل الممتد الذى لا يعرف مقداره ❁ وقال الحسن خلق الله تعالى كل الاشيا ما يرى وما لا يرى من دواب البر
والبحر فى الايام الستة التى خلق الله تعالى فيها السموات والارض واخر ما خلق ادم عليه السلام فهو قوله تعالى
لم يكن شيئا مذكورا ❁ فان قيل ان الطين والصلصال والحما المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان انسانا والاية
تقتضى انه مضى على الانسان حال كونه انسانا حين من الدهر مع انه فى ذلك الحين ما كان شيئا مذكورا ❁
فالجواب ان الطين والصلصال اذا كان مصورا بصورة الانسان ويكون محكوما عليه بانه سينفخ فيه الروح
ويصير انسانا صح تسميته بانه انسان ومن قال ان الانسان هو النفس الناطقة وانها موجودة قبل وجود
الابدان فالاشكال عنهم زايل ❁ واعلم ان الغرض من هذا التنبيه على ان الانسان محدث واذا كان كذلك فلا بد
من محدث قادر ❁ قوله تعالى لم يكن ❁ فى هذه الجملة وجهان احدهما انها فى موضع نصب على الحال من الانسان اى
هل اتى عليه حين فى هذه الحال ❁ والثانى انها فى موضع رفع نعتا لحين بعد نعت وعلى هذا فالعايد محذوف تقديره
حين لم يكن فيه شيئا مذكورا والاول اظهر لفظا ومعنى ❁ فصل روى الضحاك عن ابن عباس فى قوله تعالى لم
يكن شيئا مذكورا الا فى السما ولا فى الارض ❁ وقيل اى كان جسدا مصورا ترابا وطينا لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى
ما اسمه ولا ما يراد به ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا قاله الفراء وقطرب وثعلب ❁ وقال يحيى بن سلام لم يكن
شيئا مذكورا لانه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعده حيوانا ❁ ومن قال بان المراد بالانسان الجنس
من ذرية ادم صلوات الله عليه فالمراد بالحين تسعة اشهر مدة الحمل فى بطن امه لم يكن شيئا مذكورا اذ كان
مضغة وعلقة لانه فى هذه الحالة جماد لا خطر له ❁ وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لما قرا هذه الاية ليتها
تمت فلا نبتلى اى ليت المدة التى اتت على ادم لم يكن شيئا مذكورا تمت على ذلك فلا يلد ولا نبتلى اولاده ❁ وسمع
عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقرا هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فقال ليتها تمت
قوله تعالى انا خلقنا الانسان ❁ يعنى ابن ادم من غير خلاف من نطفة اى من ماء يقطر وهو المنى وكل ما قليل
فى وعاء فهو نطفة كقول عبد الله بن رواحة يعاتب نفسه ❁
ما لى اراك تكرهين الجنه ❁ هل انت الا نطفة فى شنه ❁ وجمعها نطف ونطاف
قوله تعالى امشاج ❁ نعت لنطفة ووقع الجمع نعتا لمفرد لانه فى معنى الجمع كقوله تعالى رفرف خضر او جعل
كل جزء من النطفة نطفة فاعتبر ذلك فوصفت بالجمع ❁ وقال الزمخشرى نطفة امشاج كبرمة اعشار وبرد
اكياس وثوب اخلاق وارض سباسب وهى الفاظ مفردة غير جموع ولذلك يقع صفات للافراد ويقال نطفة

مشيج ❁ قال الشماخ ❁ طوت احشاء مرتجة لوقت ❁ على مشيج سلالته مهين ❁ ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما
مثلان فى الافراد لوصفنا المفرد بهما فقد منع ان يكون امشاجا جمع مشيج بالكسر ❁ قال ابو حيان وقوله مخالف لنص
سيبويه والنحويين على ان افعالا لا يكون مفردا ❁ قال سيبويه وليس فى الكلام افعال الا ان يكسر عليه اسما للجميع
وما ورد من وصف المفرد بافعال تاولوه انتهى ❁ قال شهاب الدين هو لم يجعل افعالا مفردا انما قال يوصف به المفرد
يعنى التاويل ذكرنه من انهم جعلوا كل قطعة من البرمة برمة وكل قطعة من البرد بردا فوصفوهما بالجمع ❁ وقال ابو
حيان الامشاج الاخلاط واحدها مشج بفتحتين او مشج كعدل واعدال او مشيج كشريف واشراف قاله ابن الاعرابى
وقال روبة ❁ يطرحن كل معجل نشاج ❁ لم يكس جلدا من دم امشاج ❁ وقال الهذلى يصف السهم بانه قد نفذ فى
الرمية فالتطخ ريشه وفوقاه بدم يسير ❁ كان الريش والفوقين منها ❁ خلاف النصل سيط به مشيج ❁ ويقال
مشج يمشج مشجا اذا خلط ومشيج كخليط وممشوج كمخلوط انتهى فجوز ان يكون جمعا لمشيج كعدل وقد تقدم ان الزمخشرى
منع من ذلك ❁ وقال الزمخشرى ومشجه ومزجه بمعنى ❁ والمعنى من نطفة امتزج فيها الماءان ❁ قال القرطبى ويقال
مشجت هذا بهذا اى خلطته فهو ممشوج ومشيج مثل مخلوط وخليط وهو هنا اختلاط النطفة بالدم وهو دم الحيضة
وذلك ان المراد اذا بلغت ماء الرجل وحبلت امسك حيضها فاختلطت النطفة بالدم ❁ وقال الفرا امشاج اخلاط
ماء المراة وماء الرجل والدم والعلقة ❁ روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال الامشاج الحمرة والبياض فى الحمرة
وعنه ايضا قال يختلط ماء الرجل وهو ابيض غليظ بماء المراة وهو اصفر رقيق فيخلق منهما الولد فما كان من عصب
وعظم وقوة فهو من ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فهو من ماء المراة ❁ قال القرطبى وقد روى هذا مرفوعا
ذكره البزار ❁ وعن ابن مسعود امشاجها عروقها المضغة ❁ وقال مجاهد نطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المراة خضراء
وصفراء ❁ وقال ابن عباس خلق من الوان خلق من تراب ثم من ماء الفرج والرحم وهى نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم
عظم ثم لحم ونحوه ❁ قال قتادة هى اطوار الخلق طورا نطفة وطورا علقة وطورا مضغة وطورا عظاما ثم تكسوا
العظام لحما ❁ قال ابن الخطيب وقيل ان الله تعالى جعل فى النطفة اخلاطا من الطبايع التى تكون فى الانسان من
الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والتقدير من نطفة ذات امشاج فحذف المضاف وتم الكلام ❁ قوله
تعالى نبتليه ❁ يجوز فى هذه الجملة وجهان احدهما انها حال من فاعل خلقنا اى خلقناه حال كوننا مبتلين له والثانى
انها حال من الانسان وصح ذلك لان فى الجملة ضميرين كل منهما يعود على ذى الحال ثم هذه الحال يجوز ان تكون مقارنة
ان كان المعنى نبتليه نصرفه فى بطن امه نطفة ثم علقة كما قال ابن عباس وان تكون مقدرة ان كان المعنى
نبتليه نختبره بالتكليف لانه وقت خلقه غير مكلف ❁ وقال الزمخشرى ويجوز ان يكون المراد ناقلين له من
حال الى حال فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة ❁ قال شهاب الدين وهذا معنى قول ابن عباس المتقدم
وقال بعضهم فى الكلام تقديم وتاخير والاصل انا جعلناه سميعا بصيرا نبتليه اى جعلناه كذلك للابتلا
وهذا لا حاجة اليه ❁ فصل قوله نبتليه معناه لنبتليه كقولك جئتك اقضى حقك اى لاقضى حقك واتيتك
استمنحك كذا ونظيره قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اى لتستكثر ❁ ومعنى نبتليه نختبره وقيل تقدير فيه
الابتلاء وهو الاختبار وفيما نختبره به وجهان احدهما قال الكلبى نختبره بالخير والشر ❁ والثانى قال الحسن نختبر
شكره فى السراء وصبره فى الضراء ❁ وقيل نبتليه نكلفه بالعمل بعد الخلق قاله مقاتل وقيل نكلفه ليكون مامورا بالطاعة
ومنهيا عن المعاصى ❁ وقوله تعالى فجعلناه سميعا بصيرا ❁ والمعنى انا خلقناه فى هذه الامشاج لا للعبث بل
للابتلا والامتحان ثم ذكر انه اعطاه ما يصح معه الابتلا لا يقع الا بعد تمام الخلقة وهو السمع والبصر وهما
كنايتان عن الفهم والتمييز لان الابتلا لا يقع الا بعد تمام الخلقة والمعنى جعلناه سميعا يسمع به الهدى
وبصيرا يبصر به الهدى كما قال تعالى حاكيا عن ابراهيم صلوات الله عليه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر وقد
يراد بالسميع المطيع كقوله سمعا وطاعة وبالبصير العالم يقال فلان بصير فى هذا الامر ❁ وقيل بل المراد
السمع والبصر الحاستان المعروفتان والله تعالى خصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها ❁ قوله تعالى
انا هديناه السبيل ❁ اى بينا له وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر ببعث الرسل فامن او كفر ❁ وقال
مجاهد بينا له السبيل الى الشقاوة والسعادة ❁ وقال الضحاك وابو صالح والسدى السبيل هنا خروجه
من الرحم ❁ وقيل منافعه ومضاره التى يهتدى اليها بطبعه وكمال عقله ❁ فصل قال ابن الخطيب اخبر الله
تعالى انه بعد ان ركبه واعطاه الحواس الظاهرة والباطنة بين له سبيل الهدى والضلالة قال
والاية تدل على ان العقل متاخر عن الحواس وهو كذلك ثم يتشاعبها عقابا دسادقة اولية كعلمنا
بان النفى والاثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان وان الكل اعظم من الجزء وهذه العلوم الاولية هى العقل
قال الفرا هدى يتعدى بنفسه وباللام ❁ قوله تعالى اما شاكرا ❁ نصب على الحال وفيه وجهان احدهما انه حال

من مفعول هديناه اي هديناه مبينا له كلتا حالتيه • قال ابو البقاء وقيل هي حال مقدرة قال شهاب الدين لانه حمل الهداية على اول البيان لانه في ذلك الوقت غير متصف باحدى الصفتين • والثاني انه حال من السبيل على المجاز • قال الزمخشري ويجوز ان يكونا حالين من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله تعالى وهديناه النجدين فوصف السبيل بالشكر والكفر مجازا والعامة على كسر همزة اما وهي المرادفة لاو وتقدم خلاف النحويين فيها ونقل مكي عن الكوفيين ان ها هنا ان الشرطية زيدت بعدها ما ثم قال لا يجيزه البصريون لان ان الشرطية لا تدخل على الاسما الا ان يضمر فعل نحو وان احد ولا يصح اضمار الفعل هنا لانه كان يلزم رفع شاكرا وايضا فانه لا دليل على الفعل انتهى • قال شهاب الدين لا نسلم انه يلزم رفع شاكر مع اضمار الفعل ويمكن ان يضمر فعل ينصب شاكرا تقديره ان خلقناه شاكرا فشكور وان خلقناه كافرا فكفور • وقرا ابو السماك وابو العجاج بفتحها وفيها وجهان احدهما انها العاطفة وانما لغة بعضهم فتح همزتها وانشدوا على ذلك

• يلقحها اما شمال عرية • واما صبا جنح العشي هبوب •

بفتح الهمزة ويجوز مع فتح الهمزة ابدال ميمها الاولى يا قال • ايما الى جنة ايما الى نار • وحذف الواو بينهما • والثاني انها اما التفصيلية وجوابها مقدر • قال الزمخشري وهي قراءة حسنة • والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره انتهى ولم يذكر غيره

فصل قال ابن الخطيب بعد حكايته ان شاكرا وكفورا حالان المعنى كلما يتعلق بهداية الله تعالى وارشاده فقد تم حالتي الكفر والايمان قال وقيل انتصب شاكرا وكفورا باضمار كان والتقدير سواء كان شاكرا او كان كفورا وقيل معناه انا هديناه السبيل ليكون اما شاكرا واما كفورا اي ليتميز شكره من كفره وطاعته من معصيته كقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا • قال القفال ومجاز هذه الكلمة على هذا التاويل كقولك قد نصحت لك ان شئت فاقبل وان شئت فاترك اي فان شئت فتحذف الفاء فكذا يحتمل ان يكون ذلك على جهة الوعيد اي انا هديناه السبيل فان شاء فليشكر وان شاء فليكفر فانا قد اعتدنا للكافرين كذا كقوله وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر • وقيل حالان من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا ووصف السبيل بالشكر والكفر مجازا • قال ابن الخطيب وهذه الاقوال لائقة بمذهب المعتزلة • وقيل قول خامس مطابق لمذهب اهل السنة واختاره الفراء وهو ان يكون اما في هذه الاية كما في قوله تعالى اما يعذبهم واما يتوب عليهم والتقدير انا هديناه السبيل ثم جعلناه تارة شاكرا وتارة كفورا ويؤيده قراءة ابي السماك المتقدمة • قالت المعتزلة هذا التاويل باطل لانه تعالى هدد الكفار بعد هذه الاية بقوله تعالى انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ولو كان كفر الكافر من الله وبخلقه لما جاز منه ان يهدده عليه ولما بطل هذا التاويل ثبت ان الحق هو التاويل الاول وهو انه تعالى هدى جميع المكلفين سواء امن او كفر وبهذا ابطل قول المجبرة • واجيب بانه تعالى لما علم من الكافر انه لا يؤمن ثم كلفه بان يؤمن فقد كلفه الجمع بين العلم بعدم الايمان ووجود الايمان وهذا تكليف بالجمع بين المتنافيين فان لم يصر هذا عذرا في سقوط التهديد والوعيد جاز ايضا ان يخلق الكفر فيه ولا يصير ذلك عذرا في سقوط التهديد والوعيد واذا ثبت هذا ظهر ان هذا التاويل هو الحق وبطل تاويل المعتزلة

فصل قال القرطبي جمع بين الشاكر والكفور ولم يجمع بين الشكور والكفور مع اجتماعهما في معنى المبالغة نفيا للمبالغة في الشكر واثباتا لها في الكفر لان شكر الله تعالى لا يؤدى فانتفت عنه المبالغة ولم ينتف عن الكفر المبالغة فقل شكره لكثرة النعم عليه وكثر كفره وان قل مع الاحسان اليه حكاه الماوردي

قوله تعالى انا اعتدنا للكافرين سلاسل • قرا نافع والكسائي وهشام وابو بكر بتنوين سلاسل والباقون بغير تنوين ووقف هولاء وقنبل عليه بالالف بلا خلاف وابن ذكوان والبزي وحفص بالالف وبدونها يعني بلا الخلاف والباقون وقفوا بدون الف بلا خلاف فتحصل من هذا ان القراء على اربع مراتب منهم من ينون وصلا ويقف بالالف وقفا بلا خلاف وهم حمزة وقنبل • ومنهم من لم ينون ويقف بالالف بلا خلاف وهو ابو عمرو وحده ومنهم من لم ينون ويقف بالالف تارة وبدونها اخرى وهو ابن ذكوان وحفص والبزي فهذا اضبط ذلك • فاما التنوين في سلاسل فذكروا له اوجها منها انه قصد بذلك التناسب لان ما قبله وما بعده منون منصوب ومنها ان الكسائي وغيره من اهل الكوفة حكوا عن بعض العرب انهم يصرفون جميع ما لا ينصرف الا افعل منك قال الاخفش سمعنا من العرب من يصرف كل ما لا ينصرف لان الاصل في الاسما الصرف وترك الصرف لعارض فيها وان هذا الجمع قد جمع وان كان قليلا قالوا صواحب وصواحبات وفي الحديث انكن لصواحبات يوسف وقال

• قد جرت الطير ايامنينا • جمع ايامن جمع تصحيح المذكر وانشدوا •

• واذا الرجال راوا يزيد رايتهم • خضع الرقاب نواكس الابصار •

بكسر السين من نواكس وبعدها ياء فظهر خطا لالتقا الساكنين وهذا على رواية كسر السين والاشهر فيها نصب السين فلما جمع شابه المفردات فانصرف • ومنها انه مرسوم في امام الحجاز والكوفة بالالف رواه ابو عبيد ورواه

قالون

قالون عن نافع • وروى بعضهم ذلك عن مصاحف البصرة ايضا • قال الزمخشري وفيه وجهان احدهما ان تكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف • والثاني ان يكون صاحب هذه القراءة ممن ضري برواية الشعر ومرن لسانه على صرف ما لا ينصرف • قال شهاب الدين وفي هذه العبارة فظاظة وغلظة لا سيما على مشيخة الاسلام وائمة العلما الاعلام ووقف هولاء بالالف ظاهر واما من لم ينونه فظاهر لانه على صيغة منتهى الجموع وقولهم قد جمع نحو صواحبات وانا مبين لا يقدح لان المحذور جمع التكسير وهذا جمع تصحيح وقد تقدم وقوفهم بالالف واضح ايضا • واما من لم ينون ووقف بالالف فاتباعا للرسم الكريم كما تقدم وايضا فان الروم في المفتوح لا يجوزه القراء والقارئ قد يبين الحركة في وقفه فاتوا بالالف لتتبين منها الفتحة • وروي عن بعضهم انه يقول رايت عمرا بالالف يعني عمر بن الخطاب • والسلاسل جمع سلسلة وهي القيود في جهنم وقد تقدم الكلام فيها في سورة الحاقة

فصل المراد انه بين ههنا حال الفريقين وانه تعبد العقلاء وكلفهم ومكنهم مما امرهم فمن كفر فله العقاب ومن وحد وشكر فله الثواب • والاعتاد هو اعداد الشيء حتى يكون عتيدا حاضرا متى احتيج اليه كقوله تعالى هذا ما لدي عتيد • والاغلال جمع غل تغل بها ايديهم الى اعناقهم وتقدم الكلام في السعير ايضا

قوله تعالى ان الابرار يشربون من كاس الاية • لما ذكر ما اعد للكافرين ذكر ما اعد للشاكرين • والابرار اهل الصدق واحدهم بر وهو من امتثل امر الله • وقيل البر الموحد والابرار جمع بار مثل شاهد واشهاد وقيل هو جمع بر مثل نهر وانهار • وفي الصحاح وجمع البار البررة وفلان يبر خالقه ويتبرره اي يطيعه • والام برة بولدها • وروى ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سماهم الله تعالى الابرار لانهم بروا الاباء والابناء كما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حقا • وقال الحسن البر الذي لا يؤذي الذر • وقال قتادة الابرار الذين يؤدون حق الله ويوفون بالنذر • وفي الحديث الابرار الذين لا يؤذون احدا • يشربون من كاس اي من اناء فيه الشراب • قال ابن عباس يريد الخمر • والكاس في اللغة الاناء فيه الشراب واذا لم يكن فيه الشراب لم يسم كاسا

قوله تعالى كان مزاجها كافورا • المزاج ما يمزج به اي يخلط يقال مزجه يمزجه مزجا اي خلطه يخلطه خلطا قال حسان

• كان سبيئة من بيت راس • يكون مزاجها عسل وماء •

فالمزاج كالقوام اسم لما يقام به الشيء ومنه مزاج البدن وهو ما يمازجه من الصفرا والسودا والحرارة والبرودة • والكافور طيب معروف وكان اشتقاقه من الكفر وهو الستر لانه يغطي الاشيا برائحته • والكافور ايضا كمام الشجر الذي يغطي ثمرتها • قال بعضهم الكافور فاعول من الكفر وهو التغطية كالناقور من النقر والحاموس من الحمس يقول حمسته في الما اي غمسته • والكفر القرية والجبل العظيم قال

• يطلع رباه من الكفرات •

والكافور البحر والكافر الليل والكافر الساتر لنعم الله تعالى والكافر الزارع لستره الحب في الارض قال الشاعر

• وكافر مات على كفره • وجنة الفردوس للكافر •

والكفارة لتغطية الاثم في اليمين الفاجرة والنذور الكاذبة بالمغفرة • والكافور ما جوف شجر مكنون فيفقرونه بالحديد فيخرج الى ظاهر الشجر فيضربه الهوا فيجمد وينعقد كالصمغ الجامد على الاشجار • ويقال كفر الرجل تكفيرا اذا وضع يده على صدره

فصل قال ابن الخطيب مزج الكافور بالمشروب لا يكون لذيذا فما السبب في ذكره • والجواب من وجوه احدها قال ابن عباس اسم عين ما في الجنة يقال له عين الكافور اي يمازجه ما هذه العين التي تسمى كافورا في بياض الكافور ورائحته وبرده ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته • وثانيها ان رائحة الكافور عرض والعرض لا يكون الا في جسم فيخلق الله تلك الرائحة في جرم ذلك الشراب فسمي ذلك الجسم كافورا وان كان طعمه طيبا فيكون الكافور ريحها لا طعمها • وثالثها ان الله تعالى يخلق الكافور في الجنة مع طعم طيب لذيذ ويسلب عنه ما فيه من المضرة ثم انه تعالى يمزجه بذلك الشراب كما انه تعالى يسلب عن جميع الماكولات والمشروبات ما معها في الدنيا من المضار • قال سعيد عن قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك • وقيل اراد بالكافور في بياضه وطيب رائحته وبرده لان الكافور لا يشرب كقوله تعالى حتى اذا جعله نارا اي كنار • وقيل كان في علم الله تعالى وكان زائدة اي من كاس مزاجها • قال القرطبي ويقال كافور وقافور وفي قراءة عبد الله بالقاف بدلا من الكاف وهذا من التعاقب بين الحرفين كقولهم عربي قح وكح • ومفعول يشربون اما محذوف اي يشربون ماء او خمرا من كاس واما مذكور وهو عينا واما من كاس ومن مزيدة فيه وهذا يتمشى عند الكوفيين والاخفش • وقال الزمخشري فان قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتدا اولا وبحرف الالصاق اخرا قلت لان الكاس مبدا شربهم واول غايته واما العين فبها يمزجون شرابهم فكان المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الما بالعسل

قوله تعالى عينا • في نصبها اوجه احدها انه بدل من كافورا لان ماءها في بياض الكافور وفي رائحته وبرده • الثاني انها بدل من محل من كاس قاله مكي ولم يقدر حذف مضاف وقدر الزمخشري على هذا الوجه حذف مضاف قال كانه قيل يشربون خمرا خمر عين • واما ابو البقا فجعل المضاف مقدرا على وجه البدل من كافورا فقال والثاني بدل من كافورا اي ما عين او خمر عين وهو معنى حسن • الثالث انها مفعول بيشربون اي يشربون عينا من كاس • الرابع ان ينتصب على الاختصاص • الخامس باضمار يشربون يفسره ما بعده قاله ابو البقا وفيه نظر لان الظاهر انه صفة لعين فلا يصح ان يفسر • السادس باضمار يعطون • السابع على الحال من الضمير في مزاجها قاله مكي

وقال القرطبي نصب باضمار اعني. **قوله تعالى** يشرب بها. في الباء وجوه: احدها انها مزيدة اي يشربها، ويدل له قراءة ابن عبلة يشربها معدى الى الضمير بنفسه. الثاني انها بمعنى من. الثالث انها حالية اي ممزوجة بها. الرابع انها متعلقة بيشرب والضمير يعود على الكاس اي يشربون العين بذلك الكاس، والباء للالصاق كما تقدم في قول الزمخشري. الخامس انه على تضمين يشربون معنى يلتذون بها شاربين. السادس على تضمينه معنى يروى اي يروى بها عباد الله. وهذه الاية الكريمة في بعض الاوجه قول الهذلي:

شربن بماء البحر ثم ترفعت • متى لجج خضر لهن نئيج

فهذه تحتمل الزيادة وتحتمل ان تكون بمعنى من. وقال الفراء يشربها ويشرب بها سواء في المعنى وكان يشرب بها يروى بها وينتفع بها، وانشد قول الهذلي. ومثله يتكلم بكلام حسن ويتكلم كلاما حسنا. والجملة من قوله يشرب بها في محل نصب صفة لعينا ان جعلنا الضمير في بها عائدا على عينا ولم يجعله مفسرا للناصب كما قاله ابو البقاء، ويفجرونها في موضع الحال.

فصل قال ابن الخطيب قوله يشرب بها عباد الله يفيد ان كل عباد الله يشربون منها، والكفار بالاتفاق لا يشربون منها، فدل على ان لفظ عباد الله مختص باهل الايمان. واذا ثبت هذا فقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر لا يتناول الكفار بل يختص بالمؤمنين، فيصير تقدير الاية ولا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، ولا تدل الاية على انه تعالى لا يريد الكفر للكافر. **قوله تعالى** يفجرونها تفجيرا، اي يشققونها شقا كما يفجر الرجل النهر ههنا وههنا الى حيث شاء وينبعه. روى القرطبي عن الحسن رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عيون في الجنة تجريان من تحت العرش احداهما التي ذكر الله تعالى يفجرونها تفجيرا، والاخرى الزنجبيل، والاخريان نضاختان من فوق العرش احداهما التي ذكر الله تعالى سلسبيلا، والاخرى التسنيم. ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول. قال فالتسنيم للمقربين خاصة شربا لهم، والكافور للابرار شربا لهم يمزج للابرار من التسنيم شرابهم، واما الزنجبيل والسلسبيل فللابرار منها مزاج، هكذا ذكره في التنزيل وسكت عن ذكر ذلك لمن هي شرب، فما كان للابرار مزاج فهو للمقربين صرف، وما كان للابرار صرف فهو لسائر اهل الجنة مزاج. والابرار هم الصادقون، والمقربون هم الصديقون. **قوله تعالى** يوفون بالنذر. يجوز ان يكون مستانفا لا محل له البتة، ويجوز ان يكون خبر الكان مضمرة. قال الفراء التقدير كانوا يوفون بالنذر في الدنيا وكانوا يخافون، انتهى. وهذا لا حاجة اليه. الثالث جواب لمن قال ما لهم يرزقون ذلك. قال الزمخشري يوفون جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك. قال ابو حيان واستعمل عسى صلة لمن وهو لا يجوز، والاتيان بالمضارع بعد عسى غير مقرون بان، وهو قليل او في شعر.

فصل معناه لا يخلفون اذا نذروا. وقال معمر عن قتادة بما يوفون بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيره من الواجبات. وقال مجاهد وعكرمة يوفون اذا نذروا في حق الله تعالى. وقال الفراء والجرجاني وفي الكلام اضمار اي كانوا يوفون بالنذر في الدنيا، والعرب قد تزيد مرة كان. وقال الكلبي يوفون بالنذر اي يتممون العهود لقوله تعالى واوفوا بعهد الله واوفوا بالعقود، امروا بالوفاء بها لانهم عقدوها على انفسهم باعتقادهم الايمان. قال القرطبي والنذر حقيقة ما اوجبه المكلف على نفسه من شيء يفعله، وان شئت قلت في حد النذر هو ايجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه. وقال ابن الخطيب الايفاء بالشيء هو الاتيان به وافيا. فقال ابو مسلم النذر كالوعد الا انه اذا كان من العباد فهو نذر، وان كان من الله تعالى فهو وعد. واختص هذا اللفظ في عرف الشرع بان يقول لله علي كذا وكذا من الصدقة او يعلق ذلك بامر يلتمسه من الله تعالى مثل ان يقول ان شفى الله مريضي او رد غائبي فعلي كذا وكذا. واختلفوا فيما اذا علق ذلك بما ليس من وجوه البر كقوله ان اتى فلان الدار فعلي كذا، فمنهم من جعله بابا من النذر.

فصل قال القشيري روى اشهب عن مالك رضي الله عنه انه قال يوفون بالنذر هو نذر العتق والصيام والصلاة. وروى عنه ابو بكر بن عبد العزيز قال قال مالك يوفون بالنذر قال النذر هو اليمين. قال ابن الخطيب هذه الاية تدل على وجوب الوفا بالنذر لانه تعالى قال عقيبه ويخافون يوما، وهذا يقتضي انهم انما وفوا بالنذر خوفا من شر ذلك اليوم، والخوف من شر ذلك اليوم لا يتحقق الا اذا كان الوفا به واجبا، ويوكده قوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها، وقوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم، وهذا يحتمل يوفوا اعمال نسكهم التي الزموها انفسهم.

فصل قال الفراء وجماعة من اهل المعاني كان في قوله تعالى كان مزاجها كافورا زائدة، واما ههنا فكان محذوفة والتقدير كانوا يوفون بالنذر. قال ابن الخطيب وللقائل ان يقول انا بينا ان كان في قوله تعالى كان مزاجها ليست بزائدة، واما في هذه الاية فلا حاجة الى اضمارها لانه تعالى ذكر في الدنيا ان الابرار يشربون اي سيشربون، لان لفظ المضارع مشترك بين الحال والاستقبال. ثم قال السبب في ذلك الثواب الذي سيجدونه انهم الان يوفون بالنذر. **قوله تعالى** ويخافون

يوما كان شره مستطيرا، اي يخافون يوم القيامة، وكان شره في موضع نصب صفة ليوما. والمستطير المنتشر، يقال استطار يستطير استطارة فهو مستطير، وهو استفعل من الطيران. قال الاعشى:

فبانت وقد اسأرت في الفؤاد • صدعا على نايها مستطيرا

والعرب تقول استطار الصدع في القارورة والزجاجة واستطال اذا امتد، ويقال استطار الحريق اذا انتشر. وقال الفراء المستطير المستطيل، كانه يريد انه مثله في المعنى لا انه ابدل من اللام راء. والفجر فجران: مستطيل كذنب السرحان وهو الكاذب، ومستطير وهو الصادق لانتشاره في الافق. قال قتادة استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والارض. وقال مقاتل كان شره فاشيا في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملائكة، وفي الارض نسفت الجبال وغارت المياه. **فان قيل** احوال القيامة واهوالها كلها فعل الله تعالى، وكلما كان فعلا لله فهو حكمة وصواب، وما كان كذلك لا يكون شرا، فكيف وصفها الله بانها شر؟ **فالجواب** انما سميت شرا لكونها مضرة بمن تنزل عليه وصعبة، كما تسمى الامراض وسائر الامور المكروهة شرورا. قال ابن الخطيب وقيل المستطير هو الذي يكون سريع الوصول الى اهله، وكان هذا القائل ذهب الى الطيران الاسرع. **فان قيل** لم قال كان شره ولم يقل سيكون شره مستطيرا؟ فالجواب ان اللفظ وان كان للماضي الا ان معناه كان شره في علم الله وحكمه. **قوله تعالى** ويطعمون الطعام على حبه. هذا الجار والمجرور حال اما من الطعام اي كائنين على حبهم الطعام كقوله تعالى وآتى المال على حبه. قال ابن عباس ومجاهد على قلته وحبهم اياه وشهوتهم له. واما من الفاعل، والضمير في حبه لله تعالى اي على حب الله، وعلى التقديرين فهو مصدر مضاف للمفعول. قال الفضيل بن عياض على حب اطعام الطعام. **قوله تعالى** مسكينا اي ذا مسكنة، ويتيما اي من يتامى المسلمين، واسيرا اي الذي يؤسر فيحبس. وذلك ان المسكين عاجز عن الاكتساب بنفسه، واليتيم هو الذي مات من يكتسب له وبقي عاجزا عن الكسب لصغره، والاسير هو الماخوذ من قومه المملوكة رقبته الذي لا يملك لنفسه نصرا ولا حيلة. قال ابن عباس والحسن وقتادة الاسير من اهل الشرك يكون في ايديهم. **فان قيل** لما وجب قتله فكيف يجب اطعامه؟ **فالجواب** ان القتل في حال لا يمنع من الاطعام في حال اخرى، ولا يجب اذا عوقب بوجه ان يعاقب بوجه آخر، ولذلك لا يحسن فيمن عليه قصاص ان يفعل به ما هو دون القتل. ويجب على الامام ان يطعمه فان لم يفعله الامام وجب على المسلمين. وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاسير المحبوس. وقال السدي الاسير المملوك. وقيل الاسير الغريم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غريمك اسيرك. وقال عطا الاسير من اهل القبلة وغيرهم. قال القرطبي وهذا يعم جميع الاقوال، ويكون اطعام الاسير المشرك قربة غير انه من صدقة التطوع، فاما المفروضة فلا. وقيل الاسير الزوجة، قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فانهن عوان عندكم. قال القفال واللفظ يحتمل كل ذلك لان اصل الاسر هو الشد بالقد، وكان الاسير يفعل به ذلك حبسا له.

فصل قال القرطبي قيل نسخ اطعام المسكين آية الصدقات، واطعام الاسير آية السيف، قاله سعيد بن جبير. وقال غيره بل هو ثابت الحكم، واطعام اليتيم والمسكين على التطوع، واطعام الاسير لحفظ نفسه الى ان يتخير فيه الامام. قال الماوردي ويحتمل ان يريد بالاسير الناقص العقل لانه في اسر خبله وجنونه، واسر المشرك انتقام يقف على راي الامام، وهذا بر واحسان. **قوله تعالى** انما نطعمكم لوجه الله، على اضمار القول اي يقولون بالسنتهم لليتيم والمسكين والاسير انما نطعمكم في الله تعالى فزعا من عذابه وطمعا في ثوابه لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي ولا ان تثنوا علينا بذلك. قال ابن عباس كذلك كانت نياتهم في الدنيا حين اطعموا. وعن مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فاثنى به عليهم ليرغب في ذلك راغب. قيل هذه الاية نزلت في مطعم بن ورقا الانصاري نذر نذرا فوفى به. وقيل نزلت فيمن تكفل باسرى بدر وهم سبعة من المهاجرين ابو بكر وعمر وعلي والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وابو عبيدة رضي الله عنهم، ذكره الماوردي. وقال مقاتل نزلت في رجل من الانصار اطعم في يوم واحد مسكينا ويتيما واسيرا. وقيل نزلت في علي وفاطمة رضي الله عنهما وجارية لهما اسمها فضة. قال القرطبي انها نزلت في جميع الابرار ومن فعل فعلا حسنا فهو عامة، وما ذكره عن علي وفاطمة لا يصح. وروى جابر الجعفي في قوله تعالى يوفون بالنذر عن قنبر مولى علي قال مرض الحسن والحسين حتى عادهما اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر رضي الله عنه يا ابا الحسن لو نذرت عن ولدك نذرا، فقال علي رضي الله عنه ان برا ولداي صمت لله ثلاثة ايام شكرا، فقالت جارية لهم ان برا سيداي صمت لله ثلاثة ايام شكرا، وقالت فاطمة رضي الله عنها مثل ذلك، وقال الحسن والحسين علينا مثل ذلك، وذكر الحديث. قال اهل الحديث جابر الجعفي كذاب.

فصل قال ابن الخطيب اعلم ان الاحسان الى الغير تارة يكون لاجل الله، وتارة يكون لغير الله اما طلبا للمكافاة او طلبا للحمد والثناء، وتارة يكون لهما، وهذا هو الشرك، والاول هو المقبول عند الله تعالى. واما القسمان الباقيان فمردودان، قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس، وقال تعالى وما آتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربوا عند الله، وما آتيتم

من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون ولا شك ان التماس الشكر من جنس المن والاذى اذا عرفت ذلك فنقول
القوم لما قالوا انما نطعمكم لوجه الله بقي فيه احتمال انه اطعمه لوجه الله ولسائر الاغراض على سبيل التشريك فلاجرم نفى
هذا الاحتمال بقوله تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا **فصل** الشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر وهو على
وزن الدخول والخروج وهذا قول جمهور اهل اللغة • وقال الاخفش ان شئت جعلت الشكور جماعة الشكر وجعلت
الكفور في قوله تعالى فابى الظالمون الا كفورا مثل برد وبرود • وان شئت جعلته مصدرا واحدا في معنى جمع
مثل قعد قعودا وخرج خروجا **قوله تعالى** انا نخاف من ربنا • يحتمل وجهين احدهما ان احساننا اليكم للخوف من
شدة ذلك لا لارادة مكافاتكم • والثاني لا نريد منكم المكافاة لخوف عقاب الله على ترك المكافاة بخوف عقاب
الله على طلب المكافاة بالصدقة **فان قيل** انه تعالى لما حكى عنهم الايفاء بالنذر وعلل ذلك بخوف القيامة فقط
ولما حكى عنهم الاطعام علل ذلك بامرين رضى الله تعالى وبالخوف فما الحكمة في ذلك **فالجواب** ان النذر هو الذي
اوجبه على نفسه لاجل الله فلما كان كذلك لاجرم علله بخوف القيامة فقط • واما الاطعام فالله تعالى هو الذي
شرعه فلاجرم ضم اليه خوف القيامة **قوله تعالى** يوما عبوسا قمطريرا • القمطرير الشديد واصله كما قال
الزجاج مشتق من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بانفها • قال الزمخشري فاشتقه
من القطر وجعل الميم مزيدة قال اسد بن ناعصه • واصطليت بالحروب في كل يوم • باسل الشر قمطرير الصباح •
قال ابو حيان واختلف النحاة في هذا الوزن والاكثر على انه لا يثبت افعلل في اوزان الافعال ويقال اقمطر
يقمطر فهو مقمطر قال الشاعر • بلزت العقرب تزبير • يكسو استها لحما وتقمطر • ويوم قمطرير وقماطر
بمعنى شديد قال الشاعر • ففروا اذا ما الحرب ثار غبارها • ولج بها اليوم الشديد القماطر • وقال الزجاج
القمطرير الذي يعبس حتى يجتمع ما بين عينيه انتهى فعلى هذا استعماله في اليوم مجازا وفي بعض كلام الزمخشري انه
جعله من القمط فعلى هذا يكون الراء فيه مزيدة انتهى • وقال القرطبي القمطرير الطويل قال الشاعر •
شديدا عبوسا قمطريرا • تقول العرب يوم قمطرير وقماطر وعصيب بمعنى وانشد الفراء •
بني عمنا هل تذكرون بلاءنا • عليكم اذا ما كان يوم قماطر • بضم القاف واقمطر اذا
اشتد • وقال الاخفش القمطرير اشد ما يكون من الايام واطوله في البلاء والشدة • ففروا اذا ما الحرب •
المتقدم • وقال الكسائي يقال اقمطر اليوم وازمهر قمطرارا وازمهرارا وهو الزمهرير والقمطرير ويوم
مقمطر اذا كان صعبا شديدا قال الهذلي • بنو الحرب ارضعنا لهم مقمطرة • ومن يلق منا ذلك اليوم يهرب •
والعبوس ايضا صفة لليوم يوما تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته • والمعنى نخاف يوما ذا عبوس وقال
ابن عباس يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل عرق كالقطران الصبر • وقال مجاهد ان العبوس بالشفتين والقمطرير
بالجبهة والحاجبين فجعلهما من صفات الوجه المتغير من شدائد ذلك اليوم **قوله تعالى** فوقاهم الله شر ذلك
اليوم اي دفع عنهم باس ذلك اليوم وشدته وعذابه • وقرا ابو جعفر فوقاهم الله بتشديد القاف على المبالغة
واعلم انه تعالى لما حكى عنهم انهم اتوا بالطاعات لغرضين لاجل رضى الله تعالى وللخوف من القيامة بين ههنا
انه اعطاهم هذين الغرضين وهو انه حفظهم من اهوال القيامة وهو قوله تعالى فوقاهم الله شر ذلك اليوم
واما طلبهم رضى الله فاعطاهم بسببه نضرة في الوجه اي حسنا حين راوه وسرورا في القلب • قال الضحاك
النضرة البياض والنقاء • وقال ابن جبير الحسن والبهاء • وقال ابن زيد اثر النعمة **قوله تعالى** وجزاهم بما
صبروا • ما مصدرية وجنة مفعول ثان اي جزاهم جنة بصبرهم وقدر مكي مضافا فقال تقديره دخول
جنة ولبس حرير • المعنى وجزاهم بصبرهم على الفقر • وقال القرطبي على الصوم • وقال عطا على الجوع ثلاثة ايام
وهي ايام نذر • وقيل بصبرهم على طاعة الله وصبرهم عن معصية الله ومحارمه وهذا يدل على ان الاية نزلت
في جميع الابرار ومن فعل فعلا حسنا • وروى ابن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل
عن الصبر فقال صلى الله عليه وسلم الصبر اربعة • اولها الصبر عند الصدمة الاولى • والصبر على اداء الفرائض
والصبر على اجتناب محارم الله تعالى • والصبر على المصائب • وقوله تعالى جنة وحريرا اي ادخلهم الجنة والبسهم
الحرير **قوله تعالى** متكئين • حال من فاعل جزاهم والعامل فيها جزا ولا يعمل فيها صبروا لان الصبر انما كان في الدنيا
والاتكاء في الاخرة • وقرا علي رضى الله عنه وجازاهم وجوز ابو البقا ان يكون صفة لجنة وهذا لا يجوز عند
البصريين لانه كان يلزم بروز الضمير فيقال متكئين هم فيها لجريان الصفة على غير من هي له وقد منع مكي ان
يكون متكئين صفة لجنة لما ذكرنا من عدم بروز الضمير وممن ذهب الى كون متكئين صفة لجنة الزمخشري فانه
قال ويجوز ان يكون متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات الجنة وهو مردود بما تقدم ولا يجوز ان يكون
متكئين حالا من فاعل صبروا لان الصبر كان في الدنيا واتكاؤهم انما هو في الاخرة قال معناه مكي وقال ان

يقول ان لم يكن المانع الا هذا فاجعلها حالا مقدرة لان مآلهم بسبب صبرهم الى هذه الحال وله نظائر • قال ابن الخطيب
وقال الاخفش وقد ينتصب على المدح • والضمير في فيها اي في الجنة وقال الفراء ان شئت جعلت متكئين تابعا كانه قال
جزاهم جنة متكئين فيها • والارائك السرر في الحجال وجاءت عن العرب اسما تحتوي على صفات • احدها الاريكة لا تكون
الا في حجلة على سرير • ودانيها السجل هو الدلو المملوءة ماء فاذا صغرت لم يسم سجلا وكذلك الذنوب لا يسمى ذنوبا حتى يملا
قاله القرطبي وهذا فيه نظر لانه قد ورد في شعر العرب يصف البازي قال • يغشى المهجهج كالذنوب المرسل •
يعني الدلو اذا القي في البير وهو لا يلقى في البير الا اذا كان فارغا قال والكاس لا يسمى كاسا حتى يترع من الخمر [illegible]
وكذلك الطبق الذي يهدى فيه الهدية اذا كانت فيه يسمى مهدى فان كان فارغا يسمى طبقا او خوانا • قال ابن الاعرابي
مهدى بكسر الميم ولا يسمى الطبق مهدى الا وفيه ما يهدى • والمهدى بالمد الذي من عادته ان يهدي • وقيل الارائك
الفرش على السرر قال ذو الرمة • خدود جفت في السير حتى كانما • يباشرن بالمعزاء مس الارائك • اي الفرش على
السرر **قوله تعالى** لا يرون فيها شمسا • فيها اربعة اوجه احدها انها حال ثانية من مفعول جزاهم • الثاني انها حال
من الضمير المرفوع المستكن في متكئين فتكون حالا متداخلة • الثالث ان تكون صفة لجنة كمتكئين عند من يرى ذلك
كما تقدم عن الزمخشري • والزمهرير اشد البرد وهذا هو المعروف • وقيل هو القمر بلغة طي وانشد •
• في ليلة ظلامها قد اعتكر • قطعتها والزمهرير ما زهر • ويروى ما ظهر اي لم يطلع القمر
والمعنى لا يرون فيها شمسا كشمس الدنيا ولا قمرا كقمر الدنيا اي انهم في ضياء مستديم لا ليل فيه ولا نهار لان ضوء النهار
بالشمس وضوء الليل بالقمر • والمعنى ان الجنة لا تحتاج فيها الى شمس ولا الى قمر • ووزنه فعلليل • وقيل المعنى لا يرون في
الجنة شدة حر كحر الشمس ولا زمهريرا اي ولا بردا مفرطا • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها عز
وجل قالت يا رب اكل بعضي بعضا فجعل لها نفسين نفسا في الشتاء ونفسا في الصيف فشدة ما تجدون من البرد
من زمهريرها وشدة ما تجدون من الحر في الصيف من سمومها قال مرة الهمداني الزمهرير البرد القاطع • وقال
مقاتل بن حيان هو شيء مثل رؤس الابر ينزل من السماء في غاية البرد • وقال ابن مسعود رضى الله عنه هو لون من
العذاب وهو البرد الشديد حتى ان اهل النار اذا القوا فيه سالوا الله ان يعذبهم في النار الف سنة اهون عليهم
من عذاب الزمهرير يوما واحدا **قوله تعالى** ودانية عليهم • العامة على نصبها وفيها اوجه احدها انها عطف على محل
لا يرون • الثاني انها معطوفة على متكئين فيكون فيها ما فيها • قال الزمخشري فان قلت ودانية عليهم ظلالها على ما عطف
قلت على الجملة التي قبلها لانها في موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في عليهم الا
انها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية ودخلت الواو للدلالة
على ان الامرين مجتمعان لهم كانه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم
الثالث انها صفة لمحذوف اي وجنة دانية قاله ابو البقا كانه قيل وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا اخرى دانية
عليهم ظلالها لانهم قد وعدوا جنتين لانهم خافوا مقام ربهم بقولهم انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا • الرابع
انها صفة لجنة الملفوظ بها قاله الزجاج • وقال الفراء نصب على المدح اي دنت دانية • لقوله تعالى
ولمن خاف مقام ربه جنتان • وقرا ابو حيوة ودانية بالرفع وفيها وجهان اظهرهما ان يكون ظلالها مبتدا ودانية
خبر مقدم والجملة في موضع الحال • قال الزمخشري والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها
دانية عليهم • والثاني ان يرتفع دانية بالابتدا وظلالها فاعل به وبها استدل الاخفش على جواز اعمال اسم
الفاعل وان لم يعتمد نحو قائم الزيدون فان دانية لم يعتمد على شيء مما ذكره النحويون ومع ذلك فقد رفعت
ظلالها وهذا لا حجة له فيه لجواز ان يكون مبتدا او خبرا مقدما كما تقدم • وقال ابو البقا وحكي بالجر اي في جنة
دانية وهو ضعيف لانه عطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار يعني انه قرئ شاذا ودانية بالجر على انه صفة
لمحذوف ويكون حينئذ نسقا على الضمير المجرور من قوله تعالى لا يرون فيها اي ولا في جنة دانية وهو راي
الكوفيين حيث يجوزون العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار ولذلك ضعفه وتقدم الكلام على ذلك
في البقرة • واما رفع ظلالها فيجوز ان يكون مبتدا وعليهم خبر مقدم ولا يرتفع بدانية لان دنا يتعدى بالى لا بعلى
ويجوز ان يرتفع بدانية على ان يضمن معنى مشرفة لان دنا واشرف يتقاربان قال معناه ابو البقا وهذان
الوجهان جاريان في قراءة من نصب دانية • وقرا الاعمش ودانيا بالتذكير للفصل بين الوصف وبين مرفوعه
بقلبهم او لان الجمع مذكر • وقرا ابي ودان عليهم بالتذكير مرفوعا وهي شاهدة لمذهب الاخفش حيث يرفع باسم
الفاعل وان لم يعتمد ولا جائز ان يعربا مبتدا وخبرا مقدما لما تقدم من المطابقة • وقال مكي وقرئ ودانيا قال
ويجوز ودانية بالرفع ويجوز ودان بالرفع والتذكير فلم يصرح بانها قراءة وقد تقدم انهما قرئ بهما فكانه لم
يطلع على ذلك **فصل** قال المفسرون معناه ان ظل الاشجار في الجنة قريبة من الابرار فهي مظلة عليهم زيادة

في نعيمهم قال ابن الخطيب فإن قيل الظل إنما يوجد حيث توجد الشمس وهناك لا شمس في الجنة فكيف تحصل الظل فالجواب أن أشجار الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت تلك الأشجار مظللة منها وإن كان لا شمس ولا قمر كما أن أمشاطهم الذهب والفضة وإن كان لا وسخ ولا شعث ثم قوله تعالى وذللت يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال عطفاً على دانية فيمن نصبها أي ومذللة ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في عليهم سواء نصبت دانية أو رفعتها أم جررتها ويجوز أن تكون مستأنفة وأما على قراءة رفع ودانية فيكون جملة فعلية عطفت على اسمية ويجوز أن تكون حالاً كما تقدم فصل المعنى وسخرت لهم قطوفها أي ثمارها تذليلاً أي تسخيراً فيتناولها القائم والقاعد والمضطجع لا ترد أيديهم عنها قال ابن قتيبة ذللت أدنيت منهم من قولهم حائط ذليل إذا كان قصير السمك قال البراء بن عازب ذللت لهم فهم يتناولون منها كيف شاؤوا وقيل ذللت أي جعلت منقادة لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا وقال ابن عباس إذا هم أن يتناول من ثمارها تدلت إليه حتى يتناول منها ما يريد وتذليل القطوف تسهيل التناول والقطوف الثمار الواحد قطف بكسر القاف سمي به لأنه يقطف كما سمي الجنى لأنه يجتنى قوله تعالى تذليلاً تأكيد لما وصف به من الذل كقوله تعالى ونزلناه تنزيلاً وكلم الله موسى تكليماً قال الماوردي ويحتمل أن يكون تذليل قطوفها أن تبرز لهم من أكمامها وتخلص لهم من نواها وقال النحاس ويقال المذلل الذي قد ذلله الماء أي أرواه ويقال المذلل الذي يفيئه أدنى ريح لنعمته ويقال المذلل المستوي لأن أهل الحجاز يقولون ذلل نخلك أي سوه قوله تعالى ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب لما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم سبحانه وتعالى وقدم وصف الأواني التي يشرب بها ومعنى يطاف أي يدور على هؤلاء الأبرار الخدم إذا أرادوا الشراب بآنية من فضة قال ابن عباس ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء أي الذي في الجنة أشرف وأعلى ثم لم ينف الأكواب الذهبية بل المعنى يسقون في الأواني الفضة وقد يسقون في أواني الذهب كما قال تعالى سرابيل تقيكم الحر أي والبرد فنبه بذكر أحدهما على الآخر قوله تعالى بآنية هذا هو القائم مقام الفاعل لأنه هو المفعول به في المعنى ويجوز أن يكون عليهم وآنية جمع إناء والأصل أأنية بهمزتين الأولى مزيدة للجمع والثانية فاء الكلمة فقلبت الثانية ألفاً وجوباً وهذا نظير كساء وأكسية وغطاء وأغطية ونظيره في الصحيح اللام حمار وأحمرة وقوله تعالى من فضة نعت لآنية قوله تعالى وأكواب هي الكيزان العظام التي لا آذان لها ولا عرى واحدها كوب قال عدي

متكئ تقرع أبوابه ... يسعى عليه العبد بالكوب

وقد مضى في الزخرف قوله تعالى كانت قواريرا اختلف القراء في هذين الحرفين بالنسبة إلى التنوين وعدمه وفي الوقوف بالألف وعدمها كما تقدم خلاف في سلاسل واعلم أن القراء فيهما على خمس مراتب أحدها تنوينهما معاً والوقوف عليهما بالألف لنافع والكسائي وأبي بكر الثانية مقابلة هذه وهي عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالألف لحمزة وحده الثالثة عدم تنوينهما والوقف عليهما بالألف لهشام وحده الرابعة تنوين الأول دون الثاني والوقف على الأول بالألف وعلى الثاني بدونها لابن كثير وحده الخامسة عدم تنوينهما والوقف على الأول بالألف وعلى الثاني بدونها لأبي عمرو وابن ذكوان وحفص فأما من نونهما فلما مر في تنوين سلاسل لأنهما منتهى الجمع ذا على مفاعل وذا على مفاعيل والوقف بالألف التي هي بدل من التنوين وفيه موافقة المصاحف المذكورة فإنهما مرسومان فيها بالألف التي هي بدل من التنوين وفيه موافقة المصاحف المذكورة على ما نقل أبو عبيد وأما عدم تنوينهما وعدم الوقف بالألف فظاهر جداً وأما من نون الأول دون الثاني فإنه ناسب بين الأول وبين رؤوس الآي ولم يناسب بين الثاني وبين الأول والوجه في وقفه على الأول بالألف وعلى الثاني بغير ألف ظاهر وقد روى أبو عبيد أنه كذلك في مصاحف أهل البصرة وأما من لم ينونهما ووقف على الأول بالألف وعلى الثاني بدونها فلأن الأول رأس آية فناسب بينه وبين رؤوس الآي في الوقف بالألف وفرق بينه وبين الثاني لأنه ليس برأس آية وأما من لم ينونهما ووقف عليهما بالألف فلأنه ناسب بين الأول وبين رؤوس الآي وناسب بين الثاني وبين الأول وحصل مما تقدم في سلاسل وفي هذين الحرفين أن القراء منهم من وافق مصحفه ومنهم من خالفه لاتباع الأثر وتقدم الكلام على قوارير في سورة النمل ولله الحمد وقال الزمخشري وهذا التنوين بدل من حرف الإطلاق لأنه فاصلة وفي الثاني لاتباعه الأول يعني أنهم يأتون بالتنوين بدلاً من حرف الإطلاق الذي للترنم كقوله

يا صاح ما هاج الدموع الذرفن

وفي انتصاب قوارير وجهان أظهرهما أنه خبر كان والثاني أنها حال وكان تامة أي كونت فكانت قال أبو البقاء وحسن التكرير لما اتصل به من بيان أصلها ولولا التكرير لم يحسن أن يكون الأول رأس آية لشدة اتصال الصفة بالموصوف وقرأ الأعمش قوارير بالرفع على إضمار مبتدأ أي هي قوارير ومن فضة صفة لقوارير والمعنى في صفاء القوارير وبياض الفضة فصفاؤها صفاء

الزجاج وهي من فضة فصل روي أن أرض الجنة من فضة والأواني تتخذ من تربة الأرض التي هي منها ذكره ابن عباس رضي الله عنه وقال ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا القوارير من فضة قال ابن الخطيب ومعنى كانت هو من يكون في قوله فيكون أي فتكونت قوارير بتكوين الله تعالى تفخيماً لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين ثم قال فإن قيل كيف تكون هذه الأكواب من فضة ومن قوارير فالجواب من وجوه أحدها أن أصل القوارير في الدنيا الرمل وأصل قوارير الجنة هو فضة الجنة فكما أن الله تعالى قادر على أن يقلب الرمل الكثيف زجاجة صافية فكذلك قادر على أن يقلب فضة الجنة قارورة لطيفة فالغرض من ذكر هذه الآية التنبيه على أن نسبة قارورة الجنة إلى قارورة الدنيا كنسبة الفضة إلى الرمل فكما أنه لا نسبة بين هذين الأصلين فكذا بين القارورتين وثانيها ما تقدم من قول ابن عباس أنه ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء أي أنها جامعة بين صفاء الزجاج وشفافه وبين نقاء الفضة وبياضها وشرفها وثالثها أنه ليس المراد بالقوارير الزجاج بل العرب تسمي ما استدار من الأواني التي تجعل فيها الأشربة ورق وصفا قارورة فالمعنى وأكواب من فضة مستديرة صافية قوله تعالى قدروها تقديراً صفة لقوارير والواو في قدروها فيه وجهان أحدهما أنه للطائفين عليهم ومعنى تقديرهم إياها أنهم قدروها في أنفسهم أن تكون على مقادير وأشكال على حسب شهوتهم فجاءت كما قدروا والثاني أن الواو للطائفين للدلالة عليهم من قوله تعالى ويطاف والمعنى أنهم قدروا شرابها على قدر ري الشارب وهو ألذ الشراب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز قاله الزمخشري وجوز أبو البقاء أن تكون الجملة مستأنفة قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما أتوا بها على قدر ريهم بغير زيادة ولا نقصان قال الكلبي وذلك ألذ وأشهى والمعنى قدرتها الملائكة التي تطوف عليهم وعن ابن عباس أيضاً قدروها على ملء الكف لا تزيد ولا تنقص حتى لا تؤذيهم بثقل أو بإفراط صغر وقرأ علي وابن عباس والسلمي والشعبي وزيد بن علي وعبيد بن عمير وأبو عمرو في رواية الأصمعي قدروها بضم القاف وكسر الدال مبنياً للمفعول أي جعلت لهم على قدر إرادتهم وجعله الفارسي من باب المقلوب قال كأن اللفظ قدروا عليها وفي المعنى قلب لأن حقيقة المعنى أن يقال قدرت عليهم فهي مثل قوله تعالى لتنوء بالعصبة أولي القوة ومثل قول العرب إذا طلعت الجوزاء ألقى العود على الحرباء وقال الزمخشري ووجهه أن يكون من قدر منقولاً تقول قدرت الشيء وقدرنيه فلان إذا جعلك قادراً له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤوا وأطلق لهم أن يقدروا على حسب ما اشتهوا وقال أبو حاتم قدرت الأواني على قدر ريهم ثم بني لما لم يسم فاعله فحذف الري فصارت الواو مكان الهاء والميم لما حذف المضاف مما قبلها وصارت الواو مفعول ما لم يسم فاعله واتصل ضمير المفعول الثاني في تقدير النصب بالفعل بعد الواو التي تحولت من الهاء والميم حتى أقيمت مقام الفاعل وفي هذا التخريج تكلف مع مخرفة ألفاظه وقال أبو حيان والأقرب في تخريج هذه القراءة الشاذة قدر ريهم منها تقديراً فحذف المضاف وهو الري وأقيم الضمير مقامه فصار قدروها فلم يكن فيه إلا حذف مضاف والاتساع في الفعل قال شهاب الدين وهذا منتزع من تفسير كلام أبي حاتم وقال القرطبي وقال المهدوي ومن قرأها قدروها فهو راجع إلى معنى القراءة الأخرى وكأن الأصل قدروا عليها فحذف حرف الجر والمعنى قدرت عليهم وأنشد سيبويه

آليت حب العراق الدهر آكله ... والحب يأكله في القرية السوس

وذهب إلى أن المعنى على حب العراق وقيل هذا التقدير هو أن الأقداح تطير فتغترف بمقدار شهوة الشارب وذلك قوله تعالى قدروها تقديراً أي لا يفضل عن الري ولا ينقص منه فقد ألهمت الأقداح معرفة مقدار ري المشتهي حتى تغترف بمقداره ذلك ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول قوله تعالى ويسقون فيها كأساً وهي الخمر في الإناء كان مزاجها زنجبيلاً كان صلة مزاجها زنجبيلاً أو كان في حكم الله زنجبيلاً وكانت العرب تستلذ من الشراب ما يمزج بالزنجبيل لطيب رائحته لأنه يحذو اللسان ويهضم المأكول ويحدث في المشروب ضرباً من اللذع فرغبوا في نعيم الآخرة بما اعتقدوه نهاية النعمة والطيب والزنجبيل نبت معروف سميت الكأس بذلك لوجود طعم الزنجبيل وأنشد الزمخشري للأعشى

كأن القرنفل والزنجبيل ... باتا بفيها وأرياً مشوراً

وأنشد للمسيب بن علس يصف ثغر المرأة

وكأن طعم الزنجبيل به ... إذ ذقته وسلافة الخمر

ويروى وسلافة الكرم وقال مجاهد الزنجبيل اسم للعين التي منها مزاج شراب الأبرار وكذا قال قتادة وقيل عين في الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل والمعنى كأن فيها زنجبيلاً قوله تعالى عيناً فيها من الوجوه ما تقدم وقوله تعالى سلسبيلاً السلسبيل ما يسهل انحداره في الحلق قال الزجاج هو في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة وقال الزمخشري يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال أبو حيان فإن كان عنى أنه زيد حقيقة فليس بجيد لأن الباء ليست من حروف الزيادة المعهودة

في علم النحو وان عنى انها حروف جاءت في سبك الكلمة وليس في سلسل ولا سلسال فيصح ويكون مما اتفق معناه وكان مختلفا
في المادة وقال ابن الاعرابي لم اسمع السلسبيل الا في القرآن فعلى هذا لا يعرف له اشتقاق وقال مكي هو اسم
اعجمي نكرة فلذلك صرف ووزن سلسبيل فعلليل مثل دردبيس وقيل فعفليل لان الفاء مكررة وقرأ طلحة
سلسبيل دون تنوين ومنعت من الصرف للعلمية والتانيث لانها اسم لعين بعينها وعلى هذا فكيف صرفت
في قراءة العامة فيجاب بانه سميت بذلك لا على جهة العلمية بل على جهة الاطلاق المجرد او يكون من باب تنوين سلاسلا
وقواريرا وقد تقدم واغرب ما قيل في هذا الحرف ما نقله القفال انه مركب من كلمتين من فعل امر وفاعل
مستتر ومفعول والتقدير سل انت سبيلا اليها قال الزمخشري وقد عزوا الى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
ان معناه سل سبيلا قال وهذا غير مستقيم على ظاهره الا ان يراد ان جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين
كما قيل تأبط شرا وذرى حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سال سبيلا اليها بالعمل الصالح وهو مع استقامته
في العربية تكلف وابتداع وعزوه الى مثل علي بن ابي طالب ابدع وفي شعر بعض المحدثين سل سبيلا فيها الى راحة
النفس براح كانها سلسبيل وقال ابو البقاء والسلسبيل كلمة واحدة وفي قوله كلمة واحدة تلويح وايماء الى هذا الوجه
المذكور فصل قال المفسرون معناه ان في الجنة عينا تسمى سلسبيلا والسلسبيل الشراب اللذيذ وهو فعليل
من السلاسة تقول العرب هذا شراب سلس وسلسل وسلسبيل بمعنى اي طيبة الطعم لذيذ وفي الصحاح وتسلسل
الماء في الحلق جرى وسلسلته انا صببته فيه وماء سلسل وسلسال سهل الدخول في الحلق لعذوبته وصفائه
والسلاسل بالضم مثله وقال الزجاج السلسبيل في اللغة اسم لما كان في غاية السلاسة فكان العين سميت
بصفتها وعن مجاهد قال سلسبيلا اي حديدة الجرية تسيل في حلوقهم انسلالا ونحوه عن ابن عباس انها الحديد
الجري ذكره الماوردي وقال ابو العالية ومقاتل انما سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من
اصل العرش من جنة عدن الى اهل الجنة قال قتادة سلسة منقاد ماؤها حيث شاؤوا وقوله تسمى اي انها مذكورة
عند الملائكة وعند الابرار واهل الجنة بهذا الاسم وصرف سلسبيلا لانه راس آية كقوله الظنونا والسبيلا قوله
تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون لما ذكر الماكول والمشروب والمسكن ذكر سبحانه بعد ذلك من يخدمهم
في تلك المجالس فقال تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون بين الذي يطوف عليهم بالآنية وثم الولدان فانهم
اخف في الخدمة ثم قال مخلدون باقون على ما هم عليه من الشباب والغضاضة والحسن لا يهرمون ولا يتغيرون
ويكونون على سن واحد على مر الازمنة وقيل مخلدون لا يموتون وقيل مسورون مقرطون اي يحلون والتحلية
اذا رايتهم حسبتهم اي ظننتهم من حسنهم وكثرتهم وبياضهم وصفاء الوانهم لؤلؤا منثورا مفرقا من عرصة المجلس
وقيل انهم منبثون في الخدمة قال قيل ما الحكمة في ذكر الطائفين اولا هنا ولم يذكره في قوله ويطاف قال الجواب
اما تفنن في البلاغة او تعظيما لشان الطائفين اولانهم سراع في الخدمة بخلاف الحور العين اذ شبههم باللؤلؤ
المكنون المخزون لانهن لا يمتهن بالخدمة قوله تعالى ثم هذا ظرف مكان وهو مختص بالبعد وفي انتصابه هنا
وجهان الظاهر منهما انه منصوب على الظرف ومفعول الرؤية غير مذكور لان القصد وان صدرت منك رؤية في
ذلك المكان رايت كيت وكيت فرايت الثاني جواب لاذا قال ابن الخطيب والغرض منه ان سعي بصرك فانه قبل
اذا وجدت الرؤية ومعناه ان بصر الرائي انما وقع ثم لا يدرك الا نعيما وملكا كبيرا وقال الفراء ثم مفعول
به لرايت وقال الفراء ايضا واذا رايت تقديره ما ثم فما موصول محذوف ما وقامت ثم مقامها كقوله تعالى
لقد تقطع بينكم اي ما بينكم قال الزمخشري تابعا لابي اسحق ومن قال معناه ما ثم فقد اخطا لان ثم صلة لما ولا
يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة وفي هذا نظر لان الكوفيين يجوزون مثل هذا واستدلوا عليه بآيات
وابيات تقدم الكلام عليها اول الكتاب وقال ابن عطية ثم ظرف والعامل فيه رايت او معناه والتقدير رايت ما ثم
حذفت ما قال ابو حيان وهذا فاسد لانه من حيث جعله معمولا لرايت لا يكون صلة لما لان العامل فيه اذ ذاك محذوف
اي ما استقر ثم قال شهاب الدين ويمكن ان يجاب عنه بان قوله او معناه هو القول بانه صلة لموصول فيكون له
وجهين لا وجها واحدا حتى يلزمه الفساد ولولا ذلك لكان قوله او معناه لا معنى له ومعنى معناه اي معنى الفعل
من حيث الجملة وهو الاستقرار المقدر والعامة على فتح الثاء من ثم كما تقدم وقرا حميد الاعرج بضمها على انها
العاطفة ويكون قد عطفت رايت الثاني على الاول ويكون فعل الجواب محذوفا ويكون فعل الجواب المحذوف
هو الناصب لقوله تعالى نعيما والتقدير اذا صدرت منك رؤية ثم صدرت منك رؤية اخرى رايت نعيما
وملكا فرايت هذا هو الجواب فصل هذا الخطاب قيل للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل عام والنعيم
ما يتنعم به والملك الكبير قال سفيان الثوري بلغنا ان الملك الكبير تسليم الملائكة عليهم وقيل
كون التيجان على رؤوسهم كما يكون على رؤوس الملوك وقال السدي ومقاتل هو استئذان الملائكة عليهم وقال

الحكيم الترمذي هو ملك التكوين اذا ارادوا شيئا قالوا له كن وفي الخبر ان الملك الكبير هو ان ادناهم منزلة ينظر في ملكه مسيرة
الفي عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وان افضلهم منزلة من ينظر في وجه ربه تعالى كل يوم مرتين قوله تعالى عاليهم قرا
نافع وحمزة بسكون الياء وكسر الهاء والباقون بفتح الياء وضم الهاء لما سكنت الياء كسر الهاء ولما تحركت ضمت على ما تقرر
في اول الكتاب فاما قراءة نافع وحمزة ففيها اوجه اظهرها ان يكون خبرا مقدما وثياب مبتدا مؤخر والثاني ان
عاليهم مبتدا وثياب مرفوع على جهة الفاعلية وان لم يعتمد الوصف وهذا قول الاخفش والثالث ان عاليهم
منصوب وانما سكن تخفيفا قاله ابو البقاء واذا كان منصوبا فسياتي فيه اوجه وهي واردة هنا الا ان تقدير
الفتحة من المنقوص لا يجوز الا في ضرورة او شذوذ وهذه القراءة متواترة فلا ينبغي ان يقال به فيها واما
قراءة من نصب ففيه اوجه احدها انه ظرف خبرا مقدما وثياب مبتدا مؤخر كانه قيل فوقهم ثياب قال ابو
البقاء لان عاليهم بمعنى فوقهم وقال ابن عطية ويجوز في النصب ان يكون على الظرف لانه بمعنى فوقهم قال
ابو حيان وعال وعالية اسم فاعل فيحتاج في كونهما ظرفين الى ان يكون منقولا من كلام العرب عاليك او عاليتك
ثوب قال شهاب الدين قد وردت الفاظ من صيغة اسماء الفاعلين ظروفا نحو خارج الدار وداخلها وباطنها
وظاهرها تقول جلست خارج الدار وكذلك البواقي فكذلك هذا الثاني انه حال من الضمير في عليهم الثالث
انه حال من مفعول حسبتهم الرابع انه حال من مضاف مقدر اي رايت اهل نعيم وملك كبير عاليهم فعاليهم
حال من اهل المقدر ذكر هذه الاوجه الثلاثة الزمخشري فانه قال وعاليهم بالنصب على انه حال من الضمير في
يطوف عليهم ولدان عاليا المطوف عليهم ثياب او حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز ان يراد اهل نعيم قال ابو حيان
اما ان يكون حالا من الضمير في حسبتهم فانه لا يعني الا ضمير المفعول وهو لا يعود الا على ولدان وهذا لا يصح لان الضماير
الآتية بعد ذلك تدل على انها للمطوف عليهم من قوله تعالى وحلوا وسقاهم وان هذا كان لكم جزاء وفك الضماير وجعل هذا لذا
وهذا لذاك مع عدم الاحتياج الى ذلك لا يجوز واما جعله حالا من محذوف وتقديره اهل نعيم فلا حاجة الى ادعاء
الحذف مع صحة الكلام وبراعته دون تقدير ذلك المحذوف قال شهاب الدين جعل احد الضماير لشيء والآخر لشيء آخر
لا يمنع صحة ذلك مع ما يميز عود كل واحد الى ما يليق به وكذلك تقدير المحذوف غير ممنوع ايضا وان كان الاحسن ان تتفق
الضماير وان لا تقدر محذوف والزمخشري انما ذكر ذلك على سبيل التجويز لا على انه اولى او مساو فيرد عليه ما ذكره الخامس
انه حال من مفعول لقاهم السادس انه حال من مفعول جزاء ذكرهما مكي وعلى هذه الاوجه التي انتصب فيها على الحال
يرتفع به ثياب على الفاعلية ولا يضر اضافته الى معرفة في وقوعه حالا لان الاضافة لفظية كقوله تعالى عارض ممطرنا
يا رب غابطنا ولم يؤنث عاليا لان مرفوعه غير حقيقي التانيث السابع ان ينتصب عاليهم على الظرف ويرتفع ثياب
به على جهة الفاعلية وهذا ماش على قول الاخفش والكوفيين حيث يعملون الظرف وعدليه وان يعتمد كما تقدم ذلك في
الوصف واذا رفع عاليهم بالابتداء وثياب على انه فاعل به كان مفردا على بابه لوقوعه موقع الفعل واذا جعل خبرا مقدما
كان مفردا مرادا به الجمع فيكون كقوله تعالى فقطع دابر القوم اي دابر قاله مكي وقرا ابن مسعود وزيد بن علي عاليتهم مؤنثا
بالتاء مرفوعا والاعمش وابان بن عاصم كذلك الا انه منصوب وقد عرف الرفع والنصب مما تقدم وقرات عائشة رضي
الله عنها علتهم فعلا ماضيا متصلا بتاء التانيث الساكنة وثياب فاعل به وهو مقوية للاوجه المذكورة في رفع ثياب
بالصفة في قراءة الباقين كما تقدم تفصيله وقرا ابن سيرين ومجاهد وابو حيوة وابن ابي عبلة وخلائق عال جارا ومجرورا
واعرابه كاعراب عاليهم ظرفا في جواز كونه خبرا مقدما او حالا مما تقدم وارتفاع ثياب به على التفصيل المذكور فصل
قال ابن الخطيب والضمير في عاليهم اما للولدان او للابرار فكانهم يلبسون عدة من الثياب فيكون الذي يعلوها افضلها
ولهذا قال تعالى عاليهم اي فوق حجالهم المضروبة عليهم ثياب سندس والمعنى ان حجالهم من الحرير والديباج قوله
تعالى ثياب سندس قرا العامة باضافة الثياب لما بعدها وابو حيوة وابن ابي عبلة ثياب منونة سندس خضر
واستبرق برفع الجميع فسندس نعت لثياب لان السندس نوع وخضر نعت لسندس يكون اخضر وغير اخضر كما ان
الثياب تكون سندسا وغيره واستبرق نسق على ما قبله اي وثياب استبرق واعلم ان القراء السبعة في خضر واستبرق
على اربع مراتب الاولى رفعهما لنافع وحفص فقط الثانية خفضهما للاخوين فقط الثالثة رفع الاول وخفض الثاني
لابي عمرو وابن عامر فقط الرابعة عكسه لابن كثير وابي بكر فقط فاما القراءة الاولى فان رفع خضر على النعت لثياب ورفع
استبرق نسق على الثياب ولكن على حذف مضاف اي وثياب استبرق ومثله على زيد ثوب خز وكتان اي وثوب كتان
واما القراءة الثانية فيكون جر خضر على النعت لسندس ثم استشكل على هذا وصف المفرد بالجمع فقال مكي هو اسم جمع وقيل
هو جمع سندسة كتمر وتمرة ووصف اسم الجنس بالجمع يصح قال تعالى وينشئ السحاب الثقال واعجاز نخل منقعر ومن
الشجر الاخضر واذا كانوا قد وصفوا المحلى لكونه مرادا به الجنس بالجمع في قولهم اهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض
وفي التنزيل او الطفل الذين فلان يوجد ذلك في اسماء الجموع او اسماء الاجناس الفارق بينها وبين واحدها تاء التانيث

مفردا

طريق الاولى وجر استبرق نسقا على سندس لان المعنى ثياب من سندس وثياب من استبرق واما القراءة الثالثة فرفع خضر نعتا للثياب وجر استبرق نسقا على سندس اى ثياب خضر من سندس ومن استبرق فعلى هذا يكون الاستبرق ايضا اخضر واما القراءة الرابعة فجر خضر على انه نعت للسندس ورفع استبرق على النسق على ثياب بحذف مضاف اى وثياب استبرق وتقدم الكلام على مادة السندس والاستبرق فى سورة الكهف وقرا ابن محيصن واستبرق بفتح القاف ثم اضطرب النقل عنه فى الهمزة فبعضهم ينقل عنه انه قطعها وبعضهم ينقل انه وصلها فقال الزمخشرى وقرى واستبرق نصبا فى موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمى وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرى واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله استبره وقال ابو حيان ودل قوله الا ان يزعم ابن محيصن وقوله بعد وقرى واستبرق بوصل الالف والفتح ان قراءة ابن محيصن هى بقطع الهمزة مع فتح القاف والمنقول عنه فى كتب القراءات انه قرا بوصل الالف وفتح القاف قال شهاب الدين قد سبق الزمخشرى الى هذا مكى فانه قال وقد قرا ابن محيصن بغير صرف وهو وهم ان جعله اسما لانه نكرة منصرفة وقيل بل جعله فعلا ماضيا من برق فهو جائز فى اللفظ بعيد فى المعنى وقيل انه فى الاصل فعل ماض على استفعل من برق فهو عربى من البريق فلما سمى به قطعت الفه لانه ليس من اصل الاسماء ان يدخلها الف الوصل وانما دخلت فى اسماء معتلة مغيرة عن اصلها معدودة لا يقاس عليها انتهى فقد قوله قطعت الفه الى اخره انه قرا بقطع الهمزة وفتح القاف ودل قوله اولا وقيل بل جعله فعلا ماضيا من برق انه قرا بوصل الالف لانه لا يتصور ان يحكم عليه بالفعلية غير منقول الى الاسمية ويترك الفه الف قطع البتة هذا اجهل باللغة فيكون قد روى عنه قراءتان قطع الالف ووصلها فظهر ان الزمخشرى لم ينفرد بالنقل عن ابن محيصن بقطع الهمزة وقال ابو حاتم فى قراءة ابن محيصن لا يجوز والصواب انه اسم جنس لا ينبغى ان يحمل ضميرا ويؤيد ذلك دخول المعرفة عليه والصواب قطع الالف واجراؤه على قراءة الجماعة قال ابو حيان ونقول ان ابن محيصن قارى جليل مشهور بمعرفة العربية وقد اخذ عن الاكابر العلماء فيتطلب لقراءته وجه وذلك انه يجعل استفعل من البريق تقول برق واستبرق كعجب واستعجب ولما كان قوله خضر يدل على الخضرة وهى لون ذلك السندس وكانت الخضرة مما يكون فيها لشدتها دهمة وغبش اخبر ان فى ذلك بريقا وحسنا يزيل غبشيته فاستبرق فعل ماض والضمير فيه عائد على السندس او على الاخضر الدال عليه خضر وهذا التخريج اولى من تلحين من يعرف العربية وتوهيم ضابط ثقة وهذا هو الذى ذكره مكى وهذه القراءة قد تقدمت فى سورة الكهف **قوله تعالى** وحلوا اساور من فضة عطف على ويطوف عطف ماضيا لفظا مستقبلا معنى وابرزه بلفظ الماضى لتحققه وقال الزمخشرى بعد سؤال وجواب من حيث المعنى وما احسن بالمعصم ان يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة فناقشه ابو حيان فى قوله بالمعصم فقال قوله بالمعصم اما ان يكون معمولا لاحسن وان يكون بدلا منه واما ان يكون معمولا لاحسن وقد فصل بينهما بالجار والمجرور فان كان الاول فلا يجوز لانه لم يعهد زيادة الباء فى معمول فعل التعجب لا تقول ما احسن بزيد يريد ما احسن زيدا وان كان الثانى ففى هذا الفصل خلاف والمنقول عن بعضهم لا يجوز والمولد هنا ينبغى اذا تكلم ان يتحرز فى كلامه مما فيه خلاف قال شهاب الدين واى غرض له فى تتبع كلام هذا الرجل حتى فى الشى اليسير على ان الصحيح جوازه وهو المسموع من العرب نثرا قال عمرو بن معدى كرب

لله در بنى فلان ما اشد فى الهيجا لقاها واثبت فى المكرمات بقاها واحسن فى المكربات عطاها

والتشاغل بغير هذا اولى **فصل** قال هنا اساور من فضة وفى سورة فاطر يحلون فيها من اساور من ذهب وفى سورة الحج يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا فقيل حلى الرجال الفضة وحلى النساء الذهب وقيل تارة يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضة وقيل يجمع فى يدى احدهم سواران من ذهب وسواران من فضة وسواران من لؤلؤ ليجمع لهم محاسن الجنة قاله سعيد بن المسيب رضى الله عنه وقيل يعطى كل احد ما يرغب فيه وتميل نفسه اليه وقيل اسورة الفضة انما يكون للولدان واسورة الذهب للناس وقيل هذا للنساء والصبيان وقيل هذا بحسب الاوقات **قوله تعالى** وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال على رضى الله عنه فى قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال اذا توجه اهل الجنة الى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من احدهما فيجرى عليهم بنضرة النعيم فلا يتغير ابشارهم ولا تشعث شعورهم ابدا ثم يشربون من الاخرى فيخرج ما فى بطونهم من الاذى ثم يستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال النخعى وابو قلابة هو اذا شربوه بعد

الاكل طهرهم وصار ما اكلوه وشربوه رشح مسك وضمرت بطونهم وقال مقاتل هو من عين ماء على باب الجنة تنبع من ساق شجرة من شرب منها نزع الله ما كان فى قلبه من غش وغل وحسد وما كان فى جوفه من اذى وعلى هذا فيكون فعولا للمبالغة ولا يكون فيه حجة للحنفى انه بمعنى الطاهر قال القرطبى قال ابن الخطيب قوله تعالى طهورا فيه قولان الاول المبالغة فى كونه طاهرا ثم على هذا التفسير احتمالات احدها ان لا يكون نجسا كخمر الدنيا وثانيها المبالغة فى البعد عن الامور المستقذرة يعنى ما مسته الايدى الوضرة والارجل الدنسة وثالثها انه لا يؤول الى النجاسة لانها ترشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك وعلى هذين الوجهين يكون الطهور مطهرا لانه يطهر باطنهم عن الاخلاق الذميمة والاشياء المؤذية **قال قيل** قوله تعالى وسقاهم ربهم هو نوع مما ذكره قبل ذلك من انهم يشربون من عين الكافور والزنجبيل والسلسبيل او هذا نوع اخر قلنا بل هذا نوع اخر لوجوه احدها دفع التكرار والثانى انه تعالى اضاف هذا الشراب الى نفسه تعالى بقوله وسقاهم ربهم وذلك يدل على فضل هذا على غيره والثالث ما روى من انه يقدم اليهم الاطعمة والاشربة فاذا فرغوا منها اتوا بالشراب الطهور فيشربون فيطهر ذلك بطونهم ويفيض عرقا من جلودهم مثل ريح المسك وهذا يدل على ان الشراب مغاير لتلك الاشربة ولان هذا الشراب يهضم سائر الاشربة ثم له مع هذا الهضم تاثير عجيب وهو انه يجعل سائر الاطعمة والاشربة عرقا يفوح منه ريح كريح المسك وكل ذلك يدل على المغايرة **قوله تعالى** ان هذا كان لكم جزاء اى يقال لهم ان هذا جزاء وكم اى ثواب اعمالكم فيزداد بذلك القول فرحهم وسرورهم كما ان المعاقب يزداد غمه اذا قيل له هذا جزاء عملك الردى وكان سعيكم اى عملكم مشكورا اى من قبل الله وشكره للعبد قبول طاعته وثناؤه عليه واثابته وقال قتادة غفر لهم الذنب وشكر لهم الحسن وقيل هذا اخبار من الله تعالى لعباده فى الدنيا كانه تعالى شرح لهم ثواب اهل الجنة اى ان هذا كان فى علمى وحكمى جزاء لكم يا معاشر عبيدى لكم خلقتها ولاجلكم اعددتها **فصل** قال ابن الخطيب وفى الاية سؤالان الاول اذا كان فعل العبد خلقا لله فكيف يعقل ان يكون فعل الله جزاء على فعل الله والجواب ان الجزاء هو ايضا فعل الله وذلك لا ينافى كونه فعلا لله السؤال الثانى كون سعى العبد مشكورا يقتضى كون الله شاكرا له والجواب كون الله تعالى شاكرا للعبد محال الا على وجه المجاز وهو من ثلاثة اوجه الاول قال القاضى ان الثواب مقابل لعملهم كما ان الشكر مقابل للنعم الثانى قال القفال انه مشهور فى كلام الناس ان يقولوا للراضى بالقليل والمثنى به انه شكور فيحتمل ان يكون شكر الله لعباده هو رضاه عنهم بالقليل من الطاعات واعطاءه اياهم عليه ثوابا كبيرا الثالث ان منتهى درجة العبد ان يكون راضيا من ربه مرضيا لربه كما قال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية وكونها راضية من ربه اقل درجة من كونها مرضية لربه فقوله تعالى ان هذا كان لكم جزاء اشارة الى الامر الذى تصير به النفس راضية من ربه وقوله تعالى وكان سعيكم مشكورا اشارة الى كونها مرضية لربه ولما كانت هذه الحالة اعلى المقامات واخر الدرجات لا جرم وقع الختم عليها فى ذكر مراتب احوال الابرار والصديقين **قوله تعالى** انا نحن نزلنا يجوز ان يكون نحن توكيدا لاسم ان وان يكون فصلا ونزلنا على هذين الوجهين هو خبر ان ويجوز ان يكون نحن مبتدا ونزلنا خبره والجملة خبر ان وقال مكى نحن فى موضع نصب على الصفة لاسم ان لان المضمر يوصف بالمضمر اذ هو بمعنى التاكيد لا بمعنى التحلية ولا يوصف بالمضمر لانه بمعنى التحلية والمضمر مستغن عن التحلية لانه لم يضمر الا بعد ان عرف تحليته وعينه وهو محتاج الى التاكيد لتاكد الخبر عنه قال شهاب الدين وهذه عبارة غريبة جدا كيف يجعل المضمر موصوفا بمثله ولا يعلم خلافا فى عدم جواز وصف المضمر الا ما نقل عن الكسائى انه جوز وصف ضمير الغائب بضمير اخر فلا خلاف فى عدم جوازه ثم كلامه يؤول الى التاكيد فلا حاجة الى العدول عنه **فصل** وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه تعالى لما ذكر اصناف الوعد والوعيد بين ان هذا الكتاب يتضمن ما بالناس حاجة اليه فليس بسحر ولا كهانة ولا شعر وانه حق قال ابن عباس رضى الله عنه انزل القران متفرقا اية بعد اية ولم ينزل جملة واحدة فلذلك قال نزلنا قال ابن الخطيب المقصود من هذه الاية تثبيت الرسول وشرح صدره فيما نسبوه اليه صلى الله عليه وسلم من كهانة وسحر فذكر تعالى ان ذلك وحى من الله تعالى ولا جرم بالغ فى تكرار الضمير بعد ايقاعه اسما لان تاكيدا على تاكيد فكانه تعالى يقول ان كان هولاء الكفار يقولون ان ذلك كهانة فانا الله الملك الحق اقول على سبيل التاكيد ان ذلك وحى حق وتنزيل صدق من عندى وفى ذلك فايدتان احدهما ازالة الوحشة الحاصلة بسبب طعن الكفار لان الله تعالى عظمه وصدقه والثانية تقويته على تحمل مشاق التكليف فكانه تعالى يقول له انى ما نزلت عليك القران متفرقا الا لحكمة بالغة تقتضى تخصيص كل شى بوقت معين وقد اقتضت تلك الحكمة تاخير الاذن فى القتال فاصبر لحكم ربك اى لقضاء ربك قال ابن عباس اصبر على اذى المشركين ثم نسخ باية القتال وقيل اصبر لما حكم به عليك من الطاعات او انتظر حكم الله اذ وعدك بالنصر عليهم ولا تستعجل فانه كائن لا محالة ولا تطع منهم اثما اى ذا اثم او كفورا اى لا تطع الكفار

روى معمر عن قتادة قال قال ابو جهل ان رايت محمدا يصلي لاطان على عنقه فانزل الله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا
وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة وكانا اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضان عليه
الاموال والتزويج على ان يترك ذكر النبوة ففيهما نزلت عرض عليه عتبة ابنته وكانت من اجمل النسا وعرض
عليه الوليد ان يعطيه من الاموال حتى يرضا ويترك ما هو عليه فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر
ايات من اول حم السجدة الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفا
عنه وقال احدهما ظننت ان الكعبة ستقع علي. **قوله تعالى** او كفورا في او هذه اوجه احدها انها على
بابها وهو قول سيبويه. قال ابو البقا وتفيد في النهي المنع عن الجميع لانك اذا قلت في الاباحة جالس الحسن او ابن
سيرين كان التقدير جالس احدهما فاذا نهى فقال لا تكلم زيدا او عمرا فالتقدير لا تكلم احدهما فايهما كلمه كان
احدهما فيكون ممنوعا منه فكذلك في الاية ويؤول المعنى الى تقدير ولا تطع منهما اثما او كفورا. وقال
الزمخشري فان قلت معنى او ولا تطع احدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا قلت لو قيل
لا تطعهما لجاز ان يطيع احدهما واذا قيل لا تطع احدهما علم ان الناهي عن طاعة احدهما هو عن طاعتهما جميعا
انهى كما اذا نهى ان يقول لابويه اف علم انه منهي عن ضربهما على طريق الاولى. الثاني انها بمعنى لا اي لا تطع من اثم ولا من
كفر قاله مكي وهو قول الفرا وهو بمعنى الاباحة التي ذكرنا. الثالث انها بمعنى الواو وقد تقدم ان ذلك قول
الكوفيين والكفور وان كان يستلزم الاثم الا انه عطف لاحد امرين اما ان يكونا شخصين بعينهما كما تقدم
فالاثم عتبة والكفور الوليد واما لما قاله الزمخشري قال فان قلت كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله
تعالى اثما او كفورا قلت معناه لا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه
لانهم اما ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم على الاثنين دون الثالث
فصل قال ابن الخطيب قوله فاصبر لحكم ربك يدخل فيه ان لا يطع فيه اثما او كفورا فكان ذكره بعده تكرارا
والجواب ان الاول امر بالمامورات والثاني نهي عن المنهيات ودلالة احدهما على الاخر بالالتزام لا بالتصريح
فيكون التصريح به مفيدا. **فان قيل** انه صلى الله عليه وسلم ما كان يطيع احدا منهم فما فائدة هذا النهي فالجواب
ان المقصود بيان ان الناس محتاجون الى مواصلة التنبيه والارشاد لاجل ما تركب فيهم من الشهوة الداعية
الى الفساد وان احدا لو استغنى عن توفيق الله تعالى وارشاده لكان احق الناس به هو الرسول المعصوم صلى الله
عليه وسلم ومتى ظهر ذلك عرف كل مسلم انه لا بد من الرغبة الى الله تعالى والتضرع اليه ان يصونه عن الشهوات
والشبهات. **فان قيل** ما الفرق بين الاثم والكفور **فالجواب** ان الاثم هو الاتي بالمعاصي اي معصية كانت والكفور
هو الجاحد للنعمة فكل كفور اثم وليس كل اثم كفورا لان الاثم عام في المعاصي كلها كما قال الله تعالى ومن يشرك بالله
فقد افترى اثما عظيما فسمى الشرك اثما وقال تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال
تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه وقال تعالى يسلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فدلت هذه الايات
على ان الاثم يشمل جميع المعاصي. **قوله تعالى** واذكر اسم ربك بكرة واصيلا اي صل لربك اول النهار واخره
ففي اوله صلاة الصبح وفي اخره صلاة الظهر والعصر وهو الاصيل ومن الليل فاسجد له يعني صلاة المغرب والعشا الاخرة وسبحه
ليلا طويلا يعني التطوع في الليل قاله ابن حبيب. وقال ابن عباس وسفيان كل تسبيح في القران فهو صلاة وقيل
هو الذكر المطلق سوا كان في الصلاة او في غيرها وقال ابن زيد وغيره ان قوله تعالى وسبحه ليلا طويلا منسوخ
بالصلوات الخمس وقيل هو ندب وقيل هو مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم. وجمع الاصيل الاصايل والاصل كقولك
سفاين وسفن والاصال جمع الجمع ودخلت من على الظرف للتبعيض كما دخلت على المفعول في قوله تعالى يغفر لكم من
ذنوبكم. **قوله تعالى** وسبحه فيه دليل على عدم قول بعض اهل المعاني والبيان ان الجمع بين الحا والها مثلا
يخرج الكلمة من فصاحتها وجعلوا من ذلك قوله

كريم متى امدحه امدحه والورى معي ... واذا ما لمته لمته وحدي

البيت لابي تمام ويمكن ان يفرق بين ما انشد وبين الاية الكريمة بان التكرار في البيت هو المخرج له
عن الفصاحة بخلاف الاية فانه لا تكرير فيها. **قوله تعالى** ان هولا يحبون العاجلة توبيخ وتقريع والمراد
اهل مكة والعاجلة الدنيا. واعلم انه تعالى لما خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم بالتعظيم والامر والنهي عدل
سبحانه الى شرح احوال الكفار والمتمردين فقال تعالى ان هولا يحبون العاجلة ومعناه ان الذي حمل هولا
الكفار على الكفر والاعراض عما ينفعهم في الاخرة هو محبتهم اللذات العاجلة والراحات الدنيوية. **قوله تعالى**
ويذرون وراءهم اي بين ايديهم وقال وراءهم ولم يقل قدامهم لوجوه احدها انهم لما اعرضوا عنه ولم
يلتفتوا اليه فكانهم جعلوه وراء ظهورهم وثانيها المراد يذرون وراءهم مصالح يوم ثقيل اي عسير فاسقط

المضاف

المضاف وثالثها ان ورا يستعمل بمعنى قدام كقوله تعالى من ورايهم جهنم وكان وراءهم ملك وقال مكي سمي ورا
لتواريه عنك فظاهر هذا انه حقيقة والصحيح انه استعير لقدام. **قوله تعالى** يوما مفعول يذرون لا ظرف
ووصفه بالثقل على المجاز لانه من صفات الاعيان لا المعاني. وقيل معناه يتركون الايمان بيوم القيامة وقيل
نزلت في اليهود فيما كتموه من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته وحبهم العاجلة اخذهم الرشا على
ما كتموه. وقيل اراد المنافقين لاستبطانهم الكفر وطلب الدنيا والاية تعم وسمي ثقيلا لشدايده واهواله وقيل
للقضا فيه بين العباد. **قوله تعالى** نحن خلقناهم اي من طين وشددنا اسرهم اي خلقهم قاله ابن عباس ومجاهد
وقتادة ومقاتل وغيرهم والاسر الخلق. قال ابو عبيدة يقال فرس شديد الاسر اي الخلق ويقال اسره الله
تعالى اي شدد خلقه قال لبيد

ساهم الوجه شديد اسره ... مشرف الحارك محبوك الكبد

وقال الاخطل

من كل مجتنب شديد اسره ... سلس القياد تخاله مختالا

وقال ابو هريرة والحسن
والربيع شددنا مفاصلهم. قال اهل اللغة الاسر الربط ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد وفرس ماسور الخلق
وقوس ماسورة بالعقب والاسار هو القد الذي يشد به الاقتاب تقول اسرت القتب اسرا اي شددته
وربطته. **فصل** قال ابن زيد الاسر القوة والكلام خرج مخرج الامتنان عليهم بالنعم حين قابلوها بالمعصية
اي سويت خلقك واحكمته بالقوى ثم انت تكفر بي. قال ابن الخطيب وهذا الكلام يوجب عليهم طاعة الله من
حيث الترغيب والترهيب اما الترغيب فلانه هو الذي خلقهم واعطاهم الاعضا السليمة التي بها يمكن الانتفاع
باللذات العاجلة وخلق لهم جميع ما يمكن الانتفاع به فاذا اجتمع اللذات العاجلة وتلك اللذات لا تحصل الا
بالمنتفع والمنتفع به ومما لا تحصلان الا بتكوين الله وايجاده وهذا مما يوجب عليهم الانقياد لله تعالى وترك
التمرد. واما الترهيب فانه قادر على ان يميتهم وان يسلب النعيم عنهم وان يلقيهم في كل محنة وبلية فلاجل الخوف
من فوت هذه اللذات العاجلة يجب عليهم الانقياد لله تعالى وترك التمرد فكانه قيل هب ان حبكم لهذه اللذات
العاجلة طريقة حسنة الا ان ذلك يجب عليكم الايمان بالله تعالى والانقياد له فلو توسلتم به الى الكفر بالله تعالى
والاعراض عن حكمه. **قوله تعالى** واذا شينا بدلنا امثالهم تبديلا. قال ابن عباس رضي الله عنه لو نشا لاهلكناهم
وجينا باطوع لله منهم. وقال ابن الخطيب معناه اذا شينا اهلكناهم واتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم كقوله
تعالى على ان نبدل امثالكم والغرض منه بيان الاستغنا التام عنهم كانه قيل لا حاجة بنا الى احد من المخلوقين
البتة وبتقدير ان تثبت الحاجة فلا حاجة بنا الى هولا الاقوام فانا قادرون على ابدالهم وايجاد امثالهم
ونظيره قوله تعالى ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات باخرين وقوله تعالى ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد. وروى الضحاك
عن ابن عباس معناه لغيرنا محاسنهم الى اسمج الصور واقبحها. وقيل امثالهم في الكفر. **فصل** قال الزمخشري
في قوله تعالى واذا شينا وحقه ان يجي بان لا باذا كقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشا يذهبكم
يعني ان اذا للمحقق وان للمحتمل وهو تعالى لم يشا ذلك وجوابه ان اذا قد تقع موقع ان كالعكس. قال ابن الخطيب
فكانه طعن في لفظ القران وهو ضعيف لان كل واحد من ان واذا حرف شرط الا ان حرف ان لا يستعمل فيما هو
معلوم الوقوع فلا يقال ان طلعت الشمس اكرمتك اما حرف اذا فانه يستعمل فيما يكون معلوم الوقوع تقول
ابدا اذا طلعت الشمس فهاهنا لما كان الله تعالى عالما انه سيجي وقت يبدل الله تعالى فيه اوليك الكفرة
بامثالهم من الخلقة واضدادهم في الطاعة لا جرم حسن استعمال حرف اذا. **قوله تعالى** ان هذه تذكرة
اي هذه السورة موعظة فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا اي طريقا موصلا الى طاعته وقيل سبيلا اي وسيلة
وقيل وجهة وطريقة الى الخير والمعنى ان هذه السورة لما فيها من الترتيب العجيب والوعد والوعيد والترغيب
والترهيب تذكرة للمتاملين وتبصرة للمتبصرين. **فصل** قال ابن الخطيب متى ضمت هذه الاية الى الاية
التي بعدها خرج منهم صريح مذهب الجبر لان قوله تعالى فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا يقتضي ان تكون مشيئة
العبد متى كانت خالصة فانها تكون مستلزمة للفعل وقوله تعالى بعد ذلك وما تشاون الا ان يشا الله يقتضي كون
مشيئة الله تعالى مستلزمة لمشيئة العبد ومستلزم المستلزم مستلزم فاذا مشيئة الله تعالى مستلزمة
لفعل العبد وذلك هو الجبر وكذا الاس[illegible] الجبر فقوله [illegible] فمن شا فليؤمن ومن شا فليكفر لان
هذه الاية ايضا تقتضي كون المشيئة مستلزمة للفعل ثم التقدير ما تقدم. قال القاضي المذكور هنا اتخاذ
السبيل الى الله تعالى وهو امر قد شاه لانه امر به فلا بد وان يكون قد شاه وهذا لا يقتضي ان يقال العبد
لا يشا الا ما قد شا الله على الاطلاق اذ المراد بذلك الامر المخصوص الذي قد ثبت ان الله تعالى اراده وشاه
وهذا الكلام لا تعلق له بالاستدلال الذي ذكرناه فحاصل ما ذكره القاضي تخصيص العام بالصورة المتقدمة
وذلك ضعيف لان خصوص ما قبل الاية لا يقتضي تخصيص هذا العام لاحتمال ان يكون الحكم في هذه الاية

واردا بحيث يعم تلك الصورة وغيرها قوله تعالى الا ان يشاء الله فيه وجهان احدهما انه حال اى الا فى حال مشيئة
الله تعالى قاله ابو البقاء وفيه نظر لان هذا مقدر بالمعرفة الا ان يريد تفسير المعنى والثانى انه ظرف قال
الزمخشرى فان قلت ما محل ان يشاء الله قلت النصب على الظرف واصله الا وقت مشيئة الله تعالى وكذلك قرا
ابن مسعود الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كان ورده ابو حيان بانه لا يقوم مقام الظرف الا المصدر
الصريح لو قلت اجيئك ان يصيح الديك او ما يصيح لم يجز قال شهاب الدين وقد تقدم الكلام معه فى ذلك
مرارا وقرا نافع والكوفيون تشاؤن خطابا لسائر الخلق او على الالتفات من الغيبة فى قوله تعالى نحن
خلقناهم والباقون بالغيبة جريا على قوله خلقناهم وما بعده قوله تعالى وما تشاؤن اى الطاعة والاشتغال
واتخاذ السبيل الى الله الا ان يشاء الله فاخبر ان الامر اليه سبحانه ليس اليهم وانه لا تنفعه مشيئة احد
ولا تتقدم الا ان تتقدم مشيئة الله تعالى قيل ان الاية الاولى منسوخة بالثانية قال القرطبى والاشبه
انه ليس بنسخ بل هو تبيين ان ذلك لا يكون الا بمشيئته قال الفراء وما تشاؤن الا ان يشاء الله جواب
لقوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ثم اخبرهم ان الامر ليس اليهم فقال وما تشاؤن ذلك السبيل
الا ان يشاء الله لكم ان الله كان عليما بما لكم حكيما فى امره ونهيه لكم قوله تعالى يدخل من يشاء فى رحمته
اى يدخله الجنة راحما له قال ابن الخطيب ان فسرنا الرحمة بالايمان فالاية صريحة فى ان الايمان من الله
تعالى وان فسرناها بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله تعالى وفضله واحسانه لا بسبب الاستحقاق
لانه لو ثبت الاستحقاق لكان تركه يفضى الى الجهل او الحاجة وهما محالان على الله تعالى والمفضى الى المحال
محال فتركه محال فوجوده واجب عقلا وعدمه ممتنع عقلا وما كان كذلك لا يكون معلقا على المشيئة
البتة قوله تعالى والظالمين اى ويعذب الظالمين فهو منصوب على الاشتغال بفعل يفسره واعد لهم
من حيث المعنى لا من حيث اللفظ تقديره ويعذب الظالمين ونحوه زيدا مررت به اى جاوزت ولابست
وكان النصب هنا مختارا لعطف جملة الاشتغال على جملة فعلية قبلها وهى قوله يدخل قال الزجاج نصب
الظالمين لان قبله منصوبا ان يدخل من يشاء فى رحمته ويعذب الظالمين اى المشركين ويكون اعد لهم
تفسيرا لهذا المضمر كقوله ٭ اصبحت لا احمل السلاح ولا ٭ املك راس البعير ان نفرا ٭
والذيب اخشاه ان مررت به ٭ وحدى واخشى الرياح والمطرا ٭
اى اخشى الذيب اخشاه قال الزجاج والاختيار النصب وان جاز الرفع وقوله تعالى فى حمعسق يدخل
من يشاء فى رحمته والظالمون ارتفع لانه لم يذكر بعده فعل يقع عليه فينصب فى المعنى فلم يجز العطف على
المنصوب قبله فارتفع بالابتداء وههنا قوله اعد لهم عذابا يدل على ويعذب فجاز النصب وقرا الزبير وابان
ابن عثمان وابن ابى عبلة والظالمون رفعا على الابتداء وما بعده الخبر وهو مرجوح لعدم المناسبة وقرا ابن مسعود
وللظالمين بلام الجر وفيه وجهان اشهرهما ان يكون للظالمين متعلقا باعد لهم ويكون لهم تاكيدا والثانى وهو
ضعيف ان يكون من باب الاشتغال على ان يقدر فعلا مثل الظاهر ويجر الاسم بحرف جر فيقول بزيد مررت به اى
مررت بزيد مررت به والمعروف فى لغة العرب مذهب الجمهور وهو اضمار فعل ناصب موافق للفعل الظاهر
فى الفعل فان ورد نحو بزيد مررت به عد من التوكيد لا من الاشتغال والاليم المؤلم روى الثعلبى عن ابى
هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هل اتى كان جزاؤه على الله
تعالى جنة وحريرا

سورة المرسلات

فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة رضى الله عنهم الا اية منها وهى قوله تعالى واذا
قيل لهم اركعوا لا يركعون مدنية وقال ابن مسعود رضى الله عنه نزلت والمرسلات عرفا على النبى صلى الله عليه
وسلم ليلة الجن ونحن معه نسير حتى اوينا الى غار بمنى فنزلت فبينما نحن نتلقاها منه وان فاه رطب بها
اذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت فقال النبى صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم
وعن كريب مولى ابن عباس قال قرات سورة المرسلات عرفا فسمعتنى ام الفضل امراة العباس فبكت وقالت
والله يا بنى لقد اذكرتنى بقراءتك هذه السورة انها لاخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها
فى صلاة المغرب وهى خمسون اية وماية واحدى وثمانون كلمة وثمان ماية وستة عشر حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله تعالى والمرسلات عرفا فى عرفا ثلاثة اوجه احدها انه مفعول من اجله اى لاجل العرف

وهو ضد النكر فان الملائكة ان كانوا بعثوا للرحمة فالمعنى فيهم ظاهر وان كانوا بعثوا للعذاب فذلك العذاب وان لم
يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبياء صلوات الله عليهم والمؤمنين والمراد بالمرسلات اما الملائكة واما الانبياء
واما الرياح اى والملائكة المرسلات او والانبياء المرسلات او والرياح المرسلات والعرف المعروف والاحسان
قال ٭ من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ٭ لا يذهب العرف بين الله والناس ٭ وقد يقال كيف جمع
صفة المذكر العاقل بالالف والتاء وحقه ان يجمع بالواو والنون يقول الانبياء المرسلون ولا يقول المرسلات
والجواب ان المرسلات جمع مرسلة ومرسلة صفة لجماعة من الانبياء فالمرسلات جمع مرسلة الواقعة صفة لجماعة
لا جمع مرسل المفرد والثانى ان ينتصب على الحال بمعنى متتابعة من قولهم جاؤا كعرف الفرس وهم على فلان كعرف
الضبع اذا تالبوا عليه وقال ابن الخطيب يكون مصدرا كانه قيل والمرسلات ارسالا اى متتابعة الثالث ان
ينتصب على اسقاط الخافض اى المرسلات بالعرف وفيه ضعف وقد تقدم الكلام على العرف فى الاعراف والعامة
على تسكين رائه وعيسى بضمها وهو على تثقيل المخفف نحو بكر فى بكر ويحتمل ان يكون هو الاصل والمشهورة مخففة
منه ويحتمل ان يكونا وزنين مستقلين فصل جمهور المفسرين على ان المرسلات هى الرياح وروى مسروق
عن عبد الله قال هى الملائكة ارسلت بالعرف من امر الله تعالى ونهيه والخبر والوحى وهو قول ابى هريرة ومقاتل
وابى صالح والكلبى وقال ابن عباس رضى الله عنهم هم الانبياء صلوات الله عليهم بلا اله الا الله وقال ابو صالح
هم الرسل ترسل بما يعرفون به من المعجزات وعن ابن عباس وابن مسعود انها الرياح كما قال تعالى وارسلنا الرياح
وقال تعالى ويرسل الرياح ومعنى عرفا اى يتبع بعضها بعضا كعرف الفرس وقيل يحتمل ان يكون المراد بالمرسلات
السحاب لما فيها من نعمة ونقمة عارفة بما ارسلت اليه وقيل انها الزواجر والمواعظ وعرفا على هذا التاويل متتابعات
كعرف الفرس قاله ابن مسعود وقيل جاريات قاله الحسن يعنى فى القلوب وقيل معروفات فى العقول قوله تعالى
فالعاصفات عصفا هذا المصدر مؤكد لاسم الفاعل والمراد بالعاصفات الرياح قاله المهدوى وعن ابن مسعود
هى الرياح العواصف تاتى بالعصف وهو ورق الزرع وحطامه وقيل العاصفات الملائكة شبهت بسرعة جريها فى
الله بالرياح وكذلك نشرا وفرقا انتصابهما على المصدر وقيل الملائكة تعصف بروح الكافر يقال عصف بالشى اذا
اباده واهلكه وناقة عصوف اى تعصف براكبها فتمضى كانها ريح فى السرعة وعصفت الحرب بالقوم اى ذهبت
بهم وقيل يحتمل انها الايات المهلكة كالزلازل والخسوف قوله تعالى والناشرات نشرا هى الملائكة الموكلون
بالسحاب ينشرونها وقال ابن مسعود ومجاهد هى الرياح يرسلها الله تعالى نشرا بين يدى رحمته اى
تنشر السحاب للغيث وهو مروى عن ابى صالح وعنه ايضا هى الامطار لانها تنشر النبات فالنشر بمعنى الاحياء
يقال نشر الله الميت وانشره اى احياه قال تعالى اذا شاء انشره ينشركم من بعد موتكم وروى عن السدى
انها الملائكة تنشر كتب الله تعالى وروى الضحاك عن ابن عباس قال يريد ما ينشر من الكتب واعمال
بنى ادم وروى الضحاك انها الصحف تنشر على الله باعمال العباد وقال الربيع انه البعث للقيامة تنشر
فيه الارواح وقال والناشرات بالواو لانه استيناف قسم اخر قوله تعالى فالفارقات فرقا هى الملائكة
تنزل بالفرق بين الحق والباطل قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وابو صالح وروى الضحاك عن ابن عباس قال
ما تفرق الملائكة من الاقوات والارزاق والاجال وروى ابن ابى نجيح عن مجاهد قال الفارقات الرياح تفرق بين
السحاب وتبدده وروى سعيد عن قتادة قال الفارقات الفرقان فرق الله فيه بين الحق والباطل والحرام
والحلال وهو قول الحسن وابن كيسان وقيل هم الرسل فرقوا بين ما امر الله به ونهى عنه اى بينوا ذلك
وقيل السحاب الماطرة تشبيها بالناقة الفارقة وهى الحامل التى تخرج وتند فى الارض حين تضع ونوق فوارق وفرق
قوله تعالى فالملقيات ذكرا هى الملائكة اى تلقى كتب الله تعالى الى الانبياء صلوات الله عليهم قاله المهدوى وقيل
هو جبريل وسمى باسم الجمع تعظيما لانه كان ينزل بها وقيل المراد الرسل يلقون الى امتهم ما انزل الله عليهم قاله
قطرب وقوله تعالى ذكرا مفعول به ناصبه الملقيات وقرا العامة فالملقيات بسكون اللام وتخفيف القاف
اسم فاعل وقرا ابن عباس بفتح اللام وتشديد القاف من التلقية وهى ايصال الكلام الى المخاطب وروى عنه
المهدوى ايضا فتح القاف اسم مفعول اى تلقته من قبل الله تعالى كقوله تعالى وانك لتلقى القران قوله
تعالى عذرا او نذرا فيهما اوجه احدها انهما بدلان من ذكرا الثانى انهما منصوبان به على المفعولية واعمال
المصدر المنون جائز ومنه او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما الثالث انهما مفعولان من اجلهما والعامل فيهما
اما الملقيات واما ذكرا لان كلا منهما يصلح ان يكون معللا باحدهما وحينئذ يجوز فى عذرا ونذرا وجهان
احدهما ان يكونا مصدرين بسكون العين كالشكر والكفر والثانى ان يكونا جمع عذير ونذير المراد بهما
المصدر بمعنى الاعذار والانذار كالنكير بمعنى الانكار الرابع انهما منصوبان على الحال من الملقيات او من

يكونا مصدرين واقعين موقع الحال بالتاويل المعروف في امثاله وان يكونا جمع عذير ونذير واذا
الضمير فيهما وحينئذ يجوز ان يكونا مصدرين معذرين او منذرين وقرا العامة بسكون الذال من
بهما المصدر او مرادا بهما اسم الفاعل بمعنى المعذر والمنذر اي معذرين او منذرين وقرا العامة بسكون الذال من
عذرا او نذرا وقرا زيد بن ثابت وابنه خارجة وطلحة بضمهما والحرميان وابن عامر وابو بكر بسكونها في عذرا وضمها
في نذرا والسكون والضم كما تقدم في انه يجوز ان يكون كل منهما اصلا للآخر وان يكونا اصلين ويجوز في كل من المثقل
والمخفف ان يكون مصدرا وان يكون جمعا ساكنت عينه تخفيفا وقرا ابراهيم التيمي عذرا ونذرا بواو العطف
موضع او وهي تدل على ان او بمعنى الواو **فصل** والمعنى تلقي الوحي اعذارا من الله تعالى وانذارا الى خلقه
من عذابه قاله الفراء وروى عن ابي صالح قال يعني الرسل يعذرون وينذرون وروى شعبة عن قتادة عذرا
قال عذرا لله جل ثناؤه الى خلقه ونذرا للمؤمنين ينتفعون به ويأخذون به وروى الضحاك عن ابن عباس
عذرا اي ما يقبله الله جل ثناؤه من معاذير اوليائه وهو التوبة ونذرا اي ينذر اعداءه **فصل** قال ابن
الخطيب اعلم ان هذه الكلمات الخمس اما ان يكون المراد منها جنسا واحدا او اجناسا مختلفة فالاول فيه
وجوه احدها ان المراد بها الملائكة فالمرسلات هي الملائكة الذين ارسلهم الله تعالى اما لايصال النعمة
الى قوم او لايصال النقمة الى آخرين وقوله تعالى عرفا اما ان يكون العرف الذي هو ضد النكر فان كانوا
الملائكة المبعوثين للرحمة فالمعنى فيهم ظاهر وان بعثوا للعذاب فذلك العذاب وان لم يكن معروفا
للكفار فانه معروف للانبياء صلوات الله عليهم والمؤمنين او يكون العرف التتابع وقوله تعالى فالعاصفات
عصفا فمعناه ان الملائكة عصفوا في طيرانهم كعصف الرياح او يعصفون بروح الكافر يقال عصف بالشيء
اذا اباده وقوله تعالى والناشرات نشرا اي انهم نشروا اجنحتهم عند انحطاطهم الى الارض او نشروا الشرائع
في الارض او نشروا الرحمة والعذاب او المراد الملائكة الذين ينشرون الكتب التي فيها اعمال بني آدم يوم
القيامة قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقوله تعالى فالفارقات فرقا اي انهم يفرقون
بين الحق والباطل وقوله فالملقيات ذكرا اي انهم يلقون الذكر الى الانبياء صلوات الله عليهم والمراد بالذكر
اما العلم والحكمة او القرآن لقوله القي عليه الذكر من بيننا وهذا الملقي وان كان جبريل صلوات الله عليه وحده
الا انه سمي باسم الجمع لعظمته واعلم ان الملائكة اقسام قسم يرسل لانزال الوحي على الانبياء صلوات الله عليهم
وقسم يرسل لكتابة اعمال بني آدم وقسم يرسل لقبض الارواح وقسم يرسل من سماء الى سماء الوجه الثاني
ان المراد بهذه الكلمات الخمس الرياح اقسم الله تعالى بالرياح عند ارسالها عرفا اي متتابعة كشعر العرف
ثم انها تشتد حتى تصير عواصف ورياح رحمة تنشر السحاب في الجو قال تعالى يرسل الرياح نشرا بين
يدي رحمته وهو المراد بقوله فالناشرات نشرا اي انها تنشر السحاب او انها تلقح الاشجار والنبات فتكون ناشرة وقوله
تعالى فالفارقات فرقا اي انها تفرق بين اجزاء السحاب او انها تخرب بعض القرى وذلك يصير سببا لظهور الفرق
بين اولياء الله واعدائه او انها عند هبوبها تفرق الخلق فمن مقر خاضع ومن منكر جاحد وقوله تعالى فالملقيات
ذكرا اي ان العاقل اذا شاهد هبوب تلك الرياح التي تقلع القلاع وتهدم الصخور والجبال وترفع امواج البحار
تمسك بذكر الله والتجأ الى اعانة الله تعالى فصارت تلك الرياح كانها القت الذكر والايمان والعبودية في القلب
الوجه الثالث قال ابن الخطيب من الناس من حمل بعض هذه الكلمات الخمس على القرآن وعندي انه يمكن حمل
جميعها على القرآن فقوله تعالى والمرسلات عرفا المراد منه الآيات المتتابعة المرسلة على لسان جبريل على محمد صلوات
الله وسلامه عليهما وقوله تعالى عرفا اي هذه الآيات نزلت بكل عرف وخير وكيف لا وهي الهادية الى سبيل
النجاة والموصلة الى مجامع الخيرات والمراد بالعاصفات عصفا ان دولة الاسلام والقرآن كانت ضعيفة في
اولها ثم عظمت وقهرت سائر الملل والاديان فكان دولة القرآن عصفت سائر الدول والملل والاديان
وقهرتها وجعلتها باطلة داثرة والمراد بالناشرات نشرا ان آيات القرآن نشرت الحكم والهداية في قلوب
العالمين شرقا وغربا والمراد بالفارقات فرقا ان آيات القرآن فرقت بين الحق والباطل ولذلك سمي القرآن
فرقانا والمراد بالملقيات ذكرا ان القرآن ذكر قال تعالى ص والقرآن ذي الذكر وانه لذكر لك ولقومك
وهذا ذكر مبارك انزلناه وانه لتذكرة للمتقين الوجه الرابع قال ابن الخطيب ويمكن حملها ايضا على بعثة
الرسل صلوات الله عليهم فالمراد بالمرسلات عرفا هم المرسلون بالوحي المشتمل على كل خير ومعروف فالعاصفات
عصفا ان امر كل رسول يكون في اول الامر حقيرا ضعيفا ثم يشتد ويعظم ويصير في القوة كعصف الرياح
والناشرات نشرا انتشار دينهم فالفارقات فرقا انهم يفرقون بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا انهم
يامرونهم بالذكر ويحثونهم عليه الاحتمال الثاني وهو ان لا يكون المراد من هذه الكلمات الخمس شيئا واحدا
وفيه وجوه احدها قال الزجاج واختاره القاضي ان الثلاثة الاول هي الرياح فقوله تعالى والمرسلات

عرفا هي الرياح التي تتصل على العرف المعتاد والعاصفات ما يشتد منها والناشرات ما ينشر السحاب وقوله
تعالى فالفارقات فرقا هم الملائكة الذين يفرقون بين الحق والباطل والحلال والحرام بما يتحملونه من القرآن والوحي وكذا
قوله فالملقيات ذكرا انها الملائكة المتحملون للذكر الذي يلقونه الى الرسل **فان قيل** ما المجانسة بين الرياح وبين
الملائكة حتى جمع بينهما في القسم قلنا الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم كالرياح وثانيها
ان الاثنين الاولين هما الرياح والثلاثة الباقية هم الملائكة لانها تنشر الوحي والدين ثم لذلك الوحي اثران
الاول حصول الفرق بين المحق والمبطل والثاني ظهور ذكر الله في القلوب والالسنة ويؤكده هذا انه قال والمرسلات
عرفا فالعاصفات عصفا ثم عطف الثاني على الاول بحرف الفاء وقال والناشرات وعطف الاثنين الباقيين
عليه بحرف الفاء وهذا يقتضي ان يكون الاولان ممتازين عن الثلاثة الاخيرة قال ابن الخطيب ويمكن ان يكون
المراد بالاولين الملائكة فقوله تعالى والمرسلات عرفا ملائكة الرحمة وقوله تعالى فالعاصفات عصفا ملائكة العذاب
والثلاثة الباقية آيات القرآن لانها تنشر الحق في القلوب والارواح وتفرق بين الحق والباطل وتلقي الذكر في
القلوب والالسنة **فصل** قال القفال الوجه في دخول الفاء في بعض ما وقع به القسم والواو في بعض مبني على
اصل وهو ان عند اهل اللغة ان الفاء تقتضي الوصل والتعلق فاذا قيل قام زيد فذهب فالمعنى انه قام ليذهب
فكان قيامه سببا لذهابه وموصلا به فاذا قيل قام وذهب فهما خبران وكل واحد منهما قائم بنفسه لا يتعلق
بالآخر ثم ان القفال لما مهد هذا الاصل فرع عليه الكلام في هذه الآية بوجوه قال ابن الخطيب وتلك الوجوه
لا يميل قلبي اليها وانا افرع على هذا الاصل فاقول اما من جعل الاولين صفة لشيء والثلاثة الاخيرة صفات لشيء
واحد فنقول ان حملناها على الملائكة فالملائكة اذا ارسلت طارت سريعا وذلك الطيران هو العصف فالعصف
مرتب على الارسال فان الملائكة اول ما يلقون الوحي الى الرسل لا يصير في الحال ذلك الدين مشهورا منتشرا
بل الخلق يؤذون الانبياء اولا الامر ويكذبونهم وينسبونهم الى السحر والجنون فلا جرم لم يذكر الفاء الذي يفيد
التعقيب بل ذكر الواو واذا حصل النشر ترتب عليه حصول الفرق بين الحق والباطل وظهور ذلك الحق على الالسنة
فلا جرم ذكر هذين الامرين بحرف الفاء كانه والله اعلم قال يا محمد اني ارسلت الملك اليك بالوحي الذي هو عنوان كل
سعادة وخير ولكن لا تطمع في ان ينتشر ذلك الامر في الحال ولكن لا بد من الصبر وتحمل المشقة ثم اذا جاوزت
النصرة اجعل دينك ظاهرا منتشرا في شرق العالم وغربه وعند ذلك الانتشار يظهر الفرق فتصير الاديان
باطلة ضعيفة ساقطة ودينك الحق ظاهرا عاليا وهنالك يظهر دين الله تعالى على الالسنة وفي المحاريب وعلى المنابر
ومن عرف هذا الوجه امكنه ذكر مناسبة سائر الوجوه **قوله تعالى** انما توعدون لواقع هذا جواب القسم في قوله
تعالى والمرسلات وما بعده معطوف عليه وليس قسما مستقلا لما تقدم في اول الكتاب ولوقوع الفاء هنا عاطفة
لانها لا تكون للقسم وما موصولة بمعنى الذي هو اسم ان وتوعدون صلتها والعائد محذوف اي ان الذي توعدونه
ولواقع خبرها وكان من حق ان منفصلة من ما الموصولة ولكنهم كتبوها متصلة بها **فصل** المعنى انما
توعدون من امر القيامة لواقع يكون نازلا عليكم ثم لذكره علامات القيامة بعده وقال الكلبي المراد ان كل ما
توعدون به من الخير والشر لواقع يعني وقت وقوعه فقال تعالى فاذا النجوم طمست اي ذهب ضوؤها ومحي
نورها كطمس الكتاب يقال طمس الشيء اذا درس وطمس فهو مطموس والريح تطمس الآثار فتكون الريح طامسة
والاثر طامسا بمعنى مطموس قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون محقت ذواتها وهو موافق لقوله تعالى انتثرت
والنجوم مرتفعة بفعل مضمر يفسره ما بعده عند البصريين غير الاخفش وبالابتداء عند الكوفيين والاخفش
وفي جواب اذا قولان احدهما محذوف تقديره فاذا طمست النجوم وقع ما توعدون لدلالة قوله تعالى انما
توعدون لواقع وثانيها الامر والثاني انه لاي يوم اجلت على اضمار القول اي يقال لاي يوم اجلت فالفعل
في الحقيقة هو الجواب وقيل يوم يبعث نقله مكي وهو غلط لانه لو كان جوابا للزمته الفاء لكونه جملة اسمية
قوله تعالى واذا السماء فرجت اي فتحت وشقت ومنه قوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا والفرج
الشق ونظيره اذا السماء انشقت ويوم تشقق السماء بالغمام وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه
قال فرجت للطي **قوله تعالى** واذا الجبال نسفت اي ذهب بها بسرعة من انتسفت الشيء اذا اختطفته
وقيل تنسف كالحب المغلق اذا نسف بالمنسف ومنه قوله تعالى لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا
ونظيره وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا فقل ينسفها ربي نسفا وقرئ طمست وفرجت
ونسفت مشددة وقال ابن عباس والكلبي يقول سويت بالارض والعرب تقول لسوف اذا كان يوجد
الحرام بمرفقيه قال بشر بسوف للحزام بمرفقيها وانسفت الناقة الكلا اذا اقتلعته **قوله تعالى**
واذا الرسل اقتت قرا ابو عمرو وقتت بالواو والباقون بهمزة بدل الواو وقالوا والواو هي الاصل لانه من

الوقت والهمزة بدل منها لانها مضمومة ضمة لازمة وكل واو انضمت وكان ضمها لازمة فانها تبدل على الاطراد همزة اولا وثالثة تقول صلى القوم احدانا تريد وحدانا وهذه اجوه حسان لان ضمة الواو ثقيلة وبعدها ضمة فالجمع بينهما يجري مجرى جمع المثلين فيكون ثقيلا ولم يجز البدل في قوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم لان الضمة غير لازمة قاله الفراء وقد تقدم ذكر ذلك اول الكتاب **فصل** قال مجاهد والزجاج المراد بهذا التاقيت تبيين الوقت الذي فيه يحضرون للشهادة على اممهم اي جمعت لوقتها ليوم القيامة والوقت الاجل الذي يكون عنده الشيء المؤخر اليه فالمعنى جعل لها وقت اجل للفصل والقضاء بينهم وبين الامم كقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل المراد بهذا التاقيت تحصيل الوقت وتكوينه وليس في اللفظ بيان انه تحصل الوقت اي شيء ولم يبينه ليذهب الوهم الى كل جانب فيكون التهويل فيه اشد فيحتمل ان يكون المراد تكوين وقت جمعهم للفوز بالثواب وان يكون وقت سؤال الرسل عما اجيبوا به وسؤال الامم عما اجابوهم كقوله تعالى فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين وان يكون وقت مشاهدة الجنة والنار وسائر احوال القيامة وقيل اقتت اي ارسلت لاوقات معلومة على ما علمه الله واراده **فصل** قرا ابو جعفر وشيبة والاعرج وقتت بالواو وخفة القاف وهو فعلت من الوقت ومنه كتابا موقوتا وعن الحسن ايضا ووقتت بواوين وهو فوعلت من الوقت ايضا مثل عوهدت قال القرطبي ولو قلبت الواو في هاتين القراءتين الفا لجاز وقرا يحيى وايوب وخالد بن الياس وسلام اقتت بالهمزة والتخفيف لانها مكتوبة في المصحف بالالف **قوله تعالى** لاي يوم اجلت الجار متعلق باجلت وهذه الجملة معمولة لقول مضمر اي يقال وهذا القول المضمر يجوز ان يكون جوابا لاذا كما تقدم وان يكون حالا من مرفوع اقتت اي مقولا فيها لاي يوم اجلت اي اخرت **فصل** لاي يوم اجلت اي اخرت وهذا تعظيم لذلك اليوم فهو استفهام على التعظيم اي ليوم الفصل اجلت كانه تعالى قال يتعجب العباد من تعظيم ذلك اليوم فيقال لاي يوم اخرت الامور المتعلقة بهذه الرسل وهي تعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم فظهور ما كانوا يدعون الخلق الى الايمان به من الاهوال والعرض والحساب ونشر الدواوين ووضع الموازين **قوله تعالى** ليوم الفصل بدل من لاي يوم باعادة العامل وقيل بل يتعلق بفعل مقدر اي اجلت ليوم الفصل وقيل اللام بمعنى الى ذكرهما مكي **فصل** اعلم انه تعالى بين ذلك اليوم فقال ليوم الفصل قال ابن عباس رضي الله عنه يوم فصل الرحمن بين الخلائق كقوله تعالى ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين **قوله تعالى** وما ادراك ما يوم الفصل اتبع التعظيم تعظيما اي وما علمك بيوم الفصل وشدته ومهابته ثم اتبعه بتهويل ثالث وهو قوله ويل مبتدا سوغ الابتداء به كونه دعاء قال الزمخشري فان قلت كيف وقعت النكرة مبتدا في قوله تعالى ويل قلت هو في اصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على اثبات معنى الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكن لم يقرا به قال شهاب الدين هذا الذي ذكره ليس من المسوغات التي عدها النحويون وانما المسوغ كونه دعاء وفائدة العدول الى الرفع ما ذكره ويومئذ ظرف للويل وجوز ابو البقاء ان يكون صفة لويل وللمكذبين خبره **فصل** قال القرطبي ويل يومئذ للمكذبين اي عذاب وخزي لمن كذب بالله تعالى وبرسله وعلى تقدير تكذيبهم فان لكل مكذب بشيء عذابا بتكذيبه بشيء اخر ورب شيء كذب به هو اعظم جرما من تكذيبه لغيره لانه اقبح في تكذيبه واعظم في الرد على الله فانما يقسم له من الويل على قدر ذلك وعلى قدر وفاقه وهو قوله جزاء وفاقا وقيل كرره لمعنى تكرار التخويف والوعيد وروي عن النعمان بن بشير قال ويل واد في جهنم فيه الوان العذاب وقاله ابن عباس وغيره وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عرضت علي جهنم فلم ار فيها واديا اعظم من الويل وروي ايضا انه مجمع ما يسيل من قيح اهل النار وصديدهم وانما يسيل الشيء فيما سفل من الارض وقد علم العباد في الدنيا ان شر المواضع في الدنيا ما استنقع فيها مياه الادناس والاقذار والغسالات من الجيف وماء الحمامات فذكر ان الوادي مستنقع صديد اهل الكفر والشرك ليعلم العاقل انه لا شيء اقذر منه قذارة ولا انتن منه نتنا **قوله تعالى** الم نهلك الاولين العامة على ضم حرف المضارعة من اهلك رباعيا وقتادة بفتحه قال الزمخشري من هلكه بمعنى اهلكه قال العجاج

ومهمه هالك من تعرجا

فمن معمول لهالك وهو من هلك الا ان بعض الناس جعل هذا دليلا على اعمال الصفة المشبهة في الموصول وجعلها من اللازم لان شرط الصفة المشبهة ان تكون من فعل لازم فعلى هذا لا دليل فيه **قوله تعالى** ثم نتبعهم العامة على رفع العين استينافا اي ثم نحن نتبعهم كذا قدره ابو البقاء وليس بمعطوف لان العطف يوجب ان يكون المعنى اهلكنا الاولين ثم اتبعناهم الاخرين في الهلاك وليس كذلك لان هلاك الاخرين لم يقع بعد قال شهاب الدين ولا حاجة في وجه

الاستينا

الاستيناف الى تقدير مبتدا بل يجعل الفعل معطوفا على مجموع الجملة من قوله الم نهلك ويدل على هذا الاستيناف قراءة عبد الله ثم سنتبعهم بسين التنفيس وقرا الاعرج والعباس عن ابي عمرو بتسكينها وفيها وجهان احدهما انه سكن المرفوع فهو مستانف كالمرفوع لفظا والثاني انه معطوف على مجزوم والمعنى بالاخرين حينئذ قوم شعيب ولوط وموسى وبالاولين قوم نوح وعاد وثمود قال ابن الخطيب وهذا القول ضعيف لان قوله تعالى نتبعهم مضارع وهو للحال والاستقبال ولا يتناول الماضي وانما المراد بالاولين جميع الكفار الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ثم نتبعهم الاخرين على الاستيناف اي سنفعل ذلك ونتبع الاول للاخر ويدل على الاستيناف قراءة عبد الله **فان قيل** قراءة الجزم في نتبعهم تدل على الاشتراك وحينئذ يكون المراد به الماضي لا المستقبل قلنا لو كان المراد هو الماضي لوقع التنافي بين القراءتين وهو غير جائز فعلمنا ان تسكين العين ليس للجزم بل للتخفيف **قوله تعالى** كذلك نفعل اي مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من اجرم **فصل** المقصود من هذه الاية تخويف الكفار وتحذيرهم من الكفر اخبر عن اهلاك الكفار من الامم الماضين من لدن ادم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم ثم نتبعهم الاخرين اي نلحق الاخرين بالاولين كذلك نفعل بالمجرمين اي مثل ما فعلنا بمن تقدم نفعل بمشركي قريش اما بالسيف واما بالهلاك ثم قال تعالى ويل يومئذ للمكذبين كانه تعالى يقول اما الدنيا فحاصلهم الهلاك واما الاخرة فالعذاب الشديد واليه الاشارة بقوله تعالى خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين **فان قيل** المراد من قوله تعالى الم نهلك الاولين هو مطلق الاماتة او الاماتة بالعذاب فان كان مطلق الاماتة لم يكن ذلك تخويفا للكفار لان ذلك معلوم حاصل للمؤمن والكافر فلا يكون تخويفا للكفار وان كانت الاماتة بالعذاب فقوله تعالى ثم نتبعهم الاخرين كذلك نفعل بالمجرمين يقتضي ان يكون قد فعل بكفار قريش مثل ذلك ومعلوم ان ذلك لم يوجد وايضا فقد قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم **فالجواب** قال ابن الخطيب لم لا يجوز ان يكون المراد من الاهلاك معنى ثالث وهو الاماتة المستعقبة للذم واللعن فكانه قيل ان اولئك المتقدمين لحرصهم على الدنيا عاندوا الانبياء وخاصموهم ثم ماتوا ففاتتهم الدنيا وبقي اللعن عليهم في الدنيا والعقوبة في الاخرة دائما سرمدا فهكذا يكون حال الكفار الموجودين وهذا من اعظم وجوه الزجر **قوله تعالى** الم نخلقكم من ماء مهين اي ضعيف حقير وهو النطفة وهذا نوع اخر من تخويف الكفار وهو من وجهين الاول انه تعالى ذكرهم عظيم انعامه عليهم وكلما كانت نعمه عليهم اكثر كانت جنايتهم في حقه اقبح والحش فيكون العقاب اعظم فلهذا قال تعالى عقيب هذه الانعام ويل يومئذ للمكذبين الثاني انه تعالى ذكرهم كونه تعالى قادرا على الابتداء والظاهر في العقل ان القادر على الابتداء قادر على الاعادة فلما انكروا هذه الدلالة الظاهرة لا جرم قال تعالى في حقهم ويل يومئذ للمكذبين وهذه الاية نظير قوله تعالى ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين اي مكان حريز وهو الرحم الى قدر معلوم قال مجاهد الى ان نصوره وقيل الى وقت الولادة كقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الى قوله ويعلم ما في الارحام **قوله تعالى** فقدرنا فنعم القادرون قرا نافع والكسائي بالتشديد من التقدير وهو موافق لقوله تعالى من نطفة خلقه فقدره والباقون بالتخفيف من القدرة ويدل عليه فنعم القادرون ويجوز ان يكون المعنى على القراءة الاولى فنعم القادرون على تقديره وان جعلت القادرون بمعنى المقدرون كان جمعا بين اللفظين ومعناهما واحد ومنه قوله تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا وقول الاعشى

وانكرتني وما كان الذي نكرت ... من الحوادث الا الشيب والصلعا

وقال الكسائي والفراء هما لغتان بمعنى قال القتيبي قدرنا بمعنى قدرنا مشددة كما تقول قدرت كذا وقدرته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الهلال اذا غم عليكم فاقدروا له اي قدروا له المسير والمنازل وقال محمد بن الجهم عن الفراء انه ذكر تشديدها عن علي رضي الله عنه وتخفيفها قال ولا يبعد ان يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحدا لان العرب تقول قدر عليه الموت وقدر قال تعالى نحن قدرنا بينكم الموت قرئ بالتخفيف والتشديد وقدر عليه رزقه قال واحتج الذين خففوا فقالوا لو كان كذلك لكانت فنعم المقدرون قال الفراء والعرب تجمع بين اللغتين واستدل بقوله فمهل الكافرين الاية وذكر بيت الاعشى المتقدم وقيل المعنى قدرنا قصيرا او طويلا ونحوه وعن ابن عباس قدرنا ملكنا قال المهدوي وهذا التفسير اشبه بقراءة التخفيف **قوله تعالى** الم نجعل الارض كفاتا هذا هو النوع الرابع من تخويف الكفار لانه تعالى ذكرهم في الاية المتقدمة بالنعم التي له عليهم في الانفس ثم قال في اخرها ويل يومئذ للمكذبين لان النعم كلما كانت اكثر كانت الجناية اقبح وكان استحقاق الذم اشد وذكر في هذه الاية النعم التي في الافاق ولما كان الاصل للنعم التي في الافاق النعم التي في الانفس لانها كالاصل للنعم التي في الافاق فانه لولا الحياة والسمع والبصر والاعضاء السليمة لما كان الانتفاع بشيء من المخلوقات ممكنا والله اعلم وانما قدم الارض لانها اقرب الاشياء الينا من

الامور الخارجة • والكفات اسم للوعا الذى يكفت فيه اى يجمع قاله ابو عبيدة يقال كفته تكفته اى جمعته وضممته
وفى الحديث اكفتوا صبيانكم • وقال الصمصامة بن الطوماح •
• ورايت اليوم فوق الارض حيا • وانت غدا تضمك فى كفات • وقيل الكفات اسم لما يكفت •
كالضمام والجماع يقال هذا الباب جماع الابواب • والمعنى تجعل الارض ضامة تضم الاحيا على ظهرها والاموات
فى بطنها والكفت الضم والجمع وانشد سيبويه • كرام حين تنكفت الافاعى • الى احجارهن من الصقيع •
وروى عن ربيعة فى النباش قال تقطع يده فقيل له لم فقال ان الله تعالى يقول الم نجعل الارض كفاتا احيا
واموا تا فالارض حرز وكانوا يسمون بقيع الغرقد كفتة لانه مقبرة تضم الموتى فالارض تضم الاحيا الى
منازلهم والاموات فى قبورهم وايضا استقرار الناس على وجه الارض ثم اضطجاعهم عليها انضمام منهم اليها • وقال
الاخفش وقال ابو عبيدة ومجاهد فى احد قوليه الاحيا والاموات ترجع الى الارض اى الارض منقسمة الى حى وهو
الذى ينبت والى ميت وهو الذى لا ينبت • وفى انتصاب كفاتا وجهان احدهما انه مفعول ثان لنجعل
لانها للتصيير • والثانى انه منصوب على الحال من الارض والمفعول الثانى احيا واموا تا بمعنى الم نصيرها
احيا بالنبات واموا تا بغير نبات اى بعضها كذا وبعضها كذا • وقيل كفات جمع كافت كصيام وقيام جمع صايم
وقايم • وقيل بل هو مصدر كالكتاب والحساب • وقال الخليل التكفيت تقليب الشى ظهرا لبطن او بطنا لظهر ويقال
انكفت القوم الى منازلهم اى انقلبوا فمعنى الكفات انهم يتصرفون على ظهرها وينقلبون اليها فيه فنون
فيها **قوله تعالى** احيا • فيه اوجه احدها انه منصوب بكفات قاله مكى والزمخشرى وبدا به بعد ان جعل
كفاتا اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع وهذا يمنع ان يكون كفاتا ناصبا لاحيا لانه ليس من الاسما
العاملة وكذلك اذا جعلناه بمعنى الوعا على قول ابى عبيدة فانه لا يعمل ايضا وقد نص النحاة على ان اسما
الامكنة والازمنة والالات وان كانت مشتقة جارية على الافعال لا تعمل نحو مرمى ومنجل وفى اسم
المصدر خلاف مشهور ولكن انما يتمشى نصبهما بكفات على قول ابى البقا فانه لم يجوز فيه الا ان يكون
جمعا لاسم فاعل او مصدرا وكلاهما من الاسما العاملة • الوجه الثانى ان ينتصب بفعل مقدر يدل
عليه كفات اى يكفتهم احيا على ظهرها واموا تا فى بطنها وبه ثنى الزمخشرى • الثالث ان ينتصبا على الحال
من محذوف اى تكفتكم احيا واموا تا لانه قد علم انها كفات للانس قاله الزمخشرى واليه نحا مكى الا انه
قدره عاما اى تجمعهم الارض فى هاتين الحالتين • الرابع ان ينتصبا مفعولا ثانيا لنجعل وكفاتا حال كما تقدم
تقريره وتنكير احيا واموا تا اما للتفخيم اى تجمع احيا لا يعدون واموا تا لا يحصون • واما للتبعيض
لان احيا الانس واموا تهم ليسوا بجميع الاحيا والاموات وكذلك التنكير فى ماء فراتا يحتمل المعنيين ايضا
اما التفخيم فواضح لعظم المنة عليهم • واما التبعيض فلقوله تعالى وينزل من السما من جبال فيها من برد
فهذا منهم للتبعيض والفراك يعسر بعضه بعضا **قوله تعالى** وجعلنا فيها رواسى شامخات • اى جعلنا فى
الارض رواسى وهى الثوابت شامخات وهى الجبال الطوال جمع شامخ وهو المرتفع جدا ومنه شمخ بانفه
اذا تكبر جعل كناية عن ذلك كثنى العطف وصعر الخد وان لم يحصل شى من ذلك **قوله تعالى** واسقيناكم
ماء فراتا • اى جعلنا لكم سقيا والفرات الما العذب يشرب ويسقى به الزرع اى خلقنا الجبال وانزلنا الما
الفرات وهذه الامور اعجب من البعث • وروى ابو هريرة رضى الله عنه فى الارض من الجنة الفرات
والنيل ونهر الاردن • وفى مسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من انهار الجنة **قوله تعالى**
انطلقوا • اى يقال لهم ذلك والعامة على انطلقوا الثانى كالاول بصيغة الامر على التاكيد وروليس عن
يعقوب انطلقوا بفتح اللام فعلا ماضيا على الخبر اى لما امروا امتثلوا ذلك وهذا موضع الفا فكان
ينبغى ان يكون التركيب فانطلقوا نحو قولك قلت اذهب فذهب وعدم الفا هنا ليس بواضح **فصل**
هذا هو النوع الخامس من تخويف الكفار وهو بيان كيفية عذابهم فى الاخرة • والمعنى يقال لهم انطلقوا
انطلقوا الى ما كذبتم به من العذاب يعنى النار فقد شاهدتموها عيانا انطلقوا الى ظل اى دخان ذى
ثلاث شعب يعنى الدخان الذى يرتفع ثم يتشعب الى ثلاث شعب وكذلك شان الدخان العظيم اذا
ارتفع تشعب • قال ابو مسلم ويحتمل فى ثلاث شعب ما ذكره بعد ذلك وهو انه غير ظليل وانه لا يغنى
من اللهب وانه يرمى بشرر ثم وصف الظل فقال لا ظليل ولا يغنى من اللهب اى لا يدفع من لهب جهنم
شيئا اى ليس كالظل الذى يقى حر الشمس وهذا تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظليل المومنين وانه
لا يمنع حر الشمس واللهب ما يعلوا على النار اذا اضطرمت من احمر واصفر واخضر • وقيل ان الشعب
الثلاث هى الضريع والزقوم والغسلين قاله الضحاك • وقيل اللهب ثم الشرر ثم الدخان لانها ثلاثة

احوال هى غاية اوصاف النار اذا اضطرمت واشتدت • وقيل عنق يخرج من النار فيتشعب ثلاث شعب • فاما النور فيقف
على روس المومنين • واما الدخان فيقف على روس المنافقين • واما اللهب الصافى فيقف على روس الكفار • وقيل
هو السرادق وهو لسان من النار يحيط بهم يتشعب منهم ثلاث شعب فيظلهم حتى يفرغ من حسابهم لقوله تعالى
احاط بهم سرادقها وتسمية النار بالظل مجاز من حيث انها محيطة بهم من كل جانب لقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من
النار ومن تحتهم ظلل • وقال تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم • وقيل هو الظل من يحموم كقوله
تعالى وظل من يحموم لا بارد ولا كريم • وفى الحديث ان الشمس تدنوا من روس الخلايق وليس عليهم ولا لهم اكنان
فتلجمهم الشمس وتاخذ بانفاسهم ثم ينجى الله برحمته من يشا الى ظل من ظله فهنالك يقولون فمن الله علينا
ووقانا عذاب السموم ويقال للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله وعقابه **قوله تعالى** لا ظليل
صفة لظل ولا موسطة بين الصفة والموصوف لافادة النفى وجى بالصفة الاولى اسما وبالثانية فعلا دلالة على نفى
ثبوت هذه الصفة واستقرارها للظل ونفى التجدد والحدوث للاغنا عن اللهب يقال اغنى عنى وجهك اى ابعد
لان الغنا عن الشى يباعده كما ان المحتاج اليه يقاربه • قال الزمخشرى فى محل الجر اى وغير مغن عنهم من حر
اللهب شيئا **قوله تعالى** انها • اى ان جهنم لان السياق كلها لاجلها • وقرا العامة بشرر بفتح الشين وعدم الف بين
الرا بين • وورش يرقق الرا الاولى لكسر التى بعدها • وقرا ابن عباس وابن مقسم بكسر الشين والف بين الرا بين
وعيسى كذلك الا انه بفتح الشين فقرا ابن عباس يجوز ان يكون جمعا للشررة وفعله يجمع على فعال نحو رقبة ورقاب
ورحبة ورحاب وان يكون جمعا للشر لا يراد به افعل التفضيل يقال رجل شر ورجال شرار ورجل خير ورجال خيار ويونثان
فيقال امراة شرة وامراة خيرة فان اريد بهما التفضيل امتنع ذلك فيهما واختصا باحكام مذكورة فى كتب النحو اى
ترمى بشرار من العذاب او بشرار من الخلق • واما قراءة عيسى فهو جمع شرارة بالالف وهى لغة تميم والشررة
والشرارة ما تطاير من النار متفرقا قال القرطبى الشرر واحده شررة والشرار واحدة شرارة وهو ما تطاير من النار فى كل
جهة واصله من شررت الثوب اى بسطته للشمس ليجف والقصر البنا العالى **قوله تعالى** كالقصر • العامة على فتح
القاف وسكون الصاد وهو القصر المعروف شبهت به فى كبره وعظمه وابن عباس وتلميذه ابن جبير وابن
جبير والحسن بفتح القاف والصاد وهى جمع قصرة بالفتح والقصرة اعناق الابل والنخل واصول الشجر • وقرا ابن جبير
والحسن ايضا بكسر القاف وفتح الصاد جمع قصرة بفتح القاف • قال الزمخشرى كحاجة وحوج • وقال ابو حيان كحلقة
من الحديد وحلق • وقرى كالقصر بفتح القاف وكسر الصاد قال شهاب الدين ولم ارها توجيها ويظهر ان يكون ذلك
من باب الاتباع والاصل كالقصر بسكون الصاد ثم اتبع الصاد حركة الراء فكسرها واذا كانوا قد فعلوا ذلك
فى المشغول بحركة نحو كتف وكبد فلان يفعلوه فى الخالى منها اولى ويجوز ان يكون ذلك للنقل بمعنى انه وقف
على الكلمة فنقل كسرة الراء الى الساكن قبلها ثم اجرى الوصل مجرى الوقف وهو باب سايغ عند القراء والنحاة • وقرا
عبد الله وفيها وجهان احدهما انه جمع قصر كرهن ورهن قاله الزمخشرى • والثانى انه مقصور من قصور
كقوله • فيها عيا يل اسود ونمر • يريد ونمور فقصر وكقوله النجم يريد النجوم وتخريج الزمخشرى اولى لان
محل الثانى اما الضرورة واما الندور **قوله تعالى** جمالات • قرا الاخوان وحفص جمالة والباقون جمالات
فالجمالة فيه وجهان احدهما انه جمع جمل نحو ذكر وذكارة وحجر وحجارة • والثانى انه جمع كالذكارة والحجارة قاله ابو البقا والاول قول
النحاة • واما جمالات فيجوز ان يكون جمعا لجمالة هذه وان يكون جمعا لجمال فيكون جمع الجمع
ويجوز ان يكون جمعا لجمل المفرد كقولهم رجالات قريش كذا قالوه وفيه نظر لانهم نصوا على ان الاسما الجامدة
غير العاقلة لا تجمع بالالف والتا الا اذا لم تكسر فان كسرت لم تجمع قالوا ولذلك لحن المتنبى فى قوله •
• اذا كان بعض الناس سيفا لدولة • ففى الناس بوقات لهم وطبول • فجمع بوقا على بوقات
مع قولهم ابواق فكذلك جمالات مع قولهم جمل وجمال على ان بعضهم لا يجيز ذلك ويجعل نحو حمامات وسجلات شاذا
وان لم يكسر • وقرا ابن عباس والحسن وابن جبير وقتادة وابو رجا بخلاف عنهم كذلك الا انهم ضموا الجيم وهى
حبال السفن • وقيل قلوس الجسور الواحدة جملة لاشتمالها على طاقات الحبال وفيها وجهان احدهما ان يكون
جمالات جمع جمال وجمال جملة كذا قال ابو حيان ويحتاج فى اثبات ان جمالات الضم جمع جمالة بالضم الى نقل
والثانى ان الجمالات جمع جمالة قاله الزمخشرى وهو ظاهر • وقرا ابن عباس والسلمى وابو حيوة جمالة بضم الجيم
وذلك لما قال الزمخشرى انها روى عن على انها قطع النحاس **قوله تعالى** صفر • صفة لجمالات او لجمالة لانه اما
جمع او اسم جمع والعامة على سكون الفا جمع والحسن بضمها وكانه اتباع ووقع التشبيه هنا فى غاية الفصاحة
قال الزمخشرى وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة وفى شعر عمران بن حطان الخارجى •
• دعتهم باعلا صوتها ورمتهم • بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى • وقال ابو العلا

حمرا ساطعة الذوائب في الدجى • ترمي بكل شرارة كطراف • فشبهها بالطراف وهو بيت الأدم
في العظم والحمرة وكأنه قصد بخبثه أن يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء في صدر بيته
بقوله حمرا توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمي جمع الله له عمى الدارين عن قوله تعالى
كأنه جمالات صفر فإنه بمنزلة قوله كبيت أحمر وعلى أن في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين
من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوص تشبيه من ثلاث جهات من جهة
الطول والعظم والصفرة انتهى وكان قد قال قبل ذلك بقليل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه
ألا ترى أنهم يشبهون الإبل بالأفدان والأفدان القصور كأنه يشير إلى قول عنترة فوقفت فيها ناقتي وكأنها
فدن لأقضي حاجة المتلوم • **فصل** قال القرطبي القصر البناء العالي وقيل القصر جمع قصرة ساكنة
الصاد مثل جمر وجمرة وتمر وتمرة والقصر الواحد من جزل الحطب الغليظ • وقال سعيد بن جبير والضحاك
هي أصول الشجر والنخل العظام إذا وقع وقطع • وقيل أعناقه وشبه الشرر بالجمالات الصفر وهي الإبل السود
• تلك خيلي منه وتلك ركابي •
والعرب تسمي السود من الإبل صفرا قال الشاعر •
• هن صفر أولادها كالزبيب • أي هن سود وإنما سميت السود من الإبل صفرا لأنه يشوب
سوادها شيء من صفرة • قال الترمذي وهذا القول ضعيف ومحال في اللغة أن يكون من يشوبه شيء قليل
فينسب كله إلى ذلك الشائب فالعجب ممن قد قال هذا وقد قال الله تعالى جمالات صفر فلا نعلم شيئا من
هذا في اللغة والجمالات الجمال • وقال الفراء يجوز أن يكون الجمالات بالضم من الشيء المجمل يقال أجملت الحساب
وجاء القوم جملة أي مجتمعين • والمعنى أن هذا الشرر يقع كأنه شيء مجموع غليظ أصفر وقيل شبهها بالجمالات
لسرعة سيرها • وقيل لمتابعة بعضها بعضا • **قوله تعالى** هذا يوم لا ينطقون • العامة على رفع يوم خبرا لهذا
أي تقول الملائكة هذا يوم لا ينطقون • ويجوز أن يكون قوله انطلقوا من قول الملائكة ثم يقول الله تعالى
لأوليائه هذا يوم لا ينطق الكافر ومعنى اليوم الساعة والوقت وزيد بن علي والأعرج والأعمش وأبو حيوة
وعاصم في بعض طرقه بالفتح وفيه وجهان أحدهما أن الفتحة فتحة بناء وهو خبر لهذا كما تقدم • والثاني أنه
منصوب على الظرف وأخبر بهذا على أن يشار به لما تقدم من الوعيد كأنه قيل هذا العقاب المذكور
كائن يوم لا ينطقون وقد تقدم إجراء ما يشبه هذا في قوله تعالى هذا يوم لا ينفع إلا أن النصب هنالك
متواتر • **قوله تعالى** ولا يؤذن • العامة على عدم تسمية الفاعل وحكى الأهوازي عن زيد بن علي ولا يأذن
مسمى الفاعل وهو الله تعالى وقوله فيعتذرون في رفعه وجهان أحدهما أنه مستأنف أي فهم يعتذرون
قال أبو البقاء ويكون المعنى أنهم لا ينطقون نطقا ينفعهم أو ينطقون في بعض المواقف ولا ينطقون في بعض
والثاني أنه معطوف على يؤذن فيكون منفيا ولو نصب لكان متسببا عنه • وقال ابن عطية ولم ينصب
في جواب النفي لتشابه رؤوس الآي والوجهان جائزان أنهما بمعنى واحد وليس كذلك بل المرفوع له معنى
غير معنى المنصوب وإلى مثل هذا ذهب الأعلم فيرتفع الفعل ويكون معناه النصب ورد عليه ابن
عصفور • قال الفراء في قوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون الفاء نسق أي عطف على يؤذن وأجيز ذلك
لأن أواخر الكلام بالنون ولو قال فيعتذروا لم يوافق الآيات وقد قال لا يقضى عليهم فيموتوا بالنصب
وكله صواب ومثله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه بالرفع والنصب • **فصل** هذا نوع
آخر من أنواع تخويف الكفار لأن الله تعالى بين أنه ليس لهم عذر ولا حجة فيما أتوا به من القبائح ولا
لهم قدرة على دفع العذاب عن أنفسهم • واعلم أن يوم القيامة له مواطن ومواقيت فهذا من المواقف
التي لا يتكلمون فيها ولا يعتذرون • روى عكرمة أن ابن عباس سأله ابن الأزرق عن قوله تعالى هذا
يوم لا ينطقون ولا تسمع إلا همسا وقد قال وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال له إن الله
تعالى يقول وإن يوما عند ربك كألف سنة فإن لكل مقدار من هذه الأيام لونا من هذه الألوان • وقال
الحسن فيه إضمار أي هذا يوم لا ينطقون فيه بحجة نافعة ومن نطق بما لا ينفع ولا يفيد فكأنه ما نطق
كما يقال لمن ذكر كلاما غير مفيد ما قلت شيئا • وقيل إن هذا وقت جوابهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون • وقال
الفراء أراد بقوله يوم لا ينطقون تلك الساعة وذلك القدر من الوقت الذي لا ينطقون فيه
كما يقولون آتيك يوم يقدم فلان والمعنى ساعة يقدم وليس اليوم كله لأن القدوم إنما يكون
في وقت يسير ولا يمتد في كل اليوم • وأجاب ابن الخطيب بأن قوله تعالى لا ينطقون لفظ مطلق
والمطلق لا يفيد العموم لا في الأنواع ولا في الأوقات بدليل أنك تقول فلان لا ينطق بالشر
ولكنه ينطق بالخير وتارة تقول فلان لا ينطق بشيء البتة فهذا يدل على أن مفهوم لا ينطق مشترك

٤٥

بين الدائم والموقت وإذا كان كذلك فمفهوم لا ينطق يكفي في صدقه عدم النطق ببعض الأشياء وفي بعض الأشياء وفي
بعض الأوقات وذلك لا ينافي حصول النطق بشيء آخر في وقت آخر فيكفي في صدق قوله لا ينطقون أنهم لا ينطقون
بعذر وعلة في وقت واحد وهو وقت السؤال • **فإن قيل** لو حلف لا ينطق في هذا اليوم حنث في جزء منه قلنا
ذلك لعرف الأيمان وبحثنا في مفهوم اللفظ من حيث هو • قال ابن الخطيب **فإن قيل** قوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون
يوهم أن لهم عذرا وقد منعوا من ذكره وهذا لا يليق بالحكمة • **فالجواب** أنه ليس لهم عذر في الحقيقة ولكن
ربما تخيلوا خيالا فاسدا أن لهم فيه عذرا فهم لا يؤذن لهم في ذكر ذلك الفاسد • **قوله تعالى** هذا يوم
الفصل جمعناكم • هذا نوع آخر من أنواع تهديد الكفار وتخويفهم أي يقال لهم هذا اليوم الذي يفصل فيه بين
الخلائق فيتبين المحق من المبطل جمعناكم والأولين • قال ابن عباس جمع الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه
وسلم والذين كذبوا النبيين من قبله فإن كان لكم كيد أي حيلة في الخلاص من العذاب فكيدون أي فاحتالوا
لأنفسكم وقاوموني ولن تجدوا ذلك • وقيل فإن كان لكم كيد أي قدرتم على حرب فكيدون أي حاربوني رواه
الضحاك عن ابن عباس أيضا قال يريد كنتم في الدنيا تحاربون محمدا صلى الله عليه وسلم وتحاربوني فاليوم
حاربوني • وقيل إنكم كنتم في الدنيا تعملون المعاصي وقد عجزتم الآن عنها وعن الدفع عن أنفسكم • وقيل إنه من
قول النبي صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هود صلوات الله عليه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون • **قوله تعالى** إن
المتقين في ظلال وعيون • قال مقاتل والكلبي المراد بالمتقين الذين يتقون الشرك بالله تعالى لأن السورة
من أولها إلى آخرها في تقريع الكفار على كفرهم وتخويفهم • قال ابن الخطيب فيجب أن تكون هذه الآية مذكورة لهذا
الغرض وإلا لتفككت السورة في نظمها وترتيبها وإنما يتم النظم بأن يكون الوعد للمؤمنين بسبب إيمانهم
فأما جعله بسبب الطاعة فلا يليق بالنظم وأيضا فإن المتقي للشرك يصدق عليه أنه متق لأن غاية هذا أنه عام مخصوص
فيستغني بحجة فيما عدا محل التخصيص وأيضا فإن حمل اللفظ على المعنى الكامل أولى وأكمل أنواع التقوى تقوى الشرك
فالحمل عليه أولى • وقال بعضهم هذه الآية أيضا من جملة التهديد فإن الكفار في الدنيا يكون الموت عليهم سهل
من أن يكون للمؤمنين دولة فإذا رأوا عاقبة الفريقين في الآخرة تضاعفت حسراتهم وندامتهم ولما أوعد
الكفار بظل ذي ثلاث شعب وعد المؤمنين بظلال وعيون وفواكه • **قوله تعالى** في ظلال • هذه قراءة
العامة جمع ظل وقرأ الأعمش والزهري وطلحة والأعرج ظلل جمع ظلة يعني في الجنة وتقدم في يونس مثله إلا
أنهما متواتران • **قوله تعالى** كلوا • معمولا لقول ذلك المنصوب على الحال من الضمير المستكن في الظرف أي كائنين
في ظلال مقولا لهم وكذلك كلوا وتمتعوا قليلا حال كان ذلك معمولا لهم في الدنيا فواضح وإن كان معمولا في الآخرة
فيكون تذكيرا بحالهم أي أحقاء بأن يقال لهم في دنياهم كذا ومثله قوله
• إخوتي لا تبعدوا أبدا • وبلى والله قد بعدوا • أي هم أهل أن يدعى لهم بذلك • **قوله تعالى**
إنا كذلك نجزي المحسنين • أي نثيب الذين أحسنوا في تصديقهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وأعمالهم في الدنيا
فصل اختلفوا في قوله تعالى كلوا واشربوا أهو أمر أو إذن فقال أبو هاشم هو أمر وأراد الله
منهم الأكل والشرب لأن سرورهم يعظم بذلك إذا علموا أن الله تعالى أراده منهم جزاء على عملهم فكما يريد
إجلالهم وإعظامهم بذلك فكذلك يريد نفس الأكل والشرب منهم • وقال أبو علي ليس بأمر وإنما يقوله على
وجه الإكرام والأمر والنهي إنما يحصلان في زمان التكليف لا في الآخرة • **فصل** تمسك من قال العمل
يوجب الثواب بالباء في قوله بما كنتم تعملون • قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لأن الباء للإلصاق وللعاجل
ذلك العمل علامة لهذا الثواب كان الإتيان بذلك كالآلة والوصلة إلى تحصيل ذلك الثواب • وقوله
تعالى إنا كذلك نجزي المحسنين المقصود منه تذكير الكفار بما فاتهم من النعم العظيم ليعلموا أنهم لو كانوا
من المتقين المحسنين لفازوا بمثل تلك الخيرات فلما لم يفعلوا وقعوا فيما وقعوا فيه • **قوله تعالى** كلوا وتمتعوا قليلا
إنكم مجرمون • هذا مردود إلى ما تقدم قبل المتقين وهو وعيد وتهديد وهو حال من المكذبين أي الويل ثابت
لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا قليلا إلا أنكم مجرمون أي كافرون • وقيل مكتسبون فعلا يضركم في الآخرة
من الشرك فكأنه تعالى يقول للكافر كونه في الدنيا إنك إنما عرضت نفسك لهذه الآفات التي وصفناها
لمحبتك الدنيا ورغبتك في طيباتها إلا أن طيباتها قليلة بالنسبة إلى تلك الآفات العظيمة فالمشتغل بتحصيلها
يجري مجرى لقمة واحدة من الحلوى وفيها السم المهلك فإنه يقال لا كلها تذكيرا له ونصحا كل هذا وويل لك
منه بعد فإنك من الهالكين بسببه فهذا وإن كان في اللفظ أمرا إلا أنه في المعنى بليغ وزجر عظيم • **قوله**
تعالى وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون • وهذا نوع آخر من أنواع تخويف الكفار أي إذا قيل لهؤلاء المشركين
اركعوا أي صلوا لا يركعون أي لا يصلون قاله مجاهد قال مقاتل نزلت في ثقيف امتنعوا من الصلاة فنزل

ذلك فيهم. قال مقاتل قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسلموا وامرهم بالصلاة فقالوا لا ننحني فانها مسبة علينا
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود. وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا
في الآخرة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون. وقال قتادة هذا في الدنيا **فصل** قال ابن العربي
هذه الآية تدل على وجوب الركوع وكونه ركنا في الصلاة وقد انعقد الاجماع عليه. وقال قوم ان هذا
انما يكون في الآخرة وليست بدار تكليف فيتوجه فيها امر يكون عليه ويل وعقاب وانما يدعون الى السجود
كشفا لحال الناس في الدنيا فمن يسجد لله تمكن من السجود ومن كان يسجد رياء لغيره صار ظهره طبقا
واحدا. وقيل اي اذا قيل لهم اخضعوا للحق لا يخضعون فهو عام في الصلاة وغيرها وانما ذكر الصلاة لانها
اصل الشرائع بعد التوحيد والامر بالصلاة امر بالايمان ولا تصح من غير ايمان **فصل** حكى ابن الخطيب
عن ابن عباس ان المراد بقوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون هو الصلوات قال وهذا ظاهر لان
الركوع من اركانها فبين تعالى ان هؤلاء الكفار من صفتهم انهم اذا دعوا الى الصلاة لا يصلون وهذا
يدل على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع وانهم حال كفرهم يستحقون الذم والعقاب بترك الصلاة
لان الله تعالى ذمهم حال كفرهم على ترك الصلاة **فصل** استدلوا بهذه الآية على ان الامر للوجوب لان الله
تعالى ذمهم بمجرد ترك المأمور به وهذا يدل على ان مجرد الامر للوجوب **فان قيل** انما ذمهم لكفرهم **فالجواب**
انه تعالى ذمهم على كفرهم من وجوه الا انه تعالى انما ذمهم في هذه الآية لتركهم المأمور به فدل على ان
ترك المأمور به غير جائز **قوله تعالى** فبأي حديث متعلق بقوله يؤمنون والعامة على الغيبة وقرأ
ابن عامر في رواية ويعقوب بالخطاب على الالتفات او على الانتقال **فصل** قال ابن الخطيب
اعلم انه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من اول هذه السورة الى آخرها بالوجوه العشرة المذكورة وحث
على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبين انهم
اذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل اللطيفة مع تجليها ووضوحها فبأي حديث بعده يؤمنون. قال القاضي هذه
الآية تدل على ان القرآن محدث لان الله تعالى وصفه بانه حديث. والحديث ضد القديم والضدان
لا يجتمعان فاذا كان حديثا وجب ان لا يكون قديما. واجيب بان المراد منه هذه الالفاظ ولا نزاع
في انها محدثة. روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والمرسلات كتب انه ليس من المشركين.

سورة النبأ

وهي اربعون او احدى واربعون آية ومائة وثلاث وسبعون كلمة وسبعمائة وسبعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** عم يتساءلون. قد تقدم ان البزي يدخلها السكت عوضا من
الف ما الاستفهامية في الوقف. ونقل عن ابن كثير انه يقرأ عمه بالهاء وصلا اجرى الوصل مجرى
الوقف. وقرأ عبد الله وابي وعكرمة وعيسى عما باثبات الالف وقد تقدم انه يكون ضرورة و
قليل من الكلام ومنه: على ما قام يشتمني لئيم. كخنزير تمرغ في رماد. وتقدم ان الزمخشري
جعل منه بما غفر لي ربي في يس. وعم فيه قولان اظهرهما انه متعلق بيتساءلون قال ابو اسحق الكلام
تام في قوله عم يتساءلون ثم كان مقتضى القول ان يجيب فيقول يتساءلون عن النبا العظيم
فاقتضى ايجاز القرآن وبلاغته ان يبادر المحتج بالجواب الذي يقتضيه الحال والمجاورة اقتضابا بالحجة
واسراعا الى موضع قطعهم. والثاني انه متعلق بفعل مقدر ويتعلق عن النبا العظيم بهذا الفعل الظاهر
قال الزمخشري وعن ابن كثير انه قرأ عمه بهاء السكت ولا يخلو اما ان يجري الوصل مجرى الوقف واما
ان يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبا العظيم على ان يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسره كشيء يبهم
ثم يفسر **فصل** قال ابن الخطيب عم اصله عما لانه حرف جر دخل على ما الاستفهامية قال حسان
ابن ثابت: على ما قام يشتمني لئيم. والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل. وذكروا في سبب الحذف
وجوها. احدها قال الزجاج لان الميم تشرك الغنة في الانف فصارا كالحرفين المتماثلين. وثانيها
قال الجرجاني انهم اذا وضعوها في استفهام حذفوا الفها تفرقة بينها وبين ان يكون اسما كقولهم
فيم وبم ولم وحتام. وثالثها قالوا حذفت الالف لاتصال ما بحرف الجر حتى صارت كالجزء منه
لتنبئ عن شدة الاتصال. ورابعها حذفت للتخفيف في الكلام فانه لفظ كثير التردد على اللسان

فصل قال ابن الخطيب قوله تعالى عم يتساءلون سؤال وقوله عن النبا العظيم جواب والسائل والمجيب
هو الله لا اله الا هو وذلك يدل على علمه بالغيب بل بجميع المعلومات وفائدة ذكره في معرض السؤال والجواب
لانه اقرب الى التفهيم والايضاح ونظيره قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار **فصل** ما لفظة
وضعت لطلب ماهيات الاشياء وحقائقها يقول ما الملك وما الروح وما الجن والمراد طلب ماهياتها وشرح
حقائقها وذلك يقتضي كون ذلك المطلوب مجهولا ثم ان الشيء العظيم الذي يكون لعظمه تعجز العقول عن ان
تحيط بكنهه كانه مجهول فحصل بين الشيء المطلوب بلفظ ما وبين الشيء العظيم مشابهة من هذا الوجه فلذلك
سئل عنه بما استعارة كانه مجهول ومنه الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما سجين وما العقبة وشبهه **فصل**
قال الفراء التساؤل هو ان يسأل بعضهم بعضا كالتقابل وقد يستعمل ايضا في ان يتحدثوا به وان لم يكن بينهم سؤال
قال تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين الآية وهذا يدل على التحدث **فصل**
والضمير في يتساءلون لقريش. روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه قال كانت قريش لما نزل القرآن يتحدث
فيما بينهم فمنهم المصدق ومنهم المكذب به فنزلت عم يتساءلون. وقيل عم فيم يتشدد المشركون ويختصمون
بدليل قوله كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وهذا تهديد والتهديد لا يليق الا بالكفار **فان قيل** فما تصنع بقوله تعالى
هم فيه مختلفون مع ان الكفار كانوا متفقين في انكار الحشر **فالجواب** لا نسلم اتفاقهم في انكار الحشر لان
منهم من كان يثبت المعاد الروحاني وهم جمهور النصارى. واما المعاد الجسماني فمنهم من كان شاكا فيه لقوله
تعالى وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى. ومنهم من ينكره ويقول ان هي الا
حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين. ومنهم من يقر به لكنه ينكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حصل
اختلافهم. وايضا فهب انهم كانوا منكرين له لكن لعل اختلافهم في كيفية انكاره فمنهم من انكره لانكاره الصانع
المختار ومنهم من ينكره لاعتقاده ان اعادة المعدوم ممتنعة لذاتها والقادر المختار انما يكون قادرا على الممكن
في نفسه. وقيل الضمير في يتساءلون للكفار والمؤمنين كانوا جميعا يتساءلون عنه فاما المسلم فيزداد
يقينا وبصيرة في دينه. واما الكافر فاستهزاء وسخرية وعلى سبيل ايراد الشكوك والشبهات. قال ابن الخطيب
ويحتمل انهم يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم ويقولون ما هذا الذي تعدنا به من امر الآخرة **قوله تعالى**
عن النبا يجوز فيه ما جاز في قوله تعالى لاي يوم اجلت في البداية والتعلق بفعل مقدر. ويزيد عليه هنا انه يتعلق
بالفعل الظاهر ويتعلق ما قبله بمضمر كما تقدم عن الزمخشري. وقال ابن عطية قال اكثر النحاة عن النبا
العظيم متعلق بيتساءلون الظاهر كانه قال لم يتساءلون عن النبا. وقوله عم هو استفهام تفخيم وتعظيم
وقال المهدوي عن ليس يتعلق بيتساءلون الذي في التلاوة لانه كان يلزم دخول حرف الاستفهام فيكون
اعن النبا العظيم كقولك كم مالك اثلاثون ام اربعون فوجب لما ذكرناه امتناع تعلقه بيتساءلون الذي في
التلاوة وانما يتعلق بيتساءلون آخر مضمر وحسن ذلك التقدم بيتساءلون. قال القرطبي وذكر بعضهم
ان الاستفهام في قوله عن مكرر الا انه مضمر كانه قال عم يتساءلون اعن النبا العظيم فعلى هذا يكون
متصلا بالآية الاولى. والنبا العظيم اي الخبر الكبير الذي هم فيه مختلفون اي يخالف فيه بعضهم بعضا فيصدق
واحد ويكذب الآخر **قوله تعالى** مختلفون خبرهم والجار متعلق به والموصول يحتمل الحركات الثلاث
اتباعا وقطعا رفعا ونصبا **فصل** قال ابن عباس النبا هو القرآن قال تعالى قل هو نبا عظيم انتم عنه
معرضون فالقرآن نبا وخبر وقصص وهو نبا عظيم وكانوا يختلفون فيه فجعله بعضهم سحرا وبعضهم
شعرا وبعضهم قال اساطير الاولين. وقال قتادة هو البعث بعد الموت اختلفوا فيه فمصدق ومكذب
ويدل عليه قوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه امر النبي صلى
الله عليه وسلم لانه لما بعث سأله اليهود عن اشياء كثيرة فاخبره الله تعالى باختلافهم وايضا فجعل الكفار
يتساءلون فيما بينهم ما هذا الذي حدث فانزل الله تعالى عم يتساءلون وذلك انهم عجبوا من ارسال
محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب وعجبوا ان
جاءهم ايضا بالتوحيد كما قال تعالى اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب فحكى الله تعالى عن مساءلة
بعضهم بعضا على سبيل التعجب بقوله عم يتساءلون **قوله تعالى** كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون. التكرار
للتوكيد. وزعم ابن مالك انه من باب التوكيد اللفظي ولا يضر توسط حرف العطف والنحويون يأبون هذا
ولا يسمونه الا عطفا وان افاد التأكيد. والعامة على الغيبة في الفعلين والحسن وابن دينار وابن عامر
بخلاف عنه بتاء الخطاب فيهما. والضحاك قرأ الاول كالحسن والثاني كالعامة والغيبة والخطاب واضحان
فصل قال القفال كلا لفظة وضعت للردع والمعنى ليس الامر كما يقوله هؤلاء في النبا العظيم انه باطل

وانه لا يكون وقيل معناه حقا ثم انه تعالى كرر ذلك الردع والتهديد فقال تعالى ثم كلا سيعلمون وهو وعيد
بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حين لا دافع له وانما تكرير الردع فقيل للتأكيد
ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ من الوعيد الاول واشد وقيل ليس بتكرير قال الضحاك
الاولى للكفار والثانية للمؤمنين اي سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم
وقال القاضي يحتمل ان يريد بالاول سيعلمون يعني العذاب اذا شاهدوه وبالثاني وقيل كلا
سيعلمون ما الله فاعل بهم يوم القيامة ثم كلا سيعلمون ان الامر ليس كما توهموا من ان الله تعالى غير
باعث لهم قوله تعالى الم نجعل الارض مهادا لما حكى الله تعالى عنهم انكار البعث والحشر واراد اقامة الدلائل
على صحة الحشر قدم لذلك مقدمة في بيان كونه تعالى قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات لانه اذا ثبت
هذان الاصلان ثبت القول بصحة البعث فاثبت هذين الاصلين بان عدد انواعا من مخلوقاته المحكمة
المتقنة فان هذه الاشياء من جهة حدوثها تدل على القدرة ومن جهة احكامها واتقانها تدل على
العلم واذا ثبت هذان الاصلان وثبت ان الاجسام متساوية في قبول الصفات والاعراض ثبت لا محالة
كونه تعالى قادرا على تخريب الدنيا بسمواتها وكواكبها وارضها وعلى ايجاد عالم الآخرة فهذا وجه النظم
قوله تعالى مهادا مفعول ثان لان الجعل بمعنى التصيير ويجوز ان يكون بمعنى الخلق فيكون مهادا حالا
مقدرة وقرأ العامة مهادا ومجاهد وعيسى وبعض الكوفيين مهدا وقد تقدم هاتان القراءتان في سورة طه
وان الكوفيين قرؤا مهدا في طه والزخرف فقط وتقدم الفرق بينهما ثمة قوله تعالى والجبال اوتادا والكلام
عليها كالكلام في مهادا من المفعولية والحالية ولا بد من تأويلها بمشتق ايضا اي مثبتات والمهاد الوطاء وهو
الفراش لقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا ومعنى مهدا اي كمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه والاوتاد
اي لتسكن ولا تميل باهلها قوله تعالى وخلقناكم ازواجا اي اصنافا ذكرا وانثى وقيل الوانا وقيل يدخل
كل زوج بهيج وقبيح وحسن وطويل وقصير لتختلف الاحوال فيقع الاعتبار قوله تعالى وجعلنا نومكم
سباتا الظاهر انه مفعول ثان ومعناه راحة لابدانكم ومنه السبت اي يوم الراحة اي قيل لبني اسرائيل
استريحوا في هذا اليوم ولا تعملوا فيه شيئا وانكر ابن الانباري هذا وقال لا يقال للراحة سبات وقيل
اصله التمدد يقال سبتت المرأة شعرها اذا حلته وارسلته فالسبات كالممدود والرجل مسبوت
الخلق اي ممدود واذا اراد الرجل يستريح تمدد فسميت الراحة سبتا وقيل اصله القطع يقال
سبت شعره سبتا اي حلقه وكأنه اذا نام انقطع عن الناس وعن الاشتغال فالسبات يشبه الموت
الا انه لم تفارقه الروح ويقال سير سبت اي سهل لين قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا فيه استعارة
حسنة وعليه قول المتنبي ● وكم لظلام الليل عندك من يد ● تخبر ان المانوية تكذب ●
والمعنى يلبسكم ظلمته ويغشاكم قاله الطبري قال القفال اصل اللباس هو الشيء الذي يلبسه الانسان
ويتغطى به فيكون ذلك مغطيا له فلما كان الليل يغشى الناس بظلمته فيغطيهم جعله لباسا لهم فلهذا سمي الليل
لباسا على وجه المجاز ووجه النعمة في ذلك هو ان ظلمة الليل تستر الانسان عن العيون اذا اراد هربا
من عدو او اخفاء ما لا يحب اطلاع غيره عليه وقال ابن جبير والسدي اي سكنا لكم قوله تعالى وجعلنا
النهار معاشا فيه اضمار اي وقت معاش فيكون مفعولا وظرفا للتعيش اي متصرفا لطلب المعاش وهو كل ما
يعاش به من المطعم والمشرب وغير ذلك فمعاشا على هذا اسم زمان ليكون الثاني هو الاول ويجوز ان
يكون مصدرا بمعنى العيش على تقدير حذف المضاف يقال عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة ومعنى
كون النهار معاشا ان الخلق انما يمكنهم التقلب في حوائجهم ومكاسبهم في النهار قوله تعالى وبنينا فوقكم
سبعا شدادا اي سبع سموات محكمات اي محكمة الخلق وثيقة البنيان وشدادا جمع شديد اي قوية
لا يؤثر فيها مرور الازمان لا فطور فيها ولا فروج ونظيره قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا قوله
تعالى وجعلنا سراجا وهاجا اي وقادا وهو الشمس وجعل هنا بمعنى خلق لانها تعدت لمفعول واحد
والوهاج المضيء المتلألئ من قولهم وهج الجوهر اي تلألأ وقيل الوهاج الذي له وهج يقال وهج يوهج
كوجل يوجل ووهج يهج كوعد يعد وهجا قال ابن عباس رضي الله عنه وهاجا منيرا متلألئا قوله تعالى
وانزلنا من المعصرات يجوز في من ان تكون على بابها من ابتداء الغاية وان تكون للسببية ويدل
قراءة عبد الله بن زيد وعكرمة وقتادة بالمعصرات بالباء بدل من وهذا على الخلاف في المعصرات ما المراد
بها فعن ابن عباس انها السحاب وهو قول سفيان والربيع وابي العالية والضحاك اي السحاب التي تتعصر
بالماء ولم تمطر بعد كالمرأة المعصر التي قد دنا حيضها ولم تحض يقال اعصرت السحاب اي شارفت ان تعصرها

الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع اذا حان له ان يجز ● وانشد ابن قتيبة لابي النجم ●
● تمشي الهوينا مائلا خمارها ● قد اعصرت او قد دنا اعصارها ● ولولا تأويل اعصرت بذلك
لكان ينبغي ان يكون المعصرات بفتح الصاد اسم مفعول لان الرياح تعصرها وقال الزمخشري وقرأ عكرمة
بالمعصرات وفيه وجهان احدهما ان يراد بالرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وان يراد السحاب لانه اذا
كان الانزال منها فهو بها كما تقول اعطى من يده درهما واعطى بيده وعن ابن عباس ايضا ومجاهد المعصرات الرياح
ذوات الاعاصير كانها تعصر السحاب وعن الحسن وقتادة هي السموات وتأويله ان الماء ينزل من السماء الى
السحاب فكان السموات معصرون اي يحملن على العصر ويمكن منه فان قلت فما وجه من قرأ من المعصرات وفسرها
بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل من الرياح قلت الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فيصح ان تجعل مبدأ للانزال
وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر فان قلت ذكر ابن كيسان
انه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر قلت وجهه ان يريد اللاتي
اعصرن اي حان لها ان تعصر اي تغيث يعني ان عصر بمعنى الاغاثة بلا ألف فكيف قيل هنا معصرات بهذا المعنى
وهو من الرباعي فاجاب عنه بما تقدم يعني ان الهمزة بمعنى الدخول في الشيء قال القرطبي ويجوز ان تكون
الاقوال واحدة ويكون المعنى وانزلنا من ذوات الرياح المعصرات ماء ثجاجا واصح الاقوال ان المعصرات
السحاب كذا المعروف ان الغيث منها ولو كان بالمعصرات لكان الريح اولى وفي الصحاح والمعصرات السحاب
تعصر بالمطر واعصر القوم اي مطروا ومنه قراءة بعضهم وفيه تعصرون والمعصر الجارية التي قربت من
البلوغ والمعصر السحابة التي حان لها ان تمطر يقال اعصرت ومنه العصر بالتحريك للملجأ الذي يلجأ اليه والعصرة
بالضم ايضا الملجأ وانشد ابو زبيد ● صاديا يستغيث غير مغاث ● ولقد كان عصرة المنجود ● قوله تعالى ماء
ثجاجا الثج الانصباب بكثرة وشدة وفي الحديث احب العمل الى الله تعالى العج والثج فالعج رفع الصوت بالتلبية
والثج اراقة دماء الهدي فقال ثج الماء بنفسه اي انصب وثججته انا اي صببته ثجا وثجوجا فيكون لازما ومتعديا
وقال الشاعر ● اذا رجفت فيها رحى مرجحنة ● تبعج ثجاجا غزير الحوافل ● وقرأ الاعمش ثجاحا بالحاء المهملة اخيرا
قال الزمخشري ومثاجج الماء مصابه والماء ينثج في الوادي وكان ابن عباس مثجا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته
قوله تعالى لنخرج به اي بذلك الماء حبا كالحنطة والشعير وغير ذلك ونباتا من الاب وهو ما تأكله الدواب
من الحشيش وجنات اي بساتين الفافا اي ملتفة بعضها ببعض لتشعب اغصانها وفي الالفاف اوجه احدها
انه لا واحد له قال الزمخشري الفافا ملتفة لا واحد له كالاوزاع والاخياف والثاني انه جمع لف بكسر اللام
فيكون نحو سر واسرار وانشد ابو علي الطوسي جنة لف وعيش مغدق ● وندامى كلهم بيض زهر ● وهذا قول
اكثر اهل اللغة ذكره الكسائي الثالث انه جمع لفيف قاله الكسائي وابو عبيدة كشريف واشراف وشهيد
واشهاد قال الشاعر ● احابيش الفاف تباين فرعهم ● وجزمهم عن نسبة المتعرف ● الرابع انه جمع الجمع
وذلك ان الاصل الف في المذكر ولفاء في المؤنث كاحمر وحمراء ثم جمع لف على الفاف اخضار الف زنه فعل يجمع جمعه قاله
ابن قتيبة الا ان الزمخشري قال وما اظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر واحمار قال شهاب الدين
كأنه يستبعد هذا القول من حيث ان نظائره لا تجمع على افعال اذ لا يقال خضر واخضار ولا حمر واحمار وان كان اجمعين
لا خضر وخضرا او احمر وحمرا وهذا غير لازم لان جمع الجمع لا ينقاس ويكفي ان يكون له نظير في المفردات كارباب
من ان القاضي بضارع فعلا وهذا امتنعوا من تكسير مفاعل ومفاعيل لعدم نظيره في المفردات يحملان عليه
الخامس قال الزمخشري ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها وهذا التكلف لا حاجة اليه
وايضا فغالب عبارات النحاة في حذف الزوائد انما هو في التصغير يقولون تصغير الترخيم بحذف الزوائد
وفي المصادر يقولون هذا المصدر على حذف الزوائد قال القرطبي ويقال شجرة لفاء وشجر لف وامرأة لفاء
اي ملتفة الساق بمجتمعة اللحم وقيل التقدير ونخرج جنات الفافا ثم حذف لدلالة الكلام عليه قوله تعالى
ان يوم الفصل كان ميقاتا اي وقتا ومجمعا وميعادا للاولين والآخرين لما وعد الله من الجزاء والثواب وسمي
يوم الفصل لان الله تعالى يفصل فيه بين خلقه قوله تعالى يوم ينفخ يجوز ان يكون بدلا من يوم
الفصل او عطف بيان له او منصوبا باضمار اعني وافواجا حال من فاعل تأتون وقرأ ابو عياض في الصور
بفتح الواو وتقدم مثله فصل هذا النفخ هو النفخة الاخيرة التي عندها يكون الحشر وهذا هو النفخ
للارواح وقيل هو قرن ينفخ فيه للبعث فتأتون اي الى موضع العرض افواجا اي مما كل امة مع امامهم
روى معاذ بن جبل رضي الله عنه قلت يا رسول الله ارأيت قول الله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون
افواجا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ لقد سألت عن امر عظيم ثم ارسل عينيه باكيا

ثم قال صلى الله عليه وسلم تحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم فمنهم على صور القردة وبعضهم على صور الخنازير وبعضهم منكسين أرجلهم أعلاهم ووجوههم يسحبون وبعضهم عميا وبعضهم صما وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبين على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسين جلابيب سابغة من القطران لاصقة بجلودهم فأما الذين على صور القردة فالقتات من الناس يعني النمام وأما الذين على صور الخنازير فأهل السحت والحرام والمكس وأما المنكسون على رؤوسهم ووجوههم فأكلة الربا وأما العمي فالذين يجورون في الحكم وأما الصم البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء الذين تخالف أعمالهم قولهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فالذين يؤذون الجيران وأما المصلبون على جذوع النار فالسعاة بالناس إلى السلطان وأما الذين أشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله تعالى في أموالهم وأما الذين يلبسون الجلابيب فأهل الكبر والفخر والخيلاء. **قوله تعالى** وفتحت السماء فكانت أبوابا. قرأ أبو عاصم وحمزة والكسائي فتحت خفيفة والباقون بالتثقيل والمعنى كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقيل تقطعت فكانت قطعا كالأبواب فانتصاب الأبواب على هذا بحذف الكاف وقيل التقدير فكانت ذات أبواب لأنها تصير كلها أبوابا وقيل أبوابها طرقها وقيل إن لكل عبد بابين في السماء لعمله وبابا لرزقه فإذا قامت القيامة انفتحت الأبواب. قال القاضي هذا الفتح والتشقق والتفطر متقارب. قال ابن الخطيب وهذا ليس بقوي لأن المفهوم من فتح الباب غير المفهوم من التشقق والتفطر فربما يفتح تلك الأبواب مع أنه لا يحصل في جرم السماء تشقق ولا تفطر بل الدلائل الصحيحة دلت على أن حصول فتح هذه الأبواب يحصل التشقق والتفطر والفناء بالكلية. **فإن قيل** قوله تعالى وفتحت السماء فكانت أبوابا يفيد أن السماء بكليتها تصير أبوابا فما معنى ذلك. **فالجواب** من وجوه أحدها أن تلك الأبواب لما كثرت جدا صارت كأنها ليست إلا أبوابا كقوله تعالى وفجرنا الأرض عيونا أي كأن الأرض كلها صارت عيونا تتفجر. وثانيها قال الواحدي هذا من باب حذف المضاف أي فكانت ذات أبواب. وثالثها أن الضمير في قوله تعالى فكانت أبوابا يعود إلى الضمير والتقدير فكانت تلك المواضع المفتوحة أبوابا لنزول الملائكة. **قوله تعالى** وسيرت الجبال فكانت سرابا أي لا شيء كما أن السراب كذلك يظنه الرائي ماء وليس بماء وقيل نسفت من أصولها وقيل أزيلت عن مواضعها. قال ابن الخطيب إن الله تعالى ذكر أحوال الجبال بوجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها بأن نقول أول أحوالها الاندكاك وهو قوله تعالى وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة والحالة الثانية أن تصير كالعهن المنفوش وهو قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش والحالة الثالثة أن تصير كالهباء وهو قوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا والحالة الرابعة أن تنسف لأنها مع الأحوال المتقدمة قارة في مواضعها والأرض غير بارزة فترسل الرياح فتنسفها عن وجه الأرض فتطيرها في الهواء كأنها الهباء المنثور فمن نظر إليها حسبها لتكاثفها أجسادا جامدة وهي في الحقيقة مارة إلا أن مرورها بسبب مرور الرياح بها مندكة متفتتة والحالة الخامسة أن تصير سرابا أي لا شيء كما يرى السراب من بعد. **قوله تعالى** إن جهنم كانت مرصادا مفعالا من الرصد والرصد كل شيء كان أمامك. قرأ ابن يعمر وأبو عمرو المنقري إن جهنم بفتح أن. قال الزمخشري على تعليل قيام الساعة أن جهنم كانت مرصادا للطاغين كأنه قيل كان ذلك لإقامة الجزاء يعني أنه علة لقوله تعالى يوم ينفخ في الصور إلى آخره. قال القفال في المرصاد قولان أحدهما أن المرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه كالمضمار اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه أي جهنم معدة لهم فالمرصاد بمعنى المحل وعلى هذا فيه احتمالان الأول أن خزنة جهنم يرصدون الكفار والثاني أن مجاز المؤمنين وممرهم على جهنم لقوله تعالى وإن منكم إلا واردها فخزنة الجنة يستقبلون المؤمنين عند جهنم ويرصدونهم عندها. القول الثاني أن المرصاد مفعال من الرصد وهو الترقب بمعنى أن ذلك يكثر منه والمفعال من أبنية المبالغة كالمعطار والمعمار والمطعان قيل إنها ترصد أعداء الله وتشد عليهم كقوله تعالى تكاد تميز من الغيظ وقيل ترصد كل منافق وكافر. **فصل** دلت الآية على أن جهنم مخلوقة لقوله تعالى إن جهنم كانت مرصادا وإذا كان كذلك كانت الجنة كذلك لعدم الفارق. **قوله تعالى** للطاغين يجوز أن يكون صفة لمرصادا وأن يكون حالا من مآبا كان صفته فلما تقدم نصب على الحال وعلى هذين الوجهين فيتعلق بمحذوف ويجوز أن يكون متعلقا بنفس مرصادا أو بنفس مآبا لأنه بمعنى مرجع. قال ابن الخطيب إن قيل

بأن مرصادا للكافرين فقط كان قوله للطاغين من تمام ما قبله والتقدير كانت مرصادا للطاغين ثم قوله تعالى مآبا بدل من قوله مرصادا وإن قيل إن مرصادا مطلقا للكفار والمؤمنين كان قوله تعالى مآبا بدلا من قوله مرصادا وإن قيل إن مرصادا مطلقا للكفار والمؤمنين كان قوله تعالى إن جهنم كانت مرصادا كلاما تاما وقوله تعالى للطاغين مآبا كلاما مبتدأ كأنه قيل إن جهنم كانت مرصادا للكل ومآبا للطاغين خاصة فمن ذهب إلى القول الأول لم يقف على قوله مرصادا ومن ذهب إلى القول الثاني وقف عليه. قال القرطبي للطاغين مآبا بدل من قوله مرصادا والمآب المرجع أي مرجعا يرجعون إليها يقال آب يؤوب أوبة إذا رجع. وقال قتادة مأوى ومنزلا والمراد بالطاغين من طغى في دينه بالكفر ودنياه بالظلم. **قوله تعالى** لابثين منصوب على الحال من الضمير المستتر في للطاغين وهي حال مقدرة. وقرأ حمزة لبثين دون ألف والباقون لابثين وضعف مكي قراءة حمزة قال ومن قرأ لبثين شبهه بما هو خلقة في الإنسان نحو حذر ومزق وهو بعيد لأن اللبث ليس مما يكون خلقة في الإنسان وباب فعل إنما يكون لما هو خلقة في الإنسان وليس اللبث بخلقة. ورجح الزمخشري قراءة حمزة فقال قرئ لابثين ولبثين واللبث أقوى لأن اللابث يقال لمن وجد منه اللبث ولا يقال لبث إلا لمن شأنه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه. وما قاله الزمخشري أصوب وأما قول مكي اللبث ليس بخلقة فمسلم لكنه بولغ في ذلك فجعل بمنزلة الأشياء الخلقية. ولابثين اسم فاعل من لبث ويقويه أن المصدر منه اللبث بالإسكان كالشرب. **قوله تعالى** أحقابا منصوب على الظرف وناصبه لابثين هذا هو المشهور وقيل منصوب بقوله لا يذوقون وهذا عند من يرى تقدم معمول ما بعد لا عليها وهو أحد الأقوال وقد تقدم هذا مستوفى في أواخر الفاتحة. وجوز الزمخشري أن ينتصب على الحال قال وفيه وجه آخر وهو أن يكون من حقب عامنا إذا قل مطره وخيره وحقب فلان إذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم بمعنى لابثين فيها حقبين جحدين وتقدم الكلام على الحقب في سورة الكهف. قال القرطبي والحقبة بالكسر السنة والجمع حقب. قال متمم بن نويرة:

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

والحقب بالضم والسكون ثمانون سنة وقيل أكثر من ذلك وأقل والجمع أحقاب. قال الفراء أصل الحقب من الترادف والتتابع يقال أحقب إذا أردف ومنه الحقيبة ومنه كل من حمل وزرا فقد احتقب فعلى هذا معناه لابثين فيها أحقابا أي دهورا مترادفة يتبع بعضها بعضا. **فصل** المعنى ماكثين في النار ما دامت الأحقاب وهي لا تنقطع فكلما مضى حقب جاء حقب والحقب يتضمن الدهر والأحقاب الدهور والمعنى لابثين فيها أحقاب الآخرة التي لا نهاية لها فحذف الآخرة لدلالة الكلام عليها إذ في الكلام ذكر الآخرة كما يقال أيام الآخرة أي أيام بعد أيام إلى غير نهاية أي لابثين فيها أزمانا ودهورا كلما مضى زمن يعقبه زمن ودهر يعقبه دهر هكذا أبدا من غير انقطاع فكأنه قال أبدا وإنما كان يدل على التوقيت لو قال خمسة أحقاب أو عشرة ونحوه وذكر الأحقاب لأن الحقب كان أبعد شيء عندهم فذكر ما يفهمونه وهو كناية عن التأبيد أي يمكثون فيها أبدا. وقيل ذكر الأحقاب دون الأيام لأن الأحقاب أهول في القلوب وأدل على الخلود وهذا الخلود في حق المشركين ويمكن حمله على العصاة الذين يخرجون من النار بعد أحقاب. وقيل الأحقاب وقت لشربهم الحميم والغساق فإذا انقضت فيكون لهم نوع آخر من العذاب ولهذا قال تعالى لابثين فيها أحقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا. وقيل المعنى لابثين فيها أحقابا أي في الأرض لتقدم ذكرها ويكون الضمير في لا يذوقون فيها بردا لجهنم. **قوله تعالى** لا يذوقون فيه أوجه أحدها أنه مستأنف أخبر عنهم بذلك. الثاني أنه حال من الضمير في لابثين أي غير ذائقين فهي حال متداخلة. الثالث أنه صفة لأحقابا. قال مكي واحتمل الضمير لأنه فعل فلم يجب إظهاره وإن كان قد جرى صفة على غير من هو له وإنما جاز أن يكون نعتا لأحقاب لأجل الضمير العائد على الأحقاب في فيها فلو كان في موضع يذوقون اسم فاعل لكان لا بد من إظهار الضمير إذا جعلته وصفا لأحقاب. الرابع أنه تفسير لقوله تعالى أحقابا إذا جعلته منصوبا على الحال بالتأويل المتقدم عن الزمخشري فإنه قال وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له. الخامس أنه حال أخرى من للطاغين كلابثين. **فصل** قال أبو عبيدة وغيره البرد النوم قال الشاعر:

فلو شئت حرمت النساء سواكم ... وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

وهو قول مجاهد والسدي والكسائي والفضل بن خالد وأبو معاذ النحوي والعرب تقول منع البرد البرد يعني أذهب النوم. وقال ابن عباس البرد برد الشراب وعنه أيضا البرد النوم والشراب الماء. قال الزجاج لا يذوقون فيها برد ريح ولا برد ظل ولا برد نوم فجعل البرد برد كل شيء له راحة. وقال الحسن وعطاء وابن زيد بردا أي روحا

ورائحة **قوله تعالى** الا حميما يجوز ان يكون استثناء متصلا من قوله تعالى شرابا ويجوز ان يكون منقطعا قال الزمخشري يعني لا يذوقون فيها بردا ولا روحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا قال شهاب الدين ومكي لما جعله منقطعا جعل البرد عبارة عن النوم قال فان جعلته النوم كان حميما استثناء ليس من الاول وانما الذي حمل الزمخشري على الانقطاع مع صدق اسم الشراب على الحميم والغساق وصفه له بقوله ولا شرابا يسكن من عطشهم فبهذا القيد صار الحميم ليس من جنس هذا الشراب واطلاق البرد على النوم لغة هذيل وانشد البيت المتقدم وقول العرب منع البرد البرد قيل وسمي بذلك لانه يقطع سورة العطش والذوق على هذين القولين اعني كونه روحا ينفس عنهم الحر وكونه النوم مجاز واما على قول من جعله اسما للشراب البارد المستلذ كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنه وانشد قول حسان . يسقون من ورد البريص . بردى يصفق بالرحيق السلسل . قال ابن الاثير البريص الماء القليل والبرض الشيء القليل وقول الاخر .

امانى من سعدى حسان كانما . سقتك بها سعدى على ظماء بردا . فالذوق في حقيقة

الثالث انه بدل من قوله ولا شرابا وهو الاحسن لان الكلام غير موجب . قال ابو عبيدة الحميم الماء الحار . وقال ابن زيد دموع اعينهم يجمع في حياض ثم يسقونه . وقال النحاس اصل الحميم الماء الحار ومنه اشتق الحمام ومنه الحمى ومنه ظل من يحموم انما يراد به النهاية في الحر والغساق صديد اهل النار وقيحهم . وقيل الزمهرير وتقدم خلاف القراء في غساق اول الكلام عليه وعلى حميم قال ابو معاذ كنت اسمع مشايخنا يقولون الغساق فارسية معربة يقولون للشيء الذي يتقذرونه خاشاك **قوله تعالى** جزاء منصوب على المصدر وعامله اما قوله لا يذوقون الى اخره لانه في قوة جوزوا بذلك واما محذوف . وفاقا نعت له على المبالغة وعلى حذف مضاف اي ذا وفاق . قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما معناه موافقا لاعمالهم فالوفاق بمعنى الموافقة كالقتال من المقاتلة . قال الفراء والاخفش جازيناهم جزاء وافق اعمالهم . وقال الفراء ايضا عليه وعليهم هو جمع الوفق والوفق والموافق واحد . وقال مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب اعظم من الشرك ولا اعظم من النار . وقال الحسن وعكرمة كانت اعمالهم سيئة فاتاهم الله بما يسوءهم . وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة بتشديد الفاء من وفقه كذا **قوله تعالى** انهم كانوا لا يرجون حسابا . اي لا يخافون حسابا اي محاسبة على اعمالهم . وقيل لا يرجون ثواب حساب . وقال الزجاج انهم كانوا لا يؤمنوا بالبعث فيرجون حسابهم فهو اشارة الى انهم لم يكونوا مؤمنين **قوله تعالى** وكذبوا باياتنا كذابا قرا العامة كذابا بتشديد الذال وكان من حق مصدر فعل ان ياتي على التفعيل نحو صرف تصريفا . قال الزمخشري وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم افسر اية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله قال غيره وهي لغة بعض العرب يمانية وانشد .

لقد طال ما ثبطتني عن صحابتي . وعن حاجة قضاؤها من شفائيا . يريد تقضيها والاصل على التفعيل وانما هو مثل زكى تزكية وسمع بعضهم يستفتي في حجة فقال الحلق احب اليك ام القصار يريد التقصير . قال الفراء هي لغة يمانية فصيحة يقولون كذبت كذابا وخرقت القميص خراقا وكل فعل في وزن فعل فمصدره فعال مشددا في لغتهم . وقرا علي رضي الله عنه والاعمش وابو رجاء وعيسى البصري بالتخفيف وهو مصدر ايضا اما لهذا الفعل الظاهر على حذف الزوائد واما الفعل مقدر كانبتكم من الارض نباتا . قال الزمخشري هو مثل قوله تعالى انبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا باياتنا كذابا فكذبوا كذابا او ينصبه يكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا باياتنا فكاذبوا مكاذبة او كذبوا بها مكاذبين لانهم كانوا عند المسلمين مكاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة اولانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب فيبلغ فيه اقصى جهده . وقال ابو الفضل وذلك لغة اليمن وذلك بان يجعلوا مصدر كذب مخففا كذابا بالتخفيف مثل كتب كتابا فصار المصدر هنا من معنى الفعل دون لفظه مثل اعطيته عطاء . قال شهاب الدين اما كذاب بالتخفيف فمنهما فمنه قول الاعشى

فصدقتها وكذبتها . والمرء ينفعه كذابه . وقرا عمر بن عبد العزيز والماجشون كذابا بضم الكاف وشد الذال وفيها وجهان احدهما انه جمع كاذب نحو ضراب في ضارب وعلى هذا فانتصابه على الحال المؤكدة اي وكذبوا في حال كذبهم كاذبين قاله ابو حاتم . والثاني ان الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان فيجعل وصفا لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه قالهما الزمخشري . قال القرطبي وفي الصحاح وقوله تعالى وكذبوا باياتنا كذابا وهو احد مصادر المشدد

عذاب صح

لان

لان مصدره قد يجي على تفعيل مثل التكليم وعلى فعال مثل كذاب وعلى تفعلة مثل توصية وعلى مفعل مثل ومزقناهم كل ممزق **قوله تعالى** وكل شيء احصيناه العامة على النصب على الاشتغال وهو الراجح لتقدم جملة فعلية وقرا ابو السمال برفع كل على الابتداء وما بعده الخبر وهذه الجملة معترض بها بين السبب والمسبب لان الاصل وكذبوا باياتنا كذابا فذوقوا مسبب عن تكذيبهم **قوله تعالى** احصيناه . فيه اوجه احدها انه مصدر من معنى احصينا اي احصاء فالتجوز في نفس المصدر . الثاني من معنى احصينا اي احصاء فالتجوز في نفس المصدر انه مصدر لاحصيناه لانه في معنى كتبنا والكتب معنى فالتجوز في نفس الفعل قال الزمخشري لالتقاء الاحصاء في الضبط والتحصيل . قال ابن الخطيب وانما عدل عن تلك اللفظة الى هذه اللفظة لان الكتابة هي النهاية في قوة العلم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم قيدوا العلم بالكتابة فكانه تعالى قال وكل شيء احصيناه احصاء في القوة والثبات والتاكد كالمكتوب فالمراد من قوله كتابا تاكيد ذلك الاحصاء والعلم وهذا التاكيد انما ورد على حسب ما يليق بافهام اهل الظاهر فان المكتوب يقبل الزوال وعلم الله تعالى بالاشياء لا يقبل الزوال لانه واجب لذاته . الثالث ان يكون منصوبا على الحال بمعنى مكتوبا في اللوح المحفوظ كقوله تعالى وكل شيء احصيناه في امام مبين . وقيل اراد ما كتبته الملائكة الموكلون بالعباد بامر الله اياهم بالكتابة لقوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين **فصل** معنى وكل شيء احصيناه اي علمنا كل شيء علما كما هو لا يزول ولا يتبدل ونظيره قوله تعالى احصاه الله ونسوه . قال ابن الخطيب وهذه الاية لا تقبل التاويل لان الله تعالى هذا تقرير المدعاه من قوله تعالى جزاء وفاقا كانه تعالى قال انا عالم بجميع ما فعلوه وعالم بجهات تلك الافعال واحوالها واعتبارها التي لاجلها تحصل استحقاق الثواب والعقاب فلا جرم لا اوصل اليهم من العذاب الا قدر ما يكون وفاقا لاعمالهم وهذا القدر انما يتم بثبوت كونه عالما بالجزئيات واذا ثبت هذا ظهر ان كل من انكره كان كافرا قطعا **قوله تعالى** فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا . قال ابن الخطيب هذه الفاء للجزاء فنبه على ان الامر بالذوق معلل بما تقدم شرحه من قبائح افعالهم فهذه الفاء افادت معنى فا بدء **قوله تعالى** جزاء وفاقا **فان قيل** اليس انه تعالى قال في صفة الكفار ولا يكلمهم الله فها هنا لما قال تعالى لهم فذوقوا فقد كلمهم فالجواب قال اكثر المفسرين يقال لهم فذوقوا والقائل ان يقول قوله فلن نزيدكم لا يليق الا بالله والاقرب في الجواب ان يقال قوله ولا يكلمهم معناه ولا يكلمهم بالكلام الطيب النافع فان تخصيص العموم سائغ عند حصول القرينة فان قوله ولا يكلمهم انما ذكره لبيان انه تعالى لا يفعل لهم وزنا وذلك لا يحصل الا من الكلام الطيب **فان قيل** ان كانت هذه الزيادة غير مستحقة كانت ظلما وان كانت مستحقة كان تركها في اول الامر احسانا والكريم لا يليق به الرجوع في احسانه **فالجواب** انها مستحقة ودوامها زيادة لنقله تحسب ذلك الدوام وايضا فترك المستحق في بعض الاوقات لا توجب الابراء واسقاط **فصل** قال ابن الخطيب قوله تعالى فذوقوا يفيد معنى التعليل وهو التفات من الغيبة للخطاب فهو دال على الغضب وفيه مبالغات منها ان لن للتاكيد ومنها الالتفات ومنها اعادة قوله فذوقوا بعد ذكر العذاب . قال ابو برزة رضي الله عنه سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن اشد اية في القران قال صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا اي كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وكلما خبت زدناهم سعيرا **قوله تعالى** ان للمتقين مفازا . تقدم تفسير المتقي والمفاز يحتمل ان يكون مصدرا بمعنى فوزا وظفرا بالنعمة ويحتمل ان يكون المراد منه فوزا بالمطلوب ويحتمل ان يكون المراد منه فوزا بالنجاة من العذاب ولذلك قيل للفلاة اذا قل ماؤها مفازة تفاولا بالخلاص منها وان يكون المراد مجموع الامرين . وقال الضحاك متنزها **قوله تعالى** حدائق يجوز ان يكون بدلا من مفازا بدل الاشتمال او بدل كل من كل مبالغة في ان جعل نفس هذه الاشياء مفازا ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعني واذا كان مفازا بمعنى الفوز فتقدر مضاف اي فوز حدائق وهي جمع حديقة وهي البستان المحوط عليه ويقال احدق به اي احاط والاعناب جمع عنب اي كروم اعناب فحذف والتنكير في قوله تعالى واعنابا يدل على تعظيم تلك الاعناب **قوله تعالى** وكواعب اترابا . الكواعب جمع كاعب وهي من كعب ثديها وتفلك اي يكون الثدي في النتو كالكعب والفلكة اي استدار وهي الناهد يقال كعبت الجارية تكعب كعوبا وكعبت تكعب تكعيبا ونهدت تنهد نهودا قال .

وكان مجني دون من كنت اتقي . ثلاث شخوص كاعبان ومعصر . وقال قيس بن عاصم المنقري

وكم من حصان قد حوينا كريمة . ومن كاعب لم تدر ما البؤس معصر . وقال الضحاك الكواعب العذارى والاتراب الاقران في السن وقد تقدم ذكره في الواقعة **قوله تعالى** وكاسا دهاقا الدهاق الملاى المترعة قيل هو ماخوذ من دهقه اي ضغطه وشدة بيده كانه ملاها حتى انضغط

ذكرها صح

لانت الى الفؤاد احب قربا من الصادي الى الكاس الدهاق وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة وابي عبيدة والزجاج والكسائي قال عكرمة وربما سمعت ابن عباس يقول اسقنا وادهق لنا ودعا ابن عباس غلاما له فقال اسقنا دهاقا فجاء الغلام بها ملأى فقال ابن عباس هذا الدهاق وقيل الدهاق المتتابعة قال انا عامر يبغي قرا ناقا عنا له كاسا دهاقا وهذا قول ابي هريرة وسعيد بن جبير ومجاهد قال الواحدي واصل هذا القول من قول العرب ادهقت الحجارة ادهاقا وهي شدة تلازمها ودخول بعضها في بعض ذكره الليث والتتابع كالتداخل وعن عكرمة ايضا وزيد بن اسلم انها الصافية وهي جمع دهق وهو خشبتان يعصر بهما والمراد بالكاس الخمر قال الضحاك كل كاس في القران فهو خمر والتقدير وخمر ذات دهاق اي عصرت وصفيت بالدهاق قاله القشيري وفي الصحاح وادهقت الماء اي افرغته افراغا شديدا قال ابو عمرو والدهق بالتحريك ضرب من العذاب وهو بالفارسية اشكنجه قال المبرد والمدهوق المعذب بجميع العذاب الذي لا فرجة فيه وقال ابن الاعرابي دهقت الشيء اي كسرته وقطعته وكذلك دغدقته ودهمقته بزيادة الميم المثلثة وقال الاصمعي الدهمقة لين الطعام وطيبه ورقته وكذلك كل شيء لين ومنه حديث عمر رضي الله عنه لو شئت ان تدهمق لي لفعلت ولكن الله عاب قوما فقال تعالى اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها **قوله تعالى** لا يسمعون فيها لغوا اي في الجنة وقيل في الكاس لغوا ولا كذابا اللغو الباطل وهو ما يلغى من الكلام ويطرح ومنه الحديث اذا قلت لصاحبك انصت فقد لغوت وذلك ان اهل الجنة اذا شربوا لم تتغير عقولهم ولم يتكلموا بلغو بخلاف اهل الدنيا ولا كذابا اي لا يكذبون في الجنة وقيل هما مصدران للتكذيب وانما خففها لانها ليست مقيدة بفعل يصير مصدرا له وشدد قوله وكذبوا باياتنا كذابا لان كذبوا يقيد المصدر بالكذاب قال شهاب الدين وانما اتفق الكسائي الجماعة في الاول للتصريح بفعله المشدد المقتضي لعدم التخفيف في كذابا وهذا كما تقدم في قوله تفجر الانهار فجرت لم يختلف فيه للتصريح معه بفعله بخلاف الاول وقال مكي من شدد جعله مصدر كذب وزيدت فيه الالف كما زيدت في اكراما وقولهم تكذيبا جعلوا التاء عوضا من تشديد العين والياء بدلا من الالف غيروا اوله كما غيروا اخره واصل مصدر الرباعي ان ياتي على عدد حروف الماضي بزيادة الف مع تغيير الحركات وقد قالوا اكلمته كلاما فجاء المصدر على عدد حروف الماضي بغير زيادة الف وذلك لكثرة حروفه وضمت اللام ولم تكسر لانه ليس اسم على تفعال ولم يفتح لئلا يشتبه بالماضي وقرا الكسائي بالتخفيف جعله مصدر كذب كذابا وقيل هو مصدر كذب كقوله كتبت كتابا **قوله تعالى** جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا لانه قيل جازى المتقين بمفاز **قوله تعالى** عطاء بدل من جزاء وهو اسم مصدر قال وبعد عطائك المائة الرتاعا وجعله الزمخشري منصوبا بجزاء نصب المفعول به ورده ابو حيان بانه جعل جزاء مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة التي هي ان للمتقين قال والمصدر المؤكد لا يعمل لانه لا ينحل لحرف مصدري والفعل ولا نعلم في ذلك خلافا **قوله تعالى** حسابا صفة لعطاء والمعنى كافيا فهو مصدر اقيم مقام الوصف او بولغ فيه او على حذف مضاف من قولهم احسبني الشيء اي كفاني وقال قتادة عطاء حسابا اي كثيرا يقال احسبت فلانا اي كثرت له العطاء حتى قال حسبي وقال الكلبي حاسبهم فاعطاهم بالحسنة عشر امثالها وقد وعد قوما جزاء لا نهاية له ولا مقدار كما قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقرا ابو البرهسم وشريح بن يزيد الحمصي بتشديد السين مع فتح الحاء على كسرها وخرجها انه مصدر مثل كذاب اقيم مقام الوصف اي عطاء محسبا اي كافيا وابن قطيب كذلك الا انه فتح الحاء قال ابو الفتح بني فعالا من افعل كدراك من ادرك يعني انه صفة مبالغة من احسب بمعنى كفى وقرا ابن عباس حسنا بالنون من الحسن وسراج حسبا بفتح الحاء وسكون السين والباء الموحدة اي عطاء كافيا من قولك حسبك كذا اي كافيك **قوله تعالى** رب السموات قرا نافع وابن كثير وابو عمرو برفع رب والرحمن وابن عامر وعاصم بخفضهما والاخوان بخفض الاول ورفع الثاني فاما رفعهما فيجوز من اوجه احدها ان يكون رب خبر مبتدا مضمر اي هو رب والرحمن كذلك او مبتدا خبره لا يملكون الثاني ان يجعل رب مبتدا والرحمن خبره ولا يملكون خبر ثان او مستانف الثالث ان يكون رب مبتدا والرحمن نعته ولا يملكون خبر رب الرابع ان يكون رب مبتدا والرحمن مبتدا ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر الاول وحصل الربط بتكرير المبتدا بمعناه وهو راي الاخفش ويجوز ان يكون لا يملكون حالا وتكون لازمة واما جرهما فعلى البدل او البيان او النعت كلاهما للاول الا ان تكرير البدل فيه نظر تقدم التنبيه عليه اخر الفاتحة او يجعل رب السموات تابعا للاول والرحمن تابعا للثاني على ما تقدم واما جر الاول فعلى التبعية للاول ورفع الثاني فعلى الابتداء والخبر الجملة الفعلية او على انه خبر مبتدا مضمر ولا يملكون على ما تقدم من الاستئناف او الخبر الثاني او الحال اللازمة **قوله تعالى** لا يملكون فيه

عطا

عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه ان الضمير في لا يملكون راجع الى المشركين اي لا يخاطبهم الله واما المؤمنون فيشفعون ويقبل الله تعالى منهم بعد اذنه لهم وقال القاضي انه راجع للمؤمنين والمعنى ان المؤمنين لا يملكون ان يخاطبوا الله تعالى في امر من الامور لما ثبت انه عدل لا يجور وثبت ان العقاب الذي اوصله الى الكفار عدل وثبت ان الثواب الذي اوصله الى المؤمنين عدل وانه ما بخسهم حقهم فباي سبب يخاطبونه وقيل الضمير يعود لاهل السموات والارض وان احدا من المخلوقين لا يملكون مخاطبة الله تعالى ومكالمته قال ابن الخطيب وهذا هو الصواب **قوله تعالى** يوم يقوم منصوب على الظرف اما بلا يتكلمون بعده واما بلا يملكون وصفا حالا اي مصطفين ولا يتكلمون اما حال واما مستانف

فصل اختلفوا في الروح فقال ابن عباس هو ملك ما خلق الله بعد العرش اعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقام الملائكة كلهم صفا ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال الروح ملك اعظم من السموات السبع والارضين السبع والجبال وقيل جبريل صلوات الله عليه قاله الشعبي والضحاك وسعيد بن جبير وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الروح في هذه الاية جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤوس وايد وارجل ياكلون الطعام ثم قرا يوم يقوم الروح والملائكة صفا وهذا قول ابي صالح ومجاهد وعلى رضي الله عنهم وعلى هذا هو خلق على صورة بني ادم كالناس وليسوا بناس وما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم نقله البغوي وعن ابن عباس رضي الله عنه هم ارواح الناس وقال مقاتل وابن حيان هم اشراف الملائكة وقال ابن ابي نجيح هم حفظة على الملائكة وقال الحسن وقتادة هم بنو ادم والمعنى ذو الروح وقال العوفي والقرطبي هذا مما كان يكتمه ابن عباس وقيل ارواح بنو ادم يقوم صفا والملائكة صفا وذلك بين النفختين قبل ان ترد الى الاجساد قاله عطية وقال زيد بن اسلم هو القران وقرا وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وصفا مصدر اي يقومون صفوفا والمصدر ينبئ عن الواحد والجمع كالعدل والصوم ويقال ليوم العيد يوم الصف وقال في موضع اخر سبحانه وجاء ربك والملك صفا صفا وهذا يدل على الصفوف وهذا حين العرض والحساب قيل هما صفان وقيل يقوم الكل صفا واحدا لا يتكلمون اي لا يشفعون **قوله تعالى** الا من اذن يجوز ان يكون بدلا من واو يتكلمون وهو الارجح لكونه غير موجب وان يكون منصوبا على اصل الاستثناء والمعنى لا يشفعون الا من اذن له الرحمن في الشفاعة وقيل لا يتكلمون الا في حق من اذن له الرحمن وقال صوابا والمعنى لا يشفعون الا في حق شخص اذن له الرحمن في شفاعته وذلك الشخص كان ممن قال صوابا ومعنى قال صوابا يعني حقا قاله الضحاك ومجاهد روى الضحاك عن ابن عباس قال لا يشفعون الا لمن ارتضى قال لا اله الا الله محمد رسول الله واصل الصواب السداد من القول والفعل وهو من اصاب يصيب اصابة كالجواب من اجاب يجيب وقيل لا يتكلمون يعني الملائكة والروح الذين قاموا صفا لا يتكلمون هيبة واجلالا الا من اذن له الرب في الشفاعة وهم الذين قالوا صوابا وانهم يوحدون الله تعالى ويسبحونه **قوله تعالى** ذلك اليوم الحق ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا اي مرجعا بالعمل الصالح وقال قتادة مآبا سبيلا ثم انه تعالى زاد في تخويف الكفار فقال سبحانه انا انذرناكم عذابا قريبا يعني العذاب في الاخرة وسماه قريبا لان كل ما هو ات قريب كقوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وقال قتادة عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين وقال مقاتل هو قتل قريش ببدر وهذا خطاب لكفار قريش ومشركي العرب لانهم قالوا لا نبعث وانما سماه انذارا لانه تعالى قد خوف بهذا الوصف نهاية التخويف وهو معنى الانذار **قوله تعالى** يوم ينظر المرء يجوز ان يكون بدلا من يوم قبله وان يكون منصوبا بعذابا اي العذاب واقع في ذلك اليوم وجوز ابو البقاء ان يكون نعتا لقريبا ولو جعله نعتا لعذابا كان اولى والعامة تفتح ميم المرء وهي اللغة الفصيحة وابن ابي اسحاق يضمها وهي لغة يتبعون الفاء اللام وخطا ابو حاتم هذه القراءة وليس بصواب لثبوتها لغة

فصل اراد بالمرء المؤمن في قول الحسن اي يجد لنفسه عملا فاما الكافر فلا يجد لنفسه عملا فيتمنى ان يكون ترابا ولانه قال ويقول الكافر فعلم انه اراد بالمرء المؤمن وقيل المراد هنا ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط ويقول الكافر ابو جهل وقيل هو عام في كل احد يرى في ذلك اليوم جزاء ما كسب **قوله تعالى** ما قدمت يداه يجوز في ما ان تكون استفهامية معلقة لينظر على انه من النظر فتكون الجملة في موضع نصب على اسقاط الخافض وان تكون موصولة مفعولا بها والنظر بمعنى الانتظار اي ينتظر الذي قدمت يداه **قوله تعالى** ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا العامة لا يدغمون تاء كنت في تاء ترابا قالوا لان الفاعل لا يحذف والادغام يشبه الحذف وفي قوله تعالى ويقول الكافر وضع ظاهر موضع مضمر شهادة عليه بذلك

فصل قال مقاتل نزل قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه في ابي سلمة بن عبد الاسود المخزومي ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في اخيه الاسود بن عبد

الاسد وقال الثعلبي سمعت ابا القاسم بن حبيب يقول الكافر هنا ابليس لعنة الله عليه وذلك بانه عاب ادم صلوات
الله عليه بانه خلق من تراب وافتخر بانه خلق من نار فاذا عاين يوم القيامة ما فيه ادم وبنوه من الثواب
والراحة ورأى ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى انه كان بمكان ادم فيقول يا ليتني كنت ترابا قال ورايته
في بعض التفاسير روى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال تحشر الخلق كلهم من دابة وطاير وانسان ثم
يقال للبهايم والطير كونوا ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل معنى يا ليتني كنت ترابا
لم ابعث وقال ابو الزناد اذا قضى بين الناس وامر باهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار قيل لساير الامم
ولمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر حين يراهم يا ليتني كنت ترابا وقال
ليث بن ابي سليم مؤمنو الجن يعودون ترابا وقال عمر بن عبد العزيز والزهري والكلبي ومجاهد مؤمنوا
الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها وهذا اصح وانهم مكلفون مثابون ومعاقبون كبني ادم صلوات
الله عليه روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة عم يتسائلون سقاه الله عز وجل برد الشراب يوم القيامة والله تعالى اعلم

سوره النازعات

وهي ست واربعون اية وسبعون كلمة وسبعمائة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والنازعات
غرقا يجوز في غرقا ان يكون مصدرا على حذف الزوائد بمعنى اغراقا وانتصابه بما قبله لملاقاته في المعنى واما
على الحال اي ذوات اغراق يقال اغرق في الشيء يغرق فيه اذا اوغل وبلغ اقصى غايته ومنه اغرق النازع
في القوس اي بلغ غاية المد والاستغراق الاستيعاب فصل اقسم الله تعالى بهذه الاشياء الخمسة على ان
القيامة حق والنازعات قيل هي الملائكة التي تنزع ارواح الكفار قاله علي وابن مسعود وابن عباس
ومسروق ومجاهد قال ابن مسعود يريد نفس الكافر ينزعها ملك الموت من اجسادهم من تحت كل شعرة
ومن تحت الاظافير واصول القدمين نزعا كالسفود ينزع من الصوف الرطب ثم يغرقها اي يرجعها الى
اجسادهم ثم ينزعها فهذا عمله في الكفار وقال سعيد بن جبير نزعت ارواحهم ثم غرقت ثم حرقت
ثم قذف بها في النار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزع كانها تغرق وقال السدي والنازعات هي النفوس
حين تغرق في الصدور وقال مجاهد هي الموت ينزع النفوس وقال الحسن وقتادة هي النجوم تنزع
من افق الى افق اي تذهب من قولهم نزع اليه اي ذهب او من قولهم نزعت الخيل اي جرت غرقا اي انها
تغرق وتغيب وتطلع من افق اخر وهو قول ابي عبيدة وابن كيسان والاخفش وقال عطا وعكرمة والنازعات هي
القسي تنزع بالسهام وغرقا بمعنى اغراق واغرق النازع في القوس اي بلغ غاية المد حتى ينتهي الى النصل ويقال
لقشرة البيضة الداخلة غرقي وقيل هم الغزاة الرماة وهو الذي قبله لانه اذا اقسم بالقسي فالمراد النازعات
بها نظيرها كقوله تعالى والعاديات ضبحا وقال يحيى بن سلام هي الوحش تنزع من الكلا وتنفر
ومعنى غرقا اي ابعادا في النزع قوله تعالى والناشطات نشطا اعلم ان نشطا وسبحا وسبقا كلها مصادر
والنشط الربط والانشاط الحل يقال نشط البعير ربطه وانشطه حله ومنه كانما انشط من عقال فالهمزة
للسلب ونشط ذهب بسرعة ومنه قيل لبقر الوحش نواشط وقال هميان بن قحافة
ارى همومي تنشط المناشطا • الشام بي طورا وطورا واسطا • ونشط الحبل
انشطه انشوطة عقدته وانشطته حللته وانشط كنشط قال الاصمعي بير انشاط اي قريبة القعر
تخرج الدلو منها بجذبة واحدة وبير نشوط قال وهي التي لا تخرج منها الدلو حتى تنشط كثيرا فصل
قال ابن عباس رضي الله عنه يعني الملائكة تنشط نفس الكافر فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير اذا حل
عنه وقيل يعني انفس الكفار والمنافقين ينشط كما ينشط العقب الذي يعقب به السرج والنشط
الجذب بسرعة ومنه الانشوطة عقدة يسهل انحلالها اذا جذبت مثل عقدة التكة قال الليث انشطه
بانشوطة وانشوطتين اي اوثقته وانشطت العقال اي مددت انشوطته فانحلت قال ويقال نشط
بمعنى انشط لغتان بمعنى وعن ابن عباس ايضا ان الناشطات الملائكة لنشاطها تذهب وتجي بامر
ربها حيث ما كان وقال مجاهد هو الموت ينشط نفس الانسان وقال السدي هي النفوس حين
تنشط من القدمين وقال قتادة والحسن والاخفش هي النجوم تنشط من افق الى افق اي تذهب
قال الجوهري يعني النجوم تنشط من برج الى برج كالثور الناشط من بلد الى بلد وقيل النازعات للكافر

والناشطات للمومنين فالملائكة يجذبون روح المومن برفق والنزع جذب بشدة وقيل هما جميعا للكفار والاثنان
بعدهما للمومنين قوله تعالى والسابحات سبحا قال علي رضي الله عنه هي الملائكة تسبح بارواح المومنين
قال الكلبي كالذي يسبح في الماء فاحيانا ينغمس واحيانا يرتفع يسلونها سلا رفيقا بسهولة ثم يدعونها حتى تستريح
وقال مجاهد وابو صالح هي الملائكة ينزلون من السماء مسرعين لامر الله تعالى كما يقال للفرس الجواد سابح اذا
اسرع في جريه وعن مجاهد السابحات الموت يسبح في نفوس بني ادم وقيل هي الخيل الغزاة قال عنترة
والخيل تعلم حين تسبح في حياض الموت سبحا وقال قتادة والحسن هي النجوم تسبح في
افلاكها وكذا الشمس والقمر قال تعالى كل في فلك يسبحون وقال عطا هي السفن تسبح في الماء وقال
ابن عباس ارواح المومنين تسبح شوقا الى لقاء الله تعالى ورحمته حين تخرج قوله تعالى فالسابقات سبقا قال علي
رضي الله عنه هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي الى الانبيا صلوات الله عليهم وهو قول مسروق ومجاهد وعن
مجاهد ايضا وابي روق هي الملائكة سبقت ابن ادم الى العمل الصالح فتكتبه وعن مجاهد ايضا الموت يسبق الانسان
وقال مقاتل هي الملائكة تسبق بارواح المومنين الى الجنة وقال ابن مسعود هي انفس المومنين تسبق الى الملائكة
الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقا الى لقاء الله تعالى وقال قتادة والحسن ومعمر هي النجوم تسبق بعضها بعضا
وقال عطا هي الخيل التي تسبق الى الجهاد وقيل يحتمل ان يكون السابقات ما تسبق من الارواح قبل الاجساد الى جنة او نار
حكاه الماوردي قال الجرجاني وذكر السابقات بالفاء لانها مسببة من التي قبلها اي واللاتي تسبحن فيسبقن تقول
قام فذهب فهذا يوجب ان يكون القيام سببا للذهاب ولو قلت قام وذهب لم يكن القيام سببا للذهاب قال
الواحدي وهذا غير مطرد في قوله تعالى فالمدبرات امرا لانه يبعد ان يجعل السبق للتدبير قال ابن الخطيب ويمكن الجواب
عن اعتراض الواحدي بانها لما امرت سبحت فسبقت فدبرت ما امرت بتدبيرها فتكون هذه افعالا يتصل بعضها
ببعض كقوله قام زيد فذهب او لما سبقوا الى الطاعات وسارعوا اليها ظهرت امانتهم ففوض اليهم التدبير قوله
تعالى فالمدبرات امرا قيل امرا مفعول بالمدبرات وقيل حال تدبره مامورات وهو بعيد قال القشيري اجمعوا على
ان المراد الملائكة وقال الماوردي فيه قولان احدهما الملائكة قاله الجمهور والقول الثاني هي الكواكب
السبعة حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل وفي تدبيرها الامور وجهان احدهما تدبير طلوعها وافولها
والثاني في تدبير ما قضى الله تعالى فيها من تقليب الاحوال وحكى هذا القول ايضا في تفسيره وان الله تعالى علق
كثيرا من تدبير العالم بحركات النجوم فاضيف التدبير اليها وان كان من الله تعالى كما يسمى الشي باسم ما يجاوره
وقال شهاب الدين والمراد بهولاء اما طوايف الملائكة واما طوايف خيل الغزاة واما النجوم واما المنايا
واما بقر الوحش وما جرى مجراها لسرعتها واما ارواح المومنين يعني المذكورين في جميع القسم فصل
تدبير الملائكة نزولها بالحلال والحرام وتفصيله قال ابن عباس وقتادة وغيرهما هو الى الله تعالى ولكن لما نزلت
الملائكة به سميت بذلك كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقوله تعالى فانه نزله على قلبك يعني جبريل
نزله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى هو الذي انزله وروى عطا عن ابن عباس المدبرات امرا هي الملائكة
وكلت بتدبير احوال اهل الارض في الرياح والامطار وغير ذلك قال عبد الرحمن بن سابط تدبير امر الدنيا الى اربعة
جبريل وميكائيل وملك الموت واسمه عزرائيل واسرافيل فاما جبريل فموكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فموكل بالقطر
والنبات واما ملك الموت فموكل بقبض الارواح في البر والبحر واما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وليس في الملائكة
اقرب من اسرافيل صلوات الله عليه وبينه وبين العرش خمسمائة عام وقيل وكلوا بامور عرفهم الله بها فان قيل
لم قال امرا ولم يقل امورا فانهم يدبرون كثيرة فالجواب المراد به الجنس فهو قايم مقام الجمع واعلم ان هذه
الكلمات اقسم الله بها ولله تعالى ان يقسم بما شا من خلقه وليس لنا ذلك قوله تعالى يوم ترجف منصوب
بفعل مقدر وهو جواب القسم تقديره لتبعثن لدلالة ما بعده عليه قال الفراء ويدل عليه قوله تعالى
ايذا كنا عظاما نخرة الست ترى انه كالجواب لقولهم ايذا كنا عظاما نخرة نبعث فاكتفا بقوله تعالى ايذا كنا
عظاما نخرة وقال الاخفش والزجاج لتنفخن في الصور نفختين بدليل ذكر الراجفة والرادفة وهما النفختان
قال الزمخشري فان قلت كيف جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى
قلت المعنى لتبعثن في الوقت الواسع الذي تقع فيه النفختان وهم يبعثون في الوقت الواسع وهو وقت
النفخة الاولى ودل على ذلك ان قوله تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة وقيل العامل مقدر غير جواب اذكر يوم
وقال ابو حاتم هو على التقديم والتاخير كانه قال فاذا هم بالساهرة والنازعات يوم ترجف وفي الجواب على هذا التقدير
وجوه احدها انه قوله ان في ذلك لعبرة واستقبحه ابو بكر بن الانباري لطول الفصل الثاني انه قوله هل اتاك
حديث موسى لان هل بمعنى قد وهذا غلط لانه لا تقدم في هل الى انها لا تكون بمعنى قد الا في الاستفهام على ما تاك

الزمخشري الثالث ان الجواب يتبعها وانما حذفت اللام والاصل ليوم ترجف الراجفة تتبعها فحذفت اللام ولم تدخل
نون التوكيد على تتبعها للفصل بين اللام المقدرة وبين الفعل المقسم عليه بالظرف ومثله لالى الله تحشرون وقيل
في الكلام تقديم وتأخير اي يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات وقال ابو حاتم هو على التقديم
والتأخير كأنه قال فاذا هم بالساهرة والنازعات قال ابن الانباري وهذا خطأ لان الفاء لا يفتتح بها الكلام وقيل
يوم منصوب بما دل عليه واجفة اي يوم ترجف وجفت وقيل بما دل عليه خاشعة اي يوم ترجف خشعت
وقوله تتبعها الرادفة يجوز ان يكون حالا من الراجفة وان يكون مستأنفا **فصل** قال عبد الرحمن بن زيد الراجفة
الارض والرادفة الساعة وقال مجاهد الزلزلة تتبعها الرادفة اي الصيحة
اي المضطربة ومعناه ان الارض تضطرب والرادفة اي النفختان اما الاولى فتميت كل شيء باذن الله واما
وعنه ايضا وابن عباس والحسن وقتادة هما الصيحتان ... قال صلى الله عليه وسلم بين النفختين اربعون سنة قال مجاهد الرادفة
الثانية فتحيي كل شيء باذن الله وذلك بعد الزلزلة وقيل الراجفة تحرك
حين تنشق السماء وتحمل الارض والجبال فتدكا دكة واحدة وقال تعالى يوم ترجف الارض وليست
الارض والرادفة زلزلة اخرى تفني الارضين واصل الرجفة الحركة
الرجفة هنا من الحركة فقط بل من قولهم رجف الرعد يرجف رجفا ورجيفا اي اظهرت الصوت والحركة
ومنه سميت الاراجيف لاضطراب الاصوات بها وافاضة الناس فيها وقيل الراجفة هذه منكرة في السحاب
ومنه قوله تعالى فاخذتهم الرجفة واما الرادفة فكل شيء جاء بعد شيء اخر يقال ردفه اي جاء بعده **قوله تعالى**
قلوب يومئذ واجفة قلوب مبتدأ ويومئذ منصوب بواجفة وواجفة صفة القلوب وهو المسوغ للابتداء بالنكرة وابصارها
خاشعة مبتدأ وخبر وهو وخبره خبر الاول وفي الكلام حذف مضاف تقديره ابصار اصحاب القلوب
وقال ابن عطية وجاز ذلك اي الابتداء بقلوب لانها تخصصت بقوله يومئذ ورد عليه ابو حيان بان ظرف
الزمان لا يخصص الجثث يعني لا يوصف به الجثث **والواجفة** الخائفة الوجلة قاله ابن عباس يقال وجف
يجف وجيفا واصله اضطراب القلب وقلقه قال قيس بن الخطيم

ان بني جحجبا واسرتهم اكبادنا من ورائهم تجف

وقال السدي زائلة عن اماكنها نظيره
اذ القلوب لدى الحناجر وقال المؤرج قلقة مستوفزة متحركة غير ساكنة وقال المبرد مضطربة والمعنى
متقارب والمراد قلوب الكفار يقال وجف القلب يجف وجيفا اذا خفق كما يقال وجب يجب وجيبا والا
الموجف بذل الفاقة ووجيف الفرس والناقة في العدو والايجاف حمل الدابة على السير السريع **قوله تعالى** ابصارها
خاشعة اي منكسرة ذليلة من هول ما ترى نظيره خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة **قوله تعالى** يقولون اي يقول
هؤلاء المكذبون المنكرون للبعث اذا قيل لهم انكم تبعثون قالوا منكرين متعجبين ائنا لمردودون في الحافرة اي الى اول الامر فنعود
احياء قبل الموت وهو كقولهم ائنا لمبعوثون خلقا جديدا **قوله تعالى** في الحافرة الحافرة الطريقة التي يرجع
الانسان فيها من حيث جاء يقال رجع في حافرته وعلى حافرته ثم يعبر بها عن الرجوع في الاحوال من اخر الامر
الى اوله قال

احافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار

يقول ارجع الى ما كنت عليه في
شبابي مع الغزل والصبى بعد ان شبت وصلعت واصله ان الانسان اذا رجع في طريقه اثرت قدماه فيها حفرا
وقال الراغب وقوله تعالى في الحافرة مثل لمن يرد من حيث جاء اي انحيا بعد ان نموت وقيل الحافرة الارض
التي فيها قبورهم ومعناه ائنا لمردودون ونحن في الحافرة اي في القبور وقوله تعالى في الحافرة على هذا
في موضع الحال ويقال رجع الشيخ الى حافرته اي هرم كقوله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر وقولهم النقد
عند الحافرة لما يباع نقدا واصله في الفرس اذا بيع فيقال لا يزول حافره او ينقد ثمنه والحفر تآكل الاسنان
وقد حفر فوه حفرا وقد احفر المهر للاثناء والارباع والحافرة قيل فاعلة بمعنى مفعولة وهي الارض التي تحفر
قبورهم فيها فهي بمعنى المحفورة كقوله تعالى ماء دافق وعيشة راضية والمعنى ائنا لمردودون في قبورنا
وقيل على النسب اي ذات حفر وقيل سميت الارض الحافرة لانها مستقر الحوافر كما سميت القدم ارضا لانها
على الارض كقولهم الحافرة جمع حافر بمعنى القدم اي نمشي احياء على اقدامنا ونطأ بها الارض وقيل هي اول الامر
ويقول التجار النقد في الحافرة اي اول السوم وقال الشاعر

آليت لا انساكم فاعلموا حتى يرد الناس في الحافرة

وقال ابن زيد الحافرة النار
وقرأ تلك اذا كرة خاسرة وقال مقاتل وزيد بن اسلم هي اسم من اسماء النار وقال ابن عباس رضي الله عنه
الحافرة في كلام العرب الارض التي تغيرت وانتنت بموتاها واجسادهم من قولهم حفرت اسنانه اي تآكلت وركبها
الوسخ من ظاهرها وباطنها ويجوز تعلقه بمردودون او بمحذوف على انه حال **فصل** قال ابن الخطيب هذه
الاحوال المتقدمة هي احوال القيامة عند جمهور المفسرين وقال ابو مسلم هذه الاحوال ليست احوال القيامة

لانه فسر النازعات بنزع القوس والناشطات بخروج السهم والسابحات بعدو الفرس والسابقات بسبقها والمدبرات
بالامور التي تحصل اذا ثار ذلك الرمي والعدو ثم بنى على ذلك فقال الراجفة هي خيل المشركين وكذلك الرادفة وهما
طائفتان من المشركين غزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقت احديهما الاخرى والقلوب الواجفة هي
القلقة والابصار الخاشعة هي ابصار المنافقين لقوله تعالى ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت
كانه قيل لما جاءت خيل العدو ترجف لاجلها اضطربت قلوب المنافقين خوفا وخشعت ابصارهم جبنا وضعفا ثم قالوا ائنا
لمردودون في الحافرة اي نرجع الى الدنيا حتى نتحمل هذا الخوف لاجلها وقالوا ايضا تلك اذا كرة خاسرة فاول
هذا الكلام حكاية لحال من غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين واوسطه حكاية لحال المنافقين وفي
انكار الحشر ثم انه تعالى اجاب عن كلامهم بقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة قال ابن الخطيب
وكلام ابي مسلم محتمل وان كان على خلاف قول الجمهور **قوله تعالى** ائذا كنا عظاما نخرة قرأ الاخوان وابو بكر ناخرة
بالف والباقون نخرة بدونها وهما كحاذر وحذر فاعل لمن صدر عنه الفعل وفعل لمن كان فيه غريزة او كالغريزة
وقيل ناخرة ونخرة بمعنى بالية يقال نخر العظم بالكسر اي بلي وتفتت وقيل ناخرة اي صارت الريح تنخر فيها اي
تصوت ونخرة اي تنخر فيها دائما وقيل ناخرة بالية ونخرة متآكلة وعن ابي عمرو الناخرة التي لم تنخر بعد والنخرة
البالية وقيل الناخرة المصوتة فيها الريح والنخرة البالية التي تفتتت قال الزمخشري يقال نخر العظم فهو
نخر وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع وفعل ابلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالي الاجوف الذي تمر فيه الريح
فيسمع له نخير ومنه قول الشاعر

واخليتها من مخها فكأنها قوارير في اجوافها الريح تنخر

وقال الراجز لفرسه

اقدم نجاح انها الاساوره ولا يهولنك رجل نادره
فانما قصرك ترب الساهره ثم تعود بعدها في الحافره من بعد ما كنت عظاما ناخره

ونخرة الريح بضم النون شدة هبوبها والنخرة ايضا مقدم انف الفرس والحمار والخنزير يقال
هشم نخرته اي مقدم انفه واذا منصوب بمضمر اي أاذا كنا نرد ونبعث **قوله تعالى** قالوا تلك اذا كرة
خاسرة تلك مبتدأ مشار بها الى الرجعة والردة في الحافرة وكرة خبرها وخاسرة صفة اي ذات خسران
او اسند اليها الخسار مجازا والمراد اصحابها والمعنى ان كان رجوعنا الى القيامة حقا فتلك الرجعة رجعة خاسرة
خائبة وهذا افادته اذا فانها حرف جواب وجزاء عند الجمهور وقيل قد لا تكون جوابا وعن الحسن ان خاسرة
بمعنى كاذبة اي ليست كائنة وقال الربيع بن انس خاسرة على من كذب بها وقيل كرة خسران والمعنى اهلها خاسرون
كقولك تجارة رابحة اي يربح صاحبها وقال قتادة ومحمد بن كعب اي لئن رجعنا احياء بعد الموت لنخسرن بالنار
وانما قالوا هذا لانهم اوعدوا بالنار والكر الرجوع يقال كره وكر بنفسه يتعدى ولا يتعدى والكرة المرة والجمع
كرات **قوله تعالى** فانما هي هي ضمير الكرة اي لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله تعالى وقال الزمخشري فان
قلت بم يتعلق قوله فانما هي قلت بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هي زجرة يعني بالتعلق من جهة المعنى
وهو العطف وقوله فاذا هم المفاجأة والنسق هنا واضحان والزجرة قال ابن عباس رضي الله عنه هنا هي النفخة
الواحدة فاذا هم اي الخلائق اجمعون بالساهرة اي على وجه الارض من الفلاة وصفت بما يقع فيها وهو السهر
لاجل الخوف وقيل لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة قال الزمخشري والساهرة الارض البيضاء
المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة اي جارية الماء وفي ضدها نائمة
قال الاشعث بن قيس

وساهرة يضحي السراب مجللا لاقطارها قد جبتها متلثما

او لان سالكها لا ينام
خوف الهلكة انتهى وقال امية

وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا لهم فيها مقيم

وقال ابو كثير الهذلي

يرتدن ساهرة كأن جميمها وعميمها اسداف ليل مظلم

وقال الراغب هي وجه
الارض وقيل ارض القيامة وحقيقتها التي يكثر الوطء بها كانها سهرت من ذلك والاسهران عرقان في الانف
والساهور غلاف القمر الذي يدخل عند كسوفه قال

او شقة اخرجت من بطن ساهور

اي هذه المرأة
بمنزلة قطعة القمر وقال امية بن ابي الصلت

قمر وساهور يسل ويغمد

وروى الضحاك عن ابن عباس
رضي الله عنه قال الساهرة ارض من فضة لم يعص الله عز وجل عليها قط خلقها حينئذ وقيل ارض يجددها الله
تعالى يوم القيامة وقيل الساهرة اسم الارض السابعة يأتي بها الله تعالى فيحاسب عليها الخلائق وذلك
حين تبدل الارض غير الارض وقال الثوري الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس
وقال عثمان بن ابي العاتكة انه اسم مكان من الارض بعينه بالشام وهو الصقع الذي بين جبل اريحا وجبل
حسان يمده الله كيف شاء وقال قتادة هي جهنم اي فاذا هؤلاء الكفار في جهنم وانما قيل لها ساهرة لانهم
لا ينامون عليها حينئذ وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم اي يوقفون بارض القيامة فيدل و

الساهرة حينئذ. قوله تعالى هل اتاك حديث موسى اى قد جاءك وبلغك وهذا التسلية للنبى صلى الله عليه وسلم اى ان فرعون كان اقوى من كفار عصرك ثم اخذناه وكذلك هؤلاء وقيل هل بمعنى ما اى ما اتاك ولكنى اخبرتك به فان فيه عبرة لمن يخشى وقال ابن الخطيب قوله تعالى هل اتاك يحتمل ان يكون معناه اليس قد اتاك حديث موسى هذا اذا كان قد اتاه ذلك قبل هذا الكلام اما ان لم يكن قد اتاه فقد يجوز ان يقال هل اتاك اى انا اخبرك. قوله تعالى اذ ناداه ربه منصوب بحديث لا باتاك لاختلاف وقتيهما وقد تقدم الكلام على موسى وفرعون والوادى المقدس المبارك المطهر قال الفراء طوى وادى وتقدم الخلاف بين القراء فى طوى فى سورة طه قال الفراء من صرفه قال هو ذكر اسم واد بين المدينة ومصر قال وهو معدول من طاو كما عدل عمر من عامر ومن لم يصرفه جعله معدولا كعمر وزفر قال والصرف احب الى اذ لم اجد فى المعدول نظيرا اى لم اجد اسما من الواو والياء عدل عن فاعل الى فعل غير طوى وقيل طوى معناه يا رجل بالعبرانية فكانه قيل يا رجل اذهب الى فرعون قاله ابن عباس وقيل طوى اى ناداه بعد طوى من الليلة اذهب الى فرعون لانك تقول جئتك بعد طوى اى بعد ساعة من الليل وقيل معناه بالوادى المقدس طوى اى بورك فيه مرتين وقيل. قوله تعالى اذهب يجوز ان يكون تفسيرا للنداء اى ناداه اذهب ويجوز ان يكون على اضمار القول وقيل هو على حذف ان اى ان اذهب ويدل له قراءة عبد الله ان اذهب وان هذه الظاهرة او المقدرة تحتمل ان تكون تفسيرية وان تكون مصدرية اى ناداه بكذا اذهب الى فرعون انه طغى اى جاوز القدر فى العصيان قال ابن الخطيب ولم يبين انه طغى فى شئ فقيل تكبر على الله تعالى وكفر به وقيل تكبر على الخلق واستعبدهم وقال مجاهد كان من اهل اصطخر وعن الحسن ايضا كان من اهل اصبهان يقال له ذو الظفر طوله اربعة اشبار وروى عن الحسن قال كان فرعون علجا من همدان. قوله تعالى هل لك لك خبر مبتدا مضمر والى ان متعلق بذلك المبتدا وهو حذف سائغ والتقدير هل لك سبيل الى التزكية ومثله هل لك فى الخير يريدون هل لك رغبة فى الخير وقال ابو البقاء لما كان المعنى ادعوك جاز ان يقال الى

فهل لكم فيها الى فاننى بصير بما اعيا النطاسى حذيما

قال الواحدى جاء بالى وقال غيره يقال هل لك فى كذا وهل لك الى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب اليه والمبتدا المحذوف فى اللفظ مراد فى المعنى والتقدير هل لك الى ان تزكى حاجة وقرا نافع وابن كثير بتشديد الزاى والاصل تتزكى وكذلك تصدى فى السورة تحتها فالحرميان ادغما والباقون حذفوا نحو تنزل وتقدم الخلاف فى ايهما المحذوفة ومعنى هل لك الى ان تزكى اى تسلم فتطهر من الذنوب وعن ابن عباس رضى الله عنهما هل لك الى ان تشهد ان لا اله الا الله واهديك فتخشى اى تخافه وتتقيه.

فصل

قال ابن الخطيب سائر الايات تدل على انه تعالى لما نادى موسى صلوات الله عليه ذكر له اشياء كثيرة كقوله تعالى نودى يا موسى انى انا ربك الى قوله تعالى لنريك من اياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى فدل قوله تعالى ههنا اذهب الى فرعون انه طغى من جملة ما ناداه به لا كل ما ناداه به وايضا فليس الغرض انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى فرعون فقط بل الى كل من كان فى الطور الا انه خصه بالذكر لان دعوته جارية مجرى كل القوم.

فصل

تمسك المعتزلة بهذه الاية فى ابطال القول بان الله تعالى يخلق فعل العبد قال هذا استفهام على سبيل التقرير اى لك سبيل الى ان تزكى ولو كان ذلك بفعل الله لانقلب الكلام حجة على موسى والجواب ما تقدم فى نظائره. حكى القرطبى عن صخر بن جويرة قال لما بعث الله موسى صلوات الله عليه الى فرعون قال له اذهب الى فرعون الى قوله تعالى واهديك الى ربك فتخشى ولن يفعل فقال يا رب وكيف اذهب اليه وقد علمت انه لا يفعل فاوحى الله تعالى اليه ان امض لما امرت به فان فى السماء اثنى عشر الف ملك يطلبون علم القدر فلن يبلغوه ولا يدركوه. قوله تعالى فاراه الاية الكبرى الفاء فى فاراه معطوف على محذوف يعنى فذهب فاراه كقوله تعالى فاضرب بعصاك البحر فانفجرت اى فضرب فانفجرت واختلفوا فى الاية الكبرى اى العلامة العظمى وهى المعجزة فقيل هى العصا وقيل اليد البيضاء تبرق كالشمس قاله مقاتل والكلبى والاول قول عطاء وابن عباس لانه ليس فى اليد الا انقلاب لونها وهذا كان حاصلا فى العصا لانها لما انقلبت حية فلا بد وان تتغير اللون الاول فاذن كل ما فى اليد فهو حاصل فى العصا وامور اخرى هى الحياة فى الجرم الجمادى وتزايد اجزائه وحصول القدرة الكثيرة والقوة الشديدة وابتلاعها اشياء كثيرة وزوال الحياة والقدرة عنها وتلك الاجزاء التى عظمت وزوال ذلك اللون والشكل اللذين صارت العصا بهما حية وكل واحد من هذه الوجوه كان معجزا مستقلا فى نفسه فعلمنا ان الاية الكبرى هى العصا وقال مجاهد هى مجموع العصا واليد وقيل فلق البحر وقيل جميع اياته ومعجزاته فكذب اى كذب نبى الله موسى وعصى ربه تبارك وتعالى. فان قيل كل من كذب الله تعالى فقد عصى فما فائدة قوله فكذب وعصى فالجواب

كذب بالقول وعصى بالتمرد والتجبر ثم ادبر يسعى اى يعمل بالفساد فى الارض وقيل يعمل فى نكاية موسى وقيل ادبر يسعى هاربا من الحية قال ابن الخطيب معنى ادبر يسعى اى اقبل يسعى كما يقال اقبل يفعل كذا بمعنى انشا يفعل فوضع ادبر موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال. قوله فحشر فنادى لم يذكر مفعولا لهما اذ المراد فعل ذلك او يكون التقدير فحشر قومه فناداهم وقوله فقال تفسير للنداء وقيل فى الكلام تقديم وتاخير اى فنادى فحشر لان النداء قبل الحشر ومعنى حشر اى جمع السحرة او جمع اصحابه ليمنعوه من الحية وقيل جمع جنوده للقتال والمحاربة والسحرة للمعارضة وقيل حشر الناس للحضور فنادى اى قال لهم بصوت عال انا ربكم الاعلى اى لا رب فوقى وقيل امر مناديا فنادى فى الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال ذلك وعن ابن عباس ومجاهد والسدى وسعيد بن جبير ومقاتل كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيرى والاخرى انا ربكم الاعلى قال ابن عباس كان بين الكلمتين اربعون سنة والمعنى امهله فى الاولى ثم اخذه فى الاخرة فعذبه بكلمتيه قال ابن الخطيب واعلم انا بينا فى سورة طه انه لا يجوز ان يعتقد الانسان فى نفسه كونه خالقا للسموات والارض والجبال والنبات والحيوان فان العلم بذلك ضرورى ومن شك فى ذلك كان مجنونا ولو كان مجنونا لما جاز من الله تعالى بعثة الرسل اليه بل الرجل كان دهريا منكرا للصانع والحشر والنشر وكان يقول ليس لاحد امر ولا نهى الا لى فانا ربكم بمعنى مربيكم والمحسن اليكم وليس للعالم اله حتى يكون له عليكم امر او نهى او يبعث اليكم رسولا قال القاضى وقد كان الاليق به عند ظهور خزيه عند انقلاب العصا حية ان لا يقول هذا القول لان عند ظهور الدلالة والمعجزة كيف يليق ان يقول انا ربكم فدلت هذه الاية على انه فى ذلك الوقت صار كالمعتوه الذى لا يدرى ما يقول. قوله تعالى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى يجوز ان يكون مصدرا لاخذ والتجوز اما فى الفعل اى نكل بالاخذ نكال الاخرة واما فى المصدر اى اخذه اخذ نكال ويجوز ان يكون مفعولا له اى لاجل نكاله ويضعف جعله حالا لتعريفه وتاويله كتاويل جهدك وطاقتك غير مقيس ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة المتقدمة اى نكل الله به نكال الاخرة قاله الزمخشرى وجعله كوعد الله وصبغة الله وقال القرطبى وقيل نصب بنزع حرف الصفة اى فاخذه الله بنكال الاخرة فلما نزع الخافض نصب والنكال اسم لما جعل نكالا للغير اى عقوبة له حتى يعتبر يقال نكل فلان بفلان اذا اثخنه عقوبة والكلمة من الامتناع ومنه النكول عن اليمين والنكل القيد وقد مضى فى سورة المزمل والنكال بمنزلة التنكيل كالسلام بمعنى التسليم والاخرة والاولى اما الداران واما الكلمتان فالاخرة قوله انا ربكم الاعلى والاولى ما علمت لكم من اله غيرى كما تقدم فحذف الموصوف للعلم به.

فصل

قيل الاخرة والاولى هما الكلمتان كما تقدم وقال الحسن وقتادة نكال الاخرة والاولى هو ان اغرقه فى الدنيا وعذبه فى الاخرة وروى عن قتادة ايضا الاخرة قوله انا ربكم الاعلى والاولى تكذيبه بموسى عليه السلام قال القفال وهذا كانه هو الاظهر لانه تعالى قال فاراه الاية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فذكر المعصيتين ثم قال فاخذه الله نكال الاخرة والاولى فظهر ان المراد انه عاقبه على هذين الامرين ثم انه تعالى ختم هذه القصة بقوله تعالى ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى اى ان فيما قصصنا عليك اعتبارا وعظة لمن يخاف. قوله تعالى اانتم اشد خلقا يريد اهل مكة اى اخلقكم بعد الموت اشد فى تقديركم ام السماء فمن قدر على خلق السماء على عظمها وعظم احوالها قدر على الاعادة وهذا كقوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس والمقصود من الاية الاستدلال على منكرى البعث ونظيره قوله تعالى او ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ومعنى الكلام التقريع والتوبيخ ثم وصف تعالى السماء فقال ام السماء بناها عطف على انتم وقوله بناها بيان لكيفية خلقه اياها فالوقف على السماء والابتداء بما بعدها ونظيره قوله تعالى فى الزخرف االهتنا خير ام هو وقوله رفع سمكها جملة مفسرة لكيفية البناء والسمك الارتفاع قال الزمخشرى جعله مقدار ذهابها فى سمت العلو مديدا رفيعا وسمكت الشئ رفعته فى الهواء وسمك هو اى ارتفع سموكا فهو قاصر ومتعد وبناء مسموك وسنام سامك تامك اى عال مرتفع وسماك البيت ما سمكته به والمسموكات السموات ويقال اسمك فى الكرم اى اصعد فى الدرجة والسماك نجم معروف وهما اثنان رامح واعزل قال الشاعر

ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول

وقال البغوى رفع سمكها اى سقفها.

فصل

قال الكسائى والفراء والزجاج هذا الكلام تم عند قوله تعالى اانتم اشد خلقا ام السماء بناها قال لانه من صلة السماء والتقدير ام السماء التى بناها فحذف التى ومثل هذا الحذف جائز قال القفال يقال الرجل جاءك عاقل اى الرجل الذى جاءك عاقل واذا ثبت جواز ذلك فى اللغة فنقول الدليل على ان قوله بناها صلة لما قبله انه لو لم يكن صلة لكان صفة فقوله بناها صفة ثم قوله رفع سمكها صفة فقد توالت صفتان لا تعلق لاحدهما بالاخرى فكان يجب ادخال العاطف بينهما كما فى قوله واغطش ليلها ولما لم يكن كذلك علمنا ان قوله بناها صلة للسماء فكان التقدير ام السماء التى بناها وهذا يقتضى وجود سماء ما بناها وذلك باطل وقوله فسواها اى خلقها خلقا مستويا لا تفاوت فيه ولا شقوق ولا فطور.

فصل

قال ابن الخطيب واستدلوا بهذه الاية على كون السماء كرة قالوا لانه لو لم تكن كرة لكان بعضها سطحا والبعض زاوية

والبعض خطأ ولكن لعضو اجزائه اقرب الينا والبعض الآخر ابعد فلا تحصل التسوية الحقيقية ثم قالوا لما ثبت انها محدثة مفتقرة الى فاعل مختار اى ضرورى الذين بلشا كونها كرة **قوله** واغطش اى اظلم بلغة انمار واشعر يقال اغطش الليل واغطشته انا واغطشه قال * عقرت ظهرنا فى موهنا * فليلهم مدلهما غطش * وقيل اغطش وليلة غطشا فاله فلاة غطشا لا يهتدى فيها والتغاطش التعامى والراعب واصله من الاغطش وهو الذى فى عينه عمش ومنه فلاة غطشا لا يهتدى فيها والغطش الظلمة ورجل اغطش اى اعمى او شبيه به وفلاة غطشا ولا زما فالغطش والعبش الظلمة انتهى ويقال اغطش الليل قاصرا كاظلم لما فعل فيه متعدد ولا زما وليلة غطشا وفلاة غطشا لا يهتدى لها قال الاعشى * ويهما بالليل غطشى الفلاة * يؤنسنى صوت فيادها * ومعنى قوله واغطش ليلها اى جعله مظلما واضاف الليل الى السما لان الليل يكون بغروب الشمس والشمس تضاف الى السما ويقال نجوم الليل لان ظهورها بالليل **قوله** واخرج ضحاها فيه حذف اى ضحى شمسها او اضاف الليل والضحى لها للملابسة التى بينها وبينهما وانما عبر عن النهار بالضحى لان الضحى اكمل اجزا النهار بالنور والضو **قوله تعالى** والارض بعد ذلك دحاها اى بسطها وبعد على بابها من التاخير ولا معارضة بينها وبين اية فصلت لانه تعالى خلق الارض غير مدحوة ثم خلق السما ثم دحى الارض وقول ابى عبيدة انها بمعنى قبل منكر عند العلما والعرب تقول دحوت الشى ادحوه دحوا اذا بسطته ودحى يدحى دحيا اى بسطه فهو من ذوات الواو والبا فيكتب بالالف والبا ومنه قيل لعش النعامة ادحو وادحى لانبساطه فى الارض وقال امية بن ابى الصلت * وبث الخلق فيها اذ دحاها * فهم قطانها حتى التناد * وقيل دحى بمعنى سوى قال زيد بن ابى نفيل * واسلمت وجهى لمن اسلمت * له الارض تحمل صخرا ثقالا * دحاها فلما استوت شدها * بايد وارسى عليها الجبالا * والعامة على نصب الارض والجبال على اضمار فعل مفسر بما بعده وهو المختار لتقدم جملة فعلية ورفعهما الحسن وابن ابى عبلة وابو السمال وعمر ابن عبيد على الابتدا وعيسى برفع الارض فقط

فصل روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال خلق الله تعالى الكعبة ووضعها على الما على اربعة اركان قبل ان يخلق الدنيا بالفى عام ثم دحيت الارض من تحت البيت * وحكى القرطبى عن بعض اهل العلم ان بعد هنا فى موضع مع كانه قال والارض مع ذلك دحاها كقوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم ومنه قولهم انت احمق وانت بعد هذا سيئ الخلق قال الشاعر * فقلت لها اليك فاننى حرام * وانى بعد ذلك لبيب * اى مع ذلك لبيب وقيل بعد بمعنى قبل كقوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر اى من قبل الفرقان * قال ابو كثير * حمدت الهى بعد عروة اذ نجى * خراش وبعض الشر اهون من بعض * وزعموا ان خراشا نجى قبل عروة وقيل دحاها حرثها وشقها قاله ابن زيد * وقيل دحاها مهدها للاقوات والمعنى متقارب **قوله** اخرج منها ماءها ومرعاها * قال الزمخشرى فان قلت هلا ادخل حرف العطف على اخرج قلت فيه وجهان احدهما ان يكون تفسيرا * الثانى ان يكون حالا * احدهما ان يكون دحاها بمعنى بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه فى تاتى سكناها من تسوية الماكل والمشرب وامكان القرار عليها * والثانى ان يكون اخرج حالا باضمار قد كقوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم * واعلم ان اضمار قد هو قول الجمهور وخالف الكوفيون والاخفش **قوله** منها ماءها اى من الارض عيونها المتفجرة بالما ومرعاها اى النبات الذى يرعى * والمراد بمرعاها ما ياكل الناس والانعام ونظيره قوله تعالى انا صببنا الما صبا ثم شققنا الارض شقا الى قوله متاعا لكم ولانعامكم واستعير الرعى للانسان كما استعير الرتع فى قوله نرتع ونلعب وقد قرى نرتع من الرعى * والرعى فى الاصل مكان او زمان او مصدر وهو هنا مصدر بمعنى المفعول وهو فى حق الادميين استعارة * قال ابن قتيبة قال تعالى وجعلنا من الماء كل شى حى فانظر كيف دل بقوله ماءها ومرعاها على جميع ما اخرجه من الارض قوتا ومتاعا للانام من العشب والشجر والتمر والحب والقضب واللباس والدوا حتى النار والملح * اما النار فلانها من العيدان قال تعالى افرايتم النار التى تورون ءانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشؤن * واما الملح فلانه من الما **قوله تعالى** والجبال ارساها * قرا العامة بنصب الجبال اى وارسى الجبال وادسى يثبت فيها الجبال وتادها * وقرا الحسن وعمرو بن عبيد وعمرو بن ميمون ونصر بن عاصم بالرفع على الابتدا **قوله** متاعا لكم العامة على النصب مفعولا له او مصدرا لعامل مقدر اى متعكم او مصدر من غير اللفظ لان المعنى اخرج منها ماءها ومرعاها امتع بذلك * وقيل نصب باسقاط حرف الصفة تقديره لتتمتعوا به متاعا * والمعنى منفعة لكم ولانعامكم **قوله تعالى** فاذا جاءت الطامة الكبرى * فى جواب اذا اوجه احدها قوله فاما من طغى نحو اذا جاءك بنو تميم فاما العاصى فاهنه * واما الطايع فاكرمه * وقيل محذوف فقدره الزمخشرى فان الامر كذلك اى فان الجحيم ماواه وقدر غيره انقسم الراوون قسمين * وقيل عاينوا او علموا * وقيل جوابها ادخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة وقال ابو البقا العامل فيها جوابها وهو معنى قوله يوم يتذكر الانسان * والطامة الكبرى الداهية العظمى التى تطم على غيرها من الدواهى لعظمها والطم الدفن ومنه طم السيل الركية وفى المثل جرى الوادى فطم على القرى

وقيل ماخوذ من قولهم طم الفرس طميما اذا استفرغ جهده فى الجرى * والمراد بها فى القران النفخة الثانية لان بها تحصل ذلك * قال ابن عباس هى النفخة الثانية التى يكون معها البعث * وعن ابن عباس ايضا والضحاك انها القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شى فتعمره * وقال القاسم بن الوليد الهمدانى الطامة الكبرى حين يساق اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار **قوله** يوم يتذكر بدل من اذا او منصوب باضمار فعل اى اعنى يوم او يوم يتذكر كيت وكيت **قوله** ما سعى اى ما عمل من خير او شر يراه مكتوبا فى كتابه فيتذكره وكان قد نسيه لقوله تعالى احصاه الله ونسوه **قوله تعالى** وبرزت الجحيم * العامة على بنائه للمفعول مشددا ولمن يرى بيا الغيبة * وزيد بن على وعائشة وعكرمة مبنيا للفاعل مخففا وترى بتا من فوق فجوزوا فى تا ترى ان يكون للتانيث وفى ترى ضمير الجحيم كقوله تعالى اذا راتهم من مكان بعيد وان يكون للخطاب اى ترى انت يا محمد الناس * وقرا عبد الله لمن راى فعلا ماضيا * قال ابن عباس رضى الله عنه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذى بصر فالمؤمنون يمرون عليها وان منكم الا واردها * واما الكفار فهى ماواهم * وقيل الرؤية هنا استعارة كقولهم * قد تبين الصبح لذى عينين * وقيل المراد الكافر لانه الذى يرى النار بما فيها من اصناف العذاب * وقيل يراها المؤمن ليعرف قدر النعمة **قوله** فاما من طغى اى تجاوز الحد فى العصيان * قيل نزلت فى النضر وابيه الحرث وهى عامة فى كل كافر اثر الحياة الدنيا على الاخرة فان الجحيم هى الماوى اما هى الماوى له او هى ماواه * وقامت ال مقام الضمير وهو راى الكوفيين وقد تقدم تحقيق هذا والرد على قايله بقوله * رحيب قطاب الجيب منها رقيقة * بجس الندامى بضة المتجرد * اذ لو كانت ال عوضا من الضمير لما جمع بينهما فى هذا البيت ولا بد من احد هذين التاويلين فى الاية الكريمة لاجل العايد من الجملة الواقعة خبرا الى المبتدا والذى حسن عدم ذكر العايد كون الكلمة وقعت راس فاصلة * وقال الزمخشرى فان الجحيم ماواه كما الرجل غض الطرف وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغى هو صاحب الماوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره ترك الاضافة ودخول الالف واللام فى الماوى والطرف للتعريف لانهما معروفان * قال ابو حيان وهو كلام لا يتحصل منه الرابط العايد على المبتدا اذ قد نفى مذهب الكوفيين ولم يقدر ضميرا كما قدره البصريون فرام حصول الرابط بلا رابط * قال شهاب الدين ولكن لما اعلم الى اخره هو تقدير قول البصريين ولا ادرى كيف خفى عليه هذا **قوله تعالى** واما من خاف مقام ربه اى حذر مقامه بين يدى ربه * وقال الربيع مقامه يوم الحساب * وقال مجاهد خوفه فى الدنيا من الله عند مواقعة الذنب فيقلع عنه نظيره ولمن خاف مقام ربه جنتان ونهى النفس عن الهوى اى زجرها عن المعاصى والمحارم * قال ابن الخطيب هذان الوصفان مضادان للوصفين المتقدمين فقوله تعالى من خاف مقام ربه ضد قوله فاما من طغى ونهى النفس ضد قوله واثر الحياة الدنيا فكما دخل فى ذينك الوصفين جميع القبايح دخل فى هذين الوصفين جميع الطاعات قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انتم فى زمان يقود الحق الهوى وسياتى زمان يقود الهوى الحق فنعوذ بالله من ذلك الزمان فان الجنة هى الماوى اى المنزل نزلت الايتان فى مصعب بن عمير واخيه عامر بن عمير * روى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنه قال اما من طغى فهو اخ لمصعب بن عمير اسر يوم بدر فاخذته الانصار فقالوا من انت قال انا اخو مصعب بن عمير فلم يشدوه فى الوثاق واكرموه وبيتوه عندهم فلما اصبحوا حدثوا مصعب بن عمير حديثه فقال ما هو لى باخ شدوا اسيركم فان امه اكثر اهل البطحا حليا ومالا فاوثقوه حتى بعثت امه فى فدايه * واما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم احد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص فى جوفه وهى السهام فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم متشحطا فى دمه قال صلى الله عليه وسلم عند الله احتسبك وقال صلى الله عليه وسلم ولقد رايته وعليه بردان ما يعرف قيمتهما وان شراك نعليه من ذهب * وعن ابن عباس رضى الله عنه نزلت هذه الاية فى رجلين ابو جهل بن هشام ومصعب بن عمير * وقال السدى نزل قوله تعالى واما من خاف مقام ربه فى ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وقال الكلبى نزلت عامة **قوله تعالى** يسالونك عن الساعة ايان مرساها لما سمع المشركون اخبار القيامة ووصفها بالاوصاف الهايلة مثل الطامة الكبرى والصاخة والقارعة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزا متى تكون الساعة * وقيل يحتمل ان يكون ذلك ايهاما لا تباعهم انه لا اصل لذلك * ويحتمل انهم كانوا يسالونه عن وقت القيامة استعجالا لقوله الذين لا يؤمنون بها * وقوله ايان مرساها اى قيامها * والمعنى متى يقيمها الله ويوجدها ويكون المعنى ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها الذى تنتهى اليه فاجابهم الله تعالى بقوله فيم انت من ذكراها **قوله** فيم خبر مقدم وانت مبتدا مؤخر ومن ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر * والمعنى انت فى اى شى من ذكراها اى ما انت من ذكراها لهم وتبيين وقتها فى شى * وقال الزمخشرى وعن عايشة رضى الله عنها لم يزل صلى الله عليه وسلم يسال عنها ويذكرها حتى نزلت قال فعلى هذا هو تعجب من كثرة ذكره لها كانه قيل فى اى شغل واهتمام انت من ذكراها والسوال عنها * وقيل الوقف على قوله فيم وهو خبر مبتدا مضمر اى فيم هذا السوال ثم يبتدى بقوله انت من ذكراها اى ارسالك وانت خاتم الانبيا واخر الرسل والمبعوث فى نسمة الساعة ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها والاستعداد لها ولا معنى لسوالهم عنها قاله

الزمخشري وهو كلام حسن لولا انه يخالف الظاهر ويفكك لنظم الكلام ويعني الى ربك منتهى علمها لقوله تعالى قل انما علمها
عند الله وقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة قال القرطبي ويجوز ان يكون انكارا على المشركين في مسألتهم اي فيم
انت من ذلك حتى يسألونك بيانه ولست ممن يعلمه روي معناه عن ابن عباس رضي الله عنه قوله تعالى انما انت
منذر من قرأ عمر بن عبد العزيز وابو جعفر وطلحة وابن محيصن بالتنوين
العامة على اضافة الصفة لمعمولها تخفيفا قال الزمخشري وهو الاصل والاضافة
ويكون في موضع نصب والمعنى انما ينفع بانذارك من يخشى الساعة قال
تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد امس قال
ابو حيان قوله هو الاصل يعني التنوين هو قول قاله غيره ثم اختار ابو حيان ان الاصل الاضافة قال لان العمل
انما هو بالشبه والاضافة اصل في الاسماء ثم قال وقوله ليس الا الاضافة فيه تفصيل وخلاف مذكور في كتب
النحو قال شهاب الدين لا يلزمه ان يذكر الا محل الوفاق بل هذا ان اللذان ذكر هما مذهب جماهير الناس فصل
المعنى انما انت تخوف وخص الانذار لمن يخشى لانهم المنتفعون به وان كان منذرا للكل تكليف كقوله انما تنذر من اتبع
الذكر وخشي الرحمن بالغيب قوله تعالى كانهم يوم يرونها يعني الكفار يرون الساعة لم يلبثوا في دنياهم الا عشية
او ضحاها اي قدر عشية او ضحاها اي او قدر الضحى الذي يلي تلك العشية والمراد تقليل مدة الدنيا كقوله تعالى لم يلبثوا
الا ساعة من نهار واضاف الضحى الى العشية اضافة الظرف الى ضمير الظرف الاخر تجوزا واتساعا وذكرهما لان الهاء
طرفا النهار وحسن هذه الاضافة وقوع الكلمة فاصلة فان قيل قوله تعالى او ضحاها معناه ضحى العشية وهذا غير
معقول لانه ليس للعشية ضحى فالجواب قال ابن عباس الهاء والالف صلة للكلام يريد لم يلبثوا الا عشية
او ضحى وقال الفراء والزجاج المراد باضافة الضحى الى العشية اضافتها الى يوم العشية على عادة العرب يقولون
اتيتك الغداة او عشيتها واتيتك العشية او غداتها فتكون العشية في معنى اخر النهار والغداة في معنى اول النهار
وانشد بعض بني عقيل نحن صبحنا عامرا في دارها جردا تعادى طرفي نهارها عشية الهلال او سرارها

[illegible]

وهي اثنان واربعون اية ومائة وثلاثون كلمة وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى عبس وتولى اي كلح بوجهه يقال عبس وبسر وتولى اي اعرض بوجهه قوله ان جاءه فيه وجهان
احدهما انه مفعول من اجله وناصبه اما تولى وهو قول البصريين واما عبس وهو قول الكوفيين والمختار مذهب
البصريين لعدم الاضمار في الثاني وتقدم تحقيق هذا في مسائل التنازع والتقدير لان جاءه الاعمى فعل ذلك قال
القرطبي من قرأ بالمد على الاستفهام فان متعلقة بفعل محذوف دل عليه عبس وتولى والتقدير ان جاءه اعرض عنه
وتولى فيوقف على هذه القراءة على تولى ولا يوقف عليه على قراءة العامة فصل قال المفسرون اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم واسم ام مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم صناديد
قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة
يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم علمني مما علمك الله وكرر ذلك
ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت هذه الاية قال ابن العربي اما قول
المفسرين انه الوليد بن المغيرة او امية بن خلف والعباس فهذا باطل وجهل لان امية والوليد كانا بمكة وابن ام
مكتوم كان بالمدينة ما حضر معهما ولا حضرا معه وماتا كافرين احدهما قبل الهجرة والاخر في بدر ولم يقصد امية
المدينة قط ولا حضر معه مفردا ولا مع احد وانما اقبل ابن ام مكتوم والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بمن حضره من
وجوه قريش يدعوهم الى الاسلام وقد طمع في اسلامهم وكان في اسلامهم اسلام من وراءهم من قومهم فجاء ابن ام
مكتوم وهو اعمى فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وجعل يناديه ويكثر النداء ولا يدري انه مشتغل بغيره
حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هولاء انما اتباعه العميان
والسفلة والعبيد فعبس واعرض فنزلت الاية قال الثوري فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا راى
ابن ام مكتوم يبسط له رداءه ويقول له مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل من حاجة واستخلفه على المدينة
مرتين في غزوتين غزاهما قال انس رضي الله عنه يوم القادسية راكبا وعليه درع ومعه راية سوداء
فصل قال ابن الخطيب ما فعله ابن ام مكتوم كان يستحق التاديب والزجر فكيف عاتب الله تعالى رسوله
صلى الله عليه وسلم على تاديبه ابن ام مكتوم وانما قلنا انه كان يستحق التاديب لانه وان كان اعمى لا يرى
القوم لكنه سمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لاولئك الكفار وكان يسمعه يعرف شدة اهتمام

النبي صلى الله عليه وسلم بشانهم فكان اقدامه على قطع كلام النبي عليه السلام لغرض نفسه قبل تمام غرض النبي صلى الله عليه وسلم معصية
عظيمة وايضا فان الاهم يقدم على المهم وكان قد اسلم وتعلم ما يحتاج اليه من امر الدين واما اولئك الكفار فلم يكونوا اسلموا بعد
وكان اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم فكان كلام ابن ام مكتوم كالسبب في قطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم وايضا
قال الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات بمجرد ندائهم فهذا النداء الذي هو كالصارف للكفار عن الايمان اولى ان
يكون ذنبا فثبت ان الذي فعله ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية وايضا فمع هذا الاعتناء بابن ام مكتوم كيف لقب بالاعمى
وايضا فالنبي صلى الله عليه وسلم يؤدب اصحابه بما يراه مصلحة والتعبيس من ذلك القبيل ومع الاذن فيه كيف يعاتب عليه
والجواب عن الاول ان ما فعله ابن ام مكتوم كان من سوء الادب لو كان عالما بان النبي صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره وانه
يرجو اسلامهم ولكن الله تعالى عاتبه حتى لا ينكسر قلوب اهل الصفة او ليعلموا ان المؤمن الفقير خير من الغني وكان النظر الى
المؤمن اولى وان كان فقيرا اصلح واولى من الاقبال على الاغنياء طمعا في ايمانهم وان كان ذلك ايضا نوعا من المصلحة وعلى هذا
يخرج قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى الاية وقيل انما قصد النبي صلى الله عليه وسلم تاليف الرجل ثقة بما كان
في قلب ابن ام مكتوم من الايمان كما قال صلى الله عليه وسلم اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه مخافة ان يكبه الله على وجهه
وقال ابن زيد انما عبس النبي صلى الله عليه وسلم لابن ام مكتوم واعرض عنه لانه اشار الى الذي كان يقوده ان يكفه
فدفعه ابن ام مكتوم وابى الا ان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم حتى يعلمه فكان في هذا نوع جفاء منه ومع هذا انزل الله
تعالى في حقه عبس وتولى بلفظ الاخبار عن الغائب تعظيما له ولم يقل عبست وتوليت ثم اقبل عليه بمواجهة الخطاب
تانيسا له فقال وما يدريك اي يعلمك لعله اي ابن ام مكتوم يزكى بما استدعى منك تعليمه اياه من القران والدين واما ذكره بلفظ
الاعمى ليس للتحقير بل كانه قيل انه بسبب عماه يستحق مزيد الرفق والرافة فكيف يليق بك يا محمد ان تخصه بالغلظة واما كونه
ماذونا له في تاديب اصحابه لكن هنا لما اوهم تقديم الاغنياء على الفقراء وكان ذلك مما يوهم ترجيح الدنيا على الدين فلهذا
السبب عوتب فصل قال ابن الخطيب تمسك القائلون بصدور الذنب عن الانبياء عليهم السلام بهذه الاية وقالوا
لما عوتب النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك الفعل دل على انه كان معصية قال ابن الخطيب وهذا بعيد لما ذكرنا في الجواب
عن الاول وايضا فان هذا من باب الاحتياط وترك الافضل قوله وما يدريك لعله يزكى الظاهر انه اجرى الترجي مجرى
الاستفهام لما بينهما من معنى الطلب في التعليق لان المعنى منصب على تسليط الدراية على الترجي اذ التقدير لا يدري
ما هو مترجى منه التزكية او التذكر وقيل الوقف على يدري والابتداء بما بعده على معنى وما يطلعك على امره وعاقبة
حاله ثم ابتدا فقال لعله يزكى فصل قيل الضمير في لعله للكافر يعني انك اذا طمعت في ان يتزكى بالاسلام او يذكر
فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه كائن ونظير هذه الاية قوله تعالى ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي وقوله ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا قوله او يذكر فتنفعه
الذكرى قرا عاصم فتنفعه بالنصب والباقون بالرفع فمن رفع فهو نسق على قوله او يذكر ومن نصب فعلى
جواب الترجي كقوله في المؤمن فاطلع وهو مذهب كوفي تقدم الكلام عليه وقال ابن عطية في جواب التمني
لان قوله تعالى او يذكر في حكم قوله لعله يزكى قال ابو حيان وهذا ليس تمنيا انما هو ترج قال شهاب الدين
انما يريد التمني المفهوم من الكلام ويدل له ما قال ابو البقاء بالنصب على جواب التمني في المعنى والا فالفرق
بين التمني والترجي لا يجهله ابن عطية وقال مكي من نصبه جعله جواب لعل بالفاء لانه غير موجب فاشبه التمني
والاستفهام وهو غير معروف عند البصريين وقرا عاصم في رواية والاعرج او يذكر بسكون الذال
وتخفيف الكاف مضمومة مضارع ذكر والمعنى او يتعظ بما تقوله فتنفعه الذكرى اي العظة قوله اما
من استغنى المراد بها لغة مخصوصة بالملائكة عند الاطلاق ولا يشاركهم فيها سواهم وروى الضحاك عن ابن
عباس كرام قال مكرمون ان يكونوا مع ابن ادم اذا خلا بزوجته او برز لغائط وقيل يؤثرون منافع غيرهم على منافع
انفسهم وقوله تعالى بررة جمع بار مثل كافر وكفرة وساحر وسحرة وفاجر وفجرة يقال بر وبار اذا كان اهلا للصدق
ومنه بر فلان في يمينه اي صدق وفلان يبر خالقه ويتبرره اي يطيعه فمعنى بررة مطيعين لله صادقين لله في اعمالهم
فصل قال ابن الخطيب قوله تعالى بايدي سفرة يقتضي طهارة تلك الصحف انما حصلت بايدي هولاء السفرة
فقال القفال في تقريره لما كان لا يمسها الا الملائكة المطهرون اضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها وقال القرطبي
ان المراد بقوله تعالى في سورة الواقعة لا يمسه الا المطهرون انهم الكرام البررة في هذه السورة قوله قتل
الانسان ما اكفره اي لعن وقيل عذب والانسان الكافر روى الاعمش عن مجاهد قال ما كان في القران
قتل الانسان فانما عني به الكافر قال النحويون وهذا اما تعجب واما استفهام تعجب قال ابن الخطيب
اعلم انه تعالى لما ذكر ترفع صناديد قريش على فقراء المسلمين عجب عباده المؤمنين من ذلك فكانه قيل واي
سبب في هذا الترفع مع ان اوله نطفة مذرة واخره جيفة قذرة وفيما بين الوقتين حمال عذرة فلا جرم

ذكر تعالى ما يصلح ان يكون علاجا لعجبهم وعلاجا لكفرهم فان خلقه الانسان يصلح ان يستدل بها على وجود الصانع لانه يستدل
بها على القول بالبعث والحشر قيل نزلت في عتبة ابن ابي لهب والظاهر العموم وقوله تعالى قتل الانسان دعا
عليه باشد الاشيا لان القتل غاية شدايد الدنيا وما اكفره تعجب من افراطه في كفران نعمة الله تعالى **قال**
قيل الدعا على الانسان انما يليق بالعاجز فالقادر على الكل كيف يليق ذلك به والتعجب ايضا انما يليق بالجاهل بسبب الشئ
فالعالم به كيف يليق ذلك به **فالجواب** ان ذلك ورد على اسلوب كلام العرب لبيان استحقاقهم لاعظم العقاب
حيث اتوا باعظم القبايح كقولهم اذا تعجبوا من شئ قاتله الله ما احسنه واخزاه الله ما اظلمه والمعنى اعجبوا من
كفر الانسان بجميع ما ذكرنا بعد هذا وقيل ما اكفره بالله ونعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه والاستفهام
بقوله من اي شئ خلقه قيل استفهام توبيخ اي اي شئ دعاه الى الكفر وقيل استفهام تحقير له فذكر اول مراتبه
وهي قوله تعالى من نطفة خلقه ولا شك ان النطفة شئ حقير مهين ومن كان اصله ذلك كيف يتكبر وقوله
فقدره اي اطوارا وقيل سواه لقوله تعالى ثم سواك رجلا او قدر كل عضو في الكيفية والكمية بالقدر اللايق
لمصلحته لقوله تعالى وخلق كل شئ فقدره تقديرا ثم ذكر المرتبة الوسطى فقال تعالى ثم السبيل يسره قيل المراد تيسير
خروجه من بطن امه ولا شك ان خروجه حيا من اضيق المسالك من اعجب العجايب يقال انه كان راسه في بطن امه
من فوق ورجليه من تحت فاذا جاء وقت الخروج انقلب فمن الذي اعطاه ذلك الالهام المراد منه قوله تعالى
وهديناه النجدين اي التمييز بين الخير والشر وقيل مخصوص بالدين **قوله** ثم السبيل يسره يجوز ان يكون
الضمير للانسان والسبيل ظرف اي يسر للانسان الطريق اي طريق الخير والشر كقوله تعالى وهديناه النجدين وقال
ابو البقا ويجوز ان ينتصب بانه مفعول ثان ليسره والها للانسان اي يسره السبيل اي هداه له قال شهاب الدين
فلا بد من تضمينه معنى اعطى حتى ينصب اثنين ام بخلاف حرف الجر اي يسره للسبيل ولذلك قدره بقوله تعالى
هداه له ويجوز ان يكون السبيل منصوبا على الاشتغال بفعل مقدر والضمير له تقديره ثم يسر السبيل يسره اي
سهله للناس كقوله تعالى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وتقدم مثله في قوله تعالى انا هديناه السبيل **فصل**
روي عن ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد قال سبيل الشقا والسعادة وقال ابن زيد سبيل الاسلام وقال ابو
بكر بن طاهر يسر على كل احد ما خلقه له وقدر عليه لقوله عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له **قوله** ثم اماته فاقبره
هذه المرتبة الثالثة اي جعل له قبرا يواري فيه يقال قبره اذا دفنه واقبره اي جعله بحيث يقبر وجعل له قبرا
اكراما له ولم يجعله ممن يلقى على وجه الارض تاكله الطير قاله الفرا وقال ابو عبيدة اقبره جعله قبرا وامر ان
يقبر والقابر هو الدافن بيده قال الاعشى لو اسندت ميتا الى نحرها عاش ولم ينقل الى قابر يقال قبرت
الميت اذا دفنته واقبره الله اي صيره بحيث يقبر وجعل له قبرا وتقول العرب بترت ذنب البعير وابتره الله
وعضبت قرن الثور واعضبه الله وطردت فلانا والله اطرده اي صيره طريدا **قوله** ثم اذا شا انشره اي
احياه بعد موته ومفعول شا محذوف اي شا انشاره وانشره جواب اذا وقرا العامة انشره بالالف وروى
ابو حيان عن نافع وشعيب بن ابي حمزة نشره ثلاثيا بغير الف ونقلها ابو الفضل ايضا وقال هما لغتان بمعنى الاحيا
قال ابن الخطيب وانما قال اذا شا انشره اشعارا بان وقته غير معلوم فتقديمه وتاخيره الى مشية الله تعالى
قوله كلا لما يقض كلا ردع للانسان عن تكبره وترفعه وعن كفره واصراره على انكار التوحيد وعلى انكار البعث والحشر
والنشر وقوله تعالى لما يقض ما امره قال مجاهد وقتادة لا يقضي احد ما امر به وهو اشارة الى ان الانسان لا ينفك
عن تقصير البتة قال ابن الخطيب وعندي في هذا التفسير نظر لان الضمير فيه عايد الى المذكور السابق وهو الانسان
في قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره وليس المراد من الانسان هنا جميع الانسان بل الانسان الكافر فقوله تعالى لما
يقض ما امره كيف يمكن حمله على جميع الناس وقال ابن فورك كلا لما يقض الله لهذا الكافر ما امره به من الايمان وترك
التكبر بل امره بما لم يقض له به وقال ابن عباس رضي الله عنه يقول لما يقض ما امره لم يف بالميثاق الذي اخذ عليه في
صلب ادم عليه السلام وقيل المعنى ان ذلك الانسان الكافر لم يقض ما امره به من التامل في دلايل الله والتدبر في عجايب
خلقه **قوله** ما امره موصولة قال ابو البقا بمعنى الذي والعايد محذوف اي ما امره به قال شهاب الدين وفيه نظر
من حيث انه قدر العايد مجرورا بحرف لم يجر الموصول ولا امره به قال قلت امر يتعدى اليه بخلاف الحرف فاقدره
غير مجرور قلت اذا قدرته غير مجرور فاما ان تقدره متصلا او منفصلا وكلاهما مشكل لما تقدم في اول البقرة عند
قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وقال الحسن كلا معناه حقا لم يقض اي لم يعمل بما امره به قال القرطبي وما في
لما عماد للكلام كقوله تعالى فبما رحمة من الله وقوله تعالى عما قليل ليصبحن نادمين وقال ابن الانباري الوقف
لا قبيح والوقف على امره وانشره جيد فكلا على هذا بمعنى حقا **قوله** فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن الخطيب
ان عادة الله جارية في القران كلما ذكر دلايل الانفس يذكر عقيبها دلايل الافاق فجرى هاهنا على ما يحتاج الانسان اليه

واعلم

واعلم ان التنبيه انما يحصل عن القطر النازل من السما الى الارض فالسما كالذكر والارض كالانثى فهي تروي الماء من السما الى الارض بقوله
انا صببنا الماء صبا وقال القرطبي لما ذكر تعالى ابتدا خلق الانسان ذكر ما يسر من رزقه اي فلينظر كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام
حياته وكيف هيا له اسباب المعاش ليستعد بها للمعاد وهذا النظر نظر القلب بالفكر والتدبر قال الحسن ومجاهد فلينظر
الانسان الى طعامه اي الى مدخله ومخرجه روي الضحاك بن سفيان الكلابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا ضحاك ما طعامك قلت يا رسول الله اللحم واللبن قال ثم يصير الى ماذا قلت الى ما قد علمته قال فان
الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن ادم مثلا للدنيا وقال ابو الوليد سالت ابن عمر رضي الله عنه عن الرجل يدخل الخلا
فينظر ما يخرج منه قال ياتيه الملك فيقول انظر ما بخلت به الى ما صار واعلم ان الطعام الذي يتناوله الانسان له حالتان
احديهما متقدمة وهي التي لا بد من وجودها حتى يدخل ذلك الطعام في الوجود والحالة الثانية متاخرة وهي الامور
التي لا بد منها في بدن الانسان حتى يحصل الانتفاع بذلك الطعام فلما كانت الحالة الاولى اظهر للحس لا جرم اكتفى الله
تعالى بذكرها **قوله** انا صببنا الماء صبا قرا الكوفيون انا بفتح الهمزة غير ممالة الالف والباقون بالكسر
والحسن بن علي بالفتح والامالة فاما القراة الاولى ففيها ثلاثة اوجه احدها انها بدل من طعامه فيكون في محل جر
واستشكل بعضهم هذا الوجه ورده بانه ليس بواضح والثاني بانه بدل الاشتمال يعني ان صب الماء سبب في اخراج
الطعام فهو مشتمل عليه بهذا التقدير وقد نحى مكي الى هذا فقال لان هذه الاشيا مشتملة على الطعام ومنها يكون
لان معنى الى طعامه الى حدوث طعامه كيف يتاتى فالاشتمال على هذا انما هو من الثاني على الاول لان الاعتبار انما
هو في الاشيا التي يكون منها الطعام لا في الطعام نفسه والوجه الثاني انما هو على تقدير لام العلة اي فلينظر
لانا ثم حذفت الخافض فجرى الخلاف المشهور في محلها قال القرطبي فان في موضع خفض كانه قال فلينظر الانسان
الى طعامه انا صببنا فلا يحسن الوقف على الطعام من هذه القراة والوجه الثالث انها في محل رفع خبر المبتدا المحذوف
اي هو انا صببنا وفيه ذلك النظر المتقدم لان الضمير ان عاد على الطعام فالطعام ليس هو نفس الصب وان عاد على غيره
فهو غير معلوم وجوابه ما تقدم واما القراة الثانية فعلى الاستيناف تقديرا للنعمة عليه واما القراة الثالثة ابي
التي بمعنى كيف وفيها معنى التعجب فهي على هذه القراة كلمة واحدة وعلى غيرها كلمتان قال القرطبي فمن اخذ بهذه القراة
قال الوقف على طعامه تام ويقال معنى اني ابن الان فيها كانه قيل الوجوه وتاويلها من اي وجه صببنا قال
الكميت اني ومن اين ابك الطرب من حيث لا صبوة ولا ريب **قوله** صببنا الماء صبا يعني الغيث والامطار ثم
شققنا الارض شقا اي بالنبات فانبتنا فيها حبا اي قمحا وشعيرا وسلتا وساير ما يحصد ويدخر وانما قدم ذلك
لانها كالاصل في الاغذية وعنبا وانما ذكره بعد الحب لانه غذا من جهة وفاكهة من جهة **قوله تعالى** وقضبا
القضب هنا قال ابن عباس هو الرطب لانه يقضب من النخل اي يقطع ورجحه بعضهم بذكره بعد العنب وكثيرا
ما يقترنان وقيل القت قال القتيبي كذا تسميه اهل مكة وقيل كل ما يقضب من البقول لبني ادم وقيل هو الرطبة
والمقاضب الارض التي تنبتها قال الراغب والقضب كالقضب لكن القضيب من فروع الشجر والقضب في البقل
والقضب اي بالفتح قطع القضيب والقضب وعنه صلى الله عليه وسلم انه اذا راى في ثوب مصلبا قضبه وسيف
قاضب وقضيب اي قاطع فقضب هنا بمعنى فاعل وفي الاول بمعنى مفعول وناقة قضيب لما توخذ من بين الابل ولم ترض
وكل ما لم يهذب فهو مقتضب ومنه اقتضاب الحديث لما لم يرو فيه وقال الخليل القضب اغصان الشجر يتخذ منها قسي
او سهام وقال ابن عباس انه القضقضة وهو القت الرطب وقال الخليل القضب القضقضة الرطبة وقيل
بالسين فاذا يبست فهو قت **قوله** وزيتونا وهي شجرة الزيتون ونخلا يعني النخل **قوله** وحدايق غلبا
جمع اغلب وغلبا كحمر في احمر وحمرا يقال حديقة غلبا اي غليظة الشجر ملتفة واغلولب العشب اي غلظ واصله في
وصف الرقاب يقال رجل اغلب وامراة غلبا غليظ الرقبة قال عمرو بن معدي كرب
يمشي بها غلب الرقاب كانهم بزل كسين من الكحيل جلالا ويقال للاسد الاغلب لانه مصمت العنق لا يلتفت
الا جميعا قال العجاج ما زلت يوم البين الوي صلبي والراس حتى صرت مثل الاغلب والغلبة والقهر الشاك
ونصب علبة رقبته هذا اصله وحديقة غلبا ملتفة وحدايق غلب قال ابن عباس الغلب جمع اغلب وغلبا
وهي الغلاظ وعنه ايضا الطوال وقال قتادة وابن زيد الغلبة النخل الكرام وعن ابن زيد ايضا وعكرمة
العظام الاوساط والجذوع وقال مجاهد ملتفة وتقدم الكلام على الحدايق في سورة النمل **قوله** وفاكهة
وابا الفاكهة ما ياكله الناس من ثمار الاشجار كالتين والخوخ وغيرهما قال ابن الخطيب وقد استدل بعضهم
بان الله تعالى لما ذكر الفاكهة بعد ذكر العنب والزيتون والنخل وجب ان لا تدخل هذه الاشيا في الفاكهة
وهذا قريب من جهة الظاهر لان المعطوف تغاير المعطوف عليه واما الاب فقيل الاب للبهايم بمنزلة الفاكهة
للناس وقيل هو مطلق المرعى قال الشاعر يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

لو دعوه مبهوتة زعمها الصبا ٭ بها ينبت الله الحصيد والابا ٭ وسمي المرعى ابا لانه يؤب اى يؤم ويتجع والاب والام بمعنى ٭ قال الشاعر ٭ جذنا قيس ونجد دارنا ٭ ولنا الاب بها والمكرع ٭ واب لكذا اى تهيا يوب ابا وابابة واب الى وطنه اذا نزع الى الشى نزوعا تهيا للعصد فكر اب لسيفه اى تهيا لسله وقولهم ابان ذلك هو فعلان منه وهو الشى المتهى لفعله وتجنبه ٭ وقيل الاب يابس الفاكهة لانها تؤب للشتاء اى تعد ٭ وقيل الاب هو ما ياكله البهائم من العشب ٭ قال ابن عباس والحسن الاب كلما انبت الارض مما لا ياكله الناس وما ياكله الادميون هو الحصيد ٭ وعن ابن عباس وابن ابي طلحة الاب الثمار الرطبة ٭ وقال الضحاك هو التبن خاصة وهو يحكى عن ابن عباس ايضا ٭ وقيل الاب الفاكهة رطب الثمار ويابسها ٭ وقال ابراهيم التيمي سئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن تفسير الفاكهة والاب فقال اى سما تظلني واى ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم ٭ وقال انس سمعت عمر بن الخطاب قرا هذه الاية ثم قال كل هذا عرفناه فما الاب ثم رفع عصا كانت بيده ثم قال هذا لعمر الله التكليف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدرى ما الاب ثم قال اتبعوا ما بين لكم في هذا الكتاب وما لا فدعوه ٭ وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلقتم من سبع ورزقتم من سبع فاسجدوا لله على سبع وانما اراد بقوله عليه السلام خلقتم من سبع يعني من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة الاية والرزق من سبع هو قوله تعالى فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا الى قوله وفاكهة ثم قال وابا وهو يدل على انه ليس برزق لابن ادم وانما يختص البهائم والله اعلم **قوله** متاعا لكم ٭ نصب على المصدر المؤكد لان انباته هذه الاشيا امتاع لجميع الحيوانات ٭ واعلم انه تعالى لما ذكر ما يغتذى به الناس والحيوان قال جل من قائل متاعا لكم ولانعامكم ٭ قال الفرا جعلناه منفعة لكم ومتعة لكم ولانعامكم وهذا مثل ضربه الله تعالى لبعث الموتى من قبورهم كنبات الزرع بعد دثوره كما تقدم بيانه في غير موضع **قوله** فاذا جاءت الصاخة ٭ وهي الصيحة التي تصخ الاذان اي تصمها لشدة وقعها ٭ وقيل هي ماخوذة من صخه بالحجر اى صكه به ٭ وقال الزمخشري صخ لحديثه مثل اصاخ فوصفت بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها ٭ وقال ابن العربي الصاخة التي تورث الصمم وانها المسمعة وهذا من بديع الفصاحة كقوله ٭ اصمني سرهم ايام فرقتهم ٭ فهل سمعتم بسر يورث الصمما ٭ وقال اخر ٭ اصم بك الداعي وان كان اسمعا ٭ وجواب اذا محذوف يدل عليه قوله لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اي اشتغل كل احد بنفسه **فصل** لما ذكر امر المعاش ذكر امر المعاد لبتزودوا له بالاعمال الصالحة وبالانفاق مما امتن به عليهم ٭ وقال ابن الخطيب لما ذكر تعالى هذه الاشيا وكان المقصود منها امور ثلاثة ٭ اولها الدلايل الدالة على التوحيد ٭ وثانيها الدلايل الدالة على القدرة والمعاد ٭ وثالثها ان هذا الاله الذي احسن الى عبيده هذه الانواع العظيمة من الاحسان لا يليق بالعاقل ان يتمرد عن طاعته وان يتكبر على عبيده اتبع ذلك بما يكون كالموكد لهذه الاغراض وهو شرح احوال القيامة فان الانسان اذا سمعها خاف فيدعوه ذلك الخوف الى التامل في الدلايل والايمان بها والاعراض عن الكفر ويدعوه ايضا الى ترك التكبر على الناس والى اظهار التواضع فقال تعالى فاذا جاءت الصاخة يعني صيحة القيامة وهي النفخة الاخيرة تصخ الاسماع اي تصمها فلا تسمع الا ما يدعى به الاحيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة شفقا من الساعة الا الجن والانس **قوله** يوم يفر بدل من اذا ولا يجوز ان يكون يغنيه عاملا في اذا ولا في يوم لانه صفة لشان ولا يتقدم معمول الصفة على موصوفها والعامة على يغنيه من الاغنا وابن محيصن والزهري وابن ابي عبلة وحميد وابن السميفع يعنيه بفتح اليا وبالعين المهملة من قولهم عناني الامر اى قصدني **فصل** يفر اى يهرب في يوم مجي الصاخة من اخيه اى من موالاة اخيه ومكالمته لانه مشتغل بنفسه لقوله بعد لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اى يشغله عن غيره ٭ وقيل انما يفر حذرا من مطالبتهم اياه بالتبعات يقول الاخ ما واسيتني بمالك والابوان يقولان قصرت في برنا والصاحبة تقول اطعمتني الحرام والبنون يقولون ما علمتنا ٭ وقيل لعلمه انهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيئا لقوله تعالى يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ٭ وقال عبد الله بن طاهر يفر منهم لما يتبين له عجزهم وقلة حيلتهم ٭ وذكر الضحاك عن ابن عباس قال يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبي من امته ويفر ابراهيم من ابيه ونوح من ابنه ولوط من امراته وادم من سوء بنيه ٭ قال ابن الخطيب المراد ان الذين كان المرء يفر اليهم في دار الدنيا ويستجير بهم فانه يفر منهم في دار الاخرة ٭ وذكروا في فايدة الترتيب كانه قيل يوم يفر المرء من اخيه بل من ابويه فانهما اقرب من الاخوان بل من الصاحبة والولد لان تعلق القلب بهما اشد من تعلقه بالابوين ٭ ثم لما ذكر الفرار اتبعه بذكر سببه فقال تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه ٭ قال ابن قتيبة يغنيه اى يصرفه عن قرابته ومنه يقال اغن عني وجهك اى اصرفه ٭ وقال اهل المعاني يغنيه اى ذلك الهم الذي حصل له قد ملا صدره فلم يبق فيه متسع لهم اخر فصار شبيها بالغني انه ملك شيئا كثيرا **قوله** وجوه يومئذ مسفرة ٭ لما

ذكر تعالى حال يوم القيامة في الهول بين ان المكلفين فيه على قسمين سعدا واشقيا فوصف سبحانه السعدا بقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة اى مضيئة مشرقة قد علمت ما لها من الفوز والنعيم من اسفر الصبح اذا اضا وهي وجوه المؤمنين ضاحكة اى مسرورة فرحة ٭ قال الكلبي يعني بالفراغ من الحساب مستبشرة اى بما اتاها الله تعالى من الكرامة ٭ وقال عطا الخراساني مسفرة من طول ما اغبرت في سبيل الله ٭ وقال الضحاك من اثار الوضو ٭ وقال ابن عباس من قيام الليل لقوله صلى الله عليه وسلم من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار **قوله** ووجوه يومئذ عليها غبرة ٭ قال المبرد الغبرة الغبار والقترة سواد كالدخان ٭ وقال ابو عبيدة القتر في كلام العرب الغبار جمع القترة ٭ قال الفرزدق ٭ متوج برداء الملك يتبعه ٭ موج ترى فوقه الرايات والقترا ٭ وفي عطفه على الغبرة ما يرد هذا الا ان يقال لما اختلف اللفظ حسن العطف كقوله كذبا ومينا والناي والبعد وهو خلاف الاصل وفي الحديث ان البهائم اذا صارت ترابا يوم القيامة حول ذلك التراب في وجوه الكفار ٭ وقال زيد بن اسلم القترة ما ارتفعت الى السما والغبرة ما انحطت الى الارض والغبار والغبرة واحد ٭ وقال ابن عباس ترهقها اى تغشاها قترة اى كسوف وسواد وعنه ايضا ذلة وشدة ٭ وقيل ترهقها اى تدركها عن قرب كقولك رهقته الخيل اذا ادركته مسرعة ٭ والرهق عجلة الهلاك والقترة سواد كالدخان ولا يرى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى وجوه الزنوج اذا اغبرت جمع الله تعالى في وجوههم بين السواد والغبرة كما جمعوا بين الكفر والفجور والله اعلم ٭ والعامة على فتح التا في قترة واسكنها ابن ابي عبلة **قوله** اولئك هم الكفرة جمع كافر والفجرة جمع فاجر وهو الكاذب المفترى على الله تعالى ٭ وقيل الفاسق فجر يفجر فجورا اى فسق وفجر اى كذب واصله الميل والفاجر المايل ٭ روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عبس وتولى جا يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر ٭ والله تعالى اعلم ٭

سورة التكوير

مكية وهي تسع وعشرون اية ومائة واربع كلمات واربع مائة واربعة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** اذا الشمس كورت ٭ في ارتفاع الشمس وجهان ٭ احدهما انها مرفوعة بفعل مقدر مبنى للمفعول حذف وفسره ما بعده على الاشتغال والرفع على هذا الوجه اعني اضمار الفعل واجب عند البصريين لانهم لا يجيزون ان يليها غيره ويتاولون ما اوهم خلاف ذلك ٭ والثاني انها مرفوعة بالابتدا وهو قول الكوفيين والاخفش لظواهر جات في الشعر وانتصر له ابن مالك ٭ وقال الزمخشري ارتفاع الشمس على الابتدا او الفاعلية قلت بل على الفاعلية ثم ذكر نحو ما تقدم ويعني بالفاعلية ارتفاعها بفعل الجملة وقد مر انه يسمى مفعول ما لم يسم فاعله فاعلا وارتفاع النجوم وما بعدها كما تقدم في الشمس **فصل** قد تقدم تفسير التكوير في اول الزمر بل قيل التلفيف على جهة الاستدارة كتكوير العمامة ٭ وفي الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى من التشتت بعد الالفة ٭ وقيل من فساد من امورنا بعد صلاحها ٭ والحور بالحا المهملة والرا والطي اللف والكور والتكوير واحد ٭ وسميت كارة القصار كارة لانه يجمع ثيابه في ثوب واحد ثم ان الشي الذي يلف يصير مختفيا عن الاعين فعبر عن ازالة النور عن جرم الشمس وتغييبها عن الاعين بالتكوير فلهذا قال ابن عباس رضي الله عنه تكويرها ادخالها في العرش ٭ وقال الحسن ذهاب ضوءها وهو قول مجاهد وقتادة ٭ وروى عن ابن عباس ايضا وسعيد بن جبير غورت ٭ وقال الربيع بن خثيم كورت رمى بها ٭ ومنه كورته فتكور اى سقط ٭ قال الاصمعي يقال طعنه فكوره اذا صرعه بمعنى كورت اى القيت ورميت عن الفلك ٭ وعن ابي صالح كورت نكست ٭ وقال ابن الخطيب روى عن ابن عمر رضي الله عنه ان لفظة كورت ماخوذة من الفارسية فانه يقال للاعمى كور **قوله** واذا النجوم انكدرت ٭ اى تناثرت وتساقطت قال تعالى واذا الكواكب انتثرت والاصل في الانكدار الانصباب ٭ قال الخليل انكدر عليهم القوم اذا جاؤوا ارسالا فانصبوا عليهم ٭ قال ابو عبيدة انصبت كما ينصب العقاب اذا انكسرت ٭ قال العجاج يصف صقرا ٭ ابصر خربان فضاء فانكدر ٭ تقضى البازي اذ البازي كسر ٭ وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبقى في السما يومئذ نجم الا سقط في الارض ٭ وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النجوم قناديل معلقة بين السما والارض بسلاسل من نور بايدي الملايكة فاذا مات من في السموات ومن في الارض تساقطت تلك الكواكب من ايدي الملايكة لانه مات من كان يمسكها ٭ قال القرطبي ويحتمل ان يكون انكدارها طموس اثارها وسميت النجوم نجوما لظهورها في السما بضوءها ٭ وعن ابن عباس ايضا انكدرت تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها من اماكنها **قوله** واذا الجبال سيرت ٭ يعني قلعت عن وجه الارض وسيرت في الهوا لقوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة ٭ وقوله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا اى في الهوا لقوله تعالى وهي تمر مر السحاب ٭ وقيل سيرها ان تحول عن صفة الحجارة فتكون كثيبا مهيلا اى رملا سايلا وتكون كالعهن وتكون هباء منبثا وتكون مثل السراب الذي يحسبه الظمآن شيئا وعادت الارض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا **قوله** واذا العشار عطلت ٭ العشار جمع عشراء وهي الناقة

التي مر لحملها عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع في تمام السنة وكذلك نفاس في جمع نفسا قال القرطبي وهو اسمها بعدما
تضع ايضا ومن عادة العرب ان يسموا الشيء باسمه المتقدم وان كان قد جاوز ذلك يقول الرجل لفرسه وقد قرح قربوا
مهري لتسمية بمتقدم اسمه وخص العشار بالذكر لانها اعز ما يكون عند العرب وهذا على وجه المثل لان في القيامة لا يكون
ناقة عشرا والمعنى ان يوم القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشرا لعطلها واشتغل بنفسه يقال ناقة عشرا وناقتان
عشراوان ونوق عشار وعشراوات يبدلون من همزة التانيث واوا وقد عشرت الناقة تعشيرا اي صارت عشرا
وقيل العشار السحاب وعطلت اي لا تمطر والعرب تشبه السحاب بالحامل قال تعالى فالحاملات وقرا وقيل الارض تعطل
زرعها والتعطيل الاهمال ومنه قيل للمراة عاطل اذا لم يكن عليها حلي وتعطل في بير معطلة وقال امرؤ القيس
وجيد كجيد الريم ليس بفاحش اذا هي نصته ولا بمعطل وقرا ابن كثير في رواية عطلت بتخفيف
الطا قال الرازي هو غلط انما هو بتخفيف بمعنى تعطلت لان التشديد فيه للتعدي يقال عطلت الشيء واعطلته
تعطل قوله واذا الوحوش حشرت الوحوش ما لم يتانس به من حيوان البر والوحش ايضا المكان الذي لا انس
فيه ومنه لقيته بوحش اصمت اي ببلد قفر والوحش الذي يبيت جوفه خاليا من طعام وجمعه اوحاش وسمي به المنسوب
الى المكان الوحش وحشي وعبر بالوحشي عن الجانب الذي يضاد الانسي والانسي ما يقبل من الانسان وعلى هذا وحشي
العرس والنسبة وقوله تعالى حشرت اي جمعت والحشر الجمع قاله الحسن وقتادة وغيرهما وقال ابن عباس رضي الله
عنهما حشرها موتها رواه عكرمة وحشر كل شيء الموت غير الجن والانس فانهما يوافيان يوم القيامة وعن ابن عباس
قال تحشر كل شيء حتى الذباب قال ابن عباس تحشر الوحوش غدا اي تجمع حتى يقتص لبعضها من بعض فيقتص للجماء من القرناء
ثم يقال لها موتي فتموت وقرا الحسن وابن ميمون حشرت بتشديد الشين ومعنى الاية ان الوحوش اذا كانت
هذه حالها فكيف بني ادم وقيل انها مع نفرتها اليوم من الناس وتبددها في الصحاري تنضم غدا الى الناس من اهوال
ذلك اليوم قال معناه ابي بن كعب قوله واذا البحار سجرت قرا ابن كثير وابو عمرو سجرت بتخفيف الجيم والباقون
بتثقيلها على المبالغة والتكثير والمعنى مليت من الماء والعرب تقول سجرت الحوض اسجره سجرا اذا ملاته وهو مسجور
والمسجور والساجر في اللغة الملآن وروى الربيع بن خثيم سجرت فاضت وملئت قال تعالى واذا البحار فجرت
وقال الحسن اختلطت فصارت شيئا واحدا وقيل ارسل عذبها على مالحها ومالحها على عذبها حتى امتلات وقال
القشيري يرفع الله الحاجز الذي ذكره تعالى بينهما برزخ لا يبغيان فاذا رفع ذلك البرزخ تفجرت مياه البحار
فعمت الارض كلها وصارت بحرا واحدا وعن الحسن وقتادة وابن حبان ييبس ولا يبقى من مائها قطرة قال القشيري
وهو من سجرت التنور اسجره سجرا اذا احميته وما تسلط عليه الايقاد نشف ما فيه من الرطوبة وتقدم اشتقاق هذه
المادة قال القفال وهذا التاويل يحتمل وجوها الاول ان تكون جهنم في قعر البحار فهي الان غير مسجورة لقوام الدنيا
فاذا انتهت مدة الدنيا اوصل الله تعالى تاثير تلك النيران الى البحار فصارت مسجورة بالكلية وهذا قول ابن زيد
وعطية وسفيان ووهب وابي وعلي بن ابي طالب وابن عباس في رواية الضحاك رضي الله عنهم او قدت فصارت
نارا الثاني قال ابن عباس يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم في البحار فتصير البحار مسجورة بسبب ذلك يبعث
الله تعالى لها ريحا دبورا فتنفخه حتى يصير نارا كذا جاء في الحديث الثالث ان يخلق الله تعالى تحت البحار نيرانا عظيمة
حتى تسجر تلك المياه قال ابن الخطيب وهذه متكلفة ولا حاجة الى شيء منها لان القادر على تخريب الدنيا يقدر على ان
يفعل في البحار ما شاء من تسخين مياهها ومن قلب مياهها نيرانا من غير حاجة الى ان يلقي فيها الشمس والقمر او يكون
تحتها نار جهنم قال القرطبي وروي عن ابن عمر رضي الله عنه لا يتوضا بماء البحر لانه طبق جهنم قال ابي بن كعب رضي
الله عنه ست ايات قبل يوم القيامة بينما الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فتحيروا وبدهشوا فبينما هم
كذلك ينظرون اذ تناثرت النجوم وتساقطت فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت واحترقت
فصارت هباء منبثا ففزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلط الدواب والوحش والهوام والطير وماج
بعضها في بعض فذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم قال الجن للانس نحن ناتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحار فاذا هي
نار تاجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا
فبينما هم كذلك اذ جاءتهم ريح فاماتتهم وقال ابن الخطيب وهذه العلامات يمكن ان تكون عند خراب الدنيا
وان تكون بعد القيامة وقيل معنى سجرت هو ماؤها حتى يصير كالدم من قولهم عين سجرا اي حمراء قوله واذا النفوس
زوجت العامة على تشديد الواو من زوجت من التزويج وروي عن عاصم زوجت على فوعلت قال ابو حيان
والمفاعلة تكون بين اثنين قال شهاب الدين وهي قراءة مشكلة لانه ينبغي ان يلفظ بواو ساكنة ثم اخرى مكسورة
وقد تقدم انه متى اجتمع مثلان وسكن اولهما وجب الادغام حتى في كلمتين ففي كلمة واحدة اولى فصل قال
النعمان بن بشير قال النبي صلى الله عليه وسلم واذا النفوس زوجت قال يقرن كل رجل مع كل قوم يعملون كعمله

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرن الفاجر مع الفاجر ويقرن الصالح مع الصالح قال ابن عباس رضي الله عنه ذلك حين
يكون الناس ازواجا ثلاثة السابقون زوج يعني صنفا واصحاب اليمين صنفا واصحاب الشمال زوج وعنه ايضا قال
زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت الكفار والمنافقون بالشياطين وقال الزجاج قرنت النفوس باعمالها وقيل
قرنت الارواح بالاجساد اي ردت اليها قاله عكرمة وقيل غير ذلك قوله واذا الموودة سئلت باي ذنب قتلت
الموودة هي البنت تدفن حية من الواد وهو الثقل لانها تثقل بالتراب والجدال يقال واده يئده كوعد يعد وقال
الزمخشري واد يئد مقلوب من اد يؤود اذا اثقل قال الله تعالى ولا يؤوده حفظهما لانه اثقال بالتراب قال ابو حيان ولا
يدعى ذلك لان كلا منهما كامل التصرف في الماضي والامر والمضارع والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وليس فيه شيء من
مسوغات ادعاء القلب والذي يعلم به الاصالة من القلب ان يكون احد النظمين فيه حكم يشهد له بالاصالة والاخر
ليس كذلك او اكثر استعمالا من الاخر وهذا على ما قرروا حكم في علم التصريف فالاول كيئس وايس والثاني كطامن
واطمان والثالث كشراعي وشراعي والرابع كلعمري ورعملي وقرا العامة الموودة بهمزة بين واوين ساكنين
كالموعودة وقرا البزي في رواية بهمزة مضمومة ثم واو ساكنة وفيها وجهان احدهما ان يكون كقراءة الجماعة ثم نقل
حركة الهمزة الى الواو قبلها وحذفت الهمزة فصار اللفظ الموودة بواو مضمومة ثم اخرى ساكنة فقلبت الواو
المضمومة همزة نحو اجوه في وجوه فصار اللفظ كما ترى ووزنها الان المفولة لان المحذوف عين الكلمة والثاني ان
تكون الجملة اسم مفعول من اده يؤده مثل قاده يقوده والاصل ماوود مثل مقوود ثم حذفت احدى الواوين على
الخلاف المشهور في الحذف من نحو مقول ومصون فوزنها الان اما مفعلة ان قلنا ان المحذوف الواو الزائدة واما
مفولة ان قلنا ان المحذوف عين الكلمة وهذا يظهر فضل علم التصريف وقرئ الموودة بضم الواو الاولى على انه
نقل حركة الهمزة بعد حذفها ولم يقلب الواو همزة وقرا الاعمش المودة بزنة الموزة وتوجيهه انه حذف
الهمزة اعتباطا فالتقى ساكنان فحذف ثانيهما ووزنها المفلة لان الهمزة عين الكلمة وقد حذفت وقال مكي بل هو
تخفيف قياسي وذلك انه لما نقل حركة الهمزة الى الواو ولم يهمزها استثقل الضمة عليها فسكنها فالتقى ساكنان فحذف
الثاني وهذا كله خروج عن الظاهر وانما يظهر في ذلك ما نقله القراء وقف حمزة انه يقف عليها كالموزة قال لو
لاجل الخط لانها رسمت كذلك والرسم سنة متبعة والعامة على سئلت مبنيا للمفعول مضموم السين والحسن
بكسرها من سال سال كانقام وقرا ابو جعفر قتلت بتشديد الفاء على التكثير لان المراد اسم الجنس فناسبه التكثير
وقرا علي وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم سالت مبنيا للفاعل قتلت بضم التاء الاخيرة والتي للمتكلم حكاية لكلامها
وعن ابي وابن مسعود ايضا وابن يعمر سالت مبنيا للفاعل قتلت بتاء التانيث الساكنة كقراءة العامة فصل
كانوا يدفنون بناتهم احياء لخصلتين احدهما كانوا يقولون الملائكة بنات الله فالحقوا البنات به تبارك وتعالى عن ذلك
والثانية مخافة الحاجة والاملاق واما خوفا من السبي والاسترقاق قال ابن عباس كانت المراة في الجاهلية
اذا حملت حفرت حفرة وتمخضت على راسها فان ولدت جارية رمت بها في الحفرة وردت التراب عليها وان ولدت غلاما
حبسته ومنه قول الراجز سميتها اذ ولدت تموت والقبر صهر ضامن زميت وقيل كان الرجل اذا ولدت له بنت
فاراد ان يستحييها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم في البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا بلغت
قامتها ستة اشبار فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى اقاربها وقد حفر لها بيرا في الصحراء فيذهب بها الى البير
فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البير بالارض وكان صعصعة بن ناجية
ممن يمنع الوادي فافتخر الفرزدق به في قوله ومنا الذي منع الوائدات واحيا الوئيد فلم يوأد
روي ان قيس بن عاصم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني وادت ثماني بنات كن لي في الجاهلية فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتق عن كل واحدة منهن رقبة قال يا رسول الله اني صاحب ابل قال عليه السلام فاهد
عن كل واحدة منهن بدنة ان شئت واعلم ان سؤال الموودة سؤال توبيخ لقاتلها كما يقال للطفل اذا ضرب لم ضربت
وما ذنبك قال الحسن اراد الله توبيخ قاتلها لانها قتلت بغير ذنب وقال ابن اسلم باي ذنب ضربت وكانوا يضربونها
وقيل في قوله تعالى سئلت معناه طلبت كان تطلب بدم القتيل وهو كقوله تعالى وكان عهد الله مسؤولا اي مطلوبا
فكانها طلبت منهم فقيل اين اولادكم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المراة التي تقتل ولدها تاتي يوم القيامة
متعلقا ولدها بيدها ملطخا بدمائه فيقول يا رب هذه امي وهذه قتلتني والاول قول الجمهور لقوله تعالى لعيسى بن مريم
اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين على جهة التوبيخ والتبكيت لهم فكذلك سؤال الموودة توبيخ لوالديها وهو ابلغ
من سؤالها عن قتلها لان هذا انما لا يصح الا بذنب اي فباي ذنب كان ذلك فاذا اظهر انه لا ذنب لها كان اعظم في البلية وظهور
الحجة على قاتلها وفي الاية دليل على ان اطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يستحق الا بذنب قوله واذا
الصحف نشرت قرا الاخوان وابن كثير وابو عمرو بالتثقيل على تكرار النشر للمبالغة في تقريع العاصي وتبشير المطيع وقيل

قوله نشرت
لتكرير ذلك من الانسان والباقون بالتخفيف ونافع وحفص وابن ذكوان سعرت بالتثقيل والباقون بالتخفيف
اي فتحت بعد ان كانت مطوية والمراد صحف الاعمال التي كتبت الملائكة فيها اعمال العباد من خير وشر تطوى بالموت وتنشر
في القيامة فيقف كل انسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قوله
واذا السماء كشطت اي قشرت من قولهم كشط جلد الشاة اي سلخها وقرأ عبد الله قشطت بالقاف وقد تقدم ان بينهما
تعاقبا قال القرطبي يقال كشطت البعير كشطا نزعت جلده ولا يقال سلخته لان العرب لا تقول في البعير الا كشطته او جلدته والمعنى ازيلت
عن اماكنها وقال الفراء ويقال اليوم كبيرا وانه قوي كافورا وكافور ان ازهل اي على الانسان ويقال لبكت الثريد ولبقته
قوله واذا الجحيم سعرت اي اوقدت فاضرمت للكفار وزيد في احمائها يقال سعرت
النار واسعرتها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقد على النار الف سنة حتى اسودت فهي مظلمة واحتج بهذه الاية
من قال النار مخلوقة الان لانه يدل على ان تسعيرها معلق بيوم القيامة قوله واذا الجنة ازلفت اي ادنيت
وقربت من المتقين قال الحسن انهم يقربون منها لا انها تزول عن موضعها وقال عبد الله بن زيد زينت والزلفى
في كلام العرب القربة قوله علمت نفس ما احضرت هذا جواب اذا اول السورة وما عطف عليها والمعنى يعني ما عملت
من خير وشر روي عن ابن عباس وعمر رضي الله عنهما انهما قرآ فلما بلغا علمت نفس ما احضرت قالا لهذا اجريت القصة قال
ابن الخطيب ومعلوم ان العمل لا يمكن احضاره فالمراد اذا ما احضرته في صحائفها وما احضرته عند المحاسبة وعند الميزان
من اثار تلك الاعمال والمراد ما احضرت من استحقاق الجنة والنار فان كل نفس تعلم ما احضرت لقوله تعالى يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا والتنكير في قوله نفس من عكس كلامهم الذي يقصدون به المبالغة وان كان اللفظ موضوعا
للتقليل لقوله تعالى ربما يود الذين كفروا ويكون المراد ان الكفار كانوا يتعبون انفسهم فيما يظنونه طاعة ثم
يظهر لهم في القيامة خلاف ذلك قوله فلا اقسم بالخنس اي اقسم ولا زائدة كما تقدم والخنس جمع خانس
والخنوس الانقباض يقال خنس من بين القوم وانخنس وفي الحديث فانخنست اي استخفيت يقال خنس عنه يخنس
بالضم خنوسا والخنس تأخر الانف عن الشفة مع ارتفاع الارنبة قليلا ويقال رجل اخنس وامراة خنساء ومنه
الخنساء الشاعرة والخنس في القران قيل الكواكب السبعة السيارة الا القمران وزحل والمشتري والمريخ
والزهرة وعطارد لانها تخنس في المغيب او لانها تخفى نهارا وعن علي رضي الله عنه هي زحل والمشتري والمريخ
والزهرة وعطارد وفي تخصيصها بالذكر من بين سائر النجوم وجهان احدهما لانها تستقبل الشمس قاله
بكر بن عبد الله المزني الثاني لانها تقطع المجرة قاله ابن عباس وقيل خنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها
تحت ضوء الشمس قال ابن الخطيب الاظهر ان ذلك اشارة الى رجوعها واستقامتها وقال الحسن وقتادة هي
النجوم كلها لانها تخنس بالنهار اذا غربت وتظهر بالليل وتكنس في وقت غروبها اي تتأخر عن البصر لخفائها وتكنس
اي تستتر كما تكنس الظباء في المغار وهي الكناس والكنس الداخلة في الكناس وهي بيت الوحش والجواري جمع جارية
وعن ابن مسعود هي بقر الوحش لان هذه صفتها وروي عن عكرمة قال الخنس البقر والكنس هي الظباء فهي خنس
اذا رأين الانسان خنسن وانقبضن وتأخرن ودخلن كناسهن قال القرطبي والخنس على هذا من الخنس في
الانف وهو تأخر الارنبة وقصر القصبة وانوف البقر والظباء خنس والقول الاول اظهر لذكر الليل والصبح بعد ذلك وحكى الماوردي
انها الملائكة والكنس الغيب مأخوذ من الكناس وهي كناس الوحش الذي تختفي فيه والكنس جمع كانس وكانسة قوله
والليل اذا عسعس يقال عسعس وسعسع اي اقبل قال العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا
وانجاب عنها ليلها وعسعسا اي ادبر قال الفراء اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر حكاه الجوهري
وقيل دنا من اوله واظلم وكذلك السحاب اذا دنا من الارض وقيل ادبر بلغة قريش وقيل اقبل ظلامه ويرجحه
مقابلته بقوله تعالى والصبح اذا تنفس وهذا اقرب من ادباره وقيل هو لهما على طريق الاشتراك قال الخليل
وغيره عسعس الليل اذا اقبل او ادبر قال المبرد هو من الاضداد والمعنيان يرجعان الى شيء واحد وهو ابتداء
الظلام في اوله وادباره في اخره قال الماوردي واصل العس الامتلاء ومنه قيل للقدح الكبير عس لامتلائه
بما فيه فاطلق على اقبال الليل لابتداء امتلائه واطلق على ادباره لانتهاء امتلائه فعلى هذا يكون القسم باقبال
الليل وادباره وهو قوله تعالى والصبح اذا تنفس لا يكون فيه تكرار وعسعس اسم موضع بالبادية وايضا هو اسم رجل
ويقال للذئب العسعس والعسعاس لانه يعس في الليل ويطلب ويقال للقنافذ العساعس لكثرة ترددها بالليل
والتعسعس الشم والتعسعس ايضا طلب الصيد قوله والصبح اذا تنفس اي امتد حتى يصير نهارا واضحا يقال للنهار
اذا زاد تنفس ومعنى التنفس خروج النسيم من الجوف وفي كيفية المجاز قولان الاول انه اذا اقبل الصبح اقبل باقباله
روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز فقيل تنفس الصبح الثاني انه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي
جلس بحيث لا يتحرك فاذا تنفس وجد راحة فههنا لما طلع الصبح فكأنه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس وقيل

اذا تنفس اي انشق وانفلق ومنه تنفست القوس اي تصدعت وهذا اخر القسم قوله انه لقول رسول كريم قال الحسن وقتادة
والضحاك الرسول الكريم جبريل والمعنى انه لقول رسول كريم من الله كريم على الله واضاف الكلام الى جبريل ثم عداه عنه
بقوله تنزيل من رب العالمين ليعلم اهل التحقيق في التصديق ان الكلام لله تعالى وقيل هو محمد عليه السلام ثم من جعله
جبريل فقوته ظاهرة لما روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال من قوته قلعه مدائن قوم لوط بقوادم جناحه
وقوله تعالى عند ذي العرش اي عند الله تعالى مكين اي ذي منزلة ومكانة وروى ابو صالح قال يدخل سبعين سرادقا
بغير اذن وقيل المراد القوة في اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها من اول الخلق الى اخر زمان التكليف وقوله
تعالى عند ذي العرش هذه العندية ليست عندية الجهة بل عندية الاكرام والتشريف والتعظيم لقوله تعالى انا
عند المنكسرة قلوبهم وقوله سبحانه مكين قال الكسائي يقال مكن فلان عند فلان بضم الكاف مكنا ومكانة فعلى هذا
هو الجاه الذي يعطي ما سأل قوله مطاع ثم اي في السموات قال ابن عباس رضي الله عنه من طاعة الملائكة جبريل
عليه السلام انه لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل لرضوان خازن الجنان افتح له ففتح فدخلها
فرأى ما فيها وقال لمالك خازن النار افتح له ففتح فدخلها ورأى وقوله تعالى امين اي مؤتمن على الوحي الذي يجيء
به ومن قال ان المراد محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى ذي قوة على تبليغ الوحي مطاع اي يطيعه من اطاع الله تعالى
وما صاحبكم بمجنون حتى يتهم في قوله وهو من جواب القسم والضمير في قوله انه يعود الى القران الذي انزل به جبريل
عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعود الى الذي اخبركم به محمد صلى الله عليه وسلم من امر الساعة في
هذه السورة ليس بكهانة ولا ظن ولا افتعال انما هو قول جبريل اتاه به وحيا من الله تعالى فصل قال ابن
الخطيب احتج بهذه الاية من فضل جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم فقال اذا وازنت بين قوله في فضل
جبريل على محمد عليه السلام تعالى انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وبين قوله تعالى
وما صاحبكم بمجنون ظهر التفاوت العظيم قوله عند ذي يجوز ان يكون نعت الرسول وان يكون حالا من مكين واصله
الوصف فلما قدم نصب حالا قوله ثم امين العامة على فتح الثاء لانه ظرف مكان للبعد والعامل فيه مطاع وابو البرهسم
وابو جعفر وابو حياة بضمها جعلوها عاطفة والتراخي هنا في الرتبة لان الثانية اعظم من الاولى قوله ولقد
رآه بالافق المبين اي راى جبريل في صورته في سمائة جناح بالافق المبين اي حيث تطلع الشمس من قبل المشرق وقيل
الافق المبين اقطار السماء ونواحيها قال الماوردي فعلى هذا ففيه ثلاثة اقوال الاول انه راه في الافق الشرقي
قاله سفيان الثاني في افق السماء الغربي حكاه ابن شجرة الثالث انه راه نحو اجياد وهو مشرق مكة قاله مجاهد
وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل بالافق المبين وهو قول ابن مسعود وقد تقدم ذلك في سورة والنجم
وفي المبين قولان احدهما انه صفة للافق قاله الربيع الثاني انه صفة لمن راه قاله مجاهد قوله وما هو على
الغيب بظنين قرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالظاء بمعنى متهم من ظن بمعنى اتهم فيتعدى لواحد وقيل معناه
بضعيف القوة عن التبليغ من قولهم بئر ظنون اي قليلة الماء والظنة التهمة واختاره ابو عبيد وفي مصحف عبد الله
كذلك والباقون بالضاد بمعنى بخيل بما ياتيه من قبل ربه من ضننت بالشيء اضن ضنا بمعنى لا يكتمه كما يكتم الكاهن ذلك
ويمتنع من اعلامه حتى ياخذ عليه حلوانا الا ان الطبري قال الضاد خطوط المصاحف كلها وليس كذلك لما وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما وهذا دليل على تمييز بين الحرفين خلافا لمن يقول انه لو وقع احدهما موقع الاخر لجاز لعسر
معرفته وقد شنع الزمخشري على من يقول ذلك وذكر بعض المخارج وبعض الصفات بما يطول ذكره وعلى الغيب متعلق
بظنين او بضنين والغيب القران وخبر السماء هذا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل صفة جبريل عليه السلام قوله
وما هو بقول شيطان رجيم اي مرجوم والضمير في هو للقران قالت قريش ان هذا القران يجيء به شيطان فيلقيه
على لسانه فنفى الله ذلك يريدون بالشيطان الابيض الذي كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل يريد
ان يفتنه فصل قال ابن الخطيب فان قيل انه حلف على ان القران قول جبريل عليه السلام فوجب علينا ان
نصدقه فان لم نقطع بوجوب حمل اللفظ على الظاهر فلا اقل من الاحتمال واذا كان كذلك ثبت ان هذا القران
يحتمل ان يكون كلام جبريل لا كلام الله تعالى وبتقدير ان يكون كلام جبريل لا يكون معجزا ولا يمكن ان يقال بان جبريل
معصوم لان عصمته متفرعة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وصدق النبي صلى الله عليه وسلم متفرع على كون القران
معجزا وكون القران معجزا متفرع على عصمة جبريل فيلزم الدور فالجواب ان الاعجاز ليس في الفصاحة بل في سلب
تلك الدواعي عن القلوب وذلك مما لا يقدر عليه احد الا الله تعالى لان سلب القدرة عما هو مقدور لا يقدر عليه
الا الله تعالى ثم قال في قوله تعالى وما هو بقول شيطان رجيم فان قيل القول بصحة النبوة موقوف على نفي هذا
الاحتمال فكيف يمكن نفيه بالدليل السمعي قلنا قد بينا ان الدال على القول بالصرفة لا يتوقف صحة النبوة على نفي هذا الاحتمال
بالدليل السمعي قوله فاين تذهبون اين منصوب بتذهبون لانه ظرف مبهم وقال ابو البقاء اي الى اين تذهبون

حرف الجر كقوله ذهبت الشام اذ يجوز ان يحمل على المعنى كانه قال اين تومون يعني انه على الحذف او على التضمين والبه نحا مكي ايضا ولا
حاجة الى ذلك البتة لانه ظرف مكان مبهم لا يختص **فصل** قال قتادة فالى اين تعدلون عن هذا القول وعن طاعته
وقال الزجاج فاى طريقة تسلكون ابين من هذه الطريقة التي بينت لكم ويقال اين تذهب والى اين تذهب وحكى الفرا
عن العرب ذهبت الشام وخرجت العراق وانطلقت السوق اى اليها وانشد لبعض بني عقيل **قوله**
تصيح بنا حنيفة اذ رأتنا واى الارض تذهب بالصياح يريد الى اى ارض تذهب فحذف الى **قوله** لمن شاء
ان هو الا ذكر يعني القران ذكر للعالمين اى موعظة وتزجر وان بمعنى ما وقيل ما محمد الا ذكر **قوله** لمن شاء
منكم بدل من العالمين باعادة العامل وعلى هذا فقوله ان يستقيم مفعول شاء اى لمن شاء الاستقامة
ويجوز ان يكون لمن شاء خبرا مقدما ومفعول شاء محذوف وان يستقيم مبتدا وتقدم نظيره والمعنى لمن
شاء منكم ان يستقيم قال ابو جهل الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم وهذا هو المقدر وهو رأى
القدرية فنزلت وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين فبين بهذا انه لا يعمل العبد خيرا الا بتوفيق الله ولا
شرا الا بخذلانه **قوله** الا ان يشاء الله اى الا وقت مشيئة الله تعالى وقال مكي وان في موضع خفض
باضمار الباء في موضع نصب بحذف الخافض يعني ان الاصل الا بان وجيئها يكون للمصاحبة **فصل** قال
الحسن والله ما شاءت العرب الاسلام حتى شاء الله تعالى لها وقال وهب بن منبه رضي الله عنه قرأت في سبعة
وثمانين كتابا مما انزل الله على الانبياء من جعل الى نفسه شيئا فقد كفر وفي التنزيل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وقال تعالى وما كان لنفس ان
تؤمن الا باذن الله وقال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء والايات في هذا كثير
وكذلك الاخبار وان الله تعالى هدى بالاسلام واضل بالكفر قال ابن الخطيب وهذا اعني مذهبنا لان
الافعال موقوفة على مشيئتنا ومشيئتنا موقوفة على مشيئة الله تعالى والموقوف على الشيء موقوف على ذلك
الشيء فافعال العباد ثبوتا ونفيا موقوفة على مشيئة الله تعالى وحمل المعتزلة ذلك على انها مخصوصة بمشيئة الالجاء والقهر
وذلك ضعيف لان المشيئة الاختيارية حادثة فلا بد من محدوث فيعود الكلام والله تعالى اعلم روى الثعلبي عن ابي
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا الشمس كورت اعاذه الله ان يفضحه حين
تنشر صحيفته

سورة الانفطار

بسم الله الرحمن الرحيم
وهي تسع عشرة اية وكلماتها ثمانون كلمة وثلاثمائة وسبعة وعشرون حرفا
قوله اذا السماء انفطرت معناه اذا وقعت هذه الاشياء التي هي اشراط الساعة تحصل الحشر والنشر
ومعنى انفطرت اى انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام فاذا انشقت السماء فكانت
وردة كالدهان وفتحت السماء فكانت ابوابا السماء منفطر به قال الخليل ولم يأت هذا على الفعل بل هو كقوله
مرضع وحائض ولو كان على الفعل لكان منفطر وقال القرطبي تفطرت لهيبة الله تعالى والفطر الشق يقال
فطرته فانفطر ومنه فطر ناب البعير اذا طلع فهو فاطر وتفطر الشيء تشقق وسيف فطار اى فيه شقوق وقد
تقدم **قوله** واذا الكواكب انتثرت تساقطت وعندما انتقاض تركيب السماء تنتثر النجوم على الارض يقال
نثرت الشيء انثره نثرا فانتثر والنثار بالضم ما تناثر من الشيء **قوله** واذا البحار فجرت العامة على بنائه للمفعول
مثقلا وقرأ مجاهد مبنيا للفاعل مخففا من الفجور نظرا الى قوله تعالى بينهما برزخ لا يبغيان فلما زال البرزخ
بغيا وقرأ مجاهد ايضا والربيع بن خثيم والزعفراني والثوري مبنيا مخففا ومعنى فجرت اى دخل بعضها في بعض
واختلط العذب بالملح فصار واحدا بارتفاع الحاجز الذي جعله الله تعالى برزخا بينهما وقيل ان مياه البحار
الان راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهب ماؤها وقال الحسن فجرت يبست **قوله** واذا القبور
بعثرت اى قلبت يقال بعثره وبحثره بالعين والحاء قال الزمخشري وهما مركبان من البعث والبحث مضموم
اليهما را يعني انهما مما اتفق معناهما لان الراء مزيدة فيهما اذ ليست من حروف الزيادة وهذا كدمث ودمثر
وسبط وسبطر **فصل** والمعنى قلب اعلاها اسفلها وقلب باطنها ظاهرها وخرج ما فيها من الموتى احياء
وقيل البعثرة اخراج ما في بطنها من الذهب والفضة ثم تخرج الموتى بعد ذلك وقوله تعالى علمت نفس
ما قدمت واخرت جواب اذا والمعنى ما قدمت من عمل صالح او سيء او اخرت من سيئة او حسنة وقيل
ما قدمت من الصدقات واخرت من التركات على ما تقدم في قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم

واخر والمقصود من الزجر عن المعصية والترغيب في الطاعة فان قيل اى وقت من القيامة يحصل هذا العلم قال ابن
الخطيب اما العلم الاجمالي فيحصل في اول زمان الحشر لان المطيع يرى اثار السعادة والعاصي يرى اثار الشقاوة في اول
الامر واما العلم التفصيلي فانما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة **قوله** يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
اى المتجاوز العامة على غرك ثلاثيا وما استفهامية في محل رفع على الابتداء وقرأ ابن جبير والاعمش ما اغرك فاحتمل
ان تكون استفهامية وان تكون تعجبية ومعنى اغره ادخله في الغرة او جعله غارا **فصل** لما اخبر في الاية
الاولى عن وقوع الحشر والنشر ذكرهنا ما يدل عقلا على امكانه او على وقوعه وذلك من وجهين الاول ان الاله
الكريم لا يجوز من كرمه ان يقطع مواد نعمه عن المذنبين كيف يجوز في كرمه ان لا ينتقم من الظالم الثاني ان
القادر على خلق هذه البنية الانسانية ثم سواها وعدلها اما ان يفعل لانه تعالى خلقها لا لحكمة وذلك عبث وهو على
الله تعالى محال لانه تعالى منزه عن العبث او خلقها لحكمة فتلك الحكمة ان تكون عائدة الى الله تعالى وذلك باطل لانه
منزه عن الاستكمال والانتفاع فتعين ان تكون الحكمة عائدة الى العبد وتلك الحكمة ان تظهر في الدنيا وذلك
باطل لان الدنيا دار بلاء وامتحان لا دار انتفاع وجزاء فثبت ان تلك الحكمة انما تظهر في دار الجزاء فثبت ان الاعتراف
بوجود الاله الكريم الذي يقدر على الخلق والتسوية والتعديل يوجب على العاقل ان يقطع بانه تعالى يبعث الاموات
ويحشرهم **فصل** هذا جواب لمنكري البعث روى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في الوليد بن
المغيرة وقال الكلبي ومقاتل نزلت في ابي الاشرم بن شريق وذلك انه ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه
الله تعالى فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل يتناول جميع العصاة لان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
ومعنى ما غرك ما خدعك وسول لك الباطل حتى تركت الواجبات واتيت المحرمات والمعنى الذي امنك من عقابه هذا اذا حملنا
الانسان على جميع العصاة فان حملناه على الكافر فالمعنى ما الذي دعاك الى الكفر وانكار الحشر والنشر **فان قيل** كونه
كريما يقتضي ان يغتر الانسان بكرمه لانه جواد مطلق والجواد الكريم يستوي عنده طاعة المطيع وعصيان المذنب
وهذا يوجب الاغترار وروي عن علي رضي الله عنه انه دعا غلامه مرات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب فقال
له لم لا تجيبني فقال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا ايضا من كرم الرجل سوء
ادب غلمانه واذا ثبت ان كرمه يقتضي الاغترار به فكيف جعله هنا مانعا من الاغترار **فالجواب**
من وجوه الاول ان المعنى لما كنت ترى حلم الله تعالى عن خلقه ظننت ان ذلك لا حساب ولا دار الا هذه الدار فما
الذي دعاك الى الاغترار وجراك على انكار الحشر والنشر فان ربك كريم فهو من كرمه تعالى لا يعاجل بالعقوبة بسطا
في مدة التوبة وتاخيرا للجزاء وذلك لا يقتضي الاغترار الثاني ان كرمه تعالى لما بلغ الى حيث لا يمنع العاصي
من ان يطعمه فبان ينتقم للمظلوم من الظالم كان اولى فاذا كونه كريما يقتضي الخوف الشديد من هذا الاغترار
او ترك الجراءة والاغترار الثالث ان كثرة الكرم توجب الجد والاجتهاد في الخدمة والاستحياء من الاغترار
الرابع قال بعضهم انما قال بربك الكريم ليكون ذلك جوابا عن ذلك السؤال حتى يقول غرني كرمك فلولا كرمك
لما فعلت لانك رأيت فسترت وقدرت فامهلت وهذا الجواب انما يصح اذا كان المراد بقوله تعالى يا ايها الانسان
لغيرهو الكافر **فصل** قال قتادة رضي الله عنه سبب غرور ابن ادم تسويل الشيطان وقال مقاتل غره عفو
الله حين لم يعاقبه اول مرة وقال السدي غره رفق الله وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله به يوم
القيامة فيقول تعالى ما غرك بي يا ابن ادم ماذا عملت فيما علمت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين **قوله** الذي خلقك
فسواك يحتمل الاتباع على البدل والبيان والنعت والقطع الى الرفع والنصب واعلم انه تعالى لما وصف
نفسه بالكرم ذكر هذه الامور الثلاثة كالدلالة على تحقق ذلك الكرم فقوله تعالى الذي خلقك لا شك انه كرم لانه وجود
والوجود خير من العدم والحياة خير من الموت كما قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وقوله تعالى
فسواك اى جعلك سويا سالم الاعضاء ونظيره قوله تعالى اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك
رجلا اى معتدل الخلق والاعضاء قال ذو النون اى سخر لك المكونات اجمع وما جعلك مسخرا لشيء منها ثم انطق
لسانك بالذكر وقلبك بالعقل وروحك بالمعرفة ومدك بالايمان وشرفك بالامر والنهي وفضلك على كثير
ممن خلق تفضيلا **قوله** فعدلك قرأ الكوفيون عدلك مخففا والباقون مثقلا فالتثقيل بمعنى جعلك
متناسب الاطراف فلم يجعل احدى يديك او رجليك اطول ولا احدى عينيك اوسع فهو من التعديل وهو كقوله
بلى قادرين على ان نسوي بنانه قال علماء التشريح انه تعالى ركب جانبي هذه الجثة على التساوي حتى انه لا تفاوت
بين نصفيه لا في العظام ولا في اشكالها ولا في الاوردة والشرايين والاعصاب النافذة فيها والخارجة
منها وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه جعلك قائما معتدلا احسن الصورة لا كالبهيمة المنحنية وقال
ابو علي الفارسي عدلك خلقك فاخرجك في احسن تقويم مستويا على جميع الحيوان والنبات وواصلا في الكمال

الى ما لم يتصل اليه شى من اجسام هذا العالم واما قراءة التخفيف فيحتمل هذا اى عدل بعض اعضائك ببعض ويحتمل
ان يكون من العدول اى صرفك الى ما شاء من الهيات والاشكال والاشباه وهذا قول الفراء ثم قال والتشديد
احسن الوجهين لانك تقول عدلتك الى كذا اى صرفتك الى كذا ولا يحسن عدلتك فيه ولا صرفتك فيه ففى
القراءة الاولى جعل فى من قوله فى اى صورة للتركيب وهو حسن وفى القراءة الثانية جعل فى صلة لقوله
فعدلك وهو ضعيف ونقل القفال عن بعضهم انهما لغتان بمعنى واحد **قوله** فى اى صورة يجوز فيه اوجه احدها
ان يتعلق بركبك وما مزيدة على هذا وشاء صفة لصورة ولم يعطف ركبك على ما قبله بالفا كما عطف ما قبله بها لانه
بيان لقوله فعدلك اى ركبك فى اى صورة من الصور العجيبة الحسنة التى تشاها سبحانه وتعالى والمعنى وضعك
فى صورة اقتضتها مشيته من حسن وقبح وطول وقصر وذكورة وانوثة الثانى ان يتعلق بمحذوف على انه
حال اى ركبك حاصلا فى بعض الصور الثالث انه يتعلق بعدلك نقله ابو حيان عن بعض المتاولين ولم يعترض
عليه وهو معترض بان فى اى معنى الاستفهام فلها صدر الكلام فكيف يعمل فيها ما تقدمها وكان الزمخشرى
استشعر هذا فقال ويكون فى اى معنى التعجب اى فعدلك فى اى صورة عجيبة وهذا لا يحسن ان يكون مجوزا
لتقدم العامل على اسم الاستفهام وان دخله معنى التعجب الا ترى ان كيف واى وان دخلهما معنى التعجب لا يتقدم
عاملهما عليهما وقد اختلف النحويون فى اسم الاستفهام اذا قصد به الاستثبات هل يجوز تقدم عامله اولا والصحيح
انه لا يجوز ولذلك لا يجوز ان يتقدم عامل كم الخبرية عليها لشبهها فى اللفظ بالاستفهامية فهذا اولى وعلى تعلقها
بعدلك يكون ما منصوبة على المصدر وقال ابو البقا يجوز ان يكون ما زايدة وان تكون شرطية وعلى الامرين
الجملة نعت لصورة والعايد محذوف اى ركبك عليها وفى يتعلق بركبك وقيل لا موضع للجملة لان فى متعلق باحد
الفعلين والجميع كلام واحد وانما تقدم الاستفهام على ما هو حقه قوله باحد الفعلين يعنى شاء وركبك فيجعل
فى ما ثلاثة اوجه الزيادة وكونها شرطية وحينيذ جوابها محذوف والنصب على المصدرية اى واقعة موقع
مصدر **قوله** كلا بل تكذبون بالدين العامة على تكذبون خطابا والحسن وابو جعفر وشيبة بالغيبة قال
ابن الخطيب لما بين بالدلايل العقلية صحة القول بالبعث والنشور على الجملة فرع عليها شرح تفاصيل الاحوال
المتعلقة بذلك وهى انواع الاول انه تعالى زجرهم عن ذلك الاغترار بقوله كلا وبل حرف وضع فى اللغة
لنفى شى قد تقدم وتحقيق غيره فلا جرم ذكروا فى تفسير كلا وجوها الاول قال القاضى معناه انكم لا تستقيمون
على توجيهى نعمى عليكم وارشادى لكم بل تكذبون بيوم الدين الثانى كلا ارتدع اى ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله
تعالى كانه قال وانهم لا يرتدعون عن ذلك بل يكذبون بالدين الثالث قال القفال كلا اى ليس الامر كما
يقولون من انه لا بعث ولا نشور لان ذلك يوجب ان الله تعالى خلق الخلق عبثا وحاشاه من ذلك ثم قال
قال انهم لا يتسولون بهذا البيان بل يكذبون بالدين وقال الفراء ليس كما غررت به والمراد بالدين الجزا على
الدين والاسلام وقيل المراد من الدين الحساب اى يكذبون بيوم الحساب النوع الثانى **قوله** وان
عليكم لحافظين يجوز ان يكون الجملة حالا من فاعل يكذبون اى يكذبون والحالة هذه ويجوز ان تكون
مستانفة اخبرهم بذلك لينزجروا والمراد بالحافظين الرقبا من الملايكة يحفظون اعمالكم عليكم كراما
كاتبين **قوله** يعلمون ما تفعلون يجوز ان يكون نعتا وان يكون حالا من ضمير كاتبين
على الله كاتبين يكتبون اقوالكم واعمالكم وهو
وان يكون مستانفا قال ابن الخطيب والمعنى التعجب من حالهم كانه تعالى قال انكم تكذبون بيوم الدين
يوم الحساب والجزا وملايكة الله تعالى موكلون بكم يكتبون اعمالكم حتى تحاسبوا بها يوم القيامة ونظيره قوله
تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله تعالى وهو القاهر فوق
عباده ويرسل عليكم حفظة **فصل** قال ابن الخطيب من الناس من طعن فى حضور الكرام الكاتبين من وجوه
الاول لو كان الحفظة وصحفهم واقلامهم معنا ونحن لا نراهم لجاز ان يكون بحضرتنا جبال واشخاص لا نراهم وذلك
دخول فى الجهالات والثانى هذه الكتابة والضبط ان كان لا لفايدة فهو عبث وهو غير جايز على الله تعالى وان
كان لفايدة فلا بد وان يكون للعبد لان الله تعالى متعال عن النفع والضر وعن تطرق النسيان اليه وغاية
ذلك ان يحتج على الناس ويستدل عليهم لاقامة الحجة لكن هذا ضعيف لان من علم ان الله تعالى لا يجور ولا يظلم
لا يحتاج فى حقه الى اثبات هذه الحجة والذى لا يعلم لا ينتفع بهذه الحجة لاحتمال انه تعالى امرهم بذلك ظلما
الثالث ان افعال القلوب غير مرئية فهى من باب المغيبات والله تعالى مختص بعلم الغيب فلا يكتبونها والاية
تقتضى كتبها والجواب عن الاول ان البنية عندنا ليست شرطا فى قبول الحياة ولا عند سلامة الاعضاء وحصول
المرى وحصول جميع الشرايط لا يجب الادراك فيجوز على الاول ان يكونوا اجراما لطيفة تمتزج امورهم على عباده
على ما يتعارفونه فى الدنيا فيما بينهم ونشفعا بذلك وعلى الثانى يجوز ان يكونوا اجراما كثيفة ونحن

لا نراهم وعن الثانى ان الله تعالى اجرى اموره على عباده على ما يتعارفونه فى الدنيا فيما بينهم لان ذلك ابلغ فى تقرير المعنى
عندهم فى اخراج كتاب وشهود فى الزام الحجة كما شهد العدول عند الحاكم على القضاة وعن الثالث ان ذلك مخصوص
بافعال الجوارح فهو عام مخصوص وفى مدح الحفظة ووصفهم بهذه الصفات تعظيم امر الجزا وانه من جلايل الامور
فصل هذا الخطاب وان كان خطاب مشافهة الا ان الامة اجمعت على عموم هذا الحكم فى حق المكلفين وقوله
تعالى لحافظين جمع يحتمل ان يكونوا حافظين لجميع بنى ادم من غير ان يختص واحد من الملايكة بواحد من بنى ادم ويحتمل
ان يكون الموكل بكل واحد منهم غير الموكل بالاخر ويحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم جمعا من الملايكة كما قيل اثنان بالليل واثنان
بالنهار او كما قيل انهم خمسة **فصل** اختلفوا فى الكفار هل عليهم حفظة فقيل لا لان امرهم ظاهر وعملهم واحد قال تعالى
يعرف المجرمون بسيماهم وقيل بل عليهم حفظة لقوله تعالى بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين واما من اوتى
كتابه بشماله ومن اوتى كتابه وراء ظهره فاخبر ان لهم كتابا وعليهم حفظة **فان قيل** اى شى يكتب الذى عن يمينه
ولا حسنة له **فالجواب** ان الذى عن شماله يكتب باذن صاحبه ويكون صاحبه شاهدا على ذلك وان لم يكتب
فصل سيل سفيان كيف تعرف الملايكة ان العبد قد هم بمعصية او بحسنة قال اذا هم العبد بحسنة
وجد منه ريح المسك وان هم بسيية وجد منه ريح منتن **فصل** دلت هذه الاية على ان الشاهد لا يشهد
الا بعد العلم لوصف الملايكة بكونهم حافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فدل على انهم يكونوا عالمين بها حتى انهم
يكتبونها فاذا كتبوها يكونوا عالمين عند ادا الشهادة قال الحسن لا يخفى عليهم شى من اعمالكم وقيل يعلمون ما ظهر منكم
دون ما حدثتم به انفسكم **قوله تعالى** ان الابرار لفى نعيم الابرار الذين بروا وصدقوا فى ايمانهم باداء فرايض
الله تعالى واجتناب معاصيه لما وصف تعالى الكرام الكاتبين لاعمال العباد ذكر احوال العاملين وقسمهم قسمين
فقال تعالى ان الابرار لفى نعيم وهو نعيم الجنة وان الفجار لفى جحيم وهو النار وهذا تهديد عظيم للعصاة وهذا
التقسيم كقوله تعالى فريق فى الجنة وفريق فى السعير **قوله** يصلونها يجوز فيه ان يكون حالا من الضمير فى الجار
لوقوعه خبرا وان يكون مستانفا وقرا العامة يصلونها مخففا مبنيا للفاعل وتقدم مثله ومعنى يصلونها يوم
الدين اى يدخلونها يوم القيامة وما هم عنها بغايبين اى ليسوا غايبين عن استحقاق الكون فى الجحيم ثم عظم ذلك اليوم
فقال وما ادراك ما يوم الدين ثم كرر تعجبا لشانه فقال ثم ما ادراك ما يوم الدين قال ابن عباس كل ما فى القران
من قوله وما ادراك فقد ادراه وكل شى من قوله وما يدريك فقد طوى عنه **قوله** يوم لا تملك قرا ابن كثير وابو
عمرو برفع يوم على انه خبر مبتدا مضمر اى هو يوم وجوز الزمخشرى ان يكون بدلا مما قبله يعنى قوله يوم الدين وقرا
ابو عمرو فى رواية يوم مرفوعا منونا على قطعه عن الاضافة وجعل الجملة نعتا له والعايد محذوف اى لا تملك فيه
وقرا الباقون يوم بالفتح فقيل هى فتحة اعراب ونصبه باضمار اعنى او يتجاوزون او باضمار اذكر فيكون مفعولا به وعلى
راى الكوفيين يكون خبر المبتدا المضمر وانما بنى لاضافته للفعل وان كان معربا كقوله تعالى هذا يوم لا ينفع قال الزجاج يجوز
ان يكون فى موضع رفع الا انه يبنى على الفتح لاضافته الى قوله تعالى لا تملك وما اضيف الى غير المتمكن فقد يبنى على الفتح وان
كان فى موضع رفع اوجر كما قال لم يمنع الشرب منهم غير ان نطقت حمامة قال الواحدى والذى ذكره الزجاج من البنا على الفتح
انما يجوز عند الخليل وسيبويه اذا كانت الاضافة الى الفعل الماضى نحو قوله على حين عاتبت المشيب اما مع الفعل
المستقبل فلا يجوز البنا عندهم ويجوز البنا فى قول الكوفيين قال ابن الخطيب وذكر ابو على انه منصوب على الظرفية
لان اليوم لما جرى فى اكثر الامر ظرفا ترك على حالة الاكثرية والدليل عليه اجماع القرا فى قوله تعالى منهم الصالحون
ومنهم دون ذلك ولا يدفع ذلك احد ومما يقوى النصب قوله وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس وقوله
تعالى يسالون ايان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون فالنصب فى يوم لا تملك مثل هذا **فصل** تمسكوا
بهذه الاية فى نفى الشفاعة للعصاة وهو كقوله تعالى يوما لا تجزى نفس عن نفس وقد تقدم الجواب عنه فى سورة
البقرة قال مقاتل يعنى لنفس كافرة شيا من المنفعة والامر يوميذ لله اى لم يملك الله تعالى فى ذلك اليوم احدا
شيا كما ملكهم فى الدنيا روى الثعلبى عن ابى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا السما
انفطرت اعطاه الله تعالى من الاجر بعدد كل قبر حسنة وبعدد كل قطرة ما حسنة واصلح الله تعالى له شانه ولا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم

فى قول الحسن وعكرمة ومقاتل قال مقاتل وهى اول سورة نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة مدنية
الا ثمان ايات وهى قوله تعالى ان الذين اجرموا الى اخرها مكى وقال الكلبى وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة

وقال ابن مسعود والضحاك مكية وهي ست وثلاثون آية ومائة وتسعة وستون كلمة وسبع مائة وثمانون حرفا بسم
الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** ويل للمطففين ويل ابتداء وسوغ الابتداء به كونه دعاء ولو نصب لجاز وقال مكي والمختار
في ويل وشبهه اذا كان غير مضاف الرفع ويجوز النصب فان كان مضافا او معرفا كان الاختيار فيه النصب
نحو ويلكم لا تفتروا وللمطففين خبره والمطفف المنقص وحقيقته الاخذ في كيل او وزن شيئا طفيفا اي نزرا
حقيرا ومنه قولهم دون الطفيف اي الشيء التافه لقلته قال الزجاج انما قيل للذي ينقص المكيال والميزان
مطفف لانه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا الشيء اليسير الطفيف **فصل** قال ابن الخطيب
اتصال اول هذه السورة المتقدمة انه تعالى بين في آخر تلك السورة ان من صفة يوم القيامة انه لا تملك
نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وذلك يقتضي تهديدا عظيما للعصاة فلهذا اتبعه بقوله تعالى ويل للمطففين
والمراد منه الزجر عن التطفيف وهو البخس في المكيال والميزان على سبيل الخفية واعلم ان الويل كلمة تذكر عند
وقوع البلاء يقال ويل لك وويل عليك وفي اشتقاق لفظ التطفيف قولان الاول قول الزجاج المتقدم والثاني
ان طف الشيء هو جانبه وحرفه يقال طف الوادي والاناء اذا بلغ الشيء الذي فيه حرفه ولم يمتل فهو طفافه
وطففه يقال هذا طف المكيال وطفافه اذا قارب ملاه لكنه بعد لم يمتل وهذا قيل للذي يسيء الكيل ولا يوفيه
مطفف لانه انما يبلغ الطفاف **فصل** روى ابن عباس رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله ويل للمطففين فاحسنوا الكيل بعد ذلك فخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم ولا حكموا بغير ما انزل
الله الا فشا فيهم الفقر ولا ظهر فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا المكيال الا منعوا النبات واخذوا بالسنين
ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم المطر وقال السدي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له ابو
جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر فانزل الله تعالى هذه الآية وروي عن ابن عمر رضي الله عنه
قال المطفف الرجل يستأجر المكيال وهو يعلم انه يحيف في كيله فوزره عليه **قوله** على الناس فيه اوجه
احدها انه متعلق باكتالوا وعلى ومن يتعاقبان هنا قال الفراء يقال اكتلت على الناس استوفيت منهم واكتلت
منهم اخذت ما عليهم وقيل على بمعنى اكتلت على ومنه بمعنى والاول اوضح وقيل على يتعلق بيستوفون قال
الزمخشري لما كان اكتيالهم لا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق
بيستوفون وقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون
لها وهو حسن **قوله** واذا كالوهم او وزنوهم رسمتا في المصحف بغير الف بعد الواو في الفعلين فمن ثم
اختلف الناس فيهم على وجهين احدهما هو ضمير نصب فيكون مفعولا به ويعود على الناس اي واذا كالوا
الناس او وزنوا الناس وعلى هذا فالاصل في هذين الفعلين التعدي لاثنين لاحدهما بنفسه بلا خلاف
وللآخر بحرف الجر ويجوز حذفه وهل كل منهما اصل بنفسه او احدهما اصل للآخر فيه خلاف والتقدير واذا
كالوا لهم طعاما او وزنوا لهم فحذف الحرف والمفعول المسرح والثاني
[illegible] ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر اي جنيت لك والثاني
انه ضمير رفع مؤكد للواو والضمير عائد على المطففين ويكون على هذا قد حذف المكيل والمكيل له والموزون
والموزون له الا ان الزمخشري رد هذا فقال ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام يخرج
به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم اخسروا فان جعلت الضمير
للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن هم على الخصوص اخسروا وهو كلام
متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر قال ابو حيان ولا تنافر فيه بوجه ولا فرق بين ان يؤكد
الضمير او لا يؤكد والحديث واقع في الفعل غاية ما في هذا ان متعلق الاستيفاء وهو على الناس مذكور وهو في كالوهم او وزنوهم
محذوف للعلم به لانه من المعلوم انهم لا يخسرون ذلك لانفسهم قال شهاب الدين الزمخشري يريد ان يحافظ على ان
المعنى مرتبط بشيئين اذا اخذوا من غيرهم واذا اعطوا غيرهم وهذا انما يتم على تقدير ان يكون الضمير منصوبا
عائدا على الناس لا على كونه ضمير رفع عائدا على المطففين ولا شك ان هذا المعنى الذي ذكره الزمخشري وارداه اتم
واحسن من المعنى الثاني ورجح الاول سقوط الالف بعد الواو لانه دال على اتصال الضمير الا ان الزمخشري استدركه
فقال والتعلق في ابطاله بخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لان خط المصحف
لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على اني رايت في الكتب المخطوطة بايدي الائمة المتقنين هذه الالف
مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف
تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا وهم يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما

وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما يقفان على الواوين وقفة يبينان بها
ما ارادا ولم يذكر فعل الوزن اولا بل اقتصر على الكيل فقال اذا اكتالوا ولم يقل او اتزنوا كما قال ثانيا او وزنوهم قال ابن
الخطيب لان الكيل والوزن بهما البيع والشراء فاحدهما يدل على الآخر وقال الزمخشري كان المطففون كانوا لا ياخذون
ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء
واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا **قوله** يخسرون جواب اذا وهو يتعدى بالهمزة
يقال خسر الرجل واخسرته انا فمفعوله محذوف اي يخسرون الناس متاعهم قال المؤرج يخسرون اي ينقصون
بلغة قريش **فصل** قال الزجاج المعنى اذا اكتالوا من الناس يستوفوا عليهم الكيل اي الذي اذا استوفوا لانفسهم
استوفوا في الكيل والوزن واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم او وزنوا لهم اي للناس ولما كان اكتيالهم من الناس
اكتيالا فيه اضرارهم وتحامل عليهم اقيم على مقام من للدلالة على ذلك وقال الكسائي والفراء حذف الجار واوصل الفعل
وهذا من كلام اهل الحجاز ومن جاورهم يقال وزنتك حقك وكلتك طعامك اي وزنت لك وكلت لك كما يقال نصحتك
ونصحت لك وكسبتك وكسبت لك وقال الفراء المراد اكتالوا من الناس وعلى ومن يعتقبان لانه حق عليه فاذا قال
اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فهو كقوله استوفيت منك وقيل على حذف مضاف
اي اذا كالوا مكيلهم او وزنوا لهم موزونهم **قوله تعالى** الا يظن الظاهر انها الا التحضيضية حضهم على ذلك ويكون
الظن بمعنى اليقين وقيل هي لا النافية دخلت عليها همزة الاستفهام ومعنى الآية الا يستيقن اولئك الذين يفعلون
ذلك بانهم مبعوثون ليوم عظيم وهو يوم القيامة وفي الظن هنا قولان احدهما ان المراد به العلم وعلى هذا التقدير
يحتمل ان يكون المخاطبون بهذا الخطاب من جملة المصدقين بالبعث ويحتمل ان لا يكونوا كذلك لتمكنهم من الاستدلال
عليه بالعقل الثاني ان المراد بالظن هنا هو الظن نفسه لا العلم ويكون المعنى هؤلاء المطففين هب انهم لا يجزمون بالبعث
ولكن لا اقل من الظن لوضوح ادلته فان الاليق بحكمة الله تعالى ورحمته ورعايته مصالح خلقه ان لا يهمل امرهم بعد
الموت وان يكون لهم نشر وحشر وان هذا الظن كاف في حصول الخوف **قوله** يوم يجوز نصبه بمبعوثون قال الزمخشري
او بيبعثون مقدرا او على البدل من محل ليوم او باضمار اعني او هو مرفوع المحل خبر المبتدا مضمرا او مجرور بدلا من ليوم
عظيم وانما بني في هذين الوجهين على الفتح لاضافته للفعل وان كان مضارعا كما هو راي الكوفيين ويدل على صحة هذين
الوجهين قراءة زيد بن علي يوم يقوم بالرفع وما حكاه ابو معاذ القاري يوم بالجر على ما تقدم **فصل** قيام الناس
لرب العالمين اما للحساب واما قيامهم من القبور وقال ابو مسلم قيامهم له عبارة عن طاعتهم له وانقيادهم كقوله
تعالى والامر يومئذ لله وفي الحديث ان الناس يقومون مقدار ثلاثمائة سنة لا يؤمر فيهم بامر وعن ابن عباس وهو في
حق المؤمنين كقدر انصرافهم من الصلاة وفي هذه الآيات مبالغات منها ان الويل انما يذكر عند شدة البلاء
ومنها الانكار بقوله تعالى الا يظن اولئك ومنها استعظامه تعالى لليوم ومنها تاكيده بما هذه وما يوهم ذلك
ويقتضيه من خضوعهم وذلتهم وفي هذا انكته وهي ان قائلا يقول هذا التشديد العظيم والوعيد البليغ كيف
يكون على التطفيف مع يساره وزهادته وكرم المولى واحسانه فاشار بقوله رب العالمين الى انه مربيهم ومتولي
امورهم فلا يليق به ان يهمل من امورهم شيئا **فصل** قال القشيري لفظ المطفف يتناول التطفيف في الوزن
والكيل وفي اظهار العيب واخفائه وفي طلب الانصاف والانتصاف ويقال من لم يرض لاخيه المسلم ما يرضاه
لنفسه فليس بمنصف والمباشرة والصحبة من هذه المادة والذي يرى عيب الناس ولا يرى عيب نفسه من
هذه الجملة ومن طلب حق نفسه من الناس ولا يعطيهم حقوقهم كما يطلبه **قوله** كلا ان كتاب الفجار كلا ردع اي ليس
الامر على ما هم عليه فليرتدعوا وههنا تم الكلام وقال الحسن كلا ابتدا يتصل بما بعده على معنى حقا ان كتاب الفجار الذي
كتب فيه اعمالهم **قوله** لفي سجين اختلفوا في نون سجين فقيل هي اصلية واشتقاقه من السجن وهو الحبس وهو بناء
مبالغة فعيلا من السجن كالفسيق والسكير من السكر وفسيق من الفسق وهو قول ابي عبيدة والمبرد والزجاج قال
الواحدي وهذا ضعيف لان العرب ما كانت تعرف سجينا وقيل النون بدل من اللام والاصل سجيل مشتقا من
السجل وهو الكتاب واختلفوا فيه ايضا هل هو اسم موضع او اسم كتاب مخصوص وهل هو صفة او علم منقول من وصف
كحاتم وهو مصروف اذ ليس فيه الا سبب واحد وهو العلمية واذا كان اسم مكان فقوله تعالى كتاب مرقوم اما بدل
منه او خبر لمبتدا محذوف وهو ضمير يعود عليه وعلى التقديرين فهو مشكل لان الكتاب ليس هو المكان فقيل التقدير
هو محل كتاب ثم حذف المضاف وقيل التقدير وما ادراك ما كتاب سجين فالحذف اما من الاول واما من الثاني واما
اذا قلنا انه اسم لكتاب فلا اشكال وقال ابن عطية من قال ان سجينا موضع فكتاب مرفوع على انه خبر ان والظرف
الذي هو لفي سجين ملغى ومن جعله عبارة عن الخسار فكتاب خبر مبتدا محذوف التقدير هو كتاب ويكون هذا
الكلام مفسرا لسجين ما هو انتهى وهذا لا يصح الا اذ دخول اللام يعين كونه خبرا فلا يكون ملغى لا يقال اللام

لانه لو فرض الخبر وهو كتاب عاملا او صفته عاملة وهو مرقوم لا تمتنع ذلك لما امتنع عمل
تدخل على معمول الخبر فهذا اسمه فيكون ملغى لانه صفة ومعمول الصفة لا يتقدم على موصوفها
كتاب فلانه موصوف والمصدر الموصوف لا يعمل واما امتناع عمل مرقوم فلانه صفة وهذا ليس معمولا للخبر فتعين ان يكون الجار هو الخبر ولكن ملغى واما
وايضا فاللام انما تدخل على معمول الخبر بشرطه وهذا ليس معمولا للخبر فهو مشكل لان الكتاب ليس هو السجين الذي جعل الضمير عائدا
قوله ثانيا ويكون هذا الكلام تفسيرا لسجين لبس بما هو فهو مشكل لان الكتاب ليس هو السجين ... بانه في سجين وفسر سجينا
عليه مخبرا عنه بكتاب وقال الزمخشري فان قلت قد اخبر الله تعالى عن كتاب الفجار بانه في سجين وفسر سجينا
بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه اعمال
الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من راه انه لا خير
فيه فالمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه
سبب الحبس والتضييق في جهنم انتهى **فصل** قال عبد الله بن عمرو وقتادة والضحاك سجين في الارض السابعة
السفلى فيها ارواح الكفار وروى البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع ارضين وعليون
في السماء السابعة تحت العرش وقال الكلبي هي صخرة تحت الارض السابعة وقال عكرمة لفي سجين لفي خسار
وضلال قال القشيري سجين موضع في السافلين يدفن فيه كتاب هؤلاء فلا يظهر بل يكون في ذلك الموضع كالمسجون
قوله وما ادراك ما سجين اي ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك قال القرطبي وليس في قوله تعالى وما ادراك
ما سجين ما يدل على ان لفظ سجين ليس عربيا كما لا يدل قوله وما ادراك ما القارعة على ذلك بل هو تعظيم لامر سجين وقد
تقدم **قوله تعالى** كتاب مرقوم قال المفسرون ليس هذا تفسيرا لسجين بل هو بيان للكتاب المذكور في قوله ان كتاب
الفجار اي هو كتاب مرقوم اي مكتوب فيه اعمالهم مثبتة عليهم كالرقم لا ينسى ولا يمحى حتى يجازى به والرقم الخط قال
سارقم في الماء القراح اليكم على بعدكم ان كان للماء راقم وقيل الرقم الختم بلغة حمير وتقدمت هذه
المادة في سورة الكهف وقال قتادة ومقاتل رقم لهم بشر كانه اعلم بعلامة يعرف بها انه كافر **قوله** ويل يومئذ للمكذبين
قيل انه متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين لمن كذب باخبار الله تعالى وقيل ان قوله مرقوم معناه مرقم برقم
يدل على الشقاوة يوم القيامة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين في ذلك اليوم من ذلك الكتاب ثم انه تعالى اخبر عن صفة
من يكذب بيوم الدين فقال تعالى وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين وقوله
تعالى الذين يكذبون يجوز فيه الاتباع نعتا وبدلا او بيانا والقطع رفعا ونصبا واعلم انه تعالى وصف المكذب
بيوم الدين بثلاث صفات اولها كونه معتديا والاعتداء هو التجاوز عن المنهج الحق وثانيها الاثيم وهو المبالغة
في ارتكاب الاثم والمعاصي وثالثها اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين والمراد الذين يكذبون النبوة والمراد
بالاساطير قيل اكاذيب الاولين وقيل اخبار الاولين **قوله** اذا تتلى العامة على الخبر والحسن ابدا على الاستفهام
الانكاري والعامة تتلى بتاءين من فوق وابو حيوة وابن مقسم بالياء من تحت لان التانيث مجازي **فصل** قال
الكلبي المراد بالمكذب هنا هو الوليد بن المغيرة لعنة الله لقوله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين الى قوله معتد اثيم اذا
تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين فقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو النضر بن الحارث وقيل عام في كل موصوف
بهذه الصفة **قوله** كلا ردع وزجر اي ليس هو اساطير الاولين وقال الحسن معناها حقا ران على قلوبهم وقال
مقاتل معناه لا يؤمنون ثم استانف بل ران على قلوبهم وقد تقدم وقف حفص على لام بل في سورة الكهف والران الغشاوة
على القلب كالصدى على الشيء الصقيل من سيف ومراة ونحوهما قال الشاعر
وكم ران من ذنب على قلب فاجر فتاب من الذنب الذي ران وانجلا واصل الرين الغلبة
ومنه رانت الخمر على عقل شاربها وقال الزمخشري يقال ران عليه الذنب وغان رينا وغينا والغين الغيم والغين
ايضا شجر ملتف الواحد غينا اي خضرا كثيرة الورق ملتفة الاغصان ويقال ران وران بينا فجاء مصدره مفتوح
العين وساكنها وقرا حمزة والكسائي والاعمش وابو بكر والمفضل ران بالامالة لان فا الفعل را وعينه الف
منقلبة عن يا فحسنت الامالة ومن فتح فعلى الاصل مثل كال وباع **فصل** قال ابو معاذ النحوي الرين ان
يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع على القلب وهو اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع وهو ان
يقفل على القلب قال تعالى ام على قلوب اقفالها قال الزجاج ران على قلوبهم بمعنى غطى على قلوبهم قال الحسن ومجاهد
هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب ويغشى فيموت القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والمحقرات
من الذنوب فان الذنب على الذنب يوقد على صاحبه جحيما ضخمة وقال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا اذنب كانت
نكتة سودا في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها فان زادت حتى تغلو قلبه فذلكم الران الذي ذكر
الله تعالى في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون **قوله** ما كانوا هو الفاعل وما تحتمل ان تكون مصدرية
وان تكون بمعنى الذي فالعائد محذوف وامال الف ران الاخوان وابو بكر وفخمها الباقون وادغم

لام بل في الراء واظهرت **قوله** كلا انهم قال الزمخشري كلا ردع عن الكسب الراين على قلوبهم وقال القفال ان الله تعالى حكى
في سائر السور عن هذا المعتدي الاثيم انه كان يقول ان كانت الاخرة حقا فان الله تعالى يعطيه مالا وولدا ثم كذبه الله تعالى
بقوله اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا وقال ايضا وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
فلما تكرر ذكره في القران ترك الله ذكره ههنا وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون اي ليس الامر كما يقولون
من ان لهم في الاخرة الحسنى بل هم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقال ابن عباس ايضا كلا يريد لا يصدقون ثم استانف
فقال انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقيل قوله تعالى كلا تكرير ويكون كلا هذه في المذكورة في قوله كلا بل ران على قلوبهم
قوله عن ربهم متعلق بالخبر وكذلك يومئذ والتنوين عوض من جملة تقديرها يوم اذ يقوم الناس لانه لم يتناسب
الا تقديرها **فصل** قال اكثر المفسرين محجوبون عن رؤيته وهذا يدل على ان المؤمنين يرون ربهم سبحانه
وتعالى ولولا ذلك لم يكن للتخصيص فائدة وايضا فانه تعالى ذكر هذا الحجاب في معرض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون
وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله للمؤمنين واجاب المعتزلة عن هذا بوجوه احدها قال الجبائي المراد انهم
محجوبون عن رحمة ربهم اي ممنوعون كما يحجب الام بالاخوة عن الثلث الى السدس ومن ذلك يقال لمن منع من الدخول حاجب
وثانيها قال مسلم محجوبون غير مقربين والحجاب الرد وهو ضد القبول فالمعنى انهم غير مقبولين عند الروية فانه يقال
يحجب عن الامير وان كان قد راه عن بعد بل يجب ان يحمل على المنع من رحمته ورابعها قال الزمخشري كونهم محجوبين
عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يرد على الملوك الا المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا المهانون عندهم والجواب
ان الحجب في اصله لانه مشترك في المنع فيكون حقيقة فيه ومنع العبد بالنسبة الى الله تعالى اما عن العلم واما عن الروية
والاول باطل لان الكفار يعلمون الله تعالى فوجب حمله على الروية واما الوجوه المذكورة فهو عدول عن الظاهر من غير
دليل ويؤيد ما قلنا اقوال السلف من المفسرين قال مقاتل لا يرون ربهم بعد الحساب والمؤمنون يرون ربهم وقال الكلبي يحجبون
عن رؤية ربهم والمؤمن لا يحجب وسئل مالك بن انس رضي الله عنه عن هذه الاية فقال لما حجب الله تعالى اعداءه فلم يروه
لا بد وان يتجلى لاوليائه حتى يروه وعن الشافعي رحمه الله لما حجب قوما بالسخط دل على انهم يرونه بالرضى **قوله** ثم انهم
لصالوا الجحيم اي ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار ثم يقال اي يقول لهم الخزنة هذا اي هذا العذاب
الذي كنتم به تكذبون وقوله يقال يجوز ان يكون القائم مقام الفاعل ما دلت عليه جملة قوله هذا الذي كنتم به
ويجوز ان تكون الجملة نفسها ويجوز ان تكون المصدرية وقد تقدم تحريره اول البقرة **قوله** كلا ان كتاب الابرار لما
ذكر تعالى حال الكفار والمطففين اتبعه بذكر الابرار الذين لا يطففون فقال كلا اي ليس الامر كما توهمه اولئك الفجار
من انكار البعث ومن ان كتاب الله اساطير الاولين بل كتابهم في سجين وكتاب الابرار في عليين وقيل معناه حقا والوقف
وقال مقاتل كلا اي لا يؤمن بالعذاب الذي يصلاه **قوله** لفي عليين هو خبر ان وقال ابن عطية هنا كما قال هناك
ويرد عليه بما تقدم وعليون جمع علي وهو اسم مكان في اعلا الجنة وجرى مجرى العقلا فرفع بالواو ونصب وجر بالياء
مع فواته شرط العقل وقال ابو البقاء واحدهم علي وهو الملك وقيل هي صيغة الجمع مثل عشرين ثم ذكر نحوا مما ذكره في
سجين من الخلاف المتقدم وقال الزمخشري عليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحا الثقلين
منقول من جمع على فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع واما لانه مرفوع في السماء السابعة وتلك
الاقوال الماضية في سجين كلها عائدة هنا وروى عن ابن عباس رضي الله عنه انها السماء السابعة وقال في رواية انها السماء
السابعة وقال قتادة ومقاتل هي سدرة المنتهى وقال الفرا يعني ارتفاعها بعد ارتفاع لا غاية له وقال الزجاج
اعلا الامكنة وقال اخرون هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقال اخرون عند كتاب اعمال الملائكة لقوله تعالى وما
ادراك ما عليون وذلك تنبيه على انه معلوم وانه سيعرفه ثم قال تعالى كتاب مرقوم يشهده المقربون فبين ان الكتاب
في هذا الكتاب المرقوم الذي يشهده المقربون من الملائكة فكانه تعالى كما وكلهم باللوح المحفوظ فكذلك وكلهم بحفظ كتب
الابرار في جملة ذلك الكتاب الذي هو ام الكتاب على وجه الاعظام له ولا يمتنع ان الحفظة اذا صعدت بكتب الابرار فانهم
يسلمونها الى هؤلاء المقربين فيحفظونها كما يحفظون كتب انفسهم او ينقلون ما في تلك الصحائف الى ذلك الكتاب الذي
وكلوا بحفظه ويصير علمهم شهادة لهؤلاء الابرار فلذلك يحاسبون حسابا يسيرا وقيل المعنى ارتفاع بعد ارتفاع وقال
ابو مسلم هذا كناية عن العلو والرفعة والاول كناية عن الذل والاهانة وقال ابن عباس رضي الله عنه عليون
لوح من زبرجد خضرا معلق تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيه وقال كعب وقتادة هو قائمة العرش اليمنى وقال
ابن عباس هو الجنة وقال الضحاك سدرة المنتهى وقوله تعالى كتاب مرقوم ليس تفسيرا لعليين اي مكتوب اعمالهم
كما تقدم في كتاب الفجار وقيل كتب هنالك ما اعد الله لهم من الكرامة **قوله** يشهده جملة يجوز ان تكون صفة ثانية
وان تكون مستانفة والمعنى ان الملائكة الذين هم في عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب وذلك
اذا صعد به الى عليين **قوله** ان الابرار لفي نعيم لما عظم كتابهم عظم منزلتهم بانهم في النعيم ثم بين ذلك

النعيم بانواع ثلاثة ؞ اولها قوله تعالى على الارائك ينظرون ؞ قال القفال الارائك الاسرة في الحجال ولا تسمى اريكة فيما زعموا الا اذا كان كذلك ؞ وعن الحسن رضي الله عنه كنا لا ندري ما الاريكة حتى لقينا رجل من اهل اليمن اخبرنا ان عندهم ذلك ؞ وقوله ينظرون قيل الى انواع نعيمهم من الحور والولدان وانواع الاطعمة والاشربة والملابس والمراكب وغيرها ؞ وقيل اذا اشتهوا شيئا نظروا اليه فيحضرهم ذلك الشيء في الحال ؞ وقال مقاتل ينظرون الى عدوهم حين يعذبون ؞ وقيل يحمل على الكل ؞ قال ابن الخطيب انهم ينظرون الى ربهم بدليل قوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم ؞ تعرف ؞ العامة على اسناد الفعل الى المخاطب اي تعرف انت يا محمد او كل من صح المعرفة ؞ وقرا ابو جعفر وابن ابي اسحق وشيبة وطلحة ويعقوب والزعفراني تعرف مبنيا للمفعول نضرة بالرفع على قيامها مقام الفاعل وعلى ابن يزيد كذلك الا انه بالياء اسفل لان التانيث مجازي ؞ والمعنى اذا رايتهم عرفت انهم من اهل النعيم مما ترى في وجوههم من النور والحسن والبياض ؞ وقال الحسن النضرة في الوجه والسرور في القلب ؞ قوله يسقون من رحيق ؞ قال الليث الرحيق الخمر ؞ وقيل الخمر الصافية الطيبة ؞ وقال مقاتل الخمر البيضاء ؞ وقال ابن الخطيب لعله الخمر الموصوف بقوله تعالى لا فيها غول ؞ قوله مختوم ؞ اي ختم ومنع من ان يمسه يد الى ان يفك ختمه الابرار ؞ قال القفال يحتمل ان يكون ختم عليه تكريما له بالصيانة على ما جرت به العادة من ختم ما يكرم ويصان وهناك خمر آخر تجري انهارا لقوله وانهار من خمر لذة للشاربين الا ان هذا المختوم اشرف من الجاري ؞ وقال ابو عبيدة والمبرد والزجاج المختوم الذي له ختام اي آخره وعاقبته ؞ وروي عن عبد الله بن مسعود المختوم الممزوج ختامه اي آخر طعمه وعاقبته مسك ؞ وختم كل شيء الفراغ منه ومنه يقال ختمت القرآن والاعمال بخواتيمها ؞ ويؤيده قراءة علي بن ابي طالب كرم الله وجهه واختاره الكسائي فانه يقرا خاتمه مسك اي آخره كما يقال خاتم النبيين ومعناهما واحد فالخاتم والختام الا ان الخاتم اسم والختام مصدر كقولهم هو كريم الطباع والطابع والخاتم والختام الفراء ومما يتقاربان في المعنى ؞ قوله ختامه ؞ اي طينه مسك ؞ وقال مجاهد مختوم مطين ؞ وقال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك ؞ قال ابن زيد ختامه عند الله مسك وختام الدنيا طين ؞ وقرا الكسائي خاتمه بفتح التاء بعد الالف والباقون بتقديمها على الالف فوجه قراءة الكسائي انه جعله اسما لما يختم به الكاس بدليل قوله مختوم ثم بين الخاتم ما هو وروي عن الكسائي ايضا كسر التاء فيكون كقوله تعالى خاتم النبيين ؞ والمعنى خاتم رائحته مسك ؞ ووجه قراءة الجماعة ان الختام هو الطين الذي يختم به الشيء فجعل بدله المسك قال الشاعر

كان مشعشعا من خمر بصرى ؞ نمته البخت مسدود الختام

وقيل خلطه ومزاجه ؞ وقيل خاتمته اي مقطع شربه يجد الانسان فيه ريح المسك قيل معنى المسك مسكا لان الغزال تمسكه في سرته والماسكة النخل وحبس المال يقال رجل مسيك بخيل ومسك ماله والمسك الجلد لامساكه ما فيه والماسكة التي اخطات خافضتها فاصابت من مسكها غير موضع الختان والمسكة سوار من قرن او عاج لتماسكه والمسكة بضم الميم الشيء القليل ما له مسكة عقل ؞ قوله وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ؞ التنافس المغالبة في الشيء النفيس يقال نفست به نفاسة اي بخلت به واصله من النفس لعزتها ؞ قال الواحدي نفست الشيء انفسه نفاسة تخلت به والتنافس تفاعل منه كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستاثر به ؞ قال البغوي واصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل واحد لنفسه وينفس به على غيره اي يضن ؞ والمعنى وفي ذلك فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى ؞ وقال مجاهد فليعمل العاملون ؞ وقال عطا فليستبق المستبقون ؞ وقال مقاتل بن سليمان فليتنازع المتنازعون ؞ قوله ومزاجه من تسنيم ؞ التسنيم علم لعين في الجنة ؞ قال الزمخشري التسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه ؞ قال شهاب الدين وفيه نظر لانه كان من حقه ان يمنع الصرف للعلمية والتانيث وان كان مجازيا ولا يقدح في ذلك كونه مذكر الاصل لان العبرة بحال العلمية الا ترى انهم نصوا على انه لو سمي بزيد امراة وجب المنع وان كان في هند وجهان اللهم الا ان تقول ذهب بها مذهب النهر ونحوه فيكون كواسط ودابق ؞ فصل التسنيم شراب ينصب عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم وقيل يجري في الهواء متسنما فينصب في اوانيهم بحيالها ؞ قال قتادة واصل الكلمة من العلو يقال للشيء المرتفع سنام ومنه سنام البعير وتسنمت الحائط اذا علوته ؞ وقال الضحاك هو شراب اسمه تسنيم وهو من اشرف الشراب ؞ قال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونها صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة وهو قوله تعالى ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ؞ وعن ابن عباس انه سئل عن قوله تعالى من تسنيم قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ؞ قوله عينا ؞ فيه اوجه ؞ احدها انه حال قاله الزجاج يعني من تسنيم لانه علم لشيء بعينه الا انه يشكل بكونه جامدا ؞ الثاني انه منصوب على المدح قاله الزمخشري ؞ الثالث انها منصوبة بيسقون مقدرا قاله الاخفش ؞ وقوله يشرب بها اي منها او الباء زائدة او ضمن يشرب معنى يروى ؞ وتقدم هذا

مشبعا في هل اتى ؞ قال البغوي يشرب بها المقربون صرفا ؞ قوله ان الذين اجرموا ؞ اي اشركوا يعني كفار قريش ابا جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل من مترفي مكة كانوا من الذين آمنوا عمار وخباب وصهيب وبلال واصحابهم من فقراء المؤمنين يضحكون استهزاء بهم ؞ وقوله من الذين آمنوا متعلق بيضحكون اي من اجلهم وقدم لاجل الفواصل ؞ قوله واذا مروا بهم ؞ يعني المؤمنين بالكفار يتغامزون ؞ والغمز الاشارة بالجفن والحاجب اي يشيرون اليهم بالاعين استهزاء ؞ وقيل الغمز بمعنى العيب غمزه اي عابه وما في فلان غميزة اي ما يعاب به ؞ قوله واذا انقلبوا ؞ يعني الكفار الى اهلهم انقلبوا فكهين معجبين بما هم فيه يتفكهون بذكرهم بالسوء ؞ وقرا حفص فكهين دون الف والباقون بها فقيل هما بمعنى ؞ وقيل فكهين اشرين وفاكهين من التفكه ؞ وقيل فكهين فرحين وفاكهين ناعمين ؞ وقيل فاكهين اصحاب فاكهة ومزاح ؞ قوله واذا راوهم ؞ يجوز ان يكون المرفوع للكفار والمنصوب للمؤمنين اي ان الكفار اذا راوا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا ان هؤلاء لضالون اي باتيان محمد المختار يرون انهم على شيء اي هم على ضلال في تركهم التنعم الحاضر بسبب ثواب لا يدرى هل له وجود ام لا ؞ ويجوز العكس وكذلك الضمير ان في ارسلوا عليهم ؞ والمعنى وما ارسلوا يعني المشركين عليهم يعني المؤمنين حافظين اعمالهم لم يوكلوا بحفظ اعمالهم ؞ قوله فاليوم الذين آمنوا ؞ فاليوم منصوب بيضحكون ولا يضر تقديمه على المبتدا لانه لو تقدم العامل هنا لجاز اذ لا لبس بخلاف زيد قام في الدار لا يجوز في الدار زيد قام ؞ ومعنى فاليوم اي في الآخرة يضحك المؤمنون من الكافرين ؞ وفي سبب هذا الضحك وجوه ؞ منها ان الكفار كانوا يضحكون على المؤمنين في الدنيا بسبب ما هم فيه من الضرر والبؤس وفي الآخرة يضحك المؤمنون على الكافرين بسبب ما هم فيه من انواع العذاب والبلاء ؞ ومنها انهم علموا انهم كانوا في الدنيا على غير شيء وانهم باعوا الباقي بالفاني ؞ ومنها انهم يرون انفسهم قد فازوا بالنعيم المقيم ونالوا بالتعب اليسير راحة الابد ؞ ومنها انهم دخلوا الجنة فاجلسوا على الارائك ينظرون الى الكفار كيف يعذبون في النار ويرفعون اصواتهم بالويل والثبور ويلعن بعضهم بعضا ؞ ومنها قال ابو صالح يقال لاهل النار وهم فيها اخرجوا ويفتح لهم ابوابها فاذا راوها قد فتحت ابوابها اقبلوا اليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون اليهم فاذا انتهوا الى ابوابها غلقت دونهم فذلك سبب الضحك ؞ قوله على الارائك ينظرون ؞ الجار يتعلق بينظرون وينظرون حال من يضحكون اي يضحكون ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان ؞ قوله هل ثوب ؞ يجوز ان يكون الجملة الاستفهامية معلقة النظر قبلها فيكون في محل نصب بعد اسقاط الخافض بينظرون ؞ وقيل استئناف لا موضع له ؞ ويجوز ان يكون على اضمار القول اي يقولون هل ثوب ؞ ومعنى ثوب اي جوزي يقال ثوبه واثابه ؞ قال

سااجزيك او يجزيك عني مثوب ؞ وحسبك ان يثنى عليك وتحمدي

وادغم ابو عمرو والكسائي وحمزة لام هل في الثاء ؞ وقوله ما كانوا فيه حذف اي ثواب ما كانوا وما موصول اسمي او حرفي ؞ قال المبرد ثوب فعل من الثواب وهو ما يثوب اي يرجع على فاعله جزاء ما عمله من خير او شر ؞ والثواب يستعمل في المكافاة بالشر وانشد ابو عبيدة

الا ابلغ ابا حسن رسولا ؞ فما لك لا تجيء الى الثواب

وثوب واثاب بمعنى واحد ؞ والاولى ان يحمل على سبيل التهكم كقوله ذق انك انت العزيز الكريم كانه تعالى يقول للمؤمنين هل جازينا هؤلاء الكفار على استهزائهم بطريقتكم كما جازيناكم على اعمالكم الصالحة فيكون هذا القول زائدا في سرورهم والله اعلم ؞ روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة ؞

سورة الانشقاق

قوله بسم الله الرحمن الرحيم ؞ وثلاثون حرفا واربعمائة وسبع كلمات ومائة وهي ثلاث وعشرون آية ؞ قوله تعالى اذا السماء انشقت كقوله تعالى اذا الشمس كورت في اضمار الفعل وعدمه وفي اذا هذه احتمالان احدهما ان تكون شرطية ؞ والثاني ان تكون غير شرطية فعلى الاول في جوابها خمسة اوجه ؞ احدها انها اذنت والواو مزيدة قاله ابن الانباري وهذا غلط لان العرب لا تقحم الواو الا مع حتى اذا كقوله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها او مع لما كقوله تعالى فلما اسلما وتله للجبين وناديناه اي ناديناه والواو لا تقحم مع غير هذين ؞ الثاني انه فملاقيه اي فانت ملاقيه واليه ذهب الاخفش ؞ والثالث انه يا ايها الانسان على حذف الفاء ؞ الرابع انه يا ايها الانسان ايضا ولكن على اضمار القول اي يقال يا ايها الانسان ؞ الخامس انه مقدر تقديره بعثتم ؞ وقيل تقديره لاقى كل انسان كدحه وهو قوله فملاقيه ويكون قوله يا ايها الانسان معترض كقولك اذا كان كذا وكذا يا ايها الانسان ترى عند ذلك ما عملت من خير او شر ؞ ونقل القرطبي عن المبرد انه تعالى فيه تقديم وتاخير اي يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه اذا السماء انشقت ؞ وقيل هو ما صرح في سورتي التكوير والانفطار وهو قوله تعالى علمت نفس فالله

الزمخشري وهو حسن. ونقل ابن الخطيب عن الكسائي أنه قال إن الجواب في قوله فأما من أوتي كتابه واعترض في الكلام
في قوله يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا. والمعنى إذا السماء انشقت وكان كذا وكذا فمن أوتي كتابه بيمينه فهو
كذا ومن أوتي كتابه وراء ظهره فهو كذا ونظيره قوله تعالى فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف
قال النحاس وهذا أصح ما قيل فيه وأحسنه. وعلى الاحتمال الثاني فيها وجهان أحدهما أنها منصوبة مفعولا
بها بإضمار اذكر والثاني أنها مبتدأ وخبرها إذا الثانية والواو مزيدة تقديره وقت انشقاق السماء وقت مد الأرض
أي يقع الأمران في وقت قاله الأخفش أيضا والعامل فيها إذا كانت ظرفا عند الجمهور جوابها إما الملفوظ به وإما المقدر. وقال
مكي وقيل العامل انشقت. وقال ابن عطية قال بعض النحاة العامل انشقت وأباه كثير من أئمتهم لأن إذا مضافة
إلى انشقت ومن يجيز ذلك يضعف عنده الإضافة ويقوى معنى الجزاء. وقرأ العامة انشقت بتاء التأنيث ساكنة
وكذلك ما بعده. وقرأ أبو عمرو في رواية عبيد بن عقيل بإشمام الكسر في الوقف خاصة وفي الوصل بالسكون
المحض. قال أبو الفضل وهذا من التغييرات التي تلحق الروي في القوافي. وفي هذا الإشمام بيان أن هذه التاء
من علامة تأنيث الفعل للإناث وليست مما ينقلب في الأسماء فصار ذلك فارقا بين الاسم والفعل فيمن وقف
على ما في الأسماء بالتاء وذلك لغة طي وقد حمل في المصاحف بعض التاءات على ذلك. وقال ابن عطية وقرأ أبو عمرو
انشقت يقف على التاء كأنه يشمها شيئا من الجر وكذلك في أخواتها. قال أبو حاتم سمعت أعرابيا فصيحا في بلاد قيس
يكسر هذه التاءات. وقال ابن خالويه انشقت بكسر التاء عبيد عن أبي عمرو. وقال شهاب الدين كأنه يريد
إتمام الكسر وأنه في الوقف دون الوصل لأنه مطلق وغيره مقيد والمقيد يقضي على المطلق. وقال أبو حيان
وذلك أن الفواصل تجري مجرى القوافي فكما أن هذه التاء تكسر في القوافي تكسر في الفواصل ومثال كسرها في
القوافي قول كثير عزة: وما أنا بالداعي لعزة بالردى ... ولا شامت إن نعل عزة زلت. وكذلك في القصيدة
وإجراء الفواصل في الوقف مجرى القوافي مهيع معروف كقوله تعالى الظنونا والرسولا في سورة الأحزاب وحمل الوصل
على الوقف موجود أيضا. فصل انشقاق السماء من علامات القيامة وقد تقدم شرحه. وعن علي رضي الله عنه
أنها تنشق من المجرة باب السماء. قوله وأذنت عطف على انشقت وقد تقدم أنه جواب على زيادة الواو ومعنى
أذنت أي استمعت أمره يقال أذنت لك أي استمعت كلامك. وفي الحديث ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن
[illegible]
وأنشد أبو عبيدة والمبرد والزجاج قول قعنب: صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به
وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا. وقال آخر: إن يأذنوا ريبة طاروا بها فرحا
وما هم أذنوا من صالح دفنوا. وقال الجحاف بن حكيم: أذنت لكم لما سمعت هديركم. ومعنى الاستماع
ههنا أنه لم يوجد في جرم السماء ما يمنع من تأثير قدرة الله تعالى في شقها وتفريق أجزائها فكانت في قبول ذلك
كالعبد الطائع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المالك أنصت وأذعن ولم يمتنع كقوله تعالى قالتا
أتينا طائعين وذلك يدل على نفوذ القدرة في الإيجاد والإبداع من غير ممانعة أصلا قاله ابن الخطيب. قوله
وحقت الفاعل في الأصل هو الله تعالى أي حق الله عليها ذلك أي بسمعه وطاعته يقال هو حقيق بكذا وحق
والمعنى وحق لها أن تفعل. قال الضحاك حقت أطاعت وحق لها أن تطيع. وقال ابن الخطيب هو من قولك هو محقوق بكذا
أو حقيق به يعني وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع. قوله وإذا الأرض مدت مد الأديم العكاظي. وقيل مدت
بمعنى أملت وزيد في سعتها. وقال مقاتل رضي الله عنه سويت كمد الأديم فلا يبقى فيها بناء ولا جبل كقوله تعالى ويسألونك
عن الجبال الآية. قوله وألقت ما فيها أي أخرجت ما فيها من الموتى والكنوز لقوله تعالى وأخرجت الأرض أثقالها وتخلت
أي خلت منها فلم يبق في بطنها شيء وذلك يؤذن بعظم الأمر كما تلقي الحامل ما في بطنها عند الشدة ووصفت الأرض
بذلك توسعا وإلا فالتحقيق أن الله تعالى هو المخرج لتلك الأشياء من بطن الأرض. قوله وأذنت لربها وحقت تقدم
تفسيره وهذا ليس بتكرار لأن الأول في السماء وهذا في الأرض. قوله يا أيها الإنسان إنك كادح قيل المراد جنس الناس كقولك
يا أيها الرجل فكأنه خطاب خص به كل واحد من الناس. قال القفال وهو أبلغ من العموم لأنه قائم مقام التنصيص على مخاطبة كل
واحد منهم على التعيين بخلاف اللفظ العام. وقيل المراد منه رجل بعينه فقيل هو محمد عليه السلام والمعنى إنك تكدح في إبلاغ
رسالات الله تعالى وإرشاد عباده وتحمل الضرر من الكفار فأبشر فإنك تلقى الله تعالى بهذا العمل. وقال ابن عباس هو أبي بن
خلف وكدحه هو جده واجتهاده في طلب الدنيا وإيذاء الرسول عليه السلام والإصرار على الكفر. فصل الكدح قال
الزمخشري جهد النفس والكد فيه حتى يؤثر فيها ومنه كدح جلده إذا خدشه. ومعنى كادح أي جاهد إلى لقاء ربك وهو الموت
انتهى. وقال ابن مقبل: وما الدهر إلا تارتان فمنهما ... أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح
وقال آخر: ومضت بشاشة كل عيش صالح ... وبقيت أكدح للحياة وأنصب. وقال الراغب وقد
يستعمل الكدح استعمال الكدم بالأسنان. قال الخليل الكدح دون الكدم. فصل معنى كادح إلى ربك أي ساع

إليه في عملك. والكدح عمل الإنسان وجهده في الخير والشر. قال قتادة والكلبي والضحاك عامل لربك عملا. وقوله تعالى إلى ربك
أي إلى لقاء ربك وهو الموت أي هذا الكدح يستمر إلى هذا الزمن. وقال القفال تقديره إنك كادح في دنياك كدحا تصير
به إلى ربك. قوله فملاقيه يجوز أن يكون عطفا على كادح والتسبب فيه ظاهر. ويجوز أن يكون خبر مبتدأ مضمر
أي فأنت ملاقيه وقد تقدم أنه يجوز أن يكون جوابا للشرط. وقال ابن عطية فالفاء على هذا عاطفة جملة الكلام على التي قبلها
والتقدير فأنت ملاقيه يعني بقوله على هذا أي على عود الضمير على كدحك. قال أبو حيان ولا يتعين ما قاله بل يجوز أن يكون من
عطف المفردات والضمير في فملاقيه إما للرب أي فلا محالة لا مفر لك منه قاله الزجاج وإما للكدح إلا أن الكدح عمل وهو
عرض لا يبقى فملاقاته ممتنعة فالمراد جزاء كدحك. وقال ابن الخطيب المراد ملاقاة الكتاب الذي فيه بيان تلك الأعمال
ويتأكد هذا بقوله بعده فأما من أوتي كتابه بيمينه. قوله فأما من أوتي كتابه بيمينه أي ديوان أعماله بيمينه فسوف
يحاسب حسابا يسيرا وسوف من الله واجب كقول القائل اتبعني فسوف تجد خيرا فإنه لا يريد الشك وإنما يريد تحقيق الكلام
والحساب اليسير هو عرض أعماله فيثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالحجة عليه
قال صلى الله عليه وسلم من حوسب عذب قالت عائشة رضي الله عنها أوليس يقول الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال
إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب. قوله وينقلب إلى أهله في الجنة من الحور العين والآدميات والذريات
إذا كانوا مؤمنين. قال ابن الخطيب فإن قيل المحاسبة إنما تكون بين اثنين وليس في القيامة لأحد مطالبة قبل ربه
فيحاسبه فالجواب أن العبد يقول إلهي فعلت الطاعة الفلانية والرب سبحانه وتعالى يقول فعلت المعصية
الفلانية فكان ذلك من الرب سبحانه وتعالى ومن العبد محاسبة والدليل عليه أنه تعالى خص الكفار بأنه لا يكلمهم فدل
ذلك على أنه يكلم المطيعين فتلك المكالمة محاسبة. قوله مسرورا حال من فاعل ينقلب. وقرأ زيد بن علي ويقلب مبنيا
للمفعول من قلبه ثلاثيا. قوله وأما من أوتي كتابه وراء ظهره قيل نزلت في الأسود بن عبد الأسود قاله ابن عباس
وقيل عامة. قال الكلبي لأن يمينه مغلولة إلى عنقه وتجعل يده اليسرى ممدودة وراء ظهره. وقيل تحول وجهه إلى قفاه فيقرأ
كتابه كذلك. وقيل يؤتى كتابه بشماله من ورائه لأنه إذا حاول أخذه بيمينه كالمؤمنين منع من ذلك وأوتي كتابه
بشماله فكيف قال هنا وأما من أوتي كتابه وراء ظهره. فالجواب أنه يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره أو بشماله
قال قيل أليس أنه تعالى قال في سورة الحاقة وأما من أوتي كتابه بشماله وقال هنا من وراء ظهره.
قوله فسوف يدعو ثبورا أي ينادي بالويل والثبور الهلاك إذا قرأ كتابه يقول يا ويلاه يا ثبوراه كقوله
تعالى دعوا هنالك ثبورا. قوله ويصلى سعيرا قرأ أبو عمرو وحمزة وعاصم بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف
اللام والباقون بضم الياء وفتح الصاد واللام والتثقيل وقد تقدم تخريج القراءتين في سورة النساء عند قوله تعالى
وسيصلون سعيرا. وقرأ أبو الأشهب ونافع وعاصم وأبو عمرو في رواية عنهم ويصلى بضم الياء وسكون الصاد من
أصلى. قوله إنه كان في أهله مسرورا قال القفال أي منعما مستريحا من التعب بأداء العبادات واحتمال
مشقة الفرائض من الصلاة والجهاد مقدما على المعاصي آمنا من الحساب والثواب والعقاب لا يخاف الله تعالى
ولا يرجوه فأبدله الله بذلك السرور غما باقيا لا ينقطع. وقيل إن قوله إنه كان في أهله مسرورا كقوله تعالى
وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين أي متنعمين في الدنيا معجبين بما هم عليه من الكفر بالله والتكذيب
بالبعث يضحك ممن آمن بالله وصدق بالحساب كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.
قوله إنه ظن أن لن يحور معنى يحور أي يرجع يقال حار يحور حورا قال لبيد:
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادا بعد إذ هو ساطع. ويستعمل بمعنى صار فيرفع
الاسم وينصب الخبر عند بعضهم مستندا لهذا البيت ومن منع نصب رمادا على الحال. وقال الراغب
الحور التردد في الأمر ومنه نعوذ بالله من الحور بعد الكور أي من التردد في الأمر بعد المضي فيه ومحاورة الكلام
مراجعته. والمحور العود الذي تجري فيه البكرة لترددها عليه والمحار المرجع والمصير. وعن ابن عباس
رضي الله عنه ما كنت أدري ما معنى حور حتى سمعت أعرابيا يقول لابنته حوري أي ارجعي. وقال عكرمة
وداود بن أبي هند يحور كلمة بالحبشية ومعناها يرجع. قال القرطبي ويجوز أن تتفق الكلمتان فإنهما كلمة اشتقاق
ومنه الخبز الحواري لأنه يرجع إلى البياض والحور أيضا الهلاك قال الراجز: في بئر لا حور سرى وما شعر
وقوله تعالى أن لن هذه أن المخففة كالتي في أول سورة القيامة وهي سادة مسد المفعولين أو أحدهما
على الخلاف وقوله بلى جواب للنفي في لن وأن الجواب قسم مقدر والمعنى أنه ظن أن لن يرجع إلينا ولن يبعث
ثم قال بلى أي ليس كما ظن بل يحور إلينا أي يبعث إن ربه كان به بصيرا. قال الكلبي بصيرا به من يوم خلقه إلى
أن بعثه. وقال عطاء بصيرا بما سبق عليه في أم الكتاب من الشقاوة. قوله تعالى فلا أقسم بالشفق أي
فأقسم ولا صلة بالشفق أي بالحمرة التي تكون عند غروب الشمس حتى يأتي صلاة العشاء الآخرة. قال

الراغب الشفق هو اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس والاشفاق عناية مختلطة بخوف لان المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه فاذا عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر واذا عدي بعلى فمعنى العناية فيه اظهر وقال الزمخشري الشفق الحمرة التي ترى في الغروب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء الا ما روي عن ابي حنيفة رضي الله عنه في احدى الروايتين انه البياض وروى اسد بن عمرو انه رجع عنه سمي شفقا لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب عليه انتهى والشفق شفقان الشفق الاحمر والاخر الابيض والشفق والشفقة اسمان للاشفاق وقال الشاعر

تهوى حياتي واهوى موتها شفقا ... والموت اكرم نزال على الحرم

تقدم اختلاف العلماء في القسم بهذه الاشياء هل هو قسم بها او بخالقها وان المتكلمين ذهبوا الى ان القسم واقع برب الشفق وان كان محذوفا وقالوا ان ذلك معلوم من حيث ورود الحظر بان يقسم بغير الله تعالى واعلم ان الصحيح في الشفق انه الحمرة لان اكثر الصحابة والتابعين والفقها عليه وشواهد كلام العرب والاشتقاق والسنة تشهد له قال الفرا سمعت بعض العرب يقول لثوب مصبوغ احمر كانه الشفق قال الشاعر

احمر اللون كمحمر الشفق

وقال اخر

قم يا غلام اعني غير مرتبك ... على الزمان بكاس حشوها شفق

ويقال للمغرة الشفق وفي الصحاح الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في اول الليل الى قريب من العتمة وقال الخليل الشفق الحمرة من غروب الشمس الى وقت العشا الاخرة اذا ذهب قيل غاب الشفق واصل الكلمة من رقة الشي يقال شي شفق اي لا تماسك له لرقته واشفق عليه اي رق عليه والشفقة الاسم من الاشفاق وهو رقة القلب ولذلك الشفق فكان تلك الرقة من ضوء الشمس وزعم الحكما ان البياض لا يغيب اصلا وقال الخليل صعدت منارة الاسكندرية فرمقت البياض فرايته يتردد من افق الى افق ولم اره يغيب وقال ابن ابي اويس رايته يتمادى الى طلوع الفجر وكلما يتجدد وقته سقط اعتباره وروى النعمان بن بشير قال انا اعلمكم بوقت صلاة العشا الاخرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يصليها لسقوط القمر لثالثة وهذا تحديد وقال مجاهد الشفق النهار كله لانه عطف عليه الليل وما وسق فوجب ان يكون الاول هو النهار فعلى هذا يكون القسم واقعا بالليل والنهار اللذين احدهما معاش والثاني سكن والشفق ايضا الردي من الاشياء يقال عطا مشفق اي مقلل قال الكميت

ملك اغر من الملوك تحلبت ... للسائلين يداه غير مشفق

قوله تعالى والليل وما وسق اي جمع وضم ولف ومنه الوسق وهو الطعام المجتمع الذي يكال او يوزن وهو ستون صاعا ثم صار اسما واستوسقت الابل اذا اجتمعت وانضمت والراعي يسقها اي يجمعها قال الشاعر

ان لنا قلائصا حقائقا ... مستوسقات لو يجدن سائقا

والوسق بالكسر الاسم وبالفتح المصدر وطعام موسوق اي مجموع ويقال وسقته فاتسق واستوسق ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومنه قولهم وقيل وسق اي عمل فيه قال

فيوما ترانا صالحين وتارة ... تقوم بنا كالواسق المتلبب

فصل قال عكرمة رضي الله عنه وما وسق اي وما ساق من شي الى حيث ياوي فالوسق بمعنى الطرد ومنه قيل للطريدة من الابل والغنم والحمر وسيقة وعن ابن عباس رضي الله عنه وما وسق اي وما جن وستر وعنه ايضا وما حمل ووسقت الناقة تسق وسقا اي حملت واغلقت رحمها على الماء فهي ناقة واسق ونوق وساق مثل نائم ونيام وصاحب وصحاب ومواسيق ايضا واوسقت البعير حملته حمله واوسقت كثر حملها وقال يمان والضحاك ومقاتل بن سليمان حمل من الظلمة وقال مقاتل حمل من الكواكب وقال ابن جبير وما وسق اي وما عمل فيه من التهجد والاستغفار بالاسحار **قوله** والقمر اذا اتسق اي امتلا قال الفرا وهو امتلاؤه واستواؤه ليالي البدر وهو افتعل من الوسق وهو الضم والجمع كما تقدم وامر فلان متسق اي مجتمع على ما يسر من الصلاح منتظم ويقال اتسق الشي اذا تتابع قال ابن عباس رضي الله عنه اذا اتسق واجتمع وتكامل وتم واستدار ثم لتركبن طبقا عن طبق هذا جواب القسم وقرا الاخوان وابن كثير وابو عمرو وابن مسعود وابن عباس وابو العالية ومسروق وابو وائل ومجاهد والنخعي والشعبي وابن جبير بفتح البا على خطاب الواحد والباقون بضمها على خطاب الجمع فالقراءة الاولى روعي فيها اما خطاب الانسان المتقدم ذكره في قوله تعالى يا ايها الانسان واما خطاب غيره فقيل خطاب للرسول عليه السلام اي لتركبن يا محمد مع الكفار وجهادهم او لتبتلين انصار المسلمين من قولهم الناس طبقات ولتركبن سماء بعد سماء ودرجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى وقيل التا للتانيث والفعل مسند لضمير السما قال ابن مسعود لتركبن السماء حالا بعد حال تكون كالمهل وكالدهان وتنفطر وتنشق والقراءة الثانية روي فيها معنى الانسان اذ المراد به الجنس اي لتركبن ايها الانسان حالا بعد حال من كونه نطفة ثم مضغة ثم حيا ثم ميتا وغنيا وفقيرا واختاره ابو عبيد وابو حاتم قال لان المعنى بالناس اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر قبل هذه الاية فمن يؤتى كتابه بيمينه ومن يؤتى كتابه وراء ظهره وقوله تعالى بعد ذلك فما لهم لا يؤمنون اي لتركبن حالا بعد حال من شدائد يوم القيامة او لتركبن سنة من كان قبلكم في التكذيب والاختلاف على الانبيا وقال مقاتل يعني الموت ثم الحياة وعن ابن عباس يعني الشدائد والاهوال ثم البعث ثم العرض وقال عكرمة رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ قال ابن الخطيب ويصلح ان يكون هذا الخطاب للمسلمين بتعريف نقل احوالهم بنصرهم ومصيرهم الى الظفر بعدوهم بعد الشدة يلقونها منهم كما قال تعالى لتبلون في اموالكم وانفسكم وقرا عمر ليركبن بيا الغيبة وضم البا على الاخبار عن الكفار وقرا عمر ايضا وابن عباس رضي الله عنهما بالغيبة وفتح البا اي ليركبن الانسان وقيل ليركبن القمر احوالا من سرار واستهلال وابدار وقرا عبد الله وابن عباس لتركبن بكسر حرف المضارعة وقد تقدم في الفاتحة وقرا بعضهم بفتح حرف المضارعة وكسر البا على اسناد الفعل للنفس اي لتركبن انت يا نفس **قوله** طبقا مفعول به او حال والطبق قال الزمخشري ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق كذا اي لا يطابقه ومنه قيل للغطا الطبق واطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله تعالى طبقا عن طبق اي حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها في الشدة والهول ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم على طبقات ومنه طبقات الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة انتهى وقيل المعنى لتركبن هذه الاحوال امة بعد امة ومنه قول العباس فيه صلى الله عليه وسلم

تنقل من صالب الى رحم ... اذا مضى عالم بدا طبق

فعلى هذا التفسير يكون طبقا حالا لا مفعولا به كانه قيل امة بعد امة واما قول الاقرع

اني امرؤ قد حلبت الدهر اشطره ... وساقني طبقا منه الى طبق

فيحتمل الامرين اي ساقني من حالة الى اخرى او ساقني من امة وناس الى امة وناس اخرين ويكون نصب طبقا على المعنيين على التشبيه بالظرف او الحال اي متنقلا والطبق ايضا ما طابق الشي اي ساواه ومنه دلالة المطابقة وقال امرؤ القيس

ديمة هطلا

والطبق من الجراد اي جماعة **قوله** عن طبق في عن وجهان احدهما انها في محل نصب على الحال من فاعل تركبن والثاني انها صفة لطبقا قال الزمخشري فان قلت ما محل عن طبق قلت النصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق او مجاوزين على حسب القراءة وقال ابو البقا وعن بمعنى بعد قال

ما زلت اقطع منهلا عن منهل ... حتى انخت بباب عبد الواحد

لان الانسان اذا صار من شي الى شي يكون الثاني بعد الاول فصلحت بعد وعن للمجاوزة والصحيح انها على بابها وهي صفة اي طبقا حاصلا عن طبق اي حالا عن حال وقيل جيلا عن جيل انتهى يعني الخلاف المتقدم في الطبق ما المراد به هل هو الحال او الجيل والامة كما تقدم نقله وتبيينه فلا يعرف طبقا مفعولا به بل حالا كما تقدم لكنه لم يذكر في طبق غير المفعول به وفيه نظر لما تقدم من استحالته معنى اذ يصير التقدير لتركبن امة بعد امة فيكون الامة مركوبة لهم وان كان يصح على تاويل بعيد جدا وهو حذف مضاف اي لتركبن سنن او طريقة طبق بعد طبق

فصل هذا ادل دليل على حدوث العالم واثبات الصانع فان الحال من كان اليوم على حالة اخرى فليعلم ان تدبيره الى سواه وقيل لابي بكر الوراق ما الدليل على ان لهذا العالم صانعا فقال تحويل الحالات وعجز القوة وضعف الاركان وقهر المنية ونسخ العزيمة **قوله** فما لهم لا يؤمنون يعني اي شي يمنعهم من الايمان بعد ما وضحت لهم الايات والدلالات وهذا استفهام انكار وقيل تعجب اي اعجبوا منهم في ترك الايمان مع هذه الايات وقوله تعالى لا يؤمنون حال قال ابن الخطيب فما لهم لا يؤمنون بالبعث والقيامة وهو استفهام انكار وهو انما يحسن عند ظهور الحجة وذلك انه تعالى اقسم بتغييرات واقعة في الافلاك والعناصر فان الشفق حالة مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا قوله والليل وما وسق فانه يدل على حدوث ظلمة بعد نور وعلى تغيير احوال الحيوانات من اليقظة الى النوم وكذا قوله تعالى والقمر اذا اتسق فانه يدل على حصول كمال القمر بعد نقصانه ثم انه تعالى اقسم بهذه الاحوال المتغيرة على تغيير احوال الخلق وهذا يدل قطعا على صحة القول بالبعث لان القادر على تغيير الاحوال العلوية والسفلية من حال الى حال بحسب المصالح لا بد وان يكون قادرا ومن كان كذلك لا محالة قادر على البعث والقيامة فلما كانت هذه الاية كالدلالة العقلية القاطعة بصحة البعث لا جرم قال تعالى على سبيل الاستبعاد فما لهم لا يؤمنون

فصل قال القرطبي لا يجوز ان يقول الحكيم لمن كان عاجزا عن الايمان فما لهم لا يؤمنون وهذا يدل على كونهم قادرين وهذا يقتضي ان يكون الاستطاعة قبل الفعل وان يكونوا موجدين لافعالهم وان لا يكون تعالى خالقا للكفر فيهم فهذه الاية من المحكمات التي لا احتمال فيها البتة وجوابه تقدم **قوله** واذا قرئ شرط جوابه لا يسجدون وهذه الجملة الشرطية في محل نصب على الحال ايضا نسقا على ما قبلها اي فما لهم اذا قرئ عليهم القران لا يسجدون اي لا يصلون قاله ابن عباس والحسن وعطا والكلبي ومقاتل وقال ابو مسلم المراد الخضوع والاستكانة وقيل المراد نفس السجود لما روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها وقال ما لك انها ليست من عزائم السجود

لان المعنى لا يدعون ولا يطيعون **قوله** بل الذين كفروا يكذبون العامة على ضم اليا من يكذبون وفتح الكاف وتشديد الذال والضحاك وابن ابي عبلة بالفتح والاسكان والتخفيف وتقدمت هاتان القراءتان اول البقرة والمعنى يكذبون محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به قال مقاتل نزلت في بني عمرو بن عمير وكانوا اربعة فاسلم اثنان منهم وقيل هو في جميع الكفار

قوله والله اعلم بما يوعون هذه هي العامة من اوعى يوعي اي بما يضمرون في انفسهم من التكذيب ورواه الضحاك عن ابن عباس وقال مجاهد يكتمون من افعالهم وقال ابن زيد يجمعون من الاعمال الصالحة مأخوذ من الوعا الذي يجمع فيه يقال اوعيت الزاد اذا جعلته في وعا وقال الشاعر والشر اخبث ما اوعيت من زاد وقرا ابو رجا

الخير ابقى وان طال الزمان به والشر اخبث ما اوعيت من زاد **قوله**

يعون من وعى يعي يقال وعاه اي حفظه يقال وعيت الحديث اعيه وعيا واذن واعية وقد تقدم **قوله** الا الذين

فبشرهم بعذاب اليم اي مولم في جهنم على تكذيبهم وكفرهم اي اجعل ذلك بمنزلة البشارة امنوا يجوز ان يكون متصلا وان يكون منقطعا وهو الظاهر اذا كانت الجملة من قوله لهم اجر مستانفة او حالية اما اذا كان الموصول مبتدا والجملة خبره فالاستثنا ليس من قبيل استثنا المفردات ويكون من قسم المنقطع اي لكن الذين امنوا لهم كيت وكيت وتقدم معنى الممنون في حم السجدة وان معناه غير منقوص ولا مقطوع يقال مننت الحبل اي قطعته وسال نافع ابن الازرق ابن عباس رضي الله عنه عن قوله لهم اجر غير ممنون فقال غير مقطوع فقلت هل تعرف ذلك العرب فقال نعم قد عرفه اخو يشكر حيث يقول

فترى خلفهن من سرعة الرجع منينا كانه اهبا قال المبرد المنين الغبار لانه تقطعه وراها وكل ضعيف منين وممنون وقيل غير ممنون لا يمن عليهم به وقال بعضهم ليس هنا استثنا وانما هو بمعنى الواو وكانه قال والذين امنوا وقد مضى القول فيه في سورة البقرة والله اعلم روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اذا السما انشقت اعاذه الله تعالى ان يعطيه كتابه وراء ظهره وحسبنا الله ونعم الوكيل

سورة البروج

وهي اثنان وعشرون اية ومائة وتسع كلمات واربع مائة وثمانية وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله والسما ذات البروج هذا قسم اقسم الله تعالى به وفي البروج اقوال قيل والسماء ذات النجوم قاله الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد هي قصور في السما وقال مجاهد ايضا هي البروج الاثنى عشر وهو قول ابي عبيدة ويحيى بن سلام وقيل هي منازل القمر **قوله** واليوم الموعود وهو يوم القيامة وهذا قسم اخر قال ابن عباس رضي الله عنه وعد اهل السما واهل الارض ان يجتمعوا فيه قال القفال يحتمل ان يكون المراد واليوم الموعود لانشقاق السما وبنايها وبطلان بروجها وقوله تعالى الموعود اي الموعود به قال مكي الموعود نعت لليوم وثم ضمير محذوف به تم الموعود به ولولا ذلك لما صحت الصفة اذ لا ضمير على الموصوف من صفته انتهى وكانه يعني ان اليوم موعود به غيره من الناس فلا بد من ضمير يرجع اليه لانه موعود به لا موعود وهذا لا يحتاج اليه اذ يجوز ان يكون قد تجوز بان اليوم قد وعد به فيصح ذلك ويكون فيه ضمير عايد اعليه كانه **قوله** وشاهد ومشهود قال علي وابن عباس وابن عمر وابو هريرة رضي الله عنهم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وهو قول الحسن ورواه ابو هريرة مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة خرجه الترمذي في جامعه قال القشيري فيوم الجمعة يشهد على عامل بما عمل فيه قال القرطبي وكذلك ساير الايام والليالي لما روى ابو نعيم الحافظ عن معاوية بن قرة عن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم ياتي على العبد الا ينادى فيه يا ابن ادم انا خلق جديد وانا فيما تعمل عليك شهيد فاعمل في خيرا اشهد لك فيه غدا فاني لو قد مضيت لم تراني ابدا ويقول الليل مثل ذلك حديث غريب وحكى القشيري عن ابن عمر وابن الزبير ان الشاهد يوم الاضحى وقال سعيد بن المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وروى عن علي رضي الله عنه الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر وعن ابن عباس والحسين بن علي رضي الله عنهما المشهود يوم القيامة لقوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وعلى هذا فقيل الشاهد هو الله تعالى وهو مروي عن ابن عباس والحسن وسعيد ابن جبير لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا وقوله تعالى قل اي شي اكبر شهادة قل الله شهيد وعن ابن عباس

اليوم

رضي الله عنه الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا وقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا وقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل الانبيا عليهم السلام يشهدون على اممهم لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وقيل ادم وقيل عيسى بن مريم عليه السلام لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والمشهود امته وعن ابن عباس ومحمد بن كعب الشاهد الانسان لقوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال مقاتل اعضا الانسان لقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقال الحسين بن الفضل الشاهد هذه الامة والمشهود ساير الامم لقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس وقيل الشاهد الحفظة والمشهود بنو ادم وقيل غير ذلك **قوله** قتل هذا جواب القسم على المختار وانما حذفت اللام والاصل لقتل كقوله حلفت لها بالله حلفة فاجر

لناموا فما ان من حديث ولا صال وانما حسن حذفها للطول كما سياتي ان شا الله تعالى في قوله تعالى قد افلح من زكاها وقيل تقديره لقد قتل فحذف اللام وقد وعلى هذا فقوله قتل خبر لا دعا وقيل بل هي دعا فلا يكون جوابا وفي الجواب حينئذ اوجه احدها انه قوله تعالى ان الذين فتنوا الثاني قوله ان بطش ربك لشديد قاله المبرد الثالث انه مقدر فقال الزمخشري ولم يذكر غيره هو محذوف يدل عليه قتل اصحاب الاخدود وكانه قيل اقسم بهذه الاشيا ان كفار قريش ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود ثم قال وقتل دعا عليهم كقوله تعالى قتل الانسان وقيل التقدير لتبعثن وقيل فيه تقديم وتاخير اي قتل اصحاب الاخدود والسما ذات البروج قاله ابو حاتم قال ابن الانباري وهذا غلط لانه لا يجوز لقايل ان يقول والله قام زيد على معنى قام زيد والله وقرا الحسن وابن مقسم قتل بالتشديد للتكثير اما لعنة او تكثيرا **قوله** اصحاب الاخدود اي لعن اصحاب الاخدود وقال ابن عباس كل شي في القران قتل فهو لعن والاخدود الشق العظيم المستطيل الغامض في الارض قال الزمخشري والاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بنا ومعنى الحق والاخقوق ومنه فساخت قوايمه في اخاقيق جرذان انتهى فالخد في الاصل مصدر وقد يقع على المفعول وهو الشق نفسه واما الاخدود فاسم له فقط وقال الراغب الخد والاخدود شق في الارض مستطيل غامض واصل ذلك من خدي الانسان وهما ما اكتنفا الانف عن اليمين والشمال فالخد يستعار للارض ونحوها كاستعارة الوجه وتخدد اللحم زواله عن وجه الجسم ثم يعبر بالمخدد عن المهزول والخداد ميسم في الخد وقال غيره سمي الخد خدا لان الدموع تخد فيه اخاديد اي مجاري وجمع الاخدود اخاديد والمخدة لان الخد يوضع عليها ويقال تخدد وجه الرجل اذا صارت فيه اخاديد من جراح **فصل** هذه السورة وردت في تثبيت المومنين وتصبيرهم على اذى المشركين وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان حتى يقتدوا بهم ويعلموا ان كفارهم عند الله تعالى بمنزلة الامم السالفة وكان من حديث اصحاب الاخدود انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فمال قلب الغلام الى ذلك الراهب ثم راى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فقال اللهم ان كان هذا الراهب احب اليك من الساحر فقوني على قتل هذه الحية واخذ حجرا فرماها به فقتلها فاعرض الغلام عن تعلم السحر واشتغل بطريقة الراهب ثم صار الى حيث يبرى الاكمه والابرص ويشفي من الاذى واتفق ان عمي جليس الملك فاتاه بهدايا كثيرة وقال له ان شفيتني فهي لك اجمع فقال الغلام اني لا اشفي احدا انما يشفي الله تعالى فان امنت بالله دعوت الله تعالى يشفيك فامن بالله فشفاه الله فابراه فلما راه الملك قال له من رد عليك بصرك قال ربي فغضب الملك وقال له هل لك رب غيري فعذبه فدل على الغلام فجي بالغلام فقال له الملك يا بني قد بلغ من سحرك ما يبرى الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله تعالى فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجي بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فوضع المنشار في مفرق راسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جي بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فان رجع عن دينه والا فاطرحوه من ذروته فذهبوا به وصعدوا الجبل فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شيت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجا يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من اصحابه وقال احملوه في سفينة وتوغلوا به البحر فان رجع عن دينه والا فغرقوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شيت فانكفات بهم السفينة فغرقوا وجا يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله تعالى وقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع نخلة ثم تاخذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارم به فانك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته فوضعه في القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ورماه به فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه فمات فقال الناس امنا برب

الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها
حتى جاءت امراة ومعها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فصبرت على ذلك
وفي رواية ان الدابة التي حبست الناس كانت اسدا وان الغلام دفن فقيل انه اخرج في زمن عمر بن الخطاب رضي
الله عنه واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل • وعن ابن عباس رضي الله عنه ان النار ارتفعت من الاخدود
فصارت فوق الملك واصحابه اربعين ذراعا فاحرقتهم • وقال الضحاك هم قوم من النصارى باليمن قبل مبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعين سنة اخذهم يوسف بن شراحيل بن تبع الحميري وكانوا نيفا وثمانين رجلا
وحفر لهم اخدودا واحرقهم حكاه الماوردي • وروى غيره ذلك • قال مقاتل اصحاب الاخدود ثلاثة واحد بنجران والاخر
بالشام والاخر بفارس • اما الذي بالشام فانطيانوس الرومي • والذي بفارس بخت نصر • والذي بارض العرب
يوسف بن ذي نواس فلم ينزل الله تعالى في الذي بفارس والشام قرانا وانزل قرانا في الذي كان بنجران • قال الكلبي
هم نصارى نجران اخذوا بها قوما مؤمنين فخدوا لهم سبعة اخاديد كل اخدود اربعين ذراعا وعرضه
اثنى عشر ذراعا ثم طرحوا فيه النفط والحطب ثم عرضوهم عليها فمن ابى قذفوه فيها **فصل** قال ابن
الخطيب يمكن ان يكون المراد باصحاب الاخدود القاتلين ويمكن ان يكون المراد بهم المقتولين والمشهور
ان المقتولين هم المؤمنون • وروى ان المقتولين هم الجبابرة • روي انهم لما القوا المؤمنين في النار عادت
النار على الكفرة فاحرقتهم ونجى الله تعالى المؤمنين منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن انس والواحدي
وتاولوا قوله تعالى فلهم عذاب جهنم اي في الاخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا قال فان فسرنا اصحاب الاخدود
بالقاتلين فيكون قوله قتل اصحاب الاخدود دعاء عليهم اي لعن اصحاب الاخدود كقوله تعالى قتل الانسان
ما اكفره قتل الخراصون او يكون المعنى قتلوا بالنار لما ارادوا قتل المؤمنين بالنار عادت النار عليهم فقتلتهم
وان فسرنا اصحاب الاخدود بالمقتولين كان المعنى ان المؤمنين قتلوا بالاحراق بالنار فيكون ذلك خبرا لا دعاء
فصل المقصود من هذه الاية تثبيت قلوب المؤمنين باخبارهم بما كان يلقاه من كان قبلهم من الشدائد ومن اذى الكفار ليتاسوا بهذا الغلام في
وذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم قصة الغلام ليصبروا وعلى ما يلقون من الاذى في الدين مع صغر سنه وكذلك صبر
صبره على الاذى والصلب وبذله نفسه في اظهار دعوته ودخول الناس في الدين وكذلك اكثر الناس لما امنوا بالله تعالى **قوله** النار • العامة
الراهب على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار وكذلك اكثر الناس لما امنوا بالله تعالى
على جرها وفيها اوجه • احدها انه بدل من الاخدود بدل اشتمال لان الاخدود مشتمل عليها وحينئذ فلا
بد من ضمير فقال البصريون هو مقدر تقديره النار فيه • وقال الكوفيون قامت ال مقام الضمير تقديره
ناره ثم حذف الضمير وعوض عنه ال وتقدم البحث معهم في ذلك • الثاني انه بدل كل من كل ولا بد حينئذ من حذف
مضاف تقديره اخدود النار • الثالث ان التقدير ذي النار لان الاخدود هو الشق في الارض حكاه ابو البقاء
وهذا ابهام ان النار خفض بالاضافة لتلك الصفة المحذوفة فلما حذف المضاف قام المضاف اليه مقامه
في الاعراب واتفق ان المحذوف كان مجرورا وقوله لان الاخدود هو الشق تعليل لصحة كونه صاحب نار • الرابع
ان النار خفض على الجوار نقله مكي عن الكوفيين وهذا يقتضي ان النار كانت مستحقة لغير الجر فعدل عنه الى الجر للجوار والذي
يقتضيه الحال انه عدل عن الرفع ويدل على ذلك انه قد قرئ في الشاذ النار رفعا والرفع على خبر ابتداء مضمر تقديره
قتلتهم النار • وقيل بل هي مرفوعة على الفاعلية اي احرقتهم والمراد حينئذ باصحاب الاخدود المؤمنون • وقرا العامة
الوقود بفتح الواو وقرا الحسن وابو رجاء وابو حيوة وعيسى بضمها وتقدم ذلك في اول البقرة • **قوله**
اذ هم عليها قعود • العامل في اذ قتل اي قتلوا في هذا الوقت • وقيل اذكر مقدرا فيكون مفعولا به ومعنى
قعود ثم عليها اي على ما يقرب منها كحافتها ومنه قول الاعشى
تشب لمقرورين يصطليانها • وبات على النار الندى والمحلق • وقال القرطبي ومعنى عليها
اي عندها وعلى بمعنى عند وقيل الضمير يجوز ان يكون للمؤمنين وان يكون للكافرين **قوله** وهم على ما يفعلون
بالمؤمنين شهود • اي حضور يعني الكفار كانوا يعرضون الكفر على المؤمنين فمن ابى القوه في النار • وقيل على بمعنى مع اي
وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين شهود • قال ابن الخطيب وعلى بمعنى عند كقوله تعالى ولهم علي ذنب اي عندي فهو
شهود اما حضور قاسية قلوبهم لا يرقون على المؤمنين او انهم يجحدون في ذلك لا يخطر لهم الا انه حق ويكون المراد
وصف المؤمنين بالتصلب في دينهم والثبات عليه وانه لم يؤثر فيهم حضور هؤلاء ولا استحيوا من مخالفتهم
واما ان يكون المراد يشهدون لهم شهادة الدعوى اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بما فعلوا بالمؤمنين واما
انهم مستثبتون في فعلهم متبصرون فيه كما يفعل الشهود ثم لا يرحمونهم مع ذلك **قوله** وما نقموا • العامة
على فتح القاف وزيد بن علي وابو حيوة وابن ابي عبلة بكسرها والفصيح الفتح وقد تقدم ذلك في سورة المائدة

وبراه

وبراه • والمعنى ما نقم الملك واصحابه من الذين حرقهم الا ان يؤمنوا اي الا ان صدقوا بالله كقوله
ولا عيب فيها غير شكلة عينها • كذاك عتاق الطير شكلا عيونها • وكقول ابن الرقيات
ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا
يعني انهم جعلوا احسن الاشياء قبيحا • وتقدم الكلام على مثل ذلك ايضا في سورة المائدة • وقوله تعالى ان يؤمنوا اتى بالفعل المستقبل تنبيها على ان التعذيب
انما كان لاجل ايمانهم في المستقبل ولم يعذبوا على ما مضى من الايمان فكانه قيل الا ان يدوموا على ايمانهم • والعزيز
هو الغالب المنيع • الحميد المحمود في كل حال الذي له ملك السموات والارض لا شريك له فيهما والله على كل شيء شهيد اي عالم
باعمال خلقه لا يخفى عليه خافية وهذا وعد عظيم للمطيعين ووعيد للمجرمين • **قوله** ان الذين فتنوا المؤمنين
والمؤمنات • لما ذكر قصة اصحاب الاخدود اتبعها بما يتفرع من احكام الثواب والعقاب فقال تعالى ان الذين
فتنوا المؤمنين والمؤمنات اي حرقوهم بالنار والعرب يقولون فتن فلان الدرهم والدينار اذا ادخله الكور لينظر
جودته ودينار مفتون ويسمى الصائغ الفتان وكذلك الشيطان وورق فتين اي فضة محرقة ويقال للحرة فتين
وهي الارض التي تركبها حجارة سود كانما احرقت حجارتها بالنار لسوادها • وقال ابن الخطيب لا يكون المراد بالذين فتنوا
كل من فعل ذلك لان اللفظ عام والحكم عام • وقوله تعالى ثم لم يتوبوا اي من قبيح صنيعهم وهذا يدل على انهم لو تابوا
لخرجوا عن هذا الوعيد وذلك يدل على القطع بان الله تعالى يقبل التوبة فدل على ان توبة القاتل عمدا مقبولة • **قوله**
فلهم عذاب جهنم • هو خبر ان الذين ودخلت الفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ولا يضر نسخه بان خلافا للاخفش
وارتفاع عذاب يجوز على الفاعلية بالجار قبله لوقوعه خبرا وهو الاحسن وان يرتفع بالابتداء • والمعنى لهم عذاب جهنم
لكفرهم • وقيل ولهم عذاب الحريق اي ولهم في الاخرة عذاب زائد على عذاب كفرهم باحراقهم المؤمنين • وقيل لهم عذاب
الجحيم وعذاب الحريق • والحريق اسم من اسماء جهنم كالسعير والنار دركات وانواع ولها اسماء وكانهم يعذبون بالزمهرير في
جهنم ثم يعذبون بعذاب الحريق فالاول عذاب ببردها والثاني عذاب بحرها • **قوله تعالى** ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
اي هؤلاء الذين كانوا امنوا بالله اي صدقوا به وبرسله وعملوا الصالحات لهم جنات اي بساتين تجري من تحتها الانهار لما
ذكر تعالى وعيد المجرمين ذكر وعد المؤمنين ذلك الفوز الكبير اي العظيم الذي لا فوز يشبهه • وقال ذلك الفوز ولم يقل
تلك لان ذلك اشارة الى اخبار الله تعالى بحصول الجنات وتلك اشارة الى الجنة الواحدة واخبار الله تعالى يدل على كونه
راضيا • والفوز الكبير هو رضى الله تعالى لا دخول الجنة • **قوله تعالى** ان بطش ربك لشديد • اي اخذه الجبابرة والظلمة
كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد • قال المبرد ان بطش ربك جواب القسم
وقد تقدم ذلك والبطش هو الاخذ بعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف • **قوله تعالى** انه هو يبدئ ويعيد • يعني
الخلق عند اكثر العلماء يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم عند البعث • وروى عكرمة قال عجب الكفار من احيائه تعالى الاموات • وقال
ابن عباس رضي الله عنهما يبدئ لهم عذاب الحريق في الدنيا ثم يعيده عليهم في الاخرة وهذا اختيار الطبري • **قوله تعالى**
وهو الغفور الودود • الغفور اي الستور لعباده المؤمنين والودود مبالغة في الواد • قال ابن عباس رضي الله عنه
هو المتودد لعباده بالمغفرة • وعن المبرد هو الذي لا ولد له وانشد
واركب في الروع عريانة • ذلول الجماع لقاحا ودودا • اي لا ولد لها تحن اليه • وقيل هو فعول
بمعنى مفعول كالركوب والحلوب اي يوده عباده الصالحون • **قوله** ذو العرش المجيد • قرا الكوفيون الا عاصما المجيد
بالجر فقيل نعتا للعرش • وقيل لربك في قوله ان بطش ربك • قال مكي وقيل لا يجوز ان يكون نعتا للعرش لانه من صفات الله
تعالى • وقرا الباقون بالرفع على انه خبر بعد خبر • وقيل هو نعت لذو واستدل بعضهم على تعدد الخبر بهذه الاية ومن
منع قال لانها في معنى خبر واحد اي جامع بين هذه الاوصاف الشريفة او كل منها خبر لمبتدا مضمر • والمجيد هو النهاية في
الكرم والفضل والله تبارك وتعالى هو المنعوت بذلك وان كان قد وصف عرشه بالكريم في اخر المؤمنين • ومعنى ذو
العرش اي ذو الملك والسلطان كما يقال فلان على سرير ملكه وان لم يكن على سرير ويقال ثل عرشه اي ذهب سلطانه
قوله فعال لما يريد • اي لا يمتنع عليه شيء يريده قال الزمخشري فعال خبر مبتدا محذوف وانما قيل فعال
لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة • وقال الفراء هو رفع على التكرير والاستئناف لانه نكرة محضة • وقال
الطبري رفع فعال وهو نكرة محضة على وجه الاتباع لاعراب الغفور الودود • وعن ابي السفر قال دخل ناس من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر رضي الله عنه يعودونه فقالوا الا ناتيك بطبيب قال قد
راني قالوا فما قال لك قال قال اني فعال لما اريد **فصل** دلت هذه الاية على خلق الافعال لانه تعالى يريد
الايمان فوجب ان يكون فاعلا للايمان واذا كان فاعلا للايمان وجب ان يكون فاعلا للكفر ضرورة انه لا قائل
بالفرق **فصل** قال القفال فعال لما يريد اي يفعل ما يريد على ما يراه لا يعترض عليه ولا يغلبه غالب فيدخل اولياءه
الجنة لا يمنعه مانع ويدخل اعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر ويمهل العصاة على ما يشاء الى ان يجازيهم ويعاجل بعضهم

بالعقوبة اذا شا وهو يفعل ما يريد **قوله** هل اتاك حديث الجنود اى قد اتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لانبيائهم
تسلية بذلك ثم بينهم فقال تعالى فرعون وثمود ويجوز ان يكون بدلا من الجنود وجينئذ فكان ينبغي ان ياتي البدل
مطابقا للمبدل منه في الجمعية فقيل هو على حذف مضاف اى جنود فرعون وقيل المراد فرعون وقومه واستغنى
بذكره عن ذكرهم لانهم اتباعه ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعنى لانه لما لم يطابق ما قبله وجب قطعه والمعنى
انك قد عرفت ما فعل بهم حين كذبوا انبيائهم ورسلهم **قوله** بل الذين كفروا في تكذيب اى من هولاء الذين
لا يومنون بك في تكذيب لك كداب من قبلهم وانما خص فرعون وثمود لان ثمود في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة
وان كانوا من المتقدمين وامر فرعون كان مشهورا عند اهل الكتاب وغيرهم وكان من المتاخرين في الهلاك
فدل بهما على امثالهما والله اعلم **قوله** والله من ورائهم محيط اى يقدر على ان ينزل بهم ما انزل بفرعون والحاط
به كالمحصور وقيل والله اعلم بهم فيجازيهم **قوله تعالى** بل هو قران مجيد العامة على تبعية مجيد للقران وقرا
ابن السميفع باضافة قران لمجيد فقيل على حذف مضاف اى قران رب مجيد كقوله ولكن الغني رب غفور اى
غني رب غفور وقيل بل هو من اضافة الموصوف الى صفته فيحتاج القران وكلا البصريون لا يجيزون هذا
لئلا يلزم اضافة الشي الى نفسه وقيل بل هو قران مجيد اى متناه في الشرف والكرم والبركة وقيل مجيد اى
غير مخلوق **قوله** في لوح محفوظ قرا نافع برفع محفوظ نعتا للقران والباقون بالجر نعتا للوح والعامة على فتح
اللام وقرا ابن السميفع وابن يعمر بضمها قال الزمخشري يعني اللوح فوق السما السابعة الذي فيه اللوح
المحفوظ من وصول الشياطين اليه وقال ابو الفضل اللوح الهوا وتفسير الزمخشري له بس بالمعنى وهو الذي
اراده ابن خالويه قال القرطبي في لوح محفوظ اى مكتوب في لوح وهو محفوظ عند الله تعالى من وصول الشياطين
اليه وقيل هي ام الكتاب ومنه انتسخ القران والكتب وقال بعض المتكلمين اللوح شي يلوح للملايكة فيقرونه
وفي الصحاح لاح الشي يلوح لوحا ولواحا عطش وكل عظم عريض واللوح الذي يكتب فيه واللوح بالضم الهوا
يبن السما والارض وانشد ابن دريد عقاب لوح الجوا علا منتها قال ابن الخطيب قال ههنا في لوح محفوظ
وقال تعالى في اية اخرى انه لقران كريم في كتاب مكنون فيحتمل ان يكون الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ
ثم كونه محفوظا يحتمل ان يكون المراد محفوظا عن ان يمسه الا المطهرون ويحتمل ان يكون كونه محفوظا عن
اطلاع الخلق عليه سوى الملايكة المقربين ويحتمل ان يكون المراد ان لا يتغير ولا يتبدل والله اعلم روى
الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والسما ذات البروج اعطاه الله
تعالى بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة تكون في دار الدنيا عشر حسنات

سوره الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم
وهي سبع عشرة اية واثنتان وسبعون كلمة ومايتان واحدى وسبعون حرفا
قوله تعالى والسما والطارق السما قسم والطارق هو النجم الثاقب كما بينه الله تعالى بقوله وما
ادراك ما الطارق النجم الثاقب والطارق في الاصل اسم فاعل من طرق يطرق طروقا اى جا ليلا قال امرو القيس
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فالهيتها عن ذي تمايم محول واصله من الطرق والطارق
بالحصا الضارب به قال لعمرك ما تدري الطوارق بالحصا ولا زاجرات الطير ما الله صانع ثم اتسع فقيل كل من
اتى ليلا طارق سوا كان كوكبا او غيره ولا يكون الطارق نهارا وروي انه صلى الله عليه وسلم نهى ان ياتي الرجل
اهله طروقا وقوله النجم الثاقب قال محمد بن الحسن هو زحل وقال ابن زيد هو الثريا وعنه ايضا انه زحل
وعن ابن عباس هو الجدي وعنه ايضا وعن علي بن ابي طالب والفرا النجم الثاقب نجم في السما السابعة
لا يسكنها غيره من النجوم فاذا اخذت النجوم امكنتها من السما هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السما
السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يهبط وفي الصحاح الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح
ومنه قول هند نحن بنات طارق نمشي على النمارق وقيل هو اسم جنس فيدخل فيه ساير الكواكب
وسمي ثاقبا لانه يثقب الظلام بضوئه اى ينفذ فيه اى يرى الشياطين به ويحرقه قال الماوردي واصل
الطرق الدق ومنه سميت المطرقة فسمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه في الوصول الى الدق روي ان ابا طالب
اتى النبي صلى الله عليه وسلم بخبز ولبن فبينما هو جالس ياكل اذ انحط نجم فامتلات الارض نورا ففزع ابو
طالب وقال اي شي هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وانه من ايات الله فعجب ابو
طالب ونزلت السورة وقال مجاهد الثاقب المتوهج وقوله تعالى وما ادراك تفخيما لشان هذا المقسم

به **قوله تعالى** ان كل نفس لما عليها حافظ قد تقدم في سورة هود التخفيف والتشديد في لما فمن خففها كانت ان هنا
مخففة من المثقلة وكل مبتدا الفارقة وعليها خبر مقدم وحافظ مبتدا موخر والجملة خبر كل وما مزيدة بعد اللام ويجوز ان يكون
كل مبتدا وحافظ خبره وعليها متعلق به وما مزيدة ايضا هذا كله تفريع على قول البصريين وقال الكوفيون ان هنا نافية
واللام بمعنى الا ايجابا بعد النفي وما مزيدة وتقدم الكلام في هذا مستوفى قال الفارسي وتستعمل لما بمعنى الا في
موضعين احدهما هذا والاخر في باب القسم تقول سالتك لما فعلت وروي عن الاخفش والكسائي وابي عبيدة
انهم قالوا لم نجد لما بمعنى الا في كلام العرب واما قراءة التشديد فان نافية ولما بمعنى الا وتقدم منه شواهد ذلك
في سورة هود وحكى هارون انه قرئ ان بالتشديد كلا بالنصب على انه اسمها واللام هي الداخلة في الخبر وما مزيدة
وحافظ خبرها وعلى كل تقدير فان وما في خبرها جواب القسم سوا جعلها مخففة او نافية وقيل الجواب ان الله على رجعه
وما بينهما اعتراض وفيه بعد **فصل** قال قتادة حافظ اى حفظة يحفظون عليك رزقك وعملك واجلك
قال تعالى ويرسل عليكم حفظة وقال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وقال تعالى له معقبات من بين
يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وقيل الحافظ هو الله تعالى وقيل الحافظ هو العقل يرشد الانسان الى مصالحه
ويكف عن مضاره قال القرطبي العقل وغيره وسايط والحافظ في الحقيقة هو الله تعالى قال تعالى فالله خير حفظا وقال
تعالى قل من يكلوكم بالليل والنهار من الرحمن قال ابن الخطيب المعنى لما كانت كل نفس عليها حافظ وجب ان يجتهد كل احد
ويشتغل بالمهم واهم الاشيا معرفة المبدا والمعاد والمبدا تقدم **قوله** فلينظر الانسان اى ابن ادم مم
خلق وجه الاتصال بما قبله وصية الانسان بالنظر في اول امره حتى يعلم ان من انشاه قادر على اعادته وجزايه
فليعمل ليوم الاعادة والحشر والجزا ولا يملي على الحافظ الا ما يسره في عاقبة امره وقوله تعالى مم خلق استفهام
اى من شي خلق وهو جواب الاستفهام **قوله** من ماء دافق قيل فاعل بمعنى مفعول كعكسه في قولهم سيل مفعم
وقوله تعالى حجابا مستورا على وجه وقيل دافق على النسب اى ذي اندفاق وقال ابن عطية يصح ان يكون الماء دافقا
لان بعضه يدفق بعضا اى يدفعه فمنه دافق ومنه مدفوق انتهى والدفق الصب فعله متعد وقرا زيد بن علي
مدفوق وكانه فسر المعنى قال القرطبي الدفق صب الماء دفقت الماء ادفقه دفقا اى صببته فهو ماء دافق اى مدفوق
كما قال سر كاتم اى مكتوم لانه من قولك دفق الماء على ما لم يسم فاعله ولا يقال دفق الماء ويقال دفق الله روحه اذا دعا
عليه بالموت قال الفرا والاخفش ماء دافق اى مصبوب في الرحم قال الزجاج من ماء ذي اندفاق يقال دارع وفارس
ونابل اى ذو فرس وذو درع وذو نبل وهذا مذهب سيبويه فالدافق هو المندفق بشدة قوته واراد ماء الرجل
وماء المراة لان الانسان يخلق منهما لكن جعلهما ماء واحدا لامتزاجهما وعن ابن عباس دافق لزج **قوله** يخرج
من بين الصلب اى هذا الماء من بين الصلب اى الظهر وقرا العامة يخرج مبنيا للفاعل وابن ابي عبلة وابن مقسم
مبنيا للمفعول وقرا ايضا واهل مكة الصلب بضم الصاد واللام وقرا اليماني بفتحهما وقول العجاج
في صلب مثل العنان المودم وتقدمت لغاته في سورة النسا عند قوله تعالى الذين من اصلابكم واعربها صالب
كقول العباس رضي الله عنه ينقل من صالب الى رحم والترايب جمع تريبة وهي موضع القلادة من عظام الصدر
لان الولد مخلوق من ماءيهما فماء الرجل في صلبه وماء المراة في ترايبها وهو معنى قوله تعالى من نطفة امشاج وقال
امرو القيس مهفهفة بيضا غير مفاضة ترايبها مصقولة كالسجنجل وقال اخر
والزعفران على ترايبها شرق به اللبات والنحر وقال ابو عبيدة جمع التريبة اتريب
قال المثقب العبدي ومن ذهب يلوح على تريب كلون العاج ليس بذي غضون وقال الشاعر
اشرف ثدياها على التريب وعن ابن عباس وعكرمة الترايب ما بين ثدييها وقيل الترايب
التراقي وقيل اضلاع الرجل التي اسفل الصلب وحكى الزجاج ان الترايب اربعة اضلاع من يمنة الصدر واربعة
اضلاع من يسرة الصدر وعن ابن عباس اطراف المرء يداه ورجلاه وعيناه وهو قول الضحاك وقيل عصارة القلب
وهو قول معمر بن ابي حبيبة قال ابن عطية وفي هذه الاقوال تحكم على اللغة وقال سعيد بن جبير هو الجيد
وقال مجاهد ما بين المنكبين والصدر وعنه الصدر قال القرطبي والمشهور من كلام العرب انها عظام الصدر
والنحر وفي الحديث ان الولد يخلق من ماء الرجل يخرج من صلبه العظم والعصب وماء المراة الذي يخرج من ترايبها
اللحم والدم وحكى القرطبي ان ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع في الانثيين وهذا لا يعارض قوله من بين الصلب
والترايب لانه ان نزل من الدماغ فانما يمر بين الصلب والترايب وقال قتادة المعنى يخرج من صلب الرجل
وترايب المراة وحكى الفرا ان مثل هذا ياتي عن العرب فيكون معنى من بين الصلب من الصلب والمعنى من صلب
الرجل وترايب المراة ثم انا نعلم ان النطفة من جميع اجزا البدن ولذلك يشبه الرجل والديه كثيرا وهذه
الحكمة في غسل جميع الجسد من خروج المني وايضا فالمكثر من الجماع يجد وجعا في صلبه وظهره وليس ذلك

الاحليل وصلبه مما كان محتسبا من الماء قال المهدوي ومن جعل المعنى يخرج من بين صلب الرجل وترائبه فالضمير في يخرج للماء ومن جعله من صلب الرجل وترائب المرأة فالضمير للانسان قوله انه الضمير للخالق المدلول عليه لقوله تعالى خلق لانه معلوم ان لا خالق سواه سبحانه قوله على رجعه في الهاء وجهان احدهما انه ضمير الانسان اي على بعثه بعد موته وهو قول ابن عباس وقتادة والحسن وعكرمة وهو اختيار الطبري لقوله تعالى يوم تبلى السرائر والثاني انه ضمير الماء اي يرجع المني في الاحليل او الصلب قاله الضحاك ومجاهد والاول قول الضحاك ايضا وعكرمة وعن الضحاك ايضا ان المعنى انه على رد الانسان من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الكبر حكاه المهدوي وفي الماوردي والثعلبي الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر وقال الماوردي ويحتمل انه على ان يعيده الى الدنيا بعد بعثه الى الاخرة لان الكفار يسالون فيها الرجعة والرجع مصدر رجعت الشيء اي رددته قوله يوم تبلى السرائر فيه اوجه وقد رتبها ابو البقا على الخلاف في الضمير فقال على القول بكون الضمير للانسان فيه اوجه احدها انه معمول لقادر الا ان ابن عطية قال بعد ان حكى اوجها عن النحاة قال وكل هذه الفرق فرت من ان يكون العامل لقادر لئلا يظهر من ذلك تخصيص القدرة بذلك اليوم وحده ثم قال واذا تؤمل المعنى وما يقتضيه فصيح كلام العرب جاز ان يكون العامل لقادر لانه اذا قدر على ذلك في هذا الوقت كان في غيره اقدر بطريق الاولى الثاني ان العامل مضمر على التبيين اي يرجعه يوم تبلى الثالث تقديره اذكر فيكون مفعولا به وعلى عوده على الما يكون العامل فيه اذكر انتهى ملخصا وجوز بعضهم ان يكون العامل فيه ناصر وهو فاسد لان ما بعد ما النافية وما بعد الفا لا يعمل فيما قبلها وقيل العامل رجعه وهو فاسد لانه قد فصل بين المصدر ومعموله باجنبي وهو خبر ان وبعضهم يغتفره في الظرف قوله تبلى تختبر وتعرف قال الراجز

قد كنت قبل اليوم تزدريني ... فاليوم ابلوك وتبتليني

اي اعرفك وتعرفني وقيل تبلى السرائر اي تخرج من مخبآتها وتظهر وهو كل ما استسره الانسان من خير او شر واضمره من ايمان او كفر قال ابن الخطيب والسرائر ما اسر في القلوب والمراد هنا عرض الاعمال ونشر الصحف والمعنى اختبارها وتمييز الحسن منها من القبيح لترتب الثواب والعقاب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتمن الله خلقه على اربع على الصلاة والزكاة والصيام والغسل وهي السرائر التي يختبرها الله يوم القيامة ذكره المهدوي وروى الماوردي عن زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامانة ثلاث الصوم والصلاة والجنابة استامن الله تعالى ابن ادم على الصلاة فان شا قال صليت ولم يصل واستامن الله تعالى ابن ادم على الصوم فان شا قال صمت ولم يصم واستامن الله تعالى ابن ادم على الجنابة فان شا قال اغتسلت ولم يغتسل اقرؤا ان شئتم يوم تبلى السرائر وقال مالك رضي الله عنه الوضو من السرائر والسرائر ما في القلوب يجزي الله تعالى به العباد وقال ابن العربي قال ابن مسعود رضي الله عنه يغفر للشهيد الا الامانة والوضو من الامانة والصلاة والزكاة من الامانة والوديعة من الامانة واشد ذلك الوديعة يمثل له على هيئتها يوم اخذها فيرمى بها في قعر جهنم فيقال له اخرجها فيتبعها فيجعلها في عنقه فاذا اراد ان يخرج بها زلت منه فيتبعها فهو كذلك دهر الداهرين وقال ابي بن كعب من الامانة ان ائتمنت المراة فرجها وقال سفيان الحيضة والحمل من الامانة ان قالت لم احض وانا حامل صدقت ما لم تات بما يعرف فيه انها كاذبة قوله فما له من قوة ولا ناصر اي فما للانسان من قوة اي منعة تمنعه ولا ناصر ينصره مما نزل به قال ابن الخطيب ويمكن ان يتمسك بهذه الاية في نفي الشفاعة لقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الاية والجواب ما تقدم قوله والسما ذات الرجع قيل الرجع مصدر بمعنى رجوع الشمس والقمر اليها والنجوم تطلع من ناحية وتغيب في اخرى وقيل الرجع المطر قال المتنخل يصف سيفا شبهه بالما

ابيض كالرجع رسوب اذا ما ثاخ في محتفل يختلي

كما سمي اوبا كقوله

ربا بما لا ياوي لقلتها ... الا السحاب والا الاوب والسبل

قال الخليل الرجع المطر نفسه وهذا قول الزجاج قال ابن الخطيب واعلم ان كلام الزجاج وسائر ائمة اللغة صريح في ان الرجع ليس اسما موضوعا للمطر بل سمي رجعا مجازا وحسن هذا المجاز وجوه احدها قال القفال كانه من ترجيع الصوت وهو اعادته ووصل الحروف به وكذا المطر لكونه يعود مرة بعد اخرى سمي رجعا وثانيها ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الما من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض والرجع ايضا نبات الربيع وقيل ذات الرجع اي ذات النفع وقيل ذات الملائكة لرجوعهم فيها باعمال العباد وهذا قسم والارض ذات الصدع قسم اخر اي تتصدع عن النبات والشجر والثمار والانهار نظيره ثم شققنا الارض شقا الاية والصدع بمعنى الشق

لانه

لانه يصدع الارض فتنصدع به وكانه قال والارض ذات النبات لان النبات صادع للارض وقال مجاهد ذات الطرق التي تصدعها المشاة وقيل ذات الحرث لانه يصدعها وقيل ذات الاموات لانصداعها عنهم للنشر وقيل هما الجبلان بينهما شق وطريق نافذ لقوله تعالى وجعلنا فيها فجاجا سبلا قال ابن الخطيب واعلم انه تعالى كما جعل كيفية خلقة الحيوان دليلا على معرفة المبدا والمعاد ذكر في هذا القسم كيفية خلقة النبات فقال تعالى والسما ذات الرجع اي كالاب والارض ذات الصدع كالام وكلاهما من النعم العظام لان نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السما متكررا وعلى ما ينبت من الارض كذلك ثم اردف هذا القسم بالمقسم عليه وهو قوله تعالى انه لقول فصل وهذا جواب القسم والضمير في انه للقران اي ان القران يفصل بين الحق والباطل وقال القفال يعود الى الكلام المتقدم والمعنى ان ما اخبرتكم به من قدرتي على احيائكم يوم تبلى سرائركم قول فصل وحق والفصل الحكم الذي يفصل به الحق والباطل ومنه فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم الجزم ويقال هذا قول فصل قاطع للشر والنزاع وقيل معناه جد لقوله تعالى وما هو بالهزل اي باللعب والهزل ضد الجد والتشمير في الامر قال الكميت

تجد بنا في كل يوم وتهزل

ويقال هزل يهزل قوله انهم يكيدون كيدا اي ان اعدا الله يكيدون كيدا اي يمكرون بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه مكرا وقيل فالكيد القا الشبهات كقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا من يحيي العظام وهي رميم اجعل الالهة الها واحدا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم فهي تملى عليه بكرة واصيلا وقيل الطعن فيه بكونه ساحرا او شاعرا او مجنونا حاشاه من ذلك صلى الله عليه وسلم وقيل قصدهم قتله لقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية واما قوله تعالى واكيد كيدا اي اجازيهم جزا كيدهم وقيل هو ما اوقع الله تعالى بهم يوم بدر من القتل والاسر وقيل استدراجهم من حيث لا يعلمون وقيل كيد الله تعالى بنصره واعلاء درجته صلى الله عليه وسلم تسمية لاحد المتقابلين باسم الاخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقول الشاعر

الا لا يجهلن احد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وكقوله تعالى نسوا الله فنسيهم يخادعون الله وهو خادعهم قوله فمهل الكافرين اي لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل وارض بما نريد في امورهم ثم نسخت بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم امهلهم هذه قراة العامة لما كرر الامر توكيدا خالف بين اللفظين وعن ابن عباس رضي الله عنه مهلهم كالاول ومهل وامهل بمعنى مثل نزل وانزل والامهال والتمهيل الانتظار يقال امهلتك كذا اي انتظرتك لتفعله وامهله انظره ومهله تمهيلا والاسم المهلة والاستمهال الاستنظار والمهل الرفق والتؤدة وتمهل في امره اي اتاه واتمهل تمهيلا اعتدل وانتصب والامتهال ايضا سكون وفتور ويقال مهلا يا فلان اي رفقا وسكونا قوله رويدا مصدر موكد لمعنى العامل وهو تصغير ارواد على الترخيم وقيل بل هو تصغير رود كذا قال ابو عبيدة وانشد

كانها ثمل يمشي على رود

اي على مهل واعلم ان رويدا يستعمل مصدرا بدلا من اللفظ بفعله فيضاف تارة كقوله تعالى فضرب الرقاب ولا يضاف اخرى نحو رويدا زيدا ويقع حالا نحو سار القوم رويدا اي متمهلين ونعت المصدر نحو ساروا سيرا رويدا اي سيرا رويدا امهلا وتفسير رويدا امهل لان الكاف انما تدخله اذا كان بمعنى افعل دون غيره وانما حركت الدال لالتقا الساكنين ونصب نصب المصادر وهو مصغر مامور به لانه تصغير الترخيم من ارواده وهو مصدر ارود يرود وله اربعة اوجه اسم للفعل وصفة وحال ومصدر وقد تقدم ذكرها انفا قال ابن عباس رضي الله عنه رويدا اي قريبا وقال قتادة قليلا وقيل امهلهم رويدا الى يوم القيامة وانما صغر ذلك من حيث ان كل ما هو ات قريب وقيل امهلهم رويدا الى يوم بدر روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والسما والطارق اعطاه الله تعالى من الاجر بعدد كل نجم في السما عشر حسنات والله تعالى اعلم

سورة الاعلى

في قول الجمهور وقال الضحاك مدنية وهي تسع عشرة اية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان واربعة وثمانون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى يستحب للقاري اذا قرا سبح اسم ربك الاعلى ان يقول عقيبه سبحان ربي الاعلى كذا جا في الحديث وقاله جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم قال ابن عباس والسدي معنى سبح اسم ربك الاعلى اي عظم ربك الاعلى والاسم صلة قصد بها تعظيم المسمى لقول لبيد

الى الحول ثم اسم السلام عليكما

وقيل نزه ربك عن السوء عما يقول الملحدون وذكر الطبري ان المعنى نزه اسم ربك الاعلى عن ان تسمي به احدا سواه وقيل المعنى نزه تسمية ربك وذكرك اياه ان تذكره الا وانت خاشع معظم لذكره وجعلوا الاسم بمعنى التسمية قال ابن الخطيب معنى سبح اسم ربك الاعلى اي نزهه عن كل ما لا يليق به في ذاته وفي صفاته وفي افعاله وفي اسمائه وفي احكامه اما في ذاته فان تعتقد انها ليست من الجواهر

والاعراض وامانى صفاته فان يعتقد انها ليست محدثة ولا متناهية ولا ناقصة وامانى افعاله فان يعتقد انه سبحانه مالك مطلق لا اعتراض عليه فى امر من الامور وقالت المعتزلة هو ان يعتقد ان كل ما فعله صواب حسن وانه سبحانه لا يفعل القبيح ولا يرضى به وامانى اسمائه فان لا تذكره سبحانه وتعالى الا بالاسماء التى لا توهم نقصا بوجه من الوجوه سوا ورد الاذن فيها او لم يرد وامانى احكامه سبحانه فهو ان تعلم انه ما كلفنا لنفع يعود اليه بل لمحض المالكية على قولنا او لرعاية مصالح العباد على قول المعتزلة **فصل** قال ابن الخطيب تمسك بهذه الاية فى ان الاسم نفس المسمى واقول ان الخوض فى هذه المسئلة لا يمكن الا بعد الكشف عن محل النزاع فنقول ان كان الاسم عبارة عن اللفظ والمسمى عبارة عن الذات فليس الاسم المسمى بالضرورة فكيف يمكن الاستدلال على ما علم بالضرورة نعم هنا نكتة وهى ان الاسم هو اللفظ الدال على معنى فى نفسه من غير زمن والاسم كذلك فيكون اسما لنفسه فالاسم هنا نفس المسمى فلعل هذا مراد من اطلق ذلك لان الحكم بالتعميم خطا والمراد الذى يدل على ان الاسم نفس المسمى هو ان احدا لا يقول سبحان اسم الله وسبحان اسم ربنا فمعنى سبح اسم ربك والرب ايضا فلو كان غير المسمى لم يجز ان يقع التسبيح عليه وهذا الاستدلال ضعيف لما بينا انه يمكن ان يكون واردا بتسبيح الاسم ويمكن ان يكون المراد سبح المسمى وذكر الاسم صلة فيه ويكون المراد سبح باسم ربك كما قال تعالى فسبح باسم ربك العظيم ويكون المعنى سبح بذكر اسمائه **فصل** روى ابو صالح عن ابن عباس رضى الله عنه صل بامر ربك الاعلى قال وهو ان يقول سبحان ربى الاعلى وروى عن على رضى الله عنه وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابى موسى وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم انهم كانوا اذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا سبحان ربى الاعلى امتثالا لامره فى ابتدائها فيختار الاقتدا بهم فى قراءتهم لا ان سبحان ربى الاعلى من القران كما قاله بعض اهل الزيغ وقيل فى قراءة ابى سبحان ربى الاعلى وروى ابن الانبارى باسناده الى عيسى بن عمر عن ابيه قال قرا على بن ابى طالب رضى الله عنه فى الصلاة سبح اسم ربك الاعلى ثم قال سبحان ربى الاعلى فلما انقضت الصلاة قيل له يا امير المؤمنين اتزيد هذا فى القران قال هو قال سبحان ربى الاعلى قال انما امرنا بشىء فقلته وعن عقبة بن عامر الجهنى قال لما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى سجودكم قال القرطبى وهذا كله يدل على ان الاسم هو المسمى لانهم لم يقولوا سبحان اسم ربى وقيل معناه ارفع صوتك بذكر ربك قال جرير قبح الاله وجوه تغلب كلما سبح الحجيج وكبروا تكبيرا **قوله** الاعلى يجوز جره صفة لربك ونصبه صفة لاسم الا ان هذا يمنع ان يكون الذى صفة لربك بل يتعين جعله نعتا لاسم او مقطوعا لئلا يلزم الفصل بين الصفة والموصوف بصفة غيره اذ يصير التركيب مثل قولك جاءنى غلام هند العاقل الحسنة فيفصل بالعاقل بين هند وبين صفتها وتقدم الكلام فى اضافة الاسم الى المسمى **قوله** الذى خلق فسوى قال ابن الخطيب يحتمل ان يريد الناس خاصة ويحتمل ان يريد الحيوان ويحتمل ان يريد كل شىء خلقه الله تعالى فمن حمله على الانسان ذكر للتسوية وجوها احدها اعتدال قامته وحسن خلقته على ما قال تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم واثنى على نفسه بسبب خلقه اياه بقوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين وثانيها ان كل حيوان مستعد لنوع واحد من الاعمال فقط واما الانسان فانه خلق بحيث يمكنه ان ياتى بجميع الاعمال بواسطة الالات وثالثها انه تعالى هياه للتكليف والقيام باداء العبادات قال بعضهم خلق فى اصلاب الاباء وسوى فى ارحام الامهات ومن حمله على جميع الحيوانات فمعناه انه اعطى كل حيوان ما يحتاج اليه من الات واعضاء ومن حمله على جميع المخلوقات كان المراد من التسوية هو انه تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات يخلق ما اراد على وفق ارادته موصوفا بالاحكام والاتقان مبرا عن النقص والاضطراب **قوله** والذى قدر فهدى قرا الكسائى وعلى رضى الله عنه والسلمى قدر بتخفيف الدال والباقون بالتشديد والمعنى قدر كل شىء بمقدار معلوم ومن خفف قال القفال معناه ملك فهدى وتاويله انه تعالى خلق كل شىء فسوى وملك ما خلق اى تصرف فيه كيف شاء واراد وهذا هو الملك فهداه لمنافعه ومصالحه ومنهم من قال انهما لغتان بمعنى واحد وعليه قوله تعالى فقدرنا فنعم القادرون بالتشديد والتخفيف وقد تقدم **فصل** قال مجاهد قدر الشقاوة والسعادة وهدى بالرشد والضلالة وعنه هدى الانسان للسعادة والشقوة وهدى الانعام لمراعيها وقيل قدر اقواتهم وارزاقهم وهداهم لمعاشهم ان كانوا اناسا ولمراعيهم ان كانوا وحوشا وعن ابن عباس والسدى ومقاتل والكلبى فى قوله تعالى فهدى قال عرف خلقه كيف ياتى الذكر الانثى كما قال تعالى فى سورة طه اعطى كل شىء خلقه ثم هدى اى الذكر للانثى وقال عطا جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له وقيل قدر فهدى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به يقال ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان تمسح العينين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت فى برية بعيدة بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوى تلك المسافة على طولها وعماها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها فترجع باصرة باذن الله تعالى وهداية

الانسان الى مصالحه من اغذيته وادويته وامور دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الارض باب واسع فسبحان ربى الاعلى وقال السدى قدر مدة الجنين فى الرحم ثم هداه الى الخروج من الرحم وقال الفرا قدر فهدى واضل فاكتفى بذكر احدهما كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ويحتمل ان يكون بمعنى دعا الى الايمان كقوله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم اى لتدعو وقد دعا الكل الى الايمان وقيل فهدى اى دلهم بافعاله على توحيده وكونه عالما قادرا واعلم ان الاستدلال بالخلق وبالهداية هى معتمد الانبيا قال ابراهيم عليه السلام الذى خلقنى فهو يهدين وقال موسى عليه السلام لفرعون ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى وقال هنا ذلك وانما خصت هذه الطريقة لوضوحها وكثرة عجائبها **قوله** والذى اخرج المرعى اى النبات لما ذكر سبحانه ما يختص بالناس اتبعه ما يختص بسائر الحيوان من النعم اى هو القادر على انبات العشب لا كالاصنام التى عبدتها الكفرة والمرعى ما تخرجه الارض من النبات من الثمار والزروع والحشيش قال ابن عباس رضى الله عنه المرعى الكلا الاخضر **قوله** فجعله غثاء احوى غثاء اما مفعول ثان واما حال والغثا يشدد ثاؤه ويخفف وهو الفصيح ما يقذف به السيل على جوانب الوادى من النبات ونحوه قال امرؤ القيس كان ذرى راس المجيمر غدوة من السيل والاغثاء فلكة مغزل وروى الفرا والاغثاء على الجمع وفيه غرابة من حيث جمع فعالا على افعال وقوله تعالى احوى فيه وجهان اظهرهما انه نعت لغثاء والثانى انه حال من المرعى قال ابو البقاء فقدم بعض الصلة يعنى ان الاصل اخرج المرعى احوى فجعله غثاء قال شهاب الدين ولا يسمى هذا تقديما لبعض الصلة والاحوى افعل من الحوة وهى سواد يضرب الى الخضرة قال ذو الرمة لميا فى شفتيها حوة لعس وفى اللثات وفى انيابها شنب وقد تقدم ان بعض النحاة استدل على وجود بدل الغلط بهذا البيت وقيل خضرة عليها سواد والاحوى الظبى لان فى ظهره خطتين قال وفى الحى احوى ينفض المرد شادن مظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجد ويقال رجل احوى وامراة حوا وجمعها حو نحو احمر وحمر وحمرا وحمر قال القرطبى وفى الصحاح الحوة حمرة الشفة وقد حوى وبعير احوى اذا خالط خضرته سواد وصفرة وتصغير احوى احيو فى لغة من قال اسود قال عبد الرحمن بن زيد هذا مثل ضربه الله تعالى للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها والمعنى انه صار كذلك بعد خضرته قال ابو عبيدة فجعله اسود من احتراقه وقدمه والرطب اذا يبس اسود **قوله** سنقرئك فلا تنسى قال الواحدى سنقرئك اى سنجعلك قارئا اى نلهمك القراءة فلا تنسى ما تقراه اى نجعلك قاريا للقران فتحفظه فهو نفى اخبر الله تعالى ان نبيه صلى الله عليه وسلم لا ينسى وقيل نهى والالف للاشباع وقد تقدم نحو من هذا فى سورة يوسف وطه ومنع مكى ان يكون نهيا لانه لا ينهى عما ليس باختياره وهذا غير لازم اذ المعنى النهى عن تعاطى اسباب النسيان وهو شايع وقيل هذه بشرى من الله تعالى بشره الله تعالى بان جبريل عليه السلام لا يفرغ من اخر الوحى حتى يتكلم هو باوله مخافة النسيان فنزلت هذه الاية فلا تنسى بعد ذلك شيئا **قوله** الا ما شاء الله فيه اوجه احدها انه مفرغ اى الا ما شاء الله ان ينسيكه فانك تنساه والمراد رفع تلاوته وفى الحديث انه كان يصبح فينسى الايات لقوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها وقيل ان المعنى بذلك الندرة والقلة قال ابن الخطيب ويشترط ان لا يكون ذلك القليل من الواجبات بل من الاداب والسنن فانه لو نسى من الواجبات ولم يتذكره ادى ذلك الى الخلل فى الشرع وهو غير جائز كما روى انه صلى الله عليه وسلم اسقط اية فى صلاته فحسب ابى انها نسخت فساله فقال صلى الله عليه وسلم نسيتها وقال الزمخشرى الغرض نفى النسيان راسا كما يقول الرجل لصاحبه انت سهيمى فيما املك الا ما شاء الله ولم يقصد استثناء شىء وهو من استعمال القلة فى معنى النفى انتهى وهذا القول سبقه اليه الفرا ومكى قال الفرا وجماعة معه هذا الاستثناء صلة فى الكلام على سنة الله تعالى فى الاستثناء وليس شىء ابيح استثناؤه قال ابو حيان هذا لا ينبغى ان يكون فى كلام الله تعالى ولا فى كلام فصيح وكذلك القول بان لا للنفى والالف فاصلة انتهى وهذا الذى قاله ابو حيان لم يقصده القايل بكونه زايدا محضا بل بالمعنى الذى ذكره وهو المبالغة فى نفى النسيان او النهى عنه وقال مكى وقيل معنى ذلك الا ما شاء الله وليس شاء الله ان ينسى شيئا فهو بمنزلة قوله تعالى فى سورة هود فى الموضعين خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك وليس تعالى ترك شيئا من الخلود لتقدم مشيئته بخلودهم كما روى عن ابن عباس رضى الله عنه فلم ينس بعد نزول هذه الاية حتى مات صلى الله عليه وسلم وقيل هو استثناء من قوله تعالى فجعله غثاء احوى نقله مكى والمعنى ما شاء الله ان تناله بنو ادم والبهائم فانه لا يصير كذلك قال شهاب الدين وهذا ينبغى ان لا يجوز البتة قال القرطبى قيل الا ما شاء الله ان تنسى ثم تذكر بعد ذلك فاذا قد نسى ولكنه يتذكر ولا تنسى نسيانا كليا وقيل هذا النسيان بمعنى النسخ اى الا ما شاء الله ان ينسخه والاستثناء نوع من النسخ وقيل النسيان بمعنى الترك اى يعصمك من ان تترك العمل الا ما شاء الله ان تتركه لنسخه اياه فهذا فى نسخ العمل

والاولى في نسخ القراءة ولا للنفي لا للنهي وقيل للنهي وانما اثبتت الياء لرؤوس الآي والمعنى لا تغفل قراءته وتكراره فتنساه
الا ما شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة والاول هو المختار لان الاستثناء من النهي لا يكاد يكون الا موقتا
معلوما وايضا فان الياء مثبتة في جميع المصاحف وعليها القراء وقيل معناه الا ما شاء الله ان يؤخر انزاله
فصل ذكر في كيفية هذا التعليم والاقراء وجوها الاول ان جبريل عليه السلام سيقرأ عليك القرآن مرات
حتى تحفظه حفظا لا تنساه وثانيها انا نشرح صدرك ونقوي خاطرك حتى تحفظه بالمرة الواحدة حفظا لا تنساه
وثالثها انه تعالى لما امره صلى الله عليه وسلم في اول السورة بالتسبيح فكانه تعالى قال واظب على ذلك
ودم عليه فانا سنقرئك القرآن الجامع لعلوم الاولين والاخرين ويكون فيه ذكرك وذكر قومك وتجمعه
في قلبك ونيسرك لليسرى وهو العمل به **فصل** هذه الاية تدل على المعجزة من وجهين الاول
انه كان رجلا اميا فحفظه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا تكرار ولا كتابة خارق للعادة
فيكون معجزا **فصل** قال بعضهم المراد
انه صلى الله عليه وسلم كان رجلا اميا ... هذا اخبار عن الغيب فيكون معجزا
انه اخبار عن الوقوع في المستقبل وقد وقع فكان هذا اخبارا عن الغيب ... الا ان
يقول تعالى الا ما شاء الله امور اولها التبرك بهذه الكلمة لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان
يشاء الله فكانه تعالى يقول اني عالم بجميع المعلومات وعالم بعواقب الامور على التفصيل ومع ذلك لا اخبر عن وقوع
شيء في المستقبل الا مع هذه الكلمة فانت وامتك يا محمد اولى بها وهذا بناء على ان الاستثناء غير حاصل في الحقيقة
وانه صلى الله عليه وسلم لم ينس بعد ذلك شيئا كما قاله ابن عباس والكلبي وغيرهما وثانيها قال الفراء انه تعالى ما شاء ان
ينسى محمد صلى الله عليه وسلم شيئا الا ان المقصود من ذكر هذا الاستثناء بيان انه تعالى لو اراد ان يصير ناسيا لذلك
لقدر عليه لقوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم انا نقطع انه تعالى ما شاء ذلك ونظيره قوله
تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه صلى الله عليه وسلم ما اشرك البتة ففائدة هذا الاستثناء ان الله تعالى ما ذكر
يعرفه قدرته حتى يعلم ان عدم النسيان من فضل الله واحسانه لا من قوته وثالثها ان الله تعالى لما ذكر
هذا الاستثناء جوز رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما ينزل عليه من الوحي ان يكون ذلك هو المستثنى فلا جرم
كان يبالغ في التثبت والتحفظ في جميع المواضع فكان المقصود من ذكر هذا الاستثناء بقاءه صلى الله عليه وسلم
على التيقظ في جميع الاحوال **قوله** انه يعلم الجهر وما يخفى الجهر الاعلان من القول والعمل وما يخفى من السر
عن ابن عباس رضي الله عنه ما في قلبك ونفسك وقال محمد بن حاتم يعلم اعلان الصدقة واخفاءها وقيل
الجهر ما حفظته من القرآن في صدرك وما يخفى هو ما نسخ من صدرك **فصل** ما اسمية ولا تكون
ان تكون مصدرية لئلا يلزم خلو الفعل من فاعل ولولا ذلك لكان المصدرية احسن لتعطف مصدر مؤول
على مثله صريح **قوله** ونيسرك لليسرى عطف على سنقرئك فهو داخل في خبر التنفيس وما بينهما من الجملة
اعتراض واليسرى هي الطريقة اليسرى وهي اعمال الخير والتقدير سنقرئك فلا تنسى ونوفقك للطريقة التي هي
اسهل وايسر يعني في حفظ القرآن وقال ابن مسعود اليسرى الجنة اي نيسرك للعمل المؤدي الى الجنة وقيل
نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعمل به وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السهلة السمحة قاله
الضحاك **قال قيل** المعهود في الكلام ان يقال يسر الامر لفلان ولا يقال يسر فلان الامر **فالجواب** ان هذه
العبارة كانها اختيار القرآن هنا وفي سورة والليل فكذا في اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله اعملوا
فكل ميسر لما خلق له وفيه لطيفة وهي ان الفاعل لا يترجح عنده الفعل على الترك ولا عكسه الا لمرجح وعند ذلك المرجح
يجب الفعل فالفاعل اذن ميسر للفعل لان الفعل ميسر للفاعل فلذلك الرجحان هو المسمى بالتيسير **قوله** فذكر ان
نفعت الذكرى اي فعظ قومك يا محمد بالقرآن ان نفعت الذكرى اي الموعظة وان شرطية وفيه استبعاد للتذكر
ومنه قوله لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي وقيل ان بمعنى اذ كقوله تعالى وانتم
الاعلون ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم وقيل هي بمعنى قد ذكره ابن خالويه وهو بعيد وقيل بعدها شيء محذوف
تقديره ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهراوي
وقيل انه مخصوص في قوم باعيانهم وقيل ان بمعنى ما اي فذكر ما نفعت الذكرى فتكون ان بمعنى ما لا بمعنى الشرط
لان الذكرى نافعة لكل حال قاله ابن شجرة **فصل** قال ابن الخطيب انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى
الكل فيجب عليه ان يذكرهم ان نفعتهم الذكرى او لم تنفعهم فما فائدة هذا الشرط وهو قوله ان نفعت الذكرى
والجواب من وجوه اما ان يكون المراد منه التنبيه على اشرف الحالين وهي وجود النفع الذي لاجله شرعت
الذكرى قال والمعلق بان على الشيء لا يلزم ان يكون عدما عند عدم ذلك الشيء ويدل عليه ايات منها هذه الاية
ومنها قوله تعالى واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون ومنها قوله تعالى ولا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة
ان خفتم فان القصر جائز عند الخوف وعدمه ومنها قوله تعالى فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان

بعينها خذوا ... والمراجعة جائزة بدون هذا الظن واذا كان كذلك فهذا الشرط فيه فوائد منها ما تقدم ومنها
البعث على الانتفاع بالذكرى كما تقول الرجل لمن يرشده قد اوضحت لك ان كنت تعقل وهو تنبيه للنبي صلى الله عليه
وسلم على انه لا تنفعهم الذكرى او يكون هذا في تكرير الدعوة فاما الدعاء الاول فعام **قال قيل** انه تعالى عالم بعواقب
الامور وبمن يؤمن ومن لا يؤمن والتعليق بالشرط انما يحسن في حق من لا يعلم **فالجواب** ان امر البعثة والدعوة
شيء وعلمه تعالى بالمغيبات وعواقب الامور غير ولا يمكن بناء احدهما على الاخر كقوله تعالى لموسى وهرون عليهما
السلام فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وهو تعالى عالم بانه لا يتذكر ولا يخشى **قال قيل** التذكير المامور به هل
هو مضبوط بعدد اولا وكيف يكون الخروج عن عهدة التذكير **فالجواب** ان المعتبر في التذكير والتكرير هو العرف
قوله سيذكر من يخشى اي يتقي الله ويخافه قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت في ابن ام مكتوم وقيل
في عثمان بن عفان رضي الله عنه قال الماوردي وقد يتذكر من يرجوه الا ان تذكرة الخاشي ابلغ من تذكرة الراجي
فلذلك علقها بالخشية دون الرجاء وان تعلقت بالخشية والرجاء وقيل المعنى عمم انت التذكير والوعظ وان كان الوعظ
انما ينفع من يخشى ولكن يحصل لك ثواب الدعاء حكاه القشيري **قال قيل** التذكير انما يكون لشيء قد علم وهؤلاء لم يزالوا كفارا
معاندين **فالجواب** ان ذلك لظهوره وقوة دليله كانه معلوم لكنه يزول بسبب التقليد والعناد فلذلك سمي بالذكر
والسين في قوله تعالى سيذكر يحتمل ان يكون بمعنى سوف وسوف من الله تعالى واجب كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى
ويحتمل ان يكون المعنى من يخشى فانه يتذكر وان كان بعد حين بما يستعمله من التدبر والنظر **قوله** ويتجنبها الاشقى اي الذكرى
يبعد عنها الاشقى اي الشقي في علم الله تعالى لما بين من ينتفع بالذكرى بين بعده من لا ينتفع بها وهو الكافر الاشقى قيل
نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذي يصلى النار الكبرى اي العظمى وهي السفلى من اطباق النار قاله الفراء
وعن الحسن الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا وقيل في الاخرة نيران ودركات متفاضلة كما في الدنيا ذنوب ومعاصي
متفاضلة فكما ان الكافر اشقى العصاة فكذلك يصلى اعظم النيران **قال قيل** لفظ الاشقى يستدعي وجود الشقي
فكيف حال هذا القسم **فالجواب** ان لفظ الاشقى لا يستدعي وجود الشقي اذ قد يرد هذا اللفظ من غير
مشاركة كقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ويتجنبها الاشقى كقوله وهو اهون عليه وقال
ابن الخطيب الفرق ثلاث العارف والمتوقف والمعاند فالسعيد هو العارف والمتوقف له بعض الشقاء والاشقى
هو المعاند **قوله** ثم لا يموت فيها ولا يحيى لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه كقوله تعالى لا يقضى عليهم
فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها **قال قيل** هذه الاية تقتضي ان ثم حالة غير الحياة والموت وذلك غير معقول
فالجواب قال بعضهم هذا كقول العرب للمبتلى بالبلاء الشديد لا هو حي ولا هو ميت وقيل ان نفس احدهم في النار
تمر في حلقه فلا تخرج للموت ولا ترجع الى موضعها من الجسم فيحيى وقيل حياتهم كحياة المذبوح وحركته قبل مفارقة الروح فلا
هو حي لان الروح لم تفارقه بعد ولا هو ميت لان الميت هو الذي تفارق روحه جسده وثم للتراخي بين الرتب في الشدة
قوله قد افلح من تزكى اي صادف الفلاح الجنة اي من تطهر من الشرك بالايمان قاله ابن عباس وعطاء وعكرمة
وقال الحسن والربيع من كان عمله زاكيا ناميا وهو قول الزجاج وقال قتادة تزكى اي عمل صالحا وعن عطاء وابي العالية
نزلت في صدقة الفطر قال ابن سيرين قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى قال تخرج فصلى بعدما تؤدي والاول
اظهر لان اللفظ المعتاد ان يقال في المال زكى ولا يقال تزكى قال تعالى ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه وقال الاحوص وعطاء
المراد بالاية زكاة الاموال كلها قال بعضهم لا ادري ما وجه هذا التاويل لان هذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة
فطر قال البغوي يجوز ان يكون النزول سابقا على الحكم كقوله تعالى وانت حل بهذا البلد والسورة مكية وظهر اثر الحل يوم
الفتح قال صلى الله عليه وسلم احلت لي ساعة من نهار وقيل هذا في زكاة الاعمال لا زكاة الاموال اي زكى اعماله من الرياء
والتقصير وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افلح من تزكى اي شهد ان لا
اله الا الله وخلع الانداد وشهد اني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مروي عن ابن رضي الله عنه ايضا وروى
عطاء عن ابن عباس قال نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه قال كان بالمدينة منافق له نخلة بالمدينة مائلة في دار
رجل من الانصار اذا هبت الرياح اسقطت البسر والرطب في دار الانصاري فيأكل هو وعياله فخاصمه المنافق فشكاه
الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى المنافق وهو لا يعلم بنفاقه فقال ان اخاك الانصاري ذكر ان بسرك
ورطبك يقع الى منزله فيأكل هو وعياله فهل لك ان اعطيك نخلة في الجنة بدلها فقال ابيع عاجلا باجل لا افعل فذكروا ان
عثمان بن عفان رضي الله عنه اعطاه حائطا من نخل بدل نخلته ففيه نزلت قد افلح من تزكى ونزلت في المنافق ويتجنبها
الاشقى وقال الضحاك نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه **قوله** وذكر اسم ربه فصلى قال ابن عباس والضحاك
وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد قال القرطبي السورة مكية في قول الجمهور ولم يكن بمكة عيد قال
القشيري ولا يبعد ان يكون اثنى على من يمتثل امره في صدقة الفطر وصلاة العيد فيما يامر به في المستقبل وذكر اسم

ربه اى ذكر ربه ۔ وعن ابن عباس رضى الله عنه معناه ذكر معاده وموقفه بين يدى الله تعالى فعبده وصلى له ۔ وقيل ذكر اسم
ربه التكبير فى اول الصلاة لانها لا تنعقد الا بذكره وهو قوله الله اكبر وبه يحتج على وجوب تكبيرة الاحرام وعلى انها
ليست من الصلاة لان الصلاة معطوفة عليها وفيه حجة لمن قال ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسماء الله تعالى قال
ابن عباس رضى الله عنه هذا فى الصلوات المفروضة ۔ روى عن عبد الله رضى الله عنه من اقام الصلاة ولم يؤت
الزكاة فلا صلاة له ۔ قوله بل تؤثرون الحياة الدنيا ۔ قرا ابو عمرو بالغيبة والباقون بالخطاب ويؤيده قراءة ابى
انتم تؤثرون وعلى الاول معناه بل يؤثرون ايها المسلمون الاستكثار من الدنيا على الاستكثار من الثواب ۔ وعن
ابن مسعود رضى الله عنه انه قرا هذه الاية فقال اتدرون لم اثرنا الحياة الدنيا على الاخرة قال لان الدنيا
حضرت وعجلت لنا طيبها وطعامها وشرابها ولذاتها وبهجتها والاخرى غيبت عنا فاخذنا العاجل وتركنا الاجل
قوله والاخرة خير وابقى ۔ اى والدار الاخرة خير اى افضل وابقى اى ادوم ۔ قوله ان هذا لفى الصحف
الاولى ۔ قرا ابو عمرو فى رواية الاعمش وهرون بسكون الحاء فى الحرفين ۔ واختلفوا الى المشار اليه بهذا فقيل
جميع السورة وهو رواية عكرمة عن ابن عباس ۔ وقال الضحاك ان هذا القران لفى الصحف الاولى اى الكتب الاولى
صحف ابراهيم وموسى يعنى الكتب المنزلة عليهما ولم يرد ان هذه الالفاظ بعينها فى تلك الصحف وانما معناه
ان معنى هذا الكلام فى تلك الصحف ۔ وقال قتادة وابن زيد المشار اليه هو قوله تعالى والاخرة خير وابقى
وقالا تتابعت كتب الله تعالى كما تسمعون ان الاخرة خير وابقى من الدنيا ۔ وقال الحسن ان هذا لفى الصحف الاولى
يعنى من قوله تعالى قد افلح من تزكى الى اخر السورة ۔ لما روى ابو ذر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله هل فى
الدنيا شئ مما كان فى صحف ابراهيم وموسى قال صلى الله عليه وسلم نعم اقرا يا ابا ذر قد افلح من تزكى الى اخر السورة
ۖ وروى ابو ذر انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل الله من كتاب فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مائة واربع كتب على ادم عشرة صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشرة
صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان ۔ قوله ابراهيم ۔ قرا العامة بالالف بعد الراء وبالياء بعد الهاء وابو
رجاء ... مفتوحة او مكسورة ... قرا انه وابو موسى وابن الزبير بالفتح وكذا فى كل القران ومالك
ابن دينار بالف بعد الراء فقط والهاء مفتوحة وعبد الرحمن بن ابى بكر ابراهم بحذف الالف وكسر الهاء ۔ وقال
ابن خالويه وقد جاء ابراهم يعنى بالف وضم الهاء وقد تقدم الكلام على هذا الاسم ولغاته مستوفى فى البقرة ولله الحمد
على كل حال ۔ روى الثعلبى عن ابى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعلى اعطاه
الله تعالى من الاجر عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى ومحمد صلوات الله عليهم اجمعين ۔

سورة الغاشية

بالاجماع وهى ست وعشرون اية ۔ واثنتان وتسعون كلمة ۔ وثلاث مائة واحدى وثمانون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله هل اتاك حديث الغاشية ۔ هل بمعنى قد كقوله تعالى هل اتى على الانسان قاله قطرب اى قد جاءك يا محمد
حديث الغاشية وهى القيامة لانها تغشى الخلائق باهوالها ۔ وقيل هو استفهام على بابه وتسميه اهل البيان التشويق
والمعنى ان لم يكن اتاك حديث الغاشية فقد اتاك وهو معنى قول الكلبى ۔ وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب الغاشية
النار تغشى وجوه الكفار ورواه ابو صالح عن ابن عباس لقوله تعالى وتغشى وجوههم النار ۔ وقيل المراد النفخة
الثانية للبعث لانها تغشى الخلق ۔ وقيل الغاشية اهل النار يغشونها ويقتحمون فيها ۔ وقيل معنى هل اتاك اى هذا لم يكن
من علمك ولا من علم قومك ۔ قال ابن عباس لم يكن اتاه قبل ذلك على التفصيل المذكور ۔ قوله وجوه يومئذ ۔ قد
تقدم نظيره فى سورة القيامة وفى النازعات ۔ والتنوين فى يومئذ عوض من جملة مدلول عليها باسم الفاعل من
الغاشية تقديره يوم اذ غشيت الناس اذ لا يتقدم جملة مصرح بها ۔ وخاشعة وما بعده صفة ۔ فصل
قال ابن عباس رضى الله عنه لم يكن اتاه حديثهم فاخبره عنهم فقال تعالى وجوه يومئذ اى يوم القيامة خاشعة
قال سفيان اى ذليلة بالعذاب وكل متضائل ساكن خاشع يقال خشع فى صلاته اذا تذلل ونكس راسه وخشع الصوت
اذا خفى قال تعالى وخشعت الاصوات للرحمن ۔ والمراد بالوجوه اصحاب الوجوه قال قتادة وابن زيد خاشعة
اى فى النار ۔ والمراد بالوجوه الكفار كلهم قاله يحيى بن سلام ۔ وقال ابن عباس اراد وجوه اليهود والنصارى قوله
عاملة ناصبة ۔ هذا فى الدنيا لان الاخرة ليست دار عمل ۔ فالمعنى وجوه عاملة ناصبة فى الدنيا خاشعة فى الاخرة
قال اهل اللغة يقال للرجل اذا دأب فى سيره قد عمل عملا ويقال للسحاب اذا دام برقه قد عمل يعمل عملا ۔ وقوله
ناصبة اى تعبة يقال نصب بالكسر ينصب نصبا اذا تعب ونصبا ايضا وانصبه غيره ۔ قال ابن عباس هم الذين

انصبوا

انصبوا انفسهم فى الدنيا على معصية الله تعالى على الكفر مثل عبدة الاوثان والرهبان وغيرهم لا يقبل الله تعالى منهم الا ما كان
خالصا له ۔ وعن على رضى الله عنه انهم الخوارج الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تحقرون صلاتكم مع
صلاتهم وصيامكم مع صيامهم واعمالكم مع اعمالهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الحديث ۔ وروى
سعيد عن قتادة عاملة ناصبة قال تكبرت فى الدنيا عن طاعة الله فاعملها الله وانصبها فى النار بجر السلاسل الثقال
وحمل الاغلال والوقوف حفاة عراة فى العرصات فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة ۔ قال الحسن وسعيد بن
جبير لم تعمل لله فى الدنيا ولم تنصب له فاعملها وانصبها فى جهنم ۔ وقرا ابن كثير فى رواية وابن محيصن وعيسى وحميد
ناصبة بالنصب على الحال ۔ وقيل على الذم والباقون بالرفع على الصفة او على اضمار مبتدا فيوقف على خاشعة ومن جعل
المعنى فى الاخرة جاز ان يكون خبرا بعد خبر عن وجوه فلا يوقف على خاشعة ۔ وقيل عاملة ناصبة اى عاملة فى الدنيا ناصبة فى
الاخرة وعلى هذا يحمل وجوه يومئذ عاملة فى الدنيا ناصبة فى الاخرة خاشعة ۔ وروى الحسن قال لما قدم عمر بن الخطاب
رضى الله عنه الشام اتاه راهب شيخ كبير عليه سواد فلما راه عمر بن الخطاب رضى الله عنه
بكى فقيل يا امير المؤمنين ما يبكيك قال هذا المسكين طلب امرا فلم يصبه ورجا رجاء فاخطاه ۔ وقرا قوله تعالى وجوه يومئذ
خاشعة عاملة ناصبة ۔ قوله تصلى ۔ هذا هو الخبر ۔ قرا ابو عمرو وابو بكر ويعقوب رضى الله عنهم بضم التاء على ما لم يسم
فاعله والباقون بالفتح على تسمية الفاعل والضمير على كلتا القراءتين للوجوه ۔ وقرا ابو رجاء بضم التاء وفتح الصاد وتشديد
اللام وقد تقدم معنى ذلك كله فى سورة الانشقاق والنساء ۔ فصل والمعنى يصيبها صلاؤها وحرها حامية
شديدة الحر اى قد اوقدت واحميت مدة طويلة ومنه حمى النهار بالكسر وحمى التنور حميا اى اشتد حره ۔ وحكى
الكسائى اشتد حمى الشمس وحموها بمعنى قال صلى الله عليه وسلم اوقد عليها الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف
سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة ۔ قال الماوردى فان قيل فما معنى وصفها بالحامية
وهى لا تكون الا حامية وهو اقل احوالها فما وجه المبالغة بهذه الصفة الناقصة قيل قد اختلف فى المراد بالحامية هنا
قيل المراد انها دائمة الحمى وليست كنار الدنيا التى ينقطع حميها بانطفائها ۔ وقيل المراد بالحامية انها حمى من ارتكاب
المحظورات وانتهاك المحارم لقول النبى صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه ومن يرتع حول الحمى يوشك
ان يقع فيه ۔ وقيل انها تحمى نفسها عن ان تطاق ملامستها او ترام مماستها كما يحمى الاسد عرينه كقول الشاعر
تعدو الذئاب على من لا كلاب له ۔ وتتقى صولة المستاسد الحامى ۔ وقيل المراد انها حامية حمى غيظ
وغضب مبالغة فى شدة الانتقام كقوله تعالى تكاد تميز من الغيظ ۔ قوله تسقى من عين انية ۔ اى حارة اى التى انتهى
حرها كقوله تعالى وبين حميم آن وانية صفة لعين واما هشام لان الالف غير منقلبة عن غيرها بل هى اصل
بنفسها وهذا بخلاف انية فى سورة الانسان فان الالف هناك بدل من همزة اذ هو جمع اناء وهنا فاعلة وهناك
افعلة فاتحد اللفظ واختلف التصريف وهذا من محاسن علم التصريف ۔ قال القرطبى والانى الذى انتهى حره من
الايناء بمعنى التاخير يقال اناه يؤنيه ايناء اى اخره وحبسه نظيره قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم ان ۔ روى
انه لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت ۔ قوله ليس لهم طعام الا من ضريع ۔ لما ذكر شرابهم ذكر طعامهم
والضريع شجر فى النار ذو شوك لاصق بالارض تسميه قريش الشبرق اذا كان رطبا فاذا يبس فهو الضريع لا تقربه دابة
ولا بهيمة ولا ترعاه وهو سم قاتل قاله عكرمة ومجاهد واكثر المفسرين ۔ وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله
عنه قال شئ يرمى به البحر يسمى الضريع من اقوات الانعام لا الناس فاذا وقعت فيه الابل لم تشبع وهلكت هزالا والصحيح
الاول قال ابو ذؤيب ۔ رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى ۔ وعاد ضريعا بان عنه النحائص ۔ وقال الهذلى يذكر ابلا وسوء
مرعاها ۔ وحبسن فى هزم الضريع فكلها ۔ حدباء دامية اليدين حرود ۔ وقال الخليل الضريع نبات
اخضر منتن الريح يرمى به البحر ۔ وقال ايضا يقال للجلدة التى على العظم تحت اللحم هى الضريع فكانه تعالى وصفه
بالقلة فلا جرم لا يسمن ولا يغنى من جوع ۔ وعن ابن عباس رضى الله عنه شجر من نار ولو كانت فى الدنيا لاحرقت
الارض وما عليها ۔ وقيل هو الزقوم ۔ وقيل يابس العرفج اذا تحطم ۔ وقيل نبت يشبه العوسج ۔ وقال سعيد بن جبير
وعكرمة هو حجارة من نار ۔ قال القرطبى والاظهر انه شجر ذو شوك حسب ما هو فى الدنيا ۔ وعن ابن عباس رضى
الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الضريع شئ يكون فى النار يشبه الشوك اشد مرارة من الصبر
وانتن من الجيفة واحر من النار سماه الله تعالى ضريعا ۔ قال القتيبى ويجوز ان يكون الضريع وشجر الزقوم نبتا من النار
او من جوهر لا تاكله النار وكذلك سلاسل النار واغلالها وعقاربها وحياتها ولو كانت على ما نعلم لما بقيت على النار وانما
دلنا الله تعالى على الغائب عنده بالحاضر عندنا فالاسماء متفقة الدلالة والمعانى مختلفة وكذلك ما فى الجنة
من شجرها وفرشها ۔ وزعم بعضهم ان الضريع ليس هو نبت فى النار ولا انهم ياكلونه لان الضريع من اقوات
الانعام لا من اقوات الناس واذا وقعت الابل فيه لم تشبع وهلكوا هزالا فاراد هؤلاء ان يقتاتون ما لا يشبعهم

الضريع له مثلا والمعنى انهم يعذبون بالجوع كما يعذب من قوله الضريع قال الحكيم الترمذي وهذا نظر سقيم من اهله بذلك
ان الذي انبت في هذا التراب الضريع قادر على ان ينبته في حريق النار كما جعل سبحانه
على امر يجبروا في قدرة الله تعالى وان الذي ... منه توقدون وكما قال تعالى ويحشرهم يوم القيامة على
وتعالى للناس في الدنيا من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون فقال عليه السلام الذي امشاهم على ارجلهم
وجوههم عميا قالوا يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم فقال عليه السلام الذي امشاهم على ارجلهم
قادر ولا يتحير في مثل هذا الا ضعيف العقل او ليس قد اخبرنا انه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها
وقال تعالى سرابيلهم من قطران وعن الحسن لا ادري ما الضريع ولم اسمع فيه من الصحابة شيئا قال
ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون منه الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك
لان اكله يضرع في ان يعفى عنه للكراهية والطريقة الذلة والاستكانة ومعنى الضريع المضرع كالبديع اي المبدع
على ان يضرعوا ويذلوا عند تناوله قال ابو جعفر النحاس قد يكون مشتقا من الضارع وهو الذليل اي ذو ضراعة
اي من شربه ذليل تلحقه ضراعة فان قيل قد قال تعالى في موضع اخر فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام
الا من غسلين وقال تعالى ههنا الا من ضريع وهو غير الغسلين فما وجه الجمع فالجواب ان النار
دركات فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من شرابه
الحميم ومنهم من شرابه الصديد قال الكلبي الضريع في درجة ليس فيها غيره والزقوم في درجة اخرى
قوله لا يسمن قال الزمخشري مرفوع المحل او مجروره على وصف طعام او ضريع قال ابو حيان اما جعله
لضريع فيصح لانه منفي عنه السمن والاغناء من الجوع واما رفعه على وصفه لطعام فلا يصح لان الطعام
منفي ويسمن منفي فلا يصح تركيبه لانه يصير التقدير ليس لهم طعام لا يسمن ولا يغني من جوع الا من ضريع
فيصير المعنى ان لهم طعاما يسمن ويغني من جوع من غير الضريع كما تقول ليس لزيد مال لا ينتفع به الا من
مال عمرو فمعناه ان له مالا لا ينتفع به من غير مال عمرو قال شهاب الدين وهذا لا يرد لانه على تقدير تسليم
القول بالمفهوم وقد منع منه مانع كالسياق في الاية الكريمة ثم قال ابو حيان ولو قيل الجملة في موضع رفع صفة
للمحذوف المقدر في الا من ضريع كان صحيحا لانه في موضع رفع على انه بدل من اسم ليس اي ليس لهم طعام الا كائن
من ضريع او الاطعام من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع وهذا تركيب صحيح ومعنى واضح وقال الزمخشري ايضا
او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام من ضريع ما اشبع او اسمن وهو عنهما
بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد قال ابو حيان فعلى هذا يكون استثناء منقطعا اذ لم يندرج
الكائن من الضريع تحت لفظ طعام اذ ليس بطعام والظاهر الاتصال فيه وفي قوله تعالى ولا طعام الا من غسلين قال
شهاب الدين وعلى قول الزمخشري المتقدم لا يلزم ان يكون منقطعا اذ المراد نفي الشيء بدليله اي ان كان لهم طعام فليس الا
هذا الذي لا يعده احد طعاما ومثله ليس له ظل الا الشمس وقد مضى تحقيق هذا عند قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت
الا الموتة الاولى وقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ومثله كثير فصل المعنى ان طعامهم ليس من جنس مطاعم
الانس لانه نوع من انواع الشوك والشوك مما ترعاه الابل وهذا النوع مما تنفر عنه الابل فاذا منفعة الغذاء منتفية
عنه ومنفعتا الغذاء اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن او يكون المعنى ليس لهم طعام اصلا لان الضريع ليس بطعام
للبهائم فضلا عن الانسان لان الطعام ما اشبع او اسمن قال المفسرون لما نزلت هذه الاية قال المشركون ان ابلنا
لتسمن بالضريع فنزلت لا يسمن ولا يغني من جوع وكذبوا فان الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لم تاكله وقيل اشتبه
عليهم امره فظنوا انه كغيره من النبت النافع لان المضارعة المشابهة فوجدوه لا يسمن ولا يغني من جوع فيكون
المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع قوله وجوه يومئذ
ناعمة اي ذات نعمة وهي وجوه المؤمنين لما ذكر تعالى وعيد الكفار اتبعه بشرح
احوال المؤمنين وقيل ذات بهجة وحسن لقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي منعمة لسعيها اي لعملها
التي عملته في الدنيا راضية في الاخرة حين اعطيت الجنة بعملها او فيها او مضمره والتقدير وجوه يومئذ لتفصيل
بينها وبين الوجوه المتقدمة والوجوه عبارة عن الانفس في جنة عالية اي مرتفعة لانها فوق السموات وقيل
عالية القدر لان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قوله لا تسمع فيها لاغية قرا ابن كثير وابو عمرو يسمع بالياء من
تحت مضمومة على ما لم يسم فاعله لاغية رفعا لقيامه مقام الفاعل وقرا نافع كذلك الا انه بالتاء من فوق والتذكير والتانيث
واضحان لان التانيث مجازي وقرا الباقون بفتح التاء من فوق ونصب لاغية فيجوز ان يكون التاء للخطاب اي لا تسمع
انت وان يكون للتانيث اي لا تسمع الوجوه وقرا المفضل والجحدري لا يسمع بياء الغيبة مفتوحة لاغية نصب
اي لا يسمع فيها احد ولاغية يجوز ان يكون صفة لكلمة على معنى النسب اي ذات لغو او على اسناد اللغو اليها مجازا وان
يكون صفة لجماعة اي جماعة لاغية وان يكون مصدرا كالعافية والعاقبة كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا

تاثيما واللغو واللغا واللاغية بمعنى واحد قال الشاعر عن اللغا ورفث التكلم قال الفرا والاخفش اي لا تسمع فيها كلمة لغو والمراد
باللغو قيل الكذب والبهتان والكفر بالله قاله ابن عباس وقال قتادة لا باطل ولا اثم وقال الحسن ومجاهد الشتم وقال
الفرا الحلف الكاذب وقال الكلبي لا تسمع في الجنة حالف بيمين برة ولا فاجرة وقيل لا يسمع في كلامهم كلمة تلغى لان اهل
الجنة لا يتكلمون الا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم قاله الفرا وهو احسن الاقوال قاله القفال
والزجاج قوله فيها عين جارية اي بماء مندفق وانواع الاشربة اللذيذة تجري على وجه الارض من غير اخدود
قال الزمخشري يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله تعالى علمت نفس قوله فيها سرر مرفوعة اي عالية في الهواء
واكواب موضوعة والاكواب الكيزان التي لا عرى لها والاباريق هو ما له عروة وخرطوم والكوب ما ليس له عروة
ولا خرطوم وقوله تعالى موضوعة اي معدة لاهلها وقيل موضوعة على حافات العين الجارية وقيل موضوعة بين ايديهم
لاستحسانهم اياها لكونها من ذهب وفضة وجوهر وتلذذهم بالشرب منها وقيل موضوعة من حد الكبر اي هي اوساط
بين الصغر والكبر لقوله تعالى قدروها تقديرا قوله ونمارق مصفوفة النمارق جمع نمرقة وهي الوسادة
قالت نحن بنات طارق نمشي على النمارق مصفوفة اي واحدة الى جنب اخرى قال الشاعر
كهولا وشبانا حسانا وجوههم لهم سرر مصفوفة ونمارق والنمرق والنمرقة
وسادة صغيرة والنمرق بضم النون والراء وكسرهما لغتان اشهرهما الاولى قوله تعالى وزرابي جمع زربية
بفتح الزاي وكسرها لغتان مشهورتان وهي البسط العراض وقيل ما له منها خملة قال ابو عبيدة الزرابي الطنافس
التي لها خمل رقيق واحدها زربية وهو قول الكلبي والفرا المبثوثة المبسوطة قاله قتادة وقال عكرمة بعضها فوق
بعض وقال الفرا كثيرة وقال القتبي متفرقة في المجالس قال القرطبي وهذا اصح فهي كثيرة متفرقة ومنه قوله
تعالى وبث فيها من كل دابة وقال ابو بكر الانباري وحدثنا احمد بن الحسين قال حدثنا حسين بن عرفة قال حدثنا
عمار بن محمد قال صليت خلف منصور بن المعتمر فقرا هل اتاك حديث الغاشية وقرا فيها وزرابي مبثوثة متكئين فيها
ناعمين قوله افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت لما ذكر الله تعالى امر الدارين تعجب الكفار من ذلك فكذبوا
وانكروا فذكرهم الله تعالى صنعته وقدرته وانه تعالى قادر على كل شيء كما خلق الحيوانات والسما والارض وذكر الابل
اولا لانها كثيرة في بلاد العرب ولم يروا الفيلة فنبههم تعالى على عظيم من خلقه قد ذلله للصغير يقوده وينيخه
وينهضه ويحمل عليه الثقيل من الاحمال وهو بارك فينهض بثقيل حمله ولم يوجد ذلك في شيء من الحيوان غيره فاراهم
عظيما من خلقه يدلهم بذلك على توحيده وعظيم قدرته تعالى وعن بعض الحكما انه حدث عن البعير وبديع خلقه
ولم يكن نشا في بلاد الابل ففكر ثم قال يوشك ان يكون طويل الاعناق قال ابن الخطيب للابل خواص منها انه تعالى
جعل الحيوان الذي يقتنى انواعا فتارة يقتنى ليوكل لحمه وتارة يشرب لبنه وتارة ليحمل الناس في الاسفار وتارة
لنقل المتاع من بلد الى بلد وتارة للزينة والجمال وهذه المنافع باسرها حاصلة في الابل ثم انها فاقت في كل خصلة من
هذه الخصال غيرها من الحيوان المختص ببعضها مع صبرها على العطش وقطع المفاوز بالاحمال الثقيلة وقناعتها في
العلف بنبات البر ولقد ضللنا الطريق في مفازة فقدموا جملا واتبعوه فهدانا ثم للطريق بعد رما الطويل مع كثرة
المعاطف والتلول فانظر كيف ثبت واهتدى على ما عجز عنه ذوو العقول ومنها انها في غاية القوة والصبر على
العمل ومنها انها مع كونها كذلك منقادة للصبي الصغير ومنها انها تحمل وهي باركة ثم تقوم بحملها وهذه الصفات
توجب على العاقل ان ينظر في خلقها وتركيبها ويستدل بذلك على وجوب الصانع الحكيم جلت قدرته تعالى فصل
قال قتادة ومقاتل وغيرهما لما ذكر الله تعالى السرر المرفوعة قالوا كيف نصعدها فانزل الله تعالى هذه الاية
وبين ان الابل تبرك حتى يحمل عليها ثم تقوم فكذلك تلك السرر تتطامن ثم ترتفع وقال المبرد الابل هنا القطع
العظيمة من السحاب قال الثعلبي ولم اجد لذلك اصلا في كتب الايمة قال القرطبي ذكر الاصمعي ابو سعيد
عبد الملك بن قريب قال ابو عمرو من قراها افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت عنى به البعير لانه من ذوات الاربع يبرك
فيحمل عليه الحمولة وغيره من ذوات الاربع لا يحمل عليه الا وهو قائم ومن قراها بالتثقيل فقال الابل عنى بها السحاب
التي تحمل الما للمطر وقال الماوردي وفي الابل وجهان اظهرهما انه الابل والثاني انها السحاب فان كان المراد بها
السحاب فلما فيها من الايات والدلالات الدالة على قدرته تعالى والمنافع العامة لجميع خلقه وان كان المراد بها
الابل من النعم فلان الابل اجمع للمنافع من سائر الحيوانات لان ضروبه اربعة حلوبة وركوبة واكولة وحمولة
والابل تجمع هذه الخلال الاربع فكانت النعمة بها اعم وظهور القدرة فيها اتم وقيل للحسن الفيل اعظم في الاعجوبة
فقال العرب بعيدة العهد بالفيل ثم هو لا يوكل لحمه ولا يركب ظهره ولا يحلب دره فصل الابل اسم جمع
واحده بعير وناقة وجمل ولا واحد لها من لفظها وهو مونث وكذلك يدخل عليه تا التانيث حال تصغيره فيقال
ابيلة قال القرطبي لا واحد لها من لفظها اذا كانت لغير الادميين فالتانيث لها لازم وربما قالوا للابل ابل بسكون

الياء للتخفيف والجمع آبال واشتقوا من لفظه فقالوا ابل زيد اي كثرت ابله وتعجبوا من هذا فقالوا ما ابله اي ما اكثر ابله وتقدم في سورة الانعام **قوله** كيف منصوب بخلقت على حد نصبها في قوله تعالى كيف تكفرون والجملة بدل من الابل بدل اشتمال فيكون في محل جر وهي في الحقيقة معلقة للنظر وقد دخلت الى على كيف في قولهم انظر الى كيف تصنع وقد تقدم ان الجملة المشتملة على استفهام بدل من اسم ليس فيه استفهام كقولهم عرفت زيدا ابو من هو على خلاف بين النحويين وقرا العامة خلقت ورفعت ونصبت وسطحت مبنيا للمفعول والتاء كلها للتانيث وقرا امير المومنين وابن ابي عبلة وابو حيوة قال القرطبي وابن السميفع وابو العالية خلقت وما بعده بتاء المتكلم مبنيا للفاعل والعامة على سطحت مخففا وقرا الحسن وابو حيوة وابو رجا سطحت بتشديد الطا واسكان التا قال القرطبي وقدم الابل في الذكر ولو قدم غيرها لجاز قال القشيري وليس هذا مما يطلب فيه نوع حكمة **قوله تعالى** والى السما كيف رفعت اي رفعت عن الارض بلا عمد بحيث لا ينالها شي والى الجبال كيف نصبت نصبا ثابتا راسخا لا تميل ولا تزول وذلك ان الارض لما دحيت مادت فارساها بالجبال كما قال تعالى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بكم والى الارض كيف سطحت مهدت اي بسطت ومدت واستدل بعضهم بهذا على ان الارض ليست بكرة قال ابن الخطيب وهو ضعيف لان الكرة اذا كانت في غاية العظمة تكون كل قطعة منها كالسطح **فان قيل** ما المناسبة بين هذه الاشيا **فالجواب** قال الزمخشري من فسر الابل بالسحاب فالمناسبة ظاهرة وذلك تشبيه ومجاز ومن حملها على الابل فالمناسبة بينها وبين السما والارض والجبال من وجهين الاول ان القران نزل على العرب وكانوا يسافرون كثيرا وكانوا يسيرون عليها في المهامه القفار مستوحشين منفردين عن الناس والانسان اذا انفرد اقبل على التفكر في الاشيا لانه ليس معه من يحادثه وليس هناك من يشتغل به سمعه وبصره فلا بد من ان يشتغل بالفكرة فاذا فكر في تلك الحال فاول ما يقع بصره على الجمل الذي هو راكبه فيرى منظرا عجيبا وان نظر الى فوق لم ير غير السما واذا نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال واذا نظر الى ما تحت لم ير غير الارض فكانه تعالى امره بالنظر وقت الخلوة والانفراد حتى لا تحمله داعية الكبر والحسد على ترك النظر الثاني ان جميع المخلوقات دالة على الصانع جلت قدرته الا انها قسمان منها ما للشهوة فيه حظ كالوجه الحسن والبساتين النزهة والذهب والفضة ونحوها فهذه مع دلالتها على الصانع قد يمنع استحسانها عن اكمال النظر ومنها ما لا حظ فيه للشهوة كهذه الاشيا فامر بالنظر فيها اذ لا مانع من اكمال النظر فيها **قوله** فذكر انما انت مذكر اي فعظهم يا محمد وخوفهم انما انت مذكر واعظ لست عليهم بمسيطر اي بمسلط فتقتلهم ثم نسختها اية السيف وقرا العامة بمصيطر بالصاد وقنبل في بعض طرقه وهشام بالسين وخلف باشمام الصاد زايا بلا خلاف وعن خلاد وجهان وقرا هارون الاعور بمصيطر بفتح الطا اسم مفعول لان سيطر عندهم متعد ويدل على ذلك فعل مطاوعه وهو تسيطر ولم يجي اسم [illegible] يمكن ان يكون اصلهما مجمر ومبيطر فصغرا قال شهاب الدين وقد تقدم ان بعضهم جعل مهيمنا مصغرا وتقدم انه خطا عظيم وذلك في سورة المائدة قال القرطبي وفي الصحاح والمسيطر والمصيطر المسلط على الشي ليشرف عليه ويتعهد احواله ويكتب عمله واصله من السطر لان من معنى السطر ان لا يتجاوز فالكتاب مسطر والذي يفعله مسطر ومسيطر يقال سيطرت علينا قال تعالى لست عليهم بمسيطر ومصيطر اي صرعه **قوله** الا من تولى وكفر استثنا منقطع اي لكن من تولى عن الوعظ والتذكر فيعذبه الله العذاب الاكبر وهو جهنم الدائم عذابها وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والاسر والقتل ويؤيد هذا التاويل قراة ابن مسعود الا من تولى وكفر فانه يعذبه الله وقيل هو استثنا متصل والمعنى لست بمسلط الا على من تولى وكفر فانت مسلط عليه بالجهاد والله تعالى يعذبه بعد ذلك العذاب الاكبر فلا نسخ في الاية على هذا التقدير وقرا ابن عباس وزيد بن علي وزيد بن اسلم وقتادة الا حرف استفتاح وتنبيه كقول امرئ القيس

الا رب يوم لك منهن صالح

ومن على هذا شرط فالجملة بعده شرطية والجواب فيعذبه الله والمبتدا بعد الفا مضمر والتقدير فهو يعذبه الله لانه لو اريد الجواب بالفعل الذي بعد الفا لكان الا من تولى وكفر يعذبه الله قال شهاب الدين او موصول مضمن معناه **قوله** ان الينا ايابهم اي رجوعهم بعد الموت والعامة على تخفيف اليا مصدر آب يؤوب ايابا اي رجع كقام يقوم قياما قال عبيد

وكل ذي غيبة يؤوب ... وغائب الموت لا يؤوب

وقرا ابو جعفر وشيبة بتشديدها قال ابو حاتم لا يجوز التشديد ولو جاز لجاز مثله في الصيام والقيام وقيل هما لغتان بمعنى قال شهاب الدين وقد اضطربت فيها اقوال اهل التصريف فقيل هو مصدر لايب على وزن فيعل كبيطر فيقال منه ايب يؤيب

ايابا والاصل ايوب يؤيوب ايوابا كبيطر يبيطر فاجتمعت اليا والواو في جميع ذلك وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو يا وادغمت اليا المزيد فيها فاياب على هذا فيعال وقيل بل هو مصدر لاوب بزنة فوعل كحوقل والاصل اوواب بواوين الاولى زائدة والثانية عين الكلمة فسكنت الاولى بعد كسرة فقلبت يا فصار ايوابا فاجتمعت يا وواو وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو يا وادغمت في اليا بعدها فوزنه فيعال كجيقال والاصل جوقال وقيل بل هو مصدر لاوب على وزن فعول كجهور والاصل اوواب على وزن فعوال كجهوار الاولى عين الكلمة والثانية زائدة وفعل به ما فعل بما قبله من القلب والادغام للعلل المتقدمة وهي مفهومة مما مر **فان قيل** الادغام مانع من قلب الواو يا قيل انما تمتنع اذا كانت الواو واليا عينا وقد عرفت ان اليا في فيعل والواو في فوعل وفعول زائدتان وقيل بل هو مصدر لاوب بزنة فعال نحو كذب كذابا والاصل اواب ثم قلبت الواو الاولى يا لانكسار ما قبلها فقيل ايوابا قال الزمخشري كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل باصل سيد يعني ان اصله سيود فقلبت وادغم والى هذا نحا ابو الفضل ايضا الا ان ابا حيان رد ما قاله بانهم نصوا على ان الواو الموضوعة على الادغام لا تقلب الاولى يا وان انكسر ما قبلها قال ومثلوا باجلواذ مصدر اجلوذ واخرواط مصدر اخروط قال واما تشبيه الزمخشري بديوان فليس بجيد لانهم لم ينطقوا بها في الوضع مدغمة ولم يقولوا دوان ولولا الجمع على دواوين لم يعلم ان اصل هذه اليا واو وقد نصوا على شذوذ ديوان فلا يقاس عليه غيره قال شهاب الدين اما كونهم لم ينطقوا بديوان فلا يلزم منه رد ما قاله الزمخشري ونص النحاة على ان اصل ديوان دوان وقيراط قراط بدليل الجمع على دواوين وقراريط وكونه شاذا لا يقدح لانه لم يذكر مقيسا عليه بل منظرا به وقد ذهب مكي الى نحو من هذا فقال واصل اليا واو ولكن انقلبت يا لانكسار ما قبلها وكان يلزم من شدد ان يقول اوابهم لانه من الواو ويقول اوابهم فيبدل من اول المشدد يا كما قالوا ديوان والاصل دوان انتهى وقيل هو مصدر لاوب بزنة اكرم من الاوب والاصل ايواب كاكرام فابدلت الهمزة الثانية يا لسكونها بعد همزة مكسورة فصار اللفظ ايوابا فاجتمعت اليا والواو على ما تقدم فقلب وادغم ووزنه افعال وهذا اوضح وقال ابن عطية في هذا الوجه سهلت الهمزة وكان الادغام يردها ولكن استحسنت فيه اليا على غير قياس انتهى وهذا الذي تخيله لا يعرف من انه لما قلبت الهمزة يا فالقياس ان يفعل ما تقدم من قلب الواو الى اليا من دون عكس قال شهاب الدين وانما ذكرت هذه الاوجه مشروحة لصعوبتها وعدم من يمعن النظر في مثل هذه المواضع القلقة وقدم الخبر في قوله الينا وعلينا للمبالغة في التشديد في الوعيد والله اعلم روى الثعلبي في تفسيره عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر

وهي ثلاثون اية ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** والفجر قيل جواب القسم مذكور وهو قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد قاله ابن الانباري وقيل محذوف لدلالة المعنى عليه اي لنجازين كل احد بما عمل بدليل تقديره بما فعل بالقرون الخالية وقدر الزمخشري ليعذبن قال يدل عليه قوله تعالى الم تر الى قوله فصب وقدره ابو حيان بما دلت عليه خاتمة السورة قبله اي لاياتهم الينا وحسابهم علينا وقال مقاتل هل هنا في موضع ان تقديره ان في ذلك قسما لذي حجر فهل على هذا في موضع جواب القسم انتهى وهذا قول باطل لانه لا يصلح ان يكون مقسما عليه على تقدير تسليم ان التركيب هكذا وانما ذكرناه للتنبيه على سقوطه وقيل ثم مضاف محذوف اي وصلاة الفجر او ورب الفجر والعامة على عدم التنوين في الفجر والوتر ويسر وابو الدينار الاعرابي بتنوين الثلاثة قال ابن خالويه هذا ما روي عن بعض العرب انه يقف على اواخر القوافي وان كان فعلا وان كان فيه الالف واللام قال الشاعر

اقلي اللوم عاذل والعتابن ... وقولي ان اصبت لقد اصابن

يعني بهذا تنوين الترنم وهو ان العربي اذا اراد ترك الترنم وهو مد الصوت نون الكلمة وانما يكون في الروي المطلق وقد عاب بعضهم النحويين بتسمية تنوين الترنم قال بل ينبغي ان يسموه بتنوين تركه ولهذا التنوين قسيم اخر يسمى التنوين الغالي وهو ما يلحق الروي المقيد كقوله خاوي المخترقن على ان بعض العروضيين انكروا وجوده ولهذين التنوينين احكام مخالفة لحكم التنوين مذكورة في علم النحو والحاصل ان هذا القاري اجرى الفواصل مجرى القوافي وله نظاير مر منها الرسولا والسبيلا والظنونا في الاحزاب والمتعال في سورة الرعد ويسرها قال الزمخشري فما بالها منكرة من بين ما اقسم به قلت لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها او مخصوصة بفضيلة ليست في غيرها قال قلت هلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة قلت لو فعل ذلك لم يستقل بمعنى الفضيلة التي في التنكير ولان الاحسن ان يكون اللامات متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية يعني بتجانس اللامات ان يكون كلها اما للجنس واما للعهد والغرض ان الظاهر ان اللامات في الفجر وما معه للجنس فلو جي بالليالي معرفة بلام العهد لفات التجانس **فصل** اقسم سبحانه بالفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل

اذ ايسر اقسام خمسة ۞ واختلف في الفجر فقال علي وابن الزبير وابن عباس رضي الله عنهم الفجر هنا انفجار الظلمة عن النهار من كل
يوم قال ابن الخطيب اقسم تعالى بما يحصل فيه من ظهور النور وانتشار الناس وسائر الحيوان في طلب الارزاق وذلك
مشاكل للنشور من الموتى وفيه عبرة لمن تامل كقوله تعالى والصبح اذا تنفس ويمدح بكونه خالقه فقال سبحانه فالق
الاصباح ۞ وعن ابن عباس رضي الله عنه انه النهار كله وعبر عنه بالفجر لانه اوله ۞ وروى ابن محيصن عن عطية
عن ابن عباس يعني فجر المحرم ۞ قال قتادة هو فجر اول يوم من المحرم منه تنفجر السنة ۞ وعنه ايضا صلاة الصبح
وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال يريد صبيحة يوم النحر لان الله تعالى جعل لكل يوم ليلة قبله الا يوم النحر
لم يجعل له ليلة قبله ولا ليلة بعده لان يوم عرفة له ليلتان ليلة قبله وليلة بعده فمن ادرك الموقف
الليلة التي بعد عرفة فقد ادرك الحج الى طلوع فجر يوم النحر وهذا قول مجاهد ۞ وقال عكرمة والفجر فجر انشقاق
الفجر من يوم جمع ۞ وعن محمد بن كعب القرظي والفجر قال اخر ايام العشر اذا دفعت من جمع ۞ وقال الضحاك فجر
ذي الحجة لان الله تعالى قرن به الايام فقال تعالى وليال عشر اي ليال عشر من ذي الحجة ۞ وقيل هي العيون
التي تنفجر منها المياه **قوله** وليال عشر ۞ العامة على ليال بالتنوين عشر صفة لها ۞ وقرا ابن عباس وليال
عشر بالاضافة فبعضهم قال ليال في هذه القراءة دون ياء وبعضهم قال وليالي عشر بالياء وهو القياس وقيل والمراد
ليالي ايام عشر وكان من حقه على هذا ان يقال عشرة لان المعدود مذكر ويجاب عنه بانه اذا حذف المعدود
جاز الوجهان ومنه واتبعه بست من شوال وسمع الكسائي صمنا من الشهر خمسا **فصل** قال ابن عباس ومجاهد
والسدي والكلبي هو عشر ذي الحجة ۞ وقال مسروق هي العشر المذكورة في قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام
واتممناها بعشر وهي افضل ايام السنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ايام العمل الصالح فيهن احب
الى الله تعالى من عشر ذي الحجة ولان ليلة يوم النحر داخلة فيه اذ خصها الله تعالى موقفا لمن لم يدرك الوقوف يوم عرفة
وعن ابن عباس ايضا هي العشر الاواخر من رمضان ۞ وقال الضحاك اقسم الله تعالى بها لشرفها بليلة القدر وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر من رمضان شد المئزر وايقظ اهله للتهجد ۞ وعن ابن عباس
رضي الله عنه ويمان والطبري هو العشر الاول من المحرم لان اخرها يوم عاشوراء ولصومه فضل عظيم **قوله**
والشفع والوتر ۞ قرا الاخوان بكسر الواو من الوتر والباقون بفتحها وهما لغتان كالحبر والحبر والفتح لغة قريش
ومن والاها والكسر لغة تميم وهاتان اللغتان في الوتر مقابل الشفع ۞ فاما في الوتر بمعنى الترة اي الذحل فبالكسر وحده
قاله الزمخشري ونقل الاصمعي فيه اللغتين ايضا ۞ وقرا ابو عمرو في رواية يونس عنه بفتح الواو وكسر التاء فيحتمل ان يكون
لغة ثالثة وان يكون نقل كسرة الراء الى التاء اجراء للوصل مجرى الوقف **فصل** قال ابن الخطيب الشفع والوتر
هو الذي تسميه العرب الخسا والزكا وتسميه العامة الزوج والفرد ۞ قال يونس اهل العالية يقولون الوتر بالفتح
في العدد والوتر بالكسر في الوتر وتميم يقولون بكسر الواو فيهما وتقول اوترت اوتر ايتارا اي جعلته وترا ۞ ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم من استجمر فليوتر ۞ واختلف في الشفع والوتر فروى عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الشفع والوتر الصلاة منها شفع ومنها وتر ۞ وقال جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم
والفجر وليال عشر قال هو الصبح وعشر النحر والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر وهو قول ابن عباس وعكرمة واختاره
النحاس ۞ وقال حديث ابي الزبير عن جابر هو الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو اصح اسنادا من حديث عمران بن
حصين فيوم عرفة وتر لانه تاسعها ويوم النحر شفع لانه عاشرها ۞ وعن ابي ايوب قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم
عن قوله تعالى والشفع والوتر قال الشفع يوم عرفة ويوم النحر والوتر ليلة يوم النحر ۞ وقال مجاهد وابن عباس
الشفع خلقه قال تعالى وخلقناكم ازواجا والوتر هو الله تعالى فقيل لمجاهد اترويه عن احد قال نعم عن ابي سعيد
الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوه قال محمد بن سيرين ومسروق وابو صالح وقتادة قال الشفع الخلق
قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين الكفر والايمان والشقاوة والسعادة والهدى والضلال والنور والظلمة
والليل والنهار والحر والبرد والشمس والقمر والصيف والشتاء والسماء والارض والجن والانس والوتر هو الله
تعالى قال تعالى قل هو الله احد الله الصمد ۞ وقال صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما والله وتر يحب
الوتر ۞ وعن ابن عباس رضي الله عنه الشفع صلاة الصبح والوتر صلاة المغرب فالشفع منها الركعتان الاوليان
والوتر الثالثة ۞ وقال ابن الزبير الشفع الحادي عشر والثاني عشر من ايام منى والوتر اليوم الثالث عشر
قال تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه ۞ وقال عطاء والضحاك الشفع عشر ذي الحجة
والوتر ايام منى الثلاثة ۞ وقيل الشفع والوتر ادم عليه السلام كان وترا فشفع بزوجته حواء رواه ابن ابي
نجيح وحكاه القشيري عن ابن عباس رضي الله عنه ۞ وفي رواية الشفع ادم وحواء والوتر هو الله تعالى ۞ وقيل
الشفع درجات الجنة وهي ثمان والوتر دركات النار وهي سبعة كانه اقسم بالجنة والنار قاله الحسين بن

الفضل ۞ وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر الكعبة ۞ وقال مقاتل بن حيان الشفع الايام والليالي والوتر الذي لا ليلة بعده
وهو يوم القيامة ۞ وقيل غير ذلك ۞ قال ابن الخطيب وكل هذه الوجوه محتملة والظاهر لا اشعار له بشيء من هذه الاشياء
على التعيين فان ثبت في شيء منها خبر عن الرسول عليه السلام او اجماع من اهل التاويل حكم بانه المراد وان لم يثبت
وجب ان يكون الكلام على طريقة الجواز لا على القطع ۞ ولقائل ان يقول اني احمل الكلام على الكل لان الالف واللام في الشفع
والوتر يفيد العموم **قوله** والليل اذا يسر ۞ هذا قسم خامس بعد ما اقسم بالليالي العشر على الخصوص اقسم بالليل
على العموم ومعنى يسر اي يسرى فيه كما يقال ليل نائم ونهار صائم قال الشاعر

لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ۞ ونمت وما ليل المطي بنائم ۞

ومنه قوله تعالى بل مكر الليل
والنهار هذا قول اكثر اهل المعاني وهو قول القتيبي والاخفش ۞ وقال اكثر المفسرين معنى يسري سار وذهب وقال
قتادة وابو العالية جاء واقبل ۞ وقيل المراد ينقص كقوله اذ ادبر اذا عسعس ويسر منصوب بمحذوف هو فعل القسم
اي اقسم به وقت سراه وحذف ياء يسري وقفا واثبتها وصلا نافع وابو عمرو واثبتها في الحالين ابن كثير وحذفها
في الحالين الباقون لسقوطها في خط المصحف الكريم واثباتها هو الاصل لانها لام فعل مضارع مرفوع وحذفها
لموافقة المصحف وموافقة رؤوس الاي وجريا للفواصل مجرى القوافي ومن فرق بين حالتي الوقف والوصل فلان
الوقف محل استراحة ۞ قال الزمخشري وياء يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف فتحذف مع
الكسرة وهذه الاسماء كلها مجرورة بالقسم والجواب محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك
بعاد الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب وقد تقدم الكلام على ذلك **قوله** هل في ذلك قسم لذي حجر قيل
هل على بابها من الاستفهام الذي معناه التقرير كقوله الم انعم عليك اذا كنت قد انعمت ۞ وقيل المراد بذلك التوكيد
لما اقسم به واقسم عليه ۞ والمعنى بل في ذلك مقنع لذي حجر ۞ ومعنى لذي حجر اي لذي لب وعقل قال الشاعر

وكيف يرجى ان تتوب وانما ۞ يرجى من الفتيان من كان ذا حجر ۞

وقال ابو مالك
لذي حجر اي لذي ستر من الناس ۞ وقال الحسن لذي حلم ۞ قال الفراء الكل يرجع الى معنى واحد لذي حجر ولذي عقل
ولذي حلم ولذي ستر الكل بمعنى العقل ۞ واصل الحجر المنع يقال لمن ملك نفسه ومنعها انه لذو حجر ومنه سمي
الحجر لامتناعه بصلابته ومنه حجر الحاكم على فلان اي منعه عن التصرف ولذلك سميت الحجرة حجرة لامتناع
ما فيها بها ۞ وقال الفراء العرب تقول انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها كانه اخذ من حجرت على الرجل
فصل والمعنى ان كان ذلك دالا على ان كل ما اقسم الله تعالى به من هذه الاشياء فيه عجائب ودلائل على التوحيد
والربوبية فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه ۞ قال القاضي وهذه الاية تدل على ان القسم واقع برب
هذه الامور لان الاية دالة على ان هذه مبالغة في القسم والمبالغة لا تحصل الا في القسم بالله تعالى ولان
النهي قد ورد بان يحلف العاقل بغير الله تعالى **قوله** الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ۞ قرا العامة بعاد مصروفا
ارم بكسر الهمزة وفتح الراء والميم فعاد اسم لرجل في الاصل ثم اطلق على القبيلة او الحي وقد تقدم الكلام عليه واما
ارم فقيل هو اسم قبيلة ۞ وقيل اسم مدينة ۞ واختلفوا في تعيينها فقيل اسكندرية ۞ وقيل دمشق وهذان القولان
ضعيفان لان منازل ۞ كانت من عمان الى حضرموت وهي بلاد الرمال والاحقاف واما الاسكندرية ودمشق
فليستا من بلاد الرمال فان كانت اسم قبيلة كانت بدلا او عطف بيان او منصوبة باضمار اعني وان كانت اسم مدينة فتعلق
الاعراب من عاد وتخريجه على حذف مضاف كانه قيل بعاد اهل ارم قاله الزمخشري وهو حسن ويبعد ان يكون بدلا من
عاد بدل اشتمال اذ لا ضمير وتقديره قلق وقد يقال انه لما كان المعنى بعاد مدينتهم لان ارم قائمة مقام ذلك صح البدل
وارم اسم جد عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قال زهير

واخرين بذي المادين عدنهم ۞ من نسج داود او ما اورثت ارم ۞

وقال قيس بن الرقيات

مجدا تليدا بناه اولوه له ۞ ادرك عادا وقبل ارما ۞

وقرا الحسن بعاد غير مصروف
قال ابو حيان مضافا الى ارم فجاز ان يكون ارم ابا او جدا او مدينة ۞ قال شهاب الدين يتعين ان يكون في قراءة الحسن
غير مضاف بل يكون كما كان منونا ويكون ارم بدلا او بيانا او منصوبا باضمار اعني ولو كان مضافا لوجب صرفه وانما منع
عاد اعتبارا بمعنى القبيلة او جاء على احد الجائزين في هند وبابه ۞ وقرا الضحاك في رواية بعاد ارم ممنوع الصرف
وفتح الهمزة من ارم كما قال مجاهد من قرا بفتح الهمزة شبههم بالارام التي هي الاعلام وعنه ايضا بفتح الهمزة وسكون
الراء وهو تخفيف ارم بكسر الراء وهي لغة في اسم المدينة كما قرئ بورقكم وهي قراءة ابن الزبير وعنه في عاد مع هذه
القراءة الصرف وتركه وعنه ايضا وعن ابن عباس ارم بفتح الهمزة والراء والميم مشددة جعلاه فعلا ماضيا يقال
ارم العظم اي بلي وارم ايضا وارمه غيره فافعل يكون لازما ومتعديا في هذا وذات على هذه القراءة مجرورة صفة
لعاد ويكون قد راعى لفظها تارة في قوله ارم فلم يلحق علامة تانيث ويكون ارم معترضا بين الصفة والموصوف

اي ارمت بي بمعنى رمت وبليت وهود عا عليهم ويجوز ان يكون فاعل ارم ضمير الباري تعالى والمفعول محذوف اي ارمها الله تعالى والجملة الدعائية معترضة ايضا وراعى معناها اخرى في ذات فانث وروى عن ابن عباس رضي الله عنه ذات بالنصب على انها مفعول بارم وفاعل ارم ضمير يعود على الله تعالى اي ارمها الله ويكون ارم بدلا من فعل ربك او تبيينا له وقرا ابن الزبير بعاد ارم باضافة عاد الى ارم مفتوح الهمزة مكسور الراء وقد تقدم انه اسم المدينة وقرا ارم ذات باضافة ارم الى ذات وروى عن مجاهد ارم بفتحتين مصدر ارم يارم اي هلك فعلى هذا يكون منصوبا بفعل ربك نصب المصدر التشبيهي والتقدير كيف اهلك ربك عادا اهلاكا ذات العماد وهذا اغرب الاقوال وذات العماد ان كان صفة لقبيلة فمعناه انهم اصحاب خيام طوال اعمدة يظعنون بها او هو كناية عن طول ابدانهم كقوله هم رفيع العماد طويل النجاد قاله ابن عباس رضي الله عنه وان كان صفة للمدينة فمعناه انها ذات عمد من الحجارة

قوله التي لم يخلق يجوز ان يكون نعتا لعاد وان يكون مقطوعا رفعا ونصبا والعامة على يخلق مبنيا للمفعول مثلها مرفوع على ما لم يسم فاعله وعن ابن الزبير يخلق مبنيا للفاعل مثلها منصوبة به وعنه ايضا نخلق بنون العظمة

فصل قال القرطبي من لم يضف جعل ارم اسم عاد ولم يصرفه لانه جعل عادا اسم ابيهم او اسم بلد ثم وتقديره بعاد اهل ارم كقوله تعالى واسئل القرية ولم يصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث والارم العلم اي بعاد اهل ذلك العلم وهذه الرؤية رؤية القلب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد عام وكان امر عاد وثمود عندهم مشهورا اذ كانوا في بلاد العرب وحجر ثمود موجود اليوم وامرهم عول يسمعونه من جيرانهم من اهل الكتاب واستفاض به الاخبار وبلاد عاد عول متصلة بارض العرب وقوله بعاد اي بقوم هود قال ابو هريرة كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصراع من حجارة لو اجتمع عليه خمسمائة من هذه الامة لم يستطيعوا ان يقلوه وارم قال ابن اسحق هو سام ابن نوح عليه السلام وعن ابن عباس وابن اسحق ايضا قال عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح عليه السلام قال ابن اسحق كان سام بن نوح له اولاد منهم ارم بن سام وارفخشذ بن سام فمن ولد ارم بن سام العمالقة والفراعنة والجبابرة والملوك الطغاة والعصاة وقال مجاهد ارم امة من الامم وعنه ايضا ان معنى ارم القديمة وعنه ايضا القوية وقال قتادة هي قبيلة من عاد وقيل هما عادان فالاولى هي ارم قال تعالى وانه اهلك عادا الاولى فقيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخرى قال ابن الرقيات

مجدا تليدا بناه اولهم ... ادرك عادا وقبله ارما

وقال معمر ارم اليه يجمع عاد وثمود وكانت القبائل تنتسب الى ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد قال ابن عباس في رواية عطا كان الرجل منهم طوله خمسمائة ذراع والقصير منهم طوله ثلاثمائة ذراع بذراع نفسه وعن ابن عباس ايضا ان طول الرجل منهم كان سبعون ذراعا قال ابن العربي وهو باطل لان في الصحيح ان الله تعالى خلق ادم عليه السلام طوله ستون ذراعا في الهوا فلم يزل الخلق ينقص الى الان وزعم قتادة ان طول الرجل منهم اثنى عشر ذراعا قال ابو عبيدة ذات العماد ذات الطول يقال رجل معمد اذا كان طويلا ونحوه عن ابن عباس ومجاهد وعن قتادة كانوا عمادا لقومهم يقال فلان عميد القوم وعمودهم اي سيدهم وعنه ايضا كانوا اهل خيام واعمدة ينتجعون الغيوث ويطلبون الكلا ثم يرجعون الى منازلهم وقيل المعنى ذات الابنية المرفوعة على العمد وكانوا ينصبون الاعمدة فيبنون عليها القصور وقال ابن زيد ذات العماد يعني احكام البنيان بالعمد قال الجوهري العماد الابنية الرفيعة تذكر وتؤنث والواحدة عمادة وقال الضحاك ذات العماد اي ذات الشدة والقوة ماخوذ من قوة الاعمدة بدليل قوله تعالى وقالوا من اشد منا قوة

فصل والضمير في مثلها يرجع الى القبيلة اي لم يخلق مثل القبيلة في البلاد قوة وشدة وعظم اجساد وعن الحسن وغيره وفي حرف عبد الله التي لم يخلق مثلهم في البلاد وقيل يرجع الى المدينة وقيل يرجع الى العماد وعلى هذا فالعماد جمع عمد وهي الاساطين والاول اظهر وعليه الاكثر

فصل قال القرطبي روى عن مالك رضي الله عنه ان كتابا وجد بالاسكندرية فلم يدر ما فيه فاذا فيه انا شداد بن عاد الذي رفع العماد بنيتها حين لا شيب ولا موت قال مالك ان كان ليمر بهم مائة سنة لا يرون فيها جنازة وروى انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحارى عدن في ثلاثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار فلما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما هناك وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من

المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال وهذا والله ذلك الرجل

فصل ذكر الله تعالى ههنا قصة ثلاث فرق من الكفار المتقدمين وهم عاد وثمود وقوم فرعون على سبيل الاجمال حيث قال تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب ولم يبين كيفية ذلك العذاب وبين في سورة الحاقة ما ابهم في هذه السورة فقال تعالى فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية الى قوله وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة

قوله وثمود قرا العامة بمنع الصرف وابن وثاب بصرفه كما تقدم والذين يجوز فيه ما تقدم في التي لم يخلق وجابوا اي قطعوا ومنه فلان يجوب البلاد اي يقطعها سيرا قال

ولا رايت قلوصا قبلها حملت ... ستين وسقا ولا جابت به بلدا

وجاب الشيء يجوبه اي قطعه ومنه سمي جيب القميص لانه جيب اي قطع وخرق وجوبا

قوله بالواد متعلق اما بجابوا اي فيه واما بمحذوف على انه حال من الصخر او من الفاعلين واثبت في الحالين ابن كثير وورش بخلاف عن قنبل فروى عنه اثباتها في الحالين وروى عنه اثباتها في الوصل خاصة وحذفها الباقون في الحالين موافقة لخط المصحف ومراعاة للفواصل كما تقدم في يسر

فصل قال ابن عباس كانوا يجوبون البلاد ويجعلون من الجبال بيوتا لقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول من نحت من الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وقوله تعالى بالواد قال مقاتل بواد القرى وهو على فرس اشقر فقال اسرعوا فانكم في واد ملعون وقيل الوادي بين جبال وكل منفرج بين جبال وتلال يكون مسلكا للسيل ومنفذا فهو واد

قوله وفرعون ذي الاوتاد اي الجنود والعساكر والجموع قاله ابن عباس وسمي ذي الاوتاد لكثرة مضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا وقيل ذي الاوتاد اي ذي الملك الثابت كقوله

في ظل ملك راسخ الاوتاد

وقيل كان يشد الناس بالاوتاد الى ان يموتوا تجبرا منه وعتوا كما فعل بامراته اسية وماشطتها وقال عبد الرحمن بن زيد كانت له صخرة ترفع بالبكرات ثم يؤخذ الانسان فيوتد له اوتاد الحديد ثم يرسل تلك الصخرة عليه وروى قتادة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان تلك الاوتاد كانت ملاعب يلعبون تحتها

قوله الذين طغوا يجوز فيه ما جاز في الذين قبله من الاتباع والقطع على الذم قال ابن الخطيب يحتمل ان يرجع الضمير الى فرعون خاصة لانه يليه ويحتمل ان يرجع الى جميع ما تقدم ذكرهم وهو الاقرب والاحسن الوجوه في اعرابه ان يكون في محل النصب على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا ومجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون

فصل الذين طغوا يعني عادا وثمود وفرعون طغوا اي تمردوا وعتوا وتجاوزوا القدر في الظلم والعدوان ثم فسر تعالى طغيانهم بقوله فاكثروا فيها الفساد قال الكلبي القتل والمعصية لله تعالى قال القفال والجملة ان الفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فمن عمل بغير امر الله وحكم في عباده بالظلم فهو مفسد

قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب صب اي افرغ عليهم والقى يقال صب على فلان خلعة اي القاها عليه قال النابغة

فصب عليه الله احسن صنعه ... وكان له بين البرية ناصر

وقوله تعالى سوط عذاب اي نصيب عذاب وقيل شدته لان السوط كان عندهم نهاية ما يعذب به قال

الم تر ان الله اظهر دينه ... وصب على الكفار سوط عذاب

والسوط هو الالة المعروفة قيل سمي سوطا لانه يساط به اللحم عند الضرب اي يختلط قال كعب بن زهير

لكنها خلة قد سيط من دمها ... فجع وولع واخلاف وتبديل

وقال اخر

احارث انا لو تساط دماؤنا ... تزايلن حتى لا يمس دم دما

وقيل هو في الاصل مصدر ساطه يسوطه سوطا ثم سميت به الالة وقال ابو زيد اموالهم بينهم سويطة اي مختلطة فهو سايط فالسوط خلط الشيء بعضه ببعض ومنه سمي المسواط وسوطه اي خلطه ويقال سوط فلان امره قال

فسطها ذميم الراي غير موفق ... فلست على تسويطها بمعان

وقال الفراء هي كلمة تقولها العرب لكل نوع من انواع العذاب واصل ذلك ان السوط هو عذابهم الذي يعذبون به فجرى لكل عذاب اذا كان فيه غاية العذاب وقال الزجاج اي جعل سوطهم الذي ضربهم به العذاب يقال ساط دابته يسوطها اي ضربها بسوطه وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الاية قال ان الله تعالى عنده اسواط كثيرة فاخذهم بسوط منها وقال قتادة كل شيء عذب الله تعالى به فهو سوط عذاب واستعمال الصب في السوط استعارة بليغة شايعة في كلامهم قال القاضي وشبهه بصب السوط الذي يتواتر على المضروب فيهلكه

قوله ان ربك لبالمرصاد اي يرصد عمل كل انسان حتى يجازيه به قاله الحسن وعكرمة والمرصاد كالمرصد وهو المكان الذي يترقب فيه الرصد جمع راصد كحرس فالمرصاد مفعال من رصده كميقات من وقته قاله الزمخشري وجوز ابن عطية في المرصاد ان يكون اسم فاعل قال كانه قيل لبالمرصاد فعبر ببناء المبالغة ورده ابو حيان بانه لو كان كذلك لم تدخل عليه الباء اذ ليس هو في موضع دخولها لا زائدة ولا غير زائدة قال شهاب الدين قد وردت زيادتها في خبر ان كهذه الاية وفي قول امرئ القيس

فانك مما احدثت بالمجرب ، الا ان هذه ضرورة لا يقاس عليه الكلام فضلا عن افصحه

فصل تقدم الكلام في المرصاد عند قوله تعالى كانت مرصادا او هذا امثل في لارصاده العصاة بالعقاب بانهم لا يفوتونه كما قيل لبعض العرب اين ربك فقال بالمرصاد ، وقال الفراء معناه اليه المصير ، وقال الزجاج يرصد من كفر به وعاند طاعته بالعذاب ، وقال الضحاك يرصد اهل الظلم والمعصية **قوله** فاما الانسان ، اما مبتدا وفي خبرها وجهان اصحهما انه الجملة من قوله فيقول كقوله تعالى فاما الذين امنوا فيعلمون كما تقدم والظرف حينئذ منصوب بالخبر لانه في نية التاخير ولا يمنع الفاء من ذلك قاله الزمخشري وغيره ، والثاني اذا الشرطية وجوابها فيقول وقوله تعالى فاكرمه معطوف على ابتلاه والجملة الشرطية خبر الانسان قاله ابو البقاء وفيه نظر لانه يلزم الفاء في الجملة الواقعة خبرا عما بعدها ولا يخلف الا مع قول مضمر كقوله تعالى واما الذين اسودت كما تقدم الا في ضرورة قال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله تعالى فاما الانسان قلت بقوله ان ربك لبالمرصاد فكانه قيل ان الله تعالى لا يريد من الانسان الا الطاعة فاما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة انتهى يعني بالتعليق من حيث المعنى وكيف عطفت هذه الجملة التفصيلية على ما قبلها مترتبة عليه ، وقوله لا يريد الا الطاعة على مذهب المعتزلة ومذهب اهل السنة ان الله تعالى يريد الطاعة وغيرها ولولا ذلك لم يقع ثم من لا يدخل في ملكه ما لا يريد واصلاح العبارة ان تقول ان الله يريد من العبد والانسان من غير حصر ، ثم قال فان قلت فكيف توازن قوله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه وقوله واما اذا ما ابتلاه وحق التوازن ان يتقابل الواقعان بعد اما واما تقول اما الانسان فكفور واما الملك فشكور ، اما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اسات اليه فهو مسيء اليك قلت هما متوازنان من حيث ان التقدير واما هو اذا ما ابتلاه وذلك ان قوله فيقول ربي اكرمني خبر المبتدا الذي هو الانسان ودخول الفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر في نية التاخير كانه قال فاما الانسان فقائل ربي اكرمني وقت الابتلاء فوجب ان يكون فيقول الثاني خبر المبتدا واجب تقديره

فصل قال ابن عباس المراد بالانسان عتبة بن ربيعة وابا حذيفة بن المغيرة ، وقيل امية بن خلف وقيل ابي بن خلف اذا ما ابتلاه ربه امتحنه واختبره بالنعمة وما زائدة صلة فاكرمه ونعمه بالمال ونعمه بما اوسع عليه فيقول ربي اكرمن فيفرح بذلك ولا يحمده ، واما اذا ما ابتلاه اي بمحنة بالفقر واختبره فقدر اي ضيق عليه رزقه على مقدار البلغة فيقول ربي اهانن اولاني هوانا وهذه صفة الكافر الذي لا يؤمن بالبعث وانما الكرامة عنده والهوان بكثرة المال والحظ في الدنيا ، فاما المؤمن فالكرامة عنده ان يكرمه الله تعالى بطاعته وتوفيقه المؤدي الى حظ الاخرة وان وسع عليه في الدنيا حمده وشكره ، قال القرطبي الايتان صفة كل كافر وكثير من المسلمين يظن ان ما اعطاه الله لكرامته وفضيلته عند الله وربما يقول بجهله لو لم استحق هذا لم يعطني الله وكذا ان قتر عليه يظن ان ذلك لهوانه على الله **قوله** فقدر عليه ، قرا ابن عامر بتشديد الدال والباقون بتخفيفها وهما لغتان بمعنى واحد ومعناهما التضييق ، قال القرطبي والاختيار التخفيف لقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، وقال ابو عمرو قدر بالتخفيف اي قتر وقدر مشددا اعطاه ما يكفيه ولو فعل به ذلك ما قال ربي اهانن **قوله** اكرمني اهانني قرا نافع باثبات يائهما وصلا وحذفهما وقفا من غير خلاف عنه والبزي عن ابن كثير وابن محيصن ويعقوب اثباتهما في الحالين لانهما اسم فلا يحذف ، واختلف عن ابي عمرو في الوصل فروي عنه الاثبات والحذف والباقون بحذفهما في الحالين وعلى الحذف قوله

ومن كاشح ظاهر غمره ، اذا ما انتسبت له انكرن

يريد انكرني ولانها وقعت في الموضعين بغير ياء والسنة لا تخالف خط المصحف لانه اجماع الصحابة رضي الله عنهم ، وقال الزمخشري فان قلت هلا قال فاهانه وقدر عليه رزقه كما قال فاكرمه ونعمه قلت لان البسط اكرام من الله لعبده بانعامه عليه متفضلا من غير سابقة ، واما التقدير فليس باهانة له لان الاخلال بالتفضل لا يكون اهانة كما اذا اهدى لك زيد هدية تقول اكرمني فاذا لم يهد لك شيئا لا يكون مهينا لك ، واجاب ابن الخطيب عن هذا السؤال بانه في قوله اكرمن صادق وفي قوله اهانن غير صادق فهو ظن ان قلة الدنيا وتقتيرها اهانة وهذا جهل واعتقاد فاسد فكيف يحكي الله تعالى ذلك عنه **فان قيل** لما قال فاكرمه فقد صح انه اكرمه ثم انه لما حكى عنه انه قال ربي اكرمن ذمه عليه فكيف الجمع بينهما **فالجواب** ان كلمة الانكار كلا فلم لا يجوز ان يقال انها مختصة بقوله تعالى ربي اهانن سلمنا ان الانكار عائد اليهما معا لكن يمكن ان يكون الذم لانه اعتقد ان ذلك الاكرام بالاستحقاق او انه لما لم يعترف الا عند سعة الدنيا مع سبق النعم عليه من الصحة والعقل دل على ان غرضه من ذلك الشكر ليس نفس الشكر بل محبة الدنيا والتكثير بالاموال والاولاد او لان كلامه يقتضي الاعراض عن الاخرة وانكار البعث كما حكى الله تعالى بقوله تعالى ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا الى قوله اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة **قوله** كلا ردع للانسان عن تلك المقالة قال ابن عباس

رضي الله عنه المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضاء والقدر والمشيئة والحكم المنزه عن التعليل وهذا مذهب اهل السنة ، واما على مذهب المعتزلة فلمصالح خفية لا يطلع عليها الا هو سبحانه فقد يوسع على الكافر لا لكرامته ويقتر على المؤمن لا لهوانه ، وقال القرافي هذا الموضع يعني لم يكن للعبد ان يكون هكذا ولكن بحكم الله تعالى على الغنى والفقر **قوله** بل لا يكرمون اليتيم ، قرا ابو عمرو يكرمون وما بعده بالغيبة حملا على معنى الانسان المتقدم اذ المراد به الجنس والجنس في معنى الجمع والباقون بالتاء في الجميع خطابا للانسان المراد به الجنس على طريقة الالتفات

فصل لما حكى اقوالهم فكانه قال بل لهم فعل اشر من هذا القول وهو ان الله تعالى يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم فقرعهم بذلك ووبخهم ، واما ترك اكرام اليتيم فبدفعه عن حقه واكل ماله فقال مقاتل نزلت في قدامة بن مظعون وكان يتيما في حجر امية بن خلف وكان يدفعه عن حقه **قوله** ولا تحاضون على طعام المسكين ، قرا الكوفيون تحاضون والاصل تتحاضون فحذف احدى التاءين اي لا يحض بعضكم بعضا وروي عن الكسائي تحاضون بضم التاء وهي قراءة زيد بن علي وعلقمة اي تحاضون انفسكم والباقون تحضون من حضه على كذا اي اغراه به ومفعوله محذوف اي لا تحضون انفسكم ولا غيرها ويجوز ان لا يقدر اي لا توقعون الحض **قوله** على طعام ، متعلق بتحضون وطعام يجوز ان يكون على اصله من كونه اسما للمطعوم ويكون على حذف مضاف اي على بذل او على اعطاء الطعام وان يكون اسم مصدر بمعنى الاطعام كالعطا بمعنى الاعطاء فلا حذف حينئذ

فصل اعلم ان ترك اكرام اليتيم على وجوه ، احدها ترك بره واليه الاشارة بقوله تعالى ولا تحضون على طعام المسكين ، والثاني دفعه عن حقه واكل ماله واليه الاشارة بقوله تعالى وتاكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما **قوله** وتاكلون التراث اكلا لما ، التاء في التراث بدل من الواو لانه من الوراثة ومثله تولج وتوراة وتخمة وقد تقدم كما قالوا تجاه وتكلاة وتالله ونحو ذلك ، والتراث ميراث اليتامى ، وقوله تعالى اكلا لما اللم الجمع الشديد يقال لممت الشيء لما اذا جمعته جمعا قال الحطيئة

اذا كان لما يتبع الذم ربه ، فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا

ولممت شعثه من ذلك قال النابغة

ولست بمستبق اخا لا تلمه ، على شعث اي الرجال المهذب

واللم الكثير ومنه جمة المال قال زهير

فلما وردن الماء زرقا جمامه ،

ومنه الجمة للشعر وقولهم جاؤوا الجماء الغفير وذلك وكتيبة ملمومة وحجر ملموم وقولهم ان الدار لملمومة اي تلم الناس وتجمعهم والاكل يلم الثريد فيجمعه لقما ثم ياكله ، قال الحسن ياكلون نصيبهم ونصيب صاحبهم فيجمعون نصيب غيرهم الى نصيبهم ، وقيل ان المال الذي يخلفه الميت بعضه حلال وبعضه شبهة وبعضه حرام فالوارث يلم الكل اي يجمع البعض الى البعض وياخذ الكل وياكله قال الزمخشري يجوز ان يكون الذم متوجها الى الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف في انفاقه وياكله اكلا لما جامعا بين الوان المشتهيات ، وقال ابن زيد كان اهل الشرك لا يورثون النساء ولا الصبيان بل ياكلون ميراثهم مع تراثهم **قوله** وتحبون المال حبا جما ، اي كثيرا حرامه وحلاله والجم الكثير يقال جم الشيء يجم جموما فهو جم وجام ومنه جم الماء في الحوض اذا اجتمع وكثر ، والجمة المكان الذي يجتمع فيه ماؤه والجموم البئر الكثيرة الماء والجموم بالضم المصدر يقال جم الماء يجم جموما اذا كثر في البئر واجتمع ، والمعنى يحبون المال كثيرا شديدا **قوله** كلا ، ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم اي ما هكذا ينبغي ان يكون الامر فهو ردع لانكبابهم على الدنيا وجمعهم لها **قوله** اذا دكت الارض دكا دكا ، في دكا وجهان احدهما انه مصدر مؤكد ودكا الثاني تاكيد للاول تاكيدا لفظيا كذا قاله ابن عصفور وليس المعنى على ذلك ، والثاني انه نصب على الحال والمعنى مكررا عليها الدك كقولك علمته الحساب بابا بابا وعلمته خطه حرفا حرفا وهذا ظاهر قول الزمخشري ، وكذلك صفا صفا حال ايضا اي مصطفين او ذوي صفوف كثيرة ، قال الخليل الدك كسر الحائط والجبل ، والدكداك رمل متلبد ورجل مدك شديد الوطء على الارض ، وقال المبرد الدك حط المرتفع بالبسط ، واندك سنام البعير اذا انفرش في ظهره وناقة دكاء كذلك ومنه الدكان لاستوائه في الانفراش فمعنى الدك على قول الخليل كسر شيء على وجه الارض من جبل او حجر حين زلزلت فلم يبق على ظهرها شيء وعلى قول المبرد معناه انها استوت في الانفراش فذهبت دورها وقصورها حتى صارت كالصخرة الملساء وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما تمد الارض يوم القيامة مد الاديم ، قال ابن الخطيب وهذا التدكدك لا بد وان يكون متاخرا عن الزلزلة بعد زلزلة فتنكسر الجبال وتنهدم وتمتلي الاغوار وتصير ملساء وذلك عند انقضاء الدنيا **قوله** وجاء ربك والملك صفا صفا ، اي جاء امره وقضاؤه قاله الحسن وهو من باب حذف المضاف ، وقيل جاءهم الرب بالايات كقوله تعالى الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام اي بظلل وقيل جعل مجيء الايات مجيئا له تفخيما لشان تلك الايات كقوله تعالى في الحديث يا ابن ادم مرضت فلم تعدني واستسقيتك فلم تسقني واستطعمتك فلم تطعمني وقيل زالت الشبه وارتفعت الشكوك وصارت المعارف ضرورية كما تزول الشبه والشكوك عند مجيء الشيء الذي كان يشك فيه ، وقيل جاء قهر ربك كما تقول جاءتنا بنو امية اي قهرهم قال اهل الاشارة ظهرت قدرته

والسكون والله تعالى لا يوصف بالتحول من مكان الى مكان وانى له التحول والانتقال ولا مكان له ولا اوان ولا يجرى عليه
وقت ولا زمان لان فى جريان الوقت على الشئ فوات الاوقات ومن فاته شئ فهو عاجز، واما قوله تعالى والملك صفا
صفا اى والملائكة صفا بعد صف محدقين بالجن والانس **قوله** وجئ يومئذ بجهنم، يومئذ منصوب بجئ والقائم مقام
الفاعل بجهنم، وجوز مكى ان يكون يومئذ قائما مقام الفاعل، واما يومئذ الثانى فقيل بدل من اذا دكت والعامل فيهما
يتذكر قاله الزمخشرى وهذا مذهب سيبويه وهو ان العامل فى اذا دكت يقول والعامل فى يومئذ يتذكر قاله ابو البقا
فصل قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام معه سبعون الف ملك يجرونها
حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير رواه مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود مرفوعا، وقال ابو سعيد
الخدرى لما نزلت وجئ يومئذ بجهنم تغير لون رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف فى وجهه حتى اشتد على اصحابه
ثم قال اقرانى جبريل عليه السلام كلا اذا دكت الارض دكا دكا الاية وجئ يومئذ بجهنم قال على رضى الله عنه قلت
يا رسول الله كيف يجاء بها قال يؤتى بها تقاد بسبعين الف زمام يقود بكل زمام سبعون الف ملك فتشرد شردة
لو تركت لاحرقت اهل الجمع ثم تعرض لى جهنم فتقول ما لى ولك يا محمد ان الله تعالى قد حرم لحمك على فلا يبقى احد الا قال نفسى
نفسى الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه يقول رب امتى امتى، وقال ابن الخطيب قال الاصوليون معلوم ان جهنم
لا تنتقل من مكانها ومعنى وبرزت اظهرت حتى يراها الخلق وعلم الكافر ان مصيره اليها **قوله** يومئذ يتذكر الانسان
تقدم الكلام فى اعراب يومئذ، والمعنى يتعظ الكافر ويتوب او من همته الدنيا، وقيل يتذكر ان ذلك كان حقا وانى له الذكرى
اى ومن اين له الاتعاظ والتوبة وقد فرطها فى الدنيا، وقيل ومن اين له منفعة الذكرى فلا بد من تقدير حذف
مضاف والا فبين يتذكر وبين وانى له الذكرى تناف قاله الزمخشرى **قوله** وانى خبر مقدم والذكرى مبتدأ
مؤخر وله متعلق بما تعلق به الظرف **قوله** يقول يا ليتنى قدمت لحياتى، اى فى حياتى فاللام بمعنى فى، وقيل
اى قدمت عملا صالحا لحياتى اى لحياة لا يموت فيها وقيل حياة اهل النار ليست هنيئة فكانهم لا حياة لهم فالمعنى
يا ليتنى قدمت من الخير لحياتى فى النار فاكون ممن له حياة هنيئة **فصل** استدلت المعتزلة بهذه الاية
على ان الاختيار كان فى ايديهم وقصدهم وارادتهم وانهم ما كانوا محجورين عن الطاعات مجبرين على المعاصى والجواب
ان فعلهم كان معلقا بقصد الله تعالى فبطل قولهم **قوله** فيومئذ لا يعذب عذابه احد، قرا الكسائى لا يعذب
ولا يوثق مبنيين للمفعول ورواه ابن قلابة عن النبى صلى الله عليه وسلم بفتح الذال والثاء والباقون
قرؤوهما مبنيين للفاعل، فاما قراءة الكسائى فاسند الفعل فيها الى احد وحذف الفاعل للعلم به وهو الله تعالى والزبانية
المتولون العذاب بامر الله واما عذابه ووثاقه فيجوز ان يكون المصدر ان مضافين للفاعل والضمير لله تعالى
او مضافين للمفعول والضمير للانسان ويكون عذاب واقعا موقع تعذيب، والمعنى لا يعذب احد تعذيبا
مثل تعذيب الله تعالى هذا الكافر ولا يوثق احد توثيقا مثل ايثاق الله اياه بالسلاسل والاغلال ولا يعذب احد
مثل تعذيبا الكافر ولا يوثق مثل ايثاقه لكفره وعناده والوثاق بمعنى الايثاق كالعطا بمعنى الاعطا الا ان فى اعمال اسم المصدر
عمل مسماه خلافا مضطربا فنقل عن البصريين المنع وعن الكوفيين الجواز ونقل العكس عن الفريقين ومن الاعمال
قوله ، اكفرا بعد رد الموت عنى ، وبعد عطائك المائة الرتاعا ، ومن منع نصب المائة بفعل
مضمر واصرح من هذا قوله ، قال كلا منها اشفا المائتيا ، وقيل المعنى ولا يحمل عذاب الانسان احد كقوله
تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى قاله الزمخشرى، واما قراءة الباقين فانه اسند الفعل لفاعله والضمير
فى عذابه ووثاقه يحتمل عوده على البارى تعالى بمعنى انه لا يعذب فى الدنيا مثل عذاب الله تعالى يومئذ
احد اى ان عذاب من يعذب فى الدنيا ليس كعذاب الله تعالى يوم القيامة كذا قاله ابو عبد الله وفيه
نظر من حيث انه يلزم ان يكون يومئذ معمولا للمصدر التشبيهى وهو ممتنع لتقدمه عليه الا ان يقال
يتوسع فيه وقيل المعنى لا يكل عذابه ولا وثاقه لاحد لان الامر لله تعالى وحده فى ذلك، وقيل المعنى انه فى الشدة
والفظاعة فى حيز لم يعذب احد قط فى الدنيا مثله، ورد هذا بان لا اذا دخلت على المضارع صيرته
مستقبلا واذا كان مستقبلا لم يطابق هذا المعنى ولا يطلق على الماضى الا بمجاز بعيد وبان يومئذ المراد به
يوم القيامة لا دار الدنيا، وقيل المعنى انه لا يعذب احد فى الدنيا مثل عذاب الله الكافر فيها الا ان هذا مردود
بما رد ما قبله ويحتمل عوده على الانسان بمعنى لا يعذب احد من زبانية العذاب مثل ما يعذبون هذا الكافر
او يكون المعنى لا يحمل احد عذاب الانسان لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى، وهذه الاوجه صعبة
المرام على طالبها من غير هذا الكتاب، وقرا نافع فى رواية وابو جعفر وشيبة بخلاف عنهما ووثاقه بكسر
الواو والمراد بهذا الكافر المعذب قيل ابليس لعنه الله عليه لانه اشد الناس عذابا، وقال الفراء هو امية
ابن خلف **قوله** يا ايتها النفس المطمئنة، قرا العامة يا ايتها بالتانيث، وقرا زيد بن على يا ايها

كذا المذكر ولم يجوز ذلك احد الا صاحب البديع وهذه شاهد له وله وجه وهو انها كما لم تطابق صفتها تثنية
وجمعا جاز ان لا يطابقها تانيثا تقول يا ايها الرجلان يا ايها الرجال **فصل** لما وصف حال من اطمأن
الى الدنيا وصف حال من اطمأن الى معرفته وعبوديته وسلم امره الى الله تعالى قيل هذا الكلام البارى تعالى
اكراما له كما كلم موسى عليه السلام، وقيل هو من قول الملائكة لاولياء الله تعالى قال مجاهد وغيره المطمئنة
الساكنة الموقنة ايقنت ان الله تعالى ربها فاجابت لذلك، وقال ابن عباس المطمئنة بثواب الله وعن الحسن
رضى الله عنه المؤمنة الموقنة، وعن مجاهد ايضا الراضية بقضاء الله تعالى، وقال مقاتل الامنة من عذاب
الله تعالى وفى حرف ابى بن كعب يا ايتها النفس الامنة المطمئنة، وقيل التى عملت على يقين بما وعد الله تعالى فى كتابه
وقال ابن كيسان المطمئنة هنا المخلصة، وقيل المطمئنة بذكر الله تعالى لقوله تعالى الذين امنوا وتطمئن قلوبهم
بذكر الله، وقيل المطمئنة بالايمان المصدقة بالبعث والثواب، وقال ابن زيد المطمئنة التى بشرت بالجنة عند
الموت او عند البعث ويوم الجمع **قوله** ارجعى الى ربك راضية مرضية اى ارجعى الى صاحبك وجسدك قاله ابن عباس وعكرمة
وعطاء واختاره الطبرى يدل عليه قراءة ابن عباس فادخلى فى عبدى على التوحيد، وقال الحسن ارجعى الى ثواب ربك وقال
ابو صالح ارجعى الى الله وهذا عند الموت، وقوله تعالى راضية مرضية حالان اى جامعة بين الوصفين لانه لا يلزم
من احدهما الاخر، والمعنى راضية بالثواب مرضية عنك فى الاعمال التى عملتها فى الدنيا **فصل** قال القفال
هذا وان كان امرا فى الظاهر فهو خبر فى المعنى والتقدير ان النفس اذا كانت مطمئنة رجعت الى الله تعالى وقال الله تعالى
فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى قال ومجئ الامر بمعنى الخبر كثير فى كلامهم كقولهم اذا لم تستح فاصنع ما شئت **فصل**
قال سعيد بن زيد قرا رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم يا ايتها النفس فقال ابو بكر رضى الله عنه ما احسن هذا
يا رسول الله فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملك سيقولها لك يا ابا بكر، وقال سعيد بن جبير مات ابن
عباس بالطائف فجاء طائر لم ير على خلقته طائر قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الاية على شفير
القبر لا يدرى من تلاها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية، وروى الضحاك انها نزلت فى عثمان
ابن عفان رضى الله عنه حين وقف بئر رومة، وقيل نزلت فى خبيب بن عدى الذى صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه
الى المدينة فحول الله وجهه للقبلة **قوله** فادخلى فى عبادى، يجوز ان يكون فى جسد عبادى ويجوز ان يكون المعنى
فى زمرة عبادى وقرا ابن عباس وعكرمة وجماعة فى عبدى والمراد الجنس وتعدى الفعل الاول بفى لان الظرف
ليس بحقيقى نحو دخلت فى غمار الناس وتعدى الثانى بنفسه لان الظرفية متحققة كذا قيل وهذا انما يتاتى على احد
الوجهين وهو ان المراد بالنفس بعض المؤمنين وانه امر بالدخول فى زمرة عباده، واما اذا كان المراد بالنفس الروح وانها
مامورة بدخولها فى الاجساد فالظرفية متحققة فيه ايضا **فصل** قال ابن عباس هذا يوم القيامة وهو قول
الضحاك والجمهور على ان المراد بالجنة دار الخلود التى هى سكن الابرار ودار الصالحين والاخيار ومعنى فى عبادى اى فى
الصالحين كقوله تعالى لندخلنهم فى الصالحين، قال ابن الخطيب ولما كانت الجنة الروحانية غير متراخية عن الموت
فى حق السعداء لا جرم قال تعالى فادخلى فى عبادى بفاء التعقيب ولما كانت الجنة الجسمانية لا يحصل الكون فيها الا بعد
قيام القيامة الكبرى لا جرم قال تعالى وادخلى جنتى بالواو والله تعالى اعلم، روى الثعلبى عن ابى رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والفجر وليال عشر غفر الله له ومن قراها فى سائر الايام كانت له نورا
، يوم القيامة والله تعالى اعلم ،

سورة البلد

قوله بسم الله الرحمن الرحيم وهى عشرون اية واثنتان وثمانون كلمة، وثلاث مائة وعشرون حرفا
لا اقسم بهذا البلد يجوز ان تكون لا زائدة كما تقدم فى لا اقسم بيوم القيامة قاله الاخفش اى اقسم لانه قال وهذا
البلد وقد اقسم به فى قوله تعالى وهذا البلد الامين فكيف يجحد القسم وقد اقسم به سبحانه قال الشاعر
، تذكرت ليلى فاعترتنى صبابة ، وكاد صميم القلب لا يتقطع ، اى يتقطع ودخل حرف لا
صلة لقوله تعالى ما منعك ان لا تسجد وقد قال تعالى فى سورة ص ما منعك ان تسجد، وقرا الحسن والاعمش وابن كثير
لاقسم من غير الف بعد اللام اثباتا واجاز الاخفش ايضا ان تكون بمعنى الا، وقيل ليست بنفى القسم وانما كقول العرب
لا والله لا فعلت كذا ولا والله ما كان كذا ولا والله لافعلن كذا، وقيل هى نفى صحيح والمعنى لا اقسم بهذا البلد اذا لم تكن
فيه بعد خروجك منه حكاه مكى ورواه ابن ابى نجيح عن مجاهد قال لا رد عليهم وهذا اختيار ابن العربى لانه قال واما
من قال انها رد فهو قول ليس له رد لانه يصح به المعنى ويتمكن اللفظ والمراد فهو رد الكلام من انكر البعث ثم ابتدا القسم

وقال القشيري قوله لا رد لما توهم الانسان المذكور في هذه السورة المغرور في الدنيا اي ليس الامر كما يحسبه من انه لن يقدر
عليه احد ثم ابتدأ القسم واجمعوا على ان المراد بالبلد مكة المشرفة اي اقسم بالبلد الحرام الذي انت فيه لكرامتك علي وحبي
لك **قوله** وانت حل بهذا البلد فيه وجهان احدهما ان الجملة اعتراضية على احد معنيين اما على معنى انه تعالى اقسم
بهذا البلد وما بعده على ان الانسان في كبد واعترض بينهما بهذه الجملة يعني ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك
يستحل بهذا البلد كما يستحل الصيد في غير الحرم واما على معنى انه اقسم ببلدك على ان الانسان لا يخلو من مقاساة
الشدائد واعترض بان وعدك فتح مكة تتميما للتسلية فقال تعالى وانت حل به فيما يستقبل تصنع فيه ما تريد
من القتل والاسر بمعنى حلال قال معناه الزمخشري ثم قال فان قلت اين نظير قوله تعالى وانت حل في معنى الاستقبال
قلت قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الاكرام والحباء انت مكرم محبو وهو في
كلام الله تعالى اوسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال
وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق مكية واين الهجرة وقت نزولها فما بال الفتح الثاني من الوجهين
ان الجملة حالية اي لا اقسم بهذا البلد وانت حل بها لعظم قدرك اي لا نقسم بشيء وانت احق بالاقسام بك منه وقيل
المعنى لا اقسم به وانت مستحل فيه اي مستحل اذاك **فصل** اجمع المفسرون على ان ذلك البلد مكة وفضلها
معروف فانه تعالى جعله حرما امنا وقال تعالى ومن دخله كان امنا وجعل مسجده قبلة لاهل المشرق والمغرب
وقال تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وامر الناس بحج البيت فقال ولله على الناس حج البيت وقال تعالى
واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقال تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت وقال تعالى يأتوك رجالا
وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق وشرف مقام ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى وحرم صيده وجعل البيت المعمور بازائه ودحيت الارض من تحته فهذه الفضائل واكثر منها لما اجتمعت في مكة لا جرم
اقسم الله تعالى بها **فصل** روى منصور عن مجاهد وانت حل قال ما صنعت فيه من شيء فانت في حل وكذا قال
ابن عباس احله يوم دخل مكة ان يقتل من شاء فقتل ابن خطل ومقيس بن صبابة وغيرهما ولم يحل لاحد من الناس
ان يقتل بها احدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال السدي انت في حل ممن قاتلك ان تقتله وروى ابو
صالح عن ابن عباس قال احلت له ساعة من النهار ثم حرمت الى يوم القيامة وذلك فتح مكة قال ابن زيد لم يكن
بها احد حلالا غير النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معناه وانت مقيم فيه وهو محلك اي من اهل مكة نشأت بينهم
ويعرفون فضلك وطهارتك لقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم وقيل انت فيه محسن وانا عنك فيه راض وذكر
اهل اللغة يقال رجل حل وحلال ومحل ورجل حرم وحرام ومحرم وقال قتادة وانت حل به اي لست باثم وقيل معناه
انك غير مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه معرفة منك بحق هذا البيت لا كالمشركين الذين يرتكبون
الكفر بالله فيه وقال شرحبيل بن سعيد وانت حل بهذا البلد اي حلال اي يحرمون مكة ان يقتلوا بها صيدا او يعضدوا
بها شجرا ثم مع هذا يستحلون اخراجك وقتلك ففيه تعجب من جراءتهم وشدة عداوتهم **قوله** ووالد وما ولد
قيل ما بمعنى من او بمعنى الذي وقيل مصدرية اي اقسم بالشخص وفعله وقال الزمخشري فان قلت هلا قيل ومن ولد
قلت فيه ما في قوله والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت اي موضوعا عجيب الشان وقيل ما نافية فيحتاج الى اضمار موصول
به يصح الكلام تقديره والذي ما ولد اذ المراد بالوالد من يولد له وبالذي لم يلد العاقر قال معناه ابن عباس
وتلميذه ابن جبير وعكرمة **فصل** هذا معطوف على قوله لا اقسم بهذا البلد وقوله تعالى وانت حل بهذا
البلد معترض بين المعطوف والمعطوف عليه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والحسن وابو صالح
والطبري المراد بالوالد آدم عليه السلام وما ولد اي وما تناسل من ولده اقسم بهم لانهم اعجب ما خلق الله
تعالى على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق والتدبير واخراج العلوم وفيهم الانبياء والدعاة الى الله
تعالى والانصار لدينه وامر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام وعلمه الاسماء كلها وقد قال تعالى ولقد كرمنا
بني آدم وقيل هو اقسام بآدم والصالحين من ذريته واما الطالحون فكانهم بهائم كما قال تعالى ان هم الا
كالانعام بل هم اضل صم بكم عمي فهم لا يرجعون وقيل الوالد ابراهيم عليه السلام وما ولد ذريته وقيل
الوالد ابراهيم واسمعيل وما ولد محمد صلى الله عليه وسلم لانه اقسم بمكة وابراهيم قال الفراء وصلح ما
للناس كقوله ما طاب لكم وقوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وهو الخالق للذكر والانثى قال الماوردي
ويحتمل ان الوالد النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره وما ولد امته لقوله عليه السلام انما انا لكم
بمنزلة الوالد اعلمكم فاقسم به وبامته بعد ان اقسم ببلده مبالغة في تشريفه عليه السلام **قوله**
لقد خلقنا الانسان في كبد هذا هو المقسم عليه والكبد المشقة قال الزمخشري واصله من كبد الرجل
كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته

بمعنى

بمعنى اهلكته واصله كبت كبده اي اصاب كبده قال لبيد: يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في كبد اي في شدة الامر
وصعوبة الخطب وقال ابو الاصبع: لي ابن عم لو ان الناس في كبد لظل محتجرا بالنبل يرميني قال القرطبي ومنه
تكبد اللبن غلظ وخثر واشتد ومنه الكبد لانه تغلظ واشتد ويقال كابدت هذا الامر قاسيت شدته **فصل**
الانسان هنا ابن آدم قال ابن عباس والحسن رضي الله عنهما في كبد اي شدة ونصب وعن ابن عباس ايضا في شدة
من حمله وولادته ورضاعه ونبت اسنانه وسائر احواله وروى عكرمة عنه قال منتصبا في بطن امه والكبد
الاستواء والاستقامة فهذا امتنان عليه في الخلقة ولم يخلق الله تعالى دابة في بطن امها الا منكبة على وجهها
الا ابن آدم فانه منتصب انتصابا وهو قول النخعي ومجاهد وغيرهما وقال ابن كيسان منتصبا في بطن امه فاذا
اراد الله تعالى ان يخرجه من بطن امه قلب رأسه الى رجل امه وقال الحسن يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وقال
يمان لم يخلق الله تعالى خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك اضعف الخلق قال بعض العلماء اول ما يكابد قطع سرته
ثم اذا قمط قماطا وشد رباطا يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته لضاع ثم يكابد نبت اسنانه ثم يكابد
الفطام الذي هو اشد من اللطام ثم يكابد الختان والاوجاع ثم المعلم وصولته والمؤدب وسياسته والاستاذ
وهيبته ثم يكابد شغل التزويج وشغل الاولاد والخدم وشغل المسكن ثم الكبر والهرم وضعف الركب والهدم في
مصائب الدنيا يكثر تعدادها من صداع الرأس ووجع الاضراس ورمد العين وغم الدين ووجع السن والم الاذن
ويكابد محنا في المال والنفس من الضرب والحبس ولا يمضي عليه يوم الا يقاسي فيه شدة ثم يكابد بعد ذلك مشقة
الموت ثم بعده مسائلة الملك وضغطة القبر وظلمته ثم البعث والعرض على الله تعالى الى ان يستقر به القرار اما في الجنة
واما في النار قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد فلو كان الامر اليه ما اختار هذه الشدائد ودل هذا
على ان له خالقا دبره وقضى عليه بهذه الاحوال فليمتثل امره وقال ابن زيد المراد بالانسان هنا آدم عليه
السلام وقوله تعالى في كبد اي في وسط السماء وقال الكلبي نزل هذا في رجل من بني جمح يقال له ابو الاشدين
واسمه اسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يأخذ الاديم العكاظي فيجعله تحت قدميه ويقول من ازالني عنه
فله كذا فيجذبه عشرة حتى يتمزق الاديم ولا يزول قدماه وكان من اعداء النبي صلى الله عليه وسلم وفيه نزل ايحسب
ان لن يقدر عليه احد يعني لقوته وقال الترمذي في كبد اي مضيقا ما يعنيه مشتغلا بما لا يعنيه **قوله** ايحسب
ان لن يقدر عليه احد اي يظن ابن آدم ان لن يعاقبه الله تعالى قال ابن الخطيب ان فسرنا الكبد بالشدة والقوة
فالمعنى ايحسب الانسان الشديد ان لشدته لا يقدر عليه احد وان فسرناه بالمحنة والبلاء كان المعنى ان الانسان
كان في النعمة والقدرة افيظن انه في تلك الحالة لا يقدر عليه فهو استفهام على سبيل الانكار **قوله** يقول
اهلكت مالا لبدا يجوز ان يكون مستأنفا نعتا وان يكون حالا وقرأ العامة لبدا بضم اللام وفتح الباء وشدد ابو جعفر الباء
جمع لابد مثل راكع وركع وساجد وسجد وشاهد وشهد وعنه ايضا سكونها ومجاهد وابن ابي الزناد بضمتين
وتقدم الكلام على هذه اللفظة في سورة الجن قال ابو عبيدة لبد فعل من التلبيد وهو المال الكثير بعضه على بعض
قال الزجاج فعل للكثرة يقال رجل حطم اذا كان كثير الحطم قال الفراء واحده لبدة ولبد جمع وجعل بعضهم واحدا
كقثم وحطم وهو في الوجهين للكثرة والمعنى انفقت مالا كثيرا مجتمعا لان اهل الجاهلية يدعونه مكارم ومفاخر
قوله ايحسب ان لم يره احد اي ايظن ان لم يعاينه احد بل علم الله ذلك منه وكان كاذبا في قوله اهلكت
وقال ايظن ان لم يره ولا يسأله عن ماله من اين كسبه واين انفقه وقال ابن عباس كان ابو الاشدين يقول
انفقت في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم مالا كثيرا وهو في ذلك كاذب وقال مقاتل نزلت في الحارث بن عامر
ابن نوفل اذنب فاستفتى النبي صلى الله عليه وسلم فامره ان يكفر فقال لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ
دخلت في دين محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول منه يحتمل ان يكون استطالة بما انفق فيكون طغيانا منه
او اسفا عليه فيكون ندامة منه قال القرطبي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقرأ ايحسب بضم
السين في الموضعين وقال الحسن يقول اتلفت مالا كثيرا فمن يحاسبني به او لم يعلم بان الله تعالى قادر على محاسبته
وان الله يرى صنيعه ثم عدد عليه نعمه فقال تعالى الم يعلم بان الله يرى الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا
ينطق به وشفتين يستر بهما ثغره والمعنى نحن فعلنا ذلك ونحن نقدر على ان نبعثه ونحصي عليه عمله **قوله**
وشفتين الشفة محذوفة اللام والاصل شفهة بدليل تصغيرها على شفيهة وجمعها على شفاه ونظيره سنة
في احد وجهيه اي كلمة من غير واسطة ولا تجمع بالالف والتاء استغناء بتكسيرها عن تصحيحها قال
القرطبي ويقال شفهات وشفوات والهاء اقيس والواو اعم تشبيها بالسنوات قال الازهري يقال
هذه شفة في الوصل وشفه بالهاء والله **قوله** وهديناه النجدين يعني الطريقين طريق الخير وطريق
الشر روى قتادة قال ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول يا ايها الناس انما هما النجدان نجد

الخير ونجد الشر فلم يجعل نجد الشر احب اليه من نجد الخير فكانه لما وضحت الدلايل جعلت كالطريق المرتفعة العالية لكونها واضحة
للعقول لوضوح الطريق العالي للابصار ونظيره قوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا بعد قوله فجعلناه
سميعا بصيرا وروى عكرمة قال النجدين الثديان وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك وروى عن ابن عباس
وعلي رضي الله عنهما لانهما كالطريقين لحياة الولد فقوله النجدين اما ظرف واما على حذف الجار ان اريد بهما
وقيل الطريق الثاني قال امرؤ القيس
الثديان والنجد في الاصل العنق لارتفاعه ومنه سميت نجد

فريقان منهم قاطع بطن نخلة • واخر منهم جازع نجد كبكب

لعلوها عن انخفاض تهامة **قوله** فلا اقتحم العقبة قال الفراء والزجاج ذكر لا مرة واحدة والعرب
لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي حتى تعيدها كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى وانما افردها لدلالة اخر الكلام
على معناه فيجوز ان يكون قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا قائما مقام التكرير كانه قال فلا اقتحم العقبة
ولا امن وقال الزمخشري هي متكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا
الا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك قال ابو حيان ولا يتم له هذا الا على قراءة فك فعلا ماضيا وقال الزجاج
والمبرد وابو علي وذكره البخاري عن مجاهد ان قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا يدل على ان لا بمعنى لم ولا يلزم
التكرير مع لم فان كررت لا كقوله فلا صدق ولا صلى فهو كقوله تعالى لم يسرفوا ولم يقتروا **فصل**
المعنى فهلا انفق ماله الذي يزعم انه انفقه في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم هلا انفقه في اقتحام العقبة
فيامن والاقتحام الرمي بالنفس في شيء من غير روية يقال منه تقحم في الامر تقحما اي رمى بنفسه فيه من
غير روية وقحم الفرس فارسه تقحيما على وجهه اذا رماه وتقحيم النفس في الشيء ادخالها فيه من غير روية
والقحمة بالضم المهلكة والسنة الشديدة يقال اصابت الاعراب القحمة اذا اصابهم قحط فدخلوا الريف والقحم
صعاب الطريق قال عطاء يريد عقبة جهنم وقال مجاهد والضحاك هي الصراط قال الواحدي وهذا فيه
نظر لان من المعلوم ان هذا الانسان وغيره لم يقتحموا عقبة جهنم ولا جاوزوها وقال ابن العربي قال
مجاهد اقتحام العقبة في الدنيا لانه فسره بعد ذلك بقوله فك رقبة او اطعم في يوم ذي مسغبة يتيما او مسكينا وهذه
الاعمال انما تكون في الدنيا وقال الحسن ومقاتل هذا مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والشيطان في اعمال
البر قال القفال قوله تعالى فلا اقتحم العقبة معناه هلا انفق ماله فيما فيه اقتحام العقبة وقيل معنى
قوله تعالى فلا اقتحم العقبة دعا اي فلا نجا ولا سلم من لم ينفق ماله في كذا وكذا وقيل شبه عظيم الذنوب
وثقلها بالعقبة فاذا اعتق رقبة او عمل صالحا كان مثله كمثل من اقتحم العقبة وهي الذنوب تضره وتؤذيه
وتثقله ثم قال تعالى وما ادراك ما العقبة قال سفيان بن عيينة كل شيء قال فيه وما ادراك فانه اخبر به وكل
شيء قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به والمعنى وما ادراك ما اقتحام العقبة وهذا تعظيم لالتزام امر الدين
والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ليعلمه اقتحام العقبة ثم انه تعالى فسر العقبة **قوله** فك رقبة قرا
ابو عمرو وابن كثير والكسائي فك فعلا ماضيا ورقبة نصبا او اطعم فعلا ماضيا والباقون فك برفع الكاف
اسما ورقبة بخفض بالاضافة او اطعام اسم مرفوع ايضا فالقراءة الاولى الفعل فيها بدل من قوله اقتحم فهو بيان
له كانه قيل فلا فك رقبة ولا اطعم والثانية ترتفع فيها فك على اضمار مبتدا اي هو فك رقبة او اطعام على معنى
الاباحة وفي الكلام حذف مضاف دل عليه فلا اقتحم تقديره وما ادراك ما اقتحام العقبة فالتقدير اقتحام
العقبة فك رقبة او اطعام وانما احتيج الى تقدير هذا المضاف ليطابق المفسر والمفسر الا ترى ان المفسر بكسر
السين مصدر والمفسر بفتح السين وهو العقبة غير مصدر فلو لم يقدر مضافا لكان المصدر وهو فك مفسرا
للعين وهي العقبة وقرا امير المؤمنين وابو رجاء فك او اطعم فعلين كما تقدم الا انهما نصبا ذا بالالف وقرا الحسن اطعام
وذا بالالف نصبا وهو على هاتين مفعول اطعم او اطعام ويتيما حينئذ بدل منه او نعت له وهو في
قراءة العامة ذي بالياء نعتا ليوم على سبيل المجاز وصف اليوم بالجوع مبالغة كقولهم ليلك قائم ونهارك صائم والفاعل
لاطعام محذوف وهذا احد المواضع التي يطرد فيها حذف الفاعل وحده عند البصريين **فصل** بين
وجوه من القرب المالية وقال ابن زيد وجماعة من المفسرين معنى الكلام الاستفهام على معنى الانكار تقديره
هلا اقتحم العقبة تقول هلا انفق ماله في فك الرقاب واطعام السغبان فيكون خيرا له من انفاقه في عداوة
محمد عليه السلام **فصل** الفك التفريق ومنه فك القيد والغل والرقبة فرق بينها وبين صفة الرق
باتخاذ الحرية وابطال العبودية ومنه فك الرهن وهو ازالة عن المرتهن قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ايما امرئ مسلم اعتق امرءا مسلما كان فكاكه من النار يجزي كل عضو منه عضوا منه الحديث وسمي
المرقوق رقبة لانه بالرق كالاسير المربوط في رقبته وسمي عتقها فكا كفك الاسير من الاسر قال

كم من اسير فككناه بلا ثمن • وجز ناصية كنا مواليها

قال الماوردي ويحتمل انه اراد فك رقبة
وخلاص نفسه باجتناب المعاصي وفعل الطاعات ولا يمنع الخبر من هذا التاويل وهو اشبه بالصواب
قال ابو حنيفة رضي الله عنه العتق افضل من الصدقة لان الله قدم العتق في الاية على الصدقة وقال صاحباه
الصدقة افضل **قوله** او اطعم في يوم ذي مسغبة اي مجاعة والسغب الجوع والساغب الجائع قال شهاب
الدين والمسغبة الجوع مع التعب وربما قيل في العطش مع التعب قاله الراغب يقال منه سغب الرجل يسغب
سغبا وسغوبا فهو ساغب وسغبان والمسغبة مفعلة منه انشد ابو عبيدة

فلو كنت جارا يا ابن قيس بن عاصم • لما بت شبعانا وجارك ساغبا

فصل اطعام
الطعام فضيلة وهو مع السغب الذي هو الجوع افضل وقال النخعي في قوله تعالى في يوم ذي مسغبة قال في
يوم عزيز فيه الطعام **قوله** يتيما ذا مقربة اي قرابة قال الزمخشري المسغبة والمقربة والمتربة مفعلة
من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر وهذه الاية تدل
على ان الصدقة على القرابة افضل منها على الاجانب واليتيم قال بعض العلماء اليتيم في الناس من قبل الاب
وفي البهائم من قبل الامهات وقال بعضهم اليتيم الذي يموت ابواه قال قيس بن الملوح

الى الله اشكو فقد ليلى كما شكى • الى الله فقد الوالدين يتيم

ويقال يتم الرجل يتما اذا
ضعف **قوله** او مسكينا ذا متربة اي لا شيء له حتى كانه قد لصق بالتراب من الفقر يقال ترب اي افتقر حتى
لصق جلده بالتراب فاما اترب بالالف فمعناه استغنى نحو اثرى كالتراب وكالثرى قال المفسرون هو الذي ليس له ماوى
الا التراب وقال ابن عباس هو المطروح على الطريق الذي لا بيت له وقال مجاهد الذي لا يقيه من التراب
لباس ولا غيره وقال قتادة انه ذو العيال وقال عكرمة عن ابن عباس ذو المتربة هو البعيد عن وطنه
فصل احتجوا بهذه الاية على ان المسكين قد يملك شيئا لانه لو كان المسكين هو الذي لا يملك شيئا
البتة لكان تقييده بقوله ذا متربة تكريرا **قوله** ثم كان من الذين امنوا لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة
والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق ولا يثبت عمل الا به قاله الزمخشري وقيل
المعنى ثم كان في عاقبة امره من الذين وافوا الموت على الايمان لان الموافاة عليه شرط في الانتفاع بالطاعات
وقيل التراخي في الذكر قال المفسرون معناه انه لا يقتحم العقبة من فك رقبة او اطعم في يوم ذي مسغبة حتى يكون
من الذين امنوا اي صدقوا فان شرط قبول الطاعات الايمان بالله تعالى فالايمان بعد الانفاق لا ينفع قال الله
تعالى في المنافقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وقيل ثم كان من الذين امنوا اي في
فعل هذه الاشيا وهو مؤمن ثم بقي على ايمانه حتى الموافاة فيكون المعنى ثم كان مع تلك الطاعات من الذين امنوا
ونظيره قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقيل المعنى ثم كان من الذين يؤمنون بان
هذا نافع لهم عند الله تعالى وقيل اتى بهذه القرب لوجه الله تعالى ثم امن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان
ثم بمعنى الواو اي وكان هذا المعتق للرقبة والمطعم في المسغبة من الذين امنوا **قوله** وتواصوا بالصبر اي
وصى بعضهم بعضا على طاعة الله تعالى وعن معاصيه وعلى ما اصابهم من البلاء والمصائب وتواصوا بالمرحمة
اي بالرحمة على الخلق فانهم اذا فعلوا ذلك رحموا اليتيم والمسكين ثم انه تعالى بينهم فقال تعالى اولئك
اصحاب الميمنة اي الذين يؤتون كتبهم بايمانهم قاله محمد بن كعب وقال يحيى بن سلام لانهم ميامين على انفسهم
وقال ابن زيد لانهم اخذوا من شق ادم الايمن وقال ميمون بن مهران لان منزلهم عن اليمين **قوله**
والذين كفروا باياتنا اي القران هم اصحاب المشامة اي ياخذون كتبهم بشمائلهم قاله محمد بن كعب وقال
يحيى بن سلام لانهم مشائيم على انفسهم وقال ابن زيد لانهم اخذوا من شق ادم الايسر وقال ميمون لان
منزلهم على اليسار قال القرطبي ويجمع هذه الاقوال ان اصحاب الميمنة هم اصحاب الجنة واصحاب المشامة اصحاب
النار **قوله** عليهم نار مؤصدة قرا ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمز والباقون بالواو وكذا في الهمزة فالقراءة
الاولى من اصدت الباب اي اغلقته او صدته فهو مؤصد وقيل ويحتمل ان يكون من اوصدت ولكنه همز الواو
الساكنة لضمة ما قبلها كما همز بالسؤق والاعناق كما تقدم والقراءة الثانية ايضا تحتمل المادتين ويكون قد
خففت الهمزة لسكونها بعد ضمة وقد نقل الفراء عن السوسي الذي قاعدته ابدال مثل هذه الهمزة انه لا يبدل
هذه وعللوا ذلك بالالتباس وابعد انه قد قرا موصدة بالواو ومن قاعدته تخفيف الهمزة والظاهر ان القراءتين
من مادتين الاولى من اصد يوصد كاكرم يكرم والثانية من اوصد يوصد مثل اوصل يوصل وقال الشاعر

تحن الى اجبال مكة ناقتي • ومن دونها ابواب صنعاء موصدة

اي مغلقة وقال اخر

قوم يعالج قملا ابناؤهم • وسلاسلا حلقا وبابا موصدا

وكان ابو بكر راوي عاصم

بكره الهمز في هذا الحرف وقال لنا امام يهمز موصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته قال شهاب الدين وكانه لم يهمز عن شيخه الا ترك الهمز مع حفظ حفص اياه عنه وهو اضبط لحرفه من ابي بكر على ما نقله القراء وان كان ابو بكر اكبر واتقن واوثق عند اهل الحديث قال القرطبي واهل اللغة يقولون اوصدت الباب واصدته اي اغلقته فمن قال اوصدت فالاسم الموصد ومن قال اصدت فالاسم المؤصد قال الفراء ويقال من هذا الاصيد وهو الباب المطبق ومعنى موصدة اي مطبقة مغلقة وقيل مبهمة لا يدرى ما داخلها وقوله تعالى عليهم نار يجوز ان يكون جملة مستانفة وان يكون خبرا ثانيا وان يكون الخبر وحده عليهم ونار فاعل به وهو الاحسن وقيل معنى عليهم نار اي احاطت النار بهم كقوله تعالى احاط بهم سرادقها والله اعلم روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا لا اقسم بهذا البلد اعطاه الامن من غضبه يوم القيامة

سورة الشمس

وهي خمس عشرة اية واربع وخمسون كلمة ومايتان وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والشمس وضحاها قد تقدم ان جماعة من اهل الاصول قالوا التقدير ورب الشمس ورب سائر ما ذكر الى تمام القسم واحتج قوم على بطلان هذا القول بان في جملة هذا القسم والسماء وما بناها وذلك هو الله تعالى فلا يجوز ان يكون المراد منه تعالى ان يقدم قسمه بغيره على قسمه بنفسه فلا بد من التاويل وهو ان ما مع ما بعدها في حكم المصدر فيكون التقدير والسماء وبنائها واعترض الزمخشري على هذا الوجه بانه لو كان الامر على هذا الوجه لزم من عطف قوله فالهمها عليه فساد النظم قوله تعالى وضحاها تقدم الكلام على هذه المادة في سورة طه قال المبرد ان الضحى والضحوة مشتقان من الضح وهو النور فابدلت الالف والواو من الحا تقول ضحوة وضحوات وضحى فالواو من ضحوة مقلوبة عن الحا الثانية والالف في ضحى مقلوبة عن الواو وقال ابو الهيثم الضح نقيض الظل وهو نور الشمس على وجه الارض واصله الضحى فاستثقلوا اليا مع سكون الواو فقلبوها الفا والضحى مؤنثة يقال ارتفعت الضحى فوق الضحو وقد تذكر فمن انث ذهب الى انها جمع ضحوة ومن ذكر ذهب الى انه اسم على فعل نحو صرد ونغر وهو ظرف غير متمكن مثل سحر تقول لقيته ضحى وضحى اذا اردت به ضحى يومك لم تنونه وقال الفراء الضحى هو النهار كقول قتادة والمعروف عند العرب ان الضحى اذا طلعت الشمس وبعيد ذلك قليلا فاذا زاد فهو الضحاء بالمد ومن قال الضحى النهار كله فذلك لدوام نور الشمس ومن قال انه نور الشمس او حر الشمس فنور الشمس لا يكون مع حر الشمس واستدل من قال ان الضحى حر الشمس بقوله تعالى ولا تضحى اي لا يوذيك الحر فصل قال مجاهد وضحاها اي ضوءها واشراقها واضاف الضحى الى الشمس لانه انما يكون بارتفاع الشمس وقال قتادة نهارها وقال السدي حرها وقال اليزيدي انبساطها وقيل ما ظهر بها من كل مخلوق فيكون القسم بها وبكل مخلوق في الارض حكاه الماوردي قال ابن الخطيب انما اقسم بالشمس وضحاها لكثرة ما يتعلق به من المصالح فان اهل العالم كانوا كالاموات في الليل فلما ظهر الصبح في المشرق صار ذلك الضوء كالروح الذي ينفخ فيه الحياة فصارت الاموات احياء ولا تزال تلك الحياة في القوة والزيادة الى غاية كمالها وقت الضحوة وذلك يشبه استقرار اهل الجنة قوله والقمر اذا تلاها اي تبعها وذلك اذا سقطت رؤي الهلال قال الليث تلوت فلانا اذا تبعته وقال ابن زيد اذا غربت الشمس في النصف الاول من الشهر تلاها القمر بالطلوع وفي اخر الشهر يتلوها بالغروب قال الفراء تلاها اخذ منها يعني ان القمر ياخذ من ضوء الشمس وقال الزجاج اذا تلاها اي حين استوى واستدار وكان مثلها في الضياء والنور وقال قتادة والكلبي معناه ان الشمس اذا غربت فالقمر يتبعها ليلة الهلال في الغروب وقيل يتلوها في كبر الجرم بحسب الحس في ارتباط مصالح هذا العالم بحركته قوله والنهار اذا جلاها الفاعل ضمير النهار وقيل عائد على الله تعالى والضمير المنصوب اما للشمس واما للظلمة واما للارض ومعنى جلاها اي كشفها فمن قال هي للشمس فالمعنى انه يبين بضوئها جرمها ومن قال هي للظلمة فهي وان لم يجر لها ذكر كقولك اصبحت باردة اصبحت غداتنا باردة وهو قول الفراء والكلبي وغيرهما ومن قال هي للدنيا والارض وان لم يجر لها ذكر كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب قوله اذا تلاها وما بعدها فيه اشكال لانه ان جعل شرطا اقتضى جوابا ولا جواب لفظا وتقديره غير صالح وان جعل محضا استدعى عاملا وليس هنا عامل الا فعل القسم واعماله مشكل لان فعل القسم حال لانه انشاء واذا ظرف مستقبل والحال لا يعمل في المستقبل وسيأتي جوابه قريبا ان شاء الله تعالى ونحو اذا جلاها وما بعدها اشكال اخر ذكره الزمخشري قال فان قلت الامر في نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما ان تجعل الواو عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين وفي نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو واما ان تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق

الخليل وسيبويه على استكراهه قلت الجواب فيه ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شان خلاف شان الباء حيث ابرز معها الفعل واضمر فكانت قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما والواوات العواطف نوايب هذه الواو فحقهن ان يكن عوامل عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما انتهى قال ابو حيان اما قوله في واوات العطف فتنصب وتجر فليس هذا بالمختار على ان يكون حرف العطف عاملا لقيامه مقام العامل بل المختار ان العمل انما هو للعامل في المعطوف عليه ثم انا لا نشاحه في ذلك وقوله فتقع في العطف على عاملين ليس ما في الاية من العطف على عاملين وانما هو من باب عطف اسمين مجرور ومنصوب على اسمين مجرور ومنصوب فحرف العطف لم ينب مناب عاملين وذلك نحو قولك امرر بزيد قائما وعمرو جالسا وانشد سيبويه في كتابه

وليس معروف لنا ان نردها صحاحا ولا مستنكرا ان تعقرا

فهذا من عطف مجرور ومرفوع على مجرور ومرفوع والعطف على عاملين فيه اربعة مذاهب ونسب الجواز الى سيبويه وقوله في نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو وهذا المثال مخالف لما في الاية بل وزان ما في الاية مررت بزيد امس وعمرو اليوم ونحن نجيز هذا واما قوله على استكراه فليس كما ذكر بل كلام الخليل على المنع قال الخليل في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخيرتان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتان يضمان الاسما الى الاسما في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء واما قوله ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فليس هذا الحكم مجمعا عليه بل اجاز ابن كيسان التصريح بفعل القسم مع الواو فتقول اقسم او احلف والله لزيد قائم واما قوله والواوات العواطف نوايب عن هذا الى اخره فمبني على ان حرف العطف عامل لنيابته مناب العامل وليس هذا بالمختار قال والذي نقول ان المعضل هو تقدير العامل في اذا بعد الاقسام كقوله تعالى والنجم اذا هوى والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشى وما اشبهها فاذا ظرف مستقبل لا جايز ان يكون العامل فيه فعل القسم المحذوف لانه فعل انشاي فهو في الحال ينافي ان يعمل في المستقبل لاختلاف زمان العامل وزمان المعمول ولا جايز ان يكون ثم مضاف محذوف اقيم المقسم به مقامه اي وطلوع النجم ومجي الليل لانه معمول لذلك الفعل فالطلوع حال ولا يعمل في المستقبل ضرورة ان زمان العامل زمان المعمول ولا جايز ان يعمل فيه نفس المقسم به لانه ليس من قبيل ما يعمل لا سيما ان كان جرما ولا جايز ان يكون ثم مضاف محذوف اقيم المقسم به مقامه اي وطلوع النجم ومجي الليل لانه معمول لذلك الفعل ولا جايز ان يقدر محذوف قبل الظرف فيكون قد عمل فيه ويكون ذلك العامل في موضع الحال وتقديره والنجم كاينا اذا هوى والليل كاينا اذا يغشى لانه يلزم كاينا ان لا يكون منصوبا بعامل ولا يصح ان يكون معمولا لشي مما فرضناه ان يكون عاملا وايضا فقد يكون المقسم به جثة وظروف الزمان لا تكون احوالا عن الجثث كما لا تكون اخبارا انتهى ما رد به ابو حيان وما استشكله من امر العامل في اذا قال شهاب الدين ان المختار ان حرف العطف لا يعمل لقيامه مقام العامل فلا يلزم ابا القسم لانه يختار القول الاخر وقوله ليس ما في الاية من العطف على عاملين ممنوع بل فيه العطف على عاملين ولكنه فيه غموض وبيانه انه من العطف على عاملين ان قوله والنهار اذا جلاها هنا معمولان لعاملين احدهما مجرور وهو النهار والاخر منصوب وهو الظرف عطفا على معمولي عاملين والعاملان هما فعل المقسم به الناصب لاذا الاولى وواو القسم الجارة فقد تحقق معك عاملان لهما معمولان فاذا عطف مجرورا على مجرور وظرفا على ظرف معمولين لعاملين لزم ما قاله ابو القاسم وكيف يجهل هذا مع التامل والتحقيق واما قوله وانشد سيبويه الى اخره فهو اعتراف منه بانه من العطف على عاملين غاية ما في الباب انه استنده له سيبويه واما قوله فهو اجاز ابن كيسان فلا يلزمه مذهبه واما قوله فالمثال ليس كالاية بل وزانها الى اخره فصحيح لما فيه من تقديم الظرف الثاني على المجرور المعطوف والاية الظرف فيها متاخر وانما مراد الزمخشري وجود معمولي عاملين وهو موجود في المثال المذكور الا ان فيه اشكالا اخر وهو انه كالتكرير للمسالة واما قوله بل كلام الخليل يدل على المنع الى اخره فليس فيه رد عليه بالنسبة الى ما قصده بل فيه تقوية لما قاله غاية ما في الباب انه عبر بالاستكراه عن المنع ولم يفهم المنع وقوله ولا جايز ان يكون ثم مضاف محذوف الى اخره فاقول بل يجوز تقديره وهو العامل ولا يلزم ما قال من اختلاف الزمانين لانه يجوز ان يقسم الان بطلوع النجم في المستقبل فالقسم في الحال والطلوع في المستقبل ويجوز ان يقسم بالشي الذي سيوجد وقوله ولا جايز ان يقدر محذوف قبل الظرف فيكون قد عمل فيه الى اخره ليس بممنوع بل يجوز ذلك ويكون حالا مقدرة وقوله يلزم ان لا يكون له عامل ليس كذلك بل له عامل وهو فعل القسم ولا يضر كونه انشايا لان الحال مقدرة كما تقدم وقوله وقد يكون المقسم به جثة جوابه يقدر حينيذ حدث يكون الظرف الزماني حالا عنه وسيل ابن الحاجب عن هذه المسالة فاجاب بنحو ما ذكرناه والله اعلم ولا تخلو الكلام فيها من

عنه قوله والليل اذا يغشاها المفعول الشمس لتذهب بضوءها عند سقوطها قاله مجاهد وقيل للارض اى يغشى
الدنيا بالظلم فتظلم الآفاق فالكناية ترجع الى غير مذكور وجيء بيغشاها مضارعا دون ما قبله وما بعده مراعاة
للفواصل اذ لو اتى به ماضيا لكان التركيب اذا غشيها فتفوت المناسبة اللفظية بين الفواصل والمقاطع قوله
والسماء وما بناها فى ما هذه وجهان احدهما ان ما موصولة بمعنى الذى وبه استشهد من يجوز وقوعها على
العقلاء لان المراد به البارى تعالى واليه ذهب الحسن ومجاهد وابو عبيدة واختاره ابن جرير والثانى مصدرية
اى وبنائها واليه ذهب الزجاج والمبرد وهذا منهما بناء على انها مختصة بغير العقلاء واعترض على هذا القول
بانه يلزم ان يكون القسم بنفس المصادر بناء السماء وطحو الارض وتسوية النفس وليس المقصود الا القسم بفاعل
هذه الاشياء وهو الرب تعالى واجيب عنه بوجهين احدهما ان يكون على حذف مضاف اى ورب اى وبانى بناء السماء
ونحوه والثانى انه لا غرو فى الاقسام بهذه الاشياء كما اقسم سبحانه وتعالى بالصبح ونحوه وقال الزمخشرى
جعلت مصدرية وليس بالوجه لقوله تعالى فالهمها وما يؤدى اليه من فساد النظم والوجه ان يكون موصولة
وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر العظيم الذى بناها ونفس والحكيم الباهر
الحكمة الذى سواها وفى كلامهم سبحان ما سخركن لنا انتهى معنى ان الفاعل فى فالهمها عائد على الله تعالى فليكن
فى بناها كذلك وحينئذ يلزم عوده على شيء وليس هنا ما يمكن عوده عليه غير ما فتعين ان يكون موصولة قال
ابو حيان اما قوله وليس بالوجه لقوله تعالى فالهمها يعنى من عود الضمير فى فالهمها على الله تعالى فيكون قد عاد
على مذكور وهو ما المراد به الذى قال ولا يلزم ذلك لانا اذا جعلناها مصدرية عاد الضمير على ما يفهم من سياق
الكلام ففى بناها ضمير عائد على الله تعالى اى وبناها هو اى الله تعالى كما اذا رايت زيدا قد ضرب عمرا فتقول عجبت
مما ضرب عمرا تقديره من ضرب عمرو هو كان حسنا فصيحا جائزا وعود الضمير على ما يفهم من سياق الكلام كثيره
وقوله وما يؤدى اليه من فساد النظم ليس كذلك ولا يؤدى جعلها مصدرية الى ما ذكر وقوله وانما اوثرت
الى اخره لا يراد بما ولا من الموصولتين معنى الوصفية لانهما لا يوصف بهما بخلاف من وقوله وفى كلامهم الى اخره تاوله اصحابنا
على ان سبحان علم وما مصدرية ظرفية انتهى قال شهاب الدين اما ما رد به عليه من كونه يعود على ما يفهم من
السياق فليس يصلح ردا لانه اذا دار الامر بين عوده على ملفوظ به وبين غير ملفوظ به فعوده على الملفوظ به
اولى لانه الاصل واما قوله فلا يتفرد به ما دون من فليس مراد الزمخشرى انها يوصف بها وصفا صريحا بل مراده
انها تقع على نوع من يعقل وعلى صفته ولذلك مثل النحويون بقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم وقالوا تقديره
فانكحوا الطيب من النساء ولا شك ان هذا الحكم تنفرد به ما دون من قوله تعالى والارض وما طحاها اى وطحوها
وقيل ومن طحاها اى بسطها كذا قاله عامة المفسرين اى دحاها قال مجاهد والحسن وعبر بما طحاها ودحاها
واحدا اى من كل جانب والطحو البسط طحا يطحو طحوا وطحا يطحى طحيا وطحيت اضطجعت عن ابى عمرو وعن ابن عباس
طحاها اى قسمها او قيل خلقها قال الشاعر وما تدرى جذيمة من طحاها ولا من ساكن العرش الرفيع
قال الماوردى ويحتمل انه ما خرج منها من نبات وعيون وكنوز لانه حياة لما خلق عليها ويقال فى بعض ايمان
العرب لا والقمر الطاحى اى المشرق المرتفع قال ابو عمرو طحا الرجل اذا ذهب فى الارض يقال ما ادرى اين طحا ويقال
طحا به قلبه اذا ذهب به فى كل شيء قال علقمة طحا بك قلب فى الحسان طروب قال ابن الخطيب وانما اخر
هذا عن قوله تعالى والسماء وما بناها لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها قوله ونفس وما سواها قيل
المعنى وتسويتها فما مصدرية وقيل المعنى ومن سواها وهو الله تعالى قيل المراد بالنفس ادم عليه السلام
وقيل كل نفس منفوسة فالتنكير اما للتعظيم اى نفس عظيمة وهى نفس ادم عليه السلام واما للتكثير كقوله
تعالى علمت نفس وسوى بمعنى هيأ وقال مجاهد سوى خلقها وعدل وهذه الاسماء كلها مجرورة على القسم
اقسم الله تعالى بخلقه لما فيه من عجائب الصنعة الدالة عليه سبحانه وتعالى قوله تعالى فالهمها فجورها
اى عرفها طريق الفجور والتقوى قاله ابن عباس ومجاهد وعن مجاهد ايضا عرفها الطاعة والمعصية وعن
محمد بن كعب رضى الله عنه اذا اراد الله تعالى بعبده خيرا الهمه الخير فعمل به واذا اراد به الشر الهمه
الشر فعمل به وعن ابن عباس رضى الله عنه قال الهم المؤمن التقى تقواه والهم الكافر فجوره وعن قتادة
بين لها فجورها وتقواها والفجور والتقوى مصدران فى موضع المفعول قال الواحدى الالهام هو ان يوقع
الله تعالى فى قلب العبد شيئا واذا اوقع فى قلبه شيئا فقد الزمه اياه من قولهم لهم الشيء والتهمه اذا ابتلعه
والهمته ذلك الشيء اى ابلغته هذا هو الاصل ثم استعمل ذلك فيما يقذفه الله تعالى فى قلب العبد لانه
كالابلاغ قوله قد افلح فيه وجهان احدهما انه جواب القسم والاصل لقد وانما حذفت لطول الكلام
والثانى انه ليس بجواب وانما جيء به تابعا لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس

من

من جواب القسم فى شيء فالجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم اى على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم
على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام قال معناه الزمخشرى وقدره غيره لتبعثن وقيل هو على التقديم والتاخير بغير حذف
والمعنى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها والشمس وضحاها وفاعل زكاها ودساها الظاهر انه ضمير من وقيل
ضمير البارى تعالى اى افلح فاز من زكاها بالطاعة وقد خاب من دساها اى خسرت نفس دساها الله بالمعصية وابى
الزمخشرى على صاحب هذا القول لمنافرته لمذهبه قال شهاب الدين والحق انه خلاف الظاهر لا لما قال الزمخشرى بل المنافرة
نظمه للاحتياج الى عود الضمير الى النفس مقيدة باضافتها الى الضمير من وقال ابن عباس خابت نفس اضلها الله واغواها
وقيل افلح من زكى نفسه بطاعة الله وخاب خسر من دس نفسه فى المعاصى قاله قتادة واصل الزكاة النمو والزيادة
ومنه زكى الزرع اذا كثر ريعه ومنه تزكية القاضى الشاهد لانه يرفعه بالتعديل وقيل دساها اغواها قال
وانت الذى دسست عمرا فاصبحت حلائله منه ارامل ضيعا واصله دسسها من التدسيس
كثرت الامثال فابدل من ثالثها حرف علة كما قالوا تقضيت الاظفار واصله تقضضت وتقضى البازى والتدسيسة
الاخفاء يعنى اخفاها بالفجور وقد نطق بالاصل الشاعر المتقدم وقال اخر ودسست عمرا فى التراب فاصبحت
وقال ابن الاعرابى وقد خاب من دساها اى دس نفسه فى جملة الصالحين وليس منهم قال الواحدى فكانه تعالى
اقسم على فلاح من طهره وخسارة من خذله لئلا يظن ان المتولى لذلك من غيره قضاء سابق قوله تعالى قد افلح هو جواب
القسم قوله كذبت ثمود بطغواها فى هذه الباء ثلاثة اوجه احدها انها للاستعانة مجازا كقولك كتبت بالقلم وبه بدا
الزمخشرى يعنى فعلت التكذيب بطغيانها كقولك ظلمنى بجرائته على الله تعالى الثانى انها للتعدية اى كذبت بما اوعدت به
من عذابها ذى الطغيان كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية قاله ابن عباس رضى الله عنه وكان اسم العذاب الذى
جاءها الطغوى لانه طغى عليهم قال ابن الخطيب وهذا لا يبعد لان الطغيان مجاوزة الحد فسمى عذابهم طغوى لانه كان
صيحة مجاوزة للقدر المعتاد الثالث انها السببية اى بسبب طغيانها وهو خروجها عن الحد فى العصيان قاله مجاهد
وقتادة وغيرهما وقال محمد بن كعب باجمعها وقيل مصدر وخرج على هذا المخرج لانه اشكل برؤوس الاى وقيل الاصل
بطغيانها الا ان فعلى اذا كانت من ذوات الياء ابدلت فى الاسم واوا ليفصل بين الاسم والوصف وقرا العامة
بطغواها بفتح الطاء وهو مصدر بمعنى الطغيان وانما قلبت الياء واوا لما تقدم من الفرق بين الاسم والصفة
يعنى انهم يفرقون بالفعلى بالفتح صفة نحو خزيا وصديا ويقلبونها فى الاسم نحو تقوى وشروى وكان الافراد فى الوصف
لانه اثقل من الاسم والياء اخف من الواو فلذلك جعلت فى الاثقل وقرا الحسن ومحمد بن كعب والجحدرى وحماد
بضم الطاء وهو ايضا مصدر كالرجعى والحسنى الا ان هذا شاذ اذ كان من حقه بقاء الياء على حالها كالسقيا الا ان هذا
كله عند من يقول طغيت طغيا بالياء فاما من يقول طغوت بالواو فالواو اصل عنده قاله ابو البقاء وقد تقدم الكلام
على اللغتين فى البقرة قوله اذ انبعث اشقاها يجوز فى اذ وجهان احدهما ان يكون ظرفا لكذبت والثانى ان يكون
ظرفا للطغوى وانبعث مطاوع بعثت فلانا على الامر فانبعث له واشقاها فاعل انبعث اى نهض والانبعاث الاسراع
وفيه وجهان احدهما ان يراد به شخص معين روى ان اسمه قدار بن سالف والثانى ان يراد به جماعة قال
الزمخشرى ويجوز ان يكون جماعة والتسوية فى افعل التفضيل اذا اضيف بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان
يجوز ان يقول اشقوها وكان ينبغى ان يقيد فيقول اذا اضيف الى معرفة لان المضاف الى النكرة حكمه الافراد والتذكير
مطلقا كالمعرف بأل مطلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم
منيع فى اهله مثل ابى زمعة روى عن على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له اتدرى من اشقى الاولين
قلت الله ورسوله اعلم قال عليه السلام عاقر الناقة ثم قال اتدرى من اشقى الاخرين قلت الله ورسوله اعلم
قال عليه السلام قاتلك قوله فقال لهم ان كان المراد باشقاها جماعة فعود الضمير من لهم عليهم واضح وان
كان المراد به علما بعينه فالضمير من لهم يعود على ثمود والمراد برسول الله يعنى صالحا وقوله تعالى ناقة الله منصوب
على التحذير اى احذروا ناقة الله فلا تقربوها واضمار الناصب هنا واجب لمكان العطف فان اضمار الناصب
يجب فى ثلاثة مواضع ان يكون المحذر نفس اياك وبابه الثانى انه يوجد فيه عطف الثالث ان يوجد فيه
تكرار نحو الاسد الاسد والصبى الصبى والجدار الجدار وقيل ذروا ناقة الله كقوله تعالى فذروها تاكل فى ارض
الله وقرا زيد بن على ناقة الله رفعا على خبر ابتداء مضمر اى هذه ناقة الله فلا تتعرضوا لها قوله وسقياها
اى ذروها وشربها فانهم لما اقترحوا الناقة واخرجها لهم من الصخرة جعل لهم شرب يوم من بئرهم ولها شرب
يوم مكان ذلك فشق عليهم فكذبوه يعنى صالحا عليه السلام فى وعيده بالعذاب فعقروها اى عقرها
الاشقى واضيف الى الكل لانهم رضوا بفعله قال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعهم صغيرهم وكبيرهم
وانثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان افضل الناس وهذان خير الناس وهذه المراة اشقى

القوم وهذا لم يقل اشقياها قوله فدمدم * الدمدمة قيل الاطباق يقال دمدمت عليه القبر اى اطبقته عليه اى اهلكهم واطبق عليهم العذاب بذنبهم الذى هو الكفر والتكذيب والعقر * وقال المورج الدمدمة الاهلاك باستيصال * وروى الضحاك عن ابن عباس دمدم عليهم قال دمر عليهم ربهم بذنبهم اى بجرمهم * وقال الفرا دمدم اى ارجف * وحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب وترديده يقال دممت على الشئ اى اطبقت عليه فاذا كررت الاطباق قلت دمدمت * وفى الصحاح دمدمت الشئ اذا الزقته بالارض وطحطحته * قال القشيرى وقيل دممت على الميت التراب اى سويته عليه * فالمعنى على هذا فجعلهم تحت التراب فسواها اى فسوى عليهم الارض وعلى الاول فسواها اى فسوى الدمدمة * وقيل الدمدمة حكاية صوت الهدة * وذلك ان الصيحة اهلكتهم كانت على صغيرهم وكبيرهم * وقال ابن الانبارى دمدم اى غضب والدمدمة الكلام الذى يزعج الرجل ودمدمت الثوب طليته بالصبغ * والثانى بذنبهم للسببية * وقرا ابن الزبير فدهدم بهائين بدل الميم وهى بمعنى القراءة المشهورة * قال القرطبى وهما لغتان كقولهم امتقع لونه واهتقع * قوله فسواها الضمير المنصوب يجوز عوده على ثمود باعتبار القبيلة كما اعاده فى قوله تعالى بطغواها * ويجوز عوده على الدمدمة والعقوبة اى سواها بينهم فلم يفلت منهم احد * قوله ولا يخاف عقباها * قرا نافع وابن عامر فلا بالفاء والباقون بالواو * ورسمت فى مصاحف المدينة والشام بالفاء وفى غيرها بالواو فقد قرا كل بما يوافق رسم مصحفه * وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا ولم يخف وهى موافقة لقراءة الواو وذكره الزمخشرى * قال القرطبى فالفاء تقتضى التعقيب وهو ظاهر والواو يجوز ان تكون للحال وان تكون لاستيناف الاخبار * وروى ابن وهب وابن القسم قالا اخرج الينا مالك رضى الله عنه مصحفا لجده وزعم انه كتبه فى ايام عثمان ابن عفان رضى الله عنه حين كتب المصاحف وفيه ولا يخاف بالواو وكذا هى فى مصاحف اهل مكة والعراق بالواو واختاره ابو عبيد وابو حاتم وضمير الفاعل فى يخاف الاظهر عوده على الرب تبارك وتعالى لانه اقرب مذكور وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد * والهاء فى عقباها ترجع الى الفعلة وذلك لانه تعالى يفعل ذلك بحق وكل من فعل فعلا بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله * وقيل المراد تحقيق ذلك الفعل والله تعالى اجل من ان يوصف بذلك * وقيل المعنى انه بالغ فى الاعذار اليهم مبالغة من لا يخاف عاقبة عذابهم * وقيل يرجع الى رسول الله اى لا يخاف صالح عليه السلام عقبى هذه العقوبة لانذاره اياهم ونجاه الله تعالى حين اهلكهم * وقال السدى والضحاك والكلبى ان الضمير يرجع الى اشقاها اى انبعث لعقرها والحال انه غير خائف عاقبة هذه الفعلة الشنعاء وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنه ايضا وفى الكلام تقديم وتاخير اى اذا انبعث اشقاها ولا يخاف عقباها * وعقبى الشئ خاتمته * روى الثعلبى عن ابى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والشمس وضحاها فكانما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر * والله اعلم بالصواب

سورة الليل

وقيل مدنية * وهى احدى وعشرون اية * واحدى وسبعون كلمة * وثلثماية وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والليل اذا يغشى * اى يغطى ولم يذكر مفعولا للعلم به * وقيل يغشى النهار * وقيل الارض * وقيل الخلائق * وقيل يغشى كل شئ بظلمته * قال قتادة اول ما خلق الله تعالى النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلا اسود مظلما والنور نهارا مضيئا مبصرا * قال ابن الخطيب اقسم بالليل الذى ياوى فيه كل حيوان الى ماواه ويسكن الخلق عن الاضطراب ويغشاهم النوم الذى جعله الله تعالى راحة لابدانهم وغذاء لارواحهم ثم اقسم تعالى بالنهار اذا تجلى لان النهار اذا انكشف بضوئه ما كان فى الدنيا من الظلمة جاء الوقت الذى يتحرك فيه الناس لمعاشهم والطير والهوام من مكامنها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لبطلت الراحة لكن المصلحة فى تعاقبهما كما قال تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة * وقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار فقوله تعالى والنهار اذا تجلى اى انكشف وظهر وبان بضوئه عن ظلمة الليل * وقرا العامة تجلى فعلا ماضيا وفاعله ضمير عائد على النهار * وعبد الله بن عمير تتجلى بتاءين اى الشمس * وقرى تجلى بضم التاء وسكون الجيم اى الشمس ايضا ولا بد من عائد على النهار محذوف اى تتجلى او تجلى فيه * قوله وما خلق * يجوز فى ما ان يكون بمعنى من على ما تقدم فى سورة والشمس * قال الحسن معناه والذى خلق فيكون قد اقسم بنفسه تعالى * وقيل مصدرية * وقال الزمخشرى والقادر العظيم القدرة الذى قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وقد تقدم هذا القول والاعتراض عليه والجواب عنه فى السورة قبلها * وقرا ابو الدرداء والذكر والانثى * وقرا عبد الله والذى خلق * وقرا الكسائى ونقلها

ثعلب

ثعلبى عن بعض السلف وما خلق الذكر بجر الذكر * قال الزمخشرى على انه بدل من محل ما خلق بمعنى وما خلقه اى ومخلوق الله الذكر وجاز اضمار الله تعالى لانه معلوم بانفراده بالخلق * وقيل المعنى وما خلق من الذكر والانثى فيكون من مضمرة ويكون القسم منه باهل طاعته من اوليائه وانبيائه ويكون قسمه بهم تكرمة لهم وتشريفا * وقال ابو حيان وقد يخرج على توهم المصدر اى وخلق الذكر كقوله * يطوف العفاة بابوابه * كما طاف بالبيعة الراهب * بجر الراهب على توهم النطق بالمصدر اى كطواف الراهب انتهى * والذى يظهر فى تخريج البيت ان اصله الراهبى بياء النسب نسبة الى الصفة ثم خفف وهو قليل كقولهم احمرى ودوارى * وهذا التخريج بعينه فى قول امرئ القيس فقلت مقيل عمسه متعسعس لما استشهد به الكوفيون على تقديم الفاعل * وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه كان يقرا والنهار اذا تجلى والذكر والانثى ويسقط وما خلق * وفى صحيح مسلم عن علقمة قال قدمنا الشام فاتانا ابو الدرداء فقال فيكم احد يقرا على قراءة عبد الله فقرا هذه الاية والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى والذكر والانثى قال وانا والله هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ولكن لا يريدون ان اقرا وما خلق فلا اتابعهم * وقال ابن الانبارى كل من هذين الحديثين مردود بخلاف الاجماع له وان حمزة وعاصما يرويان عن عبد الله بن مسعود فيما عليه جماعة من المسلمين وموافقة الاجماع اولى من الاخذ بقول واحد يخالفه الاجماع

فصل قيل المراد بالذكر والانثى ادم وحوا عليهما السلام قاله ابن عباس والحسن والكلبى * وقيل جميع الذكور والاناث من جميع الحيوان * وقيل كل ذكر وانثى من الادميين فقط لاختصاصهم بولاية الله تعالى وطاعته * قوله ان سعيكم لشتى * هذا جواب القسم والمعنى ان اعمالكم لمختلف * ويجوز ان يكون محذوفا كما قيل فى نظائره المتقدمة * وشتى واحده شتيت مثل مريض ومرضى وانما قيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه اى ان عملكم المتباعد بعضه من بعض لشتى لان بعضه ضلالة وبعضه هدى اى فمنكم مؤمن وبر وكافر وفاجر ومطيع وعاص * وقيل لشتى اى لمختلف الجزا فمنكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار * وقيل لمختلف الاخلاق فمنكم راحم وقاس وحليم وطائش وجواد وبخيل * قال المفسرون نزلت هذه الاية فى ابى بكر رضى الله عنه وابى سفيان * قوله تعالى فاما من اعطى * قال ابن مسعود رضى الله عنه يعنى ابا بكر رضى الله عنه * وعن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى فاما من اعطى اى بذل واتقى محارم الله التى نهى عنها وصدق بالحسنى اى بالخلف من الله تعالى على عطائه فسنيسره لليسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم غربت شمسه الا وبعث بجنبتيها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله تعالى كلهم الا الثقلين اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا وانزل الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الايات

فصل حذف مفعولى اعطى ومفعول اتقى ومفعول صدق المجرور بعلى لان الغرض ذكر هذه الاحداث دون متعلقاتها وكذلك متعلقا البخل والاستغنا * وقوله فسنيسره للعسرى اما من باب المقابلة كقوله تعالى فسنيسره لليسرى واما بشره بمعنى تهنيه والتهنئة تكون فى العسر واليسر

فصل قال المفسرون فاما من اعطى المعسرين * وقال قتادة اعطى حق الله الواجب * وقال الحسن اعطى الصدق من قلبه وصدق بالحسنى اى بلا اله الا الله وهو قول ابن عباس والضحاك والسلمى رضى الله عنهم * وقال مجاهد بالجنة لقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى * وقال زيد بن اسلم بالصلاة والزكاة والصوم * وقوله تعالى فسنيسره لليسرى اى نرشده لاسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها * وقال زيد بن اسلم لليسرى للجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفس منفوسة الا كتب الله تعالى مدخلها فقال القوم يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا فقال عليه السلام بل اعملوا فكل ميسر اما من كان من اهل السعادة فانه ميسر لعمل اهل السعادة ومن كان من اهل الشقاوة فانه ميسر لعمل اهل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * قوله واما من بخل واستغنى * اى ضن بما عنده فلم يبذل خيرا * وروى عن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله فسوف نيسره للعسرى قال سوف احول بينه وبين الايمان بالله وبرسوله * وعن ابن عباس رضى الله عنه قال نزلت فى امية بن خلف * وعن ابن عباس واما من بخل واستغنى اى بخل بماله واستغنى عن ربه وكذب بالحسنى اى بالخلف الذى وعد الله تعالى فى قوله تعالى وما انفقتم من شئ فهو يخلفه * وقال مجاهد وكذب بالحسنى اى بالجنة * وعنه بلا اله الا الله فسنيسره للعسرى اى نسهل عليه طريقة للعسرى اى للشر * وعن ابن مسعود اى للنار * قوله فسنيسره لليسرى وقوله تعالى فسنيسره للعسرى يدل على ان التوفيق والخذلان من الله تعالى لان التيسير يدل على الرجحان لزم الوجوب لانه لا واسطة بين الفعل والترك ومع الاستوا لا ترجيح فحال المرجوحية اولى بالامتناع ومتى امتنع احد الطرفين وجب الاخر اذ لا خروج عن النقيضين * اجاب القفال عنه انه من باب تسمية احد الضدين باسم الاخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة فسمى الله تعالى الالطاف الداعية الى الطاعة تيسيرا لليسرى وسمى ترك هذه الالطاف تيسيرا للعسرى او هو من باب اضافة الفعل الى السبب دون الفاعل كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا او يكون على سبيل الحكم والاخبار عنه * واجيب بان هذا كله عدول عن الظاهر والظاهر

من جهتنا وهو المقصود من الحديث المتقدم ما من نفس منفوسة . قال القفال معنى الحديث ان الناس خلقوا للعبادة قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهذا ضعيف لان هذا جواب عن قولهم الا نتكل فقال اعملوا فكل ميسر لما وافق معلوم الله تعالى

فصل التأنيث في اليسرى والعسرى ان اريد جماعة الاعمال فظاهر وان اريد عمل من الاعمال باعتبار الخصلة او الفعلة او الطريقة ثم من فسر اليسرى بالجنة فتيسيرها ادخولها باكرام وسهولة ومن فسرها بالخير فتيسيره خفته عليه ونشاطه له بخلاف المنافق والمرائي ودخلت السين في فسنيسره بمعنى الترجي وهذا بغية القطع من الله تعالى او لان الاعمال بالخواتيم فقد يعصي المطيع وبالعكس او لان اكثر الثواب يكون في الآخرة وهي متأخرة . **قوله** وما يغني يجوز ان يكون ما نافية اي لا يغني عنه ماله شيئا وان يكون استفهاما انكاريا اي اي شيء يغني عنه ماله اذا اهلك او وقع في جهنم وتردى اما من الهلاك يقال ردي الرجل يردى ردا اذا اهلك قال . صرفت الهوى عنهن من خشية الردى . وقال ابو صالح وزيد بن اسلم تردى اي سقط في جهنم ومنه المتردية ويقال ردي من في البير وتردى اذا سقط في بير او نهر او من جبل ويقال ما ادري اين ردي اي اين ذهب . ويحتمل ان يكون من تردى بالكفانة وهو كناية عن الموت كقوله

وخطا باطراف الاسنة مضجعي ... وردا على عيني فضل ردائيا

وقول الآخر

نصيبك مما تجمع الدهر كله ... رداآن تلوى فيهما وحنوط

قوله تعالى ان علينا للهدى اي علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلال فالهدى بمعنى بيان الاحكام قاله الزجاج اي على الله بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وهو قول قتادة . وقال الفراء من سلك الهدى فعلى الله سبيله كقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل . وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال فترك الاضلال كقوله تعالى بيدك الخير وبيدك كل شيء وقوله تعالى تقيكم الحر وهي تقي البرد قاله الفراء ايضا وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنه

فصل لما عرفهم سبحانه ان سعيهم شتى وبين ما للمحسنين من اليسرى وللمسيئين من العسرى اخبرهم انه قد مضى ما عليه من البيان والدلالة والترغيب والترهيب اي ان الذي يجب علينا في الحكمة اذ خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم وجوه التعبد ونبين المتعبد به . قالت المعتزلة ازاحة الاعذار يقتضي انه تعالى كلفهم بما في وسعهم وطاقتهم وايضا فكلمة على للوجوب وايضا فلو لم يستقل العبد بالايجاد لم يكن في نصب الادلة فائدة وجوابهم قد تقدم وزاد الواحدي ان الفراء قال معناه ان علينا للهدى والاضلال فحذف المعطوف كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وهو معنى قول ابن عباس يريد ارشد اوليائي للعمل بطاعتي واحول بين اعدائي ان يعملوا بطاعتي وهو معنى الاضلال ورد المعتزلة هذا التأويل بقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر وتقدم جوابهم **قوله تعالى** وان لنا للآخرة والاولى اي لنا كل ما في الدنيا والآخرة فلا يضرنا ترككم الاهتداء بهدانا ولا يزيد في ملكنا اهتداؤكم بل نفع ذلك وضره عائد اليكم ولو شئنا لمنعناكم عن المعاصي لكن ذلك يخل بالتكليف بل نمنعكم بالبيان والتعريف والوعد والوعيد ويكون نحن نملك الدارين فليطلب منا سعادة الدارين فالاول اوفق لقول المعتزلة والثاني اوفق لقولنا . روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه قال ثواب الدنيا والآخرة فمن طلبها من غير مالكها فقد اخطأ الطريق **قوله تعالى** فانذرتكم نارا تلظى قد تقدم في البقرة ان البزي يشدد مثل هذه التاء والتشديد فيها عسر لالتقاء الساكنين فيها على غير حدهما وهو نظير قوله تعالى اذ تلقونه وقد تقدم . وقال ابو البقاء يقرأ بكسر التنوين وتشديد التاء وقد ذكر وجهه ولا تيمموا الخبيث انتهى وهذه قراءة غريبة ولكنها موافقة للقياس من حيث انه لم يلتق فيها ساكنان . وقوله تعالى وقد ذكر وجهه اي الذي قاله في البقرة ولا يفيد هذا اشباع البيئة فانه قال هناك ويقرأ بتشديد التاء وقبله الف وهو جمع بين ساكنين وانما سوغ ذلك المد الذي في الالف . وقرأ ابن الزبير وسفيان وزيد بن علي وطلحة تتلظى بتاءين وهو الاصل . قال القرطبي وهي قراءة عبيد بن عمير ويحيى بن يعمر

فصل المعنى حذرتكم وخوفتكم نارا تلظى اي تلتهب وتوقد وتتوهج يقال تلظت النار تلظيا ومنه سميت جهنم لظى **قوله** لا يصلاها اي لا يجد صلاها وهو حرها الا الاشقى قيل الاشقى والاتقى بمعنى الشقي والتقي ولا تفضيل فيهما لان النار مختصة بالاكثر شقاوة وتجنبها ليس مختصا بالاكثر تقوى وقيل بل هما على بابهما واليه ذهب الزمخشري فقال فان قلت قال لا يصلاها الا الاشقى وسيجنبها الاتقى وقد علم ان كل شقي يصلاها وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي اشقى الاشقياء ولا بالنجاة اتقى الاتقياء وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى فقد علم ان افسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة قلت الاية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المومنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي كان النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له . وقيل ابو جهل وامية بن خلف وابو بكر رضي الله عنه انتهى قال جوابه الى ان المراد بهما شخصان معينان

فصل قال المفسرون المراد بالاشقى والشقي الذي كذب نبي الله صلى الله عليه وسلم وتولى اعرض عن الايمان وقال الفراء معناه الا من كان شقيا في علم الله تعالى . قال بعضهم الاشقى بمعنى الشقي كقوله لست فيها باوحد اي بواحد ووحيد ويوضع افعل بمعنى موضع فعيل نحو قولهم الله اكبر بمعنى كبير وهو اهون عليه بمعنى هين . قالت المرجئة الاية تدل على ان الوعيد مختص بالكافر والجواب المعارضة بآيات الوعيد وايضا فهذا اغراء بالمعاصي وايضا فقوله تعالى بعد ذلك وسيجنبها الاتقى يدل على ترك هذا الظاهر لان الفاسق ليس باتقى فالمراد بقوله تعالى نارا تلظى انها مخصوصة من بين النيران لان النار دركات ولا يلزم من هذا ان الفاسق لا يدخل النار اصلا والمراد لا يصلاها بعد الاستحقاق واجاب الواحدي بان معنى لا يصلاها لا يلزمها وهذه الملازمة لا تثبت الا للكافر **قوله** وسيجنبها الاتقى اي يبعد عنها الاتقى اي التقي الخائف . قال ابن عباس هو ابو بكر رضي الله عنه ثم وصف الاتقى فقال سبحانه الذي يؤتي ماله يتزكى اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا ولا يطلب بذلك رياء ولا سمعة بل يتصدق به مبتغيا به وجه الله تعالى **قوله** يتزكى قرأ العامة يتزكى مضارع تزكى والحسن بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم يزكى بادغام التاء في الزاي وفي هذه الجملة وجهان احدهما انها في موضع الحال من فاعل يؤتي اي يؤتيه متزكيا به والثاني انها لا موضع لها من الاعراب على انها بدل من صلة الذي ذكرهما الزمخشري **قوله** وما لاحد عنده من نعمة تجزى اي ليس يتصدق ليجازي على نعمة وانما يبتغي وجه ربه الاعلى اي المتعالي تجزى صفة لنعمة اي تجزى الانسان وانما جيء به مضارعا مبنيا للمفعول لاجل الفواصل اذ الاصل يجزيها اياه او يجزيه اياها **قوله** الا ابتغاء في نصبه وجهان احدهما انه مفعول له قال الزمخشري ويجوز ان يكون مفعولا له على المعنى لان المعنى لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة وهذا اخذ من قول الفراء فانه قال ونصب على التاويل ما اعطيتك ابتغاء جزائك بل ابتغاء وجه الله تعالى . والثاني انه منصوب على الاستثناء المنقطع اذ لم يندرج تحت جنس من نعمة وهذه قراءة العامة اعني النصب والمد . وقرأ يحيى برفعه ممدودا على البدل من محل نعمة لان محلها الرفع اما على الفاعلية واما على الابتداء . ومن مزيدة في الوجهين والبدل لغة تميم لانهم يجرون المنقطع في غير الايجاب مجرى المتصل وانشد الزمخشري بالوجهين النصب والبدل قول بشر بن ابي خازم

اضحت خلاء قفارا لا انيس بها ... الا الجآذر والظلمان تختلف

وقول القائل في الرفع

وبلدة ليس بها انيس ... الا اليعافير والا العيس

وفي التنزيل ما فعلوه الا قليل منهم . وقال مكي واجاز الفراء الرفع في ابتغاء على البدل من موضع نعمة وهو بعيد . قال شهاب الدين كانه لم يطلع عليها قراءة واستبعاده هو البعيد فانها لغة فاشية . وقرأ ابن ابي عبلة ابتغا بالقصر

فصل روى عطاء والضحاك عن ابن عباس قال عذب المشركون بلالا وبلال يقول احد احد فمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه يا ابا بكر ان بلالا يعذب في الله تعالى فعرف ابو بكر الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف فقال له اتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه ابو بكر رضي الله عنه لا لبلال كانت له عنده فنزلت وما لاحد عنده اي عند ابي بكر من نعمة اي من يد ومنة تجزى بل ابتغى بما فعل وجه ربه الاعلى . قال بعضهم المراد ابتغاء ثوابه وكرامته لان ابتغاء ذاته محال . وقال بعضهم لا حاجة الى هذا الاضمار بل حقيقة هذه المسئلة ترجع الى ان العبد هل يمكن ان يحب ذات الله او المراد من هذه المحبة ثوابه وكرامته ذكره ابن الخطيب . والاعلى من نعت الرب الذي استحق صفات العلو . ويجوز ان يكون ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة **قوله تعالى** ولسوف يرضى هذا جواب قسم مضمر والعامة على يرضى مبنيا للفاعل وقرئ ببنائه للمفعول من ارضاه الله تعالى وهو قريب من قوله تعالى في اخر سورة طه لعلك ترضى وترضى . ومعنى الآية سوف يعطيه في الجنة ما يرضى بان يعطيه اضعاف ما انفق . قال ابن الخطيب وعندي فيه وجه اخر وهو ان المراد انه انما طلب رضوان الله تعالى ولنبين رضي الله عنه قال وهذا اعظم من الاول لان رضى الله اكمل للعبد من رضاه من ربه والله اعلم . روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسرى . قال الثعلبي وان ابيت تاويلها بمكة ضعف تاويلها بقصة ابي الدحداح وفي تاويلها نزولها في خوف ابي بكر رضي الله عنه لانه كان بمكة . وقصة ابي الدحداح كانت بالمدينة والله تعالى اعلم . روى
عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجني
ابنته وحملني الى دار الهجرة واعتق بلالا من ماله . والله تعالى اعلم

سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** والضحى والليل
وهي احدى عشرة اية وأربعون كلمة ومائة وسبعون حرفا اقسم تعالى بالضحى ولقوله تعالى افأمن اهل القرى ان
اذا سجى تقدم الكلام في الضحى والمراد به هنا النهار المقابل لليل بقوله والليل اذا سجى وقال قتادة ومقاتل
ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون اي نهارا وقيل الضحى هي الساعة التي
كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام وبليلة المعراج وقيل الضحى وعبادة
وجعفر الصادق اقسم بالضحى الذي كلم الله تعالى فيه موسى وان يحشر الناس ضحى وقال القرطبي يعني عبادة الذين يعبدونه في وقت الضحى وعبادة
خروا السحرة فيها سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقيل الضحى نور قلوب العارفين كهيئة النهار
الذين يعبدونه بالليل اذا اظلم وقيل الضحى نور الجنة والليل ظلمة النهار وقيل الضحى نور قلوب العارفين كهيئة النهار
والليل سواد قلوب الكافرين كهيئة الليل اقسم تعالى بهذه الاشيا وقال اهل المعاني فيه وفي امثاله فيه اضمار مجازه
ورب الضحى وسجى معناه سكن قاله قتادة ومجاهد وابن زيد وعكرمة يقال ليلة ساجية اي ساكنة ويقال للعين
اذا سكن طرفها ساجية يقال سجى الشي يسجو سجوا اذا سكن وسجى البحر يسجو سجوا اي سكنت امواجه وطرف ساج اي فاتر
ومنه استعير تسجية الميت اي تغطيته بالثوب قاله الراغب وقال الاعشى
وما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم وبحرك ساج لا يوارى الدعامصا وقال الفرا اظلم وقال
ابن الاعرابي اشتد ظلامه وقال الشاعر يا حبذا القمراء والليل الساج وطرق مثل ملاء النساج وقال الضحاك
سجى غطى كل شي قال الاصمعي سجو الليل تغطيته النهار مثل ما يسجى الرجل الثوب وعن ابن عباس سجى اذبر وعنه اظلم
وقال سعيد بن جبير اقبل وعن مجاهد سجى استوى والقول الاول اشهر في اللغة اي سكن الناس فيه كما يقال نهار صائم
وليل قائم وقيل سكونه استقرار ظلامه واستوائه وهو من ذوات الواو وانما اميل لموافقة رؤس الاي كالضحى فانه
من ذوات الواو ايضا **فصل** قال ابن الخطيب وقدم هنا الضحى وفي السورة التي قبلها قدم الليل اما لان كلا منهما
اثر عظيم في صلاح العالم والليل فضيلة السبق لقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وللنهار فضيلة النور فقدم سبحانه
هذا تارة وقدم هذا تارة كالركوع والسجود في قوله تعالى اركعوا واسجدوا وقوله واسجدي واركعي مع الراكعين
وقيل قدم الليل في سورة ابي بكر رضي الله عنه لان ابا بكر سبقه كفر وقدم الضحى في سورة محمد عليه السلام لانه
نور محض ولم يتقدمه ذنب وقيل لما كانت سورة الليل سورة ابا بكر رضي الله عنه وسورة الضحى سورة محمد صلى الله
عليه وسلم لم يجعل بينهما واسطة ليعلم انه لا واسطة بين محمد صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله عنه **فصل**
قال ابن الخطيب وذكر الضحى وهو ساعة وذكر الليل بجملته اشارة الى ان ساعة من النهار توازن جميع الليل كما ان محمدا
صلى الله عليه وسلم توازن جميع الانبيا عليهم السلام وايضا فالضحى وقت السرور والليل وقت الوحشة ففيه اشارة
الى ان سرور الدنيا اقل من شرورها وان هموم الدنيا ادوم من سرورها فان الضحى ساعة والليل ساعات يروى ان
الله تعالى لما خلق العرش اظلته غمامة سوداء ونادت ماذا امطر فاجيبت ان امطري الهموم والاحزان مائة سنة ثم
انكشفت فامرت مرة اخرى بذلك وهكذا الى ثلاث مائة سنة ثم بعد ذلك اظلت عن يمين العرش غمامة بيضاء ونادت
ماذا امطر فاجيبت ان امطري السرور ساعة فلهذا ترى الهموم والاحزان دائمة والسرور قليلا ونادرا وقدم ذكر
الضحى لانه يشبه الحياة واخر الليل لانه يشبه الموت **قوله** ما ودعك هذا جواب القسم والعامة على تشديد الدال
من التوديع وقرا عروة بن الزبير وابنه هاشم وابن ابي عبلة وابو حياة بتخفيفها من قولهم ودعه اي تركه والمشهور
في اللغة الاستغنا عن ودع وورد واسم فاعلهما واسم مفعولهما ومصدرهما بترك وما انصرف منه وقد جاء ودع
وورد قال الشاعر سل اميري ما الذي غيره عن وصالي اليوم حتى ودعه وقال الاخر
ثم ودعنا ال عمرو وعامر فرائس اطراف المثقفة السمر قيل والتوديع مبالغة في
الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك قال القرطبي واستعماله قليل يقال هو يدع كذا اي يتركه قال
المبرد لا يكادون يقولون ودع ولا وذر لضعف الواو اذا قدمت واستغنوا عنها بترك **قوله تعالى** وما قلا
اي ما ابغضك يقال قلاه يقليه بكسر العين في المضارع تقول قلا يقلاه بالفتح قال
ايام ام الثنايا تعاهدنا ولا والله اقلاه لك الله على ذلك لك الله وحذف قلا مراعاة للفواصل
مع العلم به وكذا بعد فاوى وما بعده **فصل** القلا البغض اي ما ابغضك ربك منذ احبك فان
فتحت القاف مددت تقول قلاه يقليه قلا وقلاء كما تقول قريت الضيف اقريه قرا وقراء ويقلاه لغة
طي وانشد ثعلب ايا رب ام العمر لا تقلاها اي لا تبغضها ويقلي اي يبغض وقال
اسيئي بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت وقال امرء القيس

... ولست بمقلي الخلال ولا قالي ومعنى الاية ما ودعك ربك وما قلاك فحذف الكاف لانه راس اية
كقوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات **فصل** قال المفسرون احتبس الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم
اثني عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل خمسة وعشرين يوما وقال مقاتل اربعين يوما فقال المشركون
ان محمدا صلى الله عليه وسلم قلاه ربه وودعه ولو كان امره من الله تعالى لتابع عليه كما كان يفعل بمن كان قبله من الانبيا
فنزلت هذه الاية وروى البخاري عن جندب بن سفيان قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين
او ثلاثا فجات ام جميل امراة ابي لهب لعنة الله عليها فقالت يا محمد اني لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لم اره قربك
منذ ليلتين او ثلاث فانزل الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وروى ابو عمران الجوني قال
ابطا جبريل عليه السلام على النبي عليه السلام حتى شق عليه فجاء وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو فنكت بين كتفيه
وانزل عليه ما ودعك ربك وما قلى وروي ان خولة كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان جروا دخل البيت
فدخل تحت السرير فمات فمكث نبي الله صلى الله عليه وسلم اياما لا ينزل عليه الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا خولة ما حدث في بيتي ان جبريل لا ياتيني قالت خولة لو هيات البيت وكنسته فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا
جرو ميت فاخذته فالقيته خلف الجدار فجا نبي الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحي استقلته الرعدة
فقال يا خولة دثريني فانزل الله تعالى هذه السورة ولما نزل جبريل عليه السلام سال النبي صلى الله عليه وسلم عن التاخر
فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة ولما سالته اليهود عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف قال
صلى الله عليه وسلم ساخبركم غدا ولم يقل ان شا الله فاحتبس عنه الوحي الى ان نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا
تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله فاخبره بما سئل عنه وفي هذه القصة نزلت ما ودعك ربك وما قلى **قوله**
وللاخرة الظاهر في هذه اللام انها جواب القسم وكذلك في ولسوف اقسم الله تعالى على اربعة اشيا اثنان منفيان وهما
توديعه وقلاه واثنان مثبتان مؤكدان وهما كون الاخرة خيرا له من الدنيا وانه سوف يعطيه ما يرضيه وقال
الزمخشري فان قلت ما هذه اللام الداخلة على سوف قلت هي لام الابتدا المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدا محذوف تقديره
ولانت سوف يعطيك كما ذكرنا في لا اقسم ان المعنى لانا اقسم وذلك انها لا تخلو من ان تكون لام قسم او ابتدا فلام القسم
لا تدخل على المضارع الا مع نون التوكيد فبقي ان تكون لام ابتدا ولام الابتدا لا تدخل الا على الجملة من المبتدا والخبر فلا بد
من تقدير مبتدا وخبر واصله ولانت سوف يعطيك ونقل ابو حيان عنه انه قال وخلع من اللام دلالتها على الحال
انتهى وهذا الذي رده المصري نختار منه انها لام القسم قوله لا تدخل على المضارع الا مع نون التوكيد هذا استثنا
النحاة منه صورتين احدهما ان لا يفصل بينها وبين الفعل حرف تنفيس كهذه الاية وكقولك والله لسا اعطيك والثاني ان
لا يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى لالى الله تحشرون ويدل لما قلته ما قال الفارسي ليست هذه اللام هي التي في قولك
ان زيدا لقائم بل هي التي في قولك لا قومن ونابت سوف عن احدى نوني التاكيد فكانه قال وليعطينك وقوله خلع
منها دلالتها على الحال يعني ان لام الابتدا الداخلة على المضارع تخلصه للحال وهنا لا يمكن ذلك لاجل حرف التنفيس فلذلك
خلعت الحالية منها وقال ابو حيان واللام في وللاخرة لام ابتدا اكدت مضمون الجملة ثم حكى بعد ما تقدم عن الزمخشري
وابي علي ثم قال ويجوز عندي ان تكون اللام في وللاخرة خير وفي لسوف يعطيك اللام التي يتلقى بها القسم عطفتهما على جواب
القسم وهو قوله ما ودعك فيكون قد اقسم على هذه الثلاثة انتهى فظاهره ان اللام في وللاخرة لام ابتدا غير متلقى
بها القسم بدليل قوله ثانيا ويجوز عندي ولا يظهر انقطاع هذه الجملة عن جواب القسم البتة وكذلك في ولسوف وتقدير
الزمخشري مبتدا بعدها لا ينافي كونها جوابا للقسم انما منع ان يكون جوابا لكونها داخلة على المضارع لفظا وتقديرا وقال
ابن الخطيب فان قيل ما معنى الجمع بين حرفي التاكيد والتاخير قلنا معناه ان العطا كائن لا محالة وان تاخر لما في التاخير من
المصلحة **فصل** قال ابن اسحق معنى قوله وللاخرة خير لك من الاولى اي ما عندي في مرجعك الي يا محمد خير لك
مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا روى علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل بيت
اختار الله تعالى لنا الاخرة على الدنيا وقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى روى عطا عن ابن عباس رضي الله عنه هو
الشفاعة في امته حتى يرضى وهو قول علي والحسن وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله
تعالى في ابراهيم عليه السلام فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم الاية فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله تعالى الله اكبر يا جبريل اذهب
الى محمد صلى الله عليه وسلم فقل انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وقال حرب بن شريح سمعت ابا جعفر محمد بن علي يقول
انكم يا معشر اهل العراق تقولون ان ارجا اية في القران الكريم يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله وانا اهل البيت نقول ارجا اية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل يعطيك ربك من الثواب وقيل
من النصر فترضى وقيل الحوض والشفاعة **فصل** وجه النظم كانه قيل ان انقطاع الوحي لا يكون عزلا عن النبوة

بل غايته انه امارة الموت للاستغنا عن الرسالة فقال فهمت منه قرب الموت فالموت خير لك من الاولى ثم صلى الله عليه
وسلم من الخطاب بقوله ما ودعك ربك وما قلى تشريفا عظيما فقيل له وللآخرة خير لك من الاولى اى ان الاحوال
الآتية خير لك من الماضية فهو وعد بانه سيزيده عزا الى عزه وبيان ان الآخرة خير لانه صلى الله عليه وسلم يفعل
فيها ما يريد ولانها اشترا (اشتراها) فهى ملكه وملكه خير مما لا يكون ملكه او لان الكفار يؤذونك وامتك فى الدنيا وانتم
فيها شهدا على الناس او لان خيرات الدنيا قليلة مقطوعة ولم يقل خير لكم لان فيهم من الآخرة شر له فلو عمم لم
لا فتضحوا ثم اخبر الله تعالى عن حالته التى كان عليها قبل الوحى وذكره نعمه فقال **قوله تعالى** الم يجدك يتيما فاوى
قال الزمخشرى وهو على معنى
العامة على اوى بالف بعد الهمزة رباعيا من آواه يؤويه وابو الاشهب فاوى ثلاثيا وعلى الثانى قوله او انى
اما من اواه بمعنى اواه سمع بعض الرعاة يقول اين آوى هذه وامامن اوى له اذا رحمه انتهى وعلى الثانى قوله اين
اوانى ولا كفران الله آية لنفسى فلا طالبته غير منيل اى رحمة لنفسى ووجه الدلالة من قوله اين
الوهذه لانه لو كان من الرباعى المضمومة فى حرف المضارعة والثانية هى فا الكلمة واما الهمزة افعل تحذف وجه على
الفاعل ولم يبدل هذه الهمزة كما ابدلت فى اومن لئلا يشتغل بالادغام ولذلك نص الفرا على ان نونه من قوله تعالى
وفضيلته التى نونه لا يجوز ابدالها للثقل **فصل** قال ابن الخطيب يجدك من الوجود الذى بمعنى العلم والمنصوبان
مفعولا الوجدان والوجود من الله العلم والمعنى الم يعلمك الله يتيما فاوى قال القرطبى يتيما لا اب لك قد مات
ابوك فاوى اى جعل لك ماوى تاوى اليه عند عمك ابى طالب فكفلك وقيل لجعفر بن محمد الصادق لم اوتم النبى صلى الله
عليه وسلم من ابويه فقال لئلا يكون لمخلوق عليه حق وقال مجاهد هو من قول العرب درة يتيمة اذا لم يكن لها
نظير فالمعنى الم يجدك يتيما واحدا فى شرفك لا نظير لك فآواك الله باصحاب يحفظونك ويحوطونك **فصل**
اورد ابن الخطيب هنا سؤالا وهو انه كيف يحسن من الجواد ان يمن بنعمه فيقول الم يجدك يتيما فاوى ويؤكد هذا السؤال
ان الله تعالى حكى عن فرعون قوله لموسى عليه السلام الم نربك فينا وليدا فى معرض الذم لفرعون فما كان مذموما
من فرعون كيف يحسن من الله تعالى قال والجواب ان ذلك يحسن اذا قصد بذلك تقوية قلبه ووعده
بدوام النعمة ولهذا ظهر الفرق بين هذا الامتنان وبين امتنان فرعون لان امتنان فرعون معناه فما
بالك لا تخدمنى وامتنان الله تعالى زيادة نعمه كانه يقول ما لك تقطع عنى رجاءك الست شرعت فى تربيتك
اتظننى تاركا لما صنعته بل لا بد وان اتم النعمة كما قال تعالى ولاتم نعمتى عليكم **فان قيل** ان الله تعالى من عليه
بثلاثة اشيا ثم امره بان يذكر نعمة ربه فما وجه المناسبة **فالجواب** وجه المناسبة ان يقول قضا
الدين واجب والدين نوعان مالى وانعامى والانعامى اقوى وجوبا لان المالى قد يسقط بالابرا والانعامى
يتاكد بالابرا والانعامى يتاكد بالابرا والمالى يقضى مرة فيتجو امنه الانسان والانعامى يجب عليه قضاؤه
طول عمره فاذا تعذر قضا النعمة القليلة من منعم هو مملوك فكيف حال النعمة العظيمة من المنعم المالك
فكان العبد يقول الهى اخرجتنى من العدم الى الوجود بشرا مستويا طاهر الظاهر نجس الباطن بشارة منك
تسترعلى ذنوبى تستر عيوبى كما سترت نجاستى بالجلد الطاهر فكيف يمكننى قضا نعمتك التى لا احصر لها فيقول
تبارك وتعالى الطريق الى ذلك ان يفعل فى حق عبيدى ذلك وكنت عائلا فاغنيتك فافعل فى حق الايتام ذلك
ثم اذا فعلت كل ذلك فاعلم انما فعلته بتوفيقى ولطفى وارشادى فكن ابدا ذاكرا لهذه النعم **قوله تعالى** ووجدك
ضالا فهدى اى غافلا عما يراد بك من امر النبوة فهداك اى ارشدك والضلال هنا بمعنى الغفلة لقوله
تعالى لا يضل ربى ولا ينسى اى لا يغفل وقال فى حق نبيه صلى الله عليه وسلم وان كنت من قبله لمن الغافلين
وقيل معنى قوله تعالى ضالا لم تكن تدرى القرآن والشرايع فهداك الله الى القرآن وشرايع الاسلام قاله
الضحاك وشهر بن حوشب وغيرهما قال تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان على ما تقدم فى سورة
الشورى وقال السدى والكلبى والفرا وجدك ضالا اى فى قوم ضلال فهداهم الله بك او فهداك الى ارشادهم
وقيل وجدك ضالا عن الهجرة فهداك اليها وقيل ضالا اى ناسيا شان الاستثنا حين سئلت عن اصحاب
الكهف وذى القرنين والروح فاذكرك لقوله تعالى ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى وقيل ووجدك
طالبا للقبلة فهداك اليها لقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السما الآية ويكون الضلال بمعنى الطلب
لان الضال طالب وقيل ووجدك ضايعا فى قومك فهداك اليه ويكون الضلال بمعنى المحبة قال تعالى
قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم اى فى محبتك قال الشاعر

هذا الضلال اشاب منى المفرقا ... والعارضين ولم اكن متحققا

عجبا لعزة فى اختيار قطيعتى ... بعد الضلال فحبها قد اخلقا

وقيل ضالا فى شعاب مكة فهداك اى ردك الى جدك عبد المطلب وقال كعب رضى الله عنه ان حليمة لما

لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب فسمعت عند باب مكة هنيا لك يا بطحا
مكة اليوم يرد اليك النور والدين والبها والجمال قالت فوضعته لاصلح شانى فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم
اره فقلت معشر الناس اين الصبى فقالوا لم نر شيئا فصحت وا محمداه فاذا شيخ فان يتوكا على عصى فقال اذهبى
الى الصنم الاعظم فان شا ان يرده اليك فعل ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل راسه وقال يا رب لم تزل منتك على
قريش وهذه السعدية تزعم ان ابنها قد ضل فرده ان شئت فانكب هبل على وجهه وتساقطت الاصنام وقالت
اليك عنا ايها الشيخ فهلاكنا على يد محمد فالقى الشيخ عصاه وارتعد وقال ان لابنك ربا لا يضيعه فاطلبيه على مهل
فانحشرت قريش الى عبد المطلب وطلبوه فى جميع مكة فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى
ان يرده وقال

يا رب رد ولدى محمدا ... اردده ربى واصطنع عندى يدا

فسمعوا مناديا ينادى من
السما معاشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادى تهامة عند شجرة السمر صلى الله
عليه وسلم فسار عبد المطلب هو وورقة بن نوفل فاذا النبى صلى الله عليه وسلم قايم تحت شجرة يلعب بالاغصان
وبالورق وفى رواية فما زال عبد المطلب يردد البيت حتى اتاه ابو جهل على ناقة ومحمد صلى الله عليه وسلم بين
يديه وهو يقول لا تدرى ماذا جرا من ابنك فقال عبد المطلب ولم قال انى انخت الناقة واركبته خلفى فابت
الناقة ان تقوم فلما اركبته امامى قامت الناقة قال ابن عباس رضى الله عنه رده الله تعالى الى جده بيد عدوه
كما فعل بموسى عليه السلام حين حفظه عند فرعون وقال سعيد بن جبير خرج النبى صلى الله عليه وسلم مع عمه
ابى طالب فى سفر فاخذ ابليس بزمام ناقته فى ليلة ظلما فعدل بها عن الطريق فجا جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة
وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافلة صلى الله عليه وسلم وقيل ووجدك ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل
وانت لا تعرف الطريق فهداك الى ساق العرش وقال بعض المتكلمين اذا وجدت العرب شجرة منفردة فى فلاة من
الارض لا شجرة معها سموها ضالة فيهتدى بها على الطريق فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا اى
لا احد على دينك بل انت وحيد ليس معك احد فهديت بك الخلق الى وقال بعضهم ووجدك مغمورا فى اهل الشرك
فميزك عنهم يقال ضل الماء فى اللبن ومنه اذا ضللنا فى الارض اى لحقنا بالتراب عند الدفن حتى كانا لا نتميز
من جملته وقيل ضالا عن معرفة الله حين كنت طفلا صغيرا كقوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون
شيئا فخلق فيك العقل والهداية والمعرفة فالمراد من الضال الخالى عن العلم لا الموصوف بالاعتقاد وقيل انه خطاب للنبى
صلى الله عليه وسلم والمراد قومه فقوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اى وجد قومك ضلالا فهداهم بك وقيل انه
كان على ما كان القوم عليه لا يظهر لهم فى الظاهر الحال فاما الشرك فلا يظن به بل على مواسم القوم فى الظاهر اربعين سنة
وقال الكلبى والسدى اى وجدك كافرا والقوم كفارا فهداك وقد مضى الرد على هذا القول فى سورة الشورى **قوله**
ووجدك عايلا فاغنى العايل الفقير وهذه قراءة العامة يقال عال زيد اى افتقر قال جرير

الله انزل فى الكتاب فريضة ... لابن السبيل وللفقير العايل

وعال كثرت عياله قال
الشاعر

وما يدرى الفقير متى غناه ... وما يدرى الغنى متى يعيل

وقرا اليمانى عيلا بكسر اليا
المشددة كسيد وقال ابن الخطيب العايل ذو العيلة ثم اطلق على الفقير وان لم يكن له عيال والمشهور ان المراد
به الفقير ويؤيده ما روى فى مصحف عبد الله ووجدك عديما وقوله تعالى فاغنى اى اغناك بخديجة وتربية
ابى طالب ولما اختل ذلك اغناه بمال ابى بكر رضى الله عنه ولما اختل ذلك امره بالهجرة واغناه باعانة الانصار رضى
الله عنهم ثم امره بالجهاد واغناه صلى الله عليه وسلم بالغنايم وقال مقاتل اغناك بما اعطاك من الرزق وقال
عطا وجدك فقير النفس فاغنى قلبك وقيل من الحجج والبراهين فاغناك بها **قوله** فاما اليتيم فلا تقهر اليتيم
منصوب بتقهر وبه استدل ابن مالك على انه لا يلزم من تقدير المعمول تقدير العامل الا ترى ان اليتيم منصوب
بالمجزوم ولا يتقدم على جازمه كالمجرور وقد تقدم على الجازم ولو قدمت على لا لامتنع لان المجزوم لا يتقدم على جازمه
كالمجرور لا يتقدم على جاره وتقدم ذلك فى سورة هود عليه السلام عند قوله تعالى الا يوم ياتيهم ليس مصروفا
عنهم وقرا العامة تقهر بالقاف من الغلبة وابن مسعود والشعبى وابراهيم النخعى والاشهب العقيلى بالكاف
يقال كهر فى وجهه اى عبس وفلان ذو كهرة اى عابس الوجه ومنه الحديث فبابى وامى هو ما كهرنى وقال ابو حيان
وهى لغة بمعنى قراءة الجمهور انتهى والكهر فى الاصل ارتفاع النهار مع شدة الحر وقيل القهر الغلبة والكهر
الزجر والمعنى لا تسلط عليه بالظلم بل ادفع اليه حقه واذكر يتمك قاله الاخفش وقال مجاهد لا تحتقر وخص
اليتيم لانه لا ناصر له غير الله تعالى فغلظ فى امر العقوبة على ظالمه والمعنى عامله بمثل ما عاملناك به ونظيره
واحسن كما احسن الله اليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله فيمن ليس له الا الله **فصل**
دلت الآية على اللطف باليتيم وبره والاحسان اليه قال قتادة كن لليتيم كالاب الرحيم قال رسول الله صلى

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما وكان
الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين واشار بالسبابة والوسطى وقال النبي صلى الله عليه وسلم من مسح براس يتيم
في نفقته وكفاه مؤنته كان له حجابا من النار يوم القيامة وقال النبي صلى الله عليه وسلم من مسح براس يتيم
كان له بكل شعرة حسنة **فصل** قال ابن الخطيب والحكمة في ان الله تعالى اختار لنبيه اليتم ان يعرف
حرارة اليتم فيرفق باليتيم وايضا ليشاركه في الاسم فيكرمه لاجل ذلك لقوله عليه السلام اذا سميتم
الولد محمدا فاكرموه ووسعوا له في المجلس وايضا ليعتمد من اول عمره على الله تعالى فيشبه ابراهيم عليه
السلام في قوله حسبي من سؤالي علمه بحالي وايضا فالغالب ان اليتيم تظهر عيوبه فلما لم يجدوا فيه عيبا
لم يجدوا فيه مطعنا وايضا جعله يتيما ليعلم كل احد فضيلته ابتداء من الله تعالى لا من التعليم لان من
له اب فان اباه يعلمه ويؤدبه وايضا فاليتم والفقر نقص في العادة فكونه صلى الله عليه وسلم مع هذين
الوصفين من اكرم الخلق كان ذلك قلبا للعادة فكان معجزة ظاهرة **قوله تعالى** واما السائل فلا تنهر
اي فلا تزجره يقال نهره وانتهره اذا زجره واغلظ له القول ولكن يرده ردا جميلا قال ابراهيم بن ادهم
نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الاخرة وقال ابراهيم النخعي السائل بريد الاخرة يجيء الى باب احدكم
فيقول هل تبعثون الى اهليكم بشيء وقيل المراد هنا بالسائل الذي يسال عن الدين قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سالت ربي مسالة ووددت اني لم اسالها قلت يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى
تكليما وسخرت مع داود الجبال يسبحن واعطيت فلانا كذا فقال الله تعالى الم اجدك يتيما فاويتك الم
اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عائلا فاغنيتك الم اشرح لك صدرك الم اوتك ما لم اوت احدا قبلك
خواتيم سورة البقرة الم اتخذك خليلا كما اتخذت ابراهيم خليلا قلت بلى يا رب **قوله تعالى** واما بنعمة
ربك فحدث الجار متعلق بحدث والفاء غير مانعة من ذلك قال مجاهد تلك النعمة هي القران والحديث
فيه ان يقرا ويقرئ غيره وعن مجاهد ايضا تلك النعمة هي النبوة اي بلغ ما انزل اليك من ربك وقيل
تلك النعمة هي ان وفقك الله تعالى فراعيت حق اليتيم والسائل فحدث بها ليقتدي بك غيرك وعن الحسن
ابن علي رضي الله عنه قال اذا عملت خيرا فحدث اخوانك ليقتدوا بك الا ان هذا لا يحسن الا اذا لم يتضمن
رياء وظن ان غيره يقتدي به وروى مالك بن نضلة الجشمي قال كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فراى رث الثياب فقال الك مال قلت نعم يا رسول الله قال اذا اتاك الله مالا
فليرى اثره عليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جميل يحب الجمال ويحب ان يرى اثر
النعمة على عبده **فان قيل** ما الحكمة في ان الله تعالى اخر حق نفسه عن حق اليتيم والسائل **قالجواب**
كانه سبحانه وتعالى يقول انا غني وهما محتاجون وحق المحتاج اولى بالتقديم واختار قوله فحدث على قوله
فخبر ليكون ذلك حديثا عنه لا ينساه ويعيده مرة اخرى **فصل** روي عن مجاهد عن ابن عباس رضي
الله عنه وروى البزي عن ابن كثير تكبير القاري عقيب الضحى وروى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان اذا بلغ اخر الضحى كبر بين كل سورتين تكبيرة الى ان يختم القران ويفصل بينهما
بسكتة وكان المعنى في ذلك ان الوحي تاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال ناس من المشركين قد
ودعه صاحبه وقلاه فنزلت هذه السورة فقال الله اكبر قال مجاهد قرات على ابن عباس رضي الله عنه
فامرني به واخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكبر في قراءة الباقين لانها ذريعة الى الزيادة في
القران قال القرطبي القران ثبت نقله بالتواتر سوره واياته وحروفه لغير زيادة ولا نقصان وعلى هذا فالتكبير ليس بقران
روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والضحى كان فيمن
يرضاه الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يشفع له وكتب الله له من الحسنات بعدد كل يتيم وسائل والله اعلم

وهي ثمان ايات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة احرف بسم الله الرحمن الرحيم **قوله
تعالى** الم نشرح لك صدرك الاستفهام اذا دخل على النفي قرره فصار المعنى قد شرحنا ولذلك عطف عليه سورة الم نشرح
الماضي ومثله الم نربك فينا وليدا ولبثت والعامة على جزم الحاء بلم وقرا ابو جعفر المنصور بفتحها فقال الزمخشري
وقالوا لعله بين الحاء واشبعها في مخرجها فظن السامع انه فتحها وقال ابن عطية ان الاصل الم نشرحن بالنون
الخفيفة ثم ابدلها الفا ثم حذفها تخفيفا كما انشد ابو زيد
من اي يومي من الموت افر ايوم لم يقدر ام يوم قدر بفتح را لم يقدر وكقوله

اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس بفتح با اضرب انتهى وهذا مبني على جواز توكيد
المجزوم بلم وهو قليل جدا كقوله يحسبه الجاهل ما لم يعلما شيخا على كرسيه معمما فتركب هذه القراءة من ثلاثة
اصول كلها ضعيفة لان توكيد المجزوم بلم ضعيف وابدالها الفا انما هو في الوقف فاجرا الوصل مجرى الوقف خلاف الاصل
وحذف الالف ضعيف لانه خلاف الاصل وخرجه ابو حيان على لغة خرجها اللحياني في نوادره عن بعض العرب وهو
الجزم بلن والنصب بلم عكس المعروف عند الناس وجعله احسن مما تقدم والمنشد قول عائشة بنت الاعجم تمدح
المختار صلى الله عليه وسلم تطلب ثار الحسين بن علي رضي الله عنهما وعن بقية الصحابة اجمعين

قد كان سمك الهدى يهد قائمه حتى اتيح له المختار فانعمدا
في كل ما هم امضى رايه قدما ولم يشاور في اقدامه احدا

ولم يشاور بالمشاورة وجعله
محتملا للتخريج على النصب شرح الصدر فتحه اي لم نفتح صدرك للاسلام وقال ابن عباس الم نلين قلبك وعن الحسن في قوله
الم نشرح لك صدرك قال ملئ حلما وعلما وروي ان جبريل عليه السلام اتاه وشق صدره واخرج قلبه وغسله وانقاه
من المعاصي ثم ملاه علما وايمانا ووضعه في صدره وطعن القاضي في هذه الرواية من وجوه احدها ان هذه الواقعة
انما وقعت حال صغره صلى الله عليه وسلم وذلك من المعجزات فلا يجوز ان تتقدم نبوته وثانيها ان تاثير الغسل في
ازالة الاجسام والمعاصي ليست باجسام فلا يؤثر الغسل فيها وثالثها انه لا يصح ان يملا القلب علما بل الله تعالى يخلق فيه
العلوم واجيب عن الاول بان تقدم المعجزات على زمان البعثة جائز وهو المسمى بالارهاص ومثله في حق الرسول صلى الله
عليه وسلم كثير وعن الثاني والثالث لا يبعد ان يكون حصول ذلك الدم الاسود الذي غسلوه من قلب الرسول عليه
السلام يميل القلب الى المعاصي واحجامه عن الطاعات فاذا ازالوه عنه كان ذلك علامة لمواظبة صاحبه على الطاعات
واحترازه عن الشبهات فكان ذلك كالعلامة للملائكة على عصمة صاحبه وايضا فان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد روى
ابن عباس رضي الله عنه انهم قالوا يا رسول الله اينشرح الصدر قال نعم قالوا وما علامته قال صلى الله عليه وسلم
التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاعتداد للموت قبل نزوله قال القرطبي معنى الم نشرح قد شرحنا
والدليل على ذلك ان الاستفهام طرف من الجحد واذا وقع جحد على جحد رجع الى التحقيق كقوله تعالى اليس الله باحكم الحاكمين
ومعناه الله احكم الحاكمين وقوله تعالى اليس الله بكاف عبده وقول جرير يمدح عبد الله بن مروان

الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح

المعنى انتم كذا **فان قيل**
لم قال عز وجل الم نشرح لك صدرك ولم يقل ذكرا الصدر ولم يذكر القلب **فالجواب** لان محل الوسوسة هو
الصدر على ما قال تعالى يوسوس في صدور الناس فازالة تلك الوسوسة وابدالها بدواعي الخير هو الشرح فلذلك خص الشرح
بالصدر دون القلب وقيل الصدر حصن القلب فيقصده الشيطان فان وجد مسلكا اغار فيه وبث جنده فيه
وبث فيه الهموم والغموم والحرص فيقسو القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة فاذا اطرد في الابتداء
حصل الامن وانشرح الصدر **فان قيل** فلم قال الم نشرح لك صدرك ولم يقل الم نشرح صدرك **فالجواب**
كانه تعالى يقول لام بلام فانت انما تفعل الطاعات لاجلي وانا ايضا جميع ما افعله لاجلك **فصل** روي عن طاوس
وعمر بن عبد العزيز انهما كانا يقولان والضحى والم نشرح سورة واحدة وكانا يقرانهما في ركعة واحدة ولا يفصلان
بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وذلك لانهما راى ان اولهما يشبه قوله تعالى الم يجدك يتيما وليس كذلك لان
ذلك حالة اغتمامه صلى الله عليه وسلم باذى الكفار فهي حالة محنة وضيق وهذه حالة انشراح الصدر وتطييب القلب
فكيف يجتمعان **قوله** ووضعنا عنك وزرك اي حططنا عنك ذنبك وقرا انس رضي الله عنه وحللنا وحططنا وقرا
ابن مسعود وحللنا عنك وقرك وهذه الاية مثل قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قيل الجميع كانوا قبل
النبوة والوزر الذنب اي وضعنا عنك ما كنت فيه من امر الجاهلية لانه كان صلى الله عليه وسلم في كثير من مذاهب
قومه وان لم يكن عبد صنما ولا وثنا **قوله** الذي انقض ظهرك اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك
لثقله مثل ما كان يثقله صلى الله عليه وسلم قال اهل اللغة انقض الحمل ظهر الناقة اذا سمعت له صريرا من شدة الحمل
وسمعت نقيض الرحل اي صريره قال العباس بن مرداس

وانقض ظهري ما تطويت منهم وكنت عليهم مشفقا متحننا

وقال جميل

وحتى تداعت بالنقيض حباله وهمت بواني زوره ان تحطما

والمعنى اثقل ظهرك حتى سمع
نقيضه اي صوته والوزر الحمل الثقيل قال المحاسبي يعني ثقل الوزر لو لم يعف الله عنه قال وانما وصفت ذنوب
الانبياء عليهم السلام بهذا الثقل مع كونها مغفورة لشدة اهتمامهم بها وندمهم فيها وتحسرهم عليها وقال الحسين
ابن الفضل يعني الخطا والسهو وقيل ذنوب امتك اضافها اليه لاشتغال قلبه بها وقال عبد العزيز بن يحيى
وابو عبيدة خففنا عنك اعباء النبوة والقيام بها حتى لا تثقل عليك وقيل كان في الابتداء يثقل عليه الوحي حتى

كاد يرى نفسه من شاهق الجبل الى ان جاءه جبريل عليه السلام وازال عنه ما كان يخاف من تغير العقل صلى الله عليه وسلم وقيل عصمناك من احتمال الوزر وحفظناك قبل النبوة في الاربعين من الادناس حتى نزل عليك الوحي وانت مطهر قوله ورفعنا لك ذكرك قال مجاهد يعني بالتاذين وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال يقول الله تعالى لا ذكرت الا ذكرت معي في الاذان والاقامة والتشهد ويوم الجمعة على المنابر ويوم الفطر ويوم الاضحى ويوم عرفة وايام التشريق وعند الجمار وعلى الصفا والمروة وفي خطبة النكاح وفي مشارق الارض ومغاربها ولو ان رجلا عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافرا وقيل اعلينا ذكرك فذكرناك في الكتب المنزلة على الانبياء قبلك وامرناهم بالبشارة بك ولا دين الا ودينك يظهر عليه وقيل رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء وفي الارض عند المؤمنين ونرفع في الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود وكرائم الدرجات وقيل عام في كل ما ذكروا قوله فان مع العسر يسرا العامة على سكون السين في الكلم الاربع وابن وثاب وابو جعفر وعيسى بضمها وفيه خلاف هل هو اصل او مثقل من المسكن فالالف واللام في العسر الاول لتعريف الجنس وفي الثاني للعهد وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه لن يغلب عسر يسرين وروي ايضا مرفوعا انه صلى الله عليه وسلم خرج يضحك يقول لن يغلب عسر يسرين والسبب فيه ان العرب اذا اتت باسم ثم اعادته مع الالف واللام كان هو الاول نحو جاء رجل فاكرمت الرجل وقوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول ولو اعادته بغير الف ولام كان غير الاول فقوله تعالى ان مع العسر يسرا لما اعاد العسر الثاني اعاده بال ولما كان اليسر الثاني غير الاول لم يعده بال وقال الزمخشري فان قلت ما معنى قول ابن عباس وذكر ما تقدم قلت هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وان موعد الله تعالى لا يحمل الا على اوفى ما يحتمله اللفظ وابلغه والقول فيه انه يحتمل ان تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكنها في القلوب وكما يكرر المفرد في قوله جاءني زيد زيد وان تكون الاولى عدة مستانفة بان العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستيناف وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو اما ان يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لان حكمه حكم زيد في قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا واما ان يكون للجنس الذي يعلمه كل احد فهو هو ايضا واما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام الثاني مستانفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال وقال ابو البقاء العسر في الموضعين واحد لان الالف واللام توجب تكرير الاول واما اليسر في الموضعين فاثنان لان النكرة اذا اريد تكريرها جيء بضميرها او بالالف واللام ومن هنا قيل لن يغلب عسر يسرين وقال الزمخشري ايضا فان قلت ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر قلت اراد ان الله تعالى يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية والتقوية للقلوب وقال ايضا فان قلت ما معنى هذا التنكير قلت التفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي يسر وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة فان قلت فاذا اثبت في قراءته غير مكرر فلم قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه لن يغلب عسر يسرين قلت كانه قصد باليسرين ما في قوله يسرا من معنى التفخيم فتاوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة

فصل تعلق هذه الآية بما قبلها هو ان الله تعالى بعث نبيه صلى الله عليه وسلم فعيره المشركون بفقره حتى قالوا له نجمع لك مالا فاغتم لذلك وظن انهم انما رغبوا عن الاسلام لكونه فقيرا حقيرا عندهم فعدد الله تعالى عليه منته بقوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك اي ما كنت فيه من امر الجاهلية ثم وعده بالغنى في الدنيا ليزيل عن قلبه ما حصل فيه من التاذي بكونهم عيروه بالفقر فقال تعالى فان مع العسر يسرا وعطفه بالفاء اي لا يحزنك ما عيروك به من الفقر فان مع ذلك يسرا عاجلا اي في الدنيا فانجز له ما وعده فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز واليمن ووسع ذات يده حتى كان يعطي الرجل المائتين من الابل ويهب الهبات السنية ويعد لاهله قوت سنة وهذا وان كان خاصا بالنبي عليه السلام فقد يدخل فيه بعض امته صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى ثم ابتداء فضلا آخر من امر الآخرة فقال ان مع العسر يسرا فهذا شيء آخر والدليل على ابتدائه تعديه من فاء وواو وغيرهما من حروف النسق التي تدخل على العطف فهذا وعد عام لجميع المؤمنين ان مع العسر يسرا للمؤمنين يسرا في الآخرة لا محالة وربما اجتمع يسر الدنيا ويسر الآخرة قوله تعالى فاذا فرغت العامة على فتح الراء من فرغت وهي الفصيحة وقراها ابو السمال مكسورة وهي لغة فيه قال الزمخشري وليست بالفصيحة وقال الزمخشري فان قلت كيف تعلق قوله تعالى فاذا فرغت

فانصب

فانصب بما قبله قلت لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة عن ابن عباس رضي الله عنه فاذا فرغت من صلاتك فانصب في الدعاء العامة على فتح الصاد وسكون الباء امرا من النصب وقرئ بتشديد الباء مفتوحة امرا من الانصباب وكذا قرئ بكسر الصاد ساكنة الباء امرا من النصب بسكون الصاد قال شهاب الدين ولا اظن الاولى الا تصحيفا ولا الثانية الا تحريفا لما تروى عن الامامية وتفسيرها فاذا فرغت من النبوة فانصب الخليفة قال ابن عطية وهي قراءة ضعيفة شاذة لم تثبت عن عالم وقال الزمخشري ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة انه قرا فانصب بكسر الصاد اي انصب عليا للامامة ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي ان يقرا هكذا ويجعله امرا بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته قال ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل وقال الكلبي اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب اي استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال الحسن وقتادة فاذا فرغت من جهاد عدوك فانصب لعبادة ربك قوله والى ربك فارغب من الرغبة وقرا زيد بن علي وابن ابي عبلة فرغب بتشديد الغين امرا من رغبه بالتشديد اي فرغب الناس الى طلب ما عنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا الم نشرح لك صدرك فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني والله تعالى اعلم

سورة التين

وقال ابن عباس وقتادة مدنية وهي ثمان آيات واربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والتين والزيتون قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وابراهيم النخعي وعطاء بن ابي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي هو تينكم الذي تاكلونه وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت قال تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين ومن خواص التين انه غذاء وفاكهة وهو سريع الهضم لا يمكث في المعدة ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح مسام الكبد والطحال وروى ابو ذر رضي الله عنه انه اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم سل تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج واما الزيتون فشجرته هي الشجرة المباركة وعن معاذ رضي الله عنه انه استاك بقضيب من زيتون وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفر وهو سواكي وسواك الانبياء من قبلي وعن ابن عباس رضي الله عنه التين مسجد نوح عليه السلام الذي بني على الجودي والزيتون بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى وقال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وقال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال محمد بن كعب رضي الله عنه التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهذا اختيار الطبري وقيل هما جبلان بالشام يقال لهما طور زيتا وطور تينا بالسريانية سميا بذلك لانهما ينبتان التين والزيتون قال القرطبي والصحيح الاول لانه الحقيقة فلا يعدل عنها الى المجاز الا بدليل قوله تعالى وطور سينين الطور جبل وسينين اسم مكان فاضيف الجبل للمكان الذي هو به قال الزمخشري ونحو سينون يبرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء تحريك النون بحركات الاعراب وقال ابو البقاء هو لغة في سيناء انتهى وقرا العامة بكسر السين وابن اسحق وعمرو بن ميمون وابو رجاء بفتحها وهي لغة بكر وتميم وقرا عمر بن الخطاب وعبد الله والحسن وطلحة سيناء بالكسر والمد وعمر ايضا وزيد بن علي بفتحها والمد قال عمرو بن ميمون صليت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه العشاء بمكة فقرا والتين والزيتون وطور سيناء وهذا البلد قال وهكذا في قراءة عبد الله ورفع صوته تعظيما للبيت وقرا في الثانية الم تر كيف فعل ربك ولايلاف قريش جمع بينهما ذكره ابن الانباري وقد تقدم في المؤمنين وهذه لغات اختلف في هذا الاسم السرياني على عادة العرب في تلاعبها بالاسماء الاعجمية وقال الاخفش سينين شجر الواحد سينينة وهو غريب جدا غير معروف عند اهل التفسير وعن مجاهد وطور جبل سينين اي مبارك بالسريانية وهو قول قتادة والحسن وعن ابن عباس سينين اي حسن بلغة الحبشة وعن عكرمة قال هو الجبل الذي نادى الله تعالى منه موسى عليه السلام وقال مقاتل والكلبي سينين كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسيناء بلغة النبط وقال ابو علي سينين فعليل فكررت اللام التي هي نون فيه كما كررت في زحليل للمكان الزلق وكرديدة للقطعة من التمر وجنديد للطويل ولم ينصرف سينين كما لا ينصرف سيناء لانه جعل اسما للبقعة او الارض ولو جعل اسما للمكان او المنزل او اسم مذكر لانصرف لانك سميت مذكرا بمذكر وانما اقسم الله بهذا الجبل لانه بالشام والارض المقدسة وقد بارك الله تعالى فيهما قال الله تعالى الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله ولا

ان يكون مبينا نعتا للطور لاضافته اليه **قوله تعالى** وهذا البلد الامين يعني مكة والامين هذا فعيل للمبالغة اي امن
من فيه ومن دخله من انس وطير وحيوان ويجوز ان يكون من امن الرجل بضم الميم امانة فهو امين وامانته حفظه
من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوائل كما وصف
بالامن في قوله تعالى حرما امنا يعني ذا امن قال القرطبي اقسم الله تعالى بجبل دمشق لانه ماوى عيسى عليه السلام
وبجبل بيت المقدس لانه مقام الانبياء وبمكة لانها اثر ابراهيم ودار محمد عليه الصلاة والسلام **قوله** لقد خلقنا
الانسان هذا جواب القسم واراد بالانسان الكافر قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل كلدة بن اسيد فعلى هذا نزلت
في منكري البعث وقيل المراد بالانسان ادم عليه السلام وذريته **قوله** في احسن تقويم صفة لمحذوف اي في تقويم
احسن تقويم وقال ابو البقاء في تقويم في موضع الحال من الانسان واراد بالتقويم القوام لان التقويم فعل
وذلك وصف للخالق لا للمخلوق ويجوز ان يكون التقدير في احسن قوام التقويم فحذف المضاف ويجوز ان
يكون في زائدة اي قومناه احسن تقويم انتهى **فصل** قال المفسرون احسن تقويم هو اعتداله واستواء
شبابه لانه خلق كل شيء منكبا على وجهه وخلق هو مستويا وله لسان ذلق ويد واصابع يقبض بها قال ابن العربي
ليس لله تعالى خلق احسن من الانسان فان الله تعالى خلقه حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه
صفات الله تعالى جلت قدرته تعالى وعبر عنها بعض العلماء ووقع البيان بقوله تعالى ان الله تعالى خلق ادم عليه
السلام على صورته يعني على صفاته المقدم ذكرها وفي رواية على صورة الرحمن ومن ان يكون للرحمن صورة مشخصة
فلم يبق الا ان يكون معاني روي ان عيسى بن موسى الهاشمي كان يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق
ثلاثا ان لم تكوني احسن من القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت طلقتني فبات بليلة عظيمة فلما اصبح غدا الى دار
المنصور فاخبره الخبر فاستحضر الفقهاء واستفتاهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلا واحدا من اصحاب
ابي حنيفة فانه كان ساكتا فقال له المنصور ما لك لا تتكلم فقال له الرجل بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون
وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم يا امير المؤمنين فالانسان احسن الاشياء
ولا شيء احسن منه فقال المنصور لعيسى بن موسى الامر كما قال الرجل فاقبل على زوجتك وارسل المنصور الى زوجته
ان اطيعي زوجك فما طلقك وهذا يدل على ان الانسان احسن خلق الله تعالى ولذلك قالت الفلاسفة انه
العالم الاصغر اذ كل ما في المخلوقات اجتمع فيه **قوله** ثم رددناه اسفل سافلين يجوز في اسفل سافلين وجهان
احدهما انه حال من المفعول والثاني انه صفة لمكان محذوف اي مكانا اسفل سافلين وقرا عبد الله السافلين
معرفا **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه يريد ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة قال
ابن قتيبة السافلون الضعفاء الزمنى ومن لم يستطع حيلة يقول سفل يسفل فهو سافل وهم سافلون كما يقول علا
يعلو فهو عال وهم عالون وعن مجاهد وابي العالية اسفل سافلين الى النار يعني الكافر قال علي رضي الله عنه
ابواب جهنم بعضها اسفل من بعض فيبدا بالاسفل فيملا وهو اسفل السافلين وعلى هذا القول يكون رددناه
الى السفل وهي اسفل السافلين **قوله** الا الذين امنوا فيه وجهان احدهما متصل على ان المعنى اسفل من سفل
خلقا وتركيبا يعني اقبح من اقبح خلقه واشوهه صورة وهم اهل النار فالاتصال على هذا واضح والثاني انه منقطع
على ان المعنى ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل في الحسن الصورة والشكل حيث نكسناه في
خلقه فقوس ظهره وضعف بصره وسمعه والمعنى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم على طاعتهم
وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة ومشاق العبادة قاله الزمخشري ملخصا وقال اسفل سافلين على الجمع لان الانسان
في معنى جمع قال الفراء ولو قال اسفل سافل جاز لان لفظ الانسان واحد يقول هذا افضل قائم ولا تقول
افضل قائمين لانك تضمر لواحد فان كان الواحد غير مقصود له رجع اسمه بالتوحيد والجمع كقوله تعالى والذي
جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون وقوله تعالى واذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم
قوله فلهم اجر غير ممنون قال الضحاك اجر بغير عمل وقيل غير مقطوع اي لا يمن به عليهم **قوله** فما يكذبك
بعد بالدين ما استفهامية في محل رفع بالابتداء والخبر الفعل بعدها والمخاطب الانسان على طريقة الالتفات
توبيخا والزاما للحجة والمعنى فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره وقد خلقناك في احسن تقويم وانه يردك
الى ارذل العمر وينقلك من حال الى حال فما الذي يحملك بعد هذا الدليل يعني انك تكذب اذا كذبت بالجزاء
لان كل مكذب بالحق فهو كاذب فاي شيء يضطرك الى ان تكون كاذبا بسبب الجزاء والباء مثلها في قوله تعالى
الذين يتولونه والذين هم به مشركون وقيل المخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يكون
المعنى فماذا الذي يكذبك فيما تخبر به من الجزاء والبعث وهو الدين بعد هذه العبر التي توجب النظر
فيها صحة ما قلت قاله الفراء والاخفش **قوله** اليس الله باحكم الحاكمين اي اتقن الحاكمين صنعا في كل ما خلق

واذا ثبتت القدرة والحكمة بهذه الدلالة صح القول بامكان الحشر ووقوعه اما الامكان فبالنظر الى القدرة واما الوقوع
فبالنظر الى الحكمة لان عدم ذلك يقدح في الحكمة كما قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا وقيل
احكم الحاكمين قضاء بالحق وعدلا بين الخلق والف الاستفهام اذا دخلت على النفي في الكلام صار ايجابا كقوله
الستم خير من ركب المطايا قيل هذه الاية منسوخة باية السيف وقيل هي ثابتة لانه لا تنافي
بينهما وكان ابن عباس وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما اذا قرا اليس الله باحكم الحاكمين قالا بلى وانا على ذلك
من الشاهدين وعن ابي هريرة رضي الله عنه من قرا سورة والتين والزيتون فقرا اليس الله باحكم الحاكمين
فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين قال القاضي هذه الاية من اقوى الدلائل على انه تعالى لا يفعل القبيح ولا
يخلق افعال العباد مع ما فيها من السفه والظلم لانه تعالى احكم الحكماء فلا يفعل فعل السفهاء واجيب بالمعارضة
بالعلم والداعي ثم نقول السفيه من قامت السفاهة به لا من خلق السفاهة كان المتحرك من قامت الحركة
به لا من خلقها والله تعالى اعلم

وهي اول ما نزل من القران في قول ابي موسى وعائشة رضي الله عنهما وقيل اول ما نزل الفاتحة ثم سورة العلق
وهي عشرون اية وثلثمائة وسبعون كلمة ومائتان وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
اقرا العامة على سكون الهمزة امرا من القراءة وقرا عاصم في رواية الاعشى مفتوحة وكانه قلب الهمزة الفا كقولهم
قرا يقرى نحو سعى يسعى فلما امر منه حذف الالف على حذفها من اسع وهذا كقول زهير ولا يبدا بالظلم يظلم وقد تقدم
تحريره **قوله** باسم ربك يجوز فيه اوجه احدها ان يكون الباء للحال اي اقرا مفتتحا باسم ربك قل بسم الله الرحمن الرحيم
ثم اقرا قاله الزمخشري الثاني ان الباء مزيدة والتقدير اقرا باسم ربك كقوله سود المحاجر لا يقران بالسور وقيل
الاسم صلة اي اذكر ربك قالهما ابو عبيدة الثالث ان الباء للاستعانة والمفعول محذوف تقديره اقرا ما يوحى
اليك مستعينا باسم ربك الرابع انها بمعنى على اي اقرا على اسم ربك كما في قوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله
قاله الاخفش وقد تقدم في اول الكتاب كيف تقدم هذا الفعل على الجار وقدر متاخرا في بسم الله الرحمن الرحيم
وتخريج الناس له فاغنى عن اعادته **فصل** قال اكثر المفسرين هذه السورة اول ما نزل من القران نزل بها
جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم على حراء فعلمه خمس ايات من هذه السورة وقال جابر بن
عبد الله اول ما نزل يا ايها المدثر وقال ابو ميسرة الهمداني اول ما نزل فاتحة الكتاب وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
اول ما نزل من القران قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم قال القرطبي والصحيح الاول قالت عائشة رضي الله عنها اول ما بدئ به
رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة فجاءه الملك فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خرجه البخاري وروت عائشة
رضي الله عنها انها اول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعدها ن والقلم ثم بعدها يا ايها المدثر ثم بعدها
والضحى ذكره الماوردي ومعنى قوله اقرا اي اقرا ما نزل عليك من القران مفتتحا باسم ربك وهو ان تذكر التسمية
في ابتداء كل سورة او اقرا على اسم ربك على ما تقدم من الاعراب **قوله تعالى** الذي خلق خلق الانسان يجوز ان يكون خلق الثاني
تفسيرا لخلق الاول يعني ابهمه اولا ثم فسره ثانيا بخلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ويجوز ان يكون حذف المفعول
من الاول تقديره خلق كل شيء لانه مطلق فيتناول كل مخلوق وقوله تعالى خلق الانسان تخصيص له بالذكر من
بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه ويجوز ان يكون تاكيدا لفظيا فيكون قد اكد الصلة وحدها كقولك
الذي قام قام زيد والمراد بالانسان الجنس ولذلك قال تعالى من علق جمع علقة لان كل واحد مخلوق من علقة
كما في الاية الاخرى والعلقة الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح وذكر العلق بلفظ الجمع لانه اراد بالانسان
الجمع وكلهم خلقوا من علق بعد النطفة والعلقة قطعة من دم رطب سميت بذلك لانها تعلق بما تمر عليه لرطوبتها
فاذا جفت لم تكن علقة وخص الانسان بالذكر تشريفا له وقيل اراد ان يبين قدر نعمته عليه بان خلقه
من علقة مهينة حتى صار بشرا سويا عاقلا مميزا وقوله تعالى الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم قريب من قوله
خلق خلق الانسان فاغنى عن اعادته **فصل** قال ابن الخطيب قال قيل فاوجه شرعية التسمية في المباح
كالاكل فالجواب انه يصف ذلك الى الله تعالى ليندفع ببركة اسمه الاذى والضرر او ليندفع شركة الشيطان
ولانه ربما استعان بذلك المباح على الطاعة فيصير طاعة وقال هنا باسم ربك وفي التسمية المعروفة
بسم الله الرحمن الرحيم لان الرب من صفات الفعل وهي تستوجب العبادة بخلاف صفة الذات فاعاد الرب
هنا معنيين احدهما اي ربيتك فلزمك الفضل فلا تتكاسل والثاني ان الشروع ملزم للاتمام وقد ربيتك

منذ كنت علقة الى الان فلم اضيعك حين كنت علقة فكيف وقد صرت خلقا لطيفا عارفا موحدا كيف اضيعك وقال هنا ربك وقال في موضع اخر الذي اسرى بعبده كانه قال يقول سبحانه هو لي وانا له كقوله صلى الله عليه وسلم علي مني وانا منه لان النعم واصلة مني اليك ولم يصل الي منك خدمة فاقول انا لك ثم لما اتى بالعبادات وشكر بالطاعات قال سبحان الذي اسرى بعبده فقوله تعالى الذي خلق كالدليل على اني ربك انك لما كنت معدوما وما قوله اقرأ وربك الاكرم يحتمل ان يكون المعنى الذي حصل منه الخلق بدايتك وصفاتك تخلقك وتربيتك ويحتمل وربك الاكرم اي الكريم وقال الكلبي يعني الحليم عن جهل العباد فلم يعجل بعقوبتهم فقوله تعالى اقرأ تاكيدا وتم الكلام ثم استانف فقال تعالى وربك الاكرم والاول للتعليم من جبريل عليه السلام والثاني للتبليغ او الاول للتعليم والثاني للتبليغ وقيل اقرأ اولا لنفسك والثاني للتبليغ وقيل اقرأ وربك اي اقرأ يا محمد وربك يعينك ويفهمك وان كنت غير قارئ وقيل اقرأ اي صلاتك قوله الذي علم بالقلم يعني الخط والكتابة اي علم الانسان الخط بالقلم قال قتادة العلم نعمة من الله تعالى عظيمة ولولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش فدل على كمال كرمه تعالى بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم وما قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة وسمي قلما لانه يقلم ومنه تقليم الظفر وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اكتب ما اسمع منك من الحديث قال نعم فاكتب فان الله تعالى علم بالقلم ويروى ان سليمان عليه السلام سال عفريتا عن الكلام فقال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة وروى مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنه قال خلق الله تعالى اربعة اشياء بيده ثم قال تعالى لسائر الحيوان كن فكان القلم والعرش وجنة عدن وادم عليه السلام وفيمن علمه بالقلم ثلاثة اقوال احدها قال كعب الاحبار اول من كتب بالقلم ادم عليه السلام وثانيها قال الضحاك اول من كتب ادريس عليه السلام الثالث انه جميع من كتب بالقلم لانه ما علم الا بتعليم الله تعالى قال القرطبي الاقلام ثلاثة في الاصل القلم الاول الذي خلقه الله تعالى بيده وامره ان يكتب والقلم الثاني قلم الملائكة الذي يكتبون به المقادير والكوائن والاعمال والقلم الثالث اقلام الناس يكتبون بها كلامهم ويصلون بها الى مآربهم وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة قال بعض العلماء وانما حذرهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك لان في اسكانهن الغرف تطلعا على الرجال وليس في ذلك تحصين لهن ولا تستر وذلك انهن لا يملكن انفسهن حتى يشرفن على الرجال فتحدث الفتنة فحذرهم ان يجعلوا لهن غرفا ذريعة الى الفتنة لقوله عليه السلام ليس للنساء خير لهن من ان لا يراهن الرجال ولا يرون الرجال وذلك انها خلقت من اصل الرجل فهمها في الرجل والرجل خلقت فيه الشهوة وجعلت سكنا له فكل واحد منهما غير مامون على صاحبه وكذلك تعليم الكتابة ربما كان سببا للفتنة لانها اذا علمت الكتابة كتبت الى من تهوى والكتابة عين من العيون بها يبصر الشاهد الغائب والخط اثار يده وفيها تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان فهي ابلغ من اللسان فاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقطع عنهن اسباب الفتنة تحصينا لهن وطهارة لقلوبهن قوله علم الانسان ما لم يعلم قيل الانسان هنا ادم عليه السلام علمه اسماء كل شيء قال تعالى وعلم ادم الاسماء كلها وقيل الانسان هنا الرسول محمد عليه السلام لقوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وعلى هذا فالمراد بعلم المستقبل لان السورة من اول ما نزل وقيل عام لقوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ولانه تعالى بين انه خلقه من نطفة وانعم عليه بالنعم المذكورة ثم ذكر انه اذا زاد عليه في النعمة فانه يطغى ويتجاوز الحد في المعاصي واتباع هوى النفس وذلك وعيد وزجر عن هذه الطريقة قوله كلا ان الانسان ليطغى الى اخر السورة قيل انه نزل في ابي جهل نهى النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي في المسجد ويقرا باسم الرب تبارك وتعالى وعلى هذا فليست السورة من اول ما نزل ويجوز ان يكون خمس ايات من اولها اول ما نزل ثم نزلت البقية في شان ابي جهل وامر النبي صلى الله عليه وسلم بضم ذلك الى اول السورة لان تاليف السور انما كان بامر الله تعالى الا ترى ان قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله اخر ما نزل ثم هو مضموم الى ما نزل قبله بزمان طويل وكلا بمعنى حقا قاله الجرجاني لانه ليس قبله ولا بعده شيء يكون كلا ردا له كما قالوا في كلا والقمر فانهم قالوا معناه اي والقمر وقيل انه ردع وزجر لمن كفر بنعمة الله بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه وقال مقاتل معناه كلا لا يعلم الانسان ان الله تعالى هو الذي خلقه من العلقة وعلمه بعد الجهل لانه عند صيرورته غنيا يطغى ويتكبر ويصير مستغرق القلب في حب الدنيا فلا يتفكر في هذه الاحوال ولا يتامل فيها قوله ان راه ان مفعول له اي لرؤيته نفسه مستغنيا وتعدى الفعل هنا الى ضميره المتصلين لان هذا من خواص هذا الباب قال

الزمخشري

الزمخشري ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين واستغنى هو المفعول الثاني قال شهاب الدين والمسئلة فيها خلاف ذهب جماعة الى ان راى البصرية تعطى حكم العلمية وجعل من ذلك قول عائشة رضي الله عنها لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان التمر والماء

ولقد اراني للرماح دريئة ... من عن يميني تارة وامامي

وقرأ قنبل بخلاف عنه راه دون الف بعد الهمزة وهو مقصور من راءه في قراءة العامة ولا شك ان الحذف في مثله جاء قليلا كقولهم اصاب الناس جهد ولو تر اهل مكة بحذف لام ترى وقول الاخر وصاني العجاج فيما وصني يريد فيما وصاني ولما روى ابن مجاهد هذه القراءة عن قنبل قال قرأت بها عليه نسبه فيها الى الغلط ولا ينبغي ذلك لانه اذا ثبتت قراءة ولها وجه وان كان غيره اشهر منه فلا ينبغي ان يقدم على تغليطه فصل قال ابن عباس في رواية ابي صالح لما نزلت هذه الاية وسمع بها المشركون اتاه ابو جهل فقال يا محمد اتزعم انه من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد خيرهم في ذلك فان شاؤا فعلنا بهم ما ارادوه فان لم يفعلوا فعلنا بهم كما فعلنا باصحاب المائدة فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم لا يقبلون ذلك فكف عنهم اسفا عليهم وقيل ان راه استغنى بالعشيرة والانصار والاعوان وحذف اللام من قوله ان راه كما يقال انكم لتطغون ان رايتم غناكم قوله ان الى ربك الرجعى هذا الكلام واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان والمعنى ان مرجع من هذا وصفه الى الله تعالى فيجازيه والرجعى والمرجع والرجوع مصادر يقال رجع اليه رجوعا ومرجعا ورجعى على وزن فعلى قوله ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى تقدم الكلام على ارايت الذي ينهى وقال الزمخشري هنا فان قلت ما متعلق ارايت قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين فان قلت فاين جواب الشرط قلت هو محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني قال فان قلت كيف صح ان يكون الم يعلم جوابا للشرط قلت كما صح في قولك ان اكرمتك اتكرمني وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه قال فان قلت فما ارايت الثانية وتوسطها بين مفعولي ارايت قلت هي زائدة مكررة للتوكيد قال شهاب الدين اعلم ان ارايت لا يكون مفعولها الثاني الا جملة استفهامية كقوله تعالى قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله الى اخرها ومثله كثير وهنا ارايت ثلاث مرات وقد صرح بعد الثالثة منها بجملة استفهامية فيكون في موضع المفعول الثاني لها ومفعولها الاول محذوف وهو ضمير يعود على الذي ينهى عبدا الواقع مفعولا اولا لارايت الاولى ومفعول ارايت الاولى الذي هو الثاني محذوف وهو جملة استفهامية كالجملة الواقعة بعد ارايت الثالثة واما ارايت الثانية فلم يذكر لها مفعول لا اول ولا ثان حذف الاول لدلالة المفعول من ارايت الاولى عليه وحذف الثاني لدلالة مفعول ارايت الثالثة عليه فقد حذف الثاني من الاولى والاول من الثالثة والاثنان من الثانية وليس طلب كل من ارايت للجملة الاستفهامية على سبيل التنازع لانه يستدعي اضمارا والجمل لا تضمر انما تضمر المفردات وانما ذلك من باب الحذف للدلالة واما الكلام على الشرط مع ارايت هذه فقد تقدم في الانعام وتجويز الزمخشري وقوع جواب الشرط استفهاما بنفسه لا يجوز بل نصوا على وجوب ذكر الفاء في مثله وان ورد شيء فهو ضرورة قال القرطبي وقيل كل واحد من ارايت بدل من الاول والم يعلم بان الله يرى الخبر فصل قال المفسرون الذي ينهى ابو جهل وقوله تعالى عبدا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قال ان ابا جهل قال لئن رايت محمدا لاطان على عنقه ثم انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة فنكص على عقبيه فقالوا له ما لك يا ابا الحكم فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا شديدا قال ابو هريرة رضي الله عنه فانزل الله تعالى هذه الايات تعجبا منه وعن الحسن انه امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة وقيل في الكلام حذف والمعنى امن هذا الناهي عن الصلاة من العقوبة قوله ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى اي ارايت ابا جهل ان كان محمد صلى الله عليه وسلم على هذه الصفة اليس ناهيه عن الصلاة والتقوى هالكا قوله ارايت ان كذب وتولى يعني ابا جهل كذب بكتاب الله واعرض عن الايمان وقال الفراء ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى امر بالتقوى والناهي مكذب متول عن الذكر فما اعجب هذا ثم يقول ويله الم يعلم ابو جهل بان الله يرى اي يراه ويعلم فعله فهو تقريع وتوبيخ قال ابن الخطيب هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التعجب وفي وجه هذا التعجب وجوه احدها انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعز الاسلام اما بابي جهل او بعمر فقيل امثل هذا يعز الاسلام وهو ينهى عبدا اذا صلى الثاني انه كان يلقب بابي الحكم فقيل ايلقب بهذا وهو ينهى عن الصلاة الثالث انه كان يامر وينهى ويعتقد وجوب طاعته ثم انه ينهى عن طاعة الرب تعالى وهذا عين الحماقة والتكبر في عبد ابدا

عبودية عن العبادة وهذا عين الجهل ولهذا لم يقل ينهاك ، وايضا فان هذا يدل
على المنظور كانه قيل ينهى اشد الخلق عبودية عن الصلاة ، روى عن علي رضي الله عنه
على ان هذا عادته ودابه فهو ابلغ في الذم ، وايضا فهذا عام في كل من نهى عن الصلاة
انه راى اقواما يصلون قبل صلاة العيد فقال ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقيل له الا
تنهاهم فقال اخشى ان ادخل في قوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرح بالنهي عن الصلاة ،
وايضا فيه اجلال لمنصب رسول الله صلى الله عليه وسلم بان ينهاه رجل لا سيما مثل هذا **قوله** كلا ردع لابي
جهل ومنع عن نهيه عن عبادة الله تعالى او كلا لن يصل ابو جهل الى ان يقتل محمدا صلى الله عليه وسلم ويطا
عنقه ، وقال مقاتل كلا لا يعلم ان الله يرى وان كان يعلم لكن اذا كان لا ينتفع بما يعلمه لئن لم ينته يوم القيامة
ولنسحبنه بها الى النار كقوله تعالى فيوخذ بالنواصي والاقدام فالاية وان كانت في ابي جهل فهي عظة للناس
وتهديد لمن يمنع غيره عن الطاعة **قوله** لنسفعا الوقف على هذه النون بالالف لتشبيهها بالتنوين ولذلك
يحذف بعد الضمة والكسرة وقفا ونكتب هنا الفا اتباعا للوقف ، وروى عن ابي عمرو لنسفعن بالنون الثقيلة
والسفع الاخذ والقبض على الشئ بشدة وجذبه يقال سفع بناصية فرسه ، قال عمرو بن معدي كرب
قوم اذا سمعوا الصريخ رايتهم ما بين ملجم مهره او سافع ، وقيل هو الاخذ بلغة قريش
وقال الراغب السفع الاخذ بسفعة الفرس اي بسواد ناصيته وباعتبار السواد قيل للاثافي سفع وبه سفعة
غضب اعتبارا بما يعلو من اللون الدخاني وجه من اشتد به الغضب ، وقيل للصقر اسفع لما فيه من لمع السواد
وامراة سفعاء اللون انتهى ، وفي الحديث فقالت امراة سفعاء الخدين ، وقيل هو ماخوذ من سفعت النار
والشمس اذا غيرت وجهه الى حال تسويد قال اثافي سفعا في معرس مرجل ونوى كجذم الحوض ثلم خاشع
قال القرطبي وقيل السفع الضرب اي ليلطمن وجهه وكله متقارب المعنى يجمع عليه الضرب عند الاخذ ثم يجر
الى جهنم ، وقرا ابن مسعود لاسفعن اي يقول الله تعالى يا محمد انا الذي اتولى اهانته لقوله تعالى هو الذي
ايدك بنصره هو الذي انزل السكينة ، والناصية شعر مقدم الراس وقد يعبر بها عن جملة الانسان وخص الناصية
بالذكر على عادة العرب فيمن ارادوا اذلاله واهانته اخذوا بناصيته **قوله** ناصية بدل من الناصية بدل
نكرة من معرفة ، قال الزمخشري وجاز بدلها من المعرفة وهي نكرة لانها وصفت فاستقلت بفائدة ، قال شهاب
الدين هذا مذهب الكوفيين لا يجيزون ابدال نكرة من غيرها الا بشرط وصفها او كونها بلفظ الاول ومذهب
البصريين لا يشترط شيء وانشدوا فلا وابيك خير منك اني ليوذيني التحمحم والصهيل ، وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة
وزيد بن علي بنصب ناصية كاذبة خاطئة على الشتم ، وقرا الكسائي في رواية بالرفع على اضمار هي ناصية ونصب
الكذب والخطا اليها مجازا والالف واللام في الناصية قيل عوض من الاضافة اي بناصيته ، وقيل الضمير محذوف
اي الناصية منه **فصل** والمعنى لناخذن بناصية ابي جهل كاذبة في قولها خاطئة في فعلها والخاطي معاقب
ماخوذ والمخطي غير ماخوذ ووصف الناصية بالكاذبة الخاطئة كوصف الوجوه بالنظر في قوله تعالى الى ربها
ناظرة ، وقيل ان صاحبها كاذب خاطي كما يقال نهاره صائم وليله قائم اي صائم في النهار وقائم في الليل وانما وصف
الناصية بالكاذبة لانه كان كاذبا على الله تعالى في قوله انه لم يرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وكاذبا على رسوله
صلى الله عليه وسلم في انه ساحر او كاذب او ليس بنبي ووصف الناصية بانها خاطئة بان صاحبها يتمرد على الله تعالى
كما قال تعالى لا ياكله الا الخاطئون **قوله** فليدع ناديه اما ان يكون على حذف مضاف اي اهل ناديه او على التجوز
في نداء النادي لاشتماله على الناس كقوله تعالى واسئل القرية ، والنادي والندي المجلس المتخذ للحديث
قال زهير وفيهم مقامات حسان وجوههم واندية ينتابها القول والفعل ، وقالت اعرابية
هو سيد ناديه وثمال عافيه ، وقال تعالى وتاتون في ناديكم المنكر ، قال ابو عبيدة
ناديه اهل مجلسه ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه اهله ، والمعنى فليدع عشيرته فليستنصر بهم **قوله**
سندع الزبانية قال الزمخشري الزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو
الدفع وقيل زبني وكانه نسب الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم امسي واصله زباني فقيل زبانية على التعويض
وقال عيسى بن عمر والاخفش واحدهم زابن ، وقيل هو اسم جمع لا واحد له من لفظه كعباديد وشماطيط
والباب والحاصل ان المادة تدل على الرفع قال مطاعيم في القصوى مطاعين في الوغا
زبانية عظام حلومها ، وقال اخر ومستعجب مما يرى من اناتنا
ولو زبنته الحرب لم يترمرم ، وقال عنترة وقد زبنتنا الحرب وزبناها
ومنه الزبون لانه يدفع من بايع الى اخر ، وقال ابو الليث السمرقندي رحمه الله ومنه المزابنة في البيع لانهم
يعملون بارجلهم كما يعملون بايديهم ، وقرا العامة سندع بنون العظمة ولم ترسم بالواو وقد تقدم نظيره نحو

يدع الداعي ، وقرا ابن ابي عبلة سيدعى الزبانية مبنيا للمفعول ورفع الزبانية لقيامها مقام الفاعل **فصل** قال ابن عباس
الملائكة الغلاظ الشداد ، وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة وبلغ الى قوله لنسفعا بالناصية
قال ابو جهل انا ادعو قومي حتى يمنعوا عني ربك قال الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية فلما ذكر الزبانية
رجع فزعا فقيل له خشيت منه قال لا ولكن رايت عنده فارسا فهددني بالزبانية فلا ادري الزبانية ومال الي
الفارس فخشيت منه ان ياكلني ، قال ابن عباس رضي الله عنه والله لو دعا ناديه لاخذته ملائكة العذاب من
ساعته خرجه الترمذي بمعناه **قوله** كلا اي ليس الامر على ما يظنه ابو جهل لا تطعه فيما دعاك اليه من ترك
الصلاة واسجد اي صل لله واقترب اي تقرب الى الله تعالى بالطاعة والعبادة ، وقيل المعنى اذا سجدت اقترب
من الله بالدعا قال صلى الله عليه وسلم اما الركوع فعظموا فيه الرب تعالى واما السجود فاجتهدوا في الدعا فقمن
ان يستجاب لكم ، وقال صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فالسجود في قوله تعالى واسجد
واقترب يحتمل ان يكون بمعنى السجود في الصلاة ، ويحتمل ان يكون سجود التلاوة في هذه السورة ، وقال
ابن العربي والظاهر انه سجود الصلاة لقوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى قوله كلا لا تطعه واسجد
واقترب ، لولا ما ثبت في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في اذا السما انشقت وفي اقرا باسم ربك الذي خلق سجدتين وهذا نص ان المراد سجود التلاوة ، روي
الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اقرا باسم ربك فكانما قرا
المفصل كله ، والله تعالى اعلم

في قول الاكثر المفسرين ، وحكى الماوردي عكسه ، وذكر الواقدي انها اول سورة نزلت بالمدينة ، وهي خمس
ايات وثلاثون كلمة ، ومائة واثنا عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** انا انزلناه اي القران اضمر للعلم به ، وفي
ليلة القدر يجوز ان يكون ظرفا للانزال والقران كله كالسورة الواحدة ، وقال تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران
وقال تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة يريد ليلة القدر ، وقال الشعبي انا ابتدانا انزاله في ليلة القدر ، وقال ابن
عباس رضي الله عنه نزل به جبريل عليه السلام جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا الى بيت
العزة واملاه جبريل على السفرة ثم كان جبريل ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما وكان بين اوله واخره ثلاث وعشرون
سنة ، وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزل القران في شهر رمضان وفي ليلة القدر وفي ليلة مباركة
جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عشرين
سنة ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة ، قال ابن العربي وهذا باطل ليس بين جبريل عليه السلام
وبين الله واسطة ولا بين جبريل ومحمد عليه السلام واسطة ، وقيل المعنى انزل في شانها وفضلها فليست ظرفا وانما كقول
عمر رضي الله عنه خشيت ان يقول في قران ، وقول عائشة رضي الله عنها لانا احقر في نفسي ان ينزل في قران ، وسميت
ليلة القدر اما التقدير لان الله تعالى يقدر فيها ما يشا من امره الى السنة القابلة من امر الموت والاجل والرزق
وغيره ويسلمه الى مدبرات الامور من الملائكة وهم اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبريل عليهم السلام ، وعن ابن عباس
ايضا ان الله تعالى يقضي الاقضية في ليلة نصف شعبان ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر ، واما الضيق بها بالملائكة
قال الخليل لان الارض تضيق فيها بالملائكة لقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه ، وقيل سميت بذلك لعظمها وشرفها
وقدرها من قولهم لفلان قدر اي شرف ومنزلة قاله الزهري وغيره ، وقيل سميت بذلك لان للطاعة فيها قدرا عظيما
وثوابا جزيلا ، وقيل لانه انزل فيها كتابا ذا قدر على رسول ذي قدر على امة ذات قدر والقدر مصدر ، والمراد ما يمضيه
الله تعالى من الامور قال تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر وهو بمعنى القدر الا انه بالتسكين مصدر وبالفتح اسم وقوله
تعالى وما ادراك ما ليلة القدر تقدم الكلام في نظير قوله وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر
بين فضلها وعظمها وفضيلة الزمان انما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل وفي تلك الليلة يقسم الخير الكثير الذي
لا يوجد مثله في الف شهر جميع الدهر لان العرب تذكر الالف لا تريد حقيقتها وانما تريد المبالغة في الكثرة لقوله
تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة يعني جميع الدهر ، وقيل ان العابد فيما مضى كان لا يسمى عابدا حتى يعبد الله تعالى
الف شهر فجعل الله تعالى لامة محمد صلى الله عليه وسلم عبادة ليلة خيرا من الف شهر كانوا يعبدونها ، وقال ابو بكر
الوراق كان ملك سليمان عليه السلام خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فصار ملكهما الف فجعل
الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه

سورة القدر

وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح الف شهر فعجب المسلمون من ذلك فنزلت هذه الاية يعني خير من الف شهر التي لبس السلاح فيها في سبيل الله ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنه • وقال مالك بن انس رضي الله عنه اري رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمار الناس فاستقصر اعمار امته لخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لساير الامم • وقال عكرمة وعروة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اربعة من بني اسرائيل فقال عبدوا الله تعالى ثمانين سنة لم يعصوا الله تعالى طرفة عين ايوب وزكريا وحزقيل بن العجوز ويوشع بن نون فعجب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد عجب امتك من عبادة هولا النفر لم يعصوا الله تعالى طرفة عين فقد انزل الله تعالى عليك من ذلك ثم قرا انا انزلناه في ليلة القدر الايات فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم **قوله** تنزل الملائكة والروح فيها يجوز ان يهبط من كل سما الى الارض ويومنون على دعا الناس الى وقت طلوع الفجر • وقوله تعالى والروح فيها يجوز ان يرتفع الروح بالابتدا والجار الخبر وان يرتفع بالفاعلية عطفا على الملائكة وفيها متعلق بتنزل • والمراد بالروح جبريل عليه السلام • وحكى القشيري ان الروح صنف من الملائكة جعلوا حفظة على سايرهم وان الملائكة لا يرونهم كما لا نرى نحن الملائكة • وقال مقاتل هم اشرف الملائكة واقربهم من الله تعالى • وقيل هم جند من جند الله تعالى غير الملائكة رواه ابن عباس مرفوعا حكاه الماوردي • وقيل الروح خلق عظيم يقوم صفا والملائكة صفا • وقيل الروح الرحمة ينزل بها جبريل عليه السلام مع الملائكة في هذه الليلة على اهلها بدليل **قوله تعالى** ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشا من عباده اي بالرحمة فيها اي في ليلة القدر باذن ربهم اي بامر ربهم يجوز ان يتعلق بتنزل وان يتعلق بمحذوف على انه حال من المرفوع بتنزل اي ملتبس باذن ربهم وقوله تعالى من كل امر يجوز في من وجهان • احدهما انها بمعنى اللام ويتعلق بتنزل اي تنزل من اجل كل امر قضي الى العام القابل • الثاني انها بمعنى البا اي تنزل بكل امر فهي للتعدية قاله ابو حاتم • وقرا العامة امر واحد الامور • وقرا ابن عباس وعكرمة والكلبي امري مذكر امرا اي من اجل كل انسان • قال القرطبي وتاولها الكلبي على ان جبريل عليه السلام ينزل فيها مع الملائكة فيسلمون على كل امري مسلم فمن بمعنى على • وقيل من اجل كل ملك وهو بعيد • وقيل من كل امر ليس متعلقا بتنزل انما هو متعلق بما بعده اي هي سلام من كل امر مخوف وهذا لا يتم على ظاهره لان سلام مصدر لا يتقدم عليه معموله وانما المراد انه متعلق بمحذوف يدل عليه هذا المصدر **قوله** سلام هي فيه وجهان • احدهما ان هي ضمير الملائكة • وسلام بمعنى التسليم اي الملائكة ذات تسليم على المؤمنين من مغيب الشمس حتى يطلع الفجر • وقيل الملائكة يسلم بعضهم على بعض فيها • الثاني انها ضمير ليلة القدر • وسلام بمعنى سلامة اي ليلة القدر ذات سلامة من كل شي مخوف اي ليلة القدر سلامة وخير كلها لا شر فيها حتى يطلع الفجر • قال الضحاك لا يقدر الله تعالى في تلك الليلة الا السلامة • وقيل هي ذات سلامة من ان يوثر فيها شيطان في مومن ومومنة قاله مجاهد وعلى التقدير يجوز ان يرتفع سلام على انه خبر مقدم وهي مبتدا موخر وهذا هو المشهور ويجوز ان يرتفع بالابتدا وهي فاعل به عند الاخفش لانه لا يشترط الاعتماد في عمل الوصف وقد تقدم ان بعضهم يجعل الكلام تاما على قوله باذن ربهم ويعلق من كل امر بما بعده وتقدم تاويله • وقال ابو الفضل وقيل المعنى هي سلام من كل امر او امري اي سالمة او مسلمة منه • ولا يجوز ان يكون سلام هذه اللفظة الظاهرة التي هي المصدر عاملا فيما قبله لامتناع تقدم معمول المصدر على المصدر كما ان الصلة كذلك لا يجوز تقدمها على الموصول وقد تقدم ان معنى ذلك عند هذا القايل ان يتعلق بمحذوف مدلول عليه بسلام فهو تفسير معنى لا تفسير اعراب • وما يروى عن ابن عباس رضي الله عنه ان الكلام تم عند قوله تعالى سلام وبيتدا بهي على انها خبر مبتدا والاشارة بذلك الى انها ليلة السابع والعشرين لان لفظة هي سابعة وعشرون من كلم هذه السورة فلا ينبغي ان يعتقد صحته لانه الغاز وتغيير لنظم افصح الكلام **قوله** حتى مطلع الفجر • متعلق بتنزل او بسلام وفيه اشكال للفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدا الا ان يتوسع في الجار • وقرا الكسائي وابن محيصن مطلع بكسر اللام والباقون بالفتح والفتح هو القياس والكسر سماع وله اخوات يحفظ فيها الكسر مما ضم مضارعه او فتح نحو المشرق والمجزر والمغرب والمنبت والمسكن والمنسك والمحشر والمسقط • قال القرطبي حكي في ذلك الفتح والكسر وهل هما مصدران او المفتوح مصدر والمكسور مكان خلاف وعلى كل تقدير فالقياس في الفعل مطلقا مما ضمت عين مضارعه او فتحت فتح العين وانما يقع الفرق في المكسور العين الصحيح نحو يضرب **فصل** اختلفوا في تعيين ليلة القدر فالاكثرون على انها ليلة سبع وعشرين لحديث ابي بن كعب انها في العشر الاواخر انها ليلة سبع وعشرين • وقال صلى الله عليه وسلم من كان متحريا ليلة القدر فليتحرها ليلة سبع وعشرين • وقال ابي بن كعب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة القدر ليلة سبع وعشرين • وقال ابو بكر الوراق كرر ذكرها ثلاث مرات وهي تسعة احرف فيكون سبعة وعشرين وقال

عبيد بن عمير كنت ليلة السابع والعشرين في البحر فاخذت من مايه فوجدته عذبا سلسا • وقال ابو هريرة وغيره هي في ليالي السنة كلها واليه ذهب ابو حنيفة رضي الله عنه • وعنه انها رفعت وانها انما كانت مرة واحدة • قال الخليل من قال ان فضلها لنزول القران يقول انقطعت • والجمهور على انها في كل عام من رمضان ثم اختلفوا فقيل هي ليلة احدى وعشرين واليه مال الشافعي رحمه الله لحديث الما والطين • وقيل ليلة الثالث والعشرين لما روى ابن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله اني رايت ليلة القدر في سابعة تبقى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارى رؤياكم قد تواطات على ثلاث وعشرين فمن اراد ان يقوم من الشهر شيا فليقم ليلة ثلاث وعشرين • وقيل ليلة خمس وعشرين لما روى مسلم عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التمسوها في العشر الاواخر في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى • قال مالك رضي الله عنه يريد بالتاسعة ليلة احدى وعشرين وبالسابعة ليلة ثلاث وعشرين وبالخامسة ليلة خمس وعشرين • وقيل سبع وعشرين وقد تقدم • وقيل ليلة تسع وعشرين لقول النبي صلى الله عليه وسلم ليلة القدر التاسعة والعشرون والسابعة والعشرون • وقال الحسن رضي الله عنه ارتقبت الشمس ليلة اربع وعشرين عشرين سنة فرايتها تطلع بيضا لا شعاع لها يعني من كثرة الانوار تلك الليلة • وروي عن ابي بكر رضي الله عنه انها في ليالي الافراد من النصف الاخير من شهر رمضان متنقلة في ليالي الجمع ونظمها محمد الاسيري فقال •

ثلاث شروط هن في ليلة القدر • كذا قال شيخ العرب فيها ابو بكر •
فاولها وتر وليلة جمعة • وثالثها النصف الاخر من الشهر •

وقيل هي تنتقل في جميع السنة • قالوا والحكمة في اخفايها ليجتهد الناس في احيا جميع الليالي كما اخفا رضاه بالطاعات حتى يرغبوا في الكل واخفى ساعة الاجابة في الدعا ليبالغوا في كل الساعات واخفى الاسم الاعظم ليعظموا كل الاسما واخفى الصلاة الوسطى ليحافظوا على الكل واخفى قبول التوبة ليواظبوا على جميع اقسام التوبة واخفى وقت الموت ليخاف المكلف وكذا اخفى هذه الليلة ليعظموا جميع ليالي رمضان **فصل** نقل القرطبي عن بعض العلما ان من علق طلاق امراته او عتق عبده بليلة القدر لم يقع الطلاق والعتق الى مضي سنة من يوم حلف لانه لا يجوز ايقاع الطلاق بالشك ولم يثبت اختصاصها بوقت فلا ينبغي وقوع الطلاق الا بمضي حول • وفي هذا نظر لانه تقدم عن ابي حنيفة في احد قوليه انها رفعت فعلى هذا لا ينبغي ان يقع شي اصلا لوجود الخلاف في بقايها • روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القدر كان كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر • والله تعالى اعلم •

سورة البينة

في قول يحيى بن سلام ومدنية في قول الجمهور • وهي ثمان ايات • واربع وتسعون كلمة • وثلثماية وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين • هذه قراة العامة وخط المصحف • وقرا ابن مسعود رضي الله عنه لم يكن المشركون واهل الكتاب منفكين وهذه قراة على التفسير • قال ابن العربي وهي جايزة في معرض البيان لا في معرض التلاوة فقد قرا النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح فطلقوهن لقبل عدتهن وهو تفسير فان التلاوة هو ما كان في خط المصحف • وقرئ والمشركون بالواو نسقا على الذين كفروا **قوله** منفكين • خبر يكون ومنفكين اسم فاعل من انفك وهي هنا التامة فلذلك لم تحتج الى خبر • وزعم بعضهم انها هنا ناقصة وان الخبر مقدر تقديره منفكين عارفين محمدا صلى الله عليه وسلم • قال ابو حيان وحذف خبر كان لا يجوز اقتصارا ولا اختصارا وجعلوا قوله • ينبغي جوار الحي ليس بخير • اي في الدنيا ضرورة • ووجه من منع من ذلك انه قال صار الخبر مطلوبا من جهتين من جهة كونه مخبرا به فهو احد جزئي الاسناد ومن حيث كونه منصوبا بالفعل وهو انتقض مفعولي ظن فان كلا منهما فيه المعنيان المذكوران ومع ذلك يجوز حذف احدهما اختصارا • واما الاقتصار ففيه خلاف وتفصيل تقدم ذكره **قوله** حتى تاتيهم • متعلقة بلم يكن او بمنفكين **فصل** قال الواحدي هذه الاية من اصعب ما في القران نظما وتفسيرا ولم يبين كيفية الاشكال • قال ابن الخطيب ووجه الاشكال ان تقدير الاية لم يكن الذين كفروا الى ان تاتيهم البينة التي هي الرسول ثم انه تعالى لم يذكر الشي المنفك عنه والظاهر ان المراد لم ينفكوا عن كفرهم حتى تاتيهم البينة التي هي الرسول فانفكوا عنه لان حتى لانتهاء الغاية فهذه الاية تقتضي انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول لكن قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يقتضي زيادة كفرهم عند مجي الرسول عليه السلام فحينيذ يحصل التناقض **والجواب** من وجوه احدها وهو احسنها ما لخصه الزمخشري ان الاول حكاية ما كانوا يقولونه من انه صلى الله عليه وسلم الموعود به لا ينفكون عما هم عليه من دينهم والثاني اخبار عن الواقع يعني انهم كانوا يعدون الاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول عليه السلام • والمعنى ان الذي وقع كان

خلاف لما ادعوا • وثانيها المعنى لم يكونوا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة ذكره القاضي الا ان جعل حتى بمعنى ان بعيد
في اللغة • وثالثها المعنى لم يكونوا منفكين عن ذكر محمد صلى الله عليه وسلم بالمناقب والفضائل حتى تاتيهم البينة
والمضارع هنا بمعنى الماضي كقوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين اي تلت اي ما كانوا منفكين عن ذكر مناقبه
ثم لما جاءهم محمد تفرقوا ونظيره فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به • ورابعها انهم كانوا متفقين على الكفر قبل
البينة فلما جاءت البينة تفرقوا وتكون هذه المغايرة • وخامسها هي كقوله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث
الله النبيين الاية اي كان كل منهم جازما بمذهبه ودينه فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم شكوا في اديانهم
لان قوله تعالى منفكين مشعر بهذا لان الانفكاك من الشيء هو الانفصال عنه فمعناه ان قلوبهم ما خلت عن
تلك العقائد وما انفصلت عن الجزم بصحتها ثم ان بعد المبعث لم يبق الامر على تلك الحالة **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه
اهل الكتاب الذين كانوا بيثرب وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع والمشركون الذين كانوا بمكة وحولها والمدينة
وهم مشركو قريش • وقوله تعالى منفكين اي منتهين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
وقيل منفكين زائلين • وقيل الانتهاء بلوغ الغاية اي لم يكونوا ليبلغوا نهاية اعمارهم فيموتوا حتى تاتيهم البينة
اي لم تكن مدتهم لتزول حتى ياتيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والعرب تقول ما انفككت افعل كذا اي ما زلت
وما انفك فلان قائما اي ما زال قائما • واصل الفك الفتح ومنه فك الكتاب وفك الخلخال • وقيل منفكين بارحين
اي لم يكونوا ليبرحوا اي يفارقوا الدنيا حتى تاتيهم البينة • وقال ابن كيسان اي لم يكن اهل الكتاب تاركين صفة
محمد صلى الله عليه وسلم ويسمونه الامين في كتابهم حتى بعث صلى الله عليه وسلم فلما بعث صلى الله عليه وسلم
حسدوه وجحدوه كقوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ولهذا قال تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من
بعد ما جاءتهم البينة فعلى هذا قوله تعالى والمشركين اي ما كانوا يقولون في محمد صلى الله عليه وسلم ويسمونه الامين
حتى تاتيهم البينة على لسانه وبعث اليهم صلى الله عليه وسلم فحينئذ عادوه • وقال بعض اللغويين منفكين اي
هالكين من قولهم انفك صلا المراة عند الولادة وهو ان ينفصل فلا يلتئم فتهلك • والمعنى لم يكونوا معذبين
ولا هالكين الا بعد قيام الحجة عليهم بارسال الرسل وانزال الكتب **فصل** قال قوم المراد بالمشركين من اهل
الكتاب فمن اليهود من قال عزير ابن الله ومن النصارى من قال عيسى هو الله • ومنهم من قال هو ابنه • ومنهم من
قال هو ثالث ثلاثة كذبوا فيما قالوا عن الله تعالى وان الله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له ولا ولد له ولا مثل
له ولا ضد له ولا ند له ولا شبه له ولا صاحبة له ولا زوجة له ولا وزير له ولا حاجب له ولا بواب له وهو سبحانه
كما قال تعالى في كتابه المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
احد • وقيل المشركون وصفوا اهل الكتاب ايضا لانهم لم ينتفعوا بكتابهم وتركوا التوحيد فالنصارى مثلثة وعامة
اليهود مشبهة والكل شرك وهو كقولك جاءني العقلاء والظرفاء وانت تريد اقواما بعينهم تصفهم بالامرين • قال تعالى
الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وهذا وصف لطائفة واحدة
فالمعنى على هذا من اهل الكتاب المشركين • وقيل اهل الكتاب كانوا مؤمنين ثم كفروا بعد انبيائهم • والمشركون ولدوا
على الفطرة ثم كفروا حين بلغوا فلذلك قال والمشركين • وقيل الكفر هنا هو الكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم اي لم يكن الذين
كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى الذين هم اهل الكتاب ولم يكن المشركون الذين هم عبدة الاوثان
من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم كتاب منفكين • قال القشيري وفيه بعد لان الظاهر من قوله تعالى حتى
تاتيهم البينة رسول من الله ان هذا الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فيبعد ان يقال لم يكن الذين كفروا الا
بمحمد صلى الله عليه وسلم منفكين حتى ياتيهم محمد رسول الله الا ان يقال اراد لم يكن الذين كفروا الان بمحمد صلى الله عليه
وسلم وقد كانوا من قبل معظمين له ممتنعين من هذا الكفر الى ان يبعث الله تعالى محمدا ويبين لهم الايات فحينئذ
يعرض قوم • وقرا الاعمش وابراهيم والمشركون رفعا عطفا على الذين كفروا • قال القرطبي والقراءة الاولى ابين
لان الرفع يصير فيه الصنفان كانهم من غير اهل الكتاب وفي حرف ابي فما كان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين
قال ابن الخطيب فان قيل لم قال كفروا بلفظ الفعل وذكر المشركين باسم الفاعل فالجواب ان اهل الكتاب
ما كانوا كافرين من اول الامر لانهم كانوا مصدقين بالتوراة والانجيل وبمبعث محمد صلى الله عليه وسلم بخلاف
المشركين فانهم ولدوا على عبادة الاوثان وذلك يدل على الثبات على الكفر **قوله تعالى** حتى تاتيهم البينة
قيل المراد بالبينة محمد صلى الله عليه وسلم لانه في نفسه بينة وحجة ولذلك سماه الله تعالى سراجا منيرا
ولقوله تعالى رسول من الله وهو رفع على البدل من البينة ولان اللام في البينة للتعريف اي هو الذي سبق
ذكره في التوراة والانجيل على لسان موسى وعيسى وقد يكون التعريف للتفخيم اذ هو البينة التي لا مزيد عليها
او البينة كل البينة وكذا التنكير وقد جمعهما الله تعالى ههنا في حق الرسول اي هو رسول واي رسول صلى الله

عليه وسلم ونظيره قوله تعالى حين اثنى على نفسه فقال سبحانه وتعالى ذو العرش المجيد ثم قال تعالى فعال لما يريد فنكر بعد
التعريف • وقال ابو مسلم المراد من البينة مطلق الرسل فقوله تعالى حتى تاتيهم البينة اي تاتيهم رسل من ملائكة
الله يتلوا عليهم صحفا مطهرة نظيره بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة • وقال قتادة وابن زيد البينة هي
القران لقوله تعالى او لم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى • **قوله** رسول • العامة على رفعه بدلا من البينة اما بدل
اشتمال او بدل كل من كل على سبيل المبالغة جعل الرسول صلى الله عليه وسلم نفس البينة او على حذف مضاف اي
بينة رسول • وقال الفراء رفع على خبر ابتداء مضمر اي هي رسول او هو رسول من الله لان البينة قد تذكر فيقال
بينتي فلان • وقرا عبد الله وابي رسولا على الحال من البينة • وقال القرطبي النصب على القطع وقوله من الله
يجوز تعلقه بنفس رسول او بمحذوف على انه صفة لرسول • وجوز ابو البقاء ان يكون حالا من صحفا
والتقدير يتلو صحفا مطهرة منزلة من الله تعالى يعني كانت صفة في الاصل للنكرة فلما تقدمت عليها نصبت حالا
قوله يتلو • يجوز ان يكون صفة لرسول وان يكون حالا من الضمير في الجار قبله اذا جعلته صفة لرسول ويتلو
اي يقرا يقال تلا يتلو تلاوة • صحفا جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب مطهرة • قال ابن عباس من الزور والشك
والنفاق والضلالة • وقال قتادة من الباطل وقيل من الكذب والشبهات والمعنى واحد اي يقرا ما يتضمن
الصحف من المكتوب بدليل انه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب لانه كان اميا لا يكتب ولا يقرا • ومطهرة من
نعت الصحف كقوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة فالمطهرة نعت للصحف في الظاهر وهو نعت لما في
الصحف من القران • وقيل مطهرة اي لا يمسها الا المطهرون كما تقدم في سورة الواقعة • وقيل الصحف المطهرة
هي التي عند الله تعالى في ام الكتاب الذي منه نسخ ما انزل على الانبياء عليهم السلام من الكتب لقوله تعالى بل هو
قران مجيد في لوح محفوظ **قوله** فيها كتب • يجوز ان يكون جملة صفة لصحفا او حالا من ضمير مطهرة وان يكون
الوصف او الحال الجار والمجرور فقط • وكتب فاعل به وهو الاحسن • والمراد بالكتب الايات المكتوبة في الصحف
والقيمة المستقيمة المحكمة من قول العرب قام يقوم اذا استوى وصح • وقال صاحب النظم الكتب بمعنى الحكم لقوله
تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي ومنه حديث العسيف لاقضين بينكما بكتاب الله ثم قضى بالرجم وليس ذكر الرجم مسطورا
في الكتاب • وقيل الكتب القيمة هي القران سمي كتبا لانه يشتمل على انواع من البيان **قوله تعالى** وما تفرق
الذين اوتوا الكتاب • اي من اليهود والنصارى خص اهل الكتاب بالتفرق دون غيرهم وان كانوا مجموعين مع الكافرين
لانهم يظنون بهم علم فاذا تفرقوا كان غيرهم ممن لا كتاب له ادخل في هذا الوصف • وقوله تعالى الا من بعد ما
جاءتهم البينة اي اتتهم البينة الواضحة • والمعني به محمد صلى الله عليه وسلم اي بالقران موافقا للذي في ايديهم
من الكتاب بنعته وصفته وذلك انهم كانوا مجتمعين على نبوته فلما بعث صلى الله عليه وسلم جحدوا نبوته وتفرقوا
فمنهم من كفر بغيا وحسدا • ومنهم من امن كقوله تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم • وقيل
البينة البيان الذي في كتبهم انه نبي مرسل • قال العلماء من اول السورة الى قوله تعالى فيها كتب قيمة حكمها فيمن امن من اهل
الكتاب والمشركين • وقوله تعالى وما تفرق حكم فيمن لم يؤمن من اهل الكتاب بعد قيام الحجج **قوله تعالى** وما امروا
يعني هؤلاء الكفار في التوراة والانجيل الا ليعبدوا الله اي يوحدوه • واللام في ليعبدوا بمعنى ان كقوله تعالى يريد
الله ليبين لكم اي ان يبين ويريدون ليطفئوا نور الله **قوله** مخلصين له الدين • العامة على كسر اللام اسم فاعل
وانتصب به الدين • والحسن بفتحها على انهم يخلصون لهم انفسهم في نياتهم وانتصب الدين على احد وجهين اما
اسقاط الخافض اي في الدين واما على المصدر من معنى ليعبدوا كانه قيل ليدينوا الدين او ليعبدوا العبادة فالتجوز
اما في الفعل واما في المصدر • وانتصاب مخلصين على الحال من فاعل يعبدوا **قوله** حنفاء • حال ثانية او حال من الحال قبلها
اي من الضمير المستكن فيها • وقوله وما امروا اي بما امروا به الا لكذا وما امروا الا ان يعبدوا اي بان يعبدوا وتقدم تحرير
مثله في قوله وامرنا لنسلم لرب العالمين في سورة الانعام **فصل** قال المفسرون المعنى وما امر هؤلاء الكفار في
التوراة والانجيل الا ليعبدوا الله اي يوحدوه • واللام بمعنى ان كقوله تعالى يريد الله ليبين لكم ومنه قوله
تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اي العبادة وفي هذا دليل على وجوب النية في العبادات فان الاخلاص
من عمل القلب وهو ان يراد به وجه الله لا غيره • وقوله تعالى حنفاء اي مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام
وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول حنفاء على دين ابراهيم عليه السلام ويقال الحنيف من اختتن وحج قاله سعيد
ابن جبير • وقال اهل اللغة اصله انه تحنف الى الاسلام اي مال اليه **قوله تعالى** ويقيموا الصلاة • اي يصلوها
في اوقاتها ويؤتوا الزكاة اي يعطوها عند محلها **قوله تعالى** وذلك دين القيمة • اي الامة او الملة القيمة اي
المستقيمة • والقيمة نعت لموصوف محذوف • وقيل وذلك اشارة الى الدين اي ذلك الدين الذي امروا به اي الله
المستقيم او يقال دين الامة القيمة بالحق اي القائمة بالحق • وقال محمد بن الاشعث الطالقاني الكتب القيمة لانها

لم تتقدمت في الذكر قال تعالى فيها كتب قيمة فلما اعادها اعادها مع ال العهدية كقوله تعالى فعصى فرعون الرسول وهو
حسن وقرأ عبد الله وذلك الدين القيمة والتاء فيه للمبالغة كعلامة وقال ابن ثبت جنيه اما على تاويل الدين بالملة كقوله
سائل بني اسد ما هذه الصوت بتاويل الصيحة واما على انها للمبالغة كعلامة وقال
الخليل القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد وقال الفراء اضاف الدين الى القيمة وهو نعته لاختلاف اللفظين
وعنه ايضا هو من باب اضافة الشيء الى نفسه ودخلت الهاء للمدح قوله ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
كما مر في اول السورة وقوله تعالى في نار جهنم خالدين حال من الضمير المستكن في الخبر اولئك هم
شر البرية قرأ نافع وابن ذكوان البريئة بالهمز في الحرفين والباقون بياء مشددة والخلاف في ذلك الهمز
فقيل هو الاصل من برأ الله الخلق ابتدأه واخترعه قال تعالى من قبل ان نبرأها فهي فعيلة بمعنى مفعولة
وانما خففت والتزم تخفيفها عند عامة العرب وقد تقدم ان العرب التزمت غالبا تخفيف الفاظ منها الـ
والخابية والذرية قال القرطبي وتشديد الياء عوض من الهمز وقيل البرية دون همز مشتقة من
البرا وهو التراب فهي اصل بنفسها فالقراءتان مختلفتا الاصل متفقتا المعنى الا ان ابن عطية غض من هذا فقال
وهذا الاشتقاق يجعل الهمز خطأ وهو اشتقاق غير مرضي انتهى يعني انه اذا قيل انها مشتقة من البرا وهو التراب
فمن اين يجيء الهمز في القراءة الاخرى قال شهاب الدين وهذا غير لازم لانهما قراءتان مستقلتان لكل منهما
اصل مستقل فتلك من برأ اي خلق وهذه من البرا لانهم خلقوا منه والمعنى بالقراءتين شيء واحد وهو جميع
الخلق ولا يلتفت الى من ضعف الهمز من النحاة والقراء لثبوته متواترا قال القشيري ومن قال البرية من البرا
وهو التراب قال لا تدخل الملائكة تحت هذه اللفظة وقيل البرية من بريت القلم اي قدرته فيدخل فيه الملائكة ولكنه
قول ضعيف لا يجب منه تخطئة من همز وقوله تعالى شر البرية اي شر الخليقة فقيل يحتمل ان يكون على التعميم
وقيل هم شر البرية الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى واني فضلتكم على العالمين اي عالمي زمانهم
ولا يبعد ان يكون في كفار الامم قبل من هو شر منهم مثل فرعون وعاقر ناقة صالح وكذا قوله تعالى خير البرية اما على
التعميم او خير برية عصرهم وقد استدل بقراءة الهمز من فضل بني ادم على الملائكة وقال ابو هريرة رضي الله عنه
المؤمن اكرم على الله تعالى من بعض الملائكة الذين عنده وقرأ العامة خير البرية مقابلا لشر وعامر بن عبد الواحد
خيار البرية وهو جمع خير نحو جياد وطياب في جمع جيد وطيب قاله الزمخشري قال ابن الخطيب وقدم الوعيد على الوعد
لانه كالدواء والوعد كالغذاء والدواء اذا انقى البدن استعمل الغذاء فينتفع به البدن ولان الانسان اذا وقع في
شدة رجع الى الله تعالى فاذا نال الدنيا اعرض قوله جزاؤهم عند ربهم اي ثوابهم عند خالقهم ومالكهم جنات عدن
قال ابن الخطيب قال بعض الفقهاء من قال لا شيء لي على فلان انتفى الدين وله ان يدعي الوديعة وان قال لا شيء لي
عنده انصرف الى الوديعة دون الدين وان قال لا شيء لي قبله انصرف اليهما معا فقوله تعالى عند ربهم يفيد
انها اعيان مودعة عنده والعين اشرف من الدين والضمان انما يرغب فيه خوف الهلاك وهو محال في حقه
تعالى وتقدم الكلام على نظيره قوله تجري من تحتها الانهار والجنات البساتين والعدن الاقامة يقال
عدن بالمكان يعدن عدونا اي اقام ومعدن الشيء مركزه ومستقره وقيل جنات عدن بطنان الجنة اي وسطها
قوله خالدين فيها حال عاملها محذوف اي ادخلوها او اعطوها ولا يجوز ان يكون حالا من هم في جزاؤهم لئلا يلزم
الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي على ان بعضهم اجازه من هم واعتذر بان المصدر هنا غير مقدر بحرف مصدري
قال ابو البقاء وهو بعيد واما عنده فيجوز ان يكون حالا من جزاؤهم وان يكون ظرفا له وابدا ظرف زمان
منصوب بخالدين اي لا يظعنون ولا يموتون قوله رضي الله عنهم يجوز ان يكون دعاء مستأنفا وان يكون
خبرا ثانيا وان يكون حالا باضمار قد عند من يلتزم ذلك قال ابن عباس رضي الله عنه ورضوا عنه اي رضوا بثواب
الله تعالى قوله ذلك لمن خشي ربه اي ذلك المذكور من استقرار الجنة مع الخلود ورضي الله عنه لمن خشي ربه
اي خاف ربه فتناهى عن معصيته روى انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب ان الله
تعالى امرني ان اقرأ عليك لم يكن الذين كفروا قال وسماني لك قال عليه السلام نعم فبكى خرجه البخاري
ومسلم قال القرطبي وفيه من الفقه قراءة العالم على المتعلم قال بعضهم انما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على ابي
ليعلم الناس التواضع لئلا يأنف احد من التعلم والقراءة على من دونه في المنزلة وقيل لان ابيا كان اسرع اخذا
لالفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد بقراءته عليه ان يأخذ الفاظه ويقرأ كما سمع منه صلى الله عليه
وسلم ويعلم غيره وفيه فضيلة عظيمة
لابي رضي الله عنه اذ امر الله تعالى رسوله
صلى الله عليه وسلم ان يقرأ عليه رضي الله عنه وعن بقية الصحابة اجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل

سورة الزلزلة

في قول ابن عباس وقتادة ومدنية في قول ابن مسعود وعطاء وجابر وهي ثمان آيات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسع
واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها اذا شرط وجوابه تحدث
وهو الناصب لها عند الجمهور وجوز ابو البقاء ان يكون العامل فيها مصدرا وغيرهم يجعل العامل فيها ما بعدها وبعضها وان كان
معمولا لها بالاضافة تقديرا واختاره مكي وجعل ذلك نظير من وما يعني انهما يعملان فيما بعدهما الجزم وما بعدهما يعمل فيهما
النصب ولو مثل باي لكان اوضح وقيل العامل فيها مقدر اي يحشرون وقيل اذكر وحينئذ تخرج عن الظرفية والشرط فصل
وجه المناسبة بين اول هذه السورة وآخر السورة المتقدمة انه تعالى لما قال جزاؤهم عند ربهم فكان المكلف قال
ومتى يكون ذلك فقيل له اذا زلزلت الارض فالعاملون كلهم يكونون في الخوف وانت في ذلك الوقت تنال جزاءك وتكون
آمنا لقوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون وقيل لما ذكر في السورة المتقدمة وعيد الكافر ووعد المؤمن اراد ان
يزيد في وعيد الكافر فقال اجازيه حين يقول الكافر السابق ذكره ما للارض تزلزل نظيره يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
ثم ذكر سبحانه الطائفتين وذكر ما لكل طائفة ثم جمع بينهما في آخر السورة بذكر الذرة من الخير والشر فصل قيل اذا للوقت
فكيف وجه البداية بها في السورة قلنا فيه وجوه احدها كانوا يسألونه عن الساعة فقال تعالى اذا زلزلت الارض
زلزالها فانه تعالى يقول لا سبيل الى تعيينه بحسب وقتها ولكن اعينه بحسب علاماته او انه تعالى اراد ان يخبر المكلف
ان الارض تحدث وتشهد يوم القيامة مع انها في هذه الساعة جماد فكأنه قيل متى يكون ذلك فقال تعالى اذا زلزلت
الارض فصل روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال يقول النفخة الاولى تزلزلها وهو قول مجاهد
لقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ثم تزلزل ثانية فتخرج موتاها وهي الاثقال وذكر المصدر للتأكيد
ثم اضيف الى الارض كقولك لاعطينك عطيتك اي عطيتي لك وحسن ذلك لموافقة رؤوس الآي فهو مصدر مضاف
لفاعله والمعنى زلزالها الذي تستحقه ويقتضيه جرمها وعظمها قال الزمخشري ونحوه اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق
اهانته او زلزالها كله وقرأ العامة بكسر الزاي من الزلزال والجحدري وعيسى بفتحها فقيل هما مصدران بمعنى وقيل المكسور مصدر
والمفتوح اسم قاله الزمخشري وليس في الابنية فعلال بفتح الفاء الا في المضاعف نحو ناقة خزعال قال القرطبي والزلزال
بالفتح مصدر كالوسواس والقلقال والجرجار قوله واخرجت الارض اثقالها قال ابو عبيدة والاخفش اذا كان الميت
في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها وقال ابن عباس ومجاهد اثقالها موتاها تخرجهم في النفخة
الثانية ومنه قيل للانس والجن الثقلان وقيل اثقالها كنوزها ومنه الحديث تلقي الارض افلاذ كبدها
امثال الاسطوان من الذهب والفضة قوله وقال الانسان اي ابن آدم الكافر وقال ابن عباس هو الاسود
وقيل اراد كل انسان يشاهد ذلك عند قيام الساعة في النفخة الاولى من مؤمن وكافر قوله ما لها ابتداء وخبر
وهذا يرد قول من قال ان الحال في نحو قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين لازمة لئلا يصير الكلام غير مفيد فانه
لا حال هنا ومعنى ما لها اي ما لها زلزلت وقيل ما لها اخرجت اثقالها وهي كلمة تعجب اي لاي شيء زلزلت ويجوز ان
يحيي الله الموتى بعد وقوع النفخة الاولى ثم تتحرك الارض فتخرج الموتى وقد رأوا الزلزلة وانشقاق الارض عن
الموتى احياء فيقولون من الهول ما لها كأنهم يخاطبون انفسهم تعجبا قوله يومئذ اي يوم اذ زلزلت والعامل
في يومئذ تحدث ان جعلت اذا منصوبة بما بعدها او بمحذوف وان جعلت العامل فيها تحدث كان يومئذ بدلا منها
فالعامل فيه العامل فيها او شيء آخر لانه على نية تكرير العامل وهو خلاف مشهور فصل معنى تحدث اي تخبر الارض بما عمل
عليها من خير او شر يومئذ ثم قيل هو من قول الله تعالى وقيل من قول الانسان اي يقول الانسان ما لها تحدث اخبارها
متعجبا روى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ
تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة
بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا وكذا قال فهذه اخبارها قال الماوردي قوله تعالى تحدث اخبارها فيه
ثلاثة اقاويل احدها تحدث اخبارها باعمال العباد على ظهرها قاله ابو هريرة رضي الله عنه ورواه مرفوعا وهو
قول من زعم انها زلزلة القيامة الثاني قال يحيى بن سلام تحدث اخبارها بما اخرجت من اثقالها وهو قول من زعم انها زلزلة
اشراط الساعة الثالث قال ابن مسعود انها تحدث بقيام الساعة اذا قال الانسان ما لها فتخبر ان امر الدنيا قد
انقضى وامر الآخرة قد اتى فيكون ذلك منها جوابا لهم عند سؤالهم ووعيدا للكافر وانذارا للمؤمن وفي
حديثها باخبارها ثلاثة اقوال الاول ان الله تعالى يقلبها حيوانا ناطقا فتتكلم بذلك الثاني ان الله تعالى يحدث
فيها الكلام الثالث انه يكون منها بيان يقوم مقام الكلام قال الطبري تبين اخبارها بالرجفة والزلزلة واخراج

الموتى قوله بأن ربك متعلق بتحدث اي تحدث ويجوز ان يتعلق بنفس اخبارها وقيل الباء زائدة وان وما في حيزها
بدل من اخبارها وقيل الباء سببية اي بسبب ايحاء الله اليها وقال الزمخشري اين مفعولا تحدث قلت حذف اولهما
والثاني اخبارها واصله تحدث الخلق اخبارها الا ان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق تعظيما لليوم فان
قلت بم تعلقت الباء في قوله بان ربك قلت بتحدث لان معناه تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك ويجوز ان يكون
المعنى تحدث بان ربك اوحى لها لانك تقول اخبارها على ان تحدثها بان ربك اوحى لها تحديث باخبارها
كما تقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في الدين قال ابو حيان وهو كلام فيه عفش يتنزه القرآن عنه قال شهاب
الدين واي عفش فيه مع فصاحته وفصاحته ولكنه لما طال تعابيره من جهة افادة هذا المعنى الحسن جعله عفشا
وحاشاه ثم قال الزمخشري ويجوز ان يكون بان ربك بدلا من اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث باخبارها بان ربك
اوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا قال ابو حيان واذا كان الفعل تعدى تارة بحرف جر وتارة
يتعدى بنفسه وحرف الجر ليس بزائد فلا يجوز في تابعه الا الموافقة في الاعراب فلا يجوز استغفرت الله
الذنب العظيم بنصب الذنب وجر العظيم لجوار انك تقول استغفرت من الذنب العظيم بنصب العظيم وكذا
في اخترت فلو كان حرف الجر زائدا جاز الاتباع على موضع الاسم بشروط مذكورة في كتب النحو تقول ما رايت
من رجل عاقلا لان من زائدة ومن رجل عاقل على اللفظ ولا يجوز نصب رجل وجر عاقل على جوار مراعاة دخول
من وان ورد شيء من ذلك فبابه الشعر انتهى قال شهاب الدين ولا ادري كيف يلزم الزمخشري ما الزمه به من
جميع المسائل التي ذكرها فان الزمخشري يقول ان هذا بدل مما قبله ثم ذكر مسوغ دخول الباء في البدل وهو
ان المبدل منه يجوز دخول الباء عليه فلو حل البدل محل المبدل منه ومعه الباء لكان جائزا لان العامل يتعدى
به وذكر مسوغا لخلو المبدل منه من الباء فقال لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا واما كونه يمتنع ان
يقول استغفرت الذنب العظيم بنصب الذنب وجر العظيم الى اخره فليس في كلام الزمخشري شيء منه البتة
ونظير ما قاله الزمخشري في باب استغفر ان تقول استغفرت الله ذنبا من شتمي زيدا فقولك من شتمي بدل
من الذنب وهذا جائز لا محالة قوله اوحى لها في هذه اللام اوجه احدها انها بمعنى الى وانما اوثرت على الى
لموافقة الفواصل والمعنى اوحى لها انها تحدث اخبارها بوحي الله تعالى لها اي اليها والعرب تضع لام الصفة
موضع الى قال العجاج يصف الارض اوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت قاله ابو
عبيدة الثاني على اصلها واوحى يتعدى باللام تارة وبالى اخرى ومنه البيت الثالث ان اللام على بابها من
العلة والموحى اليه محذوف وهو الملائكة تقديره اوحى الملائكة لاجل الارض اي لاجل ما يفعلون فيها قال الثوري تحدث
اخبارها بما كان عليها من الطاعات والمعاصي وما عمل على ظهرها من خير وشر قوله يومئذ اما بدل من يومئذ
قبله واما منصوب بيصدر واما منصوب باذكر مقدرا وقوله تعالى اشتاتا حال من الناس وهو جمع شت
اي متفرقين في الامن والخوف والبياض والسواد والصدر ضد الورود يقال للوارد الجائي وللصادر
المنصرف ومنه طواف الصدر فقيل يصدرون عن موضع الحساب فريق الى جهة اليمين الى الجنة وفريق الى
جهة الشمال الى النار لقوله تعالى يومئذ يتفرقون يومئذ يصدعون وعن ابن عباس رضي الله عنه اشتاتا
متفرقين على قدر اعمالهم اهل الايمان على حدة واهل كل دين على حدة وقيل هذا الصدر انما هو عند النشور
يصدرون اشتاتا من القبور الى موقف الحساب ليروا اعمالهم في كتبهم او ليروا جزاء اعمالهم فانهم وردوا
القبور فدفنوا فيها ثم صدروا عنها وقوله تعالى اشتاتا اي يبعثون من اقطار الارض فعلى هذا قوله تعالى
ليروا متعلق بيصدر وعلى القول الاول فيه تقديم وتاخير اي تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها ليروا
اعمالهم واعترض قوله يومئذ يصدر الناس اشتاتا متفرقين عن موقف الحساب وعلى هذا يتعلق
بالوحي وقرأ العامة ليروا بضم الياء مبنيا للمفعول وهو من رؤية البصر فتعدى بالهمزة الى ثان وهو اعمالهم اي ليريهم
الله اعمالهم وقرأ الحسن والاعرج وقتادة وحماد بن سلمة ونصر بن عاصم وطلحة ويروى عن نافع
بفتحها قال الزمخشري وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا للفاعل والمعنى جزاء اعمالهم قوله
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال ابن عباس رضي الله عنه من يعمل من الكفار
خيرا يره في الدنيا ولا يثاب عليه في الاخرة ومن يعمل مثقال ذرة من شر عوقب عليه في الاخرة مع عقاب
الشرك ومن يعمل مثقال ذرة من شر من المؤمنين يره في الدنيا ولا يعاقب عليه في الاخرة اذا مات
ويتجاوز عنه وان عمل مثقال ذرة من خير يقبل منه ويضاعف في الاخرة وفي بعض الحديث ان الذرة
لا زنة لها وهذا مثل ضربه الله تعالى انه لا يغفل عن عمل ابن ادم صغيرة ولا كبيرة وهو كقوله تعالى
ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقد تقدم ان الذر لا وزن له وذكر بعض اهل اللغة ان الذر ان يضرب

موقف

الرجل بيده على الارض فما علق من التراب فهو الذر وكذا قاله ابن عباس رضي الله عنه اذا وضعت يدك على الارض ورفعتها فكل
واحد مما لزق من التراب ذرة وقيل الذرة نملة الصغيرة واصغر ما يكون اذا مضى عليها حول قال امرؤ القيس

من القاصرات الطرف لو دب محول ... من الذر فوق الاتب منها لاثرا

وقال محمد بن كعب
القرظي فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله واهله وولده حتى يخرج من الدنيا
وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في ماله ونفسه واهله وولده حتى
يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر ودليله ما روى انس رضي الله عنه ان هذه الاية نزلت على النبي صلى الله عليه
وسلم وانا لنرى ما عملنا من خير وشر فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ما رايته في الدنيا مما تكره فمثاقيل ذر
الشر ويدخر لكم مثاقيل ذر الخير حتى يعطوه يوم القيامة قال ابو ادريس ان مصداقه من كتاب الله وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقال مقاتل نزلت في رجلين وذلك انه لما نزل ويطعمون
الطعام على حبه كان احدهما ياتيه السائل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة وكان الاخر يتهاون
بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول انما اوعد الله تعالى النار على الكبائر فنزلت هذه الاية ترغبهم
في القليل من الخير يعطوه فانه يوشك ان يكثر وتحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكثر ولهذا قال النبي صلى الله عليه
وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة فصل قوله تعالى يره جواب الشرط في الموضعين وقرأ هشام بسكون
هاء يره وصلا في الحرفين والباقي من السبعة بضمها موصولة بواو وصلا وساكنة وقفا كسائر هاء الكناية ونقل ابو حيان عن
هشام وابي بكر سكونها وعن ابي عمرو ضمها مشبعة وباقي السبعة باشباع الاولى وسكون الثانية انتهى وكان ذلك لاجل
الوقف على اخر السورة غالبا اما لو وصلوا اخرها باول العاديات كان الحكم الاشباع هذا مقتضى اصولهم وهو المنقول وقرا
العامة يره مبنيا للفاعل فيهما وقرأ ابن عباس والحسن والحسين ابنا علي بن ابي طالب وزيد بن علي وابو حيوة وعاصم
والكسائي في رواية الجحدري والسلمي وعيسى وابن عمر رضي الله عنهم بضم الياء اي يريه الله اياه قال القرطبي والاول
الاختيار لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية وقرأ عكرمة يراه بالالف اما على تقدير الجزم بحذف
الحركة المقدرة واما على توهم ان من موصولة وتقدم هذا في اواخر يوسف ومعنى يره اي يرى جزاءه لان ما عمله قد مضى
وعدم وحكى الزمخشري ان اعرابيا قرأ اخيرا يره فقيل له قدمت واخرت فانشد

خذا بطن هرشى او قفاها فانه ... كلا جانبي هرشى لهن طريق

انتهى يريد ان التقديم والتاخير
سواء وهذا لا يجوز البتة فانه خطأ لا يعتد به قراءة وفي نصب خيرا وشرا وجهان اظهرهما انهما تمييز لانه
مقدار والثاني انهما بدلان من مثقال فصل قال ابن مسعود رضي الله عنه هذه احكم اية في القرآن واصدق
وقد اتفق العلماء على عموم هذه الاية القائلون بالعموم ومن لم يقل به قال كعب الاحبار رضي الله عنه لقد انزل الله
على محمد صلى الله عليه وسلم ايتين احصتا ما في التوراة والانجيل والزبور والصحف فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي هذه الاية الجامعة الفاذة روى مالك في الموطأ ان مسكينا
استطعم عائشة رضي الله عنها وبين يديها عنب فقالت لانسان خذ حبة فاعطه اياها فجعل ينظر اليها ويتعجب فقالت
عائشة اتعجب كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة روى الترمذي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له نصف القرآن ومن قرأ قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد عدلت له بثلث القرآن وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا
زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله والله تعالى اعلم

سورة العاديات

في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء ومدنية في قول ابن عباس وانس بن مالك وقتادة وهي احدى
عشرة اية واربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والعاديات
جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة والياء عن واو لكسر ما قبلها نحو الغازيات من الغزو والعاديات
عدا يعدو عدوا فهو عاد وهي عادية وقد تقدم هذا في سورة المؤمنين قال عامة المفسرين يريد الافراس تعدو في
سبيل الله تعالى قوله ضبحا فيه اوجه احدها انه مصدر مؤكد لاسم الفاعل فان الضبح نوع من السير والعدو
كالضبع يقال ضبح الفرس وضبع اذا عدا بشدة اخذا من الضبع وهو الذراع لانه يمدها عند العدو وكان الاصل من
العين والى هذا ذهب ابو عبيدة والمبرد قالا الضبح من اضباعها في السير وقال عنترة

والخيل تكدح في حياض الموت ضبحا

الثاني انه مصدر في موضع الحال اي ضابحات او ذوي ضبح والضبح صوت

يسمع من صدور الخيل عند العدو وليس بصهيل وعن ابن عباس رضى الله عنه انه حكاه فقال اح اح وقال قتادة تضبح اذا عدت اى تحمحم وقال الفراء الضبح صوت انفاس الخيل اذا عدون وقيل كانت تكعم لئلا تصهل فيعلم العدو بهم فكانت تتنفس فى هذه الحال بقوة ونقل ابن عباس رضى الله عنه انه لم يضبح من الحيوان غير الخيل والكلب والثعلب وهذا ينبغى ان يصح عنه لانه روى عنه قال سألنى عنها رجل ففسرتها بالخيل وكان على رضى الله عنه تحت سقاية زمزم فسأله فذكر ما قلت فدعانى فلما وقفت على راسه قال تفتى الناس بغير علم والله ان كانت لاول غزوة فى الاسلام وما كان معنا الا فرسان فرس للمقداد وفرس للزبير فكيف يكون العاديات ضبحا انما العاديات ضبحا الابل من عرفة الى مزدلفة ومن مزدلفة الى منى يعنى ابل الحاج قال ابن عباس فرجعت الى قول على رضى الله عنه وبه قال ابن مسعود وعبيد بن عمير ومحمد بن كعب والسدى رضى الله عنهم ومنه قول صفية بنت عبد المطلب

فلا والعاديات غداة جمع ٭ بايديها اذا سطع الغبار ٭

الا ان الزمخشرى قال بعد ذلك ان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر ونقل غيره ان الضبح يكون فى الابل والاسود من الحيات والبوم والصدى والارنب والثعلب والفرس وانشد ابو حنيفة رضى الله عنه

حنانة من نشم او تالب ٭ تضبح فى الكف ضباح الثعلب ٭

قال شهاب الدين وهذا عندى من الاستعارة ونقل اهل اللغة ان اصل الضبح فى الثعلب فاستعير للخيل وهو من ضبحته النار اذا غيرت لونه ولم تبالغ والضبح لون يغير الى السواد قليلا والضبح ايضا الرماد الثالث من اوجه النصب ان يكون منصوبا بفعل مقدر اى تضبح ضبحا وهذا الفعل حال من العاديات الرابع انه منصوب بالعاديات وان كان المراد به الصوت قال الزمخشرى كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو وقال ابو حيان واذا كان الضبح مع العدو فلا يكون معنى والعاديات والضابحات فلا ينبغى ان يفسر به انتهى قال شهاب الدين لم يقل الزمخشرى انه بمعناه وانما جعله منصوبا به لانه لازم له لا يفارقه فكانه ملفوظ به وقوله كانه قيل تفسير للازم لا انه هو هو

فصل قال ابن العربى اقسم الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يس والقرآن الحكيم واقسم بحياته فقال تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون واقسم بخيله وصهيلها وغبارها وقدح حوافرها النار من الحجر فقال تعالى والعاديات ضبحا وقال الشعبى تمارى على وابن عباس رضى الله عنهما فى العاديات فقال على هى الابل تعدو فى الحج وقال ابن عباس هى الخيل الا تراه يقول فاثرن به نقعا فهل تثير الا بحوافرها وهل تضبح الابل فقال على رضى الله عنه ليس كما قلت لقد رأيتنا يوم بدر وما معنا الا فرس ابلق للمقداد وفرس لمرثد بن ابى مرثد وعلى هذا القول فالموريات قدحا اى الكافر يرمى بالحجر من شدة العدو فيضرب به حجارة اخرى فتورى النار او يكون المعنى الذين يركبون الابل وهم الحجيج اذا اوقدوا نيرانهم بالمزدلفة وقوله تعالى فالمغيرات صبحا والاغارة سرعة السير وهم يندفعون صبيحة يوم النحر مسرعين الى منى فوسطن به جمعا يعنى مزدلفة لانها تسمى جمعا لاجتماع الحج بها وعلى هذا التقدير فوجه القسم بها ما تقدم ذكره من المنافع الكثيرة فى قوله تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وايضا الغرض بذكر ابل الحج الترغيب فى الحج فكانه تعالى يقول جعلت الابل مقسما بها فكيف اضيع عملك وفيه تعريض لمن رغب عن الحج فان الكنود هو الكفور والذى لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك كما فى قوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ومن قال هى الخيل وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعطاء واكثر المحققين ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى اناس من بنى كنانة فابطا عليه خبرها وكان استعمل عليها المنذر بن عمرو الانصارى وكان احد النقباء فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت هذه السورة اخبارا للنبى صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم فالمراد الخيل التى يغزو عليها المؤمنون وفى الخبر من لم يعرف حرمة فرس الغازى ففيه شعبة من النفاق وعلى هذا القول فالسورة مدنية لان الاذن فى القتال انما كان بالمدينة قوله تعالى فالموريات قدحا قال عكرمة وعطاء والضحاك هى الخيل حين تورى النار بحوافرها وهى سنابكها وقدحا يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لان الايراء هو القدح يقال قدح فاورى وقدح فاصلد ويجوز ان يكون حالا فالمعنى قادحات اى صاكات بحوافرها ما يورى النار يقال قدحت الحجر بالحجر اى صككته به وقال الزمخشرى انتصب بما انتصب به ضبحا وكان جوز فى نصبه ثلاثة اوجه النصب باضمار فعل والنصب باسم الفاعل قبله لانه ملازمه والنصب على الحال وتسمى تلك النار التى تخرج من الحوافر نار الحباحب قال

تقد السلوقى المضاعف نسجه ٭ وتوقد بالصفاح نار الحباحب ٭

فصل روى ابن عباس رضى الله عنه اورت بحوافرها غبارا وهذا يخالف سائر ما روى عنه فى قدح النار وانما هذا فى الابل وروى ابن نجيح عن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى فالموريات قدحا قال هى فى القتال وهى فى الحج قال ابن مسعود هى الابل تطا الحصى فتخرج منها النار واصل القدح الاستخراج ومنه قدحت العين اذا اخرجت منها الماء الفاسد واقتدحت الزند واقتدحت المرق غرفته وركى قدوح يغرف باليد والقديح ما يبقى فى اسفل القدر

فيعرف بجهد والمقدحة ما تقدح به النار والقداحة والقداح الحجر الذى يورى النار يقال ورى الزند بالفتح يرى وريا اذا خرجت ناره وفيه لغة اخرى ورى الزند بالكسر يرى فيهما وقد مضى فى سورة الواقعة وقيل هذه الآيات فى الخيل ولكن ايراؤها ان يهيج الحرب بين اصحابها وبين عدوهم كما قال تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ومنه يقال للحرب اذا التحمت حمى الوطيس روى معناه عن ابن عباس رضى الله عنه وعن قتادة وابن عباس ان الموريات قدحا مكر الرجال فى الحرب وهو قول مجاهد وزيد بن اسلم والعرب تقول اذا اراد الرجل ان يمكر بصاحبه والله لامكرن بك ثم لاورين لك وعن ابن عباس ايضا هم الذين يغزون فيورون نيرانهم بالليل لحاجتهم وطعامهم وعنه ايضا انها نيران المجاهدين اذا كثرت نارها ارهابا لعدوهم وكثيرا وقيل هى افكار الرجال تورى النار من عظيم ما تتكلم به ويظهر بها من الحجج والدلائل وايضاح الحق وابطال الباطل قال القرطبى وهذه الاقوال مجاز ومنه قولهم فلان يورى زناد الضلالة والاول الحقيقة وان الخيل من شدة عدوها تقدح النار بحوافرها قال مقاتل تسمى تلك النار نار ابى حباحب وابو حباحب شيخ من مضر فى الجاهلية من ابخل الناس كان لا يوقد نار الخبز ولا غيره حتى تنام العيون فيوقد نويرة تقد مرة وتخمد اخرى فان استيقظ لها احد اطفاها كراهية ان ينتفع بها احد فشبهت العرب هذه النار بناره لانه لا ينتفع بها وكذلك اذا وقع السيف على البيضة فاقتدحت نارا فكذلك يسمونها قال النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ٭ بهن فلول من قراع الكتائب ٭

تقد السلوقى المضاعف نسجه ٭ وتوقد بالصفاح نار الحباحب ٭

قوله فالمغيرات صبحا صبحا ظرف اى التى تغير وقت الصبح يقال اغار يغير اغارة اذا باغت عدوه لنهب او قتل او اسر قال

فليت لى بهم قوما اذا ركبوا ٭ شنوا الاغارة فرسانا وركبانا ٭

وغار الغيبة والاغارة وغار ايضا نزل الغور وهو المنهبط من الارض قوله فاثرن عطف الفعل على الاسم لان الاسم فى تأويل الفعل لوقوعه صلة لال قال الزمخشرى معطوف على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه يعنى فى الاصل اذ الاصل واللاتى عدون فاورين فاغرن فاثرن قوله به فيه اوجه احدها انها ضمير الصبح اى فاثرن فى وقت الصبح غبارا وهذا احسن لانه مذكور بالصريح الثانى انه عائد على المكان وان لم يجر له ذكر لان الاشارة لا بد لها من مكان والسياق والفعل يدل عليه واذا علم المعنى جاز ان يكنى عما لم يجر له ذكر بالصريح كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب وفى عبارة الزمخشرى وقيل الضمير لمكان الغارة وهذا على تلك اللغية والا فالفصيح ان تقول الاغارة الثالث انه ضمير العدو والذى دل عليه والعاديات وقرا العامة بتخفيف الثاء اثار كذا اذا نشره وفرقه مع ارتفاع وقرا ابو حيوة وابن ابى عبلة بتشديدها وخرجه الزمخشرى على وجهين الاول بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار والثانى انه قلب ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة انتهى يعنى ان الاصل ثورن من ثور يثور بالتشديد عداه بالتضعيف كما تعدى بالهمزة فى قولك اثاره ثم قلب الكلمة بان جعل العين وهى الواو موضع الفاء وهى الثاء فصار وثرن ثم قلب الواو همزة فصار اثرن وهذا بعيد جدا وعلى تقدير التسليم فقلب الواو المفتوحة همزة لا ينقاس انما جاءت منه الفاظ كاحد واناة والنقع الغبار انشد

يخرجن من مستطار النقع دامية ٭ كان اذنابها اطراف اقلام ٭

وقال ابن رواحة

عدمت بنيتى ان لم تروها ٭ تثير النقع من كنفى كداء ٭

وقال ابو عبيدة النقع رفع الصوت قال لبيد

فمتى ينقع صراخ صادق ٭ يحلبوها ذات جرس وزجل ٭

ويروى يجلبوها يقول حتى سمعوا صراخا احلبوا الحرب اى جمعوا لها وقوله النقع صراخ يعنى رفع الصوت قال الزمخشرى ويجوز ان يراد بالنقع الصياح من قول عمر ان لم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد

فمتى ينقع صراخ صادق ٭

اى فهيجن فى المغار عليهم صياحا قال ابو عبيد وعلى هذا رأيت قول اكثر اهل العلم انتهى يعنى على هذا لا تكون الباء بمعنى فى ويعود الضمير على المكان الذى فيه الاغارة كما تقدم وقال الكسائى قوله نقع ولا لقلقة النقع صنعة الطعام يعنى فى المأتم يقال منه نقعت انقع نقعا قال ابو عبيد ذهب بالنقع الى النقيعة وانما النقيعة عند غيره من العلماء صنعة الطعام عند القدوم من سفر لا فى المأتم وقال بعضهم يريد بالنقع وضع التراب على الراس فذهب الى ان النقع هو التراب قال القرطبى ولا احسب عمر ذهب الى هذا ولا خافه منهن وكيف يبلغ خوفه ذا وهو يكره لهن القيام فقال يسفكن من دموعهن وهن جلوس وقال بعضهم النقع شق الجيوب قال وهو الذى لا ادرى ما هو من الحديث ولا اعرفه وليس النقع عندى فى هذا الحديث الا الصوت الشديد واما اللقلقة فشدة الصوت ولم اسمع فيه اختلافا وقال محمد بن كعب القرظى النقع ما بين مزدلفة الى منى وقيل انه طريق الوادى ولعله يرجع الى الغبار المثار من هذا الموضع وفى الصحاح النقع الغبار والجمع نقاع والنقع الارض الحرة والنقع محبس الماء وكذلك ما اجتمع فى البئر منه وفى الحديث انه نهى ان يمنع نقع البئر

فوسطن به جمعا قوله العامة على تخفيف السين اى توسطن
الطين بيستنقع فيها الما والجمع نقاع وانقع مثل نار وعرو وانحر فوسطن
وفى الهاى به اوجه احدها انها للصبح والثانى انها للنقع اى وسطن النقع الجمع اى جعلن الغبار وسط الجمع فالبا
للتعدية وعلى الاول بمعنى ظرفية الثالث ان البا الحالية اى فتوسطن ملتبسات بالنقع اى بالغبار جمعا من جموع
الاعدا وقيل البا مزيدة نقله ابو البقا وجمعا على هذه الاوجه مفعول به الرابع ان المراد بجمع المزدلفة وتسمى
جمعا والمراد ان الابل يتوسط جمعا الذى هو المزدلفة كما مر عن امير المؤمنين رضى الله عنه فالمراد بالجمع مكان لا جماعة
الناس كقول صفية والعاديات غداة جمع وقول بشر بن ابى خازم وجمعا على هذا منصوب
على الظرف وعلى هذا فيكون الضمير فى به اما للوقت اى فى وقت الصبح واما للنقع وتكون البا للحال اى ملتبسات
بالنقع الا انه يشكل نصب الظرف المختص اذ كان حقه ان يتعدى اليه بفى وقال ابو البقا ان جمعا حال وسبقه
اليه مكى وفيه بعد اذ المعنى على ان الجبل يتوسطن جمع الناس وقرا على وزيد بن على وقتادة وابن ابى ليلى بتشديد
السين وهما لغتان بمعنى واحد وقال الزمخشرى التشديد للتعدية والبا مزيدة للتاكيد كقوله تعالى وانوا
به متشابها وهى مبالغة فى وسطن انتهى وقوله وهى مبالغة تناقض ولا للتعدية لان التشديد للمبالغة
لا مكسب الفعل مفعولا اخر تقول ذبحت الغنم مخففا ثم يبالغ فيقول ذبحتها مثقلا وعلى هذا على رايه قد جعله
متعديا بنفسه بدليل جعله البا مزيدة فلا تكون للمبالغة فصل المعنى فوسطن بركابهن العدو اى الجمع الذى
اغاروا عليهم وقال ابن مسعود فوسطن به جمعا يعنى مزدلفة وسميت جمعا لاجتماع الناس بها ويقال وسطت
القوم اسطهم وسطا وسطة اى صرت وسطهم وقد اكثر الناس فى وصف الجبل وهذا الذى ذكره الله تعالى احسن
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجبل معقود بنواصيها الخير وقال ايضا ظهرها حرز وبطنها كنز ويروى ان
بنت امرئ القيس اتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هل انزل عليك ربك فى صفة الجبل كلاما
افصح مما قال جارى فقال عليه السلام وما قال جارك فقالت
مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل فقال عليه السلام والعاديات
ضبحا الاية فاسلمت قوله ان الانسان لربه لكنود هذا هو المقسم عليه ولربه متعلق بالخبر وقدم للفواصل
والكنود الجحود وقيل الكفور للنعمة والنشد كنود لنعما الرجال ومن يكن كنود النعما الرجال يبعد
وعن ابن عباس رضى الله عنه هو بلسان كندة وحضرموت العاصى وبلسان ربيعة ومضر الكفور وبلسان
كنانة البخيل وانشد ابو زيد ان نفسى لم اطب منك نفسا غير انى امنى بدين كنود وقيل لسان الجاحد للحق
وقيل انما سميت كندة لانها جحدت اباها وقيل الكنود من كند اذا قطع كانه يقطع ما ينبغى ان يواصله
من الشكر ويقال كند الحبل اذا قطعه قال الاعشى
يعطى بمطا تصلنا الفواد وصول حبال وكنادها فهذا يدل على القطع ويقال كند
يكند كنودا اى كفر النعمة وجحدها فهو كنود وامراة كنود ايضا وكند مثله قال الاعشى
احدث لها تحدث بوصلك انها كند بوصل الزائر المعتاد اى كفور للمواصلة روى ابو امامة
الباهلى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكنود الذى ياكل وحده ويمنع رفده ويضرب
عبده خرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول وقال الحسن الكنود اللوام لربه يعد المحن والمصيبات وينسى النعم
والراحات وهو كقوله تعالى واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى اهانن كلا واعلم ان الكنود
لا يخرج ان يكون كفرا او فسقا وكيف ما كان فلا يمكن حمله على كل الناس فلا بد من صرفه الى كافر معين وان حملناه على
الكل فالمعنى ان طبع الانسان يحمله على ذلك الا اذا اعصمه الله بلطفه وتوفيقه قال ابن عباس رضى الله عنه
الانسان هنا الكافر يقول انه لكنود ومنه الارض الكنود التى لا تنبت شيا وقال الضحاك نزلت فى الوليد بن المغيرة
وقال ابو بكر الواسطى الكنود الذى ينفق نعم الله فى معاصى الله وقال ذو النون المصرى الهلوع والكنود هو
الذى اذا اصابه الشر جزع واذا مسه الخير منع وقيل هو الحقود الحسود قال القرطبى وكل هذه الاقوال فى
ترجع الى معنى الكفران والجحود وقال ابن عباس رضى الله عنه نزلت فى قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشى
والقول اولا يعلم اذا بعثر ما فى القبور ولا يليق الا بالكافر المنكر لذلك قوله وانه على ذلك لشهيد اى وان
الله تعالى على ذلك من ابن ادم لشهيد قاله ابن عباس ومجاهد واكثر المفسرين وقال الحسن وقتادة ومحمد
ابن كعب وانه وان الانسان لشاهد على نفسه بما يصنع كقوله تعالى بعد ذلك وانه لحب الخير لشديد
والاول اولى لانه كالوعيد والزجر له عن المعاصى قوله وانه لحب الخير اللام متعلقة بشديد وفيه وجهان
احدهما انها المعدية والمعنى وانه لقوى مطيق لحب الخير اى المال يقال هو شديد لهذا الامر اى مطيق له ويقا

لشديد

لشديد اى بخيل ويقال للبخيل شديد ومتشدد قال طرفة
ارى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد يقال اعتامه واعتماه اى
اختاره والفاحش البخيل ايضا قال تعالى ويامركم بالفحشا اى البخل قال ابن زيد سمى الله تعالى المال خيرا وعسى
ان يكون شرا وحراما ولكن الناس يعدونه خيرا فسماه الله تعالى خيرا لذلك قال تعالى ان ترك خيرا كما سمى الجهاد سوا
فقال تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سو على ما سماه الناس الثانى ان اللام للعلة اى وانه
لاجل حب المال لبخيل وقيل اللام بمعنى على وقال الفرا اصل نظم الاية ان يقال وانه لشديد الحب للخير فلما قدم
الحب قال لشديد وحذف من اخره ذكر الحب لانه قد جرى ذكره ولرؤس الاى كقوله تعالى فى يوم عاصف والعصوف
للريح لا لليوم كانه قال فى يوم عاصف الريح قوله افلا يعلم لما عدد عليه قبائح افعاله خوفه فقال تعالى افلا يعلم
اذا بعثر ما فى القبور اى اذا وجد اخرها تفسير لغلة مكى عن المبرد وتقدم تحريره فى السورة قبلها قال القرطبى
العامل فى اذا ولا يعمل فيه خبير وان فصل اللام بينهما لان موضع اللام الابتدا وانما دخلت فى الخبر ان على المبتدا
والثانى انه ما دل عليه خبير اى اذا بعثر جوزوا والثالث انه يعلم واليه ذهب الحوفى وابو البقا ورده مكى
قال لان الانسان لا يراد منه العلم والاعتبار ذلك الوقت وانما يعتبر فى الدنيا ويعلم قال ابو حيان وليس بمتضح
لان المعنى افلا يعلم الان ذلك قال فيلزم ذلك ومفعول يعلم محذوف وهو العامل فى الظرف اى الا يعلم ماله اذا بعثر الذى جعلنا
متعديا فى ظاهر قوله الى واحد وعلى هذا فقد يقال انها عاملة فى اذا على سبيل ان اذا مفعول به لا ظرف اذ التقدير الا يعرف
اذا وقت بعثرت القبور ويجى ان يقر بالبعث ووقته واذا قد تصرفت وخرجت عن الظرفية ولذلك شواهد تقدم ذكرها الرابع
ان العامل فيها محذوف وهو مفعول يعلم كما تقدم وقرا العامة بعثر بالعين مبنيا للمفعول والموصول قايم مقام الفاعل وابن
مسعود بالحا قال الفرا سمعت بعض اعراب بنى اسد يقرا بحثر بالحا وحكاه الماوردى عن ابن مسعود وقرا الاسود بن زيد وحكى
ابن معدان بحث من البحث ونصر بن عاصم بعثر مبنيا للفاعل وهو الله او الملك فصل المعنى افلا يعلم ابن ادم اذا بعثر
اى اثير وقلب وبحث فاخرج ما فيها قال ابو عبيدة بعثرت المتاع جعلت اسفله اعلاه قال محمد بن كعب ذلك حين يبعثون قال
قيل لم قال بعثر ما فى القبور ولم يقل من فى القبور ثم الله تعالى لما قال ما فى القبور قلم قال ان ربهم بهم يومئذ لخبير فالجواب
عن الاول ان ما فى الارض غير المكلفين اكثر فاخرج الكلام على الاغلب وانهم حال ما يبعثرون لا يكونون احيا عقلا بل يصيرون
لذلك بعد البعث فلذلك كان الضمير الاول ضمير غير العقلا والضمير الثانى ضمير العقلا قوله وحصل ما فى الصدور قرا العامة
حصل مبنيا للفاعل وروى عن ابن يعمر وعبيد بن عمير وسعيد بن جبير ونصر ايضا حصل خفيف الصاد مبنيا للفاعل بمعنى جمع
ما فى المصحف محصلا والتحصيل جمع الشى والحصول اجتماعه والاسم الحصيلة قال لبيد
وكل امرئ يوما سيعلم سعيه اذا حصلت عند الاله الحواصل التحصيل التمييز ومنه قيل
للمنخل محصل وحصل الشى تحقيقا ظهر واستبان وعليه القراة الاخيرة وقال المفسرون وحصل ما فى الصدور اى ميز ما فيها
من خير وشر وقال ابن عباس ابرز قال ابن الخطيب وخص اعمال القلوب بالذكر دون اعمال الجوارح لان اعمال الجوارح تابعة
لاعمال القلوب لانه لولا البواعث والارادات لما حصلت اعمال الجوارح قوله ان ربهم العامة على كسر الهمزة لوجود اللام فى
خبرها والظاهر انها معلقة ليعلم فهى فى محل نصب ولكن لا يعمل فى اذا اخبرها لما تقدم بل يقدر له عامل من معناه كما تقدم وبدل على
معلقة للعلم لا ستبناقه قراة ابى السمال وغيره ان ربهم يومئذ خبير بالفتح واسقاط اللام فانها فى هذه القراة سادة مسد
مفعولها ويحكى عن الحجاج الخبيث الروح انه لما فتح همزة ان استدرك على نفسه فتعمد سقوط اللام وهذا ان صح كفر ولا يقال
انها قراة ثابتة كما نقل عن ابن السمال فلا يكفر لانه لو قرا كذلك لا فلاهما لم يمنع منه ولكنه اسقط اللام عمدا اصلاحا للسانه
واجمعت على ان من زاد حرفا فى القران او نقصه عمدا فهو كافر قال شهاب الدين وانما قلت ذلك لانى رايت
الاجبان قال وقرا ابو السمال والحجاج ولا يحفظ عن الحجاج الا هذا الا ان السو والناس يتغالون عنه كذلك وهو اقل من ان
ينقل عنه وبهم ويومئذ متعلقان بالخبر واللام غير مانعة من ذلك وقدما لاجل الفاصلة ومعنى خبير اى عالم لا تخفى عليه منهم
خافية وهو عالم بهم فى ذلك اليوم وفى غيره ولكن المعنى انه يجازيهم فى ذلك اليوم روى الثعلبى عن ابى رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا والله اعلم

سورة القارعة

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
وهى احدى عشرة اية وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا
القارعة ما القارعة كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة وكقوله واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين وقد تقدم ما نقله مكى انه
يجوز رفع القارعة بفعل مضمر ناصبه اليوم وقيل ستاتيكم القارعة وقيل القارعة مبتدا وما بعده الخبر وقيل معنى الكلام

التحذير قال الزجاج والعرب تحذر وتغرى بالرفع كالنصب وانشد لجديرون بالوفا اذا قال اخو النجدة السلاح السلاح وقد
يرفع ذلك في قوله تعالى ناقة الله فيمن رفعه ويدل على ذلك قراءة عيسى القارعة ما القارعة باضمار فعل اي احذروا
القارعة وما زائدة والقارعة تاكيد للاولى تاكيدا لفظيا والقرع الضرب بشدة واعتماد والمراد بالقارعة
القيامة لانها تقرع الخلائق باهوالها وافزاعها واهل اللغة يقولون تقول العرب قرعتهم القارعة وفقرتهم
الفاقرة اذا وقع بهم امر فظيع قال تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة وهي الشديدة من شدائد
الدهر وقوله تعالى ما القارعة استفهام على جهة التعظيم والتفخيم لشانها كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة واختلفوا
في سبب تسمية القيامة بالقارعة فقيل المراد بالقارعة الصيحة التي يموتون منها الخلائق لانها تقرع اسماعهم
وقيل ان الاجرام العلوية والسفلية يصطكان فيموت العالم بسبب تلك القرعة فلذلك سميت القيامة
بالقارعة وقيل تقرع الناس بالاهوال كانشقاق السموات وانفطارها وتكوير الشمس والقمر وانتثار الكواكب
ودك الجبال ونسفها وطي الارض وقيل لانها تقرع اعداء الله بالعذاب **قوله تعالى** وما ادراك ما القارعة
اي لا علم لك بكنهها لانها في الشدة بحيث لا يبلغها وهم احد وعلى هذا يكون اخر السورة مطابقا لاولها **فان قيل**
ههنا قال وما ادراك ما القارعة وقال تعالى في اخر السورة فامه هاوية وما ادراك ما هيه ولم يقل وما ادراك
ما هاوية **فالجواب** ان الفرق ان كونها قارعة امر محسوس وكونها هاوية ليس كذلك فظهر الفرق **قوله** يوم
يكون في ناصب يوم اوجه احدها مضمر يدل عليه القارعة اي تقرعهم يوم يكون وقيل تقديره تاتي القارعة
يوم الثاني انه اذكر مقدرا فهو مفعول به لا ظرف الثالث انه القارعة قاله ابن عطية وابو البقاء ومكي قال ابو
حيان فان كان عنى ابن عطية اللفظ الاول فلا يجوز للفصل بين العامل وهو في صلة ال والمعمول باجنبي وهو الخبر
وان جعل القارعة علما للقيامة فلا يعمل ايضا وان عنى الثاني والثالث فلا يلتئم معنى الظرفية معه الرابع انه
فعل مقدر رافع للقارعة الاولى كانه قيل تاتي القارعة يوم يكون قاله مكي وعلى هذا فيكون ما بينهما اعتراضا وهو
بعيد جدا لتنافره لنظم الكلام وقرأ زيد بن علي يوم بالرفع خبر المبتدأ المحذوف اي وقتها يوم يكون **قوله** كالفراش
يجوز ان يكون خبر الناقصة وان يكون حالا من فاعل التامة اي يوجدون ويحشرون شبه الفراش وهو طائر
معروف قال قتادة الفراش الطير الذي يتساقط في النار والسراج الواحد فراشة وقال الفراء هو الهمج من
البعوض والجراد وغيرهما وبه يضرب المثل في الطيش والهوج يقال اطيش من فراشة وانشد

• فراشة الحلم فرعون العذاب وان • تطلبه نداه فكلب دونه كلب • وقال اخر
• وقد كان اقوام رددت قلوبهم • عليهم وكانوا كالفراش من الجهل • وقال اخر
• طويش من نفر اطياش • اطيش من طائر الفراش • والفراشة الماء القليل في الاناء وفراشة

القفل لشبهها بالفراشة وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثلكم
كمثل رجل اوقد نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها وانا اخذ بحجزكم عن النار وانتم تفلتون
من يدي وفي تشبيه الناس بالفراش مبالغات شتى منها الطيش الذي يلحقهم وانتشارهم في الارض وركوب
بعضهم بعضا والكثرة والضعف والذلة والمجيء من غير ذهاب والقصد الى الداعي من كل جهة والتطاير الى النار
قال جرير • ان الفرزدق ما علمت وقومه • مثل الفراش غشين نار المصطلي • والمبثوث المتفرق وقال
تعالى في موضع اخر كانهم جراد منتشر فاول حالهم كالفراش لا وجه له يتحير في كل وجه ثم يكونون كالجراد لان لها وجها
تقصده والمبثوث المتفرق المنتشر وانما ذكر على اللفظ كقوله تعالى اعجاز نخل منقعر ولو قال المبثوثة فهو كقوله
تعالى اعجاز نخل خاوية وقال ابن عباس والفراء كالفراش المبثوث كغوغاء الجراد يركب بعضهم بعضا يجول بعضهم
في بعض اذا بعثوا **فان قيل** كيف يشبه الشيء الواحد بالصغير والكبير معا لانه شبههم بالجراد المنتشر والفراش
المبثوث **فالجواب** اما التشبيه بالفراش فبذهاب كل واحد الى غير جهة الاخر واما التشبيه بالجراد فبالكثرة
والتتابع ويكون كبارا ثم يصير صغارا **قوله** وتكون الجبال كالعهن المنفوش اي الصوف الذي ينفش باليد فيصير هباء
ويزول كقوله تعالى في موضع اخر هباء منبثا قال اهل اللغة العهن الصوف المصبوغ وقد تقدم **قوله** فاما من
ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية في الموازين قولان احدهما انه جمع موزون وهو العمل الذي له وزن
وخطر عند الله تعالى وهذا قول الفراء ونظيره قولك له عندي درهم بميزان درهمك ودار بميزان دارك ووزن
دارك اي حذاؤها والثاني قال ابن عباس انه جمع ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال وقد تقدم
القول في الميزان في سورة الاعراف والكهف والانبياء وانه له كفة ولسان يوزن فيها الصحف المكتوب
فيها الحسنات والسيئات ثم قيل انه ميزان واحد بيد جبريل عليه السلام يزن به اعمال بني ادم فعبر عنه بلفظ
الجمع وقيل موازين لكل حادثة ميزان وقيل الموازين الحجج والدلائل قاله عبد العزيز بن يحيى واستشهد بقول

الشاعر • قد كنت قبل لقائكم ذا مرة • عندي لكل مخاصم ميزانه • ومعنى عيشة راضية اي عيش يرضى به صاحبه
وقيل عيشة راضية اي فاعلة للرضى وهو اللين والانقياد لاهلها فالعيشة كلمة تجمع النعم التي في الجنة فهي فاعلة للرضى كالفراش
المرفوعة وارتفاعها مقدار مائة عام فاذا دنا منها ولي الله اتضعت حتى يستوي عليها ثم ترتفع وكذلك فروع الشجرة
يتدلى من ارتفاعها للولي فاذا تناول من ثمرها ترتفع لقوله تعالى قطوفها دانية وحيث ما مشى من مكان الى مكان
جرى معه نهر حيث شاء **قوله** واما من خفت موازينه اي رجحت سيئاته على حسناته قال مقاتل بن حيان انما
رجحت الحسنات لان الحق ثقيل والباطل خفيف **قوله** فامه هاوية اي هالكة وهذا مثل تقوله لمن هلك هوت
امه لانه اذا هلك سقطت امه ثكلا وحزنا وعليه قوله

• هوت امه ما يبعث الصبح غاديا • وماذا يرد الصبح حين يؤوب •

فكانه تعالى قال ومن
خفت موازينه فقد هلك وقيل الهاوية من اسماء النار وكانها النار العميقة يهوي اهل النار فيها والمعنى فمأواه النار
وقيل للمأوى ام على سبيل التشبيه بالام كما ياوي الى امه قال ابن زيد ومنه قول ابن ابي الصلت

• فالارض معقلنا وكانت امنا • فيها مقابرنا وفيها نولد •

ويروى ان الهاوية اسم الباب
الاسفل من النار وقال عكرمة لانه يهوي فيها على ام راسه وذكره الاخفش والكلبي وقتادة والمهوى والمهواة ما
بين الجبلين ونحو ذلك وتهاوى القوم في المهواة اذا سقط بعضهم في اثر بعض وقرأ طلحة فامه بكسر الهمزة نقل
ابن خالويه عن ابن دريد انها لغة والنحويون لا يجيزون ذلك الا اذا تقدمها كسرة او ياء وقد تقدم تحقيق ذلك في
سورة النساء **قوله** وما ادراك ما هيه الاصل ما هي فدخلت الهاء للسكت وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابن محيصن
ما هي بغير هاء في الوصل ووقفوا بها وقد تقدم في سورة الحاقة وما هي مبتدأ وخبر سادان مسد المفعولين لادراك
وهو من التعليق وهي ضمير الهاوية ان كانت الهاوية كما قيل اسما للدركة من دركات النار والا عادت على الداهية
المفهومة من الهاوية **قوله** نار حامية نار خبر مبتدأ مضمر اي هي نار شديد الحر روى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التي يوقد ابن ادم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله
قال عليه السلام فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها وروى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها موازينه يوم القيامة • والله اعلم •

سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

في قول الجميع وروى البخاري انها مدنية وهي ثمان ايات
قوله تعالى الهاكم التكاثر الهاكم شغلكم قال امرؤ القيس • فالهيتها عن ذي تمائم محول • اي شغلكم المباهاة بكثرة
الاموال والعدد عن طاعة الله تعالى حتى متم والالهاء الصرف الى اللهو واللهو الانصراف الى ما يدعو اليه الهوى وقيل
الهاكم اي انساكم التكاثر اي من الاموال والاولاد قاله ابن عباس والحسن وقال قتادة اي التفاخر بالقبائل والعشائر
وقال الضحاك الهاكم التشاغل بالمعاش والتجارة يقال لهيت عن كذا بالكسر الهى لهيا ولهيانا اذا سلوت عنه وتركت ذكره
والهاه اي شغله ولهاه به يلهيه اي علله والتكاثر والمكاثرة قال قتادة ومقاتل وغيرهما نزلت في اليهود حين قالوا نحن
اكثر من بني فلان وبنو فلان اكثر من بني فلان الهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقال ابن زيد نزلت في فخذ من الانصار وقال
ابن عباس ومقاتل والكلبي نزلت في حيين من قريش بني عبد مناف وبني سهم تعادوا وتكاثروا بالسادة والاشراف
في الاسلام فقال كل حي منهم نحن اكثر سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا فكثر بنو عبد مناف منهما ثم تكاثروا بالاموات
فكثرتهم سهم فنزلت الهاكم التكاثر باحيائكم فلم ترضوا حتى زرتم المقابر مفتخرين بالاموات وعن عمرو بن دينار حلف ان
هذه السورة نزلت في التجار وعن قتادة نزلت في اهل الكتاب والاية تعم جميع ما ذكروه وروى ابن شهاب
عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان لابن ادم واديا من ذهب احب ان
يكون له واديان ولن يملأ فاه الا التراب ويتوب الله على من تاب قال ثابت عن انس قال كنا نرى هذا من القران
حتى نزلت الهاكم التكاثر رواه البخاري قال ابن العربي وهذا نص صريح غاب عن اهل التفسير وقرأ ابن عباس الهاكم
على الاستفهام التقريري والانكار ونقل في هذا المد مع التسهيل ونقل فيه تحقيق الهمزتين من غير مد **قوله** حتى زرتم
حتى غاية لقوله الهاكم وهو عطف عليه والمعنى حتى اتاكم الموت فصرتم في المقابر زوارا ترجعون منها كرجوع
الزائر الى منزله من جنة او نار يقال لمن مات قد زار قبره وقيل الهاكم التكاثر حتى عددتم الاموات كما تقدم
وقيل هذا وعيد اي اشتغلتم بمفاخرة الدنيا حتى تزوروا المقابر فترون ما ينزل بكم من عذاب الله والمقابر جمع
مقبرة وجمع مقبرة بفتح الباء وضمها والقبور جمع القبر وسمي سعيد المقبري لانه كان يسكن المقابر وقبرت الميت

قبره وأقبره قبرا أي دفنه وأقبره أي أمر بأن يقبر

فصل قال المفسرون معنى الآية ألهاكم حرصكم على تكثير أموالكم عن طاعة ربكم حتى أتاكم الموت وأنتم على ذلك قال ابن الخطيب فإن قيل شأن الزائر أن ينصرف قريبا والأموات ملازمون القبور فكيف يقال إنه زار القبر وأيضا فقوله حتى زرتم المقابر إخبار عن الماضي فكيف يحمل على المستقبل فالجواب عن الأول أن سكان القبور لا بد أن ينصرفوا منها وعن الثاني أما أن المراد من كان مشرفا على الموت لكبر أو غيره كما يقال إنه على شفير قبره وإما أن المراد من تقدمهم كقوله تعالى يقتلون النبيين وقال أبو مسلم إن الله تعالى يتكلم بهذه السورة يوم القيامة تعييرا للكفار وهم في ذلك الوقت قد تقدمت منهم زيارة القبور

فصل قال القرطبي لم يأت في التنزيل ذكر المقابر إلا في هذه السورة وفيه نظر لأنه تعالى قال في سورة أخرى ثم أماته فأقبره واعلم أن زيارة القبور من أعظم الأدوية للقلب القاسي لأنها تذكر الموت والآخرة وذلك يحمل على قصر الأمل والزهد في الدنيا وترك الرغبة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور قال بعض أهل العلم كان هذا قبل ترخيصه في زيارة القبور فلما رخص دخل في الرخصة الرجال والنساء وقال بعضهم إنما كره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهن وقال بعضهم زيارة القبور للرجال متفق عليه وأما النساء فمختلف فيه وأما الشواب فحرام عليهن الخروج وأما القواعد فمباح لهن ذلك وجائز لجميعهن ذلك إذا انفردن بالخروج عن الرجال بغير خلاف لعدم خشية الافتتان

فصل ينبغي لمن زار القبور أن يتأدب بآدابها ويحضر قلبه في إتيانها ولا يكون حظه منها التطواف فقط فإن هذه حالة يشاركه فيها البهيمة بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى وإصلاح فساد قلبه ونفع الميت بما يتلوه عنده من القرآن والدعاء ويجتنب المشي على القبور والجلوس عليها ويسلم إذا دخل المقابر وإذا وصل إلى قبر ميته الذي يعرفه سلم عليه أيضا وأتاه من تلقاء وجهه لأنه في زيارته كمخاطبته حيا ثم يعتبر بمن صار تحت التراب وانقطع عن الأهل والأحباب ويتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه كيف انقطعت آمالهم ولم تغن عنهم أموالهم ومحى التراب محاسن وجوههم وتفرقت في القبور أجزاؤهم وترمل من بعدهم نساؤهم وشمل ذل اليتم أولادهم وأنه لا بد صائر إلى مصيرهم وأن حاله كحالهم ومآله كمآلهم

قوله كلا قال الفراء أي ليس الأمر على ما أنتم عليه من التفاخر والتكاثر والتمام على هذا كلا سوف تعلمون أي سوف تعلمون عاقبة هذا قوله ثم كلا سوف تعلمون جعله ابن مالك من التوكيد مع توسط حرف العطف وقال الزمخشري والتكرير تأكيد للردع والرد عليهم وثم دالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد كما تقول للمنصوح أقول لك ثم أقول لك لا تفعل انتهى ونقل عن علي رضي الله عنه كلا سوف تعلمون في الدنيا ثم كلا سوف تعلمون في الآخرة فعلى هذا يكون غير مكرر لحصول التغاير بينهما لأجل تغاير المتعلقين وثم على بابها من المهلة وحذف متعلق العلم في الأفعال الثلاثة لأن الغرض الفعل لا متعلقه وقال الزمخشري والمعنى لو تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما أنتم عليه انتهى فقدر له مفعولا واحدا كأنه جعله بمعنى عرف

فصل قال ابن عباس كلا سوف تعلمون ما ينزل بكم من العذاب في القبور ثم كلا سوف تعلمون في الآخرة إذا حل بكم العذاب فالتكرار للحالين وروى زر بن حبيش عن علي رضي الله عنه قال كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة فأشار إلى أن قوله تعالى كلا سوف تعلمون في القبور وقيل كلا سوف تعلمون إذا نزل بكم الموت وجاءتكم رسل ربكم تنزع أرواحكم ثم كلا سوف تعلمون في القيامة أنكم معذبون وعلى هذا تضمنت أحوال القيامة من بعث وحشر وعرض وسؤال إلى غير ذلك من أهوال القيامة وقال الضحاك كلا سوف تعلمون أيها المؤمنون وكذلك كان يقرؤها الأولى بالياء والثانية بالتاء فالأول وعيد والثاني وعد

قوله كلا لو تعلمون جواب لو محذوف أي لفعلتم ما لا يوصف وقيل التقدير لرجعتم عن كفركم قال ابن الخطيب وجواب لو محذوف وليس لترون جوابها لأن هذا مثبت وجواب لو يكون منفيا ولأنه عطف عليه قوله ثم لتسألن وهو مستقبل لا بد من وقوعه وحذف جواب لو كثير قال الأخفش التقدير لو تعلمون علم اليقين ما ألهاكم وقيل لو تعلمون لماذا خلقتم لاشتغلتم وحذف الجواب أفخم لأنه يذهب الوهم معه كل مذهب قال تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون وقال تعالى ولو ترى إذ وقفوا على ربهم وأعاد كلا وهو زجر وتنبيه لأنه عقب كل واحد بشيء آخر كأنه قال لا تفعلوا فإنكم تندمون لا تفعلوا فإنكم تستوجبون العقاب وعلم اليقين مصدر قيل وأصله العلم اليقين فأضيف الموصوف إلى صفته وقيل لا حاجة إلى ذلك لأن العلم يكون يقينا وغير يقين فأضيف إليه إضافة العام للخاص وهذا يدل على أن اليقين أخص

فصل قال المفسرون أضاف العلم إلى اليقين كقوله تعالى لهو حق اليقين قال قتادة اليقين هنا الموت وعنه أيضا البعث لأنه إذا جاء زال الشك أي لو تعلمون علم البعث أو علم الموت فعبر عن الموت باليقين كقولك علم الطب وعلم الحساب والعلم أشد من البواعث على العمل فإذا كان

بحيث يمكن العمل كان تذكرة وموعظة وإن كان بعد فوات العمل كان حسرة وندامة وفيها تهديد عظيم للعلماء الذين لا يعملون بعلمهم

قوله لترون الجحيم جواب قسم مقدر أي لترون الجحيم في الآخرة والخطاب للكفار وقيل عام كقوله تعالى وإن منكم إلا واردها فهو للكفار مقر وللمؤمنين ممر وقرأ ابن عامر والكسائي لترون مبنيا للمفعول وهي منقولة من رأى الثلاثي إلى رأى أي أريته الشيء فاكتسب مفعولا آخر فقام الأول مقام الفاعل وبقي الثاني منصوبا والباقون مبنيا للفاعل جعلوه غير منقول فتعدى لواحد فقط لأن الرؤية بصرية وأمير المؤمنين وعاصم وابن كثير في رواية عنهما بالفتح في الأولى والضم في الثانية يعني لترونها ومجاهد وابن أبي عبلة والأشهب بضمها فيهما والعامة على أن الواو لا يهمز لأن حركتها عارضة وقد نص مكي وأبو البقاء على عدم جوازه وعللا بعروض الحركة وقرأ الحسن وأبو عمرو بخلاف عنهما بهمز الواو استثقالا لضمة الواو قال الزمخشري وهي مستكرهة يعني لعروض الحركة عليها إلا أنهم قد همزوا ما هو أولى بعدم الهمز من هذه الواو نحو اشتروا الضلالة همزوا واو اشتروا بعضهم مع أنها حركة عارضة وتزول في الوقف وحركة هذه الواو وإن كانت عارضة إلا أنها غير زائلة في الوقف فهي أولى بهمزها وقوله ثم لترونها عين اليقين هذا مصدر مؤكد كأنه قيل رؤية اليقين نفيا لتوهم المجاز في الرؤية الأولى وقال أبو البقاء لأن رأى وعاين بمعنى

فصل معنى الكلام لترون الجحيم بأبصاركم على البعد ثم لترونها عين اليقين أي مشاهدة وقيل هو إخبار عن دوام مقامهم في النار أي هي رؤية دائمة متصلة والخطاب للكفار وقيل لو تعلمون علم اليقين معناه لو تعلمون اليوم في الدنيا علم اليقين بما أمامكم مما وصفت لترون الجحيم بعيون قلوبكم فإن علم اليقين يريك الجحيم بعين فؤادك وهو أن يصور لك تارات القيامة ثم لترونها عين اليقين أي عند المعاينة بعين الرأس تراها يقينا لا يغيب عن عينك ثم لتسألن يومئذ عن النعيم في موقف السؤال والعرض قال الحسن لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار لأن أبا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال يا رسول الله صلى الله عليك أرأيت أكلة أكلتها معك في بيت أبي الهيثم بن التيهان من خبز شعير ولحم وبسر وماء عذب أيكون من النعيم الذي يسأل عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ذلك للكفار ثم قرأ عليه السلام وهل نجازي إلا الكفور ولأن ظاهر الآية يدل على ذلك لأن الكفار ألهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره فالله تعالى يسألهم عنها يوم القيامة حتى يظهر لهم أن الذي ظنوه لسعادتهم كان من أعظم الأسباب لشقاوتهم وقيل السؤال عام في حق المؤمن والكافر لقوله صلى الله عليه وسلم أول ما يسأل العبد يوم القيامة عن النعيم فيقال له ألم نصحح جسمك ألم نروك من الماء البارد وقيل الزائد مما لا بد منه وقيل غير ذلك قال ابن الخطيب والأولى على جميع النعم لأن الألف واللام تفيد الاستغراق وليس صرف اللفظ إلى البعض أولى من صرفه إلى الباقي فيسأل عنها هل شكرها أم كفرها وإذا قيل إن هذا السؤال للكفار فقيل السؤال في موقف الحساب وقيل بعد دخول النار يقال لهم إنما حل بكم هذا العذاب لاشتغالكم في الدنيا بالنعيم عن العمل الذي ينجيكم من هذه النار ولو صرفتم عمركم إلى طاعة ربكم لكنتم اليوم من أهل النجاة والله أعلم

سورة العصر

وروى ابن عباس وقتادة أنها مدنية وهي ثلاث آيات وأربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والعصر قرأ العامة بسكون الصاد وسلام والعصر بكسر الصاد والصبر بكسر الباء قال ابن عطية وهذا لا يجوز إلا في الوقف على نقل الحركة وروي عن أبي عمرو بالصبر بكسر الباء إشماما وهذا أيضا لا يجوز إلا في الوقف انتهى ونقل هذه القراءة جماعة كالهذلي وأبي الفضل الرازي وابن خالويه قال الهذلي والعصر والصبر والفجر والوتر بكسر ما قبل الساكن في هذه كلها هارون وابن موسى عن أبي عمرو والباقون بالإسكان كالجماعة انتهى فهذا الإطلاق منه لهذه القراءة في حالتي الوقف والوصل وقال ابن خالويه والصبر بنقل حركة الراء إلى الباء لئلا يحتاج أن يأتي ببعض الحركة في الوقف ولا إلى أن يسكن فيجمع بين ساكنين وذلك لغة شائعة وليست بشاذة بل مستفيضة وذلك دلالة على الإعراب وانفصال من التقاء الساكنين وتأدية حق الموقوف عليه من السكون انتهى فهذا يؤذن بما ذكر ابن عطية أنه كان ينبغي وأنشدوا على ذلك

واصطفقا بالرجل

يريد بالرجل وقال آخر

أنا جرير كنيتي أبو عمرو … أضرب بالسيف وسعد بالقصر

والنقل جائز في الضمة كقوله

أوجد العفو له شروط

والعصر الليلة واليوم قال

ولم يلبث العصران يوم وليلة … إذا طلبا أن يدركا ما تيمما

قال ابن عباس وغيره والعصر أي الدهر ومنه قول الشاعر

سبيل الهوى وعر وبحر الهوى غمر … ويوم الهوى شهر وشهر الهوى دهر

اقسم الله تعالى بالعصر لما فيه من الاعتبار للناظر بتصرف الاحوال وتبدلها وما فيها من الادلة على الصانع والعصر
ايضا الغداة والعشي قال • وامطله العصر بن حتى يملني • ويرضى بنصف الدين والانف راغم • يقول
اذا جاء اول النهار وعدته اخره • وقيل انه العشي وهو ما بين الزوال والغروب قاله الحسن وقتادة ومنه
قول الشاعر • تروح بنا عمرو وقد قصر العصر • وفي الروحة الاولى الغنيمة والاجر • وعن قتادة
هو اخر ساعة من النهار فاقسم سبحانه باحد طرفي النهار كما اقسم بالضحى وهو احد طرفي النهار قاله ابو مسلم
وقيل اقسم تعالى بصلاة العصر وهي الوسطى لانها افضل الصلوات قاله مقاتل يقال اذن للعصر اي لصلاة
العصر وصليت العصر اي صلاة العصر • وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة الوسطى صلاة العصر • وقيل اقسم
بعصر النبي صلى الله عليه وسلم لفضله بتجديد النبوة فيه • وقيل معناه ورب العصر فصل قال مالك
رضي الله عنه من حلف ان لا يكلم الرجل عصرا لم يكلمه سنة • قال ابن العربي انما حمل مالك يمين الحالف ان لا يكلم
الرجل عصرا على السنة لانه اكثر ما قيل فيه وذلك على اصله في تغليظ المعنى في الايمان • وقال الشافعي رحمه
الله يبر بساعة الا ان يكون له نية وبه اقول الا ان يكون الحالف عربيا فيقال له ما اردت فاذا فسره
بما يحتمله قبل منه الا ان يكون الاقل قوله ان الانسان لفي خسر • هذا جواب القسم والمراد به العموم بدليل
الاستثناء منه وهو من جملة ادلة العموم • وقال ابن عباس في رواية ابي صالح المراد به الكافر • وقال في
رواية الضحاك يريد جماعة من المشركين الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب
ابن اسد بن عبد العزى والاسود بن عبد يغوث • وقوله تعالى لفي خسر اي لفي غبن • وقال الاخفش لفي هلكة
وقال الفراء لفي عقوبة ومنه قوله تعالى وكان عاقبة امرها خسرا • وقال ابن زيد لفي شر • وقيل لفي نقص • وقرا
العامة لفي خسر بسكون السين وقرا يحيى بن علي وابن هرمس وعاصم في رواية • وزاد القرطبي الاعرج وطلحة
وعيسى الثقفي بضمها وهي كالعسر واليسر وقد تقدم في البقرة والوجه فيها الاتباع ويقال خسر وخسر مثل
عسر وعسر • وكان علي رضي الله عنه يقروها والعصر ونوايب الدهر ان الانسان لفي خسر وانه فيه الى
اخر الدهر • وقال ابرهيم ان الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وضعف وتراجع الا المؤمنين فانه يكتب
لهم اجورهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم ونظيره قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه
اسفل سافلين قال وقراتنا والعصر ان الانسان لفي خسر وانه في اخر الدهر فالصحيح ما عليه الامة والمصاحف
وقيل المعنى ان الانسان لا ينفك عن تضييع عمره لان كل ساعة تمر بالانسان فان كانت في معصية فالخسر ظاهر
وكذلك ان مرت في مباح وان مرت في طاعة فكان يمكن ان ياتي بها على وجه اكمل اي من الخشوع والاخلاص
وترك الاعلاء والانبات بالادنى نوع خسران • والخسر والخسران مصدران وتنكير الخسر اما للتعظيم
واما للتحقير بالنسبة الى خسر الشياطين والاول اظهر وافراد الخسر مع كثرة انواعه لان الخسر الحقيقي هو
حرمانه عن خدمة ربه تعالى وما عدا ذلك فكالعدم وفيه مبالغات دخول ان واللام واحاطة الخسر به اي
هو في ظرف خسر او بسبب خسر قوله تعالى الا الذين امنوا • استثنا من الانسان اذ المراد به الجنس على الصحيح
وعملوا الصالحات اي ادوا الفرايض المفترضة عليهم وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال ابي بن كعب
رضي الله عنه قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعصر ثم قلت ما تفسيرها يا نبي الله صلى الله عليك وسلم
قال والعصر قسم من الله اقسم ربكم باخر النهار ان الانسان لفي خسر ابو جهل الا الذين امنوا ابو بكر وعملوا الصالحات
عمر وتواصوا بالحق عثمان وتواصوا بالصبر علي رضي الله عنهم اجمعين • وهكذا خطب ابن عباس على المنبر
موقوفا عليه • ومعنى تواصوا اي تحابوا اوصى بعضهم بعضا وحث بعضهم بعضا بالحق اي بالتوحيد كذا روى الضحاك
عن ابن عباس رضي الله عنه • وقال قتادة بالحق اي بالقران • وقال السدي الحق هنا الله تعالى والصبر عن
معاصيه • روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والعصر
ختم الله له بالصبر وكان مع اصحاب الحق يوم القيامة • والله اعلم

[illegible]

وهي تسع ايات • وثلاث وثلاثون كلمة • ومائة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله
تعالى ويل لكل همزة لمزة • الويل لفظ الذم والسخط وهي كلمة كل مكروب وقد تقدم الكلام في الويل ومعناه الخزي
والعذاب والهلكة • وقيل واد في جهنم لكل همزة اي كثير الهمز وكذلك اللمزة الكثير اللمز وتقدم معنى الهمز
في سورة ن واللمز في سورة براءة والعامة على فتح ميميهما على ان المراد الشخص الذي كثر منه ذلك الفعل قال

زياد الاعجم • تدلي بودي اذا لاقيتني كذبا • وان اغيب فانت الهامز اللمزة • وقرا ابو جعفر والاعرج بالسكون وهو الذي
يهمز ويلمز اي ياتي بما يهزا به ويلمز كالضحكة لمن يكثر ضحكه والضحكة لمن ياتي بما يضحك منه وهو مطرد يعني ان فعلة بفتح
العين لمن يكثر منه الفعل وبسكونها لمن يكون الفعل بسببه • قال ابن عباس هم المشاوون بالنميمة المفرقون بين الاحبة
الباغون للبرا العيب فعلى هذا انهما بمعنى • وقال صلى الله عليه وسلم شرار عباد الله تعالى المشاوون بالنميمة المفرقون
بين الاحبة الباغون للبرا العيب • وعن ابن عباس رضي الله عنه الهمزة القتات واللمزة المغتاب • القتات هو النمام
يقال قت الحديث يقته اذا زوره وهياه وسواه • وقيل النمام الذي يكون مع القوم يتحدثون فينم عليهم • والقتات
الذي يتسمع على القوم وهم لا يعلمون ثم ينمهم • والقتات الذي يسال عن الاخبار ثم ينمها قاله ابن الاثير • وقال ابو العالية
والحسن ومجاهد وعطاء بن ابي رباح الهمزة الذي يغتاب ويطعن في وجه الرجل • واللمزة الذي يغتابه من خلفه وهذا
اختيار النحاس قال ومنه قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات • وقال مقاتل ضد هذا القول ان الهمزة الذي
يغتاب بالغيبة • واللمزة الذي يغتاب في الوجه • وقال قتادة ومجاهد الهمزة الطعان في انسابهم • وقال ابن زيد
الهامز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم • واللماز الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم • وقال ابن كيسان الهمزة الذي
يؤذي جلساءه بسوء اللفظ • واللمزة الذي يكسر عينه ويشير بعينه وراسه وبحاجبه • وقرا عبد الله بن مسعود
وابو وايل والنخعي والاعمش ويل للهمزة اللمزة • واصل الهمز الكسر والعض على الشيء بعنف ومنه همزت الحرف همزت
راسه وهمزت الجوز بكفي كسرته • وقيل اصل الهمز واللمز الدفع والضرب لمزه يلمزه لمزا اذا ضربه ودفعه وكذلك
همزه اي دفعه وضربه قال الراجز • ومن همز باعوره سركعا • على استه زوبعة او زوبعا • البركعة القيام على
اربع وبركعه فتبركع اي صرعه فوقع على استه قاله في الصحاح فصل روى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في
الاخنس بن شريق كان يلمز الناس ويعيبهم مقبلين ومدبرين • وقال ابن جريج نزلت في الوليد بن المغيرة كان
يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورايه ويطعن فيه في وجهه • وقيل نزلت في ابي بن خلف • وقيل في جميل
ابن عامر الثقفي • وقيل انها عامة من غير تخصيص وهو قول الاكثرين • قال مجاهد ليست بخاصة لاحد بل لكل من
كانت هذه صفته • وقال الفرا يجوز ان يذكر الشيء العام ويقصد به الخاص اذ قال لا ازورك ابدا فتقول ان لم
يزر في فلست بزايره يعني ذلك القايل فصل قال ابن الخطيب • قال قيل لم قال هاهنا ويل منكرا وفي موضع
اخر ولكم الويل معرفا فالجواب لان ثمة قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فقال ولكم الويل وهاهنا نكر حتى لا يعلم
كنهه الا الله تعالى • وقيل في ويل انها كلمة تقبيح وويس استصغار وويح ترحم فنبه بهذا على قبح هذا الفعل قوله
الذي جمع • قرا ابن عامر والاخوان بتشديد الميم على المبالغة والتكثير ولانه يوافق عدده • والباقون مخففا
وهي محتملة للتكثير وعدمه • وقوله تعالى وعدده العامة على تثقيل الدال الاولى وهي ايضا للمبالغة • وقرا
الحسن والكلبي بتخفيفها وفيه اوجه • احدها ان المعنى جمع مالا وعدد ذلك المال اي وجمع عدده اي احصاه
والثاني ان المعنى وجمع عدد نفسه من عشيرته واقاربه وعدده على هذين التاويلين اسم معطوف على مالا
اي وجمع عدد المال او عدد نفسه • الثالث ان عدده فعل ماض بمعنى عده الا انه شذ في اظهاره كما شذ في قوله
اني اجود لاقوام وان ضنوا • اي ضنوا وبخلوا فاظهر التضعيف • والذي بدل من كل او نصب على الذم
وانما وصفه تعالى بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز وهو اعجابه بما جمع من المال وظنه
ان الفضل فيه فلاجل ذلك يستنقص غيره فصل قال المفسرون جمع مالا وعدده اي اعده لنوايب الدهر
مثل كرم واكرم • وقيل احصى عدده قاله السدي • وقال الضحاك اي اعد ماله لمن يرثه من اولاده • وقيل فاخر
بعدده وكثرته والمقصود الذم على امساك المال عن سبيل الطاعة كقوله تعالى مناع للخير وقوله تعالى جمع
فاوعى قوله يحسب • يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا من فاعل جمع • واخلده بمعنى يخلده فوقع الماضي
موقع المضارع • وقيل هو على اصله اي اطال عمره • قال السدي اي يظن ان ماله اخلده اي يبقيه حيا لا يموت
وقال عكرمة اي يزيد في عمره • وقيل احياه فيما مضى وهو ماض بمعنى المستقبل يقال هلك والله فلان ودخل
النار اي يدخل النار قوله كلا • رد لما توهمه الكافر اي لا يخلد ولا يبقى له مال • وقيل حقا لينبذن قوله
لينبذن • جواب قسم مقدر • وقرا علي والحسن رضي الله عنهما بخلاف عنه ومحمد بن كعب ونصر بن عاصم
ومجاهد وحميد وابن محيصن وابو عمرو في رواية لينبذان بالف التثنية اي لينبذان اي هو وماله • وعن الحسن
ايضا لينبذن بضم الدال وهو مسند لضمير جماعة اي ليطرحن الهمزة واللمزة والمال وجامعه
جميعا • وقرا الحسن ايضا لينبذنه على معنى لينبذن ماله • وعنه ايضا بالنون اي لننبذنه على اخبار الله تعالى عن نفسه
انه ينبذ صاحب المال في الحطمة وهي نار الله سميت بذلك لانها تكسر كل ما يلقى فيها وتحطمه وتهشمه والحطمة الكثير
الحطم ويقال رجل حطمة اي اكول وحطمه اكسره والحطام منه قال • كذا لفها الليل بسواق حطم • وقال

اخر • انا خطمنا بالقضيب مصعبا • يوم كسرنا انفه ليغضبا • حكى الماوردى عن الكلبى ان الحطمة هى الطبقة السادسة من طبقات جهنم • وحكى القشيرى عنه الحطمة الدركة الثانية من درج النار • وقال الضحاك هى الدرك الرابع • وقال ابن زيد اسم من اسماء جهنم قوله وما ادراك ما الحطمة • تعظيم لشانها وتفخيم لامرها ثم فسرها ما هى فقال نار الله الموقدة اى هى نار الله التى اوقد عليها الف عام حتى احمرت والف عام حتى ابيضت والف عام حتى اسودت قوله التى تطلع • يجوز ان يكون نابعة لنار الله وان يكون مقطوعة • قال محمد بن كعب تاكل النار جميع اجسادهم حتى اذا بلغت الفواد خلقوا خلقا جديدا فرجعت تاكلهم • وكذا روى خالد بن ابى عمران عن النبى صلى الله عليه وسلم ان النار تاكل اهلها حتى اذا اطلعت على افيدتهم انتهت ثم اذا اصدروا تعود فذلك قوله تعالى نار الله الموقدة التى تطلع على الافيدة • وخص الافيدة لان الالم اذا صار الى الفواد مات صاحبه اى انهم فى حال من يموت ولا يموت كقوله تعالى لا يموت فيها ولا يحيى فهم احيا فى معنى الاموات • وقيل معنى تطلع على الافيدة اى تعلم مقدار ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب يقال اطلع فلان على كذا اى علمه قوله انها عليهم موصدة اى مطبقة عليهم قاله الحسن والضحاك وقد تقدم فى سورة البلد • وقيل مغلقة بلغة قريش يقولون اصدت الباب اذا اغلقته قاله مجاهد • ومنه قول عبد الله بن قيس بن الرقيات •

ان فى القصر لو دخلنا غزالا • مصفقا موصدا عليه الحجاب قوله فى عمد • قرا الاخوان وابو بكر بضمتين جمع عمود نحو رسول ورسل • وقيل جمع عماد نحو كتاب وكتب • وروى عن ابى عمرو الضم والسكون وهو تخفيف لهذه القراءة • والباقون عمد بفتحتين فقيل اسم جمع لعمود • وقيل بل هو جمع له • قال الفراء كاديم وادم وقال ابو عبيدة وهو جمع عماد • وفى عمد يجوز ان يكون حالا من الضمير فى عليهم اى موثقين وان يكون خبر المبتدا مضمر اى هم فى عمد وان يكون صفة لموصدة قاله ابو البقا يعنى فتكون النار داخل العمد • وقال القرطبى الفا بمعنى البا اى موصدة بعمد ممددة قاله ابن مسعود وهى فى قرائته بعمد ممددة • قال الجوهرى العمود جمع عمود البيت وجمع القلة اعمدة وجمع الكثرة عمد وعمد وقرى بهما فى قوله تعالى فى عمد ممددة • وقال ابو عبيدة العمود كل مستطيل من خشب او حديد • وقيل اصل البنا مثل العماد عمد الشى فانعمد اى فاقمته بعماد يعتمد عليه واعمدته جعلت تحته عمدا فصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يبعث عليهم ملايكة باطباق من نور ومسامير من نار وعمد من نار فتطبق عليهم بتلك الاطباق وتشد بتلك المسامير وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل منه روح ولا يخرج منه غم فيكون كلامهم فيها زفير وشهيق فذلك قوله تعالى انها عليهم موصدة فى عمد ممددة • وقال قتادة عمد يعذبون بها واختاره الطبرى • وقال ابن عباس ان العمد الممددة اغلال فى اعناقهم • وقال ابو صالح قيود فى ارجلهم • وقال القشيرى العمد اوتاد الاطباق • وقيل المعنى فى دهور ممدودة لا انقطاع لها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا ويل لكل همزة اعطى من الاجر حسنات بعدد من استهزا بمحمد صلى الله عليه وسلم • والله اعلم

سورة الفيل

وهى خمس ايات • وعشرون كلمة • وستة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل هذه قراءة الجمهور اعنى فتح الرا وحذف الالف للجزم • وقرا السلمى ترَ بسكون الرا كانه لم يعتد بحذف الالف كقولهم لم ابله • وقرا ايضا تَرْءَ بسكون الرا وبهمزة مفتوحة وهو الاصل وكيف معلقة للروية وهى منصوبة بفعل بعدها لا بالم تر كيف من معنى الاستفهام فصل المعنى الم تخبر • وقيل الم تعلم • وقال ابن عباس الم تسمع واللفظ استفهام والمعنى تقرير والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه عام اى الم تروا ما فعلت باصحاب الفيل اى قد رايتم ذلك وعرفتم موضع منتى عليكم فما لكم لا تومنون فصل الفيل معروف والجمع افيال وفيول وفيلة • قال ابن السكيت ولا يقال افيلة وصاحبه فيال • قال سيبويه يجوز ان يكون اصل فيل فعل فكسر من اجل اليا كما قالوا ابيض وبيض • وقال الاخفش هذا لا يكون فى الواحد انما يكون فى الجمع ورجل فيل الراى اى ضعيف الراى والجمع افيال • ورجل فال اى ضعيف الراى مخطى الفراسة وقد فال الراى يفيل فيولة وفيل رايه تفييلا اى ضعف فهو فيل الراى فصل روى ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن بنى كنيسة بصنعا لم ير مثلها وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من بنى كنانة متخفيا وجعل يبول ويتغوط فى تلك الكنيسة ليلا فاغضبه ذلك • وقيل اجج نارا فحملتها الريح فاحرقتها فقال من صنع هذا فقيل له رجل من اهل البيت الذى يحج العرب اليه تحلف ليهدمن الكعبة فخرج بحبشه ومعه

قيل

قيل اسمه محمود وكان قويا عظيما وثمانية اخرى • وقيل اثنى عشر • وقيل الف وبعث رجلا الى بنى كنانة يدعوهم الى حج تلك الكنيسة فقتلت بنو كنانة ذلك الرجل فزاد ذلك ابرهة غضبا وحنقا فصار لهدم الكعبة فلما بلغ قريبا من مكة خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك واذا وجهوه الى اليمن او الى ساير الجهات هرول ثم ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مايتى بعير فخرج اليهم بسببها فلما راه ابرهة عظم فى عينيه وكان رجلا جسيما وقيل له هذا اسد قريش وصاحب عير مكة فنزل ابرهة عن سريره وجلس معه على البساط ثم قال لترجمانه قل له حاجتك فلما ذكر حاجته قال له سقطت من عينى جيت لاهدم البيت الذى هو دينك ودين ابايك لا تكلمنى فيه والهاك عنه ذود لك احبستها لك فقال له عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه ثم رجع واتى البيت فاخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله تبارك وتعالى ويستنصرونه على ابرهة وجنده فقال عبد المطلب • لا هم ان العبد يمنع رحله • فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم • عدوا محالك • ان يدخلوا البيت الحرام • فامر لهم ما قد بدا لك • غيره

يا رب لا ارجو سواكا • يا رب فامنع منهم حماكا • ان عدو البيت من عاداكا • انهم لم يقهروا قواكا • فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من ناحية اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هى بنجدية ولا تهامية وكان مع كل طير حجر فى منقاره وحجران فى رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة قال الراوى فارسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ثم انطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما يفعل ابرهة اذا دخل مكة فارسل الله عليهم طيرا من البحر امثال الخطاطيف والبلسان مع كل طاير منها ثلاثة احجار فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهلكوا فى كل طريق وعلى كل منهل • روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه راى من تلك الاحجار عند ام هانى نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفارى قال الراوى والبسر كلهم واصابت ابرهة فخرجوا بهم يبتدرون الطريق التى منها جاوا • وروى ان ابرهة تساقطت انامله وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطاير يحلق فوقه حتى قدم النجاشى فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه • وهو مثل فرخ للطاير • وقيل قدموا على النجاشى فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه فصل حكى الماوردى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ولدت عام الفيل • وروى انه صلى الله عليه وسلم كان يوم الفيل • وقال فى كتاب اعلام النبوة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الاول وكان بعد الفيل بخمسين يوما ووافق من شهور الروم العشرين من اشباط فى السنة الثانية عشر من ملك هرمز بن انوشروان قاله وحكى ابو جعفر الطبرى ان مولده صلى الله عليه وسلم كان لاثنين واربعين سنة من ملك انوشروان • وقد قيل انه صلى الله عليه وسلم حملت به امه فى يوم عاشورا من شهر المحرم حكاه ابن شاهين ابو حفص فى فضايل يوم عاشورا وولد يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان فكانت مدة حمله صلى الله عليه وسلم ثمانية اشهر كملا ويومين من التاسع • وقال ابن العربى قال ابن وهب عن مالك ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل وقال عبد الملك بن مروان لعتاب بن اسيد انت اكبر ام النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم اكبر منى وانا اسن منه ولد النبى صلى الله عليه وسلم عام الفيل وانا ادركت سايسه وقايده اعميين مقعدين يستطعمان الناس فصل قال بعض العلما كانت قصة الفيل مما بعد من معجزاته صلى الله عليه وسلم وان كانت قبله • وقيل التحدى لانها كانت توكيدا لامره وتمهيدا لشانه ولما تلى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة كان بمكة عدد كثير ممن شهد تلك الواقعة ولهذا قال الم تر ولم يكن بمكة احد الا وقد راى قايد الفيل وسايقه اعميين يتكففان الناس قالت عايشة رضى الله عنها مع حداثة سنها لقد رايت قايد الفيل وسايقه اعميين يستطعمان قوله الم يجعل كيدهم فى تضليل فى ابطال وتضييع والكيد هو ارادة مضرة بالغير لانهم ارادوا ان يكيدوا قريشا بالقتل والسبى والبيت بالتخريب والهدم • قالت المعتزلة اضافة الكيد اليهم دليل على انه تعالى لا يرضى القبيح اذ لو رضى لاضافه الى ذاته قوله وارسل عليهم طيرا ابابيل • قال النحاة ابابيل نعت لطير الا انه اسم جمع وابابيل قيل لا واحد له كاساطير وعبابيد • وقيل واحده ابول كعجول • وقيل ابال • وقيل ابيل مثل سكين • وحكى الرقاشى انه جمع ابالة بالتشديد • وحكى الفرا ابالة مخففه فصل الابابيل الجماعات شيا بعد شى قال

طريق وجبار رواء اصوله • عليه ابابيل من الطير تنعب • وقد يستعار لغير الطير كقوله

كادت تهد من الاصوات راحلتى • اذ سالت الارض بالجرد الابابيل • قال ابو عبيدة الابابيل جماعات فى تفرقة يقال جاءت الخيل ابابيل من ههنا وههنا • قال سعيد بن جبير كانت طيرا من السما لم ير مثلها • وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم انها طير بين السما والارض تعشش وتفرخ • وعن ابن عباس رضى الله عنه كان لها خراطيم كخراطيم الفيلة واكف كاكف الكلاب • وقال

عكرمة كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقالت عايشة رضي الله عنها
هي اشبه شي بالخطاطيف وقيل بل كانت اشبه بالوطاويط وقيل انها العنقا التي تضرب بها الامثال قال النحاس
وهذه الاقوال متفقة المعنى انها جماعات عظام يقال فلان يوبل على فلان اى يعظم عليه ويكثر وهو مشتق من
الابل **فصل** قال ابن الخطيب هذه الاية رد على الملحد يتجدا الا انهم ذكروا الى الزلازل والرياح والصواعق
والخسف وساير الاشيا التي عذب الله تعالى بها الامم اعذارا ضعيفة اما هذه الواقعة فلا يجرى فيها تلك
الاعذار ولين في شى من الطبايع والحيل ان يقبل طيرا معها حجارة فتقصد قوما دون قوم فتقتلهم ولا يمكن ان
يقال انه كساير الاحاديث الضعيفة لانه لم يكن بين عام الفيل ومبعث الرسول الا نيف واربعون سنة ويوم
تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية كان قد بقي جمع شاهدوا تلك الواقعة فلا يجرى فيها تلك الاعذا
ولو كان النقل ضعيفا لكذبوه فعلمنا انه لا سبيل للطعن فيه **قوله** ترميهم بحجارة ترميهم صفة لطير وقرا
العامة ترميهم بالتانيث وابو حنيفة وابو يعمر وعيسى وطلحة بالياء من اسفل وتماوا صحابنا لان اسم الجمع
يذكر ويونث ومن الغايبة قوله كالطير يجو من الثوب وذى البرد وقيل الضمير لربك اى يرميهم ربك
بحجارة ومن سجيل صفة لحجارة والسجيل قال الجوهرى قالوا حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها اسما القوم
لقوله لنرسل عليهم حجارة من طين وقال عبد الرحمن بن ابزى من سجيل اى من السما وهي الحجارة التي نزلت على قوم
لوط وقيل من الجحيم وهى سجين ثم ابدلت اللام نونا كما قالوا اصيلان اصيلال قال ابن مقبل
ضربا تواصت به الابطال سجيلا وانما هو سجينا وقال الزجاج من سجيل اى مما كتب عليهم
ان يعذبوا به مشتقا من سجيل وقد تقدم القول في السجيل في سورة هود قال عكرمة كان اذا اصاب احدهم الحجر
خرج منه الجدرى ولم ير قبل ذلك اليوم وقال ابن عباس رضي الله عنه كان الحجر اذا وقع على احدهم نفط جلده وكان
ذلك اول الجدرى قال يونس وابو عبيدة والسجيل عند العرب الشديد الصلب قال وزعم بعض المفسرين انهما
كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وانما سنج وجيل فالسنج الحجر والجيل الطين اى من هذين الجنسين
الحجر والطين قال ابو اسحق وحدثني يعقوب بن عتبة انه اول ما رايت الحصبة بارض العرب ذلك وانه اول
ما راى بها مرار الشجر الحرمل والحنظل والعشار ذلك العام **قوله** فجعلهم كعصف ماكول كعصف هو المفعول الثاني
للجعل بمعنى التصيير وفيه مبالغة حسنة وهو انه لم يكفه ان جعلهم اهون شي من الزرع وهو ما لا يجرى ظا بلا جني
جعلهم رجيعا والمعنى جعل الله تعالى اصحاب الفيل كورق الزرع اذا اكله الدواب فرمت به اسفل قاله ابن زيد
وغيره والعصف جمع واحده عصفه وعصافه وعصيفه وادخل الكاف في كعصف التشبيه مع مثل كقوله تعالى
ليس كمثله شي ومعنى ماكول ان المراد به قشر البر يعني الغلاف الذي يكون فيه حبة القمح روى ان الحجر كان
يقع على احدهم فيخرج كلما في جوفه فيبقى كقشر الحنطة اذا اخرجت منه الحبة قال ابن اسحق لما رد الله تعالى
الحبشة عن مكة عظمت العرب قريشا وقالوا اهل الله قاتل الله عنهم وكفاهم مونة عدوهم فكان ذلك نعمة من الله
عليهم روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل عافاه الله تعالى
ايام حياته من المسخ والقذف والله اعلم

سورة قريش

في قول الجمهور مدنية في قول الضحاك والكلبي وهي اربع ايات وسبع عشرة كلمة وثلاث وسبعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** لايلاف قريش في متعلق هذه الاية اوجه احدها انه ما في السورة
قبلها من قوله تعالى فجعلهم كعصف قال الزمخشري وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت
بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر رضي الله عنه انه قرا بهما
في الثانية من صلاة المغرب وفي الاولى بسورة التين انتهى والى هذا ذهب الاخفش الا ان الحوفي قال ورد هذا
القول جماعة بانه لو كان كذلك لكان لايلاف بعض سورة الم تر وفي اجماع الجميع على الفصل بينهما ما يدل على عدم
ذلك الثاني انه مضمر تقديره فعلنا ذلك اى اهلاك اصحاب الفيل لايلاف قريش اى لتاليف قريش او ليتفق
قريش او لكي تامن قريش فتولف رحلتيها وقيل تقديره اعجبوا الثالث انه قوله تعالى فليعبدوا والا بلا فهم فانها
اظهر نعمة عليهم قال الزمخشري وهو قول الخليل قبله وقراة ابن عامر لالاف دون ياء قبل اللام الثانية والباقون
لايلاف بيا قبلها واجمع الكل على اثبات الياء الثاني وهو ايلافهم ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين
ان القرا اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها في الاول مع اتفاق المصاحف على اثباتها خطا واتفقوا على اثبات
الياء الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها فيه خطا وهذا ادليل على ان القرا متبعون الاثر والرواية لا مجرد الخط فاما قراءة ابن
عامر ففيها وجهان احدهما انه مصدر لالف ثلاثيا يقال الفته الافا نحو كتبته كتابا يقال الفته الفا والافا وقد جمع الشاعر
بينهما في قوله وعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم الاف والثاني انه مصدر الف رباعيا نحو قاتل قتالا
وقال الزمخشري اى لمولفة قريش واما قراءة الباقين فمصدر الف رباعيا بزنة اكرم يقال الفته اولفه ايلافا
قال الشاعر من المولفات الرمل ادماء حرة شعاع الضحى في متنها يتوضح وقرا عاصم في رواية الامام بهمزتين
الاولى مكسورة والثانية مكسورة وهي شاذة لانه يجب في مثله ابدال الثانية حرفا مجانسا كايمان وروى عنه
ايضا بهمزتين مكسورتين بعدهما ياء ساكنة وخرجت على انه اشبع كسر الهمزة الثانية فتولد منها ياء وهذه اشذ من الاولى
ونقل ابو البقا اشذ منها فقال بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهو بعيد ووجهها انه اشبع الكسرة
فنشات الياء وقصد بذلك الفصل بين الهمزتين كالالف في ءانذرتهم وقرا ابو جعفر لالف قريش بزنة قرد وقد تقدم
انه مصدر لالف كقوله لهم الف وليس لكم الاف وعنه ايضا وعن ابن كثير الفهم ساكنة اللام بغير ياء وهي قراءة مجاهد
وحميد وروت اسما رضي الله عنها انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا الفهم وهو مروي ايضا عن ابن عباس رضي
الله عنه وغيره وعنه ايضا وعن ابن عامر الافهم مثل كتابهم وعنه ايضا ليلاف بياء ساكنة بعد اللام وذلك انه لما ابدل
الثانية حذف الاولى على غير قياس وقرا عكرمة ليالف قريش فعلا مضارعا وعنه ليالف على الامر واللام مكسورة وعنه
فتحها مع الامر وهي لغة **فصل** قد تقدم ان هذه السورة متصلة بما قبلها في المعنى اى اهلكت اصحاب الفيل لايلاف قريش
اى لتاليف قريش او ليتفق قريش او لتامن قريش فتولف رحلتيها قال ابن الخطيب قال قيل انما كان الاهلاك لكفرهم قلنا جزا
الكفر يكون يوم القيامة تجزى كل نفس بما كسبت ولان كفرهم مشترك بينهم وبين غيرهم سلمناه لكن لا يمتنع ان يكون
للامرين معا سلمناه لكن يكون اللام لام العاقبة او يكون المعنى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل لايلاف قريش اي كل
ما تضمنته السورة لايلافهم او يكون اللام بمعنى الى اى فعلنا هذه النعم مضافا الى نعمة ايلاف قريش وقال الكساي
والاخفش اللام في قوله تعالى لايلاف قريش لام التعجب اى اعجبوا لايلاف قريش نقله القرطبي قال الفرا هذه السورة
متصلة بالسورة الاولى لانه ذكر اهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة ثم قال جل وعلا لايلاف قريش اى فعلنا
ذلك باصحاب الفيل نعمة منا على قريش وذلك ان قريشا كانت تخرج في تجارتها فلا يغار عليها في الجاهلية يقولون
هم اهل بيت الله تعالى حتى جا صاحب الفيل ليهدم الكعبة فاهلكه الله تعالى فذكرهم نعمته اى فجعل الله تعالى ذلك
لايلاف قريش اى ليالفوا الخروج ولا يجترا عليهم قاله مجاهد وابن عباس في رواية سعيد بن جبير عنه قال ابن عباس لايلاف
قريش قال نعمتي على قريش لايلافهم رحلة الشتاء والصيف قال كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطايف وعلى هذا القول
يجوز الوقف على رؤس الاى وان لم يكن الكلام تاما قال ابن الخطيب والمشهور انهما سورتان ولا يلزم من التعلق
الاتحاد لان القران كسورة واحدة وقال الخليل ليست متصلة كانه قال الف الله قريشا ايلافا فليعبدوا
رب هذا البيت واللام متعلقة بقوله تعالى فليعبدوا وهو لا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف للامتيار
وتحمل ما بعد الفا على ما قبلها لانها زايدة غير عاطفة كقوله زيدا فاضرب واما مصحف ابى فمعارض باطباق الكل على
الفصل بينهما واما قراءة عمر رضي الله عنه فلان الامام قد يقرا سورتين قال ابن العربي وليست الموافقة التي
تنبني بها القرا شرعا مرويا وانما ارادوا به تعليم الطلبة المعاني فاذا علموها وفقوا حيث شاوا ولا دليل على ان
كان ولكني اعتمد الوقف على التمام كراهية الخروج عنهم قال القرطبي رحمه الله واجمع المسلمون على ان الوقف
عند قوله تعالى كعصف ماكول ليس بقبيح وكما يقال بفتحه وهذه السورة تقرا في الركعة الاولى والتي تعدها
في الركعة الثانية ولا يمنع الوقف على اعجاز الايات سوا تم الكلام ام لا **فصل** قريش اسم القبيلة قيل هم ولد النضر بن كنانة
وكل من ولده النضر فهو قرشي دون كنانة وهو الصحيح وقيل هم ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة فمن لم يلده فهر
فليس بقرشي فوقع الوفاق على ان بني فهر قرشيون وعلى ان كنانة ليسوا بقرشيين ووقع الخلاف في النضر ومالك
واختلف في اشتقاقه على اوجه احدها انه من التقرش وهو التجمع سموا بذلك لاجتماعهم بعد افتراقهم قال
ابونا قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبايل من فهر والثاني انه من القرش وهو الكسب
كانت قريش تجارا يقال قرش يقرش اى اكتسب الثالث انه من التفتيش يقال قرش يقرش عنى اى فتش وكانت قريش
يفتشون على ذوي الخلات فيسدوا خلتهم قال الشاعر ايها الشامت المقرش عنا عند عمرو فهل له ابقا الرابع
ان معاوية سال ابن عباس لم سميت قريش قريشا فقال سميت بدابة في البحر يقال لها القرش من اقوى دوابه ياكل ولا
يوكل وتعلو ولا تعلى وانشد قول تبع وقريش هي التي تسكن البحر وبه سميت قريش قريشا
تاكل الغث والسمين ولا تترك لذي الجناحين ريشا هكذا في البلاد حي قريش ياكلون البلاد اكلا كميشا
ولهم اخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والخموشا ثم قريش اما ان يكون مصغرا من مرید على الثلاثة فيكون تصغير

نصغير ترخيم فقيل الارض مقرش وقيل قارش وانما ان يكون مصغرا من ثلاثي نحو القريش واجمعوا على صرفه هنا مرادا به الحي ولو اراد به القبيلة لامتنع من الصرف كقوله

غلب المساميح الوليد سماحة ۞ وكفى قريش المعضلات وسادها

قال سيبويه في معد وقريش وثقيف وكينونة هذه للاحيا اكثر وان جعلتها اسما للقبايل فهو جايز حسن **قوله** ايلافهم مؤكد للاول تاكيدا لفظيا واعربه ابو البقا بدلا **قوله** رحلة مفعول به بالمصدر والمصدر مضاف لفاعله اي لان الفوا رحلة والاصل رحلتي الشتاء والصيف ولكنه افرد لامن اللبس كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا قاله الزمخشري وفيه نظر لان سيبويه يجعل هذا ضرورة كقوله حمامة في بطن الواديين ترنمي قال الليث الرحلة اسم لارتحال القوم للمسير وقيل رحلة اسم جنس وكانت لهم اربع رحل وجعله بعضهم غلطا وليس كذلك قال القرطبي ورحلة نصب بالمصدر اي ارتحالهم رحلة او بوقوع ايلافهم عليه او على الظرف بجعلها في محل الرفع على معنى هما رحلتان الشتاء والصيف بجاز والشتاء اصله الشتاو وقرا العامة بكسر الراء وهي مصدر وابو السمال بضمها وهي الجهة التي يرحل اليها والشتاء امه واو لقولهم اشتوه وشتا يشتو شذ وانى النسب اليه فقالوا فيه شتوي والقياس شتاي او شتاوي ككساي وكساوي **فصل** قال مجاهد في قوله تعالى ايلافهم رحلة الشتاء والصيف قال لا يشق عليهم رحلة الشتاء والصيف منة منه على قريش وقال الهروي وغيره كان اصحاب الايلاف اربعة اخوة هاشم وعبد الشمس والمطلب ونوفل بنو عبد مناف فاما هاشم فانه كان يولف ملك الشام اي اخذ منه عهدا يامن به في تجارته الى الشام واخوه عبد شمس كان يولف الى الحبشة والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس ومعنى يولف يجير فكان هولاء الاخوة يسمون المجيرين فكان تجار قريش يختلفون الى الامصار بحبل هولاء فلا يتعرض لهم قال الازهري الايلاف شبه الاجارة بالخفارة يقال الف يولف اذا اجار الحمايل بالخفارة والحمايل جمع حمولة والمعنى ان قريشا كانوا سكان الحرم ولم يكن زرع ولا ضرع وكانوا يميرون في الشتاء والصيف امنين والناس يتخطفون من حولهم فكانوا اذا عرض لهم عارض قالوا نحن حرم الله فلا يتعرض لهم احد وكانت احدى الرحلتين الى اليمن في الشتاء لانها بلاد حامية والرحلة الاخرى في الصيف الى الشام لانها بلاد باردة وقال ابن عباس كانوا يشتون بمكة لدفائها ويصيفون بالطايف لهوائها وهذا من اجل النعم ان يكون للقوم ناحية حر تدفع عنهم برد الشتاء وناحية باردة تدفع عنهم حر الصيف فذكرهم الله تعالى هذه النعمة **فصل** قال مالك رضي الله عنه الشتاء نصف السنة والصيف نصفها وقال قوم اخرون الزمان اربعة اقسام شتاء وربيع وصيف وخريف وقيل شتاء وصيف وقيظ وخريف قال القرطبي والذي قاله مالك اصح لان الله تعالى قسم الزمان قسمين ولم يجعل لهما ثالثا **قوله تعالى** فليعبدوا رب هذا البيت امرهم تعالى بعبادته وتوحيده لاجل ايلافهم رحلتين وتقدم الكلام على الفاء والبيت والكعبة وفي تعريف نفسه لهم بانه تعالى رب هذا البيت وجهان احدهما لانه كانت لهم اوثان فميز نفسه تعالى عنها الثاني لانهم شرفوا بالبيت على ساير العرب فذكر لهم ذلك تذكيرا النعمة وقيل المعنى فليعبدوا رب هذا البيت اي ليالفوا عبادة رب هذا البيت كما كانوا يالفون الرحلتين **قوله** الذي اطعمهم من جوع اي من اجل جوع وامنهم من اجل خوف والتنكير للتعظيم اي من جوع عظيم وخوف عظيم وقال ابو البقاء ويجوز ان يكون في موضع الحال من مفعول اطعمهم واخفى نون من في الخاء فعن روايته وكذلك في العين وهي لغة حكاها سيبويه **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه بدعوة ابراهيم عليه السلام حيث قال رب اجعل هذا البلد امنا وارزقهم من الثمرات وقال ابن زيد كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي بعضهم بعضا فامنت قريش من ذلك لمكان الحرم وقيل شق عليهم السفر في الشتاء والصيف فالقى الله تعالى في قلوب الحبشة ان يحملوا اليهم طعاما في السفن فخافت قريش منهم وظنوا انهم قدموا لحربهم فخرجوا اليهم متحرزين فاذا انهم قد جلبوا اليهم الطعام واعانوهم بالاقوات فكان اهل مكة يخرجون الى جدة بالابل والحمر فيشترون الطعام على مسيرة ليلتين وقيل ان قريشا لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد القحط فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مومنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة واخصب اهلها وقال الضحاك والربيع وشريك وسفيان وامنهم من خوف اي من خوف الحبشة مع الفيل وقال علي رضي الله عنه وامنهم من ان يكون الخلافة الا فيهم وقيل كفاهم اخذ الايلاف من الملوك روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم من قرا

سورة لايلاف قريش اعطي من الاجر

عشر حسنات بعدد من طاف

بالكعبة واعتكف بها والله اعلم

سورة الماعون

وتسمى الماعون مكية في قول عطاء وجابر واحد قولي ابن عباس رضي الله عنه ومدنية في قول له اخر وقول قتادة وغيره وهي سبع ايات وخمس وعشرون كلمة ومائة وثلاثة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** ارايت الذي يكذب بالدين اي بالجزاء والحساب قرا الكسائي ارايت بسقوط الهمزة وتقدم تحقيقه في الانعام وقال الزمخشري وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت اوسمعت براغ رد في الضرع ما ترى في العلاب وفي ارايت هذه وجهان احدهما انها بصرية فتتعدى لواحد وهو الموصول كانه قال ابصرت المكذب والثاني انها بمعنى اخبرني فتتعدى لاثنين فقدره الحوفي اليس مستحقا للعذاب والزمخشري من هو ويدل على ذلك قراءة عبد الله ارايتك بكاف الخطاب والكاف لا تلحق البصرية قال القرطبي وفي الكلام حذف والمعنى ارايت الذي يكذب بالدين امصيب هو ام مخطئ **فصل** نقل ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت في العاص ابن وايل السهمي وهو قول الكلبي ومقاتل وروى الضحاك عنه قال نزلت في رجل من المنافقين وقال السدي نزلت في الوليد بن المغيرة وقيل في ابي جهل وعن الضحاك في عمرو بن عايذ وقال ابن جريج في ابي سفيان وكان ينحر في كل اسبوع جزورا فطلب منه يتيم شيئا فقرعه بعصاه فانزل الله تعالى هذه السورة قال ابن الخطيب وقيل انه عام في كل مكذب بيوم الدين **قوله** فذلك فيه وجهان احدهما ان الفاء جواب شرط مقدر اي ان تاملته او ان طلبت علمه فذلك والثاني انها عاطفة فذلك على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة ويكون جواب ارايت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كانه قيل اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع فعلى الاول يكون اسم الاشارة في محل رفع بالابتداء والخبر الموصول بعده واما على انه خبر لمبتدا مضمر اي فهو ذلك والموصول نعته على الثاني يكون منصوبا لنسقه على ما هو منصوب الا ان ابا حيان رد الثاني فقال فجعل ذلك في موضع نصب عطفا على المفعول وهو تركيب غريب كقولك اكرمت الذي يزورنا فذلك الذي يحسن الينا فالمتبادر الى الذهن فذلك مرفوع بالابتداء وعلى تقدير النصب يكون التقدير اكرمت الذي يزورنا فاكرمت ذلك الذي يحسن الينا فاسم الاشارة في هذا التقدير غير متمكن تمكن ما هو فصيح اذ لا حاجة الى ان يشار الى الذي يزورنا بل الفصيح اكرم الذي يزورنا فالذي يحسن الينا واما قوله فذلك اما عطف ذات على ذات فلا يصح لان فذلك اشارة الى الذي يكذب فليسا بذاتين لان المشار اليه بذلك واحد واما تقديره انعم ما يصنع فهمزة الاستفهام لا نعلم دخولها على نعم ولا بئس لانهما انشاء والاستفهام لا يدخل الا على الخبر انتهى والجواب عن قوله فاسم الاشارة غير متمكن الى اخره ان الفرق بينهما ان في الاية الكريمة استفهاما وهو ارايت فحسن ان يفسر ذلك المستفهم منه بخلاف المثال الذي مثل به فمن ثم حسن التركيب المذكور وعن قوله لان في ذلك اشارة الى الغابر الى زيد وان كان يجوز ان يكون اشارة اليه وعن قوله والاستفهام لا يدخل الا على الخبر بالمعارضة بقوله فهل عسيتم فان عسى انشا فما كان جوابا له فهو جواب لنا **فصل** قال فلا يسمى جوابا بان النحاة يقولون جواب الاستفهام وهذا قد تقدمه استفهام فحسن ذلك وعن قوله والاستفهام ابن الخطيب هذا اللفظ وان كان في صورة الاستفهام لكن الغرض بمثله المبالغة في التعجب كقولك ارايت فلانا ماذا ارتكب ثم قيل انه خطاب للرسول عليه السلام وقيل خطاب لكل عاقل **قوله** يدع اليتيم قرا العامة بضم الدال وتشديد العين من دعه اي دفعه وامير المؤمنين والحسن وابو رجاء يدع بفتح الدال وتخفيف العين اي يترك ويهمل **فصل** قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه فذلك الذي يدع اليتيم اي دفعه عن حقه قال تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا وقال قتادة يقهره ويظلمه وقد تقدم في سورة النساء انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار ويقولون انما يحوز المال من يطعن بالسنان ويضرب بالحسام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما من المسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة **قوله** ولا يحض على طعام المسكين اي لا يامر به من اجل بخله وتكذيبه الجزاء والحساب وقرا زيد بن علي ولا يحاض من المحاضة وقد تقدم في الفجر قال القرطبي وليس الذم عاما حتى يتناول من تركه عجزا ولكنهم كانوا يبخلون ويعتذرون لانفسهم يقولون انطعم من لو يشاء الله اطعمه فنزلت هذه الاية فيهم فيكون معنى الاية لا يفعلونه ان قدروا ولا يحثون عليه ان عسروا **قوله** فويل مبتدا ومعناه عذاب لهم وقوله للمصلين خبره والفاء للتسبب اي تسبب عن هذه الصفات الذميمة الدعاء عليهم بالويل قال الزمخشري بعد قوله كانه قيل اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالدين انعم ما يصنع ثم قال الله تعالى فويل للمصلين اي اذا علم انه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم لانهم كانوا مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين عن الصلاة مرائين غير مزكين اموالهم قال فان قلت كيف

جملة المصلين فاقيما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد قلت معناه الجمع لان المراد به الجنس قال ابو حيان واما وضعه المصلين موضع الضمير وان المصلين جمع لان ضمير الذي يكذب معناه الجمع فتكلف واضح ولا ينبغي ان يحمل القران الا على ما تقتضيه الظاهر وعادة هذا الرجل تكلف اشيا في فهم القران ليست بواضحة قال شهاب الدين وعادة هذا الرجل التحامل على الزمخشري حتى يجعل حسنه قبيحا وكيف يرد ما له وفيه ارتباط الكلام بعضه ببعض وجعله شيا واحدا وما تضمنه من المبالغة في الوعيد في ابراز صفتهم الشنيعة ولا شك ان الظاهر من الكلام ان السورة كلها في قوم جمعوا بين هذه الاوصاف كلها من التكذيب بالدين ودفع اليتيم وعدم الحض على طعام المسكين والسهو في الصلاة والمراءاة ومنع الخير **قوله** الذين هم يجوز ان يكون مرفوع المحل وان يكون منصوبه وان يكون مجروره تابعا اما بدلا او بيانا وكذلك الموصول الثاني الا انه يحتمل ان يكون تابعا للمصلين وان يكون تابعا للموصول الاول وقوله يراءون اصله يرائيون كيقاتلون ومعنى المراءاة ان المرائي يرى الناس عمله وهم يرون الثناء عليه فالمفاعلة فيها واضحة وقد تقدم تحقيقه **فصل** في اتصال هذه الاية بما قبلها وجوه الاول انه لما كان ايذاء اليتيم والمنع من بذل طعام المسكين دليلا على النفاق لان هاتين الخصلتين معاملة مع المخلوق اما الصلاة فانها معاملة مع الخالق الثاني انه تعالى لما ذكرها تين الخصلتين مع التكذيب بيوم الدين قال كيف لا تنهاه عن هذه الافعال المنكرة الثالث اليس الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فقال وبل لمن هذه الصلاة كانه يقول اقدامه على ايذاء اليتيم وتركه للحث على طعام المسكين تقصير في الشفقة على خلق الله تعالى وسهوه في الصلاة تقصير في التعظيم لامر الله تعالى فلما وقع التقصير في الامرين كملت شقاوته **فصل** قال ابن عباس هو المصلي الذي اذا صلى لم يرج لها ثوابا وان تركها لم يخش عليها عقابا وعنه ايضا قال الذين يؤخرونها عن اوقاتها قال سعيد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون قال النبي صلى الله عليه وسلم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها تهاونا بها وقيل لا يتمون ركوعها ولا سجودها وقال ابراهيم هو الذي يلتفت في سجوده وقال قطرب هو الذي لا يقرا ولا يذكر الله وفي قراءة عبد الله الذين هم عن صلاتهم لاهون وعن ابن عباس ايضا هم المنافقون يتركون الصلاة سرا ويصلونها علانية واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى الاية وهذا يدل على انها في المنافقين قوله الذين هم يراءون ورواه ابن وهب عن مالك رضي الله عنه **فصل** قال ابن عباس ولو قال في صلاتهم ساهون لكانت في المؤمنين وقال عطا الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ساهون ولم يقل في صلاتهم فدل على ان الاية في المنافقين قال الزمخشري فان قلت اي فرق بين قوله تعالى عن صلاتهم وبين قولك في صلاتهم قلت معنى انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين والفسقة الشطار من المسلمين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه احد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره قال ابن الخطيب قال كثير من العلما انه صلى الله عليه وسلم ما سهى لكن اذن الله تعالى له في ذلك الفعل ليبين للتشريع في فعل الساهي ثم يتفرع بعد وقوع السهو منه فالسهو على اقسام احدها سهو الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه وذلك يجبر بالسنن تارة وبالسنن والنوافل تارة والثاني ما يكثر في الصلاة من الغفلة وعدم استحضار النية وهذا يقع كثيرا الثالث ترك الصلاة لا الى قضا والاخراج عن الوقت ومن ذلك صلاة المنافق لانه يستهزي بالدين والفرق بين المنافق والمرائي ان المنافق يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائي انما يظهر زيادة الخشوع ليعتقد من يراه دينه او يقال ان المنافق لا يصلي سرا والمرائي يكون صلاته عند الناس قال ابن العربي السلامة عن السهو محال **قوله** الذين هم يراءون اي يرى الناس انه طاعة وهو يصلي تقية كالفاسق يرى انه يصلي عبادة وهو يصلي ليقال انه يصلي وحقيقة الريا طلب ما في الدنيا بالعبادة واصله المنزلة في قلوب الناس وهو من وجوه اولها تحسين السمت يريد بذلك الجاه والثناء وثانيها الريا بالثياب القصار والخشنة ليتشبه بالزهاد وثالثها اظهار السخط على الدنيا واظهار الوعظ والتاسف على فوات الخير والطاعة ورابعها اظهار الصلاة والصدقة وتحسين الصلاة لاجل رؤية الناس وغير ذلك مما يطول ذكره **فصل** لا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل المفروض لان حق الفرائض الاعلان واشهارها لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله تعالى لانها اعلام الاسلام وشعائر الدين ويستحق تاركها الذم والمقت فوجب اماطة التهمة باظهارها واما التطوع فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا للاقتدا به كان جميلا وان قصد باظهاره ان الاعين تراه وتثني عليه بالصلاح فهو الريا **قوله** ويمنعون الماعون في الماعون اوجه احدها فاعول من المعن وهو الشي القليل يقال ما له معنة اي قليل قاله قطرب الثاني انه اسم مفعول من اعانه يعينه والاصل معوون

وكان

وكان من حقه على هذا ان يقال معون كمقول ومصون وان اسم مفعول من قال وصان ولكنه قلبت الكلمة بان قدمت عينها قبل فايها فصار موعون ثم قلبت الواو الاولى الفا كقولهم تابه وصامه في توبه وصومه فوزنه الان مفعول وفي هذا الوجه شذوذ من ثلاثة اوجه احدها كون مفعول جا من افعل وحقه ان يكون على مفعل كمكرم فيقال معان كمقام واما مفعول فاسم مفعول الثلاثي الثاني القلب وهو خلاف الاصل الثالث قلب حرف العلة الفا وان لم يتحرك وقياسه على تابه وصامه بعيد لشذوذ المقيس عليه وقد يجاب عن الثالث بان الواو متحركة في الاصل قبل القلب لانه بزنة معوون الوجه الثالث ان اصله معونة والالف عوض من الهاء ووزنه مفعل كملوم ووزنه بعد الزيادة ما فعل **فصل** اختلف اقوال المفسرين في الماعون واحسنها انه كل ما يستعان به وينتفع به كالفاس والدلو والمقدحة قال الاعشى باجود منه بماعونه اذا ما سماوهم لم تغم ولم يذكر المفعول الاول للمنع اما للعلم به اي يمنعون الناس او الطالبين واما لان الغرض ذكر ما يمنعونه لا من يمنعونه تنبيها على خساستهم وضنهم بالاشيا التافهة المستقبح منعها عند كل احد **فان قيل** هذه الاية تدل على التهديد العظيم بالسهو عن الصلاة والريا ومنع الماعون وذلك من باب الذنوب ولا يصير المرء به منافقا فلم حكم الله تعالى بمثل هذا الوعيد على هذا الفعل **فالجواب** من وجوه الاول قال ابن الخطيب المراد بالمصلين هنا المنافقون الذين يأتون هذه الافعال وعلى هذا التقدير دلت الاية على ان الكافر مزيد عقوبة على فعل محظورات الشرع وتركه واجبات الشرع وذلك يدل على ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام الثاني قيل لعكرمة من منع شيا من المتاع كان له الويل فقال لا ولكن من جمع ثلاثهن فله الويل يعني ترك الصلاة وفعل الريا والبخل بالماعون وروى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ارايت الذي يكذب بالدين غفر الله تعالى له ان كان مؤديا للزكاة

في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وهي ثلاث ايات وعشر كلمات واثنان واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** انا اعطيناك الكوثر قرا الحسن وابن محيصن وطلحة والزعفراني انطيناك بالنون قال الرازي والتبريزي ابدل من العين نونا فان عنيا ابدال لا للصناعي فليس بمسلم لان كلا مادة مستقلة بنفسها بدليل كمال تصريفها وان عنيا بالبدل ان هذه وقعت موقع هذه لغة فقريب ولا شك انها لغة ثابتة قال التبريزي هي لغة العرب العاربة من اولي قريش وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم اليد العليا المنطية واليد السفلى المنطاة وقال الاعشى جيادك خير جياد الملوك تصان الجلال وتنطى الحلولا قال القرطبي ورواية ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قراه وهي لغة في العطا انطيته اعطيته والكوثر فوعل من الكثرة وصف مبالغة في المفرط الكثرة مثل النوفل من النفل والجوهر من الجهر والعرب تسمي كل كثير في العدد والخطر كوثرا قال ... وانت كثير يا ابن مروان طيب وكان ابوك ابن العقائل كوثرا قيل لعجوز رجع ابنها من السفر بم اب ابنك قالت اب بكوثر اي بخير كثير والكوثر من الرجال السيد الكثير الخير والكوثر العدد الكثير من الاصحاب والاشياع والكوثر من الغبار الكثير وقد تكوثر وقال الشاعر وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا **فصل** اختلفوا في الكوثر الذي اعطيه النبي صلى الله عليه وسلم فقيل نهر في الجنة رواه البخاري وغيره عن انس وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت وتربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج وقال عطا هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الموقف وفيه احاديث كثيرة وقال عكرمة الكوثر النبوة والكتاب وقال الحسن هو القران وقال المغيرة الاسلام وقال الحسين بن الفضل هو تيسير القران وتخفيف الشرائع وقال ابو بكر بن عياش ويمان بن رئاب هو كثرة الاصحاب والاتباع والامة وقال ابن كيسان هو الايثار وقال هلال بن يساف هو لا اله الا الله محمد رسول الله وحكى الماوردي انه رفعة الذكر وقيل الشفاعة وقيل الفقه في الدين وقيل غير ذلك قال القرطبي واصح الاقوال الاول والثاني لانه ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم نص في الكوثر **فصل** قال ابن الخطيب هذه السورة كالمقابلة للتي قبلها فانه ذكر في الاولى البخل وترك الصلاة والريا ومنع الماعون وذكر هنا في مقابلة البخل انا اعطيناك الكوثر وفي مقابلة ترك الصلاة قوله فصل اي دم على الصلاة وفي مقابلة الريا قوله تعالى لربك اي لرضاه خالصا وفي

سورة الكوثر

مقابلة منع الماعون قوله وانحر اي تصدق بلحم الاضاحي ثم ختم السورة سبحانه وتعالى بقوله ان شانئك هو الابتر اي ان المنافق الذي يأتي بتلك الافعال القبيحة سيموتون ولا يبقى له اثر واما انت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل وفي الاخرة الثواب الجزيل **قوله** فصل لربك وانحر قال ابن عباس رضي الله عنه اقم الصلاة المفروضة عليك وقال قتادة وعطا وعكرمة فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقال انس رضي الله عنه كان النبي عليه السلام ينحر ثم يصلي فامر ان يصلي ثم ينحر وقال سعيد بن جبير صل لربك صلاة الصبح المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وقال سعيد بن جبير ايضا نزلت في الحديبية حين حصر النبي صلى الله عليه وسلم عن البيت فامره الله تعالى ان يصلي وينحر البدن وينصرف قال ابن العربي اما من قال ان المراد بقوله تعالى فصل الصلوات الخمس فلانها ركن العبادات وقاعدة الاسلام واعظم دعائم الدين واما من قال انها صلاة الصبح بالمزدلفة فلانها مقرونة بالنحر وهو في ذلك اليوم ولا صلاة فيه قبل النحر غيرها فخصها من جملة الصلاة لاقترانها بالنحر قال القرطبي واما من قال انها صلاة العيد فذلك بغير مكة اذ ليس بمكة صلاة عيد باجماع فيما حكاه ابو بكر رضي الله عنه

فصل الثاني قوله فصل للتعقيب والتسبيب اي لتسبب عن هذه المنة العظيمة وعقبها امرك بالتخلي لعبادة المنعم عليك وقصدك اليه بالنحر لا كما تفعل قريش من صلاتها ونحرها لاصنامها واما قوله تعالى وانحر فقال علي رضي الله عنه ومحمد بن كعب القرظي المعنى ضع اليمنى على اليسرى حذاء النحر في الصلاة وعن علي رضي الله عنه ايضا ان معناه ان يرفع يديه في التكبير الى نحره وهو مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي وابي الاحوص قال الفراء سمعت بعض العرب يقول منازلنا تتناحر اي تتقابل نحر هذا بنحر هذا اي قبالته وقال ابن الاعرابي هو انتصاب الرجل في الصلاة بازاء المحراب من قولهم منازلهم تتناحر اي تتقابل وعن عطا انه امره ان يستوي بين السجدتين جالسا حتى يبدو نحره وقال محمد بن كعب القرظي يقول ان ناسا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله تعالى وقد اعطيناك الكوثر فلا يكن صلاتك ولا نحرك الا لله تعالى والنحر في الابل بمنزلة الذبح في البقر والغنم **قوله** ان شانئك هو الابتر يجوز ان يكون هو مبتدا والابتر خبره والجملة خبر ان وان يكون فصلا وقال ابو البقا او توكيدا وهو غلط لان المظهر لا يوكد بالمضمر والابتر الذي لا عقب له وهو في الاصل الشيء المقطوع من بتره اي قطعه وحمار ابتر لا ذنب له ورجل اباتر بضم الهمزة قاطع رحمه قال

لئيم بدت في انفه خنزوانه ... على قطع ذي القربى احذ اباتر

وبتر هو بالكسر انقطع ذنبه قال اهل اللغة الابتر من الرجال من لا ولد له ومن الدواب الذي لا ذنب له وكل من انقطع من الخير اثره فهو ابتر والبتر القطع بترت الشيء بترا قطعته قبل الاتمام والانبتار الانقطاع والباتر السيف القاطع وفي الحديث ما هذه البتيراء واوتر بركعة فانكر عليه ابن مسعود رضي الله عنه وخطب زياد خطبة بتراء لم يذكر الله تعالى ولا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم وكان للنبي صلى الله عليه وسلم درع يقال لها البتراء سميت بذلك لقصرها وقال ابن السكيت الابتران العير والعبد سميا بذلك لقلة خيرهما والبترية فرقة من الزيدية نسبوا الى المغيرة بن سعد ولقبه الابتر وقرا العامة شانئك بالالف اسم فاعل بمعنى الحال او الاستقبال او الماضي وقرا ابن عباس شنئك بغير الف فقيل يجوز ان يكون بناء مبالغة كفعال وفعيل وفعل وقد انشد سيبويه وانشد

حذر امورا لا تضير وآمن ... ما ليس منجيه من الاقدار

وقول زيد الخيل

اتاني انهم مزقون عرضي ... جحاش الكرملين لها فديد

فان كان بمعنى الحال والاستقبال فاضافته لمفعوله من نصب وان كان بمعنى المضي فهو لا من نصب وقيل يجوز ان يكون مقصورا من فاعل كقولهم برد وبار وبرد وبارد

فصل اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى ان شانئك هو الابتر فقيل هو العاص بن وائل وكانت العرب تسمي من له بنون وبنات ثم مات البنون وبقي البنات ابتر فقيل ان العاص وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه فقال له جمع من صناديد قريش مع من كنت واقفا فقال مع ذلك الابتر وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من خديجة رضي الله عنها فانزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر اي المقطوع ذكره من خير الدنيا والاخرة وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كان اهل الجاهلية اذا مات ابن الرجل قالوا بتر فلان فلما توفي ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ابو جهل الى اصحابه فقال بتر محمد فانزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر يعني ابا جهل وقال شمر بن عطية هو عقبة بن ابي معيط وقال السدي وابن زيد ان قريشا كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده قد بتر فلان فلما مات لرسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم بمكة وابراهيم بالمدينة قالوا بتر محمد فليس له من يقوم بامره من بعده فنزلت هذه الاية وقيل لما اوحى الله تعالى الى رسوله صلى الله عليه وسلم دعا قريشا الى

الايمان قالوا ابتر منا محمد اي خالفنا وانقطع عنا فاخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم انهم هم المبترون قاله عكرمة وشهر ابن حوشب **فصل** قال اهل العلم قد احتوت هذه السورة على كونها اقصر سورة في القران على معان بليغة واساليب بديعة منها دلالة استهلال السورة على انه تعالى اعطاه كثيرا من كثير ومنها اسناد الفعل للمتكلم المعظم نفسه ومنها ايراده بصيغة الماضي تحقيقا لوقوعه كاتى امر الله ومنها تاكيد الجملة بان ومنها بناء الفعل على الاسم ليفيد الاسناد مرتين ومنها الاتيان بصيغة تدل على مبالغة الكثرة ومنها حذف الموصوف بالكوثر لان في حذفه من فرط الشياع والابهام ما ليس في اثباته ومنها تعريفه بال الجنسية الدالة على الاستغراق ومنها فاء التعقيب الدالة على التسبيب فان الانعام سبب للشكر والعبادة ومنها التعريض بمن كانت صلاته ونحره لغير الله تعالى ومنها ان الامر بالصلاة اشارة الى الاعمال الدينية التي الصلاة قوامها وافضلها والامر بالنحر اشارة الى الاعمال البدنية التي النحر اساسها ومنها حذف متعلق انحر اذ التقدير فصل لربك وانحر له ومنها مراعاة السجع فانه من صناعة البديع العاري عن التكليف ومنها قوله تعالى في الاتيان بهذه الصفة دون سائر صفاته الحسنى دلالة على انه المربي والمصلح بنعمه فلا يلتمس كل خير الا منه ومنها الالتفات من ضمير المتكلم الى الغائب في قوله تعالى لربك ومنها جعل الامر بترك الاعتبار بشانئه للاستئناف وجعله خاتمة للاعراض عن الشانئ ولم يسمه ليشمل كل من اتصف والعياذ بالله بهذه الصفة القبيحة وان كان المراد به شخصا معينا لعنه الله تعالى ومنها التنبيه بذكر هذه الصفة القبيحة على انه لم يتصف الا بمجرد قيام الصفة به من غير ان يؤثر في من يشنؤه شيئا البتة لان من يشنأ شخصا قد لا يؤثر فيه شنآنه شيئا ومنها تاكيد الجملة بان المؤذنة بتاكيد الخبر ولذلك يتلقى بها القسم وتقدير القسم يصلح ههنا ومنها الاتيان بضمير الفصل المؤذن بالاختصاص والتاكيد ان جعلنا هو فصلا وان جعلناه مبتدا فكذلك يفيد التاكيد اذ يصير الاسناد مرتين ومنها تعريف الابتر بال المؤذنة بالخصوصية بهذه الصفة كانه قيل الكامل في هذه الصفة ومنها اقباله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بالخطاب من اول السورة الى اخرها روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة انا اعطيناك الكوثر سقاه الله تعالى من انهار الجنة واعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في كل عيد ويقربونه من اهل الكتاب والمشركين وعن مكحول رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا انا اعطيناك الكوثر كان له ما بين المشرق والمغرب ابعرة على كل بعير كراريس كل كراسة مثل الدنيا وما فيها كتب له بدقة الشعر ليس فيها الا صفة قصوره ومنازله في الجنة والله اعلم

سورة الكافرون

في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك وهي ست ايات وستة وعشرون كلمة واربعة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** قل يا ايها الكافرون قال ابن الخطيب هذه السورة تسمى سورة المنابذة وسورة الاخلاص والمقشقشة روى الترمذي من حديث انس رضي الله عنه انها تعدل ثلث القران وروى ابن الانباري عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ايها الكافرون تعدل ربع القران واخرج الحافظ عبد الغني بن سعيد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه صلاة الفجر في سفر فقرا قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ثم قال صلى الله عليه وسلم قرات بكم ثلث القران وربعه قال فوالله لقد كنت غير كثير المال اذا سافرت اكون ابذهم واقلهم زادا فمذ قراتهن صرت من احسنهم هيئة واكثرهم زادا حتى ارجع قال ابن الخطيب والوجه في انها تعدل ربع القران هو ان القران مشتمل على الامر بالمامورات والنهي عن المحظورات وكل واحد منها ينقسم الى ما يتعلق بالقلوب والى ما يتعلق بالجوارح وهذه السورة مشتملة على النهي عن المحرمات المتعلقة بافعال القلوب فتكون ربع القران واخرج ابن الانباري عن نوفل ابن فروة الاشجعي قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اوصني قال اقرا عند منامك قل يا ايها الكافرون فانها براءة من الشرك وقال ابن عباس رضي الله عنه ليس في القران اشد غيظا لابليس لعنه الله عليه منها لانها توحيد وبراءة من الشرك وقال الاصمعي كان يقال لقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد المقشقشتان اي انهما يبريان من النفاق وقال ابو عبيدة رضي الله عنه كما يقشقش الهناء الجرب فيبريه قال ابن السكيت يقال للقرح والجدري اذا يبس وتقرف وللجرب في الابل اذا قفل قد توسف جلده وتقشر جلده وتقشقش قال قيل قال ابن عباس رضي الله عنه سبب نزولها ان الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وامية بن خلف لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ونشترك نحن وانت في امرنا كله فان كان الذي جئت به خيرا مما بايدينا كنا قد شركناك فيه واخذنا

منه وان كان الذي بايدينا خيرا مما بيديك كنت قد شركتنا في امرنا واخذت بحظك منه فانزل الله تعالى قل يا ايها
الكافرون ونزل قوله تعالى قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
المسجد الحرام وفيه الملا من قريش فقام صلى الله عليه وسلم فقراها عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا منه
عند ذلك وروى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو استلمت
بعض هذه الالهة لصدقناك فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم بهذه السورة فيئسوا منه
وآذوه وآذوا اصحابه **فان قيل** لم وصفهم في هذه السورة بالكافرين وفي السورة الاخرى بالجاهلين كما تقدم
فالجواب لان هذه السورة بتمامها نزلت فيهم فتكون المبالغة فيها اشد فبولغ فيها بالوصف الاشنع وهو الكفر
لانه مذموم مطلقا والجهل كالشجرة والكفر كالثمرة فعلا يذم عند التغيبة كقوله صلى الله عليه وسلم علم الانسان
علم لا ينفع وجهل لا يضر **فان قيل** قال في سورة التحريم يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم فذكره باسم
الفاعل **فالجواب** انه في سورة التحريم انما يقال لهم يوم القيامة وثم لا يكون رسولا اليهم فازال الواسطة
ويكونون في ذلك الوقت مطيعين لا كافرين فلذلك ذكره بلفظ الماضي واما ههنا فكانوا موصوفين بالكفر وكان
فان قيل هذا الخطاب مع الكل وكان فيهم من
الرسول صلى الله عليه وسلم رسولا اليهم فقال تعالى قل يا ايها الكافرون
يعبد الله تعالى كاليهود والنصارى فلا يجوز ان يقال لهم لا اعبد ما تعبدون ولا يجوز ايضا ان يكون قوله ولا
انتم عابدون ما اعبد خطابا مع الكل لان في الكفار من آمن فعبد الله **فالجواب** ان هذا الخطاب مشافهة
مع اقوام مخصوصين وهم الذين قالوا نعبد الهك سنة وتعبد الهتنا سنة وايضا لو حملنا الخطاب على العموم
دخله التخصيص واذا حملناه على خطاب المشافهة لم يلزم ذلك **فصل** قال القرطبي الالف واللام ترجع الى معنى
المعهود وان كانت للجنس من حيث كانت لانها خاطبته لما سبق في علم الله تعالى انه سيموت على كفره فهي من الخصوص الذي
جاء بلفظ العموم ونحوه عن الماوردي نزلت جوابا وعنى بالكافرين قوما معينين لا جميع الكافرين لان منهم من آمن فعبد الله
تعالى ومنهم من مات على كفره وهم المخاطبون بهذا القول وهم المذكورون **فصل** قال ابن الانباري وقرا من
طعن في القرآن قل للذين كفروا لا اعبد ما تعبدون وزعم ذلك هو الصواب وذلك افترا على رب العالمين وتضعيف
لمعنى هذه السورة وابطال ما قصده الله من ان يذل نبيه المشركون بخطابه اياهم بهذا الخطاب الزري والزامهم
ما يانف منه كل ذي لب وحجى وذلك ان الذي يدعيه من اللفظ الباطل قراءتنا تشتمل عليه في المعنى وتزيد تاويلا
ليس عند من في اباطيلهم وتحريفهم فمعنى قراءتنا قل للذين كفروا يا ايها الكافرون دليل صحة هذا ان العربي اذا قال لمخاطبه
قل لزيد اقبل الينا فمعناه قل لزيد يا زيد اقبل الينا فقراءتنا احسن لفظا وابلغ معنى اذا كان الرسول صلى الله
عليه وسلم يعتمدهم في ناديهم فيقول لهم يا ايها الكافرون وهو يعلم انهم يغضبون من ان ينسبوا الى الكفر ويدخلوا
في جملة اهله الا وهو محروس ممنوع من ان يبسط عليه صلى الله عليه وسلم يدا ويقع به اذية فمن لم يقرا قل
يا ايها الكافرون كما انزلها الله اسقط آية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسبيل اهل الاسلام ان يسارعوا الى مثلها
ولا يعتمدوا نبيهم باختزال الفضائل عنه الذي منحه الله تعالى وشرفه بها **فصل** قال ابن الخطيب روي
عن علي رضي الله عنه ان يا ندا النفس واي ندا القلب وها ندا الروح وقيل يا ندا الغائب واي للحاضر وها
للتنبيه كانه عز وجل يقول ادعوك ثلاثا ولا تجيبني مرة **قوله** لا اعبد ما تعبدون ما في هذه السورة يجوز فيها
وجهان احدهما بمعنى الذي فان كان المراد الاصنام كما في الاولى والثانية فالامر واضح لانهم غير عقلاء وما اصلها
ان تكون لغير العقلاء واذا اريد بها الباري تعالى كما في الثالثة والرابعة فاستدل به من جوز وقوعها على
اولي العلم ومن منع جعلها مصدرية والتقدير ولا انتم عابدون عبادتي اي مثل عبادتي وقال ابو مسلم ما في
الاوليين بمعنى الذي والمقصود المعبود وما في الاخريين مصدرية اي لا اعبد عبادتكم المبنية على الشك وترك النظر ولا
انتم تعبدون مثل عبادتي المبنية على اليقين فيحصل من مجموع ذلك ثلاثة اقوال انها كلها بمعنى الذي او مصدرية
او الاوليان بمعنى الذي والثالثة والرابعة مصدرية لكان حسنا لا حتى لا يلزم وقوع ما على اولي العلم وهو مقتضى
قول من منع وقوعها على اولي العلم كما تقدم **فصل** اختلفوا في التكرار ههنا هل هو للتاكيد ام لا واذا لم يكن
للتاكيد فقوله ولا انا عابد ما عبدتم تاكيد لقوله لا اعبد ما تعبدون وقوله ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا
تاكيد لقوله ولا انتم عابدون ما اعبد ولا ومثله فباي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين في سورتيهما
وكلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وكلا ستعلمون ثم كلا ستعلمون وفي الحديث فلا آذن ثم لا آذن
انما فاطمة بضعة مني وقال الشاعر هلا سالت جموع كندة يوم ولوا اين اينا وقوله
يا علقمة يا علقمة يا علقمة خير تميم كلها واكرمه وقوله
يا اقرع بن حابس يا اقرع انك ان يصرع اخاك تصرع وقوله

الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي ثلاث تحيات وان لم تكلم وقوله
يا جعفر يا جعفر يا جعفر ان اك دحداحا فانت اقصر وقوله
يا آل بكر انشروا لي كليبا يا آل بكر اين اين الفرار
قالوا والقرآن جاء على اساليب كلام العرب
وفائدة التاكيد هنا قطع اطماع الكفار وتحقيق الاخبار بموافاتهم على الكفر وانهم لا يسلمون ابدا وقيل هذا مطابقة لقولهم
نعبد الهتنا وتعبد الهك ثم يجري على هذا ابدا سنة وسنة فاجيبوا عن كل ما قالوه بضده اي ان هذا لا يكون ابدا وقال
جماعة ليس للتوكيد فقال الاخفش لا اعبد الساعة ما تعبدون ولا انتم عابدون الساعة ما اعبد ولا انا عابد في المستقبل
ما عبدتم ولا انتم عابدون في المستقبل ما اعبد فزال التوكيد اذ قد تقيدت كل جملة بزمان غير الزمان الآخر انتهى
وفيه نظر كيف يعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم نفي عبادته لما تعبدون بزمان هذا لا يصح وفي اسباب
النزول لانهم سالوه ان يعبد الهتهم سنة فنزلت فكيف يستقيم هذا وجعل ابو مسلم التغاير بما تقدم عنه وهو
كون ما في الاوليين بمعنى الذي وفي الاخريين مصدرية وفيه نظر ايضا من حيث ان التكرار انما هو من حيث المعنى
وهذا او هو موجود كيف قدرنا وقال ابن عطية لما كان قوله لا اعبد محتملا ان يراد به الآن ويبقى المستقبل منتظرا
ما يكون فيه جاء البيان بقوله ولا انا عابد ما عبدتم ابدا وما حييت ثم جاء قوله ولا انتم عابدون ما اعبد الثاني حتما
عليهم انهم لا يؤمنون ابدا كالذي كشف الغيب كما قيل لنوح عليه السلام انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فهذا
معنى الترديد في هذه السورة وهو بارع الفصاحة وليس بتكرار فقط بل فيه ما ذكرته وقال الزمخشري لا اعبد اريد
به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال
والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم عابدون فيه ما اطلبه منكم من عبادة الهي ولا انا عابد
ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم يعهد مني قط عبادة صنم في الجاهلية فكيف يرجى مني
في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته قال فلم جاء ما قبل ما عبدتم قلت
لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الا الله تعالى في ذلك الوقت قال قلت فلم جاء على ما دون
من قلت لان المراد الصفة كانه قيل لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم
ولا تعبدون عبادتي انتهى يعني بقوله لان الصفة يعني انه اريد بها الوصف وقد تقدم تحقيق هذا في سورة
والشمس وضحاها واعترض ابو حيان عليه والجواب عنه واصله سورة النساء عند قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من
النساء ونحا فنسه ابو حيان ههنا فقال اما حصره في قوله لان لا لا تدخل وفي قوله لان ما لا تدخل فليس بصحيح بل ذلك غالب
فيهما لا متحتم وقد ذكر النحاة دخول لا على المضارع يراد به الحال ودخول ما على المضارع يراد به الاستقبال وذلك مذكور في
المبسوطات من كتب النحو ولذلك لم يذكر سيبويه ذلك باداة الحصر انما قال وتكون لا نفيا لقوله يفعل ولم يقع
الفعل فقال واما ما فهي نفي لقوله هو يفعل اذا كان في حال الفعل فذكر الغالب فيهما واما ما في قوله تعالى ولا انا
عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه فلا يستقيم لان عابد اسم فاعل قد عمل في ما عبدتم
فلا يفسر بالماضي انما يفسر بالحال والاستقبال وليس مذهبه في اسم الفاعل مذهب الكسائي وهشام من جواز
اعماله ماضيا واما قوله ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته فعابدون قد
اعمل فيما اعبد فلا يفسر بالماضي واما قوله وهو لم يكن الى آخره فسوء ادب على منصب النبوة وغير صحيح لانه صلى
الله عليه وسلم لم يزل موحدا لله تعالى منزها له عن كل ما لا يليق بجلاله سبحانه يقف على مشاعر ابراهيم عليه السلام
ويحج البيت وهذه عبادة واي عبادة اعظم من توحيد الله تعالى ونبذ اصنامهم ومعرفة الله تعالى اعظم العبادات
قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال المفسرون الا ليعرفون فسمى المعرفة بالله تعالى عبادة
انتهى قال شهاب الدين ويجاب عن الاول انه بنى امره على الغالب فلذلك اتى بالحصر واما ما حكاه عن سيبويه
فظاهره معه حتى يقوم دليل على غيره وعن اعماله اسم الفاعل مفسرا له بالماضي بانه على حكاية الحال كقوله تعالى وكلبهم
باسط ذراعيه وقوله تعالى والله مخرج ما كنتم تكتمون ونحوه واما قوله كان صلى الله عليه وسلم موحدا منزها
لله تعالى فمسلم ذلك وقوله وهذه اعظم العبادات فمسلم ايضا ولكن المراد في الآية عبادة مخصوصة وهي الصلاة
المخصوصة لانها يقابل بها ما كان المشركون يفعلونه من سجودهم لاصنامهم وصلاتهم لها يقابل بهذا صلى الله عليه
وسلم لصلاته لله تبارك وتعالى ولكن بقي كلام الزمخشري يفهم انه صلى الله عليه وسلم لم يكن متعبدا قبل المبعث وهو
مذهب ساقط الاعتبار لان الاحاديث الصحيحة ترده وفي كان يتعبد قبل ان يبعث كان يصوم كان يطوف
كان يقف صلى الله عليه وسلم ولم يقل بخلافه الا شذوذ من الناس وفي الجملة فالمسألة خلافية واذا كان
متعبدا فباي شرع كان يتعبد به قيل بشريعة نوح عليه السلام وقيل ابراهيم عليه السلام وقيل موسى
وقيل عيسى صلوات الله عليهم اجمعين وذلك مذكور في الاصول ثم قال ابو حيان والذي اختاره في هذه الجمل

انه نفى عبادته فى المستقبل لان الغالب فى لا ان تنفى المستقبل ثم عطف عليه ولا انتم عابدون ما اعبد نفيا للمستقبل
على سبيل المقابلة ثم قال صلى الله عليه وسلم ولا انا عابد ما عبدتم نفيا للحال لان اسم الفاعل العامل الحقيقة فيه
دلالته على الحال ثم عطف عليه ولا انتم عابدون ما اعبد نفيا للحال على سبيل المقابلة فانتظم المعنى انه صلى الله
عليه وسلم لا يعبد ما يعبدون حالا ولا مستقبلا وهم كذلك اذ حتم الله تعالى بموافاتهم على الكفر ولما قال
صلى الله عليه وسلم لا اعبد ما تعبدون واطلق ما على الاصنام قابل الكلام بما فى قوله ما اعبد وان كان المراد الله تعالى لان
المقابلة يسوغ فيها ما لا يسوغ فى الانفراد وهذا على مذهب من يقول ان ما لا تقع على احاد اولى العلم اما من يجوز
ذلك وهو مذهب سيبويه فلا يحتاج الى الاستعذار بالتقابل قال القرطبى كانوا يعبدون الاوثان فاذا ملوا وثنا
وسئموا العبادة له رفضوه ثم اخذوا وثنا غيره بشهوة نفوسهم فاذا مروا بحجارة تعجبهم القوا هذه ورفعوا تلك
فعظموها ونصبوها الهة يعبدونها فامر ان يقول لا اعبد ما تعبدون اليوم من هذه الالهة التى بين ايديكم
ثم قال صلى الله عليه وسلم ولا انتم عابدون ما اعبد انما تعبدون الوثن الذى اتخذتموه وهو عندكم الان ولا
انا عابد ما عبدتم بالامس من الالهة التى رفضتموها واقبلتم على هذه ولا انتم عابدون ما اعبد فانى اعبد الهى قوله
لكم دينكم ولى دين اتى بهاتين الجملتين الاثنتين بعد جملة منفية لانه لما كان الاهم انتفاؤه صلى الله عليه وسلم
من دينهم بدا بالنفى فى الجمل السابقة بالمنسوب اليه فلما تحقق النفى رجع صلى الله عليه وسلم الى خطابه بقوله لكم
دينكم ولى دين مهادنة لهم ثم نسخ ذلك الامر بالقتال وفتح الياء من لى نافع وهشام وحفص والبزى بخلاف عنه واسكنها
الباقون وحذف ياء الاضافة من دينى وقفا ووصلا السبعة وجمهور القراء واثبتها فى الحالين سلام ويعقوب قالوا
الاسم مثل الكاف فى دينك والتاء فى قمت وتقدم ايضاحه فصل فى الكلام معنى التهديد كقوله تعالى لنا اعمالنا
ولكم اعمالكم اى ان رضيتم بدينكم فقد رضينا بديننا ونسخ هذا بالامر بالقتال وقيل السورة منسوخة وقيل
ما نسخ منها شئ لانها خبر ومعنى لكم دينكم اى جزاء دينكم ولى دين جزاء دينى وسمى دينهم دينا لانهم اعتقدوه وقيل
المعنى لكم جزاؤكم ولى جزائى لان الدين الجزاء وقيل الدين العقوبة لقوله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة فى دين الله والمعنى
لكم العقوبة من ربى ولى العقوبة من اصنامكم فانا لا اخشى عقوبة الاصنام لانها جمادات واما انتم فيحق عليكم حملان ان
تخافوا عقوبة جبار السموات والارض وقيل الدين الدعاء لقوله تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين اى لكم دعاؤكم
وما دعاء الكافرين الا فى ضلال واما ربى فيقول سبحانه وتعالى ادعونى استجب لكم اجيب دعوة الداع اذا
دعان وقيل الدين العادة قال الشاعر يقول لها ادرب رضيى اهذا دينه ابدا ودينى والمعنى لكم
عادتكم الماخوذة من اسلافكم ومن الشيطان ولى عادتى من ربى فصل قال ابن الخطيب جرت
العادة بان يتمثلوا بهذه الاية عند المتاركة وذلك غير جائز لان القران انزل ليتدبر فيه ويعمل بموجبه ٥
لا ليتمثل به والله تعالى اعلم

سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم وهى ثلاث ايات وست عشرة كلمة وتسعة وسبعون حرفا بالاجماع وتسمى سورة التوديع
قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح عليك وعلى امتك او المقصود اذا جاء هذان الفعلان من غير نظر الى
متعلقيهما كقوله تعالى امات واحيى وال فى الفتح عوض من الاضافة اى وفتحه عند الكوفيين والعائد
محذوف عند البصريين اى والفتح منه للدلالة على ذلك والعامل فى اذا ما جاء وهو قول مكى واليه ذهب ابو
حيان ونصره فى مواضع وقد تقدم رد ذلك واما فسبح واليه نحا الزمخشرى والحوفى والتقدير فسبح بحمد ربك اذا جاء
ورده ابو حيان بان ما بعد فا الجواب لا يعمل فيما قبلها وفيه بحث تقدم بعضه فى سورة والضحى فصل النصر
العون ماخوذ من قولهم قد نصر الغيث الارض اذا اعان على نباتها قال الشاعر
اذا انسلخ الشهر الحرام فودعى بلاد تميم وانصرى ارض عامر ويروى
اذا دخل الشهر الحرام فودعى بلاد تميم وانصرى ارض عامر يقال نصره على عدوه
ينصره نصرا اى اعانه والاسم النصرة واستنصره على عدوه اى ساله ان ينصره عليه وتناصروا ونصر بعضهم
بعضا ثم قيل المراد بهذا النصر نصر الرسول عليه السلام على قريش قاله الطبرى وقيل نصره على من قاتله من
الكفار وان عاقبة النصرة كانت له واما الفتح فهو فتح مكة قاله الحسن ومجاهد وغيرهما وقال ابن عباس
وسعيد بن جبير هو فتح المداين والقصور وقيل فتح ساير البلاد وقيل ما فتحه عليه من العلوم واذا بمعنى
قد جاء نصر الله لان نزولها بعد الفتح ويجوز ان يكون بمعناه اذا يجيئك فصل قال ابن الخطيب الفرق

بين النصر والفتح ان الفتح هو تحصيل المطلوب الذى كان متعلقا والنصرة كالسبب للفتح فلهذا ابدا بذكر النصر وعطف الفتح
عليه او يقال النصر كمال الدين والفتح اقبال الدنيا الذى هو تمام النعمة كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتى او النصر الظفر فى الدنيا والفتح بالجنة فصل قال ابن الخطيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان ابدا منصورا بالدلائل والمعجزات فما المعنى بتخصيص لفظ النصر بفتح مكة والجواب ان المراد من هذا النصر هو
النصر الموافق للطبع قال قيل النصرة لا يكون الا من الله تعالى قال تعالى وما النصر الا من عند الله فما فائدة التقييد
بقوله تعالى نصر الله فالجواب معناه لا يليق الا بالله كما يقال هذه صنعة زيد اذا كان مشهورا فالمراد هذا هو
الذى سألتموه قال قيل لم وصف النصر بالمجئ وحقيقته اذ وقع نصر الله فالعادة فى ترك الحقيقة وذكر المجاز
فالجواب ان الامور مرتبطة باوقاتها وانه تعالى قدر لحدوث كل محدث اسبابا معينة واوقاتا مقدرة
يستحيل فيها التقدم والتاخر والتبديل والتغيير فاذا حضر ذلك الوقت وجاء ذلك الزمان حضر معه ذلك الاثر
واليه الاشارة بقوله تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم قال قيل الذين اعانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح
مكة هم الصحابة رضى الله عنهم ثم انه تعالى سمى نصرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فما السبب فى اضافة النصر
اليه فالجواب ان النصر وان كان على يد الصحابة لكن لا بد لهم من داع وباعث وهو من الله تعالى قال
قيل فعلى هذا التقدير الذى ذكرتم يكون فعل العبد مقدما على فعل الله تعالى وهو خلاف قوله تعالى ان تنصروا
الله ينصركم فجعل نصر العبد مقدما على نصره لنا فالجواب انه لا امتناع فى ان يكون فعل العبد سببا
لفعل اخر يصدر عن الله تعالى فان اسباب الحوادث ومسبباتها على ترتيب عجيب يعجز عن ادراكها العقول
البشرية قوله ورايت الناس يدخلون رايت يحتمل ان يكون بمعنى ابصرت وان يكون بمعنى علمت فان كان
بمعنى ابصرت كان يدخلون فى محل النصب على الحال والتقدير ورايت الناس يدخلون حال دخولهم فى دين الله افواجا
وان كان بمعنى علمت كان يدخلون مفعولا ثانيا لعلمت والتقدير علمت الناس داخلين فى دين الله وسيقى
عبارة الزمخشرى ان كان بمعنى ابصرت او عرفت ونا قشه ابو حيان بان رايت لا يعرف كونها بمعنى عرفت قال
فيحتاج فى ذلك الى استثبات وقرا العامة يدخلون مبنيا للفاعل وابن كثير فى رواية مبنيا للمفعول وفى دين
ظرف مجازى وهو مجاز فصيح بليغ هنا قوله افواجا حال من فاعل يدخلون قال مكى وقياسه افوج الا ان الضمة
تستثقل فى الواو فشبهوا فعلا يعنى بالسكون بفعل يعنى بالفتح فجمعوه جمعه انتهى اى ان فعلا بالسكون قياسه
افعل كفلس وافلس الا انه استثقلت الضمة على الواو فجمعوه جمع فعل بالتحريك نحو جمل واجمال لان فعلا بالسكون
على افعال ليس بقياس اذا كان فعل صحيحا نحو فرخ وافراخ وزند وازناد ووردت منه الفاظ كثيرة ومع ذلك
فلم يقيسوه وقد قال الحوفى شيئا من هذا فصل ظاهر لفظ الناس العموم فيدخل كل الناس افواجا اى
جماعات فوجا بعد فوج وذلك لما فتحت مكة قالت العرب اما اذا ظفر محمد صلى الله عليه وسلم باهل الحرم وقد
كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يسلمون افواجا فوجا امة بعد امة قال
الضحاك والامة اربعون رجلا وقال عكرمة ومقاتل اراد بالناس اهل اليمن وذلك انه ورد من اليمن
سبع مائة انسان مؤمنين طائعين بعضهم يؤذنون وبعضهم يقرؤون القران وبعضهم يهللون فسر النبى
صلى الله عليه وسلم بذلك وبكى عمر وابن عباس رضى الله عنهما وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا اذا جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن رقيقة افئدتهم لينة طباعهم
سخية قلوبهم عظيمة خشيتهم فدخلوا فى دين الله افواجا وروى مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افئدة الفقه يمان والحكمة يمانية وقال صلى الله عليه
وسلم انى لاجد نفس ربكم من قبل اليمن وفيه تاويلان احدهما انه الفرج لتتابع اسلامهم افواجا الثانى ان الله تعالى نفس الكرب
عن نبيه صلى الله عليه وسلم باهل اليمن وهم الانصار وروى جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس دخلوا فى دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا ذكره الماوردى قال ابن الخطيب
فصل ودين الله هو
كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعدما كانوا يدخلون واحدا واحدا او اثنين اثنين
الاسلام لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه واضافة الدين الى
الاسم الدال على الالهية اشارة الى انه يجب ان يعبد لكونه الها وللدين اسماء اخر قال تعالى فاخرجنا من كان فيها
من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ومنها الصراط قال تعالى صراط الله الذى له ما فى السموات
وما فى الارض ومنها كلمة الله ومنها النور يريدون ليطفئوا نور الله ومنها الهدى قال تعالى هدى الله
يهدى به من يشاء ومنها العروة الوثقى ومن يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ومنها الحبل
قال جمهور الفقهاء واكثر المتكلمين
فصل
ومنها فطرة الله
ومنها صبغة الله
ومنها الحبل الله
واعتصموا بحبل الله
الوثنيين

ايمان المقلد صحيح واحتجوا بهذه الاية قالوا انه تعالى حكم بصحة ايمان اولئك الافواج وجعله من اعظم المنن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن ايمانهم صحيحا لما ذكره في هذا المعرض ثم انا نعلم قطعا انهم ما كانوا يعرفون حدوث الاجسام بالدليل ولا اثبات كونه تعالى منزها عن الجسمية والمكان والحيز ولا اثبات كونه تعالى عالما بجميع المعلومات التي لا نهاية لها ولا اثبات الصفات والتنزيه بالدليل والعلم بان اولئك الاعراب ما كانوا عالمين بهذه الدقايق ضروري فعلمنا ان الايمان المقلد صحيح لا يقال انهم كانوا عالمين باصول دلايل هذه المسايل لان اصول هذه الدلايل ظاهرة بل كانوا جاهلين بالتفاصيل لانا نقول ان الدليل لا يقبل الزيادة والنقصان فان الدليل اذا كان مثلا من عشر مقدمات فمن علم تسعة منها وكان في المقدمة العاشرة مقلدا كان في النتيجة مقلدا لا محالة **قوله** فسبح بحمد ربك واستغفره تحقيق ذلك في سورة البقرة عند قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك قال ابن الخطيب انه تعالى امره صلى الله عليه وسلم بالتسبيح ثم بالحمد ثم بالاستغفار والفايدة فيه ان تاخير النصر سنين مع ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان على الحق مما يثقل على القلب ويقع في القلب اني اذا كنت على الحق فلم لا تنصرني ولم سلطت علي هولاء الكفار فلاجل الاعتذار عن هذا الخاطر امر بالتسبيح اما على قولنا فالمراد من هذا التنزيه انه تعالى منزه عن ان يستحق عليه احد شيا بل كل ما يفعله فانما يفعله بحكم المشية الالهية فله ان يفعل ما يشا كما يشا فقابلة التسبيح تنزيه الله تعالى عن ان يستحق عليه احد شيا واما على قول المعتزلة فقابلة التنزيه هو ان يعلم العبد ان تنزيه الله تعالى عما لا ينبغي بسبب المصلحة لا بسبب ترجيح الباطل على الحق ثم اذا فرغ العبد من تنزيه الله تعالى فحينيذ يشتغل بحمده على ما اعطاه من الاحسان والبر ثم حينيذ يشتغل بالاستغفار لذنوب نفسه

فصل قال المفسرون فسبح بحمد ربك واستغفره اي اذا صليت فاكثر من ذلك وقيل معنى سبح صل قاله ابن عباس رضي الله عنه وقوله بحمد ربك حامدا له على ما اتاك من الظفر والفتح واستغفره اي سل الله الغفران وقيل فسبح المراد به التنزيه اي نزهه عما لا يجوز عليه مع شكرك له وبالاستغفار مداومة الذكر وروي في الصحيحين عن عايشة رضي الله عنها قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان نزلت عليه سورة اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي وقالت ام سلمة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم اخر امره لا يقوم ولا يقعد ولا يجي ولا يذهب الا قال سبحان الله وبحمده واستغفر الله واتوب اليه قال فاني امرت بها ثم قرا اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها وقال عكرمة رضي الله عنه لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قط اشد اجتهادا في امور الاخرة ما كان عند نزولها وقال مقاتل لما نزلت قراها النبي عليه السلام على اصحابه وفيهم ابو بكر وعمر وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم ففرحوا واستبشروا وبكا العباس فقال له النبي عليه السلام ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انه لكما قلت فعاش بعدها ستين يوما ما روي فيها ضاحكا مستبشرا وقيل نزلت في منى بعد ايام التشريق في حجة الوداع فبكا عمر وعباس رضي الله عنهما فقيل لهما هذا يوم فرح فقال لا بل فيه نعي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقتما نعيت الي نفسي وروى البخاري وغيره عن ابن عباس قال كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ياذن لاهل بدر وياذن لي معهم قال فوجد بعضهم من ذلك فقال ياذن لهذا الفتى معنا ومن ابنائنا من هو مثله فقال عمر رضي الله عنه انه من قد علمتم قال فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسالهم عن هذه السورة اذا جاء نصر الله والفتح فقالوا امر الله تعالى نبيه عليه السلام اذا فتح عليه ان يستغفره وان يتوب عليه فقال ما تقول يا ابن عباس قلت ليس كذلك بل اخبر الله تعالى نبيه عليه السلام حضور اجله فقال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة موتك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر رضي الله عنه تلوموني عليه وفي رواية فقال عمر رضي الله عنه لا اعلم منها الا ما تقول

فصل فان قيل فماذا يغفر للنبي صلى الله عليه وسلم حتى يؤمر بالاستغفار **فالجواب** كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعايه رب اغفر لي خطيتي وجهلي واسرافي في امري كله وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اعلنت وما اسررت انت المقدم وانت المؤخر انك على كل شي قدير وكان صلى الله عليه وسلم يستغفر لنفسه لتعظيم ما انعم الله عليه ويرى قصوره عن القيام بحق ذلك وقيل حسنات الابرار سيات المقربين وقيل يحتمل ان يكون المعنى كن متعلقا به سايلا راغبا متضرعا على رؤية التقصير في اداء الحقوق وقيل الاستغفار تعبد يجب اتيانه لا للمغفرة بل تعبدا وقيل معنى واستغفره اي استغفر لامتك انه كان توابا على المسبحين والمستغفرين يتوب عليهم ويرحمهم ويقبل توبتهم واذا كان عليه السلام وهو معصوم يؤمر بالاستغفار فما ظنك بغيره

فصل قد مر تفسير الحمد واما تفسير قوله تعالى فسبح بحمد ربك ففيه وجوه الاول قال الزمخشري اي قل سبحان الله والحمد لله تعجبا مما اراك من عجيب انعامه اي اجمع بينهما كقولك الماء باللبن اي اجمع بينهما خلطا وشربا الثاني ان التسبيح داخل في الحمد لانك اذا حمدت الله تعالى فقد سبحته بواسطة لان الثنا عليه والشكر له يتضمن تنزيهه عن النقايص ولذلك

جعل

جعل الحمد مفتاح القران فمعنى سبح بحمد ربك اي سبحه بواسطة ان تحمده اي سبحه بهذا الطريق الثالث ان يكون حالا اي سبحه مقدرا ان تحمد التسبيح كانك تقول لا يتاتى لك الجمع بينهما لفظا فاجمعهما نية كما تنوي الصلاة يوم النحر مقدرا ان تنحر بعدها فيجتمع لك الثواب في تلك الحالة كذا ههنا الرابع ان هذه البا كهي في قولك فعلت هذا بفضل الله اي بحمد الله اي انه الذي هداك وارشدك لا بحمد غيره كقوله صلى الله عليه وسلم الحمد لله على الحمد الخامس قال السدي بحمد ربك اي بامر ربك السادس ان تكون البا زايدة والتقدير سبح حمد ربك اي طهر محامد ربك عن الريا والسمعة او اختر له اطهر المحامد وازكاها واحسنها وات بالتسبيح بدلا عن الحمد الواجب عليك لان الحمد انما يجب في مقابلة النعم ونعم الله تعالى غير متناهية فحمدها لا يكون في وسع البشر فكانه تعالى يقول انت عاجز عن الحمد فات بالتسبيح والتنزيه بدلا عن الحمد السابع فيه اشارة الى ان التسبيح والحمد لا يتاتى احدهما عن الاخر ولا يمكن ان يؤتى بهما معا ونظيره من ثبت له حق الشفعة وحق الرد بالعيب وجب ان يقول اخترت الشفعة يؤدي ذلك المبيع كذا ههنا قال فسبح بحمد ربك ليقع معا فيصير حامدا مسبحا في وقت واحد معا **فان قيل** التوبة مقدمة على جميع الطاعات ثم الحمد مقدم على التسبيح لان الحمد على النعم والنعم سابقة فالاستغفار سابق ثم التسبيح **فالجواب** لعله بدا بالاشرف تنبيها على ان النزول من الخالق الى الخلق اشرف من الصعود من الخلق الى الخالق او نبه بذلك على ان التسبيح والحمد الصادرين عن العبد اذا قابلا جلال الحق وعزته استوجبا الاستغفار او لان التسبيح والحمد اشارة الى تعظيم امر الله والاستغفار اشارة الى الشفقة على خلق الله تعالى فالاول كالصلاة والثاني كالزكاة فكما ان الصلاة مقدمة على الزكاة فكذا ههنا **فان قيل** قوله تعالى كان توابا يدل على الماضي وحاجتنا الى قبوله في المستقبل وايضا هلا قال سبحانه غفارا كما قال تعالى في سورة نوح عليه السلام وايضا قال تعالى نصر الله وقال في دين الله وقال بحمد ربك ولم يقل بحمد الله **فالجواب** عن الاول ان هذا ابلغ كانه يقول اني تبت على من هو اقبح فعلا منهم كاليهود فانهم بعد ظهور المعجزات العظيمة كفلق البحر ونتق الجبل ونزول المن والسلوى عصوا ربهم واتوا بالقبايح ولما تابوا قبلت توبتهم فاذا كنت قابلا توبة اولئك ثم دونكم فلا اقبل توبتكم وانتم خير امة اخرجت للناس ولاني شرعت في توبة العصاة والشروع ملزم وهو اشارة الى تخفيف جنايتهم اي لستم اول من جنى والمعصية اذا عمت خفت او كما قيل كما احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي والجواب عن الثاني لعله خص هذه الامة بمزيد الشرف لانه لا يقال في صفات العبد غفار ويقال تواب اذا كان اتيا بالتوبة فكانه تعالى يقول كنت لي سميا من اول الامر انت مومن وانا مومن وان اختلف المعنى فصرت فتبت حتى صرت سميا في اخر الامر فانت تواب وانا تواب ثم التواب في حق الله تعالى انه يقبل التوبة كثيرا فيجب على العبد ان يكون اتيانه بالتوبة كثيرا وانه انما قال توابا لان القايل قد يقول استغفر الله وليس بتايب لقوله المستغفر بلسانه المصر بقلبه كالمستهزي **فان قيل** قد يقول اتوب وليس بتايب قلنا فاذا يكون كاذبا لان التوبة اسم للرجوع او الندم بخلاف الاستغفار فانه لا يكون كاذبا فيه فيكون تقدير الكلام واستغفره بالتوبة وفيه تنبيه على ان خواتيم الاعمال يجب ان يكون بالتوبة والاستغفار فكذا خواتيم الاعمار والجواب عن الثالث انه راعى العدل فذكر اسم الذات مرتين وذكر اسم الفعل مرتين احدهما الرب والثاني التواب فلما كانت التربية تحصل اولا والتوبة اخرا لاجرم ذكر اسم الرب اولا واسم التوبة اخرا

فصل قال ابن عمر رضي الله عنهما نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزلت اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فعاش بعدهما صلى الله عليه وسلم ثمانين يوما ثم نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم فعاش بعدها صلى الله عليه وسلم خمسة وثلاثين يوما ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها صلى الله عليه وسلم احدا وعشرين يوما وقال مقاتل سبعة ايام وقيل غير ذلك

فصل قال ابن الخطيب اتفق الصحابة رضي الله عنهم على ان هذه السورة دلت على نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم **فان قيل** كيف دلت السورة على هذا المعنى **فالجواب** من وجوه احدها قال بعضهم انما عرفوا ذلك لما روي انه صلى الله عليه وسلم خطب عقيب السورة وذكر التخيير وثانيها انه لما ذكر حصول النصر والفتح ودخول الناس في الدين افواجا دل ذلك على حصول التمام والكمال وذلك يستعقبه الزوال كما قيل اذا تم شي بدا نقصه توقع زوالا اذا قيل تم وثالثها انه تعالى امره بالتسبيح والحمد والاستغفار مطلقا واشتغاله صلى الله عليه وسلم بذلك يمنعه من الاشتغال بامر الامة فكان هذا كالتنبيه على ان امر التبليغ قد تم وكمل وذلك يوجب الموت لو بقي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لكان كالمعزول عن الرسالة وانه غير جايز ورابعها قوله تعالى واستغفره تنبيه على قرب الاجل كانه يقول قرب الاجل ودنا الرحيل فتاهب للامر ونبه به على ان سبيل العاقل اذا قرب اجله ان يستكثر من التوبة وخامسها كانه قيل كان منتهى مطلوبك في الدنيا هذا الذي وجدته وهو النصر والفتح والاستيلا والله تعالى وعدك بقوله تعالى وللاخرة خير لك من الاولى فلما وجدت اقصى مرادك في الدنيا فانتقل الى الاخرة لتفوز بتلك السعادات العالية روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا

سورة النصر كانما شهد مع محمد عليه السلام فتح مكة والله تعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا

قوله تعالى تبت يدا ابي لهب وتب اي خسرت وتقدم تفسير هذه المادة في سورة غافر عند قوله الا في تباب واسند الفعل الى اليدين مجازا لان اكثر الافعال تزاول بهما وان كان المراد جملة المدعو عليه وقوله تبت دعاء وتب اخبار اي قد وقع ما دعي به عليه كقول الشاعر

جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

وتؤيده قراءة عبد الله وقد تب والظاهر ان كليهما دعاء ويكون في هذا شبه من مجيء العام بعد الخاص لان اليدين بعض وان كان حقيقة اليدين غير مراد وقيل كلاهما اخبار اراد بالاول هلاك عمله وبالثاني هلاك نفسه وانما عبر باليدين لان الاعمال غالبا تزاول بهما وقيل المراد باليدين نفسه وقد يعبر باليد عن النفس كقوله تعالى بما قدمت يداك اي نفسك وهذا مهيع كلام العرب يعبر ببعض الشيء عن كله يقولون اصابته يد الدهر ويد المنايا والرزايا اي اصابه كل ذلك قال الشاعر

لما اكبت يد الرزايا عليه نادى الا مجير

وقال ابن الخطيب وباليدين اما لانه كان يرمي النبي صلى الله عليه وسلم بالحجارة وقيل المراد دينه ودنياه واولاه وعقباه او المراد باحداهما المنفعة وبالاخرى دفع المضرة او لان اليمين سلاح والاخرى جنة وقيل بمعنى ماله وبنيه وتب هو بنفسه وقيل تب يعني ولده عتبة وهو الذي دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك لشدة عداوته فافترسه الاسد وقرأ العامة لهب بفتح الهاء وابن كثير باسكانها فقيل لغتان بمعنى نحو النهر والنهر والشعر والشعر والنفر والنفر والضجر والضجر وقال الزمخشري وهو من تغيير الاعلام كقوله شمس بن مالك بالضم يعني ان الاصل بفتح الشين فغيرت الى الضم ويشير بذلك لقول الشاعر

واني لمهد من ثنائي فقاصد به لابن عم الصدق شمس بن مالك

وجوز ابو حيان في شمس ان يكون منقولا من شمس الجمع من قولهم اذناب خيل شمس فلا يكون من التغيير في شيء وكني بذلك ابو لهب اما لالتهاب وجنتيه وكان مشرق الوجه احمره واما لما يؤول اليه من لهب جهنم كقولهم ابو الخير وابو الشر لصدورهما منه واما لان الكنية اغلب من الاسم او لانها انقص منه ولذلك ذكر الانبياء عليهم السلام باسمائهم دون كناهم او لقبح اسمه لان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى الكنية لان الله تعالى لم يضف العبودية في كتابه الى صنم وقيل اسمه ابو لهب كما سمي ابو سفيان وابو طالب وقال الزمخشري فان قلت لم كناه والكنية تكرمة ثم ذكر ثلاثة اجوبة اما لشهرته بكنيته واما لقبح اسمه كما تقدم واما لتجانس قوله ذات لهب لان ماله الى جهنم انتهى وهذا يقتضي ان الكنية اشرف واكمل لا انقص وهو عكس قول تقدم انفا وقرئ يدا ابو لهب بالواو في مكان الجر قال الزمخشري كما قيل علي بن ابو طالب ومعوية بن ابو سفيان لئلا يتغير منه شيء فيشكل على السامع ابن عاصم امير مكة ابنان احدهما عبد الله بالجر والاخر عبد الله بالنصب ولم يختلف القراء في قوله ذات لهب انها بالفتح والفرق انها فاصلة فلو سكنت زال التشاكل

فصل

قال قتادة تبت خسرت وقال ابن عباس خابت وقال عطاء ضلت وقال ابن جبير هلكت وقال يمان بن رئاب صفرت من كل خير وحكى الاصمعي عن ابي عمرو ابن العلاء انه لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه سمع الناس هاتفا يقول

لقد خلوك وانصرفوا فما ابوا ولا رجعوا
ولم يوفوا بنذرهم فيا تبا للذي صنعوا

فصل

روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف فقالوا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا اليه فقال صلى الله عليه وسلم يا بني فلان يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب فاجتمعوا اليه فقال عليه السلام ارايتم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك اما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة وفي رواية لما سمعت امراته ما نزل في زوجها وفيها من القرآن اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه ابو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليه اخذ الله تعالى

بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى الا ابا بكر فقالت يا ابا بكر ان صاحبك قد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله اني لشاعرة

مذمما عصينا وامره ابينا ودينه قلينا

ثم انصرفت فقال ابو بكر يا رسول الله اما تراها رأتك قال صلى الله عليه وسلم ما رأتني لقد اخذ الله تعالى بصرها عني وكانت قريش انما تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه وكان صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون لما صرف الله تعالى عني من اذى كفار قريش يسبون ويهجون مذمما وانا محمد رسول الله وحكى ابو عبد الرحمن بن زيد ان ابا لهب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماذا اعطى ان آمنت بك يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم كما يعطى المسلمون فقال ما لي عليهم فضل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واي شيء تبتغي قال تبا لهذا من دين ان اكون انا وهؤلاء سواء فانزل الله تعالى فيه تبت يدا ابي لهب وتب وحكى عبد الرحمن بن كيسان انه كان اذا وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وفد انطلق اليهم ابو لهب فيسالونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون انت اعلم به منا فيقول لهم ابو لهب انه كذاب ساحر فيرجعون عنه ولا يلقونه فاتى وفد ففعل معهم مثل ذلك فقالوا لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه فقال لهم ابو لهب انا لم نزل نعالجه فتبا له وتعسا فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتأب لذلك فنزلت هذه السورة وقيل ان ابا لهب اراد ان يرمي النبي صلى الله عليه وسلم فمنعه الله تعالى من ذلك فنزلت تبت يدا ابي لهب للمنع الذي وقع به

فصل

قال ابن الخطيب من فسر التب بالهلاك فلقوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب اي هلاك ومن فسره بالخسران فلقوله تعالى وما زادوهم غير تتبيب اي تخسير ومن فسره بالخيبة قال ابن عباس رضي الله عنه لانه كان يدفع القوم عنه صلى الله عليه وسلم بانه ساحر فينصرفون عنه قبل لقائه لانه كان شيخ القبيلة فكان له كالاب فلا يتهمونه فلما نزلت هذه السورة وسمع بها غضب واظهر العداوة الشديدة وصار متهما فلم يقبل قوله في الرسول عليه السلام بعد ذلك فكانه قد خاب سعيه ولعله انما ذكر التب لانه كان يضرب بيده على كتف الوافد عليه فيقول انصرف راشدا فانه مجنون فان المعتاد ان من يصرف انسانا يضع يده على كتفه ويدفعه عن ذلك الموضع ومن فسر التب بقوله غلبت فلانه كان يعتقد ان يده العليا وانه يخرجه من مكة ويذله ومن فسره بصفرت فلان يده خلت من كل خير

فصل

ابو لهب اسمه عبد العزى بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وامراته العوراء ام جميل اخت ابي سفيان بن حرب وكلاهما كان شديد العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم قال طارق بن عبد الله المحاربي اني بسوق ذي المجاز واذا انا بانسان يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا واذا رجل خلفه يرميه قد ادمى ساقيه وعرقوبيه ويقول انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا محمد زعم انه نبي وهذا عمه ابو لهب يزعم انه كذاب وروى عطاء عن انس رضي الله عنه قال قال ابو لهب سحركم محمد ان احدنا لياكل الجذعة ويشرب العس من اللبن ولا يشبع وان محمدا قد اشبعكم من فخذ شاة وارواكم من عس لبن قوله ما اغنى يجوز في ما النفي والاستفهام وعلى الاستفهام يكون منصوب المحل بما بعدها التقدير اي شيء اغنى المال وقدم لكونه له صدر الكلام وقوله تعالى وما كسب يجوز في ما هذه ان تكون بمعنى الذي فالعائد محذوف وان تكون مصدرية اي وكسبه وان تكون استفهامية بمعنى واي شيء كسب اي لم يكسب شيئا قاله ابو حيان فجعل الاستفهام بمعنى النفي فعلى هذا يجوز ان تكون نافية ويكون المعنى على ما ذكر وهو غير ظاهر وقرأ ابن مسعود والاعمش وما اكتسب

فصل

المعنى ما دفع عنه عذاب الله ما جمع من المال ولا ما كسب من جاه وقال مجاهد وما كسب من ولد وولد الرجل من كسبه وقال ابو الطفيل جاء بنو ابي لهب يختصمون عند ابن عباس رضي الله عنه فاقتتلوا فقام ليحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع على الفراش فغضب ابن عباس وقال اخرجوا عني الكسب الخبيث يعني ولد ابي لهب وقال صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وقال ابن عباس رضي الله عنه لما انذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيرته بالنار قال ابو لهب ان كان ما يقول ابن اخي حقا فاني افدي نفسي ومالي وولدي فنزلت ما اغنى عنه ماله وما كسب وقال الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعني كيده في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله سيصلى نارا ذات لهب قرأ العامة سيصلى بفتح الياء واسكان الصاد وتخفيف اللام اي يصلى هو بنفسه وابو حيوة وابن مقسم وعباس في اختياره قال القرطبي والاشهب العقيلي وابو السمال العدوي ومحمد ابن السميفع بضم الياء وفتح الصاد والتشديد والمعنى سيصليه الله تعالى من قوله سيصليه نارا وقرأ الحسن وعن ابي بكر عن عاصم بضم الياء وابن ابي اسحق وابو رجاء والاعمش ورواها محبوب عن اسمعيل عن ابي رضي الله عنه ومعنى ذات لهب اي ذات اشتعال وتلهب وقد تقدم القول فيه في سورة والمرسلات قوله وامراته عطف على الضمير في سيصلى سوغه الفصل بالمفعول وقيل وامراته مبتدا وحمالة الحطب خبر لها والجملة من مبتدا وخبر سيقت للاخبار بذلك قرأ العامة بالرفع على انها جملة حالية اذ المراد المضي وحمالة الحطب على هذا فيه اوجه كونها نعتا لامراته وجاز ذلك لان الاضافة حقيقية اذ المراد المضي او كونها بيانا او كونها بدلا لانها قريب من الجوامد لتمحض اضافتها او كونها خبرا لمبتدا مضمر اي هي حمالة وقرأ عباس وقرأ العامة حمالة بالرفع وعاصم بالنصب فقيل على الشتم وقد اتى بجميل من سب ام جميل قال الزمخشري وكانت تكنى ام جميل لعنها الله وقيل نصب على الحال ومرتبته على التصغير الا انها قرا بالهمزة تارة وابدالها تارة وادغمها اخرى

بمعنى انه اذا جعلناها مرفوعة بالعطف على الضمير بضعف جعلها حالا عند الجمهور من الضمير في الجار لعدمها اذا جعلناها
لا مرانه لتقدمها على العامل المعنوى واستشكل بعضهم الحالية لما تقدم من ان المراد به المضى فيتعرف بالاضافة
فكيف يكون حالا عند الجمهور ثم اجاب بان المراد الاستقبال لانه ورد انها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب
النار كما كانت تحمل الحطب في الدنيا وفي قوله تعالى حمالة الحطب قولان احدهما هو حقيقة قال قتادة كانت
تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل وقال
ابن زيد والضحاك كانت تحمل العضاه والشوك بالليل فتطرحه على طريق النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى
الله عليه وسلم يطاه كما يطا الحرير وقال مرة الهمداني كانت ام جميل لعنها الله تاتي في كل يوم بابالة من الحسك
فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمة عيية فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من
خلفها فاهلكها القول الثاني انه مجاز عن المشي بالنميمة ورمى الفتن بين الناس قال

ان بني الادرم حمالو الحطب هم الوشاة في الرضى وفي الغضب

عليهم اللعنة تترا والحرب وقال اخر من البيض لم يصطد على ظهر لامة

ولم يمش بين الحي بالحطب الرطب وجعله رطبا تنبيها على تدخينه وهو قريب من ترشيح

المجاز يعني لم يمش بالنمائم وقال سعيد بن جبير حمالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحتطب على ظهره قال
تعالى يحملون اوزارهم على ظهورهم وقرا ابن قلابة حاملة الحطب على وزن فاعلة وهي محتملة لقراءة العامة وقرا
ابن عباس حمالة للحطب بالتنوين وجر المفعول بلام زايدة تقوية للعامل كقوله تعالى فعال لما يريد وابو عمرو في
رواية وامراته باختلاس الهاء دون اشباع قوله في جيدها حبل يجوز ان يكون في جيدها خبرا لامراته وحبل
فاعلا به وان يكون حالا من امراته على كونها فاعله وحبل مرفوع به ايضا وان يكون خبرا مقدما وحبل مبتدا
مؤخرو الجملة حالية او خبر ثان والجيد العنق ويجمع على اجياد قال امرؤ القيس

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش اذا هي نصته ولا بمعطل والمسد صفة الحبل والمسد ليف المقل

وقيل الليف مطلقا وقيل الحبل شجر باليمن قال النابغة

مقذوفة بدخيس النحض بازلها له صريف صريف القعو بالمسد وقد يكون من جلود الابل

واوبارها قال ومسد امر من ايانق ليس بانياب ولا حقايق وجمع المسد امساد وقال ابو عبيدة هو حبل
يكون من صوف وقال الحسن هي حبال من شجر ينبت باليمن يسمى المسد وكانت تفتل فصل قال الضحاك
وغيره هذا في الدنيا وكانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وهي تحتطب في حبل تجعله في جيدها من ليف
فخنقها الله تعالى به فاهلكها وهو في الاخرة حبل من نار وعن ابن عباس حبل من مسد قال سلسلة ذرعها
سبعون ذراعا وهو قول مجاهد وعروة بن الزبير يدخل فيها وتخرج من اسفلها ويلوى سايرها على عنقها
وقال قتادة حبل من مسد قال قلادة من ودع وقال الحسن انما كان خرزا في عنقها وقال سعيد بن
المسيب كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات والعزى لانفقنها في عداوة محمد ويكون ذلك
عذابا في جيدها يوم القيامة وقيل ان ذلك اشارة الى الخذلان يعني انها مربوطة عن الايمان بما سبق
لها من الشقا كالمربوط في جيده بحبل من مسد والمسد الفتل يقال مسد حبله يمسده مسدا اي اجاد فتله
قال يمسد اعلى لحمه ويارمه يقول ان البقل يقوى ظهر هذا الحمار وقال ابن الخطيب وقيل المسد
يكون من الحديد وظن من ظن ان المسد لا يكون من الحديد خطا لان المسد هو المفتول سواء كان من الحديد او من
غيره ورجل ممسود اي مجدول الخلق وجارية حسنة المسد والعصب والجدل والارم وهي ممسودة
ومعصوبة ومجدولة ومارومة والمساد على فعال لغة في المساب وهو نحي السمن وسقا العسل قال كل ذلك
الجوهري قال قيل ان كان ذلك حبلها فكيف يبقى ابدا في النار فصل تضمنت هذه الايات الاخبار
عن الغيب من ثلاثة اوجه احدها الاخبار عنه بالتباب والخسار وقد كان ذلك وثانيها الاخبار عنه
بعدم الانتفاع بماله وولده وقد كان ذلك وثالثها الاخبار بانه من اهل النار وقد كان ذلك لانه مات على
الكفر هو وامراته ففي ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم فامراته خنقها الله تعالى بحبلها لعنها الله وابو
لهب رماه الله في الليالي بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال فمات واقام ثلاثة ايام لم يدفن حتى انتن
ثم ان ولده غسلوه بالماء قذفا من بعيد مخافة عدوى العدسة وكانت قريش تتقيها كما يتقى الطاعون
ثم احتملوه الى اعلى مكة فاسندوه الى جدار ثم رضموا عليه الحجارة فصل احتج اهل السنة على
تكليف ما لا يطاق بانه تعالى كلف ابا لهب بالايمان وتصديق الله تعالى في كل ما اخبر عنه ومما اخبر عنه انه
لا يؤمن وانه من اهل النار فقد صار مكلفا بانه لا يؤمن وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين وهو محال

٨٩٠

سورة الاخلاص

وذلك مذكور في اصول الفقه ذكر الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة تبت
رجوت ان لا يجمع الله تعالى بينه وبين ابي لهب في دار واحدة والله اعلم

في قول ابن مسعود والحسن وعطا وعكرمة وجابر ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي
رضي الله عنهم وهي اربع ايات وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى قل هو الله احد في هو وجهان احدهما انه ضمير عائد على ما يفهم من السياق فانه يروى في سبب
النزول انهم قالوا صف لنا ربك وانسبه وقيل قالوا له اخاس هو ام حديد فنزلت وحينئذ يجوز ان يكون الله مبتدا
واحد خبره والجملة خبر الاول ويجوز ان يكون الله بدلا واحد الخبر ويجوز ان يكون الله خبرا اول واحد خبرا ثانيا
ويجوز ان يكون احد خبر المبتدا المحذوف اي هو احد والثاني ضمير الشان لانه موضع تعظيم الجملة بعده خبره مفسرة
وهمزة احد بدل من واو لانه من الوحدة وابدال الهمزة من الواو المفتوحة قليل منه امراة اناة من الونى
وهو الفتور وتقدم الفرق بين احد هذا واحد المراد به العموم فان همزة ذلك اصل بنفسها ونقل ابو البقا
ان احد هذا غير مقلوبة بل اصل بنفسها كالمراد به العموم والاول هو المعروف وفرق ثعلب بين واحد
وبين احد بان الواحد يدخله العدد والجمع والاثنان واحد لا يدخله ذلك ويقال الله احد ولا يقال زيد احد
لان الله تعالى هذه الخصوصية وزيد له حالات شتى ورد عليه ابو حيان بانه يقال احد وعشرون ونحوه
فقد دخله العدد انتهى وقال مكي ان احدا اصله واحد فابدلت الواو همزة فاجتمع الفان لان الهمزة تشبه
الالف فحذفت احداهما تخفيفا وقرا عبد الله وابي الله احد دون قل وقرا النبي صلى الله عليه وسلم احد بغير قل هو
وقرا الاعمش قل هو الله الواحد وقرا العامة بتنوين احد وهو الاصل وزيد بن علي وابان بن عثمان وابن ابي
اسحق والحسن وابو السمال وابو عمرو في رواية في عدد كثير بحذف التنوين للخفة ولالتقاء الساكنين كقوله

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف وقوله

ولا ذاكر الله الا قليلا قوله الصمد الذي يصمد اليه في الحاجات والصمد فعل
بمعنى مفعول كالقبض والنقض وهو السيد الذي يصمد اليه اي يقصد في الحوائج ولا يقضى على قضائها الا
هو والسيد

الا بكر الناعي بخير بني اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد وقال اخر

علوته بحسام ثم قلت له خذها حريث فانت السيد الصمد وقيل الصمد الذي لا جوف له

ومنه قوله شهاب حروب لا تزال جياده عوابس يعلكن الشكيم المصمدا وقال ابي بن كعب رضي الله عنه
تفسيره ما بعده من قوله تعالى لم يلد ولم يولد وهذا يشبه ما قالوه من تفسير الهلوع والاحسن في هذه الجملة
ان تكون مستقلة بفايدة هذا الخبر ويجوز ان يكون الصمد صفة والخبر في الجملة بعده كذا قيل وهو ضعيف من حيث
السياق فان السياق يقتضي الاستقلال باخبار كل جملة قال القرطبي لانه ليس كل شي يولد الا يموت وليس شي يموت
الا يورث وقيل الصمد الدايم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقال ابو هريرة رضي الله عنه انه المستغني عن كل
احد والمحتاج اليه كل احد وقال السدي انه المقصود في الرغبات والمستغاث به في المصايب وقال الحسين بن
الفضل انه الذي يفعل ما يشا ويحكم ما يريد وقال مقاتل انه الكامل الذي لا عيب فيه قال القرطبي والصحيح من
هذه الاقوال ما شهد له الاشتقاق وهو القول الاول ذكره الخطابي فصل قال ابن الخطيب ونكر لفظ احد
لان الذي يعرفه الخلق من الموجودات محسوس وكل محسوس منقسم فاما ما لا ينقسم فلا يعرف وعرف الصمد
لانه الذي يقصد في الحوائج وذلك معلوم عند الخلق وقدم لم يلد وان كان العرف سبق المولودية لانه الاهم
لقولهم ولد الله وقوله تعالى ولم يولد كالحجة على انه لم يلد وجاهنا لم يلد وفي سورة الاسرا لم يتخذ ولدا
لان من النصارى من يقول عيسى ولد الله حقيقة ومنهم من يقول ان الله اتخذه ولدا تشريفا فنفي الامرين في
فصل قال القرطبي وقد اسقط من هذه السورة من ابعده الله واخزاه وقرا الله الواحد الصمد
الصلاة والناس يسمعون فاسقط قل هو وزعم انه ليس من القران وغير لفظ احد وادعى ان هذا هو الصواب
والذي عليه الناس هو الباطل فابطل معنى الاية لان اهل التفسير قالوا نزلت جوابا لاهل الشرك لما قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك امن ذهب ام من نحاس ام من حديد فقال الله تعالى ردا عليهم قل هو
الله احد ففي قوله تعالى هو دلالة على موضع الرد ومكان الجواب فاذا اسقط بطل معنى الاية وصح الافترا على الله
تعالى والتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان المشركين

قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله تعالى قل هو الله احد الله الصمد والصمد الذى لم يلد ولم يولد
لانه ليس شىء يولد الا سيموت وليس شىء يموت الا يورث وان الله تعالى لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا احد قال لم يكن له
شبه ولا عدل ليس كمثله شىء ۔ وروى ابو العالية ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم فقالوا انسب لنا ربك فاتاه
جبريل عليه السلام بهذه السورة قل هو الله احد قال الترمذى وهذا اصح ۔ قال القرطبى ففى هذا الحديث اثبات
لفظ قل هو الله احد ۔ وعن عكرمة نحوه ۔ وقال ابن عباس لم يلد كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسى وعزير
وهو رد على النصارى وعلى من قال عزير ابن الله ولم يكن له كفوا احد ولم يكن له مثلا وجه تقديره ولم يكن
له كفوا احد **فصل** قال ابن الخطيب دل العقل على استحالة كونه ... او اخر الاى
له كفوا احد كفوا مقدم خبر كان على اسمها المتاخر ... او ذكر بما بعدهما كما ذكر النتيجة
تعالى ولدا والدا والاحدية والصمدية ... ابو حيان نفى كونه تعالى والدا او مولودا او ذكر يتعلق بالخبر
بعد الدليل **قوله** ولم يكن له كفوا احد ۔ فى نصب كفوا وجهان ۔ احدهما انه خبر يكن واحدا اسمها وله متعلق بالخبر
اى ولم يكن كفوا له كما تقدم ۔ وقد رد المبرد على سيبويه بهذه الاية من حيث انه يزعم انه اذا تقدم الظرف كان
هو الخبر وههنا لم يجعله خبرا مع تقدمه ۔ وقد رد على المبرد بوجهين ۔ احدهما ان سيبويه لم يحتم ذلك بل جوزه ۔ والثانى
انا لا نسلم ان الظرف هنا ليس بخبر وهو خبر ونصب كفوا على الحال على ما سياتى بيانه ۔ وقال الزمخشرى الكلام العربى الفصيح
ان يوخر الظرف الذى هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه فى كتابه على ذلك فما باله مقدما فى افصح كلام
واعربه ۔ قلت هذا الكلام انما سيق لنفى المكافاة عن ذات البارى وهذا المعنى [illegible] هو الظرف
فكان لذلك اهم شىء واعناه واحقه بالتقدم واحراه ۔ والثانى ان ينتصب على الحال من احدا لانه كان صفته
فلما تقدم عليه نصب حالا وله هو الخبر قاله مكى وابو البقاء وغيرهما ۔ ويجوز ان يكون حالا من الضمير المستكن
فى الجار لوقوعه خبرا ۔ قال ابو حيان بعد ان حكى كلام الزمخشرى ومكى وهذه الجملة ليست من هذا الباب وذلك
ان قوله تعالى لم يكن له كفوا احد ليس الجار والمجرور فيه تاما انما هو ناقص لا يصلح ان يكون خبرا لكان بل هو متعلق
بكفوا وتقدم على كفوا للاهتمام به اذ فيه ضمير البارى تعالى وتوسط الخبر وان كان الاصل التاخير لان تاخير
الاسم هو فاصلة تحسن ذلك وعلى هذا الذى قررناه يبطل اعراب مكى وغيره ان له الخبر وكفوا حال من احد
لانه ظرف ناقص ولا يصلح ان يكون خبرا ۔ وبذلك يبطل سؤال الزمخشرى وجوابه وسيبويه انما تكلم فى الظرف
الذى يصلح ان يكون خبرا وان لا يكون ۔ قال سيبويه وتقول ما كان فيها احد خير منك وما كان مثلك
فيها احد وليس احد فيها خير منك اذا جعلت مستقرا او لم تجعله على قولك فيها زيد قائم اجريت الصفة على الاسم
فان جعلته على فيها زيد قائم نصبت فتقول ما كان فيها احد خيرا منك وما كان احد خيرا منك فيها الا انك اذا اردت
الالغاء فكلما اخرت الملغى فهو احسن واذا اردت ان يكون مستقرا فكلما قدمته كان احسن والتقديم والتاخير
والالغاء والاستقرار عربى جيد كثير قال تعالى ولم يكن له كفوا احد ۔ وقال ۔ ما دام فيهن فصيل حيا ۔ انتهى
كلام سيبويه ۔ قال ابو حيان فانت ترى كلامه وتمثيله بالظرف الذى لا يصلح ان يكون خبرا ۔ ومعنى قوله
مستقرا اى خبرا للمبتدا او لكان ۔ قال قلت قد مثل بالاية ۔ قلت هذا الذى اوقع مكيا والزمخشرى وغيرهما
فيما وقعوا فيه وانما اراد سيبويه ان الظرف التام وهو فى قوله ۔ ما دام فيهن فصيل حيا ۔ اجرى فصيل فضله
لا خبرا كما ان له فى الاية اجرى فضله فجعل الظرف القابل ان يكون خبرا كالظرف الناقص فى كونه لم يستعمل خبرا
ولا يشك من له ذهن صحيح انه لا ينعقد كلام من له احد بل لو تاخر كفوا وارتفع على الصفة وقد جعل له خبرا لم
ينعقد منه كلام بل انت ترى ان النفى لم يتسلط الا على الخبر الذى هو كفوا والمعنى لم يكن له احد مكافيه
انتهى ما قاله ابو حيان ۔ قال شهاب الدين قوله ولا يشك الى اخره تهويل على الناظر والا فقوله هذا الظرف
ناقص ممنوع لان الظرف الناقص عبارة عما لم يكن فى الاخبار به فائدة كالمقطوع عن الاضافة ونحو فى دار رجل
وقد نقل سيبويه الامثلة المتقدمة نحو ما كان فيها احد خير امنك وما الفرق بين هذا وبين الاية الكريمة
وكيف يقول هذا ۔ وقد قال سيبويه فى اخر كلامه والتقديم والتاخير والالغاء والاستقرار عربى جيد
كثير **فصل** قرا العامة كفوا بضم الكاف والفاء وسهل الهمزة الاعرج وسيبويه ونافع فى رواية ۔ واسكن
الفاء حمزة وابدل الهمزة واوا وقفا خاصة وابدلها حفص واوا مطلقا والباقون بالهمزة مطلقا ۔ قال القرطبى وتقدم
فى البقرة ان كل اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم فانه يجوز فى عينه الضم والاسكان الا قوله تعالى اتخذنا
هزوا ۔ وقرا سليمان بن على بن عبد الله بن عباس كفا بالكسر والمد اى لا مثل له ۔ وانشد النابغة ۔
لا تقذفنى بركن لا كفاء له ۔ وقرا نافع فى رواية كفا بالكسر وفتح الفاء من غير مد كانه نقل حركة الهمزة وحذفها
والكفو النظير تقول هذا كفوك اى نظيرك ۔ والاسم الكفاءة بالفتح ۔ قال ابن الخطيب والتحقيق انه تعالى
لما اثبت الاحدية والصمدية ونفى الوالدية والمولودية ختم السورة بان شيئا من الموجودات يمتنع ان

يساويه فى شىء من صفات الجلال والعظمة لانفراده سبحانه وتعالى بوجوب الوجود **فصل** روى ابو هريرة رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى كذبنى ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك
فاما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدانى وليس اول الخلق باهون على من اعادته ۔ واما شتمه اياى فقوله اتخذ
الله ولدا وانا الاحد الصمد لم الد ولم اولد ولم يكن لى كفوا احد **فصل** فى فضائل هذه السورة ۔ روى البخارى
عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رجلا سمع رجلا يقرا قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جاء النبى صلى الله عليه وسلم
فذكر ذلك له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انها لتعدل ثلث القران لان القران انزل اثلاثا
ثلثا احكام ۔ وثلثا وعد ووعيد ۔ وثلثا اسماء وصفات ۔ وجمعت هذه السورة احد الاثلاث وهو الاسماء والصفات
وقيل لان اسم الصفة لا يوجد فى غيرها من القران ۔ وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه
وسلم بعث رجلا على سرية فكان يقرا فى صلاتهم فيختم بقل هو الله احد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال سلوه لاى شىء يصنع ذلك فسالوه فقال لانها صفة الرحمن عز وجل فانا احب ان اقراها فقال
النبى صلى الله عليه وسلم اخبروه ان الله تعالى يحبه ۔ وروى الترمذى عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت فقلت ما وجبت
قال الجنة ۔ وروى انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله احد خمسين مرة
غفرت ذنوبه ۔ وروى سعيد بن المسيب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا قل هو الله احد
[illegible] له قصرا فى الجنة ومن قراها عشرين مرة بنى الله له قصرين فى الجنة ومن قراها ثلاثين مرة
بنى الله له ثلاث قصور فى الجنة فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذن يكثر قصورنا فقال عليه الصلاة والسلام
الله اوسع من ذلك ۔ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله احد فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره
وامن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة باكفها حتى تجيزه من الصراط الى الجنة **فصل** فى اسمائها ۔ قال
ابن الخطيب ۔ سورة التفريد ۔ وسورة التجريد ۔ وسورة التوحيد ۔ وسورة الاخلاص ۔ وسورة النجاة ۔ وسورة الولاية
وسورة النسبة لقولهم انسب لنا ربك ۔ وسورة المعرفة ۔ وسورة الجمال ۔ وسورة البراءة لانها تبرئ من النفاق ۔ وسورة
الاساس ۔ وسورة المحضرة لان الملائكة تحضر لسماعها ۔ وسورة المانعة ۔ والمنفرة لانها تنفر الشيطان ۔ وسورة النور
لانها تنور القلب والله نور السموات والارض والله تعالى اعلم

[illegible]

فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ۔ ومدنية فى قول ابن عباس وقتادة ۔ وهى خمس ايات ۔ وثلاثة وعشرون كلمة
واربعة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** قل اعوذ برب الفلق ۔ هذه السورة وسورة
الناس والاخلاص نزلن على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سحرته اليهودية ۔ وقيل ان المعوذتين كان يقال لهما
المقشقشتان اى تبرئان من النفاق ۔ وزعم ابن مسعود رضى الله عنه انهما دعاء يتعوذ به وليستا من القران وخالف به الاجماع
من الصحابة واهل البيت ۔ قال ابن قتيبة لم يكتب عبد الله بن مسعود فى مصحفه المعوذتين لانه كان يسمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما بهما فقدر انهما بمنزلة اعيذكما بكلمات الله التامة من كل
شيطان وهامة ۔ ومن كل عين لامة ۔ قال ابن الانبارى وهذا مردود على ابن قتيبة لان المعوذتين من كلام رب
العالمين المعجز لجميع المخلوقين واعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة قول البشر وكلام الخالق الذى هو اية
ومعجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم على جميع الكافرين لا يلتبس بكلام الادميين على مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان
العالم باللغة العارف باجناس الكلام ۔ وقال بعض الناس لم يكتب عبد الله المعوذتين لانه امن عليهما من النسيان فاسقطهما
وهو يحفظهما كما اسقط فاتحة الكتاب من مصحفه وما يشك فى حفظه واتقانه لهما فرد هذا القول على قائله ۔ واحتج
عليه بانه قد كتب اذا جاء نصر الله والفتح وانا اعطيناك الكوثر وقل هو الله احد وهن يجرين مجرى المعوذتين فى انهن
غير طوال والحفظ لهن اسرع والنسيان مامون وكلهن يخالف فاتحة الكتاب اذ الصلاة لا تتم الا بقراءتها وسبيل
كل ركعة ان تكون المقدمة فيها قبل ما يقرا بعدها فاسقاط فاتحة الكتاب من المصحف على معنى الثقة ببقاء حفظها
والامن من نسيانها صحيح وليس من السور ما يجرى فى هذا المعنى مجراها ولا يسلك به طريقها **فصل** تقدم
الكلام فى الاستعاذة ۔ والفلق هو الصبح وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض اى مقبوض ۔ وفى الحديث الرؤيا مثل فلق
الصبح ۔ قال الشاعر ۔ يا ليلة لم انمها بت مرتقبا ۔ ارعى النجوم الى ان نور الفلق ۔ وقال ذو الرمة ۔
حتى اذا ما انجلى عن وجهه فلق ۔ هاديه فى اخريات الليل منتصب ۔ [illegible]

سورة الفلق

الملائكة

بالفلق هنا الصبح بعينه، وقيل هو جب في جهنم، وقيل المطمئن من الارض وجمعه فلقان مثل خلق وخلقان وربما قالوا للذي يفالق كذا وكذا يريدون المكان المنحدر بين الربوتين، وقيل الفلق الجبال والصخور تنفلق بالمياه اي تتشقق، وقيل هو التفليق بين الجبال لانها تنشق من خوف الله تعالى، قال زهير:

ما زلت ارمقهم حتى اذا هبطت ، ايدي الركاب بهم من راكس فلقا

الراكس بطن الوادي، وكذلك هو في قول النابغة ، ودوني راكس فالضواجع ، والراكس ايضا الهادي وهو الثور وسط البيدر يدور عليه الثيران في الدياسة، وقيل الفلق الرحم ينفلق بالحيوان، وقيل انه كلما انفلق عن جميع ما خلق الله من الحيوان كله قال:

وسوس يدعو مخلصا رب الفلق سرا ، وقد اذن باد من عقره ذهب

والفلق مثله، قال القرطبي وهذا قول يشهد له الاشتقاق فان الفلق الشق فلقت الشيء فلقا شققته، والتفليق مثله يقال فلقته فانفلق وتفلق فكلما انفلق عن شيء من حيوان وصبح وحب ونوى فهو فلق، قال تعالى فالق الاصباح، وقال عز وجل فالق الحب والنوى، والفلق ايضا مقطرة السجان، فاما الفلق بكسر اللام فالداهية والامر العجب يقال منه افلق الرجل وافتلق وشاعر مفلق وقد جاء بالفلق، قال الشاعر:

واعجبا من هذه الفليقه ، هل يذهبن القوبا الريقه

والفلق ايضا القضيب يشق باثنين فيعمل منه قوسان يقال لكل منهما فلق، وقولهم جاء بعلق فلق وهي الداهية لا يجرى يقال منه اعلقت وافلقت اي جئت بعلق فلق، ومر يفتلق في عدوه اي يأتي بالعجب من شدته. **قوله** من شر ما خلق متعلق باعوذ، والعامة على اضافة شر الى ما، وقرا عمرو بن فايد ... وقا[ل] وبعض المعتزلة الذين يرون ان الله تعالى لم يخلق الشر من شر بالتنوين ما خلق على النفي وهي قراءة مردودة مبنية على مذهب باطل انتهى، ولا يتعين ان تكون ما نافية بل يجوز ان تكون موصولة بدلا من شر على حذف مضاف اي من شر شر ما خلق عمم اولا ثم خصص ثانيا، وقال ابو البقاء وما على هذا بدل من شر او زائدة، ولا يجوز ان تكون نافية لان النافية لا يتقدم عليها ما في حيزها فلذلك لم يجز ان يكون التقدير ما خلق من شر ثم هو فاسد المعنى وهو رد حسن صناعي، ولا يقال ان من شر متعلق باعوذ وحذف مفعول خلق لانه خلاف الاصل، وقد انحى على هذا القائل ورده بما تقدم، وما مصدرية او بمعنى الذي.

فصل روى عطاء عن ابن عباس يريد ابليس خاصة لان الله تعالى لم يخلق اشر منه وان السورة انما نزلت في الاستعاذة من السحر وذلك انما يتم بابليس وجنوده لعنهم الله، وقيل جهنم وما خلق فيها، وقيل عام اي من شر كل ذي شر خلقه الله، وقيل ما خلق الله من الامراض والاسقام والقحط وانواع المحن، قال الجبائي والقاضي هذا التقييد باطل لان فعل الله تعالى لا يجوز ان يوصف بكونه شرا لان الذي امر بالتعوذ منه هو الذي امر به وذلك متناقض، ولان افعاله تعالى كلها حكمة وصواب فلا يجوز ان يقال انها شر، وايضا فلان فعل الله تعالى لو كان شرا لوصف فاعله بانه شرير تعالى الله عن ذلك، والجواب عن الاول انه لا امتناع في قوله اعوذ بك منك كما ورد، وعن الثاني ان الانسان لما تالم وصف بالالم شرا كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها، وقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم، وعن الثالث ان اسماء الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية، ومما يدل على جواز تسمية الامراض والاسقام بانها شرور قوله تعالى اذا مسه الشر جزوعا.

قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب، الغاسق اذا منصوب باعوذ اي اعوذ بالله من هذا في وقت كذا وكذا، قيل الليل والغسق هو اول ظلمة الليل يقال منه غسق الليل يغسق اي يظلم، قال قيس بن الرقيات:

ان هذا الليل قد غسقا ، واشتكيت الهم والارقا

وهذا قول ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم، ووقب على هذا اظلم، وقال قتادة ذهب، وقال يمان بن رئاب سكن، وقيل دخل، ووقب العذاب على الكافر نزل، قال:

وقب العذاب عليهم فكانهم ، لحقتهم نار السموم فاحصدوا

وقال الزجاج قيل الليل غاسق لانه ابرد من النهار والغاسق البارد والغسق البرد، ولان في الليل تخرج السباع من اجامها والهوام من اماكنها وينبعث اهل الشر على العبث والفساد فاستعيذ من الليل، قال الشاعر:

يا طيف هند لقد ابقيت لي ارقا ، اذ جئتنا طارقا والليل قد غسقا

اي اظلم واعتكر، وقيل الغاسق الثريا لانها اذا سقطت كثرت الاسقام والطواعين واذا طلعت ارتفع ذلك قاله عبد الرحمن بن زيد، وقال ابن شهاب هو الشمس اذا غربت، وقال القتبي هو القمر اذا وقب اذا دخل في ساهوره وهو كالغلاف اي اذا خسف به، وكل شيء اسود فهو غسق، قال قتادة اذا وقب اذا غاب، قال القرطبي وهو اصحها لما روى الترمذي عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عايشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب حديث صحيح، وقيل الغاسق الحية اذا لدغت وكان الغاسق نابها

لان السم يغسق منه اي يسيل يقال غسقت العين تغسق غسقا اذا سالت بالماء، وسمي الليل غاسقا لانصباب ظلامه على الارض، ووقب نابها اذا دخل في اللديغ، وقيل الغاسق كل هاجم يضر كائنا ما كان من قولهم غسقت القرحة اذا جرى صديدها، قال ابن الخطيب وعندي فيه وجه اخر انه صح ان القمر في جرمه غير مستنير بل هو مظلم فهذا هو المراد من كونه غاسقا، واما وقوبه فهو انمحاقه في اخر الشهر، والمنجمون يقولون انه في اخر الشهر منحوس قليل القوة لانه لا يزال نوره ينتقص بسبب ذلك يزداد نحوسة، فان السحرة انما يشتغلون بالسحر المورث للتمريض في هذا الوقت وهذا مناسبة لسبب نزول السورة فانها نزلت لاجل انهم سحروا النبي صلى الله عليه وسلم للتمريض.

قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد، النفاثات جمع نفاثة مثال مبالغة من نفث اي نفخ، واختلف فيه فقال ابو الفضل شبه النفخ من الفم بالرقية ولا شيء معه فاذا كان بريق فهو التفل، وانشد عنترة:

فان يبرا فلم انفث عليه ، وان يفقد فحق له الفقود

وقال الزمخشري نفخ بريق معه، وقرا الحسن النفاثات بضم النون وهو اسم كالنفاخة، ويعقوب وعبد الرحمن بن سابط وعيسى بن عمرو وعبد الله بن القاسم النافثات وهي محتملة لقراءة العامة، والحسن ايضا وابو الربيع والنفثات دون الف كحاذر وحذر، ونكر غاسق وحاسد لانه قد يتخلف الضرر فيهما فالتنكير للتبعيض، وعرف النفاثات اما للعهد كما يروى في التفسير واما للمبالغة في الشر.

فصل قال المفسرون يعني الساحرات اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها، قال ابو عبيدة النفاثات من بنات لبيد بن الاعصم اليهودي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم، شبه النفخ كما يفعل من يرقي، قال الشاعر:

اعوذ بربي من النافثات ، ومن عضه العاضه المعضه

وقال تميم بن نويرة:

نفثت في الخيط شبه الرقى ، من خشية الجن والحاسد

فصل روى النسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد اشرك، ومن تعلق شيئا وكل اليه، واختلف في النفث عند الرقى فمنعه قوم واجازه اخرون، قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد، وقال ابراهيم كانوا يكرهون النفث من الراقي، والصحيح الجواز فان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث في الرقية، وروى محمد بن حاطب ان يده احترقت فاتت به النبي صلى الله عليه وسلم فجعل ينفث عليها ويتكلم بكلام زعم انه لم يحفظه، وروي ان قوما لدغ رجل منهم فاتوا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هل فيكم من راق فقالوا لا حتى تجعلوا لنا شيئا فجعلوا لهم قطيعا من الغنم فجعل رجل منهم يقرا فاتحة الكتاب ويرقي ويتفل حتى برئ فاخذوا الغنم ورجعوا فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم انها رقية خذوا واضربوا لي معكم بسهم، واما ما روي عن عكرمة فكانه ذهب فيه الى ان النفث في العقد مما يستعاذ منه بخلاف النفث بلا عقد، قال ابن الخطيب هذه الصناعة انما تعرف بالنساء لانهن يعقدن في الخيط وينفثن وذلك لان الاصل الاعظم ربط القلب بذلك الامر واحكام الهمة والوهم فيه وذلك انما يتاتى من النساء القليلة علمهن وشدة شهوتهن فلا جرم كان هذا العمل منهن اقوى.

قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد، قد تقدم في معنى الحسد وانه تمني زوال نعمة المحسود وان لم يصر للحاسد مثلها، والمنافسة وهي تمني مثلها وان لم تزل عن المحسود وهي الغبطة، فالحسد شر مذموم والمنافسة مباحة، قال صلى الله عليه وسلم المؤمن يغبط والمنافق يحسد، وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين يريد الغبطة، قال ابن عباس وعايشة رضي الله عنهما كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنت اليه اليهود فلم يزالوا حتى اخذ مشاطة راس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة اسنان من مشطه فاعطاه اليهود فسحروه فيها صلى الله عليه وسلم وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود.

فصل هذه السورة دالة على ان الله تعالى خلق كل شر وامر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يتعوذ من جميع الشرور فقال عز وجل من شر ما خلق، وجعل خاتمة ذلك الحسد تنبيها على عظمه وكثرة ضرره، والحاسد عدو نعمة الله تعالى، قال بعض الحكماء الحاسد بارز ربه من خمسة اوجه، احدها انه ابغض كل نعمة ظهرت على غيره، وثانيها انه ساخط لقسمة ربه كانه يقول لم قسمت لي هذه القسمة، وثالثها انه ضاد فعل الله تعالى اي ان فضل الله يؤتيه من يشاء وهو يبخل بفضل الله، ورابعها انه خذل اولياء الله تعالى او يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم، وخامسها انه اعان عدوه الله ابليس، وقيل الحاسد لا ينال في المجالس الا ندامة ولا ينال عند الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال في الخلوة الا جزعا ولا ينال في الاخرة الا حزنا واحتراقا ولا ينال من الله العظيم الا بعدا ومقتا، وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يستجاب دعاؤهم اكل الحرام ومكثر الغيبة ومن كان في قلبه غل او حسد للمسلمين، روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا المعوذتين فكانما قرا الكتب التي انزلها الله تعالى كلها، وعن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبرك بافضل ما تعوذ به المعوذون قلت بلى يا رسول الله قال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس، والله تعالى اعلم.

سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

وهي ست ايات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا قل اعوذ بخلاف الهمزة ونقلها الى اللام ونظيره فحدث اربعة واجمع القرا على ترك الامالة
قل اعوذ برب الناس قرى قل اعوذ بخلاف الهمزة ونقلها الى اللام ونظيره فخذ اربعة واجمع القرا على ترك الامالة ومعنى رب الناس اى مالكهم ومصلح
في الناس وروى عن الكسائى الامالة في الناس اذا كان في موضع الخفض ومعنى رب الناس اى مالكهم ومصلح امورهم وانما ذكر لفظ رب الناس وان كان ربا لجميع الخلق لامرين احدهما لان الناس معظمون فاعلم بذكرهم
انه رب لهم وان عظموا والثانى لانه امر بالاستعاذة من شرهم فاعلم بذكرهم انه هو الذى يعيذ منهم وفي
الناس ملوك فذكر تعالى انه ملكهم وفي الناس من يعبد غيره فذكر انه الههم ومعبودهم قوله تعالى ملك الناس
قال سبحانه ملك الناس اله الناس لان في الناس ملوكا والعظما دون الملوك وانه الذى يجب ان يستعاذ به ويلجا اليه دون الملوك والعظما
انه الههم ومعبودهم وانه الذى يجب ان يستعاذ به ويلجا اليه دون الملوك والعظما قال الزمخشرى
اله الناس يجوز ان يكونا وصفين لرب الناس وان يكونا بدلين وان يكونا عطف بيان كقولك سيرة ابى حفص عمر الفاروق
قال قلت ملك الناس اله الناس ما هما من رب الناس قلت عطف بيان لقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
الذى يملك الناس ثم زيد بيانا لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله وقد يقال ملك الناس ثم الملك قد يكون الها وقد لا يكون فلاجرم بينه بقوله تعالى اله الناس لان
من دون الله وقد يقال ملك الناس ثم الملك قد يكون الها وقد لا يكون فلاجرم بينه بقوله تعالى اله الناس لانه خاص لا شركة فيه
اله الناس خاص لا شركة فيه فجعل غاية البيان واعترض ابو حيان بان البيان بالجوامد ويجاب عنه بان هذا
جار مجرى الجوامد ولا تقدم في الرحمن الرحيم اول الفاتحة تقريره وقال الزمخشرى فان قلت لم قيل برب
الناس مضافا اليهم خاصة قلت لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكانه قيل اعوذ من
شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك امرهم ثم قال فان قلت فهلا اكتفى باظهار المضاف اليه مرة واحدة
قلت لان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار فلهذا كرر لفظ الناس لان عطف البيان يحتاج الى مزيد
الاظهار ولان التكرير يقتضى مزيد شرف الناس وانهم اشرف مخلوقاته وقال ابن الخطيب وانما بدا بذكر الرب
تعالى وهو اسم لمن قام بتدبيره واصلاحه من اوائل نعمه الى ان رباه واعطاه العقل فحينئذ عرف بالدليل
انه مملوك وهو ملك فثنى بذكر الملك ثم لما علم ان العبادة لازمة له وعرف انه معبود مستحق لتلك العبادة
عرفه بانه اله فلهذا ختم به قال ابن الخطيب ولم يقرا في المشهور هنا مالك بالالف كما قرى به في الفاتحة
لان معنى المالك هو الرب فيلزم التكرار وقرى به في الفاتحة لاختلاف المضاف فيه فلا تكرار قوله تعالى
من شر الوسواس قال الزمخشرى اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر
كالزلزال والمراد به الشيطان سمى بالمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها صنعته وشغله الذى هو عاكف عليه
اشتهى وقد مضى الكلام معه في ان المكسور مصدر والمفتوح اسم في الزلزلة فليراجع والوسوسة حديث
النفس يقال وسوست اليه نفسه وسوسة ووسواسا بكسر الواو قاله القرطبى ويقال لهمس الصائد
واصوات الكلاب والحلى وسواس قال ذو الرمة وقال الاعشى
فبات يسهره ناد ويسهره تذوب الريح والوسواس والغضب
تسمع للحلى وسواسا اذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل قوله تعالى الخناس اى
الرجاع لانه اذا ذكر الله تعالى خنس وهو مثال مبالغة من الخنوس قال القرطبى ووصف بالخناس لانه كثير
الاختفا ومنه قوله تعالى فلا اقسم بالخنس يعنى النجوم لاختفائها بعد ظهورها وقيل لانه يخنس اذا ذكر الله تعالى
اى يتاخر وفي الخبر ان الشيطان جاثم على قلب ابن ادم فاذا غفل وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس اى تاخر
خنسته فخنس اى اخرته فتاخر واخنسته ايضا وتقدم الكلام على هذه المادة في سورة اذا الشمس كورت
فصل الذى يوسوس يجوز جره نعتا او بدلا او بيانا والجر بانه يجرى الجوامد ونصبه ورفعه على القطع
قوله تعالى الذى يوسوس في صدور الناس قال مقاتل ان الشيطان في صورة خنزير يجرى من ابن ادم مجرى الدم في عروقه سلطه الله على ذلك فذلك قوله
تعالى الذى يوسوس في صدور الناس وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن ادم مجرى الدم رواه
البخارى ومسلم قال القرطبى ووسوسته هو الدعا الى طاعته حتى يصل مفهومه الى القلب من غير سماع صوت
قوله تعالى من الجنة فيه اوجه احدها انه بدل من شر باعادة العامل اى من شر الجنة الثانى انه بدل
من ذى الوسواس لان الموسوس من الجن والانس الثالث انه حال من الضمير في يوسوس حال من كونه من بعض
الجنة الرابع انه بدل من الناس وجعل من تبعيضا واطلق على الجن اسم الناس لانهم يتحركون في مرادهم

ابو البقا الا ان الزمخشرى ابطله فقال بعد ان حكاه واستدلوا بنفر ورجال وما احقه لان الجن سموا جنا لاجتنانهم
والناس ناسا لظهورهم من الايناس وهو الابصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح وثبت لم يكن
مناسبا لفصاحة القران وبعده من التصنع واجود منه ان يراد بالناس الناسى لقوله يوم يدع الداع وكما قرى من
حيث افاض الناسى ثم بين بالجنة والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله تعالى يعنى اجتزا
بالكسرة عن اليا والمراد اسم الفاعل وتقدم تحقيق هذا في البقرة الخامس انه بيان للذى يوسوس على ان الشيطان
ضربان جنى وانسى كما قال شياطين الجن والانس وعن ابى ذر انه قال لرجل هل استعذت من شياطين الانس
السادس ان يتعلق بيوسوس ومن لابتدا الغاية اى يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الانس السابع
ان والناس عطف على الوسواس اى من شر الوسواس والناس ولا يجوز عطفه على الجنة لان الناس لا يوسوسون في
صدور الناس انما يوسوس الجن فلما استحال المعنى حمل على العطف على الوسواس قاله مكى وفيه بعد كبير للتنافر الحاصل وقد
تقدم ان الناس يوسوسون ايضا بمعنى يليق بهم الثامن ان من الجنة حال من الناس اى كائنين من القبيلين
قاله ابو البقا ولم يبين اى الناس المتقدم انه صاحب الحال وعلى كل تقدير فلا يصح معنى الحالية في شى منها الاول
ولا ما بعده ثم قال وقيل هو معطوف على الجنة يريد والناس الاخير معطوف على الجنة وهذا الكلام يستدعى تقدير
شى قبله وهو ان يكون الناس عطفا على غير الجنة وفي الجملة فهو كلام يتسامح فيه فصل قال الحسن هما
شيطانان لنا اما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس واما شيطان الانس فياتى علانية وقال قتادة ان من
الجن شياطين وان من الانس شياطين فنعوذ بالله من شياطين الجن والانس وعن ابى ذر انه قال لرجل هل تعوذت بالله
من شياطين الانس فقال او من الانس شياطين قال نعم لقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن
فنعوذ بالله من شياطين الجن والانس وذهب قوم ان المراد بالناس هنا الجن سموا بذلك ناسا كما سموا رجالا في
قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وكما سموا نفرا في قوله تعالى قل اوحى الى انه استمع نفر من
الجن واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وكما سموا قوما ونقل الفرا عن بعض العرب انه قال وهو يحدث جا قوم من
الجن فوقفوا فقيل من انتم فقالوا ناس من الجن فعلى هذا يكون والناس عطفا على الجنة كما تقدم ويكون التكرير لاختلاف
اللفظين والجنة جمع جنى كما يقال انس وانسى والهاء لتانيث الجماعة وقيل ان ابليس يوسوس في صدور الجن كما يوسوس
في صدور الناس عام في الجميع ومن الجنة والناس بيان لما يوسوس في صدوره وقيل معنى من شر الوسواس اى
الوسوسة التى تكون من الجنة والناس وهو حديث النفس قال
النبى صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل تجاوز لامتى
عما حدثت به انفسها ما لم تعمل او تتكلم به
والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب
وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول
ولا قوة الا بالله العلى
العظيم وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم
امين
تم

[illegible]

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله عز شأنه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور بابا عنب
وكفى عبده

٥٤